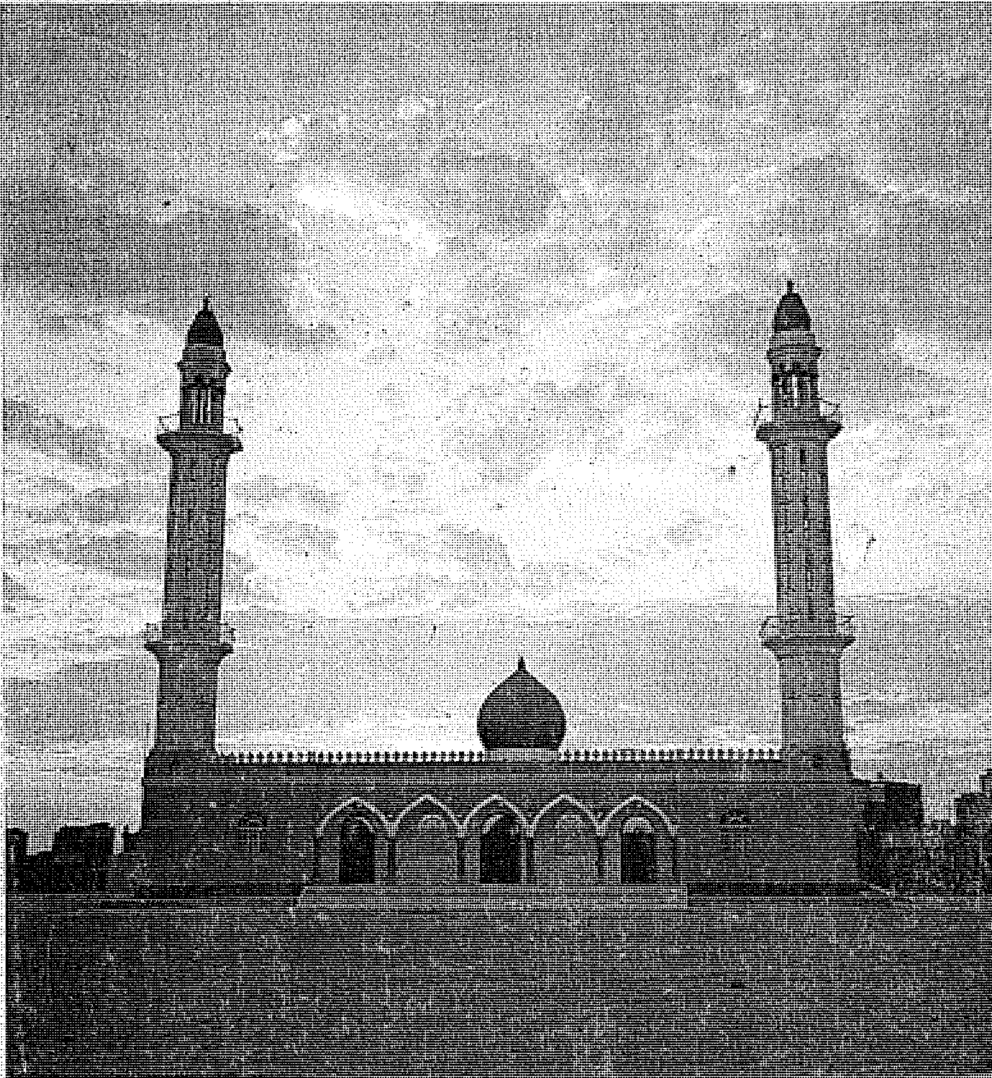
الوعي الإسلامي

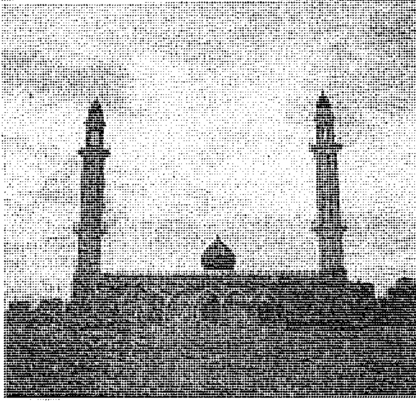
إسلامية ثقافية شهرية

السنة التاسعة ـ العدد ١٠١ ـ غرة جمادى الأولى ١٣٩٢هـ ٢ يونيه (حزيران) ١٩٧٢ م



وقل اعملوا فسیری الله

عملکم ورسوله والمؤمنون



مسجد مدينة عيسى

بناه أمير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة عام ١٩٦٨م .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

العدد (١٠١)

غرة جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ

٢ يونيه (حزيران) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطر

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ ـ كويت ـ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

١

العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق

العلمانية في مرحلتها الأولى من الفكر الأوروبي وهي تمثل التنافس على السلطة

للدكتور محمد البهى

العلمانية والاسلام .. بين الفكر والتطبيق

مقـــــدمة :

يفرض علينا الاجنبى ــ منذ الاستعمار الغربى فى القرن التاسع عشر : « موضوع التفكير » ويجرنا الى مشاكل ليست من طبيعة بيئتنا ، ويدفعنا فى

متاهات ننسى فيها ديننا وتاريخنا وكل عوامل مقوماتنا ، أو نتركها عن قصد . وربما نتركها متحدين إياها ، وجاهد ين فى حمل الآخرين منا علــى الترغيب عنها :

فرض علينا « العلمانية » فى تعليمنا فى مدارسنا وجامعاتنا ، وفرضها علينا فى تشريعنا وفرضها علينا فى تفكيرنا وسلوكنا ، وفرضهـــا علينا فى سياستنا ، وفرضها علينا فى اقتصادنا .. ففصل بين الاسلام وحكم الدولة ، وأبعد الاسلام عن مجالات الحياة العامة ، وتركه فى داخل المسجد وفى قلوب الناس ، يمارسونه اعتقادا وقلما ينزلون به الى التطبيق .

ويحاول منذ الحرب العالمية الثانية ان يفرض علينا علمانية من نوع آخر متطرف .. يحاول ان يفرض علينا الغاء الدين عقيدة ، بعد ان طمست معالمه عملا فى أوضاع المسلمين .. يحاول ان يصل بنا الى ما يسمى : « الالحـــاد العلمى » وهو مرحلة من مراحل العلمانية كى تصل عن طريقه الى مجتمع غيــر طبقى !! .

يفرض علينا العلمانية كحل لمشكلـــة ازدواج السلطة ، وكحل آخر لتحقيق ما يسمى بالعدالة الاجتماعية .

هل المجتمع الاسلامى فى ظل الاسلام ومبادئه : فى الحكم والسياسة ، وفى نظرته الى الانسان ، وفى تحديد منهج السلوك له .. تنشأ لــه مشكلـــة تتعين العلمانية حلا لها ؟ أم ان العلمانيـــة كحل تتطلب أن نستورد من الأجنبــى عنا مشكلته اولا ؟ فان صعب استيرادها فلنتصورها على الأقل ، وتكون العلمانية عندئذ حلا لوهم وليست لحقيقة قائمة فعلا ؟
ان هذا البحث يحاول الإجابة عن هذين السؤالين .

أ ـ العلمانية ـ والإسلام : فى الفكر :

■ الإنسان فى ظل مبادىء الاسلام لا يرتفع الى مستوى الألوهيـــة والقداسة فى التقدير ، كما لا ينزل الى مستوى الحيوان فى السلوك والمعاملة .. ولا يعصم عن الخطأ فى الحكم والرأى والسلوك ، بل كما يصيب : يخطىء .. والوظيفة العامة التى يتقلدها الانسـان ـ أيا كانت منزلتها ـ لا تغير من خصائص طبيعته البشرية .. وحكومة الاسلام فى تطبيق مبادئه ليست الهية ، بل هى بشرية تخضع للنقد ، وتقبل الشورى والمطالبة بها .. ورأى الانسان (أو اجتهاده) لا يلتزم به الا الانسان صاحب الرأى نفسه .. وإمام المسلمين أو رئيس دولتهم هو بحكم نظام الإسلام فى الخلافة من الخيرة بينهم : ايمانا بالله ، ومعرفة بمبادىء الاسلام ، وأكثرهم تجنبا للظلم والاعتداء ، واحقاقا للحـــق واقرارا للعدل .

والعلمانية اذن ليس لها مكان فى وجود الانسان مع الاسلام . فاما ان يوجد الاسلام ولا علمانية ، أو توجد العلمانية ولا اسلام . والعلمانية فى تصور بعض المسلمين المعاصرين وفى محاولتهم التوفيق بينها وبين الاسلام فى مجتمع اسلامى .. تعود الى قصور فى تصور الاسلام ، ثم الى رغبة فى محاكاة حلول فـــى

تفكير الغرب ، لمشاكل كانت وليدة البيئة الغربية ، ونتيجـة الصراع فيها حول السلطة والتفرد بالقوة فى كل جوانبها فى المجتمع الأوربى .

ان العلمانية على غير قياس الى العالم ـ أو العالمية Secularism هى نظام من المبادىء والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الدينى والعبادة الدينية .. هو اعتقاد بان الدين والشئون الاكليركيـة (اللاهوتيـة والكنسية) والرهينة لا ينبغى ان تدخل فى أعمال الدولة ، وبالاخص فى التعليم العام . والتحول الى العلمانية هو التحول من الملكية الدينية الى الملكية المدنية ، أو من الاستعمال الدينى الى الاستعمال المدنى .. هو التخلص من سلطـة الرهينة والعهد الرهبنى .. هو التحول الى الانتماء المدنى .

... والعلمانى Secular : هو ما يتعلق بالحياة الدنيوية المؤقتـة وليست له قداسة مقابل الشئون الكنسية . ومنه الموسيقى الدنيوية مقابـل الموسيقى الدينية أو الكنسية ، والمدرسة الدنيوية أو المدنية مقابل المدرسـة الاكليركية .

فى المجتمـع الأوربى :

وهنا اذن : ثنائية المجتمع الأوربى .. هنا دولة ـ وكنيسة .. هنا مدنى ـ ودينى .. هنا حياة دنيوية غير مقدسة ـ وحياة أخرى كنسية لها قداستها .. هنا دولة لها سلطة وتريد ان تتوسع فى سلطتها . وهنا كنيسة لها سلطة كذلك وتريد ان تحافظ على الأقل على سلطتها فى مواجهة سلطـة الدولة . وهنا حياة مدنية ودنيوية تخضع للتغيير والتطور . وهنا حياة دينية كنسية فى منأى عن التغيير والتطور .

هذا مشكل لا يبرز اشكاله الا وقت ان يتخاصم الطرفان ويمتنع أي منهما عن أن يخضع للطرف الآخر ، بسبب من الأسباب .

كانت الكنيسة تكاد صاحبة السلطة المسيطرة طوال القرون الوسطى فى أوربا .. حتى ابتدأ الانسان الأوربى يكشف مجالا آخر يرى فيه استقلاله عن الكنيسة ، وهو مجال البحث الطبيعى . ثم يشعر بوجود نفسه المستقل يوم أعلن قانون الجاذبية .. وأخذ يعتز بنفسه يوم استخدم قوة البخار فى الصناعة .. ثم كلما اكتشف قوة أخرى كلما ابتعد عن الكنيسة وسيطرتها ، وكلما اتهم الكنيسة ونال من دين الكنيسة . فزادت اتهاماته بعـد أن عرف قـوة الكهرباء ، وفجر الذرة ، وبحث الفضاء . وهو اذ يوجه اتهاماته للكنيسة وينال من دينها لم يكن ذلك بناء على أدلة علمية يقينية توجب ابعاد المسيحية . وانما فى الأغلب يستهدف من كثرة الاتهام والنيل .. المحافظة على حريته فى حركة البحث وفى السلوك فى ظل دولة قوية مستقلة عن الكنيسة وعن رأى رجال الأكليروس فيها .

والذين كانوا يوجهون الاتهامات الى الكنيسة وينالون من المسيحية فى عصر من العصور بعد القرون الوسطى ـ وبالأخص من القرن السابع عشر ، الى القرن التاسع عشر ـ لم يسلموا من المعارضة .. والمعارضة العلميـة القوية . فالقوانين مثلا التى قامت عليها الماركسية فى القرن التاسع عشر ـ وكانت نظرتها الى الكنيسة والدين أشد مراحل العلمانية عنفا ضد الكنيسة والدين

ـ هذه القوانين لم تسلم لها من الوجهة العلمية :

١ ــ فنشأة الأنواع وتطورها ــ كما نذكر عند : داروين Darwin (١٨٠٩ ــ ١٨٨٢) ــ و Haeckel (١٨٣٤ ــ ١٩١٩) هيكل .. بقيت حتى الآن لغزا ، كما كانت ، ولم تصبح قانونــا علميــا ، كما ادعت الماركسيــة وأسست عليها تفكيرها .

٢ ــ والأصل الميكانيكى الذاتى ، الذى يؤكد أن الحياة كلها ، من : عقلية ، ونفسية ، وسلوكية صادرة عن « مادة » عضوية فى الانسان .. هذا الأصل لا يعتبر من الحقائق العلمية فى نظر كثير من الباحثين .

٣ ــ والمادية كمذهب تحت أى عنوان .. انتهى أمرها اليوم ، عــلى الأقل فى ميدان البحث العلمى . وبالأخص : جعل الاقتصاد أساس الحيــاة الانسانية فى جميع اتجاهاتها .. نقضه ماكس فيبر Max Weber (١٨١٤ ــ ١٩٢١) فى كتابه : « البحوث الدينية الاجتماعية » (ثلاثة اجزاء سنة ١٩٢٠) بالدين عند الهنود، والصينيين ، واليهود .. والمجتمع والاقتصاد فى القرون الوسطى وصلته بالتفكير الكنسى .. والرأســــمالية وتأثرها بتعاليــم كالفن : (١٥٠٩ ــ ١١٥٦٤) .. وبالحقائق الرياضية والمنطقية وعدم صلتها بأى أساس مــادى .

■ مشكل تنازع السلطة بين الدولة والكنيسة ، أو بين الدنيوى غيــر المقدس ، والكنسى المقدس تصور حملة بعض المفكرين فى أنه يجب أن يكــون الحل النظرى على الأقل ــ فى توزيع السلطة وتقسيمها بين الطرفين : يكون للدولة مجال ، وللكنيسة مجال .. تكون للدولة الشئون السياسية والاقتصادية والتعليمية ، والتشريعية بما لا يمس الكنيسة ، وتكون للكنيسة شئون الأسرة فى مراسيم الزواج ، وطقوس الوفاة ، ونظام الرهبنة والاكليروس ..

وهذا التقسيم ، أو الفصل بين السلطتين يأخذ اسم « العلمانية » . وقد مر فى التفكير الأوربى بمرحلتين :

١ ــ المرحلة الأولى : مرحلة العلمانية المعتدلة :

وهى مرحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر . المرحلة الثانية : مرحلة العلمانية المتطرفة . وهى مرحلة القرن التاسع عشر . وقد بلغت قمتهــا فى التطرف فى الفكر المادى التاريخى .

فالمرحلة المعتدلة ان اعتبر فيها الدين أمرا شخصيا لا شأن للدولة فيه ، فان على الدولة مع ذلك أن تحمى الكنيسة .. وبالأخص فــى جبايــة ضرائبها . وأن طالب التفكير العلمانى فى هذه المرحلة بتأكيد الفصل بين الدولة والكنيسة ، فانه لا يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها ، وان كان ينكر فيها بعض تعاليمها ، ويطالب باخضاع تعاليم المسيحية الى العقل ، والى مبادىء الطبيعة ، مما نشأ عنه ، ذلك المذهب المعروف باسم : Deism .. وهو مذهب يعترف بوجود الله كأصل للعالم ، ولكنه ينكر : الاعجاز ، والوحى ، وتدخل الله فى العــالم ومن اتباع هذا المذهب :

١ ــ Voltaire فولتير (١٦٩٤ ــ ١٧٧٨) فى فرنسا .
٢ ــ Shaftesburg شفتسبرى (١٦٧١ ــ ١٧١٣) فى انجلترا .
٣ ــ Lessing ليسنج (١٨٧٢ ــ) فى المانيا .

■ ومن فلاسفة هذه المرحلة المعتدلة للعلمانية فى التفكير الأوربى الأدبى : الفيلسوف الانجليزى لوك Loke (١٦٣٢ — ١٧٠٤) : فهو يرى أن الدولة الحديثة التى رفعت عن شئونها كل وصية للكنيسة .. تنظر الى كل اعتقاد دينى على أنه رأى شخصى ، والى كل رفقة فى الدين على أنه ترابط حر ، يجب أن يتحمل وأن يدافع عنه ، طالما لا يهدد نظام الدولة بالاقلاق أو التخريب .

وقد شارك ليبنيز Leibniz (١٦٤٦ — ١٧١٦) لوك — كى يكون الوحى المسيحى مطابقا للعقل — فى وجوب حذف بعض التعاليم المسيحية : كعقيدة : التثليث ، وعقيدة : الطبيعة الالهية الانسانية للمسيح ، على أن يصبح الوحى الالهى للانسان عامة هو : القوانين ، والمبادىء وليس ما وراء الطبيعة ، كما وقع لموسى .

وبالرغم من أن يصبح الدين بعد هذا التعديل فى الوحى موضوعيا .. فانه يظل أمرا شخصيا ، يلتزم به الشخص وحده ، دون صلة بالدولة .

■ ومن فلاسفة هذه المرحلة المعتدلة فى العلمانية كذلك : الفيلسوف الانجليزى الآخر هوبز (١٥٨٨ — ١٦٧٩) : Hobbes

فهو يرى : أن الدولـــة « عقـــد » وأن عليها أن تسوق الانسان بالاكراه .. الى الانضمام الى هذا العقد . ودفع الانسان بالاكراه الى الانضمام الى عقد الدولة ناشىء عن نظرته الى الانسان على أنه : « أنانى » من طبيعته . على العكس من نظرة روسو Rousseau (١٧١٢ — ١٧٧٨) الى هذه الطبيعة . فطبيعة الانسان فى نظر روسو .. هى طبيعة خيرة ، وأن الانسان اجتماعى باحساسه . ولذا لا يدفع ، بل ينتظر منه : أن يشارك من نفسه فى الدولة كعقد اجتماعى ، لصالح الكل .

ويتحدث هوبز عن « سيادة » الدولة . فيجعل الدولة هى المصدر الوحيد للقانون ، والأخلاق ، وكذلك الدين . ويقول فى شأن ذلك : « لهذا أعلن أن سلطة الدولة العليا لها الحق فى أن تفصل هى فى بعض التعاليم : هل هذه التعاليم تحتمل بالنسبة لطاعة المدنيين للدولة أم لا ؟ . فاذا كانت لا تحتمل فيجب تحريم انتشارها » .

وفى نظره فان ممارسة الدولة لسياستها هو لعب بقوة الأنانية المتجمعة . فالأفراد أنانيون بطبائعهم . ومن مجموع أنانيتهم تتكون قوة الدولة . والدول فى علاقات بعضها مع بعض يسود فيها وضع الطبيعة المسمى الآن بالسيادة . ومن أجل سيادات الدول فى نظر : هوبز .. يستمر الحرب . والقوة ، والمنفعة ، كلتاهما تحددان وحدهما طبيعة الجماعة .

ولتوضيح العلاقات بين الدول ، وأنها علاقات قائمة على استخـــلاص المنفعة واستخدام القوة يظهر التمثيل بالحيوان كشعار للدولـــة فى فلسفـــة الفلاسفة .

فعند هوبز : الذئب هو شعار الدولة .
وعند مكيافيلى : شعارها هو : الأسد والثعلب .
وعند اشبلنجر : شعارها هو : النسر .
وعند ليسنج : شعارها هو : القرد الجارح .

ومن حرص هوبز على سيادة الدولة : يعارض كل اتجاه يعارضها ، وبالأخص يتجه بمعارضته الى الكنيسة . والأمر عنده فى مخاصمة الكنيسة ليس

هو أمر التفتيش عن الحقيقة ، أو القانون ، أو الدين .. بقدر ما هو محافظة على قوة الدولة وسيادتها . وللدولة — أو للأكثرية — أن تفعل فى نظره ما تهوى وما تريد . والانسان فى تمثيله للجماعة له : ان يستحسن ، أو يستقبح ما يشاء . وبذلك يعود الانسان من جديد مرة أخرى — بعد السوفسطانية فى الفكر الاغريقى القديم — الى أنه هو : مقياس الأشياء ومعيار القيم . وعلى هذا النحو تنظر الشيوعية الى الفرد . فهى ترى مغزى وجوده فى وجود الانسان العام : فى وجود « الوحدة الجماهيرية » .. فى وجود « الدولة » .. فى وجود « الحزب ».عن هذه النظرة تصل الشيوعية الى : الدولة المطلقة . ونظام الدولة المطلقة يجعل الدولة : هى المبدأ .. والمصدر الأخير لكل جانب من جوانب الحياة .

واندفاع هوبز الى التقدير الأعمى للانسان العام يعود الى خضوعه الى اتجاه المادية ، ورؤيته الحقيقة كلها — وليس بعضها فحسب — فى الماديات . ثم يعود أيضا الى ايمانه : بقانون الحركة الطبيعية بين الضغط — والدفع ، والسبب . والمسبب تلك الحركة التى تنشأ عن أسباب طبيعية خالصة فى تعليل الأحداث اذ عن طريق تأثر هوبز بالأمرين معا .. لم ير الا السيادة المطلقة للدولة فى تجميع الأفراد الأنانيين بطبيعتهم ، على العقد . كذلك يصدر رأيه عن هذا التأثر بوجوب معارضة الدولة للكنيسة فى سبيل احتفاظها بالقوة المطلقة ، وأيضا باستخدام الحرب مع دولة أخرى .

ولم يسلم هوبز من المعارضة القوية لرأيه فى الدولة وفى معارضة سلطة الكنيسة . فقد قام فى وجهه فى انجلترا ما يسمى : بمدرسة كمبردج . ومن اقوى المعارضين له فى هذه المدرسة : رالف كودورث Ralf Culdworth (١٦١٧ — ١٦٨٨) : فقد عارض مذهبه الالحادى ، ورفض : أن تكون الأخلاقيات بحيث يمكن أن تنشأ عن الفهم الطبيعى ، كما يدعى هوبز . وأكد : أن هذه الأخلاقيات تتأصل فى المثل العليا فى العقل الالهى . والعقل الانسانى يسهم فيها عن طريق انه مخلوق لله .

ومن انصار هذه المدرسة :

١ — صموئيل باركر Samuel Parker
٢ — هنرى مور Henri More
٣ — جون سميث John Snith

■ وأما الفيلسوف الانجليزى الآخر : هيوم Hume (١٧١١ — ١٧٧٦) فهو مع كونه ملحدا ينكر الله ، كما ينكر خلود الروح .. الا انه كرجل من رجال التقاليد فى انجلترا .. يبقى على اعتبار الدين ، كايمان فقط . فالدين فى نظره ليس علما . وانما هو احساس فقط .. احساس بالايمان بموجود قوى فوق الانسان .. هو احساس ناشىء عن تغير موجات الحياة ، وظلام القدر ، والترقب المخيف والقلق من المستقبل ، وبالأخص بعد الموت . والوثنية هى الصورة الأولى لهذا الايمان .

■ وفى فرنسا ظهر الفيلسوف Jean Jecques Rousseau (١٧١٢ — ١٧٧٨) روسو : وهو يتفق مع هوبز فى ابعاد الدين عن الدولة وعن التربية على وجه أخص . ولكنه يختلف معه فى سبب المطالبة بابعاده . فهو فى فلسفته على

الضد من فلسفة هوبز .. هو انساني وليس بمادي . ويستهدف في فلسفته تقدم الانسانية وحريتها ، وسعادتها . ولكن بوسائل أخرى غير تلك التى نادى بها فولتير . فروسو كان من أصحاب القلب والإحساس ، بينما فولتير كان من أصحاب العقل والتفكير .

روسو يرى : أن الانسانية يجب أن تعود الى الطبيعة الأولية .. الى فضيلة المواطن .. الى سعادة الأسرة والمنزل . ولكن يقف فى طريق سعادة الانسانية — فى نظره — التناقض بين الطبقات ، والطبقة الحاكمة ، وكل المنظمات التى تحتفظ بالقوة المسيطرة وتسعى الى الاحتفاظ بها من : مدنية ، وكنسية.

وبالرجوع الى الطبيعة الأولى وحدها — فى نظره — توجد بين الناس : المساواة ، والحرية ، ولذا : الناس أخوة .. وليس بالرجوع الى الثقافة ، والمدنية ، ولا الى المجتمع الذى يحمل ذلك .

وبسبب الحرية والمساواة .. يعطى روسو : الكلمة الديمقراطية الراديكالية وسيادة الشعب ، بدلا من تعاليم : الدولة المطلقة عند هوبز ، وبدلا من الملكية الدستورية للنموذج البريطانى عند مونتسكى Montesquieu (١٦٨٩ — ١٧٥٥) . وفى نظره ليست هناك حاجة الى نيابة برلمانية ، طالما تكون القوة الحقيقية للشعب . ويكفى من وقت لآخر : ان يقترع الشعب على بيان يعلن عليه . والا لا تكون القوة فى الواقع لهؤلاء الناس الطيبين ، ولا للشخصيات الحية فى أصلها التى تصنع الدولة . وانما تكون القوة عندئذ لتلك المؤسسات الثقافية الجامدة ، ولتلك الاحزاب ، والطبقات ، والمنظمات التى تنمو وتتعاظم فوق رءوس الشعب وتسلبه حريته ، معتمدة على تجاربها .

فالدولة هى الشعب نفسه . ولا ينبغى أن ينظر الى الشعب الا على انه اتحاد اجتماعى حر (عقد اجتماعى) صادر عن ارادة المواطنين ، الذين هم كذلك ليسوا شيئا آخر سوى : أنهم مواطنون ، متساوون ، أحرار ، طيبون .

وفى التربية — للمحافظة على الوضع الطبيعى الأصيل للانسان — يجب ان يترك التلميذ حرا ، بدون اكراه له من الخارج .. يجب أن يتبع ما له من استعدادات وطاقات ذاتية : بحيث ينشأ صادقا فى حسه ، وطبيعيا مع خصائصه وللمحافظة على ان يكون طبيعيا فى نموه يجب ابعاد غير الطبيعى من ، القوى : الثقافية ، والعادة ، والقانون ، وكذلك تعليم المسيحية الخاص « بالخطيئة الموروثة » . « فكل شىء من صنع الخالق عندما يخرج .. هو حسن ، وكل شىء يقع تحت أيدى الانسان .. ينحط ويتغير » .

هذه هى الجملة الأولى فى كتابه التربوى : « أميل » . وفى هذا الكتاب يركز روسو على الطبيعة ويجعلها وحدها هى العامل الفاصل . **كما يجعل الدين فى التربية أمرا ضد الطبيعة** . فالايمان فى أكثر الناس هو أمر جغرافى ، ويتعلق بالانسان وحده : هل هو ولد فى مكة ، أو فى روما .

وروسو على وجه التأكيد ضد تلقين الأطفال الحقائق الميتافيزيقية ، التى لا يمكن أن تدرك بالحس . ولذا — من وجهة نظره — ينبغى الا يتبع الطفل حزبا دينيا . ولكن يمكن من الاختيار بنفسه ، على أساس من عقله الخالص .

وفى الوقت الذى يتجه روسو فيه ضد الالحاد يتجه أيضا ضد الأدلة الميتافيزيقية على وجود الله ، التى يحتضنها علم اللاهوت الكنسى . فالله — فى

نظره — **ليس موضوعا للعلم ولا للعقل ، بل هو موضوع للاحساس والقلب .** والايمان بالفضيلة والخلود هما : الدين الصادق .

■ ليسنج Lessing (١٧٢٩ — ١٧٨١) والدين :

والدين فى نظر ليسنج ليس شيئا نهائيا . ولكنه يكون مرحلة يقوم عليها طريق الحياة للانسانية . والأديان كلها تقع فى مجال التطور — ككل ما يقع فى التطور — ويجب أن تخطو الى ما هو افضل واحسن . وفى الأديان الكبيرة يستهدف الله توجيه الانسانية الى ما هو حق وصح . وليست هناك حقيقة أبدية لا تنقض ، وانما هناك سعى نحو الحقيقة .

★ ★ ★

وفى هذه المرحلة الأولى للعلمانية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .. هذه المرحلة التى تعتبر معتدلة نوعا ما عن المرحلة التالية .. تكمن دوافع الفصل بين الدولة والكنيسة ، أو بين الدين والدولة فى الأسباب الآتية :

أولا : — الحرص على سيادة الدولة سيادة مطلقة ، فى مواجهة الكنيسة ووصايتها السابقة فى القرون الوسطى على الانسان ، كما هو واضح عند : هوبز .

وثانيا : — اتهام المسيحية ببعد بعض تعاليمها عن العقل — كعقيدة التثليث ، وعقيدة الطبيعة الالهية الانسانية للمسيح — كما يرى فى فلسفة : لوك ، ولينتز ، وفى محاولتهما — مع آخرين — لتصفية المسيحية على أساس من منطق العقل ، كما يدعى ، وتسمية ما يخضع للعقل باسم : دين العقل .

وثالثا : — النظر الى الدين فى التربية على أنه ضد « الطبيعة » كما فى نظرة روسو اليه ، بناء على تعليم المسيحية : « بالخطيئة الموروثة » .

ورابعا : — اعتبار الدين أمرا متطورا ، وليس بنهائي ، كما يراه ليسنج ، وبالتالى : حقائقه حقائق متغيرة وقابلة للنقض .

واذا كان هوبز قد كشف واضحا فى فلسفته عن عامل الفصل بين الدولة والدين ، وهو عامل الحرص على سيادة الدولة .. وهو عامل يتصل بالتنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة ، اكثر منه عامل يبرر عزل المسيحية عن الحياة الانسانية العامة ، فان العوامل الثلاثة الأخرى تتجه الى نقد الدين ، وهى وان اتجهت الى نقد الدين والنيل من تعاليمه ، ولكنها تتجه فى واقع الأمر الى تفسيرات فى المسيحية أصبحت تقليدا وعقيدة لبعض كنائسها . ولكن جوهر المسيحية لا يخرج عن كونه دعوة للروحية الانسانية فى مواجهة المادية التى طغت فى آخر عهود الموسوية .

(للبحث بقية)

★ ★ ★

مباحث قرآنية

التعريف بالقرآن الكريم

١

للدكتور محمد حسين الذهبي

المشهور بين علماء اللغة : أن لفظ القرآن — في الأصل — مصدر مشتق من قرأ . يقال : قرأ قراءة وقرآنا ، ومنه قوله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآنه فاتبع قرآنه »(١) — أى قراءته .

ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علما شخصيا (٢) على الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

وعلماء الشريعة يعرفون القرآن ، بأنه كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه ، والمنقول إلينا بالتواتر .

وبعضهم يزيد على هذا التعريف قيودا أخرى مثل : المعجز ، أو المتحدى بأقصر سورة منه ، أو المتعبد بتلاوته ، أو المكتوب بين دفتي المصحف ، أو المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس .

والواقع أن التعريف الذى ذكرناه آنفا تعريف جامع مانع ، لا يحتاج الى زيادة قيد آخر ، وكل من زاد عليه قيدا أو قيودا مما ذكرناه ، لا يقصد بذلك إلا زيادة الإيضاح بذكر بعض خصائص القرآن التى يتميز بها عما عداه .

ومعلوم أن للقرآن الكريم خصائص كثيرة يتميز بها عن كل ما عداه من كلام إلهى أو غير إلهى ككونه معجزا أو متعبدا بتلاوته .

ومعلوم أيضا — أن للقرآن صفات يشاركه فيها غيره من كلام الله أو كلام البشر ولكنها صفات لازمة لا تنفك عنه لأنها من عناصر قرآنيته ، ولو أنها انفكت عنه لخرج عن كونه قرآنا ، وذلك كوصف كونه عربيا الذى يشاركه فيه الحديث النبوى والحديث القدسى ، وكوصف كونه متواترا الذى يشاركه فيه بعض الأحاديث النبوية .

ونرى لزاما علينا أن نذكر بعض هذه الخصائص والصفات بشىء من التفصيل والايضاح حتى لا يقع لبس أو خلط بين ما هو قرآن وما خرج أو هو خارج من الأصل عن كونه قرآنا :

١ — فمن خصائص القرآن كونه معجزا ، وإعجاز القرآن خصوصية خصه الله بها من بين كتبه المنزلة على سائر الأنبياء عليهم السلام ، وميزة تميز بها عن كل كلام آخر منسوب لله سبحانه أو لأى إنسان وبأى لسان .

٢ — ومن خصائص القرآن الكريم كونه متعبدا بتلاوته ، فقراءة ما تيسر

منه ركن من أركان الصلاة لا تتم بدونه وأيما صلاة وقعت خالية من القراءة مع القدرة عليها فهى باطلة ، وقراءة القرآن خارج الصلاة عبادة أيضا ، ولم نعرف مثل هذه الخصوصية ثابتة لشىء آخر من الكتب السماوية أو غيرها .

وعلى هذا فالحديث القدسى ليس قرآنا على الصحيح من كونه منزلا من عند الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه ، وذلك لأنه فقد عنصرين من عناصر القرآنية وهما : الإعجاز والتعبد بتلاوته ، كما فقد عنصرا آخر يأتى بعد ، وهو التواتر .

ولو ادعى مدع ثبوت بعض الأحاديث القدسية بالتواتر — وما أظن ذلك — فانها لا تكون قرآنا أيضا لفقدها العنصرين السابقين معا ، مع أن فقد واحد منهما كاف فى تخلف وصف القرآنية عنها .

٣ — ومن صفات القرآن التى لا تنفك عنه ، كونه عربيا ، وفى القرآن الكريم آيات كثيرة ناطقة بأنه نزل من عند الله كذلك :

« وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم »(٣) .

« وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها »(٤) .

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون »(٥) .

« نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين »(٦) وعلى هذا فأى خروج بالقرآن الكريم عن لفظه العربى المنزل من عند الله يزيل عنه حقيقة القرآنية .

وإذا فتفسير القرآن الكريم ، وترجمته الى غير العربية — مهما روعى فيهما المحافظة على معانيه ومراميه — لا يعدان قرآنا ، ولا يكون لأى منهما ماللقرآن من حرمة وقداسة(٧) ، ولا ما فيه من خاصية التعبد به وروعة الإعجاز ، لأنه خرج بذلك عن كونه كلام الله الى كونه كلام البشر ، والبشر يخطىء ويصيب ومحال أن تقوم عبارة انسان — عربية كانت أم غير عربية — مقام عبارة الله تعالى فى جودة معانيها ، ودقة مراميها ، وخصائص أسلوبها ، وبراعة نظمها ، وسر فصاحتها ، وروعة بيانها .

وهنا نستطرد الى مسألتين لهما تعلق بهذا الموضوع :

المسألة الأولى : هل معنى أن القرآن عربى أنه لا يحتوى على شىء من لغات غير عربية ؟ والجواب عن هذا : ان القرآن الكريم ليس فيه — قطعا — جملة مركبة بلسان غير عربى . إنما يوجد فيه — باتفاق — أسماء غير عربية هى أعلام على أشخاص بأعيانهم ، كابراهيم ، وإسحق ، ويعقوب ، وإسرائيل ، وموسى ، وعيسى .. ووجودها فى القرآن لا يخرج به عن كونه عربيا ، لأن الأسماء التى وضعت أعلاما لأشخاص تبقى كما هى ولا يتصرف فيها عند نقلها الى لغات غير لغاتها الأصلية ، والا لكان معنى ذلك : إزالة الاسم عن مسماه واطلاق اسم آخر عليه لا يعرف به ولا يعينه .

وفى القرآن الكريم أسماء ليست أعلاما لأشخاص مثل : استبرق ، وقسطاس ، وسجيل ، ومشكاة .. وغيرها .

وقد اختلف العلماء فى أصل هذه الأسماء :

فمنهم من قال : إن هذه الكلمات مما اتفقت فيه اللغات ، فهى موجودة فى اللغة العربية ، وموجودة فى غيرها ولا يخرج بالقرآن عن كونه عربيا أن تكون بعض كلماته موجودة فى لغة أخرى ، لأن اتفاق بعض اللغات فى استعمال لفظ ما للدلالة على معنى معين لا يخرجه عن كونه أصيلا فى كل منها ، وإنما يخرجه فقط عن نطاق

الاختصاص والانتساب الى لغة بعينها .

ومن العلماء من قال : إن هذه الالفاظ اعجمية الأصل ولا زالت اعجمية ، ووجودها فى القرآن لا يخرجه عن كونه عربيا ، لانها قليلة جدا ، واقتباسها وإدماجها فى هذه الكثرة الساحقة من الكلمات العربية التى احتواها القرآن مما يجعلها تمييع وتتلاشى حتى لا تكاد تحس منها نبوة العجمة .

وذهب فريق ثالث من العلماءالى ان هذه الألفاظ اعجمية الأصل ، ولكنها — تبعا لنظرية تداخل اللغات فى فقه الله — استعملت من قديم وقبل نزول القرآن الكريم في اللسان العربى ، ولانت بها السنة العرب حتى اصبحت عربية بالاستعمال ، ولا يخرج القرآن عن كونه عربيا باحتوائه على بعض هذه الألفاظ المعربة ، وهذا الراى الأخير هو اشهر الأقوال الثلاثة وارجحها .

المسالة الثانية : نقل عن الامام ابى حنيفة رضى الله عنه ، أنه يرى جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة ، وزعم زاعم — بناء على ذلك — ان ابا حنيفة يرى أن القرآن اسم للمعنى فقط ، وهذا يناقض ما قلناه من أن القرآن اسم للفظ والمعنى معا .

وتوضيح المسألة : ان ما نقل عن ابى حنيفة — مخالفا به سائر الفقهاء حتى أصحابه — من جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة ، محمول على ان الصلاة مناجاة لله تعالى ، وما يقوله المصلى من معانى القرآن باللسان الأعجمى فى صلاته لا يقوله على انه قرآن ، وإنما يقوله على انه مناجاة منه لله عز وجل ، والمناجاة بأى لسان جائزة باتفاق .

ولكن بعض الفقهاء من اتباع ابى حنيفة رضى الله عنه يرى — والحق معه — ان هذا التوجيه لما نقل عن ابى حنيفة من جواز القراءة بالفارسية فى الصلاة غير مستقيم ولا مقبول ويقرر ان ابا حنيفة رجع عن قوله هذا إلى القول بعدم الجواز(٨) .

٤ — ومن صفات القرآن التى لا تنفك عنه كونه متواترا : اى رواه جمع كثير عن جمع كثير يحيل العقل اتفاقهم على الكذب من لدن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان وصل الينا ، وروايته على هذا النحو تفيد اليقين بقرآنيته . وعلى هذا فما روى بطريق الآحاد وهو ما لم يبلغ حد التواتر ، بأن رواه واحد ، او رواه جماعة لا يحيل العقل اتفاقهم علىالكذب — على انه من القرآن لا يعتبر قرآنا ، لأن رواية الآحاد تفيد الظن ولا تفيد اليقين والقرآن لا يثبت بالظن أبدا .

وإذا ، فما يروى بطريق الآحاد عن ابن مسعود او ابن عباس او غيرهما من الصحابة من بعض الفاظ على انها من القرآن : كقراءة ابى وابن مسعود فى كفارة اليمين ... « .. فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات » (٩) بزيادة لفظ متتابعات .

وقراءة ابن مسعود فى آية الإيلاء : « فان فاءوا فيهن فان الله غفور رحيم »(١٠) . بزيادة لفظ (فيهن) .

وقراءة ابن عباس آية الحج « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج »(١١) بزيادة جملة (فى مواسم الحج) .

وقراءة سعد بن ابى وقاص فى آية الكلالة : « وإن كان رجل يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت من أم فلكل واحد منهما السدس »(١٢) بزيادة جملة (من أم) .

.. ما يروى من ذلك ليس قرآنا لفقده عنصر التواتر الذى لا بد منه فى تحقق القرآنية وثبوتها ، وتسمية بعض المتأخرين من العلماء له قرآنا تساهل منهم لا اراه مقبولا ولا سائغا فى مثل هذا المقام الذى يتحتم فيه الدقة وعدم التسامح فى التعبير .

والظن بالعلماء الذين تسامحوا فعبروا عن هذه الكلمات بالقرآنية ، أنهم لا يقصدون أنها قراءات مروية عمن تنسب إليه من الصحابة ، وانما قصدهم ، أنها تفسيرات لهم .

أو لعل بعض الصحابة كانوا يفسرون القرآن ويرون جواز اثبات التفسير بجانب القرآن على هامش مصاحفهم التي كانوا يكتبونها لأنفسهم فظنها بعض الناس — لتطاول الزمن عليها — من أوجه القراءات التى صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواها عنه هؤلاء الأصحاب .

ومهما يكن من شىء يقال فى توجيه تسميتها قرآنا ، فهى ليست من القرآن فى شىء ، ومن يحتج بها من الفقهاء لا يحتج بها على أنها قرآن وإنما يحتج بها على أنها من قبيل أخبار الآحاد التى تروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبار الآحاد مما يجب العمل به وتقوم به الحجة إلا فى باب العقيدة .

٥ — ومن صفات القرآن اللازمة له : كونه منزلا على محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعنى هذا : ان ما انزل على غيره من الأنبياء لا يكون قرآنا حتى ولو حكاه القرآن ، على معنى ان ما جاء فى التوراة — مثلا — من قصص أو احكام ثم جاء القرآن بعد يحكيها ، لا تكون قرآنا حين نزلت على موسى ، ولا حين دونت فى الواح التوراة ، اما ما حكاه القرآن من ذلك بعد فهو قرآن من عند الله تعالى ، نزل به جبريل على قلب النبى محمد صلى الله عليه وسلم . ولا يخرجه عن القرآنية أن يكون مضمونه موجودا فى التوراة من قبل .

ونزيد ذلك ايضاحا فنقول :

إن القصة لها مضمون تناولته التوراة ، وتناوله القرآن ، والذى حكى القصة فى الموضعين هو الله سبحانه .. حكاها فى التوراة بأسلوب خاص ، وانزلها على موسى عليه السلام بلسان قومه فكانت من التوراة ، وحكاها فى القرآن بأسلوب خاص وانزلها على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان قومه ، فكانت من القرآن .

والآيات القرآنية التى تضمنت أحكاما كانت شرعا لغيرنا وكانت مدونة بلغتهم فى كتبهم المنزلة كقوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها(١٣) ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص »(١٤) . لا تخرج بذلك عن كونها قرآنا ، لأن الآيات التى من هذا القبيل نزلت على قلب النبى محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربى ، ولا يقدح فى قرآنيتها كونها حكاية لما فى التوراة أو غيرها من الكتب .

اما الأحكام التى تضمنتها هذه الآيات فالقول الفصل فيها ما يلى :

١ — إن اقترنت بما يفيد نسخها بالنسبة لنا فلا تكون شرعا لنا .

٢ — وإن اقترنت بما يفيد بقاء العمل بها فى حقنا فهى شرع لنا ، ولا نكون فى هذا متبعين لشريعة غيرنا ، بل نكون متبعين لشريعتنا التى جاء بها نبينا عليه الصلاة والسلام .

٣ — أما إن تجردت عن القرينة الدالة على شرعيتها أو عدم شرعيتها فى حقنا ، فهذه محل خلاف بين الفقهاء : ففريق يقول : هى شرع لنا .

وفريق آخر يقول : ليست شرعا لنا .

ولكل من الفريقين دليله الذى يستند اليه فى توجيه مذهبه وتصويبه .. وفى كتب أصول الفقه ما يغنى طالب المزيد من المعرفة .

الغرض من انزال القرآن الكريم

والغرض من انزال القرآن الكريم امران :

الأمر الأول : ان يكون معجزة لنبينا محمد صلى‌الله عليه وسلم ، تشهد بصدق دعوته وحقية رسالته .

الأمر الثانى : أن يكون دستورا للأمة الأسلامية تستمد منه الهداية والرشاد ، وتستلهم منه الصواب والسداد ، وتقتبس من نور تشريعه ما يأخذ بيدها الى عز الدنيا وسعادة الآخرة .

وصدق الله العظيم اذ يقول : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم »(١٥) .

وصدق الرسول الكريم حين يصف القرآن فيقول :

« فيه نبأ ما قبلكم ، وخير ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم »(١٦) .

صدق الله ورسوله : فلا عز الا والقرآن سبيل إليه ، ولا خير الا وفى آياته دليل عليه . ولقد عرف سلفنا الصالح هذا كله فتمسكوا بالقرآن فعزوا وسادوا ، ثم خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ، ويقولون : سيغفر لنا رضوا بأن يكونوا من الخوالف فطبع على قلوبهم ، وأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

وصدق الله العظيم : « ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »(١٧) .

(البحث بقية)

---

(١) الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة القيامة — وهناك آراء اخرى فى اصل الكلمة واشتقاتها . راجع الأتقان للسيوطى ، ومناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى .

(٢) يرى بعض العلماء انه علم جنس يصدق على القرآن كله وعلى ابعاضه . وكونه علما شخصيا هو الراجح — انظر مناهل العرفان .

(٣) فى الآية ٤ من سورة ابراهيم .

(٤) فى الآية ٧ من سورة الشورى .

(٥) فى الآية ٣ من سورة فصلت .

(٦) الآيات ١٩٣ — ١٩٥ من سورة الشعراء .

(٧) ولحرمة القرآن وقداسته لا يجوز لغير المتوضىء مس المصحف كما لا يجوز للجنب ولا للحائض مس المصحف ولا قراءة القرآن اما تفسير القرآن وترجمته فجائز مسهما وقراءتهما للمحدث حدثا اصغر أو أكبر ، لزوال حقيقة القرآنية عنهما .

(٨) انظر الاسلام عقيدة وشريعة ص ٤٨٣ — ٤٨٤ .

(٩) اصل الآية فى سورة المائدة رقم ٨٩ .

(١٠) اصل الآية فى سورة البقرة رقم ٢٢٦ .

(١١) اصل الآية فى سورة البقرة رقم ١٩٨ .

(١٢) اصل الآية فى سورة النساء رقم ١٢ .

(١٣) اى فرضنا على اليهود فى التوراة هذا الحكم وهو القصاص .

(١٤) فى الآية ٤٥ من سورة المائدة .

(١٥) فى الآية ٩ من سورة الاسراء .

(١٦) رواه الترمذى فى كتاب السنن هـ ٢ — ص ١٤٩ — ط : الأميرية .

(١٧) الآيات ١٢٤ — ١٢٦ من سورة طه .

من هدي السنة

حديث الغار

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا الى غار فانطبق عليهم ، فقال بعضهم لبعض : أنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه ، فقال واحد منهم : اللهم إن كنت تعلم انه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه واني عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا ، وأنه أتاني يطلب أجره : فقلت : اعمد الى تلك البقر فسقها ، فقال لي : انما لي عندك فرق من أرز ، فقلت له : اعمد الي تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها ، فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت عنهم الصخرة . فقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي ، فابطأت عليهما ليلة فجئت وقد رقدا ، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع ، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي ، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما ، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر ، فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء . فقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس الي واني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها اليها ، فامكنتني من نفسها ، فلما قعدت بين رجليها ، قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فقمت وتركت المائة دينار ، فان كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، ففرج الله عنهم فخرجوا » .

(رواه البخاري وغيره)

بين يدى البحث :

أ) منذ زمن طال ، والمهتمون بالدراسات القرآنية ، والآثار النبوية ، يرددون : أن التفاسير والشروح التى عالجت ذلك التراث الشريف ــ وأهمها

تجليته للأجيال المتعاقبة من مثقفي هذا الوجود طالبي المعرفـــة العالية ، الراغبين في السمو الفكري — كثيرا ما تنطوي على الاسرائيليات المقبولة حينا والممجوجة احيانا ، والتي ترد في أمهات كتب ذلك التراث الصادرة عن من لا يرمى لهم عن قوس ، ولا يدرك لهم شأو ، ولا يبلغ مدى معارفهم ، فهم من فاض غربهم بعلوم اللسـان ، وطال باعهم في ميدان المعقولات ، فقد كانوا قممها ولا يزالون — في آثارهم الخـــالدة — المجلين في حلبتها ، فهم ولا شك يعرفون الجيد ويميزون الرديء ، على دربهم يسار ، وبهم يقتدى ، وهذا ما حمل على التساؤل : كيف وقع أولئـــك الفحول في أحبولة الاسرائيليـــات ، مع سمو معارفهم ودقة ادراكهم لمقاصد الكتاب الكريم والسنة الشريفة .. ؟! حملني ذلك على أن أقدم لدراسة هذا الحديث الشريف بفذلكة يسيرة ، قد تزيل بعض الحيرة ، وتجيب على شيء من جوانب هذا التساؤل ، خاصة وأن الكلم الطيب موضـــــوع البحث متصل بقصة حدثت وقائعها في بني اسرائيل ، وان كانت رواية البخاري لم تشر الى ذلك ، فقد ذكر صراحة في رواية الطبراني : عن عقبة بن عامر .. ان ثلاثة نفر من بني اسرائيل .. الخ .

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأخذ عن بني اسرائيل والنظر في كتبهم أولا .. ثم حصل التوسع في ذلك ، فكأن النهي قد وقع قبل استقرار الأحكام الاسلامية ورسوخ القواعد الدينية خشـــــية الفتنة ، والانحراف عن الخط الاسلامي البين ، والاغترار بما دونه الاحبار في كتبهم خارجا عن نطاق التوراة ، وما سجلوه بعيدا عن رباط السـماء والوحي الالهي ، ثم لمـا زال المحذور واطمأنت الأصول الاسلامية في نفوس المؤمنين ، وركنوا اليها ، ولم يعد لغيرها سبيل لمنافستها ، أو الاختلاط بها ، أو التقليل من شأنها .. عندئذ وقع الإذن بالاطلاع على أخبار أهل الكتاب ، وأبيحت قراءة ما سطروا ومعرفة ما دونوا ، وخاصة الأخبار التي احتوت ما يفيد المسلمين من الاعتبـــار بتلك الاحوال ، والاقتداء بحسنها والتجافي عن سيئها ، فقال سيدنا رســـــول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري وغيره من الثقاة عن عبد الله بن عمـــر رضي الله عنهما : « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . وقال شراح الحديث الشريف : معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا حرج » ولا تضـــــيقوا صدوركم بما تسمعون منهم من الأعاجيب فان ذلك وقع لهم كثيرا ، وقال الإمام مالك رضي الله عنه : المراد « جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن أما ما علم كذبه فلا » وقيل : حدثوا عنهم بمثل ما روى القرآن والحديث الصحيح .

وقال الشافعي رضي الله عنه : من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحدث بالكذب ، فالمعنى : حدثوا عن بني اسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم ، وهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصـــــدقوهم ولا تكذبوهم » ويبدو — والله أعلم — أن السابقين لما سمعوا ما اثبت صحتـــه البخـــاري ، وما رواه أبو داود باسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رســـول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج » ترخصوا في رواية الاسرائيليات كيفما كانت ما دامت لا تصادم أصـــلا من أصول الدين ، ذهابا منهم الى أن المقصود بها الاعتبـــار بالوقائع التي أحدثهـــا الله تعالـــى لمن سلف لينهجوا منهج من أطاع منهم فأثنى الله عليهم وفازوا برضوانه ، ويتنكبوا

مسالك من غصوا وتمادوا فى البعد عن أوامر الله تعالى فحقت عليهم كلمة العذاب ، فلعل هذا هو ملحظ المفسرين والشراح الذين أوردوا الاسرائيليات فى تفاسيرهم وهى غالبا ما ترد للاستشهاد لا للتأسيس ، ولكن مما يثير الأسف أن البعض بالغ فى ايراد الاسرائيليات فكان حاطب ليل خلط عملا صالحا وآخر سيئا وجاء بمرويات لا يستسيغها العقل ولا يقبلها دارس مهما تدنت معرفته ومهما هبطت مداركه ما دام يعرف ولو شيئا يسيرا عن الاسلام وواقعيته التى لا تقبل الجدل بل وتنفى الخرافة وتعيب حاكيها ، ومما يخفف وقع تلك الخرافات انها لا تتصل بشىء من العقيدة ، وانما هى قصص يمجه الذوق ويرده أدنى نظر ، فمن غير الوارد عقلا ، وليس مندرجا تحت ميزان الفكر أن الأرض تستند الى قرن ثور ، والثور يقف على ظهر حوت ، والحوت يسبح فى بحر ، وان الهزات الارضية ، تنشأ عن تحركات الثور حين يعيى بحمله فينقل الارض من احد قرونه الى الآخر .. !!

ولهذا يقول الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : « اذا روينا الأحكام شددنا واذا روينا فى الفضائل تساهلنا ، وما وراء ذلك ننفيه عن وادينا ولا ندعه يجد مجالا فى دراستنا » . وقال بعض تلامذته : وبالأحرى فى القصص الغير بين الكذب أو الشديد المبالغة .. وعقب على كل ذلك الحافظ ابن كثير فى مقدمة تفسيره المسمى : (تفسير القرآن العظيم) بما نورده هنا اكمالا للفائدة ، وتعميما للمعرفة الحقة ، قال الحافظ ابن كثير : « الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد للاعتقاد ، وهى على ثلاثة اقسام : **أحدها** : ما علمنا صحته مما فى أيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح . **والثانى** : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه . **والثالث** : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجوز حكايته لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر دينى . ومن أمثلة حديثهم أى الاسرائيليين عن أسماء أهل الكهف ، ولون كلبهم ، وعصا موسى من أى الشجر كانت ، وأسماء الطيور التى أحياها الله لابراهيم عليه السلام وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من أجزاء البقرة ، وغير ذلك مما أبهمه الله تبارك وتعالى فى القرآن مما لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دينهم ولا فى دنياهم ، ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز كما قال تعالى : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ، فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا » ، فقد اشتملت الآية الكريمة على الأدب فى هذا المقام ، وتعليم ما ينبغى فى مثل هذا ، فانه تعالى حكى عنهم ثلاثة اقوال ، ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث فدل على صحته ، اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ، ثم أرشد سبحانه وتعالى الى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فقال فى مثل هذا « قل ربى أعلم بعدتهم » فانه ما يعلم ذلك إلا القليل من الناس ممن أطلعهم الله عليه فلهذا قال : « فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا » اى لا تجهد نفسك فيما لا فائدة ترتجى من معرفته ولا تسألهم عن ذلك ، فانهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب .. والله تعالى أعلم » .

وهكذا نجد عذرا واضحا للمفسرين والشراح فى ايراد الاسرائيليات ، وان كان البعض قد بالغ فى الاستطراد ، فأتى بما فيه نظر من أقوالهم ، وممن

اكثروا فى هذا المقام (الخازن) وقد قال فى شأنه الشيخ الزرقانى رحمه الله : « .. وله ولوع بالتوسع فى الروايات والقصص ومن مزاياه انه يتبع القصة ببيان ما فيها من باطل حتى لا ينخدع بها غر ولا يفتتن جاهل » وهذه ولا شك شنشنة المحققين من الدارسين الباحثين .. رحمهم الله جميعا .

ب -) كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخول اصحابه بالموعظة ، ويتعهدهم بالنصح والتوجيه لكل ما من شأنه أن يثبت عقيدتهم ويزيد ايمانهم ، ويؤلف بينهم ويجمعهم معتصمين بحبل الله باذلين الروح والمال فى سبيل الله وما يعلى من شأن دينهم الذى هو سبيل الحياة الحرة الكريمة فى الدنيا وطريق السعادة الأبدية ونيل الدرجات العلا فى الآخرة ، ولما كان للقصص اثره فى جذب الانتباه ، والحمل على التأسى بأبطال القصة ، ومحاولة التشبه بمن عمل صالحا فنال خير ما عند الله ، ومجانبة فعال من تنكب الطريق السوى فضل وغوى ، من اجل هذا كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يورد الحديث عن أحوال الأمم الماضية كما علمه ربه ، ومن اجل ذلك ايضا وغيره مما تعود جدواه على السامعين جاء القصص بالقرآن الكريم « وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

كما أن تحديثه صلى الله عليه وسلم عمن مضوا ، ولم يواكبهم ، ولم يطلع على احوالهم ، فيه دلالة قاطعة على أن ذلك مما علمه الله تعالى : « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » الآية .. وكما قال جل شأنه لنبيه بعد ايراد قصة مريم وما كان من أمرها قبل ولادة عيسى عليه السلام : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون » .. وقد كان الحديث الشريف موضع الدراسة من هذا القبيل ، قبيل التحديث عن الأمم السابقة ، وهو ثمرة مجلس من مجالس سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تصدرها معلما وهاديا ومرشدا ونذيرا ..

وبعد ،

فقد ورد هذا الكلم الطيب فى صحيح الإمام البخارى تحت عنوان (حديث الغار) يروى أخبار ثلاثة نفر من بنى اسرائيل لجأوا الى غار فى جبل فرارا من الامطار والانواء ، فسدت عليهم بابه صخرة تدحرجت بفعل السيول الجارفة من عل ، ولم يستطيعوا لها دفعا ولم يكن لهم سبيل للخروج من هذا المأزق الا أن تداركهم رحمة الله القوى القادر أو يهلكوا فألهمهم الله أن يتذاكروا فيما بينهم ما ينفع فى موقفهم هذا عسى الكرب الذى أمسوا فيه يكون من ورائه فرج قريب ، والمؤمن يفزع الى جناب ربه كلما ألمت به نازلة لا يقوى على دفعها ومن ذا الذى يجيب المضطر اذا دعاه إلا رب العالمين : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون » وهكذا تداعى الثلاثة النفر يتقرب كل منهم بأفضل ما عمل مما يدنيهم من رحمة الله ويمنحهم لطفه وعونه ، ورحمة الله دائما قريب من المحسنين ، وصدق العلى الكبير : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا » . وقد كان هؤلاء الثلاثة من المؤمنين الذين يراقبون الله فى السر والعلن ، ويعبدونه كأنهم يرونه رأى العين ، وهذا مقام الاحسان الذى لا يصل اليه الا عباد الله المخلصين ، ويبدو هذا واضحا فى قولهم بقلوب خاشعة : « انه والله يا هؤلاء

لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه صدق فيه » اى ما عمله خالصا لوجه الله تعالى لم يرج له جزاء عاجلا فى الدنيا ، ولم يسمع (بضم اوله وتشديد الميم المكسورة) به لينال الزلفى عند الناس ، وهذا ــ ولا شك ــ افضل العمل واكثره تمحضا لله تعالى ..

اما أولهم : فقد استأجر جماعة يعملون له عملا كل واحد منهم بأجر معلوم ، ولأمر ما لم يتسلم احدهم أجره ، حين حصل نظراؤه على اجورهم ، وما كان على صاحب العمل الا أن يحفظ له حقه المقدر بينهما ، حتى اذا عاد يوما اعطاه اياه ، ولا يلزمه أن يزيد شيئا ، الا أن الرجل غلبته تقواه ، فنمى المال بالطريقة التى ارتآها حتى صار شيئا عظيما أدهش الاجير حين عاد يطلب حقه ولا زيادة لأن ما فعله صاحبه مما لم يعهد القيام بمثله ، وقصارى ما كان يرجوه أن لا يماطله أو ينكر حقه ، وهكذا تبدو آثار تقوى الله وخشيته فتأتى بالعجب العجاب الذى يفوق ما تعارف عليه الناس ، ويمضى شوطا بعيدا فى الكمال الذى تواطأوا عليه فى اعرافهم ومعاملاتهم ، ولصدور ذلك تحت مراقبة الله وحده وطاعة نقية من شوائب الرياء ، كان جزاؤه عون الله تعالى قيوم السموات والارض لفاعله فى ساعة العسرة ، فانزاحت الصخرة عن مدخل الغار قليلا وبدأ الهواء الرطب النقى يلج الى صدور المؤمنين فينعشها ويبعث الأمل قويا ــ فى لطف الله بهم ــ الى نفوسهم فى ساعة حالكة السواد تحت وطأة خطب جسيم وداهية دهياء ، انقطع فيها هؤلاء الثلاثة عن الباغم والناطق ، وهم موقنون أن لا ملجأ من الله الا اليه .

وأما الثانى : فقد أكرم والديه الفانيين العاجزين عن العمل والحركة التى تحصل القوت ، وهذا واجبه الشرعى ، ولكنه تجاوز اصول الواجب الى أبعد من المطلوب فيه ، فقد كان عليه فى أفضل حالاته أن يترك شيئا من اللبن الى جوارهما يشربانه حتى استيقظا ، ويعوج بالباقى على أهله وصغاره الذين يتضاغون جوعا ويتحرقون شوقا الى ما يمسك ذماءهم ويبقى على نشاطهم ، ولكن الايمان بالله وبحقوق الوالدين ، والعزوف عن العواطف النفسية المتمثل فى اطعام الصغار الى انتظار جزاء من الله أكبر ورضوان منه أعظم ، فقد انساه حب الخير لوالديه واخلاصه لربه حالة أبنائه ، فلذات كبده ، وتكلف الانتظار ليلة كاملة حتى مطلع الفجر ليطعم الوالدان ولو نأى الرقاد عن الرضع وامهما ، وهذا عمل لا يستطيعه الا القلة النادرة من الاتقياء الذين أسلموا وجوههم الى الله وهم محسنون فاستمسكوا بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وكان من عاقبة أمر هذا المؤمن أن قبل الله ما قدم ، فانفرجت الصخرة حتى رأى هو وصحبه نجوم السماء فازدادوا ايمانا بمكوكبها والحاحا فى طلب توفيقه لهم الى طريق الخلاص ، وما ذلك على الله بعزيز .

ويجىء دور الثالث : وما أدراك ما دوره ، أنه دور فذ فى عالم العراك بين الغرائز والشهوات من جانب ، والتقوى من جانب آخر ، تنحدر فيه الأمارة بالسوء أمام جلال الايمان وتتلاشى فى لهيب النفس المطمئنة كما يسيل الجليد قطرات فى وهج ذكاء ، فقد انتصر هذا الرجل على الحيوانية الكامنة فى هيولاه ، وأزاحها من طريقه ، فألزم نفسه هداها ، وقهر قرين السوء شيطانه ورده خاسئا رجيما ، هذا ، مع أن المرأة قد شغفته حبا ، وحمله ولهه على جمع المال مع عزته ليصل به الى ما يريده منها ، أما وقد تهيأ له كل شىء حين نزلت بالمرأة سنة أتت على اخضرها ويابسها ، ونبذتها وفلذات كبدها بالعراء وهى سقيمة ، وتركتها فريسة سهلة ولقمة سائغة لذئاب البشر ــ كما ورد فى رواية أخرى ــ وقد كانت هذه المرأة على جانب من خوف الله تعالى ، وعلى

صلة وثيقة تربط قلبها بقيوم السموات والارض ، فقد قالت لطـــالبها المفتون بالغانية الهيفاء ، وقد جلس منها مجلس المهر والمجون تحت ســطوة الجوع وقهر الحرمان مما يقيم الأود ويبقى على الحياة ، حياتها وحياة صـــغارها : « اذكرك الله أن ترتكب منى ما حرم الله عليك » وهنا يستيقظ الاحســـاس الكريم فى ذلك الانسان فيجيبها : « انا أحق من يخاف ربى » . وفى رواية : أنها بكت فقال : ما يبكيك ؟ فأجابت : اقدمنى على السوء حاجتى الى الطعام . فقال لها : لا عليك انطلقى بما معك ، وفى ثالثة : أنه هو قال : تذكرت النــار فقمت من مجلسها . وتلك صور تبرز نور نفس من يخشى الله واليوم الآخر ، فأين هذا ـــ يا قوم ـــ منشيطان يعتدى على الأطفال والقاصرات ارضاء لنزوة حيوانية عابرة ، ذلك لعمر الحق هو الفجور الكالح البعيد عن كل دين ، المجافى لكل المروءات المعادى للانســـانية الفاضلة وما هو الا عماية وضلال ونزق لا علاج له الا إقامة حدود الله ، وأما صاحب القصة فقد ترك الميســـور من الفجور الذى دأن له واصبح فى استطاعته معاقرته دون عزول ، مع الحاح الحيوانية ، وطيب المرعى ، وفتنة الجمال ، وقتل العيـــون النجل والغصن الرطيب ، وليس ذلك وحسب ، وانما اهداها ما أعطاها من المال حسبة لوجه الله تعالى ، منتظرا الجزاء الاوفى هناك ، فى رحاب العلى الـــكبير ، يوم لا تغنى نفس عن نفس شيئا والامر يومئذ لله الواحد القهار سبحانه ربى مالك يوم الدين ، واستحق هذا المؤمن عون الله تعالى ، فبعدت الصـــخرة بقدرة الله وحده عن مدخل الغار ، وهنا تنفس القوم الصعداء ، وعادوا للحياة بعد أن كادوا يفقدون الأمل فى الحياة ، لولا عون الله وفضله سبحانه ربى انه على كل شيء قدير . .

والخلاصة :

أن الاعتبارات التى يجب أن يقف عندها دارس هذا الحديث الشريف :

١ ـــ ظهور ثمرة الطاعة ، ووضـــــوح فائدة اخلاص العمل لوجه الله تعالى ، وبيان نتيجة التفانى فى ارضائه سبحانه ووجوب التقرب اليه بكل عمل صالح ممكن ، وان هذه الاستجابة الالهية لعباده الضارعين الى جنابه باخلاص تحمل على المسارعة فى الخيرات ، وفى حديث قدسى ورد ما خلاصـــــته : . . وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، ومعنى هذا اجابة الداعى لحظة دعائه ، وقبول رجائه فور رجائه .

٢ ـــ طلب الدعاء اذا ادلهمت الخطوب ، وعصفت الكروب ، ومما يؤخذ بعين الاعتبار ، التقرب الى الله تعالى بذكر ما قدم المؤمن من صالح الأعمـــال ، واستنجاز الله سبحانه وعده الذى تشير اليه الآية الكريمة : « وقال ربـــكم ادعونى أستجب لكم » وقوله جل وعلا : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعان » الآية .

٣ ـــ ابراز ما حكاه الذين تناولوا الحديث الشريف بالشرح والتفسير من قول بعضهم :

« . . ظهر لى أن الضرورة تلجىء الى تعجيل جزاء بعض الاعمـــال فى الدنيا ، وأن ما ورد فى الحديث الشريف يدل على أن الثلاثة النفر أبطال القصة لم يروا لاعمالهم قيمة فى جانب نعم الله تعالى عليهم ، ولهذا فوضوا أمرهم اليه ســـبحانه حين قال كل منهم : « اللهم ان كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك » . . الخ . فهو يرشد الى انهم لم يعتقدوا فى أعمالهم التمحض لوجه الله تعالى ، بل فوضوا يقين ذلك الى الله تعالى وحده ، وهذا منتهى التسليم

والالتجاء الى قيوم السموات والارض » . ثم انظر وتأمل أدب هؤلاء الثلاثة مع الله تعالى ، حيث قالوا : ادعوا الله بصالح أعمالكم فى أول الامر ، ليتذكروا خير ما عملوا مما اصطلح عليه المؤمنون ، وما يبدو أنه امتثال لمراد الله تعالى ، ولما بدأوا فى الدعاء لم يقولوا ندعوك بما عملنا ، وانما قالوا : ان كنت يا مولانا تعلم انه عمل ابتغاء مرضاتك ..

٤ ـ اذا قيل : هل فى أعمال هؤلاء الثلاثة تفاضل ؟! كان الجواب :

ان مكرم والديه والبار بهما اقتصر عمله على نفعه هو ، وان امتد فليس بعيدا عنه اذ هما أبواه وبرهما مفروض عليه بالأصلين الشريفين والتقصير فى حقهما مدعاة اللوم الاجتماعى فضلا عن العقوبة الالهية ، والمبالغة فى اكرامهما واجب ودين يؤديه ليتقاضاه ، وصاحب الأجير : تعدى بره نفسه الى غيره وابرز خلالا لو تمت فى مجتمع لأسعدته وكانت عامل ازدهار له ونمو ، ومن تلك الخلال الأمانة ووضعه غيره موضع نفسه بتنمية مال الأجيــر وقد يكون فى هذا الفعل شبهة الرياء ومنافقة المجتمع ..

وأما ثالثهم : فقد زاد فضله ، وكان عمله أدل على التجرد من هوى النفس الأمارة بالسوء وقهر الغريزة الجامحة مع تهيؤ فرصة المواقعة ، فى موقف كثيرا ما يتوارى فيه العقل نهائيا وتكفهر سماء الحياء والمروءة تحـت الحـاح القـوة الحيوانية المستعرة فى كيان الرجل ، فلولا أن خشية الله حين ذكر « بالبناء للمجهول مع تشديد الكاف » أو حين تذكر قشعت كل شـعور مادى وأحلت الرهبة من جلال الله وسلطانه ، لما ارعوى ولما كبح جماحه ، ولدقة الموقف فى مثل تلك الحالة التى يخلو فيها الانسان من رقيب ، وردت بعض الآيات الكريمة شاهدة لمن كان هذا حاله بأنه جدير بدخول الجنة قال تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » . قال الـكلبى : « نزلت فى من هم بمعصية وقدر عليها فى خلوة ثم تركها من خوف الله » . ونحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما : « يعنى من خاف عند المعصية مقامه بين يدى الله فانتهى عنها » ناهيك بأن هذا الرجل ترك المال أيضا فى سـنة عجفاء . ولابنة عمه آسرته ومالكة لبه ، فلكل هذا يبدو واضحا أن عمل صاحب المرأة كان أكثر نفعا وأجدى على المجتمع الذى يضمه ويحتويه ـ والله أعلم ـ ولكل عند الله ثواب ، لا ينقص من ثواب الآخرين شيئا .

٥ ـ ونقول اخيرا : هذا الحديث الشريف يلزم بطـاعة الله واخلاص الاعمـال له وحده ، ولئن طلب هذا اسـلاميا وعقليا فى كل زمان ومكان فما أحوجنا اليه فى ظروفنا الراهنة التى تكالبت فيها الأمم على المسلمين ، وغلقت عليهم المنافذ فكأنهم محصورون فى غار النفر الثلاثة لا يجدون مخرجا ، فلا خلاص لهم الا باللجوء الى الله بالعمل الصالح الذى يتدارسون من خلاله أوضاعهم ليصلحوا من أحوالهم المتردية ويسايروا ركب الحياة معتمدين على الله وحده ، فقد طال سـباتهم ، ثم فتحوا عيونهم على وحش فاغر فاه همه ابتلاعهم أو صمصام مصلت على رقابهم ، أو سهم مسدد الى نحورهم ، أو قنا وقنابل مؤذنة بخراب الديار ، وتركها قفراء بلقع ، ومع كل هذا ، فاليأس غير وارد لدى المسلمين لانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، ومن أعان محمدا الوحيد فى صحراء ، الفقير بين أغنياء ، المجرد من العدة ومن حوله ينوشه الأقوياء ، وامده بالحول والقوة رغم الليالى الحـوالك ، هو هو رب العالمين جل جلاله لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يؤده قلب ميزان القوى ، فقوته فوق كل قوة ، وهو ينصر المتقين العاملين ما داموا على شرعة رسله ، وسنن قرآنه ، مخلصين أعمالهم له . متجهين اليه بأسباب الدنيا والآخرة .

مظاهر وأسباب تخلف

يتحرق المسلم المعاصر ويذوب كمدا وأسى اذا حدق بناظريه فى واقع أمته ، فيجدها فى واقع حضارى أدنى من غيرها ، ويجد بلاد الاسلام نهبة للغاصبين وفريسة للذئاب ومذبحة للمسلمين أنفسهم ، فتغلى مراجل الثورة فى جنبيه ، ويكرر النظرة إثر النظرة ليشخص فى تقديره الداء ، ويصف الدواء ، ويكاد يحصر أخطر أسباب تخلف الشرق العربى مثلا فى أن إمكانيات دول العرب أو الاسلام لا تتجه فى خط واحد وهدف واحد ، ولو لسنوات معدودات ، وذلك الهدف هو التخلص من وجود العدو الصهيونى وتقليم أظفار صانعيه ومناصريه فى الغرب والشرق ، حتى يتهيأ المناخ الملائم لتوفير بيئة الاستقرار والأمن الضرورى لإقامة صروح الحضارة الاسلامية العتيدة بوحى من مبادئها .

وفى نظرة أفقية أوسع لا تقتصر على دنيا العرب نرى ان العالم الاسلامى فى المشارق والمغارب من طنجة الى جاكرتا ، ومن عدن الى كراتشى فى وضع متخلف دينيا ودنيويا ، ماديا ومعنويا ، فليست أخلاقنا مما ترضى ، ولا تديننا فى ميزان الاسلام الأول مما يسر ، ولا اقتصادنا مما يريح ويطمئن ، ولا تقدمنا أو وضعنا العسكرى والصناعى والزراعى والسياسى مما يجدى .

أما الأخلاق والقيم والفضائل ففاقدة القداسة ولم يعد لها الاحترام المطلوب ، واصبح معيار الحياة هو المادة والمصلحة والمال والربح ، والترف

العالم الإسلامي

للدكتور وهبه الزحيلى

والمجون ، واللهو والعبث ، والإثم الباطن والظاهر ، وتشكك الناس فى فائدة القيم الخلقية ، فشـاع بينهم الكذب والخداع ، والغش والنفاق ، والمداهنـة والرياء ، والخيانة والجشع ، أو الطمع وقلة الورع ، والقسوة والبطش ، أو عدم الرحمة واللين ، وفقدان المحبـة والتعاون ، وذهاب الإخاء ، وانعدام السماحة والبساطة واليسر ، والجبن والبخل أو الشح ، ونقض العهود وعدم الوفاء بالوعود والعقود والتحـلل من الالتزامات ، وضـعف الثقة ، ونظرة التشاؤم ، ونحو ذلك من أمراض الاخلاق الاجتماعية ، ومن أخصـها أمراض الجنس وتناول المسكرات وتعاطى المخدرات .

وأما الدين فمشوه الحقيقة والصورة ، أو عديم الأثر فى الحياة الخاصة والعامة عند الأكثرين ، وذلك بسبب الاعتناء بالمظـاهر الدينية وترك الجوهر والروح ، وعدم السيطرة الفعالة على القلوب والسلوك والمعاملات ، واختلاطه بالضلالات والبدع والانحرافات ، أو التناقضات والخيالات ، وحجبه عن النفوذ الى مسرح الحياة ، والاستخفاف بأهله وانصاره والدعاة اليه من قبل الكتاب المأجورين وبعض الصحفيين المارقين والمعلمين الضـالين ، أو المربين المثقفين بثقافة الغرب المحضة ، المتنكرين لتراث أمتهم واخلاقهم وحضارتهم . مع أن الاسلام بالذات دين الخير والعقل والمجد والعزة والكرامة ، والهداية والنور والحضارة ، وثبات المبادىء الأصيلة التى لا تهادن الأعراف الفاسدة ، أو النظم

الظالمة ، التى لا يمكن للمسلم الواعى إباحتها تحت عنوان المرونة أو التطور أو الضرورات المشكوك فى وجودها : « يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وأما اقتصادنا ففقير عاجز أو بدائى متخلف ، أو مضطرب متعثر ، فبالرغم مما نجده من ارقام ضخمة فى ميزانيات الدول الاسلامية أو العربية ، وبالرغم من توفر خبراء الاقتصاد والتخطيط والمهندسين الزراعيين والجيولوجيين ونحوهم من المختصين فى مختلف العلوم التطبيقية الحديثة ، بالرغم من كل ذلك لا يزال ميزاننا الاقتصادى فى عجز متكرر ، ونقدنا فى هبوط ، وديوننا فى تزايد ، وعمالنا فى فقر وبطالة وحرمان ، وزراعتنا فى تأخر لعدم الأخذ بأساليب الزراعة الحديثة المتطورة ، ومصانعنا فى غير المستوى المطلوب عالميا ومحليا ، مع وجود جيوب وخلايا وزوايا اخرى تمتلىء بالبذخ والإسراف والترف والمجون .

وأما جامعاتنا ومدارسنا فهى فى الغالب لتخريج آلاف الموظفين الذين يبحثون فى نهاية المطاف عن لقمة العيش ، ثم ينقطعون عن مواصلة البحث العلمى والإنضاج الفكرى . ولم يعد خافيا أن بعض هذه الجامعات تدرس فى الحقيقة تاريخ العلوم التطبيقية ، وليس العلم المتطور الذى بنى برج التقدم الحالى .

وأما إعدادنا العسكرى فما يزال ناقص التجهيز ، رهين الاستيراد ، فاقد الأساس الذاتى والتصنيع المحلى للآليات الثقيلة ووسائل القتال الجديدة التى تلعب دورا فعالا وحاسما فى الحروب الحديثة كما هو معروف . وكذلك التدريب العسكرى فيما نلاحظ ليس على المستوى المطلوب المكافىء لتدريبات العدو ..

وأما سياستنا وأوضاع الحكم فمرتجلة غير ثابتة ولا اصيلة ولا مخططا لها ، ويغلب عليها الاستبداد السياسى والغموض ، وعدم الاستقرار ، واضطراب الموازين ، وضعف الخطط ، وتغير السلطات السريع ، وإبعاد الأكفاء ، واتباع الرغبات أو الأهواء .

وأما وضعنا الدولى العام فمجزأ السلطة ، مفرق الكلمة ، مشتت الهدف ، ممزق الصف ، ففى العالم الاسلامى عشرات الحكومات والدول دون أن تجمع بينها رابطة قوية ، أو انظمة موحدة ، أو ثقافة مشتركة ، أو تعاون جماعى بناء ، أو هدف رئيسى عام ، أو معاهدات دفاعية منفذة فعلا عند الاقتضاء لدفع الأخطار المشتركة ومحاربة العدو الواحد . ومن المؤسف أنه اذا دعى لتحالف معين اتهم الداعى بالتواطؤ مع الاستعمار أو الرجعية ، وثارت الشكوك حوله ، وحورب حربا لا هوادة فيها . وهكذا يوصم المخلص الغيور احيانا بالرجعية ، ويكافأ دعاة الإلحاد والتجزئة بألقاب التحرر والتقدمية ، ونحو ذلك من قلب المفاهيم ، وتعتيم الصور ، وطمس معالم الحقيقة .

هذه هى بعض الأضواء العامة على مظاهر تخلف المسلمين ، أما أسبابها فكثيرة .

فمن المعروف لدى مقارنة الحضارات أن أزمة الحضارة الغربية تكمن فى ماديتها الخالصة ، أعنى أن فلسفتها وعلومها وأخلاقها واقتصادها واجتماعها وسياستها وقانونها تدور فى فلك المادة ، وتتنكر للفطرة الانسانية ، ووجود خالق غير المادة (أى الإلحاد) ، فأصبحت العلوم التجريبية آلة لتدمير الانسان ،

وانصهرت الأخلاق فى النفعية المحضة والخلاعة والمجون والرياء والسطحية ، وصار المنهج الاقتصادى عديم الإنسانية ، وواسطة الاستبداد والظلم ، وافسدت السياسة بمفاسد القومية الضيقة والوطنية الضيقة ، والتمييز العنصرى ، وعبادة القوة وتأليه أصحابها .

هذا بالنسبة للغرب ، أما مرض الأمة الاسلامية وأسباب انحطاطها فهى تختلف عن مرض الآخرين وأسباب المرض ، وترجع فى جملتها الى إهمال شرعة الله وهداية الاسلام الكفيلة بتحقيق المعنى الحضارى السليم أو الثورة الصحيحة : وهو تقدم العلاقات الانسانية ، أو إقامة الحضارة على أساس إنسانى ، ويمكن حصر أسباب تخلف المسلمين فى النواحى الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والثقافية والسياسية .

أ) **أسباب التخلف الاجتماعية** : تهمل الجماعة واجبا أساسيا فى الاسلام : وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتنتهج منهج اللامبالاة وتقاذف المسئولية عن أسباب التردى ، والفرار من تحمل العبء الواجب فى الإرشاد الى الخير والصلاح ، والترهيب من الشر والفساد والظلم والعصيان : « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » « فكلا أخذنا بذنبه .. وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

وترك الناس جهاد العدو المادى ، اى قتاله فعلا ، الذى هو فى الأصل من فروض الكفاية على الجماعة المسلمة ، كما تركوا الجهاد في وجه من استهان بأحكام الاسلام وعقائده وفروضه وآدابه وأخلاقه فى داخل الأمة . واهملوا أيضا جهادا من نوع أو أفق آخر يمتد لمعرفة مكائد العدو واستعداداته وطاقاته ومبادئه ومخططاته وألوان خداعه ، والاعتبار بالماضى القريب والبعيد ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « إنما ينقض الاسلام عروة عروة من نشأ فى الاسلام ، ولم يعرف الجاهلية » ، وقال أيضا : « عرفت الشر لا للشر ، لكن لتوقيه ، ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه » « لست بالخب ولا الخب يخدعنى » . وهذه معان قرآنية سبق الكتاب العزيز للإشارة إليها فى مبدأ الحذر في قوله تعالى : « وخذوا حذركم » « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وامتعتكم ، فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

ومما ساعد على إهمال المجتمع سوء فهم عقيدة القضاء والقدر ، ظنا بأن القدر يقع مجردا من اسبابه ، فتوانى الناس واهملوا وتواكلوا ، ونسبوا ظلما الى القدر ما ليس فيه ، ورددوا كلمات تدل على أن الكائن كائن لا محالة ، وأن الانسان مسير مجبر . وليس كل ذلك صوابا ، إذ القدر عبارة عن تعلق إرادة الله تعالى بالشىء عند وجود سببه الذى يقتضيه ، سواء من قريب أو بعيد . فنقص المحصول الزراعى مثلا ناشىء من إهمال الزارع . وتسلط العدو واحتلال أراضينا ناتج من ترك الجهاد والإعداد اللازم للمعركة ، وضعف الهمة وفتور العزيمة ، وعدم الحمية والغيرة ، وجمود الفكرة ، والخوف والوهم ، وإهمال الإرادة والتصميم ، وإفراغ القلوب من محتوى القداسة ، وعدم تقدير المعنى الجماعى ، وإلقاء بديل فارغ فيها لا يصلح حافزا على التضحية بالنفس فى سبيل الأمة أو الجماعة . ومع ذلك ظن هؤلاء الجنود وغيرهم أن النصر يكون فى جانبهم ، لأنهم مسلمون ، أو أصحاب الحق الشرعى ، والنصر قد يحصل للكافر أو المعتدى لحكمة معينة مرجعها فى النهاية أعمال المسلمين

وتقصيرهم ، أو البعد عن مقومات المجتمع الاسلامي الصحيح .
وخيم على الناس ظلال كثيفة من الغموض والجهل بسبب الضلالات والبدع ، واختلاط المفاهيم ، والثقافات الواردة ، والتأثر بالخرافات والأباطيل ، والنظرات السطحية نحو الاسلام وفاعليته الحركية الدافعة الى حياة مترعة بالبطولات والأمجاد . ومن هنا لم يعد غريباً توالى الهزائم وعموم البلايا والمصائب على الجماعة : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .
ب) أسباب التخلف الأخلاقية : إن من أخطر آفات التخلف ، وأكبر عوامل التقهقر فساد أخلاق الأمة الاسلامية ، ووقوعها فى هاوية الفساد والانحلال الخلقى ، وذلك لأن غاية الاسلام فى الحقيقة إقامة المجتمع الفاضل من وراء كل قصد فى الاصلاح والرقى . وعليه اذا شاع بين الناس حب الانحراف ودب إليهم داء الحسد والبغضاء ، وشغل المرء بأهوائه وشهواته ، وقل الحياء ، وارتمى الناس فى أحضان الرذيلة من رقص وخلاعة ومجون ، وتساهلوا فى أخطر الأمور وهو اختلاط الجنسين فى المسابح وشواطىء البحار ، والترويج لأدب الجنس الخليع — اذا شاع — أدى ذلك كله الى ضياع مجد الأمة ، وتعطيل مصالحها ، وتخريب ديارها ، وفساد أمورها ، وانهيار نهضتها ، كما حصل بالنسبة للفرس والرومان وغيرهم فى أعقاب تفسخ شعوبهم .
ومن مكرور القول أن الفضائل والأخلاق سبيل النهضة والعمران ، وطريق التحضر والرقى والتمدن ، وكلما ارتقت الاخلاق تحقق التقدم ، وتم الازدهار والنمو والكمال . وقد حصر الرسول صلى الله عليه وسلم الهدف من بعثته فى قوله : « إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق » « الخلق وعاء الدين » .
هـ) أسباب التخلف الاقتصادية : إن قوة الأمة ورقيها بقوة اقتصادها وغنى أفرادها ، وإن ضعفها وتخلفها بضعف اقتصادها وفقر أبنائها ، وذلك لأن الغلبة على العدو وإقامة برج الحضارة تعتمد اساسا فعليا على العناصر المادية ، فإذا افتقدت أصيبت الأمة بالشلل ، وعجزت عن التقدم ، وشاعت فيها عيوب كثيرة كالخمول ، والبطالة ، والركود الفكرى والعلمى ، والمرض والقلق والجهل ، واضطراب الأسر والمصالح العامة والخاصة .
وإذا توفر المال اللازم كما فى بعض دول الاسلام ، وجب بداهة إحسان استثماره وتوجيهه نحو أهداف الأمة ومطالبها الحيوية الحساسة التى تهيىء مركز القوة والعزة والسيادة وارهاب العدو . وإذا ساء استخدام المال أو تجميده ، ظل الاقتصاد فى تخلف ولا شك بأن اقتصاد العالم الاسلامى فى حالة مرضية متخلفة ، بسبب تخلف الزراعة والصناعة وبطء الحركة التجارية .
ويجدر الا ننسى دور الاستعمار واتفاق قوى العالم الكبرى على ابقائنا متخلفين اقتصاديا ، ووضع العراقيل أمام تفوقنا أو نهضتنا الاقتصادية ، بتضخيم المشاكل الخاصة ، والتشكيك فى جدوى المشاريع الكبرى أو الحساسة ، وضعف الموارد والإمكانيات الذاتية ، وذلك بقصد تأمين مصالح دول الشر ، وتوفير الاسواق لتصريف منتجاتها ، وبقاء نفوذها وسلطتها السياسية الكبرى ، ورفع مستوى الغرب وتقدم صناعته على حساب الشرق والدول النامية فى آسيا وافريقيا ، والحفاظ على تدفق شرايين موارده المسخرة لدعم مصانع ومصالح الغربيين .
والحقيقة ان تقوية اقتصادنا لا تحتاج إلا الى شىء من التصميم والفكر والإرادة وشحذ العزيمة والثقة بالنفس والجرأة ، ودفن كل منافذ اليأس والقنوط

والتخوف والهلع المصاحبة للنفاق والعجز : « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم » « ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » .

د) **أسباب التخلف الثقافية :** العلم والاجتهاد والتربية سبيل النهضة الكبرى . ولقد أدى الى تخلف المسلمين بدءا من القرن التاسع الهجرى انحطاط فكرى وعلمى عام ، فلم يعد هناك تجديد وابتكار ، سواء فى العلوم الدينية والأدبية والاجتماعية ، أم فى العلوم الطبيعية والتجريبية والكونية المفيدة . ومهما افتخرنا بآثار علماء الأندلس وحكماء الشرق وبأن المسلمين هم أول من ادخل التجربة فى ميدان العلوم ، فإنه كما وكيفا وإتقانا وتجديدا يتضاءل أمام الإنتاج الغربى الضخم فى أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ولعل إقفال باب الاجتهاد والتزام التقليد والاعتماد على جهد العلماء السابقين فى نطاق العلوم الشرعية وغيرها ، أو الانتعاش فى ظل العاطفة الإسلامية البحتة ، كان من أهم أسباب ركود الروح العلمية ، وجمود الفكر ، وفقر الإبداع ، وإخلاد الناس الى الراحة . وكان لزاما على علماء العصور الأخيرة ان يتنبهوا الى ما حاق بهم من عزلة عن العالم ، وأن يتفهموا مبادىء الحضارة الحديثة ، ويسارعوا الى بلاد الغرب لتعلم علوم النهضة الحديثة ، والاهتمام بالاكتشافات العلمية ، والاستفادة من المناهج العملية التى ادت الى رقى الغربيين ، ونقلها الى نطاق التعليم والحياة المدنية عند المسلمين ، وتهيئة دول الاسلام مجالات وإمكانات الاستفادة من هاتيك العلوم وتطويرها ومتابعة آفاقها فى التطبيق والابتكار .

وفى العصر الحاضر فشل دعاة الحضارة الاسلامية لالتزام مبادئها وخصائصها بسبب فقدان الإدراك الدقيق الشامل لأسس هذه الحضارة ، وكيفية تفاعلها مع الحياة الحديثة ، وعدم معرفة مدى الاستفادة منها إزاء الحضارة الجديدة . هذا فضلا عن الخلافات المتكررة بين الدعاة أنفسهم ، وانعدام روح التنسيق وتحقيق الانسجام بين أعمالهم ، واهتمامهم بالجزئيات والخلافات البسيطة ، وترك القضايا الكلية أو المبادىء العامة التى نبه اليها القرآن الكريم والسنة المطهرة فى مجال العلم والعمل والاستفادة من طاقات الأرض وخيراتها ، والاهتداء بذخائر الكون ونعمه التى لا تحصى لاسيما فى بلادنا ، مثل قوله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » « إن فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » ، وذلك من أجل استخدام هذه المبادىء فى معالجة أوضاع العصر المتبدلة ، ومواجهة غزو الأفكار الغربية واندفاع سيل الحضارة الجديدة . ويدلل لما اقول : أن فى بلادنا غنى وثروة كبرى ، معدنية ونفطية ، وإن السعودية مثلا بالنسبة لما فيها من ثروة معدنية هائلة تعد أغنى بلاد العالم كما أكد الخبراء المختصون .

هـ) **أسباب التخلف السياسية :** لقد أصبح للدولة ذلك العملاق الرهيب فى العصر الحديث أهمية بالغة ودور عميق وكبير فى حياة الشعوب ، إذ أن الدولة الحديثة انتزعت كثيرا من أوجه نشاط الأفراد ، واستأثرت بكل مظاهر القيادة والتوجيه ، فأصبحت هى المسئولة بالدرجة الأولى عن تحضر شعبها وبلدها : « من يزع بالسلطان أكثر ممن يزع القرآن » أى من يردعهم الحاكم أو يحملهم على العمل والكفاح أكثر ممن يردعهم القرآن أو يبعثهم على العمل الصالح .

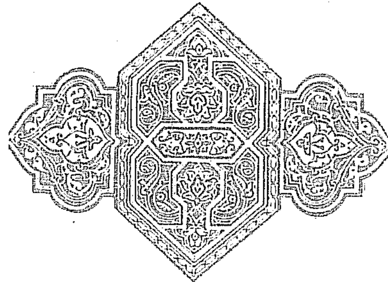
ومن هنا وجدت أسباب سياسية لتخلف البلاد الاسلامية ، من أهمها : الاستبداد السياسي ، وفقر القيادة الناجحة ، وفصل الدين عن السياسة والحياة والعلم ، وتجزئة الكيان الاسلامي بسبب الاستعمار وأعوانه وأذياله . أما الاستبداد السياسي الذي لا يلتقي مع الاسلام في شيء ، فوقعت فيه الشعوب المسلمة منذ أمد طويل بعد الخلافة الراشدية ، وظلت تعاني منه وترسف في قيوده الى اليوم ، وبرز في أسوأ مظاهره عند كثير من حكام المسلمين الذين كمموا الأفواه وكبتوا الحريات وحكموا حكما دكتاتوريا .

واما فقر القيادة فمن المعروف أن العالم الاسلامي لم يرزق بعد وفاة القائد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩ هـ ـ ١١٩٣ م بقائد مخلص فذ قدير مثله ليوحد المسلمين ، ويحرر بلاد الاسلام ، ويبني نهضة جديدة .

واما فصل الدين عن الحياة بدءا من إلغاء الخلافة الاسلامية على يد مصطفى كمال اليهودي البلغاري الأصل ، فهو أخطر منعطف في حياة الاسلام ، بسبب اعلان (علمانية) الدولة ، وهدم سلطان الشريعة ، واستيراد الأنظمة والقوانين الغربية ، وتربية الشعوب تربية غربية تابعة في الفكر والعمل لمناهج الغربيين ، وترك تراث الاسلام العظيم .

وأما تجزئة الكيان الاسلامي بسبب الاستعمار القديم والحديث فهو أمر واضح نعيش كل يوم مع الوان من مكره وخداعه ومساعيه الدائبة الطويلة المدى لإحباط أي مسعى جماعي أو هدف وحدوي ، ولا غرابة إذا قلنا : لم تنقطع حملات عدوان الكفرة الموروثة عن ابي جهل وأبي لهب وأنصارهما من اليهود والمنافقين لتمزيق وحدة المسلمين ابتداء من عهد فتنة عثمان رضي الله عنه ، ولم تهدأ الحرب السافرة أو المقنعة التي تعوق كل تقدم حضاري للمسلمين بسبب تجزئة الكيان الاسلامي الذي ظهر في القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي بظهور خلافات ثلاث في آن واحد في بغداد والقاهرة والاندلس ، وما تلاه من دويلات وإمارات مستقلة .

هذه هي اهم اسباب تخلف وانحطاط المسلمين في صورتها الظاهرية ؛ فهي اعراض لأمراض متعددة . ولكن ليس الشفاء من هذه الامراض أمرا متعذرا ، وانما هو سهل يسير إذا حسنت النية ، وتوفرت الإرادة ، وصدقت العزيمة ، وتهيأ الإخلاص : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .



نظرة فاحصة حول

الإباحة

عند الأصوليين والفقهاء ٣

أسباب الإباحة في الفقه الإسلامي

للدكتور : محمد سلام مدكور

السبب عند علماء الشريعة : ما يلزم من وجوده وجود المسبب ومن عدمه العدم (١) ، والذى سنعرضه هنا هو أسباب الإباحة الطارئة على فعل يكون مطلوبا منا فعله أو تركه ثم يعرض ما يقتضى إباحته تخفيفا على العباد ورفقا بهم . إما إباحة مقيدة بحال كالرخص ، أو مطلقة كما فى النسخ . فيخرج من هذا ما إذا كان الفعل مباحا في الأصل ثم طلب الشارع فعله أو تركه فى حالة معينة ثم زالت هذه الحالة وعاد حكم الفعل الى الإباحة الأصلية ، وذلك كحل الاصطياد بعد الإحرام المدلول عليه بقوله تعالى : « وإذا حللتم فاصطادوا » فإن الاصطياد كان مباحا وطرأ عليه الحظر بقوله تعالى : « غير محلى الصيد وأنتم حرم » .

وفى الواقع إن أسباب الإباحة الأصلية التى سنستبعدها ترجع الى :

١ ـــ عدم النص على الحكم لا صراحة ولا بطريق الدلالة تبعا لقاعدة : إن الأصل فى الأشياء الإباحة ، على ما بيناه تفصيلا فى موضعه (٢) ، وقد يعبر الأصوليون عن هذا بالبراءة الأصلية .

٢ ـــ ورود نص يفيد الإباحة وهى ما تسمى بالإباحة الشرعية ، ويكون ذلك النص بأسلوب من أساليب الإباحة التى سبق الكلام عنها فى المقال السابق .

وإن ممارسة الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية تدل على طروء الإباحة لكل من المحظور والواجب . فالمحظور على سبيل التحريم او الكراهة يصير فى بعض الأحيان مباحا ، كما يصير الواجب أحيانا كذلك . أما المندوب فإنه يظهر فيه معنى الانقلاب الى الإباحة ، لأن الشأن فى الانقلاب الى الإباحة رفع الحرج وهو بالنسبة الى المطلوب يكون فى جانب الترك وهذا القدر يتحقق فى المندوب فلا داعى لتحويله الى مباح .

كما اننا استطعنا بالنظر والتأمل أن نرجع الأسباب التى يصير بها كل من المحظور والواجب مباحا الى أسباب متعددة من وجهة النظر الشرعية كالرخصة ، ونسخ كل من الوجوب والحظر ، والاستحسان ، والعرف ، والمصلحة المرسلة ، والذرائع ، وغير ذلك مما سنشير اليه :

اولا : الرخصة باعتبار أنها سبب لطروء الإباحة :

الرخصة فى اللغة التيسير والتسهيل ، وقد عرفها الشرعيون بتعريفات مختلفة اخترنا منها . أنها ما شرع لعذر شاق استثناء من أصل كلى يقتضى المنع مع الاقتصار على مواضع الحاجة فيه . ويقول البيضاوى فى المنهاج : الحكم إن ثبت على خلاف الدليل لعذر فرخصة كحل الميتة للمضطر . والقصر والفطر للمسافر . وعلق على ذلك الأسنوى فقال : إن تمثيل المباح بالفطر للمسافر لا يستقيم لأنه إن تضرر بالصوم فالفطر أفضل ، وإن لم يتضرر فالصوم أفضل . فليست للصوم حالة يستوى فيها الأمران . وقال : إن الصواب التمثيل بالسلم والعرايا ، والإجارة والمساقاة وشبه ذلك من العقود ، فإنها رخصة بلا نزاع .

وفقهاء الحنفية يقسمون الرخصة : الى رخص حقيقية ويسمونها برخص الترفيه ، ورخص مجازية ويسمونها برخص الإسقاط ، وكل ما يفيده الترخيص فى الرخص الحقيقية هو رفع الإثم وهو ما يقابل « موانع المسئولية فى القانون الجنائى » ، لأن الفعل غير مشروع مع رفع المسئولية الجنائية عن الفاعل كمن اعتدى على مال غيره دفعا للمخمصة . فإن الاعتداء نفسه غير مشروع ولا تبيحه حالة المخمصة بدليل وجوب ضمان ما أتلفه من مال ، وكل ما فى الأمر أن المسئولية الجنائية قد رفعت عنه . يقول البزدوى : إن من أصابته مخمصة حل له تناول طعام غيره على أنه رخصة لا إباحة مطلقة . وقد ناقض الإمام الغزالى الحنفية فى هذا . وعلى كل فرخص الترفيه عندهم ليست من أسباب طروء الإباحة .

أما الرخص المجازية عندهم ، وهى رخص الإسقاط ، والتى منها الحكم الذى يسقط به غيره مع كون الحكم الساقط مشروعا فى الجملة ، كقصر الصلاة للمسافر بناء على أن القصر يسقط به الإتمام ، وكأكل الميتة وشرب الخمر عند الضرورة ، وكبيع السلم . فهذا النوع من الرخص المجازية عندهم هو الذى تنحصر فيه سببية الإباحة الطارئة من بين أقسام

الرخص ، وإن كانت تارة تكون سببا فى غير الإباحة فقصر الصلاة للمسافر عندهم واجب .

وعلى هذا فلا يكون هذا النوع من الرخص المجازية عندهم سببا للإباحة فى جميع الجزئيات وإنما فى بعضها كإباحة السلم ، وإباحة المسح على الخفين عند من يرى استواءه مع غسل الرجلين إذ انهما من المباحات .

لكن الشاطبى المالكى يرى أن الرخصة لا يترتب عليها الا الإباحة فهى سبب للإباحة فقط ، ولا تكون سببا لغيرها لأن الرخصة يراد بها التيسير والتسهيل على المكلف بدفع المشقة ورفع الحرج عنه يقول الشاطبى : إن حكم الرخصة الإباحة مطلقا من حيث هى رخصة ، بدليل قوله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » ولأن الأصل فيها التخفيف ورفع الحرج عنه حتى يكون فى سعة واختيار بين الأخذ بالعزيمة والأخذ بالرخصة وهذا أصله الإباحة ، ولأن الرخصة لو كانت مأمورا بها ندبا أو وجوبا لكانت عزائم لا رخصا ..

وإذا كنا وقفنا فى كلام الشاطبى بعد ذلك على ما يصور اضطرابا فى مسلكه هذا (٣) فإن كثيرا من الأصوليين اتجهوا هذه الوجهة ، فمسلك الإمام الغزالى يشعر بذلك (٤) ومسلك الآمدى أيضا يدل على ذلك (٥) ، والقرافى المالكى كما ينقل عنه ابن أمير حاج فى كتابه التقرير والتحبير (٦) ..

وينبغى أن نشير هنا الى أن جزئيات الرخص تدل على أن السبب فيها لا يخرج عن احد أمرين يجمعهما وصف العذر وهذان الأمران هما : المشقة والحاجة ويدخل فى المشقة صور كثيرة منها إباحة الفطر ، وقصر الصلاة ، والجمع بين الصلاتين ، ويدخل فى الحاجة اكل الميتة ، والخنزير ، وشرب الخمر للمضطر ، وكل ما تدعو اليه الضرورة على ما بيناه تفصيلا فى نظرية الإباحة (٧) ، والذى يعنينا إبرازه هنا أن الرخصة سبب لطروء الإباحة .

ثانيا : النسخ باعتبار أنه سبب لطروء الإباحة :

يطلق النسخ فى اللغة بمعنى الإبطال والإزالة ، كما يطلق بمعنى النقل والتحويل ، وفى اصطلاح الأصوليين والفقهاء يعرف بعدة تعريفات نذكر منها ما اختاره ابن الحاجب من أنه رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر ، وهذا التعريف يخرج الأحكام التى وردت على الإباحة الأصلية باصطلاح الأصوليين لأنه لا رفع فيها لحكم شرعى ، وإنما هو رفع لحكم عقلى . يقول صاحب كتاب كشف الأسرار : إن رفع الأحكام العقلية الثابتة قبل ورود الشرع التى يعبر عنها بالمباح بحكم الأصل ، بدليل شرعى متأخر لا يسمى نسخا بالإجماع (٨) .

والنسخ قد يكون إلى بدل مساو أو أثقل . وكلاهما ليس من محل بحثنا فى أسباب طروء الإباحة . وقد يكون النسخ الى بدل أخف كنسخ الحظر فى ادخار لحوم الأضاحى الى إباحته ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى : « كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاثة أيام . فكلوا ما بدا لكم واطعموا وادخروا » ، ومثله أيضا قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجة عن ابى مسعود بسند صحيح : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر بالآخرة » ونظيرهما قوله عليه السلام فيما رواه ابن ماجة عن بريدة : « كنت نهيتكم عن الأوعية فانبذوا واجتنبوا كل مسكر » .

فهذه الأحاديث وقع فيها النسخ من حظر الى تصريح ، وقد نص على ما يفيد الإباحة بعد رفع الحظر . بل وضع الأصوليون قاعدة عامة هى أن الأمر بعد الحظر يفيد الإباحة .

وهذا النوع — الذى النسخ فيه الى بدل أخف — هو الذى يتحقق فيه ما نحن بصدده من طروء الإباحة بالنسخ ، كما أن هذا النوع لا خلاف فيه بين الأصوليين القائلين بالنسخ ، لأن معنى النسخ وحكمه متحقق فيه إجماعا لوضوحها وعدم تطرق الشبه اليها .

وقد يكون النسخ لا إلى بدل عند جمهور الأصوليين ، وقد مثلوا له بنسخ وجوب الصدقة بين يدى مناجاة الرسول ، ويمثل له بعضهم بحل الرفث الى النساء ، والأكل ، والشرب ، فى ليالى رمضان بعد النوم وقد كان ذلك محرما فى صدر الإسلام .

وخالف بعض الأصوليين فى جواز النسخ لا الى بدل ، وتأولوا المثال الأول بأن وجوب المناجاة نسخ الى بدل هو الجواز الذى يشمل الإباحة والندب على ما ذكرنا فى مقال سابق . ورد بعضهم المثال الثانى بأن الحل منصوص عليه فهو نسخ الى بدل ، لأن المراد بالبدل ورود النص على الحكم الناسخ . وهذا المعتبر فى نظرنا لأن بقاء الفعل من غير حكم شرعى متعلق بفعل المكلف ممنوع مطلقا بالإجماع ، على معنى انه إذا لم ينص على حكم بعد النسخ يصار الى الإباحة التى هى جنس فى الواجب ، أو الى ما كان عليه قبل الحكم المنسوخ من إباحة أو غيره على خلاف فى ذلك منشؤه انه إذا نسخ الوجوب من غير نص على بدل فإنه يدل على بقاء الجواز بمعنى التخيير بين الفعل والترك الذى هو مدلول الإباحة . وقد بينا تفصيل ذلك فى كتابنا الإباحة عند الأصوليين والفقهاء (٩) ، والذى يعنينا هنا أن نقرر أن طروء الإباحة بالنسخ يكون بأحد أمرين :

الأول : نسخ كل من الواجب والمحظور الى بدل يدل على الإباحة ، وذلك كحل الأكل ، والشرب ، والرفث ، للصائم فى ليالى رمضان بعد النوم الذى نسخ فرضية الإمساك بعد النوم ، وكما فى إباحة ادخار لحوم الأضاحى الذى نسخ الحظر السابق . إذ أن الحظر إذا لم يكن مقيدا بحال من الأحوال أفاد النسخ ودل على الإباحة عند أكثر الفقهاء .

الثاني : نسخ الوجوب لا الى بدل عند من يقول بأن نسخ الوجوب لا الى بدل يفيد الإباحة على ما ذكرنا .

ثالثا : الاستحسان باعتبار انه سبب لطروء الإباحة :

والاستحسان في اللغة عد الشيء حسنا ، وفى الاصطلاح نعرفه بما عرفه به الكرخي :
من أنه عدول فى مسألة عن مثل ما حكم به فى نظائرها الى خلافه لوجه هو أقوى يقتضى العدول عن الأول . ونستطيع أن نرجع أنواع الاستحسان الى استحسان قياسى ، واستحسان استثنائى ، ونستبعد الأول لأنه بعيد عن موضوعنا أما الثاني وهو الحكم المستثنى من أصل كلي أو قاعدة عامة لدليل خاص يقتضي ذلك . فهو الذي يكون سببا لطروء الإباحة ، ويعتبر من الرخص الشرعية . ومن أمثلة هذا النوع ما أوردناه سابقا عند الكلام عن الرخصة باعتبارها سببا لطروء الإباحة . ومن ذلك السلم ، والإجارة ، والاستصناع ، فإن كلا منها وقع فيه التعاقد على معدوم وهو مما يبطل البيع بحسب الأصل لما فيه من الجهالة ولكنه أبيح التعاقد على هذه الأشياء لضرورة حاجة الناس اليها .
وتستند إباحة هذه الأشياء الى أدلة شرعية . فالسلم يستند الى السنة فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه النهى عن بيع ما ليس عند الإنسان وأرخص فى السلم . والإجارة تستند الى قوله تعالى « فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن » كما تستند الى السنة ايضا ، وأما الاستصناع فإنه يستند الى إجماع المسلمين على إباحة التعامل بـه .
ومن صور طروء الإباحة هنا . إباحة الترخيص بنظر الطبيب إلى موضع المرض من بدن المرأة الحرة فإن ذلك مستثنى من قاعدة تحريم النظر الى بدنها ، وعلة الاستثناء الضرورة ، وهذا المثال يتجلى فيه معنى الاستحسان الاستثنائى ، ومعنى الرخصة أيضا ، لأن الحكم شرع على خلاف الدليل لوجود دليل آخر . والإباحة هنا طرأت بعد الحظر .

وقد اعتبر الشاطبي الترخيصات التى من هذا القبيل مندرجة تحت الاستحسان فيقول : ومن الاستحسان ايضا سائر الترخيصات التى من هذا القبيل . فإن حقيقتها ترجع الى اعتبار الحال في جلب المصالح ودرء المفاسد حيث كان الدليل العام يقتضي منع ذلك ، لأنا لو بقينا مع أصل الدليل العام لأدى الى رفع ما اقتضاه ذلك الدليل من المصلحة فكان الواجب مراعاة ذلـك ..

رابعا : العرف باعتبار أنه سبب لطروء الإباحة :

العرف فى اصطلاح الشرعيين : ما استقر فى النفوس من جهة المعقول ، وتلقته الطباع السليمة بالقبول . والعرف له سلطته واقتداره فى وضع أحكام طارئة تدعو اليها الحاجة فيكون بذلك سببا لطروء الإباحة ، ومن أمثلة ذلك إباحة استئجار الأجير ببعض ما يعمل فيه فيما تعارفه الناس مع ورود النهى عن ذلك فيما أخرجه الدارقطنى والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى أنه عليه السلام نهى عن قفيز الطحان لأن فى ذلك نقضا لشرط من شروط عقد الإجارة ، وهو القدرة على تسليم الأجر وقت التعاقد (١٠) ، وجمهور الفقهاء على العمل بمقتضى ذلك النهى فى غير ما جرى به العرف ، إذا ما تعارف الناس على بعض جزئيات من هذا النوع فإن ذلك التعارف يرفع الحظر ويحل محله الإباحة الطارئة . ومن هذا ما يتعامل به الزارع فى القرى من إعطاء بعض القمح لدارسه أو ذاريه أو حامله من الحقل أو من الجرن ونحو ذلك ، ويمكن أن يدخل فى هذا ما تعطيه الدولة لشركات البترول من نصيب ، وإن كان هو أقرب الى الجعالة منه الى هذا .

خامسا : المصلحة باعتبار أنها سبب لطروء الإباحة :

نقصد بالمصلحة هنا المصلحة التى لم يرد نص من الشارع يدعو الى اعتبارها أو عدم اعتبارها مع أن فى اعتبارها والأخذ بها جلب منفعة أو دفع مضرة ، وهذه يطلق عليها الأصوليون : المصلحة المرسلة ، ومثلوا لها بجمع القرآن فى عصر أبى بكر حفظا له ، وحمل الناس فى عهد عثمان على مصحف واحد وإحراق ما عداه ، ومحاربة أبى بكر لمانعى الزكاة ، ونقل العز بن عبد السلام عن الشافعى أنه قال : لو عم الحرام فى بلدة بحيث لا يوجد فيها حلال جاز أن يستعمل من ذلك ما تدعو اليه الحاجة ولا يقف تحليل ذلك عند الضرورة . لأنه لو وقف عليها لأدى الى ضعف العباد ، ولانقطع الناس عن الحرف والصنائع والأسباب التى تقوم بمصالح الأنام .

ومن هذا يتبين أن المصالح المرسلة قد تطرأ بسببها أحكام مختلفة من بينها الإباحة ، كما يتجلى ذلك فيما قيل من مبايعة المفضول مع وجود الأفضل . وقد وسع بعض الفقهاء من الصحابة والتابعين أن يمتنعوا عن مبايعة يزيد فى حين أن الكثرة منهم رأت مبايعته . وهذا يدل على أن هناك مندوحة تتسع لكل من الإقدام على المبايعة والإحجام عنها ، وذلك هو معنى الإباحة بالتفسير الأصولى الأخص وهو التخيير .

سادسا : الذرائع باعتبار انها سبب لطروء الإباحة :

الذريعة كما يقول ابن القيم ما كان وسيلة وطريقا الى الشيء . وقد قسم الفقهاء الذرائع الى أربعة أقسام والذى يعنينا منها قسمان :

١ - الذرائع التي وضعت للمباح لكنها قد تفضى الى مفسدة والمصلحة أرجح كالنظر الى المخطوبة والمشهود عليها للتعرف . وقالوا : إن هذا النوع جاءت الشريعة بإباحته أو استحبابه أو وجوبه بحسب درجته فى المصلحة .

٢ - الذرائع التى وضعت للمباح لكنها قصد بها التوصل الى المفسدة كمن يتزوج بقصد تحليل الزوجة لمطلقها الذى بانت منه بينونة كبرى، وكمن يتعاقد على سلعة ليصل الى الربا عن طريق هذا التعاقد كما فى بيع العينة ، وقد اختلف الفقهاء فى هذا النوع . فمنعه بعضهم وكرهه البعض

وطروء الإباحة بسبب الذريعة واضح بالنسبة للنوع الأول الذى أوردناه فإن النظر الي الأجنبية كان محظورا لكنه ابيح باعتبار انه وسيلة الى تحقيق مصلحة راجحة وهى إتمام الزواج ، أو التمكن من أداء الشهادة .

أما النوع الثانى الذى أوردناه فإنه بالتأمل والنظر يبدو أن من يقول بجواز مثل هذه العقود ينظر الى مفاهيمها الشرعية على الوجه الذى كانت محرمة عليه فيحتال على تغيير هذه المفاهيم بوضعها فى صور أخرى مباحة ، وبذلك تكون حقيقة الأمر أن الفعل الذى كان محظورا اصبح بعد ذلك الاحتيال أو التغيير الصورى مباحا . فمن هذه النظرة تكون الذريعة سببا لطروء الإباحة عند من أجاز ذلك .

وبعد هذه الأسباب التى ذكرنا أنها تفيد طروء الإباحة نستطيع أيضا أن نستنتج أسبابا أخرى تفيدها ، ومن ذلك ما قالوه : من إباحة الظفر بالحق أو جنسه عند المدين المماطل ، فإن الفقهاء متفقون على أن من وجد نفس حقه الذى عند آخر مالا أو عروضا وكان يماطله فى رده ، فإنه يباح له ديانة فقط ان يسترده منه ولو خفية إذا ظفر به . واختلفوا فيما إذا ظفر بجنس حقه على ما بيناه تفصيلا فى مواضيع أخرى (١١) .

ويدخل فى أسباب طروء الإباحة أيضا إذن العباد بعضهم لبعض فى تناول الأموال والمنافع والأعراض بالوجوه المشروعة ، ومن ذلك أيضا ما دل عليه حديث الشيخين وهو قوله عليه السلام : « لا يحل دم امرىء مسلم الا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » فقد أفاد هذا الحديث أن هذه الأشياء الثلاثة سبب لطروء الإباحة لهذا الدم الذى كان معصوما لولا وجود سبب من هذه الأسباب .

وبعد فإن أسباب هذه الإباحة الطارئة استنتجناها نتيجة ممارسة واستقراء ، ولم ندع بذلك استيعاب كل ما يمكن أن يكون سببا لطروء الإباحة ، فإنه يمكن أيضا فى بعض الأحوال والصور أن يكون من سلطة

ولى الأمر تغيير بعض الأحكام ومنها المباح الذى قد تقضى المصلحة أن يحكم بتحويل كل من الواجب والمحظور إليه على ما بيناه فى كتابنا « الإباحة عند الأصوليين والفقهاء » ..

بقى أنه ينبغى لنا فى ختام الكلام عن أسباب الإباحة الطارئة فى الفقه الإسلامى أن نشير الى أن هناك أشياء تشبه المباحات من جهة أن فى كل منها رفع الإثم والحرج من الشارع ، إلا أنها تتميز عن المباحات بأنه لم يرد فيها خطاب من الشارع للشخص نفسه ، وإنما ورد الخطاب بشأنه لمن له عليه ولاية رافعا العقاب عنه فى الدنيا ومبينا بأنه لا حساب عليه فى الآخرة . وما كان من هذا النمط لا نستطيع أن نسميه من المباحات وإنما هو من قبيل ما يسمى فى القانون الجنائى بموانع المسئولية . كأن يكون الشخص غير أهل للتكليف فإن الفعل نفسه يبقى غير مباح واجبا كان أو محظورا ، ولذا فإنه إذا تضمن الفعل إتلافا أو اعتداء ضمن فى ماله فقط مع أن المسئولية تثبت كاملة بالنسبة لمن شاركه ممن توافرت له الأهلية والإرادة على ما بيناه فى موضعه من الكتاب المذكور ، وقارنا بين أسباب الإباحة الطارئة التى ذكرناها وبين ما جاء به القانون الجنائى من أسباب مما لا يتسع له هذا المقال ولا يناسب عرضه فى هذا المقام .

وإنى إذ أختم هذا الموضوع فإنى أستميح القارئ العادى عذرا فيما قد يكون لاقاه فى قراءة ما كتبت فيه من عناء ، برغم محاولة تبسيط الموضوع وضغطه بقدر المستطاع ، والى لقاء فى موضوع آخر إن شاء الله .

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا « مباحث الحكم عند الأصوليين » عند الكلام عن الحكم الوضعى والكلام عن السبب .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا الاباحة عند الاصوليين والفقهاء من ص ٣٦٩ — ٤٨٤ وقد سلكنا فى التفرقة بين الاباحة الاصلية والطارئة مسلكا قد يختلف عن مسلك الاصوليين الذين قصروا كلامهم فى الغالب على الاباحة الأصلية ، وقابلوا ذلك بالاباحة الشرعية .

(٣) انظر ذلك فى كتابنا الاباحة عند الاصوليين والفقهاء صفحة ٣٨٣ و ٣٨٤ والموافقات جـ ١ ص ٢٢٤/٢٢١ .

(٤) المستصفى جـ ١ ص ٩٩ .

(٥) الاحكام فى أصول الاحكام جـ ١ ص ١٨٩ .

(٦) جـ ٣ ص ١٥٣ ..

(٧) الاباحة عند الاصوليين من ٤١٣/٣٨٨ .

(٨) كشف الاسرار جـ ٣ ص ٨٧٨ .

(٩) الاباحة عند الاصوليين والفقهاء ص ٤٢١/٤١٧ ..

(١٠) وقد اجاز هذا التعاقد الامام أحمد بن حنبل ، والمزنى من الشافعية ، وطعنا فى سند الحديث ودلالته .

(١١) المقاصة فى الفقه الاسلامى بحث مقارن مطبوع سنة ١٩٥٦ المدخل للفقه الاسلامى.

مأساة المسلمين في بورما

حقائق حول اضطهاد المسلمين فى بورما .

يشكل المسلمون فى بورما اكبر اقلية من السكان ، إذ يبلغ عددهم ثلاثة ملايين نسمة من بين حوالى ثلاثين مليون نسمة ، ويعيش معظمهم فى المناطق الشمالية الغربية ، واما بقية الاديان الموجودة فى بورما فهى الديانة البوذية وهى ديانة اغلبية السكان ثم ديانة عباد الطبيعة .

ويتولى الحكم فى بورما حكومة اشتراكية من البوذيين ، وقد نالت استقلالها عام ١٩٤٨ م ، والعجيب أن المسلمين البورميين يلقون اقسى المعاملة من قبل حكومتهم الحالية ، فانهم يشردون من ديارهم ويرحلون منها وتفرض عليهم الضرائب الباهظة . ولما كان معظمهم من المزارعين والعمال فان الحكومة تبتز اكثر من ٩٠٪ من حاصل انتاجهم الزراعى وهناك امثلة كثيرة من قيام الحكومة بانتزاع ملكية الاراضى وكل شىء من المسلمين بالذات .

وقد قرات فى مجلة المجتمع الكويتى العدد الثانى السنة الاولى الثلاثاء ١٧ من محرم الموافق ٢٤ من مارس ١٩٧٠ (انه جاء الى الكويت شاب بورمى وقال لرئيس تحريرها لقد انتزعوا منا كل شىء ، كنت ووالدى نتاجر فى الادوات الكهربائية وكان راس مالنا يعادل مليون روبية ، وكانت تجارتنا مزدهرة ولكن الحكومة الاشتراكية العسكرية فى بورما لم يرق لها ذلك فاصدرت امرا بتاميم جميع اموالنا ولم يبق لنا إلا عقارات بسيطة لم يسمح لنا ببيعها وهى معرضة للتاميم وفررت من بورما الى الهند وهمت على وجهى بحثا عن عمل وتركت زوجتى فى الهند وجئت الى الكويت .

اما موقف الحكومة البورمية من الحرية الدينية فانها تحارب ممارسة الشعائر الاسلامية فلا يجرؤ احد تقريبا على اعتياد المساجد ونادرا ما تسنح الفرصة لاقامة صلاة الجمعة حتى ان المسلمين لا يسمح لهم بالخروج من مناطقهم وتسحب بطاقاتهم الشخصية ويزج بكثير منهم فى السجون لا لشىء الا لانهم مسلمون حتى فريضة الحج لم تسمح حكومة بورما لاحد من المسلمين لادائها . فمنذ عام ١٩٦٢ م لم يخرج احد من بورما حاجا الى بيت الله الحرام حتى الآن .

وتبذل رابطة العالم الاسلامى قصارى جهدها فى سبيل اقناع حكومة بورما للسماح للمسلمين لاداء فريضة الحج ولاصلاح حالهم ووضعهم .

إننا نناشد الاقطار الإسلامية الحرة فى العالم ان تتدخل لحماية المسلمين من هذا الاضطهاد الشديد وأن تمد يد العون والمساعدة للمهاجرين من بورما فى العالم الاسلامى فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم)) .

كما نرجو من هذه الحكومات الاسلامية عامة والعربية الشقيقة خاصة أن ترفع هذه المشكلة للامانة العامة لمؤتمر وزراء الخارجية الاسلامية والى الامين العام للأمم المتحدة عسى أن يحقق فى الامر ، والله الموفق وهو الهادى الى سواء السبيل .

الحـدود في الإسـلام ٢

القصاص في القتل

— ١ —

فى العدد الثامن والتسعين من مجـلة « الوعى الاسلامى » (غرة صفر سنة ١٣٩٣) ـ وقف بنا الحديث عن الحدود فى الإسلام ، عند حـد القتل ، والسرقة ، وشرب الخمر ، وذلك بعد أن عرضنا لحكمة الحـدود التى أوجبها الإسلام على بعض الجرائم والمنكرات ، وما تنطوى عليه هذه الحكمة من آثار بالغة فى حفظ كيان المجتمع الإنسانى ، واحترام ناموسه ، وإقرار أمنه ونظامه ، فضلا عما تبعث هذه الحدود القائمة بسلطانها على كل فرد فى المجتمع ، من إشاعة روح الأمن والسـلام فى النفوس ، والهتاف بها الا تخـرج عن صورة الإنسانية السوية الكريمة ، التى خلق الله تعالى الإنسان عليها ..

وقد عرضنا فى الحديث لما يتساقط من أفواه بعض السفهاء من الناس ، من مفتريات على الإسلام ، واتهام له بالهمجية والوحشـية فى العقوبات التى فرض إقامتها فى صورة علنية على مرتكبى جرائم الزنا ، والقتل ، والسرقة ، وشرب الخمر .. ثم كشفنا عن وجـه الحكمة فى حـد الزنا ، وفى التفرقة بين المحصن وغير المحصن ، فى صورة الحدّ الذى يقام على كل منهما .

ونعود فى حديثنا هنا الى بقية الحدود ، وليكن حديثنا اليوم مقصورا على جريمة القتل ، وموقف الإسلام من هذه الجريمة ، وما رصده من عقاب لمرتكبها .

— ٢ —

وبادىء ذى بدء ، فقد فرق الإسلام فى القتل بين ما هو قصد وعمد ، وما قد وقع عن خطأ ، ومن وراء النية والقصد .. إذ كان اعتداء الشريعة الإسلامية بأى قول أو عمل ، مردودا الى النية التى انعقـدت عليه ، ودفعت به الى حيز

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
صدق الله العظيم

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

الواقع ، سواء فى ذلك الحسن أو السيء من الأقوال والأفعال ، حيث يكون مع الإنسان فى تلك الحال ، اختياره ومشيئته ، وإرادته .. فإذا وقع القول أو العمل عن خطــأ ، أو نسيان ، أو إكـــراه ، لم يكن شيء من ذلك من كســب الإنسان ، ومن ثم لم يكن محسوبا له أو عليه ، فى مقام الثواب أو العقاب .. وفى هذا يقول الله تعالى : ((**لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان**)) (٨٩ : المائدة) .. ومعنى تعقيد الإيمان ، توثيقها بالإرادة المدركة الواعية .. وما يجرى على الايمان ، يجرى على كل قول وعمل يصدر عن الإنسان .. يقول الله تعالى : ((**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**)) (٢٨٦ : البقرة) .. ويقول النبى الكريم : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه . »

ثم لأن القتل ، سواء أكان عمدا أم خطأ ، هــو إزهاق لنفس إنسانية ، هى نفخة من روح الله ، وفى إزهاق هــذه النفس ، عــدوان على الله ، وانتهاك لحرمته فى هذا الإنسان الذى سوّاه بيده ، وأقامه خليفة له فى الأرض ، وأمر ملائكته بالسجود له يوم مولده ، احتفاء بظهور هذا الكائن العظيم . الذى أودع فيه الخالق العظيم من صفاته : العلم ، والقدرة ، والإبداع ، والخلق ، والإرادة .. وفى الحديث الشريف : « خلق الله آدم على صورته » (رواه البخارى ومسلم) ..

من أجل هذا أقام الله تعالى فى شريعته ، حراسة ، دائمة ملازمة للإنسان تدفع عنه عوادى العدوان على حياته ، التى هى ملك لله وحده ، لا يجوز لأحد أن يسلبها غير الله ، إذ لم يكن أحد يستطيع منحها غيره سبحانه .. فأوجب سبحانه وتعالى القصاص ممن يتعدى حدود الله ، ويقتل نفسا أحياها الله ..

وإذا كان سبحانه ــ رحمة منه وإحسانا ــ قد تجاوز للناس عما يقع منهم من أعمال سيئة عن غير نية أو قصد ، كالخطأ والنسيان والإكراه فإنه جل شأنه فى جانب إزهاق نفس الانسان واراقة دمه لم يجعل الخطأ والنسيان والاكراه مبررا ــ على إطلاقه ــ للتجاوز عن قتل اى نفس ، تحت أى ظرف من هذه الظروف ، ولم يجعل دم الإنسان يضيع هدرا من غير محاسبة ، للقاتل ، وإن كان سبحانه قد خفف الحساب والمؤاخذة ، تحت هذا الظرف الذى وقع فيه القتل من وراء قصد الإنسان ، وذلك ليشعر القاتل ، ولتشعر الحياة كلها بأن أمرا عظيما فظيعا قد حدث : ((**تكاد السموات يتفطرْنَ منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا**))

حقا ، إن هذا القاتل ، إنما قتل عن غير قصد أو نية ، الأمر الذى يستوجب ــ رحمة وعدلا ــ الا يُسوّى حسابه فيه ، على ميزان من قتل عمداً ، وبغيا .. ولكن لا بد أن ينظر ــ مع هذا ــ الى ذلك الإنسان الذى قتِل بيد أخيه الإنسان ، وأن ينال قاتله بعض العقاب على فَعلته تلك ، الأمر الذى من شأنه أن يجعل عوارض الخطأ فى هذا المقام واقعة تحت حساب دقيق ، ومحاذرة واعية ، مصاحبة لمشاعر الإجلال والإعظام لدم الانسان ، الذى إن أريق فى تلك الحال ، اهتزّت له السموات والأرض ومن فيهن ، فزعا وفرقا ، وهذا من شأنه أن يقيم فى نفس الإنسان وازعا يزعه عن تلك الأعمال الطائشة التى تقع عن استخفاف واستهتار وغير مبالاة ، والتى هى أكثر ما تكون سببا فى القتل الخطأ !!

ــ ٣ ــ

لهذا أوجب الإسلام فى القتل الخطأ تلك العقوبة ، التى هى وسط بين القصاص والعفو ، القصاص فى جانب القتل ، والعفو فى جانب الخطأ ..

يقول الله تعالى : ((**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ ، فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلّمة الى أهله إلا أن يصدّقوا .. فإن كان من قوم عدوّ لكم ، وهو مؤمن ، فتحرير رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ، فدية مسلمة الى أهله ، وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، توبة من الله ، وكان الله عليما حكيما**)) (٩٢ : النساء) ..

والآية الكريمة فى هذا ، واضحة المعالم ، بيّنة الحدود ، فى تسوية الحساب لهذه النفس التى قتلت خطأ ، بغير جناية جناها صاحبها ..

فأولا : استبعدت الآية الكريمة ــ فى استنكار بالغ ــ أن يقتل مؤمن مؤمنا ، فهذا الفعل المنكر ، لا يصح أن يقع من إنسان مؤمن بالله ، يتوقى حدود الله ، ويحذر محارمه ، ويحترم إرادته ..

وثانيا : استثنت الآية الكريمة ، من استنكار قتل المؤمن للمؤمن ، أن يكون هذا القتل عن خطأ ، إذ كان الخطأ فى عمومه ، مما تجاوز الله تعالى عنه ، لهذه الأمة ، رحمة بها ، وإحسانا اليها ..

وثالثا : ليس هذا التجاوز عن القتل الخطأ على إطلاقه ، بحيث يمضى القاتل ، وكأنه لم يفعل شيئا ، ولم يأت أمرا إدّا ..

فقد أوجب الإسلام على القاتل ــ لكى يتطهر من هذا الدم الذى علق بيده ــ أمورا هى :

١ ــ أن يحرر رقبة مؤمنة ، فيخلصها بذلك من العبودية ، التى هى فى حقيقتها ، إهدار لإنسانية هذا الانسان ، وقتل بالحياة الآدمية .. وفى خلاص هذا الرقبة من العبودية إحياء لها من الموت ، وبعث لها من بين الأموات .. وكأن القاتل بهذا قد أحيا نفسا مؤمنة ، بدلا من تلك النفس المؤمنة التى قتلها

خطـأ .. وبذلك يكون قد سوى حسابه مع الله ، إذ قتل نفسا ، وأحيا نفسا .. كما انه قد سوّى حسابه مع الإنسانية ، إذ قد انتزع منها إنسانا ، وقدّم لها إنســـانا !!

٢ ــ إذا لم يجـد القاتل بين يديه الرقبــة التي يعتقها ، أو المال الذي يشترى به رقبة ليعتقها ــ وجب عليه صيام شهرين متتابعين ، فانه ((**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**)) ..

٣ ــ بقي بعد هذا ان يسوّى القاتل للنفس المؤمنة خطـأ ، حسابه مع أولياء دم القتيل .. وهؤلاء الأولياء ، تحكمهم ثلاث صور :

ا ــ أن يكونوا من المؤمنين ، وهم فى هذه الحال مخيرون بين أخذ الدية ، أو التصدق بها على القاتل ، وقد حثهم الله تعالى على التصدق .. وحسب القاتل ما يعالج من آلام وهموم ، من قتل هذه النّفس المؤمنة !.

ب ــ أن يكون أولياء دم القتيل المؤمن ، من قوم غير مؤمنين ، هم فى وجه عداوة للمؤمنين ، وفى حرب ظاهرة أو خفية معهم .. وفى هذه الحالة لا تقدم لهم الدية ، لأن فى تقديمها عونا لهم بها فى حربهم مع المؤمنين ..

جـ ــ أن يكون أولياء دم القتيــل المؤمن ، من قوم غير مؤمنين ، ولكن بينهم وبين المؤمنين عهد وميثاق بالموادعة والسلام .. وهنا يجب أن تقدم لهم الدية ، من مال القاتل ، فان لم يكن فى مال القاتل ما يتســع لها ، أو لم يكن ذا مال أصلا ، تولت الجماعة المؤمنة تقديمها لهم من بيت مال المسلمين .. ولا يقبل منهم التصــدق بها على القاتل ، لأن هذا المال المقدم لهم على سبيل الدية ، هو حق لهم ، وهو إذا وقع لأيديهم أصبح مالا خبيثا ، لا يوضع موضع الصدقة !!

ــ ٤ ــ

هذا عن القتل الخطـأ ..

أما القتل العمد ، فهو رأس الجرائم ، وكبيرة الكبائر ، والله ســبحانه وتعالى يقول : ((**ومن يقتل مؤمنا متعمدا ، فجزاؤه جهنمّ خالدا فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، وأعدّ له عذابا عظيما**)) (٩٣ : النساء) ..

هذا هو حساب الله تعالى للقاتل ، وذلك وعيده له فى الآخرة ..

أما حسابه فى الدنيا ، فقد أمر الله تعالى بالقصاص منه ، وقتــله بتلك النفس التى قتلها ، عن عمد ، ظلما وعدوانا .. والله سبحانه وتعالى يقــول : ((**ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ، فلا يسرف فى القتل .. إنه كان منصــورا**)) (٣٣ : الإسراء) ..

فالقاتل هنا ، لا يقبل منه تحرير رقبة ، ولا دية مسلمة الى أهل القتيل ، ولا صيام شهرين متتابعين ، وانما يقاد للقصاص ، ويقدم الىّ أولياء دم القتيل ، ليقتصوا منه بقتيلهم .. فهو فى تلك الحال فى حكم المقتول .. ثم ان لأولياء الدم بعد هذا أن يقتلوه ، أو يقبلوا الدية منه ، أو يعفو عنه .. وذلك حســب مشيئتهم فى القاتل ، وفيما يقع فى تقديرهم للظروف والأحوال المتلبسة به .. فان قتلوه ، كان قتلهم إياه حقا وعدلا ، وان قبلوا منه الدية كان ذلك منهم إحسانا ورحمة ، وان عفوا عنه ، كان ذلك فضلا وتسامحا .. وذلك كله مضاف الى حسابهم ، وليس للقاتل شيء منه !

وهــذا القصاص إنما هو عقوبة دنيوية للقــاتل ، وحق مطلق لأولياء دم القتيل ، ولوليّ الأمر القائم على جماعة المؤمنين .. وذلك ليكون عبرة رادعــة لغيره ، ووازعا قاهرا يزع من تحدثه نفسه بالإقدام على قتل غيره .. وفى هذا صيانة لدم الإنسان ، حتى لا يكون فى الناس من تحدثه نفسه بقتل إنسان ، ثم

يظن ، أو يوقن أنه بمنجاة من القتـــل .. وبهذا تموت كثير من نوازع القتـــل ، وتَعْزُبُ كثير من الخواطر التى تتردّد فى صدور بعض الناس للإقدام على قتل غيرهم .. والله سبحانه وتعالى يقول : ((**ولولا دفع الله الناس بعضـــهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين**)) (٢٥١ : البقرة) .. ويقول جلّ شأنه : ((**ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقـــون**)) (١٧٩ : البقـــرة) ..

فالقصاص من القاتل ، ـــ وان كان فى صورته الظاهرة موتا لإنسان ، وقتلا لنفس ـــ هو فى حقيقته ، حياة للناس جميعا ، وحماية لهم من قتل ذريع ، لا يبقى ولا يذر .. ويدخل فى ضمان هذه الحياة ، هذا القاتل نفسه ، والقتيل الذى قتله ، ظلما وعدوانا !!

ففى قوله تعالى : ((**ولكم فى القصاص حياة**)) ، وفى تنكير كلمة ((حياة)) ما يتسع لهذه المعانى كلها ..

فأولا : القصاص من القاتل ، يمسك كثيرا من الأيدى عن القتل ، فى ظروف واحوال ، تتحـــرك فيها نوازع أصحابها الى العـــدوان على غيرهم ، وإزهاق أنفسهم ، فان أكثر ما يردّ الناس عن الاقدام على هـــذه الفعـــلة النكراء ، هو حرصهم على حياتهم ، وخوفهم من أن يقتص منهم بالقتل بمن يقتلونه .. فهـــذا القصاص الراصد لهم ، هو الذى حفظ لهم حياتهم ، وحياة من كانوا يحـــدثون أنفسهم بقتلهم .. وهذا يعنى أن قيام القصاص فى القتل دستورا عـــاملا فى الحياة ، هو الذى أبقى على حياة الناس ، ولولا هذا لاستخف الناس بالقتل ، ولم يزعهم من دين ضمير أو دين ، إلا من عصم الله ، والله سبحانه وتعـــالى يقول : ((**ولكم فى القصاص حياة**)) .. ويقول عثمان بن عفان ـــ رضى الله عنه ـــ ((**ان الله ليزع بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن .**))

وثانيا : هؤلاء الذين نفذوا جريمة القتل فى قتلاهم .. انهم لم يقدموا على ما فعلوا الا بعد تردد طويل ، قد يمتد سنين ، قبل الاقدام على القتل ، ووقـــوع الجريمة ، حرصا على حياتهم ، وخوفا من الموت الراصد لهم فى القصاص منهم ، وبهذا التردد ، وتلك المطاولة ، حياة لهم ، وحياة لقتلاهم ، مدة امتدت من وقت الهمّ بالقتل ، والنزوع اليه ، الى وقت التنفيذ ، ولو انهم استجابوا لأول خطرة تخطر لهم بالقتل ، لخسروا هذه الفترة من حيـــاتهم ، كما يخسرها من عجلوا بقتلهم .. هذا ما ينطق به واقع الحياة ، اماأن لكل أجل كتابا ، وأما أن لكل أمة أجل ، اذا جاء أجلهم ، فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، فذلك غيب لا يعلمـــه الا الله ، واليه وحده سبحانه مرده ، وبيده وحده سبحانه الحكم فيه .

وفى قوله تعالى : ((**لعلكم تتقون**)) .. إشارة كاشفة لهذا الاثر العظيم الذى للقصاص فى حياة الناس ، وانه أقوى قوة عاملة فى حفظ حياتهم ، وذلك بتجنب القتـــل ، واتقاء عواقبـــه الوخيمة التى يجـــرها القتل على القـــاتل ، بالقصاص منه ..



بهذا التدبير الحكيم ، فيما شرع الله تعالى من القصاص فى القتل ، حفظ سبحانه كثيرا من النفوس ان تقتل ، وكثيرا من الدماء الإنسانية أن تراق .. وفى ذلك ـــ كما أشرنا من قبل ـــ إشعار بما للإنسان من مكانة كريمة عند الله ، من بين المخلوقات ، وأن دمه عزيز على الله أن يراق على الأرض ، كما يراق دم الحيـــوان ..

وفى التعقيب على ما حدث بين ابنى آدم من عدوان أحدهما على الآخـــر

وقتله ـ يقول الله تعالى : « **من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل ، أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها ، فكأنما أحيا الناس جميعا** » (٣٢ : المائدة) .

فاذا كان القتل عدوانا على الله ، الذي بيده وحده سبحانه الحياة والموت ، واذا كان الانسان لا يملك من أمر الحياة شيئا ، فليس له أن يملك من أمر الموت شيئا كذلك .. وإذن فانه من تعدى حدوده ، واجترأ على حرمات الله ، لم يكن له عند الله حرمة ، ولله سبحانه غيرة على حرماته أن تنتهك ، وعلى حماه أن يُسْتَبَاح ، وعلى مقدساته أن تكون بمعرض البغى والعدوان ..

وإنه بسبب حرمة الحياة الانسانية وقداستها وكرامتها فرض الله هذا الفرض على بنى إسرائيل وجعله حكما قائما عليهم ، وهو : « **أنه من قتل نفسا بغير نفس ، أو فساد فى الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا** » .. ذلك أن قتل نفس واحدة ، هو فى حقيقته قتل لإنسان هو شجرة الانسانية كلها ، وكذلك الشأن فيمن أحيا نفسا إنسانية ، بأن كف يده عن العدوان عليها ، أو دفع يدا معتدية عليها . وهذا يعنى أن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحيا نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا !!

فالإنسان ـ أى إنسان ، يمثل الإنسانية كلها ، إذ كان خلق الانسانية كلها جميعا من نفس واحدة ، هى النفس السارية فى كل إنسان ، والتى هى نفخة من روح الله .. يقول الله تعالى : « **يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** » (١ : النساء) .. ففى كل إنسان قبس من هذه النفخة المقدسة ، التى كانت منها الإنسانية كلها .. فمن قتل نفسا ، فقد أخمد تلك الشعلة المقدسة ، التى هى أصل الحياة ، ومن أحيا إنسانا ، أى لم يعرض له بسوء ، أو دفع عنه سوءا يتهدد حياته ، فكأنما أحيا الانسانية كلها ، وترك شعلتها المقدسة متقدة .

وهذا الحكم الذى أخذ الله تعالى به بنى إسرائيل ، هو حكمه تعالى فى الناس جميعا : «**أنه من قتل نفسا بغير نفس ، أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا** » هذا هو حكم الله تعالى على الناس كلهم ، وإنما توجه هذا الحكم من الله تعالى إلى بنى اسرائيل ، لأمرين :

أولهما : أن بنى إسرائيل ، هم أسوأ صورة إنسانية للإنسان ، وفى طبيعتهم النكدة اجتمع كل ما فى الناس من أبشع صور البغى والعدوان .. فهم أسرع الناس الى قتل النفوس ، وإزهاق الأرواح ، وإراقة الدماء ، ما أمكنتهم الفرصة ، وأسعفتهم الأحوال ، إرواء لتلك الطبيعة المتعطشة الى امتصاص أموال الناس ودمائهم ، حتى إنهم لم يرعوا لرسل الله وأنبيائه اليهم حرمة لدمائهم ، فقتلوا كثيرا من هؤلاء المبعوثين اليهم من عند الله ، يحملون اليهم الدواء ، لما اندسَّ فى كيانهم من علل وأمراض .. يقول الله تعالى فيهم ، منذرا بالويل والبلاء لهم : « **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون** » (٨٧ : البقرة) .

وثانيهما : أن شريعة بنى إسرائيل التى أنزلها الله تعالى على موسى ، كانت أقدم الشرائع السماوية العاملة فى الحياة ، الى أن أدركها الإسلام ، ونظر فيها وفى أتباعها .. فكان ما نزل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « **من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس**

جميعــا » ــ كان هذا القول الكريم ، مواجهة للمسلمين ، بما شرع الله تعالى لهم من شرع كان قد شرعه من قبل لأمم سبقتهم ، كما يقول سبحانه : **« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »** (١٣ : الشورى) .. كما كان ذلك تذكيرا لبنى إسرائيل بما فرضه الله تعالى عليهم فى الدماء ، وحرمتها ، حتى يقيمــوا التوراة على وجهها الذى اقامها الله تعالى عليه ، وحتى يستقيموا على شريعة الله ، بعد أن انحرفوا عنها ، وافسدوا معالمها بالتبديل ، وسوء التأويل .

— ٦ —

واكثر من هذا ، فان حرمة دم الإنسان فى الشريعة الإسلامية ، لا تقف عند حد ّ تجريم من قتل غيره ، واخذه بالقصاص منه فى الدنيا ، ورصد العقاب الأليم له فى الآخرة ، مرجوما بغضب الله ولعنته ــ بل إن تلك الشريعة قد جردت قاتل نفسه ، واخذته بما تأخذ به القاتلين غيرهم عمدا ، وانزلتهم منازلهم فى نار جهنم خالدا فيها .. ذلك أن هذا القاتل لنفسه ، قد اعتدى على حياة مقدسة ، ألبسها الله تعالى إياه ، وتولى بنفسه ما هو حــق الله فيه ، فالله سبحانه هو الذى ينزعهــا منه متى شــاء .. يقــول ســبحانه وتعــالى : **« كيف تكفــرون بالله ، وكنتم أمواتا فاحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون »** (٢٨:البقرة)

فهذا الذى استعجل موت نفسه ، وعمد بيده الى إزهاقها ، لضيق نزل به ، أو مرض اشتد عليه ، أو مصيبة اصابته فى مال أو اهل أو ولد ، أو نحو هذا مما يدعو بعض الناس الى الفرار من الحياة بالانتحار ــ هــذا الإنسان ، هو سىء الظن بربه ، كافر به وبقدرته ، متبرم بقضاء الله متمرد على حكمه فيه ، فكان جزاؤه عند الله هذا الجزاء الأليم ، الذى يتناسب مع فعلته الآثمة ، والذى هو من جنس عمله .. يقول رسول الله ، ــ صلوات الله وســلامه عليه ــ : **« من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده ، يجا بها بطنه يوم القيامة ، فى نار جهنم ، خالدا مخلدا فيها أبدا .. ومن قتل نفسه بسم ّ تردّى به ، فسُمه فى يده ، يتَحسّاه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا »** (رواه البخارى ومسلم) .. ويقــول صلوات الله وسلامه عليه : **« من قتــل نفســه بشىء ، عذب به يوم القيامة »** .

— ٧ —

هذا هو مقام الحياة الإنسان ، وتلك هى منزلتها عند الله .. لا يرحم الله تعالى فى الدنيا ولا فى الآخرة من لا يرحمها ، ولا يحفظ من لا يحفظها ، ولا يرعى حرمة لمن لا يرعى حرمتها فى نفسه أو فى غيره ..

ومع هذا ، فان مدنية الغرب ، والمخدوعين بهذه المدنية ، تستخف بقتــل النفس ، وتستبيح دم الإنسان ، فى الأفراد والجمــاعات والشــعوب ، وتهلك الحرث والنسل ، ولا ترى فى ذلك ما ينخس ضميرها ، أو يحرك مشاعرها ، ثم هى مع هذا ترمى الإسلام بالقسوة وتتهمه بالحيوانية ، والوحشية ، والهمجية وتثير فى وجهه حربا شعواء ، لا لشىء إلا لانه جعل القصاص فى الدماء ، وقتل القاتل بمن قتله ، حكما من أحكام شريعته ، يقيمه بين الناس ، ويأخذهم به .. .. ثم ينتهون من هذا الى نتيجة ، هى أن هذه الشريعة هى من إفرازات الحياة البدوية القبلية ، التى ظهر فيها هذا الدين ، وطبع بطابعها ..

وإنك لترى القوم فى تبرير اتهامهم للاسلام بالقسوة والبربرية والوحشية ، والتعطش الى إراقة الدماء ، وإزهاق الأرواح ــ تراهم هنا يحيلون الأمر الى عملية حسابية فى مجال الانتاج المادى ، ويقيمونها على ميزان الربح والخسارة

المادية ، ثم لا يحوجهم هذا الى أكثر من النظر الى قطعان الماشية التى يملكونها ، ليقيموا منها الحجة على ما يقولون !!

فهم يسألون او يتساءلون : إذا نطح حيوان حيوانا من هذا القطيع أو ذاك ، فقتله .. أفيكون من العقل والمصلحة أن يقتل هذا الحيوان القاتل ؟ أن ما تقضى به المصلحة ، ويدعو اليه العقل هنا ، هو أن يعزل هذا الحيوان عزلا مؤقتا عن بقية رفاقه ،حمايةلها من بطشه وشراسته !! ثم ماذا يجدى قتل هذا الحيوان القاتل ؟ ايعيد قتله الحياة الى الحيوان الذى قتله ؟ ثم الا تكفى الخسارة فى قتل حيوان ، حتى يضاف الى ذلك قتل حيوان آخر ؟ الا يعد ذلك من باب الحماقة والسفه ، وسوء الراى ؟

إنهم يسوسون « القطيع » الإنسانى بما يسوسون به قطعان الحيوان ، وينظرون اليه تلك النظرة المادية التى ينظرون بها الى عالم الحيوان ، ويقولون ــ فيما يقولون ــ إنه قد قتل إنسان بيد انسان .. فان تكن الانسانية قد خسرت إنسانا واحدا بهذا القتل ، فانها ستخسر اثنين اذا قتل قاتله !

هكذا يسوى منطق القوم هذه القضية ، على تلك الصورة ، حتى إن قوانينهم الوضيعة التى لبست ثوب المدنية قد خلت تماما من النص على قتل القاتل ، مهما كانت الظروف التى قتل فيها ، مقدرة أن فى الحكم على القاتل بالسجن بضع سنين ، ما يكفى لإصلاحه وتأديبه ، ثم عودته الى الحياة عضوا عاملا منتجا !! فهذا عند القوم كسب للحياة ، بالابقاء على حياة القاتل ، والعمل على إصلاحه ، وتقويم انحرافه ، دون أن ينظروا الى ما وراء ذلك من حرمان إنسان حق الحياة ، بفعلة هذا القاتل ، وما تترك هذه الفعلة من آثار مزعجة ، فى أهل القتيل ، من زوج ، وأبناء ، وآباء ، وإخوة وأخوات ، وغيرهم من ذوى قرابته ! ودون أن يقدروا أن ترك القاتل حيا ، مع الاكتفاء بحبسه تلك المدة المحدودة ، فيه إغراء له ، ولغيره بالإقدام على القتل ، مرة ، ومرة ، ومرات ؟

أما نظرة الإسلام الى جريمة القتل ، فهى نظرة عامة شاملة ، تحيط بها من جميع جوانبها ، وتحتويها ظاهرا وباطنا ، وتحسم شرها حاضرا ومستقبلا ..

ونعود فنذكر هنا ما قررته الآية الكريمة : ((**ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون**)) .. من وجوب القصاص ، وقتل القاتل بمن قتله ، وما فى هذا القصاص من ضمان وثيق لحفظ الانسانية ، والابقاء على الجنس البشرى كله ، وانه لولا هذا القصاص ، لقتل الناس بعضهم بعضا بغير حساب ، وبدون مبالاة ، ولجرت الدماء انهارا ، حتى ينتهى الأمر بألا يبقى من أبناء آدم الا اثنان هما أقوى أبنائه ، ثم لا يلبث الأمر بينهما طويلا حتى يعدو أحدهما على الآخر فيقتله ، وتعود الحياة الى سيرتها الأولى فيما كان بين ابنى آدم : قابيل وهابيل ، اللذين كانا كل ما فى الانسانية من آدميين على ظهر الأرض ، ومع هذا فقد عَدا أحدُهما على الآخر فقتله ، ليكون له وحده السلطان على هذه الأرض !!



ولا ننهى هذه الكلمة ، دون أن نشير الى أن كثيرا من دول الغرب التى حرمت إعدام القاتل فى قوانينها ، قد عادت أخيرا ، فجعلت الإعدام عقوبة فى قانون عقوباتها ، بعد أن أصبحت جرائم القتل فيها ، تقع جهارا نهارا على أعين الناس ، وبعد أن أصبح من المألوف أن يكون العبث والهزل والتسلية ، من اكثر البواعث على القتل ، حتى إنه لا يتورع أحد الهازلين العابثين ، من أن يلعب لعبة

الموت هذه فيقتل أسرة بأسرها ، لا لشيء أكثر من أن يرفه عن نفسه ، ويسليها بهذا العبث !!

وإن اقرب مثل لتلك الدول التى أخذت تقرر عقوبة الاعدام فى قانونها ، الولايات المتحدة ، التى طلب رئيسها منذ ايام ضرورة إدخال هذه العقوبة فى قانون الدولة .. وذلك بعد أن أصبح القتل فى الولايات المتحدة ، هو اللعبة المفضلة للتسلية والترفيه !!

ولا شك أن فى هذا شهادة قائمة ناطقة بأن هذا الدين ، هو دين الله ، وان كلماته ، هى كلمات الله ، وأن أحكامه ، أحكام الله ، وأنه لا تبديل لكلمات الله ، ولا نقض لأحكامه ، مهما امتدت الأزمان ، واختلفت الاوطان ، وأن نبح النابحون ، وعَوَى العاوون ..

ثم لا بد من كلمة أخيرة نهمس بها فى آذان أولئك المخدوعين المتهوسين ، المفتونين بأوربا وأمريكا من أبناء العروبة والاسلام !! والذين نراهم ونسمعهم يدعون — بغير فهم ولا عقل الى الغاء عقوبة الاعدام ، والتى يعدونها وصمة فى جبين الانسانية ، وشهادة قائمة فى الناس بأن ديننا يعيش فى غير زمنه ، وأن أهله يعيشون فى عصر غير عصرهم .. وهم فى هذا الهراء ، يحسبون أنهم دعاة إصلاح ، وقادة نهضة !! وما هم فى الواقع إلا ببغاوات حبيسة فى أقفاص أوربية وأمريكية ، يلتقطون ما يلقى اليهم من يد سادتهم من حَبّ ، وما يطرق آذانهم من كلمات .. ثم ينقلون هذه الكلمات على نحو ما سمعوها ، دون أن يعقلوها ، أو يعرفوا لها مدلولا ..

هكذا أولئك المتهوسون الببغاويون ، فى كل ما ينعقون به من غريب الآراء ، وبدع الدعوات .. انهم لا يعدون أن يكونوا « اسطوانات » معبأة بالدعوات المضللة ، والمفتريات الخبيثة ، التى يسمعونها من هنا وهناك من أدعياء المستشرقين الذين يكيدون لديننا ، ولتراثنا ..

وقد وقانا الله شر هذا « البُوم » الناعب فى ديارنا ، مبشرا بنقص حكم من أحكام شريعتنا ، بما كانوا يدعون اليه من الغاء حكم الاعدام ، الذى يصم مجتمعنا — فى أوهامهم — بالبربرية والوحشية ..

فبأى لسان يتحدث هؤلاء الببغاوات عن الغاء حكم الاعدام ، وقد خرست ألسنة أساتذتهم ، فلم تعد تنطق بهذا القول ؟ فليبحثوا لهم اذن عن مقولة أخرى يتعالمون بها ، وليدخلوا بها فى زىّ المجددين التقدّميين ، وذلك بعد أن تزايلهم حمرة الخجل ، ويجفّ من جباههم عرقه ، ان كانت وجوههم تعرف الحياء والخجل .. وصدق رسول الله اذ يقول : « **اذا لم تستح فاصنع ما شئت** » ..

وان فى هذا لعبرة لمن يتلقون مثل هذا الزور من القول ، ويتأثرون به ، ويهتز إيمانهم منه ، وليعلموا أن دينهم الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن شريعتهم هى شريعة الله التى لا يفيض على الايام معينها ، ولا تتعطل على الزمن مواردها .. والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم ، وفى رسوله الأمين : « **وبالحق انزلناه ، وبالحق نزل ، وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا** » .

بلغة العصر

الزكاة

للدكتور محمد شوقى الفنجرى

من يرجع الى كتب الفقه الاسلامى ، يجد اختلافا بعيد المدى فى كيفية تطبيق فريضة الزكاة ، عبر عنه فقيد الاسلام وشيخ الازهر الاسبق الامام محمود شلتوت بقوله : (على رغم ما أعتقد من أن الخلاف النظرى يدل على حيوية فكرية قوية وعلى سماحة النظام الذى يكون فى ظله ذلك الخلاف ـــ على الرغم من ذلك ، فكم يضيق صدرى حينما أرى أن مجال الخلاف بين الأئمة فى تطبيق هذه الفريضة يتسع على النحو الذى نراه فى كتب الفقه والاحكام) . ثم يقول : (هذه الفريضة يجب أن يكون شأن المسلمين فيها أو شأنها عندهم جميعا كشأنهم فى الصلاة ، وشأن الصلاة فيها تحديد بين واضح ، لا لبس فيه ولا خلاف « خمس صلوات فى اليوم والليلة ») . ثم يقول (لست أشك فى أن وحدة المسلمين فى واجباتهم الدينية والاجتماعية التى أخذ الله بها عليهم العهد والميثاق ، تقتضى على علمائهم وأولياء الأمر منهم بالمسارعة الى أعادة النظر فيما أثر عن الأئمة من موضوعات الخلاف التى أخشى أن تمس أصل هذه الفريضة ، ويكون

ذلك النظر الجديد على أساس الهدف الذى تصده القرآن من افتراضها وجعلها واجبا دينيا تكون نسبة المسلمين فيه وفى جميع نواحيه على حد سواء) (١) .

ورغم المحاولات الحديثة التى بذلت وما زالت تبذل ، فاننا حتى الآن لم نستطع أن نذلل مهمة ولى الأمر ، تنفيذ أحكام هذه الفريضة التى أرادهـا الله أن تكون ركنا أساسيا فى تنظيم المجتمع ، وذلك باتفاق فقهاء الإسلام على أحكامها وعلى كل ما يتصل بهذه الفريضة بعد أن اختلفوا فى كل ما يتصل بها اختلافا بعيد المدى ، ثم أعلان الأحكام المتفق عليها للكافة حتى تكون موضـع التكليف .

ولسنا هنا بصدد دراسة ولو اجمالية لموضوعات الزكاة ، فان ذلك يتجاوز نطاق هذا المقال . وإنما كل ما يهمنا هو محاولة ربط أحكام الزكاة بواقع عالمنا الحاضر . ونكتفى هنا بعرض ثلاث مسائل رئيسية ، نعالج كل منها فى فـرع مستقل .

الفرع الأول : الزكاة هى مؤسسة الضمان الاجتماعى فى الإسلام .

الفرع الثانى : وعاء الزكاة ، ونصابها ، وسعرها .

الفرع الثالث : هل يجوز أداء أهل الذمة للزكاة بدلا من الجزية الواجبة عليهم .

١ ــ الزكــاة مؤسسة الضمان :

لم يكتف الإسلام بمجرد الدعوة الى الضمان الاجتماعى بمعنى ضمـان حد الكفاية لا الكفاف لكل فرد ، وانما انشأ له منذ أربعة عشر قرنا مؤسسة مستقلة هى مؤسسة الزكاة التى هى بالتعبير الحديث مؤسسـة الضمـان الاجتماعى .

أ) حداثة نظام الضمان الاجتماعى فى العالم وقدمه فى الإسلام :

من المعروف أن نظام الضمان الاجتماعى ، حديث فى عالمنا الحاضر ، فهو نتاج صراع الطبقات وثمرة المشاكل الاجتماعية المتولدة عن الثورة الصناعيـة والتقـدم الاقتصادى . بخلاف الأمر فى الاسلام ، فقد قرره منذ أربعة عشر قرنا كضرورة حتمية للقضاء على البؤس والفقر وتحرير الانسان باسم الدين من عبودية الحاجة .

ولعل أهم دور أسند الى مؤسسة الزكاة فى العهد الاسلامى الأول هـو ضمان حد لائق لمعيشة كل فرد ، يسميه رجال الفقه الاسلامى بحد الكفاية وهو خلاف حد الكفاف ، ولذلك يعبر عنه بعض الفقهاء باصطلاح (حد الغنى) .

ولم يقف دور مؤسسة الزكاة على مجرد سد حاجة الفقير العاجز ، بل اعطاء فرصة العمل للقادر عليه . فكثيرا ما اعطي الفقير ما يمكن أن نسميه براس مال ليبدأ تجارة ينميها أو يشترى آلات لصناعة يعرفها .

كذلك لعبت مؤسسة الزكاة فى العهد الاسلامى الاول دورها فى تخفيف الاعباء العائلية ، من ذلك ما قرره عمر بن الخطاب باعطاء كل مولود مائة درهم ويزيد العطاء كلما نما الولد .

ب) الضمان الاجتماعى هو الركن الثانى فى العقيدة بعد الصلاة :

اعتبر الاسلام اداء حق الزكاة ، اى حق الضمان الاجتماعى وكفالة حد الكفاية لا الكفاف لكل مواطن ، بمثابة الركن الثانى فى العقيدة بعد الصلاة . فالقرآن يقول : (**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ــ البقرة / ٨٣) ، ويقول : (**وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ــ البينة/ ٤) ، ويقول : (**ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ــ الحج / ٤٠ ــ ٤١) ، ويقول : (**وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون** ــ فصلت / ٦ ــ ٧) . كما ورد فى السنة الصحيحة ، ان الصلاة غير مقبولة ممن لا يحرص على ايتاء الزكاة .

وتعتبر حرب أبى بكر لمانعى الزكاة ، أول حرب فى التاريخ تخوضها دولة فى مبدأ الضمان الاجتماعى ، فقد حدث عقب وفاة رسول الله أن امتنع فريق من العرب عن اداء الزكاة ، فقرر أبو بكر الصديق قتالهم وقال كلمته المشهورة (والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عن منعه) . وأنه حين اعترض عمر بن الخطاب على قتال المتنعين عن اداء الزكاة قائلا كيف نقاتلهم وهم مسلمون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويقيمون الصلاة ، يجيبه أبو بكر فى عزم وتصميم (والله لأقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة) ، فيقتنع عمر بن الخطاب ويقول : (فوالله ما هو الا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال ، فعرفت انه الحق) .

جـ) الزكاة فريضة مستقلة مخصصة لاهداف الضمان الاجتماعى :

والزكاة ليست مجرد احسان متروك لاختيار المسلم ، وانما هى فريضة الزامية يستوفيها الحاكم الاسلامى الى جانب الضرائب التى كانت تحصلها الدولة الاسلامية فى عهدها الاول لمواجهة التزاماتها المختلفة ، كضريبة العشور ، وهى ضريبة جمركية . اذ الأمر كما ورد فى الحديث النبوى (أن فى المال حقا سوى الزكاة) . وكان يفرد للزكاة بيت مال مستقل خلاف موارد بيت المال الأخرى ، بحيث لا يجوز مثلا الإنفاق من حصيلتها على الجهاز الادارى للدولة .

وهى فريضة مخصصة لأهداف الضمان الاجتماعى ، بحيث لا يجوز استعمال حصيلتها أو توزيعها الا فى أهداف الضمان الاجتماعى ، والتى عبرت عنها الآية الكريمة بقوله تعالى : (**انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله** ــ التوبة / ٦٠) .

ومن ذلك يتبين ان المستحقين فى الزكاة ثمانى فئات هم :

ــ **الفقراء** : وهم الذين لا يستطيعون بحسب قدراتهم ومواردهم أن يوفروا لأنفسهم الحد اللائق للمعيشة ، وهو حد الكفاية لا الكفاف .

ــ **المساكين** : وهم فى رأى البعض الفقراء الذين يسألون تمييزا لهم عن الفقراء المتعففين ، وهم على العموم اسوأ حالا من الفقراء .

وقد جرت أقوال الائمة على اعطاء الفقراء والمساكين من الزكاة بحالتها التى تجبى عليها أى نقدا ، فى حين أن الشريعة الغراء لم تنص على وسيلة معينة يلتزم بها الامام فى اداء حق الزكاة للفقراء والمساكين ، وانما خوله التصرف فيها بحسب ما تقتضيه المصلحة بحيث اذا وجد فقير مريض جاز أن يؤدى له الزكاة فى صورة خدمة طبية بدلا من اعطائه مبلغا من المال قد يكون عديم النفع أو ضارا فى بعض الأحوال .

ونرى فى العصر الحالى ان من أفضل صور اداء حق الزكاة ، اقامة المستشفيات للفقراء والملاجىء للعجزة واليتامى . وقد نص ابن عابدين على ان ما ينفق فى سبيل تعليم الفقراء وعلاجهم هو انفاق عليهم واعطاء لهم . وقد يكون من أجدى السبل ، استخدام جزء من حصيلة الزكاة فى انشاء مطاعم أو مساكن شعبية بل وفى انشاء مصانع يعمل بها الفقراء المشوهون كل بحسب مقدرته فيجدون موردا كريما لرزقهم فضلا عن زيادة العمالة والقضاء على البطالة المفروضة عليهم (٢) .

ــ **العاملون عليها** : وهم المكلفون بتحصيل الزكاة ، ولا يجوز فى رأى البعض كالامام الشافعى أن يتجاوز بحال من يتقاضونه ١/٨ المحصل من الزكاة وهذا يعنى ان الزكاة تغطى مصاريفها من ذاتها ، وانه يتعين الاقتصاد فى مصاريف تحصيلها وصرفها .

ــ **المؤلفة قلوبهم** : وهم الذين يراد كسبهم نحو الاسلام أو درء مخاطرهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، **فهذا نصيب الدعوة للاسلام** . وقد قيل ان عمر بن الخطاب اسقط أو عطل سهم المؤلفة قلوبهم حين رفض عطاءهم بقوله (ان الله قد أعز الاسلام واغنى عنهم) وهذا تصور خاطىء ، اذ لا يملك عمر أو غيره ان يهدر أو يعطل نصا ، وانما الأمر مرده عدم توافر شروط تطبيق النص أو كما يعبرعنه البعض باصطلاح زوال الوصف .

ــ **الرقاب** : وهو القدر المخصص لتحرير العبيد فى العصر القديم ولمحاربة جميع صور الاستغلال فى العصر الحديث وبذلك تعتبر الدولة الاسلامية **أول دولة فى العالم حاربت الرق منذ اربعة عشر قرنا بل وخصصت لذلك جزءا من ميزانية الدولة** .

- **الغارمـــون** : وهم الذين استغرقتهم الديون لسد حاجاتهم الضرورية او لتحملهم نفقات مالية لبعض المصالح العامة كاصــــلاح ذات البين أو كســـــاد تجارتهم أو مصانعهم لسبب خارج عن أرادتهم . فيعطون من الزكاة بقدر ما يقضى ديونهم ويرد اليهم معنويتهم في الحياة .

- **في سبيل الله** : وهو ما يتعلق بالحرب المقدسة وسائر المنافع العامة **فلهذا الوجه حق في الزكاة متى كان بها وفر ، الى جانب حقه الأصلي في خزانة الدولة . ولذات السبب كان للمستحقين للزكاة حق في موارد الدولة الأخرى ، متى لم تكفهم حصيلة الزكاة .**

- **ابن السبيل** : وهو قديما المسافر الذى انقطع عن بلده وبعد عن ماله ، **وهو حديثا السائح أو اللاجيء الذى انقطع عنه مورده بسبب خارج عن ارادته .**

ومن المسلم به أن للمشرع الاســـــلامى حرية توزيع حصيلـــة الزكاة على كل او بعض هذه الفئات حسبما يراه متفقا والصالح العام . فاذا اعطيت الزكاة لفئة واحدة بقدر ما تندفع به حاجتها اجزأت ، باعتبار ان الحاكم مخير في التفريق في الأصناف الثمانية وفي ان يخص بعضهم دون بعض ، وانما ليس له حريـــة التوزيع على غير هذه الفئات ، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول : (انى والله لا أعطى احدا ولا امنع احدا ، وانما أنا قاسم اضع حيث أمرت) . ويقول عليه السلام (لا تحل الصدقة لغنى ولا لقوى مكتسب) ، ويقول (من سأل من غير فقر فانما أكل الجمر) . ويجمع الفقهاء ان من كان قويا على الكسب مع قوة البدن وحسن التصرف تكون الزكاة عليه حراما لأنه غنى بقدرته على الكســـب فصار كالغنى بماله .

كما ان من المسلم بان الزكاة تؤخذ من المكلفين في كل قرية أو مدينـــة وتنفق على المستحقين من أهل هذه القرية أو المدينة ، وما بقى بعد ذلك يرسل الى بيت المال الرئيسى للزكاة لينفق على المراكز القريبة من مكان تحصيلها والتـــى تحتاج الى معونة . ذلك لان اهل كل بلد أولى بزكواتهم حتى يستغنوا عنها ، فلا تحمل من أهل البلد الى غيره الا ان تكون فضلا عن حاجتهم وبعد استغنائهم عنها. **ومؤدى ذلك ان فريضة الزكاة هي ضريبة محلية ، بحيث يستقل كل فرع لمؤسسة الزكاة في** تحصيل وصرف الزكاة في نطاقه المحلى ، وما يزيد أو ينقص عـــن حاجته يستوفيه من الفروع المجاورة بتنظيم من المركز الرئيسى .

٢ ـ وعـــاء الزكـــاة ، ونصابها ، وسعرها :

أ) وعـــاء الزكـــاة :

ان الأموال التى ثبتت فيها الزكاة بالسنة النبوية هى اربعة :

- الابل والبقر والغنم .
- الزروع والثمـــار .
- النقـــود .
- عروض التجـــارة .

وقد اختلفت اليوم صنوف المال عما كانت عليه منذ اربعة عشر قرنا ، وظهرت صنوف جديدة من المال وزادت اهميتها ، ومن قبيل ذلك الدور والاماكن المستغلة والآلات الصناعية ، والأوراق المالية ، وكسب العمل والمهن الحرة .

وانه لما كانت العلة فى فريضة الزكاة فى الأموال هى نماؤها بالفعل أو بالقوة كما يقول الفقهاء . فان كل مال استجد ويقع فيه النماء حقيقة أو تقديرا تجب عليه الزكاة ، أيا كان ثروة عقارية كالعمارات أو صناعية كالمصانع أو نقدية كالاوراق المالية . وعن الرسول عليه السلام (اتجروا فى مال اليتيم حتى لا تأكله الزكاة) وقوله (ما نقص مال من صدقه) ، وذلك لتعلقها بالاموال ذات النماء تحقيقا أى بالفعل أو تقديرا أي بالتمكن من النماء .

واذا كان الفقهاء القدامى لم يفرضوا الزكاة على بعض الاموال كدور السكن وأدوات الصناعة الأولية ، شأن الابل والبقر العوامل وحلى الزينة ، باعتبارها من الحاجات الشخصية المعدة للاستعمال ، فانها تظل كذلك معفاة باعتبارها أموالا غير نامية لا بذاتها ولا بالقوة . أما اذا تحولت دور السكن الى الاستغلال لا الاستعمال الشخصى ، ولم تعد اليوم ادوات الصناعة يملكها صانع يعمل بيده اي لاستعماله الشخصى انما هى للاستغلال ، فانه تلحقها حينئذ فريضة الزكاة .

ب) نصاب الزكاة :

والقاعدة ان الزكاة لا تكون الا عن ظهر غنى ، فالمشغول بالحاجة الأصلية كالمعدوم ، بحيث يعفى الحد الادنى من الثروات أو الدخول اللازم للنفقات الضرورية لمعيشة الفرد وهو ما يعرف فى الفقه الاسلامى بحد الكفاية ، وهو نصاب الزكاة الذى دونه عفو لا يتحقق به يسار . وعليه فان كل من لم يبلغ النصاب لا يؤدى الزكاة ، بل هو يستحقها . وقد ذهب عمر بن الخطاب عام الرمادة الى اباحة الزكاة لمن هو مالك لمائة شاة لا اربعين شاة كالاصل ، وذلك لان هذه المائة وقد أصابها الجرب والعجف لظروف عام المجاعة لا تغنى عن أربعين شاة فى الخصب . كما نقل عن عمر بن عبد العزيز قوله : و (انه لا بد للمرء المسلم من مسكن يسكنه ، وخادم يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه، ومن ان يكون له الأثاث ، فاقضوا عنه فانه غارم) .

وقد ورد فى السنة أن نصاب الزكاة أى حد الاعفاء هو ما دون العشرين دينارا أو المائتى درهم ، ويقدر ذلك البعض بالعملة المصرية الحالية بمائة جنيه فى الحول (٣) . ومؤدى ذلك ان من كان دخله السنوى فى مصر دون ذلك فانه يعفى من الزكاة ، بل هو ممن يستحقها .

جـ) سعر الزكاة :

وسعر الزكاة بصفة عامة ، دون خوض فى التفاصيل ، هو بواقع ٥ر٢٪ من رؤوس الاموال المنقولة (٤) والأنعام والنقود وعروض التجارة ، وما بين ٥٪ و ١٠٪ من الدخل بحسب ما اذا كان بجهد أو بغير جهد لقول الرسول عليه السلام (ما سقته السماء ففيه العشر ، وما سقى بقرب ففيه نصف العشر) .

الا انه من المتفق عليه ، ان ذلك القدر هو الحد الأدنى المفروض فى الأموال ، لاستمرار قيام مؤسسة الزكاة وحيث لا تحتاج الجماعة الى غير حصيلته، اما اذا عجزت مؤسسة الزكاة فى حدود النصاب المقرر لها شرعا ان تقوم بالتزاماتها كمؤسسة للضمان الاجتماعى ، فان للشارع أن يقدر حاجة المؤسسة

ويحصل لها من اموال المسلمين ما يتجاوز هذا النصاب ، وبالقدر الـذى يمكنها من اداء رسالتها بكفالة كل محتاج عاجز . وذلك إعمالا لقوله تعالى (فى اموالهـم حق معلوم للسائل والمحروم ـ المعارج / ٢٤ و ٢٥) ، وقول الرسول (تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم) . وهو ما عبر عنـه سيدنا على بن أبـى طالب (ان الله فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدر ما يسع فقراءهم) ، وعبر عنـه الامام بن حزم بقوله (وفرض على الأغنياء من كل بلد ان يقومـوا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك اذا لم تقم الزكوات بهم) ، وعبر عنه الامام الشافعى بقوله : (ان للفقراء احقية استحقاق فى المال ، حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير) .

٣ ـ اداء أهل الذمة للزكاة :

واذا كانت مؤسسة الزكاة هى مؤسسة الضمان الاجتماعى فى الاسلام ، يستفيد منها المسلمون وغير المسلمين على السواء ، فاننا نرى اليوم ، ازاء تغير الظروف جواز اداء اهل الذمة للزكاة بدلا من الجزية الواجبة عليهم ، وذلك كنظام ضريبى موحـد .
ونبين ذلـك فيما يلى :

(أ) طبيعـة الزكـاة :

الزكاة هى ضريبة دينية مخصصة ، يلتزم كل مسلم بادائها كركن من أركان الاسلام لا يكمل اسلامه الا بها ، وتلتزم كل دولة اسلامية باستيفائها وصرفها على اوجهها المخصصة .

ـ **فهى ضريبة** بمعنى الجبر والالزام ، والتعلق بالمال لا الشخص وهو ما عبر عنه الفقهاء القدامى بانها حق مالى ، ونعبر عنه بلغة اليوم بانها ضريبـة ومن ثم فانه يخضع لها الفرد فى ماله بصرف النظر عن تحقق شرط التكليف الدينى فيه أو عدمه ، وهو شرط العقل والبلوغ . كما انها بهذا الوصف لا تسقط بموت المالك ، ولا بهلاك المال من صاحبه بعد استحقاقها .

ـ **ودينيـة** وذلك لانها ركن من اركان الاسلام ، لا يكمل ايمان المسلم الا بادائها ، ذلك ان فاعل الزكاة ومؤديها يريد بها وجه الله تعالى وثوابه واطاعة أمره وعبادته . ولهذا سميت الزكاة « بالصدقة » تطيب بها نفس المسلم ويثاب عليها . فكل زكاة صدقة وليست كل صدقة اختيارية زكاة . فيقول الله تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ـ التوبة / ١٠٣) ، ويقول سبحانه (**وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون** ـ الـروم / ٣٩) . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (وادوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم) ، ويقول عليه السلام : (اذا اعطيتم الزكاة فلا تنسوا ثوابها ان تقولوا اللهم اجعلها مغنما ولا تجعلها مغرما) ، ويستحب لمعطى الزكاة ان يحمد الله على نعمتـه وفضله عليه بتمكنه من أدائها .

والرأى منعقد بان من ينكر الزكاة يخرج عن الاسلام ويعتبر كافرا ، ومـن يمتنع عن ادائها تؤخذ منه كرها ، ولا يثاب عليها . وفى الحديث الشريف (والذى نفسى بيده ، لا يموت احد منكم فيدع ابلا أو غنما أو بقرا لم يؤد زكاتهـا الا جاءت

يوم القيامة أعظم مما كانت وأسمن تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها ، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس) ، وقوله عليه السلام (ان الصدقة لتمنع ميتة السوء ، وانها لتقع فى يد الله قبل ان تقع فى يد السائل) .

— وهى مخصصة لاهداف الضمان الاجتماعى ، اذ لا يجوز صرف حصيلتها الا على الفئات الثمانية السالف ذكرها ، والتى يجمعها صفة الحاجة ، وانه يتعين على الدولة ان تفرد لها ميزانية مستقلة ، ولا يجوز الصرف من حصيلتها على الجهاز الادارى للدولة أو الإنفاق العام الحكومى .

وتخلص من ذلك الى أمرين أساسيين : —

أولهما : ان الزكاة من ناحية المسلم ، هى فريضة تعبدية ، تحقق له عائدا مجزيا فى دنياه وآخرته .

ثانيهما : ان الزكاة من ناحية الدولة ، هى ضريبة مخصصة ، فهى من أهم موارد بيت المال «خزانة الدولة»، ولكنه ايراد مخصص لأهداف الضمان الاجتماعى

(ب) طبيعة الجزية :

وقد فرض الاسلام الجزية على أموال الذميين فى مقابل الزكاة المفروضة على أموال المسلمين ، باعتبار ان لهم مالنا وعليهم ما علينا . فلا يخاطب أهل الذمة بالزكاة بصفتها التعبدية وعدم اسلامهم ، وانما يخاطبون بالجزية . واذا كان يلاحظ مضاعفة الجزية عن الزكاة ، فذلك لأن اهل الذمة معفون من واجب الدفاع والقتال عن المسلمين . ولذلك تخفض الجزية عمن يريد من الذميين مشاركة المسلمين فى القيام بواجب القتال ، كما كانت تسقط الجزية اذا عجز المسلمون عن الدفاع عن الذميين وحمايتهم (٥) .

فليست الجزية كما تصورها البعض خطأ ، ضريبة على الأشخاص ، أو هى جزاء أو عقوبة على غير المسلمين لحملهم على الاسلام . وانما هى ضريبة على الأموال ولا تفرض على كل الذميين وانما على الموسرين منهم ، كما يعفى منها الصبيان والنساء باعتبار اعفائهم من واجب الدفاع والقتال .

فاذا كانت الجزية على هذا النحو ضريبة مالية على الذميين فى مقابلة التزام المسلمين بالزكاة ، وسبب مضاعفتها هو اعفاء الذميين من واجب الدفاع والقتال . وانه لما كان الوضع اليوم قد تغير وصار الذميون فى الدول الاسلامية يخدمون كالمسلمين بالقوات المسلحة ، فانه يتعين بالتالى خفض سعر هذه الضريبة لتكون بذات سعر الزكاة . **ومؤدى ذلك امكان تطبيق الزكاة كنظام ضريبى موحد على المسلم وغير المسلم ، وان ظل المسلم دون الذمى مخاطبا بالزكاة كالتزام تعبدى لا كالتزام مالى فحسب . ولنا فى ذلك سابقة لعمر بن الخطاب على نحو ما سنبينه .**

(هـ) اجتهاد عمر بن الخطاب فى الجزية ودلالته :

حدث فى عهد عمر بن الخطاب ان اشتكى نصارى بنى تغلب من الجزية قائلين : نحن عرب لا نؤدى ما تؤدى العجم ، ولكن خذ منا كما يأخذ بعضكم من بعض ، قاصدين بذلك الزكاة . فرفض عمر بن الخطاب قائلا : الزكاة فرض

المسلمين ، فقالوا له : زد ما شئت بهذا الاسم لا باسم الجزية . فاسقط عنهم عمر الجزية واستوفاها باسم الصدقة (الزكاة) ، وان ضاعفها عليهم قائلا : سموها ما شئتم (٦) . .

واذا كانت الزكاة على نجو ما رأينا ، هى ضريبة تؤدى على اموال المسلمين الخاضعين لها بغض النظر عن المالك لها . وكانت الزكاة هى الضريبة على اموال الذميين لا أشخاصهم ، وذلك فى مقابلة الزكاة ، وان سبب مضاعفتها هو اعفاؤهم من واجب الدفاع والقتال .

فانه لا شك ازاء التزام الذميين اليوم شأن المسلمين بالدفاع عن البلاد والقتال فى سبيلها ، فانهم يلتزمون بذات سعر الزكاة كنظام ضريبى موحد على المسلم وغير المسلم (٧) ، ويبقى للمسلم جانبها التعبدى والثواب عليها بقدر حرصه على ادائها بطيب نفس ابتغاء وجه الله ومرضاته .

---

(١) انظر فضيلة الامام الشيخ محمود شلتوت ، الاسلام عقيدة وشريعة . طبعة دار القلم القاهرة ، ص ١٠٩/١١٠ .

(٢) أنظر فى هذا المعنى أيضا الدكتور ابراهيم نزار أحمد على ، الموارد المالية فى الاسلام الطبعة الثالثة ١٩٧٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ص ٥٨ .

— وكذا توصيات حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية المنعقدة بدمشق سنة ١٩٥٢

— وكذا قرارات وتوصيات المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية المنعقد بالقاهرة فى مايو سنة ١٩٦٥ .

(٣) انظر الدكتور شوقى اسماعيل شحاته ، محاسبة زكاة المال علما وعملا ، الطبعة الاولى سنة ١٩٧٠ مكتبة الانجلو المصرية ص ١٩٩ .

(٤) وعليه فرؤوس الاموال الثابتة كالارض والمبانى والآلات الصناعية ، لا تجب فيه الزكاة وانما تجب على الدخل الناشىء عنه .

(٥) يروى البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان أن المسلمين حين دخلوا حمص أخذوا الجزية من أهل الكتاب الذين لم يريدوا دخول الاسلام ، ثم عرف المسلمون ان الروم أعدوا جيشا كبيرا لمهاجمة المسلمين وانهم لا يقدرون على الدفاع عن أهل حمص وقد يضطرون الى الانسحاب ، فاعادوا الى أهل حمص ما أخذوه منهم وقالوا لهم شغلنا عن نصرتكم والدفاع عنكم ، فانتم على أمركم ، فقال أهل حمص : أن ولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل من المدينة مع عاملكم ، ونهضوا بذلك وسقطت عنهم الجزية .

(٦) انظر الاموال ، لأبى عبيد ، والدكتور شوقى اسماعيل شحاته ، محاسبة زكاة المال علما وعملا ، المرجع السابق ص ٦١ .

(٧) انظر هذا المعنى أيضا فضيلة الاستاذ محمد أبو زهرة فى مشروع قانون الزكاة الذى قدمه مجلس النواب المصرى سنة ١٩٤٧ .

مائدة القارئ

الإيمـــان ..

سال رجل الحسن البصرى أمؤمن انت ؟ فقال : ان كنت تريد قول الله تعالى : (آمنا بالله وما انزل الينا) فنعـــم ، به نتناكـــح ، ونتوارث ونحقن الدماء ، وان كنت تريد قول الله عز وجل : ((انمـــا المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم)) فنسال الله أن نكون منهم .

٢٢٠ سنـــة

قدم احد المعمرين على معاوية ، فقال له : كم اتى عليك ؟ قال : مائتان وعشرون سنة ، قال : ومن اين علمت ؟ قال : من كتاب الله . قال : ومن اى كتاب الله ؟ قال : من قول الله تبارك وتعالى : ((وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب))قال : حدثني عـــن الذهب والفضة قال : حجران ان اخرجتهما نفدا ، وان خزنتهما لـــم يزيدا ، قال فاخبرني عن قيامك وقعـــودك وأكلك وشربك ونومـــك وشهوتك للباءة . قال : اما قيامى فان قمت فالسماء تبعد وان قعدت فالارض تقرب ، واما اكلي وشربي ، فان جعت كلبت ، وان شبعت بهرت ، واما نومي فان حضرت مجلسا حالفنى ، وان خلوت فارقنى ، واما الباءة فان بذلت عجزت ، وان منعت غضبت .

فتوى اللجام

ابتاع رجل من آخر فرسا ، فأراد البائع أخذ لجام الفرس . فأبى المشترى .. فترافعا الى عالم ، فعرضا عليه فقال لهما : اصبرا حتى اطالع .. فأخرج نسخة من البردة ، وتصفح أوراقها والتفت الى المشترى وقال له : اثبت أن الفرس جموح وخذ اللجام ، فلح البائع فى الخصام فانتهره وقال له يقول الامام البصيرى : « كما ترد جماح الخيل باللجم » فبأى شىء يرد هذا المشترى الفرس ان جمح ..

المال

قال بعض الفرس : من زعم انه لا يحب المال فهو عندى كاذب حتى يثبت صدقه ، واذا ثبت صدقه فهو عندى أحمق .

وقال يونس : لو أن الدنيا مملوءة دراهم على كل درهم مكتوب من اخذه دخل النار لأمست وما على ظهرها درهم يوجد .

وقيل لما ضربت الدراهم والدنانير صرخ ابليس صرخة وجمع أصحابه فقال : قد وجدت ما استغنيت به عنكم فى تضليل الناس ، فالأب يقتل ابنه والابن يقتل أباه بسببه .

الزوج الوفى

يروى أن رجلا اراد ان يطلق امرأته ، فقيل له ما الذى يريبك منها ؟

قال : العاقل لا يهتك سرا . فلما طلقها . قيل له : لم طلقتها ؟ فقال : مالى ولا مراة غيرى .

كيف رأيت الدهر

سئل احد المعمرين : كيف رأيت الدهر ؟ قال :

سنيهات بلاء ، وسنيهات رخاء ، ويوم شبيه بيوم ، وليلة شبيهة بليلة .. يهلك والد ، ويخلف مولود ، فلولا الهالك لامتلأت الدنيا ، ولولا المولود لم يبق احد .

لا تقل ...

مدح ابو مقاتل الضرير الحسن بن زيد بقصيدة مطلعها :

لا تقل بشرى ولكن بشريان
غرة الداعى ويوم المهرجان

فكره الحسن ابتداءه بلا تقل بشرى فقال لو قلت :

غرة الداعى ويوم المهرجان
لا تقل بشرى ولكن بشريان

لكن احسن لأن الابتداء بلا قبيح ، فقال له ابو مقاتل : لا كلمة اشرف من التوحيد ، وابتداؤه بلا .

ملاحظات في

للدكتور عماد الدين خليل

(١)

قدم القرآن الكريم ملامح (منهج) أصيل في التعامل مع التاريخ البشري ، والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع فحسب ، الى محاولة استخلاص القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية ــ التاريخية ، كما فعل ابن خلدون .. وهذا يتمثل بالتاكيد المستمر في القرآن على قصص الانبياء والأمم السابقة ، وعلى وجود (سنن) و (نواميس) يخضع لها التاريخ في سيره وتطوره وانتقاله .. ولقد وقع كثير من المؤرخين وفلاسفة التاريخ المعاصرين في خطأ القول بأن (ابن خلدون) هو أول من مارس هذا المنهج وأنه لا توجد قبله اية محاولة في هذا السبيل ، كما وقع ابن خلدون نفسه في هذا الخطأ عندما أكد في (مقدمته) انه لم يعثر على اية محاولة في هذا المجال ..

ان المنهج الجديد الذي يطرحه القرآن يؤكد ــ أكثر من مرة ــ على أن (التاريخ) لا يكتسب أهميته الايجابية الا بأن يتخذ كوعاء تستخلص منه القيم والقوانين التي لا يستقيم التخطيط للحاضر والمستقبل الا على هداها ، وهو

(منهج) بأمس الحاجة الى إجراء مقارنة شاملة بينه وبين منهج القرآن (الفنيّ) وتبيان الأسباب التي صدّت المسلمين في القرون الاولى عن التأثر بهذين المنهجين والتزام تعاليمهما التي لو أخذوا بهـا ونفذوها في حقول الفن والتاريخ لسبقوا سبقا كبيرا ولقدموا معطيات عظيمة في كلا الحقلين .. !

(٢)

في القرآن الكريم يغدو (التاريخ) وحدة زمنية .. تتهاوى الجدران التي تفصل بين الماضي والحاضر والمستقبل ، وتتعانق هذه الآونة الثلاث عناقا مصيريا .. حتى الأرض والسماء .. زمن الأرض وزمن السماء .. قصة الخليقة ويوم الحساب .. تلتقي دائما عند النقطة الحاضرة في عرض القرآن .. فهذا الانتقال السريع بين الماضي والمستقبل ، بين الحاضر والماضي ، وبين المستقبل والحاضر ، يوضح حرص القرآن على إزالة الحدود التي تفصل بين الزمن ، فتغدو حركة التاريخ التي يتسع لها الكون ، حركة واحدة تبدأ يوم خلق الله السموات والأرض وتتجه نحو يوم الحساب .

ان الحياة الدنيا فصل تاريخي يتشكل من الماضي والحاضر ويرتبط بمستقبل يوم الحساب ولهذا يقدم لنا القرآن الكريم وصفا رائعا لهذا التوافق بين الماضي والحاضر والمستقبل ، وينقلنا بخفة وابداع بين الآونات الثلاث حيث تذوب الفواصل والحواجز وتسقط الجدران .. !!

(٣)

يبدو أن هنالك (حتمية) لا محيص عنها في سقوط الدول والحضارات .. وحتى تجربة الاسلام كدولة وحضارة اطاحت بهـا هذه الحتمية .. والقرآن بواقعيته واحاطته المعجزة يقرر هذه الحقيقة ولا يستثني منها الاسلام والمسلمين « وتلك الأيام نداولها بين الناس » وقد قال « بين الناس » بمعنى عموم هذه (السنّة) التي لا محيص عنها والتي تقوم ولا ريب على أسبابها ومقدماتها في صميم العقل الانساني نفسه .. وهذا لا يدفع الى اليأس — بل على العكس — انه يدفع المؤمنين الايجابيين الى محاولة تقديم مزيد من التجارب .. !!

ان الحياة الدنيا أشبه بالناعور .. والشجاع الشجاع هو الذي يحصل على (صعدة) أكثر في تاريخ هذه الحياة الدائرة ، كي يرى البشريـة صورا من حقائق التطبيق الصحيح للمبادىء السماوية .. ويمكن تشبيه هذه الوضعية (الدينامية) برجل كتب عليه أن يحيا في مدينة ما ، واتيح له أن يغادرها الى أي مكان مرتحلا طالما أسعفته إمكاناته وإرادته .. إلا أن مصيره دائما هو أن يعود الى مدينته الاولى .. والانسـان ، كلما كان ذا إرادة أقوى ، وعزيمة أمضى ، وجهد وابداع أشد تركيزا ، كلما أتيح له السفر الى منطقة أبعد واكتشاف مزيد من المجاهيل ..

إن كلا منا هو هذا الرجل ، وبمجموعنا كجماعة ننتمي الى هذا المبدأ او ذاك ، نستطيع أن نرحل ، ونعلّم البشرية ان ترحل معنا الى تلك الآفاق البعيدة الرائعة .. فإذا ما حتم علينا أن نعود ، فلا بدّ أن نبذل محاولات ثانية وثالثة من أجل اعادة الكرّة والاستعداد لرحلة أكثر غنى وسعادة وتجوالا .. وهذا

لا يعني ان المنجزات الحضارية تصاب دوما بنكسات (دورية) ، على العكس ، إنها تبقى صاعدة على سلّم لا ترجع عنه الى أسفل .. هذا فيما يتعلق بالابداع المادي للحضارة اي ما يصطلح عليه باسم (المدنية) .. أما القيم والمبادىء فهي التي تتعرض للانتكاسات ، وهي لا تستقيم إلا بانتصار المبدأ الأقوى والأكثر انسجاما ، مع بنية الانسان .. ولن يتأتى هذا إلا بأن يتولى زمام القيادة ، ويكون في القمة رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا !!

(٤)

يعطي القرآن الكريم صورة مليئة بالحيوية والتدفق لمجرى التاريخ البشري ، ويحاول — بآيات بينات — أن يهدم السدود التي تفصل زمنا عن زمن أو مكانا عن مكان .. فتاريخ البشرية وحدة متصلة بزمانها ومكانها .. تحكمها قوانين عليّة (غيبيّة) يعبر عنها القرآن بكلمة (سنن) وهي قوانين لا يفلت من حكمها أحد ، ولكنها لا تفعل فعلها في كثير من الأحيان مباشرة ، وانما بوسائط تعطيها الحرية في الاختيار ، إلا انها في مداها البعيد تعمل ضمن القانون الغيبي الالهي الدقيق .. فالقرية الظالمة التي عتت عن امر ربها وانحرفت عن الطريق ، يسخر المترفون لعقابها ، فيفسقون فيها ، فيحق عليها القول دمارا يمحوها من صفحة الوجود .. وأحيانا أخرى تسهم القوى العليا في صنع التاريخ مباشرة ، ودونما سبب أو واسطة .. وليست حشود الملائكة الكرام الذين قاتلوا الى جانب المسلمين في معركة (بدر) الفاصلة ، سوى مثل من الأمثال ..

(٥)

يضع القرآن الكريم اسسا مرنة لحركة التاريخ البشري وتشكيل المصير .. فهو يرسم الخطوط الأساسية للنظام الذي يلزم به افراد المجتمع الاسلامي كي يغدو كل واحد منهم قادرا بشكل او آخر ، على الاسهام في حركة التاريخ .. ولكنه — من جهة أخرى — يفتح الطريق أمام المتفوقين ، للوصول بجهدهم الدائب وعطائهم المبدع ، الى القمم التي لا يستطيع بلوغها إلا القلة الفذة .. هؤلاء هم الذين تقع على عاتقهم مسؤولية توجيه التاريخ وتشكيل حركته .. فالمجتمع المسلم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم ، كان يمثل (تشكيلة) من الأفراد الذين التزموا بالنظام واحسنوا الالتزام ، فصنعوا تاريخا مشهورا في عقدين من السنين .. ومن بين هؤلاء كان يبرز أمثال ابي بكر وعمر وعلي وابن الوليد ليوجهوا التاريخ وفقا لمبادىء الاسلام ..

(٦)

الرؤية القرآنية تدعو الى ان تنبثق (حركة التاريخ البشري) عن الحق ، تربط الأرض بالسماء ، تحتم نشوء حضارة مبدعة متطورة .. تربط الأجيال بالأجيال ، والماضي بالحاضر والمستقبل ، والانسان الفرد بالبشرية .. تنفخ روح العمل والتنافس في شرايين الانسان ، تدفعه الى استغلال الزمن والتراب ليصنع منهما تاريخه ، تشحذ إرادة الابداع والعطاء ..

الحساب والميزان والجنة والنار هي المقاييس النهائية لفاعلية الانسان التاريخية ، والفاعلية التي تصنع التاريخ لا تعدو أن تكون احدى اثنتين : بنّاءة وهدّامة .. التاريخ عمليتا هدم وبناء .. هدم للانسان وبناء له .. هدم للحضارة وبناء لها .. ومن ثم فإن التقييم النهائي لدور الانسان في التاريخ يأتي هناك .. وهو ليس تقييما أخلاقيا فحسب ، ولا ذاتيا فحسب ، بل هو تقييم موضوعي يحاسب الانسان على ما قدمت يداه ، وما تقدم يدا الانسان حصيلته التاريخ ، فهما اللتان تمجنان التراب بالزمن ، بالفكر ، بالروح ، بالارادة فيتشكل التاريخ ، والحساب والميزان ، بما انهما جزء أساسي من الحق الذي يقوم عليه بناء الكون ، يحتمان على الانسان ابتداء أن يكون إيجابيا ، أن تكون حياته معطاءة دوما .. أن يملأ دوره المتاح له في التاريخ ، لأنه سيحاسب على ذلك كله ، وفق أدق الموازين حكمة وعدلا ..

(٧)

ينبثق التفسير (المسيحي) للتاريخ عن فكرة (الخطيئة والخلاص) وتحويلها من نطاقها الفردي الى النطاق الجماعي . وإذن فإن التاريخ — في هذا التفسير — تحكمه جبرية تجعل الأمم المسيحية تتجه جميعا ، في حركة صاعدة ، الى مثلها الأعلى ، مهما اقترفت من ذنوب وارتكبت من معاصي وآثام ، فما دام المسيح عليه السلام قد (خلّصها) بصلبه فقد رفعت عنها المسؤولية وسبقت الى مصيرها دون مقاومة أو عناء ..

في التفسير الاسلامي تمتد نظريته الاخلاقية في المسؤولية الفردية فتشمل النطاق الجماعي ، ولا يتحدد مصير أية جماعة الا نتيجة لما تقدمه من أعمال ، وهذا يعني أن التاريخ لا تحكمه جبرية تجعل من فعاليات الأمم حركة صاعدة ومصيرا مكتوبا بأحرف من نور .. وانما تتعرض هذه الأمم في سيرها الصعود والهبوط ، للنجاح والفشل ، للارتفاع والانهيار ، اعتمادا على ممارساتها ومعطياتها .. ومن ثم تبرز المسؤولية كعامل أساسي في توجيه التاريخ .

ان النذر التي يقدمها الله سبحانه تبدو في التفسير المسيحي مسلطة على أولئك الذين لا يؤمنون بفكرة الخطيئة والخلاص ، أما في التفسير الاسلامي فتنصب على كل انسان وكل جماعة تنكب عن المضي على الصراط المستقيم ، ومن ثم فإن النقمة قد تكتسح المسلمين انفسهم بمجرد خروجهم عن هذا الصراط !

(٨)

شن فلاسفة التاريخ الغربيين حملة قاسية على (ارنولد توينبي) في كتابه الشهير (دراسة للتاريخ) ووصفوه بأنه مفكر لاهوتي مزج استنتاجاته الفكرية بكثير من القيم والرؤى الروحية . والحقيقة أن خطوة (توينبي) تعتبر فتحا جديدا في مجال التفسير التاريخي ، كما كان كتاب إشبنغلر (سقوط الحضارة الغربية) قد شكل جزءا كبيرا من هذا الفتح . ولكن خطوة توينبي هذه ، ومن قبله اشبنغلر ، فيها نوع من التأرجح وعدم الاتزان ، أو بالأحرى نوع من الانفصالية (العلمانية) بين القيم العقلية والروحية . ومن هنا استطاع الماديون والطبيعيون والعقليون أن يجدوا ثغرات واسعة للطعن ضد توينبي .

ان تفسير التاريخ البشري يجب أن ينبثق عن موقف موضوعي شامل يربط ويوازن بين سائر القيم التي تصنع التاريخ مادية وروحية ، طبيعية وغيبية

ولن يتحقق هذا — بطبيعة الحال — الا في نطاق (الموقف الاسلامي) حيث لا يستطيع مفكر أو ناقد أن يجد اي مجال للطعن ضد القيم الروحية ، إذ هي — هنا — ليست منفصلة عن (المادية) و (العقلية) وهي تعمل بانسجام وتوافق مع سائر القوى في تحريك وتوجيه الأحداث التاريخية .. ذلك أن القيم الروحية — في الاسلام — ليست مجرد ممارسات فردية شعائرية بالمعنى اللاهوتي بل هي قيم ذات جذور عميقة وارتباط عميق بواقع الحياة البشرية والوجود الجماعي على السواء ..

(٩)

يتصف الخالق سبحانه بالرؤية المثلثة لأبعاد الزمن الثلاث : الماضي والحاضر والمستقبل ، بما أنه سبحانه « وسع كل شيء علما » . ولذا فالتفسير الذي يقدمه القرآن الكريم للتاريخ ، بما أنه شامل محيط ، يعطي أصدق صورة للسنن التي تسيِّر هذا التاريخ . وبما أن هذه السنن ذاتها من صنعه سبحانه ، إرادة وعلما ومصيرا ، فإن هذا التفسير يأخذ صفة الكمال .. ويزيده موضوعية وكمالا رؤية الله سبحانه البعد الثالث الذي يصنع التاريخ : فطرة الانسان ، تركيبه الذاتي .. الحركة الدائمة في كيانه الباطني ، اهتزازاته العقلية والعاطفية والوجدانية .. وإرادته المسبقة ، وما تؤول اليه هذه جميعا من معطيات تمنح حركة التاريخ أبعادها الحقيقية ..

(١٠)

ترتبط الرؤية التاريخية بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقا .. أي سورة قرات .. اي صفحة شاهدت .. طالعتك هذه الاشارات الى (مواقف) تاريخية لا ريب أنها تشكل بمجموعها نسقا رائعا ومتكاملا للتفسير الاسلامي للتاريخ .. فمساحة واسعة من القرآن إذن يشغلها الاهتمام بهذا الجانب الحيوي من أجل هذا كان التفسير الاسلامي أمرا محتما ما دام القرآن الكريم يضرب دوما على هذا الوتر الحساس ويدعو المتأملين الى الخروج بنتيجة نهائية عن مصير الحركة التاريخية ودور الانسان في مداها القريب والبعيد .

ان جانبا كبيرا من سور القرآن وآياته البينات تنصب على إخطار البشرية بالنذير الإلهي وتنبثق عن رؤية وتفحص التاريخ .. وان اشد صيحات المفكرين المعاصرين حدّة ومرارة تلك التي ترفع أعلام الخطر الذي يحيط بمسيرة البشرية ، وتنبثق هي الاخرى من رؤية التاريخ ، ان القرآن الكريم لا يقدم (قصصه) و (صوره) و (مشاهداته) لمجرد ترف ذهني ، أو إشباع حاجة المؤمنين الى القصص والصور والمشاهدات .. انما يجيء بها من اجل أن (يحرّك) الانسان صوب الأهداف التي رسمها الاسلام ، ويبعده في الوقت ذاته ، فردا وجماعة ، عن المزالق التي أودت بمصائر عشرات ، بل مئات ، من الأمم والجماعات والشعوب .. (فالحركة) لا مجرد السرد القصصي كانت أبدا هدف العروض التاريخية للقرآن .. كما أنها — في الوقت نفسه — هدف الصيحات المعاصرة التي سبرت أغوار التاريخ وأشارت الى الهاوية التي تنتظر مسيرة

القرن العشرين .. « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين . ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » !!

(١١)

إن (الموقف) الاسلامى من التاريخ يتميز بمرونته وبعده عن التوتر أو التأزم المذهبى الذى يسعى الى قولبة الوقائع التاريخية وصبِّها فى هيكله المسبق ، واستبعاد أو تزييف كل ما لا ينسجم وهذا الهيكل ، الأمر الذى يوقع التفاسير الوضعية فى كثير من الاخطاء والانحرافات . أما التفسير الاسلامى فإنه ينظر بانفتاح تام الى الأحداث ويسلط الأضواء على مساحاتها جميعا دون أن يقتصر على الاحمر أو الاخضر لكى تبدو حمراء أو خضراء .. إن رؤيته للأحداث رؤية واقعية شاملة فى امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلة .. فيما كانت عليه ، وما هى كائنة عليه وما سوف تكون عليه .. انه — مثلا — يعترف (بالتمايز القومى) ويعطى لهذا العامل (الواقعى) حجمه الحقيقى ، رغم نزعة الاسلام العالمية واستعلائه على الكيانات المحدودة المنغلقة على الأرض أو اللون أو الجنس .

وهذا يقودنا الى حقيقة اخرى وهى أن التفسير الاسلامى تفسير (واقعى) لا يتأثر بقيمه ومثالياته فى تفسيره للواقع — كما يفعل هيغل وماركس على سبيل المثال — انما يتكلم عن الواقع كما هو ، دون تبرير أو تعديل او تحوير ، ولكنه من خلال حركته على ارض الواقع هذه ينطلق الى مثالياته وآفاقه .. انه يسمى معركة (حنين) هزيمة وغرورا ، ويعلم المسلمين ، من خلال واقعيته هذه ، الا يبرروا أخطاءهم وينحرفوا فى تفسير الأشياء والوقائع .. ولكنه يعلمهم — فى الوقت نفسه — أن يفيدوا من هذه الرؤية الواقعية للتاريخ لصياغة العالم المرتجى ..

وهكذا فإن ثمة فرقا حاسما بين المذاهب الوضعية وبين المذهب الاسلامى فى تفسير التاريخ .. فى الاولى تصاغ حقائق التاريخ وفق المذهب المصنوع سلفا فتقسر على الانسجام مع وضعية المذهب وتساق للتدليل عليه وتأكيده . وهذا الخطأ يجىء من حقيقة أن وقائع التاريخ سبقت فى الزمن تخطيط المذاهب ، ومن ثم فإن المذاهب جاءت كقضية (بـعدية) تسعى الى أن تجبر (القبْليات) على التشكل بها .

أما فى القرآن فإن التفسير ينبثق عن رؤية الله سبحانه ، وهى رؤية تختلف عن الرؤية الوضعية فى أنها تحيط علما بوقائع التاريخ ، بأبعادها الزمنية الثلاث : الماضى والحاضر والمستقبل ، لأنها رؤية الذات الإلهية التى صنعت الواقعة التاريخية ووضعتها فى مكانها المرسوم من خارطة التاريخ البشرى والكونى على السواء .. ومن ثم فإن التفسير القرآنى ليس ابدا مسلَّمات بعدية تسعى الى أن تقولب حوادث التاريخ القبلية فى إطارها المعتسف ، إنما هو مذهب ينبثق بأسلوب (موضوعى) (عما حدث فعلا) وعن طبيعة التصميم التاريخى للبشرية ، فهو إذن تبلور للخطوط الاساسية لحركة التاريخ يصيغها القرآن الكريم فى مبادىء عامة يسميها (سننا) ويعتمدها المفسرون الاسلاميون منطلقا لا لتزييف التاريخ وانما لتفسيره وفهمه وادراك عناصر حركته ومصائر وقائعه ومسالكها المعقدة المتشعبة .

الرؤية الوضعية تمتد الى الماضي لتقبس منه و (تختار) ما يعزز وجهات نظرها ، والرؤية القرآنية تحيط بالماضي لكي تكثفه في قواعد وسنن تطرح أمام كل باحث في التاريخ يسعى الى فهمه ، والى أن يرسم على ضوء هذا الفهم ، طرائق حياته الحاضرة والمستقبلة ، باعتبار أن الأزمان الثلاث إنما هي وحدة (حيوية) تحكمها قوانين واحدة كتلك التي تحكم الحياة سواء بسواء .

(١٣)

إذا ما نظرنا الى مذاهب التفسير في موقفها من حتمية سقوط الدول والحضارات نجدها تتفق جميعا ، وبضمنها الاسلام ، في هذه الحتمية . (فهيغل) في مثاليته يرى الناس في ممارساتهم التاريخية كآلات مرحلية يستخدمها العقل الكلي في فترة محدودة ، ثم ما يلبث أن يطيح بها صوب الفكرة الأحسن لكي يجيء ذلك اليوم الذي يكون التاريخ فيه بمثابة التجلي الكامل لهذا العقل . و (ماركس) يخضع التاريخ ، بدوله وحضاراته وتجاربه ، لحتمية تبدل وسائل الانتاج وانعكاسه على (الظروف) وان كل وضع تاريخي مآله الزوال بمجرد هذا التبدل الديناميكي الدائم .. ثم ما يلبث ماركس أن يقع في تناقض أساسي مع نظريته عندما يقرر (الدوام) و (الثبات) لمرحلة حكم الطبقة العاملة (البروليتاريا) حيث لا زوال بعدها .

أما (اشبنغلر) و (توينبي) فيعلنان عن حتمية سقوط الحضارات كأمر لا مفر منه .. وبينما يغرق اشبنغلر في تشاؤميته نجد توينبي يقع في تناقض صريح — هو الآخر — عندما يؤكد في الأجزاء الأخيرة من دراسته للتاريخ على أن هنالك أملا في بقاء الحضارة الغربية المعاصرة بوجه الأعاصير .

هذه المذاهب ، وغيرها ، تقف جميعا موقفا يكاد يكون موحدا إزاء حتمية السقوط .. والذي يفرّق النظرة الاسلامية عنها انه يقول بما يمكن تسميته (الحتمية التفاؤلية) أي أنه يقرر حتمية سقوط الدول والحضارات لكنه يقرر في الوقت نفسه امكانية أية أمة أو جماعة ان تعود باستمرار لكي تنشيء دولة أخرى أو تقيم حضارة جديدة بمجرد أن تستكمل الشروط اللازمة لذلك وأولها عملية (التغيير الداخلي) التي أكد عليها القرآن بقوله « إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » والتي تشمل كل التغييرات الأخلاقية الأساسية التي تمكن الانسان من مواجهة التاريخ .

والاسلام يؤكد مرارا على دور الإرادة البشرية في صياغة المصير ، ومن ثم فإنه ما أن تتهيأ هذه الإرادة للعمل في ميدان التاريخ عن طريق الشحذ والاستعداد الأخلاقي ، حتى تكون قادرة على مواجهة التحديات المادية والخارجية من أي نوع كانت ، فتعجنها وتصوغها من جديد لصالح الانسان .. وهكذا يعود الانسان — في الاسلام — لينتصر على الحتميات وليستعيد قدرته الأبدية على التجدد والتطور والابداع ! بينما تقف في مواجهته كل المذاهب الوضعية لكي تؤكد أنه اذا ما أطيح بتجربة تاريخية فإنه لا قيام بعدها لأنها محتوم عليها أن تواجه هذا المصير في عالم لا يعترف بقدرة الانسان على المجابهة والاستعادة والانتصار .. !!

يؤكد القرآن الكريم على أن (العصيان) بشتى أبعاده ، تجنى ثماره المرّة ليس فى الآخرة فحسب ، بل هنا فى الدنيا أولا .. فالعذاب ينتظر العصاة هنا وهناك ، فى الارض والسماء ، ويتنزل قوة وضعفا لكى يكافىء مدى العصيان وحجمه وطبيعته . فالمصير ـــ فى القرآن ـــ واحد لأنه ينبثق من أعماق الانسان ، من مسؤوليته الفردية الحرة ومن اختياره ، هذا الاختيار لأنه (رهين) بما كسبت يداه . المصير واحد ، وتلك هى قمة الانسجام مع طبيعة الوجود الانسانى والبناء الحضارى ، فليس ثمة (تعليق) للجزاء الى يوم البعث ، اذ أن هذا يعنى تناقضا واضحا مع أبسط القوانين التى تسيّر الحياة والأشياء . اذ لا يمكن أن يزرع الانسان حسكا وشوكا ثم يقطف ثمارا حلوة .. ما دام قد زرع العلقم فلا بد أن يقطف العلقم ويزدرد الشوك ويذوق المرارة ، بناء على طبيعة قوانين الحياة ذاتها .. القوانين التى تؤكد على أن (الجزاء) يتشكل من جنس العمل ، هنا فى الأرض وهنالك فى السماء .

بعبارة أخرى ، ان المصير الفردى والجماعى ، الذى ينبثق عن الاختيار ، سرعان ما يتشكل هنا أولا وفى السماء بعد ذلك ، ربما كان الفرق بين المصيرين فى الدرجة والنوع لا فى الكينونة ، فالمصير كائن هنا وهناك ، والخارجون عن طريق التوجيه الإلهى سيجدون العذاب ينتظرهم فى الأرض قبل أن يحاسبوا فى السماء .. عذابا يأتيهم من بين أيديهم وأرجلهم ، ينصب عليهم من فوق ، ويتفجر من أعماقهم ، يزلزل عليهم وجودهم ، ويسقط مؤسساتهم الجماعية ، ويمرغ حضاراتهم بالتراب .. عذابا يوجّه سياطه تارة الى النفس وأخرى الى الجسد ، ويعمل معاوله حينا بعد حين فى كل (المعطيات) التى قدمها مجموع الأفراد على السواء ، وربما كان من بين هؤلاء بعض الصالحين ، إلا أن العذاب الذى يجىء وفق هذه الصيغة الجماعية لا يعرف أحدا دون أحد ، ولكنه يســـــتهدف هذا التشكيل الذى أقامته الأيدى المعوجّة والنيات السيئة والقيادات الجاهلية . ومن هنا يأتى التحذير الخطير : « واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة » !!

وهكذا نجد أعمال الانسان العاصى تسعى الى مصيرها الفاشل ، هنا أولا ، فتحبط ، ثم تعود لتمتحن مرة أخرى هناك ـــ فيما بعد ـــ فتحبط مرة أخرى « أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين » « فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين » .. الاحباط والعذاب ، دونما نصير .. ومن ينصر الخاطئين الذين اختاروا الطرق المعوجة ، وصدروا عن نيّات سوداء إزاء خالقهم الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ؟!

فالمصير واحد إذن ـــ وفق تعليمات القرآن وتحذيراته ـــ ليس ثمة تجزئة ولا ازدواج وليس ثمة فاصل أو جـــدار بين الارض والســـــماء ، ولا بين جـــزاء الانسان هنا وجزائه هناك ، إن المؤمنين يجدون مصيرهم السعيد هنا أولا ، بركات تتنزل عليهم من السماء ، وأمنا ويقينا يتفجر فى أعماق أعماقهم كينابيع ثرّة دفّاقة ما لها من قرار « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء » .. « ان الذين قالوا ربنـــا الله ثم استقامـــوا تتنزل عليهـــم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .. وأية سعادة تعدل

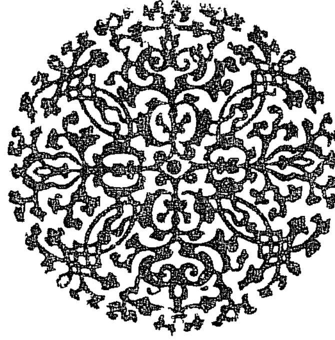
سعادة الانسان الذى تحرر من الخوف والحزن ؟ .. ان كل عذاب يهون إزاء الخوف والحزن ، وكل مصير يحتمل إزاء فتك الحزن ونذير الخوف .. إن الخائفين والمحزونين لا يقر لهم قرار ولا يتذوقون سعادة ولا يحسون طعم الحياة ، إنهم ليسوا احياء ولكنهم ميتون ، قتلهم الخوف والحزن .. إن هذا الخوف وهذا الحزن يبدآن بالأفراد ، ولكنهما سرعان ما ينعكسان على الواقع الجماعى ويعطيان للتاريخ لونه العام وللحضارة وجودها القلق المهزوز .. اننا نلحظ اليوم هذا الحزن وهذا الخوف على مساحات واسعة من خارطة العالم ، وهو مصير كان لا بد من تحققه إزاء العصيان الذى غطى معظم مساحات الأرض .

ان المؤمنين أفرادا وجماعات ، كانوا دائما سعداء قبل أن ينتقلوا الى السماء ليضاعف لهم الجزاء . وقد اتاحت لهم هذه السعادة العميقة فرصة حقيقية لتجميع طاقاتهم كلها وتوجيهها وجهة بناءة لتصب فى مجرى الحضارة الواسع اللانهائى . وهكذا انعكس اختيار الأفراد ومصيرهم على طريق الأمة والجماعة ومصيرهما ، فكانت الأمم المؤمنة أكثر الأمم فاعلية وايجابية وإسهاما فى إغناء حركة التاريخ .

يبقى بعد هذا شىء يجب أن يقال : ان المصير هنا فى الارض ينبثق قبل كل شىء من ارادة الأفراد واختيارهم ، ولكنه سرعان ما ينساح على الجماعة كلها ليعطيها صفاتها وملامحها بما إنها البحر الذى تصب فيه كل الإردات والاختيارات الفردية ، ومن ثم فإن الجزاء سينصب على الأفراد والجماعات على حد سواء ، وهكذا فان العذاب — فى الأرض — قد يصيب عصاة بالذات — كأفراد — وقد يدمدم على الجماعة كلها فيمزقها شر ممزق .. كما أن السعادة — فى الأرض — قد تمنح المؤمنين بالذات — كأفراد — وقد تتنزل على الجماعة المؤمنة كلها فتوحدها وتجعلها جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

أما فى السماء فيتقدم الانسان وحيدا ليحاسب أمام الله سبحانه ، يحمل معه كتابه الذى خط فيه اختياره وسطر على صفحاته أعماله ، فينال — بعد حسابه — مصيرا مكافئا لهذا الاختيار وذلك العمل .. فى اليوم الآخر تتفكك الجماعات وينصب الحساب على المنطلق الأول للعمل الانسانى ، وهو الفرد الذى لا مفر له من أن يجابه مصيره هناك « لقد احصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » .. !!

ولكن — وبين الحين والآخر — ستشهد المحاكمة الكبرى يوم القيامة ، أمما شتى اسهم كل افرادها أو جلهم فى العصيان ، صدروا عن نيات سوداء ، وقدموا أعمالا لا وزن لها عند الله .. أو ان بعضهم — على الأقل — سكت ولم يحرك يدا ولا لسانا ولا قلبا ، إزاء (العصيان) الذى يمارس أمام عينيه ، والفجور الذى يتمخض عن سكوته ، والظلم الذى يطيح برقاب الصالحين ، وهو واقف ينظر دونما حراك .. ستدخل هذه الأمة النار « كلما دخلت أمة لعنت أختها » .. وصدق الله العظيم « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .



الحضارة وأركانها في الإسلام

للدكتــور : احمد شوكت الشطي

عرّفت الحضارة بأنها مجموعة مظاهر الرقى فى قارة أو فى قسم منها أو عند قوم من أقوامها وتطور أفراده وجماعاته نفسيا واجتمــاعيا وعلميا وتمتعه بالازدهار فى ميادين التجارة والصناعة وآفاق العلم وحقول الزراعة واتســاع العمران وتوسع البنيان وشمول الرخاء بين أفراد الشعب وجماعاته وما الى ذلك مما يوفر للناس حياة فاضلة وعيشة مطمئنة هنية .

هذا وإذا كان التعريف بالحضارة صعبا كما بيّنا فكم بالحــرى أن يكتنف التعريف بالحضارة العربية التى فجرت ينابيعها عند العرب ، رسالة الإسلام القرآن الكريم العربى اللسان واسهم بها أمم وأقوام عربية وغير عربية ، مسلمة وغير مسلمة ، عثرات وصعوبات تدفعنا الى التساؤل عما اذا كانت حضــارة العرب بعد الاسلام هى حضارة إسلامية ، أم هى حضارة عربية ، أم هى حضارة عربية إسلامية ؟.

١ ــ هل الحضارة العربية التى أعقبت ظهور الإسلام عند العرب حضارة إسلامية ؟ انها فى الواقع حضارة بدات إسلامية اذ شع نورها من تعاليم الاسلام ونمت فى ظله وتحت رعــاية خلفائه الأولين ، فهى من حيث انطلاقها حضــارة إسلامية بحتة .

---

* الحضارة تعنى الاقامة فى الحضر .

٢ ــ هل الحضارة التي برزت عند العرب بعد الاسلام عربية بحتة ؟ الواقع انها حضارة عربية لأن القرآن العربي كان سبب انطلاقها ولأن الذين اسهموا بها من غير العرب كانوا ممن تثقفوا بثقافة إسلامية قوامها اللغة العربية التي عزت عليهم اكثر من لغة آبائهم وأجدادهم فانصرفوا عنها حتى انه ليس من المبالغ فيه القول بأنه لم يؤلف منهم بغير العربية خلال العصر الذهبي للحضارة العربية الاسلامية إلا النزر اليسير (١) ، ان فى ذلك كله ما يبرر نعت تلك الحضارة بالحضارة العربية .

٣ ــ هل الحضارة التي اعقبت ظهور الاسلام عند العرب حضارة عربية إسلامية ؟. الحقيقة أن تلك الحضارة انطلقت من مسلمى بلاد العرب ثم انتشرت في بيئات واقاليم مختلفة العقائد وبين أمم وأقوام عديدة عربية ومستعربة لا يدين بعضها بالاسلام ولكن مبادءه أعجبتها وعدل حكامه راعها وحرية الأديان فى ظله أبهرها وأمره بالتحلي بمكارم الأخلاق كان موضع تقديرها فاندفعت الى الاسهام بتلك الحضارة وكان بعض هؤلاء عيسوى النحلة فأمدوا تلك الحضارة بما لديهم من علم ومعرفة ونقلوا اليها ما عرفوه من حضارات الأولين خاصة حضارة اليونان فأصبحوا مساهمين بتلك الحضارة مشاركين فيها ، لذلك رأينا أن تعريف تلك الحضارة بالحضارة العربية الاسلامية أقرب الى واقعها فى جميع مراحلها فجرينا على ذلك فى جميع مؤلفاتنا .

ومما لا شك فيه أن المستشرقين الذين تعمقوا بدراسة الحضارة العربية الاسلامية لحقهم من الحيرة ما لحق بنا فسماها بعضهم بالحضارة الاسلامية وفى مقدمتهم آدامز (٢) وسماها الآخرون بالحضارة العربية وفى مقدمتهم غوستاف لوبون (٣) .

اركان الحضارة العربية الاسلامية

تقوم الحضارة العربية الاسلامية على دعائم ومقومات عديدة :

اولها ــ دعامة الإيمان : ونقصد به تلك الدعامة التي تولد فى الانسان الطمأنينة النفسية فتزوده بسلاح يخفف عنه آثار الخوف والقلق والمصائب والأحزان والأثرة والظلم والعدوان (٤) .

ثانيها ــ الدعامة العقائدية : لقد تميزت الحضارة العربية الاسلامية باحترام العقائد السماوية جميعها كما تميزت بتسامح دينى عجيب لم تعرفه

---

(١) يعزى للبيروني قوله : انه احب إليّ ان اهجى باللغة العربية من ان امدح بلغة قومى .

(٢) A dams مؤلف كتاب الحضارة الاسلامية .

(٣) G. be hon مؤلف كتاب الحضارة العربية .

(٤) لقد احسن الكاتب الانكليزى كوليم التعبير عن اعتزاز العرب بالإيمان واثره المطمئن فيهم بقوله : كنت مسافرا على باخرة الى طنجة فى بلاد المغرب ، إذ بعاصفة هوجاء تهب فتشرف السفينة على الغرق فينزل الهول بالركاب فلا يدرون ما يصنعون ويشتد الهرج والمرج بينهم فيزيد من قلقهم ومن الفوضى فى أعمالهم ، وبينما الناس كذلك إذ بى أرى جماعة من العرب استووا فى صف واحد يصلون مكبرين مهللين مسبحين . فسألت احدهم ماذا تفعلون ونحن على أبواب الغرق ؟.. فاجاب : سعينا للخلاص كغيرنا ولما لم نوفق جميعا انقطع عند غيرنا حبل الرجاء فاصبحوا فى حالة من الشقاء ما بعده شقاء ، بينما كنا مؤمنين برحمة من الله لتنجينا مما نحن فيه من بلاء .

حضارة أخرى . لقد بعث الحضارة العربية الاسلامية دين واحد ولكنها كانت للأديان جميعها لذلك استهوت أفئدة العالم بضعة قرون (٥) .

الدعامة الإنسانية : تميزت الحضارة العربية الاسلامية باقرار وحدة النوع الانسانى رغم تنوع أعرافه ومنابته وأوطانه واجتذت التمييز العنصرى من أصوله فالناس سواسية لا فضل لأحد على غيره إلا بالعمل الصالح الذى يقدمه للمجتمع . ولا يخفى أن الحضارة الحالية مع تقدمها لم تستطع حتى يومنا هذا أن تضع حدا للطغيان العنصرى فى كثير من مناطق العالم .

ولك أن تتساءل أيها القارىء عن قصة التمييز العنصرى وعن رأى الحضارة العربية الاسلامية فيها . لقد كان الإيمان بالتمييز العنصرى حليف قوم تبنوه منذ قديم الأزمان فلم يتراجعوا عنه مع ما جلب لهم من محن وشقاء ، ولقد وسع الفكرة فى أواخر القرن الثامن عشر عالم انجيلزى هو السير وليم جونز اذ اكتشف بعض الصلات بين اللغات اللاتينية والاغريقية والالمانية والسنسكرتيية فادعى بوجود قرابة وشيجة بين شعوبها ثم أيده فى ذلك عالم آخر هو السير ماكس ميللر فزعم أن آباء الهنود والأوروبيين الأولين كانوا يقطنون أراضى آريان فى أواسط آسيا ثم هاجروا منها متجهين الى الجنوب أو الى الغرب حاملين معهم آثار حضارة ميكانيكية . قسم بعد ذلك ميللر الشعوب الى آرية وغير آرية وزعم بأن الشعوب الآرية متفوقة على غيرها . ولقد أخذت الفكرة الآرية والتفوق العنصرى المستند اليها فى ألمانيا النازية طابعا سياسيا وقوميا فقسَّم علماؤها الشعوب الى درجات متفاوتة الاستعداد والكفاءات تأتى بموجبها ألمانيا النازية فى طليعة المتفوقين .

والحقيقة أن الشعوب والأعراق وان كانت متفاوتة فى بعض الصفات إذ بينها الأبيض والأسود والأصفر والأحمر ، فانها من حيث الاستعداد للرقى والحضارة سواء فلم تكن الحضارة وقفا على شعب واحد فى زمن من الأزمان بل تناقلتها أمم مختلفة فكانت الصين مقرا لها كما كانت بلاد وادى النيل ووادى الفرات من مراكز انبعاثها ثم انتقلت الى اليونان فالى العرب الذين احتضنوها وزادوا عليها ثم انتقلت الى الغرب ومنه الى العالم كله .

ولو أردنا تصنيف الأمم استنادا الى عصورها الذهبية فى ماضيها لاعتبر الأوروبيون فى أحط الدرجات . هذا وان العلم لا يقر أيضا التفوق العنصرى ولا نقاوة الأعراق ، ولقد أثبت البحث فى زمر دماء البشر أنه ليس فى العالم شعب خالص النقاء الا فى فئات معزولة وفيما عداها فان الدماء اختلطت بتأثير الهجرات الجماعية التى تمت عبر التاريخ .

والواقع أن اقحام المواهب العقلية والاستناد الى تفوقها الموقوت فى تقسيم الشعوب وتمييز الناس بعضها من بعض على هذا الأساس أمر شجبه العلم وأبطله التاريخ وكذبته المعرفة بشتى نواحيها .

المقومات العلمية : لقد اعتمدت الحضارة العربية الاسلامية على العلم كما اعتمدت على الايمان فخاطبت العقل والقلب معا وأثارت العاطفة والفكر فى آن واحد .

لقد حبب القرآن الكريم بالعلم فقدس القلم ، حتى أقسم به فى قوله تعالى :

---

(٥) إنه لمن المؤسف ان يكون فى العرب فئات تستخف من قومنا وحضارتهم باعتبار انها ليست شيئا اذا قيست بروائع الحضارة الحديثة واختراعاتها وفتوحاتها فى آفاق العلم الحديث ، وفى رأيى أن ذلك لا يبرر الاستخفاف بحضارتنا بل يدعو الى بعثها من جديد .

((ن والقلم وما يسطرون)) (٦) واشار الى انه وسيلة العلم والتعلم بقوله تعالى : ((اقرأ وربك الأكرم الذى علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم)) (٧) وساعد على مطاردة جيوش الأوهام والأساطير فى العالم قديمه وحديثه فنهى الكتاب الكريم عن أن يتبع احد احدا عن غير علم فى قوله : ((ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا)) (٨) . كما شجعت الأحاديث الشريفة على طلب العلم وتخليده والعمل به بأقوال بلغت فى البلاغة قمتها ، وفى الحكمة ذروتها . من ذلك :

اطلبوا العلم من المهد الى اللحد ، طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فضل العلم خير من فضل العبادة ، قليل من العلم خير من كثير من العبادة ، ومنها : اكرموا العلماء ، تعلموا وعلموا فان اجر المعلم والمتعلم سواء ، ومنها : كن عالما أو متعلما ولا تكن الثالثة (اى جاهلا) ، ومنها أيضا : لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم، فاذا ظن انه علم فقد جهل ، ومنها : باب من العلم يتعلمه الرجل خير من الدنيا وما فيها .

ان تاريخ الحضارات لا يعرف حركة ثقافية أعظم من تلك التى نشأت فى البلاد العربية والاسلامية ولا يعرف حركة فى العالم تحاكى اقبال العرب والمسلمين عليه ، فقد كان تهافت طلاب العلم فى جميع انحاء البلاد العربية والاسلامية على بغداد ودمشق وقرطبة وغيرها من مراكز التعليم أشد وأكثر من تهافت طلاب العلم على جامعات اوروبا وأمريكا فى هذه الأيام وكان الأساتذة يتوافدون الى مراكز التعليم من مختلف الأقطار التى تتكلم العربية لا طمعا فى مغنم وانما حبا فى نشر افكارهم وتلقين معارفهم ، وكان التزاحم بين الأساتذة على أشده فأقدرهم وأفهمهم من جمع حوله أكبر عدد ممكن من المستمعين . وكان القرآن الكريم أساسا فى حلقات التعليم (٩) . ولا ريب أن اختلاف الأساتذة وتباين طرق تدريسهم وتشعب مادة الدراسة وعدم التفريق بين أستاذ وآخر من حيث الجنسية أدى الى إلهاب شعلة الفكر فى ادمغة كثيرين ممن كانوا يرتادون تلك المساجد ، فقد كان الطلاب لا يترددون فى الاستماع الى أستاذ من نيسابور

---

(٦) سورة ٦٨ : آية ١

(٧) سورة ٩٦ : آية ٤ و ٥

(٨) سورة الاسراء ١٧ : آية ٣٧

(٩) ولقد اقترح أن تسمى الحضارة العربية أو الحضارة الاسلامية بحضارة القرآن للأسباب الآتية :

١ ــ لأن الحضارة ، موضوع بحثنا وليدة ثورة إنسانية شملت جميع مرافق الحياة دعا اليها القرآن ، فبدل حال العرب وغيرهم باحسن مما كان .

٢ ــ لأن القرآن خلد العرب وحال دون أن يطويهم الزمان ولولاه لأصبح العرب وما يقال عن حضارتهم فى خبر كان .

٣ ــ لأن توجيه القرآن الحضارى معجز نكتفى بالتدليل على ذلك شجبه العنصرية منذ قديم الزمان ، شاغلة الدنيا والناس الآن .

٤ ــ لأن اسسه فى لم الشمل مدعاة الى التبصر بها والعمل بهديها وسبيل الى بعث الحضارة العربية وتخليدها ، فقد بينت آياته المعجزات أسباب هلاك الأمم وأسباب خلودها وأعظمها شأنا اتفاق كلمتها .

وأخيرا : لأن القرآن وسيلة جمع الشمل بين العرب ، مسلمهم ومسيحييهم ، وبين جميع المسلمين ، فمن لم تأخذه آياته بالدين ، أخذته بالبلاغة والتعبير الرصين أو بالمثل العليا والأخوة الإنسانية التى هى هدف جميع المصلحين فى كل آن وحين .

ثم ينتقلون الى أستاذ من سمرقند بعد أن يأخذوا من الأول ما يريدون أخذه دون أن يجد الطلاب والأساتذة غضاضة فى عملهم هذا ما دام جميعهم يتكلمون لغة واحدة هى لغة القرآن العربية .

لقد كان تأجج الفكر العربى فى السنوات التى أعقبت انتشار الاسلام شبيها بتوهج النور من نار كامنة تحت الرماد أيقظها الظفر والسمعة العالية الممتازة . لقد أضاء العلم العربى بأشعته العلمية العالم المعروف آنذاك ، وليس فى الدنيا ما يحاكي توقد شعلة العلم العربى وانتشاره . ولم يكتف العرب بنقل العلوم بل بسطوها تارة ووسعوها طورا وشرحوها أحيانا واضافوا اليها الكثير من المعرفة .

الركن الصحى : اعتبرت الحضارة العربية الاسلامية التمتع بالصحة التامة نوعا من أنواع النعيم فحرصت على توفيرها للانسان فى مراحل عمره مذ يكون جنينا الى أن يصبح شيخا . لذلك لم ينظر الاسلام الى الزواج كأمر دبرته الفريزة بل حثّ على البحث فى صحة عرسيه (الزوج والزوجة) جسما ونفسا ضمانا لحسن ثمره ، الأولاد ، لأن صفات السلف وقسما من أمراضه تنتقل الى الخلف بالوراثة .

جاء فى القرآن الكريم : ((**وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم**)) (١٠) ، وفسر حديث ابن عباس القائل : (**اربع لا يجزن فى البيع والنكاح : المجنونة والمجذومة والبرصاء والعفلاء**) (١١) بعض نواحى الصلاح الذى أشارت اليه الآية الكريمة ، ووضع عمر بن الخطاب استنادا الى تلك الآية وذلك الحديث الشريف تشريعا جاء فيه (**أيما رجل تزوج امرأة فدخل بها فوجدها مجنونة أو برصاء أو مجذومة أو عفلاء أو بها قرن فلها الصداق بمسيسه أياها وهوله على من غره منها**) .

فاذا أردنا صياغة هذا التشريع صياغة تتناسب مع تقدم العلم جاز لنا القول بأن الاسلام ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض النفسية الخطرة ، وما الجنون إلا نوع منها ، كما ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض المعدية ذاكرا الجذام نموذجا لها ، كما ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض الوراثية بذكره البرص نموذجا لها ويبطل أخيرا زواج المصابين والمصابات بالتشوهات العائقة للزواج والأنسال .

ولقد حذّر الاسلام من كل زواج غير مرضى الثمرة بالأحاديث الشريفة الآتية: (**اغتربوا لا تضووا ، تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ، إياكم وخضراء الدمن**) . يتبين من ذلك حرص الحضارة الاسلامية على صحة النسل بسلامة أصليه وارشادها الى ما يضمن حفظ صحة الإنسان فى سنى حياته بحسن تغذيته من غير افراط أو تفريط والعناية بنظافته رمز الذوق والجمال ودليل الأدب وحسن الحال (١٢) وبدعوته (الانسان) الى الحركة لأنها حسنة وبركة فرضها الاسلام بالصلاة وشجّع عليها بالأحاديث الشريفة التى سنت الرماية والسباحة والمسابقة والمبادحة استعدادا لمجابهة الأمور بقوة دليل القول المأثور (كان أصحاب الرسول يلعبون ويتبادحون فاذا حزمهم الأمر كانوا هم الرجال) .

لقد حرم الاسلام ضمانا لصحة الجسم والعقل والنفس ، المسكرات والمخدرات وحتى الدخان . فقدر بحاثو الغرب الاختصاصيون مقام الصحة فى

---

(١٠) سورة النور (٢٤) الآية ٣٢ .

(١١) العفلاء : من العفل وهو تشوه فى المرأة يمنع من التناسل .

(١٢) وقد روى فى الأثر : بنى الدين على النظافة . وجاء فى الآية الكريمة (والله يحب المتطهرين) .

مقومات الحضارة الاسلامية فأعجبوا بها اى اعجاب فأكبروا شخصية الرسول الكريم واعتبروه أعظم مشروع صحى انجبه العالم .

ركن التكافل الاجتماعي : لقد دعت الحضارة العربية الاسلامية الى الاسهام بالتكافل الاجتماعى ففرضته على الموسر ومتوسط الحال بالزكاة ورغبت فيه جميع الناس على اختلاف ثرواتهم بالصدقات ووضعت قواعد للتضامن بين أفراد الأسرة الواحدة فأوجبت لأرباب الحاجات منهم حقا مفروضا يؤديه لهم ذوو اليسار منهم بما يقوم بكفايتهم من مؤونة وكسوة وسكنى وغير ذلك من شؤون الحياة الضرورية وجعل على الزوج نفقة زوجته من كل لوازم الحياة ، بل ونفقة زوجة قريبه الذى تجب نفقته عليه ، ولقد دعا الاسلام الى محاربة المتنعين عن أداء المفروض عليهم من الزكاة ، فحارب ابو بكر المتنعين وقال جملته الشهيرة :((**والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم على منعه**) وقد نظمت فريضة الزكاة وبينت مقاديرها واوقات ادائها بحيث يشعر الأغنياء بأنهم حراس على المال حتى يؤدوا منه حقوق الفقراء فصار المال بذلك بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير .

ويرى ابن حزم أن للفقراء والمحتاجين حقوقا فى أموال الأغنياء خلاف الزكاة حتى اذا لم تكفهم وجب على الأغنياء أن يقوموا بكفايتهم وان يجبرهم ولى الأمر على ذلك اذا لم يقوموا به من أنفسهم ، وأجاز الاسلام صدقة الوقف وهو حبس رأس المال ابدا والتصدق بثمرته على جهات البر والإحسان . وكان ينفق عمر بن الخطاب على المحتاجين فكان يعطى الأموال على كفاية الرجل وعلى ماضيه ومقدار حاجته وكان يزيد العطاء لمن يولد له ولد ، وهذا ما كفلته اليوم أرقى دول العالم فاذا ترعرع الولد زاد العطاء واذا بلغ زاده أيضا ولم يكن يفرق فى اعطائه للفقراء والمساكين بين مسلم وغير مسلم . ولما كثرت الأموال فى بيت المال فى عهد الفاروق انشأ له ديوانا نظمت أعماله تنظيما محكما ودونت فيه ميزانية الدولة وخصص للفقراء منه نصيب وافر يداوى منه مرضاهم ويكفن موتاهم وينفق عليهم منه .

لقد فرض الاسلام الزكاة كأحد اركانه وجعلها حقا للفقراء بالآية الكريمة : ((**وفى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**)) كما جعل الزكاة منّة يمتن بها على الأغنياء فلا يمتنون بها على الفقراء وذلك بالقول الكريم : ((**خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**)) .

وتمشيا مع روح السماحة التى اتسمت بها الحضارة العربية الاسلامية لم يجعل الاسلام الانتفاع بأموال الزكاة قاصرا على المسلمين بل جعله شاملا كل محتاج ، قال تعالى : ((**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين**)) . وعلى هذا الأساس وجد عمر بن الخطاب مرة على باب المسجد رجلا أعمى يتكفف الناس فسأله عن حاله فعلم أنه يهودى فأجرى له رزقا يكفيه . وفى اعطاء غير المسلمين الحق فى الافادة من اموال الزكاة يضرب الاسلام المثل الأعلى فى السمو الانسانى .

يتوقف تقدم المجتمع على شعور أفراده بواجبهم نحوه وقيامهم بهذا الواجب كما يتوقف هذا التقدم على شعور المجتمع بمسؤوليته نحو كل فرد من أفراده وسعيه لتحقيق الرفاهية والطمأنينة له .

والمثل الأعلى للمجتمع هو ذلك المجتمع الذى تسوده روح التراحم والترابط التى تسود العائلة فيشعر كل فرد بأنه عضو فى هذه الأسرة الكبرى التى تقدم

له الرعاية والأمن والمساعدة فيما اذا احتاج اليها .

دعامة الاشتراك بمؤتمر الحج السنوى : الحج معروف ينتظم من الانسان قلبه وبدنه وماله . وليس من المعقول أن يكون القصد من هذا الاجتماع مجـرد الطواف والوقوف في عرفات فان الله يعبد في كل مكان ويجيب الداعى فى كل مكان ، وإنما الغاية السامية المقصودة من الحج مسارعة القادرين من أرباب الراى والحزم الى البحث فى أمور المؤمنين ليشهدوا منافعهم وليزيلوا تفثهم . أما المنافع فمعروفة وهى ما تعود بالخير على المجتمع أولا وعلى الفرد ثانيا ، وأما إزالة التفث فليس المقصود منه ازالة التفث الأدنى وهو ازالة ادران البدن من شعث السفر ، وإنما هو تنبيه بالأدنى وهو درن البدن على الأعلى وهو درن العقل ودرن الجماعة ودرن العاطفة ، وأما درن العقل فهو وقوعه تحت ضـغط الشكوك والأوهام ، وأما درن الجماعة فهو وقوعها تحت سيطرة الجهل والفقر ، وأما درن العاطفة فهو الوقوع تحت سيطرة القوة الغاضـبة وضغط الشهوة والهـوى .

مقومات الدفاع عن السلم والحرية في الحضارة الاسـلامية : لقـد دعت الحضارة الاسلامية الى توفير الأمن والسلم ، الى التعاون والتآخى الى اقرار الحق فى نصابه والى تمتع الناس بحريتهم الطبيعية وبثمار العدل والمساواة ، فكانت حضارة إنسانية سداها الموعظة الحسنة وكلمة الحق ، ولحمتها الدفـاع عن حقوق الانسان وحفظ كرامة ورحمة الانسان لأخيه الإنسان ، لذلك نبذت الحضارة الاسلامية القتال فلم تلجأ اليه إلا اذا التوت بالعقـول السبل فعبثت بالحياة وأراقت الدماء وتحكمت بالجبروت والطغيان وقضت على العدل وميزت الإنسان عن أخيه الانسان وانتزعت الأوطان أو اغتصبت البلدان سمحت حينئـذ تلك الحضارة بارتكاب الصعب وهو خوض معامع الحرب والقتال حتى يرجـع أهل البغى والعناد الى الصواب والرشاد . ولقد طالبت الحضارة الاسلامية فى هذه الحال بالاستعداد الكامل وتحضير كل وسائل القوة ، كما دعت الى أن تكون الأمة كلها جندا مدربا على السلاح لا يستثنى منهم سوى أرباب الأعذار المشروعة. ولقد شجعت تلك الحضارة النساء على الاشتراك فى الحروب للتمريض ، هذا كله اذا لم يهجم العدو فاذا هجم وجب على جميع الناس أن يخرجوا للدفاع عن الحوزة فتخرج المراة ولو بدون إذن زوجها وكذلك الولد بغير اذن أبيه ، ووضعت فى الحروب قواعد إنسانية رحيمة تفوق كل تصور .

وإذا كانت حضارتنا اليوم تفخر بمبادىء الصليب والهلال الأحمر فان هذه المبادىء لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة لما طالبت به الحضـارة الاسلامية ، فقد أوجبت الافراج عن الأسير فى حالات كثيرة ، منها المبادلة والفداء وتعليم أطفال العرب والمسلمين ، كما حببت الناس برعاية الأسرى بل عدت القائمين بذلك فى زمرة الأبـرار (١٣) . كمـا أنها منعت قتـل الرهبان ، وأنكرت قتل النسـاء والأطفال ولو احتمى بهم العـدو وغير ذلك ، وسوف تبقى مبادىء الرسـول وخلفائه وأعمالهم فى غزواتهم وكلماتهم أبلغ ما يمكن أن يتصوره العقل فى هذا الميدان الإنسانى إذ عممت الرحمة على الانسان والنبات والحيوان ، وهل من قول مدعوم بالعمل فى حرب ينم عن الرحمة أبلغ من قول الرسول وخلفـائه وأعمالهم ، وكانوا حين تعقد الألوية على أمراء الجيوش يوصونهم بتقوى الله وعدم الاعتداء مرددين التواصى الآتية : ((**لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا طفـلا**

---

(١٣) ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا .

صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند حمة النهضات وفى شن الغارات ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة ، وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ، نزهوا الجهاد عن غرض الدنيا اندفعوا باسم الله وامضوا بتاييد الله بالنصر ولزوم الحق والصبر ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » . ومن ذلك قول الرسول : **« لا تقتلوا عسيفا ولا أسيفا . أى لا تقتلوا الشيخ ولا الأسير »** . وفى حديث على رضى الله عنه : **لا يتبع مدبر ولا يقتل أسير ولا يذفف على جريح (١٤)** .

وصفوة القول : بنت الحضارة الاسلامية سياستها الاصلاحية على اعتبار السلم دعامة المجتمع الانسانى والحالة الأصلية التى تهيىء للتعاون والتعارف وإشاعة الخير بين الناس عامة ، واعتبرت الحرب وسيلة لشذوذ لم ينفع فيه الحوار والحكمة والموعظة الحسنة ودفاعا عن النفس ، فاذا وقعت أوصى بالرأفة فيها بألا تكون حرب تنكيل وتخريب فلا يقتل فيها النساء والشيوخ والعجز والأطفال (١٥) .

ركن الرفق بالحيوان : تميزت الحضارة العربية الاسلامية بما يفاخر به اليوم ويعد مظهرا من مظاهر الحضارة واعنى به الرفق بالحيوان ، وقد نقل عن الرسول قوله : فى كل ذات كبد اجر ، فاستفسره أحد الصحابة وهل أنّ لنا فى البهائم أجرا . فأجاب فى كل ذات كبد رطبة أجر . وتمضى الحضارة الاسلامية فتشرع الرحمة بالحيوان وتحرم المكث طويلا على ظهره ، فيقول الرسول فى ذلك : لا تتخذوا من ظهور دوابكم كراسى وتحرم اجاعته وتعريضه للضعف والهزال ، وقد أوصى الرسول بالبهائم المعجمة بقوله : اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة ، كما يحرم ارهاقه بالعمل فوق ما يتحمل . وعلى ضوء هذه التعاليم يقرر الفقهاء أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه ، وقد ذهبوا الى ما هو أبعد من هذا ، فقال بعضهم اذا لجأت هرة عمياء الى بيت شخص وجبت نفقتها عليه ، وكان الخلفاء يذيعون البلاغات العامة على الشعب يوصونهم فيها بالرفق بالحيوان وكان من وظيفة المحتسب أن يمنع الناس من تحميل الدواب فوق ما تطيق أو تعذيبها او ضربها ، واما المؤسسات الاجتماعية فقد كان للحيوان منها نصيب كبير وحسبنا أن نجد فى ثبت الأوقاف القديمة أوقافا خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة وأوقافا لرعى الحيوانات المسنة العاجزة . وكان عمر بن الخطاب يصرف معاشا للفقير صاحب الدابة المريضة ينفق منه عليها حتى تشفى .

الركن الأخلاقى : يقول برنار فى كتابه عن فلسفة الثورة الفرنسية (١٦) :

---

(١٤) وقد قال أحدهم بذلك شعرا مخاطبا قائد الجيش العربى الأول :

وقفت أمام الجيش ترفد أسه ... وتضرم فى تلك المواطف خابيا
تقول لهم لا تحملوا غير زادكم ... ولا تفسدوا من الماء عذبا جاريا
ولا تهلكوا زرعا ولا تهتكوا حمى ... ولا تستبيحوا نسوة أو ذراريا
ولا تحرقوا باللائذين كنائسا ... ولا تهدموا باللاجئين مغانيا
ولا ترهقوا الأسرى فرب محارب ... الى الحرب يسعى مكرها لا معاديا

(١٥) وقد قال الرسول فى ذلك : لا تقتلوا الذرية فى الحرب .

(١٦) ص ٦٧ ، يقول فولتير فى كتابه الى مركيزة دى ديفان : ان بين البشر تضامنا اخلاقيا سببه أن فى كل فرد منهم غريزة اخلاقية تشعره بالعدالة كما تشعره بالظلم الذى يقع على إنسان آخر .

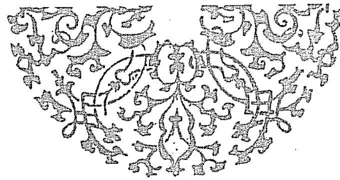
لقد احتاج الانسان الى قرون لمعرفة جزء من قوانين الطبيعة فى حين يكفى الرجل الحكيم يوم واحد لمعرفة واجبات الانسان الأخلاقية .

لقد اشاد كل من محمد والمسيح عليهما السلام بالأخلاق الفاضلة وبوجوب التحلى بها لأن الأخلاق الفاضلة واحدة فهى هى لدى كل من يعملون عقلهم بالرغم من جميع الخلافات التى يمكن أن نلاحظها فى الأعراف أو فى المصالح المتصارعة أو فى اللغات أو فى الأشكال التى تظهر بها القوانين والمبادات ، فاننا نجد فى كل مكان راس مال مشتركا بينها وقانونا يصلح لجميع البلدان وتعرف بداهته فى داخل ذواتنا أنه قانون الأخلاق . فان فى داخلنا غريزة تجعلنا نشعر بما هو عادل واحساسا بالعدالة يشترك فيه جميع الناس وهو موجود بحكم قانون الطبيعة التى لا تعلن إلا حقائق منقوشة فى قلوب الناس جميعا . لقد غرس الله فى كل إنسان بذرة الأخلاق الكريمة فما عليه الا أن يعنى برعايتها لأنها قوام التعامل بين الأفراد وفى المجتمعات .

ذلك هو مكانة الأخلاق فى نظر الفلاسفة فما هو نصيب الحضارة العربية الاسلامية من الأخلاق والدعوة الى التمسك بها .

لقد وجهت الحضارة العربية الاسلامية الإنسان الى التحلى بمكارم الأخلاق معتبرة الأخلاق القويمة دعامة المجتمع فكان من ذلك أن دعت الى الألفة والتعاون والتآخي والتوادد بين الناس لا بل رغبت الناس بالعفو عن السيئة ودفعها بالحسنة ، فقد جاء فى سورة الروم : « **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم** » . ولقد دعت تلك الحضارة الى الانصاف بالحكمة واللين بل عدت حسن الخلق من الدين (١٧) .

لقد بلغت الحضارة العربية الاسلامية فى دعوتها الى مكارم الأخلاق شأوا ساميا لم تبلغه حضارة لا فى القديم ولا فى الحديث لا بل جعلت من كبرى أهداف الرسول الكريم اتمام مكارم الأخلاق كما يؤكد ذلك الحديث الشريف القائل : انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وفى رواية وإنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق ، فاذا عرفنا أن فلاسفة اليوم اعتبروا الأخلاق المقياس الوحيد لتقدير الحضارات والمفاضلة بينها أدركنا مكانة الحضارة العربية الاسلامية بين الحضارات العالمية .



---

(١٧) جاء رجل الى النبى وساله ما الدين : فاجابه الدين حسن الخلق وكرر عليه السؤال مرارا حتى قال له الرسول اما تفقه الدين حسن الخلق . وقيل لرسول الله فلانة تقوم نهارها وتقوم ليلها ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال رسول الله لا خير فيها .

المغرب
الجزائر
موريتانيا
مالى
ليبيا
جمهورية مصر العربية
النيجر
تشاد
السودان
نيجيريا
غانا
توجو
داهومى
الكاميرون
وسط أفريقيا
الحبشة
جابون
الكونغو كينشاسا
أوغندا
كينيا
تنزانيا
أنجولا
زامبيا
روديسيا
موزمبيق
جمهورية غرب أفريقيا
بتشوانالاند
جنوب أفريقيا
مدغشقر

الدعوة الإسلامية

وكيف نوجهها في جهادها المعاصر

للأستاذ : سفيان سالم

مسلمو افريقيا جزء هام من العالم الاسلامي :

لم يعد ثمة شك في ان المسلمين الافريقيين الذين يعيشون اليوم داخل حدود القارة التي تبلغ مساحتها ٢٠٠ر٢١٦ر١١ ميلا مربعا والذين يبلغ عددهم حسب آخر الاحصائيات التي نعرفها اكثر من ثمانين مليون نسمة ــ لم يعد ثمة شك في ان هؤلاء المسلمين يشكلون قوة هامة وحساسة في حاضر العالم الاسلامي ومستقبله ..

واذا كانت الدول الاستعمارية الاوربية التي احتلت افريقيا قرابة خمسمائة عام ، بدات بالبرتغال التي كان هدفها الرئيسي من سيطرتها على افريقيا محاربة الإسلام ، وإيقافه عن زحفه المقدس الى اقصى الجنوب .

اقول : إذا كانت هذه الدول قد نجحت الى حد ما في عزل مسلمي افريقيا جنوب الصحراء وبعض المسلمين في مناطق اخرى من افريقيا عن الاتصال بالحركة الإسلامية العالمية ــ فان هذه الشعوب بعد ان حطمت اغلال الاستعمار واتاحت لنفسها فرصة الاستقلال والانطلاق الى ابعد من حدودها ستلعب من غير شك دورا هاما مع شعوب العالم الاسلامي في تحقيق مستقبل افضل لخير الاسلام والمسلمين .

وتظهر اهمية مسلمي افريقيا ومدى المساهمة الضخمة التي يمكن ان يقوموا بها في حركة الدفع الثوري للدعوة الاسلامية ، اذا عرفنا مقدار ما تتمتع بـه قارتهم الكبيرة التي يعيشون داخلها من امكانيات اقتصادية واستراتيجية وبشرية هائلـــة ..

فالمحاصيل الزراعية التي تنتجها أفريقيا ، تكاد تتنوع على نحو شامل بحيث لا يوجد محصول زراعي آخر في العالم لا يزرع في افريقيا ، وثروتها المعدنيـــة بلغت من الضخامة حدا جعل انتاجها من الماس يصل الى ٩٨٪ من الانتاج العالمي ومن الذهب ٥٥٪ منه ومن النحاس ٢٢٪ ..

هذا الى جانب الثروات المعدنية الهائلة الأخرى من اليورانيوم والكـــروم والكوبالت وغيرها .

أما امكانياتها الاستراتيجية في عصر أصبح فيه للموقع الاستراتيجي كل هذه الأهمية التي تحدد مصير الدولة سياسيا وعسكريا واقتصاديا فيكفي أن نعـــرف أن حدودها الغربية تقع على المحيط الاطلسي ، ثم يحدها المحيط الهنـــدي من جهة الشرق وهو المحيط الذي يتصل بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق البحر الأحمر أو بحر العرب ، وبعد ذلك تشرف افريقيا في الشمال على البحر الأبيض .

واذا تركنا أهمية القارة الأفريقية من حيث وفرتها الاقتصادية ، وحساسية وضعها الاستراتيجي ، وتحدثنا عن طاقتها البشرية يبرز عامل رئيسي يصبح له امتيازه في تقدير مدى أهمية شعوب افريقيا في ميزان الثقل الدولي .

فالاحصائيات الأخيرة تقدر بـ ١٩٨ مليون نسمة منهم خمسة ملايين من البيض الأوروبيين الذين استوطنوا بعض الأجزاء ، وهو عدد يجب أن نسقطه من الاحصائية حين نذكر عدد الشعب الأفريقي ..

هذه العوامل الثلاثة وأعني بها ثروة أفريقيا الاقتصادية والبشرية ثم موقعها الاســـتراتيجي يجعل لمســـلمي هذه القارة أهمية كبرى ، حين نقيم دورهم في ميدان الدعوة الاسلامية العالمية .

توزيع المسلمين في افريقيا اليوم :

على الرغم من الحروب الصليبية التي شنتها الدول الأوربية على مسلمي أفريقيا وعلى الرغم من حركات التبشير التي دخلت مع الاستعمار الغربي الى هذه القارة ..

وعلى الرغم كذلك من ضعف المسلمين ماديا أمام أعدائهم الذين فاقوهم عدة وسلاحا ، واستمرار هـــذا التفوق بفضل الثروة الصناعية التي مكنتهم مـــن الغلبة والقهر .

وعلى الرغم من كل هـــذه العوامل وغيرها استطاع المسلمون في أفريقيا أن يحافظوا على عقيدتهم الروحية بل ليس هذا فحسب ، وانما أخذ عدد المسلمين يتزايد بفضل ما تنطوي عليه تعاليم الاسلام من البساطة والمبادىء الانسانية السامية ، وهذا ما صرح به رجال التبشير انفسهم .

في بحث شامل لمجلة « الكريستيان سانيس مونتيور » نشرته منذ عشرة أعوام تعرض الكاتب ــ وهو قسيس مسيحي قام بزيارة طويلـــة لافريقيا ــ للظروف التي تعرضت لها المسيحية فيها فقال :

(على الرغم من الجهود الضخمة التي يقوم بها المبشرون المسيحيون فى افريقيا اليوم ، وعلى الرغم من الأموال الطائلة التى تنفق على تحويل الافريقيين الى الديانة المسيحية .. فان الافريقيين أقل حماسا للدخول فى المسيحية منهم فى الاسلام فالاحصائيات الدقيقة التى أجريت فى افريقيا قد اكدت ان دخول الافريقى فى المسيحية يقابله دخول ٨٧ من زملائه فى الاسلام ، وأستطيع أن أصرح بأن الظروف التى تكتنف المسيحية تعتبر السبب الرئيسى فى هذه النتائج فهى ديانة الرجل الأبيض الذى يستعمر الرجل الافريقى ، ويعامله فى شىء من القسوة والظلم ، وهذا ما لمسته بنفسى حين تحدثت الى بعض الافريقيين فى غرب افريقيا . ثم انعزال رجال الدين المسيحى عن الحياة القومية والاجتماعية التى يعيشها الافريقيون .

فالاندماج لا يتم الا فى حدود أداء الوظيفة الدينية فقط ، كذلك يشعر بعض الافريقيين الذين تحولوا الى المسيحية أن الأوروبيين وهم فى نظرهم أصحاب الدين المسيحى ، لا يطبقون تعاليم المسيح كما وردت فى الانجيل من اعطاء الفرد حريته وتمتعه بحقه فى المساواة مع غيره .. الخ .

يضاف الى هذه العوامل عامل آخر على جانب من الأهمية وأعنى به اصطدام تعاليم المسيحية أحيانا مع تقاليد الافريقيين القديمة ثم يستطرد هذا الكاتب فيقول :

وحين نقارن الاسلام بالمسيحية نستطيع أن نقول — والأسف يملأ قلوبنا — أنه لا يزحف فى افريقيا زحفا بطيئا مطردا بل يكتسح طريقه فى سرعة مذهلة فان عدد الافريقيين المسلمين أصبح يتجاوز اليوم الثمانين مليونا — هذا بالاضافة الى تزايده تزايدا مطردا سريعا .

وقد أدركت حين لمست بنفسى أن الافريقيين ينظرون الى الاسلام على انه دين الشرق المسالم الذى لم يستعمر أفريقيا ، وهناك سبب آخر قوى لنجاحه وهو أن الاسلام يستطيع فى سهولته أن يتلاءم مع تقاليد الافريقيين القومية .

ثم ان الاسلام لدى الافريقيين يتم عن طريق مواطنيهم المسلمين ، وليس عن طريق رجال الدين ، وهو اعتبار له أهميته .

ومعاهد التعليم التى يهاجر اليها الزنوج فى القاهرة وبلاد الشمال الافريقى ليست هى الأخرى سوى مصنع ينتج دعاة اسلاميين مزودين بمنطق عاطفى يكون لتأثيره بين مواطنيهم الوثنيين والمسيحيين (على زعمه) بعد عودتهم (فعل السحر) .

أقول فلعل ما جاء على لسان هذا القسيس يوضح لنا فى جلاء طبيعة الصراع الدينى فى أفريقيا ومدى نجاح الاسلام فى مد خطوطه ومسالكه عبر مجاهلها وشعابها المختلفة .

ان الدين الاسلامى دين بسيط سمح لا يعترف بكهانة وطقوس وحين تخالط معانيه شغاف القلوب يتأصل فى عمق وتمتد جذوره الى أغوار النفس الانسانية فلا تستطيع قوة فى الدنيا كائنة ما كانت أن تؤثر فيه بعد ذلك .

ما هو الاسلام ؟

سؤال من وجهة النظر الى قضايا العصر واهتماماته والصراع البشرى فيه ، ما هو الاسلام ؟

والجــواب :

الاسلام دين الله ، بمعنى انه تفسير للحياة على أساس « مشيئة الله الواحد » ..

ثم الالتزام بهذا التفسير الذى يتم نتيجة « ايمان » أى تصديق مــن طريق العلم المباشر ، أو العلم بالاستدلال بأنه الله « الذى ليس كمثلــه شىء » والذى هو صانع ومحرك ومدبر لهذا الكون ومن فيه وما فيه بين الأزل والأبد على أساس وحدة هذا الكون ، واتساق قوانينه وتساوى وحــدات أجزائه وأشيائه امام هــذه القوانين ..

كذلك فان العبادات والشرائع والنظم الاجتماعية والاقتصادية التى أوحى الله بها الى انبيائه والى محمد صلى الله عليه وسلم هى موضع التصديق الكامل والتطبيق الأمين ..

وهى مسئولية مقررة من الأفراد تجاه المجتمع ، ومن المجتمع تجاه الافــراد ومن كل فرد تجاه نفسه من حيث أن هذه الشرائع والنظم هى أســـاس قيام « مجتمع المؤمنين » ، الذى ليس فيه واحد من البشر أكثر من واحد ، ولا واحد أقل من واحد ، وان الجميع سواء فى موقفهم البشرى أمام القانون الأعلى على كل شىء وهو « الله » ..

هذا تعريف الاسلام من وجهة النظر الى موقفه العقائدى .

وأما من وجهة النظر اليه كمنهج لبناء المجتمع ، فان تعريفه على أساس مقوماته الاجتماعية يكون كالآتى :

الاسلام هو نظام إلهى فى تشريعه ، وعلمى بتجربته ، وهو يقوم عــلى بناء المجتمع عن طريق بنائه الانسانى للفرد والقيادة فى هذا المجتمع جماعية بين أبنائه الذين هم بالايمان عباد الله واخوة بين أنفسهم ، وسادة على الموارد المسخرة لهم ، والذين يقيمون مجتمعهم على أساس أن العمل هو مصدر الحقوق والدرجات للأفراد فى هذا المجتمع ، وعلى أساس أنهم من نقطة الاخاء بالايمان ، شركــاء بالعمل فى الموارد والثمرات والأموال التى هى فى المجتمع ، وفى أيدى المؤمنين أموال الله ..

وعلى أساس أن هذه المشاركة تعنى بالوازع وبالالزام أن يعــود فائض الحاجة فى يد كل فرد ــ أى ما يفيض عن حاجاته الأساسية ــ الى ايدى اخوته الآخرين أى الى المجتمع الذى يتحرك بهذه الأموال على أساس العلم المستمد من تجربة الايمان الى العمران والانفتاح بالسلام على كل العالم .

من هذا التعريف نبدأ فنسأل ونبحث عن هذه المجالات التى تبرز فيها علاقة الاسلام الواضحة بالمفاهيم العامة لما جد من تيارات فكرية معاصرة وآراء مستحدثة وأساليب مختلفة للتبشير .

قضيــة القضايــا :

من بؤرة التقدم العلمى الحــديث فى هذا العصر ، ومن مركز عمليــاته العقلانية المعقدة يسطع ضوء خاطف تعشى فيه العيون فى جو تزأر فيه أدوات القوة وتمزقه ضوضاء الدعاية ، وتسيطر عليه أدوات الدقة .

فيضع أكثر الناس أيديهم على أعينهم يمسحونها ، ثم يعاودون النظر

يلتمسون ــ فى ظلمات هذه الأضواء المعتدية ــ طريقا مأمونا الى سلام العالم ، والى حياة جديدة تعيش فيها الأجيال البشرية ، وتنمو فى رعاية العلم بغير عدوان ..

فى عالمنا المعاصر حيث يقف المتقدمون والمتخلفون معا على حافة هاوية ، نجد الظواهر الآتية فى قضية الدين واستخدامات العلم :

١ ــ نجد انكماش جماعات المؤمنين بالدين الإلهى الحق على سطح الأرض .. دين الوحى الذى يجمع بين الايمان والعمل لبناء سلام الانسان وتقدمه .

٢ ــ نجد انتشار معتقدات العزاء الروحى من أول (اليوجا) الهندية الى (الغنوصية) اليهودية ، وهى معتقدات سرية باطنية تؤمن بالروح التى لا يمكن أن يقال ما هى .

وتنكر وتقهر الجسد الذى يمكن ان يقال ما هو ؟ بينما تطلب بالرياضة أو السحر أو الشعوذة ما لا يمكن أن يدركه الانسان الا بالايمان والعمل .

٣ ــ نجد انتشار القلق فى المجتمعات الصناعية العلمانية والاشتراكية من فراغ تحس به تجاه « قوة ما » وراء الطبيعة قوة غير مادية وان كانت حركة المادة هى الدليل الأول عليها هذا .. وان كانت المادية العلمية تبنى بالعلم السلام والتقدم فى مجتمعها شكلا من أشكال العدل الاجتماعى وتعلى من قيمة العمل وتكرس حقوق الجماعة دون استغلال .

الا أن ذلك يقع مشروطا بانكار الدين مما يترتب عليه ترك هذا الصراع المحس فى أعماق النفس الانسانية الكادحة فتتململ وتضطرب وتنظر الى بعيد ..

٤ ــ الى جانب هذا يوجد المجتمع الذى تتمثل فيه قضية القضايا ومشكلة المشاكل فى هذا العصر .

يوجد (المجتمع الرأسمالى) الذى يرفع أمام ضحاياه راية الايمان بينما يدفع بالعلم وتطبيقاته الى خدمة السياسات والخطط العدوانية للصهيونية والاستعمار .

هذا المجتمع العجيب المتظالم المتضارب يدفع العلم الى الخروج عن أهدافه والى التمرد على عقيدته يدفع بهذا المارد المختال (التكنولوجيا) . لينفلت من سلطان الارادة الخيرة فى المجتمع الانسانى وليستعصى على أى اتجاه للاخاء البشرى والسلام العالمى والرخاء المتبادل بين الشعوب ..

ان (أمريكا) تنفق مليارات الدولارات وهى ترسل أرسالياتها الاستعمارية تحت أثواب المسيح ، ورايات المسيحية ، لتقدم لبسطاء الشعوب النامية فى أفريقيا خدمة العلم المتقدم ، وترسم لهم الصليب على بعض السلع والتكنولوجيا الاستهلاكية ، وترى أن ذلك يبرر سرقتها لموارد ومستقبل شعوب حية فى آسيا وأفريقيا .

وعندما لم تنجح هذه الخديعة البلهاء ، عادت (أمريكا) ترسل قاذفات قنابلها الضخمة وعليها الشعار المسيحى أيضا ، لتدمر وتحرق وتبيد شعوب (فيتنام وكمبوديا ولاوس) والشعب العربى باسم الحضارة الامريكية المسيحية . والدكتور القس « فلويد شاكلوك » الامريكى يبدى دهشته العظيمة من هذا الأمر فى كتابه (الايمان الثورى) ويقول :

« ان البعثات الأمريكية الدينية المسيحية قضت مائة وخمسين عاما تجاهد فى بلاد الصين ، ولكن فى ثلاثين عاما دخلت الشيوعية بلاد الصين — انه يتساءل كيف لعب دعاة الشيوعية على عقول الناس بالأقوال الجوفاء ، والوعود المعسولة؟ ثم يجيب اجابته الغبية فيقول — : ان الشيوعية كسبت الصين بالقوة بينما رسل المسيحية — يعنى رسل الاستعمار — لا يقبلون اللجوء الى المسائل العنيفة .

ان (أمريكا) — أيضا — تنفق مليارات الدولارات لكى يمد العلم المتمرد على السلام اقدامه فى الفضاء ، ويطأ من اجل اغراض الدعاية أو الأغراض العسكرية وجه القمر بينما الأرض ملأى أمام أعين (القديس سام) بملايين المرضى والجياع ..

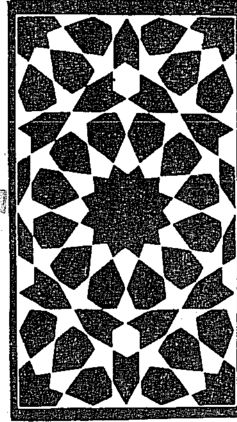
والعلم المتمرد ينفذ ببصره ويعبث بأصابعه فى معامله السرية يخطط لجريمة تصنيع الآدميين فى انابيب الاختبار ، فيحكم على انسانية الانسان بالموت من حيث يفصله فى المعمل عن كل ما هو طبيعى فى الحياة بينما هو يحشد فى نفس الوقت أسلحته الكيمائية والبيولوجية ، وخططه للتعقيم الجماعى من أجل ابادة الانسان الطبيعى عندما يكون ملونا » .

وهكذا العلم الذى هو الأمل اصبح مع تحديات الصهيونية والاستعمار هو المشكلة . وهذه هى قضية القضايا .

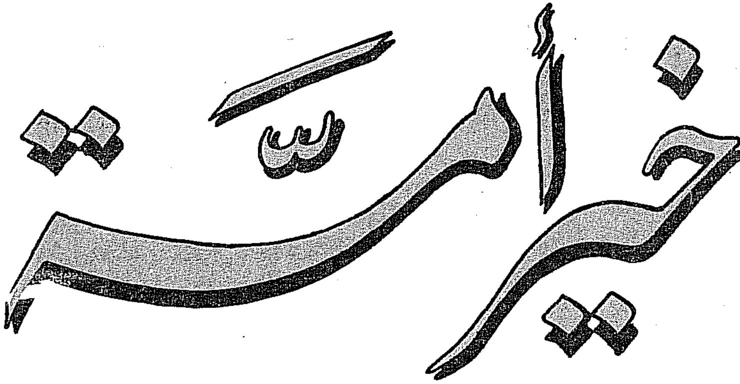
وعلينا نحن — العالم الاسلامى — آباء البشر فى التاريخ وأولياء أنفسنا فى الواقع ان نبحث هذه القضية من جذورها — نبحثها من البداية ونحن نتخذ الطريق الصحيح الى فهم واجبنا الدينى وتصور دورنا الانسانى فى أحياء الحياة لو استطعنا أن نشارك من خلال تجربتنا واسلافنا فى تقييم العلم بالعلم الالهى من خلال رؤية صحيحة للدين الاسلامى ، اننا بهذا نحقق القوة الكاشفة فى داخلنا وخارجنا والتى مصدرها الايمان واساسها العلم واطارها وغايتها الاسلام وحركتها وجهادها البناء والفداء نستطيع أن نعيش رغم تحديات العصر فى أنسجام معها وتعاطف وكشف ، وفوق ارادة أعداء الاسلام فى كل مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية والانسانية دون قصور أو اهدار أو قلق .

نستطيع ان نبنى وأن نعيش حياتنا كاملة كما سلف فى تاريخنا الاجتماعى حيث يمكن ان تتساوى الوحدات البشرية أى الأفراد والمواطنون بمقادير وأنواع العمل أمام الله ولصالح المجتمع حقا والتزاما حياة لا تتناقض فيها القوانين ، ولا تتصادم المصالح ، حياة لا يختلف فيها العقلى عن التجريبى ولا الدينى عن الدنيوى حياة هى الوجود الحق المترع بالأمن والحب والإخاء .

● موجز بحث مقدم من الاستاذ سفيان سالم دارمى لمجمع البحوث الاسلامية ..



من وحي ذكرى مولد الرسول



خير أمة

للدكتور / محمد الدسوقى

١ ــ اطبقت كلمة العلمـــاء والباحثين على ان البشرية كانت قبل مولد محمد صلى الله عليه وسلم فى حاجة ماسة الى من ياخذ بيدها الى ســـواء السبيل ، فقد ضلت طريقها الى الله ، واتخذت الأصـــــنام والأوثان ــ على تعددها وتباينها ــ آلهة تؤمن بهـــــا وتعنو لها ، وعاشت حياة طابعها القهر والبغى والفساد ، لقد كان ظلام الجاهلية مطبقا ، شـــــمل العقائد والاخلاق والعادات ، وران على الضمائر والمشاعر والعقول ، وجعل المجتمع الانسانى اشبه ما يكون بالقطيع فى الغابة تقوده الشهوات الجامحة ، وتحكم علاقاته القوة الباغية ، وكان لا بد ان يشرق الفجر ليبدد الغياهب ويقضى على المفاسد ، ويرشد الضالين والحيارى الى طريق الحق والى صراط مستقيم .

٢ ـ وانبثق الفجر فى بطحاء مكة بمولد محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد كان مولده عليه السلام إرهاصا بنهاية ذلك العهد المظلم فى تاريخ البشرية ، وبداية لعهد جديد مشرق بالوحدانية والحرية والعزة والكرامة والعدالة والفضيلة .

لقد بعث الله محمدا على راس الأربعين من عمره بدعوة الاسلام التى انقذت البشرية من دياجير الجاهلية ، ورسمت لها سبيل سعادتها فى الدنيا والآخرة .

لقد حررت دعوة الاسلام البشرية من إسار العبودية لغير الله ((وما امروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله هو)) (١) ((إن الهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق))(٢) .

وكما حررت دعوة الاسلام البشرية من إسار الشرك والوثنية حررتها كذلك من إسار الطائفية والعنصرية ونظرية الدماء المقدسة ، فكانت اول صيحة عامة فى التاريخ ترسى مبادىء الأخوة والمساواة على اسس وطيدة من الإيمان .

٣ ـ ولأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات الإلهية جاءت دينا عاما للناس كافة ، كما جاءت صالحة للانسان فى كل زمان ومكان الى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد امتن الله على المؤمنين بهذه الرسالة الخاتمة والدعوة العامة بان جعلهم خير أمة اخرجت للناس ، بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ، ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه ، والذى يهدى للتى هى اقوم ، والذى يحقق للانسان ـ دون غيره من الكتب والنظم ـ الحياة الكريمة التى تليق بخلافة الانسان المقدسة لله فى الارض .

٤ ـ واستحفاظ الأمة الاسلامية على هذا الكتاب الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وان يكون الكل شهداء عليه يعنى التزام هذه الأمة بكل ما جاء به القرآن الكريم التزاما صادقا ، وصياغة حياتها وفق توجيهاته وتعاليمه ، والعمل على إذاعة دعوته وإقامة شريعته بين الناس قاطبة ، وسبيل ذلك الحفاظ على أمانة الدعوة الى الخير والبر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لتظل دائما كلمة الله هى العليا ، وتبقى القيادة دائما فى هذه الأرض للخير لا للشر(٣) . وهذا هو مناط الخيرية التى اسبغها الله على الأمة الاسلامية ولم يسبغها على أمة سواها ((كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله))(٤) .

٥ ـ على ان الخطاب فى هذه الآية الكريمة ليس خاصا بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، او العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، كما ذهب الى هذا بعض المفسرين(٥) ولكنه عام يشمل الأمة كلها بلا تفرقة بين قبيل وقبيل ، فكل مسلم مسئول عن امانة الدعوة الى الخير والبر ، وإن كان

لأهل الراى والخبرة والعلم والمعرفة دور بارز واثر واضح في القيام بها ، فضلا عن أنه لا بد من سلطة تمكن لهذه الأمانة وتذود عنها ، يشهد لهذا قوله تعـالى : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون »(٦) فالآية تقرر أنه لا بد من سـلطة فى الارض تدعو الى الخير وتامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، لأنه إذا جاز أن يتولى الدعوة الى الخير غير ذى سلطان فإن الأمر والنهى لا يقوم بهما إلا ذو سلطان ، فهذا تكليف ليس بالهين ولا باليسير إذا نظرنا الى طبيعته والى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم ومصالح بعضهم ومنافعهم وغرور بعضهم وكبريائهم ، وفى النـاس من ينكر المعروف ويعرف المنكر ، ولا تفلح الأمة إلا ان يسـود الخير وإلا ان يكون المعروف معروفا والمنكر منكرا ، وهذا ما يقتضى سلطة للخير تامر وتنهى وتطاع(٧) .

٦ ــ ومما يؤكد مسئولية كل فرد فى المجتمع الاسلامي عن الدعوة الى الخير ــ فضلا عن السلطة التى تمكن لهذه الدعوة ــ ان القرآن الكريم جعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين وبين ان هؤلاء يامرون بالمنكر والشر على حين يدعو اولئك الى الخير والبـر « والمنـافقون والمنافقات بعضهم من بعضهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم »(٨) « والمؤمنون والمؤمنات بعضـهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله »(٩) . قال الإمام القرطبى تعليقا على الآيتين : « فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين ، فدل على ان اخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وراسها الدعاء الى الإسـلام والقتال عليه » (١٠) ..

وقد روى ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على المنبر ، فقال : من خير الناس ؟ قال : آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنـكر واتقاهم لله ، واوصلهم لرحمه(١١) . ومن الأحاديث المعروفة فى هذا الصدد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من راى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطيع فبلسانه ، فإن لم يستطيع فبقلبه ، وذلك اضعف الإيمان (١٢) .

والأحاديث النبوية كثيرة فى الحض على اداء هذه الأمانة والتحذير من التفريط فيها وعاقبة هذا التفريط ، كما أن هناك آيات عديدة ــ غير ما أوردته آنفا ــ جاء فيها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، صفة للمؤمنين ، وهذا كله يؤكد مسئولية كل فرد فى المجتمع الاسلامى « فكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » ، ويشير الى ان هذا المجتمع يتميز دائما عن سواه من المجتمعات بهذه السمة الأساسية ، وهى العمل الإيجابى لحفظ الحياة البشرية من المنكر وإقامتها على المعروف مع الايمان بالله(١٣) .

٧ ــ واما قوله تعالى فى سورة المائدة : « يايها الذين آمنوا عليـكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم »(١٤) فإنه لا يدل على إعفاء المؤمنين من مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ذلك أن معنى الضلال فى الآية ليس مجرد المعصية ولكنه الكفر ، لأن السياق يحتم ان يكون هذا هو المراد

بالضلال فيها(١٥) ، بالاضافة الى ما روى فى سبب نزولها(١٦) ، فالآية تقول : ((وإذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون)) فهذه الآية وصف صريح للكفار الذين اصروا على ضلالهم وغيهم ، وهذا يقتضى أن يكون الذين ضلوا هم الكفار لا عصاة المؤمنين ، لأن الكلام عنهم فى هذه الآية ، وقد جاءت بعدها تلك الآية ، لتامر المؤمنين ان يتعهدوا أنفسهم بالإصلاح ، فيلزموها باداء ما امر الله به واجتناب ما نهى الله عنه ، ثم تقرر لهم انهم لن يضيرهم كفر الكفار بشيء ما داموا هم قد اهتدوا ، فدعوا الكفار الى الإيمان وحذروهم مغبة كفرهم(١٧) .

ويبدو ان من الصحابة من فسر تلك الآية على غير الوجه الذى ينبغى ان تفسر به ، وظن انها ترخص للمؤمنين فى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن ثم قام ابو بكر رضى الله عنه خطيبا فى الناس فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : يايها الناس إنكم تقراون هذه الآية : ((يايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)) وإنكم تضعونها على غير موضعها وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((إن الناس إذا راوا المنكر فلم يغيروه ــ اوشك الله ان يعمهم بعقابه))(١٨) .

فالخليفة الأول فى هذه الخطبة القصيرة يشير الى ان هذه الآية لا تعفى المؤمنين من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لأن اهتداء المؤمنين يستلزم قيامهم بواجب نصرة الحق ومقاومة الباطل والشر ، وقد اكد هذه الحقيقة بما أورده من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاضاف به الى الآية دليلا آخر على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من طبيعة الإيمان ، لا يتسمح الإيمان بحال فى الزام المؤمنين بهما ، بل هو يتوعدهم جميعا على السكوت عن تغيير المنكر بعقاب الله ، لا يخص طائفة منهم دون طائفة . وقد لعن اليهود على السنة الرسل لعدم تغييرهم المنكر ((كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)) (١٩) ..

٨ ــ وإن مما ينبغى ان تدركه هذه الأمة دائما انها امة جعلها الله بما اسبغ عليها من نعم ، واختصها برسالته الخاتمة ــ فى مركز القيادة والمسئولية عن نفسها وغيرها ، فبيدها مشعل الخير ومنار الهداية ، ولهذا كان عليها أن تعطى دائما لغيرها لا ان تتلقى من سواها ، تعطى الاعتقاد الصحيح والنظام الصحيح والخلق الصحيح والعلم الصحيح(٢٠) ، يجب أن تكون الأمة الاسلامية قوة إيجابية فى مختلف مجالات الحياة ، تؤثر فى غيرها ولا تتاثر بسواها ، يجب أن تكون لها شخصيتها الفريدة التى تتسم بالايمان بالوحدانية والأخوة والمسئولية الفردية والجماعية ، هذا واجبها ورسالتها ولا وجود لها بين الأنام إلا إذا حافظت على هذه الرسالة وقامت بذلك الواجب وايقنت ان مركزها فى الطليعة يفرض عليها مسئوليات وتبعات وفى مقدمتها الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن هى اهملت وتقاعست واخلدت الى الوهن ، فلا مكانة لها فى الصدارة والقيادة ، بل لا وجود لها فى الحياة .

قال الإمام القرطبى وهو يفسر قوله تعالى ((تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)) مدح لهذه الأمة ما اقاموا ذلك واتصفوا به ، فإذا تركوا التغيير

وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ، ولحقهم اسم الذم ، وكان ذلك سببا لهلاكهم(٢١) .

٩ ــ إنها سنة الله بين عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ما من أمة يمكن الله لها في الأرض فلا تبطرها النعمة ولا يســــتخفها شيطان الانس والجن ولا تحيد عن شرعة الحق والعدل ، ولا تتهاون في الدعوة الى الخير ومقاومة الفساد والشر إلا أعزها الله وأدام عليها النعمة وكتب لها الغلبة وأيدها بنصره « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »(٢٢) .

وما من أمة يستشرى فيها الفساد ويتعاظم الباطل ويستأسد المنكر ، ويخنس الحق إلا أذلها الله وتخلى عنها ولم يستجب لدعائها ، فقد روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : دخل عليّ النبى صلى الله عليه وسلم فعرفت في وجهه أن قد حضره شيء فتوضا وما كلم احدا ، فلصقت بالحجرة أســـتمع ما يقول ، فقعد على المنبر ، فحمد الله واثنى عليه وقال : يا أيها الناس : إن الله يقول لكم : « مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتسألونى فلا أعطيكم وتستنصرونى فلا أنصركم » فما زاد عليهن حتى نزل(٢٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا : « لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم »(٢٤) .
وفيما قصه الله علينا في القرآن الكريم من شان بني اسرائيل خير عظة وتذكرة ، فقد وقعت بنو اسرائيل في المعاصى ، فلما نبهتهم علماؤهم لم ينتبهوا ، فجالس العلماء هؤلاء العصاة وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وسليمان وعيسى بن مريم ، وصدق الله العظيم « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »(٢٥) .

١٠ ــ وبعد فإن سنة الله بين عباده ماضية الى يوم القيامة ، والأمة الاسلامية إذا كانت خير أمة اخرجت للناس فإن هذه الخيرية منوطة بمسئولية الدعوة الى الحق والذود عنه ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن هي حافظت على هذه المسئولية وقامت بها على أحسن وجه ظلت أهلا لهذا الشرف الكريم والفضل العظيم ، وظلت لها مكانتها في الريادة والقيــــادة ، وإن هي فرطت وأهملت أو حاربت المعروف وسالمت المنكر ذهبت عنها صفة الخيرية وأصبحت بلا وجود حقيقى في الحياة ، لانها فقدت أسباب قوتها وعزتها كما أشار الى هذا الإمام القرطبى .

والأمة الاسلامية اليوم لم ترع تلك المسئولية ــ أفرادا وجماعات ــ حق رعايتها لا نحو نفسها ولا نحو غيرها فكان ما نعانيه من التفرق والضـــــعف وشيوع المنكرات ، واستعلاء من كان بالأمس خاضعا لنا « وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »(٢٦) .

إن نصر الله لا يتنزل على عباده الذين ضيعوا وفرطوا ولم يعضوا بالنواجذ على كل ما يحفظ لهم الفضل والخير والقيادة والسيادة .

لقد أنزلنا الله منازل الهداة وكتب علينا أن نرفع لواء المعروف ، لنكون بحق خير أمة ، ووعدنا بالنصر ما دمنا نسير على درب الحق ، لا نخشى فى الله أحدا ، فلا خيرية بلا جهاد ضد الباطل والمنكر ، ولا نصر بلا إيمان يدفع الى بذل الأنفس والأموال وصدق الله العظيم « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »(٢٧) .



---

(١) الآية ٣١ فى سورة التوبة .
(٢) الآية ٤ ، ٥ فى سورة الصافات .
(٣) فى ظلال القرآن ﻫ ٤ ص ٣١ .
(٤) الآية ١١٠ فى سورة آل عمران .
(٥) أنظر الفخر الرازى ﻫ ٨ ص ١٩١ والبحر المحيط ﻫ ٣ ص ٢٨ .
(٦) الآية ١٠٤ فى سورة آل عمران .
(٧) فى ظلال القرآن ﻫ ٤ ص ٢٦ .
(٨) الآية ٦٧ فى سورة التوبة .
(٩) الآية ٧١ فى سورة التوبة .
(١٠) تفسير القرطبى ﻫ ٤ ص ٤٧ .
(١١) المصدر السابق .
(١٢) الآية ١٠٥ .
(١٣) أنظر مقدمة كتاب دراسات فى التفسير للاستاذ الدكتور مصطفى زيد .
(١٤) مما روى فى سبب نزولها ان المؤمنين كانوا يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وأنهم كانوا اذا أسلم الرجل منهم قيل له : سفهت اباك « من هدى السنة للاستاذ على حسب الله والاستاذ الدكتور مصطفى زيد . الحديث الرابع عشر » .
(١٥) المصدر السابق .
(١٦) المصدر السابق .
(١٧) المصدر السابق ، ويتسمح بمعنى يتساهل .
(١٨) أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه .
(١٩) المائدة : ٧٩ .
(٢٠) فى ظلال القرآن ﻫ ٤ ص ٣١ .
(٢١) تفسير القرطبى ﻫ ٤ ص ١٧٣ .
(٢٢) الآية ٤١ فى سورة الحج .
(٢٣) قبسات من الرسول ص ٥٣ .
(٢٤) أخرجه الترمذى .
(٢٥) الآية ٧٨ ، ٧٩ فى سورة المائدة .
(٢٦) الآية ٤٠ فى سورة العنكبوت .
(٢٧) الآية ٤٧ فى سورة الروم .

قرأت لك

أشياء تستحق المعرفة في القرآن الكريم

للأستاذ محمد بلي الفوتي

القرآن الكريم ، هو كلام الله المعجز ، المنزل باللفظ العربى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، المكتوب فى المصاحف ، المحفوظ فى الصدور ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، وهو آخر الكتب السماوية نزولا . وهو كتاب غنى عن التعريف لما له من الشهرة العالمية ما ليس لكتاب آخر ، وهو جامع لخيرى الدنيا والآخرة .

(١) يحتوى على مائة واربع عشرة سورة ، منها ست وثمانون سورة مكية ، وثمان وعشرون سورة مدنية، على ما ورد فى مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه .

(٢) وعلى ثلاثين جزء ، كل جزء مقسوم على حزبين ، وكل حزب ينقسم على نصف ، وثلث ، وربع ، وخمس ، وسدس ، وسبع ، وثمن ، وتسع ، وعشر .

(٣) وجميع سور القرآن تنقسم على اربعة أقسام : الطوال ، وهى سبع سور : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، وبراءة معا لعدم الفصل بينهما بالبسملة ، وقيل هى يونس ، القسم الثانى : المئون ، وهى : السور التى لا تزيد آياتها على مائة ، أو تقاربها . الثالث ، وهى : التى تلى المئين فى عدد الآيات . سميت المثين لانها تثنى — اى تكرر أكثر مما تكرر الطوال والمئون . الرابع هو آخر القرآن . وأول سوره الحجرات الى آخر القرآن على قول الامام النووى ، ويسمى هذا القسم (المفصل) لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة .

والمفصل ينقسم ثلاثة أقسام : الطوال ، والأوساط ، والقصار . فطواله : من أول الحجرات الى

البروج ، واوسطه : من الطارق الى سورة البينة ، وقصاره من الزلزلة الى آخر الناس . وقيل : طواله : من (ق) الى سورة عم ، وأوسطه : من عم الى سورة (والضـحى) . وقصاره : من سورة الضـحى الى آخر القرآن .

(٤) أطـول سورة فى القـرآن الكريم ، هى سورة البقرة ، وآياتها (٢٨٦) نزلت فى المدينـة وهى أول سورة نزلت فى المدينة .

(٥) اقصر سورة فى القرآن هى : سورة الكوثر ، وآياتها ثلاث ، نزلت فى مكة بعد سورة (والعاديات) .

(٦) أول سورة نزلت كاملة ، هى : يا أيها المدثر . نزلت فى مكة بعـد سورة المزمل .

(٧) اكثر سورة فيها ذكر اسم الله فى كل آية من آياتها هى : سـورة المجـادلة . وآياتها اثنتان وعشرون آية نزلت فى المدينة بعـد سـورة (المنافقون) .

آياتـه

(٨) يحتوى على ستآلاف ومائتين وست وثلاثين آية ، على حسب مـا ورد فى مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه .

(٩) أول آيات نزلت من القرآن هى : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علمَّ بالقـلم . علمَّ الإنسان ما لم يعلم . سورة العلق .

(١٠) أطول آية فى القرآن هى : يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمىً فاكتبوه .... الآية (٢٨٢) سورة البقرة .

(١١) أقصر آية فى القرآن الكريم هى : (طه) سورة طه ، مكية نزلت بعد سورة مريم .

(١٢) أول آية نزلت فى الأطعمـة هى : قل لا اجـد فيما أوحى الى محرما على طاعم . (١٤٥) الأنعام.

(١٣) أول آية نزلت فى الأشربة هى : يسألونك عن الخمر والميسر... الآية (٢١٩) سورة البقرة .

(١٤) اول آية نزلت فى القتـال هى : اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . الآية (٣٩) سورة الحج .

(١٥) اول آية نزلت فى شأن القتل هى : ومن قتل مظلوما فقد جعلنـا لوليه سلطانا (٣٣.) الاسراء .

(١٦) أعظم آية فى كتاب الله هى : الله لا إله الا هـو الحى القيـوم . الآية (٢٥٥) سورة البقرة .

(١٧) اكثر آية تفويضا هى : ومن يتق الله يجعل له مخرجا . الآيـة (الثانية) سورة الطلاق .

(١٨) اشد آية رجاء هى : قل يا عبادى الذين أسرفوا ... الآية (٥٣) سورة الزمر .

(١٩) اطمع آية فى القرآن هى : أيطمع كل امرىء منهم ان يدخل جنة نعيم الآية (٣٨) المعارج .

(٢٠) اجمع آية للخير والشر ، وهى : أن الله يأمر بالعدل والاحسان ... الآية (٩٥) سورة النحل .

(٢١) آية واحدة تجمع كل الحروف الهجائية هى : قوله تعالى : محمـد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ... الآية (٢٩) آخر سورة الفتح .

كلمـاته

(٢٢) يحتوى على سبع وسبعين الف ومائتين وخمسين كلمة على قول مجاهد .

(٢٣) أطول كلمة فى القرآن لفظـا وكتابة هى : فأسقيناكموه (الآيـة

٢٢) سورة الحجر ، وهى تتألف من احد عشر حرفا .

(٢٤) أول كلمة نزلت فى القرآن هى : (اقرأ) أول سورة العلق .

حـــروفه :

(٢٥) يحتوى على ثلاثمائة وثلاثة وعشرين ألف وثلاثمائة وسـبعة وتسعين حرفا (٣٢٣٫٣٩٧) . وقال عبد الله بن مسعود : (٣٢٢٫٦٧٠ حرفا) ، وقال عبد الله بن عبـاس إنها (٣٢٣٫١٠٥ حرفا) . والله أعلم بالصواب .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : (الم) حرف ولكن : ألف ، حرف ، ولام ، حرف ، وميم ، حرف . رواه الترمذى عن عبد الله بن مسعود ، مرفوعا .

انصـــافه :

(٢٦) نصف القرآن بالسور هو : آخر الحديد ، والمجادلة من النصف الثانى .

(٢٧) نصفه بالآيات هو : فألقى موسى عصـاه فاذا هى تلقف مـا يأفكون ، الآية (٤٥) الشعراء .

والآية التالية : فألقى السـحرة ساجدين . الآية (٤٦) من النصف الثانى .

(٢٨) نصـفه بالكلمـات هـو : (الجلود) فى قوله تعالى : يصهر به ما فى بطونهم والجلود ، الآية (٢٠) سورة الحج . وقوله : (حديد) فى قوله : ولهم مقامع من حديد . الآية (٢١) سورة الحج من النصف الثانى .

(٢٩) نصفه بالحرف هو : (النون) فى : لقد جئت شيئا نكرا ، الآية (٧٤) سـورة الكهـف . و (الكاف) من النصف الثانى .

تاريخ نزول القرآن

(٢٢) ابتدأ نزول القرآن منجما فى ليلة اليوم السابع عشر من رمضان (وهى ليلة الجمعة للسنة الحـادية والأربعين من مولده صلى الله عليه وسلم ، حيث أوحى اليه بأول أمر من القرآن الكريم وهو : اقرأ باسم ربك الذى خلق . الى آخر ست آيات من سورة العلق ، وهو فى غار حراء يتحنث (يتبرر) .

وانتهى النزول فى مساء الجمعة ، تاسع ذى الحجة يوم عرفة ، للسنة العاشرة من الهجرة ، وللسنة الثالثة والستين من مولده ، وأوحى اليه آخر آية ، وهي : اليوم اكملت لكم دينكم.. (٣) المائدة .

وانزل عليه من القرآن وهو بمكة : ٨٦ سورة فى مدة اثنتى عشرة سنة وخمســة أشهر وثلاثة عشر يوما ، من ١٧ رمضان سنة (٤١) الى أول ربيــع الأول لأول سـنة (٥٤) من مولده . وكل ما نزل فيها فى هــذه المدة يقال له (مكى) .

ونزل عليه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة (٢٨) سورة فى مـدة تسع سنوات وتسعة اشهر ، وتسعة أيام ، من ربيع الأول لسنة (٥٤) الى تاسع ذى الحجة سنة (٦٣) من مولده ، للسنة العاشرة من الهجرة . وكل ما نزل فى هذه الفترة ، سـواء كان ذلك فى المدينة ، وفى مكة ، يقال له (مدنى) .

فالمـدة التى بين مبتـدأ التنزيل ومختتمه : اثنتان وعشرون سـنة وشهران واثنتان وعشرون يوما .

فسبحان الله العظيم ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم .



من محاورات الشيطان : قصة من الأدب الديني ..

صراع في الظلام

للاستاذ محمد لبيب البوهي

في إحدى الليالي .. وربما كنت متعبا .. تكاسلت عن صلاة المغرب .. ودخلت العشاء .. وظللت ساعة او زهاءها في الظلام .. فلم اقم حتى لأضيء نور الغرفة فخيل إلى انني اراه إلى جواري . فهو ياتي في مثل هـذه الساعات والاحوال . فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. ولكنه لم يتحـرك ولم يذهب .. قلت عجبا .. الست انت الشيطان . ؟ قال : نعم إنني هو ..

قلت : ولكنني استعذت بالله منك لتذهب .

فاجاب : إن الاستعاذة لم تكن صادرة من قلبك ـ مجرد كلمات رددهـا لسانك على اطرافه ، حتى قلبك لم يكن حاضرا ـ واما عزمك للخلاص مني فقد كان غائبا تماما ـ إن الاستعاذة القوية التي يعنيها صاحبها هي سـلاح لا اقوى على مواجهته .. ولكن هب ان معك مدفعا ذا طلقات معدة .. ولكنك وضعت المدفع بعيدا عنك .. فوق جبل بعيدة ، ثم اعترضك في الطريق قاتل فقلت له : اذهب والا ضربتك بالمدفع الذي هناك .. إن هذا لا يكـون غير نوع من السخف .. وهكذا الامر بيننا إنك لم تكن جادا في الاستعاذة ولذلك فإنني هنا .. لقد غفلت عن صلاتك فهذه ساعتي . إنها حقي .

ثم تمهل الملعون وقال : ولكن لماذا تريد أن تصرفنى ؟ .. إننى استطيع أن اسليك ما دمت متعبا متكاسلا عن الصلاة ..

قلت : فانت سعيد اذن بهـذه الفرصة .. ؟

قال : ساحاول أن أكون صادقا معك .. إننى أطلب اليك أن تزيح كلمة السعادة جانبا .. لقد مسحت هذه الكلمة من قاموس حياتى منذ أجيال موغلة فى ظلمات القدم — منذ أخرجت آدم وأمكم من الجنة ..

قلت : فانت إذن تشعر بالندم .. !!؟

قال : وماذا يجدى الندم . إننى أشعر بالحقد والرغبة فى الانتقام .

إن عدوى الأكبر قد نال رضوان ربه منذ تلقى منه سبحانه كلمات فتاب عليه .. لقد زاد ذلك الغفران من غيظى .. لقد أفلت الأب من براثنى فانا أزرع الألغام فى طرقات ابنائه .. إنها الغام قد تبدو فى صورة التحف .. إننى أبثها فى أكثر الأحيان تحت شجيرات الورد . إن لذتى الكبرى حين أبصر أشلاء الذين تنسفهم الغام ملذاتى .. إنهم يسمعون ضحكاتى حين يتخبطون وهم يهوون إلى الأعماق السحيقة ..

قلت فى غيظ شديد : ألا يستطيع أحد أن يراك على حقيقتك ؟ فضحك المجرم الأبدى وأجاب : لا أعتقد أنك تظننى ساذجا إلى هذا الحد .. !! ، إذا مررت بالحانات ، أو علب الليل ، أو كثير من دور اللهو الأسود . فسوف ترى أقواما يتسامرون ويتنادمون ويقضون أوقاتهم فى تعاطف كاذب .. إننى سيد هـذه المواقف .. وهؤلاء الأخلاء هم أعوانى .. إن بعضهم لبعض عدو فى صورة صديق وإننى لبارع فى إعداد هذه الصور فى أزياء شتى ، لقد يمضى وقت طويل دون أن يعرف كل منهم الآخر على حقيقته ، إن الخيانات الزوجية..وسرقات الأموال .

وما الى ذلك من الجرائم ، إنما تنشـا غالبا من بين هؤلاء الذين يتعارفون ويتسامرون تحت لوائى .. إننى أرى أنك توشك أن تسالنى سؤالا عن أولئك الذين يتنكبون طريقى من الأتقياء ، إن هؤلاء لا يروننى لأننى لا استطيع أن أقترب منهم على الاطلاق الا فى مثل هذه الساعة التى أنت فيها الآن ..وأنت تعرف أننى بالمرصاد .. إن اللص الذى يريد أن يسرق دارا فيها جواهر ، فانه يتوارى وهو يراقب تلك الدار منتهزا فرصة يغيب عنها صاحبها فيسـطو على الغنيمة .. إن غنيمتى هى قلوبكم فلا تلوموا غير أنفسكم حين تغفلون عنها .

قلت : وحين تفترس أحدا من بنى البشر .. من أولئك المساكين الذين تنسف حياتهم وسعادتهم بقوة الألغام التى تبثها فى الشهوات والملذات أتراك تنصرف عنهم بعد ذلك . ! ؟

قال بقوة : لو انصرفت عنهم لكان ذلك لونا من ألوان الرحمة . وذلك شىء لا أعرفه . إننى أنتظر هؤلاء فى ساعة الموت حين يكونون على أبواب الأبدية .. حين تبسط لهم الملائكة أيديهم قائلة : اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عـذاب الهون .. حين تحاول أرواحهم أن تغيب فى طيات الأجساد فتنتزع كما ينتزع السفود من الصدف .. إننى فى هذه اللحظات أكون واقفا عن بعد .. إنهم يروننى هازئا شامتا ضاحكا .. إنهم يروننى بقوة وأنا أزفهم إلى عرصات الجحيم ..

قلت فى أسى ووجيعة : يا لك من خسيس حقير . ترى هل تقف بك الشماتة بالمساكين من بنى البشر عند هذا الحد .. ؟

أجاب وقد تجهم وجهه واسود حتى صار فى لون القطران .. وما ظنك بهؤلاء الذين جمعوا الأموال وكدسوها دون إنفاق فى الوجوه التى أمروا بها .. وما ظنك بهؤلاء الذين يفرون من واجب مقدس أو يكتفون بتهاوى الكلام .. وما ظنك بقاطعى الأرحام .. إن الغامى ليست كلها شهوات وملذات حسية .. إن الأشحاء تعود أرواحهم من قبورهم لترى ماذا يصنع الوراث بأموالهم ، ثم تلسعهم أموالهم بشواظ من نار .. وهؤلاء ليسوا أقل حظا من الآخرين ، ممن ذكرت أمرهم لك ، أو من الذين يتيهون على الارض مرحا .. أو الذين تمر الآيات من آذانهم اليمنى لتخرج من اليسرى دون أن تحرك قلبا أو تدعو الى ارادة السلوك والتطبيق .. إن فى سجلات حسابى الكثير وفوق الكثير .. وهؤلاء وهؤلاء يظل شبحى الأسود ماثلا أمامهم فى قبورهم .. إننى أتجرع وإياهم كؤوس الحسرات .. إننا من صنف واحد .. وقد اختار بعضنا بعضا فلا مفر من المصير .

قلت : سواء كنت تسمى هؤلاء أعداء لك أو أصدقاء فإن الأمر سيان لأن العواقب لا تختلف ، ولكننى أسالك هل ترصدهم عندك فى سجلاتك السوداء فى درجة سواء ؟

فاجاب معاتبا : كيف تظن هذا الهراء .. ؟ كيف تريدنى أن أسوى بين التافه الحقير الذى يختلس بعض المال أو ذلك الخنزير القذر الذى يخلو فى ظلمات العار والحرام بامرأة ما ، كيف أسوى بين هذا أو ذاك بذلك المتربع على عرش سلطة عظمى ويأمر قاذفات النار بتدمير القرى على ألوف النساء والأطفال ثم يشرب سعيدا نخب هذا الإنتصار !؟ إن هذا الرجل يسير تحت ظل جناحى على حين أدفع الآخرين باطراف أناملى ..

ثم استطرد اللعين وهو ينظر الى بعيد : ولكننى أقول لك حقا وصدقا ... إننى وضعت التاج على رأس ذلك الذى اخترع القنبلة الذرية .. إننا معشر الشياطين على مدار ألوف الألوف من الأجيال لم نستطع أن نفعل ما فعلتموه أنتم بانفسكم ..

قلت : أيها الكذوب لا تحاول أن تراوغ .. إنك أكبر عالم من علماء الشر الأسود .. إنت كبير علماء الذرة والصواريخ المدمرة ، انك أنت الذى أوحيت بها ووضعت أفكارها فى رؤوس هؤلاء ..

فاجاب فى تمعن : قد يكون الأمر كذلك على صورة ما .. ولكننى لا أفعل ذلك الا حين أجد استجابة فى القلوب .. لو كانت هناك ذرة من الحب الإنسانى والتعاطف البشرى فى قلب هؤلاء لما استمعوا الى وما فعلوه ..

ان الذى تعانون منه جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها هو ضياع الحب .. بالحب قامت السموات والأرض .. إن ما تسمونه أنتم جاذبية الكواكب لبعضها .. تلك الجاذبية التى تمنعها من التردى فى الفضاء .. هذه الجاذبية بين الجمادات .. بين ذرات الأحجار حتى تتماسك ، كل هذا يمكن أن تسميه حبا .. ان الكائنات والجمادات والاشجار والنجوم والجبال والدواب تتعاطف أنتم فقط الذين تتغذون بالكراهية ، وإننى أنتظر الساعة التى أرث فيها وحدى

أرضكم .. ربما لا يمضى على ذلك وقت طويل .. إنكم تقتربون من ساعة الصفر .

قلت : إن الصياد حين يريد أن يصيد سمكة فإنه يضع لها طعما لذيذا فى الشص فما هو الطعم الذى ترى أكثر الناس يحبونه ؟

قال ضاحكا أنت كعادتك تريد أن تغوص إلى أعماق مهنتى .. لا بأس .. إن أعظم طعم يحبه الناس هو الغرور .. الغرور يجعلهم يغفلون عن حقيقة اللذات ... إنك تعرف أين تنتهى أعظم وجبات الطعام الشهى بعد ساعات من تناوله . ومع ذلك يرتكبون الجرائم فى سبيل المزيد مما يهيىء لهم ذلك .. وهم يرون مساكن الذين كانوا من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وبأسا ، ويسمعون من التاريخ عن مصير أصحاب الصولجان .. ومع ذلك يتكالبون ليسلكوا نفس الطريق ..إننى أزين لهم ذلك .. ان الكشف عن الحقيقة فى كل ذلك لا يحتاج الى ذكاء كبير .. ولكنك ترى أن أعظم العيون قدرة على الابصار تستطيع أن تحجبها عن النظر بورقة صغيرة تضعها أمام العين .. إن الورقة التى فى يدى واضعها أمام عين الحقيقة هى الغرور .. إنهم بعد أن يذهبوا ويكشف عنهم الغطاءويصبح بصرهم حديدا .. هنالك تظهر لهم الأمور على حقيقتها .. هنالك يأكلون الاصابع ندما ويقولون ليتنا نرجع مرة أخرى بعد أن أبصرنا ..

.. أن التلميذ الصغير فى أى مدرسة هو أسعد حظا من الانسان فى الآخرة .. ان التلميذ اذا رسب فى امتحانه فأمامه فرصة الإعادة ودخول الامتحان مرة أخرى .. ولكنكم أنتم واأسفاه معشر البشر ليس أمامكم غير امتحان واحد .. إننى احجبه عنكم بهذه الورقة التى حدثتك عنها .. إننى أسبب لكم الغيظ الأبدى .. إن ما يثلج صدرى هو انه لا رجعة لكم بعد أن تذهبوا .. لا فرصة أخرى لإصلاح ما مضى وفات ..

قلت : من الأمور التى لا لبس فيها أنك على صلة قوية باولئك الذين يدعون أنفسهم بالصهيونيين ويخيل لى أنهم أحباب لك وأنك تعتمد عليهم كثيرا . أليس الأمر كذلك تماما ؟

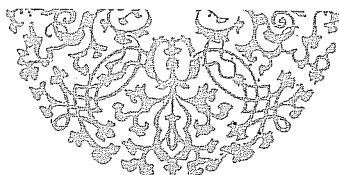
قال : هذا سؤال خبيث فانت تعلم جوابه .. وإنك لتدرك أنه ليس لى أحباب على الاطلاق ، أما أن يكون هناك أعوان . فنعم .. وإننى لعلى صلة قوية بهم .. وسوف تظل هذه الصلة قائمة الى آخر الدهر ، إننى أنا وهم جميعا قد طردنا من ظلال الرحمة ، إن اللعنة قد حقت على كل منا ومنهم ، أعنى على الشياطين وعليهم ، فنحن إذن سواء ، وإننى لأزهو بأننى امليت عليهم دستورهم الاجرامى العظيم الذى يسمونه ((بروتوكول حكماء صهيون)) وإننى لأقرأ فى عينيك أنك تريد أن تسألنى سؤالا آخر فتقول : وماذا أمليت عليهم فى دستورهم ذاك يا ابليس .. ؟ حسنا .. ساجيبك على هذا السؤال الافتراضى الذى يدور فى خلدك .. لقد رسمت لهم من بعد موسى خط السير ليكونوا زعماء الفساد بشتى أنواعه ، أعنى الفساد الاجتماعى والاقتصادى والفساد السياسى والثقافى وما الى ذلك فى كل زمان وفى كل مكان يحلون فيه ، حتى ما يمكن أن تسميه بالفساد العقائدى ، إننى أنا الذى أمليت عليهم تلك الخرافات التى دسوها فى دينكم ليشغلوا العامة منكم بكل ما هو تافه وليصرفوهم عن كل ما هو جوهرى ونافع ، وإنك لتعلم أن عدد سكان عالمكم الأرضى الآن ثلاثة آلاف ومائتا مليون واليهود منهم نسبة ضئيلة مشتتة فى البقاع المختلفة ، إنهم ثلاثة عشر مليونا

فحسب ، ان عددهم قليل ولكن فسادهم هائل ومريع ، ولذلك فهم يعتمدون على التسلل من وراء الأبواب التي نام عنها أصحابها ، أنهم أساتذة علم النفس في اكثر جامعات الغرب ، ليدسوا من خلال هذا العلم بعض ما جاء في « بروتوكول حكماء صهيون » ، إنهم على سبيل المثال يمجدون فرويد اليهودي لأن نظريته تمجد الغريزة الجنسية ويجعلها أساسا لكل شيء وهم يريدون أن يغرقوا الآخرين جميعا في شئون الجنس ، أي يهبطوا بهم الى مستوى الدواب ، أعني الى أسفل سافلين ، ولقد احتضنوا الفيلسوف الالماني نيتشة لانه يرى الرحمة بالآخرين عيبا يجب الخلاص منه لقد سيطروا على عقولكم بفسادهم الثقافي انظر الى اكثر ما تقدمه دور السينما مما يكتب عليه للكبار فقط ، إنه من صنعهم وانت تعرف ماذا يقصد بهذا التخصيص .. انني لا أحبهم .. ولكنني فخور بهم .. وأبارك ثمار أعمالهم .. لقد كان هتلر يسوقهم الى المحارق ، ويرى أنهم وباء مستمر ، وانه لا خلاق لهم مع أصدقائهم أنهم هم الذين سيهبطون بامريكا الى الحضيض وان ما يسمى بأزمة هبوط الدولار المجيد هو بطريق غير مباشر من الخضوع الامريكي لتدبيرهم انني أضرب هؤلاء بهؤلاء وفي النهاية وقد تكون قريبا سيلعن بعضهم بعضا وساقف من الطرفين ضاحكا شامتا .

قلت : اصدقني الجواب .. لماذا تكشف لي بعض أسرارك على هذه الصورة !؟ الا تخشى نشرها على الآخرين .. ؟ الا تخشى ان يعرفوك على حقيقتك .. ؟ فقال ضاحكا ساخرا : نعم .. صدقت فيما تذهب إليه .. انك تستطيع ان تنشر هذا عني .. ولكنني اعلم من تجاربي انك سوف تنساه .. وسوف ينساه الآخرون .. ان مثل هذا كله كمثل الدخان في الهواء .

.. هل تذكر ما يقال عن صاحبي جحا .. ؟ ، انه يقال أنه كانت له ساقية تدور وتدور ، وتئن وهي تحمل الماء من البحر ثم تعود لتصبه في البحر من جديد ان التقوى من عمل الارادة وليست من مجرد ترديد الكلام .

ثم اردف اللئيم وهو يتهيا ليذوب في ظلام الليل ، انما ابغي من وراء اخباركم بهذا ان تعلموا ليكون العذاب أشد وأنكي ، إن ذلك القول وفي الأعم الأغلب لن يتحول الى عمل .. وإنك لتعلم أنه قد يغفر للجاهل أربعين مرة قبل ان يغفر لمن يعلم مرة واحدة .. من اجل هذا كشفت لك عن بعض أسراري حتى ازداد تشفيا منكم يوم لا ينفع الندم هناك — انني اعلم أن هناك صراعا ابديا بيني وبينكم ولكنه قلما يجدي — لأنه صراع يدور في الظلام ..



بأقلام القراء

للأستاذ : حسين مطر

حواء وقضية الرداء

كثيرا ما أثارت قضية مظهر المراة تساؤلات ومناقشات فهناك تبرجها الصارخ ، وهناك الذى يقف موقف المتفرج أو المشجع ، واذا أردنا ان نحصر مواقف الناس حيال هذه المسألة نجدها تتلخص فى ثلاثة اتجاهات رئيسية :

الاتجاه الأول :

هناك من يعرض عن الأخذ بالأزياء الغربية باعتبار أنها تتعارض مع القيم والتراث الاجتماعى والثقافى لشرقنا العربى والاسلامى ، وهذه الفئة تتمسك بمظهر يتفق وضرورة المحافظة على تلك القيم التاريخية والثقافية باعتبار أنها جزء من الكرامة الذاتية القومية ، وهم فى سبيل ذلك لا يأبهون بسخرية الآخرين بل يمضون فى طريقهم بفخر وتصميم واعتزاز ، لكن هذه الفئة تشكل نسبة قليلة فى المجتمع .

الاتجاه الثانى :

ويعتبر الأخذ بأنماط الأزياء نوعا من الرقى والأخذ بأحدث أساليب العصر ، والنساء من هذا الفريق يتسابقن لمعرفة أحدث خطوط الموضة فى عالم الأزياء غير مكترثات بقيم المجتمع وتراثه التاريخى والثقافى .

الاتجاه الثالث :

ويشكل الغالبية العظمى فنرى أن النساء يأخذن بمظهر الأزياء الغربية كنوع من مسايرة ما درج عليه المجتمع الحديث من تغيير ، وان كان بعضهم يساير الاتجاه على مضض خوفا من الخروج على الاتجاه السائد لكيلا يوصموا فى نظر الغالبية وبالتخلف والجمود .

وهنا يقفز الى الذهن سؤال : ترى من هو المسئول عن مواجهة مثل هذه الظاهرة وما تسببه من صراع ؟

هل المسئول هو الدولة المهيمنة بتشريعاتها وقوانينها على أفراد المجتمع ؟

— أم الفرد الذى يتمتع بنوع من الحرية وضبط النفس ؟

— أم المجتمع الذى يفرض على الفرد أنماطا معينة من المعايير السلوكية بحيث لا يستطيع ان يحيد عنها بسهولة ، والا كان عقابه الاحتقار المر والعزلة القاتلة ؟

واذا وضعنا فى اعتبارنا المناقشات التى دارت حول هذا الموضوع فى بعض الأقطار العربية والاسلامية نستطيع أن نستخلص النقاط الآتية :

١ ــ المجتمــع أقــوى من الفرد :

فالفرد يخاف من المجتمع ، ويحرص على إرضائه ومسايرته حتى ولو كان فى قرارة نفسه غير مقتنع أو راض عما يقوم به شخصيا ، فهو يخشى أن يقذف بالاحتقار والعزلة اذا ما خالف الخط العام الذى ينتهجه المجتمع ، فبعض الفتيات رغم ادراكها بأن ارتداء الزى الافرنجي يحرمه الدين الا أنها تصر على التمسك به لارضاء المجتمع ، إذ أن خوفها من المجتمع أقوى من خوفها من تعاليم الدين فهى على استعداد للتضحية بقيم الدين وغير مستعدة للتضحية بارضاء المجتمع .

وان محاولة الخروج على الخط العام الذى ينتهجه المجتمع اشبه بعملية مصارعة الثيران وليس بمقدور الفرد العادى أن يقوم بمهمة مصارع الثيران .

٢ ــ دور الفرد ونفوذه غالبا ما يكون محدودا داخل نطاق الأسرة فمهما كانت سلطة الوالدين ونفوذهما فان تأثير المجتمع أقوى بكثير من نفوذ الأسرة خاصة اذا كان المجتمع يمر بمرحلة تحول من التخلف الى التقدم ، كما هو الحال فى المجتمع العربى فى الظروف الراهنة .

٣ ــ الدولة هى اداة لتنفيذ القانون . والقانون غايته حفظ النظام بين افراد المجتمع بغض النظر عن أية اعتبارات أخلاقية ، إذن ليس من اهــداف القانون تغيير المجتمع ، بل إن المجتمع هو الــذى يغير القانون تبعا لاحتياجاته وتطلعاته ، ولكن هل معنى ذلك أن نعفى الدولة من أية مسئولية فى عمليــة إصلاح المجتمع ؟

بالطبع إن الدولة بوصفها الجهاز الرسمى وحامية للقانون يمكن أن تساهم بدور فعال فى تشجيع عملية الاصلاح والتمهيد لها ، وذلك يتوقف على اسلوب النظام الحاكم وسياسته العامة ، اذن كل ما تستطيع أن تفعله الدولة هو تهيئة الجو الملائم تمهيدا لعملية الاصلاح ، ولكن الدور الرئيسى فى هذه العملية يبقى فى يد المجتمع نفسه ، أما اذا اقحمت الدولة نفسها بقوة القانون لتغيير قيم معينة فى المجتمع فان ذلك قد تكون له نتائج ايجابية فى حالات مؤقتة ملحة أو تحقيق نتائج على المدى القصير ، بينما على المدى الطويل يثبت هذا الاقحام فشله ، وخير مثل نستشهد به هو اصــدار الرئيس الامريكى ابراهام لنكولن قرار تحرير العبيد منذ مائة وخمسين سنة ، ولكن ما الذى يحدث اليوم فى الولايات المتحدة ؟ إن التفرقة العنصرية لا تزال قائمة لأن عملية الاصلاح اقحمت على المجتمع مــن سلطة فوقية ، ولم تتم عن طريق الاقتناع الحر ، نستنتج من ذلك ان عمليــة تغيير المجتمع تقوم على الاقتناع الحر الذى يستغرق وقتا وجهدا طويلا قبل أن تقوم على قوة السلطة ، فما تراكم على مر عشرات أو مئات السنين لا يمكن تغييره بين يوم وليلة من خلال قانون رسمى تصدره الدولة .

وهنا لا بد أن نجيب على السؤال التالى : ما الذى يؤثر فى المجتمع ، ويشكل القيم التى تحكم سلوك افراده ونظرتهم الى الحياة والتى على اساسها تبنى الدولة قوانينها وتشريعاتها ؟ .

فى الواقع توجد هناك عوامل تاريخية وثقافية تسهم جميعا فى بلورة قيم معينة لا تلبث أن تصبح بمرور الوقت اشياء تقليدية راسخة تحكم السلوك ، وتتحكم فى نظرة الفرد تجاه الظواهر الاجتماعية على اختلافها هذا بالاضافة الى أن نوعية رجال الثقافة والفكر تلعب الدور الأكبر فى تشكيل الرأى العام وتوجيهه وارساء قواعد القيم التى يؤمنون بها ، فالمجتمع يتحكم فيه بصورة اساسية قادة الفكر من

المثقفين والكتاب والصحفيين وبقية رجال الثقافة والفكر خاصة المشتغلين بوسائل الاعلام مثل السينما والاذاعة والمسرح والتلفزيون ، وهؤلاء جميعا يقع عليهم العبء الأكبر فى حمل رسالة التغيير والمتطلع الى الحياة الأفضل استجابة لرغبة قطاعات الجماهير ، وتفاعلا مع أهدافها وخلفيتها التاريخية والثقافية ، لهذا نرى ان الرسول صلى الله عليه وسلم يشير الى أهمية هذه الفئة من المجتمع بقوله : (العلماء ورثة الأنبياء) وتبرز أهمية الدولة فى هذا المجال بأنها تقوم بمهمة الحارس الأمين عن طريق اجهزة الرقابة على الاتجاهات السلبية والهدامة ، وتشجيع العناصر الناهضة البناءة ، واحاطتها بالرعاية ، وذلك كله تمهيدا لعملية التغيير الكبير التى تنشأ وتتبلور فى القاعدة الشعبية ، ويكون القانون أخيرا تتويجا لرغبة الجمهور وتطلعه الى حياة سامية بعد أن وضحت أمامه معالم الطريق .

واذا نظرنا فى مسألة الأزياء فى مجتمعنا العربى والاسلامى نجد انها أساسا تشكل جزءا من مشكلة كبرى وهى مسألة التخلف الثقافى الذى ما زلنا نعيش فيه ، فبالنظر الى خلفية المجتمع العربى خاصة إبان الحكم العثمانى الذى أطلق عليه فى الغرب « الرجل المريض » نجد أن الرجل لم يكن مريضا سياسيا وحربيا فحسب بل ثقافيا واداريا أيضا .. ومن هنا بدأت الثقافة الفرنسية تتغلغل فى ممالك الدولة العثمانية ممثلة أساسا فى تلك القوانين التى ما زالت تحكم حياتنا الاجتماعية حتى يومنا هذا ، ثم أخذت تنافس الثقافة الفرنسية أو تحل محلها بالتدريج الثقافة الانجليزية — الامريكية ممثلة فى الأزياء والأفلام السينمائية والسلع الكمالية ..

واذا نظرنا للاستقلال الحقيقى الذى تحرزه اى امة نجده يتمثل فى الاستقلال السياسى والاستقلال الاقتصادى والاستقلال الثقافى ، واذا لم يتبع الاستقلال السياسى باستقلال اقتصادى وثقافى فانه بمرور الوقت الى استقلال شكلى محض خال من أية معنى ، وأن الشرق العربى حتى الآن لم يكد يستكمل استقلاله السياسى ، فالانسان العربى لا يزال انسانا مستهلكا أكثر منه انسانا منتجا هذا بالاضافة الى أن هناك تبعية صارخة للفكر الغربى ، نجد آثار هذه التبعية تتمثل فى الاعتقاد السائد وهو أن الغرب متقدم فى كل شىء ، وإننا متخلفون فى كل شىء ، وترتب على ذلك أن أخذنا عن الغرب الغث والسمين ، ولم يقتصر ذلك على النواحى المادية من تقليد المظاهر وما يتصل بها بل امتد ذلك الى النواحى الثقافية والفكرية حيث نجد أن طائفة كبيرة من المثقفين والكتاب والصحفيين وبعض أساتذة الجامعات قد صبغوا أنفسهم بالصبغة الغربية ، وهذه الطائفة بالتضافر الطبيعى مع غيرها من أوجه النشاط الثقافى والاجتماعى السائد فى الظرف الراهن اصبحت تشكل مركز القوة فى قيادة الرأى العام وتشكيله طبقا لاتجاهاتها ومشاريها ، ماذا كان نتيجة ذلك كله ؟ لقد أصبح هناك جيل يتباهى ويفتخر بانتمائه للثقافة الغربية ومحاكاتها ، ويهمل تراثه الثقافى المحلى بل وينظر اليه بعين الازدراء والاحتقار فى اغلب الأحيان .

ولقد لعبت الدعاية الواسعة المكثفة التى نشرها الغرب من حول ثقافته مستخدما فى ذلك شتى الطرق من افلام سينمائية وسلع كمالية ومراكز الاستعلامات والمعاهد الثقافية — دورا فعالا فى نشر ثقافته واسلوب حياته واضفاء طابع العالمية عليها وكأن الغرب أصبح هو العالم كله !

وفى عالم الأزياء نجد أن بيوت الأزياء « الراقية » التى تدعمها المجلات المتخصصة فى هذا الشأن تقوم بدور فعال فى الدعاية لما تفرزه بيوت الأزياء

ومصمموها فى باريس وروما ولندن ونيويورك . واذا امعنا النظر فى أسلوب تصميم تلك التقاليع وتطورها من فترة لأخرى نجد انها تتبع أسلوبا فى تعرية جسد المرأة شيئا فشيئا ، وان دل ذلك على شىء فإنما يدل على اسلوب الحضارة الغربية الذى يقوم أساسا على عبادة الجسد والخلود إلى القيم الأرضية ، ولذلك اسباب حضارية يطول شرحها ..

واذا كان مصممو الأزياء فى بعض الأحيان قد ابتكروا تقاليع تبدو محافظة مثل « الميدى » و « الماكسى » والبنطلونات العريضة ، فان ذلك لا يمثل تغييرا جوهريا فى اسلوبهم ، بل إنه فى الواقع يمثل انعطافا مؤقتا يهدف الى تغيير امزجتهم التى اصيبت بنوع من الحساسية من جراء الاستشارة التى أحدثتها تقليعة « المينى جيب » ولهذا نجدهم بعد فترة وجيزة يعاودون الكرة ، ويطلعون على العالم بما أسموه « الشورت الساخن » إمعانا فى الإثارة الجنسية الصارخة !!

وانه لمن المضحك والمؤسف فى الوقت نفسه ان حواء تقف من كل ذلك مسرورة متلهفة على كل ما يصدره « مبدعو الموضة » واذا بها تغدو دمية فى أيديهم يعبثون بها كيفما شاءوا ، فلو فرضنا على سبيل المثال ان فتاة تجرأت ولبست رداء يشبه (الماكسى) أو (الميدى) قبل أن يصرح (سلوك الموضة) بتداوله لوصمها الجميع بالتخلف والرجعية والجمود .. الى آخر ذلك من قائمة الاتهامات التقليدية .. ولكن عندما صدر الإذن من (أصحاب الجلالة) الى حواء اذا بها لا تجد غضاضة فى ارتداء (الماكسى) بل اقبلت عليه بنفس الحماس الذى أقبلت فيه على ارتداء (المينى جيب) من قبل ، رغم ما بينهما من فرق شاسع !

واذا كان البعض يرى ان ارتداء الملابس الافرنجية للمرأة يضفى عليها نوعا من تذوق الجمال والأناقة ، وان ابراز مفاتنها يغذى الجمال فاننا نقول لهم : حسنا . إن ذلك سوف يكون رائعا لو كان الانسان ملاكا أى روحا فقط ، ولكن الانسان مكون من روح وجسد معا ، وليس مجرد روح فحسب . اى ان جمال المرأة ، واظهار مفاتنها يرتبط عادة باستثارة جنسية لا يمكن انكارها ، ثم ما يترتب على ذلك من اعتبارات أخلاقية وانسانية .

هذا وأن مظهر الانسان كما يقول علماء النفس هو جزء من شخصيته ، فمظهر حواء وتبرجها الصارخ بعرض مفاتنها إنما يؤثر أبلغ التأثير فى التكوين الداخلى لشخصيتها ، فينعكس ذلك . على سلوكها ونظرتها الى الحياة ، فالرداء المحتشم يكسبها هيبة ورزانة ووقارا ، ويضفى عليها جمالا روحيا أساسه البساطة وعدم التكلف ، أما الرداء الفاضح المثير فانه يجعلها تفقد كثيرا من خصائص أنوثتها خاصة حياءها ، ثم ما يترتب على ذلك كله من الأضرار التى تلحق بالانسان بصفة عامة من انحطاط فى النتاج الفكرى والوجدانى ، وتجعل الحياة الانسانية تهوى الى الحضيض .

واذا تأملنا الطبيعة من حولنا نجد ان للأشجار أوراقا تكسوها وللطيور ريشها وللحيوانات أشعارها وأوبارها ، ولكن ما بال الانسان ؟ إن للانسان عقلا استطاع به أن يصنع ما يستر جسده ويضفى عليه مظهرا لائقا ، فاذا تصورنا الأشجار بدون أوراقها تكسوها والطيور بدون ريشها والحيوانات بدون أشعارها وأوبارها أمكن لنا أن نتصور الانسان بدون رداء لائق يستره ، وصدق الله العظيم اذ يقول فى محكم آياته :

« يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » ــ سورة الاعراف الآية ٢٦ ــ .

الفتاوى

حرمة بيع الأراضى العربية لليهود

السؤال :

رجل مسلم يملك قطعة أرض فضـــاء داخل البلدة التى يقطنها ، طمع يهودى فى شرائها ليقيم عليها دارا للسينما تدر عليه ربحا وفيرا ، فهل يجوز له بيعها .. ؟

رفع هذا السؤال الى فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى جمهورية مصر العربية الأسبق وقد أجاب عليه بما يلى :

الاجابة :

ان السياسة اليهودية — فى انحاء العالم بلا مراء — تقوم على انتزاع البلاد العربية من أهلها واجلائهم عنها بطريق التملك الفردى ، فيتقدم اليهودى الى العربى لشراء عقاره بثمن يغريه ، فيقع فى الشرك ويتم الصفقة ، ثم يتقدم يهودى آخر الى مالك آخر عربى بمثل ذلك ، حتى إذا أحاطوا بالقرية ، ورسـخت أقدامهم فيها ، وكثر عديدهم بها ، ارغموا الباقين من العرب على الهجرة منها بشتى الوسائل الوحشية ..

وهكذا ينتقلون من قرية الى أخرى حتى تسلم البلاد لهم فيمسى أهلها العرب ، وقد جردوا من أملاكهم وحرموا من أقواتهم ، واجلوا عن أوطانهم ، وشردوا فى الآفاق عشرات الآلاف شر مشرد يعانون الجوع والعرى والفاقة ، ويشربون كأس الذل دهاقا .

فعل اليهود ذلك فى فلسطين ، ويرومون تنفيذ هذه السياسة فى غيرها من البلاد العربية الاسلامية ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فى ضعة ومذلة ، وسكون ومسكنة حتى اذا تم لهم الأمر ، ولو بعد سنين لبسوا جلود النمور ، وكشروا عن أنياب الشر والانتقام ، وأحالوها فلسطين أخرى .

وقد أعدوا العدة لذلك ، ونحن أغفال نيام ننخدع بمسـكنتهم ، ونغتر بظواهر أحوالهم ، ونظن أنهم قلة لا يقدرون على كيد ، والله يعلم والتاريخ يشهد أن يهود العالم عصبة واحدة يشد بعضهم أزر بعض ، وينفذون كل ما ترسمه قياداتهم العامة فى الوطن الذى يعيشون فيه ، ويقتاتون منه ، مهما أضر ذلك بأهل الوطن تلك هى نتيجة بيع الأراضى العربية لليهود .

والآن وقد وضحت هذه السياسة الخبيثة والخطط الماكرة باجلى برهان يجب أن يكف المسلم عن بيع ملكه لليهودى مهما أغراه الثمن ، وإلا كان بهذا البيع معينا لألد عدو على ضياع بلاد الاسلام وتمكين ابغض عباد الله الى الله من التحكم فى ديار المسلمين ورقابهم وأموالهم وأعراضهم بابشع صور وادنئها ،

ان كل ربح ينـــــاله اليهودى فى بلادنا قوة له وعدة ، واذا كان على كل يهودى فى العالم قسط من المال يؤديه لاسرائيل لاعزازها وتمكينها من القضاء على العروبة والاسلام لا فى فلسطين وحدها ، بل فيها وفى ســـائر الأقطار الاســـــلامية ، وجب الا يمكن من ربح يربحه ببيع او شراء وإلا كان ذلك وبالا ومضرة بالمسلمين .

اليهودى يحرم على نفسه ان يسدى النصح لمسلم بما ينفعه فى دنياه ، وأن يدع مسلما ينعم بخير دون أن ينغص عيشه ، ويمتص دمه ، ويســتنزف ماله ، ومن اجل ذلك اشاعوا الربا بين المســلمين ، وقد حرصوا عليه ، وقد نهوا عنه كما أخبر الله تعـــالى بقوله : « واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم أموال الناس بالباطل » .وقوله تعالى : « اكالون للسحت » .

واليهودى يحرم على نفسه أن يبيع عربيا أو مســـلما شبرا من أرض فلسطين مهما بذل من ثمن فما بالنا قد عميت ابصارنا عن هذه الحقـــائق ، وصمت آذاننا عن سماع الأنباء الصادقة عن هذه الخطط الشنيعة الماكرة فى ديارنا ، وافسحنا لهم مكان الصدارة فى اقتصادياتنا ، وتركناهم يتحكمون فى تجاراتنا واسواقنا ، وهم الد اعدائنا،كما قال تعالى : « لتجدن اشد النـــاس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

لا تبيعوا لهم ايها المسلمون شـــيئا من أملاككم مهما بذلوا من ثمن ، واحذروهم فى دياركم فانهم أول الناس حربا عليكم وخيانة لكم ، واعلموا ان البيع لهم معصية لله لما فيه من التقوية والتمكين لهم فى الأرض ، وذلك يسبب خطرا عظيما لجماعة المســـلمين ، وقد حرم بعض الأئمة كل بيع أعان على معصية ، وكذلك حرم بيع عصير العنب ممن يعلم انه يتخذه خمرا ، فعن ابى هريرة عند أبى داود وعن ابن عباس عند ابن حبان وعن ابن مســـعود عند الحاكم وعن بريدة عند الطبرانى فى الأوسط من طريق محمد بن احمد بن ابى خيثمة بلفظ « من حبس العنب أيام القطف حتى يبيعه من يهودى أو نصرانى ، أو من يتخذه خمرا فقد تقحم النار على بصيرة » حسنه الحافظ فى بلوغ المرام واستدل به فى المنتقى على تحريم كل بيع أعان على معصية ا هـ . من نيل الأوطار للشوكانى .

ومن هذا يعلم السائل وغيره انه لا يجوز بيع ارضه لليهودى لانه مظنة الاضرار بجماعة المسلمين عامة ، وقد علمت أن اليهود عصبة واحدة ، وأنهم جميعا صهيونيون يدينون لاسرائيل ، وبالكيد للعرب والمسلمين بشتى الوسائل فى أقل الأشياء وأحقرها فضلا عن اكثرها واعظمها .

التعويض ميراث

السؤال :

يعمل زوجى كهربائيا فى احدى الشركات ، وقد صعقه التيار اثناء قيامه بعمله ، ودفعت الشركة لنا تعويضـــا ، فهل يقسم التعويض بين الورثة ، أو تختص به الزوجة علما باننى لم أنجب منه .. ؟

الاجابة :

مبلغ التعويض حكمه حكم الدية ، فيقسم قسمة الميراث بين سائر الورثة .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

جمع القرآن الكريم ودوافعه

☐ **جمع القرآن فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عهد الخليفتين أبى بكر الصديق وعثمان بن عفان .**

١١٢

فما الفرق بين مرات الجمع فى العصور الثلاثة وما هى الدوافع ..؟

مصطفى الموسوى ــ بغداد

*** ***

كان القرآن قد حظى فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاهتمام الكبير ، فبجانب حرص الرسول على جمعه فى القلوب والصدور جريا على ما الفه العرب إذ كانوا يعتمدون فى تسجيل احداثهم واشعارهم على صدورهم عنى الرسول بكتابته ، ولكن بمقدار ما سمحت به وسائل الكتابة ، ولقد اتخذ الرسول كتابا للوحى يدونون كل شىء ينزل من القرآن الكريم ، وكان كتاب الوحى من خيرة الصحابة رضوان الله عليهم ، ويكتبون على العسف ، واللخاف ، والرقاع ، والعظام ، ثم يوضع المكتوب فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكنه ظل منثورا طوال العهد النبوى الشريف .

ثم آلت الخلافة الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد واجه الخليفة الأول عدة مشاكل فى بداية توليه ، منها موقعة اليمامة إذ دارت فيها الحرب بين المسلمين وأهل الردة من اتباع مسيلمة الكذاب ، واستشهد فيها عدد كبير من حفظة القرآن ، فعز ذلك على المسلمين ، ودخل عمر على الخليفة ، واقترح عليه أن يجمع القرآن خشية الضياع بموت الحفاظ والقراء ، وبعد تردد قبل الخليفة الفكرة ، وشرح الله صدره لها ، واختار رجلا من خيرة الصحابة هو زيد بن ثابت رضى الله عنه فلم يكتف بما حفظ فى قلبه ، بل جعل يتتبع ما كتب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان محفوظا فى صدور الرجال .

وتم الجمع فى صحف لاقت ما تستحقه من عناية فائقة ، وحفظها أبو بكر عنده ، ثم حفظها عمر ، ثم حفظتها أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعـد وفاة عمر حتى طلبها سيدنا عثمان .

وقد كان الغرض من الجمع فى عهد أبى بكر نقل القرآن وكتابته فى صحف مرتبة الآيات خشية ذهاب شيء منه بموت حملته وحفاظه .

وفى عصر سيدنا عثمان تفرق الصحابة من الحفظة فى الأمصار وساحوا فى الاقطار ، وظهرت أجيال هى فى أمس الحاجة الى دراسة القرآن ، وخصوصا أنه قد طال عهد الناس بالرسول وزمن نزول القرآن ، وبدأ كل إقليم يقرأ بقراءة الصحابى الذى بينهم ، فقرأ أهل الشام بقراءة أبى بن كعب ، وأهل الكوفة بقراءة عبد الله بن مسعود ، وآخرون قرأوا لأبى موسى الأشعرى ، وقد كان بينهم اختلاف فى حروف الأداء ووجوه القراءة ، وتبعا لهذا فتح باب الشقاق والنزاع حول طريقة قراءة القرآن ، لعدم وجود الرسول بينهم يرجعون اليه ، ويصدرون جميعا عن رأيه ، وكادت تكون فتنة لا تقف عند حد .

أخرج ابن أبى داود فى المصاحف من طريق أبى قلابة أنه قال : لما كانت خلافة عثمان بن عفان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك الى المعلمين حتى كفر بعضهم بعضـا ، فبلغ ذلك عثمان ، فخطب فقال : « أنتم عندى تختلفون فمن نأى عنى من الأمصار أشد اختلافا » .

لهذه الأسباب رأى سيدنا عثمان بثاقب فكره أن يتدارك الأمر ، فجمع الصحابة وذوى الرأى منهم ، فأجمعوا أمرهم على كتابة المصحف ، وحرق ما عداه ، ووزع على الأمصار ، وكانت الكتابة عبارة عن نقل ما فى الصحف المجمع على صحتها الى مصحف واحـد ، والغرض قطع الطريق على الفتنة قبل أن يشتد أمرها ، والمحافظة على كتاب الله من التغيير والتبديل .

تعظيم المسلمين للحجر الأسود

☐ لماذا يعظم المسلمون الحجر الأسود دون غيره من الحجارة ..؟

محمد حسن معارك ـ اربد ـ الاردن

رويت عن الحجر الأسود روايات متعددة فى سبب تعظيم واهتمام المسلمين به على مر العصور ، ولقد حظى الحجر الأسود بهذه المكانة فى نفوس الناس لاهتمام الرسول به ، فقد حرص على تقبيله واستلامه عند الطواف ، وظلت هذه ملازمة للحاج إذ يبدأ الطواف منه ، ويكبر عندما يحازيه ، واهتمام الناس به حتى قبل الاسلام كان كبيرا ، فقد روى أن قريشا هدمت الكعبة ، وأعادت بناءها ، واختلفوا فيمن يرفع الحجر الأسود الى مكانه من البناء الجديد ، وقد هداهم

تفكيرهم الى ترك الفصل فى هذا الأمر لأول قادم عليهم ، وكان سيدنا محمد أول قادم وذلك قبل البعثة .

ثم جاء الاسلام فأعطى له هذه المكانة التى تحدثت عنها الروايات ، ومنها ما روى عن سيدنا عمر رضى الله عنه : ((**حدثنا سعيد بن أبى مريم ــ قال أخبرنا محمد بن جعفر قال أخبرنى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للركن أما والله إنى لأعلم أنك حجــر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك**)) .

وعن ابن عمر قال : ((**استقبل النبى صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا**)) وعن الزبير بن عربى قال : ((**سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن استلام الحجر فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله ، قال قلت أرأيت إن زحمت أرأيت ان غلبت قال اجعل أرأيت باليمن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله**)) .

وعليه فقد وضح ما للحجر الأسود من اثر عظيم فى نفوس المسلمين ..

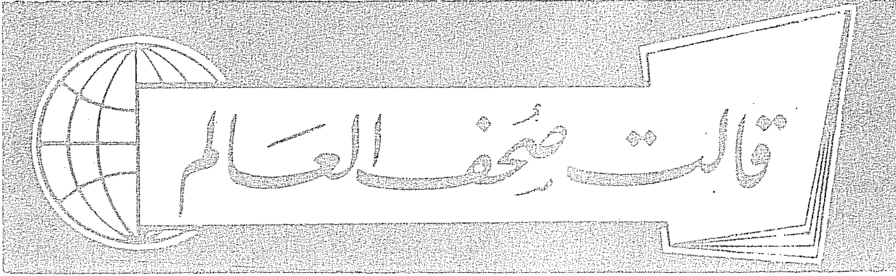
جزر البحر الأحمر

☐ **كم جزيرة فى البحر الأحمر ، وما اهمية هذه الجزر من الناحية العسكرية ؟**

ابو الوليد الحساوى ــ الاحساء

يطل على البحر الأحمر ست دول عربيـــة هى اليمن الجنوبيـــة ، اليمـــن الشمالية والسودان والســعودية والأردن ومصر ، وينتشر على صفحة البحر الأحمر حوالى ثمانين جزيرة بعضها تابع للصـــومال ، وبعضها تابع لأثيوبيا ، وبعضها يتبع السعودية واليمن الجنوبية والشمالية ، وأهم هذه الجزر (بريم) اليمنية وموقعها استراتيجى هام ، فهى تقع فى وسط باب المندب ويمكن بواسطتها التحكم فى الدخول والخروج الى البحر الأحمر .

وتتجه الأطماع الصهيونية الى الاستيلاء على عدد من هذه الجزر ، وواجب الدول العربيـــة أن تتنبه لهذا الخطر بالسيطرة الفعلية العسكرية عليها قبل أن يسبق العدو الى احتلالها .



الاسلام بنفسه لا بأتباعـــــه

ان ضعف المســـلمين وهوانهم ، وذلهم وخذلانهم ، يعود الى انحرافهم عن الدين لا الى تمسكهم به ، وما أصابهم من هزيمة نتيجة لهذا دليل على صدقه ، وتاييد لكتابه ، فطالمــا حذرهم عاقبة تفريطهم ، وأنذرهم مغبة معاصيهم ، لكنهم لم يصغوا اليه ، ولم يستمعوا له . فاستأهلوا غضب الله وعقابه ، واستحقوا مقته وعذابه ، والكفار قد يسلطهم الله على المؤمنين تاديبا لهم ، لانهم احق بان يذعنوا له ، ولا عذر لهم اذا عصوا ربهم ، وخالفوا كتــــابهم بعد أن علموا منه أن المعاصى تجر الى أوخم العواقب .

ويعجبنى هنا قول عمر فى نصيحة ساقها الى سعد ابن أبى وقاص « أما بعد فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعـــاصى من عدوكم فان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم .

وانما ينصر المســـلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة والا ننصر بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاســـتحيوا منهم ولا تكونوا عصاة الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا أن عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل — لما علموا بمســـاخط الله — كفار المجوس « فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » . واسالوا الله العون على أنفسكم كما تســـالونه النصر على عدوكم .

ويعجبنى قول الهرمزان لعمر مبينا سر انتصار الفرس على العرب فى الجاهلية ، وسر انتصار العرب على الفرس فى الاسلام — انا كنا واياكم فى الجاهلية — كان الله قد خلى بيننـــا وبينكم فغلبناكم ، فلما كان معكم — فى الاسلام غلبتمونا .

والقرآن سبق الى تقرير هذه الحقيقة حيث يقول — « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » .

« ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » .

والاحاديث النبوية تؤكد هذا المعنى أيضا ، قال صلى الله عليه وسلم : « توشك الأمم ان تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها » فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا ولكنكم غثاء السـيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهـــابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قيل : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت . (أخرجه أبو داود عن ثوبان) .

وفى الموطا عن مالك أنه بلغه أن أم سلمة رضى الله عنها قالت : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، اذا كثر الخبث .

وفى سنن الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى

بيده لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقـــابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم .

هذه الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية تشهد بان المعاصى شؤم على أصحابها وعلى من يرضى بها وتشعر بانها تحرم المؤمنين من عون الله فيدعهم وأنفسهم ويســـلط عليهم عدوهم حتى يضطر الى اللجوء اليه ، ويحملهم على الاستعانة به .

ويدفعهم الى الوقوف ببابه وتنفيذ وصايا كتابه ، ومن لطف الله أن يسوق اليهم من يؤدبهم لئلا يستمروا فى غفلتهم ، وليحملهم بعد أن يلمسوا اثر معاصيهم على أن ينفروا منها ، ويبتعدوا عنها ، ويقبلوا على تعاليمهم ، ويستمسكوا بمبادىء دينهم حقا أن كثيرا من المسلمين قد أساءوا الى الدين ، وشوهوا صورته ، فغطت مساوئهم على محاسن الاسلام ، وحجبت عيوبهم مزاياه وفضائله . وظن الجاهلون بحقيقته أن ما عليه المسلمون من فساد وفوضى واضطراب هو بسبب ضعف المسلمين ، وسر نكستهم والحائل دون نهضتهم ، ومن أجل ذلك قال جمال الدين الافغانى :

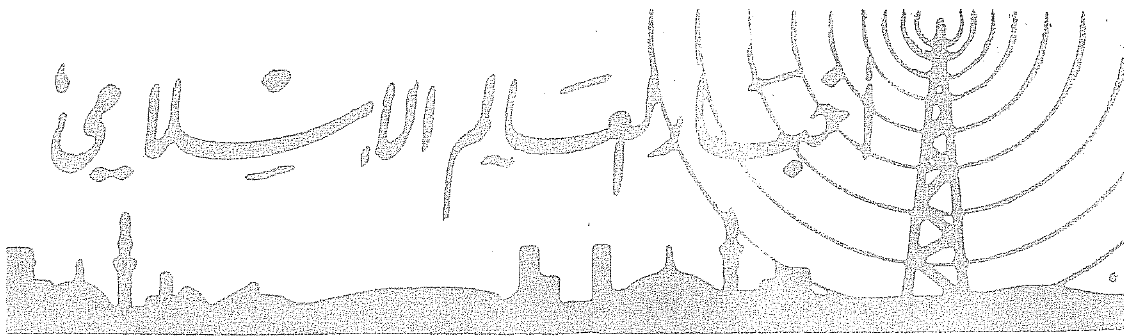
« اذا أردنا أن ندعو أحرار أوروبا الى ديننا وجب علينا أن نقنعهم أولا باننا لسنا مسلمين فانهم ينظرون الينا من خلال القرآن الكريم — ورفع كفيه وفرج بين أصابعهما فيرون وراءه أقواما فشا فيهم الجهل والتخاذل والتواكل .. فيقولون — لو كان هذا الكتاب حقا مصـــلحا ما كان اتباعه كما نرى » .

عن مجلة التضامن الاسلامى المصورة

مشـــكلتنا الحضـــارية

ان الرجل الذى يعيش فى بلد متخلف لا يدرك بسبب عقدة تخلفه أن المسافة التى بينه وبين من يعيش فى بلد متقدم يمكن أن تقاس بالافكار اى انه يعتقد أن تخلفه متمثل فى نقص ما لديه من بنوك ومدافع وعمارات . وبعبارة أخرى يرجع سبب التخلف الى نقص الاشـــياء لا الافكار ولهذا يحاول تعويض هذا النقص بأى وسيلة ومن أى طريق فتكون تلك المظاهر الساذجة لمســـاعيه واهتماماته ، وتلك الصور المظلمة لأفكاره وتصوراته .. فالتكديس كما يكون فى الاشياء يكون فى الافكار ولعله هنا أخطر وأدعى للأسف لأن تأثيره فى المجتمع أعمق وانتشاره بين المتعلمين أوسع ، وكما نجد من مظاهره ونتائجه هناك تلك العقلية التى تريد أن تستورده حتى برودةً الطقس نجد من مظاهره ونتائجه هنا عقلية تقلد الآخرين حتى فى اسدال الشعور والمبيت فى العراء وبين هذه وتلك تختلف النماذج وتتعدد الصور باختلاف التربية والثقافة والمحيط الاجتماعى .. فمن قائل إن الحضارة تكمن فى اختلاط الجنسين وكفى .. وآخر يظنها كلمات أجنبية يرطن بها كالأعجمى بمناسبة وبغير مناسبة وشعارات وهتافات يرددها أو يطلقها فى هماس أحمق يدعو الى الضحك والبكاء معا .. الى ثالث يرى أن السبيل الوحيد للنهضة هو تحرير المرأة من أنوثتها وثيابها وتحرير الرجل من رجولته وأخلاقه ، الى رابع يقاتل على مخلفات القرن الثامن والتاسع عشر من سقيم النظريات وشطحات الفكر زاعما أنه تقدمى يهاجم الماضى وآثاره فى انفعال مجنون ينسى معه أن أفكاره هو بل ألفاظه نفسها متخلفة نصف قرن على الاقل الى خامس لا يرى من النهضة غير مظاهر الانحراف فى بعض المجتمعات وبدل أن يدعو الى اقتباس الصالح دون سواه تراه مصرا على نقل كل ما هو فاسد مضر وكأنه لا يعرف شيئا جديرا بالاهتمام غيره وما ظواهر التخنفس والتخنث والتقاتل على مخلفات القرون ونفايات الأفكار الا مظاهر لاستجابات غير واعية لمتطلبات الظروف التى تعيشها أمتنا ، وتعبيرات عملية عن مشاعر القلق ونتائج الفراغ وسوء التربية فى البيوت والمدارس وليس من قصـــدى هنا أن أهين أولئك أو ألوم هؤلاء فالذنب ليس ذنبهم وحدهم وانما يقع على جميع فئات المجتمع ، بل انى أرى أن الاثم من أولئك جميعا ذلك الصنف الذى لا يرى شيئا ولا يفهم شيئا ولا يبحث عن شىء بل هو يعادى أولئك الذين يفكرون ويبحثون فهو فى الحقيقة مشلول التفكير معطل الحواس يعيش عالة على المجتمع وعلى التاريخ .

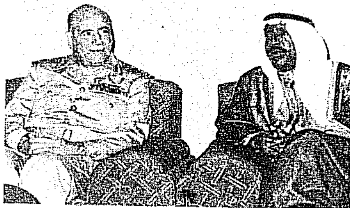
عن مجلة جوهر الاسلام التونسية



اعداد : فهمي الإمام







الكويت :

○ كان للمبادرات التى قام بها سمو الأمير المعظم لتطويق الأحداث فى لبنان اثر فعال فى تهدئة الخواطر وحل الأزمة .

○ زار البلاد السيد حمدي ولد مكناس وزير خارجية جمهورية موريتانيا الاسلامية ، ويرى فى الصورة سمو امير البلاد المعظم وهو يستقبل الضيف الكريم فى قصر السيف العامر .

○ استقبل سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فى مكتبه مولاى عبد الله الممثل الشخصي لجلالة الملك الحسن الثانى ملك المملكة المغربية الذى زار البلاد فى الشهر الماضى .

○ قام وزير الحربية المصرى الفريق اول احمد اسماعيل على بزيارة البلاد ، وقد استقبله سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح فى مكتبه بوزارة الدفاع .

○ تلقى سعادة وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية دعوة لزيارة كل من الجزائر والمغرب والأردن .

○ أوقفت الحكومة ضخ النفط لمدة ساعة يوم ١٩٧٣/٥/١٥ بمناسبة ذكرى اغتصاب فلسطين تعبيرا عن الرفض العربى لوجود الكيان الاسرائيلى فى فلسطين .

○ استقبلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية وفدا سودانيا برياسة الشيخ عوض الله صالح

مفتى السودان ، والوفد يقوم بجولة فى الخليج العربى بغية الحصول على مساعدات لانشاء المركز الاسلامى فى السودان .

○ قام وفد من مسلمى استراليا بزيارة البلاد ، وبحث مع المسئولين أوضاع المسلمين فى أستراليا ، وتنشيط الحركة الاسلامية فى القارة الاسترالية .

○ زار الكويت تنكو عبد الرحمن الأمين العام للمؤتمر الاسلامى ضمن جولة يقوم بها فى عدد من الأقطار العربية .. والغرض من الزيارة البحث فى موضوع تأسيس بنك اسلامى كان قد تم الاتفاق بشأنه فى المؤتمر الاسلامى الأخير .

القاهرة :

○ زار جلالة الملك فيصل جمهورية مصر العربية ، واجتمع الى الرئيس أنور السادات وتدارسا الموقف الراهن وأزمة الشرق الأوسط .

○ تلقى الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر طلبات من السعودية والكويت ودول الخليج لايفاد ٥٠٠ من خريجات كلية البنات بجامعة الأزهر للعمل بالتدريس فى هذه الدول .

○ بدأ مجمع البحوث الاسلامية بتنفيذ أكبر مشروع لاحياء التراث الاسلامى وذلك بالاعداد على مدى ثلاث سنوات قادمة لنشر نحو الف كتاب من أمهات كتب الحديث والسيرة والتفسير والفقه واللغة العربية والتصوف الاسلامى .

السعودية :

○ حذر وزير البترول السعودى الولايات المتحدة من أن بلاده لن تزيد انتاجها الحالى من النفط ما لم تبدل واشنطن موقفها المؤيد لاسرائيل .

لبنان :

○ وقعت فى لبنان أحداث دموية مؤسفة بين الجيش اللبنانى والفدائيين الفلسطينيين وتدخل الوسطاء العرب لانهاء الأزمة .

العراق :

○ ستنشأ فى بغداد دار لحفظ المخطوطات .. وهى أول دار من نوعها فى العراق والوطن العربى .

قطر :

○ ساهمت قطر بجزء من المساعدات المالية العربية لسوريا فى نضالها ضد اسرائيل .

أبو ظبى :

○ أعلن الشيخ زايد رئيس دولة الامارات العربية المتحدة أن على الدول التى تشترى النفط العربى أن تؤيد العرب فى قضاياهم الوطنية أو تتخذ موقف اللامنحاز .

فلسطين المحتلة :

○ أقامت اسرائيل عرضا عسكريا فى مدينة القدس بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لاغتصابها فلسطين بالرغم من استنكار العالم لذلك .

○ تلقت اسرائيل ما يزيد على (٨٥٢٥) مليار دولار أمريكى خلال العشرين سنة الأولى من انشائها ..

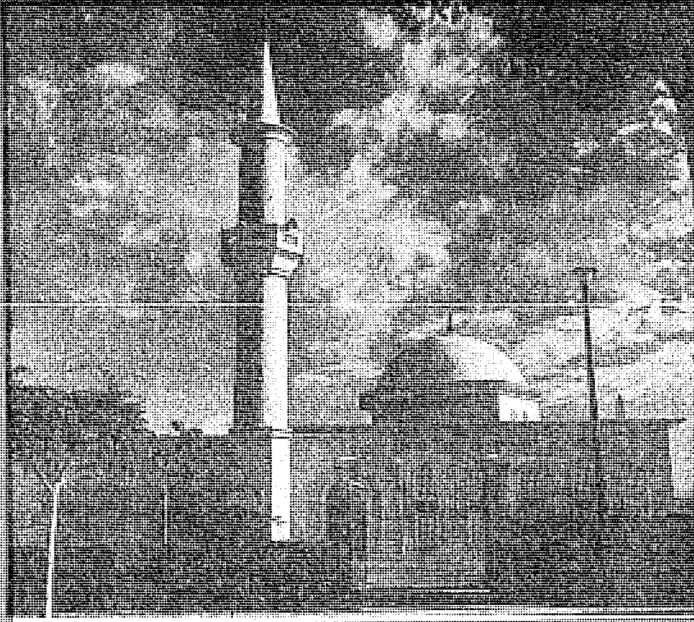
ليبيا :

○ أخطر الرئيس القذافى رؤساء الدول الافريقية بأن ليبيا ستقاطع اجتماع القمة وتطلب نقل مقر منظمة الوحدة الافريقية الى القاهرة ما لم تحدد الدول الافريقية موقفها من اسرائيل .

○ عاد الى روما ٩٠٠ ايطالى من ليبيا لعدم حيازتهم على جوازات سفر فيها ترجمة عربية رسمية لبيانات الجواز .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الأولى ١٣٩٣	يونيو ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
السبت	١	٢	٣ ٢	٤ ٤٨	١١ ٤٥	٣ ٢٠	٦ ٤٢	٨ ١٤	٨ ٢١	١٠ ٦	٥ ٣	٨ ٣٧	١ ٣٢
الأحد	٢	٣	٣	٤ ٤٨	٤٦	٣ ٢٠	٦ ٤٣	١٥	٢٠	٥	٣	٣٧	٣٢
الاثنين	٣	٤	٢	٤٨	٤٦	٢٠	٤٣	١٥	١٩	٤	٢	٣٧	٣٢
الثلاثاء	٤	٥	٢	٤٨	٤٦	٢٠	٤٤	١٦	١٨	٣	٢	٣٦	٣٢
الأربعاء	٥	٦	٢	٤٧	٤٦	٢٠	٤٤	١٦	١٨	٣	٢	٣٦	٣٢
الخميس	٦	٧	٢	٤٧	٤٦	٢١	٤٥	١٧	١٧	٢	١	٣٦	٣٢
الجمعة	٧	٨	١	٤٧	٤٦	٢١	٤٥	١٨	١٦	٢	١	٣٥	٣٣
السبت	٨	٩	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٦	١٩	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الأحد	٩	١٠	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٦	١٩	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الاثنين	١٠	١١	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣
الثلاثاء	١١	١٢	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣
الأربعاء	١٢	١٣	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣
الخميس	١٣	١٤	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٨	٢١	١٣	٩ ٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الجمعة	١٤	١٥	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٨	٢١	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
السبت	١٥	١٦	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٨	٢١	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الأحد	١٦	١٧	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٤ ٥٩	٣٣	٣٣
الاثنين	١٧	١٨	١	٤٨	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الثلاثاء	١٨	١٩	١	٤٨	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الأربعاء	١٩	٢٠	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الخميس	٢٠	٢١	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الجمعة	٢١	٢٢	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
السبت	٢٢	٢٣	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الأحد	٢٣	٢٤	٢	٤٩	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاثنين	٢٤	٢٥	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الثلاثاء	٢٥	٢٦	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	٣٣
الأربعاء	٢٦	٢٧	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	٣٣
الخميس	٢٧	٢٨	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٥ ٠٠	٣٤	٣٣
الجمعة	٢٨	٢٩	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
السبت	٢٩	٣٠	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣



مسجد على بن ابى طـــالب

اسمه ونسبه : على بن ابى طالب بن عبد المطلب ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولادته واسلامه : ولد قبل البعثة بعشر سنين ، وربي في حجر النبى . واسلم وهو ابن ثمان سنين ، وزوجه النبى ابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وانجب منها الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم رضوان الله عليهم .

جهاده وفضائله : شهد المشاهد كلها إلا غزوة تبوك لأن النبى استخلفه في أهل بيته ، وكان اللواء بيده في أكثر الغزوات . وكان أول المبارزين في غزوة بدر ، وممن ثبتوا يوم أحد وحنين ، وعلى يديه فتحت خيبر ، وبلغ من الشجاعة أعلاها ، ومن العلم مبلغا عز على أمثاله ولا سيما في القضاء ، وكان من اقدر الناس على الخطابة . عدلا في حكمه بارا برعيته .

خلافته : تولى الخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، ومدة خلافته خمس سنوات إلا بضعة أشهر ، واستشهد وهو يهم بصلاة الفجر في السابع والعشرين من رمضان سنة اربعين من الهجرة عن ثلاث وستين سنة ودفن بالكوفة كرم الله وجهه واثابه عن الاسلام خير الجزاء .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شـارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

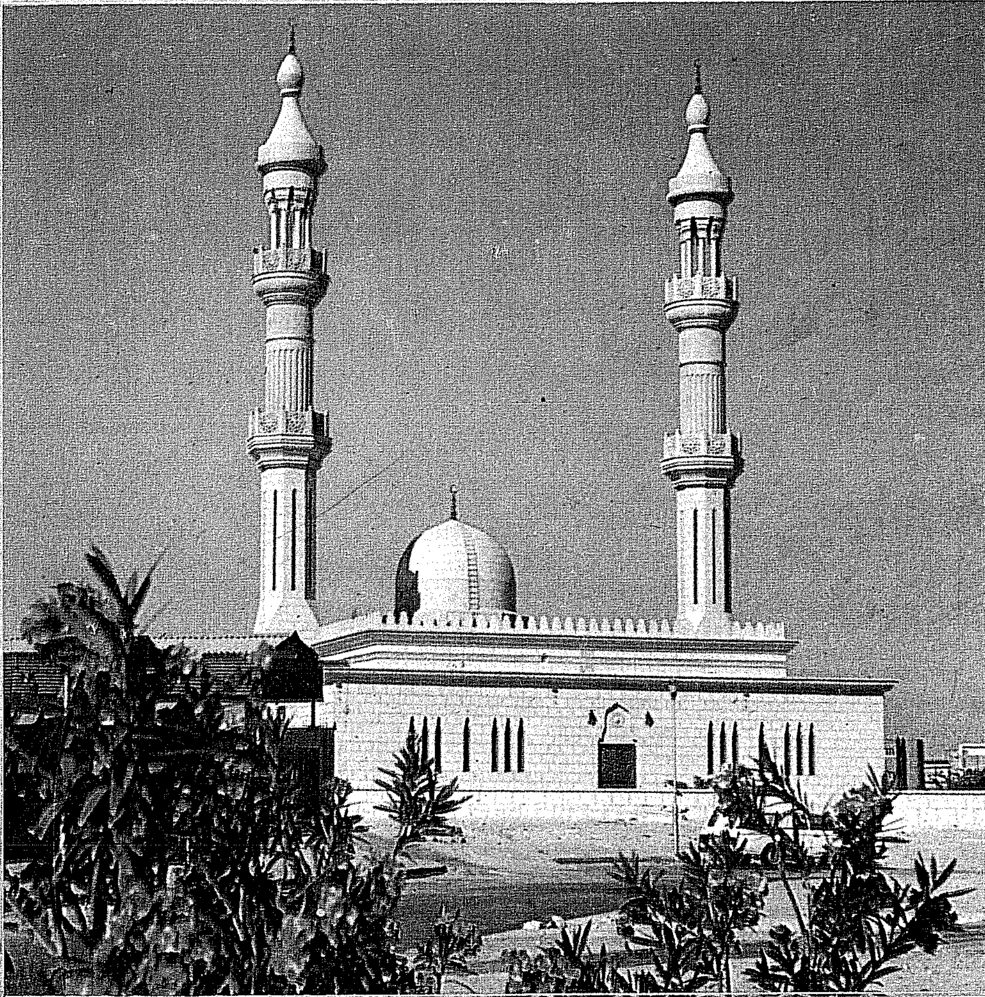
ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

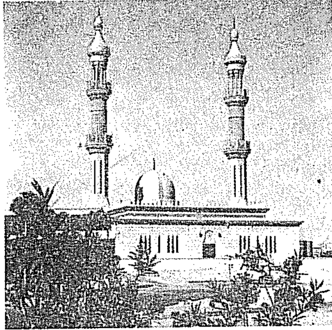
إسلامية ثقافية شهرية

السنة التاسعة ـ العدد ١٠٢ ـ غرة جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ ـ ١ يوليو١٩٧٣ م



الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا

مسجد
عبد اللطيف العثمان



أحد المساجد الحديثة فى الكويت ويقع فى ضاحية عبد الله السالم ويمتاز بمنارتيه العاليتين . تتوسطهما قبة مربعة من الداخل وهو مزود بمكيفات الهواء ومبردات الماء ، وبلغت تكاليفه سبعين الف دينار .

الوعي الإسلامي
اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI
Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة
العدد (١٠٢)
غرة جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ
(١) يوليو (تموز) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وأيقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى
الاشتراك السنوى للهيآت فقط
اما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

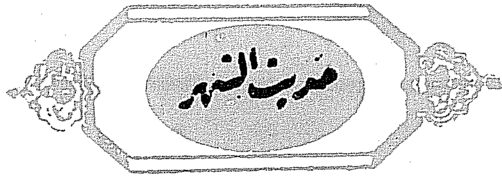
الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى — وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد : ١٣ — كويت — هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم



حاضر المسلمين

حاضرنا هو واقعنا الذى نعيش فيه بكل ابعاده وجوانبه وزواياه ..

هو الصورة العامة للحياة التى تنتظمنا جميعا شعوبا وقبائل ، حضرا وبدوا ، أكثرية وأقلية .. هو الحقيقة المجردة التى تعبر عن مظاهر التقدم ومظاهر التخلف فى حياتنا ..

هو اساليب الحكم ومناهج الثقافة ، وموارد الثروة ووسائل الاستثمار والمناخ الاجتماعى الذى يسودنا ويتحكم فينا .. هو القوى المادية والقوى المعنوية التى تحركنا من الداخل وتسيرنا فى الخارج ، ونمارس نشاطنا تحت دفعها وتأثيرها .

حاضر المسلمين هو وضعهم الدولى والعلاقات التى تربطهم بالأمم من صداقة وعداوة وعدم انحياز .. هو دينهم ومعتقداتهم وقيمهم ، ومدى قربهم من هذا كله وحرصهم عليه ، أو بعدهم عنه وتفريطهم فيه .. هو تصورهم لهذا الحاضر واحساسهم به ومقدار رضاهم عنه أو استيائهم منه .

هذه الأبعاد والمفاهيم كلها بعض معطيات « الحاضر » ومحتواه كما تفصح عنه اللغة ... أما الماضى فهو الموجود الذى طوته الليالى والايام ولم يبق منه الا العبرة والذكرى ، وأما المستقبل فهو القادم الذى استكن فى ضمير الغيب ، وتعلقت به آمال الجادين والهازلين .

محنـــة :

وحاضر المسلمين يعتبر محنة من أشق المحن واقساها ، ويعد مرحلة من أخطر مراحل حياتهم وأدقها ، وعليها يتوقف مصيرهم ، ويتحدد مستقبل أجيالهم . والمسلمون حقا يعيشون فى هذه المحنة بين الأمم غرباء غير مكرمين يلفهم الظلام ، وتنبحهم الكلاب ويتجهم لهم اللئام ، وتغلق فى وجوههم الأبواب ويغرى بهم الصغار ، ويضحك عليهم الكبار .

كل مسلم غيور على دينه يعيش الآن على ظهر الأرض يشعر بأنه مضيع وأن شخصيته المتميزة التى تحددها عقيدته لا وجـود لها ، وان نظرته الى ماضيه الحافل وتاريخه المجيد ومكانته السابقة بين الأمم العريقة ، تزيد من مرارة احساسه بألم الضياع وفقدان الشخصية ، فليس هو شامة بين الناس كما كان من قبل ، وليست أمته خير الأمم كما كانت فى الماضى ، وحيثما تلفت الى أمته الكبرى وجد حقا ضائعا وبشرا مضيعا وأرضا مغتصبة وجماعات مشردة وكيانا ممزقا ، ومؤامرات متقنة غنية متعددة تستهدف القضاء على دينه ، وتبغى السيطرة على أمته أرضا وبشرا وعقلا وفكرا وموارد ومقدرات .

فتـــن :

والمسلمون يقيمون على ضيم الحاضر ، ويتجرعونه بكل ما فيه من مرارة ، تتهاوى على رؤسهم وظهورهم مطارق أحداثه الدامية .. فمع مغيب كل شمس نازلة فادحة ، وفى فحمة كل ليل فتنة عارمة .. فى الفلبين مذبحة ، وفى ارتيريا متصلة ، وفى الهند أسارى مكبلون ، وفى افريقيا أكثرية تحولت فى جو الحقد والعداوة للاسلام الى أقليات مضطهدة ، وفى أوروبا فئـات مؤمنة مضيعة وشباب منا مفتون ، والمطابع فى بلاد الجليد والضباب والالحاد تغرق الأسواق بكتب تحقر الاسلام وتتهجم على القـرآن ، وتطعن فى نبى التوحيد ، وتفترى الكذب على الله وعلى الناس .

وفى قلب العروبة ومشرق الاسلام دعوات هدامة تتسلل الى العقـول المضللة والقلوب الواهنة فتملأ فراغها بالكفر والالحاد ، وتغريها بالتمرد على الدين والانسلاخ من العقيدة ، وتكره لها الايمـان ، وتحبـب لها الفسـوق والعصيان ، ومما يزيد من فداحة هذا الخطر أن حملـة هذه الدعوات ممـن ينتسبون الى الاسلام اسما ، فهم يطعنون الاسلام فى صميمه ، وينكـرون أصوله وأركانه ، ويمارون فيما أوحى الله وأنزله ، ويجادلون فيما أحل وحرم مما لا يقبل تأويلا ولا مناقشة .

« فهذا ينكر أصل الايمان
وهذا يمارى فى حقيقة النبوات وامكان الوحى
وهذا يتساءل لم تحرم الخمر مع فائدتها الصحية
وهذا يرى الوقاع الجنسى ما دام بتراضى الطرفين لا شىء فيه

وهذا يمضي فوائد الربا ويسخر من حظرها
وهذا يصف الصلوات الخمس بأنها مضيعة للأوقات .
وهذا يرفض أن يكون للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث
وهذا يحظر تعدد الزوجات ويفخر بتعدد الخليلات
وهذا يسهر حتى الصباح على أنغام الموسيقى الصاخبة والغناء الماجن ، ويزعجه أذان الفجر » .

وماذا نحصي من أبواب الفتن ، وهي كثيرة مفتحة تحمل سمومها وسائل الاعلام الحديثة ، فتنقلها صباح مساء . ليل نهار . تنقلها الى الأسماع والأبصار . الى المدائن والقرى الى القصور والأكواخ ، الى الطريق والبيت والمدرسة والنادي . إلى المتدين المحافظ فتزلزل دينه وتخلخل قيمه الى المخدوع المضلل ، فتمد في ضلاله وتعبث بأخلاقه وتعيث في سلوكه . الى المرأة الفاضلة الوقورة ، فتزهدها في وقارها وتغريها بالتحلل من فضائلها وتشعرها بغربتها ووحشتها وانعزالها عن المجتمع الذي تعيش فيه .. الى المرأة المتكشفة ، فتغريها بمزيد من التكشف ، وتدفعها الى العرى والتجرد . الى الشاب والشابة فتلهب سعار الغرائز الدنيا فيهما ، وتهيج في دمائهما اشباع النزوات في غير مبالاة بدين ولا شرف ولا حفاظ على أخلاق وقيم .

لقد استغلت وسائل الاعلام الحديثة ـــ على قوة فعاليتها وشدة نفوذها وتأثيرها وجاذبيتها اسوأ استغلال فشوهت معاني الحرية ، ودفعت بها الى مهاوي الفوضى والانحلال ، ومسخت معاني الفنون وعرضتها في أثواب الاغراء والابتذال، وحولت برامج الترفيه والتسلية الى ما يقتل النفس ويذيب الرجولة ، فأنجح الأغاني أكثرها ميوعة وأشدها اثارة ، وأنجح الأفلام أحفلها بأكوام اللحوم النسائية في المخادع وعلى موائد المقامرين والمخمورين ، وأكثر الصحف والمجلات رواجا التي ترخص الرجس وتشيع النجس وتنشر قصص الخيانات الزوجية وأخبار الشذوذ والأعمال الفاضحة ، وتعرض صور الكاسيات العاريات التالفات المتلفات ..

وماذا نحصي من الفتن ، وبماذا نعلق على آثارها وعواقبها ، والشاهد الحاضر أفصح من كل لسان ، وأبلغ من كل نذير .

رفض الواقع :

والحاضر الذي نشهده ونعانيه ، ونجني ثماره ونتجرع غصصه ونتحمل مسئولياته ونذوق ويلاته . الواقع الذي نشكوه ونتبرم به يقلق الغيورين على هذه الأمة ويشغل بالهم ، ويثير مخاوفهم ، فهم ينكرونه وينفرون منه ويتوجسون منه شرا في المستقبل القريب اذا ترك العابثون يعبثون بالعقول ويجترئون على القيم ويقتحمون الحرمات ويزيفون الفوضى باسم الحرية والاباحية باسم التدين ، ويلبسون الباطل ثوب الحق ، ويروجون كل نقيصة ورذيلة باسم التقدم والتطور . هذا الحاضر يقلق الغيورين فيحاولون تغييره ،

وهذه بادرة وعى ومقدمات يقظة والناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والناس بخير ما تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر « ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » .

العمل الاسلامي :

والعاملون تحت لواء الاسلام يعملون فرادى وجماعات تحت تجمعات وتنظيمات متعددة الأسماء : اتحاد . رابطة . مجلس . جمعية . مركز . مجمع . أمانة . هيأة . لجنة . مؤتمر . وهذه التجمعات تضم عددا كبيرا من المفكرين والعلماء والشيوخ والشباب والنساء ، وهؤلاء جميعا يبذلون جهودا ضخمة فى التوعية الاسلامية والوقوف فى وجه التحديات ، وينفقون أموالا طائلة فى سبيل ذلك ، ولكن ينقصهم جميعا التخطيط والتنسيق فيما بينهم .

من هنا :

كل دولة اسلامية تعمل للاسلام على المستوى الرسمي والمستوى الشعبى ، وفى داخل كل دولة أجهزة متعددة للعمل فى الداخل والخارج ، ولكن لا تربط بينها ولا مخطط يجمعها .. نشرات ومجلات ومعونات مالية وكتب ومبعوثون ، ولقاءات ، ووفود تغدوا وتروح ... جهود مرتجلة ، ولهذا كانت النتائج غير متكافئة مع الجهد الذى يبذل والأموال التى تنفق .

من الشرق مهد النبوات ومهبط الرسالات ، من مشرق النور . من الوطن العربى من العرب المسلمين الذين اختارهم الله لحمل رسالته .. من الشرق وعلى أيدى العرب المسلمين يبدأ التجمع ، ويتحرك الزحف . وبالاسلام . بالقرآن . بنقله من المصحف والصدور الى واقع عملى يحكم وينظم ، ويأمر ويملأ القلوب ، ويوجه السلوك ، ويحرك الراعى ، ويصف الجنود ، ويربى النشء ، ويسود المعاملات .

وليس فيما سبق وصفا وعلاجا مبالغة فى تصوير الواقع ، وتجن على الحقيقة ، وليس فيه جحود لما يبذل فى خدمة الاسلام ، ولا غمط للجهود التى تحاول اقامة البناء وتجديد القوى وتصحيح الأوضاع .. ليس فيما وصفنا مدعاة لليأس فاننا نؤمن بأن الأمم تمر بأيام نحس وسعد وشدة ورخاء ، ونصر وهزيمة ، وان أمتنا تخضع لهذه السنة ، فانها فى مسيرتها الطويلة لم تلزم مستوى بيانيا واحدا .. اجتمعت وتفرقت ، عدلت وظلمت . استقامت وانحرفت . غفلت واستيقظت ، ولكنها فى كل مراحلها لم تنتصر الا بالعقيدة ولم تسعد الا بالايمان . هذا وحده هو المنقذ ، ولا غنى عنه ولا بديل له .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

رضوان البيلى

سورة الممتحنة

الحُبّ والبغض في الله

للشيخ/محمد الغزالى

التعصب وصف ردىء عندما يكون معناه جمود الفكر ، وانحصار الأفق ، والتشبث بالهوى ، والجنوح الى الباطل مهما بدا عواره .

ونحن نرفض هذا الوصف ونأباه على أنفسنا وقومنا ..

.. ولكن عندما يكون التعصب أثرا لاحترام الحق ، واكبار أهله ، ودعم جانبهم ، وكره عدوهم ، فان التعصب هنا يرادف الإيمان والجهاد ، ولا يتخلى عنه امرؤ ذو دين !!

وفى العالم اليوم :

- حقـــائق أرخصها الضعف ..
- وحقـــوق هضـــمها البغى ..
- وقوى شرسة استمرأت العـدوان ..
- ومسلمون طمـــع فيهم من لا يدفع عن نفســـه ، حتى كان البغاث بأرضنا يستنسر !!

.. أفلا يوقظنا مرأى هذه الصور الكريهة الى أن نعرف من نحن ؟ وماذا نحمل من رسالات الله ؟ وماذا نستطيع أن نسديه لأنفسنا وللعالم أجمع لو

غالينا بديننا وتاريخنا ، وشققنا الطريق إلى المستقبل على سناه الهادى . ؟؟

وعندما أقرأ سورة « الممتحنة » يحيا فى نفسى معنى التعصب للحقيقة ، والدفاع عنها ، والوقوف الى جانبها على رقة الحال ، وكآبة المنظر فى الأهل والمال !!

إنه ليس من الشرف أن أجامل من يهين الحق ، وليس من صدق اليقين أن أمالئه وأترضاه .

وقد نزلت سورة « الممتحنة » لتلقن المؤمنين هذا الدرس حتى يبقى حيا فى نفوسهم الى يوم الدين ، فقال جلّ شأنه :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق .. »

.. عيب واضح أن أصادق عدو الله وعدوى ، وأن أبسط يدى ولسانى له بالسلام ، وهو يزدرى ما عندى ــ ولا يتوانى !! ــ ومن هنا عللت السورة النهى عن المصافاة ،فقالت بعد اثبات كفرهم :

« يخرجون الرسول وإياكم ... »

لماذا ؟ **« ... أن تؤمنوا بالله ربكم »**

ثم اطرد السياق القرآنى يقول :

« إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ... »

أى فلا تسلكوا هذا المسلك ، وتطووا قلوبكم على حب من طردكم وأهانكم !!

كيف تفعلون هذا ؟.

« ... تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم » ؟؟

والتعبير « بأنا » فى هذا الموضع يفرض علينا أن نتوقف قليلا لنتدبره فقوله جلّ شأنه :

« وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم » فيه معنى التحذير من الرقيب الخبير .

وهذا المعنى صرحت به سورة أخرى فى مثل هذه القضية قال تعالى :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ ــ إلا أن تتقوا منهم تقاة ــ ويحذركم الله نفسه » !!

والغريب أن هذا التحذير يتكرر فى الموضع نفسه ، مؤكدا علم الله بما نخفى وما نعلن ، حتى لا نتورط فى مسالمة عدو يبتغى إبادتنا ، أو الوقوف منه موقفا بعيدا عن الصرامة والمفاصلة ، فقال جل شأنه :

« يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه » !!

تحذير يتكرر مرتين بعبارة رهيبة هى **« ... يحذركم الله نفسه »** إنها هناك توضيح لقوله هنا : **« تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل »** .

هكذا بدأت سورة « الممتحنة » تعلمنا ضرورة التعصب للحق ، والتمسك بأهدابه ، وكراهية المعتدين عليه ، والنفور من مودتهم .

وإذا كان هذا المعنى الحاسم قد تصدرها : فانه قد تمشى فى آياتها على

سور متفاوتة ، ثم كان لها الختام المبين فقال جلّ شأنه :

« يا أيها الذين آمنـــوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهـــم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور » .

إن « الأحياء » من الكفار قد قنطوا من عودة إخوانهم الذين ماتوا الى الحياة مرة أخرى ، أو أن « الموتى » من الكفار قد يئسوا من الحصول على مكانة عند الله فى الدار الآخرة .

سواء كان هذا المعنى أو ذاك فان المؤمنين لا يليق أن يصادقوا قوما تلك حالتهم !!

ولنلق على السورة من بدئها الى ختمها نظرة جامعة نتعرّف بها أسباب النزول كما ذكرها المفسرون والمؤرخون .



لقد استغرق نزول هذه السورة ـــ على وجازتها ـــ قريبا من عامين ، وصدرها نزل فى السنة « الثامنة » عندما قررت الكتائب المؤمنة أن تجهز على الوثنية المتحكمة فى مكة ، وأن تعيد الى دائرة التوحيد هذا المعقل الأشم .

ووسط السورة نزل فى السنة « السادسة » بعد ما تم « عهد الحديبية » بين المسلمين وأهل مكة ،وبدأ التنفيذ وظهرت بعض المشكلات .

وآخر السورة نزل بعد الفتح الكبير ، واقبال أهل مكة رجالا ونساء على مبايعة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ والالتزام بتعاليم الإسلام .

ومع الاختلاف الزمنى الملحوظ فى نزول الآيات فان ترتيبها لم يفقد ذرة من الاتســـاق والتماســـك ، بل هو نسق من الاعجـــاز السارى فى أسلوب القرآن الكريم كله .

واشعر بأن القرآن فى علم الله القـــديم كان على هـــذا الترتيب الذى نحفظه ، وأن الآيات كانت تنزل وفق الأحداث ، ثم يأمر الرسول بوضعها فى مكانها بتوقيت إلهى ، فتعود الى وضعها الأزلى على النحو الذى يقرأ الآن

والمحور الذى دارت عليه السورة كلها ، هو الحب والبغض فى الله ، وهو قاسم مشترك بين أجزاء الســـورة منذ بدأ النزول ، ولذلك فان وحـــدة الموضوع ظاهرة شائعة فيها ففى أوائل السورة نقرأ كيف رفض القرآن الكريم ما وقع من « حاطب بن أبى بلتعة » الذى راسل أهل مكة يخبرهم باســـتعداد الرسول للسير نحوهم ، كى يأخذوا أهبتهم !! وهو عمـــل شنيع ، ولولا أن رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عفا عن الرجل تقديرا لسابقته فى خدمة الإسلام لكان جزاؤه القتل .

وهنا نرى الوحى ـــ بعد استنكار التصرف السابق ـــ يقول للمؤمنين :

« لن تنفعكم أرحـــامكم ولا أولادكم يوم القيـــامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير » . أى لا يجـــوز أن يخفف شىء ما من حدة الخصـــام للكفر وشيعته ، ولو كان الحرص على القرابة والولد والمـــال فان جانب الله أولى بالرعـــاية .

والمثل الأعلى أن يقول المؤمنون لأعدائهم : ((**إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحـــده**)) .

وهذه مصارحة بالقطيعة في سبيل الله ، ومعالجته بالحب لله والبغض لله ، وليس امام المؤمنين إلا هذا السلوك .

وقد كان ابراهيم والمؤمنون معه على هذا الفرار ، واذا كان ابراهيم قد لاين اباه يوما وقال له : ((**لأستغفرن لك ، وما املك لك من الله من شيء**)) .

فذلك اللين ليس مهادنة للضلال ، ولا ضعفا في الإحساس بحـــق الله « كلا » : ((**وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه**)) .

وهكذا تقطعت اغلى الصلات إيثارا لحق الله .

.. إن حق الله على عبده لا يرجحه شيء في الأولين ولا في الآخرين ، والاستهانة به ضلال مبين .

هل هـــذا التهجم الشديد ضد الضلال والضالين يرجع الى غلظة طبع او شراسة خلق ! لا .. لا ..

إننا في شوق ، الى سيادة السلام ، وامتداد عواطف الحب الى كـــل قلب ، والأمر بيننا وبين خصومنا واضح مستقيم ، فمن حاسننا حاسنَّاه ، وكنا اسرع إليه بالود والرحمة .

ولكن كيف نلين مع من استباح كرامتنا ؟ ونشد إساءتنا وإهانتنا ، واخرجنا من ديارنا واموالنا ! إن مصادقة من يفعل ذلك بنا نذالة ، وخســـة لا يهبط اليها مؤمن !! قال تعالى :

((**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون**)) .

والظلم هنا الهوان ، وقبول الدنية ، والاستكانة الى الضيم ، والرضا بحياة الفسوق والمروق ، والعيش في كنف الفاسقين المارقين .

هذا صدر السورة الذى استغرق نصفها ، ونزل في السنة « الثامنة » .

اما وسطها الذى نزل من قبل ، فهو يعـــود بنا الى نص في معـــاهدة الحديبية يقضى بأن يرد المسلمون عن المدينة من لحق بهم مؤمنا من أهل مكة ، وإن كان اهل مكة يقبلون من لحق بهم مرتدا .. !!

ومع أن الأيام اثبتت جدوى هذا النص على المؤمنين الا أن القرآن الكريم استثنى النساء ابتداء من تطبيقه وامر المؤمنين أن يمتحنوا المؤمنات الفارات بدينهن فاذا علموا منهن صدق الاعتقـــاد وشرف الغاية قبلوهن في المجتمـــع الإسلامى فورا ..

إن هؤلاء النسوة المهاجرات التاركات لأزواج كافرين يجب أن نرحب بهن وان نقدم تحية اكبار للعاطفة التي خرجت بهن الى دار الإيمـــان ، لقد كرهن رجالهن وفارقنهم لله فلا ينبغى أن يعدن لهم قال تعالى :

« فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن » .

وإتماما لإقامة المجتمع على احترام الدين ، واعزاز مشاعر الحب والبغض لله صدر الأمر بتسريح الزوجات الكافرات : **« ولا تمسكوا بعصم الكوافر »** .

.. إن قبول هؤلاء النساء المؤمنات ومفارقة الكافرات تشريع متكامل وحكمته واضحة وقد نفذت معاهدة الحديبية بالنسبة الى الرجال الذين ما لبثوا أن نظموا حرب العصابات ضد اهل مكة حتى اضطروهم الى ان يطلبوا من الرسول قبولهم في المدينة !!

ونصل الى آخر السورة لنقرأ بيعة النساء ، كان ذلك بعد فتح مكة واستسلام اهلها لكتائب الرحمن .

إن أولئك الناس طالما آذوا الله ورسوله ، وها هي ذي « هند » المرأة التى اكلت كبد حمزة قد أعلنت دخولها في الاسلام ، فماذا نصنع معها !

لا شيء !! ننسى الماضى ، ونغفر الأخطاء ونعلمها وصاحباتها كيف تتأدبن بآداب الإسلام ، ثم يصبحن — بعد — اخواتنا :

« يا ايها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على الا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » .

نعم . إن الله غفور رحيم ، فلننس الماضى ولنتحاب فى الله .

لقد كان القرآن فى هذه السورة يرقب متاب هؤلاء وعودتهن الى الصواب وإقلاعهن عن إيلام المؤمنين ، قال تعالى :

« عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم » .

والمودة المرتقبة إنما تقع من اناس يخف ضغط التعصب على قلوبهم ورءوسهم ، ويجوز أن تنقشع غيوم الغفلة عن آفاقهم وضمائرهم .

فان المرء قد يخطىء لملابسات معينة أحاطت به ، وربما ظل على خطئه لأن هذه الملابسات بقيت فى مكانها ، لم تجد من يزيلها أو ينتقصها ..

لكن ما الموقف اذا تشبث الإنسان بالزلل وهو يدعى الى الاستقامة ؟

او اصر على الخطأ وهو يرى وجه الحق وضيئا مشرقا ؟

إن هذا الإنسان أجدر خلق الله بالمقت وأولاهم بالعقاب الآجل والعاجل .

وإنك لترى الوحى الإلهى طافحا بالوعيد وهو يتناول اولئك الجاحدين من صرعى التعصب الأعمى .

« ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » .

ولنلفت النظر الى ان الغفلة هنا ليست قصور عقل عن المعرفة الغائبة ، ولكنها بلادة قلب عن استيعاب المعرفة المبذولة ، والنصح القريب ! .

وهذا هو التعصب الذى يأباه على نفسه كل عاقل أو منصف .

والقرآن فى آيات كثيرة يلمع الى هـذا المعنى وإن لم يذكـر التعصب بلفظه ، فإذا قال تعالى : « **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** » .

فإن المقصود أناس طال نصحهم وطالت لجاجتهم ، طال تعليمهم وطال صدودهم .. وليس المقصود وصف أقوام تعرض عليهم الدعوة لأول مرة .

وبديهى أن ينتهى هذا الصدود بما ينتهى به كل جحد وتبجح ، من استمراء للشر واستهانة بالخير واستحلاء للقبيح .

« **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون . أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون** » .



وقد صحب التعصب من قديم حيف شديد على أهل الإيمان ، وتطاول على حقوقهم المادية والأدبية ، وتصوير كذوب لأقوالهم وأعمالهم ، وإلحـاق للمعايب والمقابح بسيرتهم وتاريخهم وكان نصيب الأمة الإسلامية كبيرا من هذا التعصب الجائر الآثم .

ولست استغرب مسالك الأشرار إذا جاءت وفق طبائعهم فإن الذئب المفترس لا يستكثر عليه أن يعقر ويغتال ..

إنما الغرابة من موقف المسلمين الذين كثرت حولهم الأنياب الجائعة ، والطوايا الكنود ، ومع ذلك فهم غارّون مسترسلون فى « طيبتهم » وتهاونهم .. فإلى متى ؟

إن أرضنا انتقصت من أطـرافها شرقا وغربا وفق خطـة رسمت بأناة وروية ... ثم بدأت الإغارة على قلب العالم الاسلامى استكمالا للإجهاز عليه طولا وعرضا ، فهلا عرفنا ما يراد بنا ؟

إن فى العالم الآن طوفانا نجسا من التعصب ضد الإسلام وأمته ، وامامى وأنا أكتب هذه السطور أنباء الدماء المراقـة والأشلاء الممزعـة للمسلمين المستضعفين فى الفلبين ، وما قصة الاسلام الذبيح فى الفلبين إلا نموذج مكرر لأقطار أخرى من الأرض ، أهين فيها الدين واستبيح حماه ، وشرد أهلوه ، واكلت حقوقهم !! بل إن المسلمين ـــ حيث يكونون كثرة فى بـلاد أخرى ـــ .. تجرأ عليهم كل ذى ملـة وتطلـع الى ما لم يكن يحـلم به فى يـوم من الأيام !!

الا نتعلم التعصب للشرف والعرض والأرض فى هذه الظروف العصيبة ؟ لعلنا ... لعلنا ..

فاذا تحقق ما نصبو اليه فلله الحمد .

.. نحن ما نسعى الى قتال ولا نشتاق الى سفك دم .

لكن إذا فرض علينا القتال فان الذرة من التهاون فى كراهية المعتدين جريمـــة ..

يجب أن ندخل المعركة بكل ما لدينا من غضب وقسوة وصرامة ؟

---

(١) : هذا ما يدين به جماهير المسلمين من السلف والخلف .

مباحث قرآنية ٢

جوانب الهداية والإرشاد في القرآن الكريم

للقرآن الكريم في هدايته وإرشاده جوانب أربعة

① جانب العقيدة ② جانب الشريعة ③ جانب الأخلاق

④ جانب الدعوة إلى النظر في ملكوت السموات والأرض

للدكتور/محمد حسين الذهبى

(الجانب العقدى فى القرآن الكريم)

أما جانب العقيدة : فقد وجهنا القرآن الكريم الى العقيدة الحقة فى الله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وما فيه من حساب وجزاء .

دعانا الى معرفة الله — تعالى — وما له من صفات الكمال والجلال ، وأنه واحد لا شريك له فى ملكه ، ولا شبيه له فى ذاته ولا فى صفاته ، وأنه الخالق المستحق للعبادة دون غيره ..

فقال فى بيان ما لله من صفات الكمال والجلال :

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » (١) .

وقال : « الله لا اله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض ... »(٢).

وقال : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور » (٣) .

وقال : « هو الله الذى لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » (٤) .

وقال فى بيان أن الله واحد لا شريك له فى ملكه ولا شبيه له فى ذاته ولا فى صفاته :

« إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » (٥) .

وقال : « ذلكم الله ربكم لا إله

إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه » (٦) .
وقال : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » (٧) .
وقال : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » (٨) .
وقال : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (٩) .
وقال في بيان أنه المستحق للعبادة دون غيره :

« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له : إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز » (١٠) .
وقال : « أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ، وإن تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم أم انتم صامتون . إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين . ألَهُم أرجل يمشون بها ؟ أم لهم أيد يبطشون بها ؟ أم لهم أعين يبصرون بها ؟ أم لهم آذان يسمعون بها ؟ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون » (١١) .
وقال : « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ، أرونى ماذا خلقوا من الأرض ؟ أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم إن كنتم صادقين . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » (١٢) .
وقال : « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » (١٣) .

ووجهنا القرآن الكريم الى الإيمان بالملائكة والرسل وما أنزل الله من كتاب فقال :
« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (١٤) .
وقال : « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نَزَّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » (١٥) .

ويقرر القرآن الكريم عقيدة البعث والحساب والجزاء .
فيقول مقررا عقيدة البعث :
« زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » (١٦) .
ويقول : « قل إن الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم » (١٧) .
ويرد على المستبعدين للبعث لبنى الإنسان بعد ما تمزقت أوصالهم ، ورمت عظامهم ، وتلاشت ذراتهم حتى إنهم ليقولون مستنكرين للبعث بعد هذا التمزق والتلاشي :
« أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ؟ » (١٨) .
« هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد » (١٩) .
« أئذا متنا وكنا ترابا ؟ ذلك رجع بعيد » (٢٠) .
« أئذا ضللنا فى الأرض ائنا لفى خلق جديد » (٢١) .
.... ويرد القرآن الكريم على هؤلاء المنكرين للبعث والمستبعدين له بآيات كلها براهين قاطعة وحجج دامغة فيقول :

« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » (٢٢) .

« أفعيينا بالخلق الأول ؟ بل هم فى لبس من خلق جديد » (٢٣) .

« كما بدأنا أول خلق نعيده . وعدا علينا إنا كنا فاعلين » (٢٤) .

« أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوى بنانه » (٢٥) .

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه : قال من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » (٢٦) .

ثم هو يقرر بعد ذلك أن البعث لا بد أن يستتبع حسابا ، وأن الحساب لا بد أن يستتبع ثوابا أو عقابا ، والا لكان الله عابثا بخلقه غير عادل فى ملكه ، فيقول :

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون ؟ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » (٢٧) .

ويقول : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ؟ أم نجعل المتقين كالفجار ؟ » (٢٨) .

ويقول : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ ما لكم كيف تحكمون » (٢٩) .

ويقول : « وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تتذكرون » (٣٠) .

ويقول : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون » (٣١) .

(الجانب التشريعى)
(فى القرآن الكريم)

وأما جانب الشريعة : فقد سن لنا القرآن الكريم كثيرا من التشريعات والنظم التى نحتاج اليها فى عباداتنا، ومعاملاتنا ، وصلاتنا فى مجتمعنا الإسلامى ، وعلاقاتنا بغيرنا من الدول فى السلم والحرب .

ففى العبادات شرع الصلاة والزكاة والصوم والحج ... وغير ذلك من الطاعات والقرب التى يتقرب بها الانسان الى ربه ومولاه .

وفى المعاملات بين الحلال والحرام فأحل البيع وحرم الربا ، وحرم اكل اموال الناس بالباطل فقال :

« وأحل الله البيع وحرم الربا » (٣٢) .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٣٣) .

وقال : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » (٣٤) .

وقال : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » (٣٥) .

وقال : « ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » (٣٦) .

ووضع لنا القرآن الكريم أسس الاستيثاق فيما يجرى بيننا من معاملات مالية فقال فى الدّين :

« يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » .... الى أن قال : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ......) (٣٧) .

وقال فى البيع : « واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد » (٣٨) .

وقـال فى الاسـتيثاق بالرهن :
« وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضه » (٣٩) .

وقال فى الوصية : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عـدل منكم أو آخران من غيركم .. » (٤٠)

وقال لأوصياء اليتامى : « .. فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا » (٤١) .

ووضـع القرآن أحكام الزواج والطلاق ، وما يتعلق بهذا وذلك من مهر ونفقة وعدة وحضانة ورضاع ..

وأرسى القـرآن قواعـد الأمن والطمأنينة فى المجتمع الاسلامى بما شرعه من الحدود والعقوبات عـلى بعض الجـرائم التى لا تخلو منهـا المجتمعات البشرية .

فقرر عقوبة القصاص فى القتـل العمد بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصـاص فى القتـلى الحر بالحر والعبـد بالعبـد والأنثى بالأنثى .. » (٤٢) .

وقرر عقوبة القتل الخطأ بقوله :

« .... ومن قتـل مؤمنا خطـأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصّدّقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصـيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما » (٤٣) .

ووضـع عقـوبة لقطاع الطـرق بقوله :

« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهـم من خـلاف أو ينفوا من الأرض » (٤٤) .

ووضع عقوبة للسارق بقوله :

« والسارق والسارقة فاقطعـوا أيديهما جـزاء بما كسـبا نكالا من الله » (٤٥) .

وشرع من العقوبات ما يصـون حرمة الأعراض ويزجر عن استباحتها وانتهاكها فقال فى عقوبة الزانى غير المحصن من الرجال والنساء :

« الزانية والزانى فاجلدوا كـل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهمـا طائفة من المؤمنين » (٤٦) .

وقال فى عقـوبة قذف العفيفات بالزنى :

« والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » (٤٧) .

وفى محيط المجتمع الاسلامى يعمل القـرآن الكريم على تقـوية ما بين المسلمين من وحدة وترابط وإزالة ما عساه يقع بينهم من عوامل التفكك والتصدع فيشرع لهم من الأحكام ما يجتث جذور التنازع والتناحر فيمـا بينهم ، فيقول فى جمع الكلمة ووحدة الصف :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٤٨) .

ويقـول فى القضـاء على الفتن والشقاق الذى يمزق هذه الوحدة :

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسـطين . إنما المؤمنون إخـوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (٤٩) .

وفى علاج المشاكل الأسرية يشرع القرآن الكريم كثيرا من الأحكام التي تزيل أسباب الخلاف وتجعل الحيـاة الأسرية تمشى فى طريقها الصحيـح

الذي يجنبها المثرات والمكدرات ، وأبرز مثال نسوقه من هذه التشريعات الحكيمة قوله تعالى :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيرا . وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا » (٥٠) .

وفى علاقة المسلمين بغيرهم من الدول يضع القرآن الكريم قواعد المعاملة فى السلم والحرب :

ففى السلم : يدعو الى مسالمة من يسالمنا بقوله :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (٥١) .

وقوله : « .... فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » (٥٢) .

وفى الحرب : يدعو الى محاربة من يحاربنا بقوله :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (٥٣) .

ودعانا الى الإعداد للحرب ما دامت متوقعة بقوله :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » (٥٤) .

وحضنا على الثبات عند لقاء الأعداء بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٥٥) .

وحرضنا على البلاء فى القتال بقوله :

« فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » (٥٦) .

وقوله : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق .. » (٥٧) .

وقوله : « فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » (٥٨) .

ونهانا عن التولى يوم الزحف بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » (٥٩) .

ونهانا عن الخور والوهن فى طلب الأعداء بقوله :

« ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما » (٦٠) .

والقرآن يعطى الكافر المستأمن حق الأمان غير مروع على نفسه أو ماله فيقول :

« وإن أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » (٦١) .

ويقرر القرآن مصير اسرى الحرب بقوله :

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » (٦٢) .

ويضع القرآن أسس المعاهدات ويحتم وجوب الوفاء بها والوقوف عند بنودها ما دام العدو محافظا على ذلك من جانبه ولم يَجِدّ من الظروف ما يقتضى نقضها فيقول : « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » (٦٣) .

ويقول : « .... الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » (٦٤) .

ويقول : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » (٦٥) .

(للبحث صلة)

---

(١) سورة الاخلاص .
(٢) فى الآية ٢٢٥ من سورة البقرة .
(٣) الآيتان ١ ، ٢ من سورة الملك .
(٤) الآيات ٢٢ — ٢٤ من سورة الحشر .
(٥) الآية ١٤ من سورة طه .
(٦) في الآية ١٠٢ من سورة الانعام .
(٧) الآية ٢٢ من سورة الانبياء .
(٨) الآية ٩١ من سورة المؤمنون .
(٩) فى الآية ١١ من سورة الشورى .
(١٠) الآيتان ٧٣ ، ٧٤ من سورة الحج .
(١١) الآيات ١٩١ — ١٩٥ من سورة الاعراف
(١٢) الآيات ٤ — ٦ سورة الأحقاف .
(١٣) الآية ١٧ من سورة النحل .
(١٤) الآية ١٣٦ سورة البقرة .
(١٥) الآية ١٣٦ من سورة النساء .
(١٦) الآية ٧ من سورة التغابن .
(١٧) الآيتان ٤٩ ، ٥٠ من سورة الواقعة .
(١٨) الآيتان ٤٧ ، ٤٨ من سورة الواقعة .
(١٩) فى الآية ٧ من سورة سبأ .
(٢٠) فى الآية ٣ من سورة ق .
(٢١) فى الآية ١٠ من سورة السجدة .
(٢٢) فى الآية ٢٧ من سورة الروم .
(٢٣) الآية ١٥ من سورة ق .
(٢٤) فى الآية ١٠٤ من سورة الانبياء .
(٢٥) الآيتان ٣ ، ٤ من سورة القيامة .
(٢٦) الآية ٧٨ ، ٧٩ من سورة يس .
(٢٧) الآيتان ١١٥ ، ١١٦ من سوزة المؤمنون
(٢٨) الآيتان ٢٧ ، ٢٨ من سورة ص .
(٢٩) الآيتان ٣٥ ، ٣٦ من سورة القلم .
(٣٠) الآية ٥٨ من سورة غافر .
(٣١) الآية ٢١ من سورة الجاثية .
(٣٢) فى الآية ٢٧٥ من سورة البقرة .
(٣٣) الآية ١٣٠ من سورة آل عمران .
(٣٤) الآية ١٨٨ من سورة البقرة .
(٣٥) فى الآية ١٥٢ من سورة الانعام .
(٣٦) فى الآية ١٠ من سورة النساء .
(٣٧) ، (٣٨) فى الآية ٢٨٢ من البقرة
(٣٩) فى الآية ٢٨٣ من سورة البقرة .
(٤٠) فى الآية ١٠٧ من سورة المائدة .
(٤١) فى الآية ٦ من سورة النساء .
(٤٢) من الآية ١٧٨ من سورة البقرة .
(٤٣) فى الآية ٩٢ من سورة النساء .
(٤٤) فى الآية ٣٣ من سورة المائدة .
(٤٥) فى الآية ٣٨ من سورة المائدة .
(٤٦) الآية ٢ من سورة النور .
(٤٧) الآية ٤ من سورة النور .
(٤٨) فى الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .
(٤٩) آيتان ٩ ، ١٠ من سورة الحجرات .
(٥٠) الآيتان ٣٤ ، ٣٥ من سورة النساء .
(٥١) فى الآية ٦١ من سورة الانفال .
(٥٢) فى الآية ٩٠ من سورة الانفال .
(٥٣) الآية ١٩٠ من سورة البقرة .
(٥٤) فى الآية ٣ ، ٦ من سورة الانفال
(٥٥) الآية ٤٥ من سورة الانفال .
(٥٦) فى الآية ١٢ من سورة الانفال .
(٥٧) فى الآية ٤ من سورة محمد .
(٥٨) فى الآية ٥٧ من سورة الانفال .
(٥٩) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة الانفال .
(٦٠) الآية ١٠٤ من سورة النساء .
(٦١) فى الآية ٦ من سورة التوبة .
(٦٢) فى الآية ٤ من سورة محمد .
(٦٣) فى الآية ٩١ من سورة النحل .
(٦٤) الآية ٤ من سورة التوبة .
(٦٥) الآية ٥٨ من سورة الانفال .

بين عناية الإسلام

محمد سلام مدكور

عنيت الأديان وسائر التشريعات بالطفولة ، ومن وجهة نظر الإسلام فإنه يجب أن تتعهدها يد « برة » رحيمة حريصة عليها مخلصة لها ، لا تسلك بها فى التربية مسلك القسوة والعنف ولا مسالك الطراوة والتدليل ، ولكن الوسطية التى يوجهنا اليها الإسلام . فيساسون بالرحمة مع شىء من الحزم . تتكون الشدة من غير عنف ، واللين من غير ضعف ، وإنما الرحمة مع الحزم دون اسراف فى اللوم والتعنيف اذا اقترف الطفل ذنبا يقول الله سبحانه : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله .. »

ولا أدل على رعاية الاسلام للطفولة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : تخيروا لنطفكم فان العرق دساس .. فقد جعل الاختيار عند الزواج أساسا لمصلحة الأطفال ، إذ الطفولة هى البراعم التى ستتفتح عن شباب المستقبل ، وبقدر ما نحسن فى إعدادها وتوجيهها بقدر ما نجنى منها للأسرة والمجتمع من عمل مثمر منتج .

والأسرة هى المدرسة الأولى لتربية الأطفال وتنشئتهم ، ففيها وحدها يوضع حجر الأساس التربوى حيث يكون الطفل عجينة لينة طيبة ، والأبوان هما أقدر الناس على رعاية أولادهم والقيام بشئونهم لما غرسه الله فى نفوسهم من حب فطرى لهم ، وما وهبهم الله بحكم الأمومة والأبوة من قدرة على احتمال المشاق بنفسية سعيدة راضية فى سبيل إسعاد أطفالهم .

ومن عناية التشريع الاسلامى بالطفولة أن رتب لها حقوقا كثيرة منها حق الطفل فى اكتساب جنسية الأب بناء على حق الدم ، ومنها تبعية خير الأبوين دينا ، ولما كان الاسلام لا يجيز للمسلمة أن تتزوج بغير المسلم ، بينما يبيح للمسلم الزواج بغير المسلمة من أهل الكتاب فان الأولاد بناء على ذلك يتبعون ديانة الأب المسلم ، أما إذا كان الأبوان غير مسلمين ثم أسلمت الزوجة ولم يقبل الزوج الاسلام فان الأطفال يتبعون ديانة الأم فضلا عن التفريق بينها وبين الزوج .

ومن عناية الاسلام بالطفولة أن

بالطفولة وتحريمه التبني

وجه الى تغير الاسم الذى يطلقونه عليه ، بحيث لا يكون اسما يسبب له مضايقات فى المجتمع ، ويجعله موضع سخرية واستهزاء بين الأطفال فتتعقد نفسيته بسبب ذلك ، وينفر من الناس والاجتماع بهم ، مع أن الإسلام يحرص على الجماعة ورتب لها فى أحكامه وتشريعاته ما يجعلها متكررة مستمرة .

ومن عناية الشارع بالطفولة أن رتب لها حق ثبوت النسب ، وحق الرضاعة ، والحضانة ، والولاية ، وأوجب التقاط اللقطاء والعناية بهم والحفاظ عليهم ، واذا كان الإسلام حرم التبنى ومنعه لحكمة سامية فانه اعتبر مجهول النسب أخاً لنا فى الدين تربطنا به الأخوة العامة فى الإسلام .

قد يقال : إذا كان الإسلام جعل الأسرة الحقيقية هى المحضن الطبيعى لنمو الطفل ، تنمو فيه عاطفته وتستقر مشاعره ، وتتوطد علاقاته الطبيعية ببقية أفراد الأسرة ، وعنى بالطفولة هذه العناية فقرر لها تلك الحقوق التى أشرنا اليها فلماذا يبطل التبنى مع ما فيه من إشباع لعواطف الآباء والأطفال ، وربط الطفل بنسب يسعد به بين الناس ، ويدفع عنه معرّة جهالة نسبه .

الواقع أن الإسلام حين يقرر حكما من الأحكام لا يقرره ليستكمل به شكلا تشريعيا معينا ، ولكنه يفعل ذلك وهو يضع فى اعتباره تنظيم حياة الناس ، ثم يجعل تنفيذ هذا الحكم لونا من الوان العبادة التى هى العلاقة الخالصة بين الخلق والخالق ، وهو من اجل ذلك يجعل الغاية من إنزال الكتاب هى الحكم بين الناس وتنفيذ تشريعاته فى مجتمعاتهم ، يقول سبحانه « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » .

والإسلام حين يبطل التبنى — بعد العمل به فترة طويلة فى عهد الرسول وفى صدر التشريع — يعلن الحكمة الكامنة من وراء ذلك فيقول جل شأنه : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » ثم يذكر السبب فيقول : « ذلكم قولكم بأفواهكم » أى أنه ادعاء يبدو فيه الكذب ، ثم يقرر الاتجاه الصحيح فيقول : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » ثم يوجه الى ما ينبغى أن يكون عليه الناس مع مجهولى النسب من حسن معاملة فيقول : « فان لم

تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » .

فاللقطاء ومجهولو النسب يعيشون فى رعاية الإسلام وذمته وهم أخوان المسلمين ، ومن هنا لم يجد المسلم مجهول النسب غضاضة فى أن يُعرف بذلك ، أو أن يعلنه هو بنفسه ما دام فى المجتمع الاسلامى الذى يخضع فى جميع صلاته لتعاليم الاسلام وارشاداته ، لأن هذا المجتمع الرحيم قد أصبح بمثابة أبيه ونسبه الذي لا يعدل به نسبا ، ولذا فان أبا بكرة — نفيع بن الحارث كما يسميه رجال الحديث — أعلن جهالة نسبه وقال — كما روى الطبرى — أنا ممن لا يعرف أبوه فأنا أخوكم فى الدين ومولاكم .

وحماية من الاسلام لمجهولى النسب من المنحرفين فى المجتمع الذين لا يكفى لاصلاحهم مجرد التوجيه الخلقى ، وضع عقوبة صارمة لمن يُعيّر أحدا بذلك كأن يقول له : يا ابن الزنى ، ولم يجعل جهالة النسب مما يعيب الشخص نفسه إذ كل نفس بما كسبت رهينة ، كما أنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، فمجهول النسب لم يقترف إثما ولا ذنبا وإنما هو ثمرة جناية غيره وجريمته .

ومع هذا فقد أوجد الاسلام المجال فسيحا أمام من تورط فاتصل بامرأة عن طريق عقد زواج فاسد أو وطء بشبهة ، وأنجبت منه نتيجة ذلك ، فأجاز له أن يثبت نسب هذا المولود عن طريق الاقرار ، ولم يجعل للقاضى كما يقرر فقهاء الحنفية حق سؤاله عن ما وراء هذا الاقرار ما دامت الشروط المعتبرة لصحة الاقرار متوافرة وفى ذلك تيسير لمن تورط فى غير الزنى ، وستر لسبب النسب الذى قد يكون فى إظهاره ما يلحق الضرر أو العار بالولد أو بالوالدة . إذ قد يكون نتيجة وطئه زوجة الغير ظنا منه أنها زوجته ، أو شىء من هذا القبيل .

وتتلخص شروط صحة الاقرار بنسب الولد له أن يكون المقر به مجهول النسب ، وأن لا ينازعه فيه منازع والا احتجنا بجانب الاقرار الى البينة أو القرائن ، وأن تكون البنوة بينه وبين من يدعيه متصورة بأن يكون فارق السن بينهما يسمح بأن يولد مثله لمثله ، كما يشترط تصديق المقربه اذا كان من أهل التمييز أى بلغ سن السابعة أو اكثر . فالاقرار وحده مع هذا يكفى لالحاق الصغير بنسب من يدعيه دون حاجة الى أى اثبات آخر وما ذلك الا لحرص الشارع على مصلحة الاطفال وثبوت نسبهم .

ولا ينبغى أن يتصور أحد أن هذا طريق يفتح الباب فسيحا أمام التبنى الذى قلنا ان الاسلام حرمه لأن الاقرار بالنسب هو مجرد اخبار عن قيام سبب موجب لثبوت النسب . بينما التبنى تصرف قانونى يقصد منه إنشاء نوع خاص من النسب لم يكن ثابتا قبله ، وهو يعلم أنه منسوب فى الحقيقة والواقع الى غيره معلوما كان نسبه الاصلى أم مجهولا .

فالتبنى هو اتخاذ رجل ابن غيره المعروف أو المجهول كولده ونسبته اليه وإعطاؤه كل أحكام الابن الصلبى وقد عرفت عادة التبنى من قديم الزمان فعرفها قدماء المصريين ، كما عرفها غيرهم من الأمم والشعوب ، ورغم أن التبنى كان وما يزال شائعا فى أوربا وأمريكا ، فانه لم يسمح به فى الولايات المتحدة بصفة قانونية الا سنة ١٨٥٦ م وكذلك لم يعرف فى

انكلترا بصورة قانونية الا سنة ١٩٢٦ م وفى فرنسا صدر قانون التبنى سنة ١٩٢٣ . وتتطلب قوانين التبنى موافقة الآباء الطبيعيين للطفل اذا عرفوا على هذا التبنى ما داموا قد تنازلوا عن أبوتهم ، كما تتطلب موافقة الطفل نفسه أن كان مميزا .

ومن هذا يبين أن التبنى فى هذه القوانين يشمل نزع الطفل من عائلته الأصلية ونسبه المعلوم ، وتغيير اسمه الحقيقى الذى ينتمى اليه بحكم الدم ، وجعله منتميا نهائيا الى من تبناه ، وبذا يصير أجنبيا عن أهله الأصليين كما يشمل تبنى شخص مجهول النسب والحاقه بنسب المتبنى .

وقد عرف العرب فى الجاهلية نظام التبنى بصورتيه ، وبقى فترة فى صدر الاسلام ، ومن ذلك تبنى الاسود بن عبد يغوث للمقداد ابن عمرو بن ثعلبة ، وكان المقداد مع أبيه الأصلى يقيم فى حضرموت ، ولما كبر اعتدى على أحد شباب كندة وهرب الى مكة وحالف الاسود بن عبد يغوث الزهرى الذى تبناه .

وكذلك فقد تبنى أبو حذيفة بن عتبة سالم بن معقل من أهل الفرس ، كما تبنى الخطاب أبو الفاروق . عامر ابن أبى ربيعة بن كعب بن مالك ، وكذلك فقد تبنى محمد بن عبد الله قبل بعثه زيد بن حارثة . روى ابن عباس رضى الله عنهما أن زيد ابن حارثة كان فى أخواله بنى مَعْن من طئ . فأصيب فى نهب وجىء به الى سوق عكاظ وانطلق حكيم بن حزام ابن خويلد إلى عكاظ يتسوق بها وكانت السيدة خديجة قد أوصته أن يشترى لها غلاما ، فلما وجد زيدا ابتاعه لها ، ولما تزوجها محمد بن عبد الله أعجبه حسنه فوهبته له فشب عنده حتى خرج مرة فى إبل لأبى طالب بأرض الشام فتعرف عليه قومه فاتوا معه الى سيده ومولاه محمد ابن عبد الله وقالوا له : أمنن علينا وأحسن الينا فى فدائه ، وإنا لندفع اليك فى الفداء ما أحببت ، فخيره سيده . فقال زيد : ما أنا بمختار عليك أحدا أبدا . أنت منى مكان الأب والعم . فما كان من سيده الا أن قال : اشهدوا أنه حر وانه ابنى يرثنى وأرثه . وبقى فى الجاهلية وصدر الإسلام يدعى زيد بن محمد .

وبعد فترة من بدء الرسالة وظهور الاسلام نزل قول الله تعالى : ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » ولذا فان ابا بكرة قال حينما نزلت هذه الآية : أنا ممن لا يعرف أبوه فأنا أخوكم فى الدين ومولاكم ، وبذا يكون الاسلام أبطل التبنى بنوعيه بعد أن علق بأذهان العرب وتحكم فى أوضاعهم .

والحكم بابطال التبنى حكم معقول المعنى تتطلبه سلامة المجتمع وسلامة الأسرة نفسها واتباع حدود الله . فالتبنى يخول للمتبنى الاختلاط بجميع أفراد الأسرة والاطلاع على عورات أفرادها ، ويحرم عليه التزوج من بنت متبنيه أو أخته مع أنها فى الأصل تحل له : ويحل له هذا التبنى أن يتزوج باخته الحقيقية وعمته مع أنها فى الأصل تحرم عليه ، كما أنه بحكم التبنى يصبح وارثا فى تركة المتبنى باعتباره ابنا له ويحجب غيره عن الأرث ممن يستحقون الأرث بحكم الله دونه ، وقد يكون الأب الحقيقى فقيرا وهذا الابن الذى نسب الى الغير موسرا فلا يستطيع أن يطالبه بنفقته مع أنها تجب له شرعا عليه . بينما يجبر ذلك الأب الجديد المتبنى ان كان محتاجا الى الانفاق

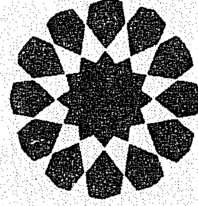
عليه . مع أنها لا تجب بحكم الشرع ، وكل هذا تغيير لحدود الله وخروج على أحكامه ، فوق انه تغيير لأحكام الطبيعة نفسها .

واذا كان فى التبنى ناحية إنسانية وإشباع للعاطفة ، فان الإسلام بعد أن نظم العلاقات الأسرية وبين أحكامها انتهى الى ان التبنى لم يكن له دور فى المجتمع الإسلامى الذى عنى بتشريع الأسرة ، وأباح تعدد الزوجات وحرم الزنى ، وعمل على حماية أفراده من الوقوع فيه ، وصبغ الصلة الرضاعية ببعض الأحكام الشرعية التى تربط الرضيع بأسرة من أرضعته ، وبعد أن وضع القواعد الخلقية التى أرست قاعدة الأخوة الدينية بينهم وبين مجهولى النسب ، ومع هذا فان التبنى كذب وافتراء على الله والناس وتغيير للطبيعة وخلق الله ، إذ كيف يخلق الله للإنسان نسبا طبيعيا من شأنه أن يتمسك به ويعتز ، فينخلع منه أو يخلع وينسب الى نسب آخر لا صلة له به ؟! ان فى ذلك افتئاتا على فطرة الانسان وتكذيبا لنشأته الأولى .

ولا ينبغى أن يقال إن فى التبنى إسعادا للطفل مجهول النسب ، لأن من يتبنى شخصا انما يمنحه من عطفه وإقباله وحنانه ما يشعره فيه بالحب ، ويعينه به على إظهار غرائزه وتنمية بدنه . اذ الواقع ان هذا يصطدم بالحقيقة النفسية ، فان كل هذه المظاهر متكلفة كثيرا ماتزيلها أدنى عقبة من العقبات التى تطرأ فتقلب أحيانا العطف الى قسوة ، وقد لمسنا ان كثيرا من هذه الصور اتصلت بمآسى أبرزها خيانة الولد لمتبنيه ، وتصرفه فى بيته وفى أمواله على ضوء هذا التدليل تصرفا يغير نظرة المتبنى اليه . فتكون الفظائع والفجائع ، وخاصة حينما يصارحه بالحقيقة أو يعلمها المتبنى من اى طريق .

فأين هذا من صلة الأبوة والبنوة الطبيعية التى تأبى على كل منهما ان يرعى حق الآخر بعاطفة الحب الفريزى مهما تقلبت الأمور . فاذا كان المتنبى يتكلف العطف ليرأب صدع ذلك الترقيع فان الأب كثيرا ما يتكلف القسوة ويتظاهر بها حرصا على صالح الابن ، حرصا منبعثا من خالص الحب . فكما يقول العرب قديما : ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة . وهذا يصور الفرق ما بين الأب الحقيقى والأب الصورى .

وبعد . فان الذى يشرع للعباد إله رحيم ، يعرف مصلحتهم وان جهلوا هم هذه المصلحة ، وما دام قد خلقهم فهو الذى يتكفل باقامة مجتمعاتهم ورعايتها والتقنين لها ، وصدق الله العظيم « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا .. » وصدق تعالت قدرته فى قوله : « لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا .. » .. وأخيرا فالحق أحق أن يتبع ، ولا يستقيم أمرنا الا باتباع حدود الله .



نظرية الشريعة الإسلامية في الاشتراك

الاشتراك جريمة مستقلة

للدكتور / احمد المجدوب

استحوذ موضوع المساهمة الجنائية على اهتمام المشرّع والفقه منذ عهود موغلة فى القدم ، أو بعبارة أخرى ، منذ أن قامت سلطة الدولة وتقرر حقها فى سن القوانين وفرض الجزاءات على من لا يلتزمون بما تتضمنه من أوامر ونواه ، ذلك أنه قد اتضح منذ اللحظة الأولى وجود تفاوت فى أهمية وخطورة الأفعال التى يرتكبها المساهمون فى الجريمة ، بحيث يعتبر بعضها من الأسباب المباشرة فى وقوع الجريمة بينما يعتبرها البعض الآخر من الأسباب غير المباشرة فى وقوعها . وهو ما يجب أن يراعى عند توقيع العقاب على هؤلاء المساهمين بحيث لا يتساوون في شدة العقوبة أو قسوة الجزاء وإلا كان هذا منافيا لأبسط مبادىء العدالة .

ولكن هذا ليس معناه ان المجتمعات الإنسانية المختلفة قد واجهت مسألة التفرقة بين المساهمين فى الجريمة والتمييز بين نشاطهم الاجرامى فى مستوياته المختلفة بطريقة واضحة ومنهج سليم ، بل لعلها وقد ادركت وجود ذلك التباين لم تسع الى الاستفادة به فى الأخذ بما يسمى اليوم تفريد العقوبات تبعا لخطورة المساهمين فى الجريمة ، بل سعت الى البحث عن مبررات تستند اليها فى جعل عقوبة المساهمين فى الجريمة واحدة وبنفس الشدة بغض النظر عن التفاوت

فى درجة إجرامهم ، المتمثلة فى الأفعال التى ارتكبها كل منهم ، وكان مما زعمته فى هذا الصدد ، أن أعمال الشريك فى الجريمة ليست محرمة فى ذاتها وإنما تصبح كذلك نتيجة الاتصال بين الشريك والفاعل ، فمن يقدم المساعدة للقاتل ليس خاطئا ، وإنما يستمد الخطيئة ويكتسب الدنس — أى دنس الجريمة — من هذا القاتل .

وهذا التفسير مستمد من عادات ذات أصول قديمة كانت تقضي بأن الخطيئة تنتقل من شخص الى آخر سواء نتيجة وجود صلة قرابة أو علاقة جوار ، مما يؤدى الى انتقال الدنس (الخطيئة) بين الناس . وقد ظلت هذه الفكرة سائدة فى بعض الديانات التى يؤمن أتباعها بأن الخطيئة تورث ، وأن آدم عليه السلام قد أورث نسله — اى البشر جميعا — خطيئته فهم جميعا خطاة ، كما تأخذ بمبدأ الفداء والتضحية الذى بمقتضاه يمكن أن يفتدى شخص خطيئة الناس جميعا بنفسه ومن هنا جاءت فكرة وحدة الجريمة ، أى الخطيئة ووحدة الجزاء أو التضحية والفداء وهذا هو جوهر فكرة الاستعارة الاجرامية (١) .

وقد انتقلت هذه الفكرة الى القانون الرومانى ومنه الى القانون الكنسى ، ثم الى التشريع الفرنسي القديم ومنه الى قانون العقوبات الفرنسى الصادر سنة ١٨١٠ . وصيغت فى نظرية أطلق عليها نظرية الاستعارة الاجرامية المطلقة ، التى يرجع الفضل فى تجديدها الى الفقيه الألمانى فون بورى سنة ١٨٦٠ . وطبقا لها فان الشريك فى الجريمة سواء كانت صورة اشتراكه هى التحريض أو الاتفاق أو المساعدة ، لا تعتبر أفعاله هذه مجردة ومنفصلة عن النشاط الأصلى للفاعل ذات طبيعة اجرامية ولكنها تستعير هذه الطبيعة الاجرامية بارتباطها بالنشاط الصادر عن الفاعل الأصلى ومن ثم فان الشريك يسأل عن جريمة غيره التى اشترك فيها ، وتوقع عليه عقوبتها كما توقع على غيره من المساهمين فى الجريمة ، نظرا لوحدة الارادة الاجرامية لديهم التى يترتب عليها وحدة المسئولية بالنسبة لهم ، تلك المسئولية التى يتم تحديدها على أساس مدى خطورة الأفعال المرتكبة .

من هذا يتضح أن نظرية الاستعارة الاجرامية تستند الى فكرة غير صحيحة هى فكرة وراثة الخطيئة وفكرة المسئولية الجماعية . وهذه وتلك فكرتان لا يقرهما الاسلام بل يعارضهما بشدة طبقا لقوله تعالى : « **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما اكتسبتم ولا تسالون عما كانوا يفعلون** » فنحن لا نسأل عما فعله أسلافنا لأن الخطيئة لا تورث . وكذلك لا يسأل شخص عما فعله غيره « **وكل إنسان الزمناه طائره فى عنقه** » كذلك فانه « **لا تزر وازرة وزر أخرى** » و « **الا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى** » « **ولا تكسب كل نفس الا عليها** » « **ومن عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها** » و « **من يعمل سوءاً يجز به** » وهكذا يبدو مبدأ المسئولية الشخصية واضحا جليا بشكل لا لبس فيه فى الشريعة الاسلامية .

فاذا ساهم شخص فى جريمة ما فانه يسأل فى حدود ما أتاه من فعل يخالف به نهيا ، أو ما صدر عنه من امتناع يخالف به أمرا ، فهو يستقل بجرمه لا يستعيره من غيره وينفرد بخطيئته لا يستمدها من سواه .

فالاشتراك فى الجريمة سواء كان بالتحريض أو بالاتفاق أو بالمساعدة هو جريمة مستقلة يسأل مرتكبها عنها وحده مستقلا بأوضاعه وظروفه وأحواله جميعا عن غيره من المساهمين فيها سواء كانوا فاعلين أو شركاء .

فنظرية ان الاشتراك جريمة مستقلة هى النظرية التى تحكم المساهمة الجنائية فى الشريعة سواء كانت مساهمة أصلية أو مساهمة ثانوية . وهى نظرية واضحة المعالم ، متكاملة الأركان تستند كما أسلفنا الى موقف عقائدى يتعارض تماما مع الفكرة الأساسية التى تستند اليها نظرية الاستعارة الاجرامية فى صورتها المطلقة والنسبية .

مضمون النظرية :

تقوم نظرية الاشتراك جريمة مستقلة على أساس أن الشريك لا يستعير إجرامه لا من الفاعل الأصلى للجريمة (نظرية الاستعارة الاجرامية المطلقة) ولا من الجريمة التى ارتكبها هذا الفاعل (نظرية الاستعارة الاجرامية النسبية) وإنما يستقل بجرمه ، بحيث يسأل عن فعل أثبتت صلته بالفعل الأصلى وبالفعل الثانوى الآخر اذا وجد وبالتالى يعاقب عن جريمة مستقلة عن جريمة سواه ممن ساهموا فى الجريمة الأصلية .

فتقدير فعل كل شخص فى الجريمة يتم على انفراد ، سواء من حيث تحديد التهمة المنسوبة اليه أو من حيث وصف الجريمة التى نشأت عن فعله ، وطبقا لهذه النظرية لا يوجد فاعلون وشركاء بالمعنى الوارد فى نظريتى الاستعارة ، بل يوجد عدد من الجناة وعدد من الجرائم .

والنتيجة المنطقية لهذا الوضع هى وجود نصوص فى قانون العقوبات تحكم الأفعال المختلفة سواء منها ما يطلق عليه وصف مساهمة أصلية ، أو ما يطلق عليه وصف مساهمة ثانوية ، وبالتالى يزول الوضع القائم فى معظم قوانين العقوبات الآن والذى يخضع الفاعلين والشركاء فى الجريمة الواحدة لنص واحد بالرغم من التباين الشديد بين نشاط كل منهم والتفاوت فى درجة الخطورة لديهم ويترتب على تطبيق نظرية الاشتراك جريمة مستقلة التغلب على غالبية المشكلات التى أثارها تطبيق نظرية الاستعارة الاجرامية والقضاء على معظم الصعوبات التى تسببت فيها .

نتائج نظرية الاشتراك جريمة مستقلة :

أولا : تتلافى النظرية النتائج المسرفة فى الخطأ التى نشأت عن استناد نظرية الاستعارة الاجرامية المطلقة الى فرض لم تتحقق صحته وهو أن نشاط الشركاء ليس مجرما فى ذاته ، وانما النشاط المجرم فى ذاته هو نشاط الفاعل وهو ما أدى الى اعتبار نشاط الفاعل ــ كقاعدة عامة ــ ذو طبيعة اجرامية دائما واعتبار نشاط الشريك مجردا من هذه الطبيعة . وهى نتيجة لا يمكن التسليم بها لأن النشاط الذى يصدر عن الفاعل فيه ما هو مجرم بطبيعته وفيه ما ليس كذلك ، ولكنه يصبح غير مشروع لعدة أسباب ، بعضها يرجع الى قصد الفاعل ، أو الى عدم رضاء المجنى عليه ، أو الى طبيعة المحل الذى وقع عليه الاعتداء ، والبعض الآخر يرجع الى صفة خاصة فى الفاعل أو الى الظروف التى يقع فيها الفعل .

ولذلك فان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تنظر الى فعل الشريك مستقلا عن فعل الفاعل وتسأل كل واحد عن فعله وفى حدود ما توفر لديه من قصد .

ففى جريمة السرقة ، اذا اشترك اثنان فى نقب الحرز ثم انفرد أحدهما بأخذ المال قطعت يد المنفرد منهما بالأخذ دون الشريك فى النقب (٢) . فالأول

يوقع عليه الحد لأنه السارق ، أما الثانى فلا يوقع عليه الحد لأنه لم يسرق وإنما توقع عليه عقوبة تعزيرية باعتبار أن ما ارتكبه هو جريمة تعزيرية تستقل عن جريمة السارق ، فيجلد أو يسجن .

ثانيـــا : ان القول بأن عمل الشريك ليس محـــرما فى ذاته من شأنه أن يحجب مالهذا العمل مجردا من تلك الصلة بينه وبين الفاعل الأصلى (الاستعارة المطلقة) أو بينه وبين فعل الفاعل الأصلى (الاستعارة النسبية) من خصائص نفسية ومادية ذات طابع اجرامى ، فالنشاط الصادر من الشريك قد يكتسب الصفة غير المشروعة من قصـــد الشريك نفسه وليس من قصـــد الفاعل وذلك بالنسبة للتحريض الذى يسبق فيه قصد الشريك فى الوجود قصد الفاعل — بل انه هو الذى يخلق القصد لدى هذا الفاعل . وفى الأحوال التى يكون فيها المنفذ حسن النية أو غير ذى أهلية جنائية ، فانه لا يمكن القول بوجود قصد اجرامى لدى الفاعل يمكن أن يكسب نشاط الشريك الطبيعة غير المشروعة .

وهو ما تجنبته نظـــرية الاشتراك جريمة مستقلة بفصـــلها بين الفاعل والشريك ومساءلتها كلا منهما على حدة فاذا حرض شخص آخر على قتـــل ثالث فقتله فان القاتل اذا كان صبيا لا يميز أو حسن النية لا يعلم أن طاعة المحرض لا تجوز فى القتل بغير حق ، وحب القصاص على الآمر أى المحرض لأن المأمور ههنا كالآلة للآمر (٣) .

وفيما يتعلق بالتحريض وأثره فى مسئولية المحرض عن الجريمة التى حرض عليها ، اختلف الفقهاء فى المكرَه والمكرِه ، وبالجملة الآمر والمباشر ، فقال مالك والشافعى والثورى وأحمد وأبو ثور وجماعة : القتل على المباشر دون الآمر (المحرض) ويعاقب الآمر ، وقالت طائفة : يقتلان جميعا ، وهذا اذا لم يكن هنالك إكراه ولا سلطان للآمر على المأمور ، وأما اذا كان للآمر سلطان على المأمور ، أعنى المباشر ، فانهم اختلفوا فىذلك على ثلاثة أقوال . فقال قوم : يقتل الآمر دون المأمور ، ويعـــاقب المأمور ، وبه قال داود وأبو حنيفـــة ، وهو أحد قولى الشـــافعى .

وقال قوم يقتل المأمور دون الآمر ، هو أحد قولى الشافعى . وقال قوم : يقتلان جميعا ، وبه قال مالك : فمن لم يوجب حدا على المأمور أعتبر تأثير الاكراه فى اسقاط كثير من الواجبات فى الشرع ، لكون المكرَه يشبه من لا اختيار له ، ومن رأى عليه القتل غلب عليه حكم الاختيار وذلك أن المكرَه يشبه من جهـــة المختار ويشبه من جهة المضطر المغلوب ، مثل الذى يسقط من علو والذى تحمله الريح من موضع الى موضع ، ومن رأى قتلهم جميعا لم يعذر المأمور بالاكراه ولا الآمر بعدم المباشرة . ومن رأى قتل الآمر فقط شبه المأمور بالآلة التى لا تنطق . ومن رأى الحـــد على غير المباشر اعتمد أنه ليس ينطلق عليـــه اسم قاتل الا بالاستعارة (٤) .

ثالثـــا : ان الشريك يعاقب حتى ولم يرتكب الفاعل الأصلى الجريمة التى قصد الشريك المساهمة فيها وهو ما لم تكن نظرية الاستعارة الاجرامية تتيحه ، لأن المسئولية الجنائية للشريك تتبع المسئولية الجنائية للفاعل الأصلى فى هـــذه النظرية . فيشترط أن تقع الجريمة والا فلا مسئولية لا على الفاعل ولا على الشريك ، وبالتالى لا عقاب على أحدهما . بعكس الوضع فى الشريعة الاسلامية حيث يعاقب على المعاصى ، فاذا كان فعل الشريك يدخل فىمعنى المعصية عوقب حتى ولو لم يؤد الى وقوع جريمة ، مثال ذلك من يحرض شخصا على قتل ثالـــث فان امتناع المحرض عن ارتكاب القتل لا يعفى المحرض من مسئوليته عن جريمة

التحريض ، وهى من جرائم التعازير . فتوقع عليه عقوبة تعزيرية .
رابعـــا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة لا تمد أثر الظـــروف ذات الطبيعة الشخصية التي تؤثر في المسئولية كموانع المسئولية (صغر السن أو الجنون) أو عدم قيام القصد الجنائي الخاصة بالفاعل الأصلي الى الشريك ، ومن ثم فان الشريك في الجريمة التي يرتكبها الصغير أو المجنون يسأل عن اشتراكه بالرغم من أن الجريمة لا تعتبر قائمة نظرا لعدم توفر العناصر الشخصية .

فاذا زنى الصبى أو المجنون بامرأة طاوعته فلا حد عليه ، ويجب الحـــد عليها ، وهو رأى زفر والشافعي وهو رواية عن أبي يوسف . واذا زنى صحيح بمجنونة ، أو صغيرة يجامع مثلها حد الرجل خاصة ، وهذا بالاجماع لأن العـــذر من جانبها لا يوجب سقوط الحد من جانبه . فكذا العذر من جانبه ، وهذا لأن كلا منهما مؤاخذ بفعله (٥) .

كذلك اذا توفر ظرف شخصي سواء كان مخففا أم مشددا ، فانه لا يمتـــد الى الشريك وإنما يقتصر أثره على من توفر لديه فاعلا كان أم شريكا ، ففي جريمة القذف اذا كان الفاعل في الجريمة هو الزوج قد قذف امرأته بزنا وشاركه في الجريمة شخص آخر ، فان للزوج بصفته هذه أن يدرأ الحد عن نفسه باللعـــان (واللعان هو أن يقول الزوج أربع مرات أشهد بالله انى لمن الصادقين ، ثم يقول وعلىّ لعنة الله ان كنت من الكاذبين .

وتقول المرأة أربع مرات أشهد بالله انه لمن الكاذبين ثم تقول وعلىّ غضب الله ان كان من الصادقين ،والدليل عليه قوله عز وجل : « **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شـــهداء إلا أنفسهم فشهادة أحـــدهم أربع شـــهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين** » .

فان أخل أحدهما بأحد هذه الألفاظ الخمسة لم يعتد به لأن الله عز وجل علق الحكم على هذه الألفاظ فدل على أنه لا يتعلق بما دونها ، ولأنه بيّنة يتحقق بهـــا الزنا فلم يجز النقصان عن عددها كالشهادة .

وإذا لاعن الزوج يسقط عنه ما وجب بقذفه من الحد أو التعزير ولا يســـقط عن الشريك ، أما إذا امتنعت الزوجة عن درأ الحد عن نفسها بالقسم فانها تعتبر مقرة بالزنا وتحد ولا يحد الزوج ولا الشريك فان تلاعنا ثم قذفها أجنبى حد لأن اللعان حجة يختص بها الزوج فلا يسقط به الحد عن الأجنبى فإن قذفها ولاعنها ونكلت عن اللعان فحدت فقد اختلف أصحابنا فيها فقال أبو العبـــاس : لا يرتفع احصانها الا فى حق الزوج فان قذفها أجنبى وجب عليه الحد لأن اللعان حجة اختص بها الزوج فلا يبطل به الاحصان إلا فى حقه (٦) .

كذلك في جريمة الزنا إذا كان أحد الشريكين محصنا والآخر غير محصن فان عقوبة غير المحصن لا تشدد فعن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهنى انهما قالا : « ان رجلا من الأعراب اتى النبى صلى الله عليه وسلم قال : يا رســـول الله انشدك الله الا قضيت لى بكتاب الله ، فقال الخصم وهو أفقه منه : نعم اقض بيننا بكتاب الله وإذن لى أن أتكلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : قل ، قال : ان ابنى هذا كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته ، وانى أخبرت أن على ابنى الرجم فافتديته بمائة شاة ووليدة . فسألت أهل العلم فأخبرونى إنما على ابنى جلد مائة وتغريب عام ، وان على امرأة هذا الرجم ، فقال الرسول عليـــه الصلاة والسلام : والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله : أما الوليدة والغنم فرد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، واغد يا انيس على امرأة هـــذا

فان اعترفت فارجمها ، فغدا عليها أنيس فاعترفت ، فأمر النبى عليه الصلاة والسلام بها فرجمت (٧) .
كذلك إذا توفر النصاب الذى يجب فيه القطع فى جريمة السرقة فى حق أحد المساهمين ولم يتوفر فى حق الآخر فان الأول يعاقب بالقطع دون الثانى ، قال الامام مالك : « فى القوم يأتون البيت فيسرقون منه جميعا فيخرجون بالعدل يحملونه جميعا أو الصندوق أو الخشبة أو بالمكتل أو ما أشبه ذلك مما يحمله القوم جميعا ، إنهم اذا أخرجوا ذلك من حرزه وهم يحملونه جميعا فبلغ ثمن ما خرجوا به من ذلك ما يجب فيه القطع وذلك ثلاثة دراهم فصاعدا فعليهم القطع جميعا وقال : أما من لم يخرج منهم بما تبلغ قيمته ثلاثة دراهم فلا قطع عليه » (٨)
أما أبو حنيفة فيشترط للقطع أن يكون النصاب عشرة دراهم (٩) ، فاذا كان أحدهم قد سرق أكثر من عشرة قطع ومن سرق دون ذلك لم يقطع .
خامسا : كذلك فى الأحوال التى يوجد فيها سبب اباحة ، فان نظرية الاستعارة الاجرامية تمد أثره الى جميع المساهمين فى الجريمة فيستفيد منه الشريك فى حين أن نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تجعل بعض المساهمين يستفيد من سبب الاباحة دون البعض الآخر .
فشريك الأب فى قتل الابن يجب عليه القصاص لأن مشاركة الأب لم تغير صفة العمد فى القتل فلم يسقط القود عن شريكه ، كمشاركة غير الأب (١٠) .
والمعروف أنه فى الشريعة الاسلامية لا يجب القصاص على الأب بقتله ولده ، ولا على الأم بقتل ولدها ، لما روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يقاد الأب من ابنه ، فاذا ثبت هذا فالاثبت فى الأم لانها كالأب فى الولادة .
سادسا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تمكن من معاقبة من يشترك فى جريمة تقع كلها خارج اقليم الدولة : وهو الفرض الذى لم يتناوله قانون العقوبات الحالى ، فمن يحرض وهو فى مصر شخصا غير مصرى يقيم فى الخارج على ارتكاب جريمة فى البلد الذى يقيم فيه لا يعاقب اذا وقعت هذه الجريمة .
وهو نفس الوضع فى قانون العقوبات الفرنسى ، ففعل الاشتراك الذى يقع فى فرنسا وتكون الجريمة قد وقعت كلها فى الخارج — لا يعاقب عليه الشريك (١١) . وقد كان هذا الوضع من بين الأسباب التى أدت الى تعديل وصف جريمة اخفاء الأشياء المسروقة سنة ١٩١٥ فى قانون العقوبات الفرنسى بجعلها جريمة مستقلة واخراجها من نطاق الاشتراك (١٢) .
أما طبقا لنظرية الاشتراك جريمة مستقلة فان فعل الشريك اذا كان معصية عوقب عليه بعقوبة تعزيرية .
سابعا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تمكن من معاقبة الشريك حتى ولولم يكن المشرع يعتبر الفعل الذى ساهم فيه جريمة ، مثال ذلك الانتحار فهو ليس محرما فى تشريعات عديدة منها قانون العقوبات المصرى الحالى وقانون العقوبات الفرنسى والبلجيكى والألمانى ومن ثم فان الشريك سواء تم اشتراكه بالتحريض أو بالاتفاق أو بالمساعدة لا يسأل عن اشتراك فى جريمة لأنه ليست هناك جريمة .
أما فى الشريعة الاسلامية فإن تحريض شخص أو مساعدته على الانتحار معصية يعاقب مرتكبها بعقوبة تعزيرية .

ولعل من أهم النتائج التى يسفر عنها تطبيق نظرية الاشتراك جريمة مستقلة انها تمكن من العقاب على الاشتراك فى الزنا باعتبار أن فعل الشريك سواء كان تحريضا على الزنا أو مساعدة عليه أو اتفاقا بشأنه هو معصية لا شك فيها يعزر مرتكبها بعكس القوانين الوضعية التى لا تعاقب عليه لأن القواعد الخاصة بالاشتراك لا تنطبق على جريمة الزنا ، فمن يحرض زوجة على ارتكاب الزنا مع شخص ما لا يعاقب عن اشتراك فى الجريمة اذا ضبطا متلبسين لأن الاشتراك فى الزنا خاص لا يتم الاستناد فيه الى المبادىء العامة الواردة بالمادة ٤٠ عقوبات مصرى (م ٦٦ و ٦٧ عقوبات بلجيكى) (١٣) فالذى يمكن معاقبته فقط هو الفاعل مع غيره فى الجريمة المرتكبة من جانب المرأة الزانية (١٤) .

ثامنا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تمكن من معاقبة الشريك فى حالة مساهمته فى جريمة مما يتوقف اتخاذ الاجراءات فيها على شكوى . مثال ذلك أن يكون الفاعل فى جريمة السرقة ابنا سرق أباه أو زوجا سرق زوجته . فان الشريك سواء كان قد حرض على ارتكاب الجريمة أو ساعد على ارتكابها أو اتفق بشأنها يعاقب حتى ولو لم يتقدم المجنى عليه بشكوى لأن ما فعله الشريك هو معصية فى ذاته . وكذلك الحال فى جريمة الزنا التى يشترط لاتخاذ الاجراءات بشأنها التقدم بشكوى من الزوج المضرور .

تاسعا : كذلك تمكن النظرية من معاقبة الشريك الذى يخلق حالة الدفاع الشرعى ، كأن يحرض شخص آخر على القيام بعمل ينطوى على استفزاز لشخص ثالث يدفع هذا الأخير الى مهاجمة من صدر منه الاستفزاز فما يكون من هذا إلا أن يقتله دفاعا عن نفسه ، كل هذا بتدبير من المحرض ، فطبقا لنظرية الاستعارة الاجرامية لا يعتبر فعل الدفاع الشرعى جرما وبالتالى فليس هناك نشاط أصلى معاقب عليه يستعير منه الشريك اجرامه . ولكن طبقا لنظرية الاشتراك جريمة مستقلة فان الشريك الذى خلق بنشاطه حالة الدفاع الشرعى يعتبر مرتكبا جريمة يعاقب عليها .

وقد قضى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى واقعة مماثلة بأن تحمل الزوجة دية عشيقها الذى مكنته من التخفى بمسكنها للاعتداء على زوجها فما كان من هذا الأخير إلا أن قتله حين هم بالاعتداء عليه لأنها هى التى عرضته للقتل وتسببت فى ازهاق روحه . وكانت أولى بالضمان من الزوج المباشر للقتل لأن هذا القتل كان مأذونا به فى حالة دفاع عن النفس والحرمة ويقول ابن القيم : « فهذا من أحسن القضاء الذى لا يهتدى اليه كثير من الفقهاء وهو الصواب » (١٥) .

النظرية فى الفقه والتشريع الغربيين :

هذه هى نظرية الاشتراك جريمة مستقلة وتطبيقاتها فى الشريعة الاسلامية أما فى الغرب فقد ظهرت النظرية لأول مرة فى المؤتمر الدولى لقانون العقوبات الذى انعقد سنة ١٨٩٥ فى مدينة (Linz) أى بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنا من ظهور النظرية فى الشريعة الاسلامية حيث اقترح كرارا بمناسبة مناقشة موضوع المساهمة فى جريمة قتل الأصول ، الاهتمام بدراسة المتهم وليس الجريمة التى ارتكبها والتى ليست فى الواقع سوى الفرصة التى أتاحت الامساك به .

وقد لاقت هذه الأفكار ترحيبا فى كثير من الدول التى بادرت الى الأخذ بها فى تشريعاتها العقابية ومنها قانون العقوبات النرويجى الذى وضعه الفقيه (Getz)

سنة ١٩٠٢ والذى صرح بأنه طالما لا يجـوز مساءلة الشـخص إلا عما ارتكبه شخصيا كما تقرر ذلك المبادىء العامة ، فانه يجب كذلك الا يسأل الشريك إلا عما قام به شخصيا من أفعال بصرف النظر عن أفعال غيره ممن ساهموا معه فى الجريمـة .

وقد أخذت بهذه النظرية بالاضافة الى قانون العقوبات النرويجي الصادر سنة ١٩٠٢ ، قانون العقوبات الايطالى الصادر سنة ١٩٣٠ ،وقانون العقوبات السويسرى سنة ١٩٣٧ ومشروع قانون العقوبات الفرنسى سنة ١٩٤٣ ، وقانون العقوبات المكسيكى سنة ١٩٣١ والبرازيلى سنة ١٩٤٠ والدانمركى .

كذلك أيد هذه النظرية جانب كبير من الفقهاء مثل فويرباخ وكرارا وفون لست ونيكولا دونى (١٦) وبالرغم من الانتقادات التى وجهها أنصار نظرية الاستعارة الى نظرية الاشتراك جريمة مستقلة فان ذلك لا يحول دون التسليم بأن هـذه النظرية قد حققت مزايا كثيرة تعتبر من عناصرها الأصلية بعكس نظرية الاستعارة التى لجأت الى اصطناع حلول أو بالأحرى استعارتها بالرغم من أنها تتعارض أصلا مع منطقها والملاحظ بصفة عامة أن سلطان نظرية الاستعارة سواء كانت مطلقة أو نسبية قد بدأ ينحسر لأن التشريعات العقابية لم تعد اليوم كما كانـت بالأمس تميل الى اعتناق نظرية أو مذهب معين بشأن وضع الشريك فى الجريمة ، فالتطور المستمر الذى تمر به التشريعات جعلها تستمد القواعد التى تتلاءم مع سياستها العقابية من مختلف النظريات بحيث لا يتاح للشريك أن يفلت من العقاب نتيجة استفادته من التغييرات التى توجد فى النظرية الواحدة ، وقد أدى هـذا التطور الى افقاد نظرية الاستعارة الاجرامية لكثير من الأرض التى كانت تقف عليها لمصلحة نظرية الاشتراك جريمة مستقلة التى اتسعت الرقعة التى تسيطر عليها من قانون العقوبات . فلعل هـذا يشجع رجال الفقه وشراح القـانون المسلمين على اعادة النظر فى موقفهم من أحكام الشريعة الاسلامية وأعمـال الفقهاء المسلمين التى تثبت كل يوم أصالتها وتؤكد دقتها وسلامتها .

---

(١) انظر مزيدا من البيانات ، جاك ليوتيه : المساهمة الأصلية ، الاشتراك والتحريض فى القانون الفرنسى ، المجلة العقابية السويسرية سنة ١٩٥٧ ، ص ١ وما يليها .
(٢) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٢٢٧ .
(٣) المهذب جـ٢ ، ص ١٧٨ .
(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ٢ ص ٣٩٦ .
(٥) الهـداية ، جـ ١ ص ١٠٣ .
(٦) المهـذب ، جـ ١ ص ١٢٧ .
(٧) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ٢ ص ٤٣٦ .
(٨) الموطـا ص ٥٢٢ .
(٩) الهـداية ، جـ ٢ ص ١١٩ .
(١٠) المهـذب ، جـ ٢ ص ١٧٥ .
(١١) فيدال ومانيول : دروس فى القانون الجنائى وعلم العقاب جـ ١ ص ٥٦٨ .
(١٢) دالوز جـ ١ ، قسم ١ ص ٤٥٥ وما يليها .
(١٣) نيبلس ، قانون العقوبات البلجيكى فقرة ٣٨٩ رقم ٩ .
(١٤) جارو الشرح النظرى والعملى لقانون العقوبات الفرنسى جـ ٤ رقم ٥١٧ .
(١٥) محمود الباجى ، المرجع السابق ص ٨٤ .
(١٦) بوزا : الشرح النظرى والعملى لقانون العقوبات جـ ١ رقم ٧٢٨ ص ٤٩٤ .

٢

العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق

العلمانيّة في مرحلتها الثانية في الفكر الأوروبي وهي تمثل الاستئثار بالسلطة

للدكتور محمد البهى

٢ ــ المرحلة الثانية للعلمانية فى القرن التاسع عشر : ــ

وهى مرحلة العهد المادى ، أو ما يسمى « بالثورة العلمانية » .. مرحلة الجناح اليسارى من مدرسة هيجل فى القرن التاسع عشر .

وقد قيم مؤرخ الفلسفة :.K. Lowith (فى كتابه : Von Hegel Bis Nietzsche) « من هيجل ــ الى نيتشة » سنة ١٩٥٠) أصحاب العهد المادى والثورة العلمانية بأنهم قد انحرفوا فى التوجيه ، ونقلوا معارفهم الأكاديمية الى المعارف الصحفية ،

تحت ضغط الظروف الاجتماعية . واصبحت وظيفتهم هى وظيفة الكاتب : يقع تحت التبعية المستمرة للناشرين ، ومن يعطون المال ، والجمهور ، والرقابة . وكتابتهم هى : بيانات ، وندوات ، وبرامج ، وادعاءات . ومظهرهم العلمى أصبح تبليغا حماسيا للناس ، كما أصبحت لهجتهم تنطوى على الاثارة .

ولكن كتابتهم لا تترك الا ذوقا قليل الطعم . لأنهم يدعون ادعاءات عريضة لا حدود لها ، مع فقر وسائلهم . والعالم بعد سنة ١٨٣٠ أصبح قبيحا وفاسدا . ولو قيس العقل الجديد فى عهد الثورة العلمانية بمقياس تاريخ العقل عند هيجل .. لعد نمطا من تحويل الفكر الى همجية وبربرية . اذ أصبح مضمونه الآن : عجرفة .. وميولا فاسدة .

* فيرباخ Feuerbach (١٨٠٤ — ١٨٧٢) :

ويعتبر من أهم المؤسسين لفكر الثورة العلمانية فى القرن التاسع عشر : فيرباخ . اذ يمكن للانسان عنده : أن يدرس مرحلة الانتقال من دين أرضى طبيعى صاف بعيد عن السماء .. الى المادية المتطرفة . فقد بدا واضحا : **أنه يشلح الاله المسيحى تاجه ، ويطيح بالثنائية بين الدين الغيبى والعالم المشاهد ، وكذلك بين الكنيسة والدولة** ، وذلك فى رسالته التى كتبها عن هيجل .

وفى نقده لفلسفة هيجل فى سنة ١٨٣٩ : تحدث عن عدم الجدوى من فكرة (المطلق) — وهى الله — وذكر أن المطلق عند هيجل ليس الا العقل المفارق للاهوت .. ذلك العقل الذى يشبه فى فلسفته (هيجل) : الخيال الطائف .

وفى رسالته : « لإصلاح الفلسفة ، والمبادىء الأساسية لفلسفة المستقبل » .. سار قدما فى الطريق .. نحو الايمان بالمحسوس وحده ، وبالمادية الهوجاء . وبالأخص فيما كتبه فى هذه الرسالة تحت عنوان : « طبيعة المسيحية » سنة ١٨٤١ .

والمذهب المثالى عند هيجل — فى نظر فيرباخ — ليس الا غطاء للاهوت « ومن لا يتنازل عن فلسفة هيجل ، لا يتنازل عن اللاهوت » . فرأى هيجل — فى نظر فيرباخ — بأن الواقع والطبيعى نشأ عن « الفكرة » هو التعبير العقلى فى تعاليم اللاهوت : بأن الطبيعة نشأت عن الله . ويقول — متحديا ذلك — : إن الدين اللانهائى ، وكذلك الفلسفة ، ليس فى الواقع الا تحديا حسيا نهائيا ، ولكن فيما وراء الضوء . فبداية الفلسفة لا يمكن أن تكون الله ، أو الوجود بدون موجود . ولكن بدايتها فقط : النهائى ، والمحدد ، والواقع . **ويجب أن تكون المادية ، أو مذهب الحس فى** موضع الدين الغيبى (أى الموحى به من عند الله) وفيما وراء الطبيعة . والواقعى ، والحقيقى ليس : الله ، ولا الوجود بدون الموجود ، ولا : المفهوم والمعنى . ولكن الموجود : هو المحس .

والانسان هو الموجود الالهى ، وليس الله . والدين الجديد هو : السياسة بالطبع ، وليس المسيحية . والسياسة يجب أن تكون ديننا . ولكن لا يتحقق ذلك الا اذا كان هناك شىء أعلى فى نظرنا يحول السياسة الى دين . وهذا الشىء الأعلى هو : الانسان . ولكن ليس الانسان الفرد . لأن الانسان الفرد يظل دائما انسانا أرضيا مفتقرا . ولذا يجب أن تكون : « جماعة العمل » ، هى المعبود وفى مكان العبادة .

والله ، والدين ليس اى منهما أساس الدولة . وانما اساسها : الانسان وحاجته . ليس الايمان بالله ولكن الشك فى الله يجب أن يكون العامل فى قيام الدولة . والايمان الذى يجب أن يتوفر هو : ايمان الناس بذواتهم انفسهم وببعضهم

بعضا . لانه اذا بقى الله هو السيد ، والرب .. فان الانسان سيظل واثقا به ، بدلاً من أن يثق بالناس . والباقى لنا هو الانسان وحده .

ولهذا : فالدولة هى مضمون الواقع كله .. هى الطبيعة العامة أو الانسانية .. هى الحامية والواقية للانسان . **وبهذا تصبح الدولة** مناقضة للدين . **« وان الالحاد العملى هو الرباط بين الدول »** .

والناس يلقون بأنفسهم على السياسة فى الوقت الحاضر — هكذا يذكر فيرباخ — لأنهم يعرفون : أن المسيحية كدين تشل فاعلية الانسان السياسية . وتسمى هذه النظرة — من جانب أتباع فيرباخ — التى تنقل الانسان الى مكـــان الله فى العبادة ، وتقام الدولة عليها ، وتصنع التاريخ : بالمذهب الانسانى الالحادى .. !

❋ ماركس Marx (١٨١٨ — ١٨٨٣) :

وفيرباخ يعتبر معبد الطريق التى سلكها كارل ماركس مع زميله : انجلز ، نحو تأسيس ما يسمى بالمادية التاريخية ، الاستنتاجية : (Dialekisch) . وتعود تلامذة ماركس بأن يلقبوه : « بأبى الاشتراكية العلمية » . وماركس تأثر أولا بفلسفة هيجل ، ثم عن طريق تأثره « بفيرباخ » .. تحول الى اليسار المتطرف لفلسفة هيجل . وقد درس الاشتراكية أيضا فى فرنسا ، وتعرف هناك على « انجلز » . وعن طريقه ذهب الى انجلترا ، ودرس المشاكل الاقتصادية ، كما تأثر بالأوضاع الاجتماعية السيئة التى كانت للطبقة العاملة هناك . وفى سنة ١٨٤٨ وضع : « البيان » الشيوعى فى مدينة بروكسل ، بالاشتراك مع «انجلز » .

وتآليفه : العائلة المقدسة ، والايديولوجية الالمانية ، وشقاء الفلسفة ، ورأس المال . وقد نعت ماركس نفسه : بأنه تلميذ لهيجل عكس عليه وضـــع فلسفته : فهيجل نظر الى العالم من « أعلى » لأن « الفكرة » عنده هى مبدأ العالم ، وما عداها تابع فى الظهور لها ، أو لما يسمى : بالمفهوم ، أو بالعقل العام . والطبيعة المادية هى عنده صفحة أخرى « للفكرة » وحدها . بينما يرى ماركس : أن الحقيقة المادية وحدها هى بداية العالم ، وهى كذلك : الواقع الصافى الجازم ، وما عدا الحقيقة المادية مما له طبيعة : « الفكرة » كالعادة ، والخلقية ، والقانون والدين ، والثقافة .. هو تابع فى الظهور الاضافى لتلك الحقيقة المادية .

و « المادية » عند ماركس تختلف عن « المادية » عند الآخرين من أصحاب اليسار من تلامذة هيجل .. حتى عن « المادية » عند فيرباخ : استاذه ومعبد الطريق له .. المادية عند ماركس هى المادية **العملية ، التاريخية ، الالحادية** .

وفى نقد ماركس للمادية عند فيرباخ يرى : أن المادية التى قال بها فيرباخ هى : عوض عن المذهب الحسى ، الذى ينظر الى العالم الطبيعى على أنه مجعول يقبل قبولا سلبيا ، وليس على انه انتاج للعمل الانسانى المحسوس (الاقتصاد) أو على أنه يدرك : على أنه عمل .

والنظرة المادية لماركس هى نظرة راديكالية (متطرفة) استخدم فى شرحها عدة مبادىء من فلسفة هيجل .. استخدم فيها :

اولا : — مبدأ الباعث على التطور الدائم ،

وثانيا : — مبدأ رفع المتناقضات ،

وثالثا : — مبدأ التقدم نحو جديد ، وان لم يكن أحسن .

.. كما اختار التطبيق « الثلاثى » فى فلسفة هيجل (وهو الدعوى ، ومقابل الدعوى ، والجامع بينهما) مجال : النظام الراسمالى كدعوى ، والطبقة العاملة

كمقابل للدعوى ، والمجتمع الشيوعى اللاطبقى كجامع بين الدعوى ومقابل الدعوى .

وبسبب هذا الاختيار يعتبر كارل ماركس (ثوريا) وليس فيلسوفا . اذ الفلسفة فى نظره : وسيلة مختارة لاتجاهاته السياسية .

والمادة التى تقصدها المادية الماركسية ليست مادة بعيدة عن النشاط الانسانى . فالمادة التى تحدد — فى رأيه — النظرة الى العالم ، أو الى التاريخ ، وكذلك ما يحدد على العموم : التفكير ، والعمل ، والسلوك للانسان .. هى مادة متصلة بنشاط الانسان ، أو هى انسان فى صلته بالمادة (هى الاقتصاد) .

* ماركس والمسيحية :

ويرى ماركس : ان هدم المسيحية مقدمة ضرورية لبناء عالم يكون الانسان فيه سيد نفسه . ولكن لا ترفض المسيحية وحدها ، **بل معها يرفض كل دين كذلك** . اذ الدين يسلب الانسان وعيه بمأساته وشقائه فى الوقت الذى يمنيه فيه بعالم افضل . « ان الدين هو افيون الشعب » . ولذا — فى نظر ماركس — يجب أن يذكر الشعب دائما : بأن الدين ليس انتاجا للانسان . انه تفكير الانسان واحساسه ، ذلك الانسان الذى لم يتكسب بعد ، أو الذى أصبح بالفعل ضائعا .

وفى نظر ماركس : الطبقة التى تملك ، والأخرى التى تعمل ، كلتاهما تمثلان وضعا شاذا فى الانسانية . ولكن الرأسمالية — كما يرى — تحس نفسها بخير فى عدم انسانيتها .

وهنا تنشأ مهمة الطبقة العاملة ، وهى : أن لا تخدع بالدين، وان لا تتراخى فى الصراع ضد الرأسمالية بسببه . فهذه الطبقة العاملة يجب ان تكون على ذكر دائم بمأساتها ، كى تزيل وضعها الشاذ فى الانسانية ، كما تزيل ذلك الوضع الشاذ الآخر للرأسمالية فى الانسانية .

وايمان كارل ماركس بفكرة التقدم (التقدمية) — كما كان الحال فى القرن التاسع عشر يرجع الى عاملين :

العامل الأول : — ما توحى به فلسفة هيجل بأن كل تطور هو تقدم ، أى هو خطوة الى الامام ، وان لم يكن ليس بلازم أن يكون أحسن .

العامل الثانى : — أن مدح التقدم والتبشير به يعتبر من عدة (التأثر) . وماركس كان ثائرا اكثر منه فيلسوفا .

وتتلخص الماركسية — وهى العناية بفلسفة ماركس ، وانجلز — فى عدة مبادىء :

المبدأ الأول : — المادية التاريخية ، الاستنتاجية ، من الوجهة الفكرية والنظرية .

المبدأ الثانى : — الالحاد ، واستخدام المنهج العلمى فى تحقيقه ،

المبدأ الثالث : — صراع الطبقات ، للوصول الى مجتمع لا طبقى .

وتتبع هذه المبادىء عدة موضوعات أخرى فى الاقتصاد ، على نحو ما نذكر فى كتاب « رأس المال » . وأهمها ما يخص فائض القيمة ، الذى هو الفرق بين ما يدفع للعامل من رجل الصناعة ، وما تباع به السلعة المصنعة فى السوق الحرة . ويرى ماركس فى فائض القيمة : أن الرأسماليين يدفعون للعامل أجرا ، على نحو يحفظ له قدرته على العمل فقط — ويسميها ماركس بالقيمة الخادعة — بينما قيمة الربح فى انتاج العامل فى السوق الحرة أكثر من ذلك . وفائض القيمة يخفيه الرأسمالى . وهنا يكون معنى الرأسمالية مساويا لمعنى الاستغلال للعامل . والرأسمالى يرغب فى ذلك ، لأنه يملك وسيلة الانتاج . والرأسمالى

من غير أن يجهد نفسه فى عمل .. يصل عن طريق استغلال الشعب العامل الى تكديس الثروة باستمرار . ولكن هذا التكديس نفسه ــ كما يتنبأ ماركس ــ سيؤدى الى الاكراه على نزع الملكية الخاصة من المكدسين .

لأن هؤلاء المكدسين هم الذين أوجدوا الطبقة العاملة ، ثم عن طريق هذا التكديس عكسوا الآية فأساءوا الى العمال .

واذا صارت الطبقة العاملة على وعى بوضعها اللانسانى فانها ستتقدم الى الكفاح : فتمسك بسيطرة القوة ، وتنزع الملكية الخاصة ، وتبعد التناقض القديم بين الراسمالية والطبقة العاملة ، وتذيب هذا التناقض فيما يجمع الطرفين، وهو المجتمع اللاطبقى .

وهذا هو اتجاه الماركسية الأرثوذكسية التى تعرف بالبلشفية فى الوقت الحاضر .. وهو المفهوم الذى أعطاه لينين ــ واستالين من بعده ــ للماركسية .

❊ ولكن هناك جناح آخر للماركسيين فى غرب أوربا ، وهو الجناح المعتدل أو المتئد .. هو جناح غير المقلدين من الذين يستخدمون : الاختبار والامتحان فى قبول النظريات أو فى رفضها .. هم من يعرفون بجناح الــ : Revisonistes

وقد يوصفون بالمرتدين تنديدا بهم ، من أمثال : E. Bernstein, K. Kautzky

K. Vorlandes

وهذا الجناح ترك فلسفة ماركس فى التطبيق ، لأنها فى نظره تقوم على ادعاءات لا دليل عليها . ثم يعنى بتحسين الوضع الاجتماعى للعمال ، كعمال . فالحزب الاشتراكى الديمقراطى فى المانيا تنازل بصراحة عن المادية التاريخية . والمنظمات العمالية الاشتراكية فى : فرنسا ، وبلجيكا ، وايطاليا ، وانجلترا ، واسكندنافيا .. يصدرون الآن فى نظرتهم الى تحسين الوضع العمالى عن مبادىء فلسفية واقتصادية أخرى .

❊ وأسس التفكير الفلسفى الماركسى تمثل فى واقع الأمر نظرة القرنين : السابع عشر ، والثامن عشر .. الى العالم . وهى النظرة الميكانيكية ذات الصلة بعصر التنوير فى فرنسا ، وبالمذهب الوضعى ، وبالمادية فى البحث الطبيعى فى القرن التاسع عشر .

وقد قذف الماركسيون بأنفسهم الى .. مادية البحث الطبيعى فى القرن التاسع عشر ، كما تقذف صبية الفلاحين الى مصنع فى مدينة كبيرة . وهنا يفهم : إنه هنا كانت كذلك : (ثورة) فقد اعتاد الانسان (الماركسى) : أن :

أ ــ يرجع العقل .. الى العاطفة ،

ب ــ والأخلاق .. الى المنفعية ،

.. واعتاد أن ينظر :

أ ــ الى الانسان .. على أنه حيوان فى مستوى أعلى ،

ب ــ والى الشعب .. على أنه كومة من الخلايا ــ أو الذرات الانسانية ــ بحيث لا يحكمها هنا الا ذلك القانون الطبيعى ، وهو قانون : الضغط ــ والدفع ، أو السبب ــ والمسبب .

ولكن النظرة التى قامت عليها : مادية البحث الطبيعى ، وهى النظرة الميكانيكية .. أصبحت الآن خارجة عن دائرة الاعتبار . لأن هذه النظرة ترى : أن الوجود ذو جانب واحد ، بينما هو متعدد الجوانب . فالانسان يبدو فى طبقات الحياة النباتية والحيوانية ــ دون ما عداه فيها ــ صاحب امكانيات عديدة ــ ولذا : فله من طبيعته : الحرية والمشيئة والاختيار . ومن أجل ذلك يمكن أن يقال : ان حتمية السببية ــ والسببية هى أصل النظرة الميكانيكية ــ للطبقة العضوية

هى ظاهرة احصائية فقط . اى ليست ظاهرة صحيحة بالنسبة لطبيعة الانسان .
وكما نقدت هذه النظرة الميكانيكية للبحث الطبيعى فى القرن التاسع عشر ، والتى تأثر بها ماركس فى مذهبه المادى التاريخى .. نقد أيضا أساس ما تميزت به : « ماديته » وهى المادية العملية .. نقد ذلك الادعاء الذى يرى : أن الاقتصاد هو أصل الوجود الفكرى ، والنفسى ،والاجتماعى ، والمادى :
فقد وضع ماكس ويبر MARX WEBER. (١٨٦٤ — ١٢٩١) فيما سبق أن أشرنا — فى كتابه . « البحوث الدينية الاجتماعية » (ثلاثة أجزاء — ١٩٢٠) .
أ — ان الدين عند الهنود ، والصينيين ، واليهود .. لم يقم على أساس اقتصادى ، كما يحاول ماركس : أن يشرح كل شىء فى الوجود .. حتى الدين ، والأخلاق ، والفكر .. من الاقتصاد . ولكن الفكرة الدينية وحدها فى هذه الأديان الثلاثة هى التى حددت البناء الاجتماعى لشعوب هده الاديان .
ب — وان التفكير الكنسى كان له تأثير على المجتمع والاقتصاد فى القرون الوسطى ،
جـ — وان الراسمالية المعاصرة قامت على الايديولوجية الخاصة بـ كالفن Calvin. (١٥١٩ — ١٥٦٤) ، وتحت تأثير أصحاب « النزعة الخالصة » فى المسيحية من البروتستنت ، فى انجلترا منذ القرن السادس عشر Puritaners وليست الراسمالية هى التى خلقت هذه الايديولوجية .
ويستمر « ماكس فيبر » فى نقده لفكرة نشأة الوجود عن الاقتصاد فى مادية كارل ماركس فيتساءل :
د — هل يمكن أن تكون الحقائق الرياضية ، والمنطقية تابعة لأسس مادية ؟
هـ — اليست هذه الحقائق هى هى ، فى كل وقت ، وفى كل الظروف ؟
* لينين فى تطبيق الماركسية (١٨٧٠ — ١٩٢٤) :
ان ماركس كان ذا صلة بالثوار الروس منذ وقت سابق . وفلسفته منذ سنة ١٨٧٠ كانت تناقش وتدرس فى روسيا . والمؤسس فى الواقع للماركسية الروسية هو Pechanow. (١٨٥٦ — ١٩١٨) عندما كان مهاجرا بجنيف . ففى سنة ١٨٨٠ أسس أول مجموعة ماركسية فيها ، تسمى نفسها : « رابطة تحرير العمل » . وتبع تأسيس هذه المجموعة قيام مجموعات أخرى على غرارها فى روسيا . وانضم بعضها الى بعض تحت شعار : « اتحاد الكفاح من أجل تحرير الطبقة العاملة » .
وفى سنة ١٨٩٨ عقد أول مؤتمر للماركسيين فى مدينة مينسك Minsk. ، وعقد المؤتمر الثانى فى بروكسل — ولندن سنة ١٩٠٣ .
ولينين هو الذى حول الماركسية الى عقيدة للحزب . وأصبحت الماركسية تسمى بالبلشفية فى عالم السياسة ، بينما تسمى بالمادية الاستنتاجية فى عالم الفلسفة . والبلشفية اذن هى **« الدين الجديد » بديلا عن المسيحية .**
وفى نظر لينين يجب أن تخدم الفلسفة « الواقع » . **والواقع — عنده — هو: « الحزب »** . وفى مقال له تحت عنوان : « الاشتراكية والدين » كتب : « **أن الدين هو أفيون الشعب . وان الدين نوع ردىء من خمرة العقل التى تحجب ذاكرة الأرقاء لراس المال : عن أن يعوا وجه انسانيتهم ، ومطالبتهم فى : وجود انسانى ، على منتصف طريق الانسانية .**
ومع هذا : فالرقيق الذى يكون على وعى برقه ، ويقوم للكفاح من أجل تحرير نفسه .. انما يكون قد وصل الى منتصف الطريق نحو الخلاص والتحرر

النهائى . **والعامل الحديث الذى يسكون على وعى بطبقيته ، والذى تخرج فى المصنع الكبير وعلى بصيرة بطريق حياة المدنية .. يبعد عن نفسه بكل احتقار : الامتيازات الدينية ، تاركا للسماء .. أصحاب الدرجات العالية من القساوسة ، ومن المدنيين الصالحين ، من أجل استخلاص حياة أفضل على الأرض هنا .**

واذ يوافق لينين على انه يجب أن يكون الدين امرا شخصيا — كما هو متعود أن يقال فى دائرة الماركسيين — فانه يوافق فقط **بالنسبة للدولة ووضعها . أما الحزب فيجب أن يمارس أعضاؤه الالحـاد . اذ الحزب عدو لدود للدين .** أما الدولة فيجب أن تكون محايدة ، على معنى : أنها لا تهتم بالدين ، وأن لا ترتبط به ، وأن يكون عديم المغزى لديها بالنسبة للمواطن فلا تسأله عن مذهبه الدينى . **وحياد الدولة بالنسبة للدين هو انفصال كامل بين الكنيسة والدولة .**

***

وفى مرحلة العلمانية المتطرفة ، أو ما تسمى بمرحلة اليسار المتطرف فى مدرسة هيجل ، نرى :

أولا : — أن « علمانية » فيرباخ — وهى التى تتمثل فى مذهبه الانسانى الالحادى — هى : الغاء الدين ، اىّ دين ، وليست فصـلا بينه وبين الدولة بمفهوم العلمانية فى مرحلتها الاولى ، واحلال « الانسان العام » (جماعة العمل) فى العبادة محل الله .

وثانيا : — ان علمانية ماركس — وهى التى تتمثل فى المادية ، التاريخية ، الالحادية — هى : هدم الدين كمقدمة ضرورية لقيام عالم يكون فيه الانسان سيد نفسه . وتنتهى سيادة الانسان الى سيادة المجتمع والدولة . ووضعهما بالنسبة للأفراد هو وضع المعبود الخالق من الأفراد المخلوقين .

وثالثا : — ان علمانية لينين ينتهى أمرها الى الغاء المسيحية كدين ، ووضع البلشفية — وهى الماركسية اللينية — كدين جديد ، بدلا منها . وهذا الدين الجديد يجب أن يكون فى خدمة (الواقع) الذى هو (الحزب) . والحزب يأخذ الآن فى هذا الدين الجديد مكان (العبادة) عوضا عن الله فى المسيحية ، ومكان القداسة عوضا عن الكنيسة .

***

*** وهنا نجد — بعد استعراض مجمل لاهم خصائص الفكـر الفلسفى العلمانى فى أوربا —**

أولا : — ان دافع « العلمانية » فى القرنين السابع عشر ، والثامن عشر كان هو : **التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة** . ولذا كان الفصل بين السلطتين هو : الحل الفلسفى ، أو الرسمى لهذا التنازع .

ثانيا : ـــ ان الدافع عليها فى القرن التاسع عشر ، أو فيما يسمى بين اليسار الثورى أو المتطرف فى مدرسة هيجل ، **هو الاستئثار بالسلطة** . ولذا : كانت العلمانية غير مساوية لمفهوم الفصل بين الكنيسة والدولة . بل كانت الغاء للثنائية ، بهدم الدين كمقدمة ضرورية للوصول الى « السلطة المنفردة » التى هى سلطة « جماعة العمل » أو « المجتمع » أو « الدولة » أو « الحزب » ، حسب تحديد بعض هؤلاء اليساريين المتطرفين .

ثالثا : ـــ ان البحوث الطبيعية والتقدم العلمى بالتدريج منذ نهاية القرون الوسطى هى التى جرأت أرباب هذا الفكر العلمانى على الخروج على وصاية الكنيسة ، وعلى الاستقلال فى النشاط الانسانى وحركة المجتمع عن أى رأى يصدر منها .

رابعا : ـــ ان الفكر الفلسفى العلمانى ـــ سواء فى مرحلته الأولى ، أو الثانية ـــ لم يسلم فى أوربا من مواجهة فكر فلسفى آخر معارض . فقد قامت مدرسة كمبردج بمعارضة هوبز ، أشد المفكرين العلمانيين صلابة ضد الكنيسة فى مرحلة العلمانية الاولى ، كما قام كثيرون فى المرحلة الثانية منها بمعارضة المادية عند فيرباخ ، والمادية التاريخية عند ماركس ، وبنقض الأسس الفلسفية التى تبناها الاتجاه المادى المعاصر سواء : أكانت أسسا تنتمى الى البحث الطبيعى أو الى دائرة الاقتصاد . وأبرز المعارضين لهذا الاتجاه المادى كتلة المنشقين اليساريين من اتباع : برنشتين .Bernsein الذين لقبوا من أعدائهم اليساريين .. بالمرتدين . ثم ما قام به فى القرن العشرين من معارضة : الفيلسوف الاجتماعى الالمانى : ماكس فيبر لأساس الاقتصاد بصفة خاصة . وبلغ من تأثير ما نالته المعارضة من هذا الاتجاه المادى : أن أصبح يوصف فى الفكر الأوربى نفسه « بالثورية » دون أن يوصف « بالفلسفى » .. الأمر الذى يدل على أنه يعبر عن عاطفة وحماس ، أكثر منه تعبيرا عن فكر وتأمل .

خامسا : ـــ ان الموطن الذى ولد فيه الفكر العلمانى ـــ فى مرحلتيه ـــ وهو : انجلترا ، وفرنسا ، والمانيا : لم يأخذ بالاتجاه العلمانى ، فى التطبيق فى الحياة العملية . فالتاج البريطانى لم يزل حاميا للبروتستنت ، وفرنسا لم تزل حامية للكثلكة فى صورة عملية . والدولة فى انجلترا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة الامريكية ، والمانيا ـــ رغم اعلان انها علمانية ـــ تساعد المدارس الدينية من ضرائبها الخاصة التى تجبيها من المواطنين ، مع علمها باستقلال هذه المدارس فى برامجها التعليمية ، وبعدها عما تجريه الدولة من تفتيش على النفقات التى تنفقها .

والجانب الآخر الذى يتبنى البلشفية كدين وكسياسة ، بدل المسيحية ، فى أوربا الشرقية لم يأخذ منذ الستينات بسياسة « التعايش السلمى فقط » مع الراسمالية الغربية .. وانما يأخذ كذلك بسياسة « حسن العلاقات » مع دولة الفاتيكان ..

للبحث بقية

جهاد الأمة العربية
وصراع اللغة العربية

وجهان لمعركة واحدة

للدكتور مازن المبارك

ـ ما اشبه اللغة العربية بالعرب، وما اشد ارتباطها بهم .

ـ انها مثلهم ، تتعرض لما يتعرضون له من نكسات ، وتواجه ما يواجهون من هجمات ، النكسات التي تصيبها والدعوات المنكرة التي تريد القضاء عليها كالأمراض الموسمية ، تهدأ حينا حتى تقول انها تلاشت ، فاذا هي مستطلة تصول وتجول .

تكمن حتى تظن أنها انطفأت ، فاذا هي مشتعلة تتأجج .

ـ ليس في هذا شيء من العجب . الجسم القوى هو وحده الذى يتصدى للعلة ، يتحداها ، تغالبه فيغلبها ، تقوى عليه فيستعلى عليها ، تصارعه فيصرعها .

ـ لكن العجب أن مواسم « النوبات المرضيّة » وأوقات « الصرْع » الذى يصيب الطاعنين والمهاجمين تتفق بالمصادفة وبشكل عجيب محكم ومواسم الهجمات العلنية المنيفة على أمتنا ووحدتها .

ـ ويبدو أننا نعيش الآن عصر « نوبة » من تلك « النوبات » الموسمية ، ولم لا ؟ فالفرصة مواتية ، ان الأمة تخوض معركة مصيرها

وتجند كل طاقاتها لمعركة البقاء ، وهذه « أفضل » فرصة لنوبة المرض، نوبة الصياح والسخط على اللغة وعجزها وفقرها .

ـ إن كل ما فى الجو من دلائل واضحة وخفية ليدل على أن المعركتين ، معركة الأمة ومعركة اللغة ، هما معركة واحدة ، أو هما وجهان للمعركة الواحدة .

ـ وليس موقفا سليما ولا بريئا أن نفصل أو نوهم بالفصل بين المعركتين، ولا يفصل بين هذين الوجهين للحقيقة الواحدة إلا غبى ساذج أو خبيث مخادع .

ـ إن احد الوجهين أن يغزونا الغرب بجيوشه فى الحملات الصليبية وأما الوجه الآخر ، الوجه الأخطر ، فأن يغزونا بالثقافة والفكر .

ينال «بالفكر» ما تعيا «الجيوش» به

كالموت مستعجلا يأتى على مهل !

وإنه لخطأ فاضح أن يدعى أن الثقافة أمر عام لا يعرف القومية ، وأنها « أممية » فى عناصرها ومقوماتها . ثقافة الأمة مرآة لكل ما تتميز به من خصائص وما تتصف به فى تاريخها وتراثها . وليس هنا مجال التفصيل فى هذا الأمر وشرح أبعاده .

ـ كان فى مقدمة الأهداف التى سعى الغرب الى تحقيقها فى البلاد العربية القضاء على اللغة العربية الفصحى فجند ما استطاع من إمكانات لإضعاف هذه اللغة فى مصر والمغرب العربى خاصة وفى سائر البلاد العربية عامة .. وهو يفعل ذلك وما زال لا لمجرد صراع لغوى ينتهى الى إحلال لغة محل اخرى ولكنه يفعله على علم وبصيرة ويقين من أن اللغة العربية ليست كسائر اللغات ، إنها بالنسبة الى العربى قوام حياته وعصمة بقائه .

إن «زوال اللغة العربية لا يبقى للعربى او المسلم قواما يميزه من سائر الأقوام ولا يعصمه أن يذوب فى غمار الأمم ، فلا يبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان » (١) وبقدر علمهم هذا وبصيرتهم هذه ويقينهم هذا كان عنف هجومهم ومكر أساليبهم وخفاء هدفهم .

ـ واذا كان لا يعنينا أن نرد على الذين كشفوا القناع عن غاياتهم وأسفروا عن وجوههم ونياتهم إيمانا منا بإخفاقهم وانكشاف أمرهم فانه لواجب أن نكشف نحن الستر عن الذين اختفوا وراء شعارات زائفة كالذين ادعوا أن اللغة العربية صالحة للتعبير فى ميادين الأدب والشعر ، او أنها لغة دينية أو غير ذلك مما وصفوها به ولكنها ليست لغة علم وتعليم وليست لغة حضارة واختراعات .

ـ الم يلجأ « كرومر » الاستعمارى الانكليزى (شفقة) منه على الأمة العربية المتخلفة الى فرض تعليم الحساب والعلوم والتاريخ والجغرافية (فقط !) باللغة الانكليزية

---

(١) العقاد أشتات مجتمعات ص ١٢٧ .

بحجة أن العربية لا تصلح للتعليم لأنها لا تملك ثروة لغوية تقوم بحاجة تلك العلوم . .

الم نسمع من أمثال كرومر في البلاد العربية من ينادى بترك العربية (الكلاسيكية) والتعبير مرة بالعامية، ومرة بالحرف اللاتينى ، ومرة بتبنّى لغة أجنبية تحملنا على ألفاظها وجملها الى عالم العلم والحضارة !

إنها دعوات كثيرة منها ما عرف اصحابها اهدافها ونتائجها ، ومنها ما جهل اصحابها مؤداها ، ولكنها على كل حال دعوات خطيرة ، بعيدة المرمى ، عرف ذلك من عرفه ، وجهله من جهله .

ونحن لا نكتب ما نكتب لأولئك الذين يعملون عن تصميم ماكر وهم يعلمون حقيقة ما يعملون له ، ولكنا نكتب للذين سلمت منهم الطويّة ، وحسنت منهم النيّة ، والذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

— لقد كانت اللغة العربية — ولا تزال — مظهراً رائعاً لوحدة الأمة العربية . وهى الراية الوحيدة التى ينضوى تحتها اليوم ملايين العرب من المحيط الى الخليج .

— والعربية هى الثوب التعبيرى الذى اختاره الله سبحانه وتعالى لوحيه المنزل على قلب نبيّه المرسل ، نبلغت بالقرآن ما لم تبلغه لغة بكتاب . وكانت بالقرآن لغة البيان المعجز والاسلوب الآسر .

— لقد عاشت العربية مع اصحابها حياتهم وشاركتهم سرّاءهم وضراءهم .

— كانت لسان دعوتهم ، ومرآة حضارتهم ، ومستودَع تراثهم . وقام بينها وبينهم من الصلات ما لم يقم بين قوم من الأقوام ولغة من اللغات .

— وكلما ادرك اعداء العرب والمسلمين مدى هذه الصلة بين الأمة ولغتها ازدادوا ضراوة فى الهجوم عليها ، ومكراً فى الكيد لها .

— إنهم لا يهاجمون القرآن ، ولكنهم يهاجمون الأسلوب العربى « القديم » .

— انهم لا يصرّحون بقطع الأمة من ماضيها ، ولكنهم ينادون بتغيير اللغة التى كتب بها التراث والتى هى جسر الأمة الى ماضيها المجيد .

— إنهم لا يهاجمون وحدة الأمة ولكنهم يشجعون اللهجات المحليّة والألفاظ والتراكيب العاميّة .

— لذلك كله كان على علماء اللغة من عرب ومسلمين أن ينشروا الوعى اللغوى السليم . وقوام هذا الوعى أن العربية بالنسبة الى العرب ناظم وحدتهم ، وبالنسبة الى المسلمين لغة قرآنهم وسبيلهم الى فهم عقيدتهم ، وكما قال الإمام ابن تيمية « ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب » .

مائدة القارئ

شهادة ضمان

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم . فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » .

— صدق الله العظيم —

شهادة استثمار

« مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » .

— صدق الله العظيم —

سورة البقرة

عن ابى هريرة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا ، وهم ذوو عدد فاستقراهم (طلب منهم أن يقرءوا) فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن ، فأتى على رجل منهم من احدثهم سنا ، فقال : ما معك يا فلان . قال : معي كذا وكذا وسورة البقرة . قال : « أمعك سورة البقرة ؟ » قال : نعم ، قال : اذهب فانت اميرهم ..

— رواه الترمذى وقال حديث حسن

علامات السعادة ثلاث

١ — متى زيد فى عمره نقص من حرصه .

٢ — ومتى زيد فى ماله زيد فى سخائه .

٣ — ومتى زيد فى قدرة زيد فى تواضعه .

علامات الشقاء ثلاث

١ — متى زيد فى عمره زيد فى حرصه .

٢ — ومتى زيد فى ماله زيد فى بخله .

٣ — ومتى زيد فى قدره زيد فى تكبره وقهره .

اجابــة حكيـــم

وجهت الى حكيم الأسئلة التالية فاجاب عليها بما ياتى :

— كم عمرك ؟
— صحتى جيدة .
— كم وفــرت ؟
— ليس على ديون .
— كم عدو لك ؟
— قلبى نظيف ولسانى عف .

حــق الحضانـــة

جاء رجل الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يطلب منه أن يمكنه من حضانة ولده من زوجته المطلقة قائلا :

يا أمير المؤمنين حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه .

فأجابت الأم قائلة :

يا أمير المؤمنين حمله خفيفا ، وحملته وقرا ، ووضعه شهوة ، ووضعتــه كرهــا .

فقضى الخليفة العادل للأم بحضانة الولــد .

المحتكــر والمــدخر

المحتكر هو الذى يجمع ما لا حاجة له فيه بهدف التحكم فى الآخرين .

والمدخر هو الذى يحتجز لنفسه ما قد يحتاج اليــه فى المستقبــل ، وليس للآخرين حاجة فيه وقت ادخاره ، والاحتكار محرم ، والادخار عقل وحكمة .

عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« بئس العبد المحتكر ، أن ارخص الله الأسعار حزن ، وان اغلاها فرح » .

النصر او القبــر

يروى التاريخ ان طارق بن زياد فاتح الأندلس لما نزل بالجزيرة الخضراء أمر بالسفن فاحرقت ، فاثار ذلك بعض رجال جيشه ، وقالوا له : لقد قطعت الحبال بيننا وبين بلادنا فضحك طارق من تفكيرهم وقولهم ، ووضع يده على السيف وقال :
((انما يحافظ على السفن من يفكر فى الرجوع ، أما أنا فقد عزمت على البقاء فى هذا المكان والقتال ، فاما أن يكون لنا وطنا وأما أن يكون لنــا قبرا .)) وكتب الله للايمان النصر .

مدرسة جديدة لدراسة السيرة النبوية

ظهرت فى مطلع القرن العشرين مدرسة جديدة ، تشق بعقول المسلمين الى فهم حياة محمد عليه الصلاة والسلام طريقا جديدا ، تحت راية ما أسمته إذ ذاك بالعلم الحديث.

ولقد لفتت هذه المدرسة إليها حينئذ انظارا كثيرة ، وسيطرت على مجموعة كبرى من المثقفين والنابهين ، لا بسبب موازين علمية اعتمدت عليها ، بل بتأثير من الراية الجاذبة التى كانت تخفق فوقها .

ولكن ما لبثت الأنظار بعد حين أن ارتدت عنها ، وما لبثت الطريق التى شقتها الى التحليل الجديد لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اقفرت بعد ازدحام ، وعادت الراية الجاذبة من فوقها راية عتيقة لا تشبع للمثقفين المؤمنين رغبة ولا تمتد الى نفوسهم بأىّ تأثير .

غير أنها تركت من ورائها أصداء عظيمة ، لا تزال تدوى على أسماع كل من يريد أن يقبل على حياة محمد عليه الصلاة والسلام دراسة وفهما ، فهى لا بدّ أن تشغله بين يدى دراسته حينا من الوقت . فان واصل الطريق والدرس ولَّت عنه هذه الأصداء ، وتخلفت وراء سور الحقائق العلمية الناصعة ، وان هو اكتفى ببعض ما قد علم ووقف عند منتصف الطريق ، غشيته هذه الأصداء ثم لم تفلته ، وعاد من النهاية التى وقف عندها بمزيج من شطر تدين وشطر علم ، فلا يزال هذان الشطران يحتك أحدهما بالآخر فى خصومة لا نهاية لها حتى يتفانيا أو يظهر أقواهما على الآخر .

فما هى قصة هذه المدرسة ..؟

وفيمَ ظهرت ثم خبت ..؟ وما هو موقف العلم فى سلطانه الحديث منها ..؟

اتباع العلم شيء، والانبهار بكلمات العلم شيء آخر

حياة الرسول تتجلى على ضوء الأول لا تحت تأثير الثاني

للدكتور / محمد سعيد رمضان البوطي

انعكاس مرير لنقطة ضعف مريرة

قصة هذه المدرسة ترجع الى أيام الاحتلال البريطاني لمصر !..

لقد كانت مصر حينئذ منبر العالم الاسلامي كما نعلم، يعنو اليه بعقله وتفكيره كلما اراد أن يعلم عن الاسلام علما، كما يعنو الى كعبة الله بوجهه كلما اراد حجا أو صلاة .

وكان الصوت الذي ينبعث من منبر العالم الإسلامي، إنما هو صوت الجامع الأزهر بكل ما يفيض به من علوم مختلفة وما يتأجج فيه من وعي وجهاد ووطنية .

وكان في استمرار هذا الصوت العظيم من جانب، واستمرار انصات العالم الإسلامي اليه من جانب آخر، ما لا يدع لبريطانيا فرصة هدوء أو استقرار . ومهما أخضعت لنفسها الوادي كله تحت سلطان من قوة الحديد والنار، فانه خضوع موقوت لا يطمأن اليه، طالما بقيت للأزهر هذه القيادة الحية، وطالما كان الأزهر معتمداً في قيادته وتهييجه على وقود هذا الدين، يؤججه وعي، ويحوطه علم، ويحميه إخلاص !.

إذاً، لا بدّ من الإقدام على أحد علاجين لا ثالث لهما :

إمّا أن يتطع ما بين الأزهر والأمة، فلا يبقى له عليهما من سلطان، وإما أن يتم التسلل الى مركز العملياتِ القيادية في الأزهر ذاته، فتوجه قيادته الوجهة التي ترضي مصالح بريطانيا وتهيىء لها أسباب الراحة والاستقرار .

وأنا والله لا أعتمد فيما أقول على استنتاج أو توسم .. أو نحو ذلك من المناهج الوهمية التي يعتمدها أكثر المؤرخين اليوم، في قنص ما وراء الأحداث وتحليل ما قد يكون لها من أسباب .

وإنما اعتمد في ذلك على اقرار اللصوص أنفسهم، بعد أن تمت السرقة، وتحقق القصد، وجاء دور

الراحة ، واستعادة اخيلة النصر ، وكتابة المذكرات .

يقول اللورد لويد المندوب السامى لمصر إذ ذاك فى مذكراته التى سماها (مصر منذ أيام كرومر :

EGYPT SINCE CROMER

(إن التعليم الوطنى عندما قدم الانكليز ، كان فى قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين ، والتى كان اساليبها الجافة تقف حاجزا فى طريق أى اصلاح تعليمى ، وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الدينى (تأمل !..) فلو أمكن تطوير الأزهر لكانت هذه خطوة جليلة الخطر ، فليس من اليسير أن نتصور لنا أى تقدم طالما ظل الأزهر متمسكا بأساليبه هذه ، ولكن اذا بدا أن مثل هذه الخطوة غير متيسر تحقيقها فحينئذ يصبح الأمل محصورا فى إيجاد التعليم اللادينى الذى ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح) .

وكان أن اختارت بريطانيا الحل الأول ، باعتباره أقرب منالا ، وأبعد عن الملاحظة والانتباه .

وكان السبيل الوحيد الى هذا الحل ، الاعتماد على نقطة ضعف مريرة تعانى منها مشاعر الأمة الاسلامية عامة بما فيها مصر وغيرها وهى احساس المسلمين بما انتابهم من الضيعة والتخلف والشتات ، الى جانب ملاحظتهم للنهضة العجيبة التى نهضها الغرب فى شتى المجالات الفكرية والحضارية المختلفة !.. لقد كان المسلمون يتطلعون ولا ريب الى اليوم الذى يتحررون فيه من الأثقال التى خلفتهم الى الوراء ، ليشتركوا مع غيرهم فى رحلة الحضارة والمدنية والعلم الحديث .

من هذا السبيل تسلل الهمس ، بل الكيد الاستعمارى ، الى صدور قادة الفكر فى مصر : ان الغرب لم يتحرر من اغلاله إلا يوم أخضع الدين لمقاييس العلم .. فالدين شىء والعلم شىء آخر !.. والتوفيق بينهما لا يتم إلا باخضاع الأول للثانى . واذا كان العالم الاسلامى حريصا على مثل هذا التحرر فليس أمامه الا أن يسلك نفس الطريق ، وأن يفهم الاسلام هنا كما فهم الغرب النصرانية هناك . وانما يتحقق ذلك بتخليص الفكر الاسلامى من كل حقيقة غيبية غير مفهومة أو غير خاضعة لمقاييس العلم الحديث .

وسرعان ما خضع لهذا الهمس أولئك الذين انبهرت أبصارهم بمظاهر النهضة الأوربية الحديثة ، ممن لم تترسخ حقائق الإيمان بالله فى قلوبهم ، ولا تجلت حقائق العلم الحديث وضوابطه الكلية فى عقولهم فتنادوا فيما بينهم الى التحرر من كل عقيدة غيبية لم تصل اليها اكتشافات العلم الحديث ولم تدخل تحت سلطان التجربة والمشاهدة الدائمة .

إخضاع الدين لسلطان العلم ظاهرا ونسفه باسم العلم باطنا

وغاب عن هؤلاء الناس أن هذا الوحى الاستعمارى الذى يدعو المسلمين الى « ثورة إصلاحية » فى شؤون عقيدتهم الاسلامية إنما يستهدف فى الحقيقة نسف هذه العقيدة من جذورها !..

وغاب عنهم أن الدين الصالح فى ذاته لا يحتاج فى عصر ما الى مصلح أو اصلاح .

وغاب عنهم أن تفريغ الاسلام من حقائقه الغيبية إنما يعنى حشـــوه بمنجزات ناسفة تحيله أثرا بعد عين. ذلك لأن الوحى الإلهى ــ وهو ينبوع الإسلام ومصـــدره ــ يعتبر قمـــة الحقائق الغيبية كلها ، والذى يسرع الى رفض بعض ما فيه من خوارق العادات بحجة اختلافها عن ســـنن الطبيعة ومدارك العلم الحديث ، فهو لا جـــرم أسرع الى رفض الوحـــى الإلهى كله بما يتبعه من اخباراته عن النشور والحساب والجنة والنار ..

غاب عن هؤلاء الناس هذا كله ، وقد كان إدراكهـــم له من أبســـط مقتضـــيات العـــلم لو كان يتمتعون بحقيقته وينسجمون مع منطقيتـــه . ولكن أعينهم عشيت فى غمرة انبهارها بالنهضة الأوربية الحديثة وما يحف بها من شعارات العلم والفاظه ، فلم تعد تبصر من حقائق المنطق والعلم إلا عناوينها وشعاراتها ، ولم يعد يستأثر بتفكيرهم إلا خيال نهضة «اصلاحية» تطـــور العقيدة الاسلامية هنا كمـــا تطورت العقيدة النصرانية هناك .

لقد كان الذى يهيِّجهم إلي هـــذا السلوك إذاً شعارات العلم والفاظه ، لا قواعده وقوانينه ، ومن ثم فقد كان ذلك منهم ثورة فى النفس لا فكرة مدروسة استحوذت على العقل .

مظاهر الوباء الإصلاحى !..

ولم يكن على الاستعمار البريطانى وقد امتص إيحـــاؤه قدرا كبيرا من المفكرين المسلمين ، أن يتعب نفسه بمواصلة الجهد ومتابعة المخطط .. فقد اطمـــأن الى أن هؤلاء أنفســـهم سوف يقومون بالمطلوب . وما عليه إلا أن يقربهم ويسلمهم قيادة العمل الفكرى فى الأزهـــر ليبثوا منه الى الفـــكر الاســـــلامى هذا الوبـــاء « الإصلاحى » الجديد .

فى سبيل هذا الاصلاح استبدلت قيادات عالية فى مختلف مناصـــب الأزهر ..

وفى سبيل هذا الاصلاح أســـرع الرئيس الجديد لتحـــرير مجلة « نور الإسلام » ينشر مقالاته المتحـــدية العجيبة التى فاجأ بها الناس تحت عنوان (السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة) وهى التى يقـــول فى بعض منها :

« وقد لاحظ قراؤنا اننا نحـــرص فيما نكتبه فى هذه السيرة على أن لا نسرف فى كل ناحية الى ناحيـــة الإعجـــاز ، ما دام يمـــكن تعليلها بالأسباب العادية حتى ولو بشىء من التكلف » .

وهو الذى كان قد نشر من قبـــل مقـــــالا فى جـــريدة الاهـــرام فى ١٩٣٧/٨/٣٠ يقـــول فيـــه : « إن الشرق الإسلامى لما رأى دينه مائلا فى عالم الأساطير التى قذفت فيـــه الأديان جمـــلة بيد العلم الحـــديث الغربى ، لم ينبس بكلمة لأنه رأى الأمر أكبر من أن يحاوله ، ولكنـــه استبطن الإلحاد وتمسك به ، متيقنا أنه مصير إخوانه كافة متى وصـــلوا الى درجته العلمية » !!!..

وفى سبيل هذا الاصلاح ظهر كتاب جديد فى تحليل السيرة النبوية باسم « حياة محمد » لحسين هيكل يقول فى مقـــدمته : « إننى لم آخـــذ بما سجلته كتب السيرة والحديث لأننى فضلت أن أجرى فى هذا البحث على الطريقة العلمية .. » وراح يبتعـــد فيه عن جميع الإلزامات الغيبية التى يتجسد فيها معنى نبوة رسول اللـــه

صلى الله عليه وسلم ، ويحيلها بتكلف عجيب الى ظواهر طبيعية أو يثير من حولها شكوك النقل والرواية . ومــا كاد الكتاب يظهر حتى قدمه الشــيخ مصطفى المراغى شــيخ الأزهر الى الناس قائلا : « لم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم القاهرة إلا فى القرآن ، وهى معجزة عقلية » !..

وفى سبيل هذا الإصلاح اخــذت تزوّج صــفة « العبقــرية » و « العظمة » و « القيــادة » وما شاكلها للنبى صلى الله عليه وسلم تعويضا عن صفات النبــوة والوحى والرسالة وتغطية لها وإبعادا للفكر عنهــا .

وفى سبيل هذا الاصلاح اصبحت كل خــارقة مما قد جــاء به صريح القــرآن او متــواتر السنة ، تؤول ــ ولو بتكلف وتمحل ــ بما يعيدهــا الى الوفاق مع المألوف والمعروف . فطير الأبابيل يؤول ــ رغم أنف الآية الصريحة الواضحة ــ بداء الجدرى . والإسراء الذى جاء به صريح القرآن يحمل رغم انف الدلائل الثابتة المختلفة على سياحة الروح وعالم الرؤى . والملائكة الذين أمد الله المسلمين بهم فى غزوة بدر يؤولون بالدعم المعنوى الذى أكرمهم الله به .

وهكذا ، فقد تكونت من هــذا الاتجــاه مدرسة فكرية جــديدة ، انقدحت فى الحقيقة من ردّ فعــل نفسى ، وان بدت أنها سارت تحت راية بحث علمى . حيث اخذت تنشر فلسفتها من فوق منبر الأزهــر ، لينطلق تأثيرها بارزا فى الأوســاط المختلفة ، فى ظل ذلك الاحتــلال الاستعمارى المشؤوم ، وذلك بعــد أن قامت معارك طويلة بين المؤيدين والمعارضين لا مجال لسردها فى هذا المقــام .

ما هى ثمــرات هذا « الاصلاح » ؟

وتســألنى الآن : فمــا الذى استفادته بريطانيا من تطوير الفكــر الدينى بهــذا الشــكل فى رؤوس المسلمين ؟

والجــواب انها اضــعفت بذلك الوازع الدينى فى نفوس أولئك الذين كان الدين أعظم محرك ومهيّج فى حياتهم ، وكان صاحب السلطان فى كل شىء كما قد رأيت من ملاحظــة اللورد لويد فى كلامه الذى نقلنــاه آنفــا .

وأنت تعلم ان اى استهانة بما فى الدين من الخوارق والغيبيات الثابتة، من شأنها ان تضعف ما فيه من وازع وسلطان على النفس ، بل من شأنها أن تقضى عليهما مع الزمن .

فلمــا ضــعف هــذا الوازع فى النفــوس ، تهيــأت بذلك لقبول اى تطوير وتبديل فى حقائق الاســلام باسم الاصلاح والتوفيق مع مقتضيات العلم . فكان أن تسللت العقليــة الأوروبية المتحللة لتحتل مكان العقلية الاسلامية المعتزة بالمنهج الاســلامى السليم ، وتمكنت من تطوير مناهج الحياة نفسها طبقا لما تريد بعد أن انحسر عن الاسلام سلطانه وعــاد اسلاما شكليا مجردا ، تبدو صبغته على اللسان ولا تمتد منه اى جذور الى طوايا النفس وأعماق القلب .

وبالمقابل ، فان تلك المدرســة « الاصلاحيــة » لم تكســب أربابها ودعــاتها اى نهضة علميــة كالتى نهضتها أوربا كما كانوا يتوهمون أو كما أوهمهم الاستعمار البريطانى .

كل ما جنته أيدى ذلك « الاصلاح

الدينى » إبعاد المسلمين عن الحقيقتين معـا : فلا هم على وازعهم الدينى أبقوا ، ولا على النهضة العلميـة المنشودة عثروا .

موقف العلم من هذه المدرسة « الاصلاحية »

بعد هذا نقول : ليكن ما قد فعله الاستعمار البريطانى خداعا كما أوضحنا ، فهل لنا أن نتأثر من ذلك بدافع من ردود الفعل المجردة ، فنؤمن بسلطان الخوارق والغيبيات كيفما كان ، وأيا كان حكم العقل والعلم فيهما ؟!..

لا .. ليس لنا أن ننقاد فى شىء من ذلك بدافع من ردود الفعل . وكما انه لا ينبغى للعاقل أن يلحد فى ذات الله بدافع من التقليد أو ردود الفعل المجردة ، فكذلك لا قيمة للإيمان بالله أو بما يتبعه من خوارق وغيبيات بدافع من هذا التقليد أو الانعكاس النفسى المجرد . إن الميزان المحكم على كل حال هو العقل السليم الحر ، أو قل : إنه العلم اليقينى الذى لا يشوبه الوهم .

وإن أحدث ما انتهت اليه مدارك العلماء من الحقائق العلمية (١) التى لا مرية فيها هو أن ما بين الأسباب ومسبباتها الطبيعية ليس إلا علاقة اقتران مطرداكتسبت تحليلا ثم تعليلا، ثم استنباطا للقانون المرتبط به طالما فيه نفسى .

اى أن العلم ليس إلا ممارسة لتجارب خارجية بعيدة فى مرحلتها الأولى عن وحى الفلسفة أو الحركة الفكرية المجردة ، تتعلق بموضوعات مادية معينة ، ثم انها تفرض نفسها على العقل طبق ما دلت عليه التجربة والمشاهدة ، بقطع النظر عن أى تنبؤات وتقديرات أخرى تفرض فى المستقبل .

فان رحت تسأل هذا العلم عن رأيه فى خارقة غيبية أومعجزة إلهية ، قال لك بلسان الحال : ليست الخوارق والمعجزات من موضوعات بحثى واختصاصى . فلا حكم لى عليهما بشىء . ولكن اذا وقعت خارقة من ذلك أمامى فانها تصبح فى تلك الحال موضوعا جاهزا للنظر والتحليل ثم الشرح والتعليل . أما أن افرض حالة معينة فى الذهن تنفصل فيها النار عن قوة الإحراق مثلا ، ثم احكم عليها اى أحللها وأقومها كما هو شأنى وعملى ، فذلك متناقض مع طبيعتى واختصاصى وما قد حصرت فيه نفسى .

وقد انقرض العصر الذى كان بعض العلماء فيه يحسبون أن أثر الأسباب الطبيعية فى مسبباتها أثر حتمى يستعصى على التخلف والتغيير وانتصر الحق الذى طالما دافع عنه علماء المسلمين عامة والامام الغزالى خاصة من أن علاقات الأسباب بمسبباتها ليست أكثر من رابطة اقتران مجردة ، وما العلم فى قوانينه كلها إلا جدار ينهض فوق أساس هذا الاقتران .. هذا الاقتران وحده . ولقد رأينا « هيوم » وهو العالم التجريبى الأول كيف يجلّى هذه الحقيقة بأنصع بيان صارم .

وإذاً ، فان الحديث عن أى خارقة غيبية مما قد أحيل به الى الزمن الماضى أو أخبر به عن المستقبل ، إنما يشترط لاعتبارها حقيقة ثابتة شرط واحد هو وصولها الينا عن

---

(١) نقصد هنا بالعلم العلوم الطبيعية ، لا العلم بمعناه العام وهو ادراك الشىء على ما هو عليه .

طريق علمى من شأنه أن يورث اليقين والجزم .

فالخوارق التى يحار العلم فى تفسيرها ، إذا بلغتنا عن طريق التواتر ، بالقيود التى يجب توفرها لإعطاء إدراك يقينى ، تعتبر حقيقة علمية لا مجال فيها لجدل أو تردد .

أما ما لم يتوفر له هذا الشرط فهو ملغى عن الحسبان وان ارتقى به النقل الى درجة الظن .

وهذه القاعدة لا شك فيها عند احد من العقلاء أيا كان تفكيره ومذهبه . ولكن الخلاف قد يقع فى تطبيقها لأسباب أخرى لا علاقة لها بالقاعدة ذاتها .

حقائق أولية ..
هى سر الخلاف

هذه الأسباب تتمثل فى عدم إيمان بعض الناس ، بحقائق أولية هى عمود الحقيقة الاسلامية الكبرى ، كنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وثبوت أن القرآن كلام الله عز وجل .

فان من يجزم بهاتين الحقيقتين ، لا يسعه إلا أن يستيقن بما قد بلغه عن محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق التواتر الذى يورث اليقين ، وبما قد قطع به القرآن فى عبارة صريحة لا تحتمل ــ فى ميزان السليقة العربية ــ تأويلا ولا تحريرا .

أما من لم يجزم بهما ، فلا جرم أنه قد لا يستيقن شيئا مما ذكرناه ، لا إنكارا منه لقانون التواتر وما يورثه من اليقين ، ولكن إنكارا منه للوثيقة ذاتها أى لمصدر الخبر ذاته .

وواضح ان تقليد المسلم الموقن بنبوة رسول الله والجازم بأن القرآن كلام الله ، لهذا الفريق الثانى ، عندما ينكر غيبيات الاسلام مما قد أخبرت به نصوص القرآن مثلا ــ يعتبر غباء عجيبا يثير الشفقة والاشمئزاز !..

وهكذا فان أولئك الذين ليسوا على استعداد لإدراك أن ملائكة ارسلها الله لتقاتل مع المسلمين فى غزوة بدر ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد أسرى به (دون وسيلة نقل طبيعية) الى بيت المقدس ، لا يرجع عدم استعدادهم هذا الى حقيقة علمية تصدهم عن الادراك واليقين ، كما كانت تتخيل المدرسة «الاصلاحية» السالفة ، وإنما يرجع الى انكارهم لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام والى انكارهم لما نخبرهم به ، من أن القرآن ليس الا وحيا من عند الله . ولو اتفقوا معنا فى الإيمان الصادق بهاتين الحقيقتين لما توقفوا لحظة واحدة فى الإيمان بهاتين الجزئيتين ، ولما وجدوا أى حقيقة علمية تصدهم عن هذا الإيمان .

كان ذلك منعطفا .. ومر

إذاً ، فان المسلم لا يتناقض فى شيء من قوانينه الثابتة مع ما هو ثابت من غيبيات الاسلام وخوارقه . وليس بين التقدم العلمى وانكار هذه الخوارق أى علاقة أو تلازم .

وإنما كانت تلك المدرسة « الاصلاحية » منعطفا ومر .. ولقد كان أقطابها ودعاتها يفتحون أعينهم على خبر النهضة العلمية فى أوربا من جديد ، بعد طول غفلة واغماض

وانه لأمر طبيعى أن تنبهر العين عند أول لقياها مع الضياء فلا تتبين حقائق الأشياء ولا تميز الأشباه عن بعضها ، حتى إذا مرّ وقت ، واستراحت العين الى الضياء اخذت الأشياء تتمايز عن بعضها وتبدت الحقائق واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض .

ولقد مرّ وقت كان على البصائر التى عشيت ذات يوم بالضياء المداهم الوهاج ، فهى اليوم ترى الحقائق ناصعة كما هى ، ومن ثم فهى تتأمل بسخرية واشفاق فى الكلمات التى كان قد قالها أحدهم وهو يعانى من احدى غيبوباته العاطفية مع كلمة « العلم » : (ان الشرق الاسلامى لما رأى دينه ماثلا فى عالم الأساطير التى قذفت فيه الأديان جملة بيد العلم الحديث الغربى ، لم ينبس بكلمة لأنه رأى الأمر اكبر من أن يحاوله ..) فهى ولا ريب نبوءة عين تخطفها الضياء اكثر من أن تكون تفكير عقل بما يحمله المستقبل .

واغرب من هذا ما يقوله حسين هيكل : (اننى لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث لأننى فضلت أن اجرى فى هذا البحث على الطريقة العلمية ..) !!.. إنه يطمئنك الى انه لم يأخذ حتى بما ثبت فى صحيحى البخارى ومسلم حفظا لكرامة العلم !

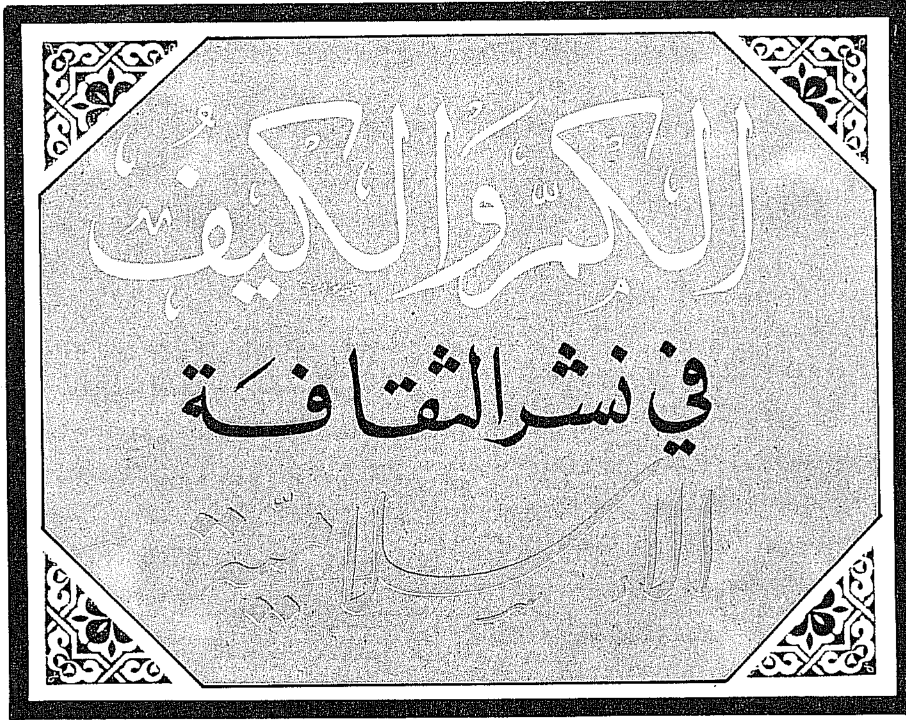
إذاً فان ما يرويه البخارى ضمن قيود رائعة عجيبة من الحيطة العلمية النادرة ، انحراف عن جادة العلم ، على حين تكون طريقة الغربيين فى الاستنتاج والحدس ومنهج التوسم حفظا لكرامته والتزاما لمنهجه وجادته !. اليس هذا من أفجع الكوارث النازلة برأس العلم ؟

••• ••• •••

إما اليوم فان الجيل المثقف الواعى المشبع بروح العلم لا يعدو أن يكون احد رجلين : رجل مؤمن بالله ورسوله فهو يقبل الإسلام بكل ما هو ثابت فيه من خوارقه ومعجزاته وغيبياته ، لا يرهق عقله بتمحل ولا اختلاق تأويل ، ولا يرى فيه أى انحراف عن مقتضى العلم وسلطانه ، وهو يمثل جمهور الشباب المثقف اليوم .

وآخر لا يؤمن بإله ولا برسول ، ومن ثم فهو لا يؤمن بشىء مما نتحدث عنه ، لا اعتمادا منه على مقياس العلم ، بل اعتمادا على كفره وجحوده بينبوع ذلك كله .

أما رجل آمن بالله ورسوله واتخذ الإسلام دينا ، ثم أنكر منه كل ما لا سبيل للعلم الى فهمه وتحليله ، فهو نموذج لا يمكن أن نعثر عليه فى جيلنا المثقف اليوم ، إلا أن يكون رجلا تدوى على سمعه اصداء تلك الأفكار القديمة دون أن تسعفه الظروف بمواصلة الطريق الى نهايته فى الدراسة والنظر والبحث .



بقلم : محمد عبد الله السمان

ما اكثر ما تخرجه المطابع فى ايامنا هذه من مؤلفات تقدمها الى المكتبة الاسلامية فى كثير من الموضوعات ، حتى يكاد يتوهم البعض اننا بصدد نهضة فكرية تعيد الى الأذهان تلك النهضة الفكرية التى ظهرت إبان العصر الذهبى للدولة العباسية ..

وليس الكلام هنا موجها الى طبع التراث الاسلامى ، حيث نلمس العديد منه يتخم المكتبات واكشاك باعة الصحف فى كثير من عواصم البلاد العربية ، وفى مقدمتها لبنان والعراق ومصر والكويت وقطر وسوريا ، والحق أن الاهتمام بالتراث عمل جدير بالتقدير ، ولا سيما ما كان منه لا يزال مسجلا فى مخطوطات نادرة فى مكتبات أوربا ، ولكن هذا لم يمنع تسلل العنصر التجارى أو المذهبى الى هذا العمل ، وكان أن طبعت كتب وزج بها الى الأسواق ، لا تخدم الفكر الاسلامى ، ولاتمثل الثقافة الاسلامية الواعية فى قليل أو كثير ، وإن منها ما لا يساوى ثمن المداد فضلا عن ثمن الورق ..

وإنما الكلام هنا موجه الى الكتابات الحديثة التى تتسم فى مظهرها بالطابع الاسلامى ، أما فى حقيقتها فلا تمثل إلا لونا من الوان الاستهلاك ليس الا ، ومن بين عشرة كتب لا تكاد تعثر على كتابين جادين يخدمان الفكر الإسلامى السليم ، ويمثلان الثقافة الاسلامية الناضجة ، أما الكثرة الساحقة من هذه الكتب ، فهى تحرص على أن تحمل عناوين عاطفية ضخمة ، فاذا قرأتها خرجت منها صفر اليدين خالى الوفاض .

اذكر اننى منذ سنوات قد جذبنى عنوان كتاب لعالم فاضل « المستقبل للاسلام » وما أن قرأته حتى أصبت بخيبة أمل . فالكتاب — يعلم الله — ليس فيه عن حاضر الاسلام — فضلا عن مستقبله — حتى بضعة سطور ، وعتب علىّ المؤلف الموقر لأننى تناولت كتابه بشىء من القسوة على صفحات مجلة الأزهر ، وبحثت عن معنى أشد من الدهشة فلم أجد ، حين اعتذر سيادته ، بأنه سلم الناشر كتابا ضخما ، لكن الناشر اقتطع منه هذا الجزء ، واختار له العنوان بنفسه دون الرجوع إليه .. فرجوت أنا منه أن يكتب هذا الاعتذار ، وسننشره له ، لكنه وعد ولم يفِ .

ومنذ أيام معدودة ، أبصرت كتابا ضخما فى أحدى المكتبات ، يقع فى اكثر من ستمائة وخمسين صفحة ، ومؤلفه مستشار سابق ، أما عنوان الكتاب ، فهو « محمدخاتم الرسل » وجلست بعضا من الوقت أتابع موضوعات الكتاب ، وللأسف لم أخرج منه بشىء جديد فهو سرد أوجز ما دونته كتب السيرة ، ليس فيه ما يروى الغلة من تحليل أو تعقيب أو مناقشة ، لا بد أن السيد المؤلف قد قرأ ما كتبه المرحوم الدكتور هيكل فى كتابيه « فى منزل الوحى » و « حياة محمد » لكن الذى أقطع به أنه لم يتأثر بهما ولم يفد منهما ، أما كان الأحرى بالسيد المؤلف أن يقدم للمكتبة الاسلامية احدى الدراسات عن القانون المقارن بالتشريع الاسلامى ، كما فعل إخوان له من قبل ، فخدموا الفكر الاسلامى ، وخدموا الثقافة الاسلامية ؟؟

ما أحوج الاسلام اليوم ، بل والمسلمين الى دراسات جادة تعرض معانى الاسلام الحية ، وتصفى الاسلام نفسه من الشوائب التى لحقت به فى عصور الغفلة واللامبالاة وتدحض الشبهات والمفتريات التى الصقها به المغرضون وذوو الأهواء ، مستشرقين صليبيين حاقدين كانوا ، أو مسلمين ضعاف الضمائر ، لذّ لهم أن يعرفوا بالتحضر ، أو ماديين متحفزين دائما للنيل من الاسلام وأصوله ..

كان العقاد رحمه الله يتصدى لهذه الشبهات وتلك المفتريات على صفحات مجلة الأزهر تحت عنوان : « ما يقال عن الإسلام » متعقبا كل ما يصدر عن هوى عن الاسلام فى صحف الغرب ومؤلفات كتابه ، والحق الذى لا جدال فيه ، أن كل مقال من مقالاته ، كان يزن عشرات من الكتب الاسلامية التى لا تقدم للمكتبة الاسلامية إلا تكرارا مملا ، واسفافا ضحلا ، ومات العقاد ، وخلا مكانه ، وفشلت مجلة الأزهر فى الحصول على خلف له ، ولقد عرضت الموضوع بنفسى على عديد من الكتاب الاسلاميين المبرزين فأحجموا ، وقبل على استحياء المرحوم الدكتور الأهوانى لكنه توقف بعد مرتين أو ثلاثا .

وكتاب العقاد « حقائق الاسلام واباطيل خصومه » يكاد يكون الكتاب اليتيم فى المكتبة الاسلامية . وهل ينكر إنسان أن « العبقريات » التى كتبها العقاد ، قد أتت بجديد فى مجال التحليل الذى لا يبارى فيه العقاد ؟

عشرات الكتب تظهر من تأليف المستشرقين المغرضين ، تنال من الاسلام ونبى الاسلام ، ولكن قل أن نجد من يتصدى لها من الكتاب الاسلاميين الذين آثروا السلبية فى كتاباتهم ، بل منهم من يتحمس لمصادرة هذه الكتب المنحرفة مؤثرين السلامة بدل أن يتصدوا لها ويفندوا مزاعمها ، ويدحضوا شبهاتها . .

بل لا يكفي أن يترجم الكتاب الى اللغة العربية ويرد عليه ، فالعمل الايجابى أن يرد عليه بنفس اللغة ، وينشر فى الأوساط التى تسلل اليها بلغته الأجنبية . .

وكما خلا مكان العقاد فى هذا المجال ، خلا من قبل مكان المرحوم فريد وجدى ، فقد خدم الفكر الاسلامى وحده بقلمه ، لكن ما قدمه للفكر الاسلامى من خدمات لا يزال معظمه ضيفا على أرفف النسيان والاهمال . .

وفى مجال جغرافية العالم الاسلامى نحس بكثير من الخجل ، فالكتب عن جغرافية العالم الاسلامى لا وجود لها فى المكتبة الاسلامية ، هناك كتاب يتيم ألفه كاتب هندى مسلم وقام بترجمته الاستاذ فتحى عثمان ، بل ان المسلم لا يكاد يجد مرجعا يروى الغلة عن الدول الاسلامية فى أفريقيا وآسيا .

لذلك يضطر الى الرجوع الى ما كتبه كتاب الغرب مثل كتابى المؤلف الامريكى « جون جنتر » وهما داخل افريقيا وداخل آسيا ، بل حتى الاحصائيات الدقيقة عن تعداد المسلمين ومظاهر النهضة والحضارة الحديثتين فى بلادهم ، لا نكاد نعثر على مراجع وافية شافية بأقلام الكتاب الاسلاميين ، وقد ظهر منذ سنوات كتاب لكاتب يحمل لقب دكتور ، عنوانه : « الاسلام فى المشارق والمغارب » ومن المؤسف القول بأن ما استوعبه من معلومات لا يزيد شيئا عما هو مدون فى الكتب المدرسية فى مرحلتى الاعدادى والثانوى ، وعندما أردت الحصول على تعداد المسلمين فى الكنغو ، وجدت المؤلف يذكر أنهم مليون مسلم ، لكن حين أطلعت على كتاب « المسلمون فى العالم » لمؤلف مسلم يحمل ايضا لقب دكتور وجدته يذكر أنهم احد عشر الفا ، وأمام هذه البلبلة اضطررت الى الرجوع الى أطلس العالم الاسلامى الذى أصدرته مؤسسة « رانكلين » الأمريكية . .

وفى مجال الحركات الاسلامية المعاصرة ، نجد أن كتاب الغرب أنشط منا ، وأسبق منا ، فنحن لا نكاد نعرف شيئا عن حركة الصراع الدائبة فى داخل افريقيا السوداء بين الاسلام من ناحية ، وبين الوثنية والصليبية والمادية اخيرا من ناحية أخرى ، وحسبنا أن نقرأ كتاب «داخل أفريقيا» الذى سبق ذكره لجون جنتر ، ثم كتاب يقظة العالم الاسلامى لكاتب أوربى هو (فرنو) لنزداد مرارة وأسى .

وفى مجال التبشير الصليبى فى داخل أفريقيا السوداء وآسيا ، وهو الذى لا يزال يناهض الاسلام دون توقف أو ملل ، هل استطاع الكتاب الاسلاميون أن يتعقبوا هذا التبشير الصليبى الاستعمارى الذى لا يزال يغزو الاسلام فى عقر داره ؟ لقد سد

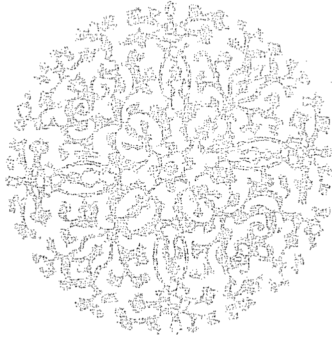
الدكتور عمـر فروخ وزيمله فراغـا كبيرا فى المكتبة الاسلامية بكتابهما : « التبشير والاستعمار » لكن ماذا بعد هذا الكتاب الجليل الذى صدر منـذ بضعة عشر عاما ؟ لا شىء ..

وبعـد ..

فمن الوهم أن نقيم نهضتنا — نحن المسلمين — فى مجـال الفكر على أساس من الكم فيما يؤلفه المؤلفون وتخرجه المطابع . وهو كالسـيل الجارف ، فالكثرة الساحقة من هذا السيل تكرار ممل ، أو اسفاف ضحل لا يخدم الفكر الاسلامى ، ولا يشرف الثقافة الاسلامية ، ونحن لا ننكر أن هناك كتبا إسلامية جادة لكتـاب اسلاميين لهم وزنهم وتقديرهم ، لكن هذه الكتب القليلة تضيع فى ضوضاء السيل الجارف من الكتب التى تنتسب الى الاسلام وهى لا تزن المداد الذى كتبت به ، فضلا عن الورق الـذى طبعت عليه ..

إن الاسلام يتعرض لتيارات جارفة مستوردة ومحلية ، فهو فى مسيس الحاجة الى كتابات جادة تواجه هذه التيارات التى لا تعرف الهدوء فضلا عن التوقف ، الاسلام فى حاجة الى دراسات تعرض الاسلام عرضـا سليمـا خاليا من شـوائب التزمت والشـموذة ، وفى حاجة الى دراسات جادة عن حركة الاسلام وموقفها من التبشير الصليبى العميل للاستعمار من كل مذهب ولون ، وفى حاجة الى دراسات تتعقب الشبهات والمفتريات التى يلصقها بالاسلام واصـوله ذوو الأهـواء من المستشرقين ، ومرضى الضمائر من المنتسبين الى الاسـلام طلبا للشهرة ، وتزلفا الى جبهات تملك الحرمان كما تملك العطاء ..

وحسبنا الله وحده .





للدكتور محمد محمد حسين

من هم العرب .. ؟

العروبة والجامعة العربية والقومية العربية ، كلمات يجرى استعمالها هذه الأيام فى معنى واحد هو الصفات الجامعة لذلك الجنس من الناس المسمى بالعرب .. فمن هم العرب .. ؟ لو تتبعنا مدلول هذه الكلمة على امتداد التاريخ لم نجده واحدا .. كلمة (العرب) كانت تطلق قبل الاسلام على سكان جزيرة العرب ، التى يحدّها الهلال الخصيب من جهة الشمال (العراق والشام) والتى يحيط بها خليج العرب والبحر المحيط والبحر الأحمر من الشرق والجنوب والغرب . كان هذا الجنس الذى يسكن تلك الارض هو وحده المقصود باسم (العرب) .. منه ورثنا التراث الشعرى الضخم الذى اشتدت عناية الدارسين به للاستعانة به فى ضبط اللغة العربية وعلومها وفى تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف .

فلما ظهر الاسلام وعم الجزيرة العربية على اختلاف قبائلها ، بدأت الفتوح على عهد النبى صلى الله عليه وسلم بمحاربة الروم فى غزوة مؤتة سنة ٨ هـ ، ثم فى غزوة تبوك سنة ٩ هـ ، ثم كانت واقعة اليرموك سنة ١٥ هـ فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وقد توفى فى أثنائها قبل أن يتحقق النصر للمسلمين . وتوالت الفتوح من بعد فى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه فى العراق ومصر وما وراءهما . ثم فى خلافة سيدنا عثمان ومن بعده .

هجرة العرب :

وتتابعت هجرة القبائل العربية الى الأمصار المفتوحة على اختلاف اسبابها .. منهم من هاجر طلبا للنجعة فى سنوات القحط وفى أوقات الجفاف على عادتهم فى الجاهلية ، ثم طابت له الحياة فاستقر فى موطنه الجديد . ومنهم من ذهب مع الجيوش الفاتحة ثم لم يعد . ومنهم من هاجر استجابة لدعوة أمراء العرب فى هذه الأمصار ، الذين رأى بعضهم أن يستقدم بطونا من عشيرته يتقوى بهم ويدعم عصبيته ، كما حدث فى ولاية الوليد بن رفاعة على مصر فى خلافة هشام بن عبد الملك الأموى حين استقدم القيسية . ومنهم من هاجر التماسا لسعة العيش فى هذه البلاد .

وكان العرب فى أول الأمر ، وعلى امتداد الدولة الأموية ، يترفعون عن الاختلاط بأبناء البلاد المفتوحة . وكانوا يعتزّون بأنسابهم فى قبائلهم . ولذلك حرصوا على حفظها من الاختلاط بغيرهم ، وعاشوا حياة أقرب الى البداوة ، فى منازل أشبه بثكنات الجيوش فى خطط منعزلة ، كالكوفة والبصرة فى العراق ، والفسطاط فى مصر ، والقيروان فى المغرب . لذلك ظل اسم (العرب) طوال الدولة الأموية يطلق على المنتسبين الى هذا الجنس ممن قدموا على الأمصار المفتوحة ، وذلك فى مقابل اسم (الموالى) الذى كان يطلقه العرب على من عداهم من الأجناس فى هذه البلاد ترفعا واستعلاء . وذلك باستثناء بلاد الشام التى بدأ اختلاط العرب فيها بأهل البلاد منذ الفتح ، لانتشار العنصر العربى فيها من عهد بعيد قبل الاسلام ، ثم ساعد انتقال العاصمة اليها فى عهد الأمويين على زيادة هذا الاختلاط . كانت البلاد المفتوحة فى أول عهدها بالفتح تطلق على الغزاة الفاتحين اسم (العرب) ، تمييزا لهم من سكان البلاد الأصليين ، الذين كان بعضهم لا يزال على دينه . وبذلك كان اسم (العرب) مرادفا لمعنى (المسلمين) .

التعريب :

وانتشر الاسلام شيئا فشيئا فى هذه البلاد المفتوحة .. وانتشرت معه اللغة العربية التى لا غنى للمسلم عنها فى معرفة دينه وإقامة شعائره وحفظ كتابه . ثم جاء تعريب الدواوين فى أيام عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ) ونقلها الى أيدى المسلمين بعد أن كان يتولاها أهل البلاد من غير المسلمين ، ويدونونها باللغة الفهلوية (الفارسية القديمة) فى العراق وبالرومية فى الشام وبالقبطية (المصرية القديمة فى العصر المسيحى) فى مصر . فزاد انتشار اللغة العربية . ولم ينته القرن الأول الهجرى حتى كانت اللغة العربية لغةً للتخاطب والتعامل والتدوين فى هذه البلاد جميعا ، وأصبح الاسلام دين

السواد الأعظم من سكانها ، وكادت لغات البلاد القديمة تنسى بعد أن اقبل الناس على العربية ، قرآنا وحديثا وشعرا ولغة ، يحاولون إتقانها ومنافسة العرب أنفسهم فيها .

وعلى توالى الأيام زاد امتزاج العرب فى الأمصار بأبناء البلاد ، بالتصاهر وبتداخل المصالح ، واختلطت أنسابهم بتوالى الأجيال ، فضعفت العصبية العربية المبنية على النسب تبعا لذلك (تاريخ ابن خلدون ٦ : ٣ طبع بولاق) . وزاد الزواج والتسرى من ناحية أخرى بين العرب بغير العربيات فى العامة والخاصة ، حتى أصبح الخلفاء فى أواخر الدولة الأموية ، من بعد الوليد بن يزيد ، وفى سائر الدولة العباسية ، من بعد الأمين بن الرشيد ، من أمهات غير عربيات . وزاد على مَرّ الأيام عدد الفقهاء والشعراء والمشتغلين بالعلوم العربية والذين يشغلون المناصب الخطيرة الشريفة من غير العرب . بل سادت عناصر غير عربية وتسلطت على الدولة منذ عصر المعتصم . وزاد خطرها منذ تجرأ الترك على قتل المتوكل .

الاسلام أولا ..

وبذلك انتهت النعرة العنصرية العربية ، واصبحت الصبغة الظاهرة فى البلاد الاسلامية على اختلافها هى الاسلام ، واصبحت اللغة العربية وعلومها وآدابها حظا شائعا بين العرب وغير العرب بلا تمييز . بل اصبح عدد المشتغلين بها والذين يدونون بها شعرهم ونثرهم وفكرهم ومعارفهم من غير العرب اكثر عددا واغلب شهرة . فأبو حنيفة الفقيه (١٥٠ هـ) فارسى ، والبخارى شيخ المحدثين (٢٦٥ هـ) تركى ، وسيبويه أبو النحو (١٨٣ هـ) فارسى ، وصلاح الدين الأيوبى بطل الحروب الصليبية (٥٦٤ هـ) كردى ، ومحمد بن إسحق اول من دوّن السيرة النبوية (١٥١ هـ) فارسى . والطبرى شيخ المؤرخين والمفسرين (٣١٠ هـ) تركى ، وابن سينا أبو الطب العربى الذى ظلت كتبه تدرس فى جامعات أوروبا طوال العصور الوسطى (٤٢٨ هـ) أفغانى . وبذلك صح أن توصف هذه البلاد جميعا بأنها عربية ومسلمة فى آن واحد ، دون أن تغلب فيها احدى الصفتين على الأخرى .

من هذا العرض يتبين لنا بوضوح أن البلاد العربية كلها من الخليج العربى شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا — فضلا عما وراءها شرقا من بلاد ارتدت بعد ذلك عن عروبتها — ليس لها تاريخ فى العروبة يسبق الاسلام ، بل إن عروبتها فى الحقيقة تتأخر عن اسلامها . وهذه العروبة لم تجئها الا من طريق الاسلام وبسببه . ذلك بأن الاسلام دعا المسلمين الى أن يحبوا العرب ويلتفوا حول رايتهم ويتخذوا العربية لغة جامعة لشملهم . روى الحاكم فى المستدرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب العرب فبحبى أحبهم . ومن أبغض العرب فبيغضى أبغضهم » . وعن أبى هريرة أنه قال « أحبوا العرب وبقاءهم . فإن بقاءهم نور فى الاسلام . وإن فناءهم ظلمة فى الاسلام » . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » . وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يتكلم بالفارسية وهو يطوف حول الكعبة فأخذ بعضديه وقال « ابتغ الى العربية سبيلا » . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيّن بوضوح أن العربى هو من تكلم العربية ، حيث يقول « يا أيها الناس . إن الرب واحد وإن الأب واحد وإن الدين واحد . من تكلم بالعربية فهو عربى » .

من أجل ذلك كان التفريق بين العروبة والاسلام فى أيامنا هذه لا يستند

الى اساس . فالاسلام هو الذي اعطى للعرب لغتهم ووحدهم عليها وعلى القيم التي تضمنها كتابه وسنة رسـوله . فالتقت قلوبهم وعقولهم وامزجتهم على ما يحلون وما يحرمون ، وما يحبون وما يكرهون ، وما يستملحون وما يستقبحون ، وتوحدت انماط حياتهم في عباداتهم وفي افراحهم وفي احزانهم وفي نظمهم داخل بيوتهم وخارجها . لانهم في ذلك كله كانوا محكومين بالفقه وبالآداب والفنون التي نشأت ونمت وترعرعت في ظل الاسلام ، وخضعت لأحكامه ، وتأثرت بقيمه ومزاج شعوبه . فاتجه النحت والتصوير مثلا الى الانماط العربية المعروفة المبنية على الخطوط والدوائر ، والى تجميل الحروف الكتابية والافتنان في تنسيقها ، مبتعدا عما نهى عنه الاسلام من إبراز الشخوص الانسانية أو الحيوانية وتمثيلها ، واصبح لهذا الفن شخصية بارزة متميزة يستملحها غير العرب وغير المسلمين ، حتى رأينا بعض نصارى الغرب يزينون كنائسهم بأحجار قد نقشت عليها آيات قرآنية مما بقي من آثار العرب في الأندلس بعد خروجهم ، وهم يجهلون أن هذه النقوش ليست سوى آيات قرآنية . ثم ان القرآن ضمن للغة العربية ولخطها ثباتا واستمرارا لا نظير له في سائر لغات العالم التي تتعرض للتبديل والتغيير والتحوير . لأن المسلمين رفضوا كل تغيير أو تبديل أو تطوير يبعدهم عن فهم النص القرآني والأصول الاسلامية من حديث وفقه أو يحول دون قراءتها وتذوق بلاغتها وإعجازها . وبذلك اصبح التراث الفكري الاسلامي كتابا مفتوحا يتنقل القارىء بين صفحاته وفصوله من أوله الى آخره ، يقرأ للمتقدمين السابقين من الأولين كأنه يقرأ لشعراء ولكتاب معاصرين .

ولم يقتصر الامر على قيام هذه الروابط الاسلامية الجامعة بين العرب . فقد امتدت آثارها الى سائر المسلمين ، الذين تأثروا بهذه القيم والنظم الخلقية والاجتماعية ذاتها ، والذين إن فاتهم اتخاذ العربية لغة لهم ، فلم يفتهم اتخاذ حروفها لتدوين تراثهم ومعارفهم . لم يشذ عن ذلك الا الترك منذ الثورة الكمالية والجمهوريات التركية الجنوبية في روسيا منذ الثورة البلشفية والاندونيسيون في ظل الاستعمار الهولندي .

ومن أطرف ما قرأته في صلة العروبة بالاسلام قول سمث (د. ك. سمث) في كتابه « الاسلام في العصر الحديث » الذي ظهر سنة ١٩٥٧ : ان العرب المسلمين لا يعتبرون غير المسلمين من بني جنسهم كاملي العروبة ، كما أنهم لا يعتبرون المسلمين من غير العرب كاملي الاسلام ..

من أين إذن جاء التشكيك في هذه الصلة بين العروبة والاسلام .. ؟ فزعم بعض الزاعمين أن الاسلام ليس عنصرا اصيلا في مقومات العروبة .. ؟ وأراد آخرون أن يعرّوا الاسلام من صفته العربية .. ؟

متى نشأت التفرقة بين العروبة والاسلام .. ؟

حين نشأت الدعوة المعاصرة الى القومية العربية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، أو ما كان يسمى وقتذاك بالجامعة العربية ، ويعنون بها الرابطة الجامعة لشمل العرب ، كان العرب يشكلون الجزء الاكبر من الدولة العثمانية . واتخذت الدعوة في أول أمرها شكلا ثقافيا يعني ببعث التراث العربي ، والعناية بانشاء صحافة ومسرح عربي ، والدعوة الى الاهتمام باللغة العربية وجعلها لغة

التعليم والقضاء والدواوين فى البلاد العربية بدلا من اللغة التركية التى كانت هى اللغة المستعملة وقتذاك فى هذه المجالات . وكانت كثرة كبيرة من رجال الرعيل الأول من هذه الحركة وفى هذا البعث من مسيحيى لبنان مثل البستانى واليازجى والشدياق واديب اسحق ونقاش وشميل وتقلا ومشاقة وزيدان ونمر وصرّوف . واغلبهم ممن اتصلوا بالارساليات الانجليزية الامريكية ، التى بدأت تتوارد على بيروت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لنشر مذهبهم البروتستنتى . واكثرهم فى الوقت نفسه ينتمون الى الماسونية . فابراهيم اليازجى (١٨٤٧ — ١٩٠٦ م) وأبوه ناصيف اليازجى (١٨٠٠ — ١٨٧١ م) كانا على صلة حسنة بالارساليات الامريكية الانجليزية . وكانا يترددان على مطبعتهم فى بيروت ، التى كان يشرف عليها وقتذاك الدكتور فانديك . وقد علّم اليازجى الكبير فى مدارسهم ، وأعان ابنه فى ترجمتهم التوراة الى العربية . ثم قدم بعد ذلك الى مصر ومات بها . واحتفلت المحافل الماسونية فى مصر والاسكندرية بتأبينه . وهو صاحب القصيدتين المشهورتين فى استنهاض همم العرب ودعوتهم الى احياء أمجاد آبائهم ورفض التجبر والاستبداد :

دع مجلس الغيد الأوانس وهَوَىً لواحظِها النواعس

وأختها التى مطلعها :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

وهو صاحب مجلة (الضياء) بما حوت من مباحثه اللغوية . وقد اتم الابن ما بدأ به أبوه من شرح ديوان المتنبى وسماه « الجوهر الفرد والعرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب » .

ومن مؤسسى هذه النهضة ايضا بطرس البستانى (١٨١٩ — ١٨٨٣ م) . وقد كان أيضا على صلة بدعاة المذهب الانجيلى البروتستانت من الامريكان ، وتولى منصب الترجمة فى قنصلية امريكا ببيروت . وأعان الدكتور سميث المبشر الامريكى ، ثم الدكتور فانديك من بعده ، فى الترجمة البروتستانتية للتوراة التى تمت فى سنة ١٨٦٤ م ثم طبعت فى أمريكا سنة ١٨٦٦ . وأعان الدكتور فانديك أيضا فى انشاء مدرسة عبية الامريكية ، وهى مدرسة عليا ترجع أهميتها الى أنها كانت تقوم بتدريس العلوم الحديثة من جغرافيا وطبيعة وكيمياء ورياضة باللغة العربية . وقد وضعت لذلك كتبا خاصة قامت بطبعها ، فشاركت بذلك فى حركة الاحياء العربية . وبطرس البستانى مع ذلك هو صاحب القاموس العربى (محيط المحيط) . وهو صاحب دائرة المعارف المعروفة باسمه ، أتم منها ستة مجلدات ، وتوفى وهو فى بدء السابع ، فأتمه وأتم الثامن ابنه سليم . ثم توفى ابنه قبل أن يتم التاسع ، فأصدر أبناؤه الباقون بمعاونة ابن عمه سليمان البستانى (مترجم الالياذة الى العربية) الأجزاء الباقية (التاسع والعاشر والحادى عشر) . وقد ساهم بطرس البستانى مع ذلك كله فى النهضة الصحفية العربية بانشاء ثلاث صحف ، وهى (الجنان) و (الجنة) و (الجُنَيْنَة) .

ومن الذين شاركوا فى هذه النهضة أيضا من مسيحيى لبنان فارس الشدياق (١٨٠١ — ١٨٨٧) ، الذى تسمى بعد اسلامه على يد باى تونس بأحمد فأصبح اسمه (أحمد فارس الشدياق) . ترك فى أول حياته مذهبه المارونى واتبع المذهب الانجيلى على يد المرسلين الأمريكان ، فتولوا حمايته من بطش رجال الاكليروس الذين حبسوا اخاه وعذبوه حتى مات وهو فى سجنهم بسبب تغييره مذهبه . حضر على نفقتهم الى مصر فى أيام محمد على . ثم

طوّف كثيرا بين دول أوروبا والأستانة وتونس ومصر . ووصف كثيرا من هذه الأسفار فى صحيفته (الجوائب) التى أصدرها سنة (١٨٩١ م — ١٢٧٧ هـ) . وقد استدعته جمعية ترجمة التوراة البروتستانتية فى لندن سنة ١٨٤٨ م فأعان فى ترجمتها الى العربية . وله كتب كثيرة تغلب عليها النزعة اللغوية ، أهمها (سرّ الليال فى القلب والإبدال) و (الساق على الساق فيما هو الفارياق) و (الجاسوس على القاموس) . وله مع ذلك شعر كثير فى مدح سلاطين آل عثمان وباى تونس . وهو صاحب المقامات التى نالت فى زمانها شهرة كبيرة والمعروفة باسم (مَجْمَع البحرين) .

ومن دعائم هذه النهضة أيضا سليم تقلا مؤسس صحيفة (الأهرام) المصرية (١٨٤٩ — ١٨٩٢ م) . تلقى علومه فى مدرسة عبية التى انشأها المبشر الامريكى الدكتور فانديك أحد مؤسسي الجامعة الامريكية ، التى بدأت سنة ١٨٦٦ م باسم (الكلية السورية الانجيلية) .

ومنهم جورجى زيدان (١٨٦١ — ١٩١٤ م) . كان على صلة بالمبعوثين الامريكان . وكان يدعى الى احتفالات الخريجين بكليتهم . ثم التحق بالجامعة الامريكية سنة ١٨٨١ لدراسة الطب . وغادرها دون أن يتم دراسته فى العام التالى . وهو صاحب المباحث المعروفة فى اللغة العربية وآدابها . ومؤلف سلسلة من القصص التاريخية العربية وهى (فتاة غسان) و (عذراء قريش) و (١٧ رمضان) و (غادة كربلاء) و (الحجاج بن يوسف) و (فتح الأندلس) و (شارل وعبد الرحمن) و (أبو مسلم الخراسانى) و (العباسة أخت الرشيد) و (الأمين والمأمون) و (فتاة القيروان) و (صلاح الدين ومكايد الحشاشين) و (شجرة الدر) . وهو مع ذلك كله مؤسس مجلة (الهلال) التى لا تزال تصدر حتى الآن .

منذ ذلك الوقت نشأت التفرقة بين العروبة والاسلام على يد هذه الطائفة من المفكرين والكتاب . ولم يعد اسم (الجامعة العربية) مرادفا لاسم (الجامعة الاسلامية) .

الجامعة الاسلامية :

والواقع ان الذين دعوا الى الجامعة العربية فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى كانوا مختلفين فى تصورهم لهذه الجامعة ، متباينين فى أغراضهم التى يستهدفونها من وراء هذه الدعوة . كانت الجامعة الاسلامية وقتذاك هى الرابطة التى تربط أجزاء الدولة العثمانية تحت راية السلطنة العثمانية التى جمعت بين الزعامة السياسية والزعامة الدينية منذ تلقب سلاطينها بلقب الخلافة الاسلامية فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) . وقد زاد نفوذ هذه الجامعة فى قلوب الناس منذ عنى السلطان عبد الحميد بتدعيمها وبدعوة الناس الى الالتفاف حول رايتها والاعتصام بها فى وجه الأطماع الاستعمارية التى كانت تنتظر بفارغ الصبر الوقت الملائم لاقتسام أملاك هذه الدولة . وكانت لغة التعليم والادارة فى البلاد العربية التى تكوّن الجزء الأكبر من الدولة العثمانية هى اللغة التركية . بها كان يجرى التعليم فى المدارس على اختلاف أنواعها . وبها كانت تجرى المرافعات فى المحاكم . وبها كانت تدوّن المعاملات الحكومية فى مختلف الدواوين . ومن هنا نشأت الدعوة أول ما نشأت تدعو الى الاهتمام باللغة العربية واتخاذها لغة للتعليم والادارة فى

البلاد العربية ، مع منح هذه البلاد شيئا من الاســــتقلال الجزئى الذى يبرز شخصيتها العربية فى داخل إطار الدولة العثمانية ودون خروج على وحدتها الجامعة .

وكان بعض دعاة ما سمى فى ذلك الوقت بالجامعة العربية من المسلمين خاصة لا يرون تعارضــا بينها وبين الجامعة الاســــلامية ، التى يدينون بها ويسلمون بأنها هى الجامعة الاولى والأهم بين المسلمين فى سائر بلاد الارض . بل إنهم كانوا يرون فى الاهتمام باللغة العربية شدًّا لأزر هذه الجامعة التى بها يقيم المسلمون صلواتهم وشعائر دينهم وأذكارهم فى تلاوة القرآن الــكريم وخطبة الجمعة وخطبتى العيدين . وبها يتحتم على المســلم أن يلتمس التفقه فى أصول دينه .

ولكن فريقا من هؤلاء المسلمين انفسهم ، الذين يتمســكون بالجامعة الاسلامية ، كان يرى التفرقة بين الخلافة وبين السلطنة ، بجعل الخلافة فى العرب والسلطنة فى الترك . وحجتهم فى ذلك أن العرب هم أقدر الناس على فهم الاسلام وتبليغه . بلغتهم نزل كتابه ، ومن بينهم اصطفى الله نبيه ، وبين أحضانهم نشأت الدعوة اليه ، ومنهم كان الرعيل الأول من المجاهدين فى سبيل نشره والدعوة اليه . وذلك مع تسليمهم بأن الترك هم أقوى الشعوب الاسلامية واقدرها على الوقوف فى وجه المطامع الاستعمارية فى بلاد العرب على وجه الخصوص . ولذلك فهم أحق الناس بالزعامة السياسية .

فصل الدين عن الدولة :

وكان ذلك هو رأى الكواكبى الذى بدا واضحا فى آخر كتابه (أم القرى) ، ومن ذهب مذهبه واتبع طريقه من دعاة الجامعة العربية ، الذين ابتدعوا لأول مرة التفرقة بين السلطة السياسية والسلطة الدينية ، أو المرجع الدينى على الأصح ، لأن هذه التفرقة تترك الدين فى واقع الأمر بلا سلطة .

وكان هناك فريق ثالث من المسلمين أنفسهم واقعا تحت تأثير الدعوات القومية المتطرفة التى اشتدت حركتها فى أوروبا فى القرنين الثــــامن عشر والتاسع عشر . وهؤلاء كانوا يتصورون الجامعة العربية تصورا قوميا خالصــا ويجردونها من كل صلة بالدين . وكان الهمّ الأكبر والشغل الشاغل لهذا الفريق هو انشاء دولة عربية مســــتقلة على النمط القومى العربى الذى يقوم على مؤسسات ديموقراطية قوامها ارادة الشعب الممثلة فى مجالس نيابية منتخبة . وكانت هذه الجامعة العربية التى يتوسلون بها الى انشــــاء دولة عربية كبرى مقصورة على الجناح الايمن لما نسميه الآن بالعالم العربى ، أى القسم الآسيوى وحده من هذا العالم . وكانوا فى معظمهم واقعين تحت تأثير الفكر المستمد من كتّاب الثورة الفرنسية ومفكريها من ناحية ، ومن فلاســـفة عصر النهضة اللبراليين فى أوروبا ، الذين دعوا فى صدامهم مع الكنيسة الى فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية من ناحية أخرى . وقد ظن هؤلاء أن التقدم الاوروبى الحديث هو ثمرة من ثمرات هذه النهضة ، التى قضت على سلطة الدين وحررت منه رجال السياسة والعلم والاقتصاد . ولذلك فالنهضة العربية عندهم لا تصح الا على هذا الاساس . وهذا الفريق يلتقى فى تفكيره مع غلاة القوميين من الترك ، الذين يدعون الى القومية الطورانية ، والذين كان اكثرهم منضما الى حزب الاتحاد والترقى . بيد أن الأخيرين كانوا يختلفون مع القوميين العرب فى أنهم يرون فرض الصبغة التركية واللغة التركية على كل أجزاء الدولة ، ومنها البلاد العربية ، مع تجريد السلطة الســـياسية من الدين ، والتخلى عن لقب الخلافة ، أو الاقتصار على استغلاله فى تدعيم نفوذ الدولة بين العناصر غير التركية من المسلمين .

العروبيون والاسلاميون :

اما المسيحيون ممن قدمنا ذكر بعض رجالهم فقد كان من الطبيعي أن يكونوا ضمن الفريق الذى يرى الجامعة العربية جامعة قومية خالصة ، لأنهم غير داخلين بحكم مسيحيتهم فى الجامعة الاسلامية ، وليس لهم ولاء قلبى لها ، فكل الذى يربطهم بالدولة هو الولاء السياسى . وكان من الطبيعي أن يجد الاستعمار والصهيونية فى هذا الفريق الاخير من المسلمين والمسيحيين على السواء صيدا ثمينا يمكن أن يلتقى معه فى فترة مرحلية تمهد لتحقيق أغراضه . فالاستعمار الانجليزى كان طامعا فى العراق وفى مصادر البترول الذى كانت البحوث الجيولوجية تشير الى احتمال ظهوره ، كما كانت البحوث الاقتصادية تشير الى تزايد أهميته الصناعية .

وفرنسا كانت تطمع فى الشام للرابطة الدينية والاقتصادية التى تربطها بمسيحييه على الساحل ، وللحصول على مصادر البترول ، الذي كان ظهوره متوقعا فى الاجزاء الشمالية من حوض الفرات . وقد اصبحت الحدود بينها وبين منطقة النفوذ الانجليزى فى العراق مثار نزاع بين الدولتين عقب الحرب العالمية الاولى لهذا السبب .

والصهيونية العالمية كانت طامعة فى الاستيلاء على فلسطين واتخاذها وطنا قوميا لليهود . ولا سبيل الى ذلك إلا بانحلال الدولة العثمانية ، بعد أن عجزوا عن الوصول الى موافقة السلطان عبد الحميد على زيادة الهجرة اليها وتملك الارض فيها . كان الفرقاء الثلاثة يلتقون عند اسقاط الدولة العثمانية وتمزيقها ، ويرون أن بث الفرقة بين العرب وبين الترك يساعد على بلوغ هذا الهدف . وقد نجح الفرنسيون فى استمالة فريق من المسيحيين — ومن الكاثوليك منهم على وجه الخصوص — باسم الدين ، فكانت الجامعة العربية او القومية العربية تمثل فى نظر هذا الفريق فترة مرحلية ينتقلون منها بعد الاستقلال عن الدولة العثمانية الى الولاء الفرنسى .

هذه الظروف والمناسبات التى واكبت نشأت الجامعة العربية فى العصر الحديث ادت الى سوء ظن متبادل بين العروبيين والاسلاميين . وزاد فى سوء الظن عند الاسلاميين أن الشريف حسين حالف الانجليز بعد ذلك ضد الدولة العثمانية لقاء وعد منهم بالمساعدة فى إقامة دولة عربية يجعلونه على رأسها ، وينقل الخلافة الاسلامية اليه بعد زوال الخلافة العثمانية . فالاسلاميون يرون أن هذه الدعوة العربية التى نشأت فى حضانة أمريكية صهيونية ، والتى تساندها انجلترا وفرنسا وتمدانها بالمال والسلاح لا يمكن أن تخدم إلا مطامع الاستعمار والصهيونية .

وذلك هو ما عبر عنه شكيب أرسلان فى خطابه الموجه الى الشريف حسين حين بلغه عزمه على غزو سوريا مع جيوش الحلفاء فى الحرب العالمية الاولى . فهو ينهاه عن المضى فيما هو فيه من دعوة زعماء السوريين للخروج على الدولة العثمانية والالتحاق بالجيش الحسينى العربى ، ويحذره عاقبة هذه الغارات التى يضرب فيها العرب بالعرب ، فيقول له فيما يقول « أتقاتل العرب بالعرب أيها الامير ، حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم استيلاء انجلترا على جزيرة العرب ، وفرنسا على سورية ، واليهود على فلسطين ؟ » . ثم يخاطب القائمين بالدعوة قائلا « قل لهؤلاء القائمين بالدعوة العربية ، الناهضين لحفظ حقوقها وأخذ تاراتها : ماذا الى اليوم أمنوا من حقوق العرب بقيامهم .. ؟ ليقولوا لنا

ماذا أقاموا للعرب من الملك حتى نشكرهم ونقر بفضلهم ، لأننا عرب نحب كل من أحب العرب ، ونبغض كل من أبغض العرب . ولا نبالى بالقيل والقال أمام الحقائق » .

ولذلك السبب نفسه هاجم الشاعر العراقى معروف الرصافى دعاة الجامعة العربية حين عقدوا مؤتمرهم فى باريس سنة ١٩١٣ بعد أن كان مؤيدا لهم يؤازر دعوتهم بشعره ، وذلك فى قصيدته (ما هكذا) التى بداها بقوله :

أصبحت أوسعهم لوما وتثريبا ... لما امتطوا غارب الإفراط مركوبا

وفيها يقول :

إنى لأبصر فى (بيروت) قائبة ... للشر موشكة أن تخرج القوبا
لو كان فى غير (باريز) تألبهم ... ما كنت أحسبهم قوما مناكيبا
لكن (باريز) ما زالت مطامعها ... ترنو الى الشام تصعيدا وتصويبا
ولم تزل كل يوم فى سياستها ... تلقى العراقى فيها والعراقيبا
هل يأمن القوم أن يحتل ساحتهم ... جيش يدك من الشام الأهاضيبا

أما العروبيون فقد كانوا من ناحيتهم يحتجون بأن الدولة قد أصبحت بعد عزل السلطان عبد الحميد فى يد طائفة من غلاة الطورانيين الذين تنطق صحفهم وأعمالهم منذ تولوا الحكم بميولهم الالحادية وبمحاربتهم للاسلام والمسلمين واتخاذهم الوزراء من اليهود* . ثم انهم كانوا يدافعون عن محالفتهم لانجلترا وفرنسا بأن الدولة العثمانية قد حالفت ألمانيا . وكيف يكون جهادا اسلاميا ، وكيف تكون حربا مقدسة ، تلك الحرب التى تخوضها دولة الخلافة الاسلامية فى ركاب دولة مسيحية هى ألمانيا .. ؟

وانتهت الحرب العالمية الاولى .. ووزع المشرق العربى بين انجلترا وفرنسا كما توقع شكيب أرسلان .. أما المغرب العربى فقد كان شطر منه فى يد فرنسا من قبل . وكانت مصر فى قبضة جيوش الاحتلال الانجليزية منذ الثورة العرابية . وكانت ليبيا محتلة بالجيوش الايطالية منذ غزتها قبيل الحرب العالمية . عند ذلك بدأ الاسلاميون يعيدون التفكير فى الموقف الذى آل اليه أمر المسلمين والعرب . ورأوا أن البديل الوحيد من الجامعة الاسلامية بعد هزيمة تركيا وزوال الخلافة الاسلامية هو الجامعة العربية . أما دعاة الجامعة العربية السابقون فقد انقسموا شيعا . فالاسلاميون منهم ظلوا ثابتين على دعوتهم لم يغيروا ولم يبدلوا . وغلاة القوميين من المتأثرين باللبراليين والقوميين الغربيين ظلوا على ما كانوا عليه من الدعوة الى جامعة عربية مجردة من الاسلام غير مرتبطة به . وبعض الضعفاء منهم ممن تولوا المناصب فى ظل التقسيم الجديد الخاضع للاستعمار ركنوا الى الدعة وسكنوا الى النظم التى يعيشون فى ظلها ، بل أصبح بعضهم يدافع عن مصالحه فى هذه الكيانات المفتعلة الجديدة . أما الذين كانوا يتخذون الدعوة الى الجامعة العربية ستارا للتخلص من الدولة العثمانية واستبدال الاستعمار الفرنسى بها — وهم لا يمثلون إلا قلة ضئيلة من بعض مسيحيى الشام* — فقد أصبحوا متمسكين بوضعهم الجديد ، يعارضون كل تغيير أو تبديل فيه .

رد الفعل :

والواقع أن لهذا النفر من المسيحيين عذرهم فيما ذهبوا اليه . فقد لقى هؤلاء من عنت الحكام ومن فساد الادارة فى أواخر أيام الدولة العثمانية ما نفرهم من الارتباط بالحكم الاسلامى جملة ، ودعاهم الى تفضيل الاستعمار الفرنسى عليه . ومن الواضح أن تفكيرهم على هذا النحو هو ضرب من ضروب (رد الفعل) الذى يتسم دائما بالغلو والافراط والبعد عن الروية والحكمة .

فرد الفعل عمل غضبى مرتجل لم يمحصه العقل ، وهو يتسم دائما بالعنف . فالذى يفر من النار قد يقذف بنفسه فى البحر أو يقفز من علو شاهق . والذى يؤدب ولده لخطأ ارتكبه وهو فى سورة غضبه قد يؤذيه أو يقتله . والذى يقع تحت تأثير حزن عميق مفاجىء قد يسرع الى التخلص من الحياة انتحارا . وكل هذه صور من ردود الفعل الخاطئة التى يمكن أن يتفادى صــاحبها ضررها وخطرها لو انه أمسك عن التصرف فى سورة غضبه أو حزنه أو خوفه ، ثم عاد للتفكير ولتقدير الموقف وحساب ما له وما عليه فى روية وهدوء وتعقل . فلنعد التفكير إذن معا فى هدوء .

عروبة اسلامية :

العروبة بطبيعتها وبحكم نشــأتها ونموها وازدهارها والعوامل التى ضبطت هذا الازدهار والتطور هى عروبة اسلامية . وقد ساهم فى تطورها الحضارى على مدى القرون والأجيال عنــاصر عربية غير مسلمة . ولــكن مساهمتها ظلت فى داخل الإطار الاسلامى الذى لم يكن يسمح لأحد بالخروج عليه . ولم تجد هذه العناصر العربية من غير المسلمين غضاضة فى أن تساهم فى بناء هذه الحضارة فى الحدود الاسلامية ، لأن هذه الحدود لم تكن تتعارض مع عقائدهم . بل ان تخطى هذه الحدود والخروج عليها فى كثير من الاحيان هو فى الوقت نفســـه خروج على حدود دينهم وخوض فيما يحرّمه . وكان الاسلام يمنح هذه العناصر كل حرياتها الدينية ويحظر التضييق عليها أو ممارسة أى لون من ألوان الضغط لحملها على ترك دينها والدخول فى الاسلام . بل لقد كان الاسلام الذى يبيح للمسلم أن يتزوج غير المسلمة من الكتابيات يمنعه من إجبارها على ترك دينها واعتناق الاســلام . وقد ماتت أم خالد بن عبد الله القَسْرى وهو من كبار ولاة الدولة الأموية فى العراق على نصرانيتها . وكان ذلك مدعاة لتجنى أعدائه عليه ، كالذى نراه فى شعر الفرزدق حين يهاجمه قائلا :

الا قطـع الرحمن ظهر مطيــة	أتتنا تَمَطّى من دمشق بخــالد
وكيف يؤم المســلمين وامه	تدين بأن الله ليس بواحــد
بنى بيعــة فيها الصــليب لأمه	وهدّم من كفر مَنَارَ المســاجد

ونصوص القرآن صريحة فى تأمين اليهود والنصارى وفى رعاية حقوقهم وتفويض الأمر فينا وفيهم لله . فالله سبحانه وتعالى يخاطب الرسول صلى الله عليه وســلم فى الكتاب المنزّل عليه بقوله : « قل آمنا بالله وما أنزل علينــا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم . ونحن له مسلمون » (آل عمران ٨٤) . ويخاطبه فى موضع آخر بقوله تعالى : « فلذلك فادع . واستقم كما أمرت . ولا تتبع أهواءهم . وقل آمنت بما أنزل الله من كتــاب ، وأمرت لأعدل بينكم . الله ربنا وربكم . لنا أعمالنا ولكم أعمالكم . لا حجة بيننا وبينكم . الله يجمع بيننا واليه المصير » (الشورى ١٥) . والمسلمون هم المخاطبون بقول الله تعالى فى شأن اليهود والنصارى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، الا الذين ظلموا منهم — أى الذين يبدءونكم بالعدوان — وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم . وإلهنا والهكم واحد . ونحن له مســلمون » (العنكبوت ٤٦) .

التسامح الاسلامى :

والدليل الناصع على أن المسلمين التزموا على مر الأجيال وعلى اختلاف الدول ما أمرهم به دينهم من إنصاف أهل الــكتاب وتأمينهم على دينهم وعلى أموالهم وانفسهم واعراضهم هو وجود هذه الجاليات الكبيرة بين أظهرهم فى

مختلف بلادهم من النصارى واليهود . وهو سلوك لا نوفيه حقه ولا ندرك قيمته الا اذا قارناه بما يقابله من صنيع محاكم التفتيش فى الأندلس بعد أن غادرها المسلمون . فقد لقى غير المسيحيين من المسلمين واليهود على يديها من التنكيل ما تسود له صفحات التاريخ . وانتهى الامر الى استئصالهم جميعا فلم تبق منهم باقية .

فالعروبة إذن شخصية معنوية لهـــا وجود تاريخى حقيقى ذو مقوّمات ثابتــة محدودة لا لبَس فيها ولا غموض . وليست مولودا جديدا تَقتَرح له المقومات وتخترع له الأسس والمبادىء فى مصانع دعاة العروبة على اختلاف اجنحتهم وزعاماتهم . ولنسأل أنفسنا فى رؤية يحكمها عقل مجرد من الأهواء : ما هو البديل من عروبة اســــلامية .. ؟ العروبة لا يمكن أن تكون نصرانية ولا يمكن أن تكون يهودية ، لأن المسلمين يكوّنون الكثرة الكاثرة للعرب . فهل يكون البديل فى البلاد التى تسكنها كثرة نصرانية هو عروبة فى ظل حضــانة اجنبية .. ؟ هذا أمر قد أصبح مرفوضا حتى من الذين ارتضوه بالأمس فى ظل الحكم العثمانى . وقد شارك المسيحيون أنفسهم فى الخلاص من الاستعمار الفرنسى . وكثير من الذين وقفوا مع الفرنسيين معارضين حركة الاستقلال لم يكونوا فى الحقيقة يوازنون بين الاستعمار وبين الاســــتقلال . ولكنهم كانوا يوازنون بين الاستعمار الفرنسى وبين الاستعمار الانجليزى ، الذى كان فى تقديرهم هو البديل الوحيد من الاستعمار الفرنسى ، لأنهم كانوا يظنون الاستقلال شيئا بعيد المنال غير محتمل التحقيق .

والذى لا شك فيه هو أن الاستعمار فى كل صوره لا يستمد رفاهيته إلا من التضييق على مســتعمراته ، ولا يبنى عظمته الا على ما يســـلبه من كراماتهم . ولا ينفق على هذه المستعمرات ولا يبذل فيها من جهده لاصلاحها إلا كما ينفق المالك على مزرعته ليجنى من وراء ذلك ربحا اكبر ، وكما يُسَمِّن صاحب المزرعة ابقــاره ليأخذ منها البــانا اغزر ولحوما أثقل . وهو فى ذلك لا يفرق بين مسلمهم ونصرانيهم ويهوديهم . اقربهم اليه أعونهم له على ظلم قومه واستغلالهم . ثم ان الازدهار لا ينشأ من الثقة المتبادلة بين المستعمرين وبين بعض المواطنين ، ولكنه ينشأ من الثقة المتبادلة بين المواطنين جميعا ، بعضهم والبعض الآخر ، مســـلميهم ومسيحيهم ويهوديهم ، ما دامت الحريات الدينية مكفولة لهم جميعا على السواء .

لم يبق بعد ذلك كله من الفروض المحتملة للبديل من العروبة الاسلامية إلا أن تكون العروبة لا دينية ، بمعنى أن تكون مجردة من الارتباط بالقيم الدينية فى أى دين من الأديان . ولنتساءل من جديد : ما هى المزايا التى يمـــكن أن تحققها عروبة لا دينية ، مما تعجز العروبة الاسلامية عن تحقيقه .. ؟

ارتباط العروبة بالاسلام :

الشخصية العربية كما رأينا هى شخصية عريقة تضرب عروقها فى أعماق التاريخ . وقد ارتبطت بالاسلام منذ نشأتها . ونمت وتطورت ونضـــجت فى داخل إطاره ، دون ان يكون فى ذلك تعارض مع أصول الأديان الســـماوية الاخرى التى نبعت من المنطقة ذاتها . فالاسلام هو الذى أعطى العروبة شكلها الثابت المحدد وجعل لهـــا شخصيتها المتميزة التى يلتقى عندها كل العرب ، لا يختلفون عليها ، ولا ينكرها أحد منهم أو ينفر منها . فاذا نحن جردناها من هذه القيم الدينية المســلّم بها عند كل العرب . فالماديون منهم سينزعون الى الماركسية ، فيقع الخــلاف بينهم وبين مخالفيهم ممن لا يرتضـــون هذا المذهب أســـاسا لتنظيم المجتمع . وسيشتركون مع اللبراليين فى السخرية من القيم

الدينية ومن المنظمات الدينية على اختلافها ، فيقع الصراع بينهم وبين المتدينين على اختلاف مِلَلهم . والمتحررون من الوجوديين والهيبيين وغيرهم ممن يتبعون كل ناعق يدعو الى الشهوات سينطلقون من كل قيد خلقى أو دينى ، فيؤذون كل ذى خلق وكل ذى دين .

وسيحاول فريق من الناس أن يعالج صراع الطوائف والشيع والمذاهب بالدعوة الى نظم جديدة للمجتمع فيفشلون ، ولا يزيدون على أن يضيفوا للمذاهب القائمة مذاهب جديدة تزيد فى احتدام المعركة وفى شـــدة الصراع . على أن المسيحيين الذين يخافون على أمنهم وسلامتهم وحريتهم فى ظل عروبة اسلامية هم أكثر خوفا وأبعد عن الأمن فى ظل عروبة لا دينية ، لأن الاسلام وحده هو الضامن لمنع انحراف المسلمين الى عصبية جهولة عمياء تحطم وتعتدى وتظلم . فالخطر الحقيقى على غير المسلمين من العرب لا ينجم الا اذا نشـــأ جيل من المسلمين يجهلون اسلامهم فى ظل العروبة اللادينية التى يدعو اليهـــا بعض الناس ، لأنهم قد يتعصبون عند ذلك تعصبا أعمى ينحرف بهم الى ما كان الاسلام ينهى عنه آباءهم وأجدادهم طوال أربعة عشر قرنا .

ولقد جربوا ذلك فى الحكم العثمانى من قبل ، فكانوا أسوأ حالا فى حكم ملاحدة الاتحاديين بعد عزل الســـــلطان عبد الحميد . هذا الى أن قوام الديموقراطية التى يتغنى بها أهل هذا العصر هو نزول القلة على حكم الكثرة . فلماذا تجد القلة غير المسلمة غضاضة فى إقرار الكثرة المسلمة على بناء حياتهم فى ظل الاسلام وعلى هدى منه .. ؟

أصابع الصهيونية :

أما غلاة القوميين من المسلمين الذين يلتقون مع ذلك الفريق الذى أشرنا اليه من المســــــيحيين فى الدعوة الى قومية لا دينية فهم واقعون تحت تأثير ما توهموه من أن النهضـــة الاوروبية الحديثة كانت ثمرة للتمرد على الكنيسة ولتجريد الحكم من الصفة الدينية ، وهو وَهْمٌ لا يصحّ على التحقيق ولا يثبت على التمحيص . فالحركة الدينية البروتســــتانتية التى تمردت وتتذاك على الكنيسة الكاثوليكية لم تخل من أصابع الصهيونية وقد كان همها الاول هو هدم الكنيسة الكاثوليكية لأنها كانت أكبر المؤسسات التى تناصب اليهود العــداء . والبروتستانت اليوم هم أشد الطوائف المسيحية عطفا على الصهيونية وأكثرها مساندة لها ماديا ومعنويا . ثم ان الازدهار الذى حققته هذه النهضة فى أوروبا لم ينتفع به أحد كما انتفع به اليهود . جمع الثروات فى أيديهم وأمنهم عليها مما كانوا يتعرضون له من المصادرات والتضييق والاضطهاد ، ومكن أجهزتهم من السيطرة على شئون السياسة والاقتصاد ، وأفسح الطريق أمام دعواتهم التى تنشر الالحاد والانحلال ، والتى ينفذون من خلالها الى ما يستهدفونه من السيطرة على مصائر الأمم والامساك بزمامها .

جرى ذلك كله تحت ستار الحرية والاخاء والمساواة وحقوق الانسان . وهى شعارات لم ينتفع بها حتى الآن سوى اليهود . لم ينتفع بها زنوج أمريكا . ولم ينتفع بها الأفارقة والآسيويون فى مختلف البلاد التى عانت وتعـــانى من صنوف الظلم والتسلط والاضطهاد الدينى والعنصرى .

وقد اعترف عزيز ميرهم ، وهو أحد كبار الماسون ، فى مقال له نشر فى (السياسة) الاسبوعية سنة ١٩٢٦ م بأن الذين هدموا سلطان الكنيسة فى فرنسا وفى ايطاليا هم الماسونيون ، كما اعترف بأن زعماء الثورة الفرنســـية كانوا من الماسون ، وأن مخلصهم هو الذى وضع شعار الثورة الفرنســـية « الحرية ، والإخاء ، والمساواة » . واعترف كذلك بأن تركيا نالت دســـتورها بفضل عمل محافلها . وصلة الماسونية بالصهيونية العالمية مشهورة معروفة لم تعد اليوم تحتاج الى تعريف .

ثم ان ظروف العرب اليـــوم تختلف عن ظروف أوروبا يومذاك . فليست لدى العرب جهتان تتنازعان السلطة ، إحداهما دينية والاخرى سياسية ، كما كان الشأن فى أوروبا . بل ان المسلمين لا توجد عندهم سلطة دينية متحكمة كسلطة الكنيسة التى ثار عليها المسيحيون فى نهـــاية القرون الوســـطى وفى مطلع عصر النهضة . فليس فى نظام الاسلام رجال دين . هناك علماء تحكم فتاواهم نصوص اسلامية صريحة مكتوبة بلغة يقرأها كل العرب ويفهمونها ولكل قادر على فهمها ممن ألم بأصول الاسلام أن يناقشـــهم فيها . وهم لا يكوّنون طائفة متميزة بعينها تنتمى الى جهاز خاص يرعاها ويدبر أمورها . ولا يملكون من السلطة والجاه والمـــــال ما كان يملكه رجال الدين فى الكنيسة وقتذاك . فكثرتهم من الفقراء الذين لا تكاد دخولهم تكفى لسد الضرورى من نفقاتهم . ذلك الى أن واقعنا يختلف عن واقع أوروبا وقتذاك وأهدافنا تختلف عن أهدافهم .

فالنهضة الاوروبية قد انتهت الى تفتيت الجامعة الاوروبية المســـيحية وتقسيمها الى دول شتى ، لكل منها لغتها الخاصة وقوميتها المســـــتقلة . اما الحركة العربية فهى تستهدف جمع العرب بعد أن فرقهم الاستعمار ، وتتمسك بلغتهم العربية الجامعة لشملهم ، والتى هى وســـــيلة التواصل بينهم أفرادا وجماعات ، فى كتبهم وصحفهم واذاعاتهم وندواتهم ومؤتمراتهم ومعاملاتهم .

ذلك التقليد الاعمى من جانب غلاة القوميين المتــــأثرين بحركة الإحياء وباللبرالية والعلمانية والثورة الفرنسية فى أوروبا ، يذكّرنا بقصـــــة رمزية قديمة ، تتحدث عن حمارين كان احدهما يحمل ملْحا وكان الآخر يحمل إسفنجا . رأى حامل الاسفنج صاحبه ينزل الى الماء فيذيب بعض الملح ويخرج منه أخف حملا . فخطر له أن يحصل على المزية نفسها بالاسلوب نفسه ، فكانت النتيجة على عكس ما توقعه ، وخرج من تجربته أثقل حملا .

إن ما ينفع قوما قد يضر بآخرين . وما يزكو عليه نبات من العنــاصر والأجواء قد يقتل نباتا آخر أو يؤذيه . والناس فى ذلك ــ ككل خلق الله ــ طوائف وأمم ، يتمايزون فى الطبائع والامزجة وفى أساليب الحياة ووســــائل التقدم والرقى . وقد يقتل بعض جماعاتهم ما تصح به جماعة أخرى .

واذا كانت العروبة ضرورة اقتصادية وحربية فى مجال الصراع العالمى الذى لم يعد فيه مكان للكتل الصغيرة لضعف امكانياتها ولعجزها عن الدفاع عن نفسها أمام الطامعين ، فان الوحدة الاقتصادية والحربية لا تتم على أساس من الاقتناع العقلى وحده . ولا بد لها ، لكى تكون وثيقة ودائمة ، أن تســـتند الى احساس عام مشترك ورغبة صادقة مخلصة فى مختلف بلاد العرب وعلى امتداد أوطانهم . وهذا الاحساس العام انما هو اتجاه عاطفى وتآلف قلبى أولا وقبل كل شىء .

فادراك الفائدة التى تعود على العرب من وحدتهم الاقتصادية أو الحربية أمر قد يدركه رجال الاقتصاد أو رجال الحرب أو خاصة الناس ومفكروهم على وجه العموم . أما العامة ــ وهم سواد الناس وكثرتهم ــ فلا ينساقون الى الوحدة الا بدافع من عواطفهم وما استقر فى نفوســـهم من معتقدات . وربط العروبة بالاسلام هو وحده الذى يجمع العرب على هذا الاحساس المشترك فيجعلهم يدا واحدة على عدوهم . وهو وحده الذى يمنح جهادهم صفة الاخلاص والفدائية وطول النفس فى المصابرة والجلد . على أنه يجب أن نعرف فى كل حال أن الدولة العربية الواحدة ليست هى الصورة الوحيدة للجامعة العربية . وليس التحريض على بعض النظم العربية وتقســـيمها الى نظم رجعية ونظم

تقدمية هو السبيل الوحيد للوصول الى هذه الجامعة . بل لعل هذه الصورة وهذا الاسلوب يعوّق المسيرة ويؤخر الوصول الى الهدف ويقيم فى وجهه العقبات فى بعض الاحيان .

ولكن اللب والصميم فى هذه الجامعة العربية هو الحب المتبادل باخلاص دون شائبة من ريبة أو سوء ظن بين الحكام والشعوب على الســـــواء . لأن الصراع فى أى صورة من صوره لا يفيد إلا العدو ، ولأن الحب والمحاسنة بين الاخوة هو أقرب الطرق الى تقويم الاعوجاج وتلافى الأخطاء .

ذلك هو حديث العروبيين الذين يجردون العروبة من الاســـــلام ، على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم . أما الاسلاميون الذين يسيئون الظن بالعروبة أو القومية العربية ، بدعوى أنها تفتت الوحدة الاسلامية وتشق عصا المسلمين المجتمعين على الاسلام فتجعل منهم عربا وغير عرب ، فلنا معهم حديث آخر .

إن الانحراف الذى صحب الدعوة فى أول نشأتها بارتباطها بحضـــانات اجنبية لا يصح أن يكون مبررا لمعارضتها الآن . فظروف نشأتها فى ظل دولة اسلامية جامعة للشمل تختلف عن ظروفها اليوم مع تفرق الشـــــمل واختلاف الكلمة . فاذا كانت هذه الدعوة قد فتّت بالأمس فى عضد الجامعة الاسلامية فهى اليوم ــ اذا صححت مســــيرتها ــ الخطوة الاولى فى الطريق الى هذه الجامعة . فالعرب هم أقرب الناس بين المسلمين الى تحقيق وحدة جامعة بحكم اللغة المشتركة التى تربط بعضهم ببعض من ناحية ، والتى تربطهم بأصول الدين الاسلامى من ناحية أخرى ، وبحكم تجمعها وتلاصــــقها فى حيز مكانى واحد لا تقوم بين أجزائه عوائق أو فواصل طبيعية . وهم بحكم هذا التقارب والتآلف واتفاق العادات والأمزجة أو تقاربها على الأقل مهيَّئون لأن يكوّنوا نواة اسلامية صلبة تشع على العالم الاسلامى من ثقافة الاسلام وتحمل من أعباء الارشاد والتوعية والرعاية ما تعجز الدول العربية متفرقة عن النهوض به .

وحــدة البلاد الاسلامية :

فالجامعة العربية هى نقطة البدء التى لا بديل عنها فى هذه المسيرة الطويلة نحو جامعة اسلامية لا سبيل اليها الآن ، مع انشغال كل بلد من بلاد المسلمين بمشكلاته الخاصة ، ومع ترامى أطراف هذه البلاد ، وانعدام وسائل التواصل الصحيحة للاسلام ذاته الذى يُراد جمعهم عليه . فالوحدة الحقيقية المهيَّـأة أسبابها الآن هى وحدة البلاد العربية . أما البلاد الاسلامية الاخرى فلا بد أن تسبق وحدتها خطوات ، أولها نشر اللغة العربية ، التى لا تتم جامعة بغيرها .

إن مقاومة الأخطاء والانحرافات فى ادراك حدود العروبة ومقوماتهــــا بالهرب منها وبمهاجمة العروبة ذاتها هو ضرب من ضروب العجز وضيق الحيلة . والحزم فى أن تواجَه هذه الأخطاء والانحرافات بتصحيحها وبيان زيفها . وسوف تكون العروبة الاســــلامية عند ذلك مَحَطّ آمال المسلمين جميعا ومَهْوَى قلوبهم ، لأن الذين يعادونها منهم الآن إنما يعادونها لما غلب على لسان زعمائها ومتفلسفيها من فهم عنصرى يسقط الاسلام من حسابه حينا ويعاديه ويحاربه فى كثير من الأحيان ، بعد أن ترك الاســــلاميون لهم الميدان يسرحون فيه كما يشاءون دون رقيب أو حسيب .

والله سبحانه وتعالى هو المستعان .

---

* كان (يافيد) وزير مالية الاتحاديين يهوديا . ثم كان وزيرها من بعده (جاويد) الذى ينتمى الى طائفة (الدونمة) . وهم يهود يتسترون بالاسلام ويعيشون فى مجتمع مغلق فى (سلانيك) .

* وأقول (بعض) لأن فيهم عددا غير قليل من المتمسكين بعروبتهم المخلصين لها ..

القرآن الكريم

للأستاذ/ق . ق

لقد انعم الله سبحانه وتعالى على البشر بنعم لا تعد ولا تحصى . فلقد ميز الخالق عز وجل الانسان بنعمة العقل الذى ارتفع بواسطته عن الحيوان الأعجم . ووجدت الى جانب العقل الحواس والادراكات المختلفة . لتساعده وتزوده بالمواد الأولية للاستنتاج والاستنباط . وكانت مقدرة الانسان الفذة على الاختراع والابتكار تيسر له سبل المعرفة بصورة أسرع كلما مر عليه الزمن . وكان من المؤمل أن يشكر ذلك الانسان الضعيف خالقه لانه يسر له من الامكانات ما لم ييسر للمخلوقات حوله .. ولكن الانسان المغرور سرعان ما اغتر بما لديه من علوم وسرعان ما سيطرت عليه اكتشافاته فتمرد على خالقه الذى خلقه فسواه فعدله واضحى عبدا لمخترعاته التى صنعها بيديه .. انها رحلة طويلة عاد منها الانسان المغرور فى النهاية الى جزء من الحقيقة ، الحقيقة التى قررها القرآن العظيم قبل ثلاثة عشر قرنا الا وهى قصور العلم البشرى أو النقص الذى فطر عليه البشر .

ان العلم الالهى هو العلم الكامل الذى لا يند عنه شىء **« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين »** ان العلم الالهى هو العلم الذى لا تحده الحدود : **« ولو أن ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم »** .

وأما البشر فلا يستطيعون الاحاطة بهذا العلم . وهيهات ان يتحقق لهم شىء مما يريدون فان علوم الأولين والآخرين لو جمعت كلها فى صعيد واحد لن تكون الا بمقدار المخيط اذا دخل البحر . يقول الحق تبارك وتعالى : **« يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء »** وقد نبه القرآن الحكيم مرارا الى قصور العلم البشرى فقال تعالى : **« وما اوتيتم من العلم الا قليلا »** وقال : **« ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا »** .

العلماء المسلمون : ومن اجل ذلك كان المسلمون أصحاب العقيدة السليمة بمنجى من الشطط والزلل والانحراف ، وكيف ينتابهم ذلك وهم يرتلون آيات الله ؟ وكيف يشط بهم التفكير ودعاؤهم : **« وقل رب زدنى علما »** ؟ وكيف ينحرفون وهم يعتبرون أن علومهم هى من فضل الله ومنته ، فهم يؤمنون بأن الله هو الذى **« علم الانسان ما لم يعلم »** ؟ ..

ان الحسن بن الهيثم هو عالم مسلم اكتشفت أوروبا ان هذا العالم قد ألف كتابا فى علم الضوء اسمه المناظر . ولقد كانت اوروبا عالة على هذا الكتاب طيلة خمسة قرون . ولقد تبين لها أن روجر بيكون وليوناردو دافنشى وغيرهم قد نهلوا

قرآن :

قصور العلم البشري قبل ثلاثة عشر قرناً ثم اضطر علماء العصر الحديث أخيراً إلى الاعتراف بذلك

من هذا الكتاب بل ربما نسخوا جزءا كبيرا من هذا الكتاب ونسبوه الى أنفسهم اى أن هذا العالم قد سبق زمنه الذى عاش فيه ــ بالنسبة للتفكير الأوربى ــ خمسة قرون على أقل تقدير . فهل انتاب هذا العالم الغرور ؟ كلا لقد كان التواضع يسيطر عليه . فكان يصدر كتبه بحمد الله والثناء واستمداد العون فى جميع الأمور من الله وحده (١) . وهذه سمة التواضع وحذف هذه العبارة أول سمة من سمات التكبر والغرور وهى المنافذ التى تؤدى الى المروق والطغيان .

الفلسفة الحسية والغرور :

اما أوروبا فقد ظهرت فيها نزعة غريبة لقد نشأ فيها صراع بين كهنة ادعوا لأنفسهم حق الهيمنة على مصائر المجتمعات وبين معسكر ادعى لنفسه حق احتكار العلم والسيطرة عليه . وظهر من المعسكر الأخير من حمل لواء الفلسفة الطبيعية الحسية ، وكانت تعضيدا لغرور الانسان بالاعتماد على الحواس فقط . وقد حمل لواءها أوجست كومت الذى تجرأ بادعائه انه يستطيع أن يضع الدين الطبيعى الحسى موضع التنفيذ . ولكن هذه الفلسفة انهارت حينما اتضح ان حواس الانسان محدودة القدرة وانه من الخطأ حصر المعرفة فى حيز ضيق محدود جدا . يقول كاميل فلامريون انه : « يوجد من الذبذبات والحركات الأثيرية أو الهوائية ومن القوى والأشياء غير المرئية ما لا نراه ولا نحس به .. هذه حقيقة علمية مطلقة وبدهية عقلية لا يمكن النزاع فيها فيمكن ان يوجد حولنا أشياء بل كائنات حية لا ترى ولا تلمس ولا تستطيع حواسنا ان تصلنا بها .. فاذا تقرر وثبت بالدليل ان اعضاءنا الادراكية لا تكشف لنا كل ما هو موجود وانها تعطينا شعورات كاذبة أو ضالة عن الكون المحيط بنا فلسنا نكون على شيء من التثبت ان اعتقدنا ان ما نراه هو كل الحقيقة بل مضطرون الى التسليم بضد ذلك قلنا ان كائنات حية يجوز ان تكون موجودة حولنا . فمن الذى كان يحلم بوجود الميكروبات قبل اكتشافها ؟ فها هى تتكاثر حولنا بالمليارات والدور الذى تلعبه فى حياة الاجسام من الخطورة بمكان ، فالمظاهر لا تكشف لنا الواقع (٢) .

انشتين عالم القرن العشرين يقر بقصور العلم البشرى : انشتين من أشهر علماء القرن العشرين وصاحب نظرية النسبية الخاصة والعامة ونظرية كموم الضوء والضوء الكهربائى والضوء الكيميائى كما انه صاحب محاولة لوضع قانون المجال الموحد . ولم يحز أى عالم الشهرة التى حازها انشتين . ومع ذلك فان هذا

العالم يقر بقصور العلم البشرى خدمة للعلم والحقيقة . يبين انشتين هـذا المعنى بعد حديثه عن جهود العلماء فى الكشف عن أسرار الطبيعة فيقول : « ولا تزال هذه القصة الغامضة دون حل ، بل انه لا يمكن الجزم بوجود حل نهائى لها . . فلا نزال بعيدين عن الحل الكامل اذا وجد وهو شيء بعيد الاحتمال . وفى كل مرحلة نحاول ان نجد تفسيرا يتفق مع الأدلة المكتشفة حتى ذلك الوقت . ولقد فسرت النظريات المبنية على التجربة كثيرا من الحقائق ولكن لم يكتشف الى الآن حل عام يتفق مع جميع الأدلة المعروفة . وفى كثير من الأحيان بعد الاستزادة من القراءة يتضح فشل نظرية كان يظن انها كاملة كافية ، وذلك لظهور حقائق جديدة تناقض النظرية أو يتعذر تفسيرها بها . وكلما تمادينا فى القراءة كلما زاد تقديرنا لكمال تصميم الكتاب رغم ان الحل الكامل يبتعد كلما تقدمنا (٣) . ومن الجدير بالذكر ان العالم المصرى المسلم على مصطفى مشرفة اكتشف خطأ وقع فيه انشتين فاضاف بذلك دليلا عمليا على قصور العلم البشرى ، ولقد اعترف انشتين بهذا الخطأ .

ومن الغريب ان انشتين وجمهرة كبيرة من علماء الذرة كانوا يعتقدون بعدم امكان تفتيت الذرة لو لم يتطوع انريكو فرمى بانقاذ هؤلاء من الاستمرار على هذا الخطأ ، وذلك بتفتيتها فعلا ، فاضطر هؤلاء الى الاعتراف بذلك واصبح الآن تفتيت الذرة من البدهيات التى يسلم بها الجميع . بل ان انريكو فرمى نفسه تفتت امامه الذرة فى احدى تجاربه قبل بدء الحرب العالمية الثانية بخمس سنين ولكنه لم يدرك ما حدث أمامه واعتبر العلماء ذلك الجهل من الأمور التى انقذت العالم من كارثة استعمال الأسلحة النووية فى الحرب الأخيرة (٤) .

ول د يورانت وللفيلسوف ول د يورانت رأى مشابه لانشتين فهو يفند الادعاء القائل بأن علم الطبيعة يقترب من المرحلة التى يبلغ فيها الكمال فيقول معلقا : « وجميع الدلائل تدل على العكس من ذلك . أما هنرى بوانكاريه فيرى ان علم الطبيعة الحديثة فى حالة من الفوضى فهو يعيد بناء جميع أسسه وفى أثناء ذلك لا يكاد يعرف اين يقف (٥) . وبذلك نرى ان العلم الحديث والفلسفة الحديثة يعترفان بقصور العلم البشرى الحديث ويؤيد العلماء والفلاسفة هـذا الرأى بل ويعتبرانه من مقومات العلم والفلسفة .

العلم البشرى بين الكمال والنقص :

ان قصور العلم البشرى من النعم التى انعم الله بها على البشر رفقا بطاقاتهم وعقولهم ليصبوا الى المعرفة دائما وليلجأوا بعد ذلك الى خالقهم الذى امدهم بالمعرفة والعلم لييسر لهم سبل العيش فى هذه الدنيا وفقا لطاعة خالقهم ومرضاته أما الاعتقاد بكمال العلم الحديث فمعنى ذلك اغلاق باب المعرفة وسد باب العلم ومنع البشر من التقدم والمعرفة (٦) .

---

(١) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها للمؤلف .
(٢) على أطلال المذهب المادى .
(٣) تطور علم الطبيعة .
(٤) العلم معنى وطريقة .
(٥) مباهج الفلسفة .
(٦) قصور العلم البشرى (للمؤلف) .

التحريف والنسخ في الشريعة اليهودية

للدكتور محمد اسماعيل الندوى

لقد اكد القرآن الكريم مرارا وتكرارا أن اليهود حرفوا شريعتهم لتحقيق اغراضهم الشخصية وكسب المال .. وذلك فى مثل قوله تعالى : **((من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه))** (النساء ٤/٤٦) . ومثل : **((وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون))** (البقرة : ٧٥) **((فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون : هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون))** (البقرة : ٧٩) .

ولكن السؤال الهام فى هذا الصدد هو : كيف كان هذا التحريف .. ؟

الواقع أن الشريعة اليهودية مرت بتطورات عديدة منذ وفاة موسى عليه السلام ولا يمكننا فى هذه العجالة حتى عرض بعضها . والقرآن قد اشار فى الآيات المذكورة الى اليهود فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذا ينبغى لنا متابعة التطورات التى حدثت منذ عام ٧٠ م ، إذ قد دمر فيه الرومان معبدهم فى القدس وشتتوا شملهم . ومنذ ذلك الحين دخل اليهود فى طور جديد . والأساس الذى قامت عليه اليهودية فى ذلك الحين هو نفس الأساس حتى عصر رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

يقول المؤرخون اليهود المعاصرون فى هذا الصدد : « ان جميع الفرق اليهودية قبل عام ٧٠ م قد اجمعت على الايمان بالمبادىء الأساسية الواردة فى التوراة ، واعتبرت المعبد فى يروشلم بيت الله لجميع اسرائيل . وكذلك اتفقت على الروحانية ووحدة الاله ، ولم ترض بالمناقشة والجدل فى هذه الأمور . وكذلك صارت قداسة التوراة لموسى فوق مستوى النقاش » .

كما أن العقيدة المسيحية لم تتخذ بعد الصبغة الفلسفية . وبما أن شرائع موسى صارت دستور الحياة اليهودية للشئون الداخلية والخارجية أصبح من المحتوم أن تكبر هذه الشرائع وتضاف اليها إضافات جديدة وفق الظروف والمتطلبات . ومما لا شك فيه أن القوانين الدينية والمدنية والجنائية والتنظيمية الموجودة فى التوراة لم تكن تكفى لمتطلبات العصر ، ولذلك أصبح من اللازم أن تفسر هذه القوانين كلها من جديد لتنطبق على الحياة المتطورة ويمكن تطبيقها على شئون الحياة بسهولة وتكييفها وفق الظروف المتغيرة .

لقد وجدت فى توراة موسى مادة خصبة تستطيع بها تطوير القوانين وفق الظروف ، كما دعت الظروف — من ناحية أخرى — الى استنباط ووضع أسس جديدة لصياغة القوانين وفق المطالب الحديثة والظروف الطارئة تلك التى كانت تفرضها الحياة بسبب الضغوط عليها من الداخل والخارج . ومن هنا كان طبيعيا أن تظهر آثار وتقاليد جديدة الى جانب شرائع موسى وتنمو وتزدهر وتسير جنبا الى جنب مع التوراة تلك التى كانت فى الحقيقة مما أضافه أصحاب التوراة وتضمن الأحداث السابقة المماثلة والمبادىء الأساسية التى كانت ضرورية للقوانين المنتظمة المنسقة الدقيقة . وبما أن هذه الآثار كانت فى نمو وتزايد مستمر ومفعمة بالحيوية بسبب السيطرة الالهية عليها ولذلك حمل الدكاترة على عواتقهم أعباء جمع وتنسيق هذه القوانين الغير مكتوبة وجعلها على قدم المساواة مع توراة موسى المكتوبة ، وهؤلاء الدكاترة هم الذين سموا بالربيين (أى رجال القانون والشريعة) وسميت هذه المدرسة الفقهية أو القانونية بالمدرسة الربانية(١) .

لقد خولت فى التوراة الشفوية سلطات واسعة للفقهاء ورجال الدين فى كل جيل يهودى ، وفى جميع العصور لسن القوانين من تلقاء أنفسهم دون قواعد وأصول ، وذلك وفق الظروف الراهنة والمطالب العصرية ، واستنتج هؤلاء هذا الأمر على ضوء تفسير دقيق لبعض النصوص الواردة فى التوراة مثل :

١ — ارسل يهوه يربعل وبدان ويفتاح وصموئيل وانقذكم من يد أعدائكم الذين حولكم فسكنتم آمنين(٢) .

٢ — موسى وهارون بين كهنته وصموئيل بين الذين يدعون باسمه . دعوا يهوه وهو استجاب لهم(٣) .

إن هذين النصين يدلان — على حد قولهم — على أنه فى كل عصر من العصور يكون ثلاثة من كبار الشخصيات على منوال الثلاثة الأقطاب من اليهود القدامى وهم : موسى وهارون وصموئيل . كان يربعل فى جيله بمثابة موسى ، وبدان بمثابة هارون ، ويفتاح بمثابة صموئيل . ومن هنا يتحتم على اليهود أن يتعاملوا مع كل زعيم دينى لهم مهما كان صغيرا نفس معاملة موسى وهارون وصموئيل ، لأنهم ورثاؤهم ويحلون محلهم فى قيادة اليهود وسن القوانين من أجلهم .

ثم يلجأون الى نص آخر ورد فى التوراة وهو : « اذهب الى الكهنة واللاويين والى القاضي الذي يكون فى تلك الأيام واسأل فيخبروك بأمر القضاء »(٤) . ويستدلون منه أن كل عصر من العصور لن يخلو من وجود القضاة ومعناه : ينبغى تعيين القضاة فى كل العصور ليذهب اليهم اليهود فى طلب العدل وفصل الحكم .

وكذلك استنتجوا من نص آخر : لا تقل : لماذا كانت الأيام الاولى خيرا من هذه ؟ لأنه ليس عن حكمة تسأل عن هذا (٥) ؟ أى ان عصرا من العصور لن يخلو من خير الناس من أمثال موسى وهارون وصموئيل ، بل علماء العصور سوف يحلون محلهم وينوبون عنهم ، ويقومون بدورهم فى قيادة اليهود وهدايتهم وسن القوانين الجديدة من أجلهم . وهذا يدل كذلك فى نفس الوقت على أن كل تلميذ بارز فى كل عصر من العصور يحق له ان يفتى وينير طريق الناس وأستاذه حتى يرزق ، وبهذا أمر الله موسى فى سينا(٦) .

كيف سن اليهود قوانين جديدة للظروف الجديدة .. ؟ من المعروف أن اليهود لم يطبقوا التوراة المكتوبة فى حياتهم العملية ، ولم تقم عليها دولتهم الى تدمير يروشلم فى المرة الاولى فى عام ٥٨٧ ق. م ، لأن تلك المجتمعات قامت على العقيدة الوثنية والحضارة المستوردة من الشعوب العربية المحيطة بهم . لقد اقتضت الضرورة التمسك بالتوراة — أى القوانين الواردة فى الأسفار الخمسة — أيام المحن والآلام فى بابل . وهنا نظم كبار علمائهم امثال حزقيال وعزريا حياتهم الدينية ، وبفضل جهودهم أنشئت المراكز الدينية (السيناغوغو) فى أنحاء بابل ، ثم نظموا المعبد بعد العودة فى العصر الفارسى ، ودونوا أسفار العهد القديم ، وظهرت على يدهم التوراة الشفوية ، وهى فى الأصل خلاصة تجارب الشعوب الاخرى ومبادئها وعقائدها وقوانينها .

ومن المعروف أن القوانين الواردة فى الأسفار الخمسة للتوراة كانت محدودة للغاية ، ولا يمكن تطبيقها فى كل الظروف والاحوال كما قلنا . ومن هنا لجأ الفقهاء اليهود الى القوانين الاجنبية مثل القوانين الفارسية والاغريقية والرومانية والى صياغتها وتكييفها وفق أحوالهم وحاجاتهم ، وسموا هذه العملية من الاستيراد والصياغة الجديدة بالشرح والتفسير للتوراة المكتوبة .

وكانت هذه العملية تتم على يد لجنة كبرى من الفقهاء ويتم البت واتخاذ القرارات فيها وفق أغلبية الآراء . وعزوا هذا الأمر الى موسى ، وأوردوا فى التوراة الشفوية مرارا وتكرارا وهو انه فى محادثة جرت بين الله وبين موسى : « قال موسى : يا ملك الكون ، كيف يكون القرار النهائى فى أمر قانونى ؟ رد الله عليه : ينبغى مسايرة آراء الاغلبية . واذا قررت الاغلبية أن شيئا ما مفيد صالح فيكون هذا القرار نهائيا ويعمل على وفق هذا القرار ، واذا قررت الأغلبية رفض شيء أو تحريمه فهو يكون مرفوضا ومحرما »(٧) .

نسخ شريعة التوراة :

يعتقد اليهود ان الأوامر والوصايا الواردة فى التوراة الشفوية خالدة خلود الدهر وثابتة لا يمكن تغييرها أو تبديلها إلا اذا تغيرت الظروف والأحوال ،

وجعلتها عديمة الجدوى . ومستحيلا تطبيقها مثلما حدث بالنسبة الى القرابين والقوانين الزراعية بعد تدمير المعبد فى يروشلم وتشريد اليهود وتحويلهم الى عبيد وارقاء . فقد الغيت كل هذه القوانين مؤقتا الى أن تعود الأمور الى نصابها . لقد لعبت التوراة الشفوية دورها فى حياة اليهود فى مثل هذه اللحظات الصعبة بسبب مرونة قوانينها وسهولة تشريعاتها . وبمعنى آخر فإن التوراة الشفوية هى التى أنقذت اليهودية وحافظت عليها وحالت دون انصهارها وإذابتها فى بحار الأديان الأخرى (٨) .

إن دل هذا الكلام على شىء فإنما يدل على أن التوراة الشفوية التى كانت فى الحقيقة موسوعة كبرى لتجاوب الشعوب الاخرى وأفكارها وقوانينها وشريعتها تبدأ أصلا من الديانة الزردشتية والنظم القانونية الفارسية وتنتهى بالقوانين الرومانية والمبادىء الغنوصية والافلاطونية الحديثة ونظريات رجعية اخرى نسجتها عقول الفريسيين المتزمتة وافكارهم الضيقة العقيمة التى تملك مادة قانونية كافية لتحل محل التوراة المكتوبة فى كل الظروف والأحوال .

وحينما نمعن النظر فى بعض القوانين التوراتية التى لم تصلح للمجتمعات المدنية نجد أن فقهاء اليهود يلغونها إلغاء تاما وعمليا ثم يفسرونها تفسيرا جديدا من تلقاء انفسهم دون سند أو حجة فيصبح تفسيرهم هذا خارج نطاق التوراة كلية .

وإليكم بعض النماذج :

١ ــ لقد جاء فى التوراة : « فى آخر سبع سنين تعمل ابراء » (أى تبرئة ذمة المديون) . وهذا هو حكم الإبراء : يبرىء كل صاحب دين يده مما اقرض صاحبه . لا يطالب صاحبه ولا أخاه ، لأنه قد نودى بابراء ليهوه . الأجنبى تطالب . وأما ما كان لك عند أخيك فتبرئه يدك منه . إلا إن لم يكن فيك فقير(٩) .

يقول الدكتور كوهين فى تعليقه على هذا الحكم : إنه يلزم على الراهن أن يعفى المدين عن دينه له بعد كل سبع سنوات ، وإن لم يعف عنه بعد مضى ست سنوات فالقانون يبرئه فى السنة السابعة بصورة إجبارية ولا يستطيع المطالبة بدينه بعد ذلك إطلاقا . هذا وأما الأحكام الواردة فى النصوص المقدسة غير التوراة المكتوبة فانها تذكر فعلا الخيرات التى كان يقدمها الاسرائيليون للفقراء والبؤساء من ابناء قومهم ، ولكنه لم يتحدث عن القروض التى تمت بالعقود بين الدائن والمدين فى الشئون التجارية بأنها أعفيت بهذا الطريق . وان هذا القانون من الناحية الاخرى يشير الى أنه كان مطبقا على المجتمع البدائى الذى لم يكن يوجد فيه إلا الملاك الصغار ، وكل واحد كان يعتمد على انتاجه الشخصى . ولما تغيرت هذه الظروف وتبدل هذا المجتمع وانتقلت الحياة الى طور جديد تعتمد على التجارة المتبادلة أصبح هذا القانون من التوراة معرقلا وعائقا فى طريق التطور والتقدم ، واستبدت المخاوف بعقول الناس أن الديون المتبادلة فى الشئون التجارية سوف تضيع بعد مضى ست سنوات ، وتصبح تبرعات وإعانات . وبهذا واجهت الحياة اليهودية عراقيل كبرى تترتب عليها مشكلات كبرى .

وهنا يأتى دور كل من الصدوقيين والفريسيين (وهما من الفرق اليهودية الرئيسية فى عصر المسيح) . فالأولون يقولون : انه ليست هناك أية عرقلة ، بل ينبغى تطبيق حكم التوراة بالحرف . وأما الآخرون ومثلهم

هيليل — رئيس جماعة الفريسيين — فلم يقتنع بهذا القانون ، ولم يتفق مع الصدوقيين فى تفسيرهم اياه . بل حاول الرجوع الى الآثار والتراث راجيا أن الدراسة العميقة من هذا القبيل سوف تحل هذه المشكلة العويصة من الأساس .

لقد فسر هيليل هذا القانون على الوجه التالى : إن الدائن اذا اعطى المدين دينا بدون تعاقد رسمى ، فسوف يعفى بعد ست سنوات ، ولكنه اذا تعاقد وقدم المستندات الى المحكمة لتثبت الدين فانه يستحق الدين ، ولن يعفى المدين من الدين ابدا ، مهما كان الامر . ولو مضت سبع سنوات .

ثم يقول كوهين تعقيبا على تفسير هيليل : ان هذا التفسير يعطى للتوراة حياة ابدية لتواصل عملها فى كل العصور ، وذلك عن طريق تفسير أحكامها تفسيرا جديدا يطابق روح العصر ومقتضى الظروف (١٠) .

٢ — وهناك مثال آخر لهذه الظاهرة يدل على انه تحريف واضح للنص الوارد فى التوراة بوضوح وصراحة : « وإذا احدث إنسان فى قريبه عيبا فكما فعل كذلك يفعل له . كسر بكسر وعين بعين وسن بسن . وكما أحدث عيبا فى الانسان كذلك يحدث فيه . من قتل بهيمة يعوض عنها ومن قتل إنسانا يقتل . حكم واحد يكون لكم . الغريب يكون كالوطنى . إنى أنا الرب إلهكم »(١١) .

وهذا حكم واضح جلى لا غموض فيه ولا إبهام ، ولا لبس فيما يتعلق بالقصاص . ولكن الربيين فى التلمود أبطلوا الروح الأصلية لهذا الحكم ، والغوا القصاص بالكل وفرضوا التعويض المالى مكانه فى كل الظروف دون استثناء(١٢) .

وهنا نتساءل : هل يمكننا أن نعتبر هذه الظاهرة بمثابة النسخ أو الاجتهاد فى شريعتنا الاسلامية .. ؟ وللاجابة على ذلك ينبغى لنا التحقيق فى معنى النسخ والاجتهاد فى الشريعة الاسلامية .. ؟

النسخ فى القرآن :

يقول الله سبحانه : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . الم تعلم أن الله على كل شيء قدير »(١٣) .

يقول الشيخ الخضرى فى شرح معنى النسخ : النسخ فى اصطلاح الفقهاء يطلق على معنيين : الأول : إبطال الحكم المستفاد من نص سابق بنص لاحق ومثاله ما ورد فى حديث : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، الا فزوروها » . فالنص الأول يطلب الكف عن الزيارة ، والنص الثانى يرفع ذلك النهى ويحل محله الإباحة او الطلب . والثانى : رفع عموم نص سابق أو تقييد مطلقه ، ومثاله قوله تعالى فى سورة البقرة : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » . ثم قال فى سورة الأحزاب : « إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها » . فالنص الأول عام ينتظم المدخول بها وغيرها ، والنص الثانى يعطى غير المدخول بها حكما خاصا بها (١٤) .

وهنا نجد أن النسخ فى الشريعة الاسلامية ليس معناه : إلغاء حكم شرعى الغاء تاما وإحلال حكم جديد محله وفق الظروف الراهنة من خلال الاجتهاد والآراء الشخصية للفقهاء أو بناء على الآراء الأكثرية للفقهاء ، بل

معناه : تخصيص حكم وارد فى القرآن أو الحديث أو تعميمه بحكم آخر على نفس المستوى الذى ورد فى نص القرآن أو الحديث . وبهذا لا يتجاوز النسخ فى الشريعة الاسلامية حدود الله ، فى حين يصبح النسخ فى الشريعة اليهودية إلغاء حكم الله بسبب عدم ملاءمته للظروف وفق الآراء الأكثرية للكهنة الهيود . وهذا تجاوز وعدوان على حكم الله ، وشراء ثمن قليل ببيع حكم الله وتحريف وتشويه لما ورد فى التوراة .

وأما الاجتهاد فى الاسلام فيطلق على معنيين :

الأول : المعنى الأسمى الذى هو وصف للمجتهد قائم به ويعرف بأنه : ملكة يقتدر بها على استنباط الاحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية .

والثانى : المعنى المصدرى أى فعل المجتهد وهو : بذل أقصى الوسع لتحصيل حكم شرعى عملى بطريق الاستنباط من الأدلة الشرعية(١٥) .

والدليل على اعتباره : الكتاب والسنة والعقل : فالفقيه المسلم لا يجتهد إلا إذا لم يجد حكما فى كتاب الله أو سنة رسول الله الثابتة ، فيجتهد حينئذ على ضوء ما ورد فى كتاب الله وسنة رسول الله فى حكم مماثل أو مشابه له . وبهذا لا يخرج المجتهد المسلم عن إطار كتاب الله وسنة رسوله حتى فى الأمور الاجتهادية ، فى حين يملك الكنيست اليهودى حق الغاء احكام التوراة أو تفسيرها تفسيرا جديدا بعيدا عن مفهومها بعدا شاسعا واتخاذ القرار فى هذا الصدد وفق أغلبية أعضاء الكنيست .

إن الإبداع والاختراع ممنوعان منعا باتا فى الاجتهاد عند العلماء المسلمين . يقول الإمام السيوطى فى ذلك : لا شك أن المجتهد يحرم عليه إحداث قول لم يقل به أحد ، واختراع رأى لم يسبق إليه . ولهذا كان من شروط الاجتهاد معرفة اقوال العلماء من الصحابة فمن بعدهم اجماعا واختلافا ، لئلا يخرق الاجماع فيما يختاره . فوجب ذكر أقوال العلماء فى هذه المسألة ، قبل اقامة الدليل ، لكون الكتاب مؤلفا على طريق الاجتهاد(١٦) .

---

(١) History of the Jews by Paul Goodman's P : 31

(٢) صموئيل الأول ١١/١٢ .

(٣) المزامير ٦/٩٩ .

(٤) تثنية ٩/١٧ .

(٥) الجامعة ٧ .

(٦) .. .. ؟

(٧) Everyman's Talmud P : 148

(٨) نفس المصدر السابق .

(٩) تثنية ١/١٥ — ٤ .

(١٠) انظر المقدمة : Everyman's Talmud P : 22

(١١) لاويين ١٩/٢٤ — ٢٢ .

(١٢) Judaism by Gsidore Epstein : P : 187

(١٣) البقرة : ١٠٦ .

(١٤) تاريخ التشريع الاسلامى (الطبعة السادسة بالقاهرة) ص ٢٣ .

(١٥) صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام (طبع مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر) ٤٧/١ .

(١٦) .. .. ؟

من نوادر المخطوطات :



دستور الاعلام

محمود زيتون

نموذج من التراجم الاسلامية

للأستاذ : محمد محمود زيتون

من الجوانب المضيئة فى الثقافة الاسلامية ، على مدى الاربعة عشر قرنا الماضية ، ذلك السيل الدافق من المؤلفات عن أهل المعرفة ، على اختلاف ميادينها ، واتجاهات فرسانها ، وابقى التاريخ لنا هذا التراث الضخم ، ومنه ما سرق من خزائن الكتب الاسلامية ، وأودع مكتبات الشرق والغرب ، ومنه ما تم طبعه ، وما لا يزال مخطوطا أو مفقودا ، ومع ذلك تتابعت السلاسل ، وهى تحمل الينا إشارات تدل على ما كان للسابقين من فضل على تراثنا ، وما كان لمن لحق بهم من وفاء وإخلاص .

أوعية الفكر الاسلامى

ولا شك أن الباعث الأول لتسجيل اهل المعرفة الاسلامية هو الاعتراف

بما لهم من عمل مجيد ، والاشادة بما اشتهروا به من خلق حميد ، ليكونوا ــ بهذا وذاك ــ هداة لمن يجيء من بعدهم ، على طريق النور ، واتسع الباب جيلا بعد جيل ، فإذا بهؤلاء الأعلام الأفذاذ يحتلون مكاناتهم فى التاريخ ، فى طبقات صغرى وكبرى ، أو مشيخات أو وفيات ، عقب كل سنة أو كل قرن أو كل عهد ملك او سلطان او رئيس ، واحيانا فى تراجم أو معاجم أو مشيخات او اثبات او تواريخ او ذيول ، أو غير ذلك من التسميات المعروفة .

وكلما كان احدهم يفلت من هذه (الأوعية) التى قد تكون شاملة ، وقد تكون متخصصة ، فاذا بنا نطمئن الى وجود أعلام الفكر ، وقد انخرط كل واحد فى سلك اصحابه من المفسرين والمحدثين والرواة والحفاظ والقضاة والقراء والزهاد والنحاة والشعراء والأدباء والأطباء والمؤرخين والرحالة ، من المالكية أو الشافعية أو الحنابلة أو الأحناف،من البغاددة أو الدماشقة أو الاسكندرانيين أو المغاربة أو غيرهم ، وغالبا ما كان احدهم يكمل ما فات السابقين عليه ، وينقد ويصحح ويزيد ويمضى حتى يسلم الراية لمن بعده ، وهكذا ، كما فعل السيوطى مثلا فى (حسن المحاضرة) و (در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة) لإكمال ما فات أبا الربيع الجيزى ، دفين الجيزة بمصر .

والنموذج الذى نعرضه على القارىء فى هذا المقال ، فريد فى نوعه من كافة الوجوه ، ولهذا آثرنا ان ننوه به ، ليقف أبناء هذا الجيل ، على ما قدمه لنا السابقون خلال اجيال متباعدة ، ومن أمصار متفاوتة، كعمل متكامل يمسك بعضه بعضا ، على غير المعهود عندنا وعند غيرنا .

الكتاب .. و .. المؤلف

والكتاب « دستور الإعلام بمعارف الأعلام » مخطوط قديم فى مجلدين بمكتبة الاسكندرية تحت رقم ١٩٤٢ ب ، ومؤلفه هو ابن عزم (بفتح العين والزاى) من اهل القرن التاسع الهجرى ، وظل يعلق عليه من بعده عدد من المؤلفين المعنيّين بعلم الرجال . طوال خمسة قرون من بعده حتى يومنا هذا .

اما المؤلف الأول الذى كان رائدا لهم جميعا فهو المحدث المؤرخ : شمس الدين ــ أو جمال الدين فى بعض الروايات ــ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عزم التونسى نزيل مكة ، ولد بتونس عام ٨١٦ هجرية ، وقدم مصر ، ورافق السخاوى صاحب (الضوء اللامع) فى الاشتغال بالتاريخ والتراجم ، وجاور بمكة وبها توفى عام ٨٩١ هجرية ، وقد ترجم له فى صلب كتابه احد

المذيلين عليه وهو المنلا — اى المولى او الشيخ — قطب الدين محمد بن علاء الدين الحنفى فقال : « وابوه ابن عزم التميمى المتوفى عام ٨٤٦ إمام اهل الحساب والمساحة والنجوم وغيرها واسمه ابو حفص عمر بن محمد بن أحمد » .

فهو إذن من بيت علم ومعرفة واسعة ، ولهذا اشتمل كتابه على تراجم — وإن كانت غير مسهبة — عن عدد ضخم من الاعلام ، فى شتى النواحى الثقافية ، ومن مختلف البلاد الإسلامية ، ورتبه على حروف المعجم

وجعل لكل حرف خمسة ابواب : المشهورين بالاسم ، والمشهورين بالكنية والمشهورين بالنسب او اللقب أو السبب ، والمشهورين بابن فلان ، والمشهورين بصاحب ، وضرب لكل ذلك أمثلة يوضح بها تبويبه وتصنيفه ، « وكل ذلك باختصار » على حد قوله .

دستور فى التراجم

وعلى هذا يذكر لنا ابن عزم الشخص باسمه واسم أبيه ، واسم جده ، والسنة التى توفى فيها بالقلم الهندى وبلده ومذهبه ومكانته العلمية واشهر مؤلفاته ، أو يقول عنه إنه (صاحب التصانيف) ، وينوه به وبشهرته . فيذكره بقوله مثلا : (مسند قطره) أو (مسند وقته) أو (مسند الدنيا) أو (مسند الآفاق) بما يناسب التعريف به عن عدالة واتزان ، ويقصد المؤلف بذلك أن يكتفى القارىء بهذا العمل متى أراد ، وإلا فهو له كالمدخل الى التواريخ المطولة ، كما نلحظ ذلك فى تراجم السخاوى لرجاله بإسهاب وتفصيل ، [ولهذا سميته — كما يقول ابن عزم — « دستور الإعلام بمعارف الأعلام »] .

والاختصار الذى اشار اليه ابن عزم متفاوت فى ثنايا كتابه ، فأحيانا لا تزيد الترجمة على سطر أو سطرين ، وأحيانا تبلغ ستة أسطر ، وقلما تزيد ، ومع ذلك ، فإن عظمة المؤلف تتمثل فى القدرة على الإيجاز الوافى بالمطلوب ، مما يشجع فعلا على اتخاذه (دستورا) أو مدخلا للتواريخ الكبار كتراجم (الضوء اللامع) للرجال والنساء على السواء فى فترة معينة وهى القرن التاسع .

على أن التعليقات — أو الذيول المتعاقبة — التى حظى بها المؤلف على كتابه من بعده ، قد زادت من أهميته ، ورفعت من قدره ، إذ أن الزيادة أو الإضافة التى أتى بها كل من المعلقين عليه الستة ، قد أكسبت الكتاب ما لم يكن يحلم به المؤلف الأصلى ، من شهرة لكتابه ولنفسه ، كواحد من اصحاب التراجم ، والتراجم المنوعة بصفة خاصة ، ولا سيما إذا عرفنا أن هؤلاء المعلقين كانوا ينتمون الى بلاد أو قرى شتى فى الوطن الاسلامى ، ومع ذلك التقت مشاربهم ، فأكمل بعضهم عمل البعض ، فى تعاون وفى ، له قدره من غير شك فى مجال التصنيف ، فجاء تعقيب كل منهم — أو (الذيل) — نابعا من معلوماته الخاصة غير المنقولة عن غيره ، ولاسيما إذا كان المترجم له من مواطنيه ، مما يزيده اهتماما به .

ذيول ورموز

ومما هو جدير بالذكر هنا ، ان تلك الإضافات لم تختلط بالمتن الأصلى للكتاب ، بل تميز بعضها عن بعض بطريقة سهلة ، فكان كل تعليق يبدأ بحرف يرمز الى صاحبه ، فهذا تعليق حمزة الحسينى يرمز إليه بحرف (ح) ، ورمضان حلاوة بحرف (ض) ، وهكذا ، ولذا يستطيع القارىء أن يميز بين الأصل وبين الزيادات وأصحابها ، وهو مطمئن الى مجهود كل منهم على حدة .

ولتوضيح هذا العمل الفريد فى نوعه من المعاجم والتراجم نقول إن المؤلف يتكلم مثلا عن (الشاذلى) واسمه إبراهيم ، ثم يزيد عليه المعلق الأول أو المذيل الأول ، فيضيف شخصا آخر لقبه الشاذلى أيضا ، ولكن اسمه محمد أو أحمد أو غيره ،

ثم يأتى المعلق الثانى — إن وجد — فيعلق بشخص آخر لم يذكره من سبقه أو يضيف جديدا الى ما ذكره السابقان عليه ، أو يصحح خطأ وقع فيه أحدهما أو كلاهما ، أو يزيد بما لديه هو من معلومات لم يسبقه اليها غيره من مولد أو وفاة أو غير ذلك ، وفى كل تعقيب يضع المعقب الحرف الذى يرمز به الى اسمه ، وغالبا ما لا نجد التعقيبات إلا من اثنين أو من واحد لا سواه ، ومن هنا نضمن عدم الوقوع فى الخلط بين والد وولد ، أو بين شخص وأخيه .

أصحاب الذيول

وأصحاب الذيول على « دستور الإعلام بمعارف الأعلام » — كما هو فى المخطوط الذى بين يدينا — ستة هم :

١ — (ح) ويرمز الى حمزة بن احمد بن على بن محمد بن على الحسينى الشافعى الدمشقى صاحب كتاب (المنتهى فى وفيات أولى النهى) ، والمتوفى ببيت المقدس عام ٨٧٤ هـ .

٢ — (ق) ويرمز الى المنلا قطب الدين محمد بن علاء الدين الحنفى ، ولا ندرى عنه شيئا ، والأغلب انه فارسى الأصل .

٣ — (هـ) ويرمز الى إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفى الجنينى من جنين ثم سكن دمشق ، وتوفى عام ١١٠٨ للهجرة وله تتميم فتاوى شيخه خير الدين الرملى ، ورسائل تاريخية ، و « رحيق الفردوس فى حكم الريق والبوس » و « نتيجة الفكر فيما يتعلق بأحكام الذكر » .

٤ — (ز) ويرمز الى زين الدين ابن محمد البصروى الدمشقى .

٥ — (هب) ويرمز الى إبراهيم بن السيد بن نقيب الأشراف الشهير بابن حمزة .

٦ — (ض) ويرمز الى رمضان حلاوة السكندرى ، وهو آخر المعلقين على الدستور ، الذى لا يزال مخطوطا الى يومنا هذا .

كان رمضان حلاوة آخر هؤلاء الستة المذيلين ، وهو — على ما نعلم — سكندرى الأصل والإقامة، كان حيا عام ١٨٧٢ ، وكان أديبا ممتازا له تشطير للبُردة ، وله تقريظ فى نهاية كتاب (سراج الملوك) للطرطوشى بتاريخ ١٢٨٩ هـ ، وختمه

ببعض أبيات من الشعر غير متينة السبك والحبك ، ومن أسرته سلامة حلاوة القصري المتوفى عام ١٨٨٥ (= ١٣٠٣ هـ) ، وكان من أساتذة المدرسة البحرية بالاسكندرية . وقد ولد بقزية (قصر بغداد) بمحافظة المنوفية من أرض مصر ، وله مؤلفات بحرية وفلكية وهندسية وخرائط ، مما يدل على أن رمضان حلاوة قد نشأ في بيئة علمية ، كما أن رمضان هذا كان من أصحاب عبد الله النديم السكندري الكاتب الشاعر والخطيب الثائر المجدد ..

الذيل الأخير

ومن توفيق الله تعالى وفضله على المثقفين ، أننا قد عثرنا على إضافة سابعة بعد تذييل ابن حلاوة الذى انتهت به المخطوطة ، وقلما يعرفها أحد من المعاصرين المعنيين بهذا الميدان من الثقافة ، وعنوان هذا الذيل « التزام الملتزم من تتمة تاريخ ابن عزم » لصاحبه محمد صالح الجارم الرشيدى (نسبة الى مدينة رشيد شرقى الاسكندرية وعلى مصب النيل فرع رشيد) والمتوفى عام ١٣٢٨ هجرية ، وهو والد الشاعر العربى المعروف على الجارم، وهذه الإضافة مرموز إليها كغيرها بحرفى (مح) ، وعلى الرغم من أنها مفقودة الى يومنا هذا ، إلا أن صاحب (اليواقيت الثمينة) وهو البشير ظافر الأزهرى ، قد اطلع عليها فى مكتبة صاحبها الجارم برشيد ، ونقل عنها كثيرا من أعلام المالكية ، ولاسيما من كان من أهل رشيد ، ولولا ذلك ما عرفنا شيئا عن عدد كبير من أعلام رشيد فى القرن الماضى ، ومنهم المجاهد حسن كريت الذى تزعم حركة النضال الشعبى فى رشيد لسحق الغزو الانجليزى بها ، وقد بذلنا أقصى الجهود لدى آل الجارم ، وفى مكتبات مساجد رشيد للعثور على بصيص من الأمل للحصول على هذا المخطوط ، فلم يسعدنا الحظ ، على الرغم مما اطلعنا عليه هناك من مخطوطات ثمينة ونادرة الوجود ، وأغلبها لعدد غير قليل من آل الجارم فى مختلف الأجيال وقد تضمنهم كتابنا (إقليم البحيرة) .

وعلى ذلك نرى أن (دستور الإعلام) الذى كتبه مؤرخ محدث من تونس وعقب عليه رجال من جنين والبصرة ودمشق ومكة والاسكندرية، ورشيد ، يعد ـ بحق ـ من بين كتب التراجم الاسلامية عملا نادرا وفريدا فى نوعه ، وخصوصا إذا تذكرنا العدد القليل من الذيول على كل من (تذكرة الحفاظ) و (العبر فى خبر من غبر) للذهبى المتوفى عام ٧٤٨ للهجرة .

وحبذا لو أخذ (دستور الإعلام) الذى كتبه صاحبه طريقا عاجلا الى المطبعة العربية ، ليزدان به التراث الاسلامى ، وقد يكون فى نشر هذا المقال ما يفتح أمامنا باب الأمل فى العثور على الذيل السابع لدستور ابن عزم ، وما قد يكون خافيا علينا من تذييلات لا نعرف عنها شيئا حتى الآن فى ميدان (علم الرجال) .

قضايا عربية من إقبال

للدكتور محمد التونجي

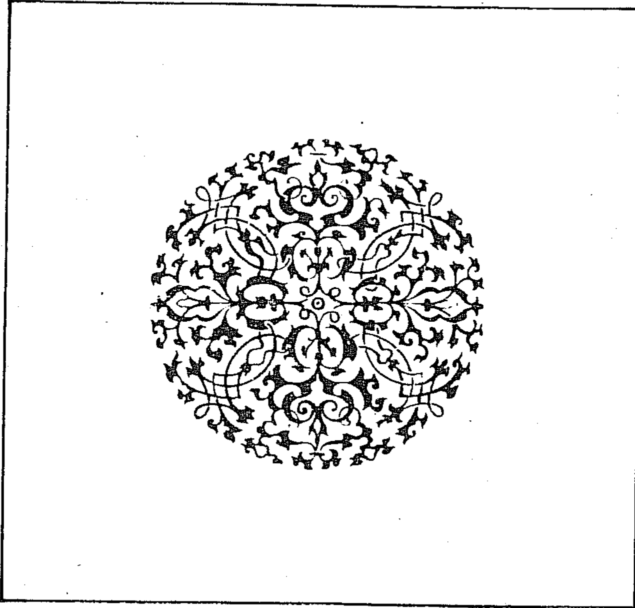
إن موضوعى عن إقبال هو (القضايا العربية) ، فى حين ان هدفه الأسمى هو جمع الكلمة الاسـلامية ، تحت راية واحدة ـ دون اعتبار للقوميات ـ ليتسنى لها ردع مطامع الغرب ، والتغلب على بهرجته وسطوته ، غير معتبر لأية قومية إلا قومية الدين ، اذا جاز لنا هذا التعبير ..

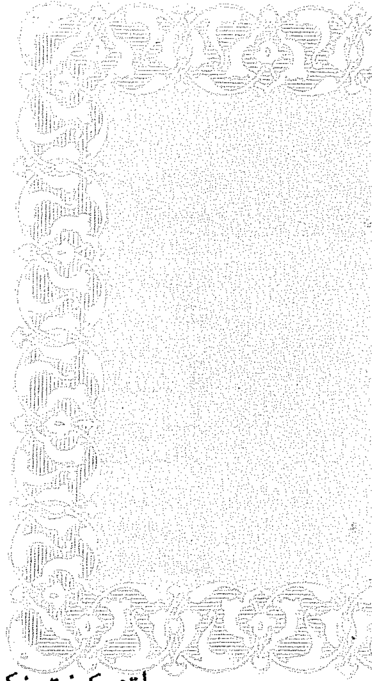
ولـكنه نظر الى العرب نظرة تقديس ، لأن محمدا بُعث منهم ، ونظـرة غيور لأن الشاعر كان لسان الإعلام للعرب فى مشارق الارض ومغاربها . فقد كان يحثهم على الوحدة برباط مقدس أيام السلام ، ويحضهم على الحرب ، بل يخوض معهم وعر الطريق ، ويصرخ فى وجه أوروبة صرخات مدوية اذا فكرت احدى الدول الطامعة أن تنال حدا من حدودها ، أو تتطاول على شخص من افرادها .

فكان اقبال إذاً يربط كلمة العرب بالدين ، ويعتقد ان هذا العالم الجـديد لا يحسن تصميمه إلا من بنى بالانسانية البيت الحرام بالأمس ، وورث ابراهيـم ومحمدا (عليهما السلام) فى قيادة العالم وارشاده . ويهيب بهذا العربى المسلم النائم ، ويناشده الله أن يستيقظ ، ويمسح عن عينيه وحشة النوم ، فقد عاث الأوروبيون فى الارض ، وخربوا العـالم ، وملأوه ظلمـا وظلمات وشرورا وويلات . وحول الأوروبيون هذه الارض الى خمّارة ، وبيت فسق ودعارة ، ومكان نهب واغارة . ولقد آن لبانى البيت الحرام وحامل رسالة الأسلام أن يصلح ما افسده الغرب ، ويبنى العالم من جديد (الندوى ١١١ ـ ١١٢) .

ولقد شارك العرب أتراحهم مشاركة مباشرة ، بل وجه انظـارهم الى قضاياهم بأن وضع أصبعه على الجرح وصرخ ، أو مشاركة بالقلب والأحلام والأمانى .. وهذا ما يطلبه العربى المسلم ، أو مشاركة بالدين ، وهذا هو هدفه الأول والاخير .. فاذا صرخ بالعربى عنى انه ينادى المسلم ، وإذا نادى الشرقى فلكى يقف الى جانب العربى ، فالدين عنده لصيق العروبة . وقد عبر عن ذلك بقوله :

أنا أعجمى الدن لـكن خمرتى   صنع الحجاز وكرمها الفينـان
إن كان لى نغم الهنـود ولحنهم   لـكن هذا الصـوت من عدنان





ولقد كونت فكرة القضايا العربية عند اقبال عوامل كثيرة ، اهمها :

١ ــ حبه للدين المحمدى العربى . وبسببه سكب عواطفه نحو العرب ، حاملى مشعل الدين الى العالم بعد نبيهم الكريم . وكم كان يتخيل أنه يطوف أرجاء الحجاز ، ويتصور انه يركب العيس فى زيارة الرسول ، ويعتبر المدينة المنورة حماه الأمين الذى يخلد اليه .. وإذا وصل الى قبره ــ فى حلمه ــ اخذ يشكوه أوضاع العرب والمسلمين .

٢ ــ نظرته المادية الى الغرب ، وايمانه بانسانية الشرق ، والعرب من الشرق .. حملوا مشعل الحرية الى اقصى اسبانية والهند . الا انه يرى الغرب يطغى عليه ، ويمد جبروته على انحاء عديدة من أراضيه .

٣ ــ تعشقه للعربية ، لغة القرآن التى تعلمها منذ نشأته ، كما يتعلمها كل هندى وفارسى وتركى مع القرآن ، ويقدسها لأنها لغة القرآن والدين ، ويقدس كل عربى لأنه حامل لواء التبشير والهداية الى النور الحنيف .

ولقد احب اقبال اللغة العربية ، والشعر القديم منه خاصة ، وكم تحدث عن اعجابه بصدقه وصراحته وواقعيته ، وما يشتمل عليه من معانى البطولة والفروسية والجهاد ، وكثيرا ما كان يستشهد بأبيات الحماسة (الندوى : ٩) . بل إن حبه هذا جعله يعمل على نشر الثقافات والآداب الاسلامية واحياء اللغة العربية وآدابها فى الهند . وهو إذا تكلم عن القوة والأمل فى حديثه عن تربية الذات قال :

بث فكرا صالحا فى الأدب ارجعن يا صاح نحو العرب
وسليمى العرب يا صاح اعشق اطلعن صبح الحجاز المشرق

حديثه الى الأمة العربية :

كان كلما دعا الى الأمة الاسلامية استنجد بالأمة العربية ، وطالبها أن تتحد وتحمل على عاتقها هذا العبء لكى تنير الطريق كما فعل أسلافهم . ولقد خصص أبدع قصائده لمخاطبة الأمة العربية ، ليسجل فيها فضلها وسبقها فى حمل الرسالة ، فيذكرها دوما بماضيها ، سلاحها الماضى .. لتستفيد به فى الحاضر لدرء الأخطار المحيقة ، ويخاطبها بقوله :

« أيتها الأمة العربية ، التي كتب الله لباديتها وصحرائها الخلود ، من الذى اكرمه الله بالسبق الى قراءة القرآن ؟ من الذى أطلعه الله على سر التوحيد فنادى بأعلى صوته : لا إله إلا الله ؟ وما هى البقعة التى اشـــتعل فيها هذا السراج الذى أضاء به العالم ؟ وهل العلم والحكمة إلا فتات مائدتكم ؟ إن الحرية نشأت فى احضان محمد ، فقد كان الجسد البشرى بلا قلب وروح ، فوهبه الله القلب والروح ، فحطم الصنم ، وأفاض بعدئذ الحياة على كل غصن ذاو من أغصان العلوم والمدنية وانجب ابطالا وقادة مؤمنين . وما اشتهر العلماء إلا بفضل محمد صلى الله عليه وسلم ، وليست الحمراء فى الأندلس ، ولا تاج محل فى أكرا فى الهند إلا صدقة من صدقات بعثة محمد ، ومظهر من مظـــاهر عبقرية أمته .

ويذكر اقبال الأمة العربية عهدها فى الجاهلية حين كان القوم فوضى ، يعيشون كالبهائم ، لا هم لهم إلا السيف والطعام ، إذا بجلبة جحافل المسلمين تجلجل فى الشرق والغرب ، فما اوقع تلك الغزوات .. !

وبعد أن يذكرهم أمجادهم يبدأ بالتقريع وهو سلاحه الثانى مع العرب ، ويسألهم : وماذا أصاب الأمة العربية ؟ لماذا يتوانون عن العلم وقد ســبقهم الركب ؟ ويشدد على الوحدة العربية ، يقول : كنتم أمة واحدة ، فأصبحتم اليوم أمما واحزابا .

ويتألم شديد الألم إذ يراهم قد وضـــعوا أيديهم فى أيدى بعض الدول الغربية ، ويزعجه أن يرى فى الأمة العربية اناسا يحسنون الظن بالغرب ، فهو عارف بهم وبمكائدهم درس علومهم ودرّسهم ، وخبر بذلك خبثهم وضراوتهم على الأمة العربية . ويقول فى ذلك : « مهلا ايها الغــافلون ، اياكم والركون الى الفرنجة ، ارفعوا رؤوسكم ، وانظروا الى الفتن الكامنة فى مطاوى ثيابهم . ألا إنه لا حيلة لكم إلا أن تطردوهم عن منهلكم ، وتذودوهم عن حوضكم ، لقد مزقوا وحدتكم ، واقتسموا تراثكم » .

ثم ينظر الى العرب نظرة النصوح ، فيبهم تجــاربه ، بأن يحثهم على استرداد روح عمر بن الخطاب والسادة الأطهار ، ويحضهم على التمسك ، بالرابط المقدس ، ألا وهو الدين . ويقول للشباب : « إن العصر الحاضر وليد نشاطكم وكفاحكم ، وصنيع جهادكم ودعوتكم ، وما زلتم ســادته وولاته حتى أفلتت زمامه منكم ، فتبناه الغرب وتملكه .. ومنذ ذلك اليوم أصبح هذا المجتمع الانسانى ثائرا على الدين . فيا رجل البادية ، ويا سيد الصحراء ، عد الى قوتك ، وتملك ناصـــية الأيام ، وقد قافلة البشرية الى الغــاية المثلى » (الندوى ١١٨) .

ويطيل فى مخاطبة أمراء العرب ، حتى ضاق صدره ، فعاتبهم بقوله :

هل ينسعد الكافر الهندى منطقه مخـــاطبا أمراء العرب فى أدب ؟

ولكنهم لم يستجيبوا لنداءاته ومذكراته فعمد الى قصـــيدة صنعها لهذا الغرض ، حيث جعل الأمراء يأتمرون بأوامر أبيهم ابليس ، وابليس هو رمز الغرب ، وأوامره أن يترك الشرق دينه : المسلم والمسيحى والهندوسى . فيخاطبهم بقوله :

عليـــك بالبرهمـــن فاربكوه بأشراك الســـياسة والحبال
وأصـــحاب الزنانير اطردوه من الدير القديم بالاحتيـــال
وذلكم الصبـــور على الرزايـــا ومن هو بالمنـــايا لا يبـــالى
فروح محمد منه اســـلبوه لتعمل فيـــه احداث الليـــالى
بأرض العرب للاســـلام كيدوا ليسرع فى الحجـــاز الى الزوال

إقبال فى الاندلس :

زار اقبال اسبانية عام ١٩٣٢ ، ودخل جامع قرطبة ، ووقف فيه وقفة مؤمن خاشع وصلى فيه ، ولعله من المســــلمين القلائل الذين فعلوا ذلك بعد جلاء المسلمين . وبعد أن ذرف الدموع الحرى ، أخذ يتذكر أن بعضــــا من جنود المسلمين أتى بهم صقر قريش ، فاستطاع بهم أن يؤسس هذه الأمجاد فى قلب أوروبة . ورأى فى هذا الفن العظيم شخصية المسلم واخلاقه وصفاته .

ويتذكر ، وهو يطوف فى أرجاء الجامع ، أهله الأدنين الذين شادوه ، والعقيدة التى كانوا يدينون بها ، ودوى بسمعه اذانهم ، إيذانا بنشر العــلم فى الشرق والغرب ، فهاجت نفسه ونظم قصيدته المنبعثة من عاطفته نحو العرب خاصة والمسلمين عامة .. فيقول مخاطبا المسجد !

« إن بينى وبينك ، ايها المسجد العظيم ، نسبا من الايمان والحنان » ولكنه يتذكر فجأة أنه هندى ، فما هذا الرابط إذاً ؟ فيعود ليستأنف كلامه :

« انظر أيها المسجد الى هذا الهندى الذى نشأ بعيدا عن مركز الاسلام ومهد العروبة ، الذى ترعرع بين الكفَّار وعبَّاد الأصنام كيف غمر قلبه الحب والايمان ؟ » .

وفى قصيدة اخرى ، ولا زلنا فى الأندلس ، تثور فى نفسه الذكريات ، فيخطر على باله طارق بن زياد ، فقد كان هذا البطل العظيم أحد ملهمى هذا الشاعر ، وخاصة فى خطبته المشهورة « أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر » . فنظم قصيدة فى طارق ، الذى آلى على نفسه لينصرن الله فى أسبانية . فقال : لقد أكرمت يا رب رعاة الإبل ، وسكان الوبر من العرب بنعم فريدة ، علم جديد ، وايمان جديد ، وشعار جديد ، لينشروا النور فى بلاد الظلام .

أعد يا رب الى هذه الأمة المؤمنة الحمية والغضبة ، وها إن الله تعالى استجاب لدعاء طارق ، وانتصر بجيشه على عدوهم ، وأصبحت أســــبانية النصرانية الاوروبية الاندلس الاسلامى العربى . وقامت تلك الدولة فى ربوعها قرونا مزهرة ، ولم تضعف الا بفقدهم الروح التى تضلع بها طارق وأصحابه ، وبنسيانهم الرسالة التى جاءت بهم من جزيرة العرب ، وبفقرهم فى الايمان الذى امتاز به طارق بين قادة الجيوش وفاتحى البلاد .

وما دمنا بدانا فى تطوافنا مع اقبال وقضاياه العربية بالأندلس ، فلنتابع شعره جغرافيا ، وندخل ليبيا ، فلما نشبت الحرب ضد الطليان جُرحت عواطفه، وهاج خاطره ، وثار على الغرب ، وعلى حضارته بأن نظم قصــــائد رائعة فى المسلمين عامة وفى العرب خاصة .

من ذلك قصيدته : « شكوى الى الرسول » فقد تصور أنه زار النبى ، وكثيرا ما يفعل ، وسأله النبى : ماذا حملت الينا من هدايا يا اقبال ؟ فاعتذر الشاعر عن هدايا الدنيا وقال : انها لا تليق بمقامكم الكريم ، ولكننى جئت بهدية ، هى زجاجة يتجلى فيها شرف أمتك ، وهو دم شهداء طرابلس .

قصيدة أخرى له فى هذه الحرب ، قصيدة تعد من روائع الأدب الانسانى العالمى ، فقد بلغه — أو تصور — أن فتاة اسمها (فاطمة بنت عبد الله) من اهل ليبيا لقيت مصرعها عام ١٩١٢ بينما كانت تسقى المجاهدين فى أثنــــاء محاصرة درنة ، فخاطبها ، فقال :

« فاطمة ، انت عزة هذه الأمة الكريمة ، انت طهر وبراءة »
« كان من حسن حظك وسعادتك ، أن تسقى المجاهدين فى سبيل الله »
« ان جهادك هذا دون سيف او ترس ، حدانا على الشوق للاستشهاد »
« كنت برعما نديا فى حديقة الاسلام البادية الذبول ، وكنت شرارة نحمد الله أن انبعثت من رمادنا »
« كم من غزال خفى فى صحرائنا ! »
« كم من بروق ... خلف غيومنا السخية ! »
« فاطمة ، إن ... مآقينا تدمع اسى عليك ، فان عويل مآتمنا ينطوى على نغمة الابتهاج ببطولتك أيضا »
« ما أطرب رقص روحك الطاهرة ! إن كل ذرة من رفاتك مفعمة بلوعة الحياة »
« لحدك الصامت هذا يحمل فى جنباته غليانا وثورة ، ولسوف تتربى امة جديدة فى حضنك الغالى »
« لست ادرى مدى وسعة اهدافهم (فى المستقبل بالنسبة له) ولكننى ابصر انهم سيخلقون من مرقدك هذا »
« نجوم جديدة ستبزغ فى السماء ، لا ترى عين المرء أمواج تألقها » .
« نجوم ظهرت حديثا من ظلام غياهب الأيام ، لا يتقيد ضوؤها بالصباح والمساء »
« نجوم بريقها قديم وجديد فى آن واحد »
« وفيه اشعاع نجمك السعيد ايضا »

إقبال فى مصر :

يحكى لنا الدكتور عزام حكاية تنم عن حب اقبال الشديد للعرب فيها طرافة . فعندما زار جامعة القاهرة بناء على دعوة منها ، يقول عزام : « ذهبت اليه مرة فى فندق فى حلوان ، فأخرج من حقيبته عمامة وطربوشا ، وقال : أرنى كيف تكوَّر العمامة ؟ ثم قال : أرانى أوثر العمامة والجبة ، واشعر حين البسهما انى فى زى أستاذ ، كما اشعر انى صبى حين البس هذه الملابس — وأشار الى الملابس الافرنجية التى كان يرتديها » (عزام : ٤٢) .

وعندما أذن الانكليز المحتلون فى مصر للناس بحمل السيوف بعد ان حرم حمل جميع الاسلحة ، نظم اقبال قصيدته التى منها :

أيها المسلم تدرى اليوم ما	قيمة الفولاذ والعضب الذكر ؟
هو مصراع من البيت الذى	مضمر فيه من التوحيد سر
وأرى مصراعه الثانى فى	سيف فقر تحتويه كف حر
أنت يا مسلم — إن تظفر به —	خالد او حيدر يوم المكر

وقد استرعى انتباهه جثوم أبى الهول ، رمز العقل والقوة فى وسط الرمال ، فكتب عدة قصائد فيه ، منها :

من أبى الهول أتتنى نكتة	وأبو الهول طوى السر القديم
كم شعوب بدلت سيرتها	قوة لم يجفها العقل الحكيم
طبعها فى كل عصر ماثل	يبدل الشكل ويبقى فى الصميم
فهى طورا فى حسام المصطفى	وهى طورا فى عصا موسى الكليم

ويقول من أخرى ، ويشيد فيها بالانسان وقدرته على الابداع :

شـــادت الفطرة كثبانا لهـــا في سكون من يبـــاب قد وقد
روّع الأفلاك فيـــــــه هرم أي كف صـــــورت هذا الأبد !
من إســـار الكون حرر صنعة صائد ذو الفن اصيدا يصـــد ؟

في صقلية :

كان كلما مر بأرض كان للعرب فيها فضل وماض بكاها وارسل الشعر مع الدمع مدرارا . فقد مر بصقلية في أثناء عودته الى بلاده عام ١٩٠٨ ، فنظم قصيدة طويلة مطلعها :

« ابك أيها الرجل ادمعا لا دمعا ، فهنا مدفن الحضارة الحجازية »

اقبال وسورية :

عرضت الحكومة الفرنسية على اقبال أن يزور مستعمراتها في شـمال افريقية ، فأبى . وحز في نفسه أن يدمر الجيش الفرنسي مدينة دمشق ، فأعلن أنه لن يدخل الجامع الذي بني في باريس وقال : إن بناء هذا المسجد ثمن بخس لتدمير دمشق واحراقها ..

يا ناظري لا يخـــدعنك فنـــه للزور هـــذا الحـــــرم المغرّب
وليس هـــــذا حرما لـــــكنه عند الفـــــرنج للغـــرام ملعب
قـــد اخفت الافرنج روح موثن في صـــــورة من حُرم تكذب
إن الذي شـــيد هذا موثنـــــا دمشـــــــق من عدوانه تخرب

ولعل من أروع ابياته في الشام بيتين يصوران السلم الذي يقدمه العرب ، والدم الذي يهدره الغرب :

أهدت الشـــــام الى الغرب نبيا هو عف ومواس وصــــــبور
ومن الغرب الى الشـــــام هدايا من قمار ونســــــاء وخمور

ويقول في حلب أيام الانتداب :

مرحى لحـــــانات الفرنج فقد ملأت بهن زجاجهـــــــا حلب

إقبال وفلسطين :

لا تظنوا أن اقبال لم يشارك العرب في قضية فلســــطين ، فمــع أنه توفي عام ١٩٣٨ فقد أحس بتحركات اليهود في الغرب ، ورغبتهم في احتلال فلسطين ، فأخذ يحذر العرب . وكم كان يؤلمه أن العرب لا يزالون ينظرون الى الأوروبيين والامريكان كأصدقاء مخلصين ، وأعوان منجدين ، يحلون لهم مشكلة اللاجئين ، ويردون اليهم ارض فلسطين — مستبقا الاحداث طبعا — مع أنهم لا يزالون تحت سيطرة اليهود ، وتحت نفوذهم السياسي والاقتصادي والاعلامي فيقول :

« صدقوني أيها العرب أنه لا دواء لكم في جنيف ولا في لندن ، الانـكم تعلمون أن اليهود لا يزالون يتحكمون في سياسة أوروبة ، ولا يزالون يملكون زمامها . ان الأمم لا تتذوق طعم الحرية والاستقلال ما لم تربّ فيها الشخصية والاعتماد على النفس » (الندوى : ٧٠) .

لا دواء فى لنـــــدن او جنيـــوا   بوريد الفـــرنج كف اليهـــود

ولقد اشترك فى المؤتمر الاسلامى الذى انعقد بالقدس عام ١٩٣١ . وكان قد جاء من اوروبة يمثل الهند المســــلمة فى هذا المؤتمر . وأخذ يتفقد أرجاء فلسطين ، والأماكن المقدسة فيها والرباع الخضراء الممتدة على مدى البصر . وبعد أن طاف طوفته هذه اتجه نحو الوطن العربى ، فرأى ايمانه قد ضعف ، والى العالم الاسلامى فوجد أنه أفلس من الايمان والعاطفة . ونظر الى العالم المادى ، وتمنى أن يرى جبارا يغضب للحق ويثور كالليث . وكم رجا أن يكون هذا الثائر من بلد عربى ، ويفاجىء العــــالم بصراحته وصرامته . ونظر الى الحجاز فلم ير ما يدل على وجود هذا الثائر .. فأيقن أنه ضـــــعف العاطفة والحب . لقد رأى أن أبا لهب يحمل راية العصيان ويصــــول ويجول ، فحث العرب على الانضواء تحت راية معسكر الايمان اذا أرادوا لأنفســــهم الوحدة والخير (الندوى : ١٣٥) .

ولقد قدم صفقة رابحة من أجل فلسطين ، وقال : « اذا أراد اليهود أخذ فلسطين ، فليستمد العرب اسبانية من الغرب » :

إن فى فلســــطين اليهـــود زجت   فليــــأخذن اســــبانيا العرب

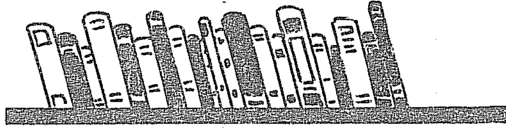
ويهزأ من أوروبة التى ادعت أنها انقذت الشام وفلسطين من قسوة الترك ، ولكنها أوقعتهما فى شر أسر ، من قصيدته (شبكة التمدين) :

فأوروبا نصــــيرة كل شــــعب   تشــــكى الدهر من ظلم وضر
كرامات القساوس أن أضــــاءوا   سراج الـــكهرباء بكل فــــكر
ولــــكن من فلســــطين بقلبى   وللشــــام الكسيرة حر جمر
من الترك الجفاة نجــــوا فلاقوا   فى شراك التمـــــدن شر أمر

بعد أن جلنا جولة عجلى فى بعض أنحاء الوطن العربى مع الشــــاعر المسلم العظيم محمد اقبال ، فأحسسنا أنه واحد من العرب الغيورين على كل شبر من أراضيه شرقا وغربا . علما أن اقبال لم يكن قومى التفكير ، ولو كان كذلك لما طالب فصل باكستان المسلمة عن الهند ، ولكنه يميل الى دين محمد ، وما دام محمد عربيا ، فليحب ما يحبه العرب ، وليكن أحد الجنود الثائرين فى أرضهم ، على أمل وحدة اسلامية متعاطفة وشاملة .

ولعمرى ، لقد وفّاه الدكتور عزام حقه ، واعترف له بهذا الجميل ، فنظم فيه وفى ديوانه (ارمغان الحجاز) أبياتا عام ١٩٤٧ كانت لسان حال كل عربى ، وقد حفرت على قبره بالرخام ، أختتم بها حديثى :

عربى يهــــدى لروضــك زهرا   ذا فخار بروضــــــه واعتزاز
كلمــــات تضــــمنت كل معنى   من ديار الاسلام فى ايجــــاز
بلسان القرآن خطت ، ففيهــــا   نفحــات التنزيل والاعجــــاز
فاقبلنهــــا ، على ضــــآلة قدرى   فهى فى الحق (ارمغان حجاز)



مكتبة المجلة

إعداد : الأستاذ عبد الستار فيض

مدخل
لدراسة مطامع اليهود فى فلسطين قديما وحديثا

كتاب من تأليف الدكتور محمد بديع شريف يتحدث فيه عن غربة اليهود فى ارض فلسطين وعدم وجود أى حق تاريخى لهم فى هذه المنطقة استنادا الى الأصول التاريخية وسيجد القارئون فى هذا الكتاب ما يحملهم على اعادة النظر فى الآراء السابقة التى ضلل اليهود بها الناس حقبة من الزمن .

والكتاب يحتوى على أحد عشر فصلا تشمل الحركة التاريخية لليهود منذ وجودهم على وجه الأرض وحتى نهاية حربهم مع العرب عام ٦٧ ويقع فى ١٩٥ صفحة ومن نشر معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ـ بالقاهرة .

الدراسات القرآنية المعاصرة

بحث جاء ثمرة قراءة طويلة لعدد من الكتب التى تزخر بها المكتبة الاسلامية فى الدراسات القرآنية المعاصرة ـ لخص أفكارها وأوجز أبحاثها ونقد آراءها الطالب محمد بن عبد العزيز السديس باشراف الشيخ مناع القطان .

واشتمل البحث على أربعة أقسام :

القسم الأول : فى التفسير .

والثانى : فى الفهارس والمعاجم القرآنية

والثالث : فى الدراسات القرآنية العامة

والرابع : فى الدراسات القرآنية الخاصة .

ويقع البحث فى ٦٠٠ صفحة وهو من مطبوعات كلية الشريعة بالرياض ، قسم البحوث الاسلامية .

الحرب فى الاسلام

الكتاب الخامس والأربعون بعد المائة من سلسلة (كتب اسلامية) التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة وهو بعنوان : **(الحرب فى الاسلام وفى المجتمع الدولى المعاصر)** للكاتب القانونى الأستاذ توفيق على وهبة ويتضمن الكتاب الموضوعات الآتية : التعريف بالحرب ـ أسباب الحرب وأهدافها ـ إنسانية الحروب الاسلامية ـ دار الاسلام ودار الحرب ـ صور من الحروب الاسلامية ـ الغنائم ومعاملة أسرى الحرب ـ معاملة المدنيين أثناء الحرب .

هذه بعض جوانب الحرب الاسلامية التى وردت فى الكتاب وأوضحها المؤلف وقارنها بالقانون الدولى العام والوضع الراهن والكتاب يقارب المائة صفحة ومن طبع مطابع الاهرام بالقاهرة .


قصة

قصاص

للأستاذ سعيد زيــد

أطرق حكيم القرية هنيهة ثم قال للسيدة العجوز : اذهبى الى المامون ، فإنى والله لا أظنه يرضى على هذه الحال ، وإلا لما استحق أن يجلس بين المسلمين مجلس الخليفة ، فإن ابسط ما يتصف به خليفة الله هو بغضه للجور وحبه للعدل وسهره على راحة الرعية .

وفغرت السيدة العجوز فاها ، وقالت فى دهشة : ولكنى اخبرتـــك عن الجانى وعن مدى قرابته لخليفة المسلمين ، أو تظن أنه ينتصف لى منه ؟

قال : بلى ، وإن لم يفعل هذا لما استحق أن يكون خليفة ..فإنى لا أفهم شيئا أكثر من أن يكون خليفة المسلمين محبا لجميع المسلمين ، ومساويا بينهم فى كل شىء . ومقتصا من الظالم مهما علا قدره للمظلوم مهما نزل قدره ، والا لما كان جديرا بالخلافة .

كانت السيدة العجوز تحيا هى واولادها فى ضيعة صغيرةاورثها لهم زوجها مع عدد قليل من الإبل والغنم . وكانت حياتهم رتيبة خالية من المتاعب النفسية . يستيقظون كل صباح على أداء الواجب الذى يقوم به كل منهم ، تحلب هى اللبن وتوزعه على أولادها ، ثم ينتشر الأولاد فى الضيعة منهم من يرعى الإبل والغنم ومنهم من يقوم بالزرع ، وتبقى هى فى المنزل كى تعد لهم طعام الغذاء ثم تحمله إليهم فيلتفون جميعا حول المائدة التى تصنعها لهم فى ركن من الأرض الخضراء يأكلون هنيئا ويشربون مريئا ، ويقومون بعد ذلــك للعمل فى ضيعتهم حتى المساء ثم يعودون إلى منزلهم الصغير وياوون الى فراشهم بعد الغذاء كى ينالوا قسطا من الراحة حتى صباح اليوم التالى .

وهكذا كانت السعادة والطمانينة وهناء البال وراحة الضمير ترفرف على هذه الأسرة الصغيرة حتى جاء يوم مر فيه احد الأمراء على هذه الضيعـــة فاعجبه حسنها والجمال الذى يبدو من تناسقها فابدى رغبته فى شرائها ، ولما رفضت سيدة الأرض ، غضب وأمر جنده بطردها هى وأولادها والاستيلاء على الأرض عنوة ، ولما ضاقت بها الدنيا ذهبت إلى المامون تعرض شكايتهـــا كما نصحها حكيم القرية ..

كان من عادة أمير المؤمنين أن يجلس فى بهو فسيح من أبهـاء قصر الخلافة ، رسمت على سقفه وجدرانه آيات من الفن العربى ، ووضعت فى صدره إحدى الأرائك تحت لوحة رائعة مكتوب عليها « العدل أساس الملك » وفرشت أرضه بأبسطة جميلة . وكان الحجاب والحراس بعد تادية صلاة الظهر يقفون متاهبين لشىء خطير . وهل هناك أخطر وأروع من رد المظالم إلى أهلها ، ومن إنصاف الضعيف وإحقاق الحق ؟ وهل هناك أيضا أخطر وأروع من أن يكون الخليفة هو الذى يتولى هذا الأمر بنفسه ؟

كان الخليفة المامون يصلى الظهر فى المسجد المجاور للقصر ، وبعد أن يفرغ من صلاة الفرض يتوجه إلى القبلة مرة ثانية ويصلى ركعتين ثم يرفع يديه إلى السماء ويتمتم بدعاء إلى الله كى يهديه الصراط السوى ويلهمه السداد والتوفيق فيما هو مقبل عليه . وبعد أن يفرغ من دعائه يخرج من المسجد تحفه المهابة والجلال ، ويدخل قصر الخلافة ويتوجه إلى الأريكة ويجلس عليها بعد أن يخلع نعليه . ويسمى باسم الله ، ويقرأ بعض آيات الذكر الحكيم ، ثم يلتفت إلى وزيره قائلا : « ما عندك اليوم يا أخى ؟ » وكانت هذه الجملة بمثابة الاستعداد لافتتاح الجلسة . فسرعان ما يشير الوزير إلى أحد الحجاب الذى يسرع بدوره إلى باب فيفتحه فتدخل منه جموع الشاكين والمتظلمين ويجلسون صفوفا متراصة على البسط الممدودة .

منظر رائع ترفرف عليه المهابة والجلال . إن جميع الأعناق مشرئبة لترى أمير المؤمنين جالسا فى مكان القاضى وقد أطرق برأسه إلى الأرض فكست لحيته صدره ، وتحركت شفتاه بكلام الله عز وجل ، ولعبت أنامله بمسبحة توحى بالتقوى والورع ، إن كل واحد يهمس فى أذن جاره يسأله عن شكايته ويمنيه برفع الظلم ، ويذكر له ما حدث لكل من عرض شكواه فى هـــذا المكان ، وكيف خرج مرفوع الرأس ، موفور الكرامة ، مجبور الخاطر .

ويرفع الخليفة رأسه ، فترتفع خفقات القلوب ، وتتحـــرك بعض الأشجان ، وتصحو الآمال فى جنبات المظلومين ، ويرفرف على المكان سكون رهيب ، وتتجه الأنظار جميعها إلى وجهه ، وترهف الأسماع لتعى ما يقول .

ويشير أمير المؤمنين الى وزيره إشارة ذات مغزى ، فيناوله الوزير كتاب الله ، فيأخذه الخليفة بيده اليمنى ويضعه أمامه ، ثم يضع يده عليه ، ويقسم قسمه العظيم ، وهو أن يقضى فى الناس بالحق . فتطرق الرؤوس مهابة وجلالا .. ثم يرفع يديه إلى السماء ، ويدعو الله بصوت مرتفع أن يلهمه سداد الرأى وفصل الخطاب ، فتتجاوب جنبات القاعة مرددة : « آمين .. آمين .. آمين » ..

وكان هذا الدعاء ، ايذانا بفتح الجلسة ، فيشير الوزير بعد ذلك إلى الجالس فى أول الصف من جهة اليمين ، فيقف ويسمى باسم الله ثم يبدأ بعرض ظلامته ، وبعد أن ينتهى من عرضها ، يشير إليه الخليفة إشارة إذنه بالجلوس ، فيجلس . ويسبح أمير المؤمنين فى التفكير برهة قصيرة من الزمن يقلب فيها وجوه الرأى ويزن فيها الأمور ، ثم ينطق بالحكم ، فتهدأ ثائرة المظلوم وتسكن نفسه ، ويطمئن إلى العدل ، وينظر إلى الحياة نظرة ملؤها الثقة والمحبة ، وينصرف إلى حاله راضيا مبتهجا .

وأشار وزير أمير المؤمنين بعد ذلك إلى الشاكى الثانى ، فالثالث ، فالرابع ، إلى أن انتهت الجلسة ، وهم الخليفة بالقيام ، وأعلن الوزير انتهاء الجلسة .

وبينما هو كذلك إذ دخلت السيدة العجوز وعلى وجههـا آثار التعب والإرهاق ، لا يشك الناظر إليها أنها آتية من سفر بعيد ، ووقفت بين يديه رابطة الجاش ثابتة الجنان وقالت : ((السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته)) ..

ولم يستغرب خليفة المسلمين ولم تصبه الدهشة ، فقد تعود هذه المواقف من قبل ، ونظر إلى يحيى بن أكثم ، فقال لها يحيى : ((وعليك السلام يا أمة الله . تكلمي بحاجتك)) ! فقالت السيدة :

يا خير منتصف يهدى لـه الرشـد ويا إماما بـه قـد أشرق البلد
تشكو إليك ـ عميد القوم ـ أرملة عـدى عليها فلم يترك لهـا سبد
وابتز مني ضياعي بعـد منعتهـا ظلما وفـرق مني الأهـل والولـد

فاطرق الخليفة لحظة سبحت فيها روحه في ملكوت الله وهـو يسمع المؤذن يدعو الناس لصلاة العصر ، قائلا : ((الله أكبر ... حي على الصلاة ، حي على الفلاح ..)) ، ثم رفع رأسه ونظر إلى المرأة قائلا :

في دون ما قلت زال الصبر والجلـد عني وأقـرح مني القلب والكبـد
هـذا أذان صـلاة العصر فانصرفي وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد
فالمجلس السبت ـ إن يقضي الجلوس لنا ننصفك منه ـ وإلا المجلس الأحد

قال هذا ، وهم بالخروج إلى المسجد المجاور ليصلي العصر ، وانصرفت السيدة العجوز .

وفي اليوم التالي ، نودي عليها في أول المتظلمين ، فوقفت قائلة : ((السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته)) . فرد عليها الخليفة قائلا : ((وعليك السلام ورحمة الله وبركاته)) ، ثم سألها قائلا : ((أيـن الخصم ؟)) . فقالت : ((الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين)) . وأومأت إلى العباس ابنه .

فعقدت الألسنة من الدهشة ، وحملق كل جالس في جاره ، وظهرت الغرابة على الوجوه وبدت عليها الحيرة ، وذهبت ظنون الناس كل مذهب . ولكن الخليفة لم يعجب ولم يندهش ، ولم تأخذه روعة الموقف ، بل أشار في هدوء إلى أحمد بن أبي خالد ، وقال له : ((خذ بيده فاجلسه معهـا مجلس الخصوم)) ..

وسار الأمير إلى جانب ابن خالد تاركا الوقوف بجانب منصة الحكم إلى حيث يجلس المتهمون والمتظلمون مطرق الرأس شاحب الوجه زائغ البصر .

وانطلقت السيدة العجوز تروي قصتها وتشرح ظلامتها ، وارتفع صوتها على صوت العباس فقال لها أحمد بن أبي خالد : ((يا أمة الله ، إنك بين يدي أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، فاخفضي من صوتك)) فرد المأمون في قوة وحزم قائلا : ((دعها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه)) . فاستأنفت روايتها حتى أتمتها .

واطرق الخليفة هنيهة ، وفكر كعادته ، ثم نطق بالحكم قائلا : ((إن الحق بجانبك أيتها السيدة ، لقد قضينا برد ضيعتك إليك ، وسينال خصمك الجزاء الرادع)) . ثم التفت إلى وزيره قائلا : ((اكتب إلى العامل الذي ببلدها أن يسقط عنها الخراج ، ويحسن معاونتها ويصرف لها إعانة مالية)) .

وأثلجت قلوب الحاضرين واطمأن كل الى مكانه ، ورفعت السيدة العجوز يديها إلى السماء لتشكر ربها على عدل أمير المؤمنين ، وخرجت من عنده وهي تردد قول حكيم القرية : ((.. وإن لم يفعل هذا لما استحق أن يكون خليفة ..))

اعرفوا أعداءكم

للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند

قال الله عز وجل (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) يريدون ليطفئوا نور الله هذه إرادة أعـداء الله فى كل عصر وهذا دورهم فى كل زمان وهذا مدار تفكيرهم وتدبيرهم فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد زمن الرسول وفى أيامنا هذه كل همهم أن يطفئوا نور الله لأنهم لا يطيقون أن يروا هذا النور يشع فى كل أفق ولا يطيقون أن يسمعوا لا إله الا الله تدوى فى كل أذن ولا يطيقون للاسلام ظلا يمتد ولا لأهله قوة تحميهم ولا لكتابه سلطانا عليهم ولا لدولتهم علما مرفوعا ، وصوتا مسموعا ، وكلمة نافذة ، لا يطيقون أن يروا ذلك لأنهم أعداء الله وأعداء الحق وأعداء الإسلام وأعداء الإنسانية ، ولأنهم كما يقول الله تبارك وتعالى : (لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر) ولأنهم يعلمون أن قوتنا تنبع من ديننا وهو أبغض شىء اليهم ، فهم يحاولون أن يشككونا فيه ، وأن يبغضوه الينا ، وأن يوهنـوا ما بيننا وبينه من العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، والله سميع عليم ، ويعلمون أن كتابنا فيه سر سعادتنا وعزنا اذا اهتدينا بنوره لا نضل ، واذا اعتصمنا بحبله لا نذل ، واذا تزودنا منه كفانا وأغنانا وهدانا الى الصراط المستقيم فهم يحاولون أن يزهدونا فيه ، وأن يعزلونا عنه لأنه فى قلوبنا نور وفى صـدورهم لظى . ويعلمون أن أرضنا خير بقاع الأرض وأجمـل بلاد الدنيا ، وأشرف مكان فى الأرض ، فيها الكعبة التى تتجه اليها القلوب ، وفيها المسجد الأقصى الذى تشد اليه الرحال ، إنها الأرض التىكلم الله فيها موسى ، وأيد فيها عيسى ، وأسرى اليها بمحمد صلاة الله وسلامه على جميع رسله وأنبيائه ، ولكن من الأسف والحزن أن المسجد الأقصى قد اغتصبه أعـداء الإسلام والإنسانية اليهـود

بمساعدة الصليبيين والملحدين ، إن اعداءنا يريدون ان يمزقوا التاريخ المكتوب يريدون ان يدنسوا الأرض الطــاهرة ، يريدون أن يجعــلوا من أرضنا دولة يسكنها القتلة السفاحون بجوار الأنبياء الذين قتلوهم بغير حق .

نعم يريدون ذلك واكثر من ذلك ، يريدونك انت الا تقوم لك قائمـــة ، يريدون لك حياة أشبه بالموت ، يريدون ان تعيش محروما من نعمتك مطرودا من ارضك منبوذا حتى من نفسك ، يريدون أن تعيش بلا دين ، ولا وطن ، ولا اهل ، ولا مال ، ولا أمل ، ولا تاريخ ، ولا حضارة ، يريدون أن يحرموك من نعمة الإيمان بالله تعالى ونعمة الإسلام التى هى أجل النعم ، تستند على العقيدة والدين ، لاعلى التراب والطين .

إن من ضيق النظر وسذاجة التفكير ان نعتقد ان دولة العصابات وحدها هى التى هاجمتنا ، فهى اهون من ذلك بكثير ، فليست إلا ذنب العقرب الذى اودعوا فيه السم وليست إلا القناع البشع الذى واجهنا به الشيطان ، وليست إلا الدخان الأسود الذى دفعته نار الحقد علينا وليست الا الزبد القذر الذى دفعه تيار العداوة والبغضاء على سواحلنا .

وسياتى إن شاء الله اليوم الذى يختاره الله لنبتر فيه الذنب ويسقط فيه القناع ويتبدد فيه الدخان ويذهب فيه الزبد .

إن العدو الاكبر هو الذى امد دولة العصيان بالمال واعانها بالرجال ، واعد لها الخطط ، وجعل منها ترسانة مملوءة باحدث الأسلحة ـــ العدو الأكبر هو الذى اعطاهم الغطاء الجوى وقنابل النابالم وصواريخ الجـــو وأسرارنا العسكرية .

العدو الاكبر هو الذى خدعنا بالحيلة وامدهم بالمخابرات ـــ العدو الأكبر هو الذى وقف الى جانبهم بكل قواه بالعتاد الحربى واجهزة الاعلام ـــ يجب ان تعرف اعداءك الذين اخرجوك من ديارك وظاهروا على اخراجـــك ... اعداؤك هم اعداء الله الذين حذرنا الله منهم ونهانا عنهم . اعداؤكم هم اعداء الإسلام وتجار الحروب وسماسرة الشر وزارعو هذه الفتنة فى بلادنا اعداؤكم هم اعداء الحق وقراصنة العالم الذين سرقوا اوطانكم لتسكن فيها الخنازير واغتصبوا دياركم لتسرح فيها القردة واخذوا اموالكم ليزيدوا غنى ونزيد فقرا ليزيدوا عتوا ونزيد ذلا ليزيدوا رخاء وقوة ونزحف على الركب من الهزال .

فما ترون بعد ذلك يا مسلمين يا عرب .. المسجد الاقصى اغتصـــبوه واخوانكم فى الأرض المحتلة يحكمهم الشياطين يذيقونهم سوء العذاب ، ومآذن مساجدنا يطل منها اليوم من شذاذ الآفاق الذين لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة فماذا بعد الحق الا الضلال ، وماذا بعد العزة الا الهوان .

هل ستسلمون بذلك يا اتباع محمد هل ستصبرون على ذلك يا احفاد خالد هل ستقفون عند هذا الحد يا خلفاء الله ويا حفظة كتاب الله ويا حملة لا إله الا الله ام ماذا تنتظرون ؟. لقد جرت سنة الله تعالى فى الكون من قبل رسول الله ومن بعده أن يمنح النصر لمن يتخذ اسبابه من الاستعداد والاعداد ويعمل له حسابه من جميع الوجوه والاحتمالات ولا يترك فرصة لعدوه يعض بعدها بنان الندم .

ومهما كانت اسباب الهزيمة فقد انكشفت لنا حقائق كانت غائبة عنـــا وامور كانت لا تخطر لنا ببال ومنافقون مردوا على النفاق لا نعلمهم وصدق الله العظيم حيث يقول (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم).

أزمة الزواج

بقلم : عبد الرحمن احمد شادى

تظهر أزمة الزواج واضحة جلية لكل ذى عينين .. ويتضرر الشباب من الجنسين بسبب هذه الأزمة وينبغي أن لا نفكر بمنطق النعامة التي تظن أنها ما دامت لا ترى الصياد فهو لا يراها .. والغريب في الأزمة أنها ليست بسبب قلة الفتيات أو ندرة الرجال وانما بسبب المغالاة فى الهدايا والمهور والمراسيم والتقاليد التي لم ينزل بها من الله سلطان ولا كتاب منير .

تبدأ هذه التقاليد والأعراف بالشبكة التي كانت خفيفة فى أول أمرها ثم تدرجت بها المظاهر والغرور والتقليد الأعمى الى الثقيل ، ويليها الهدايا المختلفة الاشكال والالوان من طعام وشراب وثياب يتحتم على الخاطب أن يقدمها فى الأعياد والمواسم والحفلات والمناسبات السارة ، ولا بد أن تكون غالية الثمن عظيمة القدر والا عرض نفسه للاحتقار والهوان والسخرية .. بل ان بعض البيوت تهزأ من الخاطب الذى يدخل على أصهاره ومخطوبته بيد فارغة ، ويلى هذا المهر بمقدمه ومؤخره .. يراعى فى المقدم أن يكون مناسبا لعدد الغرف التي ستأتى ولأثاث المطبخ وللمؤخر وظيفة أخرى عند بعض الأسر التى تتعنت فى زواجها وشروطها .. تجعله ثقيلا جدا بحيث يبدو كالسيف المسلط فوق رقبة الزوج يقطعها فى أى لحظة اذا أراد أن يتحرر من الدوران فى فلك الزوجة وهى بالتالى تدور فى فلك أهلها ..

ويلى ذلك عقد القران وتصحبه المطاعم والمشارب والولائم والغناء والموسيقى والرقص والزينة والصور والمأذون والكهرباء والثياب الفاخرة له ولزوجته .. والأهل من كلا الجانبين أو من أحدهما من أدوات المحافظة والاستمساك بهذه الأعراف الجائرة وهم لا يفرطون فى شىء يسير منها . وان اضطر الأبناء نتيجة لهذا العنت والجمود الى التردى فى الهاوية .. العقوق اذا أصروا على التقيد بهذه التقاليد والعنت عند تأجيل الزواج وتركه أو الانحراف . وأحيانا يكون فى نفوس الابناء من الكبر والغرور ما يجعلهم لا يفرطون فى شىء من هذا وفى خيال كل واحد منهم ما فعله أخوه أو قريبه أو زميله فى ليلة العمر التي يهون عندها كل غال ورخيص .. فهو يحب التقليد الأعمى فى المظاهر .. ومنها مسألة الكفاءة والتطلع الى الأعلى .. فهو لا يكتفى بمن تساويه ويظل خمس سنوات أو أكثر لا يجد بنت الحلال التي تضارعه مالا وعملا وكمالا وأصلا وفصلا ومظهرا ومخبرا وأهلا وشهادة وخلقا .. والفتاة لا تقتنع بالقرين وكل

منهما لا يعرف قدر نفسه ويبالغ في قيمتها وعلى هذا فمن النادر أن يتفقا والكمال لله وحده وأين الاعتراف حينئذ بنقص البشر .

من الشروط أن تكون من بنات الأكابر الذين يفخر بهم واحدا بعد واحد ولا يعاب بأى فرد منهم ومستواهم فى الغنى فوق مستواه .. من الشروط أن تكون جميلة تحير الألباب وتفتن القلوب .. من الشروط أن تكون عاقلة لا حمقاء . من الشروط أن تحصل على شهادة تساويه أو تدانيه .. من الشروط أن تكون موظفة تساعده على العيش فى مستوى رفيع .. من الشروط أن تكون عصرية توافقه فى النظر الى الحياة وهو يخاف مع ذلك من العصرية لأن الثقة بها تتذبذب فهو يخشى أن تكون العصرية قد أدت بها الى المخادنة من قبل فى المجتمعات المفتوحة الموبوءة التى تهب عليها ريح الفساد من كل جانب ويخشى أن يراوغها الشيطان فيما بعد .

من الشروط أن تشاركه هواياته المفضلة .. الخ . وفى النهاية تبدو مسألة الكفاءة هذه كأنها مهزلة وربما وصل الى الاربعين وفاته القطار وأصبح محلا لاحتقار الفتيات الصغيرات لأنه فى سن آبائهن .. وبلوى الشاب أشد اذا كان قد انحرف وخان غيره فهو لا يثق فى مخلوقة بعد ذلك ويظل قلقا باستمرار يخشى أن يكون جزاؤه بعد الزواج من جنس العمل وربما منعه خوف الخيانة من الاقتران طول عمره وتبدو عنده الأمانة الزوجية والعفة عن الحرام كالأساطير .. فاذا نفذ الشاب من هذه العقبات وتخلص من هذه العقد وجد أزمة المسكن تواجهه . فأين يعيش مع عروسه لا بد أن يحسب حسابا كبيرا لماردين جديدين خلو الرجل وأزمة المواصلات اذا اضطر للسكن فى مكان أو بلد بعيد عن عمله أو عمل زوجته ..

والزواج بهذه الصورة عبء وبلاء فوق طاقة الشبان المساكين حتى وان كان حظهم خيرا من سواهم بحصولهم على اجر عمل فوق المتوسط لأنهم تخرجوا من الجامعات .. هاتوا أكبر الحاسبين ليعلن لنا كم عدد سنوات الانتظار التى يقضيها الشباب من الجنسين على أحر من الجمر اذا ظلت هذه الطريقة هى السائدة فى الزواج .

لو كانوا أغنياء عندهم المال الكافى الموجود تحت قبضة اليد فى الخزائن والمصارف وقالوا نحن أحرار .. نذكر آية من القرآن ((**قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق**)) لقلنا حفظتم آية وغابت عنكم آيات اين ذم الترف والاسراف وهو وارد فى كثير من الآيات . وهل يصح للمسلم أن يكون مثله الأعلى فى حياته هو النعيم والمتاع . ولكنهم فقراء يقلدون الاغنياء ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه .. أوقعتكم هذه الأعراف الجائرة فى كثير من المشكلات والآلام فأين الشجاعة التى تختصر هذه التقاليد والأعراف وأين العودة الى يسر المهور وبساطة المراسيم والاكتفاء بالضروريات من الأثاث والمتاع وأين التواضع والتخشن .. هذه الفضائل نضعها على الرف ونتخذها وراءنا ظهريا وان كنا ندعيها باللسان فقط وما لم توضع موضع التنفيذ ونصدق مع الله فى جعلها واقعا ملموسا وشيئا محسوسا فلن تجد مشاكلنا طريقها الى الحل .. اننا

نتخذ أهواءنا آلهة نعبدها من دون الله وما لم ننبذ هذه الأوثان ونعبد الله وحده حقا وصدقا فلن نفلح .

انظروا يا شباب الى جهاز فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين عندما كانت تتزوج قرينها الشاب على بن أبى طالب نقلته من طبقات ابن سعد — جزء النساء ..

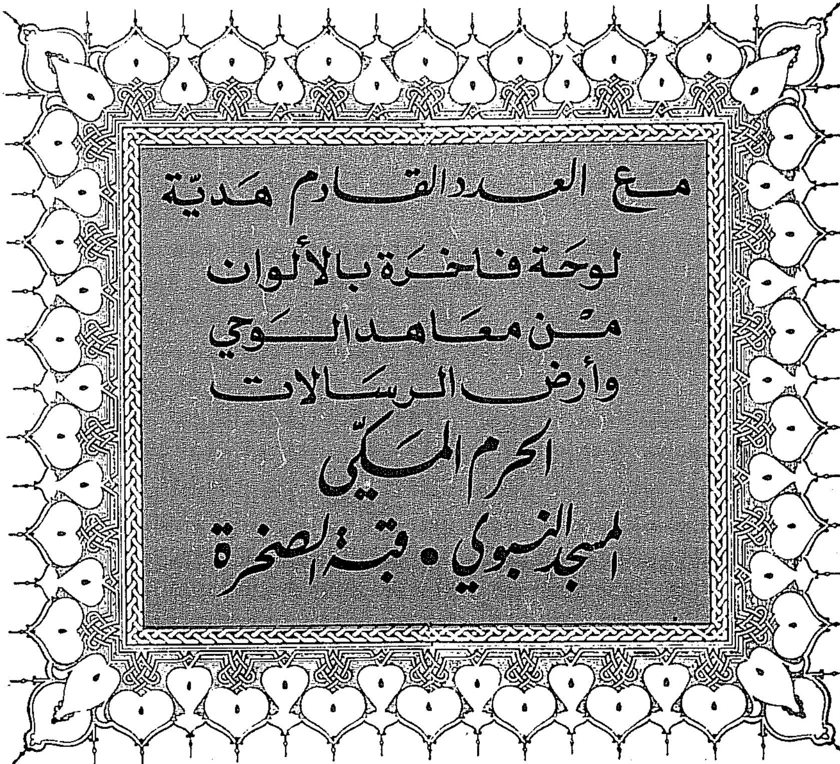
الفراش جلد كبش ينامان عليه بالليل ويعلفان عليه الناضح بالنهار ، وسادة من أدم حشوها ليف ، قربة ، منخل ، منشفة ، قدح ، رحيان ، جرتان .

وقد طلبت من أبيها خادما يكفيها مئونة الطحن على الرحى فرفض أن يعطيها الخادم مع أنها قطعة منه يريبه ما رابها ويؤذيه ما آذاها وقرة عينه .

وبعد فهذه كلمة العقل والنقل والعلم بفروعه .. الصحة النفسية والجسمية والاجتماع والاقتصاد قد اتحدت فى هذا الموضوع ولم يبق بعد الحق الا الضلال وأردد أخيرا قول الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا

نعيب الاسلام والعيب فينا وما للاسلام عيب سوانا ..



الفتاوى

قضاء الفوائت

السؤال :

وردت لهذا الباب عدة رسائل ، يذكر فيها اصحابها انهم تركوا الصلاة فترة من الزمن ويستفسرون عن كيفية قضاء هذه الصلوات .. ؟

الاجابة :

يطلب أولاً ممن وفقه الله وعزم على قضاء الصلوات التى فاتته ان يحدد المدة الزمنية التى ترك فيها الصلاة .. شهرا أو شهرين .. سنة أو سنتين أو اكثر فان لم يستطع معرفة المدة بالتحديد لجأ الى الأحوط ، فاذا شك هل ترك الصلاة سنة وشهرين أو سنة وخمسة أشهر مثلا اخذ بالجانب الأحوط واعتبر المدة سنة وخمسة أشهر .. وبمعرفة المدة يعرف عدد الصلوات الفائتة ، والمطلوب منه بعد هذا أن يؤدى هذه الصلوات ، وهو مخير فى طريقة الأداء بأن يصلى فى وقت فراغه ما اتسع له وقته من الصلوات أو أن يقضى فريضة فائتة مع فريضة حاضرة بأن يصلى مثلا فريضة الصبح مما عليه مع فريضة الصبح الحاضرة ، وهكذا وهذه أسهل واضبط كيفية لقضاء الصلوات الفائتة .

الدعاء قبل السلام

السؤال :

ما حكم الدعاء بعد الفراغ من التشهد الأخير وقبل السلام .. ؟ وهل ورد دعاء خاص يلتزمه المصلى .. ؟

الاجابة :

الدعاء مستحب بعد التشهد الأخير وقبل السلام .. روى مسلم عن عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد ، ثم قال فى آخره : ثم لنختر من المسألة ما نشاء .

والدعاء مستحب بالأدعية المأثورة وغير المأثورة ، والأفضل الدعاء بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رويت عنه أدعية كثيرة منها ما رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع . يقول : اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال .

ومنها ما رواه مسلم عن على رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة يكون آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أنت أعلم به منى ، انت المقدم وانت المؤخر . لا إله إلا انت .

جمع الصـــلوات

السؤال :

هل يجوز المسافر بالطائرة سفرا طويلا يستغرق ٨ ساعات مثلا ان يجمع الصلوات الخمس قبل السفر لأنه لا يتمكن من أداء الصلوات فى أوقاتها .. ؟

الاجابة :

لا يجوز جمع الصلوات الخمس مرة واحدة فى السفر ، كما لا يجوز ذلك فى الحضر ، والشارع انما رخص للمسافر سفرا طويلا يبيح القصر أن يجمع بين الظهر والعصر تقديما أو تأخيرا وبين المغرب والعشاء كذلك ، وجمع التقديم أفضل لمن كان نازلا فى وقت الأولى ومسافرا فى وقت الثانية وجمع التـــأخير أفضل فى حالة العكس ، ويرى الشافعية أن جمع التأخير أفضـــــل اذا كان مسافرا أو نازلا فى وقت الفريضتين ..

ويشترط لصحة جمع التقديم ثلاثة شروط :

الأول : الترتيب بين الفريضتين لأن الوقت للأولى والثانية تابعة لها .

الثاني : نية الجمع بينهما ، ومحلها على الأصح مع الاحرام للأولى .

الثالث : الموالاة بين الصلاتين بدون فصل طويل .

واذا جمع المسافر بين الفريضتين جمع تقديم أو جمع تأخير يـــكونان اداء لا قضاء .

فى الميراث

السؤال :

توفى رجل عن زوجة وبنت وأولاد ابن توفى فى حياته ، فما نصيب كل وارث منهم ، وهل يعطى أولاد الابن ما كان يستحقه أبوهم لو كان حيا ، كمـــا يقضى بذلك قانون الوصية الواجبة .. ؟

الاجابة :

للزوجة الثمن فرضا ، وللبنت النصف فرضا ، والباقى لأولاد الابن المذكور تعصيبا للذكر مثل حظ الانثيين . وقانون الوصية الواجبة المعمول به فى بعض الدول الاسلامية لا يطبق فى هذه الحالة لأنه انما يطبق بالنســـــبة للفرع غير الوارث ، والفرع هنا وارث .

المصحف ..

السؤال :

أوصى والدى قبل وفاته بان يوضع فى كفنه المصحف الشريف ويدفن معه تبركا به ، وعند الوفاة اعترض احد العلمـــاء على هذا العمل وطالبنا برفع المصحف ، وقد نفذنا كلامه وخالفنا وصية الوالد رحمه الله .. فما حكم الشرع فى وضع المصحف مع الميت فى القبر .. ؟

الاجابة :

يجب تعظيم المصحف واحترامه وصـــيانته من كل دنس وقذر ، وهذا باجماع المسلمين .. ومن المعلوم أن جسم الميت يتحلل بعد الدفن ويخرج منه صديد وقيح وسوائل نجسة ، فاذا وضع المصحف معه تصيبه هـــذه الأقذار ، وذلك محرم شرعا ، ويحرم تنفيذ هذه الوصية ، وقد أحسنتم صنعا بالاستجابة لرأى من أفتاكم بهذا .

بريد الوعي الإسلامي

هندســة الكون

استمعت الى محاضرة موضوعها (الآيات الكونية) وكان المحاضر أحد رجال الفكر المرموقين ووصف المحاضر الخالق تبارك وتعالى بأنه مهندس الكون الأعظم واعترض على هذا الوصف أحد المستمعين ، وقال بأنه لا يجوز أن يوصف الله إلا بما سمى أو وصف به نفســه ، ولم يرد فى أسماء الله الحسنى هـذا الوصف ، ولم يلق هذا الاعتراض قبولا لدى بعض المستمعين ، ودارت مناقشة حادة حول هذا الموضوع ، فما رأيكم ؟.

محمد بومدين ــ ليبيـا



إذا نظر الإنسان الى هذا الكون ، وما فيه من بدائع الخلق ودقيق الصنع آمن بأن لهذا الكون خالقا عظيما قادرا فوق ما يتصور العقل البشرى ، وانه جلّ جلاله متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقص ، وقد تعرف الله سبحانه الى عباده بأسماء وصفات تليق بجلاله وهى أسماء الله الحسنى البالغ عددها تسعة وتسعين اسما ، وقد أرشدنا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وليس فى هـذه الأسماء (مهندس الكون) وجمهور المسلمين على أنه لا يصح أن يطلق على الله تبارك وتعالى اسم أو وصف لم يرد به الشرع بقصد اتخاذه اسما له تعالى ، وإن كان يشعر بالكمال ، فلا يصح أن يقال مهندس الكون أو مصمم الكون ، ولا أن نقول المدير العام للخلق ، ولكن ان جاءت هذه النعوت بقصد بيان عظمتـه سبحانه وتقريبا للافهام والعقول فلا بأس والأفضل الأدب مع الله تعالى بالتزام ما ورد فى ذلك وأسماء الله الحسنى ، كما جاء فى رواية الترمذى هى :

هو الله الذى لا إله هو ، الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، الســلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبـار ، المتكبر ، الخـالق ، البارىء المصـور ، الغفار ، القهار ، الوهـاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسـط ، الخـافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السـميع ، البصير ، الحكم ، العـدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفـور ، الشـكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسـع ،

الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المحصى ، المبدىء ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقى ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .

الحق واحد

هل كل مجتهد مصيب اولا ؟

وهل الحق واحد أو متعدد ؟

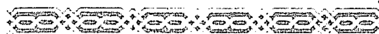
ع. م. ــ البحرين

* * *

يرى علماء الأصول أن المسائل الفقهية اما أن يكون فيها نص من كتاب الله أو حديث نبوى صحيح ، وحينئذ يجب اتباع النص ، ولا يصح الاجتهاد مع وجود النص .

وأما الا يكون فيها نص كهذا ، وهنا موضع الاختلاف بين العلماء والذى ارتضاه العلماء من الآراء المختلفة أن الحق واحد غير متعدد ، وعلى هذا يكون المصيب من المجتهدين واحدا فقط ، لكن هذا المصيب لا يمكن تعيينه ، ومن أخطأ من المجتهدين له أجر واحد نظير ما بذل من مجهود ، ومن أصاب منهم فله أجران . قال رسول الله صلى‌الله عليه وسلم (**اذا اجتهد الحاكم واصاب فله اجران ، وان اخطا فله اجر واحد**) .

وكل مجتهد يعمل بما وصل اليه اجتهاده ، وغلب عليه ظنه ، إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .



بأقلام القراء

قرات مقال الأستاذ على الطنطاوى فى مجلتكم الفراء بالعدد (١٠٠) يقول فيه :

« نحن يا اولادى لم يبق فينا امل نحن الشيوخ (اعنى بالسن) نحن جيل الضياع جيل الهزيمة نحن اضعنا فلسطين ونحن سبعمائة مليون ، فالأمانة الآن فى أعناقكم أنتم والحمل على عواتقكم فلا تكونوا مثلنا » .

هذه كلمة صريحة مدوية صرخت فى قلبى فأصابت لب الحقيقة والواقع وكم نحن نخفى على الشباب عوراتنا ونتظاهر بالغرور والكبرياء امامهم حتى لا تبدو نقائصنا لهم . ومع ذلك فلا أظن الحياة تساعدنا على هذه الفطرسة . فاننا مع مزيد الأسف نصب الكوارث على أمتنا من تفريطنا وتجاهلنا هذه الحقيقة ، إننا نغمض أعيننا ، ونأبى كل الاباء فى عصبية حادة أن نصارح الشباب بمثل هذه الصراحة للاستاذ الطنطاوى .

وكم من الشباب يكتب من حرقات قلبه ومن نزيف جراحاته . يكتب وهو يشعر بالضغط الكبير على طموحه وآلامه لأمته ووطنه ودينه . فاذا القى ما يكتب لأى صحيفة اسلامية يظن أنها ستروى ظمأه وتشفى غليله .. فاذا بالمحرر يلقى بها فى سلة المهملات ولا يتلقى حتى كلمة الشكر والاعتذار! لأنها ليست من كبار الكتاب المشهورين والدكاترة الأكاديميين . الذين يجمعون ما تناثر هنا وهناك ليكتبوا موضوعا يشم من سطوره التكلف وبرود العاطفة . وكأنهم يلقون احجارا فى بئر خرب .

والصحف الاسلامية اليوم تتمتع بجمال الورق وفن الطباعة ومع ذلك لا تجد لدى الشباب رغبة فى قراءتها والاقبال عليها . لأن المجلة فى واد والحياة المعاصرة فى واد آخر . والسبب الكتاب (الشيوخ) الذين يكتبون فى أبراج عاجية . أما الشباب الذين يحترقون من لهيب الانحراف وفساد الآراء فلأنهم شباب يسيرون فى طريق الاصلاح لا الى طريق الشهرة يكون مصيرهم الاهمال ونكران الجميل .

فليس المهم أن تخرج مجلة إسلامية تزاحم السوق وتكدس على الأرصفة بل المهم أن تكون وابلا شافيا للأرواح العطشى وهادية من حيرتها وضلالها فى خضم الحياة الزاخم فى الفكر الوافد .

الشيخ محمد عبد الغنى أبو شرف

اهمية الوقت فى الاسلام

لا نجد دينا من الأديان اهتم بالوقت وقيمته كالاسلام ، فالأمم لا تنهض الا إذا استفادت بالوقت واستثمرته ، فعندما يشعر كل فرد بقيمة الوقت ويقضيه عملا وانتاجا وعبادة تنهض الأمة ماديا وروحيا ويسعد أفرادها ، أما إذا انصرف الأفراد الى اللهو والمجون وبعثروا أوقاتهم على المقاهى

والأندية دون عمل أو انتاج فان ذلك يصيب الأمة بالضياع والتأخر .

ولقد تعدد ذكر الكلمات التي نستخدمها في قياس الوقت كساعة ويوم وشهر وقرن مئات المرات في القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول عليه السلام حتى نشعر بقيمة الوقت ونحس به فنمضيه على أحسن وجه يرضي الله . فلقد ورد ذكر الساعة بمعنى الزمن ويوم القيامة نحو تسع واربعين مرة وورد ذكر اليوم ومشتقاته أربعمائة وست وثمانين مرة أما الشهر والشهور فقد ورد ذكرها احدى وعشرين مرة ، والقرن والقرون تسع عشرة مرة . وهناك سور من القرآن سميت بأسماء أوقات معينة مثل « سورة الفجر ـ سورة الليل ـ سورة الضحى ـ سورة العصر » .

وهذه اشارات من الله سبحانه وتعالى لنا بأهمية الوقت ، وكذلك الصلاة تدرب الانسان على الاحساس بالوقت وقيمته . قال تعالى :« **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** » . أي فرضا في أوقات محددة . وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الأوقات فقال الحق تبارك وتعالى : « **واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل** » وطرفي النهار الفجر والعصر « وزلفا من الليل » . صلاة المغرب والعشاء .

وإذا كانت الصلاة ترتبط بأوقات محددة ، فان الصوم والحج كذلك يرتبطان بشهور وأوقات محددة . ولا شك أن ذلك الأمر ينمي الاحساس بأهمية الوقت في نفوس المسلمين فيعملون على استغلاله أحسن استغلال لأن الوقت الذي ينقضي لا يمكن استرجاعه أما المال فيأتي ويذهب وكذلك الصحة تذهب وتعود.

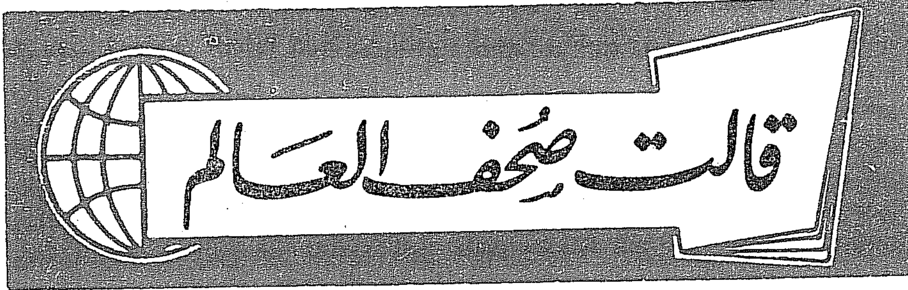
ومما يروى عن احساس المسلمين الأوائل بقيمة الوقت ما دار بين الحجاج بن يوسف الثقفي واعرابي ذلك أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان في طريقه بين مكة والمدينة فنزل ببعض المياه وقال لرفيق معه اذهب وتحر من يأكل معي ، فاذا براع نائم فأيقظه رفيق الحجاج وقال له : قم فالأمير يطلبك . ولما مثل بين يدي الحجاج قال له : اغسل يدك وتغد معي يا أعرابي .

فقال الأعرابي : دعاني من هو خير منك فأجبته ؟ قال الحجاج وهو غاضب : ومن يكون ذلك الذي تعنيه بالأفضلية ؟ فقال الاعرابي : الله تعالى دعاني الى الصيام فأجبته . قال الحجاج : وفي هذا الحر الشديد ؟ فقال الأعرابي : صمت ليوم أشد حرا منه . فقال الحجاج : افطر وصم غدا . فقال الأعرابي وهل تضمن لي البقاء الى غد ؟ قال الحجاج ليس ذلك في قدرتي . فقال الأعرابي : كيف تسألني عاجلا بآجل لا تقدر عليه ؟

ويروى كذلك أن الحسن البصري شهد جنازة فقال لصاحبه وهو يتحدث معه اترى لو رجع الميت للدنيا لعمل صالحا ؟ فقال صاحبه : نعم نعم . فقال الحسن البصري : فان لم يكن هو فكن أنت .

إن عقيدتنا الاسلامية تؤكد لنا وتنمي فينا الاحساس بالوقت وأن ما يمضي منه لن يعود وأن آجالنا في نقصان دائم فيبادر المسلم بمحاسبة نفسه ويدرك أن الدنيا فانية ، فلا يطمئن اليها فيأخذ من دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر لأنه ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار .

محمد محمود أحمد محمدين



العناية بالشباب المغترب

العناية بالشباب المغترب ، الشباب الذى يدرس الآن فى بلدان أمريكا واوروبا ليتولى — غدا — مقاليد الحكم ، ومناصب القيادة ويشغل المراكز الحساسة فى العالم الاسلامى ، فهو أمانة كبيرة فى أعناقنا وخزان ماء كبير نستطيع أن نحوله باستعمال بعض الذكاء وبعض الوسائل وبعض الاخلاص والجهد والعمل الى طاقة مولدة للكهرباء تنير العالم الاسلامى كله فى اقرب مدة يتصورها العقل ان شاء الله .

ويجب لذلك كخطوة اولى تنظيم لقاءات بين الشباب المؤمن فى عواصم الالحاد والفساد وبين شباب مؤمن فى مختلف أقطار العالم الاسلامى على أن تكون هذه اللقاءات بصفة شعبية واخوية أكثر من رسمية أو شكلية فذلك أنفع فى التعارف واللقاء وأجلب للخير ، والقاء محاضرات اسلامية تساعدهم وتقويهم على مواجهة تحديات بلادهم بلاد الفاحشة والاغراء والتلف والضياع ، وتبديد الطاقات والقوى ، ونحن نحتاج فى ذلك الى الاستعانة بسلاح الايمان قبل سلاح العلم وبسلاح الحب قبل سلاح المنطق والبرهان .

تزويد الشباب المسلم في كل مكان بمكتبة اسلامية كاملة ومؤلفات الكتاب الاسلاميين المعروفين تعيد الثقة الى نفسه وتنشيء فيه الاعتزاز بدينه ، وتحدث فيه الكراهية للكفر بجميع ألوانه وأساليبه ، واشكاله وصوره ، ومقت الجاهلية بأى قميص تقمصت ، وبأى لغة تكلمت .

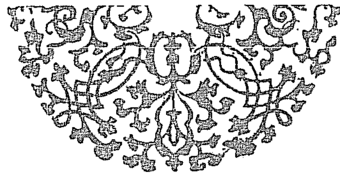
انشاء بيوت للسكنى والاقامة لهؤلاء الشباب فى مختلف العواصم الغربية تحتوى على مسجد ومكتبة ، وقاعة للمحاضرات . والندوات واللقاءات على أن تكون هذه الدور مزودة بوسائل وأدوات تغذى العقل والقلب وتقوى الجسم والروح ، وتربى الشباب على الطاعة والايمان والحب ، وكراهية الكفر والفساد ، وبالاختصار على الحب في الله ، والبغض فى الله ، فهذه الدور ستكون ان شاء الله بمثابة قلاع متينة للاسلام يأوى اليها الطالب بعد أن نال نصيبه من العلم ليجدد صلته بالله ، وهدفه فى هذه الحياة ويعرف موقفه ومكانته فى خريطة العالم ، ودوره المنتظر الرائع فى العالم الاسلامى .

انشاء مساكن للطلبة فى هذه البلاد لا يعنى مجرد بيوت مخصصة للايجار بل يجب اعدادها اعدادا كاملا من ناحية الدعوة والتربية والتوجيه والأخلاق والسلوك ولذلك اقترح أن تحتوى تلك المساكن على مسجد لأداء الصلوات ، وقاعة للمحاضرات والندوات ومكتبة للدراسات والمطالعات وملعب صغير للرياضة البدنية وبقالة تعاونية للحصول على الأكل الحلال والطيبات من الرزق يعود ربحها على هذه المساكن ، ويكون كل ذلك تحت اشراف دعاة ومربين ومشرفين اجتماعيين يسوقون الشباب الى أهدافهم الاسلامية فى صمت وهدوء وحكمة وفقه ، ومن غير تشديد كثير عليهم وضغط كبير على عقولهم وقلوبهم وميولهم . ويجب على هؤلاء الدعاة والمشرفين أن يكونوا جامعين بين العلم والايمان والنظرية والتطبيق ، وأن يحاولوا اثارة الغيرة والحمية ومقت الجاهلية بجميع أنواعها والحرص على انقاذ الانسانية من هلاكها وشقائها ويعلمون أبناءهم أن أوروبا جرت وبالا على الانسانية وأن العالم خسر خسائر فادحة لا تعوض فى عهد استيلائها على العالم واحتلالها الشعوب والأمم .

ان انشاء مثل هذه المبانى والمساكن الطلابية فى مختلف المدن الغربية الكبيرة يكلف نفقات هائلة ما فى ذلك من شك ولكن يجب على الحكومات الاسلامية أن تتحمل هذه النفقات لأول مرة نظرا الى تلك الفوائد الكثيرة المرجوة ، ثم تكتفى هذه المساكن بنفسها ، وتنفق على ترميمها واصلاحها وتوسعتها بالايجار ودخل الجمعيات التعاونية .

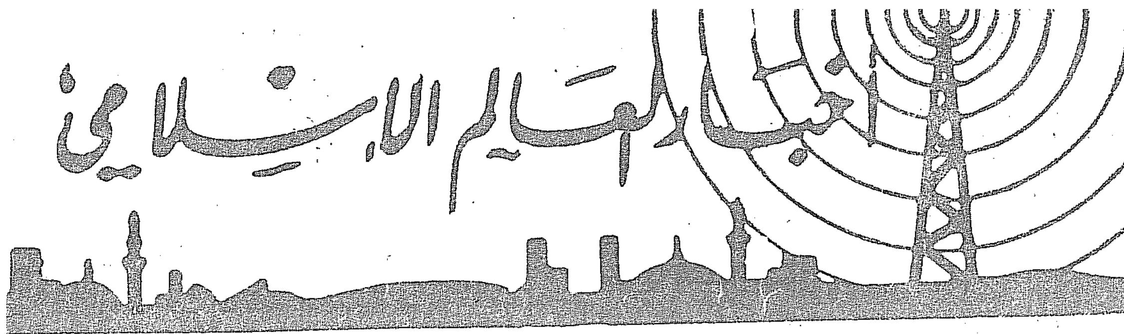
هذا اقتراح خطير عملى نقدمه الى المسئولين وحكام المسلمين فى البلاد العربية والاسلامية ليتأملوا فيه فان جهد خمس أو عشر سنين على هذا المنوال وبتصميم وعزم قد يغير مجرى الاحداث فى هذه المنطقة ويحدث فيها تحولا مباركا لا يتأتى بمجهود عقود من السنين بطرق اصلاحية أخرى ما دامت الطبقة الحاكمة التى تنتجها (مصانع الغرب) (متغربة متفرنجة) منسلخة عن شخصيتها ودعوتها ورسالتها .

ان التركيز على هذه الناحية المهمة يفيدنا فى كافة المجالات الادارية والاقتصادية والتربوية والفنية ، فالى جانب وجود شباب مسلم على رأس هذه الدوائر والمصالح فانه ينفع الحكومات الاسلامية من ناحية الكفاءات والمؤهلات الفنية أيضا ..



---

* عن مجلة البعث الهندية .



اعداد : فهمي الامام

الكـــويت :

● احتفلت الكلية العسكرية بتخريج الدفعة الرابعة من الطلبة الضباط ، وقد شمل سمو الامير المعظم الحفل برعايته السامية .

● احتفلت كليـــة الشرطة بتخـــريج الدفعة الثالثة من الطلبة الضباط ، تحت رعاية سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء .

● زار البلاد في الشهر الماضي وفد رابطة العالم الاسلامي بريـاســـــة الشيخ حسنين محمد مخلوف ضــمن جولة في عدد من البلدان الاسلامية . وقد استقبله سمو أمير البلاد المعظم بمكتبه بقصر السيف العامر .

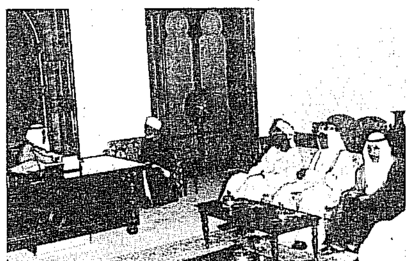
● قام سعادة وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة بجولة في الشـــهر الماضي في منطقــــة الخليج العـــربي أسفرت عن نتائج قيمة من أجل تحقيق التعاون واقامة سد منيع في وجـــه الأطماع الأجنبية في المنطقة .

● أقيم في الشهر الماضي احتفـــالٌ بتخريج الكتيبة السادسة من الحرس الوطني .

● أعلنت نتيجة امتحان الدور الأول في دار القرآن الكريم ، وكانت نسبة النجاح للصف الأول الصباحي ٦٥٪ والمســـائي ٧٧٪ وللصـــف الثـــاني الصباحي ٨٣٪ والمسائي ٨٠٪ .









● افتتحت جمعية الاصلاح الاجتماعى ١٥ مركزا للبنين ، و ٥ مراكز للبنات لتحفيظ القرآن الكريم مع دروس فى التفسير والحديث والسيرة والفقه . وذلك فى العطلة الصيفية .

● تلقت المجلة دعوة من سفارة الجمهورية العربية الليبية لايفاد مندوب لحضور مؤتمر الشباب الاسلامى العالمى الذى يعقد فى طرابلس خلال المدة من ٢ — ١٢ يوليو الحالى .

القاهرة :

● قام الرئيس أنور السادات بزيارة لليبيا لاجراء محادثات مع الرئيس الليبى معمر القذافى ولحضور الاحتفالات التى أقيمت هناك بمناسبة الذكرى الثالثة لجلاء القوات الأمريكية عن ليبيا .

السعودية :

● زار جلالة الملك فيصل فى الشهر الماضى كلا من المغرب وايطاليا والجزائر وتونس .. ودار البحث فى هذه الزيارة حول مشكلة الشرق الأوسط وتوثيق الصلات بين المملكة العربية السعودية وتلك الدول .

● سترسل السعودية عددا من المدرسين لتدريس اللغة العربية والتربية الاسلامية فى بعض الأقطار الأفريقية مثل نيجيريا وموريتانيا وساحل العاج .

● أعلن تنكو عبد الرحمن انه سيسافر الى كوالالمبور فى شهر اغسطس القادم للاشتراك فى مؤتمر وزراء مالية الدول الاسلامية الخمس التى وافقت على مشروع انشاء بنك اسلامى . والدول الخمس هى : السعودية ، وقطر ، والبحرين ، وليبيا ، ودولة الامارات العربية المتحدة .

ليبيا :

احتفلت ليبيا بالذكرى الثالثة لجلاء القوات الأمريكية عن أراضيها .

أبو ظبى :

دعت امارة أبو ظبى الى اتخاذ اجراء عربى موحد ضد كتاب نشر فى بريطانيا يتضمن صورة للنبى محمد (ص) مع الملاك جبريل .

● قال سمو رئيس دولة الامارات العربية المتحدة — ان الوحدة العربية هى طريق النصر وما اليأس الذى تعيشه أمتنا الا نتيجة للفرقة الموجودة .

سوريا :

وصلت سوريا بطريق البحر القوات المغربية ونزلت فى اللاذقية وكان جلالة الملك الحسن قد أمر بارسال هذه القوات لتساند القوات السورية فى المعركة ضد اسرائيل .

الأردن :

لفتت وزارة الخارجية الأردنية أنظار الدبلوماسيين فى سفارتها فى الخارج الى نشرة سياحية وزعتها اسرائيل تتضمن صورة للقدس وقد قام فيها الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى .

فلسطين :

مضت ست سنوات على عدوان حزيران ١٩٦٧ وما زالت الأراضى العربية تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلى . فمتى الخلاص ..؟

أخبار متفرقة

كوريا الجنوبية :

● تبرع رئيس الجمهورية لمسلمى كوريا بقطعة أرض مساحتها ٥٠٠٠ متر مربع فى وسط مدينة (سيول) وذلك لبناء مسجد عليها .

اليابان :

● تم ترجمة وطبع القرآن الكريم الى اللغة اليابانية ، وقد ساعدت فى هذه المهمة رابطة العالم الاسلامى بالتعاون مع الجالية المسلمة اليابانية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الثانية ١٣٩٣	يوليو ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الأحد	١	١	٣ ٥	٤ ٥١	١١ ٥١	٣ ٢٥	٦ ٥١	٨ ٢٤	٨ ١٤	١٠ ٠٠	٥ ٠٠	٨ ٣٤	١ ٣٣
الاثنين	٢	٢	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣
الثلاثاء	٣	٣	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣
الأربعاء	٤	٤	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الخميس	٥	٥	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الجمعة	٦	٦	٧	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٦	٢	١	٣٦	٣٣
السبت	٧	٧	٨	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٧	٢	١	٣٦	٣٣
الأحد	٨	٨	٨	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٣	١٨	٣	٢	٣٧	٣٢
الاثنين	٩	٩	٩	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٢	١٩	٤	٢	٣٧	٣٢
الثلاثاء	١٠	١٠	١٠	٥٥	٥٣	٢٣	٥٠	٢٢	٢٠	٥	٣	٣٧	٣٢
الأربعاء	١١	١١	١١	٥٥	٥٣	٢٨	٥٠	٢٢	٢١	٥	٣	٣٨	٣٢
الخميس	١٢	١٢	١١	٥٦	٥٣	٢٨	٥٠	٢١	٢٢	٦	٣	٣٨	٣١
الجمعة	١٣	١٣	١٢	٥٦	٥٣	٢٨	٤٩	٢١	٢٣	٧	٤	٣٩	٣١
السبت	١٤	١٤	١٣	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
الأحد	١٥	١٥	١٤	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٥	٩	٥	٤٠	٣١
الاثنين	١٦	١٦	١٤	٥٨	٥٣	٢٨	٤٨	١٩	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الثلاثاء	١٧	١٧	١٥	٥٨	٥٣	٢٩	٤٨	١٩	٢٧	١٠	٥	٤١	٣١
الأربعاء	١٨	١٨	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٨	١٨	٢٨	١١	٦	٤١	٣١
الخميس	١٩	١٩	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٢٩	١٢	٦	٤٢	٣٠
الجمعة	٢٠	٢٠	١٧	٥ ٠٠	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٣٠	١٣	٧	٤٢	٣٠
السبت	٢١	٢١	١٨	١	٥٣	٢٩	٤٦	١٦	٣١	١٤	٧	٤٣	٣٠
الأحد	٢٢	٢٢	١٩	١	٥٤	٢٩	٤٦	١٥	٣٣	١٥	٨	٤٣	٢٩
الاثنين	٢٣	٢٣	٢٠	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٥	١٧	٩	٤٤	٢٩
الثلاثاء	٢٤	٢٤	٢١	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٦	١٨	٩	٤٤	٢٩
الأربعاء	٢٥	٢٥	٢١	٣	٥٤	٢٩	٤٤	١٣	٣٧	١٩	١٠	٤٥	٢٩
الخميس	٢٦	٢٦	٢٢	٣	٥٤	٣٠	٤٤	١٢	٣٨	٢٠	١٠	٤٦	٢٩
الجمعة	٢٧	٢٧	٢٣	٤	٥٤	٣٠	٤٣	١١	٤٠	٢١	١١	٤٦	٢٨
السبت	٢٨	٢٨	٢٤	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٢	٢٣	١٢	٤٧	٢٨
الأحد	٢٩	٢٩	٢٥	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٨	٢٨



مسجد سعد بن ابى وقاص
كويت ــ كيفان

اســـــمه : سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد منـــاف القرشى الزهرى . أبو اسحاق : الصحابى الأمير .

مولـــــده : ولد فى سنة (٢٣) قبل الهجرة ــ ٦٠٣ م .

اســـــلامه : أسلم وهو ابن (١٧) سنة .. وشهد بدرا ، وافتتح القادسية .

فتـــــوحاته : فتح العراق ، ومدائن كسرى ، وهو أحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة ، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، يقال له فارس الاسلام .

ولايتـــــه : نزل الكوفة فابتنى فيها دارا فكثرت الدور فيهـــا وظل واليا عليها مدة عمر بن الخطاب . وأقره عثمان زمنا ثم عزله فعاد الى المدينة فأقام قليلا وفقد بصره .

صـــــفته : قالوا فى وصفه : « كان قصـــــيرا دحداحا ذا هامة ، شثن الأصابع ، جعد الشعر » .

روايته للحديث : له فى الصحيحين (٢٧١) حديثا .

وفـــــاته : مات رضى الله عنه فى قصره بالعقيق (على عشرة أميال من المدينة) وحمل اليها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شـــارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

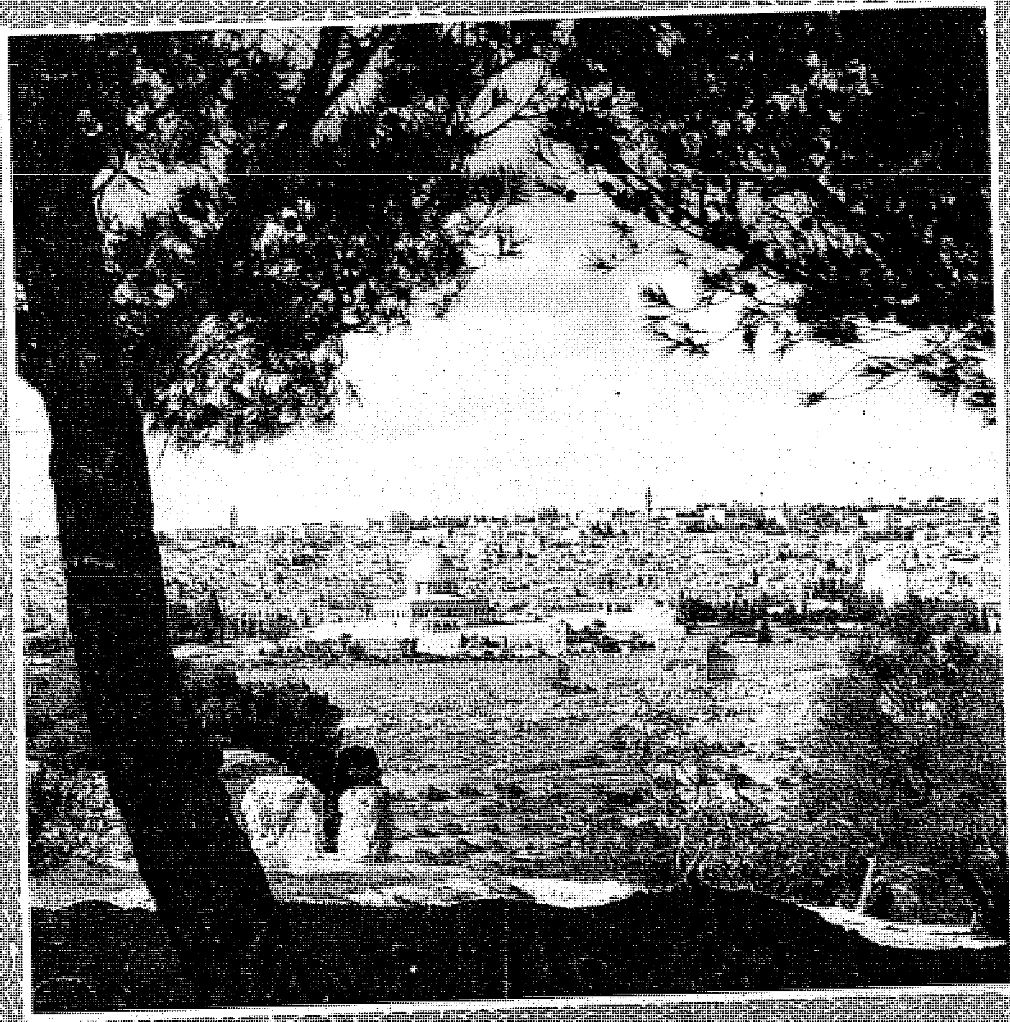
اقرأ في هذا العدد

هدية العدد :
لوحة بالالوان للمساجد الثلاث

الوعي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٠٣) غرة رجب ١٣٩٣ هـ — اغسطس (آب) ١٩٧٣ م



بسم الله الرحمن الرحيم

سبحن الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

إلى المسجد الأقصا الذى بركنا حوله
لنريه من ءايتنا إنه هو السميع البصير



مدينـــة القدس

المدينة التى باركها اللـــه وبارك حولها مهبط الرسالات ومنتهى إسراء خاتم الأنبياء ... متى تعود مدينـــة السلام ؟

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

اسلامية ثقافية شهرية

العـــدد (١٠٣)

غـــرة رجب ١٣٩٣ هـ

اغسطس (آب) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت فى غـرة كل شـــهر عـربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الافراد فيشـــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـــئون الاســـلامية

صـــندوق بريد : ١٣ ــ كـــويت ــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

أسرينا من المسجد الأقصى

أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى ، فكان اسراؤه إيذانا بفتح مبين ونصر عظيم تحقق فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعلى يد أمين هذه الأمة (أبى عبيدة بن الجراح) ومن تحت امرته من أصحاب رسول الله الغر الميامين .

ومنذ ذلك التاريخ وفلسطين جزء من الدولة الاسلامية تعيش فى ظل خلافة مترامية الاطراف فى مشارق الارض ومغاربها . شأنها فى ذلك الوجود الاسلامى المتميز شأن مصر وسوريا والعراق وغيرها .

ومنذ ذلك التاريخ واسلامية فلسطين تتوج عروبتها الاصيلة ، وتجعل لها فى العالم الاسلامى مكانة مرموقة بفضل المسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين وأحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال .

ومنذ ذلك التاريخ والشعب الفلسطينى شعب واضح العروبة والاسلام ، ومضى على ذلك قرون وقرون .

***

ثم أسرينا من المسجد الاقصى ، وأسرينا مما حوله من الارض المباركة ، وأسرينا مما جاورها من الضفة الغربية ومن مرتفعات الجولان ومن سيناء .. خرجنا من ذلك كله فى ظلام الفرقة ، وظلام الغفلة ، وظلام العزلة عن الله وعن ديننا الذى جمع شملنا وقوى ضعفنا وأعزنا به رب العالمين .

ودخلها اليهود وفعلوا بنا الأفاعيل . دخلوها ليقتلونا ويسلبوا وطننا . انها مؤامرة خطيرة مبيتة منذ عهد بعيد بين الصهيونية العالمية والاستعمار لاخلاء فلسطين من شعبها العربى المسلم وابادته وتحويل هذه البلاد المقدسة المباركة الى وطن يهودى ودولة يهودية يتمركز فيها يهود العالم ، ويثبون منها على الاقطار الاخرى لإنشاء دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .

كلنا فلسطين ..

كل أرضنا أرض فلسطين وكل شعوبنا شعب فلسطين فى النصر والهزيمة فى الاستقرار والتشرد فى الاستقلال والاحتلال .. وهذا المصير الذى آلت اليه فلسطين شعبا وأرضا حضارة ومقدسات يهدد شعوبا عربية أخرى اذا ترك العدو الصهيونى يمضى فى اجرامه يؤيده الاستعمار الذى يمده ويحميه واليهودية العالمية التى تسانده وتؤازره والاموال والاسلحة التى تتوفر له . فلا بد من عمل عربى اسلامى موحد قبل أن يزداد هذا العدو فى افساده واجرامه .

المقاومة فريضة :

ان استسلام المظلوم لظالمه جريمة لا تغتفر ، ووقوفه فى وجهه فريضة مقدسة ومقاومته له مهما كانت التضحيات والمغارم أمر لا بد منه ، وهزيمة شعب فى معركة أو معركتين أو معارك لا يمكن أن تزيل كيانه من الوجود ما دام فيه ارادة القتال وتصميم على النصر .

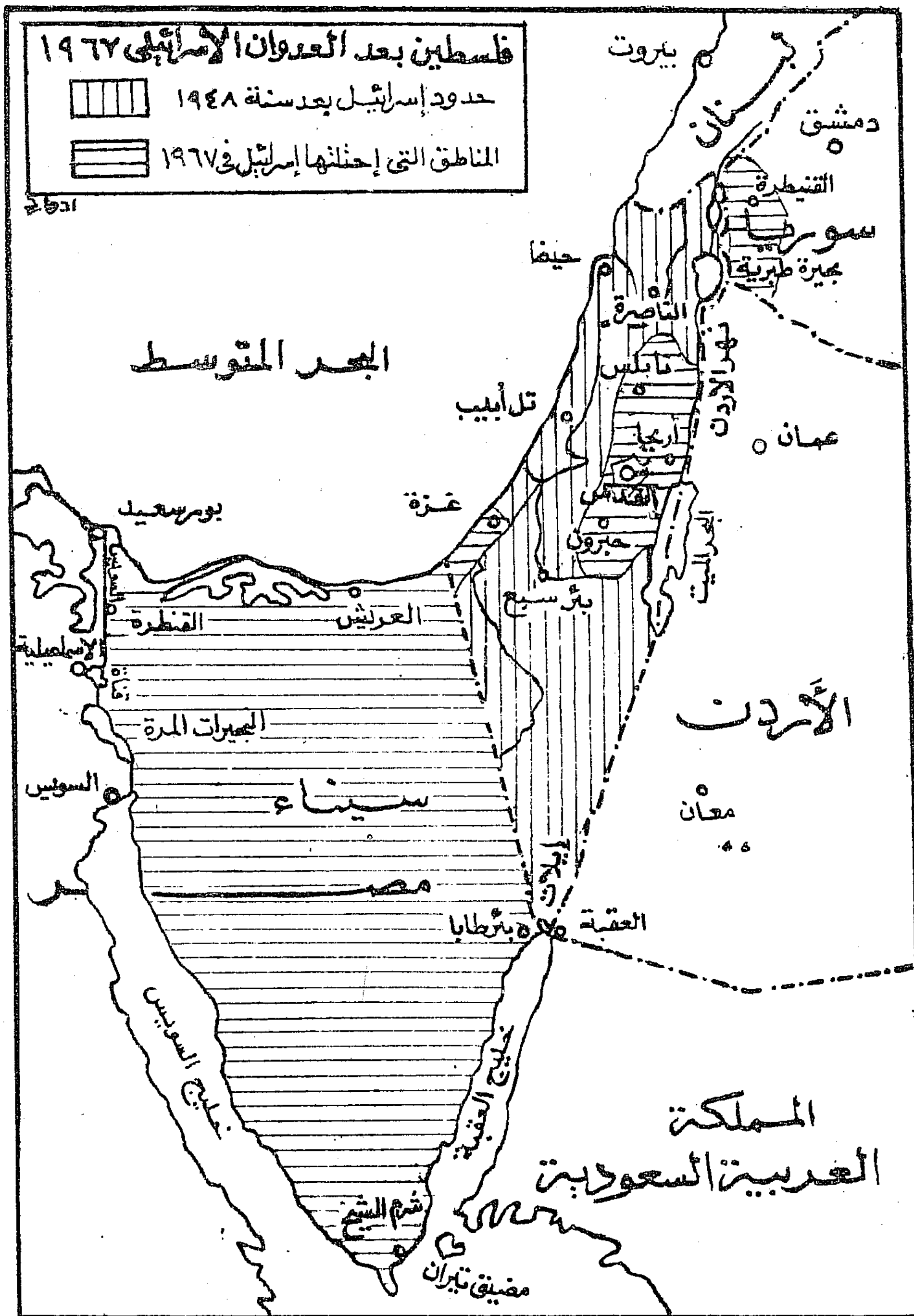
والتاريخ القريب والبعيد ملىء بالشواهد والحوافز ، فكم من شعوب مزقت جيوشها شر ممزق ، وتفرقت أبناؤها أيدى سبأ ولكن هذه الشعوب بفضل ايمانها واستمساكها بحقها واستبسالها فى نضالها انتصرت وعزت واستردت أرضها وكرامتها .

احتل الصليبيون القدس سنة ١٠٩٩ م وما كادوا يدخلونها حتى حكموا على كل مسلم فيها بالموت ، فقتلوا سبعين الفا من سكانها العرب المسلمين ، وتعقبوهم فى كل مكان حتى المسجد الاقصى لم يخافوا له ربا ولم يرعوا له حرمة ، فأراقوا دم من احتمى بمحرابه ، وحولوا قبة الصخرة الى كنيسة ، وانتقصوا أولى القبلتين من أطرافها ، وغيروا حرمها وقسموه الى اقسام فجعلوا منه سكنا للفرسان ومستودعا للذخيرة وسراديب للخيل .

كل هذا حدث فى بيت المقدس والمسجد الاقصى والارض المباركة حوله ، وكل هذا حل بأهلها الأبرار الأطهار ، فهل قضى هذا على الشعب الفلسطينى .. ؟ هل أزاله من الوجود .. ؟ هل أذاب شخصيته وكيانه .. ؟ هل نال هذا كله من عزائم المسلمين عامة .. ؟ هل اخمدت هذه المذابح والجرائم صوت الحق .. ؟ هل اطفأت هذه الوحشية جذوة الايمان فى قلوب المسلمين ؟..

لم ينقطع اهل فلسطين ولا المسلمون عن مناوأة الصليبية ومقاومتها حتى تحقق لهم النصر على يد البطل صلاح الدين فدخل الارض المقدسة فى يوم الجمعة الموافق ٢٧ من رجب سنة ٥٨٣ هـ ٢ أكتوبر ١١٨٧ م .

والفرنسيون غزوا الجزائر فى سنة ١٨٣٠ وحاولوا بشتى الوسائل ان يمحوا شخصيتها العربية المسلمة ، ولكن الشعب الجزائرى الأعزل أصر على حقه وسخى بالتضحية ، وقدم مليون شهيد أو يزيدون ، واضطرت الدولة الباغية أن تخضع لقوة الحق وانتصرت الجزائر .



فلسطين بعد العدوان الإسرائيلي ١٩٦٧
حدود إسرائيل بعد سنة ١٩٤٨
المناطق التي إحتلتها إسرائيل في ١٩٦٧
بيروت
لبنان
دمشق
القنيطرة
سوريا
بحيرة طبرية
حيفا
الناصرة
البحر المتوسط
نابلس
تل أبيب
نهر الأردن
عمان
أريحا
القدس
غزة
بورسعيد
حبرون
البحر الميت
بئر سبع
العريش
القنطرة
الإسماعيلية
الأردن
البحيرات المرة
السويس
سيناء
معان
مصر
إيلات
العقبة
بئر طابا
خليج السويس
خليج العقبة
المملكة العربية السعودية
شرم الشيخ
مضيق تيران

وفلسطين وطن اسلامى بحكم تاريخه ومقدسات المسلمين فيه ، وحضارة الاسلام قائمة وشاهدة فى كل مدينة وقرية من مدنه وقراه ، والشعب الفلسطينى موجود حى يقاتل ويناضل سواء عاش فى خيام اللاجئين ، أو فى ضيافة اخوانه وشركائه فى المصير من شعوب الأمة العربية ، أو فى المخابىء والمغارات وقمم الجبال أو فى أى مكان فى العالم ، أو تحت اسم أى منظمة سوداء أو حمراء . الشعب الفلسطينى موجود حى يقاتل ويقاوم ، ويؤمن بأن فلسطين وطنه هو ، وهى له وليست لغيره ، ولن يتزحزح ولن يتغير ولن يستسلم ولن يتنازل .

ولن تتحرر فلسطين الا بحرب مقدسة لها كل مقومات الجهاد فى سبيل الله ، والمسلم لا يكون مسلما اذا وقف مما يجرى فى الارض المقدسة موقف المتفرج ، وانما يفرض عليه دينه أن يخوض المعارك ، ويسعى الى الاستشهاد طاعة وايمانا واحتسابا : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » .

ان طريق الحرب هو طريق النصر ، والعرب كما يقرر الخبراء العسكريون يستطيعون أن يحشدوا أحد عشر مليونا من المقاتلين ، ولن تستطيع اسرائيل أن تحافظ على انتصارها أمام هذا العدد الضخم من المحاربين ، واذا انهزمت اسرائيل فى معركة واحدة انهارت الى الأبد ، وعادت الى فجاج الارض كما جاءت « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

معركة العقيدة :

ان المعركة بيننا وبين الصهيونية هى معركة العقيدة ، وقد أعد لها الأعداء كل ما استطاعوا من وسائل الدعاية ، وجندوا لها علماء متخصصين فى علم النفس وأخطر أساليب التضليل والكذب ليخدعوا شبابنا ويورثوهم الضعف والاستسلام ، وأخطر هذه الدعايات ما يحاول الاعداء أن يلقوه فى روعنا أن هذا الجيل منا لا يستطيع أن يحرر الارض ويسترد الحق ويقهر المعتدى ويأخذ بالثأر ، وأن مهمة التحرير والتطهير وغسل العار واسترداد المقدسات تقع على عاتق الجيل والاجيال القادمة ، ومع الاسف الشديد فاننا نجد فينا نفرا يؤمن بهذه الدعاية ويجزم بأنه ليس فى طاقتنا الوقوف فى وجه العدو ، وأن علينا ان نعد الجيل القادم لتحمل هذه المسئولية .. أليس معنى هذا أن نرضى بالواقع ؟!

ان هذه الحرب النفسية التى يشنها العدو علينا ويغزو بها قلوبنا وعقولنا ليقضى على روح المقاومة فى نفوسنا لهى اشد خطرا من حرب الحديد والنار .

فلنأخذ حذرنا ولنوطن أنفسنا على القتال ولنحشد قوانا لإحباط هذه الدعايات المسمومة وازهاقها .

رضوان البيلى

من هدي السنة

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

روى البخارى بسنده المتصل عن عائشة رضى الله عنهـا أن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن للنبى صلى الله عليه وسـلم : أينا اسرع بك لحوقا ؟ قال اطولكن يدا ، فاخذوا قصبة يذرعونها فكانت سودة اطولهن يدا ، فعلمنا بعد انما كانت طول يدهـا الصدقة ، وكانت اسرعنـا لحوقا به ، وكانت تحب الصدقة .

١ ــ كثرت الأحاديث الشريفة الحاثة على الصدقة ، كما ورد الحض عليها فى القرآن الكريم ، والصدقة تطلق شرعا على الزكاة المفروضة التي هي ركن من أركان الاسلام ، ومنكر وجوبها كافر لأنها ثابتة قطعا بالكتاب والسنة والاجماع وهى ماضية الى يوم يرث اللـه الأرض ومن عليها تصرف فى وجوهها المقررة شرعا ، ولا يقصر فى أدائها إلا عاص لله ولرسوله وسيكون له الجزاء الذى لا مناص له عنه والذى وردت الاشـارة اليه فى القـرآن الكريم قال الله تعالى : ((**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعـذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**)) الآيتان ٣٤ ، ٣٥ من سورة التوبة ، وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : ((ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين ، وكل ما لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الأرض)) وروى البخارى عن خالد بن أسلم قال : خرجنا مع عبـد الله بن عمر رضى الله عنهما فقال اعرابى : أخبرنى عن قول الله تعـالى : ((**والـذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله**)) ــ قال ابن عمر : من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له ، انما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما انزلت جعلها الله طهرا للأموال وهذا مشعر ــ كما يقول الحافظ بن حجر العسقلانى ــ بأن الوعيد على الاكتناز وهو حبس ما فضل عن الحاجة عن المواساة به كان فى أول الاسلام ثم نسخ ذلك بفرض الزكاة ، وروى البخارى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله ــ عليه وسلم ((من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه ــ يعنى

شدقيه – ثم يقول : « أنا مالك ، أنا كنزك » – ثم تلا – « ولا يحسبن الذين يبخلون » .. الآية (١) ..

والحديث الشريف موضوع البحث يومىء الى صدقة التطوع وهي التي اشارت اليها الآية الكريمة : « **ان تبدو الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير** » الآية (٢٧) من سورة البقرة . فقد ذهب الجمهور من المفسرين الى انها في صدقة التطوع لأن الاخفاء فيها افضل من الاظهار ، فذلك ادل على أنه يراد بها الله عز وجل وحده ، وان كان هذا لا يمنع من اظهارها لحمل الغير على الاقتداء بالباذلين المعروف عن الساعين في الخير ، فينتهج نهجهم وينسج على منوالهم ليعم الخير والتراحم ويزداد التواد والتعاطف ، وتختفي الحاجة والمسألة ، وتأتلف القلوب ، ويتعاون الناس على البر والتقوى فالاحسان له اثره الفعال في التجاذب والتقارب ، واجتثاث السخائم وقتل العداوات ، وبث روح الطمأنينة وتوطيد أواصر المحبة بين أفراد المجتمع ، وقد أدرك صحابة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المعاني من كثرة حثه عليه افضل وأزكى السلام على الصدقات فكان بعضهم يعمل حمالا في السوق ليحصل على القليل ويتصدق به رغبة في امتثال الأوامر الشريفة ، روى البخاري عن ابي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرنا بالصدقة انطلق احدنا الى السوق فيحامل فيصيب المد – أي في مقابل أجرته – فيتصدق به ، وكانوا لا يحقرون الصدقة مهما ضؤلت وقل مقدارها استنادا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » رواه البخاري . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « دخلت امرأة ومعها ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندي شيئا غير تمرة فأعطيتها اياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت .. الحديث « ومن تعاليم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبذل الانسان وهو صحيح معافى محب للمال ضنين به ولا يترك العطاء حتى تهجم عليه منيته وتفوته فرصة المبادرة الى الخير ، ففي بذل المال مع وجود الشح به برهان على قوة الرغبة في القربات والمبادرة الى الامتثال والدخول في الطاعة » فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اي الصدقة أعظم اجرا ؟ قال : « أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا » وغالبا ما تكون الصدقة من اهل الخير على ذوي الحاجة ولكن المعتمد هو نية المتصدق فلو وقعت صدقة في غير موقعها لاستحق اجرها مع خلوص نيته لله تعالى وابتغاء مرضاته ، ولربما حصل منها الخير الكثير والجزاء الوفير ، وقد أورد البخاري حديثا عمن أسر صدقة فوقعت في يد من ليس لها أهل ، فاعلم منا بثوابها وأنها لاقت من الله قبولا فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال رجل لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق (بالبناء للمجهول) على سارق ، فقال : اللهم لك الحمد ، لأتصدق بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانية . فقال : اللهم لك الحمد على زانية ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني ، فأصبحوا يتحدثون تصدق على غني ، فقال : اللهم لك الحمد ، على سارق ، وعلى زانية ، وعلى غني فأتى (بالبناء للمفعول) فقيل له : أما صدقتك على سارق ، فلعله يستعف عن سرقته ، وأما الزانية ، فلعلها أن تستعف عن

زناها ، وأما الغنى فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله » وفي رواية الطبراني : « فساءه ذلك فأتى في منامه » قال العيني في كتابه عمدة القاري : « وفيه دليل على أن الله يجزى العبد على حسب نيته في الخير لأن هذا المتصدق لما قصد بصدقته وجه الله تعالى قبلت منه ولم يضره وضعها عند من لا يستحقها وهذا في صدقة التطوع وأما الزكاة فلا يجوز دفعها الى الأغنياء » ويؤخذ منه أيضا توقع حمل المتصدق عليه على التحول من الحال المذمومة الى الحال الممدوحة فيستعف السارق من سرقته والزانية من زناها والغنى من امساكه ، ويدل على بركة التسليم والرضا وذم التضجر بالقضاء ، وقد مدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة السر فذكر من الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله ، ففي ذلك خلوص الصدقة لوجه الله تعالى وحفظ ماء وجه المتصدق عليه وستره أمام العامة ، وخاصة اذا كان ممن عرفوا بالصلاح والتقوى أو من الذين أخنى عليهم الدهر بعد نعمة وثراء وكثير ما هم ، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة .

٢ — في توجيه هذا السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه ، دلالة على شدة تعلقهن به ، وخوفهن من البعد عنه ، ولهذا أحببن الموت — وهو مبغض الى النفوس — لئلا يلبثن بعده في الدنيا التي لا تحتويه ، ولا تسعد بوجوده فيها ، فالحياة بدون سيدهن هباء والبقاء فيها ، بعده فناء ، ومما يشهد بتولههن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفقدانهن الصبر على فراقه حادثة التخيير التي وردت أخبارها في سورة الأحزاب وسجلت قرآنا يتلى الى يوم الدين ، قال تعالى : « **يأيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن اجرا عظيما** » الآيتان ٢٨ ، ٢٩ ، قال المفسرون : أمره الله عز وجل أن يخير زوجاته فربما كان فيهن من تكره المقام معه على الشدة تنزيها له ، فقلن : اخترنا الله ورسوله ، روى البخاري ومسلم — واللفظ لمسلم — عن جابر بن عبد الله قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر فدخل ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا ، قال : فقال والله لأقولن شيئا أضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا رسول الله : لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة ، فقمت اليها فوجأت عنقها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « هن حولي كما ترى يسألنني النفقة » . فقام أبو بكر الى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده . . فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا شيئا ليس عنده . ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين ، ثم نزلت عليه هذه الآية : « **يأيها النبي قل لأزواجك — حتى بلغ — للمحسنات منكن اجرا عظيما** » قال : فبدأ بعائشة ، فقال : يا عائشة ، اني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب الا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك . قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية . قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوي ؟ . بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت . قال : « لا تسألني امرأة منهن الا أخبرتها ، ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا » وفعلت زوجات النبي صلى الله عليه وسلم مثل

ما فعلت عائشة . وهكذا لم تطب نفوسهن رضوان الله عليهن أن يفارقنه رغبة في صحبته التي لا تعادل لها الدنيا وما فيها وأملا بالبقاء معه ليكون لهن الجزاء الأوفى عند رب العالمين سبحانه ، ويفزن بمصاحبة رسول الله في جنات النعيم ، ولشدة ركونهن اليه كن يسألنه عن صاحبة الحظ الأوفى التي ستكون اولهن لحوقا به بعد موته ، وقد فهمن من طول اليد ظاهر القول فأخذن يقسن أيديهن بالقصبة وغيرها ، وفي هذا تقول عائشة : « فكنا اذا اجتمعنا في بيت احدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا فعرفنا حينذاك أن النبي صلى الله عليه وسلم انما أراد بطول اليد الصدقة وكانت زينب امرأة صناعة اليد ، وكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله » .. قال الحاكم حديث صحيح على شرط مسلم ، وكن رضوان الله عليهن قد فهمن أن المراد الطول الحقيقي المادي ويبدو أن سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرية — كانت أطولهن يدا على الحقيقة — وكانت من السابقات في الاسلام وهي أول من تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وكان قد توفي زوجها السكران بن عمرو العامري بعد عودتها من الحبشة حيث كانت قد هاجرت معه اليها الهجرة الأولى ، وقيل كان قد مات بالحبشة ،وقد توفيت بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين من الهجرة الكبرى ، وأما زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية فقد توفيت سنة عشرين من الهجرة ، فكانت أول انسانة لحوقا به صلى الله عليه وسلم ، وما ورد في صلب الحديث من أن سودة كانت أسرعهن لحوقا به صلى الله عليه وسلم فهو من دخول الوهم على الراوي في التسمية كما قال محققو الحديث الشريف رضوان الله عليهم ، وهذا الحديث علم من أعلام النبوة ، وفيه جواز اطلاق الالفاظ المشتركة بين الحقيقة والمجاز بغير قرينة وهو هنا لفظ أطولكن يدا ، ولما كان السؤال عن الآجال وعلم نهايتها عند علام الغيوب وحده ولا يعلم ذلك الا بوحي أجابهن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظ غير صريح لا يتبين الا في آخر الوقت عند حدوثه فعلا ولهذا لم يفهمن أن المراد بطول اليد الصدقة الا عند موت أم المؤمنين زينب بنت جحش أولهن بعد رسول الله وكانت رضوان الله عليها أكثرهن تصدقا ، أذ كانت كما مر صناع اليد تعمل بيدها وتتصدق ، وفضل الصدقة صدقة التطوع وآثارها الحسنة في المجتمع الانساني بما لا تفي به سطوره ، وما أكثر ما حث عليها القرآن الكريم والسنة الشريفة وبرزت واضحة جلية في فعله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان أجود بالخير من الريح المرسلة ، واقتدى به أصحابه في البذل والعطاء بما حفلت به سيرهم عليهم جميعا رضوان الله وسلامه ، والسعيد الموفق من نسج على منوالهم وسار في دروبهم واقتدى بفعالهم فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليلا ، ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ، وليكن ختام هذا البحث قول الله تبارك وتعالى :

((مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)) .

---

(١) الآية ١٨٠ من سورة آل عمران ونصها :

((ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير)) .

الإسراء والمعراج

دراسة دينية علمية

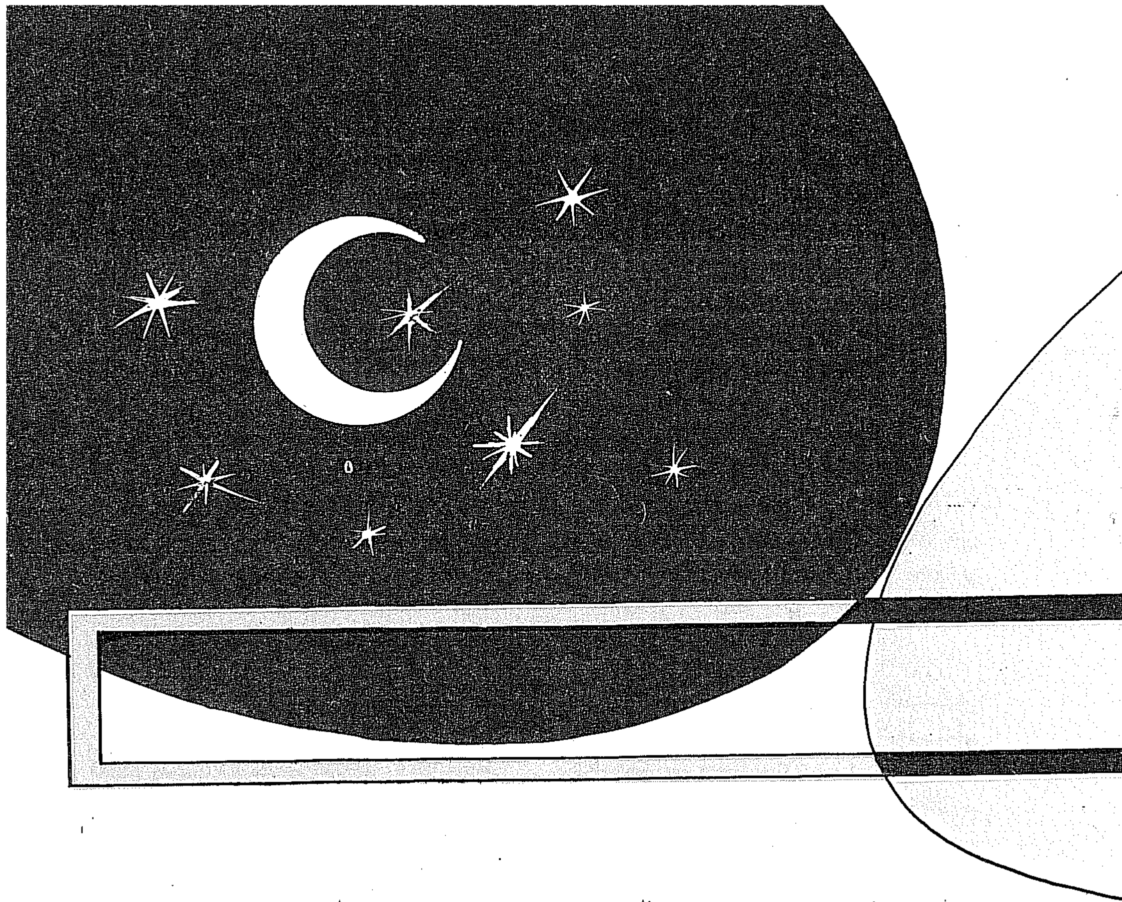
للأستاذ محمد أحمد بدوى

تعود ذكرى الإسراء والمعراج فى السنين الأخيرة وسط انتصارات ما يسمى بغزو الفضاء . وآخر هذه الانتصارات نزول الانسان على سطح القمر ، ودوران سفن الفضاء حوله ، وعودتها آليا ويتحكم مقتدر من الأرض ، كما تعود هذه الذكرى ومهبط الاسراء ومصعد المعراج الى السماء فى أيدى أعداء الله والانسانية من الصهيونيين .

وإن المرء ـ مهما حاول بعض المفكرين ابعاد القرآن عن التعرض للمسائل العلمية ـ لا يستطيع أن يطرد عن ذهنه ما تستدعيه أخبار ما يسمى بغزو الفضاء ، من التفكير فى الاسراء والمعراج ، كما لا يستطيع ذلك فيما تستدعيه ذكرى الاسراء والمعراج من التفكير فى غزو الفضاء .

تداع للمعانى متبادل وغير إرادى بين ما يسمى بغزو الفضاء ، وبين الاسراء والمعراج . وقد وجه الإسلام الى تداع آخر متبادل ولكنه إرادى بين النظر فى السماء ، وبين التفكير فى عظمة الكون وعظمة خالقه . وذلك بالندب الى قراءة آيات : « **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** » حين ينظر المرء الى السماء من الليل . وبالندب الى التفكير فى خلق السموات والأرض حين قراءة هذه الآيات . وشدد النبى صلى الله عليه وسلم . فى ذلك ، إذ يقول : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها .

والتفكير فى الآيات الكونية الذى وجه اليه الاسلام فى الكتاب والسنة انما هو إرضاء للتطلع النفسى للتفسير



والفهم المفروس فى نفوس البشر .

على ان جماعة من المفكرين المسلمين يرون — مع علمهم بآلية التداعى بين المعانى المتشابهة ، ومع علمهم بفطرية الدافع الى التفكير للفهم والتفسير ، ومع علمهم بتوجيه القرآن الكريم الى التداعى الارادى بين الآيات القرآنية وبين ما تشير اليه من الآيات الكونية — هذه الجماعة ترى استبعاد تعريض القرآن الكريم للمسائل العلمية ابتغاء اثبات الموافقة بينهما لخدمة العلم والإيمان ، أو المخالفة بينهما لخدمة الجهل . يريد هؤلاء المفكرون أن يجعلوا التفكير للفهم والتفسير بعيدا تماما عن أى محاولة للربط بين القرآن الكريم والقوانين العلمية ، ويرون أن القرآن لم يتعرض للمسائل العلمية صياغة لقوانينها ، أو وصفا لظواهرها ، أو حتى اشارة اليها .

واهم حجج المبعدين لهذه الصلة بين القرآن والعلم أن القوانين العلمية لا تثبت صيغها على وضع واحد ويستدلون على ذلك بما كان قد أثير فى وقت عن معنى قوله تعالى : « **وأرسلنا الرياح لواقح** » من أنها تلقح الأزهار مما كان الخطأ فيه لغويا لا علميا .

وبعض هؤلاء المفكرين يستبطن الخشية على القرآن من العلم ، وقد يحيك فى نفوسهم ما يتعارض من القرآن فى الظاهر مع القوانين العلمية ، ولما يظهر لهم تأويله .

وبعضهم يستبطن الخشية على العلم من القرآن . وهم يضيقون — ولهم الحق — بمن يستند الى ذلك التعارض الظاهرى فى انكار العلم والزراية

به ، والدعوة ضده مما يتصف بالسذاجة والجهل وانعدام المسئولية .

ومما يحتجون به أيضا الخوف من اغراق بعض المفكرين في اخضاع الصياغات العلمية للصياغات القرآنية ، وتكلف التشابه بل الذاتية بين الصياغتين في كثير من المسائل هذا الاغراق الذي يغرى به فرط الحماس الذي تثيره دقة القرآن الكريم في صياغة كثير من القوانين الاجتماعية والأخلاقية صياغات علمية دقيقة . ومن تعبيرات هؤلاء وأولئك أن القرآن الكريم كتاب هداية لا كتاب علم .

ومن المفكرين المغرقين في ربط آيات الكتاب الحكيم بالعلم ربطا وثيقا استاذنا الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله . وقراءة تفسيره الجواهر — على امتاعها ، وفتحها لآفاق كان يجب أن يرتادها المسلمون — تبرر الحكم على صنيعه بالاغراق . وقد كتب كثير كتابات ممتعة لا تنقصها الروح العلمية ولا المنهج العلمي في العلاقة بين القرآن والطب ، وبينه وبين علم النفس ، وبينه وبين الفلك .

ولست بصدد محاكمة الفريقين على الموقف المبدئي لكل منهما من علمية القرآن الكريم لكنى سأشير فقط الى ما يخص الاسراء والمعراج من آراء كل منهما مع بيان ما فيه من تجاوز .

إن القول بعلمية القرآن لا يعنى لدى القائلين به أن القرآن كتاب هندسة أو كتاب فلك ، ولكنه يعنى أن القرآن اذا تعرض لآية كونية أو انسانية لغرض الهداية الى عظمة الخالق او الى الصراط المستقيم في السلوك قد تبلغ عباراته من الدقة مبلغ الصياغات العلمية الحديثة .

وقد تشير الى الحقائق العلمية أو تمضى معها ولا تصطدم بها ، أو لا تضع الحوائل في طريقها أو تمهد الطريق للوصول اليها ، ناهيك بما في القرآن من حث على العلم ، وتقدير للعلماء ، والنعى على اهمال النظر والتفكير والتعقل ، وبما فيه من تأصيل للمنهج العلمي كما صاغه العلم الحديث .

فالخطأ ليس في القول بعلمية القرآن بهذا المعنى ، ولكن الخطأ في عدم اتخاذ منهج سليم لا يعرض القرآن الكريم لأن يتأثر بتغيير الصياغات للقوانين العلمية .

ويتلخص هذا المنهج في تفسير القرآن الكريم على ضوء العلم الحديث — فيما نرى — في أن ما نصل اليه ونفهمه من القرآن الكريم هو صياغة أو اشارة أو عدم تعارض او اتساع لحقيقة علمية . ولا ندعى أن ما نفهم هو مراد الله تعالى على الحقيقة ، كما كان يدعى بعض الأقدمين ، وكفر بعضهم بعضا بسبب ذلك . فاذا تغيرت الصيغة العلمية كان الخطأ في فهمنا لمراد الله تعالى من آياته لا لمراد الله تعالى في ذاته .

ومتى اتبع هذا المنهج انفتح باب من الدراسات الاسلامية العلمية مما يضع الأساس السليم لانطلاقة علمية من فروض اسلامية في الكون والحياة انطلاقة تأخرت بغير مبرر فتأخرنا عن الأمم بتأخرها .

ان الفريق الأول يريد أن يفسر الاسراء والمعراج بعيدا عن استصحاب أى معلومات عما اكتشف العلم من حقائق ، لا سيما ما يتعلق منها بما يسمى غزو الفضاء . ولا أدرى أهذا الفريق اذ يرفض ما يمكن

ان يقال عن هذا الموضوع في عصر العلم ، يقبل كل ما قيل فيه في عصور الجهل والخرافة . أي أغلال يريد ان يكبل بها هؤلاء الفكر الاسلامي عن الانطلاق العلمي من مواقف اسلامية ، وفروض قرآنية يكمل ، ويسند ، ويغني الانطلاق العلمي من المواقف والفروض المستخدمة حاليا .

اما الفريق الثاني أو جزء منه فيحاول عقد مقارنة ساذجة بين الاسراء والمعراج ، وبين ما يسمى بغزو الفضاء ، تحت اغراء شديد من المشابهة الظاهرة بين صعود النبي صلى الله عليه وسلم . الى السماء وبين صعود سفن الفضاء الى القمر والكواكب القريبة من الارض ، ولهؤلاء نقول : اين القمر ؟ بل واين ابعد كواكب المجموعة الشمسية (بلوتو) من ذلك الكون الواسع ؟ واى فضاء ذلك الذى يتكلمون عن غزوه ؟ وما هو ذلك الغزو ؟ من المنتصر ومن المهزوم ؟

يحاول البشر فى القرن العشرين ان يبعدوا عن الأرض وان يخرجوا من قبضة جاذبيتها بما آتاهم الله من نعمة العلم بقوانينه الكونية . وقد افلحوا . لكن الخالق اغزى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم . فضاء كونه الأعلى غزوا حقيقيا لا يقاس به ما يزعم البشر انه غزو للفضاء ، وبطريقة اذا قيست بها طرق البشر كانت قدرة البشر صفرا . ولا يعنى ذلك أن نقلل تقليلا ساذجا من القدرة البشرية الفائقة اذا قيست اليوم بما كانت عليه بالامس ، أو اذا قيس ما يمتلكه منها فريق من البشر بما يمتلكه فريق آخر .

ان رحلات زوند وسيوز ومارينر وابوللو لعمل عظيم بالنسبة لما كانت عليه قدرة البشر بالأمس القريب . أما رحلة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . الى السماء فهى معجزة لا يتطلع الى عشر معشارها أوسع الخيالات العلمية جموحا . والعلم الحديث بكل اتساعه وعمقه لم يقدم الى الآن أى طريقة لتصور صعود النبى صلى الله عليه وسلم الى السماء .

ان تفكير المسلم ليهدف من ضمن ما يهدف اليه فى عمليات التداعي الى معرفة : هل التشابه بين الاسراء والمعراج وبين صعود سفن الفضاء تشابه ظاهرى أم تشابه حقيقى بمحاولة تصور الأمرين على السواء.

ويغرى بالقول انه تشابه حقيقى انسياقا الى تصيد ما يبدو أنه يؤيد وجهات نظرنا من أحداث جديدة . فلما جاءت محاولات غزو الفضاء تلقفناها لنستدل بها على صدق واقعة الاسراء والمعراج وهو استدلال فى غير مطلبه . لأن واقعة الاسراء والمعراج لم تكن لتنتظر قرابة الألف والخمسمائة عام لوقوع ما يصدقها. فالواقعة ثابتة بطرق لا يرقى اليها الشك ، ولا تبعد عن المناهج المعتمدة للاستدلال .

كما يردنا الى القول بان التشابه بين الاسراء والمعراج تشابه ظاهرى حقائق علمية لا يمكن اغفالها وتجدر الاشارة هنا — دون تفصيل — الى ان الاسراء يمكن تصوره فى ضوء الحقائق العلمية المتاحة . أما المعراج فجد مختلف .

لما جاء الاسلام اطلق تصور الناس عن الزمان والمكان من قيوده الى اوسع مدى يمكن أن يبلغه الخيال البشرى ، فى ذلك العصر ، وفى العصور التالية حتى عصرنا عصر الصواريخ . وقدم الاسلام التمهيد الضرورى للتصور الحديث للزمان

والمكان . ولقد كان فرعــون يطلب صرحا يبلغ به اسباب الســموات ليطلع الى إله موسى مما يدل على مدى التصور البشرى فى ذلك الوقت لاتساع الكون .

وفى اتساع المكان قال القــرآن الكريم : « **والسماء بنيناهــا بايد ، وانا لموسعون** » . وقال النبى صلى الله عليــه وسلم : ان كــل سماء بالنسبة الى تاليتها كحلقة ملقاة فى فلاة . وفى اتساع الزمان قال القرآن الكريم : « **وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون** » . وقال : « **تعرج الملائكــة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة** » . ولعل المبعدين للقرآن عن العلم ، وللعــلم عن القرآن كانوا يريدون أن يقــول البارى سبحانه : خمسين الف سنة نورية ليعترفوا بوجود علاقة متبادلة بين القرآن والعلم .

لقد وضع الاسلام البشر على أول الطريق لتقريب اتساع الزمان والمكان الى تصــورهم . وأوصل العقــل البشرى الى المرحلة السابقة مباشرة والمهدة التمهيد الضرورى للمراحــل الحالية والتالية فى تصوره للزمان والمكان . وجاء الفلك الحديث فوجد العقــل البشرى قــد خطــا أولى الخطوات فخطا به خطوات أخــرى واسعات .

إن اتساع الكون قد أصبح الآن فوق التصور ، بحيث أن تســمية رحلات الفضاء غزوا للفضاء أمر أبعد ما يكون عن الدقة العلمية ، بل هو مجاز منقطع الصلة بالحقيقة .
وبغير لجوء الى الأرقام التى تصف اتساع الكون ، والتى تصيب بالدوار حتى عقول جبابرة علم الفلك ، يمكننا أن نقول : ان رحلات الانسان الى الفضاء لن تبلغ فى المدى القصير ، ولا فى المدى البعيد جدا ــ بحسب ما أتيــح الى الآن من الحقــائق العلمية ــ إلا كسرا ضئيلا جدا من أبعاد الكون . ولن تصل رحــلاته المقبلة تبعا لأوسع الخيالات العلمية انطلاقا الى ابعد من كسر ضئيل جدا من المسافات التى وصلت الرياضة الفلكية الى حسابها .

إن غــزاة الفضــاء الشــجعان والمخططين لهــم ليس عنــدهم من الحقائق العلمية الى الآن ما يمد أملهم الى ارتياد أجرام أبعد من الشمس وبنيها (الكواكب) وأحفادها (الأقمار) . اما باقى النجوم ــ وشمسنا واحدة منها ــ فهى من البعد عنا بحيث أن الصواريخ ــ حتى بسرعة عشــرين الف ميل فى الساعة ــ تعتبر وسيلة بدائيــة جــدا ، وغير عمليــة على الاطــلاق لارتياد أفلاكها . واذا كان التمثيــل يقرب المعنى فان المشــى بسرعة النملة وسيلة متقدمة جــدا لعابرى القارات وذات كفاية عاليــة جدا فى هذه المهمة ، اذا قيســت بوسيلة الصواريخ بالنسبة لغــزاة الفضاء .

إن اقرب الاجرام السماوية الى الأرض هى أفراد أسرة الشمس . وأقرب أجرامها الى الأرض القمر . والوصول اليه بسفن الفضاء يستغرق ١٢ ساعــة تقريبا اذا ســار اليه الصاروخ فى خط مستقيم ، وبسرعة منتظمة (٢٠٫٠٠٠ ميل فى الساعة) وهو لا يسير اليه فى الواقع : لا فى خط مستقيم ، ولا بسرعة منتظمة . ويلى القمــر فى البعــد عن الأرض كوكب الزهــرة أثناء توسطهــا بين الأرض والشمس . وبعدها المتوسط عن الأرض يبلغ ٢٦ مليــون ميل ، يقطعها الصاروخ فى خــط مستقيم وسرعة منتظمة فى ٥٤ يوما تصل فى الواقع الى ما يزيد عن الأربعة

اشهر . وابعد اخوة الأرض عنهـا بلوتو الذى يصل اليه الصاروخ بالشروط السابقة (الخط المستقيم والسرعة المنتظمة ٢٠٫٠٠٠ ميل فى الساعة) فى احدى وعشرين سنة وربع سنة . ويصل اليه ضوء الأرض المنعكس من الشمس فى خمس ساعات ونصف ساعة .

وقد ضرب العلامة الدكتور احمد زكى مثلا لأبعاد أسرة الشمس فيما بينها فقال : اذا كانت الشمس قرصا قطره أزيد من ثلاثة أرباع المتر فان عطارد يكون عدسة على بعد ٣٦ مترا من القرص ، وتكون الزهرة حبة فول على بعد ٦٧ مترا منه ، وتكون الأرض حبة فول اكبر قليلا من الزهرة على بعد ٩٣مترا ، ويكون المريخ كسمسمة تبعد عن القرص ١٤٢ متر ويكون المشترى كبرتقالة على بعد ٤٨٢ مترا ، ويكون بلوتو حبة فول على بعد ٣٦٧٠ مترا .

وبالرغم من هذه الأبعاد الشاسعة فان افراد الأسرة الشمسية تبدو متلاصقة بمقارنة أبعادها فيما بينها ، وبمقارنة أبعاد النجوم بعضها عن بعض وعن المجموعة الشمسية . ولعل تلاصق أفراد المجموعة الشمسية هو نتيجة لشعورها بالوحدة القاسية وسط مجموعات النجوم . فان أقرب مؤنس لهذه الأسرة من غير أفرادها هو الف قنطورس . وهو أحد نجوم كوكبة قنطورس التى ترى فى السماء فى نصف الكرة الجنوبى . وبعده عن الشمس ٤٫٣ سنة ضوئية . ويقول العلامة الدكتور أحمد زكى : اذا كانت الشمس نقطة حبر على هذه الورقة فان الف قنطورس نقطة أخرى تقع منها على بعد أربعة أميال .

إن حساب زمن الوصول الى الف قنطورس من اى فرد من افراد اسرة الشمس بسرعة الصاروخ لهو أمر بالغ السخف . ولو فكرنا فى حساب زمن الوصول الى القمر من الأرض بسرعة السلحفاة لكان تفكيرنا هذا أقل سخفا من التفكير فى زمن وصول الصاروخ الى الف قنطورس ، لأنه سيصل اليه فى مائة واثنين وأربعين الف سنة .

ومن يريد أن يعرف بعد الف قنطورس عن المجموعة الشمسية فما عليه إلا أن يضرب سرعة الضوء (١٨٦٫٠٠٠ ميل فى الثانية) فى عدد الثوانى الموجودة فى ٤٫٣ من السنين ليجد أمامه الرقم ٢٥ وأمامه ١٢ صفرا أى ٢٥ مليون مليون ميل . فلو زال الف قنطورس من الوجود أو انطفأ فجأة لاستغرق آخر شعاع صدر منه ٤٫٣ من السنين كى يصل الينا لينمى غياب هذا الجار القريب ، مما يجعلنا نهز اكتافنا قائلين : يرحمه الله .

ومن النجوم ما يصل الينا ضوؤه فى عشرات السنين ، ومنها ما يصل فى مئاتها ، ومنها ما يصل فى آلافها ومنها ما يصل فى ملايينها ، ومبدع السموات يقول : « **والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون** » .

ان تسمية رحلات الفضاء غزوا للفضاء تجاوزا نستسيغه لارضاء غرورنا . فان السفن التى دارت حول المريخ أو حتى التى اتخذت مدارا حول الشمس لم تقطع من مسافات الكون الا نسبة مماثلة لما يقطعه المتحرك بمقدار سنتمتر الى القمر . ونكرر اننا لا نبخس العقل البشرى خطواته الواسعة بالنسبة لما كان يتحركه من قبل فى كشف المجهول .

إن غزو الفضاء وراء المستعمرة

الشمسية يتحقق في ظروف خاصة مستحيلة عمليا ، مثل أن يصعد في الفضاء جماعات كبيرة من العلماء وفي سفن كبيرة تسمح بتزواجهم وتسلسل الأجيال فيهم ، ويكون من نصيب الجيل المكمل للخمسة آلاف من جيل بدء الرحلة الوصول الى كوكب من كواكب الف قنطورس — اذا كان له كواكب. لأن الف قنطورس ملتهب ، والقرب منه فوق حد محدود يكفى لاحتراق أي مادة نعرفها على الأرض وتحويلها الى بخار . وقد يتيسر مثل هذا المشروع لو اخذنا الأرض نفسها كسفينة فضاء وسرنا بها في اتجاه النجوم .

ومن أحلام العلماء في النوم أوفى اليقظة أن يرسل الانسان أو غيره كرسالة لاسلكية بأن يوضع في جهاز ارسال لاسلكي ليفتته الى بروتونات والكترونات بل جسيمات منها ثم يستقبله جهاز إخر يجمع هذه الجسيمات مرة أخرى على الهيئة التي وضع بها في جهاز الارسال .. ويا ويل هذا الطرد اذا لم تنضبط له المحطتان انضباطا تاما .. ان تفرقه — اذن — لن ينتهي ابدا الى اجتماع .

واذا نجح البشر في صنع الجهازين .. واذا نجحوا في وضع جهاز الاستقبال في مكانه بطريقة السفر الجماعي بعد آلاف الاجيال فان الموجات المرسلة من جهاز الارسال قد تحتاج الى عشرات السنين بل الى آلافها بل الى ملايينها للوصول بالطرد الآدمي اللاسلكي الى بعض النجوم ان طال به العمر .

وهنا يستيقظ العالم مذعورا ليقول : ((**لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس**)) . وصدق الله العظيم .

هذا والاسراء والمعراج رحلتان متمايزتان ، لم يتح التمييز الدقيق بينهما إلا في العصر الحديث ، وبفضل العلم الحديث ، وما حقق للبشرية من معجزات . فرحلة الاسراء رحلة ارضية جوية ، وبتعبير حربي رحلة من الأرض للأرض . اما رحلة المعراج فرحلة سماوية بكل معنى لكلمة سماوية .

واذا كانت سرعة الصواريخ قد قربت لنا تصور كيف سارت رحلة الاسراء فان سرعة هذه الصواريخ لن تساعد على أن نتصور كيف سارت رحلة المعراج . وحتى سرعة الموجات اللاسلكية لن تساعد على تقريب هذا التصور .

ويبقى على المتكلمين في علمية القرآن بمنهج وبغير منهج الا يحملوا الاسراء والمعراج عبء الدلالة على علمية القرآن الا بالقدر الذي اشرت اليه في رحلة الاسراء .

واذا تداعت معاني السفر بين الاجرام السماوية حين يذكر الاسراء والمعراج ، أو تداعت معاني الاسراء والمعراج حين يذكر السفر بين الاجرام السماوية ، تداعيا آليا ، أو بتوجيه من القرآن الكريم والحديث الشريف ، فان الح انواع هذا التداعي لهو وجود مهبط الاسراء ومصعد المعراج في ايدي أعدائنا وأعداء الله وأعداء الانسانية .

إن مصيبة الاسلام باحتلال الصهيونيين لبيت المقدس لهو من العظم والفداحة بحيث نجد انفسنا منساقين الى وصفه بالتاقيت . والى قياس هذا الاحتلال على احتلال الصليبيين له في القرنين السادس والسابع الهجري . ذلك الاحتلال الذي انتهى بالجلاء حين توحد العرب . وذلك الأمل لا يرجع عندنا

كما يعتقد الصهاينة الى قدر غيبى ، بل هو نابع من تصميم على العمل لازاحة هذا الكابوس بجد لا يعرف الهزل ، وعمل لا يعتريه الملل .

واذا كانت مؤتمرات القمة وغيرها من المؤتمرات الاسلامية تتمخض عن مواقف متخاذلة فرضتها عوامل لا حصر لها ، فان هذه المواقف قد وضعت المسلمين أمام عوامل تفرقهم وضعفهم ، ودلت على ما يجب أن يلتمس لها من علاج . فضلا عن انها بينت للذين يعلقون على التجمع الاسلامى الآمال انه لا يزال أمامهم عمل كبير للتخلص من أسباب تخلفهم الدينى والدنيوى .

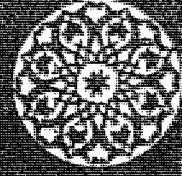
وان التعلل بأن الله لا يرضى لبيت المقدس أن يظل فى أيدى الصهاينة ، وتحميل آيات سورة الاسراء ما لا تحتمل من الاتكالية الخرقاء ، لهو صيغة أخرى لقول الصهاينة لموسى : **((اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون))** . انه لن يظهر ابدا للعالم غير المسلم ما اذا كان ربنا راضيا عن ذلك الاحتلال ، أو غير راض الا اذا غيرنا بأيدينا الوضع لتصدق كلمة الله فى سورة الاسراء : وان عدتم عدنا . أى ان عدتم الى الافساد بعد المرتين المذكورتين فى الآيات السابقة عدنا عليكم بالاذلال .

وإن حتمية أن يغلب مائة مليون عربى المليونين من الصهيونيين لا ترجع الى كونهم مائة مليون فى العدد ، فان فى ذلك مدا آليا فى حبال الاستعداد ، وتمهيدا ذهنيا للتكاسل ، ولكن هذه الحتمية ترجع الى كونهم مائة مليون يعملون امكاناتهم المتاحة بكفاءة ، ويحصلون من الامكانات الأخرى بوعى بالزمن ، وبأبعاد المعركة ، وبسرعة العصر .

لقد كان تضييق تصور وسائل النصر ، وحصرها فى الاستعداد العسكرى ، والكثرة العددية هو سمة الاستعداد السابق على ٥ يونيه سنة ١٩٦٧ . ومن الدروس التى يجب أن تستفاد من النكسة الا نقصر استعدادنا على هاتين الناحيتين فحسب ، بل لا بد من أن يشمل الاستعداد التعبئة العلمية والخلقية التى تتمثل فى النظام ، وتقدير العلم ، والاخلاص فى العمل ، وبذل الجهد فى الانتاج ، ومحاربة الانحلال والتخلف ، والثقة فى القادة ، واصطناع المنهج العلمى فى حياتنا

بقيت فى هذه الدراسة كلمة . أن ذكر الاسراء فى مطلع الآيات التى تحكى أكبر مرتين أفسد فيهما اليهود فى العالم ليشبه أن يكون اشارة الى أن ثمة علاقة ما بين المسجد الأقصى وبين افساد اليهود فى الأرض ، يمكن أن نستنتج منها أن احتلال المسجد الأقصى سيكون أشد مظاهر عودهم للافساد ، وأقوى دواعى عود الله عليهم بالقهر والاذلال . اذ يقول جل وعلا : وان عدتم عدنا . ولا أعنى بهذا إلا أن عودة الله عليهم بالقهر لن تكون إلا بأيدينا وأخلاقنا وعقولنا وعلمنا .





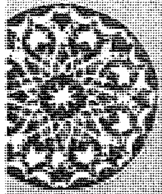
الاسراء والمعراج

الاسراء في الاصطلاح الشرعي : هو انتقال النبي صلى الله عليه وسلم من مكة التي بها المسجد الحرام . الى بيت المقدس بالشام .

والمعراج ، يراد به صعود النبي صلوات الله وسلامه عليه من بيت المقدس من مكان العبادة والسجود — موضع المسجد الأقصى — الى السموات العلا وما وراء الحجب ، مخترقا الفضاء بأمر الله وارادته وقدرته التي لا تحد ولا تخضع للسنن الكونية .

فالاسراء والمعراج رحلتان دينيتان عزيزتان : احداهما ارضية وهي الاسراء لأنها بدأت من مكة التي بها المسجد الحرام والتي اصبحت كلها حرما الى مكان العبادة والتقديس بيت المقدس عند موضع المسجد الأقصى . وهذه الرحلة التي ذكرها الله سبحانه في قوله : ((**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا**)) .

أما الرحلة الثانية : فانها سماوية من بيت المقدس حيث انتهت الرحلة الأولى والتقى الرسول فيها ببعض اخوانه من النبيين الذين بعثهم الله في تلك الليلة لاستقباله وتحيته الى السموات السبع ، ثم سدرة المنتهى ، ثم الى ما فوق ذلك مما لا تدركه عقولنا ولا تنفذ اليه حيث راى وسمع ما لا يعلمه إلا الله . وهذه الرحلة هي التي يشير اليها — كما يقول المفسرون — ما جاء في سورة النجم من قول الله سبحانه : ((**والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى . فاوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما راى . افتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من آيات ربه الكبرى**)) .



وأثر ذكراهما في نفوسنا في الظروف الحالية

للدكتور : محمد سلام مدكور

وهاتان الرحلتان من ابرز الخوارق التى اكرم الله بها رسوله ايناسا له وطمأنة لخاطره وقد لاقى من قومه الكثير من الأذى والعناد فلم يلن جانبه ولم يتخل عن دعوته او يتوان فيها . بل صبر وثابر وتحمل الأذى وقاوم فاستحق أن ينعم الله عليه بهذا الفضل وأن يعطيه هذا الأجر ليثبت فؤاده ويقوى إيمانه وليتخذ منها زادا يدفعه الى الأمام ويمسح عنه الآلام ويمهد له حياة جديدة يرى فيها اشراقة النور الإلهى تغمر قلبه ، وتبث فيه آيات الرضا والاطمئنان .

... ...

كان يوم الاثنين ليلة سبع وعشرين من شهر رجب قبل الهجرة بعام وكان ذلك يوافق سنة ٦٢١ م وفى هجيع الليل والناس نيام حدثت الرحلتان . إذ أخبر الصادق الأمين الناس عندما استيقظوا من نومهم انه استيقظ عقب نومه على صوت يصيح به : أيها النائم قم . فقام وإذا به أمام الملك جبريل وفى يديه دابة عجيبة هي البراق لها اجنحة كأجنحة النسر ، وطلب الملك جبريل منه أن يمتطيها ، فلما هم انحنت له ثم انطلقت به انطلاقة السهم متجهة نحو الشمال وبصحبته الملك جبريل ، ووقف به البراق عند جبل سيناء . حيث كلم الله موسى . ثم وقف مرة أخرى فى بيت لحم حيث ولد عيسى ثم انتهى به الى بيت المقدس . وهناك صلى على أطلال هيكل سليمان ، ومن خلفه من أوفدهم الله سبحانه من الأنبياء لاستقباله .

ثم بدأت الرحلة الثانية من حيث انتهت الرحلة الأولى فعرج به الى السماء مخترقا الحجب والفضاء حتى السموات السبع ثم سدرة المنتهى التى ينتهى عندها جبريل فلا يتعداها ، ثم كرمه ربه أكثر من ذلك فرأى نور ربه واستمع الى أوامره وهو الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وقدرة الله لا تحد ، ولا يحول

بين تنفيذ ارادته شيء وصدق الله العظيم : **« ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى »** .

وفي هذه الرحلة السماوية فرض الله على الأمة الاسلامية فريضة الصلاة وجعلها خمس صلوات في اليوم والليلة ، والصلاة هي أبرز أركان الجانب العملي في الاسراء والمعراج كما أنها الركن الأول العملي من أركان الاســلام بل هي عمــاد الدين .

وكان لا بد أن يحدث رسول الله قريشا عن رحلته الخارقة للعادة ، ويبلغ المسلمين أمر ربه بتكليفهم بالصلاة ، فلما هم بالخروج بعد أن أخبر من معه في الدار أشفقت عليه أم هانيء — أخته في الرضاعة وبنت عمه وكان يبيت عنــدها تلك الليلة — وحاولت أن تحول بينه وبين ذلك خشية أن يكذبه الناس أو تسخر منه قريش وقالت : يا نبي الله لا تحد ث الناس فيكذبوك ويؤذوك ! فقال : والله لأحدثنهم . وكان ما توقعته أم هانيء ، بل ارتد بعض المسلمين وقالوا : والله ان العير لتسير شهرا من مكة الى الشام مدبرة وشهرا مقبلة أفيذهب محمد في ليلة واحدة ويرجع ؟! وذهب ناس الى ابى بكر فقالوا : هل علمت يا أبا بكر أن صاحبك يزعم انه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة ، فلم يصدقهم ابو بكر فيما نسبوه الى الرسول . ولما استوثق من صدق الرواية عن الرســول عليه السلام صدق وقال : والله لئن كان الرسول قال هذا فاني أؤمن به وأصدقه ، وما تعجبكم من ذلك ؟! انه ليخبرني ان الخبر يأتيه من السماء الى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تتعجبون منه !! وذهب للقاء الرسول ، وكان نفر من قريش — وقد بلغهم الخبر — قد طلبوا منه صلوات الله عليه أن يصف لهم بيت المقدس فأخبرهم عنه ووصفه لهم وصفا دقيقا ، وكان ابو بكر قد زاره من قبل ، فكلما سمع منه وصفا صدق وآمن وقال : أنه الحق ، كما أخبرهم الرسول عن قوافلهم التجارية الى الشام وعن عيرهم أين لقيها ومتى تصل . فآمن الكثير منهم عندما تأكدوا من صحة ما قال . وذلك بعد أن كانوا يظنون به الظنون .

وبهذه الرحلة المباركة يكون الله سبحانه جل شأنه قد ربط بهذا الأمر بين اول بقعتين في الأرض خصصتا للعبادة كما ربط بعد ذلك في الرحلة الثانيــة بين السماء والأرض وجمع بذلك الكون كله فتكشفت له خصائصه وأراه الله من آياته الكبرى ما لم يره أحد . وقد سجل القرآن الكريم ذلك في سورتي الاسراء والنجم في قوله : **« سبحان الذى أسرى بعبــده ليلا من المسجد الحــرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا »** وفي قوله : **« .. ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى .. »**

وقد اختلف الكتاب وبعض المفسرين في كيفية الاسراء والمعراج . هل حدث له صلوات الله عليه ذلك بجسده وروحه أم بالروح فقط دون الجسد ؟

فهناك من قال : انهما كانا بالروح فقط .

وهناك من فرق في ذلك بين الاسراء والمعراج ، فقال ان الاسراء كان بالروح والجسد اما المعراج فقد كان بالروح وهو في اليقظة . ومن هؤلاء الامام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

وذهب الأكثرون الى أن كلا من الاسراء والمعراج كان بالروح والجسد معا لأن الله سبحانه اشار الى حادث الاسراء اشارة صريحة اذ يقول : « سبحان الذى أسرى بعبده » .. وهذا يفيد أن الاسراء كان في اليقظة بالروح والجســد لأن الله سبحانه صدر الخبر بقوله « سبحان .. » ليشعر بأن من فعل هذا وأحدثه يستحق التنزيه والتعظيم ، كما أن الاسراء لم يكن من عمل الرسول نفسه وإنما كان بفعل الله إذ يقول : « أسرى بعبده .. » فنسب الاسراء به اليه جل شأنه ،

كما أن اخباره بأنه أسرى بعبده والعبد ليس روحا فقط ولا جسدا فقط وإنما هو الروح والجسد معا ، فهذا يفيد أيضا أن الاسراء كان فى اليقظة وبالروح والجسد .

واستدل المفسرون على أن الاسراء إنما كان بالروح والجسد وفى حال اليقظة بجملة احاديث بلغ رواتها أكثر من ستة وعشرين صحابيا وأدت كلها هذا المعنى .

على أن موقف قريش ، وتعجب أم هانىء وخشيتها عليه من أن تسخر به قريش حين قص عليها ما وقع له ، وارتداد بعض المسلمين عند سماع ذلك ، وعدم تصديق أبى بكر رضى الله عنه نسبة الخبر للرسول أولا . كل ذلك لا يتفق بحال مع القول بأنذلك كان مجرد رؤيا وهو نائم أو حتى أنه كان فى حال اليقظة لكنه كان بالروح فقط . إذ لا عجب ولا غرابة فى شىء من هذا حتى بالنسبة للفرد العادى فقد يرى الشخص العادى مثل ذلك فى منامه ويتنقل فى رؤياه من مكان الى مكان ومن صورة الى صورة سواء كان بينهما تقارب أو تباعد ، كما يمكن أن يتخيل الفرد فى يقظته أن روحه سبحت فى الفضاء ويتخيل صورا كثيرة بعيدة وقريبة ويتصور كلاما ونقاشا وافعالا عديدة خارقة وفوق ما يتصوره العقل واذا ما قصه على الناس على هذا الوصف لا يأخذهم شىء من العجب والاستغراب ولا يأبه أحد لما يقول ، ولا يخشى من تكذيب الناس له والانشقاق عليه واتهامه بالكذب والجنون .

ثم ما معنى قول الله سبحانه : ((**ما زاغ البصر وما طغى**)) والبصر لا يزيغ ولا يطغى الا فى الجسم ، واذا كان من المسلم به أن الصلاة فرضت فى هذه الرحلة فكيف يستسيغ العقل أنها كانت نتيجة رؤيا أو خيال ، ولِم لمْ يوح إليه بها كسائر التكاليف والعبادات .

واذا كنا نؤمن ونصدق بأن الله أوحى اليه ما أوحى وأن ملك السماء ينزل عليه بأمر ربه ، فما الذى يوجد شيئا من التردد فى تصور حدوث ذلك بالروح والجسد وحصوله فعلا وقدرة الله لا تقف عند حد ، ولا تخضع لتصور العقل .

وإذا كان هذا من الأمور السماعية التى لا مجال للعقل فى الحكم عليها ، وانما يخضع الأمر فيها الى الايمان الكامل بالله والتصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ففيم الجدل والخلاف ورحم الله أبا بكر فقد أصاب كبد الحقيقة . ووضع الدليل واضحا أمام كل مؤمن بالله ورسالة محمد حين قال : والله لئن كان الرسول قال هذا فانى أؤمن به وأصدقه ، وما تعجبكم من ذلك ؟! انه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء الى الأرض فى لحظة فأصدقه . .

••• ••• •••

على أن المعجزات والخوارق كثيرة متباينة حتى فى خلق الانسان نفسه ، وكلها فوق ادراك العقل وتصوره وكلها لا تخضع للنواميس الطبيعية ، ولا تأتى على وفق ما هو معتاد والا لما كانت معجزات .

وقد حدثنا القرآن كماحدثتنا الكتب السماوية السابقة عن الكثير من الخوارق والمعجزات فآمنا بها وصدقنا نتيجة إيماننا بالله ورسالاته . فلم يريد بعض الناس اخضاع هذه المعجزة دون غيرها لحكم العقل ؟!

وهل كانت معجزة عصا موسى التى شق بها البحر ، والتى انقلبت ثعبانا يجرى أمام السحرة حلما وخيالا ؟!

وهل خلق عيسى بن مريم من غير أب أمر يخضع لمنطق العقل . وهل تكلم عيسى وهو فى المهد صبيا عندما سأل الناس مريم عنه وهى تحمله رضيعا ،

فأشارت اليه فقالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . قال : انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت .. هل هذا مما يخضع لمنطق العقل ؟

وهل تسخير الريح لسليمان يستخدمها فى غدوه ورواحه مما ورد فى قوله تعالى : ((**ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه**)) هل هذا مما يخضع لمنطق العقل ؟!

وهل قصة بلقيس وقد طلب نبى الله سليمان عرشها فنقل من اليمن الى الشام قبل أن يرتد اليه طرفه كما يحدثنا القرآن على لسان سليمان : ((**يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك قبل أن يرتد اليك طرفك**)) هل هذا مما يخضع لمنطق العقل

وهل قصة المائدة التى نزلت على عيسى بناء على طلب الحواريين ودعوته لربه وهى التى اشار اليها قول الله : ((**إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله انى منزلها عليكم**)) فهل هذا مما يخضع لمنطق العقل ؟.

إلى غير ذلك من المعجزات والخوارق الكثيرة التى حدثت عنها الكتب السماوية مثل القاء ابراهيم فى النار وعدم احتراقه بها وانما كانت بردا وسلاما ، وجمعه عليه السلام أربعة من الطير وتقطيعها وجعله على كل جبل منهن جزءا ثم دعوته لها واستجابتها لدعوته مسرعة باذن الله ليريه كيف يحيى الموتى ويشير الى القصة الأولى قول الله تعالى : ((**قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم**)) . ويشير الى القصة الثانية قول الله تعالى : ((**وإذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى . قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا**)) .

وما دام العقل يقبل المعجزات والخوارق وان كانت فوق المستوى فلم الجدل والنقاش حول الاسراء والمعراج وكونه فى المنام أو فى اليقظة بالروح فقط أو بالروح والجسد . فلتكن هذه معجزة من المعجزات العديدة التى تدل على قدرة الله وعظمته . أليس الله بقادر على أن يحيى الموتى ويبعث من فى القبور وهو على كل شيء قدير ، وقدرته سبحانه فوق الشك والتهم .

وإذا كان من الفلاسفة من ينكر حدوث المعراج ، ويقولون : ان الحركة المبالغة فى السرعة الى هذا الحد الذى يجعله يصل من مكة الى بيت المقدس ومنه الى السموات العلا فى جزء من الليل أمر غير معقول بل محال . فاننا نستطيع أن نرد عليهم بأن قدرة العلم الحديث مكنت الانسان من اختراق الفضاء والصعود الى القمر ، وها هم العلماء يستعدون للوصول الى غيره من الكواكب مخترقين الفضاء أفتعجز قدرة الله خالق الانسان والكون مالك الملك الذى يحيى ويميت عن مثل هذا ؟!

واذا كان العقل بتصوره القاصر يستبعد حدوث هذا وتمنع العادة أن يقطع الانسان مثل هذه المسافة فى هذه الفترة ، وأن يخترق هذه الحجب وذلك الفضاء من غير واسطة آلة فان ذلك يكون مستساغا لو قلنا أن ذلك من فعل بشر أيا كان

ذلك البشر . لكن الأسراء والمعراج لم يكن بفعــل محمد بن عبد الله ولا بارادتــه وانما كما يفيده النص القرآني على ما أشرنا قبل بمعرفة الله وقدرته ، وقدرته جل جلاله لا تقف عند حد ولا يخضع في تصرفه في ملكه لسنن كونية ، واذا كان العلم مكن الانسان كما قلنا من اختراق الفضاء بواسطة الآلة التي صنعوها بأيديهم فان محمدا صلوات الله عليه طوى الأرض واخترق الفضاء بواسطة ما أعده الله له وصنع الله فوق صنع البشر ، وهو سبحانه اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكن .
فاذا أراد لمحمد بن عبد الله الذى اصطفاه من بين خلقه وصنعه على عينه أن يكون رجل الفضاء الأول وأن يخترق تلك الحجب ويطوى هــذه المسافات دون خضوع لنظريات علمية ولا اعتماد على آلات صناعية ــ كان لا بد من ذلك ، وكان من واجبنا ما دمنا نؤمن بالله ورسالاته أن نصدق بذلك ونؤمن به دون أن يداخل نفوسنا أدنى شك .

وأيا ما كان من كيفية الاسراء والمعراج فإنه لا شك ان في هذه الرحلة المباركة من تكريم الرسول وعلو شأنه ما فيه ، فقد أراه الله من آياته الكبرى ما يبهر العقول ورجع من رحلته مشمولا بعناية الله متشحا بالكمال وقد حوت هذه الرحلة غير فريضة الصلاة كثيرا من العظات العلميــة والعبــر التى هى بمثابة دروس عملية يأخذ منها الرسول عليه السلام الارشادات والنذر فيبشر بها الصالحين أعمالا وينذر بها المعاندين العصاة .

وقد يكون من حق القارىء على أن أشير له الى قصة فتح المسلمين لبيت المقدس وخضوع هذه الأرض بما عليها لسلطان المسلمين منذ نحو أربعة عشر قرنا حين فتح المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب الشام بقيادة عمرو بن العاص ، وقد كانت تحت سلطان الروم . ثم دخل أمير المؤمنين عمر بنفسه مدينة القدس وكتب لأهلها عهدا أمنهم فيه على أنفسهم وعلى أموالهم وعلى كنائسهم وصلبانهم ، ويقول فى عهده هذا :

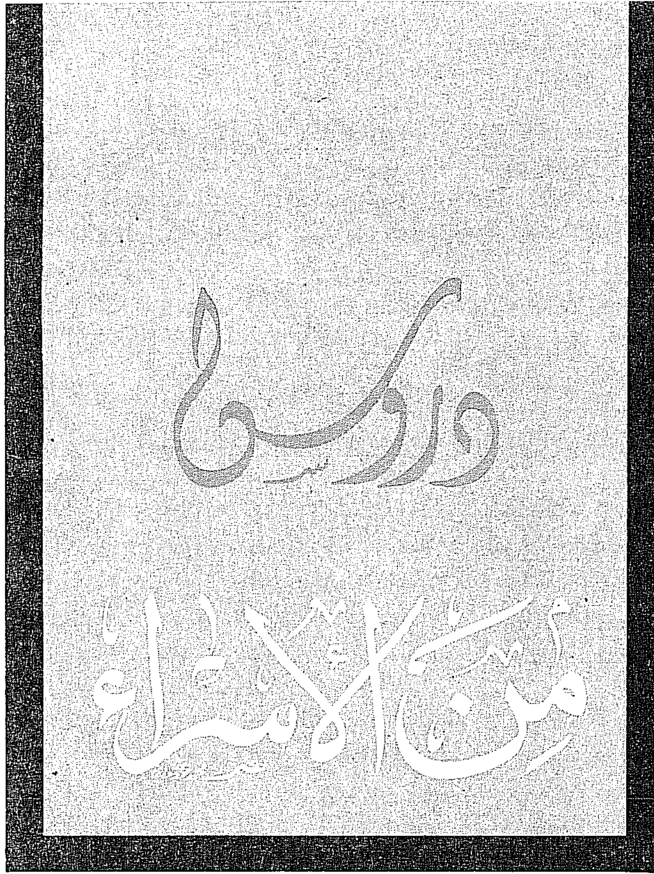
«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل (ايليا) من الأمان . أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائســـهم وصلبانهم .. لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها .. ثم وعد أهلها استجابة لرغبتهم الا يسكنهامعهم أحد من اليهود .

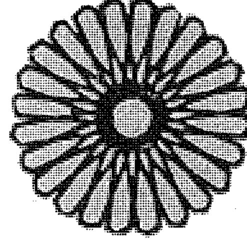
ثم اتجه الى بيت المقدس حتى دخل كنيسة القيامة ولما حان وقت الصــلاة رفض أن يصلى داخل الكنيسة وقال : لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدى وقالوا : هنا صلى عمر !!

ثم قال للبطريق : أرنى موضعا أقيم فيه مسجدا ؟ فأشار الى الصخرة ، وأشار عليه أن يبنى فوقها المسجد . وكانت الصخرة غارقة فى تراب كثيف وأقذار وأوضار . فطهر المسلمون مكانها وأقاموا المسجد .

وبقيت كنيسة القيامة الى جوار المسجد الأقصى فى ظل العروبة والاسلام طوال هذه القرون العديدة تؤدى رسالتها الدينية فى أمن وسلام وعزم واطمئنان دون أن يعبث بالكنيسة أحد أو يسىء أحد من المسلمين معاملة أحد . حتى كانت هذه المأساة التى شاء الله أن تكون فى عصرنا ليثوب الينا رشدنا بعد أن لعبت بنا الأهواء وفرقت بنا السبل .

وان المسجد الأقصى الذى دنسته أيدى الصهاينة وعملوا على احراقه كما عملوا على ابعاد أهل فلسطين الأصليين . هذا المسجد نوه النبى صلى الله عليه وسلم به ، وبين أن الصلاة فيه بخمسة آلاف صلاة ، وأنه أحد المساجد الثــلاثة التى تشد اليها الرجال .





بقلم : الأستاذ محمد المجذوب

موضوع الاسراء والمعراج من كنوز السيرة التى شاء الله أن لا تنفد عجائبها ، وان تتجدد ابدا عبرها . فالمضمون الواحد تعالجه الاقلام النافذة فلا تستوفى منه الا ما يواجهها ، مما يتصل بحاجة البيئة ومفاهيمها المتطورة ، وتبقى أسراره الأخرى بانتظار المدارك الجديدة ، التى يتعذر سبقها الا فى نطاق محدود .

ولا جرم .. فالسيرة النبوية هى مجال التطبيق الاول لحقائق القرآن ، وهى من أجل ذلك خالدة بخلوده ، منتظمة فى موكبه ، تنتظر دائما وابدا الموهبة التى تحسن عرضها بلغة عصرها . ومن هنا جاء توافر الانتاج الفكرى فى قضية الاسراء والمعراج ، اذ كثر متناولوهما فتعددت طرقهم بين التحقيق والتلفيق ، والخيال والموضوعية .. ولكل وجهة هو موليها ، وفهم خاص هو آخذ به .

واسرع الأقول اننى من اجل ذلك لن اقف بحثى على كيفية الاسراء والمعراج وأحداثهما ، لأن كثيرين سيتولون ذلك فيما أتوقع ، وأوثر لحديثى أن يكون فى حدود العبر التى أحسبها بعض الأهداف الكبرى فى هذين الحدثين العجيبين .. ذلك لاعتقادى أن كل حدث صح خبره من وقائع السيرة النبوية هو محطة تعبئة لا مندوحة للمسلم من الوقوف عليها لتجديد طاقته الروحية التى بها وحدها يحقق وجوده ، ويتبين حدود مسؤوليته فى تنازع البقاء وبخاصة ازاء التيارات الجهنمية التى تلح على فصله عن ذلك الماضى ، الذى على مقدار ارتباطه به يتوقف استمراره ويتأكد انتصاره .

— ٢ —

قبل ربع قرن ألقى على هذا السؤال : تبدأ سورة الاسراء بتمجيد الله واسرائه برسوله صلى الله عليه وسلم وبيان الحكمة من هذه الرحلة ، ثم تنتقل فجأة الى رسالة موسى وبنى اسرائيل وما يلى ذلك من الاغراض الهامة .. فما السر فى جمع المقدمة بين اسراء محمد صلى الله عليه وسلم ورسالة موسى عليه السلام وما يتصل ببنى اسرائيل ؟! ..

ولقد تفطن بعض المفسرين الى الرباط الخفى بين هاتين النقطتين ، وحاولوا الكشف عن ذلك على تفاوت فى وضوح الرؤية وتحديد الغاية .. وفى يقينى أن استبانة هذا السر وابراز مكنوناته مطلب على جانب عظيم من الأهمية ، من حقه أن يرهف عزيمة المسلمين ، ويزودهم بالكثير من أسباب الصبر والنصر ..

لقد شاءت حكمة الله أن ينشىء للجنس البشرى مناطق سلامة يفىء اليها كلما حزبته هموم الحياة ، فحالت بينه وبين الأمن الروحى، الذى لا يستكمل انسانيته بغيره .. فكان المسجد الأقصى الذى بارك حوله ، فأحاطه بالخير والنعم ، وجعله منطلق الدعوة الى توحيده وعبادته الخالصة ، يقوم بها النبيون والربيون . وفى واد غير ذى زرع من مكة المكرمة أرسى لهذه الانسانية قواعد البيت الحرام ، لتتعارف فى ظلاله على طاعة الله ، فتسترد فى هاتين المثابتين ما ذهلت عنه من أواصر القربى ، ووشائج التعاطف ، وروح الاستقرار . وعهد سبحانه برعاية كل منهما الى طائفة من عباده فوكل أمر المسجد الأقصى الى أنبيائه وأنصارهم من بنى اسرائيل ، يعمرونه بالعبادة ، ويتولون مجاوريه بالهداية ، ويفصلون بينهم بحكم الله . واختار سبحانه لولاية بيته الحرام ذرية من نبييه الأكرمين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام يكرمون الوافدين اليه ، ويوفرون الأمن لكل مقبل عليه ..

ولكن سرعان ما نسى بنو اسرائيل عهد ربهم فى رعاية مسجده ، فاذا هم يقتلون أنبياءه ، ويغدرون بعباده ، وينشرون على الارض المباركة ظلمات البغى ، على حين ظل سدنة البيت الحرام وافين بعهد الله موقرين بيته ،

قائمين بخدمة ضيوفه ، حارسين لسلامتهم وأمنه .. حتى شاء الله تحقيق موعوده ببعثة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، بعد أن استشرى الفساد فى البر والبحر ، بما كسبت أيدى الناس ، وتقلصت أنوار الهداية عن ارجاء الارض ، فلم يبق فيها من يهتم بها ، الا بقية ضئيلة من أهل الكتاب ، تناثروا فى الابعاد ، حيث لا يسمع لهم كلام ، ولا يستطيعون ضرا ولا نفعا .. وبهذه البعثة الخاتمة تدارك الله عباده بواسع رحمته ، فاذا هم فى أول الطريق اللاحب الى الالفة الجامعة ، التى قدرها من الأزل تحت قيادة الصادق الأمين وسيد الأولين والآخرين .

وفى ليلة الاسراء المباركة تم بناء هذه الوحدة العالمية ، لأول مرة فى تاريخ الانسان ، منذ أن افترق جنسه الى شعوب وقبائل .. وقد تجلى ذلك فى الجمع بين البيت الحرام والمسجد الأقصى تحت لواء هذا الرائد الاعظم ، الذى اختارته العناية الالهية لهذه المهمة . ومن أجل ذلك جمع الله له اخوانه النبيين ليؤمهم فى صلاة جامعة ، تؤكد العودة بالانسانية الى وحدتها المقررة وتضع فى يد الأمة المسلمة من جميع الألوان ولاية المسجدين جميعا، لتكون أمة الدعوة العالمية الى التى هى أقوم .

ثم جاء المعراج الى الملأ الاعلى تكملة رائعة للمسيرة الانسانية الجديدة ، اذ كان بمثابة اعلان بليغ لاتجاه هذه المسيرة نحو السماء ، وبذلك انتهى عهد الضياع البشرى ، وتعينت الغاية العليا من الحياة والحضارة ، ليحيا من حيي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .. وفى حسبانى أن فى هذه الحقائق المنظورة من خلال آيات الاسراء ما يصلح لأن يكون الجواب المقنع على ذلك السؤال القديم .

على أن ثمة أسئلة أخرى تثيرها الآيات ، من شأنها أن تدفع المفكر المؤمن الى استكناه أجوبتها أيضا ، لأن فيها ما يمس واقعه الفاجع مع هذه النفس اليهودية التى تصورها الآيات انموذجا صارخا للالتواء والتعقيد .

((وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وامددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم اكثر نفيرا ، ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم ، وان عدتم عدنا ، وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)) .

فها هنا انذار ربانى يوجهه الله الى بنى اسرائيل فى بعض أسفاره المنزلة على بعض أنبيائهم حول عهدين من المعاصى الكبرى ، يقترفونها فيستحقون عليها نكاله الهائل . فهو يحذرهم تلك الموبقات ويرشدهم الى سبل الخلاص منها ، وفق قانونه الذى لا يحابى مسيئا ولا محسنا .

اما أولى المرتين فقد اتفق المفسرون والمؤرخون على حصولها وان اختلفوا

فى تعيينها وذلك لتعدد المفاسد التى استحق القوم عليها العقاب الكبير ، ولعل أهمها وأحقها بالتعيين حملة « نبوخذ ناصر » التى دمرت ملكهم ، وسفكت دماءهم ، واسترقت بقاياهم لعشرات السنين .. ولكن الاختلاف على تحديد الثانية ، وقد ذهب بعض المفسرين الى أنها قد مضت كأختها على يد الرومان .. ويرى آخرون أن الثانية هذه غير محصورة فى ذلك الانتقام الرومانى على وجه القطع ، لأن مفاسد بنى اسرائيل مستمرة على وجه الدهر ، ومستمرة عقوباتها الالهية ، تحقيقا لقوله تعالى : « وان عدتم عدنا » فلا يستثنى منها وقائع قريظة والنضير وقينقاع وخيبر ، ثم ما تلاهن من كوارث جروها على أنفسهم فى أوروبه ، حتى انتهت بمئات الألوف منهم الى أفران هتلر .. وفى رأى هؤلاء أن المرة (الآخرة) لم تخص بالذكر فى كتب الله الا بما تتميز به من الحسم الذى يشبه الاستئصال ، اذ سيكون فيها القضاء على طاقتهم الشديدة كافة ، فلا يستطيعون بعدها الى فتنة سبيلا . وقد يؤيد هذا المفهوم كونهم فى كل مفاسدهم التالية لحملة نبوخذ ناصر كانوا عالة على غيرهم ، لا يقدرون على شىء ، الا بحبل من الله وحبل من الناس ، على حين يصفهم القرآن العظيم اثناء المرتين أو أخراهما بالتفوق الذاتى الذى يرتفع مدة الى قمة الطغيان ، حتى لا يفى بتصويره الا قوله تعالى : « ولتعلن علوا كبيرا » ومعلوم أنهم لم يبلغوا قط هذا المستوى خلال عشرين قرنا قبل قيام اسرائيل .. اذ أصبح لهم كيان مزود بكل وسائل التدمير والارهاب والاستعلاء ، فضلا عن سيطرتهم الفكرية على منابع القوة فى الشرق والغرب ، وبخاصة فى نطاق المال والسياسة والمذاهب الفكرية والاجتماعية الهدامة وبسبب ذلك نميل الى اعتبار « الآخرة » من المرتين هى التى نعاصرها اليوم ، ونعيش مآسيها فى العدوان الذى لا يقيم وزنا للعواقب ، وفى التدمير الخلقى والروحى الذى لا يتورع عن سلب الانسانية فى كل مكان كل مقومات السلامة والاستقرار ... وهذا يقتضى بديهيا أن يكون مدلول (الارض) فى كل من المرتين مقيدا بحدود الواقع التاريخى . فاذا كانت فى الافساد الاول مقصورة على الأرض المقدسة التى انحصر اثرهم فيها وحدها ، فميدانها فى الافساد الثانى يشمل كل جانب امتدت اليه سموم هذا الثعبان الجهنمى من أجزاء الكرة الأرضية .

— ٤ —

والآن ، ونحن بازاء الثقل الاكبر من أوزار هؤلاء المفسدين فى الارض، يجدر بنا أن نتساءل .. الى اى مدى كتب علينا أن نسهم فى تأديبهم هذه المرة (الآخرة) ؟!

وقبل الاجابة على ذلك نركز البصر على قوله تعالى فى آخر السورة : « وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض .. فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا » وعلى الرغم من اغفال الكثير من المفسرين ربط ما بين هذه الآية وسابقتها فى مقدمة السورة : « فاذا جاء وعد الآخرة .. » لا نشك فى أنهما تستهدفان الغرض الواحد ، بحيث جاءت الثانية تكرارا مؤكدا للأولى فى كون (الآخرة) فى كلتيهما واحدة ، هى ثانية المرتين . والذين ذهبوا بمعنى (الآخرة) الى مقابلة الدنيا لا

سند لهم من اثر أو وحي ، وانمـــا هو الاجتهاد المأجور .

هذا الى أن في الفقرة الاخيـــرة زيادة تسترعى أعمق الانتباه . ففى قوله تعالى : « جئنا بكم » ايذان قاطع بأنهم سيساقون بتقدير محكم مـــن مختلف الانحاء الى مكان معين . وفي التعبير بـــ (لفيف) توكيد لذلـــك اذ يشير بصراحة الى تجميعهم أثـــر حصول الافساد الآخر .. ومـــع أن الآية لم تحدد موضع التجميع باللفظ فهو ملحوظ بالمعنى من اللفظ المجاور (الارض) الذى لا مجال للتردد فـــى أن المراد به هو الارض المقدســـة ، التى أمروا باستيطانها لاقامة شعائر الله ، وتحقيق القيم العليا التى يحب سبحانه أن تعمر بها الحياة ، والتى تحقق بسابق علمه أنهم سيفسدونها بسوء سلوكهم ، وبتمردهـــم علـــى أنبيائهم ..

واذا كان الأمر كذلك لم يبق مـــن شك فى أن مهمة الانقاذ ، انقـــاذ الانسانية من رجس هذه الثعابيـــن واقعة على عاتق المسلمين وحدهم ، وان موعد المعركة الفاصلة معهـــا متوقف على وصول هذا التجمع الـــى حدود الانفجار .

وطبيعى أننا لا نسجل سبقا علميا اذا قلنا أن علماء السنة على علم بهذه الملحمة الحاسمة منذ أربعة عشر قرنا وانهم يملكون المخطط الكامل عـــن تفاصيلها (الكبرى) وذلك منذ اليوم الذى أبلغهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه انه (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم .. يا عبد الله — هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله .. الا الفرقد فانه من شجر اليهود) .

والحديث من أنباء الغيب أخرجه مسلم فى جامعه عن أبى هريرة رضى الله عنه فلا مرية فى صحتـــه .. ويحسن بأهل الاسلام أن ينعمـــوا الفكر فى اشاراته ، التى قد يكـــون فيها الغريب عن مصطلحات زمنهم ، ولكنها ذات أهمية بالغة بالنسبة الى معركتهم المقبلة المحتومة مع هـــذا العدو الخبيث .

ان ها هنا اخبارا قاطعا بملحمـــة لا مناص منها بين المسلمين واليهود تفسره كلمة « يقاتل » التى تصـــور المشاركة المتقابلة ، ثم يأتـــى النصر الحاسم الذى يسجله فعل الغلبـــة بقوله (فيقتلهم المسلمون) ويعقب ذلك تجسيم الهزيمة الواقعة فى العـــدو بصورة الاختباء وراء كل مظنة للقوة والنجاة من حجر وشجر ، ويلحـــق بالحجر كل ما يتألف منه كالحصـــون والخنادق والبيـــوت والصخـــور . ويلحق بالشجر كل ما يتخذ للوقايـــة والتضليل والكمون . ويبقى موضوع (القول) الذى يصدر عن الحجـــر والشجر : ما هو .. ما صفته ؟ .. وهو تعبير يتسع لأكثر من تفسير . فالقول يطلق على اللفظ الذى ننشئه من أنفسنا ، والذى ننقله عن غيرنا ، ومن ذلك قوله تعالى فى وصف كلامه العزيز (انه لقـــول رســـول كريم) ويحتمل معنى الاشارة كما فى الحديث (وقال باصبعه هكذا) أى اشار .. وعلى هذا فقـــول الحجـــر والشجر يحتمل أن يكون كلاما يخلقه الله فيهما لارشاد المسلمين الى مكامن عدوهم فى تلك المعركة ، فيكون ذلك مـــن التكرمة الربانية لعباده المؤمنيـــن ، كتنزيله الملائكة بنصرتهم حين يشـــاء .. ويحتمل أن يكون من نوع الاشارة اللاسلكية أو الضوئية التى يحدثهـــا

الرادار ونحوه ، يوجهه الخبراء الى الاماكن المختلفة فيستكشف ما خلفها فيكون ذلك مساعدا على تتبع العدو . أما استثناء الفرقد من ذلك التجاوب فلعله حاصل من تحصين اليهود اياه بعواكس معطلة لعمل هذه الاجهزة . وطبيعى أنه لا سبيل الى القطع بهذه التعليلات ، لأن الأمر متعلق بغيب لا يحيط به الا الله ، ولكنها محاولة لتقريب المعانى البعيدة . والذى نريد التنبيه اليه هنا هو ما يحمله الحديث الشريف من انذار للمسلمين بهذه الملحمة الهائلة ، والملابسات التى تكتنفها والنهايات التى ستضير اليها ، ليكونوا على بينة من مسئولياتهم الآتية ، وعلى أهبة لتحقيق واجباتهم بازائها ، لكى يستحقوا النصر الموعود .

وبقيت هنالك نقطتان :

أولاهما : ان مجرد نداء الحجر والشجر بكلمة (يامسلم .. ياعبدالله) دليل كاف على أن جنود الاسلام يومئذ سيكونون من النوع الذى يستحق الاضافة الى الله . ولن يستحق المحاربون هذا التكريم الا أن يكونوا مصفين من كل عصبية جاهلية ، مخلصى العمل لله وحده ..

أما الثانية : فهى ان الخبر النبوى يعرض العدو معرفا بأل ، وفى هذا التعريف الاستغراقى مايشد الانتباه ، ويفسح مجال الاحتمال بأنه اشارة الى تجميع يجعل اليهود صالحين لكسر شوكتهم وتحطيم قوتهم .

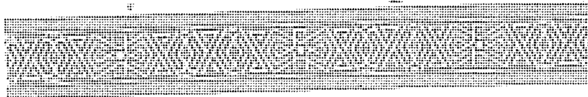
واذا صح هذا التأويل ، ولا مانع منه ، فلن يكون ثمة تجمع لهذه الشراذم السامة أصلح من تجمعهم القائم فى فلسطين .. وبالتالى لن تكون هناك فرصة للقضاء على شرورهم ، وانقاذ البشرية من فواجعهم ، اصلح من هذه المناسبة . ولا حاجة للظن أن نتيجة الملحمة هى استئصال الجنس اليهودى كليا ، فان التعبير بقوله صلى الله عليه وسلم (فيقتلهم المسلمون) قد يراد به الاثخان دون الاستئصال ... وذلك كقول عمرو بن سالم الخزاعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا

ولو كان القتل شاملا لخزاعة لما بقى منهم هذا المخبر ، ولو كانت نهاية الملحمة استئصال اليهود لما أخبر صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر بأن عشرات الألوف من يهود أصفهان سيتبعون المسيح الدجال فيما بعد ..

وبعد ... فهذه بعض العبر التى رأيت أن أقف عليها حديثى من موضوع الرحلة النبوية المباركة .. فهل تجد الآذان الصاغية ، والقلوب الواعية ، والهمم العالية ..

ذلك ما أرجو .. والله حسبى ، ولا حول ولا قوة الا به .



واجب المسلمين نحو

بعد استنفاد الجهود السلمية

من خصائص الاسلام

ان من أهم مميزات الاسلام وخصائصه ان جعل المسلمين أمة واحدة ، رغم ما بينها من فروق العرق والدم ، واللون والجنس واللغة ، قال تعالى : « **ان هذه امتكم امة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون** » آية ٩٢ من سورة الأنبياء ، وقال سبحانه : « **وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** » آية ٥٢ المؤمنون . وذلك لأن المسلمين حينما وجدوا واينما كانوا انما تجمعهم قواعد دينهم ومبادؤهم التى اقرها قرآنهم الكريم وسنة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – ولهذا نجد المسلم فى المشرق يشعر بعاطفة الاخوة الاسلامية نحو أخيه فى المغرب ، كما أن المسلم فى المغرب يشعر نفس الشعور ، وان فكرة العرق واللون والدم يهدر اعتبارها فى الاسلام ، مع اتحاد العقيدة والمبادىء . وتجد المسلم مهما كان لونه ينظر لأخيه المسلم الآخر ، نظرة الاحترام والتقدير والعطف مهما كان لونه قال تعالى : « **انما المؤمنون اخوة ، فاصلحوا بين اخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون** » : آية ١٠ الحجرات . وقال عز شأنه : « **يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، ان**

مشكلات الاختلاف العنصري

الاستاذ الشيخ : عبد الحميد السايح

التى تعتنق العنصرية أو تدين بها ، والاسلام حارب العنصرية والعصبية ، ولا يعترف بها قال صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » وعن واثلة ابن الاسقع قلت يا رسول الله : ما العصبية ؟ قال ان تعين قومك على الظلم : تاج جـ ٤ ص ٤٧ ..

المسلمون جبهة واحدة نحو مشاكلهم :

والاسلام يعتبر المسلمين كتلة واحدة وجبهة متحدة ، نحو اية مشكلة تصيب اى فريق منهم ولا يجوز السكوت على اى عدوان يقع على المسلمين حيثما وجدوا ، وقد صرح الفقهاء بأنه اذا اعتدى غير المسلمين على ديار الاسلام وجب على أهل تلك الديار صد العدوان ومنع ذلك الطغيان ، فاذا عجزوا وجب على من يلى تلك الديار أن يساهموا بذلك الواجب ، واذا عجزوا وجب على المسلمين قاطبة ان يهبوا للدفاع عن اخوانهم وديارهم ودفع الظلم عنهم ، والأصل فى هذا قوله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدوا فيكم غلظة ، واعلموا ان الله مع المتقين** » ١٢٣ — التوبة وقوله تعالى : « **وقاتلوا المشركين** ... **الله عليم خبير** » ١٤ الحجرات .

ومن أجل ذلك كله لا تجد فى الاسلام ، ولا بين المسلمين ، اية مشكلة حين تختلف الألوان : لا فى القديم ولا فى الحديث ، لأن تلك المشاكل انما تنجم فى الامم

كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين » ٣٦ التوبة . وقال عز شأنه **« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »** ٦ المائدة .

وقال صلى الله عليه وسلم : (المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه) : حديث صحيح أحمد والشيخان ، وان التهاون فى نصرة المسلمين ، ومد يد العون اليهم بشتى أنواع المساعدة ، تعرض الجميع لعقاب الله ومؤاخذته فضلا عن الخزى الذى يلحقهم فى الدنيا : قال تعالى : « **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب** » : ٢٥ ــ انفال .

واخرج أصحاب السنن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) : البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث جـ ١ ص ٢٢٠ ..

الصهيونية أخطر انواع الغزو :

ان الاسلام قد تعرض لغزوات كثيرة ، ولا يزل يتعرض لتلــك الغزوات والفتن بصور واشكال مختلفة ، وان من افظع ما تعرض له المسلمون غزوات التتار فى عهد تيمور لنك وجنكيز خان ، وهجمة الحروب الصليبية ، ولكن مع ما تعرضت له ديار الاسلام فى تلك الهجمات من بربرية وتدمير وعدوان وتنكيل فان الصهيونية اشد خطرا ، وافظع بربرية ، واقسى تدميرا وفتكا ، وابعد أثرا ، وذلك بالنسبة لمخططاتها الجهنمية واهدافها واساليبها فى التنفيذ ، لا نقول ذلك جزافا أو خيالا ، وانما نعتمد فى ذلك على ما شاهدناه حين كنت تحت سيطرتهم فى أول احتلالهم الاخير للقدس وباقى البلاد العربية الاسلامية . واخبار الثقات وما أمكن الاطلاع عليه ومعرفته ، من وثائقهم ومستنداتهم وتصريحات زعمائهم .

وكما يقول المليونير العالمى هنرى فورد ، فى كتابه « اليهودى العالمى » الصهيونية هى اكثر النشاط اليهودى الراهن دعاية واعلانا ، وهى كواقع سياسى مشكلة تفوق فى ضخامتها أية مشكلة علمية أخرى .

ويحسب الكثيرون أن الصهيونية بدأت فى عهد زعيمها الحديث نيودور هرتسل ، لكن الحقيقة انها حركة قديمة مرت بأدوار عديدة ، منها :

(١) حركة المكابيين التى اعقبت العودة من السبى ، والتى كان من أول أهدافها العودة الى صهيون (جبل فى القدس) وبناء هيكل سليمان من جديد .

(٢) حركة باركوفيا سنة ١١٧ ــ ١٣٨ م وقد حث هذا اليهودى جماعته على السعى للتجمع فى فلسطين واعادة بناء الهيكل ، وتأسيس دولة يهودية ، وتنصيب ملك عليها من نسل داوود .

(٣) حركة دفيد روبين وتلميذه سولو مون مدلوخ سنة ١٥٠١ ــ ١٥٣٢ م وقد كان هذان الصهيونيان يسعيان الى تجميع اليهود واعادة توطينهم فى فلسطين .

(٤) حركة منشة بن اسرائيل سنة ١٦٠٤ ــ ١٦٥٧ م وكان يدعوا الى توطين اليهود فى بريطانيا ، توطئة لاعادتهم الى فلسطين ..

ويبدو ان هذه الحركة الأخيرة كانت النواة الأولى للصهيونية الحديثة ، التى وجدت لها أرضا خصبة فى بريطانيا ، ترعرعت فيها ونمت ، واستطاعت فى مدى ثلاثة قرون ان تسخر جميع قوى الانكليز من اجل تحقيق أهداف اليهود .

وان رئيس وزراء بريطانيا فى سنة ١٩٠٧ م كامبل باترمان دعا الى مؤتمر ضم الدول الاستعمارية حينئذ وهى بريطانيا وفرنسا وهولندا واسبانيا وبلجيكا والبرتغال وايطاليا ، لبحث الجهة التى يمكن أن تكون الخطر على الاستعمار وقد تضمن تقرير ذلك المؤتمر ، ان الخطر الذى يهدد الاستعمار الغربى يكمن فى البحر المتوسط ، والذى يقيم على سواحله الشرقية والجنوبية شعب واحد ، يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط ، (الدين واللغة) وبما فى أراضيه من كنوز وثروات يفتح لأهلها مجال التقدم والرقى فى طريق الحضارة والثقافة .

ولمواجهة هذا الخطر أوحى المؤتمر بأن تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة ، والابقاء على تفككها ، والعمل على فصل الجزأين الأفريقى والآسيوى فى هذه المنطقة ، احدهما عن الآخر ، واقامة حاجز بشرى ، قوى وغريب ، فى نقطة التقاء الجزأين ، يمكن للاستعمار ان يستخدمه اداة لتحقيق اغراضه ،

وانك لتشعر حينما تقرأ هذا الخبر ، بأن الصهيونية وراء هذا التقرير ، وما تضمنه من اقتراحات ولذلك فانه بعد عشر سنين من ذلك التاريخ استطاعت الصهيونية العالمية ، ان تحصل على وعد بلفور فى ٢ نوفمبر « تشرين ثانى ١٩١٧ م » مع أن الحرب العالمية الأولى لم تنته بعد ، ولم تكن جيوش الانكليز قد دخلت القدس حينئذ ، اذ أن الحرب العالمية الأولى قد وضعت أوزارها فى تشرين ثانى سنة ١٩١٨ (نوفمبر) أى بعد سنة من صدور وعد بلفور ، ودخلت تلك الجيوش القدس فى كانون أول ١٩١٧ م (ديسمبر) ..

وكان من أثر ذلك الدعم البريطانى المكشوف للصهيونية وتهيئة المناخ الملائم لتمكنهم وسيطرتهم على المسلمين والعرب ، ثم التخلى عن المسئولية ووضع الأمر بين يدى هيئة الأمم المتحدة ، تمهيدا لاعلان قيام اسرائيل واتمام المسرحية الكبرى ، التى مثلت ولا تزال تمثل فى أروقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، الذى تسيطر عليه الولايات المتحدة الامريكية زعيمة الاستعمار الحديث فى القرن الحالى ولا تزال حتى الآن آثار بارزة فى الأوساط البريطانية الرسمية والشعبية ، للنفوذ الصهيونى .

وعندما دخلت الجيوش البريطانية القدس واشرف القائد البريطانى اللورد اللنبى قال كلمته المشهورة : الآن انتهت الحروب الصليبية .

(٥) نقل المؤرخ اليهودى ايلى ليفى أبو عسل فى كتابه « يقظة العالم اليهودى » نص خطاب خطير وجهه أحد حكمائهم الى بنى قومه سنة ١٧٨٩ م وقد ورد فى الخطاب تصريحات خطيرة ومخططات تكشف عن بعض ما تهدف اليه الصهيونية ، من ذلك قوله :

« هيا بنا لتجديد هيكل سليمان » ..

اما البلاد التى تنوى قبولها باتفاق مع فرنسا ، فهى اقليم الوجه البحرى فى مصر ، مع حفظ منطقة واسعة المدى ، يمتد خطها من مدينة عكا الى البحر الميت ، ومن جنوب هذا البحر الى البحر الأحمر ، فهذا المركز يجعلنا قابضين على ناحية تجارة الهند ، وبلاد العرب وأفريقيا الشمالية والجنوبية .

ولا شك أن بلاد الحبشة لا تتأخر عن اقامة علاقاتها التجارية معنا ، على الرضا والارتياح ، وهى البلاد التى كانت تقدم للملك سليمان الذهب والعاج والحجارة الكريمة ، ثم ان مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا الخ ..

والكتاب فيه الشيء الكثير عن اخطار الصهيونية ومخططاتها ، يجدر بكل مسلم أن يطلع عليه ليطلع على حقيقة الأمر .

والحركة الصهيونية كحركة سياسية دينية تضاف الى الدين اليهودى الذى يقوم على أساسين هما : التوراة والتلمود ، ومقـررات حكمـــاء صهيون (البروتوكولات) هى الأساس الثالث فى أسس الديانة اليهودية التى يمارسها اليهود .

وطبعا هذه الديانة غير الرسالة التى نزلت على موسى عليه السلام ، وحرفوها ووضعوها حسب أهوائهم ورغبات حاخاميهم ، وكتبوها بعد مضى أكثر من عشرة قرون على رسالة موسى عليه السلام .

ماذا تريد الصهيونية وما اهدافها ؟

تحاول اسرائيل الصهيونية ان توهم العالم بأنها دولة راغبة فى السلام ، ولذلك فانها تعرض على جيرانها العرب أن تتفاوض معهم لحل النزاع بينها وبينهم ولو كان عندها ذرة من حسن النية للعيش بسلام لانسحبت أولا من المواقع التى احتلتها سنة ١٩٦٧ م مع انها لا تريد الانسحاب من اى شبر ارض ، وانما تريد التوسع ، والمماطلة حتى يصبح احتلالها أمرا واقعا يسلم فيه العرب ويمل العالم البحث فيه ..

اسرائيـل كيـان عـدوانى

الحقيقة ان اسرائيل فى انشائها ووجودها كيان عدوانى غريب على أرض من صلب ديار الاسلام ، ولا يستند الى أية صفة شرعية حقيقية ، والمطلع على الكيفية التي تم فيها انشاء اسرائيل والموافقة عليه فى الأمم المتحدة يقتنع بأنها تمثل سطوة القوة الامريكية فى عهد ترومان وتلاعبه ، وتهديده للدول الصغرى التى كانت فى اشد الحاجة للعون الامريكى ، يضاف الى ذلك كله غيبة القـــوة الاسلامية ، ووضع ثقلها فى الميزان ، سواء كانت عربية أم غير عربية ، وقد استمرت فى اعمال العدوان منذ انشائها وحتى اليوم ، وقد اجلت القسم الأكبر من سكان البلاد الاصليين واغلبيتهم الساحقة من المسلمين ٩٠٪ وبعضهم مـــن المسيحيين لا يتجاوزون ١٠٪ منهم من اجلى عن وطنه بالقوة والارهاب ، ومنهم من احيط بالتهديد والتعذيب والسجن حتى اضطر لمغادرة البلاد .

جلسة هامـــة مع مسئول اميركى سابــق

فى أوائل سنة ١٩٧٠ اجتمعت فى عمان انا وعدد مـــن الشخصيات الفلسطينية مع شخصية أميركية هو المستر دنتيس ، آخر قائم بأعمال سفارة أميركا فى القاهرة، وقد استقال من عمله ، احتجاجا على موقف حكومته من

قرار وقف اطلاق النار ، حيث لم توافق أميركا على ان يتضمن القرار عـودة الطرفين الى حدود ما قبل العدوان سنة ١٩٦٧ م ، وهـو ما يحدث لأول مرة ، فى تاريخ الأمم المتحدة ، فى حوادث مماثلة ، وقد وقفت اميركا هـذا الموقف ارضاء لرغبة الصهيونية العالمية ، الممثلة فى اسرائيل ، وقد اخبرنا ذلـك الاميركى انه درس القضية الفلسطينية وادوارها ، منذ وعد بلفور وما قبل ذلك حتى الآن ، ولكنه يريد جواب السؤال التالى : ماذا تريد اسرائيل ؟ فكان الجواب انها تريد الاستيلاء على فلسطين ، وان تتوسع فى البلاد المجاورة حتى تصـل الى منابع البترول العربي ومقدسات المسلمين ..

فنظر للجواب نظرة غير جدية على الأقل ، وقال ، وهل فى استطاعتها أن تفعل ذلك ، وأين الراى العام العالمى ؟

فأوضحنا له أن الصهيونية استطاعت بدهائها واساليبها الخاصة أن تحصل على وعد بلفور من بريطانيا ، قبل أن تكون فلسطين تحت سطوتها واستعمارها ، ومع هذا فقد صرح عدد من الوزراء البريطانيين ان الوعد لا يعنى انشاء دولـة يهودية ولا يمس حقوق السكان الأصليين ، وأنه لا يعدو أن يكون تجمعا روحيـا لليهـود .

ولكننا رأينا هذا الوعد الجائر وغير الشرعى يتطور بفضـل السياسة البريطانية والسياسة الامريكية الى دولة اسرائيل بقرار من الأمم المتحدة ، ثم تتجاوز حدود قرار الأمم المتحدة فيعترف لها ترومان الرئيس الاميركى حينئذ بهذا التجاوز بحق الفتح !! ثم يأتى عدوانها سنة ١٩٥٦ فتستفيد منه ما استفادت ، ثم عدوانها سنة ١٩٦٧ م فتستولى على باقى فلسطين وعلى سيناء المصريـة والمرتفعات السورية ، ثم تقرر ضم القدس العربية اليها ..

ورغم قرارات الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن بتجميد عملها فى القدس ودعوتها لعدم اى تغيير فيها ، وان اى شيء تحدثه فيها عمل غير شرعى لا يعترف به الخ .. فانها لم تتراجع عن عدوانها ولم تذعن للقرارات ، وهى ممعنة فى تغيير معالم القدس وتهويدها ، مما يدل على اطماعها غير المحدودة الخ ..

وقد أطلعناه على صورة التقرير الذى وضعه جيش الدفاع الاسرائيلى لعام ١٩٥٦ — ١٩٥٧ م مترجم عن اصله العربى ، وقد حصل عليه الكاتب الهندي الكبير كارانجيـا ، وضمنه كتابه « خنجر اسرائيل » وقد تضمن ان المرحلـة الأولى للعدوان او بعضها قائم تنفيذه سنة ١٩٦٧ ومن الاستيلاء على باقى فلسطين وسيناء والمرتفعات ، والمرحلة او المراحل الأخرى الاستيلاء على باقى البـلاد العربية المجاورة ، ومقدسات المسلمين فى المملكة العربية السعودية ، ومنابع البترول فى الجزيرة العربية الخ ..

وقلنا له أنه رغم توسعاتها الحالية فان اميركا لا تريد أن تضغط عـلى اسرائيل لتنسحب الى مواقعها قبل العدوان تنفيذا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى وافقت عليه أميركا ، والراى العام العالمى لم يستطع أن يجبرها على ذلك ، رغم قناعته بعدوانها وصلفها وباطلها ، فما الذى يمنعها من أن تستمر فى العدوان والتوسع ؟ وهنا لم يحر ذلك الدبلوماسى الاميركى جوابا .

وفى مقال للدكتور احمد زكى رئيس تحرير مجلة العربى التى تصدر فى الكويت العدد ١٣٣ تاريخ ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩٦٩ نقتطف منه ما يلى :

اسرائيل الكبرى شيء مقرر عند الصهاينة من قديم ، اطماعهم فى الاردن ، اطماعهم فى لبنان اطماعهم فى مصر ، كل سوريا حديث معاد .

من أجل هذا ازعجني غباء أحد ساستنا ، ذلك السياسى الذى جاء يقول : لا تصدق ما يقوله اليهود عن الاحتفاظ بسيناء ، انما هو حديث ممارسة ، وكل مفاوضة ممارسة تبدأ بالكثير وتنتهى بالقليل الخ ..

وغاية المنظمة الصهيونية العالمية وهيأتها المختلفة فى انحاء العالم فى خلق وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وما جاورها أولا ، ثم السيطرة على الشرق والعالم بعد ذلك . ويقول « تيورى ايفانوف فى كتابه » احذروا الصهيونية ان حرب الايام الستة ليست المغامرة الأولى ، وقد لا تكون المغامرة للصهيونية العالمية ، فدائرة مصالحها ومخططاتها لا تنحصر فى قناة السويس ..

وحينما أراد نيكسون أخيرا أن يزور قادة الاتحاد السوفياتي كتب الى غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل يطلب منها صورة عن خارطة اسرائيل التى تريدها ، حتى يقدمها للقادة السوفيت ، فلم تقدم الخارطة ، وعلق المراقبون السياسيون أن رئيسة الوزراء او غيرها لا يمكنهم التنازل عما فى التوراة من النيل الى الفرات الـخ ..

وتأمل فى دولة مضى على انشائها ربع قرن من الزمن ولم تضع لها دستورا ولم تعين لها حدودا ، ويقول زعماؤها ، أن حدودنا حيث يوجد جيش الدفاع الاسرائيلى وقد نشرت بعض الأوساط الصهيونية فى اوروبا بأساليبها الخاصة ، خارطة تعبر عن اسرائيل الآن بعد حرب سنة ١٩٦٧ م واسرائيل كما يخططون لها ، او فى القريب العاجل ، كما هو مكتوب فى رأس الخارطة باللغة الانكليزية والعربية ، وهى تشمل المدينة المنورة ومكة المكرمة واليمن والكويت والخليج العربى كله ، فليتدبر المسلمون حتى يتفهموا حقيقة اخطار الصهيونية على وجودهم وعقائدهم ومقدساتهم .

موقف الصهيونية من الأديان الاخرى :

بروتوكولات حكماء صهيون توضح بعض المخطط الصهيونى ، ويجب أن يطلع عليها كل مسلم حتى يدرك مدى الخطر الذى أعد للمسلمين ، على عقائدهم ووجودهم واخلاقهم ، وقد جاء فى البروتوكول الرابع عشر ما يلى :

(١) متى ولجنا أبواب مملكتنا فلا يليق بنا أن يكون دين آخر غير ديننا ، وهو دين الله الواحد ، المرتبط به مصيرنا ، من حيث كوننا الشعب المختار ، وبواسطته ارتبط مصير العالم بمصيرنا ، فيجب علينا أن نكنس جميع الأديان الأخرى على اختلاف صورها ، واذا أدى هذا الى ظهور الملحدين فذلك لن ينال من آرائنا شيئا .

(٢) سيتولى فلاسفتنا بالشرح والتوضيح الكشف عما تنطوى عليه معتقدات (غير اليهود) الدينية من عوار ، غير انه لن يسمح بأن يطرح ديننا للبحث ، ابتغاء الوقوف على مقاصده ، وغاياته الصحيحة ، اذ أن هذا علمه محصور بنا ، مقصور علينا وحدنا ، ونحن دائما حريصون على أن لا نبوح باسرارنا لغيرنا ..

وتحقيقا لاهداف هذا البروتوكول اقدمت اسرائيل على احراق المسجد الاقصى المبارك ، ولا تزال ماضية فى الحفريات حوله وتحته ، حتى تزلزل اركان بنيانه ، وحينئذ يتسنى لها اقامة هيكلها المزعوم على انقاضه ، وتواجه العالم بأمر واقع جديد .

وتحقيقا لتلك الاهداف انتهكت ولا تزال تنتهك حرمة الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية ، رغم كل ما تتظاهر به احيانا من الحرص عليها والمحافظة على قدسيتها فان افعالها مخالفة تماما لكل ما تقول فى هذا الشأن .

المسلمون فى العالم قوة لا يستهان بها :

المسلمون فى العالم قوة لا يستهان بها بالنسبة لعددهم الهائل ، وطاقاتهم المادية على اختلاف أنواعها ، وهم منتشرون فى سائر أنحاء المعمورة ، ويبلغ عددهم ستمائة مليون نسمة حسب آخر احصاء اطلعت عليه ، وقد أصدره مكتب مؤتمر العالم الاسلامى فى كراتشى ١٣٨١ هـ ــ ١٩٦٢ م ، وقد مضى على هذا الاحصاء عشر سنين ، زاد فيها عدد المسلمين زيادة جوهرية ، اذكر مثلين واضحين على ذلك ، أولهما : جمهورية مصر العربية فقد تضمن الاحصاء أن عددهم خمسة وعشرون مليونا وأربعمائة ألف ، مع أن عددهم الآن يقارب أربعة وثلاثين مليونا ، وثانيهما : الاقلية الاسلامية فى الفلبين ، فقد ذكر الاحصاء أن عددهم مليونان ومائة وخمسة آلاف ، مع أن عددهم الآن يبلغ اربعة ملايين حسب اعتراف السلطات الرسمية هناك ، للبعثة المصرية الليبية الرسمية ، التى أرسلت من قبل الحكومتين لتقصى الحقائق وزيارة المسلمين هناك ، وقد قامت بجهد مشكور ، يرجى متابعته حتى يثمر ثمرته المرجوة .

وقد ذكر واضع الاحصاء انه بذل ما يستطيع من جهد ، واعتمد على تقارير من الامم المتحدة وسفراء الدول التى أمكنه الاتصال بها من ذوى العلاقة ، واستعان ايضا بدوائر ومعاهد مدنية وحكومية ، وانه لا يمكن الادعاء بأن تلك المعلومات صحيحة ١٠٠ بالمائة الا انها الأقرب للارقام الحقيقية .

وليس المهم فقط أن ننظر للمسلمين من حيث عددهم ، بل يجب أن نلاحظ ما يملكون أيضا من مواقع استراتيجية وبترول ومعادن وكنوز أخرى لها وزنها وأهميتها ، لو أحسن استغلالها والاستفادة منها .

واعتقد أنه لدى المسلمين عربا وغير عرب من الامكانات البشرية والاستراتيجية ما يستطيعون أن يؤثروا بواسطته ، ويرهبوا من يعتدى على أى منهم ، أو يسند المعتدين ، بشرط أن يتفاهم على وضع خطة مشتركة يلاحظ فيها مراعاة ظروف كل دولة بقدر الامكان ، على أن تساهم بأية وسيلة بالمجهود الاسلامى ، وأن تضع فى الاعتبار الأول المصلحة الاسلامية العليا ، وان يتعاون الجميع على دفع الأذى عن أية جماعة اسلامية يحل بها أى نوع من انواع الأذى والضرر . واذا تحقق هذا صدق علينا قوله سبحانه : **((كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله))** : ١١٠ آل

عمران — واذا وصلنا الى تلك الحالة تحركت جماهير المسلمين كلما أصاب احدا منهم اى مكروه ، وعملوا بسائر الوسائل لازالة ما أصاب ذلك الفريق ، وحققنا قول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى : حديث صحيح .

رابطة المسلمين :

يرتبط المسلمون فيما بينهم بعقيدة التوحيد ، وبما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وهذه الروابط قدر مشترك يجمع بين فرقهم ومذاهبهم فليس لأى منهم قرآن يختلف عن قرآن الآخرين ، وصدق الله العظيم : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » الآية ٩ الحجر .

وقد تضمن القرآن الكريم والسنة المطهرة اسراء الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه من البيت الحرام بمكة المكرمة الى المسجد الأقصى بالقدس ، ومعراج الرسول من القدس الى السموات العلا ، الى حيث علم الله ، وأنه فرضت الصلوات الخمس عليه وعلى أمته ، فى ليلة الاسراء والمعراج ، وان القدس كانت قبلة المسلمين الأولى .

قال تعالى : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير** » : الآية الأولى من سورة الاسراء .

وقال عز شأنه : « **والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فاوحى الى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتما رونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى .** » الآيات ١ — ١٨ من سورة النجم

وقال ايضا : « **سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ قل لله المشرق والمغرب ، يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع ايمانكم ، ان الله بالناس لرءوف رحيم ، قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما تعملون** » آيات ١٤٢ — ١٤٤ البقرة .

وقد تضمن القرآن الكريم الدعوة الى العزة والقوة وانهما من صفات المؤمنين قال تعالى : « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** » ٨ — المنافقون . وقال سبحانه : « **وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له**

شريك في الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا » ١١١ ــ الاسراء .. وقال أيضا : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ١٠٣ آل عمران ــ وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القــوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيــف » رواه مسلم . وقال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ٦ انفال .

فاذا كنا مؤمنين بالقرآن حقا وجب علينا أن نحرص على منتهى الاسراء كما نحرص على مبتداه خاليين من أى نفوذ معاد للاسلام ومناف لمبادئه وتعاليمه ، وان نتصف بالعزة والقوة التى هى من صفات المؤمنين ، وان نتجنب مواقف الذلة والضعف والتخاذل والتفرقة ، حتى نستطيع أن نجابه أعداءنا ، ونقاوم المخططات التى يمعن أعداء الاسلام فى احكام وضعها للقضاء عليه ، أو تشويهه . واذا أردتم دليلا على ذلك فانظروا وضع المسلمين حيث تمكن أعداء الاسلام من الهيمنة عليهم، فانهم يضعونهم فى ظروف وأوضاع تجعل الجهل والضعف والتخاذل والفســـــاد مهيمنة عليهم ، ومتغلغلة فى حقوقهم ، حتى يظهروا الاســـلام بأنه غير صالح فى هذا العالم المتمدين ، وحتى لا تقوم لهم قائمة ، ويغرونهم ببعض الالفاظ المعسولة أو المظاهر الكاذبة ، حتى يبعدوا المسلمين عن ادراك الحقائق على وجههـــــا الصحيح .

وإنه فى سنة ١٩٦٨ م بينما القدس الشريف تحت سيطرة الغـــــاصب الصهيونى ، ويمعن فيها فسادا وتشويها نجـــد أن الصهيونيين بواسطة بعض اعوانهم فى أفريقيا كانوا يحرضون بعض المسلمين الافارقة على زيارة القدس بعد تأدية فريضة الحج ، حتى تضعف رابطة الاسلام ، وحتى يستغل الصهاينة أولئك المسلمين ، باقرار ذلك الامر الواقع ، والظهور بمظهر الموافق على احتلالهم فلما اوضحنا لاخواننا الافارقة الخطر الكامن وراء زيارتهم عدلوا عنهـــا ، وقنعوا أن الواجب أولا تطهير الديار المقدسة من الصهاينة أعداء الاســـلام والانسانية ، ثم بعد ذلك يقومون بزيارتها تحت راية الاسلام والحرية وأن زيارتهم لهافى ظـــل الاحتلال الصهيونى فيها تقوية للعدو واعطاؤه سلاحا يحـــارب به اخوانهم فى العقيـــدة والدين .

فيجب علينا تنمية هذه الروابط وزيادة هذه الصـــلات بين المسلمين ، على المستوى الرسمى والشعبى ، حتى ننشر التوعية الكفيلة بشرح الحقائق ، وادراك الاخطار التى تنشأ عن تباعد المسلمين فى نكباتهم ومصائبهم ، وما يقصـــده أعداء الاسلام من زيادة الخلافات ، وتوهين العلاقات ، واضعاف الصـــلات بين المسلمين .

اهميـــة القدس :

للقدس أهمية عظمى ومكانـــة كبرى لدى المســلمين عموما ، للأســـباب التاليـــة :

١ ــ قدوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اليها حين الأسراء وعروجـــه منها الى السموات العلا .

٢ ــ مسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال الا اليها .

٣ — قبلة المسلمين الاولى قبل قبل التوجه للكعبة المشرفة .

٤ — وجود رفات عدد من اصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين والشهداء الابرار الذين جاهدوا فى سبيل اسلاميتها والحفاظ عليها .

وقد ثبتت اسلامية القدس والسيادة عليها منـذ فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لها ، وكان ذلك مبدأ اهتمام المسلمين بشؤونها ورعاية سكانها وتأمين حقوقهم .

ولما دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بيت المقدس قال لكعب الاحبار اين ترى أن أصلى ؟ قال كعب : ان اخذت عنى صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك .. فقال له عمر : ضاهيت اليهودية ، ولكن أصلى حيث صلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فتقدم الى القبلة فصلى ، ثم جاء وبسط رداءه وكنس الكناسة فى رداءه وكنس الناس : الامام أحمد والقرى لقاصد أم القرى .

ومنذ ذلك الحين وملوك المسلمين وأمراؤهم والميسرون منهم يتسابقون فى ايجاد أثر لهم فى القدس ، يتقربون به الى الله ، مثل انشاء مسجد ، أو بناء سبيل لسقى الماء أو وقف عقارات على جهات خيرية لسكان القدس أو الواردين اليها .

وقد أخرج الامام أحمد عن ذى الاصابع قال : قلنا يا رسول الله ان ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا ؟ قال : عليك ببيت المقدس فلعل أن ينشأ لك ذرية تغدو الى ذلك المسجد وتروح .

وأخرج الامام أحمد أيضا عن ميمونة بنت سعد قالت : يا نبى الله ، افتنا فى بين المقدس ؟ فقال لها أرض المنشر والمحشر ، ائتوه فصلوا فيه فان صلاتكم فيه كألف صلاة قالت : ارايت من لم يطق أن يتحمل اليه أو يأتيه ؟ قال فليهد اليه زيتا يسرج فيه،فانه من اهدى كان كمن صلى .

وأخرج الامام البخارى ومسلم عن ابى ذر رضى اللـه عنه قـال : قلت : يا رسول الله اى مسجد وضع فى الارض أول ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى .

وأخرج البخارى ومسلم ايضا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الاقصى » ..

وروى البيهقى عن أبى ذر رضى الله عنه انه سأل رسـول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى بيت المقدس افضل أو فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى أرض المحشر والمنشر ، وليأتين على الناس زمان ، ولقيد سوط ، أو قال : قوسى الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له أو احب اليه من الدنيا جميعا .

وفى زاد المسلم نقلا عن كتاب المدخل لابن الحاج فى فضل زيارة النبى صلى الله عليه وسلم ما نصه : وينبغى له حين خروجه من المدينة الشريفـة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ان ينوى السفر الى المسجد الأقصى بنية الصلاة فيه وزيارة الخليل عليه الصلاة والسلام الخ ..

وحين وقع الاسراء والمعراج ، وحين أمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بالذهاب الى بيت المقدس والصلاة فيها لم تكن القدس تحت حكم الاسلام وانما كانت تحت حكم الفرس أو حكم الرومان ، مما يوحى بأن على المسلمين أن

يعملوا على نشر الاسلام فى تلك البقاع ، والاحتفاظ بها تقديرا لقدسيتها وحين تسلمها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت تحت حكم الرومان ، ولم يكن لليهود حينئذ فيها أى سلطان ، بل طلب البطريرك صفرونيوس من أمير المؤمنين أن ينص فى وثيقة الامان أن لا يساكنهم فيها أحد من اليهود ، وذلك لفرط ما رأوا من فسادهم وعبثهم وتدميرهم للبلاد ، وفعلا تضمنت وثيقة الامان ذلك الشرط ، ولكن يظهر فى مستقبل الأيام ، أراد المسلمون أن يعملوا على أن تكون هذه المدينة ملتقى أصحاب الأديان السماوية يتمتعون فيها بحرياتهم الدينية ، وطقوسهم وعبادتهم فسمحوا لهم بالعودة اليها ، وذلك لأن المسلمين بمقتضى عقيدتهم وقرآنهم يؤمنون بجميع الأنبياء والمرسلين ويقدسونهم ، قال تعالى : ((**آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا تفرق بين احد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير**)) : ٢٨٥ البقرة .

وهذا يوضح أن المسلمين هم المؤهلين بحكم عقيدتهم التي يدينون بها لحكم القدس وليصونوا مقدسات المسلمين وغير المسلمين ، وكل حل يخرج عن نطاق هـذه الدائرة يعرض المنطقة كلها لخطر عظيم واضطراب كبير ، حتى يعود الحق الى نصابه ..

واجب المسلمين :

نحن الآن أمام واقع معروف ، احتلت فيه اسرائيل الصهيونية باقى فلسطين واجزاء أخرى من دول عربية اسلامية ، هى سيناء مصر والمرتفعات السورية ، ومع أن المسلمين لا يعترفون ويجب أن لا يعترفوا بأى كيان اسرائيلى صهيونى فى فلسطين أو أية بقعة أخرى من ديار الاسلام والعروبة ، لأن وجودهم فيها غير شرعى ولا يستند الى حق مطلقا ، الا انه بعد عدوانها الأخير سنة ١٩٦٧ ، وبناء على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ اتجهت الدول العربية المتجاورة ، بصفتها اعضاء فى الأمم المتحدة الى قبول القرار المذكور ، وهو الذي يقضى بانسحاب اسرائيل من جميع المناطق التى احتلتها فى عدوانها الأخير ، لأنه لا يجيز لأى فريق أن يحصل على أى مكاسب نتيجة الاحتلال بالقوة ، وهذا ما ضمنته وثيقة هيئة الأمم المتحدة ، ومنذ صدور القرار والدول العربية المشار اليها تعلن قبولها لقرار مجلس الأمن ، والتعاون مع مندوب الأمم المتحدة السفير يارنغ ، وذلك لتجنب العالم اخطار الحرب وتدميراته ، وحتى لا تتصادم مع الأمم المتحدة ، غير أن اسرائيل لم تعلن قبولها بالقرار ، ومع هذا فقد حاولت جمهورية مصر العربية أن تفتح آفاقا للسلام بمبادرتها المعروفة ، التي تؤدى الى فتح قناة السويس ، وانسحاب اسرائيل من جميع المناطق على مراحل ، واتصالاتها بأميركا ومندوبيها على أمل أن يتحقق ازالة آثار العدوان ، ويعود الوضع الى ما كان عليه قبيل ٥ فبراير سنة ١٩٦٧ ، الا أن جميع المحاولات قد فشلت ووصلنا الى طريق مسدود لا أمل فيه لحل سلمى أو سياسى بسبب غطرسة الصهاينة وغرورهم وعنادهم واصرارهم على التوسع وعلى بقائهم فى القدس ، والمرتفعات السورية ، والاستيلاء على قسم كبير من أراضى سيناء ، حتى يبقى شرم الشيخ تحت سلطانهم ، تدعمهم وتؤيدهم فى ذلك كله الامبريالية الاميركية ، على وجه سافر مكشوف ، فيه التحدى الواضح العلنى ، لا يحسب فيه أى حساب للأمة

الاسلامية ولا للأمة العربية وبذلك أصبح الوضع في غاية الخطورة ، يتطلب من المسلمين عملا جديا سريعا ، غير الفتاوى والقرارات واعلان الجهاد المقدس ممن لا يملكه ، وهذه بعض المقترحات ..

١ ـ **على نطاق المصالح الأميركية** وهي القوة الكبرى الداعمة للوجود والعناد الاسرائيلي ، والتي تستفيد سنويا ما لا يقل عن الف مليون دولار عن طريق البترول الذي ينجر من أرض الاسلام فضلا عن مصالحها الاقتصادية الأخرى في العالم الاسلامي ، وعن نفوذها في عدد من الدول الاسلامية ، هذه المصالح كلها يجب أن تهدد ، وان تشعر أميركا أن كل مصالحها مع العالم الاسلامي غير مضمونة ، وان كل علاقاتها معه غير مأمونة ، مالم تثب الى رشدها وتتحمل مسئوليتها كدولة كبرى في هذا العالم ، ويجب أن تستعمل نفوذها في وقف الغطرسة الصهيونية حالا ، ومنعها من الاستمرار في عدوانها وغيها وضلالها وأن تنسحب من جميع المناطق المحتلة ، وعلى رأسها وفي مقدمتها القدس الشريف ، وكل دولة تمتنع عن الاستجابة لذلك يعلن اسمها ويحاول معها اقناعها بضرورة السير في ما تقتضيه مصالحها والمصلحة الاسلامية العليا .

٢ ـ **على النطاق الشعبي** : ان العالم الاسلامي الذي يعد بمئات الملايين ، يفقد مئات الالوف سنويا نتيجة فتن محلية أو كوارث كونية ، فيجب عليه وعلى كل جماعة منه أن تختار عددا من شبابها ، ليدربوا على أعمال الفداء أو ينتموا الى التنظيمات الفدائية ، أو ينتسبوا حالا لكتائب المتطوعين ، التي أعلن عنها ، ويستعد هؤلاء بعد التدريب الكافي ، ليكونوا من طلائع المجاهدين ، الذين يسترخصون الموت في سبيل الله ، وفي سبيل القدس والأقصى ، وفي سبيل عزة الاسلام والمسلمين اليس من العيب الفاضح أن يتقدم عدد من اليابانيين ليكونوا طلائع فداء لفلسطين ولا نجد في شباب المسلمين المئات من هذا القبيل ؟؟

وعلى كل يجب أن يكون هؤلاء طلائع ، وعامل ازعاج وارباك للعدو ، ضمن خطة توضع من قبل المختصين ، ويتفاهم على كيفية تطبيقها ، حتى تؤتى أكلها ، وتنتج الثمرة المرجوة منها ، ولا يضيع دعاء المسلمين هدرا هدرا .

ويجب أن نؤمن عائلات هؤلاء الناس ، فيما لو استشهدوا في سبيل الله ، وأن يكون لهم على كل حال مورد يقيهم ذلة السؤال والحاجة .

٣ ـ **على النطاق الرسمي** : يجب على كل دولة اسلامية أن تتقدم لدولة مصر ، والدول المعنية الأخرى بما يمكنها تقديمه من رجال وسلاح ومال ، حتى تقوم ببعض ما يجب عليها إزاء هذا الخطر الماحق ، وحتى يمكن أن تبرأ الذمة أمام الله والناس أجمعين .

٤ ـ **العلماء** : ولا يجوز ان يقتصر دور علماء المسلمين في هذا المقام على الفتوى واصدار القرارات ، بل يجب أن يساهموا عمليا في الجهاد بأنفسهم وأولادهم وأموالهم وليذكروا موقف شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه ، في مقاومة التتار والصليبيين وموقف شيخ الاسلام العز بن عبد السلام رضي الله عنه في ذلك أيضا ، وموقف الشيخ عز الدين القسام رضي الله عنه ، في محاربة

الانكليز ، حتى استشهد فى سبيل الله ، وليذكروا مواقف الصحابة الأخيار الذين جادوا بأنفسهم وأموالهم فى سبيل الله ونحن نعتقد أن كثيرين من علماء المسلمين من يملكون المال الوفير ، والبنين الكثيرين والقدرة البدنية . فماذا هم فاعلون ؟ وكيف يمكن أن يكون لاقوالهم تأثير اذا لم يبدأوا بالتنفيذ على أنفسهم : قال تعالى: « يايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » : ٢ — الصف .

وانا اعتقد ان بروز علماء المسلمين بعمائمهم وزيهم الدينى على رأس طلائع الفداء والجهاد سيؤدى بكثير من المسلمين أن يتقدموا الصفوف ، وينخرطوا فى هذا العمل المقدس .

رجاء وتحــذير :

آمل وأرجو ان تتحرك فى نفوس علماء المسلمين وأئمتهم عوامل الـــنجدة والكفاح والجهاد لمقابلة هذا الخطر ، الذى هو محدق بمقدسات المسلمين وعقائدهم وديارهم ، وأن نتذكر نحن أولا ، ونذكر الناس ثانيا بأبعاد قول الله سبحانه :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والفرقان ، ومن اوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » : ١١١ — التوبة .. وابعاد قوله عن شأنه : ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم : ٧ محمد .

وقوله سبحانه : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » : ١٣٩ آل عمران . وقوله أيضا : أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين : ١٤٢ آل عمران .

ونقتنع بأننا مدعوون للانفاق فى سبيل الله والجهاد بأنفسنا فى سبيل الله ، وان الايمان اذا وقر فى النفس لا يقبل الهزيمة ويتحدى كل القوى التى تتحداه ، فاذا استجبنا لداعى الله ، نكون قد نصرنا الله ، وحاشاه أن يتخلى عن نصرنا وامدادنا بمعونته . وهذه النصيحة التى هى من صلب الدين ، كما قال صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة ، قلنا لمن يا رسو لالله ؟ قال : لله ولكتابه وائمة المسلمين وعامتهم — رواه الخمسة .

فالبدار البدار يا قوم قبل فوات الفرصة وقبل أن تحل منا الندامة بعد زوال امكانات العمل ، وقبل أن نقول : ويل للاســـلام والعرب من شر قد حل لا قد اقترب .

---

* من الموضوعات التى قدمت للمؤتمر البحوث الاسلامية السابع .

بالجسم والروح

دعني وذكرى الهوى .. دعني وليلاه ما كان إلا الهوى عندى .. ومعناه
انـــا المحب .. وحبى ليس يبلغـــه إلا الألى نهلوا من عـــذب سقياه
انا المحب .. وروحى فيك هـــائمة ترقى إليـــك على الآمـــال دنيـــاه
قلبى هو الكون .. ما دام الغرام به هو الحيـــاة على نهـــج سلكناه
لقـــد رقيت به حتى تجـــرد بى عن كل معنى من الأوهـــام آبـــاه
قد أشرق الحب فى قلبى فصار ضحى وأشرق الحـــق فى عقـــلى فأحيـــاه
وللحيـــاة وللنـــور الذى انبثقت عنـــه الحيـــاة بسر شـــاءه اللـــه
معنى من الحب يسرى فى جوانحنا نرقى الســـماء به لو قـــد وعينـــاه
بالحب قـــد كانت الأكوان أجمعهـــا الكاف والنـــون سر فى طـــواياه
فى قطرة النور أسرار قد اتحـــدت فكان للمـــاء منـــه سر محيـــاه
ومنه ما كان من حى ومن جمـــ... ومن أثير .. وقـــد كانت برايـــاه
والكهـــرباء لهـــا سر .. نفسرـه بالعلم فيمـــا نرى .. لكن جهلنـــاه
فأى سر وراء السر ندركـــه إذا جهلنـــا معـــانى ما عرفنـــاه
تلك الظـــواهر سر بعـــدها عجب أمر من الأمر .. لا ندرى خفـــاياه
والروح..ما سرها..نحيا بها عمرا ولا نرى سرهـــا فينـــا ومغـــزاه
والعقل .. ما العقل .. ما التفكير .. ما عصب به نرى حولنـــا شيئا رأينـــاه
والقلب .. والدم .. والأحشاء .. أجهـــزة فينا .. وفى كل حى قد درسناه
وما الجزىء .. وما ذراتـــه اتخذت الى الوجـــود سبيلا ما درينـــاه
وما الزمان..وما هذا المكان .. وما هذا الفضـــاء .. مداه قد ضـــللناه
وما النواميس .. من قد شاءها أزلا ومن إذا قال : كن..للشىء .. سواه
ومن إذا قالها صـــارت الى عـــدم اللـــه سبحانه .. اللـــه .. اللـــه
والله إن شاء للنـــاموس خارقـــة أو شاء تعطيـــله .. أصغت براياه
هل كان ما كان فى الإسراء يعجـــزه أو كان ما كان فى المعراج .. حاشاه
ما للفضـــاء على أبعـــاده أثـــر ولا الزمـــان له حـــد وبعـــداه

للأستاذ الربيع الغزالى

ولا المكان على آماد فسحته   ولا مفاهيم عقل ضلّ مأتاه
وقطرةٌ النور لو شفّت لما جمدت   ولا استحالت على أمر تلقاه
فكيف بالنور فى جسم امرىء كتبت   له العناية أمرا جلّ معناه
محمد .. وهو نور الله .. صوره   وشق من نوره أنوار دنياه
قد شفّ نور رسول الله حين سرى   فى الليل للمسجد الأقصى فحياه
بالجسموالروح قد أسرى به..ومضي   به إليه على معراجه الله
شق البراق به الأكوان قاطبة   فى ومضة البرق .. جل الله مولاه
وسدرة المنتهى والآى كاشفة   والله ما شاء يعطيه ويرعاه
والله يمنحه ما شاء من كرم   عناصر الخلق فيه حين سواه
حياه .. حبى الذى من نوره أجمعه   نورا تجسد خلقا فى هيولاه
وعنه سوف يكون النور عارفة   من الهداية للأيام تلقاه
دين هو الدين .. يهدى من يشاء به   ومن يضلّ .. فما قد كان أعماه
الله حيا رسول الله حين سرى   وحين صار إليه بعد مسراه
صلى عليه .. فصلى وهو مبتهل   لله فى غمرة الأنوار مجلاه
ألقى اليه إله العرش منحته   هذى الصلاة .. على أمر تلقاه
وعاد للأرض يهدى الأرض شرعته   فريضة الله .. فى يمناه يمناه
ما كلف الله جبريل الأمين بها   وحيا .. على ما سواها قد عهدناه
هدية الله للدنيا .. بها صلة   إليه .. حين تناجيه وترعاه
الله أكبر فيها عز قائلها   على تقاة لرب الناس تقواه
فى هذه الليلة الغراء نذكرها   عيد الصلاة بها .. إنا بلغناه
يا ليتنا .. ليتنا يا رب نفهمها   ونلتقى بك فيها عند لقياه
عيد النبى .. وقد أكرمته كرما   ما إن يدانيه لا ملك ولا جاه
هذا اللقاء الذى ما ناله رسل   ولا ملائكة .. قد جل معناه
لك الصلاة إلهى .. والصلاة على   من أنت بالوصل قد أكرمت مثواه
يا رب .. إنا على عهد نقيم به   إليك أوجهنا فى الدين .. ربناه
يا رب .. إنا على الإسلام قد خشعت   منا الوجوه .. على ما أنت ترضاه
المسلم الحق : من بالدين عز على   كل الورى .. وتعالى عن دناياه
ومن يلين جناحا .. وهو ذو غلب   للمسلمين، .. وأعلى شأنه الله



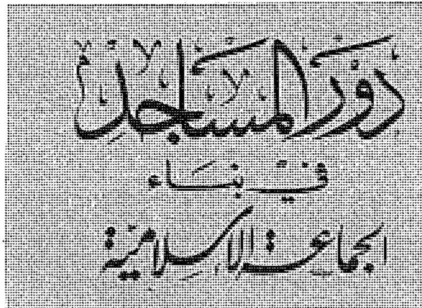
دور المساجد في بناء الجماعات الإسلامية

للدكتور / حسين مؤنس



المساجد ركائز الجماعات الإسلامية :

المساجد اجمل ما تقع عليـــه عين الانسان في عالـم الاسلام ، فسواء اكنت في قرية صغيرة خافية في بطن الريف او مستكنة خلف كثبان الرمال في الصحراء او راقدة في لحف جبل ، او كنت في عاصمة كبيرة مترامية الارجاء متدفقة الحركة عامرة بالعمائر السامقة ، فــان المساجد بمآذنها الرقيقـة المنسرحة الذاهبة مع الجو مشيرة الى السماء وقبابها الصافقة الانيقة تضيف الى المنظر عنصراً من الجلال والجمال الروحي لا تتأتى له بدونها ، فهي تزيل الوحشة عن تواضع مباني القرية وصغرها وتنفي الجمود عن غرور مباني العواصم ، وتضفي على مقطع الافق في القرية والمدينة توازنا يروع النفس ولمسة من جمال روحي هادىء رقيق .



ويتجلى لك ذلك في أصفى صورة ساعة المغيب ، عندما يختفي حاجب الشمس وراء الأفق مخلفا في السماء وهجا أحمر برتقاليا يشوبه شيء من بنفسج ، وبينما تتحول صور المباني الى ظلال سوداء متراصة كأنها أشباح تبدو لك المساجد بمآذنها وقبابها أطيافا جميلة تضفي على الشفق الدامي من ورائها جمالا يحس به قلبك أكثر مما تراه عيناك ، وفي لحظة ما ، وقبل أن يهبط رداء الليل يخيل اليك أن كل ما كان يتراءى عند مقطع الأفق قد تلاشى ولم تبق الا المساجد ! والأمر ما تحس أنها يقظى بينما كل ما حولها قد رقد بين أحضان الليل كأنها ملائكة حارسة تظل مكانها رمزا على الأمل في رحمة الله للهالكين من أهل الأرض . وبالفعل ان المساجد حارسة عالم الاسلام ، فقل من مدننا ما كانت له أسوار عالية الجدران كما ترى في غيرها لم الاسلام : هناك تجد الأسوار المنيعة التي تصل الى ضخامة سور الصين وطوله ، ونجد الأبراج العالية كما نرى في معظم بلاد أوروبا ، أما في عالم الاسلام فما أقل الحصون والأسوار في بلاده ! لأن المساجد كانت حصونه في كل مكان ، فهي مراكز الايمان ورموزه ، والايمان قوة عالم الاسلام الكبرى ، فقد نجت أمم الاسلام من المحن الطاحنة في العصور الماضية بفضل الاسلام وحده

وانك لتستطيع أن تقول ان المسيحية عاشت بفضل المسيحيين أما في عالمنا الاسلامي فقد عاشت أمم الاسلام بفضل الاسلام . ولقد غزا الصليبيون أرض المسلمين وغلبوهم ولكنهم لم يغلبوا الاسلام . وحول راية الاسلام الرفيعة تجمع الناس وساروا في ظلها مستلهمين عزتها ، وتمكنوا من تحرير بلادهم .

وهاجم المغول عالم الاسلام من شرق وخربوا البلاد وأهلكوا العباد ، ولكنهم لم ينتصروا على الاسلام ، بل هزمهم الاسلام وغزا قلوبهم ، وفي نفس المساجد التي خربها المغول في طريقهم من سمرقند الى حلب وجعلوا معظمها أطلالا ركع المغولي المغلوب على أمره وسجد للواحد القهار تحت سقوف المساجد ، وقام أحفاد هولاكو باعادة بناء المساجد التي هدمها جدهم وفيها صلوا وتحولوا الى بشر مسلمين ، ولم يلبثوا أن خرجوا هم أنفسهم مجاهدين في سبيل الاسلام حاملين رايته مدافعين أعداءه وسائرين باسمه في معارج الرقي والعمران .

ومع ذلك فالمساجد في جملتها منشآت صغيرة الحجم بسيطة العمارة ، ونادرا ما تكون سامقة الارتفاع . ولو أخذنا واحدا من أضخم مساجد الدنيا مثل مسجد قرطبة الجامع أو مسجد الكتُبيّة في مراكش أو جامع ابن طولون أو السلطان حسن في القاهرة أو مسجدي شاه في أصفهان أو جامع السليمانية في الآستانة أو جامع القطب في دلهي ، فان أضخمها لا يقاس شيئا الى كنيسة كانتربري في لندن أو النوتردام في باريس أو القديس بطرس في روما أو الدوم في كولونيا أو سنمركو في البندقية ، فهذه كلها جبال اذا قيست الى المساجد ، ولو أخذت الصخر الذي

بنيت به نوتردام مثلا لوجدته يعدل فى الحجم والوزن اربعة او خمسة من مساجد الاسلام الكبرى ، فاذا ذكرت الى جانب ذلك أن معظم مساحات مساجد الاسلام صحون خالية غير مسقوفة ، وان معظمها كان يضم فى نفس الوقت مدرسة ومستشفى وضريحا وسبيل ماء (كما نرى فى مساجد القاهرة المملوكية) تبينت ان مبانى اعاظم المساجد ليست بشىء الى صغار الكنائس والبيع ومعابد الهندوكيين والبوذيين .

بل انك لتجد فى المسجد احيانا من الرقة والخفة ما يجعلك تتصور انها أبنية هشة يتضعضع بناؤها لأقل حادث ، وبعض المساجد الكبرى بالفعل هشة البناء قامت على اعمدة دقيقة كأنها اقلام رصاص ، فان اعمدة مسجد قرطبة الجامع مثلا لا يزيد سمك الواحد عن ٣٠ سنتيمترا ، ومعظم أبدان المآذن بعد شرفة الأذان مكون من جدران سمك الواحد منها آجرتان ، فانك تدهش من انها ترتفع رغم ذلك فى الجو نحو الثلاثين مترا ، ومآذن روائع المساجد العثمانية لا يزيد قطر معظمها على ثلاثة أمتار مع أن ارتفاعها يجاوز الثلاثين مترا ، فهى على ذلك هشة بالفعل ، ولكن ما أمتنها ! لا زالت قبة الصخرة والجامع الأموى فى دمشق ومسجد عقبة فى القيروان والجزء الأول من جامع قرطبة قائمة على رقتها رغم انها كلها قطعت من العمر ما بين الاثنى عشر والأربعة عشر قرنا .

وطبيعة المساجد نفسها تتنافى مع الضخامة والاسراف فى الزينة ، لأننا نعرف أن المسجد ينبغى أن تتناسب هيأته مع بساطة الاسلام وصفائه ، فالاسلام سهل يسر واضح ، وعباداته كلها بسيطة واضحة لا غموض فيها ، والسبب فى ذلك أن المساجد اقيمت للصلاة ، فهى مواضع مطهرة مصونة عن الطريق يقف فيها العبد بين يدى خالقه ليؤدى صلاته . والصلاة فى صميمها طلب الرحمة من الله ، ولا بد لها من صفاء النفس واخلاص النية وطهارة القلب والاتجاه نحو الخالق بالروح قبل الجسد ، والمحراب الحقيقى لصلاة المسلم هو قلبه ، فاذا كان قلبه سليما صافيا صحت صلاته وتقبلها الله سبحانه ، واذا كان القلب كدرا مثقلا بمطامع الدنيا لم تصح الصلاة ولا كانت مقبولة ، ويستوى فى هذه الحالة أن يصلى الانسان على حصير نظيف جاف يبسط فى الهواء الطلق أو على طنفسة غالية الثمن تحت سقف جامع سامق الجدران ، ومن هنا كره الصالحون المساجد الضخمة المثقلة بالزينة ، لأن المظهر الفخم لا يخلو من غرور وتكلف ، ولأن الزينة تشغل المصلى عن الانصراف بقلبه نحو الخالق . وهذه البساطة هى اجمل ما فى معظم المساجد ، وانه لمن مفاخر المعماريين المسلمين أنهم تمكنوا من انشاء مساجد هى الغاية فى الفخامة والروعة مع المحافظة على روح الاسلام التى تتجلى فى البساطة والوقور .

والمسجد هو مركز ترابط الجماعة الاسلامية وهيكلها المادى الملموس ، فلا تكتمل الجماعة الا بمسجد يربط بين أفرادها بعضهم ببعض ويتلاقون فيه للصلاة وتبادل الراى ، ويقصدونه للوقوف على أخبار جماعتهم ، ويلتقون فيه مع رؤسائهم ، أو يتجهون اليه لمجرد الاستمتاع بالقعود فى ركن من أركانه كما يفعل الناس عندما يزورون حديقة ليروحوا عن أنفسهم ، فالمسجد على هذا ضرورة دينية وضرورة سياسية وضرورة اجتماعية أيضا بالنسبة لكل مسلم على حدة وبالنسبة لجماعة المسلمين جملة .

دور المساجد في بناء الجماعة الاسلامية

المساجد ملك للجماعات الاسلامية :

ذلك ان المسجد هو بيت الله وهو ايضا بيت الجماعة وبيت كل واحد منها على حدة ، وهو الشيء الوحيد الذي كانت تملكه الجماعة مشتركة وان كان الذي بناه هو السلطان او الخليفة او الدولة ، ولهذا فقد استخدمته الجماعات الاسلامية في تسيير شئونها العامة مستقلة بذلك عن سلطان الدولة ، واظهر مثل لذلك هو استخدام المسلمين لمساجدهم دوراً للقضاء ، لا لأن الدول كانت عاجزة عن انشاء دور للقضاء ، بل لأن القضاة وأهل الورع أرادوا أن يسير القضاء في طريقه بعيدا عن تأثير الدولة ورجالها فجلسوا في المساجد — وهي ملك الجماعة — واتخذوها مقرا للعدالة ومكانا للتقاضي ، ومن المعروف أن القضاة انفسهم هم الذين قرروا مبدأ إجراء القضاء في المساجد ، وقضاتنا الأول في المدينة المنورة وعواصم الاسلام الأولى لم يطلبوا الى الخلفاء أن ينشئوا لهم دورا للقضاء ، بل اتخذوا مجالسهم في المساجد قصدا ، وعقدوا مجالسهم فيها علنا ، واصدروا أحكامهم ولم يتركوا للدولة الا موضوع تنفيذ الاحكام عن طريق أعوان يقفون خارج المسجد تحت تصرف القاضي . وتحت سقف المسجد وبين أفراد الجماعة الاسلامية أحسَّ القضاة انهم احرار وأنهم يخدمون الجماعة بتطبيق شرع الله احرارا من كل قيد . وبلغ من تمسكهم بهذا المبدأ ان الكثيرين منهم كانوا يتعففون عن تناول اجر عن القضاء ، وذلك حتى يكونوا احرارا تماما في اصدار احكامهم ، وعندما تقرر مبدأ الرواتب للقضاة لم تعد ثقة الجماعة في قضاتها كما كانت قبلا .

ولنفس السبب استخدمت الجماعة مساجدها معاهد للتعليم ، لأن العلم كان دائما من اختصاص الجماعة ، فلم تكن دول السلاطين مسئولة عن التعليم حتى في العصر الأول ، انما كان التعليم من اختصاص الأفراد والجماعة ، فكانت الجماعة تتكفل بمعاش المعلمين سواء أكانوا معلمين صغارا يعلمون الصبيان القراءة والكتابة ويحفظونهم القرآن أو شيوخا أجلاء يقرأون علمهم على طلابهم في المسجد في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب ، فلم نسمع أن الدولة قررت راتبا لمعلم أو شيخ الا ابتداء من منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي عندما قامت المدارس في المشرق ، ولا ندري على وجه التدقيق كيف كان يعيش اجلاء العلماء على طول تاريخنا الماضي ، ولكن الواقع أنهم عاشوا في مستوى طيب ، مما يدل على أنهم كانوا يعيشون على دخول وافية بحاجاتهم على الأقل .

ومن الثابت أن أهل العلم في القرون الأولى لم يتقاضوا رواتب من الحكومات فيما عدا ما نسمع عنه من الجوائز والصلات بين الحين والحين، وهذه ليست رواتب . وقد اعتمد العلماء على انفسهم وعلى الجماعة في شئون معاشهم . ولا شك في أن الجماعات تكفلت بمعاش المعلمين والمشتغلين بالعلم عامة . واذا كان معظمهم على ما نعلم من أسر

متواضعة اقتصاديا ، فعلام كان عمادهم في حياتهم اذن ؟ على الجماعة بطبيعة الحال : الجماعة قدمت لهم المساجد وهو بيتها الذى تملكه ، واوقف الناس على العلم واهله العقارات ، ثم أن الطلاب كانوا يؤدون احيانا عن السماع ما تيسر لهم اداؤه . وهكذا أعدت الجماعة رجال العلم فيها دون أن يكون للدول عليهم كبير فضل فيما خلا عطايا وهبات متفرقة وغير ثابتة لهذا العالم أو ذاك كما قلنا ، ومن المؤكد على اى حال ان اصحاب السلطان وهبوا الشعراء الذين مدحوهم (بما ليس فيهم فى الغالب) أضعاف ما قدموا لأهل العلم من الأموال ، وخيرا فعلوا ، فقد كان هذا ضمانا للعلم وأهله ، والى ذلك يرجع الفضل فى ظهور تلك الأجيال المجيدة من أهل العلم على طول تاريخنا . فان اعتماد العالم على الجماعة تطلب ممن أراد الاستمرار فى جملة العلماء أن يكون عالما حقا ، فما كانت هناك دولة تمنح شهادات ، وما كانت اجازات الشيوخ لطلابهم بمقبولة عند الجمهور الا اذا ثبت بالفعل أن الرجل عالم حقا ، وذلك عن طريق دروسه التى تلقى فى المسجد ويسمعها من أراد ، فكان العالم فى امتحان دائم ، وكان عليه أن يثبت يوما بعد يوم أنه لا زال فى مستواه الرفيع ، وكم من عالم فقد مركزه نتيجة لأخطاء وقع فيها فى الأقراء أو فى الإجابة على أسئلة الطلاب ، وما كان أقسى الطلاب على الشيخ اذا وقع فى خطأ أو شبه خطأ .

المساجد مراكز للعلم ومعاهد للدراسة

وذلك كله راجع الى أن المساجد اتخذت معاهد للعلم ، فقد ضمن ذلك كفاءة العلماء من ناحية وحرية أهل العلم من ناحية أخرى ، فقد اصبحوا بهذا فى امتحان أو محنة يوما بعد يوم ، ومن المؤكد أنه لو كانت الأمة تركت العلم لرجال الدولة لما ظل العلم فى بلاد الاسلام دائما فى ذلك المستوى الرفيع ، فقد كان على العلماء أن يواصلوا الدرس ليحافظوا على مكانتهم أمام الناس الذين يستمعون الى دروسهم ، ولو تبنت الدولة العلم لفرضت على الناس — اذا شاءت — الأدعياء والدخلاء وأفسدت العلم بذلك ، ولو قعد العلماء للتدريس فى دور بنتها لهم الدول وتقاضوا أرزاقهم منها لأصبحوا فى عداد خدمها وحواشيها .

ونحن لا نفخر فى تاريخنا بنظم الوزارة والكتابة والحجابة وما اليها من النظم التى كانت بأيدى رجال الدول ، ولكننا نفخر بالقضاء ونفخر بالعلم ونفخر بأهل المعمار ونفخر باعلام قراء القرآن ونفخر بالحسبة والمحتسبين ونفخر بالشعر والشعراء والأحرار من الناشرين الذين لم يسخروا ملكاتهم للمكاتبات السلطانية ونفخر كذلك بالصادقين من شيوخ التصوف ، وهؤلاء جميعا كانوا يمثلون مؤسسات اسلامية عامة احتفظت بها أمة الاسلام فى يدها .

ونرجو الا تبدو كلمة مؤسسات هنا فى غير موضعها إذ الحق أن القضاء كان مؤسسة والتعليم كان مؤسسة وهكذا . حقا لم تكن للقضاء مثلا هيئة عليا تشرف عليه وتمثل ما سميناه بمؤسسة القضاء ، ولكن الجماعة الاسلامية كلها كانت تشرف على القضاء وتحافظ على تقاليده ، وكانت الأمة ترعى العلم والعلماء وتحرص على أن تظل مؤسسة العلم أو نظام العلم وأهله فى مستواها الرفيع من الجد والوقار والتصاون وحسن السمت والاخلاص للعلم . وكما أسقطت الجماعة من احترامها مَن شكت فى نزاهتهم من القضاة

دور المساجد في بناء الجماعة الاسلامية

فلم يلبثوا أن تلاشوا فكذلك نزعت ثقتها من العالم اذا خرج عن الطريق السوى أو تخلى عن سمت أهل العلم . ولدينا مثل جماعى لا يقبل الشك لهذه الحقيقة ، وهى أن نفرا من أهل القضاء والعلم فى افريقية (تونس) انضموا الى الفاطميين عندما قامت دولتهم هناك أواخر القرن الهجرى الثالث فاعتبرتهم الجماعة خارجين عليها وعلى نظامها فاسقطتهم من اعتبارها . بل عَدّ بعضهم كفارا فعلا . ولم ينفعهم بعد ذلك تأييد خلفاء الفاطميين فى شىء فقد سقطوا من أعين الجماعة سقوطا نهائيا ، لا بسبب مذهبهم الدينى بل لأنهم جروا فى ركاب و « أذلوا جاه الدين لجاه الدنيا وهذا لا يجوز فى شرع العلم » كما قال الفقيه أبوعثمان سعيد بن الحداد .

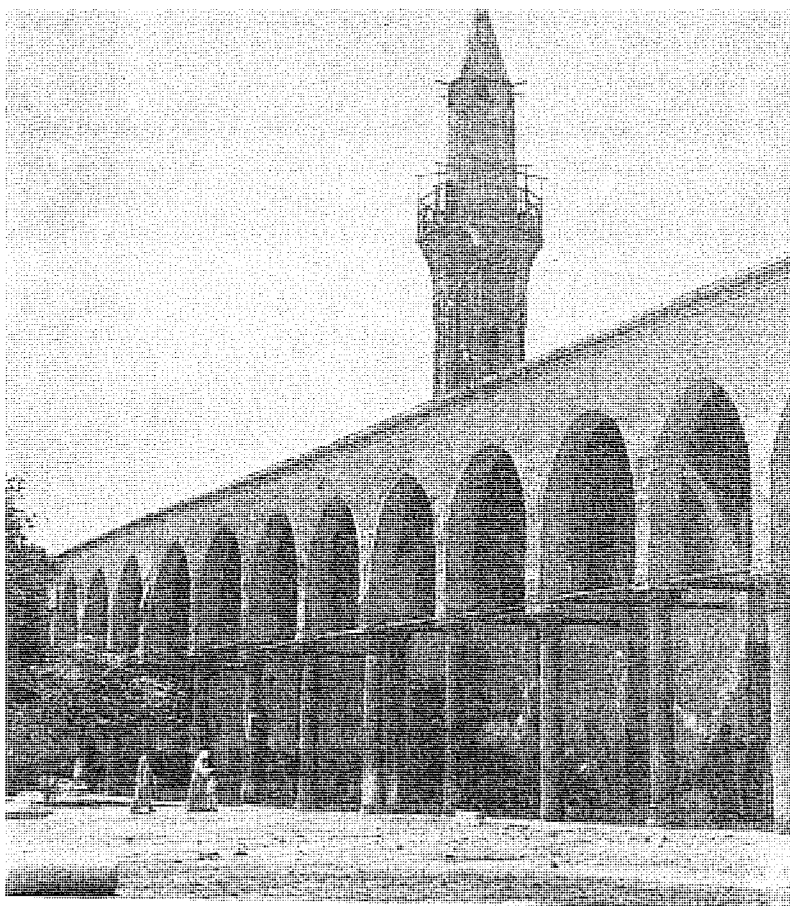
وكان أكبر ما أعان الجماعة على المحافظة على سلامة مؤسساتها كالقضاء والعلم انها كانت تملك المساجد فوضعتها تحت تصرف القضاة وأهل العلم ، وهذه ناحية من نواحى الحضارة الاسلامية لم تدرس بما هى أهله من العناية والبحث رغم أهميتها ، ولو درست لكشفت عن ناحية جليلة من نواحى حضارتنا ، ولأظهرت جانبا هاما من جوانب الدور الذى أدته المساجد لجماعة الاسلام .

ومراكز ترابط بين المسلمين

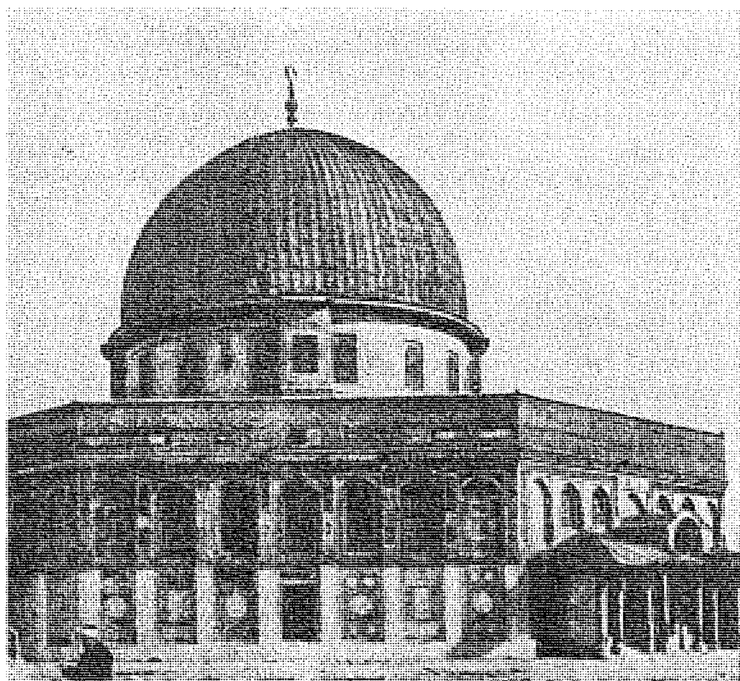
ولكى يزداد الدور الاجتماعى للمساجد فى عالم الاسلام وضوحا نلفت النظر الى أننا اذا قرأنا كتب كبار الرحالة المسلمين مثل أحمد ابن محمد المقدسى البشارى وابن جبير والعيدرى وابن رُشَيْد وابن بطوطة لاحظنا أن أولئك الرجال كانوا اذا نزلوا بلدا لا يعرفون فيه أحدا اتجهوا الى المساجد ، وهناك يلقون الغرباء من أمثالهم فيسألونهم عن الفنادق والأسعار وسبل المعيشة للغريب الطارىء ، وفى معظم الأحيان كانوا يتعرفون هناك ببعض أهل البلد ويعرِّفونهم بأنفسهم ، فما يكاد هؤلاء يعرفون انهم أمام عالم مسلم غريب حتى يفتحوا له الأبواب : يستضيفه بعضهم أو يدلُّونه على رجل من أهل الخير والفضل فيقوم بالواجب نحوه ، وسرعان ما يقدمونه لكبير البلد سواء أكان القاضى أو العامل أو تاجرا كبيرا أو واحدا من علية القوم ، وهنا تنحل مشكلة اقامته وطعامه فى البلد ، وفى أحيان كثيرة كانوا يعرضون عليه عملا يناسب مكانه وعلمه . ويصل الأمر الى المصاهرة أحيانا ، فيتخذ الرجل له أهلا فى ذلك البلد الذى لم يعد بفضل المسجد غريبا .

ويحكى العَيْدَرى ، وكان شيخا شديد الحياء مرهف الحس انه ما نزل بلدا الا قصد الى الجامع رأسا ، وهناك يتعرف على الشيوخ وطلبة العلم فيجد فيهم الصاحب والأهل ، وكان اكرام الناس له يصل الى حد أن بعضهم كان يترك عمله ومصالحه ليعين هذا العالم الغريب ويرافقه طيلة اقامته فى البلد .

ويحكى أبو بكر ابن العربى (٤٦٨–٥٤٢/١٠٧٦–١١٤٨) فى رحلته ان المركب الذى كان ينقله مع أبيه من الأندلس الى الاسكندرية



جامع عمرو بن العاص في الفسطاط . انشىء سنة ٦٤٢/٢١ .



قبة الصخرة ، وهي مبنى تذكاري ومسجد عتيق في آن واحد . شرع في انشائه في صورته الحالية عبد الملك بن مروان سنة ٦٨٨/٦٩ .

عصفت به الريح وغرق قرب شاطىء طرابلس ، ولكن الله يسر لهما النجاة الى الشاطىء فى أسوأ حالة ، فأخذهما الناس الى الجامع ، وكان الموضع منزلا لبعض بطون قبيلة كعب ابن سليم ، وفى الجامع اسرع الناس اليهما بشىء من الكسوة ، ثم اتجهوا بهما الى شيخ القبيلة فلقيا من اكرامه شيئا كثيرا ، أى ان الجامع كان أيضا ملجأ للغريب الذى نزلت به محنة . وفى الفتوحات المكية يقول محيى الدين بن عربى أنه ما كان يقصد فى أى بلد الا الى الجامع ليلقى أمثاله من الغرباء والسواحين ويتأنس بهم ، ويقول انهم كانوا اذا خرجوا من صلاة العشاء وجدوا رجالا كثيرين يحملون قصاعا من الطعام يرسلها أهل الخير للغرباء ، ويقول أن هذه القصاع كانت كثيرة ، ولم تقتصر على الثريد وكسر الخبز وبقايا الموائد وانما كان فيها الجيد الرفيع الذى يصنعه أهل الخير لغرباء المسلمين خاصة ، وكان الكثيرون من أهل الزهد يتعففون عن هذا الطعام لأنهم لا يعرفون ان كان من مال حلال أو حرام ، اما ابن عربى فيقول : « وكنت اذاهجم الليل وأنا خالى الوفاض تبلغت من تلك القصاع بما يعين على قيام الليل والأعمال بالنيات . وما نزلت بلدا الا وجدت فيه هذه الخصلة اللطيفة من خصال أهل القبلة وما وجدتها عند غيرهم ، وهذا من فضل الله عليهم ، وما كرهت فيها الا أن بعض الأراذل جعلوا دأبهم الاعتماد عليها فى عيشهم كله فصارت كُدْيَة » .

ويحكى أحمد بابا التمْبُكْتى ان بلاد المسلمين التى مر بها فى أقاليم السودان تميزت بوفرة طعام أهلها فلا تجد فيها جوعا ولا مسطبة لأن الناس يعمدون الى أفضل ما بقى من طعامهم فيجعلونه على حصر نظيفة عند الجامع ، فيصيب منها الجائع والمحتاج حاجته ، ومن غريب أمرهم ان الغرباء كانوا لا يصيبون الا قدر ما يكفيهم ولا يأخذون منه شيئا معهم ، وهذا عندهم عيب كبير ومثله كذلك أن يكون الرجل قادرا على الكسب ثم يصيب من هذا الطعام .

وفى سيرة أحمد بن ابراهيم الجزار وهو من أعاظم أطباء المسلمين وكان قيروانيا من أهل القرن الرابع الهجرى انه كان يخرج بعد صلاة العشاء ويقف عا ـ ـب الجامع ليداوى المرضى من الفقـرا ء ، وكان يصطحب عبدا يحمل أصناف الأدوية فيعطيهم منها ما يرى ، وكان يعمل ذلك حبا فى الله وبرا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذا كان الكثيرون من صلحاء أهل الطب .

المساجد طلائع التقدم الاسلامى :

وعندما وصل ابن فاطمة الرحالة الى آخر بلاد غانة نظر الى ما وراءها وسأل عنها فقالوا له : « هذه بلاد الكفر ، فقال لمن معه : هلا بنينا مسجدا فى هذا الموضع ؟ فقالوا : يحرقه الكفار ، فقال : لا والله ما يحرق المساجد الا الجبار العنيد ، وهؤلاء قوم على الفطرة لا يعرفون الشر ، فما انتهى اليوم حتى كنا قد اقمنا مسجدا صغيرا من طين وسقفناه بالسعف ، واختار شيخ كبير من الرفقة أن يقيم عند المسجد ليخدمه وتركناه ومضينا ، وعندما عدت بعد شهور قليلة وجدنا الموضع قد سار بلد اسلام ، وامتدت المساجد فيما قالوا انه بلد الكفر أميالا كثيرة ، وأصبح الشيخ اماما فى نعمة كبيرة ببركة هذا المسجد المحروس » .

وهذا الذى ذكره ابن فاطمة ليس فريدا فى بابه ، فقد كان أهل الطرق الصوفية الذين يخرجون بالمتاجر فيما يلى الهند غربا وفيما يلى بلاد المغرب



● المسجد الأموى فى دمشق . انشاه عبد الملك بن مروان وبدأ فى بنائـــه سنة ٧٠٦/٨٧ .



جامع القرويين فـ
فاس . انشىء على يـ
ادريس الثاني المؤسـ
الحقيقى لدولة الادار
سنة ٧٨٨/١٧٢ .

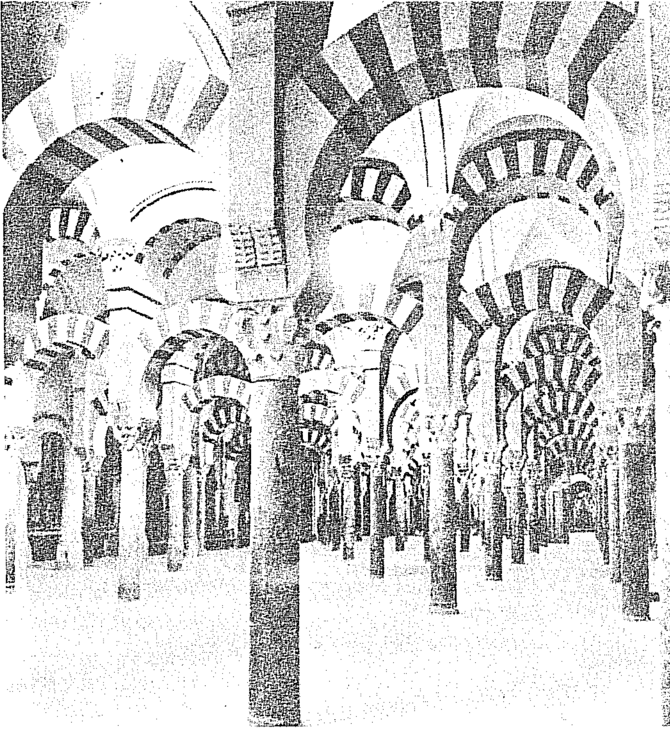
دور المساجد في بناء الجماعة الاسلامية

الأقصى جنوبا يمدون الى بناء الزوايا في كل موضع يصلون اليه . فلا يلبث الموضع أن يصير بلدا اسلاميا ، وامامك « تاريخ السودان » للناصري السعدي الرحالة تجد فيه عشرات الأمثلة على ذلك فيما يتصل بافريقية المدارية والاستوائية ، وقد حكى العلامة الفرنسي فنسان مونتاي Vineent monteil أن هذه أيضا كانت طريقة تجار المسلمين فيما يلي بلاد الهند شرقا . فقد كانت جماعات تجار المسلمين اذا تكرر نزولهم في موضع ابتنوا مسجدا ليكون مكان تجمع لهم فلا يلبث اهل الموضع ان يقبلوا على الجامع ويدخلوا في الاسلام ، وطرق التجارة كانت طرق اسلام في آسيا كما كانت في افريقيا . وكانت تلك الزوايا المتواضعة طلائع الزحف الاسلامي ، واذا أردنا أن نتعرف طرق التجارة في هذه النواحي فعلينا أن نتتبع خطوط الزوايا . ولقد روى هذا العالم الفرنسي عن أبيه وكان عالما جليلا مثله ، انه قال ان بعض هذه الزوايا المتواضعة كان لها من الأثر في نشر الاسلام ما يفوق ما كان للكاتدرائيات الضخمة في نشر المسيحية . ولقد بداوا ذات مرة في انشاء كنيسة في قرية في السنغال ، وبينما كانوا في البناء نزل « مريد » .. واخذ يدعو للاسلام ، وفي بحر سنتين وقبل ان يوضع سقف الكنيسة كان هذا المريد قد حول أهل القرية كلها الى الاسلام وامتلأت البلد بالزوايا فكفوا عن اكمال بناء الكنيسة وصرفوا نظرا عن الموضوع .

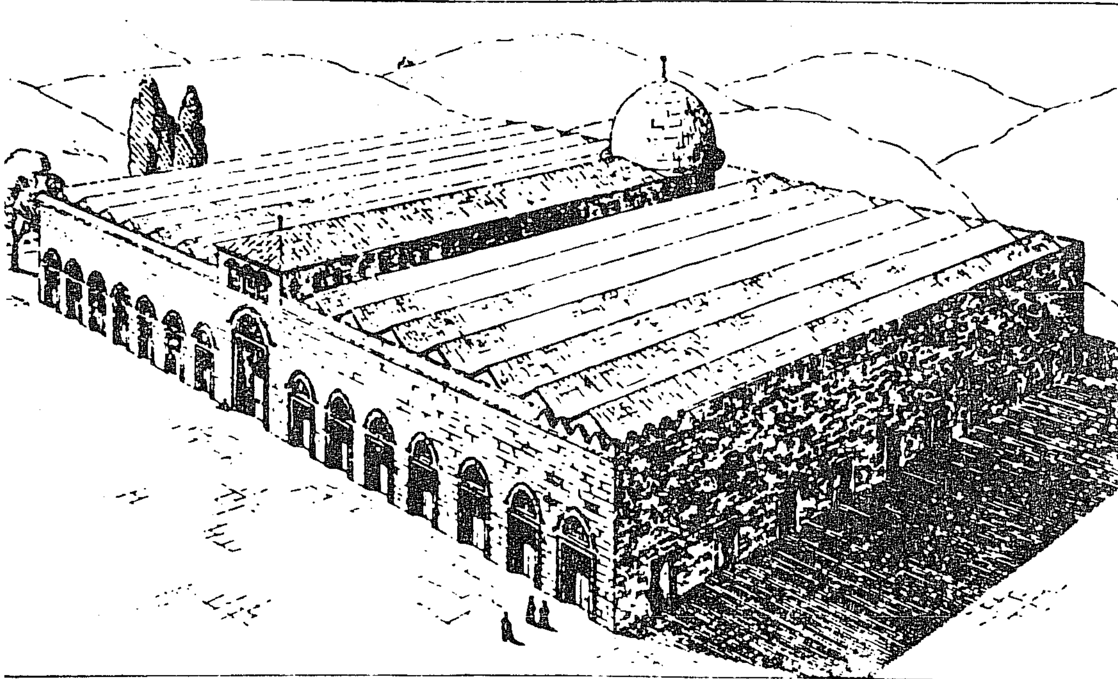
وتجد المشرات من الأمثلة على صدق ما نقول في تاريخ حركة صوفية معاصرة هي السنوسية ، فان زوايا السنوسية امتدت من واحة الكفرة وفزان في خطوط طويلة وصلت الى بحيرة شاد ثم وادي النيجر الأعلى واخترقت طرق الصحراء المخوفة فأصبحت طرقا آمنة عامرة بالناس وحملت الاسلام الى اقصى بلاد جمهوريات تشاد والنيجر والفولتا . وكانت نقطة البداية في كل موضع هي الزاوية أي المسجد : فالمسجد الصغير يلد الجماعة الاسلامية ، وهذه الجماعة الاسلامية تنشىء مسجدا صغيرا فيما يليها وهذا المسجد الصغير الجديد يلد جماعة اسلامية جديدة وهكذا ...

واليك شهادة من التاريخ تؤيد ذلك الذي نقوله : في سنة ٣١ هجرية /٦٠١ غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل مصر بلاد النوبة والتقى معهم في معركة دنقلة التي تكتب في النصوص دمقلة (بالميم) وهزمهم وكتب مع رئيس الناحية أو عظيم النوبة عهدا وعقد معه حلفا يسمى البقط ، يصبح أهل النوبة بمقتضاه حلفاء المسلمين ، وابتنى سعد بعد ذلك مسجدا هو أقدم مساجد السودان . لقد بناه عبد الله بن سعد ليكون طليعة للاسلام اي ليلد الجماعة الاسلامية في السودان ، وجاء في نص عقد الحلف الذي عرف بالبقط : « وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا فيه مصليا وعليكم كنسه واسراجه وتكرمته » .

لقد عرف عبد الله بن سعد ومن معه من المسلمين اهمية ذلك المسجد



مسجد قرطبة الجامع، شرع في انشائـه عبد الرحمن بن معاويـة بن هشام المعروف بالداخل سنة ٧٨٦/١٧٠ .



● المسجد الاقصى في القدس الشريف . تراجع اولياته الي أيـام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ولكن منشئه بصورته القريبة من الحالية هو الوليـد بن عبد الملك سنة ٧١٥/٩٧ .

والدور الذى سيقوم به ولهذا اشترطوا على أهل النوبة كنسه واسراجه وتكرمته ، أى العناية به واحترامه .

وسبحان الله الذى أوحى الى رسوله أولَ ما وطئت قدمه « قباء » أن ينشىء مسجدا ، فقد كان ذلك مولدا لجماعة الاسلام فى المدينة ، وعندما استقر الرسول صلى الله عليه وسلم فى منازل بنى عدى بن النجار فى وسط المدينة لم يقدم شيئا على بناء مسجده ، وعندما قام هذا المسجد ظهرت الجماعة الاسلامية الأولى الى الوجود .

ونخرج من ذلك بالحقائق التالية :

١) ان المساجد كانت مراكز اتصال بين أفراد الجماعة الاسلامية الكبرى . فى المساجد كان الغرباء من أبناء الجماعة الاسلامية الكبرى يتلاقون . هناك كانوا يتجمعون ويتعرف بعضهم الى بعض . وهناك كانوا يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة هى أمة الإسلام وبفضل المساجد لم يكن المسلم يشعر بأنه غريب فى أى بلد اسلامى .

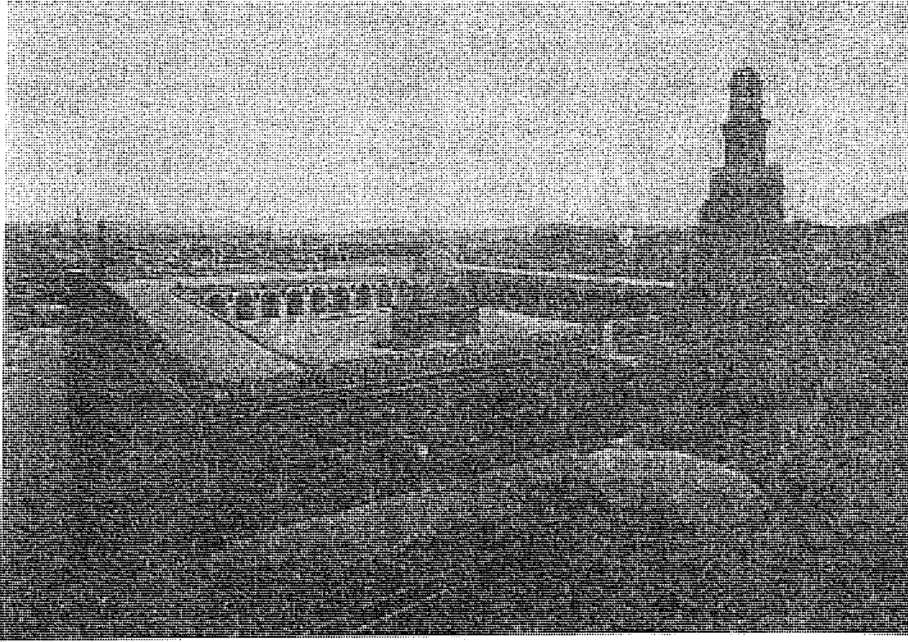
٢) ان المساجد فى أحيان كثيرة جدا كانت « النواة » التى نشأت حولها جماعات اسلامية جديدة : بعض التجار أو المهاجرين المسلمين الى بلد غير اسلامى ينشئون « زاوية » تجتذب أهل البلد الى الاسلام فتنشأ جماعة اسلامية حول هذه الزاوية ، ثم يقوم أهل هذه الجماعة الجديدة بانشاء زاوية فيما يليهم من الأرض فتنشأ فيها جماعة اسلامية جديدة ، وهكذا تزحف المساجد وتجر الجماعة الاسلامية خلفها . بهذه الصورة انتشر الاسلام فى نواح كثيرة جدا من افريقية المدارية والاستوائية وفيمايلى الهند شرقا من بلاد آسيا .

٣) ان المساجد فى ذاتها مراكز للتوسع الاسلامى ومن ثم فلا بد ان يعمل المسلمون على انشاء المساجد فى البلاد التى يريدون توسيع نطاق الاسلام فيها . زاوية صغيرة يقوم فيها أمام مخلص نشيط ابرك من مركز ضخم فيه عدد كبير من الموظفين أو الدعاة كما ينمون . لأن ذلك المركز يأخذ طابعا سياسيا فى الغالب ولهذا فهو يثير الجهات المنافسة للاسلام ويحفزها على القيام بجهد مضاد ، وفى الغالب يكون ذلك الجهد أكبر مما يقوم به المركز نفسه . أما الزاوية المتواضعة فلا تثير المخاوف وتؤدى عملها فى هدوء .

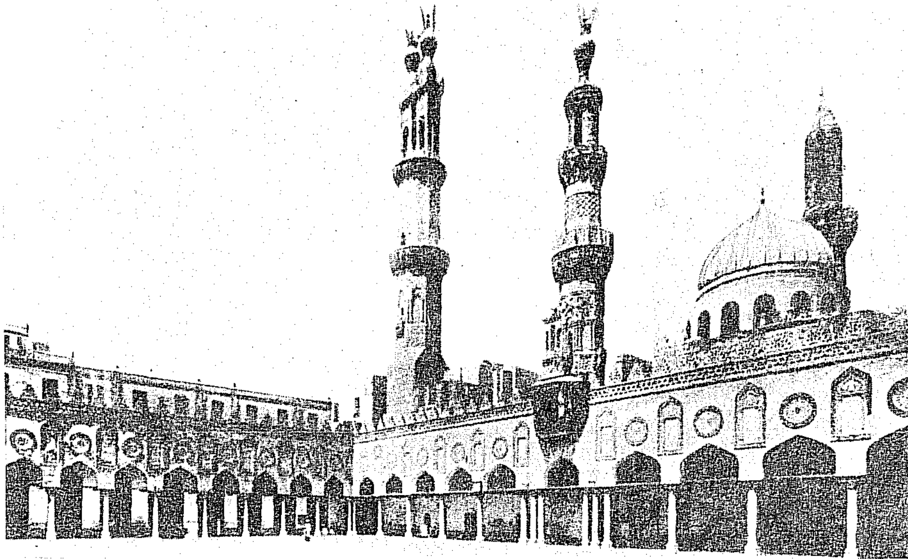
لا بد من الاكثار من المساجد فى بلاد الأطراف :

ونخرج من هذه الملاحظة الثالثة بأن أهم ما ينبغى أن نحرص عليه هو انشاء المساجد فى أطراف بلاد الاسلام . ولو كان عند أحدنا أو بعض دولنا مال تريد أن تنفقه على انشاء مسجد أو مساجد فلتنشئها فى بلاد الأطراف أو على طرق امتداد الاسلام ، فذلك هو المهم اليوم ، وهو لهذا اجدر بالتقديم ، لأن الاسلام اليوم يخوض معركة ، والمساجد من أهم اسلحتنا فيها ، والمعارك تدور على الحدود لا فى الداخل ، واذن فمن الضرورى أن نركز الجهد الآن على تلك البلاد : لا بد من تحويل اكبر جانب من الجهد والمال الذى ينفق فى بناء المساجد الى بلاد الأطراف حيث توجد اقليات اسلامية فى حاجة الى مراكز تثبت ايمان الناس وتعمل على تجميعهم واشعارهم بأنهم أعضاء فى جامعة ضخمة تحس بهم وتقف معهم .

لا بد من ذلك فى النطاق الجنوبى للاسلام : أريتيريا وكينيا وأوغندا وزاتيرى وتشاد وجمهورية أفريقية الوسطى والكمرون والكنغو برازافيل ونيجيريا وجمهورية النيجر وداهومى



● جامع احمد بن طولون فى شمال الفسطاط بمصر . شرع احمد بن طولون فى بناء هذا المسجد سنة ٨٧٨/٢٦٥ وهو الوحيد من بين المساجد الالفية العتيقة الكبرى التى تحدثنا عنها هنا الذى لم يتحول الى جامعة .



● الجامع الأزهر فى القاهرة : بدىء فى بنائه على يد جوهر الصقلـى فى جمادى الأولى سنة ٣٥٦ ابريل ٩٧٠ فهو احدث المساجد الألفية العتيقة ، ولكنـه أبعدها اثرا فى ميدان العلم والحضارة .

دور المساجد في بناء الجماعة الاسلامية

والفولتا وساحل العاج وليبريا وسيراليون وغانة وغينيا ثم تنزانيا وزامبيا ومدغشقر . وينطبق هذا أيضا على جنوب آسيا مما يلي الهند شرقا : بورما وتايلاند ولاوس وفيتنام وما لم يتم نشر الاسلام فيه من جزر اندونيسيا : بورنيو وبالى وايريان الغربية ثم جنوبى الفلبين . فى هذه النواحى كلها تدور المعركة بين الاسلام وخصومه وعلينا أن نخوضها بالبسالة التى يخوض بها الاسلام معاركه دائما ومن أهم أسلحتنا فى هذه المعركة هى المساجد . المساجد أولا .

المساجد ومظهر المسلمين :

يقول الله سبحانه وتعالى فى الآية ٣١ من سورة الأعراف : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » وفى أحاديث كثيرة أمر رسول الله صلى عليه وسلم المسلمين بأن يتخذوا أحسن ما لديهم من الثياب عند ذهابهم للصلوات الجامعة يوم الجمعة والأعياد . وقد كان لهذه الآية وتلك الأحاديث أثر بعيد جدا فى مظهر المسلمين الذين فهموها وفى ملابسهم وهيئاتهم .

فقد حرص المسلمون فى مناسبات الصلوات الجامعة على أن يكونوا فى أحسن ملابسهم ، وقد اهتم ابن بطوطة بهذه الناحية فذكر فى مواضع كثيرة من كتابه كيف كان الرجال يتخذون أبهى ملابسهم ويتطيبون لصلاة الجمعة ، وفى كلامه عن المسلمين فى جزيرة ملديف قال انهم يعتقدون هناك أنه لا جمعة لمن لم يتخذ أغلى ما لديه من الثياب فى ذلك اليوم ، وحكى ابن جبير الرحالة أن الناس فى بعض قرى العراق يمنعون ذا الثياب الخلقة أو الرثة من شهود الجمعة . أما المسعودى فقد أطال الوصف عند حديثه على أزياء الناس وحسن مظهرهم عند شهود الجمعة فى بلاد ايران . ويذهب لسان الدين ابن الخطيب فى هذا المجال الى حد تفصيل أنواع الثياب التى كان أهل غرناطة يرتدونها أيام الجمع : « ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشى بينهم الملف المصبوغ شتاء ، وتتفاضل البزة بتفاضل الجدة والمقدار (أى حسب اختلاف الثروة والمكانة الاجتماعية) والكتان والحرير والقطن والمرعز والاردية الافريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشفوعة صيفا ، فتبصرهم فى المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة فى البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة » .

واذن فقد امتد التأثير الاجتماعى للمساجد حتى شمل ملابس الناس وأزياءهم ، فَحَسَّنَ منها وزاد من عناية الناس بها ورفع مستواها ، ودفع الناس الى أن يكون عند كل منهم ثوب أو أكثر نظيف لصلاة الجمعة وما يجرى مجراها من المناسبات الكبيرة . وفى حكاية معروف الاسكافى من الف ليلة ينظر معروف الى نفسه بعد أن بدلوا ثيابه وهو نائم والبسوه ملابس أمير يقول : « ماذا فعلتم بى حتى البستمونى درج الجمعة يوم الثلاث ؟ »



بدأنا هذا الحديث بالكلام عن الأثر الجمالى البعيد للمساجد من ناحية المعمار ونختمه هنا بهذه الاشارة الى أثر المساجد فى ملابس الناس وهيأتهم فى عالم الاسلام . وقد مررنا فيما بين البداية والنهاية بأهم ما استطعنا أن نذكره عن دور المساجد فى حياة الجماعات الاسلامية وقطبها وحصنها عاجلة تحتاج الى دراسة مطولة ، فان المساجد كانت ولا تزال روح الجماعات الاسلامية وخطبها وحصنها ومركزها الدينى والسياسى والاجتماعي بحيث تستطيع أن تقول : لا جماعة اسلامية بلا مسجد أو بتعبير أدق : لا بقاء لجماعة اسلامية بلا مسجد ، ولهذا نبهنا الى ضرورة انشاء المساجد على أطراف مملكة الاسلام وفى خطوط امتداد الاسلام خارجها .

المساجد الألفية العتيقة

ولا نجد ختاما لهذا المقال عن دور المساجد فى تكوين الجماعة الاسلامية الكبرى خيرا من الاشارة الى أقدمها وأبعدها أثرا فى تاريخ تلك الجماعة ، وهى المساجد العتيقة التى قطع كل منها من الزمان فوق الألف سنة فى خدمة جماعة الاسلام والحضارة العالمية فى آن واحد ، ولهذا فنحن نسميها بالمساجد الألفية العتيقة .

والمساجد الألفية العتيقة كثيرة جدا ، أولها وأجلها هو المسجد الحرام ، بيت الله المكرم فى مكة المشرفة ، ويليه مسجد الرسول الأعظم صلوات الله عليه فى مدينة النور ، وهناك عشرات أخرى متناثرة فى حواضر عالم الاسلام كأنها النجوم فى السماء . ولا يتسع المجال هنا للكلام على مسجدى مكة والمدينة العتيقين ، فذلك يقتضى مقالا خاصا . ولا نستطيع كذلك أن نتحدث عن كل المساجد الألفية العتيقة الصغيرة ، ولهذا فقد اكتفينا بايراد صور تسع منها تعتبر آباء مساجد الدنيا — بعد مسجدى مكة والمدينة — وهذه المساجد الألفية العتيقة تشترك فى الخصائص التالية :

١ — ان كلا منها عمر فوق الألف عام فى خدمة الاسلام وجماعته وحضارته .

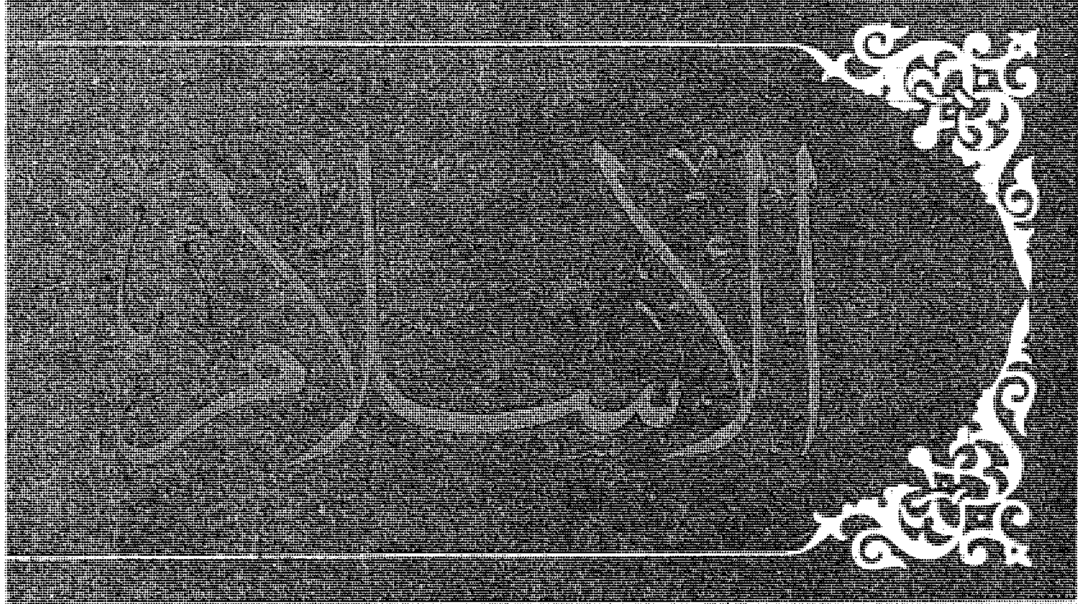
٢ — ان كلا منها كان جامعة ومسجدا فى آن واحد ، فلها فضائلها فى عالم القلوب وعالم العقول على حد سواء ، ولهذا فهى تعتبر معالم كبرى فى تاريخ حضارة البشر .

ونستثنى من ذلك جامع أحمد ابن طولون الذى لم يصل الى مكانة الجامعة بسبب وجوده قرب جامع الفسطاط العتيق وهو جامع عمرو بن العاص .

٣ — انها لطول ما خدمت تهالكت وتهدمت وأعيد ترميمها وبناؤها مرة بعد أخرى ، ولهذا فان صورة الكثير منها تختلف اليوم عما كانت عليه أصلا ، ويتضح ذلك بصفة خاصة فى حالة جامع عمرو بن العاص الذى اختفت صورته الأولى تماما .

ولن نستطيع فى هذه السطور أن نكتب عنها بتفصيل وانما سنكتفى بذكر تواريخها وايراد صورة لكل منها .

واذا انسأ الله فى الأجل ومنح القوة فلنا حديث مطول عنها على صفحات هذه الصحيفة الكريمة نوفيها بعض حقها .



د . وهبة الزحيلى

(أ) الاسلام فى التاريخ او بعبارة اخرى فى اللغة او بالمعنى المشترك بين جميع الاديان فى وضعها الصحيح ــ الاسلام بهذا المعنى هو الدعوة الخالصة الى الايمان والخضوع والانقياد والاذعان لله وحده ولأحكامه . وهذا المعنى قديم ، دعا له جميع الانبياء والمرسلين من دون أى اختلاف فى الجوهر والحقيقة يرشدنا الى ذلك ما حكاه القرآن الكريم على لسان الرسل السابقين من ذلك قول نوح عليه السلام لقومه ــ **« ان أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين . »**

وقول ابراهيم عليه السلام ــ « **يا قوم انى برىء مما تشركون** » . « **اسلمت لرب العالمين** » . « **انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما انا من المشركين** » ووصى يعقوب عليه السلام بنيه بقوله ــ « **فلا تموتن الا وأنتم مسلمون** » . فأجابه ابناؤه . « **نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ، ونحن له مسلمون** » .

في أصوله الأولى والأخيرة

وكذلك دعا موسى عليه السلام الى الاسلام — « **وقال موسى يا قوم ، ان كنتم آمنتم بالله ، فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين** » . « **انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيــون الذين اسلموا** » .

واجاب الحواريون عيسى عليه السلام . « **نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون**» .وجمع القرآن دين الانبياء جميعا فى هذه الآية من سورة الشورى . « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى اوحينا اليك ، وما وصــينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** » ومثلها قوله سبحانه «**قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمــون** » ..

وطالب القرآن الكريم بالايمان برسالات الأنبياء السابقين والاقرار بأصولها الأولى التى انزلها الله على انبيائه والتى صح ثبوتها ولم يطرأ عليها تأويل أو تحريف وتبديل ، واصبح شعار المسلمين بعد النبى « **لا نفرق بين احد من رسله** » اى ان المؤمنين يقولون ذلك ويعلنون انهم يصدقون اجمالا بجميــع الرسالات وبكتبهم وبمبادئهم ويقرون ان ما جاءوا به كان من عند الله وانهم دعوا الــى الله والى طاعته ويخالفون فى فعلهم ذلك اليهود الذين اقروا بموسى وكذبــوا

عيسى والنصارى الذين أقروا بموسى وعيسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحدوا نبوته ، ومن أشبههم من الأمم الذين كذبوا بعض رسل الله وأقروا ببعضهم .

وانتقل القرآن خطوة صريحة ايجابية أخرى هى اعلان وحدة الدين الالهى ، والدعوة الى الأصل المشترك بين الأديان ، قال تعالى مخاطبا رسوله محمدا بعد آية الشورى السابقة **« فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم »** . ومبادىء هذه الدعوة هى الاقرار بوحدة الدين السماوى ، والاحتكام الى أصول الأديان الثابتة المتحدة بين جميع الأنبياء قبل ظهور التبديل كالاتفاق على مبدأ توحيد الاله الحق ، ونبذ عبادة الاوثان وتشريع العبادات من صلاة وصيام وحج وزكاة ، والتقرب الى الله بصالح الأعمال كالصدق والاخلاص ، والتزام مبادىء الاخلاق والدعوة الى الفضيلة كصلة الرحم والوفاء بالعهد واداء الأمانات ، والامتناع عن الفواحش والقبائح ومكافحة المنكرات والرذائل كالكفر والقتل والزنى وايذاء الناس بمختلف أنواعه ، والاعتداء على الحيوان ، ووضع النظم الصالحة لحياة البشرية الهانئة التى تهدف الى خير الانسانية العام ، ولا تخضع لمقاييس مادية بحتة على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادى ، كما هو منهج الدعوات الهدامة الخطيرة المعاصرة من شيوعية ووجودية وراسمالية طاغية مستبدة .

والاسلام الحالى لا يختلف عن بقية الأديان الأخرى فى هذا المعنى العام وانما يكون معها وحدة منسجمة لا تعارض بينها ولا تضارب .

وأما الاسلام بمعناه الخاص الذى هو علم أو اسم للدين الاخير الذى ختمت به رسالات السماء واشتمل عليه القرآن وسنة النبى صلى الله عليه وسلم فيحتاج فى تحديد علاقته بالديانات السماوية الأخرى فى صورتها القديمة والحالية وهى اليهودية والنصرانية يحتاج الى تفصيل وايضاح يتلاءم مع مفهوم هاتين الديانتين فى عهدهما الأصلى الأول ، وفى الصورة الأخيرة القائمة الآن بين اتباعهما فى العالم .

(ب) أما فى العهد الأول لليهودية والنصرانية ، فلا تجد بينهما وبين الاسلام اختلافا فى الجوهر والأصول والمبادىء العامة التى تنادى بتوحيد الاله ، والايمان باليوم الآخر ، وتطالب بالتزام الأوامر الالهية ، والقواعد الاخلاقية ، والامتناع عن الفواحش والقبائح ، ومحاربة المنكرات كالكفر والقتل والزنى وايذاء الآخرين والحرص على توفير الخير والسعادة لبنى الانسان فى عالمى الدنيا والآخرة .

وفى هذا المحور أو النطاق يعتبر القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية ، واعلانا صارخا يدعو الى العجب والتشهير باتباع الديانات الأخرى التى لا تسارع الى الانضمام تحت لواء القرآن وترك العناد والاصرار على الكفر ومعاداة صاحب الرسالة الأخيرة بغيا وعدوانا فالله وحده هو مصدر الكتب المنزلة ، كالتوراة والزبور والانجيل والقرآن ، واتحاد المصدر ووحدة الجهة المشرعة مدعاة للاعتراف بالاسلام كما حدده القرآن ، قال تعالى منوها بذلك : **« الله لا اله الا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس ، وانزل الفرقان »** .

وتتوالى تأكيدات القرآن لهذا المعنى ، كما فى قوله سبحانه « **وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** » . أى أن القرآن الكتاب الكامل الذى أكمل الله به الدين ينطق بتصديق كون الكتب الالهية السابقة

كالتوراة والانجيل من عند الله وان الرسل الذين جاءوا بها لم يفتروها من عند أنفسهم ، فتلك الكتب في صورتها الأولى ووضعها الحقيقى الصحيح الذى جاء من عند الله مؤيدة وموثقة ومعترف بها فى القرآن .

والخلاصة ان علاقة الاسلام الحالى منذ نزول القرآن بالديانات السماوية فى صورتها الأولى هى علاقة تصديق ومتابعة وتأييد كلى كامل .

(جـ) وأما الصورة الحالية لليهودية والنصرانية الشائعة عند أغلب اتباعها ومعتقديها فلا يقرها الاسلام القرآنى ، وانما يعارضها معارضة تامة لانحرافها عن جوهر الاسلام بالمعنى العام ولما وقع فيها من تأويل وتحريف وتغيير بسبب التأويلات الخاطئة ، أو رعاية لمصالح رؤساء الدين والكهنة القائمين عليها ، او تأثرا بوثنية الدولة الرومانية حينما تنصرت على يد قسطنطين ، وموقف الاسلام منها موقف مصحح للأخطاء والنافى للتحريف والمزيل للزوائد بل والناسخ لكل دين سابق سواء أكان صحيحا أو مبدلا ـ ((**ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها أو مثلها ، ألم تعلم ان الله على كل شىء قدير**)) والمقصود بالآية عند جماعة المفسرين هى الرسالة .

ويصرح القرآن فى آيات أخرى بأنه رقيب وشهيد ومهيمن على الكتب السابقة بما بينه من حقيقة حالها ، وشأن متبعيها وتحريف كثير منها أو تأويله ، فهو يحكم عليها ، لانه جاء بعدها ، ومبين انتهاء مهمتها بمجيئه ، حتى ولو بقيت سليمة عن التغيير والتبديل ، قال تعالى : ((**ان الدين عند الله الاسلام**)) . أى لا دين مرضى عند الله تعالى سوى الاسلام ، وهو كما قال قتادة ـ شهادة ان لا اله الا الله تعالى والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله تعالى الذى شرع لنفسه ، وبعث به رسله ، ودل عليه أولياءه لا يقبل غيره ولا يجزى الا به . وهذا يعنى ان القرآن هو الصورة الأخيرة لدين الله وهو المرجع الأخير ، والحجة القاطعة فى هذا الشأن والمصدر النهائى فى منهج الحياة وشرائع الناس ونظام حياتهم ، بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل ، قال عز وجل ـ ((**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين**)) وسواء أكان الاسلام هنا بالمعنى اللغوى العام أو بالمعنى الخاص فانه يناقض الاديان الأخرى السائدة الآن لان اتباعها غير موحدين أو ان فكرة التوحيد لديهم مشوهة ، أو انهم لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم كما توجب عليهم اصول ديانتهم الأولى .

ويتحدى القرآن وجود تلك التحريفات والزوائد التى وضعها الاحبار والرهبان فى تلك الكتب الاصلية ((**قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنم صادقين**)) ((**يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون . يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون**)) ((**ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا ، أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ، ولا ينظر اليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب اليم وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**)) وهى كلها تندد بالتحريفات وبعدم الايمان بما نطقت به كتبهم من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها .

وفى الجملة ـ ان علاقة الاسلام بالاديان الأخرى فى وضعها الحاضر علاقة تصديق لما صح منها ، وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والاضافات والزيادات

الموضوعة المشوهة لاصل الديانة والمنافية لاصول الاديان العامـــة التى حافظ عليها القرآن وحده .. واعترف بها الناس قاطبة واقرها العقل ، ونادت بهـــا الفطرة ، وسخط المفكرون من شكلها المحرف ومسخ جوهرها النقى .

(د) **مهمة الاسلام القرآني** ـــ وتبقى مهمة الاسلام بالاضافة الى تقريره التزام أصول الدين الكبرى المشتركة بين جميع الاديان هى مهمة اكمال الـــدين الالهى ، وانضاج له بما يتلاءم مع مقتضى ختم النبوات ويتناسب مع تطور الامم ودرجة الترقى والمدنية التى وصلت اليها ، ورقى العقل البشرى وتقدم العلم وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم لتحديد موضع خاتم النبيين ورسول الاسلام من الأنبياء والرسل السابقين فى قوله سبحانه ((**قل ما كنت بدعا من الرسل**)) اى ما انا بأول رسول وفى قوله تعالى ايضا حكاية على لسان ابراهيم عليه السلام « **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم**)) فكان النبى صلى الله عليه وسلم دعوة أبيه ابراهيم وبشارة اخيه عيسى عليه السلام ((**واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد**)) ولقد كان المسيح عليـــه الســـلام يعبر عن المبشر به محمد بلفظ (فارقليط) وهو تفسير لفظ (بيركلنلوس) اليونانية ومعناها الذى له حمد كثير وهو موجود فى الأناجيل الحالية . وعبارة انجيل برنابا فى ذلك هى (وسيبقى هذا الى ان يأتى محمد صلى الله عليه وسلم الذى متى جاء ، كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله)

وقد ثبت فى السنة النبوية الصحيحة احاديث تصور هذه المعانى ادق تصوير ، كقوله صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن نفسه او بدء أمره فأجاب (دعوة أبى ابراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى كأنه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من أرض الشام ، قال ابن كثير وهذا اسناد جيد . وروى له شواهد من وجوه أخر ، أخرج الامام احمد فيما يرويه بسنده عـــــن العرباض بن سارية قال ـــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى عند الله لخاتم النبيين ، وان آدم لمجندل فى طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك ـــ دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى بى ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات الأنبياء يرين .

وأخرج الامام البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال » ان مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية ـــ ركن ـــ فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له،ويقولون ـــ هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال فأنا اللبنة وانا خاتم النبيين) ، وهذا من أوضح الادلة على تكامل الرسالات السماوية فى روحها ومعناها وان اختلفت صورهـــا وأشكالها حسب مقتضيات التطور وحاجة البشرية .

وبما ان النبوات ختمت بالاسلام الذى هيمن على جميع الرسالات الدينية السابقة فان جميع الناس يهودا أو نصارى أو وثنيين مطالبون بالاستجابة للدعوة الالهية الأخيرة التى حدد القرآن مهام رسولها فى قوله عز وجل ((**الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون**)) وترشد آية أخرى الى مهام النبى .. ((**يايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا**)) اى ان وظائف النبى صلى الله عليه وسلم خمسة شهادته لله بالوحدانية وانه لا اله غيره وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة وتبشيره بالجنة لمن أطاع أوامر

الله وانذاره بالنار لمن عصى ودعوة الخالق الى عبادة ربهم بأمر الله والسراج المنير فيما جاء به من الحق وظهور أمره كالشمس فى اشراقها واضاءتها لا يجحدها الا معاند ..

ويقرر القرآن فى اجلى بيان اكتمال الاديان بالاسلام ورضا الله به دينا حكما فصلا بين الناس — « **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » وبهذا كان من حق النبى عليه الصلاة والسلام ان يقول بوحى من الله (والذى نفسى بيده لا يسمع بى رجل من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم لا يؤمن بى الا دخل النار) .

وهكذا يبين من هذه الاية وآية ومن يبتغ غير الاسلام ... انه لا يقبل من احد طريقة ولا عملا الا ما كان موافقا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان بعثه به . فاما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول فى زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة . ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين ورسولا الى بنى آدم على الاطلاق وجب عليهم تصديقه فيما اخبر وطاعته فيما أمر والانتهاء عما عنه زجر ، وهؤلاء هم المؤمنون حقا ..

اذن فغير المسلم يهوديا كان أو نصرانيا او وثنيا يعتبر كافرا غير مسلم اذا لم يؤمن بالاسلام القرآنى ، او آمن بوحدانية الله ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وآية « **ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ..** » تؤيد هذا فهى تقرر حكم المنتقل من تلك الاديان الى الاسلام والايمان بالقرآن ، وكلمة (**من آمن بالله**) فى الآية بدل بعض مما سبق ، فمن يؤمن منهم بمحمد وبما جاء به واليوم الآخر ويعمل صالحا ، ولم يغير حتى توفى على ذلك ، فله ثواب عمله واجره عند ربه ، كما وصف جل ثناؤه ، وكما بين فى آية الحج ١٧ « **ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد .** »

وفى آية آل عمران ١١٣ « **ليسوا سواء ، من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ..** » الآية .

(هـ) معاملة غير المسلمين ، واما معاملة غير المسلمين فى بلاد الاسلام فهى اجمالا تحكمها قواعد معروفة فى الاسلام وهى التسامح (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) (امرنا بتركهم وما يدينون) وبذلك هم مواطنون كالمسلمين يتساوون معهم فى الحقوق والواجبات بل يتحمل المسلمون واجبات اشد واكثر من الواجبات التى يكلف بها غير المسلمين وقد ثبتت وصايا كثيرة بهم فى آخر ما تكلم به الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون ومن بعدهم من ذلك مثلا قوله عليه السلام (من آذى ذميا — اى فى ذمة المسلم وعهده — فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة . الا من ظلم معاهدا ، او انتقصه او كلفه فوق طاقته ، او اخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة) .

واما الوان التشكيك وحملات التخويف من هضم حقوق غير المسلمين عند تطبيق الاسلام او اتحاد المسلمين ، فمنشؤها اضاليل المستعمرين ومحاولات التجزئة فى مخططات السياسة الاستعمارية المعادية وكتابات رسل الاستعمار من المبشرين سواء فى كتابات الباحثين منهم او فى أصابع التبشير الممتدة فى صورة مدارس ومشافى وممرضات وراهبات واندية ثقافية ورياضية ونحوها .

والخلاصة انه ينبغى عدم الخلط بين أصول الاعتقاد التى تقوم عليها العقيدة الاسلامية وبين مظاهر المودة والتسامح مع غير المسلمين فى المعاملات الشخصية او المجالات السياسية ولا يصح لمسلم القول بعدم التفرقة بين مسلم وغيره فى العقائد .

نظام السلوك الانساني

انعكاس لواقع النظام الكوني

لا يصلح أن يتطور من الأول إلا بمقدار ما يمكن أن يتطور من الثاني

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى

مما لا ريب فيه أن العقائد والمبادىء الفكرية والاجتماعية التى تنهض عليها أنظمة الحياة ، تنزل من سنن الكون وقوانينه ، منزلة الثوب من الجسد ، أو منزلة الساعة الضابطة من الزمن المطلق .

فبقدر ما يتوفر بينهما من التطابق والانسجام ، يكون الانسان أقدر على استخلاص أسباب سعادته من معين الحيـــــاة . وبقدر ما يظهر بينهما من التشاكس والتناقض ، يكون الانسان أعجز عن توفير أسباب ســـــعادته فى الحياة ..

وواضح اننا لا نعتد الا بتلك السعادة التى تمتد ظلالها الى كل من الفرد والمجتمع . فليست سعادة تلك التى يستخلصها الفرد من حق الجماعة أو تلك التى تقتنصها الجماعة من حق الفرد .

واذا كان هذا شيئا معلوما ، فان مما يترتب عليه بداهة ، أن مقيـــاس التطور والثبات فى العقائد وأنظمة الحياة ينبغى أن يكون تابعا لمقياس كل منهما فى سنن الكون ونواميس الحياة : يقابل الثابت من هذه قيم يجب أن تظل ثابتة

من تلك ، ويقابل المتطور أو المتناسخ من هذه أمور ينبغي أن تكون عرضة للتطور أو التناسخ من تلك . وان أي انسياق نحو الرغبة في تطـــوير شيء من أمور الفكر والدين وما قد يتبعهما من أنظمة الحياة ، دون التقيد بهذا الربط ، ينم عن عفوية بالغة في النظر والفكر .

وانك اذا أمعنت النظر ، وجدت أن للكون نظــــاما لا يتخلف ولا يتبدل ، فيما يتعلق بنواميسه الذاتية ، وله من دون ذلك أنظمة أخرى هي رهن التطور والتبدل ، تتعلق بتلك النواميس الذاتية تعلق الوسيلة بالغاية أو تعلق الشكل بالموضوع .

نواميس كونية لا تتبدل

فالكون منذ اقدم العصور الانســانية المعروفة ، خاضع لنظــــام فلكي لا يتبدل ، ينقسم الزمن المطلق وفقا له الى عام ، وشـــهر ، ويوم ، وليلة .. وينقسم العام بموجبه الى فصوله الرتيبة المتكررة ، لم تتمكن اى ارادة انسانية غلابة مهما أوتيت من نفاذ الطاقة وبصيرة العلم أن تبدل منه أو تطور فيه .

والانسان ، منذ أن صحا الى الدنيا التى هو فيها ، يظل يجــوع فيبحث جاهدا عن طعامه ، ويظمأ فيجدّ بحثا عن شرابه ، لا تستقيم حياته الا بعون من هذا وذاك . وهو منذ أقدم عصور التاريخ المؤرَّخة ، يبحث عن طعامه بين خيرات الارض وينتظر شرابه في قطر السماء . فقصته مع الارض قصة طويلة قديمة لم تتبدل ولم تتغير : يفلحها بجهده ثم يزرعها بيمينه ، ثم يستحصد ما تغله له من هذا الحب الذى كان ولا يزال منذ أقدم أيام دنياه غذاءه الأساسى الذى لا غنى له عنه .

وهذا الانســــــان نفسه ، يتدرج — منذ أن عرفته الحياة — من مرحلة الطفولة الصغرى ، الى الصبوة اليافعة ، الى الشباب القوى ، الى الكهولة المدبرة ، ثم الى الشيخوخة الفانية ، حيث ينتظره الموت الذى لا محيد عنه . ودأبه خلال هذه المراحل كلها النزوع الى البقاء والفرار من الموت ، بما يستعين به من عطاءات الكون أو بما يفرّ اليه من وقاياته وتعاويذه .

وهذا الانســــــان ، كغيره من جميع أصناف الحيوانات ، يخضع أيضا لقانون لا يتخلف ، في تكاثره وحفظ بقائه النوعى ، يسير به وفق مؤثرات قديمة ما كانت لتتغير أو تتطـــور ، وينتهى به الى نتائج معروفة متكررة ما كانت هى الاخرى لتتخلف أو تتبدل .

والموت ، لا يزال منذ فجر التاريخ ، أخوف ما يخافه الانسان على نفسه ، وأقسى سلطان يسترقه ويستذله ، لم تجْدِ معه اى حيلة ولم يتخلص منه بأى وسيلة .

والانسان — بدليل هذا كله — مطبوع منذ نشأته بطابع العبودية لخالق عظيم لا مفر له من سلطانه ولا مخرج له عن ملكوته ، لا يمحوه غنى يسمو اليه او قوة يتمتع بها أو علم يتصف به .

لم تات العلوم بجديد

ولقد تقدمت المدارك البشرية ، ما في ذلك شك ، وامتلك الانسان مزيدا من المقاليد السحرية العجيبة لتســـخير الكون واعتصــــار المزيد من فوائده

ومخزوناته ، وتهيأ له من أسباب العلوم والمعارف ما لم يكن يحلم به من قبل . ومع ذلك فان انسان هذه العلوم كلها لم يستطع أن يزحزح شـــيئا من تلك السنن الكونية التي عرضنا لذكر طائفة منها .

لا يزال انسان الحضارة الحديثة يستجدي الارض ــ كأجداده السالفين ــ طعامه ويستمطر السماء شرابه ، ولا يزال منظر السنابل اليانعة ، مستوية على سوقها الباسقة الخضراء ، يملأ عينيه بتباشـــير الخير والأمل ، كما كان شأن اجداده من أصحاب القرون الخوالي . ولقد وقف العلم كله عاجزا عن أن يغنيه عن ذلك كله ببرشامة تحرره من منة الأرض وعطائها أو من فيض السماء وقطره .

ولا يزال هذا الانسان الذي وضع القمر تحت سلطانه العلمي ، ثم انطلق يلقي شباك بحثه نحو الكواكب والافلاك البعيدة الاخرى ــ لا يزال هذا الانسان يموت بنفس الطريقة التي تموت بها أي ذبابة ضعيفة في الكون .. ! ولقد عجز علم العلماء كلهم عن أن يقضي قضاءه المبرم على هذا الشبح المرعب الذي لا يزال ملتصقا بخناق الانسانية منذ أقدم الدهور . بل عجز عن أن يتخذ أي وســيلة لإبعاد الشقة بينه وبين الانسان ، فلا تزال كلمة (الجيل) تحمل نفس مدلولها اللغوي القديم : دفعة بشرية تمر من معبر هذه الدنيا ضمن ميقات زمني لا يتجاوز مائة عام تقريبا ، وما يتقدم الطب والعلاج بعمر الانسان الا ضمن المدلول الراسخ القديم لهذه الكلمة .

واذا ، فان انسان الحضارة الحديثة ، لا يزال ــ بموجب كل ما ذكرنا ــ عبدا مملوكا لخالق عظيم ، لم تتهيأ له من المدارك والعلوم الا ما هو جدير بأن يزيده انتباها الى زمام العبودية اللاصق بعنقه . ولم يمتلك من أسباب الطاقة والقدرة الا ما يصدمه ــ في محاولة مباشرة ــ بجدران ذله وضعفه .

وانه في ذلك ليشبه تلك الدابة التي شــــاء صاحبها أن يرخي لها زماما طويلا طويلا مما بين عنقها واليد التي تمسك به ، حتى اذا أتى عليهــــا حين استنشقت فيه من حقائق العلم ما أثار هياجها الى الحرية ، فانطلقت فيما حولها من هذا الوادي الخصيب تزرعه طولا وعرضا ، استقر في ذهنها أنها مالــكة هذه البيداء والقاضية فيها بما تريد ، ولم لا وها هي تلوي رأسها كما تشـــاء وتقفز بأقدامها فوق كل صخرة وتنتقل من هذه الشــجيرة الى تلك ، دون أن يقف في وجهها أحد . فلما ركبت متن هذا العلم الذي أثار هيــاجها وانطلقت تضرب بحافرها الصخر فتوري منه الشرر ، ما لبثت أن اصطدمت بحدود مؤلمة أوجعت صفحة عنقها .. حدود قاسية ما كانت تراها بالعين المجردة ، ولكنها لمستها عند اجتياز المسافة .. !

أجل ، فلئن كان علم الحضارة الحديثة قد أجرى الانسان طليقا فيما يشبه دنيا هذا الوادي الخصيب ، فانه قد صدمه في الوقت ذاته بتلك الحدود القاسية التي يتثلم كل من العقل والعلم دون اختراقها .

هذه هي حدود العلم

غير أن للإبداع العلمي الذي يتمتع به الانســـان ويحمل في طياته بذور التطور والتقدم نحو الافضــــل ، أثرا فيما دون جوهر هذه القوانين والانظمة الكونية ، وهو تلمّس الطريق الافضل الذي يمكن أن يسلكه الانسان للاستفادة من هذه القوانين أو الانسجام معها .

فان الانسان ، فى الوقت الذى لم يستطع ان يستغنى عن طاقة الشمس وفائدة الهواء ، استطاع أن يطور السبيل الى الاستفادة منهما .. وهو فى الوقت الذى وقف عاجزا عن أن يتخلص من حاجته الى زراعة الارض واستنباتها، لم يعجز عن أن يطور السبيل الى ذلك . فلقد استطاع أن يتخذ الى فلاحة الارض سبيلا أيسر وأوفر ، وأن يتخذ الى استحصاد الزرع وتحضيره طريقة أسرع وافضل . وهو وان عجز عن أن يطيل من عمر الانسان أو أن يحرره من فجيعة الموت ، الا أنه استطاع أن يحشو عمره القصير بمزيد من أسباب المتعة وأن يشعره بقدر أكبر من ملذات الدنيا ونعيمها .

وهكذا ، فان الجهد العلمى الذى بذله الانسان ، قد حقق تقدما وتطورا ملحوظين ، ولكن ضمن كل من هذين القيدين :

أولهما : أنه تطور يتعلق بأعراض القوانين الكونية ، لا بحقائقها الذاتية ، أى فهو يتعلق بكيفية السبيل الى هذه القوانين لا أكثر .

ثانيهما : أن العلوم لا يمكن أن تبدع شيئا مفقودا ، ولكنها تستغل حقائق موجودة . وكل ما بين العالم والجاهل من فرق ، أن الأول اكتشف هذه الحقائق أو بعضها فوضعها حيث ينبغى أن تكون ، وألف الاجزاء الى بعضها . أما الثانى فقد غفل عنها ، ومر بها ذاهلا ، فبقيت دفينة كما هى .

ما الذى يعنيه هذاكله .. ؟

وبعد ، فما الذى يعنيه هذا كله .. ؟

انه يعنى ، بكل وضوح ، أن مناهج السلوك الانسانى ينبغى أن تكون منسجمة مع العلاقة الانسانية الثابتة بسنن الكون ونظامه .

ذلك أن المناهج السلوكية والقيم الفكرية والاجتماعية ، لا تعدو — كما أوضحنا — أن تكون غطاء أو كساء لما يسير عليه هذا الكون من أسس وقواعد ونواميس .

ان من العفوية المفرطة أن تقود احدنا نزعة التطور الى أن يضع للناس — مثلا — مشروع نظام يتجاهل علاقة الانسان بالارض وخيراتها ، أو يغض النظر عن نزعته الذاتية الى التملك والحيازة ، أو يتناسى الفطرة التى تخضعه لقانون التكاثر النوعى والمحافظة على السلالة ، أو يستهدف تحرير الانسان من ربقة العبودية لخالقه عز وجل .. !

والحديث عن التطوير ، والتغنى بضرورته ، ونعت القديم بعبارات السخرية أو الاشمئزاز — كل ذلك عبث لا معنى له ، ما دام الحديث يتعلق بأمور تستند فى حقائقها الى محاور ثابتة مستقرة من النظام الكونى .

سوف يظل العدل — فى مضمونه السليم — مبدأ مقدسا مهما قدمت حقيقته وتطاول عمره ، ما دامت للانسان حاجاته الذاتية التى لا تقوم حياته بدونها ، وما دام وصول الناس كلهم الى حاجاتهم هذه رهنا بالتعاون والتنسيق .. ولا ريب أن التبرم بقوانين العدل — مع الاقرار ببقاء تلك الحاجات واستمرار توقف حياة الانسان عليها — سذاجة شنيعة .

ولسوف يظل العدوان على الاعراض ، وفتح باب الاباحية الجنسية أمرا غير مقبول ، ما دام التكاثر الانسانى خاضعا لقانونه الفطرى المعروف ، وما دام هذا القانون لا يحقق أهدافه الا بنوع دقيق من التنسيق وتنظيم المسؤوليات

والاعتماد على خلايا الاسرة . لا يشفع لذلك العدوان جدّته ولا يودى بقدسية التنظيم قدمه .

ولسوف يبقى الانسان عبدا مملوكا لخالقه ، حقيقا بأن يدين له بسائر مظاهر العبودية فى السلوك ، ما دام وجود الخالق حقيقة تسمو فوق كل شك وريب ، وما دامت آثار هذه العبودية لاصقة به لا تنفك عن كاهله ولا يتحرر عن تبعاتها .

تقدمية ورجعية .. والفاظ لا معنى لها

ولكن فى الناس من يتجاهلون هذه الحقيقة رغم وضوحها . ويجترّون على الدوام كلمات لا تنحط على أى معنى أو مدلول سليم .. !

يتبرمون بكل قديم من عقيدة أو سلوك ، وينعتون الالتفات اليه أو الاستقامة عليه بسمة الرجعية .. ! ويهشون لكل مستحدث جديد ويبعثون اليه نظرات التقديس وينعتون السعى اليه بالتقدمية .. !

ومهما يكن فى اتباع القديم من فضائل ، فحسبه سوءا بنظرهم أنه قديم ، ومهما يكن فى التزام الجديد من مساوىء ، فحسبه على كل حال من الفضل أنه جديد .. !

ولو أن أصحاب هذين الشعارين اتخذوا من شؤون الحياة كلها هذا الموقف ، وشهروا من كل جديد سلاحا على كل قديم ، لأمكن أن تكون للمسألة فلسفة ذات منهاج أيا كانت نهايتها ومهما اختلف المفكرون فيها .

ولكن الذى يحصر المسألة فيما يشبه الشهوة أو الرعونة الصبيانية الجامحة أنها لا تعتمد على أى مقياس أو حدود اللهم الا أن يكون مقياس التشهى المطلق .. !

فأنت تجد أرباب هذا الجموح راقدين فى مهاد قديمة بالية من أنظمة الكون والحياة ، تلتف عليهم أكفان من الطبائع والحاجات البشرية العتيقة ، وهم يجمحون مع ذلك بأيديهم وأقدامهم كما يفعل الطفل فى المهد ، يزعمون أنهم يثورون على كل قديم .. !

يريدون أن يحطموا ما أقامته الشرائع بين الرجل والمرأة من حواجز الاخلاق وتنظيم الاتصال ، وهم يدركون جيدا أن المجتمع الانسانى لا يستمر وجوده السليم الا ضمن نفق من التنظيم ، وأنه لا ينهض الا على خلايا الأسرة ، ولا تنهض خلية الاسرة الا على عماد من المسؤولية والنسب ووشيجة الرحم والقربى ..

ويقول قائلهم : انسان القرن العشرين يتخذ من القمر وطنا ثانيا له ، وأولو الافكار العتيقة لا يزالون يمارسون الركوع والسجود فى محاريبهم المظلمة ، ولا يزالون يركنون الى أسر التدين للمجهول والعبودية للغيب .. ! وهم يعلمون جيدا أن أولئك الذين اتخذوا من القمر وطنا ثانيا لهم لم يستطيعوا أن يعتقوا أنفسهم بذلك من أى مظهر من مظاهر الضعف البشرى اللاصق بهم . لم يستطيعوا أن يجعلوا من القمر معقلا لهم ضد الموت ، ولا دواء ضد الهرم ولا سبيلا لانعتاق الانسان من حاجاته الى الارض .. ! ان انسان هذه الحضارة لا يزال يموت — كما قلت — كما تموت أى ذبابة ضعيفة فى الكون . انه لا يزال يهرم فيتنكس عائدا الى الجهل والضعف ويحق عليه قرار الله تعالى : « **ومن نعمره ننكسه فى الخلق** » . وهو لا يزال أسيرا لكل الطبائع البشرية

التي تسمه بطابع الضعف وتأسره لجملة القوانين الكونية التي تحكم حياته كلها .
انه لا يزال اذاً أسيرا لما يسميه بالمجهول عبدا لما يسميه بالغيب .. وطول زمام الدابة لم يغير شيئا من واقع الأسر الذي تعانيه .

العبودية في الواقع .. والعبادة في السلوك

قال لي واحد من هؤلاء مرة : فيم يخضع الانسان — في عصر الحرية — لقيود العبودية وآصارها ، وهو ان كان شـــيئا سائغا بالأمس ، فانه لأمر مستهجن لا يتفق وحرية الانسان اليوم .

قلت : أرأيت الى هذا الانسان في عصر الحرية ، فيم يظل يذل نفســه للحصول على لقمة طعام أو جرعة شراب .. ؟ ستقول إن تكوينه البشري محتاج اليهما ، فلتعلم أن تكوينه البشري أيضا قد جعل منه عبدا في الواقع ، وما من شك في أن السلوك الاختياري يجب أن ينسجم مع الواقع الاضطراري .

اذا كنت تريد — حقا — أن تتبرم وتثور ، فتعال فثر أولا على هذا الواقع الاساسي الثابت . فاذا أسعفتك الحرية في الانفلات منه فلا عليك أن تحطم سائر القيود السلوكية التي جاءت ثمرة ونتيجـــة له . أما اذا خانتك حريتك المزعومة وتخلفت عنك قوتك الضاربة ، ورأيت نفسك أسيرا لطبيعة العبودية في كيانك ، فان من الرشد الذي لا مرية فيه أن يكون سلوكك الاختياري متفقا مع وضعك الاضطراري . وان من المشاكسة والتناقض مع الواقع أن تخالف بين المقدمات ونتائجها ..

أسمعت عن أجير تحركت فيه نوازع الحرية فقعد عن التزاماته تجاه من قد استأجره ، قبل أن يعمد الى العقد الذي بينهما فيلغيه ويبطله .. !

أم هل سمعت عن شاب تبرم بتبعات بنوته لأمه وأبيه ، فتجـــاهل هذه التبعات واســـتعلى فوقها ، وهو يعلم أن نسب بنوته اليهما حقيقة لاصقة به أينما حلّ أو ارتحل .. ؟

ليس الشأن الذي يكسبك أي فخر أن تحرر جبهتك من الســجود للخالق عز وجل ، وانما الشأن الذي يكسبك ذلك أن تحرر ذاتك من ســلطانه عليك وقانونه في حياتك وامتلاكه لزمامك . فاذا كنت أعجز من أن تأتي بأي محاولة ناجحة في هذا التحرر ، فسيان أن تسجد لخالقك عز وجل على تراب الارض وحصبائها أو أن تنطح بجبينك هام الجوزاء وما فوقهـــا ، فانما أنت على كل حال عبد .. !

إن أنكر ذلك علم تتباهى به اليوم فسيقر بذلك النسيان الذي سيغشاك غدا .. وان جحدته قوتك اليوم فلسوف يذعن له ضعفك المستخذي غدا .. وان استكبر عنه غناك الذي تتمتع به اليوم فسوف يذل له فقرك الشديد غدا . وإن غدا لناظره قريب .



طارت نملة في الهواء ، وقد ظنت أنها تعدت عن حقيقتها وانخلعت عن مهانتها وضعفها . فمضت تحلق في الفضاء مستأسدة مستضرية تبسط في جو السماء كله سلطان جناحيها . وفيما هي كذلك اذا بطرفي منقار عظيم انغلقا عليها .. ! فلما أيقنت الهلاك وعلمت أنه الموت ، استسلمت له قائلة :

خذها مني قصاصا وحقا ، فليس ذلك شططا وظلما على من أوتي جناحين ليدرك بهما حدود طاقته الصغيرة ، فانطلق يصارع بهما قضاء الله فيما انطبع به من الضعف والهوان .

الإمام

عبد الحميد بن باديس

المصلح الجزائري المعاصر

للدكتور / محمود محمد قاسم

ولد عبد الحميد بن باديس في الخامس من ديسمبر سنة ١٨٨٩ بمدينة قسنطينة بالجزائر ، وترجع أصول أسرته إلى المعز بن باديس مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى التي خلفت الأغالبة على مملكة القيروان . وكان أحد أسلافه وهو أبو العباس ابن باديس من كبار قضاة قسنطينة ومن أكثر علمائها شهرة . وقد ساعده ثراء أسرته على التحرر من الحاجة إلى طلب الوظيفة من الإدارة الفرنسية ، ومع ذلك فكان زاهدا خصص حياته بأسرها لإحياء الروح الإسلامية في الجزائر إعدادا للمقاومة الفعالة التي ساهمت بقدر كبير في تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي .

وكانت خطة عبد الحميد بن باديس في مقاومة ذلك الاستعمار مبتكرة وجادة ، لأنه بدأ يحاصر فرنسا في رفق وعزم صارم في الوقت الذي ظنت فيه أنها حاصرت الجزائر ، وبدأت تحولها إلى مقاطعة فرنسية في الشمال الإفريقي . وقد استمد ابن باديس قوته كلها من الدعوة إلى مذهب السلف . وكشف عن خطته

هذه بعد نجاحها عندما قال فى سنة ١٩٣٨ إنا بالأمس حين لم نلتفت هذه اللفتة إلى ماضينا وقوتنا السماوية ما كنا نرهب احدا ، ولا نستطيع ان نشعر بوجودنا أحدا . وأما اليوم فبهذه اللفتة القصيرة إلى تراثنا المجيد استطعنا ان نعلن عن وجودنا ونخيف بعد أن كنا نخاف .

وكانت دراسته الأولى فى مدينة قسنطينة ، فحصل الثقافة العربية الإسلامية ، وأخذ عليه أحد اساتذته عهدا الا يعمل موظفا فى الحكومة حتى يتفرغ لخدمة دينه وأمته . ونفذ ابن باديس هذا المعهد . ولما هاجر استاذه إلى الحجاز ارتحل ابن باديس إلى جامعة الزيتونة بتونس فى سنة ١٩٠٨ . غير أنه فطن إلى ان الدراسة فى تلك الجامعة حينذاك لم تكن فى المستوى الذى تتطلع إليه نزعتــه العلمية والإصلاحية . ثم سافر إلى مكة لأداء فريضة الحج فى سنـــة ١٩١٢ ، وفى الحجاز لقى عددا من علماء مصر والشام وتتلمذ على الشيخ حسين أحمد الهندى الذى نصحــه بالعودة إلى الجزائر ، إذ لاخير فى علم ليس بعده عمل .

ولما عاد إلى الجزائر فى ســنة ١٩١٣ شرع ينفذ خطته ، فوضـــع الأسس الأولى لجمعية العلمـــاء الجزائريين يعاونه فى ذلك الشيخ بشير الأبراهيمى . لكن هذه الجمعية لم تبرز إلى الوجود إلا فى ســـنة ١٩٣١ . وفيما بين هذين التاريخين كان ابن باديس يعمل دون هوادة ، فكان يلقى دروسه الدينية والأخلاقية بمدينة قسنطينة بعد صلاة الفجــر حتى منتصف الليل ، وكان يسافر إلى العاصمة ووهران وتلمسان مرة فى كل اسبوع .

وكان شعاره قوله تعالى « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مـــا بأنفســـهم » ولمـــا أحس ابن باديس صلابة الأرض تحت قدميه جعل يهاجم أعوان المستعمر من أصحاب الطرق الصوفية . وبدأ حملته عليهم فـــى سنة ١٩٢٥ وأصدر جريدة المنتقد فى سنة ١٩٢٦ ينبه فيها شعب الجزائر إلى خطر مدعى التصوف . وتنبهت الإدارة الفرنسية إلى خطر هـــذا المصلح ، فعطلت الجريدة بعد أن صدر منها ١٨ عددا . فلم يلبث ابن باديس أن اصدر مجلة الشهاب ، مع اصطناع المرونة السياسية التى برع فيها ، فخفف اللهجة ، لكن استمر فى فضح الطرق الصوفية وبيان مخالفتها للكتاب والسنة . وأتاحت له هذه الحنكـــة السياسية أن يحتفظ بجريدة الشهاب ، التى كان يصدرها ببعض دروســـه فى التفسير وشرح الحديث ، بالبقاء ما بين سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٤٠ .

وحاول خصوم الإمام ابن باديس اغتياله ، لكنه نجا وعفا عمن كان يريد اغتياله . ثم اصدر صحفا أخـــرى كالشريعة والسنة المحمدية والصراط. ولم تعمر هذه الصحف طويلا ، فإن الإدارة الفرنسية كانت سرعان مـــا توقفها عن الصدور ، لخطورتهـــا وعظيم تأثيرها في النفوس . ثـــم حاولت الإســـاءة اليه بأن حرضت عليه أذنابها ، فاتهموه بأنه وهـــابى حينا ، ومن اتباع محمد عبده حينـــا آخر .

وادى احتفـــال الفرنسيين فـــى سنة ١٩٣٠ بالعيد المئوى لاحتـــلال الجزائر إلى إثارة شعور المسلمين ، إذ عرض احد الكرادلة بالإسلام مبشرا باختفائه من الجزائر ، مما دفـــع المخلصين من الجزائريين إلى التفكير فى إنشاء جمعية العلماء الجزائريين الذين اتخذوا لأنفسهم شعارا هـــو الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا وفى سنة ١٩٣١ عقد علماء الجزائر أجتماعا فى شهر مايـــو وأسسوا جمعيتهم وانتخبوا عبـــد

الحميد بن باديس رئيسا لها ، وذلك فى غيبته . فوضع للجمعية قانونها الأساسى على قواعد من الدين والعلم . ولم ينس أن يدعم ذلك كله بمبدأ اسلامى لتحقيق وحدة الفكر بين مختلف النزعات فى المجتمع الجزائرى ، وهذا المبدأ هو الكلمة الطيبة ، والدعوة بالموعظة الحسنة . من قبلها فهو أخ فى الله . ومن ردها فهو أخ فى الله . فالأخوة فى الله فوق ما يقبل ويرد .

وكان مسلكه فى بناء الأمة مسلكا عمليا ، وهو البعد عن المهاترات الحزبية التى كانت تدور فى فلك حدده المستعمر سلفا ، كصمام أمن لحالة السخط التى عمت الجزائر بسبب ضروب الحرمان الاقتصادى والاجتماعى ، وفضل هذا المصلح أن يبعث الأخلاق الإسلامية ، فأرسل الوعاظ إلى القرى وإلى المدن يقومون بالتعبئة الدينية والقومية الشاملة ، وقد كتب جان لاكويتر بعد حرب التحرير الجزائرية يقول : ان مجددى فكرة الوطن الجزائرى هم بالأحرى هؤلاء الذين أسسوا جمعية العلماء ، أى الشيخ عبد الحميد باديس واشد اتباعه حماسة كالشيخ الإبراهيمى والعقبى . فمنذ سنة ۱۹۳۰ نرى فى الواقع أن هؤلاء الرجال ذوى الثقافة الرفيعة والعلم الواسع ، وهم من أقوى الشخصيات الاسلامية فى المغرب المعاصر ، وقد ربطوا محاولتهم لتجديد الإسلام والقضاء على الطرق الصوفية ، بمحاولة تجديد الوطن الجزائرى — وفى سنة ۱۹۳۳ يقول كاتب فرنسى آخر يصف العلماء الجزائريين من أصحاب ابن باديس وأتباعه بأن سياستهم كانت تنحصر فى المرابطة بحصن الثقافة والدين . « وهكذا يتدخلون فى كل شىء وينتظرون أن يتقدم رجال آخرون لاستعمال السلاح الذى يصقلونه اليوم بأيديهم ويعدونه » .

وعلى أثر هذا التحذير فى سنة ۱۹۳۳ تدخلت الإدارة الفرنسية لتعصف بحركة العلماء والمسلمين ، وعينت موظفا فرنسيا رئيسا للإشراف على المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مما زاد فى التهاب الشعور الدينى فى الجزائر ، وساعد على انضمام كثير من المترددين إلى حركة جمعية العلماء . ثم بدأت فرنسا أساليبها السياسية لتمزيق الوحدة الجزائرية. ودخل القطر الجزائرى مرحلة جديدة من الصراع حتى قامت ثورة أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية رفض ابن باديس أن يعلن عن ولائه لفرنسا ، فضيقت عليه ، وحاربت مشروعاته فى التعليم . وتوفى عبد الحميد بن باديس فى ١٦ أبريل سنة ١٩٤٠ وقيل أنه مات مسموما .

وتكشف كتابات ابن باديس فى تفسير القرآن وشرح الحديث ، كما تفصح آراؤه الاجتماعية والسياسية، عن سمات واضحة كانت من أهم أسباب نجاحه . فمن ذلك نزاهته العقلية وإخلاصه لما يعتقد أنه الحق ورفقه بالخلق وتفاؤله . فلم يكن ممن يميلون الى الترهيب والزجر واللوم أو التطاول على الناس تزكية لنفسه كما يشاهد عادة عند مدعى الإصلاح او عند من يطلب الرزق عن طريق استغلال العاطفة الدينية لدى العامة، بل كان من هؤلاء العلماء الذين يعاملون تلاميذهم كأبنائهم ويأخذون بيد المذنبين برفق نحو التوبة ومحاولة إصلاح النفس . وكان ابن باديس يؤمن بأن اسلوب التقريع ، الذى درج عليه بعض الوعاظ ، كفيل بأن ينفر الناس من قبول هذا النصح . لقد كان من سياسته هو أن يبعث التفاؤل فى نفس العاصين إن تابوا ، مع تحذير المؤمنين من العجب الغرور وتزكية النفس .

وإلى جانب هذا الوجه السمح من خلق ابن باديس كان يوجد وجه آخر هو الوجه الصارم الممتنع الذى يتجلى فى شدته العنيفة فى الحق وشجاعته النادرة وما كان لأحد من معاصريه أن يدانيه فى هذين الأمرين ، أى فى السماحة والصراحة معا ، من قريب أو بعيد . فهو إذن رجل من الطراز السهل الممتنع .

وقد بدت صرامته وشجاعته فى مهاجمة الوالى العام الفرنسى للجزائر فى أواخر سنة ١٩٣٣ ، فإن هذا الوالى أراد أن يتخذ نفسه حكما على إيمان المسلمين أو عدم إيمانهم . وكان رد ابن باديس على الوالى يتضمن وصفه بالكذب . فهو يبيح لنفسه أن يدعى حمايته للمسلمين فى الوقت الذى يغلق فيه المساجد ويحظر على العلماء أن يعظوا المسلمين ، ويحرم فتح المدارس العربية الاسلامية . ثم جعل يهدد الوالى بأنه يستطيع أن يجمع الأمة كلها ضد المستعمر .

هذا وقد كشف ابن باديس فى كتاباته وفى تفسيره للقرآن وشرحه للحديث عن مظاهر التدهور الاجتماعى فى الجزائر فى مجالات التعليم والعمل والثقافة والاقتصاد مع تقليد المسلمين للأوربيين فى مباذلهم وشرورهم لا غير .

كذلك اهتم ببيان أسباب هذا التدهور ، ووضع الاستبداد السياسى فى قمة هذه الأسباب ، وأكد أن من معوقات الإصلاح غلبة الروح الغيبية التى يروج لها دعاة التصوف الكاذب . مع أن طريق الإصلاح ليس مغلقا ، إذ لا بد من توحيد الفكر الإسلامى بإحياء العقائد السليمة والخلق الطيب ، والجمع بين الإيمان والعمل فى مختلف النواحى الاجتماعية . ولكن ذلك كله لن يؤتى ثمرته من الوجهة السياسية إلا بمقاومة أصحاب التفكير الرجعى الذين يدافعون عن الباطل ، أى أعوان المستعمر المخالف فى الدين . وقدر لهذا المصلح أن يحطم هذه الرجعية ، فأصبحت عبئا ثقيلا على المستعمر المستبد . وهكذا نجحت الخطة التى أعدها منذ عودته من الحجاز . لقد حاول الاستعمار أن يمحو الصبغة العربية الإسلامية فى الجزائر ، لكنه تنبه متأخرا إلى أن مصلحا قطع عليه الطريق فى رفق وفى عزم ، ودون تظاهر أجوف بالبطولة ، فحاصره ببعث اللغة العربية وتجديد العاطفة الدينية الصادقة فى الجزائر .

ولابن باديس خطاب مشهور يمجد فيه اللغة العربية ويمكن اعتباره إعلانا للنصر على المحاولة الفرنسية التى أرادت محو الشخصية الجزائرية ، وفيه يقول : إنها اللغة العربية ، الرابطة بيننا وبين ماضينا ، وهى وحدها المقياس الذى نقيس به أرواحنا بأرواح اسلافنا ، وبها نقيس من يأتى بعدنا من ابنائنا وأحفادنا .. أرواحهم بأرواحنا .. وهى الترجمان عما فى القلب من عقائد ، وما فى العقل من أفكار ، وما فى النفس من آلام وآمال .

أما من ناحية الفكر الإسلامى فقد فهم مشكلة القضاء والقدر فهما يقترب به من الإمام أبى منصور الماتريدى وابن رشد . وأما تفسيره للقرآن فهو من خير التفاسير وفيه يجمع بين النظرية والتطبيق على الواقع . وربما كان هذا هو السبب فى نجاحه فى إعداد الجيل الذى حرر الجزائر .

وتوجد آثار ابن باديس فى كتاب أعده الدكتور عمار الطالبى بعنوان ابن باديس : حياته وآثاره نشرته مكتبة النشر الجزائرية الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨ (١) .

---

١ — انظر ايضا كتاب . محمود قاسم عن الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحى لحرب التحرير .

الفكر الاسلامي

بين معجزة الاسراء ومأساة الأقصى

للاستاذ فاروق منصور

ان حاضر العالم الاسلامي بكل ما فيه من مشكلات سياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية ، وبكل ما فيه من حق ضائع ، وبشر مضيع ، وأرض مغتصبة وجماعات مشردة وكيان ممزق ، وبكل ما يتعرض له من عدوان خارجي أو تبدد وتشتت وتمزق داخلي وبكل ما يتهدده من غزو فكري ، وما يحاك له من مؤامرات متقنة التدبير غنية الموارد متعددة الجبهات ، تستهدف القضاء على الاسلام عقيدة وشريعة ونظاما ، وتبغي السيطرة على العالم الاسلامي أرضا وبشرا وموارد ومقدرات .

ان هذا العالم بظروفه هذه يلقى على الفكر الاسلامي مسئولية كبرى ، ويحمله من الاعباء ما لا حصر له باعتبار ان هذا الفكر هو طريق التصحيح ، ووسيلة البناء ، كما انه درع الوقاية وسبيل الحياة ، فلا بقاء للعالم الاسلامي ، ولا حياة كريمة له ما لم يكن هناك فكر اسلامي قوى محقق للهدف ، قادر على البناء واثراء الحياة ، وتحقيق ما يكفل بقاء المجتمع الاسلامي وازدهاره .

انه الواجب .. مهما كانت الصعاب!

واذا كانت الاعباء كثيرة والاحمال ثقيلة ، والطريق طويلا وشاقا ، **فان الفكر الاسلامي مطالب بان يتحمل مسئوليته مهما ثقلت ، ومهما كان حجم العبء وجسامة الواجب ، التزاما بواجبه ، واتساقا مع طبيعته وخصائصه .**

لقد عاش الفكر الاسلامي تاريخه كله منذ بدء مسيرته الى وقتنا هذا يستهدف تحقيق ما دعا الاسلام اليه وبشر به . ويستهدف تحقيق عالم فاضل تتحول فيه القيم الاسلامية الى واقع حي ، واسلوب حياة لأن تلك القيم لم يأت بها الكتاب الكريم لتكون شعارات أو افكارا مجردة للمتعة الذهنية .. « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب، واقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى

الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين » ..

« .. قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور » ..

عندما تكون الرسالة حياة .

ان قيام الفكر الاسلامى بهذا الواجب استمرار لمسيرته التاريخية علاوة على انه اتساق مع طبيعته ، فالعصور الزاهرة لهذا الفكر هى تلك الفترات التى عاشها ملتزما برسالته، فكان الاسلام ــ قرآنه وقيمه ومبادؤه ــ هو أساس هذا الفكر وغايته ، وكانت العقيدة الاسلامية هى المنبع والمصب لهذا الفكر ، منها يأخذ وفى ظلها يعطى .. كما كانت فترات ضعفه هى تلك الفترات التى عاشها مبعدا عن دوره ، محالا بينه وبين العطاء الطبيعى ، وهى تلك الفترات التى بعد فيها المسلمون او ابعدوا عن حقيقتهم ، وغابوا عن تعاليم دينهم ، وحيل بينهم وبين الاسلام فهما واسلوب حياة ، ارضاء لهذا الهدف أو ذاك .

واذ سلمنا نتيجة لذلك كله بأن حياة الفكر الاسلامى تتحقق فى الازدهار عندما يلتزم بالاسلام ، ويعايشه ويحيى به ، كما أن ضعفه لا يتأتى الا عندما يحال بينه وبين الاسلام الذى هو روح هذا الفكر وأساسه ، ووسائله وغايته ، **فان هذا الفكر لكى يعيش يجب ان يكون دائما من الاسلام واليه ، يأخذ منه ويتفاعل به وينمو ويزدهر بهديه ، واليه يعطى اهدافا محققة ، ومبادىء مرساة ، وقيما متاصلة ، ترى واقعا حيا ، وتطبيقا ملموسا . حينئذ يكون فكرنا الاسلامى قد حقق ما نرجوه له من نجاح ، وما نامله فيه من خير . وحينئذ يكون بحق مستحقا لاسمه ، معبرا عن حقيقته مفيدا لنا وللآخرين ..**

واذا عرفنا السبيل الى النجاح ، وتبينا حدود الواجب الملقى على هذا الفكر ، فاننا يجب ان ندرك ان اول الخطوات ما يسبق الخطوة الأولى ، واذا كان البعض قد قالوا : ان طريقهم بدأ بخطوة ، فان فكرنا الاسلامى يقول إن حياتنا يجب أن تبدأ بفكرة ، ويسبق البدء امور وأمور : فالاسلام يدعو الى تحديد الهدف قبل السعى لتحقيقه يامر بالدراسة والتفكير والاعداد والتخطيط قبل البدء . يلزم بامور كثيرة قبل الشروع فى العمل منها مثلا : ما يتعلق بفهم الموضوع ، مثل الرؤية والنظر ، وما يتعلق بالأمر المقبل عليه من ضرورة مراعاة تقوى الله وطاعته ، والتزام أوامره واجتناب نواهيه ، أو التزام العدل والرحمة أو عدم اتباع شهوات النفس ، وتحكيم الهوى ، واطاعة الغرض .

ومنها ما يتعلق بالانسان القائم بالعمل من توفير الامكانيات ، وحشد القدرات ، والتفرغ للعمل ، وتوفير الظروف الملائمة لاتيانه أو القيام به ، ومنها تهيئة النفس وتقدير الموقف .

معرفة الذات بداية الطريق !

وعندما نطبق ذلك على الفكر الاسلامى اليوم ، ونحاول تفهم دوره فى ظروفنا الحالية ، **فاننا نجد انه يتحدد فى ان يعرف هذا الفكر نفسه أولا ، ويتعرف على خصائصه وأمكانياته . ثم يشكل نفسه وفقا لهذه المعرفة اليقينية التى يصل اليها ، منسلخا عن قيم حضارية تتعارض مع الاسلام ، ومبتعدا بنفسه عن مؤثرات الغزو ومناطق التاثر بالنفوذ الغريب المكشوف منه والمستتر المباشر منه وغير المباشر ..** واذ ما استطاع الفكر الاسلامى أن يحقق ذلك انقاذا لنفسه واحياء لقيمه ومبادئه فانه سيكون قادرا على انقاذ الأمة الاسلامية ، واحياء الشعوب

الاسلامية ، وسيكون بمقدوره ان يحقق الغاية المبتغاة ، والرغبة المرجوة ، والحقيقة المنشودة ، والحياة الملائمة لنا والمتمشية مع ديننا وعروبتنا بكل ما يحمله ديننا من قيم ، وبكل ما لعروبتنا من تقاليد ومثل .

وعندما يستطيع الفكر الاسلامي أن يحقق ذلك فانه يضفي على الحياة الكثير من الخير ، ويعطي للانسانية كلها عطاء حضاريا هي في أمس الحاجة اليه اذا كانت معرفة هذا الفكر لنفسه وخصائصه والتزامه بقيمه هي البداية ، فان الخطوة التالية ، تحديد الداء والتعرف على الدواء . وداء العالم الاسلامي يتمثل في وقائع محددة ومعروفة لحسن الحظ ، وأمراضنا كامنة مشخصة تماما ، ندركها جميعا وندرك أسبابها كما ندرك السبيل لعلاجها .

ولكننا برغم هذا الادراك الكامل لطبيعة الداء ونوعه ، وفهمنا الكامل لأنجح وسائل العلاج ، نترك الداء يستفحل ، وأعراض المرض تتزايد ، وأخطاره تتفاقم ، حتى تصل الى درجة نسترخص الموت على تقديم العلاج ، ونكون آنذاك — بكل أسف وألم — كالطفل المريض أو المريض الجاهل الذي يفضل المرض على مرارة الدواء .

ولكن ماذا بعد الحساب ؟

ونظلم النفس اذا ما رحنا نلقي عليها اللوم ، أو نبالغ في نقد الذات — وان كنا نسلم ابتداء بأننا مقصرون كجماعات وأفراد ، وأننا نفرط فيما لا يجب التفريط فيه — أو نعدد عيوبنا ونمضي في احصاء الاخطاء .

اننا فعلا ولأسباب كثيرة لنا العذر ، ووجود العذر لا يصلح مبررا نهائيا دائما للامتناع عن الواجب . لأننا يجب ان نؤدي واجبنا تحت أسوأ الظروف وأقساها ، والا قادتنا الظروف السيئة الى ما هو أسوأ ووجدنا أنفسنا آخر المطاف بقايا أمة وأشلاء تراث .

اننا كأمة تعرف نفسها وتدرك أمراضها ، وتقدر حقيقة ما تتعرض له ، وتعي ما يتهددها من أخطار يجب أن نمضي بكل ما لدينا من قوى متاحة ، وبكل ما نستطيع ان نوفره من امكانيات ونفجره من طاقات لعلاج المرض وتبرير الأخطار وإعادة البناء

هذا كله بالطبع واجب الفكر الاسلامي ، ورسالة المفكر المسلم في عصرنا . باعتبار ان الفكر رائد الاصلاح والمفكر واضع اللبنة الأولى للبناء وباعتبار ان امراضنا كلها وتخلفنا كله يرجع اول ما يرجع وآخر ما يرجع الى التخلف الفكري وسيظل هذا هو سر تأخرنا وتخلفنا ما لم نغير ما بي أنفسنا ، وما لم نبن حياتنا على أساس فكري سليم .

ماذا بعد المسلمات ؟

ولقد سلمنا بأن فكرنا الاسلامي مطالب بأن يتعرف على ذاته ، ويعي خصائصه ، ثم يمضي منسلخا من كل تأثير ، مبتعدا عن مناطق الغزو والنفوذ ، متسلحا بالبناء الذاتي والخصائص الذاتية ، وفي ظل التزام كامل بالاسلام ، وتفهم وتفاعل تام معه وحرص على أن يكون اسلامي المنبع اسلامي العطاء ، ليكون صالحا للبناء قادرا على تحمل الأعباء .

كما سلمنا بأنه مطالب بالتعرف على مشاكلنا وادراك أمراضنا واكتشاف العلاج الناجح لها ، والقادر على علاجها وتحقيق الشفاء التام مع التسليم بأن أمراضنا معروفة والدواء معروف كذلك .

ان التسليم بهذين الأمرين يصل بنا الى معرفة الدور الذي يجب أن يقوم به هذا الفكر ، ويوضح

الخطوات العملية التـــي يجب ان يخطوها . وليس معنى ذلك أن الفكر الاسلامي يملك العصا السحرية ، وعندما ندعي قدرته فاننا لا نمايش أحلامنا الطفولية ونرتبط بذكريات علاء الدين ومصباحـــه السحـــري فـــي قصص الف ليلة وليلة . لا هـــذا ولا ذاك ، **ولكن نؤمن بمقدرة هذا الفكر القائم على الاسلام ، كمـــا نؤمن بصلاحية الاسلام وقدرته على تزويدنا بطاقات خلاقة ، وقوى معجزة ، لـــو فهمناه حق الفهم ، وادركناه حـــق الادراك . ثم عملنـــا بوحي منـــه واهتدينا بهديه ، والتزمنا بقيمـــه ومناهجه وكانت مشاعرنا واحاسيسنا وكان عملنا وسلوكنا وايماننا صورة صادقة لما رسمه هـــذا الدين القيم لاتباعه وارتضاه للمؤمنين به .**

وينبع ايماننا من آيات الله البينات وقوله جل وعلا كما ينبع من التجارب الصادقة التي سجلهـــا التاريـــخ الاسلامي للرجال الذين انطلقوا من الصحراء فغيروا العالم كله وحملـــوا الهداية الى أمم كـــانت تدعي التفرد بالعلم والانفراد بالمعرفـــة وتنسب لنفسها ميزات التفوق والسمو على غيرها من الاجناس والأمم .

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنـــا »

« يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » ..

« للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » .

« الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانـــوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبديل لكلمات اللـــه ذلك هو الفـــوز العظيم » .

« .. كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين .

« قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة، يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلـــك لعبرة لأولي الأبصار » .

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخـــزهم وينصركم عليهـــم ويشف صدور قوم مؤمنين » .

عندما تتضح الأمور !

وما دمنـــا ندرك الطـــريق ونفهم الوسائل الناجحة للعلاج فان الأمـــر يصبح اكثر جـــلاء وأكبر وضوحـــا ، ويؤدي ذلك بنا الى تحديد البـــداية أو اختيار العمل وتقديم ما يجب أن يشرع في علاجه فعلا .

ولا شك ان من امراض العـــالم الاسلامي اليوم ما يتطلب علاجا سريعا قبل ان يستفحل وفي مقدمة ذلك ما يتهدد الارض والعقيدة مع التسليم بان الارض لم تحتل ولم تغتصب والحق لم يسلب الا بعـــد ضعف العقيـــدة او انسلاخ جماعات كثيرة منا مخيرة او مضطرة عن الاسلام .

لذلك فان اي محاولة للعلاج يجب ان تربط دائما بين المشكلة وضعف العقيـــدة عنـــد تشخيص المرض . وتربط بين العقيدة والدواء فتربـــط بينهما وسيكون العلاج اكثر نجاحـــا وفاعلية لو كان اصـــلاح العقيدة وتقويتها اول ما يوصف من دواء واول ما يعطى لامتنا المريضة الخطير داؤها اليسير علاجها لو كان الايمان هـــو الدواء والعقيدة هي اول ما نبني في النفوس .

هذا الموضوع المجدد :

وما دامت الارض والعقيدة هما أول ما يجب أن يعالج . وما دمنا ندرك انهما متلازمان . فاننا نستطيع تحديدا ادق فنقول : ان الفكر الاسلامى مطالب اليوم بأن يقف أمام موضوع مجدد ضمن ما يجب الوقوف أمامه ، هذا الموضوع هو : « معجزة الاسراء ومأساة الأقصى » .

وتحديد الموضوع على هذا النحو يجعل العقيدة والارض موضوعنا . واذا كان اصلاح العقيدة سيؤدى الى اصلاح المحارب لاسترداد الارض فليس معنى ذلك ان تؤجل المعركة حتى نبنى النفوس فان ذلك خطأ يجب الا نقع فيه لاننا لو ارتكبنا تلك الحماقة لاخترنا بأيدينا اتعس مصير . لأنه يجب أن يكون واضحا لنا أننا نواجه معركة مصيرية ، ونواجه عدوا شريرا مغتصبا يدرك أيضا أنه يخوض معركة مصيرية كما يدرك أن نهاية هذه المعركة يتوقف النصر فيها على استغلال حسن لقوة حسنة .

ويعقد لواء النصر لمن ينتهز الفرصة لاحرازه ..

ولو انتظرنا نحن فان عدونا لن يعطينا الفرصة ، ولن يتركنا نبنى ونشيد وهو ينتظر . وكيف يتركنا وهو يدرك أن قوتنا ضعف له ، وبناءنا هدم لكل ما يشيده وما يحلم به .

كما أن البناء العقائدى وهو يصاحب استعدادنا للمعركة يكون أكثر فائدة لأنه فى الواقع يستفيد من ظروف ومتطلبات خاصة تنتج من الاستعداد للمعركة كما يفيد بدوره فى تسهيل أعباء المعركة وحفز الجهد لها .

ولقد خرجت الانسانية بالكثير وهى تجرب وتشاهد وتطور من الافراد والجماعات ابان الحروب أو الاستعداد لها . ونحن جميعا نعرف كيف كانت الحرب العالمية الثانية وسيلة لاكتشاف كثير من المخترعات والدراسات المفيدة التى قدمت للانسان الشىء الكثير .

كيف يواجه الفكر الاسلامى المشكلة ؟

ويحق لنا ان نقف هنا لنتساءل عن كيفية مواجهة الفكر الاسلامى لمتطلبات العقيدة وقضية الارض ؟ كيف يخدم الفكر الاسلامى ؟ أو كيف يتفهم موضوع « معجزة الاسراء ومأساة الأقصى ؟ » ثم كيف يقدم ما يخدم الموضوع ؟ كيف يحل المشكلة ، كيف يضع العلاج ؟ ان واجب هذا الفكر أن يتفهم الابعاد ، ويدرك المقدمات ويحدد النتائج على أساس من الدراسة ، وليس على سبيل التخمين والتخيل . هذا هو السبيل لعمل صالح ولحسن الحظ فأنه يتمشى أيضا مع تعاليم الاسلام وفهم الاسلام للأمور .

وعندما يقوم الفكر الاسلامى بتحديد ذلك فأنه يمضى لاعداد النفوس لتحمل الاعباء ، وأول الاعداد ابراز الخطر ، ومناقشة الاخطاء السابقة . وكيفية تلافيها مستقبلا ، ووضع الحلول التى تحول دون تكرارها .

ومن الاعداد أيضا معرفة العدو وفهم نفسيته ، وأسلحته المادية والمعنوية وتفهم مخططاته ، ومزاج أفراده ، وتاريخهم وكيفية تأثرهم بهذا التاريخ ، أو كيفية استفادتهم به فى حربهم ، وفيما يضعونه من مخططات وتوضيح الظروف المساعدة ، وتقدير الامكانيات المتاحة للعدو ، وقدرته على استغلالها .

ثم يمضى هذا الفكر ليخطط فى دقة ، ويبنى فى أحكام ، ويضع بعناية الأسس التى يجب أن يقوم عليها كفاحنا ، والأساليب التى يجب أن نتخذها ، مع ادراك واع بتطور هذه الأساليب وفقا للظروف المتغيرة

والمؤثرات العرضية والاحداث العفوية وان يوضح كيف نقاوم العدو ؟ وكيف نفسد خططه ؟ وكيف نستفيد من امكانياتنا المادية والأدبية ؟ ثم كيف نربط بين واقعنا المعاصر وواقعنا التاريخى ؟ وكيف نستفيد من هذا التاريخ فى حاضرنا وقبل ذلك عليه أن يعنى بكيفية دراستنا للتاريخ حتى نفهمه . بل عليه اهم من ذلك ان يبحث عن هذا التاريخ وينفض عنه الاتربة وينقحه من الاكاذيب ويطهره من المدسوس عليه المدخول فيه . وعليه ايضا ان يعود بالعقيدة الى جوهرها الأصيل ، ثم يعمل جاهدا على ربط النفوس بالعقيدة ربطا محكما بحيث تفهم العقيدة وتقوى بها وتستفيد من معطياتها قوة وأصالة ومنهاجا .

نبى المعجزة وليست معجزة النبى !!

وعندما يقف الفكر الاسلامى ليناقش موضوعنا المحدد ، ويحاول أن يبحث موضوع الاسراء كمعجزة فما هى أساليبه ؟ وما هى وسائله ، وما النتائج التى ينتظر ان يخرج بها من هذه الدراسة لو التزم منهجا جادا واعيا ؟

ان دراسه معجزة الاسراء تحتاج الى منهج جديد فى الفهم يحاول أن يدرس المعجزة دراسة عقائدية ليفهم ويؤكد لغيره ما يقنع بالفهم ، ويستحوذ على التسليم والتأكيد بأنها قد تمت فعلا . كما تحتاج الى منهج جديد للاستفادة من هذا الحديث .. للاستفادة من هذا الحديث .. الانسان وتخدم قضيته فى عصرنا .

العقيدة ومعجزة الاسراء :

ان كل مسلم يسلم بأن الاسراء قد حدث فعلا لأن القرآن قد أورد ضمن آياته البينات ما يؤكد ذلك ، والتسليم بما جاء فى القرآن اس من اسس الايمان لدى المسلم .

ولكن هل يسلم العقل الحديث لانسان غير مسلم بأن هذه المعجزة قد حدثت ؟ اغلب الظن اننا سنواجه اتجاهين ، احدهما يعتمد على أساس من الاقتناع العلمى أو على أساس ما يشاهده اليوم من معجزات مادية،بأن الاسراء قد حدث لأنه شىء ممكن الحدوث ، أو أن شيئا قريبا منه يحدث الآن بصورة أو أخرى مثل غزو الفضاء ومثل المركبات التى تطوف العالم فى دقائق محددة .

أما الراى الآخر فانه متجرد من كل ما يمت للروح او يستند للعقيدة وملتزم او غير ملتزم بالتفسير المادى او الالحاد العصرى سينكر كل ما يتعلق بالاسراء مثل هذا المنكر الجاحد لا يمكن اقناعه ما لم ندخل معه فى نقاش عقلى ، ونحاول اقناعه منطقيا ، وبحيث يكون هو ملتزما بالمنهج العلمى ، راضيا بالتسليم بالحقائق عند توضيحها أو اثباتها والا فلا فائدة من مناقشته ويعد كل جهد يبذل فى سبيل ذلك مضيعة للوقت وبعثرة للجهد فيما لا طائل وراءه .

ولكن هل يستطيع العلم ان يقنع المنكر بأن الاسراء قد حدث بالفعل ؟ نعم يستطيع ، وهذا هو واجب الفكر الاسلامى المعاصر ، وتتحقق الاستطاعة بالمراحل التى يجب أن يسلكها الفكر . والمنهج الذى يجب أن يلتزم به . أن المنهج يجب أن يقوم على الحقيقة وحدها ، ومعرفة الحقيقة كانت دائما الشغل الشاغل للفلاسفة، ومدار بحث المفكرين منذ هبط الانسان على الارض الى يومنا هذا .

والحقيقة هى أساس الفكر الاسلامى . فقد جاء هذا الدين يتسم بالوضوح ويرفض كل ما يتعارض مع العقل ، أو يضاد المنطق ، أو يصادم الحقيقة . جاء يستهدف توضيح الحق والدفاع عنه .

واذا كان الأمر كذلك فان هذا الدين قادر على توضيح الحق ، قادر على تأكيد ان الاسراء قد حدث ، وما على الفكر الا ان يوضح للعقل المعاصر ما هو الاسلام ، ويفسر روح وجوهر العقيدة الاسلامية .

والانسان المصري عندما يعرف عقل الاسلام على حقيقته ويتضح له قيم هذا الدين ، فانه سيسلم بأنه حق والحق أحق ان يتبع سيسلم أن ما جاء به صدق وان من نزل عليه هذا الدين حق ، وان الرسول صادق ، فلا بد ان يسلم بان كل ما جاء بعد ذلك صدق وحق أيضا ، لانه نتيجة عادية لمقدمات صحيحة ثابتة .

وعندما يسلم العقل بان معجزة الاسراء أمر قد حدث ،فانه يؤمن عن علم وصدق ، ينعكس بعد ذلك في سلوك الانسان ومشاعره ، ويكون مثل هذا الانسان أقوى ايمانا ، وأكثر يقينا من المؤمن التقليدي أو المؤمن بالوراثة .

ان دور الفكر الاسلامي اذن ان يقدم الاسلام للناس تقديما صحيحا ، وبصورة مقنعة ومنطقية لاننا في عصر يقوم على المنهج العلمي ، والجدل المنطقى . كما ان الأسراء كمعجزة ليست في حد ذاتها غاية ، وليس من رسالة الفكر الاسلامي أن يدخل في جدل طويل ليؤكد حدوثها ، فليست هي معجزة النبى . ولا يفيدنا من قريب أو بعيد أن نؤكد أنها معجزته ولكن واجبنا يتأكد ويتأصل ويتمثل في قدرتنا على اقناع الآخرين بنبوة محمد لماذا هو نبى ؟ لماذا نؤمن نحن انه رسول حتى ولو كان بلا أية معجزة ؟

ان دليل الاقناع يجب الا يتمثل في المعجزات والخوارق ، بل في تقديم المنهج المتكامل للفكر والسلوك ، في توضيح العقيدة والتأثير الذى احدثته وذلك بمقدورنا فبين أيدينا كتاب الله المنزل بالحق . فلنحاول فهم هذا الكتاب ، وتفهيمه للناس . لنناقش الآخرين بأسلوب القرآن . وآدابه التي وضعها للنقاش . ولنناقش الآخرين في الأثر الذى أحدثه هذا الدين في نفوس من آمنوا به . كيف غير في طباعهم ؟ كيف انتقلوا به الى الآفاق ؟ كيف أصبح قوة لهم ومنارا يهدي الحائرين في كل مكان .

دور الفكر الاسلامي اذن يتمثل في فهم حقيقة الاسلام وحقيقة الرسول ، ثم تقديم الحقيقة للمجتمع الانساني ، ان هذا الفكر مطالب بأن يعرف ويعرف نبى المعجزة ودين المعجزة ، وليست معجزة النبى . عليه أن يهتم بالأصول دون الفروع ويحفل بالأسس لا بالجزئيات عليه أن يقدم للانسانية الاسلام صحيحا واضحا ويترك لهم الفرصة ليقرروا هم أن هذا الدين قادر على صنع المعجزات الحقيقية ، قادر على صنع حقائق تفوق الخيال .

الفكر الاسلامي وتراث الاسراء :

واذا كان الفكر الاسلامي في اعتقادنا ليس مطالبا بتأكيد معجزة الاسراء — مع ايمان كل مسلم بأنها قد حدثت بنص الآيات وصريح النصوص — فانه مطالب بالاهتمام بشيء آخر يتعلق بالاسراء . هذا الشيء يحتاج لجهد المفكرين المسلمين ويتطلب منهم بذل عناية كبيرة وهو التراث الفكرى المتعلق بموضوع الاسراء .

ان تراثنا الاسلامي يضم الكثير من المؤلفات والمخطوطات المتعلقة بهذا الأمر ، وتتفاوت تلك المؤلفات والمخطوطات في درجة الصدق والكذب ولكنها تتفق جميعها في أنها تمتلىء — للأسف الشديد — بالكثير من الأمور التي لا يقبلها العقل ، ولا يقرها الدين ، ولا تتفق والذوق السليم .

ان صفحات كثيرة قد دست في هذه الكتب تسيء الى الاسلام ابلغ اساءة وليقرأ من لا يشاركنا الاقتناع بذلك بعضا من تلك الكتب سواء

المعروفة المؤلف أو المجهولة المؤلف ثم ليحكم هو بنفسه .

ليقرأ مثلا قصة الاسراء للسقا وهو خطيب بالجامع الأزهر فى القرن التاسع عشر الميلادى او يقرأ قصة الاسراء للاجهورى أوالسحيمى أو القليوبى أو الأمير أو قصة الاسراء الصغرى والكبرى للغيطى الذى عاش فى القرن العاشر الهجرى ، أو للسيوطى ، أو يقرأ قصة المعراج للبزرنجى أو الفرقى أو الشربينى أو المدابغى أو النعمانى أو الابيارى وكثيرين غيرهم نهجوا على منوالهم وساروا مسيرتهم .

لو قرأ أى انسان ذلك فانه سيقتنع بأهمية الدور الذى يجب أن يقوم به الفكر الاسلامى فى تنقية هذا التراث ليمحو ما فيه من أكاذيب ، ويصحح ما فيه من خطأ ويبقى على ما فيه من حقيقة . ومن هنا تبرز أهميـة أن يغير الفكر الاسلامى من مفهومه للاسراء كمعجزة فى حد ذاتها ، وأن يهتم بالاسلام ككل ، ويحفل بدراسته عقيدة وشريعة ليبينه للناس ، وليهتم بمحمد صلى الله عليه وسلم كنبى ورسول ، فيدرس جوانب رسالته ، ويتفهم مواطن العظة والمعظمة فى حياته وسلوكه وأقواله ، ثم يمضى فى محاولات جادة تستهدف انارة العقول ، ومحو كل ما هنالك من خزعبلات أو أكاذيب أو اسرائيليات ، تهدد الانسان المسلم ، وتعوق تقدم المسلمين ، اذ انها تستهدف عزل المسلمين عن جوهر الاسلام . وحقيقته . وبدلا من أن يتجهوا الى معرفة الحق ، يترددوا فيما يقودهم فى نهاية الأمر الى الغفلة أو الجهالة أو الضياع . والاسراء جزء من كل فى هذه المشكلة التى يجب ان يتصدى اليها الفكر الاسلامى الا وهى محاربة ما يباعد بين المسلمين وبين حقيقة الاسلام .

اننا كمسلمين نؤمن بان الله تبارك وتعالى قد أسرى برسوله ، واننا كبشر ميزه الله بالعقل نؤمن أن الاسراء فى حد ذاته ممكن وما دام كذلك فأننا نسلم ونؤمن بأنه قد حدث ومن هنا يتوافر الاقتناع ويمكن الاقناع .

فقضية الاسراء يجب الا تأخذ منا كبير جهد ، ولا يجب أن تكون مجال بحث أو هدفا لاقناع الآخرين بصحتها ، لأنها كما سلمنا جزء من كل ، وفرع ما أحوجنا الى الاهتمام بأصوله وهو الاسلام .

ولكن ما يطلب من الفكر الاسلامى وما يجب أن ينهض به الفكر المسلم المعاصر ، هو فهم موضوع الاسراء فهما جديدا ، ثم الاستفادة من هذا الفهم الجديد فيما يخدم حياتنا ، ويفيد واقعنا .

اننا نؤمن بأن الاسراء قد تم ، وأن الله تبارك وتعالى قال فى كتابه العزيز :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .

واذا كان المفسرون قد اهتموا بتفسير هذه الآية الكريمة كما اهتموا بغيرها من الآيات ، فاننا يجب اليوم ان نفسرها تفسيرا جديدا . لا يتعارض مع أقوال المفسرين القدامى — غفر الله لهم وأثابهم خيرا — ولا يزيد عليهم جديدا — فاننا نسلم لهم بالفضل ، والعمق والتبحر والريادة . كما نعترف بالعجز والقصور ليس تأدبا فقط ولكن عن تقدير وفهم لجهودهم — ولكن لظروفنا المعاصرة نجد أننا يجب أن نفهم الأمر فهما جديدا ، ربما لأن هذه هى سنة الحياة وربما لأن طبيعة الكلمات كحياتنا

نفسها متغيرة ، وربما لأن الكلمة تكتسب بالتجارب معانى جديدة والذى يحتاج الفهم الجديد فى هذه الآية الكريمة هو المكان الذى اسرى بالرسول اليه وهو « المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله » والمسجد الحرام الذى اسرى الله بالرسول منه .

فالفكر الاسلامى يجب ان يفهم اليوم أن هذه الارض مرتبطة بالعقيدة أو هى أرض العقيدة . وان الأقصى وما حوله أرض باركها الله وفضلها على بقاع كثيرة غيرها . ان هذه الارض أرض حبيبة الى الرحمن شاءت ارادته جل وعلا أن يباركها وأن يختصها بالتمجيد والتكريم فما هو واجب كل مسلم تجاه هذه الارض التى باركها الله . اليست لهذه الارض حقوق فى اعناقنا ؟ أليس لهذا الاقصى فى اعناقنا دين يجب أن نؤديه ؟

ان الدين يتمثل فى حمايته ، وصيانته ، والذود عنه ، وعن الارض المحيطة به ، وعن البلد الذى شيد هذا المسجد المبارك على ارضه .

واذا ما تفهم الفكر الاسلامى ذلك فعليه أن يربط بين الارض والعقيدة ، فاذا كانت آيات الكتاب المبين قد أكدت هذا الربط ، فان تأكيده الزام للمؤمن الا يفرق بين عقيدته وبين هذه الارض فكلاهما شيء واحد ، لا انفصام بينهما فاذا كان الدفاع عن الارض واجبا فالدفاع عن ارض الأقصى عقيدة ودين . واذا كان عدم الدفاع عن الأرض جبنا ، وخيانة ، فان عدم الدفاع عن الأقصى وأرضه كفر والذنب يغتفر أما الكافر فلا غفران له ولا رحمة به .

واذا ما تبنى الفكر هذه القضية فى ضوء هذا الفهم وتولى تأكيده وتأصيله فانه يعطى لحياتنا شيئا كبيرا ، ويقدم للأمة الاسلامية سلاحا قويا هى فى أمس الحاجة اليه . وهذا الواجب يجب ان يكون مجال اهتمامنا وغاية بحثنا كلما دقت قلوبنا وليس كلما عاودتنا الذكرى من عام لعام .

حرب العقيدة أم عقيدة الحرب ؟

ان الارض التى باركها الله بنص آيات الكتاب الكريم هى اليوم أرض المأساة ، ويعانى شعبها اقسى ما يعانيه شعب بل ربما ان الانسانية لم تعرف فى تاريخها الطويل شعبا تعرض لما يتعرض له هذا الشعب الذى سلبت أرضه وتفرق أبناؤه ، وشردت النساء والأطفال ، ولقى أفراده وجماعاته الوانا من التعذيب دون جريرة .

والأرض التى باركها الله هى اليوم ملتقى صراع حضارى بين أمة عاشت تاريخها على هذا الارض وجماعات تحاول ان تصنع من هذه الارض تاريخها صراع دموى رهيب بين شعب استقر على هذه الارض ومجموعات تحاول ان تتوطن وتستقر ، وتجعل من القهر والارهاب والقوة العسكرية السبيل لتحقيق ما تريد ان تصنعه وتؤكده .

والأرض المقدسة اليوم أرض الصراع بين الاسلام عقيدة وشريعة وبين الصهيونية كدعوة عنصرية ، ونغمة استعمارية جديدة .

واذا كان الاسلام قد عرف كدين وعقيدة ، فان الصهيونية تزعم أنها تقوم على اليهودية كدين ، أو انها الدين اليهودى فى ثوب عصرى وفى الوقت الذى تحاول الصهيونية أن تجعل من العدوان دينا ، ومن الاغتصاب شريعة ، ومن الحرب عقيدة ، فاننا نجد — بكل أسف — أن الكثيرين منا لا يرضون ابدا بأن يقال : بأن الاسلام يدافع عن نفسه ضد الخطر الصهيونى .

وبالرغم من أن الاسلام يتعرض

لحرب خطيرة تهدده تهديدا بالغا فاننا نسمع دعوات متخاذلة تنادى بأن يظل الدين بعيدا عن الصراع . ويفلسف هؤلاء رايهم ويتذرعون بعشرات الأسباب .

ولكن هل أصابوا فى ذلك ؟

أغلب الظن بل اقوى اليقين انهم اخطأوا ويخطئون ، وأنهم اساءوا ويسيئون كيف تحارب بلا عقيدة عدوا يتمسح فى عقيدة ، حتى ولو كانت علاقته بها مجرد تمسح ، واستمساكه بها وسيلة لحفز جهد أتباعه .

وكيف يتحقق النصر ما لم تكن عقيدة المقاتل هى سلاحه الأول الذى يعتمد عليه ويحارب به . ويدفع حياته ثمنا من اجل تلك العقيدة التى يؤمن بها .

إن العدو الذى نحاربه قد جاء بأفراده من بقاع شتى ، وجمع جنوده من جنسيات مختلفة ولكنه استطاع تجميعهم تحت ستار الدعوة لاحياء مجد صهيون والاستيلاء على الارض المقدسة التى يزعمون — وهو زعم باطل ومردود عليه — أنها أرضهم أرض نشأتهم القديمة على حد قولهم وأرض المعاد بالنسبة لهم بعد طول الشتات كما يسعون لتحقيق .

والعدو الذى نحارب راح باسم العقيدة يبنى المستعمرات ، ويجند القوى وينشئ المصانع ويعبئ الجيوش ، وينمى الموارد ، ويجمع التبرعات من كل مكان ولم يكتف عدونا باستغلال سلاح العقيدة عند هذا الحد ، بل راح يستغل كل شئ استغلال عقائديا ويربط كل امر من أموره برباط العقيدة ، فجعل من القتال والرغبة فيه عقيدة له . ان عدونا يحاول اليوم ان يبنى فى نفوس افراده عقيدة القتال فيؤمن كل فرد منهم بأنه مطالب بأن يقاتل ، وان القتال امر محتم عليه ، ليحفظ امنه ، وليضمن استقراره ، ويحافظ على ما أحرزه من توسع بالغزو . فأصبح الحرب عقيدة وأصبحت عقيدة الحرب طابع دولتهم . وهنا يأتى دور آخر للفكر الاسلامى هو كيف يبنى النفوس لحرب العقيدة فى وقت يؤمن عدونا بعقيدة الحرب ؟

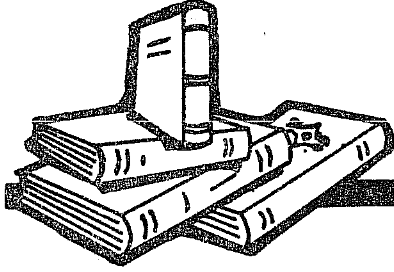
ان الفكر الاسلامى له دوره المحدد فى هذا المجال فهو مطالب بأن يوضع للناس حقيقة دورهم فى هذه المرحلة وأن يوضح لهم الامكانيات المتاحة والقدرات التى يملكونها ، وعليه أن يوجههم الى الاستفادة السليمة من هذه المقدرات وتلك الامكانيات .

وعلى الفكر ان يتولى مهمة اقناع — من لم يقتنع بعد — بأننا نخوض حربا عقائدية ، وانه لا نجاح لنا ولا انتصارا حاسما ، مالم نبن نضالنا على أساس عقيدتنا وما لم يكن الايمان دافعا لنا وحافزا يحفزنا على تحقيق النصر .

وعلى الفكر الاسلامى مهمة بناء النفوس ، وخلق المؤمن القوى الذى يستعذب الموت دفاعا عن أمته ، ويضحى بالنفس مستشهدا فى سبيل الله .

وعلى الفكر الاسلامى أن يجعل الايمان هذا السلاح الذى يجعل الانسان يعطى ولا يفكر ماذا سيأخذ ويجعله يلقى الموت أسعد مما لو نال كل نعيم الحياة ويجعله يدرك واجبه حق الادراك ويقوم بهذا الواجب كأحسن ما يكون القيام بالواجب .

واذا كان عدونا قد نجح فى اقناع افراده بأن يؤمنوا بعقيدة الحرب ، فان فكرنا الاسلام مطالب بأن يصنع النفوس المؤمنة ، ويجمع العقول والقلوب المؤمنة ويدفع المسلمين أن يعيشوا حرب العقيدة فيدافعوا عن عقيدتهم ، ويناضلوا بعقائدهم دفاعا عن أرضهم وحقهم ودينهم فهذا طريق النصر وهذا وحده ما يصلح وسيلة لضمان الحق ويضع نهاية لمعركتنا المصيرية .



تاريخ الفكر السياسى

تقديم الأستاذ عبد الرحيم بن سلامة
(جامعة محمد الخامس)

على الرغم من المكانة التى يحتلها « الفكر السياسى » بوجه عام ، و « تاريخ الفكر السياسي » بوجه خاص في تفهم الظاهرة السياسية وممارسة العمل السياسي . فقد ظلت المكتبة العربية خالية على الاطلاق من كل مؤلف عربى فى تاريخ الفكر السياسى .

وعلى الرغم من تقدم الدراسات السياسية فى العشرات من جامعاتنا وانشاء الفروع والمعاهد المتخصصة فى العلوم السياسية فى أرجاء الوطن العربى ، فلم تتقدم الأبحاث العربية الى هذا الميدان ، فبقى تاريخ الفكر السياسى ، بعيدا عن متناول الباحث العربى ، الا فيما جادت به المراجع والمؤلفات الاجنبية أو ما قدمته الترجمات العربية عن هذه المؤلفات ...

ومن الغريب ، أن يأتى هذا الفراغ العلمى فى وقت يشتد فيه الصراع الفكرى فى دول العالم العربى والاسلامى ، فيتقاذف المتصارعون شعارات وايديولوجيات شتى ، بينما تبقى الحقيقة العلمية غائبة الا عن نفر قليل من المتخصصين .

ولعل انعدام المؤلفات العلمية في تاريخ الفكر السياسي لمسؤولة مسؤولية كبرى عن هذا التشوه العقائدى الذى يعانيه شبابنا .. ولم يعد خافيا أن التخبط العقائدى الذى يغطى الساحة العربية الاسلامية ، مردود فى أصله وأساسه الى هذا العجز الخطير الذى ساد ردحا طويلا من الزمان ..

ويأتى مؤلف الدكتورين : ابراهيم دسوقى أباظة وعبد العزيز الغنام فى « تاريخ الفكر السياسى » فريدا فى ميدانه ، اذ يسد ولأول مرة فراغا هائلا فى المكتبة العربية .. ويفتح آفاقا جديدة نحو تواصل البحث فى هذا الميدان .

والمؤلف يقع فى ٤٣١ صفحة من القطع الكبير ، ويتناول تاريخ الفكر السياسى فى خطوطه الرئيسية ، ابتداء من سقراط وافلاطون وارسطو ، حتى الأفكار السياسية المعاصرة .. وقد استخدم طرق التحليل الحديثة .. كما زودت نهاية كل فصل من فصوله (٢٣ فصلا) بالمراجع المنتقاة من عربية وأجنبية ..

وتعكس النظريات السياسية الهامة التى يعالجها هذا المؤلف، الفكر السياسى فى أطواره المختلفة على مر العصور ، وذلك فى أبواب خمسة وهى : « دولة المدينة » و « الدولة العالمية التيوقراطية » . و « الدولة الوطنية » و « الدولة العالمية الاشتراكية » ، واخيرا « الدولة الوطنية الاشتراكية » .

ويتناول المؤلف ، الى جانب عشرات النظريات وعشرات المفكرين السياسيين الذين مروا عبر ٢٥٠٠ عام خلت ، موضوعين أساسيين ، يعتبران حجر الزاوية فى تكوين الفكر السياسى فى دول العالم العربى والاسلامى :

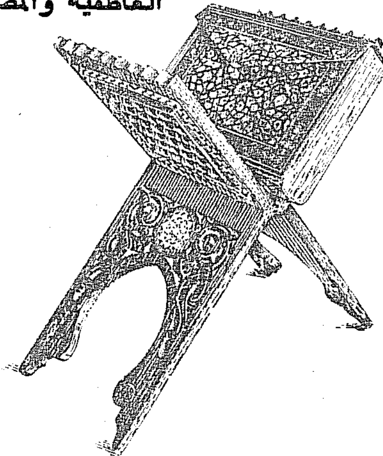
أولهما : الفكر السياسى الاسلامى الذى يعرض ولأول مرة فى هذا الخط التاريخى .

وثانيهما : الفكر السياسى الاشتراكى والماركسى ، الذى اتسم عرضه بتحليل فريد وموضوعية فائقة .

وغنى عن البيان ، أن المقابلة الفكرية بين الفكر السياسى الاسلامى ، والأفكار السياسية الاشتراكية والماركسية ، فى ضوء الحقائق العلمية ، لكفيلة بمد الفكر العربى والاسلامى بالزاد الصالح ، والغذاء العقائدى الكفيل بدحض التيارات الفكرية المستوردة ، ورده الى طريق الأصالة الفكرية فى البحث والاجتهاد ، خاصة وان المؤلف قد أفرد مكانا هاما للنظرية السياسية الاسلامية ، وتطور الفكر السياسى الاسلامى منذ عصوره الأولى حتى العصر الحديث ..

وان مؤلفا بهذا الاتساع والشمول .. قام على اعداده أستاذان متخصصان لحرى بأن يكون دليلا لكل باحث فى العلوم السياسية ، سواء كان طالب علم .. أو رجل دولة .. أو مثقفا ينشد الحقيقة العلمية ..

اذ يمكن من تقييم الشعارات والعقائد المطروحة وردها الى مقاييسها العلمية ، بعيدا عن الأهواء العاطفية والمضاربات الفكرية .



مائدة القارئ

الـــذرة

الذرة شيء صغير جـــدا ، وقـــد استعملت هـــذه الكلمـــة في القرآن الكريم للدلالة على كمال صفات الله تعالى مثل :

١ ـ كمال عدله : « ان اللـــه لا يظلم مثقال ذرة » .

٢ ـ كمال علمه : « وما يعزب عن ربك مثقال ذرة فـــي الأرض ولا في السماء » .

٣ ـ عظمة قدرته : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض» .

ذو الفقـــار

اسم السيف المشهور الذي غنمه النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر ، وكان يملكه رجل من الكفـــار يدعى منبه بن الحجاج ، وكانت جودة هذا السيف مضرب المثل في الحجاز حتى قيل : ((لا سيف الا ذو الفقار)).

الطائر الصحيح الجناح

خرج شفيق البلخي يريد التجارة ، وودعه صديقـــه ابراهيم بن أدهم ، وبعد أيام عاد شفيق ، ورآه ابراهيم في المسجد فقال له : ما الذى عجل بمودتـــك ؟ قال : رأيت فـــي بعض الفلوات طائرا مكسور الجناحين ، وأتاه طائر صحيح الجنـــاح ، فـــي منقاره جرادة فوضعها في منقـــار الطـــائر المهيض الجنـــاح ، فقلت لنفسي : يا نفس : الذى قيض لهذا الطائر الكسير الجناح هذا الطائـــر السليم في هذه الفلاة قـــادر على أن يرزقني حيث كنت ، فتركت التسبب واشتغلت بالعبادة .

فقال له ابراهيم : ولم لا تكون انت الطائر السليم الذى أطعم الطائـــر الجريح حتى تكون أفضل منه .

فاخذ شفيق يد ابراهيم فقبلها وقال له : انت استاذنا يا أبا اسحـــاق ، وعاد الى عمله .

الحنين الى غـــزة

يروى عن الامام الشافعي انه بعد ان رحـــل من غزة الى الحجـــاز كان يحن اليها دائما ويقول :

واني لمشتاق الى ارض غـــزة ... وان خانني بعد التفرق كتماني
سقى الله ارضا لو ظفرت بتربها ... كحلت بها من شدة الشوق اجفاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ
تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ
يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ
خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم
بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ
مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾

تخلص ظريف

عرف « عمارة بن حمزة » بالاعتداد بالنفس وحسن التخلص ، فدخل يوما على المهدى ، وما كاد يأخذ مكانة فى مجلسه حتى نهض اعرابى رث الثياب كان المهدى قد اوعز اليه ان يحرج عمارة ، وصاح قائلا : مظلوم يا امير المؤمنين !

فسأله المهدى : من ظلمك ؟

فأجاب الأعرابى وهو يشير الى عمارة : ظلمنى هذا ، اغتصب ضيعتى !

فطلب المهدى من عمارة ان ينهض من مجلسه ويقف بجانب خصمه حتى يفصل فى الخصومة بينهما .

فقال عمارة : ليست بيننا خصومة ، ان كانت الضيعة له فلن انازعه وان كانت لى فقد وهبتها له ، ولا اقوم من مجلس شرفنى به امير المؤمنين !

حيص بيص

لقب الشاعر العربى شهاب الدين ابو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفى التميمى ، وانما قيل له حيص بيص لانه راى الناس يوما فى حركة مزعجة وأمر شديد فقال ما للناس فى حيص بيص ، فبقى عليه هــذا اللقب .



أم حكيم ..

مسرحية تاريخية من فصل واحد ..

للدكتور : احمد شوقي الفنجري

فى ارض فلسطين المحتلة قرب وادي اليرموك توجد قنطرة ما زالت حتى اليوم تعرف باسم (قنطرة ام حكيم) وقد تردد ذكرها فى عصرنا هذا اكثر من مرة بمناسبة القتال الذى دار حولها بين العرب واليهود .

فمن هى ام حكيم ؟ وما هى قصتها التي جعلت المسلمين الاولين على عهد الخليفة عمر بن الخطاب يطلقون لأول مرة اسم احدى نسائهم على احد المواقع الحربية الشهيرة ؟

هى ام حكيم ابنة الحارث بن هشام من بنى مخزوم .. وزوجة عكرمة بن ابى جهل الذى قتل ابوه ابو جهل فى معركة بدر ، وكان من اشد الناس ايذاء للرسول في الجاهلية .. ولها من زوجها عكرمة ولد اسمه عمرو بن عكرمة

تاريخ القصة : سنة ١٣ هجرية (٢٠ اغسطس ٦٣٦م) اثناء معركة اليرموك .

المكان : تبة النساء فى سهل اليرموك .. وهى تبة عالية تحصن فيها نساء الصحابة خلف جيش خالد بن الوليد ونصبت فيها خيام الاسعاف والطعام والسلاح ..

المنظر : خيمة عربية كبيرة كتب على مدخلها .. الله اكبر خيمة الاسعاف .. وقد جلست ام حكيم امام قدر كبير تغلى فيه الماء على النار والى جوارها هند بنت عتبة زوجة ابى سفيان تجهز الاربطة وقطع الضماد للجرحى، وهناك صحابيات اخريات فى الخيمة يقمن باعداد وسائل الاسعاف كالناقلات والاغطية وغير ذلك .

وخارج الخيمة نرى نساء الصحابة على شكل فرق مختلفة .. كل واحدة مهتمة تؤدى دورها فى جدية واهتمام ..

فغريق منهن يقمن بالحراسة وقد تدرعن بالدروع والسيوف .

وفريق يعد آلة الحرب من سهام ودروع ويصلحها ويعتنى بخيول الحرب

وفريق يداوى الجرحى خارج الخيمة او يسقيهم الماء .

وفريق يقوم باعداد الطعام للجيش ..

هنـــد : هنيئا لكم آل ابى جهـل جهادكم كلكم فى سبيل الاســلام فما فعلتموه اليوم يمحو عنكم كل سيئات الجاهلية ..

أم حكيـم : والله يا هند لا يرتاح ضميرى حتى يرزقنا الله الشــهادة فى الجهاد .. فقد كان زوجى عكرمة وابوه ابو جهل من اشـد قريش ايذاء لرسول اللــه .. وما أحسب أن شـيئا يمحـو سيئات هذا الماضى الا الشهادة ..

هنـــد : ان ما يحزننى يا أم حكيم أن زوجى أبا سفيان قد كبر فى العمر ولم يعد يصلح لقتال .. فاكتفيت انا وهو بالخطب والشـعر والكلام .. فنحن نقاتل بلساننا وأنتم تقاتلون بسيوفكم ..

ام حكيـم : كله عند الله جهاد يا هند .. وما تحريض المؤمنين على القتال بأقل اثرا فى العدو من القتال نفسه .. ولقد أعجبت واللــه بخطابك بالأمس انت وزوجك تحمسون جنود المسلمين على القتال .. وكم أتمنى لو كنت اتقن الخطابة والشعر مثلك ..

هنـــد : كانت الخطابة والشعر لهما مكانهما فى الجاهلية .. أما فى الاسلام فلا يعطيان صاحبهما زعامة ولا رياسة ..

ام حكيـم : غفر الله لك يا هند .. أما زلت تبحثين عن الرياسة والزعامة حتى بعد اسلامك ..

هنـــد : ولم لا .. لقد كان أبو سفيان وابو جهـل زعمــاء قريش فى الجاهلية وسادتهم .. فلماذا لا تكون فى بيتهما الزعــامة والرياسة كذلك فى الاسلام الا تريدين لزوجك عكرمة أن تكون له مكانة ابيه ابى جهل .

ام حكيـم : لا والله .. ما أرجو ذلك ولا أسمح به .. فنحن هنا فى موقف التضحية بالروح وانكار الذات .. والمسلمون فى هذا الموقف عند الله سواسية كأسنان المشط وليس أحدنا أقرب الى الله من اخيه إلا بمقدار ما يبذله من جهد وجهاد .. ايرضى الله عنا لو كان يرى شباب المسلمين يتسابقون الى الموت فى سـبيله وبيت ابى سفيان وبيت ابى جهل يتسابقون على مناصب الدنيا.

هنـــد : ولم لا . الم يقل رسول الله : « خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام » .

ام حكيـم : خياركم يا هند .. ولم يقل اشهركم ولا اغناكم ولا اقواكم .. فهل كان أزواجنا من خيار الجاهلية ؟..
اسمعى يا أختاه .. لقد كنا أصدقاء واحباب فى الجاهلية .. وكنا نتعاون على قتال الرسول ونعين أزواجنا عليه .. ولست أريد أن أخسرك فى الاسلام أو يفتر الود بيننا .. فعلم الله اننى احبك واعجب بشـجاعتك وبيانك وحزمك وطموحـك . ولكننا اليوم فى موقف كله لله ، لا ينبغى لنا فيه الفخر ولا الطمع .. فمن خرج يحارب فى سبيل الله وحده فالله يعلم

ما في السرائر ومن خرج من اجل دنيا يصيبها او منصب يناله .. فوالله لقد خسر دنياه وآخرته معا .. فانما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى .

هند : صدقت يا أختاه .. لقد أصبحت والله افقه منى فى هذا الدين.

ام حكيم : انا وانت أحق الناس بأن نحرص على الجهاد والشهادة وتحريض اهلنا عليها .. فقد كنا اكثر بيوت قريش ايذاء لرسول الله والحق اقول لك اننى رأيت زوجي عكرمة قد غير الاسلام كيانه كله لقد كان في الجاهلية جبارا لا تأخذ قلبه رحمة .. فاذا به اليوم يبكى كلما قرأ القرآن . واصبح سباقا الى مواضع الشهادة والفداء .. وهذا هو عزائى فى الحياة ..

(تدخل بعض نساء الصحابة يحملن الماء والطعام بينهن غفيرة وامامة ورعلة وام تميم زوجة خالد بن الوليد) .

ام تميم : الم ترتاحى بعد يا أم حكيم .. لقد قاتلت فى الصباح قتال الرجال .. ثم جئت فى العصر تقومين بعمل النساء فمن يطيق ما تطيقين .. قومى الى غذائك وراحتك وانا آخذ مكانك ..

ام حكيم : ما بى جوع ولا تعب وانا والحمد لله بعافية وخير .. جزاك الله خيرا يا أم تميم .. انت وزوجك سيف الله المسلول ..

ام تميم : لقد رايناك اليوم على فرسك تصولين وتجولين الى جانب زوجك عكرمة وأبيك الحارث وولدك عمرو .. فأخذ الناس يتساءلون من هذا الفارس الملثم الذى لم يصمد أمامه أحد من علوج الروم ..

غفيرة : لقد حسبك الرجال أول الأمر خالد بن الوليد .. وقالوا لا يقاتل هذا القتال الا خالد أو الزبير ..

ام حكيم : هل تعلمين ان ولدى عمرو قد غضب منى وعاتبنى لأننى خرجت أحارب فرسان الروم الذين تجمعوا حوله ..

ام تميم : لقد أحسست والله بذلك فعمرو ما يزال فتى يافعا يريد الفخر لنفسه فى الحرب .. فكيف يواجه اخوانه فتيان المسلمين اذا قالوا له أن امه قد خرجت لتساعده فى القتال أو لتحميه من القتل ..

ام حكيم : والله يا أم تميم ما قصدت أن أحميه من القتل . فما جئنا هنا فى نزهة ولكنا جئنا لنقتل جميعا فى سبيل الله . ولكنى اشتممت من الروم رائحة الغدر .. وما اندفعت لأقاتل معه بعاطفة الأم ولكن بعاطفة المجاهد فى الله الذى يرى أخاه فى الاسلام يتعرض للمكيدة والغدر .

ام تميم : الحق معك يا أم حكيم .. وما كان له أن يغضب منك فقد كنا جميعا نرى كل شىء .. لقد ابتدأت الحرب سجالا بين فارس من الروم وفارس من العرب .. فخرج زوجك عكرمة وأبوك

الحارث وولدك عمرو .. فكان عكرمة .. والحارث كلما خرج لهما فارس قضيا عليه في الحال حتى تهيب الروم منهما .. أما عمرو فقد بدا عليه التعب والاجهاد بعد أن تغلب على الفارس الأول فتجمع فرسان الروم حوله يريدون القضاء عليه انتقاما من أبيه وجده ..

ام حكيم : هذا والله الذى دفعنى الى الوقوف بجانبه .

ام تميم : ويا لها من وقفة .. لقد قتلت وحدك خمسة من فرسان الروم حتى اصبح رجالنا يتواضعون أمامك .. وفتحت باب القتال امام غيرك من نساء المسلمين .. ولولاك لبقينا مكاننا فى خيام الاسعاف ..

ام حكيم : لقد رأيناك يا أم تميم تحاربين الى جوار زوجك خالد .. ورأيت خولة بنت الأزور تحارب الى جوار أخيها ضرار .. وخرجت أسماء بنت ابى بكر مع زوجها الزبير وأخيها عبدالرحمن فهنيئا لكن يا صاحبات رسول الله هذا الجهاد فى سبيل الله .

هند : ولكن خبرينا يا أم تميم .. ما هو سر تلك العمامة التى خرجت بها الى خالد فى أحرج الأوقات ووضعتيها على رأسه وهو يقاتل ..

ام تميم : الاحظتن ذلك .. هذه قلنسوة خالد التى يحتفظ فيها بشعرة من رسول الله .. فهو يعتز بها .. ويتبارك بلبسها . وكان فى ذلك اليوم قد نسيها فى خيمتى .. فوالله لقد رأيته ما يلبسها يوما الا وينقض على العدو وكأن سيفه الف سيف .

(تدخل أسماء بنت ابى بكر متوشحة بسيفها ودرعها ومعها بعض الصحابيات الفارسات) ..

اسماء : يا أهل الاسعاف .. اكثرن من الأربطة والفيار وكن مستعدات فقد اشتدت المعركة وكثر الجرحى بين المسلمين ..

ام حكيم : ماذا حدث يابنة الصديق .. هل انهزم رجالنا أمام علوج الروم؟

اسماء : لا يا أم حكيم .. لم ننهزم .. ولكن الروم قد يئسوا من النصر .. فقد رأوا أن الحرب بين فارس وفارس قد جعلتهم يخسرون خيرة فرسانهم وقادة جيشهم .. فجعلوا يرمون فرساننا بالنبال من بعيد ..

ام حكيم : آه من هذه النبال الطائرة التى لا حيلة للشجاعة معها ..

اسماء : لقد وضع هاسان عشرين الفا من جنوده يرمون بالنبال دفعة واحدة . حتى كانت نبالهم تغطي وجه الشمس وقد أصيب الكثير من المسلمين أول الأمر بالجراح فى عيونهم ووجوههم وعما قليل تمتلىء خيام الاسعاف بالجرحى فكن على أهبة واستعداد للعمل .

ام حكيم : ولكن من ينقل الجرحى من خط القتال الى هنا يا أسماء ؟.

اسماء : لقد تكفلت بذلك اختنا خولة بنت الأزور مع فريق من الصحابيات .

ام تميم : لله درها خولة من فارسة عنيدة .. لقد رأيتها اليوم تقتحم خطوط القتال الأمامية تحت وابل من النبال محتمية بدرعها لكي تنتذ فرسان المسلمين الجرحى ثم تسحبهم بعيداً عن مرمى النبال ثم تقوم باسعافهم فى الحال .

ام حكيم : فما بقاؤنا هنا بلا عمل يا اسماء اذا كانت خولة وفريقها يسعفن الجرحى هناك .. الا يجدر بنا ان نخرج الى خطوط القتال بدلا من الانتظار هنا ..

اسماء : لقد اعددنا هذه الخيمة للحالات الخطيرة التى لا يمكن علاجها فى الميدان ، وانت يا ام حكيم اخبرنا واعلمنا بالاسعاف . وعما قليل يمتلىء المكان بالجرحى فعملك هنا يا اختاه اكبر واهم من التنقل في الميدان ..

ام حكيم : طمئنينا يا اسماء .. الم يجد خالد بن الوليد بدهائه وسيلة للتخلص من رماة الروم الذين آذوا المسلمين .

اسماء : نعم يا أم حكيم .. لك ان تطمئنى وتفخرى كل الفخر ..

ام حكيم : (فى لهفة وتشوق) خبرينى بالله ان لم يكن فى الأمر سر حربى .. سر حربى ..

اسماء : لا سر عليك يا أم حكيم .. فالفضل لزوجك عكرمة وابيك الحارث وولدك عبد الله ..

ام حكيم : احقا يا ذات النطاقين .. وما فضلهم فى ذلك .

اسماء : لقد كان أمام خالد احد أمرين .. إما أن يتراجع بجيش المسلمين بعيداعن مرمى نبال العدو .. وإما أن يلتحم بالعدو مباشرة فيفقد الرماة مفعولهم ويتوقفون عن الرمى .. ولكن زوجك وولدك وأباك عرضوا عليه خطة افضل .. أن يرمى بهم مع خيرة فرسان بنى مخزوم على رماة الروم فيقضون عليهم ..

ام تميم : وكم فارس من بنى مخزوم خرجوا مع عكرمة للقتال ..

اسماء : خمسمائة فارس فقط .. وعليهم القضاء على عشرين الفا من رماة الروم والأرمن ..

ام تميم : وهل هذا ممكن يا اسماء .. كل فارس يقضي على اربعين لو كانوا نبلا لكل فرساننا وتعبوا من قتلهم ..

اسماء : انه عمل انتحارى لا يتقدم عليه إلا من يريد الشهادة فى الله .. ولكن عكرمة مقتنع جدا بنجاح خطته وقد اقنع زوجك أبا سليمان بذلك .

ام حكيم : ينجحون باذن الله اذا خلصت نياتهم لله ولم يترددوا .. ان مقاتلة الرماه أمر صعب فى أوله سهل فى آخره .. فالرامى لا يحسن القتال الا من بعيد .. فاذا اقترب الفرسان منهم

أصبحوا كالدجاج فى قفص لا يحسن الدفاع عن نفسه ..

اسماء : صدقت والله يا أم حكيم .. يا لك من خبيرة بالحرب .. هذا هو نفس ما قاله خالد لمكرمة حين تشاور فى الأمر ..

أم تميم : لقد حضرت أم حكيم منذ اسلامها المغازى مع رسول الله .. واشتركت فى حروب الردة .. وأصبحت خبيرة بفنون الحرب وخطط القتال ..

أم حكيم : الحمد لله الذى هدانا لهذا .. وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله .. فلولا الاسلام يا صاحبات رسول الله لكنا الآن كلنا نرعى الغنم لأزواجنا فى ضواحى مكة ..

اسماء : أو كانت هذه القبائل التى وحدها الاسلام اليوم فى الجهاد فى الله تتقاتل فيما بينها وتهتك الأعراض وتسبى النساء والأطفال.

غفيرة : وهل كنا يا نساء العرب فى الجاهلية إلا متاعا وبضاعة .

امامة : واذا بشر أزواجنا بالأنثى اسودت وجوههم وقاطعونا .

هند : ذكرتمونى بأيام الجاهلية لعنها الله ولا أعادها علينا .. فكلما تذكرتها تمثلت نفسى وأنا افتح بطن حمزة وهو قتيل ثم أخرج كبده والوكها بأسنانى .. فوالله لم يكذب من قال ان العرب قبل الاسلام كانوا يأكلون لحوم البشر ..

رعلة : وقبل الاسلام كان هؤلاء الرومان والفرس يجلدون رجالنا بالسياط ويفرضون علينا الضرائب ويتخذون منا الخدم والعبيد.

أم حكيم : فسبحان مغير الأحوال .. فبالاسلام أصبح الفارس الواحد من العرب بأربعين من فرسان الروم أو الفرس ..

أم تميم : وأصبحت المرأة المسلمة تقتل منهم الأربعة والخمسة فى الطلعة الواحدة وكأنهم جرذان .

اسماء : وأصبحنا أهل فقه وعلم ودين وتاريخ وكنا لا نعرف إلا سقى الغنم والابعرة .

أم حكيم : وصدق الله العظيم إذ يقول « كنتم خير أمة اخرجت للناس » .

اسماء : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

(تسمع خارج الخيمة جلبة واصوات) .

خولة بنت الأزور : يا أهل الاسعاف .. يا أهل الاسعاف .. معنا جريح فى خطر ..

(تدخل خولة بنت الأزور راكبة حصانا .. وخلف الحصان تجر ناقلة للجرحى عليها جريح تنزف منه الدماء .. ولا يبين وجهه من الضماد .. وتقوم اليه النساء ويحملنه لاسعافه ..)

خولة : انى ذاهبة الآن فهناك جرحى آخرون فى الخط الأمامى بحاجة الى من يسحبهم ويسعفهم .

اسماء : خبرينا يا خولة ماذا فعل المسلمون مع رماة الروم .

خولة : لله دره عكرمة وفرسانه .. بنى مخزوم .. لقد هاجموا رماة الروم تحت وابل من النبال تغطى وجه الشمس فلم يحفلوا بما يصيبهم . فلما دخلوا عليهم جعلوا يذبحون الرماة ذبحا كما يذبح الدجاج ومن نجا منهم رمى بنفسه فى الواقوصة فغرق فيها خمسة آلاف من رماة الروم ..

ام حكيم : الله اكبر .. الله اكبر .. وما النصر إلا من عند الله .. اليوم اباهى بك يا عكرمة أمام الله ورسوله أننى ادخلتك الاسلام .. واين هو عكرمة الآن يا اختى حتى أبارك له ما فعل !!

خولة : (تسكت ولا مجيب) ..

اسماء : أم حكيم تسالك يا خولة .. اما رايت عكرمة بن ابى جهل ؟..

(خولة تجيب بعد فترة صمت) ..

تشجعى يا ام حكيم فقد رأينا اليوم صبرك فى القتال .. فلعلك ترينا أيضا صبرك فى المحنة والشدة .. « والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس » .

ام حكيم : تولى ما عندك يا أختاه وستجدينى ان شاء الله من الصابرين . فهل استشهد عكرمة ؟..

خولة : لم يستشهد يا أم حكيم .. وما يزال حيا يرزق .. ولكنه جريح .. وعندما فحصت وجهه وجسده وجدت به بضعة وسبعين جرحا ما بين طعنة وضربة ورمية .. وكلها جراح خطيرة .. ولو كان أحد غيره لسقط من أول طعنة ولكنه ظل يقاتل بجراحه كلها حتى انتصر فسقط .

ام حكيم : فأين بالله عليك .. هل تركتيه ياخولة ينزف هناك ... ؟

خولة : لا والله .. ما اترك مسلما واحدا بحاجة الى اسعاف فما بالك ببطل مثل عكرمة .. ان عكرمة هو الجريح الذى جئت به الآن وهذا هو بين رعلة وامامة يربطا جراحه .. ولكنه من كثرة الضماد ومن فرط ما أصابه من الطعان والنبال لم يعد يبين شىء من وجهه فكونى الى جانبه حتى يفيق من غشيته ..

(يسود على الجميع وجوم شديد .. ثم تقوم أم حكيم الى زوجها الجريح وقد غطت الأربطة والضماد وجهه وجسمه فلا يبدو منه الا حدقة عين واحدة ..) .

امامة ورعلة وغفيرة فى وقت واحد :

لقد افاق عكرمة من غشيته يا أم حكيم وهذا هو ينادى عليك .

(تقبل عليه ام حكيم .. وتضع يدها فى يده فى رفق وحنان) .

« يتبع »

بريد الوعي الإسلامي

حد الكفاف وحد الكفاية

ورد في مقال (الزكاة بلغة العصر) في العدد (١٠١) للدكتور محمد شوقي الفنجري ((حد الكفاية وحد الكفاف)) وقد طلب كثير من القراء زيادة توضيح الفرق بين الحدين وفيما يلي الإيضاح المطلوب لكاتب المقال :

حد الكفاف : هو الحد الادنى اللازم للمعيشة وفقا لحاجات الجسم الضرورية فمرده حاجة الفرد الضرورية لاستمرار حياته مما لا يختلف باختلاف الزمان والمكان ..

اما حد الكفاية : فهو الحد اللائق للمعيشة ويسميه بعض رجال الفقه الإسلامي كالامام الغزالي والامام ابن تيمية بحد الغنى ، وهذا مرده ظروف كل مجتمع فيختلف تقديره باختلاف الزمان والمكان .

والمعول عليه شرعا هو حد الكفاية لا الكفاف ، على ان من حق كل فرد وجد في مجتمع إسلامي ان يحيا حياة كريمة ، فاذا عجز لسبب خارج عن ارادته كمرض او عجز او شيخوخة ان يوفر لنفسه المستوى اللائق للمعيشة ، فان نفقته تكون واجبة في بيت مال المسلمين (خزانة الدولة) وعلى وجه التحديد من مال الزكاة .

هذا ويقتضي تحديد حد الكفاية اجراء بحوث تقديرية للمستوى اللائق للمعيشة من غذاء ومسكن وملبس وعلاج وتعليم وترفيه .. الخ للفرد واسرته ، آخذين في الاعتبار مقدار الدخل القومي ، اذ كلما كان الدخل القومي اكبر كان متوسط الدخل لكل فرد اعظم ، وبالتالي ارتفع مقدار حد الكفاية في ذلك المجتمع .

هذا ويرتبط نصاب الزكاة بحد الكفاية لا الكفاف ، إذ من المسلم به ان نصاب الزكاة تتغير قيمته من وقت لآخر ومن مكان لآخر . فمن قل دخله عن حد الكفاية فهو ممن يستحق الزكاة ، ومن تجاوز دخله حد الكفاية فهو ممن تجب عليه الزكاة . ويروي ابن عابدين في حاشيته ص ٩٩ جـ ٧ ، عن الحسن البصري انه قال : ((وكانوا — اي الصحابة — يعطون من الزكاة لمن يملك عشرة آلاف درهم من السلاح والفرس والدار والخدم)) ، وهذا لأن هذه الأشياء من الحوائج اللازمة التي لا بد للانسان منها ، إذ يشترط في النصاب أن يكون فارغا عن الحاجة الأصلية ، وقد ذكر في الفتاوى فيمن له حوانيت ودور للغلة ، لكن غلتها

٥

لا تكفيه وعياله ، انه فقير ويحل له اخذ الصدقة عند محمد وعند ابى يوسف لا يحل له اخذها .

وجدير بالذكر ان ما قرره الاسلام منذ اربعة عشر قرنا بضمان حد الكفاية لا الكفاف ، وبالتالى مسئولية الدولة واستحقاق الزكاة لكل من لم يتوافر له حد الكفاية بسبب خارج عن ارادته ، هو ما انتهى اليه اخيرا الاعلان العالمى لحقوق الانسان والذى اقرته هيئة الامم المتحدة فى اواخر سنة ١٩٤٨ حيث نصت المادة ٢٥ منه على ان : ((لكل شخص الحق فى مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته ، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة ، وله الحق فى تامين معيشته فى حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن ارادته)) .

من هو المسكين
وكلمة الله تعالى فى الاكثار فى كتابه الكريم
من التنبيه على وجوب مساعدته وبره

فى مقال (الزكاة) للدكتور الفنجرى فى عدد الوعى (١٠١) جمادى الأولى تعريف للمسكين عزوا الى راى بعضهم انه الفقير الذى يسال تمييزا له عن الفقراء المتعففين . وهناك حديث نبوى صحيح رواه الشيخان وابو داود والنسائى عن ابى هريرة يعرفه تعريفا عكس ذلك تماما حيث جاء فيه : ((ليس المسكين الذى يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسال الناس)) .

والمتبادر ان فى هذا التوضيح النبوى تفسيرا لاختصاص كتاب الله المساكين بالتنبيه اكثر بكثير من الفقراء والسائلين وبايجابه على المسلمين العناية بهم اكثر وبالتنديد بالذين يحجمون عن ذلك . وهذا الاختصاص متمثل اولا بذكرهم فى سهام الفىء والغنائم دون الفقراء كما جاءت فى آيات الانفال ٤١ والحشر ٧ وبفدية فطر الصوم وكفارة الصيد وكفارة اليمين وكفارة الظهارة كما جاء فى آيات البقرة ٢١٥ والنساء ٨ ، وثالثا بذكرهم دون الفقراء ايضا فى آيات كثيرة اخرى مثل آيات البقرة ١٧٧ والاسراء ٢٦ والروم ٣٨ والحاقة ٣٦ والمدثر ٤٤ والفجر ١٩ والبلد ١٦ والماعون ٣ حيث تبلغ حكمة الله السامية الذروة فى الاهتمام بهذه الطبقة التى لا تجد غنى يغنيها ولا يفطن لها الناس فيتصدقون عليها ولا تقوم فتسال الناس .

محمد عزة دروزة

من ســـــــيلان

عين الدكتور بديع الدين محمود وزير المعارف بحكومة سيلان لجنة مكونة من خمسة اعضاء بهدف تاليف كتب اسلامية وعربية تكون صالحة للتدريس فى مدارس الحكومة السيلانية . وباعتبارى واحدا من هؤلاء الاعضاء ، اود أن أقول لكم بكل اسف اننا حصلنا على بعض الكتب الانجليزية الاسلامية التى اردنا ان ناخــذ منها ما نريده ولكن فشلنا فى مهمتنا فتوجهنا الى السفارات العربية فى سيلان طالبين بعض الكتب الاسلامية والعربية لنستفيد منها ونلتقط منها ما ينفعه لمؤلفاتنا ولكن اخواننا العرب فى السفارات أفادوا بان الكتب الاسلامية التى كانت عندهم نفدت حاليا ، وان شاء الله سوف نستورد من مصر والعراق وغيرهمـــا ونعطيكم ما تريدونه من الكتب والمجلات .

وانتم تعرفون جيدا ان المبادىء الاسلامية لم تترجم بعد كما هو مطلوب في لغتنا الوطنية فلهذا نبذل كل جهدنا لنترجم المبادىء الاسلامية وثقافاتها من اللغة العربية لغة الحضارة والتقدم ولغة القرآن الكريم ، واننا دائما نريد ان نكون على علاقة وطيدة بالبلاد العربية وشعوبها الطيبة ، فلهذا نرجو منكم ان تتفضلوا بارسال كتب معينة للدراسة عندكم لتكون خير نموذج لعملنا التاليفى وخصوصا لو تبعثون الينا كتبا عربية فى النحو واللغة والدين وغيرها من الكتب الثقافيـــة والتاريخيـــة .

وجدير بالذكر اننا نحن المسلمين فى سيلان اقلية نعيش فى البيئات الاجنبية والثقافات المستوردة وهى غير صالحة لأمتنا الاسلامية ، فاننا فى حاجة ماسة الى الكتب المذكورة لانكم تعرفون أن العملات الخارجية ممنوعة علينا وحينما نريد أن نستورد كتبا من البلاد الخارجية فلا تسمح لنا حكومتنا ان نبعث المال اللازم الى الخـــارج ..

فيا اخواننا الأعزاء :

فى هذه الظروف القاسية نعتبر مساعدتكم خدمة جليلة تؤدونها فى سبيل خدمة الاسلام والمسلمين فى سيلان . والله أسال ان يوفقنا فى سبيل خـــدمة الاسلام والمسلمين آمين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

MOULVI AL-HAJ
M.A.M. ROOTHULLAH B. A. (Cey.)
(Member of Islam and Arabic Text Book Committee)

Residence :
First Cross Street,
SAMMANTHURAI - 3

Office :
Curriculam Development Centre,
Ministry of Education
255, Bauddhaloka Mawatha
Colombo - 7.

الفتاوى

الاشـــهاد على عقـــد الزواج

الســـــؤال :

هل يجب وجود شاهدين عند عقد الزواج ، فلا يجوز للرجل أن يعقد على امراة بغير حضور شاهدين .

الاجـــــابة :

يرى الأئمة الثلاثة ابو حنيفة والشافعى واحمد ان الشهادة شرط فى جواز النكاح ، فلا نكاح إلا بشهود ، وهو مروى عن عدد من الصحابة والتابعين ، وعن ابن عباس رضى الله عنه « لا نكاح إلا ببينة » .

وذهب مالك الى أن الاشهاد على النكاح واجب وكونه عند العقد مندوب .

وان لم يحصل الاشهاد عند العقد كان واجبا عند الدخـــول ، فان عقـــد ودخل بغير شهود فسخ النكاح .

الصـــدقة على غير المســـلم

الســـــؤال :

هل يجـــوز للمسلم ان يعطى صدقته لغير المســـلم ، وخاصة إذا كان جارا أو مريضا فقيرا .

الاجـــــابة :

الصدقة تطلق على زكاة المال وزكاة الفطر وصـــدقة التطوع ، فأما زكاة المال المفروضة فلا يجوز اعطاؤها لغير المسلم بالاجماع ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم جعلها لفقراء المسلمين فقط فى حديثه الى معاذ حين بعثه الى اليمن وقال له : « فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم »

واما صدقة الفطر فذهب جمهور الأئمة الى عدم جواز اعطائها لغير المسلم وهناك راى لأبى حنيفة بجواز دفعها له .

أما سائر صدقات التطوع فجمهور الأئمة على جـــواز دفعها اليه غير أن الأفضل صرفها الى القريب الفقير لما فيه من صلة الرحم والى الفقراء واليتامى والأرامل ، ولو صرفت صدقة التطوع لغير المسلم كان للمتصدق ثواب ولكنـــه أقل من الثواب اذا صرفها للمسلم .

صـــبغ المراة شـــعرها

الســـــؤال :

انا شابة متزوجة ، وفى هـــذه السن ظهر شعر ابيض كثير فى راسى لا يتناسب مع سنى ، واشـــعر بان زوجى غير مستريح لظهور هـــذا البياض فى شعرى ، فهل يحل لى شرعا ان اصبغ شعر راسى باللون الأسود لاخفاء آثار هذا الشيب ، لأن هذا فيما اعتقد يرضى زوجى ؟.

الاجـــابة :

قال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم : « ان تحمير الوجه والخضاب بالسواد وتطريف الأصابع (تخضيب الأظافر) جائز فان لم يكن لها زوج أو كان وفعلته بغير أذنه فحرام ، وإن اذن جاز فى الصحيح .

وبناء على هذا الراى يجوز لك أن تصبغى شعرك باللون الأسود متى كان ذلك يرضى زوجك .

الزيارة الرجبيـــة

الســـؤال :

تعود بعض المسلمين ان يشدوا الرحال فى شهر رجب الى المســجد الحرام لأداء مناسك العمرة وأن يتوجهوا الى المسجد النبوى فى المدينة لزيارة رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، وهم يتعمــدون أن تكون الزيارة فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب . فهل لذلك اصل ؟.

الاجـــابة :

اداء العمرة فى شهر رجب وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فى ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر ليس واجبا شرعيا ولا سنة مأثورة عن الصحابة أو سلف الأمة ، والذى يفعله بعض المسلمين فى هذا الشهر وهــذه الليلة من أداء العمرة وزيارة المسجد النبوى ان كان من قبيل التقرب الى الله تعالى بالأعمال الصالحة شكرا له سبحانه على ما انعم به على رسولنا صلى الله عليه وسلم من نعمة الاسراء والمعراج فلا بأس به مع الاعتقـــاد بأن هذا ليس واجبا ولا مسنونا .

كتــابة أسماء الله الحسنى

الســـؤال :

ورد لى فى البريد رسالة فيها أسماء الله الحسنى ، وطلب منى مرسلها المجهول أن أكتب منها (١٢) نسخة واوزعها على أصدقائى وهددنى بأنه اذا لم انفذ وصيته فسيصب الله العــذاب على صبا ، فهل اذا خالفت وصيته يصيبنى أذى ؟

الاجـــابة :

لستَ أول من أرسلت اليه هذه الرسالة ، بل ان هناك رسائل عديدة من هذا النوع وصلت وتصل الى اناس كثيرين ويجب على المسلم الا يعتقد أن كتابة هذه النسخ تجلب له خيرا وان عدم كتابتها يسوق له شرا .

وهذا العمل لا أصل له فى الدين ولا سند له من كتاب ولا سنة ولا عمــل الخلفاء الراشدين ، وانما هو خرافة ، شغل بها البسطاء الجهلاء انفسهم .

بأقلام القراء

من المجتمع

عرفته عن كثب فرايته انسانا وادعا يغلب عليه الحياء ، ويبـالغ فى الحفاوة بى ، ويتكلف البسمة ، ويتمهل فى الحديث ، ويحاول جهده أن يظهر بمظهر الرجل المتمدين الذى أحاط علما بالمدنية ، وحذق أساليب الحضر ، وأجاد فنون الحياة وأحرز من العلم نصيبا وافرا ، ولكننى عرفته بعد معرفة الخلاط والعشرة والزمالة ، فتكشف لى عن شخصية غريبـة .

فكان يخيل الى انه لم يخلق فى هذه الحياة الا ليكون فى هذه الحياة برهانا على أنه لا زال فى دنيا الناس من يولد ويدرج ويشب وفى طبيعته العناد والمراء والمكابرة واللجاج .. وفى نفسه الوسوسة والهواجس وسوء الظن ، وفى فطرته الزهو والخيلاء والاعجاب بنفسه ، والاعتداد برأيه .. فان فقدت الحياة هذه الشخصية ، وعز فيها من يتحلى بهذه الصفات ، كان هو الدليل الذى لا ينقض والبرهان الذى لا يسرد ، والحجة التى لا تبطل على أن الدنيا لا زالت تسع فى رحابها وتضم بين جنباتها هذه الشخصية .. كنت لا اتكلم أى كلام كان ، ولا أجرى فى أى بحث أو أتعرض لأية ناحية أو أطرق أى موضوع أو أتناقش فى أية مسألة ، أو أفيض فى أى شأن من الشئون ، الا رأيته يتعمل ويتكلف ويجهد نفسه ، ليحاول أن يهدم رأيى ، أو يشك فى مسألتى ، أو يبطل حجتى ، أو يمطل حديثى أو ينقص موضوعى أو يصرف المستمع عن كلامى ، ولو كانت المسألة تسندها البراهين التى تحطم كـل اعتراض ، وترد كل تعقيب وتبطل كل نقاش .. فكنت اسكت على أحر من الجمر وأغمض على القذى ، فى حديثى مع الأذى .

يخيل اليك أيها القارىء العزيز وأنت تجادله أو تجاذبه الحديث أو تجرى معه فى أى شأن . ان ما لا يرضى عنه وما لايفهمه ليسا شيئين مختلفين كأن ذلك جزء من خلقه وتكوينه وطبيعته .. فاذا لم يكن من الفهم بد . قال أنه لا يقتنع .. فاذا ضايقته وضيقت عليه . وأخذت الحجة بخناقه . لم يبق الا ما يقول النحاة فى أى التى حيرهم اعرابها وبناؤها : أى كذا خلقت ... وليتك تظفر منـه بالنظر القصير فى الجدل فحسب . أو الرأى العائد فـى الحجاج وكفى أو الهوى المنحرف والكبرياء المسمسة فى النقاش فقط ، بل أنه ليلقى القول على الهاجس ويجزم على أنه اليقين الذى فيه برهانه ويتكلم فى العلم على التوهم ويقطع انه البحث الذى لا يرد بيانه ، ويحاول على

الظن وبرغم انه كلام لا يستطيع عالم ما أن يماري او يجادل فيه ولو كان ملء يديه أدلة ولو طلعت من بين عينيه الأهلة ...

أفتريد أيها القارىء مثلا يقرب لك البعيد ويدني منك الأبعد .. اذا اشتريت أنا شيئا جميلا ليس عنده ما يشاكله او يماثله أو لم يشتره في حياته هو قط فأريته له : مط شفتيه وتخاوصت عيناه واصفر لونه وقال : لقد اشتريت مثل هذا وكان ثمنه كذا ، على انه ليس بشيء ولكنه غير بطال .

فاذا قلت له من أي تاجر اشتريت انت ؟ قال من فلان بشارع كذا ، فإذا قلت له ان هذا الشارع لا يحمل اسما كهذاالاسم ، وليس فيه تاجر يبيع هذا الصنف : كان كصاحب زمزم ؟ انه رجل شهد عند بعض القضاة على رجل آخر ، فأراد هذا أن يجرح شهادته فقال للقاضي : أتقبل منه الشهادة وهو رجل يملك عشرين الف دينار ولم يحج الى بيت الله ؟ فقال الشاهد : بلى قد حججت ، قال الخصم فاسأله أيها القاضي عن زمزم وكيف هي ؟ فقال الشاهد : لقد حججت قبل أن تحضر زمزم فلم أرها .. هذا اذ كان ما معي في متناول يده . أو في مقدرته البارعة ما يمكنه من شرائه أو اقتنائه . فاذا كان الشيء بعيد المنال وليس في استطاعته أن يملك مثله أو يستولي على ما يشاكله تراه ينتفش كالديك ويزهو كالطاووس ، ويهز راسه كالساحر الذي لا يعبأ ويقول « ما الذي أعجبك في هذا ، وما الذى جعلك تشتريه أو تقتنيه وليس بالشيء الجميل الجذاب ، وليس فيه ما يملك النفس او يأخذ بالالباب او يلفت النظر ؟ .. ولكن .. الدنيا أمزجة .. اما انا فلو عرض على بغير ثمن أو من غير مقابل لما رضيت به .

وهكذا يذم لك في الشيء ولا يدع عيبا الا تمحله فيه ، ولا ذما الا ما أفاضه عليه وانا أعلم انه يغلي حقدا ويتميز غيظا ويتلهب حسدا ولا يقول ذلك الا لعجزه عن الاتيان بمثله . وعدم قدرته على الاستيلاء عليه . وهو عندي كالثعلب الواهم . اتدري ما الثعلب الواهم المغرور ؟ انه ثعلب وقف على دالية من العنب،فابصر عنقودا يتميز ماء وحلاوة فواثبه مرارا فلم يصل اليه اذ كان عاليا . فلما اعجزه قال هذا العنقود حامض لا يؤكل وانصرف وهو يرى أن العنقود لم يعجزه . ولكنه تركه لعلة الحموضة . وعدم الجودة وفقدان الحلاوة .

ثم ماذا ؟ أريد أن أقول : أيها الناس : كونوا صرحاء . فالصراحة طريق لاحب وسبيل واضح وصراط مستقيم ، واجعلوا الاخلاص رائدكم فانه نور يهدي الضال وهدى ينير القلوب . وراحة تهدهد النفوس . وطمأنينة تملأ الحنايا والأفئدة . ولا تلقوا قلوبكم على النفاق . ولا تغلفوا نفوسكم على الخداع ولا تسرفوا في الرياء وكونوا كالطبيعة جمالا يبهج الطرف وهدوءا يهدهد النفس وقطرة تريح الضمير وصفاء يبعث الطمأنينة والسكينة والراحه والسلام .

محمود محمد بكر هلال

قالت صحف العالم

طريق النصر .. ما معالمه ؟؟

النصر له قانون ثابت .. بل هو نفسه هدف ثابت ، لا يتنزل من علاه ليعانق الناس ! فعلى الذى يبتغيه أن يصعد — هو — إليه ليعانقه فى علاه .. والصعود اليه يكون على درج الإيمان لا على أسنة الرماح ولا حتى رءوس الصواريخ !..

إن الله سبحانه وتعالى وعد المؤمنين بالنصر : **« ان تنصروا الله ينصركم »** .. وبالعلو : **« وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين »** .. وبالعزة : **« إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.. »** بل وعدهم الله تعالى باستخلافهم فى الأرض وتمكين دينهم ، وبأن يعمر قلوبهم بدل الخوف طمأنينة وأمنا .. **« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا »** هذه كلها وعود من الله — جل شأنه — لنا ولكن :

- هل نحن الآن — أى المسلمين كافة — منتصرون أم مهزومون ؟..
- بحالة الاستعلاء نحن أم الصغار والضعة !؟
- أننعم الآن بالعزة ، أم نتجرع كؤوس الذل والهوان ؟!
- أو هل نحن اليوم السادة المستخلفون فى الأرض ؟!!
- إن لسان حالنا يغنى عن كل جواب ! ولكن هذه عهود من الله .. ومن أوفى منه — سبحانه — إذا عاهد ؟!

إذن فنحن الذين أخللنا بشروط العهد .. فهو متعلق بالإيمان وصلاح الأعمال . فان ضعف الإيمان وفسدت الأعمال كان ذلك نقضا للعهد ، ورفضا عمليا لمعية الله ونصرته ودفاعه ..

ولنأخذ فى هذه العجالة أمثلة خاطفة ، لنعيد الى الأذهان صفحات ناصعة من تاريخ الاسلام وانتصاراته ..

- فى غزوة بدر الكبرى كان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والفرسان منهم قليل . وما كانوا قد تأهبوا للقاء العدو .. بل كانت نيتهم كما ذكرها القرآن الكريم .. **« وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم »** .. كانوا يريدون قافلة تحمل تجارة العدو ، يأخذونها بلا قتال .. ولكن الله سبحانه أراد لهم غير ما أرادوا .. فأرسل اليهم من العدو جندا مدججين (فاق عددهم ثلاثة أضعاف المسلمين) . وكان امتحانا لنفوس ما تهيأت لقتال ، ولكنها كانت عامرة بالإيمان .. وانتصرت الفئة القليلة المؤمنة الصابرة ، على الجيش القوى — بمقياس المادة والعدد والعدة — وصدق الله العظيم .. **« إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون »** .

(عن مجلة المجتمع)

في سبيل اعادة بناء فكرنا وامتنا :

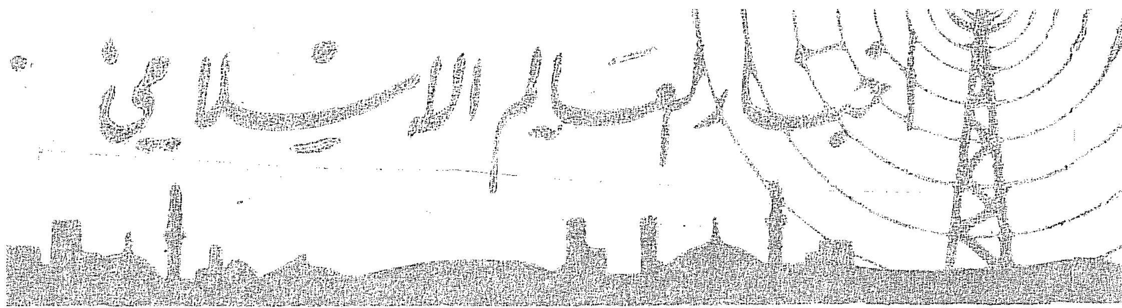
علينا ان نسأل دائما : ما هو الاطـار الذى نتحرك فيه ؟

حتى يكون خطونا صحيحا ، وحركتنا الى أمام ، والى فوق ، فان علينا دوما أن نتحرك داخل اطار ، ومن وجهة والى غاية : وأن لا نسلخ قضية من قضايا الفكر أو الأدب أو الاجتماع أو السياسة أو التربية ، عن هذا الاطار .
وليس هذا الاطار ضيقا ، وليس سجنا ، وليس قيدا ، ولكنه غاية ، وهدف ومصدر قوة ، وضابط للحركة ، ومعين عليها ، حتى لا نتحرك في فراغ .

ولقد أعطانا الاسلام اطارا واسعا مرنا ، مليئا بالحيوية ، معينا على الحركة والتغيير قابلا لكل قوانين التطور والمواءمة ، والتوازن ، بحيث يدفع الى الانطلاق الواضح ، والطموح المليء بالحيوية ، والصدق ، القائم على دعائم الواقع ، البعيد عن الخيال والاسراف والتخبط . .

ولقد غاب المسلمون طويلا عن اطارهم وتحركوا خلال سنوات طويلة خارج دائرة فكرهم فقد أخرجهم الاستعمار منها وأدارهم في (دائرة صماء) رسمها لهم وأعد لهم خططها وهي خطط لا تتلاءم مع طبيعتهم ، ولا مع مزاجهم النفسي،ولا مع ميراثهم ، ولا قيمهم ، وقد قصد بها أن يحطمهم لا أن يحييهم ، وأن يذيبهم في بوتقة لا أن يدفعهم الى تقدم ، أو قوة أو حياة ، وأن يحتويهم في فكره المتعارض في كثيرمن تفسيراته لمفاهيم المسلمين التي التمسوها من القرآن وهي من وحي الفطرة ، قائمة في ظلال العقل لا تعارض العلم ، ولا الحق الواضح الصريح ، الذي هو جبلة البشرية وضميرها .
ولقد تململ المسلمون طويلا ، في ظل هـذا الاطار المفروض ، والدائرة الصماء .

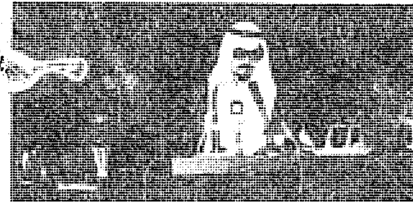
ولقد كانوا كلما تحركوا نحو المقاومة ، أو الدفاع عن أنفسهم ، أورد الضربات الموجهة اليهم ، باءوا بالفشل لأنهم لم يتحركوا من اطارهم ، ولم يلتمسوا قيمهم ومفاهيمهم ، ولقد كانت هناك صيحات عوقت المسيرة ، الى التماس الأصالة والمنهج الصحيح : منها القول بالجمع بين قديم الشرق وجديد الغرب ، والربط بين التراث المعاصر ، وبناء تركيب من القديم والجديد ، على غير هدى من قاعدة أصيلة ، أو اطار سليم .
ولقد اثبتت هذه النظرية فشلها ، وبالتجربة لم تحقق الا مزيدا من التأخر والاحتواء ، وتوالت الضربات ، لتوقظ المسلمين والعرب الى حقيقة الخطأ الذى يتردون فيه ، والوجهة التى يتجهون عليها ؟ تحركا من داخل دائرة غريبة عن دائرة فكرهم .
لذلك فقد تعالت الأصوات الصادقة ، من اصالة الفكر الاسلامي ، والايمان والفطرة ، الى أن يلتمس المسلمون والعرب اطارهم الأصيل ، ليتحركوا من داخله ويتصرفوا من خلال قيمه ، ومقدراته ، وذلك حتى تصدق الرؤيا ، وتتكشف الآفاق ، وتجري الأمور من خلال الفطرة الأصيلة ، التي اقامها لهم الاسلام اربعة عشر قرنا ، نبراسا على الخطو في كل أمر من أمور الحياة .
(عن مجلة الهدى الاسلامي)



اعداد : فهمى الامام

الكويت :

■ سيقوم أمير البلاد المعظم بزيارات رسمية في بداية الشهر القادم لكل من مصر والجزائر والمغرب وتونس .



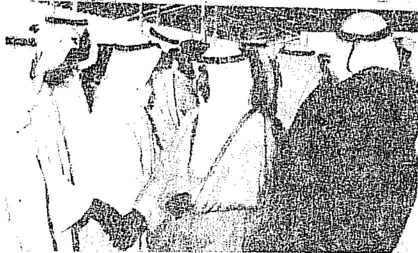
■ اختتم مجلس الأمة دور الانعقاد العادي الثالث من الفصل التشريعي الثالث . وقد ألقى سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء كلمة فى الجلسة الختامية .

■ اجتمع الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية أثناء زيارته للمغرب بجلالة الملك الحسن الثانى ، وتحدث سيادته مع المسئولين فيما يتصل بتنسيق العمل الاسلامى .



■ قام وزير التربية الأستاذ جاسم المرزوق بزيارة مركز تحفيظ القرآن الكريم بمدرسة خالد بن الوليد الابتدائية وهو من المراكز التابعة لجمعية الاصلاح الاجتماعى ، وقد بلغ عدد المقيدين فى مراكز جمعية الاصلاح الاجتماعى لتحفيظ القرآن الكريم (٣٠٠٠) من الذكور والاناث .

■ نعى الديوان الاميرى الى المواطنين الشيخ حمود الجابر الصباح .. شقيق أمير الكويت الأسبق الشيخ احمد الجابر الصباح .. وقد شيعت جنازة الفقيد في موكب حافل اشترك فيه سمو الأمير المعظم وسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء وكبار رجال الدولة وجمهور غفير من المواطنين .



■ شيعت الكويت جثمان الشيخ يوسف بن عيسى القناعى عن عمر يزيد عن التسعين عاما ، وكان الشيخ عيسى من فقهاء الكويت الأوائل ومن رجالاتها الأفاضل ، وقد اشترك في تشييع الجنازة سمو أمير البلاد المعظم وسمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء ولفيف كبير من المواطنين .

■ قررت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية اطلاق اسم الفقيد الشيخ يوسف بن عيسى القناعى على مسجد النزهة المركزى .

■ زار البلاد السيد ياسر عرفات القائد العام للثورة الفلسطينية .. وقد أكد المسئولون الكويتيون دعم الكويت المطلق للثورة الفلسطينية .

القـــاهرة :

■ طلبت امارة الشارقة من الأزهــر ايفاد عدد من المدرسين والوعــاظ للعمل لديها ونشر الثقافة الاسلامية فيها .

■ أصدر شيخ الأزهر قرار بأن تصدر مشيخة الأزهر نشرة عالمية منتظمــة باسم الأزهر باللغات الحية .. تتناول شــئون المســلمين .. وترد على التيارات المعادية للاسلام .. وتنشر الفكر الاسلامى الصحيح .

الســعودية :

■ حذر جلالة الملك فيصل فى حديثه الى مجلة (الصياد) اللبنانية .. حذر الولايات المتحدة الأمريكية من وقوفها الى جــانب اسرائيــل .. واعرب عن أسفه لسيطرة الصهيونية على الكونفرس الأمريكى وتوجيهها له وللحكومة فى واشنطن .

الأردن :

■ أصدر الحاكم العسكرى فى الأردن أمرا يقضى باغــلاق جميع صــالات العاب الفليبرز والبليباردو . والغاء رخص الفليبرز والبليباردو لجميــع المحلات التى تستعمل هذا النوع من الألعاب فى المملكة .

ســـوريا :

■ جرى فى سوريا تحويل المجرى التاريخى لنهر الفرات بواسطة سد كبير أقيم على النهر .. ويستفاد من الســد فى توليــد الكهــرباء ورى الأراضى .

قطـــر :

■ سلم سفير قطر فى دمشق الى نائب رئيس الوزراء السورى حوالة مالية من قطر بمليغ (١٫٥٠٠٫٠٠٠) دولار ، قيمــة القســط الثانى من المساعدة التى خصصتها قطر لدعم المواجهة فى سوريا .

لبنـــان :

■ تشكلت الوزارة اللبنانية الجديدة برئاسة السيد تقى الدين الصلح .. وقد تعهدت بازالة التوتر القائم فى المنطقة وتنقية الجو من الخلافات .

■ يعتزم ثلاثة من المثقفين المسلمين — د. س. ن. ناصر ، والبروفسير يوسف أبيس ، والبروفسير سليمان عبد الله شاليفر — اصدار مجــلة أسبوعيــة اسلاميــة تحمل اســم (اسلاميكا) هدفها تقديم الدين بكل أبعــاده وشموله .. والقصــد منها خدمة المسلمين الناطقين بالانجليزية .

ليبيـــا :

■ رصدتليبيا جائزة مالية كبيرة لمن يضع تصميم زى قومى عربى اسلامى .. يتناسب والشخصية العربيــة ويلتزم بآداب الدين الاسلامى ..

■ عقد فى طرابلس الغرب مؤتمــر الشباب الاسلامى وقد حضر المؤتمر ثمانية وتسعون وفدا اسلاميا يمثلون بلدانا اسلامية وجاليات اسلامية فى مختلف اقطار العالم .

الجـــزائر :

■ عقد فى الجزائر (الملتقى السابع للتعــرف على الفــكر الاســلامى) ويشــتمل الملتقــى سلســـلة من محاضرات المفكرين المسلمين البارزين ومناقشات لمشكلات الفكر الاسلامى المعاصر .

اوغنــدا :

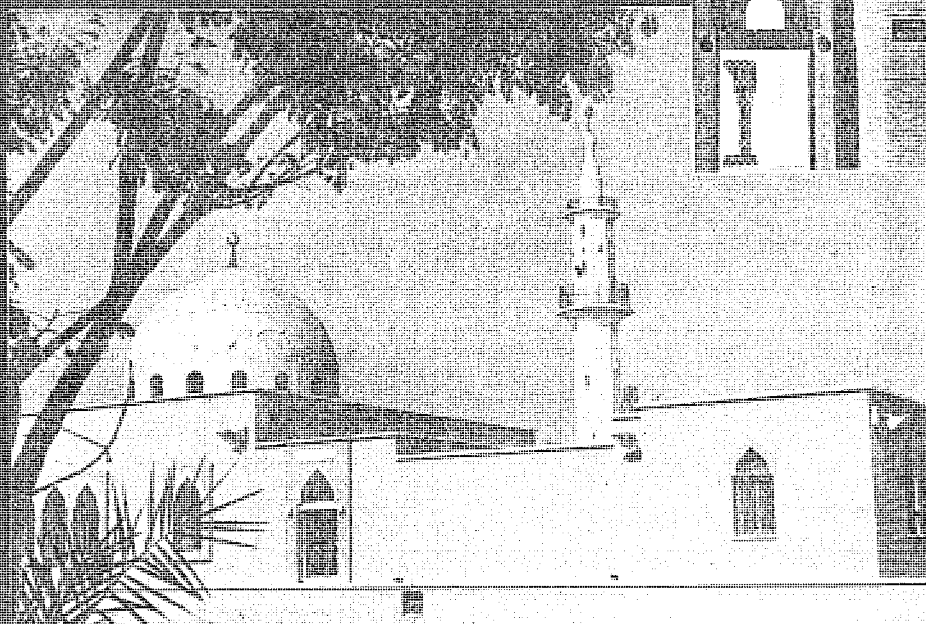
■ تم الاتفـــــاق فى القـــاهرة بين (المقــاولون العــرب) والشــيخ عبد الرزاق أحمد — رئيس قضــاة مسلمى أوغندا — على انشاء مركز اسلامى فى كمبالا يشــمل مسجدا ومبنى للادارة ومستشفى ومعهــدا اسلاميا .

بلغـــاريا :

■ يتعرض المسلمون فى بلغاريا لمحنة قاسية بسبب اسلامهم ، ويضطهدون من أجــل ازالة الصبغة الاسلامية عنهم .. وذلك باجبارهم على تغيير أســمائهم ، وابعــادهم عن وظائف الدولة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	رجب ١٣٩٣	يوليو ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
اثنين	١	٣٠	٣ ٢٦	٥ ٩	١١ ٥٤	٣ ٣٠	٦ ٤١	٨ ٩	٨ ٤٤	١٠ ٢٥	٥ ١٣	٨ ٤٨	١ ٢٨
ثلاثاء	٢	٣١	٢٧	٧	٥٤	٣٠	٤١	٨	٤٩	٢٦	١٣	٤٩	٢٧
اربعاء	٣	اغسطس	٢٨	٧	٥٤	٣٠	٤٠	٧	٤٨	٢٧	١٤	٤٩	٢٧
خميس	٤	٢	٢٩	٨	٥٤	٣٠	٣٩	٦	٥٠	٢٩	١٥	٥٠	٢٧
جمعة	٥	٣	٣٠	٨	٥٤	٣٠	٣٨	٥	٥١	٣٠	١٥	٥١	٢٧
سبت	٦	٤	٣١	٩	٥٤	٣٠	٣٨	٤	٥٣	٣١	١٦	٥٢	٢٦
احد	٧	٥	٣١	٩	٥٣	٣٠	٣٨	٣	٥٤	٣٢	١٦	٥٢	٢٦
اثنين	٨	٦	٣٢	١٠	٥٣	٣٠	٣٦	٢	٥٦	٣٤	١٧	٥٣	٢٦
ثلاثاء	٩	٧	٣٣	١١	٥٣	٣٠	٣٦	١	٥٨	٣٥	١٨	٥٤	٢٥
اربعاء	١٠	٨	٣٤	١١	٥٣	٢٩	٣٥	٠٠	٥٩	٣٦	١٨	٥٤	٢٥
خميس	١١	٩	٣٥	١٢	٥٣	٢٩	٣٤	٥٩	٩ ٠١	٣٨	١٩	٥٥	٢٥
جمعة	١٢	١٠	٣٦	١٣	٥٣	٢٩	٣٤	٥٨	٢	٣٩	٢٠	٥٦	٢٥
سبت	١٣	١١	٣٧	١٣	٥٣	٢٩	٣٣	٥٧	٤	٤٠	٢٠	٥٧	٢٤
احد	١٤	١٢	٣٨	١٤	٥٣	٢٩	٣٢	٥٦	٦	٤٢	٢١	٥٧	٢٤
اثنين	١٥	١٣	٣٨	١٤	٥٣	٢٩	٣١	٥٥	٧	٤٣	٢٢	٥٨	٢٤
ثلاثاء	١٦	١٤	٣٩	١٥	٥٣	٢٩	٣٠	٥٤	٩	٤٥	٢٣	٥٩	٢٤
اربعاء	١٧	١٥	٤٠	١٥	٥٢	٢٨	٢٩	٥٣	١١	٤٦	٢٣	٥٩	٢٤
خميس	١٨	١٦	٤١	١٦	٥٢	٢٨	٢٨	٥١	١٣	٤٨	٢٤	٠٠	٢٣٩
جمعة	١٩	١٧	٤١	١٦	٥٢	٢٨	٢٧	٥٠	١٤	٤٩	٢٥	١	٢٣
سبت	٢٠	١٨	٤٢	١٧	٥٢	٢٧	٢٦	٤٩	١٦	٥١	٢٦	١	٢٣
احد	٢١	١٩	٤٣	١٧	٥١	٢٧	٢٥	٤٨	١٨	٥٢	٢٦	٢	٢٣
اثنين	٢٢	٢٠	٤٤	١٨	٥١	٢٧	٢٤	٤٦	٢٠	٥٤	٢٧	٣	٢٢
ثلاثاء	٢٣	٢١	٤٥	١٩	٥١	٢٧	٢٣	٤٥	٢٢	٥٦	٢٨	٤	٢٢
اربعاء	٢٤	٢٢	٤٦	١٩	٥١	٢٦	٢٢	٤٤	٢٤	٥٧	٢٩	٤	٢٢
خميس	٢٥	٢٣	٤٧	٢٠	٥١	٢٦	٢١	٤٣	٢٦	٥٩	٣٠	٥	٢٢
جمعة	٢٦	٢٤	٤٨	١٠	٥٠	٢٦	٢٠	٤١	٢٨	١ ٠٠	٣٠	٦	٢١
سبت	٢٧	٢٥	٤٩	٢١	٥٠	٢٥	١٩	٤٠	٣٠	٢	٣١	٦	٢١
احد	٢٨	٢٦	٤٩	٢١	٥٠	٢٥	١٨	٣٩	٣٢	٤	٣٢	٧	٢١
اثنين	٢٩	٢٧	٥٠	٢٢	٤٩	٢٤	١٦	٣٧	٣٤	٦	٣٣	٨	٢١
ثلاثاء	٣٠	٢٨	٥١	٢٢	٤٩	٢٤	١٥	٣٦	٣٥	٧	٣٤	٨	٢١



- مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد الدار بن قصي القرشي .
- اسلم بعد دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وكان من جلة الصحابة وفضلائهم .
- هاجر الى الحبشة في أول من هاجر اليها ثم شهد بدرا حاملا الراية .
- بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة قبل الهجرة بعد العقبة الثانية يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين .
- أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة .
- حمل الراية يوم أحد حتى استشهد ، قتله ابن قمئة الليثي عن عمر يزيد عن الأربعين بقليل .
- نزلت فيه وفي أصحابه الآية (من المؤمنين رجـــال صدقوا ما عاهـــدوا الله عليه ... الآية ......)

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) . بنغــازى : مكتبة الخـــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .
المغـــرب	:	الدار البيضاء ـــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧) .
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

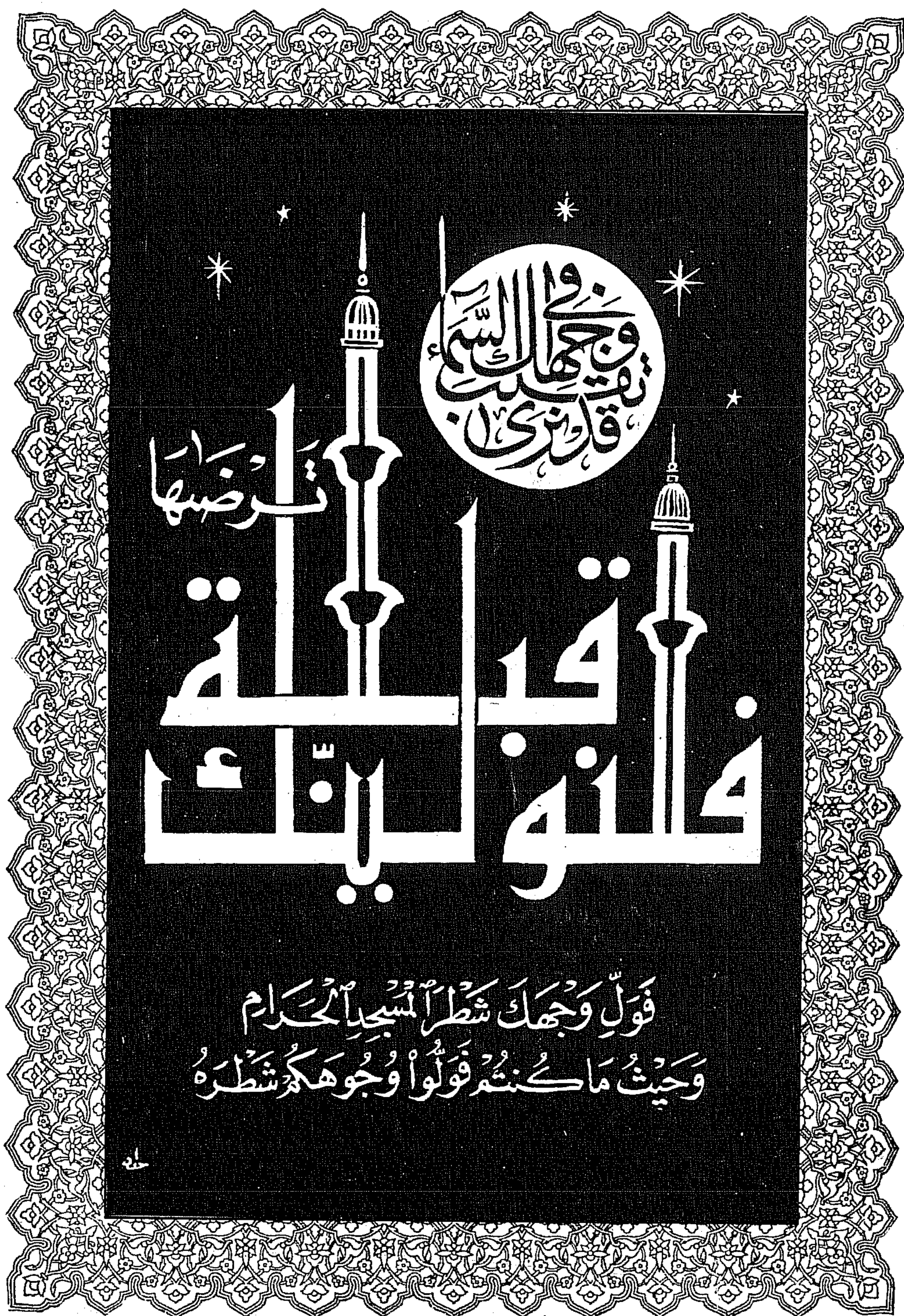
اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٠٤) غرة شعبان ١٣٩٣ هـ — ٢٩ اغسطس (آب) ١٩٧٣ م .




قد نرى تقلب وجهك في السماء
فلنولينك قبلة ترضاها
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ



الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

العدد (١٠٤)

غرة شعبان ١٣٩٣ هـ

٢٩ أغسطس (آب) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الأفراد فيشتركون راسا

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي — وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ — كويت — هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

حديث الشهر

خواطر

الصمود الفكرى

ترتفع فى هذه الأيام صيحات الغيورين على الاسلام مطالبة المسلمين بضرورة الصمود الفكرى فى مواجهة التيارات الفكرية والغزوات الالحادية التى يتعرض لها دينهم وكتابهم ونبيهم وتاريخهم ، لأن هذا الصمود هو الدرع الواقى الذى تتحطم على صخرته الصلبة الآراء المشبوهة والأفكار الضالة ، ويحفظ للأجيال المسلمة عقيدتها ويحمى رسالتها ، ويقيها شر التردى فى هاوية البعد عن الله ، ويجنبها عقبى الضياع والانسلاخ من الايمان الحق بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر .

وترتفع هذه الصيحات المؤمنة فى وقت بدأ فيه الغزو الفكرى المشبوه يتفاعل فى قلوب وعقول نفر من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا وينتسبون الى ديننا بيد أنهم مفتونون فى تفكيرهم وآرائهم . فى دينهم وايمانهم ، فى قلوبهم وعقولهم والسنتهم .. فالاسلام عندهم ليس الا نهضة عربية كانت وزالت ، وقائد هذه النهضة محمد صلى الله عليه وسلم ليس الا عبقريا فلا نبوة ولا أنبياء ، والذى جاء به ليس وحيا أوحى اليه ، فلا وحى ولا ايحاء ، وشريعته التى وضح معالمها وأبان مناهجها فات أوانها وانتهت صلاحيتها ، والألوهية لا مكان لها فى عصر التقدم العلمى الطبيعى والاباحية والفوضى الخلقية حرية شخصية ، والتهجم على الأديان والسخرية منها حرية فكرية ، والدعوة الى تحكيم شريعة الله تخلف ورجعية .. الى آخر هذه الحماقات والجهالات التى وسوس بها اليهم شياطينهم من الأنس من عبدة المادة .

ومن هنا نستطيع أن نعلن فى صراحة أن الغزو الفكرى أشد خطرا من الغزو العسكرى والاستيلاء على العقول أبعد مدى من احتلال الأرض والسيطرة على القواعد والثغور والخسارة فى القلب والفكر أفدح من الخسارة فى المال والجسم ، وما يخربه الأعداء من الدور والجسور يسهل تجديده واعادته أروع وأضخم مما كان ، وما يخربونه من القلوب ويفسدونه من العقول يعسر تطهيره وتعميره ، ويصعب اصلاحه وتقويمه والأمة التى تترك آفاق فكرها وعقلها دون رقابة ولا حراسة تتعرض لأشد الغزوات فتكا ويتخطفها أعداؤها من كل جانب .

ومن هنا تظهر حتمية الصمود الفكرى لمواجهة الغزو الفكرى المشبوه والصمود هو الثبات على الحق عن اقتناع ، والاستمساك به عن وعى وادراك « فاستمسك بالذى أوحى اليك أنك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

تجفيف منابع الاثم :

الآثام والشهوات المحرمة ، وهى مفسدة للدين والخلق ، مضيعة للمال ، هادمة للجسد . مقبرة للطهر والفضيلة ، والغارقون فى الآثام لا ينهضون بواجب ، ولا يؤتمنون على عمل ، ضمائرهم ميتة ، وارادتهم منحلة ، وعزائمهم رخوة ، وآمالهم فى بطونهم وفروجهم ، ومن هذه مواصفات حياتهم يفسدون ولا يصلحون ، ويهدمون ولا يبنون ويعيشون عبيدا ، ويموتون عبيدا ، وبطن الأرض خير لهم من ظهرها .

ومنابع الاثم موارد الهلكة ومواطن الفجور ومنابت السوء وسوق الفساد ومجتمع الشياطين .. فأندية القمار ، ومشارب الخمر ، وبيوت الخنا منابع الاثم .. والاختلاط والتبرج والتكشف والصور العارية ، واستغلالها فى الدعاية والاعلان ، ووسائل الاثارة والاغراء والمراقص والملاهى . كل هذه منافذ مفتوحة موصلة الى منابع الإثم وموارد الهلكة والأمة التى تشيع فيها الآثام ، وتقوم على أرضها موارد الهلكة تفتن الغاوين والغاويات أمة منحلة منهارة لا يجتمع لها شمل ولا تقوم لها قائمة ، فريسة سهلة ولقمة سائغة للطامعين والعادين .

والدعوات المخلصة التى تتردد فى أنحاء الوطن الاسلامى لاقامة مجتمع مسلم يحمى عقيدته ويحمل رسالته ويتبوأ مكانته يجب أن يبدأ بتجفيف منابع الاثم وسد موارد الهلكة وازالة مواطن الفجور ، وبذلك نحمى شبابنا من الانحلال ، ونعد لجلائل الأعمال ونأخذ بأسباب العزة والنصر .

مراكز الدعوة والتوجيه :

تطورت مراكز الدعوة والتوجيه فى هذا العصر تطورا كبيرا ، كما تطورت وسائلها وأساليبها ، فلم تعد محصورة فى المسجد والمنبر ، ولا فى الدرس والخطبة .. فالاذاعة والتلفزيون والصحف والمجلات والأفلام والتمثيليات من أكبر مراكز التوجيه وأشدها تأثيرا وأبعدها مدى ولكى تحقق هذه المراكز رسالتها الكبرى يجب أن يكون القائمون عليها من أصحاب الدين المتين والخلق الفاضل والعمل الصالح والقدوة الحسنة ، ويجب أن تكون برامجها متناسقة متكاملة يساند بعضها بعضا .. تدعو الى الفضيلة ، وتنفر من الرذيلة ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كما يعبر القرآن الكريم .

ولكى يتم اقامته على أساس اسلامى سليم يجب تنحية الغرباء عن أفكارهم الذين تسللوا الى هذه المراكز لأنهم حولوها الى مراكز افساد والحاد ، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج .

رضوان البيلى



توجيهات الإسلام في الأزمات النفسية

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

ورد فى صحيح البخارى :

عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابى سيف القين وكان ظئرا لابراهيم ، فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم فقبله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان . فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : وانت يا رسول الله ؟ فقال : « يا ابن عوف : انها رحمة » ، ثم اتبعها باخرى ، فقال : « ان العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول الا ما يرضى ربنا ، وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » — رواه موسى عن سليمان عن ثابت عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم .

اولا — فذلكة فى مفردات الحديث :

أبو سيف : هو البراء بن أوس ، وأم أوس زوجته : هى أم بردة واسمها خولة بنت المنذر ، روى ابن سعد فى كتاب (الطبقات) عن يعقوب بن أبى صعصعة : لما ولد ابراهيم تنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أم بردة بنت المنذر بن زيد بن لبيد من بنى عدى بن النجار ، وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد من بنى عدى بن النجار أيضا ، فكانت ترضعه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه فى بنى النجار .

والقين : هو الحداد ، وقيل يطلق على كل صانع ، والجمع اقيان وقيون ، قال ابن السكيت : قلت لعمارة : ان بعض الرواة زعم أن كل عامل قين ، فقال : كذب ، انما القين من يعمل بالحديد ويعمل بالكير ، ولا يقال للصائغ قين ولا للنجار قين ، واما القينة (بالتاء) فهى المغنية وهى كلمة هذلية ، وقد وردت لاستعمالات كثيرة تختص بالجوارى وغير ذلك .

الظئر : بكسر المعجمة ، وسكون المهموز : المرضع وأطلق على البراء ذلك لأنه كان زوجا للمرضعة ، وأصل الاستعمال اللغوى : أن الظئر هى العاطفة على ولد غيرها المرضعة له من الناس والابل ، والجمع أظؤر ، وأظآر وظؤور ، وهو عند سيبويه اسم للجمع ، لأن فعلا ليس مما يكسر على فُعلة عنده .

وابراهيم : هو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية المصرية التى أهداها اليه المقوقس عظيم القبط حينذاك بمصر ، وقد ورد فى صحيح الامام مسلم ما نصه : « .. ولد الليلة غلام فسميته باسم أبى ابراهيم .. ثم دفعه الى أم سيف امراة قين بالمدينة يقال له : أبو سيف فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته ، فانتهى الى أبي سيف وهو ينفخ كيره ، وقد امتلأ البيت دخانا ، فأسرعت المشى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ياأباسيف ، امسك ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الخ » . وفى رواية أخرى للامام مسلم أيضا : « .. ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كان ابراهيم مسترضعا فى عوالى المدينة ، وكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت ، وانه ليدخن ، وكان ظئره قينا .. » .

يجود بنفسه : تقول العرب : هو يجود بنفسه ، معناه يسوق بنفسه ، من قولهم : أن فلانا ليجاد الى فلان ، أى يساق اليه ، وفى الحديث : فاذا ابنه ابراهيم عليه السلام يجود بنفسه ، أى يخرجها ، ويدفعها كما يدفع الانسان ما له يجود به ، والجود : الكرم ، يريد أنه كان فى النزع وسياق الموت ، ويقال : جيد فلان ، اذا اشرف على الهلاك ، كأن الهلاك جاده ، ويقال : إنى لأجاد الى لقائك أى اشتاق .

تذرفان : اى يجرى دمعهما ، ومذارف العين مدامعها ، والمذارف المدامع ، واستذرف الشىء استقطره ، واستذرف الضرع دعا الى أن يحلب ويستقطر .

وأنت يا رسول الله .. ؟ : فى هذا الاستفهام معنى التعجب ، ولما كانت الواو تستدعى معطوفا عليه كان المراد : الناس لا يصبرون على المصيبة وأنت تفعل فعلهم .. ؟ فتعجب عبد الرحمن بن عوف مما رأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عهده منه أنه يحث على الصبر وينهى عن الجزع ، ولهذا كان جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انها رحمة » أى أن ما شاهدته منى ، منشؤه رقة القلب على الولد لا ما توهمت من الجزع ، وفى رواية أخرى للحديث عن عبد الرحمن بن عوف نفسه : « فقلت : يا رسول الله تبكى ! أولم تنه عن البكاء .. ؟ وزاد فيه : انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير الشيطان ، وصوت عند مصيبة وخمش وجه وشق جيوب ورنة شيطان ، وانما هذا رحمة ومن لا يرحم لا يرحم » .

أى بكلمة مفصلة هى قوله صلى الله عليه وسلم : « أن العين تدمع .. الخ . وقد جزم الواقدى بأن ابراهيم مات يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة عشر ، وقال ابن حزم : انه مات قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر واتفقوا على أنه ولد فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة الكبرى ..

ثانيا : ان ما رأى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يندرج تحت الجزع بحال أبدا ، فأحواله صلى الله عليه وسلم تبدى نقيض ذلك — ومن يصبر اذا جزع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ؟! وانما هي (الرحمة) كما مر آنفا ، ويشهد لهذا أنه صلى الله عليه وسلم قد لبث ثلاثة وعشرين عاما يواصل الدعوة الى الله تعالى ليل نهار صباح مساء لا يني ولا يكل صابرا على ما يلاقى من أعدائه أعداء دعوته ومعانديه وخصومها الألداء ، صامدا لا يتراجع ولا يتقاعس ، ولا يهاب في سبيلها الأهوال ، ولا تزعجه المعوقات مهما كانت عاتية مبيدة ، محتسبا عناءه وبلاءه عند الله تبارك وتعالى ، وقد أدركته في رحلة الدعوة محن لا حصر لها ، واحن تفوق الوصف ، وهو يعلم موقنا أن من جاء بما يخالف ما عليه الناس عودي وحورب وأخرج من دياره وأهله ، ولهذا وردت آيات كثيرة بالكتاب العزيز حاثة على الصبر ، وأصفة الجزاء الأوفى الذي ينتظر الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، وقد وعى عنه صلى الله عليه وسلم ذلك صحابته رضوان الله عليهم ، وأخذوا أنفسهم وأهليهم بتعاليمه حذوك القذة بالقذة(١) يترسمون خطاه ، يعملون ما يعمل ، ويتركون ما ترك ، فمما رواه البخاري أنه قال : حدثني أبو بردة بن أبي موسى رضي الله عنه قال : « وجع أبو موسى وجعا شديدا فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئا(٢) فلما أفاق قال : أنا بريء ممن بريء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من الصالقة والحالقة والشاقة »(٣) .

وقد غصت كتب السنة بالأحاديث الشريفة الداعية الى الصبر ، واحتمال المكاره برحابة صدر ، وتفويض الامور الى الله ، وحده ، والرضا بقضائه وقدره بالصورة الجادة التي سار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم ، لا بالصورة الخانعة الذليلة التي يأباها الاسلام كل الإباء ، والتي أضفت على المجتمع الاسلامي صورة قذرة قاتمة أخرت المسلمين وربطتهم في حظائر السوائم تحت عنوان الجمود والرضوخ للأمر الواقع المزرى ، ويشهد الله أن الايمان بالقضاء والقدر كما يريد الله ورسوله يدفع الجماد الى الحركة ويقود الاعمى الى أقوم طريق ، وما رضي رسول الله لأحد من أمته أن يستكين لحزن أو لمصيبة أو يخضع لقارعة زمن وبلاء أم دهر .

قالت عائشة رضي الله عنها : « لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس يعرف فيه الحزن وأنا أنظر من صائر الباب — شق الباب — فأتاه رجل فقال : ان نساء جعفر ! وذكر بكاءهن ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينهاهن فذهب ، ثم أتاه الثانية فقال : ان نساء جعفر لم يطعنه — أي لم يطعن الرجل — فقال : انههن ، فأتاه الثالثة ، وقال : والله غلبننا يا رسول الله ، فزعمت انه قال : فاحث في أفواههن التراب ، فقلت — أي عائشة — أرغم الله أنفك لم تفعل ما أمرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تترك رسول الله من العناء »(٤) ، قال النووي : « معناه أنك قاصر لم تقم بما أمرت به من الانكار ، ولم تخبر رسول الله صلى الله عليه

وسلم بعجزك عن التنفيذ لأوامره حتى يرسل غيرك فيستريح من عناء مراجعتك له وتكرار الأمر » .

والمستحق لاسم الصبر هو الذي لا يظهر عليه حزن فى جارحة ولا لسان ، قال الطبرى : روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه نعى اليه أخوه عتبة فقال : لقد كان من أعز الناس على ، وما يسرنى أنه بين أظهركم اليوم حيا : قالوا : وكيف ، وهو من أعز الناس عليك ؟! قال : انى لأن أؤجر فيه أحب الى من أن يؤجر هو فى ، وروى أن الصلت بن اشيم مات أخوه فجاءه رجل وهو يطعم فقال : ان أخاك قد مات ، قال : هلم فكل فقد نعى الينا من قبل ، قال الرجل : والله ما سبقنى اليك أحد ، فمن نعاه اليك ؟! قال : يقول الله تبارك وتعالى : « انك ميت وانهم ميتون » . وقال العلماء : ان منتهى الصبر أن يكون المرء يوم تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه ، وأما جزع القلب وحزن النفس ودمع العين فان ذلك لا يخرج العبد من معانى الصابرين اذا لم يتجاوز الى ما لا يجوز فعله أو قوله ، قال عمر رضى الله عنه نعم العدلان (بكسر العين المهملة) ونعم العلاوة : « الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » والعدلان : المثلان : الصلوات والرحمة ، والعلاوة أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المهتدون ، وهو ثناء عظيم من الله تعالى على الصابرين .

ثالثا : ومن الناس من يستولى عليهم الجزع(٥) فيسلبهم الارادة والتعقل ، ويدعهم حيرى فاقدى الصواب وربما زاد الجزع عن حده فأبعد صاحبه عن مسالك العقلاء المؤمنين ، فشق جيبه ولطم خده ودعا بدعوى الجاهلية ، وتلك أمور مستقبحة ينهى عنها الشارع الحكيم ، ووصف الادوية الناجعة التى تبعد صاحبها عن مدراج الجازعين ، وتنأى به عن مهاويهم ، وتصعد به فى روحية كريمة الى السمو بنفسه الى مصاف المتعالين على الاحداث المترفعين عن الاسفاف والتدنى بانسانيتهم ، الذين يزنون صروف الدهر بميزان الحقيقة الواقعة ، وهى أن خضوع تصاريف الأقدار لارادة الانسان محال :

ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب فى الماء جذوة نار

ولا ينجو انسان مهما علت مكانته أو نزلت مما يعكر عليه صفو الحياة فى أى شكل من الاشكال ، فلا عاصم من أمر الله الا من رحم ، فمن فحص وفتش العالم من أقصاه الى أقصاه فى ماضيه وحاضره لا يجد الا مختبرا اما بفوات مطلوب ، أو حصول ما هو مرغوب فيه ، فسرور الدنيا أوهام حالم وخيال شاعر ، وسعادتها هباء ووباء ، ومن سره زمن أساءته أزمان ، ولقد قالت هند بنت النعمان : لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس واشدهم ملكا ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن أقل الناس.وسألها بعضهم الحديث عما كان من أمرها فأجابت :

اصبحنا ذات صباح وما فى العرب احد الا وهو يرجونا ، ثم أمسينا وما فى العرب أحد الا وهو يرحمنا وتمثلت :

فبينا نسوس النـــاس والأمر أمرنا   اذا نحن فيهم ســـوقة نتنصف
فأف لدنيـــا لا يدوم نعيمهـــا   تقـــلب تارات بنا وتصـــرف

على أن الجزع لا يدفع المصائب وانما يزكيها ويضاعفها فهو يشـــمت العدو ، وما أقسى شماتة الأعداء ، لقد استعاذ منها رسل الله عليهم صـــلاته وسلامه ، وحكى القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام فى الآية المـــائة والخمسين من سورة الأعراف « .. فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين » .. وقال الشاعر :

كل المصـــائب قد تمر على الفتى   وتهـــون غير شـــماتة الأعداء

والجزع يغضب الله ورسوله ، ويحبط الأجر ، ويضعف النفس ، وقد يلاشى صاحبه من الوجود الانسانى الكريم ، ونعود فنشير الى أن الانسان خلق ضعيفا ، وأنه حساس لا بد أن تخزه المصيبة وخزا ولو ضئيلا ، وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب المثل ليقتدى به فى تلقى المصـــائب والصمود لها ، فهو يتألم لما رأى ما نزل بفلذة كبده ، يتألم كانسان ، وقد ورد أنه قال : « انما أنا بشر » ، وهنا يتجه اليه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، يتجه الى الاسوة والقدوة ويقول : وأنت يا رســـول الله ؟! ما هذا الذى نرى من دموعك الطاهرة تتحدر على وجنتيك الشريفتين ، ويجيب سيد الخلق عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام : ليس هذا جزعا يا ابن عوف وانما هى الرحمة ، وقد حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لموت ابراهيم ، والحزن نقيض السرور ، أى انقبض قلبه وتألم وتحسر لفراقه ، ولكن مع الايمان الراسخ بقضـــاء الله وقدره ، واحتساب ذلك الصبى الطاهر عند الله وما عند الله خير للأبرار ، والحزن قد يدفع الى العمل المثمر ، فالحزين العاقل المؤمن يرى أن الحياة جد لا لهو فيها لمدرك غورها وسابر كنهها ، فيها يفنى الجديدان كل شىء ويأتيان على كل طارف وتليد ، ولا يبقى من الانسان الا ذكراه ، والذكر للانسان عمر ثان ، فيحمله ذلك على فعل المكرمات وتقوية الفضائل ، ودفع الضر عن النـــاس ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ويحاول أن يكون رسول سعادة وسلام للبشرية جمعاء ، والصبر على البلاء من عزم الأمور ، وفى وصايا لقمان لابنه « واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور » ورب ضارة نافعة :

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت   ويبتلى الله بعض القـــوم بالنعم

والمحن أدوية لغرور العباد ، وتهذيب لصلفهم ، وهدم لكبريائهم ، واشعار لهم بأن للـــكون مدبرا بيده الأمر والنهى ، فلو ثاب هؤلاء المـــارقون الى ربهم وتضرعوا اليه ليكشف ما مسهم من ضر لاستجاب لهم ، كما مر ذلك بأصفيائه وأوليائه بل برسله الكرام الذين انقطعوا لجلال عزه ومجده وفوضوا كل أمورهم لله رب العالمين فاصطفاهم واجتباهم وهداهم صراطه المستقيم ، ولنتأمل كيف اســـتجاب الله لذى النون يوم دعاه بعد أن ذهب مغاضـــبا قال تعالى :

« وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمــــات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاســـتجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين » ولولا انه لجأ الى مولاه لكان من أمره أن لبث فى بطن الحوت ، دهرا طويلا « فلولا انه كان من المســـبحين للبث فى بطنـــه الى يوم يبعثون » .

وخلاصة القول : أن الحديث الشريف يرسم خطة الصبر مع اظهـــــار الشعور الانسانى بالحزن الذى لا يخدش الدين ولا يغضب رب العالمين ، وأن العائذ بحمى الله اللاجىء اليه مقبول منصور معافى مما يبعده عن ساحة رب العالمين ، فاللهم نجنا بلطفك من بلاء الدنيا ، واجمعنا فى الآخرة فى رحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١) القذة : ريش السهم (وحذو القذة بالقذة) قال ابن الاثير مثل يضرب للشيئين يستويان ولا يتفاوتان وقد ورد هذا فى كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ، ومنه « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » .

(٢) وفى رواية الامام مسلم : « اغمى على أبى موسى واقبلت امرأته أم عبد الله تصـــيح برنة » ..

(٣) الصالقة : هى التى ترفع صوتها عند المصيبة ، والصلق : الصياح والولولة والصوت الشديد ..
والحالقة : هى التى تحلق شعرها لدى النوازل والدواهى .
والشاقة : هى التى تشق ثيابها اذا نزلت بها كارثة كموت عزيز او فراق حبيب .

(٤) وقصة النفر الثلاثة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد ارسلهم فى ثلاثة آلاف مقاتل الى أرض البلقاء بالشام فى جمادى الاولى سنة ثمان للهجرة واستعمل عليهم زيدا وقال : ان اصيب زيد فجعفر ، فان اصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس فخرجوا وخرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم ، ثم مضوا حتى نزلوا (معان) من أرض البلقاء ، واشتبكوا مع هرقل ، وانحاز المسلمون الى قرية (مؤتة) ثم احتدم القتال ، فقتلوا الواحد تلو الآخر ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد رضى الله عنهم جميعا وقاتل حتى انتصر ، قال خالد رضى الله عنه : « لقد انقطعت فى يدى يوم مؤتة تسعة أســـياف فما بقى فى يدى الا صفيحة يمانية .. » . والثــلاثة الشهداء هم :

أ) زيد بن حارثة : هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى الكلبى القضـاعى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله يحبه حبا شديدا ، روى أحمد والنسائى عن عائشة رضى الله عنها قولها : « ما بعث رســـول الله زيد بن حارثة فى سرية الا أمره عليهم ولو بقى بعده لاستخلفه » .

ب) وجعفر : هو ابن أبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يكبر أخاه عليا بعشر سنوات اسلم ثم هاجر الى الحبشة ، وبشره الرسول الكريم بالشـــهادة فهو من المقطوع لهم بالجنة .

هـ) وابن رواحة : هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن عمرو ، اسلم مبكرا ، وشهد بيعة العقبة وبدرا وأحدا والخندق وخيبر ، وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهادة فهو من المقطوع لهم بالجنة .

(٥) الجزع : نقيض الصبر ، والجزوع ضد الصبور على الشر ، وقد ورد فى محكم التنزيل الحكيم وصفا للانسان : « .. اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا » .

٣
منهج القرآن الكريم في بيان الأحكام

للدكتور / محمد حسين الذهبى

للقرآن الكريم فى بيان الأحكام منهج فريد اقتضته ضرورة كونه عالميا خالدا . ويتلخص هذا المنهج فى النقاط التالية :

١ ــ ان بعض احكامه جاءت بصيغة قاطعة فى الدلالة على الحكم ، فلم يكن محل اجتهاد ولا خلاف بين الفقهاء ، وهذا ــ عادة ــ يكون فى اصول الأحكام كوجوب الصلاة والزكاة وحرمة القتل والزنى ، وهذه الأحكام يجب اعتقادها ، ويلزم العمل بها ، ومن جحدها كان بجحودها خارجا عن الاسلام .

٢ ــ ان بعضا آخر من احكامه جاء بصيغة غير قاطعة فى الدلالة على الحكم ، لاحتمالها اكثر من وجه فكانت محلا لاجتهاد المجتهدين ، ونتج عن ذلك اختلافهم فى الرأى ، وذلك يكون ــ عادة ــ فى فروع الأحكام كمقدار ما يجب مسحه من الرأس فى الوضوء وعدد الرضعات التى يتحقق بها كون المرضع أما من الرضاع . وهذه الأحكام الاجتهادية التى قال بها الفقهاء لا يجب اعتقاد واحد منها بعينه ، كما لا يجب العمل به إلا على المجتهد الذى توصل اليه باجتهاده ،أما المقلد فله ان يختار من بين آراء المجتهدين ما شاء .

٣ ــ أن القرآن لم يتناول كل الأحكام التى يحتاجها الأنسان فى حياته جملة وتفصيلا ، لانه ليس من المعقول ولا من الحكمة أن ينص

القرآن على أحكام كل ما يعرض للناس من أقضية في ماضيهم وحاضرهم، ومستقبل حياتهم الممتدة الى يوم القيامة .

أما أنه ليس من المعقول : فذلك أمر بدهي ، إذ لا يتصور عقل ان يتسع كتاب لهذا كله .

وأما أنه ليس من الحكمة : فذلك لأن الحكمة تقضي أن تكون الشريعة التي جعلها الله خاتمة الشرائع وجعلها للناس كافة ، شريعة يكون فيها جانب المرونة محققا حتى تتسع لأنماط من الحكم مختلفة ، يقتضيها اختلاف طبائع المكلفين وما يحيط بهم من ملابسات وظروف على مدى تاريخ الاسلام الطويل .

وحسب القرآن الكريم أن يقرر الأصول العامة ويتناول بعض الجزئيات الهامة ويقرن كل هذا بعلة التشريع وما يهدف إليه من مصلحة ، ثم يترك للمجتهدين بعد ذلك ان يستنبطوا من الأحكام ما يلائمهم بشرط الا يخرج عن نطاق ما قرره من الأصول العامة ، وما نبه إليه من علة التشريع التي هي مناط الحكم .

٤ — أن القرآن لم يلتزم وحدة الموضوع في بيان أحكامه لأنه ليس كتاب قانون يبوب لكل موضوع بابا ثم يسرد كل مسائله ، وإنما هو كتاب هداية وارشاد : يسوق الآيات تلو الآيات في جانب من جوانب الموعظة ، ويتوخى المناسبة الملائمة فيسوق في ثنايا موعظته حكما شرعيا ويضفي عليه جوا من الترغيب أو الترهيب يوحي بوجوب الأخذ به ، ويحذر من مخالفته .

وفي جانب آخر من جوانب الموعظة يلقي بحكم آخر يضفي عليه من جو الترغيب أو الترهيب ما يحتم الأخذ به ويحذر من مخالفته .

وهكذا يلقي القرآن بأحكامه كلها في أجواء مختلفة من الوعظ والهداية والإرشاد ، وفي كل مرة يحس السامع بأنه يسمع شيئا جديدا ، فيقبل عليه بشوق ولهفة دون أن يحس بسآمة أو ملل .

ثم أن القرآن الكريم نزل مفرقا وأحكامه نزلت مفرقة على حسب الحوادث وأسئلة السائلين وحاجات الناس ، ومن الأحكام ما هو منسوخ بأحكام أخرى ، فلو جمعت كل الأحكام ناسخها ومنسوخها في مكان واحد وتحت عنوان واحد ، لظهر القرآن بمظهر المتناقض في بعض أحكامه . أما أن توضع آية متضمنة حكما في موضع ما ولمناسبة ما ، ثم توضع آية أخرى ناسخة لها في موضع آخر ولمناسبة أخرى ويعرف بطريق ما أن هذه ناسخة وتلك منسوخة ، فذلك يوحي بتدرج التشريع ، ويعطي القارىء المتأمل فكرة واضحة عن مراحله من غير أن يستشعر تناقضا بين أحكامه .

بقي سؤال يثار حول التشريع القرآني وهو :

هل كل ما في القرآن من تشريع يعد جديدا غير مسبوق ؟

وللجواب عن هذا السؤال نقول :

إن القرآن الكريم نزل للناس جميعا ونزوله — كما قلنا — كان لغرض الإعجاز أولا ثم ليكون مصدر هداية وإرشاد بما احتواه من تشريع وتوجيهات مختلفة وبدهي أن أي تشريع يراد له أن يكون صالحا لتنظيم حياة أمة وعلاج مشاكلها في حاضرها ومستقبل أمرها ، لا بد أن تتوفر فيه عناصر أربعة :

١ — أن يكون ملائما للفطرة البشرية ملاءمة تامة حتى لا يصادمها ولا يعاندها في أمر جبلت عليه ، ومن هنا حرم نكاح الأمهات والبنات في

كل الشرائع المعتبرة تحريما باتا ، ولو عرف أن تشريعا أباح ذلك لعد شذوذا وخروجا عن الانسانية الى الحيوانية .

٢ — أن يكون ملائمـــا للقدرة الانسانية غير خارج عن طاقتها ، والا كان تعنتا وتعجيزا ينافى مفهـــوم التكليف الذى يهدف الى الامتثـــال والطاعة ومن هنا شرع التيسير فى كثير من الأحكام عند تحقق المشقـــة او مظنتها كاباحة الفطر فى السفـــر والصلاة قاعدا لمن عجز عن أدائهـــا من قيام .

٣ — أن يكون ملائمـــا للسنن الاجتماعية فلا ينافرها ولا يعطلهـــا وإلا كان ذلك خروجا عما تقتضيـــه طبيعة الجماعات فى ترابطها وتعاونها وتكاملهـــا ، ومن هنا شرعت قوانين الولاء لولى الأمر ، وقوامة الزوج على زوجته ، وولاية الوالد عـــلى ولـــده القاصر .

٤ — أن يكون مراعيا للعرف وما اصطلح عليه الناس فى معاملاتهم ، مالم يؤد ذلك الى مفسدة ، لفساده فى ذاته ، أو فساد ما يترتب عليه ، ومن هنا حرم التبنى ، وحـــرم الجمع بين الأختين فى الزواج ، وكلاهما كـــان متعارفا بين العرب قبل الاسلام فجاء الاسلام وحرم الأول لفساده فى ذاته ، لأن الدعى لا يكون ابنا ، وحرم الثانى ، لفساد ما يترتب عليه من قطيعة الرحم التى تنشأ — عادة — بين الأختين إن كانتا تحت زوج واحد ..

والقرآن الكريم راعى كل العناصر المتقدمة فى تشريعه ، ونظر إليهـــا جميعا بعين الاعتبار فيما تضمنه من أحكام كلية كانت أم جزئية ، وعـــلى هذا الأساس جاء تشريع القرآن الكريم على نمط يتمشى مع عمومه وعالميته .. نمط يأخذ من كل دين وعرف ما يلائم طبيعة الإنسان ويدخل فى نطاق قدرته ، ويساير تطوره الاجتماعى ، وما لا يلائم طبيعته ، ولا يدخـــل فى نطاق قدرته ، ولا يساير تطـــوره الاجتماعى يبطله ولا يقره ، ثم هـــو بعد ذلك يشرع ما يراه متمشيا مـــع هذا كله .

وليس من شك فى أن القـــرآن الكريم جاء وهناك تشريعات قائمة ، بعضها منبثق عن شرائـــع سماوية ، وبعضهـــا الآخر منبثق عن أعـــراف خاصة لجماعات مختلفة .

وليس من شك — أيضا — فى أن القرآن الكريم وقف من كـــل هـــذه التشريعات موقف الناقد البصير : يقر منها ما يراه صالحا ، ويعدل منهـــا ما يحتاج الى تعديل ، ويبطل منهـــا ما يراه غير صالح ، ويشرع أحكاما أخرى لم تكن معروفة من قبل ، وهو فى كل هذا مشرع مستقل بنفسه ، وليس عالة على غيره من التشريعات أو الأعراف والعادات ، لأنه حين أقر ما أقر منها لم يقره على أنه مقلد لا رأى له ، وإنما أقره لأنه جرى ويجرى على مقتضى الطبيعة الانسانيـــة والسنن الاجتماعية ، وما كان لمشرع أبدا أن يحيد عما تقتضيه طبيعـــة الإنسان وسنن الاجتماع وإلا كـــان أحمق لا يعرف الحكمة ولا يـــدرك المصلحة .

وخلاصـــة القـــال :

١ — أن ما فى القرآن من تشريع ليس كله جديدا مبتكرا .

٢ — وأن موقف التشريع القرآنى من الشرائع السابقة كان على النحو التالى :

أ) أنه أقر بعض الأحكام وأبقاها معمولا بها فى الشريعة الاسلاميـــة لملاءمتها وصلاحيتها ، كالقصاص ، والديات فى القتل وغيره من الجنايات على النفس .

ب) أنه هذب وعدل بعضا آخـــر منها ، كالظهار الذى كان معروفا عند

العرب ، يقول الرجل لزوجته : انت على كظهر أمي ، فتصبح في عرفهم محرمة عليه ابدا ، فجاء القرآن وهم على ذلك ، فعدل حكم الظهار : فمن ظاهر من زوجته لا يعتبره القرآن مطلقا ولا محرما لها على التأبيد ، بل اعتبره عابثا بالحياة الزوجية ، وجزاؤه على ذلك : انه لا يحل له قربانها والاستمتاع بها حتى يكفر عن خطيئته بعتق رقبة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ، وفي ذلك يقول الله تعالى معاتبا ومعاقبا :

« الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور . والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم » (١) .

هـ) أنه الغى بعضا ثالثا منها : كالتبنى الذى كان معروفا فى الجاهلية وصدر الاسلام .

كان الرجل يتبنى ولد غيره وهو يعرف ذلك ، فينسبه الى نفسه ، وتجرى عليه أحكام الابن الصلبى من التوارث بينهما ، وعدم جواز نكاح احدهما زوجة الآخر إذا طلقها أو مات عنها ، فجاء القرآن فأبطل التبنى وما كان يترتب عليه .

فقال فى بيان انتساب الأدعياء المتبنين :

« .. وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » (٢) .

وقال فى ابطال التوارث بالتبنى :

« واولوا الأرحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا » (٣) .

وقال فى إباحة زواج المتبنى بزوجة من تبناه بعد فراقه لها :

« فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا »(٤)

.. يريد زينب بنت جحش ، وكان قد تزوجها زيد بن حارثة ثم طلقها ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد تبنى زيدا حتى كان يدعى زيد بن محمد ، فأمره الله بزواجها من بعده ، فكان ذلك هدما لعرف جرى عليه العرب فى الجاهلية .

د) وقد يقر القرآن بعض ما كان شائعا من أحكام لنوع المصلحة فيه ، ولكنه يحيط هذا الحكم الذى أقره بكثير من الضمانات حتى لا ينحرف به أحد عن حكمة التشريع .

ثم هو لا يكتفى بهذه الضمانات ، فينشىء من التشريعات ما يكاد يلغى هذا الحكم أو يوحى بعدم الرغبة فيه، وذلك كالرق فقد كان شائعا بين العرب فجاء القرآن واقر الاسترقاق فى الحرب ، لا على أنه اهدار لآدمية المسترق وحطم لمعانى الإنسانية فيه ، وإنما أعطاه كل حقوقه كانسان ، واعتبر الاسترقاق إدخالا له فى مدرسة الإسلام ، لعل قلبه يتفتح على ما فيه من الحق والهدى فينضوى تحت لوائه ، وفتح له مع ذلك أبوابا كثيرة يخرج منها الى الحرية التامة .

فمن ذلك : انه جعل تحرير الرقــاب المسترقة من افضل القرب واحبها الى الله .

ومن تخلى عن انانيته وطوعت له نفسه عتق عبده عن سماحــة نفس تخطى العقبة وسلك طريقــه الــى الجنة » (٥) .

ومن كان مسترقا يسعى للحصول على حريته ، فله فى مال الزكاة نصيب يأخذه ليشترى له حريته من سيده إن كان قد شح عليه بها .

ومن حلف يمينا ثم حنث فيهـــا فكفارته اطعـــام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة » (٦) .

ومن قتل مؤمنا خطأ فكفارته تحرير رقبة مؤمنة وديـــة مسلمـــة الى أهله » (٧) .

. ومن ظاهر من زوجته ثم اراد ان يعود لها فكفارته عتق رقبة » (٨) .

ومن أفطر متعمدا فى نهار رمضان فكفارته عتق رقبة أيضا » (٩) .

ومن لطم مخدومه أو ضربه فكفارته ان يعتقه » (١٠) .

ومن يتأمل الآيات القرآنية التـــى وردت فى الكفارات يخرج بحقيقتين هامتين :

الحقيقة الأولى : أن العتق هـــو الأصل فى الكفارة ، وأنه لا تخيير بين العتق وغيره من المكفرات إلا فـــى كفارة اليمين .

الحقيقة الثانية : ان العتق لا يعدل عنه إلى البديل وهو الصوم الا اذا لم يجد المكفر رقبة يعتقها .

ومعنى هذا : ان الاسلام يتشوف الى الحرية ويراها أحب الى اللــه وأرضى من الصـــوم وغيـــره مـــن العبادات والقرب .

ثم ان الاسلام يملك الرقيق نفسه ويعطيه حريته لأدنى مناسبة ، فإذا ما لاح للمسترق شعاع أمل فى الحرية من خلال نافذة ضيقة ، فتح الله له الباب على مصراعيه لينطلق منه إلى الحرية الكاملة ، كالأمة يستولدهـا سيدها فلا يحل له أن يخرجها عـن ملكه ببيع أو هبة أو نحوهما ، فاذا مات فهى حرة .

والعبد يكون بين شريكين فيعتق احدهما نصيبه فيعتق العبد كله ، ويضمن المعتق الأول نصيب شريكه إن كان له مال ، فان لم يكن له مال قوم نصيب من لم يعتق ، وسعى العبد فى تحصيله له من غير عنت ولا مشقة .

.. وهكذا يقر الاسلام امرا كان شائعا بين الناس ، ولكنه يحيطه بكل الضمانات التى تجعله لا يخـــرج عن نطاق الحكمة والمصلحة .. ثم هـــو بعد يلفيه بضروب من الجـــزاءات والعبادات والقرب الى الله .

(البحث بقية)

---

(١) الآيات ٢ ، ٣ ، ٤ ، من سورة المجادلة

(٢) فى الآيتين ٤ ، ٥ من سورة الأحزاب .

(٣) فى الآية ٦ من سورة الأحزاب .

(٤) فى الآية ٣٧ من سورة الأحزاب .

(٥) انظر الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، من سورة البلد .

(٦) انظر الآية ٨٩ من سورة المائدة .

(٧) انظر الآية ٩٢ من سورة النساء .

(٨) انظر الآية ٣ من سورة المجادلة .

(٩) عـلى خلاف بين الفقهاء فى ذلك .

(١٠) هذا نص حديث رواه الامام أحمد والامام مسلم وغيرهما وفى معناه عدة أحـــاديث مروية فى الصحيح .



بقلم : اللواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

ذكرت في مقال سابق في هذه المجلة بعنوان : لغة القرآن الكريم ، أن الدعوة الى العامية هدفها ان يصبح هذا القرآن مهجورا ، لأن كل جزء من أجزاء الشعب العربي سيلتزم بلهجته العامية ، وما أكثر اللهجات العامية في الوطن العربي في كل قطر من أقطاره ، بل كل منطقة من مناطق أقطاره ، بل في كل مدينة من مدنه وقراه ، فلا يستطيع المتعلمون بالعامية ، قراءة القرآن الكريم حينذاك ، الا الذي يدرس العربية الفصحى ، وكأنها لغة أجنبية كما يفعل الفرنسيون والايطاليون والاسبان مثلا في دراسة اللغة اللاتينية — وكانت أم لغاتهم القومية التي يستعملونها في الوقت الحاضر .

وحين تشيع اللغات العامية في الأمة العربية ، تصبح الأمة الواحدة أمما ، وينفرط عقدها الذي ربطه القرآن الكريم برباط متين منذ أربعة عشر قرنا حتى اليوم .

ان هذا القرآن الذي يهدى للتي هي أقوم ، ومنها جمع شمل العرب على لغة واحدة تجمع شملهم وترص صفوفهم وتجعل الأمل باتحادهم ووحدتهم لا شك فيه — هو العقبة الكأداء والصخرة الصماء التي أقضت مضاجع المستعمرين والصهاينة وأعداء الأمة العربية والمسلمين ، وطالما صرح دهاقنة الاستعمار والصهيونية العالمية ، أن العرب لا يزالون بخير مهما تكاثرت عليهم النكبات ، مادام هذا القرآن بين ظهرانيهم يتلى صباح مساء ، ويحول دون نجاح المؤامرات التي تحاك على العربية الفصحى .

وقد ذكرت في المقال السابق ان الدعوة للعامية دعوة مريبة تخدم مصالح أعداء العرب والمسلمين .

وذكرت أن التوقيت بين محاولات الصهاينة لإحياء لغتهم الميتة وهي

اللغة العبرية وبين الدعوة الى اتخاذ العامية فى البلاد العربية دل على أن الدعوة للعامية لم تكن صدفة ، انما جاءت بتخطيط الصهاينة والسائرين فى ركابهم ، فرددها بعض العرب تنفيذا لتلك المخططات اما عن حسن نية تغريرا بهم أو عن سوء نية تظاهرا بالخير للعرب . ولا أظن أحدا يصدق هؤلاء المغرر بهم أو العملاء ، ولذلك قبرت دعواتهم المريبة وماتت فى مهدها .

أليس غريبا أن يظهر دعاة من العرب وغير العرب يدعون الى العامية فى التعليم والتخاطب فى نفس الوقت الذى يظهر فيه دعاة إحياء اللغة العبرية ؟

أهذا مجرد صدفة يا أولى الألباب ؟؟!!

وأسجل أن الفضل كل الفضل ، فى إخفاق مؤامرات دعاة اشاعة اللهجات العامية فى البلاد العربية ، يعود للقرآن الكريم وحده ، فلولا القرآن لنجح هؤلاء الدعاة ــ خاصة وأن القوى الخفية والعلنية التى كانت وراءهم كانت قوية جدا من الناحيتين المادية والمعنوية .

وشكرا للقرآن الكريم الذى لا تنقضى أفضاله على الأمة العربية والمسلمين ، وشكرا لله الذى أنزل القرآن وجعله سراجا منيرا .

ــ ٢ ــ

لقد أخطأ الذين ظنوا أن المخططين لاشاعة اللهجات العامية قد رضوا بالهزيمة النكراء والاخفاق الشنيع .

ذلك لأن هؤلاء المخططين من الاستعماريين والصهاينة من أعداء العرب والمسلمين ، ومن التافهين والإمعات والعملاء العرب الذين شايعوا أولئك المخططين ، هؤلاء وأولئك يعلمون حق العلم أن القرآن الذى يتلى بلغته المعجزة : يتلوه الصغار كما يتلوه الكبار ، ويتلوه المتعلمون كما يحفظه الأميون ، ويحفظه عن ظهر قلب كثير من العرب وكثير من غير العرب ، هذا القرآن لا بد أن (يُهْجَر) ليسهل على الطامعين بالعرب والمسلمين ازدرادهم بعد تجزئتهم وتقطيعهم اربا اربا .

فاذا أخفق أعداء العرب والمسلمين فى محاولة ، فلا بد من محاولات أخرى .

وقد جاءت المحاولة الجديدة فى مؤتمر : بحث مشروع اللغة العربية الاساسية الذى عقد فى (برمانا) بلبنان فى شهر حزيران (يونيو) سنة ١٩٧٣ .

وابادر الى القول ، بأن هذا المؤتمر كان مريبا الى أبعد الحدود ، وأن على سدنة اللغة العربية الفصحى من مجمعيين وجامعيين أن يفضحوا هذا المؤتمر على أوسع نطاق وفى كل مجال ، حتى لا تأخذ مقرراته طريقها الى التطبيق فى قطر عربى أولا ، ثم يتوسع تطبيقه فيشمل أقطارا عربية أخرى .

لقد عقد المؤتمر بجو من الصمت الرهيب كأنه مؤتمر عسكرى على مستوى عال من الكتمان ، خوفا من تسرب الاسرار العسكرية الى الأعداء فلم تنشر عنه الصحف الا لمحات خاطفة لا تكشف نياته ولا تتحدث عن أهدافه .

وكما كان انعقاده (سريا للغاية) اختتم المؤتمر المريب بنفس (السرية) ذات الدرجة العالية ، فكان المؤتمرون كاللصوص الجبناء الذين يدخلون بيوتا غير بيوتهم ، فاذا انكشف أمرهم لاذوا بالفرار ، قانعين بالخيبة وكتمان أشخاصهم حتى لا يفتضح أمرهم وينالهم العقاب .

ولكن شاء الله ، أن يفتضح هذا

المؤتمر وتعرف أسماء بعض المشاركين فيه والجهات التي يمثلونها في المؤتمر ، وكلها تدل على أن هذا المؤتمر مريب الى أبعد الحدود (١) .

ولست في حرج لمهاجمتي المؤتمر والمشاركين فيه بشدة ، لأنني أعتقد انه ليس من الحكمة معاملة العقرب بالحسنى ، بل يجب أن تسحق فورا والا سممت من يحاول معاملتها بالتي هي أحسن .

والمؤتمر يحاول التشكيك في قدرة العربية الفصحى وكفايتها ، ويحاول بطرق جديدة فرض العامية واغفال الفصحى ، فمن يجامل أمثال المشاركين في هذا المؤتمر كالذي يجامل العقرب ، وللعقرب حل وحيد ، هو سحقها بالحذاء .

— ٣ —

ما هو مشروع اللغة العربية الأساسية الذي تبناه هذا المؤتمر ؟

يقولون : إن تعدد لهجات اللغة العربية وصعوبة تعلمها وتعليمها ، اقضت مضاجع بعض الاساتذة الفرنسيين وهم : جاك بيول واندريه رومان ورولان مانيه الذين اكتشفوا « أن الواقع اللغوي في العالم العربي ، هو وجود لغة فصحى شبه موحدة ، تقابلها طائفة من اللهجات المحلية تتفاوت في بعدها عن اللغة الفصحى المشتركة ، وتتفاوت في بعدها الواحدة عن الأخرى من حيث الصوتيات والصرف والتراكيب والمفردات » .

لذلك قرر أولئك الفرنسيون خلق **لغة جديدة** تكون مفرداتها هي المفردات الأكثر تداولا بين الناطقين بالضاد .

ولمعرفة المفردات الأكثر تداولا ، استعانوا بدماغ الكتروني ، وقاموا بعملية احصائية محضة : تثقيب بطاقات وفرزها !!

وقد جاء في تقرير الأب رولان مانيه : « إن المقصود هو تحديد اللغة العربية الأساسية (مفردات وتراكيب) بحسابات احصائية دقيقة . وليس المقصود باللغة العربية الأساسية ما يجب أن تكون عليه اللغة العربية بحسب معايير جامدة رافقت العصور الماضية ، أو ما يمكن أن تكون عليه ، بموجب مشاريع اصلاحية حديثة اقترحها أناس يهتمون بالتجديد ، أو بذهنية تستند في اصلاحاتها الى الرجوع لهذا أو ذاك من الشواهد النادرة التي وردت عند القدامى . المقصود فقط وصف اللغة كما هي بطريقة موضوعية وعلمية وتمييز تواتر المفردات والتراكيب !

« ليس المقصود بأية حال ، تبسيط اللغة العربية ولا صنع لغة محدودة المفردات ومختصرة التراكيب اي لغة مصطنعة وفقيرة . إن المقصود هو اكتشاف السلّم الذي يقيمه الاستعمال بين ما هو كثير التردد وكثير الاستعمال ، وما هو نادر واقل ترددا ، ليتاح خلق تعليم متدرج متكامل ، يبدأ بما هو اكثر شيوعا ، اي انه يبدأ بالأساس ، ولكنه يبقى بالطبع منفتحا على كل **الثروات الحقيقية في اللغة** .

« ليس المقصود بأية حال تغيير اللغة ، وحتى لو أردنا ذلك لما استطعناه ، ففي اللغة أن الاستعمال هو السيد الذي يفرض نفسه . أما اذا تبيّن لنا بعد استقصاءات رصينة أن ما يكثر استعماله حاليا يختلف عما اعتبره النحويون القدامى واجب الشيوع ، وقد لا يكون دائما كثير الشيوع في النصوص القديمة ، فلا بد **من الاعتراف بذلك** ومن أخذه بعين الاعتبار . وبتعبير آخر ، ليس المقصود اصلاح اللغة بحجة تيسيرها حتى ولو كانت التغييرات المقترحة

(١) الحوادث — العدد ٨٦٨ — ص (٦٨ — ٦٩) — طلال رحمة .

مستندة الى شواهد قديمة ، لا بل **لأنها مستندة اليها** ، بل تسجيل التغيير فى حال وجوده والذى لا يكون سوى نتيجة التطور الملازم لكل لغة ، فاللغات الميتة وحدها لا يطرأ عليها تغيير ، والوصف العلمى وحده المنطلق من مجموعة واسعة من النصوص ، كفيل باعطائنا المعلومات الثابتة والصورة الدقيقة عن واقع اللغة العربية الراهن .

« ليس المقصود التعرض للغة الماضى ، لا لشىء إلا لأن مسّها لا يجوز لأسباب يمليها العقل والمنطق السليم ، فالعربية القديمة قائمة على مجموعة من نصوص مختلفة لها شكلها النهائى الثابت . وليس المقصود أيضا التضحية بالماضى ، بل تيسير الوصول اليه ، **بارجاء دراسته الى مرحلة لاحقة ، يكون** التلاميذ قد أعدوا فيها بما فيه الكفاية لفهمه وتذوقه وتمثله ، فالعربية الاساسية ، تهدف اذن وقبل أى شىء آخر ، لا الى تبسيط اللغة ، بل الى تيسير تعليمها لتلامذة المرحلة الابتدائية » .

ومعنى هذا استعمال اللهجة العامية فى التعليم ، لأن مفرداتها شائعة أكثر من مفردات اللغة العربية الفصحى ، مع تطعيم هذه اللهجة العامية ببعض المفردات العربية الشائعة كثيرا ، أى خلق لغة هجين : تسودها اللهجة العامية ، وفرضها فى مراحل التعليم الاولى على التلاميذ ، لكى يصلوا عبر هذه اللغة الهجين الى التعليم باللغة العربية .

واذا افترضنا النية الحسنة فى واضعى هذا المشروع ، فستكون أمام العربى ثلاث لغات : اللهجة العامية الصرفة ، واللهجة الهجين ، واللغة العربية الفصحى ، وبذلك نعقد الدراسة بدلا من تبسيطها .

أما اذا افترضنا النية السيئة فى واضعى المشروع ، فهى عودة الى الدعوة الى العامية بأسلوب شيطانى جديد ، بحجة : « أن الاستعمال هو السيد الذى يفرض نفسه » كما يقول الأب رولان مانيه واضع هذا المشروع الرئيسى .

وقد كشف الدكتور وديع حداد رئيس المركز التربوى للبحوث فى لبنان والداعى لهذا المؤتمر فى الجلسة الافتتاحية نيات المؤتمر بقوله : « إن المفردات والتراكيب اللغوية المشتركة بين اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية المحلية هى التى سيتم الاحتفاظ بها فى البدء من أجل تعليم القراءة والكتابة » ، وكان عليه أن يقول : إنه سيحتفظ بالعامية المحلية اللبنانية — وحتى هذه العامية اللبنانية فيها لهجات كثيرة !

والسؤال لهذا الدكتور : لماذا لا يستعمل العربية الفصحى فى تعليم القراءة والكتابة ؟ وما هى أفضلية استعمال المفردات العامية ؟ وأى لهجة سيستعمل : لهجة بيروت أم طرابلس أم البقاع ؟؟!

والأهم من ذلك أن المفردات العامية اللبنانية لا تفهم فى العراق وغيره من الأقطار العربية ، فهل يريد هذا الدكتور أن ينقطع التلميذ اللبنانى والمواطن اللبنانى عن العالم العربى وعن التراث العربى العظيم ؟

ولكى نعرف مبلغ الريبة التى يتمتع بها هذا المؤتمر ، لا بد من معرفة المؤسسات والمعاهد التى شاركت فيه .

شارك فى المؤتمر : مؤسسة (فورد) التى كانت ممثلة بداود عبدو ، وجامعة (أنديانا » ممثلة بصالح جواد طعمه ، وجامعة (ميشكان) ممثلة بأرنست مكاريوس ، وجامعة (اكس) ممثلة بسامى فراج ، وجامعة (هولندا) ممثلة بيان بيتر ، وجامعة (مدريد) ممثلة بستراوستر وجامعة (تونس) ممثلة بمحمد المعمورى ، ومعهد الآداب الشرقية

فى الجامعة اليسوعية ممثلة بالأب ميشال آلار .

وقد شاركت فى المؤتمر جامعة بيروت العربية والجامعة اللبنانية ، وممثل هاتين الجامعتين استاذان لا غبار على اخلاصهما للغة العربية الفصحى .

ولكننى سمعت فى لبنان من شخصيات حريصة على لغة القرآن الكريم نقدا شديدا ولوما قارصا لهذين الأستاذين على مشاركتهما فى هذا المؤتمر المريب على الرغم من انهما قالا كلمة الحق داخل المؤتمر ، ولولا ما قالاه لساد الباطل على الحق ، وقد ذهبت أقوالهما أدراج الرياح .

ولكن حضورهما فى هذا المؤتمر المريب ، أعطى نوعا من (الشرعية) له ، كما أن ما قالاه ضاع فى خضم ضجيج الباطل ، ثم لم يؤخذ بآرائهما الحصيفة ، حيث قرر المؤتمر لنفسه برنامج عمل يبدأ من تموز (يوليو) ١٩٧٣ وينتهى فى أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ متجاهلا ردود الفعل التى جاءت من داخل المؤتمر ومن خارجه .

وأنا أعرف الرجلين ، وأثق بهما ، لذلك أعتقد أنهما حضرا المؤتمر ليقولا كلمة الحق ، وقد فعلا .

إن اللغة العربية الفصحى ليست (شبه موحدة) كما يدعى رءوس أولئك المؤتمرين .

ولا حاجة للعرب بـ (لغة جديدة) يخطط لها الفرنسيون وغير الفرنسيين .

(والثروات الحقيقية) التى يريد أولئك المشبوهون ادخالها فى اللغة العربية الفصحى ، هى ليست فى اللهجات العامية ، بل فى التراث العربى العظيم وفى مقررات مجمع اللغة العربية فى القاهرة ومجمع اللغة العربية فى دمشق والمجمع العلمى العراقى فى بغداد ، ومجمع البحوث الاسلامية فى الازهر الشريف

وقد استطاعت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية العربية وضع المعجم العسكري الموحد (انكليزى — عربى) بالعربية الفصحى ، ثم وضعت ثلاثة معجمات عسكرية موحدة (عربى — انكليزى) و (فرنسى — عربى) و (عربى — فرنسى) . وقد بلغت صفحات المعجم العسكرى الموحد (انكليزى — عربى) ألف صفحة ضمت ثمانين الف مصطلح عسكرى كلها تقريبا مقتبسة من : (المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم) .

وما استطاعت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية تحقيقه ، تستطيع غيرها من اللجان فى مختلف العلوم والآداب والفنون تحقيقه اذ صدق العزم وتوفر الاخلاص والعلم واستمر العمل الدائب ، وكل جهد فى خدمة لغة القرآن الكريم يهون .

والعربية الفصحى غنية بالمفردات وليس هناك لغة فى العالم كلهتشابه أو تقارب لغة الضاد فى غناها .

وقد أجرت الاذاعة المرئية اللبنانية فى منتصف شهر حزيران (يونيو) مناقشة مع شاعرة معروفة فى اللغتين العربية والفرنسية ، فسألها المذيع : « أى لغة أكثر مطاوعة فى نظم الشعر : العربية أم الفرنسية ؟ » فأجابت : « العربية طبعا ، فهى غنية بالمفردات التى تشكل معينا لا ينضب من القافية التى تعين الشاعر فى النظم » .

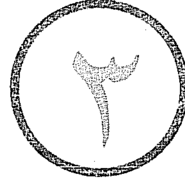
ان العربية الفصحى بخير ما دام هذا القرآن يتلى صباح مساء .

والذين يريدون بها شرا يخزيهم الله فى الدنيا والآخرة ، ومصير مخططاتهم الاحفاق التتيج .

ولكن حذار من أحابيل أعداء العربية الفصحى وهم كثيرون .

الحدود في الإسلام :

السرقة



١ — تحدثنا في العددين : الثامن والتسعين (غرة صفر سنة ١٣٩٣) والعدد الواحد بعد المائة (غرة جمادى الأولى سنة ١٣٩٣) من مجلة « الوعى الاسلامى » — عن الحدود في الاسلام ، والميزان الذي أقامها الله تعالى عليه ، من الحكمة ، والرحمة ، والعدل .. وقد عرضنا في الحديث الأول لجريمة الزنا ، ثم عرضنا في الحديث الثانى لجريمة القتل ، وكشفنا عن وجههما الشنيع ، والآثار المدمرة التى تنجم عن شيوعهما في أي مجتمع انسانى ..

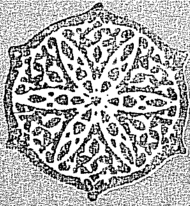
ونعرض في هذا الحديث لجريمة السرقة ، على أن نعرض في حديث تال إن شاء الله لجريمة شرب الخمر ، وبهذا نكون قد استوفينا عرض أهم وأنكر الجرائم التي رصد الإسلام العقوبة الرادعة لها ، والتى تعرف في لسان الشرع بالحدود ، تلك الحدود التي كانت مدخل فتنة وتلبيس ، يدخل منها أعداء الاسلام لصد الناس عنه ، وجفوة أهله له ..

٢ — والسرقة ، هي عدوان على ملك الغير ، من مال ومتاع ، ونحو هذا ، مما يحرزه الإنسان لينتفع به ..

والمال ، وما يدور في فلكه ، هو ثمرة جهد ، وحصيلة كد وعمل ، ونتاج كفاح وجهاد .. وبالمال تدور عجلة الحياة ، ومن أجله يسعى الناس في كل وجه من وجوه الأرض ، إذ كان طلبه وليد غريزة التملك ، التي تأخذ المكان الأول في الغرائز الانسانية ، بعد غريزة حب الحياة ، وتنازع البقاء !

ومن هنا كانت نظرة الإسلام الى المال ، باعتباره الجامع لممتلكات الانسان ومقتنياته ، تلك النظرة التي تقيم للمال وزنه الصحيح في الحياة ، وتعترف له بأثره القوى الواضح في بناء الحياة للفرد والجماعة ..

ويخطىء خطأ بيناً أولئك الذين يرون في الشريعة الإسلامية استخفافاً بالمال ، وتهوينا من شأنه ، حيث يقيمون نظرهم على بعض من آيات الله ، أو كلمات من أحاديث الرسول ، تدعو في ظاهرها الى التخفف من حب المال ، والحذر من فتنته ، مثل قوله تعالى : **« إنما أموالكم وأولادكم فتنة »** (١٥ : التغابن) وقوله سبحانه : **« اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفراً ، ثم يكون حطاما »** .. (٢٠ : الحديد) وكقول الرسول الكريم : **« لو أن لابن آدم واديين من ذهب لتمنى ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب »** .. الى كثير من الآيات والأحاديث التي يفهم من ظاهرها هذا الفهم السطحى الذى فهمه أولئك الذين قصروا نظرهم عليها ، دون أن ينظروا اليها في ضوء آيات كثيرة ، وأحاديث نبوية غير قليلة ، تزكى المال ، وتبارك عليه وعلى أهله الذين يسلكون به مسالك الحق والخير في كسبه وإنفاقه .. فقطع الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي تدعو الى الزهد في المال ، عن تلك التي ترغب فيه ، هو أشبه بمن



شرب الخمر

للأستاذ : عبد الكريم الخطيب

يقرأ الآية الكريمة : «فويل للمصلين» ثم لا يصلها بالآية التى بعدها : ((الذين هم عن صلاتهم ساهون ..))

٣ ــ ولا شك أن هذه الفرية على الإسلام ، من أهله المغرر بهم ، ومن المندسّين فى أهله للكيد لهم ، والنيل منهم ، بإجلائهم عن مواقع الحياة الجادّة فى الحياة ــ لا شك أن هذه الفرية قد آتت أكلها السيئة ، وآثارها المنكرة ، التى كان لها الدور الأول ، فى تلك الحركة الانسحابية ، التى أدار بها المجتمع الاسلامى ظهره للحياة ، وترك الدنيا تدور دورتها ، وهو واقف فى مكانه ، حتى خرج أو كاد يخرج من موكب الحياة ، وهو محسوب فى الأحياء !

فلقد أماتت هذه الحركة المضادة لطبيعة الوجود ، نوازع العمل فى كثير من النفوس ، وأطفأت جذوة الطموح عند كثير من المهيئين له ، حتى وصل الحال بالمسلمين الى هذا الجمود الذى هم فيه ، فلا يتحولون عن مواقع أقدامهم من الأرض ، على حين أخذت أمم وشعوب غيرهم معارج يصعدون بها الى السماء ، ويرتادون على متونها عوالم الكواكب والنجوم !! وقد كان جديرا بأمة الإسلام أن تكون الرائدة لهذا الميدان ، وأن تكون خطوات الناس كلهم من وراء خطواتها ، لو انها أخذت بدعوة دينها ، وانتفعت بتعاليمه فى الاحتفاء بالعلم ، والتكريم للعلماء ، ولرأوا فى العالم العربى المسلم « عباس بن فرناس » الذى فتح أول طريق الى السماء ، باصطناع جناحين له من ريش ، استطاع بهما أن يحلق فى السماء ، وأن يموت شهيدا فى ميدان العلم والمعرفة .. نقول لرأوا فى هذا العالم العربى المسلم دليلا على هذا الطريق ، الذى تنبّهت اليه أمم الغرب ، واتخذت منه حلماً لم يلبث طويلا حتى أصبح حقيقة ، ينظر اليها المسلمون فى دهش وذهول .. ولكن موجات الزهد الزائف الذى زحف على المسلمين من تلك الدعوات الخادعة المضللة ، قد أرتهم فى « عباس بن فرناس » هـذا ، رجلا ملحـدا ، يتحـدى قدرة الله ، ويهتك حرمة سمائه ، ويقف من الله موقف فرعون ، إذ يقول لهامان : ((يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع الى إله موسى ، وانى لأظنه كاذبا)) (٣٦ ــ ٣٧ : غافر) .. ونسى هؤلاء الأدعياء ، قول الله تعالى : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعـا منه)) (١٣ : الجاثية) ..

٤ ــ هكذا بلغت هذه الحركة الانسحابية من الحياة بالمسلمين ، الى هذا الموقف الذى جمدت فيه دماء الحياة فى العروق ، فتعطلت الملكات ، وخمـدت

الجـــوارح ، وخلت مواقع المسلمين فى الحياة الجـــادة العاملة من أهل الجد والعمل ، فتأخروا وتقدم الناس ، وافتقروا وضعفوا ، وحاز غيرهم المال وما يمكّن المال لأهله من قوة وسلطان ..

وكلا ، ثم كلا .. ان الاسلام ليس عدوا للحياة ، ولا مبغضا للمال الذى هو قوام الحياة وزينتها .. وكيف والله سبحانه وتعالى يقول : ((**المال والبنون زينة الحياة الدنيــا**)) (٤٦ : الكهف) ويقول : ((**إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا**)) (٧ : الكهف) ويقول على لسان نوح إلى قومه : ((**فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**)) (١٠ ــ ١٢ : نوح) ويقول : ((**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من الســماء والأرض**)) (٩٦ : الأعراف) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((**نعم المال الصالح للعبد الصالح**)) ..

وما كانت دعوة الاسلام الى الحذر من فتنة المال ، إلا لما له من سلطان متمكن من النفوس ، وانه لو أسلم المرء زمامه لهذا السلطان ، وجرى على هواه لأصبح عبدا ذليلا للمال ، وهو الذى من شأنه أن يستعبد المال ويسخره لبناء صرح إنسانيته عاليا ، كريما ، عزيزا ..

فالمال فى حساب الاسلام وتقديره ، هو وسيلة لا غاية ، وسيلة لكسب المحامد ، وابتغاء الأمجاد ، وقضاء الحقوق .. هكذا المال عند أحرار الرجال ، أداة مسخرة لمنازع الانسان الشريفة النبيلة ، وسلاح يضرب به فى وجه الحاجة التى قد تدفعه الى مواقف الذّلة والمهانة ، التى يأباها الأحرار ، الذين يجدون بطن الأرض خيرا لهم من ظهرها ، إذا هم كانوا أصحاب اليد السفلى ، وكان غيرهم أصحاب اليد العليا ..

وعن هذا المنزع الإنسانى النبيل الشريف ، يقول الشاعر العربى ، البدوى ، بوحى من فطرته ، وبِداع من مروءته ورجولته ــ يقول مخاطبا زوجه :

ذرينى أطـــوّف بالبـــــلاد لعلّنى أصيب غنى فيه لذى الحق مَحْمَلُ
فإن نحن لم نملك دفاعـــا لحـــادث تلمّ بـــه الأيام فالمــوت أجمـــل

وليس تطواف هذا الحر الكريم فى البلاد للتسكع ، والتصعلك والتسول ، ولكنه تطواف العاملين الجادين ، الضاربين فى وجوه الأرض بقوة ، لاستخراج خبئها ، وجنى ثمراتها ..

فاذا انقلب المال عند بعض الناس الى غاية محصورة فى جمعه ، واكتنازه فذلك هو البلاء العظيم الذى يحذر الاسلام أهله ، من الوقوع فيه ، أو الاتجـــاه اليه .. إذ ليس وراء ذلك الا إذلال الإنسان ، واهدار آدميته ، وبيْعُ نفسه بهذا الثمن البخس من المال الذى يجمعه ، ولو كان القناطير المقنطرة من الذهب والفضـــة !!

من هنا كانت دعوة الإسلام الى الحذر من فتنة المال ، وإغوائه ، تلك الفتنة التى تقلبُ وضعَهُ ، فتحوّله من وسيلة الى غاية ، ومن صديق نافع الى عدو مبين ، ومن سلاح يَقتلُ الأعداء ، الى سلاح يقتل صاحبه ..

ولو كان من تدبير الاسلام إعلان هذه الحرب التى يُعلنها على المال هـــؤلاء المفلسون ، من ذوى الهمم الفاترة ، والعزائم الخائرة ــ لما جعل فى محامل كتابه الكريم ، وفى دستور شريعته الغراء ، هذه التوجيهات السديدة الحكيمة ، فى جمعه وفى إنفاقه ، ولما فرض على المسلمين زكاة ، ولا صدقة ، ولا إنفاقا فى سبيل الله ، ولا إعدادا بالمال للقوة الرادعة لأعداء الاسلام ، بل ولا فرض مهورا

للزواج ، ولما اباح ان يكون المهر قنطارا أو قناطير من ذهب أو فضة ، كما يقول سبحانه : ((**وإن اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتمْ إحداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا وإثما مبينا**)) (٢٠ : النساء) .. فلمن يتجه القرآن بهذا الخطاب ؟ أيخاطب أمة غير أمة الاسلام ؟ أو جماعة غير جماعة المسلمين ؟ ولو كان من تدبير الاسلام ، اعلانُ هذه الحرب التى يُعلنها المفلسون — من الدنيا والدين — على المال ، لما جعل للميراث أحكاما فى شريعة تضبط قسمته بين الورثة ، ولا أمر بتوثيق الدين والاشهاد عليه ، ولما توعد بالعذاب والنكال من يأكلون أموال اليتامى ظلما ، فيقول سبحانه : ((**إن الذين ياكلون أموال اليتامى ظلما ، إنما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلَوْنَ سعيرا**)) (١٠ : النساء) .

ولو كان من تدبير الاسلام إعلانُ الحرب على المال ، لما فرض على جماعة المسلمين ، وأولى الأمر فيهم ، أن يأخذوا على أيدى السفهاء منهم ، الذين لا يعرفون حرمته وقدره ، فينفقونه فى مجالات اللهو والعبث فى غير اكتراث به ، ولا إقامة وزن له .. فهذا المال الذى تبدده أيدى السفهاء ، هو فى حقيقته قوة من قوى الجماعة الاسلامية ، وركيزة من الركائز التى تقيم عليها حياتها ، ولهذا أوجب الله عليهم أن يرفعوا أيدى هؤلاء السفهاء ، عما فى أيديهم من مال ، وأن يحموه من تسلطهم عليه ، وبحسبهم منه أن ينالوا ما يسد حاجتهم ، فى حدود ما يتسع له ما لهم ، وما يصلح لأمثالهم من أهل العقل والاتزان .. يقول الله تعالى : ((**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ، وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا**)) (٥ : النساء) .

وإنه بحسب المال فى شريعة الاسلام تكريما ، وتقديرا أن يضاف الى الله تعالى ، إذ يقول سبحانه : ((**وآتوهم من مال الله الذى آتاكم**)) (٣٣ : النور) وأن يجعله سبحانه وتعالى فى مقام الجهاد فى سبيله ، على كفة ميزان سواء مع الجهاد بالنفس .. إذ يقول جلّ شأنه : ((**إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بانَ لهم الجنة**)) (١١١ : التوبة) .

فهذه كلها أمور تتعلق بالمال ، وبسياسته فى أيدى الجماعات والأفراد فى الأمة الاسلامية ، وما يتعلق به من حقوق لله وللناس فيه ، ولا يمكن أن يكون لهذه السياسة التى رسمتها الشريعة الاسلامية للمال ، لا يمكن أن يكون لها مكان فى مجتمع لا يعرف المال ، ولا يملك الكثير منه !

٥ — وقد أشرنا من قبل الى أن غريزة حبّ التملك من أظهر الغرائز وأقواها فَعَالِية فى الإنسان ، وإنه لن يُشبع الانسان هذه الغريزة أبدا ، ولا يقدر على أن يوقف اندفاعها وجَرْيها اللاهث وراء المال ، إلا بدعوة من عقل حكيم ، أو توجيه من شريعة سماوية ، توجّه جانبا من غريزة حبّ التملك ، الى ما وراء هذه الحياة الدنيا ، وذلك بالعمل الصالح للآخرة ، وما ينال فيها الصالحون من رضوان الله ، والنعيم فى جنّاته ..

والإنسان ، لا يتجه بقوته الى التملك ، ولا يعمل له ، إلا اذا أمِنَ على ما يملك ، واطمأنّ الى أن ما يجنيه من سعيه وكدّه ، فى ضمان من أن يَعْتَدِيَ عليه مُعْتد ، أو تمتد اليه يد غيرُ يده ، أو يدِ ولده وورثته من بعده .. وقد تكفّلت الشريعة الاسلامية باقرار هذا الشعور فى الانسان ، الذى يضمن به جَنْيَ ثمار أعماله ، وحفظها من أىّ عدوان يقع عليها ، سواء فى الدنيا أو فى الآخرة ..

أما فيما يعمله الانسان ، من صالح الأعمال التي يدخرها للآخرة ، فهو في ضمان الله سبحانه وتعالى ، حيث يقع في يقين المؤمن بالله — بما لا يتلبس به أي شك — أنه سيجد ما عمل لهذا اليوم حاضراً بين يديه ، وانه سيجزاه الجزاء الأوفى ، والله سبحانه وتعالى يقول : **« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى »** (٣٩ — ٤١ : النجم) . ويقول تبارك اسمه : **« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »** (٧ — ٨ : الزلزلة) ..

وأما فيما يعمله الانسان لدنياه ، ويدخره لغده ، أو لورثته من بعده ، فقد تواضع الناس فيما بينهم ، على احترام ملكية المالك لما يملك ، وعلى حمايته من العدوان عليه ، ورصد العقاب الرادع لمن يمدّ يده الى ما في حوزة غيره .. ففي ذلك خير لهم جميعاً ، وإطلاق لطاقاتهم الجسدية والعقلية للعمل ، الذي يضمن لكل عامل ثمرة عمله ..

ولكن مع هذا ، فانه ما أكثر ما يبغي الناس على الناس ، وما أكثر ما تلد الحياة من أشرار يجدون منافذ كثيرة من حراسة القانون الوضعي التي أقامها المجتمع الإنساني لحماية الملكيات ، فيتسللون منها الى العدوان على أموال الناس ، واكلها بالباطل ، بصور شتى ، من الغصب ، أو السرقة ، أو الغش ، أو الاحتيال ، الى غير ذلك مما يجري في حياة الناس من جرائم تتعلق بالأموال ..

٦ — لهذا اقتضت حكمة الشريعة الاسلامية ، أن تتدخل في هذا المعترك ، وأن تدخل على الناس فيه ، بما يُعينهم على التزام الطريق المستقيم الذي تدعوهم اليه الفطرة السليمة ، ويحملهم عليه ناموس الجماعة ..

فكان من هذا ما جاءت به الشريعة من آدابها وأحكامها ، وما رصدته من عقوبات زاجرة في الدنيا والآخرة ، لمن يخرجون على تلك الآداب وهذه الأحكام ..

والتربية السليمة الناجحة هي التي تقيم في النفس وازع الضمير ، الى جانب وازع السلطان ، الذي يقيمه المجتمع ، بقوانينه وقوته المنفذة له ، أو الذي يقيمه الشرع بما شرع من حدود وقصاص ، يقوم بتنفيذها وليّ الأمر القائم على جماعة المسلمين .. فاذا غفل وازع الضمير أو ضعف ، كان من وازع السلطان الوضعي أو الشرعي ، ما يسدّ النقص الحادث من غفلته أو ضعفه ، وإذا غفل وازع السلطان أو ضعف ، كان من وازع الضمير ما يقوم مقامه الى أن ينتبه أو يقوى ..

٧ — وفي المال ، وحراسته من عدوان المعتدين ، جاء الاسلام اليه بالوازعين معاً ، وازع الضمير ، ووازع السلطان ، وأقامهما على حفظه وسلامته من أي بغي أو عدوان ، حتى يؤدي وظيفته في الحياة ، ويجري في مجراه الطبيعي الذي لا تعترضه سدود أو معوّقات ..

فأما وازع الضمير ، فقد جعل السبيلَ الى إقامته في النفوس ، التربية الروحية ، بما تحمل الشريعة الغراء الى أتباعها من عبادات افترضها الله تعالى على المؤمنين ، من صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحجّ ، وهي عبادات ، يومية ، يؤديها المسلم مرات كل يوم .. كالصلاة ، أو سنوية .. كالصوم والزكاة ، أو مرة في العمر كالحج ، بمعنى أنه لا يمرّ يوم دون أن يقف المسلم بين يدي ربّه مرات ، يذكره ، ويناجيه ، ويراجع صحيفة أعماله فيما بين اللقاء واللقاء ، وفي هذا ما فيه من غسل قلب المسلم وتطهيره من دنس المنكرات ، ووساوس السوء .

ولو أن المسلمين أدوا هذه العبادات على ما ينبغي لها من جلال وخشوع ، ومن استحضار عقول وقلوب ، لكان لهم منها دواء لكل داء ، ووقاية لهم من

تلك الآفات المهلكة التى باتت ترعى كل صالحة فى أفرادهم وجماعاتهم ..

فقد نهى الإسلام عن اكل أموال الناس بالباطل ، كالغش ، والخداع ، والتطفيف فى الكيل والميزان ، والادعاء الكاذب على الناس ، والاحتماء بجاه ذوى الجاه والسلطان ، فى العدوان على حقوق الغير .. فيقول سبحانه : ((ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم او وزنوهم يخسرون .. الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ، ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين)) (١ — ٦ : المطففين) ويقول جل شأنه : ((ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم ، وأنتم تعلمون)) (١٨٨ : البقرة) ويقول تبارك اسمه : ((إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، إنما يأكلون فى بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا)) (١٠ : النساء) الى كثير من الآيات التى تحذرهم من العدوان على حقوق الناس ، وتتوعد الذين لا ينتهون عمّا نهى الله تعالى عنه ، بالبوار فى الدنيا ، والعذاب الأليم فى الآخرة ..

ومن جهةأخرى ، فقد دعا الاسلام الى البر والاحسان ، والانفاق من الأموال على ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين وابن السبيل ، والغارمين ، وفى سبيل الله .. ووعد المحسنين المنفقين ، بنَماء الأموال ، وعظيم الثواب ، اذ يقول سبحانه : ((وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)) (٣٩ : سبأ) ويقول : ((مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)) (٢٦١ : البقرة) ويقول : ((وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله ، فأولئك هم المضعفون)) (٣٩ : الروم) .

ثم الى جانب هذا الوازع الدينى الذى من شأنه أن يقيم فى ضمير المؤمن سلطانا يزعه عن العدوان على حقوق الناس الى جانب هذا الوازع اقام الاسلام وازعا وراء هذا الوازع الدينى ، يسانده ، أو يقوم مقامه عند غيابه ، أو انكماش ظلّه ، وذلك بما رصد من عقوبات رادعة ، جعلها فى يد ولىّ الأمر القائم على شئون المؤمنين ، ليأخذ بها المعتدين على حرماتهم من دماء وأموال ، وأعراض ..

٨ — واذا كان حديثنا هنا عن حد السرقة ، وما أمر به الاسلام من قطع يد السارق ، فإنا نقول ان صور العدوان على المال لا تنحصر فى السرقة وحدها ، فهناك الى العدوان بالسرقة ، عدوان بالغصب ، والجور فى الحكم ، وفى الغش والخداع ، وفى التطفيف فى الكيل والميزان ، وفى جَحد الديْن الذى ليس فى يد صاحبه بيّنة على المَدين .. الى غير ذلك ، مما يضيّع على الانسان شيئا من حقوقه المالية ، أيا كان قدرها ، وأيا كانت الوسيلة التى ذهبت بهذا الحق !

ويلاحظ أن الاسلام لم يحدد عقوبة معلومة المقدار والكيفية الا لجريمة السرقة ، وهى قطع يد السارق .. يَدِهِ اليمنى من الرسغ ، متى استوفت الجريمة اركانها ، كما سنتبين ذلك بعد ..

وليس معنى هذا أن الاسلام اغفل الصور الأخرى لجرائم العدوان على الأموال واكلها بالباطل ، بلْ إنه جعل لولى الأمر تقدير العقوبة الرادعة المناسبة لكل صورة من صور العدوان على الأموال ، والتى لا تكاد تضبط صورها ، وذلك فيما يعرف فى لسان الشريعة الغراء باسم ((التعزير)) الذى تتعدد صور العقوبة فيه ، حسب تعدد صور العدوان ، وملابسات الظروف والأحوال لكل صورة ، فقد

يكون « التعزير » بالحبس ، أو الضرب ، أو الزجر ، ونحو هذا ..

بل إن الإسلام جعل للعدوان على الأموال فى صورة السلب والنهب الجماعى ، أو الفردى ، الذى يعتمد فيه المعتدون ، على القوة التى تخيف الناس ، وترهبهم — جعل الاسلام لهذه الصورة من العدوان عقابا يتناسب مع شناعته وبشاعته ، إذ يقول سبحانه : **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ، الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم** (٣٣ — ٣٤ : المائدة ..

فقد عد الله سبحانه وتعالى هؤلاء الذين يروعون الآمنين فى أموالهم وأنفسهم ، محاربين لله ورسوله ، ساعين فى الأرض فسادا ، فكان جزاؤهم هذا الجزاء الذى يلقون فيه الموت على تلك الصورة ، التى يعاملون فيها معاملة الحيوان فى ذبحه ، وصلبه ، وتقطيع أوصاله .. إنهم اعتدوا على آدمية الآدميين ، فكان جزاؤهم أن تسلب منهم الآدمية ، وأن ينزع عنهم ثوبها ..

٩ — وقد اتخذ أعداء الإسلام من حد السرقة الذى أوجبته الشريعة الغراء ، من قطع يد السارق — اتخذوا من هذا مدخلا يدخلون منه الى الطعن فى الاسلام ، وفى التشنيع عليه ، والتنفير من الانتساب الى شريعة بدائية ، إن كان فى الناس من يرضى بالانتساب اليها ، والتعامل بأحكامها ، فلن يكون إلا أولئك الذين يعيشون فى الكهوف والأدغال ، أو يهيمون فى متاهات الصحارى والقفار ، حيث لا يبعد الانسان هناك — فى تصورهم — عن عالم الحيوان الذى لا يتعامل الا بالظفر ، والمخلب والناب !!

وكذب هؤلاء المدعون على الاسلام هذه الدعوى الفاجرة الآثمة ، وضلوا ضلالا بعيدا .. فما الاسلام الا شريعةُ الانسانية الرشيدة السليمة ، التى يخدش ضميرها ما يخدش الضمير الحى السليم ، وما شريعة الاسلام الاشريعة الانسانية فى أعلى منازلها وأسمى مقاماتها وأكرم مواقعها ، وما المنبت الذى غرست فيه الشريعة الاسلامية مغارستها الا أطيب المغارس وأكرمها جوهرا وأصفاها وأعذبها موردا ، والله سبحانه وتعالى فى نبى هذه الشريعة ، وفى أهلها الذين نزلت كلمات الله تعالى بلسانهم ، وفى موطنهم الذى طلعت من أفقه أنوار كلمات الله — يقول سبحانه : « **الله أعلم حيث يجعل رسالته** » (١٢٤ : الانعام) .

لقد قدّر هؤلاء الذين يَتَجَنَّوْنَ على الاسلام ، أن الحياة ستشهد من المجتمع الذى تمضى فيه هذه العقوبة — آدميين قد شوهت صورهم بهذه الأيدى التى زايلتها اكفها ، وبانت عنها معاصمها ، ووقع فى حسابهم أنه لو قطعت أيدى كل هؤلاء الذين تضمهم السجون من اللصوص ، لكانوا أعدادا كثيرة ، تقذى بمرآهم العيون ، وتنفر من النظر اليهم النفوس ، حين يَسْعون بين الناس وهم يحملون هذا العار الذى ينادى عليهم بالفضيحة والخزى ، فلا يجدون — وتلك حالهم — من يطمئن اليهم ، أو يتعامل معهم ، واذا هم حرب على الناس فى غير مبالاة ، ولا حرج !

هكذا ، تبدو الصورة فى تصور هؤلاء الذين يلقون بالتهم جزافا فى وجه الاسلام ، والذين ينكرون عليه أن تحمل شريعته حكما بقطع يد السارق ، والذين يرون فى هذا إهدارا لآدمية الانسان ، وعزلا له عن المجتمع الانسانى ، والمناداة عليه بين الناس بأن هذا سارق ، وهذه وثيقة اتهامه ، وشاهد جريمته ، تنطق بها يده المقطوعة !!

وهذا نظر قاصر ، وتقدير خاطىء ، لا يكون إلا من غافل جاهل ، أو مفتر مضلل .. ذلك أنه لو أقيم حد السرقة كما شرعه الاسلام وأوجبه ، لما كان هذا العدد الكبير من المشوهين ، كما تصوره هذا الخيال المريض ، ولما كانت تلك الأعداد الكثيرة من اللصوص الذين يحترفون السرقة ، ثم يتحولون بعدها الى قطّاع طرق !!

ولا نذهب بعيدا .. وحسبنا أن نشير بالإصبع الى الجزيرة العربية ، وكيف قضت فيها تلك العقوبة قضاء يكاد يكون تاما على جريمة السرقة التي لا يكاد يظهر لها وجه هناك الا فى أحوال نادرة ، وفى أزمان متطاولة ، حتى لقد يمضى العام دون أن يضبط سارق يقام عليه الحد هناك ..

هذا ما فعلته تلك العقوبة الحكيمة التى نزلت بها السماء لتكون شفاء للانسانية ووقاء من اخطر داء يهدد أمن الناس وسلامتهم ، ويعوّق مسيرة سعيهم فى الحياة ، ويغتال ثمرة كدهم وجهدهم ..

ثم فى أى موقع كان هذا الأثر العظيم لتلك العقوبة ؟ الم يكن فى أبعد بقاع الأرض من أن يضبط فيها أمن ، أو يحفظ فيها نظام ؟.. صحراء مترامية الأطراف ، يضلّ فيها القطا ، ويجد أصحاب التهم فى أغوارها ، وسهولها ، ومغاراتها ونجودها ، ملجأ يلجئون اليه ، وحمى يحتمون به ، دون أن تراهم عين ، أو تمتد اليهم يد ؟

ثم مع من من الناس كان لهذه العقوبة ردعهم وزجرهم ، وقتل منازع هذا الشر فى نفوسهم ؟ الم يكن مع أعراب البادية ، الذين هم أجرأ من العقبان ، واشد فتكا من النسور ؟

إن ذلك كله كان بوازع السلطان ، عند أولئك الذين لا سلطان لوازع الدين عندهم .. فاذا قام فى كيان إنسان هذان الوازعان : وازع الدين ووازع السلطان ، أتراه يكون يوما ممن يمدّ يده الى سرقة مال غيره ؟ ذلك بعيد ، بعيد !!

هذه لا شك تجربة عملية قائمة فى الحياة اليوم ، تشهد للاسلام بأنه دين الله ، وأن ما جاء به من أحكام هو من عند الله العزيز الحكيم ..

هذا ، على حين تحمل الينا الأنباء كل يوم فيضا من هذه المآسي التى تقع في أمريكا ، والتى يعانى منها هذا المجتمع ، الذى يقال عنه انه يقود ركب المدنية والحضارة في هذا العصر !!

إن إنسانا هناك لا يأمن على نفسه في ليل أو نهار ، وفي منزله أو خارج منزله — من أن يلقاه من يشهر فى وجهه السلاح ، ويسلبه كل ما معه ، على مرأى ومسمع من الناس ، ثم ان هو فكر لحظة فى أن لا يستجيب لما يطلب منه ، تلقّى فى الحال طعنة خنجر من أكثر من يد من تلك الأيدى المحدقة به !!

هذا ما يتعرض له أكثر الذين يسيرون فى الطرقات ، من نساء ورجال .. اما التهجم على البيوت ، والغارات على المحال العامة والمصارف ، فيكاد يكون أمرا مألوفا متوقعا أن يحدث فى اية لحظة ، فى أى بيت ، وفى أى مصرف ، أو مصنع أو متجر !

إن هؤلاء الذين يعانى منهم المجتمع الأمريكي اليوم ، هم لصوص ، تحولوا الى قطاع طرق ، بعد أن عجزت عقوبة السجن المرصودة هناك لجريمة السرقة ، عن أن تردعهم ، وتشلّ أيديهم عن معاودة العدوان على أموال الناس مرة ، ومرة ، ومرات ، حتى صارت تلك عادة ملازمة لهم ، جارية فى دمائهم ..

ولو أن أمريكا أخذت بحكم الاسلام فى قطع يد السارق ، وبالتنكيل بقطّاع الطرق ، وقتلهم بتلك القتلة الشنعاء ، لاختفى وجه أولئك الذين يستخفون

بحرمات الناس في اموالهم ودمائهم .. ولا نحسب أن الأمر سيطول بالقوم هناك ، حتى يجدوا — بعد طول التفكير والتقدير — أنه لا دواء لهذا الداء إلا ما جاء به الاسلام ..

١٠ — ثم إنه لا بأس — بعد هذا — من أن نلفت أولئك الذين يتهجمون على الاسلام ، ويعدون عقوبة القطع في السرقة جناية من جناياته على الانسان ، وردة بها الى الوحشية والهمجية — لا بأس من أن نلفتهم الى ما جهلوه ، أو تجاهلوه من هذا الأمر ، وانخدع بهم كثير من ابناء الاسلام ، الذين ينتسبون إليه بأسمائهم ، كما ينتسب اللقطاء الى غير آبائهم !!

فأولا : أنه إذا كانت المدنية الغربية قد استخفت بجريمة السرقة ، حتى لقد استباحت سرقة الأمم والشعوب ، ونهب ثرواتها ، وامتصاص ثمرة عمل ابنائها — فإن الإسلام الذي يرعى حرمات الانسان ، في ماله ، وعرضه ودمه — لا يستخف بهذه الجريمة ، بل يضعها موضعها بين الجرائم الغليظة المنكرة ، ولا تأخذه رحمة فيمن لا يرحم الناس ، وهو بَعْضٌ منهم ، وعضو فيهم ، والله سبحانه وتعالى يقول : ((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين)) (٢٥٢ : البقرة) .. وهذا الحد الموجب لقطع يد السارق ، هو مما يدفع الله به الناس بعضهم ببعض ، وهو من بعض فضله على عباده ..

وثانيا : جعل الإسلام حكم هذه العقوبة ، عامًا ، ينزل على حكمه الناس جميعا ، خواصهم وعوامهم ، أغنياؤهم وفقراؤهم ، حكامهم ومحكوموهم .. فمن سَرَقَ ، وثَبَتَتْ عليه السرقة ، وجبَ قطعُ يده أيًا كان مكانه في المجتمع ، وأيا كانت منزلته بين الناس ..

روى أنه في زمن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اتهمت امرأة من بني مخزوم — قبيلة خالد بن الوليد — بالسرقة ، فلما ثبتت عليها الجريمة ، أمر النبي بقطع يدها ، وكان أول حكم يقع على امرأة في الإسلام .. وقد فزع بنو مخزوم لهذا العار الذي سينالهم من هذا الذي سيجرى على امرأة من اشرافهم ، فجاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكثر من شفيع من اصحابه المقربين إليه ، يشفعون عنده لهذه المرأة ، فردّهم الرسول ، منكرا على كل واحد منهم ما طلبه منه ، بقوله : أتشفع في حدّ من حدود الله ؟)) ثم دعا المسلمين ، وخطبهم قائلا : ((أيها الناس ، إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا اذا سَرقَ الشريفُ فيهم تركوه ، واذا سَرقَ الضعيفُ فيهم اقاموا الحدّ عليه ، والذي نفسي بيده ، لو ان فاطمة بنت محمد سرقت ، لقطع محمد يدها .))

وبهذا العدل المطلق ، والمساواة العامة المطلقة في إقامة حدود الله ، تجد النفوس احتراما ، ونزولا — في رضى — على حكمها ..

وثالثا : من التدبير الحكيم في الشريعة الإسلامية ، وفي إقامة احكامها على الحكمة والرحمة معا ، انها لم تجعل قطعَ يد السارق مطلقا ، في أي سرقة ، ومن أي سارق ، دون نظر الى الظروف والأحوال المتلبسة بالسارق حين سرق ، وبالشيء الذي سرقه ، بل جعلت لذلك كله شروطا اذا توافرت ، وجب القطع ، والا كان التعزير بالحبس ، أو الضرب ، أو نحو هذا ، بدلا من القطع .. وذلك :

١ — أن يكون المسروق شيئا ذا قيمة ، أي له اعتبار في حياة الناس الاقتصادية ، وفي قوته الشرائية ، وقد كان ذلك مقدّرا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بربع دينار فصاعدا ، كما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها ،

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((تُقطع اليدُ في ربع دينار فصاعدا)) ، (صحيح مسلم) .. وهذا النصاب الموجب للقطع يقدّر في كل زمان ومكان بحسب قيمته ، بالنسبة لعصر النبوة ..

٢ ــ أن تقع السرقة في مال محروز ، أي محفوظ في حرز ، فالمال الضائع من صاحبه ، أو المتروك في طريق عام من غير حراسة ، والثمرُ الذي يكون في الشجر ، بلا حائط ، والماشية المرسلة ، من غير راع ، ونحو هذا ، لا قطع فيه ،ولكن يُعزّر سارقه ، ويضاعف عليه الغُرم ، أي يردّ المسروق ، ومثلهُ معه ..

٣ ــ ما أخذ بالفم ــ اي لأكله ساعة أخذه ــ من ثمر على شجر ، ولم يَحمل منه شيء ، لا قَطْعَ فيه ، ومن احتمل شيئا غير ما أكل ، فعليه ضعف ثمنه ، ويُضرب نكالا له ، وزجرا لغيره ..

٤ ــ السرقة في أوقات المجاعات ليس فيها قطع ، وتدخل في باب التعزير ..

٥ ــ وهناك أحوال وظروف ، يراها وليّ الأمر ، ويقدرها في كل من السارق ، والمسروق ، فتكون شبهة يد رابها الحدّ ، فلا يقطع يد السارق ، وإن جاز أن يعزره ..

فقد روى عن أميّة المخزومي ، رضي الله عنه ، قال : ((**اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلص قد اعترف اعترافا كاملا ، ولم يوجد معه ما سرقه ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما إخالك سرقت ! قال : بلى ، فأعاد عليه النبي مرتين أو ثلاثا ، فامر به فقطع ، وجيء به ــ بعد القطع ــ الى النبي ، فقال له : استغفر الله وتب اليه ، فقال : أستغفر الله وأتوب اليه ، فقال نبي الرحمة : اللهم تب عليه ، اللهم تب عليه ، اللهم تب عليه ..**)) (بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، لابن حجر) .

وقد درأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحد ، عن عبد من مال الصدقة سرق من مال الخمس ــ اى خمس الغنائم ــ وقال الرسول الكريم : ((**مال الله ، سرق بعضه بعضا**)) (زاد المعاد ، في هدى خير العباد لابن القيم) .

٦ ــ يجوز لصاحب المال المسروق اذا ضبط السارق أن يعفو عنه ، قبل أن يصل الأمر الى القضاء ، وفى العفو تأديب للسارق ، وإفساح الطريق له الى التوبة ، واستنقاذ نفسه من الهاوية التى تردى فيها .. أما اذا وصل الأمر إلى الحاكم فلا مكان لعفو المسروق منه اذ خرج الأمر من يده وصار الى يد ولى الأمر فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال لصفوان بن أمية ، وقد جاءه ليشفع فيمن سرق رداءه ، ((**هلا كان ذلك قبل أن تاتينى به ؟**)) (بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، لابن حجر) .

وهكذا يجتمع فى حد السرقة ، التأديب الزاجر ، مع الرحمة القائمة على الحكمة والعدل ، بما لا يمكن لأى قانون وضعى أن يُمسكِ بهذا الامر طرفيه على هذا النحو ، أو أن يجد شيئا جديدا يضيفه اليه ، مهما اجتهد الباحثون ، ومهما بالغ المصلحون فى تحرى المصلحة العامة للمجتمع ، ودفع عوارض التصدع لبنيانه ، ورد عوادى الشر عن أهله .. وفى مسيرة الأيام ، وفى مجرى أحداثها ، ما يكشف .. ان عاجلا او آجلا .. عن الصدق المطلق ، لكل آية من آيات الكتاب الكريم ، ولكل كلمة من كلماته ، وكل حرف من حروفه ، وأنه منزل من عالم الحق ، ((**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد**)) (٤٢ : فصلت) .

هذا ، والى عدد تال ان شاء الله ، لنلتقى بالحد الشرعى لشارب الخمر ، وبالله العون والتوفيق .

حول قياس الزمن

للدكتور محمد جمال الدين الفندى

نبذة تاريخية :

قاس الانسان منذ القدم الزمن ، واستخدم فى سبيل ذلك ظواهر طبيعية تتكرر بانتظام مثل تعاقب الليل والنهار ، ومثل أوجه القمر ، وتعاقب الفصول .. وعلى هذا الاساس استنبط عدة وحدات هى اليوم والشهر والسنة .. وهى على التوالى ناجمة عن دوران الارض حول محورها ، ودوران القمر حول الارض ، ثم دوران الارض حول الشمس ..

وفى الحقيقة اختلف تعريف السنة باختلاف طريقة قياسها عند مختلف الشعوب . فهناك سنون قمرية ، وأخرى شمسية . وهناك أيضا تقويم الشرق الاوسط السريانى وهو شمسي وضعه فى الأصل أحد قواد الاسكندر الاكبر ثم صحح حديثا ليساير التقويم الميلادي الجريجورى .

وتعرف السنة القمرية بأنها المدة التى خلالها يكمل القمر دورته الشهرية المعروفة اثنتى عشرة مرة ، ومقدارها ٣٥٤ ٣٦٦/١٠٠٠ يوما .

والتقويم الهجرى أو الاسلامى يقوم على أساس الشهور القمرية ، كما أمر بذلك سيدنا عمر بن الخطاب . وهى : محرم — صفر — ربيع الأول — ربيع الثانى — جمادى الأولى — جمادى الآخرة — رجب — شعبان — رمضان — شوال — ذو القعدة — ذو الحجة .

ومما هو جدير بالذكر أنه يمكن تحديد هذه الشهور برصد أوجه القمر فى السماء وهى تمر تباعا أمام أنظارنا .

أما التقويم الشمسي فأساسه السنة التى تستغرقها الارض فى سبحها من حول الشمس لكى تعود الى نفس الوضع الذى كانت عليه فى السنة السابقة . وكان المفهوم عند الأقدمين أن تلك السنة تساوى ٣٦٥ر٢٥٠ يوما على التمام ، الا انه اتضح أن السنة الشمسية قوامها ٣٦٥ر٢٤٢ يوما بدلا من ٣٦٥ر٢٥٠ يوما ، أى بفرق قدره نحو ١١ دقيقة فى السنة .

ولما كانت السنة الميلادية هى سنة شمسية تبدأ من ميلاد عيسى عليه السلام ، فقد نجم عن هذا الفرق الذى يساوى ١١ دقيقة فى السنة ، انه فى عام ١٥٨٢ ميلادية ، فى عهد البابا جريجور الثالث عشر ، أن تراكمت

وتوحيد المطالع

فترة زمنية قدرها عشرة أيام . ولذلك أصدر البابا قرارا بجعل ٥ اكتوبر عام ١٥٨٢ ميلادية هو يوم ١٥ أكتوبر ، وذلك هو أساس الحساب الجريجورى للشهور : يناير — فبراير — مارس — ابريل — مايو — يونيو — يوليو — اغسطس — سبتمبر — أكتوبر — نوفمبر — ديسمبر .

وبطبيعة الحال لا تمثل هذه الشهور اشارات واضحة فى السماء مثل اوجه القمر التى تحدد معالم الشهور القمرية ، ولـكن جرى العرف على تقسيم السنة الشمسية الى ١٢ شهرا .

وحدث أن جاء العرب الى رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم وسألوه عن سر أوجه القمر ، أو الأهلة وتزايدها الى البدر ثم تناقصها الى المحاق . فلفت القرآن أنظارهم مشيرا الى أن هذه من ظواهر قياس الزمن ، وقال فى سورة البقرة آية (١٨٩) :

((**يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج**)) .

وقال عن هلال شهر رمضان فى سورة البقرة آية (١٨٥) :

((**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**)) .

وكان من عادة المسلمين تحريم الحرب والقتال خلال الاشهر الحرم : وفى هذا المعنى يقول القرآن الكريم فى سورة المائدة آية (٢) :

((**يايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام**)) .

والاشهر الحرام هى : محرم — رجب — ذو القعدة — ذو الحجة .

قياس الزمن :

يقاس الزمن عن طريق التـكرار المنتظم لبعض ظواهر الطبيعة . والظـاهرة المثلى التى تؤدى هذا الغرض هى ظاهرة دوران الارض حول محورها . ولقد استغل الانسان تلك الظاهرة منذ القدم فى حساب الزمن كما قلنا .

ويعتبر الفلكيون الفترة المحصـورة بين عبورين متتاليين لنقطة بالذات على الكرة الارضية هى اليوم النجمى ويساوى ٢٤ سـاعة على التمام الا نحو ٤ دقائق .

أما نحن في حياتنا العادية فاننا نستخدم اليوم الشمسي . والمقصود به الفترة من الزمن اللازمة لعبورين متتاليين لشمس متوسطة على خط الزوال ، وقد قسم الى ٢٤ ساعة . ولكن الشمس الحقيقية تارة تبدر وتارة تؤخر بسبب عدم انتظام أو عدم تساوى سرعة دوران الارض من حول الشمس ، كما أن مستوى المدار يميل على مستوى الاستواء السماوى .

ويختلف اليوم المدني باختلاف البلاد ، الا أنه يبدأ من منتصف الليل ، بينما يعتبر الفلكيون أول اليوم هو عندما تمر الشمس بخط الزوال ، أي عند الظهر الحقيقي ، بينما يبدأ اليوم عند المسلمين من لحظة غروب الشمس .

ويقسم اليوم المدنى الى ٢٤ ساعة . واستخدم الأقدمون الساعات المائية والساعات الرملية في قياس الزمن طوال اليوم . والساعة المائية أو الرملية هي ببساطة عبارة عن وعاء خاص يوضع فيه الماء أو الرمل وله ثقب صغير في أسفله يتسرب منه الماء أو الرمل بمعدل ثابت ، بحيث أن ما ينساب منه في فترات متساوية يكون متساويا كذلك .

أما المزاول الشمسية فهي أيضا في أبسط صورها عبارة عن عمود رأسي أو شاخص يعرض لأشعة الشمس بحيث يبين طول الظل الممدود لهذا العمود ساعات النهار في أي مكان . وعندما يصل طول الظل أقل قيمة له تكون الشمس بطبيعة الحال في الزوال أو تمر على خط الزوال وهو منتصف النهار . ولا يكون طول الظل صفرا الا في حالات تعامد الشمس فوق الرؤوس ، أي مرورها بسمت الرأس . وهذه الحالة لا تتوافر الا اذا كان المكان بين خطي عرض ٢٣½ درجة شمالا وجنوبا ، وتشاهد مرتين في العام أثناء حركة الشمس الظاهرة تجاه الشمال والجنوب .

واستخدم العرب المزاول الشمسية ، خصوصا الميقاتيون من العرب ، أي الذين اختصوا بتقدير الزمن ، للتعرف على أوقات الصلاة بدقة تامة مثل الخليلي وابن الشاطر وابن يونس المصرى وغيرهم .

وللمزاول الشمسية عدة أشكال ، منها ما هو على هيئة عمود رأسى يقام فوق سطح الارض كما قدمنا . ومنها المملول الذى يتجه نحو القطب الشمالى بزاوية ميل على سطح الارض تساوى خط عرض المكان . ويكون الظل الممدود الذى تحدثه أشعة الشمس على سطح الارض خلال حركتها اليومية متحركا حركة منتظمة ويعين الزمن وفقا لتدريجات خاصة على المزولة لساعات النهار . ويميل وتر المثلث على الأفق بزاوية تساوى خط عرض المكان .

والشمس المتوسطة التى سبق أن ذكرناها هى شمس تمشى ظاهريا بسرعة منتظمة حول الارض في مستوى خط الاستواء . وهذه الشمس تضبط تبعا لها الاوقات المدنية ، ويعدل الزمن بعد ذلك في أى مكان ، ويكون تعديل الزمن هو الفرق بين زمنى الشمس الحقيقية . والشمس المتوسطة أو الخيالية هذه التى نقيس بها الزمن المدنى .

المناطق الزمنية :

تدور الارض حول محورها أمام الشمس ، وبذلك يظل نصف منها يضيء بضوء النهار بينما يظل النصف الآخر البعيد عن الشمس مظلما ، أى يخيم عليه ظلام الليل .

هذه حقيقة من الحقائق العلمية الثابتة ، والحقيقة الاخرى ان المناطق المنيرة لتعرضها لضوء الشمس تتغير ، وبالمثل تتغير كذلك المناطق المظلمة التي لا تواجه الشمس بمضي الوقت وباستمرار دوران الارض حول محورها مرة كل ٢٤ ساعة أو كل يوم .

وبديهى أنه عندما ينتصف النهار فى مكان ما على خط طول معين يكون المكان المقابل له تماما على الجانب الآخر أو على خط الطول المقابل للكرة الارضية فى منتصف الليل .

وواضح أن الزمن أو الوقت من النهار يتدرج على سطح الارض من خط طول الى آخر ، بحيث أن الظهر أو انتصاف النهار فى المكان المختار يتدرج الى العصر ، فالمغرب ، فالعشاء ، فمنتصف الليل فى المكان المقابل ، فالفجر ، فالصبح ، فالضحى ، ثم الظهر عند نقطة الابتداء .

وليس من السهل أن نضبط ساعاتنا التى معنا كلما انتقلنا من خط طول الى آخر . ولو اننا فعلنا ذلك لوجب أن تسبق الساعات التى فى شرق أى اقليم أو قطر مثيلاتها من الساعات التى فى غرب الاقليم .

ومن أجل توفير الجهد لجأ العلماء الى تقسيم سطح الارض الى ٢٤ منطقة زمنية بعدد ساعات اليوم كما تحددها خطوط الطول . وكل منطقة تتحد فى زمن معين هو الزمن الرئيسى للمنطقة .

والزمن الرئيسى هو الزمن الذى يتبع الشمس فقط عند خط الطول المركزى للمنطقة ، بينما الاماكن التى بالقرب من حدود تلك المنطقة يختلف وقتها الرئيسى عن وقت الشمس بمقدار نحو نصف ساعة . وبديهى أن مواقيت صلاة الظهر والعصر مثلا انما تحدد بوقت الشمس فى أى مكان وليس بالوقت الرئيسى .

وعندما نقسم سطح الارض كله على عدد المناطق الزمنية ، نجد أن كل منطقة يخصها ١٥ درجة من خطوط الطول هى خارج قسمة ٣٦٠ درجة على ٢٤ ساعة . ومعنى ذلك أن هناك ازاحة قدرها ساعة كاملة لكل ١٥ درجة من درجات خطوط الطول .

وعندما تم رسم الخرائط الجغرافية الدقيقة لسطح الارض ، اتخذ العلماء خط طول جرينتش نقطة الابتداء أو الصفر دوليا . وذلك فى أواخر القرن التاسع عشر . ونجم عن ذلك أن وقت جرينتش صار يعرف باسم متوسط الزمن فى جرينتش .

وتقع الدول الصغيرة مثل مصر داخل منطقة زمنية واحدة . ولكن يتغير ذلك فى الاقطار الكبيرة ذات المساحات الواسعة ، مثل الولايات المتحدة

الروسية ، أو الولايات المتحدة الامريكية ، حيث يمكن أن يضم القطر الواحد أكثر من عشرة مناطق زمنية . وقد عملت محاولات لادخال عدة دول داخل ارتباط زمنى وثيق . فمثلا أيرلنده تدخل فى نفس المنطقة الزمنية لبريطانيا .

كما يجب أن تلاحظ أنك اذا كنت مسافرا نحو الغرب فعليك أن تؤخر ساعتك من وقت الى آخر ، أما اذا كنت مسافرا تجاه الشرق فيلزمك تقديم الساعة ..

وعندما تكون أوربا فى منتصف الليل حيث انتهى يوم الجمعة مثلا وبدأ يوم السبت ، تكون أمريكا لا تزال فى يوم الجمعة ، بينما آسيا بدأت يوم السبت فعلا . وعلى ذلك فيوم الجمعة فى نصف الارض يقابله يوم السبت فى النصف الآخر . والخط الذى على طوله يتقابل التاريخان يقع فى منطقة تكاد تكون غير مسكونة من العالم هى المحيط الهادى ، ويجرى الخط بين الاسكا وسيبريا ويعرف باسم خط التاريخ الدولى .

التوقيت الشتوى والتوقيت الصيفى :

يميل محور دوران الارض ومستوى معدل النهار بمقدار ٢٣١/٢ درجة على مستوى مسار الارض حول الشمس الذى تقطعه الارض فى سنة كاملة اى نحو ٣٦٥١/٤ يوما .

ونظرا لميل محور دوران الارض حول نفسها بهذا القدر لا تتعامد اشعة الشمس فعلا على خط الاستواء الا فى يومى ٢١ مارس ثم ٢٢ سبتمبر وعندها يتساوى طول الليل والنهار فى كل الارض .

وفيما بعد ٢١ مارس تبدأ الشمس هجرتها الظاهرية نحو الشمال ، فيزداد طول النهار على طول الليل فى نصف الكرة الشمالى ، حتى تصل الشمس مدار السرطان — أو خط عرض ٢٣١/٢ درجة شمالا — وهو اقصى مدى لهجرة الشمس الظاهرية نحو الشمال ، ويكون ذلك فى ٢١ يونيو حيث يتعامد الاشعاع الشمسى على مدار السرطان . ومن ثم تنتقل الشمس ظاهريا صوب الجنوب حتى تتعامد من جديد على خط الاستواء فى ٢٢ سبتمبر ، ثم تستمر فى السير جنوبا حتى تبلغ مدار الجدى — اى خط عرض ٢٣١/٢ درجة جنوبا — فى ٢٢ ديسمبر ، ومن ثم ترجع مرة أخرى وهكذا .

وتبعا لهذا يتغير طول النهار من فصل الى آخر ، فهو فى القاهرة نحو ١٤ ساعة فى الصيف ونحو ١٠ ساعات فى الشتاء . ويصل طول النهار عند خط عرض ٤٠ درجة الى نحو ١٥ ساعة فى الصيف ، وعند خط عرض ٦٦ درجة الى نحو ٤ر٢ شهرا ، وعند الدائرة القطبية ستة شهور .

وينعدم الاشعاع الشمسى عند القطب الشمالى خلال الفترة الممتدة من ٢٣ سبتمبر الى ٢١ مارس ، لأن الشمس لا تشرق هناك خلال تلك الفترة من الزمن . ويكون الاشعاع ظاهرا فى المدة الواقعة بين ٢١ مارس و ٢٢ سبتمبر . وعلى الرغم من وجود هذا الاشعاع فان درجة الحرارة عند القطب تستمر تحت نقطة الجليد طوال الصيف بسبب عظم ميل الأشعة على سطح الأرض .

وما التوقيت الشتوى والصيفى الا محاولة أو حيلة يتذرع بها الانسان فى محاولة عمل التوازن بين طول النهار فى الشتاء وطوله فى الصيف .

ولا تتبع الارض فى مسارها من حول الشمس دائرة كاملة بل انهـا تنطلق سابحة فى مسار على هيئة دائرة مستطيلة ، أو ما يسمى علميا باسم القطع الناقص . وعلى ذلك فان المسافة بين الارض والشمس تتغير بصفة مستمرة فتكون فى يناير (قلب الشتاء عندنا) نحو ١٤٧ مليون كيلو مترا ، كما تكون فى شهر يوليو (قلب الصيف عندنا) نحو ١٥٢ مليون كيلو مترا ، اى بزيادة قدرها نحو ٥ مليون كيلو مترا .

وعلى الرغم من أن الارض تكون فى الشتاء اقرب الى الشمس فى الصيف ، فان درجة حرارة نصف الكرة الشمالى تكون اقل بسبب عظم ميل اشعة الشمس فى الشتاء .

وما من شك أن محاولة عمل توازن بين ساعات الليل والنهار فى كل من الشتاء والصيف له فوائد جمة ، أولها استغلال الوقت للعمل المنتج المثمر . وقديما قيل : « الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك » . أما مواقيت الصلاة والعبادات فلا دخل لها بهذا التوقيت .

حول توحيد المطالع :

فى ضوء محاولات توحيد المطالع يراعى ما يلى :

١ ـــ أن الرؤية* عسيرة جدا ، لأن الهلال يكون قريبا من الافق واستضاءته لا تختلف كثيرا عن درجة استضاءة السماء ، كما أن الضوء المنعكس منه يقطع من الافق مسافات طويلة خلال الغلاف الجوى والعين يعتريها التعب عند مشاهدة هذا الجرم وتلك المواقع .

٢ ـــ ظاهرة الميلاد للهلال الجديد . أى عندما يكون القمر فى الاجتماع مع الشمس (الاقتران) ، ظاهرة عالمية ويمكن تحديد مواقيتها بدقة عالية عدة سنوات مقبلة .

٣ ـــ ظاهرة غروب الشمس او القمر ظاهرة محلية تختلف باختلاف الآفاق . والمقارنة بين ظاهرة عالمية وظاهرة محلية تتطلب أولا أن تكون الظاهرتان على نسق واحد . فمن ناحية الغروب اما أن نحدد المكان او نرتفع بالظاهرة المحلية الى مستوى الظاهرة العالمية باستخدام جميع الآفاق على سطح الارض . وقد يكون ذلك غير سهل أو غير ميسور .

٤ ـــ اذا ما تحدد المرجع : الدار البيضاء ـــ القاهرة ـــ أو مكة .. فالافضل أن تكون الدار البيضاء لانها أقصى البلاد الاسلامية غربا ومن ثم يكون التصحيح الناتج من الرصد اقل قيمة ، بمعنى انه اذا شوهد الهلال فى الشرق فانه يشاهد حتما فى الغرب .

٥ ـــ من خلال التجارب الطويلة تبين أن سائر الدول الاسلامية تحدد أوائل الشهور العربية عند اقرب غروب للشمس من مواعيد ميلاد الهلال .

٦ ـــ اذا تم ميلاد الهلال الجديد نهارا وكان عمره عند غروب الشمس

* يعنى الرصد بالعين المجردة أو بالمناظير الفلكية كما هو مألوف ومعروف .

وراء الافق حوالى ١٤ ساعة فان رؤيته تكون ممكنة لأن مكثه بعد الغروب يستغرق اكثر من ١٢ دقيقة ويمكن رؤيته .

٧ — اذا تم ميلاد الهلال الجديد بعد غروب الشمس فان رؤيته قد تكون ممكنة فى اقصى الآفاق غربا لأنه قد يبلغ عمره حوالى بضع ساعات عند الغروب فى تلك الآفاق .

٨ — لكى نتمكن من توحيد اول شهر الصيام مثلا يجدر بنا اولا أن نصل الى اتفاق مع سائر الدول الاسلامية على الطريقة المثلى التي يمكن أن نتبعها من اجل تحديد مولد هلال هذا الشهر ، وكذلك معنى كلمة (شهد) وهل يمكن ان يتم المعنى باستخدام قوى العقل والعلم .

٩ — اذا تم الاتفاق على الطريقة يصبح من السهل علينا توحيد كل المواقيت ، شأنها فى ذلك شأن الحج .

١٠ — الحساب الفلكي يتضمن المشاهدة باستخدام قوى العقل ، وهو من الطرق المثلى التى لا يتطرق اليها الشك . فالهلال انما يولد فى لحظة واحدة بالنسبة لسطح الارض كله ، ويمكن حساب مدة مكثه فوق الافق بعد الغروب فى كل بلد . ويمكن أن يضع جمهور علماء الدين ما يحلو لهم من شروط فى هذا الصدد ، حتى اذا ما استقر الرأى ، وسويت الخلافات ، وأجيبت الاسئلة ، ودرست كل الاوضاع ، أمكن فى ضوء ذلك كله توحيد المطالع .

الشهر القمرى :

يتم القمر دورة كاملة حول الارض فى ٢٩ يوما ، ١٢ ساعة ، ٤٤ دقيقة ، ٢٫٨ ثانية وهى طول الشهر العربى على التمام . ولكن باستخدام أيام صحيحة (كما هو متبع) نقول أن هناك شهرا طوله ٣٠ يوما وآخر طوله ٢٩ يوما بصفة عامة وذلك للتخلص من الكسور . ولا يلزم أن يكون الترتيب هو ٣٠ ثم ٢٩ يوما على التوالى ، بل قد تتوالى الشهور المتساوية الأيام . وتكمل كسور الثوانى فى الشهر القمرى يوما واحدا فقط كل ٢٥٠٠ سنة .

وعلى أية حال نجد ان متوسط طول السنة القمرية هو ٣٥٤ يوما (يعنى ٢٩٫٥ × ١٢) مع فرق قدره ١١ يوما كل ٣٠ سنة ، بحيث تصبح القاعدة العامة هى : كل ٣٠ سنة تمر ١٩ سنة بسيطة عدد أيام كل منها ٣٥٤ يوما (أى بفرق نحو ١١ يوما عن السنة الشمسية) و ١١ سنة كبيسة عدد أيام السنة منها ٣٥٥ يوما (أى بفرق نحو ١٠ أيام فقط عن السنة الشمسية) .

وعلى هذا النحو يكون مجموع فروق الأيام كل ٣٠ سنة هو ١٩ × ١١ + ١١ × ١٠ = ٣١٩ يوما ، يضاف اليها ٧ ١/٢ يوما لأن السنة الشمسية هى كما نعرف نحو ٣٦٥٫٢٤٢ يوما . وبذلك يكون مجموع الفروق كلها هو ٣٢٦٫٥ يوما .

وعندما نستخدم هذا الحساب الدقيق الى حد كبير فى تحويل ٣٠٠ سنة شمسية الى سنين عربية اسـلامية نجد انها تزيد بمقدار ٣٢٦٥ يوما فى الحساب . وهذا القدر يعادل بالسنين العربية الصحيحة ٩ سنوات كاملات باستثناء بعض الشهور ، مما يلقى الضوء على التعليق العلمى (بالحساب الفلكى السليم) على قول الله عز وجل فى سورة الكهف الآية (٢٥) :

((ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا)) .

فهل كان الرسول الكريم فلكيا بارعا وحاسبا للتقاويم .. ؟ انها بحق رسالة الخالق العليم ..

الكسوف والخسوف :

لما كنا بصدد استخدام الشـمس والقمر فى تقدير الزمن ، نرى انه لا مناص من التعليق على ظاهرتين كونيتين تلازمان الشمس والقمر وتعرفان على الترتيب باسم الكسوف والخسوف .

فالمعروف أن الشمس هى مصـدر الطاقات والنور فى مجموعتنا الشمسية كلها ، وأن القمر يدور حول الارض فيجىء بينها وبين الشمس تارة (المحاق) ثم تجىء الارض بينه وبين الشمس تارة أخرى . والمفروض أن ذلك يحدث كل شهر عربى .

فاذا جاء القمر بين الشمس والارض يصير من المحتمل أنه يحجب ضوء الشمس عن الارض ويحدث ذلك فعلا فى حالة تواجد الاجرام الثلاثة على خط مستقيم . وتسمى الظاهرة باسم الكسوف حيث يدخل جزء من سطح الارض مخروط ظل القمر ويكون الجزء المعتم من قرص الشمس هو سطح القمر المظلم الذى يواجه الارض فى ذلك الوضع .

ونظرا لصغر حجم القمر فان مخروط ظله يكون صغيرا نسبيا بحيث أن اتساعه عند سطح الارض لا يتعدى ٦٩ ميلا فقط . وعلى هذا النحو لا يكون الكسوف كليا الا على مساحة من سطح الارض لا يتعدى ٦٩ ميلا . وهذا من لطف الله بنا ورحمته ، لأن الطاقة الشمسية هى أساس الحياة ومصـدر الطاقات كلها على الارض ، ولو أنها احتجبت عن سطح الارض كله دقيقـة واحدة لحدثت تطورات واضطرابات فى الجو لا تستقيم معها الحياة .

ويختزن النبات طاقة الشمس على هيئة كربون يسـتخدمه فى بناء أجسامه (الخشب) وفى عمل السـكر والنشا والزيوت .. وما الفحم الحجرى وما البترول الا طاقات شمسية مدخرة بطريقة كيميائية تمت فى القدم أثناء عصور الارض الجيولوجية .

وأما مخروط ظل الارض فهو كبير نسبيا يبلغ طول قطره على مدى فلك القمر نحو ٥٦٩٠ ميلا ، أى أكثر من ضعف قطر القمر البالغ ٢١٦٠

ميلا . وعلى ذلك فمن الممكن أن يدخل القمر كله مخروط ظل الارض وعندئذ يستطيع كل من على الارض ممن اكتمل عندهم القمر بدرا أن يرى الخسوف الكلى للقمر . وهذا بخلاف كسوف الشمس الكلى الذى لا يمكن ان يرى الا من على مساحة طبيعية امتدادها ٦٩ ميلا فقط كما قدمنا .

ويسأل البعض : اذا كان الامر كذلك فلماذا لا يحدث الكسوف والخسوف كل شهر .. ؟

واجابة السؤال أنه لا يحدث الاقتران أو تواجد الأجرام الثلاثة على استقامة واحدة كل شهر بسبب ميل فلك القمر على فلك الارض .

وثمة حقيقة اخرى فلكية فحواها أن الخسوف يشاهد أكثر من الكسوف لأن مخروط ظل الارض اكبر بكثير من مخروط ظل القمر ، مما يزيد من فرصة حدوث الخسوف بطبيعة الحال .

وليس للخسوف من اهمية تذكر بالنسبة للكسوف ، وذلك لأن خسوف القمر هو مجرد ظاهرة فلكية ، أما كسوف الشمس فتتبعه حتما ظواهر أخرى بسبب احتجاب أشعة الشمس وانقطاع ورود طاقاتها على الوجه الاكمل .

ومن أروع ما يرصد فى حالة الكسوف الكلى أكليل الشمس أو التاج الذى يغلفها ويمتد عبر الفضاء بشكل رائع . ولكن هذا الاكليل لا يمتد عبر مسافات متساوية من حول الشمس . ولعل السر فى ذلك تأثيرات مدار الشمس المغناطيسية .

ومن أروع ما قد يشاهد أثناء الكسوف الكلى شواظ الشمس ، وهى ألسنة من غاز الايدروجين المستعر تنساب عبر الفضاء فى أكداس مذهلة . والشمس كما نعلم عبارة عن قنبلة ايدروجينية على حد تعبيرنا العلمى الحديث ، وهى تمثل مواقد الطبيعة التى تمد الكواكب بالطاقة .

ومن أكبر صفات شمسنا أنها نجم متزن يعطى قدرا ثابتا من الطاقة ، لا يتغير على مدى الاجيال الجيولوجية وان تغير فى حدود ضيقة من شهر الى آخر بالزيادة والنقصان .

وثبوت الطاقة الشمسية واتزان قدرها هو سر نشوء الحياة وتطورها وازدهارها على الارض . ولولا ذلك لما أمكن قيام حياة على كوكبنا . فلو تصورنا مثلا أن طاقة الشمس تتناقص بحيث تنخفض درجة حرارة الارض بمقدار جزء من مائة جزء من الدرجة فى العام الواحد ، فان معنى ذلك أن درجة الحرارة خلال ٤ آلاف سنة (منذ عهد بناء الهرم مثلا) انما تنخفض بمقدار ٤٠ درجة وهو أمر مستبعد ولم يحدث .

ومعنى ذلك ان قيام الحياة على الارض يطلب استعدادات عظمى فى السماء مصداقا لقوله تعالى فى سورة غافر (الآية ٥٧) :

« لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

٣

العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق

ليس في الإسلام مكان للعلمانية

للدكتور محمد البهى

الاسلام وموقفه من العلمانية :

أما موقف الاسلام فهو ضد العلمانية باى من المفهومين ، لانه :

أولا : ــ يوم أن شدد فى دعوته على « التوحيد » ومقاومة « الشرك » فى العبادة ... قصد الى رفع الازدواج والثنائية فى تحديد مصير الانسان ، وفى توجيهه ، والى المساواة ــ فيما عدا الله ــ بين الناس . فليس بينهم معصوم سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تبليغ ما أمر بتبليغه الى الناس . والجميع بعد ذلك سواء فى جواز الخطأ والصواب فى تفكيرهم ، وسلوكهم ، وتصرفاتهم .

ومعنى ذلك : انه ليست هناك حكومة الهية من مجموعة من الناس أيا كان

اخلاصهم فى العبادة لله ، وأيا كانت منزلتهم منه ، اذا أخذت بتعاليم القرآن واتبعت مبادئه في سياستها . فهي حكومة انسانية وتظل حكومة انسانية تخضع للخطأ والصواب . ولذا ــ عند النزاع فى الأمر مع القائمين على شأن الحكومة الاسلامية ــ فالقرآن يطلب العودة بالنزاع بين الطرفين : طرف الحاكمين وطرف المحكومين .. الى كتاب الله وسنة رسوله التي تعبر عنه ، توضيحا أو تطبيقا ، يقول الله تعالى : ((**ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس : أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا . يا أيها الذين آمنوا : أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا**)) (النساء ٥٨ ، ٥٩) .. فهنا يأمر القرآن المؤمنين جميعا من : أولى الأمر وغيرهم بأربعة مبادىء :

أولا : ــ بأداء الامانات الى اهلها . وفى مقدمتها أداء صاحب الولاية العامة أمانة ولايته ، لمن يولى عليهم . وبالأخص العمل طبقا لما جاء فى كتاب الله ، وسنة رسوله .

ثانيا : ــ بمباشرة العدل فى الحكم والقضاء بين الأطراف المعنية فى الخصومة .

ثالثا : ــ بالطاعة لما لله من قوانين ومبادىء فى صورة : أوامر ، أو نواهى ، أو وصايا ، طبقا لما جاء فى كتابه ، وفى سنة رسوله : قولا ، وعملا .

رابعا : ــ بالاحتكام الى ما لله فى القرآن وسنة الرسول من مبادىء وأحكام وتطبيق عملى ، عند التنازع بينهم وبين أولى الأمر منهم .

... فطلب القرآن رجوع المؤمنين جميعا الى ما لله فى الكتاب والسنة ، ما بين ولى أمر ، ومن عداه فى الجماعة .. يوضح فى غير ابهام : أن أصحاب الحكم والولاية العامة فى الجماعة المؤمنة لا يرتفع مستواهم الى « العصمة » عن الخطأ . وانما يجوز عليهم الخطأ كما يجوز عليهم الصواب ، فى الشئون الدنيوية . لأن تبليغ الوحى معصوم عن الخطأ . وقد عاتب القرآن الكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم عتابا قاسيا على موافقته فى سياسة الحرب مع الأعداء الماديين الملحدين .. على رأى أبى بكر رضى الله عنه ، اذ يوجه اليه القول فيما تسجله هاتان الآيتان : ((**ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن** (أى يتثبت ويقوى) **فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا** (وهو مال الفداء) **والله يريد الآخرة** (أى ثوابها لكم) ، **والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق** (أى لولا قضاء من الله سبق بالعفو) **لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم**)) (الانفال ٦٧ ، ٦٨) .. فقد كان الرأى فى معاملة أسرى (بدر) بين اطلاق سراحهم بفدية مالية ــ والمؤمنون يومئذ كانوا فى حاجة ماسة الى المال ــ أو قتلهم تنقيصا لعدد الأعداء ، وارهابا لهم من الاقدام على مهاجمة المؤمنين ومحاولة اذلالهم والتأليب عليهم ، والمؤمنون يومئذ كذلك كانوا قلة ، ولقلتهم كانوا مستضعفين . وأشار أبو بكر بالرأى الأول ووافقه عليه الرسول ، بينما أشار عمر بالرأى الثانى . وعندما نزل الوحى بهذا العتاب كجزء لا ينفصل من كتاب الله .. ظهر أن الصواب فى وضع المؤمنين القائم اذ ذاك .. كان فى جانب عمر . ومعنى ذلك : أن أبا بكر جانبه الصواب فى رأيه .

فهذا المثل من العتاب يدل على أمرين :

أولا : ــ أن الحاكم فى ظل العمل بالقرآن لا يسلم رأيه من مجانبة الصواب .

وثانيا : ــ ان مبدأ « الاجتهاد » مبدأ أصيل ورئيسي في الاســلام . وهو ضرورة للانسان بحكم طبيعته التي تخطيء وتصيب ، وتتطور وتتغير . وقــد مارسه المؤمنون في وقت مبكر على عهد نزول الوحي الأمر الذي يدل على وضع القرآن للطبيعة الانسانية وضعها الصحيح ، فلا يرتفع بها الى مستوى الالوهية او العصمة ، ولا يريد لها أن تنزل الى مستوى المادة التي تدفع الى الهــوى والشهوة فقط ، كذلك الانسان الذي يبتعد عن هداية الله : « **واتل عليهم نبــأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها** (أي جعلناه في مستوى الانسانية الفاضلة) **ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه** (وهذا كناية عن ايثاره الدنو وعدم الرغبة في الارتفــــاع الى ذلك المستوى الانساني الفاضل) **فمثله كمثل الكلب : ان تحمل عليــه يلهث** (أي أن تضطهده وتتبعه يظهر الاعياء والقلق) **أو تتركه يلهث** (أي وكذلك هذا شأنه لو ترك بدون اضطهاد وتتبع فانه يظهر الاعياء والقلق) **ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** » (الاعراف ١٧٦) .

واذا كانت دعوة التوحيد في الألوهية في الاسلام ، تستهدف المساواة ــ فيما عدا الله ــ بين الناس في الاعتبار الانساني ، وفي البقاء في المستـــــوى الانساني ، وفي المشاركة في خصائص الانسانية من الصواب والخطأ .. فانه ليس هناك مكان في جماعة المؤمنين ، او في المجتمع الاســلامي ، لنزاع حول السلطة يقع على اساس : أن بعض المجموعات في المجتمع يتميز عن المجموعات الآخرى على اساس غير انساني . فهذه مجموعة لها : قداسة ، ولقولهـــا : عصمة .. وهذه مجموعة او مجموعات اخرى ليست لها : قداسة ، وليســت لاقوالها : عصمة ، كما هو تصوير مبعث النزاع بين الكنيسة والدولة في الفكر الاوروبي .

كذلك : دعوة القرآن : الى أن الدنيا دار اختبار وابتلاء ، وانها مرحلــة أولى تسبق مرحلة الآخرة .. لا تعني اطلاقا : « شرية » هــذه الدنيــا ، ولا « الانصراف » عن متعها وزينتها ، ومن ثم لا تعني أن الاشـتغال بها أمر قليــل الشأن في ذاته ، واقل شأنا من الاشتغال بدين الله .

ان أبا بكر رضي الله عنه ــ وله حظه في الاسلام وفي الدعوة الى دين الله ــ كان يباشر أمرا من أمور الدنيا ، وهو التجارة .. حتى بعد أن ولى أمر الخلافة أراد الاستمرار في النزول الى الأسواق ومباشرة تجارته ، حتى لقيه عمر رضي الله عنه ونصحه بالاعراض عن ذلــك ، مادام هو في شغل بأمــر المسلمين . ثم جمع الصحابة وسألهم أن يقرروا له في بيت المال ما يسد حاجته فقرروا له ما يكفيه وأسرته .. فلو أن التجارة مثلا كشأن من شئون الدنيا شر أو أمر بخس في نظرة الاسلام الى الدنيا لما اقبل عليها مسلم له قدم راسخة في الاسلام كأبي بكر رضي الله عنه ، واتخذ منها مصدر رزقه ومعيشة أسرتــه ، فضلا عن أن يرغب في الاستمرار في ممارستها بعد أن ولى أمر المسلمين .

واستنكار القرآن لتحريم زينة الدنيا ، وتأكيده ــ بعد هذا الاستنكار ــ حل ما في الدنيا من طيبات من الرزق وزينة فيها للانسان ، في قول الله تعــالى : « **قل : من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل : هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل انما حرم ربي الفواحش : ما ظهر منهــــا وما بطن ، والإثم ، والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به ســـلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** » (الأعراف ٣٢ ، ٣٣) .. هذا ، وذاك : يدل على أن المتع المادية ليست

شرا ، وأن المادة ليست بخسة يجب تجنبها أو على الأقل يجب أن ينظر اليها فى احتقار وازدراء ، كما ينظر لمن يباشر العمل فيها بنظرة أقل . وما أعلنته الآية الثانية هنا من محرمات أخرى فى مقابلها ، وهى ارتكاب المنكرات ، والظلم ، والانحراف ، والشرك بالله ، والاختلاق فيما يوصف به — وهى أمور معنوية ترتبط بالسلوك ، والتصرف ، والاعتقاد للانسان — يؤيد : أن ماديات الحياة الدنيا فى وضع سائغ ومقبول يحمل على استحسانها والرضاء بها والسعى اليها من الانسان نفسه . ولقد طالب القرآن نفسه : أن لا يكون أداء العبادة عاملا على تجاهل الدنيا وعدم الحركة فيها لتحصيل الرزق كما لا يكون السعى فى الدنيا شاغلا عن أداء العبادة فيقول : ((**يا أيها الذين آمنوا : اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**)) (الجمعة ٢٩) .

فأداء العبادة له منزلته فى الاسلام ، وأداء السعى فى تحصيل متع الحياة له منزلته فى الاسلام كذلك . لأنه اذا كانت العبادة تحمل على استقامة الأسلوب فى تحصيل متع الحياة ، فان تحصيل هذه المتع بسعى الانسان يعين بدوره على الاستمرار فى العبادة .

والشىء الذى يحول الاسلام دونه عند تحصيل متع الحياة هو الاسراف فى الاستمتاع بها . لأنه يترتب عليه : اما منع الآخرين من حقهم فى الحياة ، وأما الاساءة الى الذات نفسها بكثرة ما تستمتع به ، يقول الله : ((**يا بنى آدم ! خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين**)) (الأعراف ٣١) .. فينهى عن المبالغة فى الاستمتاع بالأكل والشرب ، اى بمتع الحياة الدنيا ، ولكنه لا ينهى عن تحصيلها وأصل الاستمتاع بها .

وتقدير الدنيا فى — نظر الاسلام — على أن متعها أمر مرغوب فيه لا يجعل شئونها فى سياسة الدولة أمرا بخسا . وبالتالى لا يكون للعلمانية بمعنى التنافس على السلطة لمجموعتين مختلفتين فى الاعتبار ، وفى شأنين غير متساويين فى التقدير — كما هو مفهوم العلمانية فى مرحلتها الأولى — مكان فى الاسلام . فمشكل التنافس فالخصومة بين المتنافسين غير قائم وغير وارد أصلا فى الاسلام . وطالما لا يرد مشكل فى نظامه ، فليس لحله كذلك موضوع فيه .

* وثانيا : — يوم أن وجه الاسلام دعوته الى أهل الكتاب بقوله : ((**قل : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا : اشهدوا بانا مسلمون**)) (آل عمران ٦٤) .. فطلب اليهم الاتفاق على احتفاظ الانسان بسيادته وكرامته ، وذلك بأن لا يعبد الانسان سوى الله وحده .. فلا يعبد الطبيعة وما فيها من كائنات ، ولا يعبد انسانا : فردا ، أو ممثلا لجماعة، كمجتمع ، او دولة ، أو حزب .. يوم أن ناداهم على الاتفاق على هذا المبدأ ، لم يكن مستأثرا وحده بالسلطة ، كما لم يكن مهينا للبشرية ولا مستذلا للانسان .

ان دعوة عدم الشرك بالله . أن دعوة عدم تأليه الطبيعة .. ان دعوة عدم خضوع الانسان للانسان : الشخصى أو المعنوى ، فى تواضع العابد ومذلته .. هى دعوة لابعاد الانسان عن مصدر المذلة ، وللاحتفاظ بالمساواة فى الاعتبار البشرى . واذا عبد الانسان الله وحده فانما يتقرب بعبادته اياه الى محاكاة قيم عليا تصوّر صفاته جلّ شأنه ، وهى صفات الكمال ، فى العلم ، والخلق ، والقدرة ، والحياة والتدبير ، والارادة ، والغنى بالذات .. الى آخر صفاته التى

يتحدث عنها القرآن الكريم . ومن شأن محاكاة مثل هذه القيم العليا فـــي ذات الانسان العابد لله وحده .. تأكد سموّه الانساني واعتباره البشري .

وبتوجيه الدعوة الى أهل الكتاب ــ على هذا النحو ــ ليكونوا على قدم المساواة مع المسلمين فى المحافظة على البشرية من الاهانـــة والمذلـــة ، وفي ممارسة حق الاعتبار الانساني في غير خشية ولا خوف .. لم يكن الاسلام اذن : ذا نزعة انفرادية في تولي سلطة ، ولا ذا ميـــل متطرف للقضاء على معارضـــة المعارضين .. وبذلك يقضى القرآن فى دعوته على نزعة الاستئثار بالســــــلطة لفريق منالناس دون فريق آخر . وهى تلك النزعة التى كانت الدافع الـــــى العلمانية فى مرحلتها الثانية ، وهى مرحلة اليسار المتطرف .

* وبعد ذلك : اذا لم يكن فى الاسلام ازدواج فى السلطة ولا ثنائية في شئون الحياة .. واذا لم يكن الاسلام ذا نزعة استئثارية ، على نحو ما كان يحرك الفكر العلماني الأوروبى .. فان الاسلام من جانب آخر اذا اقام نظامه للحياة الانسانية على مبادىء عامة ، فان من بين هذه المبادىء : مبدأ « الحراكية » وهو الاجتهاد كما كان يسميه محمد اقبال .

ومبدأ الاجتهاد ، مع مبدأ ختم الرسالة الالهية بالرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، كما كان يذكر اقبال ايضا : يتيح للانسان المؤمن ممارسة استقلاله فى اطار هذه المبادىء العامة التى جاء بها الاسلام ، للبحث عن ملاءمة الأحـــداث المتجددة فى حياة الانسان المتطورة . فيلس مبدأ الاجتهاد الا تأملا وتفكيرا فـــي تكييف الوقائع التى لم تقع من قبل ، وليس الا ارجاعها الىمبدأ أو آخر من تلك المبادىء العامة التى تحكم التشريع .

أما ختم الرسالة الالهية ، واعتقاد انتهائها .. فانه يشعر الانسان بمدى استقلاله ، ويحول بينه وبين أن يترقب املاء آخر له فى وقت آخر لاحق . وهو اذ يمارس الآن هذا الاستقلال فى التفكير ، فانه لا يكون مرتبطا الا بتلك المبادىء الموضوعية والعامة ، وهى التى تحدد نظام الحياة للانسان فى جوانبها العديدة : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والمالية ، والأسرية ، والتوجيهية .

١ ــ فسياسة الحكم فى الاســــــلام تقوم على : « الشورى » وعـــــلى « الرعاية » وليست على السلطة والتحكم . ففى مبدأ الشورى يقول الله تعالى : **« فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين »** (آل عمران ١٥٩) .. ويقول فى صفات المؤمنين : **« والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، واذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم ، وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون »** (الشورى ٣٧ ، ٣٩) .. وفى شأن الرعاية يروى الحديث الشريف : كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .. وكما تحمل الشورى : معنى المساواة فى تبادل الرأى .. تحمل الرعاية : معنى العطف ، وتجنب التحكم بالاولى كذلك .

٢ ــ والاقتصاد فى الاسلام لا يقف عند حدّ العمل فى الزراعة والتجارة وحدها ، وانما معهما الصناعة .. كما يستفاد من قول الله تعالى : **« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس »** (الحديد ٢٥) .. كما تقوم المعاملة فيه على حرية العقد ، والبعد عن الغبن فيه ، ولو مترقبا كالغرر ، وتجنب الاحتكار

.. كما هو مفصل في فقه المعاملات : التجارية والزراعية .

٣ ــ وفى الجانب الاجتماعي : يفرض « التكافل » كعبادة وقربى الى الله ، بسد حاجة المحتاج ، والوقوف بجانب الغارم في سبيل مصلحة عامة أو تحت ظروف غير ارادية ، وبمعاونة الانسان على استرداد حريته واعتباره البشرى ، كحق طبيعي له ، وبتعويض المدافع عن المثل العليا للمجتمع .. كما جاء في تحديد مصارف الزكاة .

٤ ــ وفي جانب المال : ينظر الاسلام الى المال في ملكيته على انها : ملكية خاصة ، وفي منفعته على انها : منفعة عامة ، تأسيسا على مبدأ استخلاف الانسان على ما لله اصلا . والاسلام يختلف بنظرته هذه الى المال ، عن نظرة الرأسمالية التى ترى : أن الملكية الخاصة تستتبع المنفعة الخاصة له .. وكذلك : عن نظرة الاشتراكية فى مفهوم « البلشفية » التى ترى : ان تحقيق المنفعة العامة للمال يستوجب الملكية العامة له ، اى يستوجب الغاء الملكية الخاصة ، فالآية التى تطلب الى المؤمنين الحجر على السفهاء بينهم ، وسحب اموالهم الخاصة من تحت أيديهم فى قول الله تعالى : ((**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم** (وهى فى الواقع اموال السفهاء الخاصة وتحت أيديهم) **التى جعل الله لكم قياما** (أى جعل للمسلمين جميعا في هذه الأموال الخاصة ما يقيم حياتهم ومعيشتهم) **وارزقوهم فيها واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفا**)) (النساء ٥) .. هذه الآية التى تحدد هذا الاجراء فى أموال السفهاء على هذا النحو ، انما تجعل هذا الاجراء خدمة للمصلحة العامة ، وفى الوقت نفسه ، هو : دليل على أن حق من لا يملك المال فى المجتمع الاسلامى هو قائم فعلا : فى منفعة المال لمن يملكه . وكذلك قول الله جل شأنه : ((**والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم ، فهم فيه** (أى فى الرزق الذى هو الآن بأيدى المالكين له) **سواء** (أى فصاحب المال ، ومن لا يملك المال من الاتباع : سواء فى ارتباط منفعة اى منهما بالمال الموجود فعلا بيد مالكه والمفضل فيه عن غيره) **أفبنعمة الله يجحدون**)) (النحل ــ ٧١) ؟ (أى اذا لم يؤمن هؤلاء الذين فضلوا فى المال والرزق : بأن الذى يعطونه مما تحت أيديهم من الرزق لأتباعهم الذين لا يملكون شيئا ــ ولا يحق لهم أن يملكوا الآن ، لأن حريتهم فى التملك مسلوبة ــ ليس من رزقهم هم كمفضلين فى الرزق ، وانما هو من حق أتباعهم الذين لا يملكون : فى مالهم هم .. اذا لم يؤمن هؤلاء الذين فضلوا فى المال والرزق بحق أتباعهم فى منفعة أموالهم فانهم عندئذ يكفرون بنعمة الله .. يكفرون أولا بأن المال أصلا هو لله ، ويكفرون ثانيا بمنع الحق عن أن يصل الى صاحبه .. وقول الله هذا : يسرى على سبيل القطع فى منفعة المال بين : من يملكه ، ومن لا يملكه على وجه التأكيد .

وتبنى الاسلام لهذه النظرة في المال يحول دون التواكل واللامبالاة فى العمل كما يحدث فى الملكية العامة فى النظام البلشفى ، ويحد من الأنانية والاندفاع فى فتنة المال واغرائه على العبث والفساد كما يحدث فى الملكية الخاصة فى النظام الرأسمالى .

٥ ــ وفى الأسرة : يحرص الاسلام على التضامن بين أعضائها :

أولا : ــ عن طريق الشورى ، والرعاية المتبادلة بينهم كمجموعة من المؤمنين لعموم قوله الله : ((**وأمرهم شورى بينهم**)) ولعموم ما جاء فى الحديث : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

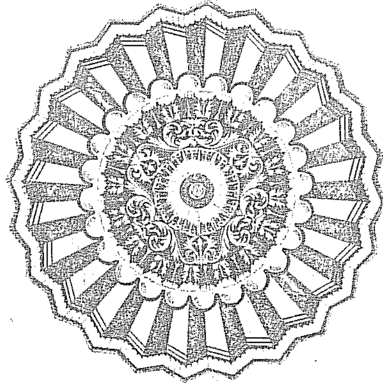
وثانيا : ــ بالتزام القادر من أعضاء الأسرة بنفقة الضعيف فيها : لصغر فى

السن ، أو لشيخوخة فيه ، أو لعجز أو لحائل يحول دون العمل والسعى فى سبيل الرزق .

وثالثا : — باسناد أمر التوجيه وتنفيذ ما استقر عليه الأمر الى الرجل كزوج ، أو اب : **« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم »** (النساء ٣٤) .. فقوامه الرجل : فى ارادته فى التوجيه والتنفيذ معا ، وفى قدرته وطاقته على السعى فى سبيل الرزق والعيش . وهى ارادة وطاقة من طبيعته الخاصة ، التى لم يخلق لها ثديان ، ولا تتعرض طول حياتها للحمل ، والولادة .

والاسلام كدين يفخر بالحفاظ على وحدة الأسرة ، لا لأنه يميل الى النظام القبلى أو هو قائم عليه — كما قد يدّعى — ولكن لأن وحدة الأسرة هى القوة الأولى فى المجتمع الانسانى : فى تماسكه وبقائه . وفى الوقت الذى تعيب فيه بعض النظم العلمانية على الدين كدين : فان العناية بأمر الوحدة فى الأسرة فى الدين ، وهى وحدة طبيعية .. تسعى الى خلق « وحدة » عوضا عنها من « خلية » جماهيرية لا تعدو الصلة بين أعضائها أن تكون « الدفع » .. الى ما يسمى « بالتلاحم » وهو تلاحم بدنى يبقى ما بقيت القوة فى الدفع نحوه ، ولكنه سرعان ما يتبدد اذا ضعف الدافع والممسك به . لأن الرباط عن طريق « الفكر المادى » يبقى فى حدود الأنانيات ، ويستحيل عليه أن يصهرها فى وحدة جماعية نفسية .

٦ — وفى جانب التوجيه : لا يرى الاسلام الاكراه ، ولا ما هو يتنافر مع طبيعة الانسان : من عوامل التوجيه له . انه لا يلزمه بأمر ما . وانما يضع أمامه الدعوة الى مبادئه ، وله مطلق الحرية والمشيئة فى الايمان أو عدم الايمان بها : **« لا اكراه فى الدين »** .. **« ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ »** .. فان أمن فهو يلتزم من ذاته بما آمن به فى التوجيه ، والسلوك ، والمواقف . فلا يلزمه تتبع البوليس ، ولا ارهاب الأجهزة السرية الأخرى ، ولا سلطة القانون . ولذا فان الدولة فى الاسلام دولة انسانية أخلاقية ، وليست دولة بوليسية .



نظرات معاصرة في الجنين

وتفسير بعض ما جاء من خلق الانسان في القرآن

للدكتور احمد شوكت الشطى

التمهيد :

يتمسك بعض الناس في تفسيرآيات القرآن بنصوص ذكرها القدامى تمسكا لا يتناسب مع معارف اليوم ولوأنهم وسعوا آفاق معرفتهم لزاد ايمانهم بان القرآن والعلم لا يتعارضان . فقد جعل القرآن العلم حيث يكون العقل ، مؤاخيا بينهما مشجعا على دراسة العلوم الطبيعية ومن جملتها علم الجنين ، مبينا أنه اذا كان للعلم من أول فماله من آخر باوجز لفظ واروعه وذلك بقوله تعالى : ((وفوق كل ذى علم عليم (١))) . وعلى هذا الاساس نبدأ بحثنا كما ننهيه بذكر آيات كريمة مخالفين فى دلالة بعضها ما قاله عنها المفسرون مع اقرارنا بعظمة فضلهم وسعة علمهم وعمق أبحاثهم ولكنهم فى كل حال بشر يخطىء ويصيب وتتبدل مفاهيمه بتبدل الزمان وتتغير آراؤه بتقدم العلم ، بينما يبقى الكلام الالهى الموحى به على قدسيته سرمديا خالدا أبدا .

الابحاث :

١ ــ تفسير الآية الكريمة :

« خلق الانسان من علق (٢) » .

تساءل الناس ومن وراءهم المفسرون عن تفسير الآية الكريمة « خلق الانسان من علق » فأجمعوا تقريبا على القول فى كلمة العلق انها جمع علقة وهى القطعة اليسيرة من الدم الغليظ وأن الجنين يتكون منها .

وفى رأيى ان هذا التفسير لا ينسجم مع الحقيقة وان تفسير كلمة علق بما

يعلق بشدة ينسجم مع الواقع لأن الانسان لا يتخلق من دم جامد غليظ ، بل من اندماج خليتين ، احداهما لاقحة أو ملقحة ذكرية الاصل وهي الحيوان المنوي (٣) والثانية لقوح أو ملقحة أنثوية الاصل وهي البييضة ومن تكوينهما خلية واحدة تتكاثر عناصرها في بوق الرحم ثم تهبط الى الرحم لتعلق بها وبما حولها حتى انها تكون مع الرحم جسما واحدا . نؤيد رأينا بما جاء في اللسان وغيره من كتب اللغة مما يدعم هذا المعنى ، ولعل أكبر دليل لغوي نستطيع أن نقدمه في صحة ماذهبنا اليه ، مايقوله العامة وما اكد صحته الزمخشري في أساس البلاغة بقوله ، علقت المرأة حملت ولأن الخلق الجديد يعلق بالرحم علقا شديدا . .

٢ ـ تخلق الانسان وانتقال الصفات بالجينات (٤) .

يتولد الانسان وتنتقل صفاته من السلف الى الخلف وتتعين ذكورته أو انوثته بتبدلات كمية وكيفية تقع في عناصر موجودة في نوى جميع الخلايا تدعى الصبغيات (٥) لشدة ولعها بالصباغ . ينتصف عدد الصبغيات في كل من الخليتين المخصبتين : البييضة ، والحيوان المنوي . وبينما تتماثل البييضات في احتواء كل منها على جنسية اشير اليها بحرف x تختلف الحيوانات المنوية فيحوي نصفها صبغية x والنصف الآخر صبغية Y فاذا اندمج الحيوان المنوي حامل الصبغية x بالبييضة كان الإناث وأما اذا اندمج الحيوان المنوي حامل الصبغية Y بالبييضة كان الإذكار .

وتتركب كل صبغية من جينات وانزيمات مؤلفة من حمض نووية يؤدي تفاعلها الى بروز مظاهر الحياة مما جعل العلماء يؤمنون بان الحياة كمياء وقد دفعهم ذلك الى اصطناع الحمض النووي املا بالتعرف على سر الحياة فكان الحامض المصاغ مشابها للحامض الطبيعي ولكنه غير مماثل له فصورتهما واحدة ولكن الفرق بينهما كالفارق بين تمثال الشخص العديم الروح وصاحبه الحي الآهل بالروح ، فما هي الروح ؟ ومن الذي وهب الحياة للحامض النووي الطبيعي وهل يمكن للانسان أن ينفخ الروح في الحامض المصاغ ؟

لقد وضع ابن سينا في ماهية الروح وخلق الانسان قصيدته المشهورة وفيها أبعد ما يراود فكرة الانسان وأعمق ما يلازم خياله من التساؤلات التي لا تصدر الا عن العقل المتحفز فقد جاء فيها باقوال تحاكي بعض ما سطره شكسبير وشيلي وبراونيغ (٦) .

ولقد وضع ابن شبل البغدادي من أطباء القرن الخامس قصيدة تساءل فيها عن الروح والحياة عزيت الى ابن سينا فاشتهرت له خطأ (٧) .

والواقع أن الانسان في موضوع الحياة وبعثها ومعرفة أسرارها يتنقل صعدا بين القمم ، فكلما تسلق ذروة من ذرى العلم اتسع افقه وزادت مجاهله ، فاذا انتقل منها الى ذروة أعلى زاد الافق اتساعا وزادت مجاهله عددا وانواعا . قال عدد كبير من علماء الكيمياء والذرة والحياة في ذلك أننا كلما أزددنا علما بمظاهر الحياة وتفاعلاتها الكيمياوية زاد جهلنا وقد ذكرتني هذه الجملة الحكيمة بالحديث الشريف الرائع : « لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه علم فقد جهل » .

وبعد : إن من التصادف أن يكون نوع الذباب المدعو بالهمج ـ دروزفيل ـ أوصلنا الى الجينات وخمائرها وأسرارها وما نعلق على ذلك من آمال جسام في نواحي طبية وعلمية واجتماعية عديدة . فهل نستطيع بعد

هذا التقدم كله أن نبعث الحياة في الحمض النووى المصاغ وان ننفخ الروح فى الخلايا المزروعة لا بل فى العناصر المركبة للذباب فى المختبر اما الجواب على الشطر الاول من السؤال فان الانسان العالم يعترف بانه اعجز من خلق الحياة فى جناح ذبابة على الرغم من آلاف ملايين الهمج — دروزفيل — التى اجرى اختباره بنجاح عليها فأيقن بعجزه عن خلقها وانه لمن المتوافق العجيب ان يكون تحدى القرآن الكريم فى عجز الانسان عن الخلق متناولا الذباب نفسه وذلك بالقول الكريم : « **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا (٨)** » وأما الجواب على الشطر الثانى فقد جاء فى القول الكريم : « **ويسالونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا (٩)** » .

٣ — زمن نفخ الروح .

هذا ولا بد لنا ونحن نبحث عن خلق الجنين من بيان الزمن الذى تنفخ فيه الروح وما بنى على ذلك من احكام شرعية تتعلق بحل اجهاض الجنين وتحريمه .

لقد وجه الامام الغزالي ومن وافقه على وجود الحياة فى مادة التلقيح الى حرمة اسقاط الحمل منذ بدئه ، بينما نفى بعض العلماء الحياة قبل نفخ الروح فأجازوا الاسقاط حتى الشهر الرابع حيث تنفخ الروح فى الجنين حسب مزاعمهم . والواقع ان الحياة موجودة فى الخلق الجديد منذ التقاء الحيوان المنوى بالبييضة واندماجه فيها ، ولعلهم قصدوا بنفخ الروح فى الجنين مظاهرها الحركية التى تشعر بها الأم فى الشهر الرابع من الحمل .

٤ — قصة الخلق بين واجب الوجود وسر الأسرار .

واجب الوجود وسر الأسرار تعبيران من صميم الفلسفة العربية الاسلامية ومن أروع الآراء فيهما يسايران كل تقدم علمى ، لا تبطل الكشوف العلمية صدقهما ، ولا تغير الآراء الجديدة من مفهومهما فى قصة الخلق التى تطورت دعائمه بتطور العلم واختلفت ركائزه بمرور الزمن وتقدم الحضارة العلمية . نظرت الفلسفة الاسلامية فى الانسان الحى فرأت فيه جسما وروحا فاعتبرت الجسم واجب الوجود والروح سر الأسرار . غير أن العلم الحديث بحث فى الجسم ليكشف فيه سر الأسرار فكان من تقدم بحثه اكتشاف اجزاء وعناصر ظنوها سر الأسرار ، فاذا بها واجبة الوجود وبقى سر الأسرار غامضا كما كان . وهكذا تتوالى البحوث تنشد سر الأسرار فتتخيل كشفه فترى فيه بعد التعرف عليه واجب الوجود ، فتظل باحثة عن سر الأسرار وهكذا دواليك .

لقد ظن المشرحون الاول ان اتقان التشريح والتعرف على تركيب الاعضاء ميتة يمهد لهم السبيل لمعرفتها حية ويمنحهم قبسا من النور ، يرشدهم الى سر الحياة فتوسعوا فى التشريح ما قدروا عليه فعرفوا أدق تفاصيله واعمق نواحيه فلم يرشدهم ذلك الى اسرار الخلق بل ازدادت الآفاق العلمية وما فيها من اسرار كثيرة أمام اعينهم سعة بدلا من ان تضيق ، ثم جاء اختراع المجهر العادى الذى يكبر عناصر الجسم تكبيرا يفوق الألف وخمسمائة ضعف فكشفوا الخلايا وما فيها من تركيب غريب وما يطرأ عليها من تفاعلات ، كل ما فيها رتيب وعجيب فأدى بهم ذلك الى أن يعتبروا الخلية وحدة اساسية فى الوجود الحى فدرسوها حية وميتة وتوسعوا فى دراستها مرتاحة وفاعلة ومسترخية وعاطلة فزادت معرفتهم بمظاهرها وتطور صورها واختلاف اشكالها فى حياتها ومماتها . ولقد بلغ بهم الأمر ان استنبتوها فزرعوها

وجنوا ثمار زرعهـا محصـولا لـم يزدهم تقدما فى التعرف علـى سر الحياة بل زاد جهلهم تعقيدا فتابعوا البحث حتى كشفوا الصبغيات فظنوها مكمن الحياة ، وما لبثوا ان تبين أن وراءها الف سر وسر فباتوا حيـارى مشدوهين فاخترعوا المجهر الالكترونى الذى يكبر الآلاف من المرات فسلموا له زمام المبادرة فتوسعوا به فـى دراسة الصبغيات وبينوا اختـلاف صورها وقفزها وتبادلها واضطرابها فى استقرارها ومكانها وفى كمهـا وكيفيتها ، ولقد وجدوا فيها الجينات تحركها الانزيمات فتبدى من التفاعلات الكيماوية ما يحير الألباب . والواقع ان الحياة بمظاهرها تفاعلات كيماوية ولكنها ليست كتلك التى تجرى فـى الاوانى والاوعية ، فللأوعية كيمياها وللحياة كيمياها .

ان النظرية الاسلامية التى تربط بين سر الخلق والحياة فيـه بواجب الوجـــود وسر الأسرار من أروع النظريات لانها تجعل مما يتصـوره الانسان بتقدمه العلمى سر الاسرار واجب الوجود وتدفعه باستمرار الى البحث عن سر الاسرار ، فاذا ما بدت له بمعرفته صار واجب الوجود وبقى سر الاسرار غامضا كما كان .

لقد كان ذلك شأنهم مع الخلية بعد ان استنبتها «الكسيس كارل» بمزارع خاصة فتوهم بعد ذلك امكان معرفة سر الحياة فاذا به يكتشف ان الخلية التى اكتشف بعض أسرارها لا تفـى بالتعرف على هوية الحياة فأرشـده ذلك الى ان يؤمن بالقدرة الخلاقـة وعظمة الخالق ، فوضع مؤلفـه المشهور الانسان ذلك المجهول(١٠) .

لقد مهدنا الى بحثنا هذا بكـلام سابق عن آخر ما وصل اليه العلم فى خلق جنين الانسان وفى ذكورتـه وأنوثته .

جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى (١١)** » . ذكر يمثله الحيـوان المنوى، وانثى تمثلها البييضة كماأشار الى ذلك تلميحا كل من الامام الغزالى وابن القيم وغيرهما مخالفين عن حق الآراء التى كانت سائدة فى زمانهمـا التى كانت تعزو تكون الجنين الـى الرجل وحده بحيوانه المنوى وتهمـل بييضة الأنثىوتعتبرالمراة بيئة مخصبة يبذر فيها الرجل بذوره لتنبت احداها بشرا سويا . وجاء فى القرآن الكريم أيضا عن الذكر والأنثى ما يدل على اختلاف تخلقهما مما يؤيده العـلم وذلك بقوله تعالى : « **وما خلق الذكر والأنثى**» (١٢)، وقوله تعالى : «**وليس الذكر كالأنثى**(١٣) » . وقوله تعالى : « **فجعـل منـه الزوجين الذكـر والأنثى** (١٤) » . ولقد ذكرت الآيات الكريمة مراحل الخلق اذ جاء فيهـا « **يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجـل مسـمى ثم نخـرجكم طفـلا** (١٥) » .

لقد بينا فى صدر البحث رأينا فى موضوع العلقة وان المقصود بها ما يعلق بشدة لا الدم الغليظ الجامـد كما ذهب اليه المفسرون .

اما المضغة المخلقة التى اختلف فيها المفسرون فهى فى رأى ابن الاعرابى كما فى اللسان وما ندعمه الآن انها المضغـة التى بدأ خلقها ، واما غير المخلقة فهى التى لم تصور بعـد . والواقع ان المضغة تمر أولا بمرحلة تكمن فى خلاياها مكونات الاعضـاء كلها ، فهى والحالة هذه مخلقة تتبعها مرحلة ثانية تتخطط فيهـا أرومات الاعضاء تخطيطا يؤدى الى تشابـه مضغة الانسان بمضغة الثدييات حتى تبعد بشكلها عن خلق الانسان بعدا كبيرا ، لذلك نعتت بأنها غير مخلقة اى ناقصة التصوير غير شبيهـة

بالانسان مختلفة عن الخلق التام الذى نعته القرآن الكريم بالخلق السوى كل الاختلاف ، وقد لمح القرآن الكريم الى هذا التطور بالآية الكريمـــة . ((**يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق**)) حتى ينشئه خلقـــا آخـــر سويا فى احسن تقويم .

اما الاستقرار فى الرحـــم فقـــد نعته القرآن الكريم بالأجل المسمى فمدده بعض المفسرين سنوات عديدة، مع ان المعنى صريح يؤيده العلم وهو عشرة اشهر قمرية ولا مجال لقبول رأى آخر فى يومنا هذا بعد ان اصبح اكتشـاف الحمل بالتفاعـــلات الحيوية منذ اليوم العاشر من وقوعه امرا اكيدا وثابتا .

هذا ما حفزنا على بحثه اخ كريم رضينا بتكليفه بقلب مفتوح فقدمنا له ما قدمناه مستندين الى ما بلغه العلم اليوم داعين الى عدم الجمود عندما قاله بعض الاقدمين الـــــذى عاد التمسك بأقوالهم غير موائم للقـــول الحكيم راجين ممن يجد فى كلامنـــا مجالا للنقد أن يتحفنا به فاننا نرى فى نقده مساهمـــة فى البحث لذلك نشكره عليه .

---

(١) سورة يوسف آية ١٢ .

(٢) سورة العلق آيـــة ٢ .

(٣) اعتـــاد المؤلفـــون العرب تصغير كلمة الحيوان للدلالة على الخلية الملقحة وليس هذا واردا فى رأينا لأن اكثر اللغـــات لم تستعمل التصغير للدلالة على هـــذا الحيوان ومنها اللغة الانكليزية حيث ركب اسم هذه الخلية من كلمتين احداهمـــا Sperm ومعناهـــا المنى والثانيـــة Zoo ومعناهـــا الحيـــوان .

(٤) تعبير ماخوذة من كلمة جينان Gennan ومعناها المكون وخير ما يدل عليهـــا بالعربية تعريبها .

(٥) كروموزوم وتتركب مـــن كـلمتين كروم ومعناها لون وزوم ومعناها خيط .

(٦) من ذلك قول ابن سينا :

وصلت على كـــره اليـــك وربما
كرهت فراقـــك وهى ذات توجع

وفيها ما يماثل اقوال شيلى :

هجمت وقـــد كشف الغطاء فابصرت
ما ليس يـــدرك بالعيـــون الهجـــع

كما فيها من الاشارة ما يحاكى اقـــوال براونيغ :

وتعود عالمـــة بكـــل خفيـــة
فـــى العالمين وخرقهـــا لم يرقع

فكانهـــا بـــرق تألق بالهمـــى
ثم انطوى فكانـــه لم يلمـــع .

(٧) وقد جاء فيها قوله :

بربك أيهـــا الفـــلك المـــدار
اقصد ذا المسيـــر أم اضطـــرار

وعندكترفـــع الارواح أم هـــل
مـــع الاجساد يدركهـــا البـــوار

ومن نفســـين فى أخـــذ ورد
لروح المرء فى الجسم انتشـــار

فاين عقـــول ذوى الافهـــام ممـــا
يراد بنـــا وأيـــن الاعتبـــــار

(٨) سورة الحج آيـــة ٧٣ .

(٩) سورة الاسراء آية ٨٥ .

(١٠) لقد توصل فى مداركـــه المستندة الى البحث والاختبار الى ما توصل اليـــه المعرى بالتفكير والاعتبار حينما قـــال مخاطبا الانسان :

اتزعـــم انـــك جـــــرم صـــغير
وفيـــك انطوى العـــالم الاكبر

(١١) سورة الحجرات آيـــة ١٣ .

(١٢) سورة الليل آية ٣ .

(١٣) سورة آل عمران آية ٣٦ .

(١٤) سورة القيامة آية ٣٩ .

(١٥) سورة الحج آية ٥ .

خواطر إسلامية

للدكتور عماد الدين خليل

— ١ —

مهما قيل فى تبرير (الالحاد) ، ومهما ادعى من علمية فى اقامته على اسس مقبولة ، فانه لن يعدو أن يكون بلادة وغباء .. بلادة فى الاحساس وغباء فى قدرة الفكر على تجاوز المحسوس والملموس والمنظور ، والايمان بما وراءها جميعا مما لا تحسه أجهزتنا المحدودة ، ولا تمسه الايدى ، ولا تدركه الأبصار .. بلادة فى الاحساس الفطرى الأصيل بالقوة المتوحدة التى خلقتنا ورعتنا ، وستبعثنا ثانية وترعانا ، وغباء فى طاقة البصيرة على تحطيم جدران النسبيات الزمانية والمكانية والنفاذ الى المطلق .. ان انسانا لا يدفعه تفكيره فى هندسة الكون المعجزة ، وتصميم الحياة المذهل على الأرض ، ونسيج الانسان المعقد الفذ المتشابك ، الى الايمان بالمهندس والمصمم والصانع لا يمكن الا أن يكون غبيا .. لأن أيما انسان ذكى لا بد وان يلمح ويدرك ان وراء هذا الاعجاز والدقة والانضباط ارادة لا تدع للصدفة ان تعبث بها أو تشلها عن العمل او تنحرف بها شعرة واحدة عن مساراتها المرسومة فى علم الله .

من أجل ذلك وصم الله الكفار فى كتابه الكريم بأنهم كالأنعام بل هم أضل ذلك أن للأنعام غرائز توجهها وتهديها فى مضطرب حياتها ونشاطها وبحثها عن اشباع حاجاتها .. أما الانسان فان تنازله عن ماهية الفكر وذكاء القلب واتقاد البصيرة سيقوده الى درك التخبط والضياع ، حيث لا غرائز أو ضوابط تهديه وتحميه من السقوط الى أسفل سافلين ، هناك حيث يعمى

البصر وتنطمس البصيرة ويرين الحس الثقيل على السمع فلا يعد يسمع صوتا ، ولا نداء .. وحيث يتلمس الانسان أساليب الهداية والحماية فى الامداء القريبة الملاصقة ، تماما كما تفعل الديدان ، فيركب بعضها بعضا ، ويأكل بعضها بعضا ، ويطوق بعضها بعضا ، ويسد بعضها الطريق على البعض الآخر .. حياة حشرية فى دائر ضيقة من الأرض ليس فيها أية نافذة يطل منها الانسان الى السماء ، أو يمد بصره الى ما وراء الحفرة حيث النور الوهاج ، والآفاق الفسيحة والطموح الانسانى الذى لا يعرف حدا يقف عنده .

واذا كان مصير كالح كهذا لا يقوده (الغباء) وتحدوه (البلادة) فمن اذن يقود ويحدو ؟ العلم ؟ أم الذكاء ؟ وهل لأحد أن يجرؤ فيدعى أن العلم والذكاء يمكن ان يقودا الانسان الى تلك الحفرة المظلمة التى تعلو عليها وتسمو عوالم الابقار والجمال والأغنام ؟.

لقد قالها العلماء الكبار مرارا وتكرارا .. من أن خطواتهم فى حقول العلوم المختلفة قادتهم دوما الى الاعتقاد الذكى المبصر الخلاق المبدع الذى أعطى كل شىء خلقه ، والذى بدونه لا يمكن أن تقوم للكون المظيم ، ولا لتكييف الحياة على الأرض قائمة لحظة واحدة من زمان فكيف بملايين السنين ؟

ثم .. الا يكون غبيا من يرفض الايمان بأن وراء هذه الفرصة القصيرة فى حياتنا الدنيا وجود أبدى لا آخر له ، ويسعى باختياره البليد الى دائرة التشاؤم والفناء المقفلة حيث يعيش الانسان ويموت ، كما تعيش الحشرات وتموت ، دون أى اعتبار لتميز الانسان وتفرده على سائر المخلوقات ؟

الا انه الغباء بعينه ، يرين بضبابه الكثيف على البصائر والأفئدة والعقول فيهبط بأصحابه الى دركات الضلال .. وصدق الله العظيم عندما يقول (أولئك كالأنعام ، بل هم أضل !!) .

— ٢ —

يمكن تعريف (الاسلام) ، باختصار وتركيز بالغين ، بانه : اعادة لصياغة الانسان ووضعه فى مكانه الصحيح من الكون .. الانسان الذى تعرضه حركة تاريخه الذاتى والخارجى الى أن يخرج مرات ومرات عن اطار فطرته الاصيلة المعجونة باعجاز من الروح والمادة والفكر والدم والأعصاب والوجدان والعواطف والشهوات ، وتبعده بالتالى عن مساره المرسوم فى العالم .. ولا يكون نتيجة هذا الخروج والابعاد ، الا تمزقا فى الذات البشرية وانحرافا فى طرائق تعاملها مع العالم ، ومن ثم شقاء وتعاسة وانهيار ..

ويجيىء قادة الفكر الوضعى لكى يصنفوا المبادىء ويرسموا الشرائع ليتعامل معها الانسان المنكود ، معتقدين ان طاقاتهم النسبية المحدودة ستمكنهم من رؤية شاملة موضوعية لفطرة كل انسان ، ولدور كل آدمى على سطح الارض .. ومن ثم تجيىء محاولاتهم ضربا فى التيه ، وابحارا فى الظلمات دون شراع واحد ولا بصيص من نور .. فيزداد الانسان نايا عن توازنه الفطرى الأصيل ، ومروقا عن دربه المستقيم فى قلب العالم .. وهذا النأى والمروق يجهد طاقات الانسان ، ويطمس على بصيرته ، ويغطى قلبه واحساسه بريق من التراب والغبار ، ويشل فاعليته ، فلا يقدر بعد على أداء دوره (كاملا) على مسرح الحياة الدنيا ، فيفقد بذلك فرصته الكبرى ، ويكتب على نفسه التعاسة فى الأرض والسماء !!

اما (الاسلام) فانه تخطيط العلى القدير العليم لاعادة الانسان الى فطرته التى فطره الله عليها ، وبعثه فى طريقه المرسوم لكى يحيا تجربته البشرية كاملة ، ويعطى كل ما عنده ، ويعبر عن شتى طاقاته من اجل ان يسهم اسهاما فاعلا فى (اعمار) الارض الذى انيط به كخليفة مسؤول امام الله ..

ومهما سعى العبيد وحاولوا ، فسوف لن يزيدوا الانسان الا تخبطا وضياعا ، وسوف لن يحكموا على طاقاته وقدراته الا بالتشتيت والاضمحلال .. ولن يكون الخلاص الا باشارة من الذى صنع الانسان نفسه ، ومنحه فرصة الاختيار والعمل فى كون شاسع واسع يضيع فيه ويتحطم كل من لم يعرف موقعه المحدد على الخارطة الابدية ، وطريقه المرسوم فى بنيان العالم .

— ٣ —

فى القرآن الكريم نداء عميق ، لو تمعنا فيه قليلا لادركنا انه اروع نداء يمكن ان يوجه الى الانسان من اجل ان يرتفع فوق مستويات الخوف والحزن : ((ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبراها ، ان ذلك على الله يسير . لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور)) .

ان جل آلامنا ومخاوفنا وأحزاننا ومآسينا تنفجر حين تنفجر من احساس ثقيل مرهق بأن فرصة ما قد فاتتنا ، وبأن فرصة ما ستفوتنا عما قريب .. فيسحقنا الندم ، ويشلنا الحزن عن الانطلاق الدائم صوب الامام ، من أجل أن نحظى بمزيد من الفرص ، ونتحقق بمزيد من الانتصارات ..

أن الأسى على فوات شيء أو فرصة ما ، غل ثقيل يأسر الانسان ويرتد بوعيه الى الماضي لكي يسفح عند نصبه الدموع ويستل الحسرات دون أن يتاح له أن يخطو خطوة واحدة من أرضية الحاضر صوب آفاق المستقبل .. وان الفرح الغامر بمكسب وقتي ، أو نجاح عابر ، سيعقبه — ان آجلا أو عاجلا — حزن عميق على انعدام الفرح وزوال النجاح .. ومن ثم سيظل الانسان فى نقطة التمزق بين الأسى والحزن الى أن تنصرم سني عمره ، ولا يشعر بمأساة حياته الشقية الا عندما ينظر ، وهو فى آخر الدرب ، الى أن كل احزانه ومخاوفه عبر حياته جميعا لم تكن الا عبثا لأنه سوف لن يأخذ معه الى الحفرة سوى الفرح الكبير أو الحزن الشامل الذى لا علاقة له من قريب أو بعيد بهذه الجزئيات الصغيرة التافهة التي تعترض حياة الانسان ، فاذا ما أفلتت من يديه ملأته أسى ، واذا ما تراكمت بين يديه اترعته فرحا لا يلبث أن يغور بعد اذ تتكشف له هذه الجزئيات عن فقاعات لا دوام لها الا بقدر ما تخدع الانسان وتلهو به ..

من أجل ذلك يناديناا القرآن الا نأسى على ما فاتنا ولا نفرح بما أتانا كي نتجرد عن الجزئيات الثقيلة ونرتفع على مستوى الاهتمامات الزائلة .. ولا نرنو الا الى الفرح الكبير الأبدى العميق الذى لا يتحدد بماض أو حاضر او مستقبل ، ولا يتعرض للزوال .. ومن ثم ننطلق بخفة وحيوية ، متخلصين من الاثقال والهموم والأحزان ، لنعبر عن وجودنا المتوثب الطموح .. ونصنع مصائرنا التى تناغينا وتنادينا من بعيد ..

ان كثيرا من الكتاب والفنانين المعاصرين صوروا لنا شقاء الانسان الذى تشده أثقال ماضيه وتطارده

لعناته .. وآخرون كتبوا لنا عن تشاؤمهم العميق ازاء امكانية تحقق الفرح الانسانى ، وتجاوز مستويات الحزن والخوف .. لكن كلمات من القرآن تبين لنا بوضوح وتركيز كل ما يريده هؤلاء ، وتزيد عليهم بأن تمنحنا القدرة على التخلص من اثقال الماضى وتجاوز تجارب الفرح الزائل التى تعقب حسرات ودموعا ، والنفاذ الى المستقبل متخففين متجردين يغمرنا الفرح الحقيقى الكلى العميق واليقين بأن هذه الجزئيات مكتوبة علينا لكى تعلمنا القدرة على التجاوز والانطلاق .. ويوحدنا نداء الله سبحانه الذى يعرف كيف ينتشلنا من ليالى حسراتنا وأحزاننا ويقترب بنا من الفجر الوضاء الذى لا غياب لشمسه لأنها تفجر نورها واشعتها فى القلوب والأرواح ..

— ٤ —

ان الذى يطلع على بعض صور الحرب والصراع فى الغرب والشرق كتلك التى نجدها مشخصة واضحة فى رواية مركريت ميتشل (ذهب مع الريح) التى تتناول فترة الحرب الاهلية الامريكية فى النصف الثانى من القرن الماضى أو فى رواية تولستوى (الحرب والسلام) التى تتناول عصر نابليون بونابارت ، أو فى رواية ميخائيل شولوخوف (الدون الهادى) التى تتناول فترة المقاومة القوزاقية للجيش الاحمر .. الذى يطلع على اعمال تصويرية كهذه ، وغيرها كثير ، ويقارنه بأساليب الحرب والقتال فى تاريخنا الاسلامى وبخاصة سنى العقيدة والالتزام ، يجد شيئا عجبا يثير الدهشة والاستغراب ..

ان ثمة فرقا شاسعا بين اناس وجماعات وأمم تقتتل باسم المصالح والعصبيات والاهداف القريبة الزائلة وبين أمة تقاتل باسم الله سميا وراء كل ما هو انسانى أبدى بعيد عن المصالح والعصبيات والقيم الزائلة .. فرقا شاسعا بين جماعات تقتل وتذبح وتفتك وتدمر مستخدمة اى سلاح تصل اليه أيديها ، متذرعة بأية وسيلة تسندها فى سحق غريمها ، سالكة اى درب يصلها الى اهدافها ، وبين أمة لا تمارس القتال الا بالسلاح الشريف والوسيلة الانسانية وعلى درب مستقيم لا تنحرف فيه يد كى تحمل سلاحا لا يقره الانسان الشريف أو تستخدم اسلوبا تربأ عنه حتى عوالم الحشرات والديدان .

ان مناظر القتل والدمار التى يعرضها علينا (تولستوى) و (ميشيل) و (شولوخوف) وغيرهم تضعنا وجها لوجه أمام ابتذال الحياة الانسانية ورخص الدم البشري ومجانية العلاقة بين القوى المتصارعة على ظهر البسيطة .. وتدفعنا دفعا الى زاوية الاحتقار والتشاؤم والالتصاق بالعصبيات المصلحية والطبقية أو العنصرية ، عليها تحمى القطعان الهاربة من الجزارين العتاة الغلاظ ، أو تمنحها سلاحا أحد قطعا واشد فتكا ..

لكن الذى يعزى الانسان ويهبه الثقة والأمل واليقين ان فى التاريخ صورا (واقعية) أخرى شهدتها ميادين الصراع وساحات الحرب مرات ومرات ، ظل فيها ابن آدم انسانا حتى وهو يقاتل ويحارب ويصارع ، دون أن يضطره القتال والحرب والصراع الى ان ينقلب على آدميته ويستعير من عوالم الفهود والحيات كل شراستها وسمها الزعاف دون أن يأخذ منها ولا مقدارا ضئيلا من العطف والسماحة التى تمارسها بين الحين والحين ..

. واقرأوا ان شئتم (ذهب مع الريح) و (الدون الهادىء) و (الحرب والسلام) ، ثم تمعنوا بعد ذلك في صفحات الحرب في تاريخنا الاسلامي عبر مسيرته .. الطويلة .. فسوف تلتقون في المرة الأولى برخص الانسان وحقارته ومجانية الدم الانساني وابتذاله .. وسوف ترون في المرة الثانية رأى العين غلاء الدم وشرف الانسان وكرامة بنيان الله في الأرض .. ملعون من هدم بنيانه ..

— ٥ —

ما أشد حاجة المسلم المعاصر القلق المتأرجح بين الانفصال عن المجتمع الجاهلي الذي يحيا في قلبه وبين الاندماج فيه ، ما أشد حاجته الى من يهديه سواء السبيل ويحدد له معالم الطريق .. ذلك أن الانفصال الكلي أمر مستحيل لأنه فوق طاقة انسان يحيا في صميم مجتمعات القرن العشرين بكل ما تحويه وتتضمنه من تعقيد وتشابك في العلاقات ومن اتساع في خطوط وامداء التعامل الاجتماعي بالنسبة لكل المنتمين اليه .. وأما الاندماج الكلي فهو أمر مستحيل كذلك لأنه سيفقد المسلم تميزه كمسلم ، وسيصهر قيمه ومعتقداته ومثله في أتون تجربة اجتماعية لا تعرف شيئا عن القيم والمثل ، ولا تؤمن يوما بفكرة تعلو على مستوى الوقائع والمصالح واليوميات ، ولا بعقيدة ترفض أن تغدو العلاقات الاجتماعية علاقات منفعة متبادلة وحرص قتال على التكاثر .. باختصار أن الاندماج الكامل سيجرد المسلم من اسلاميته وسيحيله انسانا عاديا تافها حتى لو صام الدهر لله وصلى في اليوم خمسين مرة !!

ان الانفصال الكلي يعود المسلم ، شاء أم أبى ، الى ظواهر الترهبن والانسلاخ السالب عن مجرى الحياة والتطور ، أو الى تجربة من تجارب اللاانتماء التي عرفها الغربيون خلال العقود الأخيرة ، وهي جميعا لا يمكن الا أن تشل المسلم عن العمل ، وتحرم الحياة الواقعية من أن ترفدها قيم الاسلام ، وعقائدياته واخلاقياته ، وتتجه ببعض مساحاتها على الاقل صوب مطالب الاسلام وحلوله المعجزة ..

والاندماج الكلي يقود المسلم الى ظاهرة من ظواهر الفناء والذوبان في اطار التجربة الاجتماعية بكل انحرافاتها وتناقضاتها ومآسيها ، أو الى تجربة من تجارب الانتماء (الشيىء) الى عمل ما من أعمال هذا المجتمع الوظيفية اليومية ، أو الى هدف ما من أهدافه القريبة الميسورة .. ومن ثم كان هذا التأرجح وهذا القلق اللذان يعاني منهما المسلم المعاصر واللذان يجب أن نعترف بثقلهما وضغطهما علينا جميعا كي نكون أكثر واقعية وأشد ايجابية ، فنسهم جميعا في العمل الجاد المخلص والتنقيب في ثنايا فكرنا وعقائدنا وتشريعاتنا وتاريخنا وحضارتنا علنا نصل الى الحل الوسط الذي يحملنا كمسلمين حقيقيين الى قلب كل مجتمع لكي نؤثر في صميم بنائه وتركيبه ، ونهيئه لتقبل القيادة العادلة المستقيمة التي وعد الله بها عباده المخلصين يوم أن قال : « **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ..** »

وصدق الله العظيم .

مائدة القارئ

أم أبى هريرة

لم يكن يؤلم ابا هريرة من مشاكل حياته سوى مشكلة « امه » فانها يومئذ رفضت أن تسلم ، وذات يوم سمع منها فى رسول الله ما يكره ، فذهب الى المسجد النبوى محزونا باكيا قال ابو هريرة :

فجئت الى رسول الله وأنا أبكى ، فقلت يا رسول الله ، كنت أدعو امى الى الاسلام ، فتأبى على ، وانى دعوتها اليوم فاسمعتنى فيك ما اكره فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة الى الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اهد ام ابى هريرة .

قال فخرجت أعدو أبشرها بدعاء رسول الله ، فلما اتيت الباب فاذا هو مغلق وسمعت خضخضة الماء ، ونادتنى مكانــك . ثـم لبست درعها وعجلت خمارها وخرجت وهى تقول : اشهد الا إله الا الله ، وأشهـد ان محمدا رسول الله . فجئت أسعى الى رسول الله فأخبرته ثم قلت يارسول الله ادع الله أن يحببنى وامى الى المؤمنين والمؤمنات .

فقال : اللهم حبب عبدك هذا وامه الى كل مؤمن ومؤمنة .

إعـــلان

يعلن امير المؤمنين عمر بن الخطاب عن خلو وظيفة وال ، ويشترط فيمن يتقدم لهذه الوظيفة :

اولا : أن يكون رجلا ، اذا كان فى القوم وليس اميرهم بدا وكانه أميرهم، واذا كان فيهم وهو عليهم أمير بـــدا وكانه واحد منهم .

ثانيا : لا يميز نفسه على الناس فى ملبس ولا فى مطعم ولا فى مسكن .

ثالثا : يقيم فيهم الصلاة ، ويقسم بينهم بالحق ، ويحكم فيهم بالعدل ولا يغلق بابه دون حوائجهم .

التصميم الهندسى لبيت سلمان الفارسى

اراد سلمان الفارسى رضى الله عنه أن يبني لنفسه بيتـــا ، فســـال البناء : كيف ستبنيه ؟

وكان البناء حصيفا ذكيا ، يعرف زهد ((سليمان)) وورعه .. فأجابه قائلا : لا تخف .. إنها بناية تستظل بها من الحر ، وتسكن فيها من البرد ، إذا وقفت فيها أصابت راسك ، واذا اضطجعت فيها اصابت رجليك .

فقال له سلمان : نعم ، هكـــذا فاصنع .

رؤيا خالد

راى خالد بن سعيد بن العاص ذات ليلة في منامه أنه واقف على شفير نار عظيمة ، وأبوه من ورائه يدفعه بكلتا يديه ، ويريد أن يطرحه فيها ، ثم رأى رسول الله يقبل عليه ، ويجذبه بيمينه المباركة من إزاره ، فيأخذه بعيدا عن النار واللهب .

وصحا خالد من نومه ، وذهب من فوره الى دار ابى بكر ، وقص عليه رؤياه ، فقال له ابوبكر : انه الخير أريد لك ، وهذا رسول الله فاتبعه فان الاسلام حاجزك عن النار .

وانطلق خالد باحثا عن الرسول حتى اهتدى الى مكانه ، فبايعه وأسلم على يديه فكانت هذه الرؤيا المباركة سببا في سعادته في الدنيا والآخرة .

مائدة محرومة

وقف اعرابى على أبى الاسود الدؤلي وهو يتغدى ، فسلم عليه فرد عليه السلام ثم أقبل على الاكل ، ولم يعرض عليه ، فقال الاعرابى : أما انى قد مررت باهلك قال : كان ذلك طريقك ، قال : وهم صالحون ، قال : كذلك فارقتهم ، قال وامراتك حبلى ، قال كذلك عهدى بها ، قال : ولدت ، قال : ما كان بد لها أن تلد ، قال : ولدت غلامين ، قال : كذلك كانت أمها ، قال : مات أحدهما ، قال : ما كانت تقوى على رضاع اثنين ، قال : ثم مات الآخر ، قال : ما كان ليبقى بعد أخيه ، قال : وماتت الام ، قال : جزعا على ولديها ، قال : ما أطيب طعامك قال : وذلك جزائى على اهله ، قال : أف لك ما ألأمك ، قال : من شاء سب صاحبه.

الله والجنة

هو ثاني أخوين عاشا في الله : أما أولهما فهو « أنس بن مالك » خادم رسول الله ، وثانى الاخوين هو « البراء بن مالك » كانت كل أمانيه أن يموت شهيدا . من أجل هذا لم يتخلف عن مشهد ولا غزوة .

اشترك فى حرب اليمامة تحت قيادة خالد بن الوليد ، ولم يكن جيش مسيلمة الكذاب هزيلا ولا قليلا ، بل كان أخطر جيوش الردة جميعا ، وظهرت خطورته فى أول المعركة حتى كاد يأخذ زمام المبادرة ، وسرى فى صفوف المسلمين شيء من الجزع ، وانطلق زعماؤهم يلقون كلمات التثبيت من فوق صهوات جيادهم ، ونادى خالد تكلم يابراء ، فصاح بهذه الكلمات .

يا أهل المدينة

لا مدينة لكم اليوم

إنما هو الله ، والجنة

وكتب الله للمسلمين النصر ، وانجلت المعركة عن جسد البطل البراء وفيه بضع وثمانون طعنة ، وظل خالد بن الوليد يشرف على تمريضه بنفسه شهرا كاملا حتى أصبح معافى أصح جسما واقوى عزما فى قتال أعداء الله .

الاسلام والعالمية

للدكتور محمد محمد حسين

العالمية فى الاصطلاح الحديث مذهب يدعو الى البحث عن الحقيقة الواحدة التى تكمن وراء المظاهر المتعددة فى الخلافات المذهبية المتباينة . ويزعم أصحاب الدعوة والقائمون عليها أن ذلك هو السبيل الى جمع الناس على مذهب واحد تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية لإحلال السلام فى العالم محل الخلاف .

والدعوة باطلة من أساسها ، لأنها تخالف سنة ثابتة من سنن الله فى الارض ، وهى دفع الناس بعضهم ببعض وضرب الحق والباطل . والهدم والبناء وجهان لهذه السنة لا يفتآن يعملان دون انقطاع . وكل ميسر لما خلق له . هذه السنّة قائمة بأمر الله تعالى . ولن تجد لسنة الله تبديلا . هى قائمة بين الشعوب والأمم ، وقائمة بين الاكوان ، وقائمة فى باطن الارض ، وقائمة فى داخل اجسامنا التى لا يتوقف الصراع فيها بين كرات الدم البيضاء وبين الجراثيم والامراض الغازية ، وفى الخلايا التى تبنى من جديد على أنقاض خلايا أخرى تموت ، وفى الصراع القائم فى باطن نفوسنا بين الضمير الدينى وبين الشهوات . ((**وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم . أفلا تبصرون ؟**)) (الذاريات ٢١) .

وسنة الصراع والهدم والبناء من مظاهر الحركة والحياة فى الكون وفى المجتمعات الانسانية . ثم ان الصراع بين الحق والباطل لا يتكشف آخر الأمر الا عن بروز الحق فى أصفى صوره وأنقى عناصره ، وهلاك الباطل ومحق شوائبه . وقد صور القرآن الكريم هذه السنّة الدائبة فى مثلين ضربهما لاختلاط الحق والباطل ، أحدهما فى السيول التى تختلط بالاوحال والأقذاء والأقذار ، وبما تجرف من جيف وما تقتلع من نبات ، ثم لا يبقى منها على طول المجرى وتعدد المنعرجات الا الماء الصافى العذب فى الأنهار التى تفيض بالخير والبركات . والمثل الآخر فى المعادن التى نستخرجها من الجبال ومن باطن

الارض مختلطة بالشوائب وبالعناصر الغريبة ، ثم لا يبقى منها على حر النار حين تصهر الا الحر الخالص من جواهرها النافعة :

« أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا . ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله . كذلك يضرب الله الحق والباطل . فاما الزبد فيذهب جفاء . وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الأمثال » (الرعد ٢٠) .

فالصراع والخلاف الذى تزعم العالمية انها تعمل على محوه هو اذن سر من أسرار الحياة نفسها وناموس من نواميس الله فى خلقه ، يجرى على قدر وينتهى الى غاية ويسوقه تدبير من عليم حكيم . وقد يظهر للمتدبرين من خلق الله بعض المزايا والحكم الخفية التى تحجبها ظواهر بغيضة منفرة . ولكن أعماقها وأبعادها وسائرها تظل محجوبة عنا لا يعلمها الا الله . لأن العقل البشرى وحده عاجز عن التمييز بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وبين النافع والضار . فالحكم على ذلك كله لا يتيسر الا لمن يعرف الحقيقة كلها بكامل تفاصيلها من أولها الى آخرها . ونحن لا ندرك من الحقائق الا ما نعيشه من أعمارنا القصيرة فى امتداد الزمن الضارب فى أعماق الماضى والممتد الى ما لا يحد من مستقبل الزمان . بل اننا لا ندرك من هذه اللحظات القصيرة الا بعض ما يتاح لنا فى تجاربنا المحدودة فوق كوكب هو بكل ساكنيه لا يزيد عن قطرة ماء فى محيط من الاكوان . ذلك هو اللب والصميم من قول الله جلت حكمته **« كتب عليكم القتال وهو كره لكم . وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم . والله يعلم وأنتم لا تعلمون »** (البقرة ٢١٦) .

وقد كان من مقتضى هذا الناموس الثابت من نواميس الله ان تتعدد المجتمعات البشرية وان تتنوع فى صفاتها وفى سماتها . فالجماعات البشرية تدرك ذواتها من طريقين : أولهما التقاء كل جماعة منها على صفات عامة تؤلف بينها وتشد بنيانها وتوحد صفوفها فتبدو فى كثرتها كالجسم الواحد ، وثانيهما هو اختلاف كل جماعة فى مجموعها عن غيرها من الجماعات الاخرى لكى تدرك أنها ذات معنوية مستقلة عن غيرها من الذوات . فتشابه أفرادها يحفظها من التشتت والتفكك ، ومخالفتها لغيرها تحميها من أن تذوب وتنماع . من أجل ذلك حرصت الدول فى تجمعاتها الحديثة على اصطناع ما يعمق هذا الشعور بالذات من الوجهين كليهما . فهى تصطنع الاعلام الخاصة ، والاناشيد الوطنية ، وتعنى بالتاريخ وبالفنون وبالآداب القومية ، التى تبرز شخصيتها وتجمع قلوب الناس وأذواقهم على التحمس لها والتعلق بها .

والاسلام — وهو دين الفطرة — يقر بهذا النظام الالهى ، الذى يحفز الى العمل والى التنافس الذى هو سبب العمران ، ويحدد مكان كل عامل فى عمله .. فالعمل — لكى يكون مثمرا وفعالا — يحتاج الى تنظيم ، والتنظيم يقوم على تقسيم العمل ، وربط كل طائفة من العمال بمهمة محددة لا تتجاوزها الى غيرها ولا تسأل الا عنها . من أجل ذلك قامت سنة الله فى الارض على جعل الناس أمما وشعوبا وقبائل ، كل أمة منها مسئولة عما يليها مما وكلها الله به لا تسأل عن سواه . أما الذى يجىء بعد هذه النظم الارضية فالله أعلم به . وعلينا أن نسلم بحكمته وننقاد لسننه فيما نعلم وفيما لا نعلم . يخاطب الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فى الكتاب المنزل عليه فيقول : **« لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه ، فلا ينازعنك فى الأمر وادع الى ربك . انك لعلى هدى مستقيم . وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة**

فيما كنتم فيه تختلفون » (الحج ٦٧ — ٦٩) .

وقد حرص الاسلام على تمييز المسلمين من سائر الامم بوصفهم أمة ذات كيان مستقل . فرسول الله صلى الله عليه وسلم ينص فى الكتاب الذى كتبه بين المهاجرين والانصار على أن « المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أمة واحدة من دون الناس » « وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس » « وأن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم » « وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين . وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم » .

وفى سبيل هذا الحرص على تمييزهم من سائر الامم نهاهم عن أن يقلدوا غيرهم فى ملبسهم أو عاداتهم فقال صلى الله عليه وسلم « من تشبه بقوم فهو منهم » (رواه أبو داود فى كتاب اللباس) . وقال : « ليس منا من تشبه بغيرنا » (رواه الترمذى فى كتاب الاستئذان) . وعمد الى مخالفتهم فى هيئتهم وأمر المسلمين بالحرص على هذه المخالفة تمييزا لهم من غيرهم . فأمر بقص الشارب واطالة اللحية تمييزا لهم من المشركين الذين كانوا يطيلون شواربهم ويحلقون لحاهم ، وذلك فى قوله : « خالفوا المشركين . أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى » (رواه مسلم فى كتاب الحيض) . وأمر بخضاب اللحية بالحناء تمييزا لهم من اليهود والنصارى الذين كانوا لا يخضبون . فقال : « ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » (رواه مسلم فى كتاب اللباس والزينة) . وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بأبى قحافة رضى الله عنه يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا . فقال رسول الله صلى اللهعليه وسلم « غيروا هذا بشيء . واجتنبوا السواد » . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من الأيام السبت والأحد ويقول : « إنهما يوما عيد لليهود والنصارى فأحب أن أخالفهم » (رواه البخارى فى كتاب الصوم) . وكان صلى الله عليه وسلم يقول « تسحروا فان فى السحور بركة » (رواه البخارى فى كتاب الصوم . وقال ابن حجر فى شرحه « ومما يعلل به استحباب السحور المخالفة لأهل الكتاب ، لأنه ممتنع عندهم . وهذا أحد الوجوه المقتضية للزيادة فى الأجور الأخروية » .

وقد دعا الاسلام المسلمين الى أن يكونوا أشداء على الكفار رحماء بينهم . وذلك فى قوله تبارك وتعالى **« محمد رسول الله . والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »** (الفتح ٢٩) . ونهاهم عن اتخاذ الأولياء والأصدقاء من أعداء المسلمين الذين أخرجوهم من ديارهم أو أعانوا على ذلك فى قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء . تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق . يخرجون الرسول وأياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ، أن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى . تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم . ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل »** (المتحنة ١) وفى مقابل هذه الشدة على العدو أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتراحم فحرم عليهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم . وذلك فى خطبة الوداع بمكة يوم النحر ، حيث قال « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا . وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم . فلا ترجعن بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض » (رواه مسلم فى كتاب تحريم الدماء) .

ولو تتبعنا الدعوة المبتدعة المعاصرة الى العـــالمية لوجدنا أنها ــ على اختلاف صورها وشعبها كما سنبينه من بعد ــ دعوة هدامة مخربة من وجوه كثيرة . أولها أنها تناقض الناموس كما بيناه . ثم ان كل شعبة من شـــعبها تريد أن تكون دينا جديدا يجتمع عليه الناس . ومن أجل ذلك فهى تشترك فى مهاجمة الاديان ، لتحطم سلطانها على قلوب النـــاس وضمائرهم ، حتى تحل محلها الولاء للمذهب الجديد . فهدم الاديان مرحلة لا بد أن يمر بها الداخل فى مذاهبهم لكى يتحقق ما يزعمونه من محو العصبيات التى هى فى زعمهم أصل العداوات والحروب بين الناس والامم . وأكثر الناس تأثرا بدعوة العالمية هم الخاملون من الضعفاء ، الذين تقصر هممهم عن الطموح الى وســائل النهوض والأخذ بأسباب القوة والجهاد فى سبيلها ، فيركنون الى أحلام العـــالمية التى تمنيهم بسلام يعطف فيه القوي على الضعيف ، ويكف عن استعباده واستغلاله . وليس أضر بالأمة الضـــعيفة من هذه الاحلام . لأنها تزيدها ضـــعفا على ضعفها ، وتقضى على البقية الباقية من معالم شخصيتها ، اذ تذيبها فى مفهوم شاسع تفقد معه معرفة كنهها وحدود ذاتها ، لأنه يشملها ويشمل أعداءها على الســواء . ثــم ان الدعــوة تحـــاول بالســـفســـطة أن تجمـــع بين الضدين اللذين لا يجتمعان : القوة والضـــعف ، والقدرة والعجز ، والعمل والكسل . وقد جربنا الكلام عن الانسانية والتسامح والسلام وحقوق الانسان فى عصرنا ، فوجدناه كلاما يصنعه الاقوياء فى وزارات الدعاية والخـــارجية والمستعمرات لينفق عند الضعفاء . فهو بضـــاعة معدة للتصدير الخـــارجى وليست معدة للاستهلاك الداخلى . لا يســـتفيد منها دائما الا القوى ، لأنها تساعد على تمكينه من استغلال الضعيف الذى يعيش تحت تخدير هذه الدعوات فى ولاء مع مستغله ومستعبده .

تتخذ هذه الدعوات صورا شتى تعود كلها الى أصل واحد . فالماسونية تدعو الي الانسانية ومحبة البشر كلهم بلا تمييز . والمشـــتغلون باستحضار أرواح الموتى ممن يسمون أنفسهم الروحيين يدعون الى الانسانية والســلام ، ويعتمدون فى ذلك على ما يدعونه مما ينسبونه الى أرواح من يتصلون بهم من مختلف الاجناس والملل . والشيوعية تدعو كذلك الى الانســـانية والسلام . ودعـــاة التوفيق بين الاديان يدعون الى ديانة مبتكـــرة يرتضيهـــا كل الناس . منهم البهائية . ومنهم أصحاب الدعوة الى التوحيد بين الاســلام والنصرانيـــة . وهناك دعوات أخرى تلبس هذا الثوب نفسه وتدعو الى تعـــــاون البشر كالروتاري والاسود (الليونز) والتسلح الخلقى وشهود يهوه . وقد يعين على تصور هذه الدعوة العالمية أن نقدم طائفة من النصوص المختلفة على لســان الداعين بها من مختلف طوائفها .

فمن كلام الماسون ما كتبه أحد كبار رجالهم ــ فى كتابه (النور الأعظم) ، حيث قال « كانت الماسونية عقيدة الانبياء والقديسين والفلاسفة الصالحين فى جميع العهود ، أى عقيدة التوحيد الالهى والايمـــان باله واحد لا نهـــائى ــ ص ٢ » . ويقول « الماسونية على حقيقتها ليست عمالة لأية ديانة أو عنصرية معينة . انها عقيدة العقائد وفلسفة الفلسفات ، وبالمبادىء الانسانية مزينة . عقيدة الاحرار هى عقيدة لجميع أبناء البشرية دون تمييز أو تفريق . وانها لن تمنح الفضل والاولوية لفريق دون فريق ــ ص ١١٥ » . ويقول « الميمات الثلاث فى الموسوية والمسيحية والمحمدية يجتمعون فى ميم واحد هو ميم الماسونية .

لأن الماسونية عقيدة العقائد وفلسفة الفلسفات . انها تجمع وتوحد المتفرقات والمتشتتات . وان باءى البوذية والبرهمية يجتمعان فى باء البناء ، بناء هيكل المجتمع الانسانى الصالح المنزه من العمالة العنصرية والعملاء . ان ما أورثه الآباء الصالحون للأبناء هو مبادىء الحرية والمساواة والاخاء . ونحن نزيد عليها المحبة والعدالة والعطاء ـ ص ١١٢ » . ويقول عزيز ميرهم ـ وهو ماسونى آخر من كبارهم ـ « ان ما تبغيه الماسونية هو وصول الانسانية شيئا فشيئا الى النظام الامثل الذي تتحقق فيه الحرية بأكمل معانيها ، وتزول معه الفوارق بين الافراد والشعوب ، ويسود فيه العلم والجمال والفضيلة ـ من مقال له فى السياسة الاسبوعية المصرية عدد ١١/١٢/١٩٢٦ م » .

ومن اقوال من يسمون انفسهم (الروحيين) ما رواه أحد دعاتهم ـ على لسان احد الارواح المزعومة التى يستحضرونها فى محافلهم : « نحن مرسلون من عند الله كما أرسل المرسلون من قبلنا . غير أن تعاليمنا أرقى من تعاليمهم » ويقول : « محب الانسانية هو الذى يحبها لذاتها . والفيلسوف هو الذى يحب العلم لذاته كذلك . فأمثال هذين الرجلين هم أحباء الله .. فالأول لا يقيد حبه للناس اعتبار لجنس ولا لوطن ولا لاعتقاد ولا لاسم . بل يحيط الانسانية عامة بحبه الخالص . فيحب الناس باعتبارهم اخوانا ، غير مبال بآرائهم الخاصة .. وليس هو الذى لا يحب الا الذين يوافقونه فى الرأى .. والثانى ـ أى الفيلسوف ـ هو الذى خلص من وطأة النظريات فيما يجب أن يكون ، ومن الخضوع للآراء الطائفية والتقاليد المذهبية ، فأصبح حرا من أسر المقررات ومستعدا لقبول الحقيقة مهما كانت ، بشرط أن تقدم عليها البراهين ، باحثا عن مساتير الحكمة الالهية ، فيجد سعادته من وراء هذا البحث ـ من مقال له فى صحيفة (المقتطف) عدد فبراير ١٩٢٠ م ، ضمن سلسلة مقالات فى « اثبات الروح بالمباحث النفسية » .

أما التوفيق بين الاديان ـ وبين المسيحية والاسلام على وجه الخصوص ـ فقد بدأ فى العصر الحديث بمساعى قسيس انجليزي اسمه (أسحق تيلور) ثم ظهرت الدعوة من جديد فى السنوات الاخيرة حين قام جماعة من الامريكان المعروفين بميولهم الصهيونية بعقد مؤتمر للتأليف بين الاسلام والنصرانية فى بيروت سنة ١٩٥٣ م ثم فى الاسكندرية سنة ١٩٥٤ م . وقد كثرت الاقاويل فى أهداف هذه الجماعة وفى مصادر تمويلها . وأصدر الحاج أمين الحسينى بيانا اثبت فيه صلة القائمين على هذه الدعوة بالصهيونية العالمية ـ الاتجاهات الوطنية (٢ : ٣١٩ ـ ٣٢٠) .

وروى الطبيب الاديب حسين الهراوى نقلا عن الشيخ حمزة فتح الله أن أحد الفرنسيين زار مصر فى أوائل هذا القرن وأخذ يفاوض أعلام الاسلام فى فكرة توحيد الاديان حتى لقى الشيخ حسن الطويل ـ أحد علماء الازهر البارزين ـ وكان يتناول طعام الافطار فولا مدمسا وبصلا وخبزا . وأخذ المبعوث الفرنسى يحدث الشيخ عن فكرته قائلا : ان الفرق بين الاديان لا يتجاوز مسألة هينة غير أساسية ، وأن الغرض من الاديان هو الدعوة الى الخير والنهى عن الشر . والشيخ ماض فى طعامه لا يكاد يلتفت اليه . فلما فرغ الفرنسى من حديثه وفرغ الشيخ من طعامه وكرع من قلة ماء بجواره ، لم يزد على أن قال : هل لك يا خواجة فى أكلة لذيذة من الفول المدمس .. ؟ فانصرف الداعية الفرنسى خجلا يجر أذيال الفشل .. !!

أما الشيوعية فدعوتها الى الانسانية والسلام تتخذ شكلا آخر . فالانسانية عندها محصورة فى تقسيم الارزاق بين الناس بالتساوى ، مع اهمال الدين اهمالا كاملا ، لأنه فى نظرهم أسطورة ومخدر يستغله أصحاب الجاه والثروة والسلطان لتسكين هياج الفقراء والمحرومين واقناعهم بقبول حالتهم والرضا بفقرهم وحرمانهم . وهى دعوة عالمية لأنها — بعد أن أنكرت الأديان — تدعو الناس جميعا الى اعتناقها لتحقيق السلام ، من طريق اتحاد الطبقات العاملة فى كل البلاد ، لأن صانعى الحروب فى زعمها هم أصحاب رءوس الاموال من ملاك المصانع ، وعلى رأسها مصانع الاسلحة . وليس ههنا مجال الرد على دعاواهم .

ويكفى أن نقول فى ايجاز ان دعوتهم تنزل بالنوع البشرى الى الحيوانية لأنها تهمل الجانب الروحى فى الانسان ، الذى هو به انسان ، وتخاطب الجانب الشهوانى منه ، الذى يستوى فيه مع الحيوان . أما المساواة بين الناس فهى خرافة لا سبيل الى تحقيقها لأنها مخالفة للناموس . فالناس متباينون قوة بدن وذكاء وخلقا وفطرة . والله سبحانه وتعالى يقول فى محكم كتابه : ((**وهو الذى جعلكم خلائف الارض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم**)) (الانعام ١٦٥) . ويقول جلت حكمته : ((**والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق . فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء . افبنعمة الله يجحدون**)) (النحل ٧١) . ويقول : ((**اهم يقسمون رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا . ورحمة ربك خير مما يجمعون . ولولا أن يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**)) (الزخرف ٣٢ — ٣٥) .

ثم ان الشيوعية لا تلغى الطبقية ، لانها بتعصبها للطبقة العاملة واعتمادها عليها تصبح — على غير ما تزعمه — دعوة طبقية من نوع جديد . ولا تحقق السلام ، لأنها تقوم على اختلاق الحزازات بين الطبقات وتأليب بعضهم على بعض ، والمجتمع الانسانى المطمئن لا يقوم الا على التواد والتراحم والتراضى .

ومع ذلك كله فالدارس لهذه الدعوات العالمية على اختلافها يستطيع أن يدرك بوضوح انها شديدة الصلة بالصهيونية العالمية التى تتوسل الى السيطرة بمحو العصبيات على اختلافها ، لأنها هى العقبة الكبرى التى تحول دون تغلغلها فى المجتمعات والمؤسسات ، ولأن المجتمعات البشرية اذا فقدت شخصياتها وعصبياتها أصبحت قطعانا من الاغنام يسهل على اليهود الذين يحافظون على عصبيتهم الدينية والقومية أن يسوقوها الى حيث يريدون .

من أجل ذلك فضلت أن أجعل العنوان (الاسلام والعالمية) بدلا من العنوان المقترح وهو (عالمية الاسلام) . ذلك لأن استعمال الالفاظ التى جرت مجرى الاصطلاح بين المذاهب المعاصرة المتصارعة كالعالمية والاشتراكية والديمقراطية فى وصف الاسلام وتحديد سماته خطأ جسيم . فهذه الكلمات ترتبط فى الاذهان ارتباطا وثيقا بالاصول المذهبية والظروف التاريخية والاجتماعية التى أحاطت بنشأتها وتطورها . ومع ما هو مسلم من حسن النية عند بعض الذين يستعملون هذه المصطلحات الحديثة لتحبيب الاسلام الى جيل الشباب المفتون بها فان اثم استعمالها أكبر من نفعه . لأنها تزن الاسلام بموازين غير اسلامية فتزيد

ما وقر في نفوس هؤلاء المفتونين من الافتتان بكل ما يجيء عن الحضـــــارة الغربية . فكأن الاسلام لا يصح الا حيث يطابق الفكر الغربي والنظم الغربية . والعكس عند المسلمين هو الصحيح وهو ما ينبغي أن يكون . فهذه النظم على اختلافها ، قديمها وحديثها ، لا تصح عندنا ولا تجوز في أذواقنا وعقولنا الا اذا وافقت الاســــلام . وفرق كبير بين أن يتحدث كاتب أو مفكر عن (عالمية الاسلام) أو (العالمية في الاسلام) . وبين أن يتحدث عن (الاسلام والعالمية) أو (العالمية والاسلام) .

ففي الحالة الاولى يفترض الكاتب أو المفكر منذ البدء أن الاسلام عالمي بكل ما تحمل الكلمة من معان مذهبية اصطلاحية . أما في الحالة الثانية فهو يتحدث عن الاسلام بوصفه دينا مستقلا ومذهبا في الحياة ذا كيان قائم بذاته لا يقبل تبديلا أو تعديلا ، لأنه وحي من عند الله ، قد ثبتت أصـــــوله وكملت ، وتمت بكمالها نعمة الله على المسلمين الذين رضي الله لهم الاسلام دينا . ثم هو على سبيل المقارنة والحكم على المذاهب الجديدة بالصحة أو الفساد يزن (العالمية) بموازين الاسلام .

واذا كانت العالمية هي ما ذكرناه في وصفها وفي بيان صورها المختلفة وحقيقة أهدافها ، فأي شيء منها يصح في الاسلام ؟ وما الذي يعنيه المتحدث عن الاسلام) أو (العالمية في الاسلام) وبين أن يتحدث عن (الاسلام والعالمية) أو (العالمية والاسلام) .

الاسلام دين عالمي بمعنى أنه رسالة موجهة لأهل الارض جميعا تدعوهم الى الدخول فيه . والنصوص القرآنية صريحة في ذلك تؤكد عموم الرســـالة الاسلامية ، في مقابل قومية الرسالات الاخرى . ومنها على سبيل المثال قوله تعالى يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلـــم ((**وأرسلناك للناس رســـولا وكفى بالله شهيدا**)) (النساء ٧٩) ، وقوله تعالى : ((**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**)) (الانبياء ١٠٧) ، وقوله تعالى : ((**وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا**)) (سبأ ٢٨) . وقوله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم : ((**قل يا أيهـــا الناس انى رسول الله اليكم جميعا**)) (الاعراف ١٥٨) .

وفي مقابل وصف الرسالة الاسلامية بأنها موجهة (للناس) و (للعالمين) و (للناس كافة) و (للناس جميعا) ، وصفت الرسالات الاخرى بأنها موجهة لأقوام بأعيانهم . فمن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى : ((**ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه**)) (هود ٩٧) ، وقوله تعالى : ((**اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهـــا في الدنيا والآخرة ومن المقربين .. ورســــولا الى بني اسرائيل**)) (آل عمران ٤٥ ــ ٤٩) ، وقوله تعالى : ((**وأن يونس لمن المرسلين .. وأرســـلناه الى مائة ألف أو يزيدون**)) (الصافات ١٣٩ ــ ١٤٧) ، وقوله تعالى : ((**انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبـــل أن يأتيهم عذاب أليم**)) (نوح ١ ، ٢) وقوله تعالى : ((**كذبت عاد المرسلين ، اذ قال لهم أخوهم هود الا تتقون . انى لــكم رسول أمين**)) (الشعراء ١٢٣ ــ ١٢٥) ومثل ذلك في ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة : ((**كذبت ثمود المرســـلين . اذ قال لهم أخوهم صالح الا تتقون . انى لكم رسول أمين**)) (الشعراء ١٤١ ــ ١٤٣) و ((**كذبت قوم لوط المرسلين . اذ قال لهم أخوهم لوط الا تتقون . انى لكم رسول أمين**)) (الشـــعراء ١٦٠ ــ ١٦٢) و ((**كذب أصحاب الأيكة المرسلين . اذ قال لهم شـــعيب الا تتقون . انى لــكم رسول أمين**)) (الشعراء ١٧٦ ــ ١٧٨) .

وعموم الرسالة وشمولها للناس كافة ظاهر في دعوة أهل الديانات السماوية السابقة للدخول في الاسلام ، الذي يؤكد ما بين أيديهم من الــكتب

ويصدقه ، ويصحح ما انحرف به الناس عن وجهه فيها . وهو ما توضحه الآيات الآتية :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ،ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » (آل عمران ٦٤) .

« يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت . وكان أمر الله مفعولا » (النساء ٤٧) .

« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق . انما المسيح بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه . فآمنوا بالله ورسله . ولا تقولوا ثلاثة . انتهوا خيرا لكم . انما الله اله واحد . سبحانه أن يكون له ولد . له ما فى السموات وما فى الارض . وكفى بالله وكيلا » (النساء ١٧١) .

« يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (المائدة ١٥ ، ١٦) .

« يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير . فقد جاءكم بشير ونذير . والله على كل شىء قدير » (المائدة ١٩) .

« قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق . ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » (المائدة ٧٧) .

وقد كان من مقتضيات هذا العموم فى رسالة الاسلام أن يكون خاتم رسالات الله للناس . وبه تمت نعمته عليهم . وهو ما يؤكده القرآن الكريم فى قوله تعالى : **« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم . ولكن رسول الله وخاتم النبيين . وكان الله بكل شىء عليما »** (الاحزاب ٤٠) ، وفى قوله تعالى ، وهو من أواخر ما أنزل على رسوله . انزل فى حجة الوداع فى عرفات فى يوم جمعة كما رواه مسلم عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** (المائدة ٣) .

وقد كان ادراك رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الشمول والعموم واضحا فى ارساله الكتب الى كسرى فارس والى قيصر الروم والى نجاشى الحبشة والى المقوقس حاكم مصر بعد صلح الحديبية يدعوهم الى الاسلام ، ثم بإعداده لغزو الروم فى مؤتة سنة ٨ هـ وفى تبوك سنة ٩ هـ .

فالاسلام عالمى بهذا المعنى الذى يتضمنه شمول رسالته وعمومها ، وبتسويته بين المسلمين على اختلاف أجناسهم ، وصهرهم فى أمة واحدة لا يتفاضل الناس فيها بحسب أو نسب أو لون . وهو أصرح ما يكون فى قوله تعالى : **« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم . ان الله عليم خبير »** (الحجرات ١٣) .

قيل فى سبب نزولها ان بلالا — وهو حبشى — حين رقى على ظهر الكعبة يوم الفتح فأذن ، قال بعض الناس : أهذا العبد الاسود يؤذن على ظهر الكعبة ؟ فقال بعضهم : ان يسخط الله هذا يغيره . ففى ذلك نزلت الآية . وقيل انها نزلت فى أبى هند . أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بياضة أن

يزوجوه امراة منهم . فقالوا : يا رسول الله نزوج بناتنا موالينا .. ؟!

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديثه تؤكد هذه المساواة التامة بين المسلمين على اختلاف أجناسهم . فهو يقول « ان أمر عليكم عبد أسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا » (رواه مسلم فى كتاب الامارة) .

وروى مسلم أن أبا سفيان أتى على سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى فى نفر — وكان ذلك بعد صلح الحديبية قبل اسلامه . وهو كما هو معروف صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنته أم حبيبة زوج النبى — فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها . فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بالذى كان . فقال : يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ؟! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك . فأتاهم أبو بكر فقال : يا اخوتاه ! أغضبتكم ؟ فقالوا : لا . ويغفر الله لك يا أخى .

ودخل أعرابى على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة فوجد سلمان وصهيبا وبلالا وسالما مولى بنى حذيفة . فقال لهم : تحلقتم يا معشر العلجة كأنكم من الأوس أو الخزرج ؟! وسعد بن أبى وقاص يصلى ويسمع كلامه . فعجل وسلم . ثم قام الى الاعرابى فلببه بردائه وقال : يا عدو نفسه . تقول هذا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فذهب به سعد الى رسول الله وأخبره بمقالته . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا . فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « يا أيها الناس . ان الرب واحد . وان الدين واحد ، والأب واحد . ومن أسرع به عمله لم يبطىء به نسبه . ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . ومن دخل فى هذا الدين فهو من العرب » . فقال سعد : ما أصنع بهذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادخره للنار . قال سعد رضى الله عنه : فلقد رأيته ارتد مع مسيلمة فقتل معه كافرا .

ومن أجل أن الاسلام هو دين الناس كلهم أجمعين على اختلاف الازمنة والامكنة كان دين يسر لا يشدد على الناس ولا يكلفهم ما يشق عليهم . وذلك ليكون ملائما لهم على اختلاف طاقاتهم وتباين ظروف حياتهم ، فى فراغ البداوة وبساطتها ، وفى مشاغل المدنية وتعقيداتها . فالاسلام دين الفطرة التى فطر الله عليها الناس جميعا . يقدر ضعف الانسان فلا يؤاخذه على الخطأ والنسيان والاضطرار ، ولا يكلفه من العبادة فوق ما يطيق . فالارض لهم مسجد . أينما كانوا أقاموا الصلاة . لا يكلفون بأدائها فى داخل دار خاصة بالعبادة . ويؤمهم فى صلاة الجماعة من هو أهل للامامة التى لا تقتصر على طائفة بعينها من رجال الدين . ومن لم يجد ماء فليتيمم . ومن كان مسافرا أبيح له أن يقصر صلاته ، فيصلى الرباعية ركعتين ، كما أبيح له أن يجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم ، وبين المغرب والعشاء جمع تأخير . وأبيح لهم فى الحرب أن يصلوا الرباعية ركعة واحدة فى صلاة الخوف . وعند التحام الصفوف أبيح لهم أن يؤدوها كيفما تيسرت ، رجالا أو ركبانا ، لا يشترط فيها ركوع ولا سجود ولا استقبال قبلة . ويحج المسلم فيؤدى شعائر الحج لا سلطان فيها لسادن أو كاهن . ويدعو الله فيما شاء ، فى وقت الصلاة وفى غير وقت الصلاة . ويتوب اليه ويستغفره من ذنوبه متجها اليه بقلبه وحده دون وسيط .

والله سبحانه وتعالى يدعو عباده الذين أسرفوا فى المعصية الى الوقوف

بباب رحمته ، فيقول جل شأنه : **« قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . ان الله يغفر الذنوب جميعا . انه هو الغفور الرحيم »** (الزمر ٥٣) . ويقول : **« واذا سالك عبادى عنى فانى قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان . فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون »** (البقرة ١٨٦) .

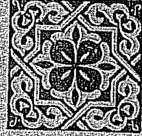
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى نفسى بيده ، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » (رواه مسلم فى كتاب التوبة) . وروى مسلم أن رجلا قدم على رسول الله فى المسجد فقال : يا رسول الله . انى أصبت حدا فأقمه على . فسكت عنه . ثم أعاد . فسكت عنه . وقال ثالثة ، فأقيمت الصلاة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم لها . فلما قضى صلاته وهم بالانصراف تبعه الرجل ، فقال : يا رسول الله انى أصبت حدا فأقمه على . فقال له رسول الله : « أرايت حين خرجت من بيتك ، أليس قد توضأت فأحسنت الوضوء ؟ » فقال : بلى يا رسول الله . قال « ثم شهدت الصلاة معنا ؟ » قال : نعم يا رسول الله . قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فان الله قد غفر لك ذنبك » .

يرسم الاسلام للمسلمين الطريق الى المثل الاعلى ، ولـكنه يكتفى من اسلامهم بما يطيقه أضعفهم . والطريق بعد ذلك مفتوح لمن أراد المزيد . فهم فى اسلامهم درجات . وكلهم على اختلاف درجاتهم وطاقاتهم واستعدادهم مسلمون ، لا حق لأحد منهم فى أن يتعالى على صاحبه أو يستطيل بسبب ذلك ، لأن الدين لله والعبادة خالصة له ، وليست وسيلة الى الاستعلاء على الناس .

والفرق واضح بين هذه الروح الاسلامية فى عمومها وشمولها وعالميتها التى تزيل كل احساس بالتفوق على أساس من النسب أو الجنس ، والتى تحفظ على الناس انسانيتهم ، فتنهى عن قتل الاسرى ، وتمنع فى الحروب من التعرض للنساء وللشيوخ وللاطفال ولرجال الدين من غير المقاتلين . وتحرم اجبار اليهود والنصارى على ترك دينهم ، وتمنع من هدم دور عبادتهم أو المساس بها ، وتأمر باقامة العدل بينهم وبين المسلمين على سواء . الفرق واضح بين الاسلام فى روحه الانسانية هذه وفى عالميته الشاملة وبين العنصرية اليهودية التى تعتبر الدين اليهودى مقصورا على بنى اسرائيل لا يتعداهم الى سواهم — واسرائيل كما هو معروف هو سيدنا يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام — ولذلك فهم لا يبشرون بدينهم ولا يعملون على نشره فى خارج مجتمعهم المغلق هذا . لأن الشعوب الاخرى أو من يسمونهم الجوييم Goyim لم يخلقوا فى عقيدتهم الا لخدمة بنى اسرائيل . و (يهوه) هو الههم وحدهم ، ومن عداهم من الشعوب محروم من رحمته .. وهم يستبيحون فى حقهم كل شىء مما لا تبيحه ديانتهم فى حق اليهودى . ينهبون أموالهم ويسفكون دماءهم ويتقربون الى الههم بتعذيبهم والتنكيل بهم .

ذلك هو الاسلام . وتلك هى حدود عالميته . عالمية تفتح بابها لكل طارق ، ولا تغلقه دون قاصد . ولكنها تدرك حدود ذاتها ادراكا يميزها من غيرها ويمنعها أن تذوب فيه . وتعد أسباب القوة لتكون كلمة الله هى العليا ولكنها لا تسىء استعمالها . ورحم الله شوقى اذ يقول :

كم من غزاة للرسول كريمة   فيها رضى للحق أو اعلاء
كانت لجند الله فيها شدة   فى اثرها للعالمين رخاء
ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها   فعلى الجهالة والضلال عفاء
دعموا على الحرب السلام وطالما   حقنت دماء فى الزمان دماء



العلامة الفيلسوف صلاح الدين السلجوقي

بقلم الأستاذ أنور الجندى

كان السيد صلاح الدين السلجوقى علامة افغانستان وفيلسوفها الاسلامى الكبير يعد نفسه من تلاميذ جمال الدين وخلفائه ويتابع نهجه فى الفكر والبحث ، ويربط فكره به ، بل لعل مولد السلجوقى قريبا من العام الذى توفى فيه جمال الدين الافغانى (وقد توفى جمال الدين ١٨٩٧) كان يمده دائما بذلك الالتقاء والمتابعة والاعجاب الباهر .

وقد اختتمت يوم ٩ ربيع الآخر ١٣٩٠ (١٤ يونيه ١٩٧٠) حياة هذا العلامة الذى كان من ابرز العاملين على الربط بين العروبة والاسلام وبين الأفغان والأمة العربية ، ومن الداعين الى احياء مفاهيم الاسلام وقيمه والاعجاب باللغة العربية وحبها ودعم العلاقات بين اجزاء الوطن الاسلامى — ليس على مستوى

السفراء والعمل السياسي وحده — وإنما عن طريق ذلك اللقاء الفكرى والروحي والأدبى القائم بين اجزاء العالم الاسلامى بوصفها أمة واحدة يجمعها فكر موحد هو الفكر الاسلامى المستمد من القرآن الكريم .

وقد أمضى (صلاح الدين السلجوقى) حياة عملية نشطة فقد تولى منصب الافتاء في هرات وعمل استاذا في كليتى الحبيبة والمعلمين فى كابل ، ثم عمل مديرا للمعارف فى هرات ثم سفيرا لبلاده فى نيودلهى وكراتشى والقاهرة ، ثم كانت له مشاركاته الواسعة فى أعمال المجمع اللغوى والمجلس الاعلى الاسلامى ، وعدد من الهيئات العلمية خلال فترة اقامته فى القاهرة ، ويبدو أن هذه الفترة كانت خصبة فقد كتب فيها السلجوقى عددا كبيرا من الدراسات وتناول أبعاد الفكر الاسلامى فى اتصاله بالحضارة والعصر على نحو بالغ العمق والقوة والتمكن . وقد امتدت اقامته فى القاهرة حتى عام ١٩٦٣ حين اختار العودة الى بلاده والتفرغ لحياته الخاصة ، ولا ندرى ماذا كتب فى خلال هذه الفترة من بعد الى أن اختار جوار ربه ، ولكن ما بين أيدينا من آرائه وأفكاره كفيل بأن يشكل مفهوما كاملا لفلسفته وعقيدته .. فهو جامع بين الدراسات الاسلامية والفلسفات الحديثة والقديمة ، متصل بأحدث نظريات العلم وآراء الفلاسفة ، وهو فى كل دراساته وأبحاثه يصدر عن الاسلام نفسه فى أصفى مفاهيمه وعقائده ، من حيث هو حاكم ومسيطر ، ومن حيث خضوع كل هذه المذاهب والفلسفات فى أعماق نفسه لعقيدة التوحيد أساسا .

وسطية الاسلام

ويقرر السلجوقى وسطية الاسلام بين الفردية والجماعية ، ويقول أن الله سبحانة وتعالى بعث محمدا عليه الصلاة والسلام وانزل عليه الفرقان الذى قضى على الافراط والتفريط فى الفردية والاشتراكية ، وهما اللذان كانا فى صراع دائم لا يعرفان الوسط السليم ولا يعترفان به فالفرد فى الاسلام له حق وعليه واجب نحو فرديته ومجتمعه سواء بسواء . فهو يتأمل فرديا ويعمل اجتماعيا ، ويرعى نفسه ويكون مسئولا عن رعيته ، ويشاور الجماعة فى الأمر ، واذا عزم عند الضرورة توكل على الله ، وله حق الكسب والتملك والتمتع بالمال ولكن عليه أن يؤدى الزكاة والصدقات المتنوعة والتبرعات المتتالية ، حتى لا يدخر رأس مال كبير وبعد موته يقسم ماله بين الورثة ولا يبقى هناك شىء يذكر جدير بأن يسمى (رأس المال) ولا ينسى نصيب نفسه من الدنيا ، فينعشها بالغذاء ، ويقويها بالرياضة ويزينها بالعلم ، ولو كان فى الصين ، ولكن حينما تستدعيه حاجة المجتمع فانه يقدم هذه النفس المكتملة الراضية المطئنة الى التضحية ، مؤمنا بأن هذه التضحية هى حياة له ، وان الهرب منها معناه القاء نفسه بيديه الى التهلكة ومن ناحيةأخرى فان من قتل نفسا بريئة بغير حق فكأنما قتل

الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا .

فالمسلم فرد فى المجتمع ، ومجتمع فى الفرد ، لأنه يكون دائما مع عشيرته وأهله ، ومع ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، ومع الشعب فى الرأى والحكم والدفاع والتعمير والاصلاح .

وكان هذا هو السبب الاصلى فى نشر الدين الاسلامى واعلاء شأن دولته التى كانت مبنية على العلم والفضيلة والحق والخير والجمال والكمال ، والتى كان الفرد فيها مقوما للمجتمع ، والمجتمع محصلا للفرد ، لأنه اذا لم يكن هناك فرد لا يوجد حق ، واذا لم يكن مجتمع فلا يتحقق واجب .

فالانسانية التى تطير بجناحين جناح الحق وجناح الواجب ، لا يمكن لها أن تطير بجناح واحد ، لأن الفرد المندمج فى المجتمع اجير مثقل بالواجبات ومسلوب الحقوق ، وليس من المتوقع منه أن يكون حرا فى تصرفاته ، ويكون المجتمع المؤلف من هؤلاء الافراد أشبه بخلية النحل ، لا أمل لهم فى الرقى ، وهكذا الفرد الذاهل ، الناسى للمجتمع ، يكون منتفخا متورما بالحقوق دون أن يكون لديه أية نزعة لاداء الواجب . ولا يمكن من قبل هؤلاء الافراد أن يتحقق مجتمع متناسق ، اللهم الا أن يكون محشرا للظلمة والمظلومين ، ومن أجل هذا نجح الاسلام فى بناء مجتمع اسلامى زاهر ، شعاره الاعتصام بحد الوسط بين الفرد والمجتمع ، والجمع بين الحق والواجب ، بل ان هذا الشعار امتد نوره كشبه ظل على الأمم غير الاسلامية ، وقلدت من بين ما قلدت من انكارنا ، هذا الشعار أيضا . وكان التناسق بين الفرد والمجتمع ملحوظا فى الدول غير الاسلامية ، لأنها بعد ما شاعت تلك الفكرة لم يكن من المستطاع لأية دولة أن تصرف النظر عنها . »

ويخلص السلجوقى من هذا العرض الشيق الى اقرار حقيقة واضحة هى :

بدا الاسلام باول كلمة منه — الا يعبد الا الله ولا يخضع لأى هول او قوة فردية أو جماعية غير هول الله وقوته والا يطمع او يخاف الا من الله الغنى القوى ، لأن أمة الاسلام هى الوسط ، وهى خير امة أخرجت للناس بين الأمم ، تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ولا تقول غير الحق ، ولا تعمل الا للخير ، ولا تشترى بآيات الله من الحرية والدفاع عن الحق والخير والتعاون على البر والتقوى — ثمنا قليلا .

اخوة العروبة والاسلام

ويتحدث العلامة السلجوقى فى ابحاثه عن أخوة العروبة والاسلام : ويصور محبة الافغانيين للعرب ومفاخرتهم بالقرآن الكريم ، فالافغانيون لم يأخذوا العقيدة التى حملها لهم العرب فحسب ، بل اخذوا لسانهم العربى المبين وحتى القرن الرابع للهجرة كانت اللغة العربية هى اللسان الرسمى ولا تزال اللغة

العربية حتى يومنا هذا لساننا الديني والعلمي .

« لقد فتح جنكيز خان افغانستان عنوة وغصبا ، وبعد معارك عنيفة ومذابح دموية ، وكذلك دخل الانجليز البلاد ، وما لبث الافغانيون أن أبادوهم على بكرة أبيهم . ولكن العرب حملة لواء الاسلام فتحوا ديارنا بمبادئهم السامية ففتح لهم الافغانيون قلوبهم وصدورهم ، متقبلين لهذه التعاليم ، حتى أنه عندما ضعف مركز العرب ومركز الخلافة ، وتوقفا عن نشر الحضارة الاسلامية ، كنا نحن معشر الافغانيين المبشرين بهذه الحضارة والناشرين لها والمجاهدين فى سبيلها فى أنحاء العالم » .

والعرب هم اخواننا الذين سبقونا بالايمان ..

وثقافة افغانستان الآن عربية ، وفي اللغة الافغانية نحو ثلاثين فى المائة من الألفاظ العربية ، ولا توجد هناك غير لغة علمية واحدة ، وهي اللغة العربية ، وكل كتب العلم والدين والفلسفة والمنطق والحكمة والكلام والمحاضرات باللغة العربية .

اللغة العربية

ويعني العلامة السلجوقي باللغة العربية ويرى أنها ليست لغة العرب وحدهم ، « انها لغة يصلي ويدعو بها أكثر من خمسمائة مليون مسلم ، انها لغة القرآن الكريم الذى أنزل على المسلمين كافة ، أنزل عليهم وهداهم الى صراط مستقيم . وكما أن على جميع المسلمين واجبات نحو لغة القرآن فان له أيضا حقوق علينا لأننا معشر الأعجام خدمناها أكثر من العرب ، وأفغانستان التى كانت معروفة فى صدر التاريخ باسم (خراسان) قد اعتنقت عن طواعية الاسلام الذى جاء به أصدقاؤها العرب وحاولت أن تتحد بالشعور والعقيدة معهم .

فهذا القرآن الكريم معاشر العرب يجمعنا واياكم بل يحفظنا واياكم كما حفظ كيانكم وحمى اللغة العربية من الاندثار ، وانا كمسلم لا أعتقد بفضل العربى على العجمي أو بالعكس ، ولكي لا أنكر أن المركز اللغوي والثقافي هو بين العرب لا بين العجم ، فاذا ما فقد المركز جاذبيته ونقطة ارتكازه فلا شك فى أن المحيط يتلاشى بتلاشي المركز .

. . .

ويدعو السلجوقي الى القضاء على العامية فى اللغة العربية « هذه العامية تنزل بمستوى اللغة العربية المبين ، وتقضي على ما فيها من عذوبة وسعة نطاق ونظام ، وتخلق برزخا واسعا بينكم وبين القرآن وبينكم وبين ثقافتكم والألوف من علمائكم والملايين من كتبكم التى كتبها لكم آباؤكم الكلام من العرب واخوانكم الأعزة من الأعاجم . وفضلا عن ذلك فهي توسع الهوة بين الأمم العربية يوما فيوما ، الى أن تتقسم الى أمم

متباينة فى الفهم والافهام ، كما هو واقع الآن بين الأمم الآرية .

واللغة العربية فى ديار الاسلام شأنها كشأن اللغة اللاتينية فى أوروبا ، والفارق بينهما أن اللغة العربية ستدوم ، وستظل دعامة للعلم والأدب فى هذه الديار ما دام القرآن والدين والصلاة وملايين الكتب تؤيدها من بين يديها ومن خلفها .

فلسفة الوجودية

ويتحدث العلامة السلجوقى عن فلسفة الوجودية فيقول : ان الوجودية آخر معركة فاشلة قامت بين الفردية المفرطة والاشتراكية المحضة ، وهذا الصراع بدأ بين افلاطون وأرسطو ولكن بطريقة علمية ومن غير افراط .

الوجودية فكرة مأخوذة من « وحدة الوجود » ولكنها نسخة ممسوخة مشوهة منها لأنها تنعقد على شعار (أنا الأعلى) ولكنها تنزله من العلو الى أسفل سافلين ، والعجب أن (أنا الأعلى) الذى يجب الا يكون مسئولا يعتبر مسئولا فى عقيدتهم ، والأعجب هو أن (أنا الأعلى) مع كمال مسئوليته أباحى محض ، فهذه ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض فالوجودية موت لعلم الاجتماع وانحلال للفلسفة .

الفن فى مفهوم الاسلام

ويحدد العلامة السلجوقى مفهوم الفن فى الاسلام فيرى أنه بعد عن التماثيل والأنصاب والمجسمات المنحوتة وأنه أقرب من الشعر وعلوم البلاغة .

« ان الاسلام قلب قائمة الفن رأسا على عقب ، ووضع فن الشعر والبيان والأدب فى مقدمة القائمة ، لأن بحر التفكير الزاخر ، ومحيط التأمل الفائض ، وبسيط القلب الذى لم يخلق الله عالما أوسع منه ، لا يمكن أن تصاد حيتانها الماردة الشاردة من أى ملامس حسية وملابس عادية ، الا بشص « القلم » وشبكة « ما يسطرون » فالرائد والقائد لشعبات الفن عند الاسلام هما فن البيان وصناعة الشعر ولا غرو فان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة . »

ويتصل حديثه عن الفن الرخيص المعاصر فيقول :

أنا لست أنكر الفن ولكن ليس كل ما يكتب على الورق أو يظهر على المسرح ، يسمى فنا بمعنى الكلمة ومن جهة أخرى ، لا ينبغى أن يكون كل شىء فنا ، أو أن يكون الفن كل شىء ، فاذا ما طغى الفن الرومانسى وتغلب على شئون الحياة فمعنى ذلك موت روح الحكم على الاشياء وخنق الانتحاب الاخلاقى فى الانسان ، زد على ذلك أن الفن الرخيص يهبط

بمستوى الفكر وسطح البرهان .

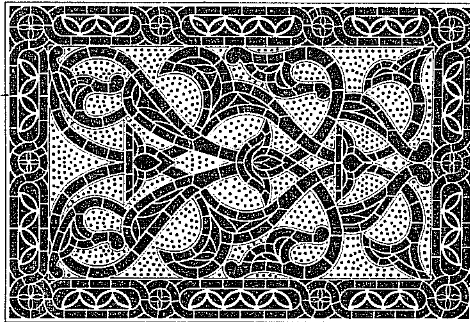
وهناك فى هوليود متجر كبير ليوسف الفن ، يبيع ويشترى بثمن بخس ، بقصد استغلال القرائح الشابة الفائرة فى العالم وتسنده من ورائه سياسة هوجاء ، ووراء هذين غرائز هائجة ملتهبة ، ظلمات ثلاث ، بعضها فوق بعض ، فعلى المجتمع أن ينأى بجانبه عن هذه السفاسف ، وأن يتوجه الى الآثار الطيبة الخالدة ، سواء فى الشرق أو فى الغرب ، لا الى قصص الأولين وأساطيرهم ، ان فى الشرق لآثارا خالدة عظيمة الفائدة يطلق عليها أعداء اللغة العربية اسم (الكتب ذات الاوراق الصفراء) وفيها جواهر ثمينة أنا لست أنكر أنه يوجد الغث والسمين فى كل أثر شرقى أو غربى . ولكن علينا أن نعمل بالمثل (خذ ما صفا ودع ما كدر) .

ان الحضارة الغربية النشيطة قد نفذت ، مع الأسف ، الى كياننا الثقافى وأثرت فيه ، بل لقد أثرت فى تقاليدنا ولذا فليس لنا أن نبذل جهودا اخرى فى ترجمة انتاج الشعراء والقصصيين والمسرحيين الغربيين ، بل علينا أن نولى وجوهنا شطر المشرق ، وأن نعمل على المحافظة على آثارنا القيمة التى تموت بموتها ، وان نحميها من أن تسقط صريعة زحف الحضارة الأوروبية . »

• • •

هذه جماع فلسفة العلامة صلاح الدين السلجوقى ، وهى فلسفة اسلامية أصيلة عميقة الجذور ، كاشفة لإيمان عميق بالاسلام واستشراف للفكر الغربى الحديث ، وقدرة واضحة على رسم منهج صحيح ، يعيش به المسلمون والعرب فى نطاق فكرهم وومزاجهم النفسى دون أن ينعزلوا عن مجتمعهم أو يذوبوا فى مجتمعات غيرهم .

ومن هنا تبدو اصالة فكر السلجوقى وسلامة عقائده ومفاهيمه رحمه الله رحمة واسعة .



أين هي توراة موسى عليه السلام

للأستاذ محمد عزة دروزة

يقع كثير من الناس بل معظم الناس ومنهم باحثون وعلماء فى الخطأ . اذ يطلقون كلمة التوراة على ما فى ايدى اليهود والنصارى من اسفار العهد القديم او بعضها . ويشترك فى ذلك معظم المسلمين ومنهم باحثون وعلماء .

ولقد اجتهدنا فى التنبيه على هذا الخطأ ووضع الأمر فيه فى نصابه الحق فى تفسيرنا (التفسير الحديث) وفى كتابنا (القرآن والمبشرون) ولكن الخطأ يظل ممارسا ، وآخر ما قرأنا ذلك فى مقال لاحد فضلاء المسلمين نشر فى مجلة الوعى الاسلامى . فرأينا انه قد يكون من المفيد التنبيه على ذلك فى مجلة اسلامية واسعة الانتشار مثل الوعى حيث يؤمل أن يكون فى ذلك حسم إن شاء الله .

ولقد كان انطلاقنا فى تنبيهنا من القرآن الكريم من جهة ومن واقع ما فى ايدى اليهود والنصارى من أسفار من جهة أخرى .

ولقد ذكرت التوراة فى القرآن الكريم مرات كثيرة ، منها ما جاء مع الانجيل مثل آيات آل عمران هذه ((**نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان**)) وآية سورة المائدة هذه ((**قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم**)) . . . ومنها ما ذكرت فيه لحدتها كما جاء فى آية سورة آل عمران هذه ((**كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل إلا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها أن كنتم صادقين ٩٣**)) وكما جاء فى آيات سورة المائدة هذه (**وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين . أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوهم**

واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هـم الكافرون • وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة لـه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئـك هم الظالمون ٤٣ ـ ٤٥) ..

ولا يجمع القرآن الكريم بين التوراة وموسى عليه السلام ، وانما يذكر ان الله آتى موسى الكتاب وأنزله عليه كما جاء في آية سورة البقرة « **ولقد آتينا موسى الكتاب ..** » وآية سورة الانعام « **وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ... ٩١** » وسورة السجدة هذه « **ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل ٢٣** » ، غير انه يلحظ تشارك في الوصف لكتاب موسى وللتوراة بأنه نور وهدى كما هو ظاهر في آيات المائدة ٤٣ ـ ٤٥ والانعام ٩١ والسجدة ٢٣ حيث يمكن القول انه قصد بكتاب موسى التـوراة ..

والآيات القرآنية تفيد كما هو واضح من بعض الآيات التي اوردناها ايضا ان التوراة التي أنزلت على موسى أو اوتيها تحتوي وصايا الله تعالى واحكامه وتشريعاته . وقد يفيد بعضها مثل آيات آل عمران ٩٣ والمائدة ٤٣ ـ ٤٥ ان هذه التوراة كانت موجودة في أيدي اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم هذا فـي حين ان المتداول اليوم في أيدي اهل الكتاب اليهود والنصارى هـو مجموعة ضخمة من أسفار عديدة تسمى « العهد القديم » ولكل منها اسم خاص لا يفيد انه جزء من كتاب وانما يفيد بصراحة انه كتاب مستقل منفصل عن غيره مدى ومحتويات . وعددها تسعة وثلاثون في الطبعـة البروتستانتيـة التي تعتمدها بعض طوائف من النصارى وستة وأربعون في الطبعة الكاثوليكية التي تعتمدها بعض طوائف أخرى من النصارى وهي عائدة الى حقب عديدة بدءا من تاريخ خلق الكون وآدم وحواء ونوح وطوفانه واولاده وانسابهم الى ابراهيم وذريته الى موسى وبعده الى أوائل عصر عيسى عليهم السلام . وأسلوبها مزيج من السمة الدينية والتاريخية ، منها ما تغلب عليه السمة الدينية التي منها التشريع والوصايا والاحكام والطقوس والأوامر والنواهي الأخلاقية والاجتماعية والأسرية والانذار والتبشير والابتهال والتسبيح والحكمة والمواعظ ، ومنها ما تغلب عليه السمة التاريخية وأولها (سفر التكوين) وهو الذي يحتوي خبر خلق الكون وآدم وحواء ونوح وابراهيم وأولادهم ، وليس فيه دلالة على أنه من وحي الله تعالى ، وأن كان فيه حكاية كلام منسوب الى الله تعالى وحكاية لما كان من اتصالات بين الله والأنبياء المذكورين فيه ! وليس فيه دلالة على انه من تبليغ موسى أو املائه او تبليغ واملاء شخص آخر ! وفيه ما قد يفيد انه كتب بعد موسى وبأسلوب الحكاية ! وبأقلام عديدة لما فيه من تناقض ، وفيه اقوال وأفعال ووصايا ومواقف منسوبة الى الله وانبيائه يتنزهون عنها ، ومن ذلك على سبيل المثال سماح الله لنسل ابراهيم واسحق ويعقوب بتدمير وابادة شعوب الارض أرض كنعان وغيرها والاستيلاء على بلادهم وأملاكهم بالقوة والدم ، وحرمان بكر ابراهيم وأولاده الآخرين وحرمان بكر اسحق من ارث أبويهم لحصره في بني اسرائيل واحتيال يعقوب على ابيه ، ومضاجعة أحد أبناء يعقوب وهو من الاسباط لإحدى زوجات أبيه ، ومضاجعة بنات لوط مع أبيهم الخ الخ . وفي هذا السفر وعود منسوبة الى الرب لابراهيم واسحق

ويعقوب في صدد ملك أرض كنعان وغيرها فيها تضارب وتناقض واستدراكات، فقد ذكر في اصحاحه الثاني عشر ان الرب قال لابراهيم حينما قدم الى أرض كنعان لأول مرة ــ والمستفاد من عبارات السفر والاسفار الأخرى ان أرض كنعان هي القسم المتوسط من فلسطين ــ (لنسلك اعطى هذه الارض) وقال له في تجل ثان كما جاء في الاصحاح الثالث عشر (أنظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ان جميع الارض التى تراها لك أعطيها ولنسلك الى الأبد) فتطور القول من قسم من فلسطين الى جميع فلسطين ، ثم جاء في الاصحاح الخامس عشر (في ذلك اليوم بت الرب مع ابراهيم عهد قائلا لنسلك اعطى هذه الارض من مصر الى النهر الكبير نهر الفرات) وفي الاصحاح السابع عشر تراجع عجيب حيث جاء فيه معزوا الى الرب خطابا لابراهيم (واعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكا مؤبدا وأكون لهم الها) . وبعد ولادة اسماعيل جاءت ابراهيم بشارة بولادة اسحاق في الاصحاح (١٧) وجاء مع البشارة على لسان الرب ان عهده في صدد تمليك الارض يكون لاسحاق ونسله من بعده دون بكره اسماعيل ، وفي الاصحاح (٢٥) خبر تزوج ابراهيم من زوجة جديدة اسمها قطورة وولادة أولاد له منها وقد جاء في السفر أن ابراهيم أعطى جميع ماله لاسحاق فقط مع هبات عابرة لاولاده الآخرين دون تمليك أرض . وفي نفس الاصحاح خبر مباركة الله لاسحاق دون غيره من أخوته ــ وفي الاصحاح (٢٦) خبر تجلي الرب لاسحاق وقوله له انني اعطيك ولنسلك هذه الارض) . وفي الاصحاح (٢٧) خبر احتيال يعقوب على أبيه الذى شاخ وعمي وتقديمه نفسه بانه بكره عيسو لان اسحاق طلب من عيسو أن يصنع له طعاما من صيده ليباركه وخبر مباركة اسحاق ليعقوب على اعتبار انه عيسو وقوله له تسجد لك القبائل وتخدمك الأمم . ولا عنك ملعون . ومباركك مبارك وتكون سيدا على أخوتك ويسجد له بنو أمك ولقد عرف اسحق الحيلة ولكنه قال لعيسو : ان أخاه قد أخذ البركة والعهد دونه . وفي الاصحاح (٢٨) خبر تجلي الرب ليعقوب وقوله لــه (أنا الرب اله ابراهيم أبيك واله اسحق والارض التى أنت عليها لك اعطيها ولنسلك ويكون نسلك كتراب الارض وتنمو غربا وشرقا وشمالا وجنوبا) وهكذا يكون السفر قد سجل ملك أرض كنعان تارة وملك أراض شاسعة أخرى من شرقها وجنوبها وشمالا تارة لابراهيم ، وهو الجد الثالث الأعلى لبني اسرائيل ثم استدرك فسجل اختصاص اسحاق ابنه دون سائر ابنائه ودون بكره اسماعيل بذلك ، وهو الجد الثاني لبني اسرائيل . ثم استدرك فسجل اختصاص يعقوب ابن اسحاق دون ابنه الثاني بذلك بطريق الاحتيال ، ثم يثبت ذلك بعد انكشاف الاحتيال . وكل هذا بدون ريب مفتعل لاختصاص بني اسرائيل دون غيرهم . و (اسرائيل) هو الاسم الثاني ليعقوب مما يتنزه الله عنه ، ومتأثر بما وقع من أحداث بعد خروج بني اسرائيل من مصر وطروئهم أرض فلسطين وسيــرة حياتهم فيها .

ولقد جاء في الاصحاح (٢٦) من هذا السفر مثلا (ذكر أبي مالك ملك فلسطين في جوار) في سياق خبر سكنى اسحاق بن ابراهيم في أرض هــذا الملك . كما ذكر في هذا الاصحاح عبارة (الفلسطينيون) أكثر من مرة ، وسكنى اســحاق تخمــن في القرن التاســع عشر قبــل الميلاد . والجماعــات التي عرفت بالفلســطينيين وصارت فلســطين تــدعى باسـمهم انمــا طرأت على جنــوب فلســطين من جزر البحر الأبيض المتوســط في القــرن

الرابـــع عشر قبل الميــلاد وقد ذكروا مرارا فى الاسفار الاخرى فى سياق النضال بينهم وبين بنى اسرائيل بعد ما طرأ هؤلاء على فلسطين فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، فالتسمية متأثرة بالواقع ، والسفر يكون قد كتب فى هذا الظرف ، أى : بعد أحداث ابراهيم واسحاق ويعقوب وذريتهم فى فلسطين التى ذكرت فى السفر بنحو سبعة قرون ..

وفى الاصحاح (٤٠) من السفر حكاية قول ليوسف وهو انه خطف من أرض العبرانيين ، والارض التى خطف منها يوسف لم تكن تعرف بأرض العبرانيين وانما بأرض كنعان ، ولم يكن فيها فى ظرف وجود يوسف فيها من العبرانيين الا يعقوب وذريته ، وصارت تعرف بأرض العبرانيين مرة وبأرض اسرائيل مرة بعد ما طرأ بنو اسرائيل على فلسطين فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، ويكون فى هذا المثال ما فى المثال السابق من دلالة على تأثر كتابة سفر التكوين بوقائع واحداث بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر ، وكون هذا السفر قد كتب بعد الاحداث المذكورة فيه بقرون عديدة . ولو أردنا الاستقصاء لاوردنا أمثلة أخرى ولكنا نكتفى بما تقدم .

وهذا لا يمنع أن يقا ل. ان ما جاء فى هذا السفر من أحداث قديمة هو ذكريات كانت متداولة فيها الغث والسمين والخيال والحقيقة والصدق والكذب ولا يبعد أن يكون بعضها منقولا عن مخطوطات ونقوش قديمة عينا أو محرفة وزيادة أو نقصا ..

وفى هذا السفر عبارة صريحة تدل دلالة قاطعة على تأثر تدوينه ومدونيه بأحداث بنى إسرائيل حيثما طرأوا على أرض كنعان ونشب العـداء والحرب بينهم وبين الكنعانيين . ففى أصحاحه التاسع ما يلى : (ابتدأ نوح يحرث الارض وغرس كرما ، وشرب من الخمر فسكر ، وتكشف داخل خبائه فرأى حام أبو كنعان سوءة أبيه ، فأخبر أخويه وهما خارجا . فأخذ سام ويافث رداء وجعلاه على منكبيهما ومشيا مستدبرين فغطيا سوأة أبيهما واوجههما الى الوراء وسوأة أبيهما لم يرياها ، فلما أفاق نوح من خمره علم ما صنع به ابنه الصغير ، فقال ملعون كنعان . عبدا يكون لعبيد أخوته . وقال تبارك الرب اله سام : وليكن كنعان عبدا له . يرحب الله ليافث يسكن فى أخبية أخيه سام ، ويكون كنعان عبدا له) ويستفاد من وصف حام بصفة (أبنه الصغير) انه لم يكن تزوج وولد لـه كنعــان ، وكنعان ليس هـو على كل حال الـذى رأى سوأة نــوح وهو ليس ولد حام الاوحد بل هو رابع ولد له بالترتيب حيث ذكر قبله كوش ومصراييم وفوط كما جاء فى الاصحاح العاشر من السفر ، فتسجيل السفر اللعنة على كنعان غير المذنب وغير الوحيد من أبناء حام والذى لم يكن قد ولد بعد يدل دلالة قاطعة على ما ذكرت .

وهذا السفر يذكر أن ابراهيم الذى هو حسب ما ورد فيه جد بنى اسرائيل من ذرية سا م. فيكون التسجيل المذكور من هذه الناحية توكيدا للافتعال من حيث أن فيه تسجيلا لدعاء نوح بأن يكون كنعان عبدا لسام .

وما ذكرناه على سبيل التمثيل لا الاستقصاء . فان فى هذا السفر مقاطع كثيرة أخرى تذكر ما جرى لبنى اسرائيل فى مصر وما تعرضوا له من أضطهاد وغربة وما نهبوه من أهالى مصر حين خروجهم من حلى وأموال مما يلمح فيه أثر الوقائع والاحداث المتأخرة بقصد عزوها الى الله والآباء الأولين وترسيـخ القدسية والسيادة والاختصاص الربانى لبنى اسرائيل من الله الذى تصفــه الاسفار وهذا السفر انه رب اسرائيل واله اسرائيل وحامى اسرائيل برغم

ما تذكره الاسفار من انحرافات خلقية ودينية واجتماعية لهم .

ويأتي في الترتيب بعد سفر التكوين أسفار (الخروج) و (الاحبار) الذي يسمى باسم (اللاويين) (١) و (العدد) و (تثنية الاشتراع) وهي عائدة الى حقبة حياة موسى عليه السلام . وتتضمن حكاية أحداث هذه الحقبة مع كثير من التشريعات والتعليمات والوصايا الاخلاقية والاجتماعية والقضائية والاسرية والمعاشية والصحية والطقسية والكهنوتية والانذارات والتبشيرات بأسلوب الحكاية أيضا ، وسفر (الاحبار) وحده مقصور على التشريعات والتعليمات والوصايا والانذارات والتبشيرات المذكورة والأخرى مزيجة من ذلــك ومن التاريخ ، وليس فيها في هذه الاسفار الاربعة ما يفيد أنها من املاء موسى أو أنها كتبت في عهده ، بل فيها ما يفيد انها كتبت بعده ، وبأقلام عديدة ، وفي أزمنة مختلفة ، وتأثرت بالوقائع والاحداث بعد موسى ، واختلطت الحقائــق فيها بالخيال والمبالغات والمفارقات والاكاذيب ، ونسب فيها الى الله ورســله ما يتنزهون عنه من أقوال وافعــــال ووصايا ومواقف .

ومن ذلك على سبيل المثال الأمر بتدمير وابادة شعوب ارض كنعــان والاستيلاء على بلادهم ونهب حلى المصريين وعدم قبول بعض الشعــوب في دين الله ، وانحرافات دينية واخلاقية وسلوكية منسوبة الى موسى وهارون وداود وسليمان ، وحصر النواهي والأوامر والتشريعات في بني اسرائيــل واباحة مخالفتها مع غيرهم الخ الخ . . .

ولقد جاء بعض ما في بعضها مكررا في البعض الآخر كثير من التبايــن احيانا زيادة أو نقصا أو عبارة أو موضوعا وفي بعضها المتأخر مــا ليس في البعض الآخر المتقـــدم مما فيه الدلالـــة الحاسمة على انها كتبت بأقـــلام عديـــدة ، وفي أزمنـــة مختلفة واســتقى كتابها مادتهــم من مصــادر مختلفة من روايـــات وذكريات متــداولة على الألســن ، ومن مخطوطات ومنقوشـــات قديمة متباينـــة ، فيهـــا الغث والســمين والحقيقـــة والخيال والصدق والكذب والمبالغـــات والخرافـــات . ولقـــد جاء مثلا في الاصحاح الثاني عشر من سفر العدد هذه العبارة (وكان موسى رجلا حكيما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الارض) في سياق خبر معاتبة أخيه وأخته له ، ولا يمكن أن يكون كاتب هذه العبارة وبالتالي كاتب السفر قد كتبهما الا بعد موسى بمدة ما ، ولقد جاء في الاصحاح الاخير من سفر تثنية الاشتراع ذكر موت موسى ودفنه في الوادي في أرض مؤاب وقد قال الكاتب بعد ذلك (ولم يعرف قبره الي يومنا هذا) حيث يفيد أن كتابة الجملة وبالتالي كتابة السفر انما كانت بعد وفاة موسى بمدة طويلة . ولقد ورد في الاصحاح (١٧) من هذا السفر هذه العبارة (اذا دخلت الارض التي يعطيك الرب الهك وملكتها وسكنت فيها فقلت اقيم على ملكا كسائر الأمم الذين حولي فأقم عليك ملكا يختاره الرب الهك . . الخ) وهذا حادث وقع فعلا بعد موت موسى بنحو مئتي سنة ونتيجة لما وقع على بني اسرائيل من غزوات وضربات وبعد مراجعات ومجادلات بينهم وبين كاهنهم الاكبر صموئيل ، وانذار هذا اياهم وتحذيره لهم على ما ورد في سفر صموئيل الاول الذي تسميه الطبعة الكاثوليكية الملوك الاول مما فيه في

---

(١) الاحبار تعني الكهان . وكهان بني اسرائيل محصورون حسب نصوصهم في سبط لاوي الذي ينسب اليه نسل موسى وهرون . وموسى لم يعقب .

الحقيقة تسجيل للحادث بعد وقوعه ، ومما يدل على أن السفر قد كتب بعد وقوع الحادث بمدة ما .

وفى الاصحاح الأول من سفر العدد حكاية أمر الله لموسى باحصاء المعدودين من الذكور (أى الذين يصح تجنيدهم للحرب كما هو المستفاد من سياق الكلام) من أبناء العشرين فما فوق من أبناء بنى اسرائيل الذين خرجوا معه من مصر الى سيناء باستثناء سبط لاوى الذى لا يدخل فى الاحصاء لانه مكرس للكهانة ولا يجند ، وقد بلغ هذا العدد ستمائة الف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين ، فاذا أضفنا الى هذا الرقم ثلثه على الاقل للذين هم دون العشرين من الذكور ثم أضفنا الى الحاصل مثله للاناث واذا قدرنا عدد أفراد سبط لاوى بالمقارنة مع عدد الاسباط الأخرى بمائة الف على الأقل ظهر ان عدد بنى اسرائيل الذين خرجوا من مصر الى سيناء مليون وثمانمائة الف .

والمبالغة الكبيرة فى هذا الرقم صارخة يجعل كذبه أمرا يقينيا بالنسبة لسكان الارض عامة ، ولسكان مصر خاصة فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ويبرز الخيال الواسع فى تأليف السفر .

ولقد ورد فى سفر الاحبار مثلا انذار بما وقع فعلا على بنى اسرائيل بعد موسى بمدة طويلة من غزوات وضربات خارجية ، ومن اجلاء وتشتيت شمل بين الأمم ، ومن بتحنين قلب الرب وارجاعهم مرة اخرى وجمع شملهم بعد التبديد والتشتيت ، وهو ما تم فعلا بعد السبى مما لا يعقل أن يذكر الا بعد وقوعه ، ومثل هذا الانذار متكرر فى سفر تثنية الاشتراع أيضا .

ويأتى بعد الاسفار الخمسة مما السمة التاريخية عليه غالبة اسفار يوشع والقضاة وراعوث وصموئيل الاول وصموئيل الثانى (السفران الاخيران يسميان فى الطبعة الكاثوليكية) (الملوك الأول والملوك الثانى) والملوك الأول والملوك الثانى (وهذان يسميان فى الطبعة المذكورة الملوك الثالث والملوك الرابع) وأخبار الأيام الأول وأخبار الايام الثانى وعزرا ونحميا واستير وطوبيا ويهوديت (والسفران الأخيران من زوائد الطبعة الكاثوليكية وترتيبهما قبل سفر أستير) وسفر المكابيين الأول وسفر المكابيين الثانى (وهذان الأخيران من زوائد الطبعة الكاثوليكية وهما فى الترتيب آخر أسفار العهد القديم) . وتؤرخ هذه الاسفار سيرة بنى اسرائيل من بعد موسى الى ما بعد سبى بابل الى زمن الحكم اليونانى قبل الميلاد المسيحى . وقلنا ان السمة التاريخية غالبة عليها لانها لا تخلو بدورها من سمة دينية وعظية وانذارية ! . ونشاط أنبياء وتبليغاتهم عن اله تعالى الخ . وتمتزج الحقائق فيها بالخيال والمبالغات والمفارقات والاكاذيب ، وفيها كثيرة على انها كتبت بعد مدة من الاحداث والوقائع المذكورة فيها ، وانها تأثرت بها ، وانها كتبت بأقلام متعددة ، وفى أزمنة مختلفة ، ولقد جاءت حكاية الأحداث فى بعضها مباينة لما جاء فى بعض آخر أو مناقضة له ، أو زائدة عليه أو ناقصة فيه مما يدل على ذلك ، بل وفى بعضها ما ذكر فى أسفار التكوين والخروج والعدد مع نقص وزيادة ومباينة ، وكل هذا يسوغ القول : ان كتابها إستقوا مادتهم من مصادر مختلفة متباينة قد يكون منها الروايات المتداولة على الالسن ، ومخطوطات قديمة فيها ما فيها من غث وسمين وكذب وصدق وحقيقة وخيال وخرافة ، ولقد جاء فى الاصحاح الثالث من أخبار الايام الاول مثلا سلسلة أسماء ملوك يهوذا الى آخرهم ، وفى الأصحاح التاسع منه ما فعله نبوخذ نصر

ملك بابـــل الذى قتل صدقيا آخر ملوك يهوذا (وسبى يهوذا الى بابل لأجـــل خيانتهم) . وفى الاصحاح السادس والثلاثين من سفر أخبار الايام الثانى هذه الجملة (وفى السنة الاولى لكورش ملك فارس نبه الرب روح كورش فأطلق نداء فى كل مملكته قائلا : ان الرب أعطانى جميع ممالك الارض وأوصانى ان أبنى له بيتا فى أورشليم التى فى يهوذا) مما فيه دلالة قاطعة على أن سفر أخبار الايام الأول كتب فى نهاية دولة يهوذا ، والثانى بعد السبى ، ولقد ذكر سفر الملوك الثانى (الرابع فى الطبعة الكاثوليكية) سيرة ملوك دولتى اسرائيل ويهوذا الى نهايتهما ، بما فى ذلك نسف نبوخذ نصر لدولة يهوذا ، وسبى اليهود الى بابـــل كما ذكرت بعض أحداث جرت بعد السبى أو عقبه مما فيه دلالة قاطعة علـــى انه كتب بعد نهاية دولة يهوذا فضلا عن احتمال كتابتـــه بعد السبى وهو مـــا نرجحه . ولما كان هذا السفر هو امتداد واستمرار لسيرة ملوك دولتى اسرائيل ويهوذا التى بدىء بها فى السفر الاول ، فالكلام المذكور ينسحب على هذا أيضا كما هو المتبادر .

ولا تخلو الاسفار الاخرى من التى تؤرخ بعض أحداث ما قبل السبى من دلائل وقرائن مماثلة تسوغ القول : انها كتبت بعد السبى مثلها .

والاسفار العائدة الى حقبة ما بعد السبى قد كتبت بأسلوب الحكاية ، وليس فيها دلالة على انها كتبت باملاء أو اقلام الاشخاص التى تحمل أسماءهم والمتبادر أنها كتبت بأقلام كتاب آخرون بعد موت هؤلاء الاشخاص بمدة ما ، وقد يكون الكتاب قد استقوا مادتهم من الروايات المتداولـــة أو من مخطوطات قديمة ، فأدى ذلك الى امتزاج الحقيقة بالخيال ، والصدق بالكذب والمبالغات فى هذه الأسفار .

والى جانب هذه الاسفار أسفار عديدة أخرى تعود كذلك الى حقبة ما بعد موسى والى ما بعد السبى أو الى اوائل عصر المسيح تغلب عليها السمة الدينية بأسلوب الابتهالات والتسبيحات والمواعظ والحكم والانذار والتبشير والرؤى على السنة أصحابها الذين يغلب أن يكونوا أنبياء وهى المزامير والامثال والجامعة ونشيد الاناشيد ، ونبوءة اشعيا ، ونبوءة أرميا ، ومراثى أرميا ، ونبوءة باروك (وهذا من زوائد الكاثوليكية) ، ونبوءة حزقيال ، ونبوءة دانيال ، ونبوءة هوشع ، ونبوءة يوئيل ، ونبوءة عاموس ، ونبوءة عوبيديا ، ونبوءة ميخيا ، ونبوءة نحوم ، ونبوءة حبقوق ، ونبوءة صفينا ، ونبوءة حجامى ، ونبوءة زكريا ، ونبوءة ملاخى) ومعظمها أو كلها رؤى رآها أصحابها فى منامهم أو فى يقظتهم ومع سمتها الغالبة المذكورة ، فانها تمثل ناحية هامة من تاريخ وحياة بنى اسرائيل السياسية والاجتماعية والثقافية ، وفى بعضها ندب وعويل على ما حل فى بنى اسرائيل . وتنديد باخلاقهم وانحرافاتهم السابقة والراهنـــة بأسلوب قارع .. وتناقض مع ذلك بتبشيرهم بالعلو ، وانذارات قاصمة بل شتائم قارعة للأمم والبلدان التى سلطها الله عليهم بسبب انحرافاتهم على ما ذكرته الاسفار المذكورة أيضا ، وهذا من تناقضاتها ، وفيها ما يدل على أنهـــا كتبت بعد موت أصحابها بمدة طويلـــة بأقلام كتاب آخـــرين من ذكريات ومسموعات ومحفوظات متداولة ، وانها تأثرت بالاحداث التى وقعت بعـــد الاشخاص المنسوبة اليهم ، فلا يصح أخذها على حالتها ، ويجب ملاحظة كل ذلك اثناء النظر فيها .

ولقد ورد مثلا فى الاصحاح الخامس والاربعين من سفر نبوءة أشعيا

الذى يستفاد من عباراته أنه عاش فى عهد ملوك يهوذا (عزيا ويوثام وأحاز وحزقيا) اسم كورش ملك الفرس الذى تغلب على مملكة بابل وفيه هذه الجملة خطابا لسبى اليهود فى بابل الذى سباهم اليها نبوخذ نصر (اخرجوا من بابل واهربوا من أرض الكلدانيين) مما فيه الدلالة القطعية على ان هذا السفر كتب بعد السبى وبالتالى بعد وفاة اشعيا المنسوب اليه بمدة طويلة ، وزيد عليه مالا يمكن أن يكون اشعيا كتبه أو قاله .

ولقد ورد فى سفر حزقيال الذى يستفاد منه انه من رجال سبى بابل وعاش ومات فى السبى تنديدات قارعة باخلاق بنى اسرائيل واحوالهم وانحرافاتهم قبل السبى وفى اثنائه ، وتذكر بما سلطه الله عليهم من هوان وشتات واضطهاد وتدمير يسبب ذلك ، وفيه فى الوقت نفسه تنديدبالامم التى سلطها الله عليهم ، وانذارات قارعة لها ، وتقرير بان الله سوف يعيد بنى اسرائيل الى تخومهم الاولى فى أرض ميعاد آبائهم ، ويجمع شتاتهم ، ويرأف بهم ، وينصرهم مما فيه تناقض واضح . ولقد عاد بعض المسبيين فعلا بعد موت حزقيال بمدة ما ، وتطورت أحوالهم ، وصار لهم كيان جديد حيث يرجح أن هذا التناقض أثر من آثار ما أثاره التطور الجديد فى بنى اسرائيل بعد العودة من السبى ، وان أقلاما أخرى بعد السبي قد لعبت دورا فى صياغة السفر ، أو فى تجديد صياغته .

ولا تخلو الاسفار الاخرى من مثل ذلك وأكثر حيث يمكن القول : انه دخل تحريفات متنوعة على هذه الاسفار المنسوبة الى انبياء من بنى اسرائيل لغايات سياسية . ومن بين الاسفار العائدة الى ما بعد موسى سفران لا يبدو لهما صلة بتاريخ وحياة بنى اسرائيل وهما سفرا (أيوب ونبوءة يونان) . والاول يتضمن سيرة النبى أيوب المذكورة فى القرآن باشارات خاطفة ، ولكنها متطابقة اجمالا وقد قال عنه السفر : انه كان فى أرض عوص ، والثانى هو سيرة يونان ابن امتاى فى نينوى ، وهو على الارجح النبى يونس المذكورة سيرته فى القرآن باشارات خاطفة ومتطابقة اجمالا مع ما جاء فى هذا السفر ، والاثار الاسلامية تسميه (يونس بن متى) والكلمتان تعريب لكلمتى (يونان بن امتاى) .

وهناك سفران آخران فيهما مواعظ وحكم . وهما (الحكمة) و (يشوع ابن شيراخ) وهما من زوائد الطبعة الكاثوليكية ، ولا يبدو فيهما ما يدل على ان لهما صلة بحياة وتاريخ بنى اسرائيل .

وحتى سفر المزامير الذى هو ابتهالات ودعوات لا يخلو من دلائل على ان منه ما تأثر بأحداث وقعت بعد عهد داود بمدة طويلة .

وواضح من كل ما تقدم ان اسم (التوراة) فى القرآن ، والتى يلتزم المسلمون بالايمان بانها من كتب ربهم ، أو الكتاب الذى أتاه الله لموسى عليه السلام لا يمكن أن يصدق على مجموعة أسفار العهد القديم ، ولا على أى سفر منها .

ولقد جاء فى الاصحاح (٢٤) من سفر الخروج أول الاسفار الاربعة العائدة الى حقبة موسى عليه السلام والذى فيه خبر رسالته الى فرعون وخروج بنى اسرائيل من مصر وحياتهم فى سيناء هذه العبارة :

بعد ذكر خبر صعوده الى الطور وتلقيه كلام الله (فجاء موسى وقص على الشعب جميع كلام الرب وجميع الاحكام فاجابه الشعب بصوت واحد وقالوا : جميع ما تكلم به الرب نعمل به ، فكتب موسى جميع كلام الرب ، وبكر

فى الغداة وبنى مذبحا فى أسفل الجبل ، ونصب اثنى عشر نصبا لاثنى عشر سبط اسرائيل ، وبعث فتيان بنى اسرائيل فأصعدوا محرقات ، وذبحوا ذبائح سلامة من العجول للرب ، فأخذ موسى نصف الدم وجعله فى طسوت ورش النصف الآخر على المذبح ، وأخذ كتاب العهد ، فتلا على مسامع الشعب ، فقالوا : كل ما تكلم الرب به نفعله ونأتمر به ، فأخذ موسى الدم ورشه على الشعب ، وقال : هو ذا دم العهد الذى عاهدكم الرب به . على جميع هذه الاقوال) . ولقد ذكر سفر توراة موسى ثلاث مرات فى سفر تثنية الاشتراع . وهو رابع الاسفار التى تؤرخ حقبة موسى ، وفيه تكرار لكثير مما جاء فى الاسفار السابقة ولا سيما التاريخية مع الانذار والتبشير وبقصد التذكير كما فيه تشريعات لم تذكر فى تلك الاسفار . ولقد جاء فى اصحاحه السابع عشر هذه العبارة : (اذا دخلت الارض التى يعطيك الرب الهكوملكتها وسكنت فيها من هنا الاصل فقلت : اقيم على ملكا كسائر الامم حولى ، وجلس على عرش ملكه ، فليكتب له نسخة من هذه التوراة فى سفر من عند الكهنـــة اللاويين ، ولتكن عنده يقرأ كل يوم من ايام حياته لكى يعلم كيف يتقى الرب ويحفظ كـــلام هذه الشريعة) وفى أصحاحه (٣١) هذه العبارة : (وكتب موسى هذه التوراة ودفعها الى الكهنة بنى لاوى حاملى تابوت العهد) ثم هذه العبارة (ولما فرغ موسى من رقم كـــلام هذه التوراة فى سفر بتمامه أمر اللاويين حاملى تابـــوت عهد الرب قائلا : خذوا هذا السفر ، واجعلوه الى جانب عهد الرب الهكم فى التابوت ، فيكون ثم عليكم شاهدا ، لانى أعلم تمردكم وقسوة قلوبكم فانكم وأنا فى الحياة معكم اليوم قد تمردتم على الرب فكيف بعد موتى) .

فهذه النصوص تفيد قطعا ان موسى عليه السلام كتب تبليغات اللـــه ووصاياه وتعاليمه فى كتاب اسمه التوراة ، وسلمه للكهنة ليضعوه فى تابوت العهد ، وهذا التابوت صندوق كان يحفظ فيه الآثار المقدسة ، ويوضع فى المعبد على ما هو المتبادر .

وعهد الرب المذكور آنفا فى عبارة السفر يمكن أن يكون الواح الحجارة التى كتب الله عليها بعض وصاياه على ما جاء فى سفر الخروج حيث جاء فى اصحاحه (٢٤) (قال الرب لموسى : أصعد الى الجبل ، واقم هنا حتى أعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم) وفى أصحاحه (٣١) هذه العبارة (ولما فرغ من مخاطبة موسى على طور سيناء دفع اليـــه لوحى الشهادة لوحين من حجر مكتوبين بأصبع اللـــه) وفى أصحاحه (٣٢) هـــذه العبارة (ثم انثنى موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده ، لوحـــان مكتوبان على جانبهما . من هنا ومن هناك . كانـــا مكتوبين ، واللوحان هنـــا صنعة الله ، والكتابة هى كتابة الله منقوشة على اللوحين) وقد ذكر هـــذا الاصحاح خبر غضب موسى حينما رأى العجل الذى صنعه بنو اسرائيـــل فى غيابه ، ورميه اللوحين وكسرهما فى أسفل الجبل وفى الاصحاح (٣٤) من هذا السفر خبر أمر الله لموسى بأن ينحت لوحين كالاولين ليكتب عليهما الكلام الذى كان على اللوحين الاولين اللذين انكسرا ، ففعل وصعد الى الجبـــل ، وأقام عند الرب أربعين يوما وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء ، فكتب على اللوحين (كلام العهد الكلمات العشر) ونزل وهما فى يده .

وواضح من العبارات ان اللوحين هما غير سفر التوراة الذى كتبه موسى

وفيه كلام الله الذى سمعه ، وانهما سميا العهد ، ووضعـــا فى التابـــوت ، وسمى بتابوت العهد وان ذلك كان قبل أن يكتب موسى كلام الله الذى سمعه فى سفر التوراة ، فلما كتبه أمر بوضعه مع الالواح فى التابوت .

وفى الاصحاح الثامن من سفر الملوك الاول (الثالث فى الكاثوليكية) ما يفيد أن سفر التوراة قد فقد قبل سليمان حيث ذكر انه لم يكن فى تابوت العهد الذى نقله سليمان من مدينة داود الى المعبد الجديد الذى انشأه الا اللوحان الحجريان .

ولقد ذكر فى اصحاحات سفر صموئيل الاول المسمى فى الطبعة الكاثوليكية الملوك الاول ان الفلسطينيين هاجموا الاسرائيليين فى زمن الكاهن الأكبر عالى فى عهد القضاة ، وضربوهم وهزموهم ، واخذوا تابوتهم ، وبقى عندهم سبعة اشهر ، ثم اعادوه اليهم على عجلة تجرها بقرتان ، لانهم ابتلوا بالبواسير وظنوا ان ذلك بسبب أخذهم تابوت اله اسرائيل . وقد اشير الى هذه الحادثة اشارة مقتضبة فى آيات سورة البقرة هذه ((**ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم • وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان فى ذلك لآيـــة لكم ان كنتـــم مؤمنين** ــ ٢٤٦ ــ ٢٤٨) فمن المحتمل ان يكون السفر قد فقد من التابوت فى هذا الظرف حيث يكون الفلسطينيون قد فتحوه فعبثوا فيه ، ولم يبق فيه الا اللوحان .

ومن العجيب ان الاصحاح الثانى والعشرين من سفر الملوك الثانى ــ الرابع فى الطبعة الكاثوليكية ــ ذكر خبر العثور على سفر التوراة فى بيت الرب اثناء ترميمه فى زمن الملك يوشيا ملك يهوذا حيث جاء فيه : ان الملك أرسل كاتبه الى الكاهن الاكبر حلقيا لدفع أجور العمال ، وان الكاهن قال للكاتب : (انى وجدت سفر التوراة فى بيت الرب ، ودفع السفر للكاتب فقرأه ، وأتى به الى الملك ، فأخبره الخبر ، وقراه له) . والخبر كما قلنا عجيب ، لان السفر كان فى تابوت العهد ، ولما فتح التابوت لم يكن فيه ، فهل يكون حلقيا هو كاتب السفر من جديد من ذاكرته ، أو من قراطيس كانت متداولة ، أو كان لديه نسخة عنه ، وقد ذكر فى الاصحاح ان الخبر اثار الملك حتى مزق ثيابه فرحا ، واقام احتفالات عظيمة فى مناسبته .

ولقد جاء فى الأصحاح السابع من سفر عزرا الذى يؤرخ طرفا من حقبة عودة جماعة من المسبيين من بابل الى أورشليم ان عزرا كان كاتبا ماهرا فى توراة موسى التى أعطاها الرب اله اسرائيل ، فبذل لــــه الملك ارتخشتا كل ما طلب ، واصعده الى أورشليم ، وأمره باقامة حكم الهه ، وشرائع الهه وشريعة الملك ، ثم جاء فى الاصحاح الثامن من سفر نحميا الذى يؤرخ كذلك طرفا مـــن الحقبة المذكورة آنفا ان الشعب العائد اجتمع فى ساحة المعبد ، وطلب من عزرا احضار سفر توراة موسى ، فأحضره ، وأخذ يتلوه أمام الجماعة . ولا

يمكن الجزم بما اذا كان عزرا كان يحفظ التوراة غيبا ، وكتب السفر من ذاكرته أم كان يحتفظ بنسخة من التوراة التى يمكن أن تكون نسخة من التوراة التى قال حلقيا الكاهن : انه وجدها فى بيت الرب .

ولقد قلنا ان آيات البقرة (١٢٩) وآل عمران (٢٩) والمائدة (٤٣ ـــ ٤٥) و (٦٦ ـــ ٦٨) والاعراف (١٥٧) التى أوردناها قبل تسوغ القول : ان التوراة المنزلة على موسى عليه السلام التى فيها أحكام الله ووصاياه كانت متداولة في أيدى اليهود فى زمن النبى (صلى الله عليه وسلم) ..

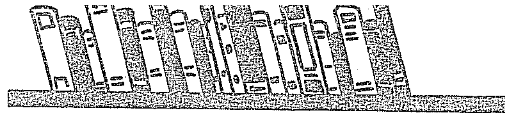
وقد تكون هى التى ذكر خبر وجودها فى زمن الملك يوشيا فى سفر الملوك الثانى ، وخبر تلاوتها من قبل عزرا فى سفر نحميا أو نسخة عنها ، فظلت متداولة الى زمن النبى (صلى الله عليه وسلم) ..

وبديهى انها شىء غير أى سفر من أسفار العهد القديم المتداولة اليوم ، ولم تصل الى عهدنا حيث فقدت اثناء ما كان يقع على اليهود من ضربات وتشريد وكان فقدها نهائيا . (١)

ولقد قلنا قبل ان فى اسفار الخروج والعدد وتثنية الاشتراع تبليغات ووصايا كثيرة متنوعة مبلغة من الله تعالى لموسى ، وان سفر الاحبار قاصر على ذلك ، وان كلها او جلها جاء بأسلوب الحكاية ، وبينها تباين فى الاسلوب والعبارات ، وفى بعضها ما ليس فى الآخر ، وفيها أقوال وأفعال منسوبة الى الله ورسوله يتنزهان عنها بحيث يمكن القول : « ان كتابها استقوا ما كتبوه من مصادر متنوعة ، وان كل واحد كتب ما كتبه مستقلا عن الآخر ، وفى ظرف وزمن غير الآخر ، وانهم لم ينقلوا ما فيه من تبليغات لموسى عليه السلام معزوة الى الله تعالى من سفر توراة موسى مباشرة وبحيث يمكن القول : ان ما جاء فيها مما يجوز ان يكون فى أصله من هذا السفر قد سجله كتابها من روايات ومحفوظات ومدونات شيبت بما ذكرناه من تباين وتناقض واختلاف وتحريف ، ولا يمكن والحالة هذه اعتبارها بديلة عن توراة موسى المفقودة التى هى وحدها التى يحترمها المسلمون وفيها أحكام الله ووصاياه المبلغة لموسى بدون تناقض وتباين ومفارقات وتحريفات . ولا يصح تبعا لذلك من الوجهة العلمية والواقعية اطلاق اسم التوراة عليها ومن قبل المسلمين بنوع خاص ، ففى هذا الاطلاق تجوز كبير فضلا عن التجوز الأكبر فى اطلاقه على مجموعة اسفار العهد القديم وكلها كتبت بأقلام متنوعة بشرية وفى أزمنة مختلفة واختلطت الحقائق فيها بالخيال والصدق بالكذب وشابها المبالغات والمفارقات وما تنزه الله ورسله عنه من أقوال وأفعال وتحريضات عدوانية وتمايزية ضد الشعوب الأخرى . ويجب حين النظر فيها أن ينظر إليها بهذه النظرة والاعتبار من المسلمين وعلمائهم بل وغير المسلمين وعلمائهم . والحمد لله رب العالمين ..

---

(١) هناك مصادر قديمة ذكرت ما كان يتعرض له كتب وقراطيس اليهود الدينية من مصادرة وتحريق . نقل عنها المطران الدبس بعض الاحداث من هذا الباب فى كتابه تاريخ سورية (المجلد الثالث والجزء الثانى) من ذلك انه نشب مرة مناوشات بين اليهود والحامية الرومانية فى زمن القيصر أغسطس فنهب الرومان الهيكل ودنسوه ، واحرقوا ما فيه من أوراق . ومن ذلك ان الوالى الرومانى فى عهد القيصر كلود سير حملة لمطاردة اليهود فى القرى وان أحد الجنود عثر على أسفار موسى فحرقها على مرأى الجمهور اليهودى .



مكتبة المجلة

إعداد : الأستاذ عبد الستار محمد فيض

منهج النقد في علوم الحديث

اسلوب جديد فى مصطلح الحديث يعرض قواعده ويدرسها فى ظل نظرية نقدية تتآلف فيها أنواع علوم الحديث وتنتقل من التجزىء الى التكامل ومن المسائل المتفرقة الى النظرية المتناسقة التى تجلو دقة علم المصطلح وشموله وعبقرية المحدثين وعظمة نهجهم الذى اتبعوه .

وقد سار الكتاب على خطوات متدرجة تسهل للدارس سبيل النقد الحديثى واصول النقد التاريخي موضحا كل ابحاثه بالأمثلة المدروسة مع ايراد مسائل وفوائد نادرة على غاية من الأهمية ، وعنى الكتاب بالقضايا المشكلة فعالجها وكشف النقاب عما وقع من اللبس لبعض الكاتبين فيها وناقش آراء الناقدين للمحدثين بالأدلة والبراهين القاطعة فاستوفى بالدراسة والبحث جوانب هذا العلم الذى اختص الله به هذه الأمة الاسلامية .

والكتاب من تاليف الدكتور نور الدين عتر ويحتوى على (٥٠٠) صفحة ومن نشر دار الفكر / دمشق / سوريا .

العقل عند الشيعة الامامية

بحث موضوعى للدليل الرابع من ادلة الأحكام الشرعية مقارن بآراء المذاهب الاسلامية ، ألفه الدكتور/رشدى محمد عرسان عليان .

ومدخل البحث يبحث فى أدلة الأحكام عند أهل السنة والجماعة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عصر أئمة الاجتهاد ثم أدلة الأحكام الشرعية عند الشيعة الامامية ثم التعريف بالعقل من حيث هو ومموقف المذاهب الاسلامية من مدركاته على سبيل الاجمال ثم التعريف بالعقل عند الامامية .

اما منهج البحث فقائم على أساس المقارنة والتلاقح الفكرى بين أرباب المدارس المختلفة وتصحيح نظرة بعضهم الى بعض .

وصفحات الكتاب تقارب الخمسمائة صفحة ومن طبع مطابع جامعة بغداد

الى كل فتاة تؤمن بالله

الكتاب الرابع من سلسلة كتب ابحاث فى القمة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى وهو يتناول كل المشاكل المختلفة التى تشعر بها الفتاة المسلمة لدى محاولة التوفيق بين تعاليم دينها ومقتضيات مجتمعها باسلوب علمى متجرد .

يتحدث عن الحجاب ، حدوده ودلائله والمشاكل التى تعترض سبيله وعن عمل المرأة وتعلمها والمشاكل التى تنجم عنها .

يستعرض الشبهات العصرية المختلفة التى تثار حول المرأة من كل الجوانب ويعرض سائر الاتجاهات . وينتهى المؤلف من ذلك كله الى حلول جذرية علمية تقنع الاحرار فى تفكيرهم وتسكت المغرضين من خصومهم .

والكتاب يقع فى (١٢٠) صفحة من نشر مكتبة الفارابى / دمشق / سوريا .

معالم الطريق

١ ــ الإنسان بين المادة والروح :

الإنسان بجسده حيوان ناطق ، وبروحه جمال نفس ، ومبادلة حب ، ونورانية عقيدة ، ووضاءة خلق ــ ودائما ــ تجد الذين يعيشون لذواتهم ، دون ما التزام بعقيدة ، ولا ارتباط بوحى ــ وإن ملكوا من أسباب المادة ، ما يجعل الأنظار تتجه إليهم ، والآمال تعلق عليهم ، شديدى الحيرة ، كثيرى الضجر ، لا يكادون يعرفون للسعادة سبيلا ، ولا للراحة طريقا ، وكأن لهم فى كل لذة ألما ، دائما يحسون بكآبة رانت على القلوب ، وجثمت على الصدور ، لا يعلمون لها لأول وهلة موجبا ، ولا يعرفون لها ــ كذلك ــ سببا . وتظل معهم لا تزايلهم ، نتيجة إيناسهم بالمادة ، وعبوديتهم لها ، حتى تجدهم شديدى الحرص عليها ، كثيرى التحرق اليها ، دائمى العبودية لها .

وهم بهذا يظنون الدواء ، حيث الداء العضال ، ويبتغون الشفاء ، حيث السم الزعاف .

لا إسعاد للأسرة الإنسانية

الشيخ/سعد المرصفى

وقد ضرب القرآن الكريم لنا أمثال هــؤلاء فقال فى شأن الذين حملوا التوراة ، فغيروا وبدلوا ، وجحدوا وكفروا ، **« مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا . بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين »** الجمعة/٥ .

وقال سبحانه آمرا نبيه أن يتلو نبأ الذى آتاه آياته فانسلخ منها ، وبعد عنها **« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ، ســاء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون »** الأعراف ١٧٦/١٧٧ . وانظر فى ختام الآية التى تحدثت عن المثل الأول تجدها تقرر أن المكذبين بآيات الله ، والذين يعيشون للمادة وكفى ، دون ما موازنة بينها والروح الكامنة فى نفوسهم ، ودون ما مسايرة للفطرة التى فطرهم الحق تبارك وتعالى عليها ، يدخلون فى دائرة المثل ، وتجد ختام الآيــة

الثانية يقرر ذلك فى جلاء ووضوح ((**ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**)) ثم يأتى التقرير لحقيقة المثل التى يجب أن تدرك فبئس المثل ، وبئس الذين ضرب بهم المثل ((**ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون**)) .

وبعد ذلك بينت الآيات أن الهدى هدى الله ، رجاء أن يثوب الانسان الى رشده ، فيئوب الى ربه ، ثم تحدثت عن أوصاف أهل النار عموما : ((**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون**)) الأعـــراف ١٧٩ . ويكفى أن يكون الماديون الجاحدون أقل من الأنعام ، وتكون الأنعام فوقهم منزلة .

((**أولئك كالأنعام بل هم أضل**)) والسبب لذلك كله ، هو الغفلة التى عاشوا فيها ، فجرفتهم الى المادة بعيدا عن الروح ((**أولئك هم الغافلون**)) .

وإنما استحق هؤلاء تلك الأمثال ، لأنهم تناقضوا مع فطرتهم ، وتعارضوا مع حقيقتهم ، مع أن نفوسهم طالما تؤرقهم ، وتقض عليهم مضاجعهم ، فهى دائما تتوق الى الحقيقة التى إن غاب عن المادى عمله بها ، فهى حاضرة لا تغيب ، بل إن المادة بالنسبة لها هباء ، والكون بجانبها فناء ، والحياة بدونها شقاء ، وما كانت كذلك ، إلا لأنها ليست من طبيعة تلك الأجسام الصماء ، ولا من طينة تلك المادة العمياء ، حتى تأنس الى شىء حقير فتخضع اليه وتسكن ، ولا تتجاوزه الى ما هو أعظم وأكـــرم .

فهى ـــ دائما ـــ لا تأنس إلا لنور يجلى عنها ظلمات الأشياء الأرضـــــية الكثيفة ، لتشرف على خطرة القدس المنيفة ، وهى ـــ دائما ـــ أجل من أن تقنع بالمشتهيات الجسمانية ، وأكبر من أن ترضى بالملاذ المادية .

ثم هى ـــ لا تفتـــأ ـــ تقيم الحجة على الإنسان ، رجاء أن يتهدى الى وضع المحجة ، فيتصبر فى أمره ويكتنه حقيقة سره ، فيسكن اليه فؤاده ويؤوب اليه رشاده ، ولو كان يحيا فى فقر المـــادة ، ولو كان جســـده بين القنا والقنابل ، فالسعادة فى المعرفة لا غير ، والعارى عن المعرفة وإن تنعم بأوصاف النعم . ترى ـــ دائما ـــ فى قلبه وحشة ، وفى فكره حيرة ، وفى نفسه ذلة .

والعارف لتلك المعالم . مطمئن النفس . هادىء البال . لأن نفسه قد أخذت حظها من اليقين والمعرفة . حين أسلمت أمرها . واعتنقت دينها عن رضا ويقين ، فسلمت من كل ما يؤذيها ، وسعدت بكل ما تحب ، فعاشت فى أمن وطمأنينة . وكانت أهلا لأن تدخل فى عباد الله وفى جنته بهذا النداء الذى تهفو نفوسنا جميعا إليـــه : ((**يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى**)) الفجر : ٢٧/ ٣٠ .

ورحم الله ابن القيم حيث قال :

ولا تقر العين ، ولا يهدأ القلب ، ولا تطمئن النفس ، إلا بإلهها ومعبودها الذى هو حق ، وكل معبود سواه باطل . فمن قرت عينه بالله . قرت به كل عين . ومن لم تقر عينه بالله . تقطعت نفسه عن الدنيا حسرات . والله تعالى إنما جعل الحياة الطيبة لمن آمن بالله وعمل صالحا ((**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**)) النحل : ٩٧

ونظير هذا قوله تعالى : ((**للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير ، ولنعم دار المتقين**)) النحل : ٣٠ ، ونظيرها قوله تعالى : ((**وأن**

استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله » هود/٣ . ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والآخرة ، وحصلوا على الحياة الطيبة فى الدارين ، فان طيب النفس ، وسرور القلب ، وفرحه وابتهاجه ، وطمأنينته وانشراحه ، ونوره وسعته ، وعافيته من ترك الشهوات المحرمة ، والشبهات الباطلة ، هو النعيم على الحقيقة ، ولا نسبة لنعيم البدن اليه ، فقد كان بعض من ذاق هذه اللذة يقول : **« لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف »** وقال آخر : « إنه ليمر بالقلب أوقات أقول فيها : **« أن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لفى عيش طيب »** وقال آخر : **« إنه فى الدنيا جنة هى فى الدنيا كالجنة فى الآخرة ، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة .. »** ا . هـ .

والإسلام رسم للانسان الطريق ، وحدد معالمه فى صورة مثلى ، ونظرة متكاملة ، وقد استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم بالله من الكفر ، لأنه ضياع الدنيا ، والحياة الطيبة أصلا هى للمؤمنين فى الدنيا والآخرة ــ كما سبق ــ لأنهم عرفوا معالم الطريق الذى يكفل لهم تلك السعادة .

وما استحق الإنسان كل هذا الاهتمام ، الا لأنه الكائن الوحيد الذى تتمثل فيه كل نواحى الوجود ، والحد الوسط فى سلسلة الموجودات ، ولذا كان جديرا بأن يكون المركز الذى يبدأ منه التفلسف ، ويتركز حوله النظر لينتقل العقل منه بسهولة ويسر ، فى حركته التصاعدية الى من هو أرقى منه فى الوجود ، وفى حركته التنازلية ، الى ما هو دونه فيه .

والوجدان فى الإنسان هو القوة الحيوية التى تساعده على البقاء ، والعامل الأول فى تكوين شخصيته ، وتحديد سلوكه ، ولذا كان اقرب قواه اليه ، بل واكثرها أهمية فى حياته .

ومن هنا كان جديرا بأن يكون مكان الصدارة دائما .

والإسلام لا يستغنى عن الوجدان بحال من الأحوال ، ولا يعتمد إلا عليه عند الكثير ، وما الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، والبشارة والإنذار ، الا وسائل تهدف نحو إثارة الوجدان دفعا الى العمل ، وطلبا لجنى الثمرة التى تأتى كنتيجة لأعمال الناس جميعا .

وعليه فالوجدان هو قوة الحياة ، والدافع المحرك لها ، ليتوجه غير المؤمنين الى الإيمان ، وليزداد الذين آمنوا إيمانا على إيمان .

والإنسان بفطرته يشعر ــ دائما ــ بأنه محتاج الى من يظاهره ويعاونه ، ويوجده ويحفظ له ذلك الوجود ، وذلك : هو شعور المحتاج نحو من يحتاج اليه ، والخاضع نحو من هو أقوى منه .

ولذا كان لا بد وأن يكون مليئا بمظاهر الاحترام والتقديس ، والخشوع والخضوع ، والشعور بالخوف من تلك القوة القاهرة التى تثير السحاب ، وتسير البحار ، وتنظم جميع الحركات والسكنات دائما ، فهو شعور مشرب بخوف ورجاء ، وتقديس وتعظيم ، وهو شعور يدفع بالضرورة الى التعبد والتمسك .

ورغم ذلك كله : فالإسلام لا يعتمد على الوجدان كقوة وحيدة هى الأولى والأخيرة . بل يعتمد على الإرادة والعقل أيضا . وبذلك : تتضامن الميول النفسية كلها . من شعور بالحاجة والضعف ، وإحساس باللامحدود ، ورغبة فى كمال المعرفة ، وفى تحقيق الانسجام الذاتى والخارجى ، مع مراعاة أن الاسلام فطرة كامنة فى النفس لا تستطيع جحودها بحال من الأحوال ــ كما

سبق — فإن هذه الوسائل الثلاثة — الوجدان والإرادة والعقل — وهى الميول النفسية — وسائل مساعدة للنفس على أن تجد ما تعبر به عن الحقيقة التى يجب أن تدرك . وهى ضرورة الإيمان . ويكفى أن تكون النواحي البشرية ، والاتجاهات النفسية ، والغرائز الفطرية ، وكل ما فى الانسان ، دليلا حيا تكمن فيه الأدلة الواقعية — كلها على أنه مخلوق لخالق ، وليس فى حاجة الى أدلة خارجية تعطيه الدليل على وجوده ، مع أن الكون كله ينطق بذلك ، وهذه الأدلة حاضرة فى نفسه ، ينطق بها عقله ، ويشهد بها وجوده ، ويخضع لها قلبه ، وتسكن اليها نفسه ، ويميل اليها وجدانه ، وكل ما فيه من قوى .

وما كان الله اقرب إلينا من حبل الوريد . إلا لأنه سبحانه حاضر حضورا لا يعرف التخلف عند كل حاسة من حواسنا ، يعرفه العقل ، ويدركه القلب ، ويشعر به الوجدان ، وتسعد بتلك المعرفة النفس ، فتسكن وتطمئن .

٢ — حزب الشيطان :

والشيطان وحزبه فى عمل دائب ، مستمر ، متواصل ، حتى لا يصل الإنسان الى تلك المعالم ، فيسعد ويهنأ ، ولذا تجد كثيرا من الناس يغمضون أعينهم عن أن يروا الحقيقة التى ينطق بها وجودهم ، فيعيشون فى جهالة جهلاء ، وفوضى عمياء ، تراهم بشرا من الناس ، ولكن قلوبهم لا تفقه ، وعيونهم لا تبصر ، وآذانهم لا تسمع ، ورغم ذلك كله فهم حين ينزل بهم خطب ، تتحرك فى نفوسهم الفطرة ، ثم لا يلبثون أن يرجعوا القهقرى على أعقابهم ينكصون ، اتباعا لعمل الشيطان وحزبه .

والانسان الذى عرف معالم الطريق فأسلم ، هو وحده الذى يعتبر بحق . خصيم حزب الشيطان . والأمة الإسلامية هى الأمة الوحيدة التى أعطاها الله تبارك وتعالى تلك الدرجة .

ومع شاعر الاسلام محمد إقبال فيما كتبه تحت عنوان : ((**برلمان إبليس**)) ندرك بعض معالم حزب الرحمن وحزب الشيطان . وجها لوجه . قال :

((اجتمع الشياطين وزملاء ابليس وأعوانه فى مجلس شورى وتباحثوا فى سير العالم . وأخطار الغد وفتنته)) ثم قال إبليس فى هذا البرلمان :

((إن كنت خائفا ، فانى أخاف أمة لا تزال شرارة الحياة والطموح كامنة فى رمادها ، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، وتسيل دموعهم على خدودهم سحرا لا يخفى على الخبير المتفرس أن الإسلام هو فتنة الغد وداهية المستقبل)) .. ثم قال إبليس :

((أنا لا أجهل أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجورا ، وانها فتنت بالمال وشغفت بجمعه وادخاره كغيرهم من الأمم ، أنا خبير أن دليل الشرق داج مكفهر ، وأن علماء الإسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التى تشرق لها الظلمات ، ويضىء لها العالم ، ولكنى أخاف أن قوارع هذا العصر وهزته ستقض مضجعها ، وتوقظ هذه الأمة وتوجهها الى شريعة محمد حامى الذمار ، حارس الذمم والأعراض ، دين الكرامة والشرف ، ودين الأمانة والصفاء ، دين المروءة

والبطولة ، دين الكفاح والجهاد ، يلغى كل نوع من انواع الرق ، يزكى المال من كل دنس ورجس ، ويجعله نقيا صافيا ، ويجعل أصحاب الثورة والملاك مستخلفين في أموالهم ، أمناء لله ، وكلاء على المال ، وأي ثورة أعظم ، وأي انقلاب أشد خطرا مما أحدثه هذا الدين في عالم الفكر والعمل ، يوم أن صرخ أن الارض لله ، لا للملوك والسلاطين ، فابذلوا جهدكم أن يظل هذا الدين متواريا عن أعين الناس ، وليهنكم أن المسلم بنفسه هو ضعيف الثقة بربه ، قليل الايمان بدينه ، اضربوا على آذان المسلم ، فانه يستطيع أن يكسر طلاسم العالم ، ويبطل سحرنا بأذانه وتكبيره ، واجتهدوا في أن يطول ليله ، ويبطيء سحره اشغلوه يا اخواني عن الجد والعمل ، حتى يخسر الرهان في العالم ، خير لنا أن يبقى عبدا لغيره ويهجر هذا العالم ويعتزله ، ويتنازل عنه لغيره ، زاهدا فيه ، واستخفافا لخطره ، يا ويلتنا ، ويا شقوتنا لو تنبهت هذه الأمة التي يعزم عليها دينها أن تراقب العالم وتمسه » ا. هـ بتصرف .

والقرآن الكريم يقص علينا سبل الشيطان الرجيم فيمحاولاته الدائبة لإفساد الأسرة الإنسانية . قال تعالى « **قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** » الأعراف /١٦ ــ ١٧ .

والإغواء في الأصل : بمعنى الفساد المردى ، وهو ضد الرشاد بمعنى الإيقاع في الغواية . والصرا المستقيم : هو الطريق الوحيد الذي يوصل صاحبه وسالكه الى السعادة ، وأن تتزكى نفسه بالموازنة بين المادة والروح .

ولم يقف الأمر عند حد الإغواء والاضلال ، فانه يأتي من بين أيدى الناس ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم : إغواء وإضلالا . ابتغاء الفتنة وابتغاء البعد عن الصراط المستقيم .

ولكن الإسلام حصن حصين يحفظ معتنقيه من الوقوع في الغواية والاضلال ففي سورتي الحجر وص استثناء عباد الله المخلصين من تلك الغواية وذلك الاضلال .

قال تعالى : « **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين** » الحجر/٤٢ . وهذا تأكيد لقوله : « **إلا عبادك منهم المخلصين** » الحجر/ ٤٠ ، ص ١٣ .

وقوله تعالى : « **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا** » الاسراء / ٦٥ .

٣ ــ حزب الرحمن ومعالم الطريق :

والمسلمون الآن كما تقول احصائية أخيرة تحت إشراف الأمم المتحدة يبلغون ٨٠٠ مليون نسمة ، ولكى نعطى هذا العدد الأعتبار الصحيح يجب أن تكون لدينا فكرة عن نموه في السنين الاخيرة من القرن العشرين ، ففي أوائل الحرب العالمية الأولى كان عدد المسلمين (٢٥٠ مليون) وفي مدى نصف قرن تقريبا تصاعد الى ما يقرب الآن من مليار ، وهم بهذا العدد يعيشون في القارات الخمس ، وفي

جميع أقطار العالم ــ ويشكلون تقريبا ثلث دول العالم ، هذا ما تؤيده الأرقام داخل منظمة الأمم المتحدة ــ الأمم المتحدة ١٣٢ . الدول الاسلامية نحو (٤٠) . أما اذا ذهبنا نعد الدول التى ما زالت تحت نير الاستعمار ككشمير وفلسطين واريتريا والصومال والصحراء المغربية ودول أخرى ، فاننا سوف نصل الى رقم أعلى من ذلك ، وهذا الرقم للدول التى يسكنها أغلبية مسلمة ، أما الدول التى يتراوح عدد المسلمين فيها من ٣٠ الى ٤٥٪ من مجموع السكان فهى خمس عشرة دولة (١٥) ما عدا الاتحاد السوفيتى الذى يبلغ عدد المسلمين فيه أكثر من ٤٠ مليون والهند (٧٠) سبعين مليونا ، وفى كل من يوغوسلافيا ٣ ملايين وتايلاند ٣ ملايين وبورما ٣ ملايين والفلبين ٤ ملايين ومع هذا العدد الضخم للدول الاسلامية فى الأمم المتحدة وخارجها ، فان مواقف حكوماتها مختلفة ومتناقضة فلم تناقش مرة واحدة قضية تهم هذه الشعوب ويتخذ فيهـا قرار لصالح المسلمين ، وكأن هذه الحكومات لا تمثل هذه الشعوب ، يحرق المسجد الأقصى وتشن الحرب على باكستان ويذبح المسلمون فى الفلبين وأنجولا .. الخ .

انظر الى هذا العدد الضخم بهذه الصورة وفكر فى الواقع ، ولا تنس ما بيننا وبين إخوان القردة والخنازير وفكر .. وحاول أن تجد الخلاص ، وأن تدرك معالم الطريق لإسعاد الأسرة الانسانية مما تعانيه ، فماذا تجد .. ؟

تجد المسلمين كما بلا كيف ، وعددا بلا فكرة ، غلبت عليهم المادية كما غلبت على غيرهم ، فعاشوا أعوادا انقطع عنها ماء الحياة فذبلت وتحطمت ، وأوراقا عصفت بها رياح الخماسين فتساقطت وتهشمت ، ومصابيح انقطع عنها التيار فتعطلت وأظلمت ، وهم بهذا تصدق فيهم نبوءة نبيهم « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها . قال : قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال: أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل فى قلوبكم الوهن ، قال : قلنا . وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت » ، « عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

رواه أحمد فى مسنده وأبو داود فى الملاحم .

والعلاج أن نضع نصب أعيننا جميعا أن الله سائلنا عن دينه ، بل وعن دعوة العالم الى دينه ، فنحن الأمة التى أعطاها الحق تبارك وتعالى عجلة القيادة لهذا العالم قال تعالى :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » البقرة/١٤٣ . وقال تعالى : **« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس »** الحج /٧٨ . ونحن الأمة التى مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقتها فى الترابط والشعور والاحساس بالجسد الواحد : **« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »** حديث صحيح رواه مسلم وأحمد عن النعمان بن بشير .

ونحن الأمة التي حدد النبي صلى الله عليه وسلم معالم الطريق لإسعادها وحتى تأخذ مكانتها المرجوة في قوله : **« وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصـــــم به كتاب الله »** الحديث رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد ومالك ورواه الحاكم عن أبى هريرة قال : خطب النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فذكره : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض » .

ونحن الأمة التي سمى الله عز وجل دينها إسلاما كما قال عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فى قوله تعالى : **« هـــو سماكم المسلمين من قبل »** قال ـــ الله عز وجل وقال مجاهد : الله سماكم المسلمين من قبل فى الكتب المتقدمة وفى الذكر ، وان كان عبد الرحمن بن زيد بن أســـلم يقول ـــ يعنى ابراهيم فان الأول أولى ، وفى الحديث الذى يرويه النســــائى بسنده : « فادعو بدعوة الله التى سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله » .

● وإن أمة سماها الله عز وجل . وانتظمت فى ركب الايمان مع كل المرسلين . ووضحت امامها معالم الطريق بهذه الصورة لهى الأمة التى يصدق عليها قول الله « أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » ويوضح المفكر الاسلامى (أبو الحسن الندوى) آثار تلك المعالم فيقول « والقرآن وسيرة محمد صلى الله عليه وسلم قوتان عظيمتان تستطيعان أن تشعلا فى العالم الاســــلامى نار الحماس والإيمان ، وتحدثا فى كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجــاهلى ، وتجعلا من أمة مستسلمة متخذلة ناعسة ، أمة فتية ملتهبة حماسة وغيرة ، وحنقا على الجاهلية ، وسخطا على النظم الجائرة ، ان علة علل العالم الإسلامى هو الرضا بالحياة الدنيا ، والاطمئنان بها ، والارتياح الى الأوضاع الفاسدة ، والتبذير الزائد فى الحياة ، فلا يقلعه فساد ، ولا يزعجه انحراف ، ولا يهيجه منكر ، ولا يهمه غير مسائل الطعام واللباس ، ولكن بتأثير القرآن والسيرة النبوية إن وجدا الى القلب سبيلا يحدث صراع بين الإيمان والنفاق ، واليقين والشك ، بين المنافع العاجلة فى الدار الآخرة ، وبين راحة الجسم ونعيم القلب ، وبين حياة البطالة وموت الشهادة ، صراع أحدثه كل نبى فى وقته ، ولا يصلح العالم إلا به ، حينئذ يقوم فى كل ناحية من نواحى العالم الاسلامى فى كل أسرة اسلامية فتية آمنـــوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قامـــوا فقالوا ربنا رب السمـــوات والأرض لن ندعو من دونه إلهـــا لقد قلنا اذا شططا . هنالك تفوح رائحة الجنة ، وتهب نفحات القرن الأول ، ويولد للاسلام عالم جديد ، لا يشبه العالم القـــديم فى شىء » .

والله عز وجل يقول : **« يايها الذين آمنوا اســـتجيبوا لله وللرســـول إذا دعاكم لما يحييكم »** الأنفال ٢٤ . ويقول : **« يايها النـــاس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا . فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فســـيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مســـتقيما »** النســـاء ١٧٤ و ١٧٥ .

وهكذا تتضح معالم الطريق للأسرة الانسانية كافة وفى هذا بيان لخصائص الاسلام فى جلاء ووضوح . وأنه دين الحياة . يتفاعل معها ، ويصلح من شأنها ، ويرسم لها أقوم السبل لتكون حياة سعيدة . آمنة مطمئنة .

أم حكيم ..

مسرحية تاريخية من فصل واحد ..

للدكتور : أحمد شوقي الفنجري

ملخص ما نشر في العدد السابق

« في خيمة الاسعاف حيث يقوم فريق من نساء الصحابة باعداد الضماد والفيار اثنا معركة اليرموك بينهن ام حكيم وهند بنت عتبة زوجة ابى سفيان وام تميم زوجة خالد بن الوليد واسماء بنت ابى بكر الصديق ..

يدور بين النسوة وام حكيم حديث يذكرون فيه بطولاتها في الحرب ومشاركتها لزوجها وابيها وولدها في مغازى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حروب الردة ثم فتوح الشام وصدق هذا البيت في البذل والجهاد .

وبينما هن يتحدثن مع ام حكيم اذ تدخل خولة بنت الازور ومعها رعلة وامامة يحملن جريحا يحتضر . فاذا به عكرمة بن ابى جهل زوج ام حكيم . وعندما يفيق عكرمة من غشيته يبدأ بينه وبين زوجته هذا الحوار : »

ام حكيم : كيف انت يا ولى الله .. جزاك الله عن الاسلام خيرا فقد أبليت أحسن البلاء .

عكرمة : لقد انتصرنا يا أم حكيم .. وأعز الله الاسلام ..

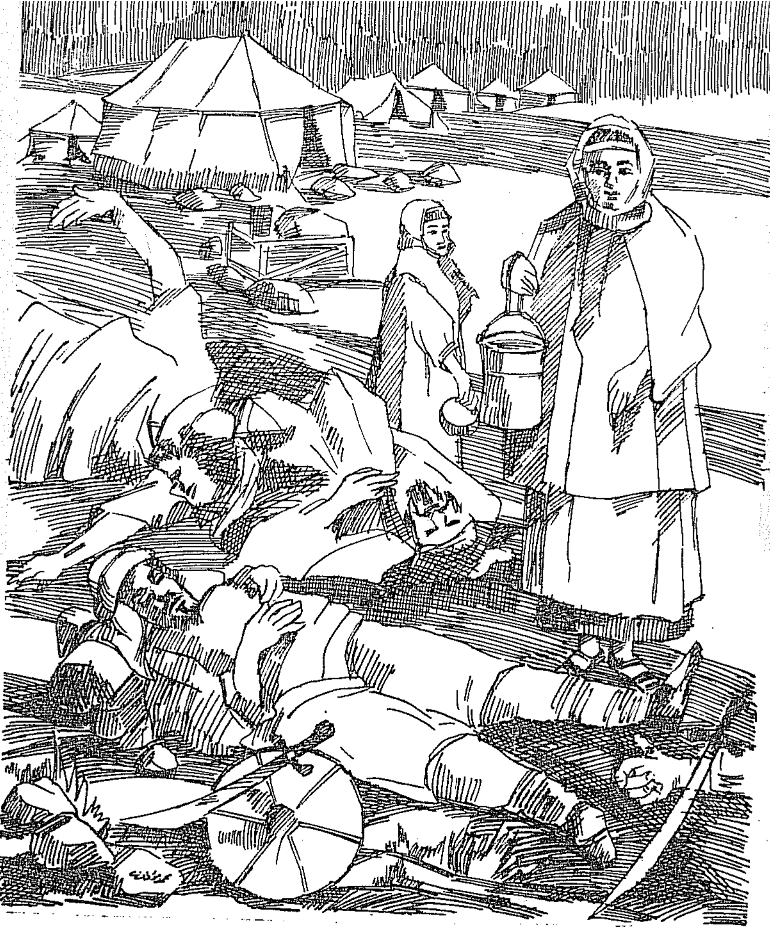
ام حكيم : الحمد لله وما النصر الا من عند الله ..

عكرمة : (تدمع عينيه ويتهدج صوته ..) جزاك الله عنى خيرا يا زوجي في الجنة .. أنت التي هديتني الى الاسلام بعد أن كنت وأبى أشد الناس ايذاء لرسول الله وصحبه في مكة فعسى أن يغفر الله لى ما فعلته برسوله ..

ام حكيم : ان الاسلام يجب ما قبله يا عكرمة .. وقد عفا رسول الله عنك بعد فتح مكة ومنحك الأمان بعد أن كان قد استحل دمك ..

عكرمة : الفضل لك يا أم حكيم .. لقد ذهبت الى الرسول تطلبين منه الأمان فكنت سابقة لى في الاسلام وهأنذا أسبقك الى الشهادة والى لقاء رسول الله . فيا لهفى الى ذلك اللقاء .

ام حكيم : أتعلم يا عكرمة ماذا قال عنك رسول الله عندما ذهبت اليه .. لقد بشرني قائلا : « لعل الله يجعل لأبى جهل عذقا كبيرا في الجنة » فلعلك تكون ذلك العذق الكبير الذى لأبى جهل في الجنة ..



عكرمـــة : ما أصدق رسول الله ﷺ .. وأصدق نبوءته .. فوالله ما كنت أصدق أن يدخل أحد من آل أبى جهل الجنة أبدا .. وهأنذا أرى الجنة بعينى واستشعر بردها واشم ريحها الطيب ..

ام حكيـــم : أتذكر يا عكرمة يوم أن عايرك المسلمون وقالوا لك يا ابن أبى جهل عدو الله ..

عكرمـــة : والله ما أنسى يوم شكوت ذلك الى النبى فجمع الناس وخطب فيهم قائلا : « أيها الناس .. لا تؤذوا الأحياء بسبب الموتى » ومن يومها امتنع الناس عن سب أبى ..

ام حكيـــم : واليوم يا عكرمة أنت وولدك تقودان جيش الاسلام دفاعا عن دين اللـــه ..

عكرمـــة : فأين ولدى عمرو يا أم حكيم .. أريد أن أودعه فما أحسب إلا أن منيتى قد حانت ..

ام حكيـــم : ألم تأخذه معك فى الهجوم ؟.

عكرمـــة : بلى كان معى ولكنه افترق عنى وراح يقاتل مع أبيك .. ان ولدنا عمرو يريد أن يقاتل وحده دون اعتماد على أبيه أو أمه .

ام حكيـــم : بعد فترة صمت وقلق : ـ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ..

اسـماء : اطمئن يا عكرمة .. فقد أرسلت من ينـــادى على ولدك بين الجنـــود لتراه ..

عكرمـــة : لا تعطليه عن واجبه يا ابنة الصديق .. ولا تؤخريه عن الجهاد .. فما جئنا لمثل هذه العواطف .. ولكن تعالي، واجلسي الى جانبي أحدثك حديثا طويلا قبل أن القى ربي : أتذكرين يا اسماء ليلة الهجـــرة ..

أســـماء : ومن ينساها يا عكرمة بحلوها ومرها .. وهل نحن نعيش إلا على تلك الذكريات التي تركها لنا رسول الله ..

عكرمـــة : ليلة الهجرة .. كنت أنا وأبى الجانب المر فيها .. وكنت أنت وأبوك الجانب الحلو فشتان الفارق بين حالينا .. اتذكرين يا ابنة الصديق يوم جئت مع أبى جهل الى بيتك نسأل أين ذهب أبوك .. ومكثنا نستجوبك الساعات الطوال ونضيق عليك الخنـــاق وأنت صامدة هادئة لا يغلبك رجـــال قريش مجتمعـــون ..

أســـماء : أما زلت تذكر ذلك يا ابن أبى جهل .. لقد كان ذلك فى الجاهلية وقد عفا الله عما سلف ..

عكرمـــة : وأنى لى أن أنساه وقد أخذ أبى يلطمك على وجهك فى قسوة وأنا أهينك وأسب أباك لكى تخبرينا بمكان رسول الله ..

أســـماء : عفا الله عما سلف .. فلا تشغل بالك بهذا الآن ..

عكرمـــة : إنى لأعلم أن الله قد غفر لى منذ يوم اسلامى كل ما فعلته فى الجاهلية .. ولكنى أريد أن يطمئن قلبى من ناحيتك أنت .. فهل غفرت أنت لى اساءتى اليك يا ذات النطـــاقين .. وهل صفا قلبك نحوى ..

أســـماء : أتتوقع منى أن أحمل ضغنا فى قلبى بعد أن غفر الله لك وعفا عنك رسوله .. ومن أكون أنا يا ابن أبى جهل حتى تطلب منى العفو .. وقد كرم الله وجهك بالاسلام وعرف أبو بكر خليفة رسول الله قدرك فجعلك من قادة جيوش المسلمين . فاذا اختارك الله بعد ذلك شهيدا فى الحرب فأنت فى الآخرة بأعلى مكان مع الصديقين والشهداء والأنبياء .. وأنت أعلى من مثلى منزلة وأقرب مكانة من الله .. فلا تكن إلا قرير العين يا عكرمة طبت يا أخى فى الله فوالله ما أحمـــل لك فى قلبى إلا كل حب واكبـــار ..

عكرمـــة : الحمد لله .. الآن أستطيع أن القى ربى مرتاح البال ..

(تدخل خولة وغفيرة ورعلة يحملن جريحا آخر .. وتميل خولة على اسماء تسر لها حديثا فى أذنها ..)

أســـماء : يا غفيرة ويا رعلة .. انقلن هذا الجريح الجديد الى الخيمة التاليـــة .

أم حكيـــم : ولماذا الخيمة التالية يا أم عبد الله وفى هذه الخيمة متسع . أحسبت أننى أنشغل بجراح زوجى عن غيره من جنود الاسلام .. كلهم فى الله إخوانى وأولادى وأحبابى وتالله ما افرق فى الموت والشهادة بين ولدى عمرو وبين غيره من فتيان المسلمين .

(تقترب أم حكيم من الجريح وفى يديها الضماد والفيار .. ثم تفاجا قائلة :)

أم حكيـــم : هذا ولدى عمرو .. أنت أيضا يا ولدى كرم الله وجهك كأبيك .

عمـــــرو : ادعو لى الله يا أمى أن أكون ذلك العذق الصغير الذى لأبى

جهل فى الجنــــة .

أم حكيــم : حماك الله يا ولدى وسلمك لأمك .

عمـــرو : يا أمى .. إن كنت تحبين ولدك حقا فادعى لى بالشـــهادة لا بالســـلامة ..

أم حكيــم : ارأيت يا أسماء أن أهلى كلهم لا يرضون إلا بالشهادة وأنت كنت تخافين على أن أسمع بجـــرح زوجى وولدى فى وقت واحـــد وأردت أن تخفى الخبر عنى ..

أســماء : بارك الله فيكم بيت أبى جهل .. فبفضلك يا أم حكيم .. اصبح هذا بيت التضحية والفداء فى الله .. فلننقل عمرو اذا الى جوار أبيه ليراه ويحدثه .. **(ينقلانه الى جوار عكرمة) .**

أم حكيــم : يا عكرمة هذا ولدنا عمرو جاء يسلم عليك ويودعك فادع الله له بالخير فقد كان بارا بنا ..

(بعد قليل تدخل نسوة الصحابة يحملن جريحا ثالثا .. وتقول احداهن) :

ــ يا أهل الاسعاف .. هذا جريح ثالث لا تقل جراحه خطرا عن أخـــويه ..

(تقوم اليه أم حكيم لكى تسـعفه فاذا به أبوها الحـارث بن هشـام) .

أم حكيــم : أبى الحارث !!.. سلمك الله وعافاك .. سأضعك هنا الى جوار حفيدك عمرو وزوجى عكرمة ..

(تدخل النسوة بجريح رابع ويقلن :)

ــ أين نضع هذا الجريح يا أم حكيم . انه فتى صغير السن ولا نعلم اسمه .

الفتى : هنا الى جوار أخوته ..

(تنظر اليه فى حنان وهى تداوى جراحة حتى فاق من غشيته ..)

أم حكيــم : من أنت يا ولدى ..؟

الفتى : انا سهيل بن عمرو الأنصارى يا أماه ..

أم حكيــم : من أنصار رسول الله .. انعم واكرم بكم .. وهل أبوك فى الجيش بين المجاهدين يا سهيل .

الفتى : أبى استشهد فى حرب الردة فى اليمامة .

(تسود فترة صمت ثم تعود أم حكيم فتسأل الفتى :)

أم حكيــم : وهل أمك هنا بين الصحابيات حتى أدعوها لك لتراك ..؟

الفتى : أمى استشهدت فى فتح فارس ..

(تدمع عيناها وتقول فى شفقة :)

أم حكيــم : يا لله .. لقد باعد الاسلام بين قبورنا ولكنه قرب بين أرواحنا وقلوبنا .. أنا يا ولدى أمك وهذا عكرمة أبوك وهـــذا عمرو ولدى أخوك فلست وحيدا ..

الفتى : لست وحيدا يا أماه .. فقد اخترت الله ورسوله ملجأ ورفيقا وأنيسا فان كنت تريدين لى الخير فادع لى بالشهادة ..

(تبتسم أم حكيم فى أسى والدمع ما زال يملأ عينيها ..)

ــ كل أحبـــائى وأهلى يريدون اليوم فراقى فمن يدعـــو لى بالشهادة بعدكم ..

تسمع ضجة وأقدام خيل وصهيلها واحدى النساء تقول :

ــ هذا خالد بن الوليد يمر على خيام الاسعاف ليزور الجرحى .

أســماء : خالد جاء هنا .. لا بد ان القتـــال قد توقف .. فقـــد غربت الشـــمس .
خــــالد : السلام عليكن يا صاحبات رسول الله ..
النســاء : عليك السلام أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ..
خــــالد : كيف حالك يا أم حكيم وكيف حال جرحاك ..

(أم حكيم تدير وجهها حتى لا يرى خالد دموعها وتجفف دمعها بمرطها ثم تقبل على خالد هادئة مبتسمة ..)

أم حكيـم : اهلا بك يا سيف الله المسلول . .نحن بخير وعافية والحمدلله .

(يدور خالد على الجرحى الأربعة يسألهم عن أحوالهم ثم يجلس على الارض ويضع رأس عكرمة على حجره ورأس عمرو من الناحية الأخرى ثم تقبل عليه نساء الصحابة يسألنه) .

النســـاء : طمئنا يا أبا سليمان عن جيش المسلمين وعن احوال القتال ..
خـــالد : الموقف يا صاحبات رسول الله أصبح فى صالحنا اليوم فقد قضينا على رماة الروم جميعهم وكانوا أخطر شيء على المسلمين وغدا يوم حاسم نقضى فيه على فرسانهم دون أن نتعـــرض لأى خســـائر ..
النســـاء : لله درك يا خـــالد .. لا يهزم الله جيشـــا أنت قائده واميره يا أبا ســـليمان ..
خـــالد : يا صاحبات رسول الله .. لا تمدحنني .. فالفضل أولا لله ولرسوله .. وان كنتن تردن معـــرفة أصحاب الســـبق .. فهؤلاء هم حماة الاسلام وابطاله .. فوالله ما كان خالد بن الوليد ليحرز نصرا أو يقهر عدوا لو لم يكن معه رجال أمثال عكرمة وعمرو والحارث وسهيل .. لقـــد سمعنى عكرمـــة اليوم أقول : من يكفينى رماة الروم فقد آذوا المسلمين كثيرا .. فقال دع هذا لى يا خالد .. أنا لها ..
عكرمـــة : الفضل لصحابة رسول الله يا أبا سليمان .. فقد درت على الجيش أنادى : من يبايع على الموت .. فاذا بالمسلمين كلهم يريدون الموت والشهادة .. وكان من أرده منهم يعود آسفا وحزينـــا ..
خـــالد : أتعلم يا عكرمة انهم جاءوا يشـــكون منك الى .. وقالوا ان عكرمة يستأثر قومه من بنى مخزوم لمواقف الموت والشهادة ..
عكرمـــة : بارك الله فى صحابة رسول الله .. فهم يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع .. ولكنى يا أبا سليمان أردت أن لا يكون الى جانبى فى هـــذا الموقف الانتحـــارى إلا من أعرف قتاله وبلاءه .. فكان أول من اخترتهن للموت ولدى عمرو .. فهل أخطأت فى هذا ؟.
خـــالد : لا تأخذها على هذا الوجه يا عكرمة .. انما هو عتاب المحب لحبيبه .. وعتاب من يرجو أن يكون مع من أحب فى الجنة .. والآن يا عكرمة .. لا تسرف فى الكلام فقـــد نزفت كثيرا من جراحك ..
عكرمـــة : إن كان ذلك يعجـــل بلقـــاء ربى فلن اغلـــق فمى أبـــدا

(خـالد يضحك) .

عكرمــة : اوصيك يا أبا سليمان بأم حكيم .. فلم يعد لها بعدنا أحد فى هـذه الدنيـا ..

خـــالد : اتوصينى يا عكرمــة بأم حكيم .. أم توصى أم حكيم بنـــا .. هؤلاء صحابة رسول الله كلهـم أولادهـــا وعيالها .. وكلهم آباؤها وأعمامها .. كل جندى منهم بجيش ، وكل فرد منهم بأمة .. فهم أمم وجيـــوش تحت أقدامها بعـــدما قدمت من تضحيات .. فلا تكن الا قرير العين ..

أم حكيـــم : حسبك يا خالد .. لا تملأنى زهوا وغرورا .. وحسبى الله لى أهلا وملاذا ..
وكل ما أرجوه منك أن تدعنى أقاتل معك أينمـــا سرت حتى يرزقنى الله الشهادة فألحق بمن سبقنى فى الجنة ..

(تسود فترة صمت وقور .. ويرى نساء الصحابة ينقلن الجرحى هنا وهناك .. ثم تمر أسماء بنت أبى بكر وفى يدها قربة بها قليل من الماء .. ومعها قدح صغير فينظر اليها الفتى الصغير سهيل ..)

الفتى : ماء .. أعطنى ماء يا أماه ..

(تجرى أسماء بنت أبى بكر وتحمل فى يدها قدح من الماء وتقدمه اليه .. فما أن يهم بشربه حتى يسمع عمرو بن عكرمة) .

عمـــرو : ماء .. ماء .. أعطونى ماء ..

ســـهيل : اسمع أخى عمرو يطلب ماء .. فأعطه قبلى ..

أســـماء : اشرب وسأعطيه بعدك ..

ســـهيل : أخى أخطر منى جرحا .. ولن أشرب قبله ..

(تذهب أسماء الى عمرو لتسقيه .. فيسمع جده الحارث بن هشام ..)

الحـــارث : ماء .. ماء أعطونى ماء ..

فيرفع عمرو الماء عن فمه ويقول لأسماء ..

عمـــرو : أعطوا الشيخ الماء قبلى ..

أســماء : اشرب يا عمرو وسأعطيه بعدك ..

عمـــرو : لا أشرب قبل الشيخ ..

(تذهب أسماء الى الحارث بن هشام لتسقيه فيسمع عكرمة وهو يحتضر ..)

عكرمــة : ماء .. ماء .. فتجرى اليه بالماء ..

(ويسمع عكرمة الفتى سهيل يطلب الماء .. فيزيح القــدح عن فمــه ..)

عكرمــة : هذا أخى فى الله يطلب ماء فأعطه قبلى ..

أســماء : اشرب يا عكرمـــة ..

عكرمــة : لن أشرب قبـــلـه ..

(أسماء تذهب الى سهيل لتسقيه فتجده قد مات ..)

اسماء منفعلة : قبض سهيل الى ربه (.. ثم تذهب الى عكرمة فتجده قد مات).

أســماء : لقد لاقى عكرمة ربه (تذهب الى عمرو) .

أســماء : لقد لاقى عمرو بن عكرمة ربه (تذهب الى الحارث) .

أســماء : لقد لاقى الحارث بن هشام ربه .

(تنفعل أسماء وتبكى وتقول :)

هنيئا لكم جميعا لقاء ربكم .. أنتم السابقون الى الله ونحن

اللاحقون بكم حتى فى لحظة الموت يؤثر كل منكم أخاه على نفسه وصدق الله العظيم إذ يقول : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . **(تنظر الى أم هكيم وتقول) :**
— تجلدى يا أم حكيم . فهذا موقف الصبر والامتحان والايمان .

(نساء الصحابة كلهن يتجمعن حول أم حكيم يعزينها ويواسينها) .

هند : لك الله يا أم حكيم .. أتفجعين فى زوجك وولدك وأبيك فى ساعة واحـــدة .

(أم حكيم ترد عليهم فى ثقة وعزم وبصوت تعلو نبراته بقوة) :

أم حكيم : والله ما هذه بفجيعة أبدا .. الفجيعة لو كنت فقـدتهم فى الجاهلية عندما كانوا يحاربون لغير غاية ولا هدف .. ويقتلون بعضهم بعضا فى الثأر والسطو والعدوان ..
أما اليوم فنحن نبذل دمنا وارواحنا لتعلو كلمة الله ..
لنحرر الانسانية من الجهل والوثنية..ومن الشرك والعبودية.
ولنخرج الشعوب من جور الاديان الى عدل الاســلام . ومن عبادة الانسان الى عبادة الديان .. ووالله ما تذهب دماؤنا اليوم هدرا .. إنما هى الشهادة وهى الجنة : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله . ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

هند : لله درك يا أم حكيم .. فى الصباح كنت فارسة الميدان وفى المساء انت راهبة الايمان ..

أم حكيم : لست والله بأقوى مبدأ ولا إيمانا منكن .. فهذه الخنســاء شاعرة الجاهلية التى فقدت بصرها حـزنا وبكاء على اخيها صخر قبل الاسلام .. ثم جاء الاسلام فغير كيانها ووجدانها .. فلما قتل أولادها الأربعة فى سبيل الله فى يوم واحد قالت : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم جميعا .. وارجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » .. وأنا لا أملك إلا ان اقول مثلها « اللهم ارزقنى الشهادة مجاهدة فى سبيلك مثل زوجى وولدى وأبى واجعلنى معهم فى الجنة .. » .

(وتقوم أم حكيم الى فرسها وتتوشح بدرعها وسيفها فتسألها اسماء ..)

اسماء : الى أين يا أم حكيم ..

أم حكيم : سأظل أضرب فى العدو بسيفى هذا حتى انتقم لأهلى او الحق بهم فى الجنــة ..

« يسمع صوت آذان المغرب .. وتخفت الأضواء فى الخيمة الا من ضوء مصباح صغير خافت . وتقوم الصحابيات الى الصلاة مع جيش المسلمين ويخلو الميدان تماما الا من جثث الشهداء ويسمع صوت أبو عبيدة الجراح وهو يؤم المسلمين الى الصلاة ويقرأ قول الله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .. تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم فى وجوههم من أثر السجـود .. ذلك مثلهم فى التـوراة ومثلهم فى الانجيل .. كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه .. يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار .. وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » .

بريد الوعي الإسلامي

من تايلند

نحيي جهادكم المستمر فى نشر الدين كما نراه في مقالاتكم الدائمة ولقد ترجمنا منها الكثير الى اللغة التايلدنية عن طريق مجلة سبيل السلام التى يرأس تحريرها وصاحبها الأستاذ مصطفى الحنفى ويساعده على الترجمة ابنى غازى سالم بن هلابى أى الترجمة من العربية الى التايلندية ومن ضمن هذه المقالات التى ترجمت مقالكم (أحاديث يجب تصحيح فهمها) وأيضا مقال (حكم الاسلام فى تحريم لحم الخنزير) لأن هذه المقالات اخترناها لأنها تتناسب مع ظروف هذا البلد .

سالم بن عمر بن هلابى — تايلند

هياة دولية اسلامية

يعانى اليوم اخواننا فى الأقطار الاسلامية المختلفة وخاصة الأقليات نقصا فى كل ما يشد أزرهم وينشر بينهم الروح الاسلامية هذا بالاضافة الى حملات الابادة الجسدية والروحية من أعداء الله فى الأرض ، والمخططات المعادية للاسلام منسقة ومترابطة ، وتعمل فى جهد ودأب بعقلية منظمة .

فالشيوعية تدفع الملايين لكسب أتباع جدد لها فى الأرض .

والصليبية تدفع الملايين فى أيدى المبشرين الى أطراف الأرض ليعلوا كلمة الدين المسيحى .

ونحن قسمان : قسم يعادى الاسلام لجهله به وانسياقة لحملات التشكيك الشرقية والغربية .

وقسم لا يعادى الاسلام ولكنه غيور عاجز .

وحتى نكون شيئا فى الحياة — حتى يكون لنا مبدأ وعقيدة نحيا ونموت من أجلها — أرى أن تكون هيأة دولية اسلامية تجمع الأموال من الخيرين والزكاة لنساعد بها اخواننا بالغذاء والكتاب .

مسلم

التعريف بأحوال المسلمين

ان مجلة (الوعى الاسلامى) قد علقت بها قلوب قرائها العديدين فى العالم العربى والاسلامى فتوثقت الألفة بينهم وبينها على هذا الوجه الذى يطلع عليهم مع طلوع الهلال فى كل شهر .

وحبذا لو عنيت ببحوث للتعريف بأحوال المسلمين فى الجهات النائية حيث يكاد المسلمين هناك يعيشون وهم أقلية فى شبه عزلة عن العالم الاسلامى ، وحيث لا يكاد يلتفت اليهم المسلمون فى مواطن الاسلام ..

وحبذا لو شغلت الدراسات الأدبية واللغوية حيزا من المجلة ، تكشف به هذه الدراسات عن عظمة اللغة التى اختارها الله تعالى لتكون محملا لدينه ووعاء لشريعته ولسانا معجزا بالكلمة ، وبهذا نضع اللغة بمكانها الذى ينبغى أن يكون عند أهلها والذى يعلو كل لغة غيرها .. ويومئذ يرد للأمة العربية اعتبارها، فبالكلمة وحدها يقام ميزان الأمم كما يقام ميزان الرجال لأن الكلمات هن أمهات الأعمال ، وليس ثمة عمل الا وراءه كلمة هى محصول فكرة ونتاج تفكير .

عبد الكريم الخطيب

غلاف المجلة

هناك حقلان رئيسيان ما زلت أتمنى أن تغطيهما (الوعى الاسلامى) باستمرار مهما كلفا من جهد :

أ) ريبورتاجات مصورة ومطولة وموضوعة بحذق وعناية تركز على :

(١) الاتجاهات الاسلامية فى كل بلد اسلامى .
(٢) المؤسسات الاسلامية التعليمية وغيرها ..
(٣) أهم الشخصيات الفكرية والجمعيات ..
(٤) مطالب ومصاعب وتطلعات المسلمين ..
(٥) ما ينبغى أن يكون معروفا فى كل بلد لدى سائر العالم الاسلامى .

وحين تصور مجلة ما امرأة شبه عارية على الغلاف لتوهم بأن ذلك الوضع المنحرف يمثل امرأة نموذجية من بلد اسلامى ، فان الوعى لو نشرت صورة فى منتهى الحشمة واللباس الشرعى الاسلامى للبلد الذى يجرى فيه الريبورتاج فهى حرية بقلب مساعى العابثين .

ب) ندوات أو آراء لأبرز المفكرين المسلمين فى العالم فى قضايا تشغل الأذهان ، ومتابعة مستديمة لما ينشر عن الاسلام والمسلمين من كتب تستحق الاهتمام فى العالم .

أحمد العنانى

الفتاوى

التيمم خوفا من خروج وقت الصلاة

الســـؤال :

استيقظت من نومى جنبا ، ولم يبق على طلوع الشمس إلا دقائق ، ولو اغتسلت من الجنابة خرج الوقت وطلعت الشمس ، فهل يجوز لى أن أتيمم لأؤدى صلاة الصبح فى وقتها ، أو لا بد من الغسل وأصلى بعد طلوع الشمس ؟

الاجـــابة :

جمهور الأئمة على أنه لا يجوز التيمم لخوف فوات وقت الفريضة لأنها تفوت الى بدل وهو القضـــاء ، فلا بد أن يغتسل الجنب ثم يؤدى الفريضـــة ولو بعد وقتها ، وأجاز بعضهم التيمم لخوف فوات الوقت ، ويرى فريق أن الأحوط أن يتيمم ويصلى ، ثم يعيد الصلاة بعد الغسل خارج الوقت .

ســيدنا ابراهيــم

الســـؤال :

لماذا نخص سيدنا ابراهيم بالذكر فى تشهدنا فى الصـــلاة دون سائر الأنبيـــاء والمرسلين ؟

الاجـــابة :

خص الله سيدنا ابراهيم بمزيد من الفضائل ، فهو خليل الرحمن ، وأبو كثير من الأنبياء والمرسلين ، ومن ذريته اسماعيل أبو العـــرب ، واسحاق أبو اسرائيل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى والياس ، وهو جد خير خلق الله محمد صلوات الله وسلامه عليه وقد طلب من الله أن يجعل له لسان صدق فى الآخرين فاستجاب الله دعاءه فهو محمود فى جميع الملل وهو الذى سمانا المسلمين لهذه الفضائل والمناقب كلها خصَّ سيدنا ابراهيم عليه السلام بذكره فى التشهد للصلاة .

حــكم الختـــان

السؤال :

انا اعمل فى الكويت وقد ولد لى فيها بنت ، ورغبت فى ختانها كما هو المالوف فى بلادنا ولكن كثيرا من اصدقائى قالوا لى أن ختان البنات غير مطلوب شرعا ، فارجو توضيح حكم الشريعة الاسلامية فى الختان .؟

الاجابة :

اختلف الفقهاء فى حكم الختان لكل من الذكر والأنثى هل هو واجب أو سنة فمذهب الشافعية انه واجب فى حق الذكر والأنثى ، ومذهب الحنابلة انه واجب فى حق الذكر ، وليس بواجب فى حق الاناث ، بل هو سنة ومكرمة ، ومذهب المالكية والحنفية أنه سنة فى حقهما ، وهو من شعار الاسلام .

وخلاصة القول : ان أكثر العلماء على أن خفاض ــ ختان ــ البنات ليس واجبا وهو قول المالكية والحنابلة والحنفية ، وان ختان الذكور واجب شرعا ، وهو شعار المسلمين وملةابراهيم ، وهو مذهب الشافعية والحنابلة ، فلا اثم فى ترك ختان البنت كما هو متبع فى كثير من الشعوب الاسلامية .

خرافــــة

السؤال :

سمعت أحد المحدثين فى المساجد يروى ان الامام الغزالى لم يدخله الله الجنة الا لأنه كان يوما يكتب ، فوقفت على قلمه ذبابة ، فتركها حتى رويت من المداد ، ثم طارت ، فما نصيب هذه الرواية من الصحة وما حــكم الشرع فى مثل هذه الروايات .. ؟

الاجابة :

هذه حكاية مختلقة ولا يجوز أن تذكر للوعظ لأن الوعظ انما يكون بالقول الصادق الحق ، والدلالة على العمل النافع الموافق لعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل كل ما قدمه الامام الغزالى من علم نافع وما تركه من آثار وكتب قيمة غير مقبول عند الله وان الله عز وجل لم ينجه من النار الا بقطرات المداد التى شربتها الذبابة ، هذا كلام لا دليل عليه وهو غير مقبول شرعا ، ويجب على هذا المحدث وأمثاله أن لا يروى للناس كل ما يقرأ أو يسمع بل عليه ان لا ينقل لهم الا الثابت الصحيح ..

زوال العقــم

السؤال :

فى جزيرة فيلكا من جزر الكويت ، قبر عليه قبة ، ويقول العامة انه مقام الخضر ، وقد طلبت منى زوجتى أن أذهب معها الى هذا القبر لتخطو فوق عتبته سبع مرات لتحمل ، وزعمت أن كثيرات من النساء نصــحنها بذلك ، فهل لهذا الكلام أصل فى الشرع .. ؟

الاجابة :

هذه خرافة لا أصل لها فى الدين ولا فى الطب ، وما أكثر الخرافات الشائعة بين العامة فى كل مكان ولهذه الخرافة نظائر فى البلاد الاسلامية فبعض النساء كن يصعدن الى أعلى مأذنة السيد البدوى فى طنطا من محافظات مصر ، ويمكثن قليلا ، ثم يهبطن معتقدات ان ذلك يزيل العقم ، ولا يخفى ما فى هذا من جهالة وضلال ، وواجب الأزواج وأولياء الأمور ان يمنعوا النساء منعا باتا من هذا العمل لأن للحمل أسبابا طبيعية وعادية لمن أراد الله لهن الحمل ، وليس من هذه الأسباب تخطى عتبة الخضر ولا صعود المأذنة .

بأقلام القراء

حول تحفيظ القرآن الكريم

من المشروعات التي تقوم بها وزارة الأوقاف المصرية وتنفق عليها مشروع المقارىء ، وهو مجموعة من الحفاظ يتناوبون تلاوة القرآن في بعض المساجد ربعا بعد ربع الى أن ينتهي المصحف في عدة جلسات ولكل قارىء في الجلسة جنيه أو نصف وفي كل أسبوع جلسة واحدة ولهم شيخ ومشرف وكاتب .

وهدف المشروع ظاهر وهو تنفيذ شروط الواقفين وتشجيع القراء على استدامة التلاوة والحفظ وعمارة المساجد بقراءة القرآن ، ومن المعروف أن حفظ القرآن في خطر وان كل عشرة حفاظ من الأجيال القديمة يقابلهم حافظ واحد وهذه نسبة تقريبية ومن أجل هذا كان مشروع التحفيظ اولى بالعناية والرعاية النفقة وبمقتضاه يلتزم المحفظ بتحفيظ عشرة على الأقل اجزاء وسورا من القرآن .

فماذا يحدث لوضم المشروعان الى بعضهما واضيفت نفقات المشروع الأول الى الثاني فيأخذ المحفظ ما كان يأخذه في المقرأة وبعض ما يتقاضاه في التحفيظ أما الباقي فيعطى للتلاميذ أو الطلاب مكافأة تزداد كلما تقدم الطالب في الحفظ .

واعتقد أن هذه المكافأة اليسيرة لكل طالب ستحدث اثرا كبيرا واقبالا عظيما وتكون عاملا مهما في جذب جمهرة الراغبين في الحفظ بصفة دائمة وخصوصا صغار الأطفال الذين يلعبون في شهور الصيف وليست عليهم مسئولية كبيرة في الشتاء الأن المقررات لا ترهقهم خصوصا في سنوات النجاح الأولى مع التشديد في امتحانات الحفظ حتى لا تضيع الأموال سدى دون ان تحقق الأغراض التي تبذل من اجلها وتنفق في سبيلها ..

ويكفي حرمان الطالب الذي يقصر في الحفظ من المكافأة التشجيعية التي ينالها المجتهدون من زملائه .

أما ان نأتي بالراغبين في الحفظ دون أن نجعل لهم مكافأة مالية تجذبهم الى المشروع بصفة دائمة فأنهم يقبلون على الحفظ في فورة الحماسة الأولى ثم يقلون بالتدريج الى أن يجد المحفظ نفسه وحيدا قد فر عنه طلابه ومهما أعطيناه وحده من المال فلن يستطيع أن يصنع شيئا ..

وهم يقبلون في الصيف وينصرفون في الشتاء الى مدارسهم ومعاهدهم ولو لا ارتباط المدارس والمعاهد والجامعات بالأعمال والارزاق والوظائف لعانت نفس المصير السابق ..

ومشروع التحفيظ يحقق أهداف المشروع الأول (المقارىء) ويزيد عليه ايجاد حفاظ جدد ونقل القرآن سليما وبذلك نعطى القرآن فرصة يزاحم فيها البرامج التي تتدفق ادوات الاعلام على قلوب الأجيال الجديدة الغضة كما يتدفق السيل ..

وموجة البخل على مصالح الأمة تزداد اتساعا فلا تجد الأوقاف موارد تنفق منها على رسالتها ، ومن أجل

هذا كان من المحتم عليها أن تتجر فى أموالها وتستغلها فى انشاء المصانع وبناء العمارات والمدن السكنية واصلاح الأراضى البور واستخراج النفط الخ . ومصادر الأرزاق تنفع العاملين بها وتؤدى فى نفس الوقت الى مكاسب جديدة تساعدها فى أداء رسالتها وهى أغنى وأقدر فلا يكون هناك تفاضل بين مشروعات الخير بابقاء واحد وحذف آخر لقلة المال .. وعلى الله قصد السبيل .

عبد الرحمن أحمد شادى

الاثر النفسى للاسلام

ان القلب اذا امتلا بالايمان الخالص ينظر الى ما حوله نظرة تفاؤل ورجاء يدفعه الى ذلك طلبه ثواب الله ورضوانه فالايمان وحده يهدى للتى هى اقوم اذ هو اصل الفضائل وقوام الضمائر وسند العزائم .

الاسلام يهيى مناخا طيبا ليحيا الانسان حياة هانئة هادئة فتعاليمه توفر للافراد اسباب العزة والكرامة بجانب الحاجات المادية . كما ان هذه التعاليم تؤدى الى القضاء على كل سبب للقلق النفسى وتحقيق الاستقرار ومن أمثلة ذلك : ــ

١ ــ الايمان بالقضاء والقدر يطمئن الانسان فلا يندم على ما فات ولا يخاف مما هو آت لان الانسان يعلم ان الله وحده هو المعز المذل يقول للشىء كن فيكون قال تعالى **(وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) .**

٢ ــ الايمان بالبعث والحساب يملأ قلب المسلم بالاحساس برقابة الله عليه فى كل حركة وفى كل تصرف وفى كل عمل يأتيه ، وايمان المسلم بالبعث والحساب يتولد عنه اليقين بان هذه الحياة الدنيا ليست الا مزرعة للآخرة قال تعالى **(قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) .**

٣ ــ الصبر عند الشدائد له اثر عظيم فى مواجهة القلق النفسى اذ هو طرد للجزع الذى تحدثه المضرة حتى لا يغلب على النفس فيؤدى بها الى اليأس والقنوط وقد قال سبحانه وتعالى فى وصية لقمان لابنه **(واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور) .**

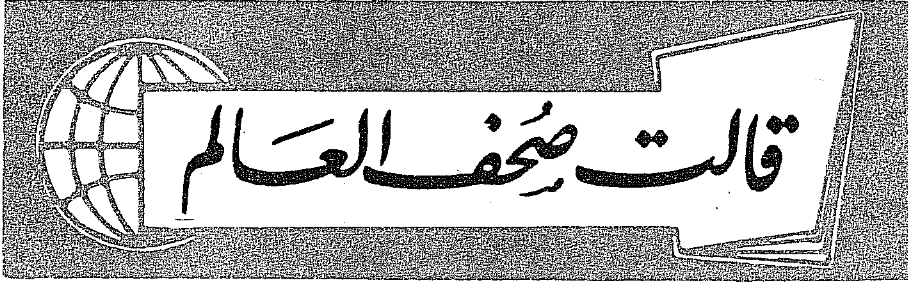
٤ ــ التفاؤل والاستبشار فى احلك الظروف لكى يكون القلب متفتحا للحياة فيقبل على مزاولتها بهمة لاتعرف الكسل وعزيمة لاتعرف الملل قال عز وجل **(فان مع العسر يسرا أن مع العسر يسرا) .**

هكذا احاط الاسلام النفس الانسانية بضمانات كثيرة توفر لها حياة افضل كما حرم قتلها قال تعالى **(ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا) .**

حقا حرص الاسلام على تهذيب النفس وتوجيهها الى ما فيه صلاح الفرد والمجتمع وجعل عوامل النصر قوية فى نفوس المؤمنين فقال تعالى **(قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)**

هذا هو الاسلام الذى حرر العقل البشرى من قيود العبودية وحرر النفس الانسانية من الحيرة والضلال .. وهذا هو الصراط المستقيم لمن أراد العزة .

احمد ابراهيم أبو حمد



الشريعة الاسلامية ليست ارهابا

عن صحيفة (أخبار اليوم) القاهرية

ان الشريعة الاسلامية ليست ارهابا لكنها فى الحقيقة قانون عالمى انسانى يطرح نفسه للبشرية جميعها وتطبيقها هو طريق النصر والسعادة للفرد والجماعة .. وهى ، لا تستحق كل هذا الجدل والعناء . فكما أنها قادرة على تحقيق مصالح الناس . فانها ايضا تكفل سعادة الفرد والمجتمع ولانها إتمام لنعمة السماء الى أهل الارض .. فانها كاملة ، ولانها من عند الله .. فانها تبيان لكل شىء لان الله لا يضل ولا ينسى .

وقد آمن كثير من الناس فى مناطق مختلفة من العالم .. « بالاسلام » عن علم واقتناع . لان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله الى الناس جميعا .. ولانه ارسل رحمة للعالمين فان ما جاء به خير ورحمة للناس جميعا وهو لا يتعارض مع طبيعة الانسان وفطرته . لان الله يريد للانسانية اليسر ولا يريد لها العسر وأحكام الشريعة الاسلامية تلجأ الى مراعاة الصالح العام وتقلل التكاليف وتراعى الاعذار .. وكثير من المسلمين المؤمنين يراعون شريعة الله فيصلون فى حياتهم الى أقصى درجات الكمال . ويبلغون درجات عالية من السعادة .. حتى ولو لم تأخذ المجتمعات التى يعيشون فيها بشريعة الاسلام .. والمسلمون فى أوروبا وامريكا وكندا امثلة واضحة لهؤلاء .. وهم دليل صلاحية الشريعة الاسلامية للقرن العشرين .

وفى مؤتمرات دولية متعددة للقانون فى فترات مختلفة من التاريخ الحديث ــ حتى أواخر الستينات ــ اجمع فقهاء القانون ــ الاجانب ــ على أن « القيم التشريعية فى الاسلام لا يرقى اليها الجدل وتفوق جميع التشريعات الانسانية لأنها تتجه دائما الى مصلحة الانسان وطريق الخير والنور للفرد والمجتمع » .

وفى مناطق كثيرة من العالم الاسلامى دعوات صريحة الى اقامة نظام المجتمع على الشريعة الاسلامية « والشريعة الاسلامية » تتطلب الحكم بما انزل الله والتسليم بحاكمية الله وقوانينة التى نزلت فى القرآن وفى البلاد العربية خاصة وباكستان وبعض الدول الاسلامية اتجاهات جادة لتطبيق الشريعة الاسلامية فى كافة انواع القوانين الوضعية التى عرفتها هذه البلاد .. وهذه القوانين

يحتاج كثير منها الى تعديل ليتلاءم مع الشريعة .. كما ان جهودا جبارة ينبغى أن تبذل ليجتمع فقهاء الشريعة والقانون معا ليضعوا الاصطلاحات والاجتهادات الجديدة لهم فى ظروف العصر وتغير المكان .. ولا يختلف اثنان — حتى من الاجانب — فى ان الاسلام دين يسر يتلاءم مع الانسان — أى انسان — والشريعة فى تطبيقها هى الاطار الذى يحدد للانسان والمجتمع سعادته .. وهى ليست عذابا أو ارهابا كما يتصور بعض الناس .. لكنها فى الحقيقة طريق السعادة والنور والنصر .

والشريعة الاسلامية هى الاحكام التى وضعها الله فى كتابه مباشرة ونفذها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى والله يقول له « **ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها** » الجاثية ١٧ — والمؤمنون يحبون الرسول ويتبعونه ويأخذون ما أتاهم به وينتهون عما نهاهم عنه . وكان الرسول دائما يحكم بما اراه الله وكانت السماء متصلة بالارض طوال حياة النبى اكمل الله للانسانية دينها ورضى لها الاسلام دينا .. وفى العهود التالية للنبى صلوات الله وسلامه عليه . كان المؤمنون يلتزمون باحكام القرآن والسنة ثم القياس والاجماع فان لم يجدوا فانهم يجتهدون .

وقد نفر عدد كبير من علماء المسلمين وتفقهوا فى الدين والفقه الاسلامى ودرسوا حياة الفرد والمجتمع فى اطار الشريعة الاسلامية ووصلوا الى درجات عالية من الكمال .. ونحن نستطيع ان نفعل مثلهم وكما يقول الدكتور السنهورى ان الشريعة الاسلامية مليئة بعناصر لو تولتها يد الصياغة لصاغت منها مبادىء تفوق أخطر النظريات الفقهية الغربية » .. وقد شارك الفقه الاسلامى — داخل العالم الاسلامى — فى كافة القوانين الوضعية .. القوانين المدنية والجنائية والاجراءات والدستورية والدولية .. وقدمت مصر بصفة خاصة دراسات ممتازة ، فى الملكية والاحكام القرآنية والاشتراكية والمصلحة العامة ، والاستحسان ونظرية الحق .. والاقتصاد الاسلامى ، .. وعيب هذه الدراسات التى تجرى فى كثير من بلاد العالم الاسلامى ان احدا لا يعلم بها او لا يهتم بنشرها أو لا يحب أن يطبقها .. أو يخاف اذاعتها .

بينما نجد ان فقهاء المسلمين فى المراحل الاولى .. ولمدة عشرة قرون استطاعوا أن يضعوا الاطار الناجح للمجتمع الاسلامى الذى ازدهرت فى ظله العلوم الطبيعية والفلك والرياضيات والاجتماع والاخلاق وكان نتاج هذا المجتمع هو النور الذى اضاء لاوربا نهضتها .. ورغم تقدم الغرب المادى الرهيب .. فان تجربته الانسانية جوفاء وهم يعترفون بان المجتمع الاسلامى لا ينقصه ذلك .. لان الشريعة الاسلامية تتعلق بالعقيدة والاخلاق والمعاملات وهى فى اصولها الرئيسية تنص على مبدأ الحريات — القول والفكر والعبادة والشورى ، والعدل والمساواة والتسامح والتضامن الاجتماعى والملكية الفردية وحقوق المرأة والزواج والطلاق والاسرة والميراث — ثم البيع الشراء والعقود وغيرها ، وقد اصطلح العلماء على أن لها مقاصد خمسة هى الدين والنفس والعقل والنسل والمال .. وقد عنى القرآن بوضع الاحكام التى تحفظها وتصون كيانها .. لانها فى الحقيقة الاطار العام الذى يصون حياة الفرد والمجتمع .

أخبار العالم الإسلامي

اعداد : فهمي الامام

الكويت :



□ استقبل سمو أمير البلاد المعظم الوفد الموريتاني برياسة وزير الخارجية السيد حمدي ولد مكناس . وقد بحث الوفد مع المسئولين الكويتيين تدعيم العلاقات بين الكويت وموريتانيا ومناقشة بعض القضايا الافريقية .

□ يزور حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم كلا من السعودية ومصر والجزائر والمغرب وموريتانيا والسودان ، ويشترك سموه في اجتماعات دول عدم الانحياز ، كما يبحث سموه مع الزعماء العرب القضايا العربية والدولية .



□ قام سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الجابر بزيارة رسمية للعراق ، تلبية لدعوة من أخيه سيادة نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي السيد صدام حسين .

□ عاد الى البلاد الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بعد أن قام بزيارة الاردن والجزائر والمغرب وعدد من الدول الاوربية .

□ احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى الاسراء والمعراج جريا على عادتها السنوية ، وقد نقلت الاذاعة والتلفزيون وقائع الحفل في حينه .

□ تستعد الوزارة لاقامة الموسم الثقافي الاسلامي في رمضان كما اتبع في السنوات السابقة ، وتستضيف لهذا الموسم عددا من كبار المحاضرين والمقرئين .



□ قام الاستاذ عبد الرحمن المجحم وكيل وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بزيارة لأحد مراكز تحفيظ القرآن الكريم — التابعة لجمعية الاصلاح الاجتماعي .

وقد اطلع سيادته على سير الدراسة الدينية بالمركز حيث يتلقى الطلبة الى جانب حفظ القرآن الكريم دروسا في السيرة والفقه والحديث .

□ دعت الكويت الى استعمال اللغة العربية في الاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية .. كان ذلك في المؤتمر التنفيذي الثاني للاتحاد العربي للمواصلات السلكية واللاسلكية الذي عقد بالاسكندرية .

السعودية :

□ وزعت رابطة العالم الاسلامى ٢٠ الف نسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم الى لغة اليوربا على مسلمى نيجيريا .

□ تم اعتماد ٧٠ منحة دراسية لأبناء الدول العربية والاسلامية للعام الدراسى القادم فى كليتى الشريعة واللغة العربية والمعاهد العلمية .

مصر :

□ بحث فضيلة الامام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الازهر مع السيد عبد الملك يوسف الحمر وكيل وزارة التربية والتعليم بدولة الامارات العربية ، فى انشاء جامعة اسلامية فى أبو ظبى .. كما تم بحث دعم العلاقات الثقافية بين الازهر ودولة الامارات .. وامدادها بالمدرسين والوعاظ والأئمة لنشر الدعوة الاسلامية فى ربوع البلاد .

□ استقبل شيخ الازهر مفتى مسلمى رومانيا الشيخ محمد يعقوب وتناول الحديث بينهما وسائل تدعيم العلاقات الدينية والثقافية بين الازهر ومسلمى رومانيا ومدهم بالمدرسين والوعاظ والأئمة والكتب وتعليم عدد من أبناء المسلمين الرومانيين فى الأزهر

□ دعا السيد محمود رياض الامين العام لجامعة الدول العربية الى عقد مؤتمر قمة عربى فى الجزائر بعد مؤتمر عدم الانحياز الذى سيعقد فى سبتمبر .

سوريا ولبنان :

□ انتهت أزمة الحدود بين البلدين .. وتم فتحها وعاد الانتقال بين رعايا البلدين الى طبيعته بعد أن ظلت الحدود مغلقة لأكثر من ثلاثة شهور .

فلسطين المحتلة :

□ صادف ٨/٢١ الماضى ذكرى احراق المسجد الاقصى وهى الذكرى الخامسة للجريمة النكراء .. وتمر الذكرى بالمسلمين والاراضى العربية ما زالت محتلة .. والعدو الاسرائيلى يدنس المقدسات وما حولها .

□ أدان مجلس الامن بالاجماع القرصنة الاسرائيلية .. واختطافها طائرة ركاب مدنية لبنانية .. وارغامها على الهبوط فى احدى المطارات العسكرية الاسرائيلية .

الجزائر :

□ أعلن الرئيس الجزائرى : أن الجزائر تؤيد المقاومة الفلسطينية وتمدها بالسلاح والمال من سنة ١٩٦٥ — وقال : ان اطلاق رصاصة واحدة خير من ألف مؤتمر قمة ، وأفضل من ألف قرار للامم المتحدة .

□ سيجتمع فى الجزائر زعماء دول عدم الانحياز فى مؤتمرهم الرابع فى الفترة ما بين ٥ الى ٨ سبتمبر .. وهم يمثلون ٧٤ دولة من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

المغرب :

□ رأس الشيخ مكى ناصر وزير الأوقاف والشئون الاسلامية والثقافية فى المغرب نهاية المرحلة التدريبية لتأهيل ٦٠٠ من الوعاظ والموجهين الدينيين بالمغرب .

وحضر الاحتفال مدير جامعة أندونيسيا الاسلامية والوفد الاسلامى الكورى الجنوبى وأشار الوزير المغربى الى اهتمام الحكومة بالتربية الدينية وتأهيل الأئمة والوعاظ الذين يضطلعون بهذه المهمة .

مانيلا :

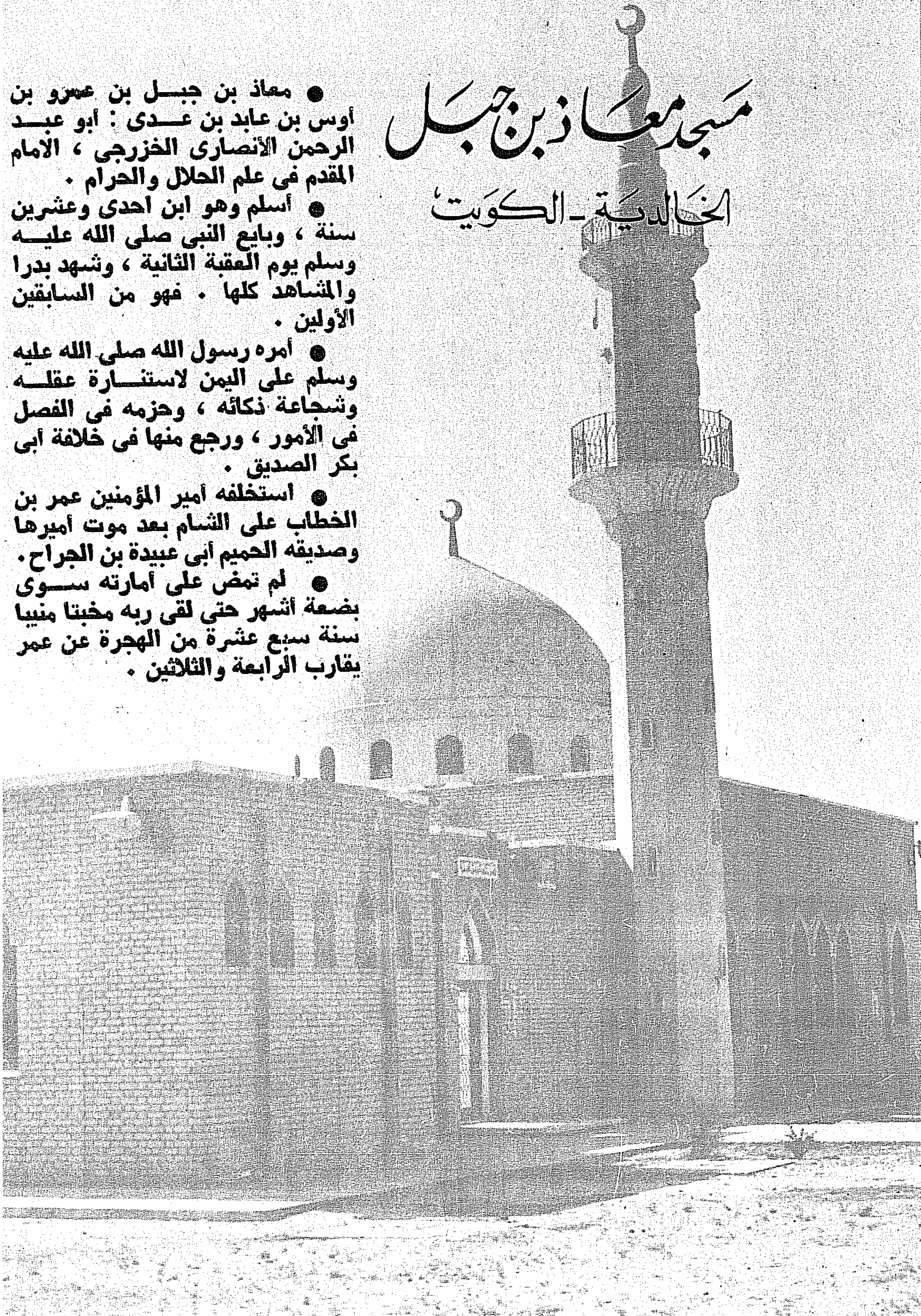
□ تم انشاء مركز اعلام اسلامى يتولى تنظيم الاتصال الفعال بين الأقلية المسلمة فى الجنوب وبقية أجزاء الفلبين .

سايغون :

□ تم اختيار ثلاثة من مسلمى فيتنام الجنوبية منهم سيدة للاشتراك فى المسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم ، والتى ستعقد فى كوالا لمبور بماليزيا من ١٥ الى ١٨ سبتمبر .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شعبان	أغسطس	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الأربعاء	١	٢٩	٣ ٥١	٥ ٢٣	١١ ٤٩	٢ ٢٣	٦ ١٤	٧ ٣٥	٩ ٣٧	١١ ٩	٣٥	٩	٢١ ٩
الخميس	٢	٣٠	٥٢	٢٣	٤٨	٢٣	١٣	٣٤	٣٩	١٠	٣٥	١٠	٢١
الجمعة	٣	٣١	٥٣	٢٤	٤٨	٢٢	١٢	٣٢	٤١	١٢	٣٦	١٠	٢٠
السبت	٤	سبتمبر	٥٣	٢٤	٤٨	٢٢	١١	٣١	٤٢٠	١٣	٣٧	١١	٢٠
الأحد	٥	٢	٥٤	٢٥	٤٨	٢٢	١٠	٣٠	٤٤	١٥	٣٨	١٢	٢٠
الاثنين	٦	٣	٥٤	٢٥	٤٧	٢١	٩	٢٩	٤٥	١٦	٣٨	١٢	٢٠
الثلاثاء	٧	٤	٥٥	٢٦	٤٧	٢١	٨	٢٨	٤٧	١٨	٣٩	١٣	٢٠
الأربعاء	٨	٥	٥٦	٢٦	٤٧	٢٠	٧	٢٧	٤٩	١٩	٤٠	١٤	٢٠
الخميس	٩	٦	٥٧	٢٧	٤٧	٢٠	٦	٢٥	٥١	٢١	٤١	١٤	١٩
الجمعة	١٠	٧	٥٧	٢٧	٤٦	١٩	٤	٢٣	٥٣	٢٣	٤٢	١٥	١٩
السبت	١١	٨	٥٨	٢٨	٤٦	١٩	٣	٢٢	٥٥	٢٥	٤٣	١٥	١٩
الأحد	١٢	٩	٥٩	٢٩	٤٦	١٨	٢	٢١	٥٧	٢٧	٤٤	١٦	١٩
الاثنين	١٣	١٠	٤ ٠٠	٢٩	٤٥	١٨	١	٢٠	٥٩	٢٨	٤٤	١٧	١٩
الثلاثاء	١٤	١١	١	٣٠	٤٥	١٧	٠٠	١٩	١٠ ٠١	٣٠	٤٥	١٧	١٩
الأربعاء	١٥	١٢	١	٣٠	٤٥	١٦	٥ ٥٨	١٧	٣	٣٢	٤٦	١٨	١٩
الخميس	١٦	١٣	٢	٣١	٤٤	١٥	٥٧	١٦	٥	٣٤	٤٧	١٨	١٩
الجمعة	١٧	١٤	٣	٣١	٤٤	١٥	٥٦	١٤	٧	٣٥	٤٨	١٩	١٨
السبت	١٨	١٥	٤	٣٢	٤٤	١٤	٥٥	١٣	٩	٣٧	٤٩	١٩	١٨
الأحد	١٩	١٦	٤	٣٢	٤٣	١٣	٥٣	١١	١١	٣٩	٥٠	٢٠	١٨
الاثنين	٢٠	١٧	٥	٣٣	٤٣	١٣	٥٢	١٠	١٣	٤١	٥١	٢١	١٨
الثلاثاء	٢١	١٨	٦	٣٤	٤٣	١٢	٥١	٩	١٥	٤٣	٥٢	٢١	١٨
الأربعاء	٢٢	١٩	٦	٣٤	٤٢	١١	٥٠	٨	١٧	٤٥	٥٣	٢٢	١٨
الخميس	٢٣	٢٠	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٨	٦	١٩	٤٧	٥٤	٢٢	١٨
الجمعة	٢٤	٢١	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٧	٥	٢٠	٤٨	٥٤	٢٣	١٨
السبت	٢٥	٢٢	٨	٣٦	٤١	٩	٤٦	٤	٢٢	٥٠	٥٥	٢٣	١٨
الأحد	٢٦	٢٣	٨	٣٦	٤١	٩	٤٥	٣	٢٣	٥١	٥٦	٢٤	١٨
الاثنين	٢٧	٢٤	٩	٣٧	٤١	٨	٤٤	٢	٢٥	٥٣	٥٧	٢٤	١٨
الثلاثاء	٢٨	٢٥	٩	٣٧	٤٠	٧	٤٢	٠٠	٢٧	٥٥	٥٨	٢٥	١٨
الأربعاء	٢٩	٢٦	١٠	٣٨	٤٠	٦	٤١	٦ ٥٩	٢٩	٥٧	٥٩	٢٥	١٨



● معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن عدى : أبو عبد الرحمن الأنصارى الخزرجي ، الامام المقدم في علم الحلال والحرام .

● أسلم وهو ابن احدى وعشرين سنة ، وبايع النبى صلى الله عليه وسلم يوم العقبة الثانية ، وشهد بدرا والمشاهد كلها . فهو من السابقين الأولين .

● أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن لاستنارة عقله وشجاعة ذكائه ، وحزمه في الفصل في الأمور ، ورجع منها في خلافة أبى بكر الصديق .

● استخلفه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الشام بعد موت أميرها وصديقه الحميم أبى عبيدة بن الجراح .

● لم تمض على أمارته سوى بضعة أشهر حتى لقى ربه مخبتا منيبا سنة سبع عشرة من الهجرة عن عمر يقارب الرابعة والثلاثين .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســا .

المغـرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الأعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شـارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ فى هذا العدد

اقرأ فى هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

هدية العدد

رسالة الصيام

قال تعالى في كتابه الكريم

وأن تصوموا خير لكم

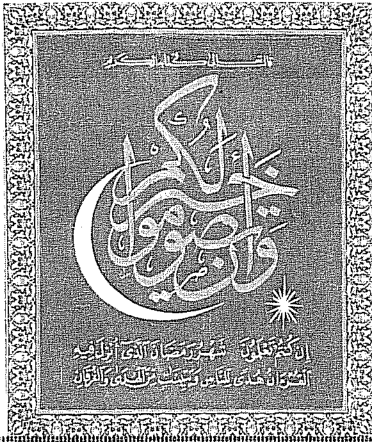
إن كنتم تعلمون شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

هدى للناس

وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه

٨٤٠٥١



قال تعالى فى كتابه العزيـــز :

((وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضـــان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)) .

((تصميم محمد الحداد)) .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

العــــــدد (١٠٥)

غرة رمضان ١٣٩٣ هـ

٢٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالــكويت فى غـرة كل شــــهر عـربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الأفراد فيشـــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العــراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجــزائر	دينار وربع
المغــــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٥ مليما

عنــوان المراســـلات :

مجـلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشــئون الاســـلامية

صـــندوق بريد : ١٣ ــ كـــويت ــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز

خطاب سمو أمير البلاد المعظم

القى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الخطاب التالى أمام مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز الذى انعقد فى الجزائر فى الشهر الماضى ..

سيدى الرئيس ،

انها لفرصة سعيدة ان اعبر هنا نيابة عن شعب الكويت وحكومته عن أصدق التحيات وأوفر المودة لشعبكم العظيم ولكم شخصيا ولكافة المسؤولين فى حكومتكم مقرونة بكل معانى الثناء والشكر للحفاوة البالغة والأصالة الضيافة ولحرارة الاستقبال التى أحطنا بها منذ وصولنا الى أرضكم الناهضة كما أنى أهنىء على انتخابكم رئيسا لهذا المؤتمر التاريخى مؤمنا بأن حكمتكم وأمانتكم ستكونان عاملا أساسيا فى التوصل الى النتائج التى نصبو اليها كما لا يفوتنى أن أتقدم بخالص التهنئة لكافة الدول التى انضمت لمجموعتنا خلال هذا المؤتمر .

اهمية المؤتمر :

سيدى الرئيس ، أيها الاخوة الكرام ، ان الاهتمام المتزايد بالاتجاه الذى يمثله جمعنا هذا لأمر يدعو الى الارتياح وجدير بالترحيب والتشجيع كما أنه دليل أكيد على الايمان على ما تستطيع أن تحققه سياسة عدم الانحياز لعصرنا هذا من انجازات لصالح شعوبنا والبشرية جمعاء .



ولا شك أن القرارات التى اتخذناها فى السابق قد ساهمت بشكل ايجابى فى التعبير عن تطلعات شـــعوبنا وآمالها وفى بلورة مواقفنا من القضايا التى تهم عالمنا وبالتأكيد على الايمان بالمثل والمبادىء التى ننادى بها غير أن ما توصلنا اليه حتى الآن من نتائج فى مجال تصدينا للمشاكل التى نواجهها تحتم علينا النظر فيما نستطيع عمله بكل تطلعاتنا وارادتنا بما يكفل تحقيق الأمانى التى تنشدها شعوبنا .

تطورات ايجابية :

سيدى الرئيس ، لقد شهد العالم تطورات ايجابية هامة فى الموقف الدولى لا نستطيع التقليل من شأنها ، ولعل من أهم هذه التطورات الانفراج فى العلاقات بين الدول الكبرى الذى سيكون من شأنه ولا شك انهاء حدة التوتر فى هذا العالم والتقليل من احتمالات الصدام الدولى ، غير أن هذه التطورات المشجعة لن تسهم فى رأينا اسهاما فعالا لتعزيز السلام والأمن العالميين ، ما لم تؤد أيضا الى القضاء على المخاطر التى تهدد أمن واستقرار

الدول الصغرى والى تعزيز مبدأ احترام ارادة جميع الشعوب والدول وحقها فى المشاركة فى معالجة القضايا الدولية الاساسية .

سيدي الرئيس ، لا زالت حقوق الشعوب الأساسية التى اقرها ميثاق الأمم المتحدة وكل المبادىء والقوانين الدولية تنتهك فى أكثر من بقعة من عالمنا وفقا لأطماع السيطرة والاستغلال وبسط النفوذ وتنفيذ المخططات الاستعمارية والعنصرية ، ومما يدعو الى الأسف ان يكون تجاهل عدم احترام الارادة الدولية من قبل بعض الدول الكبرى ، سببا رئيسيا فى عرقلة الجهود الرامية الى ايقاف تلك الانتهاكات وانهاء المشاكل المترتبة عليها الأمر الذى شجع على الاستمرار فى اعمال العدوان ضد حقوق الشعوب .

العدوان الصهيونى :

ولعل من أبرز مظاهر العدوان التى يواجهها عالمنا اليوم استمرار الكيان الصهيونى الدخيل فى ممارسة سياسة الارهاب ضد الشعب الفلسطينى ومواصلة اعتداءاته ضد الدول العربية الاخرى واحتلال أراضيها وفقا لسياسته العدوانية التوسعية . ان موقف الدول غير المنحازة اثناء مناقشة مجلس الأمن لقضية الشرق الاوسط مؤخرا وكذلك الاجراءات الايجابية التى اتخذتها بعض دول المجموعة ضد الكيان الصهيونى فى فلسطين انما تعكس الادراك المتزايد فى العالم للطبيعة العنصرية والتوسعية لذلك الكيان . فلقد بات من الواضح أن تحقيق سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط لا يمكن أن يتم دون استعادة الشعب الفلسطينى لحقوقه المشروعة فى أرضه ووطنه واحترام حقه فى تقرير مصيره كما أن اتجاه الارادة الدولية ومحاولة تكريس الامر الواقع عن طريق العدوان والاحتلال سوف يؤديان الى تفاقم الوضع فى الشرق الاوسط بشكل يهدد السلام والامن العالميين .

سيدى الرئيس ، ان الشعب الفلسطينى الذى ناضل وما زال يناضل الى يومنا هذا فى سبيل استعادة حقوقه المشروعة فى أرضه ووطنه لجدير بأن يأخذ مكانه الطبيعى بيننا ليتمكن من المشاركة بدوره فى أعمال مجموعة دول عدم الانحياز .

المآسى الافريقية :

سيدى الرئيس ، ان المآسى التى تعانى منها بعض الشعوب الافريقية نتيجة للاضطهاد الاستعمارى والعنصرى لا زالت من القضايا الملحة التى يجب أن تستأثر بمزيد من اهتمامنا وان نتخذ المواقف الايجابية والاجراءات الكفيلة بمناصرة كفاح هذه الشعوب المناضلة من أجل نيل حقوقها الأساسية المشروعة وان ما يحدث اليوم على أرض فلسطين وفى جنوب أفريقيا

وروديسيا واجزاء اخرى فى افريقيا واستمرار الكيانات العنصرية والعدوانية فى هذه المناطق من عالمنا لاغتصاب الحقوق الاساسية المشروعة للشعوب وتهديد سلامة وأمن الدول المستقلة يشكل فى الواقع الامتحان لقدرتنا على تنفيذ ارادتنا بالمبادىء التى تؤمن بها شعوبنا .

سيدى الرئيس ، ان استمرار التدخل الاجنبى فى منطقة جنوب شرق آسيا وتجاهل الارادة الحره لشعوب تلك المنطقه وحقهـا فى تقرير مصيرها ما زال يشكل عاملا من عوامل عدم الاستقرار فيها .

ان انهاء جميع أشكال التدخل الاجنبى وتنفيذ اتفاقيات السلام فى تلك المنطقة وايقاف جميع الانتهاكات ضد حقوق شعوبنا تشكل ضمانة أساسية لاحلال السلام والاستقرار لدولها .

مسؤولية أهل الخليج :

سيدى الرئيس ، ان أمن واستقرار منطقة الخليج العربى هى مسؤولية دولها وحدها دون أى تدخل خارجى وبعيدا عن جميع اشـكال الصراع الدولى . اننا نشارك فى الدعوة الى مضاعفة الجهود لتنفيذ الاعلان الخاص بمنطقة المحيط الهندى كمنطقة سلام والى الاسهام فى تطوير مفهوم مناطق السلام .

كما ننظر أيضا بارتياح الى الجهود المبذولة لتوفير سبل النجاح لمؤتمر الأمن والتعاون الاوروبى ونرى أن الأمن فى القارة الاوروبية لا يمكن النظر اليه بمعزل عن الاوضاع فى المناطق الاخرى فى العالم وخاصة المنـاطق المجاورة للقارة كما أن اشراك الدول ذات الاهتمام الخاص بمشاكل الأمن فى القارة الاوروبية فى نشاطات مؤتمر الأمن والتعاون الاوروبى أمر لا يمكن تجاهله من أجل استكمال عناصر نجاح المؤتمر حيث أن مسألة السلام فى العالم بشكل عام مسألة لا تقبل التجزئة .

سيدى الرئيس ،

اننا نعلق أهمية خاصة على ضرورة تغيير دور الأمم المتحدة فى حفظ السلام والأمن العالميين وفى تنمية التعاون بين جميع شعوب العالم كما نرى ان أى دعم لتطـوير المنظمة العالمية لن يتحقق ما لم تعمل جميع الدول الاعضاء فى الأسرة الدولية الواحدة من اجل تحقيق أمن ورفاه شعوب العالم كافة بعيدا عن النزاعات والمصالح الفردية ولا حاجة بنا الى التأكيد على ضرورة زيادة التعاون والتنسيق بين دول عدم الانحياز فى العالم لما فى ذلك

من تأكيد لصوت مجموعة عدم الانحياز فى المنظمة العالمية وخدمة لأهدافها فى المحافظة على ميثاق الأمم المتحدة وصيانتها وزيادة فعاليتها .

سيدى الرئيس ،

لقد حان الوقت لدول عدم الانحياز أن تركز جهودها فى تعاون اقتصادى نابع من ارادة صادقة ومبنى على مبدأ الاعتماد على النفس من أجل حماية وتحقيق الاهداف والمصالح المشتركة فى الدول النامية ولا يخفى على أحد مقدار ما لدى هذه الدول مجتمعة من الموارد الطبيعية والمواد الخام التى لم يتم استغلالها . وكذلك الحال بالنسبة لرؤوس الاموال غير المستثمرة فى الاسواق .

ان دول مجموعتنا تقع عليها مسؤولية تحقيق التكامل الاقتصادى فى نطاق التعاون الاقليمى وتهيئة الظروف الملائمة للدخول فى مشاريع مشتركة وأن تعمل مجتمعة على دراسة امكانية استحداث الوسائل والسبل القادرة والكفيلة بحماية رؤوس الاموال واحتياطات الدول النامية من أزمات النقد الدولية وعمليات التضخم المتعمدة وان تضع حدا للعلاقات الاقتصادية ما بين الدول النامية والدول المتقدمة .

ان الاوضاع الاقتصادية فى الدول النامية ومنها دول عدم الانحياز عامة ، توجب علينا العمل على تكوين الاجهزة اللازمة لمتابعة وضع الخطط والدراسات وتطوير برنامج عمل للتعاون الاقتصادى واننا فى هذا المجال نؤكد اقتراحنا بضرورة تشكيل لجنة دائمة للشؤون الاقتصادية لدول عدم الانحياز لتنسيق الجهود وتكريسها .

من مراجعة وتقييم النتائج المتوفرة عن تطبيق استراتيجية العقد الثانى للتنمية فى السنتين الماضيتين ، نجد أن الغالبية العظمى من الدول النامية لم تصل بعد مرحلة النمو السريع كما أن كثيرا من الدول النامية تواجه مصاعب معقدة وخاصة فى مجال انتاج المحاصيل الزراعية . واننا نشارك مجموعة السبع والسبعين دولة النامية فى موقفها المعلن فى مايو الماضى تجاه مراجعة وتقييم العقد الثانى للتنمية ونعارض المحاولة الرامية الى التقليل من أهمية اجراء تحليل شامل لجميع جوانب التقدم والبحوث فى تحقيق أهداف وغايات العقد الثانى للتنمية اذ أن التركيز على جوانب التقدم فقط دون توضيح جوانب القصور لن يحقق الغرض الاصلى والأساسى من التقييم والمراجعة كما أن التركيز على قطاعات أو جوانب معينة من الاستراتيجية واهمال جوانب أخرى لن يجعل منها أداة حيوية للتنمية . واننا لنؤكد فى مثل هذا المجال على أهمية بذل جهود خاصة من أجل الدول الأقل نموا من بين الدول النامية والدول التى ليس لها منافذ بحرية .

سيدى الرئيس ،

ان ايفاء الدول المتقدمة بالتزاماتها نحو تحقيق أهداف استراتيجية العقد الثانى للتنمية الاقتصادية ليس مجرد مطلب نكرره فى المحافل الدولية فالواجب تتحمل مسئوليته الدول المتقدمة . وان على هذه الدول أن تدرك خطر تقاعسها من الايفاء لهذه الالتزامات وما يترتب على ذلك من آثار سلبية ليس للدول النامية وحدها بل لمستقبل الانسانية جمعاء . وانه لمن المؤسف حقا أن نرى بعض الدول المتقدمة والتى يجدر بها أن تزيد مساعداتها للدول النامية وأن توسع من سبيل ووسائل تعاونها فى حل مشاكل التنمية تسعى متكتلة ومنفردة لحل مشاكلها الاقتصادية دون اعتبار كاف لما قد ينعكس من مضار وآثار سلبية على اقتصاديات الدول النامية فى الوقت الذى تتسع فيه الفجوة بين الدخل القومى للدول النامية والدول المتقدمة .

سيدى الرئيس ،

اننا نؤمن أنه من حق الدول النامية أن تشارك مشاركة عادلة وفعالة فى المشاورات واتخاذ القرارات فى جميع المجالات الاقتصادية والحيوية وذلك من أجل الوصول الى نتائج لا تغفل ولا تتجاهل مصالح الدول النامية وخاصة فيما يتعلق باصلاح النظام النقدى الدولى والمفاوضات الجارية الدولية كما أننا نؤمن أنه من حق الدول النامية أن تكون لها السيطرة والحرية التامة فى التصرف فى استغلال ثرواتها الطبيعية بما يتمشى مع سياسة نموها وتطورها الاقتصادى والاجتماعى فان الدعوة من قبل بعض الدول التقدمية لخلق تكتلات ومجابهات لتحدى آمال وأهداف الدول النامية المشروعة لن تخدم علاقات التعاون بل ستكون سببا فى ارباك وتعقيد العلاقات مما يضر بالاقتصاد الدولى .

سيدى الرئيس ،

لم تأل الكويت جهدا فى حمل المسئولية تجاه الدول الشقيقة والصديقة فى المشاركة فى برنامج التنمية الاقتصادية . وتحسسا منها بحاجة الدول النامية الى مؤسسات ومصادر التموين فقد أسست الكويت عددا من مؤسسات الاستثمار الوطنية والدولية وقام الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية كما عملت بالتعاون مع الدول العربية الاخرى على انشاء الصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى . ونظرا للنجاح الذى حققته المؤسسات التموينية السالفة الذكر فى دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية وانطلاقا من الشعور بحاجة دول مجموعتنا لمثل تلك المؤسسات فاننا قدمنا الى مؤتمركم باقتراح لتأسيس صندوق للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لدول عدم الانحياز تساهم فيه الدول الراغبة منها وذلك ضمن نطاق التعاون المتبادل وتحقيقا لمبدأ الاعتماد على النفس وشكرا .

خطوط عريضة

ثمة ظاهرة أساسية يتميز بها النشاط التعبدى فى الاسلام ، ذلك أنه لا يقتصر على فترات متقطعة من الزمن ، أو أماكن محددة فى العالم ، وانما ينساح لكى يشمل كل الاماكن والازمان .. ليس هذا فحسب ، بل انه فى جوهره تذكر للوجود الالهى فى الكون ، وادراك لأبعاده الشاملة : قدرة وارادة واحاطة ورقابة وعلما .. واتصال دائم بالله سبحانه فى كل ما يصدر عن الانسان من أفعال ظاهرة مرئية ، أو ارادات لم تتشكل فى أفعالها بعد ، أو نيات وخواطر وتأملات وهواجس تدور فى أعماق النفس .. وتقدير لعظمة الله سبحانه الذى خلق الكون والحياة والانسان على أروع وأدق نظام .. واعتراف بالجميل للخلاق المبدع الذى هيأ للبشرية ظروفا تمكنها فى كل وقت من تحقيق السعادة الكاملة فى الارض والسماء .. ان التعبد بهذا المعنى يمتد الى كل مساحات الحياة البشرية الظاهرة والخفية ، الخاصة والعامة ، الفردية والجماعية ، المادية والروحية ، تماما كما تمتد الدماء وتسرى فى أوصال الجسد البشرى وخلاياه .

وينبثق عن هذه الحقيقة ضرورة التفريق بين هذه القاعدة التعبدية الشاملة ، وبين بعض صور العبادة التى حددها الاسلام على شكل شعائر وطقوس ذات أشكال ومضامين معينة كالصلاة والصيام والحج والزكاة .. ففى الحالة الاولى يبدو أن كل ممارسة ، باطنية كانت أم ظاهرية ، يمكن أن تكون تعبدا اذا كمنت وراءها نية مؤمنة تسعى الى أن تجعل من كل فاعلية فى الحياة وسيلة يتقرب بها الانسان من الله ، ويتعبد اليه ، ويتذكر وجوده الشامل القادر المريد .. هذه القاعدة الشاملة التى تضم ، فيما تضم ، الشعائر الاسلامية الخمس نفسها مضافا اليها كل الفاعليات الاخرى ، ابتداء من أشدها مادية وكثافة (كالتجربة الجنسية وتجارب الطعام والشراب) ، وانتهاء بسهر الليالى الطوال تقربا الى الله وتأملا فى ملكوته .

والحق أن من الصعوبة بمكان الفصل بين الشعائر الاسلامية وبين القاعدة التعبدية نظرا للارتباط الدقيق بينهما ، فضلا عن أن هذه الشعائر نفسها لا تنصب على الجانب الروحى التأملى فحسب ، بل تنساح الى كل جوانب النشاط الانسانى الحركى :

في العبادة الإسلامية

للدكتور : عماد الدين خليل

جسدا وعاطفة وروحا وعقلا وخلجة ووجدانا ، الا أنه لا بد من هـــذا التفريق لغرض ايضاح هذه الحقيقة الاساسية فى بنية الاسلام الذى يرسم لاتباعه برنامجا عمليا للصعود والترقى ينتهى بأبعد آفاقه فى تلك اللحظات التى يتوحد الانسان فيها مع ذاته وعقيدته ، ويغدو تعبيرا حيـا عنها ، بحيث أنه لا يمارس عملا الا وهو يستشعر ، خلال تلك الممارسة، الوجود الالهى المحـيط المريد ، وحينذاك يكون المسلم قد حقق أقصى درجات اسلاميته وهى (الاحسان) ، ويكون (الاسـلام) قد أدى دوره الكامل .. !

ولا ريب أن سـؤالا يتبادر الى الأذهان فى هذا المجال ، وهو أنه اذا كانت الارضية التى تقوم عليهـا العبادة الاسلامية تمتد وتشمل هذه المساحة الواسعة من حياة الانسان فلماذا أضاف الاسلام اليها شـعائر يومية وموسمية محددة تتمثل بصيام أو حج أو زكـاة .. وأوجب على المسلمين الالتزام بها واعتبر التخلى عنها حدا بين الكفر والايمان .. ؟

والجـواب يجىء سريعا فى أن الاسلام جاء لكى (يضبط) و (يحدد) و (ينظم) انطلاقا من ايجـابيته وواقعيتــه فى تحديد الاشـياء والعـلاقات والقيم ، ذلك أن ترك الانسان (حرا) فى ممارسة تعبده لا يضمن أساسا قيام هذا التعبد لدى بعض المنتمين واستمراره لدى بعضهم الآخر . فلا بد اذن من وضـع حد أدنى (ملزم) يكون بمثـابة قاعدة يمكن أن ينبنى فوقها المزيد المزيد من النشـاطات التعبدية التى تصـل بالمسلم (اختيارا) ، وحسب المقدرة ، الى درجة الاحسان وتحويل الحياة كلها الى ساحة للتعبد والتذكر !!

ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن أسباب تنظيم هذه الشـعائر ومقتضياتها ، نظرا لأن هذا الموضوع قد أشبع بحثا ، وهو ليس المطلوب هنا .. انما نريد أن نلقى ضـوءا خاطفا على بعض سمات العبـادة الاسـلامية وأبعادها سـواء فى قاعدتها الشـاملة أو صـورتها الشعائرية المحددة :

أولا : ان العبادة فى الاسلام (أو

ما يمكن أن يصطلح عليه بالصلة الدائمة او الموقوتة بالله) تقوم على الحب والتعاطف والتناغم (الوجدانى) بين الله وعباده ، لا على الكره والمقت والصراع والارهاب ، كما هو الحال فى عدد من الديانات الوثنية حيث يتعبد الانسان (الخائف) آلهته الغاضبة المتوعدة كيلا تنزل به غضبها وسخطها .. وقد انعكست هذه الصلات بوضوح فى التراجيديا اليونانية التى تصور لنا أبعاد الصراع الرهيب بين الآلهة التى تملك الاسلحة جميعا وبين الانسان الاعزل الذى لا يملك أى سلاح . وهذه الصورة نفسها انتقلت عبر العصور ، محمولة فى المعطيات الادبية عامة والدرامية خاصة والتى ظلت تحكمها هذه الثنائية الصراعية بين قوى الحضور والغياب ، بين الانسان والآلهة .

ولم تكن عبادة الإنسان هناك — اذن — الا على سبيل اتقاء ضربة يمكن أن تنزل به فى يوم قريب أو بعيد . ونحن لا نتوقع من ممارسة تعبدية كهذه أن تعمق الروابط بين الانسان وخالقه وتشد من أواصر الحب والمودة بينهما .

فى العبادة الاسلامية يبلغ التعاطف والود والمحبة درجاته القصوى حتى أن الله سبحانه ليحدثنا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بأحاديث (قدسية) ملؤها المحبة والود للانسان المؤمن الذى يعرف كيف يمارس خلافته الحقة عن الله فى الارض ..

ونظرة فى مجاميع الأحاديث القدسية تبين لنا بوضوح هذا التعاطف الذى يصل أحيانا حد الصداقة الودودة الرحيمة بين الله والانسان « .. من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب عبدى الى بشىء أحب الى مما افترضته عليه . وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها . وان سألنى أعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » ، « اذا تقرب العبد الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، واذا تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا ، واذا أتانى يمشى أتيته هرولة » .. !!

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير فى يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ؟ . فيقول : الا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا » .

ثانيا : تقوم الممارسة التعبدية فى الاسلام على الوضوح والتعقل والمنطق والتدبر فى خلق السموات والارض والانسان ، وترفض أشد الرفض ، الدجل والخرافة والاساطير والشعوذة والطقوس الغامضة المعقدة ، تلك التى تمارس فى عبادات وشعائر عدد من الاديان . ولا ريب أن تحول تلك العبادات الى اعتماد أساليب ملتوية كهذه ، قائم فى نهاية الامر على ما تمارسه

طبقات رجال الدين من تزييف للشعائر الدينية ، وتحريف لها واضافة الكثير الكثير من الالغاز والمعميات والطقوس الاسطورية اليها ، لكي تبقى جماهير المؤمنين غير قادرة على الاستيعاب والفهم الكامل لمعتقداتها . كما تبقى خائفة وجلة ، الامر الذى يجعلها دائمة الاعتماد على طبقة رجال دينها لتوضيح بعض الالغاز ومنح مزيد من الامن والاستقرار . وهذه (الطبقية الدينية) التى تدر على رجالها أكداسا من الذهب والفضة ، هى التى قادت العبادات والشعائر غير الاسلامية الى هذا المآل الذى يرفضه المنطق الدينى أشد الرفض .

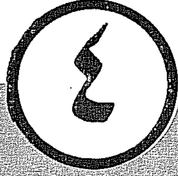
أما فى الاسلام ، حيث لا طبقية دينية ، ولا تنظيمات كهنوتية ، وحيث النصوص القاطعة الواردة فى القرآن والسنة ، فى مجال تحديد العلاقات بين الله وعباده ، وتنظيم الشعائر الدينية .. فان العبادة حافظت ، وستظل محافظة ، على نقائها ووضوحها وانفتاحها وانسجامها المعجز مع معطيات العقل البشرى . ليس هذا فحسب ، بل ان العبادة نفسها ، صلاة أو حجا أو صياما .. انما هى دعوة (للعقل) الى مزيد من العمل والتأمل والبحث فى اعجاز البناء الكونى الذى يقود المؤمنين دوما الى مزيد من (الاحسان) فى اداء عباداتهم ، أولئك الذين ((**يتفكرون فى خلق السموات والارض**)) ثم يعقبون مسلمين ((**ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**)) !

ثالثا : بينما تعتمد العبادات الاخرى وتتعامل مع جانب واحد من جوانب الكينونة البشرية فى أداء متطلباتها والاستجابة لنظمها ، كالجانب الروحى ، كما فى المسيحية ، أو الجسدى ، كما فى الديانات البدائية ، أو العقلى ، كما فى بعض الديانات الشرقية .. نجدها فى الاسلام تعتمد وتشحذ كل مقومات الكينونة عقلا وروحا وعاطفة وجسدا ووجدانا .. ونظرة سريعة فى أية فاعلية تعبدية اسلامية تطلعنا على هذا التوازن والترابط والتناغم بين مكونات النفس البشرية كلها وهى تمارس تجربتها ازاء الله سبحانه .

ويبلغ هذا التوازن والتناسق والشمول قمة روعته ووضوحه فى تجربة الصلاة التى نظمت تنظيما فنيا وحركيا معجزا أريد به أن (تتحرك) خلال الصلاة كل مقومات الانسان وطاقاته العقلية والجسدية والروحية لكى تعمل منسجمة متوازية ، الامر الذى يذكر الانسان المسلم خمس مرات — على الأقل — فى اليوم بأن حياة الانسان ووجوده ليسا مزقا مبعثرة غير منسجمة .. كل منها تتطلب فاعلية غير ما تتطلبه الاخرى ، الامر الذى يصيبه بالتمزق والازدواج والقلق ، ويحيل حياته الى جحيم لا يطاق .. انما الامر على العكس : توحدا ذاتيا فى كيان الانسان المسلم ، فى مكوناته الشخصية من جهة ، وبينه وبين القوى الخارجية من جهة أخرى .. وانسجاما وتوافقا بين متطلبات وجوده فى الارض ونداء مصيره فى السماء . فاذا كان هذا ما تتطلبه منه الصلاة ، وهى شعيرة من أشد الشعائر ارتباطا بتجربة الانسان الخاصة وعلائقه الروحية فكيف بالفاعليات الاخرى فى ميدان الحياة الشامل الرحيب .. ؟!

رابعا : تساهم العبادة الاسلامية مساهمة فعالة فى تحرير الانسان باتجاهات ثلاث أولها الاتجاه الدينى

(البقية على ص ١٠٠)



العلمانية والإسلام في مجال التطبيق

للدكتور محمد البهى

أولا : ـــ يلاحظ أن البلاد الأوروبية التى أخذت بفكرة العلمانية فى مرحلتها الأولى : ـــ

* لم تزل ترعى المسيحية كدين بالاسهام ـــ من ضرائب الدولة نفسها ـــ فى مساعدة التعليم الدينى فى مدارس الجمعيات الدينية ، وهى لا تحول اطلاقا دون أن ينتشر التعليم الدينى فى المدارس الخاصة ، وان كانت لا تعد كثيرا بالمساعدات المادية خشية من احتكاك السلطات الدينية المتعددة .. مع الدولة ، ان بدا أنها تؤثر مثلا بقليل أو بكثير بعض الكنائس دون بعض ، على نحو ما عليه الوضع فى الولايات المتحدة الامريكية . فالدولة الاتحادية تعترف بثلاث سلطات دينية : سلطة الكنيسة الانجيلية ، وسلطة الكنيسة الكاثوليكية ، وسلطة الحاخامة اليهودية .

* ولم تزل تدخل نفسها ضد ما يظن أنه يمس شؤون الكنيسة من قريب أو بعيد . ففى سنة ١٩٥٨ كتبت ثلاث مقالات فى مجلة الأزهر عن المستشرقين

والمبشرين اعتبرتها بعض دوائر الفاتيكان أنها تنطوى على بعض الاحراج لشؤون التبشير الكاثوليكي على وجه الخصوص . فكان أول احتجاج وصل الى وزارة الخارجية المصرية هو احتجاج سفارة الولايات المتحدة الامريكية ، تلاه احتجاجات أخرى عديدة من السفارات الغربية التى تمثل فى بلادها أكثرية بروتستنتينية أو كاثوليكية على السواء .

* وكذلك لم تزل ، الدولة العلمانية الغربية ترعى المسيحية كدين ، والكنيسة كسلطة دينية : بالحرص على جباية الضرائب الخاصة بالكنيسة عن طريق اجهزتها الادارية ، وعلى حماية أملاكها ، وتمكينها من مباشرة رسالتها .

وهدف الدولة العلمانية فى فصلها عن السلطة الدينية هو ، اذن : اتقاء الاصطدام معها .. وليس محاولة تخريب قيمها الدينية ، ولا محاولة الاعتراض على ما تراه السلطة الدينية من واجبات .. وطقوس وشعائر .

* وحتى رجال الدولة أنفسهم فى ممارستهم السياسة العامة للمجتمع .. يخضعون فى ظروف معينة لملاءمة أنفسهم مع تقاليد الكنيسة : وعلى سبيل المثال : دوق أوف وندسور ... وأنتونى ايدن ، فى انجلترا .. كلاهما اضطر الى ترك الوظيفة العامة أو الى عدم السعي اليها . لأن سلوك أى منهما فى حياته الزوجية لا يتفق مع ما تراه الكنيسة من تقاليد فى الزواج .

والجنرال ديجول فى فرنسا : أقال وزير التربية الاشتراكى فى وزارته الأولى بعد أن عاد للحكم فى المرة الثانية ... بسبب عدم موافقة الوزير على مساعدة المدارس الدينية فى فرنسا : من مدارس الجزويت ، والفرير ، بمبلغ ستين مليونا من الجنيهات الاسترلينية فى ميزانية /١٩٦٢/ .. من غير حق التفتيش عليها من قبل وزارة التربية . وجون كنيدى فى انتخاب الرياسة فى الولايات المتحدة الاميركية لم يفز على ريتشارد نيكسون فى سنة /١٩٦٠/ الا بنسبة ضئيلة ، نظرا لأنه ينتمى الى الأقلية الكاثوليكية ، وخرج فى ترشيحه عن التقليد المتبع هناك .

* وحياد الدولة الذى بشرت به العلمانية فى البلاد الغربية ، وكذلك المساواة فى الحقوق والاعتبار فى ظل هذا الحياد ... تنقضه التفرقة العنصرية فى مجتمعاتها : كالمجتمع الأمريكى فى الولايات المتحدة مع الزنوج ، والمجتمع الانجليزى فى انجلترا مع المستوطنين والوافدين من دول « الكومنولث » فتشريع عديد من الولايات فى أمريكا .. لا يسوى بين البيض والزنوج ، ويتعارض مع حياد الدولة الفيدرالية ، الذى هو نتيجة من نتائج العلمانية ، كما يدعى . وتشريع البرلمان الانجليزى الخاص بترحيل بعض القادمين من بلاد ــ الكومنولث ــ واعادتهم الى بلادهم ، وبوضع قيود خاصة فى سبيل الاقامة فى انجلترا لمن يفد من هذه البلاد .. لا يتفق مع علمانية الدولة وفصلها عن الكنيسة والدين . اذ أخص من وضعت القيود فى سبيلهم : هم أصحاب الرعية الباكستانية . والسبب ــ كما ذكرته بعض الصحف البريطانية ــ هو الفارق الملموس بين نظام الأسرة وسلوك أفرادها فى الاسلام ، وذلك النظام الآخر الذى هو للأسرة المسيحية . وذكرت هذه الصحف على سبيل المثال : حق الزواج بأكثر من واحدة ، وصيام رمضان ، والرغبة فى كثرة الأولاد .

* وقد تجاوز أمر « حياد » الدولة ــ كنتيجة للعلمانية ــ من بلاد اسكندنافيا الكنيسة كسلطة ، واعتقاد الدين وممارسة طقوسه كأمر شخصى .. الى السلوك الشخصى للأفراد . فالدولة من أى من هذه البلاد تقف الآن موقف الحياد فى العلاقات الجنسية . وعن هذا الموقف شاع زواج « المجموعة » وابتدأ حل

زواج الأخ بأخته ، وأصبح من حق التلميذ والتلميذة أن يعرف فى مراحل الدراسة منذ الثامنة صورة المعاشرة الجنسية ، والحمل ، وتطور الجنين حتى الولادة ، من أفلام ورسوم تعرض عليهم . كما أصبح من حق الشبان والشابات زيارة معارض جنسية تقام فى أماكن عامة يطلعون فيها على الصور المتنوعة للجنسين ، وعلى كتب الجنس ، وأفلام الحب ، « المكشوفة » كما يسمونها . وزواج التجربة ـــ وهو المعاشرة الجنسية بين الفتى والفتاة قبل الزواج ، وقد لا يصل الأمر بعد ذلك الى الزواج ـــ تقليد مسلَّم الآن فى البلاد العلمانية سواء فى الشرق أم فى الغرب ، وقلما يعترض عليه أبو الفتاة وأمها . والزنا لم يعد سببا لطلاق الزوج من زوجته فى الدانيمارك ، باعتبار أنه أمر شخصى كذلك .

* ودولة الفاتيكان ـــ فى الطرف الآخر كممثلة للسلطة الدينية ـــ لم تزل تقوم من جانبها بدور كبير فى سياسة البلاد التى فيها أغلبية كاثوليكية ، عن طريق الأحزاب السياسية التى تسمى : بالديمقراطية المسيحية ، وكذلك فى السياسة الدولية العالمية . فالاحزاب الديمقراطية المسيحية هى أجهزة للعمل على رسم الخطة لتنفيذ اتجاه الفاتيكان فى الدرجة الأولى . وعن طريقها حالت الكنيسة حتى الآن دون أن تتطرف العلمانية الى النوع اليسارى الآخر الذى يقيم « البلشفية » دينابدل المسيحية .

* * * *

ثانيا : ـــ يلاحظ أن الغاء المسيحية فى الشرق الأوربى ، وتعويضها بالبلشفية تحقيقا للعلمانية بمفهوم : الاستئثار والتفرد بالسلطة فى الدولة .. لم يحقق الهدف الذى استهدفته الماركسية اللينينية حتى الآن . وهو تحويل البلشفية الى « دين الدولة » ليرتبط به المواطنون من أى مجتمع اشتراكى ، دون أى رباط آخر من النزعة الى القومية أو الميل الى الدين السائد قبل التحويل الاشتراكى فالقوميات وكذلك الاتجاهات الدينية السابقة ـــ ما زالت تلعب دورها من تعويق سير « العالمية » التى تشيد بها الثورات الماركسية . فاعادة تقسيم تشيكوسلوفاكيا الى ولايات فيدرالية ، بعد أغسطس سنة /١٩٦٨ ، وكذلك مشروع الدستور الجديد فى يوغوسلافيا : بتقسيم البلاد من جديد الى ولايات اتحادية ، وعدم تعيين رئيس للجمهورية بعد الماريشال تيتو .. يصور على الأقل : أن النزعة القومية ظلت قائمة وقوية ، وأن مظهر « العالمية » التى قصدت اليها العلمانية بمفهوم الغاء المسيحية .. هو مظهر يفرضه سلطان القوة فى الدولة ، وليس تعبيرا عن التحول الى الماركسية ... هو دستور يتلى ، وليس واقعا يتحسس .

****

ثالثا : ـــ يلاحظ فى الدول الاسلامية أن تركيا هى الدولة الاسلامية فى الشرق التى أعلنت العلمانية الغربية كأساس لسياستها الجديدة ، منذ تولى مصطفى أتاتورك السلطة فيما بعد الحرب العالمية الأولى . والسياسيون فى الغرب على الخصوص ـــ ومعهم المستشرقون فى بحوثهم وكتاباتهم ـــ يشيدون بتقدم صناعى وعلمى فيها ، ويعودون بأسبابه الى دخول تركيا مجال الغرب بدون الاسلام . ففصلها بين الاسلام كدين والدولة : هو العامل فى نظرهم الذى قربها من الدول المتطورة .

ان تركيا فى قبولها للعلمانية كانت مجبرة فى تسوية الصلح الذى دار وراء الكواليس مع الحلفاء ، بعد انتصارهم فى الحرب العالمية الأولى . وقصد الحلفاء من اعلان تركيا العلمانية ، وفصل الاسلام عن الدولة ، وهى مركز الخلافة الاسلامية الى أمرين :

الأمر الأول : ــ الغاء الخلافة الاسلامية ، كأداة تجميع للمسلمين : عرب وعجم على السواء فى آسيا وأفريقيا . اذ سيترتب على الغاء الخلافة أمكان تمزيق المسلمين الى عرب ينطقون بالعربية ، وغير عرب ينطقون بلغاتهم الوطنية. وعندئذ يمكن التبشير بالقومية العربية كذلك « لتجويف الهوة بين المسلمين » ثم لكى لا تكون للقومية العربية فاعلية بعد عزل العرب عن غير العرب من المسلمين ــ نصح بقيام : « جامعة دول عربية » لتؤكد سيادة كل دولة عربية فى مواجهة دولة عربية أخرى . وبذلك يضعف الترابط على أساس اللغة العربية والتى اعتبرت وحدها ــ دون الاسلام ــ حجر الزاوية فى مفهوم القومية العربية . وشأن العرب الآن بعد قيام الجامعة العربية يساوى شأن غير العرب المسلمين فى تفرقهم على أساس من لغاتهم الوطنية العديدة .

وابعاد المسلمين غير العرب عن العرب بالتبشير بالقومية بعد الغاء الخلافة الاسلامية ، ثم أضعاف فاعلية القومية العربية بين العرب من جديد بقيام جامعة دول عربية تؤكد استقلال كل دولة ... هذا .. وذاك : كان مقدمة ضرورية لعزل فلسطين عن قوة المسلمين مجتمعين ، وعن قوة العرب وحدهم مجتمعين كذلك ... كان تمهيدا لقيام دولة اسرائيل .

الأمر الثانى : ــ الذى قصده الحلفاء المنتصرون فى الحرب العالمية الأولى ــ وهم أصحاب العلمانية الغربية ــ من اعلان تركيا للعلمانية .. عزلها عن التراث الاسلامى ، وتكوين اجيالها القادمة فى بعد عن الصلة بالاسلام وعن العرب معا . وبذلك تصبح تركيا المسلمة قريبة الى الغرب فى ميوله واتجاهاته ، على نحو ما أبعد الاسلام من أسبانيا ، ومن البلقان ، وجزر البحر المتوسط . ولكى يتم التحويل عن الاسلام كانت كتابة اللغة التركية بحروف لاتينية بدلا من الحروف العربية .

والتقدم الصناعى والعلمى فى تركيا العلمانية لم يكن بسبب الفصل بين الدين والدولة .. أى لم يكن بسبب ابعاد الاسلام عن شؤون الدولة ، وما تجر اليه مبادئه ــ كما يقال ويدعى ــ من التخلف ، وانما كان مكافأة من الغرب والشرق على السواء على ابعادها للأسلام .. وانما كان أولا وأخيرا بسبب المساعدات الاجنبية التى قدمت من جانب الاتحاد السوفياتى فى الشرق والولايات المتحدة الامريكية على الخصوص من الغرب . وهى مساعدات اقتصادية وفنية وعلمية لتتحول الى نموذج بين البلاد الاسلامية .

* فالاتحاد السوفياتى له مصلحة داخلية وخارجية فى كون تركيا بلدا علمانيا . فمصلحته الداخلية فى اخضاع البلاد الاسلامية الآسيوية وهى بلاد القوقاز على الخصوص للأيديولوجية الجديدة وهى ايديولوجية البلشفية أو أيديولوجية الغاء الدين ، والايمان بالدولة وحدها . فاذا أصبحت تركيا بلدا علمانيا ــ ومعظم المسلمين فى بلاد القوقاز هم من الاتراك ، كان من اليسير على الاجيال الناشئة لهذه البلاد أن تخضع للدين الجديد ، لا بحكم الجوار ولا بحكم صلة القرابة فقط . وانما : لأن تركيا التى كانت مركز الخلافة وعلى رأس الامبراطورية الاسلامية قد أعلنت الآن عزل الاسلام عن شؤون الدولة ، وأخذت لنفسها طريقا جديدا فى الحياة ، هو طريق ممهد على الأقل للعلمانية الماركسية . واذن لا بد أن يكون الاسلام عامل تخلف .. هكذا المنطق .

ثم للاتحاد السوفييتى مصلحة خارجية كذلك فى كون تركيا بلدا علمانيا ، هى امكان التأثير بهذا النموذج على بلاد أخرى اسلامية مجاورة من آسيا : كإيران

وأفغانستان ، فتضعف من علاقتها بالاسلام ، وبذلك تصبح مجالا حيويا للاقتصاد والأمن السوفييتى . والاحتلال الروسى القيصرى لايران فى فترة من الزمن ، وعمله على انشاء « البهائية » أو « البابية » فيها تخريبـــا للقيم الاسلامية يعلن عن مدى التطلع الروسى الى هذه البلاد الاسلامية منذ وقت طويل قبل الثورة البلشفية فى أكتوبر / ١٩١٧ / .

* والغرب له مصالح اقتصادية عديدة واستثمارات مالية كبيرة فى البلاد الاسلامية فى آسيا وافريقيا . ومن شأن قبول هذه البلاد للعلمانية أن يسهـــل للغرب طريق الحركة فى سبيل الاستغلال الاقتصادى . سواء أكان من مصادر الثروة أم من دائرة الطاقة البشرية . وكتاب : ـــ الاسلام قوة الغد لبول أشميد فى سنة/١٩٢٦/ـــ يوضح فى غير لبس امكانيات البـــلاد الاسلامية من الثروة الأرضية والمعدنية ، وتكاملها ، وطاقة المسلمين فى الخصوبة الجنسية ، ويسر الارتباط بينهم على الايمان بالله . وينذر أوربا بالفناء ، إن هى مكنت المسلمين من التجمع واستخدام هذه القوى الثلاث . ونداء هذا الكتاب الموجه الى الأوربيين بالانذار يعبر عن عمق الرغبة الدينية فى الحيلولة دون تجمـــع المســـلمين على الاسلام .

وان دفعت البلاد الاسلامية اليوم لسبب أو لآخر ، الى قيود الاشتراكيـــة لا بمفهومها فى الغرب ، ولكن بمفهوم البلشفية ـــ فان هذه البلاد ستكون أكثر تمهيدا للاستغلال الاقتصادى ، وأكثر طواعية للتبعية الأجنبية . وثورة كالثورة الثقافية فى الصين الشعبية كفيلة بمحو الاسلام فى زمن قصير جدا . ومع كون تركيا بلدا علمانيا يفصل بين الاسلام والدولة فانها بشأن حرية الافراد فيها فى ممارسة العبادة الاسلامية . . . لا تقل عن أية دولة اسلامية أخرى لا تعلن رسميا الفصل بين الدين والدولة . لأن ما أعلنته تركيا فى الأمس القريب من الفصل بين الدين والدولة . . مارسه الاستعمار الغربى فى الأمس البعيد عمليا ، وفى تدرج ، وفى احكام ، وفى غيبة من الوعى الاسلامى ، فى البلاد الاسلامية التى استعمرها . ولم يفلت أى بلد اسلامى أو أكثريته اسلامية فى آسيا وافريقيا من الاستعمار الغربى ، ومن ممارسته العلمانية وإضعاف الاسلام فيها . فالاسلام فى غالبية هذه البلاد أبعد :

١ ـــ **فى سياسة الحكم** : فنظام الحكم اليـــوم فى سيره إما علمـــانى غربى أى رأسمالى ، وإما علمانى شرقى أى اشتراكى بلشفى .

٢ ـــ **وفى سياسة التوجيه والتعليم** : يشـــار الى الاسلام فى بعض منـــاهج المرحلتين الأولى والثانية ، ويغفل تماما فى التعليم العالى والجامعات ، حتى فى البلاد التى تعلن رسميا أنها تمارس الاسلام فى حياة المواطنين فيها .

٣ ـــ **وفى سياسة التشريع والقضاء** : ما لم يلغه الاستعمار من مبادىء الاسلام أو مظاهره . . ألغاه الحكم الوطنى بعد الاستقلال ، كالغاء المحاكم الشرعية والمجالس الحسبية .

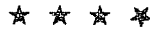
٤ — **وفى شؤون الدعوة الاسلامية** : الغيت الأوقاف الاسلاميـــة . وما لم يلغ منها كذلك على عهود الاستعمار .. الغى أو عطل فى عهد الحكم الوطنى بعد الاســـتقلال .

٥ — **وفى سياسة المال والاقتصاد لا يعنى فيها** : ان كانت ملائمة أو غير ملائمة للمبادىء الاسلامية والاتجاه الاسلامى من حياة المسلم .

٦ — **ولم يبق إلا الأحوال الشخصية** : احـــوال الزواج ، والطلاق ، والنفقـــة والحضانة ، والعدة .. الى آخر موضوعاتها . **فهل النداء بالعلمانيـــة** وصيحة من يسمون انفسهم بالعلمانيين فى البلاد الاسلامية هى لإلغاء هذه الأحوال الشخصية .. لإلغاء المظهر الباقى من شخصية المسلمين ؟.

لم يبق من الاسلام فى الأحوال الشخصية كفاصل بين المسلمين وغيرهم الا أن المرأة المسلمة لا تتزوج بغير مسلم . اذ الطـــلاق سعى اليه الغربيون والشرقيون واقتربوا فيه من الاسلام على درجات مختلفة . **فهل** تنحصر العلمانية التى ينادى بها اليوم فى جواز زواج المسلمة بغير المسلم ؟

هل فى جواز زواج المسلمة بغير المسلم مصلحة للدولة ؟ تحقيق للعالمية ؟ ام هو الاندفاع فى التقليد .. ؟



رابعـــا : — يلاحظ اخيرا : ان البلد الذى أعلن الاسلام دستورا له ، وقام كدولة على أساس منه — وهو باكستان — بقى له من مظاهر التخلف على عهد الاستعمار بعد استقلاله .. ما يفسر الآن بأن سببه الاسلام ، والتمســـك به . ويثير هذه القضية كثير من المستشرقين مثـــل : ويلفريد اسميث فى كتـــابه : « الاسلام فى التاريخ » . **فيوازى بين تركيا العلمانية وباكستان الاسلاميـــة** ، ويخرج من الموازنة بذكر أن الاسلام بإبعاده عن الدولة كان السبب فى تقـــدم تركيا ، وباحتضانه وبتأسيس الدولة عليه كان سببا فى تخلف باكستان ، مع أن كلا من الدولتين آسيوى ، ولا يتكلم العربية كلغة أولى . ولكن :

أولا : — ان باكستان بقيت فى صلتها بالاسلام — بعد الاستقلال — على النحو الذى كانت عليه فى عهد الاستعمار . أى انها لم تشرع دستورا اسلاميا يعتمد فى مبادئه على القرآن والسنة الصحيحة ، كما كان مرتقبا : تأخذ به فـــى جميع نواحى المجتمع الباكستانى ، كما لم تقم بنشاط غير عادى فى التوعيـــة بالاسلام فى المدارس والأماكن العامة ، عـــدا ذلك النشاط فى المســـاجد وهو نشاط تقليدى . وانما ظل الوضـــع فى سيره كما كان ، وكما هـــو فى أى بلد اسلامى آخر ، نالت من دينه علمانية الغرب فى عهد الاستعمار . وبهذا لم يوضع الاسلام موضع التجربة كدستور ، وكقانون ، وكمنهج فى التربية والســـلوك فى حياة المجتمع الاسلامى الباكستانى . واستمرار الوضع السابق على عهـــد الاستعمار هو الذى هيأ للحركات اليسارية والانفصالية فى شرق باكستان وغربها اليوم أن تقوى وتزداد فاعليتها .

ثانيا : — ان المصادر الاجنبية التى قدمت المساعدات الاقتصاديـــة والفنيـــة والعلمية لتركيا العلمانية .. ليس فى مصلحتها أن تقدم مثل هـــذه المساعدات لباكستان المسلمة ، حتى لا يكون وجودها فى ازدهار عامل تحريض للـــــدول

الاسلامية الأخرى فى آسيا وأفريقيا على تمسكها بالاسلام والسعى الى الأخذ به فى مجالات الحياة المختلفة . اذ من المؤكد أن قوة الإيمان بالاسلام فى البلاد الاسلامية تشكل العقبة الأولى فى طريق تبعية هذه البلاد للايديولوجيات الأجنبية الغازية ، وبالتالى فى شعور هذه البلاد باستقلالها أمام الاغراء أو التهديد الخارجي ، كما يشكل نفس العقبة فى طريق التوسع الاسرائيلى فى البلاد العربية ومحاولة اعلان العلمانية الغربية ، وتطبيق الاشتراكية البلشفية فى الوطن العربى هى محاولة تمهد لاسرائيل الاطمئنان على المستقبل والتوسع الاقتصادى والعلمى فى هذه البلاد ، كما تمهد للكتل الاستعمارية المتنافسة على خيرات الشرق الأوسط ومركزه ، من أن تصل الى نفوذ فيها .

* * * *

* والآن : لا يقال : إن الاسلام يحد من حرية الانسان ، ويفرض الوصاية فيه ، وهو مبدأ ملاحقة التطور والوقائع المتجددة فى إدراجها تحت مبدأ من الفاضل .

* والآن أيضا : ليس فى الاسلام « جمود » طالما كان الاجتهاد مبدأ أساسيا فيه ، وهو مبدأ ملاحقة التطور والوقائع المتجددة : فى إدراجها تحت مبدأ من المبادىء العامة فيه .

* والآن كذلك : ليس فى عقائد الاسلام تعقيد ، لأنه يفصل بين مستوى الله .. ومستوى الانسان ، فصلا تاما : « ليس كمثله شىء » .. « لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » . فلا يختلط الانسان فى خطئه وصوابه .. بالله فى قدسيته وحكمته .

* والآن كذلك : ليس فى الاسلام أى باعث يبعث على ما يسمى : « بالتخلف » طالما أنه لا يرى شرا فى الدنيا .. والحياة المادية ، من أكل وشرب وزواج ، ونسل ، وزينة .. وانما يرى الشر فقط فى « الاسراف » والغلو فى الاستمتاع بما فيها ، وطالما أنه أيضا يرى : أن الانسان يحمل وزر نفسه وخطيئته وحدها : ((**ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى ..**)) (فاطر : ١٨) . فهو ينظر الى الانسان على انه « وحدة » مستقلة ، تنطلق فى غير قيود من أخطاء سبقت ، وفى مسؤولية شخصية فردية .

- .. لا وصاية ، بل استقلال ..
- ولا جمود ، بل حركة .
- ولا تخلف ، بل تقدم بالسعى والعمل فى الحياة الدنيا .
- بل . انسانية خالصة .
- ومسئولية فردية واضحة .
- عبادة لله وحده ، ومساواة بين الانسان والانسان .
- وبشهادة : أن لا اله الا الله .. محمد رسول الله ، يتصل الانسان بربه من غير وسيط .
- وبالايمان بالله يتحرر الانسان من كل الزام خارج عنه .
- تلك أسس النظرة الاسلامية الى الانسان .

* * * *

* ولو كان الاسلام فى أوربا ما نشأت العلمانية فى الفكر الأوربى ، ولما وصل تفكير بعض المفكرين فى أوربا الى التطرف فى المادية ، والجنوح الى شحن النفوس بالأحقاد ، ودفعها الى الانقلاب الدموى ، لحل بعض المشاكل الاجتماعية .
* وان طلب تطبيق العلمانية فى مجتمع اسلامى من حاكم .. هو لعدم أهليته للحكم ، وللهرب من المسئولية التى يلقيها الاسلام على الحاكم ، فى طلب الاستقامة فى السلوك ، وأداء أمانة الحكم ، والعدل ، والشورى المتبادلة ، والرعاية ، وليس التسلط .
* ومن مفكر .. هو لقصور فى معرفة الاسلام ، وخداع نفسه وغيره بعرض قضايا ، يدرك أطرافها فقط ، دون جوهرها وغايتها .
* ومن سياسى .. هو للتلاعب بالفكر غير الناضج ، والتمويه فى حلبة المنافسة السياسية .
* ومن فتى وفتاة .. هو للتحلل من التزام الايمان : فى التوجيه ، والسلوك .. والانطلاق فى شهوة البطن ، والفرج ، والملبس !! .

* * * *

* أتراد العلمانية فى شرقنا على نمط الفصل بين سلطة دينية وأخرى مدنية ؟ وما هدف الفصل اذن ؟.
أهو خلق لدولة داخل دولة ، وسلطة بجانب سلطة ؟ . أعندئذ تتم وحدة الأمة والمجتمع ؟ أم يزداد مصدر الاحتكاك ، بحكم المحافظة على البقاء ؟ .
* أتراد العلمانية فى شرقنا على نمط الغاء الدين واشاعة الالحاد لتنفرد الدولة بسلطتها ؟.. وما هو البديل عن الدين فى الدولة الآن ؟. ما هو الدين الجديد ؟ . وقد رأيناه فى المرحلة العلمانية الثانية .. السياسة ، كما رأينا المعبود « جماعة العمل » أو « المجتمع » أو « الدولة » .. وانتهى أخيرا : « بالحزب » .
أ — أهو القومية العربية فى شرقنا ؟ . وما مضمونها ؟ أهو تاريخ العرب وقد كونه الاسلام ؟ أم هو اللغة الفصحى وليست موجودة الا فى القرآن ؟ أم هو اللهجة العامية ؟ وأية لهجة من اللهجات القائمة فى المحيط العربى هى التى تسود ؟ .
ب — أهو الاشتراكية العلمية — أو البلشفية — كما تسمى رسميا فى السياسة الدولية ؟ وأى ضرب من ضربيها : أهو الضرب الأرثوذكسى منها الذى لا يهادن الرأسمالية ، أم ذلك النوع الآخر الذى يوصف من أصحاب الضرب الأول بأنه ردة . وهو الذى يضع التعايش السلمى كأسلوب للعلاقات الدولية ، بدلا من عدم المهادنة ؟ .
وهل على لهجة عامية واحدة يمكن أن تجتمع الأمة العربية ؟ وهل فى نوع من البلشفية يؤمل فى أن تتحد ؟ .

* * * *

* ان النصيحة هى دراسة الاسلام أولا دراسة واعية . وعلماء المسلمين قبل عامتهم عليهم أن يعيدوا دراسته فى كتاب الله ، ويستوحوا الرأى منه ، دون أن يفرضوه عليه .

مباحث قرآنية

٤

الجانب الأخلاقي في القرآن الكريم

للدكتور : محمد حسين الذهبى

لقد وجهنا القرآن الكريم الى نواح أخلاقيـــة متعددة ، ودعانا الى الأخـــذ بها حتى نسعد فى حياتنا الدنيا وفى الآخرة ، وحذرنا بأساليب شتى من الخروج عنها حتى لا نضلّ ولا نشقى ، ونبهنا الى الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة .. نبهنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه من حسن الخلق وكريم الخصال حتى نقتدى به فقال مثنيا عليه :

« **وإنك لعلى خلق عظيم** » (ن ، آية ٤) .

وبين سر التفاف المسلمين من حوله واجتماع قلوبهم على محبته فقال :

« **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » (آل عمران . آية ١٥٩) .

واذا نحن تتبعنا القرآن الكريم وتقصينا ما فيه من توجيهات أخلاقية لخرجنا بعديد من الآيات التى تحوى جماع الفضائل كلها ، والتى لو تمســـك بها المسلم لكان فى القمة ، من سمو الروح ، وصـــفاء النفس ، وحسن السريرة ، وطيب المعشر ، والتى لو سادت فى مجتمع لكان مجتمعنا مجتمعا مثاليا فاضلا ، يقوم على الخير والحب والمودة والرحمة والطهر والنقاء ..

ولا نريد أن نستعرض كل ما فى القرآن الكريم من الآيات الأخلاقية الموجهة فذلك أمر يطول ... ولكن نكتفى ببعضها :

ففى الدعوة الى الإحسان فى معاملة الأقربين وغيرهم يقول :

« **واعبدوا الله ولا تشركوا به شــيئا وبالوالدين إحســانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجـــار الجنب والصاحب بالجنب وابن**

السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا » (النساء . آية٣٦)
ويقول : وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض »
(القصص . آية ٧٧) .
وفى مقابلة السيئة بالحسنة يقول :
« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم » (فصلت . آية ٣٤) .
وفى العفو عن المسيىء يقول : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله »
(الشورى . آية ٤٠) .
ويقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « ولا تزال تطلع على خائنة منهم (يعنى اليهود) إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين »
(المائدة . آية ١٣) .

ويقول : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » (البقرة . الآيتان : ١٣٣ ، ١٣٤) .
وفى الحث على الصدق يقول :
« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (التوبة . آية ١١٩)
وفى النجوى يقول :
« يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى إليه تحشرون » (المجادلة . آية ٩) .

ويقول : « لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » (النساء . آية ١١٤) .
« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » . (النساء . آية ٥٨) .
ويمدح المؤمنين الأمناء ويسجل لهم الفوز والفلاح بقوله :
« قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » .. الى ان يقول :
« والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » (المؤمنون . الآيات : ١ — ١١) .
ويحذر من الخيانة فيقول :
« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » (الانفال . آية : ٢٧) .
ويقول : « إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما » (النساء . آية : ١٠٧) .
وفى الحث على العدل يقول :
« إن الله يامر بالعدل والإحسان ...... » (النحل . آية : ٩٠) .
ويحذر من أن تكون القرابة أو العداوة سببا لعدم العدل فى القول أو الحكم فيقول :
« واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » (الأنعام . آية : ١٥٢) .
ويقول : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا

الهوى أن تعـدلوا وإن تلووا أو تعرضـوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ›› (النساء . آية : ١٣٥) .

ويقول : ‹‹ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعـدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بمـا تعملون ››** (المائدة . آية : ٨) .

ويدعو الى التواضع وعدم الكبر والتعالى على الغير فيقول :

‹‹ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجـاهلون قالوا سلاما ››** الى أن يقول : ‹‹ **أولئك يجزون الغـرفة بما صبروا ويلقون فيها تحيـة وسلاما ››** (الفرقان . الآيات : ٦٣ ــ ٧٥) .

ويقول : ‹‹ **ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طـولا ››** (الاسراء . آية : ٣٧) .

ويقول : ‹‹ **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصـوات لصوت الحمير ››** (لقمان . الآيتان : ١٨ ، ١٩) .

وينهى عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب فيقول :

‹‹ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسـم الفسـوق بعد الإيمـان ومن لم يتب فأولئـك هم الظـالمون ››** (الحجرات . آية : ١١) .

وينهى عن الظن السوء ، والتجسس والغيبة فيقول :

‹‹ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبـوا كثيرا من الظـن ان بعض الظـن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ››** (الحجرات . آية : ١٢) .

ويحذر من إشاعة الفاحشة فى المؤمنين فيقول :

‹‹ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشـة فى الذين آمنوا .. لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ››** (النور . آية : ١٩) .

ويرشدنا الى حرمة البيوت وآدابها فيقول :

‹‹ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوهـا حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جنـاح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم مـا تبدون وما تكتمون ››** (النور . الآيات : ٢٧ ــ ٢٩) .

ويقول : ‹‹ **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمـانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صـلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جنـاح بعدهن طوافون عليـكم بعضكم على بعض كـذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم .**

وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ›› (النور . الآيات : ٥٨ ، ٥٩) .

ويدعو الرجال الى غض أبصارهم وحفظ فروجهم عما حرم الله فيقول :

‹‹ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهـم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ››** (النور . آية : ٣٠) .

ويدعو النساء الى غض أبصارهن وحفظ فروجهن وعدم ابداء زينتهن للأجانب حتى لا يكن مثار فتنة فيقول :

((وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهم أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)) ((النور . آية : ٣١) .

ويقول : **((يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما))** (الأحزاب . آية : ٥٩) .

ويقول : **((يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا))** (الأحزاب . الآيتان : ٣٢ ، ٣٣) .. وغير أمهات المؤمنين بذلك أولى .

ويقول فى أدب الضيف : **((يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق))** (الأحزاب . آية : ٥٣) .

(جانب الدعوة الى النظر فى ملكوت السموات والأرض)

وأما جانب الدعوة الى النظر فى ملكوت السموات والأرض : فقد وجهنا القرآن الكريم الى ما بثه الله فى الكون من آثار قدرته ودلائل ألوهيته فقال :

((إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)) (البقرة . آية : ١٦٤) .

وقال : **((ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم))** (الروم . آية : ٢٢) .

وقال : **((وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون))** (الذاريات . الآيتان : ٢٠ ، ٢١) .

وقال : **((أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت))** (الغاشية . الآيات : ١٧ــ٢٠)

وقال : **((تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا))** (الفرقان . الآيتان : ٦١ ، ٦٢) .

وقال : **((ألم تر الى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا . ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا . وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا . وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى**

رحمتــه وأنزلنا من الســماء ماء طهورا . لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا . ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا » (الفرقان . الآيتان : ٦١ ، ٦٢) .

وقال : « ألم تر أن الله يزجي ســحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودْق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشــاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصـــار . يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار . والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير » (النور . الآيات : ٤٣ ، ٤٥) .

وقال : « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام . إن يشـــأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شــكور » (الشـــورى . الآيتان : ٣٢ ، ٣٣) .

وقال : « وآية لهم الليـــل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العــليم . والقمر قدرناه منازل حتى عــاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليـــل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » (يس . الآيات : ٣٧ — ٤٠) .

وقال : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ومـــا خلق الله من شيء » (الأعراف . آية : ١٨٥) .

وقال : « وكأين من آية فى الســموات والأرض يمرون عليها وهم عنهـــا معرضون » (يوسف . آية ١٠) .

... وأخيرا يشير القرآن الكريم الى آيات أخرى لا يزال يكشـــف عنها العلم ، كانت وستكون الحجة البالغة لله على الناس فيقول :

« سنريهم آياتنـــا فى الآفاق وفى أنفســـهم حتى يتبين لهم أنه الحق » (فصلت . آية : ٥٣) .

(هدف القرآن من توجيهنا إلى آثار قدرة الله)

والقرآن إذ يوجهنا الى هذه الآثار ويلفت انظارنا اليها ، لا يريد منا أن ننظر اليها نظرة عابرة قاصرة . وإنما يريد منا النظرة الفاحصة المتأملة ، وهو يهدف من وراء ذلك الى أمرين هامين :

أولهمـــا : أن نأخـــذ منها الدليل على وجود الله وقدرته . وعلى أنه الإله الحق الذى يستحق العبادة دون غيره .

وثانيهمـــا : أن ننقب عما حـــواه الكون من خيرات وكنوز وأن نكشـــف أسراره وكوامنه حتى ننتفع بكل ما فيه من خيرات مادية ونستفيد بكل ما نهتدى اليه من معارف وعلوم بعد الدراسة لظواهره ومشاهده دراســـة البارع المدقق والعالم المحقق .

ولقد أدرك العلماء من غير المسلمين ما فى الكون من مصادر الثروة وموارد القوة وينابيع المعرفة ، وأخـــذوا جادين فى استنباط كنـــوز الأرض واستغلال خيراتها . وبحثوا محققين عن خواص بعض ظواهر الكون وعوالمه ، فاذا بهم بعد الجهد والعرق يصلون الى ما كانوا يرجون . ويحققون لأممهم غنى لا يطاول ، ومجـــدا لا يسامى ، وقوة لا تقهر .

وغفل المسلمون عن آيات الله البينات ، واغمضوا عيونهم وعقولهم عن التأمل والتدبر فيمـــا تحويه من ذخائر وتوحى به من معارف ، فكان حالهم ما نرى : تخلف عن ركب الحضارة ، وتسول فى موكب العلم . . .

(القرآن يخاطب العقل والوجدان والعاطفة)

والقرآن الكريم حين يدعو الى العقيدة الحقة فى الله وفى كل ما جاء عنه ، وحين يدعو الى التزام تشريع معين فى عباداتنا أو معاملاتنا أو نظمنا الاجتماعية ، وحين يدعو الى الخلق الكريم والأدب الحميد واتخاذ ذلك منهجا لنا فى سلوكنـــا الشخصى وسلوكنا مع الله ومع الناس .. حين يدعو القرآن الى هذا كله ، لا يدعو إليه دعوة جافة خشنة ليس فيها الا مجرد الأمر الصارم أو النهى العنيف وإنما يدعو اليه دعوة الحكمة العـــاقلة فيورده بأسلوب الأمر أو النهى مقرونا بوسائل الإقناع بصدقه وصلاحيته وحسن عاقبته .

ووسائل الاقناع متعددة :

فتارة يكون الإقناع عن طريق العقل ، وتارة يكون عن طريق الوجـــدان ، وتارة ثالثة عن طريق العاطفة .

ولقد سلك القرآن الكريم فى دعوته هذه الطرق الثلاث :

خاطب العقل : لأن من الناس من لا يؤمن إلا بالدليل العقـــلى ومن ذلك قوله تعالى :

((ما اتخـــذ الله من ولد وما كان معه من إله اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض)) (المؤمنون . آية : ٩١) .

وقوله : **((لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا))** (الأنبياء . آية : ٢٢) .

وكلتا الآيتين دليل منطقى واضح يدركه من له إلمام بأساليب المناطقـــة فى استدلالهم ، ويدركه كل من له عقل يعى ولو لم يكن على علم بأسلوب المناطقة .

ثم هناك آيات الله فى السموات والأرض وفى أنفسنا ، وكلها براهين عقلية تشهد بوجود الله وربوبيته ، والقرآن الكريم — فى أكثر من آية — يلفت أنظارنا الى هذه الدلائل والبراهين حتى تقوم الحجة لله على الناس .

وخاطب القرآن الوجدان : لأن من الناس من لا يحفزه الى الإنقياد والطاعة إلا ما يحرك وجدانه ، ويثير فيه جانب الرغبة أو الرهبة ، فاذا ما أمر بمعروف وقرن الأمر بالترغيب ، رغبت نفسه فى الامتثال أملا فى الثواب ، واذا ما نهى عن منكر وقرن النهى بالترهيب ، كفت نفسه عنه رهبة من الوقوع تحت طـــائلة العقاب .

وكثيرا ما نجد فى القرآن الكريم آيات تحرك فى الوجدان نوازع الخير بما تضمنته من وعيـــد بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، وآيات أخرى تنيم فى الوجدان نوازع الشر بما تضمنته من وعيد بشقاء الدنيا وعذاب الآخرة .

فمن الآيات التى تحـــرك فى الوجـــدان نوازع الخير وتبعث على امتثال الأوامر الآلهيـــة :

قوله تعالى : **((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهـــم الذى ارتضى لهـــم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعـــد ذلك فاولئك هم الفاسقون))** (النور . آية : ٥٥) .

وقوله : ((**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**)) (النحل . آية : ٩٧) .

وقوله : ((**ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم**)) (النساء . آية : ١٣) .

ومن الآيات التى تنيم فى الوجدان نوازع الشر وتبعث فى النفس الخوف من الوقوع فيما نهى الله عنه :

قوله تعالى : ((**وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**)) (النحل . آية : ١١٢) .

وقوله : ((**وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون . ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون**)) (السجدة . الآيتان : ١٠ ، ٢١)

وخاطب القرآن العاطفة : لأن من الناس من لا يستجيب لدعوة الخير إلا إذا خوطب بما يهز عاطفته ويوقظ فى نفسه كوامن الحب والشفقة والرحمة ..

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو الى عمل البر والخير ، وأخرى تنهى عن ارتكاب بعض ما لا يليق بالانسان ، وهذه وتلك تأتى مقرونة بما ينبه العواطف الإنسانية ويثيرها حتى تكون المحرك الدافع لفعل الخيرات والمبرات ، والمثبط المعوق عن ارتكاب الحماقات والموبقات .

فمن الآيات المقترنة بما يحرك العواطف الدافعة الى فعل الخيرات والمبرات قوله تعالى :

((**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**)) (الإسراء . الآيتان : ٢٣ ، ٢٤) .

وقوله : ((**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**)) (الحجرات . آية: ١٠)

ومن الآيات المقترنة بما يحرك العواطف المعوقة عن ارتكاب الحماقات والموبقات .

قوله تعالى : ((**وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا**)) (النساء . الآيتان : ١٠ ، ٢١) .

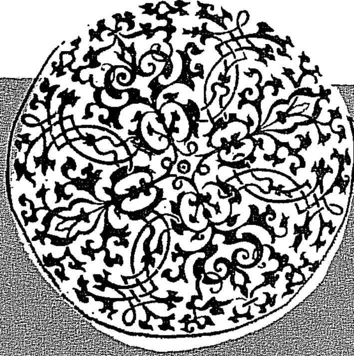
وقوله : ((**وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا**)) (النساء . آية : ٩) .

وقوله : ((**ولا تلمزوا أنفسكم**)) (الحجرات . آية : ١١) .

وقوله : ((**ولا تقتلوا أنفسكم**)) (النساء . آية : ٢٩) .

يريد أن المؤمن وأخاه كنفس واحدة ، فمن عاب أخاه فكأنما عاب نفسه ، ومن قتل أخاه فكأنما قتل نفسه .

... وهكذا يخاطب القرآن الكريم العقل والوجدان والعاطفة حتى يصل الى القلوب بتعاليمه ومفاهيمه من كل هذه النوافذ ، وتلك رحمة من الله بعباده الذين شرحوا صدورهم للقرآن ولم يوصدوا دونه هذه المنافذ ويضعوا عليها أقفالا من المكابرة والعناد ..



فن التجويد

هو موسيقى القرآن

للشيخ أحمد حسن الباقورى

سأل سائل ما الموسيقى ؟ فقال له صاحبه : فضــل من المنطق عجز الانسان عن تجليته باللسان فجلاه بالالحان . واذا كان هذا التعريف للموسيقى صحيحا وصادقا فى باب البيان فان الى جانبه تعريفا آخر لا يقل عنه صحة وسلامة فى باب تربية الأذواق وتهذيب الطباع وتقويم جوامح النفوس بل ان من الحيوان ما يستعين بالموسيقى . وما يتصــل بها على شــدائد ومتاعب فيتغلب عليها بها كما يشاهد ذلك واضحا بينا أولئك الذين يلاحظــون البعير يسير ثقيل الحمل شديد الظمأ فى لفح الهواجر ومن ورائه الحادى يحدو له فاذا هو مستطيع السير فى نشاط لم يكن ليجد السبيل اليه لولا هذا الحداء من ذى صوت حسن جميل .

وآية ذلك ما ترويه صحاح الاحاديث النبوية الشريفة من أن النجاشى حادى ابل رسول الله خرج يحدو ذات يوم وراء بعير ركبته احدى نساء النبى وكان النجاشى هذا رجلا رخيم المنطق حسن الصوت جميل الحداء . فكان كلما حدا على هذه الصورة أسرع البعير اسراعا شديدا يتأذى به راكبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أنجشه رفقا بالقوارير » .

فأنت ترى فى هذا الحديث النبوى الشريف أمرين يستوقفان النظر :

أحدهما : ان رسول الله خاطب النجاشي خطاب تدليل فقال له يا انجشه بدلا من يانجاشي . وثانيهما : أنه عليه الصلاة والسلام شبه النساء بالزجاج الرقيق « يا انجشه رفقا بالقوارير » . يعني تخفف من حسن حدائك وأمسك عليك بعض جمال صوتك حتى لا تسرع الابل أسراعا شديدا فيتأذى بذلك النساء اللواتي يركبنها لانهن من الرقة مثل الزجاج الذي يسرع اليه الكسر بأوهى الاسباب . فهذا الحداء لون من ألوان الموسيقى .

والموسيقى فن قائم على النغم والالحان وما يتعلق بذلك من العلوم والمعارف كما تقرر ذلك دائرة المعارف الميسرة — والموسيقى انواع كثيرة : منها ما ينسب الى جزيرة بالى من جزر الدولة الاسلامية الشقيقة « أندونيسيا » وقد كان هذا اللون من الموسيقى معروفا قبل الاسلام في اقليم جاوه ، فلما أكرم الله تعالى بالاسلام أهل تلكم البلاد الشقيقة انحسرت هذه الموسيقى وتجمعت في تلك الجزيرة ، جزيرة بالى .

ومن الموسيقى نوع ينسب الى بيزنطة عاصمة الدولة الرومية الشرقية القديمة ، ومنها نوع يعرف بالموسيقى التصويرية ، ومنها موسيقانا العربية التي هي مزيج من مختلف الوان الموسيقى تناوله اسلافنا بالصقل والتهذيب والترويض كما تناولوا كذلك فن الهندسة والعمارة فجاء كلا الفنين مطابقا لذوقهم وشاع مقترنا بهم حتى عرف بهم وعرفوا به ، اذ كان لهم به جهد واضح وكان لهم فيه أثر بالغ لا يجحده العارفون المنصفون . وهذه الألوان من الموسيقى تصحبها جميعا آلات الطرب من العود والناي والطبلة والقيثارة والقانون وما الى ذلك مما يعرفه أهل هذه الفنون .

وليس يستطيع أحد — بالغة ما بلغت جرأته على الحق وتداسته — ان يضع موسيقى القرآن الكريم بين هذه الألوان التي ذكرناها فان ذلك ، مما لا يدور به خيال في رأس مسلم فضلا عن أن يجرى به قلم على صحائف مجلة . ذلك ان القرآن الكريم له موسيقاه الخاصة به وقد أخذها أسلافنا عن أصحاب رسول الله وتقيد بها الاخلاف حتى يوم الناس هذا وهي ما نعرفه اليوم باسم تجويد القرآن الذي هو علم من علوم الدين ارتضته الامة وتلقته بالقبول حريصة عليه أشد الحرص ثم راحت تعلمه أولادها من بنين وبنات في المكاتب والمساجد سواء في ذلك أهل القرى وأهل المدائن فنبغ منهم في كل قطر نوابغ يتحدث عنهم التاريخ في زهو وفخار .

فاذا أنضم الى اتقان هذا العلم من العلوم الاسلامية الدينية ، جمال الصوت وصدق الأداء والتزام الحدود التي وضعها القراء فقد بلغ القارىء بذلك غاية ما يتطلع اليه من نباهة الذكر ورفعة الشأن عند الله وعند الناس .

وقد ظفرت مصر العربية المسلمة من هذه المفخرة بحظ عظيم ، خاصة مدينة طنطا حتى ان الناس اذا أرادوا الثناء على قارىء بجمال الصوت ودقة الضبط وحسن الاداء قالوا : ان قرآنه قرآن طنطاوي نسبة الى طنطا أو قرآن أحمدي نسبة الى مسجد سيدي أحمد البدوي رضى الله عنه ، وهم يعنون بذلك أن القارىء قد بلغ الغاية من الاحسان والاتقان وان المستمع قد بلغ أيضا من السعادة والاستمتاع .

وفن التجويد أو موسيقى القرآن ، يقوم أول ما يقوم على كون الكلمات القرآنية خفيفة النطق على اللسان جميلة الوقع في الاذان فليس في الكتاب الكريم كلمة بغير هذه الصفة ويجيء من بعد ذلك نظم الكلمات بعضها مع بعض خاضعا لقواعد مرسومة في الفن والمد والادغام والاظهار والقلب وهمس

الحروف وجهرها وتفخيمها وترقيقها والمد الطبيعى والمد المتصل والمد المنفصل والمد العارض للسكون . فهذه هى القواعد التى تقوم عليها وتتكون بها موسيقى القرآن الكريم .

ويبقى بعد ذلك تلوين الصوت وله صورتان : —

أولاهما : ما أشارت اليه الآية الكريمة : « **يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا** » . فالترتيل هو التزام التؤدة بغير إسراع فى القراءة ، لكى تكون كلمات القرآن واضحة بينة المعالم متناسقة تناسق الاسنان فى الثغر النضيد فأن الرتل فى اللغة هو حسن تناسق الشىء — يقول العربى : ثغر مرتل يعنى أن أسنانه حسنة التنضيد مستوية النبات لا يركب بعضها بعضا .

واقرب الامثلة للترتيل الصحيح فى عصرنا الحاضر قراءة الاستاذ الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى والاستاذ محمد صديق المنشاوى عليهما رحمة الله .

والصورة الثانية لتلوين الصوت : ما أشار اليه الحديث الشريف الذى اخرجه الامام مسلم فى الصحيح من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليس منا من لم يتغن بالقرآن « يعنى صلوات الله عليه ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن حين يقرأ . فكذلك روى عبد الله بن أبى يزيد قال : مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فاذا رجل رث الهيئة فسمعته يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » . فقلت : يا أبا محمد ارايت اذا لم يكن حسن الصوت ؟ قال يحسن صوته ما استطاع وكذلك ماروى من أن أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه كان ذات يوم فى المسجد يقرأ القرآن وكان رسول الله يستمع اليه دون أن يعلم أبو موسى باستماع النبى اليه فلما فرغ من قراءته قال له النبى مثنيا على حسن صوته بالقرآن : — « لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود » . فقال أبو موسى أو كنت تسمعنى يا رسول الله ؟ والله لو علمت بمكانك منى ، لحبرته لك تحبيرا . يعنى رضى الله عنه لزينته وحسنته ، فان التحبير فى لغة العرب تعنى التزيين والتحسين . واقرب مثال لهذا اللون من القراءة — فى مبلغ علمنا — قراءة الاستاذ الشيخ محمد رفعت رحمه الله مع أمثال له كثير فى الأحياء من القراء ذوى الأصوات الحسنة والاداء المضبوط اطال الله بقاءهم نعمة على الاسلام والمسلمين .

تلك هى موسيقى القرآن . ليست الا اتباعا لرسول الله ، ونزولا على حكمه ورضى بقضائه . وليست ابتداعا منحرفا ولا تجديدا هداما . وأولئك الذين يحاولون وضع القرآن فى لحون تستصحب الآلات الموسيقية من العود والرق والطبلة وما اليها ، انما يعرضون كتاب الله لاشد محنة تمتحن بها امتنا الاسلامية فى اقدس شىء لديها وأعز عزيز عليها وهو كتاب الله الكريم الذى هو منبع أفكارها وملتقى عواطفها ومستمسك بقائها ونمائها .

ان الدعوة الى تلحين القرآن مصاحبا بآلات اللهو والطرب ، كالدعوة الى كتابته بالأحرف اللاتينية : كلاهما هجوم وقح على قداسة القرآن العظيم لا يشك ذو بصر فى ان من ورائه يدا خبيثة تحركها عداوة متربصة تريد الحاق القرآن الكريم بالاغانى التى تميل مع الهوى بغير حدود ولا قيود فليحذر الذين لا يزالون يصرون على هذه الدعوة الخبيثة وأمثالها مما يزلزل قاعدة الاسلام ، ان تصيبهم بما يصرون عليه قارعة أو تحل قريبا من دارهم ..

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

التشريع الاسلامي

صالح لتنظيم المجتمعات المتطورة !

د. محمد سلام مدكور

الاسلام خاتم الشرائع السماوية وأعمها لشموله لأحكام الدين والدنيا فقد جاء منظما للحياة شاملا لكل نواحيها ، فقد تناول كل ما يتعلق بالعقيدة والاخلاق ومعاملات الناس أفراد وجماعات فى السلم والحرب وعلاقاتهم بخالقهم وبأسرهم وببعضهم البعض فى مختلف العصور وشتى العلاقات وما يتعلق بكل ذلك من القضاء .

واذا كانت العبادات وهى ما كان الغرض الأول منها التقرب الى الله لا تتأثر باختلاف البيئات أو تتابع الأزمان ، فان العادات وهى ما كانت لتنظيم علاقات الافراد والجماعات قد روعى فيها غالبا أعراف الناس ومصالحهم من أجل هذا جاءت أحكامها فى التشريع الاسلامى أصولا كلية وقواعد عامة مقرونة بعللها حتى يفهم أن الحكم ينبغى أن يكون مصاحبا لعلته ، فاذا زالت العلة ارتفع الحكم وتبدل بآخر يتناسب مع تغيير وجه المصلحة فى نطاق القواعد العامة للتشريع .

ولذا فان الكثير من هذه الاحكام المعللة والتى لم يرد بها نص خاص يحكمها وانما كانت وليدة استنباط مبنى على عرف سابق ، أو أساسها مراعاة مصلحــة . فانها قابلة لأن تتغير تبعا لتخلف العلة وتغير العرف وتبدل وجه المصلحة ..

والفقه الاسلامى تتسع أحكامه لجميع شئون الحياة وقد حكم فعلا رقعة كبيرة من المعمورة تمتد من الصين شرقا الى المحيط الاطلسى غربا ، وأخضعها كلها لأحكامه ، واذا كان الفقهاء فى العصور السابقة لم يعنوا بتقسيم الفقه وتبويبه العناية التى نلاحظها حديثا فى فقه القانون فان هذه كانت طبيعــة عصرهم ومنهجهم فى التقسيم والتبويب فى شتى نواحى العلوم والمعرفة . أضف الى ذلك أن القضاء عندهم فى صدر الاسلام متحد لم يعرف التخصص الدقيق ، فكان القاضى فى الغالب يقضى فى كل نزاع يعرض عليه دون أن يكون هناك اختصاص نوعى دقيق كما هو الآن . فلم يكن التقسيم والتبويب الدقيق لمسائل الفقه ذا أهمية لذلك .

وواقع الأمر أن الفقه الاسلامى تناول جميع النواحى التى تناولهـــا القانون سواء أكان ينظم علاقات الأمة الاسلامية بالافراد الأجانب المقيمين فيها أو المتعاملين مع أفرادها وهو ما يسمى حديثا بالقانون الدولى الخاص أم كان ينظم علاقة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم مما يسمى حديثا بالقانون الدولى العام أم كان ينظم العلاقات الداخلية فى الأمة عاما كالقانون الدستورى والادارى والمالى والجنائى أم خاصا كالقانون المدنى التجارى وما يتعلق بذلك من نظم المرافعات .

وهذه الأحكام جاءت فى النصوص مجملة حتى يكون لولاة الأمر بواسطة المجتهدين من الفقهاء والخبراء الفنيين الذين يستعين بهم المجتهدون الحق فى استنباط الاحكام حسب ما يتفق مع مصالح الناس ويساير زمانهم فى نطاق القواعد العامة للشريعة الاسلامية ودون أن يقيدهم فى ذلك نص موضوعى خاص ، وانما فى ضوء ما أرشدت اليه قواعد الشريعة من أن القصد انما هو تحصيل المصالح وحفظ النظام والحقوق وترقية الحياة . ولذا فان الاحكام لم تأت غالبا فى هذا القسم الا بما يشبه القوانين الكلية . يقول الله سبحانه وتعالى : «**ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**» . واننى سأعرض للقارىء ما يقابل كل فرع من فروع القوانين فى الفقه الاسلامى .

فمسائل القانون العام — ما يتعلق منه بمركز الدولة وكيانها وعلاقاتها بالدول الاخرى وهو ما يقابله القــانون الدولى العام تنــاوله كتاب الله فى ســورتى الأنفال والتوبة ، كما جاءت الســـنة بكثير من أحكامه ولنا فى المعاهدات التى عقدها الرسول صلى الله عليه وســلم وما نص عليه فى عقود الصلح وما أثر عن الصحابة أصل ومرجع .

واذا كانت الأمم قد أجمعت على احترام المعاهدات فان الاسلام أسبق منها فى الوفاء بالعهد امتثالا لأمر الله سبحانه فى قوله جل شأنه : « **وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم**) واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاهداته

التى منها ما احترمها خصومه فحافظ عليها ومنها ما نقضها الخصم فعاملهم بالمثل .

ومن قواعد الاسلام أن المعاهدات لا تنقض بجنايات بعض الأفراد من الدولة المعاهدة ، واذا وادع المسلمون قوما من المشركين فانه لا يحل لهم أن يأخذوا شيئا من أموالهم الا بطيب أنفسهم احتراما للعهد . ففقهاء المسلمين من قديم تناولوا علاقة الأمة الاسلامية بغيرها فى الحرب والسلم وما ينتج عنها ، وعنونوا لذلك فى كتب السير والمغـــازى وقد برع محمد بن الحسن الشيبانى الحنفى فى هذا وأخرج كتابين سمى أحدهما السير الكبير وسمى الآخر السير الصغير مما جعل رجال القانون الدولى يعتبرونه ابا لهم والفوا باسمه جمعية خاصة تبحث ما كتبه وقالوا عنه كما فى نشرة سكرتارية هذه الجمعية أنه خليق بأن يأخذ مكانه الحق بين رواد القانون الدولى العالميين كما أخرج أيضا الإمام الاوزاعى كتابا فى السير ورد عليه وناقشه فى وجهة نظر القاضى أبو يوسف الفقيه الحنفى .

أما ما يتعلق بالقانون الدستورى والادارى فان الفقهاء بحثوه تحت اسم السياسة الشرعية والأحكام السلطانية والإمامية او ما يؤدى هذا المعنى وقد أخرج بعضهم فى ذلك كتبا خاصة مثل ابن تيمية فقد أخرج كتابا باسم (السياسة الشرعية فى اصلاح الراعي والرعية) ومثل ابن القيم ، فقد أخرج كتابه (الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية) ومثل ابى الحسن البطرى المعروف بالماوردى صاحب كتاب الاحكام السلطانية ، وقد كان الكـــلام عن الخلافة ورياسة الدولة من صميم المباحث الفقهية .

واما عن القوانين المالية فان الفقهاء بحثوها ضمن أبحاثهم وكتاباتهم الفقهية عن الزكاة والعشور والخراج وعند بيان أحكام الكنوز المدفونة فى باطن الارض والركاز التى هى فى باطن الارض بحكم الطبيعة بل ومنهم من أفردها بالبحث والكتابة كأبى عبيد القاسم بن سلام فى كتابه (الأموال) وكأبى يوسف الفقيه الحنفى فى كتابه (الخراج) وكيحيى بن آدم القرشى فى كتابه (الخراج) أيضا ، فالناحية المالية والاقتصـــــادية وضعت لها فى الاسلام قواعد العدالة الاجتماعية ووضحت فيه معالم الطريق فى مدى حرية الاستثمار والتملك .

والعدالة الاجتماعية فى نظر الاسلام فى واقع الأمر مساواة انسانيـــة ينظر فيها الى تعادل جميع القيم بما فيها القيمة الاقتصادية والتنمية وهى على وجه الدقة تكافؤ فى الفرص وترك المواهب بعد ذلك تعمل فى الحـــدود التى لا تتعارض مع الأهداف العليا وهذه مفخرة للاسلام يزهو بها على جميع النظم الاجتماعية .

واما القانون الجنائى فقد تناوله الفقه الاسلامى وجعل الجنـــــاية لا يتحمل مسئوليتها غير الجانى بعد أن كانت القبيلة كلها تتحمل مسئولية هذا ، وتكلم على الجريمة والعقوبة والجرائم التى عقوبتها محدودة والجرائم التى تركت فيها تقدير العقوبة لولاة الأمر ومن بعدهم القضاة ، وتناولت

الشريعة الاسلامية حكم العفو عن الجريمة وأثر ذلك فى سقوط حق المجنى عليه وحق العامة وفى سقوط العقوبة .

وبين أنه لا جريمة ولا عقوبة الا بنص .. وانه لا حكم لأفعال العقلاء قبل ورود النص وذلك أخذا من قوله تعالى : « **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** » ولم يجعل الاسلام للنصوص الجنائية أثرا رجعيا الا ما كان تطبيقه فى صالح الجانى والا الجرائم الخطيرة التى تمس الأمن العام وذلك على سبيل الاستثناء من قاعدة عدم رجعية القوانين ولم يجعل الاسلام لدم أحد فضلا على دم آخر وانما الناس جميعا سواء أمام القانون الاسلامى . بل أجمع الفقهاء على أن السلطان نفسه ينبغى أن يقتص منه ان تعدى على أحد أفراد رعيته بالقتل العمد العدوان اذ ليس فى الاسلام من هو فوق القانون أو من يخضع لرغباته وأهوائه .

والاسلام وان اقر عقوبة القصاص من القاتل العمد العدوان الذى سلب حياة المجنى عليه بغير حق ويتم أطفاله وروع المجتمع وتحدى شعور الجماعة فانه لم يتغال فى ذلك وانما قصر مسئولية الجناية على الجانى وجعلها بقدر جنايته دون مغالاة يقول الله : « **وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** » ومع هذا فقد حبب العفو الى النفوس : « **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** » .

والاسلام وان جعل حق العفو لولى الدم فانه لم يقصر حق طلب القصاص عليه كما أنه ليس لولى الدم على الراجح أن يستوفى حق القصاص بنفسه لأن تخليص الناس بعضهم من بعض من وظيفة الحكام .

واذا أخذت الشفقة بعض الناس على السارق اذا أقيم عليه الحد فان الأجدر بهم أن تأخذهم الشفقة بالآمنين الذين روعهم هذا السارق فى مأمنهم واعتدى على حرمتهم وعرض حياتهم للخطر اذا ما أحسوا به وقاوموه .

فان الاحصائيات فى بعض البلاد دلت أخيرا على أن القتلى بسبب السرقة فى العام الواحد أكثر من سبعين فردا ، هذا بخلاف من يصابون من الفزع بأمراض مستعصية وفضلا عن فقدانهم ما ادخروه وكانوا فى حاجة له لعلاج أو طعام أو سداد دين ..

ومع هذا فان الحدود فى الاسلام تدرأ بالشبهات ، اى أن الشك يفسر لصالح المتهم كما أن الاسلام فتح أمام المذنب باب التوبة حتى لا يفقد الأمل فى ثقة المجتمع فيه وانه يغفر له ذلته ، ولذا فانه شرع العفو عن بعض الجرائم وجعله من حق القاضى اذا رأى فى ذلك علاجا لنفس المجرم وشفاء لها ..

ومن ذلك فان الاسلام حث على عدم تعيير المجرم بجريمته حتى لا تستمرىء نفسه طريق الاجرام ، يروى أن رجلا اقيمت عليه عقوبة شرب الخمر فقال له آخر : أخزاك الله .. فغضب النبى عليه السلام وقال : لا تعينوا عليه الشيطان .

وأما القانون الخاص فان حظه فى الفقه الاسلامى أوفر وأوفى وخاصة

فيما يقابل القانون المدنى وما تفرع منه وقانون المرافعات . فقد تنـــاولها الفقهاء بعمق وتفصيل وتأصيل دقيق لمعاملات الناس وصلاتهم المالية وأبانوا الحقوق والاموال وطرق التملك وما يتعلق بذلك من التزامات وضمانات وتكلموا عن الشركات بأنواعها وشروط تكوينها وأحكامها بل أفردوا لهـــا أبوابا خاصة وتكلموا عن المدين المعسر والمفلس والمماطل وتناولوا الشخص من ناحية أهليته وولايته وما يعرض لهذه الاهلية والولاية .

كما تناول الفقه الاسلامى التضمين وهو ما يقابل فى الاصلاح القانونى المسئولية المدنية كما تناول المسئولية عن فعل الغير ما دام فى رعايته وتحت يده مما يعرف حديثا باسم مسئولية المتبوع .

كما أفردوا للقضاء والدعوى والشهادة أبوابا خاصة بينوا فيها نظام التقاضى والحدود التى لا يتعداها القاضى ولا المتقاضى ونظموا الاجراءات القضائية ووضعوا قواعد الدعاوى وبينوا طرق الاثبات وطـرق الطعن فى الأحكام الى غير ذلك مما هو مبين تفصيلا فى كتب القضاء والدعوى والبينات .

أما الأحكام التى تخضع لها معاملات المسلمين مع غيرهم من المواطنين من أهل الديانات السماوية الأخـــرى ومن الأجانب المقيمين اقامة مؤقتة بعقد أمان ومن الاعداء الذين بيننا وبين بلادهم حرب وعداء ولم تكن بيننا وبينهم معاهدات أمن وصداقة . كل هذا تكلم عنـــه الفقهاء وقالوا إن غير المسلمين من المواطنين ممن ذكرنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا الا فى أمور دينهم فقد أمرنا أن نتركهم وما يدينون .

وهكذا فى الغالب بالنسبة للمستأمنين من الأجانب غير المسلمين الذين دخلوا فى بلدنا بعقد أمان . أما الحربى فقد عرف الفقهاء قاعدة المعـــاملة بالمثل ، ومن البين أن دار الاسلام وطن لكل مسلم مهما اختلفت جنسيته .

فالفقه الاسلامى بمصادره المرنة التى منها مراعاة المصالح التى لم يعارضها نص والتى منها أعراف الناس كذلك وضع لكل ناحية من حياة البشر وتصرفاتهم أصلا يتبع وقاعدة يقاس عليها لذا فانه يساير الزمان ويصلح لكل مكان . بل نجد البلاد المتحضرة أخذت ببعض نظريات الفقه الاسلامى القانونية وعدلت عن ما كانت عليه من قبل .

ومن ذلك نظرية التعسف فى استعمال الحق ، فقد كانت القوانين قديما والى عهد قريب تتجه الى أن الحقوق طبيعية ثم اتجهت وجهة الفقه الاسلامى فى أنها منحت له غاية الأمر أنهم يقولون أنها منح قانونيـــة منحهـــا ايـــاهم القانون وهى فى الفقه الاسلامى منح الهية منحها اياهم الله ومن ذلك عدول كثير من القوانين عن الأخذ بالقانون الرومانى والزام الوارث بما على المورث من دين . وجنوحها تجاه الفقه الاسلامى من أن الوارث خليفة المورث فى نطاق تركته .

وقد راعى الفقه الاسلامى مصالح الناس ، ولما كانت المصالح متغايرة والعادات فى بعض البلاد متباينة نجد بعض أحكام المعاملات التى لم يحكمها

نص معين تتأثر بذلك فتبدل تبعا لتبدل المصلحة ، ولذا فان الامام الشافعي قد تأثر فى الأحكام الخاصة بالمعاملات بالبيئة ولما انتقل الى أقاليم مختلفة متباعدة غير الكثير من هذه الأحكام ، وهذا أبو يوسف الفقيه الحنفى الذى تولى رئاسة القضاء فى عصر هارون نجده عدل فى الخراج الواجب على الارض ـــ الضرائب ـــ عما كان عليه مقداره أيام عمر بن الخطاب ، وقد كان أبو حنيفة وأصحابه يمنعون اعطاء أجر على تعليم القرآن وعلوم الدين لأن العطايا كانت تبذل لهم من الدولة فلما انقطعت هذه العطايا أباح ذلك المتأخرون من فقهاء المذهب بل ذهب أبو يوسف الفقيه الحنفى الى أن الاحكام التى وردبها نص اذا كانت قد بنيت على عرف الناس وقت ورود النص ثم تغير هذا العرف الى شىء آخر فانه يرى ابتناء الحكم على العرف الطارىء .

وهذا عمر بن عبد العزيز يرفض قبول الهدية مع أنه روى أن الحاكم فى زمن الرسول كان يقبلها ويعلل رضى الله عنه لذلك فيقول : إن الهدية كانت فى زمن الرسول هدية واليوم رشوة .

ويقول القرافى الفقيه المالكي : إن كل ما هو فى الشريعة يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغير العادة المتجددة من اجل هذا نجد القرآن وهو المصدر الأول للتشريع لم يتناول بالتفصيل أحكام المعاملات المالية وأحكام الجنايات وما يتعلق بالقضاء وعلاقات الدولة الاسلامية بغيرها فى السلم والحرب وما شابه ذلك مما يتغير بتطور البيئة وانما دل عليها بوجه عام حتى يكون ولاة الأمر فى كل عصر فى سعة من أن يفصلوا قوانينهم حسب المصالح وفى حدود أسس القرآن .

ومن هذا العرض السريع يرى القارىء أن التشريع الاسلامى بمصادره المرنة صالح لتنظيم المجتمعات فى كل عصر ، وتتسع قواعده لكل جديد يعود على المجتمع بالنفع والخير ما دام لا يتعارض مع النصوص الاصلية ، فشريعتنا تقدمية لا تقف فى سبيل اسعاد المجتمع بحال وهذا ما شهد به كبار الخبراء فى الادارة العليا بالولايات المتحدة فى تقرير لهم جاء فيه : أن الثقافة الاسلامية تشجع الانسان على استخدام عقله فى تقدير مقتضيات العالم الحديث .

ويجب أن نعلم أن كل شريعة تكون حيويتها وازدهارها بمقدار ما يكون لها من سلطان . ومتى ضعف هذا السلطان ضعفت الحيوية حتما .

واذا كانت الدساتير فى أغلب البلاد الاسلامية نصت على أن الشريعة مصدر أساسى للقوانين فانه ينبغى أن يكون لذلك مظهر فى السلوك والتنفيذ .

واذا خلصت النية وصدق العزم أمكن بكل يسر وسهولة أن نحتكم فى جميع تصرفاتنا وعلاقاتنا الى الفقه الاسلامى بمجموع مذاهبه ونكون دولة متقدمة قوية تأخذ بأسباب الرقى والصلاح فى ضوء قواعد الاسلام وتوجيهاته الخلقية السامية .. وفق الله أمتنا وقادتنا الى ما فيه الخير لنا وربطنا بالاسلام ربطا قويا .

مائدة القارئ

الأدب مع الرسول

لما نزل قول الله تعالى :

((يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون)) .

اغلق ((ثابت بن قيس)) عليه داره ، وطفق يبكى ، وافتقده الرسول فسال عنه ، ثم ارسل من يدعوه ، وجاء ثابت ، وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب غيابه فاجابه :

انى امرؤ جهير الصوت ، وقد كنت أرفع صوتى فوق صوتك يا رسول الله واذن فقد حبط عملى ، وانا من أهل النار .

واجابه الرسول عليه الصلاة والسلام :

انك لست منهم ، بل تعيش حميدا ، وتقتل شهيدا ، ويدخلك الله الجنة .

وقد استشهد فى موقعة اليمامة رضى الله عنه وأرضاه .

أبو الدرداء

مر « أبو الدرداء » يوما على رجل قد أصاب ذنبا ، والناس يسبونه ، فنهاهم وقال : أرأيتم لو وجدتموه فى حفرة .. الم تكونوا مخرجيه منها .. قالوا : بلى .. قال : فلا تسبوه اذن ، واحمدوا الله الذى عافاكم .. قالوا أفلا تبغضه .. ؟ قال : انما أبغض عمله ، فاذا تركه فانه أخى .

دعوة سعد

سمع سعد بن أبى وقاص رجلا يسب عليا وطلحة والزبير ، فنهاه ، فلم ينته ، فقال له : اذن أدعو عليك ، فقال الرجل : أراك تهددنى كأنك نبى .. !!

فانصرف سعد وتوضا وصلى ركعتين ، ثم رفع يديه وقال : ان كنت تعلم ان هذا الرجل قد سب اقواما سبقت لهم منك الحسنى ، وانه قد أسخطك سبه أياهم ، فاجعله آية وعبرة .

فلم يمض غير وقت قصير حتى خرجت من احدى الدور ناقة لا يردها شىء حتى دخلت فى زحام الناس ، كأنها تبحث عن شىء ، ثم اقتحمت الرجل فاخذته بين قوائمها ، وما زالت تتخبطه حتى مات .

أبــو هريــرة

اسمه فى الجاهلية (عبد شمس) ولما أسلم سماه الرســـول (عبد الرحمن) وكان عطوفا على الحيوان ، وله هرة يطعمها وينظفها ويؤويهـــا ويحملها وكانت تلازمه كظله ولهذا دعى أبا هريرة .

عرض عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الولاية ، فأباها واعتذر عنها قال له عمر : ولماذا ؟ قال : لا حتى لا يشتم عرضي ويؤخــذ مالى ويضرب ظهرى وأخاف أن أقضى بغير علم ، وأقول بغير حلم .

وعن ثمان وسبعين سنة مات فى العام التاسع والخمسين للهجرة وبين ساكنى البقيع الأبرار رقد جثمانه الى يوم الدين .

طلحــة الخير

طلحة بن عبد الله من أصحـــاب رسول الله ، وكان أكثر المسلمين ثراء وأنماهم ثروة ، وكانت ثروتــه كلها فى سبيل الله . كان ينفق منها بغير حساب ، وكان الله ينميهـــا له بغير حساب ولقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بـــ (طلحة الخير) و (طلحة الجود) و (طلحة الفياض) حدثت زوجتـــه ((ســـعدى بنت عوف)) فقالت :

دخلت على طلحة يوما فرأيتـــه مهموما ، فسألته : ما شأنه ؟ فقال : المال الذى عندى قد كثر حتى أهمنى وأكربنى ، وقلت له : ما عليك أقسمه فقام ودعا الناس وأخذ يقسمه بينهم حتى ما بقي منه درهم .

رؤيا عبد الله بن عمر

قال عبد الله بن عمر رأيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن بيـــدى قطعة استبرق ، وكأننى لا أريد مكانا من الجنة الا طارت بى اليه ، ورأيت كأن اثنين أتيانى ، وأرادا أن يذهبا بى الى النار ، فتلقاهما ملك ، فقال : لا ترع ، فخليا عنى ، فقصت حفصة — أختى — على النبى صلى الله عليه وسلم رؤياى ، فقـــال : نعم الرجل عبد الله . لو كان يصلى من الليل فيكثر .

ومن ذلك اليوم الى أن لقى ربه لم يدع عبد الله قيام الليل فى حله ولا فى ترحاله .

وأهداه يوما صـــديق وعاء مملوءا ، وسأله ابن عمر : ما هذا ؟ قال : دواء عظيم جئتك به من العراق ، قال : وماذا يطيب هذا الدواء ؟ قال : يهضم الطعام . فابتسم ابن عمر وقال لصاحبه : يهضم الطعام .. انى لم أشبع من طعام قط منذ أربعين عاما .


دورة تدريبية
على ضرورات
الحياة
الناجحة

للدكتور : أحمد الحجى الكردى

يعمد المسؤولون فى الدول المتقدمة المتحضرة الى عقد دورات تدريبية لجماعات كبيرة من المواطنين الذين يعنون بالقيام بمتطلبات المجتمع الذى يعيشون فيه من زراعة وصناعة وتربية وتعليم وحفظ أمن وغيرها ، وذلك بين حين وآخر من الزمن لضمان متابعة هذه الجماعات ما استجد من نظريات العلم وما استحدث من الوسائل الفنية التى تمكنهم من أداء خدماتهم والقيام بواجباتهم على وجه أمثل وبوقت أقصر وجهد أقل ، ولئلا تذهب تلك الجهود العلمية الكبيرة التى يبذلها العلماء والمخترعون فى شتى مناحى متطلبات الحياة هدرا ، فتكون حبرا على ورق وجهودا ضائعة فى الهواء كما هو الحال فى بعض البلدان المتخلفة حيث تضيع فيها الجهود العلمية الكبيرة التى كان يمكن أن تستغل ويستفاد منها فائدة كبيرة .

فتعقد هذه الدول المتقدمة دورات تدريبية للمدرسين فى فصل الصيف وفى أوقات الاجازات الطويلة يطلعون من خلالها على أحدث الطرق التعليمية التى ظهرت ، وأحدث وسائل الايضاح التى ابتكرت ، كما يطلعون على ما استجد من نظريات العلم المتعلقة باختصاصهم فيستفيدون من هذا كله فى مجال عملهم ويكون مردود انتاجهم أكبر ، وجهدهم الذى يصرفونه فى هذا السبيل أقل ، وبالتالى مقدار مساهمتهم فى بناء المجتمع الذى يعيشون فيه أعلى وأجدى وأوسع .

وقد نهجت هذا المنهج فى ميدان التدريس بعض الدول المتخلفة (النامية) أيضا فبدأت تعقد دورات تربوية فى فصل الصيف للمدرسين الذين لا يحملون مؤهلات تربوية ، وأثبت ذلك نجاحا وفائدة ملموسة أشاد بها كثير من المعنيين فى أمور التربية فى هذه الدول .

كما تلجأ الدول المتحضرة أيضا الى عقد دورات للعمال فى شتى الاختصاصات يطلعون من خلالها على أحدث الطرق التى يمكن لهم أن يستفيدوا منها فى مجال عملهم ، كما يتمتعون من خلال هذه الدورات ببعض المتع النفسية والجسمية وفقا لبرنامج يعد خصيصا لهذه الدورات ، وبذلك يتوفر لهؤلاء العمال معلومات نافعة وأساليب حديثة فى العمل مفيدة ، ونفسيات وأجسام قوية قادرة على متابعة العمل بهمة ونشاط تزول معه كل مترسبات العمل الماضى المضنى الذى لا بد وأن يكون نال من هممهم وأجسامهم .

كما يعمد المسؤولون فى تلك الدول الى عقد دورات تدريبية لأفراد القوات

المسلحة الذين انتهت خدمتهم الالزامية ، إذ تستدعيهم بين الحين والآخر للتاكد من استدامة استعدادهم لخدمة بلادهم ولاطلاعهم على ما استجد لديها من أسلحة جديدة وأساليب قتال حديثة ، بل ان هذه الدورات لا تقتصر على من أنهوا خدمتهم الالزامية فقط ولكنها تتعداهم الى الأفراد العاملين الذين دربوا على أسس قديمة وأسلحة توفر للجيش أفضل وأحدث وأجدى منها .

ومثل هذا يحدث للموظفين والفلاحين ، بل وللقضاة والمحامين وجميع أفراد الشعب العاملين فى مختلف حقول الخدمات الاجتماعية .

ويعتبر بعض العلماء أن عقد هذه الدورات والتنبه لها من معطيات الحضارة الحديثة ، ومن ابتكار الدول المتقدمة المتحضرة مما لم تعرفه دولة متخلفة ، ولم تات به حضارة متقدمة على حضارتهم .

لكن هذا القول من العلماء (فى نظرى) غرور وجهل بالتاريخ وتطرف ذلك أن الشريعة الاسلامية التى جاءت بمنهج كامل للحياة ، وبنظام تام متكامل لكل متطلباتها أوضحت معالم هذا الاتجاه الذى يزعم البعض أنه جديد لم تسبق الدول المتقدمة الى مثله .

فهذا رمضان فرض الله تعالى صيامه على المسلمين المكلفين فى كل عام ، ومعلوم لدى جميع الناس على اختلاف أديانهم أن ذلك لم يكن إلا لمصلحة الصائمين أنفسهم فقط لأن الله هو الغنى المطلق سبحانه وتعالى .

وما رمضان فى حقيقته إلا دورة تدريبية للمؤمن ، ولكن لا على فن التدريس لأنه ليس خاصا بالمدرسين، ولا على فنون القتال لأنه ليس خاصا بالجنود وأفراد القوات المسلحة ، ولا على أساليب الزراعة والصناعة والتجارة .. لأنه ليس خاصا بالصناع والتجار والزراع ..

ولكنه دورة تدريبية على متطلبات الحياة الضرورية عامة ، تلك المتطلبات التى يحتاجها التاجر ضمن متجره وخارجه ولا غنى له عنها ، ويحتاجها المدرس عند قيامه بواجبه التدريسى وقبله وبعده ، ويحتاجها الصانع والفلاح والجندى .. فى أثناء عملهم وقبله وبعده على حد سواء .

هو دورة تدريبية للانسان بموجب صفته الانسانية على ما تتطلبه وتحتاجه هذه الصفة من اعمال وعلوم ومتطلبات كثيرة .

وقد أقام الله سبحانه هذه الدورة ونظم لها من البرامج ما يجعلها تستوفى كل حاجات الانسان فى الحياة لا تنقص منها واحدة وبايسر الطرق الممكنة واقلها كلفة مما يجعلها مفتوحة أمام جميع الناس على حد سواء الغنى منهم والفقير ، والنسيب والحقير ..

ففى الصوم تدريب على الصبر ، وما أحوج الانسان الى الصبر فى حياته ، الصبر على طلب الرزق من طريقه الحلال رغم صعوبته وقسوته وتوفره من طرق أخرى ملتوية سهلة فى كثير من الأحيان ، والصبر على تحمل أذى الجار والصديق مع تيسر صده ومعاقبته والانتقام منه فى أحيان كثيرة ، والصبر فى احتمال صدمات الحياة ومصائبها دون أن تخور الهمة أو تنى العزيمة .. وأى شيء غير الصوم يصلح مدربا على الصبر على مشاق الحياة وهمومها ومعضلاتها ، فان الانسان اذا صبر على ترك طعامه وشرابه طوال يوم قد يمتد الى خمس عشرة ساعة أو أكثر احيانا رغم توفره بين يديه ونظره اليه فهو على ترك أذى الجار عند قدرته عليه أصبر ،

وعلى تحمل أذى الصديق وفى الصمود عند سماع نبأ مفجع أصبر بالتأكيد ، لأن شهوة البطن من أشد الشهوات الانسانية قوة وعنادا اذا ما استثيرت أو هيجت وفى مضمون هذا المعنى قال النبى ــ صلى الله عليه وسلم : ((فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه احد أو قاتله فليقل انى صائم)) (متفق عليه) .

وفى الصوم تدريب على اتباع النظام ، حيث أن على المسلم أن يبداه فى لحظة معينة من اليوم هى طلوع الفجر الصادق ، ولا يجوز له ان يؤخره عنها ثانية واحدة كما يجدر به الا يبدأ قبلها دفعا للمشقة الزائدة عن نفسه ، كما أن عليه أن يفطر فى لحظة معينة من اليوم هى غياب الشمس ولا يجوز أن يفطر قبلها ولو بثانية واحدة أيضا ، ويجدر به أن لا يؤخر الافطار عنها أيضا على وجه الأفضلية دفعا للمشقة الزائدة عن نفسه .

هذا النظام ما احوجنا اليه فى حياتنا ، فى طعامنا أمنا من التخمة ، وفى نومنا توفيرا لصحتنا ، وفى مواعيدنا مع الآخرين وفاء بحق الانسانية والصدق علينا ، وفى دراستنا ورياضة جسمنا والترفيه عن نفوسنا .. وأى شىء أفضل من الصوم على الوجه المتقدم معلما للنظام ، فان من يلتزم باتمام الصوم الى غروب الشمس ويمتنع عن الطعام والشراب رغم حاجته اليه حتى لحظة معينة من اليوم لا يتقدمها بثانية واحدة هو على الالتزام بوفاء المواعيد .. أقدر دون شك .

وفى الصوم أيضا تهذيب للضمير وتربية للعواطف الانسانية النبيلة وترويض لمكارم الأخلاق وتصفية للنفس وتصعيد للميول . إذ بالصوم تضعف الحيوانية فى الانسان وتتالق الانسانية فيه ، فيتغلب العقل على الشهوات ويمسك بزمامها ويسيرها وفقا لمتطلباته الخيرة ، وهذه الحالة لا يشعر بها ويدركها على حقيقتها الا من مارس الصوم فعلا ، إذ هى حالة تعرف بالحس أكثر مما تدرك بالعقل ، فالطعام الكثير والرفاه الزائد يطلق للشهوات الحيوانية فى الانسان العنان مما يجعل من الصعب على العقل بعدذلك قيادتها والتحكم فى خط سيرها . وقد أشار الى هذا المعنى سيد الحكماء محمد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال مخاطبا الشباب : ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء)) (متفق عليه) . وهذا المعنى الذى أشار اليه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمر مشاهد ملموس ، ففى رمضان وحده يشعر الأغنياء بالم جوع الفقراء ذلك أن هذا الألم لا يعرف بالوصف ولكنه يعرف بالممارسة وأنى لهؤلاء الأغنياء المترفين أن يجوعوا مع قدرتهم وتمكنهم من الطعام والشراب طيلة العام لولا رمضان ، فاذا شعروا بذلك انطلقت أيديهم بالمعونة لهؤلاء الفقراء انطلاقا عفويا نابعا من أحاسيس النفس ، غير مفروض عليهم بقانون أو سلطة خارجية ، وما أحوجنا الى هذا الاحساس وهذا العطاء العفوى فى كل زمان ومكان .

كما نجد المنحرفين عن جادة الصواب ، الغائصين فى الموبقات يرجعون الى ربهم فى هذا الشهر الكريم ، ويتوبون الى بارئهم توبة نابعة من ضمير رباه الصوم ، واحساس أرهفه الجوع فى سبيل الله تعالى . فكم من شارب للخمرة هجرها فى رمضان ومن مرتكب للزنا اعتزله فى رمضان ولم يعد اليه ،

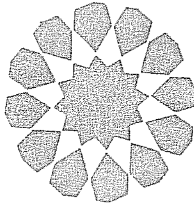
ومن تارك للصلاة عاد اليها فى رمضان ، وقاطع للرحم وصلها فى رمضان ..

وفى الصوم دروس فى التربية الصحية لا يستطيع غيره تأديتها ، فان أجهزة الجسم كلها وبخاصة جهاز الهضم تعمل فى البدن طيلة السنة ليل نهار ، لا تهدأ ولا تسكن عن الحركة ساعة واحدة ، وهذا العمل المتواصل الدائب مجهد لها بطبيعة الحال تحتاج معه الى فترة من الراحة تتمكن بها من متابعة الطريق الطويلة الممتدة على طول عمر هذا الانسان ، وأى طريق يؤمن لها الراحة التى تنشدها غير الصوم ، حيث ترتاح فيه المعدة والامعاء طيلة النهار على امتداد شهر كامل راحة تامة يستحيل أن تتوفر لها بغير الصوم ، وبراحة المعدة وما يلحق بها من أجهزة البدن ترتاح الاجهزة كلها كجهاز الدورة الدموية ، والجهاز العصبى .. نظرا لارتباط هذه الاجهزة ببعضها ارتباطا عضويا وثيقا .

وقد عرف الطب الحديث الصوم علاجا ووقاية لكثير من الأمراض المستعصية ، بل قرر كثير من الاطباء أن الصوم هو الدواء الوحيد لبعض الأمراض منها أمراض القرح المعدية وغيرها .

وليس كثيرا على البدن أن يرتاح شهرا كل عام من عناء مستمر يقوم به طيلة العام ، فهؤلاء الموظفون فى شتى أنحاء العالم يمنحون اجازة شهر كل عام للترويح عن نفوسهم والتخلص من آثار العناء الذى يقومون به فى عامهم ، وليتمكنوا من استقبال عملهم من جديد بجد ونشاط ، وهؤلاء الطلاب فى كل بقاع الدنيا يتوقفون عن الدراسة مدة تزيد على الشهر كل عام طلبا للراحة والاستجمام ، وكذلك الحال فى القضاة والأطباء والصيادلة والعمال وغيرهم .. وهم يقومون بأعمال أقل من الاعمال التى تقوم بها أجهزتهم الداخلية ، حيث أن هذه الأجهزة تعمل فى اليوم الواحد أربعا وعشرين ساعة وهم لا يعملون أكثر من ست ساعات أو تسع ساعات على الأكثر ، هذا بالاضافة الى أن عملهم هذا ما هو الا عمل وارهاق للاجهزة الجسمية التى يتألف منها البدن بطبيعة الحال .

وفى الصوم دروس كثيرة أخرى يضيق المجال عن تعدادها فى هذا المقال . ويكفينا تنويهنا بفوائده وضرورته أن نعلم أن الصوم كان شرعة الله لكل عباده مذ خلق آدم حتى بعثة محمد — صلى الله عليه وسلم — وهو شرعة باقية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وذلك مصداقا لقوله تعالى فى كتابه الكريم: ((يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)) (البقرة ١٨٣) وقول النبى — صلى الله عليه وسلم ((كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به)) (متفق عليه) .



بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق

للاستاذ أحمد التاجى

كان محمد معروفا بين قومه وبين الناس أنه لا يقــرأ ولا يكتب كمعظم القرشيين . ولم يؤثر عنه أنه ادعى في قومه الحكمة أو الشعر أو المرافة أو شيئا من هذا القبيل . حتى بلغ سن الأربعين . فإذا هو يفاجأ ــ وهو فى غار حراء يتحنث ــ (١) بشخص يهبط من السماء ، ويقول له : اقرأ .

هذه أول كلمة قالها جبريل للنبى (صلى الله عليه وسلم) حينما ضمه الى صدره على جبل حراء . والذى يستطيع القراءة هو الذى تعلم الكتابة . والنبى (صلي الله عليه وسلم) كما قدمنا لم يكتب ، ولم يقرأ .

« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك » (العنكبوت ٤٨) .

لذلك استغرب النبى (صلى الله عليه وسلم) أن يؤمر بالقراءة ، وهو لا يستطيعها .

ولكن جبريل كرر الأمر عليه ثلاثا . ثم قال له :

اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق ..» .

فعملية القراءة كانت للنبى (صلى الله عليه وسلم) يومئذ عملية خلق جديدة ، تشبه عملية خلق الانسان من علق . والذى استطاع خلق الانسان يستطيع خلق القراءة فيه بدون أن يتعلمها كالناس .

ولو كان عمل النبى (صلى الله عليه وسلم) حفظ ما يلقى عليه جبريل ثم ترديده من بعده ، لما خاطبه بلفظ اقرأ . ولكان أولى بأن يخاطبه بلفظ «اسمع» أو « احفظ » . أو « قل » . أو ما أشبه ذلك .

---

(١) يتعبــد .

ولكنه افتتح خطابه بلفظ القراءة ، حيث كانت العملية عمليـــة خـــلق وتصنيع فى القلب . حتى يقوم بها ، ويؤديها . فإن قراءة الذى لا يكتب غير قراءتنا .

فأعيننا نحن تلتقط صور المقروء ، فترسلها الى مراكز الفكر ، فيتحـــرك اللسان بلفظ المقروء .

ويستطيع الوحى أن يطبع صور المقروء فى قلب نبينا (صلى الله عليه وسلم) فيحسه الرسول بقلبه ويدركه ادراكا صحيحا واضحا ، ويتحرك لسانه بتلك الألفاظ والصور المطبوعة فيقرأ .

فالوحى عزل جهاز البصر عن عمله ، وأحل محله البصيرة أو القلب .

فصار القلب يتحسس ويقرأ ، ثم هو لا يخطىء كالعين . فما نقش فى القلب لا يعتريه الخطأ ، وقد يكون منقوشا بأحرف من النور . فهو يضىء فى نفسه أبدا .

قال تعالى :

((**وكذلك أوحينا اليك روحـــا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتـــاب ولا الايمان . ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا . وانك لتهدى الـــى صراط مستقيم**)) (الشورى ٥٢) . فالروح هو القرآن ، وهو نور يهدى الله به نبيه ، وهو المقصود بقوله ((**من نشاء من عبادنا**)) . ونبيه (صلى الله عليه وسلم) يهدى به الناس الى صراط مستقيم ..

ثم إن النبى (صلى الله عليه وسلم) الذى نقش هذا النور فى قلبه لا يعتريه النسيان كما يعترى كافة الناس . قال تعالى :((**سنقرئك فلا تنسى**)) (الاعلى ٦) . أى لا يجوز عليك النسيان أبدا .

وما دام الأمر كذلك . فهو يقول له : ((**لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه وقرآنه**)) . أى لا تتعجل حفظه بتحريك لسانك به . فالله قد تكفل لك بذلك . لذلك اتبع بقوله : ((**فاذا قرأناه فاتبع قرآنه**)) (القيامة ١٨) .

ومعنى قرأناه : جمعناه فى قلبك وطبعناه . فاتبع قرآنه : أى اقرأ ما طبعناه فيك . فالعملية قد تكفل بها المولى عز وجل ، وتكفل بصيانتهـــا من الخطأ واللبس على توالى الزمن . فلا تلتبس آية بآية ، وكثير منها المتشابهات لفظا ومعنى . ولا يختلط لفظ بلفظ . لأنها كاشرطة مسجلة من النور مطبوعة فى قلب منير .

قال تعالى : ((**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**)) . (الحجر ٩) .

أى لحافظونه فى قلب الرسول الأمين ، لا يفلت منه حرف ولا آية .

وما دام الله قد تكفل بحفظ كتابه فى قلب نبيه حق له أن يخلق قلب نبيه خلقا جديدا ، يختلف عن قلوب الناس حتى لا ينسى . وقد فعل .

فإذا ما تم نزول القرآن عليه رتبه فى قلبه آية بعد آية ، وسورة بعد سورة ، فيقدم الله ما شاء من الآيات ويؤخر ما شاء ، حتى يحكم الله آياته فى تلك السور . ثم يطبع ذلك فى قلب نبيه ، ويثبت فيه السور والآيات كما يشاء الخالق لا كما يشاء الناس .

((**وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ، قالوا : إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ..**)) (النحـــل ١٠١ ، ١٠٢) .

وحين أتم الله كتابه على رسوله أنزل عليه ((اليوم أكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا)) (المائدة ٣) .

فكان ذلك خاتمة لقوله تعالى : ((اقرأ باسم ربك الذى خلق ..)) .
اى اقرأ بأمره وقدرته ، فهو الذى خلق هــذا الخلق فيك ((إنما امره إذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون)) (يس ٨٢) .

يقولها بالأمر فيستجيبه له كل شيء . فالأمر أمر تكوين .

قاله للنبى الأمى اقرأ . وظن محمد انه لا يستطيع أن يفعل . ولكن قلبه استجاب للحق جل وعلا فقرأ .

وكانت تلك معجزة كبرى وقف الناس حيالها مدهوشين . سائلين أنفسهم كيف يجمع محمد (صلى الله عليه وسلم) القرآن كله فى قلبه . ثم لا يلتبس عليه شيء من آياته . وإن أحدنا ليحفظ منه السورة والسورتين ، فيختلط عليه لفظ بلفظ ، وآية بآية . ؟!

ومرت الألوف من السنين ، ورأينا قوما يقرءون لا بأعينهم ولكن بما تلمسه أصابعهم من إشارات وعلامات . ورأينا هؤلاء يتعلمون ويتخرجون فى الجامعات ويشاركون فى العلوم ومعارف أقوامهم ، ولم يعقهم عن ذلك عجز أبصارهم . فهم يقرءون لا يحفظون ما يلقى عليهم ، ويرددون ما قيل لهم .

هؤلاء يتلمسون بأناملهم ما كتب لهم ، وتقول لأحدهم : اقرأ . فيقرأ .

وشتان ما بين قدرة الانسان الذى علمهم ودربهم على القراءة ، وقدرة الذى أحسن كل شيء خلقه .

هؤلاء دربوا أناملهم فقرأت ـــ والله سبحانه صنع فى قلب نبيه صنعا فقرأ .

وهؤلاء قد يضلون إذا قرءوا ويخطئون . وليس كذلك النبى (صلى الله عليه وسلم) .

فالله ((علم الإنسان ما لم يعلم)) (العلق ٥) .

قال تعالى : ((وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما)) (النساء ١١٣) .

فالله سبحانه علم البشر بالقلم . وعلم نبيه بما صنع فى قلبه . وكان فضل الله عليه أكبر . وكان تعليمه له أتم وأوفى .

وكان قلب الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو محل الأنوار الربانية ، التى جعلت من النبى (صلى الله عليه وسلم) إنسانا قريبا من السماء ، بعيدا عن الأرض .. يصلح أن يلقى فيه الروح الأمين ما شاء من آيات الله . فيلتقى فيه العالم النورانى بالعالم الارضى . ويصلح أن تتراءى فيه مشاهد من المـــلأ الأعلى . فيتحدث عنها الرسول ، وكأنها أمام عينه ، فيرى ما لا يراه الناس ، ويسمع ما لا يسمعون .

((قل هو نبأ عظيم . أنتم عنه معرضون . ما كان لى علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون . إن يوحى الى الا انما انا نذير مبين)) . (ص ٦٧ ـــ ٧٠) .

ويصلح لأن يسبح فى الأفق الأعلى مع جبريل عليه السلام ، فيرى عوالم من ملكوت الله فى السموات العلى ليلة الإسراء والمعراج . لم يرها الناس . ولم يسمعوا بها . ويحدثهم عنها حديثا صادقا ، فقد رأى بفؤاده الذى فطره له ربه و ((ما كذب الفؤاد ما رأى)) . (النجم ١١) .

ولو أن قلبا غير قلبه لم تجر فيه عملية الخلق ، وشاهد ما شاهده قلب الرسول لصعق من هــول ما رأى . ولكن الله سبحانه ((**يزيد فى الخلق ما يشــاء**)) (فاطر : ١) .

يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير آيات النور :

((**الله نور السموات والارض . مثل نوره كمشكاة فيها مصبــاح . المصباح فى زجاجة . الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية . يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار . نور على نــور . يهدى ىالله لنوره من يشاء ..**)) (النور ٣٥) .

يقول : مثل نوره . اى مثل نبيه (صلى الله عليه وسلم) فالنبى (صلى الله عليه وسلم) قد اكتملت فيه الهداية فهو نور الله . ثم يقول : والمشكاة مثل لذات الرسول البشرية ، وهيكله الجســمانى الذى يشبه هياكل النــاس . والمصباح مثل لفؤاده اللطيف ، وما فيه من نور الهداية والطاعة . والشجرة المباركة مثل لنفس محمد وروحه ، فهى تمد المصباح بزيت وضاء لا ينتهى ، وقد بلغت من الصفاء والطهارة ما كادت تنقدح منها أنوار الهداية من نفسها ، وذلك قبل أن يبعث رسولا . فلما وصلتها الهداية ومستها أنوار الله فصار نبيا ، كان نورا على نور .

ويقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « الا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله . وإذا فسدت فسد الجسد كله . الا وهى القلب » ..

لذلك كان قلب نبينا (صلى الله عليه وسلم) موضع رعاية المولى عز وجل ، صنعه على عينه ، وطهره من حظوظ الدنيا منذ طفولته ، وأخرج منه النكتة السوداء التى ترمز الى حظ الشيطان من بنى آدم . وكان ذلك منة من الله على نبيه : « ألم نشرح لك صدرك ؟!) .

وحينما اراد الله تعالى أن يزيد فى نعمته على عبده ، ويغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فتح فى قلبه آفاقا واسعة من العلم والمعرفة ، فصار يرى ويشاهد ويسمع أكثر مما كان قبل ذلك . فقد شف الحجاب الذى كان بينه وبين الملأ الأعلى ، حتى إنه كان يلقى نظرة على الدنيا فيبصر ما فيها من الأحداث ويلقى بالأخرى على العالم المســتور ، فتتكشــف له الحجب ويبصر بعض الأسرار ، فكان الفتح المبين فى قلبه لا فى بلدان افتتحها ، أو مغانم دنيوية حازها المسلمون وقد تمثل بعض ذلك فى قوله :

: « والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا .. أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ! أطت السماء وحق لها أن تئط . ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك ساجد لله !! » .

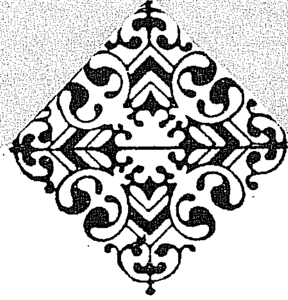
ويقول فى الأحداث التى رآها تنزل فى المسلمين من بعده ، وكأنه يراها بعينه :

« إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر . »

أى ستنزل بالمدينة أحداث تعمها كالمطر المتساقط ، لا يترك منها بقعة ناجية .

هذا ما صنع الله فى قلب رسوله منذ قال له : ((**اقرأ باسم ربك الذى خلق ..**)) . صلى الله عليه وسلم .. ؟

أنواع الصيام في الإسلام



للدكتور محمد الدسوقى

١ — ان الصيام فى الاسلام من حيث دلالته الشرعية نوع واحد ، اذ هو الامساك عن المفطرات من طعام وشراب وغيرهما مما يفسد الصيام مع اقتران النية به من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، ولكنه من حيث الفرضية وعدمها ينتظم خمسة أنواع تحدث عنها جميعها القرآن الكريم حديثا مجملا يقوم على المزج بين الاحكام التكليفية ومعانى الترغيب والترهيب ، وهى ظاهرة ينفرد بها الكتاب العزيز ، وتضفى على أحكامه طابعا خاصا يتميز بالهيبة والمراقبة ورعاية أدائها ، ايمانا بها ، وخشية من الله الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور .

٢ — وهذه الانواع الخمسة هى :

١ — صيام الفرض .
٢ — صيام القضاء .
٣ — صيام الكفارات .
٤ — صيام النذر .
٥ — صيام التطوع .

٣ — وصيام الفرض هو صيام شهر رمضان ، وقد فرضه الله على المسلمين فى السنة الثانية من الهجرة ، وعلى الراجح فى شهر شعبان من تلك السنة* .

وقد ثبتت فرضية هذا الصيام بالكتاب والسنة والاجماع ، قال الله تعالى : ((**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من**

* **أنظر البداية والنهاية لابن كثير**

قبلكم لعلكم تتقون » (البقرة ١٨٣) ، والقرآن الكريم يستعمل فعل (كتب) بمعنى شرع وفرض وهو من المعانى اللغوية للكلمة « **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى** » (البقرة ١٧٧) « **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم** » (البقرة ٢١٦) ، بل ان التعبير بفعل «كتب» لا يفيد فرضية الصوم فحسب ، بل يفيد كذلك قوة هذه الفرضية وتأكيدها وشدة العناية بها ، وأنه لا يجوز اغفالها ، ويرمى العرب الى هذه المقاصد جميعا حين يستخدمون هذا الفعل بهذه الصيغة فى كلامهم ، على أن فى هذه الآية توكيدا آخر لفرضية الصيام وهو افتتاحها بنداء المخاطبين : « **يأيها الذين آمنوا ..** » وذلك أن النداء فى اللغة العربية اذا سبق طلبا كان دالا على شدة اهتمام المتكلم بهذا الطلب وحرصه على تنفيذه .

٤ — وكما ثبتت فرضية صيام رمضان بما جاء فى القرآن الكريم ثبتت فرضيته كذلك بما جاء فى السنة النبوية فى عدة أحاديث منها ما روى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج »

وثبتت فرضيته كذلك بعمل الرسول واجماع الصحابة والمسلمين ، ولذلك يكفر جاحده ومنكر فرضيته ، وان كان مسلما يحكم بردته عن الاسلام ويعامل معاملة المرتدين* .

ويجب صوم رمضان بأهلية التكليف وبشرط الخلو من الاعذار المبيحة للافطار ، مثل السفر والمرض والهرم والحيض والنفاس .

٥ — وأما صيام القضاء ، فهو الصيام الذى يجب أداؤه بسبب الافطار بعذر فى رمضان ، «**فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر** » .

ولا يجب فى صيام القضاء تتابع ، قال ابن العربى : « وانما وجب التتابع فى الشهر (أى رمضان) لكونه معينا ، وقد عدم التعيين فى القضاء فجاز بكل حال » .

ويستحب لمن عليه قضاء أن يبادر به ليتعجل براءة ذمته ، ويجوز تأخير أيام القضاء — اذا اقتضت ضرورة — الى شهر شعبان التالى ، لما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : كان يكون على الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه الا فى شعبان ، للشغل من رسول الله صلى الله عليه وسلم — أو برسول الله صلى الله عليه وسلم (أخرجه البخارى ومسلم) .

٦ — ولكن اذا أخرت أيام القضاء الى ما قبل رمضان التالى بقدر تلك الأيام وجب القضاء فورا ، فاذا جاء رمضان الثانى ولم تصم تلك الأيام ، اثم المفطر ، وكان عليه مع القضاء الفدية عن كل يوم أخره وقدرها وجبتان مشبعتان .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حق من أخر أيام القضاء الى ما بعد رمضان الثانى قال : « من أدرك رمضان وعليه من رمضان شىء لم يقضه لم يتقبل منه ، ومن صام تطوعا وعليه من رمضان شىء لم يقضه فانه لا يتقبل منه حتى يصومه » والمعنى أن صيام رمضان الثانى لا يتقبل ممن أخر أيام القضاء ، وذلك من باب التهديد ليسارع الناس الى قضاء ما فاتهم قبل حلول رمضان الثانى ، فليس المقصود نفى قبول

---

* الصوم والاضحية للدكتور على عبدالواحد ص ٣٧ .

صيام رمضان الثانى ، ولكنه التهديد فحسب .

أما من مات وعليه صوم من رمضان فولى الميت ــ وهو كل قريب له وان لم يكن وارثا ، وقيل : يختص بالوارث ــ مخير بين الاطعام والصيام عن الميت ، روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » (أخرجه البخارى ومسلم وأحمد) . وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن رجل مات وعليه صوم شهر ، قال : « يطعم عنه كل يوم مسكين » (اخرجه البيهقى) .

٧ ــ وصيام الكفارة* يلزم فى الامور الآتية :

١ ــ ارتكاب بعض المحظورات فى فترة الاحرام وعدم قدرة المتمتع على تقديم هدى لا عساره ، وكذلك المحصر : « **وأتموا الحج والعمرة لله ، فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ، ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ، فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب** » (البقرة ١٩٦) . « **يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام** » (المائدة ٩٥) .

٢ ــ القتل الخطأ وما فى حكمه « **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله ، الا أن يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما** » (النساء ٩٢) .

٣ ــ الحنث فى اليمين ، « **لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم ، واحفظوا أيمانكم ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون** » (المائدة ٨٩) .

٤ ــ الظهار ، وهو قول الرجل لزوجته : أنت على كظهر أمى « **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم** » (المجادلة ٣ ، ٤) .

٥ ــ الافطار العمد فى رمضان بدون عذر فى رأى بعض الفقهاء ، لأن الذى يتعمد الافطار قد ارتكب اثمين : : اثم العمد ، واثم ضياع يوم مفروض ، فوجب تشديد الجزاء

---

* تكفير الشىء : ستره ، وسمى الزارع كافرا ، لستره البذر بالتراب ، قال تعالى : « كمثل غيث أعجب الكفار نباته » ، فالكفارة سميت بذلك لانها تستر الذنوب ، أى تمحوها .

عليه حتى لا يعود الى ما فعله مرة أخرى ، وحتى يبقى لشهر الصيام حرمته وقدسيته ، فكان عليه مع القضاء الكفارة .

أما الافطار بالجماع فقد أطبقت كلمة الأئمة على أنه يوجب القضاء والكفارة بشرط أن يكون الصائم عامدا مختارا عالما بالتحريم .

والكفارة الواجبة فى الافطار العمد هى : عتق رقبة ، فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا .

٨ — وصيام الكفارة قد يجب على التخيير ، وقد يجب على الترتيب ، ففى ارتكاب أمر محظور مثل قتل الصيد فى الحرم ، يخير المحرم بين الذبح والاطعام والصيام ، وفى التمتع والقتل الخطأ والحنث فى اليمين والظهار والافطار العمد بدون عذر يجب الصيام على الترتيب ، بمعنى أنه لا يجب الا بعد العجز عن القيام بما أمر به أولا من عتق رقبة أو دفع دية أو اطعام .. الخ .

ويلاحظ أن هذا الصيام فى حالات القتل الخطأ والظهار والافطار العمد أمر به فى صورة تشعر بجسامة جريمة القتل ولو كانت خطأ ، وأن الاسلام قد حارب الأعراف الجاهلية حربا لا هوادة فيها ليحل محلها أعرافا صالحة تحقق للمجتمع القوة والعزة والطهارة ، وان شهر رمضان له حرمته المقدسة التى يجب أن ترعى ولا تنتهك .

٩ — وصيام النذر ، صيام يفرضه المسلم على نفسه تقربا الى الله وشكرا على ما أنعم به ، فاذا نذر مسلم صيام يوم معين او أيام معينة وجب عليه صيام هذا اليوم ، أو هذه الايام بالذات ، واذا أطلق ولم يحدد وجب عليه صيام ما نذره دون تقيد بزمن ، وهذا الصيام وجب بالأمر بايفاء النذر فى قوله تعالى : ((**وليوفوا نذورهم**)) (الحج ٢٩) .

ومن مات وعليه صيام نذر فحكمه حكم من مات وعليه صيام من رمضان ، وقد جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ان أمى ماتت وعليها صوم نذر ، افأصوم عنها ؟ قال : أرايت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يؤدى ذلك عنها ؟ قالت : نعم ، قال : ((فصومى عن أمك)) (أخرجه البخارى ومسلم) .

١٠ — وأما صيام التطوع فهو صيام يؤدى نافلة ، فليس مفروضا ، غير أن المسلم المؤمن يصوم تقربا الى الله وطمعا فى عفوه ورضاه ، وتأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ((كان رسول اله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر الا رمضان ، وما رأيته أكثر صياما منه فى شعبان)) (أخرجه البخارى ومسلم) وهذا الصيام يباح فى جميع شهور العام ، بيد أنه يحرم فى بعض الايام ، ويكره فى بعضها الآخر ، ويكون مستحبا ومندوبا فى أيام خاصة .

١١ — فيحرم صيام يومى العيدين ، لأن صيامهما يتنافى مع معنى العيد فيهما ، وقد روى عن أبى سعيد الخدرى قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الفطر والنحر (أخرجه البخارى ومسلم) .

ولنفس المعنى الذى حرم من أجله صيام العيدين حرم صيام أيام التشريق الثلاثة* ، وهى الأيام التى تلى يوم

* سميت أيام التشريق ، لأن الحجاج كانوايشرقون فيها لحوم الهدى والاضاحى ، اىينشرونها .

عيد الاضحى، وكذلك يوم عرفة للحاج لما رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله ابن حذافة يطوف فى منى ويصيح فى الناس : « لا تصوموا هذه الأيام » يعنى أيام التشريق ، ولما رواه أيضا قال : نهى رسول الله عن صوم يوم عرفة بعرفة * .

ومن الأيام التى يحرم صومها يوم الشك ، وهو آخر يوم من شعبان ، وسمى كذلك لكثرة ما يشك فيه عند تبين الهلال ، هل هو من شعبان أو من رمضان ؟ وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «لا يتقدمن احدكم رمضان بصوم يوم أو يومين الا أن يكون رجل كان يصوم صوما فليصم ذلك اليوم » (أخرجه البخارى ومسلم) .

وحكمة النهى عن صوم يوم الشك ان الصيام لا يجب الا بالرؤية أو باكمال شعبان ثلاثين يوما ، فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن فى ذلك الحكم فضلا عن أن ذلك قد يكون ذريعة الى اختلاط النفل بالفرض وزيادة أيام غير مفروضة ربما أكسبها مرور الزمن وتوارث صيامها حكم الفرضية ، ولكن صيام هذا اليوم يجوز اذا جاء موافقا لقضاء فائت أو وفاء نذر أو عدة كفارة ، لأن صيامه فى مثل هذه الحالات لا بأس به وليس من استقبال رمضان فى شىء .

١٢ — وأما الأيام التى يكره صومها ، فمنها افراد يوم الجمعة أو يوم السبت بالصوم ، لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان يوم الجمعة يوم عيد ، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم الا أن تصوموا قبله أو بعده » وروى عن عبد الله بن بسر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض الله عليكم ، فان لم يجد أحدكم الا لحاء عنبة أو عود شجرة فليمضغه » (أخرجه أبو داود والترمذى) . أى لا تفردوا يوم السبت بالصوم الا اذا كان موافقا لقضاء فائت أو نذر مثلا .

والسر فى النهى عن افراد يوم السبت أن اليهود تعظمه فيكون فى افراده بالصوم تشبه بهم ، وقد نهينا عن التشبه بهم .

١٣ — ويكون صيام التطوع مستحبا فى الأيام التالية :

يوم عرفة لغير الحاج ، لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : صيام يوم عرفة ، انى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده » (أخرجه مسلم والنسائى) .

ويوم عاشوراء ، وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ما رايت النبى صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم فضله على غيره الا هذا اليوم — يوم عاشوراء — وهذا الشهر — يعنى شهر رمضان (أخرجه البخارى ومسلم) .

وستة من شوال لما روى عن أبى أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان ، ثم أتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر » (أخرجه مسلم والنسائى وابن ماجه) .

ويوم الاثنين والخميس من كل أسبوع ، لما روى عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صيام الاثنين والخميس (أخرجه الترمذى والنسائى) .

وهناك أيام غير تلك التى ذكرت وردت روايات باستحباب صيامها ، ومع هذا فان صيام التطوع اذا كان مندوبا فى بعض الأيام ، فانه فى كل الأيام — عدا ما يحرم أو يكره صيامه منها — عبادة مشروعة وطاعة

---

* أكثر أهل الفقه على أن صوم يوم عرفة للحاج مكروه (الوعى الاسلامى) .

محمودة وعمل صالح يهدى الى الخير والبر .

١٤ — ولأن الصيام قد فرضه الحق تبارك وتعالى لحكمة مقدسة ، وهى تطهير النفوس والسمو بها الى آفاق عليا من الصفاء والنقاء والمراقبة الدائمة لله ، ولأن رحمة الله بعباده لم تجعل هذه الفريضة تعذيبا للجسم ولا ارهاقا للنفس ، لهذا وغيره رخص فى الافطار فى الأحوال التى يقترن فيها الصوم بمشقة شديدة لا تقوى معها الاجسام على احتمال الصوم من غير ارهاق ، وكان الوصال فى الصيام فرضا كان او تطوعا منهيا عنه كما كان صيام الدهر فى التطوع منهيا عنـه كذلك ، وقد روى عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال : أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى أقول : لأقومن الليل ، ولأصومن النهار ما عشت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت الذى تقول ذلك ؟ فقلت : قد قلته يا رسول الله . فقال : انك لا تستطيع ذلك ، فصم وأفطر ، ونم وقم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام فان الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر ، قلت : فانى اطيق أفضل من ذلك ، قال : صم يوما ، وأفطر يومين . قلت : فانى أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله ، قال : صم يوما وأفطر يوما ، وذلك صيام داود عليه السلام ، وهو أعدل الصيام . قلت : فانى أطيق أفضل من ذلك ، قال : لا أفضل من ذلك ، قال عبد الله : لأن أكون قبلت الثلاثة الايام التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من أهلى ومالى (أخرجه البخارى ومسلم والنسائى)

فهذا عبد الله بن عمرو حين علم الرسول أنه قد عزم على قيام الليل وصيام النهار طول عمره أرشده الى ما يجب أن يفعله فى العبادة ، وكان عبد الله وقت أن جرى بينه وبين الرسول ذلك الحديث شابا فتيا ، وظن أن صيام كل يوم أفضل من صيام يوم وافطار يوم ، ولكن الرسول بين له أن أعدل الصيام هو صيام داود عليه السلام لأنه وسيلة الى القدرة على الاستمرار فى العبادة ، ولذلك ندم عبد الله بعد أن كبر وضعف عن دوام العبادة التى تمسك بأدائها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الا فليعلم الغلاة والمتشددون أنه لن يشاد هذا الدين أحد الا غلبه ، وأن الانسان فى عبادة مستمرة حتى فى ساعات نومه ولهوه المباح ما دام القصد من كل ما يفعله طاعة الله ورضوانه .

١٥ — واذا كانت النية واجبة فى صيام الفرض قبل الفجر فليست فى التطوع بواجبة ، وكان الرسول عليه السلام يصبح غير قاصد الصيام فلا يجد فى بيته الطعام فيصوم ، كما أن النسيان فى صيام التطوع يفسده بخلافه فى صيام الفرض لدى بعض الفقهاء ، ويجوز الافطار فى صيام التطوع ، لما روى عن أم هانىء رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصائم المتطوع أمير نفسه ان شاء صام وان شاء أفطر » (أخرجه أحمد والترمذى والحاكم) .

وما دام الصائم المتطوع أمير نفسه أو أمين نفسه كما جاء فى رواية أخرى فانه حين يزور أو يزار يلزمه الفطر ليشارك ضيفه أو مضيفه فى الطعام والشراب ، وهذا لون من الأدب الاسلامى يدل على نظرة سامية الى العلاقات الاجتماعية ، ويؤكد أن الاسلام دين ذوق وأدب وأخلاق رفيعة تحترم المشاعر والأحاسيس .

روى عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه قال : صنعت لرسول الله

صلى الله عليه وسلم طعاما فأتانى هو وأصحابه ، فلما وضع الطعام قال رجل من القوم : انى صائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعاكم أخوكم وتكلف لكم » ثم قال : « أفطر وصم مكانه يوما ان شئت » (أخرجه البيهقى) .

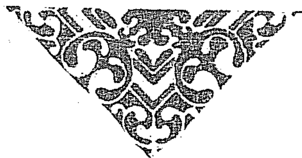
وكما يحرص الاسلام على توطيد أواصر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين ، فانه يحرص كل الحرص على أن تكون العلاقة الزوجية قائمة دائما على الامتزاج والتلازم والمحبة والتعاون فى السراء والضراء ، ومن ثم كان صيام المرأة تطوعا وزوجها مقيم معها حراما الا اذا أذن لها ، فقد روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصوم المرأة وزوجها شاهد يوما من غير رمضان الا باذنه » (أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه) .

وفى الحديث دلالة على أن الاسلام يحمى العلاقة الزوجية من كل ما قد يسىء اليها ، ولو كان عملا مندوبا ، وعلى أن حماية هذه العلاقة طاعة لا يقل ثوابها عن ثواب الصائمين ، ولهذا كان أبغض الحلال عند الله الطلاق .

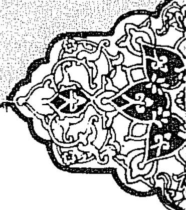
١٦ ــ وبعد فان الصيام الذى كتبه الله علينا كما كتبه على الذين من قبلنا سبيل لتربية التقوى فى نفس المؤمن ، فهو عبادة سلبية ليس لها مظهر خارجى ، وهذه السلبية تمثل عنصر المراقبة الصادقة فى ضمير المؤمن بحيث يصبح مالكا لنفسه يصرفها حسب الشرع لا حسب الشهوة ، وقد قال أبو حيان فى البحر المحيط : للصوم فائدتان : رياضة الانسان نفسه عما تدعوه اليه من الشهوات ، والاقتداء بالملأ الأعلى على قدر الوسع .

وتلك اشارات مجملة الى أنواع الصيام فى الاسلام ، ومنها يبدو أن الصيام عن الكلام الذى جاءت الاشارة اليه فى سورة مريم فى قوله تعالى : « **انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا** » (آية ٢٦) . هذا الصيام غير جائز فى الاسلام ، لأن فيه تعذيبا للنفس ، والله ارحم بعباده من أن يفرض عليهم ما فيه اعنات لهم أو تضييق عليهم ، فضلا عن انه لا يحقق رسالة الصيام كما فرضها الاسلام .

كذلك يبدو من تلك الاشارات أن الصيام وهو عبادة مفروضة فى شهر رمضان قد جعله الله فى غير رمضان طاعة يتقرب بها المؤمنون الى الله ، وجعله أيضا بابا من أبواب تكفير بعض الذنوب .. ليكون أمام المذنبين مجال رحب لتطهير أنفسهم وتزكية أرواحهم ، وذلك فضل من الله ورحمة والله ذو الفضل العظيم .



مواكب النصر



للدكتور/ابراهيم على شعوط

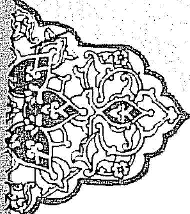
— ١ —

نزول القرآن فى هذا الشهر :

شهر رحلة روحية يقطعها المؤمن ذهابا الى ربه محاولا بكل امكانياته التخلص من سيطرة المادة ، ويجد المؤمنون فيه لذة كبـــرى للركون الروحى والاحساس النفسى بأن تلك العبادة تنزيه للبدن وسمو به فى آفاق الروح الخالدة مع بارئها فى شوط طويل من العبادة والتبتل والتخلص من الثقل المادى فتنطلق الروح فى آفاق تتلاشى عندها كل الشهوات واللذات .

ولعل هذا الشهر قد اختصه الله — من حيث وضعه الزمنى — بخصائص لا تكاد توجد ، بل لا تكاد تدرك الا فى هذا الشهر . ثم جعلها المولى سرا من أسراره ، وخاصة من خواصه فاختار زمان شهر رمضان ليكون فيـــه مطلع النور ، ومنه مصدر وميض البرق الذى بدد الضلال والظلام الملتصق بالارض والسماء وجعل وجوه العالم كلها تشرق فيه حين أشرقت فى سماء رمضان آيات القرآن الكريم الذي نزل على رسول رب العالمين (**شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) .

فى الغار المظلم فى جبل حراء انقدحت أول شرارة أضاءت فى آفاق مكة وأرسلت شعاعها الخالد الى كل انحاء العالم . فكانت الكلمة الأولى هى الخطوة الأولى فى سبيل العلم والمعرفة دفعت البشرية كلها الى طرق أبواب العلم بكل امكانياته .



دعوة دوى رجعها فى جنبات العالم حين قال الله لرسوله اللاجىء اليه فى غار بعيد مظلم يلتمس منه الهدى والمعرفة (**اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) .

للشهر العظيم سر وللصوم فيه معنى يدركه الذين تجردوا عن شهواتهم وكبتوا كل رغباتهم فى سبيل الله حتى صارت رائحة أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك ، وهناك من قصار النظر من يعتقد أن شهر رمضان فترة زمنية يخلد فيها المسلمون الى الكسل ويعترى عزائمهم الفتور والضعف . ومما يؤسف له حقا أن هذا الخاطر يسرى فى عقول الكثيرين من أبناء الأمة الاسلامية فيجعلون من رمضان شهر النوم والبطالة والكسل ويلتمسون مبررات لاهمالهم وتقصيرهم فى أداء واجبهم . ونحن فى هذا المقال نعرض للمسلمين شهر رمضان ونطوف معهم فيه بمواكب النصر التى حققها الصائمون فى رمضان ونكشف سر الطاقة الروحية التى قهرت الأحداث والأعداء وخلقت فى أمة الاسلام روحا وثابة تصل الى غاياتها فى عزة الصائمين وكرامة المؤمنين .

باستعراض الحوادث الكبرى ، والمواقف الحاسمة فى التاريخ نجد أن المولى جل جلاله عندما يريد النصر لأوليائه يختار لهم الزمان والمكان اختيار الذى وضع سره فى اقتران الزمان بالمكان ليحقق الوعد الذى وعد والنصر الذى يرفع به هامات أوليائه وينشر به دينه ويؤيد به الحق الذى جاء على لسان رسوله .

— ٢ —

موقعة بدر :

كان الزمان الذى دبرته العناية الالهية لمعركة بدر شهر رمضان حيث كان كل مسلم فى عبادة روحية لا يشوبه فيها رياء ولا يفارقه فيها الاخلاص فى صيام وحرمان يسد منافذ الجسد المطلة على الشهوات ويهتك الحجب الكثيفة التى تحجب الأنوار ، ويفسح المجال أمام الروح لتنطلق من قيود المادة وتسبح فى آفاق عليا لا يصل اليها الا من أضناه الجوع والعطش لله وفى الله . .

موقعة لم يحدد المسلمون زمانها ولا مكانها ولكن الله هو الذى حــدد الميعاد فقال لنبيه : (**ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا**) ..

من أجل الزمان الذي حدثت فيه هذه الموقعة الكبرى لم تكن منزلة بدر بين حوادث التاريــخ أنها معركة حربية انتصر فيها فريق على فريق ، أو لأنها انجلت عن عــدد من القتلى وجملة من الأسلاب فكم من معارك حربية كان حصارها من القتلى آلافا ومن الاسلاب والغنائم ما لم يخطر على بال .

وانما أخذت موقعة بدر مكانها فى التاريخ ــ بزمانها الذى اقت لها ومكانها الذى التقى فيه طرفاها ــ لانها قلبت الميزان السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى جزيرة العرب ، وانتزعت السيطرة من اليد التى كانت فيها ووضعتها فى يد الصفوة المنتصرة من المؤمنين .

وأصبح الزمن كله ــ من يومها ــ مدينا لهذه الغزوة لانها وضعت أساس دولة جديدة على أنقاض نظام منهار ، وسارت بركب الانسانيــة فى طريق الهدى والنــور ، ولقنت العالم كله مبادىء لم تكن لتخطــر لأحد من البشر على بال ..

وكان المكان بدرا بين العدوة الدنيا والعدوة القصوى وكــان موقف المؤمنين بالعدوة الدنيا حيث كانت الأرض ثابتة تحت أقدام الصائمين وكــان الماء تحت سيطرتهم وحدهم وكان مكان رسول الله على شرف عــال يدير منه المعركة ويتلقى توجيهات ربه الذى يدير له الموقعة ويتولى عنه دحر أعدائه الذين اعتزوا بكثرتهم ويسجل عليهم الخزى أمام العالم كله .

زمان مختار فى شهر مبارك ومكان منتقى لتدور المعركة فيه كما أراد خالق الزمان والمكان ، منّ عليهم بالنوم قبل الموقعة وانزل عليهم مطرا طهرهم به وأذهب عنهم رجز الشيطان ووطأ الارض وصلب به الرمل وثبت الأقــدام (**اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام**) .

ضراعات الى الله من أفواه الصائمين المعطرة بخلوف الصيام واستغاثات من المسلمين الذين هم فى طاعة مولاهم منطلقين الى رضا رسول الله يقدمون أرواحهم فداء للنداء الموجه اليهم من ربهم (**واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم**) ..

لما كانت الضراعات الموصولة بالسماء من القلوب الصائمة والبطــون الجائعة تصل الى الملأ الأعلى فى تجاوب واخلاص أجاب المولى هذه القلوب الخاشعة الضارعة بقوله (**إنى ممدكم بالف من الملائكة مردفين**) كما اوصى المدد الملائكى بقوله لهم (**انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب**) ثم يبــالغ المولى فى نصرة الصــائمين وإمدادهم بإمكانات النصر كلها بعدما تبين من طهارة قلوبهم بالحرمان من شهوات نفوسهم وجهارة أصواتهم بالدعاء فيقول لرسوله وحبيبه فى حومة الوغى واشتداد المعركة ؟ (**إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ؟ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين**) .

من بسياق هذه الآيات تتبين عناية الله بالصائمين المقاتلين فى بدر وفى قلة من العدد وان كانوا قد سموا بأرواحهم وجردوا أنفسهم من المادة بصيامهم فلم تعد المادة شيئا فى أعينهم وحلقوا بأرواحهم فى عالم التسليم والرضا بعد

أن رأوا بأعينهم منازلهم فى الجنة ورأى رسول الله مصارع الكفار فى المعركة ومواضعهم فى النار .

وفى منازل القرب من الخالق منزلة الشعور بالذل والإحساس بالضعف فمتى ذل العبد بين يدى ربه وهبه العزة على خصومه وذلك وصف القرآن للمؤمنين (**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**) .

ومن أجل هذا الذل الذى هو مقدمة العز وعلامة النصر قال الله لأهل بدر الصائمين فى المعركة الخاشعين فى العبادة الأذلاء فى الضراعة قال : (**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون**) .

وأى اكرام أعلى من ترتيب المولى لمواكب النصر فى شهر رمضان وفى الموقعة الأولى بين أوليائه وأعدائه ؟ أى اكرام بعد أن كانت عناية الله بالمعركة واضحة فى امداده أحباءه بألف من الملائكة مردفين ثم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ثم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

ان اختلاط الملائكة بالمؤمنين فى موقعة بدر لم يتم الا بعد أن تجرد المؤمنون من سيطرة المادة واغراء الشهوات وارتفعوا بأرواحهم الى صفوف الملائكة الذين وجدوا فى طهارة روحهم ، وفى مهارة رميهم ما جعل الضربات يلتقى بعضها ببعض حتى كان يكفى المؤمن أن يحرك سيفه فتجهز الملائكة على خصمه فاذا بالرؤوس تتطاير واذا بالصفوف تنهار ولم يدرك السر الا بعد أن اعلن الله للمؤمنين مشاركة الملائكة لهم فى المعركة .

— ٣ —

فتح مكة فى رمضان :

من يمن هذا الشهر ، ومن طهر الصائمين فيه ، ومن سمو الروح وتحليقها من مجالات ربانية تطلب منه العون وتبذل من أجله الروح تمت فى هذا الشهر أحداث كبرى وأعمال جليلة اكتسب فيها المسلمون النصر والظفر بطهارة الروح وبذل المهج عبادة لله وطلبا للشهادة واحساسا بحلاوة الجهاد والبطون خاوية والقلوب ظمأى فى سبيل الله .

لم تكن مجرد الصدفة هى التى جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج بكتائب الاسلام وجنود الرحمن فى العام الثامن للهجرة وبعد مضى عشرة أيام من رمضان ويقرر فى نفسه عزما أكيدا على فتح مكة هذا الفتح الذى أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته الذى جعله مهوى افئدة الناس أجمعين .

هذا الفتح الذى استبشر به أهل السماء ودخل الناس به فى دين الله افواجا واشرق وجه الأرض وزحفت جحافل الجيش الصائم لتدعو بسحرها وسرها أقواما ضالين الى هداية الاسلام .

تحركت الجموع مع رسول الله الى مكة فى الحادى عشر من رمضان وفى قلوبهم التيمن بشهر رمضان وفى نفوسهم الأنس بعبادة الصوم فكانوا كلما أغذوا السير وتقدموا انضم اليهم من سائر القبائل من يزيد فى عددهم ومنعتهم وسار على رأسهم رسول الله يفكر فى دخول البيت الحرام فى شهر الصيام من غير أن تراق قطرة دم واحدة .

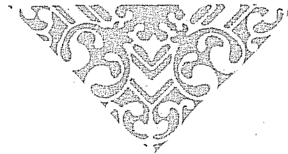
وبلغ الجيش (مر الظهرن) قرب مكة وقريش لا تعلم شيئا عن هـــذا الجيش الجرار وأمر الرسول بالفطر من شدة الحر .

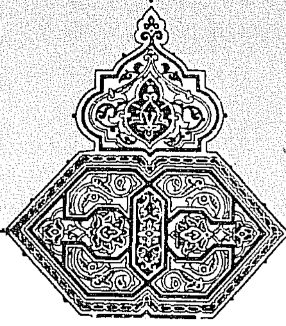
وهناك فى مر الظهران أخذت طلائع الراغبين فى الاســـلام تستقبـــل رسول الله فى جيشه معلنة اسلامها . وكان للعبـــاس بن عبد المطلب عم رسول الله دور خطير فى التمهيد لفتح مكة وتحقيق رغبة رسول الله فى أن يتم الفتح بسلام من غير اصطدام أو إراقة دماء .

ومع ما استقبل به رسول الله من الرضا والتسليم فانه فرق الجيش الى مجموعات تدخل مكة من كل مداخلها دفعة واحدة ثم نزل عليه الصلاة والسلام بالحجون على مقربة من قبر خديجة وعمه أبى طالب وضربت له قبة هناك فلما سئل أيريد أن يستريح فى بيته قال (كلا فما تركوا لى فى مكة بيتا) ثم أجال بصره فى جبال مكة وشعابها ومنازلها المبعثرة هنا وهناك وفى البيت الحرام الذى يقع من مكة فى وسطها فلما وضحت فى ذهنه هذه الصورة ترقرقت فى عينه دمعة الشكر العميق للمولى سبحانه وتعالى ممزوجة بلذة النصر الذى حققه له ربه ، وأدرك أن مهمة القائد قد انتهت فركب من فوره ناقتـــه القصواء وسار بها فى مدارج صباه ، وذكرى طفولته حتى بلغ الكعبة فطاف بها سبعا على راحلته يستلم الركن بعصا فى يده فلما قضى طوافه دعا عثمان ابن طلحة ففتح الكعبة ووقف الرسول على بابها ثم قال : (لا اله الا الله وحده صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده) ثم تكاثر الناس حوله حتى امتلأ بهم المطاف فتلا عليهم قوله تعالى **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** ثم قال (الا كل دم أو مأثرة أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين الا سدانة البيت وسقايـــة الحاج : يا معشر قريش : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء) .

نفحات رمضان عطرت فم رسول الله فما يخرج منه الاعطر وما يفوح الا بالمسك فتجاوز عن جرائم قريش الماضية كلها ، وصفح عن كل ما تقدم من أعمالهم الرهيبة ، ومسح قلبه الصائم من آثارها كلها فلم يشترط عليهم شرطا للمستقبل ، ولم يسترد منهم حتى ممتلكات المهاجرين التى استولت عليها قريش عقب هجرتهم الى المدينة ، بل طلب من المهاجرين أن ينزلوا عن كل حقوقهم القديمـــة .

فتحت مكة أبوابها للمسلمين الصائمين ، ولكنها حين رأت من رسول الله سماحته ونبله وكرم أخلاقه فتحت له قلوبها فكان هذا الفتح أجل وأعظم من أن تصل اليه سيوف المسلمين اذا كان اعتمادهم على السيوف وحدها ، فلانت قلوب ما كانت لتلين ، وتأثر قساة القلوب وغلاظ الأكباد بمبادىء الاســـلام القويمة السامية .





رمضان

بين اللغة والتاريخ

للاستاذ : عبد الله الكبير

تحتفى الامم الاسلامية ، وتبتهج فى اقطار الأرض عامة ، بهذا الشهر الجليل المنزلة ، الرفيع المكانة ، الذى انزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وكما يتبع الجد الناس ، فيرتفع بعضهم فوق بعض درجات ، وتقبل السعادة على بعض بنى الانسان ، فينالون منها حظا موفورا ، وشأنا مذكورا ، كذلك يسعد بعض الآيام من دون الأيام ، ويبرز بعض الشهور علما بين اخوته من ابناء العام ..

وانما يسعد اليوم أو الشهر لما تضمنه من حوادث جسام كان لها شأن فى انهاض أمة ، أو اعلاء كلمة دينها

فرمضان يظهر على الشهور جميعا بأنه الشهر الذى سطع فيه الهدى ونور الحق ، وانزل فيه القرآن الذى كشف عن النفس حجابها ، وقاد بنى الانسان الى خير طريق واقوم سبيل .. !

فهناء بنى الاسلام بالاسلام ، وهناء بشهر رمضان ، شهر الرحمة والاحسان .

ويطيب لى أن أقدم لإخوتى فى الاسلام ، على صفحات مجلتهم الغراء « الوعى الاسلامى »، بحثا لغويا فى الصوم ومدلولاته ، وما كان له من شأن عند أهل الجاهلية ، ثم أذهب بالحديث الى البحث فى الشهور العربية ، وما كان لها من اسماء فى القديم والحديث ، مع بيان علل هذه الآسماء وتمحيصها ، واختيار أسد الآراء فيها :

الصوم مصدر صام يصوم . ومن مصادره الصيام . وتقول : رجل صائم وصومان (بفتح الصاد وضمها)

وصوم على الوصف بالمصدر ، وهو مما يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع . وجمع الصائم : صوام وصيام وصُوَّم وصيم وصيامى وصيام ، ولعل الأخيرة هذه من الوصف بالمصدر أيضا .

والأصل فى هذه المادة انها بمعنى الامساك والامتناع ، فان جميع المعانى النوعية تدور حول هذا الأصل ، ففى قولنا : صام الرجل ، امتناع ، وفى قوله تعالى على لسان مريم : **(انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا)** امتناع ، لأن المراد بالصوم فى الآية الكريمة الصمت ، وهو امتناع عن الكلام ، وفى قولهم ، صام الفرس ، امتناع لأنه لم يطعم .. وكذلك فى قولهم : صام النهار ، اذا قامت شمسه عند انتصافه ولم تبرح مكانها ، وصامت الناقة اذا أمسكت عن الدر .

ولما جاء الاسلام خصص الصوم بالامتناع عن شهوتى البطن والفرج فى وقت محدد .

ويرى بعض الباحثين أن الصوم بمعناه الاصطلاحى كان معروفا عند أهل الجاهلية ، فقد ذكر صاحب حجة الله البالغة أن قريشا كانت تصوم عاشوراء ، واحتج على ذلك بأحاديث مأثورة . وقيل أن صوم يوم عاشوراء مأخوذ عن اليهود . والصوم — على أى حال رياضة نفسية وجدت حيث وجد الزهد ومحاربة الشهوات وقد كان بالجاهلية كثير من الزهاد الموحدين الذين كانوا حنفاء يعبدون الله على دين أبينا ابراهيم — عليه السلام — كخالد بن سنان العبسى، وحنظلة بن صفوان وزيد بن عمرو ابن نفيل وغيرهم ..

واختلف اللغويون فى علة اشتقاق كلمة « رمضان » . وأصل هذه الكلمة ، وهو الرمض ، يدل على الحر أو شدته ، فقال بعضهم : انه مأخوذ من رمض الصائم يرمض اذا حر جوفه من شدة العطش . وقال صاحب القاموس — وقد انفرد بهذا التعليل — انما سُمِّىَ رمضان لأنه يحرق الذنوب ! ... ويرى أكثر اللغويين أنه انما سُمِّىَ رمضان لأن العرب حينما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة ، لغة العرب العاربة : عاد وثمود وغيرهما ، سمَّوا الشهور بحال الأزمنة التى وقعت فيها عند هذه التسمية ، فاتفق أنهم حينما أرادوا تغيير اسم « ناتق » كان الحرّ والرمض فى أشدّه ، فسموه رمضان !

والعلتان الأولى والثانية يستلزم قبولهما التسليم بأن العرب فى جاهليتهم كانوا يصومون رمضان ، أو بعضه ، وإلا فكيف تستقيم العلّة الأولى ، وهى أنه من رَمِض الصائم إذا حرّ جوفه من شدة العطش ؟! .. وكيف تستقيم العلّة الثانية ، وهى أن رمضان يحرق الذنوب ؟!

والذى يرجع الى أقوال اللغويين فى مادّة « نتق » يرى أنهم يقولون : أنتق الرجل صام ناتقا ، وهو رمضان، فإذا كان هذا اشتقاقا جاهليًا — وهو بعيد — كان دليلا على أن العرب قبل الإسلام كانوا يصومونه ، واذا كان اشتقاقا اسلاميًا — وهو ما أرجّحه — لم يتوجّه به دليل على ذلك .

وفى هــذا مبحــث دقيــق يُغرى المحققين بالبحث والافاضة فيه حتى يصلوا الى حكم صحيح . على انى اميل ـــ من الآن ـــ إلى أن صــــوم رمضان لم يكـــن إلا فى الإســــلام . واعتقد أن اللغويين حينمــا حاولوا التعليل لاشتقاق كلمة « رمضان » تأثروا بالزمن الذى كانــوا فيـــه ، وبالبيئة الإسلامية التى تحيط بهـــم ، فعللوه تعليلا إسلاميًا ، وذهلوا عن أن الكلمة من وضع أهل الجاهلية ، لهذا يجب دائما تمحيص علل اللغويين والتريث فى قبولها .

ويحتم الفرّاء ـــ وهـــو من كبـار اللغويين ـــ ذكر الشهر قبل رمضان والربيعين ، بأن يقال هذا شـــهر رمضان ، وهما شهرا ربيع ، ويوجب الاّ يذكر الشهر قبــــل غيرها مـــن الشهور . وزاد بعضهم رجبـــا ، فيحتم ذكر الشهر قبله . واستخلص اللغويون من ذلك قاعدة هى أن كـــل شهر يبتدىء بالراء يجب أن يسبـــق بلفظ شهر . والراى الصحيح أنـــه يجوز فى كل شهر من الشــــهور أن تسبقه كلمة شهر ، والاّ تسبقه على حسب ما يراه المتكلم اكفل بما يريـــد من تأدية المعانى .

ومما ردّ به اللغويون على الفراء قول أبى ذؤيب :

جارية فى رمضــــان الماضى
تقطــع الحديث بالإيمــاض

فلم يذكر لفظ الشهر قبل رمضان. وجاء فى الصحيحين من رواية أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا جــاء رمضـــان اغلقت النيران وصفدت الشياطين » ، وهذا صريح فى جواز تعريته عن الاضافة :

ويجمع رمضان على رمضـــانات ورمضانين وأرمضاء وأرمضة ، ومما هو جدير بالنظر أن العرب سوغوا جمع كل اسم من أسماء الشهور جمعا مؤنثا ســـالما ، فقالوا : المحـــرمات وصفرات وربيعـــات .. الى آخـــر الشهور ، وهذا فيما يظهر لنا عـــلى تضمين كل شهر معنى مؤنثا ، فان الشهر يدل على فترة من الزمن أو مدة. وربما كان تسويغهم هذا يعاضد الرأى الذى نقله صاحب المصـــباح المنير عن ابن الانبارى ، قال : واعلم ان جمع غير الناس بمنزلة جمع المرأة من النـــاس ، تقـــول فيـــه : منزل ومنزلات ، ومصلى ومصليات .

وقبل أن ننتقل الى الحـــديث عن الشهور العربية قديما وحديثا ، يجب أن ننبه الى خطأ مشــــهور هو قول بعضهم : ربيع الأول وربيع الثانى ، وجمادى الأولى وجمادى الثانيـــة ، فهذا غلط ، والصواب أن يقال ربيع الآخر ، وجمادى الآخرة ، لأن التعبير بربيع الثانى وجمادى الثانية يستدعى ـــ فى ذوق العرب ـــ أن يكون هناك ربيع ثالث وجمادى ثالثة !

أما أسماء الشهور عنـــد العرب العاربة ، قبل أن يغيرها من جـــاء بعدهم من أبناء اسماعيل ـــ وتخطىء المعجمـــات هنا وتسميها شـــهور الجاهلية ، كأن الجاهلية ما كانت تعرف شهور الاسلام ـــ فكانت العرب العاربة تسمى المحرم : المؤتمـــر ، وصفرا : ناجرا ، وربيعـــا الأول : خوانا ، وربيعا الآخر : وبصـــان ، وجمادى الأولى : حنينا ، وجمـــادى الآخرة : ربى ، ورجبا : الأصمّ ، وشعبان : عاذلا ـــ وأخطأ صاحب صبح الأعشى فسماه عادلا بالدال لا بالذال ـــ وتسمى رمضان : ناتقا ، وشـــوالا : وعلا ، وذو القعـــدة : ورنـــة ، وذا الحجـــة : بـُـرك .
وللغويين تعليل لكل اسم من هـــذه الأسماء بنى على الظن وعلى كثير من التكلف .

هذه كلمة لغـــوية رمضانية أردنا فيها أن يكون للغة نصيب من الحفاوة برمضان والإشادة به .

نسأل الله لكم صوما مقبـــولا ، وحياة سعيدة صالحة .



للشيخ محمد الصادق عرجون

كان مصعب بن عمير أحد السابقين الأولين من رجالات الرعيل الأول في الاسلام ، وكان لعظيم فضله ، وحسن خلائقه وأخلاقه يلقب بين المسلمين « مصعب الخير » وهو هاشمي منافي عبدري ، في القمة من بيوتات قريش ، والذروة في أرومتها .

القت نسائم الهداية الى أذنه روح الدعوة الى الله تعالى ، اذ بلغه ــ وهو في ميعة الترف ، ونعيم الثراء ، ومتع الدنيا ، يتقلب فيها من نعمة الى نعمة ، يغدق عليه أبواه من ثرائهما ما شاء من خوض غمرات الدنيا وشهواتها ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم مستسرا بدعوته ، قد لف اليه مصعب وهو في ريعان الشباب متخفيا من أبويه وقومه ، والقى بقلبه وعقله ونفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واسلم وشهد شهادة الحق وكتم اسلامه ، وجعل يختلف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن آمن معه ، متسللا تحت جنح الخفاء ، مستهديا بما يرى من سمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله في هديه ، وبما يسمع منه من الآيات والحكمة ، حتى أشرب قلبه حب الايمان وأصبح شعلة تضيء مشاعره واحاسيسه، لا تشرق عليه شمس يوم جديد الا وهو في زيادة من الهداية .

سمته ، وشظف عيشه ، وقشفت حياته ، رقت له ، وكفت عن لومه وعزله ، ولكنها لم تعد اليه بما كانت تفدق عليه قبل اسلامه ، وما كان هو ليرغب أو يرضى ويقبل شيئا من دنياها ودنيا قومها ، فقد رضى بالله تعالى ربا ، ورضى بالاسلام دينا ، ورضى بسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم هاديا ورسولا ، وقدوة واماما .

كان مصعب رضى الله عنه من احسن الناس خلقا ، وأنبلهم نفسا ، طلق الدنيا وكانت متمها بين يديه فصد عنها ولم يعرها نظرا ، لا يمارى أهلها ، ولا يختلف مع احد فى شأن من شئونها ، يقول خدنه وصديقه عامر بن ربيعة : كان مصعب بن عمير لى خدنا وصاحبا منذ يوم اسلم الى أن قتل رحمه الله بأحد ، خرج معنا الى الهجرتين جميعا بأرض الحبشة ، وكان رفيقى من بين القوم ، فلم أر رجلا قط أحسن خلقا ، ولا أقل خلافا منه .

ولما تمت بيعة الأنصار الأولى — بعد التمهيد لها على يد ستة نفر من الخزرج — وفشا الاسلام فى المدينة المنورة ، أرسلت الأنصار رجلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتبت اليه كتابا : ابعث الينا رجلا يفقهنا فى الدين ويقرئنا القرآن ، فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير .

فقدم مصعب المدينة ، ونزل على أسعد بن زرارة ، فتلازما فى الدعوة الى الله ، وهذا هو الثبت ، وفى طبقات ابن سعد أن مصعبا نزل على سعد بن معاذ ، وهذا غلط ، لأن سعد بن معاذ لم يكن يومئذ قد اسلم ، وانما كان اسلامه على يد مصعب بن عمير ، وصاحبه أسعد بن زرارة ، وقد ذكر ابن سعد فى الطبقات هذه الرواية الصحيحة ، بعيد ذكره تلك الرواية الغالطة .

وشمر مصعب للقيام بأعباء الدعوة الى الله ، يفقه المؤمنين فى دين الله ، ويعلمهم معالم الاسلام ، ويقرئهم القرآن وكان يسمى المقرىء . ويدعو من لم يكن قد آمن الى الايمان .

وكان لمصعب رضى الله عنه طريق واسلوب فى الدعوة الى الله من أحكم وأحسن ما استن الدعاة الى الله .

كان يأتى الأنصار فى دورهم وقبائلهم ، فيدعوهم الى الاسلام ، ويقرأ عليهم القرآن ، فيسلم الرجل والرجلان ، وهو صابر مصابر ، حتى فشا الاسلام ، وظهر فى جنبات المدينة وضواحيها من العوالى ، ولكن صاحبه أسعد بن زرارة لم يعجبه أن يرى دعوة الاسلام تمشى وئيدة بين قومه وفى بلده ، فدفع بصاحبه مصعب الى موقف جرىء . ولكنه مفعم بالخير والبركة ، وهو قد علم من شأن هذا الداعية العظيم وحسن تأتيه فى اقتناص القلوب ، واقتناع العقول ما جعله يطمئن الى دفعته الجريئة المباركة التى جاءت بزعماء المدينة الى حظيرة الاسلام على يدى مصعب الخير ، وأسلوبه الذى سلكه فى تجبيب الاسلام الى قلوبهم وعقولهم ، واعطائهم النصف فى السماع اليه .

وكانت أمه مليئة ، كثيرة المال ، عظيمة الثراء ، طيعة لمطالبه ، لا تضن عليه بشيء من متع الدنيا ولذائذها ، تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه ، وكان مصعب أعطر أهل مكة ، يلبس الحضرمي من النعال .

يقول ابن سعد في الطبقات : كان مصعب بن عمير فتى مكة شبابا وجمالا وسبيبا وكان النبى صلى الله عليه وسلم يذكره فيقول : (ما رأيت بمكة أحسن لمة ، ولا أرق حلة ، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير) .

وفى حديث عروة بن الزبير قال : بينا أنا جالس يوما مع عمر بن عبد العزيز وهو يبني المسجد فقال : اقبل مصعب بن عمير ذات يوم والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه ، عليه قطعة نمرة قد وصلها باهاب — جلد — قد ردنه — أى جعل الاهاب ردنا — أى كما لنمرته ، ثم وصله اليها ، فلما رآه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم نكسوا رؤوسهم رحمة له ، ليس عندهم ما يغيرون عنه ، فسلم ، فرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وأحسن عليه الثناء ، وقال (الحمد لله ، ليقلب الدنيا بأهلها ، لقد رأيت هذا — يعنى مصعبا — وما بمكة فتى من قريش أنعم عند أبويه منه ، ثم أخرجه من ذلك الرغبة فى الخير ، فى حب الله ورسوله) .

والايمان طلاع لا يحجب ، يعلن عن نفسه ، مهما حاول صاحبه كتمانه والأسرار به ، وقد ظل مصعب يكتم ايمانه ، ويسره عن أبيه وأمه ، وعشيرته وقومه ، فأبى عليه اشراق نوره أن يظل حبيس الخوف ، أسير الكتمان ، فأعلن عن نفسه فى وقفة بين يدى الله تعالى وهو يصلى — والصلاة هى العنوان الأكبر للاسلام — فرآه عثمان بن طلحة العبدرى ، أحد رجالات قومه ، فأسرع الى اخبار أمه ، فأخذوه ، وحبسوه وضيقوا عليه ، وعذبوه بالجوع والظمأ ، فصبر على ضيق الحبس ، وصبر على قسوة التجويع والأعطاش ، ولكنه لم يستنم ولم يستسلم ، حتى اتيحت له نهزة الافلات من حبسه ، فخرج مهاجرا الى الله ورسوله ، حيث يأمن على دينه ونفسه ، حيث أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أرض بها ملك لا يظلم عنده أحد ، أرض الحبشة ، واستقر به المقام مع أصحابه الذين هاجروا هجرته ، يحتملون آلام الغربة ، وشدائد البأساء فى سبيل اطمئنان قلوبهم بايمانهم .

وفى صدى أكذوبة طيرها الشيطان باسلام قريش وهدوء ما بينها وبين المسلمين من شحناء ، عاد مصعب الى مكة مع من عاد اليها من اخوانه المهاجرين ، ولكنه عندما وصل الى مكة وجد أن أكذوبة الشيطان باسلام قريش كانت صرخة فى وادى الأباطيل ، ووجد قريشا على أشد كفرها وجحودها ، واشتد الأذى بمن عادوا من الحبشة فعادوا من حيث أتوا ، وعاد مصعب معهم ، وبقى بأرض الغربة ردحا من الزمن ، وعاد موطنا نفسه على عزائم الصبر ، واحتمال الأذى مؤتسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخاصة المؤمنين .

ولما رأته أمه اثر عودته من الحبشة ، وكان قد حال حاله ، وتغير

روى ابن اسحاق ان اسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه ابن خاله أسعد بن زرارة . فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر ، على بئر يقال له بئر مرق . فجلسا فى الحائط ، واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما ، بنى عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا بمصعب ودعوته قال سعد لأسيد : لا ابالك ؟ انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد اتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما هما وانههما ان يأتيا دارينا ، فانه لولا اسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتى ، ولا أجد عليه مقدما .

فأخذ اسيد حربته ثم اقبل عليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب : هذا سيد قومه ، وقد جاءك فاصدق الله فيه .

قال مصعب : ان يجلس أكلمه ، فوقف أسيد بن حضير عليهما متشتما ، فقال : ما جاء بكما الينا ؟ جئتما تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فان رضيت امرا قبلته ، وان كرهته كف عنك ما تكره ، قال أسيد : أنصت ، ثم ركز حربته وجلس اليهما ، فكلمه مصعب بالاسلام ، وعرض عليه معالمه وشرائعه وآدابه ، وقرأ عليه القرآن ، فاستبان لهما أمره ، وعرفا فى وجهه الاسلام ، قبل أن يتكلم فى أشراقه وتسهله .

ثم قال لهما أسيد : ما احسن هذا وأجمله .. كيف تصنعون اذا اردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهر ، وطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ، فقام أسيد واغتسل ، وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه ، وسأرسله اليكما الآن ، سعد ابن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم .

فلما نظر سعد الى اسيد مقبلا قال : احلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف أسيد على النادى قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين فو الله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما احببت ، فقال له سعد : والله ما أراك أغنيت شيئا ، ثم أخذ سعد حربته وخرج اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا انما أراد أن يسمع منهما ، فوقف سعد عليهما متشتما ، ثم قال لأسعد ابن زرارة : والله يا أبا امامة لو لا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت هذا منى ، اتغشانا فى دارنا بما نكره ؟ وكان أسعد بن زرارة قد قال لمصعب لما راى سعد بن معاذ مقبلا : جاءك والله سيد قومه ، ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان ، فقال مصعب فى ثقة واطمئنان : أو تقعد فتسمع ، فان رضيت شيئا رغبت فيه قبلته ، وان كرهته عزلنا عنك ما تكره .

فقال سعد بن معاذ : انصفت ، ثم ركز حربته ، وجلس ، فعرض

عليه مصعب الاسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قرأ عليه أول سورة الزخرف (حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) فتهلل وجهه وأشرق فعرفنا فيه الاسلام قبل أن يتكلم ، فى أشراقه وتسهله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون اذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين ؟ قال مصعب : تغتسل فتطهر ، وتطهر ثوبيـك ، ثم تشهد شهادة الحـق ، ثم تصلى ركعتين ، فقام سعد فاغتسل وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، ثم أخـذ حربته فأقبل عائدا الى قومه ، ومعه أسيد بن حضير ، رآه قومه مقبلا ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بنى عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا ، وأيمننا نقيبة ، قال سعد : فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . فما أمسى فى دار بنى الأشهل رجل أو امرأة الا مسلما أو مسلمة .

هكذا كان مصعب فى قوة ايمانه ، وصبره ، وحسن بلائه ، ومعرفته بطبائع النفوس البشرية حيث اختير داعية الى الاسلام فكان خير داعية الى الله تعالى ، استجابت له يثرب بأوسها وخزرجها ، رجالها ونسائها شبابها وشيوخها .

لقد كانت حياة مصعب بن عمير رضى الله عنه عجبا من العجب ، فهو فى جاهليته فريد فى حياته ثراء عريض ، وترف مريض ، ومتـع من حوله تغمره ، وهو منغمس فى لجتها لا يفيق واذا هو فى اسلامه آية من آيات الله فى رجالات الاسلام وشبابه ، أسوة الدعاة الى الله تعالى ، وأسوة البطولة فى ميادين الجهاد فى سبيل الله ، وأسوة الرضا عن الله تعالى فى مجارى أقداره وحكمته ، أحب الاسلام حبا غمر مشاعره ، وأحب الله ورسوله حبا ملأ عليه قلبه .

ولما رأى مصعب أن الاسلام قد غمر المدينة المنورة ، وغلب صوته على كل صوت ، ودخل على المخدرات والعذارى مداخلهـن ، ولم يبق بيت من بيوت الأنصـار الا وللاسلام فيه دوى ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر والى طلعته شوق ــ عمد الى خطة تجمع القلوب وتؤلف بين المجتمع الاسلامى الجديد ، وتجعل منه وحدة شعورية يمنونها الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وتدفع بالدعوة الى الاستعداد الأعظم لاستقبال الحدث الأعظم ، استقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خاصة اصحابه ، لتكون المدينة قلعة الاسلام وعاصمته الأولى وحصنه الحصين .

رأى مصعب أن يجمع بالمسلمين فى يوم من أيام الأسبوع ليجعل من صوت الاسلام قوة تدخل فى مداخل التجمعات اليهودية التى كانوا يسبتون بها فى سبتهم ، فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه أن يجمع بالمسلمين ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب اليه (انظر من اليوم الذى يجهر فيه اليهود لسبتهم ، فاذا زالت الشمس ، فازدلف الى الله فيه بركعتين واخطب فيهم) .

فجمع مصعب بن عمير فى دار سعد بن خيثمة ، وهم اثنا عشر رجلا — اى الذين حضروا اول تجميع فى الاسلام وماذبح لهم الا شاة ، فهو اول من جمع فى الاسلام جمعة .

ولما أظل الناس موسم الحج خرج فيـــه سبعون من الأوس والخزرج ليوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معهم مصعب بن عمير يرافقه صاحبه وصديقه أسعد بن زرارة ، فقدم مكة ، وكان اول منزل قصده لدى وصوله الى مكة هو منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار وسرعتهم الى الاسلام واستبطائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم — اى فى الهجرة اليهم — فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ما اخبره .

وبلغ أم مصعب قدومه الى مكة ، فأرسلت اليه تقول له : يا عاق اتقدم بلدا أنا فيه لا تبدا بى ؟ فقال مصعب : ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بما أخبر به ذهب الى أمه ، فقالت له : انك لعلى ما أنت عليه من الصباة بعد ، قال : انا على دين رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، وهو الاسلام الذى رضيه الله لنفسه ولرسوله .

قالت : ما شكرت ما رثيتك مرة بأرض الحبشة ، ومرة بيثرب ، فقال : أفر بدينى أن تقتلونى ، فأرادت حبسه ، فقال : لئن أنت حبستنى لأحرضن على قتل من يتعرض لى ، قالت : فاذهب لشأنـــك ، وجعلت تبكى .

فقال مصعب يا أمه انى لك ناصح ، عليك شفيق ، فاشهدى أنه لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله . فقالت أمه : والثواقب لا ادخل فى دينك ، فيزرى برأيى ، ويضعف عقلى ، ولكن ادعك وما انت عليه ، واقيم على دينى .

وقد أقام مصعب رضى الله عنه بمكة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، وعاد الى المدينة فقدمها قبيل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنتى عشرة ليلة .

ولما استقر المقام برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، واقام المجتمع الاسلامى على دعائم القوة التى تأبى الضيم ، شرق المشركون بهذا الاستقرار ، ونشبت المعارك الحربية ، وكانت أولاها وقعة بدر الكبرى ، اعظـــم معارك الاســـلام انتصارا .

خرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثمئة مجاهـــد بعدة متواضعة ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءها الأعظم الى البطل القارىء المقرىء مصعب بن عمير وشد مصعب يده على اللواء ، والتقى الجمعان ، ودارت رحى الحرب بين قوتين غير متكافئتين عدد وعدة ، ولكن كان مع القلة المسلمة صبر الايمان وقوة العقيدة ومع الكثرة الكافرة غرور الكفر ، ومهانة الشرك وذل الوثنية .

هز مصعب لواء الاسلام ، وتنادى تحت ظلاله فرسان الايمان وأبطال الاسلام من المهاجرين والأنصار ، وما هى الا جولة حتى انجلت عواصف المعركة عن نصر الله لدينه وعبده ورسوله ، وجنده وحزبه ، وقتل صناديد قريش ، ورءوس الكفر ، وأسر منهم من نجا من القتل .

وكان فى الأسرى أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه ، أسره رجل من الأنصار .

يقول أبو عزيز : مر بى أخى مصعب ورجل من الأنصار يأسرنى ، فقال له : شد يديك به ، فان أمه مليئة ذات متاع ، لعلها تفديه منك ، فكنت فى رهط من الأنصار حين اقبلوا بى من بدر ، فكانوا اذا قدموا غذاءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا .

ثم فدى أبو عزيز بأربعة آلاف درهم ، وهى أعلى فدية .

وفى هذه القصة اشراقة من مطالع نور الايمان ، فمصعب رضى الله عنه ، كان حاملا فى هذه المعركة التى أسر فيها أخوه شقيقه أول لواء فى أول معركة بين الاسلام والكفر ، وهى أعظم معركة فى تاريخ الاسلام ، قد حشد لها المشركون قضهم وقضيضهم ، فلم يتركوا فارسا من أبطالهم الا جاءوا به الى حتفه ، والنبى صلى الله عليه وسلم كان على علم بضراوة المعركة وعدم التكافؤ فيها ، وكان صلى الله عليه وسلم قد تعرف على قوة العدو ، عدد وعدة فكان على بصيرة من أمرها ، ومع ذلك كله دفع اللواء الأعظم الى البطل المعلم القارىء المقرىء مصعب الخير ، واللواء لا يحمله فى ميادين الوغى ، ولا سيما فى المعارك الكبرى الا بطل ، تعرف شجاعته ، وبصره بالحرب ، وقوة ايمانه ، وصرامة عزيمته ، وكان مصعب بن عمير كل أولئك فى اهاب رجل ملك عليه ايمانه بدينه مشاعره .

ويتسامى ايمان مصعب رضى الله عنه عن تأثره بالعواطف والقرابة فهو يرى أخاه شقيقه لأبيه وأمه أسيرا فى يد مسلم انصارى ، فيغريه به ، ويحرضه على شدة الاستمساك به ، فيقول له : شد يديك عليه ، فان أمه ثرية ، ذات متاع كثير ، وستفديه منك بأعلى فداء ، وقد صدق الخبر ، وفدى أبو عزيز أخو مصعب بأربعة آلاف درهم ، وكان هذا القدر فيما تعورف أعلا فداء فدى به أسير .

ثم جاءت غزوة أحد ، وهى غزوة تكالب فيها الشرك بجموعه وجحافله واحقاده للثأر ويختار رسول الله صلى الله عليه وسلم بطل اللواء فى واقعة بدر لحمل اللواء فى هذه الغزوة التى أعد لها أعداء الاسلام من المشركين وأخابث اليهود والمنافقين كل ما يملكون من قوة حاقدة ، وشراسة ضارية ، ليثأروا لقتلاهم فى بدر .

فكان مصعب نعم القائد البطل ، ونعم حامل اللواء فى الأولى والآخرة ، لم يسقطه من يده ، ولم يسلمه لغيره الا بعد أن أشهد الله ورسوله والمؤمنين انه لم يبق فيه بقية من حياة ، وسقط مصعب شهيدا

مضرجا بدماء الشرف ومجد البطولة .

يقول ابن سعد فى الطبقات : حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد ، فلما جال المسلمون ثبت مصعب باللواء ، فأقبل ابن قميئة على فرس له ، فضرب يد مصعب اليمنى فقطعها ، فحنى مصعب على اللواء وأخذه بيده اليسرى ، فضرب ابن قميئة يده اليسرى فقطعها ، فحنى مصعب على اللواء وضمه بعضديه الى صدره ، ثم حمل عليه ابن قميئة الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ، ووقع مصعب ، وابتدر اللواء رجلان من بنى عبد الدار ، أحدهما أخو مصعب ، هو أبو الروم بن عمير ، فلم يزل فى يده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون .

وقد وقف النبى صلى الله عليه وسلم على مصعب وهو منجعف — أى مصروع ملقى — على وجهه ، فقرأ هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) الى آخر الآية ، ثم قال : (ان رسول الله يشهد انكم الشهداء عند الله يوم القيامة) ثم اقبل على الناس ، فقال : (أيها الناس زوروهم واتوهم ، وسلموا عليهم ، فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم مسلم الى يوم القيامة الا ردوا عليه السلام) .

وفى حديث خباب بن الأرت قال : هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله ، نبتغى وجه الله ، فوجب أجرنا على الله ، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئا . منهم مصعب بن عمير ، قتل يوم أحد ، فلم يوجد له شىء يكفن فيه الا نمرة ، فكنا اذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه ، واذا وضعناها على رجليه خرج رأسه ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (اجعلوها مما يلى رأسه ، واجعلوا على رجليه من الأذخر ، ومنا من اينعت له ثمرته فهو يهديها — أى يجتنيها —) .

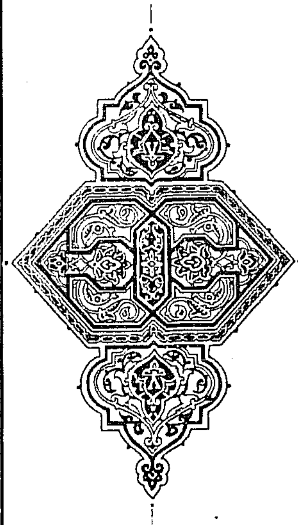
هذا مثل من أمثلة الدعاة الى الله تعالى ، ونموذج من نماذجهم الذين اشربت قلوبهم منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى احتمال الأذى ، والصبر على المحن والبلايا فى سبيل القيام بعبء نشر الاسلام ، فى حرص على أن تبلغ دعوته الى أعماق النفوس ، وأن يكون اسلوب الدعوة قائما على الحكمة والموعظة الحسنة ، ورياضة النفوس ومعرفة أحوالها ، والرضا من الدنيا ببلغة الرمق ، مع عزة الايمان ، وشجاعة القلب وقوة اليقين .

وقد كان لهذا المسلك الذى سلكه مصعب رضى الله عنه فى تبليغ الدعوة والروح التى تشبع بها فى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم أثره العظيم فى نشر دعوة الاسلام وتثبيت دعائمها بالمدينة المنورة ، الآن فتح القلوب المغلقة برتائج الوثنية العمياء والعصبيات الجهلاء ، والآن النفوس الجامحة ، ومهد (يثرب) مع ما كان فيها من حروب دموية ، وأحقاد يهودية ، ونفاق ماكر خبيث ، لتكون قلعة الاسلام ، ومدينته التى يأرز اليها عند اشتداد الملمات .

فرضى الله تعالى عن مصعب بن عمير ، فقد كان طرازا من الدعاة الى الله أحوج ما يكون الاسلام فى يومه الآن الى أن يقتبس دعاته من انوار مصعب وهدية ومنهجه فى الدعوة الى الله .

دور الإسلام في العصر الحديث

لكاتب كبير



بلغ العصر الحديث ذروة العلوم الطبيعية ، والكيماوية ، والكهربائيـــة ، والبيولوجية ، فهو عصر الذرة والصاروخ وغزو الكواكب ، الا أن الذروة يقابلها الحضيض ، فالعصر ينحط الى الحضيض فى الفوضى الفكرية والخلقية . تتجلى الفوضى الفكرية فى المادية ، والروحية ، والاشتراكية ، والرأسمالية ، والرجعية والتقدمية ، واليمين ، واليسار ، والأثرة والايثار ، والحرية ، والعبودية ، والفرد والأمة ، والنسبية ، والاطلاق ، والناس فى ذلك بين إفراط وتفريط ، وكل يدعى أنه صاحب الحق ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

وتتجلى الفوضى الخلقية فى المظالم الفردية والجماعية والأنانية المزرية التى تتضاءل أمامها غرائز الوحوش ، والاباحية المطلقة التى فتحت أبواب الزنا ، والربا ، والخمر ، والميسر ، والسرقة . فنتج عن المظالم الفردية فساد ذات البين، واكتظاظ المحاكم بملايين الدعاوى حتى مل الناس القوانين والقضاء ، ونتج عن المظالم الجماعية حروب أحرقت الأخضر واليابس ، فمن الحرب العالمية الأولى الى الحرب العالمية الثانية الى حرب كوريا ، الى حرب فيتنام ، الى حرب فلسطين الى ثورات متوالية فى جميع أنحاء المعمورة ، وهذه نذر حرب عالمية ثالثة حتى لكأن الأرض قدر يغلى على النار ، أو بركان دائم الانفجار يأبى الهدوء والاستقرار، ونجم عن الأنانية عدوان أمة على أمة ، واستعباد شعب لشعب ، واستغلال القوى للضعيف حتى لكأن البشر أصبحوا وحوشا كاسرة لا هم لها الا الســـطو والافتراس ، ونتج عن الاباحية ترجل المرأة ، وتخنث الرجل ، وضياع العفاف ، وهدم الأسرة ، وأمراض الزهرى ، وأمراض الكحول . والانتحار ، واللصوصية المنظمة ، والدجل الهادف ، والكفر بجميع المثل .

وانك لتجد هذه الصورة القبيحة التى تشكل فاجعة القرن العشرين تلف الاكثرية الساحقة من البشر ولم يبق الا القليل القليل ممن يؤمن بالعدل والايثار ، والعفاف ، والأمانة ، والصدق والوفاء حتى لكأن هذه المثل ألفاظ تحتـــاج الى ترجمة لكى تستسيغها عقول أبناء الجيل وضمائرهم .

هذه حال العصر اليوم فما هو الدواء .؟

اننا حين نقدم الاسلام علاجا لهذا السقم الفكرى والخلقى لسنا بمغالين ولا متعصبين ، وانما هى الحقيقة المشفوعة بالحجة والبرهان .

امتاز الاسلام على سائر المبادىء والأديان بدعائم راسخة جعلته الدواء الناجع ، والبلسم الشافى ، والنظام الصالح لكل زمان ومكان .

مجال الاسلام فى العقيدة والفكر

١ ــ الايمان بالله :

إن تعلق المخلوق بعقيدة راســـخة معناه الاســـتقرار الفكـــرى ، ومنع الاضطـــراب والتقلب والتردد ، حتى ان حياة بعض الأفـــراد غيـــر المـــؤمنين تنقضى ، ولما يصلوا الى اطمئنان أو اســـتقرار ، ولم يقدموا خيـــرا لأنفسهم أو لأمتهم الا نزاعا أو نقمة ، أو ما تمليه عليهم الريبة والضياع ، هذا هو الفرق بين حال المؤمن وبين حال الملحد ، فكيف ان كان مؤمنا باله واحد منزه عن الشبيه والشريك ، ليس كمثله شىء محيط بكل شىء ، قادر على كل شىء يحاسب على الصغيرة والكبيرة ، ولا بد من لقائه والوقوف بين يديه .

وقد خلت عقيدة الاسلام من أوهام وخيالات الشعوذة وسيطـــرة رجـــال

الدين ، وأقامت فى داخل النفس وازعا لا يفارقها ، فهو توحيد نقى يؤيده العقل ، ويستسلم له المنطق فلا يصطدم بتعقيد التعدد ، وتناقضات الآلهة ، وما ينشأ عن ذلك من اضطراب فكرى وفساد خلقى ، ولا يتسع مجال المقال للاستطراد فى اشباع هذه الفقرة أكثر من ذلك ، قال تعالى ((**أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى ، أم من يمشى سويا على صراط مستقيم**)) (الملك) وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام « **يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار**)) (٣٩ يوسف) وقال عز من قائل « **لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا**)) (الأنبياء) .

٢ — بين المادية والروحية :

ما من دين ولا مبدأ استطاع أن يجمع بين الروح والمادة كما جمع بينهما الاسلام ، والمادة والروح كلاهما حقيقة واقعة ، ولذلك وجدنا المبادىء المتعلقة بالمادة وحدها اتصفت بالقسوة ، والبلادة ، والظلم وجفاف الحياة من البهجة وخلوها من الرحمة والتعاون والتسامح حتى يمسى الانسان فيها آلة صماء لا حس لها ولا شعور ، ولا راحة لها ولا هناء ولا امتياز ، ولا كيان يتحرك بغير ارادته ، ويسكن بغير اختياره . ويا له من قتل بشع لذاتية الانسان التى امتاز بها على الحيوان فهو مسخ تدريجى ، وموت لا شعورى ، وكيف لا يكون موتا وقد خلا من الروح ، وهل الموت الا نزع الروح .

كما نجد المبادىء التى تعلقت بالروح وحدها على غير هدى ، واهملت شأن المادة كل الاهمال عزفت بأتباعها عن الحياة بما فيها من العلوم والصناعة ، والزراعة والعمران ، وما يتصل بذلك من الاكتشافات والاختراعات التى تتفجر فيها الطاقات الفكرية الكامنة ، وقدرة الانسان العجيبة التى تخرج على العالم كل يوم بأصناف الفنون وأنواع الصنائع ، وتبارك الذى دفع الانسان الى ذلك دفعا حينما أنزل عليه قوله تعالى ((**اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم .**)) (العلق) .

اذن تجد أن هذه النزعة الروحية المتطرفة هى فرار من الحياة ، فلا الأولى أصابت ، ولا الأخرى أجابت ، ولكن الاسلام وحده هو الذى أصاب الهدف ، وأجاب مطالب البشر ، فجمع بين المادة والروح ، وألح على كل منهما بنصوص صريحة ، وخطوط عملية ، وحدود واضحة ، يتجلى ذلك فى الصلاة ، جسم يتحرك وروح خاشعة ، وفى الصيام ، ترويض للبدن وتزكية للأخلاق ، وفى الحج سعى وهرولة ، ودعاء وتلبية ، وفى الزكاة نظام اقتصادى ، وعمل أخلاقى وفى قوله تعالى « **وزاده بسطة فى العلم والجسم**)) (٢٤٧ البقرة) وفى قوله تعالى « **ان خير من استأجرت القوى الأمين**) (٢٦ القصص) وفى قوله تعالى ((**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**)) (٧٧ القصص) وفى قوله تعالى ((**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله**)) (١٠٥ التوبة) وفى قوله تعالى ((**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور**)) (١٥ الملك) .

٣ — سبيل الاعتدال .

يتجلى اعتدال الاسلام بتوسطه بين الافراط والتفريط ، ويبدو ذلك واضحا بتوسطه بين الاشتراكية العلمية والرأسمالية ، وبين الرجعية والتقدمية ، وبين الفرد ، والأمة .

ا ــ بين الاشتراكية والراسمالية :

قد يطول البحث اذا أردنا التفصيل فيه ، فلا بد من الاجمـــال . فمعايب الاشتراكية العلمية تظهر فى نزع الملكية ، والقضاء على عنصر المبادرة الشخصية الأمر الذى يصادم أعمق غريزة بشرية ، وهى حب البقـــاء المرتبطة كل الارتباط بحب التملك ، فالانسان الذى لا يملك لا يعمل ، والذى لا يعمل لا ينتج ولا يحسن الانتاج ، مما أدى الى تراجع فى بعض البلاد الشيوعية باباحة الملكيات الصغيرة ورسم علاوات لمن يزيد فى الانتاج ، وهذا التراجع وحده طعنة فى صميم هـــذا النظام ينذر بالقضاء عليه فى المستقبل ان لم يفرض على الانسان بالحديد والنار ، فالانسان ليس مجرد آلة يعمل ولا يملـــك أو يندفع لتحسين الانتاج باضطـــراد ، ولو كان الانتاج لغيره وهو فوق ذلك محروم الحرية مكبوت الأنفاس ، ان مثل هذا الاندفاع ضرب من المستحيل ، ولذلك وجدنا أن كل نظام يصادم فطرة الانسان وغريزته صائر حتما الى زوال طال الزمن أو قصر .

وأما معايب الراسمالية فتتمثل فى تضخم المال ، وما ينشأ عنه من فروق طبقية مخيفة ، وباستغلال الغنى للفقير ، وما ينشأ عنه من الربا الفاحش والظلم الفادح والاحتكار والتلاعب بالأسواق لحساب طبقة خاصة على حساب سواد الناس ، والربح غير المشروع كالربح الفاحش ، والقمار ، والغش ، تلـــك المعايب التى أحدثت ردود فعل عنيفة كان من جملتها النظم الاشتراكية . ولا بد لكل رد فعل الا يتصف بالاتزان ، لذلك اشتملت الاشتراكية على عيوب أخرى هى نقائض عيوب الراسمالية ، وفى كلتا الوجهتين غلو وتطرف ، كما بين الافراط والتفريط .

ولكن الاسلام ــ على ضوء هذا المخطط المجمل ــ هو الذى خلا من عيوب الوجهتين ، والتزم طريق الاعتدال ، فلم يحرم الملكية فيصادم فطرة البشر ، ويقضى على طاقاتهم وفعالياتهم ، وتسابقهم الشريف ، وتنافسهم المضطرد ، ذلك العنصر الأساسى فى المبادرة الشخصية التى هى اساس كثرة وتحسين الانتاج وهـــذا اساس لا بد منه لصلاحية كل نظام اقتصادى ، ولكنه لم يدع الباب مفتوحا على مصراعيه شأن الراسمالية حتى احتاط دون تضخم المال ، وما يجر اليه من سيئات فعالج الأمر **بشرطين على رأس المال ، وشرطين على الربح ــ اجمـــالا دون تفصيل .**

أما الشرط الأول المضروب على راس المال فهو **الزكاة** التى تبلغ فى النقد ٥ر٢٪ **بحيث يتحول أصل أى ثروة كانت ، مهما عظمت الى الأمة خلال أربعين سنة ، ومعنى هذا أن الفرد يهب أصل ماله كله للمجتمع خلال دورة زمنية لا تمتد أكثر من أربعين سنة فتامل ، ومثل هذا لا يوجد فى الراسمالية .**

أما الشرط الثانى المضروب على راس المال فهو **الارث وهو كفيل بتفتيت الثروات وتحويلها من فرد واحد الى عدة أفراد** حسب عدد الورثة ، ومثل هـــذا غير متوفر فى النظام الراسمالى فى أكثر البلاد .

وأما الشرط الأول المضروب على الربح فهو **تحريم الربا الذى يكدس ثروات طائلة بأيدى الأشخاص بغير جهد ولا نصب** الا استغلال الفقراء والضعفاء ، ولو أحصينا عدد الأثرياء فى البلاد الراسمالية لوجدنا أكثرهم مرابين ، أساس ثرواتهم الفاحشة مبنى على الربا .

وأما الشرط الثانى المضروب على الربح فهو **تحريم القمار** وكل ما يشبهه من الأرباح الفاحشة غير المشروعة التى كثيرا ما تؤدى الى الثراء الفاحش والتضخم

المالى بيد طبقة على حساب طبقة أخرى بغير حق .

واحتاط الاسلام أيضا وراء هذه الشروط الأربعة بقواعد عامة خلت منهـا النظم الراسمالية وهى تحريم الاحتكار ، وتواطؤ التجار والاستغـلال والربح الفاحش ، والغش ، والتلاعب بالأسعار الى آخر ما هنالك من سيئات النظام الرأسمالى ، الذى لم يكن له أساس من العقيدة يرجع اليه فى تهذيب اقتصاده ، وفرض نظام على هدى ومنطق سليم ، اذن يجد المنصف ان الاسلام **جاء العالم بخير الحلول الاقتصادية** عدلا واتزانا وانتاجا وخلوا من الأحقاد ، وبعدا عن ردود الفعل المتوالية المتمثلة بالافراط والتفريط .

ب ـ بين الرجعية والتقدمية :

تلك النغمة التى قسمت العالم فريقين ، واستغلتها السياسة أبشع استغلال حتى كاد يضيع مفهومها ومدلولها ، فكل أمة مالت الى اليسار فتجلى ذلك لديها بالالحاد ، والاباحية ، والعنف ، والقسوة ، والتحلل من القيود والريبة فهى تقدمية وكل أمة مالت الى الجمود والثبات على بعض المفاهيم ، والاصطباغ بصبغة الدين والتغنى بنوع من الأخلاق ، والارتباط بالقديم فهى رجعية ، ولكن السياسة كما قلنا مسخت حتى هذا التمييز على ما فيه من باطل فى دوامتها السريعـة ، واستغلالها المغرض ، فان انكلترا مثلا رجعية بالنسبة لروسيا ، وان روسيا مثلا رجعية بالنسبة للصين ، وهكذا يجرى التسابق الرخيص دون معايير منطقية ، حتى أمسى سبابا وشتائم قبل أن يكون تقويما حقيقيا مبنيا على معايير صحيحة ومنطق سليم .

والحق فى هذه المسالة : أن كل انسان عاقل يجب أن ينشد التقـدم ، والذى لا يتقدم يتأخر حتما ، **ولكنه يجب أن يتقدم الى القمة** لا الى الهاوية اذن فثمة **تقدم محمود** ، وهو الصعود المتمثل فى رقى العلوم والزراعة والعمران وما يتصل بذلك من اكتشافات واختراعات لا تقف عند حد حتى أوصلت الانسان الى القمر فمهما تقدم الانسان فى هذا المضمار فهو تقدم محمود وسير غير محدود « **وفوق كل ذى علم عليم** » (٧٦ يوسف) وثمة **تقدم مذموم** وهو الانحدار المتمثل فى القضاء على المثل العليا ، والفضائل المجمع عليها ، والانغماس فى الرذائل المجمع على قبحها ، وايذائها ، كالكذب ، والخيانة ، والمكر ، والغش ، ونقض العهد والسرقة، تلك السيئات التى وجدت لها مرتعا خصبا فى أوساط أدعياء التقدمية العصرية ، لأنهم كفروا بنقائضها من المثل العليا خشية أن يوصموا بالرجعية .

وكما أن للتقدم نوعين محمودا ومذموما ، كذلك الأمر فى الرجعية فثمـة **رجوع محمود** يتمثل بالرجوع الى الحق مهما كان قديما **ورجوع مذموم** يتمثـل بالرجوع الى القديم ولو كان خطأ أو نقصا .

أما الأول فانه الرجوع الى الصدق ، والوفاء ، والأمانة ، والعدل مهمـا تقادم الزمن ، والرجوع الى ما ثبت من الحقائق الرياضيـة ، والهندسية ، والجغرافية ، وما شاكلها مهما تقادم عليها الزمن ، ذلك أن ثمة أمورا لا يمسها التطور الى أن تقوم الساعة ، ومن الغباوة المخجلة تركها والجنوح الى نقائضها بداعى التقدمية والخلاص من الرجعية ، والظاهر أن التعبير بالرجعية كان قديما يتعرض له أصحاب الدعوات فى كل عصر حتى وجدنا بعض مناوئى الاسلام يرمون الدعوة الاسلامية بالرجعية ابان ظهورها وتقدمها ، فيقولون ، كما حكى القرآن عنهم « **ان هذا الا أساطير الأولين** » (٨٣ المؤمنون) « **إن هذا الا خلق الأولين** » (١٣٧ الشعراء) « **وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا** »

(٥ الفرقان) ولم يحل هذا التعبير بالرجعية دون تقدم الاسلام وظهوره .

واما **الرجوع المذموم** فهو التمسك بكل قديم مهما كان ، ولو تبين خطؤه ، أو ظهر خير منه ، واجدى على الفرد والمجتمع ، كمن يصر على وسائل الزراعة والصناعة والعمران التى كانت تستعمل قديما ، ويحول دون العلوم العصرية التى قطعت شوطا عظيما فى التقدم ، فهل لمثل هذا مبرر من عقل أو شرح ؟

لا يمكن أن يوصف مثل هذا بغير الغباوة والجريمة ، ولمثل هذا يقال بحق ان دولاب الزمن لا يرجع الى الوراء .

وعلى ضوء هذا التقسيم الواضح المنطقى فى التقدمية والرجعية نجد أن الاسلام كان وسطا بين النظرتين الجائرتين بعيدا عن اكاذيب السياسة ، محفوظا من التسابق غير الشريف ، لا يوزع الألفاظ جزافا ، ولا يتغنى بالألحان الفارغة **فهو ينشد التقدم المحمود ، ويحض عليه ، ويرجع الى الحق مهما كان قديما ، ويصر عليه** ، وبذلك تضمن أسباب البقاء والخلود ، واشتمل على عناصر الحياة الباقية للفرد والمجتمع ، وان شئت فاقرأ قوله تعالى «**أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا** »(٦١ النمل) **(ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون))** (١٦٤ البقرة) ((**والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم))** (٣٨ يس) ((**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل))** (٥ الزمر) والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على ذلك من أمور الزراعة، والصناعة ، والفلك وما اليها تكاد لا تحصر ، ولا يتسع المجال للتفصيل فى ذلك أكثر .

ج ـــ بين الفرد والأمـــة .

غالت بعض النظم فى قيمة الفرد حتى جعلته الها يعبد من دون الله ، فنشأ من ذلك الحكم الدكتاتورى والفاشى والنازى ، وكانت الأمة فريسة لطغيان الفرد ، فكم ديست كرامات ، وانتهكت حرمات ، وكبتت حريات بسبب ذلك الحكم الفردي الجائر الذى هدر حقوق الأمة وسلبها كرامتها وحريتها ، وادعت بعض النظم أن الحكم للأمة ، ولا قيمة للفرد ، فهو مسمار فى عجلة الجماعة ، فلا رأى له ولا قدسية ولا حرية ، ولا كرامة ، فاقتيد الناس كالبهائم ، وحشروا حشر السوائم ، وسجنت جحافل فوق جحافل ، ككتل بشرية تزجر كما تزجر الآلات الصماء وتسخر كما يسخر الأرقاء **ويتمنون لو استطاعوا الصراخ .. الصراخ** فقط للتعبير عن الألم فلا يستطيعون .

أما الاسلام وهنا تتجلى العظمة والاعجاز البالغ ، فهو الذى الف بين حقوق الفرد والجماعة دون أن يهدر كيان الفرد ، أو يعتدى على الجماعة ، الخليفة يحكم وله على الناس الطاعة ، ولكن ان اعتدى وظلم فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وان زل واخطأ قامت اليه امراة تصحح له فيقول « أصابت امراة واخطأ عمر » وان أراد أن يستبد فالأمة له بالمرصاد ، وان أراد أن يستأثر برأيه ، ويضرب بآراء الناس عرض الحائط خوطب بالآيات الكريمة « **وشاورهم فى الأمر**)) . ((**وامرهم شورى بينهم**)) وان أراد أن يستهين بفرد واحد **باعتداء أو حرمان حق أو هدر** دم زجرته الآية الكريمة التى تشير الى قدسية النفس الانسانية وحمايتها

« **من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحيـــاها فكأنما أحيا الناس جميعا** » (٣٢ المائدة) **للفرد حقوقه وحدوده وللأمة حقوقها وحدودها ، والجميـــع يعملون يدا واحدة** في وحدة متماسكة كالجسد الواحد « **أن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** » (٤ الصف) وكما اخبر عليه الصلاة والسلام « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » .

مجال الاسلام في الأخلاق

لا أحد يستطيع أن ينكر الواقع البشرى المنحط من الناحية الأخلاقية .

فالظلم والاباحية والأنانية وكل رزية من هذه الرزايا لعبت دورها الكبير في المجتمعات الحاضرة ، وانحط فيها الخط البياني الى الحضيض .

تعال معي الى دور القضاء ، ومكاتب المحامين ، وسجلات الجرائم في كل العالم لترى الى أي حد بلغت المظالم الفردية ، وأي رقم بلغت الجريمة ، فالفرد اعتاد الظلم ، ودرج عليه ، والقضاء فاسد ليست فيه عقوبة رادعة في الأغلب ، والمحامون كثير منهم تجار مادة على حساب ضمائرهم أضرموا نيران الجرائم لكي تمتلىء جيوبهم ، والحكام كثير منهم زور عن الحق ، ولو ظهر جليا لأعينهم ، كل أطراف القضية متواطئون ، على الجريمة ، وكل أسوار الحمى منتقضة حتى ضجت الأرض من ظلم أهلها ، فأين يجد العدل مأمنه ويحظى الحق بحماه . ؟

هنا يبرز دور الاسلام العظيم في تهذيب الفرد ، وإقامة وازعه الداخلي الذي يرافقه حتى الممات مبنيا علي مراقبة الله ، وخشية الوقوف بين يديـــه ، واليقين بزوال الدنيا ، وبقاء الآخرة ، وفي صلاحية مادة القضاء التي تضع الأمور في نصابها «**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**»(١٧٩ ـــ البقرة) وفي تقويم الضمائر حتى تحكم بالعدل ، وتقول الحق ، ولو كان عـــلى النفس أو الوالدين والأقربين « **ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى** » فالمحامي ، والحاكم ، والشاهد انما هم موازين حق يحاسبون على الذرة والقطمير « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » ذلك أن الحاكم يتمثل قول الرسول عليه الصلاة والسلام « **ان المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن** » وقوله عليه الصلاة والسلام « **قاض في الجنة وقاضيان في النار** » والشاهد يتمثل قوله تعالى : « **ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه** » . ووعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جعل شهادة الزور من أكبـــر الكبائر . وأصبح المحامي يخشى ان دافع عن ظلم وباطل أن يكون رزقه سحتا « **وكل لحم نبت من سحت فالنار اولى به** » فما أحوج العصر لنور الاسلام .

ثم تعال معي نحص حصاد الاباحية ان كان يمكن الاحصاء .

كم فتكت الاباحية في كيان البشرية بالزنا والربا والخمـــر والميسر بداعي الحرية الزائف وسرابها الخادع ، تعال معي الى عيادات الأطبـــاء وسجـــلات المستشفيات في شرق الأرض وغربها لترى ما يذهل العقول من أرقام ضحـــايا الزنا ، والربا ، والخمر ، والميسر ، ان أنواع الأمراض الزهرية من الأفرنجي والسيلان والقرحة اللينة ، وأنواع التسمم الغولي من تشمع الكبد ، وقرحة المعدة وتصلب الشرايين ، وعدد ضحايا الانتحار من جراء الربا ، والقمار انتشرت في جميع أنحاء المعمورة ، وتزايدت أرقامها باضطراد حتى عجزالطب عن المعالجة

وسرى المرض من الآباء الى الأبناء ، ومن الأجداد الى الاحفاد ، ويكفي أن تعلم أن اكثر اسباب السكتة القلبية (الجلطة) والسكتة الدماغية عائـد الـى الخمر والأفرنجي حتى تعلم ما تجره هاتان الغائلتان على العالم من شرور ، وهنا تذكر دور اسلام العظيم الاذى ينادى بأعلى صوته « **انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » « **ولا تقربوا الزنـا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا** » •

وشرع العقوبة الرادعة حتى لا يبقى الحكم نظريا لا فائدة منه فقال « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رأفة فى دين الله أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفـة من المؤمنين** » • (٢ — سورة النور) •

ثم شرع عقوبة التعزير لشارب الخمر ، كما ثبت فى السنة الصحيحة ، بل ورد وجوب قتله ان اصر على المعصية جهارا ولم يرتدع •

والأثرة (وهى الأنانية) ذلك الداء الوبيل الذى أصبح يتحـكم بتصرفات الأفراد والجماعات حتى كاد يكون أس جميع المفاسد ، وطابع جميع الأعمال ، بل تأصل فى النفوس ، وطغى عليها حتى نسيت عـاره ، وانسجمت معه ، فاحتكمت اليه ، فأصبح مقياسا للاندفاع فى العمل ، أو الاحجام عنه ، فالعمـل بمقدار ما يؤمن لك مصلحتك الخاصة يكون عملا صالحا يجب الاقدام عليه ، وبمقدار ما ينافى مصلحتك الخاصة يجب الاحجام عنه ولو كان فيه نفع غيرك أو نفع الأمة قاطبة • يا سبحان الله كيف انقلبت المفاهيم ومسخت الأخلاق • ؟

ولك أن تتصور بعد ذلك هول الانحدار الذى تتردى فيه الانسانية الى هوة سحيقة عرفت أولها ، ولا يمكن أن تعرف آخرها ، لأن قعر جهنم لا يعرف له مدى الا فى علم الله تعالى • هنا تبدو عظمة الاسلام أيضا الذى يأبى الا أن يبنى الأخلاق على أساس متين ، والا أن يحل المشكلات حلولا جذرية « **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم** » (١٠٩ — سورة التوبة) •

فاذا كانت حضارة العصر تبنى أخلاق بنيها على الأنانية المقوتة فان أخلاق الاسلام مبنية على الايثار والغيرة « **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** » (٩ — الحشر) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه » •

وبهذا الدستور الخالد تحسم اكثر الجرائم التى ان بحثنا عن اسبابها العميقة وجدناها ترجع الى أنانية ممقوتة تخفى تحتها أقبح صور الحقد على الناس ، ولا يتسع المجال لضرب كثير من الأمثلة العملية التى تفضح سوآت الأنانية ، وتفصح عن مجال الغيرة ، فذلك يستقل وحده بموضوع ، وانما كـان البحث على مستوى الأصول لا الفروع •.

بهذا العرض السريع المجمل يتبين ما للاسلام من دور عظيم فى اصلاح حياة الأفراد والجماعات لا سيما العصر الذى نعيش فيه ، فانه بقدر ما تكون الارض عطشى تحتاج الى الماء ، وبقدر ما تحتبس الأنفاس تحتاج الى الهواء ، وان نظرة فاحصة مجردة تتمتع بالنزاهة كافية للاقتناع بصلاحية هذا الدستور الالهى العظيم ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، وان غدا لناظره قريب ، وما ذلـك على الله بعزيز •



للأستاذ
أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى

من مفهومات العقل الحديث : ما اشتط بناشئة الشعوب النامية : محافت على فطرتها ، وتنكرت لموروثاتها ، وعادت لا شخصية لها ، لأنها تفكر بغير عقلها !

ومع هذا : لغطت (هذه الناشئة) : بالحرية ، والتجرد للحقيقة ، ومنابذة التقليد .. وكان فى هذا اللغط : تشويش على المحافظين !

ونسوا : انهم : مكبلو الأفكار ، مأسورو العواطف (بمفهومات العقل الحديث !)

وهى مفهومات عامة الفساد : فى القيم ، والنظم .

وأبرزها : أن الله ـــ تعالى عما يقولون ـــ : « أكذوبة أو خرافة » .. وردوا هذا النفى : الى عجز العقل ، أو عدم الثقة به .

انهم : يشيدون بالعقل الانسانى : فى رفض حقائق الدين وغربلتها (وهى حقائق يتطامن العقل دونها) .. ثم يرفضون « حكم العقل » فى

أمهات تلك الحقائق : من مسائل « الميتافيزيقا » .. فيقصرون المعرفة فى دائرة الحس : فكان هذا : تناقضا شنيعا .

فكيف يكون العقل حجة هناك ، ويكون غير مقبول هنا (مع أن العقل : لم يكن حكما : فى تشخيص ذات الله ، والاحاطة بها ، حتى يقال : بالفرق بين هذا ، وذاك) ؟!

وقست دول الألحاد : فى فرض مفهوماتها .. وحجتها : أن العلم المادى : اندفع فى أبعد آماده ، واكتشف المجهول ، ونظر بالمجاهر المكبرة ، فلم ير الله (فيما رأى) !

نقول : فى صريح القرائح : إن « عدم العلم بوجود الشيء » : لا يعنى « العلم بعدم وجوده » .. هذه حقيقة يجب : : أن يسلم بها « العقل الحديث » لأن ، العلم (حتى هذه اللحظة) يكتشف كل يوم مجهولا .. ولو كان « عدم العلم بالشيء » كافيا : فى العلم بعدمه .. : لما صح للعلم : أن يكتشف مجهولا : إذ كيف ينكشف وجود : ما علم عدمه ؟!

هذا تناقض ، والتناقض محال .

والعقل الحديث : يدفع بالعلم : الى غايته : لاستكشاف أسرار الوجود ، ومجاهله .. ولم يسلم — بعد بأنه أحاط بكل شيء علما ! فكيف يقال — بعد هذا — : بأن الله « أكذوبة » ؟!!

معاذ الله : ان نظن : بأن العلم بالله (علم : معاينة ، وادراك) مفتوح لرواد الفضاء ، أو (بالأعم) لرواد المجهول !

ومعاذ الله : أن يعلق بأذهاننا : ما تفوه به المهزومون — من بنى ملتنا — الذين يرون : أن الله (فى يوم ما) سيكون فى احساس البشر : اذا تقدم علم « تحضير الأرواح » .. لأن الله : لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير .

.. والذى لا يؤمن بغير المحسوس : يتنازل عن أخص خصائص الانسان !

وهناك موجودات (لا مراء فى وجودها) : كالروح ، والموت ، والأثير ولكنها لا تحس !

فلو كان الحس : هو المعيار : ما تخلف عنه شيء !! وعدم العلم بالشيء : « الجهل المطلق » .

قال « ديكارت » : « ليس مع الملحد علم » . ومن لا علم له : لا يصح له : أن يجزم بنفى أو اثبات ، لأن من لا علم له : يشك . فهى ثلاثة أمور : —

١ — إيمان بالله : ينبعث من العلم به .. وبهذا يكون المؤمن مستيقنا . وهذا ما نهضت للمؤمنين حجته .

٢ — عدم إيمان بالله : ينبعث من العلم بعدمه ، وبهذا يكون الملحد مستيقنا .. ولكن هذا : ما لم يورد له الملحد اى دليل (فضلا عن القول : بأن حجته غير ناهضة) .. فعلى كثرة الملحدين : لا نعرف : أن فيهم من يستدل على « العلم بعدم الله » .. بل مستحيل : أن يوجد دليل : على هذا المطلب .. وبرهاننا : التحدى !!.

٣ — عدم العلم : بالوجود ، أو العدم .. وهو مرحلة شك عارضة ،

وسلبية فى الاستدلال !

وكل ملحد : اذا سألته برهانه : لم تجد عنده أكثر من القــدح فى أدلة الموحدين ، والاستدلال : على أنه لم يعلم بالله !

ونقول ـــ لجمهرة الملحدين ـــ : ان مجاهركم ، ومكبراتكم : لن تر الله.. وعدم رؤيتها : ليس علما بعدمه .

فالعلم الحــديث ـــ بكل صريخــه ـــ .. والبشرية ـــ بكل حــولها ، وطولها ـــ : انما هى ذرة تائهة فى هذا الكون .. وأسرار الكون ، ومجاهله : أبعد من أعمارها ، وقواها .

ولو عمرت ـــ عمر إبليس ـــ : ما خرجت عن الكون ، وما بلغت آماده !

ولا نقول ـــ رجما بالغيب ـــ : ان العلم : لن يكتشف كثيرا : من المجهول (الذى لم يستأثر الله بعلمه) .. ولكن نقول : انى له الاحاطة بملكوت الله ؟!

وما كل اكتشاف جديد (يحيط به علم البشرية المسكينة) بصارف لنا عن الايمان بخالق الكون !

والعبرة فى خلق الحقيقة .. لا فى اكتشافها ! وصدق الله العظيم : « **إن الانسان ليطغى** » !

فيا أيها الملحدون : دونكم هذا الكون (الفسيح . الفسيح) فلا تتعجلوا بالالحاد : حتى تروا أنكم هيمنتم الهيمنة الكاملة : على تصريفه ، وتدبيره ، وعلى درء « حتميات القدر » وعلى كل ما لم تكونوا مستطيعين دفعه !! قال تعالى : « **ومن آياته خلق السموات والأرض** » ..

فهذا الخلق الهائل : لا بد له من خالق (وان لم نحسه ونراه) .. ولا بد أن يكون موجودا . فهذا المطلب ـــ وان لم يكن محسوسا ـــ ثبت بلزوم عقلى : مستمد من خبرة الحس ، لأنه ليس فى الحس : معلول بدون علة .. وليس فيه : أن عدما يخلق موجودا .. ولو وقف الملحد : عند هذه المرحلة (أعنى : مرحلة الشك) ولم يتجاوزها الا ببرهان : لكان أعذر .. فى ميدان الجدل !..

أما هنا : فقد رجح بلا مرجح ، وهذا تحكم .. فما الجزم : بنفى وجود الله : بأولى : من الجزم بوجوده . إذ لا دليل (للشاك) على القضيتين .

إذن : فملحد مستيقن : من المستحيلات !

فالملاحدة : اثنان :

متوقف حائر ، لا يحب الخوض فى « حقيقة الألوهية » وجازم (لا بيقين عقلى) .. ولكن بالعناد ، والمكابرة !

ودعوى النفى : لا مقر لها فى نفوس الملحدين .. وآية ذلك ظاهرتان :

أولاهمـــا : انه ما من ملحد (ينفى وجود الله) إلا ويثبت غيره .. فان عاند (فلم يثبت خالقا) : تهافت وتحامق : كمن يقول : إن الشىء يخلق نفسه !! أو إن الخلق : محض المصادفة !!

ومن يثبت غير الله : محجوج ، بأن المؤمنين (العقلاء) : لم يرتضـــوا إلا الإله الكامل ، المبرأ من كل عيب ، ونقص .

فالملحد (على رغمه) لم ينف وجود الإله ، ولكنه آمن بإله دون إله ، وكل من خلا الله باطل ، والمحاجة فى هذا : ميدانها : مباحث الوحدانية ، وسائر الصفات .

والثاني — باطلاق — : سيبقى هـــذا الكون سرا غامضا في نفســـه ، وسيعجزه تفسيره . وعلى كلا الفرضين : فلا قرار لخاطرة (النفى المطلق) فى النفوس والعقول .

وآخراهمـــا : (وهى ثمرة للظاهرة الأولى) : أن الملحد (غير المعاند) تلق من براهين الموحدين : لا يريح ، ولا يستريح : يثيرها دائما ، ويناقشها.. لافلاسه من راحة اليقين .

وتحامقت الناشئة ، فقالت : ان العقل الأوربى الحديث : ربيب العلم ، والاختراع ، والابداع ! وفى الواقع : أن الالحاد فكرة اختطتها الفوغائية ، وانصاف المثقفين .

اما علماء الذرة ، ورواد الفضاء ، والمبرزون : فى الطب ، والتشريح ، والنبات ، والطبيعة ، وشتى الاختصاصات : فقد أثبتوا وجود الله ، وهداهم العلم : الى أن لهذا الكون : قوة تضبطه (١) .

نقول : سنفرض أن « حقيقة الايمان » غير قائمة (بذاتها) من ناحية البرهان(٢) إلا أن لها مرجحات : من خارج : تبدو فى ثلاثة أمور :

١ — الحاجة إلى العقيـــدة :

وهذه الحاجة : تعرف : بالبرهان العلمى ، وهى فلسفة محضة للدين الاسلامى . قال « جورج سنتيانا » إن عقيدة الانسان : قد تكون خرافيـــة ، ولكن هذه الخرافة — نفسها — خير (ما دامت الحياة تصلح بها !) . وصلاح الحياة خير من استقامة المنطق !.. أ هـ .

صلاح الحياة بعقيدتنا : انها تستجيش النفس — فى استشعار عظمة الله ، ووجوده ، واحاطته — فيكون للانسان وازع ينبثق من وجدانه .

وحاجة الناس الى العقيدة — كما يرى « كانت » — تبـــدو : فى كونها ضمانا لأصحاب الأخلاق : لينالوا السعادة ((فى العاجل ، والآجل) .. ولهذا رأى « سكرتان » و « فيخنه » — تلميـــذ كانت — : أن الايمان بالله إيمـــان بالواجب . بمعنى : أن الإنسان : اذا لم يؤمن بالله : لم يبق أمامه واجب ؟! .

قال « ابن حزم » : ثق بالمتدين .. ولو كان على غير دينك .. وتقـــول — كما قال الشيخ « مصطفى صبرى » — : الله موجود : سواء : أصـــلحت أخلاق المجتمع ، أم فسدت .. وسواء : اسعد أصحاب الفضيلة ، أم شقوا ؟!

وانما أوردنا ذلك للتدليل : على أن الايمان بالله هو الراجح (على كل تقدير) .. لأنه خير باطلاق !.

٢ — الحيطـــة ... والبخت :

فنفرض : أن الانسان شاك : فى وجود الله ، ولكنه يؤمن — احتياطا — ليقى نفسه العذاب (على فرض : أن ما يعتقده المؤمنون حقا) .

وقد عبر أبو العلاء المعرى عن هذا الإيمان (فى بيتيه المشهورين) فقال :

قال المنجم والطبيب كلاهمـــا :

لا بعث بعد الموت : قلت إليكمـــا

إن صح قولكمـــا فلست بنـــادم

أو صح قولى فالخسار عليكمـــا

ويعرف هذا البرهان (عند الغرب اليوم) « بمراهنة بسكال » .. فعلى فرض : أن عقل الإنسان : لا يمكن أن يؤكد « وجود الله » كمـــا لا يمكن أن ينفيه : يرى « بسكال » .. انه : لا بد من الاختيار : بين الإيمان ، أو الالحاد .. وهو اختيار حتمى (لا دخل للارادة فيه) .. فماذا نختار ؟

وأين مصلحتنا فى الاختيارين ؟.

فلنراهن على كل منهما (حتى يتبين مدى ما يلحقنا من خسارة ، أو ما نجنيه من ربح) .. ولتكن المراهنة على هذه النحو :

أ ــ مصير المؤمن ــ فى هذه الحياة : التمسك بالفضائل ، والأخـــذ بالمتع : الروحية ، والعقلية .. مما يكسبه الصحة النفسية ، والبدنية .

أما الثانى : فمصيره التحرر من الفضائل ، وتحليل المحرمات ، والجرى وراء الملذات العابرة ، والمجد الزائف .. مما يرهق النفس والبدن . فالخسارة ــ إذن ــ على الملحد !.

ب ــ إذا ذهبنا الى : أن الله موجود : ضمنا حياة ابدية ، ونعيما دائما (إذا صحت حقيقة الإيمان) . وان لم تصح : فهو احتيـــاط ، لم نخسر به شـــيئا ..

ويرى « ابن الوزير اليمنى » : ان إيمان الحيطة ينفع صاحبه يوم القيامة نقول هذا إيمان الشاكين ، والإيمان يقين ينافى الشك .. وانما أوردناه تنزلا فى الاستدلال .. وأنه لا مبرر للالحاد : لأن الإيمان راجح على كل حال .

٣ ــ ضرورة العقيـــدة النفسية :

قال الدكتور « هنرى لنك » : انه عين مستشارا : فى مصلحة « تشغيل المتعطلين » بنيويورك .. ونيط به وضـــع الخطط ، ومراقبـــة الدراســـات الاحصائية (المستحصلة لعشـــرة آلاف نفس) .. وأجرى عليهـــم ما قدره ــ (٧٣٢٦) ــ اختبارا نفسيا ، فكانت النتيجة : ان كل من يعتنق دينا ، أو يتردد على دار لعبادة : يتمتع بشخصية اقوى وافضل : ممن لا دين له ، أولا يزاول أية عبادة (٣) .

وقال : الدين ليس ملجأ الضعفاء ، ولكنه سلاح الأقوياء ، فهو وسيلة الحياة الباسلة : التى تنهض بالانسان ليصير سيد بيئته ، المسيطر عليها .. لا فريستها ، وعبدها الخاضع .

* * *

كل ما مضى غربلة لمفهوم الألوهيـــة فى العقلية الغربيـــة الحـــديثة ، ومقارنات بين الإيمان ، والالحاد : تجلى فيها صدق هذه الكلمة لـــ «فولتير» : « اذا كان أمام الفكرة فى وجود الله عقبات ، فان فى الفكرة المضادة حماقات » .. بيد أن الناشئة : تحمست لحماقات الالحـــاد (دون أن تحـــاول تذليـــل

العقبات) . . وهذه نكسة فى المفاهيم والعقول !.
ولقدتمخضت مقارنتي عن أمور : هذا موجزها : —
١ — تناقض العقلية الغربية : فى اعتبار العقل حجة . — فى انكار حقائق الدين — وعدم اعتباره حجة فى الاثبات .
٢ — أن حجة الملحد سلبية ، لأنها « عدم علم » وليست « علما بعدم » !
٣ — ان الحس ليس معيار الحقيقة !.
٤ — انه لا يوجد ملحد مستيقن !.
٥ — انه لا مقر لفكرة الالحاد فى النفوس ، ويحتمل انه لا وجود لها فى الواقع ، لأن من ينفى وجود الله يثبت غيره ، الا أن المؤمن اختار الإله الكامل المبرأ من كل نقص وعيب .
٦ — أن للايمان مرجحات ، ولا مرجح للالحاد البتة ، بل للالحاد آفاته ، وآثاره السـيئة .
٧ — ان العلم نصير الإيمان ، وان الالحاد فكرة اختطتها الغوغائية .
٨ — لا تكافؤ بين أدلة الايمان والالحاد . . ومع التنزل فى الاستدلال : فان للايمان مرجحات من الخارج .
ولو احترم العقل الحديث منطقه : لآمن بأن الدليل العقلى (على وجود الله) دليل مستمد من الحس . . ودلالته من باب « اللزوم » . . وأقوى الأدلة ما كان من هذا الباب (كما قرر ذلك شيخ الإسـلام ابن تيمية) وما ثبت به فهو قطعى .
بيد أن الوضعية الحديثة : لم تفرق بين الدليل وبين موضوعه ، وقـد ردوا الدليل العقلى على إثبات وجود الله ، لأن الله غير محسوس !.
نقول : إن وجود الله ثبت باللزوم العقلى المنتزع من الحس ، والمبادىء العقلية الفطـرية . . وهذا اللزوم يعنى وجود موجود واجب الوجود بذاته غير محتاج لغيره ، وكل من عداه محتاج اليه .
فهذه وظيفـة العقل !
اما الدليل الحسى أو العقلى على ماهية ذلك الموجـود ، وكيفيتـه ، وتمثيلها للعيان ، فمستحيل . . لأن الله لا تدركه الأبصار ، ولا تحيط به العقول . . فالعلم به سبحانه : علم بوجوده . . لا احاطـة بذاته . . ولا تلازم بين العلم بالوجود والاحاطة بالذات . . ولنا مثال على ذلك — ولله المثل الأعلى — كمـا يلى : —
« ولو رأينا سفعة — من زبل ، أو رمل ، أو رماد ، أو قمامة متلبدة : يخالف لونها لون الأرض — لكان ذلك دليلا قاطعا : على أن ناسا حلوا بهذا المكان وسودوه . . وقد قيل : إن البعرة تدل على البعير ! »
فتيقن وجود أناس حلوا : « دليل عقلى حسى قطعى » .
وهذا ما نطالب به جماعة الملحدين ومنكرى دليل العقل .
أما صفة هؤلاء الناس ، وتشخيص ذواتهم ، وتمييزهم : بقسماتهم ، وسحناتهم ، فأمر فات الحس والعيان !.
ونوجز القول : بأن الله يعرف بالعقل ، ولكن معرفة العقل : لا تحيـط بكنهـه !.

نداء إلى شعوب الأمة الإسلامية

محمود حمدي

بشأن :

أ) تعلم اللغة العربية .

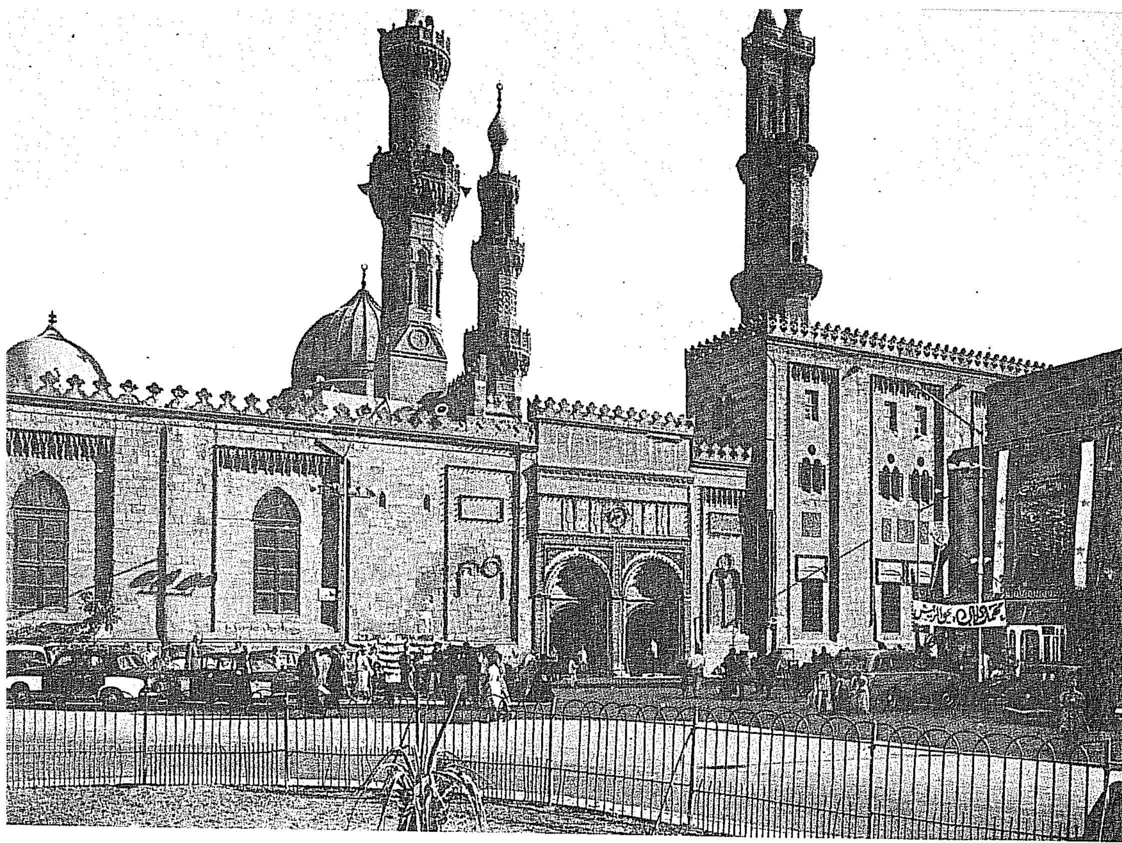
ب) خطورة كتابة لغات المسلمين غير العربية بالحروف اللاتينية

اجتمع مجلس مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر برئاسة فضيلة الدكتور الإمام الاكبر شيخ الازهر وبحث موضوع استبدال الحروف العربية باللاتينية وأصدر هذا النداء الى حكومات العالم كله ..
وفيما يلى نص النداء :

أ) باسم الاسلام الذى جمع كلمة المسلمين على ما فيه خيرهم وخير الانسانية وجعلهم فى مشارق الارض ومغاربها اخوة متساويين ، لا فرق بينهم على أساس من الجنس أو الوطن أو اللون .

يتقدم مجمع البحوث الاسلامية بالازهر بهذا النداء الى جميع المسلمين الذين يتكلمون بلغات وطنية غير العربية ليضع أمامهم رأى الاسلام فى تعلم لغة الاسلام ، التى هى أساس عبادتهم ووسيلة تفاهمهم فى دينهم ، ووعاء ثقافتهم الروحية ورمز وحدتهم .

ان اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم ، ولغة السنة الشريفة ولغة



جميع العلوم الدينية التى أسست القواعد ، ونسقت الفروع فى جميع العبادات والمعاملات وسائر شئون المسلمين .

ولقد صرح الإمام الشافعى رضى الله عنه ، فى رسالته فى أصول الفقه بوجوب تعلم اللغة العربية على جميع المسلمين — كل بالقدر الذى يستطيعه ، وبالقدر الذى يستقيم به دينه للعبادة — فأشار الى قوله تعالى : ((**وانه لتنزيل من رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين**)) . والى قوله تعالى : ((**وكذلك أنزلناه حكما عربيا**)) . والى قوله عز شأنه : ((**انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**)) .

فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ويتلو كتاب الله تعالى ، وينطق بالذكر فيما افترضه عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك .

وان مجمع البحوث الاسلامية بالازهر يذكر المسلمين جميعا بأن قيام الدين الاسلامى متوقف على العلم بلغة كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل ، سواء فى ذلك هدايته الروحية ورابطته الاجتماعية .

وان المسلمين لم يكونوا فى عصر من العصور أحوج الى وحدة الكلمة ، ووضوح الهدف منهم فى هذا العصر الذى قد استيقظوا فيه من سبات التخلف الذى كان قد فرضه عليهم الاستعمار .

وان من أهم الوسائل لدعم هذا الاستقلال وصيانة الحرية التى كافحوا فى سبيل الحصول عليها أن تقوى صلاتهم بعضهم ببعض أفرادا وجماعات ، عن طريق لغة دينهم بدلا من تفاهمهم وتراسلهم وتعلمهم بلغات المستعمرين الذين

طمسوا بها شخصيتهم الاسلامية .

فأيها أكرم لشعوب اخوتنا المسلمين : أن يكون تفاهمها بعضها مع بعض بالانجليزية والفرنسية — لغة من كانوا قد فرضوا عليهم سيادة المستعمر .. ومذلة التبعية .. أم لغة دينهم التي تربطهم بمئات الملايين من أبناء عقيدتهم وثقافتهم وحضارتهم ومصيرهم .. ؟

ب) وهذا أمر آخر يناشد فيه مجمع البحوث الاسلامية بالازهر اخوته المسلمين من الناطقين بلغاتهم الوطنية غير العربية ، هو أن هذه اللغات التى نتمنى لها القوة والازدهار بين أهلها قد اتخذ معظمها منذ دخول أهلها فى الاسلام . الحروف العربية لكتابتها وكان لذلك سببان قويان :

أولهما : أن هذه اللغات قد اشتملت على كثير من الالفاظ والتعبيرات العربية المتصلة بالدراسات الاسلامية والمجالات الحضارية .

ثانيهما : أن الحروف العربية أثبتت صلاحيتها لتصوير الاصوات اللغوية المطلوبة فى هذه اللغات .

والذى يدعو مجمع البحوث الاسلامية لتوجيه هذا النداء الآن هو هذه البدعة الاستعمارية التى يدعو اليها أعداء الاسلام والمسلمين وهى اتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة بعض اللغات التى يتحدث بها المسلمون فى أفريقيا وآسيا ..

وهذه البدعة قديمة قدم عداوة الاستعمار للاسلام والمسلمين ، فقد حاولوا الترويج لها حتى لاحلالها محل الحروف العربية فى اللغة العربية نفسها ولكنهم أخفقوا فى ذلك اخفاقا كاملا .

والثابت علميا أن الحروف اللاتينية قاصرة فى تصوير الاصوات اللغوية لغير اللغة التى نشأت لها ، وأن الاصول العلمية فى اختيار أية مجموعة من الحروف للغة ما ، هى أن هذه الحروف تحقق أمرين :

١ — أن كل صوت فى اللغة لا يمثله الا رمز كتابى واحد .

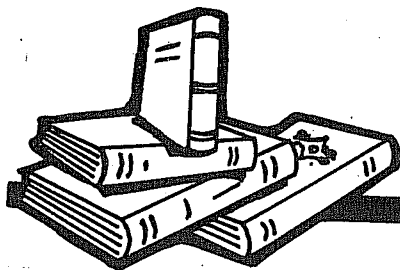
٢ — أن كل رمز كتابى لا يمثل الا صوتا لغويا واحدا .

وهذان الشرطان متحققان فى الحروف العربية ، واذا وجد فى أية لغة بعض الاصوات الاخرى فان اصطناع بعض الحروف العربية لها مع تعديل فيها يفى بالغرض كما فعلت اللغة الفارسية والاوردية .

والى جانب هذه الاعتبارات الفنية من قصور الحروف اللاتينية عن التعبير الدقيق عن أصوات لغات أخرى ، ومن وفاء الحروف العربية بذلك ، يوجه مجمع البحوث الاسلامية انظار اخوته المسلمين الى أن الحروف العربية تربطهم باللغة العربية التى تحتمل لغاتهم على كثير من كلماتها وتعبيراتها ، كما أنها تديم ارتباطهم بالخط العربى الذى يكتب به القرآن الكريم وبذلك يكونون أقدر على صحة النطق به وفهمه ، ذلك الى أن معرفتهم بالحروف العربية والفهم لها فى لغاتهم القومية يديم صلتهم بالتراث الاسلامى الذى كتب بالعربية على مدى أربعة عشر قرنا فى جميع الاقطار الاسلامية من شرق آسيا الى غرب أفريقيا .

كذلك يوجه المجمع الانظار الى ان كرامة الشعوب الاسلامية التى تحررت من قيد الاستعمار ومذلة التبعية للامبريالية الغربية ، تأبى أن تتخذ الحروف التى يستعملها الاستعمار فتكون هذه الشعوب قد ارتضت أنها ما تزال تستمسك بمذلة التبعية لنظم أقدرها الله تعالى على التخلص منه .

ان الدين هو النصيحة ونحن نتقدم بهذا النصح خالصا لوجه الله تعالى والاسلام والمسلمين ..



كتاب الشهر

من قضايا القرآن

تاليف : عبد الكريم الخطيب
عرض وتعليق : محمد عبد الله السمان

هذا كتاب جديد نشرته دار الفكر العربي بالقاهرة فى مائتين وأربعين صفحة من القطع الكبير لكاتب إسلامى لامع صادق مع نفسه وصادق مع قلمه ، سبق أن قدم للمكتبة الإسلامية والعربية عديدا من الدراسات الإسلامية الناضجة الجادة ، منها : إعجاز القرآن فى مجلدين ، وقضية الألوهية فى مجلدين والسياسة المالية فى الإسلام ، والخلافة والإمامة ، والقضاء والقدر بين الفلسفة والدين ، وفى السنوات الأخيرة أنجز « التفسير القرآنى للقرآن » موسوعة فى ستة عشر كتابا ، إنه الأستاذ عبد الكريم الخطيب الذى اختلست الوظيفة من شبابه بضعة عشر عاما ، لم يستطع خلالها أن يقدم للمكتبة العربية والإسلامية شيئا يذكر ، لكنه ما إن تفرغ للكتابة منذ بضع عشرة سنة حتى أنتج خلالها هذا السيل من الدراسات الإسلامية الجادة التى لها تقديرها .

إن المؤلف قد اختار قضايا سبعا من قضايا القرآن ، هى : القرآن لفظه ومعناه ــ النسخ ــ التكرار فى القرآن ــ القرآن قديم أو حديث ــ المحكم والمتشابه ــ معارضة القرآن ــ ثم الترتيب النزولى للقرآن ، فتناولها من جميع زواياها ولكن فى ايجاز ، باستثناء القضية الثانية

« النسخ » التى استوعبت زهاء مائة صفحة من الدراسة ، والتى أولاها المؤلف عناية خاصة ، لأن « النسخ » تشكل منه اثباتا ونفيا — كما يذكر المؤلف — قضية من أكبر القضايا فى الدراسات القرآنية ، وفى الأحكام الفقهية المترتبة على القول بنسخ آية كذا أو عدم نسخها .. كذلك أشار المؤلف فى مقدمته إلى أن المباحث التى يعرضها من « قضايا القرآن » ليست استعراضا لوجوه الخلاف الدائرة حول كل قضية ، وانما هى مناقشة لهذا الخلاف عليها ، بل ومحاكمة غيابية لها ، وفصل فيها .. ونحن إذا سلمنا مثلا بالمحاكمة الغيابية لهذه

الآراء التى استوعبتها هذه القضايا فالتسليم بالفصل فيها أمر فيه كلام ، فالمؤلف نفسه يشير بعد ذلك الى ان ما يقضى به هو لا يلزم احدا الأخذ به ، بل يضعه موضع المناقشة والمحاكمة ، وأشار أيضا الى أنه لا يفى بمباحثه غلق أبواب الخلاف ، وسد منافذ الجدل فى القضايا ، بقدر ما يقصد إليه من فتح هذه الأبواب وتلك المنافذ على أوسع مدى ، فذلك — كما يقول — هو الذى يلقى مزيدا من الضوء على هذه القضايا ، ويفتح للناظرين فيها مسالك جديدة للنظر ، تدنى من الحق ، وتقيم الوجوه عليه .



يرى المؤلف أن الخلاف فى أمر النسخ ، قد وقع نتيجة للاختلاف فى فهم الآية الكريمة : « ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها أو مثلها ، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ؟» فالذين حملوا معنى « الآية » على انها الآية من كتاب الله هم القائلون بالنسخ ، فدارت أعينهم فى كتاب الله يلتمسون مصداق هذه الآية ، ويستخرجون لها الشواهد لآيات قرآنية منسوخة بآيات قرآنية ناسخة أما الذين لم يفهموا لفظ « آية » على هذا الوجه ، ولم يروا من الحتم اللازم أن يكون معنى « آية » محمولا على الآية القرآنية ، فهؤلاء لم يروا فى القرآن ناسخا ولا منسوخا ، ثم جعلوا للآيات التى قيل انها منسوخة وجها من التاويل بحيث يبقى حكمها كما بقيت تلاوتها ..

وبعد أن عرض المؤلف لمعانى النسخ ، مستشهدا لكل معنى بشواهد من القرآن وغيره ، ومن هذه المعانى : المحو والإزالة والنقل من موضع إلى موضع ، والكتابة ، والتبديل، ثم عرض لمعنىالنسخ لغة : يتناسخ الشيئان ، إذا حل أحدهما محل الآخر ، كما يتناسخ الليل والنهار وتناسخت الأرواح بمعنى انتقال الروح من بدن الى بدن عند من يعتقد هذا المذهب . ومنه نسخت الشمس الظل اذا أزالته وذهبت به ، وبعد أن عرض أيضا لماهية النسخ وآراء العلماء الخلافية فيه ، وأجاب عن هذا السؤال : هل فى القرآن نسخ ؟

موضحا آراء العلماء ، وبعد أن عرض لتاويل بعض ما يبدو فيه النسخ ، أولى قصة (الغرانقة العلى) عناية خاصة ، وهى التى أشارت إليها الآية الكريمة : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم » هذه الآية — كما يقول المؤلف — هى التى ولد منها المفسرون وأصحاب السير قصة الفرانقة هذه ، وبالطبع يقصد المؤلف بعض المفسرين وبعض أصحاب السير .. والحقيقة أن المؤلف وفق توفيقا كبيرا فى دحض هذه الفرية

المفتراة التى استغلها الحقدة من المستشرقين والمبشرين •

وفى قضية ((التكرار القرآنى)) يشير المؤلف إلى أن التكرار كان مدخلا يدخل منه أصحاب الأهواء ومرضى القلوب ــ على كتاب الله ــ ليخوضوا فيه ويتخرصوا على نظمه ، وهؤلاء أعاجم أو أشباه أعاجم ، لم يذوقوا البلاغة العربية ولم يتصلوا بأسرارها •• ولو أنهم رزقوا شيئا من هذا لما طاوعتهم ألسنتهم أن ينطقوا بهذا البهتان العظيم ، وحسبنا أن قريشا لم تقل بهذا القول وهى مرجع الفصاحة والبلاغة وموطنهما • إن التكرار فى القرآن ــ كما يقول المؤلف : لا يجىء متكلفا ، ولا يصدر عن عجز عن تناول اللفظ الذى يصلح للمعنى عليه ، وإنما يجىء ليخدم المعنى ، ولا يخل بتساوق النظم ، بل يمد النغم الموسيقى بلون جديد ، يزداد به النغم روعة وقوة •

والقرآن ((قديم أو حادث)) هو القضية الرابعة التى عرض لها المؤلف والتى كانت فى فترة من فترات المسلمين مثار فتنة عاصفة ، كادت تذهب بوحدة الجماعة الاسلامية ، وتمزق شملها ، والمؤلف يشير الى أن هذه الفتنة ولدت من احتكاك المذاهب الكلامية التى ظهرت فى العصر العباسى، فكان المعتزلة أول من أثاروا المعارك وأداروا الجدل بالقول بخلق القرآن ، وإن كان ((الجعد بن درهم)) أول من فتح فمه بهذا الشر الأعمى أيام هشام بن عبد الملك ، الخليفة الأموى ، الذى بعث به إلى خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق وأمر بقتله •• ولم تمت هذه البدعة بموت صاحبها ، فتلقاها من بعد ((الجعد)) من تلقاها حتى صارت بعد ذلك قولا ومذهبا لفرقة كبيرة من أصحاب الكلام وهم المعتزلة الذين جهروا بهذا القول ووقفوا به فى وجه الجماعة الإسلامية كلها •• وقد تصدى لهم أهل السنة ••

وبعد أن عرض المؤلف رأى الجاحظ فى القضية ، وكذلك رأى ابن قتيبة ، أشار فى خاتمة البحث إلى أن القرآن ذاته لا يتأثر بشىء من هذا الخلاف الذى لا ينقص شيئا من أحكامه ، ولا يغير لفظا من ألفاظه ، ولا يمس الجهة المنزل منها ، فهو عند المعتزلة ــ كما هو عند المسلمين جميعا ــ مصدر للتشريع وهو الكلام الذى تلقاه الرسول الكريم من ربه وحيا •• نزل به الروح الأمين •

أما القضية الخامسة التى عرض لها المؤلف ، فهى ((المحكم والمتشابه)) وهى قضية شائكة بكل ما فى هذه اللفظة من معنى ، لكن ما دام القرآن ــ كما يشير المؤلف ــ ليس فيه أعلى وأسفل ، كذلك ليس فيه محكم ومتشابه ، إذ جميع آياته محكمات ، ويبدو أن هذا الحكم من المؤلف فى بداية البحث ، لا بد أن يثير تساؤلا إزاء قوله تعالى : ((هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب •• وأخر متشابهات ••))
لكن المؤلف يجيب عن هذا التساؤل : ((ليس معنى المتشابه هنا المغلق الذى عميت سبله ، وطمست معالم الفهم منه ، وإنما هو ما احتمل أكثر من وجه من وجوه الرأى والنظر •• وذلك خلاف المحكم الذى لا يحتمل إلا قولا واحدا ، ولا تتباعد فيه المسافات بين مطارح النظر ••))

وتناول المؤلف بعد ذلك فى القضية السادسة ((معارضة القرآن))

الشبهة التى يثيرها قديما وحديثا أصحاب الأهواء وذوو الآراء المنحرفة والتى مؤداها : أن هنالك من عارضوا القرآن وقابلوا التحدى وصمدوا له ونجحوا فيه ، أما أصحاب هذه الآراء فهم فريقان : فريق لا يحسن اللغة العربية ، وإنما تغلب على لسانه رطانة أجنبية ، ومن هذا الفريق معظم المستشرقين ، ومن هذا الفريق أيضا ، قوم يحسنون ، ويعرفون الكثير من أسرارها ، ومع هذا يلج بهم الضلال والعناد ، وأما الفريق الآخر فهو يضرب صفحا عن هذه المعارضات أو السخافات التى احتفظ بها التاريخ إذ يراها ضروبا من السخف لا يقنع به حتى العامة والدهماء ، لذلك لجأ هذا الفريق الى الكذب والادعاء ، فقالوا : إن هناك معارضات كثيرة وقعت فى عصر النبوة ، وأنها كانت جديرة بان تلتقى بالقرآن وتصمد له .. ولكن غلبة الاسلام وسطوة سيفه فى أيامه الأولى قد ذهبت بكل ما قيل ، ثم وأدت كل ما كان مضمرا فى الصدور أو مرددا فى الخواطر .

والمؤلف يرى أن الدعوى الأولى تحمل فى طياتها دلائل سخفها ، فما احتفظ به التاريخ من معارضات « مسيلمة » وغيره يثير الضحك أكثر مما يثير الاستخفاف به ، أما الدعوى الأخرى ، فهى أوهى من أن تثار ، فاذا ادعى مدع أن هناك من المعاصرين من عارض القرآن ، ولم يكن بين يديه هذه المعارضة ، ولم يدل على صاحبها ، لما وجد لكلامه أذنا تسمع حتى ولو كانت أذن فتنة وسوء ، إذ لا شىء هناك تسمعه ، ومع ذلك فقد أحسن المؤلف الاختيار حين اختار لتفنيد هذه الدعوى الباطلة (القاضى عبد الجبار) ممن كتبوا فى إعجاز القرآن كالجاحظ والباقلانى وغيرهما ، والقاضى — كما يقول المؤلف — سلك فى رده — كما ورد فى الجزء السادس عشر من كتاب (المغنى) — سلك أسلوبه المنهجى فى كتابه كله ، وهو ايراد الاعتراضات على لسان من يصح منه الاعتراض فى هذا الأمر أو غيره ، ثم يتولى دفع هذا الاعتراض ، بما يقيم من حجج وأسانيد ..

أما خاتمة القضايا فهى « الترتيب النزولى للقرآن » فالمؤلف يراها دعوة جديدة محمومة بدأت تظهر فى آفاق مختلفة فى محيط العالم الاسلامى ، وفى خارجه ، تدعو إلى إعادة نظم القرآن وجمعه على حسب ترتيب نزوله ، ومن هنا يبدو خطر الدعوة التى ينخدع لها كثير من الناس ، واهمين أن مثل هذا العمل يخدم القرآن كدراسة تضاف الى دراسات عن القرآن ، كاسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ وغيرهما ، وهذا الخطر الذى يتهدد القرآن من هذه المحاولة الطائشة ماثل فى وجوه :

أولا : استحالة ضبط صورة القرآن على حسب الترتيب النزولى لآياته ، حيث لم يعرف الترتيب النزولى إلا

لعدد محدود من آيات القرآن . لا تمثل الا أقل القليل بلا إجماع عليه .

ثانيا : لو سارت هذه الفتنة إلى غايتها ، فإن الذى سيحدث من هذا أن تتغير صورة القرآن تغيرا كبيرا لا يصبح معه القرآن قرآنا ، بل سيكون هناك عشرات بل مئات وألوف من المصاحف التى تسمى قرآنا ..

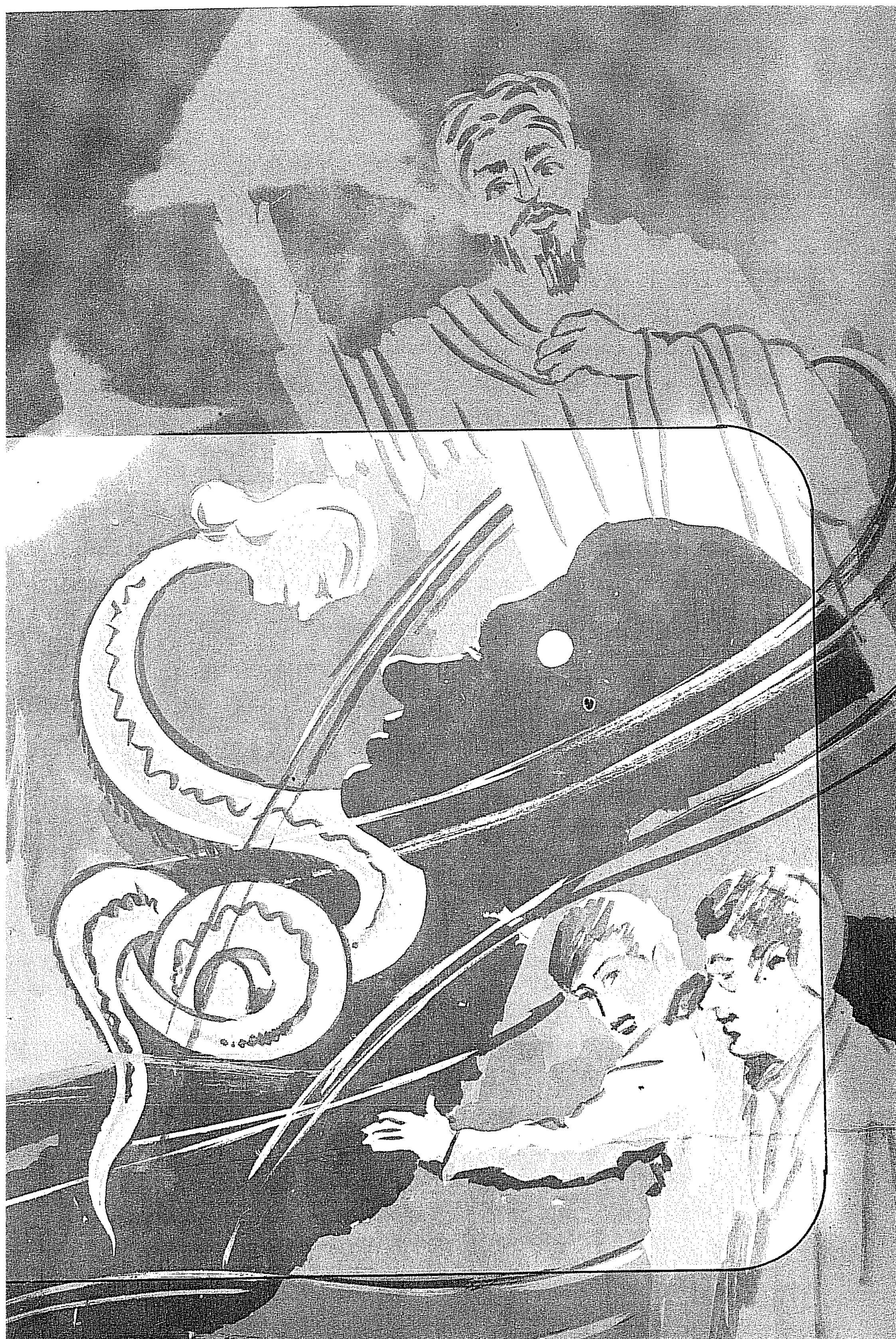
ثالثا : لو سلم جدلا بإمكان هذه المحاولة – وهو أمر مستحيل استحالة مطلقة – فما جدوى هذا ؟ وماذا يعود على دارسى القرآن منه ؟



وبعد – فمما لا جدال فيه أن المؤلف قد بذل جهدا كبيرا فى تقديم هذه الدراسة الجادة التى استوعبت عديدا من القضايا القرآنية التى تشعبت حولها عشرات الآراء للمفكرين الاسلاميين القدامى والمحدثين . لكن بعض القضايا التى عرض لها المؤلف كان لها أهميتها ولا تزال ، كقضية النسخ مثلا لارتباطها ارتباطا وثيقا بالتشريع ، كذلك قضية التكرار ، وقضية المحكم والمتشابه ، لأنهما من القضايا التى تسلل المستشرقون والمبشرون الحاقدون من خلالها لمحاولة الغمز والطعن فى القرآن ، أما قضية .. القرآن قديم أو حادث فكان من الأجدر بالمفكرين الاسلاميين اليوم أن يسدلوا الستار عليها لأنها تمثل صفحات قلقة فى تاريخ الفكر الإسلامى فهى لا تخدم القرآن ، والمؤلف نفسه قد أشار فى خاتمة هذا البحث الخاص بالقضية ، إلى أن أعدل نظر ينظر به إلى كتاب الله ، أن يتجرد المرء فيه من الإحساس بانه مخلوق أو غير مخلوق . حديث أو قديم .. وحسب الناظر فى كتاب الله أن يعلم أنه من عند الله ، وأنه كلام الله ..!

كذلك قضية معارضة القرآن ، لم تصبح اليوم قضية ذات موضوع ، وإن كانت دراستها دراسة حية ، وكم كنت أود أن يهتم المؤلف فى هذه القضية بمسالة فرعية وثيقة الصلة بها ، والتى تضمنها مذهب الصرفة المنسوب الى (النظام) المفكر المعتزلى الكبير ، ومؤدى هذا المذهب : أن العرب كانوا قادرين على الإتيان بمثل القرآن فصاحة وبلاغة ونظما لكن الله صرفهم عن ذلك ، أما قضية الترتيب النزولى للقرآن فهى قضية حديثة نوعا ما لم تنل قدرا كبيرا من اهتمام المفكرين ، ولا من التفات عامة المسلمين إليها .

ومع هذا فالاستاذ الجليل عبد الكريم الخطيب قدم الى المكتبة دراسة جديرة بكل تقدير ، فقد أحاط فى قضاياه بكل جوانبها وزواياها ودقائقها . فجعل من جميعها قضايا حية يحتاج الى استيعابها كل باحث وكل دارس ..



ثقب في رأس كبير

قصة من الواقع المعاصر

للأستاذ : محمد لبيب البوهي

في دولة عظمى .. ربما كانت ترى نفسها أعظم دول الأرض طرا في تقدير الناس .. حين تضل المقاييس ، وتتوارى القيم وتتحطم تحت ضربات المطارق ، وتحترق بنيران الصواريخ ، وتقاس الأقدار لا بالفضائل ، وإنما بقوة عضلات الحديد ، على حين قد تخلت عن مكانتها الأمة التى وصفها ربها بانها خير أمم الناس فراحت تهبط من علياء فضائلها ومقومات عظمتها لتقف في صفوف دون مكانتها .. في هذه الدولة العظمى كان انتخاب لرئيسها الأعلى .. وقد جال وصال واطمأن الى أنه سيكون الفائز بالأساليب التى يحذقونها وعاد متعبا من جولته فالقى بنفسه بين مساند المقعد الوثير ، وطاب له أن يخلد إلى نعاس لذيذ فى انتظار النبأ الأبيض الرسمى بالفوز الكبير .. وجاءت سيدة داره ترقبه فى زهو واعجاب فهو الذى سيضمن لها البقاء فترة أخرى فى البيت العظيم ، الذى طلى بلون ناصع تمعينا فى التضليل وأطلق على هذا البيت اسم مضاد لمعناه ، كما يطلق اللص على نفسه اسم الأمين .

وكان المذياع يذيع بصوت عال تفاصيل قضية عن عصابات شيكاغو وأساليب السطو المقنع فمدت يدها الى المذياع وأسكتته حتى تتيح الفرصة لعظيم العظماء كي يتذوق فى غفوته عسل الأمانى .

وقبل أن يغمض السيد عينيه تماما رأى نفسه يهم بدخول البيت العظيم فهاله أن رأى شبحا أبيض صغيرا يقفز من النافذة ويفر هاربا وهم الحراس أن يمسكوا بالهارب ، فأشار اليهم العظيم قائلا : دعوه يذهب انه شيء يسمونه الحق ، انه لا يريد أن يبقى ونحن لا نريد أن نمسك به . اننا

ديمقراطيون ندع له الحرية في الانصراف .. ولكن الشيء العجيب أن الشبح الهارب استدار اليه وقال : انني لن اتوارى الى الأبد .. انني أعرف طريق العودة فصاح العظيم غاضبا : كيف تجرؤ على مخاطبة رئيسك بهذه الصورة .؟ الست احد المواطنين هنا ؟. ألست تراني رئيسك الأعلى .؟ أرني جواز سفرك او جنسيتك . قال الشبح الأبيض : لا جنسية لي .. انني شبح هائم .. كنت اعيش هناك في مكان ما بالشرق .. كان ماواي بين ضفتي كتاب لا ياتيه الباطل .. ولكن اهله أغلقوا صفحاته .. وراحوا يعنون بالغلاف .. إنهم يموهون غلافه بالذهب .. وهذا كل ما هنالك .. إنني أجول بقاع الأرض .. ولقد كنت في زيارة هنا — كنت أظن أن الأمور سوف تتغير وتأخذ لون البيت الذى تحبه أنت .



كانت النتائج تاتي بالنجاح المقدر سلفا .. وكان حول العظيم بعض مستشاريه وأراد أحدهم أن يوقظه ليقدم له التهاني . فقال الآخر هامسا : دع سيادته يسترح .. إنه لا يكون في أحسن حالاته إلا حين ينام .. أما حين يستيقظ فانه يود لو يجعل السماء تمطر دما .. ليتنا ندهن البيت باللون الأحمر فتبسم المستشار الكبير ضاحكا وقال : من أجل هذا إنني احبه .. إنني مثله من عشاق اللون الأحمر — ولقد جئته بهدية — آخر صورة من الجو وصلتنا عن الأمور هناك .. وامتد الحديث .. ولكن العظيم لم يكن نائما تماما .. كان يسترق السمع .. انه تعود أن ينام بعين واحدة وتظل الأخرى تحرس اهدافه في الصحو ..

وقال الأول : ولكن اين هي الهدية التي جئت بها للرئيس .؟ فاجاب الآخر همسا : إنها قد لا تعجبك .. فانني ادرك أن البعض لا يريدونها هكذا .. ولكننا قد اندفعنا او تورطنا وانتهى الأمر .. وتحرك العظيم في مقعده .. فان كلمات الهدايا توقظ حواسه ولكنه قبل أن ينهض اراد ان يتخلص من الشبح الذى يلح على خياله في نعاسه فصرخ فيه قائلا : مهما كان اسمك .. او مكانك .. فانه يجب أن تذهب .. إنني استطيع أن آمر بمصرعك .. ولكنني أريد الابقاء على صورتك .. مجرد الصورة .. فانه قد يطيب لي أن استعمل صورتك في الحوار .. إنك تعلم أن بيتنا الكبير مدهون بلونك .. وكنت أتمنى منك أن تهنئني قبل أن تنصرف .. وتبسم الشبح ضاحكا ولم يجب .. ولكن صدرت قهقهة عالية من مكان ما .. وانبعث صوت كفحيح الأفعى .. يقول : أنا التي جئت لأقدم أول التهاني — ونظر العظيم في نعاسه الى السماء فقد يكون الصوت آتيا منها — ولكن الصوت كان آتيا من تحت قدميه — من تحت الأرض .. حيث برزت كتلة سوداء قبيحة في صورة امرأة عجوز .. وانتشرت في الجو رائحة جعلت الرئيس يحاول أن يسد أنفه فقالت العجوز ضاحكة : لماذا تسد انفك يا عزيزى .. إنك أنت صانع هذا العطر — انني أريد أن أكون أول المهنئين ولكن لا تنس انك إذا كنت قد أعطيتنا باليمين فقد أخذت بالشمال ، ففتح ذراعيه ليضم العجوز وقد وضحت صورتها وعرفها .. وتصنع كانه يتشمم عطرها وقال مازحا : ولكن لماذا بحق الشيطان تاتينني من تحت

الأرض ؟ لقد أعطيتك مائة من الفانتوم .. ومثلها من الصواريخ .. فلماذا لم تاتنى راكبة احداها . سابحة فى السماء ؟؟ فقالت : يا عزيزى لا تتحدث عن السماء .. لقد جئتك بالأسلوب الذى تعودناه وتعاهدنا عليه .

فصاح مغاضبا : أنت تاتينني فى الظلام .. إنكم لا تعرفون الاخلاص للذين يرفعونك فوق الرؤوس .. تريدون دائما أن تمسكوا العصا من الوسط .. لقد أعطيتم الآخر .. ـ المنافس الآخر ـ كما أعطيتمونى . فقالت : هدىء من روعك يا ولدى .. لا تتلف أعصابك فسوف نحتاج اليها كثيرا .. إننا لم نعطِ الآخر إلا وهما وأما أنت فان حبك هو شىء آخر ..

فقال وهو يضرب الأرض بقدمه فى أحلامه : ولكن التقارير قد جاءتنى بانكم خاطبتم الآخر بنفس الأسلوب . وربما بنفس الألفاظ ، إنكم لا تعرفون الوفـــاء ..

فضحكت العجـــوز فى خبث وقالت وهى تشـــمله بنظرة ذات معنى : الوفاء ..؟ هل تصر على الحديث عن هذا الشىء أيها العزيز ..؟ واقتربت منه وقبلته فى جبينه .. وداعبته كطفل وقالت : سوف نلتقى كثيرا وكثيرا جـــدا ولكن مستشاريك يتحدثون عن هدية جاؤك بها فانهض واستمع .. وأرسلت العجوز قبلة فى الهواء .. وهبطت الى الأرض .. وانفتحت الهوة مرة أخرى وابتلعتها لتعود فى وادى السراديب السوداء .



ونهض الرئيس ، وتقدم المستشار بالهدية ، أيها السيد الرئيس : هذه صورة رائعة ، صورة نادرة المثال تم تصويرها من طبقات الجـــو العليا .. أمسك الرئيس باللوحة وراح يتأملها فى إعجاب .. كانت لوحة كبيرة بيضاء ليس بها شىء على الاطلاق سوى نقط سوداء وسط الفـــراغ الكبير ودوائر كانها فوهـــات براكين يتصاعد منها الدخان ..

تبسم الرئيس ضاحكا وقال : يا لها من صورة رائعة . انها كما أرى آخر صورة لسطح القمر ..

فغاض الدم من وجه المستشار وشحب وجهه وقال : سيدى انها ليست صورة لسطح القمر .. انها آخر رسم لما صارت إليه فيتنام بفضل توجيهاتكم الرشـــيدة ..

قال الرئيس : نعم نعم فجوات ثم فجوات ، ولا شىء غير الفجـــوات .

قال المستشار : نعم يا سيدى .. هذا هو ما صارت إليـــه فيتنام ، أن الفضل أولا وأخيرا لك ـ الغارات المكثفة ـ .

تبسم الرئيس ضاحكا وقال : ولكن ما هذه الفجوات الكثيرة التى تملأ فضـــاء اللوحـــة ؟

قال المستشار : سيدى الرئيس .. هذه الفجوات هى ما كان يسمى من قبل بالقرى الفيتنامية .

قال الرئيس فى نشوة وسعادة : قرى فيتنام .. لقد صارت فجوات ، هذا عمل عظيم فانحنى المستشار فى أدب وقال فى وقار : الفضل لكم أولا

وأخيرا .. فجوات وأنقاض .. وأشار الرئيس الى ذرات صغيرة متناثرة فى أرجاء الصورة وقال : هذه ذرات تعد بالآلاف .

قال المستشار : بل تعد بالملايين يا سيدى .. هذه الذرات هى ما كان يسمى من قبل بالناس .

قال الرئيس ضاحكا مازحا : زارتنى سيدة عجوز كانت تحمل صـــورة لبلاد أعدائها ، إنها تتمنى هي الأخرى أن تحمل إلىّ فى يوم ما مثل هـــذه الهدية .. كانت تتحدث الى الساعة فى ذلك .

قال المستشار : أهناك عجوز تريد منك غارات أخرى مكثفة لتجعل بلاد أعدائها هكذا ..؟

قال الرئيس : نعم نعم .. إنها تتمنى ذلك .. ثم استطرد هامسا : وأنا أيضا ربما أتمنى بشرط أن يكون هناك ثمن .

قال المستشار : ولكننا لم نر هذه العجوز يا سيدى .. لقد ذكرت أنها كانت هنا الساعة ولكننا لم نر أحدا ..!!

قال الرئيس : ليس من المهم أن تروا ، إننى أحب أن يكون لقائى مع بعض أصدقائى فى الخفاء ..

قال المستشار : فهمت يا ســـيدى الرئيس .. إنك تحب أن تتم بعض الأمور فى الخفاء ، ولكننا فى عهد معجزة التكنولوجيا حيث لا يظل شيء فى الخفاء ، إنهم يستطيعون أن يصوروا حتى هواجس نفس الانسان وأحلامه .

قال الرئيس : هـــذا طبعا ما أخشاه ، وما يجب أن تخشوه كذلك ، إنه إذا ارتفع الغطاء عن أشياء أعلمها وتعلمونها فقد يتغير وجه كل شيء .

وكان الذين من حوله يعرفون هذه الحقيقـــة ، فأراد أحدهم تغيير دفة هذا الحديث البغيض فقال مشيرا الى الصورة : لا بد أنها أعجبتك يا سيدى .

فقال الرئيس : القرى التى أصبحت مثل فوهـــات البراكين ، والذرات التى كانت من قبل ما يسمى ببنى الانسان، يقينا لقد أعجبتنى الصـــورة ، أن كثيرا من الناس هنا يظلموننى ، إنهم لا يعلمون أننى فعلت هذا من أجل السلام.

نظر بعضهم الى بعض وقال كبير منهم فى حماس : بالتأكيد يا سيدى . إنك بطل السلام . هل ترى أيها السيد الرئيس أن نثير اقتراحا بمنح سيادتك وسام السلام ؟.

قال الرئيس فى أناة : هذا حلم لذيذ .. مجرد حلم .. ولكن الشعب هنا لن يصدق ذلك ، إن البعض ينقصهم الفهم الأيديولوجى .. ولكنهم هناك فى الطرف البعيد أظن أنهم قد يمنحوننى هذا الوسام ..

قال المستشار : من هم أيها الســـيد الرئيس الذين تتجـــه اليهم دائما بأنظـــارك ..؟

قال الرئيس فى عجب : إنهم شعبها .. لقد قالت لى ذلك من قبل .. لقد تحدثت هى الأخرى عن وسام السلام ..

قال أحدهم فى صراحة : عفوا يا سيدى .. بودى لو أرجوك الا تكثر الحديث عنها ، إن هنا فى هذه البلاد من يظن أنها قد تجـــرنا الى كثير من الويلات .. إن أعداءها يملكون أسباب العقاب .. هم يمتازون بالحلم ولكنهم دائما فى النهاية .. ولم يدعه الرئيس يتم حديثه ، لقد استشاط غيظا وغضبا ، فضرب المنضدة بقبضة يده حتى أدمى بعض أصابعـــه وقال وهو يلعق الدم المتساقط من اصبعه : إنكم لا تفهموننى .. إنه ليس بى غرام من أجل هـــذه

العجوز الشوهاء . إنها وقومها يؤدون دور كلب الحراسة الذى يتشمم الريح لينبح حين يريد أن ينبهنا ـ يجب أن تعلموا أننا نثبت أقدامهم بالقرب من كنوز أعدائهم اننا نريد هذه الكنوز .. حينما تكون هناك كنوز لا بد من تواجد الذين يطمعون فيها .. إنهم قد يسموننا لصوصا .. ولكن الأسماء لا تهم .. إنكم قد لا تعرفون حقائق الأشياء ـ ان أعداء هذه العجـوز يجب أن يبادوا أو يشتروا أنفسهم بتسليم كنوزهم .. لقد فعلنا هنا نفس الشيء حين جئنا من بقاع الأرض مهاجرين .. لقد أنهينا وجود الذى كانوا هنا من قبل .. يجب أن نعمل بسرعة .. فان أعداء هذه العجوز يستطيعون أن يستردوا الكرة منا ..

قال المستشار : سيدى إنك تتحدث عن الكرة .. إننى لم أكن أعرف أنك من هواتها الذين يتابعون برامجها .

قال الرئيس : إنما أعنى بالكرة هذا الكوكب اللعين المسمى بالأرض .. لقد قبضنا عليه بيد من حديد .. بفضل حضارة الميكانيكا والطاقة والالكترون .. ولكن كل هذا يوشك أن ينهار .. وهناك قوم يستطيعون تغيير وجه الأمر .

قال المستشار الكبير : وهل تصـدق ذلك يا سيدى !؟ هل هنـاك من يستطيع أن يرث عنا الحضارة . ؟

قال الرئيس ثائرا غاضبا متحمسا : إن جوابى مع عظيم الأسف هو نعم .. إن التاريخ يعرف ما يسمى بهجرة الحضارة .. لقد كانت من قبل عند أعدائها ـ أعنى أعداء هذه العجوز .. لقد نقلنا عنهم أفكارهم من قبل .. ولكننا صنعنا لهذه الأفكار أنيابا ومطارق ومخالب من حديد ، ثم تركنا الأفكار الأصيلة تطير .. إن صيحاتهم هناك تقول بانه قد آن لهم أن يستردوا أفكارهم .. أعنى أن ينهضوا مما أردناه لهم من سبات ليلتقطوا الكرة منا .. إن العجوز ترتجف هولا من المستقبل لأنها تراه فى صف أعدائها .. لقد قالت لى إنهـا تعرفهم تماما وتعرف أنهم يصيحون ويتجمعون ليضعوا يدهم على الميراث .. إن الخطر الأكبر من تجمعهم وتكتلهم .. أنهم لو فعلوا ذلك فسوف تكون يد السماء فوق أيديهم من أجل ذلك فهى تريدنى أن أسرع .

ثم التفت الرئيس الى أصحابه وقال : أرونى مرة أخرى الصورة أعنى الهدية التى جئتم بها .

وحين كان يتامل الصورة غام وجهه وشحب لأنه سمع صوت الرعـد آتيـا من السماء .

ترى هل هو صوت تجمع الذين يخشاهم هو .. والعجوز ..!؟

(بقية ص ١٣)

حيث تتيح للمسلم أن يمارس حريته المطلقة فى الاتصال بالله وعبادته من غير ما واسطة من (رجال دين) أو (أصنام) أو (هيئات) و (مؤسسات) دينية ، كما تتيح له حرية العودة الى الله والتوبة اليه مباشرة من غير (صكوك للغفران) يتوقف اصدارها على رجل أو هيئة دينية متنفذة . وعن طريق هذه الحرية يستطيع المسلم أن يتجاوز القيود والحواجز التى تقف فى طريق الكثيرين من اتباع الديانات الاخرى ، تصدهم عن المضى لعبادة الله أو التوبة والانابة اليه ، الا بعد أن يدفعوا ثمنا أو يحنو رأسا أو يتعهدوا بطاعة .. !!

وكثيرا ما اتخذت (السلطات) من هذا التنظيم الدينى الخاطىء وسيلة للقهر والارهاب تسلطها ضد جماهير المؤمنين كلما حزب الامر .

وثانيهما الاتجاه السياسى والاجتماعى ، حيث تشحذ العبادة الاسلامية قدرة اتباعها على التحرر اليقظ الدائم من الخضوع لأية قوة فى الارض، ومن اذلال طواغيت السياسة والاقتصاد .. ذلك أن هذه الممارسات تعلم المسلم فى كل يوم وفى كل ساعة أنه (لا اله الا الله) ، وان الله سبحانه أكبر من أية قوة فى الارض ، فهى أحق بالطاعة والانحناء، وتشعره بيقين كامل أنه ما دام الله سبحانه يمتلك القدرة المطلقة على (الفعل) فان اللجوء اليه هو خير حماية يمكن أن يستمدها المسلم فى صراعه ضد الطواغيت . وفى كلتا الحالتين فان المسلم ، وهو يتعبد الله ، يزداد احساسه بالتحرر الوجدانى وهو يخاطب الله ويتقرب اليه بمواجهة قوى الارض وطواغيتها .

كما أن المسلم ، وهو يمارس عباداته المختلفة ، وترسخ فى ذهنه تصورات الاسلام القائمة على كرامة الانسان وتفرده فى الارض ، وتفضيله على بقية الخلائق ، يزداد احساسه بالحرية التى تمنحه اياها هذه الصورة المشرقة السامقة عن مكانة الانسان فى الارض وتعطيه قوة ذاتية كبيرة ، وقدرة لا تحدها حدود فى مصارعة القوى المادية والارادات الهابطة ، التى يظن الكثيرون — لعدم تحررهم من المخاوف والضغوط النفسية والاجتماعية — انها حتميات لا مفر من الخضوع لها والتسليم المطلق بها .

ويجىء أخيرا الاتجاه التحريرى الثالث وهو اتجاه فلسفى (ميتافيزيقى) يقوم على تبصير الانسان بحريته فى تحمل مسؤوليته الكاملة فى الحياة الدنيا ، وفى تشكيل مصيره .. لأن العبادة فى اطارها الشامل جهد وابداع والتزام وطاعة واختيار .. وكلما نشط المسلم فى تحقيق مزيد من فاعلياتها كلما اقترب خطوات من درجة الاحسان ، وهى الدرجة (القمة) التى يطمح كل مسلم الى صعودها يوما بارادته الخاصة . وهذا الاحساس العميق بحرية الانسان فى تعميق ممارساته التعبدية يعمق فى ذهنه وتصوره احدى مفاهيم الاسلام القائمة على حرية الانسان فى صياغة وجوده والتوحد بينه وبين مصيره . هذا فضلا عن أن التعبد يجىء كوسيلة لتحقيق التوبة والتخفيف من خطايا الماضى وأوزاره ، وبالتالى فهى الباب الواسع الذى يظل مفتوحا على مصراعيه ، يعلم الانسان أنه حر فى اختيار مصيره ، حر فى الطريق الذى يسلكه صوب هذا المصير .. وان

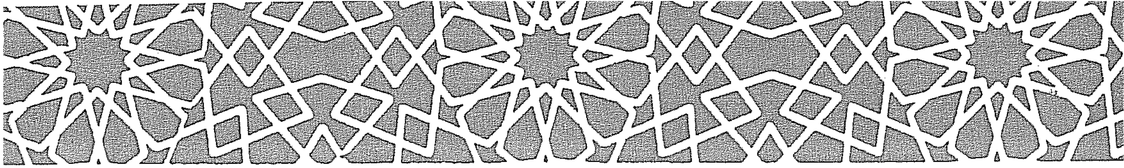
بامكانه طيلة مراحل حياته أن يدخل هذا الباب صوب ساحة الله العفو الودود الغفور الذى وسعت رحمته كل شىء ..

خامسا : ونجىء بعد ذلك الى احدى الميزات الاساسية للعبادة الاسلامية تلك التى تجعل منها (حافزا) أو (منبها) يقود المسلم الى يقظة الضمير الدائمة وتحمل المسئولية كاملة والابداع أو (الاحسان) فى انجاز أى عمل يمارسه واستغلال طاقاته جميعا فى سبيل مزيد من العطاء والانجاز وفق قدراته الذاتية وامكاناته التى صاغتها ظروفه الوراثية والبيئية . وهذا ولا شك يمثل دافعا حضاريا خلاقا لأنه يحفز الانسان على استنهاض كل طاقاته من أجل العمل، ليس هذا فحسب ، بل توجيه هذه الطاقات بما يجعلها تؤدى عملها على (أحسن) صورة وأكملها ، اذ أن المسلم وهو يتصل بالله ويتذكر احاطته ورقابته فى أعماق نفسه ، ووعده العظيم للذين يحسنون أعمالهم ويسارعون فى أدائها . يجد نفسه أمام أحد أمرين : اما الاستجابة لنداء الضمير الدينى من أجل أن يحظى بمزيد من السعادة النفسية والثواب ، وهذا يقوده الى المسؤولية والعمل الدائب والاحسان ، واما الى التغاضى عن هذا النداء ، ورفض تحمل المسؤولية والاساءة فى العمل والانجاز ، الامر الذى يلحق به تعاسة كبيرة ، لأنه كمسلم ، يتلقى كل يوم وكل ساعة مئات النذر عن أولئك الذين يتعبدون الله ثم لا يكون لهذه العبادة مردود ايجابى على واقع حياتهم اليومى . ومن ثم يصف القرآن الكريم المؤمنين الصادقين بأنهم **((يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون))** . وفى كلا التعبيرين نلمح البعد الزمنى (المسارعة) (السبق) .. وكأن حياة المسلم المحدودة فرصة (للسباق مع الزمن) فى التعبير عن طاقاته جميعا وتحويلها الى أفعال ومنجزات حضارية قبل أن تمضى الايام ويفقد القدرة والصحة والعافية ، فلا يعد قادرا على شىء ، وبالتالى يفقد فرصة الاختيار الوحيدة التى منحه الله اياها فى الحياة الدنيا .

ولو افترضنا — على سبيل المثال — ان المعدل الوسطى لوحدات الطاقة التى يمتلكها كل انسان تساوى أربعين ، فان الايمان الحيوى الذى تفجره وتشحذه العبادة الدائمة والتذكر المستمر لله سبحانه ، سوف تقرب المسلم من التعبير عن أقصى حد من طاقاته وفق (أحسن) أسلوب ، الامر الذى قد يصل به الى استغلال خمس وثلاثين أو أكثر من هذه الوحدات .

فلو أن مجتمعا اسلاميا بعث الايمان فى غالبية أفراده هذا الحافز أو المنبه لاستغلال معظم وحدات طاقته على أحسن وجه ، فان بامكان هذا المجتمع أن يسابق الزمن فعلا ، وأن يصنع ما يبدو مستحيلا ، ونحن لا يمكن أن نفهم المنجزات العظيمة والسريعة التى حققها جيل الصحابة والتابعين على صفحة التاريخ ، الا بالرجوع الى هذا التفسير . وليست تجربة (حفر الخندق) فى غزوة الاحزاب ، والفتوحات الاسلامية — على سبيل المثال — الا تعبير عن هذه المسلمة فى تاريخ الحضارات .

وقد دفعت حقيقة الايمان الدينى الذى تشحذه وتقويه العبادات المنظمة الدائمة، والذكر المستمر لله سبحانه، بفعل هذا الدافع الحضارى ، دفعت عددا من فلاسفة التاريخ ومفسريه الى القول بأن معظم الحضارات البشرية اقامت صرح بنيانها على



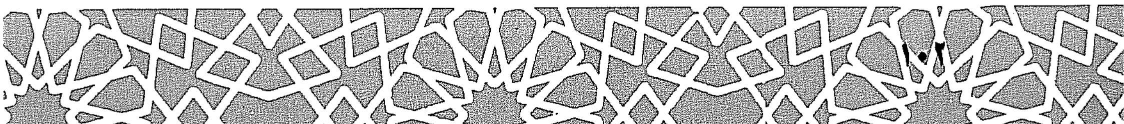
اسس التجربة الدينية ، وان انقداح شرارة الحس الدينى فى وجـدان الانسان وذه ه هو الذى ساق الكثير من الشعوب والجماعات من الجاهلية الى التحضر وأخرجهم من الظلمات الى النور .

سادسا : قد يسأل سائل : اذا كان هدف الانسان فى الكون هو أن يعبد الله (كما يؤكد القرآن الكريم) أفلا يعنى هذا أن الانسان مغبون اذ قدر عليه أن يقف فى موضع يطلب منه فيه العطاء فحسب ، دونما أى شىء من الاخذ ؟ والجواب : كلا !! لأن العبادة فى الاسلام ــ كما مر بنا ــ هى التجربة الحياتية الكبرى القائمة على توازن فذ عجيب بين الاخذ والعطاء . والانسان يبلغ قمة انسانيته عندما يصل تلك النقطة التى يحقق فيها ذلك التوازن ، حيث نجده يبلغ أقصى درجات الانسجام ، والتوحد الباطنى ، والحيوية الحسية والنشاط الروحى ، والتفتح العقلى ، والحركة الجسدية .. لأن الله سبحانه ــ وهو أدرى بخلقه ــ جعل عبادته ، التى هى هدف الخليقة جمعاء ، مفتاح هذا المصير الذى يطمح اليه كل انسان . وأى انسان فى الارض لا يطمح لأن يكون متوحدا منسجما حيويا نشيطاً وحركيا .. ؟!

ان العبادة فى الاسلام لا تعنى ــ كما هو الحال فى كثير من الاديان والعقائد ــ حوارا جزئيا مع الله سبحانه فى ساعات معينة من الليل أو النهار ، حوارا يعبر عن نفسه بأداء حركات محددة واستعادة تعابير وصلوات مكتوبة سلفا ، وهدوءا جسديا موقوتا بزمن هذا الحوار .. وما أن تتم هذه العبادة الجزئية أو الصلاة التى لا تعدو أن تكون (صلة وقتية) تسودها الآلية والكسل الروحى فى معظم الاحيان ، حتى ينقلب الانسان الى تيار الحياة الهادر الصاخب لكى (يحرك) مكوناته التى جمدتها لحظات الصلاة !! ولكى ينطلق متعاملا مع الآخرين بشخصيته الثانية، الشخصية الدنيوية العملية .. أما فى الاسلام فان كل فاعليات الانسان تبدو عبادة لله ، ما دام ذلك الانسان قد وضع الله نصب عينيه .

وما الصلوات الخمس الا محطات للتذكير ، ولشحن الطاقة الروحية للانسان كى يقدر على مواصلة المسير ، والله نصب عينيه .. وما صوم رمضان الا محطة سنوية لأداء هذه المهمة .. أما الحج فهو محطة العمر التى يغادرها الانسان نقيا خفيفا متجردا كيوم ولدته أمه .. وما عدا هذا فكل ساعات الليل والنهار عبادة ، وكل الممارسات العملية والروحية والفكرية عبادة ..

وكلما كان الله سبحانه أكثر تجليا للانسان خلال احدى ممارساته ، كلما جاءت تلك الممارسة أكثر انسجاما مع مفهوم العبادة الشامل العميق . وهذا التجلى أو (الاحسان) بلغة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا يتحقق الا بالصبر والمران والدأب ، لكى لا يلبث أن تجىء ثماره حلوة كالرحيق المختوم تجربتا الاخذ والعطاء .
.. هنالك حيث تتوازن وتستوى تجربتا الأخذ والعطاء .



بأقلام القراء

حديث عن اللغة العربية

شاء الله أن ينز ل القرآن آية كبرى فى البيان ، على أمة كانت صناعتها الكلام ، تلك الأمة التى كانت تتذوق الشعر وايقاع الألفاظ وجودة الأسلوب وبلاغة البيان وملامح التصوير ، حتى ليجوز لنا أن نقول إنهم يدركون بحواسهم كلها من خلال الكلمة البليغة ، والبيان عندهم كاد يكون سحرا ، ان موهبة العرب الأصلية تجلت فى لسان قويم ينظم الدرر فى عقود يتيه بها جيد كل قبيلة وفى أذن ذواقة لا تعرف اللحن ولا النشاز ، انه جمال الفطرة التى توفرت لتلك اللغة ، فهى لم تختلط بأعجمية ، وهى محل تنافس ومركز شرف بين القبائل ، ان تلك اللغة وصلت الى حد الكمال الذى نستطيع أن نقول معه انها أهل للاختيار الالهى ، انها قادرة على الاستيعاب الجامع للقرآن الكريم .

ان أى لغة هى وعاء التفكير ووعاء المشاعر والعناية باللغة عناية بعقل الانسان ووجدانه ولنا أن نقول ان الأفكار العظيمة لا توصلها الا لغة عظيمة ، أننا مقبلون على فترة خطيرة تستمد خطورتها من ترك اللغة ، ومحاسن الفاظها وإيداعها فى (المتاحف) فالأجيال الحاضرة بدا لها أن تستغنى باللفظة السهلة ولا تجد فيها (ركاكة) وبدا لها أن تؤلف لغة عالمية من الرموز الرياضية ... وبدا لها أن تكتفى بالكلمات (العامية) (المحلية) ، وبالرموز وبالاشارات ، وبالكلمات المشوهة المجروحة ... وصاح صائح أن عصر (السينما) و (التلفزيون) و (الصحافة) يجب أن يتفاهم أبناؤه بلسان (الصور) و (الألوان) وأن (فيلما) من الافلام أفضل من تجشم قراءة قصة تاريخ .. انهم يريدون أن تنقرض (الأساليب) اللغوية فلم يعد يتسع لها الوقت فى هذا العصر (الالكترونى) السريع .. وصاح آخر : لقد انتهى عصر القصائد والنظم البديع ، اننا فى عصر نتفاهم بـ (س ، ص) . ثم ماذا ؟؟

ينادى آخرون ، بالشعر الجديد ، والشعر الحر ، وبالتعبير (الرمزى) اى المقنع الذى لا يعرف حقيقته الا صاحبه وفى كل يوم بدعة لها أنصار يتعاونون جميعا على تشجيع (اللهجات) المحلية حتى فى فنون الأدب (فى الشعر والزجل والقصة ...) انهم يقطعون الصلة بين فحولة اللغة وجزالة الألفاظ وامتلائها بالمعانى ، وبين العصر الذى نعيش فيه .. انهم يريدون شرا بلغتنا تلك التى اتسعت فحملت ما يتشرف به كل لسان ناطق وكل أمة ناطقة بتلك اللغة الى يوم الدين (وانه لذكر لك ولقومك) .

ولا نفهم من ابعاد اللغة العربية عن العلوم (العصرية) الا انه جزء أساسى من خطة مرسومة فى معاهد الغرب للقضاء بطريقة غير مباشرة على لغة القرآن وعلى آداب تلك اللغة ، والحكم بحبسها حتى تصبح غريبة على أبنائها فيسهل عليهم أن يهجروها بدون استعمال مستبدلين بها لغة الحضارة الغربية وولاء الحضارة الغربية ، والتأثر بتلك الحضارة سبقها فى هذا العصر .

ليست الانجليزية تحمل (مقومات) علمية ، ولا خصائص (حضارية) وما يجوز على لغة يجوز على أخرى ، فاللغة العربية أغنى لغة بالمفردات ، أحكم أسلوب سعة ودقة لحمل المعنى ، ومن ثم فهى أدق آلة توصل الى النفس والى العقل ولكن القائمين على التعليم كانوا أجانب ، ومشربين بروح عدائية لكل ما من شأنه أن يفتح أبصارنا على تراثنا ، وحتى تضعف وشائج (القومية) التى تربط العرب ، وحتى نبتعد عن القرآن وهذا هو الشاهد .

ولولا الأزهر لكان للغة العربية قصة أخرى . . لقد هاجمتنا آلاف المصطلحات فى مجالات السياسة والاقتصاد والفلسفة والاجتماع ، وما زالت العلوم الكيماوية والطبية والهندسية . . كلها تدرس عندنا بالانجليزية .

اننا نطالب بطرح قضية (التعريب) فى مراحل التعليم كأهم قضية قومية تواجهنا اليوم اننا نطالب بتطهير اللغة العربية من (العجمية) الأجنبية وايجاد البديل العربى ، ان العربية لا تنقصها المرونة والاتساع والقدرة على الاشتقاق والتوليد والنحت والتركيب ، ان الاطار العربى قادر على اعطاء الشكل المطلوب فى كل الفنون . . اننا نطالب بتطهير الاعلام صحافة واذاعة من اللهجات المحلية والمصطلحات الأعجمية ، ونطالب بالأداء العربى فى كل دواوين الدولة وخصوصا مجال الثقافة والاعلام والتعليم .

اننا نطالب بالمبادرة الى التعريب فى اطار عربى لفظا ومعنى ، على مستوى قومى . وتلك ليست مشكلة فهى قامت فى بعض الأقطار ، وعلى مستوى التعريب الفردى لبعض الكتب . اننا نطالب بالاحترام المطلق لآداب العربية فلقد تسربت الينا آداب وفنون (أجنبية) لفظا ومعنى ، فالأغانى و (الموسيقى) و (المسرحيات) و (الأشعار) و (الروايات) . . كل هذا (الركام) أفسد الحاسة العربية السليمة واثر فى قدرتها على تذوق المحاسن العربية ، أطالب بتربية الأطفال فى سنى النشأة الأولى من حياتهم على الأساليب الفصيحة ، حتى يكون أول ما يقرع آذانهم (الجرس) العربى ، ويتعودون على الفصاحة والبيان منذ الصغر فالبيئة التى تؤثر على لسان الطفل وبالتالى على (مادة) ذاكرته هى البيت والمدرسة واننا نأسف لما نشاهده من الأسر العربية التى تجعل أطفالها يحفظون (مفردات أجنبية) مثل بابا ، ومرسى ، وباى باى ، يستطيع الوالدان أن يسقيا وليدهما (اللغة الفصحى) . . وعليهما بالاشتراك مع المدرسة تكوين مادة قصص وتسلية بأسلوب عربى فصيح وعلى أدبائنا أن ينهضوا بذلك الواجب .

ان أدباء العربية ، قد نزلوا الى مستوى سوقى فى انتاجهم الأدبى . دعاة العامية انهم لا يعبرون عن جهلهم فقط ، ولكنهم يهدمون أمة ، ويحاربون دينا (وقومية) باشاعة اللفظ العامى والأسلوب الركيك والخيال المحدود . . إن « تيمور » و « طه حسين » و « الزيات » وغيرهم ، أمثلة شاهدة على « حلاوة » الفصاحة فى مجال الأدب . . اننا لا ندافع عن اللغة العربية فاللغة العربية تدافع عن نفسها وهى فوق الدفاع . . ولكننا نلفت النظر الى العودة للتنافس اللغوى والابداع البيانى والمشاركة باللغة فى كل شئون الحياة حتى فى التخاطب العادى . . وذلك اكراما للسان اكرمه الله بآياته الحكيمة ، ان أعداء الاسلام سيصرخون لأنهم يريدون (الغرب) أدبا ولغة وأخلاقا وحضارة .

وهذا هدفهم ، ولن يكون ان شاء الله .

محمد منسى السيد سالم ـــ طب الأزهر

الفتاوى

فى الحمـــل

وردت هذه الاسئلة للمجلة من احدى المجلات الكويتية ، وقد اجابت عليها بما يلى :

زوج عقيم ، وزوجة صالحة للانجاب . زرع فى رحمها حيوانات منوية من رجل آخر مجهول تماما وانجبت ابنا . فما الحكم .؟

الاجابة :

إذا اخذت نطفة رجل أجنبى (غير الزوج) سواء أكان هذا الأجنبى مجهولا أو معلوما ووضعت هذه النطفة فى رحم الزوجة وانجبت ابنا ــ فهذا حرام لا يجوز فعله بحال من الأحوال مهما كانت ظروف الزوجين ، لأن فيه تغييرا للأنساب بما يترتب عليه من حرمات شرعية وحقوق وواجبات .

السؤال :

زوجة صالحة للإنجاب وزوج صالح للانجاب ، ولكن الحيوان المنــوى للزوج يموت عند دخوله رحم المرأة . أخذ الحيوان من الزوج وأخذت البويضة من الزوجة وتلقحت فى أنبوبة أختبار ، وحفظت لفترة قصيرة ثم نقلت مرة أخرى الى رحم الزوجة حيث نما الجنين وترعرع كالعادة . فما الحكم . ؟

الاجابة :

فى هذه الحالة يمكن القول بجوازها شرعا إذا دعت اليها الحاجــة كمـــا لو لم يكن للزوجين أولاد ، وهما حريصان على التناسل وإنجاب الذرية ، لأن التناسل مصلحة مشروعة لهما ، وأصبح متوقفا على هذه العملية .

السؤال :

زوج صالح للإنجاب وزوجة صالحة للانجاب أيضا ولكن رحم المرأة غير صالح لتربية الجنين أخذت البويضة من المرأة والنطفة من الرجل ونقلا الى رحم امرأة ثالثة حيث تولت تربية الجنين وبعد الولادة أعيد الولد الى الزوج والزوجة الأصليين . فما الحكم . ؟

الاجابة :

من القواعد الفقهية الكلية « الأصل فى الأشياء الاباحة والأصل فى الفروج التحريم » وبناء على هذه القاعدة يكون كل ما يتصل بالفروج محرما حتى يقوم الدليل على إباحته .

ووضع نطفة الزوج بعد تلقيحها ببويضة الزوجة فى رحم امرأة أجنبية ايداع لنطفة الأجنبى فى رحم أمرأة أجنبية وهو غير جائز شرعا ، ولا تبيحه ضرورة من الضرورات وهو مناف للكرامة الانسانية ، فليست المرأة مجرد مستودع (كالفراخة

الكهربائية) التي يوضع فيها البيض حتى يفرخ ، واذا كان هذا سائغـــا في الحيوانات لأن المعنى في ايجادها هومجرد حفظ النوع وتحقيق منفعة الانسان ، فليس الأمر كذلك بالنسبة للانسان ، ثم أي المرائنين تعتبر أما لهذا الوليد ، الأم صاحبة البويضة أم الأم المستودع ؟ !! ولا يقال : إن الأم المستودع كالأم من الرضاع فالفرق كبير بينهما كما هو واضح .

وجهت هذه الأسئلة الى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز وقـــد أجاب عليها بما يلي :

الطلاق في الحيض

السؤال :

نسأل عن رجل طلق زوجته وهي حائض هل تطلق أم لا وإن هذه الطلقة هي آخر طلقة . ؟

الاجابة :

الذي عليه جمهور اهل العلم أنها تحسب عليه مع الأثم ، لأن ابن عمر رضي الله عنهما لما طلق امرأته في الحيض طلقة واحدة أنكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بالمراجعة ولم يقل له الطلاق غير واقع ، بل ثبت في صحيح البخاري أن الطلقة حسبت عليه ، ولم يثبت فيما نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسأل المستفتين في الطلاق هل طلقوا في الحيض أم لا ، ولو كان طلاقهم في الحيض لا يقع لاستفصلهم ، وهذا هو الأظهر والله سبحانه وتعالى أعلم .

حبوب منع الحمل

السؤال :

يوجد نساء يستعملن حبوب منع الحمل ويتوقفن ستة أيام من كل شهر عن أكل تلك الحبوب ، ويحضن في تلك الأيام ، وفي شهر رمضان يستعملن تلك الحبوب طيلة الشهر تهربا من الإفطار فيه فما الحكم . ؟

الاجابة :

استعمال حبوب منع الحمل اذا كان المقصود منه الاستعمال لمدة معينة نظرا لمرض المرأة أو لتأجيل الحمل حتى تفطم طفلها وما أشبه ذلك من الحاجات فهذا لا بأس به ، أما إن كان المقصود منه منع الحمل بالكلية بدون سبب يضطرها الى ذلك فهذا لا يجوز ، ولا بأس باستعمال تلك الحبوب في شهر رمضان لمنع المحيض والاستمرار في الصيام لأن في ذلك مصلحة بدون مضرة .

أسنان الميت الذهب

السؤال :

اذا مات الإنسان وله أسنان ذهب فهل تنزع منه إذا كان عليه دين ، ولو كان نزعها لا يحصل بسهولة أم تترك إذا لم يكن عليه دين . ؟

الاجابة :

اذا مات الانسان وله أسنان ذهب أو فضة ، ونزعها لا يحصل بسهولة فلا بأس بتركها سواء كان مدينا أم غير مدين ، وفي الإمكان نبشه بعد حين وأخذها للورثة أو الدين ، أما إذا تيسر نزعها وجب ذلك لأنها مال لا ينبغي إضاعته مع القدرة .

بريد الوعي الإسلامي

حـــديثان

مما لا شك فيه أن الله عز وجل طلب من المسلم أن يتدبر القرآن وأن يأخذ بسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالقرآن والسُنَّة هما الشريعة الإسلامية . ولما كانت السُنَّة هي ما صح من أقوال الرسول وأفعاله وسكوته أو إقراره لأفعال حدثت أمامه فانني أستفسر عن حديثين منسوبين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راجيا التكرم بافادتي عن صحتهما من الرواية أعني هل رواهما أحد أصحاب كتب السُنن الستة أو أي كتاب حديث آخر .

الحديث الأول : أورده ابن كثير في تفسيره عند الكلام على الآية ١٥٩ من سورة آل عمران والآية هي قول الله تعالى **« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين »** . قال المفسر روى ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزم فقال : « مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم » .

والحديث الثاني : قرأته ضمن مقال نشر في مجلة الوعي الاسلامي وعنوان المقال : الشورى في الإسلام . عن علي بن أبي طالب قال : قلت يا رسول الله ، الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه منك سنة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اجمعوا له العالمين أو قال العابدين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأي واحد » ..

عبد اللطيف ابراهيم محمد

ابن مردويه راوي الحديث مفسر ومحدث ، وله كتاب في التفسير وكتاب في الحديث اسمه المستخرج ، وكلاهما لم يطبع ، وهذا الحديث الأول لم نعثر عليه في كتب السنة الستة ، وكذلك الحديث الثاني لم نعثر عليه إلا في كتاب فجر الاسلام للأستاذ أحمد أمين ص ٢٤٠ وهو ما نبه عليه كاتب المقال .

« الوعي »

تفريغ الأرض المحتلة من العرب

إن السلطات الاسرائيلية فى محاولتها ضم الأراضى المحتلة وخاصة قطاع غزة ، وكرد عملى على المعارضين فيها لهذا الضم فانها :

١ ــ لجأت لمواجهة معدل الزيادة بين المواليد العرب الى اتخاذ الاجراءات التاليـــة :

أ) أصدرت قانونا بمنع المسلمين الموجودين بالأرض المحتلة منذ عام ١٩٤٨ والقدس بشطريها من الزواج بأكثر من واحدة ومنع الطلاق فيما بينهم ــ ومعاقبة من يخالف ذلك بالحبس ــ ويخير بعد تنفيذ مدة العقوبة بين استمراره بالسجن أو نقل اقامته من اسرائيل والقدس الى الضفة الغربية وغالبا ما يقبل المخـالف العرض الأخير للخلاص من السجن .

ب) عدم الاعتراف بالزواج الذى يتم بالمحاكم الشرعية بالقدس واشتراط أن يتم الزواج بمحكمة يافا الشرعية بمدينة يافا ــ مما ترتب عليه توقف المحاكم الشرعية بالقدس عن العمل .

٢ ــ تشجيع هجرة العرب من اسرائيل والقطـاع خاصـة وتقديم كافة التسهيلات والاغراءات المادية لهم بهدف تفريغ الأرض المحتلة من العرب .

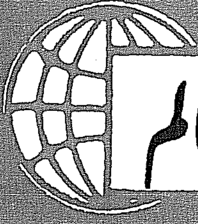
مطلع مسئول

الثقافة الحـديثة فى الكويت

إننى أكتب من المانيا الديمقراطية الى دولة الكويت البعيدة البعد مسافة ، والقريبة القرب شعورا وقلبا ، وأتوجه الى سيادتكم بقضية تهمنى وتهم جامعـة لايبزيج التى أشتغل فيها أستاذا مساعدا فى الدراسات العربية (قسم الثقـافة والآداب العربية) ويراودنى الأمل أنه فى استطاعتكم أن تساعدنى فى انجـاز هذه القضية . إذ اننى أقوم منذ سنتين بتأليف كتاب علمى شامل عن تاريخ الثقافة والآداب العربية فى جميع البلدان العربية المختلفـة فى الفترة ما بعد الحـرب العالمية الثانية حتى وقتنا الحاضر . وتكون الدراسة مخصصة للتيارات الثقافية العامة والآداب والمسرح والسينما والفنون التشـكيلية والموسـيقى والملامح الأساسية للسياسة الثقافية للدول العربية والمؤسسات الثقافية .

هذا وحققت لغاية الآن قسما كبيرا من الدراسة العلميـة إلا انه تنقص المعارف الكافية عن دولة الكويت فان المعلومات عنها بما يخص الشؤون الثقافية الحديثة تكاد تكون معدومة فى جامعتنا . ولذلك أكون شاكرا لو تفضـلتم بارسال مجلتكم الغراء التى هى ــ كما أعرف من بعض الأصدقاء العرب ــ تعكس الحياة الثقافية فى الكويت بأصدق صورة . ويمكن أن أرسل لكم ــ اذا شئتم ــ مجلة ثقافية ألمانية من الاختصاص الذين ترغبون ، وهذا فى خدمة التعاون الثقافى بين بلدينا . أكرر فى الختام تحياتى الخالصة آملا أن أجد العون والمساعدة .

الدكتور بيتر بيلمان



قالت صحف العالم

لماذا يرفضون الاسلام ؟

ان الاسلام يتضمن كل مقومات الحضارة الخالدة ، وهو فى نفس الوقت يستفيد من كل العطاءات : ولذلك كانت له قوة البث الحضارى وقوة الصمود ، وهو يشمل كل خير لصالح الانسان .

فالدارسون للاسلام بامعان يرون فيه انه نسيج وحده ، ولا تزداد أفكاره على مر الأيام والعصور الا نصاعة وتألقا ، وصمودا وصعودا .

وتكفل العقيدة الاسلامية للانسان أسس الاستقرار النفسى والحضارى ، ويعتبر الاسلام فى الانسان كرامته وجدارته . ومن أسس العقيدة فى الاسلام : التوحيد ، والمساواة ، والعدل ، والحرية والمعرفة .

فالاسلام دين توحيد يشترط الايمان بالله وحده ، والايمان بالله وحده هو القاعدة التى يحصل بها التوازن بين الجانب الروحى فى الانسان والجانب المادى فيه .

ومن الايمان بالله وحده يكون المنطلق لتحقيق كل من المساواة والعدل ، والحرية والمعرفة .

والانسان فى الاسلام يتحمل الامانة لجدارته ، والامانة هى مسئولية وتكليف وفى إطار هذه المسئولية والتكليف تكون الحرية ، لأنه لا مسئولية بدون حرية واختيار .

فالاسلام يحرر الانسان من جميع الأوهام والخزعبلات ، كما يجرده من طغيان الانسان كيفما كان هذا الانسان ، ويحرره من جبروت الطغاة ، ومن الظلم باشكاله والوانه ، ويحرره من عبودية المال ، والجاه ، ومن عبودية المادة ، ويجعل شعار المسلم (الله أكبر) ويربط الاسلام بين المسلم وبين ربه برباط تلك الشريعة العادلة الرحيمة التى شرعها الله للبشر ليسعدوا فيما بينهم ، من غير أن يكون هناك غرض فردى أو جماعى ، كما هو الشأن فى أفعال البشر ، وفى تشريعاتهم .

والمساواة فى الاسلام : هى روح النظام الاجتماعى فى الأمة الاسلامية ، فالكل أمام الله سواء ، وأمام القانون سواء ، لا طبقية ولا عنصرية ولا طائفية ، لا لون ولا جنس ، بل الكل كأسنان مشط ، لا فضل الا بالعمل والتقوى ، أى بالمزيد من فعل الخير فى سبيل المجتمع ، فحتى هذا القدر من الفضل الزائد مصدره آت من التفانى فى خدمة المصلحة الانسانية .

أما العدل فى الاسلام فهو شىء مقدس ولذلك كان الظلم محرما تحريما باتا لا هوادة فيه ، وفى الحديث القدسى المشهور ، الذى رواه أبو ذر رضى الله عنه « يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا »

أما مبدأ التعلم والتعليم والمعرفة فهو من المبادىء التى حث عليها الاسلام ، ولذلك كان أول اتصال بين الأرض والسماء — فى الاسلام — يبدأ بقوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » . « الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان » وفى أول الخليقة قال تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » وفى آية أخرى « وقل رب زدنى علما » .

فالاسلام الذى حمل الانسان الأمانة جعله مسئولا عن هذا كله ، توحيد ، ومساواة ، وعدل ، وحرية ومعرفة .

وكلما حاول الانسان أن يحيد عن توجيه خالقه ، كلما ازدادت محنته وتعددت مشاكله ، وكم جرب الانسان وجرب ولكنه لم يخرج من تجاربه الا بالشقاء ، مهما تعددت مظاهر البهرجة والاشكال البراقة ، لأن توجيه البشر للبشر لا يتناول عمق الانسان ، ولا يوازى فى تقديراته بين المادة والروح .

والعجيب ان الاسلام الذى هو بهذه المثابة من السمو تتصدى أفكار بشرية لتنال منه ، ولتشغل المجتمع الانسانى عن الاهتداء بهديه ، نحن اذا حللنا الأفكار البشرية التى تدعى أنها كفيلة بانقاذ الانسانية من ويلاتها سوف نرى أنها « كالشمعة التى تضىء وقت الظهر ، أو كالاسفنجة التى تريد شرب البحر » .

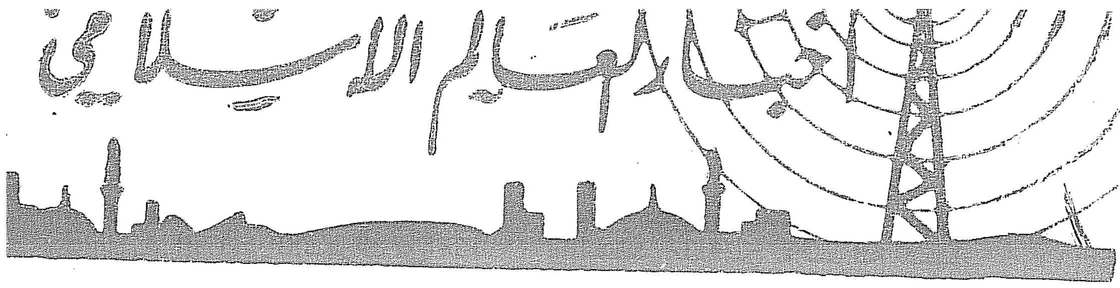
منذ كان البشر وهو يحاول ايجاد انظمة ليسعد بها حسب رأيه ، الا أن أهم ما يوقع الفكر البشرى فى الخطأ ، هو النظرة الهامشية للحياة ، ومنذ وجد الانسان على ظهر هذا الكوكب وهو يتلمس الطريق ليضمن السعادة لنفسه ، الا أن نظرته الهامشية تجعله ضيق الأفق ، بعيدا عن الصواب ، ولذلك ، فتارة يبدو له أنه أتفه شىء فى هذا الوجود ، فيسرع بالخضوع للأحجار والمياه وحتى الحشرات ، أو حينما يبدو أنه المهيمن وحده على الكون ، وأنه لا قوة تقهره وتحد من جبروته ، فيدعى الالوهية والربوبية ، ويختال ويفتخر ، وتارة أخرى يبدو له أنه مجرد عابر سبيل ، وأنه عليه أن يغتنم من لذات الحياة بقدر ما يستطيع وأن لا يبالى بعد ذلك بآلامها وأحزانها ، لأن الحياة فى نظره ماضية ولن تعود ، واذا مضت فقد خسر كل شىء ، الى غير ذلك من المذاهب والآراء .

وبهذه النظرات الهامشية للكون ولسننه ولحياة الانسان فيه ، يكون الانسان نظرة خاطئة عن وجوده فى هذه الحياة ، ثم يركز على نظره الخاطىء ، ويقعد القواعد ، ويقنن القوانين ويخط التخطيطات ويحسب أنه صنعها .

والغريب فى هذه الحياة أنه بعد التمادى فى الخطأ قد يشعر الانسان بفطرته بخطئه ، ولكن عناده يأبى عليه الا التمادى فى الخطأ ، بل يأبى عليه الا التعصب له ، والدعوة اليه ، والى هذا يشير قول الله عز وجل حكاية عن الظالمين : « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » وقوله تعالى : « كل حزب بما لديهم فرحون » .

وهكذا تنزلق البشرية فى مهاوى الضلال من غير شعور ، أو فى شعور مع لا مبالاة ، وبهذا تنبت الأفكار فى مزارع الضلال وتغذى بالتعصب والعناد ويتشبث المنتفعون .

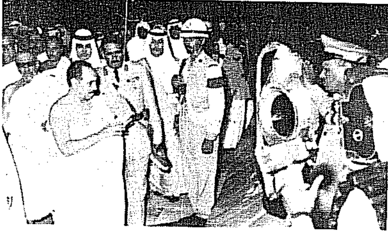
عن مجلة الميثاق المغربية



إعداد : الاستاذ فهمى الإمام

الكويت :

● أدى سمو الأمير المعظم مناسك العمرة أثناء زيارته للسعودية ويرى سموه بملابس الإحرام أمام الحجر الأسود .



● قام سمو الأمير المعظم بزيارة رسمية للجمهورية التونسية ، ويرى سموه أثناء زيارته لمسجد الزيتونة .



● استقبلت المملكة المغربية سمو الأمير المعظم استقبالا حافلا أثناء زيارته لها ، ويرى سموه وهو يعانق جلالة الملك الحسن الثانى فى مطار الرباط .



● زار البلاد وزير الأوقاف والحج السعودى الأستاذ محمد الكتبى بدعوة رسمية من وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الاستاذ راشد عبد الله الفرحان ، وقد قام الضيف الكريم بزيارة سمو نائب الأمير المعظم وولى العهد فى مكتبه كما يبدو فى الصورة .



● قدمت الحكومة السعودية شكرها وتقديرها للجهود التى بذلتها السلطات الكويتية لإنقاذ حياة الدبلوماسيين السعوديين فى مطار الكويت الدولى .

● قام وزير الأوقاف والحج فى المملكة العربية السعودية بزيارة « دار القرآن الكريم » أثناء زيارته للبلاد .

● نظمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ندوات دينية طوال شهر رمضان واستضافت عدداً من علماء المسلمين للاشتراك فى هذه الندوات .

● بدأت الدراسة فى « دار القرآن الكريم » ومما يذكر أن عدد الطلبة الجدد الذى تقدموا هذا العام بلغ ٤١٦ طالبا.

● أصدر وزير التربية قرارا بمنع الاختلاط فى المدارس الأجنبية الخاصة فى المرحلتين المتوسطة والثانوية .

القاهرة :

● عقد فى القاهرة مؤتمر قمة بين دول المواجهة الثلاث لمواجهة الخطر الصهيونى .

● وافق فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شؤون الأزهر على تزويد جامعات الهند بأساتذة فى اللغة العربية والثقافة الإسلامية .

● من المقرر تأجيل موعد انعقاد مؤتمر علماء المسلمين الخامس الذى ينظمه مجمع البحوث الاسلامية الى ما بعد نوفمبر القادم .

● يظهر فى الأيام القادمة كتاب (الفلسفة عند الإمام الشافعى) للدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر .

● تبحث وزارة التربية توحيد زى الطالبات فى جميع مراحل الدراسة بما يتلاءم مع تعاليم الإسلام ويحفظ للجيل الجديد أخلاقه وثقافته القومية الأصيلة .

السعودية :

● بعثت السعودية بوفد الى إثيوبيا لتفقد المعاهد الاسلامية هناك وتقدير مدى احتياجها من المعونة الثقافية .

● اختير عشرة ممن يتمتعون بالثقافة الاسلامية العالية لتلقى دورات فى اللغة الفرنسية ليكونوا دعاة فى الدول الناطقة بالفرنسية .

سوريا :

● تصدت القوات السورية ببسالة لطيران العدو الإسرائيلى وأسقطت عددا من طائراته كما أصابت عددا آخر وأرغمت الباقى على الفرار .

ليبيا :

● ستقام ندوات دينية خلال شهر رمضان فى ليبيا يشترك فيها كبار العلماء والمفكرين .

الجزائر :

● انهى مؤتمر دول عدم الانحياز اجتماعاته فى الجزائر متخذا قرارات إيجابية لصالح القضية الفلسطينية وإدانة العدوان الاسرائيلى .

● قطعت كوريا علاقاتها الدبلوماسية مع دولة العدو الصهيونى ، وقد أعلن ذلك فيدل كاسترو رئيس وزراء كوبا أمام مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز .

● أيد مؤتمر دول عدم الانحياز الثورة الفلسطينية .. واعتبر منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الرسمى الوحيد للشعب الفلسطينى

أخبار متفرقة

اسبانيا :

● نفذت السلطات الاسبانية وعدها للمسلمين بإعادة مسجد قرطبة التاريخى اليهم بعد أن حول المسجد الى كاتدرائية عام ١٢٣٦ .

نيجيريا :

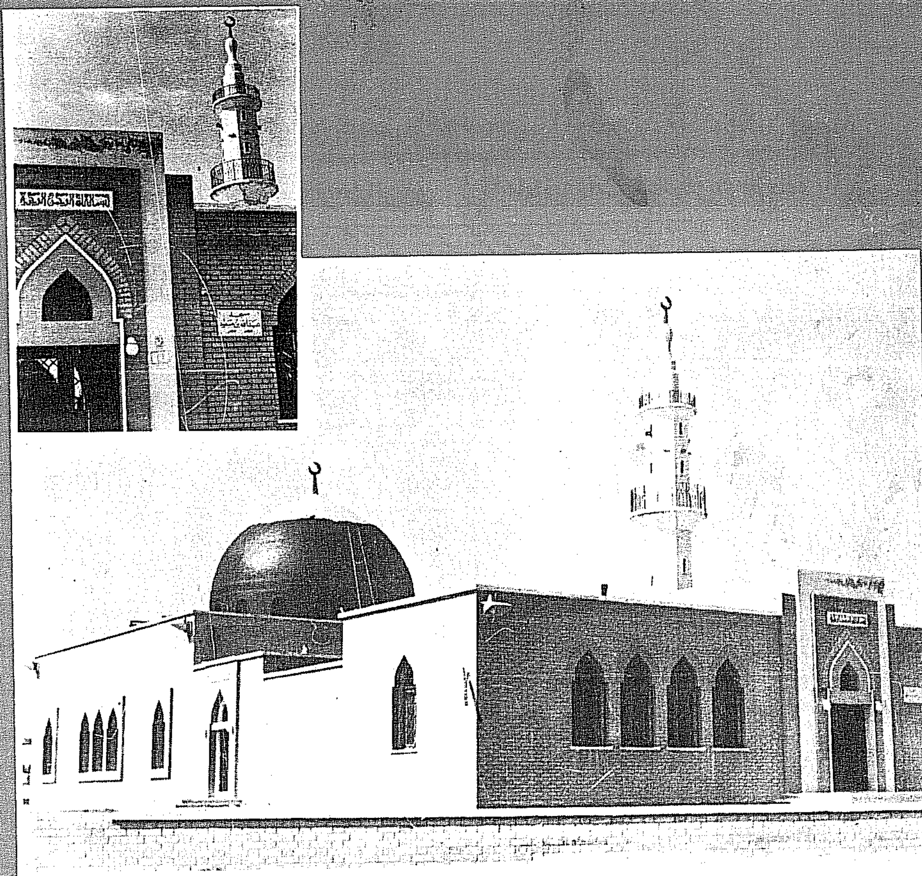
● قرر المسلمون فى نيجيريا تشكيل هيئة مركزية لهم هى المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية . وقد أصدر المجلس بلاغا أعلن فيه أنه سيكون الناطق باسم جميع المنظمات الاسلامية فى البلاد .

توجو :

● قطعت توجو علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	رمضان	سبتمبر	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الخميس	١	٢٧	٤ ١١	٥ ٣٨	١١ ٤٠	٣ ٥	٥ ٤٠	٦ ٥٨	١٠ ٣١	١١ ٥٩	٦ ٠٠	٩ ٢٦	١ ١٨
الجمعة	٢	٢٨	١١	٣٩	٣٩	٤	٣٨	٥٦	٣٣	١٢ ١	١	٢٦	١٨
السبت	٣	٢٩	١٢	٤٠	٣٩	٤	٣٧	٥٥	٣٥	٣	٢	٢٧	١٨
الأحد	٤	٣٠	١٢	٤٠	٣٨	٣	٣٦	٥٤	٣٦	٤	٢	٢٧	١٨
الاثنين	٥	أكتوبر	١٣	٤١	٣٨	٢	٣٥	٥٣	٣٨	٦	٣	٢٧	١٨
الثلاثاء	٦	٢	١٣	٤١	٣٨	١	٣٤	٥٢	٣٩	٧	٤	٢٨	١٨
الأربعاء	٧	٣	١٤	٤٢	٣٧	٠٠	٣٢	٥٠	٤١	٩	٥	٢٨	١٨
الخميس	٨	٤	١٤	٤٢	٣٧	٠٠	٣١	٤٩	٤٣	١١	٦	٢٩	١٨
الجمعة	٩	٥	١٥	٤٣	٣٧	٢ ٥٩	٣٠	٤٨	٤٥	١٣	٧	٢٩	١٨
السبت	١٠	٦	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٩	٤٧	٤٧	١٥	٨	٢٩	١٨
الأحد	١١	٧	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٨	٤٦	٤٩	١٧	٩	٣٠	١٨
الاثنين	١٢	٨	١٧	٤٥	٣٦	٥٧	٢٦	٤٤	٥١	١٩	١٠	٣٠	١٨
الثلاثاء	١٣	٩	١٧	٤٥	٣٥	٥٦	٢٥	٤٣	٥٢	٢٠	١٠	٣١	١٨
الأربعاء	١٤	١٠	١٨	٤٦	٣٥	٥٥	٢٤	٤٢	٥٤	٢٢	١١	٣١	١٨
الخميس	١٥	١١	١٨	٤٦	٣٥	٥٤	٢٣	٤١	٥٥	٢٣	١٢	٣١	١٨
الجمعة	١٦	١٢	١٩	٤٧	٣٤	٥٤	٢٢	٤٠	٥٧	٢٥	١٣	٣٢	١٨
السبت	١٧	١٣	١٩	٤٧	٣٤	٥٣	٢١	٣٩	٥٨	٢٦	١٣	٣٢	١٨
الأحد	١٨	١٤	٢٠	٤٨	٣٤	٥٢	٢٠	٣٨	١١ ٠٠	٢٨	١٤	٣٢	١٨
الاثنين	١٩	١٥	٢٠	٤٨	٣٣	٥١	١٨	٣٦	٢	٣٠	١٥	٣٣	١٨
الثلاثاء	٢٠	١٦	٢١	٤٩	٣٣	٥٠	١٧	٣٥	٤	٣٢	١٦	٣٣	١٨
الأربعاء	٢١	١٧	٢١	٤٩	٣٣	٤٩	١٦	٣٤	٥	٣٣	١٧	٣٣	١٨
الخميس	٢٢	١٨	٢٢	٥٠	٣٣	٤٩	١٥	٣٣	٧	٣٥	١٨	٣٤	١٨
الجمعة	٢٣	١٩	٢٢	٥١	٣٣	٤٨	١٤	٣٢	٨	٣٧	١٩	٣٤	١٨
السبت	٢٤	٢٠	٢٣	٥١	٣٢	٤٧	١٣	٣١	١٠	٣٨	١٩	٣٤	١٨
الأحد	٢٥	٢١	٢٤	٥٢	٣٢	٤٦	١٢	٣٠	١٢	٤٠	٢٠	٣٤	١٨
الاثنين	٢٦	٢٢	٢٥	٥٣	٣٢	٤٦	١١	٢٩	١٤	٤٢	٢١	٣٥	١٨
الثلاثاء	٢٧	٢٣	٢٥	٥٣	٣٢	٤٥	١٠	٢٨	١٥	٤٣	٢٢	٣٥	١٨
الأربعاء	٢٨	٢٤	٢٦	٥٤	٣٢	٤٤	٩	٢٧	١٧	٤٥	٢٣	٣٥	١٨
الخميس	٢٩	٢٥	٢٧	٥٥	٣٢	٤٣	٨	٢٦	١٩	٤٧	٢٤	٣٥	١٨
الجمعة	٣٠	٢٦	٢٧	٥٦	٣٢	٤٣	٧	٢٦	٢٥	٤٩	٢٥	٣٦	١٨



مسجد
عبد الله بن مسعود

اسمه : عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي .

اسلامه : أسلم وهو غلام يافع قد قارب البلوغ ، وكان سادس من أسلم .

جهاده : اول من جهر بالقرآن فى مكة ، وناله من أذى قريش الكثير وهاجر الى الحبشة مرتين ، وشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم الغزوات كلها وهو الذى أجهز على أبى جهل فى غزوة بدر ، وكان يطيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع القرآن من فم ابن مسعود . وشهد فتوح الشام وبعثه عمر فى خلافته الى الكوفة ليعلم اهلها الدين ، وولاه عليها عثمان فى خلافته .

وفاته : مات عبد الله سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

المغــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

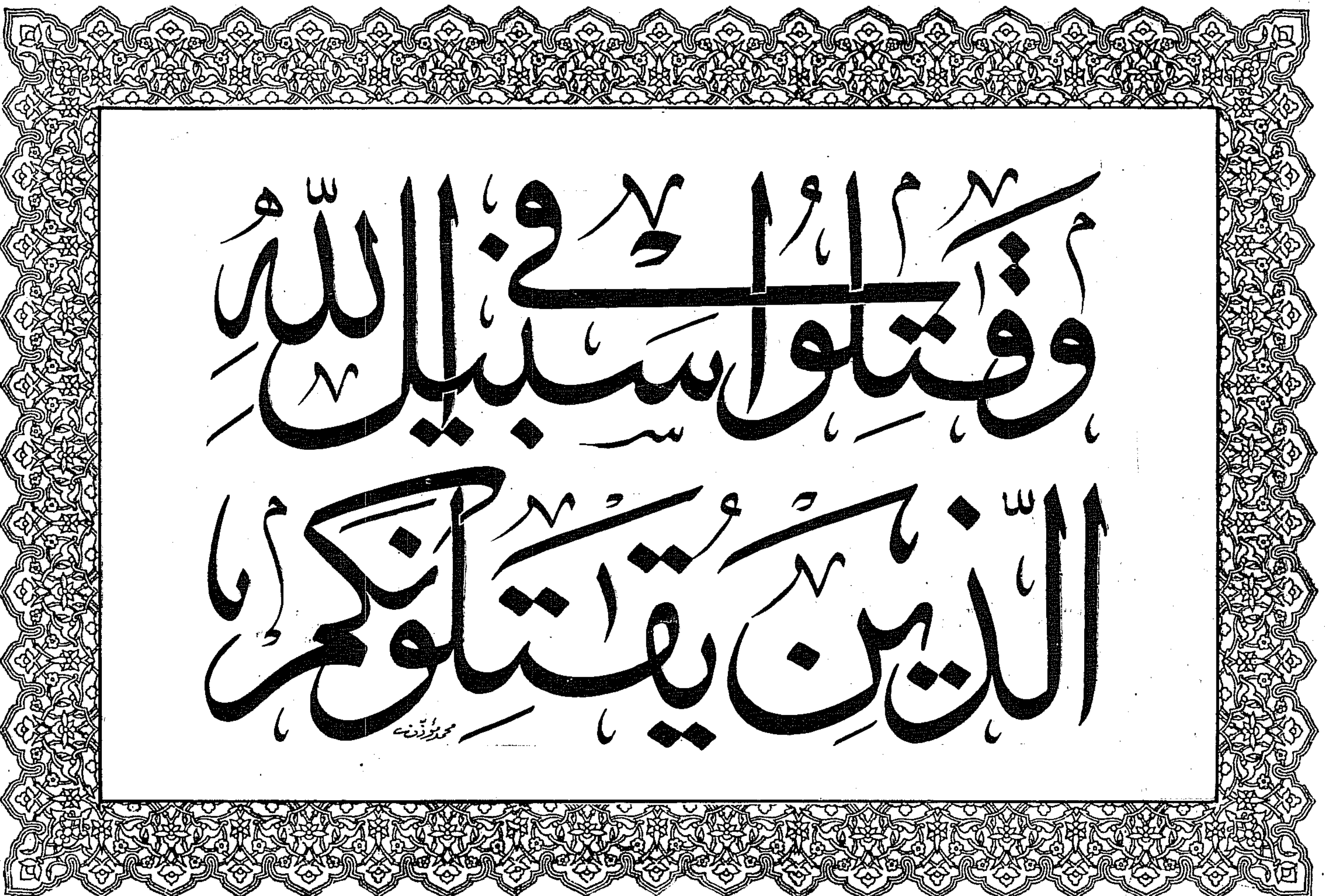
مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٠٦)
غرة شوال ١٣٩٣
٢٧ أكتوبر ١٩٧٣

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة


وقاتلوا في سبيل الله
الذين يقاتلونكم

محمد بن راشد ا براد



قال تعالى :
((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة))
(صدق الله العظيم)

الوعي الإسلامي
اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI
Kuwait P.O.B. 13

العـــدد (١٠٦)
غرة شوال ١٣٩٣ هـ
٢٧ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي
الاشتراك السنوى للهيآت فقط
أما الأفراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد : ١٣ ـ كويت ـ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

هل للمسلمين بابوية

* ظهر اتجاه العلمانية فى المجتمعات الاسلامية بعد الحرب العالمية الأولى. وتبلور واضحا فيها بعد الحرب العالمية الثانية ، وبعد أن انتصرت فيها القوتان العالميتان : القوة الشيوعية البلشفية ، والأخرى الرأسمالية الصليبية ، ودخلتا مجال المنافسة الاقتصادية فى كسب ثروات المسلمين ، وهى عديدة .

وقد وجدت هاتان القوتان الأرض فى البلاد الاسلامية مهيأة للحصول على هذه الثروات ، بفضل ما أحدثته العلمانية من تخلخل فى نفوس المعدين للقيادة فى المجتمعات الاسلامية ، فى صلتهم بالاسلام . اذ قد باشر الاستعمار الغربى لهذه المجتمعات من قبل اسلوب العلمانية : فى القضاء .. والتعليم .. والسياسة .. وشؤون الادارة ، طيلة مدة حكمه لها ، فى افريقيا وآسيا .

والعلمانية قد يظنها البعض : أنها الاتجاه العلمى . وليس هذا معناها . وانما هى الاتجاه الدنيوى أو المادى فى مقابل الاتجاه الروحى الذى هو للسلطة الدينية . أى هو الاتجاه الذى تباشره الدولة فى شؤون الحكم ، والسياسة ، والاقتصاد ، والادارة والدفاع والأمن فى المجتمع .. الخ ، غير مقيدة بنظرة أخرى لسلطة ثانية فى توجيهها ومباشرتها ، أى غير ناظرة فى التوجيه والمباشرة الى ما تراه السلطة الدينية فيما يخصها . على أن يترك للسلطة الدينية أمر الأسرة : فى ايمان أفرادها .. وفى العلاقات الزوجية بينها .. وفى انجاب الأطفال من هذه العلاقات وتعميدها .. وفى رسوم دفن الموتى .. الى غير ذلك مما يعرف للكنيسة .

العلمانية تقسيم الانسان فى المجتمع بين سلطتين : احداهما زمنية وهى الدولة .. وأخرى إلهية وهى البابوية . فالدولة لها الزام على الانسان من جانب ، والكنيسة لها الزام أيضا عليه من جانب آخر ، وهذا التقسيم جاء نتيجة للنظرة التى يتبناها الاكليروس المسيحى الى الدنيا والمتع المادية فيها . وهى النظرة التى تفرق فى القيمة والاعتبار بين المادة والروح : فبينما المادة دنسة اذا بالروح طاهرة . وعن هذه التفرقة كانت الرهبنة هدفا فى نظام هذا الاكليروس.. وكان الزواج أبديا ، لأنه رباط بين روحين ، قبل أن يكون رباطا بين جسدين .

والمجتمع الاسلامى قد تم تكوينه فى ثلاثة وعشرين عاما . ولم تعرف فيه سلطة دينية بجانب سلطة زمنية أو دنيوية ، كما لم يعرف فيه تخصيص مجال للدين ، وآخر للدولة . وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام إمام المسلمين فى الصلاة ، وقائدهم فى الحرب ، وقاضيهم فى الخصومات التى تنشأ بينهم ، وحاكمهم يطلب منهم التنفيذ فيما يأمر به أو ينهى عنه . كانت هناك سلطة بشرية تصيب وتخطىء ، وليست سلطة دينية معصومة عن الخطأ . كانت هناك سلطة تتبادل المشورة والرأى ممن لهم شورى ورأى فى الأمة الإسلامية .

الأقلية الحائرة

للدكتور محمد البهى

وكل ما تتميز به السلطة الاسلامية عن اية سلطة بشرية اخرى : انها تحكم بما انزل الله فى كتاب الاسلام ، وهو القرآن الذى جاء به خاتم المرسلين محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام . وان أصاب القائمون بأمرها فى الحكم بما انزل الله كان لهم أجران عند الله : أجر الاجتهاد ، وأجر الصواب . وان أخطأوا كان لهم أجر الاجتهاد وحده . والحاكم المسلم مجتهد ، وليس معصوما عن الخطأ . والقرآن يسجل آيات عديدة توضح عتاب الله لرسوله على رأى كان له فى الحرب ، أو فى سياسة الدعوة ، مما يدل على أن الرسول عليه الصلاة والسلام كحاكم أو كقائد — وليس كمبلغ للوحى — مجتهد فى حكمه وفى رأيه .

ويخطىء بعض الكتاب من المسلمين اذ يثيرون فى وجه تطبيق الاسلام فى تطبيق الاسلام يلزم وجود حكومة إلهية على نمط الحكومة البابوية ، لا تخطىء المجتمعات الاسلامية المعاصرة : قضية « الحكومة الإلهية » . على معنى أن اطلاقا ، ويجب الايمان بعصمتها . لأنهم مع الأسف يقيسون الوضع فى الاسلام على وضع الدولة الكنسية فى روما ، دون أن يرجعوا الى الاسلام فى كتاب الله ، وعلى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولم تعرف الأمة الاسلامية فى تاريخها : الفصل فى الرياسة العامة بين سلطة زمنية وأخرى دينية ، أو « خليفة » و « سلطان » أو بين من هو رمز فقط للترابط الاسلامى فى الأمة كلها ولا سلطة له ، وصاحب السلطة الحقيقية فى مكان ما فيها الا عندما سيطرت « العنصرية » و « الشعوبية » فى توجيه المسلمين وقيادتهم ، والا عندما شعر حكام الولايات بضعف الحكم المركزى فى بغداد . فآثروا عندئذ : الاستقلال فى السلطة تحت راية الخلافة الاسلامية ، وهى علم اكثر منها مدلول . وعندئذ ابتدأ التفكك فى الأمة الاسلامية يأخذ طريقه .

وتفكك أية أمة بعد تجمعها وتكتلها من شعوب عديدة ، ومن أصحاب لغات مختلفة : ظاهرة اجتماعية تطرأ يوما ما ، وتسود الأمة كذلك الى أن يأخذ التفكك مداه . ولكن لا يمنع ذلك من أن يعود شأن الأمة من جديد الى الوحدة ، والتماسك ، والتكتل ، عندما تقوى الدعوة اليها وتنحى بالتدريج عوامل الفرقة . ونشأة الوحدة من الفرقة ، كنشأة القوة من الضعف ، والأخوة من العداوة : من الظواهر الانسانية التى تدل على التغير فى المجتمع أو بين الأفراد .

وأوربا التى كانت مفرقة الى أوربا اللاتينية ، والأنجلوسكسونية ، والى مجموعات ذات لغات عديدة : تعود اليوم الى التجمع والتكتل من جديد ، بعد شيوع اتجاه القومية والعنصرية فيها ، وبعد أن مزقت الحروب المحلية والعالمية فى القرنين التاسع عشر والعشرين العلاقات بينها شر ممزق . وواقع الأمر أن المسيحى الكاثوليكى المشترك هو الذى قاد « ايديناور » زعيم الحزب الديمقراطى

المسيحى بألمانيا الغربية المسيحية .. وديجول زعيم الكتلة الديجولية المسيحية فى فرنسا الكاثوليكية ، الى الاجتماع واللقاء بينهما فى مواجهة القوتين الكبيرتين اللتين اسفرت عنهما الحرب العالمية الثانية . وهما الكتلة الالحادية الشيوعية فى روسيا وشرق أوربا ، والكتلة الرأسمالية اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وظاهرة التفكك فى الأمة الاسلامية ، منذ أن بدأ فيها التفكك تعتبر تمهيدا لظاهرة أخرى تحل محلها وعلى النقيض منها . وليست ظاهرة منعزلة فى تاريخ الأمة لا ترتبط بها بعض الظواهر الأخرى . والظاهرة المرتقبة هى ظاهرة التجمع والعودة الى التماسك من جديد ، وعلى أساس الاسلام وحده ، مهما طال الزمن بين اختفاء الأولى وظهور الثانية . وليس هذا ارهاصا أو تخمينا . انما هو قانون الحياة الانسانية القائم على مبدأ النقيض . وهو ذلك المبدأ الذى يعتبر أساس التغيير والانتقال من الشىء الى نقيضه ، ولو بعد حين .

فحياة الانسان اذ تنتهى بالموت .. يكون الموت نفسه بدءا للحياة من جديد . والمجتمع اذ تنتهى صلاحيته للبقاء ، بسبب التفكك ، فالخصومة ، فالعداء بين مجموعاته وأفراده .. يكون ذلك كله من جديد مصدرا لمجتمع موحد يقوم على أنقاضه . كشأن تعاقب الليل والنهار : ((**تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل ، وتخرج الحى من الميت ، وتخرج الميت من الحى**)) (آل عمران ٢٧) .

ومجتمع شبه الجزيرة العربية قبل رسالة الاسلام لخاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليه كان مجتمعا مفرقا يعادى بعضه بعضا ، بسبب تمكن روح القبلية ، وعرف بأنه مجتمع حروب وقتال . ثم كانت الخصومة بين بعضه بعضا عامل تجميع ، ونشأ عنها مجتمع جديد متماسك ومترابط . ويشير الى ذلك قوله تعالى : ((**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا**)) (آل عمران ١٠٣) .. فالآية تذكر أن مجتمع المؤمنين برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو مجتمع متحد متماسك : نشأ من مجتمع الوثنيين السابقين ، وهو المجتمع القبلى المفرق المتقاتل .

وقد جاء فى سورة محمد ما يمكن أن يكون تعبيرا عن هذا القانون للحياة الاجتماعية الانسانية ، القائم على مبدأ النقيض ، فى قوله تعالى ((**ها أنتم أولاء** (أيها المؤمنون فى المجتمع الجديد) **تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ، فمنكم من يبخل** (أى منكم من بقى على شحه — والشح ظاهرة خاصة بالمجتمع الوثنى المادى — فيمسك عن العطاء لصاحب الحاجة أو فى سبيل الله ، وبذلك لم يغيره اعلانه الايمان بالله وبالمجتمع الجديد) **ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء** (ولكن نتيجة بخل الشحيح ستلحق به وحده . لأنه عندئذ قد تحكمت فيه الأنانية ومن تتحكم الأنانية فى تصرفاته لا يستطيع أن يعيش مع غيره . وعندئذ يتعرض للملق وكراهة الآخرين ، ولا تصيب هذه النتيجة أحدا سواه . فالله هو الغنى عما عداه ، وما عداه صاحب حاجة اليه . واذن عندما يدعو الله المؤمنين الى الانفاق فى سبيل الله لا يدعوهم الى سد حاجة اليه) ، **وان تتولوا** (أى وان تعرضوا عن الايمان ببقائكم على الشح والامساك كما كنتم على عهد وثنيتكم) **يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** (أى فى اعلان الايمان مع الركون الى الكفر . ولكن يكون ايمانهم عامل تحويل ونقل لهم من المجتمع الجاهلى المشترك الى المجتمع الانسانى صاحب القيم الرفيعة) (محمد ٣٨) . **إذ قيام**

المجتمع الانسانى المتماسك على أساس الايمان بالله والمنفق فى سبيل الله : من أنقاض المجتمع السابق العابث الممزق ، والشحيح الممسك . هو أمارة على أن النقيض ينشأ من نقيضه ، وأن مبدأ النقيض هو مبدأ الوجود والحياة .

* وأنما السلطة الدينية وجدت — ولم تزل — للكنيسة الرومانية . وسلطتها فى الشئون الروحية تقابل سلطة الدولة فى الشئون الدينية فى المجتمع الكاثوليكى .

وواقع العلمانية اذن هو المجتمع الأوربى بصفة عامة ، وليس المجتمع الاسلامى . والمجتمع الأوربى صاحب سلطة مزدوجة ، بينما المجتمع الاسلامى ليست له الا سلطة واحدة ، وهى سلطة الحاكم المسلم الذى يعمل بالاسلام .

وجوانب الحياة للانسان هى جوانب متساوية فى نظر الاسلام ، من حيث القيمة والاعتبار . أى ليست فيها مدنس ، وصاحب قدسية ، والروحية فى الاسلام ليست الا المستوى الفاضل فى الانسانية . وقد جاء تحديد هذا المستوى فى هداية الله فى كتابه .

* وظهور اتجاه العلمانية فى المجتمعات الاسلامية ، ثم تمكنه منها وبالأخص بعد الحرب العالمية الثانية — أدى الى أن يترك شئون المسلمين مع الاسلام كدين وايمان : بدون قيادة وتوجيه فى المجتمع . لأن الحاكم المسلم العلمانى يهمه فى الدرجة الأولى أن يحتفظ بسلطة الحكم . واحتفاظه بسلطة الحكم مرهون على الأقل باغفال الوضع الاسلامى فى المجتمع الذى يحكم فيه . أى باغفال مساءلته عن الحكم أمام الاسلام ، وما يوجبه من صلاحية الحاكم والشورى المتبادلة فى الحكم .

وفى الوقت الذى تهمل فيه شئون المسلمين فى صلتهم بالاسلام ، ويضعف بينهم الترابط على أساس منه : يقوى فيه شأن الأقليات الدينية غير الاسلامية ، ويزداد التماسك بينها على أساس من معتقداتهم . وكلما أهمل شأن الاسلام بين المسلمين من السلطة العلمانية الحاكمة ، كلما قويت فى المجتمعات الاسلامية شوكة الأقليات الدينية ، وكلما تطلعت الى التربص بالمسلمين لزيادة ضعفهم وتفككهم ، عندما تحين فرصة التدخل بينهم بصورة أو بأخرى ، لأن فى زيادة تفكك المسلمين وهم الأكثرية : قوة اضافية — بجانب تحصيل العلم ، وادخال المال — للأقليات الطائفية بينهم .

وهذه الظاهرة العكسية بين ضعف المسلمين ككثرة فى المجتمع ، وقوة غيرهم كأقلية فيه : تحمل الحاكم العلمانى المسلم على أن يخشى نفوذ الأقلية فى مجتمعه ، فى الوقت الذى يستخف فيه بجانب المسلمين — بل ويسخر منهم أحياناً — وهم الكثرة فيه . وخشيته من الأقلية من جانب ، واستخفافه بالكثرة المسلمة من جانب آخر : ينصبان فقط على الناحية الدينية لكل من المجموعتين ، الأكثرية والأقلية . وهذه الظاهرة فى جانب الحاكم المسلم العلمانى تبدو فى تصرفاته ومواقفه ازاء الطرفين :

فهو لا يتدخل فى الشئون الدينية والتنظيمية للأقلية :
ولا يتدخل فى تغيير رجال الدين بين أية أقلية دينية ،
ولا يتدخل فى أوقافها الخيرية ،
ولا يتدخل فى مدارسها الطائفية : لا بالالغاء ، ولا بالضم ،
ولا يتدخل فى معاهدها الخاصة بدراسة اللاهوت ،
ولا يتدخل فى تكوين سلطتها الدينية ، وشئون الرياسة فيها ،
ولا يتدخل فى تعديل قوانين الأحوال الشخصية للأسرة فيها .

* بينما يتدخل — وقد يكون فى عنف وفى حقد احيانا — فى كل ما للمسلمين مما يتصل بايمانهم بالاسلام :

فهو يتدخل فى أوقاف المسلمين بالتغيير ، وبنقل الملكيـة ، والغـائها ،

ويتدخل فى مدارس الجمعيات الخيرية فيجردها عن ميزتها وهى تحفيظ التلاميذ فيها بعض أجزاء من القرآن الكريم ، والعناية بتاريخ الاسلام وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين ، ويحولها الى مدارس علمانية حكومية .

ويتدخل فى امامة المسلمين بالتغيير ، وفى المعاهد الاسلامية بما يقربها الى النمط الرسمى العلمانى ،

ويتدخل فى الكليات الجامعية الاسلامية فيلحقها بالجامعات العلمانية ، ويصبح الاسلام فيها مادة تدرس وليس إيمانا يطبق ،

ويتدخل فى تعديل قوانين الأحوال الشخصية للأسرة المسلمة . وقد يكون التعديل مساوقة لتشريع أجنبي بعيد عن روح الاسلام ،

ويتدخل فى تعديل أنصبة النساء فى الميراث بما يجعلها مساوية لأنصبة الذكور فيه ،

ويتدخل فى تعديل فروض الاسلام فى العبادة ، فينكر الصوم مثلا كعبادة يتقرب بها المسلم الى الله ،

وهكذا : الحكم الوطنى فى المجتمعات الاسلامية بعد استقـلالها السياسى يتم ما بداه الحكم الاستعمارى فى شأن القضاء على الاسلام ابان حكمه المباشر .

وكثير من المسلمين يتصورون حتى الآن أن الاستعمار للمجتمعات الاسلامية كان فى الدرجة الأولى : استعمارا سياسيا ، واقتصاديا وعسكريا . وهـذا التصور بعيد عن الواقع . لأن الاستعمار كان استعمارا فكريا ، وعقائديا ، قبل أن يكون سياسيا ، واقتصاديا ، وعسكريا . ولو أن المستعمرين كان مجيئهم الى البلاد الاسلامية ليستغلوا مباشرة : مصادر الثروة فيها طوال مدة وجودهم الاستعمارى ، وليوجهوا سياسة هذه البلاد للتمكن فقط من الاستغلال الاقتصادى فى هذه الفترة وحدها ، وليضمنوا بالوجود العسكرى لهم فيها ترحيل الغنائـم الاقتصادية الى بلادهم .. لم يكونوا قد أدوا رسالتهم التى تسلموها من الكنيسة الرومانية باسم الصليب فى سنة ١٠٩٦ ، واستمروا يدافعون عنها فى سبـع حملات وجهت من الأوربيين الصليبيين ضد المسلمين فى القرون الثلاثة : الحادى عشر ، والثانى عشر ، والثالث عشر .. أى استمر الأوربيون فى حملاتهم من أجلها من سنة ١٠٩٦ الى سنة ١٢٧٠ م ، واشترك فيها قيصر بروسيا الألمانية فريدريك الثانى ، ولويس التاسع فى فرنسا (١) . وكانت رسالة الكنيسة فـى ظاهرها : استيلاء المسيحية الغربية على فلسطين واتخاذ بيت المقدس عاصمة لملكتها . ولكن فى واقعها كانت هذه الرسالة تنبىء عن اقتحام العالم الاسلامى والتمكن من مركزه الذى يلتقى بالقارات الثلاث : أفريقيا ، وآسيا ، وأوربا .. وبالتالى تنبىء عن الرغبة فى السيطرة على « الملاحدة » وهم المسلمون — كما تصفهم كنيسة روما — وتحويلهم عن الاسلام الذى يدعو : الى وحدة الألوهيـة فى مواجهة التثليث فى دعوة الكنيسة ،

والذى يجعل عصمة الانسان — وهو الرسول لا غيره — فى دائرة تبليغ الوحى الالهى وحده ، دون ما عدا الوحى فانه يجوز عليه فيه الخطأ والصواب، فى مقابل ما تدعو اليه الكنيسة من عصمة الانسان فـور أن ينتخـب على عرش المملكة الكنيسية ويصبح بابا ، فى كل ما يبديه من قول أو شرح يتعلق بالمسيحية،

والذى يدعو الى المساواة أمام الله فى المسئولية ، ورفع الوساطة بين الانسان والله فى مواجهة : « الاعتراف » و « صكوك الغفران » اللذين يتميز بهما رجال الكنيسة عن اتباعها الآخرين ،

والذى يبيح الطلاق بين الزوجين ، وينظر الى عقد الزوجية على أنه عقد انسانى يجوز عليه ما يجوز على أى عقد آخر فى المعاملات الانسانية من حل ، وفسخ ، ان أدى استمراره الى ضرر أو انكشف أمره عن خدعة ، وليس عقدا إلهيا لا يقبل التغيير بحال ، مهما كانت له من أضرار ، كما تنظر اليه الكنيسة ... الخ .

وعندما وقعت الهدنة فى الحرب العالمية الأولى ودخلت الجيوش البريطانية فلسطين أعلن قائدها وقتئذ : « ان الحرب الصليبية قد انتهت الآن » .. كما أعلن قائد القوات الفرنسية عندما دخلت دمشق ، وهو واقف على قبر صلاح الدين الأيوبى : نحن قد جئنا الى هنا ياصلاح !! .

ولم يكن ما أعلنه القائدان الأوربيان مزاحا ، وانما كان تنفيسا عن حقد دفين ، وتعبيرا عن الهدف الحقيقى للحروب الصليبية . وهو التمكن من الاسلام، بابعاد المسلمين عنه . وبذلك يتفرق المسلمون ويصبحون أتباعا لاتجاهات أجنبية عنهم ، كما ينزوى الاسلام فى ركن الاهمال ، ثم النسيان .

واذا كانت الحملات الصليبية فى القرون الثلاثة ، من الحادى عشر الى الثالث عشر الميلادى ، كانت تحمل نوايا العدوان على الاسلام : فان الاستعمار الغربى — الذى يعد استمرارا لها فى القرنين : التاسع عشر والعشرين — يعتبر الوسيلة العملية لتنفيذ هذا العدوان .

والعلمانية التى اشتق منها كانت المعول الذى — بعد أن باشره — تركه للحكام الوطنيين بعده ، عندما يتولون الحكم فى مجتمعاتهم .

* وربما يكون الحكم الوطنى فى بعض المجتمعات الاسلامية — بعد استقلالها السياسى — أكثر ضراوة وقسوة فى تمكين العلمانية من المستعمرين أنفسهم . لأن الحاكم الوطنى المسلم العلمانى يرى فى ضعف الاسلام والوعى به : السبيل الوحيدة لضمان بقائه فى الحكم ، بجانب بنائه قوة مسلحة تسهم فى المحافظة عليه . اذ كلما ضعف الاسلام وضعف الترابط فى المجتمع على أساس منه ، كلما لا يعود الناس بحكم الحاكم الى الكتاب والسنة ، وكلما لا يسألونه تطبيق ما فيها من مبادىء . وعندئذ لا تتعرض صلاحية الحاكم فى حكمه للمناقشة ، وان كان مندفعا فى السياسة ، وطائشا فى التصرف ، وطاغيا بالسلطة ، طالما هو قابض على زمام الأمر بالقوة .

وعلى العكس مما لو قوى الوعى بالاسلام فى المجتمع ، وتجلت للناس ما فيه من حقوق وواجبات ، عند الدعوة اليها . فانه لا يبقى آنئذ حاكم مسلم فى الحكم ، الا من هو وفى لايمانه ، وتقى فى سلوكه ، ورحيم بامته ، وخير فى اتجاهه . وقلما يكون هذا النوع من الحكام الذين يجعلون هواهم مقياس العدل، ومصدر التشريع ، والسلطة فى المجتمع .

* كذلك من شأن مباشرة الحكم العلمانى أن يسد الطريق على الاسلام الذى يعطى المشورة فى الحكم ، ويقدم الحل لمشاكل المجتمع والحياة الانسانية، بينما يفتح الأبواب لأمور هامشية كأحياء بعض كتب التراث التى قلما تفك رموزها الا عن سبيل المتخصصين فى تخريجها .. والأمور أخرى سلبية كالدعوة الى ما يشبه الخرافة فى كرامات الموتى ، والدعوة الى العزلة والاستسلام فى

الحياة للقدر ، دون اتخاذ موقف ايجابى ازاء الأحداث يستند الى التوكل على الله جلت قدرته .

والحكم العلمانى عندما يشجع فى المجتمعات الاسلامية ترديد هذه الأمور الهامشية والسلبية مما ينقل من بعض كتب المسلمين فيما مضى ، فانه يصنع ذلك رغبة فى صرف المسلمين فى المجتمع عن الاسلام فى ايجابيته . وقد كان الاستعمار الفرنسى فى شمال أفريقيا يدفع ابان حكمه الى العناية بمثل هذه السلبيات فيما يتصل بالاسلام ، فى الوقت الذى يكبت فيه دعوة القرآن الى مقاومة الحاكم الظالم والأجنبى عن الاسلام ، ومساءلة المسلم الذى يواليه ويعاونه . وراجت — من أجل ذلك — فى عهد الفرنسيين : « الطرقية » وكثرت فرقها ، واشتد أمر القائمين عليها .

وربما يكون هناك هدف آخر من وراء تشجيع الحاكم المسلم العلمانى لهذا الجانب الضعيف فى كتابة المسلمين السابقين ، عن الاسلام . وهو القصد الى التمويه لمحاولة اقناع العامة فى المجتمع بأن نظام الحكم القائم يعنى بالاسلام ، اذ ينشر بعض كتب التراث ، ويحيى بعض قصص الأولياء والكرامات !! .

* وعن هذا الطريق — وهو طريق تشجيع الأمور الهامشية والسلبية فى كتابة المسلمين السابقين — ينشأ جيل ، أو عدة أجيال لا تعرف من الاسلام إلا سلبيات المسلمين فى فهم دينهم وفيما كتبوه أيام ضعفهم أو محنهم . وبذلك لا يستطيع أن يرشد علماء هذه الأجيال حكام المسلمين ، فضلا أن يستطيعوا أن يقدموا لهم الصورة الايجابية للايمان بالاسلام . وهذا يعنى : أن يزداد ضعف الترابط بين المسلمين على أساس من اسلامهم .. وبالتالى أن يزداد الميل الى اتباع الحاكم العلمانى ، والأخذ بمنهج العلمانية فى شئون المجتمع ، كأمر لا يناقش .

وعلماء المسلمين آنئذ قد يستمرئون وضع الاسلام فى خدمة العلمانية ، كما قد يبررون للحاكم المسلم العلمانى : دعوته واتجاهه فى الحكم . ولا غضاضة عليهم يومئذ إن يبذلوا جهدهم الفكرى فى الملائمة بين الاسلام فى مبادئه ودعوته وأحداث المسلمين الأوائل فى نصرهم وهزيمتهم .. واتجاه الحاكم فى خطته وما يعرض له من حوادث ويعترضه من صعاب .

وقربتهم التى يتقربون بها الى هذا الحاكم العلمانى : أنهم يضفون وقار الايمان بالاسلام على كل تصرف له ، وعلى كل كلمة يكتبها أو ينطق بها .

* والأقليات الدينية فى المجتمعات الاسلامية اذا كانت أساسا ، تنشد كظاهرة نفسية من ظواهرها : العلم وتحصيله من جانب .. والمال وادخاره من جانب آخر ، كعنصرين يكونان قوة تستند اليها فى مواجهة الأكثرية فى المجتمع .. فانها عندما ترى تسلط الحاكم المسلم العلمانى على المسلمين : تسعى لأن تشاركه فى صرف المسلمين عن دينهم ، ولكن بطريق ملتو وغير مباشر . ومشاركة هذه الأقليات للحاكم وقتئذ فى ذلك لا تعبر عن الولاء منها له ، ولا تدل على رغبة منها فى استمرار حكمه . ولكن لأن فى المشاركة له عنصرا آخر من عناصر القوة لها ، يضم الى العلم والمال ، اللذين تسعى للحصول عليهما ، وهو عنصر اضعاف المسلمين .

وطريق الأقليات الدينية فى صرف المسلمين عن دينهم فى مجتمعاتهم يكون: بتبنى بعض رجال هذه الأقليات لفكر أجنبى عن الاسلام ، وهو مناوىء له . ومن شأنه أن يثير الشك والقلق فى نفوس المسلمين — وبخاصة الشباب بينهم

ثم من شأنه أيضا أن يؤلف من المسلمين أنفسهم مناصرين له . وقد يحوله هؤلاء المناصرون الى فلسفة حكم ، ثم الى نظام للحكم نفسه ، يوجه ضد الاسلام ذاته ، وربما يكون من غير قصد لهؤلاء المناصرين . فقد يتصدى نفر من الأقليات لفكر إلحادى فى أمة مسلمة كالأمة العربية .. وقد يتعرض بعض آخر منها لقومية أفرغت من مضمونها وهو الاسلام وتاريخه . وهذا النفر وذاك يصبح فى مركز الزعامة والقيادة الفكرية للمسلمين ، ويلقى استجابة من هنا ، وهناك .

وقد يكون يحمل هؤلاء الذين ينتمون الى الأقليات الدينية : ذلك الفكر الالحادى ، أو القومية الخاوية الى التلاميذ والشبان المسلمين فى صفوف مدارسهم ، أو فى كليات جامعاتهم ،

وقد يكون بعرض هذا وذاك فى وسائل الاعلام المختلفة .. وفى كتابة التمثيليات ، والمسرحيات ، والقصص السينمائية .

وهذا البعض من الأقليات الذى يضع ذلك يلقى الدعم من هيئات خارجية عن المجتمعات الاسلامية ، وتوفر له الحماية الكافية . وهى هيئات قد يبدو أن صلة بعضها ببعض صلة واهية ، ولكن هى على اتفاق تام فيما بينها : على اضعاف الاسلام ، ثم نزعه واستئصاله من أرض المسلمين . وأحداث يونيه عام ١٩٦٧ فى مصر .. وديسمبر سنة ١٩٧١ فى باكستان ، وما يتوقع لها من تفتيت آخر .. ويولية ١٩٧٣ فى أفغانستان : تشير الى الاتفاق بين هذه الهيئات الدولية على تحويل المسلمين الى اتباع فى اية بقعة يعيشون فيها .

* وهكذا : الاتجاه العلمانى — فيما يبدو — يسعى الى تحويل المسلمين الى كثرة « كغثاء السيل » لا حول لها ولا قوة ، الى هز الأرض تحت أقدامهم .

وهكذا : أصبح وضع الكثرة المسلمة فى المجتمعات الاسلامية العلمانية يشبه وضع الأقليات الدينية ، ولكن مع فارق واحد . وهو أن الأقلية الدينية فى المجتمعات الاسلامية أقلية هادفة : تسعى الى المحافظة على بقائها . بينما الأكثرية المسلمة . التى تحول شأنها فى مجتمعاتها الى وضع الأقلية — هى اقلية حائرة : ليس لها إمام ولا رائد .. وليس لها سند ولا قوة .. وبينها وبين كتاب الله حجاب .

---

(١) وتواريخ هذه الحملات كالآتى :

الحملة الأولى : من سنة ١٠٩٦ — ١١٩٩ ، والحملة الثانية : من سنة ١١٤٧ — ١١٤٩ ، والحملة الثالثة : من سنة ١١٨٩ — ١١٩٢ ، والحملة الرابعة : من سنة ١٢٠٢ — ١٢٠٤ ، والحملة الخامسة : من سنة ١٢٢٨ — ١٢٢٩ ، والحملة السادسة والسابعة من سنة ١٢٤٨ — ١٢٧٠م .

رمضان والعيد

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

طلب الى أن أتحدث عن رمضان ، وما اظن الا أن وقت الحديث عنه قد فات ، وما أظن الا أنني إن كتبت عنه . قرأه الناس فى أعقابه .

ولكني سأكتب فى بحث يتناول قدرا مشتركا يتعلق بكل من رمضان والعيد وكثير من المواسم الاسلامية الأخرى . إنه البحث فى مشكلة تحول القيم ! ..

وإنها لمن أخطر المشاكل التى تحيق بحياتنا الاسلامية والاجتماعية دون أن نشعر ، ولعل أهم أسباب خطورتها يكمن فى صعوبة التنبه اليها والشعور بها ! ..

نحن نحتفل برمضان على كل المستويات وفى سائر المرافق المختلفة، ما فى ذلك شك . نحتفل به فى أسواقنا وحوانيتنا ، ونحتفل بـــه فى مساجدنا ، ونحتفل به فى اذاعاتنا المتنوعة ، ونحتفل به فى جرائدنا ومجلاتنا المختلفة، ثم إنا نحتفل به متفرقين فى بيوتنا ومع أهلينا وأقاربنا ولكنا من خلال ذلك لا نكاد نقدم لهذا الشهر أى عمل يرضى الاله الذى جعله أفضل شهور السنة على الاطلاق ! .. بل إنا لا نكاد نشعر بهذا التقصير أيضا ، لأن فى احتفالاتنا ومباهجنا الصاخبة الأخرى ما يحول بيننا وبين هذا الشعور . أى أن فى ذلك نوعا من التعويض أو الالهاء الذى ينسى الانسان حقيقة هذا الشهر ، والمهمة الحقيقية التى يجب على الانسان أن يؤديها عند قدومه .

فنحن نحتفل برمضان فى أسواقنا ، حتى لا يكاد يمر من السوق إنسان قد نسى التاريخ الا ويذكره السوق من نسيان ، وينبهه الى أنه يعيش فى أيام رمضان . ولكنه لا يرى من علائمه إلا المأكولات الموسمية

ومشكلة تحول القيم

التى عرف بها وشعارات اللهو التى اقيمت فرحا بقدومه وقياما بحقه ! .

ونحن نحتفل به فى مساجدنا ، ولكنه احتفال لايبدو فى أكثر من قناديلها المضيئة ، فان ارتفع الأمر على ذلك تجلى فى أصـــوات القارئين وهى تترنم فى ترديد آى القرآن وترجيعه ، ومن حولهم عامة الناس ، وهم ما بين مفتون بجمال الصوت تهزه النغمة ويسكره اللحن ، ومستريح الى أنس المكان وزحمة الوافدين ، فهو يأوى اليه طلبا لراحة جسم أو هدوء بال .

ونحن نحتفل به فى اذاعاتنا المسموعة والمرئية . ولكنه احتفال على طريقتها ، خاضع لوظيفتها ، تابع لرسالتها . فهو يبدو فى أغانيها الجديدة ، وحفلاتها الساهرة الكثيرة، وملهياتها التى تفوق العد والحصر فان زاد الأمر على ذلك ، تجلى فى أحاديث دينية معينة تذاع للتشكيل والتلوين ، ليس فيها ما ينهض بالسامع الى اى اصلاح لفساد ولا إلى اى تقويم لاعوجاج . وإنما هى جزء متمم لصورة فنية فى لوحة يمكن أن يعبر بها أى فنان حديث عن شهر رمضان ! . .

وجرائدنا ومجلاتنا هى الأخرى تحتفل برمضان . ولكنه احتفال على طريقتها ، نابع من وحى رسالتها ، سائر وراء أمانيها وأهدافها . إنه احتفال يتجلى فى الرسوم وبراعتهما الفنيـــــة ، ثم يتجـــلى فـــى الاستطلاعات والتحقيقات التى تكشف عن لون من الوان الحياة ــ أيا كانت ــ فى رمضان . فان زاد الأمر على ذلك تجلى فى كلمات أو مقالات تتحدث عن رمضان من بعد ، حديث متخوف يحذر من أن يدنو إليه فيتأثر به أو يقع تحت سلطان جاذبيته ! . . قد يكون الحديث متناولا لأحداث

تاريخية من تلك التى تتعلق برمضان، وقد يكون متعلقا بشيء من مباحث علوم القرآن ، وقد يكون حديثا تصويريا عن ذكريات جميلة لشهر رمضان ولكنه على كل حال ما ينبغي أن يكون حديثا جادا يهدف الى إصلاح أي فساد أو تقويم أي اعوجاج أو النظر فى أى داء من هذه الأدواء الخطيرة التى تقود حياة المسلمين إلى الدمار ! ..

ثم إنا نحتفل برمضان فى بيوتنا أيضا ، فتتداعى الأسر والأقارب والأهلون فى ليالى هذا الشهر لقتل الوقت واشاعة اللهو وفتح باب المجون ، ويمضي الليل كله سهرا فى طريق الشيطان ، حتى اذا أقبل السحر ومن ورائه الفجر والشروق — وهو أفضل ساعات العمر المتكررة فى كل يوم وليلة — جاء وقت الرقاد الثقيل بعد طعام ثقيل وبعد لهو أشد وأثقل ! .. وتتكرر احتفلات البيوت بشهر رمضان على هذا النحو ثلاثين مرة . وينسلخ رمضان وهو يشيع بهذا اللون من التقدير والتقويم ! ..

ينسلخ الشهر المبارك العظيم ، وقد أيقن الجميع أنهم أدوا رسالة الشهر — أى رسالتهم فيه — على خير ما يرام ! .. والشهر المبارك لم يفضله خالقه على سائر أشهر السنة من أجل شيء من هذا كله ، وإنما جعله الله تعالى نافذة رجوع إليه ، يراها أمامه من أغلق السبيل على نفسه بكثرة المعاصى والآثام ! .. وجعله الله تعالى مثابة اصطلاح مع الله تعالى وعهد جديد على السير فى طريقه والتمسك بمنهجه وشرعته فى الحياة . وجعله الله تعالى بارقة من الدهر ، تتكرر مرة كل عام ، تتفتح فيها آذان السماء ويصطبغ الكون كله فيها برحمة الله ، فى استقبال من جاء هاربا من ذنبه ، ساعيا وراء رحمة ربه ، يناجيه بقلب صادق الخشية والخضوع أن يغفر له أيامه الخوالى ، ويهيىء له سبيل استقامة فى بقية أيامه من الحياة .

وإنما يكون الاحتفال بشهر هذا شأنه ، بمزيد من العبودية يتجلبب بها الانسان ، وبمزيد من الوقت يوفره لأداء حق الله ، وبمزيد من الجهد يبذله للتنزه مما قد علق به من السيئات والآثام .

وما أشبه الذي يملأ أيام هذا الشهر بأفانين جديدة من لهوه ومجونه ومعاصيه ، بمن يسخر من الفضيلة التى بثها الله تعالى فيه والمزية التى اختصه بها دون سائر الأشهر والأيام . وما أقرب من استقبل مواسم الله تعالي بعكس ما قد هيأها الله له ، إلى غضب الهى يحيق به ثم لا ينفك عنه حتى يجد نفسه مثقلا بشقائه وأغلاله يوم القيامة .

☆ ☆ ☆

فاذا قضى شهر الصوم وجاء فى أعقابه العيد ، استقبله الناس — إلا من رحم الله — بنفس المقاييس المقلوبة ! ..

جعل الله العيد ، إذ يأتى على إثر الخروج من شهر الصوم ، مثابة شكر لله تعالى على أن وفق المسلم لصوم رمضان كما أمر الله وشغل أيامه ولياليه بصالح الأعمال ، فاستحق بذلك أن يكون من المغفورين والعتقاء . ثم ان الله تعالى جعل هذا اليوم (بعد ثلاثين يوما من الامساك عن الطعام ابتغاء مرضاة الله عز وجل) موعد ضيافة منه سبحانه وتعالى لعباده ، يلتقى فيه المؤمنون على مائدة الرحمن جل جلاله . فهو لذلك يوم أكل وشرب وتمتع بالطيبات التى أحلها الله تعالى يحظر فيه الصوم لأنه إعراض عن ضيافة الرحمن جل جلاله . ويندب فيه إظهار النعمة والتمتع برخائها مع الاستغراق فى شكر الله تعالى عليها ، لأنها الشعيرة المتفقة مع طبيعة ذلك اليوم . ويندب فيه ندبا عظيما تحسس أحوال المسلمين حتى إذا سمع باسرة معوزة أو برجل فقير ، أو بذى بلاء قد نزل به ، أو رأى أطفالا لم تدخل فرحة العيد الى قلوبهم لسوء أو ضر قد نزل بهم — أسرع فواسى الأسرة المعوزة واكرم الرجل الفقير ، واعان المبتلى على بلائه ، وأدخل الفرحة إلى قلوب الأطفال المحزونين ، وذلك تخلقا بأخلاق الله عز وجل واستدرارا للمزيد من رحمته عز وجل بعباده ، فإن رحمة الله تعالى أقرب ما تكون الى العبد عندما يرى العبد أرحم ما يكون لإخوانه الذين من حوله .

فاذا رأى العبد نفسه موفقا لذلك كله ، استغرق فى شكر الله عز وجل ، وتضاءل ذليلا تحت ظلال رحمته والأمل العظيم فى عفوه . وإنما يكون ذلك بالتزام حدوده ، والسير فى منهاجه وصراطه ، والمعاهدة على تسخير عمره فى سبيل مرضاة الله عز وجل والدفاع عن دينه والدعوة إلى سبيله .

فذلك هو معنى العيد كما قد شرعه الله عز وجل . سواء جاء من وراء شهر الصوم ، أو جاء فى قمة موسم الحج الى بيته العتيق .

ولكنا نحتفل بالعيد على طريقة أخرى ! ..

نظهر النعمة لنبطر بها ، ونتقلب فى الطيبات المختلفة لنحارب الله بها ، ونعمد إلى الوقت المبارك الثمين فنقتله لهوا ومجونا وبحثا عن الوان المحرمات كلها . فما من كبيرة من الكبائر إلا وترتكب فى هذا اليوم احتفالا بقدومه واكراما لجليل قدره ! ..

فاعجب ليوم كان ظليلا برحمة الله وعظيم إنعامه ، أن ينقلب فيصبح ملونا بظلل من غضب الله وسوء عقابه .. !

واعجب لناس يؤمنون — فيما يزعمون بالله — ثم يبدلون نعمة الله كفرا ، ويعمدون إلى مواسم الخير فى أيام الله تعالى فيزرعونها معاصى وطغيانا وشرا ! ..

واعجب لناس ، يرون بأعينهم أسباب الغضب الالهى الذى حل ببنى اسرائيل بعد أن كانوا من خيرة الناس ، وبعد أن غمرهم الله بفضله ، ثم يتلمسون بتصرفاتهم ووقع أقدامهم تلك الأسباب ذاتها لا ينحرفون عنها يمنة ولا يسرة . رغم أن إنذار الله تعالى لأولئك المغضوبين لا يزال يصك أسماعهم قائلا :

« .. كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى » .

بل اعجب لناس أفاض الله تعالى النعمة على حياتهم ، وجمع سمع الناس على أقوالهم ، أو علق أفئدتهم وأبصارهم بما قد تنفثه أقلامهم — فراحوا يسخرون نعمة الله لحرب شريعته ويستعملون السنتهم وأقلامهم لإبعاد الناس عن صراطه . حتى جعلوا لأنفسهم من السنتهم وأقلامهم العجيبة (صدقة جارية) تمدهم الى ما بعد موتهم بآثام المخدوعين بكلامهم والمأخوذين بأضاليلهم ! ..

★ ★ ★

مشكلة تحول القيم ! ..

أجل إنها مشكلة المشاكل فى حياتنا ، وليس الحديث عنها حديث العيد أو رمضان . ولكنه حديث كل مظهر أو قيمة اسلامية فى حياتنا ، لقد نجح التخطيط الماكر الخبيث فى أن يبقى عليها حتى لا تثار عواطف الاسلام فى صدور المسلمين ، على أن تفرغ من مضامينها وآثارها الحقيقية ، ثم تحشى بمضامين وآثار أخرى لا شأن لها بالاسلام ولا تحقق شيئا من مرضاة الله عز وجل .

المساجد ! .. لقد كانت المساجد فى حياة المسلمين عنوان عبوديتهم لله تعالى ، ومغتسلا طاهرا يغسل أفئدتهم وعقولهم من وساوس الدنيا وشهواتها .

وكان اذا دخلها المسلم رآها تعج بدروس العلم كله من توحيد وفقه وسيرة وتفسير ومنطق وعربية وغيرها . فمهما أصابه خارج المسجد من رشاش الشبه ووساوس الالحاد والفسوق ودخائل الريبة، وجد فى داخله ما يطرد من قلبه كل شبهة ووسواس وينبه عقله الى الحق الالهى مؤسسا على أتم قواعد العلم وأصدقها .

أما المساجد اليوم ، فهى على كثرتها واتساعها وضخامة بنيانها لا تمت بصلة ما الى تلك الرسالة التى أقيمت من أجلها مساجد الاسلام فى الأمس ! .. اللهم الا أداء الصلوات الخمس فى اليوم والليلة .

فهى ليست عنوان عبودية لله ، لأن فى فخامة فرشها وأعاجيب زخرفها وروعة أضوائها وقناديلها ما يغمر الداخل اليها فى حالة من الذهول والنسيان والبعد عن هويته الحقيقية فى هذه الحياة .

وليت شعرى الى أى مفر يتجه الفقير الذى كان يفر بالأمس من زخرف الدنيا ووساوس أصحابها وملاحقة مفاتنها الى مساجد الله تعالى ، حيث يرى فيها أمن قلبه ، وطمأنينة باله ، وتنقله رحابها الإلهية الى تصور يوم القيامة وما وراء قنطرة هذه الدنيا من أحداث الحياة الآخرة .. ؟ الى أى مفر يتجه هذا الفقير اذا أقبل الى المساجد فزاغ بصره ما بين تحف السجاد النادرة وروعة القناديل العظيمة ، ومظاهر الزخرف العجيب ورأى نفسه مشغولة فى شر مما قد أراد أن يفر منه .. ؟!

وهى ليست مغتسلا باردا يطهر قلب المؤمن من لغو الدنيا ووساوسها ومغرياتها ، لأن جميع ما حوله مغريات ومنسيات .. !

ولقد دخلت ذات يوم الى مسجد من هذه المساجد العجيبة ، فما كبرت تكبيرة الاحرام حتى انخطف بصرى الى لون السجاد الذى تحت قدمى وزخرفه الرائع العجيب ، وشرد فكرى وراء نوع هذا السجاد وقيمته ، وما صحوت الى صلاتى وقراءتى إلا وأنا أتساءل فى نفسى عن الذى تبرع به والقيمة المالية التى تستحقه ! ..

ربما كان فى المصلين من هم أقدر على حضور القلب وخشية النفس منى . ولكن المساجد ما أقامها الله تعالى إلا لاصلاح قلوب الغافلين من أمثالى واعانتهم فى طريق الصحر إلى مناجاة الله . فكيف تصلح قلوب الغافلين فى مساجد من هذا النوع ؟ ..

وهذا كله ليس نقدا على ما ينبغى أن يتصف به المسجد من متانة فى البناء ونظافة فى المظهر وجدة فى المفرش . فما ينبغى أن يلتبس على القارىء هذا بذاك .

ومساجد اليوم ليست أيضاً — إلا قليلا — مثابة لعلم ولا مرجعا لفهم ولا معتصما من زيغ . وإنما هى لأداء فروض خمسة لا مزيد عليها الا أن يتحلق طائفة من الناس على وعظ لا يغنى عن السامعين شيئا ولا يكاد يصلح لهم حالا أو يقوم اعوجاجا .

ولما أصبح الاسلام فى كثير من مساجد هذا العصر منتهيا الى الحالة التى وصفناها تيسر لكثير من الناس أن يكتبوا أو يتحدثوا عن الاسلام من هذا الجانب ، يوهم أحدهم أنه يتحدث الى الناس حديثا اسلاميا مفيدا ، وهو انما يتحدث عن فن البناء والعمران ، ويفيض فى الحديث عن مساجد عظيمة البنيان والفرش والاتساع ، وعن أبدع ما انتهى اليه الفن العربى من الزخرفة والنقوش .

★ ★ ★

وخدمة القرآن ! .. انها من أخطر القيم الاسلامية التى من شأنها أن توجه حياة المسلمين الى صراط الله تعالى وتضبطها بهديه وحكمه .

وإنما هى — فيما نعلمه من هدى الاسلام — أن يتقنه المسلمون

تلاوة ، ويعكفوا عليه فهما وتدبرا وحفظا ، وتخضع له ألبابهم وتخبت له نفوسهم ، ثم أن يقودهم ذلك كله الى الخضوع لسلطانه والدخول تحت حكمه ومنهاجه .

ولكن القرآن اليوم يخدم بطريقة أخرى ! ..

انه اليوم أهم وسيلة من وسائل التطريب (على أنا لا نمنع أن يجمل القارىء كتاب الله بصوته) ، يقرؤه التالى ليطرب الناس ، ويقبل اليه المستمعون لتهتز بأنغامه رءوسهم ! .. وهو اليوم أهم مادة لتجميل فصول الكلام ، وتدبيج الخطب والمحاضرات ، ولاتخاذه ديباجة لمختلف المجامع والحفلات .

حتى اذا نودى بضرورة تطبيق أحكامه والسير في ظلال سلطانه ، اختنق النداء فى حلق المنادين ومات قبل أن يبلغ آذان السامعين ! ..

نهز الرأس طربا لصوت القارىء وهو يردد قول الله تعالى :

((يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ..)) .

حتى اذا قام منا من يذكر المسلمين بأمر الله المطوى فى هذا الكلام ويندبهم الى تطبيقه والأخذ به ، لوينا الرءوس إعراضا ، وأطلقنا الألسنة نقدا واعتراضا .

★ ★ ★

إنها مشكلة كثير بل أكثر القيم الاسلامية فى حياتنا اليوم ! ..

نحتفل بها ، ونضعها من حياتنا الاجتماعية موضع التقدير والتبجيل ولكن على أن يكون التقدير والتبجيل وسيلة لابعاد هذه القيم عن حياتنا العملية ، ولحجزها عن أن تتسلل بالتأثير الى أفئدتنا ونفوسنا .

نقدرها ونجلها طالما هى حبيسة عن السعى الى التأثير على حياتنا فاذا تحركت الى ذلك حركة ما تحول التقدير كله الى حرب وصد وإعراض ! ..

شهر رمضان .. وأيام العيد .. وموسم الحج .. المساجد وعمرانها .. القرآن وخدمته .. كل ذلك يلبس اليوم لباسا ظاهره التقدير والتبجيل ، وباطنه الحرب والتضليل ..!

ولسنا نعنى بذلك التهوين من أمر من يخدم شيئا من هذه القيم على وجهها الصحيح ، وان لم يتمكن من إعطائها كامل حقها ، فهو مثاب ومشكور إن شاء الله ، ولكنا نعنى بما نقول التحذير ممن يتجمل بالاسلام فى التحلى بشىء من شعائره ، ضمن حدود الحلية التى وصفناها ، ثم يتبرأ من تطبيق هذه الشعائر مبادىء وأحكاما ضمن الحدود التى أمر الله بها .

الأوامر الشرعية ودلالتها على الأحكام

١

للدكتور محمد سلام مدكور

عماد التشريع الاسلامي وغيره من الشرائع السماوية السابقة عليه التوجيه الى الخير بالنصح والارشاد واستصلاح العباد ، ولا يختلف الشأن فى ذلك بين أن يكون التوجيه إلزاما وتكليفا أو ندبا أو مجرد إرشاد . غاية ما فى الموضوع أن الالزام بالشيء يكون على قدر ما فيه من مصلحة راجحة يترتب على تركها فساد يوقع فى عنت أو مضارة . فإذا ما ورد تحذير على لسان الشارع فإن ذلك من شأنه أن يكون فرعا على التوجيه الى الخير والدعوة اليه ، على أن نهى الشارع كثيرا ما جاء بصيغة الأمر التى تدل فى الأصل على مطلق الطلب .

والأمر فى نصوص التشريع الاسلامي من صميم مباحث علم الأصول ، لأنه قسم من كل من الدليلين الرئيسيين (الكتاب والسنة) بل هو فى الحقيقة رأس مباحث علم الأصول ، لأنه هو الذى يعتمد عليه فى الانتفاع باستخراج الأحكام الشرعية التى هى عمدة دراسة الفقهاء ، والتى جعل علم الأصول أساسا

للسير فى استخراجها على مقتضاه ، ومن الواضح أن الأحكام التكليفية الخمسة (الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح) كلها تدور فى الأعم الأغلب حول الأمر والنهي وصيغ كل منها ، لأن الأحكام التكليفية يعبر عنها بكل منهما .

غير أن الأمر أكثر دورانا من النهى فى نصوص التشريع الاسلامى لكثرة متعلقاته ، ولأن مسائل الاسلام وما بنى عليه من شأنها أن تستفاد بالأوامر لانها مطلوبة على سبيل الجزم وتلك هى ما بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت » . ويضاف اليها فى بعض الروايات : الجهاد فى سبيل الله .

على أن التعبير بقوله عليه السلام « بنى الاسلام على خمس » أمر بفعل هذه الأشياء إذ أن صيغة الأمر لا تقتصر على كلمة افعل ، بل تشمل كل ما يفيد الإلزام صراحة أو ضمنا (١) ، حتى نفس الأخبار التى يدل السياق فيها على طلب الفعل على سبيل الجزم مثل قوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين .. » وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل وقد سأله عن عمل يدخله الجنة : « تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان .. » رواه الترمذى .

لهذا وغيره يقدم الأصوليون مباحث الأمر على مباحث النهى ، ثم يحيلون كثيرا من مباحث النهى عليه . يقول منلاخسرد فى كتابه (المرقاة) : « إنهم يقدمون الأمر لأن المطلوب به أمر وجودى وبالنهى عدمى والأدلة أشرف ، ولأنه أول مرتبة ظهرت لتعلن الكلام الأزلى إذ الموجودات كلها وجدت بخطاب كن فيكون ، هذا فضلا عن أنه بالأمر والنهى تتميز الأحكام ويتبين الحلال من الحرام » ونحن نضيف أن الحلال فى الجملة يستفاد من صيغة الأمر ، والحلال أوسع دائرة من الحرام لشموله كل ما عدا الحرام فيدخل فيه المكروه والمباح فضلا عن المندوب والواجب ، كما أن النهى أحيانا كثيرة يرد بصيغة الأمر مثل ذروا واجتنبوا .. وغير ذلك .

ومما يجول بالخاطر فى هذا المقام ، أن أول تكليف ورد فى شئون البشر ما قصه الله علينا فى شأن الانسان الأول منذ خلقه الله فأمر الملائكة بالسجود له ثم أمر آدم أن يسكن هو وزوجه الجنة وأن يأكلا منها رغدا مع استثناء ما علم الله فيه مضرة بهما فى صورة نهى وتحذير إذ يقول سبحانه : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » .

فأنت ترى أن كل توجيه فى هذا النظم الكريم ورد بصيغة الأمر فيما عدا قربان الشجرة الذى هو فى الحقيقة استثناء من المأمور به المصرح بتعاطيه ولكنه ورد فى صيغة النهى لفتا للذهن الى خطورته وإشفاقا عليهما من التورط فى حمأته . فلما أزلهما الشيطان عنها أمرهما أن يهبطا منها . مما يؤيد أن التعليم والتوجيه شأنه أن يكون بصيغة الأمر .

وانظر الى دعوى كل نبى الى قومه مما أجمله الله سبحانه فى قوله : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » فهذه الكلمة الجامعة تبين أن دعوة كل رسول تعتمد على عبادة الله باتباع أوامره

واجتناب الطاغوت وقد صدر التوجيه الى ذلك بصيغة الأمر لينبهنا الى مكانة الأوامر فى التشريع والتوجيهات .

مفهوم الأمر عند الأصوليين :

وقد حدد الغزالى الأمر بأنه : القـــول المقتضى طاعة المـــأمور بفعل المأمور به (٢) . وقال البلخى وأكثر المعتزلة : إن الأمر هو قول القائل لمن دونه افعل أو ما يقوم مقامه . وعرفه بعض أهل الســنة بأنه طلب الفعل على وجه يعد فاعله مطيعا . وقال الآمدى : إنه طلب الفعل على جهة الاستعلاء(٣) .

وقد تعددت مسالك الأصوليين فى مفهوم الأمر واختلفت اتجاهاتهم اختلافا واسعا . فبينما يذهب الغزالى والبيضاوى الى أن الأمر من قبيل الكلام سواء أكان هو النفسى أم اللفظى ولذا فإنهما يأخذان فى ماهية التعريف أنه القول .. بينمـــا الآمدى عرفه بشىء غير القول فجعله عبـــارة عن الطلب النفسى وتابعه فى ذلك ابن الحاجب ، وقد عرضنا كل اتجاهات الأصوليين وما دار حولها من مناقشات فى كتـــابنا .. الأمر فى نصـــوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام (٤) .

وانتهينا الى أن الذى ينبغى التعويل عليـــه فى معنى الأمر ومفهومه هو الأمر بمعنى الصـــيغ والعبارات الذى يعرف بأنه اللفظ الذى يدل على طلب الفعل . فهـــذا هو الذى يدور البحث فى الواقع حول مدلوله من اقتضـــائه الوجوب أو عدم اقتضائه ذلك ، ومن اقتضائه الفورية فى الاســـتجابة الى أداء المطلوب ، ومن ابراء الذمة والخروج من العهدة بفعل المأمور به مرة واحدة. أم لا بد فيه من التـــكرار وغير ذلك من البحوث المتعلقة بالأمر ودلالته على الأحكام الشرعية . على أن الأصوليين أنفسهم تنتهى بهم بحوثهم ومناقشاتهم الى أن الأوامر الشرعية التى يحكم عليها من حيث استفادة الأحكام هى الأمر بمعنى الألفاظ والصيغ(٥) .

الصيغ المستعملة فى الأمر :

المراد بصيغ الأمر الألفاظ التى تستعمل فى لغة العرب ويســـتفاد منها مفهوم الأمر ، وبالاستقراء يبين لنا أن الألفاظ التى تستعمل لإفادة الأمر لا تخرج عن خمسة أشياء هى :

١ ـــ صيغة افعل : أى كل لفظ يشتق على غرار افعل للدلالة على طلب الحدث الذى تشتق منه الصيغة مثل أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ومثل استقم كما أمرت . ومثل أقم الصلاة .

٢ ـــ المضارع المقترن باللام : مثل قوله تعـــالى : « لينفق ذو ســـعة من سعته » فإن مدلوله طلب الانفـــاق وكذلك قوله تعالى : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » فإن مدلولها طلب الخشية من الله وطلب تقواه وطلب القول السديد النافع . وكذلك قوله : « فلينظر الانسان مم خلق .. » فإن مدلوله طلب النظر والتدبر .

٣ ــ **اسم فعل الأمر** : وهو كما يقول النحويون ما ناب عن الفعل ودل عليه ومن أمثلته قول الله تعالى : « عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وقول الرسول عليه السلام فيما رواه أحمد والنسائى : « عليك السمع والطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك » وما رواه أحمد والنسائى من قول النبى صلى الله عليه وسلم : « عليك بالصوم فانه لا عدل له » ، وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخارى « مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا » .

٤ ــ **المصدر الدال على الطلب** : المصدر هو ما يدل على الحدث دون الزمان . ويقول النحويون : إن المصدر قد يقوم مقام فعله فيمتنع ذكر الفعل معه (٦) . ومن ذلك قول الله سبحانه : « فضرب الرقاب » يقول الالوسى : إن ضرب منصوب على المصدر لفعل محذوف والأصل اضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافا الى المفعول (٧) .

٥ ــ **الخبر المستعمل فى معنى الأمر** (الجملة الخبرية) : ومما جاء من ذلك فى أساليب الكتاب والسنة قول الله سبحانه : « والوالدات يرضعن أولادهن . . » فانها جملة خبرية فى صورتها ومعناها الأصلى . ولكنها مستعملة فى أمر الوالدات بارضاع أولادهن . يقول القرطبى : يرضعن . خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى جهة الندب لبعضهن(٨) . ومن هذا القبيل قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم » فقوله : تؤمنون . وتجاهدون خبران بمعنى الأمر فهما بمعنى آمنوا وجاهدوا ولا معنى لبقاء الخبر على حقيقته فى هذا المقام . لأن الخبر ما يحتمل الصدق والكذب وهذا لا يتحقق فى لفظى تؤمنون وتجاهدون فى الآية فيتعين أن يكون كل منهما مستعملا فى الأمر على سبيل المجاز كما يشعر به قوله : « هل أدلكم على تجارة تنجيكم » . .

ويقول علماء البلاغة : إن الخبر اذا استعمل بمعنى الأمر فى هذه الجزئيات كان آكد من أن يستعمل فعل الأمر نفسه فيها . . وقال صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود : إن إخبار الشارع آكد من الانشاء فى مثل هذا لأنه أدل على الموجود(٩) .

ما تدل عليه صيغة الأمر :

يسلك الأصوليون فى بيان ما تدل عليه صيغة الأمر مسالك متقاربة فى الجملة ، ولا يكاد يختلف بعضهم عن بعض إلا بزيادة أو نقص ، أو إشارة الى تداخل بعض المعانى وبعض . وقد اختلفت مناهجهم فى عرضها وعدها وإنما نستخلص لك من مجموع ما قالوه أن صيغة الأمر قد تدل على الوجوب كقوله تعالى « أقم الصلاة » وعلى الندب كقوله تعالى « فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا » وعلى الارشاد كقوله تعالى « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » وعلى الاباحة كقوله تعالى « كلوا من طيبات ما رزقناكم » وعلى التأديب كقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس « كل مما يليك » وعلى الامتنان كقوله تعالى « كلوا مما رزقكم الله » وعلى الاكرام كقوله تعالى « ادخلوها بسلام آمنين » وعلى التهديد كقوله

تعالى « اعملوا ما شئتم » وعلى التسخير كقوله تعالى « كونوا قردة خاسئين » وعلى الاهانة كقوله تعالى « ذق إنك أنت العزيز الكريم » وعلى التسوية كقوله تعالى « فاصبروا أو لا تصبروا » وعلى الانذار كقوله تعالى « كلوا وتمتعوا » وعلى الدعاء كقول القائل : اللهم اغفر لى ، وعلى كمال القدرة كقوله تعالى « كن فيكون » ، يقول الغزالى : إن بعض هذه الأشياء كالمتداخل(١٠) ، هذا وقد ذكر بعض الأصوليين وجوها أخرى على ما بيناه فى كتابنا الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام(١١) .

وهذا الموضوع كما هو ظاهر من مباحث اللغة لا الأصول ، وإن أكثر الأصوليين لم يتعرض له إلا على سبيل الاستطراد أثناء بحثهم فيما تفيده صيغة الأمر على سبيل الحقيقة . وإن كان من الأصوليين كالغزالى والآمدى والبيضاوى من أفرد لها بحثا مستقلا ، والواقع أن البحث فى معانى صيغ الأمر التى تستعمل فيها بعيد كل البعد عن بحث الأصوليين ، وهو بحث لغوى صرف يرجع الى تنوع الاسلوب العربى واتساع دائرة المجاز فيه .

ما تفيده صيغة الأمر على سبيل الحقيقة :

الأمر إذا حفت به القرائن التى تعين دلالته فإن الحكم الذى يدل عليه هو ما تعينه القرينة . علما بأن المعنى الحقيقى على مقتضى قواعد اللغة لا يحتاج الى قرينة معينة للمراد . فمن قال : إن صيغة الأمر حقيقة فى الوجوب أو الندب أو الاباحة التى يقتصر اختلاف الأصوليين عليها ، إذ يتفقون على أن دلالة صيغ الأمر على المعانى الاخرى عن طريق المجاز — لا يرى أن دلالة الأمر على شىء من ذلك تحتاج الى قرينة ، وإنما يحتاج الى القرينة لصرفه عن المعنى الحقيقى الذى وضع له إذا أريد منه معنى آخر — غير أن بعض الأصوليين يرى أن صيغة الأمر مشترك بين عدة معان ، ومنهم من يرى التوقف . فهؤلاء لا بد عندهم من القرينة لفهم المعنى المراد .

هذا وينبغى التنبيه الى أن وجود القرينة مع بعض الصيغ مما تختلف فيه وجهات النظر من ناحية وجود القرينة وعدمها فقد يدل الامر على الندب عند القائلين بأنه حقيقة فى الوجوب لوجود قرينة ، بينما يرى القائلون بأنه حقيقة فى الندب أن دلالته على ذلك بأصل الوضع لا بالقرينة ، ومن ذلك اختلافهم فى مفاد الأمر بالمكاتبة فى قوله تعالى « فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » . والأمر بالانكاح فى قوله تعالى : « وانكحوا الأيامى منكم .. » على ما بيناه فى موضعه(١٢) .

اما إذا انعدمت القرائن . فإن حقيقة ما تفيده صيغة الأمر موضع خلاف واسع بين الأصوليين ، ويترتب على ذلك اختلاف أوسع بينهم فى مناهجهم الاجتهادية واستنباطهم لأحكام الفروع الفقهية .

١ — فالجمهور على أن صيغ الأمر تدل فى الحقيقة على الوجوب ، واختلفوا فيما بينهم هل دلالتها على الوجوب بالوضع أم بالشرع أم بالعقل واستدلوا على أنها للوجوب بجملة أدلة نستخلص من جملتها الآتى :

أ) قوله تعالى لابليس : « ما منعك الا تسجد إذ أمرتك » إذ أن هذا الاستفهام فى حقيقته توبيخ وذم وغير الواجب لا ذم عليه ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم لأبى سعيد الخدرى وقد دعاه وهو يصلى فلم يجب : ما منعك أن

تجيب وقد سمعت قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم » ؟ فهو استفهام توبيخى دل على أن الأمر يفيد الوجوب .

ب) تارك الأمر مخالف وقد توعد الله مخالف أمره بالعذاب « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

جـ) وصف القرآن تارك الأمر بأنه عاص ومن ذلك قول موسى لأخيه هارون فيما يحكيه القرآن : « أفعصيت أمرى » وكل عاص آثم ، يقول الله « ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم .. » فتارك الأمر معذب ولا معنى للوجوب إلا هذا .

د) ومما يقوله البزدوى لاثبات أن الأمر يدل على الوجوب فى أصل الوضع قوله : إن الأمر موضوع للطلب وإذا ثبت هذا كان الكمال أصلا فيه . فثبت أعلاه وهو الوجوب .

٢ — وقال عامة المعتزلة ، وهو الصحيح عند الشافعية ووجه عند المالكية وقول أكثر الحنابلة وقول جمهور المحدثين إن صيغ الأمر تدل على الندب حقيقة فى أصل الوضع واستدلوا بقول الرسول عليه السلام « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم .. » فقد رد النبى الأمر الى المشيئة وذلك ينافى الوجوب ، وكذلك فإن المندوب ما فعله خير من تركه فهو داخل فى الواجب من حيث الطلب فوجب جعل الطلب حقيقة فيه لكونه المتيقن . ودعوى غير ذلك تحتاج الى قرينة .

٣ — ويرى بعض المالكية أن صيغة الأمر حقيقة فى الاباحة . لأن الصيغة لطلب الفعل وأدنى درجات الطلب الاباحة . وهو رأى غريب لم يتجه اليه أحد .

٤ — وهناك من يرى أن صيغة الأمر مشترك لفظى .. وهؤلاء ثلاث مجموعات : فمنهم من يرى أنها مشترك بين إفادة الوجوب وإفادة الندب والقرينة هى التيتعين أيهما المراد . ومنهم من يرى الاشتراك بين الوجوب والندب والاباحة ، ومنهم من قال إنها مشترك بين هذه الثلاثة والتهديد أيضا ومن هؤلاء الشيعة .

٥ — وهناك من يرى أن صيغة الأمر مشترك معنوى . أى القدر المشترك الذى هو الطلب الشامل للوجوب والندب . وهذا الرأى منسوب للماتريدى ومشايخ سمرقند .

٦ — وهناك من قال بالتوقف وهو المنسوب الى الاسفراييني والقاضى عبد الجبار فقد توقفا عن ما هو موضوع من الوجوب أو الندب وقيل إنهما توقفا عن ما هو موضوع له على سبيل الحقيقة أصلا من الوجوب أو الندب أو غيرهما .

وقد بينا هذه الآراء بأدلتها ، ومسالك الأصوليين فى عرضها فى كتابنا الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى(١٣) . وانتهينا الى أن حقيقة الأمر بأصل وضع اللغة لا تفيد إلا مجرد الطلب . فإنها أكثر ما تستعمل فى الطلب الدائر بين الوجوب والندب ولا يعنينا أن يكون ذلك الاستعمال على سبيل الاشتراك اللفظى الذى يقتضى أن تكون موضوعة لكل واحد منهما بوضع خاص . أو الاشتراك المعنوي الذى يقتضى أن تكون موضوعة للقدر المشترك ، فالقدر الذى نستطيع أن نطمئن اليه أن هذه الصيغة تارة تكون فى الوجوب وتارة تكون فى الندب وقد يكون استعمالها فى كل منهما على سبيل الحقيقة التى تقتضى فى المشترك اللفظى وجود القرينة وتقتضى فى المشترك المعنوى تبادر المعنى عند ورود الصيغة ..

ثم ننتهى من هذا كله الى انها تدور بين هذين المعنيين : الوجوب والندب ولا نجزم بالدلالة على أحدهما إلا اذا أيده دليل آخر من أدلة الشريعة .

ما يدل عليه الأمر بعد الحظر :

يرد أحيانا الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى بعد حظر سابق وذلك مثل قوله تعالى « وإذا حللتم فاصطادوا » بعد قوله « غير محلى الصيد وأنتم حرم » ومثل قوله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض » بعد قوله « إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » ومثل قوله تعالى فى شأن النساء : « فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » وذلك بعد قوله : « فاعتزلوا النساء فى المحيض » ومثل ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها .. » .

وقد اختلفت مناهج المجتهدين من الأصوليين فى مفاد الأمر بعد الحظر ، واتجهوا اتجاهات متباينة على ما بيناه تفصيلا فى موضعه(١٤) ، وإننا نعرض هنا خلاصة ما أخذناه من مسالك الأصوليين واتجاهاتهم فنقول : إن منهم من قال : ان وقوع الأمر بعد الحظر لا اثر له ويبقى على ما كان قبل الحظر . ومن هؤلاء صدر الشريعة الحنفى وبه قال ابن تيمية إن كان الأمر من نفس الحاظر . ومنهم من قال إنه يفيد الوجوب وبه قال المعتزلة والرازى والبيضـــاوى من الشافعية وقالوا : إن ســـبق الأمر بالحظر لا يغير من دلالته ولا تعتبر قرينة صارفة . وبهذا يقول ابن حزم إذا كان الطلب بلفظ الأمر خاصة ، ومنهم من قال : إنه يفيد الاباحة وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين وابن السبكى الشافعي وهو اختيار الكمال بن الهمام الحنفى ، ومنهم من قال إنه يفيد الندب وقد نقل هذا صدر الشريعة ، ومنهم من توقف كالغزالى والآمدى وإمام الحرمين .

وقد عرضنا في كتابنا الأمر عدة نصوص من القرآن والســـنة(١٥) وبينا اثر الاختلاف في دلالة الأمر فيها على الأحكام الفقهية ، ومن ذلك ما فهموه من قوله تعالى : « يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم » الى قوله سبحانه : « وأشهدوا ذوى عدل منكم » .

فقد اختلف كل من المفسرين والفقهاء في مقتضي الصـــيغة وفي متعلق الاشهاد فقال الإمام الرازى الشافعي : أمروا أن يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة . وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبي حنيفة ، أما عند الشافعي فواجب في الرجعة مندوب اليه في الطلاق(١٦) . ونقل القرطبي المالكي مثل ذلك وزاد عليه أن احمد بن حنبل أوجب الاشهاد في الرجعة في احد قوليه(١٧) ، وجاء في تفسير المحيط لأبي حيان أن ظاهر قوله (وأشهدوا) وجوب الاشهاد في كل من الرجعة والطلاق(١٨) . وتنص كتب الحنفية على أنه يستحب الاشهاد على الرجعة لزيادة الاحتياط(١٩) . بينما يقول ابن رشد المالكي : تشبيه هذا الحق بسائر الحقوق يقتضي أن لا يجب الاشهاد . فكان الجمع بين القيـــاس والآية يقتضي حمل الآية على الندب وهو مذهب مالك(٢٠) . ويقول الرملي الشافعي : المذهب الجديد للشافعي أنه لا يشترط الاشهاد على الرجعة بناء على الأصح من انها في حكم الاستدامة بل يندب ، وصرف الأمر عن الوجوب إجماعهم على عدمه في الطلاق فكذا الامساك . وفي القديم اشتراط الاشـــهاد(٢١) . وينقل ابن قدامة الحنبلي روايتين عن الحنابلة في الشهادة على الرجعة إحداهما تجب لأن

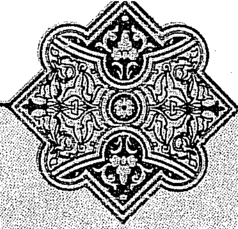
ظاهر الأمر الوجوب ، والثانية لا تجب مع حمل الأمر على الاستحباب (٢٢) . ويشترط ابن حزم الظاهرى لصحة الرجعة الاشهاد وإعلام المطلقة(٢٣) . بينما يرى الجعفرية أن الأمر يفيد الوجوب ، وأنه متعلق بالطلاق لأنه المقصود الأصلى فى النص (٢٤) . ويرى الزيدية أنه لا يجب الاشهاد فى الرجعة ، والأمر وإن كان للوجوب فإنه عائد الى التسريح مخافة الانكار لكنه فى الرجعة مستحب(٢٥) . وقد اتجهنا الى إفادة الأمر للندب فيهما ، وهذا لا يمنع إلزام ولى الأمر بالاشهاد على الطلاق والرجعة مسايرة لمصالح الناس ، ومع هذا فإن هناك قرائن ترجح إفادة الوجوب فيهما(٢٦) .

وبالنسبة للأمر بعد الحظر فإننا نستطيع أن نقول : إنه يعود الى ما كان يقتضيه الأمر قبل الحظر من وجوب أو ندب وإن كان يكثر فى إفادة الاباحة لكن بمعونة القرائن أيضا مما دفع الأكثريين الى القول بأنه يفيد الاباحة .

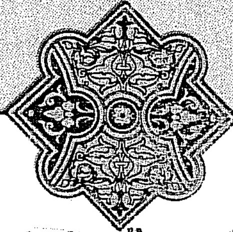
وإننا نختتم الموضوع فى مقال آخر نتكلم فيه عن الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى من ناحية إفادته طلب الفعل مرة تبرأ بها الذمة أم لا بد من التكرار ، وهل يقتضى الأمر الاستجابة على الفور أم لا يقتضى ذلك ..؟

---

(١) راجع لنا فى تفصيل ذلك كتاب « الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الاحكام » مطبوع سنة ١٩٦٧ . دار النهضة العربية بالقاهرة .
(٢) المستصفى هـ ١ ص ٤١١ .
(٣) الاحكام للآمدى هـ ٢ ص ١٨٨ .
(٤) من صفحة ٣٩ — ٩٦ .
(٥) المرجع السابق من ٩٦ — ١٠٤ .
(٦) انظر التوضيح والتصريح هـ ١ ص ٢٣٠ .
(٧) روح المعانى هـ ١٦ ص ٣٩ .
(٨) الجامع لأحكام القرآن هـ ٣ ص ١٦١ .
(٩) التوضيح هـ ٢ ص ٤٤ .
(١٠) المستصفى هـ ١ ص ٤١٩ .
(١١) من صفحة ١٢١ — ١٣٣ .
(١٢) الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ص ١٧٦ — ١٨٢ .
(١٣) من صفحة ١٣٧ — ١٧٦ .
(١٤) الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى من صفحة ١٨٣ — ١٩٦ .
(١٥) من صفحة ١٩٧ — ٢٣٦ .
(١٦) التفسير الكبير هـ ٣ ص ٣٤ .
(١٧) الجامع لأحكام القرآن هـ ١٨ ص ١٥٧ .
(١٨) هـ ٨ ص ٢٨٢ .
(١٩) الهداية والفتح هـ ٣ ص ١٦٢ .
(٢٠) بداية المجتهد هـ ٢ ص ٧٠ .
(٢١) المنهاج وشرحه هـ ٧ ص ٥٤ .
(٢٢) المغنى هـ ٧ ص ٢٨٢ .
(٢٣) المحلى هـ ١٠ ص ٢٠٥ .
(٢٤) قلائد الدرر فى بيان آيات الاحكام هـ ٣ ص ٢٢٨ .
(٢٥) البحر الزخار هـ ٣ ص ١٠٧ .
(٢٦) انظر ما قلناه فى صفحة ٢٠٤ .



حتمية الإعدام في القصاص



للأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى

تطبيق العقوبة الشرعية من لوازم الإيمان

المؤمنون بوجود الله لا بد أن يؤمنوا بصدقه ، وبمعقولية شرعه : لأن من لوازم الايمان بالله : اليقين التام بأن هذا الوجود (بما فيه) خلق الله .. وخالق الخلق اولى بتنظيم حياتهم ، لأنه أعلم بما يصلحهم (بحكم أنه خالقهم) .. وبحكم أنه موجد الحقيقة ، وأن الخلق يكتشفونها .. وموجد الحقيقة أولى بالاتباع ممن يحاول اكتشافها ..

وهو أحق — بحكم أن الكون ملك الله ، فكان أحق بتدبيره ..

أما من يؤمن بالله ولا يطبق شرعه فايمانه مزيف ، لأن عدم التطبيق عصيان ، وجحد لحقه فى التدبير ، وشك فى صحة ومعقولية شرعه ، وكل هذه مخرجة من الملة ..

وطريقنا الى شرع الله نصوص من الكتاب والسنة ، وهذه النصوص يدخلها النقد من ثلاثة وجوه لا رابع لها (بحكم القسمة العقلية) .

فالوجه الأول : نقد النص من ناحية ثبوته عن الشارع .

والوجه الثانى : نقد النص من ناحية صحة دلالته ..

والوجه الثالث : نقد مقتضى النص الذى صح ثبوته وصحت دلالته .

والوجهان الأولان واجبان على المجتهد لا يعذر بعدم تمحيصهما مع قدرته .. والوجه الثالث : كفر سافر ، لأن النص اذا صح ثبوتا ودلالة فلا يسع المسلم الا تطبيقه .. فان توقف فلا يخلو من أن يكون معاندا أو شاكا فى صدق ربه ، أو متهما دينه بالسهو والنقص ، مجهلا

له ، وكل واحد من هذه الامور مبيح للدم ، مخرج من الملة .

والعقوبة الشرعية من المسائل التى جاءت بنصوص صحيحة الثبوت والدلالة . اذا توقف فيها مؤمن بالله لم نزد على مجادلته بقولنا : قال الله ، وقال رسوله ، بالنص الصحيح الدلالة والثبوت .. فان كان مؤمنا حقا انصاع وانقاد لأمر ربه ، وقلبه واجف .

أما الملحدون فلا ينقادون لشرع الله ، لأنهم لا يؤمنون بالله ، والايمان بشرعه فرع عن الايمان به .

وهؤلاء يغالطون المؤمنين بحجج العقول فى تبرير(١) .. والغاء العقوبة .. ولايمانى بأن شرع الله شرع من خلق الحقيقة دلفت الى هذا النقاش العقلى لكل من ينكر العقوبة الشرعية .. وأنا على يقين بأن للمسلم من وضوح الحجة ما يختال به على كل الافكار المتعفنة وأن ارتادت الجامعات الاجنبية وتباهت بالمؤهلات العالية .. !

والسر فى ذلك : أن المسلم ينصر حقا ، والحق عملاق فى كل مطرح .

ولتحرير موضوع البحث أحب لفت الانتباه الى أن العقوبة الشرعية متنوعة من حيثيات كثيرة .. وهذا المقال لا يتسع لنقاش لاهث مع كل حيثية ، فآثرت أن أذكر المنهج العقلى العام فى الشريعة لحماية المجتمع من الجريمة .. ثم أطيل النفس مع نوع واحد هو موضوع القصاص فى النفس وليلاحظ أن منهج من سيبحث معقولية العقوبة الشرعية عليه أن يلاحظ المفارقة بين أمرين :

أحدهما : نوعية العقوبة (فى كميتها وكيفيتها) .

وثانيهما : العقوبة فى ذاتها .

فأما نوع العقوبة — كمية وكيفية — فلا نبحث معقوليته بالحكمة المنبعثة ، وانما نثبتها بايراد البراهين الدالة على وجود الله وكماله ووحدانيته .. فاذا تقررت حقيقة الايمان ، فليقل المؤمن : ان الحق الواحد الكامل أمرنى بأن أجلد الزانى غير المحصن مائة جلدة .. أما كونه لم يأمرنى بتسعين أو بمائة وعشر فذلك محض ارادة الله وتعبده ايانا ، لا يحق لنا أن نقدم بين يديه .. والقاعدة أن ما لا تظهر حكمته محمول على التعبد المحض .. وبرهان التعبد هو برهان العقيدة ، فاذا ظهرت الحكمة فلا بأس من الاستئناس بها ، فربما قال المجادل : لم جعل ربنا عقوبة المحصن الرجم ولم يجعلها ضربة بالسيف .. ؟ هنا قد تلوح الحكمة فيقول المسلم : لفرض تعميم العذاب على الجسم الذى تبددت فيه شهوة الجماع الحرام .. وربما قال المجادل : لم كان هذا التبديد بالرجم ولم يكن بالوخز بالابر .. ؟

وربما قال المؤمن : ان الوخز بالابر ميتة بطيئة ، والعذاب فيها أشد فنافى مقصد الشارع . وسواء أحصلت القناعة وانقطع النزاع أم لم تحصل ولم ينقطع فلا يجوز للمؤمن أن يركن الى الحكمة المظنونة فى تحديد الكمية والكيفية وانما يمتثل باطلاق .. وليصر فى المجادلة على جانب التعبد وبرهانه الذى هو برهان العقيدة .

أما العقوبة من حيث انها عقوبة فتثبت بالنقاش العقلى المجرد ، فاذا ثبتت فى ذاتها فلن يتم تنفيذها حتى

---

(١) تبرير : بمعنى تسويغ وقد أنكرها بعض المعاصرين من علماء اللغة ، ونحن نستخدمها مقتنعين بجوازها .

يعرف تقديرها كمية وكيفية .. ومن هنا يلتفت المسلم مرة ثانيـــة الى مسالة العقيدة يدلل على كمال الله والوهيته ليصل الى نتيجـــة : أن اختيار خالق الخلق أولى لنـــا من اختيـــارنا ، لأن شرع الله مبرأ من السهو والجهل والنقص .

اما البشر فهم الساهون اللاهون مهما بلغ علمهم ، فهم محـــكومون بزمانهم ومكانهم وشهواتهم .

وان لعقوبة الاعدام أحكاما فقهية كثيرة تتعلق بالقصد وعدمه ، وبكيفية الاستيفاء ، وبمن له حق الاستيفاء .. الى آخر تلك الاحكام فلن نمس منها الا جانب حتميةالعقوبة ووجوب تطبيقها ..

المنهج العقلى العام فى الشريعة لحماية المجتمع من الجريمـــة :

يلاحظ أن العقوبة مرتبـــة على جريمة بعينها ، ولكن الفاحص يدرك أن الجريمة فوق مستوى العقوبة ، لأن الجريمة سلسلة مخالفات شرعية فجاءت العقوبة حدا فاصلا . خذ مثال ذلك : القتل ينجم عن شهوة غضبية فى الجبلة البشرية ، وقد هذبت النصـــوص هذه الشـــهوة الغضبية بالحث على الحلم ومكارم الاخلاق والمسامحة والرحمة وتجنب هوشة الاسواق والنهى عن المازحة بالسلاح وتهديد القاتل بالخـــلود فى النار . والنهى عما يفقد الوعى من المخـــدرات ومن ســـورة الغضب الطائشة ، والنهى عن مســـببات النزاع كالقمار وبيع الغرر .. ثم جاءت المقاصة فى القتل حدا فاصلا بعد تخطى كل هذه الحواجز .

وكل هـــذه الاجواء الشرعيـــة يقتضيها العقل ولا يستحسن غيرها ، وخذ هذا الجـــو من تلك الاجواء الشرعية ..

قال تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ » .

وقال : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كما فى صحيح البخارى) : « لا يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما » .

وقال صلى الله عليه وسلم (كما فى صحيح البخارى ايضا) : « ان من ورطات الامور التى لا مخرج لمن اوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله » .

وخذ مثالا آخر لذلك المنهج العقلى العـــام من جريمة الزنى فانهـــا تنجم عن شهوة بهيميـــة فى الجبلة البشرية ، وقد هذبت النصوص هذه الشهوة بالامر بغض البصر والسمو بالغريزة والتأكيد على من يجد الطول بأن يتزوج والعزم على المؤمنات بأن يســـترن زينتهن وبالنهى عن دخول البيوت بغـــير اذن وبالامر بخفض الصوت .. ولم يوجب الحـــد الا بشروط لا تتوفر الا اذا كان السفاح علنا ، فجاء الحد حكما عازما جازما بعد تخطى كل هذه الحجز .

فالجد فى نوافل هذا الدين ترويض على عزائمه .

فصح أن العقوبة الشرعية جاءت بعد تخـــطى عدد من الحـــدود والتعليمات الشرعية ، وصح أنه لولا ذلك التخطى المتابع لـــا كانت هذه الجريمة .

ومن المسلم به أن المعـــاصى يجر بعضـــها بعضا ، وأن الادمان على

الصغائر يجر الى الكبائر والذين يتعاظمون العقوبة العادلة (لمرض فى قلوبهم) تصغر فى أعينهم الجريمة التى هى جريمة بنت جريمة ، وهذا ما لاحظه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

شبه منكرى الإعدام :

تعلق نفاة المقاصة فى النفس من القانونيين بأمور أهش من أعواد الخروع .. فقالوا : ان القتل قسوة ووحشية .. وان أمور الناس يجب أن تقوم على الرحمة والعطف .

وقالوا : ان القتل مقاصة لا تردع لأنه يموت المجرم ولا تموت الجريمة ، ولأن الاعدام لا يخيف من لا يعرف أنه سيقتل اذا قتل .

وقالوا : ان الاعدام يفقد المجتمع نفسين .. !

وقالوا : ان المجرم غير مسئول عن اجرامه .. وانما تقع المسئولية على البيئة التى نشأ فيها من أمور وراثية وظروف حياتية .

وندمغ هذه الفلسفة المريضة ونناقشها من ثلاثة وعشرين وجها هى كالتالى :

الأول : اننا لا نمارى فى وجوب وضرورة الرحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ، ولكن الرحمة لا تفسر بتعطيل العقوبة ، وانما تفسر برحمة الجماهير والضعفاء والمساكين والآمنين المعصومة دماؤهم .. فاذا لم نردع المجرمين بالعقوبة فانما نجنى على المجتمع فى الاخلال بحماية أمنه ونظامه .

الثانى : ان تعطيل العقوبة ظلم للمجنى عليه ، والرحمة أن نمسح دمعة أوليائه بتطبيق العقوبة على الجانى .

والأمة الصالحة هى التى لا يضيع الحق بينها .. فصح بهذين الوجهين : ان رحمة يترتب عليها ظلم المجتمع وظلم المجنى عليهم وتأييد الظالم على ظلمه (بحجة الرحمة) تعتبر نكسة فكرية .. واظلم الناس من ظلم الناس للناس .. !

والرحمة رقة عاطفية فلا نمنع المسلم من رحمة جان مسلم ينفذ فيه حكم الاعدام فيستغفر له ويرجو الله أن يجعل ذلك طهرة له ويشفق على اخوانه المسلمين من تكرر هذا المنظر .. ولكن لا يجوز أن تتعدى هذه الرحمة الى تعطيل الحد ..

وهذا ما لفت اليه القرآن الكريم فى عقوبة الزنى فى قولى تعالى : « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله » .

الثالث : ان رحمة الجانى رحمة تحول دون معاقبته وضع للامور فى غير موضعها . لأن رحمة الجانى ان كانت خيرا يعارضها مفسدة الاخلال بالأمن ومفسدة تضييع الحق ومفسدة عصيان الشرع المؤيد بنظر العقل .. ومن بدائه العقول : ان المصلحة تعطل اذا عارضتها مفسدة أرجح منها .

وقلنا : قد لا تكون رحمة الجانى خيرا لأنه لا يوجد أى شيء يتمحض للخير او الشر .

الرابع : انه لا يملك رحمة الجانى — رحمة تحول دون أخذ الحق منه — الا من يملك الحق وهو المجنى عليه أو وليه .. ولهذا فالولى مأمور بالرحمة والصفح ، فهذه الرحمة ليست من حق القانون ، ولا من حق السلطان ، ولا من حق المجتمع .

الخامس : أن رحمة الجاني — بتعطيل العقوبة — تأييد للجناية .. فاهدار دم معصوم على يد سفاح آثم (بحكم القانون) اشتراك مباشر فى الاثم : لأن من المشاركة التأييد .

السادس : أن تعطيل العقوبة الشرعية تشجيع للجريمة بطريق غير مباشر (من وجه آخر) لأن أولياء القتيل لا يصبرون على مضض، ولأنه السبيل أمام كل مجرم (ما دام أنه يضمن حياته) .

السابع : أن تنفيذ العقوبة فى الجاني جار على قاعدة منطقية تؤمن بها كل العقول ، وهى أن الجزاء من جنس العمل فلا ظلم ولا تفريط فى مقاصة عادلة ومحاصة دقيقة .

الثامن : أن اصدق البراهين ما جرب .. والتجربة دلت على أن العقوبات ضرورة حتمية لحفظ النفس .. ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

ولم تقع الفوضى وتهدر الدماء وتتألب اللصوص آلا فى مجتمع انفصلت فيه سلطة القانون عن واقع المجتمع .

التاسع : أنه من الافضل الا يخسر المجتمع أى نفس فى غير جهاد مقدس ، ولهذا المبدأ حرص الاسلام على عصمة الدماء ولا ريب أن استحياء الجانى هلاك لنفوس كثيرة ، وهذه من بدائه القرآن فى نصه : « ولكم فى القصاص حياة » .

العاشر : أن استحياء الجانى مبنى على الرغبة فى تكثير سواد المجتمع بالا يخسر نفسين ، ولكن الثابت عقلا أن المجتمع يخسر نفوسا كثيرة باستحياء الآثمين .. والقاتل بغير حق يجب أن يستشفى المجتمع باستئصاله ، لأنه عضو غير صالح .

الحادى عشر : أن القاتل حرم غيره الحياة فليحرم الحياة مثله ، فهذا حق لا تسقطه الرغبة فى تكثير سواد المجتمع .. ولا مجال للمعارضة بين حق واجب وأمر مستحسن .

الثانى عشر : أن تعطيل العقوبة قائم على مثالية موهومة تستبشع منظر القتل .

ونحن نقول : ان سر المعقولية فى بشاعة العقوبة .. ونقول (مرة أخرى) : ان الجريمة أبشع ، ولا بد للانسانية من سيف يحميها . ولولا بشاعة العقوبة ما ارتدعت النفوس . ولم يأمر الله بحضور طائفة من المؤمنين الا لاحياء الحدود واعلانها لترتدع النفوس التى تستبشع منظر السيف فى خبطاته .

الثالث عشر : أن الناس ليسوا فى جملتهم على مستوى المسئولية بحيث نتركهم لمثالية موهومة ، فقد اقتضت حكمة الله (كما هو معاين) أن فى المجتمع نفوسا شريرة لا يردعها خوف من الله فى يوم مؤجل ولاحياء من المجتمع ، فلا ترتدع الا بعقوبة عاجلة منظورة .. وردعها بالقتل يعنى عصمة المجتمع من شرها .

الرابع عشر : أن الجريمة ظلم والعقوبة مجازاة وردع ومقاصة ، ولا يستحسن العقل غير هذا .

الخامس عشر : أن المبدأ العادل والقانون الفكرى الصحيح الذى تجمع عليه كل العقول السليمة : أن يكون المجرم مسئولا عن اجرامه ،

وهذه المسئولية تستوجب عقوبة معينة الا انها تسقط أو تنقص أو تخف لأمر يتعلق بارتباط المجرم بجريمته ، وذلك الرباط هو « قصد الجريمة بغير حق » . ولسنا نطل على هذا الرباط من زاوية الوراثة والبيئة باجمال ، بل نطل مع الزاوية التى لها تأثير فى القصد ، فالمجنون يحجز ولا يقتل ، لأنه غير قاصد ، أو قل : لأن قصده غير معتبر .. ومن أراد أن يرمى صيدا مباحا فأصاب آدميا معصوم الدم غير قاصد قتله ، فلا يعدم ، لأنه غير متعمد الجريمة .. ومن ضرب آخر بعصا فمات لم يعدم ، لأن العصا فى العادة والعرف لا تقتل .

والتعدى بآلة لا تقتل غالبا دليل قطعى على عدم قصد الجريمة الا أن يوجد ما ينافى هذا القصد ، كأن يكرر ضربه وهو مريض ، أو يعيد الضرب فى مقتل .. الى آخر ما هنالك من جزئيات وتحفظات ومقارنات دقيقة تحفل بها كتب الفروع .

السادس عشر : أن الذين لديهم أمور وراثية كتوتر الاعصاب أو سوء التربية أو بؤس الحياة لا تغتفر جريمتهم ما دام انهم يخططون للجريمة بتنظيم قاطع على ذكائهم وتعمدهم ، وما داموا يعرفون انهم بالجريمة يحرمون أخا لهم حظه من الحياة ويتركون أولاده للبؤس والشقاء .. !

فنحن بين أمرين : هما القصد ، والحافز على القصد .. فلا نقتل الا القاصد ، ولا نغتفر من الحوافز الا ما كان حقا .. فالبائس الذى يقتل تاجرا ليأخذ ماله لا يبرر جريمته أنه بائس فى حياته ، لأن بؤسه ليس حقا متعينا على التاجر .. وانما البؤس والبحبحة قسمة من جعل هذا أصم وهذا أعرج وهذا اعمى وهذا مجنونا وهذا قوى البنية مكتمل الخلقة جميل الطلعة مبسوط الرزق مشروح الخاطر .

والحشاش الذى يقتل محادثه لأدنى مجادلة لا يغفر جريمته توتر أعصابه لأمر واحد شاهدناه وعايناه وهو أن هذا الصنف من الناس كثيرون ، ولكنهم ضبطوا أعصابهم على رغمهم لأن العدالة لا ترحم وسيوف الله مصلتة .. وما هذه القوة من جنود وسيوف وحشود الا سلطان الولى الضعيف .. أولم يقل سبحانه : « **فقد جعلنا لوليه سلطانا** » .

ولهذا لو أخذنا بما يسمونه وراثة وبيئة وسلطة وسوء تربية وحرمانا لما وجد على ظهر هذه المعمورة مجرم مدان ، ولأصبح المجرمون جميعهم بريئين .

السابع عشر : أن البائس يتعجل بؤس غيره لينعم مكانه ، فالعدل أن يعامل بنقيض قصده والعدل الا نعالج بؤسا ببؤس ولا ريب أن اسقاط حكم الاعدام هنا تبرير للجريمة .. وهذا التبرير يعنى ذلك العلاج المرفوض عقلا .

الثامن عشر : أن تعطيل حكم الاعدام بالردع اقتصار على جزئية من العلة ، فاننا نقول : الاعدام ضرورة للردع ، وعلى فرض انه لا يردع (وذلك باطل بيقين) فلا يسقط حكمه ، لأنه حق طرف معين لا يسقط الا برضاه .. فالحق حق واجب لذاته لا لغيره .. ونقول : ان الاعدام لا يقضى على الجريمة ، لأننا آيسون من مجتمع مثالى ملائكى لا يجرم ولا يخطىء ، ولكننا نؤمن بأن المجرمين يقلون فلنطاردهم .

ولا ريب انه بقلة المجرمين تقل الجريمة لبديهة أن لا جريمة بدون

مجرم ، ولبديهة أن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ولبديهـــة أننا نملك السبب ولا نملك ما يتسبب عنه ، الا أن هذا السبب ناجح فى الغالب ، فلا يجوز لنا (عقلا) أن نترك ما نملكه لشىء لا نملكه كما لا يجوز أن نترك امراً راجحا لأن هناك احتمـــالا مرجوحا ، والا كانت نكسة فكرية .

التاسع عشر : أن قولهم مطاردة المجرم لا تقضى على كل جريمة منبثق من القول بعدم جدوى الاســباب ، وهذه نكسة كما قلت ..

ومن ناحية ثانية فذلك القول كلام مجمل لأن المجتمع الذى يسود فيـه نظام الاعدام بحق يقضى قضاء مبرما على الاجرام الجماعى لأتفه الحوافز .. وقلما وجد من يرتكب جريمـــة القتل آلا لحافز قوى جاء نتيجة لسوء تصرف المقتول .

فصح بيقين أن مطاردة المجـرم تقضى على شكل مروع من اشـــكال الجريمة .

العشرون : أن حصـــــول الردع بالعقوبة أمر مجرب ــ كما بينتـه آنفا ــ وانما غلط النافون بظنهم أن الناس كلهم لا يرتدعون بالعقـــوبة وغلط المثبتون بظنهم أن الناس كلهم يرتدعون بالعقوبة .

ومذهبى : أنه يحصـــل ردع ، والمرتدعون هم الجمهور بيد أن من كتب الله عليهم الشـــقاء لا يعتبرون بعقوبة غيرهم فيرتدعون .

فهذه ثلاثة أمور : ارتداع بالجملة وهذا لا يحصل ، ولو حصل لــكان خيراً كثيرا . وعدم ارتداع بالجملة الا أن التجـــــربة أثبتت ارتداع الكثيرين .

وارتداع ولكن ليس بالجملة .. لا ريب أن ارتداعا ليس بالجملة خير من عدم ارتداع بالجملة . والشاهد على هذا أن الجريمة فى المملــكة العربية السعودية عام ١٣٩١ هـ .. ليست كالجريمة فى النصف الاول من القرن الرابع عشر للهجرة من ناحية كميتها وكيفيتها .

فان قالوا : هذا عامل الحضارة قلنا : كذبتم وأفكتم لأن جريمة النصف الاول من القـــــرن الرابع عشر فى بلادنا هى الجريمـــــة ذاتها (كما وكيفية) عام ١٣٩١ هـ فى البـــلاد التى هى اكثر منا انسياقا للمدنية .

الحادى والعشرون : أن الاجرام هو الاجرام ان لم ينتج عنه ارتداع ســـفاح آخر فان المجتمع على اقل تقدير تفادى شرا ، فتقليل السفاحين مصلحة ماثلة ان تعـــذر ارتداع كل السفاحين . وهذا غير احد الوجوه السابقة لأن ذلك الوجه عن تقليل المجرمين من ناحية القضاء عليـــهم فيستريح المجتمع من شرهم .

الثـــانى والعشرون : أن قول الاسكندنافيين : عملية الاعـــدام لن تحقق العبرة ما دام الاعدام لن يخيف من لا يعرف أنه ســــيقتل ، فيه مغالطتان :

أولاهما : أن الجهل بالقـــانون لا يبرر تعطيله ، وليست معالجة الجهل بالقـــانون فى تعطيله بل لا بد من اشاعته .. ولا ريب أن الانتصاف للدماء المراقة فى كل جمعـــة على رؤوس الاشهاد سينبه كل من لا يعرف لأن يعرف ، وليس يخفى اليوم الا ما لا يكون .

وأخراهما : أن من لا يعرف أنه سـيقتل اذا قتل يعرف وبيقين أن القتل جريمة .. ويعرف بعقله (ان لم يكن ذا دين) : أن الجزاء من جنس العمل .

الثالث والعشرون : ان للاعدام مبرراً غير مجرد تحقيق العبرة ، وغير مجرد تعيين الحق ، وهو اشاعة العدل ، فلن تطيق العدالة اهدار الدماء ، ولن تطيق العقول الصحيحة جفنها على حياة سفاح تقوم على اهدار دم معصوم .

وجوب العدالة فى التطبيق :

وبعد نقض فلسفتهم الرعناء فى تعطيل العقوبة أود ملاحظة ان العدالة فى التشريع ذات شقين :

عدالة النص فى حقيقة تشريعه ، لأنه من عند الله والله لا يقول الا حقا ،ولا يشرع الا عدلا .

والعدالة فى تطبيقه : بأن يكون الحكم مطابقا لواقع القضية — بحكم اجتهاد القاضى وصلاح سريرته — والا ننقص من الحد ، لأن الله أرحم منا ، ولا نزيد فيه ، لأن الله أحكم الحاكمين .

ونطبقه على أنفسنا فلا نحابى بحكم الله قريبا أو عظيما .. فحذار أن تدركنا خطة بنى اسرائيل .. وأقول هذا على مبدأ « يا أيها الذين آمنوا آمنوا » .

وليس الحيف فى تطبيق الحد الشرعى بأقل خطورة من تعطيله ، فالمعطل والجائر كلاهما آثم ظالم .. والعدالة قوام الملك .

وبعد فان واقعنا العربى بحاجة الى شباب يؤمن بالله ويقول عقب كل صلاة : اللهم ابرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ، ويذل فيه أهل معصيتك .. ويقول : اللهم أصلح ولاة أمورنا .

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ
ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ
فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾



للواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

طوّحت بى ظروفى الصحية القاسية ، بعيدا عن بلدى ، فقصدت قرية من قرى بلد عربى شقيق ، طلبا للاستشفاء والاستجمام .

وأجبرتنى ظروفى العائلية الصعبة على سكنى فندق من فنادق تلك القرية ، خلافا لرغبتى التى لا تحب سكنى الفنادق ، وتؤثر عليها سكنى الدور .

ولعلّ مما شجعنى على اللجوء الى هذه القرية النائية ، والى هذا الفندق القريب من تلك القرية ، هو وجود مسجد فيها : أصلى فيه صلاة الجمعة ، وأصلى فيه صلاة الجماعة فى بعض الأوقات ، وأسمع صوت المؤذن يدعو للصلاة فى الأوقات الخمسة ، وحسبى أن أكون (جار المسجد) لتحل علىّ بركاته ويمدنى بالسكينة والاطمئنان .

ولكن هذا المسجد العامر بذكر الله فى العام المنصرم ، أصبح هذا العام مهجورا .

كان فى العام المنصرم تقام فيه الصلوات الخمس جماعة ، فأصبح هذا العام لا تقام فيه الصلوات .

وكان فى العام المنصرم عامرا بالمصلين ، فأصبح هذا العام مقفرا من المصلين .

وكان صوت المؤذن يلعلع كل يوم خمس مرات ، فأصبح هذا العام لا يسمع أبدا إلا فى موعد صلاة الجمعة .

وكنت أظن أن المسجد بخير كما كان فى العام المنصرم ، فوجدت المسجد ليس بخير هذا العام .

وحين لجأت الى الفندق القريب من القرية ، انتظرت أن أسمع صوت المؤذن فى اليوم الأول الذى حللت فى الفندق .

كان الظلام مخيما فى غرفتى ، وكان موعد صلاة الفجر قد حلّ ، فأرهفت السمع لأقتنص صوت المؤذن يدعو للصلاة ، فلم أسمع شيئا .

وتكرر ذلك فى يوم أو يومين ، دون جدوى !!

وقصدت المسجد لأرى أن بابه مقفل ، وكان ذلك فى موعد صلاة العصر .

وسألت أحد المارة : لماذا لا يفتح المسجد ، وقد حان وقت صلاة العصر ؟

وتنهد صاحبى ثم قال : لا تقام فيه الصلوات عدا صلاة الجمعة .

— ٢ —

وصليت الجمعة ثلاث مرات فى ثلاثة أسابيع : خطب فى الجمعة الأولى والثانية خطيب كهل ، وقد كان المصلون قليلين ، ولكن صوت الخطيب كان جهوريا يهدر وكأنه كان يخطب فى مئة ألف أو يزيدون .

وخطب فى الجمعة الثالثة شاب ، صوته أخفض من صوت سلفه ، فحمدت الله على ذلك كثيرا .

وفى الجمعة الرابعة ، رأيت ما حملنى على كتابة هذا المقال .

كنت على باب المسجد قبل ساعة وربع من موعد الصلاة ، فوجدت بابه مقفلا ، وحول القفل سلاسل من حديد .

وذهبت الى مكتب بريد القرية ، فوجدت رسالتين إلىّ تنتظران من أيام ، وقيل لى : إن موزع البريد قد استقال .

فقلت لنفسى : لا بد أن يكون أهل القرية يعلمون الغيب حتى يعرفوا أن موزع البريد قد استقال ، وأنّ عليهم أن يزوروا مكتب البريد كل يوم لاستلام رسائلهم إن وجدت !!

وعدت الى المسجد قبل ساعة من موعد الصلاة ، فوجدت بابه لا يزال مقفلا .

واستنجدت بمن توسمت فيه الخير من المارة ، لاستدعاء المسئول عن فتح الباب ، فلبى أحدهم رجائى ، ولكنه جاء بعد ربع ساعة ليقول : إن المسئول قد ذهب الى المستشفى لزيارة أحد المرضى هناك .

وكنت قد أخرجت منديلى من جيبى ، وفرشته على عتبة باب المسجد ، وجلست عليه .

ومضى علىّ نصف ساعة وأنا جالس على عتبة المسجد ، حتى قدم أحد المصلين ، وكان أول القادمين .

وقلت له : هل حال كنائس القرية كحال هذا المسجد ؟ هل تقفل هذه الكنائس وهى ثلاث فى أيام الآحاد ؟

وسألنى القادم الجديد : وأين المسئول ؟

وقلت له : هو فى المستشفى زائرا ، ولا أدرى متى يحضر ، وربما سيصل شيخ المسجد قريبا ، فلا بد من فتح الباب .

واقترحت عليه أن يأتى بالمطرقة من نجار قريب ، ويكسر القفل ويفتح الباب .

وفتحنا الباب بعد كسر القفل ، ودخلنا المسجد دخول الفاتحين ، ولكن أعصابى كانت متوترة جدا ألما على حال المسلمين .

وحضر شيخ المسجد قبل صلاة الجمعة بعشر دقائق ، وهو يأتى كل جمعة من بلد آخر ، فيلقى خطبة الجمعة ، ثم ينصرف الى أهله ، ويترك المسجد مهجورا .

— ٣ —

كنت أمنى النفس فى طريقى الى المسجد ، بساعة أقضيها فيه قبل الصلاة ، فتشع روح المسجد قبسا من النور لأقتبس منها نورا ، وتسبغ روح المسجد على روحى شيئا من السكينة والاطمئنان .

وكنت أحب أن أذكر الله ، وبذكر الله تطمئن القلوب — خاصة فى بيوت الله .

وكان معنى حديث رسول الله

صلى الله عليه وسلم يدور فى خلدى وانا فى طريقى الى المسجد ، وهذا الحديث عن فضل السابقين الى المساجد فى يوم الجمعة وأجرهم عند الله .

ولكن المسجد المهجور ، ومعنى هذا الهجران ، وحال المسلمين الذى ادى إليه ، حرمنى من نور المسجد ، ومن روح المسجد ، ومن ذكر الله فى المسجد .

وذكرت الذى عمر هذا المسجد ، واوقف عليه الأوقاف ، وترحمت عليه ، وقلت لنفسى : هل كان يعرف مصير مسجده الوحيد فى القرية المهجور من المصلين ، وفى القرية هذه ثلاث كنائس عامرة بالمصلين ؟!

وسقطت من عينى دمعتان فى المسجد المهجور ، وازداد الحزن الذى يجتاح قلبى حتى لم يبق فيه موضع لحزن جديد .

إن مساجد المسلمين كانت مثابات للعبادة ، ومحاكم للقضاء ، ومعاهد للعلم ، واماكن لذكر الله ، وثكنات للجيوش الاسلامية .

كانت لا تخلو من المصلين ومن الذاكرين الله والذاكرات .

وكانت ملجأ للمظلوم يأخذ حقه من الظالم .

وكانت عامرة بحلقات العلم ، يتدارسون فيها علوم القرآن والحديث والفقه والتاريخ واللغة والأدب .

وكانت تنطلق منها جيوش المسلمين للفتح ، وتعود إليها بعد الفتح .

كيف أصبحت اليوم مهجورة ؟

وا أسفاه على حال المسلمين اليوم !!

إن الجواب هو ما نراه اليوم : مليونان ونصف المليون من يهود يغلبون مائة مليون عربى وستمائة مليون مسلم ، ثم يرزح المسجد الأقصى تحت ظل الاحتلال الاسرائيلى ثم يحرق دون أن يستثير ذلك غيرة المسلمين !

حين كانت المساجد عامرة ، انتصرنا على أعدائنا ونحن يومئذ قليل .

وحين اصبحت المساجد مهجورة ، غلبنا أعداؤنا القليلون ونحن يومئذ كثير .

— ٤ —

وبعد .

أقرأ كل يوم فى الصحف أخبار مواجهات المسئول عن المساجد فى هذا البلد العربى للمسئولين الكبار .

وفى كل يوم أرى تصاوير المسئول عن المساجد مع المسئولين الكبار فى الصحف وفى الاذاعة المرئية ، وقد تهلل وجهه بشرا وفرحا ، وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة .

ترى !!

ايهما اجدى على هذا المسئول عن المساجد ، إعمار مكاتب المسئولين الكبار بالزيارات ، أم إعمار مساجد الله بالمصلين ؟

ايهما اجدى عليه ، رضى المسئولين الكبار ، أم رضى الله رب المسئولين الكبار ؟

يتهلل وجهه اليوم وترتسم عليه الابتسامات !!

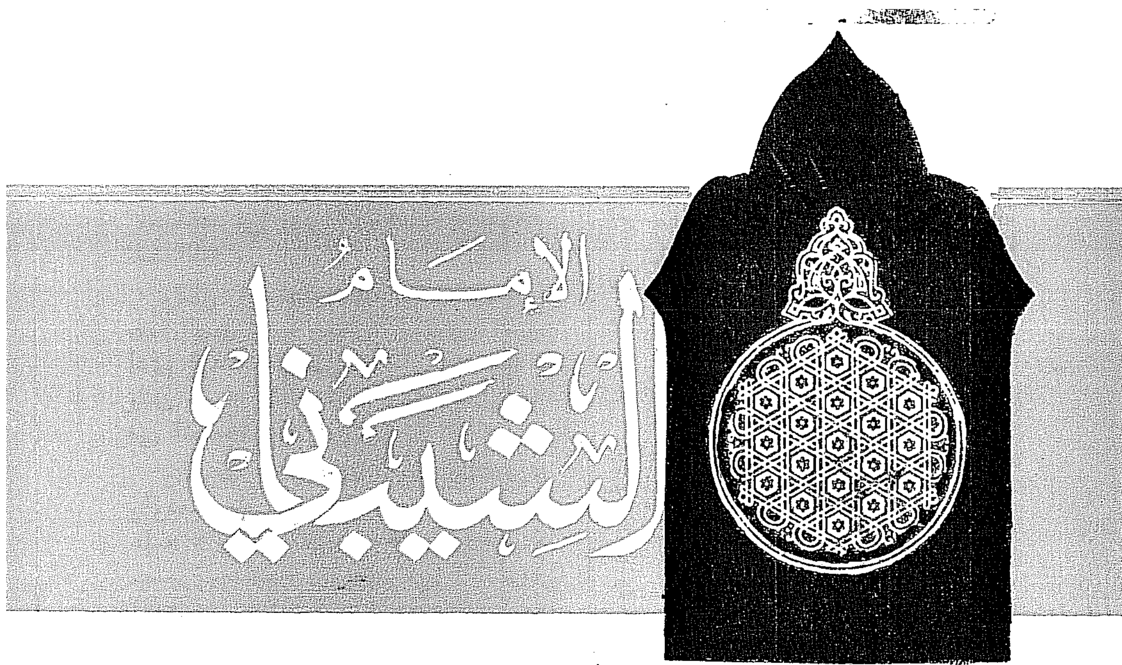
وغدا ستسود وجوه وتبيض وجوه .

وهو يظن أن اتصاله بالمسئولين الكبار سيرفع ذكره ، وحسبه أن يقرأ اسمه فى الصحف ويرى صورته من المجلات والصحف والاذاعة المرئية .

ولكن هذا المسئول ، هو أحرى الناس بأن يعلم ، بأن الله وحده هو الذى يرفع ذكر من يشاء من عباده الصالحين .

وصدق الله العظيم : (الم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك ، الذى أنقض ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك) .

والله أكبر ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .



للدكتور محمد الدسوقى

١ ــ يعد الامام محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى أول من دون الفقه الاسلامى على منهج علمى لم يسبق به ، كما يعد أول من كتب فى العلاقات الدولية الاسلامية كتابة دقيقة مفصلة ، تشهد له بالعقلية التشريعية الخصبة ، وتضعه فى مقدمة الرواد الذين كتبوا فى القانون الدولى .

والإمام محمد الى هذا فقيه مجتهد ، ومحدث حافظ لا يقل درجة عن أئمة الفقهاء وأعلام المحدثين فى عصره ، وقد قام مع ذلك كله بدور فريد فى تاريخ الفقه لم يقم به أحد سواه من المجتهدين ، ويتمثل هذا الدور فى تقريبه بين المدارس الفقهية التى عرفها القرن الثانى ، فقد كان حلقة اتصال بينها ، فضاقت بذلك دائرة الخلاف بين الفقهاء ، واطلع كل فقيه على ما لدى غيره من الآثار والآراء .

٢ ــ وقد ولد الإمام محمد بن الحسن فى مدينة واسط بالعراق فى أواخر سنة ١٣١ هـ على الرأى الراجح ، ولكنه نشأ بالكوفة ، لأن اقامة والده بتلك المدينة لم تطل ، وكان قد انتقل اليها من أجل عمل تولاه بها ، فولد له محمد فى أثناء قيامه بهذا العمل ، ثم لم يلبث أن عاد الى الكوفة واستقر بها ، وشهدت هذه المدينة طفولة الامام محمد ويفاعته وشبابه ، كما شهدت اختلافه الى حلقات العلم والدرس تلميذا وأستاذا .

أول من دوّن الفقه الإسلامي وكتب في العلاقات الدوليّة

٣ ــ وكانت مدينة الكوفة اذ ذاك مهد العلوم العربية ودار الحديث والفقه منذ نزلها كبار الصحابة ، واتخذها على بن أبى طالب كرم الله وجهه عاصمة الخلافة ، لقد كانت تموج بالعلم والعلماء ، وكانت مساجدها تغص بحلقات الفقه والحديث والنحو واللغة والأدب والأخبار ، وهى الى هذا كانت ملتقى الثقافات الاسلامية والعادات العربية الاصيلة بالثقافات والحضارات الاجنبية المختلفة فكانت لهذا حقيقة بأن تكون كما سماها الإمام أبو حنيفة (مدينة العلم) .

٤ ــ فى هذه البيئة العلمية الرفيعة تلقى محمد بعض دروس العربية والرواية بعد أن حفظ القرآن الكريم ، وحفظ ما تيسر له من الأحاديث النبوية الشريفة ثم اتجه الى حلقة الإمام أبى حنيفة ، وكانت طريقة هذا الإمام فى تعليم تلاميذه تقوم على منهج يربى ملكة البحث والتفكير والمناظرة ، فهو لا يلقى آراءه القاء ولكن كان يثير المسائل ثم يشرك تلاميذه فى تمحيصها ومناقشتها ، ولا يسمح بتدوينها الا بعد الاتفاق على رأى جماعى فيها . وفى هذا الجو العلمى المثمر كانت مواهب محمد تتجلى كل يوم وكان أبو حنيفة يسر بتلميذه فيضاعف من الاهتمام به والحرص عليه ، لما كان يتوسمه فيه من الخير والفضل .

وكان محمد فى حلقة شيخ فقهاء الكوفة فى القرن الثانى لا يكتفى بالسماع والمشاركة فى تحقيق المسائل ، فقد كان مع هذا يدون ويسجل ويحرص على ذلك حرصا شديدا ، وكأن هذا الحرص على التدوين فى حياة محمد الباكرة ارهاص بما قام به بعد أن استحصد علمه بتدوين الفقه وتصنيفه فى صورة لم يسبق بها ، وكانت لسائر الفقهاء من بعده نبراسا يعشون الى ضوئه فى التأليف والتدوين .

٥ ــ على ان محمدا كان وهو يحافظ على دروس ابى حنيفة يختلف الى مجالس المحدثين فى الكوفة ويروى عنهم ، ويذكر المؤرخون أن محمدا نشــأ بالكوفة فطلب الحديث وسمع سماعا كثيرا ، وجالس أبا حنيفة وأخذ عنــه فغلب عليه الراى وهذا يدل على انه جمع منذ أيامه الاولى فى طلب العلم بين الحديث والفقه ، وأنه وإن أخذ عن أستاذه الاول الفقه والحديث كان يسعى الى حلقات المحدثين ليأخذ عنهم الأحاديث والآثار .

عن وكيع قال : كنا نكره أن نمشى معه فى طلب الحديث ، لأنه كان غلاما جميلا .

وما قاله وكيع يشير الى حقيقة تاريخية أوردتها كتب التراجم والطبقات ، وهى أن الإمام محمدا كان جميل الخلق وضيئا ، كما كان سمينا ممتلئا صــحة وقوة ، وقد روى أن الامام الشافعى قال عنه : ما رأيت سمينا أخف روحا من محمد بن الحسن .

٦ ــ ومات أبو حنيفة ســنة ١٥٠ هـ بعد أن جلس محمد فى حلقته نحو اربع سنوات كانت بمثابة البذرة الصــــالحة التى صادفت تربة جيدة فنمت وازدهرت وجادت بالخير العميم .

واخذ محمد عن استاذه الثانى ــ وهو الإمام ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم المتوفى سنة ١٨٢ هـ ــ ما حال الموت بينه وبين ان يأخذه عن اســـتاذه الأول وكان أبو يوسف يسلك منهج استاذه فى تحقيق المسائل ، ولم يكن مقررا لفقه شيخه فقط ، بل كان فقيها مجتهدا وإن لم يبلغ مبلغ شيخه فى الفقه ، وكان كذلك محدثا حافظا حتى عد احفظ اصحاب ابى حنيفة للحديث ، ومن هنا يكون محمد قد تلقى عن ابى يوسف فقه أبى حنيفة وفقه أبى يوسف نفسه ، كما تلقى عنه الأحاديث والآثار التى قام عليها الفقه العراقى .

٧ ــ ومحمد لم ينقطع الى أبى يوسف كمــا لم ينقطع من قبــل الى ابى حنيفة ، فهو طالب علم منهوم يسعى وراءه أنى تيسر له فى الكوفة وغيرها من الامصار الاسلامية ، ولذلك كثرت مشايخه وتنوعت ثقافتهم ، فمنهم المفسر ، والمحدث والفقيه واللغوى والأديب والمؤرخ ، وكان يرحل الى من يســــتطيع الرحيل اليه ، ويراسل من يعز عليه لقاؤه .

ويروى انه اتصل بالإمام الأوزاعى عن طريق المراسلة ، وإن كان ما رواه محمد عن هذا الإمام يثبت أنه لقيه ، وربمــا التقى به فى موسم من مواســم الحج ، أو رحل الى الشام ليلقاه كما يرى بعض المحدثين .

أما الذين أخذ عنهم عن طريق الرحلة فهم كثيرون ، وقد تعددت رحلاته الى البصرة ومكة والمدينة ، واخذ عن علماء هذه البلاد ما شــاء أن يأخذ من العلم ، وتعد رحلاته الى الحجاز من أبرز واهم الرحلات العلمية فى حياته ، لأن هذا القطر العزيز كان ملتقى ــ وما يزال ــ كثير من فقهــاء الأمصــــار الاســلامية فى شهور الحج ، وكانوا يهتبلون فرصــة لقائهم فى جوار البيت الحرام ، ومسجد الرسول الكريم ، ليتدارسوا ويتناقشوا ويطلع كل منهم على ما لدى غيره من الآثار والآراء .

٨ ــ والذى لا ريب فيه أن محمدا قد اتصل بكثير من الفقهاء فى موسم الحج ، وأخذ عنهم ولا سيما حين لازم الإمام مالكا ثلاث ســنوات فى أوائل عهد المهدى ليروى عنه الموطأ ، وليسجل مع روايته لهذا الكتاب ما جرى بينه

وبين شيوخ المدينة من مناظرات ومناقشات فى كتابه (الحجة) أو (الحجج) ، ومن ثم كانت لهذه الرحلات قيمتها العلمية فى حياة الإمام محمد ، فهى قد أثمرت مؤلفين هامين من مؤلفاته هما : كتاب (الحجة) و (الموطأ برواية محمد) ، كما أنها أتاحت له معرفة الفقه الحجازى ومدارسته عن كثب ، ومكنته من لقاء كثير من الفقهاء والمحدثين الذين يقطنون ببلاد نائية عن العراق ، فعرف من الأحاديث والآراء الشىء الكثير ، بالاضافة الى ما عرفه على أيدى أبى حنيفة وأبى يوسف وسواهما من فقهاء العراق ، واجتمع له بهذا كله فقه الكوفة والمدينة وآثار العراق والحجاز ، فضلا عن آثار وفقه سائر البلاد الاخرى التى كان فقهاؤها يرحلون الى الحجاز فى موسم الحج أو غيره .

٩ ـ وبعد أوبة محمد الى الكوفة وقد روى الموطأ لا تقدم لنا مصادر حياته شيئا ذا بال عنه إلا بعد أن انتقل الى بغداد فى زمن الرشيد ، ولا ندرى هل جلس محمد من أستاذه الثانى مجلس التلميذ فى الكوفة بعد عودته من المدينة ، أو أن أستاذه هذا كان قد شد رحاله الى بغداد ليتولى القضاء للخليفة المهدى وأن محمدا قد تحلق حوله تلاميذه ليدرسوا عليه وليكونوا فيما بعد رواة لآثاره .. ؟

والذى ترجمه الشواهد المختلفة أن محمدا بعد روايته للموطأ لم يجلس من أحد مجلس التلميذ ، وان كان هذا لا يعنى أن صلته بشيوخه قد انقطعت ، أو أن مناقشاته العلمية معهم قد توقفت ، ولكنه يعنى أن علمه قد استحصد ، ومواهبه نمت وتعددت ، ونبوغه أخذ يستفيض ، وأنه تجاوز مرحلة الطلب الى مرحلة الإمامة فى الفقه والحديث واللغة .

١٠ ـ ولبث محمد فى الكوفة قبل أن يرحل الى بغداد ليقيم بها وبعد عودته الاخيرة من المدينة نحو عشر سنوات ، يدرس ويصنف ويؤلف ، يختلف اليه التلاميذ فى بعض الأوقات ، ويعكف فى بعضها الآخر على الكتابة والقراءة ، لا يشغله عن ذلك شاغل ما ، فلديه ثروة طائلة ورثها عن أبيه ، يسرت له ولأولاده حياة آمنة مستقرة فأقبل على العلم اشد الاقبال بحيث أصبح لا يفكر فى شىء سواه ، وبلغ من ذلك أنه اتخذ وكيلا له يتولى شؤون أولاده وأهله حتى لا يشغلوه بما يطلبون منه عن العلم ومدارسته ، ويبدو أنه كتب معظم آثاره فى هذه الفترة ، التى مكثها فى الكوفة قبل الانتقال الى بغداد فى عهد الرشيد ، ويرشح لهذا ما ذكره الصفدى من ان محمدا حين انتقل الى بغداد اجتمع الناس اليه يسمعون كلامه ويستفتونه ، فرفع خبره الى الرشيد ، واتهم بأنه يحمل معه كتاب الزندقة ، فأرسل اليه بعض رجاله ليحملوا كتبه وأمر بتفتيشها ، ونقل الصفدى عن الإمام محمد فى هذا : فخشيت على نفسى من كتاب الحيل ، فقال لى الكاتب ما ترجمة هذا الكتاب ، فقلت كتاب الخيل ، فرمى به ولم يحمله .

١١ ـ ولم يسع محمد الى بغداد طمعا فى جاه أو منصب ، وانما سعى الى هذه المدينة الجديدة ، لانها اصبحت بعد فترة وجيزة من تمصيرها مدينة العلم بما أنفق العباسيون عليها ، وشجعوا بالبذل والعطاء العلماء والشعراء على النزوح اليها والاقامة بها حتى تضاءلت الى جانبها منزلة الكوفة وغيرها من الامصار التى كانت مراكز العلم والثقافة قبل بناء تلك المدينة التى أضحت رمزا على الحضارة العباسية ونهضتها العلمية والفنية .

وكانت شهرة محمد العلمية قد سبقته الى بغداد كما يفهم ذلك مما ذكره

الصفدى ، وأنشأ محمد فى عاصمة العباسيين يحدث ويفقه ويؤلف ، وامتلأت حلقته بالراغبين فى الاخذ عنه والدارسين عليه ، وأعجب الناس به اعجابا شديدا لورعه وذكائه وكثرة علمه وفصاحة لسانه ، وقد صار محمد فى بغداد المرجع الاول لأهل الرأى فى حياة شيخه أبى يوسف ، ولعل هذا كان أحد العوامل التى لجأ اليها أهل السوء ليفسدوا ما بين الاستاذ والتلميذ .

١٢ — وما دام الإمام محمد قد انتقل الى بغداد من أجل العلم ورغبة فى نشره ، فانه عاش فى هذه المدينة منقطعا الى الاشتغال بالعلم تدريسا وتصنيفا فى اخلاص نادر ودأب متواصل ، وهيام غريب ، حتى روى أن ثيابه كانت تتسخ فلا يجد لديه من الوقت ما يسمح بخلعها ، ولهذا انزعج عندما طلب ليتولى قضاء الرقة ، لحرصه على التفرغ للعلم ، ونفوره من التقرب الى الحكام ، وخشيته من مسئولية القضاء ، ولكنه أكره على تولى قضاء هذه المدينة ، ومع هذا لم يشغله القضاء عن العلم ، فقد أنشأ فى الرقة يكتب ويراجع ويدون ، وقد لازمه مدة بقائه فى قضاء الرقة تلميذه محمد بن سماعة الذى روى عن استاذه كتاب (الرقيات) وهو جملة من المسائل التى فرعها الإمام محمد حينما كان قاضيا بهذه المدينة ، ومن ثم أطلق عليها هذا الاسم .

١٣ — وقد عزل الإمام محمد من قضاء الرقة بسبب جوابه الصريح فى أمان الطالبى يحيى بن عبد الله بن الحسين ، ولم يكتف الرشيد بعزل محمد ، فقد منعه من الإفتاء واتهمه بالعلوية ، ولذا أمر بتفتيش كتبه خوفا من أن يكون فيها شىء مما يحض الطالبين على الثورة ضد الرشيد ، غير أن هذا كان فى الواقع يقدر محمدا ويدرك منزلته بين معاصريه من الفقهاء ، ولكن أهواء السياسة كانت تطغى فى بعض الاحيان على المشاعر الطيبة فيتعرض الإمام محمد لما تعرض له من الإهانة والمضايقة .

وليس أدل على هذا من اختيار محمد ليكون قاضى القضاة ، فلو كان الرشيد لا يدرك مكانة هذا الإمام ادراكا سليما ما اختاره ليتولى هذا المنصب الهام فى الدولة على الرغم من جهره بكلمة الحق الذى لم يصادف هوى لدى الرشيد .

١٤ — ولم يمكث محمد مدة طويلة فى منصب قاضى القضاة ، فقد توفى فى سنة ١٨٩ على أرجح الآراء ، وهو قد عزل من قضاء الرقة فى سنة ١٨٧ ، ولبث فترة ممنوعا من الافتاء ، ثم عين بعد هذا قاضيا للقضاة ، فالمدة التى قضاها فى هذا المنصب إذن تبلغ نحو عامين على وجه التقريب ، وفى هذه المدة الوجيزة حسنت علاقة محمد بالرشيد ، واتسمت بالاخلاص فى غير نفاق أو رياء ، وان جنح محمد الى اصطناع الرفق واللين فى مخاطبة الرشيد ونصحه وافتائه ، ولكنه اللين الذى لا يجور على الحق أو ينال من كرامة العلم .

وقد توفى الإمام محمد فى قرية رمبوية من قرى الرى ، حين ذهب مع الرشيد الى تلك المنطقة ، وتوفى معه فى هذه الرحلة أيضا شيخ النحاة الكسائى ، وروى أنهما ماتا معا فى يوم واحد ، فجزع الرشيد لموتهما وقال : دفنت الفقه والنحو بالرى .

١٥ — هذه صورة عامة موجزة عن حياة الإمام الشيبانى ، ومنها يبدو مبلغ اقباله على طلب العلم وانصرافه اليه ، وانفاقه الاموال الطائلة من أجله ، فقد ورث عن أبيه ثروة كبيرة أنفقها كلها فى سبيل العلم . .

ومن كان مثل هذا الإمام فى شغفه بالعلم واقباله عليه ، ومن كان مثله أيضا فى توقد ذكائه ، وتمتعه بعقلية تشريعية خصبة فإنه يكون ذا أثر بارز فى الفقه ، ومنزلة رفيعة بين الفقهاء .

وقد أومأت فى صدر هذه الكلمة الى المجالات التى ظهر فيها أثر الإمام محمد فى تاريخنا العلمى ، وأود هنا أن أفصل القول بعض التفصيل فى أثره فى مجال التدوين الفقهى ، والكتابة فى العلاقات الدولية .

١٦ — إن تدوين الفقه ظل الى ما بعد عصر التابعين الأولين ممنوعا ، وظلت الآراء الفقهية محفوظة فى الصدور حتى عصر الإمام أبى حنيفة ، وفى حلقة هذا الإمام كان بعض تلاميذه يدون آراء شيخه ، وكان الشيخ فى بعض ما يروى عنه ينهى تلاميذه عن الكتابة ، وفى بعضها الآخر ما يدل على أنه كان يأمر بتدوين المسائل بعد مناقشتها والانتهاء الى رأى جماعى فيها ، ومع هذا لم ينقل أن هذا التدوين الذى تم فى حلقة شيخ فقهاء الكوفة فى القرن الثانى قد خضع للترتيب والتبويب .

وقد أسلفت أن الإمام محمدا كان فى حلقة أبى حنيفة يحرص أشد الحرص على التدوين ، وأن هذا الحرص كان إرهاصا بما قام به من تدوين علمى للفقه لم يسبق به ، وهذه حقيقة تاريخية لا اختلاف عليها ، تؤكدها مؤلفات الإمام الشيبانى ، فهى تراث ضخم يجمع الفقه العراقى وأدلته فى تبويب وترتيب يدل على عقلية علمية تجنح الى تفصيل المسائل وذكر الفروع بطريقة الافتراض والتصور العقلى فى ترابط وتسلسل منطقى مع الاجتهاد فى تقرير الحكم الشرعى لكل مسألة .

١٧ — وتدوين محمد للفقه العراقى الذى لم يسبق به كان الضوء الذى أنار الطريق لتدوين فقه المذاهب الاسلامية كلها بوجه عام ، فقد اتخذ الفقهاء منه قدوة اقتدوا بها فى منهاجه وبذلك دون الفقه الاسلامى كله وحفظ من الضياع . ونما هذا التدوين بمرور الأيام حتى تضخمت تلك الثروة العلمية تضخما هائلا ، وغدت تراثا تشريعيا وفكريا رائعا لم تعرف البشرية له نظيرا فى تاريخها الطويل .

واذا كان تدوين محمد للفقه المصباح الذى أنار الطريق أمام فقهاء المذاهب جميعا ، واذا كانت كتب هذا الإمام لحمة الكتب فى كل المذاهب ، فان لمحمد أثرا جليلا متصلا بالتدوين لم يسبق به أيضا ، وذلك ما يمكن أن يسمى بتدوين الفقه المقارن ، فكتاب الموطأ والحجة دون فيهما الإمام محمد الفقه الحجازى والعراقى فى موضوعية أمينة دقيقة لم تعرف قبله ، وكانت لمن جاء بعده نبراسا لمن كتب فى اختلافات الفقهاء كابن جرير الطبرى ، وابن رشد فى بداية المجتهد ، وابن قدامة الحنبلى فى كتابه المغنى ، وأحمد بن يحيى فى البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار .

١٨ — واذا كان الإمام الشيبانى أول من دون الفقه الاسلامى فانه أيضا أول من كتب فى تفصيل وشمول عن العلاقات الدولية ، وكتابه (السير الكبير) خير شاهد على ذلك ، فهذا الكتاب عمل فريد فى موضوعه ، لم يؤلف فقيه غير الإمام محمد مثله ، سواء الذين تقدموا عليه أو الذين تأخروا عنه .

وكلمة سير جمع سيرة ، ويقصد بها الإمام محمد سيرة المسلمين فى المعاملة مع غيرهم من المستأمنين وأهل الذمة والمرتدين والمشركين .

وقد استوعب الإمام الشيبانى فى هذا الكتاب أحكام العلاقات بين المسلمين وغيرهم فى حالتى السلم والحرب ومسائل الأسرى وحصانة السفراء والمهادنات والمعاهدات ومجرمى الحرب والغنائم وسواها من ادق المسائل التى لم يتنبه اليها فيبحث فيها الباحثون فى القانون الدولى إلا بعد ثمانية قرون أو أكثر .

١٩ — وليس معنى أن كتاب السير فريد فى موضوعه أن مؤلفه قد اخترعه اختراعا ، فالمعروف أن بعض الفقهاء الذين تتلمذ لهم الإمام محمد تحدثوا عن السير كالإمام أبى حنيفة والأوزاعى وأبى يوسف ، ولكن كل ما جاء عن هؤلاء الأئمة كان يدور فى نطاق محدود من القضايا ، وكان أشبه بالمحاولات الاولى بالنسبة للبحث الشامل الذى كتبه الإمام محمد ، فاستحق هذا الكتاب أن يكون فريدا فى موضوعه ، واستحق مؤلفه — عن جدارة — أن يكون رائد التفكير القانونى الدولى فى العالم كله .

لقد استقى الإمام الشيبانى مادة كتابه من الآثار والاخبار من علماء عصره فقهاء ومحدثين ، وكانت هذه المادة الاساس الذى أقام عليه محمد عمله الرائع الذى يشهد له بغزارة العلم ، وعمق التفكير وشمول النظرة ودقة التفصيل والتبويب والتفريع .

٢٠ — وكان المنتظر أن يكون ما كتبه الإمام محمد حافزا للخلف من الفقهاء على الاهتمام بهذا الموضوع والكتابة فيه ، ولكن لم نجد فقيها واحدا كتب عن السير كتابا مفردا ، وكل ما جاء عن هذا الموضوع بعد الإمام محمد فصول موجزة فى كتب الفقه تحت عنوان السير أو الجهاد ، وتتناول غالبا الغنائم وبعض أحكام الشهداء والاسرى ، ومن ثم ظل كتاب الإمام محمد الأثر الوحيد فى تراثنا الفقهى الذى درس فى شمول وتفصيل أحكام العلاقات بين المسلمين وغيرهم فى حالتى السلم والحرب .

ان كتاب السير الكبير عده الرشيد فخرا لعصره ، وهو كذلك ، فما عرف هذا العصر فى العالم كله أثرا علميا خاصا بالعلاقات الدولية مثل هذا الكتاب ، وما عرف غير هذا العصر فى تراثنا الفقهى كتابا مثله ، فهو لهذا فخر الفكر القانونى الاسلامى يعتز به كل الاعتزاز .

٢١ — وما دام الإمام محمد الفقيه الوحيد الذى كتب عن العلاقات الدولية فى الاسلام فى تفصيل وشمول لم يسبق به ، فانه بهذا عد مؤسسا للفكر القانونى الدولى فى الاسلام ، ولأنه سبق (جروتيوس) الهولندى الذى يعد لدى الاوربيين مؤسس القانون الدولى بأكثر من ثمانمائة عام ، فقد توفى جروتيوس سنة ١٦٤٥ م على حين مات الإمام محمد سنة ١٨٩ هـ — ٨٠٤ م ، فان الإمام الشيبانى لذلك يعد مؤسسا للقانون الدولى فى العالم كله .

لقد كتب جروتيوس فى سنة ١٦٢٥ م كتابا تحت عنوان « فى قانون الحرب والسلم » وتضمن هذا الكتاب تنظيما يكاد يكون كاملا لما قد يقوم بين بين الدول من روابط وعلاقات ، ولأهمية هذا الكتاب التزمته الدول فى أوروبا دستورا لعلاقاتها الخارجية مدى قرنين من الزمان ، واعتبر مؤلفه أبا القانون الدولى ، وارتبط اسم جر وتيوس بنشأة هذا العلم لدى فقهاء هذا القانون الغربيين .

ولوجود تشابه كبير بين كتاب (السير الكبير) وكتاب (فى قانون الحرب والسلم) فى المنهج والمبادىء يرجح بعض الباحثين المحدثين أن جروتيوس ربما اطلع على كتاب السير الكبير ، وأنه نقل المبادىء الاساسية التى كتبها الإمام محمد فى العلاقات الدولية ، ثم نسبها جروتيوس الى نفسه .

٢٢ ـ وسواء أكان جروتيوس قد اطلع على كتاب السير الكبير أم لم يطلع عليه فان الإمام الشيبانى سبق جروتيوس بفترة زمنية طويلة ، واعتمد فى كتابه على المصادر الاصلية للشريعة الاسلامية ، وتحدث فى أمور وقضايا لم يتحدث عنها غيره من الفقهاء المسلمين أو سواهم إلا فى العصر الحديث ، ولكن جروتيوس اعتمد على القانون الطبيعى ، فكان الإمام الشيبانى لهذا مؤسسا للقانون الدولى فى العالم كله بلا جدال .

وليس فضل الإمام الشيبانى أنه أول من كتب فى القانون الدولى ، وانما يظهر فضله أيضا فى مجال هذا القانون أن فقهاءه المعاصرين لم يأتوا بجديد بالنسبة لما كتبه الإمام محمد .

٢٣ ـ وقد عرف الباحثون الأوربيون اسم الإمام الشيبانى فى القرن الماضى ، بعد أن ترجم كتابه السير الكبير الى اللغة التركية ، ومنها الى بعض اللغات الاوروبية ، فاهتموا بهذا الإمام ومؤلفاته فى مجال العلاقات الدولية ، وانتهوا فى دراساتهم عن هذا الإمام الى أنه خليق بأن يأخذ مكانه الحق بين رواد القانون العالميين .

وتقديرا لمكانة الإمام الشيبانى فى ميدان الكتابة فى القانون الدولى اسست جمعيات فى ألمانيا وفرنسا وأمريكا تحمل اسم (جمعية أصدقاء الشيبانى للقانون الدولى) والغرض من هذه الجمعيات كما قال دعاتها والقائمون عليها ترجمة مؤلفات الشيبانى وغيره من الفقهاء المسلمين التى تناولت الحديث عن العلاقات الدولية الى اللغات الاخرى ، بغية استكمال المؤلفات العالمية الرئيسية فى هذا الموضوع ، ولذلك ترجم كتاب السير الكبير الى بعض اللغات الاوروبية ، كما أدركت الأمم المتحدة أخيرا قيمة هذا الكتاب ، فترجمته منظمة اليونسكو الى اللغة الفرنسية ، لقد أصبح كتاب السير كتابا عالميا ، وهو جدير بهذا ، ولولاه لما كان فى تراثنا الفقهى عمل فى موضوعه يحمل غيرنا على الاعتراف بفضل فقهائنا العظيم فى مجال الكتابة فى العلاقات الدولية .

٢٤ ـ وبعد فان الإمام الشيبانى عده بعض الدارسين أعظم فقهاء الاسلام لأن أثره الجليل فى تاريخنا الفقهى يفوق أثر غيره من الفقهاء ويكفى أنه أول من دون الفقه على منهج علمى لم يسبق به ، كما أنه أول من كتب فى العلاقات الدولية كتابة تتسم بالشمول والتفصيل ، وهذا فخر للفكر الاسلامى ، وآية على أن رسالة الاسلام هى رسالة العلم والحضارة والانسانية والفضيلة ، فما الشيبانى وسواه من القمم الفكرية فى تاريخنا الا ثمرة من ثمرات هذا الدين القويم الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين .

ماذا يعني العيد في نظر الإسلام

- الرضا بما تم من عمل على وجه سليم والبشرى بجزائه ..
- تدارك ما يحدث من تقصير أو قصور وتصحيحه بجد وحزم .
- أمل واستشراق لمستقبل أفضل ..

للأستاذ حسن عيسى عبد الظاهر

نعم على هذه الدعائم الثلاث يقيم الاسلام معنى العيد فى نفس الفرد ، وفى المجتمع ، ويزكيه ، ويحتفى به .

فالعيد وقفة لإلقاء نظرة على ماض قريب بما له ، وبما عليه ، وعلى حاضر يفيد من تجارب هذا الماضى ، ويبنى عليه خطواته الى الأمام ، ونظرة تطلع لمستقبل متكامل ترتبط فيه الحلقات الثلاث — الماضى والحاضر والمستقبل — فى تماسك بناء يدفع عجلة الحياة الى الأمام ، ويرود لها طريق النجاح .

وحين شرع الإسلام لنا العيدين — عيد الفطر وعيد الأضحى — كان من حكمة ذلك أن ينمى بهما على توالى السنين بأعيادها معانى الكفاح والطهر وتربية الإرادة والفداء والتضحية والعمل الجاد فى نفوسنا ومجتمعاتنا فى سبيل حياة كريمة فى إطار من الإيمان والانسانية الفاضلة .

فيهل علينا عيد الفطر عقب ممارسة جادة لحمل النفس على العمل الخالص ، وفطمها عن الشهوات ، وتربية إرادتها على الحزم والطهر والجدية طوال شهر كامل يشغل فيه الانسان — ليله ونهاره — بالصيام والقيام والعمل وطهر الجوارح ، ومحاسبة النفس .

وينتهى هذا الموسم للعمل على هذه الصورة بيوم هو : عيد يطل فيه الإنسان بنظرة فاحصة على حصاد شهر كامل نموذج للجهد والتربية والانتاج فماذا يرى ؟

يرى منجزات له قد تمت خلال هذا الشهر فى سبيل دينه ودنياه فى مجال نفسه ، ومجال أسرته ، ومجال مجتمعه .

لكن هل تمت كلها على الوجه المطلوب ؟

قد يكون ذلك أو قريب منه ، ولكن مما لاشك فيه أن الكمال لله وحده .

ونحن مطالبون بأن نعمل لبلوغ الكمال وأن ننشده جهد طاقتنا فان لم ندركه كله فلا أقل من أن نقاربه .

وما يتم من عمل على وجهه الصحيح فذلك مبعث الرضا والارتياح . ومن هنا تكون للصائم فرحتان : فرحته هذه العاجلة بما تم له من عمل سليم ، فرحته بيوم فطره يوم عيده « ألم تر أن العمال اذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم » وفرحته المدخرة يوم لقاء ربه فيجزيه الجزاء الأوفى بما هو أهله على ما عمل وقدم .

ومن هنا كان ربط الإيمان للعمل بالجزاء الدنيوى — تعجيلا بالمثوبة واستنهاضا للعزائم ، وبالجزاء الأخروى ادخارا للأجر الجزيل والنعيم المقيم — ربطا لحياة الانسان الاولى بحياته الآخرة حتى لا ينفصم حاضره عن مستقبله ولا ينحصر نظره وهمه فى دنياه فيعيش لها فحسب .

وما لم يتم من عمل على وجهه الصحيح : فاما أن يكون ما حدث فيه من قصور نتيجة ظروف طرأت هى فوق طاقة الانسان ، وإما أن يكون عن عمد فى هذا التقصير .

وكلا الموقفين له حدوده ، ونتائجه المترتبة عليه .

فأما ما يحدث نتيجة ظروف طارئة لا يملك الانسان لها دفعا ولا تخفيفا فهنا يكون مقام الإعذار ، لكن مع شحذ الطاقة فى المسلم ودفعها لعلاج ما نقص وتدارك ما فات وإتمامه جهد الطاقة .

ويأتى هذا متمثلا فى صورة من يفطر فى نهار رمضان لمرض أو سفر فهو حين قصر به جهده عن أداء فريضة الصيام فى حينها العذر طارىء ومقبول فهو هنا معذور ، لكن لا بد للعمل أن يستكمل على صورته ، أو على وجه بديل منها اذا ما انتهى العذر وذلك بقضاء ما فاته ، أو باطعام بديل عن الصوم اذا كان العجز مستمرا .

وهذا العلاج أو ذاك مطلوب القيام به مهما طال أمد إرجائه حين تتيسر ظروف التصحيح والتكميل ، وذلك ليستشعر الانسان ضرورة أداء العمل ، وضرورة الكمال فيه حين يستقيم له أمره ، أو يزول عنه عذره حتى لا تكون هناك ثغرة تدخل على النفس منها عوامل اهتزاز الثقة حين يستوى فى ذلك

الذن يعملون والذين لا يعملون .

إنهما لا يستويان أبدا فى نظر الاسلام . ومن هنا كان الدفع الدائم للعمل وتجويده وتدارك ما يفوت منه وتصحيح ما يقع فيه من خطأ .

وأما ما يحدث من قصور فى العمل ، أو إبطاله نتيجة تعمد ، أو استهتار فهنا يتحدد علاج مثل هذا الموقف بأمرين :

أولهما : أنه لا بد من إعادة مباشرة العمل نفسه مرة أخرى على وجـــه صحيح احتراما للعمل ذاته ، ووفاء للالتزام بأدائه كاملا .

ثانيهما : انه لا بد من المؤاخذة على ما حدث من تقصير واهمال جزاء عادلا ويتمثل لنا ذلك فيمن يأتى أمرا منهيا عنـــه يبطل به صـــومه متعمدا ، استجابة لشهوة ، أو ضعفا فى عزيمة . هنا يلزمه الاسلام بالقضاء ــ الذى هو إعادة العمل مرة أخرى ــ فى صورة صحيحة وكاملة ، ويلزمه أيضا بنوع من العقاب فى صورة كفارة يؤديها مع القضاء حتى يكون هناك نوع من ردع النفس وأخذها بالحزم تطهيرا لها وتربية .

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

وإذا كان هذا صورة لما يتم فى عيد الفطر ــ عيد العمل والكفاح والتربية خلال شهر رمضان قبله ــ فنفس التطبيق نراه فى عيد الأضحى ــ عيد الفداء والتضحية وبذل الجهد وتحمل المشاق . فيشرق صباح يومه بعد عمل جاهد ــ من سفر وتضحية بالمال والوقت وأداء النسك ومشقات ذلك كله ثم ذلك الموقف الجامع على عرفات ــ ويستقبل الحجيج بعد ذلك الجهد يوم عيدهم بالفرحة ، ومع الفرحة موقف للمراجعة لما تم انجازه من عمل . واذا بهم يلهجون بالحمد والشكر على نعمة التوفيق فى أعمالهم التى قاموا بها على الوجـــه المطلوب داعين ربهم **((ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار))**

ومع المراجعة تبدو ثغرات فيما تم إنجازه ، فان كانت لا تؤثر على حقيقة العمل المكلف به فان علاج هذه الثغرات يكون بشىء من البذل والعطاء ممثلا فى هدى يذبح أو صوم تطهر به النفس جبرا لما حدث من فتور أو خطأ .

وان كان ما حدث من تقصير يخل بحقيقة العمل نتيجة خور فى العزيمة ، أو استسلام لشهوة ، أو جهل مطبق لما يأتيه من تصرف يفسد به عمله كأن يستجيب لشهوة الجنس وقت مباشرة أعمال الحج ــ وذلك مما يفسده ــ فهنا لا بد من اعتبار هذا العمل لاغيا ، ولا بد من استئنافه فى عام قابل على وجه صحيح تتلافى فيه الاخطاء ويتدارك النقص .

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

هذا . واذا كان نهاية الصوم عيدا ، وزكاة ، وفرحا وتوسعة ، ونهاية الحج عيـــدا وهديا وفرحا فان ما بعد العيد تجديد لما قبله ، وربط للمستقبل بجذور من الماضى المليء بالعمل والنماء ، بل وتطبيق لنشاط الماضى فى صورة مصححة .

نلمس ذلك من حرص الاسلام ــ مثلا ــ على دعوة المسلم لاستئناف الصيام عقب « عيد الفطر » مباشرة فى صورة نفل تقبل عليه النفس راغبة بعد ان حملت عليه فى صورة فرض تعاقب على تركه .

◆◆◆ ◆◆◆ ◆◆◆

وفى هذا المعنى التفاتة تقتضى الوفاء بحقها :

ذلك أن كثيرا من المسلمين يفهمون من شعائر الاسلام أنها عبادات موسمية تنتهى بانتهاء موسمها ، وتستأنف بحلول هذا الموسم مرة أخرى من عام جديد . وبين انتهائها واستئنافها تنبت الصلة ــ عن غفلة ــ بها . وهذا خطأ فى الفهم وفى التطبيق .

ذلك أن شعائر الاسلام ليست موسمية بقدر ما هى لتربية المسلم وتعويده على استصحاب آثارها دائما فى حياته سواء كان ذلك وقت مباشرتها او بعد وقت انتهائها .

ولنسق لذلك نماذج :

فمثلا شعيرة الصوم ليست فى رمضان فحسب بحيث تنبت صلة المسلم بها الى رمضان قادم ، بل اذا كان الصوم فى رمضان فرضا . فلا بد أن يؤدي فى غير رمضان بأى كيفية من كيفيات الالتزام ــ كفارة ، أو قضاء ــ أو نذرا ، فان لم يكن فنفلا فى كل أسبوع أو فى كل شهر بحيث يكون المسلم على صلة دائمة به طول العام .

وقد كان منهج سيدنا رسول الله عليه وسلم فى ذلك منهجا حيا فكان يتابع الصوم بين الحين والحين لتكون النفس على صلة به حية بآثاره .

كذلك الزكاة : لا ينتهى التزام المسلم بها بأداء النصاب الشرعى فيها ــ زكاة مال كانت أو زكاة نفس ــ بل هناك ــ فى صور أخرى من العطاء ــ الكفارات والنذور فان لم يكن فالصدقات طول العام وبلا حدود .

وكذلك الحج : ليس اطلالة عابرة فى العمر على البيت الحرام ثم :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر

لا : بل ان صلة المسلم بقبلته وبمسجده الحرام صلة موصولة طول العام فان كانت على البعد متمثلة فى الاتجاه اليه فى كل صلاة فهى على القرب مطلوبة بشد الرحال . ثم بتكرار النسك فى أى وقت من السنة وعلى وضع أضيق فى صورة عمرة تجدد الذكرى طوال العام حتى يحين موعد الحج .

وهكذا يكون المسلم ازاء شعائر الاسلام موصولا بها دائما يرتكز حاضره على ماضيه ويبنى مستقبله على أصول راسخة من ماضيه وحاضره فتتصل حلقات الزمان مترابطة يقوى بعضها بعضا فتندفع عجلة الحياة فى صورة متناسقة ومترابطة يعلو فيها البناء : لبنة الحاضر فوق لبنة الماضى ، ولبنة المستقبل فوقهما فلا تنفصم عرى الحياة ، ولا تنقض حلقاتها ، وبين الحلقة والحلقة عيد يجدد الذكريات .

على أن مما ينبغى ان يكون موضع تذكر واعتبار هنا أمران :

أولا : أن الاسلام يرتبط بالحياة — دقيقها وجليلها — ارتباطا يجعل شعائره وعباداته — ليل الانسان ونهاره — تدريبا للنفس البشرية فى عمارتها للأرض بمختلف الأعمال على السَّين الذى تؤدى به هذه الشعائر من الالتزام والصحة ، وما سقناه من أمثلة للصوم والزكاة والحج يلزم أن يكون نموذجا ومنهجا وتطبيقا لبقية الأعمال الدنيوية من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها .

ثانيا : ان دوافع المراجعة للعمل — لاستشعار الرضا والفرح بما تم منه سليما وصحيحا — ولتصحيح النقص الذى يكون قد طرأ عليه وأخذ النفس بعلاج أخطائه بلون من الحزم يتم ذلك كله هنا ذاتيا وبدون تدخل مباشر لأية سلطة على نفس المسلم الا سلطة الايمان ومراقبة الله تعالى أولا . فيتمم قضاء ما فاته ، وأداء ما لزمه من كفارات .

وهذا الأسلوب فى أداء العمل على تلك الصورة تتوفر لنا به أمور :

منها : تربية حاسة النقد الذاتى فى الفرد فيراجع عمله بنفسه حتى ولو كان ذلك فى يوم عيده فيعرف وجه الصواب ، ووجه الخطأ فيما يأتى وفيما يدع ، وتتوازن مشاعره فى عمله فيكون صالح العمل دافعا للمزيد ، ويكون ناقصة منبها ومعلما لمعاودته على وجه سليم .

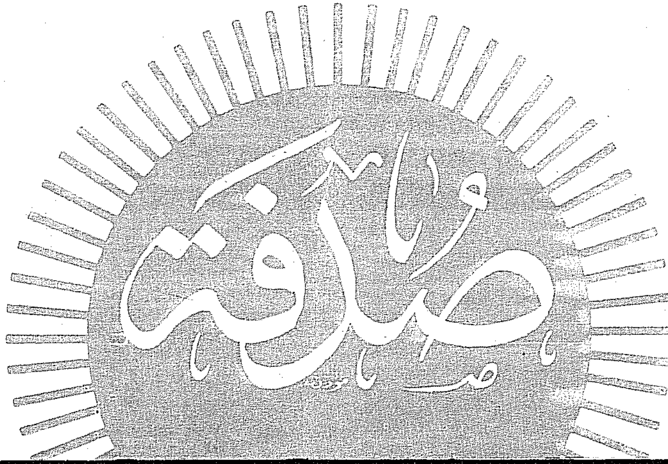
ومنها : احترام العمل لذاته . ووجوب أدائه صحيحا، وتصحيح خطئه . ومن هنا كان لزوم القضاء ولزوم الكفارة مهما تقادم العهد بالعمل الناقص اذ يظل معلقا فى عنق عامله حتى يقيم عوجه وفى ذلك تربية على احترام الحقوق وأدائها على وجهها ولذاتها .

ومنها : ارتباط معنى العيد بقيم يعتمد عليها العمل فى وجوه أدائه ووجوه السلوك والأخلاق التى يؤدى بها فيكون للعيد بذلك معنى بناء وهادف لا معنى لاهيا أو غافلا .

ومنها : أن يتضمن كل عيد اضافة جديدة بالنسبة للمسلم اذ تتمكن من نفسه معانى الاخلاص والاتقان وتجنب الأخطاء ما أمكن ومحاسبة النفس أولا بأول ، كما يتضمن اضافة جديدة بالنسبة للعمل ذاته بالالتزام بأدائه على وجهه المطلوب وفى صورته المتكاملة فينمو وتنمو به الحياة .

ومن هنا كان معنى العيد فى نظر الاسلام ايجابيا للعامل والعمل فى اضافة لبنات فى صرح النضج الانسانى والحضارى وإخصاب المجتمع بانتاج متكامل ونام فى سبيل مستقبل أفضل ترعاه عين الله وتباركه .

والله ولى التوفيق ..



أم قصد وتدبير

للأستاذ :
عزت محمد ابراهيم

العلم اليـوم هو شغل النـاس الشاغل فى باب العقيدة والإيمان ، فقد حسب ضـعاف الناس نفسا واهونهم إيمانا أن فيه فصل الخطاب لما كان يدور فى أنفسـهم من انكار فارتاحوا لما ظنوا أو ظنوا أنهم قد ارتاحوا . **« وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون »** .

وهناك فريق آخـر من أصحاب العلم والتجـربة ، ومن ذوى الفكر الثاقب الذين لا يحسبون من عـامة الناس واوشابهم فهما وذكاء ومقدرة، وهم مع ذلك سواء فى الانكار وسوء الظن بالدين،لانهم كابروا واستكبروا، وأقاموا من العلم معبودا لهم ، يقيمون له الطقوس والمراسيم ، ويقدمون له الذبائح والقرابين ، فأضلوا أنفسهم قبل أن يضلوا غيرهم من الناس .

من هؤلاء العالم الانجليزى «جوليان هكسلى » صاحب كتاب « الانسـان يقوم وحده » المترجم الى العربيـة بعنوان : « الانسان الحديث » .

و « هكسلى » عريق فى الانكار وراثة ودما يجرى فى عروقه ، فجده « توماس هكسلى » هو صـاحب « دارون » ومؤازره فى نظرية النشوء والتطور ، فالمسألة عنده مسـألة انتصـار للعلم المتوارث أو الانكار المتـوارث ، وهى عنـده أقرب الى اللجاجة والعناد ، والمكابرة والمحافظة على الإرث القديم بكل ما عرف عـن الانجليز من محافظة على قديمهم .

وليس « هكسلى » بالمثل القليـل النادر فى هـذا المجال بين مفكرى الانجليز فقد سبقه « جون ستيوارت ملى » الى مثل هذا الانكار مقتفيـا أثر أبيه الذى انكر المعتقدات الدينية فى أخريات حياته ومات على إنكاره.

وقد رد على « هكسلى » كثيرون منهم « كريس موريسـون » رئيس المجمع العلمى الامريكى وقد ضـمن رده كتابه « الانسان لا يقوم وحده » وقد ترجم الى العربية بعنوان « العلم يدعو الى الإيمان » .

ويسوق « موريسون » فى كتابه — الآنف الذكر — أكثر من دليل ينفى الصدفة فى الخلق ، ويعدها من عبث التفكير الذى لا يجمل بالعلماء الدارسين لأنه لا يصح أن يصدر عن أبسط العقول تفكيرا وأقلها مقدرة على البحث والاستنتاج ، فان الشمس لها درجة حرارة معينة ، ولها بعد معين عن الكرة الأرضية ، فلم كانت على هذه الدرجة من الحرارة دون غيرها ؟ ولم كانت على هذا البعد من الأرض ولم تكن أقرب منها أو أبعد ؟

وتكون الإجابة أنه لو زادت درجة الحرارة بمعدل خمسين درجة فى سنة واحدة ، فان كل ما على الارض من نبات يفنى ، وكل إنسان يموت احتراقا أو تجمدا .

وللقشرة الارضية سمك معين ، فلم كانت قشرتها على هذا النحو ولم تكن على نحو غيره ؟

وتكون الإجابة أن لو كانت قشرة الأرض أسمك مما هى عليه ببضعة أقدام لامتص « ثانى أكسيد الكربون » غاز « الأكسجين » وما أمكن وجود النبات الذى عليه تتوقف دورة الحياة .

ويسألون سؤالا ويجيبون الجواب الذى يؤكد حقيقة خالدة لخالق عظيم ، خلق كل شىء بقدر ، وقدّر لكل كوكب فى هذا الكون مكانه الصحيح الذى تتحقق به الحياة ، ويكون به الوجود . **((لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون))** .

إن الخالق العظيم الذى خلق هذا الكون ودبره ، هو الذى خلق الانسان من سلالة من طين ، ثم جعله فى قرار مكين ، لأن الذى خلق هذه العين البشرية بما فيها من شبكة تتلقى الصور والمرئيات ، لا بد أن يكون هو ذاته الذى خلق الشمس وأذن لها أن تبعث بأشعتها الى الأرض لتكمل دور شبكة العين فتتحقق لها الرؤية ، وإلا كان خلقها بغير فائدة ترجى منها ، إذا كان الأمر أمر صدفة عمياء لا أمر قصد وتدبير .

((لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون)) .

وما استطاع العلم بكل فتوحاته وغزواته أن يأتى بحقيقة تخالف هذا الإيمان بغير أن يعرض لها العقل فيكشف زيفها ، أو يعرض لها العلم نفسه فيقر باستحالتها .

وما من ادعاء علمى فى باب الجحود والانكار قد حظى بموافقة شاملة من أصحاب العلم جميعا .

ويتحدث « موريسون » عن أصل الحياة حديث العالم الذى يزن كل كلمة بميزان المنطق الدقيق ، ولا يخرج من حديثه بغير حقيقة واضحة جلية هى أن هذا التدبير المحكم لا يمكن أن يكون وليد صدفة ، ولا يمكن أن يكون من عمل المادة الصماء الجامدة التى لا تعى ولا تعقل .

« إن مئات الآلاف من الخلايا تبدو كأنها مدفوعة لأن تفعل الشىء الصواب فى الوقت الصواب ، وفى المكان الصواب ، والحق أنها طائعة ، والحياة تدفع الى الامام ، بانية ، وخالقة ما هو جديد وما هو أفضل بنشاط لا يفتر ولا يقاس بما فى الأشياء الجامدة ، فهل هذا ناتج عن إدراك ؟ أم عن غريزة ؟ أم أنه مجرد حدوث فحسب ؟ ويمكنك أن تجيب على ذلك بنفسك » .

أجل ، يمكنك أن تجيب على ذلك بنفسك ، ولا حاجة بك الى دليل يرشدك غير دليل العقل الصحيح ، والمنطق السليم البرىء من الغرض ، المنزه عن الهوى .

ومن تمام العلم بالله والإيمان به ، النظر فى مخلوقاته ، وتأمل ما تأتى وما تدع ، وما جعلها الله عليه من إحكام وتدبير ، والتأمل فيها بعد ذلك

هو إقرار من الإنسان بعجزه وضعفه حيال أصغر مخلوقاته وأكبرها على السواء ، فان العلم الذى جر بعض الناس الى إنكار الخالق ليقف عاجزا مكتوف اليدين ، لا يقدر على تعليل أبسط الأمور فى معجزات الخلق والتكوين .

والإنسان اليوم فى أوج مجده العلمى ينظر الى عنكبوت الماء فيأخذه العجب ، ويقف حائرا وهو يرى أنثاه تصنع لنفسها بيتا من النسيج تثبته تحت الماء ، ثم تأتى بفقاعات الهواء تطلقها أسفله حتى ينتفخ البيت البالونى فتلد فيه صغارها فى أمان من هبوب الرياح .

وعجب الإنسان من عنكبوت الماء لا يقل عن عجبه من ثعابين الماء التى تهاجر من البرك والأنهار لتضع بيضها فى الاعماق السحيقة من المياه ثم تموت فيها ، وتخرج صغارها من هذه المياه لا تعرف غيرها ، ثم لا يعلم غير الله السر الذى يدفعها الى أن تعود الى حيث نزحت أمهاتها من مهاجرها الأولى .

وفى ولاية « نيو انجلند » فى أمريكا تخرج ملايين الجراد من شقوقها تحت الأرض فى سنتها السابعة عشرة فى اليوم الرابع والعشرين من شهر مايو فهل اجتماع كل هذه الملايين فى هذا اليوم المحدد من هذا الشهر هو من قبيل الصدفة ؟ أم هو النظام الدقيق المحكم الذى يدفع الى التأمل وامعان النظر فى دقته وإحكامه .

لا مكان للصدفة فى ذلك لأن الصدفة تكون فى حالة أو حالتين ، ولا تكون فى جميع الحالات ، فتهاجر كل ثعابين الماء الى مكان معين فى وقت معين لتضع بيضها ، ثم يخرج منها صغارها فتعود الى موطن أمهاتها الذى هاجرت منه ، وتخرج هذه الملايين من الجراد فى يوم واحد بعد زمن واحد من بقائها تحت الأرض .

ان القول بدور الصدفة فى هذا الأمر ، لانه نظام ، ولان النظام والصدفة نقيضان لا يجتمعان .

وفى شؤون حياتنا العابرة ما ينفى عمل الصدفة فى أبسط الاشياء ، فقد يتقابل اثنان فى شارع ما فى ساعة ما من النهار ، فيقال انها صدفة ، فاذا تكررت المقابلة مرة وأخرى وثالثة انتفى عمل الصدفة وأصبح من المحتم البحث عن علة أخرى تخالفها .

ولو أن الصدفة هى التى تحكم عالمنا الذى نعيش فيه — اذا صح للصدفة أن تحكم وتتحكم فيعيش فيه كل كائن على هواه ، وحسب طبيعته، اذن لرأينا الحشرات تنمو فلا تقف بنموها عند حد ، ولما كان لها هذه الأنابيب التى تتنفس منها ، فتقف بها عند هذا القدر الذى نراه عليها ، فيسهل التخلص منها والقضاء عليها ، والا فأى مسحوق أو مادة كان فى استطاعتها اليوم القضاء على ذبابة فى حجم الأسد ، أو عنكبوتا فى حجم الفيل ، هذا اذا كان فى وسع الانسان أن يبقى حتى اليوم فى عالم يجمع بينه وبين مثل هذه الكائنات .

فلم تخلق إذن هذه الأنابيب عبثا ، ولم تستبدل بالرئتين صدفة ، وانما كان ذلك عن قصد واع ، وتدبير محكم ، هو عالم الحيوان كما هو فى عالم النبات ، فاذا أراد الانسان أن يغير شيئا من هذا النظام ، نال وبال فعله ، كما حدث عندما نقلت استراليا نبات الصبار اليها لتتخذ منه سياج وقاء ، وهو ليس من نباتها ، فكانت النتيجة أن امتد زحف هذا النبات حتى استولى من أرض استراليا على ما يوازى مساحة انجلترا ، فأتلف الزرع وزاحم الانسان فى أرضه ، ولم ينجه من خطر هذا الجيش الزاحف فى صمت سوى اكتشاف حشرة لا تعيش على غيره .

ولم يخلق الانسان هذه الحشرة ، ولم يصنعها علماؤه فى معاملهم ، وانما خلقها خالق نبات الصبار ، وخالق كل شيء ، وما هم فى الضعف وقلة الحيلة الا كما وصفهم عز وجل فى محكم آياته : **« وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب »** .

وقد قال أصحاب نظرية التطور بنظريتهم ، ولم يكن علم الوراثة قد اكتشف بعد سر وحدات الوراثة « الناسلات » ، صاحبة الاثر البعيد فى تكوين المخلوقات حتى ليكون من اثرها تشابه لون أجنحة الفراشة للون أجنحة أبويها فى دقة متناهية « فحين تطير الفراشة فى الهواء بكل الوانها الباهرة نرى بالميكروسكوب أن أجنحتها مغطاة بقشرة تشبه الريش ، وأن كل بقعة حمراء أو سمراء أو خضراء أو صفراء ، هى فى مثل المكان الذى كانت فيه على الفراشة الأصلية ، وترقيطها يشبه ترقيط أبويها من كل الوجوه الى حد ميكروسكوبى تقريبا » . وهو دليل جديد يقنع أصحاب النظر المادى والتجربة الملموسة بأن الكائنات لا تكون من ارتقاء وتطور ، وإنما تكون فى هذا السر المودع فى ناسلاتها فيشكلها على شاكلة أسلافها على تتابع الازمان والاحقاب .

وما زال الدليل يأتى تلو الدليل على بطلان القول بأية وسيلة للخلق تتنافى مع وسيلة خلق الانسان فى أحسن تقويم .

وهى ليست أدلة تأتى من المناهضين والمنكرين للتطور والتطوريين فحسب ، بل هى أدلة تأتى منهم أنفسهم بعد أن رجعوا الى جادة الصواب ، فأنكروا ما كانوا بالامس به يتشدقون .

وليس ذلك من قبيل القاء الكلام على عواهنه ، ولا هو من قبيل الكلام الذى يدفع إليه الحماس والاندفاع ولكنه من قبيل الكلام الذى تؤيده الشواهد وتسوق اليه الحجج والبراهين .

وليس أرجح فى ذلك ولا أدل فى بابه من داروين نفسه صاحب نظرية التطور الذىقال فى كتابه « حياة ورسائل » ما نصه :

« إن ثمة مصدرا آخر للاعتقاد فى وجود الله ، يرتبط بالعقل ، وله فى نظرى أهمية أكبر بكثيرمن المصادر المتعلقة بالمشاعر والاحاسيس . وهذا المصدر يأتى من الصعوبة البالغة — أو بالأحرى استحالة تخيل هذا الكون الفسيح الرائع الذى يشمل الانسان بقدرته على النظر الى الماضى البعيد والى المستقبل البعيد ايضا — على أنه ظهر نتيجة للمصادفة وحين أفكر بهذه الطريقة أشعر بأنه لا بد لى من البحث عن علة أولى لها عقل بصير ، وهذا يعطينى الحق فى أن أوصف بأننى مؤمن بالله . »

ولقد تقدم العلم اليوم ما شاء الله له أن يتقدم ، ويستطيع الجراح أن يساعد على التئام الجروح ليس إلا وليس فى وسعه أن يجعل خلايا الجسم تنمو لكى تنشىء ذراعا فقدت ، أو رجلا بترت ، ولكن الله عز وجل وضع هذا السر فى أضعف مخلوقاته : مثلا وعبرة للناس فان دودة صغيرة هى «دورة الطُعم» تُقطع رأسها فتبادر على الفور الى صُنع رأس بدلا منه .

ولا نقول اليوم ما قيل بالأمس ، اللهم إيمانا كإيمان العجائز ، بل نقول: اللهم إيمانا على هدى وبصيرة ، وعلى علم وتدبر ، فان العلم يهدى للرشد ، ولا يدفع الى الزيغ الا من كان فى قلبه مرض وقد كان العلم فى بدء طريقه حين بهرت كشوفاته واحدا من العلماء فقال : أعطنى ماء ومواد كيماوية ووقتا كافيا أخلق انسانا . ولا يقول اليوم مثل هذا القول انسان به مُسكة من عقل . وذاك لان قليلا من العلم يعمى ويضل ، وكثيرا منه يهدى ويرشد .

تأملات أخلاقية

فكرة الواجب في الأخلاق

للاستاذ : سعيد زايد

(الواجب) هو ما على الانسان أن يفعله نحو الناس ونحو نفسه ، وهو بذلك يخالف (الحق) فهذا الأخير هو ما للانسان عند الناس وعند غيره . ويختلف (الواجب) في ميدان الأخلاق عنه في ميدان القانون ، فهو من وجهة النظر الأخلاقية يرجع الى احساس الشخص واحترامه للرأى العام ، ولكنه من وجهة النظر القانونية يرجع الى خوف الشخص من العقاب ، فهو بهذا يتضمن شيئا ماديا خارجيا مثل السجن ..

ويبغى (الواجب) الخير الحقيقى للانسان ، وهو دافع أخلاقى ينظر الى الفعل الاخلاقى كغاية بعيدة كل البعد عن المنفعة والشهوات والأغراض ، ويمكن اعتباره نوعا من الأمر أو النهى للوقوف الى جانب الخير والابتعاد عن الشر دون أى ضغط خارجي . فالانسان حر فى قبول الفعل الأخلاقى بمحض اختياره لأنه يملك السيادة النفسية ، ولذلك كانت أوامر العقل بالفعل أو بالامتناع أحكاما لذاتها لا تبغى الأمور الخارجية والخوف من العقاب ، وانما التخلق للواجب فى ذاته .

(فالواجب) مطلق لا يحسب للأغراض أى حساب ، والتخلق — فى مجاله — لا يرتكز على هواجس النفس ، وانما على العقل والارادة . وبذلك يصبح عاما ، كما يقول العلامة كانط : « تخلق بحيث يكون تخلقك واحدا لكل الناس » فهناك شروط ثلاثة لفعل الواجب : أولها أن يؤدى من غير نفع شخصي ، وثانيها أن يفترض فاعله التضحية حين الأداء ، وثالثها أن يتضمن الفعل نوعا من الزهد فى الجزاء والسمو الى عالم المثل .

ويمكن القول بأن المدرسة الاجتماعية الفرنسية قد انتهت فى أبحاثها ، الى ما انتهى اليه العلامة كانط وان اتبعت طريقا آخر مخالفا لما سار هو عليه . فهناك تمييز — نجده عند دوركهيم — بين نوعين من الافعال : أفعال تتضمن عقابا ،

كالاسراف فى تعاطى شىء ما وأخرى عقـابها خارج عن الفعل ذاته .
فالأساس الأول للتفسير الاخلاقى عند دوركهيم هو المجتمع ذاته ، فالعرف والتقليد والعادات لها أصول ولها منطق معين ولها أحكامها الواجبة التى تقع على كل خارج عنها . و (الروح الكلية) عند المدرسة الاجتماعية الفرنسية تفرض علينا ضغطا ونوعا معينا من السلوك من يخرج عليه يعد مارقا فى نظر المجتمع . والواجب الاجتماعى يبلغ من السمو مبلغ الواجب النفسى ، لأن الأول يراعى المجتمع ، والثانى يراعى الانسانية من وجهة النظر العامة .
وتنقسم الواجبات حسبما يتراءى للمفكرين ، وحسب الأساس الذى تبنى عليه هذه التقاسيم . فالتقسيم يقوم تارة على تمييز لطبقات المجتمع مثل :
١ — واجبات أصحاب الجاه والسلطان .
٢ — واجبات الملاك والراسماليين .
٣ — واجبات الطبقة الوسطى .
٤ — واجبات الطبقة الفقيرة .
وهناك تقسيم آخر يوجد عادة فى كتب الاخلاق ، هو :
١ — واجبات خاصة للفرد نحو عقله وجسمه .
٢ — واجبات خاصة بالعائلة من والدين واخوة وزوجة وأبناء . . الخ .
٣ — واجبات اجتماعية ومحورها فكرة العدل .
٤ — واجبات سياسية مثل الانتخاب .
٥ — واجبات اقتصادية ، مثل الادخار والمساهمة فى بناء الحياة الاقتصادية للأمة .
٦ — واجبات دينية ، كواجب الشخص نحو ربه .
٧ — واجبات انسانية ، كواجب الفرد نحو الانسانية ، وما يتضمنه من عطف نحو أفرادها .
وهناك تقسيم ثالث يقوم أساسا على الطبيعة الانسانية ، وعلى اعتبار الانسان حيوانا عاقلا وكائنا مفكرا يمكنه ادراك الحقيقة ناصعة واضحة ، وهو :
١ — واجبات عامة دائمة لا تتأثر بتغير الزمان والمكان لأنها تشتق من طبيعة الانسان كمخلوق له عقل يميز به الغث من السمين ، مثل : (لا تسرق) (لا تكذب) (اخلص للوطن) و « احترم أقرباءك ومعلميك وكل من هو أكبر منك سنا » وهكذا .. فهذه أوامر ترسم لنا واجبات ضرورية حيويةلبقاء الفرد والمجتمع .
٢ — واجبات فرعية وان كانت لا تقل فى عموميتها ودوامها عن الاولى ، أطلق عليها بعض العلماء الحقائق الاخلاقية ، كالاحسان الى الغير والعدل بين الناس .
هذا ملخص للفكرة العامة عن الواجب فى ميدان الاخلاق والتقسيمات التى تناولته من وجهة نظر المدارس الفلسفية المختلفة ، ولا بأس من أن نعرض هنا — اتماما للفائدة — نظرية قال بها العلامة (جيو) والآراء التى قيلت فى الرد عليها .
قال العلامة سبنسر : « ان الحياة نوع من الامتلاء ، تتطور نحو التعدد ونحو أشكال جديدة من المخلوقات المتباينة ، والعالم يسير دائما الى الأمام وفقا لهذا التطور » والظاهر ان العلامة جيو قد حذا حذو سبنسر فى ميدان الأخلاق . فالأخلاق عنده ما هى الا مظهر الحياة ، ومن طبيعة الحياة — كما نعرف جميعا — الاتساع والتشعب ، فالحضارة والتمدين والروح الاجتماعية تدعو الى التوسع فى الاتصالات وتبادل المعاملة بين الناس . فاذا نظرنا الى الناحية الاقتصادية مثلا ، نجد المنتجين والمستهلكين وما يؤدى ذلك من

تشابك المصالح وتبادل المنافع ، وذلك لا يتم الا باجتماع الناس أو التفاهم بينهم . واذا انتقلنا الى الناحية الانسانية نجد حاجة الفرد الى التناسل ومجهوده فى تربية أولاده ليصبحوا مواطنين صالحين . وغير ذلك من مظاهر الترابط بين الناس الذى يبنى على العنصر الشعورى للفرد من مشاركة فى الافراح ومواساة فى الأتراح . وما دام هذان العنصران لا يتنازعان لأنهما مظهران متوازيان ضروريان للحياة العادية ، فان الأخلاق تصبح مظهرا من مظاهر الحياة وليس من الضرورى وجود (واجب) يضغط على الانسان للتخلق فهو شكلى فى الغالب سواء عند القدماء أو عند المحدثين ..

هذا الانكار للعلامة (جيو) (للواجب) جعله يستعيض عنه بدوافع متعددة تدعونا الى التخلق هى :

١ ـ الاحساس بالقدرة الداخلية وأهمية الشخصية .
٢ ـ هناك آراء تدعونا الى التخلق وهى آراء نؤمن بها شخصيا .
٣ ـ الاندماج الاجتماعى واصطباغ المسرات والآلام بلون اجتماعى .
٤ ـ حب المخاطرة فى المعاملات .
٥ ـ محبة المثل الأعلى الذى يعد نوعا من المخاطرة الاخلاقية .

هذا تلخيص لرأى العلامة (جيو) وهو رأى خطير فى رفع الشعور بالواجب وعدم احترام آراء أخلاقية معينة ، يخشى منه أن يؤدى الى الفوضى الاخلاقية . فان تجاهل قانون أخلاقى معين ، أو مبدأ أخلاقى خاص والنظر الى الفرد كمجرد كائن يعيش فى مجتمع ويخضع لأشياء مرسومة ان صح أن يكون فى عالم الحيوان ، فانه لا يصح فى عالم الانسان .

ففكرة الواجب ضرورية فى عالم الأخلاق .

٢ ـ المثل الأعلى والواقع

نستطيع أن نقول أن كل مذهب فى علم الأخلاق الفلسفى هو مذهب مثالى عملى ، اذ يفرض أننا نضع نصب أعيننا غايات ينبغى أن توجد ، فهو يفرض نوعا من الشعور القوى يقترن به تصور ما ينزع اليه ، اذ أن الواقع لا يرضى حاجات النفس ، والا فما كنا فى حاجة الى مثل أعلى ولا أخلاق فلسفية على الاطلاق .

ومع ذلك نستطيع القول أيضا أن كل مثل أعلى تستخدمه الأخلاق لا ينبغى أن يكون فوق الواقع فحسب ، ولكن ينبغى أيضا أن يكون بينه وبين الواقع صلات تسمح بأن يقتربا من بعضهما ، فمن الوجهة الشخصية يجب أن يكون فى الامكان قبول المثل الأعلى ، ومن الوجهة الموضوعية يجب أيضا أن يكون فى الامكان تعقبه فى عالم التجربة والاعتقاد بأن أشخاص الانسان الذين يجب عليهم أن يريدوا وأن يفعلوا هم أشخاص حقيقيون فى الواقع ، والعالم الذى هو مسرح لارادتهم وأفعالهم هو عالم حقيقى ، وأن كل ما تستلزمه الأخلاق ينبغى أن يكون ممكنا من وجهات النظر الطبيعية والنفسيةوالتاريخية .

ولا ينبغى القول بأن المثل الاعلى يناقض قوانين العالم الواقعى ، فالذى يرفض مذهبا فلسفيا فى الأخلاق لأنه يقول بمثل أعلى فان رفضه هذا يتضمن أن المثل الأعلى عديم الصلة بالواقع ، وهو فى الوقت ذاته يسير على مثل عليا يصنعها لنفسه . فالواقع أن أى انسان لا يستطيع أن يتبرأ من كل مثل أعلى ، وانما الخلاف هو حول أى المثل العليا ينبغى أن يتخذها لنفسه .

والعلم النظرى مثالى دائما فهو يعتمد على مبادىء ومصادر بسيطة

ولا تطابق التجربة أبداً ، والفكر الانشائى المعقول لا يحصل الا لأننا ننظر فى عامل جزئى فى الموضوع ثم نستخرج منه كل النتائج ، فالهندسة مثلا تنظر الى الأشياء من حيث تميزها عن بعضها فحسب ثم تستنبط قوانين عامة دون اعتبار لسائر صفات الأشياء ، فهى بهذا المنهج تنشىء حيزا مثاليا ، وكذلك علم الأخلاق باعتماده على علم النفس والتاريخ ينشىء ضميرا مثاليا ، فضمير الانسان يتألف من عوامل مختلفة أو متقابلة أحيانا ، فالمحاكاة والعرف المتواتر والأنانية والطمع وحساب رأى الآخرين وخوف العقاب والتقوى ومحبة الناس والتدين والشعور الاجتماعى ، كل هذه وغيرها تضطرب فى الضمير العادى . فالضمير ليس شعورا بسيطا كما يحسب أحيانا ، فالتعاليم المختلفة فى الأخلاق ليس مجال تنازعها التاريخ والنوع الانسانى فحسب ، بل انها تتنازع أيضا داخل ضمير الانسان ، فالمصالح المختلفة والغايات تتنازع فيما بينها لتقرير أيها ينتهى بالفصل فى التقدير الذى يقدر به كل انسان أفعاله او افعال غيره من الناس .

والمحاولات التى تبذل فى سبيل بسط علم أخلاقى معقول يجب أن يكون أساسها قائما على محرك جزئى للتقدير ، وهى بذلك انما تسلك مسلك المثل الأعلى .

وتاريخ الأخلاق الفلسفية خير شاهد على محاولة المفكرين شرح هذه المحركات وبسطها للأنام . فهذا (هوبز) و (بنتام) يستندان على عامل الأنانية أو المصلحة الشخصية، وهذا (هتشسون) و (هيوم) و (آدم سميث) يستندون على الشركة الانفعالية بين الناس أى التى تقوم على الاشتراك فى المصالح ، وهذا (هيجل) يستند على معنى الدول والاجتماع الحضارى .

وأهمية الأخلاق الفلسفية هنا هى دفع الغايات المختلفة التى قد يقصدها الناس وما يصدر عنها من نتائج الى درجة الضمير الكامل ، وهذا ما يوضح مختلف المثل العليا وما بينها من نزاع هو من أكبر الفوائد التى يعطيها علم الأخلاق النظرى الى الاجتهاد الخلقى العملى . وقيمة الفائدة تتوقف على محرك التقدير المختار للدرس لأنه بناء عليه تقدر كل المحركات وكل الميول بواسطة الأساس المختار حسب الوصول بها مباشرة أو بالواسطة الى اتجاه المثل الأعلى الذى يهدى اليه الأساس .

والفرق هنا بين العلم النظرى والعلم العملى هو أن كل المثل العليا عبارة عن مقربات نحو الحقيقة التى هى الغرض الذى يحاول الفكر أن يبلغه ، ومن الوجهة العملية تكون الحقيقة هى التى ينبغى أن تعدل وتقرب من المثل العليا .

ولكن القول أن المثل العليا تبتعد عن الواقع من جهات ثلاث هى :

١ — أن الارادة والفعل الحقيقيين يشتملان على عناصر مضادة مباشرة لما تقتضيه الأخلاق ، وهذه العناصر تكبح الأخلاق جماحها وتحاول ابعادها عن العالم الخلقى .

٢ — أن الارادة والفعل الحقيقيين لا تعطيان فى أغلب الأحيان الا جزءا ضعيفا ناقصا مما تتطلبه الأخلاق .

٣ — ربما احتاجت الارادة والفعل الحقيقيان الى مطابقة العقل والوحدة والانسجام ، فيشعر الانسان باندفاعات مختلفة ونزعات متضادة . وهنا لا بد من تأليف وتركيز وجمع وتوفيق بين العناصر المتفرقة المتنافرة، ويحاذى كل هذا فى الحياة الارادية العملية تنفيذ جملة من الحركات والتصورات المركبة ، والقدرة على انجاز التفكير وتغليب الآراء وذلك سبيله العزم والتقرير .

مفهوم الزهادة في الإسلام

للشيخ ابو الوفا مصطفى المراغي

الزهد أو الزهادة .. فكرة اخلاقية قديمة ، عرفتها كثير من الأمم قديما وربما تكون قد عرفتها قبل أن تعرف الأديان .. وحين جاءت الأديان استغلت من نصوصها ما يلائم موضوعها ، وفى الأديان سماوية كانت أم أرضية دلائل توائم هذه الفكرة وتساندها سواء بالنصوص أو الاشارات والمفاهيم .. وقد امتازت تلك الفكرة بانتسابات مختلفة فهناك زهادات بوذية وزرادشتية وموسوية وعيسوية ومحمدية ، كما امتازت كل جماعة من أشياعها بأفكار وشعارات وأزياء مختلفة وقد أخذ الزمن يحور ويطور فى تلك الفكرة بالاضافة والتأويل والحذف والتغيير، وبعد أن كانت فكرة بسيطة أخذت تنمو وتكبر وتتشعب وتتفرع حتى غدت فنا كبيرا ألفت فيه الفصول والأبواب والكتب .

وقد يكون مبعث فكرة الزهد أو التصوف وأصل نشأتها أن جماعة من أرباب النفوس الصافية والقلوب المستنيرة ، فكروا فى الدنيا وما فيها

من لذائذ ومباهج وما تحـــويه من زروع وثمار وجنات وأنهار وفضـــة وذهب .. وجاه وحسب فوجدوا أن أمد ذلك قليل وعمره قصير لا يستحق أن يحفلوا به ويقفوا حياتهم عليه ، ويعنوا أنفســـهم بالســـعى اليه ، فانصرفوا عنها مكتفين بما حصل من قوت وما تيسر من لباس ومنهم من وقف عند تلك الغاية ، ومنهم من طمح مع ذلك الى غاية أخرى أجل واسمى .. تلك الغـــاية هى معرفة الله ومعرفة سر الوجود .. ؟ والانتهال من نبع الحقائق الالهية والاستمتاع بلذة القرب ونعيم الوصـــول فكانت زهادتهم للأمرين معا .. ومهمـــا كانت بواعث الزهادة .. فهى فى مفهومها العام عند جمهرة الناس .. الانصراف عن لذائذ الدنيا من طعـــام وشراب وزينة ولباس .. والقناعة من ذلك بما يقيم الأود ويستبقى الحياة ورصد الطاقة الانسانية لعبادة الله والتزلف اليه رجاء مثوبته ورضوانه .

وقد اقترن الزهد فى أذهان الناس بالتصوف وامتزجا ببعضـــهما حتى غدوا شـــيئا واحدا وصار عنوان أحدهما يعنى ما يعنيه عنوان الآخر فالزاهد متصوف والمتصـــوف زاهد واختلف المتكلمون فى التصوف قديما وحديثا فى تعريف الزهادة أو الزهد اختلافا كبيرا حسبما تصور كل منهم من حقيقته وحسب اختـــلاف أحوالهم ومقاماتهم .. وأمر التصـــوف أقرب الى الوجدان منه الى الحس والعقل، وبالغ بعضـــهم فى تعريفه حتى كاد يخرجه من نطـــاق العقل والى حد يجعل من المتعذر تحقق صورته فى واقع الحياة حيث جعل من الزهد الا تشرب ماء باردا والا تصرف فكرك فى غير الله تعالى والا تسعى فى طلب قوتك ومعاشك واقتصد بعضهم فى ذلك فجعله قريبا من طبائع البشر ومن الطاقة الانســـانية والى روح الشرع ومقاصده، فقال بعض القدامى منهم .. رأس الزهد وأصـــله فى القـــلوب هو احتقـــار الدنيا واستصغارها والنظر اليها بعين القلة هو الأصل الذى يكون منه حقيقـــة الزهد ..

وقال العلامة الغزالى :

« الزهد أن تترك الدنيـــا لعلمك بحقارتها بالاضافة الى الآخرة » .

وبما قاله أبو العتاهية فى معرض الحديث عن الزهد :

اذا كان القليل يســـد فقرى
ولم أجد الـــكثير فلا أبالى

وقال بعض المحـــدثين فى تعريف الزهد :

« هو أن تطيب نفســـك عن مال تعمر به خزائنك ثم تجود به طائعا للفقراء والمعوزين » ..

والذى يتتبع تعريفات الزهد قديما وحديثا يلاحظ أن هنـــاك عنصرين أســـاسيين لا بد منهما فى تحقق مفهومه أيا كان تصور النـــاس له أحدهمـــا الحرمان ، أعنى حرمان النفس من شيء من لذائذ الحيـــاة اختيارا والتضحية مما تقدر عليه .. والثـــانى أن يكون ذلك الحرمان مما تملك ومما أنت قادر عليه فاذا كان ذلك الحرمان من شيء لا تقدر عليه ولم يقع تحت يدك فليس ذلك زهدا وانما هو عجز لا اختيار لك فيه ولا يدخل فى باب من أبواب الفضائل ، وذلك هو ما عبر عنه أحد قدامى المتصوفين حين قال :

« اذا حدثتك نفسك بترك الدنيـــا عند ادبارها فهو خدعة واذا حدثتك بتركها عند اقبالها فذاك » .

ومما قاله أحد المحدثين فى ذلك ــ ولكن فى انفعال وحدة :

« ان من الاجرام فى الحياة العقلية والوجدانيـــة أن نصف المفلســـين والعجـــزة بالزهد إن الزهد أن تترك بعض ما تملك ، والعفاف أن تـــكون

عند القدرة مسيطرا على هواك ، إن الزهد لا يدل على ثورة النفس الا حين يتضمن معنى الحرمان ، والحرمان مما تملك أقسى وأصعب من الحرمان مما تؤمل لأن الملك يغريك بالحرص ويطمعك فى المزيد ، أما المأمول فهو سراب ، والخفة اليه لا تضمن فى جميع الاحوال ، فالزهد فيه فضيلة الفارغين » .

ونحن إذا استبعدنا التعريفات المختلفة التى وضعها المتصوفة للزهد قديما وحديثا وصرفنا النظر عن بعد بعضهما عن الشرع والطبع واستعرضنا الدستور الذى وضعه الاسلام لحياة الانسان الشخصية فى القرآن والسنة ، واستعرضنا ما ورد من الآيات والأحاديث مما يتصل بموضوع الزهد فقد نستطيع أن نصل الى تصوير تقريبى للزهد ، فمن الآيات التى وردت فى قواعد دستور الحياة الشخصية للانسان قوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم إياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله »

وقوله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » .

وقوله جل شأنه :

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

ومن الأحاديث ما أخرجه مسلم عن عائشة رضى الله عنها :

« ان ناسا سألوا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم عن عمله فى السر أى ما كان يعمله بعيدا عن أعين أصحابه من الطاعات . . فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أنام على فراشى فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا لكنى أصوم وأفطر وأنام وأقوم وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وأخرج عبد الرازق وابن جرير وغيرهم قال : أراد أناس من أصحاب رسول الله أن يرفضوا الدنيا ويتركوا النساء ويترهبوا فقام رسول الله فغلظ فيهم المقالة ثم قال : « إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم أولئك بقاياهم فى الديار والصوامع فاعبدوا الله ولا تشركوا به وحجوا واعتمروا واستقيموا يستقم بكم » .

وقوله صلى الله عليه وسلم :

مما رواه أحمد عن ابن عمر :

« كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا فى غير إسراف ولا مخيلة » .

أما ما جاء من الآيات فيما يتصل بالزهد فمنها قوله تعالى :

« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » .

وقوله تعالى :

« قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا » .

وقوله تعالى :

« اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم

يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » .

أما ما ورد من الأحاديث فى ذلك فقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد :

« كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور » .

وقوله فيما أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت :

« من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته — ما يعيش منه — وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة » .

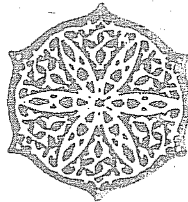
وقوله : « ليست الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهد أن تكون بما فى يد الله تعالى أوثق منك بما فى يديك وأن تكون المصيبة اذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها ابقيت لك » .

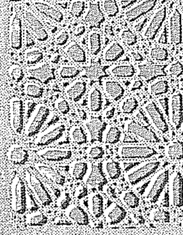
هذه جملة من الآيات والأحاديث فى دستور الحياة الشخصية والانسانية وفيما يتصل بموضوع الزهد وبالتأمل فيها يمكننا أولا أن نستبعد من تصورنا للزهد فى الاسلام فكرة الامتناع عن طيبات الحياة ومستلذاتها .. لأن المجموعة الاولى تحض على الاستمتاع بها والأخذ بنصيب منها والثانية لا تمنع منها وكل ما يمكن أن نفهمه منها أنها تدعو الى ترك الحرص على الدنيا والانهماك فى شئونها وعدم الاسراف فى مستلذاتها حتى لا تشغل عن الآخرة ولذا يرى بعض المفسرين المحدثين أن الامتناع عنها جريمة ، فيقول :

ان امتناع امرىء من الطيبات التى رزقه الله إياها مع الداعية الفطرية للاستمتاع بها إثم يجنيه على نفسه فى الدنيا ويستحق به عقاب الله فى الآخرة بزيادته فى دين الله قربات لم يأذن بها الله ، وبما يترتب على ذلك من اضاعة بعض حقوق الله وحقوق عباد الله كاضاعة حقوق امرأته أو عياله وناهيك به اذا انتصب قدوة لغيره فكان سببا لغلو بعض الناس فى الدين وتحريمهم على أنفسهم وعلى من يقتدى بهم ما أحل الله تعالى والتحريم والتحليل تشريع وهو من حقوق الربوبية فمن انتحله لنفسه كان مدعيا للربوبية أو كالمدعى لها ، ومن اتبع فى ذلك فقد اتخذ ربا غير الله . ويمكننا أيضا أن نتصور أن للزهادة فى الاسلام جانبين جانبا قلبيا هو الثقة بالله والرضا بما نصاب به فى الدنيا خيرا كان أو شرا وجانبا حسيا هو الاقتصاد فى الملذات المباحة وبعد كل ذلك يمكننا أن نرسم الزهادة بأنها :

« التخفف من الدنيا وعدم التلهف عليها والاعتدال فيما تيسر من طيباتها مع الاعتماد على الله والثقة فيما عنده والرضا بما قدره » .

وبهذا تتلاقى النصوص وتندفع عن الاسلام شبهة مجافاته لطبائع الناس وسنن الوجود .





تشوه التاريخ فانسلخ منه الشباب

للأستاذ عبد الله سالم

عندما نبحث بجدية قضية (انســلاخ) شباب الإســلام من الإســلام ، و (انعتاق) أبناء العربية من عربيتهم ، لا بد أن نعرج ونقف طويلا مع الخطط والأساليب التى دفعت شباب المسلمين الى التمصص من أهلهم وعقائدهم ، ثم الجرى وراء أعداء أهليهم وأعداء عقائدهم ، بل الالتصاق بهؤلاء الأعداء التصاقا اندماجيا ذوبانيا !..

إن هناك طرقا عدة ، وسبلا شتى : أجاد استعمالها أعداؤنا ، وهم وحدهم المستفيدون من عملية الانسلاخ فآتت أكلها كما نرى .

من تلك السبل : التشويه الفكرى والتاريخى للحضارة الإسلامية :

فلقد أبرز مؤرخو الغرب ومستشرقوه حضارة الإسلام فى صورة شوهاء ، والبسوها ثوبا فصلته أيديهم ، وخاطته أقلامهم فكيف يمكن أن نتصوره ؟

إنك لتجد الكثير من الطعن والاتهام ، فى تواريخهم عن العرب والحضارة العربية ، مما يظهر كوامن الحقد والكراهية علانية .

خذ دائرة المعارف الإسلامية التى يقولون إنها من تأليف ائمة الاستشراق والفكر فى العالم ، ما هى إلا افتراءات كاذبة ، واتهامات حاقدة على الإسلام ،

ونبى الإسلام وأتباع الإسلام ، إنها تصور الفكر الإسلامى من صنع محمد ، ومن خواطره ، وإيحاءاته ، وتصوراته أنه بحسب وضعه كان يتلون ويتغير ، فهو فى مكة غيره فى المدينة بالنسبة لليهود .

ومن هذا القبيل وبنفس الخطة — خطة التشويه والتزييف — ترى أكبر مؤرخيهم بروكلمان فى كتابه الشهير تاريخ الحضارة العربية يدس السم فى الدسم والحنظل بالعسل ، ويتعرض بالطعن والقدح لخلفاء المسلمين وحكامهم .

ومن الصنف ذاته أيضا معتمد بريطانيا فى مصر سابقا اللورد كرومر فى مذكراته ، يصور لنا العلم وكأنه أعدى الأعداء للإسلام ، والمسيحية الحاضرة وكأنها الحاضن الحقيقى للعلم ، ويصور العرب متأخرين متثاقلين لما اعتنقوا الاسلام .. ولقد تصدى له المرحوم لطفى المنفلوطى فأفحمه بالحجة والبيان ، والقمه حجرا كافيا لإسكاته وإذلاله .

ونتيجة الجهود الحثيثة ، والخطط الدنيئة ، برز فى مجتمعاتنا مؤرخون وتنكروا لتاريخهم العريق متأثرين بالمستشرقين ومقتفين لأثرهم فاذا بهم يخرجون لنا تاريخا مليئا بالدسائس والمؤامرات ، ومحشوا بالدعارة والترف ، ومتسما بالانشقاق والتمزق ليزعموا لنا أنه هو التاريخ الاسلامى !!!

والمثال الأوضح فى هذا المجال هو جرجى زيدان الذى لم يتورع قط عن كيل التهم والنقائص للإسلام وتاريخه ، وإن من لف لف جرجى كثير لا يدركه الحصر .

ولما كان شبابنا لا يرى فى متناول يده من تاريخ الحضارة المسلمة إلا ما خطته الأقلام الدنيئة أو المأجورة ، ولا يسمع من مصادر الثقافة العامة إلا ما يلقيه إليه تلاميذ تلك الأقلام ودارسوا تواريخها فقد انطبعت فى ذهنه الصورة المشوهة الواهية عن التاريخ الاسلامى بأكمله . فما محمد إلا رجل مفكر ، يعيش مترفا متكبرا ، تحميه السيوف ، وتحرسه الحراب ، ويحف به القوم مبجلين مكبرين ، وهو يترفع عنهم ، ويحرضهم على الغزو والنهب والسلب ، بينما ينغمس فى لذاته وشهواته ويتزوج من النساء ما يحلو له ويطيب ، وما أبو بكر وعمر وعثمان وعلى إلا أشخاص متنافسون على السلطة والخلافة ، وأما باقى الصحابة فأعراب أجلاف غلاظ القلوب والتفكير قد انتظموا فى جماعات سياسية متنازعة . ثم ما الأمويون إلا فئة تسلطت على الرقاب فأقصت الأعاجم ، واعتمدت مبدأ القومية العرقية وشددت الخناق على أعدائها ، وتراهم فى أوهامهم عن العباسيين يتصورونهم ممثلين لمرحلة الأبهة والبذخ والتبذير فى تاريخنا ، فهم غارقون فى اقتناص لذائذهم سارحون وراء شهواتهم ومآربهم ، فهارون سكير عربيد يعيش بين أفخاذ النساء ، وتتلقفه أحضان الجوارى ، وتعبث بعقله الخمرة حتى الصباح ، وهكذا باقى تاريخنا ، إن لم يصطبغ بالمؤامرات اصطبغ بالإباحية ، وإلا فهو عصر انحطاط وتأخر حتى لكأن تاريخنا هو تاريخ أحط وأشأم أمم الأرض تصرفا وسلوكا وتفكيرا .

هذا رسم أولئك ، وهذا انطبع فى أذهان الشباب .

وإنى لأتساءل .. ما يطلب أعداؤنا — شرقيين أم غربيين — منا أكثر من أن يسطوا على تاريخنا فيشوهوه فنبصره أعواما سوداء قاتمة ، وأياما مظلمة مكفهرة ، فننقطع بالتالى صلتنا مطلقا به ، ونتجرد عنه وعن كل ما يمت إليه بصلة لنغدو أمة لا سند من التاريخ لها ، ولا أصل من الفكر يمدها ، وإنما هى وليدة مستولدة ، وحيدة فى العالم ، تعيش مرحلة الطفولة التى فيها طريقها الجديد .

وفى الحقيقة هكذا غدونا — كما أرادوا — متطفلين على العالم وموائده الفكرية والتاريخية بعد قطع كل حبل بيننا وبين أجدادنا وآبائنا وصانعى حضارة العالم فى يوم من الأيام وحاملى مشعل العلم والحرية للدنيا بأسرها .

وما هو أبشع من هذا كله هو الوجه الآخر للتشويه ، إذ بعد سلخ الشباب عن تاريخهم التافه بزعمهم لفتوا أنظارهم الى تاريخ الغرب ومعاركه وأيامه ، أو الى التاريخ القديم المغرق فى القدم والذى لا رابط لهم به ، ولا وجود لهم فيه ، أو لفتوا أنظارهم الى دراسة التاريخ الحديث والمعاصر للعرب وللأمة العربية بعد تفتيت الأمة الإسلامية الى أكثر من شعب ، وتقسيم أراضيها الى أكثر من وطن .

وهكذا استطاعوا أن يديروا وجه شبابنا عن تاريخه الحافل بالأمجاد والبطولات ، بعد أن رآه فى الصورة التى رسموها وأبرزوا معالمها . وحتى أصبح شبابنا يعرف عن فرنسا أو انكلترا أو أمريكا أو روسيا أو الفراعنة أو الحرب العالمية الأولى والثانية أضعاف أضعاف ما يعرفه عن القادسية واليرموك ونهاود ، ومعارك فارس والروم والهند وإسبانيا تلك التى خطتها سيوف المسلمين ، ورورت أراضيها دماؤهم .

وفى مناهج المدارس التاريخية ما يغنى كل باحث عن طلب الدليل على صدق هذا القول وصحة ذلك الادعاء ، فالطالب منذ الصف الثالث يقرأ تاريخ الأقدمين وكأنه سيختص بالتاريخ ويتشربه ، ثم فى الرابع أو الخامس فقط يدرس تاريخ العرب (هكذا يسمونه) وهو فى الواقع تاريخ أبتر مقتضب ، يذكر الوقائع بلا أسبابها ولا مبرراتها الحقيقية ويتغاضى عن العامل الأساسى فيه وهو الإسلام فلا يذكر عنه إلا طرفا ، ولا يورده الا لماما ، ثم الطالب فى كل مرحلة من مراحله الدراسية الباقية تنقطع الصلة بينه وبين تاريخه الزاهر ، اللهم إلا صلة بالتاريخ الحديث للعرب الذى هو عبارة — كما يريده مؤرخونا المحدثون — عن مجموعة من الدسائس والمؤامرات ، وصورة ضخمة بارزة للخلاف المستعر أواره بين الحكام أو الأحزاب أو الأسر .

ثم يقررون للشباب تاريخ الغرب بتفاصيل دقيقة لا يعرفها أبناء أوربا أنفسهم ويذكرون له نشأة أمريكا ويعددون له رجال هذا البلد وعظماء ذاك ، ويلحقون كل درس بقراءات تاريخية من شتى الجهات والأشكال .

وماذا بعد كل ما سبق :

لو أنك على سبيل المثال سألت طالبا يحمل البكلوريا (الشهادة الثانوية) عن معركة نهاوند أو موقعة اليمامة أو فتنة القرامطة أو مذهب الأشعريين ، أو عدل العمرين ، أو معركة مؤتة وذات السلاسل وموقع بلاد السواد .

هذا عدا المناهج التاريخية فى سورية ، وديار بكر ، وربيعة ، ودومة الجندل ، أو عن مذهب الظاهريين وأعداء المسلمين ، لا نفضح جهله ، وظهرت ضحالة فكره ، وكذب دعواه العلم ولمط شفتيه والوى عنقه ، وثنى عطفه وادار ظهره ، ثم ولى غير معقب .

وهل تستغرب منه هذا بعد أن تسلم تاريخنا أعداؤنا فطمسوا منه ما آلمهم ، وذاقوا فيه مرارة الخزى ، ورأوا خلاله عزة الإنسان المسلم ، ثم سطروا مكانه فى عقول الناشئة ما أرادوا وما حلا لهم .

واغرب من هذا .

يلحظ المتتبع لكتب التاريخ المدرسية ، أن التاريخ وهو المادة التى يجب أن تبتعد عنه يد التغيير والتحريف قد بدأت السياسة والنزعات الحزبية تمتد إليــه وتحوره وتكيفه ، فما امتدح قبل سنين هو عرضة للشتم والسب فى هذا الحين ، وما كان صورة بطولية أو مأثرة أو مفخرة غدا الآن مسخا أسود وقردا (أمرد) ومحطا للسخرية والهزء ، ثم لا ندرى ـــ والعلم عند الله ـــ ما يفعل به بعد حين .

لا يا شباب ..

لا .. لأن الأمر مغلوط ومقلوب .. ولا لأن التاريخ مكذوب ومتلاعب به .. ولا لأن كتبته ليسوا أهلا للثقة فيما تخط أقلامهم أو فيما تسطره صحائفهم .

وإنى لأرى من الفائدة أن أثبت بعض الأسطر للدكتور يوسف العش من مقدمة كتابه الدولة الأموية ، وأنا أرى فيه ـــ أيضا ـــ الرد العلمى المحض لكل افتراءات هؤلاء على التاريخ الإسلامى يقول : ص ٢ ، ٣ : (ولقد حاول الكثيرون أن يصموا تاريخنا بكثرة الفتن والحروب والمكايد والاضطرابات ، وليس هنا مجال الرد عليهم ، غير أن النظرة الصحيحة الى التاريخ من خلال عوامله العديدة ، تعطى البيان الواضح عن أن هذه الوصمات لا أصل لها صحيح ، وأن كل ما فـــى الأمر أن هناك تفاعلات فى المجتمع الإسلامى العربى كانت تأخذ طريقها ، ولا بد أن تأخذ طريقها فى ذلك المجتمع ، وأن هذه التفاعلات سنة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وهى تفاعلات تحدث فى كل أمـــة ، بل إن الأمم الأخرى كانت تتلقاها بعنف أكثر مما تلقاها به المسلمون والعرب ، وتاريخ الأمم الأخرى ممزوج بالحروب والفتن والاضطرابات أكثر من التاريخ العربى ، فهــذا تاريخ فرنسا وألمانيا منذ الثورة الفرنسية (فرنسا وألمانيا من أعظم الأمم التى ساهمت فى تاريخ العالم) إن تاريخهما ملىء بالحروب ، حروب الثورة الفرنسية ، حروب نابليون ، حرب ١٨٧٠ ، حرب ١٩١٤ ، حرب ١٩٣٩ ، كل ذلك فى مدى لا يتجاوز قرنا ونصف القرن ، والضحايا التى وقعت فى هذه الحروب تتجـــاوز أضعافا مضاعفة ضحايا الحروب فى تاريخنا بأجمعه) .

وفى الختام لا بد من تعقيب :

إذا كان تشويه التاريخ مفتعلا ، فمن الذى افتعله ـــ ولم قام به ؟

أما عن الذين شوهوا تاريخنـــا فانهم منا ومن غيرنا ، وهم أظهر من أن يختفوا وأكثر من أن يحصروا .

وأما لِمَ قاموا به ، فان لم نتسرع نحن بالجواب ، فان الواقع سيقدمه لنا ، قاموا به ليحولوا وجه شبابنا عن تاريخنا ، وليسودوه فى أعينهم فيتبرءوا منه فى حياتهم العملية والسلوكية .

إن تاريخ أى أمة هو ملك لها ، لأنه جزء من كيانها ووجودها ، فاذا ما أسلمته الى أعدائها سواء كانوا من أبنـــائها أو من أبناء أعـــدائها فعلى تلك الأمة العفـــاء .

يا شباب الإسلام : إن تاريخكم ملىء بالبطولات ، غاص بالأمجاد ، حافل بالأفذاذ ، إن سيوفكم التى فتحتم بها أذهان العالم لتقطر حكمة وعلما ، وإن جيوشكم التى حررتم بها الأرض لتجيش بالرحمة والرأفة ، وإن أبطالكم الذين حكموا الدنيا بأسرها لهم مثل الإنسانية ومنائرها .



مكتبة المجلة

اعداد :
الأستاذ عبد الستار محمد فيضي

ابن تيميـــة
امام السيف والقلم

حين يتحدث التاريخ عن قادة وابطال وعظماء الاســلام انما يذكرهم فى صفحاته بريشة التعظيم ويتكلم عنهم فى سطوره بكل اكبار .. ذلك لأن لهم مواقف عظيمة وأدوارا مجيدة جديرة بأن تكون مفخرة فى مجال الفخر . والكتاب الــذى نقدمه للقارىء المسلم وللمكتبة الاسلامية يحوى بين سطــوره سيرة رجل من طراز هؤلاء القادة الذين لعبت آراؤهم دورا هاما فى حياة الشعوب رجل مصلح بار ، عاش فى مجتمعه برأيه وعقيدته ومبدئه هو ابن تيمية . وقد ألقى مؤلف الكتاب الأستاذ سعد صادق محمد الضوء على كل جوانب وحياة هذه الشخصية المصلحة بصورة تجعل القارىء يقف على شىء من حياته ونشأته ! وعصره وآرائــه فى الدين والحياة والفقه والتفسير ، وفى الاجتماع وسياسة الحكم . كما أشار الى مكانته العلمية والى خصومه والى أنصاره والى جهاده فى سبيل الحق الذى آمن به وكافح فى سبيله ، ومات فى ساحته ..

والكتاب يشتمل على (١٤٢) صفحة أصدره المجلس الأعلى للشــــئون الاسلامية بالقاهرة ضمن سلسلة كتب اسلامية العدد ١٤٨ .

رجــال ونساء اسلمــوا

الحديث مع الذين شرح الله صدورهم للاسلام والحديث عنهم كلام شيق مشرق لأنه نابع من القلب والوجدان لاتصاله الوثيق بالعقيدة التى هى اسمى ما فى الوجود كله .

ورجال ونساء أسلموا هذه هي الحلقة الثالثة التي أخرجها الأستاذ عرفات كامل العشي . وفي هذه الحلقة يتحدث المؤلف عن اثنى عشر دخلوا فى الاسلام من جنسيات مختلفة من الشرق والغرب وبعضهم رجال وبعضهم نساء . ولكــل قصته الطريفة وظروفه اللطيفة ولقطات من حياته السابقة عــلى الاســـلام ، والعقبات التى أعترضت الطريق الى الحق الى دين الله دين الفطرة وكيف كان توفيق الله فى اجتياز كل هذه العقبات والوصول الى شاطىء الايمان .

والكتاب يقع فى (١٣٢) صفحة ومن نشر دار القلم ــ ص ب (٢٠١٤٦) ــ الكويت .

مائدة القارئ

من يؤذن لنا .. ؟

ذهب بلال الى خليفة رسول الله يقول له :

انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : افضل عمل المؤمن الجهاد فى سبيل الله . قال له أبو بكر : فما تشاء يا بلال .. ؟ قال : أردت أن أرابط فى سبيل الله حتى أموت ، قال ابو بكر : ومن يؤذن لنا .. ؟ قال بلال وعيناه تفيضان بالدمع : انى لا أؤذن لأحد بعد رسول الله ، قال أبو بكر : بل ابق وأذن لنا يا بلال . قال بلال : ان كنت أعتقتنى لأكون لك فليكن لك ما تريد وان كنت أعتقتنى لله فدعنى لله . قال أبو بكر : بل أعتقتك لله يا بلال .

وبعد ذلك رحل بلال الى الشام ، وكان آخر آذان له أيام ان زار الشام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فرجاه أن يؤذن فأذن فبكى الصحابة كما لم يبكوا أبدا ، وكان عمر أشدهم بكاء .

ومات بلال بالشام مرابطا فى سبيل الله ، وتحت ثرى دمشق يثوى رفاته .

يقظة المؤمن ..

« لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » اول من نطق بهذه الحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسبب هذا الحديث أنه لما كانت غزوة بدر الكبرى التى انتصر فيها المسلمون على المشركين — كان بين الأسرى أبو عزة الجمحى فتقدم الى النبى واستعطفه ليطلق سراحه ، وشكا فقره وعياله فقال : لى خمس بنات ليس لهن شىء ، فتصدق بى عليهن ، وانى أعاهدك لا أقاتلك فأطلق رسول الله سراحه وعاد الى مكة ، فلما كانت غزوة أحد خرج مع قريش ليحارب المسلمين فى غزوة أحد ، ولكنه وقع فى الأسر ، فتقدم الى النبى يستعطفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمسح عارضيك بمكة وتقول سخرت بمحمد مرتين ، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ولم يعف عنه .

بين يدى عمر ..

جاءه رجل يشكو عقوق ابنه ، فأحضره أبوه أمام عمر ، فأنبه عمر فقال الابن : اليس للولد حقوق على أبيه يا أمير المؤمنين .. ؟ قال : بلى ، قال : فما هى .. ؟ قال : أن ينتقى أمه ، ويحسن اسمه ، ويعلمه الكتاب (القرآن) .
فقال : يا أمير المؤمنين : انه لم يفعل ذلك : أما أمى فانها زنجية كانت لمجوسى ، وقد سمانى (جعلا) (جعرانا) ، ولم يعلمنى من الكتاب حرفا واحدا .
فالتفت عمر الى الرجل وقال له : أجئت الى تشكو عقوق ابنك ، وقد عققته قبل أن يعقك ، وأسأت اليه قبل أن يسىء اليك .

وحدة المسلمين ..

قال المرحوم على الجارم :

تذوب حشاشات العواصم حسرة
اذا دميت من كف (بغداد) اصبع
ولو صدعت فى سفح لبنان صخرة
لدك ذرا الأهرام هذا التصدع
ولو (بردى) أنت لخطب مياهه
لسالت بوادى النيل للنيل أدمع
ولو مس (رضوى) عاصف الريح مرة
لباتت لها أكبادنا تتقطع

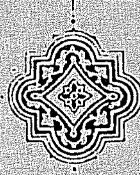
سيف الله ..

بهرت عبقرية خالد بن الوليد قواد الروم ، فسأله واحد منهم : يا خالد ، أتصدقنى ولا تكذبنى ، فان الحر لايكذب .. هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاك اياه ، فلاتسله على أحد الا هزمته .

قال خالد : لا .. قال القائد : فبم سميت سيف الله .. ؟

قال خالد : ان رسول الله دعا لى وقال : أنت سيف من سيوف الله ، فهكذا سميت سيف الله .

الرسالة للإمام الشافعي



قرأت فى وقت واحد نسختين مختلفتى التحقيق لكتاب « الرسالة » للامام المطلبى الفقيه محمد بن إدريس الشافعى (١٥٠ — ٢٠٤ هـ) رحمه الله رحمة واسعة .

والنسختان المختلفتا التحقيق إحداها قام على تحقيقها وشرحها الأستاذ أحمد محمد شاكر ، والثانية للأستاذ سيد كيلانى .

ومن التجنى الكبير محاولة المقارنة بين التحقيقين إذ أن النسخة الثانية منهما لا تكاد تتحقق فيها أدنى شروط التحقيق العلمى ، فضلا عن خلوها من الجهد تقريبا ، وحسبنا للاستدلال السريع على هذا أن النسخة الأولى التى حققها الأستاذ المرحوم أحمد شاكر تقع فى ستمائة وسبعين صفحة — فضلا عن مقدمة فى نحو مائة صفحة .. والنسخة من نفس الحجم الذى تتكون منه النسخة الثانية التى لا تتجاوز عدد صفحاتها مائتين وخمسين صفحة ، مع أن النص الأصلى واحد ، ولا توجد فى إحداهما زيادة علمية — عن النسخة الأخرى .

فمن الواضح أن الفرق كله فى التحقيق الذى أخلص فيه الجهد ... العلامة الشيخ شاكر — جزاه الله خيرا — .

للاستاذ : عبد الحليم عويس

أول كتاب في علم الأصول

ولكتاب الرسالة فى تاريخ العلوم الاسلامية أهمية خاصة ، إذ هو أول كتاب فى علم أصول الفقه ، بل فى علم الأصول مطلقا . ويعتبر الامام الشافعى بذلك « أول من صنف فى أصول الفقه .. صنف فيه كتاب الرسالة ، وكتاب أحكام القرآن ، واختلاف الحديث ، وإبطال الاستحسان ، وكتاب جماع العلم ، وكتاب القياس » « فنسبة الشافعى إلى علم الشرع كنسبة أرسطاطاليس إلى علم العقل » وكنسبة العروض إلى الخليل بن أحمد الفراهيدى ، ونسبة الاجتماع فيما بعد إلى ابن خلدون ..

الكتاب إذن ليس كتابا عاديا فى حركة الفكر الاسلامى ، بل هو معلم تراثى واضح على الطريق ، هو جدول استطاع أن يشق له طريقا انحدر به فى مجرى تاريخ الفكر الاسلامى ، مكونا له وسائل خاصة وقضايا خاصة ومعالم اجتهادية خاصة ، ومن المعلوم أن البداية الواضحة التاريخية لأى علم إنما هى حصاد تطور مبعثر طويل ، عبر عن نفسه فى أكثر من صورة ، وإن لم يكن أعطى هذه الصورة مكانها الصحيح ، وأطلق عليها اسمها العلمى المنظم .

ويلخص لنا الفخر الرازى فى « مناقب الشافعى » تطور البحث فى علم الأصول حتى « الرسالة » فيقول : « كانوا قبل الامام الشافعى يتكلمون فى مسائل أصول الفقه ، ويستدلون ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلى

مرجوع إليه فى معرفة دلائل الشريعة ، وفى كيفية معارضتها وترجيحاتها ، فاستنبط الشافعى علم أصول الفقه ، ووضع للخلق قانونا كليا يرجع إليه فى معرفة مراتب أدلة الشرع . »

كان الشافعى نفسه يعرف قيمة كتاب الرسالة من حركة العلم الاسلامى وكان يطلق على الكتاب اسم « الكتاب » « كتابى » أو « كتابنا » ... ولا تخفى دلالة التسمية على إدراك الشافعى للعمل العظيم الذى قام به ، ولم تكن تسمية الكتاب « بالرسالة » إلا مرحلة متأخرة فرضت نفسها على الكتاب ، بسبب إرسال الشافعى له إلى عبد الرحمن بن مهدى الامام الحافظ الذى كان ينعته الشافعى بالتفرد فى دنيا العلم .

وقد ألف الشافعى الكتاب مرتين : الرسالة القديمة ويبدو أنه ألفها فى مكة ، والرسالة الجديدة — التى بين أيدينا — وقد ألفها فى مصر . ومن الراجح أن الرسالة الجديدة هى ما تبقى فى ذهن الشافعى من الرسالة القديمة (المفقودة) وهى كذلك الحصاد الاضافى لرحلة العلم فى بغداد وفى مصر وفيما بينهما .

وقد تعددت صور الاهتمام بالكتاب مذ ألفه الشافعى والقاه على تلامذته الذين اقترن الكتاب بواحد من أشهرهم وهو « الربيع بن سليمان » الذى اعتبر أصله أصح الأصول للكتاب — وكان لشدة اشتهاره بسماع الكتاب — يجيز نسخ كثير من الذين استمعوه ونقلوه ...

وقد ذكر المرحوم الشيخ أحمد شاكر أكثر من أربعين سامعا للكتاب تولوا نسخه وتنظيمه بطريقتهم الخاصة .

أما الذين تولوا شرحه فكثيرون حصر منهم المحقق خمسة هم : أبو بكر الصيرفى محمد بن عبد الله ، وأبو الوليد النيسابورى صاحب المستخرج على صحيح مسلم ، والقفال الشاشى محمد بن على بن اسماعيل ، وأبو بكر الجوزقى النيسابورى ، وأبو محمد الجوينى الامام المعروف .



يقع الكتاب فى ثلاثة أجزاء لا تفصل بينها فى الحقيقة فواصل موضوعية، بل إنها لتتصل اتصالا مباشراً يجعل عملية التقسيم إلى أجزاء لا تعدو أكثر من محافظة على الأصل ، ولا فائدة واضحة لها إلا من حيث التيسير الكمى ، وحسبنا أن نعرف أن الباب الثانى يبدأ بعبارة « فإن قال قائل » ، وأن الباب الثالث يبدأ بعبارة « قال .. ولم يحظر » لندرك أن عملية الفصل لا تتصل بالموضوعية أو المنهجية فى البحث بصلة .

وكما هو المنتظر من رجل كالشافعى فى كتاب تراثى كالرسالة يستهل الكتاب بأكثر من عشر صفحات فى حمد الله وشكره ، والاعتراف بوحدانيته وفضله ، وما يتصل بذلك من أصناف الناس ومواقفهم تجاه عبادة الله المتفضل بالنعم ، الداعى — على لسان رسله إلى الهدى والرشد « والناس فى العلم طبقات موقعهم من العلم بقدر درجاتهم فى العلم به ، فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم فى الاستكثار من علمه ، والصبر على كل عارض دون طلبه واخلاص النية لله فى استدراك علمه نصا واستنباطا ، والرغبة إلى الله فى العون عليه ، فانه لا يدرك خير إلا بعونه » .

هذه الديباجة ، أو ما يمكن تسميته (الخطبة) هي خصيصة من خصائص تراثنا ، بل وحضارتنا ، فأقطاب هذا التراث ـــ وهذه الحضارة ـــ ينطلقون من نقطة الاعتراف بأن الكمال العلمي مطلب عسير ، بل هو مطلب غروري يجب أن يتنزه العلماء عنه ، ليتركوا للأفكار الأخرى فرصة الحياة والاستمرار والتقدم . إنهم متواضعون يبذلون « غاية جهدهم ، ويصبرون على كل عارض» لكنهم مع ذلك « مخلصو النية لله ، راغبون إليه فى العون » .. إنه الفــرق بين المنهج العلمي ، وبين المنهج الجدلي ... بين المنهج الذى يضــع نفســه كحلقة فى سلسلة التقدم ، وبين المنهج الذي يجعل نفسه ـــ دون سند ـــ قمة التقدم ، وينفى بالتالى من حركة التاريخ كل ما لا يتساوق مع غروره ، ومع جموده ، ومع سذاجته !!

وتبدأ رحلة الكتاب بمحاولة تحديد (كيفية البيان) ولعل النظرة العابرة لهذا العنوان توحى بالشروط المطلوبة فى عملية التشريع ، فمن لم يعرف البيان العربى ـــ الذى يعتبر القرآن ببلاغته ولغته قمته ـــ بكل ما يتطلبه هذا البيــان من عناصر المعرفــة ، فليس له أن يقتحم نفســـه فى باب استنبـــاط الأحكام أو التعقيد ، إذ هو مفتقد لأول الشروط المطلوب تحقيقها فى « الأصولى » .

والبيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول ، متشعبة الفروع ، فمنها ما أبانه الله لخلقه نصا مثل جمل فرائضه كالأوامر الاجمالية المتعلقة بالصلاة والزكاة والصيام والحج وكالآيات القرآنية الواضحة الدلالة **« وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة »** فالدلالة النصية واضحة وليس وراءها شىء . ومن هذه المعانى ما أحكم الله فرضه بكتابه ، ثم بين كيف هو على لسان نبيه مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتهما .

ومنها ما سنه الرسول عليه الصلاة والسلام مما ليس فيه نص حكم كالنوافل المختلفة ، ومن البديهى أنه « من قبل عن رسول الله فبفرض من الله قبل » .

ومنها ما سنه الرسول عليه الصلاة والســلام مما ليس فيه نص حكــم الاجتهاد ، كما ابتلى طاعتهم فى غيره مما فرض عليهم ، مثل ضرورة اجتهادهم فى تحديد القبلة فى الصلاة بعد أمر الله لهم بالاتجاه إليها .

والأساليب القرآنية « تدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب » « فلسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثرها الفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى ، ولكنه لا يذهــب منــه شيء على عامتهـــا (أى على مجموعها) حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه » .

إن العرب قد تطلق الكلام عاما تريد به العموم الذى يدخل فيه الخصوص وقد تطلقه عاما يجمع العام والخاص معا ، وقد تطلقه عام الظاهر تريد به كله الخاص ، وقد تطلق الجملة لا يبين معناها إلا سياقها ، وكل هذه الأساليب واردة فى القرآن وبالتالى ، فليس بمستطيع فهم النص القرآنى ، فضلا عن الاستنباط والفتوى ، من لم يكن ملما بهـــذه الاستعمـــالات ـــ وبغيرها ـــ فى اللسان العربى .

● ● ● ●

وتشغل قضية الناسخ والمنسوخ حيزا كبيرا من الرسالة ، ويعتبر الشافعى من أبرز من وضعوا هذه القضية فى إطارها الصحيح . ولعل حسه الاسلامى كان يوحى إليه بأن المبشرين والمستشرقين لن يلوكوا قضية من قضايا

الفكر الاسلامى مثل إلحاحهم على قضية الناسخ والمنسوخ ، ظنا منهم أنهـــا مدخل للطعن فى الاسلام .

وبما أنه يكاد يكون من المستحيل على هؤلاء العجم ، الذين لا يعرفون من لغة القرآن ــ إذا عرفوا ــ الا قشورا لا تغنى ... من المستحيل عليهم الدراسة الشاملة الموضوعية للنصوص القرآنية وللأحاديث النبوية المتصلة بها ، وأيضا لقواعد البيان العربى التى ألمعنا إلى طرف منها ، فإنه كذلك يكــاد يكون من المستحيل أن يستوعب هؤلاء وأمثالهم قضية الناسخ والمنسوخ ، وأن يضعوها فى إطارها الصحيح ، مدركين فى الوقت نفسه الأهمية المرحليــــة والتاريخية والأصولية للقضية .

ويضع لنا الشافعى معالم بارزة على طريق هذه القضيـــــة ، لنسير ــ كأصوليين ــ فى طريق الاستنباط على بينة من الأمر ... إنه يقول : « ان الله خلق الخلق لما سبق فى عمله مما أراد بخلقهم وبهم ، (...) وأنزل عليهم الكتاب تبيانا لكل شىء (.....) وفرض فيه فرائض أثبتها وأخرى نسخها : رحمة لخلقه ، وبالتوسعة عليهم ، زيادة فيما ابتدأهم به من نعمة ، وأبان الله لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب ، وأن السنة لا ناسخة للكتـــاب ، وانما هى تبع للكتاب بمثل ما نزل نصا ، ومفسرة معنى ما أنزل الله منه جملا » .

« وهكذا سنة رسول الله : لا ينسخها إلا سنة لرسول الله . ولو أحدث الله لرسوله فى أمر سن فيه غيرما سن رسوله لسن (الرسول) فيما أحدث الله إليه ، حتى يبين للناس أن له سنة ناسخة للتى قبلها مما يخالفها وهذا مذكور فى سنته صلى الله عليه وسلم » « ولو نسخت السنة بالقرآن لكانت للنبى فيه سنة تبين أن سنته الأولى منسوخة بسنته الآخرة ، حتى تقوم الحجة على الناس بأن الشىء ينسخ بمثله (١) » .

ويطبق الشافعى فهمه ومقاييسه للناسخ والمنسوخ على كثير من الأحكام الدينية التى دار حولهـــا بعض الخـــلاف فى الفهم كصلاة الليل وفرضيـــــــة الصلوات الخمس ، والتفرقة بين قضاء الصلاة والصوم بالنسبة للحائض ، وعقوبة الزانى المحصن ، وقضية الوصية مع الارث أو القرابة ، وقضية اللعان والحكم السابق فيها ، وغير ذلك من الأمور .



يتتبع الشافعى « جمـــل الفرائض » من صـــلاة وصيام وزكاة وحـــج ، ويبين ما أجمل القرآن فيها وما فصلته السنة ، ويطبق ــ وهو ماض فى بحثه فى الفرائض ــ نظرته الى الناسخ والمنسوخ ، ومما لا شك فيه أن نظـــرة واحدة الى « الصلاة » ــ أو الدور الذى قامت به السنة فى تحديدها عـــلى وجهها الأكمل ، وفى تحديد أنواع النوافل ــ ترينا مدى العلاقة الوطيدة بين الكتاب والسنة ، والشىء نفسه يمكن أن يطبق على الزكاة .. وعلى بقية أركان الاسلام .. وعلى التشريعات الاسلامية كعدة المراة ومحرمات النســـــاء ومحرمات الطعام « وكل ما سن رسول الله مع كتاب الله من سنة فهى موافقة كتاب الله فى النص بمثله ، وفى الجملة بالتبيين عن الله ، والتبيين يكون أكثر تفسيرا من الجملة ، وما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص كتاب الله فبفرض اللـــه طاعته عامـــة فى أمره تبعناه (٢) » « وأما

الناسخة والمنسوخة من حديثه ، فهى كما نسخ الله الحكم فى كتابه بالحكم غيره من كتابه عامة فى أمره ، وكذلك سنة رسول الله تنسخ لسنته (٣) » .

ويضرب الشافعى أمثلة كثيرة لنسخ السنة بالسنة كنسخ الرسول صلى الله عليه وسلم لتحريم اكل لحوم الضحايا بعد ثلاثة أيام ونسخه لحد الزانى المحصن بالجلد قبل الرجم .. ثم نسخ عملية الجلد مكتفيا بالرجم ، والصلاة قعودا خلف الامام القاعد . وغير ذلك من المسائل التى تردد الحكم فيها بين مسلكين نسخت فيهما السنة السنة .

ويرى الشافعى أن القول بالنسخ لا يجب أن يطلق هكذا دون أن يكون هناك نظر دقيق للرواية وللراوى ولتاريخ الحكم وملابساته ، فلربما كان الحكم مبتورا وفقا للقدر الذى تلقاه صاحبه عن الرسول أو عن الصحابى .. بينما قدر الآخرين ان يتلقوا نصا آخر أكمل وأوضح .. فكل يرى أنه على حق .. وهو بالنسبة لما سمعه — على حق فعلا . ولا خلاف بين الرايين فى الحقيقة .

« وثمة وجه آخر مما يعد مختلفا وليس بمختلف ، وهو أن يحتمل الأمر معنيين احدهما أولى من الآخر ، وكلاهما — جائز — فى الحقيقة ، لكن الذى يرجح أولية احدهما أن يكون أشبه بآية فى كتاب الله ، مع بقاء جواز الآخر .

وايضا ، ليس هناك خلاف حين تختلف هيئة التطبيق وظروفه ، كالنهى عن استقبال القبلة عند الغائط والبول فى الصحراء ، فان هذا النهى لا يطبق عند الحضر ، ومراحيضه الموجودة بالمنازل ، بحال من الأحوال » .

والأمر نفسه يقال حين تختلف شروط تنفيذ الحكم أو نتيجته أو يختلف الحكم عموما وخصوصا ، أو يكون للحديثين وجهان يمضيان فيهما أو غير ذلك فان اختلاف الحكم هنا لا يعنى أن هناك ناسخا ومنسوخا كما لا يعنى أن هناك اختلافا حقيقيا .

« أما إذا اثبت عن رسول الله الشىء فهو اللازم لجميع من عرفه ، لا يقويه ولا يهونه شىء غيره ، بل الفرض الذى على الناس اتباعه ، ولم يجعل الله لأحد معه أمرا يخالف أمره » .

وبهذه العبارة الحاسمة الواضحة يختم الشافعى دراسته لاحدى القضايا الاصولية الكبرى (الناسخ والمنسوخ) ، ملما بكل أبعادها ، اذ لا يجوز للأصولى أن يدخل باب التقنين والاستنباط ، وهو غير مجهز بعلم الناسخ والمنسوخ .. اى بتاريخ التشريع وفلسفته ، فضلا عن ان يكون مجهزا بالأداة الكبرى لكل باحث فى علوم هذا الدين ... وهى البيان العربى بأبعاده المختلفة ..



فى الصفحات التالية يتحدث الشافعى عن مصادر التشريع الاسلامى .. وبعض القضايا المتصلة بها — عدا القرآن والحديث اللذين تناولهما — وهو فى هذه الصفحات أكثر وضوحا والتزاما بوحدة الموضوع ، إذ أن تداعى المعانى ونزعة الاستطراد خصيصتان من خصائص الشافعى ، يلمسهما القارىء على

نحو واضح فى الصفحات الفائتة . وهما فى الصفحات القادمة أخف حدة وأقل بروزا .

يقدم الشافعى بين يدى تناوله لمصادر التشريع عدا القرآن والحديث ثلاث قضايا .... أولاها حول صفة نهى الله ونهى رسوله ، ويرى أن نهى الله أو رسوله يجمع معنيين ... أن يكون الشىء الذى نهى عنه محرما فى الأصل لا يحل إلا بوجه دل الله عليه فى كتابه أو على لسان نبيه كتحريم كل النساء إلا أن يحلهن الله بالنكاح أو ملك اليمين .. أو أن يكون الشىء الذى نهى عنه حلالا فى الأصل لكن نهى الله المرء فيه عن شىء معين كالنهى عن الأكل من أعلى الصحفة فان الأكل فى الأصل حلال .

والقضية الثانية عن « العلم » وما يجب على الناس فيه ، وهو يوجز ذلك بأن العلم علمان : علم عامة لا يسع بالغا أن يجهله كالصلوات الخمس والصوم وغيرهما ، وعلم خاصة كفروع الفرائض والأحكام مما ليس فيه نص كتاب ولا فى أكثره نص سنة فهو فرض كفاية .

وثالثة القضايا التى عرض لها الشافعى بين يدى تناوله لمصادر التشريع عدا القرآن والسنة هى « خبر الواحد عن الواحد حتى ينتهى به الى النبى أو من انتهى به اليه دونه » بشرط أن يكون كل محدث منهم ثقة صادقا عاقلا عالما ملتزما بنص الرواية حافظا بريئا من التدليس .. و « من قال على الرسول ما لم يقل فليتبوأ مقعده من النار » ولا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه . وثمة عشرات الأمثلة تؤكد صدق خبر الواحد ، ولعل تكليف الرسول لأم سلمة بأن تجيب المرأة التى سألته عن حكم تقبيل الرجل أهله فى رمضان .. لعل هذا التكليف خير دليل على إمكانية صدق خبر الواحد، ومثله تكليف الرسول رجلا أن يخبر أهل قباء بتحول القبلة الى المسجد الحرام واستجابة الناس له — دون الرجوع إلى الرسول — مع أن ذلك فرض — ومعلوم أن الأنبياء كانوا آحادا كلفهم الله بتبليغ الرسالة وأمر النـاس بتصديقهم .

« ولا نستطيع أن نزعم أن الحجة تثبت به ثبوتها بالموتصل ، لأن من بعد كبار التابعين لا أعلم منهم واحدا يقبل مرسله لأمور أحدها انهم اشد تجوزا ، والآخر انهم يوجد عليهم الدلائل فيما أرسلوا بضعف مخرجه ، والآخر كثرة الاحالة (٤) » .

● ● ● ●

قال الشافعى : قال لى قائل : قد فهمت مذهبك فى أحكام الله ثم أحكام رسوله ، وأن من قبل عن رسول الله فعن الله قبـل ، وقامت الحجة بألا يحل لمسلم علم كتابا ولا سنة أن يقول بخلاف واحد منهما ، فما حجتك فى أن تتبع ما أجتمع الناس عليه ، ... ويرد الشافعى على السؤال الذى طرحه بتناول مركز للمصدر الثالث للتشريع وهو « الاجماع » .

والاعتماد على الاجماع قائم على أساس أن الأمة لا تجتمع أبدا الا على

سنة وإن لم يكن هناك نص عليها . على أنه اذا عزبت السنة من بعضهم فانها لن تعزب عن جميعهم ، وقد وردت الآثار تؤكد أهمية الاجماع كمصدر ثالث للتشريع .

● ● ● ●

ويرد القياس بعد الاجماع — فى رأى الشافعى — كمصدر رابع للتشريع ... وعنده أن القياس والاجتهاد اسمان لمعنى واحد ، فكل ما نزل خاصا بمسلم .. إما أن يكون فيه حكم لازم يجب اتباعه ، واما الا يكون فيه حكم بعينه فتطلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد ، والاجتهاد قياس . والقياس من وجهين : أحدهما أن يكون الشىء فى معنى الأصل ، فلا يختلف القياس فيه . وأن يكون الشىء له فى الأصول أشباه ، فلذلك يلحق بأكثرها شبها به .

وتتضح علاقة القياس بالاجتهاد فى تحديد الهدى على من قتل الصيد محرما ... فالقياس والاجتهاد متداخلان فى تحديد مثل ما قتل من النعم .

● ● ● ●

ويرى الشافعى أن الاستحسان يعنى التلذذ ، وهو كمصدر للتشريع « لا يجب أن يقول فيه إلا عالم بالأخبار ، عاقل بالتشبيه عليها ، واذا كان هكذا كان على العالم الا يقول إلا من جهة العلم — وجهة العلم الخبر اللازم بالقياس على الصواب » « ولو استحسن بلا خبر لازم ولا قياس كان أقرب إلى الاثم من الذى قال وهو غير عالم » .

« ولا يكون لأحد أن يقيس — أو يستحسن أيضا — حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف ، وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب ، ولا بد أن يكون صحيح العقل ، وحتى يفرق بين المشتبه ، ولا يعجل بالقول به دون التثبيت » .

... إن المنهج الاسلامى فى البحث .. منهج موضوعى لا مجال فيه للتعالم والأهواء والأحكام المسبقة والجرأة التى تمتهن أبجدية البحث ، وتلوى عنق النصوص لكى تصل إلى تأصيل انحرافاتها والحصول على مبرر للعبودية الفكرية الرخيصة .

وفى عصرنا الذى كثر فيه المفتون تصدر كلمات الاستحسان والتفضيل دون تحقيق لأبسط أدوات المنهج الاسلامى فى هؤلاء المفتين ، ودون اتباع لأصول منهج البحث .. وهؤلاء المفتون المنحرفون يتلذذون بذلك ، ويضعون انفسهم فى عداد المفكرين !!

على أن الامور لا تسير وفق القواعد الكلية التى ذكرها الشافعى للبحث وحسب ، بل هناك فى داخل القياس مراتب ، وهناك للاجتهاد اصول ، وأما الاستحسان فهو لمن تحققت فيه الشروط وكان أهلا للرأى .

.. وحتى الاختلاف بين أهل العلم والفقه .. لم يأت هكذا .. لأن أحدهم تحققت فيه الشروط وبعضهم كان مجردا منها .. كلا .. فدخول هذا الباب

كان مقيدا بالشرط ، وإنما يستند الخلاف على قواعد سليمة يستند عليها كل منهم ... وكان له فى أذهانهم قواعد مرعبة ، بل إن فيه مناطق يحرم الخلاف فيها .. ومناطق يجب الاجتهاد فيها .. والتمسك بالرأى ، ولا يحل فيها التقليد .

● ● ● ●

إن محاولة الوقوف عند مصدر تراثى كالرسالة لامامنا الشافعى لا تقف معطياتها عند حدود القضايا التى عالجها ، ولا الجديد الذى انفرد به ، وإنما يتعدى الأمر ذلك الى كثير من المعطيات التى يعتبر المثقفون من جيلنا فى مسيس الحاجة الى التعرف عليها .

... إننا — على سبيل المثال — نستطيع التعرف على منهج البحث فى عصر مزدهر من عصور حضارتنا ، ولا سيما أن إمامنا الشافعى من أبرز الممثلين لهذا الدور .

ونحن نستطيع كذلك التعرف على قدرة أسلافنا فى التوليد والابتكار ... والتحليل العلمى .. ومدى الاعتماد على العقل فى مجال النقل .

وحتى الشكل أو القالب ، هل يتخذ شكل التقرير دائما أو يعتمد على أكثر من أسلوب ، كما فعل الشافعى فى استخدامه الحوار عبر أكثر صفحات الكتاب .

كل ذلك مفيد وحيوى بالنسبة لقضية امتدادنا الثقافى ..

بيد أن ثمة فائدة هامة يعرفها عن الشافعى تلامذته ومريدوه وقارئوه ... فالشافعى ليس صانع مذهب فقهى وحسب ، ولا صاحب أول عملية تقنينية « أصولية » للبحث فى الفقه فقط . بل إنه — مع ذلك كله ، عالم لغةحجة ثبت ، وهو — فى الرسالة — يعطينا كثيرا من الاستعمالات التى تعتبر خاصة به ، تنسب إليه ، ويحتج بها عنه . ونذكر على سبيل المثال بعض هذه الاستعمالات الشافعية .

- حذف نون المثنى دون مبرر مثل (لا خفى عليه لبسهما) أى لا خفين عليه لبسهما .
- حذف النون فى الأفعال الخمسة دون ناصب ولا جازم كقوله (الأقراء الحيض فلا يحلوا المطلقة حتى تغتسل من الثالثة) أى فلا يحلون .
- تسهيل الهمزة أو حذفها مع أن الهمزة أصلية مثل (يوطين ، ويستبرين) .
- العطف على المرفوع (منصوبا) بتقدير فعل محذوف مثل : هذا الصنف موجود نصا ، وموجودا عاما — أى ونراه موجودا .
- استعمال « أبو » بالواو نصبا وجرا مثل : عن سالم أبو النصر (أبى النصر) ..
- نصب اسم كان المؤخر بعد الجار والمجرور أو الظرف كقوله « فكان مما ألقى فى روعه سنته » بنصب سنته .

● جعل اسم كان ضمير الشأن والجملة بعدها خبر مثل « فكان ما سمى حلالا حلال وما سمى حراما حرام » .
● ذكر الفعل المجزوم على صورة المرفوع مثل : لم يقيبيـــه على الدية .. اى لم يقسه .
● اسناد الفعل الى المثنى أو الجمع مع وجـــود ضميره مظهرا مثل : كـــن النساء .
● إثبات اليـــاء فى المنقوص النكرة رفعـــا وجرا مثل (فى غير ســـتر على مصلى) .
● استعمال الواو بمعنى الفاء .

ولعل هناك غير ذلك من الاستعمالات اللغوية الخاصة بالشافعى ، وهى شاهد على ثقة الشافعى بنفسه وثقة رجال عصره فيه .... إذ أن عصر الاحتجاج باللغة كان قد انتهى ــ كما هو معلوم ــ ومع ذلك لم يجرؤ أحد على تخطئة الشافعى .

● ● ● ●

بقيت ملاحظات عابرة حول التحقيق ..

ومما لا شك فيه أن أستاذنا الكبير العلامة أحمد شاكـــر رحمه الله ــ قد أسدى إلى الرسالة والى تراث الشافعى ــ رحمه الله ــ خدمة كبيرة ، وهو ــ بالتأكيد ــ غنى عن التقريظ من تلامذته أو تلامذة تلامذته ..

ولقد كان ضبطه للكتاب ، ومقارنته مجموعة النسخ المختلفة ــ التى حصل عليها للرسالة ، ومحافظته على الأصل محافظة تامة ، ومجموعـــة الفهارس التى ألحقها بالكتاب ..

كانت هذه وغيرها سببا فى جعل التحقيق عملا طيبا لائقا بالمحقق الكبير بيد أننا كنا نأمل أن يقوم أستاذنا المحقق بوضع عناوين فرعية أو هامشيـــة للموضوعات التى يغلب عليها الانسياب والتداخل ، تنظيما لأفكاره ، وتسهيلا بالتالى للقراء الذين بوعد بينهم وبين تراثهم ، أو الذين لا يطيقون الصبر على قراءته ، كما أن هناك بعض القضايا ، والمصطلحات الفقهية كانت فى حاجـــة إلى شرح .

ولست افهم سببا لوضع ثلاث عشرة صفحة مصورة من صفحـــات المخطوط فى صدر الكتاب ، ألم تكن صفحة واحدة كافية للدلالة على طبيعة الجهد الذى بذله المحقق الكبير .. ؟

وإنه ــ بحق ــ لجهد غنى عن التعريف والتقريظ .. ورحم الله المؤلف والمحقق معا .

---

(١) فى رأى الشافعى أن القرآن لا ينسخ السنة ، وعند نزول قرآن ينسخ سنة لا بد من سنة تفيد هذا النسخ لضرورة اتحاد الدرجة ــ فى رأيه ــ بين الناسخ والمنسوخ .

(٢) يعنى اننا نطيع أوامر الرسول بناء على أمر الله لنا ــ أمرا عاما ــ بطاعته « يا أيهـــا الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » .

(٣) بمعنى ضرورة اتحاد الدرجة فى الناسخ والمنسوخ .. فالقـــرآن ينسخ القرآن والسنـــة تنسخ السنة .

(٤) كثرة الاحالة تعنى هنا كثرة التناقض .



للدكتــور أحمد الشرباصى

أنا ـــ ولعنة الله على كلمة « أنا » ، وبخاصة حينما تأتى فى فاتحـــة الكلام ـــ أنا ممن يحبـــون الرياضة ، ويدعون إليها ، ويحثون عليها كوسيلة لحفظ الصحة وصيانة القوة ، ومنذ قرابة أربعين عاما دعوت ـــ باللســـان والقلم ـــ الى إدخال الرياضة والكشافة فى فروع الأزهر الشريف ، ومنـــذ خمسة عشر عاما قلت فى بعض ما كتبت :

« ويحسن أن يكون بجوار المسجد حديقة صغيرة تلطّف جوه ، وتجمل منظره ، وتجذب الناس إليه ، كما يحسن أن نلحق بالمســـجد ساحـــة للعب الفتيان ، ليأخذوا حظهم من اللعب البرىء فيما بين الصـــلوات ، ثم يختموا ألعابهم عند الأذان ، ويتعودوا دخول المسجد منذ صباهم لأداء الصلوات فى الجماعات » .

ولقد قلت فى مؤتمر رياضى عقد سنة ١٩٥٤م : « ولو كان الأمر إلىّ ، لجعلت فى كل ملعب مسجدا ، ولجعلت على مقربة من كل مسجد ملعبا ،

بل لو قدرنا لجعلنا المسجد ملعبا ، والملعب مسجداً ، فنزكى الرياضة ونعليها ، ونعمم العبادة ونقويها ، دون أن نفرط فى حق من حقوق الله أو حقوق بيوته التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ويسبح له فيها بالغدو والآصال » .

ومن الواجب أن نعلم الرياضى **كيف ينظر الى ساحة الملعب كأنها ساحة المسجد** ، لأننا فى المسجد نزكى الروح ونصفيها بجلواتها ونجوياتها ، ونحن فى الملعب نصلح مسكن هذه الروح وهو البـــدن ، فالبدن إذن لازم للروح مرتبط بها ، وما لزم شيئا تبعه فى الأهمية والتقدير .

ولكنى الاحظ أن الرياضة فى كثير من بلاد العروبة والإسلام ــ وبخاصة لعبة كرة القدم ــ قد صارت كالبلوى أو السعار ، حيث انحرفت هنا وهناك عن طريقها المقبول ، وزادت عن حدها المعقول ، فالجمــاهير الغفيرة تترك أعمالها من أجل كرة القدم ، وتتجمع عند مبارياتها أضعاف أضعاف ما تتجمع فى المساجد لصلاة الجماعة أو الجمعة أو دور التعليم والمحاضرات ، أو أماكن التجمع الأخرى . وقبيل كل مباراة عامة تطوف سيارات كثيرة أرجاء العاصمة أو المدن ، حيث ترفع أصوات مزاميرها المنكرة ، مؤيدة هذا الفريق أو ذاك ، والألوف المؤلفة تتجمع حول أجهزة التلفزيون لمشاهدة تلك المباريات بحرص وشغف مجنونين ، والذين لا يملكون أجهزة تليفزيون يستجدون مشاهدته عند الجيران أو المعارف ، وكلما اقبلت مباراة توترت الأعصاب ، وثارت الخلافات، واحتدت المنافسات ، كأن الجميع مقبلون على معركة حامية الوطيس ، وكأننا قد حررنا الديار ، واخذنا الثأر ، وغسلنا العار ، ولم يبق إلا « معركة القدم » نتوج بها قائمة الانتصارات والمفاخر .

ونحن من اجل كرة القدم نشجع اللاعبين بمختلف الوان التشــجيع ، بالكلام والمديح ، وبالمال والمكافآت ، وبالهدايا والمنح ، بل ندللهم فى بعض الأقاليم وبعض الأوقات بما لا يجوز التدليل به ، وقد نحرضهــم بطريق مباشر أو غير مباشر على كسب المباراة بأى وسيلة ، ولو كان بخشونة اللعب والتواء الطريقــة وقســوة السلوك ، ويظل انصار كل فريق يهتفــون لفريقهم مؤيدين مستحثين ، ويطبلون لأعضائه ويزمرون ، ولا همّ لهؤلاء ولا لأولئك الا أن يكون أعضـــاء فريقهم الفــائزين فى المباراة مهما كان الثمــن ، ومهما كان الأســـلوب .

◆◆◆ ◆◆◆

وفى الأيام الأخيرة طالعتنا الصحف بأخبار تعد كالإرهاص لمضاعفـــات ستأتينا من وراء تلك البلوى ، ما لم يتحرك المسئولون هنا وهناك لاصلاح الحال وتوجيه الرياضة عموما ، ولعبة كرة القدم خصوصا ، نحو الأهداف الأصيلة المطلوبة من وراء الرياضة .

فهذا رئيس مجلس الادارة فى احدى الشركات يموت بالسكتة القلبيـــة لأن فريق الكرة الذى يحبه قد انهزم فى المباراة ، فقد نشرت صحيفة «الأخبار» بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣ ما يأتى :

« مات رئيس مجلس ادارة شركة النصر لمنتجات الكاوتشوك بالســكتة القلبية عندما سجل الجارم هدف الفوز للاتحاد من مرمى الأهلى فى مبـــاراة كأس مصر ، كان أحمد جاد الغداوى يتابع المباراة أمام الشاشة الصغيرة بين

افراد أسرته فى منزله ، وعندما أحرز الأهلى هدفه الاول قفز من مكانه ، واحتضن ابنته وابنه تعبيرا عن فرحته ، واستمر يتابع المباراة بحمـــاس ، الى أن سجل الاتحاد هدف التعادل فبدأ يشعر بالضيق ، ثم زادت حالته سوءا عندما سجل الاتحاد هدف الفوز ، وقبل نهاية المباراة بثوان .. وعندما فقد الأمل فى التعادل انسحب من أمام التلفزيون ، ودخل غرفته متعبا ، لينام بعد انتهاء المباراة ، ودخلت زوجته الى الغرفة فوجدته قد فارق الحياة ، ويده على قلبـــه » !!.

وهذا مراقب فى الامتحان السنوى باحدى الكليات ، يأخذ معه جهـــاز راديو في لجنة الامتحان ، ليسمع مباراة كرة القدم ، وهو مكلف بالتفرغ لمراقبة الطلبـــة أثناء الامتحان ، وقد نشرت صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣ هذا الخبر بحروفه : « جهاز راديو كان يضعه أحد المراقبين فى كليـــة تجارة القاهرة على أذنه ، ليستمع الى مباراة الاهلى والاتحـــاد السكندرى — أمس الأول — صادره د. عباس شيرازى رئيس لجنة الامتحانات » !!..

وهذا زوج يتعصب لفريق معين ، وزوجته تتعصب لفريق آخر ، والنزاع يثور بين الزوجين كلما جرت مباراة ، وحينما يفوز فريق الزوج يغيظ زوجته بالسب والشتم والاشارة وغير ذلك من التصرفات النابية ، وبيت هـــذين الزوجين تعلن فيه حالة (الطوارىء) كلما اقبلت مباراة ، ولا بد من صدام بين الزوجين فى نهاية المباراة ، اذا تغلب أحد الفريقين على الآخر ، بل لا بد من الصدام حتى ولو تعادل الفريقان ، لأن كلا من الزوجين يمدح فريقـــه ويذم الفريق الآخر ، فيقع الصدام ، والحرب أولها كلام .

وليس ببعيد — اذا استمرت الحال فى هذا الانحراف — أن يأتى اليوم الذى يؤدى فيه سعار التعصب لكرة القدم ، الى أن ينتحر الشخص حدادا على فريقه المهزوم ، ويكون المنتحر قد تأثر فى هـــذا بذلك المخبول الأمريكى الذى أطلق سبع عشرة رصاصة على جهاز التلفزيون ، لأنه رأى على شاشته الفريق الذى يحبه وقد باء بالهزيمة والفشل . فقد نشرت صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣ الخبر التالى بحروفه :

« أطلق أمريكى عمره ٤٢ سنة فى ولاية كاليفورنيا ١٧ طلقة رصاص على جهاز التلفزيون فى بيتـــه ، وذلك بعد أن أثارت أعصـــابه هزيمة فريق البيسبول الذى يشجعه . اخترقت بعض الرصاصات جدار شـــقة جارته العجوز (٧٠ سنة) . قال مدافعا عن نفسه : انه ليس من المعقول أن يفعل إنسان هذا بجهاز تليفزيونه الخاص الا اذا كان فاقدا لأعصابه » !!..

ومما يزيد الموقف أسفا وأسى أن تخبرنا الصحف أن فريقين فى مبـــاراة مشهودة رفضوا أن يحكم بينهم اى حكم وطنى ، واصروا على أن يكون الحكم أجنبيا ، كأنه لا يوجد بين المواطنين من يستحق الثقة أو يعرف العدالة ، وقد حمل الكاتب الاسلامى الأستاذ احمد زين على ذلك فى صحيفة « الأخبار » بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٧٣ فقال :

« أحزننى ما حدث فىمباريات الكأس لكرة القدم . لم يحـــزننى اللعب فلست ممن يتابعونه ، ولا النتائج ، ولكن الالتجاء الى حكم اجنبى ليحـــكم المباراة ، وذكرتنى هذه بعقدة « الخواجة » فى الماضى ، ذلك الزمن الذى عفى عليـــه الدهر ، يوم استطاع الاستعمار أن يقنعنا بأن القيادة المصرية فاشلة ، وأنه لكي ينجح أى عمل من الأعمال لا بد أن يتولاه رجـــل أجنبى ، أو خبرة أجنبيـــة .

ويوم تم تأميم الاقتصـــاد المصرى ونقله من الخبرة الأجنبية الى الخبرة المصرية ، انطلقت أبواق كثيرة تؤكد انهيار الاقتصاد المصرى الى آخره . واليوم نجد أن ناديين من أكبر نوادى مصـــر لا يثقان فى كل حكام الكـــرة المصريين الدوليين ، والذين يحكمون أكبر المباريات فى العالم ، ويطالبون بحكم أجنبى . لماذا ؟. لضمان العدل ، كأنما الحكم المصرى رجل متحيز أو غير عادل أو غير كفء ، ويجب أن يأتى « خواجة » ليضمن العدالة ونضمن سير المباراة .

كنت أفضل أن تلغى المباراة ، لأن ذلك خير من أن نعلن عدم ثقتنا بأنفسنا الى هذا الحد . كلمـــة أخيرة : إن عـــدد النقاد الرياضيين الذين يسفهون ويشككون فى الحكام المصريين فىكل مباراة ، ينظرون الى الحكم الأجنبى على أنه إله ، ويكيلون له المديح والثناء ، وليس هذا غريبا » !!.



هكذا أصبح أمرنافى الرياضة ، وهكذا انحرف بها أهلوها الا من رحم الله ، وقليل ما هم . فما كلمة الدين ؟.

لقد قلت منذ عهد بعيد انه تجب العناية بتعميم الرياضة البدنية ، أو التربية الرياضية بين أبناء المسلمين ، مع الحرص على جعل هذه الرياضة وسيلة لا غاية ، فهى وسيلة لتكوين الجسم السليم الذى يحتله العقل السليم ، ويقوده الخلق القويم ، وهى وسيلة لتربية الأخلاق وغرس الصفات الحميدة التى تتكون من التمرين والتدريب .

وإذا كانت « الرياضة البدنية » تعد عند الرياضيين درجة أولية ، لأنها تهذيب فردي للبدن عن طريق التمارين المختلفة ، وكانت الألعاب الرياضية عندهم درجة ثانية بعد الأولى ، لأن الالعاب الرياضية مباريات بين مجموعات تتذرع كل منها بالتنظيم والتعاون الى نيل السبق والغلب ، فاننا نريد الدرجة الثالثة العليا ، وهى « التربية الرياضية » ، التى تكوّن فى الانسان جســـما وفهما ، وعقلا وخلقا ، لاننا نحتاج الى الرياضي الصحيح : بجسمه المحكم ، وتفكيره المنظم ، وخلقه المقوّم ، وإيمانه المدعّم . كما نريد جيلا فتيا فى بدنه وكيانه ، عميقا فى تفكيره وجنانه ، متطهرا فى خلقه ووجدانه ، ثابتا فى يقينه وإيمانه ، غيورا على بلاده وأوطانه ، ومن هذا الجيل المنشود يتكوّن الوطن المؤمن العظيم الذى نريد .

ولذلك كان واجبا أن نعمم الرياضة السليمة القويمة فى كل مكان ، لا باسم البدن والوطن فقط ، بل باسم الدين أولا وقبل كل شىء . ويجب أيضا إشاعة روح الفتوة والفروسية بين شباب المسلمين ، ونشر التداريب العسكرية وروح الجندية ، ومحاربة الترف والتميع والترهل ، وأخذ الناشـــئة بأساليب التقشف والاخشيشان .

ولامعنى للرياضة اذا لم يحسن صاحبها الجمـــع بين قوة بدنه وضبط نفسه وتحكيم عقله : وهذا ما يشير اليه القرآن الكـــريم ، فقد قال عن أحد الأخيـــار : « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بســـطة في العلـــم والجســـم » . وبسطة العلم إشارة الى قوة العقل والخلق ، وبسطة الجسم اشارة الى قوة البدن وصلابة الأعضاء .

والله تبارك وتعالى حينما امتدح أهل الكهف وصفهم بأنهم « فتية » ، وهذه إشارة الى القوة الحسية ، ووصفهم بأنهم « آمنوا بربهم » وهذه اشارة

الى القوة العقلية والخلقيـــة ، فقال فى ســـورة الكهف : « **إنهم فتية آمنــوا بربهم ، وزدناهم هدى ، وربطنـــا على قلوبهم ، إذ قاموا فقـــالوا ربنا رب السموات والأرض ، لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا اذا شططا** » .

فكيف يتحقق هذان الهدفان الجليلان ، أو نحسن الجمع بينهما عن طريق الرياضة ، اذا كنا سنظل نتخذها وسيلة للتعصب المذموم ، والمنافسة السخيفة الزائدة عن حدها ، والخلافات الحادة التى تؤدى الى الكراهية والبغضاء ، والتى تمزق العلاقات بين الأصدقاء والمعارف ، وبين الآباء والأبناء ، وبين الأزواج والزوجات ؟.

من حقنا أن نتمتع بالرياضة ، ولكن على شريطة أن تكون وسيلة لا غاية، وتدريبا لا حرفة ، واستمتاعا لا تعصبا ، وعلى شريطة أن لا تشغلنا كرة القـــدم عن واجبات ثقال تلاحقنا من يمين وشمال .

ولقد نشرت الصحف أخيرا أن احدى المدن الكبيرة فى أحـــد الأقطـــار الاسلامية قد انقلبت الى اعراس وأفراح ، فلما قرأت الخبر قلت فى نفسى : ليتنا نعيش حتى نرى هذه المدينة وغيرها من بلاد العروبة والاسلام تعيش أفراح النصر ، واعراس الحرية ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

والله ما دون الجلاء ويومه　　　يوم تسميه الكنــــانة عيدا



إن الإسلام لا يقاوم الرياضة ، بل هو يدعو اليها ويحث عليها ، لأنه دين القوة ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » ، والقوة هنا عامة ، تشـــمل قوة البدن ، وقوة الروح ، وقوة العلم ، وقوة الأخلاق ، وقوة الإيمان .

والإسلام لا يقاوم الرياضة ، بل يدعـــو اليها ، ويحث عليها ، ولذلك طالب الأب بأن يعلّم ابنه السباحة والرمى وركوب الخيل ، ولقد اهتم الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فأنشأ أول ساحة رياضية فى الاسلام ، وكانت خارج المدينة المنورة ، وكان يدرب فيها الشباب على الجرى والرمى وفنون المبارزة ، واعتبر الرسول — فى بعض أحاديثه — هذه الساحة كقطعة من الجنة ، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يخلعون نعالهم عنـــدها ، ويطأونها حفاة الأقدام إظهارا للاحتفال والاكرام .

ولقد مارس رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فنونا من الرياضة ، فسابق عائشة رضى الله عنها ، فسبقته مرة وسبقها أخرى ، وقال لها فى سماحة : هذه بتلك . وصارع النبى « ركانة » الذى كان مضرب المثل عنـــــد العرب فى المصارعة والقوة فصرعه النبى أكثر من مرة ، وسابق بين الخيل ، ونظم هذه المسابقات بين ذوات الخف والحافر ، ووضع للمسابقات نظاما دقيقا ينزهها عن الخداع والمؤثرات الخارجية .

الإسلام — إذن — لا يقاوم الرياضة ، بل يدعو اليها ويحث عليها ، ولكنه كما أبنت يريدها وسيلة للتربية والتهذيب ، لا أن تكون مشغلة تضيع بجوارها حقوق وواجبات .

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ

بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ

وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ



.. مِنَ الله أنتْ !
مِن الروح أنتْ !
.. ومِنْ كلِّ أفقٍ يُنادِي صداكْ
وفي كل صوتٍ أحِسُّ أراكْ
وأسمعُ في كل شيءٍ نداكْ ..

.. فأسمعُهُ في دمي ثورةً للضياءْ
من النار والنور تشعل فجر الإباءْ
وفي خلدي نبضةٌ كاحتدام الرياحْ
وكالعاصف المنبري واختراق البطاحْ ..
وفي كبدي .. ماردٌ عبقريّ الجناحْ
يشدُّ من الليل نورَ الصّباحْ ...

ويزأر بالثأر تحت العروقْ
ليستلّ منها ضياء الشروقْ
وفي خطوتي .. درب عمرٍ وليدْ
وفي نظرتي .. صحوةٌ للوجودْ
تنفِّضُ عنه غبارَ الليالي السحيقهْ
وتمضي به في هدير الحقيقةْ !!
.. جبيني جديدْ
ووجهي جديدْ
وإيماء عيني جديدْ
وإصغاء سمعي جديدْ ..
وذاتي .. شواظٌ على جلدها المستضام القديمْ
وكِبْرٌ من النور يسطع تحت الأديمْ

يُنوّرُ ليلَ الكهوف الضريرةْ
ويلسعُ كلَّ بقايا الكرى في السريرةْ
ويوقظها كي تشقَّ المصيرْ
وتوغلَ صامدةً في المسيرْ ..
.. وأسمعُهُ طارقاً من هُتاف السماءْ
يدقُّ على كلّ بابٍ بأعتى النداءْ !

... ...
.. فمِنْ صوت جبريلَ وهو ينادي "محمّدْ"
ومن رعشة الوحي، وهو لهيبٌ وموقِدْ
ونارٍ مجلجلةٍ من سماء الغيوبْ
لمعركة الحقِّ جاءت تشقُّ الدروبْ ..
وتزأرُ في كلّ ليلٍ بتيمٍ بشلال الضياءْ
وفي كل يأسٍ ذبيح الأماني جريح الرجاءْ ..

.. ومن عنكبوتٍ على الغار أرخى الستورا
بأوهى خيوطٍ، أدار الزمانَ، وأحيا الدهورا!
.. ومن "بدر".. وهي تميمة كل المعاركْ
وصوتكَ فيها من الحق، نارٌ تُشاركْ!
.. ومن كلّ خطو النبيّين فوق الصخور
وهم يحصدونَ الدجى من وجوهِ الجبابرة!!
.. من الله أنتَ!!
من الروح أنتَ!!
ترنَّمْ! وجلجلْ لي وبالنور أقبلْ!
وليلتمْ زئيركَ من كلّ ليلٍ تزاحم بأرضكْ
ومن كلّ كأسٍ سقتها الضحايا فداءً لعرضكْ
ومن كل سيفٍ رضعنا مع الثدي أنوار شمسه
وذرنا نشارع بزارات شعرٍ تغنّي لبأسه..

ترنّمْ، وجلجلْ
وبالنصر أقبلْ
وهاتِ الطبولَ، وهاتِ الخيولَ، وهاتِ البيارقْ
وهاتِ الصدى، من مزامير "طارقْ"..
وأيقظْ "عمورية" من كراها،
وذقْ نارها واسقني من لظاها بقايا ضحاها!
.. وخذْ نغمةً من سماوات "حطين"،
واخضبْ نداءكْ
وأوغلْ مع الريح في كلّ أفقٍ،
وفجّرْ إباءكْ
وذرْ بالعصور، وبُرقِ النشور على الراقدينْ
وأنشبْ زئيرك في كل كهفٍ على الجامدينْ

.. صحونا! ولابدّ نستحقّ هولَ الطريقْ
ونزحفُ.. حتى نردَّ من الليل ضوء الشروقْ!!
فزمجرْ كما شئتَ.. حتى تردَّ إباء السنينْ
وشقّ الصدورَ، وأضرمْ بها مهجة الزاحفينْ
وغنِّ هوانا، وغنِّ هوانا
وأشعلْ بنا ثورةً لليقينْ!
.. ولن يَغسِلَ العارَ.. إلا امتدادُكَ في كل شيءْ
ولن يأخذ الثأرَ.. إلا انتفاضُكَ في كل حيّْ
ولن يُرجعَ الدارَ.. إلا اقتحامُكَ ذُلّ الخليّهْ
ومحوكَ للضعف من كل روحٍ غبيّهْ..
.. فصوتكَ في كل روحٍ حياهْ
وصوتكَ للنصر أزكى صلاهْ

فقاتلْ به في العروق دم اليائسينْ
وأيقظْ به في الدماء رؤى الراقدينْ
وأعجلْ به النصرَ للصامدينْ
.. ويوم نردُّ التراب الحبيب لأقدامنا
وصوتكَ بالنصر يجري نشيداً لأيامنا
سنسمعُ من كلّ أفقٍ أذاناً يهزّ الشعوبْ
ويحضرُ في الأرض لحنُ البطولة..
.. نحنُ العربْ!!

محمود حسن اسماعيل
محمود حسن اسماعيل

الجهاد بالمال

« وانفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » ان الجهاد كما يحتاج الى الرجال يحتاج للمال ، ولقد كان المجاهد المسلم الأول يجهز نفسه بعدة القتال ، ومركب القتال ، وزاد القتال .. لم تكن هناك يومئذ رواتب يتناولها القادة والجند ، انما كان هناك تطوع بالنفس وتطوع بالمال ، ولكن كثيرا من فقراء المسلمين الراغبين فى الجهاد والذود عن العقيدة والحرية والكرامة والعزة الايمانية لم يكونوا يجدون ما يزودون به أنفسهم ، ولا ما يتجهزون به من عدة الحرب ومركب الحرب ، وكانوا يجيئون الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يحملهم الى ميدان المعركة ، فاذا لم يجد ما يحملهم عليه : **« تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون »** .

ومن أجل هذا كانت دعوة القرآن الى الانفاق فى سبيل الله . الانفاق لتجهيز الغزاة ورعاية أسرهم ، وقرر القرآن الكريم أن عدم الانفاق تهلكة ، وما أكثر ما ذكر الجهاد بالمال فى القرآن الكريم مقترنا بالجهاد بالنفس ، بل مقدما عليه قال تعالى : **« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون »** وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » .

والجهاد بالمال يكون ببذله عن طيب نفس . دعما للجيش واعدادا للمعركة وتجهيزا للمجاهدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا » .

ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة فى المسارعة الى الانفاق فى سبيل الله والجهاد بالمال دعما لاقتصاد الدولة وبنائها العسكرى وتجهيز جيوش المسلمين . وفى غزوة (تبوك) كان على المسلمين أن يصدوا جموع الروم التى تجمعت فى الشام لغزوهم ، وأن يعدوا لهم ما استطاعوا من قوة ، ولم يكن لدى المسلمين آنئذ من المال ما يكفى لتجهيز جيش قوى يرد غارة الروم ويصد عدوانهم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التطوع للجهاد والتبرع بالمال وتسابق المسلمون فى

هذا الجهاد ، فكان أبو بكر أول من قدم ماله . جاء بكل ما يملك وقدمه لرسول الله ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ماذا أبقيت لآلك ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله .

وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله ، فقال له الرسول : ماذا أبقيت لآلك ؟ فقال : أبقيت لهم نصف مالى ، فقال صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أبقيت . وتبرع العباس بن عبد المطلب بتسعين الف درهم وعبد الرحمن بن عوف بمائتى أوقية ذهبا ، وجهز عثمـــان ثلث الجيش ، وجاء جابر بن عبد الله الانصارى بحفنة من بر هى كل ما يملك .

والدعوة الى الانفاق فى سبيل الله دعوة عامة لجمع المسلمين اغنيائهم وفقرائهم قال تعالى : **« ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفســـه والله الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »** وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصدقات ظل فسطاط فى سبيل الله ، ومنحة خادم فى سبيل الله أو طروقة فحل فى سبيل الله » .

ان المعركة التى تدور رحاها اليوم بين المسلمين وبين الصـــــهيونية تفرض على كل مسلم ومسلمة أن يتبرع بكل ما تحتاج اليه المعركة . بالمال . بالغذاء . بالكساء . بالغطاء . بالدم . بالأدوية . بالخيام . بالسيارات .. والتبرع يجب أن يزيد كثيرا على الزكاة المفروضة على المسلمين . يجب أن يصل الى رأس المال نفسه ، بل الى الايثار .

ان الحرب التى نخوضها الآن حرب طويلة الأمد ، ومغارمها وتضحياتها فادحة وما تحتاجه من البذل والعطـــاء يقدر بالمليارات لا بالملايين ، وفى المسلمين ثراء وفى المسلمين كثرة ، وهم قادرون لو صدقوا الله لمولوا المعركة بكل ما تتطلبه من نفقات .

وان عدونا فى كل شبر من الارض يتبرع بأموال طائلة لمساندة العدوان والأرقام التى تنشر عن تبرعات الصهاينة فى العالم لتمويل المعركة ضدنا أرقام مذهلة .

ان الدعم المالى الشعبى للمجهود الحربى يربو كثيرا على الدعم المالى الحكومى فأين صندوق الجهاد الذى يمول من الزكاة ومن جزء ثابت يقتطع من راتب الموظفين فى الدوائر والمؤسسات والمصارف ومن التجار وأصحاب المهن .

ان واجب المؤتمر الاسلامى أن ينهض بالدعوة الى انشاء هذا الصندوق والاشراف على جمع التبرعات لتمويل الجهود الحربية للجيوش الاسلامية .

متى تفتح هذه الخزائن المملوءة بالأموال ؟ متى تملأ هذه الصـــكوك البيضاء بالأرقام ؟ متى تفك الأغلال عن الأيدى المربوطة الى الاعناق ؟ متى تقسم الأطعمة والأكسية والأغطية بيننا وبين المجاهدين بالسوية ، متى يكون الله ورسوله أحب الينا من انفسنا وأموالنا .

ان تمويل الحرب وامداد المجاهدين بالمال والسلاح ، وتقديم العون الطبى والتموين الغذائى وكفالة اسر المقاتلين ومدها بما تحتاج اليه فريضة على كل مسلم ومسلمة : **« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهـــاده هو اجتباكم »** .



ان الأخطار التى تهدد المسلمين تحتاج الى كل جهد يبذل فى سبيل القضاء عليها وان العدوان الذى يقع على المسلمين يحتاج الى جهد المسلم والمسلمة معا لرده ودحره ، وأن ميدان الجهاد أوسع من أن ينحصر نطاقه فى جبهة القتال وحدها ، ومن هنا كانت أسهم الجهاد فى سبيل الله كثيرة ومتعددة ، فمن حمل السلاح كان مجاهدا ، ومن جهز غازيا فى سبيل الله كان مجاهدا ، ومن خلف غازيا فى أهلة فقام على رعاية أولاده وأسرته كان غازيا ، ومن تصدى للحرب النفسية التى يشنها العدو كان مجاهدا ، ومن أسهم فى التعبئة المعنوية بالكلمة أو الصورة لم يقل ثوابه عن ثواب المجاهد ، ومن آوى مجاهدا أو أسعف مقاتلا أو آوى مناضلا أو حمل جريحا فقد أسهم فى الجهاد بنصيب وافر .

والانتصار على العدو ودحره يحتاج الى تضافر كل هذه الجهود ، والى تعاون الرجل والمرأة والشاب والفتاة ، وقد أفسح الاسلام للمرأة فى ميدان الجهاد والاسلام وان كان عذر المرأة فلم يكتب عليها حمل السلاح فى المعركة الا أنه لم يعفها من أبواب الجهاد الأخرى التى تتمثل فى الاسعاف والتمريض وامداد الجيش بما يحتاج اليه من ماء وغذاء وكساء ومن كلمة حق تثير القاعد وتسوقه الى المعركة وتاريخ المرأة المسلمة فى الجهاد تاريخ مشرف .

١ — عن أنس : كان النبى صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه ، فيسقين الماء ويداوين الجرحى (رواه مسلم وابو داود) .

٢ — وقالت الربيع بنت معوذ رضى الله عنها : كنا نغزو مع النبى صلى

الله عليه وسلم فنسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى الى المدينـــــة (رواه البخارى) .

٣ ــ وقالت أم عطية رضى الله عنها غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم فى رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى واقوم على المرضى (رواه مسلم) .

٤ ــ وأم عمارة : نسيبة بنت كعب المازنية كان لها يوم احد موقف مــن أعظم المواقف فى الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولندع أم عمارة تصف لنا هذا الموقف . قالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه ، والدولـــة والريح والنصر للمسلمين ، فلما انهـــزم المسلمون انحزت الى رسول الله ، فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القـــــوس حتى خلصت الجراح الى .. وكان فى عاتقهـــــا جرح أجوف أغور من ضربة لابن قمئة الذى انتهز فرصة انهزام المسلمين ، فأقبل يقول دلونى على محمد فــلا نجوت ان نجـــا ، قالت أم عمارة فاعترضت له أنا ومعصب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول اللـــه ، فضربنى هذه الضربة ، فلقد ضربتـــه على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبارك جهاد المرأة ويثنى عــلى بلائها ويفضلها على بعــض الرجال ممن لم ينشط نشاطها ولم يصنـــــع صنيعها .

عن عبد الله بن عاصـــــم قال : شهدت أحدا مع رسول الله صـــلى الله عليه وسلم فلما تفرق الناس عنه دنوت منه وأمى تدفع عنه ، فقال : يا ابن عمارة ــ قلت : نعم . قال ــ ارم فرميت بين يديه رجلا من المشركين بحجر وهو على فرسه فأصبت عيــن الفرس حتى وقع هو وصاحبـــــه ، وجعلت أعلوه بالحجارة والنبى ينظر اليه ويبتسم ، فنظر الى جرح بأمى على عاتقها . فقال : أمـــك أعصب جرحها . بارك الله عليكم من أهــــل بيت . لمقام أمك خير من مقـــام فلان وفلان . رحمكم الله من أهل بيت . فقالت أمى : أدع لنا يا رسول الله أن نرافقك فى الجنة ، فقال : اللهـــم اجعلهم رفقائى فى الجنة .

ودور المرأة فى هذه المعركة التى نخوضها مع أعداء الله دور كبير ، فان الحرب اليوم لم تعد قاصرة على ميدان المعركة ، بل انهـــــا تصيب الآمنين الوادعين فى دورهم ومســــــاكنهم بالقنابل المدمرة والصواريخ المخربة وهذا يحتاج الى سهر المرأة عــلى الجرحى ورعايتها للمنكوبين وتثبيتها للجزعين ، ومواساتها للمصابين . ان واجبات المرأة المسلمة فى هــذه الحرب كثيرة متعددة ، فلتعط نساؤنا اليوم نماذج رائعة فى الايمان والصبر والتحمل والمشاركة ، والبطولة كما أعطت جداتها وأمهاتها من سلفنـــا الصالح .



أبواب الفردوس

هــذه هى سيناء أرض البطولة . وهذه هى هضبة الجــولان مقبرة الصهيونية .. هنا وهناك مؤمنــون مجاهدون . هانت فى أعينهم الدنيا ، الموت أحب اليهم من الحياة .. هنــا وهناك تهب روائح الجنة على أبطــال باعوا انفسهم لله ووهبوا حياتهم لله ، وقفوا يقاتلون أعداء الله لا يبالــون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم فاشترى الله منهم أنفسهم وأعــــد للشهداء منهم جنة تعهد غراســــها وأحسن مهادها ، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قــلب بشر .. هنا وهناك فدائيون عــــلى الرمال المترامية والتــلال المتناثرة والصخور الصماء يقتلــون عدونا ويرفعون علمنا ويثأرون لكرامتنا . يحررون أرضنا ويستردون مقدساتنا ويغسلون بدمائهم الزكية العــــار والهوان الذى لحقنا ... هنا وهناك فى قلب الأرض المحتلة مجاهــــدون جمعهم الاسلام ، وعبأتهم العقيـــــدة فخرجـــوا من كل أرض من مصر وسوريا والكويت والسعودية والاردن والمغرب والجزائر وليبيا والعراق ، واحتشدوا فى ميدان المعركـــــة مع رفقائهم فى السلاح أبناء فلسطين . احتشدوا بلا نسب الا نسب الاسلام ، وبلا جنسية الا جنسية الاســـلام . احتشدوا يذيقون المعتدين ، الـــوان العــذاب ويلبســونهم ثيــاب الذل والهوان .

هنا وهناك تفتحت أبواب الفراديس للشهداء منهم الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله .

هنا وهناك تفتحت ابواب المستقبل للاسلام والعزة والغلبة للمسلمين : **((كتب الله لأغلبن انا ورسلى أن الله لقوى عزيز)) .**

فاللهم نصرك الـــذى وعدتنا به وتثبيتك الذى أيدتنا به : **((اذ يوحى ربك للملائكة انى معكم فثبتوا الــذين الذين آمنوا سالقى فى قلوب الــذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)) .**

خريطة الجمهورية العربية السورية ومرتفعات الجولان

البحر الأبيض المتوسط

الجمهورية العربية السورية

المملكة الأردنية الهاشمية

فلسطين المحتلة

الجمهورية اللبنانية

دمشق

حماة

حمص

اللاذقية

بانياس

طرطوس

طرابلس

بيروت

صيدا

صور

عكا

حيفا

الحولة

القنيطرة

بحيرة طبريا

درعا

كوة

قطنا

نابلس

جنين

الجبل الشرقي

جبال لبنان الشرقية

مرتفعات الجولان

بحار - بحيرات

خطوط سكك حديد

حدود

خريطة سيناء بجمهورية مصر العربية

البحر الأبيض المتوسط

البحر الأحمر

خليج السويس

خليج العقبة

فلسطين

سيناء

النقب

الأردن

القدس

يافا

غزة

خان يونس

رفح

العريش

بحيرة البردويل

بير العبد

بورسعيد

بورفؤاد

القنطرة

الإسماعيلية

السويس

أبو عجيلة

العوجة

التيمة

بير الحسنة

بير جفجافة

بير الحسنة

نخل

الكونتيلا

العقبة

طابا

رأس النقب

الطور

شرم الشيخ

فيران

أبو رديس

أبو زنيمة

عيون موسى

رأس سدر

شدوان

تيران

صنافير

بحار - بحيرات

خطوط سكك حديدية

حدود

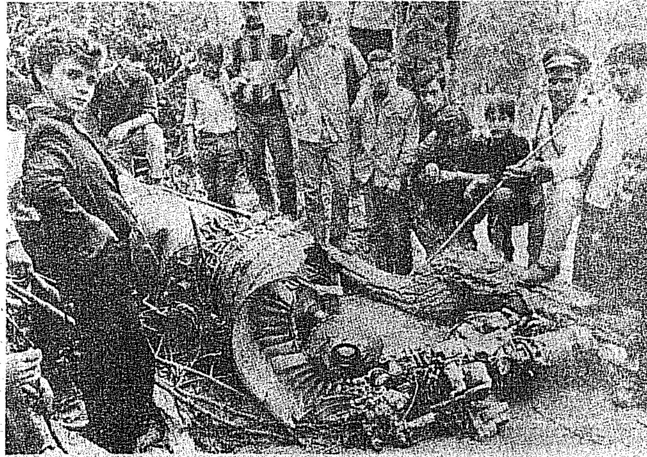
خط بارليف

أماكن وجود القوات المصرية

حتى مساء الثلاثاء ٩/١٠/٧٣

صور من المعركة

حطام طائرات العدو بدمشق



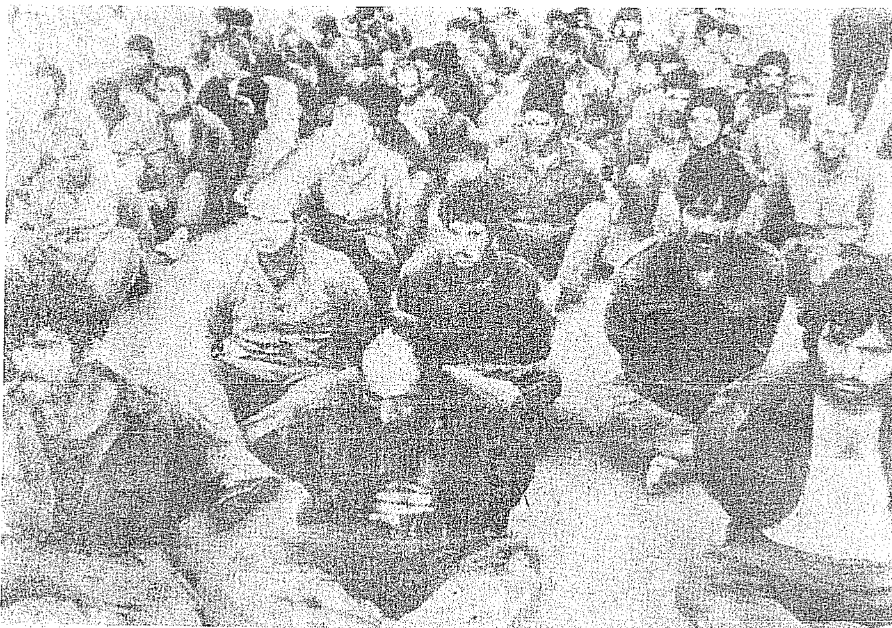
مواطنون سوريون امام حطام احدى طائرات العدو الاسرائيلي التي اسقطت في دمشق امس

جنود العدو يحاولون الفرار من القصف السوري في الجولان





مقاتلون مصريون في احد مواقع خط بارليف في سيناء بعد الاستيلاء عليه



جنود العدو الذين اسرتهم القوات المصرية في سيناء



من قصصنا المشرق

عطاء وهشام

للأستاذ : أحمد العناني

عاد أمير المؤمنين هشام بن الملك من مشتاه في اطراف الأردن الى مقر الخلافة بدمشق ، وهو أشد ما يكون عزيمة على أن يسلك في حكمه مسلكا معينا يتسم بالحزم الشديد ، والانضباط التام .. لقد كان استجم طويلا حتى لكأنما بدد عن صدره أحمالا ضاغطة من الجهد والكبت والمعاناة .. ولقد أصبح الشيب يملأ رأسه ، وأخاديد في جبهته ووجهه تحمل نذير الموت صامتا ولكنه نذير رهيب لا يحتاج في نطقه الى لسان ..

وشيئا فشيئا أصبح يتفهم موقف سلفه عمر بن عبد العزيز ، وبات يتشكك في معارضته العنيفة لحكم عمر ، ويتمنى لو استمر الخط الذى سار عليه عمر طويلا فلم ينثلم بحكم أخيه يزيد بن عبد الملك ثم خلال السنوات الخمس عشرة التى مضت على حكمه هو .. فالناس هم الناس اذا فتح لهم امير او حاكم أبواب الطمع والكسب السريع لم يتوقفوا في ذلك عند غاية ، ولم تكن لمطالبهم حدود ولا نهاية .. فيا ليت أن أخاه يزيد ، ويا ليته هو بعد يزيدتركا الباب الذى أقفله عمر مقفلا الى الأبد ، ولكن اني لهما ذلك وهما كانا يتزعمان دعاة فتح ذلك الباب علي مصراعيه .. فالآن قد فتح كما أراد فيالله كم يتسرب خلاله من قوة الدولة ومن موازنتها وأموالها ، وبالله كم هى محتاجة الى ذلك كله الآن ، وهى تواجه قتالا مستمرا عنيفا في المشرق وراء النهر شرقي خراسان ، كما تواجه سنوات قحط مريرة في الشام والعراق والجزيرة ولكن لا باس .. ما لا يدرك كله لا يترك جله كما يقال .. لسوف يحاول هشام بكل قواه أن يغلق ذلك الباب الذى فتح

فاستنزف أموال بيت المال ، ولو نصف اغلاق .. وليحزمن في ذلك حزما شديدا ، وليواجهن اتهام الناس إياه بالبخل وبما شاعوا من النعوت ، فانه ليحس بوادر ضعف في جسمه ، وانه لموشك أن يقبل على ربه ، وان الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ، والعاقل الكيس من عاد عن خطئه مهما بلغت مشقات العودة .



ليأخذ الامور بحزم وأناة اذا ..

وليناقش هؤلاء الناس الذين يزدحمون عنده من أصحاب الحاجات وذوى المطامع والنهّازين ..

وليحرص على مال الدولة أشد الحرص ، وليسخّر ما يدخر في شد ازر المجاهدين في المشرق ، وليخفف ما استطاع عن كاهل المشدودين الى ضرائب مبهظة فيما هم يعانون من بلاء القحط وغوائل السنين ..



ولكن الناس بعد طول الرضاع يصعب فطامهم عن الباطل والشر ، هذا الديوان في كل صباح يغص بالوافدين يختلط بينهم صاحب الحق بالمبطل ، والمحتاج حقا بمدعي الحاجة ، وفيهم الذى يرفع عقيرته شاكيا من ظلامة مسته ، وهو في حقيقة الحال ظالم سواه معتد عليه .

والشعراء لا ييأسون من نوال المكافآت ، وغيرهم يفتنون في اختراع المطالب والحاجات ..

وذات صباح بكر فيه أمير المؤمنين الى ديوانه ، وتكاثر فيه الناس خارج الديوان يلحون على الحاجب في طلب الاذن بالدخول والحاجب حائر فيهم : هذا أموى من الأمراء أنى له ان يزجره عن الحاحه في طلب الدخول ، وهذا من بعض أصهار أمير المؤمنين ، وذاك شاعر لا تؤمن غدرات لسانه اذا أعيد غاضبا ، وأمير المؤمنين يسير بأموره الهوينى .. يدقق في مطالب الداخلين عليه ، ويتثبت ويناقش فما يخرج من عنده واحد ، حتى يفد الى الديوان اثنان مستجدان بدلا منه ..



والناس جلوس حين توقف حمار أسود عليه رحل من الخشب يعتليه شيخ نظيف الثوب والجبة والقلنسوه ، لكن كل ذلك من قماش رخيص مسه البلى وتمزقت منه جوانب .

وبدا شكل الشيخ واضحا في الشارع أمام باب الديوان ونظر فتى من الامويين يرافق أباه المنتظر للاذن على أمير المؤمنين فرأى رحل الخشب على الحمار الاسود ، وثياب راكبه المهلهلة فضحك بصوت مسموع وهو يتمتم « وهذا أيضا ينشد الاذن على أمير المؤمنين ! » ونظرت عيون على أعناق متطاولة من جوانب المجلس الى الفتى وفيها استنكار لسلوكه واستهجان .. وتطلع الفتى الى أبيه فاذا هو ينظر اليه شزرا نظرة كلها

السخط والغيظ .. ثم همس له : ((ويحك .. اتضحك من رجل هو أكرم عند المسلمين من عمك امير المؤمنين ؟)) .

وسكت الفتى وسكت أبوه وخيم على الجالسين صمت ..

وبصر الحاجب بالشـــيخ الذى وفد فعرفه فاسرع الخطى نحو امير المؤمنين ورد الشيخ التحية بوقار وصمت ، ونظر الفتى الاموى فى وجهه فاحس بهيبة ورهبة ، وبدا عليه أنه يلوم نفسه على ما بدر منه ، وما كاد الشيخ يسترد انفاسه جالسا حتى عاد الحاجب ميمما شطره ، لم يعرج على أمير من امراء امية الجالسين ولا على سواهم من اهل الأحســـاب الرفيعة . وتقدم الحاجب بوقار وهمس فى اذن الشـــيخ قائلا : ((أمير المؤمنين يدعوك أبا محمد للدخول عليه)) .



ونهض هشام بن عبد الملك بن مروان يستقبل الشيخ عند الباب ويأخذ بيده حتى يجلسه الى جانبه ، ويهش فى وجهه ويبش ، وينشغل عن كل من عداه وما عداه وهو يسائله عن حاله وصحته ، ثم يســـاله ان يعدد له حاجاته التى جاءت به ليصار الى تنفيذها حالا ..

قال الشيخ : اى والله قد جئتك فى غير حاجة واحدة يا امير المؤمنين فاما الاولى والأشد الحاحا ووجوبا فهى حاجة أهل الحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، اهل الله وجيران رسول الله تقسم عليهم أرزاقهم وحقوقهم فى بيت المال فانك ان تمنع ذلك عن الناس حتى تتدبر أمور المال فلا يجب أن يشمل المنع هؤلاء ، فلقد علمت فضلهم وسابقتهم ، وما اصابهم على أيديكم يا بنى أمية وما مسهم من قحط وضيق .. فقال هشام غير متأخر : الآن يا أبا محمد وانك لعلى حق ثم هتف بكاتب بيت المال ان اصرف لأهل مكة والمدينة حقوقهم لهذه السنة ..

قال هشام : هذه واحدة ، فما حاجتك الاخرى .. يا أبا محمد .. ؟

قال عطاء بن ابى رباح فقيه اهل الحجاز ، نعم يا أمير المؤمنين أهل الحجاز من غير مكة والمدينة ، وأهل نجد كذلك هم أصـــل العرب وقادة الاسلام وهذه سنة مجدبة فاتركوا صدقات أغنيائهم لفقرائهم ولا تأخذوا لبيت المال هذا شيئا من زكاتهم ..

قال هشام : هذه واحدة فما حاجتك الأخرى .

قال عطاء : نعم يا أمير المؤمنين ، اهل الثغور كلهم متطوعة للقتال من أجل الله يحمون ظهوركم ويردون كيد عدو الله وعدوكم يحتاجون فى مثل هذه السنة خاصة الى أرزاق تجرى عليهم ، وعون يساق لهم فلا يتبدد شىء من جهدهم فى قتال عدوهم ، قال هشام نعم .. نعم وهذه أيضا ، واكتب يا غلام بذلك الى بيت المال .. فهل من حاجة اخرى يا أبا محمد .. ؟

سكت عطاء قليلا كأنما يجمع أفكاره ثم عاد ينطلق فى حديثه : ((أجل يا امير المؤمنين .. لقد يكون تناهى اليك ما تسامعه الناس عن أهل الذمة .. وقد يكون حجبه هؤلاء الناس عنك .. ان هذا الدين لا يتعامل مع غير المسلمين ممن يقيمون فى ديار الاسلام بهوى أحد من الناس .. أهل الذمة يا امير المؤمنين لا يجوز ان يكلفوا ما لا يطيقون فان المال الذى تجمعونه منهم عون لكم على عدوكم ، وعليـــكم فى مقابل ذلك أن تدفعـــوا عنهم من الشر ما تدفعونه عن أنفسكم ، فقال هشام : اليوم يا أبا محمد سانظر فى هذا

الأمر ، وسأكتب لسائر الولاة والعمال أمرا برفع كل ارهاق قد يكون أصاب اهل الذمة .

وسكت هشام قليلا ثم عاد الى بشاشته فى وجه الشيخ وقال : هـل من حاجة أخرى أبا محمد .. ؟

وسكت هذه المرة عطاء بن أبى رباح ، وراح يحدق فيما حواليه وينظر فى حاشية هشام وخدمه نظرة ذات معنى ثم قال فى خشوع ومسـئولية ووقار : نعم يا أمير المؤمنين اتق الله فى نفسه ، فانك خلقت وحدك ، وتموت وحدك ، وتحشر وحدك وتحاسب وحدك ، ولا والله ما معك مما ترى من هؤلاء الناس أحدا ..

وحدق الشيخ فى وجه هشام ثم أدار عينيه يستعرض الجالسين فما من احد منهم الا ويتمنى لو انصرفت عنه عينا الشـيخ ، فكانما كانت نظراته سهاما تخترق أعماق ضمائرهم فترتعد لذلك فرائصهم ..

وأما هشام فاطرق طويلا طويلا وكانما اتصل ما بينه وبين نفسه حين يراجعها ليلا فى أطراف الاردن وعيناه مسمرتان الى أديم الفلك الصافى مرصعا سواده بنجوم كانها أعين شاخصات اليه بالعتاب على ما فرط فى جنب الله ..

وحين رفع هشام راسه ليسائل عطاء عن حاجة أخرى كانت الدموع تملأ وجهه الذى بدا كتمثال متخشب .. وعبثا حاول أن يتكلم ، ولم يعجبه من نفسه أن يضعف ذلك الضعف أمام الناس فاطرق يتشاغل بنكث البساط بعصا صغيرة كانت فى يده ..

ونهض الشيخ فحيا مودعا ، ورد عليه هشام التحية وهو كانما يحيا فى موكب جنازة لحبيب راحل ..

وحين خرج الشيخ رفع هشام راسه والدموع ملء وجهه ، وأدرك تفاصيل ما جرى فى لحظات غيبوبته ..

الشيخ الوقور شملت طلباته سكان مكة والمدينة ، والحجاز ونجد ، وأهل الثغور وأهل الذمة ، ولـكنه لم يطلب شيئا لنفسـه يا للخجل ، ويا للتقصير .. !

ويا له من تفريط فى حق فقيه الحجاز الجليل ..

وهتف : أسرع يا غلام بهذا الكيس من المال .. أسرع وأدرك الشيخ ، وفى هدوء ناوله هذا الكيس مع سلامنا واعتذارنا ..

— ● —

كان الحمار الاسود ذو الرحل الخشبى قد ابتعد بالرجل الذى امتلأت روحه بكنوز التقوى باكثر مما بدا فى حاله وملابسـه من الفقر .. كان قد ابتعد عن الديوان مسرعا ..

وحين أدركه الغلام وهو يركض ويلهث حمد الله على توفيقه وهتف بالشيخ : يا أبا محمد .. نفسى فداؤك انتظر يا أبا محمد ..

توقف الشيخ قليلا والتفت نحو الفتى متسائلا : ماذا تريد يا غلام .. ؟

قال الغلام : أمير المؤمنين أمر لك بهذا الكيس ..

وابتسم عطاء وهو يأمر الولد باعادة ذلك لأمير المؤمنين ويقول لو كانت قطرة ماء ما شربتها .. فما يكون لى من أجر على ما جئت له الا من رب العالمين ..

الحرب النفسية

الحرب النفسية من اخطر الاسلحة التى تستخدم فى الحروب لاضعاف الثقة فى نفوس المقاتلين ولاشاعة البلبلة واذاعة القلق والاضـــطراب فى صفوف من خلفهم من أممهم وشعوبهم ، وقد أصبحت الحرب النفسية فى عصرنا الحاضر علما كبيرا يتوفر على دراسته متخصصون كبار فى علم النفس والاجتماع وترصد له الأموال الطائلة التى تخصص لميزانية الحروب .

والقرآن الكريم تناول هذا السلاح الخطر ووضح المنهج الذى يجب على المؤمن أن ينتهجه فى مواجهة الشائعات وأخبار المعارك الحربية التى تصدر عن الأعداء والتى يرددها الناس دون تحر للحقائق او تبصر بها .

ان القرآن الكريم عاب سلوك مرددى الاشاعات ومروجى الفتن فقال : **« واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذى يستنبطونه منهم »** .

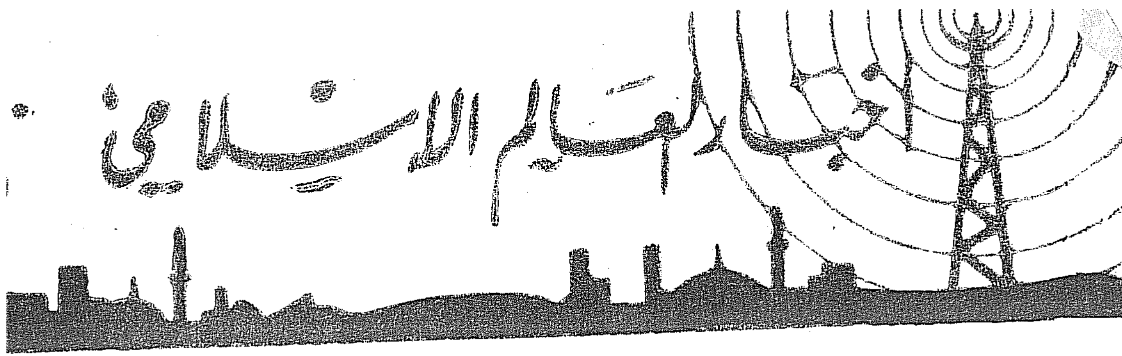
ان المؤمن الواعى لا يأخذ انباء المعارك من بيانات العدو ولا من صحف العدو ولا من اذاعات العدو ولا من أفواه السذج والجهلة ، وانما يأخذها من قادة الأمة ومن المصادر الرسمية الموثوق بها .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يردد المسلم كل ما يسمع دون أن يتبين الحقيقة منمصدرها الذ ىيطمئن اليه ويثق به ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » .

فى غزوة أحد نادى أبو سفيان : أفى القوم محمد ؟ فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجيبوه ، ثم قال : أفى القوم أبو بكر ؟ أفى القوم ابن الخطاب . فلما لم يجبه احد ظن أنهم قتلوا ، وانطلق يقول لأصحابه : قتلوا قد كفيتموهم ، ولو صدق المسلمون هذه الشائعات وسكتوا عليها لكان لها أخطر الأثر فى معنويات المسلمين ولكن عمر تصدى له وقال : ان الذى عددت لأحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك ، وبهذا وأد عمر الشائعة فى مهدها ، وفوت على مروجها هدفه وقصده .

اننا يجب أن نعى وندرك أن العدو كذاب وانه لا تهمه الحقيقة بقدر ما يهمه اثارة الشكوك .. واجبنا أنتصدى للحرب النفسية التى يشنها الأعداء حتى نفوت غرضهم ، ونثبت فى مواقعنا ، ونمضى فى جهادنا والله معنا .

ان اسرائيل الخبيثة التى عاشت على الغدر والخيانة تسعى بكل طاقاتها ، وتلجأ الى كل أساليب المكر والدهاء لبث الشائعات بيننا لتشكيكنا فى قدرتنا وتوهين قوتنا واثارة الفتن فى صفوفنا ، وادعاء انتصارات وهمية لهم .. فلنكن على حذر مما يبيتون : **« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم »** .



اعداد : الأستاذ فهمى الامام

الكويت :

● صرح أمير البلاد المعظم سمو الشيخ صباح السالم الصباح بأن الكويت ستستخدم كل الاسلحة من أجل صد العدوان الاسرائيلى وتحرير الارض المغتصبة ، وتشجب الدعم الامريكى لاسرائيل .

● عقد مجلس الأمة جلسة غير عادية لبحث دعم معركة التحرير العربية .. استمع فيها الى خطاب هام لسمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الصباح .. حيا فيه جنودنا الابطال على جبهة القتال ، كما حيا قوى الثورة الفلسطينية والمجاهدين من أجل تحرير الارض ، وقال سموه : ان الكويت شعورا منها بمسئولياتها والتزاماتها فى معركة المصير قد حشدت كل طاقاتها للاسهام فى معركة الشرف والخلود .

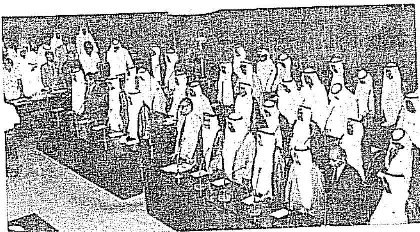
ثم ألقى سعادة رئيس المجلس كلمة جاء فيها : اننا اليوم فى قلب المعركة وهى تواكب فى توقيت الزمان شهر رمضان ووقائع معركة بدر الكبرى التى جعلها الله التجربة العملية الاولى للجهاد المسلح فى سبيله . ثم قال : أن الكويت لم ولن تدخر وسعا فى القيام بواجبها كاملا وحاسما فى المعركة بتوجيهات من صاحب السمو أمير البلاد المعظم ، وسمو ولى العهد .

وقد وافق المجلس على تخصيص مائة مليون دينار من الاحتياطى العام للدولة لدعم معركة التحرير العربية .

● زار الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح وزير الداخلية والدفاع القاهرة ، واطمأن على سير المعارك والوضع هناك . كما زار الجبهة السورية اللواء مبارك الصباح رئيس الاركان واطلع على سير المعارك وشاهد ما أنجزته القوات العربية من تقدم على طريق التحرير والنصر .



● تابعت الكويت باهتمام بالغ تطورات المعركة .. فمجلس الوزراء فى حالة انعقاد مستمر وراديو وتليفزيون الكويت يتابع اذاعة أنباء المعركة وعرض صور لمنجزات جيش التحرير العربى .



● حذرت الكويت الولايات المتحدة من التورط عسكريا فى الشرق الاوسط ودعت الى عقد مؤتمر للدول العربية المنتجة للبترول فى الكويت لاستخدام البترول العربى كسلاح فى المعركة .

● نشطت اللجان الشعبية والهيئات الرسمية لجمع التبرعات المالية من المواطنين من اجل دعم النضال العربى .. وقد تنافس المواطنون فى التبرع للمجهود الحربى .. وتبرع كل موظف براتب شهر .

● اقبل المواطنون بأعداد هائلة على بنك الدم للتبرع بدمائهم من أجل انقاذ حياة ضحايا العدوان الصهيونى من عسكريين ومدنيين .

● اجتمع فى الكويت يوم ١٠/١٧ المجلس الوزارى لمنظمة الدول المصدرة للنفط وأعلن عقب انتهاء جلسات المجلس عن اتفاق الوزراء على تخفيض انتاج النفط بمعدل ٥٪ شهريا عن الدول المساندة والمؤيدة للعدوان الاسرائيلى وذلك حتى تغير هذه الدول سياستها أو يتم جلاء القوات الاسرائيلية عن الاراضى العربية المحتلة .. ويتعهد القرار بمراعاة الدول الصديقة والمساندة للحق العربى ومدها بالبترول .

هذا وقد قررت دول النفط الست فى منطقة الخليج زيادة أسعار نفطها الخام فى الاسواق بمقدار ١٧٪ .

القاهرة :

● بدأت حرب التحرير العربية للأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ م يوم ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ الموافق ٦ اكتوبر ١٩٧٣ م .

● عقد مجلس الشعب جلسة استثنائية استمع فيها الى خطاب هام للرئيس أنور السادات .. شرح فيه تطورات الموقف فى الشرق الاوسط .. وقال : ان صواريخنا عابرة سيناء مستعدة لضرب أعماق اسرائيل ، واننا سنواصل القتال وندفع ضريبة العرق والدم حتى النصر ، وأن عبور القناة ، واجتياح خط بارليف معجزة عسكرية على أى مقياس عسكرى . وقال : ان العالم كله يتعاطف معنا ما عدا دولة واحدة هى الولايات المتحدة الامريكية ، وفى ختام الخطاب حيا سيادته الرجال الذين يحاربون فى جبهة سيناء والمرتفعات السورية وفى قلب الارض المحتلة .

● حققت القوات العسكرية المصرية انتصارات رائعة فى ميدان القتال مع العدو الصهيونى فاجتازت القنال الى ضفتها الشرقية واقتحمت خط بارليف وأخذت تتقدم داخل سيناء تطارد فلول الاعداء وهى تردد : « الله أكبر .. الارض أرضنا » .

● افتتح الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الاوقاف نيابة عن الرئيس أنور السادات مسجد المغفور له الشيخ خالد العبد الله السالم الصباح بشارع الهرم بمحافظة الجيزة . وقد حضر الافتتاح نائب رئيس جمهورية مصر العربية السيد حسين الشافعى والشيخ جابر العلى السالم الصباح وبعض أعضاء الجالية الكويتية .



سورية :

● أعلن الرئيس حافظ الاسد فى خطابه بالاذاعة أن القوات السورية حررت عدة مواقع فى جبل الشيخ والقنيطرة وغيرها فى الايام الاربعة الاولى من القتال واشـــاد ببطولة الجيش السورى وبدور القـــوات العراقية والمغربية .

● تخوض القوات السورية قتالا عنيفا ضد قوات الاحتلال الاسرائيلى، وتكبده خســـائر فادحة فى الافراد والمعدات وترغمـــه على التراجع والتقهقر .

● تسقط سورية الطائرات المغيرة على دمشق وبعض المدن الســـورية الاخرى والتى أخذت تقصف المواطنين بصورة وحشية بعد أن فشلت فى ميدان القتال وقد أسرت ســـوريا العديد من الطيارين الاسرائيليين .. ووجد أحدهم مشدودا بالســـلاسل حتى لا يهبط بالمظلة أمام الخطر .

● تدفقت القـــوات العراقيـــة والكويتية والمغربية والســـعودية والاردنية على الجبهة الســـورية للوقوف بجانب اخوانهم السوريين فى وجه العدو الاسرائيلى .

السعودية :

● تبرع جلالة الملك فيصل بمبالغ كبيرة دعما لسوريا فى نضالها ضد قوى البغى والشر .

● تقف القوات السعودية بجانب القوات العربية المتمركزة على جبهـــة القتال فى هضبة الجولان لصـــد العدوان الاسرائيلى وتحرير الارض .

العراق :

● دعمت العراق الجبهة السورية بستة عشر الف مقـــاتل عراقى ومائة دبابة .. وتدخل طيرانها فى المعركة لصد غارات العدو واســـــقاط طائراته وما زالت تواصل دعم قواتها بالجبهة .

ليبيا :

● وضعت ليبيا بترولها لتمـــويل المعركة وأمدت الجبهتين المصـــرية والسورية بما يلزمها من بترول .

● قررت ليبيا وقف تصدير النفط الليبى بجميع مشتقاته الى الولايات المتحدة وكانت ليبيا تصـــدر الى الولايات المتحدة ٢٠٠ الف برميل يوميا كما قررت الحكومة الليبيـــة تخفيض انتاجها من النفط بنسبة ٥٪

● حشدت ليبيا دباباتها وطائراتها على الجبهة المصرية لتشـــارك فى تحرير الارض .

● تبذل ليبيا أموالها من أجل دعم قوات التحرير العربية .. وقد أقبل المواطنون فيها على التبرع للمعركة .. وتبرع كل موظف فى ليبيا براتب شهر ..

المغرب :

● تشارك القوات المغربيـــة فى القتال مع القوات المصرية والسورية لدحر العدوان الاسرائيلى .

● تطوع العديد من المواطنـــين المغاربة للمشاركة فى قتال العدو .

الجزائر :

● ساهمت الجزائر فى المعركة برجالها وعتادها وطيرانها .. وقد وضعت كل امكانياتها وطاقتهـــا فى خدمة المعركة ..

اليمن :

تدفق المواطنـــون اليمنيون على التطوع للقتال بجانب القوات العربية وللمســـــاهمة فى دحر العدوان الصهيونى وتحرير التراب العربى .

تونس :

● ساهمت تونس فى حرب التحرير بقواتها العسكرية .. وبادرت بارسال بعض جنودها الى ميدان القتال .

السودان :

● اعلن السودان أن أرضه امتداد لأرض المعركة وسماءه مفتوحة للطيران العربى .. وأنه يقف بكل ثقله مع دول المواجهة .

● شاركت السودان بقوتها العسكرية فى صد العدوان الاسرائيلى ووضعت كل امكانياتها فى خدمة المعركة .

فلسطين المحتلة :

● يقوم الفدائيون بأعمالهم البطولية ضد قوات العدو وأماكن تجمعه ومؤسساته ومطاراته .. وضرب مؤخرة قواته .. وقطع امداداتل عن جبهة القتال وقد كبدوا العدو خسائر نادحة فى المنشآت والمعدات والافراد .

الاردن :

● اشتركت بعض القوات الاردنية الخاصة للمساهمة فى القتال الدائر على هضبة الجولان والمرتفعات السورية .

ابو ظبى :

● تساهم دولة الامارات مساهمة فعالة بالمال والعتاد من أجل دعم القوات العربية حتى يتحقق النصر النهائى ان شاء الله .

قطر :

● تبرعت قطر بمبالغ مالية طائلة لدعم المجهود الحربى .

سلطنة عمان :

● قرر مجلس الوزراء فى جلسة استثنائية اقتطاع ٢٥٪ من رواتب جميع الموظفين فى السلطنة لصالح المجهود الحربى .. وقرر أيضا ارسال بعثتين طبيتين لكل من القاهرة ودمشق .

اخبار متفرقة ..

● ارسلت أوغندا جزءا من قواتها للوقوف بجانب العرب فى حربهم العادلة ضد اسرائيل وقد حذر الرئيس الاوغندى اسرائيل من مواصلة الاعتداء على الاراضى العربية ونصحها بالانسحاب قبل أن تباد عن آخرها .

● قطعت عدة دول علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل احتجاجا على عدوانها على العرب .

● قام وزراء خارجية كل من الكويت والسعودية والجزائر والمغرب باجراء مباحثات فى البيت الابيض مع الرئيس نيكسون شرحوا خلالها حقيقة الموقف فى الشرق الاوسط .. وناقشوا الدعم الامريكى المتزايد لاسرائيل .

● تطوعت ٧ منظمات للشباب المسلم فى اندونيسيا للانضمام الى الصفوف العربية للقتال ضد اسرائيل .. واستنكرت المنظمات امداد الولايات المتحدة لاسرائيل بالاسلحة .. وطالبت بوقف تلك المساعدات فورا .

● أكدت السلطات الاسبانية أن القواعد الامريكية فى البلاد لن تستخدم فى الحرب الدائرة حاليا فى الشرق الاوسط .

الفتاوى

حج المـرأة بغير زوج أو محرم

الســـــؤال :

هل يجوز للمراة ان تؤدى فريضة الحج بغير زوج او محـــرم ؟

الجـــواب :

ذهب الحنفية والحنابلة الى أنه يشترط أن يصحب المـــرأة فى سفر الحج زوج أو محرم ، فان لم يوجد أحدهما فلا يجب عليها الحج إذ تعد غير مستطيعة له والله تعالى يقول : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه ســبيلا**) وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **الا لا تحجن امراة إلا ومعها محرم** » وعنه أنه قال « **لا تسافر امراة ثلاثة ايام الا ومعها محرم أو زوج** » والسر فى ذلك أمن الفساد . وذهب الشافعية الى أنه لا بد أن يصاحبها فى سفرها للحج المفروض زوج أو محرم أو نسوة ثقات .

وذهب المالكية الى أنه لا بد فى سفرها للحج أن يصاحبها زوج أو محرم أو رفقة مأمونة ، واذا سافرت مع الرفقة المأمونة لا بد أن تكون هى أمينة فى نفسها وإلا لا تسافر معهم ، والله أعلم .

موت المحـــرم

الســـــؤال :

إذا مات المسلم وهو محرم ، فهل يغسل ويصلى عليه ام لا ؟

الجـــواب :

يغسل من مات محرما ويكفن فى ثوبى احرامه ، ويصلى عليه صلاة الجنازة ويدفن ولا تغطى رأسه بالكفن ولا يقربه طيب ، ففى الصحيح عن ابن عبـــاس : « بينا رجل واقف مع النبى صلى الله عليه وسلم بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته (دقت عنقه) فقال النبى صلى اله عليه وســلم : اغســلوه بماء وسدر ، وكفنوه

في ثوبيه ولا تحنطوه (الحنوط الطيب الذى يصنع للميت) ولا تخمروا (تغطوا) راسه ، فان الله يبعثه يوم القيامة يلبى » وفى رواية عنه ، زيادة (ولا تمسوه طيبا » .

وفى سنن أبى داود عن ابن عباس قال : (اتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل وقصته راحلته وهو محرم فقال كفنوه فى ثوبيه واغسلوه بماء وسدر ولا تخمروا راسه فان الله يبعثه يوم القيامة يلبى) وفى رواية (ولا تحنطوه) وفى رواية (ولا تقربوه طيبا) .

قال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل يقول فى هذا الحديث (أى برواياته) خمس سنن : (١) كفنوه فى ثوبيه ، أى يكفن الميت فى ثوبين . (٢) واغسلوه بماء وسدر ، أى أن فى الغسلات كلها سدرا . (٣) ولا تخمروا راسه . (٤) ولا تقربوه طيبا . (٥) وكان الكفن من جميع ما له . والله أعلم .

الاكتحال فى الاحرام

السؤال :

هل يجوز للحاج أو المعتمر أن يكتحل وهو محرم ؟

الجواب :

روى عن ابن عمر أنه قال : يكتحل المحرم بأى كحل شاء ، ما لم يكن فيه طيب ، قالت عائشة لامرأة سألتها : اكتحلى بأى كحل شئت غير الأثمد ، أما أنه ليس بحرام ولكنه زينة ونحن نكرهه (المحلى لابن حزم) .

وعلى ذلك يجوز للمحرم استعمال القطرات والمراهم لعلاج العيون وغيرها وليس عليه شيء فى ذلك ما دام جميعها ليس طيبا ولا زينة ، والله أعلم .

فى النكاح

السؤال :

ان والدى عقد نكاح شقيقتي البالغة من العمر ست عشرة سنة اجباريا على رجل لا ترغبه وانها تحاول قتل نفسها بكل طريقة وتقول الموت احب الى منه .

الاجابة :

مثل هذا الزواج منكر لا يجوز ولا يصح فى أصح أقوال العلماء لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن تزويج النساء الا باذنهن ، وأخبر أن البكر إذنها سكوتها ، ولما أخبرته صلى الله عليه وسلم جارية أن أباها زوجها وهى كارهة خيَّرها النبى صلى الله عليه وسلم بين البقاء معه أو الترك ، وما اعتاده بعض البادية وغيرهم من تزويج الأبكار دون مشاورتهن فهى عادة سيئة باطلة ، والغصب لا يأتى بخير بل يضر الجميع ، والذى أرى أن توسطوا أهل الخير فى فسخ هذا النكاح فإن أجدت الوساطة فذلك المطلوب ، والا فاعرضوا الموضوع على المحكمة وهى إن شاء الله تحل المشكل . وفق الله الجميع .

صـــلاة التســـابيح

روى ابن عباس رضي الله عنهما حديثا فى صلاة التسابيح ، فهل هذا الحديث صحيح أم لا ، كما أرجو أفادتى عن كيفية هذه الصلاة ، وهل هى كالصلاة المعروفة ، ويزاد عليها التسابيح .

خليل ابراهيم ــ القاهرة
إمام مسجد الرحمة

هذا أولا نص الحديث :

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب : يا عباس يا عماه الا أعطيك الا أمنحك الا أحبوك عشر خصال اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته عشر خصال أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت : سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا (عشر مرات) ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأســك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات ان استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة فان لم تفعل ففى كل شهر مرة فان لم تفعل ففى كل سنة مرة فان لم تفعل ففى عمرك .

*** ***

ثانيــا : جاء فى شــرح سنن أبى داود لمحمد شمس الحــق العظيم أبادى : وفى التلخيص (كتاب لابن حجر فى تخريج الأحاديث) والحق أن طرقه كلها ضعيفة ، وان كان حديث ابن عباس يقرب من شرط الحسن الا أنه شاذ لشدة الفردية فيه وعدم المتابع والشاهد من وجه معتبر ، وموسى بن عبدالعزيز (الذى تفرد برواية الحديث) وان كان صادقا صالحا فلا يحتمل منه هــذا التفرد ، وقد ضعفها ابن تيمية والمزى ، وتوقف الذهبى ، حكاه ابن عبد الهادى عنــــه .

ثالثــا : قال ابن قدامه فى المغنى ط ٣ ص ١٣٢ جـ ٢ : سئل الامام أحمد عن صلاة التسابيح ، فقال : ما تعجبنى ، قيل له : لم ؟ قال : ليس فيها شىء يصح ، ونفض يده كالمنكر . ؟

لغــــة القرآن

حول مقال اللواء الركن محمود شيت خطاب ، لغـــة القرآن الكريم ، والمنشور فى العدد ١٠٤ نقول : ان المسألة حول المؤتمر الذى عقد فى برمانا

بلبنان من أجل استخدام اللغة العامية كأداة للاستعمال والتعبير ، تحت دعوى تبسيط اللغة الفصحى وتقريبها للألسنة والأذهان مسألة لا تحتاج الى ريبة وشك ، بل هى مسألة يقين ، ولا يمكن أن تحمل على النية الحسنة والرغبة الصادقة فى خدمة اللغة العربية ، والا فاننا ان اخذنا المسألة على هذه المحمل نكون قد هدمنا ديننا بأيدينا ، وساعدنا المتآمرين على تحقيق هدفهم الخبيث الذى ينشدونه ويسعون اليه ، وان كل داعية الى اللهجة العامية بطريق مباشر أو غير مباشر ، يعتبر عدوا للقرآن الكريم ، ويعتبر من العاملين على هدم اللغة العربية والتراث العربى الأصيل .

ولقد دأب الاستعمار والصهيونية فى القرن الماضى ولا يزال على محاربة اللغة الفصحى وعلى هدم القرآن الكريم ، ونزعه من الصدور التى حفظته ووعته ، وانه ليعلم أن تحطيم اللغة العربية يتبعها ضياع القرآن الكريم ، ولقد أيقن أن هذه الطريقة هى أسلم الطرق ولكى يستطيع أن يجد آذانا صاغية وأن يجد من يعينه على تنفيذ مخططاته ، فانه يقوم بتغليف دعوته الهدامة بما يجملها ، فيأتى ليقول على السنة دعاته أنه يريد تبسيط اللغة العربية وتقريب مناهجها ، وهو يفتح من وراء هذه خزائنه ليمدها بالمال لتجد وسط الغافلين طريقا ، وانه لما يحزن ويؤلم أن الكثير من المثقفين لا زالت هذه الأساليب تنطلى عليه ، ولا تزال الغشاوة على عينيه ، ولا زالوا يتقبلون هذه الأمور بنية حسنة فيما رسمته الصهيونية وخططه الاستعمار .

إن أى مسلم غيور على دينه ، وأى عربى حريص على لغته يجب عليه الا يعرف الوسط فى هذه الأمور ، وأن يعتبرها شرا يراد به لغته ودينه ، وعليه أن يعلن رفضه لها فان فيها السم الناقع والخراب الأكيد .

وكل هذه الدعوات ستؤول الى الفشل ان شاء الله ، ما دام الوعى منتشرا بين أبناء العالم الاسلامى لأمثال هذه الدعوات التى تتبناها الصهيونية ، ولقد تكفل الله سبحانه بحفظ دينه وكتابه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

خليل محارب السويركى

ثمن المجلة

يسرنى أن أبدى رأيى كأحد المواطنين المسلمين أولا والعرب ثانيا عن المجلة العربية الغراء (الوعى الاسلامى) مبديا رأيى فيما تعرضه هذه المجلة القيمة من موضوعات شيقة وأبواب رفيعة الأدب .

فثمن المجلة الزهيد يشجع المسلمين فى البلاد العربية على تداولها وقراءتها والمحافظة على اقتنائها شهريا دون تكلف أو عسر قد يدفعهم الى الاهمال فى شرائها وان ثمنها الزهيد مقابل ما حوته تلك المجلة الغراء من موضوعات خلابة ليعد كرمز بسيط دفعنى لأن اقول ان المسئولين عن هذه المجلة الغراء يقدمونها كهدية للناطقين بالضاد وكعمل كبير لتعليم الناس أمور دينهم وتغذيتهم بالقرآن والسنة والموضوعات الدينية التى تبعث فيهم القيمة الروحية وتبصرهم بأمور دنياهم ودينهم وتحثهم على الاجتهاد والجهاد لاعلاء كلمة الله . وآمل أن يظل سعرها الزهيد كما هو على مر السنين ليستطيع الفقراء من المسلمين العارفين منهم بأمور دينهم شراءها ولا يحرمون من عظيم فائدتها كما تبصر غير العارفين بتلك الأمور الجليلة .

عبد الفتاح صابر اسماعيل

بأقلام القراء

واعدوا لهم ما استطعم من قوة

أمر يوجهه ربنا تبارك وتعالى الى المؤمنين فى كل زمان ومكان يحدد فيه مستوى الاعداد وهدفه وجزاءه .

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم . وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » .

والاعداد هنا شامل موجه الى الأمة كلها رجالها ونسائها .. شبابها وشيوخها .. والنفير العام واضح فى قوله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

دفاعا عن حق مغتصب : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » .. حق اخواننا فى فلسطين الذين تواطأت الدول الكبرى على اخراجهم من أرضهم ..

ومن هنا كانت قداسة المعركة .. لأنها معركة حق .. قداسة جمعت حولها قلوب العرب والمسلمين والاحرار في كل مكان فى العالم — وأشارت فى وضوح — الى أعداء الانسانية والحرية .

والأمر فى الاعداد — الى جانب شموله — داع الى بذل أقصى الجهد الذى تقرر عليه الأمة .. وهذا قوله تعالى : « ما استطعتم » .

وهذه الجهود تتجه الى كل طاقات الأمة المادية والمعنوية : قوة النفس ، قوة الخلق قوة السلاح بريا وبحريا وجويا قوة التنظيم الشعبى . أجهزة الحرب النفسية .. كل ما تتقوى به الأمة على أعدائها .

ثم يخصص ربنا بعد هذا التعميم فيقول ومن رباط الخيل .. ذلك لأن

الخيل وقت نزول القرآن كانت تمثل أقوى قوة ضاربة .. وكانت من أهم المقاييس لمعرفة قوة الجيش .. والتطور فى عدد الخيل فى جيش النبى عليه الصلاة والسلام ما بين غزوة بدر وغزوة تبوك يعطينا صورة واضحة لهذا السلاح ..

ففى غزوة بدر ـ فى العام الثانى من الهجرة ـ كان عدد الخيل اثنين والابل سبعين . وكان عدد المحاربين ٣٠٥ ..

وتدعم قاعدة الاسلام فى المدينة قوتها العسكرية .. وبخاصة من رباط الخيل فاذا كنا فى العام التاسع من الهجرة وفى غزوة تبوك وجدنا مجموع عدد المحاربين يرتفع الى ثلاثين الفا وعدد الخيل الى عشرة آلاف .

هذه القوة عندما وصلت الى مشارف دولة الروم وأقامت فى تبوك بضع عشرة ليلة لم يحاول الروم الاشتباك معها ، بل آثروا الانسحاب بجيشهم الذى كانوا وجهوه الى الحدود ليحتمى داخل بلاد الشام وحصونها .. وكان انسحابهم قبل وصول جيش المسلمين ..

انسحاب الروم اذن كان راجعا الى قوة الاعداد .. الى التطور الضخم الذى حدث فى جيش الاسلام ما بين غزوتى بدر وتبوك فى مدى سبعة أعوام .. وهى القوة التى أدت فى العام الثامن من الهجرة ـ أى قبل تبوك ـ الى فتح مكةولمتحدث الا اشتباكات محدودة جدا فى أثناء دخول جيش خالد ..

المستوى :

يقودنا هذا الى المستوى الذى تتطلبه منا الآية الكريمة .. مستوى الاعداد القادر على ردع الخصم .. ويبدو هذا فى قول ربنا « ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

الآية تحدد هذه العداوات : فمنها قسم ظاهر « عدو الله وعدوكم » وقسم خفى « وآخرون من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

هؤلاء الذين يقفون ضد الحق هم أعداء الله وأعدائنا .. وجهادهم فرض علينا يلتقى عنده ديننا ودنيانا .

ومستوى الاعداد ـ كما يبدو من الآية ـ ينبغى أن يكون قادرا على « ارهاب الخصم » . والعلم فى عالمنا المعاصر من أهم أسلحة المعركة .. وهو يدعم ويثبت ايماننا العميق بحقنا .. ايمانا واعيا مبصرا يتحول الى طاقة عملية منتجة .

وهذا المستوى ينبغى ـ بعد هذا ـ أن يتوفر فيه معامل آمان ..

أى أن التفوق فيه ــ بحكم الآية ــ يصل الى ارهاب الخصم الظــــاهر والخصم الخفى الذى لا نعرفه سواء فى ديارنا أم فى خارجها .

فى عصر الطائرات والصواريخ والاستخدام العلمى للحرب النفسية بكل أجهزتها .. والتنسيق الدقيق بين الجبهة والقاعدة .. والنفس الطويل فى الحرب تتنوع المداخل التى يحاول بها الخصم توهين قوتنا ماديا ونفسيا .. بالضغط الاقتصادى .. بالدعاية .. بامتحان الصبر الطويل ــ لتماسكنا الداخلى .. بالتشكيك فى قوتنا .. بالحرب الموجهة الى القيادة .. سلسلة لا تنتهى من الاسلحة يستخدمها ويحاول استخدامها أعداؤنا .. وعلينا أن نؤكد ــ ما استطعنا ــ قوتنا وثباتنا وتفوقنا فيما نستطيع التفوق فيه من اعداد يمكن أن يوقف عدونا عند حده .

الجزاء :

ويدعونا ربنا الى أن يبــذل كل منا فى المعــركة .. وان جزاء ذلك ســـــيعود اليه « وما تنفقوا من شىء فى ســــبيل الله يوف اليــكم وأنتم لا تظلمون » .

وما تنفقوا من شىء .. أى شىء صغر أو كبر ..

الاخوة والأخوات الذين تبرعوا بدمائهم .. اسطوانات الدم الطاهر التى جاءت بالطائرات من أبنائنا فى الخارج ..

أخواتنا الصغيرات صاحبات الأيدى المبصرة اللاتى تبرعن بدمائهن ثم بعمل أدوات للتمريض تصلح للميدان .

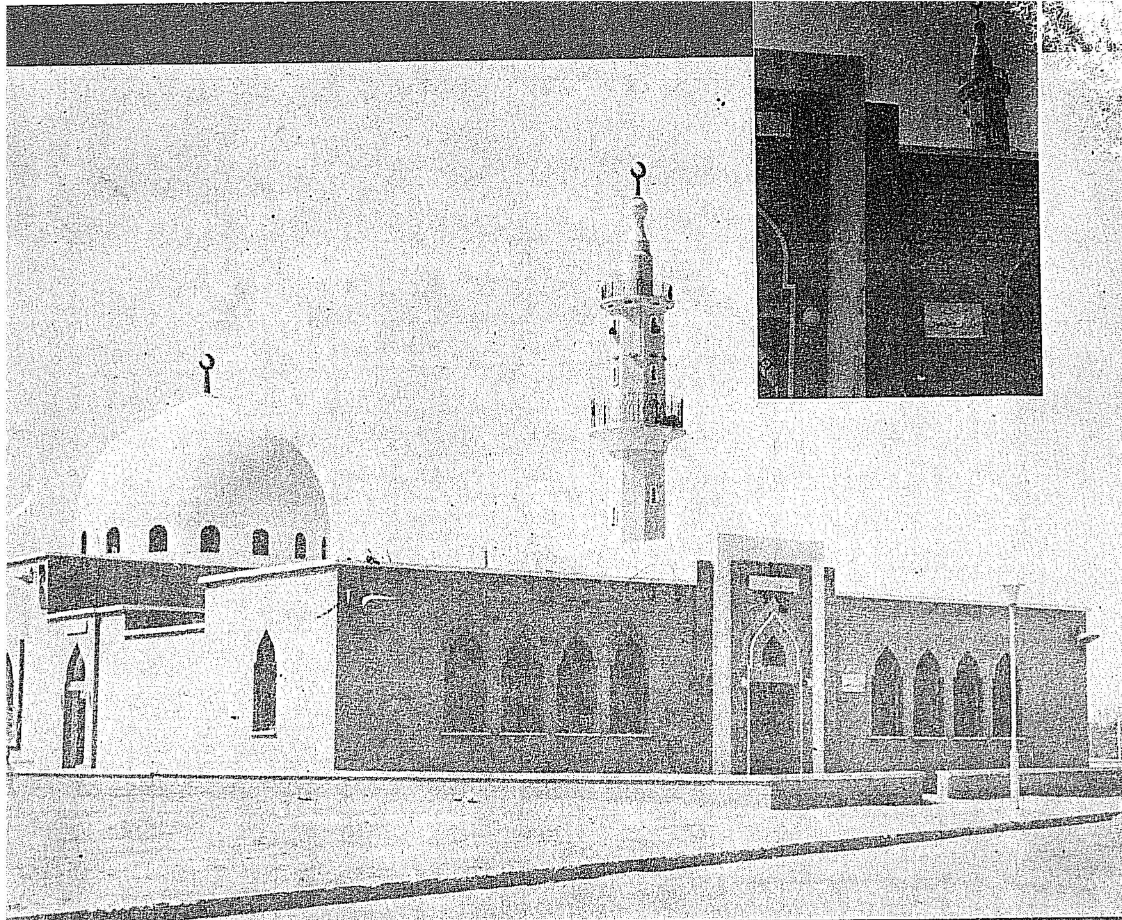
أخواتنا اللاتى رأين المعركة بنور القلب .. فكانت قلوبهن اشراقة وفيض رحمة .

أبناء هذه الأمة المجاهدة وبناتها وعمالها وفلاحوها ومثقفوها وأصحاب المهن الحرة الأحرار .. الذين خرجوا عن بعض ما لهم طيبة بذلك نفوسهم .. الذين عاهدوا ربهم على زيادة الانتاج فى هذه المرحلة الدقيقة .

فاذا ما تحقق للأمة ذلك كله استحقت نصر الله الذى ســـــجله فى خواتيم الآية « وأنتم لا تظلمون » . ونستطيع أن نفهمها بآثارها فى الدنيـــا والآخرة ..

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شوال ١٣٩٣	أكتوبر ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
السبت	١	٢٧	٤ ٢٨	٥ ٥٧	١١ ٣٢	٢ ٤٢	٥ ٦	٦ ٢٥	١١ ٢١	١٢ ٥٠	٦ ٢٥	٩ ٣٦	١ ١٩
الأحد	٢	٢٨	٢٨	٥٧	٣٢	٤٢	٦	٢٥	٢٢	٥١	٢٦	٣٦	١٩
الاثنين	٣	٢٩	٢٩	٥٨	٣٢	٤١	٥	٢٤	٢٤	٥٣	٢٧	٣٦	١٩
الثلاثاء	٤	٣٠	٢٩	٥٩	٣٢	٤١	٤	٢٣	٢٥	٥٤	٢٧	٣٧	١٩
الأربعاء	٥	٣١	٣٠	٥٩	٣٢	٤٠	٣	٢٣	٢٧	٥٦	٢٨	٣٧	١٩
الخميس	٦	نوفمبر	٣١	٦ ٠٠	٣١	٣٩	٢	٢٢	٢٩	٥٨	٢٩	٣٧	١٩
الجمعة	٧	٢	٣١	١	٣١	٣٩	١	٢١	٣١	١ ٠٠	٣٠	٣٨	١٩
السبت	٨	٣	٣٢	٢	٣١	٣٨	٠٠	٢٠	٣٣	٢	٣١	٣٨	١٩
الأحد	٩	٤	٣٣	٢	٣١	٣٧	٤ ٥٩	١٩	٣٤	٣	٣٢	٣٨	١٩
الاثنين	١٠	٥	٣٣	٣	٣١	٣٦	٥٨	١٩	٣٥	٥	٣٣	٣٨	٢٠
الثلاثاء	١١	٦	٣٤	٤	٣١	٣٦	٥٨	١٨	٣٦	٦	٣٣	٣٨	٢٠
الأربعاء	١٢	٧	٣٤	٤	٣١	٣٥	٥٧	١٨	٣٧	٧	٣٤	٣٨	٢٠
الخميس	١٣	٨	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٦	١٧	٣٩	٩	٣٥	٣٨	٢٠
الجمعة	١٤	٩	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٥	١٦	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠
السبت	١٥	١٠	٣٦	٦	٣١	٣٣	٥٥	١٥	٤١	١١	٣٦	٣٩	٢٠
الأحد	١٦	١١	٣٧	٧	٣١	٣٣	٥٤	١٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
الاثنين	١٧	١٢	٣٧	٨	٣١	٣٢	٥٣	١٤	٤٤	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الثلاثاء	١٨	١٣	٣٨	٩	٣١	٣٢	٥٣	١٣	٤٥	١٦	٣٨	٣٩	٢١
الأربعاء	١٩	١٤	٣٨	١٠	٣١	٣٢	٥٢	١٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١
الخميس	٢٠	١٥	٣٩	١٠	٣١	٣١	٥٢	١٣	٤٧	١٨	٣٩	٤٠	٢١
الجمعة	٢١	١٦	٤٠	١١	٣١	٣١	٥١	١٢	٤٩	٢٠	٤٠	٤٠	٢١
السبت	٢٢	١٧	٤١	١٢	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
الأحد	٢٣	١٨	٤٢	١٣	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
الاثنين	٢٤	١٩	٤٣	١٤	٣٢	٣٠	٥٠	١١	٥٣	٢٤	٤٢	٤٠	٢١
الثلاثاء	٢٥	٢٠	٤٤	١٤	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٤	٢٥	٤٣	٤٠	٢١
الأربعاء	٢٦	٢١	٤٥	١٥	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٥	٢٦	٤٣	٤٠	٢٢
الخميس	٢٧	٢٢	٤٥	١٦	٣٣	٣٠	٣٩	١١	٥٦	٢٨	٤٤	٤٠	٢٢
الجمعة	٢٨	٢٣	٤٦	١٧	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٧	٢٩	٤٥	٤٠	٢٢
السبت	٢٩	٢٤	٤٧	١٨	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٨	٣٠	٤٥	٤١	٢٢
الأحد	٣٠	٢٥	٤٨	١٩	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٩	٣١	٤٦	٤١	٢٢



عثمان بن مظعون

اسمه : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهيب بن حذافة الجمحي .

اسلامه : اسلم بعد (١٣) رجلا .. وهاجر الى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى في جماعة . ولما بلغهم أن قريشا أسلمت رجعوا فدخل عثمان في جوار الوليد بن المغيرة ، ثم رد جواره وأعلن رضاه بما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه .

وفاته : توفي بعد شهوده بدرا في السنة الثانية من الهجرة ، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم . وقبله النبي وهو ميت .. ولما توفي ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون » .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) . بنغـازى : مكتبة الخـراز — ص.ب : (٢٨٠) .

المغـرب : الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونـس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شـارع فرنسـا .

لبنـان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـان : وكالة التوزيع الأردنيـة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـدة : مكتبة مكـة — ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـراق : بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .

البحـرين : المكتبة الوطنية : شارع بـاب البحرين .

قطـر : الدوحـة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـى : مطبعة دبى .

الكـويت : مكتبة الكـويت المتحـدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

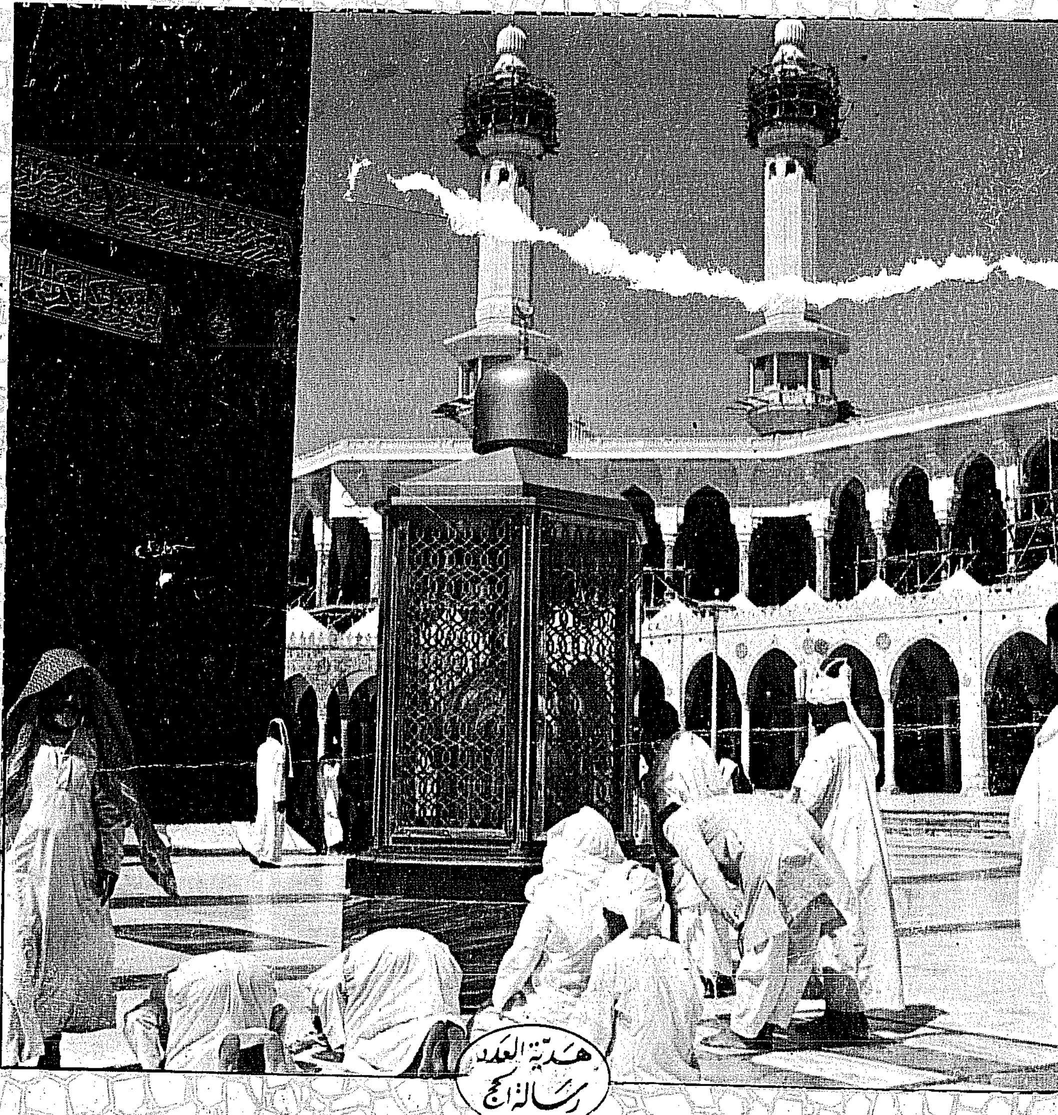
اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

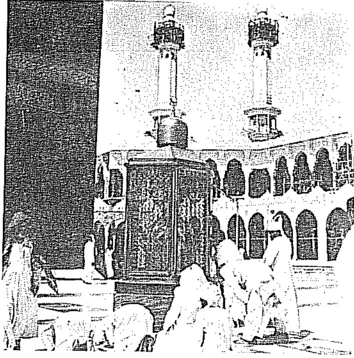
العدد ١٠٧ — غرة ذى القعدة ١٣٩٣ هـ — نوفمبر ١٩٧٣ م



إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم

بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا...

محمد مؤذن



مقام ابراهيم بعد تعديله ..

تصوير : مجلة العربى

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

العدد (١٠٧)

نوفمبر ١٩٧٣ م

غـرة ذى القعـدة ٣ ٩ ٣ هـ

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت فى غـرة كل شـهر عـربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الأفراد فيشـتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـوان المراسـلات :

مجـلة الوعى الاسلامى ـ وزارة الأوقاف والشـئون الاسـلامية

صـندوق بريد : ١٣ ـ كـويت ـ هـاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

سمو أمير البلاد

يتفضل بافتتاح دور الانعقاد العادي الرابع للفصل التشريعي الثالث لمجلس الأمة

« تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد العادى الرابع للفصل التشريعى الثالث لمجلس الامة ، فى السادس من شوال سـنة ١٣٩٣ .. وبعد أن أخذ سموه حفظه الله مكانه فوق المنصة تفضل وطلب من الحضور الوقوف لقراءة الفاتحة ترحما على أرواح شهدائنا الابطال على جبهات القتال .. ثم تفضل سموه وألقى نطقا ساميا فتح به دور الانعقاد الرابع ، وفيما يلى نصه » :

باسم الله العلى القدير ، وبعونه تعالى وتأييده ، نفتتح دور الانعقاد العادى الرابع للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة ..

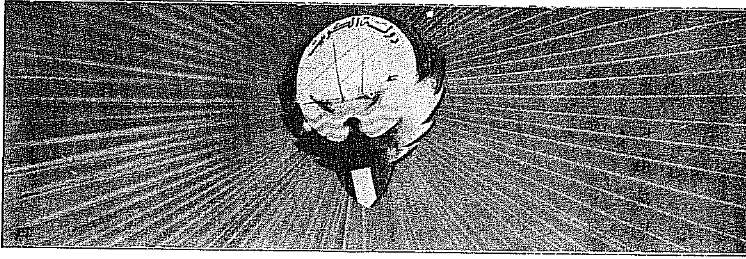
حضرات الأعضاء المحترمين ،

نحتفل بافتتاح هذه الدورة وأمتنا العربية المجيدة تجتـاز أهم فترة تاريخية مصيرية تعتصم فيها بمبادىء العدل والحق والحرية وتعتز بكفاح أبنائها ونضالهم البطولى فى معركة الشرف والخلود .

ولقد سرنى أن مجلسكم قد قام بواجبه الوطنى فى هذه الحقبة الهامة من تاريخ وطننا العربى وتعاون مع الحكومة فى مواجهة ما يمر به الوطن من أحداث كبيرة .

وانى لأود أن يظل التعاون موصولا من أجل خير البلاد ، وأن تسود روح الألفة والمودة جميع أعمالكم توطيدا للديمقراطية السـليمة وتحقيقا للمصلحة العامة .

والله تعالى أسأل أن يلهمنا جميعا الصواب فى كافة أعمالنا وأن يوفقنا لتحقيق ما نبتغيه لوطننا العزيز وأمتنا العربية من عزة ومجد وازدهار .





حضرة صاحب السمو أمير البلاد يلقى النطق السامى مفتتحا دور الانعقاد الرابع لمجلس الامة .



صاحب السمو الامير المفدى ورئيس مجلس الامة ولجنة الاستقبال أمام مجلس الامة أثناء عزف السلام الاميرى

المعركة لم تنته بعد!

القى سعادة الأستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الكلمة التالية فى الاذاعة الكويتية بمناسبة عيد الفطر المبارك وقد حيا فيها جنودنا الابطال الذين يقفون على خط النار ، وأكد على ضرورة المحافظة على وحدة الامة واستمرار الدعم للمجهود الحربى لأن مسئولية تحرير الارض المحتلة هى مسئولية الأمة كلها وأن المعركة لم تنته بعد وأشاد بالدول الافريقية التى قطعت علاقاتها الدبلوماسية بالعدو .

أيها الأخوة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

أنتهز فرصة حلول عيد الفطر المجيد ، فأتحدث اليكم بهذه المناسبة الكريمة التى يمجدها المسلمون فى شتى اقطار العالم . والعيد يوم مشهود من أيامنا ومظهر عتيد من مظاهر شعائرنا الاسلامية ، وحضارتنا العربية ، تفضل الله به على الأمة وامتن فيه علينا لنستشعر نعمة الله بعد أن صمنا شهر رمضان المبارك وأدينا واجب عبادة قد فرضها الله علينا تزكية لنفوسنا ، وتعميقا للايمان فى قلوبنا .

وتأتى هذه المناسبة الكريمة فى وقت تخوض فيه الأمة العربية معركة الشرف والكرامة ضد عدو غاصب مستهتر ، تدعمه دول باغية وتمده بكل طاقاتها المادية والبشرية .. وقد استبسل الجندى العربى فى المعركة وقاتل بشجاعة وصبر وضحى بروحه ودمه دفاعا عن شرف الأمة العربية وعزتها وكرامتها . وقد شهد العدو بشجاعة جنودنا ومناضلينا الأبطال حيث أبلو بلاء حسنا فى سبيل الله وصدق الله اذ يقول « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » .

واليوم لا يطيب لنا أن نحتفل بالعيد ، ولا أن نزهو بالجديد ما دام العدو يحتل أرضنا ، ويعتدى على مقدساتنا دون احترام للأديان ولا تقدير لحقوق الانسان بل يجب أن نحول احتفالاتنا الى دعم للمجهود الحربى وتأييد للنضال العربى ، فالمعركة لم تنته بعد والطريق بيننا وبين العدو طويل وشاق ويحتاج منا التعاون والتضامن والتساند . واعلموا أن المعركة التى تخوضها مصر وسوريا هى معركتنا جميعا ، واحتلال شبر واحد منها يقع وزره على عاتق المجموع حتى يسترد ، فجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ولا تبخلوا بكل عزيز لديكم تحرير وطنكم ومقدساتكم فإن القدس تناديكم وتستغيث بكم « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » .

ولا بأس باخراج الزكاة والصدقات والهبات والوصايا للمجهود الحربى ، كما لا تنسوا فى هذا اليوم العناية بأمر أرحامكم وجيرانكم وما حولكم من الفقراء والمحتاجين والمساكين فان لهم حقا عليكم .

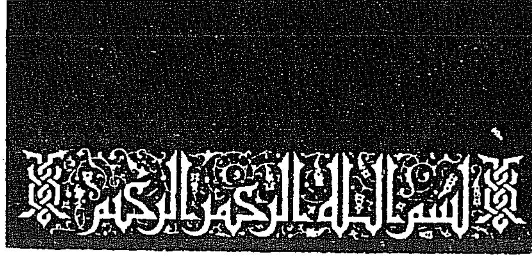
والعيد يذكرنا بمبدأ من مبادىء الاسلام العظيمة وقاعدة من قواعده الجليلة ألا وهى وحدة الأمة وتضامنها ووحدة الكلمة ووحدة النضال . فهم سواء فى السراء والضراء ، فعلى المسلمين أن يتمسكوا برباط الاخوة والايمان ، ومن الواجب عليهم أن يقفوا مع اخوانهم فى وجه أعدائهم فمهما تباعدت ديارهم واختلفت ألوانهم فهم أخوة فى الاسلام .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أنوه بموقف الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها باسرائيل بعد أن تبين لها زيف الدعاية الصهيونية . كما أهيب بالدول الأخرى وخاصة التى تضم أكثرية من المسلمين أن تبادر الى قطع علاقاتها باسرائيل وتأييد الحق العربى الذى ينبع من المواثيق الدولية والعلاقات الأخوية فان فى ذلك أقل مشاركة من المسلم لأخيه المسلم .

وفى الختام أوجه تحيتى الى الجنود والضباط والمناضلين الذين يرابطون فى ثغورهم يتلقون الرصاص فى صدورهم نصرهم الله وأيدهم بروح من عنده « اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

كما أتوجه الى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بالتهنئة الخالصة سائلا المولى عز وجل أن يعيده علينا وعلى الأمة العربية والشعوب الاسلامية بالعز والنصر والبركات .

والسلام عليكم .





اقتحمنا العقبة

باسم الله ، وعون وتوفيق من الله اقتحمنا العقبة التى وقفنا خلفها عشرات السنين حيارى مترددين .

باسم الله ، وعون وتوفيق من الله اقتحمنا العقبـــة التى أضاعت منا فلسطين وأخرجتنا من سيناء ، وانتزعت منا الجولان .

باسم الله ، وعون وتوفيق من الله اقتحمنا العقبــة التى ضربت علينا الذلة والهوان ، وجعلتنا بين دول العالم أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام .

والعقبة التى اقتحمناهـــا ليست خط بارليف الذى انهار ولا طـــائرات الفانتوم التى تهاوت ، ولا مارد صهيون الذى أنطبق عليـــه قمقم سليمان ، انها أخطر من ذلك بكثير .. انها الفرقة التى تجعل من الجبل الأشم ذرات تذروها الرياح .. الفرقة التى تحول السيل الجارف الى قطرات متباعـــــدة صغيرة ، الفرقة التى تذيب الحديد الصلب وتفقده قوته وصلابته . انها الفرقة التى أكتوينا بنارهـــا منذ أمد بعيد ، فاكلت الخـــلافة ، ومزقت الوحـــدة ، وعصفت بالقوة .. لقد اقتحمنا هذه العقبـــة بقوة الايمان وحطمناها بائتلاف القلوب والمشاعر ، وعبرناها بتوحيد الصفوف واجتماع الكلمة ، وتلك نعمة يجب أن تذكر وتشكر ، ويحرص على بقائها وتثبيتها : ((واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها)) .

اقتحمنا العقبـــة بالقول والفعـــل . بالدم والمال بالعزيمة الصـــادقة والارادة الماضية . اقتحمناها بالعقل والروية . بالتدبير والتخطيط . وقبل هذا وبعد هذا بتوفيق الله وعون الله .

سقطت العقبة بالتضامن والعمل الموحد . بالمعركة الواحــدة . بقوة الحديد والنار . بالحديد الملتهب فى سيناء بالنار المشتعلة فى الجولان . بالألغام المتفجرة فى قلب فلسطين .. بالمدرعات المصرية والدبابات السورية والمنظمات الفلسطينية والجحافل العراقيــة والحشود الســعودية والقوات الكويتيــة والطائرات الليبيــة والكتائب المغربية والفرق السودانية والتحركات الأردنية .. بدماء هؤلاء جميعا خط الايمان سطور التضامن والتعاون فى تاريخ أمتنا المجيــدة .

وتضامننا لم يزلزل العقبة وحدها ، بل زلزل دول العالم وأكرهها على اكبارنا واحترامنا ، والرضوخ لحقوقنا ، وذلك عندما توجت دولنا المنتجــة للنفط هــذا التضامن باستخدام هذا السلاح الرهيب فى المعركة ، فخفضت الانتاج ، ومنعت تصديره منعا كاملا عن الدول الموالية لعدونا .

ان مائة مليون عربى مسلم فى الشرق الأوســط ، يحيط بهم ستمائة مليون مسلم فى مشارق الأرض ومغاربها يصنعون الأعاجيب ويغيرون ميزان القوى فى العالم لخير الانسانية لو تضامنوا وتعاونوا ، لو اتفقوا واتحــدوا لو أظلتهم جميعا راية الاسلام ، وحكمهم جميعا حكم القرآن .

ولا شك أن هذا التضامن الذى ظهرت تباشيره اليوم يواجه قوى معادية ضخمة ، وتحاك ضده مؤامرات ماكرة خبيثة قد يشارك فيها عن قصد أو جهل أصحاب النظر القصير واللاهثون وراء المنافع الشخصية العاجلة وواجب كل فرد منا على كافة المسئوليات وفى جميع المواقع أن يحرص كل الحــرص على دعم هذا التضامن وتوسيع نطاقه ، وحمايته من كل اضطراب واهتزاز ، وتنميته حتى يتحول الى وحدة شاملة كاملة تحمى الحق والعدل والســلام .

ان الاتحــاد قانون من قوانين القوى الكونية ، فالخيط الواهى اذا انضم اليه مثله ، أصبح قوة قادرة على رفع الأثقال .

ان الله عز وجل الذى أنزل فى كتابه أننا خير أمة أخرجت للناس أمرنا قبل ذلك مباشرة بالاعتصــام بدينه فقال سبحانه : ((واعتصــموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) .

والرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم قال : المسلمون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله .

والشاعر الحكيم قال :

تابى الرمــاح اذا اجتمعن تكســرا ... واذا افترقــن تكســرت آحــادا

والشاعر المعاصر يقول :

تذوب حشاشات العواصــم حسرة ... اذا دميت من كف (بغداد) اصبع
ولو صدعت فى سفح (لبنان) صخرة ... لدك ذرا (الاهرام) هذا التصدع
ولو (بردى) أنت لخطب مياهــه ... لسالت (بوادى النيل) للنيل أدمع
ولو مس (رضوى) عاصف الريح مرة ... لباتت لهـــا أكبادنا تتقطــع

والأحداث الراهنة تقول : تفرقنا فضعنا واجتمعنا فانتصرنا .
فالى مزيد من التضامن . الى الوحدة الاسلامية . وانما المؤمنون اخوة .

رضوان البيلى

ظاهرة في القرآن واحدة وتفسيران مختلفان والحقيقة غيرهما

* قامت دراسات عديدة حول القرآن : من اتباعه .. ومن اعدائه على السواء . وغاية الدراسة بين الفريقين وان اختلفت ، فالظاهرة القرآنية التي تعلقت بها الدراسة من الجانبين كانت واحدة :

فبعض المفسرين يتعقب ما يسميه : « عدم الانسجام » في آيات الأحكام على الخصوص .. ويخرجه على أن هناك ناسخا .. ومنسوخا ، بينهما . ويصبح ما نسخ : منسوخ الحكم ، دون التلاوة . وكأن في القرآن من كلام الله : ما يتلى فقط ، دون أن يكون له اعتبار في واقع حياة المؤمنين به . وعلى سبيل المثال ، يرى هذا الفريق : أن ما جاء في قول الله تعالى ، في سورة محمد عليه السلام :

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ،
« حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ،
« فاما : منا بعد ، وأما فداء ، حتى تضع الحرب اوزارها » .

.. قد نسخ ما جاء في سورة الأنفال — في عتاب الرسول عليه السلام في أمر أسرى : « بدر » .. وفدائهم — في قول الله تعالى :

« ما كان لنبي أن يكون له أسرى (ما ينبغي ولا يجوز أن يكون لنبى أسرى فيفديهم بعد ذلك بمال ، حتى يثخن في الأرض (أي حتى يتمكن ، وتكون له قوة) ..

الأستاذ : الدكتور محمد البهى

« **تريدون عرض الدنيا** (بالفداء) **والله يريد الآخرة** (بالثواب) ، **والله عزيز حكيم** .

« **لولا كتاب من الله سبق** (أى لولا قضاء من الله تم بشأن هذا الأمر ، وهو العفو والصفح عنكم) **لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** .

.. فالذى جاء فى سورة محمد ــ وهى متأخرة فى النزول عن الأنفال .. إذ ترتيبها هو ترتيب السورة التاسعة ، بينما ترتيب سورة الأنفال هو الثانية ــ هذا يجيز الأسر فى الحرب .. والتخيير بعد ذلك : بين المن على الأسرى باطلاق سراحهم .. أو بافدائهم بمال ، أو بأسرى من المؤمنين وهــذا معنى قوله : « **فشدوا الوثاق** (أى اسروهم) ، **فاما منا بعد ، واما فداء** » .. هذا الذى جاء فى سورة محمد على هذا النحو : ينسخ ــ كما يقال ــ ما جاء فى سورة الأنفال من النهى عن الأسر ، فالفداء .. ومن وجوب قتل ما يقع مــن الأعداء فى الأسر : تقليلا لعدد هؤلاء الأعداء من جانب ، وارهابا للأحيــاء الباقين منهم من جانب آخر . وهذا هو قوله : « **ما كان لنبى أن يــكون له اسرى ، حتى يثخن فى الارض ، تريدون عرض الدنيا** » . فالفداء للأسرى فى الحرب لم يكن جائزا فى سورة الانفال . ثم نسخ عدم جوازه ، وأصبح جائزا فى سورة محمد عليه السلام .

وبعض المستشرقين ــ من جانب آخر ــ يســير وراء هذه الظاهــرة القرآنية ، ويراها تنبىء ــ كما يدعى ــ عن التناقض فى القرآن . ويتخذ منها دليلا فى ادعائه : على أن محمدا فى تأليفه للقرآن لم يكن على درجة من الوعى، يتفادى معها : الوقوع فى المتناقضات .

والقارىء للدراستين يخرج بوجود ظاهرة قرآنية : يؤولهــا المســلم : بالناسخ والمنسوخ فى القرآن .. ويؤولها الحاقد على القرآن : بالتضاد ، أو التناقض فيه . وفى كل من التأويلين ما يعيب القرآن .

فالناسخ والمنسوخ فى كلام الله فى رسالة واحدة لرســول واحد : يلحق النقص بعلمه جل شأنه . وهو نقص عدم الاستيعاب وعدم الاحاطة .. أو نقص اليقين فى علمه . والتناقض فى القرآن يبعده عن أن يــكون كلام

الله .. وبالتالى يسقط كونه معجزة للرسول عليه السلام .

فهل فى القرآن ناسخ ومنسوخ ؟ .. وهل فى القرآن تناقض ؟. ام أن هناك منهجا يقوم عليه تطوير المجتمع من وضع .. الى وضع آخر لا يلتقى مع سابقه .. ؟

* والمجتمع اذ ينتقل من وضع الى وضع مقابل له : لا ينتقل فجأة ، ولا دفعة واحدة . وتغييره من وضعه القائم .. الى وضعه المرتقب والمؤمل : يمر بمراحل ، أو بمستويات معينة من التطور . وموضوع التغيير هو : نفوس الأفراد .. وظواهر المجتمع معا . وتغيير نفوس الأفراد مقدمة لتغيير ظواهر المجتمع : ((**وإذا أردنا أن نهلك قرية** (مجتمعا) **أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا**)) .

ومجتمع المؤمنين بالله وحده هو تحول : من مجتمع الجاهلين . والمجتمع الجاهلى تقوم روابط الأفراد فيه على المبادلات المادية وحدها .. وعلى عصبية الدم والقرابة .. بينما مجتمع المؤمنين يقوم على الروابط الانسانية . أى يقوم على المشاركة بين الأفراد فى المعانى الانسانية من : المودة .. والتعاون .. والمساندة . والمجتمع الجاهلى اذن : اذا كان مجتمعا ماديا فهو : لا انسانى . والمجتمع الايمانى أو الاسلامى اذا لم يكن مجتمعا ماديا — أى لا يقوم على المبادلات المادية وحدها — فهو مجتمع انسانى .

والمجتمع البشرى اذن : اما أن يكون مجتمعا جاهليا ، أى ماديا .. أو مجتمعا اسلاميا ، أو انسانيا . وانتقال المجتمع البشرى من وضع الى آخر : هو انتقال من الوضع الجاهلى والمادى .. الى الوضع الاسلامى ، أو الانسانى .. أو من الوضع الاسلامى أو الانسانى .. الى الجاهلى أو المادى ، على نحو المجتمعات الاسلامية فى أوروبا وآسيا ، التى تحولت الى مجتمعات شيوعية إلحادية بعد الحرب العالمية الثانية ، كمجتمع البانيا .

ودور الاسلام فى نقل المجتمع البشرى من جاهلى مادى ، الى اسلامى انسانى : هو دور نفسى .. واجتماعى .. أى يتصل بالأفراد ، والمجتمع معا ..

فدوره النفسى هو العمل على أن ترفض الأفراد المؤمنة الآن فى اصرار : صفات المجتمع الجاهلى التى كانت تعيش فيه من قبل ، وترفض العودة ثانية الى ممارستها ، والرجوع الى أساليبه فى الحياة .. وفى الوقت نفسه تقبل على صفات المجتمع الانسانى أو الاسلامى التى آمنت به ، وتكون لها عادات تعبر عن هذه الصفات . وصفات المجتمع الانسانى أو الاسلامى هى على النقيض من صفات المجتمع المادى والجاهلى .

ولذا : القرآن — كتاب الله ومصدر الاسلام — ينبه المؤمنين : الى صفات المجتمع الجاهلى والمادى أولا .. ثم يأخذ طريق التنديد بهذه الصفات .. فالنهى عنها بعد فترة من الزمن ، قد تطول وقد تقصر .. ثم يدعو الى صفات المجتمع الانسانى أو الاسلامى ويرغب فى التخلق بها .. فالأمر باتباعها بعد فترة من الزمن ، قد تطول وقد تقصر . فمنهجه لتحول الأفراد من ماديين .. الى انسانيين ، أو مسلمين : يتبع هذه الخطوات ، أو يمر بهذه المراحل :

أولا : التعريف بصفات الجاهلين أو الماديين .. ثم التنديد بها ،
ثانيا : النهى عن مباشرتها ، وعن العودة اليها ،
ثالثا : الترغيب فى الصفات الانسانية ، أو الاسلامية ، التى هى طابع المجتمع الجديد .
رابعا : الأمر باتباعها وعدم التخلى عنها ، ان كان الايمان صادقا بقبول هـذا الوضع الجديد .

وفى هذه الخطوات أو المراحل يكون توجيـه القرآن للأفراد توجيهـا مساعدا لهم على تحولهم ، وضمانا لعدم رجوعهم وارتدادهم ، ومتلائما فـى الوقت نفسـه : مع المستوى النفسى الذى وصل اليه تطور الأفـراد من خطوة الى خطوة ، ومن مرحلة الى مرحلة أخرى تعلوها . فمثلا : الشح صفة متأصلة فى السلوك المادى . ومن أجل رسوخ هذه الصفة فى نفوس الماديين يصعب عليهم نفسيا : أن يعطوا فى غير مقابل . بل تتطبع نفوسهم من أجل حب المال : بطابع الأنانيين الذين لايرون فى الحياة الا ذواتهم .. وأنه ليس لديهم فـى الاحساس ما يمنع : أن يكون غيرهم موضوع استغلال لهم ، ومصدرا لتكديس الأموال من شقائهم . وجاءت فى أوصافهم هـذه الآيات الكريمة فى سورة الفجر :

((كلا بل لا تكرمون اليتيم .
ولا تحاضون على طعام المسكين .
وتاكلون التراث أكلا لما ..
وتحبون المال حبا جما)) .

.. فهم لا يهتمون باليتيم : ان فى شخصه ، وان فى ماله . فيعتدون على ماله ان كان له مال .. ولا يكرمون انسانيته بحسن توجيهه ورعايته ، ان كان عديم المال ،

.. ولا يهتمون بالمسـكين وصاحب الحاجـة .. ويتركونـه يشقى مع الحرمان ، ويصارعه الفقر الى الموت ،

.. ويعتدون على الضعفاء كالنساء والأولاد فى ميراثهم ، ويسلبونهـم حقهم فيه ،

.. ولا يرون فى الحياة الا : المال وحده فيعبدونه . أما الانسانية .. أما القيم العليا فى ترابط الأفراد بعضهم مع بعض ، فلا يرونها اطلاقا هدفا لهـم فى حياتهم ..

وسيطرة الربا فى تعامل الماديين واستغلالهم حاجة المحتاجين .. واكلهم أموال الناس بالباطل .. وادلاؤهم بالأموال الى الحكام ليأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وهم يعلمون : ظاهرة لهـذا الشح الـذى نمتـه المادية فيهم .

فنقل الماديين من الشح .. الى الانفاق من المال فى سبيل الله ، أو فى سبيل المصلحة العامة ، أى الى الانفاق فى غير مقابل مادى : يحتاج أولا الى خلخلة هذا الطبع فى نفوس الأشحاء ، وذلك بالتنديد بالشح وبتوضيح أثره السيىء على نفس الشـحيح ، وعلى مجتمعه الذى يعيش فيه .. ثم بترغيبه فى الانفـاق على من لهم حق فى منفعة المال ولا يملكونه : ((وآت

ذا القربى : حقه ، والمسكين ، وابن السبيل » .. ثم بفرض المستوى الأدنى من الانفاق ، وهو الزكاة : **« انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله »** .

وقد يجد القارىء للقرآن فى مرحلة الترغيب فى الانفاق العام ــ أى فى المرحلة الوسطى قبل الأمر بالزكاة ــ ان الانفاق العام المرغب فيه لا يحد الا بحاجة المنفق . فما تجاوز هذه الحاجة وزاد عنها فهو موضوع الانفاق فى غير مقابل ، الا لصالح الأمة وحده : **« ويسالونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو »** .

والزكاة عندما فرضت : فرضت كعبادة يجب أن تؤدى . ولذا ارتبطت بأدنى مستوى من المال يستطيع المالك له : ان يخرجه . ومع ذلك بقى : « العفو » بجانب : « الزكاة » : فى الاعتبار . فالعفو ظل متروكا للمشيئة الفردية ، بينما الزكاة دخلت دائرة الالتزام بأداء الواجب .

وهكذا : نفوس الأفراد تمر بمراحل نفسية مختلفة عند تحولها من الوضع المادى السابق .. الى الوضع الانسانى المرتقب . ومنهج القرآن على نحو ما ذكر له هنا من مواقف معينة : تتجاوب مع كل مرحلة ، وتساعد فى الوقت نفسه على الدفع نحو المرحلة التالية : يؤدى الدور النفسى لرسالته .

أما الدور الاجتماعى لهذا المنهج : فان المجتمع عن طريقه اذ تختفى فيه ظاهرة .. تبرز فيه بالتدريج ظاهرة أخرى على الضد ، تماما ، من الظاهرة السابقة . ففيماذكر من الشح : اذ تضعف ظاهرة المادية من شح النفوس : رويدا ، رويدا .. تظهر مكانها : ظاهرة الانفاق فى غير مقابل : رويدا ، رويدا ، كذلك ، حتى تصبح سائدة فيه . وعندما تصبح ظاهرة الانفاق سائدة : يكون المجتمع قد تحول بالفعل . وعندئذ يكون منهج القرآن قد أدى دوره الاجتماعى بتغيير ظواهر المجتمع .

* ومنهج القرآن اذ يؤدى دوره النفسى .. ودوره الآخر الاجتماعى : يؤديها عن طريق التطوير النفسى ، وليس عن طريق الالزام الخارجى . فهو لا يفرض ، ولا يلزم من خارج الذات . وانما يجعل الذات هى التى تتحرك وتسير نحو الهدف المطلوب ، فى يسر .. وفى رغبة ، بل وفى اندفاع فى الرغبة .

والنهى .. والأمر : فى هذا المنهج ــ أى النهى عن فعل ظواهر المجتمع المادى وصفاته .. والأمر بفعل ظواهر المجتمع الانسانى ، أو الاسلامى وصفاته ــ كل منهما تعبير عن وضع نفسى قائم بالفعل ، وصلت اليه نفوس الأفراد ، بعامل التحريك الذاتى . أى أن النهى .. والأمر فى حينهما : يصادفان قبولا .. واستعدادا نفسيا . فاللحظة التى ينهى فيها القرآن المؤمنين به عن فعل شىء كان يفعل فيما مضى ، وهو من ظواهر المادية : يصادف فيها هذا النهى استعدادا نفسيا تكون قد وصلت اليه النفوس بالفعل ، وتكونت فيها رغبة عما نهى عنه الآن . وكذلك شأن : الأمر بشىء ما . فان اللحظة التى يأمر فيها القرآن بفعل شىء مرغوب فيه ، تكون النفوس حينئذ قد وصلت بالفعل الى الرغبة فى عمله .

وهذا هو الفرق بين التطور النفسى ، والالزام الخارجى . فى التطور

النفسي لا يصادف النهي ، والأمر : عقبة .. او فراغا في النفوس . وانما يصادف وضعا نفسيا ملائما للنهي او للأمر . بينما في الالزام الخارجي : يصادف النهي ، والأمر : فراغا في النفوس أو عقبات فيها . أى لا تكون النفوس على استعداد آنئذ لتقبل النهي .. أو الأمر ، والرضا بهما .

وهذا الفرق يتبعه فرق آخر . وهو أن منهج التطوير النفسي لا يحتاج الى قوة تنفيذية وحارسة ، اكتفاء بالقبول النفسي ، والرضاء الداخلي . في حين أن الالزام الخارجي لا ينجح — ان نجح مؤقتا — الا بالقوة ، والحراسة ، والرقابة المستمرة .

فضلا عن أن منهج التطوير ينطوي على كرامة الذات ، كذات انسانية . بينما الالزام الخارجي ينكر خصائص الانسانية في الذات ، اذ يركز على تحريكها ودفعها مما هو خارج عنها . فينكر بذلك : حريتها ، ومشيئتها .

* ومنهج القرآن في تطوير المجتمع : يرتبط نجاحه بأمرين :

الأمر الأول : الخصائص النفسية ، التي تقوم عليها الدعوة . وأهم هذه الخصائص التزام الصدق .. وتجنب الخداع .. والكشف أولا بأول عن الأخطاء التي تقع في التطبيق ، أو في الانتقال من مرحلة : الى أخرى .. ثم الاستعانة بالوقائع التاريخية وأحداث المجتمعات البشرية .

فعن الخصائص النفسية يرشد القرآن صاحب الدعوة عليه السلام الى رعايتها في قول الله تعالى : ((**قل : لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم : اني ملك ، ان أتبع الا ما يوحى الي**)) . وعن الاستعانة بالوقائع التاريخية لا يفتأ القرآن يردد أحداث المجتمعات البشرية السابقة : في توضيح الآثار التي تترتب على مسلك المجتمعات المادية ، عندما تطغى بماديتها وتعتز بقوتها المادية . كمجتمعات : عاد .. وثمود .. ومدين .. وفرعون .. وبني اسرائيل .

الأمر الثاني : القدوة الحسنة للقائم على شأن الدعوة لهذا المنهج ، بحيث تكون قدوته ترجمة واضحة لما يدعو اليه . وكان الرسول عليه السلام القدوة والمثل الأعلى في تطبيق ما أنزل عليه من وحي الله : سواء في تجنب صفات الماديين وظواهر مجتمعاتهم .. أو في العمل بصفات الانسانيين ، وهي صفات المؤمنين عباد الرحمن .

ولأن منهج القرآن كان منهج تطوير للانسان وللمجتمع معا ، وكان ما جاء فيه من نهي ، أوامر : ملائما للحالة النفسية التي وصل اليها الأفراد ، وكذلك للحالة الاجتماعية التي وصل اليها المجتمع : أخذ نقل المجتمع على عهد الرسول عليه السلام : من الوضع المادي .. الى الوضع الجديد ، وهو الوضع الانساني أو الايماني : فترة تزيد على العشرين عاما ، ونزل فيها القرآن منجما ، على دفعات . وما نزل في فترة انتهت كان يعالج فيها مستوى نفسيا ، أو اجتماعيا خاصا . وما نزل في فترة تالية ، أو أخرى بعدها كان يعالج وضعا نفسيا ، أو اجتماعيا يختلف عن سابقه . الى أن اكتمل التحول — وكانت آيته : فتح مكة — فاكتمل منهج التطوير ، أو اكتمل الدين : **اليوم يئس كفروا من دينكم** (أى ولا أمل لهم في ارتدادكم الى مجتمعكم السابق . اذ

مجتمعكم الايماني قد تأكدت معالمه وبرزت شخصيته الايمانية ، أو الانسانية) **فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم** (وهو منهج حياتكم الذى قادها من الوضع الجاهلى السابق .. الى الوضع الايمانى القائم ، وهو يقودها دائما الى هذا الوضع ، عندما تبرز مظاهر المادية من جديد) **وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا** (اى منهجا فى الحياة) » .. وجاءت هذه الآية فى سورة المائدة . وهى السورة قبل الأخيرة فى الوحى المدنى .

واذا كانت مستويات ، وأوضاع المجتمع فى انتقاله من الجاهلية أو المادية .. الى الروحية الانسانية : مختلفة — وحتما لا بد أن تكون مختلفة — فان ما يأتى من دافع جديد فى منهج التطوير : يحرك النفوس أو المجتمع الى مستوى أو الى وضع أعلى ، قد يكون مختلفا كذلك ، ان لم يكن فى تكرار الدافع السابق ما يساعد على النقلة الى هذا الأعلى ، بين الأفراد ، وفى المجتمع .

ولذا لا يقال : ان حكما لاحقا من نهى ، أوامر ، قد الغى حكما سابقا من نهى ، أو أمر كذلك . وانما يقال : ان الحكم السابق بقى له اعتباره ، ولكن لمرحلة معينة وخاصة فى نقل المجتمع . وكذلك الحكم اللاحق له اعتباره فى المرحلة التى جاء هو فيها ، من مراحل المجتمع . على معنى : ان المجتمع الذى أصبح الآن مجتمعا انسانيا ، أو اسلاميا ، اذا طغت عليه ظواهر المادية أو الجاهلية : فان تطويره من جديد .. الى مجتمع انسانى أو اسلامى : فى حاجة الى الأحكام جميعها التى نزلت فى المراحل المتعددة .. تلك الأحكام التى بدا فيها ناسخ ومنسوخ كما يقال ، أو تضارب ، كما يدعى المستشرقون .

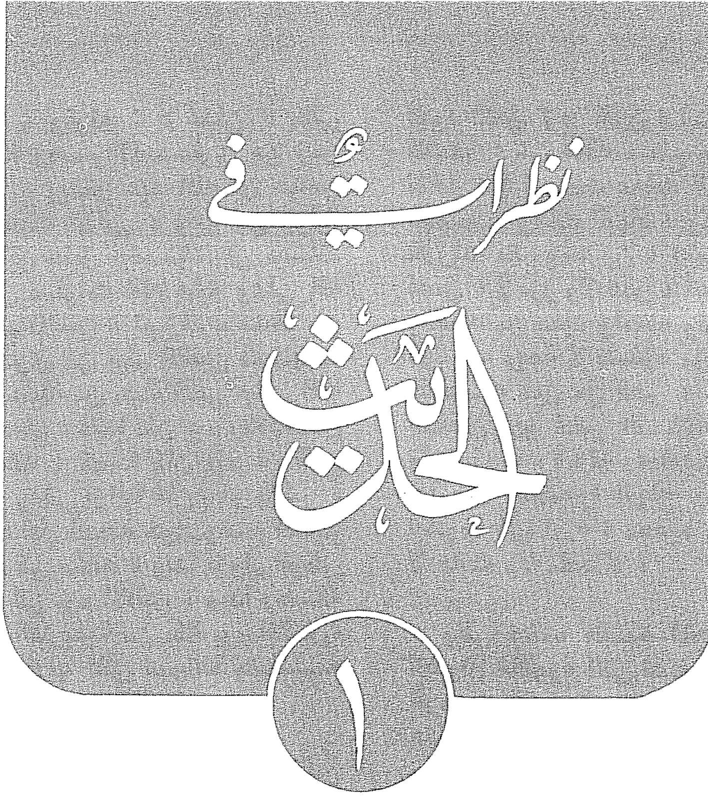
وأى ضمان لبقاء المجتمع على وضع واحد لا يتغير ؟. فبعض المجتمعات التى كانت اسلامية فيما مضى قد تغيرت الآن الى مجتمعات مسيحية .. أو شيوعية .

والمجتمعات الاسلامية القائمة هى فى ظواهرها الآن تميل .. الى المجتمعات المادية أو الجاهلية : أكثر من انتمائها الى المجتمعات الانسانية أو الاسلامية .. فلكى تعود الى مجتمعات اسلامية ، معبرة عن طابع انسانى : فى حاجة الى تطور من جديد . والتطوير له مراحله . ومراحل التطوير لها ما يلائمها من أحكام فى القرآن ، نزلت منجمة حسب أوضاع المجتمع فى تحوله .

والمجتمعات الاسلامية الآن مختلفة فى مستوياتها وفى أوضاعها : بين : الجاهلية .. والانسانية . وما يأخذ به بعضها الآن من أحكام القرآن ، فى سبيل تطوره : قد لا يلائم بعضا آخر منها ، عندما ينشد الوصول الى المجتمع الاسلامى الصادق .

واذن : القول بالناسخ والمنسوخ فى القرآن : فيه تعطيل لمنهاج الدعوة الاسلامية ، ولمنهج القرآن فى تطوير المجتمع .

أما القول بالتضاد بين الشىء وضده فى القرآن : فقول انسان يلبس ثوب العلماء فى الدراسات الاسلامية فى الجامعات الأجنبية أو فى ذات المجتمعات الاسلامية . ولكن فى حقيقة أمره : تغلب عليه نزعة الحقد .. أو نزعة الاحتراف بالعلم .. أو وضع القصور فى الفهم .



للدكتور محمد عبد الرءوف

عن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف قال :
« ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عـام الفيل ، فنحـن لِدان ، ولدنا مولدا واحدا » .
وعن عبد الله بن عباس قال :
« ولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبىء يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين ، وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينـة يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين » .

كلّ من يحب المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحرص على اتباع سنته يسـعى قدر الامكان ليتعـرّف على شخص الرسـول الكريم وفضـائله وأقواله وشمائله ، ويزيد ذلك ترغيبا ما يمتاز به الحديث الشريف من جمال العبارة وروعـة الأسلوب وغـزارة المعانى .

نستهل صدر هذا المقال بحديثين ، الأول من كلام قيس بن مخرمة وقـد رواه الامام الجليل أحمد فى مسنده ، وفيه يحدث قيس أن ميلاده وميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم كانا فى عام الفيل وهو عـام ٥٧٠ أو عام ٥٧١ من التقويم الميـلادى على ما

يقولون ، وقوله : « لِدان » مثنى « لدة » وهـو المساوى فى زمن الولادة . ويذكر عبد الله بن عباس فى الحديث الثانى ، وهو من رواية الامام ابن حنبل أيضـا ، أن ميـلاد الرسول صلوات الله عليه وعلى آله كان يوم الاثنين ، ثم زاد فافـاد بأن اياما أخرى من أيام الاثنين شـهدت أحداثا جليلة من حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، فكما كان يوم ولادته كان يوم وفاته ، كمـا كان يوم أن أفلح بحكمته وفض نزاعا كان ينذر بالشر ، فى مكة قبل البعثة حول وضع الحجر الأسود فى مكانه ، وبدأ نزول الوحي عليـه في يوم الاثنين ، وبدأ رحـلة الهجرة التاريخية من مكة يوم الاثنين، ووصل يثرب التي سماها مدينـة رسول الله يوم الاثنين .

قد يقال : كيف نعتبر هذين النقلين من الحديث النبوى مع أنهما ليسا من كلام الرسول نفسه بل من كلام بعض أصحابه ؟ والواقع أن لفظ الحـديث كاصطلاح خاص بين العلماء يطـلق على كل ما يذكر فيه شيء عن الرسول عليه الصلاة والسلام حتى ما يذكـر فيه أوصافه البدنية ، ومن ذلك حكاية أم معبد التى قصّت على زوجها أبى معبد فى مساء يوم مبارك بعـد أن عاد مع غنمه وذكرت له كيف بورك فى شاتهما التي خلّفها الجهـد عن الغنم ببركة زائر عرّج على خيمتها مع صاحبيه ، فادرك أبو معبـد أنه صاحب قريش وطلب منها أن تصفه له ، وقد أورد محمد بن سعد القصّة فى كتابه : الطبقات الكبرى ، ونقتبس من وصفها للرسول ما يلى :

« رأيت رجلا ظاهر الوضـاءة ، منبلج الوجـه ، حسن الخَلق ، لم تعبـه ثُجلة ، ولم تزر به صَعلة ، وسيم قسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطَف ، وفي صوته صَحل ، أجود أكحل أزجّ أقرن ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطع وفي لحيته كثافة ، إذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء ، وكان منطقه خرزات نظم يتحدّرن ، حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمـه عين من قصر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثـلاثة منظـرا وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفّون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، واذا أمر تبادروا الى أمره ، محفود محشود ، لا عابث ولا مفند » .

وإلى جانب هـذه المجموعة من الأقوال المأثورة التي تصف شـخص الرسول الكريم أو تتحدث عن مراحل حياته صلى الله عليه وسلم هنـاك مجموعة أخرى تحدثنا عن أفعـاله صـلوات الله تعالى عليه أو تصف فضائله ومواقفه ، ومنها نتخذ العبرة ونستمدّ القدوة ويستخلص التشريع للأمة ، ولنسق من هذا النوع الحديثى الأمثلة الآتية :

روى مسلم بن الحجاج رضى الله عنه فى صحيحه عن أنس بن مالك قال :

« لما قدم رسول الله صلى اللـه عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحـة بيـدى فانطلق بى الى رسـول الله صلى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله ، أن أنسا غلام كيس فليخدمك قال : فخدمته فى السفر والحضر ، والله ما قـال لى لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لمْ تصنع هذا هكذا ؟ »

وروى أيضـا عـن أبى سـعيد الخدرى رضى الله عنه قال :
« كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم اشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه » .

وروى مسلم كذلك عن موسى بن انس عن ابيه قال :

« ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيئا إلا أعطاه ، فجاء رجل فاعطاه غنما بين جبلين ، فرجع الى قومه فقال : يا قوم أسلموا فان محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة » .

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« ما خير رسول اللى صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله عزّ وجلّ » .

وروى البخارى ومسلم وأحمد ــ واللفظ له ــ عن البراء بن عازب قال :

« إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو أخواله من الانصار ، وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت ، وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال :

« اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة ، قال : فداروا كما هم قبل البيت ، وكان يعجبه ان يحول قبل البيت ، وكان اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلى قبل بيت المقدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك . »

وروى أحمد عن أبى عباس الزرقى رضى الله عنه قال :

« كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فقالوا : قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ، قالوا : تاتى عليهم صلاة هى أحب اليهم من أبنائهم وأنفسهم ، ثم قال : فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر : (وإذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة) قال : فحضرت ، فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا السلاح ، قال : فصففنا خلفه صفين ، قال : ثم ركع فركعنا جميعا ، ثم رفع فرفعنا جميعا ، ثم سجد النبى صلى الله عليه وسلم بالصف الذى يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا فى مكانهم ، ثم تقدّم هؤلاء الى مصاف هؤلاء ، وجاء هؤلاء الى مصاف هؤلاء ، قال : ثم ركع فركعوا جميعا ، ثم رفع فرفعوا جميعا ، ثم سجد النبى صلى الله عليه وسلم والصف الذى يليه والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما جلس جلس الآخرون ، فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف ، قا ل: فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة بعسفان ومرة بارض بنى سليم » .

ولا يحتوى واحد من هذه الأحاديث على كلمة واحدة من الفاظ الرسول

صلى الله عليه وسلم ، ولكنها تصف بعض فضائله وأعماله ، فاحدها يصف حلمه ، وآخر يصف حياءه ، وثالث يتحدث عن كرمه المنقطع النظير ، وتحدثنا ام المؤمنين عن سنته صلى الله عليه وسلم فى الأخذ بالأيسر ما اجتنبت المحارم وعن صبره على الأذى الا إذا انتهكت حرمات الله ، ويذكر الحديث التالى تحويل القبلة الى البيت الحرام وبعض ما حدث عندئذ ، ويفيدنا الحديث الأخير كيف نظم رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف المسلمين لصلاة الخوف وكيف امّهم فيها ، ويستنبط من هذا النوع من الأحاديث الكثير من مكارم الأخلاق وتفاصيل الشريعة الغراء .

والنوع الثالث من الأحاديث النبوية ما يذكر من فعال أو عادات جرت على عهده ولكن سكت عنها ولم يعترض عليها ، فدلّ سكوته على مشروعيتها وحلها ، ويسمى هذا « تقريرا » ومن ذلك ما يلى :

روى النسائى عن جابر انه قال :
« كنا ناكل لحوم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
وروى النسائى ايضا فى سننه عن ام المؤمنين عائشة قالت :
« إن كان ليكون علىّ الصيام من رمضان فما أقضيه حتى يجيء شعبان » .

فاكل لحم الخيل على عهده صلى الله عليه وسلم مع عدم اعتراضه عليه يدلّ على حلّه ، كما ان تاجيل السيدة ام المؤمنين قضاء ما فاتها من صيام ايام الحيض من شهر رمضان الى حلول شهر شعبان — مع علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك — يدل على جوازه حيث سكت

ولم يعترض عليه . فانه صلى الله عليه وسلم ما رأى منكرا وسكت عنه ، فمن ذلك ما يلى :

روى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمر قال :

« رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب فى يد رجل فنزعه وطرحه وقال : يعمد احدكم الى جمرة من النار فيضعها فى يده »

وروى مسلم أن عائشة قالت انها كانت اخذت نمطا فسترته على الباب فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم فرأى النمط « عرفت الكراهية فى وجهه ، فجذبه حتى هتكه أو قطعه وقال : ان الله لم يامرنا أن نكسو الحجارة والطين » قالت : « فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفا فلم يعب علىّ ذلك »

وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا عرضت أمامه آراء متعارضة أقرّ منها ما هو مشروع فاثبته ، وبذلك ينكر ما عداه ، ومن ذلك ما رواه أمام المحدثين محمد بن اسماعيل البخارى فى صحيحه عن ابن عمر انه كان يقول :

« كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها ، فتكلموا يوما فى ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بل بوقا مثل قرن اليهود ، فقال عمر : أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بلال قم فناد بالصلاة . »
فامر النبى صلى الله عليه وسلم بلالا بالنداء للصلاة دل على تسويغ الأذان ومشروعيته ، كما دل فى نفس

الوقت على انكار مـا اقترح من دق الناقوس أو استعمال البوق للدلالة على حضور وقت الصلاة .

وأبلغ أنواع الحديث وأعلاها ما أثر من كلام النبى نفسـه صلى الله عليه وسلم ، فقد أوتى جوامع الكلم، وكانت عباراته فى أعلى درجـات النقاوة بعد كتاب الله تعالى ، ونسوق من ذلك ما يلى :

روى ابن ماجه أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من حسن أسلام المرء تركه ما لا يعنيـه » .

وروى ابن ماجه أيضا فى سـننه عن حذيفة قال : قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم :

« لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه ، قالوا : وكيف يذل نفسـه ؟ قـال : يتعرّض للبلاء لما لا يطيقه » .

وروى البخارى ومسلم وابو داود ــ واللفظ للبخارى ــ عن عبد الله بن عمر قال : أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أى الاسلام أفضل ؟ قال ــ صلى الله عليه وسلم :

« تطعم الطعام وتفشى السـلام على من تعرف ومن لم تعرف »

وأخرج مسلم عن صهيب بن سنان رضى الله عنه أن رسول الله عليـه وسلم قال :

« عجبا لأمر المؤمن ، أن أمره كله خير وليس ذلك لأحد الا المؤمن ، أن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصـابته ضراء صـبر فـكان خيرا له » .

وروى الترمـذى وأبـو داود ــ اللفظ للأول ــ عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسـلم قـال :

« بين الكفر والايمان ترك الصلاة »
وروى أبو داود عن جـابر وابن طلحة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما من امرىء يخذل امرءا فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص من عرضه الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصـر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمتـه الا نصره اللـه فى موطن يحب فيـه نصرته » .

ومن هذا القسم العالى من الحديث ما أكده الرسول صلوات الله تعالى عليـه بنسبته الى اللـه سبحانه ، ويسـمى بالحديث القدسـى ، وهو كالحديث النبوى . لفظـه هو لفظ الرسـول صـلى الله عليه وسلم ومكانته هى مكانة سائر الأحـاديث النبوية ، فلا يتعبد بتلاوته ولا يحـرم مسّه او حمله للمحـدث ولم يتحدّ بلفظه كما تحـدى بالقرآن الكريم . ولنقتبس من الأحاديث القدسـية ما يلى :

روى الترمذى فى جامعه المسمى ايضا بالسنن ، عن أبى سعد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يقول الرب عزّ وجل : من شغله القرآن وذكرى عن مسالتى اعطيتـه

افضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »

وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عزّ وجل قال :

« ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك ، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان همّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، وان هم لسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فان همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » .

وفى باب صلاة الضحى روى الترمذى عن أبى الدرداء وأبى ذر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله عزّ وجل قال : « ابن آدم ، اركع لى من أول النهار أربع ركعات أكفك آخره » .

وأكثر الأحاديث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلقيها شفاهيا فتتلقفها اسماع الصحابة رضوان الله عليهم فتعيها ذاكرتهم ، ولكن بجانب ذلك ما أملاه الرسول الأمىّ عليه الصلاة والسلام من كتب بعث بها الى عماله او الى الملوك ورؤساء العشائر ومن معاهدات عقدها واتفاقيات أبرمها كمعاهدة الحديبية مع قريش وكدستور المدينة الذى كتب عقب الهجرة والاتفاقات التى عقدها النبى صلى الله عليه وسلم مع بعض القبائل ، ونسوق هنا على سبيل المثال لنختم به المقال كتابه صلى الله عليه وسلم الذى وجهه الى هرقل يدعوه فيه الى الاسلام .

روى هذا مسلم عن ابن عباس ، وقد حدثه به أبو سفيان نفسه وقد تصادف ـ وهو لا يزال بعد يقود معركة قريش ضد النبى صلى الله عليه وسلم ـ ان كان بالشام يوم وصل دحية الكلبى الصحابى الجليل بالكتاب الى هرقل وكان بالشام كذلك ، يحدث أبو سفيان كيف استدعاه هرقل ومن معه من قريش مكة ذاك اليوم ، ليلقى عليه بعض الأسئلة عن محمد ودينه ، وذكر أبو سفيان أنه أضطر لقول الحق حيث أمر هرقل من مع أبى سفيان من قريش بتصحيح قوله اذا أخطأه الصواب ، وكيف أن اجاباته عن الرسول أثارت اعجاب هرقل فقال : « ان يكن ما تقول حقا فانه نبى ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم ، ولو أنى أعلم أنى أخلص اليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليبلغن ملكه ما تحت قدمى » ثم دعا هرقل بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرأه فاذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ـ فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الأريسيين ، يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » .

حكم الإسلام في الاسترقاق

الدكتور : احمد الحجي الكردي

قضت الاتفاقات الدولية الحديثة بتحريم الاسترقاق بعد أن كان نظاما شائعا فى جميع بلدان العالم منذ أقدم العصور ، ويعتبر العلماء وأرباب الفكر فى العالم هذا الإلغاء معلما من معالم المدنية الحديثة التى تؤمن بحرية الإنسان والمساواة بين البشر جميعا على اختلاف جنسياتهم وألوانهم ودياناتهم ، لأن نظام الاسترقاق كان يمثل الطبقة البغيضة إذ هو استغلال الإنسان لأخيه الإنسان .

وحيال هذا التحريم اتجهت السلطات فى البلدان الإسلامية جميعا الى إهمال تفصيل أحكام الرقيق فى شتى قوانينها ، بعد أن كانت كتب الفقه تعج بهذه الأحكام ، وذلك لالتزام أكثر هذه الدول بتلك الاتفاقات التى تحرم الاسترقاق .

هذا التفصيل الكامل لأحكام الرقيق فى كتب الفقه ، وذلك الإهمال الكامل لها فى قوانين البلدان الاسلامية المعاصرة ، قسم المشتغلين بالدراسات الإسلامية حيال حكم الاسلام فى الاسترقاق الى قسمين :

■ قسم منهم تمسك بتلك التفصيلات الواسعة لأحكام الرقيق فى كتب الفقه ، وجعلها تكأة اعتمد عليها فى اتهامه الإسلام بالتخلف والطبقية ، إذ أنه يبيح الرق الذى لا يعنى إلا الاستعباد من الإنسان لأخيه الإنسان ، ذلك الاستعباد البغيض ، الذى أصبح الفكر الحديث المتحرر يأباه ، ويمجه ، ويكافحه ، وعلى رأس هذا القسم بعض المستشرقين.

■ وقسم منهم تصدى للدفاع عن الإسلام والرد على أولئك ، فأعلن أن الإسلام برىء من هذه التهمة ، وأنه لم يبح الرق فى يوم من الايام ، بل إنه رنا الى إلغائه ومنعه ، ونظم الطرق الكفيلة بهذا الإلغاء من تدبير ، ومكاتبة ، واستيلاء ، وغيرها ، وذلك الى جانب سد جميع موارده التى كانت معروفة لدى الأمم السابقة إلا موردا واحدا وهو الأسر فى حرب مشروعة ضد الكفار .. وذلك كاف لإنضاب مورده ، وتحرير من بقى من الأرقاء ، هذا الى جانب أن الإسلام لم ينص على إباحة الرق أبدا ، ولكنه جاء فوجده نظاما معروفا متبعا لدى الأمم جميعا فسكت عليه ، من باب الوقوف أمام الأمر الواقع ، ومن باب المعاملة بالمثل لا أكثر من ذلك

ولذلك ينتهى القائلون بتحريم الإسلام للرق من المفكرين الى تقرير حقيقة ثابتة — فى رأيهم — وهى أن الإسلام لم يبح الرق فى يوم من الأيام ، ولم يكن ليرضى به لو لم يكن موجودا فى ذلك العصر شائعا فى تلك البيئة ، بل إنه عمل على إلغائه ، ولكن بطريق غير مباشر ، فأنضب موارده ، وفتح كل الأبواب للتحرير مما يكفل منعه والقضاء عليه .

ولذلك فانه ما دامت الأمم جميعا قد حرمت الرق اليوم لا بد من القول — فى رأى أصحاب هذا القسم —

بأن الإسلام يحرم الرق أيضا بالنظر لزوال الدواعي اليه ، وهي مبدأ المعاملة بالمثل ، والنزول عند الأمر الواقع . وفى رأيي أن كلا القسمين من المفكرين مخطىء فيما ذهب اليه .

■ فالقسم الأول متجن على الإسلام ، إذ الإسلام لا يعرف الطبقية ولا الاستعباد ، وهذا كتاب الله يعلن المساواة التامة بين البشر جميعا فى الإنسانية والكرامة فيقول جل من قائل : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وهذه سنة النبى صلى الله عليه وسلم تعلن : أن الناس سواسية كأسنان المشط ، وانه لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . وهذا أبو بكر — أول الخلفاء الراشدين — يقول فى أول خطبة له على الناس : « القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ الحق له » .

فأى طبقية يدعيها أولئك بعد هذه المساواة التى أعلنها كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء بعده ؟!

■ والقسم الثانى مخطىء فيما ذهب اليه أيضا اذ يعتبر الإسلام مانعا للاسترقاق محرما له ، لأن مصادر التشريع الإسلامى مليئة بالنصوص المبيحة للرق ، والتى تعتبره الطريقة المثلى للتصرف بالأسرى :

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترق فى كثير من غزواته ، وهؤلاء أصحابه رضوان الله عليهم يسترقون من بعده فى عدد من غزواتهم ، ولم يخالف فى إباحة ذلك واحد منهم ، وهؤلاء ائمة المذاهب الأربعة المعتمدة لدى المسلمين جميعا ينصون على إباحة الرق، ويعتبرونه شرعا ثابتا محكما لا يقبل النسخ ، بل ان جل هؤلاء العلماء ينص على أن النساء والذرارى إذا أسروا رقوا حكما من غير ضرب للرق عليهم ، أى أن الرق بالنسبة اليهم هو الطريق الوحيد للتصرف بالأسرى الذى لا يعدل عنه الى غيره الا لمصلحة غالبة ، أما التخيير ، فهو بالنسبة للرجال المقاتلة خاصة ، حيث يخير الإمام فيهم بين : الإرقاق ، والمن ، والفداء ، والقتل ، يفعل ما يراه الأحظ للمسلمين ، واليكم نصوصا لأعلام فقهاء المذاهب الأربعة تدل لما أذهب اليه :

جاء فى المنهاج للنووى من الشافعية قوله : « نساء الكفار وصبيانهم اذا أسروا رقوا ، وكذ العبيد ، ويجتهد الإمام فى الأحرار الكاملين ، ويفعل الأحظ للمسلمين من قتل ، ومن ، وفداء بأسرى أو مال أو استرقاق » .

وجاء فى متن سيدى خليل وشرح الدردير المالكى عليه ما نصه : « كالنظر فى الأسرى بقتل ، أو من ، أو فداء ، أو جزية ، أو استرقاق .. وهذه الوجوه بالنسبة للرجال المقاتلة، وأما النساء والذرارى فليس فيهم الا الاسترقاق أو الفداء » .

وجاء فى تحفة الفقهاء للسمرقندى الحنفى ما نصه : « الإمام بالخيار : إن شاء قتل المقاتلة منهم سواء كانوا من المشركين أو من أهل الكتاب ، من العرب أو من العجم ، لأنه قد يكون مصلحة المسلمين فى قتلهم ، وإن شاء استرقهم وقسمهم بين الغانمين .. فأما النساء والذرارى فيسترقون كلهم ، العرب والعجم فيه سواء ، ولا يباح قتلهم » .

وجاء فى المغنى لابنقدامة الحنبلى ما نصه : « .. وجملته أن من أسر من أهل الحرب على ثلاثة أضرب :

أحدها : النساء والصبيان ، فلا يجوز قتلهم ويصيرون رقيقا للمسلمين

بنفس السبى ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النساء والولدان (متفق عليه) ، وكان عليه السلام يسترقهم إذا سباهم .

الثانى : الرجال من أهل الكتاب والمجوس الذين يقرون بالجزية ، فيخير الإمام فيهم بين أربعة أشياء : القتل ، والمن بغير عوض ، والمفاداة بهم ، واسترقاقهم .

الثالث : الرجال عبدة الأوثان وغيرهم ممن لا يقر بالجزية فيتخير الإمام فيهم بين ثلاثة أشياء :

القتل ، أو المن ، والمفاداة ، ولا يجوز استرقاقهم ، وعن أحمد جواز استرقاقهم ، وهو مذهب الشافعى » هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الصحابة من بعده ، ومذاهب الفقهاء المعتمدة ، ولم يقل واحد منها بمنع الرق وتحريمه ، بل إن أكثر الفقهاء يجعل الرق الطريق الأوحد للنساء والذرارى ، وأحد طرق أربعة لغيرهم .

فكيف يستقيم بعد هذا كله قول لقائل : إن الاسلام يحرم الرق ، أو إن الاسلام لم يبح الرق فى يوم من الأيام ولكنه سكت عليه نزولا عند الأمر الواقع من جهة ، ومن باب المعاملة بالمثل من جهة أخرى ، إن كان الأمر كذلك فلماذا لم يسكت الإسلام عن الخمرة وقد كانت منتشرة أكثر من الرق فى الجاهلية ، بل لماذا لم يسكت عن الربا والقمار وغيرهما من المعاصي التى كانت تملأ حياة الجاهلية ، أعرف الإسلام الخضوع والرضوخ للأمر الواقع فى حكم من أحكامه حتى يعرفه فى الرق ؟ أم كان ثورة قلبت وجه التاريخ وأعادت الإنسانية الى الطريق المستقيم بعد طول انحراف عنه .

يكفينى الآن هذا القدر للرد على أصحاب هذا القول وبيان خطئه ، ولا يضرنى قائله كائنا من كان فان الحق بالدليل يعرف لا بالرجال .

والآن لمتسائل أن يتساءل فيقول : إن كان الإسلام يحرم الظلم ويمنعه ، ويحارب الطبقية والاستعباد وينظم الأحكام الكثيرة للقضاء عليهما ، فما باله يبيح الرق ويجعله الطريق الأوحد أو الأمثل للتصرف بالاسرى ، أليس فى ذلك تناقض ؟

والجواب على ذلك كامن فى استجلاء معنى الرق وأحكامه وغايته فى الإسلام قبل كل شىء ، لأن أمثال هذا المتسائل ينظر الى الرق فى الاسلام بمنظار الرق عند الأمم الأخرى السابقة على الاسلام ويربط فى ذهنه الرق بمعانى العبودية التى كان يعانيها الأرقاء لدى اليونان والرومان ، وبألوان العذاب التى كانوا يذوقونها على أيدى الأسياد الأحرار ، فان فلاسفة اليونان كانوا يعتبرون الرق أمرا أصليا فى الانسان ويقسمون الجنس البشري الى قسمين : حر بالطبع ، ورقيق بالطبع، ويقولون : إن الثانى ما خلق الا لخدمة الأول . حتى أن أرسطو جعل الرق نظاما ضروريا ، وكذلك كان يفعل الرومان حيث يعتبرون الرقيق مصدرا كبيرا للطاقة الانتاجية التى لا بد منها لإسعاد الأحرار ،و كانوا يعاملونهم بمنتهى الخسة والإيذاء ، وكذلك اليهود فقد كانوا ولا يزالون يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وأنهم طبقة أعلى من الطبقات البشرية الأخرى ، وكناوا يمتهنون الرقيق أشد الامتهان ، بل إنهم ينظرون الى العالم كله نظرهم للرقيق حيث يعتبرون كل من ليس يهوديا (الجوييم) فى طبقة ثانية بعد طبقتهم ، وأنه ما خلق إلا ليكون مسخرا لمصالحهم .

وعلى هذا أيضا أمر العرب فى الجاهلية ، حيث كان الرقيق لديهم سلعة من السلع تتداوله الأيدى بغية الاستفادة منه فى خبرته وطاقته ،

وكانوا يجعلونهم طبقة ثانية بعد الأحرار ، ولا يثبتون لهم شيئا من الحقوق ، ويبيحون لأنفسهم التصرف بهم على أى وجه كان قتلا وتعذيبا وإيذاء من غير أى مسؤولية .

إن هذا المتسائل ينظر الى الرق فى الإسلام بهذا المنظار ، وطبيعى بعد ذلك أن يقف مشدوها حائرا بين عدالة الإسلام وإباحته للرق .

والجواب الحق : هو أن الرق فى الاسلام غيره فى الأمم السابقة لا مشابهة بينه وبينه إلا فى الاسم فقط ، ولا يجوز لهذه المشابهة وحدها ان تخلط بين النظامين ، وتوحد بين المنهجين ، وتجيز النظر الى الثانى بمنظار الأول .

إن الرق فى الاسلام يختلف عن الرق لدى الأمم الأخرى فى موارده وغايته ، وفى النظرة اليه ، وجميع أحكامه ، وليس فى الرق فى الإسلام أى معنى من معانى الاستعلاء المقوت ، أو الطبقية البغيضة ، بل هو مدرسة تربوية أعدت لأناس جانحين انحرفوا عن جادة الصواب والحق ، ولما يتأكد لدينا تأصل روح الإجرام فيهم ، يدخلون اليها ، ويقيمون فيها وفقا لنظام خاص ، وبرنامج معين ، أعد خصيصا لذلك ، يكفل إعادتهم الى طريق الحق والرشاد، حتى اذا ما ثبت صلاحهم ورجوعهم عن طريق الضلال انطلقوا منها الى المجتمع ثانية أعضاء نافعين صالحين ، يشقون طريقهم فى الحياة كما يفعل سائر الأحرار من الناس ، مثلهم فى ذلك مثل الصبى الذى يرتكب جناية قتل مثلا ، فانه من الجور أن يعاقب عليها بالقصاص لعدم توفر القصد الجرمى فى نفسه ، ولكن لا يجوز أيضا إطلاق سراحه وإعفاؤه من الجريمة كليا ، والا اعتاد الاجرام وتربى عليه ، ولذلك فان الحل الأسلم والأعدل والأصلح لمثل حال هذا الجانح أن يحجز فى دار إصلاح ، صالحة لتربيته ، وإصلاح نفسه ، وتقويم انحرافه ، حتى اذا ما صلحت نفسه اطلق سراحه فعاد مواطنا صالحا ، وكل طريق فى العقوبة غير هذه الطريق خطأ بالنسبة اليه .

وكذلك الأسير فهو محارب محاد لله ورسوله ، متربص بالمؤمنين الذين يتمثل فيهم الحق والنور والحضارة ، فاذا أمكن الله المؤمنين منه كان عليهم أن يقفوا منه موقفهم من الصبى الجانح تماما ، لأنهم إن اطلقوا سراحه عاد ردءا لأهله ، وحربا على المسلمين مرة ثانية ، وأصبح قتال المؤمنين بالنسبة اليه عادة وديدنا ، وإن قتلوه كانوا ظالمين له ، لأنه إنسان لم يتوفر فيه القصد الجرمى بيقين ، لأنه قد يكون دفع الى الحرب دفعا ، وقد يكون أقدم عليها جاهلا بأحكام الاسلام وطبيعته وقد .. (١) ولذلك قرر الاسلام أن الطريق الأمثل لمثل حال هذا الانسان أن يوضع فى دار إصلاح يتربى فيها تربية إسلامية ، تصلح حاله وتقوم انحرافه وتعيده الى المجتمع عنصرا نافعا صالحا .

ودار الإصلاح هذه هى ما يسمى بـ (الرق) أو بمدرسة الرق — إن صح التعبير — حيث يأوى فيها الأسرى الى بيوت المسلمين التى تعتبر — أو ينبغى أن تعتبر — مدارس إسلامية ، يرى الأسير فيها الإسلام عن قرب على حقيقته مجسدا فى أفراد هذه العائلة ، من عبادة وإخلاص وحسن معاملة وخلق كريم ، حتى اذا ما انصلحت نفسه فتحت امامه ابواب التحرير — التخرج من مدرسة الرق — فعاد الى المجتمع حرا كما كان بعد أن أصبح إنسانا سويا ، وعنصرا صالحا .

هذا ولم يكتف النبى صلى الله عليه وسلم — لتأمين حسن معاملة الأسير الرقيق — بما عهد فى المسلم

من خلق ودين يكفيان لكفه عن إيذاء هذا الأسير ، ويضمنان له حسن الرعاية والتوجيه ، ولكنه أوصى به وصية خاصة فى أكثر من حديث نبوى شريف ، حتى جعله فى أحد الأحاديث بمثابة الأخ الشقيق لسيده — مدير مدرسة رقه — وأمره أن يعامله معاملة احد أفراد عائلته ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم عليه » .

هل بعد هذه المؤاخاة وهذه الوصية بالرقيق طبقية أو استعباد « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

والإسلام لم يقف عند حد العناية بالرقيق وهو رقيق ، ولكنه تعداه الى مرحلة ما بعد التحرير ايضا ، وجعل بين الرقيق ومعتقه صلة كصلة الرحم والقرابة ، وهى صلة الولاء حيث يقول النبى — صلى الله عليه وسلم — : « الولاء لحمة كلحمة النسب » ذلك أن هذا الرقيق الذى تحرر غالبا ما يكون بعد تحرره بعيدا عن أهله ، غريبا عن وطنه ، مما يشعره بوحشة الغربة وألم الفراق ، فعالج الاسلام هذه الناحية فى نفس الرقيق المعتق ، وأبدله أهلا خيرا من أهله ، ودارا خيرا من داره ، وجعله ابنا روحيا — إن صح التعبير — لمعتقه ، ينفق عليه إذا احتاج للنفقة ، ويرثه بحق العصوبة اذا توفى ، ولم يكن له عصبة من الأقرباء غيره .

هذا ما اتضح لى انه حكم الإسلام فى الاسترقاق ، وهو اعتبار الاسترقاق مباحا وطريقا مفضلا من طرق التصرف بالاسرى فى الاحوال العادية ، وأنه مدرسة تربوية ، وليس معلما من معالم الاستعباد ، كما يظن البعض خطأ . وذلك بشهادة مصادر الفقه الاسلامى التى لا تنضب وهو حكم متفق عليه لدى فقهاء المسلمين على وجه لم يتفقوا فيه على حكم مثله ، إذ لم يرو عن واحد ممن يعتد بقوله من الفقهاء خلاف ذلك سلفا وخلفا ، إلا أقوال ظهرت مؤخرا تقول بتحريم الرق فى الاسلام ، غاية أكثر قائليها الدفاع عن الاسلام ، ورفع الشبهات عنه ، ولكنه على كل حال دفاع ضعيف وخاطىء ، ولا مستند له من الفقه نقلا وعقلا كما رأيت ، الى جانب أنه دفاع عن الاسلام بما لم يقله الاسلام ، مما يفتح الثغرة المزعومة أكبر ، والشبهة المختلقة أكثر ، ويجعل بعض المستشرقين ومن يلف لفهم من المتحاملين على الاسلام الحنيف ، يصموننا بالتعصب الأعمى والدفاع الأهوج ، والابتعاد عن الموضوعية ، والنزاهة العلمية التى يدعونها لأنفسهم — ظلما وبهتانا — إذ ندافع عن الاسلام بما ليس فيه ، ونبرئه مما هو فيه ، ذلك أن كثيرين منهم أطلعوا على كتبنا ومصادر فقهنا أكثر من كثيرين منا ، ولن يخفى عليهم أمر نستره عنهم بقشة من تبن .

---

* هذا المقال لا بد ان يثير لدى بعض القراء والمثقفين — فيما اقدر — شبهات وتساؤلات ، واننى ارحب بتلقى كل ما يثور فى خلدهم من اشكالات او مناقشات ، واجيب على صفحات هذه المجلة الكريمة .

(١) اذا تيقن الامام من وجود القصد الجرمى فى نفس الاسير جاز له بل وجب عليه قتله ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم بأسرى بنى قريظة ، حيث قتلهم لنقضهم العهد الاول معه .

نظرية العودة إلى الجريمة في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية

للدكتور أحمد على المجدوب

العود الى الجريمة يقع حين يرتكب المتهم جريمة أو أكثر بعد الحكم عليه نهائيا من أجل جريمة سابقة ويترتب عليه تشديد العقوبة ، لأن المشرع يقدر ان العقوبة التى سبق أن حكم بها على المتهم من أجل جريمته أو جرائمه السابقة لم تكن كافية لردعه ومنعه من العود الى الجريمة ، فضلا عن ان عودة هذا يدل على استهانته بالقانون واستخفافه بالعقوبة .

وقد طبقت معظم التشريعات العقابية الحديثة هذه النظرية باعتبار ذلك وسيلة ناجحة فى الحد من الزيادة المستمرة فى معدلات الجريمة وخاصة تكرار وقوعها من نفس الاشخاص .

نشأة نظام العود : ــ

كان ظهور نظرية عامة للعود لأول مرة فى قانون العقوبات الفرنسى الصادر سنة ١٧٩١ فلم تكن التشريعات العقابية السابقة كالقانون الرومانى والقانون الكنسى وقوانين العصور الوسطى المطبقة فى أوربا تعرف نظرية عامة للعود ، بالرغم من انها كانت تهتم بتشديد عقوبة العائد فى بعض الاحوال وبالذات فى جرائم السرقة والجرح ، فقد جاء فى اعلان كونتيليان الرومانى « ان من يجرح شخصا لأول مرة قد يعفى عنه ، أما من يفعل ذلك بعد الحكم

عليه مرتين فانه يعتبر كالقاتل » بينما أصدر الامبراطور شارلمان أمرا يقضى بأن السارق للمرة الأولى تفقأ عينه ، فاذا سرق للمرة الثانية تجدع أنفه ، أما اذا سرق للمرة الثالثة قطعت رأسه ، هذا فى فرنسا ، أما فى المانيا فانه طبقا لقانون كارولين الصادر سنة ١٥٣٣ كانت عقوبة السرقة للمرة الثالثة تماثل عقوبة السرقة بالاكراه وهى فى الحالتين الاعدام ، فاذا كان الجانى رجلا فانه يشنق ، اما اذا كان امرأة فانها تعاقب باغراقها فى الماء .

وقد تطورت النظرة الى العود تبعا لتطور الفلسفات العقابية والفكر القانونى الغربى بصفة عامة ، فوضعت له قواعد تعد نموذجا للحلول التقليدية الجنائية ، تضمنتها نصوص القوانين الوضعية التى صدرت منذ نهاية القرن الثامن عشر فى أوربا ، وهى القوانين التى تستند أساسا الى المبادىء التى نادى بها مونتسكير وبكاريا . وتقوم على أصول ثلاثة هى المسئولية الأدبية والعقوبة الرادعة وشرعية الجرائم والعقوبات . وقد طالب الفقه التقليدى بأن يتضمن القانون تحديدا دقيقا لشروط العود واثاره مما أثار العديد من المشكلات الفنية التى حاولت التشريعات الصادرة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حلها بشكل أفضل مما فعلت تشريعات النصف الأول منه .

ومن أبرز المشكلات التى أسفر عنها تطور النظرة الى العود ، المشكلة الخاصة بما اذا كان تشديد العقاب يكون وجوبيا أو جوازيا ، فقد كان قانون العقوبات الفرنسى الصادر سنة ١٨١٠ ، والالمانى الصادر سنة ١٨٧١ والمصرى الصادر سنة ١٨٨٣ وكثير من القوانين ، تعتبر العود ظرفا مشددا وجوبيا تمشيا مع مبدأ الشرعية ، الا ان الاتجاه الى التفريد الذى ظهر فى النصف الثانى من القرن الماضى ؛ ظهر تأثيره فى كثير من التشريعات التى اتجه عدد منها الى منح القاضى سلطة تقديرية وجعل التشديد جوازيا ، من ذلك القانون البلجيكى الصادر سنة ١٨٦٧ والقانون المصرى الصادر سنة ١٩٠٤ ، ثم قانون العقوبات الصادر سنة ١٩٣٧ .

وتبعا لذلك فان القاضى لم يعد ملزما بتشديد العقاب اذا توافرت شروط العود، وانما له أن يقدر ملاءمة التشديد أو عدم ملاءمته فى كل حالة .

انــواع العــــود : ــ

هناك نوعان من العود ، أحدهما العود العام ، والثانى العود الخاص . ولكل منهما شروطه واثاره فى العقوبة ، وتستند التفرقة بين هذين النوعين من العود الى نظرة المشرع الى دلالة العود فى الحالتين ، فهى فى النوع الأول تكشف عن أن الجانى لم تردعه العقوبة التى وقعت عليه من أجل الجريمة السابقة ، ولذلك يلجأ المشرع الى زيادة مقدار العقوبة دون ان يغير نوعها ، أما فى النوع الثانى من العود ، فان المشرع يرى ان وقوعه يدل على احتراف الجانى ارتكاب نوع معين من الجرائم مما يعنى شدة خطره على المجتمع فيلجأ الى تطبيق عقوبة من نوع مختلف عليه لعلها تردعه .

آثار العود الى الجريمة :

يترتب على العود الى الجريمة آثار عديدة ، أهمها جواز تشديد العقوبة

على العائد ، أما الآثار الأخرى فهى جواز توقيع عقوبات تكميلية فـــى بعض الجرائم كالوضع تحت مراقبة الشرطة لمدة محددة ووجوب تنفيذ الأحكام فورا على الرغم من استئنافها .

تقدير نظـــام العود :

كان الهدف الرئيسى من فرض نظام العود هو اتخاذ تغليظ العقـــاب وتشديده على المجرم العائد وسيلة لردعه حتى لا يستمر فى طريق الجريمة ، بعد أن تبين أن العقوبة العادية لم تردعه فعاد الى ارتكاب الجريمة وهو ما أدى فى الوقت نفسه الى فرض نظام آخر لتسجيل السوابق باعتباره أمرا لازما فى معرفة ما اذا كانت شروط العود سواء كان عاما أم خاصا قد توافرت بالنسبة للمجرمين أم لا فتشدد العقوبات الموقعة عليهم أولا تشدد .

ولكن لا نظام العود ولا نظام التسجيل أفلحا فى تحقيق الغرض منهما ، فقد دلت الاحصاءات على الارتفاع المستمر فى نسبة العود فى كل بلاد العالم تقريبا ، فضلا عن الزيادة المطردة فى معدلات الجريمة ، مثال ذلك انه فى فرنسا كانت نسبة العود سنة ١٨٢٦ ، ١٦٪ تقريبا ارتفعت الى ٢٦٪ سنة ١٨٤٦ ثم الى ٣٣٪ سنة ١٨٥٥ ووصلت النسبة الى ٥٦٪ سنة ١٨٨٦ ، ثم الى ٦٥٪ تقريبا سنة ١٩٦٨ ، بينما تجاوزت النسبة هذا الحد فى الولايات المتحدة الامريكية فوصلت الى ٦٧٪ ، وهى تتراوح بين ٤٥٪ و ٧٠٪ فى معظم دول أوربا .

أما فى البلاد العربية فان نسبة العود الى الجريمة ليست معروفة على وجه الدقة نظرا لتخلف وسائل التسجيل واساليب الاحصاء الجنائى وكانت المرة الأولى التى أمكن فيها تحديد نسبة العائدين الى الجريمة فى جمهورية مصر العربية حين أجرى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة بحثا للمجرمين العائدين سنة ١٩٧٠ أسفر عن ان نسبة العود تصل الـــى ٢٧ر٥٪ من اجمالى المجرمين .

وفضلا عن فشل نظام العود فى تحقيق اغراضه وبلوغ غاياته فان نظام التسجيل الجنائى قد تسبب فى وجود فئة أصحاب السوابق الذين يغلـــق المجتمع ابوابه دونهم فيعودون رغما عنهم الى طريق الجريمة باعتباره السبيل الوحيد لكسب العيش والحصول على الرزق ولا زالت مشكلة السابقة الأولى بدون حل وتقف حجر عثرة فى طريق عودة من أخطأوا الى المجتمع ليستأنفوا حياتهم فيه .

وهذا الوضع الغريب فرض على علماء القانون والجريمة والاجتماع اعادة النظر فى نظام العود ، بعد ان تبين فشله فى تحقيق الأهداف التى وضع من أجلها ، الا انه لوحظ ان هذه الخطوة قد بدأت بداية خاطئة ، أو بالاخرى بدأت من حيث كان يجب ان تنتهى ، فهى تنظر الى المجرم فى نهاية الشوط ، اى بعد أن أصبح عائدا أو معتادا ، وتبحث فيما يجب أن يتخذ نحوه من اجراءات وهل تشدد عقوبته أو تستبدل بالعقوبة ما يسمى بالتدابير الاحترازيـــة أو الاصلاحية .

وفات هؤلاء العلماء انهم سبق ان قالوا ان عود المجرم سببه فقدان العقوبات للأثر الرادع مما جعله يستخف بها ويعود الى طريق الجريمة ، فكان الأولى أن يشددوا العقوبات عليه من البداية حتى يوفروا لها هذا الاثر الرادع ومن ثم يفكر عدة مرات قبل أن يعود الى ارتكاب الجريمة .

موقف الشريعة الاسلامية من المشكلة :

لا يجب أن نقع فريسة للاحساس المفرط بالتميز أو نستسلم للرغبة فى السبق الى كل شىء ، فنزعم أن شريعتنا الغراء قد عرفت نظام العود ، لأنه ليس بشرط ان تكون كل النظم المستحدثة قد عرفتها شريعتنا أو سبق اليها فقهاؤنا ، خاصة وان بين هذه النظم ما تبين فشله وثبت خطؤه ، ومنها نظام العود الذى تأكد عجزه التام عن تحقيق الاهداف التى وضع من أجلها ، فالشريعة الاسلامية لا تعرف هذا النظام او بالأحرى لا تقره ، والقول بغير ذلك يتنافى بشكل واضح مع عقوبة الحد التى يجب أن توقع كما وردت فى كتاب الله وسنة رسوله دون زيادة أو نقصان سواء أكان الجانى يرتكب الجريمة لأول مرة أم يرتكبها لثانى أو لثالث مرة ، فالزانى غير المحصن يجلد مائة جلدة « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** » (سورة النور ـ ٢) واذا عاد الى ارتكاب الجريمة جلد نفس العدد من الجلدات .

كذلك فى حد القذف فان القاذف يجلد ثمانين جلدة « **والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة** » (النور ـ ٤) فان عاد القاذف الى ارتكاب جريمة القذف عوقب بنفس العقوبة نوعا وقدرا .

ومن يشرب الخمر يجلد ثمانين جلدة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه » وكذلك فى عقوبة السرقة وهى القطع فمالك يرى أن الذى يسرق مرارا ثم يستعدى عليه انه ليس عليه الا ان تقطع يده لجميع من سرق منه ، اذا لم يكن اقيم عليه الحد فان كان قد اقيم عليه الحد قبل ذلك ثم سرق ما يجب فيه القطع (أى عاد الى السرقة) قطع أيضا .

وقد اقتصرنا فى ذكر الحدود على ما يمكن أن يقع فيه عود دون الاحوال التى تكون العقوبة فيها القتل فلا يتصور حدوث عود الى الجريمة كزنا المحصن والحرابة فى الاحوال التى يحكم فيها بالقتل أو بالقتل مع الصلب والردة والبغى .

كذلك فان عقوبة القصاص فى جرائم القتل العمد والجرح العمد لا يتصور فيها التشديد لان هذا يتنافى مع معنى القصاص اى المماثلة ، بحيث يعاقب الشخص بمثل فعله فيقتل كما قتل ويجرح كما جرح « **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص** » (المائدة ـ ٤٥) ومن ثم فلا يتصور تشديد العقاب فى جرائم القصاص والا انتفت المماثلة .

اما التعازير فبالرغم من ان عقوباتها غير مقدرة وبالتالى يجوز لولى الأمران يشددها فى الاحوال التي يتراءى له فيها ذلك ومنها العود الى ارتكاب الجريمة التعزيرية الا أن ذلك يتعارض مع الاتجاه العام للشريعة الى الدعوة الى التخفيف على العصاة والرحمة بهم وعدم التذكير بجرمهم طالما انهم قد عوقبوا . فقد اعتبر الراى الراجع فى الفقه الاسلامى (الشافعى واحمد ومالك) ان توبة الجانى بعد معاقبته تطهره تطهيرا كاملا ، فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ومن ثم فانه يعود مواطنا عاديا له كل ما للاخرين من حقوق وعليه ما عليهم من التزامات ، وحجة الفقه فى ذلك ان بقاء اى اثر للعقاب يعتبر تغليظا له وقد اعتبروا أن تغليظ الزجر لا ضابط له ، وقد حصلت مصلحة الزجر بالحد ، وكذلك سائر الجرائم جعل الشارع مصلحة الزجر عليها بالحد .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس الذين قالوا للرجل الذى وقع عليه حد الشرب ، أخزاك الله : « لا تقولوا هكذا ولا تعينوا عليه الشيطان ، ولكن قولوا رحمك الله » . مما يدل على أن الاسلام لا يعتبر الجريمة وصمة تعلق بالمذنب الى الأبد وتحيل نهاره الى ليل وحياته الى جحيم وتطارده أينما حل وانما يكتفى بما وقع عليه من عقاب رادع ، لأنه من المعلوم أن عقوبة الجناة والمفسدين لا تتم الا بمؤلم يردعهم ويجعل الجانى نكالا وعظة لمن يريد أن يفعل مثل فعله .

وهكذا تلافت الشريعة الاسلامية منذ البداية النتائج التى أدت الى ظهور نظام العود ، وهى فقدان العقوبات الأثر الرادع وبالتالى استخفاف المجرمين بها وعودهم الى ارتكاب الجريمة مثنى وثلاث ورباع بل وعشرات المرات أيضا حتى فى ظل نظام العود الذى يتنافى مع ابسط مبادىء العدالة لان الجريمة التى ارتكبها العائد لا تختلف عن الجريمة ذاتها اذا ارتكبها شخص غير عائد ، ومع ذلك فان المشرع طبقا لنظام العود — يوقع على الاول عقوبة أشد مما يوقعه على الثانى ، وهذا التفاوت بين العقوبات مع استواء الجرائم قبيح فى النظر والمعقول ، حتى ولو كان المشرع يأخذ بعين الاعتبار عند التشديد الجرم السابق للعائد ، فان هذا يعنى أنه يعاقب على الجريمة الواحدة مرتين ، الأولى حين ارتكبت والثانية حين اعتبر الشخص عائدا لارتكابه الجريمة الثانية وهو ما يتعارض مع مبدأ عدم جواز معاقبة الشخص مرتين من جريمة واحدة .

وهو عكس الوضع فى الشريعة التى جعلت العقوبات كفارات لأهلها ، وطهرة تزيل عنهم المؤاخذة بالجنايات اذا قدموا عليه ، ولا سيما اذا كان منهم بعدها التوبة النصوح والانابة فرحمهم الله بهذه العقوبات أنواعا من الرحمة فى الدنيا والآخرة .

وهذا الوضوح فى موقف الشريعة الاسلامية من العود الى الجريمة لا يقلل منه بحال ما نسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه قال « من شرب الخمر فاجلدوه فان عاد فى الرابعة فاقتلوه » وقيل ان القتل يكون فى الخامسة ، لأن هذا الحديث فضلا عن ضعفه فانه فى رأى غالبية رجال الفقه

ومنهم الائمة الأربعة قد نسخ ، وهو ما ذكره الترمذى فى سننه فقال « والعمل على هذا عند عامة أهل العلم ، لا نعلم بينهم اختلافا فى ذلك فى القديم والحديث» ومما يقوى هذا ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من أوجه كثيرة انه قال : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزانى والتارك لدينه » ، والقول بقيام الاجماع على نسخ هذا الحكم أى قتل شارب الخمر فى الرابعة أو الخامسة يؤيده النووى فى شرحه لمسلم . كذلك فان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتل العائد الى شرب الخمر فى الرابعة ، بل اكتفى بجلده ، فقد روى بن حزم من طريق النسائى « اخبرنا محمد بن موسى حدثنا زيادة بن عبد الله البكائى حدثنى محمد بن اسحاق عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرب الخمر فاضربوه فان عاد فاضربوه فان عاد فاضربوه فان عاد فى الرابعة فاضربوا عنقه »» فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيمان أربع مرات ، فرأى المسلمون أن الحد قد وقع وان القتل قد رفع كذلك لم يعرف ان احدا من الخلفاء الاربعة قد قتل عائداً الى شرب الخمر ، بل انه حين انهمك الناس فى الخمر وتحاقروا العقوبات فيها ، أى استخفوا بها ولم يتورعوا عن العود الى الشرب لم يذهب صحابة رسول الله فى خلافة عمر بن الخطاب الى القول بقتل العائد وانما اكتفوا بتشديد العقوبة ابتداء ردعا لمن يشرب وزجرا لمن قد تسول له نفسه الشرب ، دون أن يقصروا التشديد على حالة العود ، وهو ما يتمشى مع الاتجاه العام للشريعة من فرض عقوبات رادعة منذ البداية وعدم الاعتداد بالعود .

فقد روى أبو وبره الكلبى قال أرسلنى خالد بن الوليد الى عمر رضى الله عنه فأتيته ومعه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وعلى وطلحة والزبير رضى الله عنهم فقلت ان خالد بن الوليد رضى الله عنه يقرأ عليك السلام ويقول ان الناس قد انهمكوا فى الخمر وتحاقروا العقوبة فيه ، قال عمر هم هؤلاء عندك فسلهم فقال على رضى الله عنه نراه اذا سكر هذى واذا هذى افترى وعلى المفترى ثمانون فقال عمر بلغ صاحبك ما قال فجلد خالد ثمانين وجلد عمر ثمانين .

وهكذا لا نجد حالة واحدة شددت فيها العقوبة على الجانى العائد سواء كانت جريمته حدا أو قصاصا أو تعزيرا وهذا ليس تقصيرا من الشريعة وانما هو موقف اتخذته عن وعى واتجاه التزمته عن ادراك من مشكلة الجريمة والعقوبة يتفق مع سياستها فى هذا الشأن التى تتحدد فى فرض جزاءات رادعة منذ البداية ، ثم اتاحة الفرصة كاملة للجانى للعودة الى المجتمع بعد أن كفر عن جرمه ، فاذا عاد الى ارتكاب الجريمة عاقبته بنفس العقوبة وهى بطبيعتها شديدة وكافية اذا تكررت أن تردعه .

وهكذا تكشف الأحداث ويثبت التطبيق العملى لنظريات الغرب كالعود وغيره سلامة اتجاه الشريعة الاسلامية وصحة موقفها ودقة حلولها وصدق نظرتها الى المشكلات .

الوحي إلى الأنبياء

مراتبه ومظاهره

تحليل الصوت الذي عرفه المسلمون

للدكتور نور الدين عتر

فى غار حراء حيث الصفاء الروحى والبعد عن ضوضاء الدنيا كانت المفاجأة التى لقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد فى الغار تؤذنه بالاصطفاء الالهى له بمقام النبوة والدعوة الى الله لانقاذ الانسانية من وهدتها وضلالها وضياعها الى قيم الايمان الفاضلة والعبودية الحقة لله التى تضع هذا الانسان فى موضعه الكريم اللائق به فى صلته بربه وفى عزته ورفع شأنه ومكانته فى هذا العالم . قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : « أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح « .... »

« حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال ما أنا بقارىء . قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ . قلت ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ . فقلت ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكبرم » . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ... » (١)

---

(١) من حديث طويل أخرجه البخارى فى أول جامعه الصحيح .

مراتب الوحي وكيفياته :

وقد اشتمل الحديث على هذين الحالين اللذين عرفناهما من انواع الوحي ، وهنالك مراتب وكيفيات عدة ذكر القرآن الكريم اصولها في قوله تعالى : ((**وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه على حكيم**))(٢) .

فدلت الآية على هذه المراتب الجامعة لكيفيات الوحي وانها ثلاث لا رابع لها ، وهي :

١ ــ ان يلقي الله ما يريد القاءه الى النبي مباشرة بطريق خفي سريع دون واسطة .

٢ ــ ان يكلمه من وراء حجاب تكليما .

٣ ــ أن يرسل الملك الى النبي فيلقي اليه ما أمره الله تعالى به .

وقد بحث العلماء في هذه المراتب واستقصوا أحوالها فيما ورد في وصف الوحي من الكتاب والسنة ، واوصلوها الى سبع مراتب ينقسم اليها الوحي ويقع بها ، ومنهم من جعلها ثماني مراتب(٣) .

وهذا التعداد الزائد قد يشكل بما نصت عليه الآية من تحديد مراتب الوحي بالثلاث التي عرفناها لكن التأمل والنظر الدقيق يحقق أن لا اشكال في المسألة وان الأمر لا يعدو أن يكون شرحا وتفصيلا للمراتب الاساسية التي ذكرتها الآية يندرج في ضمنها ولا يتجاوز حدها ، كما يتضح من هذا البيان الذي يشرحها :

المرتبة الاولى : الرؤيا الصادقة ، وذلك كما ورد في حديث عائشة ((أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم)) . والوحي في هذه المرتبة اما أن يكون بالقاء الله ، أو بواسطة الملك فهو داخل في الآية لا يخرج عنها .

المرتبة الثانية : ان يأتيه الملك فيلقي في روعه وقلبه من غير أن يراه ، كما أخرج الحاكم عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال : ((ان روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ...)) .

المرتبة الثالثة : ان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه فيعي عنه ما يقول ، كما في الحديث المشهور من سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان والساعة وهو متفق عليه

المرتبة الرابعة : ان يأتيه الملك على حاله الملكية ويوحي اليه ،

---

(٢) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٣) أنظر في ذلك الروض الانف للسهيلي ، وزاد المعاد لابن القيم ، والاتقان للسيوطي ، والمواهب اللدنية للقسطلاني ، وشرحه للزرقاني ، وغيرها .

وفى هذه المرتبة يأتيه الوحى مثل صلصلة الجرس ، وكان ذلك اشـد الوحى عليه صلى الله عليه وسلم .

المرتبة الخامسة : ان يأتيه الملك جبريل ويظهر له فى صورتـه الملكية العظيمة التى خلق عليه ، فيوحى اليه ما شاء الله أن يوحيه ، وذا وقع له صلى الله عليه وسلم مرتين ، احداهما فى الأرض ، والثانية فى السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ، كما قال تعـالى فى سورة النجم : « **ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندهـا جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من آيات ربه الكبرى** » .

وهذه المراتب الاربعة التى بعد الأولى كلها صور لمرتبة واحـدة لا تخرج عنها ، ذكرها القرآن فى قوله تعـالى : « أو يرسل رسـولا فيوحى باذنه ما يشاء » .

المرتبة السادسة : كلام الله تعالى للنبى من وراء حجاب ، كما وقع للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بعد أن استقرت فريضة الصلوات على الخمس فنودى : « أحكمت فريضتى وخففت على عبادى » وكما وقع لموسى عليه السلام : « **وكلم الله موسى تكليما** » .

المرتبة السابعة : كلام الله تعالى للنبى وحيا بلا واسطة ملـك ولا حجاب : كما أوحاه الى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعـراج وهو فوق السموات من فرض الصلوات ومضاعفة الحسـنات الحسنة بعشر أمثالها ، وغير ذلك . وهى مرتبة داخلة فى قوله : « **ان يكلمه الله الا وحيا** » أى اعلاما خفيا .

لكن بعضهم استشكل ما وردت به الأحاديث فى هذه المرتبة وما قال به اكثر العلماء من أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل ليلة المعراج وكيف يتفق مع قوله : « **وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب** » وليس ههنا حجاب .. ؟

الا أن هذا الاشكال فى الحقيقة غير وارد هنـا اذا ما علمنا أن الوحى الالهى فى هذه المرتبة لا يشبه خطاب الخلـق بل هو داخل فى قوله الا وحيا ، لأن الوحى اعلام فى خفاء ، وقد أبان الامام المفسـر البيضاوى عن ذلك فى تفسيره لهذه الآية حيث قال يفسر الا وحيـا : « كلاما خفيا يدرك بسرعة ، لأنه تمثيـل ، ليس فى ذاته مركبا مـن حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة » . فازاح بذلك شبـهة خروج هذه المرتبة عن حد الآية الكريمة .

تحليل الصوت عرفه المسلمون قديما :

وهذا القول له دلالة اخرى هامة تتصل بعلوم الطبيعة يجب أن نشيد بها فى هذا المقام :

فقد اشتهر بين المثقفين ان تحليل الصوت ومعرفة كونه يتألف من موجات هو أمر جاء الاوربيون وسبقوا به ، وشـــاع ذلك وانتشر حتى لا يظن أحد أن المسلمين عرفوه من قبل اكتشاف الأجهـــزة التي تسجل الاهتزازات والتموجات ، مع أن فى أبحاث المسلمين ما يدل على معرفتهم لذلك : فهذا الامام البيضاوى يبين أن الوحى المباشر من الله ليس من نوع كلام الخلق الذى يتوقف على تموجات متعاقبة ، اذن فقد كان المسلمون على علم بأن الصوت يتكون من موجات صوتية فى عصر البيضاوى بل ومن قبل عصره أيضا ، حيث نجد الامام فخر الدين الرازى يقدم لنا دراسة عن الصوت وتموجاته وآثره المادى والصدى وحدوثه فى كتابهالحافل : « المباحث المشرقية »(٤) ، واذا علمنا أن البيضاوى توفى سنة ٧٩١ هـ والرازى سنة ٦٠٦ هـ تبينا ان المسلمين كانوا على علم بطبيعة الصوت فى عصر كانت اوروبة غارقة فى أوحال التخلف ودياجير الجهل ، أى منذ نحو ثمانمائة عام .

وهذا يرجع الى فضل ما نزل الوحى به على النبى صلى اللـــه عليه وسلم من القرآن المعجز فى بلاغته وأسلوبه المعجز فى مضمونه المعجز فى آثاره الانسانية ، حيث نهض بالامم والشعوب من وهـــدة الذل الى العزة والكرامة وانقذها من عبادة الانسان بعبادة الله وحده لا شريك له ، ومن الجهل المظلم الى العلم النافع المنير(٥) ، ومن التخلف الى الحضارة الكاملـــة الفاضلة التى تصلح الـــدين والدنيا والاخلاق وترعى حرمة هذا الانسان ، وها نحن نرى العلم الطبيعى يخدم الثقافة فى القرآن ويؤازرها ويبرز فيه اعلام العلوم الدينية فى الاسلام ويدفعون حركة تقدمه الى الامام بخطى واسعة فى حين كـــان ذلك حراما عند غير المسلمين ، ومن حاوله تعرض لأليم العذاب .

مظاهر الوحى :

والوحى فى أى مرتبة من مراتبه أمر عظيم يقتضى من الانســان أن يتجاوز حدود المادة وعالم الشهادة ليتصل بالملائكة وعالم الغيب ، وذلك يقتضى من صاحبه استعدادا يهيئه الله تعالى فى أولئك الأخيار الذين اصطفاهم من خلقه لهذه المنزلة ، وكثيرا ما كان يحدث للنبـــى صلى الله عليه وسلم مشقة شديدة فى التلقى من الملك، قالت عائشة رضى الله عنها : ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله

---

(٤) ص ٣٠٥ — ٣٠٩ .

(٥) انظر تفصيل موقف القرآن من العلوم الكونية وآثره فى تقدمها فى تقديمنا لكتاب « الرحلة فى طلب الحديث » للخطيب البغدادى .

صلى الله عليه وسلم : « أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد عيت عنه ما قال . وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول » . قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رايته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا »(٦) .

قال الامام الزركشي(٧) في « وصف التلقي من الملك » : « والتنزيل له طريقان : احدهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملائكة واخذه من جبريل ، والثاني : ان الملك انخلع الى البشرية حتى يأخذ الرسول منه ، والاول أصعب الحالين » .

وقال الحافظ ابن حجر(٨) : « قوله : وهو أشده عليّ يفهم منه ان الوحي كله شديد ، ولكن هذه الصفة أشدها ، وهو واضح ، لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود ، والحكمة فيه ان العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسامع ، وهى هنا اما باتصاف النبى بصفة الملك الروحانية وهو النوع الأول ، وأما باتصاف الملك بوصف النبى وهو البشرية وهو النوع الثاني ، والاول اشد بلا شك » .

ومن آثار الوحي ومظاهره على النبى صلى الله عليه وسلم ما وردت به هذه الاحاديث :

١ ــ ما ذكر فى حديث السيدة عائشة الذى رويناه سابقا . واخرج البخارى وغيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : **« لا تحرك به لسانك لتعجل به »** قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه ، فقال ابن عباس فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله صلىالله عليه وسلم يحركهما ، وقال سعيد أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل : **« لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه** ــ قال جمعه لك صدرك وتقراه ــ **فاذا قراناه فاتبع قرآنه** ــ قال فاستمع له وانصت ــ **ثم أن علينا بيانه »** ، ثم ان علينا أن تقراه . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا اتاه جبريل استمع ، فاذا انطلق جبريل قراه النبي صلى الله عليه وسلم كما كان قرأ »(٩) .

---

(٦) متفق عليه .

(٧) فى كتابه القيم « البرهان فى علوم القرآن » ج ١ ص ١٢٩ .

(٨) فى فتح البارى ج ١ ص ١٦ .

(٩) أول صحيح البخارى باب بدء الوحى ، وانظر حديث يعلى بن أمية فى المعتمر المحرم الذى سال عمن يحرم فى جبة وقد تضمخ بطيب فى الصحيحين (كتاب الحج) .

٢ ــ انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحى سمع عند وجهه دوى كدوّى النحل :

عن عبد الرحمن بن عبد القارىّ قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه دوىٌ كدوىّ النحل ، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال :

« اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا ، واعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وارضنا ، ثم قال : لقد أنزلت علىّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ علينا : **« قد افلح المؤمنون** .. حتى ختم العشر » . اخرجه أحمد والترمذى والحاكم وصححه ووافقه الذهبى(١٠) .

٣ ــ انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه **الوحي ثقل جسمه حتى يكاد يرض فخذه فخذ** الجالس الى جنبه . اخرج البخارى وغيره عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه : **« لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله »** فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملّها علىّ قال يا رسول الله : والله لو استطيع الجهاد لجاهدت ــ وكان أعمى ــ فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى ، فثقلت علىّ حتى خفت أن ترضّ فخذى ثم سرّى عنه فأنزل الله **« غير أولى الضرر »** . أخرجه البخارى بلفظه وأحمد وأبو داود وغيرهم(١١) .

٤ ــ انه صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي بركت به راحلته : عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ان كان ليوحى الى رسول الله عليه وسلم وهو على راحته فتضرب بجرانها » أخرجه أحمد .

وعن عروة بن الزبير أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرانها فما تستطيع أن تحرك حتى

---

(١٠) المسند برقم ٢٢٣ والترمذى فى تفسير سورة المؤمنون، والمستدرك ج ١ ص ٥٣٥ باسنادين أحدهما من طريق المسند ، والآخر من غير طريقه ونسبه السيوطى فى الدر المنثور ج ٥ ص ٢ لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والعقيلى والبيهقى فى الدلائل والضياء فى المختارة . وانظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٧ وتعليق احمد شاكر على المسند ج ١ ص ٢٥٧ .

(١١) البخارى فى التفسير : سورة النساء ج ٦ ص ٤٧ و ٤٨ وفى الجهاد باب قول الله لا يستوى القاعدون ، والمسند ج ٥ ص ١٨٤ وانظر ١٩٠ و ١٩١ وأبو داود ج ٣ ص ١١ (الرخصة فى القعود عن الجهاد) وأنظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٤٠ و ٥٤١ .

يسرّي عنه . أخرجه ابن جرير ، وهو مرسل ، والجران باطن عنق الناقة(١٢) .

أما التلقى للوحى من الله تعالى من غير واسطة فهو أعظم المراتب وأسماها شرفا وأكثرها حاجة للامدادات الإلهية لتحمل هذا الموقف وما فيه من الهيبة والعظمة والجلال الالهى مما تخر له الافلاك وتندك الجبال الشم الراسيات كما قال عز وجل : **« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله »** .

وقد ظل موسى عليه السلام يتأهب أربعين يوما لميقات مكالمة الله اياه . كذلك قام جبريل وميكائيل عليهما السلام باعداد النبى صلى الله عليه وسلم لهذا الموقف الجليل حين اتياه للاسراء والمعراج .

واذا علمنا أن الله قد أعطى هذه المراتب ومنحها كلها للنبى صلى الله عليه وسلم فان هذا يزيدنا علما بفضل هذا النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه حيث جمع الله له كل مراتب الوحى ما لم يجمع لغيره وخصه فيها بخصوصيات تفرد بها مما يعرف المؤمن ما كان لنبيه من عنايات الله عز وجل وامداداته وما اختصه به من كمالات فضله بها على غيره من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

يوم الوحى :

وقد حض النبى صلى الله عليه وسلم المسلم على أن يجعل ليوم الوحى اهتماما وتوجها خاصا الى الله ، بمجاهدة النفس والتصفية لها بصيام مستحب ، تكميلا ومتابعة لمجاهدتها بالصيام المفروض فى شهر رمضان حتى تصفو النفوس من أكدارها وتخلص القلوب وجهتها نحو بارئها سبحانه وتقبل عليه بقوة وعزم وعلى العالم بالمكارم والاصلاح ودعوة الخير الذى نزل به الوحى فى ذلك اليوم ، أخرج مسلم عن أبى قتادة الانصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم الاثنين فقال : « فيه ولدت وفيه أنزل علىّ »(١٣) .

---

(١٢) انظر الحديثين فى ابن كثير ج ٤ ص ٤٣٥ . ولهما شاهد فى المسند فى نزول آية « اليوم أكملت لكم دينكم » انظر مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٣ وانظر تفسير ابن كثير للآية ج ٢ ص ١٢ و ١٣ .

(١٣) فى صحيحه كتاب الصيام ج ٣ ص ١٦٨ .

يوم الحج الأكبر

للأستاذ : عـزت محمد ابراهيم

● كان فتح مكة فيصلا بين عهدين ، وكانت حجة الوداع تربية وتعليما وارشادا للمسلمين فى مناسكهم .

● فى خطبة الوداع آيات من هدى النبوة ، هى نبراس لنا نأخذ منها تعاليم ديننا بعد القرآن الكريم .

● لا حاجة لمن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور بتزلف او قربى جل شانه وعـلا على ذلك علوا كبيرا .

● أعطى رسول الله القدوة من نفسه ، فأعطى بذلك المثل الأعلى ، وكان القدوة الحسنة لمن أتى من الخلفـاء الراشدين من بعده .

كان العرب قبل الاسلام قد أحالوا دين ابراهيم الخليل الى ضروب وألوان من الوثنية والشرك والتزلف الى الله فهم يقيمون فى جوف الكعبة الأوثان والأصنام يصنعونهـا بأيديهم ، ثم يؤمنون بعد ذلك بقدرتها على النفع والضرر ، ويتوسلون اليها ويتقربون منها ويطوفون بها فى تضرع وخفية ، واذا حجوا الى البيت قدموا الذبائح ، وقربوا القرابين لأصنامهم تلك التى لا رجاء فيها ، ولا فائـدة ترتجى من ورائها .

وجاء الاسلام فطهر بيت الله الحرام من هذا الرجس ، وجعل من الحج اليه معنى ساميا تتحقق فيه أخوة بارة ، ومساواة ظاهرة ، لا يختلف غنى أو فقير فى مظهر أو ملبس والجميع فيه سواسية فى لباس واحد ، واتجاه واحد الى الله عز وجل ، يلبون نداءه، ويسرعون الى رحاب بيته فى أمـن وسكينة .

وكان فتح مكة فيصلا بين عهدين ، فطهر البيت للطائفين والعـاكفين والركع السجود ، وكانت حجة الوداع

تربية وتعليما وارشادا للمسلمين فى مناسكهم : كيف يؤدونها ، وفى حجهم: كيف يقومون به ، على أكمل وجه ، وخير أداء ، ملقين وراء ظهورهم عهد الجاهلية الأولى بما كان فيه من شر ونكر ، وخبث وفساد .

وكان فتح مكة فى شهر رمضان المبارك من سنة ثمان للهجرة ، فدخل النبى عليه السلام بيت الله الحرام ، وطاف حوله وهو على راحلته ، وكان منه يوم الفتح ما هو خليق به من شرف النبوة ، وكريم الشمائل فقد قيل أن سعد بن عبادة كان يهتف يومذاك قائلا : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة » .

وبلغ الرسول عليه السلام قول ابن عبادة ، فنحاه عن راية المسلمين ، ووكل بها على بن أبى طالب يحملها ويدخل بها مكة .

وقد حسب المشركون أن يكون لرسول الله فيهم يوم انتقام ينادى فيه الدم الدم ، ويأخذ الثأر بالثأر ، فما كان ما وقع فى حسبانهم ، وانما كان ما ينتظر من عفو عند المقدرة ، وسماحة عند الاقتدار ، فينادى عليه السلام معشر قريش يسألهم عما يرونه فاعلا بهم فيقولون : أخ كريم وابن أخ كريم ، فيقول : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ويتناول النبى مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ، ويدخلها فيجد فيها حمامة من عيدان فيكسرها ، ويقف على بابها يخطب فى الناس فيفتتح خطبته بعبارة التوحيد الذى جاء به الاسلام ، فمحا الشرك محوا ، وقضى على آثاره القضاء المبرم .

« لا اله الا الله ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

وها هم أقيال قريش وأشرافها ، وذوو الحسب والنسب فيها ، يسمعون اليه صلوات الله عليه وسلامه . فلا يسمعون تفاخرا بنسبهم ولا اعلاء من شأنهم ، ولكنهم يسمعون قوله يصك أسماعهم : « ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعاظمها بالآباء الناس من آدم ، وآدم من تراب » .

ويتلو عليهم قول الله عز وجل :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ».

وطهر عليه السلام البيت من الرجس ، فكسر أصنام المشركين وحطم أزلامهم ، ومحا صورا يراد بها الشرك بالله أو التزلف اليه ، ولا حاجة لمن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، بتزلف أو قربى ، جل شأنه وعلا عن ذلك علوا كبيرا ، وها هى ذى أصنامهم التى كانوا يدخرونها ليوم كريهة وسداد ثغر ، والتى كانوا يرجون منها الثواب ويخشون العقاب ها هى ذى تتهاوى أمام أعينهم ، فلو كانت تنفع أو تضر ، لنفعت نفسها ودفعت الضر عن ذاتها .

ولعل ذلك هو المعنى الذى قصد اليه تميم بن أسد الخزاعى فى قوله :

وفى الأصنام معتبر وعلم
لمن يرجو الثواب أو العقابا

أما وقد طهر البيت من الرجس ، وخلت جنباته من مظاهر الشرك بالله فقد آن للمسلمين أن يؤدوا فريضة الحج خالصة لوجه الله لا تشوبها

شائبة من تقرب أو تزلف .

وقد أمر رسول الله صاحبه فى الغار أبا بكر الصديق على الحج ، بعد أن فرضه الله على عباده لمن استطاع اليه سبيلا ، وكان بين المسلمين والمشركين عهد الا يصد عن البيت أحد جاءه ، ونزلت براءة ، يبرأ الله فيها من عهد المشركين ، وقد كشف لرسوله دخيلة نفوسهم ، وبواطن سريرتهم ، وما تنطوى عليه من حقد دفين للمسلمين ، وتربص بهم .

وقد حمل البراءة الى أبى بكر الصديق ، على بن أبى طالب ، فلحق به فى بعض الطريق ، ليتلو عليه قول الله عز وجل .

« براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ، فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ، واعلموا أنكم غير معجزى الله ، وان الله مخزى الكافرين ، وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله ، فان تبتم فهو خير لكم، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ، الا الذين عاهدتم من المشركين ، ثم لم ينقصوكم شيئا ، ولم يظاهروا عليكم أحدا ، فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » .

« يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء إن الله عليم حكيم » .

ولم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان .

وكانت حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة ، وقد عزم الرسول على أن يحج بالناس ، وسمع اناس من حول المدينة بعزمه عليه السلام ، فهرعوا اليه ، واجتمع اليه خلق لا يحصون يصفهم ابن قيم الجوزية بأنهم كانوا بين يدى الرسول ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مد البصر .

وقد خرج الرسول من المدينة ظهرا لست بقين من ذى القعدة ، ميمما شطر بيت الله الحرام ، وعرف الناس فى حجته تلك مناسك الحج ، يأخذونها عنه ، ويفعلون كما يفعل ، وفيها كانت خطبة الوداع ، فكأنما قد أحس عليه السلام بدنو الأجل ، واقتراب المنية ، فكان فى أول خطبته للناس قوله :

« لعلى لا القاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا » .

وفى الخطبة آيات من هدى نبوته ، هى نبراس لنا نأخذ منها تعاليم ديننا بعد القرآن الكريم ، فهى سنة رسول الله تفضل ما أجمل فى كتاب الله ، وتشرح ما استغلق على الناس فهمه وقد حرم الله الربا وأربى الصدقات وجاء فى محكم تنزيله قوله تعالى :

« الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع ، وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ، ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم » .

وجاء فى الخطبة وضع كل دم فى الجاهلية ، ووضع كل ربا فلا يبقى غير رءوس أموال الناس .

وتكون الحكمة البعيدة ، والبصر النافذ — نفحة من نفحات نبوة مشرقة — ان يبدأ الرسول بذوى قرباه ، قبل أن يبدأ بغيرهم من الناس ، وكان لعمه العباس بن عبد المطلب أموال عليها ربا فهو أول ما يضع الرسول من الربا ، وكان لبنى عبد المطلب دم وذحول عند هذيل فى الجاهلية ، فهو أول دم يبدأ به رسول الله من دماء الجاهلية ، فلا يكون للناس عليه

حجة ، ولا يكون لهم مندوحة عن الامتثال لأوامره وأوامر الله .

(قضى الله انه لا ربا ، وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وان كل دم كان فى الجاهلية موضوع، وان أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى نيث فقتلته هذيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية) .

هم عشيرته الأقربون ، ينذرهم فى مجال الدعوة ، والأمر الذى يصدع به ، وهم عشيرته الأقربون ، يبدأ بهم فى مجال القدوة والامتثال ، ويتخذ منهم المثل والشاهد اذا هم أحد أن يلتمس شفاعة فى حد من حدود الله : « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » .

ويتعدى الأمر عشيرته الأقربين وآل بيته الأدنين اليه هو صلوات الله وسلامه عليه ، فيعطى القدوة من نفسه ، ويكون المثل الأعلى فى ذلك ، والقدوة الحسنة لخلفائه الراشدين من بعده ، فيأتى عمر بن الخطاب رجل يستأديه من أمير ضربه ، ويهم ابن الخطاب بالقود منه ، ولا يبالى ما يكون من عمرو بن العاص الذى لا يريد أن يعمل لأمير المؤمنين وهذا شأنه يقيد من أمرائه لعامة الناس ويكون رد عمر بن الخطاب نسجا على منوال رسول الله ، وصاحب الأسوة الحسنة له ، ولخيار المسلمين : « لا أبالى ألا أقيد منه ، وقد رأيت رسول الله يعطى القود من نفسه » .

ويمضى الرسول فى خطبة الوداع فيعرض للنسىء ويعده زيادة فى الكفر ، ويبين الشهور ما يحل فيها قتال وما يحرم ، ويبين للناس حقوقهم على نسائهم ، وحقوق نسائهم عليهم :

« ان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن الا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وانكم انما أخذ تموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولى ، فانى قد بلغت ، وتركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا : كتاب الله وسنة نبيه .

أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلمن ان كل مسلم أخ للمسلم ، وان المسلمين أخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم » .

تلك أمانة الله قد بلغها رسول الله لعباده ، وأشهده عليهم .

وتكر أعوام اثر أعوام ، والناس يؤدون فريضة الحج من استطاع منهم السبيل اليه ، فاذا جمعتهم مناسكها عرفوا حكمة الشارع فيها ، واستبانت لهم من جوانبها عبرة تلو أخرى ، وذكروا رسول الله ، واستعادوا ما قاله فى خطبة الوداع منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، فاذا العبرة قائمة ، والدرس ظاهر بين يتجدد أوانه ولا يبلى منه جديد .

وهم يأتون من المشارق والمغارب ، ويقطعون الفيافى والقفار ، ويمخرون عباب بحار وأنهار ، ويركبون شتى المراكب : سهلها وصعبها ، فيذكرون فى خشوع وتبتل شاهد حق على صدق الرسالة وصاحب الرسالة : قول الله عز وجل : « واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم » .

وأى منفعة أجل وأعظم من هذه الدروس والعبر يشاهدونها بأعينهم ويلمسونها بأيديهم ، ويطمئنون اليها بقلوبهم .

بناء الاقتصاد الإسلامي

ربا الفضل في حديث ابن عباس وصلته بنظرية القيمة العادلة !!

للاستاذ زيدان أبو المكارم

نص الحديث :

قال الامام الشافعى فى « الرسالة » :

« أخبرنا سفيان ، أنه سمع عبيد الله بن يزيد يقول : سمعت ابن عباس يقول : أخبرنى أسامة بن زيد ، أن النبى قال : « إنما الربا فى النسيئة » .

وقال الامام أبو حنيفة فى « مسنده » : عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن أسامة بن زيد — رضى الله عنهم — قال :

« إنما الربا فى النسيئة ، وما كان يدا بيد ، فلا بأس » .

تخريج الحديث :

رواه الشافعى فى (الرسالة) ٢٧٨ ، فقرة ٧٦٣ . وقال محققها الشيخ أحمد محمد شاكر — رحمه الله — ما ملخصه :

والحديث رواه الشافعي أيضا في اختلاف الحديث ٢٤١
ورواه أحمد في مسنده (٥ : ٢٠٤) وليس فيه كلمة « إنمـــا » .
ورواه أيضا مسلم (١ : ٤٦٩) ، والنسائي (٢ : ٢٢٣) ، ولفظ مسلم كلفظ الشـــافعي ، ولفظ النســـائي : « لا ربا إلا في النسيئة » .
ورواه الطيالسي (رقم ٦٢٢) بلفظ الشافعي .
ورواه الدارمي (رقم ٢٥٩٢) ولفظ الدارمي : « إنمـــا الربا في الدين » .. ثم قال الدارمي : « معناه درهم بدرهمين » ، وبوب عليه : « لا ربا إلا في النسيئة » .
وورد الحديث من طرق أخرى ، منها في البخاري (٣ : ٧٤ و ٧٥ من الطبعة السلطانية) ، (٤:٣١٨ــ ٣١٩ من فتح الباري) ، وابن ماجـــه (٢ : ١٩) أ هـ .
ورواه الامام أبو حنيفة كما رأينـــا في مسنده (صفحة ١٥٨) طبعة حلب سنة ١٣٨٢ هـ موقوفا على الصحابي الشاب أسامة بن زيد ، وفيه زيادة « وما كان يدا بيد ، فلا بأس » وهي زيادة ، لها أهميتها فيما يتعلق بفقه الحديث ، وارتباطهبغيره من الأحاديث الأخرى ، كما سنراه في موضعه من الحديث والشرح .

ما يلزم للبحث في شرح هـــــذا الحـــــديث :

١ ــ تخريجه لتعلم منزلته ودرجته من الصحة والقوة ، والاعتداد به في الاحتجاج ، لاستنباط الأحكام الشرعية التي يدل عليهـــا ، وقـــد تبين ذلك بوضوح مما تقدم .
٢ ــ تحديد زمنه بالنسبة لغيره من الأحاديث التي تشاركه في موضـــوع الربا ، حتى يمكن معرفة السابق من اللاحق ، لينتفع بذلك عند التعارض بنفيه عن طريق النسخ ، وهو أحـــد الأصول الفقهية المقررة عند العلماء ، فالسابق منسوخ ، واللاحق ناسخ .
٣ ــ بيان معنى الربا ، لغة وشرعا وبيان المراد منه في هذا الحديث ، وبيان أنواع الربا عند علماء الفقـــه الاسلامي .
٤ ــ بيان مذاهب الفقهاء في الربا، وعرض آرائهم وأدلتهم التي اعتمدوا عليها من القرآن والسنة ، والقياس .
٥ ــ أثر هذا الحديث في الترجيح بين أدلة الفقهاء ، بما يصل الى غاية التشريع الاسلامي ، الذي تدرج في تحريم الربا ، طوال عصر النبوة ، من أوله الى قبيل قبض النبي صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى بقليل .
٦ ــ بيان الصلة الوثيقة بين الربا المحرم أشد التحريم في القرآن والسنة بجميع أنواعه ، وبين (نظرية القيمـــة العادلة) .

١ ــ **تخريج الحديث** : وقد علم مما تقدم أنه حديث صحيح ، بل إن الحافظ ابن حجر يقول : « واتفق العلماء على صحة حديث أسامة ، واختلفوا فـــي الجمع بينه وبين حديث أبي سعيد ، فقيل : منسوخ ، لكن النسخ لا يثبت بالاحتمال » (فتح الباري ٤ : ٣١٨ ، ٣١٩) .

٢ ــ **تحديد زمن الحديث** : نعني : متى قاله النبي صلى الله عليه وسلم ؟
وبالاجابة عن هذا السؤال يمكن معرفة الناسخ من المنســـــوخ في الأحاديث المتعلقة بموضوع الربا .
ويوضح أهمية ذلك ما أخرجـــــه البيهقي « عن عـــلي بن أبي طـــالب ــ رضي الله عنه ــ أنه مر على قاض يقضي .
قال : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟
قال : لا .
فقال علي : هلكت ، وأهلكت .
وأخـــرج البيهقي مثله عـــن ابن

عباس (١) .

إذا تمهد هذا نقول :

إن أول آيـة وجهت الى المؤمنين الخطاب بشأن تحريم الربا هى آيـة آل عمران :

« يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » الآية ١٣٠ . وقد صرحت بتحريم « الأضعاف المضاعفة من الزيادة » وسكتت عما دونها .

وآخر آيات قرآنية خاطبت المؤمنين بشأن تحريم الربا آيات سورة البقرة ، وفيها :

« احل الله البيع وحرم الربا »

« يمحق الله الربا »

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقى من الربا »

وتحريم الربا فيها عام شامل للأضعاف المضاعفة وما دونها ، بالنص الصريح :

« وان تبتم فلكم رءوس أموالكم ، لا تظلمون ، ولا تظلمون » .

وآية آل عمران نزلت بعد غزوة احد فى السنة الثالثة .(٢) .

وآيات سورة البقرة نزلت فى السنة العاشرة ، قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بأقل من ثلاثة أشهر .

فبين نزول الآيتين نحو سبع سنوات ، تدرج التشريع الاسلامى فيها عن طريق السنة النبوية التى أخذت تتتبع ألوان الربا الجاهلى وصوره فى المعاملات ، تحرمها شيئا فشيئا ، حتى لم يبق إلا القليل الذى عنته آية البقرة بالتحريم :

« ذروا ما بقى من الربا » .

وليس من السهل أن نتعرف بالتفصيل على هذا التدرج ، ونحدد زمن تحريم كل معاملة جاهلية فيها ربا ، من الأحاديث النبوية الكثيرة .

ولكننا نعتقد أن بين أيدى المتخصصين فى الحديث وعلومه رواية ودراية ما يمكنهم بدلائل فنية عميقة أن يصلوا الى بعض النتائج فى هذا السبيل ، اذا بذلوا جهودا مخلصة سيكون لها نفعها .

كذلك فان بعض الأحاديث فى موضوع الربا تحمل فى سياقها دلائل تدل على تواريخها ، أو تدل على تقدمها على غيرها أو تأخرها عنه وسنضعها بين يدى القارىء لنتأملها، ونستخرج منها تلك الدلائل ، مهتدين فى ذلك بما نقله البيهقى قال :

« قال الشافعى :

ولا يستدل على الناسخ والمنسوخ فى القرآن إلا بخبر عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو بوقت يدل على أن أحدهما بعد الآخر فيعلم أن الآخر هو الناسخ أو بقول من سمع الحديث ، أو الاجماع .

قال : وأكثر الناسخ فى كتاب الله إنما عرف بدلالة سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٣) .

وهذه هى الأحاديث ، لنتأملها جيدا .

عن عبادة بن الصامت قال :

قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، يدا بيد ، سواء بسواء فاذا اختلفت هذه الأصناف ، فبيعوا كيف شئتم ، اذا كان يدا بيد » (٤) .

وفي رواية أبى هريرة زيادة قوله :

« فمن زاد أو استزاد فقد أربى »

وهذا الحديث هو الأصل الذى أخذ منه فقهاء المذاهب أحكام الربا .

وهو يمثل الخطوة الأولى ، ويلزم المسلمين اذا تبايعوا فى صنف واحد من هذه الأصناف ، مثل قمح جيد بقمح ردىء ، يلزمهم بأمرين :

١ ــ أن يتساويا فى المكيال صاعا بصاع ، وهكذا .

٢ ــ أن يتقابضا فى المجلس .

والشرط الأول لاتقاء (ربا الفضل).
والشرط الثانى لاتقاء (ربا النسيئة).
فاذا اختلف الجنسان، مثل قمح بتمر، سقط عن المتبايعين الشرط الأول، وجاز لهما التفاضل، ولكن يلزمهما الوفاء بالشرط الثانى، وهو التقابض فى المجلس.
فلننظر الى حديث آخر صحيح:
عن أبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة — رضى الله عنهما — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم: استعمل رجلا على خيبر، فجاءه بتمر جنيب وهو صنف جيد، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم —:
أكل تمر خيبر هكذا ؟
فقال: لا، والله يا رسول الله، إنا لنأخذ الصاع من هذا (الجيد) بالصاعين (يعنى من الردىء) والصاعين بالثلاثة ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
لا تفعل، بع الجمع (الردىء) بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبا.
وقال فى الميزان مثل ذلك (٥).
وعن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — قال:
جاء بلال الى النبى صلى الله عليه وسلم بتمر برنى (وهو صنف جيد) فقال له النبى صلى الله عليه وسلم:
من أين هذا .. ؟
قال بلال: كان عندنا تمر ردىء، فبعت منه صاعين بصاع، ليطعم النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال النبى صلى الله عليه وسلم:
أوه، عين الربا، عين الربا، لا تفعل، ولكن اذا أردت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر، ثم اشتر به(٦).
هذه خطوة نبوية جديدة، لاحقة بغير شك للخطوة الأولى، أعطت جوازا عن النهى الأول بالعفو عن الشرط الأول فأجازت التفاضل بطريقة غير مباشرة، وقد عرفنا أن تلك الخطوة الثانية كانت بعد فتح خيبر التى تم للمسلمين الاستيلاء عليها فى السنة السابعة من الهجرة النبوية.
وبلال وذلك الرجل لم يبلغهما نهى النبى صلى الله عليه وسلم فعملا بمقتضى العقل والفطرة، فأعطيا الردىء حقه، والجيد حقه مباشرة.
وفى هذه الخطوة كما هو واضح تخفيف عن المسلمين، وتوجيه لهم الى استخدام الدراهم والدنانير معايير أساسية لتقدير قيم جميع الأشياء، وذلك يعطى الإحساس بالعدل ويمنع من بخس القيم.

ويمضى المسلمون ينفذون أوامر النبوة، فمن عنده تمر جيد أو ردىء ويريد النوع الآخر، يبيع ما عنده أولا بالدراهم أو بالدنانير، ثم يعود ليشترى ما يريده من التمر. فليس معقولا أن يرضى صاحب الجيد أن يتساوى تمره بالردىء.
والحكمة فيما يبدو — واللهأعلم — أن يتعود الناس على رد القيم كلها الى معيار واحد، حتى تبدو الفروق واضحة أمام كل متبايعين، فاذا تمرسوا بذلك وتعودوه، فلن يكون هناك خوف عليهم من بخس ولا ظلم، ولا تنازع.
نرجح أن هذه هى الحكمة المتوخاة فى التشريع، بل نكاد نجزم بها، لما سنرى فى الخطوة التشريعية الثالثة.
يجول فى الأذهان سؤال طبيعى، لم هذا المشوار ؟
أفلا يجوز أن يقدر المتبايعان الردىء والجيد، ويحددا الفرق، ثم يتبادلا مباشرة، بتلك القيمة العادلة ؟ بدلا من ذلك البيع الآخر، الذى يطيل عليهما قضاء الحاجة ؟

وتلك هى الخطوة الثالثة التى اتت فى حديث أسامة .

« إنما الربا فى النسيئة ، وما كان يدا بيد ، فلا بأس » .

يعنى : بيعوا الصنف الجيد بالردىء متفاضلا فذلك هو الحق بعد تقويم كل منهما بقيمته العادلة المعروفة بينكم .

هل ترى بين هذه الخطوات النبوية الثلاث تناقضا فى الأحكام ؟

الم يتضح أن هذا هو ترتيبها الزمنى ، من فتح خيبر الى السنة الأخيرة من حياة النبى صلى الله عليه وسلم ؟

ارجو أن يعود القارىء الى ما أرشدنا اليه الشافعى من علامات نعرف بها السابق من اللاحق ، لتمييز الناسخ من المنسوخ ، وهى أربع امارات :

١ ـ قول النبى صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ أو الوقت المحدد فيهما أو فى أحدهما ، ويعين الترتيب الزمنى .

٣ ـ او اخبار الصحابى الذى سمع الحديث .

٤ ـ أو الاجماع .

وذكر فتح خيبر واضح فى الحديثين اللذين يمثلان الخطوة الوسطى للتدرج التشريعى ، فتلك علامة .

ثم رواية أبى حنيفة عن أسامة بن زيد ، وهو راوى الحديث ، والأعلم بتطبيقه ، أمارة أخرى على أن حديثه هو ختام التشريع فى هذا الشأن .

وعن هذا كله صدر ابن عباس ، وقال بقوله فى القيمة العادلة التى لا تبالى بالمساواة الشكلية فى المقدار ، وانما تعنى بالقيمة التى يتحراها الشرع عدلا ، بغير بخس ولا ظلم ، ولا غبن ولا مانع من التفاضل الشكلى للوصول الى القيمة العادلة مباشرة .

أليس من واجب كل فقيه ، وكل عالم ودارس أن يتورع فلا يعود يكرر تلك المقالة التى لا صواب فيها : ان ابن عباس يحل ربا الفضل ؟!

والتى توهم بأنه كان يستحل محرما ؟!!

إن الفقهاء مجمعون على العمل بالخطوة الثانية التى وردت فيما حدث من بلال ووالى خيبر ، وما أمرهما به النبى صلى الله عليه وسلم من البيع الآخر .

والذى أشكل عليهم وعلى بعض الصحابة هو المراد بحديث أسامة ، وقد فسره أسامة فى رواية أبى حنيفة وأخذه عنه ابن عباس ، وغيره من الصحابة والتابعين .

إن التفاضل هنا تفاضل شكلى ، وليس تفاضلا حقيقيا ، فالتمر الجيد ليس كالتمر الردىء أبدا ، لا فى عقل ولا فى عرف ، والذهب الخام ليس كالمصنوع حليا ، والعدل يحتم تقدير الجودة وتقدير الصناعة ، ولكن بالعدل والقسطاس المستقيم .

---

(١) مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة للسيوطى طبع المنيرية سنة ١٩٥٢ ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) تفسير المنار ٤ : ٩٥ ، ١٢٢ .

(٣) ص ٣٢ من المرجع السابق (مفتاح الجنة)

(٤) مسلم ١ : ٤٦٥ .

(٥) عمدة الاحكام ، الحديث ٢٧٠ .

(٦) متفق عليه .

يا شباب المسلمين

قولوا لهم

للأستاذ : أحمد العنانى

— ١ —

يا شباب المسلمين على سواحل الأطلسى وحتى مشارف الصين .

يا أبناء السمر والصفر ، والبيض والحمر ، وكلهم سواسية .. كلهم ذو شأن وأمر .

يا رجال الحق ، ودعاة السلام والمحبة .

يا أهل القرآن ، وأسرة السود والعدالة والمرحمة .

أشرقت مجددا شمس الربيع .

ذابت عن الزهرات الحسان أكداس الصقيع .

انحسر ظل الغفلة ، وانحطم عرب الجهالة .

والمسلمون أضحوا يعيشون الصحو ويحيون تحت شمس النهضة

دماء الشهداء ما هدرت ..

أصوات الدعاة ما تبددت ..

لقد أنبتت ثم أينعت .. ومضى دور وجاء دور ..

مئات السنين مضت الآن على الهجمات البربرية على سواحلنا فى آسيه الغربية .

ومئات مثلها انقضت على العدوان على طرقنا البحرية والتجارية ومئات على المحاولات الخسيسة لمحو هذا الدين فى أفريقية وغير افريقية ..

وباء ذلك كله بالفشل ونجا الدين وعاشت لغته العربية ..

واليوم تسقط أحدث المحــــاولات الخبيثة الخفية الحاقدة .. لاحيــاء رجعية نتنة تخطاها ديننا منذ أربعــة عشر قرنا يريدون أن يقسموا الأمـــة الواحدة الـــى أعـــراق وفصائـــل ، وأجناس وألوان ، وأغنياء وفقراء ، وكادحين ومكدوح لهم .

وتأبى كلمة الله الواحد ، وكتاب الله الوطيد المجيد الواحد ، ووقفــة على عرفات لا تترك لأحد فضلا على أحد بغير التقـــوى وصيام يوحــد المشـــاعر ويهلـــك الأثرة ويحيى ود الأسرة الكبـــرى ، وصـــلاة لا تقـــر كبرياء لغير الله ، وزكاة تطهر قلوب المعطين والآخذين ، وروح دين أحكمت صنعته قدرة ممـــن له المثل الأعلـــى والأسماء الحسنى والكلمة العليا فى السموات والأرض .

تأتى عبقرية الصنعة الربانية أن يطاولها فى الارض زور المفتريـــن ، وضلالات المغضوب عليهم والضالين ، ويظل الاسلام هـــــو دين الفطـــرة السليمة ، ودين الحجة القويمة ، دين المنطق السديد والفكـــــر النزيـــــه والوجدان العفيف ، دين الحق والعدل والعزة والمرحمة .

— ٢ —

قولوا لهم يا شباب المسلمين :

ألستم تقولون بالحاجة الى خلاص العالم من سوء استخدام الصناعات المدمرة ؟

ألستم تقولون ان العلم قهر المادة وسخرها ليجعل من العالم وحـــدة تضاءلت فيها المسافات ، وتداعـــت الحواجز ، وليس له فى نهاية المطاف غنى عن وحدة يتعايش فيها الذئـــب والحمل والانسان والثعبان بغير حقد ولا ضرر أو اضرار ؟

اذا فلا حل الا الاسلام لأنه حقـــق التجربة الفذة الوحيدة فى التاريــــخ التى تعايشت فى ظلالها الملل والنحل ، وتصالحت الألوان والأعـــراق ، وتعايشــــت اللغـــات والعـــادات والاذواق .. ولأنه المبدأ الوحيد الذى حفظ للأقليات حقوقها كاملة ، ومكن لها أن تحتفظ بذاتياتها على مدى قرون وقرون .

قولوا لهم ان السلم الرومانى قـــد سقط لأنه قسم الناس الى أربـــاب وعبيد ، وجزأ المواطنة وحقوقها الى أنصاف وأرباع ، وتقضى فى محاكمة بأمشاج من الشرائـــع القائمة علـــى الفروق والتمييز . كذلك سقط كـــل سلم فرضه الوثنيون والاهمـــاج ، وسقط السلم الذى فرضه الاستعمار لأن ركائزه ظلت تغـــوص فى وحول الظلم وتنهض على أسس قلقة مـــن جماجم المقهورين والمستغلين .

ومن البداهة سقوط السلم الذى تفرضه كل صنوف المذاهب الالحادية تماما كما سقط سلم رويس ومـــارا وطغمة السفاحين فى أعقاب الثورة الفرنسية .. ان السلم الوحيد القادر على توحيد العالـــم وتطمين الأســـرة البشرية هو السلم المستند الى شريعة الله المنزهة عـــن الهوى ، المتسامية عن حضيض الانسانية التى ما فتئت تفسد كل سلم يصنعه البشر ..

وأى أمل للناس فى سلام يتلاعب به حق النقض الذى يرفعه المتجبرون فى الارض ســـــوطا علـــى رؤوس الضعاف والمتخلفين ؟

— ٣ —

يا شباب المسلمين :

ان الوجيعة الدائمة من فجيعـــــة

فلسطين رسالة الم يجب أن يصهر فى صميم أنفسكم أخلاط الآثار السلبية للثقافات الشرقية والغربية التى طالما أفسدت تفكيركم ، ودغدغت غروركم وغشت على أبصاركم وسائر حواسكم ..

قولوا لهم بعد اليوم قد كذبتم على أنفسكم وكذبتم علينا طويلا ..

ليس فى حضاراتكم اثر لعدالة ولا أمل فى سلام ولا رسالة تمت الى الخير .

أيها المطففون النفعيون ، ياعبدة المادة والاهواء والأنانية والشهوات ... يا قطعان الذئاب التى عاثت فى الأرض فسادا وتخريبا .. قد وضح عندنا الصبح ، وتفجرت ينابيع مستجدة فى أعماق ذواتنا ..

قد كفرنا بكم ، مهما يكن شأن طياراتكم ودباباتكم ووسائل غطرستكم وتعدياتكم ..

يا شباب المسلمين ..

أيها المرتجون لاستكمال تجديد رسالة العقل ومناخ الايمان فى عالم أفقره غناه ، وروعته قواه .

أعيدوا للمساجد رسالتها فى بث الثقافة المؤمنة .

جددوا للتوحيد رواءه بحسن الثبات والصبر والبسالة ، ارفضوا بشموخ حرية الجنس لأنها اباحية وانحلال سيروا في الأرض واطلبوا المعرفة وراء كل أفق ، وجددوا روح الاقدام والمغامرة ..

ارفضوا نفسية الكسل والتبطل واللغو وعبادة الوظائف وكل مسارب الأنانية اللئيمة المتراخية ..

وأعلنوا رسالة هذا الدين للناس بيقين وشمم ، وقدموا مبادئه بكل لغة ، وارفضوا أحوال التردد وقلق الظنون وسموم التقليم ، وكونوا قدوة للناس ..

لأن الدنيا لن تصفى لكم حتى تطابق أفعالكم أقوالكم ، ولأنكم لن تلقوا فيها محبا حتى تحبوا أنفسكم ، وتدفنوا الكراهية فى مجتمعاتكم .

— ٤ —

قولوا للناس يا شباب المسلمين .

قد نكون دونكم صناعة وزراعة وتجارة ، وأقل منكم عدد مؤسسات ومعاهد وعمائر .

قد نكون دونكم تمدينا وتحديث أدوات وتنسيق شوارع وبيوت وحدائق ..

لكنكم تعلمون أن هذه أحوال سرعان ما تتبدل حين ينهض عقل الأمة من كبوات الخمود والسبات والتطفل والاتباع والتقليد .

ولقد صحونا فلا نوم عن الكدح بعد اليوم ..

ونهضنا فلا مجال لجثونا عند نعال الواغلين بعد اليوم ، وعقلنا أمر هذا الدين فسخرنا من شبهات الدعاة المضلين ، وبطل عندنا سحر المستعمرين شرقيين وغربيين ، قدماء ومستجدين .. منافقين وملحدين ..

ولسوف ترون أو يرى أبناؤكم أن الاسلام الذى لم يكن ليوقف تحرك دواليبه الظافرة الا قعود أهله عن ادارتها ، وانشغالهم بالشحناء عن حركتها .

أن هذا الاسلام سوف ينهض من كبوته ، ويستأنف رفع الويته فى كل بلد دخله ذات يوم أو تنتهى اليه بعد اليوم رسالته ..

ولسوف تروّع أحلام الظالمين فى تركستان وكشمير تماما كما ينقشع سحاب الشر عن سماء الفليبين وفلسطين « والله أكبر » .

نداء بشأن الأقليات

اجتمع مجلس مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر برئاسة فضيلة الامام الأكبر شيخ الازهر الدكتور عبد الحليم محمود وبحث موضوع اضطهاد الاقليات الاسلامية وقرر اصدار النداء التالى الى حكومات العالم كله .

وفيما يلى نص النداء :

تطورت علاقات الشعوب والأمم بعضها ببعض عما كانت عليه منذ مئات السنين بل منذ عشرات السنين .

فبعد أن كان كل شعب او امة يعيش فى معزل عن غيره ، مغلقا على ثقافته وأفكاره وعقائده ، وعلى نظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة به ، بدأت الابواب تنفتح ليتصل كل شعب بالآخر وليتعرف كل على ما عند الآخرين من نظم وثقافات ومعارف .

واقتضى ذلك أن يقوم نوع من التعاون بين الشعوب ، وأساس للتعارف بين الامم ، هو تبادل المنافع والاحترام ، وتأكيد حق كل شعب وواجباته .

ساعد على ذلك التطور العلمى الذى أحرزته البشرية ، مما كان سببا فى تقريب المسافات بين الشعوب ، ووسيلة للتعارف بينها ، وأداة للاتصال السريع الواضح فى كل شأن من شئونها ، كالبرق والتليفزيون والطيران وغير ذلك من أجهزة الاتصال ، مما جعل من شعوب العالم وأممه كلها أسرة واحدة وربط بينها برباط انسانى عام وأقام بينها وحدة عضوية بحيث يحس كل باحساس الآخرين ، ويشعر بشعورهم .

هذا الوضع الجديد هو ما حض عليه الاسلام وحبب اليه ، بل وجعله من الأهداف الرئيسية من خلق الانسان ، كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى **(يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)** .

ويدل عليه ـ كذلك ـ قول رسولنا الاكرم محمد بن عبد الله صلى

الله عليه وسلم : (المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، وخير الناس انفعهم للناس) ايذانا واشارة الى أن التعارف بين الشعوب والأمم يجب أن يقوم على أساس من الاخوة الصادقة ، والحب الأكيد ، والاحترام المتبادل ورعاية الحقوق المفروضة والواجبات المقررة من غير تفرقة بين جنس وجنس أو لون ولون ودون اعتبار لصفات جنسية أو لغوية أو حدود جغرافية .

ذلك ما اكده ايضا الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبته الاخيرة ــ خطبة الوداع : (يأيها الناس ، ان اباكم واحد ، وان ربكم واحد لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى والعمل الصالح كلكم لآدم وآدم من تراب) .

وانطلاقا من هذا المبدأ بنى الاسلام قاعدته على التسامح واحترام الاقليات المخالفين فى الراى أو العقيدة ومنح الحرية لهم فى ممارسة عقائدهم والحفاظ على حقوقهم كمواطنين صالحين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وتجسم هذا المبدأ بشكل واضح فى واقع الحياة العملية لصلات المسلمين فى تاريخهم الطويل بالاقليات المخالفة التى كانت تعيش بين اكثرية مسلمة دون أن تأخذ شكل أقليات أو جاليات أجنبية ، انما كانت تعامل معاملة المواطن الصالح حدث هذا فى تاريخ الاسلام فى الاندلس وفى بلاد فارس ، وفى بلاد الشام وفى مصر ، وفى غيرها من شعوب العالم وأممه .

غير أن الانباء من حين لآخر تطالعنا بأخبار مؤسفة عن احداث مؤلمة تتعرض لها الاقليات الاسلامية فى بعض بقاع العالم الى الوان من الاضطهاد وانواع من الابادة وصنوف من التعذيب والتقتيل مما يتنافى أولا مع المبادىء الاسلامية القويمة ، ومع المعاملة الكريمة التى عامل ويعامل بها المسلمون الأقليات فى أوطانهم ويتنافى ثانيا مع المبادىء الانسانية العادلة والقيم الاخلاقية الفاضلة ثم يتنافى ثالثا مع المواثيق الدولية وقوانين هيئة الأمم المتعلقة برعاية حقوق الانسان، من أمثلة ذلك ما حدث ويحدث للمسلمين فى الفليبين وفى سيلان وما يحدث لمسلمى بلغاريا ورومانيا وما يحدث لمسلمى تشاد وقبرص وغير ذلك من بلاد العالم .

واذا كان مجمع البحوث الاسلامية يتابع هذه الاحداث المنافية لكل مبادىء العدل والحق والانسانية واذا كان يراقبها بعناية واهتمام فلادراكه العميق لمغبة عواقبها وسوء آثارها ولشعوره المرهف بأن هذه الاضطهادات لو استمرت وأرخى لها العنان ، لعادت بأسوأ النتائج ، وأوخم العواقب ، لا على طائفة دون اخرى ، ولا على شعب دون آخر وانما على الانسانية جمعاء وعندئذ يستشرى الداء ، فيعز الدواء وتستعصى المشاكل ، فتتعذر الحلول وتشيع فى العالم روح المعاملة بالمثل ، ومبدأ القصاص العادل ، فيئول الى فوضى لا يعلم مدى آثارها الا المولى عز وجل .

لقد أحدثت هذه الاضطهادات للاقليات الاسلامية هزة عنيفة فى نفوس المسلمين فى العالم وأثارت كوامن أسفهم فأعلنوا استنكاراتهم لها واحتجاجاتهم فى مؤتمرات عقدوها ، وندوات تداولوا الراى فيها وفى نداءات وجهوها الى رؤساء الحكومات والهيئات والشعوب .

ولا تزال هذه الاحداث قائمة ولا تزال الاضطهادات مستمرة وبدأت بوادر الشر ، ونذر الصراع الدامى المرير تطل برؤوسها من بين انياب

الغيظ ومن تحت اقدام الشعوب بل ومن خلف كراسى الحكام والقادة .

وخير ما يواجه به هذا الموقف الخطير ، هو قيام قادة الرأى من العلماء والمفكرين وقادة الحكم من الساسة ورؤساء الحكومات بجهود مشتركة بناءة يتم فيها التعاون الصادق بينهم على مقاومة هذه النزعات الضارة والاتجاهات المخربة للحضارات المدمرة للعلاقات بين الأمم والشعوب .

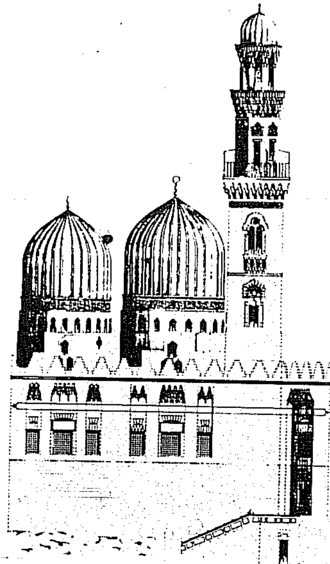
واذا نجحت هذه الجهود فى الحد من الطبقية البغيضة ، والطائفية المزقة والعنصرية المقوتة عاش الناس فى أمن وسلام واجتمعوا على كلمة الاخوة والوئام وتحقق لهم جميعا حياة الأمن والازدهار فى ظل الاحترام المتبادل ومراعاة الحقوق المشروعة والواجبات المقررة من غير تفرقة بين انسان من ذهب وآخر من تراب .

وان علماء مجمع البحوث الاسلامية اذ يوجهون مرة أخرى هذا النداء الى حكومات العالم كله والى شعوبه وهيئاته والى هيئة الامم المتحدة بتنظيماتها المختلفة واذ يهيبون بهم جميعا أن يعملوا بجد لا يشوبه ملل وبعزم لا يعتوره تردد وباخلاص لا شائبة فيه على مقاومة هذه الاضطهادات والعمل على منح الاقليات الاسلامية حقها الذى تكفله لها القوانين الدولية فى حرية العبادة وفى الحقوق الاقتصادية والسياسية .

ان علماء المجمع اذ يتوجهون بذلك كله انما يدفعهم لذلك حرصهم الشديد على الرابطة الانسانية العامة وعلى أن يسود العالم جو الاخاء والتقدم والازدهار فى ظل مبادىء العدل والحق والحرية والسلام ..

(وان تحسنوا وتتقوا فان اللـه كان بما تعملون خبيرا) .

مجمع البحوث الاسلامية



مائدة القارئ

شـــهادة تامين

على الجنــة

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلـكم على تجارة تنجيكم من عـذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلـكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم » .

صانعة البطولـة

خرج الى القادسية أبناء الخنساء الأربعة ، فكـــان مما أوصتهم بــه قولها :

يا بنى انكم أسـلمتم طائعيـن ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا اله الا هو ، انكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم ، وما غيرت نسبكم ، واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكـم تفلحون ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فيمموا وطيسـها تظفروا بالغنم والكرامـة فى دار الخلـد والمقامة .

فكانوا عند ظنهـا ، واستشهدوا واحدا اثر واحد ، ولما وافتها النعـاة بخبرهم لم تزد على أن قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو الله أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

لا عمــل
يعادل الجهــاد

مر رجل من اصحاب رسول اللهصلى الله عليه وســلم بشعب فيــه عيينة من ماء عذبة ، فاعجبته ، فقال :لو اعتزلت الناس فاقمت فى هــذا الشعب، فذكر ذلك لرسول الله صلىالله عليه وسلم فقال : لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل منصلاته فى بيته سبعين عاما الا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنــة ،أغزوا فى سبيل الله . من قاتل فى سبيل الله فوق ناقة وجبت له الجنة .

الحرب وثمارهــا

الحرب رحى ثقالها الصبــر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهــاد ، وثقافها الاناة ، وزمامها الحذر ، ولكل شىء من هذه ثمرة .

فثمرة الصبر التأييد ، وثمرة الاناة اليمن ، وثمرة الحذر السلامة ، ثم ان الحرب بين الناس سجال والرأى فيها أبلغ من القتال .

الحرب النفسية

تعتمد الحرب النفســية على نشر الشائعات التى من شأنها أن تزعزع الثقة ، وعلى تنمية الخلافات المحلية من حزبية وطائفية وعنصرية ، وتغذية روح التذمر والاستياء وعدم الرضا ، وعلى النقد الذاتى الزائد عن الحــد بواسطة المبالغة فى اظهار العيــوب والأخطاء لاضعاف روح المقاومــة عند الأمة . فاحذروها .

عدد الحجــاج

بلغ عدد الحجاج الذين وقفــوابعرفــات فى العــــام المــاضى (١ر٢١٦ر٩٥١) حاجا .
وبمقارنة أعــداد الحجاج الــذينأدوا فريضة الحج منذ عشر سنوات وعددهم فى العام الماضى نجــد أنالزيادة بلغت خلال السنوات العشر (٤٤٦ر١٤٤) حاجا .



للدكتور محمود محمد قاسم

ولد ابن سينا فى قرية افشنة من اعمال بخارى فى سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) وبدأ دراسته بحفظ القرآن وتحصيل علوم اللغة .. وكان أبوه اسماعيليا ، ويقول ابن سينا : إن اباه كان يجتمع مع نفر من اتباع هذه الطائفة ، ليتذاكروا في مسائل النفس والعقل وما يتصل بها من عقائد ، ثم يذكر انه كان يدرك معنى ما يقولون ، لكنه لم يمل الى اعتناق مذهبهم . وقد اعتمد بعض الدارسين على هذا القول لكى يقرروا ان ابن سينا لم يكن إسماعيليا . وربما كان فى ذلك شىء من التسرع فى إصدار الأحكام . فإن الاتجاه الاسماعيلى يبدو واضحا كل الوضوح في بعض رسائل ابن سينا وفى (الاشارات والتنبيهات) ولا سيما فى الأنماط الثلاثة الاخيرة من هذا الكتاب . وليس من المستبعد أن يقول ابن سينا فى صباه رأيا ، ثم ينقضه فى كهولته . ومن الضرورى أن يدرس انتاج هذا الفيلسوف فى جملته ، قبل إصدار حكم نهائى بأنه كان إسماعيليا او غير اسماعيلى ، وان كانت وصيته فى آخر كتاب (الاشارات والتنبيهات) تشبه وصايا الاسماعيلية واخوان الصفا فى رسائلهم شبها غريبا .

وقد درس ابن سينا الحساب على طريقة علماء الرياضة من الهنود ، كما درس الفقه ، وتتلمذ على أبي عبد الله في دراسة المنطق ، غير أنه اتجه في الوقت نفسه الى دراسة الطب دراسة نظرية وعملية . ثم استهوته الفلسفة ، فانصرف اليها قدر طاقته ، واطلع على ما كتبه الفارابى ، وتأثر به الى حد كبير . وفلسفة الفارابى محاولة للتوفيق بين فلسفة أرسطو وفلسفة افلاطون عن طريق الخلط بين هاتين الفلسفتين المتعارضتين وبين بعض عناصر من الفكر الشرقى القديم مع طلاء من الافكار الاسلامية لدى المتكلمين والصوفية ، مما انتهى به الى إقحام نظرية الفيض على الفكر الاسلامى . ولم يفعل ابن سينا سوى أن توسع فى عرض الموضوعات الفلسفية الاساسية التى عالجها الفارابى من قبل ، فأخذ عنه نظرية الفيض ، وتعمق فى نظريته عن النبوة ، وعدّل نظريته فى النفس الانسانية ، وسلك مسلكه فى شرح فلسفة ارسطو ، ثم حرص ، الى جانب ذلك كله ، على تأويل النصوص الدينية تأويلا باطنيا ، حتى يجعلها على وفاق مع فلسفته الخاصة ، وهى فلسفة اشراقية فى المقام الأول ، وهى تلك الفلسفة التى انتقلت ، فيما بعد ، الى أوروبا فى القرن الثانى عشر ، وكان لها أثرها العميق فى نظريات من يُسمَّون بالمفكرين الاحرار ، ابتداء من القرن الثالث عشر فى العالم الغربى .

واتاحت ظروف خاصة لابن سينا أن يتعرف على سلطان بخارى نوح بن منصور ، وأن يطلع على مكتبته ، ويقول ابن سينا عن نفسه إنه فرغ من قراءة كل ما حوته هذه المكتبة العظيمة ، وهو لم يتجاوز بعد الثامنة عشرة من عمره .

ثم انتقل ابن سينا الى همذان واستوزره شمس الدولة ، فأقام عنده عدة سنوات استطاع ان يؤلف فيها كتاب الأدوية العقلية وأجزاء كبيرة من كتاب الشفاء ، وأن يشرح منطق أرسطو . وكانت حياته فى اثناء هذه الفترة حياة خصبة وحافلة . فقد جمع فيها صاحبها بين العمل السياسى والتأليف والتدريس ، ولم يكن هذا يمنعه من تخصيص امسياته للسمر والشراب والسماع وطلب المتعة ..

ثم اتجه الى أصفهان حيث لحق بعلاء الدولة واشتغل باتمام كتاب الشفاء ، وألف مختصرا له وهو كتاب النجاة . وكان ابن سينا مسرفا على نفسه فلم يُعنَ بعلاج المرض الذى أصابه ، ولم يتحفظ فى شرابه وطعامه ، ولم يقتصد فى متعته ، فاشتد به المرض ، ومات بهمذان فى سن السابعة والخمسين من عمره فى سنة ٤٢٨ هـ .

ويعدّ ابن سينا من كبار ممثلى الفلسفة الأرسطوطاليسية عند المسلمين ، وينظر اليه الأوروبيون هذه النظرة منذ العصور الوسطى حتى الآن ، غير ان له فلسفته الخاصة ، التي تتركز حول مسائل ثلاث وهى مسألة الفيض والنفس الانسانية ونظرية المعرفة الاشراقية وما تتضمنه من نظرات خاصة الى النبوة والمعجزات والتصوف .

أما فيما يتعلق بنظرية الفيض فابن سينا لم يكن هو الذى ابتكرها ، وانما سبقه اليها أبو نصر الفارابى . ومع ذلك فان الرئيس ابن سينا هو الذى وضحها ودعَّمها بحيث ينظر اليه أحيانا على أنه هو الذى ابتدعها . وهذه النظرية محاولة لتفسير صدور العالم ، وتعتمد على أساس من التوفيق بين عناصر أرسطوطاليسية وأفلوطينية وإسلامية ، وبها مسحة من التصوف . فعن ارسطو أخذ كل من الفارابى وابن سينا أن الله عقل محض يدرك نفسه ، وعن أفلوطين فكرة مراتب الوجود ، وعن المتكلمين التفرقة بين الواجب والممكن ، وعن

الصوفية فكرة الاتصال بالعقل الفعال ثم بالذات الالهية . وتتلخص هذه النظرية فى أن الله لما كان عقلا محضا . أى ذاتا عاقلة ، فإنه يفكر فى نفسه . وعندئذ يفيض عنه عقل أول يسميه ابن سينا المبدع الأول ، أو المعلول الأول ، وفى هذا المبدع الأول يوجد نوع من الكثرة ، اذ فيه ماهية ووجود ، والوجود ليس ذاتيا فيه ، وانما يستمده من الله أو من الوجود الأول . ثم ان هذا المعلول الأول يفكر باعتبارات ثلاثة ، أى فى الله ، ثم فى نفسه من حيث الماهية ، ومن حيث الوجود . فاذا فكر فى الله وهو المصدر الذى أستمد منه الوجود صدر عنه عقل ثان ، وهو العقل الذى يشرف على فلك زحل ، واذا فكر فى ماهيته الممكنة فاض عنه جسم الفلك الاقصى ، واذا فكر فى وجوده المستمد من الله فاضت عنه نفس الفلك الاقصى . وفى العقل الثانى ، الذى صدر عنه ، توجد هذه الاعتبارات الثلاثة ، مما يؤدى الى صدور العقل الذى يشرف على فلك المشترى والنفس الخاصة بفلك زحل وفلك زحل . ثم يستمر الصدور وفقا لنظرية بطليموس حتى تصدر عقول عشرة آخرها العقل الفعال الذى يشرف على ما تحت فلك القمر ، ومنه تفيض النفوس الانسانية والعناصر الاربعة وصور الأجسام الارضية . وعند العقل الفعال يتوقف صدور العقول السماوية .

وقد أخذ السهروردى المقتول على ابن سينا أنه قصر الفيض على هذا العدد من عقول الأفلاك ونفوسها ، أما الغزالى فقد رأى أن ابن سينا أستخدم نظرية الفيض لتقرير قدم العالم ، وفنَّد هذه النظرية على ذلك الأساس . أما ابن رشد فيقضى بأن نظرية الفيض عند الفارابى ثم عند ابن سينا دخيلة على الفلسفة الحقة ، وهو يتهم كلا منهما بالكذب ، فيقول : « أما ما حكاه (ابن سينا) عن الفلاسفة فى ترتيب فيضان المبادىء وفى عدد ما يفيضَ من مبدأ مبدأ من تلك المبادىء فشىء لا يقوم برهان على تحصيل ذلك وتحديده . ولذلك لا يلْفَى التحديد الذى ذكره فى كتب القدماء » . ثم يصف الفارابى وابن سينا بأنهما « أول من قال هذه الخرافات فقلدهما الناس ، ونسبوا هذا القول الى الفلاسفة .. وهذه كلها خرافات وأقاويل أضعف من أقاويل المتكلمين ، وهى كلها أمور دخيلة على الفلسفة ليست جارية على أصولهم .. ولذلك يحق ما يقول أبو حامد .. من أن علومهم الالهية ظنية » .



أما عن موضوع النفس الانسانية فيلاحظ أن ابن سينا استرشد بآراء الفارابى فى النفس ، مع ادخال شىء كثير من التعديل والتفصيل عليها ، وهو يفوقه من جهة أنه عرض لهذه الدراسة من الناحيتين الفلسفية والعلاجية . ويعترف مؤرخو فلسفة العصور الوسطى فى الغرب بأن ابن سينا كان عمدة فى هذا النوع من الدراسات النفسية ، وبخاصة لأنه عالج موضوع النفس كفيلسوف وكطبيب ، وان كان طابع الفلسفة أكثر ظهورا لديه . وقد عنى ابن سينا بموضوع النفس الانسانية ، فلا يكاد يخلو كتاب له من الحديث عن النفس . وتشغل البرهنة على وجود النفس وروحانيتها وخلودها قدرا كبيرا من اهتمام هذا الفيلسوف . ذلك أنه أراد أن يرد على بعض مفكرى المسلمين ممن مالوا الى انكار استقلال النفس عن الجسم ، وأن يبين ، فى الوقت نفسه ، رأيه فى طبيعة هذه النفس . وبراهينه على وجود النفس واستقلالها عن البدن عديدة ومشهورة ، وهى : البرهان الطبيعى الذى يستند الى أن النفس هى السبب فى حياة الجسم وحركته ، وبرهان الإدراك والأفعال الوجدانية ويرمى الى تأكيد سمو النفس الانسانية عن نفوس بقية الأنواع الحيوانية ، وبرهان وحدة النفس الذى ينقد فيه رأى أفلاطون القائل بوجود ثلاث نفوس مستقلة

فى كل انسان ، وهى النفس الحيوانية أو الشهوانية ، والنفس الغضبية ، والنفس العاقلة .

وقد استعان ابن سينا على توضيح فكرته عن وحدة النفس بصورتين هما : صورة الثياب التى يشبّه فيها الجسم وأعضاءه بالثوب الذى ترتديه النفس ، لكنه ليس جزءا جوهريا منها ، وصورة الرجل الطائر الذى يستطيع الشك في وجود العالم الخارجي وفي وجود جسمه لأعضائه الخارجية والداخلية ، دون أن يشك فى وجوده هو ككائن يفكر . ويذكرنا هذا البرهان فى صورتيه بفكرة الشك المنهجى عند ديكارت عندما قال : أنا أفكر إذن أنا موجود ..

واخيرا يستعين ابن سينا ببرهان الاستمرار ليبين به وجود النفس واستقلالها عن الجسم فى آن واحد . ويتلخص هذا البرهان فى أن جسم الانسان فى تغير مستمر ، لأنه مركب من عناصر يحل بعضها مكان بعض ، فى حين أن النفس تبقى على حالها ، بمعنى انها تستمر محتفظة بحقيقتها فتتذكر ما حدث لها طيلة عمرها . بحيث يعلم الانسان أن جسمه تتغير عناصره جملة فى مدة عشرين سنة ، مع بقاء نفسه على حالها فى هذه المدة كلها . ويصف ابن سينا هذا البرهان بأنه « برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب ، فإن جوهر النفس غائب عن الحس والأوهام » وهو يقوده الى البرهنة على روحانية النفس وعلى خلودها .

وتكشف قصيدة ابن سينا فى النفس عن تأثره الكبير بآراء افلاطون . كذلك يلاحظ أن ابن سينا رفض نظرية اشتراك البشر فى نفس واحدة بعد الموت على نحو ما ذهب إليه الفارابى فى نظريته (النفس الكلية) وهى التى نسبها اللاتينيون خطأ الى ابن رشد ، لا الى صاحبها الحقيقى وهو الفارابى . وقد بناها هذا الاخير على مبدأ أرسطوطاليسي يقول بأن أفراد أى نوع كان ، يشتركون فى الصورة ، ولكن يختلفون بسبب المادة التى تنشأ منها أجسامهم . ولذا فمتى فنيت أجسام النوع الانسانى ، اتحدت نفوسهم ، أى صورهم ، على هيئة صورة أو نفس كلية واحدة . وهذا ما رفضه ابن سينا والغزالي وابن رشد ، ووصفه ابن طفيل بأنه رأي أيأس الخلق جميعا من رحمة الله . أما ابن سينا فيقول إن كل نفس تتحد شخصيتها بسبب اتصالها بجسم معين ، وبسبب اكتسابها للفضائل أو الرذائل ، فى اثناء حياتها العارضة . فالخلود إذن لكل نفس فردية على حدة .

ومع ذلك فقد اقتفى ابن سينا آثار الفارابى فى نظرية المعرفة وفى تقرير نوع من التصوف الفلسفى الذى ينتهى عنده بفكرة الاتحاد المرتبطة بنظرية وحدة الوجود ذات الطابع المادى لا الروحى

—— ● ——

أما الفلسفة الاشراقية لابن سينا ، وهى الخاصة بآرائه فى النبوة والوحى والمعجزات والتصوف فيمكن الاهتداء اليها فى الأنماط الثلاثة الاخيرة من كتاب (الاشارات والتنبيهات) ، وفى رسالته عن حى بن يقظان ، ورسائله فى (العشق) وفى (ماهية الصلاة) وفى معنى الزيارة ، وبعض رسائل أخرى . كذلك لا يعدم المرء أن يجد عناصر هذه الفلسفة مفرقة ومبعثرة فى كتاب الشفاء وفى كتاب النجاة .

ففى النمط الثامن من كتاب (الاشارات والتنبيهات) يعود ابن سينا الى نظرية الفيض . وهنا يبدو ارتباطها بنظرية مادية فى وحدة الوجود التى تقول

بأن الله يتجلى أو يتحد بكل مخلوق من مخلوقاته : لأنه مثال الخير ، وهذا الخير يوجد بدرجات متفاوتة فى جميع الكائنات ، ابتداء من الملائكة والأجرام السماوية حتى الكائنات العنصرية . كذلك يبين الصلة بين هذا الفيض التدريجى الهابط وبين معراج العارفين الذين يصعدون فى اتجاه مخالف نحو الوحدة الاولى التى تحدث عنها أفلوطين من قبل . وهنا يجعل ابن سينا الطاعة نوعا من العشق للذات الإلهية ، ذلك العشق الذى يهون من شأن فكرتى الثواب والعقاب .

وفى النمط التاسع يعرض ابن سينا لكرامات العارفين التى تشبه معجزات الرسل . فإن العارف متى وصل الى نهاية معراجه الروحى ، وانخرط فى سلك الجبروت استطاع أن يأتى بأفعال خارقة للعادة ، وقد تفضى به حال الجذب الصوفى والاستغراق فى مشاهدة الذات الإلهية الى أن يذهل عن كل شىء . فهو اذن حكم من لا يكلف « وكيف ؟ والتكليف لمن يعقل التكليف ؟ » وهو يصف من لا يسلم له بهذا الراى بالغفلة وضيق العقل ، وهنا يقترب أسلوب ابن سينا من أسلوب الباطنية ، وإن البس هذا التهديد ثوبا صوفيا براقا ، فقال : « جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد أو يطلع عليه إلا واحد بعد واحد . ولذلك فان ما يشتمل عليه هذا الفن ضحكة للمغفل وعبرة للمحصل . من سمعه فاشمأز منه فليتهم نفسه لعلها لا تناسبه . فكل ميسر لما خلق له » وترتبط هذه الفكرة عند ابن سينا باتجاه واضح الى تأويل الفرائض الدينية من صلاة وزكاة وحج .

أما فى النمط العاشر من كتاب (الاشارات والتنبيهات) فيتجه ابن سينا الى التسوية بين المعجزات والكرامات والسحر ، ويفسر ذلك كله تفسيرا طبيعيا فيقول : « إذا بلغك أن عارفا أطاق بقوته فعلا أو تحريكا يخرج عن وسع مثله فقد تجد الى سببه سبيلا فى اعتبارك مذاهب الطبيعة » . كذلك يفسر الاطلاع على الغيب تفسيرا ماديا مسترشدا ببعض الحالات النفسية المرضية عند البله والصبيان .. وهو يرى أن العلم بالغيب يشرق فى النفس دفعة واحدة وعندئذ يشاهد العارف أشخاصا أو يسمع هتافا ، كما رأى الرسول جبريل وكما سمع موسى كلام ربه . ولا يعدم أن يستشهد ابن سينا هنا لرأيه ببعض تجارب الكهان من الوثنيين فيقول بعد الحديث عن بعض هذه التجارب المادية « فتارة يكون لمحان الغيب جزءا من ظن قوى ، وتارة يكون شبيها بخطاب من جنى أو هتاف من غائب ، وتارة يكون مع ترائى شىء للبصر » .

والتفسير الطبيعى للكرامات والمعجزات واضح كل الوضوح فى هذا النمط العاشر ، الى درجة أن نصير الدين الطوسى يعلق على كلام ابن سينا عن الكرامات والمعجزات فيقول : « وانما قال تكاد تأتى بقلب العادة ، لأن تلك الافعال ليست عند من يقف على عللها الموجهة اياها خارقة للعادة ، وانما هى خارقة بالقياس الى من لا يعرف تلك العلل » هذا الى أن ابن سينا يجمع بين السحر والمعجزات والكرامات فيرجعها الى تأثير القوى النفسية للاجراء السماوية فى نفوس السحرة والرسل والعارفين .

وتكشف الوصية التى يختتم بها كتاب (الاشارات والتنبيهات) عن اتجاه باطنى واضح شبيه بمنهج اخوان الصفا وأمثالهم من مفكرى الفلسفة الاسماعيلية .. فابن سينا يوصى أتباعه الا يذيعوا أسرار الحكمة المشرقية إلا لمن يثقون بنقاء سريرته ، واستقامة سيرته ، وبتوقفه عما يسرع اليه الوسواس . كذلك يطلب الى تلاميذه وخلصائه ، الذين كانوا يقرأون كتابه فى حلقة مغلقة أن

يدرسوا الحالة النفسية لمن يريدون ضمهم الى مذهبهم ، وان يستخدموا فراستهم فى الانتقال بهؤلاء من درجة الى أخرى ، حتى ينتهوا منهم الى غايتهم ، ومعنى ذلك كله انه يطلب الى الدعاة من انصار مذهبه أن يمهدوا تمهيدا جيدا حتى يستطيعوا نقل العوام الى مرتبة اعلى مع اخذ العهد على المريدين منهم بأن يسلكوا مسلكهم مع الذين سيوكل اليهم فيما بعد ، مهمة جذبهم الى هذا المذهب السرى او الباطنى .

وفيما يلى وصف لأهم كتب الرئيس ابن سينا :

١ ــ كتاب الشفاء : وهو اشبه شيء بموسوعة فلسفية جمع فيها ابن سينا أصول العلوم الفلسفية المنسوبة الى القدماء ، ووصفها بقوله انه لا يوجد فى كتب القدماء شيء يعتد به إلا وقد ضمنه فى هذا الكتاب . ويحتوى كتاب الشفاء على أربعة اقسام رئيسية وهى المنطق والطبيعيات والرياضيات والإلهيات .

وقد ترجمت اجزاء منه الى اللاتينية والى بعض اللغات الاوربية الحديثة .. وقد اشرفت وزارة الثقافة المصرية على تحقيق ونشر أجزاء كثيرة من الشفاء منها : المنطق ، والطبيعيات والإلهيات .. الخ .

٢ ــ كتاب (النجاة) وهو مختصر لكتاب الشفاء ، وفيه يدرس ابن سينا المنطق والطبيعيات والالهيات . وهناك شروح كثيرة لكتاب النجاة .

٣ ــ كتاب الاشارات والتنبيهات : وهو آخر كتب ابن سينا ، وقد قال عنه احد تلاميذ ابن سينا ، وهو الجوزجانى ، إنه أجود كتب ابن سينا وانه خصصه لتلاميذه المقربين لا لغيرهم . فهو إذن من الكتب التى كانوا يتدارسونها فيما بينهم ويحتفظون بأسرارها لأنفسهم .

وقد ترجم فورجيه هذا الكتاب الى اللغة الفرنسية فى أواخر القرن الماضى .

٤ ــ دانش نامة علائى وهو بالفارسية .

٥ ــ كتاب (عيون الحكمة) وفيه دراسات فى المنطق والطبيعيات والإلهيات وقد نشره الدكتور عبد الرحمن بدوى سنة ١٩٥٢ .

٦ ــ كتاب (القانون) فى الطب .

٧ ــ ومن رسائله : رسالة فى الحدود ، ورسالة فى اقسام العلوم العقلية ، ورسالة فى أجوبة مسائل سأل عنها أبو ريحان البيرونى .

ومن المراجع التى تشير الى موضوعات فلسفية ــ الكتاب الذهبى للمهرجان الالفى لابن سينا ببغداد سنة ١٩٥٢ ــ نشرته الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية(١) .

---

(١) فيما يتعلق بآراء ابن سينا الفلسفية يمكن الرجوع الى :

أ) فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق الطبعة الثانية للدكتور ابراهيم مدكور .

ب) فى النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩ للدكتور محمود قاسم .

جـ) نظرية المعرفة عند ابن رشد وتاويلها لدى توماس الاكوينى الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩ للدكتور محمود قاسم .

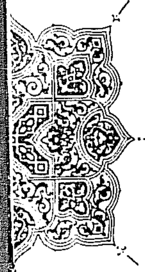
د) دراسات فى الفلسفة الاسلامية الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٣ للدكتور محمود قاسم .

وفيما يتعلق بمؤلفات ابن سينا يمكن الرجوع الى :

أ) مؤلفات ابن سينا للأب جورج قنواتى دائرة المعارف للبستانى ١٩٦٠ .

ب) الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا سنة ١٩٧١ للدكتور محمد عاطف العراقى .

كيف نتلى



للاستاذ محمد محمد الشرقاوى

لتلاوة القرآن الكريم اسلوب فريد ، ونموذج رائع جمع بين استحسان الشرع ، وملاءمة الطبع ، بحيث يحقق الهدف المنشود من تلاوته ، وترديد آياته مرة بعد أخرى حسبما دعا له القرآن الكريم فى قوله تعالى : **((اتل ما أوحى اليك من كتاب ربك))** وقوله جل من قائل : **((فاقرءوا ما تيسر من القرآن))** .

وهذا الاسلوب الخاص الذى انفرد به القرآن الكريم تلاوة وأداء .. يعتمد أساسا على تصحيح الحروف ، واجادة الوقوف ، وتدبر المعنى ، وتفهم المغزى ، مع لطف الأداء الصوتى ، وجمال النطق به ، والترديد له .

وقد دعانا الرسول صلى الله عليه وسلم الى تمييز القرآن الكريم عن غيره من ألوان الكلام فى الأداء والتعبير ، ووضعه فى اطار خاص يتفق مع جلال رسالته ، وقدسية أهدافه .. فقد روى زيد بن ثابت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل » واذا ذهبنا نتتبع هذه الصورة التى أنزل بها القرآن لنتعرف هيئتها من واقعها ، ونتبين ملامحها من وصفها .. وجدنا فى كتاب الله تعالى ما ينقع غلتنا ويفى بتطلعاتنا .. يقول الله تعالى : **((ورتل القرآن ترتيلا))** ، وفى آية أخرى : **((ورتلناه ترتيلا))** .

فالترتيل اذن هو الاسلوب الحكيم الذى انفردت به تلاوة كتاب الله ، وتميزت به عما عداه فى النطق والأداء ، وهذا الترتيل الذى ندب اليه القرآن

كتاب الله تعالى

محمد وزنى

فى أكثر من آية ، وعبر عنه بصيغة الأمر الذى يوحى بالوجوب أو الأهمية ، أو الأولوية .. هو الطريقة المثلى التى ينبغى أن يلتزم بها كل قارىء ، وأن تتحدد بها كل تلاوة ، فكتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يليق أن يعامل معاملة الشعر فى القائه الموزون ، واثارته العاطفية ، ولا ينبغى أن ننزله منزلة الخطبة فى طنطنتها الفخمة ، ورناتها الضخمة ، ولا يناسب أن نسرده سرد الحكايات والطرائف فى عجارتها الاستهوائية البراقة ، ولا أن نلقيه فى قوالب الصياغة العلمية الجافة .. بل ان سمو مكانته ، وخطورة آثاره تضفى على قراءته لونا خاصا يتناسب مع هذا السمو والخطر .. وهذا اللون هو الترتيل .. والترتيل فى لغة العرب : تتابع الكلام ، وأخذ بعضه بعناق بعض على مكث وتلبث مع حسن الصوت ، ورقة الأداء .

وقد فسره ابن عباس رضى الله عنهما : بأنه التبيين والاظهار ، كما شرحه مجاهد بأنه التأنى والتمهل ، وقال فيه الضحاك : « انه اخراج الكلام حرفا حرفا » وقد حكت بعض أمهات المؤمنين صورا من تلاوته صلى الله عليه وسلم ــ ولا شك أنهن فى هذا المجال ألصق الناس به ، وأعرفهم بطريقته ــ سئلت عائشة رضى الله عنها عن قراءته صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان يقرأ السورة حتى تكون أطول من التى هى أطول منها » ، وسئلت كذلك السيدة أم سلمة رضى الله عنها نفس السؤال فقالت : « كان يفسرها حرفا حرفا » .

وقد دلت الآثار المروية على أن عناية الرسول صلى الله عليه وسلم

بحسن الأداء وجمال القراءة لم تشغله عن الهدف الاساسى من القراءة وهو الانتفاع والذكرى .. فكان عليه الصلاة والسلام يجمع فكره وقلبه فى التلاوة للوصول من خلالها الى أبلغ المفاهيم الدينية ، والانتفاع بأقصى ما يمكن الانتفاع به من مذخور الحكم ، ومكنوز الاحكام ، حكى عنه ذلك أصحابه فى غير موضع . ومن هؤلاء أبو الدرداء رضى الله عنه الذى روى : « أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام فى ليلة يردد آية واحدة حتى الصباح وهى : « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » .. وهذا أنس بن مالك رضى الله عنه الذى خدم الرسول عليه الصلاة والسلام تسع سنين يسأل عن تلاوته صلى الله عليه وسلم فيقول : « كانت مدا هكذا .. ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد اللـه ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم . ومن هنا نلاحظ أن عماد الترتيل المطلوب فى قراءة كتاب الله عز وجل انما هو تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف ــ كما حكى هذا عن على كرم الله وجهه ــ ومن مكملات هذا الترتيل : تحلية القراءة ، وتزيين التلاوة ، بالصوت الحسن ، والأداء الأغن الجميل قال ابن الجزرى فى كتابه النشر على القراءات العشر : « وقد أدركنا من شيوخنا من قرأ القرآن مجودا مصححا كما أنزل تلتذ الأسماع بتلاوته ، وتخشع القلوب عند قراءته ، حتى يكاد أن يسلب العقول ، ويأخذ بالألباب ، وهذا سر من أسرار الله يودعه من يشاء من خلقه .. » ، وذكر أيضا أن الاستاذ عبد الله البغدادى المعروف بسبط الخياط مؤلف المبهج .. كان قد أعطى حظا عظيما من حسن الترتيل ، وأنه أسلم جماعة من اليهود والنصارى من سماعهم لتلاوته ، ومثله فى ذلك الشيخ ابن بصخان شيخ الشام ، والشيخ ابراهيم الحكرى شيخ الديار المصرية .. على أن الاقتصار على هذه المكملات ، وحصر الاهتمام فى استهواء القلوب والاسماع بجمال النبرات ، وتناسق الألحان ، مع صرف العناية عن الهدف الأول من الترتيل : وهو الادراك الواعى ، والفهم الناضج لما يشتمله القرآن من حكم وأحكام ، ومعان وآداب ، وعبر ومواعظ .. يذهب بالفائدة المرجوة من الترتيل ، ويضحى بالكثير من أجل القليل ، ويفسد المعنى حفاظا على صورة المبنى ، وهذا خروج عن الجادة المرسومة لتحديد معنى الترتيل الذى اختص به القرآن ، وتميز به فى تلاوته عما عداه .. قال محمد بن كعب القرظى : « لأن أقرأ فى ليلتى حتى أصبح (إذا زلزلت الأرض) ، و (القارعة) لا أزيد عليهما ، وأتردد فيهما ، وأتفكر ، أحب الى من أن أهذ القرآن هذا » أى أسرع فيه اسراعا ليس فيه شىء مما ذكر .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعجبه الصوت الموهوب فى ترتيله لآيات الذكر الحكيم حيث تنسجم روعة الأداء ، مع قدسية المضمون .. فيتعانق الجمال مع الكمال ، وتتوافق الصورة والروح ، فى نفس مطبوعة على السمو المطلق ، والتكامل الفطرى . ولهذا .. كان عليه الصلاة والسلام يحب الإنصات لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه المسمى بابن

أم عبد ، وكان رضى الله عنه يتميز بصوت نفاذ ، وأداء للقرآن أخاذ ، وكان النبى يقول لأصحابه : « من احب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد » يعنى : ابن مسعود ، وقد ثبت فى الصحيحين : أن قراءة ابن مسعود ابكت الرسول صلى الله عليه وسلم حين سمعه فى بعض منها .. كما نقل عن عثمان النهدى قوله : « صلى بنا ابن مسعود المغرب بـ « قل هو الله أحد » ، ووالله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله » .

وكان الرأى السائد بين سلفنا الصالح أن التلاوة مع العمق والقلة خير منها مع السطحية والكثرة ، لأن المقصود الأهم منها هو تقليب الفكر ، واستدامة النظر فى هاتيك الدرر الغوالى التى احتواها القرآن ، وما يشع منها من بريق الهداية ، واضواء الحكمة .. وهذا ما لا يفطن له الا بحضور القلب ، وتفتح الفؤاد ، حال القراءة أو السماع ، وقد سـئل مجاهد عن رجلين قرأ أحدهما البقرة ، والآخر البقرة وآل عمران فى الصـلاة ، وركوعهما واحد ، وسجودهما واحد فقال : الذى قرأ البقرة وحدها افضل ، وفى صحيح البخارى أن ابن مسعود قال لرجل قرأ سور المفصل كلها فى ليلة : « أهذا كهذ الشعر ؟ » وهو بهذا ينكر عليه تعجله المخل بتفـكره وتدبره ، ومما روى عنه رضى الله عنه : « جودوا القرآن ، وزينوه بأحسن الأصـوات ، وأعربوه فانه عربى ، والله يحب أن يعرب به » ، وقوله : « لا تنثروا القرآن نثر الدقل ، ولا تهذوه هذ الشعر » والدقل ــ كما فى المصباح المنير ــ هو أردأ التمر ، وممن طرب له الرسول صلى الله عليه وسلم فى تلاوته ، واستمالته قراءته ، أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه وكان من ذوى الحناجر الذهبية الموهوبة .. سمعه النبى عليه الصـلاة والسلام يقرأ من وراء جدر بيته فتلبث مليا اعجابا بهذا الصوت المشرق ، والأداء الرائع ، فلما عرف ذلك أبو موسى قال للرسول : « لو علمت بوقوفك لحبرته لك تحبيرا » أى حسنته لك أكثر مما سمعت .

ومعنى ذلك أن اجادة الترتيل ، ليس لها حد تقف عنده ، وأنها قابلة للتطوير الى الحد الذى لا يفسد المبنى ، ولا يلهى عن المعنى .

وما دمنا قد تحدثنا عن جمال الصوت وحسن الأداء حين التلاوة فاننا ننبه الى أنه ليس معنى هذا التفريط أو الافراط .. فكما لا يجوز الاخلال بصحة الحروف ، واستقامة الوقوف ، كذلك لا يجوز المبالغة فى تشخيص الحروف ، والتكلف فى اخراجها حتى تصل الى صورة مشوهة جافية ، وما أحسن قول أبى عمرو الدانى فى هذا الصدد : « ليس التجويد بتمضيغ اللسـان ، ولا بتقعير الفم ، ولا بتعويج الفك ، ولا بترعيد الصـوت ، ولا بتمطيط الشد ، ولا بتقطيع المد ، ولا بتطنين الغنـات ، ولا بحصرمة الراءات .. بل هو القراءة السـهلة العذبة .. الحلوة اللطيفة .. التى لا مضغ فيها ، ولا لوك ، ولا تعسف ، ولا تكلف ، ولا تصنع ، ولا تنطع ، ولا تخرج عن طباع العرب ، وكلام الفصـحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء » .

فالاطار الذى يمكن أن يبرز فيه الترتيل حسبما تراءى من خلال وصفه وواقعه كما نقل الينا يعتمد أصلا على صحة الحروف ، ومعرفة الوقوف كما يستند كذلك الى تجميل القراءة بالصوت الحسن مع التفكر الهادف ، والإلمام الواعى ، والسبح فى فلك الاهداف القرآنية للاهتداء باشعاعاتها ، والاسترشاد بمواعظها ، وهذه هى التلاوة المثالية للقرآن الكريم .. وعلى جانبيها طريقتان أخريان يمثلان طرفى الغلو والتساهل ، ويسميان عند أهل الفن : التحقيق والهدر ، والأول هو العناية البالغة بمخارج الحروف من اشباع ، وتحقيق همز ، واتمام حركة ، واظهار تشديدات ، وتوفية غنات ، وتفكيك حروف بالسكت والترسل ، وليس من اللازم مع هذا التحقيق الترتيل ولا حسن الصوت وهذا اللون لا ينبغى أن يكون الا للمتعلمين لتعويد النطق ، وتوليد الانطباعات اللسانية .

وأما النوع الثانى وهو المسمى بالهدر فهو الاسراع مع ايثار الوصل ، ولكن مع المحافظة على الحروف واقامة الاعراب ، ويلجأ اليه البعض تحصيلا لحسنات أكثر ، واحرازا لفضيلة أتم ، ولكن الحق خلاف ذلك ، فان العبرة ليست بوفرة التلاوة ، بل بكثرة الافادة ، وقد أحسن بعض أئمة الترتيل حين قال : « ان ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدرا من ثواب كثرة القراءة ، فالأول كمن تصدق بجوهرة ثمينة ، والثانى كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم » .

وبعد .. فقد انتهينا الآن الى أن أفضل ألوان القراءة القرآنية هو الترتيل : وهو الذى جاء به التنزيل الحكيم ، وأن عماد الترتيل صحة الحروف وملاحظة مناسبات الوقوف ، مع حسن الأداء وتجميل الصوت ، وادارة الفكر وأعمال القلب والوجدان فيما يمر به من آيات بينات ، ومواعظ بالغات ، وأن التشدد فى أداء الحروف سواء بالتحقيق أو بالتطريب يخرجها عن حد القراءة المشروعة والتلاوة المتوارثة ، كما قال حمزة : « ما كان فوق البياض فهو برص ، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة » وأن خير الامور أوساطها وأن الثواب الجزيل ، منوط بكيفية القراءة لا بكميتها ، وحسبنا أن نقرأ قوله تعالى : « **وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** » ومعنى المكث : التلبث والتروى ، وقوله تعالى : « **واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** » فان الاستماع بمعنى السكوت ، والانصات معناه التدبر وهما لا يتأتيان بغير الأناة والترتيل ، وقد جعلت الفقاهة بمعانى ما يتلى من شرائط السلامة .. كما اعتبر عدم الاستفادة من التلاوة من صفات المخالفين وذلك فى قوله تعالى : « **واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا . وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا** » ويقول تعالى : « **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به** » ومعنى تلاوة القرآن حق تلاوته كما فى القرطبى : « ترتيل ألفاظه وتفهم معانيه لأن ذلك أدعى الى الاتباع لمن وفق » .

آن للعالم أن يحرم البيرة !!

الخمر والانتحار إحصائيات مثيرة

للدكتور : سالم نجم

اهتم علماء الطب فى كل من كندا والولايات المتحدة الأمريكية بنتائج أبحاث أجريت فى كل من مقاطعة كويبك بكندا ومدينة أوماها بالولايات المتحدة عن العلاقة بين شرب البيرة والاصابة بمرض فى القلب خطير ، بلغت نسبة الوفيات فيه ٤٢٪ بين أوروبا حيث ظهرت آثاره فى انجلترا حينما نوقشت دقائق الأبحاث عن هذا الموضوع فى مجلة اللانسست الطبية اللندنية بعددها الصادر فى ٢٨ اكتوبر/٦٧م ص ٩٢٨ .

ماذا يقول التقرير ؟

ولنعد الى التقرير الذى رفعته مجموعة من علماء كندا هم الأطباء : مورين ، فولى ، مارتيو ، روسيل ، والذى نشر فى المجلة الطبية الكندية منذ شهرين (المجلد (٩٧ ص ٨٨٣) . فلقد لاحظ هؤلاء العلماء ظهور مرض فى القلب ، سموه وباء لانتشاره بسرعة بين شاربى البيرة فقط . ويظهر بأعراض مرضية خاصة فهو أى ــ المرض ــ يأتى فجاة وبدون مقدمات ، حيث يشعر المريض بضيق فى التنفس وسرعة فى ضربات القلب مع سعال شديد ، وقد يصاحب هذه الأعراض الم فى أعلى البطن مع قيء ونزيف معدى من قرح فى المرىء والمعدة ثم ظهور علامات فشل القلب

(هبوط القلب) يقضى على المصاب فى عدة أيام . أما من يجتاز هذه المرحلة من المرض فانه يصاب بتورم عام مصحوبا باستسقاء بطنى ، كما أن الكثير من هؤلاء المرضى اصيبوا باستسقاء حول العضلة القلبية وبانسداد فى الشرايين الحيوية . ولقد تبين من فحص الأشعة وجود تضخم فى حجم القلب وضعف فى القيام بوظائفه الأساسية وربما كان ذلك السبب المباشر للوفاة . أما تخطيط القلب فلقد أظهر تلفا ملحوظا فى العضلة القلبية بشقيها الأيمن والأيسر وأكد ذلك وجود نسبة عالية من الخمائر المنطلقة فى الدورة الدموية دالة على تحطيم فى خلايا القلب كبير .

الصفة التشريحية :

حينما شرحت جثث المتوفين تبين أن القلب محتقن ومتضخم وبه قليل من التمدد مع احتوائه على جلطة دموية فى البطين والأذين الأيسرين . أما الكبد فلقد ظهرت به بقع نزقية مختلفة الأحجام مع احتقان عام وقليل من التضخم . ولقد أجمع العلماء على أن هذه الصورة المرضية ليست تلك التى تشاهد بين مدمنى الخمر حيث تصاب العضلة القلبية فيهم بالتضخم المتبوع بهبوط مزمن فى القلب ، ولكنها حالة جديدة تحدث فقط بين متعاطى البيرة ، وتستحق التسجيل وإجراء المزيد من الأبحاث حولها .

أسباب المرض :

لم تعرف أسباب محددة لهذا المرض ولكن هناك عدة فروض من المحتمل أن تكون من مسبباته : —

١ — اضافة مادة الكوبلت الى البيرة : غير أن هذه المادة تعطى بكميات اكبر الى بعض المرضى المصابين بفقر الدم ولا تحدث مثل هذا المرض فيهم .

٢ — ان شاربى البيرة دون غيرهم لديهم استعداد للتسمم بمادة الكوبلت كما هى الحال معهم أيضا مع مادة الزرنيخ والمعادن الثقيلة . ولقد ثبت ذلك منذ أوائل هذا القرن فى عام ١٩٠١م وسواء كانت هذه الأسباب حقيقة أم افتراضية ، فالذى يعنينا أن هذا المرض قاتل ، ولا يصيب الا شاربى البيرة .

لماذا الكتابة فى هذا الموضوع : وما العبرة ؟

لقد احسست بضرورة الكتابة عن خطر شرب البيرة لسببين :

أولهما : اننى لاحظت أن الكثير من المسلمين وخاصة الشباب يعتقدون أن البيرة غير محرمة لاحتوائها على نسبة قليلة من الكحول تتراوح بين ٥ — ٧٪ ، ونظرا لأضرارها البليغة التى تحدثها الخمر فى القلب ، والكبد ، والمعدة ، والجهاز العصبى ، وجب التنويه والتحذير .

ثانيا : انه خلال اجرائى بحثا عن أسباب المغص الكلوى وحصوات المجارى البولية فى الكويت أخبرنى عدد كبير من المرضى أنهم يشربون البيرة لما فيها من فائدة فى ادرار البول والتخلص من الحصوات . وهذا خطأ كبير لسببين :

١ — أن هؤلاء المرضى لم يتحسنوا من آلامهم ولم يتخلصوا من حصواتهم رغم استمرارهم فى شرب البيرة .

٢ — لقد ثبت علميا أن السبب الرئيسى للمغص الكلوى وحصوة الكلى — عدا العامل الوراثى —

هو اختلال فى نسبة الأملاح فى الدم والبول وخاصة بين عنصرى الصوديوم والكالسيوم . ولقد أثبتت تجاربنا أن الاكثار من تعاطى ملح الطعام وخاصة فى فصل الصيف يمنع حدوث المغص الكلوى ويساعد على تفتيت حصوة الكلى والتخلص منها .

هل تدفع الخمور شاربها الى الانتحار ؟؟

جاءت هذه العبارة عنوان بحث جيد قامت به مجموعة من الأطباء المتخصصين فى المستشفى الغربى فى مدينة جلاسجو ، وهو أحد المستشفيات التعليمية بها ، ولقد نشرت تفاصيله فى الصفحة الأولى من المجلة الطبية البريطانية اللانست بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٧٢ ، والأطباء الباحثون هم باتيل ، ومونيكاروى ، وولسون ، ومدينة جلاسجو هى أضخم مدن اسكتلندا ، وثالث اكبر مدينة فى بريطانيا : والبحث يتناول ظاهرة الانتحار وعلاقته بتعاطى الخمور خلال الفترة ما بين عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٧١ . وكانت بداية الدراسة أن لاحظ الباحثون أن هناك زيادة مطردة فى عدد الأشخاص الذين ادخلوا الى المستشفى المذكور للعلاج من محاولات الانتحار ، ففى عام ١٩٥٤ كان عدد من انتحر أو حاول الانتحار لا يزيد عن الستين شخصا ، فى حين ارتفع هذا العدد الى ما يربو على الخمسمائة فى عام ١٩٧١ ، والخط البيانى يشير الى ارتفاع مستمر ، وليس هناك ما ينبىء بانخفاض معدل الانتحار أو حتى باستقراره .

وباء الانتحار :

ونظرا لهذه الزيادة المفزعة فى عدد المنتحرين ، فلقد سميت هذه الظاهرة بالوباء الانتحارى ، اذ اكدت الاحصائيات أن ثلاثة أشخاص من كل ألف فى مدينة جلاسجو أدخلوا الى احدى مستشفيات المدينة بسبب الانتحار خلال عام ١٩٧٠ ، والواقع أن هذا الرقم لا يمثل العدد الحقيقى، اذ أنه من المسلم به احصائيا أن كل مريض يدخل الى المستشفى للعلاج يقابله على الأقل مريضان يعالجان خارج المستشفى ، وبذلك تصبح النسبة قريبة من ١٪ ، أو بتعبير أصح هناك شخص يحاول الانتحار بين كل مائة مواطن يعيش فى هذه المدينة ، وتلك نسبة أقلقت بال رجال الطب وعلماء الاجتماع فى تلك المنطقة ، خاصة وان الانتحار أصبح ظاهرة اجتماعية مقبولة بين الناس هناك .

الأرقام تتحدث :

لقد اتضح أن الانتحار بالمواد السامة ومعظمها من العقاقير والأدوية تشكل ١٥٪ من مجموع المرضى بأقسام المستشفى غير الجراحية ، ولا يفوقها عددا إلا حالات أمراض القلب التى تصل نسبتها الى ١٩٪ ، والجدير بالذكر أن الانتحار يأتى فى المرتبة الأولى لدى أولئك الذين تقل أعمارهم عن الأربعين عاما.

ويتناول البحث علاقة الانتحار بتعاطى الخمور وينقسم الى قسمين رئيسيين : —

القسم الأول : دراسة خلفية عن فترة محددة فى الماضى تناولت ٢٧٠٦ حالة من حالات الانتحار (١٠١٥ رجلا ١٦٩١ امراة) ارتكبت خلال ١٥ سنة (ما بين ١٩٥٤ حتى ١٩٧٠) ، حيث درست كل حالة على حدة ، ورصدت الأسباب المحتملة للانتحار من واقع ملفات المرضى أنفسهم دون تخطيط سابق ، وتوصل الباحثون الى أن أهم أسباب الانتحار هى المشروبات

الكحولية ، البطالة ، صعوبات مالية ، مشاكل عائلية . ولقد ثبت أن ٩٠٪ من الرجال ممن حاولوا الانتحار شربوا الخمر قبل الاقدام على المحاولة ، وان الخمر عامل أساسى لدرجة الادمان فى ٤٥٪ من حالات الانتحار لدى الرجال ، ثم تأتى البطالة كسبب آخر بين ٢٣٪ من المنتحرين فى المرتبة الثانية . أما فى النساء فان الخمور كسبب مباشر لا تتعدى ١٠٪ ولكن ادمان الزوج وإهانته لزوجته أو ابنته وما يصاحب هذا السلوك من ضائقة مالية أو اجتماعية تدفع ٤٣٪ من النساء الى ارتكاب جريمة الانتحار .

القسم الثانى من البحث : عبارة عن دراسة أمامية مخطط لها لفترة عام واحد ، بدأت من يناير ١٩٧١ حتى فبراير ١٩٧٢ وشملت ٥٨٧ حالة انتحار . ولوحظ أنه فى حين تكررت محاولة الانتحار مرتين فى ٣١ شخصا ، تكررت ثلاث مرات أو أكثر فى ١٤ شخصا من المجموع الكلى للرجال والنساء ، ولقد تمت دراسة مستفيضة على ٥٢٠ حالة (٢٠٧ رجال ، ٣١٣ امرأة) .

من هذه الدراسة وجد أن السبب المباشر للانتحار ذو جوانب معقدة ومتعددة ، الا أنه قد ثبت أن مشكلة المشروبات الكحولية هى أكثر العوامل ثبوتا وأبعدها أثرا على من يحاولون الانتحار ثم تأتى العوامل التالية كأسباب ثانوية نذكر منها : البطالة ، المشاكل الاقتصادية والجريمة وتفكك الأسرة والطلاق .

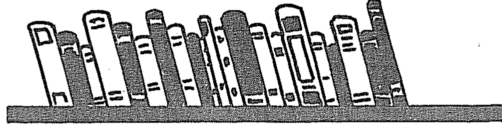
وهناك نسبة كبيرة بين شاربى الخمر من الجنسين يرتكبون أعمالا عنيفة وهم تحت تأثير الشراب ، بل إن منهم من يعتدى بالضرب على زوجته أو ابنته مما يدفعه أو يدفعهما الى الانتحار . كذلك تبين أن عددا غير قليل من مدمنى الخمور يعانون من أمراض نفسية معقدة .

وطبقا لتحليل نسبة الكحول فى الدم وقت ارتكاب جناية الانتحار وجد أن حوالى ٩٠٪ من الرجال قد تناولوا المسكرات بساعات قليلة قبل الانتحار .

فى حين أن النسبة تهبط الى ٤٠٪ عند النساء ، كما تتفاوت أعمار هؤلاء الضحايا بين اثنى عشر عاما الى ما فوق السبعين ، إلا أن الغالبية العظمى تتركز فى الشباب ممن تقع أعمارهم بين العشرين والأربعين سنة .

وفى مثال آخر حول موضوع إدمان الخمر ، ورد ذكره فى العدد رقم ٧٧٩٠ بتاريخ ١٩٧٢/١٢/١٦ ، من المجلة ذاتها دلت الاحصائيات أن فى بريطانيا وحدها حوالى ٤٠٠,٠٠٠ أربعمائة الف مدمن مسجلون للعلاج من هذا الداء ، ومن الواضح أن مثل هذا العدد — على اقل تقدير — غير مسجل ، وبالتالى يوجد فى بريطانيا شخص يدمن الخمر بين كل خمسين شخصا ، ومن المعروف أن بريطانيا ربما كانت من أقل الدول الغربية استهلاكا للمشروبات الكحولية ، كما جاء فى نفس المقال احصاء يبين أن الجرائم التى أرتكبت بسبب تعاطى الخمور فى عام ١٩٧٠ ، بلغت ٢٧,٩٧٢ جريمة ، وفى خلال عام واحد (١٩٧١) ارتفع هذا العدد الى ٣٩,٨٤٠ جريمة ، بزيادة تقارب ٤٠٪ وهى نسبة مفزعة .

إن هذه الاحصائيات صدرت عن جهات رسمية ، وكلها تشير بصورة واضحة الى مدى الخطر والانهيار اللذين يتعرض لهما المجتمع الغربى ، ولا تحتاج منا الى تعليق فالخمور بآثارها ومضارها تعبر عن نفسها بالأرقام فى جلاء ووضوح ، وليس لى جهد يذكر فى كتابة هذا المقال ، وما قصدت اليه هو التذكير فقط ، وأدع القارىء الكريم يستخلص العبرة من احصائيات العلماء والواعين من أبناء المجتمع الغربى أنفسهم فلعلنا نسمع ونعى ..



مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ عبد الستار فيض

الاجتهـــاد
فى الفقــه الاســلامى

بحث عن الاجتهاد الفقهى فى أدواره المختلفة حاول فيه مؤلفه الدكتـور محمد الدسوقى دراسة الاجتهاد بغية الكشف عـن جانب أصيل من جوانـب الثقافة الانسانية الخالدة ، وقد مهد للبحث بدراسة موجزة عن تعريف الاجتهاد وشروطه ومجاله ومصادره كما أشار الى أهم أسباب الخلاف بين المجتهدين .

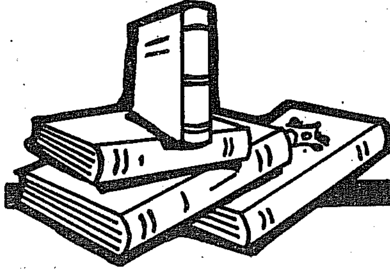
والبحث مقسم الى ثلاثة أبواب يتحدث فى الأول عن الاجتهاد فى عصر البعثة والصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وفى الثانى عن عصر التقليد مبينا أسباب اغلاق باب الاجتهاد وآثاره فى الدراسات الفقهية . وفى الثالث يتناول الجهاد منذ ظهور مجلة الأحكام الى الآن .

وفى ختام البحث يتحدث الدكتور المؤلف مثبتا أهم نتائج الاجتهاد ومؤكدا الدعوة الى الاجتهاد الجماعى والفردى .

حياةرسول اللــه

كتاب يروى قصة النبى صلي الله عليه وسلم اقتبسها مؤلفها الأستـاذ محمود شلبى من مراجعها الأصيلة والكتاب يتكلم عن حياته عليه السلام مـن مولده الى وفاته ويسجل وقائع تلك الحياة تسجيلا صادقا أصيلا فلا خرافات ولا خيالات ولا التواءات ولا انحرافات . ثم هو بعد ذلك له منهجه فى معاملـة أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا رد على المستشرقين ولا رد على أعداء الدين ولا رد على الملحدين ، وانما يقص على الناس قصة رسول الله فى صدق وصفاء ويعتبر المؤلف هذا خير رد على هؤلاء وخير دليل على عظمة الرسول .

والكتاب يقارب المائتى صفحة ومن نشر مكتبة القاهرة بالصنادقية ـــ مصر .



حاضر العالم الاسلامي

تاليف : لوثروب ستودارد
ترجمة : عجاج نويهض
تقديم : شكيب أرسلان
عرض وتحليل : يوسف نوفل

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب منذ ما يقرب من ثمانية وأربعين عاما فى القاهرة ، ويجدر فى بداية الحديث أن نعرف بايجاز بمؤلف الكتاب ، لوثروب ستودارد الذى ولد عام ١٨٨٣ فى بروكلين بأمريكا ، وتوفى عام ١٩٥٠ ، كان أبوه خطيبا واعظا جوالا ، بدت لدى لوثروب دراسة البيئة منذ صغره ، وأولع بدراسة اللغات لاسيما الالمانية فى جامعة هارفارد عام ١٩٠١ ، ثم صار كاتبا اجتماعيا ومؤرخا لكثير من الثورات وحركات التطور فى العالم ، تخرج فى هارفارد عام ١٩٠٥ ، ثم التحق بجامعة بوستن ونال درجة الدكتوراه فى الحقوق عام ١٩٠٨ ، وقد ألف بين عام ١٩١٤ وعام ١٩٤٠ سبعة عشر كتابا ، وكان كتاب (حاضر العالم الاسلامى) خامس هذه الكتب حيث صدر عام ١٩٢١ وكان أوسعها انتشارا ، وكان المؤلف على نية زيادة الكتاب فى طبعة حديثة يصل فيها الى منتصف القرن .

قام برحلة طويلة عام ١٩٢٤ الى الشرق الاوسط وزار فلسطين والأردن ومصر وتركيا وغيرها ،

ومن كتبه (نهضة الشعوب الملونة) ١٩٢٠ ، و (الثورة على الحضارة) ١٩٢٢ ، و (الانسانية تحت سيطرة العلم) ١٩٢٦ ، و (الحظ : شريكك الصامت) ١٩٢٩ .

اهم قضايا الكتاب :

يتناول الكتاب العديد من القضايا مثل :

تطور الاسلام ، الفتح العربى ، البعثة المحمدية والأقوال المنصفة والمفرضة فى محمد صلى الله عليه وسلم ، وكتاب (حياة محمد) لأميل درمنغهم ، وأسباب انتصار العرب على الفرس والروم ، وحضارة الاسلام فى القرون الوسطى ، ورقى الاسلام ، والرد على أعداء الاسلام ، ونظريتا : القومية العثمانية الاسلامية ، والقومية التركية ، وترجمة القرآن ، وكلها بقلم شكيب أرسلان .

ومن فصول الكتاب :

فى اليقظة الاسلامية ، وفى الجامعة الاسلامية ، والمسلمون فى الأندلس ، والاسلام فى أفريقيا والحبشة ، ومدغشقر ، والفلبين ، والرق ، وعدم جمود الاسلام ، وسيطرة الغرب على الشرق ، والتطور السياسى ، والاقتصادى ، والاجتماعى .

وبعض هذه البحوث مقالات لبعض الباحثين كشكيب ، وديريش وسترلمان ، وغيرهما .

وباستعراض هذه الموضوعات تتضح خطورة الكتاب وتنوعه واتساع مراميه ، فهو يكاد يلم بمعظم ما يشغل بال المسلمين وبال أعدائهم فى الوقت نفسه ، وهو يتناول قضايا على جانب كبير من الأهمية بما تحمله من ادعاءات وهجوم مفرض ، وبما تحمله من اثارة جديرة أن تتضح معالمها وتتحدد ملامحها وخطوطها أمام الاجيال المسلمة فى شتى بقاع الارض استهدافا لتوفر الوعى الاصيل للانسان المسلم فى أخريات القرن العشرين ، وهو وعى يتحتم تحققه فى وقت تتكالب فيه كثير من الامور أمام ناظرى المسلم لا يملك البعض أمامها الا الاستسلام أو الحيرة أو التبلبل أو الشك ، وفى ظنى أن مناقشة بعض هذه الامور جدير أن يضع أمام أعين شبابنا الحقيقة الاكيدة ، وهو أمر يتحتم على مفكرى الأمة ورجالها أن يسهموا فى اجلائه أمام الشباب .

البعثة المحمدية فى نظر الفلاسفة والعلماء :

يستعرض شكيب أرسلان فى هذا الفصل آراء كثير من العلماء والفلاسفة والمؤرخين الاوربيين فى النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم :

غروسه ، ومونته ، واتيان دينه الفرنسى المسلم ، ودوزى ، ونولدكه ، ودوغويه ، وشبرنغر ، وسنوك هركرونيه ، وغريم ، ومارجليوث ، وهوار وجولد سيهر ، وولز ، وفولتير وغيرهم .

وهى مجموعة من الآراء لها أهميتها فى مجال التاريخ لمحمد عليه

الصلاة والسلام ، ومن بين هذه الآراء رأى لاتيان دينه الفرنسي الذى أسلم وحج بيت الله الحرام ، وألف كتابا عن حجته ، كما كتب كتـــابا عن حياة محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو يبين فساد طريقة بعض الاوربيين الذين حاولوا أن يجعلوا السيرة المحمدية وتاريخ ظهور الاسلام خاضعين لتفسير العقلية الاوروبية ، فضلوا بذلك ضلالا بعيدا لأن هذا غير هذا ، ولأن المنطق الاوروبى لا يمكن أن يأتى بنتائج صحيحة فى تاريخ الانبياء الشرقيين ، يقول دينه :

« ان هؤلاء المستشرقين الذين حاولوا نقد سيرة النبى بهذا الاسلوب الاوروبى البحت لبثوا ثلاثة أرباع قرن يدققون ويمحصـــــون بزعمهم حتى يهدموا ما اتفق عليه الجمهور من المسلمين من سيرة نبيهم ، وكان ينبغى لهم بعد هذه التدقيقات الطويلة العريضة العميقة أن يتمكنوا من هدم الآراء المقررة ، والروايات المشهورة من السيرة النبوية فهل تسنى لهم شىء من ذلك .. ؟ الجواب : لم يتمكنوا من اثبات أقل شىء جديد » .

ويشير (دينه) الى أخطاء آراء بعض هؤلاء المستشرقين مثل : دوزى الهولاندى الذى قال : ان محمدا لم يكن يشبه قومه فقد كان ذا تصور قوى ولم يكن عند العرب مثل هذا التصور وكان دينا بطبيعته ، ولم يكن العرب دينين ، بينما قال (لامنس) ان محمدا كان شبيها بقومه ، وان هذه المشابهة هى التى كانت سر نجاحه بينهم ، وفى هذا المجال ترد شـــبهة خبيثة ذهب اليها بعض المستشرقين مثل (نولدكه) الذى ذهب الى أن ســـبب الوحى النازل على محمد والدعوة التى قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع ، بينما ذهب الاستاذ (غويه) الى أن هذا الافتراض ليس بصـــحيح لأن الذاكرة عند المصابين بالصرع تكون معطلة ، والحال هى عند محمد صلى الله عليه وسلم على عكس ذلك ، فقد كان يتذكر كل ما يسمعه فى أثنـــاء هذه النوبات ويمضى (شبرنفر) فى الطريق نفسه فيرى أن الوحى ما هو الا نوبات هستيرية بينما يرد عليه (سنوك هركرونيه) بأنها ليست من هذا النوع .

يعلق شكيب أرسلان على هذه الآراء وغيرها فيقول :

« ان الكتابات فى أوربه عن النبى صلى الله عليه وسلم ودينه وشرعه والملة الاسلامية بحر لا ساحل له وفيها الغث والثمين ، والحالى والعاطل ، والحق والباطل ، ومن مؤلفيها المحب والقالى ، والمنصف والمتعســـف ، والناصح والكاشح ، كما هو الشأن فى كل أمر ، ولكن العصر الاخير فى أوروبة أنصف الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا بالقياس الى الاعصر التى سبقت كما يظهر من الشواهد التى أتينا بها من قبيل أنموذجات ولو كان المسلمون استيقظوا من سباتهم وتعلموا من الاوربيين روح التضحية كمـــا يقال ونشروا للاسلام دعاية منظمة وانفقوا عليها عن ســـعة لأمكنهم أن يصـــححوا أباطيل كثيرة ويبددوا أوهاما كثيفة تتعلق بهم وبدينهم وبنبيهم ولاهتدى فى أوربه الى الاسلام خلق كثير أثروا تأثيرا محسوسا فى مجرى سياسته العامة ، ولكننا مع الأسف لا نزال بعيدين عن درجة هذا الانتباه ، ولا يزال أعداء الاسلام يناصبونه القتال فى كل سهل وجبل وفى كل بر وبحر ولا تبرح مكافحة الاسلام لهم هى فى نسبة الخردل الى الجنـــدل ، فمتى

ينشط الاسلام من عقاله ويستأنف همته الاولى .. ؟ هذا ما لا يجيب عليه غير المستقبل » .

ويشير شكيب الى أنه يعمد الى آراء غير المسلمين فيعرضها ويشير الى ما فيها من اعلاء للاسلام واشادة به واعتراف بفضله وقيمته ليكون رأيهم ناتجا عن انصاف ونشدان للحق والتزام للتحرى .

ونقول بهذه المناسبة ان هذا الامر جدير أن ينال اهتمام المؤسسات واللجان والمجالس ذات التأثير الحيوى فى هذا المجال فى بلادنا ، لتكون كل مؤسسة منها جهازا اعلاميا حضاريا يقف فى معترك الربع الاخير من القرن العشرين مصححا بعض المفاهيم السائدة عن خطأ لدى كثير من الناس عن الاسلام .

(حياة محمد) لاميل درمنغهم :

كان الدكتور محمد حسين هيكل من أول من تناولوا كتاب (حياة محمد) لاميل درمنغهم بالتعليق والنقد وذلك فى الملاحق الادبية لجريدة (السياسة) ، وكان درمنغهم قد أقام ببلاد المغرب وخالط المسلمين ، وحين طبع كتابه هذا صدره بمقدمة يقول فيها :

« انه لا يوجد واحد فى الدنيا أمكنه أن ينكر وجود محمد ، ولكن وجد من ينكرون بعض ما جاء فى ترجمة محمد فى الكتب العربية ، ومن الناس من يتجاوز الحد فى النقد والاعتراض حتى يقع فى الظلم ، أما أنا فقد جعلت كتابى سيرة حقيقية مبنية على المنابع العربية الأصيلة بدون اهمال جميع ما وصلت اليه تدقيقات المتخصصين فى هذا الموضوع فى الازمنة الاخيرة ، وقد أردت أن أمثل لمحمد صورة مطابقة له بقدر الاستطاعة كما فهمته من الكتب التى قرأتها وأمعنت النظر فيها ومن مشافهة الاحياء من المؤمنين به ، فاذا كانت كل حياة بشرية تنطوى على تعليم وكانت كل حادثة تشتمل على مشهد يمثل حقيقة من الحقائق فكم يكون مؤثرا ومفيدا التلاقى مع رجل من الرجال الذين يقتدى بهم جانب عظيم من الانسانية » .

المبشر (زويمر) وعداوته للاسلام :

يعرض الكتاب بعض آراء مبشر اشتهر بعداوته للاسلام وافترائه عليه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو المبشر زويمر الذى كتب كتابا عنوانه « الاسلام ، ماضيه ، حاضره ، مستقبله » ، وفيه عرض لمساعى بعض المبشرين فى أقطار الاسلام ، وأهمية هذا الكتاب تبدو فى اثارتها انتباه المسلمين لخطورة التبشير وأهمية التصدى له ولجمعياته المنبثة فى أقطار الاسلام بأشكال متنوعة فى شكل رسالات دينية أو بعثات جغرافية وأكثرها مستشفيات ومصاح وملاجىء للفقراء ، ولهذا المبشر طريقة فى التبشير لا تعتمد على المجادلة والمحاورة والاعتماد على البراهين العقلية بل تعتمد على العاطفة واستثمار أمراض الناس وعللهم وكروبهم .

ولم يعد هذا الامر جديدا على المسلمين الآن ، لكنه ما يزال يخطو فى شكل مؤسسات متعددة ، ويحتاج الامر الى زيادة الاكتراث به والتصدى له .

وقد علق شكيب ارسلان على آراء هذا المبشر فقال :

« ونحن نجاوب المستر زويمر وأمثاله ممن فيهم من هو مقتنع بعمله مبتغ وجه الله فى جهده أنه ان كان المقصود دعوة الاسلام الى الانجيل فالمسلمون يؤمنون بالانجيل الشريف وبرسالة المسيح صلوات الله عليه وسلامه ، وان كانت الدعوة هى الانجيل فى الظاهر والسيطرة الاوربية فى الباطن فهذا حلم من أحلام المبشرين ، اذ لا بد للاسلام أن يستعصى على هذه الدعوة ويقف فى وجهها سدا منيعا ، وان كان مقصد هؤلاء المبشرين هو خلاص النفوس و لاشفاق من هويها فى النار الحاطمة والعياذ بالله فالأولى بهم أن يذهبوا الى الوثنيين الذين هم أكثر من المسلمين عددا فى الدنيا وأحوج الى الارشاد بل أن يهدوا الملايين العديدة من انفس المسيحيين الذين نبذوا الدين ظهريا ودانوا بالتعطيل والالحاد وأخذوا يحاربون الكنيسة فعلى الانسان أن يدبر بيته قبل أن يمد يده لتدبير بيت جاره . أما المسلمون فلا حاجة الى تبشيرهم لأنهم يعبدون الاله الحق ولا يشركون به أحدا » .

الاسلام فى الصين : ماضيه وحاضره :

وهى محاضرة للسيد : محمد مكين الصينى يشير فيها الى اختلاف الروايات حول بدء دخول الاسلام الصين هل هو فى سنة ٦٣٧ م قبل وفاة الرسول صلى اله عليه وسلم أو فى سنة ٥٩٩ م قبل هجرته عليه الصلاة والسلام ، وفى رأى حجة التاريخ الاسلامى الصينى البروفسور (جنيون) أن أول وافد من الدولة الاسلامية الى الدولة الصينية أوفد سنة ٦٥١ م فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وقد ذهبت الوفود الاسلامية والتجار المسلمون من العرب والفرس الى الصين فى عهد الخلفاء الراشدين .

ويشير الى آثار الاسلام هناك من ضريح سعد بن أبى وقاص ، ومسجد مدينة كنتون وهو أول مسجد فى الصين أسس وسط القرن السابع تقريبا ، وفيه منار شامخ عليه مسحة من جمال الفن العربى ، والمسجد الاعظم فى عاصمة ولاية شانس ، ومسجد نانكين الذى بنى سنة ١٣٨٨ م .

أما أسباب انتشار الاسلام فى الصين فيرجعها الى ما يلى :

١ ــ تجارة المسلمين فى عهد أسرة تان (سنة ٦١٨ ــ ٩٠٥) وما بعدها .

٢ ــ الفتوح الاسلامية وخصوصا فى التركستان الصينية .

٣ ــ تناسل المسلمين .

٤ ــ اختلاط الناس بالمسلمين وتأثرهم بهم .

ثم يشير الى الجمعيات الاسلامية الصينية والمدارس الاسلامية الصينية والمجلات الاسلامية الصينية ، والنهضة الجديدة آنذاك .

وانطلاقا من هذا الموضوع قد يكون لنا أن نبدى رأيا فى هذا الكتاب الذى جمع بين فصوله الاساسية بقلم كاتبه وفصول وتعليقات لشكيب ارسلان ولمترجم الكتاب وغيرهما ، نقول إنه يغطى مرحلة زمنية معينة مضى عليها زمن طويل ، والمعروف أن المؤلف (لوثروب) كان على نية اصدار

ما يغطى مرحلة زمنية تالية لكن القدر لم يسعفه حتى توفى عام ١٩٥٠ كذلك توفى شكيب أرسلان من قبله فى أواخر عام ١٩٤٦ ، وها نحن نجد الاسلام الآن فى ظروف جديدة فى شتى بقاع العالم ، ومن هنا بات لزاما على مفكرى الأمة ورجالاتها وباحثيها أن يكملوا الشوط الذى بداه هذا الكتاب ، ان الارقام المستنبطة من الاحصاء الذى بالكتاب لا يمكن أن تمثل الصورة الواقعية الآن بحال من الاحوال ، ويشير الى ذلك تأمل التواريخ المثبتة بالكتاب ، هذا الكتاب الذى الف منذ أكثر من خمسين عاما .

ومن هنا يحتاج هذا الكتاب الى كتاب حديث مكمل له يلقى الضوء على حاضر العالم الاسلامى بعد الحرب العالمية الثانية وبعد تغير بعض الايديولوجيات والمعتقدات لدى بعض الشعوب ، وبعد قيام بعض الثورات ، وبعد نهوض بعض المؤسسات الدينية الاسلامية فى شتى البلاد الاسلامية ، ليكون هذا الكتاب الحديث بمثابة تصور واقعى صادق لحاضر الاســـــلام فعلا ويكون للمسلم فى ضوئه حق تصور موقعه فى العالم ، وأهمية مثول الهداية الاسلامية كمنار يهدى العالم فى حيرته واضطرابه الآن .

واخيرا على الرغم من اشارة الفهارس الى نسبة بعض البحوث فى الكتاب الى مؤلفيها مما أضيف الى الكتاب ، فانه كان ينبغى أن تفصل هذه البحوث وترد كملحق للكتاب حتى لا تختلط بأصل الكتاب .

● لقد ارتبط الاسلام بالعرب ، وشهد التاريخ بهذا الارتباط الوثيق ، وقد مرت على الأمة العربية خطوب وحلت بها نكبات ، ولكنها كانت فى أحلك ساعاتها ظلاما ، حريصة على أن تستمر فى حمل الشعلة التى تضىء طريقها نحو النصر ونحو السلام .

الخطاب الأميرى

● اننا لعلى ثقة أن الأحداث التى مرت بها أمتنا العربية خلال هذا الشهر سيكون لها أبعادها الهامة فى مستقبلنا ، وفى تحديد مســـــيرتنا المقبلة ، وعلينا أن ننمى ما كشفت عنه من أصالة ، وما أبرزته من روابط ، وما حققته من قدرة .

الخطاب الأميرى

قزمان من أهل النار

إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر

حديث شريف

لقد اصيبت قريش فى (بدر) بما أفقدها صوابها ، وأذهلها عن الحقيقة، ولم يكن يدور بخلد أقطابها أن هـذه (القلة) المؤمنة ستظهر على تلك (الكثرة) الكافرة ، وما دام للثأر مكان فى البقية التى أفلتت من سيوف الملائكة ، فلا بد أن يكون رد الفعل عنيفا أشد ما يكون العنف ، وإلا ضاعت هيبة المتجبرين فى الأرض ، والمتحكمين فى مصير العرب ، بما أوتوا من كثرة فى الرجال والأموال ، ووفرة فى البطش والسلاح .

اوامر النبى القائد

الحرب على الأبواب ، وعند (أحد) كان الموعد ، واتخذ محمد الرسول المجاهد للأمر أهبته ، وحشد كل طاقات الأنصار والمهاجرين للزمان والمكان ، وصف صفوفه ، واتجه الى الرماة ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

احموا ظهورنا ، فانا نخاف أن نؤتى من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، واذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم ، فلا تفارقوا مكانكم وان رأيتمونا نقتتل فلا تعينوننا ، ولا تدفعوا عنا ، اللهم إنى أشهدك عليهم ، وارشقوا خيلهم بالنبل ، فان الخيل لا تقدم على النبل .

والتفت النبى القائد الحكيم الى رأس الرماة عبد الله بن جبير ، وقال له النبى : انضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك ، إن كانت ــ الدائرة ــ لنا أو علينا .

وأعاد النبى على الجميع أبلغ ما يكون القرار ، وابرع ما يكون الأمر فقال النبى : لا يقاتلن احد حتى آمره بالقتال .

أوامر واضحة صريحة ، نطق بها القائد الأعلى ، وسمعها الرماة منه ، وهم لا يزالون على ذكر مما أظفرهم به رب العزة ، فى أول لقاء حربى مع أعداء الله وأعداء رسوله ، على ماء (بدر) ، فلم يخذلهم أنصارا ولا مهاجرين وارتفعت راياتهم وبات المخلفون يعضون بنان الندم على انهم لم يغنموا ، مثلما غنم إخوانهم . فلا أقل من أن يكون لهم نصيب فى (أحد) .

واختلفت النوايا المستورة فى كهوف الغيب ، أما المؤمن فقد أصر على ما هو عليه من بذل الروح رخيصة فى سبيل الله لا سواه ، وأما الكافر فهو

كان النصر الذى احرزه المسلمون فى غزوة (بدر) حافزا لانتقام قريش منهم فى (احد) ، بعد ان ظفر رسول الله بالغنائم والأسرى ، وما كان حرصه على الاحتفاظ بهذا النصر باقل من حرصه على اليقظة التامة لما يدبره ضده العدو الموتور سرا وجهرا ، ولهذا اعد للمعركة ما تتطلبه لمواجهة كافة الاحتمالات المرتقبة ، عن وعى كامل باصول القتال ، وادراك كامل للاستراتيجية المعاصرة ، مع الرعاية الربانية له فى كل ما ينوى ويقول ويفعل ، نبيا ورسولا ، صدقه ربه جل جلاله بقوله تعالى :
« وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

للأستاذ : محمد محمود زيتون

مع الشيطان ، وقد نفخ فى منخريه ، فلم يبرح للطغيان عبدا مطيعا ، ينشد المال والجاه . واما المنافق فقد ظن بمنطقه الملتوى المنحرف انه يستطيع أن يخدع الله ورسوله ، ليسلك الطريق المستقيم بين الحق والباطل ، وقد غاب عنه « **فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال** » ، وغاب عنه أيضا « **إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار، ولن تجد لهم نصيرا** » حذّر الله سبحانه منهم رسوله ، فقال : « **هم العدو فاحذرهم** » .

لا مكان للمنافقين

وكان على رأس المنافقين يومئذ عبد الله بن ابىّ بن سَلول ، وقد جاء بكتيبته مددا لجيش المسلمين ، وفى نفسه ما فيها ، ولكنه لا يعلم أن الله بكل شىء عليم ، وأنه قد أطلع رسوله على ما هو خاف عليه ، فرد قزمان بمن معه، حرصا منه — وبارشاد من السماء ، وفى سرية تامة — على وحدة الصف ووحدة الهدف .

فهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشى أن يكثر المقاتلون معه فاذا تم لهم النصر المأمول ، ظفروا بغنائم لم يكونوا يستحقونها ؟ كلا وهل كان عليه السلام يخشى أن يكون ايمان المقاتلين معه متفاوتا ، فيكون الضعف عند بعضهم اشبه بالعدوى تضر بأقوياء الايمان ، من المهاجرين والأنصار ، وهم الرعيل الأول من الاسلام ؟ كلا .

لم يكن النبى — حينما رد المنافقين — إلا منفذا لما أطلعه الله عليه من أسرار النفاق التى لا تحيط بها الحواس ، « **ولو نشاء لأريناكهم** » ، وكيف يرغب فى احدى الحسنيين من كانت الدنيا كل همه ، ومن كان سبيله اليها حب الظهور والرياء والسمعة والطمع فى الزائل من أعراضها ؟

ثم ان الحروب الاسلامية التى يخوضها رسول الله والذين معه ، ليست

مجرد (قتال) ، وإنما هى (جهاد) بكل ما تحمله هذه اللفظة العملاقة من مفاهيم (الجهــد) و (الاجتهاد) و (المجاهــدة) و (الجــد) فى الأمر ، و (الجود) بالنفس والمــال . ذلك الجهاد هو الســمة المميزة للقتال باسم الاسلام ، حافزه الايمان بالله ، وهدفه إعلاء كلمة الله ، وسبيله الوحيد الفريد هو سبيل الله الصافي من كل شائبة الخالى من كل مكدر للمثل العليا والقيم الانســـانية السامية ، فهــو خط مســتقيم ، اى أنه أقصر مســـافة بين نقطتين ، هما الحافز والهدف ، ذلك هو سبيل الايمان والمؤمنين ، وليس النفاق والمنافقون منه فى شيء .

لكل فريق صــفوف

واصطف الفريقان للقتال ، وجاءت نســاء قريش يحرضن الرجال ، ويذمرنهم للثأر من محمد وأصحابه لقتلى (بدر) ، والعير التى غنموها على اثر المعركة ، واقبلن بالدفوف ينشدن الأناشــيد ، ويعيرن كل متخلف من رجالهن بما يدفعه الى النار دفعا ، من غير تدبر للعواقب .

أما جانب المسلمين ، فما كان ثمة مجال لتحريض الرجال على القتال من النساء ، اللهم الا هؤلاء الذين يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، ويتلكأون عن الانخراط فى الصفوف المجاهدة ، وبذلك دلت على نفسها حية البحــر ، وكانوا يظنون الا يكشف الله أضغانهم .

قال عاصم بن عمر بن قتادة : « كان عندنا رجل غريب لا ندرى ممن هو ، فيظهر الاسلام ، يقال له (قزمان) . وكان ذا بأس وقوة ، وكان كلما ذكروا اسمه للنبى قال : إنه من أهل النار » .

ترى هل كان (قزمان) — أو اى أحد غيره — يعلم أن الناس فيما بينهم سيختلفون حول شخصيته ، حتى فى (الغزوة) التى اشترك فيها (أحد) أم (خيبر) .. فان كل دارس مستوعب يستطيع أن يحيط بمعالم حقيقتــه ، مما يضيفه بعضهم الى ما يقوله البعض الآخر ، وصولا الى العبرة التى تجتاز القرون الطوال ، لتكون ذكرى صلبة **« ان الذكرى تنفع المؤمنين »** .

على هامش النسب

كان (قزمان) حليفا لبنى (ظفر) ، عديدا فيهم ، وليس منهم ، وبنو ظفر — كاحدى دور الأنصار — لم تكن لتلفظ غريبا عنها ، لأنها اذا نسبته لم تجد له نسبا ، بل ابقته على هامشها ، لأنه — كما يقول عاصم — « كان ذا بأس وقوة » .

لهذا وحده ، كان وجوده فى بنى ظفر ، وهم يعلمون انه مجهول النسب فى قوم لا يتعامل مجتمعهم البدوى الا بالنسب الشريف ، فيشعر فيه (قزمان) دائما بأنه ساخط متذمر ، لا يجد — مع ما هو فيه من بأس وقوة ، وشجاعة قتالية خارقة — سبيلا للانضمام الى حظيرة الاسلام .

فهل يكتفى (قزمان) من هذا بغير « ادعاء الاسلام » : يظهره للقوم الذين يؤوونه ، مجاراة لهم ؟ ولكنه لا يجرؤ على الارتفاع الى مســـتواهم فى العقيدة ، لأنهم ذوو حسب ونسب ، ولهم آباء وأمهات ، ومن أصلابهم ينفرط عقد البنين والبنات ، فتتماسك الأصول والفروع ، وتتقوى الأواصر والروابط .

من أين إذن لقزمان هذا الشعور الاجتماعى ، وهو الذى يعيش بين بنى (ظفر) ، بلا زوجة ولا ولد ، ولا يدرى أحد منهم ولا من جيرانهم ، له أما ولدته ، أو أبا يعرف به ، أو قبيلة ينتمى الى فخذ لهـــا أو بطن ، وان كانوا قد اختلقوا له أبا فقالوا : قزمان بن الحارث .

ومع هذا كان قزمان لأهل الدار حافظا محبا ، وعنهم منافحا ومداعبا ، وعليهم غيورا ، فان كان هذا هــو (الوفاء) فما أوفى الكــلاب لمن أطعمها وعطف عليها ، بما ترده من جميل ، ومن هنا ضربوا المثل فقــالوا : « أوفى من الكلب » .

حارب معهم بكل ما أوتى من بسطة فى الجسم ، وقدرة على القتال ، فخاض معهم حروبهم التى دارت بين الأوس والخزرج ، شجاعا لا يهـــاب الموت ، ولا يخاف على حرمان قريب له فى الدنيا ، اذا هو ترك الدنيا .

المسلمات يعيِّرن قزمان

ونادى منادى الجهـــاد ليوم (احد) ، وخف له المســـلمون انصـــارا ومهاجرين ، واصبح (قزمان) : فارتعدت فرائصه ، لم تسعفه قوة البدن ، ما دام القلب رعديدا جبانا ، والوجدان فارغ من شحنة ، لو كانت عند غيره ، لولَّدت حرارة الإيمان بهدف نبيل .

وتعجبت نساء الأنصار من أمر (قزمان) ، فرَحْن يـُعيِّرنه بالجبن والخور ، وينعتنه بالأنوثة ، وان كنَّ هن اشد منه رجولة وبطولة . واخذت نساء بنى ظفر يتضاحكن . ويتهكمن به ، حتى أحفظنه ، فلم يلبث أن حمل كنانته ، وأتى رسول الله ، وهو يسوى صفوف المجاهدين .

وأبى الرياء الذى يملأ على (قزمان) جوانب نفسه الا أن يكون موضعه فى الصف الأول . فانتهى اليه ، وكل من عرفه فى حروب (بنى ظفر) ينظر اليه بالاكبار والاجلال لشجاعته وحسن بلائه .

واستمع (قزمان) الى أوامر النبى ، وهو يلقيهـــا على المســـلمين ، ويزودهم بما لديه من خبرة القائد المحنك ، ويحذّرهم من المخـــالفة ، وهم سامعون له ، والله وحده أعلم بما فى نية كل واحد منهم ، حتى دارت رحى القتال ، وحمى الوطيس .

كان لواء قريش لبنى عبد الدار ، واذا بأول سهم من صفوف المسلمين ينطلق من كنانة (قزمان) ، والجميع من حوله يمجبون للنبال التى يرميها كأنها الرمال ، ويجأر هو بصوته كالجمل الضخم ، ليقذف الرعب فى قلوب المشركين ظاهرا ، وهو إنما يريد ان يلفت اليه الانظار ، لتكون شجاعته مضرب الأمثال ، ويفعل بسيفه الأفاعيل ، ليكون (قزمان) ملء السمع والبصر جميعا .

احموا ظهورهم يا رماة

الرماة .. لا يزالون ــ كما أمرهم النبى ــ يحمون ظهور المسلمين ، ويرشقون بالنبال خيول المشركين ، فلا تكاد تقع على فرس أو جمل حتى تولى الأفراس والفرسان هاربة أو صريعة ، والمسلمون يشدون على كتائب الأعداء والخيول ــ كما أخبرهم النبى بحق ــ لا تقف أمام النبل ، وهو يتساقط من سهام المسلمين ، كالمطر المنهمر .

ويتهاوى أصحاب لواء الشرك من بنى عبد الدار ، واحدا بعد واحد ، ويكون (قزمان) وحده قد قتل منهم (كلاب بن أبى طلحه) و (أبا يزيد بن عمير) و (القاسط بن شريح) و (صواب الحبشى) و (خالد بن الأعلم العقيلى) و (هشام بن أبى أمية بن المغيـــرة المخزومى) و (الوليد بن العاص ابن هشام) حتى بلغ عدد المشركين القتلى ، من سهام (قزمان) وحده تسعة ، أما هو فقد حمل عليه الرمح أحدهم ، فسلك فى غير مقتل ، ولكن أصابته الجراحة من ساعته ، فما استطاع لها دفعا .

ولم يكتم (قتادة بن النعمان) الأنصارى إعجابه بهذه الشجاعة النادرة من (قزمان) وتمنى كل مؤمن فى صفوف النبى أن لو كان له ما لقزمان من روعة فى القتال ، وقدرة على إصابة الرجـــال ، وحسده (قتادة) حتى على الجرح الذى أصابه ، وتوقع له الشهادة فى سبيل الله بعد قليل ، حيث قال قتادة : أبا الغيداق ، هنيئا لك الشهادة .

قزمان : إنى والله ، ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت الا حفاظا (غضبا وخوفا) أن تسير قريش الينا ، حتى تطأ سعفنا (نخلنا) .

بطل ... ولكنـــه منافق

لم يكن للناس حديث فى (المدينة) فى صباح ومساء إلا عن (قزمان) ، والمعركة التى شهدها ، فأخبروا النبى عنه ، بما رأت عيونهم ، وسمعت آذانهم ، وذكروا عنه انه كان أبرز المقاتلين ، وأشجع الشجعان ، وأنه قتل وحده تسعة رجال ، أكثرهم من أصحاب لواء المشركين ، وما كان أحـــدهم ليشك انه شهيد ، وأن الجنة قد فتحت أبوابها له ، تتراقص له الحور العين من شرفات قصورهن ، كأنهن اللؤلؤ المنثور ، أما النبى عليه السلام . فكان له قول آخر غير أقوالهم جميعا عن (قزمان) .

النبى : انه من أهل النار .

ـــــ : (سرا) كيف ؟ يا للعجب !

وكتموا فرادى وجماعات قول النبى عن (قزمان) وراحوا يراجعون فيما بينهم وبين أنفسهم معايير الشهداء ، علّهم يصححون خطأ وقعوا فيه ، حسبما تعلموا من نبيهم المعلم ، وقائدهم الملهم ، غير مرتابين قيد شعرة ، فى أى قرار يصدر عنه .

أما عن دخول (قزمان) الجنة ، فلعل درسا جديدا جاءهم به النبى فى تلك الغزاة ، ستضيف الى ما عندهم معيارا جديدا للاستشهاد فى سبيل الله .

لقد أثبتت الجراحة (قزمان) ، ونزفت منه الدماء ، ولا سبيل الى وقف جرح ينفجر من صاحب جسم ضخم كقزمان ، فاحتملوه الى دار بنى ظفر ، لعل

رجلا – أو امرأة – هناك ، يمكن أن يوقد نارا ليكويه بها ، فتلتئم الجراح . ويمتنع النزيف ، وهو مع ذلك لا يشكو ولا يتوجع ، بل كلما دخل عليه أحد تمنى فى نفسه أن يتلوه عشرات مثله ، ففى كثرة العائدين له إشباع للنفاق ، وهو نقيصة فى نفسه انطوت عليها ، وارضاء لهوى من الأهواء المنزوية ، وهو الشعور بالحرمان من كثير ، دون غيره فى المجتمع الذى يعيش فى كنفه .

ويدخلون عليه افرادا وجماعات ، وعلى كل لسان تهنئة بالبلاء الحسن الذى ابداه فى القتال ، ويكتم (سهل بن سعد) قول النبى عن (قزمان) : التقى هو والمشركون . ومع ذلك يمضى الى (قزمان) ، وهو جريح فيسأله :

سهل : والله لقد ابليت اليوم يا (قزمان) فأبشر .
قزمان : بماذا أبشر ؟ فوالله ما قاتلت الا على أحساب قومى ، ولولا ذلك ما قاتلت .
– : بشرناك بالجنة يا (قزمان) ؟ .
قزمان : (فى سخرية) جنة من حرمل ، والله ما قاتلنا على جنة ولا على نار إنما قاتلت على أحسابنا .
– : ؟ ... ؟ ... ترى يسخر بنا أم بنفسه ؟! .

مقارنة

وعقدوا المقارنة بين ما يقوله النبى عن (قزمان) بأنه « من أهل النار » وبين ما شهدوه بأنفسهم من بلائه البادى للعيان .. وأعماق دخيلته التى تطفح إلحادا وكفرا . وتنضح تهكما وسخرية ، فهو – بلسانه – يقرّ اقرارا – على رءوس الأشهاد – بأنه لم يقاتل – حين قاتل – دفاعا عن دين الاسلام ، الذى عليه قومه الأنصار ، الذين قال فيهم شاعر الأنصار (حسان بن ثابت) :

سمّاهمو الله أنصارا لنصرهمو
دين الهدى ، وعوان الحرب تستعر

لم يقاتل (قزمان) فى سبيل الله ، ولا لإعلاء كلمة الله . ولا إيمانا بأن الجهاد فريضة لا فكاك منها ، ولا ثقة منه بأن الجنة مثوى الشهداء الأبرار . وأن النار مأوى الناكصين على أعقابهم ، الذين يولون الأدبار عند الزحف .. ولا إرضاء منه للكرام الذين آووه وأكرموه وعطفوا عليه .. لا لكل هذا ولا لبعضه قاتل (قزمان) . وانما هو المنافق المرائى ذو الوجهين ، الذى استهدف القتال على (أحساب) بنى (ظفر) ، ومناصرتهم كقوم يؤوونه ، ويحمونه من كل أذى ، وإلا تخطفته الطير ، وناوشته الرماح ، فهم له أهل ما دام ليس له أهل ، وحسبه هذا من شعور ينطوى عليه ، فكيف يعدو هذا الحد الى ما وراءه ، وهو عبد أحاسيسه ، التى فرضت عليه قيود العزلة ، حتى لم يعد قادرا على مداعبة خياله ، ولو مرة واحدة برغبته فى التأهل ، فمن هو ذلك المجنون فى العرب الذى يرضى بهذا الغريب له صهرا ..!

... واشتدت به الجراحة

وتمكن الشعور بالعزلة من (قزمان) حتى لم ير لنفسه منه مهربا .. لقد عاش ما عاش فى عذاب لا ينفك عنه مصبحا وممسيا ، رائحا وغاديا ، أما وقد بلغ قمة الرضى عن نفسه ، بما أداه من القتال فى صف (بنى ظفر) ، والحمية لشرفهم ومجدهم ، والحفاظ على مفاخرهم ومآثرهم ، والذود عن أرضهم ونخلهم ومواشيهم ، وتلك هى أبعاد الحياة الدنيا التى لا وراءها فى نظره الكليل ، فذلك حسبه من مناصرة لهم ، غير طامع فى جنة يبشرونه بها أو خائف من نار يحـــذرونه منها ، انه قاتل عن الأحســـاب ، ولم يقاتل عن المبادىء والمثل والقيم ، التى بثها فى العرب دين الاسلام ، فتنطلق أرواحهم من إسارها لتسبح فى ملكوت الفداء ، وتعطى وتسخو ، أنبل ما يكون العطاء والسخاء .

ولم يلبث (قزمان) غير قليل ، فقد اشتدت به الجراحة ، ولم يفلح معه العلاج ، وأقبل المساء ، وانقطع عنه عواده ، حتى اهل الدار ، فقد وضعوا قرار النبى عنه فى كفّة ، وما فعله قزمان من أجلهم فى كفة أخرى ، فرجحت عندهم كفة النبى المصطفى ، فتركوه يلقى مصيره بما يشاء الله .

وامتدت يد (قزمان) الى كنانته ، ودمه ينزف ، ووجهه يأخذ فى الشحوب رويدا رويدا ، وتنتابه قشعريرة وإغفاءة ، ما بين الفينة والفينـــة ، فكيف يسحبه الموت سحبا ، وقد فعل سيفه الأفاعيل غداة (أحد) . الم يبشّروه بالشـــــهادة ؟.

فليكن رصيده عنــد بعضهم ــ ولو القليل منهم ــ وهمـــا شائعا بأن (قزمان) شهيد ، أو على الأقل ، أن يكون لهذا (القزمان) ذكر على أى نحو يكون عليه هذا الذكر ، بخير أو بشر . المهم أن يكون ذكر سيرته أقصى مراده .

ولم يعد (قزمان) يصبر ، فقد طال به الوقت ، وهو فى الحقيقة لم يطل ، فأخذ سهما من كنانته المشــــحونة ، وقطع به رواهن ذراعه من الباطن وجعل يتوجأ به نفسه ، استعجالا منه للنهاية المحتومة لكل حى ، فلما ابطأ عليه الرجاء ، ساعفته البقية الباقية من تفكيره المنهار ، وهو يتداعى من كل جوانبه ، كأنه جدار يتصدع من غير نجدة ، وامسك بسيفه المتمدد الى جواره كالثعبان القتيل ، فوضع نصله بالأرض ، وتحامل على سيفه ، حتى خرج من ظهره ، فنحر نفسه ، ولفظ آخر أنفاسه ، من غير توجع ، فاذا به جثة هامدة .. الى النار .. وبئس القرار .

وصدق رسول الله

شاع الخبر وذاع ، وعلم به الحاضر والبادى ، وأسرع (أكثم الخزاعى) الى رسول الله :

اكثم : يا رسول الله ، صدق الله حديثك ، انتحر (قزمان)، فقتل نفسه .

النبى : **قم يا (بلال) فاذن فى الناس أنه لا يدخل الجنة الا مؤمن ، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .**

ويتلوه آخر ، ليخبره أيضا بقزمان فيقول النبى أيضا .

النبى : الى النار .

ـــ : يا رسول الله ، الرجل يقاتل شجاعة . ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أىّ ذلك فى سبيل الله .. ؟

النبى : **من يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله .**

ـــ : ؟.. ؟.. ؟... ؟.

النبى : إن أحدكم ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس ، وهو من أهل الجنـــة .

ولم يكد النبى عليـــه الســـلام يتم حديثه حتى جاء أحـــدهم يخبره عن (الأصيرم الأشهلى) الذى كان يأبى الاسلام على قومه ، فلما نادى منادى الجهاد صباح اليوم ، سأل عن قومه ، فقيل له : خرجوا مع رسول الله الى (احد)، فحدثته نفسه بالاسلام ، وحمل سلاحه وركب فرسه ، ودخل فى الصفوف ، وقاتل حتى أصابه جرح قاتل ، فلما هدأت المعركة تفقد النـــاس قتلاهم ، فوجدوه من بينهم يجود بروحه ، فتعجبوا من أمره ..

ـــ : ما جاء بك ؟ مناصرة لقومك أم رغبة فى الاسلام ؟.

الأصيرم : لا والله ، بل رغبة فى الاسلام ، آمنت بالله ورسوله ، وقاتلت حتى اصابنى ما أصابنى ، ومات بين أيديهم .

النبى : إنه من أهل الجنة .

ـــ : ولم يصلّ ركعة واحدة فى حياته ؟!

وشتان بين (الأصيرم) ، و .. (قزمان) .

المسجد المعمور

اللواء : محمود شيت خطاب

المسجد المهجور الذى تحدثت عنه فى مقال سابق ، أصبح اليوم معمورا بالمصلين وبذكر الله .

وأصبح الذين يجاورون المسجد ، يسمعون صوت المؤذن خمس مرات كل يوم ، يدعوهم الى الصلاة ويذكرهم بموعدها .

وأصبحت الصلوات الخمس تقام فيه جماعة ، وأصبح المصلون يجدون من يجيبهم على أسئلتهم الدينية ، وينصتون الى امام المسجد يعظهم ويرشدهم الى طريق الحق والخير .

وقد بدأ المسجد يعمر بالمصلين بالتدريج : كان المصلون قليلين أولا ، ثم تزايد عددهم ، حتى أوشك أن يزدحم بهم المسجد .

والظاهرة التى تستحق الالتفات ، أن أكثرية المصلين من الأطفال والشباب ، وأن أقليتهم من الطاعنين فى السن .

وهذه الظاهرة تشرح الصدور المؤمنة ، وتضاعف من آمالهم في المستقبل الزاهر بالايمان .
والواقع ، أن النفوس على استعداد لتقبل الهداية ، ولكن أين من يدعو الى الله على هدى وبصيرة ؟
.. أين ..؟
ان النفوس قد (مجت) الانحلال والتفسخ ، وقد كرهت انحدار النشء الجديد الى مهاوى الرذيلة ، فقد لمست (عمليا) محاذير الابتعاد عن الفضيلة والانغماس فى الرذيلة ، ووجدت (التيه) والضياع الذى يعانيه الشباب لبعدهم عن الله ولقربهم من الشيطان ، فهى بحاجة شديدة الى من يعيدها الى طريق الحق والخير والنور .
ملت تلك النفوس حياة التشرد ، وتاقت الى حياة الاستقرار ، وكرهت طريق الاعوجاج وأحبت طريق الاستقامة .
ولكل (فعل) كما هو معروف (رد فعل) ، وحياة شباب الهيبز والخنافس يقابلها رد فعل فى حياة التقوى والورع .
والمساجد تزدحم عادة بالشباب فى أيام الهزات العقيدية والخلقية كرد فعل للانحراف والمبادىء الوافدة المستوردة .
ان الشباب اليوم بحاجة ماسة الى من يقول لهم : من هنا طريق الحق والخير والايمان .
والمسجد المعمور خير مكان للدلالة على هذا الطريق .

— ٢ —

كيف أصبح المهجور معمورا ؟
عين (امام) للمسجد ، يصلى بالناس ، ويخطب خطبة الجمعة .
وهذا الامام شاب فى مقتبل العمر ، تخرج فى معاهد دمشق الدينية ، ولهذه المعاهد سمة خاصة بها تكاد تكون قاعدة أساسية ، هى : أن خريجيها متدينون .
وقد جاء هذا الشيخ الشاب ، وفى نفسه تصميم على العمل فى خدمة الدين الحنيف .
وبدأ يزور الناس فى بيوتهم ، ويحثهم على زيارة المسجد المهجور ، وقد استجاب بعض الناس لدعوته ، وأعرض عنها آخرون .
وفى خطبة الجمعة الأولى ، حث السامعين على استصحاب أولادهم الى المسجد لحضور صلاة الجمعة والصلوات الأخرى .
واستجاب بعض الناس لدعوته ، وأعرض عنها آخرون أيضا .
وازداد عدد المصلين فى الجمعة التالية ، وظهر عنصر الأطفال والشباب بين المصلين .
وأخذ عدد المصلين الكهول والشيوخ يزداد ، ولكن ازدياد عدد الاطفال والشباب كان أكثر من ازدياد الكهول والشيوخ .
وقد صليت الجمعة الأخيرة فى مسجد القرية المعمور ، فكان عدد الاطفال والشباب أضعاف عدد الكهول والشيوخ .
أخذ الأطفال يحثون اخوانهم من الأطفال على حضور المسجد .
وأخذ الشباب يحثون لداتهم من الشباب على حضور المسجد .
وانتهز امام المسجد هذه الفرصة ، فاخذ يلقى دروس الوعظ على الأطفال والشباب وهم الأكثرية وعلى الكهول والشيوخ وهم الأقلية .

— ٣ —

كان المسجد وسخا جدا ، فاصبح نظيفا .
وكانت شبابيك المسجد تغص ببيوت العناكب ، وكانت رائحة المسجد عفنة ، وكانت جدرانه مجللة بالأوساخ .
وقد أردت أن أفتح أحد شبابيك

المسجد فى أيامه الأولى ، فتلطخ ذراعي بنسيج بيوت العنكبوت .
وكانت فضلات الفئران برائحتها الكريمة تملأ جنبات المسجد وتنفذ الى خارجه .
وكان الذى يمر بالمسجد يشم رائحة كريهة وهو خارج المسجد .
وكانت أرضية المسجد قذرة الى أبعد الحدود .
وكان سجاد المسجد عفنا وسخا ، يلوث ثياب المصلين .
وكانت حديقة المسجد مليئة بالأشواك والأدغال .
وكان صحن المسجد أشبه شىء بأماكن القمامة .
وشمر الامام الشاب عن ساعديه ، فأصبح المسجد مثالا للنظافة ، وأصبحت شبابيكه نظيفة جدا ، وأصبح السجاد الذى فيه نظيفا ، وأصبحت حديقته غناء .
أصبح المسجد مكانا مناسبا لاجتماع الناس نظافة ونظاما وترتيبا، وأصبح الذين يؤمونه يتعلمون منه وفيه النظافة ليطبقوها فى بيوتهم .
وأصبح المسجد مكانا مناسبا لسماع كلمة الدين ، فليس من المعقول أن تأمر الناس بالنظافة ، والنظافة فى الاسلام واجب مقدس ، ثم يكون المسجد مثالا للقذارة والارتباك .
والمهم فى الأمر ، أن الامام الشاب استفاد من الأطفال والشباب ، لتبديل المسجد من حال الى حال .
وقد قام هؤلاء بتنظيف المسجد وتعميره بحماس شديد ، طلبا لما عند الله من أجر وثواب .
وقد رأيتهم حريصين على القيام بخدمة المسجد ، يطالبون بها الامام كل يوم .
كان المسجد مقبرة ، فأصبح جنة .
وكان يسيىء الى سمعة المسلمين، فأصبح موضع اعتزازهم .
والفضل فى ذلك للامام الشاب .

— ٤ —

الداعية روح الدعوة ، ونحن بحاجة ماسة الى الدعوة فى (الداخل) كحاجتنا الى الدعوة فى الخارج .
وقد يعمل رجل الدين العالم العامل المجاهد فى خدمة الدين وفى الدعوة الى الله ، أعمالا فذة لا تستطيع النهوض بها المدارس والمعاهد والجامعات .
والمهم هو اختيار رجل الدين الصالح ، ليتولى ادارة المسجد وليجعل من المسجد المهجور معمورا .
وقد أحسن المسئول الدينى فى البلد الشقيق الذى أحل فيه الاختيار، فجزاه الله عن المسلمين فى القرية النائية خير الجزاء .
وأملي وطيد فى أن يعمر المساجد المهجورة الأخرى فى القرى النائية بمثل هذا الامام الشاب .
لقد تعلمت من هذا الشاب المعمم درسا لن أنساه ، هو أن الداعية المخلص يستطيع أن يفعل كثيرا من الأمور التى هى بحاجة الى المال بدون مال !
فقد أدخل فى المسجد تحسينات كثيرة تساوى الكثير فى حساب المال، ولكنه أنجز تلك التحسينات بالأطفال والشباب .
بدأ ببناء نفوس هؤلاء وتطهيرها ، فاصبحت مستعدة لعمل كل شىء .
كتب سفير أمريكى الى حكومته سنة ١٩٦٢ : ((ان عمامة بيضاء فى افريقية السوداء أخطر من قنبلة ذرية)) .
وصدق هذا السفير ، فالقنبلة الذرية تدمر الرجال ، والعمامة البيضاء تبنى الرجال .
بقى أن يعرف المعممون مكانهم ومكانتهم ، فهم ورثة الأنبياء ، وهذا أعظم منصب فى الدنيا .
وبقى عليهم أن يعملوا على أن يكونوا ورثة الأنبياء حقا .

نقد ابن كثير للاسرائيليين

للأستاذ : اسماعيل سالم عبد العال

يعتبر موضوع الاسرائيليات في التفسير والحديث أمرا بالغ الخطورة لأنه يتعلق بأقدس كتاب واخلد عقيدة ، القرآن الكريم والعقيدة الاسلامية .

والكثير من التفاسير وبخاصة المأثور منها قد ذكرت الاسرائيليات على تفاوت بينها قلة وكثرة ونقدا لها وسكوتا عنها ، وقد أشار شيخ الاسلام ابن تيمية الى هذا فقال « في التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة ، مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة فانها موضوعة باتفاق أهل العلم ، والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع ، والواحدي صاحبه كان أبصر منه بالعربية لكنه هو أبعد عن السلامة واتباع السلف ، والبغوي في تفسيره مختصر من الثعلبي ، لكنه صان نفسه عن الأحاديث الموضوعة والآراء المتبعة ، والموضوعات في كتب التفسير كثيرة » (١) ..

ودلالة هذا ، اننا نحتاج الى دراسة عميقة متأنية للتفاسير والروايات المأثورة بحيث نجد أمامنا هذا الحشد الهائل من التفاسير التي اكتظت بالاسرائيليات قد نقيت وخلت منها تماما ، وهو عمل يحتاج الى مؤسسة قرآنية أو جماعة متخصصة تتضافر جهودها على الكشف عن هذه الاسرائيليات ونقدها وإبطالها وبخاصة في عصرنا هذا الذي أصبح التقدم العلمي والتكنولوجي من أكبر الحوافز التي تجعلنا ــ نحن الدارسين للتراث الاسلامي ــ نشعر بحمل ثقيل على كواهلنا طالما كانت هذه الاسرائيليات في كتب التفسير وبعض كتب الحديث وغيرها . ولن نهنأ حتى نقدم للمسلمين تراثا يغزو القلوب بدون تردد ، وفكرا تستسيغه النفوس بدون تشكك

وتفسيرا تفهمه العقول بغير تناقضات لأبسط الأسس العلمية .
وبعد دراستى لتفسير ابن كثير مع مقارنته ببعض التفاسير الاخرى ارى أن الحافظ ابن كثير هو أحد المفسرين القلائل الذين هاجموا بشدة هذه الخرافات الاسرائيلية وحذر منها كثيرا فى تفسيره وفى كثير من كتبه منذ ما يزيد على الستمائة عام .
ولقد كان هجوم ابن كثير على هذه الاسرائيليات قائما على أساس علمى سليم ، وتفنيدا لها من حيث السند والمتن ، مؤكدا لنا أن غالب هذه المرويات كذب وافك مبين . يقول ابن كثير : « ثم ليعلم أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان ، لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل وما أقل الصدق فيه ، ثم ما أقل فائدة كثير منه ولو كان صحيحا » (٢) .
وهى كلمة حق يراد بها حق ، ما اقل الصدق فى الاسرائيليات ثم ما اقل الفائدة المرجوة منها ولو كانت صحيحة لأن ديننا قد كمل فى عقيدته وشريعته (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) (٣) .

موقف ابن كثير من الاسرائيليات

وقد عرض ابن كثير فى مقدمة تفسيره وفى ثناياه — موقفه من الاسرائيليات وبين حكمه فيها فى أكثر من وضع مؤيدا ما ارتآه بما ورد فى كتب السنة الصحيحة . ذكر عن الامام أحمد فيما رواه عبد الله بن ثابت قال : « جاء عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله انى مررت بأخ لى يهودى من قريظة فكتب لى جوامع من التوراة . الا اعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم،قال عبد الله بن ثابت قلت له : الا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا قال : فسرى عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى —عليه السلام —ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم ، إنكم حظى من الأمم ، وانا حظكم من النبيين » (٤) .
وينقل عن الحافظ أبى يعلى فيما رواه عن جابر — هذا الحديث — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا وانكم اما أن تصدقوا بباطل واما أن تكذبوا بحق وانه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعنى » .
وفى بعض الاحاديث : « لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما الا اتباعى » (٥) .
والنهى عن الأخذ من أهل الكتاب فى هذين الحديثين واضح ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يتغير وجهه حين يسمع عرض عمر لقراءة ما كتب له من التوراة عليه ، وقد تكون هذه الجوامع تهذيبا للنفس ، أو حثا على الاخلاق ، أو شيئا يرضى رسول الله فى ظن عمر بن الخطاب . لكن هذا التلقى عن أهل الكتاب مرفوض أصلا .
أما الحديث الثانى فالنهى فيه صريح .
وفى موضع آخر من التفسير يذكر رواية للامام أحمد عن جابر بن عبد الله (ان عمر بن الخطاب أتى النبى صلى الله عليه وسلم بكتاب اصابه من بعض أهل الكتاب ، فقراه على النبى صلى الله عليه وسلم قال — فغضب وقال : امتهوكون (٦) فيها يا بن الخطاب ؟ . والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو باطل فتصدقونه . والذى نفسى بيده لو ان موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى » (٧) .
وعمر — رضى الله عنه — لا يقبل أمرا يغضب الله ورسوله ، ومن ثم

فقد استجاب لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعى هذا الدرس جيدا حتى جاءته الخلافة فوقع لرجلين ما حدث له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« روى الحافظ أبو بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلى باسناده أن رجلين كانا بحمص فى خلافة عمر رضى الله عنه فأرسل اليهما فيمن أرسل من أهل حمص ، وكانا قد اكتتبا من اليهود (صلاصفة) (٨) فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين يقولون — ان رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبة ، وان نهانا عنها رفضناها ، فلما قدما عليه قالا — إنا بأرض أهل الكتاب وانا نسمع منهم كلاما تقشعر منه جلودنا أفنأخذ منه أو نترك ؟ فقال — لعلكما كتبتما منه شيئا . فقالا : لا . قال : سأحدثكما انطلقت فى حياة النبى — صلى الله عليه وسلم — حتى أتيت خيبر ، فوجدت يهوديا يقول قولا أعجبنى فقلت : هل أنت مكتبى مما تقول ؟ قال : نعم . فأتيت بأديم فأخذ يملى على حتى كتبت فى الاكراع : فلما رجعت قلت : يا نبى الله ، واخبرته . قال : « ائتنى به » . فانطلقت أرغب عن الشيء رجاء أن أكون جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض ما يحب فلما أتيت به قال : (أجلس اقرأ على) فقرأت ساعة ثم نظرت الى وجه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاذا هو يتلون ، فتحيرت من الفرق ، فما استطعت أن أجيز منه حرفا ، فلما رأى الذى بى ، رفعه ثم جعل يتبعه رسما رسما ، فيمحوه بريقه وهو يقول : « لا تتبعوا هؤلاء فانهم قد هوكوا وتهوكوا » . حتى محا آخره حرفا حرفا . قال عمر — رضى الله عنه — فلو علمت أنكما كتبتما منه شيئا جعلتكما نكالا لهذه الامة ، قالا : والله ما نكتب شيئا أبدا ، فخرجا بصلاصفتهما ، فحفرا لها فلم يألوا أن يعمقا ، ودفناها فكان آخر العهد منها .

قال ابن كثير وروى أبو داود فى (المراسيل) من حديث ابن قلابة عن عمر نحوه (٩) .

لهذا وغيره نجد الحافظ ابن كثير يتعقب الاسرائيليات ، ويبطل كثيرا منها ، لكن ، ما رأى ابن كثير فى الحديث الذى رواه الامام البخارى ، وذكره هو فى مقدمة التفسير والذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » ؟ الاجابة عن ذلك نجدها فى تقسيمه للاسرائيليات .

اقسام الاسرائيليات :

قسم الحافظ ابن كثير الاسرائيليات كما فعل شيخه ابن تيمية فى كتابه (مقدمة فى أصول التفسير) الى ثلاثة أقسام : —

« أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح .

والثانى : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ، ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، ويجوز حكايته » (١٠) .

ويتحدث عن القسم الثالث فى موضع آخر (١١) فيقول : (ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون فى روايته يقول عليه السلام : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » وهو الذى لا يصدق ولا يكذب لقوله « فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » (١٢) .

اما ما جاء موافقا لما عندنا ، فمثاله ما رواه الحافظ ابن كثير عن ابن جرير الطبرى عند تفسير قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ..)

الاعراف : ٧/١٥٧ .
« قال ابن جرير : حدثنا المثنى ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا فليح عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في التوراة قال : أجل ، والله انه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن (يأيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وحرزا للاميين ، أنت عبدى ورسولى، اسمك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به قلوبا غلفا ، وآذانا صما ، وأعينا عميا . قال عطاء : ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلف حرفا ، الا ان كعبا قال بلغته : قلوبا غلوفيا وآذانا صموميا وأعينا عموميا » .

قال ابن كثير معلقا على هذا الحديث : وقد رواه البخارى في صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن على . فذكر باسناده نحوه ، وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وذكر حديث عبد الله بن عمرو (١٣) .

أما القسم الثانى من الاسرائيليات وهو ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه ، فهى كثيرة، وقد ذكر ابن كثير شيئا كثيرا منها ، وعقب عليه بالنقد وأبطله ، وسنضرب لذلك الامثال فيما بعد ان شاء الله .

أما القسم الثالث ، وهو المسكوت عنه فيوضح ابن كثير موقفه منه حين يقول في مقدمة التفسير : « وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر دينى ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرا ، ويأتى من المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون في مثل هذا اسماء أصحاب الكهف ،ولون كلبهم ،وعددهم ،وعصا موسى من أى الشجر كانت ، واسماء الطيور التى أحياها الله لابراهيم وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى ، الى غير ذلك مما أبهم الله تعالى في القرآن ، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم » .

ثم يبين حكم نقل الخلاف في ذلك وفائدته فيقول : —

« ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا » (١٤) . فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغى في مثل هذا ، فانه تعالى حكى عنهم ثلاثة أقوال ، ضعف القولين الاولين وسكت عن الثالث ، فدل على صحته ، اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما . ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته . فقال في مثل هذا (قل ربى أعلم بعدتهم) فانه ما يعلم ذلك الا قليل من الناس ممن أطلعه عليه . فلهذا قال : (فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا) . أى لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك فانهم لا يعلمون من ذلك الا رجم الغيب ، فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف ، أن تستوعب الاقوال في ذلك المقام ، وان تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فتشتغل به عن الأهم فالأهم » (١٥) .

ونفيد من هذا النص :

١ — أن ما أخذ عن أهل الكتاب مما هو مسكوت عنه تجوز روايته .

٢ — وان هذا المروى لا فائدة فيه .

٣ ــ كثرة الخلاف فى هـــــــذه المرويات .

٤ ــ وجوب استيعاب الاقوال فى حكاية الخلاف والتنبيه على الصحيح والبـــاطل ، وذكـــر فائدة وثمـــرة الخـــلاف .

٥ ــ عـــدم اثارة الخلاف فيمـــا لا طائل تحته حتى لا يتشعب الخلاف ويضيع الزمان .

ويؤكـــد ابن كثير حرصه علـــى الاعراض عن كثير من الاسرائيليات لما فيها من تضييـــع الوقت ، ومـــا اشتملت عليه من كذب فاضح فيقول فى تفسير قوله تعالى : « ولقد آتينا ابراهيم رشـــده من قبـــل وكنـــا به عالمين » الأنبياء ــ ٢١/٥ « وما يذكر من الاخبار عنه فى ادخال أبيه له فى السرب وهو رضيع ، وانه خرج بعد أيام ، فنظر الى الكواكب والمخلوقات، فتبصر فيها ، وما قصـــــه كثير من المفسرين وغيرهم ، فعامتها أحاديث بنى اسرائيل ، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقتـــه الصحيح ، وما خالف شيئا من ذلـــك رددناه ،وماليس فيه موافقة ولامخالفة لا نصدقه ولا نكذبه ، بل نجعله وقفا ، وما كان من هـــذا الضرب منها فقـــد رخص كثير من السلف فى روايته ، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ، ولا حاصل له مما ينتفع به فى الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين فـــى دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملـــــة الشاملة .

والذى نسلكه فى هذا التفسير ، الاعراض عن كثير مـــن الاحاديـــث الاسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم ، فانهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمهـــا ، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هـــــذه الامة » (١٦) أى أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فما ابلغ هذا البيان عن الاسرائيليات وما أروعه !!.

ان الكثير منها كذب وبهتان ، وفى ذكره تضييع للزمان ، وعدم فائدة تعود على المكلفين ، ومع هذا فان الكثير من السلف ــ رحمهم الله ــ قد وضعوا هذا الكذب المنقول عن أهل الكتاب غير الحفاظ والذى لا فائدة منه بجـــوار كلمات الله ، تفسيرا لبعضها ، وهو أمر ما كان ينبغى أن يحدث . ولذا فان الحافظ ابن كثير قد وجه انتقـــادات كثيرة لهذه الاسرائيليات التى لا يقبلها عقل سليم ولا يقرها شرع صحيح ، وارجو أن أبين هذا الموقف الكريم لابن كثير فى مقالات أخرى ان شاء الله .

● ابن كثير هو العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ اسماعيل بن عمر المولود سنة ٧٠٠ هـ والمتوفى سنة ٧٧٤ هـ وقد نلت عنه وعن منهجه فى التفسير درجة الماجستيـــر من كلية دار العلوم جامعة القاهرة .

(١) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ١٩ مطبعة الترقى بدمشق الطبعة الاولى .

(٢) تفسير ابن كثير ٤١٦/٣ طبعة الحلبى .

(٣) المائـدة ٣/٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣٧٨/١ .

(٥) المصدر السابق : الموضع نفسه .

(٦) التهوك : التحير .

(٧) تفسير ابن كثير ٤٦٧/٢ .

(٨) الصلاصفة : شىء يكتب فيه .

(٩) تفسير ابن كثير ٤٦٨/٢ .

(١٠) تفسير ابن كثير ٤/١ .

(١١) المصدر السابق ٢٧٥/٢ .

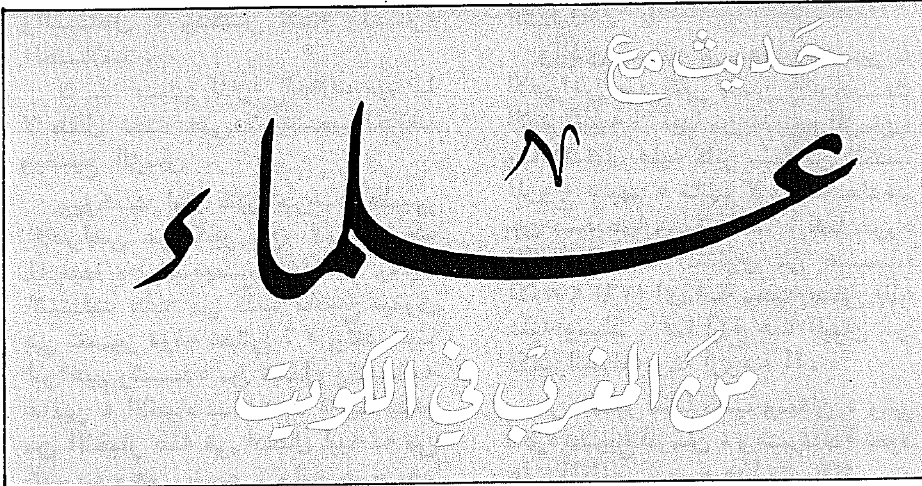
(١٢) هناك أقسام أخرى للاسرائيليات باعتبار الموافقة لما فى شرعنا أو المخالفة له ، وباعتبار موضع الخبر الاسرائيلى وهى قريبة من بعضها وقد ذكرها الاستاذ الفاضل محمد حسين الذهبى فى كتابه القيم (الاسرائيليات فى التفسيـــر والحديث) .

(١٣) تفسير ابن كثير ٢٥٣/٢ .

(١٤) الكهف ٢٢/١٨ .

(١٥) تفسير ابن كثير ٤/١ .

(١٦) المصدر السابق ١٨١/٣ ــ ١٨٢ .



اعداد الأستاذ عبد الحميد محمد البسيوني

من الأرض التي كانت معبرا للنور ..

وحملت عبق المجاهدين الأوائل ، من أمثال عقبة بن نافع ، وموسى بن نصير وحسان بن النعمان الغسانى ..

وولدت القائد الفذ طارق بن زياد ..

من أرض المغرب الحبيب ، البلد العربى المسلم الذى أذهل جنده فى معركتنا الأخيرة كل عربى بالمشرق ، بثباتهم الصابر ، وحماستهم المؤمنة .

من هذه الأرض الطيبة ، نزل الكويت ، ضيفا على وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية جماعة من علماء المغرب ، هم الأستاذ الشيخ « الحسن السايح » المدير السابق للتعليم الاسلامى بالملكة المغربية ، والمفتش الأول بوزارة التربية الوطنية وأستاذ الآداب بالمعاهد العليا .. وللأستاذ السايح يد فى توجيه الثقافة الإسلامية بالمغرب ، إذ هو من مؤسسى « اتحاد كتاب المغرب » ، و « شبيبة النهضة الاسلامية » ..

ومنهم الأستاذ « أحمد سحنون » رئيس قسم التعليم العالم بوزارة التربية الوطنية ..

والأستاذ جبران عبد السلام المسفيوى ، نائب عميد كلية الدراسات العربية بمراكش .

وقبيل عيد الفطر المبارك ، التقيت بالعالمين الفاضلين السايح وسحنون ، وكان من أهم دوافع هذا اللقاء لدى مجلة « الوعى الاسلامى » أن تقف قارئها على أهم المعالم العلمية ، وخاصة ما يتعلق بالثقافة الاسلامية والتعليم الدينى ، ولكن صوت

المعركة الحالية جعلنى أبدأ الحوار بهذا السؤال :

● ترون سيادتكم أن المعركة الحالية هى رأس الأمر الذى يشغل بال المسلمين ، فما الرأى الذى تدلون به موضحا واجب الجماهير المسلمة فى الأمة العربية نحو المعركة ؟

وتفضل الشيخ السايح ، بعد نظرة الى صاحبه ، كأنه يسترجع معه حديثا تجاذباه من قبل ، فقال :

ـ الأمر الآن ليس أمر رأى ووصايا ، وللمرة الأولى أشعر ، ويشعر معى كل عالم وكل فرد ، أن حركة الأمة المسلمة : الواعية ، المليئة بالحماسة والثقة ـ قد سبقت كل كلام ، وفاقت كل تعبير .. ومن هنا أبدأ بأول الرأى :

أن يستمر كل مسلم على هذه الوتيرة : **وعى لا يغفل ، وعمل لا يفتر ، وكلام قليـل .**

موسى بن نصير .. القائد الفاتح ، يهدى تجاربه لقوادنا فى الحرب

وأضاف الأستاذ الشيخ أحمد سحنون :

لعله من الخير هنا ، أن أسوق ما قاله أحد قادة الفتح فى المغرب : موسى بن نصير رحمه الله .. سأله سليمان بن عبد الملك : ماذا كانت عدتك فى حرب عدوك ؟

فأجاب : التوكل على الله ، والدعاء إليه يا أمير المؤمنين ..

فيسأله سليمان : هل كنت تمتنع فى الحصون والخنادق ، أم كنت تخندق حولك ؟

فيجيب القائد الخبير المؤمن : **كل هذا لم أفعله ، بل كنت أنزل السهل ، وأستشعر الخوف والصبر ، وأتحصن بالسيف والمغفر ، وأستعين بالله ، وأرغب إليه فى النصر ..**

فبادرت قائلا : هذا كلام يحتاج الى فضل بيان .

ويمد الشيخ يده الى كتاب بجانبه بعنوان « قادة الفتح الاسلامى فى المغرب العربى » ، ويقول : هذا كتاب ألفه رجل من رجالات الحرب ، اللواء الركن محمود شيت خطاب ، وأظنه أولى الناس بما سألت من بيان ، ثم قرأ هذه السطور :

« إن موسى بن نصير كان قائدا تعرضيا ، يهاجم عدوه دائما ، ولا يؤمن بالدفاع ، وكان يستشعر الخوف من عدوه ولا يستهين به ، ولذلك يعد له كل ما يستطيع من قوة ومن رباط الخيل ، ويصبر على قتاله » .

وخشيت أن تستطرد بنا القراءة ، فسألت :

● ولو تكرمتم ببيان الدور الذى ينبغى أن يقوم به رجل الدين فى المعركة ..

فأجاب الشيخ السايح :

ـ لى اعتراض شكلى على السؤال .. فرجل الدين فى المعركة هو الذى يحمل السلاح الآن ، ويصلى بحر المعركة ، ليذود عن دينه وعرضه ووطنه ، فذلك المسلم حق المسلم .. فنبينا صلى الله عليه وسلم ، هو صاحب الدين ، وهو أفضل المجاهدين ، ومن أقواله الفذة **« جعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى » ..**

أما إن كنت تريد دور « العالم » فدوره واضح جدا : أن يكون هو النموذج العملى أمام الجماهير بذلا وتضحية ، وأن يكون أول المبادرين لما ينصح به غيره .

● والآن يا سيدى ، نحب أن يقف القارىء المشرقى على لمحة مختصرة من الواقع الاجتماعى والدينى فى « المملكة المغربية » ؟

وتفضل الشيخ الحسن السايح فقال :

ـــ المغرب واقعا ، والمغرب تاريخا ، بلد **عربى مسلم** ، فلم يعرف المغرب قبل الإسلام « شخصية كاملة » ، وإنما تبلورت هذه الشخصية حين بلغته جحافل الفاتحين ، الحاملين لرسالة الإسلام ، فوجدت المغاربة الأولين ، وهم من البرابرة ، الذين يرجع أصلهم إلى **العرب اليمنيين** حسب الروايات المعتمدة عند ابن خلدون ، وغيره من علماء التاريخ والاجتماع .. ولعل ذلك هو الذى يعلل مساندة المغاربة القدماء للفينيقيين فى مقاومة الغزو الرومانى الوندالى ، إنه وحدة الأصل المشرقى ..

● من هم البربر ؟
● لماذا ساند البربر الفينيقيين فى صد الغزو الرومانى ؟
● متى وجد البربر أنفسهم ؟

حتى إذا جاء الاسلام وجد المغاربة فيه شخصيتهم .. وما هى الا سنوات معدودة حتى ظهر القائد البربرى **طارق بن زياد** ، قائد الفتح فى بلاد الأندلس ، وله خطبة مشهورة بالعربية ، تعد من نماذج الفصاحة والبيان ، ثم ظهر من الفقهاء المغاربة **يحيى الليثى** تلميذ الإمام مالك .. ولعل أكبر الدليل على انتشار العربية المبكر فى المغرب ، أنه قد ظهر فيه منذ بداية الفتح الاسلامى مئات الشعراء والخطباء والكتاب .

● وبم تعللون سيادتكم هذه الاستجابة السريعة للتعرب ؟

ـــ ذكرت لك أولا « وحدة الأصل » ، وفى هذا وحدة الفطرة اللغوية ، والأهم من ذلك استجابة البربر السريعة للاسلام ودخولهم فيه ، فكان القرآن الكريم بغير شك هو العامل الأول فى انتشار اللغة العربية ، لأن المسلمين يحفظونه ويرتلونه ، فهو كلام ربهم ، والأصل الأول للدين ، ثم يتعلمون من العلوم ما يعين على شرحه وفهمه ..

● والآن نحب أن نسأل : ما الإطار الاسلامى للمغرب الحديث ؟

ـــ المغرب الحديث هو استمرار للمغرب القديم ، وإن شئت التحديد فالمغرب بلاد عربية مسلمة فى إطار حديث .. ونعم ، لقى المغرب فى سبيل الحفاظ على هذا الاطار جهدا جهيدا ، وما زال حتى يوم الناس هذا يبذل فى ذلك جهودا عظيمة .. فلعل المواطن المشرقى هنا قد وقف على طرف من الصراع الرهيب بين العربية : لغة الإسلام ووعائه ، والفرنسية التى عمل المستعمر الفرنسى على تثبيتها ، وجعلها لغة العلم والثقافة مكان العربية .. ولكن نتيجة الصراع أثبتت الغلبة للعروبة والإسلام .. والأدق من ذلك أن نقول : أثبتت الغلبة للعروبة بسبب الإسلام ..

● حرب الاستعمار للغة العربية .
● مفهوم « العروبة » فى المغرب .
● أهم الجمعيات الاسلامية فى المغرب .

وإذا سمحت لى ، فأحب أن أوضح **مفهوم العروبة فى المغرب ، فهى عندنا لا تعنى عروبة الجنس ، بقدر ما تعنى عروبة اللغة والأخلاق والقيم ، ولهذا ينص الدستور المغربى على أن الإسلام دين الأمة المغربية ، والعربية لغتها .**

وإذا زرت المغرب اليوم فسوف تجد عشرات الجمعيات والأندية الاسلامية ، اذكر لك من بينها « رابطة علماء المغرب » و « جمعية قدماء القرويين » و «رابطة علماء سوس » و « جمعية خريجى دار الحديث الحسنية » ..

● وماذا عن المجلات الإسلامية فى المغرب ؟

ـــ نعم ، تصدر فى المغرب عدة مجلات إسلامية ، من بينها « دعوة الحق » و « الارشاد » و « الثقافة المغربية » و « الباحث » و « تطوان » .. هذه المجلات ذات طابع إسلامى أساسا .. ولا تنس الصحف السيارة اليومية ، التى لا تخلو صفحات منها من الحديث عن الشؤون الاسلامية ، والمشاكل الفكرية ودور الإسلام فيها ..

● ما دام الحديث عن الثقافة ، فنرجو من الأستاذ أحمد سحنون ، رئيس قسم التعليم العالى بوزارة التربية أن يعطينا فكرة مفصلة عن التعليم الدينى بالمغرب ..

ـــ إن التعليم الدينى بالمغرب يرتبط ارتباطا وثيقا بجامعة القرويين ، التى تعتبر من أقدم الجامعات فى العالم ، حيث انها أسست سنة ٢٤٥ هـ على يد **أم البنين : فاطمة الفهرية** إحدى المهاجرات من القيروان الى فاس .. ومنذ تأسست وهى تقوم بدور التثقيف والتربية والتعليم ، وقد تخرج منها على مر العصور مئات العلماء فى مختلف العلوم والفنون .

● هل يعنى هذا أنه كان فيها أقسام مختلفة بحسب فروع المعرفة ؟

ـــ نعم على نحو ما ، اذ كانت الدروس فيها حلقات حلقات ، فى كل حلقة عالم يدرس فنا من فنون المعرفة يتصدر فيه ، كالتفسير والحديث والفقه وأصوله ..

● إذن كان الأمر يقتصر على العلوم الشرعية !

ـــ كلا ، فقد كان هناك أيضا ما يسمى بعلوم الآلة ، من نحو وصرف وبلاغة ، وكذلك علوم الفلك والرياضيات وغيرها ..

والجدير بالبيان أن الطلبة كانوا هم الذين يختارون الأستاذ بحسب ميولهم والفن الذى يرغبون فى تحصيله .

● جامعة القرويين من أقدم الجامعات ، فمتى أسست ؟
● من المرأة المسلمة التى أسست هذه الجامعة ؟
● متى أدخل عليها النظام الحديث ؟
● ما الدور الذى تقوم به جامعة القرويين فى أفريقيا ؟

● ما المدة التى كان على المتعلم أن يقضيها فى جامعة القرويين ؟

ـــ لم تكن هناك مدة محدودة .. ما هو إلا أن يتم الطالب دروسه على أستاذه أو أساتذته ، ثم يشعر أنه تكونت لديه ملكة فى الفهم والاحاطة ، وأن لديه القدرة على التدريس ، فتجتمع لجنة من كبار العلماء لامتحانه ، فان نجح أعطوه اجازة التدريس .. وكان الطالب يحصل على اكثر من إجازة من العلماء المتصدرين كاعتراف له بالقدرة على التدريس أو الافتاء أو الرواية .

وفى سنة ١٩٣٠ م أصبحت الدراسة فى جامعة القرويين نظامية ، ووزعت الدراسة فيها على اثنتى عشرة سنة : ثلاث ابتدائية ، وست ثانوية ، وثلاث فى

التعليم العالى ، يحصل الطالب بعدها على « شهادة العالمية » وهى أعلى شهادة كانت تمنحها جامعة القرويين .. كما توسعت الجامعة ، فأصبح لها فروع فى فاس ومكناس ومراكش وتطوان .

ومنذ عهد الاستقلال توسعت دائرة التعليم الدينى ، فشملت معاهده جل المدن المغربية ، وأدخل تعديل على نظام جامعة القرويين ، فأصبح التعليم العالى فيها يضم ثلاث كليات ، هى : كلية الشريعة بفاس ، وكلية أصول الدين بتطوان ، وكلية الدراسات العربية بمراكش ، ومن المنتظر أن تفتح كليات أخرى فى المستقبل القريب بحول الله .

ومن الجدير بالتنويه أن كل مؤسسة من مؤسسات التعليم الدينى تحتوى على مكتبة خاصة بها ، بالاضافة الى مكتبة القرويين الكبرى ، التى تحتوى على كثير من المخطوطات النادرة ، التى لا وجود لها فى غيرها .

وقد تعززت جامعة القرويين باحداث « دار الحديث الحسنية » بالرباط ، وهى مؤسسة للدراسات الاسلامية العليا ، وتمنح لقب الدبلوم والدكتوراة .

● لو سمحتم لى سيادتكم بسؤال : هل تقتصر جامعة القرويين على قبول الطلبة المغاربة فقط ؟

ــ هذا ما كنت سأتم به حديثى .. كانت جامعة القرويين ولا تزال تضم الكثير من الطلبة المسلمين ، من مختلف أنحاء العالم ، وخصوصا من أفريقيا وآسيا ويوجد بها الآن فى المرحلتين الثانوية والعالية حوالى خمسمئة طالب أجنبى ، من مختلف الدول الأفريقية والأسيوية ، وحتى من أوروبا .

وأحب إكمالا لصورة التعليم الدينى فى المغرب أن أنبه الى أن هناك نوعا آخر من التعليم الدينى لا يخضع كسابقه لاشراف وزارة التربية ، فهناك مراكز أخرى للتعليم الدينى ، توجد فى أهم المدن المغربية ، الغرض منها تكوين الدعاة والمرشدين ، ويشرف على هذه المراكز وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية .

وفى نهاية جوابى ، أحب أن أقول للقارىء إن هذه لمحة سريعة ، بل خاطفة عن التعليم الدينى بالمغرب ، وقد صدرت عدة دراسات عن هذا التعليم وتطوره ، وعن جامعة القرويين بالخصوص ، وآخر ما أذكر من ذلك أطروحة للدكتور عبد الهادى التازى سفير المغرب سابقا بالعراق واحد علماء جامعة القرويين ..

● أشرتم فى حديثكم الى مكتبة جامعة القرويين ، فهل لكم أن تزيدونا إيضاحا عنها ؟ وهل بالمغرب مكتبات أخرى ؟

ــ الواقع أن المغرب ملىء بالمكتبات ، منها العام ، ومنها الخاص .

وتعتبر مكتبة جامعة القرويين (وهى قريبة من الجامعة بمدينة فاس) من أقدم المكتبات المغربية ، وتضم مجموعة كبيرة من الكتب فى مختلف فنون المعرفة ، وأهم ما فيها مجموعة كبيرة من المخطوطات النادرة ، بل ان بها ــ كما قلت ــ مخطوطات لا وجود لها بسواها .

وتوجد بالرباط مكتبة لا تقل عن مكتبة القرويين ، وهى قسمان : قسم للمطبوعات ، وآخر للمخطوطات والوثائق ، يحوى عدة آلاف من الكتب ، بعضها لا يعرف له نظير حتى الآن فى مكتبات العالم ، كما اكد ذلك بروكلمان وغيره من

● ماذا تعلم عن مكتبات المغرب ؟
● نفائس المخطوطات التى تنفرد بها جامعة القرويين .
● ماذا قال بروكلمان عن الخزانة العامة ؟
● الخزانة الملكية بالرباط .
● مكتبات المساجد .
● المكتبات الخاصة .

المهتمين بهــذا الميــدان .

وتوجد أيضا بالرباط الخزانة الملكية ، وهي وإن كانت ملكا خاصا للعائلــة المالكة فانها موضوعة رهن إشارة العموم ، وبهـــا هى الأخرى نفائس عظيمـــة لا وجود لمثلهـــا .

ويقبل على هذه المكتبات الثلاث كثير من الدارســـين ، والمهتمين بالتحقيق ، وتزورها بعثات علمية وثقافية من جميع بقاع العالم .

وبالاضافة الى هذه المكتبات الثـــلاث توجد مكتبات متوســـطة وصغيرة فى مختلف المدن المغربية ، كما توجد مكتبات مهمة جدا فى كثير من الزوايا والمساجـــد المنتشرة فى أنحاء المغرب .. وتقوم وزارة الأوقـــاف والشؤون الاســـلامية الآن بفهرستها وتنظيمها .

ومما يجب الاشارة اليه هنا المكتبات الخاصة ، فهى كثيرة ، لا يخلو بيت من البيوتات الكبرى ، وخاصة بيوتات أهل العلم من مكتبة علميـــة تختلف أهميتهـــا باختلاف أحوال الأسرة .

● سؤال أرجو أن يكون أخيرا بعد هذه السياحة الطويلة فى معاهد المغرب ومكتباتها ..

ما العلاقة بين الثقافة المغربية الحديثة والتوجيه الاسلامى ؟
وما حظ التربية الاسلامية من مناهج التعليم ؟

وتفضل الأستاذ السايح فقال :

ـــ أختم بما بدأت به .. وإن حوادث الواقع خير ترجمان لما سألت عنه .. أعنى بذلك استجابة المغرب لمتطلبات المعركة الأخيرة ، ولعلك شاهدت معى على شاشة التلفزيون الكويتى جلالة الملك الحسن الثانى يبعث قـــواده بعلم المغـــرب ليقفوا بجانب إخوانهم فى معركة الشرف .

أقول : إن هذا الموقف ليس مجرد صدفة ، ولا هو رد فعل للحظة عابـــرة ، إنه نتيجة لميراث أجيال ، وتربية قرون طويلة ، تؤكد دائما أخوة الإسلام .

ولذلك فإن التعليم فى المغرب هو تعليم إسلامى قبل كل شىء ، أعنى أنه فى مجموعه يخضع للتوجيه الاسلامى ، سواء من حيث المواد ، أو الهدف التربـــوى أو عدد الحصص .

وإن كنت ـــ شخصيا ـــ أعتقد أن رسالة البيت والمجتمع ـــ قبل ذلك ومعه وبعده ـــ أشد خطرا فى هذا الجانب ، وأهم بكثير من المدرسة .



وعشرات الأسئلة ما زالت فى رأسى ، وأشفقت على وقت الضيوف الكرام، وقدرت أن ما بقى سوف يكون مفتاحا بالأشواق ـــ فى قلبى وقلب كل مشرقى ـــ الى المتابعة والدرس والالتحام الفكرى .. وعسى أن يكـــون ذلك فى كل بقـــاع الإسلام .

الفتاوى

حكم المسلم الذى يتعامل مع اسرائيل

السؤال :

ما هو حكم المسلم الذى يعاون أو يتعامل مع اسرائيل .. ؟

آدم اسماعيل ـ مقديشيو

الاجابة :

المسلم هو الذى يلتزم أحكام الدين ، ويتولى الله ورسوله والمؤمنين ، ويقاطع من هو عدو لله ورسوله وللمؤمنين ، فلا يعـــاملهم ، ولا يعاونهم ، ولا يواليهم ، والاسرائيليون احتلوا أرضنا ، وشردوا أخواننا ، وخربوا ديارنا ، وقتلوا نساءنا وشبابنا ، فهم أعداؤنا وأعداء الله ، وكل من يعاونهم ويساعدهم بالعمل فى مصانعهم ، ومتاجرهم ، ومنشآتهم ، يشد أزرهم ، ويعينهم على ظلمهم ، وكل من يواليهم من المسلمين ببيع الاسلحة ، أو الاطعمة ، أو ترويج سلعهم ، ومصنوعاتهم ، منافق ، بعيد عن روح الاســـلام ، قال تعـــالى : **((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمـــودة))** ، وفى القرآن الكريم ما يدل صراحة على أن من يتولى قوما فهو منهم قال تعالى : **((ومن يتولهم منكم فانه منهم))** . ومعنى هذا أن من يتولى الصـــهيونيين فهو منهم ، وقال تعالى : **((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حـــاد الله ورسوله))** .

حكم التجسس للأعداء

السؤال :

ما حكم من يتجسس لاسرائيل ويدلى بمعلومات عن قوة المســلمين .. ؟

ذهب سعيد ـ السودان

الاجابة :

ان التجسس لأعداء المسلمين من أفحش الجرائم ، وأعظمها خطرا على الاسلام والمسلمين ، ومن أشدها اثما وعقابا فى الدنيا والآخرة ، وليس فى الجرائم ما يشبهها خزيا وعارا ، لأن التجسس لأعداء الله فى حقيقته بيع مال المسلمين وأوطانهم وارواحهم لأعداء الاسلام بثمن بخس يأخذه الجاسوس المجرم لنفسه .. ان الجاسوس يكشف عورات البلاد ، ومقاتلها ، ومداخلها ، ليدخل منها العدو .

والذى نميل اليه فى حكم الجاسوس المسلم لأعداء المسلمين انه إن كـــان يفعل ذلك عن عمد وسوء قصد ، واتخذ هذا العمل حرفة فانه يقتل ، وهذا ما تقضى به القوانين المدنية ، وهو موافق لأحكام الشريعة حماية للمسلمين ، وصونا لدمائهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وأوطانهم .

الدفاع المدنى
جهاد فى سبيل الله

السؤال :

هل يعتبر المشتركون فى الدفاع المدنى من المجاهدين فى سبيل الله .. ؟

عبد اللطيف اسماعيل — السويس

الاجابة :

الدفاع المدنى ضرب من الجهاد ، لأن المسلم الذى يقف فى المدينة أو القرية وقت الحرب يحرس المسلمين ، ويحفظهم من التهلكة ، ويساعد فى علاج الجرحى ، واطفاء النار ، ورفع الانقاض ، وتنبيه اخوانه الى الغارات الجوية ، وطرق الوقاية من أضرارها ، هذا ولا شك مجاهد فى سبيل الله اذا كان يقصد بهذا العمل ابتغاء مرضاة الله والدفاع عن الاسلام والمسلمين وحرماتهم .

اخراج القيمة
فى الزكاة والكفارة

السؤال :

هل يجوز شرعا اخراج القيمة فى الزكاة والكفارة .. ؟

همام المجيل — الاردن

الاجابة :

المعروف فى مذهب مالك والشافعى أنه لا يجوز ، ويجوز عند أبى حنيفة .

أما أحمد فقد منع القيمة فى مواضع وجوزها فى مواضع .

يقول ابن تيمية : والأظهر أن اخراج القيمة لغير حاجة ولا مصلحة راجحة ممنوع ، وأما اخراج القيمة للحاجة أو المصلحة فلا بأس به ، ومن الحاجة التى ضربها ابن تيمية مثلا أن يكون المستحقون للزكاة طلبوا منه اعطاء القيمة لكونها أنفع لهم فيعطيها اياهم .

تعجيل الزكاة

السؤال :

اشتغل بالتجارة وأخرج زكاتها كل عام والحمد لله ، وفى هذا العام عرضت ظروف تحملنى على اخراج الزكاة قبل مضى الحول ، فهل يجوز لى شرعا تعجيل الزكاة .. ؟

مسلم — الكويت

الاجابة :

تعجيل الزكاة قبل وجوبها يجوز عند جمهور العلماء كأبى حنيفة والشافعى وأحمد ، وفى (المسائل الماردينية) لابن تيمية : يجوز تعجيل زكاة الماشية والنقدين وعروض التجارة ، اذا ملك النصاب ، ويجوز تعجيل العشرات قبل وجوبها اذا كان قد طلع الثمر قبل بدو صلاحه ، ونبت الزرع قبل اشتداد حبه ، فاذا اشتد الحب ، وبدا صلاح الثمر فقد وجبت الزكاة .

اعداد : عبد الحميد رياض

افريقيا وعلاقتهـــا باسرائيـــل ..

● ما هي الدول الافريقية التي قطعت علاقاتها الدبلوماســـية باسرائيل حتى الآن .. وكم عدد الدول الافريقية التي لم تقطع علاقاتها بعد .. ؟

ـــ الدول التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل هي :

غينيا ، أوغندا ، تشاد ، الكونغو الشعبية ، النيجر ، مالي ، بورندى ، توجو ، زائيرى ، داهومى ، رواندا ، فولتا العليـــا ، الكميرون ، غينيـــا الاستوائية ، تانزانيا ، مالاجاشي ، (مدغشقر) جمهورية أفريقيا الوسطى ، أثيوبيا (الحبشة) ، نيجيريا ، زامبيا ، جامبيا ، غانا ، السنغال ، جابون ، كينيا ، ليبيريا ، ساحل العاج .

أما الدول التي لم تقطع علاقاتها بعد فهي :

جنوب أفريقيا ، بوتسوانا ، مالاوى ، ســـوازيلاند ، ليسوتو ، ومرويشوس (جزر تقع الى الشرق من مالاجاسي) .

بالاضافة الى ستة أقاليم لم تحصل على استقلالها بعد وهي :

أجولا ، ناميبيا ، الصحراء الاسبانية ، روديسيا (تحكم من غير أهلها بشكل عنصري) ، موزمبيق ، الصومال الفرنسي ، بالاضافة الى أرتيريا التي تخضع لاشراف أثيوبيا وهي تكافح من أجل الاستقلال .

ومن المعروف أن هذه القارة تعتبر بالنسبة لاسرائيل مكانا خصبا لتصدير بضائعها والاستفادة من خلوها من البضائع العربية ، والانتفاع بمعادنها ، مع العلم أن أفريقيا قارة غنية جدا بالمعادن بل تعتبر أولى القارات في انتـــاج الماس والذهب واليورانيوم والقصـــدير والنحاس والمنجنيز وخام الالمنيوم والفوسفات .

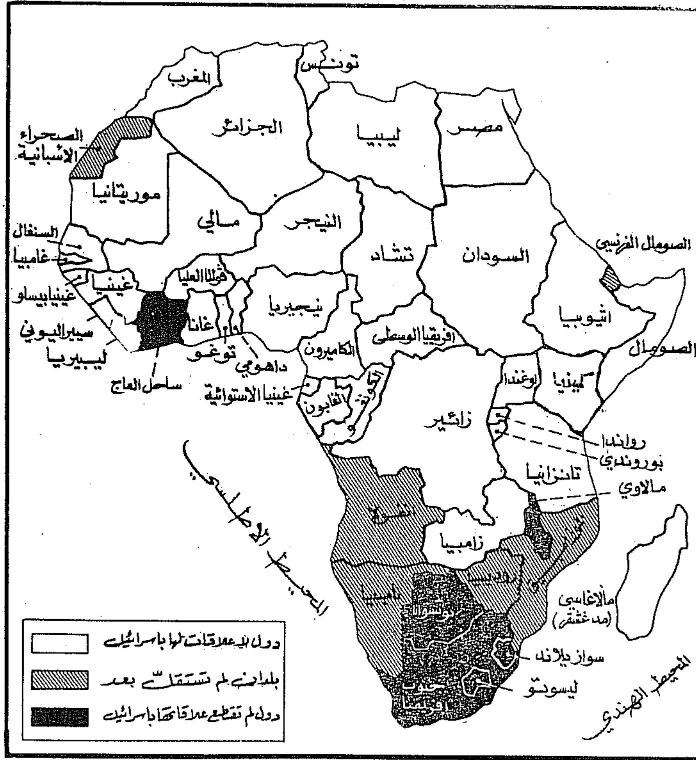
لذلك يعتبر قطع علاقاتها باسرائيل ضربة قوية موجهة الى الاقتصـــاد الاسرائيلي وهزة عنيفة في كيانه وعلى أمتنا العربية أن توفر البديل لأفريقيا حتى تنقطع عملتها نهائيا باسرائيل ، خصوصا وان القارة يشكل سكانها نسبـــة كبيرة من المسلمين ويمكن ان تكون القارة المسلمة كلها بنشر المعرفة الواعيـــة المستمدة من وحي القرآن والهدى النبوي وبقليل من الجهد .

قطع البترول

لقد كرهت بريطانيا جدا لدعايتهـــا اليهودية هذه الأيام فهم يجســـدون انتصـــارات اسرائيل رغم معرفتهم جيدا أننا العرب منتصرون ولقد كان خبر قطع البترول صدمة كبيرة لبريطانيا .. فسوف تزيد أسعار البترول هنا وكذلك المواصلات .. وكل فرد في الشارع يتكلم عن أهمية سلاح البترول .

ان شركات الاذاعة والتلفزيون ومعارض السيارات الكبرى أصـــحابها يهود وكذلك الصحف والمجلات ويحاولون باستمرار تحطيم أعصـــاب العرب بالحرب الاعلامية .

ن . ر لندن



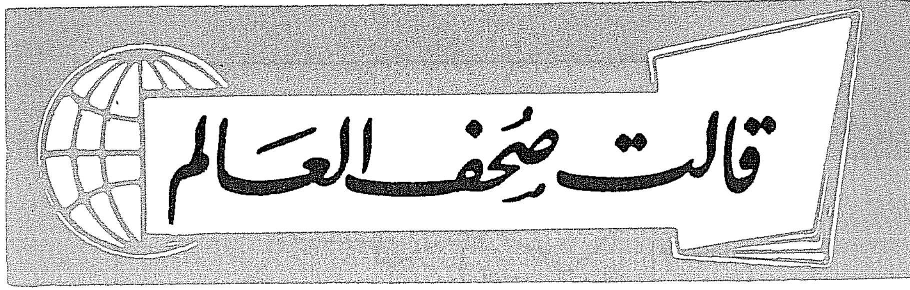
خريطة لدول افريقيا بعد قطع الاكثرية لعلاقاتها باسرائيل

دســــائس يهودية

أثناء قراءتي لمجلتكم الغراء (العدد ١٠٢ السنة ٩ أول يوليو ١٩٧٣) لاحظت فى زاوية (بريد الوعى الاسلامى) استفسارا من أحد الاخوة القراء من ليبيا عن محاضر تكلم عن (الآيات الكونية) واصفا الله سبحانه ب (مهندس الكون الأعظم) . وقد كان جواب المجلة وافيا على ما أظن الا أنى وددت أن أضيف بأن (ادخال) بعض اللفظات الوصفية فى الدراسات الاســـــلامية تتطلب فى أحيان كثيرة الحذر الشديد من الاندساس الخطير الموجه من قبل قوى اليهودية العالمية ضد الاسلام والمسلمين .

ان عبارة (مهندس الكون الأعظم) انما هى عبارة تستخدم فى المحافل الماسونية التى تعمل بتوجيه من اليهود فى أنحاء العالم .. وهى عبارة شائعة بين الماسونيين فى مختلف الدول حين التطرق الى لفظة الجـــــلالة . بامكانكم مراجعة كثير من الكتب التى تبحث فى (الماسونية) لتجدو اثبات ما أقول . ولربما كتاب (دائرة المعارف الماسونية) يتضمن دلائل هامة فى هذا الحقل .

عبد السلام العمرى



دروس من الحـــج

ليس فيما فرض الله من عبادات لها شمول الحج واتساعـــه وبُعد أثره ، وكأنه إنما وقع فى نهاية العام الهجرى وفى آخر شهر من أشهره ، ليكون خاتمة المطاف ينتهى إليه المسلم بعد أن أدى فروضه فى خلال العام ، وترك كل فرض منها أثره فى نفسه ، فاذا ما انتهى الى نهاية العام جاءت فريضة الحج شـــاملة لكل تلك الآثار ، مركزة لها فى نفسه مرسخة لها فى أعماقه .

الحج عبادات فى عبـــادة :

ففى نفس المسلم من فريضة الصلاة آثار من طهارة القلب والنفس والجسم واعتياد على التذلل والخشوع لله ، وتعود على التزام النظام . فاذا كان الحـــج كانت الطهارة مفروضة لمدة أطـــول ، وكانت شاملة للقلب والنفس والجســـم واللســان ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال ، وكان ذكر الله والتضرع اليه والتذلـــل بين يديه فى كل خطوة وكل حركة ، لأن الحج ذكر لله فى أيام معلومات . وكان النظام فى شعائره أشد وأقسى ، فليس فيه انفراد عن الجماعة ولا قضاء بعـــد فوات الموعد ، وكان لزاما على الحاج أن يتقيد بكل ما تقتضيه فريضة الحج من أداء للشعائر فى أماكنها وأوقاتها .

وفى نفس المسلم من آثار الصوم صبر وحرمان وتقشف ، فاذا كان الحج كان الصبر أشد ، والحرمان أقسى والتقشف أكثر ، فما أهون الصبر ساعات على ترك الطعام فى رمضان فى مقابل الصبر فى الحج على مشقة السفر ومغادرة الأهل والولد ، والصبر على الحر ، والصبر على التنقل من مكان الى مـــكان ما بين طواف ووقوف فى عرفات وإفاضة ورمى وطواف وسعى ، وكان الصبر على ترك اللباس وهجر الزينـــة والتنعم ولين العيش ، وكان الصبر على الزحام سواء فى الانتقال أو الطواف أو رمى الجمار ، وكان الصبر على مخالطة الناس والمرء صابر ساكت ملجم اللسان لا يناقش ولا يجـــادل ولا يغضب لأنـــه فى حج ، و « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جـــدال فى الحج » .

وفى نفس المسلم من أثر الزكاة تعود على البذل والعطاء ، فاذا كان الحج ازداد البذل وكثر السخاء ، يبذله لركوبه وطعامه وصدقته ولمن خلفه وراءه من أهل وولد . انه فرض على من استطاع إليه السبيل ، وذلك أن الله تعالى يقول : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا . »

وهكذا كان فى الحج أثر من آثار الصـــلاة والصيام والزكاة ، وكان فيه

تثبيت لآثارها وترسيخ ، وكان الحج شعائر فى شعيرة ، وعبادات فى عبادة . وكان درسا فى الطاعة ، ودرسا فى الصبر ودرسا فى البذل .

الحج درس فى الوحـــــدة :

وذلك أن فى الحج إعلانا لوحدة الهدف ، إذ تجتمع الأمة فى زمان معين فى اشهر معلومات ، وفى مكان معين عند بيت الله الحرام ، وفيما حوله من بقاع مباركة فى وادٍ غير ذى زرع ، تعبد إلها واحدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ، وتطوف ببيت واحد طهر للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وتستقبل قبلة واحدة أمرت أن تتجه اليها « فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » وتقوم بكل شعيرة من شعائر هذه الفريضة ومناسكها فى ظل نظام واحد معلنة فى كل خطوة من خطاها وفى كل تصرف من تصرفاتها إنها أمة واحدة « إن هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون . »

الحج درس فى المساواة :

وأى مساواة ابلغ من اجتماع مئات الآلاف من المسلمين فى ظل نظام واحد لا يفرق بين أميرهم وســـوقتهم ، ولا بين غنيهـــم وفقيرهم ، ولا بين كبيرهـــم وصغيرهم ، وإنها المساواة التى فرضت عليهم فتقبلوها طائعين مختارين فرحة بها قلوبهم ، هنيئة بها نفوسهم ، وهى مساواة أعلنتها وحدة المظهر ووحدة الزى حين اجتمعوا فى صعيد واحد متجردين من ثيابهم تلك التى كانت تعلن تفاوتهم، وتفرق فيما بينهم ، دالة بأناقتها وجدتها على غنى أصحابها أو سمو مناصـــبهم أو قوة سلطانهم ، أو دالة برثاثتها وخلوقتها وقدمها وبلاها على فقر أصحابهـــا وحرمانهم ، إنهم الآن جميعا فى ثياب بيضاء غير مخيطة تســـوى بينهم هجرهم للفوارق الدنيوية ، مذكرة بما سيؤولون إليه يوم يأتزرون بالأكفان البيضاء ، دالة بنقاء ظاهرها على نقاء باطنهم ، معلنة على العالم بثقة هكذا فلتكن المساواة ، هكذا يسوى الاسلام بين الناس .

الحج درس فى الأخوة الانسانية :

لست أعرف منظرا أروع فى إظهار الأخوة بين الشعوب من مظهر الحجاج ، وقد جمعهم مكان واحد فى زمان واحد لهدف واحد ، فجاؤوا رجـــالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ملبين للدعوة الكريمة ، محققين للفريضة السامية فإذا هم على صعيد واحد ، وبمظهر واحد فى ظل نظام واحد لا طبقية فيه ولا تفاوت ، لا حدود فيما بينهم ولا سدود ، آخت بينهم العقيدة التى لا انتساب يومئذ الا اليها ، وهى عقيدة لا فرق فى ظلها بين أسودهم وأبيضهم ، إنهم « إخـــوة » لأب واحد ، كلهم لآدم عليه السلام ، وهم « أخوة » لإيمان واحد ، « إنما المؤمنون إخوة » ، واذا كان بينهم تسابق أو تنافس فعلى منفعة إخوانهم لأنهم « كلهم عيال الله وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله » ، وإذا كانت بينهم طبقات فليست على أساس من عرق أو نسب ولا على أساس من مال أو سلطان ولكن على أساس من التقوى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبـــائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » صدق الله العظيم .

بأقلام القراء

المبـــــدأ هو الـــدين

ما هو مبدؤك ؟

الاســـــــلام ...

عجبا وهل من يدين يدين يتخذ مبدأ سواه .

عجبا وهل من يذين بدين يتخذ مبدأ سواه .

الدين علاقة بين الفرد وربه ، وليست له علاقة بالمبادىء .

عجبا ومن أين أتيت بهذا الفهم .

هكذا يقول الناس .

إن الناس يقولون الصحيح والخطأ ومن الضـــروري أن نزن أقوالهم ونفحصها فحص الخبير .

والعلماء يقولون مثلهم أيضا .

هل أنت متأكد من ذلك . وهل تسمح أن تذكر لي اسم عالم من هؤلاء العلمـــاء .

لا أعـــــرفهم .

الأصل ألا يخوض الانسان في شيء لا يعرفه ولكنني مع ذلك لا أريد أن أحرجك فأحب أن أقول أن فهمك للدين قد جـــانب الصـــواب .

قل لي اذن أنت ما هو الدين الذي تدعو اليه ؟

الدين هو الطريق الوحيد الذي يجب أن تسلكه البشرية في حياتها الفردية والعائلية والدولية والاقتصادية والسياســـية والاجتماعية والأخلاقية والتعبدية والفكرية .

من أين أتيت بهذا الكلام ؟

اليست كلمة الدين كلمة عربيـــة ، فافتح القاموس وشاهدها ان كنت لا تصدق قولي .

هذه أول مرة أسمع هذا الكلام .

لأنك لم تقرأ القـــرآن « دستور الاســـلام » قراءة متدبر في حياتك أبدا .

وماذا يقول القرآن ؟

القرآن يؤيد المعنى اللغوى لمعنى كلمة الدين ، فلقد قال الحق تبارك وتعالى : « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

إننى لم أفهم ما تقول .

اننى أعنى أن مفهوم الدين غير ما يتبادر الى أذهان الكثيرين .

هل تعنى انهم لا يفهمون شيئا .

لا اقول ذلك . ولكننى أقول انهم لم يفهموه من مصدره الأصلى .

وكل فهم مقطوع عن مصدره الأصلى عرضة للخطأ .

اذا كان مفهوم الدين كما تقول فكيف يصلح لهذا الزمان ؟

يصلح لهذا الزمان لأن الذى أنزله خالق الزمان والمكان .

ولكن الدين الذى تتحدث عنه لم يعد صالحا لهذا الزمان .

ومن قال ذلك ؟

لأن المدنيـــة ظهرت والعلم قد تقدم .

لقد جاء الاسلام ليرسم القواعد الأصولية والمبادىء الأساسية التى تحتاجها البشرية فى كل زمان ومكان ، ولن تستغنى عنه المدنية مهما تقـــدمت . وسيكون رفيقا للعـلم من أن يســـاء استعماله للشر .

لقد انقضى عهد الخيام ، فلماذا نعود اليها ؟

ليس من أركان الاسلام الجلوس فى الخيام ولا يوجـــد نص يجبرك على ذلك .

لا ، ان الاسلام دين رجعى لا يصلح لهذا الزمان .

لا تغرّنك يا أخى الالفاظ فالاسلام هو الدين الحق الوحيد ، دين العدالة ، دين البشرية جمعـــاء ، الدين الذى أنزله رب العزة . ما يضيرك يا أخى اذا كان رجوعك الى الحق والعدالة والفضيـــلة .

إن كل شىء قد تغير ولا بد أن يتغير ذلك الشىء الذى تتحدث عنـــه .

إنك لم تحدد معنى التغير حتى نستطيع أن نتعرف فيما اذا كان هذا التغير (الذى تتحدث عنه) سيجعل الاسلام غير صالح لهذا الزمان . اسمعنى جيدا إن الانسان لم يتغير طيلة هذه المدة ، فكيف يتغير المبدأ الذى يجب ان يحمله ؟

كيف لم يتغير ؟.

نعم إن الانسان لم يتغير حتى لو تغيرت ألبسته وحاجاته . الانسان هو الانسان لم يتغير .

ان هذا رأى غريب علىّ .

ليكن غريبا فهو حقيقة . ان الذى تغير هو الوسائل فقط .. والوسائل لم تغير من الانسان .

ان الناس جميعا لهم رأى آخر .

لا أدرى من الذى خولك أن تنطق باسم الناس جميعا . اليس باستطاعتى أن أقول أن رأى الناس مطابق لما أقدمه من آراء .

دعنا من الفلسفة .

إنها ليست فلسفة بل حقائق واضحة . ومع ذلك فلنفرض أن رأى الناس كرأيك ، فلن يقدم ذلك فى الموضوع ولن يؤخر ،

هكذا أعتقد ، انه كلما تقدمت الدنيا يجب أن تتغير المبادىء .

هذا رأى خطير وطامة كبرى . ان حاجات الانسان لم تتغير ، فالمهم الدليل ، فما هو الدليل على صحة ذلك ؟

ومطالبه لم تتغير وحقوقه لم تتغير ، فالصدق فضيلة ويجب أن يبقى فضيلة مهما تقدم بنا الزمن .

كلامك صحيح ، ولكن الاسلام يقيد تصرفاتنا .

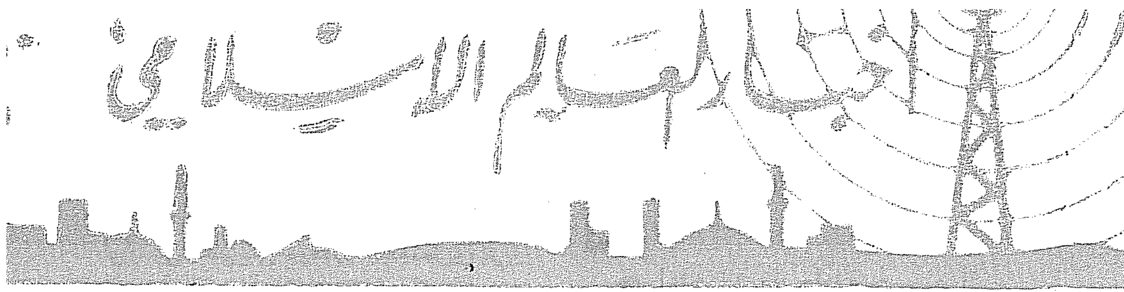
نعم الدين هو ، انه لا يمنع شيئا الا أباح لك أشياء .

ولكن لدى الآن موعد على مائدة من موائد الخمر ، فهلا أرجأت النقاش الى موعد آخر حتى لا تضيع علينا المتعة .

وهل هذه المتعة أعز عليك من مصيرك ومصير أمة ؟ هداك الله ووقاك شر المعصية .

● لقد كانت الكويت فى نطاق علاقاتها العربية دائبة طيلة العام المنصرم على مواصلة سياستها الثابتة الرامية الى اقامة أوثق علاقات الاخوة والتضامن مع الدول العربية الشقيقة انطلاقا من شعورها العميق بخطورة المرحلة التى تجتازها الأمة العربية .

الخطاب الأميرى



اعداد الاستاذ : فهمى الامام

الكويت :

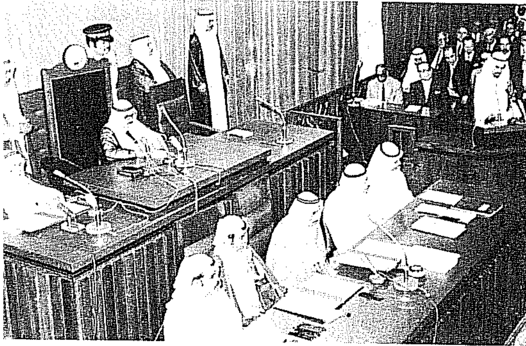
● تلقى سمو أمير البلاد المعظم رسالة خطية من الرئيس الليبى معمر القذافى تتضمن وجهة النظر الليبية من الحرب العربية الاسرائيلية .

● افتتح سمو أمير البلاد المعظم فى ٣١/١٠/ الدورة الثانية من الفصل التشريعى الرابع لمجلس الأمة .. وقد تلا الخطاب الأميرى فى الجلسة سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء . وركز الخطاب على دور الكويت فى التضامن العربى ومؤازرتها ومشاركتها الفعالة فى كل القضايا العربية المعاصرة .

● شهدت الكويت نشاطا سياسيا ودبلوماسيا واسعا ، فقد زار الكويت كل من الرئيس المصرى محمد أنور السادات ، والرئيس السورى حافظ الاسد والرئيس الجزائرى هوارى بومدين ، وجلالة الملك حسين ملك المملكة الأردنية . واجتمع كل منهم بسمو أمير البلاد المعظم . وتم البحث فى الاحداث التى تعيشها المنطقة .



● اجتمعت اللجنة الوزارية لدول الخليج العربى المنتجة للنفط فى الكويت ، وحضر الاجتماع ست دول عربية هى : الكويت والسعودية والعراق وأبو ظبى وقطر والبحرين كما حضرته ايران ، وقد تقرر فى الاجتماع بصورة نهائية رفع سعر سعر النفط الى نسبة ٧٠٪ .



● أكد وزير الداخلية والدفاع أن الكويت ترحب بعقد مؤتمر لوزراء الخارجية والدفاع العرب أو أى مؤتمر عربى آخر وعلى أى مستوى .

● تقوم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بتزويد المراكز الاسلامية فى العالم بمجموعة من الكتب الثقافية والاسلامية بمختلف اللغات .

● أشاد مجلس الشعب المصرى فى بيانه الذى أصدره مؤخرا بالجهد العسكرى والسياسى والاقتصادى الذى قدمته الكويت لمعركة التحرير العربية .

القــاهرة :

● قال الرئيس أنور السادات فى مؤتمره الصحفى الأخير : ان اسرائيل أول من تعلم بأن موقفها العسكرى فى الضفة الغربية للقناة « هش » وأشار الى استعمال إسرائيل لأســلحة أمريكية لم يستعملها الجيش الأمريكى نفسه .

● أصدر مجلس الشعب المصرى بيانا أعلن فيه ثقتــه بقيادة الرئيس الســادات وأشاد بدور الزعمــاء والملوك العرب فى المعركة .. وأشاد ببطولة وقدرة الجيوش العربية .. ودعا الى المزيد من التضامن العربى الفعال .

السعودية :

● زار السعودية كل من الرئيس المصرى أنور السادات والــرئيس الجزائرى هوارى بومدين وجلالــة ملك الاردن .. وقد اجتمع كـل منهم بجلالة الملك فيصل .

● تأثرت ثلاث دول بالحظر الذى فرضته المملكة العربية السعودية على نفطها وهى الولايات المتحدة الامريكية وهولندا وجنوب أفريقيا .

سوريــة :

● أعلنت سورية أنها لن تتخــلى عن حبة رمل واحدة من التــراب السورى ، وأنها ستبذل كل ما فــى وسعها لاسترداد الأرض المغتصبة .

● دعت سورية الدول العربيــة الى الاحتفاظ باستعدادهــا القتالى لتستأنف حربها العادلة ضد اسرائيل فى أية لحظة ، وقالت : ان الــذين يعتقدون أن الحرب انتهت واهمون ، لأن اسرائيل لن تنفذ قرار مجــلس الأمن ولن تنســحب من الأراضى العربية التى أحتلتها الا مرغمة وبعد أن يحطم الجيش العربى ما تبقى من غطرسة لدى المؤسسة العسكريــة الصهيونية .

قطــر :

● أعلن الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير قطر فى افتتــاح الدورة الجديدة لمجلس الشورى أن قطر عن بكرة أبيها قامت بتقديم كل ما وسعت طاقتها ، وأنها ستواصــل تكريس أموالها ومواردها وكل ما تملـك من أجل أداء الواجب الأخوى وحتى تتحرر كل الأراضى العربية المغتصبــة ، وتعود كل الحقوق المســلوبة الى أصحابها الشرعيين .

الجــزائر :

● دعت الجزائر الى عقد مؤتمر قمة عربى بها .. لتدارس الموقف وما يجب اتخاذه فى المرحلة الراهنة .

المغــرب :

● دعت المغرب الى عقد مؤتمــر لوزراء الخارجية والدفاع العــرب لتدارس الوضع الحالى ومــا يجب اتخاذه .

الأردن :

● صرح جلالة الملك حسين بأن الحرب مع اسرائيل لم تصل بعد الى نهايتها .

ليبيــا :

● قام الرئيس معمر القــذافى بزيارة عدد من الدول العربية لمناقشة الموقف الراهن وتطوراته .

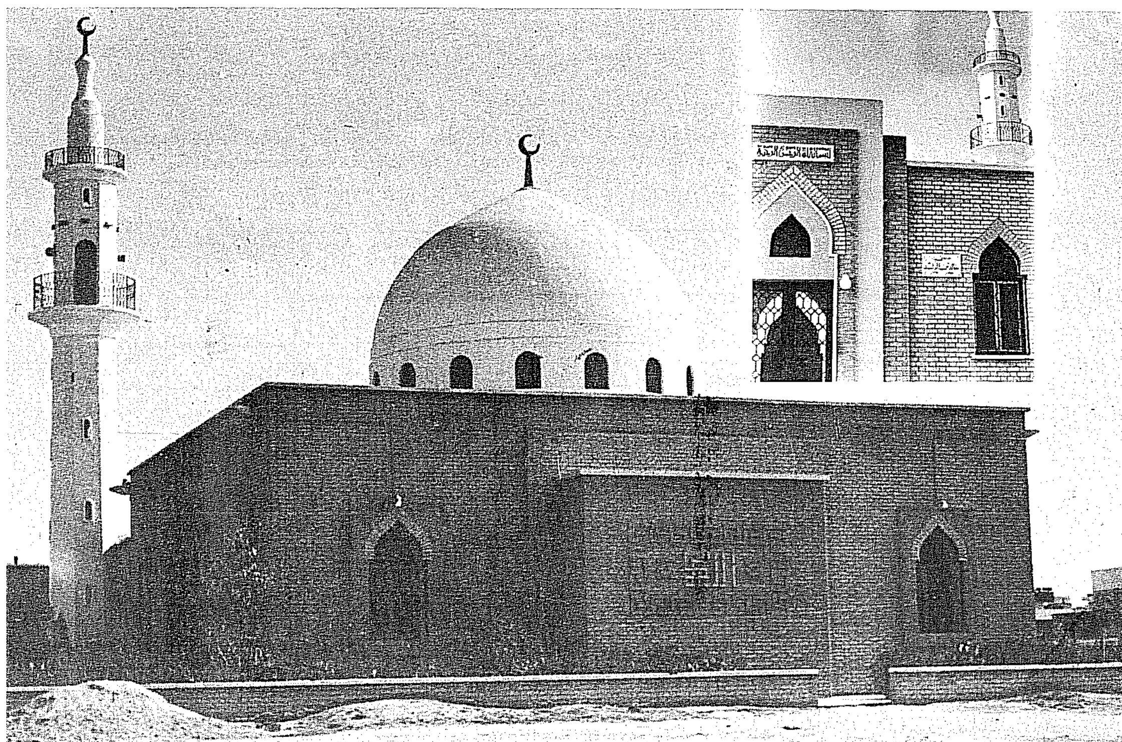
أخبار متفرقــة

أوغنــدا :

● حذر الرئيس الاوغندى الدول العربية فى برقية أرسلها الى الرئيس المصرى من أن اسرائيل ستشن هجوما مفاجئا ، ودعا المسئولين الى اليقظة والاستعداد للأمر .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو القعدة ١٣٩٣	نوفمبر ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	٢٦	٤ ٤٨	٦ ٢٠	١١ ٣٥	٢ ٢٩	٤ ٤٨	٦ ١٠	١٢ ٠٠	١ ٣٢	٦ ٤٦	٩ ٤١	١ ٢٢
الثلاثاء	٢	٢٧	٤٩	٢١	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الأربعاء	٣	٢٨	٥٠	٢٢	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الخميس	٤	٢٩	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
الجمعة	٥	٣٠	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٣
السبت	٦	ديسمبر	٥٢	٢٤	٣٦	٢٩	٤٨	١١	٤	٣٦	٤٨	٤١	٢٣
الأحد	٧	٢	٥٣	٢٥	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الاثنين	٨	٣	٥٣	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الثلاثاء	٩	٤	٥٤	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الأربعاء	١٠	٥	٥٤	٢٧	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣
الخميس	١١	٦	٥٥	٢٨	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٧	٤٠	٥٠	٤١	٢٣
الجمعة	١٢	٧	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤١	٢٣
السبت	١٣	٨	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الأحد	١٤	٩	٥٧	٣٠	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاثنين	١٥	١٠	٥٨	٣١	٤٠	٣٠	٤٩	١٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الثلاثاء	١٦	١١	٥٩	٣٢	٤٠	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٤٢	٤٢	٢٣
الأربعاء	١٧	١٢	٥٩	٣٢	٤١	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٤٢	٤٢	٢٣
الخميس	١٨	١٣	٥ ٠٠	٣٣	٤١	٣١	٤٩	١٣	١٠	٤٤	٤٢	٤٢	٢٣
الجمعة	١٩	١٤	٠٠	٣٤	٤٢	٣٢	٥٠	١٣	١١	٤٤	٤٢	٤٢	٢٤
السبت	٢٠	١٥	١	٣٤	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٤٣	٤٢	٢٤
الأحد	٢١	١٦	٢	٣٥	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٤٣	٤٢	٢٤
الاثنين	٢٢	١٧	٢	٣٦	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١١	٤٥	٤٣	٤٢	٢٤
الثلاثاء	٢٣	١٨	٣	٣٧	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الأربعاء	٢٤	١٩	٤	٣٧	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الخميس	٢٥	٢٠	٤	٣٨	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الجمعة	٢٦	٢١	٥	٣٨	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
السبت	٢٧	٢٢	٥	٣٩	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الأحد	٢٨	٢٣	٦	٣٩	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الاثنين	٢٩	٢٤	٦	٤٠	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤



مسجد
خالد بن الوليد ـ بالمنصورية ـ كويت

اسمه : خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن كعب .

إسلامه : هاجر مسلما فى صفر سنة ثمان .
ويروى أنه بعد إسلامه أقبل على اللات والعزى قائلا :
كفرانك لا سبحانك إنى رأيت الله قد أهانك

جهاده : كانت حياة خالد حافلة بالشجاعة والبطولة والانتصارات .. وكان قائدا إسلاميا عظيما ، شهد غزوة مؤتة ، بعد استشهاد الأمراء الثلاثة الذين أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم على الجيش ـ وهم زيد وجعفر وابن رواحة ـ أخذ خالد الراية وقاد الجيش الى النصر ، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم سيف الله ، حيث قال : إن خالدا سيف سلّه الله على المشركين .

حياته : عاش خالد رضى الله عنه حياة كلها كفاح وجهاد فى سبيل الله ، شهد الفتح وحنينا ، وتأمّر فى أيام النبى ، واحتبس أدراعه ولامته فى سبيل الله ، وحاصر دمشق وافتتحها هو وأبو عبيدة .

وفاته : عاش خالد ستين عاما .. ولما حضرته الوفاة قال : لقد لقيت كذا وكذا زحفا ، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم ، وهأنا أموت على فراش حتف أنفى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء .
توفى بحمص سنة إحدى وعشرين ودفن بها .. وروى أنه لم يترك بعد موته إلا فرسه وسلاحه وغلامه ، فقال عمر : رحم الله أبا سليمان كان على ما ظنناه به .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

المغــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شــارع فرنســا .

لبنــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جــدة : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحــرين : المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .

قطــر : الدوحــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبــى : مطبعة دبى .

الكــويت : مكتبة الكــويت المتحــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

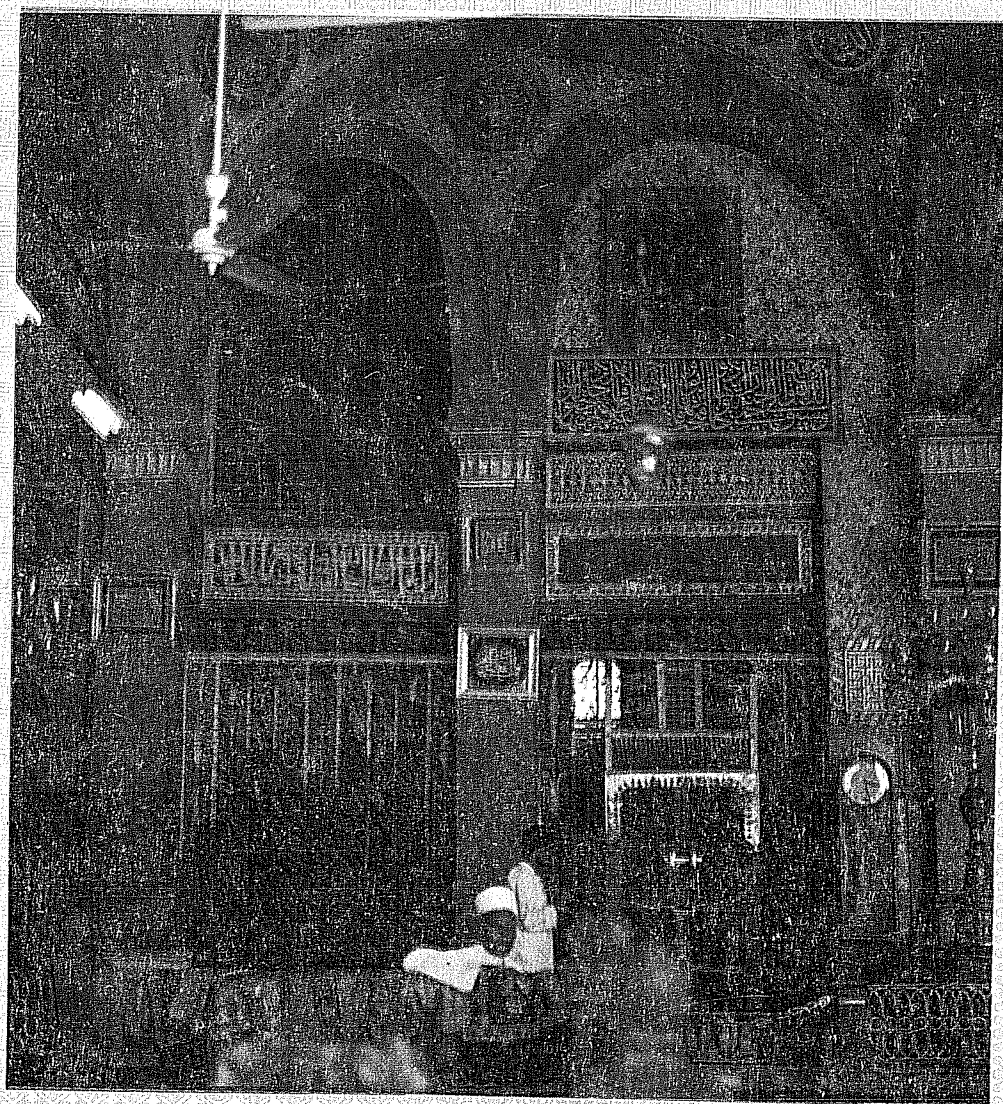
اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

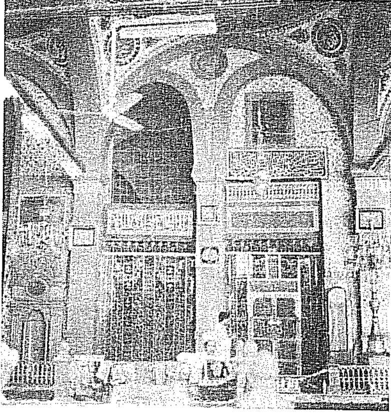
إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة ـ العدد ١٠٨ ـ غرة ذى الحجة ١٣٩٣ هـ ـ ديسمبر ١٩٧٣ م



وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم

الكتب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم



باب الحجرة النبوية الشريفة مثوى سيدنا محمـد صلى الله عليه وسلم والصاحبين العظيمين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

الوعى الاسلامى

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد ١٠٨

غرة ذى الحجة ١٣٩٣ هـ

ديسمبر ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شـهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الأفراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

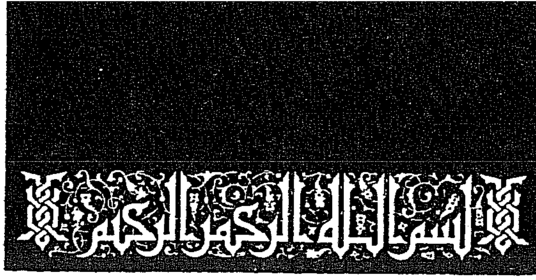
الثمـن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـوان المراسـلات :

مجـلة الوعى الاسلامى ـ وزارة الأوقاف والشـئون الاسـلامية

صـندوق بريد : ١٣ ـ كـويت ـ هـاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨



النهوض الحقيقي لأمتنا

النهوض الحقيقى لأمتنا هو قدرتها على الاستغناء بعلمها وانتاجها ، والاستهداء بإيمانها وفضائلها ، والاستعلاء على متاع الدنيا بحيث تأخذ منه بقدر ، وتنصرف عنه متى تشاء .. !

ويؤسفنى التصريح بأن الشعوب الاسلامية ، حتى يومنا هذا ، لم تبدأ نهضة صحيحة ، وأن مظاهر التقدم التى نراها أو نسمع عنها هى امتداد لنشاط القوى الكبرى فى العالم أكثر مما هى تطلع المتأخرين للتقدم ..

فالغرب الصليبى يصطنع شعوبا شتى لخدمة مآربه ويمدها بكثير من عونه المادى وقليل من تقدمه الحضارى .

والشرق الشيوعى ينافسه فى ذلك الميدان ، ويحاول الاستفادة من أخطائه ، أو يحاول ميراثه اذا انتهى فى مكان ما ..

وجمهرة المتعلمين أوزاع ، بعضهم يؤثر النمط الغربى فى الفكر والسلوك ، وآخرون قد أعجبتهم الماركسية فاصطبغوا ظاهرا وباطنا بنزعتها ..

أما الذين يتشبثون بالعقائد والفضائل الاسلامية ويريدون بناء المجتمع الكبير على دعائم الوعى المحمدى فقلة غامضة فى الناس ، ولا أقول منكورة الوجهة منكورة الحظ ..

هب أن ثورة قامت فى بقعة من الارض الاسلامية تجعل الحياة الصينية أو الروسية مثلها الاعلى ، أتكون هذه الثورة نهضة اسلامية .. ؟ أم تكون نجاحا للفكر الشيوعى العالمى .. ؟

من أجل ذلك قلت : ان الشعوب الاسلامية لم تبدأ بعد نهضة صحيحة ، تكون امتدادا لتاريخها ، وابرازا لشخصيتها أو نماء لأصلها وتثبيتا لملامحها ..

ومن الغلط تصور أنى أحرم الاستفادة من تجارب الآخرين ومعارفهم !! كيف وهؤلاء الآخرون ما تقدموا الا بما نقلوه عن أسلافنا من فكر وخلق ووعى وتجربة .. ؟

ان دولة الخلافة الراشدة اقتبست فى بناء النظام الاسلامى من مواريث الروم والفرس دون غضاضة ..

وعندما آكل أطعمة أجنبية أنا بحاجة اليها فالجسم الذى نما هو جسمى ، والقوى التى انسابت فى أوصاله هى قواى !!

المهم عندى أن أبقى أنا بمشخصاتى ومقوماتى .. !!

المهم أن أبقى وتبقى فى كيانى جميع المبادىء التى أمثلها والتى ترتبط بى وأرتبط بها ، لأنها رسالتى فى الحياة ، ووظيفتى فى الأرض .

هذا هو مقياس النهضة ، وآية صدقها أو زيفها ، فهل فى العالم الاسلامى نهضات جادة تجعل الاسلام الحنيف وجهتها والرسول الكريم أسوتها .. ؟

اننا هنا شديدو الحرص على جعل البناء الجديد ينهض على هاتيك الدعائم ..

واذا كنا نستورد من الخارج ثمرات التقدم الصناعى ، وننتفع من خبرات غيرنا من آفاق الحياة العامة ، فليكن ذلك فى اطار صلب من شرائعنا وشعائرنا .

فانه لا قيمة لأحدث الآلات اذا تولى ادارتها قلب خرب ، ولا قيمة لأفتك الاسلحة اذا حاول الضرب بها فؤاد مستوحش مقطوع عن الله مولع بالشهوات ..

ان بناء النفوس والضمائر يسبق بناء المصانع والجيوش وهذا البناء لا يتم الا وفق تعاليم الاسلام .

تنشئة تصوغ الاجيال الجديدة ، وتقاليد تحكم العلاقات السائدة ، ورعاية ظاهرة وباطنة للعبادات المفروضة ، ومعالنة جازمة بما فى الدين من أهداف ، ومقاطعة حاسمة لما يعترضه من مسالك .

وكل بناء معنوى للأمة يتنكر للاسلام ، أو يخافت بذكره ، أو يغض من شأنه ، فهو مرفوض جملة وتفصيلا .. !

ولقد جربنا جعل مظاهر المدنية فوق باطن فارغ مظلم فماذا صنعنا ؟ صنعنا ناسا : « اذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم .. »(1) .

وهذا اللون من الناس فاشل فى سلمه ، مخذول فى حربه ، ما تسانده الى غاية أرض ولا سماء .

البناء الحقيقى للنفوس يستهدف أمرين جليلين ..

أولهما : اسلامى بحيث يحرك المسلم من يقظة الفجر الى هدأة الليل بحماس العقيدة ، وطهر الصلاة ، وشرف الاخلاص ، وحب الله ورسوله .

وكلتا الجبهتين الشرقية والغربية تكره ذلك الامر ، وتأبى أن يأخذ الاسلام طريقه فى الحياة بهذا الوضوح .

والأمر الآخر حيوى بحت ، أساسه التفوق العلمى والعملى فى كل أفق امتدت اليه الحضارة الحديثة من استصلاح التربة الى غزو الفضاء !

ولنكن صرحاء ! ان هذا التفوق لا يولد من تلقاء نفسه ، ان التبريز فى هذا المجال يتطلب رغبة فى المعرفة ، وشوقا الى المجهول ، وعزما على اقتحام كل عقبة ، وهذه لا تلدها الا عقيدة مكينة .. !

واذا كانت الحاجة أم الاختراع كما يقولون فان العقيدة المسيطرة أقوى

---

(1) المنافقون : ٤ .

من الحاجة فى الاندفاع والتحمل واستشفاف الغيوب .. !

ان الجندى المؤمن يرمق الظــــلام فى جنح الليل بطرف يكاد يخترق سدوله ، ويبحث عن ألف حيلة لمقاومة العدو ودحره ..

والعامل المؤمن يجفف العرق ، وينفى عن نفسه التعب ، لأنه ببواعث الحب لا القهر ، يريد خدمة أمته واعلاء رسالته .

والمحزن فى شئون المسلمين أنهم من عشرات السنين لا يمكنون من الحياة وفق ايمانهم الأثير ، وأنهم ـــ أيضا ـــ يلفظون كل ما يعرض عليهم من ايمان بديل .. !

ونتج عن ذلك أن أعمالهم الخاصة ونهضاتهم العامة تولد ميتة ، وأنهم ان تحركوا ففى مكانهم .. !

وقد تحركت اليابان منذ قرن فى موكب نهضة صناعية عارمة ، ونجت حركتها من هذا التدافع اللعين بين ما يفرض على الشــــعب من خارج ، وما يهفو اليه من داخل فماذا كانت النتيجة .. ؟

أضحت أمة من أنجح أمم الدنيا ، ولا تزال برغم هزيمتها فى الحرب الاخيرة أمة مرهوبة العزم ، ان لم يكن فى صناعات الحرب ، ففى صناعات السلام ..

أما العالم الاسلامى خلال هذا القرن فقد رزق بمن يريدون محو دينهم أو تشويه صلته بهذا الدين ، فكانوا شؤما على يومه وغده ..

ان النهضة الحقيقية هى التى تفلح فى استثارة قوى النفس ، وفى جعل الامة على اختلاف طوائفها كخلية النحل نشاطا ونظاما .

ولنزد الموضوع جلاء ..

لقد نشأ عن الانفكاك بين العقيدة والعمل عجز رهيب فى أداء الاعمال العادية حتى ليخيل الى أن عوام المسلمين أصبحوا دون غيرهم من الخلق فى نواحى الانتاج المادى والادبى ..

وكثيرا ما كنت أذكر قول أبى الطيب المتنبى :

انا لفى زمن ترك القبـــيح به

من أكثر الناس احســان واجمال

فأحس مقدار هبوطنا عن المستوى الانسانى الرفيع فى الاتقــــان والاجادة .. !!

ان النجاة من السقوط قد تكون شيئا مقبولا ، ولكن ليس كل نجاح يحسب تفوقا .. قد يبدأ انسان من العرج ويستطيع السير ، ولكنه لا يمنح جائزة بتاتا فى العدو لمجرد القدرة على المشى ..

والمتنبى يحتقر أهل زمانه لأنهم فقدوا ملكة الاجادة ولا يحسنون فعل العظائم .. !!

فكيف لو رأى المعاصرين لنا من موظفين وعمال فى كل شأن دق أو جل .

ان هؤلاء ـــ لانعدام بواعث الايمــــان والتقوى ـــ تعوج فى أيديهم الاعمال المستقيمة فلا يصلون بها الى المستوى المقبول بله مستوى النبوغ والعبقرية .. !!

راقبت يوما بعض الناس الذين تكثر دعاواهم ولا تؤمن بلاياهم ، ثم عدت من نظرتى اليه وأنا أضع يدى على سبب مبين من أسباب تأخرنا ..

نظرت اليه فوجدت العمل يخرج من بين يديه ناقصا غير تام ، شائها غير جميل ، ووجدته لا يأسى على ذلك ، ولا تحركه أشـــواق الى ادراك ما فاته ، وبلوغ مرتبة أفضل .

فعلمت أنه انسان تنقصه موهبة الاتقان ، وأن أمامه أشواطا واسعة من التدريب والعلاج حتى تكسب يده المهارة المطلوبة وتستحب نفسه الاجادة والتفوق ..

وأعدت النظرة مرة أخرى فى سلوكه فرأيته يطلب على عمله الناقص ثمنا كبيرا ويرتقب من غيره التقدير المضاعف ..

أو هو يفرض على الآخرين مطـــالبه مهما فدحت دون تقديم مقـــابل معقول .. !!

فأحسست أن له طبعا جشعا كثير التطلع الى طيبات الحياة . وليته يتوسل الى مطامعه بجهد مبذول مقدور .

كلا ، انه من الناحية النظرية ضعيف الكفاية ، ومن الناحية النفسية ضعيف الامانة ، فأى بلاء هذا .. ؟

أمثال هذه العلل هبوط حقيقى بالمستوى الانسانى ، ونزول مؤكد عن مرتبة الاحسان التى يفرضها الدين ، ويبنى تربيته على تحصيلها .

ان الحصاد الغالى للجهد البشرى بعد طول الكدح فى هذه الحياة ، أن يخرج الانسان من هذه الدنيا بثمرة واحدة هى (العمل الحسن) .

وذلك ما أكده القرآن الكريم عندما قال : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » .

وقال : « انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » .

فأى عمل حسن لامرىء منطلق الرغبات كالطفل المدلل يطلب فقط ، وعلى الدنيا أن تلبى .. !!

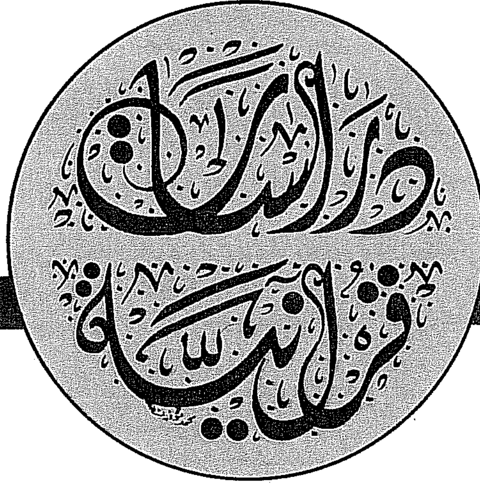
ان النجاح الكبير فى هذه الحياة وعند الله أن تنمى عقولنا وقلوبنـــا تنمية توفى على الغاية ، والله جل شأنه يقول : « وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

الايمان والاصلاح قرينان لا ينفكان .

وليس من الاصلاح المنشود المفروض أن يكون الانسان غير مأمون على اجادة واجب أو غير مأمون ــ اذا أجاده ــ على المغالاة فيه ، وطلب مكانة لا يستحقها عليها !!

ومرة أخرى نقول : ان اعادة الحياة الى العقيدة الاسلامية لتحتـــل ماكنها فى الضمير ثم الى الشريعة لترسم خط السير فى المجتمع الكبير ، هو وحده طريق النهوض الصحيح .

الشيخ محمد الغزالى



للأستاذ أحمد محمد جمال
أستاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز

في (بريد) مجلة الوعى الاسلامي(١) أجاب الاستاذ (عبد الحميد رياض) على سؤال لأحد قراء المجلة عن امكانية تربية الأجنة في أرحام صناعية بقوله : « ان تربية النطفة في الأرحام الصناعية ليست خلقا حتى يشـتبه الأمر على القارىء السائل ، ونجاح هذه التجربة لا يزعزع العقيدة في ان الله وحده هو الخالق ، فالخلق هو أثر القدرة الالهية في وضع سر الحياة في ماء الرجل . فبذرة الحياة هذه هي خصوصية الخالق التي لا يمكن لبشر أن يوجدها ويخلقها . أما تربيتها في رحم صناعية وفق مواصفات طبية معينة ، فهذا لا يعد خلقا . قال الله تعالى : « أفرأيتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » ؟!

ونحن نقول للاستاذ (عبد الحميد رياض) ولمن سأله : ان تربية الأجنة في أرحام صناعية : غير ممكنة دينيا وعلميا أيضا ..

أما عن الدين فبين أيدينا القرآن الكريم ، والحديث النبوى الصـحيح يؤكدان أن الله عز وجل هو الخالق ، وهو المصور ، وهو المربي للأجنة في الأرحام الطبيعية طورا بعد طور ، وخلقا من بعد خلق ، الى أن ينفخ فيهـا الروح ــ سر الحياة ــ حتى يكتمل نموها لحما وعظما وعصبا ، فتخرج من بطون أمهاتها خلقا آخر .. فتبارك الله أحسن الخالقين .

يقول الله عز وجل :

- « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة

« يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق »

« والله فضل بعضكم على بعض في الرزق »

عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر .. فتبارك الله أحسن الخالقين »(٢) .

- « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق .. فى ظلمات ثلاث »(٣) .
- « ما لكم لا ترجون الله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا »(٤) .
- « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء »(٥) .
- « هو الذى أنشأكم من نفس واحدة .. فمستقر ومستودع »(٦) .
- « يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة .. لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم »(٧) .
- « ألم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه فى قرار مكين ، الى قدر معلوم ، فقدرنا فنعم القادرون »(٨) .
- « وهو الذى خلق من الماء بشرا ، فجعله نسبا وصهرا »(٩) .
- « هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض ، واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم »(١٠) .

فهذه الآيات المحكمات ، من القرآن الكريم ، تقرر وتؤكد — بما لا يدع مجالا للشك أو الاشتباه أو التأويل أن الله عز وجل هو المنفرد بالخلق والتصوير للأجنة فى بطون أمهاتها ، أو فى الأرحام الطبيعية ، وبالاستمرار والتتبع فى تربيتها وتنميتها خلقا من بعد خلق ، وطورا بعد طور .

وهى — هذه الآيات المحكمات — تقرر وتؤكد أيضا : أن الأرحام الطبيعية قد جعلت مستقرا للنطف ومستودعا لها بعد اتحادها مع بويضات الأنثى ، حتى تتدرج فى أطوار الخلق الانسانى الى العلقة فالمضغة ، فتكوين العظام ، ثم اكتسائه باللحم .. الخ : « فمستقر ومستودع » .

ثم هى تؤكد أن الله عز وجل جعل من خلق الانسان على هذه الكيفية الطبيعية من استقرار النطف والبويضات فى الارحام : سببا لامتداد الأنساب وقيام الأصهار بين الناس ، فالنسب من جهة الأب ، والصهر من جهة الأم : « فجعله نسبا وصهرا » .

والى جانب ما تقدم تقرر الآيات : رعاية الله للأجنة واحاطته اياها بالعلم واللطف والتدبير ، وهى فى بطون أمهاتها ، وتصف الرحم الطبيعى بأنه قرار مكين .

وننتقل الى ما جاء فى الحديث النبوى عن خلق الانسان فى بطن أمه .. يقول صلى الله عليه وسلم : « ان خلق أحدكم يكون فى بطن أمه أربعين يوما نطفة . ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب : رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد — ثم ينفخ فيه الروح »(١١) .

وفى رواية أخرى : « ان الله قد وكل بالرحم ملكا فيقول : أى رب نطفة : أى رب علقة : أى رب مضغة : أى رب ذكر أم أنثى ؟ شقى أم سعيد ؟ ما الرزق ؟ ما الأجل ؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه » ، قال الامام النووى : قال العلماء « ان للملك ملازمة تامة ومراعاة لحال النطفة ، فكل وقت يقول فيه ما صارت اليه باذن الله ، واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون الا بعد أربعة أشهر » .

وفيما يرويه البخارى عن سؤال أم سليم للنبى صلى الله عليه وسلم عن احتلام المرأة ، وان شبه الجنين بأمه يأتى من مائها .. وما يرويه ابن اسحاق فى السيرة عن سؤال بعض اليهود له صلى الله عليه وسلم فى المسألة ذاتها جاء قولهلليهود : « ان نطفة الرجل بيضاء غليظة ، ونطفة المرأة صفراء رقيقة ، فأيتهما علت صاحبتها كان الشبه لها » .

● قلت : فكيف تعلو احداهما الاخرى فى الرحم الصناعية حتى يكون الشبه لها ؟! بل كيف تتحد الخليتان الذكرية والانثوية ، فتكون خلية واحدة وتعلق بالرحم الصناعية ؟! كما هو الحال فى الرحم الطبيعية .

أما ما يقوله علماء الطب الحديث ، فقد أيدوا ما جاء فى **النظريات بل** الحقائق الاسلامية عن مراحل تكوين الجنين ، وعن **نفخ الروح فيه بعد (١٢٠)** يوما ، وعن شبه الجنين بالأب أو الأم نتيجة (لحاملات الوراثة) فى النطفة والبويضة ..

ويقول الأطباء : ان دم الحيض فى الرحم الانسانية هو الذى يمد الجنين بالغذاء والنماء ، لأنه ينقطع أثناء الحمل — وان صحة الجنين البدنية **تعتمد اعتمادا كبيرا على حالة أمه الصحية ، كما أن مجرى الدم فى الأم يتصل اتصالا غير مباشر بمجرى دم الجنين داخل الخلاصة** « أى المشيمة » (١٢) .

أما علم وظائف الاعضاء فيقرر أن من وظائف (الطحال) المتعددة : صنع خلايا الدم الحمراء والبيضاء للجنين ، وبعد ولادة الطفل يتوقف عمله هذا .

وفى دراسة علمية للطبيب المصرى الدكتور (عبد الفتاح محمد طيرة) يتحدث عن الآية القرآنية : « سبحان الذى خلق الازواج كلها : مما تنبت الارض — ومن أنفسهم — ومما لا يعلمون » . فيقول : أن الانسان يتكون (أولا) من الغذاء الذى تنبته الارض و (ثانيا) من الخلايا الجنسية المقتطعة من الذكر والانثى و (ثالثا) من الروح التى هى سر الحياة .. اى مما لا يعلمون .

ثم يتحدث الدكتور طيرة عن نمو جسم الجنين فى بطن أمه ، وتطور هذا النمو من حجم (السمسمة) بعد الاسبوع الأول من الحمل الى أن يصل وزنه فى الشهر التاسع الى ثلاثة أو أربعة كيلو جرامات .. وقد اثبتت التجارب والملاحظات أن مصدر كل زيادة فى جسم الجنين هو **الغذاء الذى ينقله الدم من أمعاء الأم الى جسم الجنين** .

● قلت : فكيف يتوفر هذا الغذاء للجنين فى الأرحام الصناعية .. ؟

وأخيرا يقول الدكتور طيرة : « ان ثمة — فى تكوين الجنين — صناعة وتصويرا وخلقا ، وكما أنه لا بد من وراء صناعة السيارة والساعة من صانع ماهر ، فكذلك من وراء الانسان وأمثاله من الكائنات الحية لا بد من خالق .. مصور .. قدير .. حكيم » .

وحول قوله تعالى : « ومما لا يعلمون .. » يقول الدكتور طيرة ما خلاصته : أن الجسد المادى بدون هذه الذى لا تعلمه — وهو الروح التى هى سر الحياة .. يعجز عن مقاومة عوامل الايذاء والفناء . انه بالروح أصبح التراب انسانا ، وبدونه يصبح الانسان ترابا ! وبالروح يدرك الجسد ما يضره وما ينفعه ، وبها يتقبل الغذاء وينتفع به .. وبها ينمو ويتكاثر ، وبها يحب ويكره ، ويتأمل ويفكر ويضحك ويبكى ، ويتعلم ويعمل ، ويشقى ويسعد ، وصدق الله العظيم .

● « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق

فى مجلة (الوعى الاسلامى عدد شعبان عام ١٣٩٣ هـ) مقالة قيمة للدكتور (محمد البهى) بعنوان (العلمانية والاسلام) تناول فيما تناول فيه تفسير هذه الآية : « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم ، فهم فيه سواء .. أفبنعمة الله يجحدون »(١٣) . فقال الدكتور البهى : أى أن صاحب المال ومن لا يملك المال من الأتباع سواء فى ارتباط منفعة أى منهما بالمال الموجود فعلا بيد مالكه والمفضل فيه عن غيره .

قلت : ان هذا التفسير للآية لا يلائم معناها ، ولا يساعد مبناها على صحته .. فالآية واردة بمبناها ومعناها معا لتأكيد حقيقة أن الأرزاق بيد الله ، وأنه هو سبحانه قاسمها بين عباده ، وهو المفضل بعضهم على بعض فى زيادة الرزق ونقصه .. حتى أن الذين فضلوا فى الرزق أى زادت أرزاقهم على أرزاق غيرهم لا يستطيعون رد شىء منها على المحرومين .. مما ملكت ايمانهم . الآية واردة لتأكيد هذا المعنى وزادته تأكيدا وتأييدا حين اضافت : « .. فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم » . اذ لو كان المقصود أن الناس المرزوقين والمحرومين سواء فى هذا الرزق لكان ايراد هذه الجملة عبثا أو مناقضا للمراد منها .

ثم جاءت الجملة التعقيبية الثانية : « فهم فيه سواء » تأكيدا للحقيقة نفسها .. أى أن المرزوقين والمحرومين سواء فى تلقى الرزق والحرمان منه ، أو تلقى بسطة الرزق وضيقه ، فلا حيلة لأى من الفريقين فى الكسب والحرمان . وانما هى مشيئة الله وحكمته كما يوضحها الحديث القدسى : « يا عبادى ان منكم من اغنيته ولو أفقرته لفسد حاله ، وأن منكم من أفقرته ولو اغنيته لفسد حاله » .

وهناك آية أخرى شبيهة بهذه معنى ومبنى ، وهى قوله تعالى :

● « ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم ؟ فأنتم فيه سواء »(١٤) .

وقد جاء التعبير القرآنى — هنا — أكثر وضوحا وصراحة ، لأنه جاء بأسلوب الاستفهام الانكارى .. فهو بعد أن ذكرهم بوحدانية الله وقدرته على بدء الخلق واعادته يسألهم : هل لهم شركاء فيما رزقهم مما ملكت أيمانهم ؟ وكيف اذن يجعلون له شركاء ممن خلق ؟ وكيف يرضون لله ما لا يرضون لأنفسهم .. ؟

وفى آية أخرى يمن الله على الناس ، بما جعل لهم فى الارض من رزق لا يملكون منحه أو منعه عن الآخرين :

● « وجعلنا لكم فيها معايش .. ومن لستم له برازقين »(١٥) .

والقرآن يكرر هذا المعنى ، ويؤكد هذه الحقيقة الالهية فى آيات كثيرات منها قول الله تبارك وتعالى :

● « الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له »(١٦) .
● « قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له »(١٧) .
● « أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر »(١٨) .
● « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا »(١٩) .

● « له مقاليد السموات والأرض ، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر »(٢٠) .
وفى الحديث النبوى : « انما أنا قاسم أضع حيث أمرت » أى يقسم صلى الله عليه وسلم الغنائم والانفال وما يستحقه المسلمون فى بيت المال ، كما أمره الله عز وجل .
اذن فتفاوت الأرزاق بين الناس ، وتفاضلهم قوة وذكاء وخلقا : حقيقة الهية كونية ، يقررها القرآن ويؤكدها فى أكثر من آية ، كما أن واقع الحياة البشرية يشهد بها ، ونحن نلمسها ونراها ، وحكمة الله فى قيامها هى كما قال سبحانه : « ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » أى لتقوم الحياة ، ويعمر الكون .. باختلاف الطبقات ، وتباين القدرات والمواهب ، وتعدد الحرف والوظائف والاختصاصات .
ونستطيع أن نفهم (الرزق) الذى هو من اختصاص الله كـ (الخلق) بأوسع مدلولاته الحقيقية — لا المجازية ، فهو لا يعنى الطعام والشراب وحدهما ، بل يعنى الاسباب والوسائل والسبل المؤدية الى تحصيله ونواله من مواهبة وملكات ومهارات ذهنية وعقلية .
ولا تناقض بين هذه الحقيقة الكونية الالهية وبين (المسؤولية) الانسانية التى فرضها القرآن وأوجبها فى أكثر من آية أيضا ، وهى : أن للمحرومين حقوقا فى أموال المرزوقين ، سواء أكانت زكاة واجبة ، أم صدقة مستحبة . وفى ذلك يقول الله عز وجل :
● « انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل — فريضة من الله ، والله عليم حكيم »(٢١) .
● « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم »(٢٢) .
● « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم »(٢٣) .
وما أكثر ما يكرر القرآن دعوته وانفقوا مما رزقناكم — أو انفقوا من طيبات ما كسبتم » .. وفى الحديث النبوى توجيهات الى أعطاء الفقير ، واطعام المسكين ، واغاثة الملهوف ، كقوله صلى الله عليه وسلم :
— « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم » .
— « أطعموا الطعام ، وافشوا السلام » .
— « ان فى المال حقا سوى الزكاة » .
— « ان للسائل حقا ولو جاء على فرس » .
وبعد ، فهناك فرق كبير وعميق بين قول الدكتور البهى : ان صاحب المال ، ومن لا يملك المال من الاتباع سواء فى ارتباط منفعة أى منهما بالمال الموجود فعلا بيد مالكه والمفضل فيه عن غيره . تفسيرا لقوله عز وجل : « فهم فيه سواء » .

وبين ما يفهم من الآية — مع الآيات الاخرى — من ان الله عز وجل قسم الرزق بين العباد حسب ارادته ومشيئته ، فهم سواء في تلقى الرزق الواسع والرزق القليل ، أو هم سواء في العطاء والحرمان بحيث لا يستطيع الغنى أن يرد شيئا من رزقه على الفقير ، ويرفعه الى مستواه ، وان كان يجب عليه أن يعطيه ما يضمن له طعامه وكسوته .

والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل .

---

(١) العدد : ٩٦ عام ١٣٩٢ هـ .
(٢) سورة المؤمنون ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .
(٣) سورة الزمر ٦ .
(٤) سورة نوح ١٣ ، ١٤ .
(٥) سورة آل عمران ٦ .
(٦) سورة الانعام ٩٨ ، والمستقر والمستودع : الاصلاب والارحام .
(٧) سورة الحج ٥ .
(٨) سورة المرسلات ٢٠ — ٢٤ .
(٩) سورة الفرقان ٥٤ .
(١٠) سورة النجم ٣٢ .
(١١) رواه الشيخان .
(١٢) عن المجلة الطبية (نداء الصحة) عدد فبراير ١٩٧٣ .
(١٣) سورة النحل ٧١ .
(١٤) سورة الروم ٣٨ .
(١٥) سورة الحجر ٢٠ .
(١٦) سورة العنكبوت ٦٢ .
(١٧) سورة سبأ ٣٩ .
(١٨) سورة الروم ٣٧ .
(١٩) سورة الزخرف ٣٢ .
(٢٠) سورة الشورى ١٢ .
(٢١) سورة براءة ٦ .
(٢٢) سورة المعارج ٢٤ و ٢٥ .
(٢٣) سورة النور ٢٣ .



مشكلات الفواصل

د. علي محمد حسن

اشرت فى المقال السابق(١) الى طرف من هذه القضية ، وأوردت بعض الآيات القرآنية التى قد يتعلق بها من لا دراية له بأسرار العربيـــة ، وبأسرار اعجاز القرآن الكريم ـــ بخاصة ـــ وقلت فى نهاية الفصل : « وبعد فهذا حديث عن الفواصل فى القرآن الكريم تضمن أهم القضايا فيها ، ولكنه لم يوفها حقها من البحث والاستقصاء » .

ولما كانت الآيات التى ختمت بما يناسب صدورها مناسبة ظاهرة لا تلفت نظر المتفطن لأسرار بلاغة القرآن الا بمقدار ما يتبادر الى ذهنه وقلبه ـــ لأول وهلة ـــ من روعة النظم ، وســـــمو التعبير ، ودقة المناســـبة بين أول الآية وآخرها . اذا كان الأمر كذلك فلن أطيل الوقوف عند هذه الآيات ، وهى كثيرة فى القرآن الكريم ، لأن أمرها لا يغمض على من له أدنى بصر بالأســـــاليب البيانية العالية .

وكان لا بد من وقفة متأنية مع الآيات الكريمة التى ربما يوهم نظمها ـــ بادىء ذى بدء ـــ أن ختامها غير متسق مع صدرها ، فتحتاج عند قصار النظر الى كشف الأسرار البلاغية ، والدينية التى اقتضت أن يكون نظمها على هذا الوجه دون غيره .

وهذا ما سماه المتقدمون : « مشكلات الفواصل » .

وقبل أن نتعمق فى هذا الموضوع ينبغى أن نبدأ بكلمة قالها الفخر الرازى ، وهو من نعرف نفاذ بصيرة ، وعمق بصر ، ودقة بحث وراء الأسرار والمعانى ، ودءوب تفكير وتدبر لما وراء هذه الأسرار ، وهذه المعانى .

تلك هى قوله عند تفسيره لقوله تعالى : « وأقصد فى مشيك واغضض من صوتك » : (هل للأمر بالغض من الصوت مناسبة مع الأمر بالقصد فى المشى ؟ فنقول : نعم . سواء علمناها نحن أو لم نعلمها ، وفى كلام الله من الفوائد ما لا يحصره حد ، ولا يصيبه عد ، ولا يعلمه أحد) .

وكلمة أخرى للرازى نثبتها هنا أيضا بين يدى حديثنا عن مشكلات الفواصل جاء عند تفسيره لقوله تعالى : « ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا » من سورة العنكبوت ، جاء قوله : (ما من حرف ولا حركة فى القرآن الا وفيه فائدة ، ثم ان العقول البشرية تدرك بعضها ، ولا تصل الى أكثرها ، وما أوتى البشر من العلم الا قليلا) .

ولا يقال ان كلمتى الرازى هاتين ربما بعثتا الشك فى القلوب المريضة ، وربما دعتا القلوب السليمة الى شيء من التوقف : أن يكون فى كلام الله تعالى ، وفى مناسبة بعض الآى لبعض ما لا يمكن أن نعلمه ، حتى مع طول البحث ، وادامة النظر ، وشدة التقصى .

لا يقال هذا ، لأن القضية الاولى ثابتة لم يطرأ عليها شك . أعنى قضية اعجاز القرآن ، وأنه تحدى العرب — وهم أهل اللسن والفصاحة — أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه فلم يستطيعوا ، مع ما نعلمه ، وتعلمه الأجيال كلها ، والمعنيون بدراسة التاريخ الدينى للاسلام من مؤمنين وكافرين وملحدين ومعاندين ومنافقين — من أن العرب مع شدة حرصهم على ابطال حجة النبى — صلى الله عليه وسلم — واجتهادهم فى ذلك ، وكثرة أعوانهم عليه لم تؤثر عنهم كلمة واحدة فى الطعن على نظم القرآن ، أو على أية كلمة من كلماته ، بل الذى أثر عنهم وصفه بمايشهد بعلو درجته فى البلاغة ، ويكفى أن الكلمة التى أرضتهم وسكنوا اليها ، وحمدوا قائلها وصف القرآن بأنه (سحر) ، كما جاء ذلك على لسان الوليد بن المغيرة حين طلب اليه قومه أن يقول فى القرآن ما يعيبه به : « انه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال أن هذا الا سحر يؤثر . ان هذا الا قول البشر » (٢) .

فعيب القرآن عندهم أنه سحر ، وهل يكون سحرا وهو — عندهم — موضع نقد أو طعن فى لغته أو نظمه أو معانيه .. ؟

حتى الأوصاف الاولى التى وصفوا بها القرآن كانت تدل على الروعة والخلابة وتشهد بأنهم يقرون ببلاغته وفصاحته ، قالوا انه شعر ، وقالوا انه قول كاهن ، وقالوا أساطير الأولين ، وما قالوا ذلك وهم يرون أنه موضع المؤاخذة من ناحيتيه اللغوية والبيانية .

وقد سأل رجل بعض العلماء عن قول الله عز وجل : « لا أقسم بهذا البلد » فأخبر أنه لا يقسم،ثم أقسم به فى قوله : « والتين والزيتون.وطور سينين وهذا البلد الأمين » فقال العالم للسائل : أى الأمرين أحب اليك ، أجيبك ثم أقطعك ، أو أقطعك ثم أجيبك ؟ قال : لا . بل اقطعنى ثم أجبنى . فقال له : اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة رجال ، وبين ظهرانى قوم كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا ، وعليه مطعنا ، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به ، وأسرعوا بالرد عليه ، ولكن القوم علموا وجهلت ، فلم ينكروا منه ما أنكرت ، ثم قال له : ان العرب قد تدخل (لا) فى أثناء كلامها ، وتلغى معناها .

ويبدو أن هذا العالم أخذ اجابته هذه من (أبى هذيل العلاف)(٣) فقد

جاء اليه رجل ، وقال : أشكلت على آيات من القرآن توهمني أنها ملحونة . فقال أبو الهذيل : أأجيبك بالجملة أو تسألني عن آية آية .. ؟ قال : بل تجيبني بالجملة . فقال أبو الهذيل : هل تعلم أن محمدا كان من أوسط العرب وأن العرب كانوا أهل جدل ؟ قال : نعم . قال : فهل تعلم أن العرب اجتهدوا في تكذيبه ؟ قال : نعم . قال : فهل تعلم أنهم عابوه باللحن ؟ قال : لا . قال أبو الهذيل ، فتدع قولهم مع علمهم باللغة ، وتأخذ بقول رجل من الأوساط(٤) ؟!

أما أن العرب ــ وخاصة قريشا ــ كانوا أهل جدل ، ولدد في الخصومة ، فيشهد لذلك قوله تعالى : « وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون »(٥) .

وقوله علت كلمته : « فانما يسرناه بلسانك ، لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا »(٦) .

وأما أنهم اجتهدوا في تكذيبه ، والطعن عليه ، وعلى القرآن الكريم فيدل عليه تكلفهم للأمور الخطيرة في محاربته ، والصد عن دعوته ، وقد كانوا موصوفين برزانة الأحلام ووقارة العقول والألباب ، ولو أنهم وجدوا الى الطعن في القرآن سبيلا لكان ذلك كافيا في ابطال دعوة محمد ، ولكفاهم مئونة حرب لا يعلمون على من تدور فيها الدائرة ، ولو أنهم طعنوا لنقل ذلك الينا جيلا بعد جيل ، فان الدواعي كانت متوفرة في عهد البعثة ، وفي كل جيل بعد ذلك على نشر ما يسيء الى الدعوة والداعي صلى الله عليه وسلم .

ــــ ● ــــ

وسبيلي في هذا الفصل الشائك أن أجيء بالشواهد مما وقف عنده العلماء متبصرين باحثين عن السر البلاغي ، وأن أذكر ما وقفت عليه مما قيل في ذلك . فاذا فتح الله ــ بعد ذلك ــ بوجه اظن أنه مقبول ذكرته ، واذا وجدت أن كلام العلماء غير مقنع ، ولم يفتح الله بوجه مقبول فوضت علم ذلك الى الله ، وقلت مقالة الرازي أنني أومن به ، وأعتقد أنه في أعلى درج البلاغة ، وان لم نعلم السر في هذا الذي أشكل علينا علمه وفهمه ، وعسى أن يفتح الله على غيرنا بوجه مقنع مقبول .

وأقف عند آيات وقف عندها (بدر الدين الزركشي) في كتابه (البرهان في علوم القرآن) ، ثم أثني بما وقفت أنا عنده وأنا أتلو كتاب الله تعالى ، وفي كل من النوعين سأذكر ما اطلعت عليه من تأويلات بعض المفسرين .. والله المستعان .

قال الزركشي : ومن خفي هذا الضرب (المشكل من الفواصل) قوله تعالى في سورة البقرة : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم » وقوله في (آل عمران) : « قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير » .

فان المتبادر الى الذهن في آية (البقرة) الختم بالقدرة ، وفي آية (آل عمران) الختم بالعلم ، ولكن اذا انعم النظر علم أنه يجب أن يكون ما عليه التلاوة في الآيتين .

ولم يبين الزركشي سر ما يؤدي اليه انعام النظر من أن التلاوة يجب أن تكون على ما في الآيتين ، ولكن يفهم من كلام بعض المفسرين أن ذكر العلم في آية البقرة يشير الى أن الله سبحانه خلق السموات والارض وما فيهما على

وفق علمه بمصالح العباد ، وما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، والى أن العالم بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها ، الخبير بمصالحها جدير بأن يخلق كل ما يخلقه على الوجه البديع الرائق .

وان ذكر القدرة فى آية (آل عمران) يشير الى أن الذات المتميزة بالعلم ، متميزة أيضا بالقدرة الذاتية الشاملة .

ومما تجدر الاشارة اليه أن بعض المفسرين جعل : « والله على كل شيء قدير » بيانا لقوله سبحانه : « ويحذركم الله نفسه » ، وهو اتجاه حميد : أن ينظر الى التذييل — ليس فقط بحسب حد — الآية التى فيها ، وانما أن ينظر اليه على أنه مرتبط بما سبقه .

وان كان صاحب المنار أسرف فى ذلك حيث جعل قوله تعالى : « والله بكل شيء عليم » فى سورة (البقرة) متصلا بأول الآيات فى تقرير رسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، ومبطلا لشبه الذين أنكروا أن يكون البشر رسولا ، والذين انكروا أن يكون من العرب رسول ، لأن قصارى ذلك كله — كما يقول — اعتراض الجاهلين على من هو بكل شيء عليم .

وقد أبعد — والله — النجعة ، فان : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » هى الآية الثالثة والعشرون ، وهذه الآية التى جعلها تذييلا مرتبطا بها هى الآية التاسعة والعشرون ، وبينهما آيات تتحدث عن الجنة ونعيمها مما وعد به المؤمنون ، وعن ضرب الأمثال ، وعن الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، وعن كفر الكافرين بالله الذى أحياهم بعد أن كانوا أمواتا ، ثم يميتهم ثم يحييهم .

ولا يشفع له فى ذلك دعوى أن هذه الآيات متصل بعضها ببعض ، فهذا حق ، لكن ليست كلها فى شأن الرسالة والرســـــول حتى يكون هذا التذييل مرتبطا بهذا المعنى .

كما أن ما ذكره من انكار أن يكون البشر رسولا ، واستبعاد أن يــكون للعرب رسول ليس له ذكر فى الآيات الا ما يلمح لمحا حين يجعل الضمير فى (مثله) راجعا الى النبى — صلى الله عليه وسلم .

ولو أنه جعل التذييل متصـــــلا بالآية الاخيرة من هذه الآيات : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحيكم ثم اليه ترجعون » لكان له وجه .

على أن عبارة النسفى فى هذا المقام واضحة وموجزة : وهو بكل شيء عليم ، فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت ، مع خلق ما فى الارض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم .

ونعود الى الزركشى ، قال : ومنه قوله تعالى : « والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم »(٧) فان الذى يظهر فى أول النظر أن الفاصلة (تواب رحيم) لأن الرحمة مناسبة للتوبة وخصوصا من هذا الذنب العظيم ، ولكن ههنا معنى دقيق من أجله قال (حكيم) وهو أن ينبه على فائدة مشروعية اللعان ، وهى الستر عن هذه الفاحشة العظيمة ، وذلك من عظيم الحكم ، فلهذا كان « حكيم » بليغا فى هذا المقام دون « رحيم » .

وقد شرح أبو السعود المعنى الذى اشار اليه الزركشى ، قال : « حكيم فى جميع افعاله وأحكامه التى من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان .. لو لم

يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع ان الظاهر صدقه ، لأنه أعرف بحال زوجته ، وأنه لا يفترى عليها لاشتراكهما فى الفضاحة ، وبعد ما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا لفات النظر لها ، ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ، ولا ريب فى خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة ، فجعل شهادات كل منهما — مع الجزم بكذب أحدهما حتما — دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية » .

وهذا كله — أيضا — من فضل الله عليهم ، ورحمته بهم .

على أن هنا سرا آخر لايثار صفة الحكمة على صفة العلم ، وذلك أنه لو قيل (رحيم) لكان تكرارا مع (رحمته) ، ولنبا النظم عن الذوق ، ويكفى أن تسمع : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب رحيم » لتدرك من أول وهلة نبو هذا التذييل عن صدر الآية ، مع ملاحظة أن الفضل ، وان كان فيه من الحكمة ما فيه ، لكنه فى معناه أقرب الى الرحمة ، وعندئذ تكون كلمة (رحيم) غير جديرة بأن تختم بها هذه الآية ، لأنها حينئذ تكون تكرارا لمعنى صريح فى كلمة (رحمته) ولمعنى ضمنى فى كلمة فضل ، فكانت البلاغة كل البلاغة أن تختم الآية بكلمة (حكيم) كما هى التلاوة .

وقد تضمنت الآية أربع صفات كريمة ، وصف الله سبحانه بها نفسه فهو ذو فضل وذو رحمة ، وهو تواب وحكيم . وكلها لا بد منها فى قضية ذات بال بين فيها أسلوب الاتهام ، وطريقة الدفاع ، ثم الحكم الذى لم يدن واحدا منهما ، بل قضى بالتفرقة بينهما .

ولا شك أن فى كل ذلك من الفضل والرحمة والحكمة ما فيه . فالزوجة ان كانت بريئة فستظل تنظر الى زوجها — ان عاشت معه — بقلب مملوء بالغيظ والحقد لأنه أهانها فى أعز ما تملك ، وسيكون من أشق الأمور عليها أن تعاشره .

واحتمال الأذى ورؤية جانبه غذاء تضوى به الأجسام وان كانت مخطئة فستشعر دائما بالخجل والخزى كلما وقع نظرها عليه ، وستضيق كل الضيق بهذا الجو الذى شهد فضيحتها ، وتتمنى لو تعيش فى جو آخر ، فى بيت أبيها ، أو فى بيت زوج جديد حيث تنسى أو تتناسى ما كان منها ، ومع ذلك فسوف لا تغفر لزوجها أنه لم يستر عليها ، ولم يكتم ما علم من أمرها .

والزوج سيجد من العسير عليه أن يعاشر زوجة داست كرامته ، وأوطأت فراشه غيره ، ان كان صادقا ، وسوف لا يبقى على عشرتها ، ولا يحفظ لها ودا ان كان اتهمها زورا وبهتانا ، لأن ذلك دليل كراهيته لها ، وزهده فيها .

ودواء ما لا تشتهيه النفس تعجيل الفراق .

فكان التفريق بينهما منتهى الحكمة ، ثم فيه من الفضل والرحمة والتهيئة للتوبة ما فيه .



وقد نقل الزركشى عن بعض من تقدموه ، من أصحاب الدراسات القرآنية ثلاثة أوجه لتعليل التذييل فى قوله تعالى : « وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا »(٨) بالحلم والمغفرة عقب تسابيح

الأشياء كلها وتنزيهها لله تعالى .

أحدها : أن فسر التسبيح بأن الأشياء مودعات من دلائل العبر ، ودقائق الانعامات والحكم ما يوجب تسبيح المعتبر المتأمل ، فكأنه سبحانه يقول : ان كان من كبير اغفالكم النظر فى دلائل العبر مع امتلاء الأشياء بذلك . وموضع العتب قوله سبحانه : « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »(٩) . كذلك موضع المعتبة قوله : « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » ، وقد كان ينبغى أن يعرفوا بالتأمل ما يوجب القربة لله مما أودع مخلوقاته مما يوجب تنزيهه . فهذا موضـــــع حلم وغفران عما جرى فى ذلك من الافراط والاهمال .

الثانى : أن جعلنا التسبيح حقيقة فى الحيوانات بلغاتها فمعناه : الأشياء كلها تسبحه وتحمده ولا عصيان فى حقها ، وأنتم تعصون ، فالحلم والغفران للتقدير فى الآية وهو العصيان .

الثالث : انه سبحانه قال فى أولها : « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده » أى انه كان لتسابيح المسبحين حليما عن تفريطهم ، غفورا لذنوبهم .

واختار الفخر الرازى الوجه الأول فى تفسير الآية ، وهو أن « التسبيح المضاف للجمادات ليس الا بمعنى الدلالة على تنزيه الله تعالى ، ورد الوجه الثانى ، وبالغ فى رده :

أولا : بأنا لو جوزنا فى الجماد أن يكون عالما متكلما لعجزنا عن الاستدلال بكونه تعالى عالما قادرا على كونه حيا ، وحينئذ يفسد علينا باب العلم بكونه حيا ، وذلك كفر ، فانه يقال : اذا جاز فى الجمادات أن تكون عالمة بذات الله تعالى وصفاته وتسبحه مع انها ليست بأحياء ، فحينئذ لا يلزم من كون الشيء عالما قادرا متكلما كونه حيا ، فلم يلزم من كونه تعالى عالما قادرا كونه حيا ، وذلك جهل وكفر ، لأن من المعلوم بالضرورة أن من ليس بحى لم يكن عالما قادرا متكلما . هذا هو القول الذى أطبق العلماء المحققون عليه .

ثانيا : لو حملنا التسبيح هنا على أن هذه الجمادات تســـبح الله بأقوالها والفاظها لم يكن عدم الفقه لتلك التسبيحات جرما ولا ذنبا ، واذا لم يكن ذلك جرما ولا ذنبا لم يكن قوله : « انه كان حليما غفورا » لائقا بهذا الموضع .

قال : فهذا وجه قوى فى نصرة القول الذى اخترناه .

وعلل لهذا التذييل بناء على الوجه الذى اختاره بأن ذكر الحليم والغفور ههنا يدل على أن كونهم بحيث لا يفقهون ذلك التسبيح جرم عظيم صدر عنهم .

---

(١) نشر بمجلة الوعى الاسلامى بعنوان (الفواصل) فى العدد ٦٨ من السنة السادسة .

(٢) سورة المدثر . الآيات ١٨ ـــ ٢٥ .

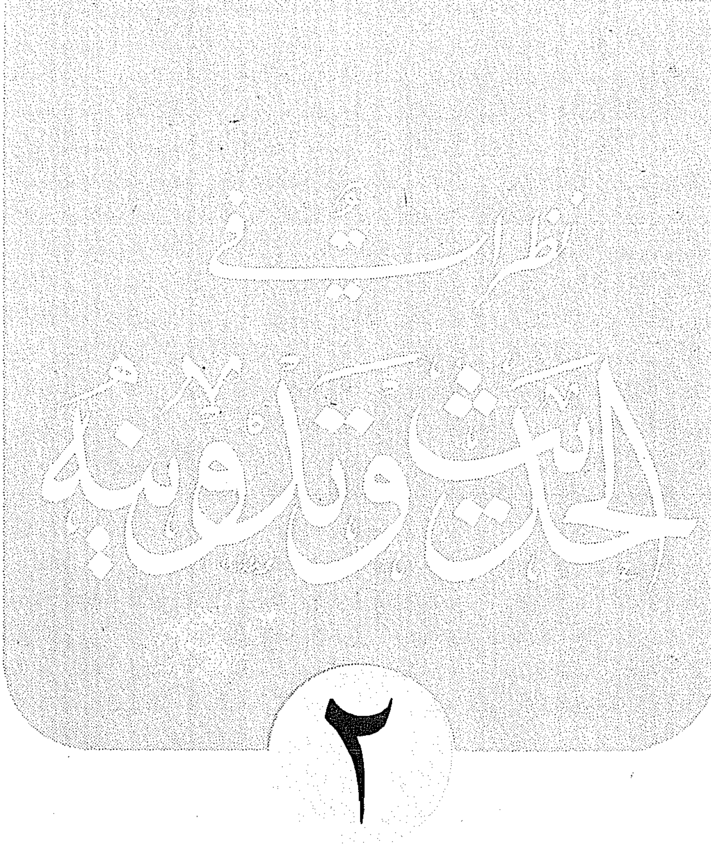
(٣) رأس من رءوس المعتزلة ، كان أستاذ المأمون الخليفة العباسى ، وقد فضله المبرد على الجاحظ فى المناظرة . توفى سنة ٢٣٥ هـ .

(٤) ضحى الاسلام ﺟ ٣ ص ١٠١ .

(٥) الزخرف ٥٨ .

(٦) مريم ٩٧ .

(٧) سورة النور ٩ ، ١٠ .



للدكتور محمد عبد الرءوف

شرحنا في مقالنا الأول كيف أن الحديث النبوى الشريف يرده العلماء الى اربعة أنواع . **الأول** : ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من أقوال وهو اعلى هذه الأنواع واسماها وأكثرها ، وفى الذروة من البلاغة وروعة الأسلوب وغزارة المعانى ، **والنوع الثانى** : هو ما ذكر فيه فعل من أفعال الرسول أو وصفت فيه خلاله الكريمة ، وقد يلحق به ما كان أمرا من النبى صلى الله عليه وسلم ، كقول السيدة عائشة رضى الله عنها فيما رواه ابــن ماجة وأبو داود وابن حنبل : « كنا نؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة » اذا اعتبرنـــا أمر الرسول فعلا ، وهذا أقرب من اعتباره من الأقوال حتى يقتصر النوع الأول على ما احتوى على كلامه صلى الله عليه وسلم نفسه ، ومثل هذا ما رواه البخارى واحمد عن أم عطية قالت :

« لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ، ثم بعث اليهن عمر بن الخطاب ، فقام على الباب فسلم ، فرددن عليه السلام ، فقال : أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن ، قلن : مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله ، وقال (اى عمر) تبايعن على الا تشركن بالله شيئا ، ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينه فى معروف ، قلن : نعم ، فمددنا أيدينا من داخل البيت ومد يده من خارج البيت ، ثم قال : اللهم اشهد . . » .

فمبايعة عمر رضي الله عنه النساء بناء عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم هو بمثابة مبايعة النبى نفسه . **والنوع الثالث** : من الحديث ما كان اقرارا سكوتيا من النبى صلى الله عليه وسلم لما حدث فى عهده ، وقد مثلنا لذلك فى الجزء الأول من هذا البحث ، ويدخل فى هذا عادات الناس فى المدينة ذلك الوقت وما جروا عليه فى آداب الطعام والشراب واللباس والمتاجرة والمقاييس والمكاييل وغير ذلك مما لم يرد فيه نص عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولذلك كان عمل أهل المدينة من مصادر التشريع الهامة عند الامام مالك رضي الله عنه ، وأما **النوع الرابع** : والأخير من الأحاديث فهو ما تذكر فيه أوصاف النبى الخلقية أو ما حدث عن ولادته أو مراحل حياته صلى الله عليه وسلم كتاريخ ولادته أو الحديث عن رضاعه أو وفاة والدته أو كفالة جده أو مرضه أو وفاته صلى الله عليه وسلم .

وليس يعنى تصنيف الحديث الى هذه الأنواع أن كل حديث لا بد أن يكون واحدا من هذه الأنواع الأربعة فقط ، فلا يكون الا قولا من أقوال الرسول أو فعلا أو تقريرا أو صفة بل قد يشتمل الحديث الواحد على وصفين من هذه الأربعة أو أكثر ، فحديث أم معبد الذى سقنا جزءا منه تصف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، اشتمل الجزء الأول منه على أفعال وأقوال له ، ونسوق صدر هذا الحديث وهو كما يلى :

« عن أبى معبد الخزاعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة الى المدينة هووأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ودليلهم عبد الله ابن أويقط الليثى فمروا بخيمة أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة جلدة برزة تحبى وتقعد بفناء الخيمة ، ثم تسقى وتطعم ، فسألوها تمرا أو لحما يشترونه فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك ، واذا القوم مرصلون مسنتون ، فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هى أجهد من ذلك قال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : نعم بأبى أنت وأمى ، إن رأيت بها حلبا ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال : اللهم بارك لها فى شاتها . قال : فتفاجت ودرت واجترت ، فدعا باناء لها بربض الرهط ، فحلب فيه ثجا حتى غلبه الثمال ، فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب صلى الله عليه وسلم آخرهم وقال : ساقى القوم آخرهم ، فشربوا جميعا عللا بعد نهل حتى أراضوا ثم حلب فيه ثانيا عودا على بدء ، فغادره عندها ثم ارتحلوا عنها . »

فهذا الحديث يحتوى على كثير من فعال النبى صلى الله عليه وسلم وبعض أقواله وخصاله الكريمة ، كما احتوى فى الجزء الآخر على وصف أم

معبد للرسول أمام زوجها بعد عودته مع أعنزه ، بل يحتوى الحديث على تقرير سكوتى من الرسول لعدم اعتراضه عليه الصلاة والسلام على الطريقة التى كانت تعيش عليها أم معبد .

وحيث فرغنا من تعريف لفظ الحديث بالمعنى الذى يستعمله العلماء ، ننتقل الى موضوع هام وشيق ، وهو تدوين الحديث وجمعه ونشأة بعض العلوم حول موضوع الحديث ، فإننا نسمع الكثير عن الكتب الستة والمسانيد والمصنفات والسنن والصحاح والصحف ، كما نسمع عن علوم تتعلق بالحديث من النقد الحديثى والمصطلح وعلم الرجال .

وسوف نحاول متابعة المراحل التى دون فيها الحديث وخصائص كل مرحلة وتاريخها وأهم ما دون فيها مع وصف مختصر لكل منها ، ونؤثر أن نبادر فنقول اجمالا ان تدوين الحديث وتطور علومه كان على مراحل خمسة اخترنا لها الأسماء التالية للتيسير ومزيد الايضاح : **المرحلة الأولى** نسميها مرحلة **الصحيفة** لأن ما دون فيها كان يسمى كذلك ، واستغرقت هذه المرحلة القرن الهجرى الأول كله وطرفا من القرن الثانى ، ومعنى الصحيفة الواح كتب عليها عدد من الاحاديث النبوية من مواد الكتابة المعروفة فى ذلك العهد من اللخاف والعظام والجلد ، و**المرحلة الثانية** ، وتستغرق الجزء الأكبر من القرن الثانى للهجرة بعد العقدين الأولين ، ونسميها مرحلة **المصنف** ، وهو ما دونت فيه الأحاديث مبوبة على حسب الموضوعات ، فوضعت كل مجموعة من الأحاديث المشتركة فى الموضوع معا تحت عنوان يدل عليها ، فأما **المرحلة الثالثة** فهى مرحلة **المسند** ، وفيه تبوب الأحاديث تحت اسم الصحابى الذى رواها ورويت عنه ، فيقسم الكتاب الى فصول كل فصل يعنون له باسم الصحابى أو صحابية ثم تسرد الأحاديث التى رويت عن طريقه أو عن طريقها بأسانيدها ، وبدأت هذه المرحلة قبيل نهاية القرن الثانى واستمرت خلال القرنين التاليين ، وأما **المرحلة الرابعة** فنسميها مرحلة **الصحيح** ، لأن علماءها تحروا جمع الأحاديث الصحيحة وحدها كما صنع البخارى ومسلم ، أو مع غيرها مع بيان وصف ما دون الصحيح من كونه ضعيفا أو حسنا مثلا ، وبدأت هذه المرحلة فى العقود الأولى من القرن الثالث واستمرت حتى نهاية القرن الرابع ، وهى بذلك متداخلة فى المرحلة الثالثة زمنيا ، أما **المرحلة الخامسة** والأخيرة فنسميها المرحلة **التحليلية** أو مرحلة الشرح والتحليل ، فقد تم جمع ماكان يتداول من الأحاديث بنهاية القرن الرابع، فكان عمل العلماء فيما بعد ذلك قائما على ما جمع قبل ، فكان شرحا لها أو لمفرداتها أو تحسينا فى تبويبها ، أو جمع ما اتفق عليه أو ما زيد فى البعض على البعض الآخر ، أو اختصار بعضها بحذف الأسانيد أو المكرر أو تطوير علوم الحديث واكمالها أو عمل فهارس كالأطراف لتيسير المراجعة .

وسوف نحاول فى الفصول التالية معتمدين على الله دراسة كل من هذه المراحل وخصائصها ووصف بعض النماذج لما دون فى كل منها ، ونبدأ بالمرحلة الأولى وهى التى سميناها مرحلة الصحيفة أو مرحلة الصحف .

وتنقسم المرحلة الأولى نفسها الى فترات ثلاثة ، الأولى هى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، والثانية تبدأ بوفاته عليه الصلاة والسلام حتى منتصف العقد التاسع من القرن الهجرى الأول ، والثالثة تبدأ من ذلك الوقت حتى نهاية العقد الثانى من القرن الثانى .

أما على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلم تكن هناك حاجة ماسة بعد لكتابة الحديث ، وكانت العناية موجهة للقرآن الكريم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب الى القليلين ممن يحسن الكتابة من أصحابه بكتابة القرآن عندما كان يوحى اليه به ، ويدلهم على موضع كل آية بالنسبة لغيرها ، ومع ذلك فان الاعتماد كان الذاكرة والتلقي الشفوى ، ولم يكن الاعتمـــاد يوما ما على الكتاب وحده ، ففى التلقي الشفوى علاقة مباشرة بين المعلـــم والمتعلم وضمان لحسن الأداء ومسئولية المعلم عن صـــواب ما يعلمه أمام الله وأمـــام ضميره .

وتوجيه العناية لكتاب الله لا يعنى أنـــه لم يخطر ببال صحابى أن يكتـــب لنفسه ــ اذا استطاع ــ ما حفظه من الرسول أو بعضه ليتذكره اذا نسيه ، ولكن حرصا على عدم خلط الصحف القرآنية بغيرها ، ومنع تكرار ما حدث من فساد الكتب السماوية السابقة ، نسمع فيما رواه أبو سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم حرم كتابة غير القرآن بل أمر من كتب غيره بمحوه ، كما نسمع أنه استؤذن فيكتابة الحديث فلم يأذن ، ولكن توجد مع ذلك روايات تدل على أنه أذن لعبد الله بن عمر بكتابة العلم أى الحديث وأن الرسول صلواتاله عليه لما قال له رافع بنخديج : انا نسمع منك أشياء أفنكتبهـــا ؟ » قال : « اكتبوا ولا حرج » وقد ناقش العلماء ما ظهر من تعارض فى هذا الشأن فمن قائل إن الاباحة جاءت بعد التحريم فنسختـــه ، ومن قائل ان المحرم كـــان خلط كتابة القرآن بكتابة الحديث ، ولكن الذى يخيل الى هو أن الأمر كان موقوفا على الظروف ومبلغ السلامة أوعدمها حال الأذن بكتابة الحديث ، والا فمن المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم أملى كتبا بعث بها لعماله أو لغيرهم ، كما أملى نصوص معاهدات واتفاقيات وكلها من الحديث الشريف .

والخلاصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لحق بالرفيق الأعلى ولم تكن هناك صحف متداولة جمعت عليها أحاديثه ومآثره وان احتمل أن قليـــلا من أصحابه كتب بعض الألواح لنفسه .

أما عن الفقرة الوسطى من المرحلة الأولى وتمتد لسبعين سنة بعد وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام فان من الجلى الواضح أن الصحابة وقفوا من كتابة الحديث موقف التردد يتنازعهم عاملان ، الأول عامل الرغبـــة فى الكتابة لما لها من ثمرات واضحة ، والآخر هو الخوف على سلامـــة الكتـــاب الكريم اذا تداول الناس صحف الحديث بجانب صحف القرآن ، ولقد شغل الصحابة أمر القرآن للغاية فكما يذكر القراء أشار الفاروق على الخليفة الأول أن يجمع صحفه ويحفظها لما استمر القتل فى الصحابة أثناء حروب الـــردة ، ولقد تردد أبو بكر رضى الله عنه أول الأمر ثم شرح الله صدره لذلك ، فجمع جميع الصحف القرآنية التى كتبت على عهده صلى الله عليه وسلـــم للاعتقـــاد بسلامتها والا لنزل الوحى ليفيد بحدوث أى تحريف فيها ، ولذلك كـــانوا يستحلفون أصحابها على انها كتبت أثناء حياة الرسول ، وبعد أن تم جمعها حفظها الخليفة الأول لديه ، ولما حضرته المنون وكان قد أوصى بالخلافة لابن الخطاب عهد اليه بهذه الصحف ، ولما اعتدى على حياة عمر رضى الله عنه آثر أن يعهد بها الى ابنته حفصة أم المؤمنين التى كانت تحسن القراءة والكتابة أكثر من سواها من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم طلبها منهـــا

الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه لما حدث اختلاف على القراءات ، فنسخت من هذه الصحف نسخ كاملة وزعت على الأمصار وبعث مع كل مصحف معلم من الصحابة ليعلم المسلمين بالجهة المبعوث اليها القرآن كما سمعه من الرسول وفى حدود القراءات التى تتفق مع رسم مصحفه ، ثم أمر بالصحف الأصلية فأحرقت حسما للخلاف .

نعود للكلام على كتابة الحديث ، وننقل ما كتبه العلامة الخطيب البغدادى المتوفى عام ٤٦٣ هـ بهذا الصدد فى كتابه « تقيد العلم » المطبوع بدمشق عام ١٩٤٩ بتحقيق العلامة يوسف الحسن :

« فقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول انما هى لئلا يضاهى بكتاب الله تعالى غيره أو يشغل عن القرآن بسواه ، ونهى عن الكتب القديمة أن تتخذ لأنه لا يعرف حقها من باطلها وصحيحها من فاسدها ، مع أن القرآن كفى منها وصار مهيمنا عليها ، ونهى عن كتب العلم فى صدر الاسلام وجدته لقلة الفقهاء فى ذلك الوقت والمميزين بين الوحى وغيره لأن أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا فى الدين ولا جالسوا العارفين فلم يؤمن أن يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن ويعتقدون أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن » ..

وموقف التردد هذا يتضح بصفة جلية من فحو ما روى من أن الخليفة الثانى رضى الله عنه أراد أن يكتب السنن فاستشار فى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله شهرا ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له ، فقال : « انى كنت أردت أن أكتب السنن ، وانى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا ، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله تعالى ، وانى والله لا البس كتاب الله بشىء أبدا ، وروى عن صحابة آخرين أنهم كتبوا صحفا ثم محوها أو حرقوها .

والذى يبدو لى هو أن الحرج كان فى نسخ الصحف وأكثارها للتداول والنشر ولم يكن الحرج قويا فى كتابة المرء لنفسه ، ولذلك نجد أمهات الكتب تتحدث عن صحف كانت لدى عدد من الصحابة ، وقد تتبع الدكتور محمد مصطفى الأعظمى فى كتابه المسمى « دراسات فى الحديث النبوى وتاريخ تدوينه » الذى نشر فى بيروت عام ١٩٦٨ ما ورد من هذه الاشارات وعد خمسين صحابيا كان عند كل منهم صحيفة أو كراسة من الأحاديث وأشار الى مصادر ما أتى به .

واذا كان هناك حرج فى كتابة الحديث أثناء الفترة الوسطى من المرحلة الأولى من تاريخ تدوين الحديث فان أسبابا تجمعت وغيرت الحال قبل نهاية القرن الاول بنحو عشرين عاما ، فبعد مضى سبعين عاما على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت المخاوف على سلامة القرآن قد تبددت ، فلقد حفظه مئات الآلاف من شتى الألوان والأجناس فى صدورهم ، وتلقته أجيال جيلا عن جيل دون حدوث خلل أو خلاف أو تغيير ، كما كانت المصاحف قد كثرت

واتسع تداولها ، ثم جدت أحداث حملت على كتابة الحديث حرصا على عدم ضياعه وخوفا من اختلاطه بالأكاذيب والموضوعات ، فلقد مات الكثير من الصحابة وهم حفظته الاولون وبقي القليل منهم ، كما أدت حوادث الفتن التى هزت العالم الاسلامي ونشأ عنها خلافات مذهبية الى الكذب على رسول الله من بعض أنصار هذه المذاهب السياسية والفرق الدينية ممن لا يخاف الله فجاءوا زورا بما يؤيد مذهبهم ويقدح في الآخرين ، كما كان للقصاص وبعض من أساء مع حسن النية نصيب فى الاختلاق والوضع ، فمست الحاجة حينئذ الى كتابة الأحاديث بطريقة فعالة صيانة لها من الضياع من ناحية ، وتمييزا بين الغث والثمين منها من جهة أخرى .

لذلك يؤثر ، كما يحدثنا محمد بن سعد فى طبقاته ، أن عبد العزيز ابن مروان ، حاكم مصر من قبل بنى أمية المتوفى عام ٨٥ هـ كتب الى كثير بن مرة ، وهو تابعى يطلب اليه أن ينسخ عن الصحابة أحاديث الرسول التى لم يروها أبو هريرة ، واستثنى أحاديث أبى هريرة لأنه يقال إنها كانت عنده ، كما أن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز المتوفى عام ١٠١ هـ اهتم اهتماما خاصا بجمع الاحاديث وكتب لأبى بكر بن محمد بن حزم المتوفى عام ١٢٠ هـ يكلفه بهذه المهمة ، كما كلف الزهري بذلك أيضا ، ويتضح من هذا كله أن الحرج فى كتابة الحديث كان قد زال قبيل نهاية القرن الأول فبدأ تدوين الحديث من هذا العهد دون تردد ولا وجل .

والسؤال الذي يراودنا الآن هو أين هذه الصحف التي كتبت في هذا العصر المبكر ؟ الواقع أنها كلها قد ضاعت ولم يبق منها الا النادر في صور نسخ نسخت منها وليس يبعد أن بعضها أحرق يوم أحرقت الصحف القرآنية بأمر الخليفة الثالث ، وبعضها قد أحرق فى حروب الفتن التى قامت بين المسلمين أثناء الحكم الأموى ، وترك سائرها فريسة لعوامل التحات والفناء ، ولم تعبأ الأجيال السابقة بالمحافظة عليها نظرا لأن النسخ التى كتبت منها بعد استعمال الروق بدلا من الخاف والعظام والجلد وبعد إدخال النقط والتشكيل كانت أيسر استعمالا وأخف حملا وأضبط قراءة ، أضف الى ذلك أن السلف السابقين كانوا أقل الناس حرصا على الآثار والماديات ، بعد أن طهرهم القرآن من الوثنية وكل ما قد يشبه أعمال الوثنيين من تقديس الجلود أو الحجارة مهما كان قدر صاحبها ، وأما ما كتب عليها فقد استوعبته المدونات الكبرى التى تلت من مصنفات ومسانيد وصحاح وسنن .

صحيفة نموذجية لصحف المرحلة الأولى :

ومن خير الأمثلة لهذه الصحف الحديثية المبكرة صحيفة همام بن منبه التى رواها عن أبى هريرة ، وتحتوى على ١٣٨ حديثا ، وهمام تابعى يمنى ولد عام ٤٠ للهجرة ، ولذا يرى الدكتور محمد حميد الله ، حفظه الله ، الذى أخرج هذه الصحيفة ، وقدم لها بمقدمة جليلة بالعدد الثامن والعشرين من مجلة المجمع العلمى الصادرة بدمشق عام ١٩٥٣ بعنوان : « أقدم تأليف فى الحديث

النبوى » أن تاريخ الصحيفة يرجع الى حوالى منتصف القرن الأول ، حيث ان حفظ همام للصحيفة وكتابته اياها كان لا يتأتي الا بعد أن يبلغ همام من العمر والنضج ما يهيء له ذلك ، ثم لا بد أن يتم ذلك قبل وفاة أبى هريرة التي حدثت عام ٥٨ هـ ، وقد استخدم الدكتور حميد الله في اخراج هذه الصحيفة مخطوطتين احداهما ببرلين والأخرى بدمشق وهى أحسنهما حالا ، وقد أستوعب الإمام احمد رضى الله عنه فى الجزء الثانى من مسنده الصحيفة كلها كما استوعب المسند صحفا أخرى كصحيفة عبد الله بن عمر المسماة بالصادقة .

ونسوق للقارىء طرفا من أول نص صحيفة همام من مسند الامام أحمد كما رواه أبو بكر القطيعى عن أستاذه عبد الله بن الامام احمد عن أبيه ، قال :

حدثنا عبدالله (أى عبد الله بن أحمد بن حنبل) .
حدثنى أبى (وهو الامام أحمد طبعا) .
ثنا عبد الرزاق بن همام .
ثنا معمر .
عن همام بن منبه قال :

هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
« نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فهم لنا فيه تبع ، اليهود غدا والنصارى بعد غد » .
وقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم :

« مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل ابتنى بيوتا فأحسنها واكملها واجملها الا موضع لبنة من زاوية من زواياها ، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون : الا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك ؟ فقال محمد النبى صلى الله عليه وسلم : فكنت أنا اللبنة . » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مثلى كمثل رجل استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى يقعن فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فتقتحم فيها ، قال : فذلكم مثلى ومثلكم ! أنا آخذ بحجزكم عن النار : هلم عن النار : هلم عن النار ! هلم ! فتغلبوننى تقتحمون فيها » .

وقبل أن نواصل البحث عن المرحلة الثانية من مراحل تدوين الحديث لنا تعليقات على الطريقة التى نسب فيها همام بن منبه أحاديثه الى الرسول صلى الله عليه وسلم يحسن أن نبدأ بها ، وسيجرنا ذلك الى الحديث عن الاسناد وطرق تحمل الحديث وبعض طرائف أخرى من علوم الحديث ، وهذا ما سنتحدث عنه فى المقال التالى ان شاء الله تعالى ، والله الموفق للصواب .

الأوامر الشرعية

للدكتور : محمد سلام مدكور

بينا فى المقال الســـــابق أن الأمر من صميم مباحث علم الأصول ، وأن الأصوليين اهتموا به لأن الأحكام التكليفية تدور حوله وترتبط به ، وبينا مفهوم الأمر عند الأصوليين والصيغ التى تســـتعمل فى الأمر ، وما تدل عليه صيغة الأمر ، وما تفيده على ســــبيل الحقيقة ، وما يدل عليه الأمر بعد الحظر . وما انتهينا اليه فى كل ذلك .

ووعدنا فى نهاية المقال السابق أن نختتم الموضـــوع بالكلام هنـــا عن دلالة الأمر على المرة والتكرار وعلى الفور والتراخى .



يهمنا أن نشير أولا الى أن الذين يقولون بأن صـــــيغة الأمر لا تقتضى الوجوب لا يدخلون بصفة جدية فى الكلام والخلاف حول افادة صيغة الأمر للمرة والتكرار ولا افادتها للفور والتراخى . لأنهم ما داموا لا يقولون بافادته الايجاب أصلا فانهم لا يقولون به موصوفا بأية صفة ، لأن هذه الأوصـــــاف فرع القول بالايجاب ، ومن أنكر الأصل لا بد أن ينكر الفرع . ولذا فان الحنفية قد حرصوا على ابراز أن الخلاف فى هذا ينحصر بين القائلين بافادة الأمر الوجوب . وإن سنعرض أولا موقف الأصوليين من افادته المرة والتكرار ثم نتكلم عن موقفهم من افادته الفور والتراخى .

ودلالتها على الأحكام

اولا ــ المرة والتكرار :

اذا وردت صيغة الأمر مقترنة بما يدل على طلب الفعــل مرة أو مرات تقيد بذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم لأبى ذر حين سأله عن مسح الحصى عند سجوده فى الصلاة : مرة واحدة يا أبا ذر والا فذر (١) . والأمر هنا مستقر اى افعله مرة .. ومثل قوله عليه السلام : « تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة » فهو خبر بمعنى الأمر أى ســـبحوا واحمدوا وكبروا .

والأمر فى هذين النصين وان لم يكن للايجاب قطعا لكن له شـــاهد فى موضوعنا من ناحية أنه مقترن بما يدل على المرة فلا يحتمل اتفاقا افادة التكرار . ولذا فاننا نقول ان الأمر اذا اقترن بما يدل على المرة أو على التكرار بعدد محدد أو غير محدد تقيد بما تدل عليه القرينة .

ومما يورده الأصوليون من القرائن الدالة على التكرار :

---

(١) انظر الهداية والفتح فى الفقه الحنفى الجزء الاول باب مكروهات الصـــلاة . والحديث اخرجه الستة عن معيقب انه صلى الله عليه وسلم قال : « لا تمسح الحصى وانت تصلى فان كنت لا بد فاعلا فواحدة » ، فاخرج عبد الرازق عن ابى ذر قال : سألت النبى عن كل شىء حتى سألته عن مسح الحصى فقال : واحدة أودع .

١ ــ ما اذا كان الأمر معلقا على شرط تبين اعتباره علة فى الحكم أو سببا ومن ذلك قوله تعالى : « وان كنتم جنبا فاطهروا » وقوله جل شأنه : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » وقوله : « وان خفتم فرجالا أو ركبانا » أى صلوا رجالا أو ركبانا .

٢ ــ ما اذا كان الأمر مقيدا بوصف هو سبب فى الحكم مثل تقييد الأمر بجلد الزانى والزانية فى قوله تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » .. فان الأمر فى الآية يدل على طلب الجلد كلما وجد ذلك الوصف . ومنه قوله تعالى : « السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما .. » فان الأمر بالقطع مطلوب عند تحقق الوصف الذى هو سبب للحكم وهو السرقة .

أما اذا وردت صيغة الأمر عارية عن القرائن فان الأصوليين يختلفون فى افادتها المرة أو التكرار ويرجع اختلافهم الى ورود الأمر مستعملا احيانا فى المرة مثل الأمر بالحج والعمرة ، واحيانا فى التكرار مثل الأمر بالصلاة والزكاة والصوم وللأصوليين فى ذلك خمسة اتجاهات . وقبل أن نبين الأقوال الخمسة نستطيع أن نرجع الدلالة على المرة والتكرار الى القرائن أيضا وأن نقول فى الأمر بالصلاة والصوم والزكاة أن القرينة فيها ارتباطها بسبب متكرر هو وقت الصلاة وملك النصاب ورؤية الهلال . والقرينة فى الحج مرتبطة بالاستطاعة وهذه قرينة عدم وجوب التكرار ، يضم الى ذلك حديث الأقرع بن حابس حين أمر الرسول بالحج اذ سأله : أفى كل عام يا رسول الله .. ؟

وقد اختلف الأصوليون فى افادة الأمر على المرة أو التكرار الى خمس جبهات أيضا وقد بينا القول فيها مفصلا مع ذكر ادلة كل جبهة ومناقشتها وما انتهينا اليه فى ذلك فى كتابنا الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام (٢) وإنا نوجز ذلك هنا على الوجه الآتى :

١ ــ القائلون بأن صيغة الأمر لا تفيد فى هذا الا مطلق الطلب . وهو اختيار الحنفية والمعتزلة واكثر الشافعية(٣) . وعلى هذا فالمكلف يخرج من العهدة بفعل المأمور به مرة واحدة لأنها اقل ما يمكن أن يتحقق به الفعل .

واستدل هذا الفريق بأدلة منها :

أ) يصح أن يقال : افعل ذلك مرة ، كما يصح أن يقال : افعله مرات . ولا يكون واحدا من القيدين تكرارا ولا نقضا . واذا كان الأمر وحده يفيد المرة أو التكرار لكان تقييده بشىء من ذلك غير مقيد ويكون تكرارا ، بل يكون التقييد بالتكرار فى بعض المرات مناقضا لما يدل عليه من المرة فى زعمهم ، كما يكون التقييد بالمرة فى بعض المرات مناقضا بالنسبة للقائلين بالتكرار . ومن الثابت فى اسلوب اللغة أن تقييد الأمر بكل من المرة والتكرار سليم لا اعتراض عليه ولا تناقض فيه .

ب) الأمر ورد مقيدا بكل من المرة والتكرار فيكون حقيقة فى القدر المشترك بينهما .

٢ ــ الأمر يقتضى طلب الفعل مرة ويتم بها الامتثال دون احتمال التكرار : وقد صرح بهذا الآمدى ونسبه الاسفرايينى الى أكثر الشافعية وقال

---

(٢) من صفحة ٢٤٨/٢٨٩ .

(٣) ارشاد الفحول للشوكانى ص ٩٢ .

به جماعة من متقدمي الحنفية(٤) . فالأمر هنا يدل بذاته على طلب حصـــول المطلوب مرة واحدة خلافا للمذهب الأول الذي يرى أن الأمر يدل بذاته على مطلق وجوب الفعل . وأما ما قالوه من الاكتفاء بالمرة فان مرجعه الى أنها اقل ما يمـكن تحقق الفعل به وليس نتيجـة دلالة الأمر على المرة كما هو في هذا المذهب . واستدل هذا الفريق بما خلاصته : أن الامتثال يتحقق بالمرة في مثل ادخل الدار ، وفي التوكيل بتطليق الزوجة ، وانه يصح تقييد الأمر بالتكرار كما يصح تقييده بالمرة ويكون مقيدا في كل منهما . لكن يرد عليهم أن تحقيق الامتثال بالمرة يدل على أن الأمر غير ظاهر في التـكرار ، ولا يلزم منه عدم احتمال التكرار .

٣ ـ الأمر يقتضي التكرار مدة العمر بشرط الامكان دون أزمنة قضـاء الحاجة وما تتطلبه الحياة والالتزامات الأخرى ، ولا يكون الخروج من عهدة الامتثال الا بذلك . وممن ذهب الى هذا بعض الأصوليين وبعض المتكلمين(٥) .

ويستدل هؤلاء بجملة ادلة نوجزها في الآتي :

أ) أن قول الله : « اقتلوا المشركين .. » يعم قتل كل مشرك . فكذلك قوله : صم وصل يجب أن تعم كـل زمـان يسـتطيع الانسـان أداء الصلاة أو الصوم فيه . لـكن يرد عليهم أن : صم وصـل ونحوهمـا ليسـت من صيغ الصوم ، والذي يفيد العموم أن نقول : صم الأيام وصل الاوقات .

ب) قوله : صم . مثل قوله : لا تصم . ومقتضى النهي هنا ترك الصوم أبدا فليكن موجب الأمر كذلك فعل الصوم ابدا عند الاستطاعة . لكن يرد عليهم في هذا أن الأمر يدل على أن المأمور ينبغي أن يوجد مطلقا ووجوده يتحقق بفعله مرة واحدة . بينما النهي يدل على أنه لا ينبغي وجود المنهي عنه مطلقا . وهذا لا يتحقق الا بالامتنـاع الدائم ولذا قالوا : ان النفي المطلق يعم بينما الوجود المطلق لا يعم .

جـ) أوامر الشرع في الصوم والصلاة حملت على التكرار فدلت على أنه موضوع له . لكن يرد عليهم أن الحج حمل على الواحدة فليدل اذن على أنه موضوع للمرة . فاذا كان التكرار مستفادا في الصوم والصلاة من دليل آخر فكذا هنا وانتفى افادة الأمر بذاته للتكرار .

٤ ـ الأمر يدل على المرة مع احتمال التكرار : وهذا القول منسـوب للشافعي رضي الله عنه(٦) . والفرق بين هذا المذهب والمذهب الثاني هو أن الأمر في الثاني يفيد المرة من غير احتمال ، أما هنا فانه محتمل ، كما يفترق هذا المذهب عن المذهب الثالث بأن الأمر في الثالث يقتضي التكرار بأصل الوضع من غير قرينة ، أما في هذا المذهب فانه يدل على التكرار بأصل الوضع ان وجدت القرينة ، ويقول هؤلاء بما خلاصته ان الأمر مختصر من طلب الفعل بالمصدر اي أن مثل قولك اضرب مختصر من أطلب منك ضربا . لا من أطلب

---

(٤) راجع الاحكام في أصول الاحكام للآمدي ج ٢ ص ٢٢٥ وارشاد الفحول للشوكاني ص ٩٢ .

(٥) انظر الاحكام للآمدي جـ ٢ ص ٢٢٥ ، وارشاد الفحول الموضع السابق والمسـتصفى للغزالي جـ ٢ ص ٤ .

(٦) التقرير والتحبير جـ ١ ص ٣١١ وارشاد الفحول ص ٩٢ وانظر الاسنوي على المنهـاج جـ ١ ص ٢٧٠ .

منك الضرب ، والفرق بين العبارتين . أن الاولى تعبير بأقل ما يحتمل اللفظ وهو المقطوع به من العبارة لأن النكرة تدل على واحد شائع بخلاف المعرف بأل . وليس هناك دليل على التفسير بالمعرف لذلك لجأنا الى اقل ما يحتمله اللفظ وهو النكرة اتباعا لقاعدة الأخذ بأقل ما قيل . ومع هذا فان صيغة الأمر مع كونها تدل على الواحد فانها تقبل العموم بدليل يقترن بها مثل قول الله سبحانه : « وادعوا ثبورا كثيرا » . فانه لو لم يحتمل الكثرة التى تفيد التكرار لما صح الوصف بها.

٥ ــ القول بالتوقف ، وهؤلاء فريقان : التوقف للاشتراك بين هذه المعانى ، والتوقف للتردد فى افادة مطلق الطلب أو المرة او التكرار . وقد جنح الغزالى ناحية التوقف اذ يقول : ان قول القائل صم يتردد بين المرة الواحدة واستغراق العمر وقد قال قوم هو للمرة ويحتمل التكرار ، وقال قوم هو للتكرار . والمختار أن المرة الواحدة معلومة وحصول براءة الذمة بمجردها مختلف فيه ، واللفظ بوصفه ليس فيه دلالة على نفى الزيادة ولا على أثباتها . وقياس مذهب الواقفية التوقف فيه لتردد اللفظ كتردده بين الوجوب والندب ، لكنى اقول : ليس هذا ترددا فى نفس اللفظ المشترك ، بل اللفظ خال عن التعرض لكمية المأمور به لكن يحتمل الاتمام ببيان الكمية وليس فى نفس اللفظ تعرض للعدد ولا هو موضوع لآحاد الأعداد كالمشترك (٧) .

ومفاد هذا الكلام أن الغزالى لم ينقل لنا فى افادة المرة أو التكرار الا ثلاثة أقوال : أن الأمر موضوع أصلا للمرة مع احتمال التكرار ، الثانى أنه موضوع للتكرار الثالث المتوقف بين افادة المرة وافادة التكرار ، وهذا التوقف مبنى على أن اللفظ خال من التعرض للكمية . وهو اختياره وناقش ادلة الآخرين .

والذى نتجه اليه فى ذلك اختيار رأى الجمهور القائل : بأن صيغة الأمر ليس فيها ما يدل على المرة ولا التكرار ومن البين أن المرة اقل ما يمكن أن يتحقق به الامتثال ويوجد الفعل المأمور به فلا بد منها ، فاقتضاء المرة ثابت بحكم الدلالة الالتزامية فالعقل يحكم بأن من لم يفعل المطلوب مرة واحدة لا يعد ممتثلا له .

ونحن اذا ما أردنا تحقيق الرأى فاننا أولا ننظر الى ما قاله الحنفية من قصر الخلاف فى هذا على القائلين بالوجوب بشىء من التحفظ ، ولا نرى ما يمنع من اعتباره فيما دل على غير الوجوب وخاصة اذا كانت مقيدة بما يدل على التكرار كبيان السبب والوقت فى مثل صلاة الضحى وسنن الصلوات الخمس ، ومثل حديث تسبحون وتحمدون وتكبرون ثلاثا وثلاثين مرة فانها كلها تتكرر بتكرار سببها وما ترتبط به من أزمنة مثل قوله تعالى : « كلوا من طيبات ما رزقناكم » وقوله : « فان خفتم فرجالا او ركبانا » فالأمر فى الاولى للندب وفى الثانية لمجرد الاباحة وكلاهما يتكرر بتكرر سببه .

وانا نستبعد أولا القول بأنه يتم الامتثال بأداء الفعل مرة واحدة مع عدم الاحتمال لأنه قول ليس هناك ما يؤيده فاعتبار المأمور ممتثلا بدخول الدار مرة واحدة فى قولك : ادخل الدار . لا يفيد كون الأمر موضوعا للمرة من غير احتمال

---

(٧) المستصفى جـ ٢ ص ١ وانظر فى أصول كشف الاسرار جـ ١ ص ١٢٢ . والمنار وهواشيه ص ١٣٦ والمرآة ص ٣٧ والتوضيح والتلويح جـ ٢ ص ٦٨ وانظر المسودة لآل تيمية ص ٢٠ والاحكام لابن حزم جـ ٣ ص ٣١٦ وطلعة الشمس البهية فى اصول الاباضية جـ ١ ص ٥١ .

التكرار ومع أن هذا الرأى مناقض بأوامر كثيرة وردت فى نصوص التشريع تفيد التكرار أو احتماله على الأقل .

كما نستبعد ثانيا القول بأن مقتضى صيغة الأمر موضوعة بالاشتراك اللفظى لافادة كل من المرة والتكرار لما يؤدى اليه القول بالاشتراك من الابهام وضرورة احتياجه دائما للقرينة حتى قيل أن القول بالمجاز أولى من الاشتراك .

كما نستبعد القول بالتوقف للتردد . لأن للفظ دلالة وضعية . لكن ما ذهب اليه الغزالى من القول بأن المرة الواحدة معلومة وأن اللفظ بوصفه ليس فيه دلالة على نفى الزيادة ولا اثباتها فقريب من القول بالمرة مع احتمال التكرار ، وكلاهما قريب من القول بأنه لمجرد الطلب دون مرة أو تكرار وهو ما اتجهنا اليه .

وينبغى أن يكون فى الحسبان ان التعويل على القرائن أمر لا يمكن اغفاله ولا التغاضى عنه وان كل اوامر الشارع تحفها القرائن التى توجه الى قصد الشارع على أن النبى صلى الله عليه وسلم رسم الطريق فى تنفيذ أوامر الشرع فى قوله : « اذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه واذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم » .

وعلى فرض وجود أوامر لم تقم عليها قرائن فان فعل الأمر بمادته واصل وضع اللغة يدل على الحدث وبصيغته يدل على طلب ذلك الحدث من غير تعرض لما وراء ذلك . ومن الطبيعى أن التنفيذ لا يمكن أن يتحقق الا بايقاع الفعل ولو مرة واحدة . وهو مقتضى مذهب الجمهور وهو اختيارنا وقد عرضنا نصوصا كثيرة من القرآن والسنة وآراء الفقهاء فيها من ناحية ودلالتها على المرة والتكرار وذلك فى موضع آخر(٨) .

ثانيا ــ الأمر وافادة الفور أو التراخى :

كما اختلف الأصوليون فى افادة الأمر العرىعن القرائن المرة أو التكرار فانهم يختلفون ايضا فى افادته الفور والتراخى . غير أن القائلين بأن الأمر يقتضى التكرار المستوعب لأوقات العمر يقولون باقتضاء الفورية لا محالة لأن الوقت الذى يتجه فيه الخطاب من جملة الأوقات التى يستوعبها العمر بعد صدور التكليف فيجب المبادرة . ويستدلون بنفس الأدلة .

أما القائلون بأنه لا يفيد التكرار فانهم هم الذين يختلفون فى افادة الفور أو التراخى ، ومن الواضح أن الخلاف لا يقع فى الأمر المقيد بوقت للأداء كالصلاة المفروضة وانما فى المطلق عن التقييد بوقت موسع أو مضيق مثل الكفارات وقضاء رمضان والصلوات ، كما أن الواضح من كلامهم أن الخلاف قاصر على القول بافادة الأمر الوجوب . لكن آل تيمية كما فى « المسودة » (٩) ينفردون بأن الأمر اذا أريد به الندب اقتضى الفور كما يقتضيه الأمر اذا أريد به الوجوب .

والأقوال فى الأمر العرى عن القرائن من جهة دلالته على الفور والتراخى بعد ذلك أربعة نوجزها فى الآتى :

---

(٨) . كتابنا الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى من صفحة ٢٨٠/٢٨٩ .

(٩) المسودة صفحة ٢٦ .

١ ــ قول بأنه لا يفيد شيئا من ذلك ويدل على مجرد الطلب دون تحديد زمن الفعل وان كان الأفضل المبادرة وهذا القول منسوب للشافعى وأصحابه . وهو اختيار كل من الغزالى والآمدى والبيضاوى من فقهاء الشافعية(١٠) .

٢ ــ قول يوجب الفور فى أول أوقات الامكان ، ومنهم من توسع فى هذا حتى شمل مجرد العزم على التنفيذ . وهذا القول منسوب للمالكية وبعض الشافعية والحنابلة . ونقله الآمدى عن الحنفية أيضا . لكن البزدرى الحنفى يقول : انه رأى بعض الحنفية(١١) .
٣ ــ قول بجواز التراخى : وقد نسب هذا القول الى الشافعية والمعتزلة وقال البزدرى : انه قول أكثر فقهاء الحنفية(١٢) .

٤ ــ التوقف : بمعنى أنه مشترك بين الفور والتراخى كما ينقل البيضاوى فى المنهاج . ومنهم من قصر التوقف على غير المبادر اذ المبادر ممتثل . ومنهم من تغالى فتوقف فى اعتبار المبادر ممتثلا (١٣) .. !! والنقل مضطرب فى نسبة هذه الأقوال الى المذاهب .

ويبدو من مسلك المتكلمين أنهم لا يعتبرون التراخى قولا مستقلا وانما يدخل فى أنه لمجرد الطلب . وقد اختار أكثر الحنفية التراخى جوازا ، ويبدو من نقول الحنفية من القول بالتراخى والقول بأنه لمجرد الطلب . أن القصد من التراخى عدم الفورية والامتثال بالتراخى مما يجعل التراخى داخلا فى القول بأنه لمجرد الطلب . وقد صرح بذلك ابن السبكى والحلى . بينما يتجه آل تيمية الى أن القول بالوقف والقول بالتراخى شىء واحد وان كانوا ناقضوا أنفسهم بعد ذلك فاعتبروهما قولين .

اما نحن فما زلنا عندما نراه من أن للقرائن قيمتها وميزتها فى دلالة الأمر فى جميع نواحيه واعتباراته ولذلك نستطيع أن نقول فى هذا المقام : ان مما لا ينبغى التوقف فى اعتباره أن صيغة الأمر موضوعة فى لغة العرب لمجرد طلب الفعل دون اعتبار لفور أو تراخ الا اذا وقع تقييد بذلك أو وجدت قرينة معنوية .
واننا نزيد استدلال القائلين بأن الأمر لمجرد الطلب بأن ذلك هو مقتضى الوضع اللغوى لصيغة الأمر كما أن مقتضى الوضع اللغوى لصيغة الماضى وصيغة المضارع مجرد الدلالة على وجود الماهية فى الزمن الذى تفيده الصيغة . واذا كان ذلك هو مقتضى الصيغة بالوضع اللغوى فإنه يتعين عندنا القول بأن الأمر المعرى عن القرائن لا يقتضى الا الامتثال دون اعتبار له من حيث صيغته لالفور ومبادرة ولا لتراخ وتأخير . وعلى ذلك فاننا نعتبر قول القائلين أن الأمر

---

(١٠) المستصفى جـ ٢ ص ٩ والاحكام جـ ٢ ص ٢٤٢ ، والمنهاج وحاشية الاسنوى جـ ١ ص ٢٧٥ .
(١١) كشف الاسرار جـ ١ ص ٢٥٤ ، وانظر المنار وحواشيه ص ٢٢٢ والمرآة والمرقاة ص ٣٨ .
(١٢) انظر المستصفى جـ ٢ ص ٩ وباقى كتب الاصول .
(١٣) انظر المغنى لابن قدامه فى الفقه الحنبلى جـ ٢ ص ٦٨٤ ، تخريج الفروع على الاصول للزنجانى ص ٤٤١ ، فتح القدير على الهداية جـ ١ ص ٤٨٢ .

للتراخي على معنى جواز التراخي في تنفيذه ما لم تقم قرينة تدل على وجوب المبادرة أو التأخير قولا قريبا في معناه مما أيدناه واخترناه من أن الأمر لا يقتضي الفور ولا التراخي فهو في جوهره لا يختلف عنه في قليل أو كثير من الناحية التطبيقية .

ويقرب من هذين القولين في تقديرنا القول بأن الأمر من الناحية الشرعية يقتضي الفور أو العزم على الامتثال في وقت آخر فان معناه أن المكلف يسعه أن لا يبادر بالامتثال على شريطة أن يعزم على ذلك . وفيه من الاتجاه الفقهي أن العزم يصف صاحبه بصفة الامتثال وعدم العصيان . وقد جاء في كتب الفقه الحنفي أن المكلف اذا أخر الامتثال حتى أدركته المنية بغتة فانه لا يكون عاصيا الا اذا رأى من الامارات ما يفوت عليه الامتثال اذا أخره عن وقت الامكان ولم يبادر به قبل فوات الفرصة التي ظهرت أمارات فواتهـا له ان لم ينفذ وهذا اتجاه فقهي ينفع في دائرة التطبيق .

والاستدلال بقول الله تعالى : « وسـارعوا الى مغفرة من ربكم » وما يشبهها كقوله : « سابقوا الى مغفرة » على الفورية غير مستقيم لأن المسارعة الى المغفرة والدعوة الى استباق الخيرات من توجيهات الاسلام العامة التي لم يدل دليل على انها تتصل بكل ما دعا اليه الاسلام من توجيهات وما أصدره الى المكلفين من الأوامر والنواهي . ولو كانت الأوامر كلها تقتضي الفورية بحسب أصل الوضع لكان في ذلك حرج ..

وقد عرضنا جميع الأدلة ومناقشتها ، كما عرضنا نصوصا عديدة من كتاب الله وسنة رسوله وبينا موقف الفقهاء على مختلف مذاهبهم من دلالة الأمر ومن ذلك أداء الزكاة امتثالا لقول الله تعالى : « وآتوا الزكاة » فالحنابلـة كما يقرر ابن قدامة على أنها تجب على الفور . وبهذا قال الشافعي . وهذا يتفق مع ما سبق ذكره من أنه اتجاه الحنابلة والشافعية في اقتضاء الأمر للفورية . وقال أبو حنيفة أن للمكلف حق التأخير ما لم يطالب لأن الأمر بأدائهـا مطلق فلا يتعين الزمن الأول لأدائها وهذا يتفق مع ما نقل عنهم من أن أكثر الحنفية على أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور وانما يجوز معه التراخي . وجاء في كتب الشافعية ما يؤيد هذا وان كان الأسنوي ينقل أن المنسوب الى الشـافعي واصحابه أن الأمر المطلق لا يدل على الفور ولا على التراخي . وانما قالوا بالفورية في أداء الزكاة لقرائن خاصة هي كون التـأخير يعرض حق الفقير للضياع وارتباط الزكاة بحاجة الفقراء ، وتروى كتب الحنفية أن الزكاة يجب أداؤها على الفور وقيل على التراخي لأن جميع العمر وقت الأداء ولهذا لا تضمن بهلاك النصاب بعد التفريط . ونص الكمال بن الهمام على أن المختار أن الأمر لا يقتضي الفور ولا التراخي .. وان القول بأداء الزكاة على الفور لقرينـة خاصة وهي دفع حاجة الفقير وهي معجلة .

هذا وهناك مسائل أخرى تتصل بالأمر كالقول بأن الأمر بالشيء نهي عن ضده ، وتعاقب الأمر وغير ذلك مما لا يتسع له هذا المجال وقد بيناه في كتابنا الأمر في نصوص التشريع الاسلامي ودلالته على الأحكام . ونرجو أن نكون قد استطعنا مع هذا الايجاز الشديد في العرض تبسيط الموضوع للقـارىء . وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

مائدة القارئ

لا تسبوا الأموات

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبر وهو فى طريقه الى الطائف ، فسأل أبا بكر عن صاحب هذا القبر ، فقال : هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص ، فغضب ابنه عمرو بن سعيد ، وقال : يا رسول الله ، هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للسهام من أبى قحافة ، فقال أبو بكر : يكلمنى هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام ، فقال صلى الله عليه وسلم : اكفف عن أبى بكر ، فانصرف ، ثم اقبل صلى الله عليه وسلم على أبى بكر فقال : يا أبا بكر : اذا ذكرتم الكفار فعمموا ، فانكم اذا خصصتم غضب الأبناء للآباء ، فكف الناس عن ذلك .

— رواه أبو داود —

وقال صلى الله عليه وسلم : لاتسبوا الأموات ، فتؤذوا الأحياء .

(رواه الترمذى وأحمد والطبرانى)

اليهودى لا يؤتمن

عن زيد بن ثابت قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية وقال : انى والله ما آمن يهود على كتابى ، قال : فوالله ما مر بى نصف شهر حتى تعلمته وجدت فيه ، فكنت اكتب له اليهم ، واقرأ كتبهم اليه .

أخرجه البخارى
وأبو داود والترمذى

وصية

قال رجل لعبد الله بن المبارك : اوصنى :

فقال : أترك فضول النظر توفق للخشوع .

واترك فضول الكلام توفق للحكمة .

واترك فضول الطعام توفق للعبادة .

واترك عيوب الناس توفق لمعرفة عيوبك .

واترك الخوض فى ذات الله توق الشك والنفاق .

المــــــــراء

المراء هو الحوار بين اثنين بكلام لا يقصد به الوصول الى الحق ، ولكن يراد به اللجاج والخصومة سواء كان فى السياســـة أو العلوم أو الآداب ، وأشدها المراء فى الدين ، فهو الذى فرق كلمة المسلمين وصدع جبهتهم ، وتركهم صرعى التحزب والطائفية .

يقول بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : خرج علينا رسول الله يوما ونحن نتمارى فى شيء من امر الدين ، فغضب غضبا شـــديدا ، لم يغضب مثله ، ثم انتهرنا فقال : مهلا يا أمة محمد . انما هلك من كان قبلكم بهذا .. ذروا المراء لقلة خيره .. ذروا المراء فان المؤمن لا يمارى .. ذروا المراء فان المارى قد تمت خسارته .. ذروا المراء فكفى اثما الا تزال مماريا .. ذروا المراء فان المارى لا أشفع له يوم القيامة .. . ذروا المراء فان ما نهانى عنه ربـــى فى الجنـــة فى رباضـــها ووسطها واعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ... ذروا المراء فان ما نهانى عنه ربى بعد عبادة الأوثان المراء . (رواه الطبرانى —

وهــج الســنابك

كان عبد الله بن المبارك يجاهد بنفســـه فى ســـبيل الله ، ويحث المؤمنين على الجهاد ، ويفهمهم أن العبادة تحت ظلال السيوف خير من العبادة فى محراب المسجد ، وكان صديقه الفضـــيل بن عياض يلازم الحرم للعبادة فكتب اليه هذه الأبيات :

يا عـــابد الحــرمين لو أبصرتنا	لعـــلمت أنك بالعبـــــادة تلعب
من كان يخضـــب خـــده بدموعه	فنحـــــورنا بدمائنـــــا تتخضب
أو كان يتعب خيـــله فى باطـــل	فخيـــــولنا يوم الصبيحـــة تتعب
ريـــح العبير لكم ونحـــن عبيرنا	وهج الســـنابك والغبار الأبيض

الشـــــــهادة

اراد رجل أن يشهد فى خلاف بين جماعة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن يتكلم نبهه الرسول الى خطر الشهادة ، وأمره برفع بصره الى السماء ، ثم سأله : هل ترى الشمس ؟ قال : نعم . قال : هل يسترها سحاب أو يحجبها حجاب ؟

قال : لا . فقال صلوات الله وسلامه‌عليه « على مثلها فاشهد » .

موقف الفكر الاسلامي

للأستاذ يحيى هاشم حسن فرغل

تشهد المجتمعات الاسلامية الحاضرة تطورا ثقافيا وحضاريا سريعـا . نتيجة بعث اسلامى جديد ، ثم نتيجة التقاء المجتمعات الاسلامية الحاضرة بمجتمعات اخرى غريبة عنها ، اثر عمليات الاستعمار والاستقلال ، ونتيجة الصراع العنيف الذى يدور ما بين المثل العليا فى كل من الجانبين .

ولما كانت هذه المجتمعات الاسلامية المعاصرة على درجة شديدة الهبوط من التخلف المدنى بالنسبة للمجتمعات التى انفتحت عليها فانها كانت على استعداد عظيم للأخذ عنها والاقتداء بها .

ومن هنا تتعرض عقائد المسلمين لخطر عظيم .

ففى الفلسفات الحديثة والمعاصرة من جدلية مادية ، وبراجماتية ووضعية ووجودية دعوات صريحة الى الالحاد .

وحول المنهج العلمى تنسج أوهام من الالحاد باسم انكار كل ما لا يخضع للتجربة ، وباسم النشوء والارتقاء والتطور الذاتى ، وباسم حتمية قوانين الطبيعة وعدم قبول المادة للفناء .... الخ .

وفى التنظيم الاجتماعى سحابات من الالحاد : إذ تقوم بعض الدعاوى فى هذا المجال على انكار الدين ، واعتباره طورا متخلفا من أطوار التقدم الاجتماعى أو إنكار دوره ــ على الأقل ــ فى عملية التنظيم الاجتماعى وقطع علاقته بالسياسة ، أو علاقته بالأخلاق .

وفى قضايا التشريع نزوع الى الالحاد : حيث يهاجم الدين فى نظرته الى الرق ، وإلى تعدد الزوجات ، وإلى قوامة الرجل على المرأة ، وزيادة نصيبه على نصيبها فى الميراث ، وفى عقوباته التى يقررها فى جرائم السرقة والزنا والقتل .

وفى تدوين التاريخ تيارات من الالحاد : حيث يقدم الاسلام على أنه نتيجة لصراع الطبقات ، ومظهر من مظاهر التطور الاقتصادى يصنف فيه الصحابة ــ والرسول من قبل ــ الى يمين ويسار ، ويقدم فيه رسول الله على أنه رسول لقيمة من قيم التطور الاجتماعى ، كالحرية أو غيرها من القيم الانسانية ، وتقدم



من الالحاد المعاصر

الأديان بعامة على انها السبب الأصيل فيما حدث من حروب على مر التاريخ .

وفى أساليب التربية نزوع الى الالحاد : فالفرائض الدينية تخضع للحرية الفردية ، والحرية قيمة من القيم يعمل بها إزاء كل السلطات حتى سلطة الدين ، والتجربة أسلوب لتكوين الشخصية ، يمارس حتى بالنسبة للمحرمات ، والترفيه عن النفس وتفريغ الكبت الجنسى بالاختلاط أصل من أصول التوجيه التربوى .

وفى فنون الأدب إشارات إلى الالحاد : حيث توجه الاحتجاجات الصارخة ضد القدر ، وتصور بعض الشخصيات الروائية وهى تبحث عن الله بحثا مضنيا فاشلا ، وحيث تقدم شخصيات رجال الدين والشخصيات العادية المتدينة فى صورة ممجوجة ، تثير التهكم والسخرية ، وتقدم الأديان بعامة على أنها فشلت فى حل مشاكل الانسان .

وفى بعض البحوث الاسلامية (كذا) تطلعات إلى الالحاد : إذ ينكر دور السنة فى بيان العقيدة أو بيان الشريعة ، ويقدم القصص القرآنى على أنه نوع من الفن الروائى لا يعبر عن الواقع التاريخى ، وتدرس القراءات على أنها نوع من الاجتهاد البشرى ، وحيث تقوم الدعوة الى إغفال النصوص المتعلقة بالجزئيات والاكتفاء بالمبادىء العامة التى يرضى عنها العقل ، ولا تختص بدين من الأديان .

وفى تكييف العلاقة بين الاسلام والأديان الكتابية الأخرى تورط فى الالحاد حيث يسوى بينها جميعا فى الايمان بالله ، ويسوى بين الولى هنا ، « والقديس » هنـــاك ...

وتقف وراء تيارات الالحاد هذه منظمات ومؤسسات وقـــوى ، تتسم بالضراوة ، والحنكة ، والتنظيم الدقيق ، والعمل الدائب ، والكراهية العميقة للاسلام بخاصة .

ولا أظننى مبالغا — قيد أنملة — فى تصوير هذا الواقع الذى يترصد عقائد المسلمين — فى عصرنا الراهن — من شتى الاتجاهـــات ، ومختـــلف الجبهـــات .

بل أعتقد أن هذا التصوير ينال تصديق جميع المسئولين عن حركة الفكر

الاسلامي الحديث مهما تختلف مواقفهم من كيفية التصدى لهذا الخطر الداهم الذي يهدد عقائد المسلمين بجدية وعنف .

فإذا أردنا تصوير مواقف هؤلاء وجدنا أنفسنا إزاء موقفين الأول : ينادى بمنهج تربوى إسلامي يقوم على تربية المسلم على اساس التسليم المطلق بأصل الأصول في العقيدة الاسلامية ، ومن ثم يصير المسلم إلى التسليم بالأصول الأخرى ، وبالتفاصيل والجزئيات تسليما تبعيا لا يقبل المناقشة ولا يحتملها ولا يصغى اليها ... ولا حاجة به بعد ذلك الى علم يقوم بعبء المناقشة والجدل . ومن هنا ينكر أصحاب هذا الموقف اصالة قيام علم الكلام في الماضي وشرعيته ، كما ينكرون أصالة استمراره في العصر الراهن وشرعيته كذلك .

الثاني : ينادى بالرجوع إلى علم الكلام القديم والاستناد إليه في محاربة اشكال الالحاد الحديث ، باعتباره العلم الذى قام بهذه المهمة في الماضي ، ومن ثم كان قادرا على القيام بنفس المهمة في الحاضر والمستقبل ، وقديما أرجع الشهرستاني الشبهات التي حدثت في مراحل الحياة الانسانية إلى زمن موغل في الماضي .. الى إبليس (١) ، فلا جديد هناك !!

والذى أراه أن كلا الفريقين مغرق في التفاؤل ، وأن التصدى لتيارات الالحاد الحديث التي وصفنا بعض جوانبها يحتاج الى يقظة اشد ، وإلى نظرة اعمق واشمل .

ونناقش أصحاب الموقف الأول فنقول لهم ما قاله الامام أبو حنيفة رضي الله عنه في هذا الشأن في حواره بين العالم والمتعلم : (قال المتعلم : رايت أقواما يقولون لا تدخلن هذه المداخل ، فإن أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم لم يدخلوا في شيء من هذه الأمور ، وقد يسعك ما وسعهم ... وجدت مثلهم كمثل رجل في نهر عظيم يكاد أن يغرق من قبل جهله بالمخاضة ، فيقول له آخر : أثبت مكانك ولا تطلبن المخاضة . قال العالم : قل لهم : بل يسعني ما وسعهم لو كنت بمنزلتهم وليس بحضرتي مثل الذى بحضرتهم ، وقد ابتلينا بمن يطعن علينا ويستحل الدماء منا فلا يسعنا أن لا نعلم من المخطيء منا والمصيب وأن لا نذب عن انفسنا وحرمنا ، فمثل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم فلا يتكلفون السلاح ... مع أن الرجل إذا كف لسانه عن الكلام فيما اختلف فيه الناس وقد سمع ذلك لم يطق أن يكف قلبه .) ، وبقية النص يبين فيه الامام أبو حنيفة أن الرجل منا إذا كف نفسه ولم يبال أن يعرف من المخطيء ومن المصيب وسط الشبهات الحائمة والجدل الدائر وقع في أمور ، منها الجهالة ، ومنها نزول الشبهة به كما نزلت بغيره لا يدرى كيف يخرج منها ، ومنها أنه لا يدرى من يحب في الله ومن يبغض في الله من هؤلاء ... ، أما اذا عرف الرجل الحق والعدل ، وامتنع عن أن يعرف ما به غيره من الباطل والجور فإن أبا حنيفة يصفه بانه أجهل الأصناف كلها ويسخر منه إذ يمثل له بجماعة : (... أربعة نفر يؤتون بثوب أبيض فيسألون جميعا عن لون ذلك الثوب فيقول واحد : هذا ثوب أحمر ، ويقول الآخر : أصفر ، ويقول الثالث : أسود ، ويقول الرابع : أبيض

فيقال له : ما تقول فى هؤلاء الثلاثة أصابوا أم أخطأوا ؟ فيقول : أما أنا فقد أعلم أن الثوب أبيض وعسى أن يكون هؤلاء قد أصابوا . . .) (٢) .

أما عن المنهج التربوى الذى ينادى به أصحاب هذا الاتجاه فإنه لا اعتراض عليه من أحد ، وهو لا ريب أساس يجب أن يسبق أية محاولة أخرى ، لكنه من الواضح أنه يستهدف تربية المسلم ، وليس الدفاع عنه ، ونحن اذا أخذنا بالناحية الايجابية وحدها فى تربية المسلم وتغافلنا عن النواحى السلبية التى لا بد من أن تتسرب اليه من أعداء دينه — وهم فى العصر الحاضر أطول باعا وأقوى أسلوبا وأحكم تدبيرا — نكون مثاليين الى درجة لا يسمح بها الواقع الذى نعيشه ، بل انه لم يسمح بها واقع المسلمين فى عصر نشأة علم الكلام — فى القرنين الأول والثانى — وهم إذ ذاك اقرب منا إلى عصر النبوة ونورها . أن نصرة الدين بالدفاع عنه فى كل مجال من مجالاته ضرورة نواجه بها أعداء الدين ، ونقطع الطريق على المسارب الخفية التى تتسلل إلى المسلم الذى نحاول تربيته على الاساس الذى ذكروه ، وتستهدف الانحراف بالحضارة الاسلامية التى نرجو أن تظهر على الأفق إثر فجر قريب .

إن أصحاب هذا الاتجاه يصدرون عن نظرة مثالية — أيضا — إلى علم الكلام القديم إذ يرون اضطرابه وقصوره وآثاره التى تكاد لا تمحى فى إحداث المذاهب وترسيخ التفرق ، وإثارة الشبهات ، وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم ، واثارة الجدل فى أمور لا مكان لها فى جوهر العقيدة الاسلامية ، أولا سبيل للعقل إلى إدراك حقائقها (٣) .

ونقول لهم : مهلا ورفقا .

إننا نطلب اليهم انصاف هذا العلم بدراسة الظروف التى نشأ فيها والتى أجبرته أن يكون على ما كان عليه ، لقد غلب الجانب الجدلى على علم الكلام القديم ، وتلون فى جانبه ذاك بضرورات عصره ، ولم يكن ذلك راجعا الى طبيعة هذا العلم — فى صورته النظرية — بقدر رجوعه الى ما كان يموج فى البيئة الاسلامية من تحديات الفلسفات والعقائد المناوئة ، على اختلاف أنواعها ، فى صورها المستترة والمعلنة على السواء . لقد أرغمت هذه التحديات متكلمى الاسلام على توجيه انظارهم الى المباحث التى يدور فيها الاحتكاك بين الاسلام وبين تلك العقائد . ولقد كان لهذا العلم فى هذا المجال هدف جليل يتمثل فى المحافظة على عقائد المسلمين ، وكان عليه أن يواجه فى هذا الموقف أعتى أعداء الاسلام وأخطرهم واقواهم سلاحا واشدهم تمكنا وأكثرهم تحالفا ، وأوسعهم تنوعا . وإن المرء ليكاد يؤخذ من هول تصوره لما كان يمكن أن يحدث لو أن الهجوم العقدى الذى تعرض له المسلمون قديما على عتوه وجبروته وجد بين المسلمين فراغا أو التقى فيهم بالمواقف السلبية ، لقد قام علم الكلام القديم — إذ ذاك — بمسئوليته الايجابية ، وبعبء الدفاع عن عقائد المسلمين ، وقد قام بذلك على خير وجه ممكن فيما أعتقد ، يحتم علينا — من الناحية الواقعية — اغضاء الطرف عما اضطر اليه أو علق به ، فى سبيل تمكنه من قيامه بهدفه الدفاعى الاسمى .

انه عن طريق علم الكلام القديم دفع المسلمون الأوائل ثمن احتفاظهم بعقائدهم ونقلها الينا سليمة معافاة ، وان كان هذا الثمن اقتضاهم ما حدث هناك من تفرق وجدل ، لكنه على أية حال كان ثمنا محتوما لا بديل منه الا الاستسلام الكامل للغزو الفكرى العنيف الذى لم يكن يقنع بغير أن يجتث عقائدهم من جذورها .

إنه اذا أخذنا على علم الكلام القديم أنه لم يكن قاصرا على ما كان يجب ان يقصر نفسه عليه من استيحاء القرآن والسنة وحدهما ، فان المرء لا يكون منصفا أو مدركا لطبائع الامور اذ يغفل عن العوامل الاخرى التى كانت هناك ، ولم يكن لعلم الكلام أن يغفلها او يتجنبها ، ولو أمكنه — تعسفا — لما كان وفيا لحال المجتمع الاسلامى — اذ ذاك — فكريا واعتقاديا ، ولا نفصل عن حياة المسلمين ، ولا نحرف المسلمون الى حال يستوردون فيها المذاهب من خارج ، ويضعون عليها أسماء محلية كما فعلت — وتفعل — المجتمعات فى أطوار تأخرها وانحلالها . انه لو فعل — وتجنب العوامل التى تفعل فعلها فى الفكر السائر آنذاك — لصار الى علم يدرس بين جدران الفصول ، وانعزل عن المجتمع ، وفقد تأثيره القوى فيه — كما هو حاله اليوم — وذلك المصير كان من شأنه أن يحفظ عليه نقاءه ، لكنه على وجه التأكيد كان من شأنه أن يقع به فى وهدة الجمود ، ويطوح به فى صحارى العزلة ، ويقعد به عن القيام بهدفه الذى لا يقوم به غيره ، الا وهو شرح العقيدة والدفاع عنها بلغة من يخاطبهم من الناس .

انه لا مكان للكلام عن امكان استغناء المسلمين القدماء عن علم الكلام القديم والاستدلال على هذا الامكان باستغناء الصحابة عنه فى عصرهم وقد (كانت طاعتهم أجل ، وقلوبهم أسلم ، وصدورهم اطهر ، وعلمهم أوفر ..) كما يقول السيوطى رحمه الله (٤) ، ذلك ان الأمر لم يكن يدور حول هذه الصفات التى كانت للصحابة رضى الله عنهم بقدر ما كان ضرورة من ضرورات بيئة ثقافية ، وتطور علمى ، ومزيج معين من الأفكار والمعارف والأوضاع الحضارية ، خلا عنه عصر الصحابة ، وحل فى عصر لاحق ... فكان لا بد من أن ينشأ علم الكلام وينمو ، ليقاوم العقائد والأفكار المعادية والمناوئة ، والتى وجدت مناخها المناسب فى آفاق النظام الاجتماعى الاسلامى نفسه !! حيث تطلع شمس المساواة ويتجلى نور التسامح ، ولم يكن هناك بديل لقيام هذا العلم الا بأن تغرب هذه الشمس وينطمس ذلك النور ، ويقع المجتمع فى وهدة الاضطهاد الدينى ، وليس بذاك كان انتشار العقيدة الاسلامية نفسها ، ولا بذاك يكون استمرارها . ويكفى أن نستعرض جهود خصم عنيد وقف للعقيدة الاسلامية فى مهدها كل مرصد — الا وهو المسيحية — لكى نحس احساسا صادقا أن فى استمرار المسلمين على عقيدتهم بعد دخولها فى معارك ضارية معه دليلا واقعيا على وفاء هذا العلم بالدور الذى كان مطلوبا منه اسلاميا .

إن الامام الغزالى الذى ينظر اليه على أنه قائد الحملة على الفلسفة وعلم الكلام يترك لعلم الكلام منطقة عمل لا ينكرها عليه اذ يقول « والكلام من جملة

الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة ، وإنما حدث ذلك بحدوث البدع ، كما حدثت حاجة الانسان إلى استئجار الحراس فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق .. » (٥) ..

هذه كلمة إنصاف لعلم الكلام فى ماضيه ، فى عصر حيويته ، ولكنها لا تعنى استمراره على صورة ثابتة ، من الصور التى جمد عليها فى عصر معين فى مذهب معين ... فى مسائله ، وأدلته ، ومنهجه ، كما يريد أصحاب الموقف الثانى .

وهل يعنى استمرار علم الطب ـ مثلا ـ استمرار صورته التى تركه عليها بقراط ، أو ابن سينا ؟ فنظل نلوك نفس المسائل ، ونفس الأدلة ، ونسلك نفس المنهج ؟ إنه لا يقول بذلك أحد ـ بداهة ـ يريد للعلم استمرارا حقيقيا . إن العلم لا « يستمر » اذا فقد حيويته .

انه لكى « يستمر » العلم لا بد من أن يشارك فى صنع الحياة ، أو توجيهها يؤثر فيها ، ويتلقى عنها ، ويلتحم بأحداثها . وهنا لا بأس من أن تسقط عنه بعض مسائله ، وان تدخل إليه مسائل أخرى ، وان يستغنى عن بعض أدلته ، وان يستعمل أدلة مبتكرة ، وان يهمل منهجا ليسلك منهجا جديدا ، وانه يهجر أسلوبا فى الصياغة ليقبل على أسلوب آخر . وعلم الكلام لا يمكن أن « يستمر » الا على هذا النحو ..

اننا نخدع أنفسنا اذا توهمنا له « الاستمرار » لمجرد انه لا يزال يدرس فى بعض الكليات أو الأقسام الجامعية المتخصصة .

وعلم الكلام لا بد أن « يستمر » لمواجهة تيارات الالحاد المعاصر التى وصفناها فى أول هذا المقال .

ونحن نخدع أنفسنا ـ مرة ثانية ـ اذا توهمنا له ـ فى صورته التى تدرس حاليا والتى جمد عليها منذ القرن الثامن الهجرى على أكثر تقدير ـ القدرة على مواجهة تلك التيارات ..

إننا نلاحظ مع الأسف الشديد أن الذين يواجهون هذه التيارات الآن هم أحد فريقين : اما افراد من غير المتخصصين ، من القادة السياسيين أو من دعاة الاصلاح ، أو من الأدباء ، أو من العلماء المتخصصين فى غير العلوم الاسلامية . واما أفراد من علماء الاسلام المتخصصين فى العلوم الاسلامية ولكنهم اذ يفعلون يقدمون بحوثهم تحت عناوين لا تنتمى الى علم معين من شجرة العلوم الاسلامية، وصار يطلق على هؤلاء جميعا ـ إذ يفعلون ذلك ـ أسماء تعبر عن أزمة الفكر الاسلامى إزاء هذه التحديات ، يسمى بعضهم تارة « مفكر اسلامى » ، وتارة « باحث اسلامى » وتارة « فيلسوف اسلامى » ، وتارة « مصلح اسلامى » ، ولا يقال : « فقيه » ، أو « متكلم » ، أو « حافظ » أو « مفسر » ... الخ ومعنى هذا أن هناك فراغا فى ثبت العلوم الاسلامية ازاء تحديات العصر ، وأن فرع التخصص فى شجرة العلوم الاسلامية الذى يواجه تيارات الالحاد المعاصرة ـ على تنوعها وتشعبها وظهورها وتسترها ـ لا يمكن أن يتمثل فى علم الكلام فى أية صورة من صوره التاريخية الجامدة منذ قرون . أننا ننكر ان البحث الدعوب فى تراثنا الكلامى يمكن أن يضع أيدينا على أسس فكرية صالحة

للتنمية والاستثمار فى مواجهة بعض تيارات الالحاد المعاصر ، فى بعض القضايا التى تتعلق بحقيقة الوجود ، والالوهية ، والنبوة على سبيل المثال ، ولكن يجب أن نقرر هنا أنه لا بد من أن نراعى طريقة طرح هذه المسائل فى الثقافة المعاصرة ، واسلوب معالجتها ، وأن نعيد النظر فيما نجده صالحا فى علم الكلام ، لنصل به الى أن يكون متوافقا مع اهتمامات العصر وطريقة تناوله للأمور .

ويكفى أن نضرب لذلك أمثلة : من قضية وجود الشر فى العالم التى يطرحها العصر الحديث من زاوية يتأدى بها الملحدون الى انكار وجود الله ، ومن قضية وجود المادة ، وأصل وجودها ، وهى قضية تطرح من زاوية تتعلـــق بالعقائـــد الدينية ، والاخلاق ، والاقتصاد على السواء . ومن قضية طبيعة العقل ، وطبيعة المعرفة ، ومناهج البحث وهى قضايا تنتهى الى قرارات تمس العقيدة أيضا .

هذه أمثلة لمسائل شتى يطرحها العصر الحديث من زوايا تختلف كثيرا عن الزوايا التى تناولها منها علم الكلام ، وكان له فيها اجمال حيث يقضى العصر بالتفصيل ، أو كان له فيها تفصيل يكتفى فيه العصر بالاجمال ويظل العصر بعد ذلك غير قانع بما وقفت عنده أقلام الكاتبين فى القرن الثامن الهجرى .

على اننا يجب أن نقرر أيضا أن علم الكلام ـــ كما نجده فى صورته الثابتة التى تدرس بالمعاهد والكليات ـــ وجه اهتمامه الى دائرة من المسائل النظرية ، لم يجاوزها الى بحث كثير من المسائل العملية التى تتصل بالعقائد بطريق مباشر أو غير مباشر ، كما كان شأنه فى أوائل نشأته ، اذ يصوره لنا الفارابى فى تعريفه لهذا العلم بقوله (صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الانسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويـــــل) . ((٦)) . اذ ذاك كان علم الكلام يعنى بكل ما صرح به فى الدين ، ويراه جديرا بأن ينتصر له ، لأن إنكاره يعنى انكار الدين نفسه ، ومن ثم يؤدى الى المروق من عقيـــدة الاسلام ، وليس ثمة علم ينتصر للعقيدة غير علم الكلام .

بهذا المفهوم الواسع لعلم الكلام ـــ الذى نرى أنه ينبغى العودة اليـــه تمشيا مع أهداف هذا العلم ورسالته ـــ تضاف اليه مسائل حيرى تثيرها موجات الالحاد المعاصرة مما شرحناه فى أول المقال ، ويصبح علم الكلام مسئولا عنهـــا .

هذا تطوير يجب أن يتم فى مسائل علم الكلام ، لكى يقـــوى على مواجهـــة الالحاد المعاصر مواجهة فعالة شاملة .

وهناك مشكلة المنهج ، التى لم تستقر فى علم الكلام القديم ، ويجب عليه أن يواصل بحثه لها وتطويره اياها ، لكى يتجنب الفوضى والاضطراب والتمزق والتناقض ، الأمر الذى كانت الفرق المتناحرة صورته المعبرة ، وكـــان منشؤه الأصيل ـــ فيما أرى ـــ غياب المنهج الواضح ، الذى يبين العلاقة بين النص والعقل باعتبارهما ركيزتين ضروريتين لنشاط هذا العلم . فإنه لا أحد يدعو ـــ فى علم الكلام ـــ الى إغفال النص ، والا لما تردد العلماء والمسلمون قاطبة فى ابطال دعوته وإسقاطها ، ولا أحد يدعو الى اغفال العقل كلية ـــ لا فى دائرة علم الكلام ولا فى خارجها ـــ ولو فعل أحد ذلك لما وجدت أذن تصغى لكلامه أو تلتفت

اليه ، ولكن المشكلة كانت — ولا تزال قائمة — فى ضرورة الأخذ بهما مع غموض فى طبيعة العلاقة التى يجب أن تقوم بينهما وحدودها ، ولقد كان هذا الغموض وما يزال مصدرا لكثير من المشاكل التى أجهدت هذا العلم ، ووقفت به ، وافقدت الثقة فيه ، وأتاحت للالحاد أن يضع بيضه ويفرخ ..

وخلاصة القول ..

اننى أجد أن المسلمين اليوم بحاجة إلى قيام علم يقوم بمهمة حراسة العقائد الاسلامية والتمكين لها فى النفوس .

وأن علم الكلام الذى نجد صورته الثابتة عند الايجى والتفتازانى لا يمكنه — بصورته تلك — أن ينهض للقيام بهذه المهمة ، وسبب ذلك أنه غريب على التيارات الثقافية والعلمية المعاصرة وأنه انعزل عن المجتمع وانحصر الى قاعات الدرس بالمعاهد المتخصصة ، وصار يردد قضاياه الأصيلة دون أن يعنى بالتيارات الالحادية التى تموج فى حياة المسلمين فى العصر الحاضر .

وأن علم الكلام يجب أن يخرج من صورته الثابتة تلك ، ليتحقق له الاستمرار ليتمكن من القيام بمهمته الخطيرة فى مواجهة تيارات الالحاد العصرية فى ميادينها المختلفة ..

والسبيل الى ذلك — فى رأيى — ينبغى أن يبنى على تحديد علاقة هذا العلم بالجوانب الرئيسية التالية : المنهج أولا ، والحضارة ثانيا ، وطالب العلم ثالثا .

(أ) جانب المنهج . من حيث الارتباط الذى ينبغى أن يقوم بينه وبين كل من النص أولا ، والعقل ثانيا ، والوجدان ثالثا ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم رابعا .

وفى هذا الجانب أرى أن يخط علم الكلام خطته التالية :

١ — أن يوجه عناية أكبر الى دراسة مسائل العقيدة كما وردت بالكتاب والسنة ، يستوحى فيها النص فى بساطة بعيدة عن تعقيدات المذاهب التى فرضتها ظروف ثقافية ربما كان عصرنا منصرفا عنها .

٢ — أن يوجه عناية أكبر الى الاستدلال على العقائد عن طريق دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ — أن ينهج فى تقرير مسائله منهجا يستهدف الاقناع بوسائله العقلية والوجدانية على السواء .

٤ — أن يفسح للنزعة العقلية أوسع مجالات النشاط — كضرورة تحتمها الطبيعة الانسانية — على أن يسترشد فى ذلك بمبدأين :

الأول : أنه ليس من حق العقل أن يرفض أصلا من أصول الدين يدخل فى دائرة الامكان الذهنى (٧) ..

الثانى : الا يتخذ شيئا مما وصل اليه العقل باجتهاده أصلا من أصول الدين ما لم يتأيد بنص صريح فى الدين ، وانما يتناوله على سبيل المباحثة والاختبار فحسب .

(ب) جانب الحضارة والتاريخ والمجتمع . من حيث الارتباط الـــذى ينبغى ان يقوم بينه وبين كل من هؤلاء .

وفى هذا الجانب أرى أن تحتوى خطة علم الكلام على النقاط الآتية :

١ ــ توجيه العناية الى ما يدور فى البيئة من أفكار ونظريات وفلسفات والمشاركة فى صنعها ، أو العمل على توجيهها اذا ما تبين انها تمس أصـــول الدين .

٢ ــ توجيه العناية الى المسائل ذات الصبغة العملية إذا ما تبين انها تمس اصول الدين كذلك .

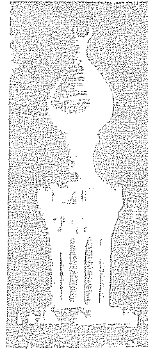
٣ ــ توجيه العناية الى قيادة التطور الحضارى للأمة الاسلامية باعتبار أن العقيدة الاسلامية هى أساس هذه الحضارة وعنوانها .

(جـ) جانب شخصية طالب هذا العلم . من حيث مستواه الـــدينى والعقلى والنفسى والثقافى .

ومن هنا ينبغى أن يحتاط فى اختيار طالب علم الكلام ، ويوجه توجيهـــا نفسيا وعقليا على مراحل مدروسة دراسة تربوية دقيقة تجعله على استعداد للخوض فى مسائله دون أن يتعرض لنوع من الاضطراب أو الشك .

هذه هى الخطة التى أراها « لاستمرار » علم الكلام ، لكى يقوم بمهمته فى مواجهة الالحاد المعاصر .

وبالله التوفيق .



(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى هـ ١ ص ٢٣ ــ ٢٧ طبعة بدران . عام ١٩٥٦ .
(٢) انظر العالم والمتعلم لابى حنيفة (ص ٦ ــ ١٠)
(٣) انظر هذه الاتهامات فيما ذكره الامام الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين هـ ١ ص ٧٢ .
(٤) انظر كتابه صون المنطق ص ١٥٤ طبعة مجمع البحوث الاسلامية .
(٥) انظر احياء علوم الدين هـ ١ ص ٣٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .
(٦) احصاء العلوم ص ١٠٧ .
(٧) الامكان الذهنى : أن يعرض الشىء على الذهن فلا يعلم امتناعه ، فيقول : يمكن هذا لا لعلمه بامكانه ، بل لعدم علمه بامتناعه .

الوحدة الاسلامية

محمد حسني

بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم برسالة الاسلام وهي هدى الله للانسانية جمعاء ، فكان من صحابته الاوائل الذين استجابوا للدعوة فى بكورها ، بلال الحبشي وصهيب الرومي ، وكون الرسول من صحابته هؤلاء على اختلاف اجناسهم جماعة واحدة قامت على اكتافها أعباء الرسالة الاسلامية .

ولما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وحد بين اهلها من الاوس والخزرج ، كما وحد بين المهاجرين والانصار . فنشأت الدولة الاسلامية بالمدينة ، على أكتاف هذه الجماعة الاسلامية الموحدة ، فكانت الوحدة منهج هذه الدولة ، وقوامها ، ولم يكن يعكر صفو هذه الوحدة او يهدد كيانها غير مؤامرات اليهود ودسائسهم ، فكان اجلاء الرسول لهم عن المدينة درسا خالدا لأمته يتعلمون منه ان اليهود مصدر خطر دائم على وحدتهم وان التخلص منهم واجلاءهم عن الارض العربية ضرورة لقيام هذه الوحدة واستمرارها مع ضرورة مفروضة عليهم يسعون اليها بالجهاد وبكل وسائل الكفاح .

لم يرحل الرسول — صلى الله عليه وسلم — الى الرفيق الاعلى ، الا وقد توافدت عليه قبائل الجزيرة العربية من الشمال والجنوب والشرق والغرب تبايعه على التوحيد وتتوحد تحت راياته .

ولم تنقض خلافة الراشدين الاربعة — رضى الله عنهم — الا بعد ان وحدت بين مختلف الاجناس فى شرق الدولة الاسلامية وغربها .

فالوحدة أساس قيام الدولة الاسلامية .. وسر قوتها ، واستمرارها .

وكما ان الوحدة قوة للمؤمنين ، فهى سند ايمانهم وركيزتهم يدعون اليها حين يدعون الى عبادة الله الواحد .

« ان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون » .

« انما المؤمنون اخوة » .

« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلـوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » .

« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحا اني بما تعملون عليم ، وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهـم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهـر » .

وعندما دعا الله سبحانه المسلمين الى الجهاد دعاهم اليـه باعتبارهم وحدة جامعة : **« ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيـان مرصوص » .**

وترتبط وحدة الامة الاسلامية بأسس الاسلام فى العقيدة والشريعـة والأخلاق جميعا .

فى مجال العقيدة ترتبط هذه الوحدة باتجاه المسلمين الى عبادة اللـه وحده لا شريك لـه .

فقلوب المسلمين تتجه بكليتها الى وجهة واحدة وهى عبادة اللـه الاحد الذى لا ولد له ولا صحابة ولا حاشية ، الذى له الملك يؤتى الملك من يشـاء وينزع الملك ممن يشاء . الذى لا فضل عنده لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى .

هذه القلوب المخلصة للوجهة الواحدة ، يربيها الاسـلام على الوحدة تربية لا نظير لها فى عقيدة أخرى .

وفى مجال الشريعة ترتبط هذه الوحدة بالتزام المسلمين بنظام تشريعى واحد مصدره الله الواحد الأحد (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئـك هم الكافرون » .**

هنا تقوم معيشة المسلمين ، ويقوم نظام حياتهم على اسس ومبادىء موحدة فى جميع المجالات التى لا يشملها التشريع ، فى نظام الدولة ، ونظام الاسرة ، فى نظم الحياة الاقتصادية ، فى نظم العلاقات الاجتماعية وغيرها .

وفى مجال الاخلاق ترتبط هذه الوحدة بتربية المسلمين ونقـا لمبادىء واسس أخلاقية ثابتة موحدة : فى الاخوة ، والرحمة ، والعدل ، والشجاعة ، والكـرم وغيرها من أمهات الفضائل والقيم الاسلامية التى وضحها الكتاب ، ووضحتها السنة وصارت دستورا لاخلاق المسلم ، فى اى بقعة من بقاع الارض وفى أى فترة من فترات التاريخ .

وان المنهج الذى يرشد اليه الاسلام لتحقيق هذه الوحدة بسيط بساطة الاسس التى تقام عليها .

يتمثل هذا المنهج فى قوله تعالى : —

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

اذا فزع المسلمون الى حبل الله وشريعته ، اذا اعتصم المسلمون بهذا الرباط الموصول بينهم وجدوا أنفسهم على طريق واحد وعلى مسيرة واحدة ، وعلى مقصد واحد ولا يبقى بعد الا شكل يختار لها ، شكل يدعو اليه الواقـع أو يفرضه ، فهو سهل التطبيق .

ان منطق هذه الوحدة ومسلكها يقوم على الالتحام الصادق بالعقيدة الاسلامية التحاما لا يتيح فرصة أو يترك ثغرة لتطفل التيارات الغازية التى تصدر الى المجتمعات الاسلامية هادفة تنحية الاسلام من قلوب المسلمين وأفكارهم .

والالتحام بالعقيدة مظهره تحكيم شريعة الله فى كل شئوننا فنطبق حدوده .. ونلتزم بما أمر به ، وننتهى عما نهى عنه ، بحيث يبدو المجتمع المسلم تجسيدا حيا للاسلام فى عقيدته وشريعته .

ونحب أن نوجه نظر أولئك الذين يظهرون التخوف أو غير صادقين الى أن تطبيق الحدود الاسلامية التى شرعها الله محوط بأقوى ضمانات التطبيق فى شريعة الاسلام .

ثم أن تطبيق هذه الحدود من شأنه أن يجفف منابع الاثم والتجارب فى بعض الدول الاسلامية التى التزمت بتطبيق حد السرقة خير شهيد .

واننا نرى اليوم وفى الثلث الاخير من القرن العشرين فى بعض البلاد صاحبة النفوذ حكومات جعلت الاعدام عقوبة تطبق على السارق .

على أن الأمر من قبل ومن بعد هو تحتم الاستجابة الطيعة لتطبيق تعاليم الاسلام ومقرراته ، دون هوادة أو تراخ ، لان ذلك مظهر الانتماء الصادق لهذا الدين .

واذا كان لا يجوز أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض فانه يجب أن تغطى تعاليم الاسلام كل جانب من جوانب حياتنا : تربويا ، وقانونيا ، وثقافيا واعلاميا واقتصاديا ، وسلوكيا ، فلا يكون فى اى جانب من حياتنا ما يجافى الاسلام أو يخرج عليه ، لانفرط فى ذلك ولا نقصر دون بلوغ الغاية .

هذه هى ضرورة الوحدة فى الاسلام .

وهذا هو منهج الاسلام الى الوحدة ، وفضلا عن ذلك فلقد أصبحت اليوم ضرورة حياة للمسلمين فى مشرق الارض ومغربها .

اننا فى عصر تفرقنا فيه فتداعت الينا الامم كما تداعى الأكلة الى قصعتها وتوزعنا الاقوياء شيعا وأتباعا ، وصرنا نتلمس الرضا من كل جانب ، وانه لا نجاة لنا ولا عصمة ولا نصر الا بوحدة تجمعنا على حبل الله .

((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) .

كانت الوحدة سر قيام هذه الأمة ، وسر قوتها — والآن تصبح هذه الوحدة سر استمرارها ونجاتها : وانه لن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها .

((وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)) .

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

دكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث

الاقتصاد الاسلامي وماهيته

للدكتور محمد شوقي الفنجرى

تعلو الأصوات بالتزام تعاليم الاسلام فى مختلف نواحى الحياة سياسية كانت أم اجتماعية أم اقتصادية .

على ان مثل هذه الدعوة ، تصير امرا هباء مالم تبذل الجهود فى ابراز تعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية بروح العصر ، ومالم نبين كيفية أعمالها وتطبيقها بما يحقق مصالح المجتمع المتغيرة .

انه منذ أغلق باب الاجتهاد فى منتصف القرن الرابع الهجرى ، عطلت المبادىء الاسلامية عامة والاقتصادية خاصة عن مواجهة حاجات المجتمع المتغيرة ، اذ لم يعد العلماء فيما يعرض لهم من وقائع جديدة يرجعون الى المصادر التشريعية الاساسية لاستنباط الاحكام من نصوص القرآن والسنة ، وانما يرجعون الى اجتهادات الائمة السابقين فيلزمون الناس بها .

واذ ننادى اليوم بالعودة الى تعاليم الاسلام ، وبضرورة تطبيق مبادئه واسهام الاقتصاد الاسلامى خاصة فى حل مشاكل العالم ، فانه يتعين علينا قبل ذلك ان نبين بوضوح هذه التعاليم ، وان نفتح باب الاجتهاد فى كيفية أعمالها وتطبيقها بما يحقق مصلحة كل مجتمع بحسب ظروف الزمان والمكان . وحينئذ بدلا من ان نحاول فرض تعاليم الاسلام بالتمنى والكلام ، ستتمكن هذه التعاليم الالهية من أن تسود لا العالم الاسلامى فحسب ، ولكن العالم أجمع اذا ما فهمت على حقيقتها باعتبارها طوق النجاة وسبيل الامن والسعادة للبشرية جمعاء .

وفى المجال الاقتصادى جاء الاسلام ــ منذ اربعة عشر قرنا ــ بمبادىء واصول معينة ، تنطوى على سياسة اقتصادية متميزة . وقد جرى تطبيق هذه المبادىء وتلك السياسة في عهد الرسول بدقة ، والتزم بها الخلفاء الراشدون كما ارتبط بها حكام وائمة المسلمين بدرجات متفاوتة ليس هنا مجال الحكم عليها .

فالاقتصاد الاسلامى هو مجموعة الأصول العامة الاقتصادية التى نستخرجها من القرآن والسنة ، والبناء الاقتصادى الذى نقيمه على أساس تلك الأصول بحسب كل بيئة وكل عصر . فهو بذلك ذو وجهين :

أ ــ وجه ثابت الأصول أو المذهب :

وهو عبارة عن مجموعة المبادىء والاصول الاقتصادية التى جاء بها الاسلام فى نصوص القرآن والسنة ، ليلتزم بها المسلمون فى كل زمان ومكان . ومن قبيل ذلك قوله تعالى « واحل الله البيع وحرم الربا ــ البقرة / ٢٧٥ » ، وقوله تعالى « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ــ النساء / ٣٢ » ، وقوله تعالى « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ــ الاسراء / ٢٦ » ، وقوله تعالى « كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ــ الحشر / ٧ » . ومن ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام (كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » وقوله « تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم » ، وقوله (اذا بات مؤمن جائعا فلا مال لأحد) وقوله (لا بأس بالغنى لمن اتقى) .

فقد جاءت نصوص القرآن والسنة فى المجال الاقتصادى متضمنة أصول ومبادىء معينة يمكننا أن نعبر عنها بلغة العصر ، بمبدأ الحرية الاقتصادية المقيدة وتحريم بعض أوجه النشاط الاقتصادى لعموم الضرر أو خصوصية التعدى ، ومبدأ ضمان حد الكفاية أو الحد اللائق لمعيشة كل فرد ، ومبدأ تحقيق التوازن الاقتصادى بين افراد المجتمع واذابة الفوارق بينهم ، ومبدأ الملكية المزدوجة الخاصة والعامة ، ومبدأ تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى والتزامها القيام بكل نشاط اقتصادى يعجز عنه الافراد أو يقصرون فيه أو ينحرفون به .

وهذه الأصول الاقتصادية ، الهية محضة أى من عند الله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ــ فصلت / ٤٢ » ، فهى منزهة عن الخطأ ، وغير قابلة للتغيير أو التبديل ، ويخضع لها المسلمون فى كل زمان ومكان .

ويلاحظ على هذه الأصول أمران أساسيان :

أولهما : انها قليلة لا تتجاوز أصابع اليدين عدا .

ثانيهما : انها عامة تتعلق بالحاجات الاساسية لكل مجتمع .

ومن ثم كانت صالحة لكل زمان ومكان ، بغض النظر عن اشكال الانتاج السائدة فى المجتمع ، وبغض النظر عن درجة تطوره الاقتصادى .

وتعتبر هذه الأصول سر عظمة الاسلام وخلوده ، ونعبر عنها فى المجال الاقتصادى باصطلاح « المذهب الاقتصادى الاسلامى » .

ب — وجه متغير التطبيق او النظام :

وهو عبارة عن الأساليب والخطط العملية والحلول الاقتصادية التى تتبناها السلطة الحاكمة فى كل مجتمع اسلامى ، لاحالة أصول الاسلام وسياسته الاقتصادية الى واقع مادى يعيش المجتمع فى اطاره . ومن قبيل ذلك بيان العمليات التى توصف بانها ربا وصور الفائدة المحرمة ، وبيان مقدار حد الكفاية أو الحد الأدنى للاجور ، واجراءات تحقيق التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع واذابة الفوارق بينهم ، وبيان نطاق الملكية العامة ومدى تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى .

وهذه التطبيقات هى من عمل المجتهدين ، وهو ما يختلفون فيه تبعا لتغير ظروف الزمان والمكان ، بل وفى الزمان والمكان الواحد باختلاف فهمهم للادلة الشرعية . وتعتبر هذه التطبيقات فى الاصطلاح الشرعى كاشفة عن حكم الله ، وذلك حسب ظن المجتهد واعتقاده لا حسب الحقيقة والواقع التى لا يعلمها الا الله تعالى .

وبناء على النصوص الاسلامية القليلة فى المجال الاقتصادى ، أقام الخلفاء الراشدون البنيان الاقتصادى للدولة الاسلامية ، وأولى الفقهاء القدامى بحلولهم الاسلامية مشاكل عصرهم . **وان أولى الأمر وطلاب البحث اليوم ، يطالبون بمتابعة المسيرة واستظهار الحلول الاسلامية لمختلف المسائل والمشاكل الاقتصادية المعاصرة ، مقدرين ان التحدى الحقيقى الذى يواجه كل مجتمع اسلامى هو ربط تعاليم الاسلام بالواقع الذى نعيش فيه .**

وفى امكان تباين تلك التطبيقات يكمن سر مرونة الاسلام وملاءمته لكل مجتمع أو تطور ، بل هو فى نظرنا قوة وصميم الاسلام ، ومن ثم فان اغلاق باب الاجتهاد أو مجرد الوقوف عند تطبيق معين ، هو فى اعتقادنا أكبر عدوان على الاسلام وأشد إضرار به .

وفى استطاعتنا أن نعبر عن تلك التطبيقات فى المجال الاقتصادى باصطلاح « النظام أو النظم الاقتصادية الاسلامية » .



ونخلص مما تقدم الى ان الاقتصاد الاسلامى « مذهب ونظام » وانه لا يمكن أن نتصور فى الاسلام سوى مذهب اقتصادى واحد ، وانما يمكن ان يقوم فى ظل الاسلام نظم اقتصادية متعددة .

أ ــ مذهب اقتصادي واحد :

فليس في الاسلام سوى مذهب اقتصادي واحد هو تلك الاصول والمبادىء الاقتصادية التي جاءت بنصوص القرآن والسنة ، معبرة عن سياسة اقتصادية معينة .

وانه في حدود هذه المبادىء والأصول ، وفي نطاق تلك السياسة قد تختلف التطبيقات والنظم الاقتصادية الاسلامية باختلاف ظروف الزمان والمكان ولا يعدو الامر ، كما عبر عنه رجال الفقه الاسلامي بأنه (خلاف زمان ومكان لا حجة وبرهان) أو قولهم (تغير الاحكام بتغير الأزمنة والامكنة) ، ولا يعدو الأمر تعبير رجال الاقتصاد من تعدد الأنظمة الاقتصادية في اطار المذهب الاقتصادي الواحد .

ب ــ تطبيقات أو نظم اقتصادية مختلفة :

ان كيفية اعمال الأصول والمبادىء الاقتصادية الاسلامية واسلوب تطبيقها هو مما يجوز شرعا أن يختلف فيه كل باحث وفقا لظروف مجتمعة باختلاف الزمان والمكان .

ومن الطبيعي ان يكون مثل هذا الخلاف أو ذاك التعدد ، أكثر وأوفر في مجال الاقتصاد الاسلامي ، اذ الامر ليس مرده اختلاف ظروف الزمان والمكان فحسب وانما مرده أيضا اختلاف الباحثين والمجتهدين في استخلاص الاحكام الشرعية تبعا لاختلاف مفاهيمهم للادلة الشرعية .

وتوصف هذه التطبيقات أو النظم الاقتصادية بانها اسلامية ، بقدر التزامها أصول الاسلام وسياسته الاقتصادية ، وذلك حسبما كشفت عنه نصوص القرآن والسنة وفقا للطرق الشرعية المقررة .

ولقد رأينا الامام ابن حزم يتخذ اتجاها جماعيا ، بينما ابن خلدون يتخذ اتجاها فرديا . ورغم ان الأول اعتبر مفكرا اشتراكيا ، واعتبر الثاني مفكرا رأسماليا ، فقد ظل كلاهما مفكرا اقتصاديا اسلاميا ، طالما الثابت ان كلا منهما يتحرك في الاطار الاسلامي ملتزما أصول الاسلام ومبادئه الاقتصادية ، والخلاف بينهما هو في اسلوب تطبيق هذه المبادىء بحسب حاجات المجتمع المتغيرة فهو خلاف زمان ومكان لا حجة وبرهان .

وعليه فقد ترى إحدى الدول الاسلامية التوسع في نطاق الملكية العامة أو عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، بينما ترى دولة اسلامية أخرى التضييق من نطاق الملكية العامة أو تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي . وقد يحلو للبعض ان يسمى الأولى بأنها (اشتراكية تقدمية) ويسمى الثانية بأنها (رأسمالية تقليدية) وانما يظل الحكم على هذه أو تلك بأنها اسلامية من عدمه ، هو مدى التزامها بأصول الاسلام ومبادئه الاقتصادية ، والتي على

رأسها تحريم الربا وكافة أوجه الاستغلال ، واستثمار كافة مواردها وحسن استعمالها ، وكفالة حد الكفاية لكل مواطن ، وعدم وجود تفاوت فاحش فى الدخول وتوزيع الثروات .

أما فى مجال أعمال هذه المبادىء وأسلوب تطبيقها ، فهذا أمر تقديرى تترخص فيه كل دولة اسلامية بحسب ظروفها ، ولا يجوز أن يفرض عليها أسلوب أو نهج معين بالذات .



صعوبة البحث فى الاقتصاد الاسلامى :

والبحث فى الاقتصاد الاسلامى بشقيه (مذهبا ونظاما) هو اليوم من أشق المهام واعسرها وذلك لسببين :

أولهما : اغلاق باب الاجتهاد ، منذ نحو عشرة قرون ، وبالتالى عطلت المبادىء الاقتصادية الاسلامية عن مواجهة حاجات المجتمع المتغيرة . كما ندرت الدراسات الاقتصادية الاسلامية بالمعنى العلمى المعروف ، حتى وجدنا الكثيرين من المثقفين لا يتصورون وجود اقتصاد اسلامى يستطيع ان يلبى حاجات المجتمع الحديث ، أو يقف فى مقابلة الاقتصادين السائدين الاشتراكى والراسمالى .

ثانيهما : تعقد الحياة الاقتصادية بحيث لم يعد يكتفى الباحث بمجرد الاحاطة بالدراسات الاسلامية والفقهية الواسعة ، بل أصبح يتطلب منه وعلى نفس المستوى الاحاطة بالدراسات الاقتصادية الفنية الدقيقة والنظم الاقتصادية المعاصرة .

السبيل الى أحياء الاقتصاد الاسلامى :

وحتى يمكن احياء الاقتصاد الاسلامى ، وبالتالى يلتزم به العالم الاسلامى ويقتنع العالم اجمع بصلاحيته ، لا بد أن تنشط وان تتعدد بحوث الاقتصاد الاسلامى متضافرة فى مجالين :

أولهما : الكشف عن الأصول والمبادىء الاقتصادية الاسلامية بلغة العصر .

ثانيهما : اعمال هذه الأصول وربطها بما هو واقع فعلا بعالمنا الاقتصادى المعقد الحالى .

وهذه المهمة بشقيها ، يعزف عنها تلقائيا اقتصاديونا الفنيون اذ تعوزهم الدراسة الاسلامية العميقة ، ويقصر عنها علماء الدين اذ تعوزهم الدراسة الاقتصادية الفنية . فلا بد اذن من إعداد باحثين فى الاقتصاد الاسلامى يجمعون بين الثقافتين الاسلامية والاقتصادية . وهو مالا يتأتى الا عن طريق تعميم تدريس « مادة الاقتصاد الاسلامى » بالجامعات الاسلامية ومعاهدها المتخصصة ككليات الاقتصاد والتجارة والحقوق وتشجيع بحوثه .

صحراء سيناء و المرتفعات السورية

ماذا تعرف عن الصحراء .. التي هي ليست صحراء .. سيناء .. ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية .. ؟

وما هي المرتفعات السورية التي بقيت القوات الاسرائيلية تعيث فيها فسادا منذ عام ١٩٦٧ ؟

في تقرير أعده مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية جاء عن سيناء ، ما يلي :

تبلغ مساحة سيناء ٦١٫٠٠٠ كيلومتر مربع ، وهي شبه جزيرة على شكل مثلث قاعدته شاطىء البحر المتوسط ورأسه في الجنوب عند شرم الشيخ وضلعاه على شاطىء خليج السويس وقناة السويس من جهة وشاطىء خليج العقبة من الجهة الأخرى .

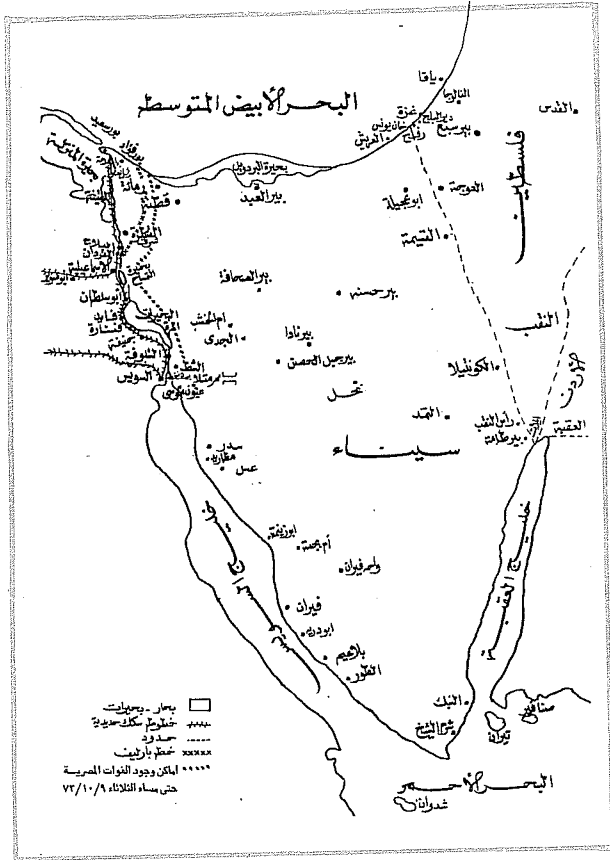
وسيناء — على رغم الانطباع السائد — ليست صحراء وملية قاحلة ، اذ تمتد عبرها من الشمال الى الجنوب سلسلة جبلية يصل ارتفاعها الى ٢٤٠٠ متر فوق سطح البحر ، كما تتوافر في سيناء مياه الشرب وعدد من الواحات ، وفيها من الاراضي الصالحة للزراعة ما يقارب مليوني دونم . وتدل الابحاث الجيولوجية على توافر المياه الجوفية فيها بكميات كبيرة . وتسقط في سيناء كميات متباينة من الامطار تتراوح ما بين ٢٠ ملم في الجنوب و ٦٠ ملم في الشمال .

وبحسب احصاء ١٩٦٠ ، كان يعيش في سيناء ١٢٦٫٠٠٠ نسمة غالبيتهم من السكان المستقرين من أهالي العريش (المركز الاداري لسيناء) ومدن أخرى والآخرون من البدو .

وتذكر المصادر الاسرائيلية أن عدد سكان سيناء العرب كان ١٠٥٫٠٠٠ نسمة عام ١٩٧١ منهم نحو ٦٠٫٠٠٠ نسمة من البدو .

الاهمية الاستراتيجية — السياسية :

تعتمد الاهمية الاستراتيجية لسيناء على موقع هذه المنطقة الجغرافي —



خريطة سيناء
بجمهورية مصر العربية

السياسى . اذ هي تسيطر على الطرق البحريـــة من البحر المتوسط الى البحـــر الاحمر عن طريق قناة السويس وخليج العقبة وتمثل جسرا بين قارتى أفريقيـــا وآسيا ، وتربط نصفى العالم العربى . وان أهمية مصر الخاصة ـ من الناحية الجغرافية ـ السياسية ، تعود فى الدرجة الاولى الى امتدادها الآسيوى الذى يتمثل فى شبه جزيرة سيناء ..

وعدا موقعها كجسر بين القارتين ، تكتسب سيناء مزيدا من الاهميـــة الاستراتيجية بسبب ساحلها الطويل على البحر الابيض المتوسط والذى يشكل مع ساحل اسرائيل وغزة قطاعا عريضا يؤمن أشرافا مباشرا علـــى شرق البحـــر المتوسط ويرتبط بالاستراتيجية الامبريالية فى المنطقة والمحيط الهندى المتمثلة فى اقامة خط استراتيجى يمتد من اليونان فاسرائيل ، مارا بالسعودية والخليج .

فاحتلال سيناء الذى يصل مصر بالمشرق العربى يخـدم الاستراتيجيـــة الاسرائيلية/الامبريالية الرامية الى تمزيق العالم العربى وتطويقه ..

وفى الوقت عينه يخدم بقاء سيناء فى أيدى العدو الاسرائيلى المســاعى الاسرائيلية لاقامة علاقات أوثق مع أفريقيا وخصوصا الدول الوطيدة العلاقـــة بالامبريالية وذات الايديولوجية العنصرية مثل أثيوبيا وروديسيا واتحاد جنـــوب أفريقيا .

وعلى الصعيد الاستراتيجي العسكرى يعطى احتلال سيناء العدو ميزات جمة . فعلاوة على سيطرة اسرائيل على قناة السويس ، أصبحت مطارات سيناء فى أيديها واصبحت المدن المصرية مثل القاهرة ، وليس المدن الاسرائيلية ، هى المهددة بالهجمات الجوية . أضف الى كل هذا سيطرة اسرائيل على شرم الشيخ الذى يؤمن لها مدخل خليج العقبة والصعوبات العملية التى أوجدها ابعاد الخطوط المصرية الى ما وراء الضفة الغربية لقناة السويس لشن حرب عصابات مصرية ضد المستوطنات فى اسرائيل ما قبل ١٩٦٧ ، تكتمل أهم عناصر استراتيجية اسرائيل العسكرية فى سيناء .

ان مطالبة اسرائيل ((بالحدود الآمنة)) هى مطالبة بتثبيت وجودها فى شكل دائم فى سيناء ، اذ تشكل قناة السويس ، من وجهة النظر الاسرائيلية ، حاجزا طبيعيا ضد تحرك القوات المصرية المسلحة ، ويظهر هذا جليا من التصلب المتزايد الذى أبدته اسرائيل منذ احتلالها لسيناء عام ١٩٦٧ تجاه أى مشروع يترتب عليه انسحاب قواتها عن جزء صغير منها .

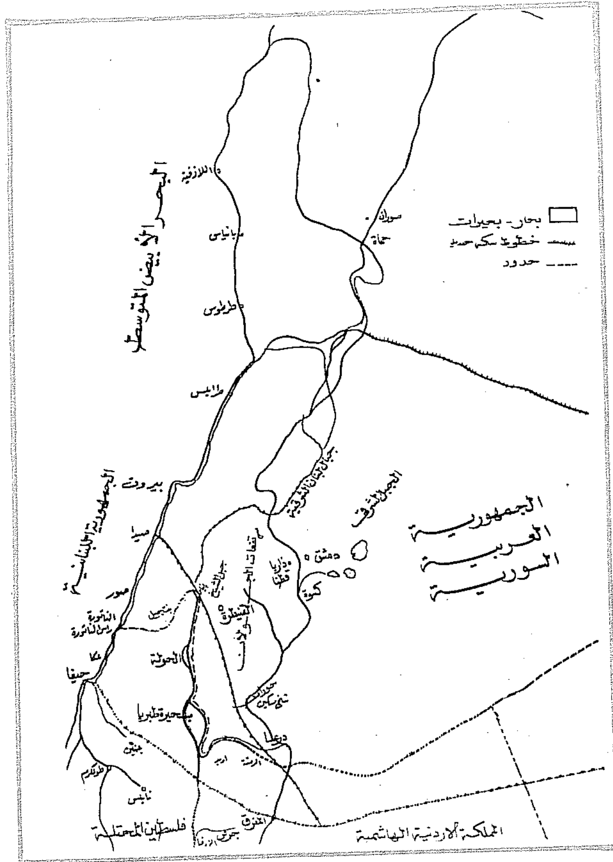
الأهميـة الاقتصاديـة :

على ان هذا التصلب لا يعود فقط الى الميزات السياسية والاستراتيجية التى تتمتع بها سيناء ، بل هنالك أيضا عامل مهم هو الثروة النفطية والمعدنية التى تختزنها شبه الجزيرة . وقد اكتشف النفط فى سيناء فى الثلاثينات والاربعينات من القرن الحالى وبدأت الشركات المصرية ، بمساعدة بعض الشركات الاجنبية ، استخراج هذا النفط وتكريره واستعماله فى الخمسينات والستينات . وشكل نفط سيناء عام ١٩٦٦ نحو ثلثى الانتاج المصرى الكلى وقدر الدخل المصرى السنوى منه بنحو ١٠٠ مليون دولار ، وتولت شركة ((لتيفى نفط)) الاسرائيلية اصلاح مرافق حقل بلاعيم (أبو رديس) .. واستخرجت النفط من الآبار البحرية مباشرة بعد الحرب ، وفىهذهالفترة وصل الانتاج الى مليونى طن سنويا ، وأخذ الانتاج فى الزيادة بعد ذلك ..

وفى حقل بلاعيم البرى ١٠٠ بئر نفطية اضافة الى الآبار الـ ١٧ فى الحقل البحرى . ويبعد هذا حوالى ٩ كلم عن الساحل . (دافار ١٢/١/١٩٧٢) .

استولت اسرائيل على ١١٧ بئرا نفطية حول أبو رديس بعد احتلالها لسيناء عام ١٩٦٧ ، وقد انتجت هذه الآبار ما مجموعه ٦ ملايين طن عام ١٩٧١ ، أى ما قيمته ٨٠ مليون دولار . وتقدر المصادر الاسرائيلية الدخل الصافى من انتاج النفط فى سيناء بالعملة الاجنبية بـ ٥٠ مليون دولار سنويا ، ويعادل هذا المبلغ الذى تنفقه اسرائيل لاستيراد النفط الخام من مصادر خارجية (دافار ١٢/١/٧٢).

وتقول التقديرات الاسرائيلية ان احتياطات النفط فى منطقة أبو رديس تصل الى ١٢٠ مليون طن ، أى ما يكفى لتشغيل شركة ((لتيفى نفط)) (شركة النفط للحكومة الاسرائيلية)مدة عشرين عاما بمعدلات الانتاج الحالى وهو ٦٫٥ ملايين طن سنويا ، وقدرت مصادر غربية (الفاينتشال تايمز اللندنية فى ٢٨/٢/١٩٦٨) ان الطاقة النفطية لسيناء تقدر بنحو ٤٠ مليون طن سنويا ، ويشكل هذا سبعة أضعاف انتاج سيناء من النفط لعام ١٩٧١ . وهكذا يكون فى امكان سيناء توفير دخل سنوى يعادل اكثر من ٥٠٠ مليون دولار سنويا (بحسب أسعار ١٩٧٢) .



خريطة الجمهورية العربية السورية ومرتفعات الجولان

ومنذ عودة احتلال اسرائيل لسيناء عام ١٩٦٧ انهمك الجيولوجيون الاسرائيليون فى أعمال التنقيب فى سيناء وخارج شواطئها بحثا عن النفط والمعادن وكان هذا الاهتمام قد ظهر سابقا عند احتلال سيناء عام ١٩٥٦ . وصادق مجلس ادارة مؤسسة النفط الاسرائيلية فى أيلول من هذه السنة على خطة شاملة للتنقيب عن النفط فى اسرائيل وشمال سيناء فى السنوات الخمس المقبلة يكلف تنفيذها ١١٠ ملايين ليرة اسرائيلية ، وتوصى الخطة باستثمار ٢٠ مليون ليرة اسرائيلية فى شمال سيناء .

وتعلق اسرائيل أهمية اقتصادية كبيرة على نفط سيناء ، ويظهر هذا فى وضوح من تعليق الصحف الاسرائيلية حول الموضوع . فقد كتبت ((عال همشمار)) (١٩٧٣/٩/٥) انه ((تحت تهديد (أزمة الطاقة) قد ينشأ وضع تستصعب فيه اسرائيل (....) التنازل عن تلك المساحات فى سيناء التى تشكل مصدر الوقود الاساسى للاقتصاد الاسرائيلى)) . وأضاف : ((ان سيناء تتحول بفضل (معركة النفط) من مجال يؤمن انذارا مبكرا فى الحرب الجوية ومساحة ذات عمق استراتيجى الى موقع اقتصادى ذى أهمية من الدرجة الأولى)) .

لقد أدى احتلال اسرائيل لسيناء ومصادر النفط فيها الى تطوير صناعتها النفطية والصناعات البترو ــ كيميائية وتوسيعها ، اضافة الى تأمين احتياجاتها

من النفط (•••••) • وفي الوقت نفسه دخلت اسرائيل صفوف الدول التي توفر تسهيلات ترانزيت مهمة (•••••) •

ولا يقتصر المردود الاقتصادى لسيناء على النفط • فهناك احتمالات متعددة أخرى تخص الودائع المعدنية والمياه الجوفية المتوافرة في شبه الجزيرة • وقد عثر العلماء الاسرائيليون الذين ينقبون في سيناء على مستودعات للمعادن والمياه الجوفية • وبحسب تقديرات الخبراء الاسرائيليين فان هذه الكميات كافية الآن تغطى جزءا كبيرا من احتياجات قطاع غزة والعريش لعشرات السنين • كما عثرت الشركة الفرنسية (ايراب) والشركة الاميركية (توليكو) عام ١٩٦٩ علـــى مستودعات هائلة من الغاز في منطقة (بورقان) • وان سيطرة اسرائيل على المياه الاقليمية لسيناء واستغلال موارد قاع البحر في خليج العقبة والبحر الاحمر تعطى اسرائيل فرصا متعددة بالنسبة الى استغلال الغاز ومستودعات المعادن في البحر الاحمر • وتقدر الرسوبية الحاوية كميات هائلة من الزنك والنحـــاس والقصدير والفضة والذهب في موقع واحد فقط من البحر الاحمر (المسمى عمق اطلانطيس ٢) بما يزيد عن ٥٠ مليون طن ، وتقدر قيمتها بنحـــو ٢٥٠٠ مليـــون دولار ••

ثم أن اسرائيل تقطف بعض الارباح من السياحة في اماكن مختلفة من سيناء• وقدر السياح الى شرم الشيخ وحده بـــ ١٠٠ر٠٠٠ شخص عام ١٩٧١ • وقـــد أنشأت اسرائيل قرية استجمام في المنطقة بعدما تم ربطها بايلات بطريق واسع ، معبد طوله ١٥٥ ميلا ، كذلك تم افتتاح مطار مدنى بالقرب من دير القديسة كاترينا معد لاستقبال شركة «أركيع» المدنية الاسرائيلية المكلفة بنقل الزوار من اسرائيـــل الى سيناء • هذا عدا المطار الذى تقيمه اسرائيل في شرم الشيخ • وكشف شمعون بيرس ، وزير المواصلات الاسرائيلي ، النقاب عن أن شركة (العال) ستقيم هذه السنة خطا جويا بين أوروبا وشرم الشيخ يسير رحلة واحدة في الاسبوع • وذكر الوزير أنه يتوقع أن يجذب الخط نوعين من السياح : هواة الغطس وأبناء الدول الاسكندينافية (معاريف ـــ ١٩٧٣/٦/٢٦) • كمـــا كانت اسرائيل قد أعلنت في العام الماضى عن ضم منطقة طبه وجزيرة المرجان والزقاق البحرى الى منطقة بلدية ايلات • وذكرت أن مستثمرين سيقيمون مراكز ترفيه واستجمام في هـــذه المناطق •

ومع كل هذه الفوائد الاستراتيجية والاقتصادية التي تجنيها اسرائيـــل من احتلال سيناء •• فان الاستعمار الصهيونى لا يكتمل من دون العملية الاستيطانية • وعلى رغم صعوبات الاستيطان في شبه الجزيرة ، أقامت اسرائيل ثمانى مستوطنات حتى الآن تركزت في منطقة شرم الشيخ والمنطقة الممتدة بين شرم الشيخ وايلات وشمال سيناء • وتضمن برنامج حزب العمل الذى أقره الحزب الحاكم الاسرائيلى في أيلول من السنة الحاليـــة العزم على اقامة ٦ مستوطنـــات في خليج ايلات • كما أقر البرنامج أقامة مركز أقليمى كبير على حدود غزة وسيناء تتسع لربع مليون اسرائيلى سنة ١٩٩١ ، وستكلف هذه المدينة ٨ مليـــارات ليرة اسرائيلية •

أما بالنسبة للمرتفعات السورية المحتلة عام ١٩٦٧ ، والمسماة حاليا هضبة الجولان ، فيبلغ طولها حوالى ٤٠ ميلا وعرضها الاقصى حوالى ١٦ ميلا ، وهي تعرف فى الخريطة الادارية السورية بمحافظة القنيطرة الواقعة فى اقصى الجنوب الغربى من اراضى الجمهورية العربية السورية ، على نقطة التقاء الحدود الاردنية ــ السورية ــ اللبنانية ــ الفلسطينية .

ومن أهم مميزات هذه المنطقة ، وعورة أراضيها وصعوبة مسالكها الجبلية . فهى تمتد شمالا من سفوح جبل الشيخ الذى يعلو سطح البحر ٩٢٣٢ قدما ، الى نهر اليرموك ــ الذى يعتبر حاجزا مائيا طبيعيا أمام المركبات يفصلها عن الاراضى الاردنية ــ جنوبا . ومن سهل الحولة تبدأ المرتفعات بحائط صخرى هائل يتكون من تلال صخرية بالغة الوعورة تتماسك فى ما بينها مشكلة حصنا منيعا .

من هنا تاخذ هضبة الجولان أهميتها العسكرية بالنسبة الى كل من سوريا واسرائيل .. فبالنسبة الى سوريا تعتبر موقعا استراتيجيا يغلق الباب أمام التوسع الاسرائيلى ، كما تساعد على حماية جنوب لبنان ــ ميمنة الجيش السورى ــ اضافة الى حمايتها لجنوب سوريا وأعالى الاغوار الشمالية الاردنية .

أما بالنسبة الى اسرائيل ، فهى ، فضلا عن كونها محل أطماع دينية واستراتيجية ، تحتوى على منابع نهرى بانياس واليرموك ، ولا يمكن ادراك أهمية هذين النهرين بالنسبة الى العدو الا بمقدار فهم أزمة المياه التى تهدد مشاريعه الزراعية والتى من أجلها حول جزءا كبيرا من مياه نهر الاردن منذ أوائل الستينات .

يمكن تقسيم الطرف الغربى من الهضبة المطل على شمال فلسطين المحتلة ثلاثة أقسام طبيعية ، هى فى حد ذاتها ثلاثة قطاعات من الناحية العسكرية :

* القطاع الشمالى الممتد من تل العزيزيات حتى جسر بنات يعقوب ، وفيه تصعد المرتفعات الصخرية فجاة من سهل الحولة حوالى ألفى قدم ، مشكلة حائطا لا يمكن عبوره الا من خلال فتحات قليلة ، هى عبارة عن فجوات ضيقة تخترق واجهة المرتفعات .

* القطاع الاوسط ، يمتد من جسر بنات يعقوب الى جنوب بحيرة طبريا ، وعلى امتداد شاطئها الشرقى حتى وادى سمخ . وعلى رغم أن السفوح الصخرية فى هذا القطاع ترتفع الى حوالى ٣٫٠٠٠ قدم ، الا أنها أقل حدة فى ارتفاعها من القطاع الشمالى . اذ ترتفع السفوح هنا على شكل متدرج خصوصا فى الشمال الشرقى وتتصل بالهضبة .

* القطاع الجنوبى يمتد من وادى سمخ جنوب بحيرة طبريا حتى نهر اليرموك . وعلى رغم أن هذا القطاع أصغر القطاعات الا أنه أشدها انحدارا . اذ تتميز سفوح الهضبة هنا بانحدار ساحق تصل فيه ارتفاعات الرؤوس الجبلية الى حوالى ١٤٠٠ قدم فوق سطح بحيرة طبريا .

المسلمون السوفييت يؤيدون القضية العربية

وجهت الادارة الدينية لمسلمي الاتحاد السوفيتي الدعوة الى وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية لحضور المؤتمر الاسلامي الذى انعقد بطشقند فى الفترة من ١١/١٣ الى ١٩٧٣/١١/١٤ لنصرة القضية العربية ، وقد مثل الوزارة فى المؤتمر الاستاذ محمد ماجد الصقر وحضره مندوبون عن ست دول هى : الكويت ــ لبنان ــ مصر ــ العراق ــ ليبيا ــ اليمن الشمالية .

وفيما يلى نص كلمة الكويت فى المؤتمر :

أيها الاخوة ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يطيب لى فى هذا المقام ان اتقدم بالشكر والتقدير لحكومة الاتحاد السوفيتي وشعبه الصديق لتأييده للقضية العربية ضد العدوان الصهيوني الذى تسانده قوى البغي والظلم من الدول الاستعمارية والشركات الرأسمالية .

كما اتقدم بالشكر العميق للادارة



الدينية لمسلمي الاتحاد السوفيتي على تنظيم هذا المؤتمر واهتمامها بنصرة القضية العربية وعلى رأسها سماحة المفتي الشيخ ضياء الدين بابا خان .

ان الاخوة الاسلامية تفرض علينا التعاون والتساند . وان المسلمين كالجسد الواحد كما مثلهم الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وان ما قامت به المنظمات الاسلامية في الاتحاد السوفيتي من هذه الدعوة لهو تصديق وتطبيق لقوله صلى الله عليه وسلم هذا .



ايها الأخوة

لقد جاء الاسلام بنظام جديد لم يكن معروفا ولا مألوفا فقضى على الفوارق بين الناس وجعل ميزان التفاضل هو التقوى فقال صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على اسود الا بالتقوى » .

فعندما عاب أبو ذر الغفارى بلالا بقوله له يا ابن السوداء شكاه بلال الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام لأبى ذر : « يا أبا ذر انك امرؤ فيك جاهلية » أى انك يا أبا ذر ما زلت تحمل طباع ما قبل الاسلام التى نهى الاسلام عنها ولم تتخلق بخلق الاسلام . وقد تأثر أبو ذر لقول النبى صلى الله عليه وسلم وذهب الى بلال وقال له هذه عنقى طأها بقدمك حتى ترضى . من هذه الواقعة رأينا كيف أن الاسلام علم أتباعه وهذب نفوسهم وأذاب الفوارق بينهم .

ايها الأخوة

ان القضية التى تهم المسلمين جميعا هى قضية المسجد الاقصى الذى دنسته أقدام الصهيونية التى ما زالت منذ أكثر من ربع قرن تحتل وتعتدى على الاراضى والدول العربية .

فلقد تكونت اسرائيل بوعد من وزير خارجية بريطانيا آنذاك (بلفور) حين قال أن حكومة صاحبة الجلالة تنظر بعين العطف لانشاء وطن قومى لليهود .

ولكن هل كان هذا الوطن من المملكة المتحدة .. ؟ كلا بالطبع .

وانما كان من أرض فلسطين العربية المسلمة . ولم يكن اليهود فى ذلك الوقت يزيدون عن ٥٪ بالنسبة للسكان العرب وكانوا فى مساحة لا تزيد عن ٢٪ من الارض الفلسطينية .

والذى مكنهم من التوسع والتكاثر هو الاستعمار البريطانى ثم الاستعمار الامريكى وقد بدأ توسعهم فى ١٩٥٦ ثم عام ١٩٦٧ حيث احتلت اسرائيل مساحات واسعة من ثلاث دول عربية .

ولن ينسى العرب المواقف المشرفة التى وقفها الاتحاد السوفيتى الصديق تلك المواقف التى ستزيد من الروابط الطيبة بينه وبين الدول العربية .

ايها الأخوة

ان دولة الكويت المسلمة التى تساند الجمعيات والمنظمات الاسلامية فى أنحاء العالم تؤيد وتبارك مثل هذه المؤتمرات واللقاءات الاسلامية التى تخدم الاسلام وترفع شأن المسلمين وتزيد من تقاربهم وتوحد كلمتهم .

وفى الختام أدعو الله للمؤتمر النجاح وللقائمين عليه بالتوفيق والسداد .

وقد وجه المؤتمر فى الجلسة الختامية النداء التالى : « الى جميع المسلمين والناس ذوى النوايا الطيبة »

نحن ممثلى مسلمى الاتحاد السوفياتى ، اجتمعنا مع اخواننا فى الدين من بلدان آسيا وأفريقيا فى مدينة طشقند العريقة ، بوعى من ارادتنا لتعزيز التعاون التاريخى والأخوى بين مسلمى الاتحاد السوفييتى والعرب واستمرار وتنمية العلاقات الدينية والثقافية والاجتماعية لكى نناقش احدى أهم المشاكل الحيوية فى العلاقات الدولية — مشكلة الشرق الاوسط — وايجاد الطرق والوسائل لخدمتنا لقضية ايقاف العدوان الاسرائيلى ، واقامة السلم العادل الوطيد فى الشرق الاوسط .

ان الذى جاء بنا هنا نحن المسلمين هو وعينا للواجب كأناس مؤمنين نتبع طريق السلم والعدالة ونعمل ضد العدوان والطغيان وفى سبيل حماية الحياة السلمية للشعوب وبلوغ الحب والحقيقة فى حياة الانسانية .

ففى هذه المرحلة حيث تلاحظ فى العلاقات الدولية نزعة تخفيف التوتر الدولى وانتصار مبادىء التعايش السلمى بدأ يظهر بوضوح أكثر النهج الاجرامى للقادة الاسرائيليين والدوائر الامبريالية التى تقف وراءهم .

ان غياب السلم فى الشرق الاوسط هو نتيجة للعدوان والاستمرار اللاشرعى لاحتلال الاراضى العربية من قبل القوات المسلحة الاسرائيلية وامتناع اسرائيل عن تنفيذ قرار مجلس الامن الدولى التابع للامم المتحدة الخاص بالشرق الاوسط .

ان الوضع غير الطبيعى فى الشرق الاوسط الناتج عن الاعمال الجنونية لاسرائيل من شأنه أن يلحق أكبر الاذى ليس فقط بالشعوب العربية وانما لقضية السلم والعدالة فى العالم بأسره .

نحن مسلمى الاتحاد السوفييتى نعرب عن تضامننا الكامل مع الشعوب الشقيقة فى البلدان العربية

التى تناضل من أجل الوحدة وسبيل الحرية والاستقلال والسيادة الوطنية لبلدانها .

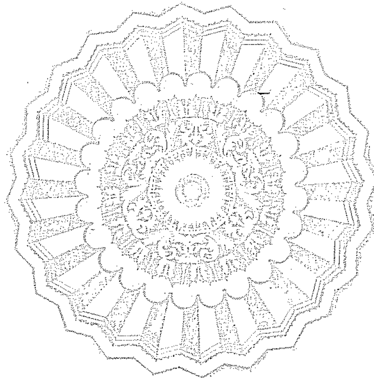
وانطلاقا من مسئوليتنا الدينيـــة فاننا نقف باصرار فى سبيل اقامـة سلم عادل ووطيد في الشرق الاوسط على الأرض المقدسة للمؤمنين مـن مختلف الأديان ، وبهدف المساعـدة على اقامة مثل هذا السلم فاننا نطالب بتنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة الصـادر فى الثانـى والعشرين من اكتوبر عام ١٩٧٣ ، والانسحـاب الفورى للقـوات الاسرائيلية بدون قيد أو شرط مـن كافة الاراضى العربية المحتلة واعادة الفلسطينيين المشردين الى أراضيهم والتعويض عن الاضرار التى لحقـت بهم واحترام الحقوق الشرعية للشعب العربى الفلسـطينى فى تقريـر مصيره .

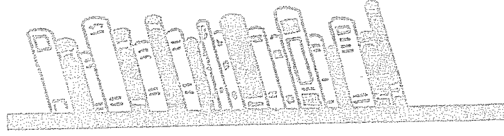
اننا المشتركون فى هذا المؤتمـر ندعو جميع مسلمـى المعمـورة أن يدينوا بالعار المعتدين الاسرائيليين

اننا ندعو رجال الدين من جميـع الأديان فى كافة بلدان العالم الـى تعزيز تعاون المؤمنين مع كل القـوى المحبة للسلام لدعم شعوب البلـدان العربية المناضلة فى سبيل حريتهـا واستقلالها وفى سبيـل التقـدم الاجتماعى .

اننا نتوجه الى كافة النـاس ذوى النوايا الطيبة بنداء حار لمطالبـة واجبار اسرائيل بايقاف عدوانهـا الامبريالى الصهيونى وتنفيذها الكامل المطلق لقرارات الأمم المتحدة الهادفة الى حل النزاع فى الشرق الأوسط .

اننا نؤيد تأييدا كاملا شاملا برنامج العمل للدفـاع عن السلـم بيـن الشعوب ، هذا البرنامج الذى اتخـذ فى المؤتمر العالمى للقوى المحبـة للسلام فى موسـكو ونعبر عـن استعدادنا التام فى التعاون مع كافة ذوى النوايا الحسنة الطيبة ومـع جميع القوى المحبة للسلام فى الكفاح فى سبيل سلم عادل وطيد دائم فـى الشرق الاوسط وفى العالم كله .





مكتبة المجلة

اعداد الاستاذ عبد الستار فيض

فلسفة الصلاة

كتاب من تأليف الشيخ علي محمد الكوراني وهو دراسة لدور الصلاة في حياة الفرد والأمة تعتبر أول دراسة تكشف عن ضرورة الصلاة وتأثيرها البالغ في بناء الشخصية الفردية والاجتماعية .

وقد يظن بعض الناس أن الصلاة قد استنفدت أغراضها وفقدت فاعليتها في بناء الانسان والأمة ولكنهم يقفون حائرين أمام الابداع والاعجاز في شكل الصلاة ومضمونها ، لذلك كانت الصلاة موضوعا جديرا بأكثر من دراسة منهجية حديثة تبين مدى ضرورتها اليومية لتنظيم حياة الانسان المعاصر .

وهذا الكتاب يبرهن على أن دور الصلاة الكبير في تكوين شخصية الأمة الاسلامية التي فتحت العالم وأضاءته لا زال ضرورة في تكوين شخصيتنا الجديدة .

والكتاب يقع في ٤٥٠ صفحة ومن توزيع دار الزهراء .

ص.ب : ٩٣٧ — بيروت — لبنان .

احياء الأراضي الموات

يعد موضوع هذا الكتاب من أرحب الموضوعات الفقهية الاسلامية وأنفعها وأكثرها اتصالا بالحياة العملية وأغراض الاقتصاد .

فهو يتناول بالبحث أهم المشاكل الاقتصادية كمشكلة الأرض بكل ما يتصل فيها من ملكية واقطاع واحياء واستثمار كما يتعرض لأحكام الخراج والقبالة والالجاء .

أما منهج الكتاب فهو منهج استدلالي قائم على البحث والنظر والتحليل ومقارن قائم على استقراء أشهر المدارس الفقهية وهي الامامية — الزيدية — الحنفية — المالكية — الشافعية والحنابلة مضافا الى مقارنتها ببعض التقنينات الوضعية الحديثة .

والكتاب من تأليف الأستاذ محمود المظفر ويحتوي على (٤٠٠) صفحة ومن طبع المطبعة العالمية — ١٧ شارع ضريح سعد بالقاهرة .

علم النفس الاسلامي

وأثره في التربية الاسلامية

١

للاستاذ محمد علم الدين

ـــ لا غنى لمن يتصدى للتربية الإسلامية ، كالآباء لأبنائهم ، والمعلمين لتلاميذهم ، والوعاظ والمرشدين لمريديهم ، ورجال الاعلام لقرائهم .. لا غنى لهم جميعا عن الالمام بعلم النفس الاسلامى على الأقل ، ان لم تتح الفرصة للتعمق فيه . لأنه يضىء للمربى أسرار قوى النفس وملكاتها ومراكز هذه القوى والملكات ، وما يزكىّ النفس فتفلح ، وما يدسيها فتخيب .

ـــ ومعلوم أن النفس كالبدن ، كلاهما يصح وكلاهما يمرض ، وللمرض أسباب ، ولعلاج أمراض البدن علم خاص، وأطباء متخصصون ومدعو الطب قد يعالجون المريض فيميتونه ، وكذلك أمراض النفس ، لها علم خاص وأطباء متخصصون ، وفيما يلى الحد الأدنى الذى لا ينبغى أن يكون مجهولا ، ليعين المربى على احسان التربية والله الموفق .

■■ مولد علم النفس الاسلامى :

ولد علم النفس الاسلامى مع استهلال الاسلام ، ومن السور المتقدمة فى النزول سورة (الشمس) وآياتها من ٧ ـــ ١٠ تنص على قول الله تعالى :

(ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسَّاها) .

ـــ ومنذ نزلت هذه الآيات الكريمة

من اربعة عشر قرنا سابقة لعلم النفس الحديث بأكثر من ألف ومائتى عام ـ والمسلمون يدرسون ، ويبحثون ويتساءلون ، ويستنطقون العلم والتجارب ليتعرفوا : ما هى النفس ؟ وما قواها وملكاتها ، وما علاقتها بالبدن ؟ وما الذى يزكيها فتفلح ؟ وما الذى يدسيها فتخيب ؟

وكان الهدف من وراء ذلك كله الوصول بالنفس الى حال تجعلها بحيث تصدر عنها الأفعال كلها جميلة فى يسر وسهولة ، دون كلفة ومشقة، بوساطة علم النفس واستخدامه فى التربية بجدية ومثابرة ووعى وتطبيق تام تحت شعار : لا نهاية للفضيلة ، ولا حد للكمال .

■■ ما هى النفس ؟

لحظ علماء النفس الاسلاميون أن فى الانسان شيئا ، له افعال وخواص تضاد أفعال الأجسام وخواصها . وان هذا الشىء يتقبل صور المحسوسات والمعقولات ، ويختزنها بحيث لا تضعف صورة صورة أخرى ويستطيع أن يستحضر صورا طال عليها الأمد فى أسرع من رد الطرف ، ولحظوا أن الأجسام تتشوف للذات المادية ، ولكن هذا الشىء يتلذذ بتصحيح الآراء وبالاشياء المعنوية .

كما أنه يتشوف الى ما ليس من طباع البدن ، كالحرص على معرفة حقائق الأمور الإلهية ولحظوا أن هذا الشىء يصحح خطأ الحواس ، فيحكم على الشمس بالعظم ، والعين تراها فى حجم كرة القدم ..! كذلك يحكم على القطار السائر بأنه هو الذى يتحرك ، على حين أن البصر يرى حركة ما حول القطار ... ! وهكذا .

ـ على هذا النحو من البحث ، وصلوا الى أن النفس شىء ليس الجسم ، وليس بجزء من الجسم ، وأنه شىء آخر ، له جوهره ، وأحكامه وخواصه وأفعاله ، يتشوق الى العلوم والمعارف والفضائل ، اذا تشوق البدن الى المآكل والمشارب والجنس .. وأن هذا التشوق الشريف للعلوم والمعارف والفضائل ، خاص بالانسان ، وبه تتم انسانيته . هذا الشىء هو المسمى ((**النفس**)) .

ـ ما أقسام النفس وما قواها وملكاتها ؟

لحظ علماء النفس الاسلاميون ، أن فى الانسان **قوة** بها يفكر ويميز ، وينظر حقائق الامور . وأن به **قوة** تغضب فيرتكب صاحبها الأهوال للنجدة والشهامة وضروب الكرامات، وأن به **قوة** تشتهى الغذاء والشراب والجنس ، ولحظوا أن هذه القوى تقوى وتضعف بالمزاج والعادة والتأديب .

وبناء على ذلك قرروا :

أ ـ ان فى الانسان قوة **ناطقة مفكرة** ، مقرها **الدماغ** اسمها ((**الملكة**)) ، وفضيلتها ((**الحكمة**)) .

ب ـ وأن فيه قوة **غضبية** اسمها (السبيية) وآلتها (القلب) وفضيلتها (**الشجاعة**) .

جـ ـ وان فيه قوة **شهوية** اسمها « البهيمية » وآلتها « الكبد » وفضليتها ((**العفة**)) .

وقرروا أن ما يضاد هذه الفضائل هو الرذائل .

وزادوا الأمر ايضاحا فقالوا :

ـ إن حركة النفس الناطقة ، ان كانت معتدلة ، وكانت تتشوق الى المعارف الصحيحة حدثت عنها فضيلة العلم » وتبعتها فضيلة « الحكمة » .

ـ واذا كانت حركة النفس الغضبية معتدلة ، بحيث لا تهيج فى غير حينها ، ولا تحمى أكثر من اللازم حدثت لها فضيلة « الحلم » وتبعتها

فضيلة « الشجاعة » .
ــ واذا كانت حركة النفس البهيمية معتدلة ، ومنقادة للنفس الناطقة ، وغير مستعصية عليها ولا منهمكة فى هواها حدثت لها فضيلة « العفة » وتبعتها فضيلة « السخاء »
ــ وقالوا ــ ان هذه الفضائل الثلاثة إذا اجتمعت لفرد على اعتدال فيها تولدت منها فضيلة رابعة هى **« العدالة »** .
ــ وبإجماع علماء النفس الاسلاميين أصبحت هذه الأربعة ، أمهات الفضائل :
وهى : الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدالة ــ وما عداها ــ يندرج تحتها ، وقالوا :
إن الفخر كل الفخر انما هو بالاتصاف بها ، وليس بالاحساب والأنساب .
كما أجمعوا على أن اضاد هذه الفضائل هى أمهات الرذائل وهى : الجهل والجبن ، والشره والجور .

ما يندرج تحت امهات الفضائل

١ ــ تحت الحكمة ، يندرج ، الذكاء ، الذكر ، التعقل ، سرعة الفهم صفاء الذهن ، سهولة التعلم « ــ وفسروا الذكاء بأنه سرعة انقداح النتائج واستخلاصها من المقدمات فى يسر وسهولة وفسروا الذكر بأنه ثبات الصورة التى استخلصها العقل أو الخيال على المدى الطويل .
٢ ــ وتحت الشجاعة ، يندرج ، كبر النفس ، النجدة ، عظم الهمة ، الثبات ، الصبر ، الحلم ، الشهامة ، قوة الاحتمال ... وفسروا كبر النفس بما يؤهلها للامور العظيمة مع القدرة على احتمال تكاليفها ، وفسروا الحلم بأنه طمأنينة النفس فلا يحركها الغضب سريعا .
٣ ــ وتحت العفة يندرج ، الحياء الدعة ، الصبر ، السخاء ، القناعة ، الدماثة المسالمة ، الوفاء ، الورع ..
وفسروا الحياء بأنه ما يمنع من اتيان القبائح ، وما يتبع ذلك من الذم .
وفسروا الدعة بأنها سكون النفس عن حركة الشهوة .
وفسروا الدماثة بأنها حسن انقياد النفس لما يجمل بها ، واسراعها الى الجميل .
٤ ــ وتحت العدالة يندرج : الصداقة ، الألفة ، صلة الرحم ، المكافأة ، حسن الشركة ، حسن القضاء ، التودد ، ترك الحقد ، مجازاة الشر بالخير ، ترك المعاداة ، المروءة فى جميع الاحوال .

ــ الرذائل :

لعلماء النفس الاسلاميين طريقة تدل على مواطن الرذائل ، تلك هى اتفاقهم على أن « الفضيلة » وسط بين رذيلتين ، ومن أمثلة ذلك :
أ ــ **الحكمة** ، وسط بين رذيلتى ، البله ، والسفه . والبله هو تعطل القوة المفكرة ، والسفه سوء استعمالها .
والرذيلتان افراط وتفريط ، أو زيادة ونقصان .
ب ــ **الذكاء** ، وسط بين الخبث والدهاء ، والمكر ، وكلها فى جانب الافراط وبين البلادة والعجز فى جانب النقصان .
هـ ــ **العفة** ، وسط بين رذيلتى الشره فى جانب الافراط والخمود فى جانب النقصان ، والشره هو الانهماك فى اللذات ، والخروج بها عن الحد المحمود .
والخمود هو السكون عند دواعى اللذة الجميلة المحمودة التى يحتاج اليها البدن ، والتى رخص بها الشرع والعقل .

د ـ **الشجاعة** ، وسط بين رذيلتي الجبن والتهور . والجبن هو الخوف مما لا يخاف منه ، والتهور الاقدام على المهالك دون داع يستحق .

هـ ـ **والسخاء** ، وسط بين رذيلتي السرف والتبذير ، والبخل والتقتير ، والتبذير البذل لمن لا يستحق ، والتقتير حرمان المستحق مما يستحقه .

و ـ **العدالة** ، وسط بين الظلم والانظلام .

والظلم ان يجور الانسان على غيره في المعاملات ، والانظلام أن يستخذي لغيره ، ويرضى بظلمه .

والعدالة أن ينصف غيره من نفسه وأن ينتصف لنفسه .

نصيحة غالية ، التربية بالمجتمع :

ـ ينصح علماء النفس الاسلاميون لكل من يبغي أن يتجمل بحميد الصفات ، الا يكتفي بنفسه في ذلك . بل لا بد أن يكون مدنيا اجتماعيا ، يعيش في مجتمع ، ويتعامل معه ، وسعادة المرء أن يكون في مجتمع سعيد . وكل انسان محتاج الى غيره وأحسن المجتمعات ما سادها الصفاء وحسن العشرة ، والمحبة الصادقة ، وفيها كل فرد يكمل غيره ويكمل بغيره .

ـ والذين يزهدون في المجتمعات ، ويتركون مخالطة الناس ، ويميلون للانعزال والوحدة ، لن يكونوا أبد الدهر فضلاء متصفين بمآسر من الفضائل مهما عاشوا ... !!

ان كل من لم يخالط الناس ولم يساكنهم ، لا يتصف بعفة ولا نجدة ، ولا سخاء ولا عدالة ... لأنها كلها فضائل اجتماعية ، وبدونها تتعطل القوى والملكات ، ويصبح المنعزل كالجماد والأموات ، اذ أن ملكاته لا تتجه الى خير ولا الى شر ، فتبطل وتصير عدما ...!!

وانما تتعلم الفضائل بالممارسة والمخالطة والمشاركة ، والصبر على الأذى ، فهذه هي التي تصهر الاخلاق وتكونها وتؤصلها ، وهي هي مقياسها

ـ ان الفضائل ليست عدما ، وانما هي أقوال وأفعال تظهر عند مشاركة الناس والتعامل معهم في ضروب الاجتماعات .

ومن الفضائل الانسانية معاشرة الناس واحتمال الأذى والدفع للسيئة بالحسنة ورد التحية بأحسن منها وبدؤهم بقول التي هي أحسن ، ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ، واستماع القول واتباع احسنه .

كما أن من الفضائل إغاثة الملهوف وتخفيف البؤس عن البؤساء ، والمشي في حاجة الناس حتى تقضى ، وعيادة المريض وسائر حقوق الاهل والجيران والمواطنين والدفاع عن حياضهم وحرماتهم ... الخ .

وكل هذا لا يكون بالانعزال والانقطاع ولو للعبادة ، فان الله تعالى غني عن عبادة لا تقوم بحقوق العباد ، بل تجعل المرء عالة ، وتجعل من يعوله أقرب الى الله منه وأكثر ثوابا .

قبس من سورة الشمس

ان سورة الشمس ، التي حملت في ثناياها مولد علم النفس ، عندما يتلوها الانسان ، يرى أن نظمها العجيب أبرز الكون المنظور ، من سمائه وارضه في صورة عالم مترابط ، الأرض فيه في أشد الحاجة الى النيرين السماويين : الشمس نهارا والقمر ليلا عندما يعكس نور الشمس على الارض ، وفي غيبة النيرين يشتمل الظلام على الارض ، وفي سنا الشمس يجلو الضوء محاسن الاشياء ويهدي الناس الى سواء السبيل ، والقمر وان لم يبلغ عشر معشار الشمس الا أنه نور على كل حال ، ثم تنقل آيات الشمس بعد

ذلك القارىء الى النفس البشرية التى ألهمها الله الفجور وهو يكون فى ظلام النفوس ، والتقوى وتكون عندما تستنير .

ــ وكما أن الذى يحب الضياء والنور يفتح نوافذه للشمس والقمر فيستضيىء بالنور الربانى الكاشف الهادى ، والذى يكره النور يغلق نوافذه ويبيت فى الظلام كالأعمى ، وهو الذى أعمى نفسه ، فكذلك الذى يحب التقوى يستضيىء بالنيرين اللذين أنار الله بهما نفوس البشر ، القرآن الكريم وهو كالشمس ، والهدى المحمدى بالسنة المطهرة وهى كالقمر ، والذى يكره النور والتقوى ويحب المعصية والفجور يغلق حواسه وعقله عنهما فيعيش أعمى البصيرة وهو أشد من عمى البصر (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) .

واذا فالمناسبة قوية جدا بين العالم المادى والعالم النفسى ، كل مظلم يحتاج الى نور ، والنور موجود للابصار والبصائر ، والله من رحمته بخلقه أوجد لهم ما ينير البصر وما ينير البصيرة ، والسعيد من فتح نوافذه للنور والشقى من أغلقها .

ان هدى الله للنفوس يحتاج الى أذن تسمع وعين تبصر وقلب يعى ما يسمع وما يبصر ثم يتبع أحسن ما سمع وما رأى .

(فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب) .

ــ والشرع السماوى كما هو نور، نستمد منه نور العلم فنبدد ظلام الجهل ، كذلك هو غذاء نقى طاهر للفعل يقوى به العقل ويشتد ، ويستطيع أن يميز بين الرشد والغى والشرع السماوى تحيا به النفوس كما يحيا الجسم بالروح ، وقد ساقت آيات القرآن الكريم هذه المعانى عندما جاء فيها قول الله تعالى :

(أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) آية ١٢٢ الأنعام .

(وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ، الا الى الله تصير الامور) .

وتختم السورة الكريمة سورة الشمس بالفاجرين عندما يشتد بهم الفجور فيحادون رب العالمين ويحملهم الطغيان على الأستهزاء بعقوبة الرحمن ، فتكون النتيجة أنهم الهالكون وأنهم لأنفسهم الظالمون .

والعقلاء يقراون هذا ويتدبرون ويعملون على البحث عن كل ما يزكى النفوس ليفلحوا ، ويبعدون عن كل ما يدنسها حتى لا يخيبوا ، ويرون أن الله تعالى بهم رءوف رحيم ، يريد لهم الخروج من الظلمات الى النور على حين أن قوى الشر تريد أن تخرجهم من النور الى الظلمات ، ويرون العقل والسلامة فى اتباع رب العالمين والبعد عن الطاغوت وسائر الشياطين من الجنة والناس أجمعين ونختم هذه الكلمة بقول رب العالمين :

(يريد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ، يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) النساء .

فقيد الإسلام

العلامة مالك بن نبي

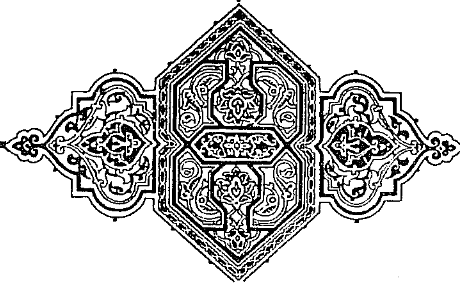
محمد فؤاد ...

لبى نداء ربه العلامة الجليل مالك بن نبى فى أوائل شهر شوال ١٣٩٣ هـ (نوفمبر ١٩٧٣) عن عمر لم يتجاوز الستين الا قليلا بعد أن ترك ثروة وافرة من الفكر الاسلامى المتجدد الذى نشره باللغة الفرنسية ، ثم ترجم الى اللغة العربية وقد أتيح له فى السنوات الاخيرة أن يكتب بلغة الضاد وأن يلقى بها أبحاثه فى مؤتمرات القاهرة ومكة وطرابلس الغرب والجزائر .

وقد عاش مالك بن نبى حياته كلها فى مواجهة تحدى الحضارة الغربية المعاصرة وموقفها فى وجه الفكر الاسلامى ، وحاول أن يقدم صيغة صالحة للرد على هذا التحدي ومواجهته . وكان لعقليته التى شكلتها الدراسة العلمية (الهندسية) بالاضافة الى الثقافة الفرنسية ، كان لها أثرها الواضح فى بناء نظريته التى ظل يدافع عنها ثلاثين عاما أو يزيد .

ومثل مالك بن نبى بين مفكرى العالم الاسلامى قليل فهو الرجل الذى ورد مورد الغرب وجاءنا منه نقيا صافيا ، وقد حفظ الله له أصالته وأفاد مما وجد ، نصاعة فكر ، وبعد نظر ، وعمق فهم ، وقدرة على كشف تلك التحديات والشبهات والاوضاع التى عمد التغريب والغزو الثقافى على نصب شباكها لتدمير الفكر الاسلامى واثارة أجواء الاضطراب والتخلخل بين جوانبه ، ودفعه الى أن يقع فريسة للحلقة المقفلة الغربية التى تحاول الانقضاض عليه وتطويقه واحتواءه حتى تخرجه عن أسسه وأصالته وقاعدته القرآنية لتقذف به فى تلك البوتقة الخطيرة التى تصهر الثقافات : بوتقة العالمية والأممية .

ولكم ذهب كثيرون الى أوروبا وعادوا وقد أصبحت أماناتهم للغرب أكبر من أماناتهم لأوطانهم ، واستطاعت القوى الغاصبة : من استعمار وصهيونية وغزو ثقافى وتغريب أن تحميهم وتيسر لهم رغد



للاستاذ أنور الجندى

العيش وتظلهم بظلال الجوائز والدرجات والنياشين وتسبغ عليهم من معطيات الحياة وترفها وبريقها وترشحهم لجائزة نوبل وتحملهم كل عام الى المؤتمرات الحافلة . أما مالك ابن نبى فقد عصى هذا ، وتحمل نتيجة عصيانه ومقاومته ، بعد أن كشف عن تلك الجرثومة الخطيرة التى تواجه الفكر الاسلامى وشبابه ومثقفيه وتحاول أن تصطنعهم لنفسها وكأنما كانت وفاته فى هذه اللحظة علامة على مقارنة خطيرة بين المعتصمين بالله من أصحاب الحق وبين الذين حملوا راية التغريب وجروا بها شوطا طويلا فأفسدوا العقول النقية والقلوب المؤمنة .

ولعل أروع ما يصور مالك بن نبى فى موقفه هذا تلك الصورة التى يقدمها فى كتابه « الصراع الفكرى فى البلاد المستعمرة » وهو أول كتاب كتبه باللغة العربية مباشرة . حيث يقول :

« عندما تظهر فكرة مجردة ، فان مراصد الاستعمار ترصدها قبل أن يدركها الشعب الذى يريد صاحبها أن ينشرها بينه ، فيبدأ الاستعمار بتوجيه مدفعيته اليها وبما أنه لا قدرة له على مجابهة الفكرة المجردة صراحة والقضاء عليها فانه يوجه قذائفه نحو الكاتب لتصيب فكرته .

والاستعمار يحاول تجسيد الأفكار المجردة حتى ينصب نقده على الشخص وحتى تصبح العلاقة عاطفية لا عقلية ، أو يعمل على طبخ الدعوات بسرعة لاخراج مولود ضعيف يسهل قتله أو لا يمثل الفكرة الاصلية ، أو ايجاد بديل سريع لكل فكرة شريفة وتحويل الرأى الاول بالثانية ، أو شن غارة على الفكرة وصاحبها واتهام صاحبها من جهات ذات نفوذ وان الاستعمار قد يواجه فى البلاد المستعمرة فكرة مجسدة فانه يقصيها بأبعاد من يمثلها ، أن لم يستطع التأثير عليها بالاغراء أو التهديد .

واذا تبين له أن الفكرة التى أراد اقصاءها قد بعثت بصورة فكرة مجردة استقرت فى ضمير الشعب فانه يتبع خططا أكثر دقة ، فهو يجتهد فى امتصاص القوى الواعية بأية طريقة ممكنة حتى لا تتعلق بفكرة مجردة ، ويحاول تعبئتها لفكرة متجسدة حيث تصبح أقرب اليه منالا ، لأنه يستطيع مقاومتها بوسائل الاغراء أو القوة ، وفى الوقت نفسه

يحاول حربه ضد الفكرة المجردة بوسائل ملائمة مرنة ، ويستعين بخريطة نفسية للبلاد المستعمرة ويجرى عليها التعديلات اللازمة كل يوم رجال متخصصون بذلك مكلفون برصد الأفكار ، وهو يرسم الخطط ويعطي توجيهاته العملية في ضوء معرفة دقيقة لنفسية البلاد المستعمرة معرفة تسوغ له تحديد العمل المناسب لمواجهة الوعى فيها حيث توجد مختلف الطبقات والمستويات فيقدم للمثقفين شعارات سياسية تسد منافذ ادراكهم ازاء الفكرة المجردة مستعملا لغة الفكرة المشخصة المتجسدة .. الخ »

هكذا يصل عمق فهم مالك بن نبى لمخططات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى والتغريب ولقد أشار هو فى كتابه هذا الى وقائع مثيرة حدثت له هو بالذات فى سبيل القضاء على دعوته وخطته .

ولقد نشأ مالك بن نبى فى خضم الثورة الجزائرية التى بدأت فى الحق حين رفع علمها الامام عبد الحميد بن باديس فى الثلاثينيات من هذا القرن وحمل لواء تعليم اللغة العربية والقرآن فى وطن كان يحتفل غاصبوه بمرور مائة عام على احتلاله ومصادرة روحه وفكره . نشأ مالك بن نبى فى ظل هذا التحدى وفى أحضان هذه الدعوة ، وكان لمطامح التعلم فى فرنسا والاتصال بها عن قرب والتمرس بثقافتها حتى لم يكن يكتب الا بالفرنسية عامل هام فى تكوين هذا العقل المتوقد ، وتوجيه القلم الى العمل الكبير الذى قدم للفكر الاسلامى المعاصر اضافات حية قوية بعيدة الأثر فى قضية من أخطر قضايا المسلمين هى علاقتهم بالغرب ثقافيا وحضاريا .

وتتلخص نظرية مالك بن نبى فيما يلى :

ان الانسانية مرت بأكبر تجربتين حضاريتين فى التاريخ : التجربة الرومانية والتجربة الاسلامية وقد كانت التجربة الاولى متجلية فى الروح الامبراطورية التى تقسم الانسان الى مواطن يتمتع بكامل الحقوق والى غير مواطن مسلوب من كل الحقوق . وعلى هذا الاساس حكمت وقننت وعالجت ومنحت ، وهى وان أخفقت فى معالجة مشاكل الانسان قديما فقد اتيح لها أن تبدو فى صورة جديدة فى عصرنا الحاضر ، فالحضارة الغربية المعاصرة تخطت الحضارة الاسلامية التى سبقتها فى الزمن وكانت حلقة ضرورية فى سلسلة الحضارات الانسانية ، تخطتها لتصل بالحضارة الرومانية وتأخذ منها روحها الاستعمارية وتتشرب مبادئها وكثيرا من نظراتها الجوهرية .

ويعرف مالك بن نبى الحضارة بأنها معادلة تساوى (انسان + تراب + وقت) فكل نتاج حضارى هو نتيجة اشتراك عوامل ثلاثة لا غير .

- التراب : المادة المكونة لهذا النتاج الحضارى .
- الانسان : الذى صنعه .
- الوقت : الذى صنع فيه .

وليس هناك عنصر آخر يستطيع أن يدخل فى تكوين وصنع هذا النتاج الحضارى . وعنده أن وجود هذه العناصر الثلاثة ليس بكاف لايجاد حضارة ، والا لكان مجرد اكسجين وادروجين بنسبة معينة كافيا لتكوين

الماء ، انه لا بد من مركب لهذين العنصرين كالشرارة الكهربائية ، وكذلك الحضارة فانها تحتاج لمركب ، يركب بين عناصرها ، ولهذا المركب أو الشرارة يجب ألا تختلقها اختلاقا ، بل اننا لا نستطيع ايجادها وانما نبحث عنها في التاريخ فهو الوحيد الذي يسعفنا بالخبر عن الشرارة المكونة للحضارات والتي استطاعت أن توجد العلاقة بين العناصر الثلاثة ، وعن تلك العلاقة انبثقت المدنية ، هذه الشرارة هي « الدين » فالحضارة لا تنبعث الا بالعقيدة الدينية وينبغي أن نبحث في كل حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها وان للحضارة مدارا تسير فيه هذا المدار يتكون من ثلاث مراحل :

- مرحلة الروح : وذلك عندما تكون الحضارة في عنفوان قوتها .
- مرحلة العقل : عندما تبلغ الحضارة أقصى توسعها .
- مرحلة الغريزة : التي تعود بالانسان الى مستوى الحياة البدائية

فالحضارة الاسلامية مرت بهذه المراحل : ابتدأت المرحلة الاولى من قوله تعالى :

(اقرأ) الى حرب صفين ومن هناك دخلت في مرحلة العقل الى زمن ابن خلدون ، وهنا استسلم العالم الاسلامي لقيادة الغريزة التي لا تزال لها القيادة الى اليوم .

وان اوروبا قد بدأت تدخل مرحلة الغريزة على الرغم من هذه الصحوة العلمية الجبارة التي انفصلت عن الضمير ، ومحاولة تقليدنا لأوروبا في هذه المرحلة التطورية في حياتها محاولة تدل على جهل بأسس المدنية وحقيقة بواعثها فالمدنية ليست بضاعة تشترى ولا أشياء تنقل أو صورا تحاكي ، وانما هي معان نفسية روحية تنبثق من الذات ، من الروح من الفطرة .

ومن هنا فان العالم الاسلامي ليس مريضا بالتفرقة والجهل والاستعمار ، هذه هي المظاهر فحسب ، وهي أعراض المرض ، أما المرض الحقيقي فيجب أن يلتمس وراء هذه الاعراض الخداعة التي شغلت العالم الاسلامي وأتعبته وضللته عن معرفة حقيقة الداء ومن ثم جهل حقيقة الدواء ، والمرض يكمن في النفس من الذات الاسلامية ويطلق عليه (القابلية للاستعمار) وهذه القابلية هي الجاذبية التي تجذب نحوها الاستعمار ، وللقضاء على الاستعمار يجب أولا القضاء على سببه الجوهري الذي يكمن في النفوس أي « القابلية للاستعمار » ومن هنا يصل مالك بن نبي الى مفهوم جديد عميق لموقف المسلمين من الحضارة المعاصرة ومن مفهوم الحضارة الحقة .

ويتخذ مالك بن نبي التاريخ الاسلامي منطلقا لبحثه ويركز على التجربة الجزائرية بالذات فهو يتحدث عن (انسان ما بعد الموحدين) كعلامة على سقوط الحضارة الاسلامية ويؤرخ لتلك الظاهرة في التاريخ الاسلامي بسقوط دولة الموحدين حيث يبدأ عصر التخلف في تقديره بانسان ما بعد الموحدين .

ويمثل مالك بن نبي مرحلة جديدة هي مرحلة الفكر المغربي الاسلامي العربي بعد الحرب العالمية الثانية ويقف في هذا مع مجموعة من الاعلام البارزين ذوي الأثر في مقدمتهم العلامة علال الفاسي والدكتور مهدى بن عبور والسيد الجليل عبد

الله بن كنون وابراهيم بن بيوض والفاضل بن عاشور (رحمه الله) .
وقد ولد مالك بن نبى فى الجزائر (مدينة قسطنطينة) عام ١٩٠٥ فى بيئة متدينة ودرس القضاء فى المعهد الاسلامى المختلط ثم توجه الى دراسة عصريـــــة والتحق بالمعهد العـــالى للهندسة فى باريس حيث تخـــرج مهندسا فى الميكانيكا الكهربائية وفى باريس اتصـــل بيئـــات السربـــون والكوليج دى فرانس ومعهد اللغـــات الشرقية ونظر فـــى عمـــق الفاحص المسلم الى هذه المؤسسات جميعـــا واتصل بعشــــرات من الباحثيـــن والمفكرين ، واستطاع أن يفيد منهـــا دون أن تستوعبه كما استوعبت الكثير من الاســــماء اللامعة فى البــلاد العربية . ومن أجل موقفه هذا فقـــد فوجىء بعد تخرجه بأن وجد الابواب كلها مقفلة فى وجهـــه فلـــم يستطع القيام بالتمرينات اللازمة لكل مهندس تخرج حديثا ، ذلك لأن الاستعمـــار الفرنسى كان قــــد أدرك اتجاهــــه ومفهوم العقلية التى يحملها ذلك انه لم يكن بمعـــــزل عن المراقبـــــة الاستعمارية التى صورها فى كتابه الذى عرضنا له من قبل ، وقد تفطنت الى نبوغه وايمانه الراسخ بالاسلام وعجزت عن احتوائه ، ومن ثم لجـــأ الى سياســـة التضييـــق والتيئيس والخنق وفيما يروى تلميذه الدكتـــور (عبد السلام الهراس) ان الاستعمار حاول أول الامر أن يحيطه بجو ثقافى خاص ليوجهه بمـــا يحقق أهـــــداف الاستعمار وفـــى محاولة لتزييـــف احساسه واتجاهه ، غير أن العقيدة كانت أرسخ من أن يعبث بها أحد ، فأغلق الاستعمار فى وجهه أبـــواب الرزق وعزل والده من وظيفته وسلط على مالك من يحاربه من بنى جلدته .
غير أن الله الذى اتجه له مالـــك بالعمل ، لم يدع الظالمين يأكلونـــــه وانما فتح له من الآفاق ما مكنه من أن يقول كلمته وكتابه (مشكلة النهضة) الذى أصدره عام ١٩٤٨ هو دعامـــة أبحاثه كلها ومنطلق دراساته المختلفة التى ضمت أكثر من ثلاثين كتابا فقد أتيح له أن يتجه الى الشـــرق وان يزور مكة ويقيم فى القاهرة خـــلال سبع سنوات (١٩٥٧ — ١٩٦٣) حيث أصدر معظم آثاره وانتاجـــه وكانت مجالس حافلة بالعلم والفكـــر فى ضيافة زميلـــه المهندس أحمــــد عبده الشرباصى العالم الفقيه ، وقد حضرنا بعض هذه المجالس وأعجبنا بهذه الشخصية الفذة القادرة علـــى استخلاص القوانين من الظواهــــر الاجتماعية المختلفة . وقد عاد الـــى الجزائر منذ عشرة أعوام تقريبا وولى بها بعض المهام الكبرى فى الثقافـــة والتعليم وشهد عديدا من المؤتمرات الاســـلامية وجلسات مجمع البحوث فى القاهرة وغيرها فى مكة والكويت ودمشق وطرابلس الغرب .
وكانت له فى سنواته الاخيــــرة دراسات جديدة عـــن الاستشـــراق والتغريب .
وقد سجل صفحات من ذكرياته فى كتابه (شاهد القرن) حيـــث رســـم بقلم مشرق مضىء تاريخ الجزائر فى أوائل هذا القرن وكيف بدأت النهضة فيه واستفاضت حتى حققت الثـــورة ذلك النصر المؤزر باسم الاسلام أولا وآخرا .
رحمة الله على مالك بن نبى كفاء ما قدم للمسلمين والاسلام .

الحائرون

بين المهدئات والمنبهات والمشروبات والمخدرات

للدكتور : محمد محمد أبو شوك

الفارق كبير بين الأمس واليوم ، فبالأمس كنا نحس بما يتمتع به الجدود من هدوء بال وصفاء نفس ومحبة وتعاون ، فلا يكاد الواحد منهم ينتهى من صلاة العشاء ويتناول وجبته إلا وتراه قد ذهب الى فراشه مبكرا واستسلم لنوم هادىء عميق ، يجد نفسه قد استيقظ لصلاة الفجر وكله نشاط وحيوية ، ثم أنه يستعد للقاء يومه ، كادحا فى سبيل رزقه ، وكله إيمان واطمئنان فلا يكاد ينتهى من يومه حتى تراه قد عاد الى بيته وأولاده والفرحة تشرح صدره ، وبيته تعمه السعادة والبهجة ، والكل راض بما قسمه الله وتسير الحياة سيرا حثيثا بعيدا عن المخاوف والأوهام ، اللهم الا ما يعكر صفوها من آن الى آخر من هفوة أو انحراف بسيط من أحد أفراد الأسرة سرعان ما يتبدد بالتفاهم والتعاون والصلح والصفح .

هكذا كانت حياتهم كلها الايمان والثقة بالله والسعى فى الرزق مع القناعة وطيب العيش ، يشارك بعضهم البعض فى أفراحهم وأتراحهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

ولو أمعنا النظر الى صحابة رسول الله والسلف الصالح لوجدنا المثل الأعلى فى الإيمان بالله والتوكل عليه وحمده فى السراء والضراء ، وسعيهم فى طلب الرزق دون ما جشع ولا تكالب على الدنيا وزخرفها ، لا شحناء ولا بغضاء ، بل رحماء بينهم — يبتغون فضلا من الله ورضوانا .

وهذا كتاب الله العزيز وأحاديث رسوله الكريم كلها تحث على الإيمان

بالله والتوكل عليه وبذل الجهد فى الأرض لطلب الرزق مع الرضا بالمقسوم والقناعة التامة بما قدر الله ((**وتوكل على الحي الذى لا يموت**)) ((**فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور**)) ((**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**)) ((**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله**))((**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**)) ((**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**)) وما تقاعس رسول الله ولا صحابته عن جهاد فى سبيل الله ، أو عمل يقربهم الى الله ويرفع من قدرهم فى أعين الناس من حولهم ،فكانت امبراطورية الاسلام ، ناشرة الحضارة فى ربوع الأرض ، ناشرة لبذور العلم أينما حلت ، فكان نباتها الأخضر وارف الظلال ، يانع الثمار ، أسعدت به البشرية لحقب من الزمان ، ما زال اثرها باقيا أمام كل عين تحمد لهم ما صنعوا ، أوتحقد على ما وصلوا اليه ، وكتب تظهر ما قاموا به ، تشكر لهم صنيعهم ،وأخرى تخفى وتحاول أن تهدم ، ولكن انى لهم ذلك ((**والله متم نوره ولو كره الكافرون**)) ، ودين هذا شأنه وهؤلاء أتباعه كانوا سادة كلما تمسكوا به ، وتودد اليهم كل حاقد ولئيم رغم ما يتأجج فى صدره من عداوة وبغضاء ، دين جعل عمر ينام ملء جفونه تحت شجرة دون حارس يحميه ولا قصر يأويه ولا قلاع تخفيه فيقول له الذى رآه ((**عدلت فامنت فنمت**)) لم ينم بمهدىء ولم يستعن بمخدر أو يثمل حتى لا يفيق فما كان الدين افيونة كما يدعى أصحاب المذاهب ليسيئوا الى الأديان ، ويزجوا بالبشرية فى خضم الضلال ، بل كان الدين بردا وسلاما وأمنا وطمأنينة وراحة بال ، وعملا وجهادا وعدلا ومساواة .

ورأينا فى التاريخ على مر العصور مدى ما وصلت اليه الدولة الاسلامية من مجد وعزة ومنعةعندما كانت تحتمى بحمى الدين ، وتنفذ أحكامه وتطبق شرائعه ، وماذا كان يحدث لها عندما تنسى الدين أو يتجاهله حكامها ومن تبعهم ، كان الهوان والذلة حتى انتصروا علينا وشوهوا ديننا بكل ما أوتوا من قوة ، فهم الآن يسخرون منا عندما نجحوا فى إبعادنا عن حوض ديننا القويم ، بعدما وردوه وبنوا عليه حضارتهم وأعطونا نحن المخدر بكل طريقة وبكل وسيلة حتى سرى فى جسدنا فأغرقنا فى سبات عميق ، وذهول ليس له نهاية ، وطريق طويل لا يعرف مداه ، اللهم الا اذا هيأ الله لهذه الأمة من يوقظها من سباتها ويدفع عنها ما يحيكه لها أعداؤها وهم كثر ولكن كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرةباذن الله عندما اعتصموا بحبله ورجعوا اليه .

ومن هذه الصورة انتقل بك أيها القارىء العزيز الى ما أحببت أن أضعه أمامك من مشاكل أصبحت تهدد العالم بأسره ، وبحثت فى مؤتمرات عدة كان آخرها مؤتمر الصحة العالمية ، وكانت الأرقام مذهلة فالعالم يستعمل الآن أطنانا من المهدئات ومثلها من المنبهات ، انتشرت المخدرات وغرق فى بحر من المشروبات ، فالملايين أصبحت لا تنام إلا بمنوم والساهرون العابثون يستعملون المنبهات اذا أرادوا أن يقضوا ليلا طويلا طويلا والساهر العابث يحمل معه منوما يلتهمه عندما تنتهى سهرته وشباب اليوم غارق الى أذنيه فى كئوس الخمر أو فى حالة شبه غيبوبة من مخدرات ، وها هى الشركات

تتسابق فى اختراع المهدئات وكل يوم نشاهد العشرات بل المئات من الأنواع تطرح فى الأسواق فتجد رواجا ما بعده من رواج ، ويجنى أصحاب السموم منها الملايين ، حبذا لو صرفت فى إعانة دول لإنقاذها من مجاعات تهددها أو أمراض تقضى عليها ، وها هو الادمان على هذه الموبقات قد انتشر انتشارا ذريعا فى انحاء العالم ولم ينج من ذلك المتحضر منها ، والمتخلف ، بل ان المتحضر منها أصبح يعانى الكثير مما حدا به الى أن يبحث المشكلة على أعلى المستويات ، لأنها تهدد حياته وكيانه .

فها هى الجرائم وعلى رأسها الخلقية تزداد يوما بعد يوم ، وأصبح كل فرد لا يأمن على حاله وماله وولده وعرضه ، اى ان الأمن فى كل شىء أصبح مهددا فأى حياة هذه الحياة ، وها هى البطالة تزداد ، وأيام التغيب مع قلة الانتاج تكثر ، ثم تدهور الشباب وما نراه ونسمعه عما يقومون به من اعمال اجرامية واخلاقية يندى لها الجبين دون أن يجدوا رادعا يردعهم أو مثلا أعلى يحتذونه ، ويدعون انها الحرية الكاملة والتنفيس عما تكنه صدورهم من حنقهم وعدم رضائهم بواقع أمرهم ، وجريهم وراء كل ما هو مخالف للطبيعة وضد العرف والمجتمع ، لو نظرت اليهم وهو يحقنون أنفسهم بالمخدرات ، وحالتهم حينما يحرمون منها أو لا يجدونها ، تراهم وكأنهم وحوش ضارية ، خرجت من اقفاصها بعد سجن طويل ، لا تلوى على شىء انهم يبحثون عن المخدر بأى وسيلة وبأى ثمن ولو كلفهم ذلك كل غال ونفيس ، وهل ينتظر من قوم هذا حالهم نفع لمجتمعهم أو عمل يقومون به لأسرهم ، اللهم الا الشقاء وكدر العيش .

أعرف مهندسا شابا كان يعمل فى مقتبل حياته وزهرة شبابه ، رب أسرة وله طفلان ، أدمن على المورفين فحكى لى كيف كان يذهب الى أقذر الأماكن ليحصل عليه ، وباع من اجل ذلك كل ما يملك ، وتدهورت صحته ، وهجر أسرته ، وفقد وظيفته ، وانخرط فى سلك مدمنى المخدرات ، ولما ضاقت الدنيا فى وجهه احب أن يقلع عن عادته ، فأدخل المستشفى وكنا نعطيه (البنج) لينام عندما قررنا عدم اعطائه المخدر ، وفوجئنا يوما بهربه فلم يقو على متابعة علاجه ، وذهب ، ولا نعرف أى طريق سلك ، وماذا كانت نهاية هذا الطريق ، هذا مثل من الأمثلة وغيره كثير .

ولقد أخذت هذه المهدئات والمخدرات وما شابهها تقلق العالم ، لأنها وجدت سوقا رائجة فى كل الأوساط ، لا فرق بين مثقف وغير مثقف ، مما جعل الأمر يستفحل ويزداد خطورة وليت الأمر يقتصر على الادمان فحسب ، ولكن كما قلت يسبب أضرارا تلحق بالمجتمع منها الجرائم الخلقية وغير الخلقية وما يتبع ذلك من مشاكل اجتماعية واقتصادية تكون سببا فى انهيار هذا المجتمع ، وما انتشرت فاحشة فى مجتمع إلا وكانت نهايته الدمار والخراب .

ونظرة الى الاحصائيات المختلفة التى تصدرها الجهات المختصة بالخارج نجد الى أى مدى وصل هذا الوباء الذى أخذ يجتاح مجتمعنا المتحضر ففى انجلترا هذه هى الحالات التى بلغ عنها ما بين الأعمار أقل من ٢٠ سنة والخمسين سنة .

السنة	العمر — ٢٠	العمر ٢٠—٣٤	العمر ٣٤—٤٠	العمر ٥٠ —
١٩٦٢	٣	١٢٦	١٠٧	٢٧٤
١٩٦٣	١٧	١٨٤	١٢٨	٢٩٨
١٩٦٤	٤٠	٢٥٧	١٣٨	٣١٣
١٩٦٥	١٤٥	٣٤٧	٦٣٤	٢٩١
١٩٦٦	٣٢٩	٥٥٨	١٦٢	٢٨٧
١٩٦٧	٣٩٥	٩٠٥	١٤٢	٢٧٩

عدد المدمنين في انجلترا وتلاحظ الزيادة المطردة

ويتبع ذلك زيادة فى الجرائم كما هو موضح أسفل :

	١٤ —	١٧ — ٢٠	٢١ — ٢٤	
١٩٤٧	١٥١٥	١٠٢٣	٩١١	= الذكور
١٩٥٢	١٩٩١	١٢٢٩	١٠٩٣	
١٩٥٧	٢٠٥٨	١٥٥٥	١١٥٧	
١٩٦٢	٢٦٠٦	٢٤٥٧	١٩٥٠	
١٩٦٧	٣٢٤٢	٣٠٢٤	٢١٨٨	
١٩٤٧	١٧٨	١٨٠	١٣٢	= الاناث
١٩٥٢	٢١٠	١٧٢	١١٦	
١٩٥٧	١٩٨	٢٧٠	٢٠٧	
١٩٦٢	٣٣٦	٢٦٧	٢٠٦	
١٩٦٧	٤٧٩	٣٤٧	٢٤٦	

عدد الجرائم التى تحدث من الشباب والشابات وتلاحظ الزيادة المطردة :

فى أمريكا هذا بيان عن المواد التى تستعمل مع إحصائية فى عدد الجنود:

المادة المستعملة	**عدد المصابين**	**نسبة عدد الجنود (١٩٩٤٨)**
المنبهات (امفيتامين)	٢٣٦٩	٨٦ر١١٪
مهدئات (باربيتوريت)	١٧٤٣	٨ر٧٣
كوكايين	٧٥١	٣ر٦٧
حشيش	٣٢٠٦	١٦ر٥٧
الهيروين	٥٣٣	٢ر٦٧
مارجوانا	٤٨٧٦	٢٤ر٤٤
مورفين	٣١٤	١ر٥٧
أفيون	٨٤٤	١٢ر٤

وقد وجد ان عدد متعاطى هذه المواد الموضحة يبلغ حوالى ثلث المجندين (٦٢٠٣) من ١٩٩٤٨ نشرت بالصحيفة الأمريكية للأمراض النفسية فى عددها الصادر فى مارس ١٩٧٣ وصاحب المقال جون كالون وكارول بانرسون

فى هذا المقال يشير صاحباه الى أن معظم المدمنين قد استعملوا هذه المواد خمس عشرة مرة أو أقل وكذلك أن ٤٠٪ من الجنود اليهود كانوا

يتعاطون هذه المواد و ٣٧٪ ممن لا يؤمنون بدين و ٢٦٪ من البروتستانت ، و ٢٩٪ من الكاثوليك ، وفى احصـــائيات جديدة وجد أن حوالى خمســة ملايين فى أمريكا مدمنو مخدرات ، وغيرهم من مدمنى المشروبات الروحية .

هذه الموبقات تجتاح أوروبا أيضا وما زال أولو الأمر عاكفين على دراسة اسباب هذا الانتشار وما جره على المجتمعات المختلفة ، فبزيادة انتشار هذه المواد تزداد الجرائم كما هو واضح فى انجلترا من الجدول المبين سابقــا ، وكذلك تجتاح عالمنا العربى وتزداد نسبة من يقبلون عليها يوما بعد يوم .

ولكى نقضى على هذه الظاهرة الخطيرة لا بد لنا من وقفة طويلة عنــد الأسباب التى تدعو الانسان الى تعاطى هذه المهدئات والمنبهات والمخــدرات والمشروبات .

الـــــدين :

وهذا لا يحتاج الى تبيان فالدين هو الذى يتحــكم فى الفرد ويرده الى ضميره ويجعله يلتزم بأوامر ربه وينتهى عما نهى عنه ، وفى الدين المثل العليا التى يحتذى بها الانسان ، وشرائعه التى تهديه سواء السبيل ، يحكم نفسه وضميره أمام ما يقــوم به من أعمــال ، ويجد الحاجز المنيع الذى يقف حائلا أمامه وأمام ما تشتهى نفسه من أعمال تضر به ، وبالمجتمع الذى يعيش فيه ويحميـــه ، وحتى اذا انحرف يوما وضل ، ثم اهتدى الى دينه فانه يجــد له ملاذا ، وركنا يأوى اليه ، ويعود فيه بهدوء الى رشده ، وما انحرف قوم عن دينهم ونسـوا ربهم الا وكانت عاقبة أمرهم الوبال والدمار ، حتى لو طــال العهــد بهم ، ولا يغتر أحــد بما فيـــه بعض الذين لا دين لهم من امرة فى الأرض ، أو تقــدم وسيطرة ، ولكن هذه إرادة الله يمهــل ولا يهمل ، ويدع القوم فى طغيانهم يعمهون ، وتغريهم الدنياو ما فيها ، ثم يأخذهم أخــذ عزيز مقتــدر ، وكتابنا حافل بهذه الأحداث ، فهناك أقوام طغــوا وبغوا وأتتهم الدنيا بكل فيها ، ثم ماذا كان من أمرهم ؟ وليست قصـــة قارون وفرعون وغيرهما تغيب عن كل ذى قلب رشيد .

ثم تفكك الأسرة التى يضعها الغرب السبب المباشر والأساسى للانحراف فى الشباب ويضطرهم الى تعاطى هذه الموبقات ، هل بحثنا فى جذور هــذا التفكك ، والسبب الذى من اجله حدث ، وهل كفل دين من الأديان الأسرة ورعاها كما فعــل ذلك الدين الاسلامى ، فوضـــع لها القوانين والشرائع ليحفظ لكل فرد فى الأسرة حقه ، ويرفع من قدره ، ورسم لها الخطوط التى يتبعها كل فرد ، وجعل طاعة الوالدين والبر بهما من اقدس الواجبـــات ، حفظا على كرامة الأسرة وعزتها ومنعتها ، ثم ربط الأسرة برباط وثيق ، وأكد المحبة والتضامن بين أفرادها ، ثم ربطها بالمجتمع الذى تعيش فيه ، وما عليها تجاه الحاكم ، وما حدث للأسرة الاسلامية بعد هجــرة الرسول الى المدينة ، وتلك الروابط المتينة التى أرساها ، وما كان لها من أثر فى صــدر الاسلام ، مما هيأت للعرب القوة والمنعـــة بعد أن الف الله بين قلوبهــم ،

وصاروا بنعمته اخوانا ، فكان المجد والجاه ، وكانت الحضارة الاسلامية المؤسسة على دعائم قوية ، حتى فى أحوال الطلاق أبغض الحلال عند الله قيده بقيود شديدة لحفظ الأسرة والأبناء من الضياع ، وجعلهم تحت رعاية الأم فترة ، ثم رعاية الأب ، لا كما هو الحال فى الغرب يكون الانفصال بالسنين ، وتبقى الزوجة كالمعلقة . ويضيع الأبناء من الآباء والأمهات ، ثم تبتعلهم دوامات الحرية الزائفة التى ينادون بها فيمرحون ذات اليمين وذات الشمال دون أن يدرى الواحد أين المصير ولا الى أين ذهب الآباء ، ثم ماذا حدث للأمهات ، ثم أليس الدين الحنيف هو الذى ينهى عن الخمر والمخدر وغيرهما ـــ كل مسكر خمر وكل خمر حرام ـــ !! ولعل الذين ابتلوا بالتمادى فى تعاطى المسكرات أولى الناس بما يعانون من شرورها ولكن الله طمس على قلوبهم ، فتراهم لا ينصحون غيرهم بتركها ، بل يحببونهم فيها ، فلعلهم ينحدرون فى أحواضها ويغرقون كما غرقوا معهم ، ولو كان عند هؤلاء ضمير يؤنبهم ما سولوا لغيرهم وتباكوا ، وبحوا أصواتهم ، بل وافتروا على الشرع والدين بأنه لم ينزل بها تحريم .

عرفته تاجرا ناجحا واذا به بعد أن راجت تجارته وأصبح من ذوى الألوف يدخل علىّ ويقول أعطنى منوما . قلت لماذا ؟ قال : لا أنام الليل ولا أهجع بالنهار . قلت : هذه علامة كثرة المال ! قال : ولماذا لا أكون مثلهم من ذوى الملايين ؟ ذهبت القناعة ، والحمد ، والرضا ، وحل الحسد ، والغيرة ، فكان القلق والأرق فهل تذكر قول الله : **« وفي السماء رزقكم وما توعدون »** وان الأرزاق بيد الله يختص بها من يشاء ، وعليه أن يسعى بقدر جهده ولا حاجة للحسد ، والله هو موزع الأرزاق ، لو فهم ذلك لارتاح بالا ، ونام ملء جفونه دون حاجة الى منوم .

ولعدم الرضا والهرب من الحياة والتقاعس أمام مشاكلها بل وحتى أمام فشل طارىء يجعل الانسان يحاول الانتحار اما ببطء فيأخذ المنوم والمهدىء بكميات صغيرة أو يهرب بسرعة فيأخذ كميات كبيرة لأنه لم يرب نفسه على الاعتماد على الله ، والثقة بالله ، والايمان به ، وأن ما يصيبه من خير أو من شر فانما هى مقادير معرض لها الانسان ، وانه له يوم وعليه يوم ، فاذا فشل فعليه بالكفاح ، واذا نجح فعليه بالاجتهاد ، بهذا يطمئن قلبا ، وينشرح صدرا ، ويكون فردا صالحا فى مجتمع يقدره ويحبه ، واذا استطردنا فى الأمثلة لوجدنا أنفسنا لا نقف عند حد مما يبين أن للدين الحنيف الأثر القوى فى نشأة الفرد الذى لا يضعف لأنه يحتمى بالحق ، ولا يجد داعيا لمنبه ولامهدىء أو مخدر .

التعاليم الدينية :

ولعل للتعليم الأثر القوى هو الآخر فاذا ركز على التعاليم الدينية التى تربى النشء منذ بدء حياتهم ، فتجعل منهم شبابا صالحا يعتمد عليهم ،

فبالعلم والأخلاق تبنى الأمم ، ولا بد للتعاليم الدينية أن توضع فى منهاج قويم يجعل النشء يقبل عليها سواء فى البيت أم فى المدرسة .

الطب :

وللطب دور كذلك فى الاعتماد على المهدئات وغيرها فيجب على الطبيب الحاذق أن لا يجعل من مريضه مدمنا على مخدر أو مهدىء فيعالجه بأمانة واخلاص وأن تكون الثقة متبادلة بينهما والصدق رائد الجميع ، وهذا يأتى مع من يتحلى بخلق نبيل ، ودين قويم ، والواجب يحتم على الطبيب أن يبصر مريضه بعواقب الأمور وباحتمال الادمان ، اذا استعمل الحبوب المهدئة أو المنومة أو المنبهة ولا تعطى الا فى الحالات التى يحتاج اليها المريض حقا ، ولا يسترسل فى اعطائه ما شاء من العقاقير الضارة وكم من اهمال أدى الى عواقب وخيمة كان من السهل تلافيها لو استعملت الحكمة والأمانة فى أداء العمل .

هذه بعض الأسباب التى تؤدى بالانسان الى التردى فى استعمال الحبوب المهدئة والمنومة والمنبهة التى أصبحت لا تحصى ولا تعد .

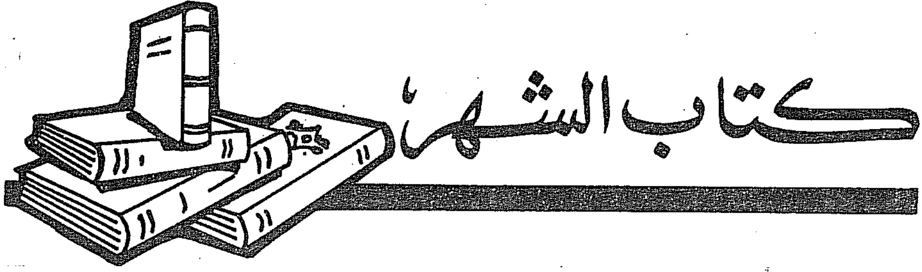
وما هو الحل يا ترى بالنسبة لنا بعد أن وجدنا أنفسنا قد ضعنا فى هذاالخضم ، وأصبحتهذه الموبقات تغمر أرضنا ويتهافت عليها شبابنا ؟

ان التبصرة بعواقب الأمور أصبحت واجبة فلا بد من رجوعنا الى ديننا الذى يأمرنا بالابتعاد عن هذه الموبقات ، وننشىء أولادنا التنشئة الدينية الصحيحة القائمة على أسس متينة يعطى فيها الناشىء حرية الفكر والسؤال ، لا أن يلقن تلقينا ويجبر اجبارا ، بل لا بد أن يكون كل شىء باقتناع .

ثم لا بد أن تكون الصورة واضحة أمام الناس عن مضار هذه المواد المهلكة بكل وسائل الاعلام حتى يبتعدوا عنها ولا يستعملوها الا عند الحاجة وحسب أمر الطبيب ولا بد من مراجعة الطبيب عند استعمالها لا أن تستعمل وتؤكل كالحلوى أو أى طعام آخر .

ثم على الأطباء أن يراقبوا الله فى عملهم ، ولا يحولوا مرضاهم مدمنين بقصد أو بدون قصد ، بل أن يكون الدواء علاجا للداء بقدر معلوم ومحدود ، مع تكرار التنبيه بخطورة الادمان ، بهذا نرجع للفرد العربى والمسلم انسانيته ، ونجعل منه انسانا صالحا لمجتمعه ووطنه ، ونقيه شر هذه الموبقات قبل أن يستفحل الخطب ويعم البلاء ، ولن تصلح أمة إلا اذا صلح أمرها وعز أهلها وقوى دينها .

((ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)) .



تحليل كتابين في القانون

• شرح المسطرة في ضوء القانون المغربي
• وسائل الاثبات في التشريع المدني المغربي

تقديم وتحليل الاستاذ عبد الرحيم بن سلامة

صدر للدكتور ادريس العلوى كتابان هامان يعالجان موضوعات تتعلق بقانون المسطرة المدنية فى ضوء القانون المغربى ، ووسائل الاثبات فى التشريع المدنى المغربى ، الذى يعتبر نموذجا حيا فى الدراسة والبحث العلمى .

— • —

فى هذا العرض الوجيز سنلقى نظرة على محتويات كل كتاب على حدة ، والجدير بالذكر أنه من الصعب أحاطة القارىء بكل الموضوعات التى اشتمل عليها الكتابان فى حوالى الف ومائتى صفحة ، ولذلك ننصح رجال القضاء والمهتمين بالدراسات القانونية باقتناء هذين المؤلفين اللذين لا غنى عنهما للتعرف على بعض موضوعات قانونية لا بالنسبة للمغاربة فحسب بل حتى أخواننا فى الوطن العربى والاسلامى .

— • —

شرح المسطرة المدنية فى ضوء القانون المغربى :

هذا الكتاب اشترك فى تأليفه الدكتوران مأمون الكزبارى وادريس العلوى المدرسان بكلية الحقوق بالرباط وهو يحتوى على نحو ستمائة صفحة موزعة بين موضوعات ثلاثة هى :

(١) الأحكـــام .
(٢) طرق الطعن .
(٣) التحكيم .

وكل موضوع من هذه ، يشكل قسما خاصا فى الكتاب ، وقـد وزعت الأقسام الثلاثة الى ابواب وفصـول ومباحث وفقرات اعتمـد المؤلفان فى تحليلهما على نصوص التشريع المغربى الصادر فى نطاق المسطرة المدنية ، كما استشهدا فى شروحهما الكثير من القضايا بأقوال الفقهاء وأحكام المحـاكم واجتهادات القضاء المغربى والسورى واللبنـانى والمصرى والفرنسى ، وقرارات المحاكم وتطورها بحسب الزمان والمكان والأشخاص .

وبما أن الدراسة التى يشتمل عليها هذا الكتاب حلقة متصلـة الأجزاء يشد بعضها بعضا لا يمكن اختصارها ولا الاكتفاء منها بموضوع دون آخر لأنها مبنية على مواد ونصوص فانه من الصعب مسها بالتحليل فى هـذا التقديم ، ولذلك سنكتفى بتسليط الأضواء ـ فقط ـ على الجانب الذى يقرب موضوعات قانون المسطرة المدنية الى الأذهان :

ان الدولة فى العصر الحاضر لا تجيز للأفراد اقتضاء حقوقهم بأيديهم عن طريق القوة والا استحكمتهم الفوضى ، ولذلك فمن يدعى حقا قبل الغير عليه أن يلجأ الى القضاء للمطالبة بما يدعيه ، اذن فالقضاء أصبح وظيفة أساسية فى الدولة يتولى حل النزاعات التى تنشأ بين الأفراد والجماعات فى المحاكم .
وهكذا أصبح للأحكام القضائية قوة خاصة فى فض النزاعات عن طريق التنفيذ القهرى وقانون المسطرة المدنية ، قانون يعنى بدراسة الأحكام وشروط أصدارها وشكلها واركانها الأساسية وطرق الطعن فيها وتسبيبها من الناحية الشكلية وآثار هذه الأحكام .

والأحكام عادة لا تصدر الا بعد دراسة نقط النزاع وتمحيصه والاطلاع على أقوال الخصوم ومستنداتهم ونتائج التحقيق ، وبعد تبـادل الآراء بين القضاة والرجوع لما أعتمد عليه الخصوم فى دفاعهم من النصـوص وآراء الفقهاء ، وهذه المرحلة التى تجتازها القضية بعد اقفال باب المرافعة فيهـا وتهيئتها للحكم تسمى فترة المداولة ، ولكى يضمن المشرع عدم تحيز القضاة فى قضائهم ، وكذلك عنايتهم فى تقدير ادعاءات الخصوم وفى فهم ما أحاط بها من مسائل قانونية ، فقد أوجب تبويب الأحكام حتى تتمكن محكمة النقض من أداء مهمتها المثلة فى مراقبة أحكام المحاكم والسهر على حسن تطبيق القانون ، ولذلك قيل بأن محكمة النقض تحاكم الأحكام لا الأشخاص .



من كل ما تقدم يتبين للقارىء أن المسطرة المدنية (١) هو مكنـة الحق

(١) تختلف الاصطلاحات القانونية من بلد لآخر وقد نشرنا بحثا فى هذا الموضوع (بمجلة اللسان العربى) مجلد المعاجم العدد السابع الصادر سنة ١٩٧٠ وقد تعرضنا لمشكل اختـلاف المصطلحات ووجوب توحيدها فى البلاد العربية .

ووسيلة الحصول عليه ، ولذلك نجد الفقهاء والحقوقيين يعطون تعريفات كثيرة لهذا الفرع من القانون الخاص ، فنجد بعضهم يعرف قانون المسطرة المدنية بأنه :

« مجموعة من القواعد التي يجب على المحاكم تطبيقها وعلى المتقاضين اتباعها توصلا الى العدالة في حسم النزاع بينهم » وعرفه فقيه آخر : « بأنه القانون الذي ينظم القضاء والتقاضي » أما الدكتور على الزيني الذي كان عميدا لكلية التجارة بجامعة القاهرة فقد عرف قواعد قانون المسطرة المدنية بقوله : « القواعد التي يشتمل عليها قانون المسطرة تنقسم الى قسمين : أحدهما يتعلق بالاختصاص أي بتوزيع السلطة القضائية التي تملكها الدولة في المحاكم المختلفة التابعة لها سواء بحسب قيمة الدعوى ، أي نصابها ، أو بحسب نوعها أو بحسب مركز المحكمة ، والآخر خاص ببيان الاجراءات التي تتبع في رفع الدعوى للمحكمة المختصة بالنظر والفصل فيها وكيفية السير فيها من وقت رفعها الى تنفيذ الحكم الصادر فيها تنفيذا نهائيا .



وسائل الاثبات في التشريع المدني المغربي :

اذا كان الكتاب السابق تناول موضوعات المسطرة المدنية ككل ، فان هذا الكتاب يعالج الموضوع الأساسي في قانون المسطرة وهو وسائل الاثبات ولذلك جاء المؤلف ليتمم الجهود التي قدمها لنا المؤلف في شروحه للمسطرة المدنية .

يقع كتاب (وسائل الاثبات) في حوالي ٦٥٠ صفحة من الحجم المتوسط في طباعة جيدة وتبويب رفيع ، وقد قسم المؤلف موضوعات كتابه الى جزأين :
— في الجزء الأول نقرأ :

مدخل : تناول فيه المؤلف بالدرس القواعد العامة لوسائل الاثبات .

القسم الأول : وخصه للاثبات بشهادة الشهود .

القسم الثاني : حلل فيه الاثبات بالقرائن .

— في الجزء الثاني نقرأ الموضوعات التالية :

القسم الثالث : وعالج فيه المؤلف موضوع الاثبات بالكتابة .

القسم الرابع : وخصه للاثبات بالاقرار واليمين .

القسم الخامس : وقد تناول فيه موضوع الاثبات بالمعاينة والخبرة ،

وقد احتوى الكتاب على مقدمة في نحو أربعين صفحة توخى فيها المؤلف التعريف بالاثبات واهميته العلمية . والأدوار التي مر بها عبر التاريخ ، وأنواع

الاثبات والتمييز بين الاثبات القضائي والاثبات التاريخي والعلمي ، ثم خصص فقرة لدراسة التنظيم القانوني للاثبات ومختلف صوره ومذاهبه .

ونحن يهمنا أن نعرف ونحلل بعض الجوانب في هـــذا الكتاب سيما التعاريف التي تناولها المؤلف للاثبات ومنها : « الاثبات لغة هو تأكيد الحــق بالبينة وهو في لغة القانون يعني اقامة الدليل أمام القضاء بالطريقــة التــي يحددها القانون لتأكيد حق متنازع فيه له اثر قانوني » .

لذلك كان الاثبات في جوهره اقناعا للمحكمة بادعاء أو بآخر من جانب هذا الخصم أو ذاك . ويعرف الفقيه السنهوري الاثبات بأنه : « أقامة الدليل أمام القضاء بالطرق التي حددها القانون على وجود واقعــة قانونيــة ترتبت آثارها » .

نستخلص اذن من هذه التعاريف أن الاثبات أو البينة سلاح الخصــوم في معركة الخصومة القضائية حيث تتصارع المصالح وتتقارع المزاعم فهمـــا الوسيلة العلمية التي يعتمد عليها الأفراد في صيانة حقوقهم ، كما أنها هــي الاداة الضرورية التي يعول عليها القاضي في التخلص من الوقائع القانونيــة ذلك ان ادعاء وجود حق محل نزاع من جانب أحد الأشخاص أمام قضاء ان لم يصطحب بتقديم الدليل عليه الى القاضي فان هذا الأخير لن يكــون ملزما بل انه لا يستطيع أن يسلم بصدق هذا الادعاء ، فالحق له أركان ثلاثة هي طرفاه ومحله والحماية التي يسبغها القانون عليه ، والاثبات ليس ركنا من أركــان الحق ذلك أن الحق قد يوجد دون أن تتوفر الوسيلة لاثباته ومع ذلك فللإثبات أهمية علمية بالغة ، فالحق بالنسبة لصاحبه لا قيمة له ولا نفع منه اذا لم يقم عليه دليل وكثير من الذين يخسرون دعاواهم وحقوقهم يكونون مفتقرين الــى أقامة الدليل ، ولذلك فان الفقيه (اهرنج) يعبر عن ذلك بقوله : « ان الدليل هو فدية الحق » فالحق يتجرد من قيمته ما لم يقم الدليل عليه ، والدليل هو قوام حياة الحق ومعقد النفع منه فلا حق حيث لا دليل يؤكده ولا دعــوى حيث لا اثبات تستند اليه ، والدليل هو الذي يظهر الحق ويجعل صاحبه يفيد منه والحق بدون دليل يعتبر هو والعدم سواء .

واختم هذا العرض باعطاء نظرة سريعة على المراحل التي مر بهـــا الاثبات عبر التاريخ ، فهذه المراحل كانت مسايرة لتطور الانسانية وتقدمها فقد كان الانسان في طوره الأول مستندا الى القوة والعنف فكان قاضي نفسه ثم رأينا الدور الثاني الذي هو دور العقيدة الذي كان يلجأ فيه الكهنة الى ضروب السحر والشعوذة ، وفي الدور الثالث بدأت الانسانية تتدرج الى الأدلة المفيدة كالشهادة وغيرها . والحقيقة أنه باختراع المطبعة وانتشار التعليم بدأ الناس يلجأون الى الكتابة في الاثبات وحصرت شهادة الشهود وقرائن الأحوال في مجال ضيق ، ثم تطور الاثبات بالكتــابة ، من الكتابة العرفية الى الكتــابة الرسمية .

تلك أضواء سلطناها على كتابي الزميل الدكتور ادريس العلوي الذي شق طريقه في مجال البحث العلمي الجامعي ، والتأليف لطـــلاب جامعتنا الشابة الذين يشتكون من انعدام المراجع المغربية في مجال الدراسات القانونية فنبارك له خطواته الموفقة في عالم التأليف » .

قصـــة قصـــيرة



ماكان يجهله عبد الله

للاستاذ محمد عطاء الله

ماء البركة الدائرية بدا صافيا ، ظهرت من خلاله أعشاب خضراء على صفرة ، أحجار ناعمة وأسماك صغيرة داكنة اللون كانت تتجمع وتفترق فزعة فتغيب فى المياه العميقة الى جنوب البركة .. غمامة صغيرة بيضـاء كانت تتجول فى صفاء السماء الزرقاء انعكست على صفحة المياه الصافية ، رقصتها ريح خفيفة هبت من الشرق . اختلطت صورة الغمامة بصورة عبد الله المائلة .. كان يود لو تسكن هذه الريح قليلا ليتملى وجهه .. ليستغرق فى هذا الوجه حتى يغرق فيه . للحظات بقي مشدودا الى أوتار لا منظورة من الشوق والتردد ، الاتساق مع السكون والحركة لاكتناه السكون .. كان يحس أن الابعاد وضعت هكذا فى صورة من التوازن تكفى فقط لاثارة الشوق وولادة التواد ، حتى اذا ما أراد المرء تجاوز هذه الابعاد ، تحطمت الاجزاء المتجانسـة وتركت وراءها نفرة كريهة وصخبا ممجوجا . الصورة تتوضح ثم تغيب قبل أن تشـبع منها العين .. الريح تهب وتنقطع كزفرات متوالية لانسان متعب تخنق الصـورة وتدعها لتستعيد حياتها ثم تعود أيضا لتكرر معها المرة من جديد .

قدماه تتقدمان ببطء تجاه الصخرة الناتئة على حافة البركة كفرسين جموحين من الرغبة يغالبان عنانين خشنين من المعرفة المشـدودة الى العقل .. فجأة .. ضبط قدميه ، كانت المبادرة قد تجاوزته فسقط التراب العالق بحذائه فى المياه الصافية ، تهاربت الاسماك وابتدأت المياه الخابطة تبتلع الصـور الانيسة بشره وحشي .. لا يبقى سوى الكدر .

لمرة أخرى أدرك عبد الله علاقة ما فى نفس المرء وبين ما تقع عليه العين .. الكدر النامي جعله يحول وجهه تجاه الجنوب .. كانت أغنامه تتسلسل على ضفة الساقية الملتوية كخرزات متراصفة فى مسـبحة بيضاء .. هـذه

المخلوقات الوادعة المباركة ، كأولاده تشعره بكثرة ذاته وامتدادها فتضيف الى حس الحياة الدافق في أعماقه رؤية الحياة الشاخصة النابضة أمامه . هرول تجاه الحمل الوادع المتقدم نحوه ، ليومين فقط ، ومنذ ماتت ام هذا الحمل ، بدأ عبد الله يحس حركة شاة حانية ولدت في داخله ، كانت أطراف الشاة تتحرك في أقدامه المتسارعة الى الحمل ، احتضنه بحنو ، الصقه بصدره وأخذ يمرغ وجهه بصوفه الناعم .. وجيب قلبه كان يتزايد بتزايد ثغاء الحمل ، وضع ابهامه في فمه الرقيق .. رضاب واحد من البراءة يملأ أفواه جميـــع أطفال هذا العالم .. حتى الذئاب الضارية ذات الانياب الوحشية يملأ فمها الرضاب ذاته ، الشر يتواجد مع نمو الـــــكائن .. لمرة يذكر أنه ذهب الى المدينة ، كانوا هناك جميعا ملفعين بأردية واضحة من الحذر والتشكك .. يسألونه عن سمنه ، يتذوقونه ويجرون عليه الاختبارات العديدة .. لا يدرى لماذا كانوا هكذا .. ؟ ما الذي يجعلهم يتوقعون المكيدة .. ! انه سمن خالص ، ولكن ما لهم لا يصدقون .. ؟ الكلمة تبدو عندهم جرسا لا يتجاوز في تأثيره ترطيب الأذن ، والكلمة حياة ممنوحة الى أحياء .. آه ما أتعس اناسا يملأ نفوسهم الشك بالحياة .

وصل الصخرة الناتئة ، كانت أفكاره قد تركزت بزجاجة الحليب الملفوفة بصرة طعامه ، ألقى بندقيته الى شماله ، سحب ابهامه بلطف من فم الحمل وبدأ يفك الصرة .. خبزا يابسا وعسلا بريا .. افترش الصرة وبسمة خفيفة على شفتيه الهادئتين .. ذكرته زجاجة الحليب بطفله الصغير أحمد .. انه كثيرا ما كان يشركه مع هذا الحمل بهذه الزجاجة عندما تغيب أمه لتخبز أو تحتطب . ربض الحمل وغرق في بحران مجهولة من الرضى والهدوء ترودها الاغنام عندما تشبع وتمتلىء .

لمرة أخرى تذكر عبد الله الصور الأنيسة في البركة الصافية ، كانت المبادرة قد فاتته أيضا وتساقط التراب ثم تحول الى كدر نام بدا له كمخلوق أسطورى بشع . انشغل بعزل فتات الخبز المتكسر ريثما تصفو المياه وتطمئن الاسماك الحذرة التى أعتاد أن يراقب هجومها على فتات الخبز عندما يأكل . جول عينيه في السماء الصافية ، كانت زرقة أخاذة تمتد الى أبعاد سحيقة ، أثارت الزرقة في نفسه حزنا لذيذا يختلط بشوق شــــديد الى شيء يحبه ويرهبـــه .. ترى الى اين تذهب هذه المعارف التي تتواثب في صدره طيلة النهار كاسماك كثيرة ماسورة في مياه ضحلة آسنة .. هذا الخـــدر اللذيذ ينمو في داخله كلما أمعن النظر في هذه الزرقة البعيدة .. كلمـــا افترش سجادته ووقف يصلى في مكان خال .. أعداد غفيرة من الملائكة كان يحسها تحوم حوله .. الملائكة تتواجد في هدوء هذا العالم .. يزداد عددها كلمـــا أمعن الصفو .. هذه المخلوقات اللطيفة الشفافة .. هي كالماء ، كالهواء ، تملأ فراغ كل شيء .

كان رأسه يتهدل ببطء ، حاجباه ينسدلان كستارتين صغيرتين ناعمتين من الحرير فينشا في داخله ليل خفيف هادىء يدب في عروقه كالنمل ويلامس اعضاءه فيشيع فيها الخدر والنعاس .. الارتياح العظيم اذا هو الخدر العظيم .. هذا النوم النامي يبدو كضباب يتكثف رويدا رويدا حتى يغرقه فيه .. يصهره ثم يعيده خلقا آخر .. ها هو ذا يتشكل باشكال لمخلوقات غريبة .. انه الآن يرف .. طائر أبيض يرف بجناحيه البيضاوين ، الى يمينه تطير حمامة

تحمل فوق ظهرها فرخا صغيرا .. الدنيا كلها قد اصطبغت بالوان لا حصر لها .. لا أسماء لها ، تمتد الى أبعاد لا نهائية ينسحق فى أغوارها البصر ويذوب القلب .. ينعصر القلب .. لا فوق .. لا تحت .. لا ابتداء .. لا انتهاء .. سكون يغلفه سكون .. احساسات الأسر بدات تتوالد .. تغالبها رغبات العتق .. ايه الامتداد العظيم اذا هو السجن العظيم . تململ ، فتح عينيه واطبقهما .. انه الآن بدا يتوضح الارض .. ها هى ذى اغنامه كلها قد رفعت اعناقها تحدق وتضحك .. الفرخ .. ما بال الفرخ يقفز من فوق ظهر الحمامة .. ؟ الاغنام تنتصب واقفة على قوائمها الخلفية مفتوحة الايدى لتتلقف الفرخ .. الفرخ يتقلب بالهواء فرحا .. يضحك .. هذه الضحكة أعرفها ، يجب أن أتلقاه .. وشيكا سيصل الارض .. ستقتله الارض ، الفرخ سيموت قبل أن أدركه .. ما لهذا الجناح قد جمد .. يجب أن أتحرك .. حبال كثيرة لا تراها العين يحسها قد كتفته .. الالوان بدات تختلط ببعضها وتتشكل بخضرة طاغية .. الخضرة بدات تغمق ، تتحول الى سواد قاتم يحجب الرؤيا .. السواد أفقده الفرخ والحمامة وأخذ يتكور .. يتشكل فى مخلوق بشع ضخم يمسك به ويعصره .. يصرخ فى أذنيه صيحات منكرة تترجع فى كل ذرات كيانه .. وانتفض عبد الله ، ابيض العالم ، وكانت الدهشة العظمى .

كان يمتد الى شماله كعمود من الصخر ينتهى بوجه غريب ابيض تشربه حمرة خفيفة ، فمه يقهقه ، وشاربه الاصفر يرتفع وينخفض كنبات أجنبى سام .. أنفه الأفطس بدا كنتوء لحمى لصيق بوجهه ، عيناه الزرقاوان ترسلان نظرات مشبعة بالريب والمكيدة .. حدق فى هذا الشاخص مليا عله يجد فيه الألفة التى أفقده اياها الحلم .. كان يراه يتجانس مع الوحش الذى رآه فى حلمه يهصره ويسحق عظامه ، اكثر مما يتساوق مع مخلوق بشرى تانس له نفس عزلتها غشاوات قاتمة من الوحشة . قهقهات الغريب تتوالى فيحسها معاول تدق فى قلبه .. تقطعها يشعره بانضمام جناح الحمامة وانبساطه .. والفرخ .. احمد .. ولدى احمد .. اين الفرخ .. ؟

أحس للحظة أن اللغة لا تدور فى داخله فقط ، انه يسمعها فى الخارج .. ها هى ذى كلماته تدخل فى أذنى هذا الغريب .. تدور فى جسده ثم تفتل عضلات فمه ، تشدها الى الداخل فتسكت قهقهته .. تنسحب عيناه الى داخل محجريهما ، يفتح فمه ، هذه الاسنان المتباعدة من الوسط ، هذه العيون الزرق .. للمكر والخديعة .. تصالبت الانظار لدقائق ، أحس بأن عليه أن يتحدث .. أن يقطع هذا الصمت الذى يشعره وكأن نظراته تمتص الغريب ، أو أن نظرات الغريب هى التى تمتصه .

ـــ من أنت .. ؟ ماذا تريد .. ؟

ـــ أ .. أ .. أنا !! .. انى جائع ، رجل منقطع ، وجئت أستطعمك .

ـــ جائع .. ؟ ولماذا لا تطلب الطعام ؟ .. لماذا كنت تضحك .. ؟

ـــ ها .. لماذا كنت أضحك .. كنت أضحك اذا .. ساخبرك .. بصراحة انى رأيتك مسترسلا فى النوم ، كنت احسب أنك تتصنع النوم .. حسبتك تمزح معى .

ـــ وكيف خيل اليك انى اتصنع النوم .. ؟

ـــ لقد .. لقد حاولت أن ألمس بندقيتك فتململت .
ـــ كنت حاولت لمس البندقية .. !! ولماذا البندقية .. ؟
ـــ اني .. اني لم اقصد من لمسها شيئا .. انها مجرد عملية تأكد فقط ، هكذا تعلمت .. اذا اردت أن تتاكد من نوم الرجل مدد يدك الى سلاحه .. لقد كنت اتاكد .. انني جائع .. انني استطعمك .
ـــ تستطعمني .. ما اسهل هذا .. تفضل .. ولكن ..
قبل أن يكمل عبد الله ، كان الغريب قد جلس قبالته وأخذ يتناول الطعام بشره غريب : يا عبد الله .. انه لم يبداك بالسلام .. انه حتى لم يبدأ باسم الله .. الخبز يستغيث تحت أسنانه .. انه جائع حقا .. لعله اضمر البسمله في نفسه .. سوء الظن يا عبد الله اثم .. هيا مد يدك وشـــــاركه فلعله يخجل .
للمرة الثـــــالثة أدرك عبد الله أنه يلوك عين اللقمة من جديد دون أن يزدردها ، كان يود لو يلفظها .. ولكن : احذر يا عبد الله .. سيخجل الرجل .. انه جائع .. بسيط .. مسكين .. ألا تراه يأكل بألفة .. هيا .. هيا جامله ولكن بماذا سأجامله ؟ : حدثه .. اساله عن أى موضوع كان .
ـــ أ .. قل لى يا أخي .. أولم تهرب منك أغنامي عندما رأتك .. ؟
ـــ الأغنام ! .. ذكرتني بالأغنام ، لقد كانت تهرب منى حقـــا .. ربما حسبتني ذئبا .. هاه .. هاه .. ها ، الحق أقول لك .. ان جوعى جعلنى أشتهى افتراسها عندما رأيتها .
ـــ تشتهى افتراسها .. !!
ـــ نعم .. وماذا فى ذلك .. ؟ أليس الانسان كائنا مفترسا .. ؟ الا تراه يستخدم السكين والشوكة فى طعامه .. انها أمضى من الأنياب .
ـــ انى لم أفكر بهذا قبلا .. ولكن .. أرجو أن لا تؤاخذنى اذا الحفت عليك بالسؤال .
ـــ لا عليك .. اسأل .. اسأل عن أى شيء تريد .
ـــ الحقيقة انى أشعر بالحرج .. انى لم أرك عنـــدما جئت مع أن هذا المكان يشرف على ما حوله بحيث أنك تستطيع أن تتميز القادم من مســــيرة ساعة ..
ـــ صدقت .. انك لم ترنى لأنى كنت آخذ الدروب الملتوية .
ـــ الدروب الملتوية .. !!
ـــ نعم الدروب الملتوية .. انى أرتاح لها أكثر ، هكذا هى لا أدرى لماذا تشعرنى بالاطمئنان .. ولكن أتسمح لى بتوجيه سؤال أيضا .. ؟
ـــ تفضل .. تفضل يا أخى .
ـــ شكرا .. الواقع أنى أردت أن أستفسر عن غفوتك آنفا ، لقد كنت تتململ دائما ، وبحيث شككت أنك تتصنع النوم .
ـــ كنت أتململ اذا .
ـــ نعم .. كثيرا .
ـــ لعل ذلك من تاثير الحلم .
ـــ أى حلم .. هل كنت تحلم .. ؟
ـــ نعم كنت أحلم ، ورأيت أنى فقدت شيئا .. شيئا كبيرا .
ـــ هاه .. هاه .. ها .. لعل ما فقدته هو طعامك الذى أتيت عليه .
ـــ كلا .. كلا . ان ما فقدته أكبر من الطعام والشراب .. أكبر من الدنيا

كلها .. انى أحسه هنا .. هنا فى داخلى ، لا أدرى لعل أمرا ما حدث لهم فى البيت .

ــ من هم .. ؟ من الذين حدث لهم .. ؟

ــ أبنائى .. زوجتى وأبنائى الثلاثة .. الحلم يجعلنى أشعر بفقدهم .

ــ لا عليك يا صاحبى .. أضغاث أحلام .. انها مجرد أضغاث أحلام ، وتعال الآن لنتسلى قليلا بهذه اللعبة ، انها ستنسيك ما فقدته .

مسح الغريب فمه بطرف ردائه ، أخرج من جيبه أوراقا .. ثلاثة أوراق متشابهة الظهر ، واحدة منها تتميز فى لون وجهها عن الاخريين .

ــ ساريك الاوراق جميعا وأضعها أمامك مقلوبة على وجهها ..

ساغير بخفة يدى فى مواقعها ، عليك أن تعين الورقة ذات الوجه المتميز ، اذا وجدتها أعطيتك دينارا ، أى أنك ستكون الرابح . أما اذا لم تجدها ، أعنى اذا كنت الخاسر فستعطينى .. ماذا ستعطينى .. ؟ تلفت الغريب .. أرسل نظرات شرهة الى الأغنام المنبثة فى الوادى : حسنا ، ستعطينى هذا الحمل الصغير .

ــ أعطيك حملى الصغير .. ! ولماذا .. ؟

ــ انها اللعبة .. يجب أن تغامر بشىء لكى تتحسس حلاوة اللعبة .

ــ هذا ما لا أعرفه يا أيها الغريب .. ولكن حسنا ما فعلت ، لقد دعوتنى الى لعبتك ، وانى بدورى أدعوك الى الصلاة ، لقد ارتفع فى القرية الآن أذان الظهر منذ زمن على ما أظن .. فلنصل الظهر معا .

ــ نصلى الظهر معا .. ولكنى لا أصلى .. أقصد أنى صليت الظهر قبل الوصول الى هنا .

ــ صليت .. !!

ــ نعم ، أتريد أن أقسم لك على ذلك .. ؟

ــ كلا .. كلا .. لا داعى للقسم .. ساصلى لوحدى .

اقترب عبد الله من حافة البركة وبدأ وضــوءه .. أحس بيد الغريب تسلل الى البندقية ، ودون أن يلتفت اليه : لا تلعب بها .. انها محشوة .. انسحبت يد الغريب بحركة سريعة .

ــ محشوة !! .. قد كنت أحسبها فارغة .

أكمل عبد الله وضوءه ، افترش رداءه وبدأ صلاته ، كان لسانه يلهج بذكر الآيات الكريمة فى حين كان قلبه مشغولا بهذا الغريب .. بسم الله الرحمن الرحيم ((ألم)) .. انه يمسك بالبندقية ، لماذا يفعل ، لقد قهرته .. سبحان الله .. ((ألم)) ، انه قد يقتل نفســه ، هل أنبهــه .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. بسم الله الرحمن الرحيم .. ((ألم)) ، انه يســحب أقسامها .. يجب أن أقطع صلاتى .. ولكن كلا .. يجب أن تستمر يا عبد الله .. بدأت صـــلاتك ويجب أن تكملها .. ((ألم)) .. انه يوجه البندقيــة الى .. انها منصوبة .. ماذا يفعل .. قد يقتلنى .. سيقتلنى .. الصلاة الصلاة يا عبد الله .. يجب أن تستمر .. ((ألم)) ذلك الكتاب لا ريب فيــه .. ودوى الصوت .. كانت الرصاصة قد اخترقت صدر عبد الله .. للحظة أحس بأن كل شىء يدور .. الارض .. الاغنام .. البركة .. زوجته وأولاده .. السماء وحدها كانت ثابتة راسخة .. وهوى ..

حين تجندل عبد الله وترجع دوى الصوت ، لم يحدث اى شىء ، سوى أن الاغنام رفعت أعناقها .. صفنت قليلا .. وعادت الى عشبها ترعى .

علماء المسلمين

سبقوا

علماء الغرب

في

بحوث الفضاء

للاستاذ محمد الزيات

اشادت وكالات الانباء طوال الاشهر الماضية بجهود عالم عربي مصرى يعمل فى محطة تجارب الفضاء الامريكية لجهوده الموفقة فى نجاح مركبات الفضاء الامريكية ابوللو وتمكنه من اكتشاف مناطق مجهولة فى القمر مما اضطر المسئولين عن الرحلة الى اطلاق اسماء عربية على هذه المناطق .

وابحاث الفضاء ليست جديدة على العرب فقد مارسها علماء العرب المسلمين فيما يسمى بالعصور الوسطى وان كانت تاخذ اسماء اخرى غير بحوث الفضاء فقد كان يطلق عليها علم الفلك وقد ارتقى العرب فى بحوثهم الفلكية عن الكواكب والنجوم والاقمار مما مهد لقيام النهضة الفلكية الكبرى فى العصر الحديث ومنها ابحاث الفضاء .

وقد اصابت احدى المجلات الغربية الكبرى حين اشارت غداة اقتحام قناة السويس وتحطيم خط بارليف الى تلك الروح المتاصلة للشعوب العربية التى ملكت نصف الدنيا فى وقت من الأوقات ونشرت الاسلام بها .. والذى يعنينا هنا انه من خلال البلدان والممالك التى دخلها الاسلام لم يلجا العرب الفاتحون الى التدمير واحراق الكتب بل حاولوا الحفاظ عليها والافادة منها وجعلها منطلقا نحو المعرفة وانفتاحا على الحضارات السابقة ومن ثم عكفوا على ترجمتها والافادة منها وكانت فى مقدمة هذه الكتب كتب الاقدمين من علماء الاغريق وخاصة فى مجال الفلك .. خاصة وان الاسلام لم يحظر التفكير فى هذه العلوم او الاشتغال بها بل دعا اليها .

نتيجة احتياجات دينية

لقد نبع الاهتمام بالأفلاك والنجوم نتيجة احتياجات دينية متعلقة بالعبادات مثل معرفة أوقات الصلاة التى تختلف من مكان الى آخر ومن يوم الى يوم ، ومعرفة الرصد الجغرافى وحركة الشمس فى بروجها وظهور الشفق فى الأفق ، وتحديد سمت الكعبة ، وهلال رمضان وبقية الشهور الهجرية وموسم الحج فبرزوا فى ذلك واخترعوا حسابات وطرقا بديعة لم يسبقهم اليها احد من الأمم السابقة كما يقول (نللينو) فى كتابه تاريخ الفلك عند العرب .

من أشرف العلوم

وهذا الهدف الدينى العلمى يحدده بوضوح العالم العربى المسلم أبو عبد الله البتانى أحد علماء القرن العاشر الميلادى واحد عشرين فلكيا شهيرا فى العالم على حد تعبير العالم الفرنسى (لالاند) يقول البتانى : ان من أشرف العلوم منزلة علم النجوم لما فى ذلك من جسيم الحظ وعظيم الانتفاع بمعرفة مدى السنين والشهور والمواقيت وفصول الازمان وزيادة النهار والليل ونقصانهما ومواضع النيرين وكسوفهما وسير الكواكب فى استقامتها ورجوعها وتبدل أشكالها ومراتب أفلاكها وسائر مناسباتها .

ويستطرد مبينا سبب وضعه لكتابه (الزيج الصابى) بما يدل على مقدرة علمية فذة ((.. ووضعت فى ذلك كتابا أوضحت فيه ما استعجم وفتحت ما استغلق وبينت ما أشكل من أصول هذا العلم وشذ من فروعه وسهلت به سبيل الهداية لم يؤثر به ويعمل عليه فى صناعة النجوم وصححت فيه حركات الكواكب ومواضعها من منطقة فلك البروج على ما وجدتها بالرصد وحساب الكسوفيين وسائر ما يحتاج اليه من الاعمال وأضفت الى ذلك غيره مما يحتاج اليه وجعلت اخراج الكواكب فيه من الجداول لوقت انتصاف النهار من اليوم الذى يحسب فيه بمدينة الرقة ..

كوكبات فى صور الآدميين

ومن تمكن علماء المسلمين فى هذه البحوث أن العالم المسلم عبد الرحمن الصوفى الذى قال عنه سارطون : ((ان الصوفى من أعظم فلكيى الاسلام)) .. تمكن من وضع جدول دقيق لبعض النجوم الثوابت ومدعم بالخرائط المصورة الملونة جمع فيها أكثر من الف نجم ورسمها كوكبات فى صورة الآدميين والحيوان فمنها ما هو على صورة رجل فى يده عصا، ومنها ما هو فى صورة كهل فى يده اليسرى قضيب او صولجان وعلى رأسه قلنسوة أو عمامة ، ومنها ما هو على صورة امراة جالسة على كرسى له قائمة كقائمة المنبر ومنها ما هو على صورة دب صغير قائم الذنب أو صورة الاسد أو الظباء أو التنين .. الخ . أكثر من ذلك تبين أن نحو خمسين فى المائة من أسماء النجوم التى تناولها كتاب ((بسائط علم الفلك)) للدكتور يعقوب حروف انما هى من تسمية العرب ومستعملة بلفظها العربى فى اللغات الاجنبية .

ولربما شد انتباهنا نموذج القبة السماوية حديثا فقد سبق علماء المسلمين لشدة شغفهم بابحاث الفضاء الى أن بعضهم كما يقول المقرى فى كتابه (نفح الطيب) كان يصنع فى بيته هيئة السماء وخيل للناظرين فيها النجوم والبروق والرعود ..

مبتكر الاسطرلاب

وفى الوقت الذى كان يؤكد فيه بعض علماء الغرب عن تعصب أو جهل أن اكتشاف بعض أنواع الخلل فى حركة القمر يرجع الفضل فيه الى (تيخوبراهى) وأن آلة الاسطرلاب هى من اختراعاته أيضا .. فقد تأكد حديثا أن اكتشاف هذا الخلل انما هو بفضل العالم العربى أبى الوفاء وأن من الثابت تاريخيا أن الاسطرلاب وجد قبل هذا (التيخوبراهى) فى مرصد المراغة الذى بناه نصير الدين الطوسى سنة ٦٥٧ هـ وقد اشتهر بآلاته الدقيقة وكفاءة المشتغلين فيه

ومن بينهم المؤيد العرضي من دمشق والفخر المراغي من الموصل والفخر الخلاطي من تفليس ونجم الدين القزويني وغيرهم .. وقد اعتمد على نتائجه علماء أوروبا لدقته .

تراث اليونان

حقا أن العرب لم يبدأوا من فراغ فقد أفادوا من تراث اليونان وغيرهم لكن المذهل حقا أن علماء المسلمين بدأوا من حيث وقف هؤلاء وأبدعوا في بحوثهم وابتكارهم لأجهزة رصد الكواكب تدفعهم الحوافز وتشجيع الحكام المسلمين ، ومن المعروف أن هذه النهضة العلمية لم تزدهر الا في العهد العباسي حينما استقرت الدولة الاسلامية لكن ذلك لا ينفي أنه في أواخر عهد الامويين ترجم كتابعرض مفتاح النجوم لهرمس الحكيم ، ويتناول الاحكام النجومية ، كما أنه قيل أنه بني في عهدهم مرصد في دمشق ، لكن العباسيين في الحقيقة هم الذين أولوا هذه البحوث عناية فائقة : يقول جورجي زيدان في كتابه ((تاريخ التمدن الاسلامي)) وان كنا ناخذ آراءه بحذر خاصة فيما يختص بالخلافة والخلفاء ((.. رغم أن الدين الاسلامي قد بين فساد الاعتقاد بالتنجيم وعلاقته بما يجري على الارض الا ان ذلك لم يمنع الخلفاء سيما العباسيون في بادىء الامر أن يعنوا به وان يستشيروا المنجمين في كثير من احوالهم الادارية والسياسية فاذا خطر لهم عمل وخافوا عاقبته استشاروا المنجمين فينظرون في حالة الفلك واقترانات الكواكب ثم يسيرون على مقتضى ذلك ، وكانوا يعالجون الامراض على مقتضى حال الفلك يراقبون النجوم ويعملون باحكامها قبل الشروع في أي عمل حتى الطعام والزيارة)) .

وواضح أن في ذلك افتراء كبيرا على حكام المسلمين يقصد به هدم أمجادهم .. فاذا كانوا يعالجون المرضى بالنجوم فلم أنشأوا البيمارستانات وزودوها بالأطباء والعلاج .. ؟ ولم لا يكتفيالمأمون بأن دور كرة الارض ٢٤ ألف ميل ويأبى الا أن يقيم الدليل العملي للتأكد من ذلك في صحراء سنجار ووطآت الكوفة .. ؟

في عهد أبي جعفر المنصور

وهذا أبو جعفر المنصور يرعى هذه البحوث ويكرم علماءها ويدنيهم منه ولم يكن في حاجة الى استطلاع آراء المنجمين فالدولة قوية وتحكم قبضتها على كل الارجاء .. لقد قرب المنصور منه نوبخت الفارس وولده أبا سهل وعلى بن عيسى الاسطرلابي وابراهيم الفزاري المنجم الذي كلف بأمر من المنصور بترجمة كتاب السندهند ليتخذه العرب مرجعا في تحركات الكواكب واعتمد عليه الخوارزمي في صنع زيجه الذي اشتهر في كل البلاد الاسلامية ، كما نقل أبو يحيى البطريق بأمر منه كتاب بطليموس في النجوم (المقالات الاربع) .

ما شاء الله

وفي عهد الرشيد اشتهر عالم الارصاد (ما شاء الله) فالف بحوثا في الاسطرلاب ودوائره النحاسية ، وفي زمن المامون ونتيجة لهذه النهضة قام علماء المسلمين بتصحيح الاخطاء العلمية التي تناولها كتاب (المجسطي) لبطليموس الذي يقول عنه القفطي : ((.. والى بطليموس هذا علم حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك وعنده اجتمع ما كان متفرقا من هذه

الصناعة بايدى اليـــونان والروم وغيرهم من ساكنى هذا الشـــق المغربى من الارض » .

ويضيف : « ولا يعرف كتاب الف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على ذلك العــلم واحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب : أحدها كتاب المجسطى هذا فى هيئة علم الفلك وحركات النجوم ، والثانى كتاب ارسطو طاليس فى علم صناعة المنطق ، والثالث كتاب ســيبويه البصرى فى علم النحو العربي » واذا كان كتاب المجسطى بهذه المنزلة ثم يقيم علماء المسلمين البراهين على خطأ بعض النظريات العلمية به فان ذلك يؤكد كفاءة علمية قديرة لهؤلاء العلماء ويشير الى عدة حقائق :

حقائق هامة

● أن الاستفادة من تراث الفرس واليونان وتنقيته من الاخطاء العلمية واضافة المزيد من البحوث اليه يعد عملا كبيرا ونهضة خلاقة ، خاصــة وأن هذا التراث قد اندثر فلم تبق غير ترجمته العربية مرجعا لعلمــــاء أوروبا .

● أن هذه النهضة لو كانت فى خدمة الشئون الادارية او الطعام أو الزيارة كما يقول جورجى زيدان لما بقيت مع الزمن ولما أشاد بها علماء الفرنجة وهم من هم بالنسبة لنا .

● أن علماء المســلمين لم يقفوا عند مرحلة النظريات بل اجتــازوها الى التطبيق العملى بابتــكار آلات الرصد وبناء المراصد ، ووضـــع الجداول العلمية (الزيج) للنجوم ..

التنجيم والمنجمون

على أن هناك مسالة هامة وهى وجوب التفريق بين الاشتغال بعلوم أبحاث النجوم وبين (التنجيم) الذى أشار اليه جورجى زيدان والــذى يبدو انه لم يظهر الا فى نهاية الدولة العباسية أيام ضعفها وتغلب الترك وغيرهم عليها .. وهذا الفــــرق جوهرى رغم الخلط بينهـــا فى أكثر المصنفات العربية .

فبينما كان العلماء يجـــدون فى بحوث الفضاء وما يضم من نجـــوم وأقمار وتحديد أشكالها وأوضـــاعها ويبنون المراصد ويضعون الجـــداول الزمنية ويصححون النظريات العلمية لعلماء اليونان والروم .. كان هناك فريق آخر وقفت امكانياتهم العلمية دون اللحاق بهؤلاء العلماء فآثروا أن يتخذوا من معلوماتهم القاصرة وسيلة للارتزاق بايهام البسطاء أن للنجـــوم تاثيرا بالســــعود أو النحوس فى مقدرات الناس فلا بد من استشارتهم قبل الاقدام على أى عمل .

ومن العلماء الذين قالوا بنظـــرية تاثير النجوم ابن طفيل الاديب الشهير صاحب أسطورة حى بن يقظان حيث قال بوحدة القوانين والانظمة الكونية وشمولها أى ما يسيطر على النبات والهواء والماء والجماد يسيطر بالتالى على الانسان والحيوان وعلى بقيـــة المخلوقات وأن العالم بجملته كشىء واحد يتصل بعضــــه ببعض تاثيرا وتاثرا ..

ومثلما كان يحدث فى كثير من انحاء وطننا الى عهد قريب من انتحال بعض الحجامين والحلاقين لمهنة الطب فقد احترف كثـــير من المرتزقة مهنـــة الاشتغال بالنجوم كوسيلة تضمن لهم

العيش الرغد بلا تعب .. حقا اننا نجد آثارا لذلك فى بعض صحافتنا لكن الامر لا يعدو أن يكون نوعا من المادة الطريفة للتسلية وبث التفاؤل فى النفوس ..

العلماء يتصدون

لكن ظاهرة التأثير والتأثر بالنجوم حاربها كثير من العلماء وتصدوا لها ومن هؤلاء العلماء الفارابى الذى وضع رسالة عن التنجيم باسم ((النكت فيما يصح ولا يصح من أحكام النجوم)) سخر فيها من المنجمين وذكر أن هناك معرفة برهانية يقينية الى اكمال درجات اليقين نجدها فى علم النجوم التعليمى ، أما دراسة خصائص الافلاك وفعلها فى الارض فلا نظفر منها الا بمعرفة ظنية ، ودعاوى المنجمين ونبوءاتهم لا تستحق الا الشك والارتياب .

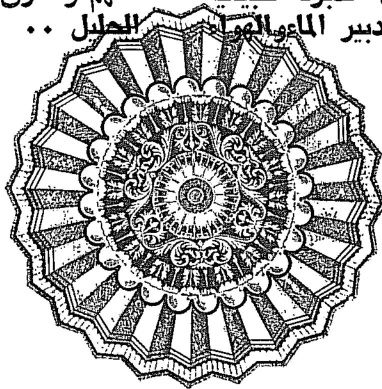
أما ابن حزم فيقرر صراحة ((زعم قوم أن الفلك والنجوم تعقل وأنها ترى وتسمع وهذه دعوى باطلة بلا برهان وصحة الحكم بأن النجوم لا تعقل أصلا وأن حركتها أبدا على حركة واضحة لا تتبدل عنها وهذه صفة الجماد الذى لا اختيار له)) . ويقول : وليس للنجوم تأثير على أعمالنا ولا لها عقل تدبرنا به الا اذا كان المقصود أنها تدبرنا طبيعيا كتدبير الغذاء لنا وكتدبير الماء والهواء وتأثير الشمس فى المد والجزر .. الخ .

أما ابن سينا فاستخدم — كعادته — المنطق فى الرد على أصحاب هذه النظرية فوضع هو الآخر رسالة فى ابطال أحكام النجوم رد فيها على ما قيل من تأثير سعادة أو نحوس للنجوم فقال ((ليس للنجوم على شىء مما وضعوه دليل ولا يشهد على صحته قياس)) .

أما الكندى وهو أحد علماء القرن التاسع الميلادى وواحد من اثنى عشر عبقريا ظهروا فى العالم على حد تعبير كاردانو وواحد من ثمانية من أئمة العلوم الفلكية فى القرون الوسطى كما يقول المؤرخون فقد انتهى فى كتابه ((العلة القريبة الفاعلة للكون والفساد)) الى أنه ((لا يؤمن بما للكواكب من أثر فى مقدرات الناس كما يزعم المنجمون من التنبؤات المستمدة من حركات الاجرام)) .

وبعد ،

فتلك نبذة سريعة عن جهود علماء المسلمين فى ميدان علم الفلك الذى يعد الأب الطبيعى لعلم بحوث الفضاء فى العصر الحديث وأثرهم فى الارتقاء بهذا العلم وقول المؤرخين الاجانب عنهم والفرق بين التنجيم وهذا العلم الجليل ..



الفتاوى

الســــؤال :

بعض المصلين يقنت فى صـــلاة الصبح ، وبعضهم لا يقنت فيها ، وبعضهم يقنت فى صلاة الوتر باستمرار ، وبعضهم لا يقنت فيها إلا فى النصف الثانى من رمضان ، والذين يقنتون منهم من يقنت قبل الركوع ومنهم من يقنت بعد الرفع منه .

فما سبب هذا الاختلاف ، وهل ورد كل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

سيد عبد القادر ــ أم درمان

الاجــــابة :

مذهب الحنفية والحنابلة أنه لا قنوت فى صلاة الصبح .

روى أحمد والنسائى وابن ماجه والترمذى وصححه عن أبى مالك الأشجعى قال : « كان أبى قد صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ست عشرة سنة ،وأبى بكر وعمر وعثمان ، فقلت أكانوا يقنتون ؟ قال : لا . أى بنى فحدث ، وروى ابن حبان والخطيب وابن خزيمة وصححه عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يقنت فى صلاة الصبح الا اذا دعا لقوم أو دعا عليهم ، وروى الزبير ، والخلفاء الثلاثة انهم كانوا لا يقنتون فى صلاة الفجر .

ومذهب الشافعية أن القنوت فى صلاة الصبح بعد الركوع من الركعـــة الثانية سنة لما رواه الجماعة الا الترمذى عن ابن سيرين أن أنس بن مالك سئل : هل قنت النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة الصبح ؟ فقال : نعم ، فقيل له : قبل الركوع أو بعده ؟ قال : بعد الركوع ، ولما رواه أحمد والبزار والدارقطنى والبيهقى والحاكم وصححه عنه قال : ما زال رسول الله صلى الله عليه وســـلم يقنت فى الفجر حتى فارق الدنيا .

ويرى المحققون أن القنوت المسئول عنه هو قنوت النوازل .

والقنوت عند النوازل والشدائد وهى الأحداث الجسام التى تنزل بالأمـــة مشروع جهرا فى الصلوات الخمس ، فعن ابن عباس قـــال : قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعـــا فى الظهر والعصر ، والمغـــرب والعشاء والصبح فى كل صلاة اذا قال سمع الله لمن حمده من الركعـــة الأخيرة يدعو عليهم . على حى من بنى سليم وعلى رعل وذكوان وعصية ويؤمن من خلفـــه « رواه أبو داود وأحمد » .

وأما القنوت فى الوتر فى جميع السنة فهو مشروع لما رواه أحمد واهل السنن وغيرهم من حديث الحسن بن على رضى الله عنه قال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن فى الوتر « اللهم أهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، فانك تقضى ولا يقضى عليك ، وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت . تباركت ربنا وتعاليت . وصلى الله على النبى محمد » .

وذهبت الشافعية الى أنه لا يقنت فى الوتر الا فى النصف الأخير من رمضان لما رواه أبو داود أن عمر بن الخطاب جمع الناس على أبى بن كعب ، وكان يصلى بهم عشرين ليلة ، ولا يقنت الا فى النصف الباقى من رمضان .

ويجوز القنوت قبل الركوع بعد الفراغ من القراءة ، ويجوز كذلك بعد الرفع من الركوع ، عن حميد قال : سألت أنسا عن القنوت قبل الركوع أو بعد الركوع ؟ فقال : كنا نفعل قبل وبعد ، رواه ابن ماجة ومحمد بن نصر ، قال الحافظ فى الفتح : اسناده قوى .

واذا قنت قبل الركوع كبر رافعا يديه بعد الفراغ من القراءة ، وكبر كذلك بعد الفراغ من القنوت . روى كذلك عن بعض الصحابة ، وبعض العلماء استحب رفع اليدين عند القنوت وبعضهم لم يستحب .

الأكل من الهدى

السؤال :

هل يحل شرعا للمسلم أن يأكل من لحم الهدى ؟

عدنان أحمد — حلب

الاجابة :

الهدى نوعان مستحب وواجب ، فالهدى المستحب : للحاج المفرد والمعتمر المفرد ، والهدى الواجب اقسام : واجب على القارن والمتمتع ، وواجب على من ترك واجبا من واجبات الحج كرمى الجمار والاحرام من الميقات وواجب على من ارتكب محظورا من محظورات الاحرام غير الوطء كالتطيب والحلق ، وواجب بالجناية على الحرم كالتعرض لصيده أو قطع شجره .

وذهب أبو حنيفة وأحمد الى جواز الأكل من هدى المتعة وهدى القرآن وهدى التطوع ولا يأكل مما سواها .

وقال مالك يأكل من الهدى الذى ساقه لفساد حجه ولفوات الحج ، ومن هدى المتمتع ، ومن الهدى كله الا فدية الأذى وجزاء الصيد وما نذره للمساكين وهدى التطوع اذا عطب قبل محله .

وقال الشافعى : لا يجوز الأكل من الهدى الواجب مثل الدم الواجب فى جزاء الصيد وافساد الحج وهدى التمتع والقرآن وكذلك ما كان نذرا أوجبه على نفسه .. أما ما كان تطوعا فله أن يأكل منه ويهدى ويتصدق .

نواقض الوضـــوء

الســـــؤال :

أنا سيدة زاد عمرى عن الخمسين ، وقد انتابتنى حالة غريبة وهى خروج الريح من القبل ولا يصحب هذا الريح افرازات ولا غيرها ولا أستطيع التحكم فى هذه الريح . فهل ينتقض وضوئى بخروج الريح من القبل ؟

م٠ ع الاسكندرية

الاجـــــابة :

خروج الريح ينقض الوضوء باجماع الفقهاء اذا خرج من الدبر ، أما اذا خرج من القبل فانه لا ينقض الوضوء سواء كان خروجه من ذكر الرجل أو من فرج المـــرأة .

وعند الشافعية والحنابلة وبعض أصحاب مالك أن الريح الخارج من القبل من الرجل أو المرأة ينقض الوضوء كالريح الخارج من الدبر .

واذا أخذت السائلة بمذهب الأحنـــاف والحنابلة فى عدم نقض الوضـــوء بالريح الخارج من قبلها كان أيسر عليها .

واذا أحبت أن تأخذ برأى الشافعية والمالكية فى نقض الوضوء بهذا الريح كان عليها أن تتوضأ كلما خرج منها الريح اذا أرادت الصلاة وغيرها ، وفى حالة استمرار خروج الريح منها تعامل معاملة المعذور ، فتتوضأ لكل صلاة .

موانع الإرث

الســـــؤال :

ما هى الموانع التى تمنع التوارث ؟

اسماعيل قشقوش ــ عمان

الاجـــــابة :

قد يوجد سبب الارث ، ولكن يمنع منه مانع ، فلا يرث الشـــخص لذلك المانع ، والموانع هى :

١ ــ الكفر ، فلا يرث القريب المسلم الكافر ، ولا الكافر قريبه المسلم لقوله صلى الله عليه وسلم « لا يرث الكافر المسلم ، ولا المسلم الكافر » متفق عليه .

٢ ــ القتل، فلا يرث القاتل من قتله عقوبة له على جنايته ان كان القتـــل عمدا وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : « ليس للقاتل من تركة المقتول شىء » رواه ابن عبد البر وصححه .

٣ ــ الرق . فالرقيق لا يرث ولا يورث ، وسواء أكان الرق تاما أو ناقصا.

٤ ــ الزنا فابن الزنا لا يرث والده ولا يرثه والده ، وانما يرث أمه وترثه أمه دون أبيه لقوله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . متفق عليـــه .

٥ ــ اللعان فابن المتلاعنين لا يرث والده الذى نفاه ، ولا يرثه والده قياسا على ابن الزنا.

٦ ــ عدم الاستهلال فالولد الذى تضعه أمه ميتا لم يستهل صارخا عنـــد الوضع لا يرث ولا يورث لعدم وجود الحياة التى يعقبها موت فيحصل الارث .

بريد الوعي الإسلامي

إعـــداد : عبد الحميد رياض

الكويت فى المعركــة

كان الدكتور أحمد الشرباصى ضيفا على وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى شهر رمضان الذى اشتعلت فيه العربية ضد الصهيونية العالمية .

وقد انفعل بما شاهده فى الكويت من تجـــارب على كافة المستويات مع المعركة وبعث برسالة جاء فيها :

رأيت الكويت حكومة وشعبا تتجاوب مع روح المعركة كأن الكويت هى التى تحارب ، وهى التى تخوض القتال ، فالتبرعات تتوالى من الحكومة والشعب ، والتبرع بالدم موصول ليلا ونهارا ، والاذاعة تتحول الى إذاعة معركة ، والدروس والمحاضرات تتحول الى الجهاد .

إن هذا الذى حدث من صنع الله العلى الكبير .

•••• ••••

الصحافــة الكويتيـــة

متى أنشئت الصحف بالكويت ،

وما هى الصحف والمجلات التى تصدر فيها الآن .. ؟

عز الدين ــ أندونيسيا

توجد صحف ومجلات فى الكويت يرجع تاريخ صدورها الى أوائل الثلاثينات كانت تزخر فى هـــذا الحين بالمقـــالات الأدبية والقصـــائد الشعرية والطرائف والمواعظ .. أما فى هذا العصر وبعد أن بلغت الكويت شأوا بعيـــدا فى مضمار الحضارة والثقافة فقد أصبح بها سبع صحف يومية ، خمسة منها تصدر باللغة العربية واثنتان باللغة الانجليزية .

والصحف اليومية هى : الرأى العـــام ــ أخبـــار الكويت ــ السياسة ــ القبس ــ الوطن ــ الديلى نيوز ــ كويت تايمز .

أما الصحف والمجلات الاسبوعية فقد بلغ عددها عشرون وهى : أجيال — اليقظة — الهدف — الرسالة — الطليعة — المجتمع — صوت الخليج — البلاغ — أسرتى — أضواء الكويت — البيان — الرائد — النهضة — الملاعب — مرآة الأمة — سعد — المقاول — عالم الفن — حياتنا — الرياضى .

وتصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية مجلة الوعى الاسلامى مع غرة كل شهر عربى .

وتصدر وزارة الاعلام : الكويت اليوم — الكويت — العربى — عالم الفكر .

كما تصدر بعض المؤسسات كذلك بعض المجلات كمجلة غرفة التجارة والصناعة . ومجلة الاتحاد . ونشرة الأمنويل . والكويتى . والكويتى دايجست التى تصدر بالانجليزية عن شركة نفط الكويت .

....

تحيـــة للمجـــلة

يسرنى أن أبدى رأيى كأحد المواطنين المسلمين أولا والعرب ثانيا عن المجلة العربية الغراء (الوعى الاسلامى) فيما تعرضه هذه المجلة القيمة من موضوعات شيقة وأبواب رفيعة الأدب .

فثمن المجلة الزهيد يشجع المسلمين فى البلاد العربية على تداولها وقراءتها والمحافظة على اقتنائها شهريا دون تكلف أو عسر قد يدفعهم الى الاهمال فى شرائها وأن ثمنها الزهيد مقابل ما حوته تلك المجلة الغراء من موضوعات خلابة ليعد كرمز بسيط دفعنى لأن أقول إن المسئولين عن هذه المجلة الغراء يقدمونها كهدية للناطقين بالضاد وكعمل كبير لتعليم الناس أمور دينهم وتغذيتهم بالقرآن والسنة والموضوعات الدينية التى تبعث فيهم القيم الروحية وتبصرهم بأمور دنياهم ودينهم وتحثهم على الاجتهاد والجهاد لاعلاء كلمة الله . وآمل أن يظل سعرها الزهيد كما هو على مر السنين ليستطيع الفقراء من المسلمين العارفين منهم بأمور دينهم شراءها ولا يحرمون من عظيم فائدتها كما تبصر غير العارفين بتلك الأمور الجليلة .

عبد الفتاح صابر اسماعيل
جمهورية مصر العربية

● تصـــويب ●

ورد فى مقال « نظرات معاصرة فى الجنين » للدكتور أحمد شوكت الشطى فى العدد (١٠٤) ص ٥١ غرة شعبان ١٣٩٣ هـ خطأ مطبعى فى الآية (٥) من سورة الحج . فقد جاءت ناقصة قوله تعالى « لنبين لكم » ..

وهذه الآية صحيحة : « يا أيها النـــاس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر من الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا » .

بأقلام القراء

للأستاذ : عثمان محمد مليبارى

معمـــل الكســـوة

عندما صدرت الأوامر الملكية فى عهد المغفور له (عبد العزيز آل سعود) بانشاء معمل الكســـوة عام ١٣٤٦ هـ استقدمت الحكومة السعودية نخبة من الخبراء لادارة المعمل ولتعليم أبناء المملكة الأعمال الفنيـــة التى تتعلق بغســـل دودة الحرير وصباغتها وحياكة ثوب الكعبة وكتابة حزامها وغير ذلك .

ويتكون المعمل من جهازين : جهاز فنى وجهاز ادارى ، وتعتبر مرحـــة كتابة الآيات القرآنيـــة والأحاديث النبوية على حزام الكعبـــة من أصعب المراحل وأدقها ، ومقاس الكسوة (٧٥٦) مترا عبـــارة عن أربعة وخمسين درجـــا من القماش المنسوج طول الدرج أربعة عشر مترا وعرضه حوالى متر واحد تقريبا وبلغ وزن الكسوة (١٦٠٠) كيلو غرام . كما أن سمك قماش الكسوة لا يزيد عن اثنين ملمتر .

(تاريخ كسوة الكعبـــة)

وأملا فى ربط الحاضر بالماضى ــ وحبا فى تســـجيل لمحـــات من تاريخ الكسوة ــ هنا فاننا نقوم بذلك بعد الاطلاع على كتاب المرشد للسباعى ، ونفحات من الحرم للطنطاوى ، ورحلة الحج للبتونى فنقول ما قرره المؤرخون :

إن أول من كسى الكعبـــة تبع الحميرى من ملوك اليمن فى الجاهيـــة وفى ذلك يقول الشاعر مفتخرا :

ورد الملـــك تبــــع وبنــــوه ورثوهـــم جـــدودهم والجـــدودا
فاذا جينـــا جيـــادنا من ظفـــار ثم ســـرنا بها مســـيرا بعيـــدا
فاستجشـــنا بالخير ملك قبـــاز وابن اقلود جـــاءنا معقـــودا
فكســـونا البيت الذى حرم اللـــه ملاء معصــــــــــبا وبرودا
وأقمنـــا به من الشـــهر عشـــرا وجعلنـــا لبابـــه اقليـــدا
ثم ظفنـــا بالبيت ســـبعا وســـبعا وســـجدنا عنـــد المقام ســـجودا
وخرجنـــا منـــه الى حيث كنـــا ورفعنـــا لواءنـــا معقـــودا

وكساها حبر اليمن وجعل لها بابا يغلق .

ولما نشأ ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ثريا يتجر فى المال . قال لقريش يومـــا :

« أنا أكسو الكعبة وحدى سنة وجميع قريش سنة ــ وكان يفعـــل ذلك الى أن مـــات » .

وقال الأزرقى : كساها النبى صلى الله عيه وسلم بالثياب اليمانية ؛ ثم كساها عمر وعثمان القباطى وكانت تكنى بالديباج بعد ذلك .

وأول من ظاهر لها بين كسوتين عثمان فلما كانت أيام معاوية كســـاها الديبـــاج مع القباطى وحيث أن كســـاوى الكعبـــة القديمة لا تنزع من فوقها

تراكمت بشكل خيف على الجدران من ثقلها فأمر المهدى بنزع الكسوة كل عـــام وبذلك يعتبر المهدى أول من فعل ذلك وسار على سنته الملوك والخلفاء الذين جاءوا من بعده حتى عصرنا الحاضر .

فلما كانت أيام خلافة المأمون أمر أن تكسى الكعبة ثلاث مرات كل سنة : فتكسى الديباج الأحمر يوم التروية ، وتكسى القباطى أول رجب ، وتكسى الديباج الأبيض فى عيد رمضـــان .

وعلى عهد خلفاء العباسين وأيام وهنهم وضعفهم .

ـــ كانت كسوة الكعبة تارة من قبل سلاطين مصر وتارة من قبل سلاطين اليمن الى أن استقرت الكسوة الشريفة فى سلاطين مصر .

وجهز السلطان سليم كسوة الكعبـــة داخلا وخارجا ، وكان الملك الصالح ابن قلاوون قد وقف بعض القرى القليوبية على الكسوة واشترى الســـلطان سليمان عدة قرى فى مصر فأضافهااليها .

وقد قال الشاعر المهلهل الدمياطى فى سواد الكعبة :

يروق لى منظر البيت العتيق اذا بدا لطرفى فى الأصـــباح والطفل
كأن حلتـــه الســـوداء قد نسجت من حبـــة القلب أو من أسود المقل

(حـــزام الكعبـــة)

كنت حفظت فى صغرى بيتا من الشعر وأتردد به كلما جلست فى المطاف وتمعنت الكعبـــة وكسوتها .. هذا البيت :

ما أحســـن الموســـم من موعـــد وأحسن الكعبـــــة من مشـــــهد

والحق ان الذى يتمعن فى الكسوة من جهـــة الشرق الذى يلى باب الكعبة يقرأ (البسملة) وهذه الآية : **(وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطـــائفين والعاكفين والركع السجود . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) .**

والذى يتمعن الى الحزام من جهة الجنوب الواقع بين الركن الأسود والركن اليمـــانى يقرأ : **(بسم الله الرحمن الرحيم ـــ قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين .**

أما ما كتب على حزام الكعبة فى القسم الغربى الذى بين الركن اليمانى وحجر اسماعيل فهو : **(بسم الله الرحمن الرحيم ـــ واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعمـــوا البائس الفقير ثم ليقضـــوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) .**

هذا وقد أضيفت هذه الجملة فى الكسوة الحالية **(سبحان الله وبحمـــده سبحان الله العظيم) .**

(ســـتارة الكعبـــة)

مما لا شك فيه ان ستارة الكعبة تعتبر آية فى التطريز والنسج وروعـــة

ناطقة فى عالم الخط والرسم .. فقد كتب فى السـطر الأول بأعلى الستارة داخل دائرتين مسـتطيلتين (**قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها)** ثم السطر الذى يليه داخل دائرة طويلة بعرض الستارة (**بسم الله الرحمن الرحيم ــ رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق وأجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا)** ثم كتب فى السطر الذى يليه داخل أربعة دوائر تشبه كل دائرة منها (الكمثرة) فى صنف واحد (**ولا تهنـوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)** .

ثم كتب داخل أربعة دوائر مستطيلة فى السـطر الذى يلى الذى بعده : (**بسم الله الرحمن الرحيم ــ الله لا إله آلا هو الحى القيوم لا تأخذه سـنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم)** .

ثم كتب داخل دائرة واسعة على قدر عرض الستارة بقلم عريض بين آية الكرسى هذه الآيات : (**بسم الله الرحمن الرحيم ــ لقد صدق الله رسـوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين)** ثم كتب داخل دائرتين فى كل دائرة منها : (**بسم الله الرحمن الرحيم ــ سورة الاخلاص الى آخر السورة)** ثم كتب بين الدائرتين المذكورتين فى أربعة أسطر (**وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا . وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا)** .

ثم كتب فى السطر الذى يليه داخل دائرة مستطيلة (بسم الله الرحمـن الرحيم ــ سورة قريش) ثم كتب داخل دائرتين فى سطرين جانب السـتارة الأيمن ومثلها داخل دائرتين فى الجانب الأيسر (**لا إله الا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله صادق الوعد الأمين)** .

ثم كتب داخل دائرة شـبه قوس منحن بين الدائرتين اليمنى والدائرتين اليسرى المتقدم ذكرها .

(بسم الله الرحمن الرحيم ــ قل هو الله أحد . الله الصمد) . الى آخر السورة ثم كتب حول ما تقدم من عموم الكتابات على الستارة المذكورة (بسم الله الرحمن الرحيم ــ سورة الفاتحة)

وكذلك كتب حول الستارة بين آيات الفاتحة داخـل دائرتين صغيرتين (صنعت هذه الكسوة فى عهد خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز المعظم .

وان حكومة جلالة الملك المعظم لتهدى فى موسم الحج قطعا مختلفـة الأحجام من هذه الكسوة الى كل من ملوك ورؤساء الدول الاسلامية والى ذوى المكانة والرفعة من المسلمين تذكارا لحج هـذا البيت الذى تهوى اليه أفئـدة من النـاس .

مكة ــ عثمان محمد مليبارى
الغزة ــ مكتب جريدة عكاظ

المراجـــع :

١ ــ نفحـات من الحرم ــ لعلى طنطاوى .
٢ ــ المرشد العام للحجاج ــ لاحمد السباعى .
٣ ــ رحلة الحجاز ــ للبتونى .
٤ ــ مرآة الحـرمين ــ لمحمد رفعت .

قالت صحف العالم

فريضة الحذر من العدو والخروج له بشكل جماعى

أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم ، وعدم الغفلة عنه ، فيؤخذوا خدعة أو بغتة ، وهذا ما يستلزم التأهب لهم باعداد الاسلحة والعدة ، وتكثير العدد ، وعدم الخروج الى القتال افرادا يسهل تصيدهم أو فوضى يسهل أخذهم ، انما أمرهم أن يخرجوا جماعات منظمة أو ينفروا جميعا وقيادتهم معهم ، وذلك لا ينفى أن هناك أعمالا حربية تستدعى انتداب فرد أو فردين أو أكثر ، والأمر هنا يخص النفرة للحرب أى الخروج العلنى للعمليات الحربية .

قال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا »** (سورة النساء ٧١) .

وقد بين سبحانه وتعالى أن أحب أعمال المؤمنين اليه تعالى هو أن يقاتلوا فى سبيله تعالى صفا كالبنيان المرصوص ، قال تعالى : **« ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »** هنا تكليف فردى فى ذاته ، ولكنه فردى فى صورة جماعية ، فى جماعة ذات نظام ، ومن طبيعة الدين الاسلامى أنه ينشىء مجتمعا متماسكا متناسقا فصورة الفرد المنعزل الذى يعبد ربه تعالى وحده ، ويجاهد وحده ويعيش وحده ، صورة بعيدة عن طبيعة الدين الاسلامى وعن مقتضياته فى الجهاد فى سبيل الله ، وفى حالة الهيمنة بعد ذلك على الحياة .

وهذه الصورة التى يحبها تعالى للمؤمنين ترسم لهم طبيعة دينهم ، وتوضح لهم طريقهم ، وتكشف لهم عن طبيعة التضامن الوثيق الذى يرسمه التعبير القرآنى المبدع « صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

ان الاستهانة بالعدو تؤدى حتما الى الاندحار والفشل ، ولقد استهان المسلمون بعدوهم يوم حنين فغلبوا على أمرهم فى بدء المعركة قال تعالى :

« ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليـــكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » (سورة التوبة : الآية ٢٥) .

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين المجاهدين فى سبيله بأن يأخذوا حذرهم من عدوهم ان كان قريبا منهم اذ انه سبحانه وتعالى قد كشف عن رغبـــة الحقد الدفينة فى نفوس الكفار تجاه المؤمنين والرغبة الشـــديدة فى نفوس الكفار فى أن يغفل المسلمون عن أسلحتهم فيميلون عليهم ميلة واحدة لاستئصال شأفتهم فلا تعود تقوم للمسلمين قائمة ، لذلك لم يبح سبحانه وتعالى للمسلمين ترك أسلحتهم عندما يكونون فى مواقع قريبة من العدو ، وان يكونوا دائما على اهبة الاستعداد لأى هجوم طارىء ولذلك ففى أثناء قيام المسلمين فى تأدية فريضة الصلاة فى حالة الخوف من انقضاض العدو عليهم أمر تعالى بأن يقوم جماعة بالصلاة وأن يقوم جماعة آخرون بحراستهم ، على النحو الذى وضحه تعالى فى قوله فى كتابه العزيز : **« واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصـــلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أســـلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليـــكم ميلة واحدة »** (سورة النساء الآية : ١٠٢) .

عن (البعث الاسلامى) الهندية

الجهاد واجب مقدس

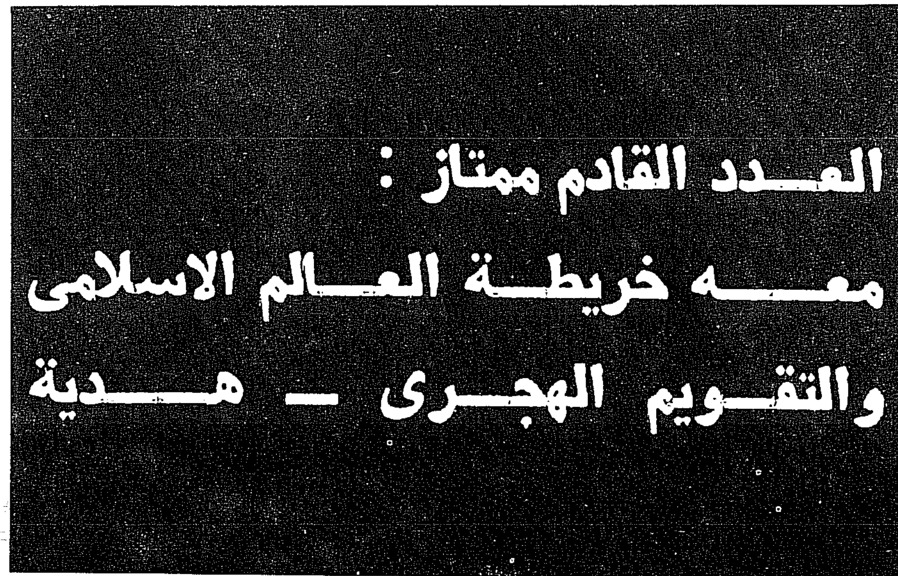
شرع الله الجهـــاد ، دفاعا عن العقيدة ، وذودا عن الأوطان وتأمينا للحريات وهو بكل أنواعه وضروبه ضرورة تحتمها العقيدة ، وتدعو اليها حاجة الأمة اذا تعرضت لعدوان من جانب الأعداء . وان تاريخ الجهاد فى الاسلام ليؤكد بكل أمانة وصدق أن جهاد المسلمين كان ولا يزال غايته وأهدافه ، نصرة الحق ودفع الظلم وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله : **« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين »** ، **« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقســـطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهـــاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »** .

من أجل ذلك وتحقيقا لهذا الهدف السامى شرع الجهاد فى الاسلام ، وقد عرفه الفقهاء بأنه بذل الجهد فى قتال الكفار ، ويطلق أيضا على مجاهـــدة النفس والشيطان فاما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم العمل بها ثم تعليمها ، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتى به من الشبهات ، وما يزينه من الشهوات ، وأما مجاهدة الكفار أعداء الحق والســـلام فتكون بالأنفس والأموال والألسنة وفى ذلك يقول عليه الصلاة والسلام : « قاتلوا المشركين بأنفسكم وأموالكم والسنتكم » .

فالجهاد ليس قاصرا على خوض المعارك وضرب المدافع واشتجار السيوف واستقبال الحتوف ، فذلك ضرب واحد من ضروب الجهاد المبينة فى الحديث الشريف المتقدم وربما كان هذا الضرب متوقفا على غيره من الضروب الاخرى . وجهاد النفس يتمثل فى قول الله تعالى : ((**ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**)) . وفى جهاد اللسان يقول الله تعالى : ((**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**)) وهناك جهاد بالمال وفيه يقول الله تعالى : ((**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ، وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين**)) . فبين الله سبحانه أن رد الاعتداء مقرون بالبذل والانفاق فى سبيل الله والرسول الكريم يقول : « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى أهله فقد غزا » .. وقال الامام البخارى فى التفسير : ان التهلكة هى ترك النفقة فى سبيل الله .

وفى تعظيم أمر الجهاد واعلاء شأنه يقول الله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » ويقول عليه الصلاة والسلام : « لغدوة فى سبيل اله خير من الدنيا وما فيها » .

عن مجلة (منبر الاسلام) القاهرة





الكـويت :

● تبرع سـمو أمير البـلاد المعظم بمليون دينار من ماله الخاص للجنة الشعبية لجمع التبرعات .



● رأس سـمو أمير البـلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصـباح وفد الكويت الى مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى الجزائر .. وقد كان للوفد الكويتى نشاط ملموس فى جلسـات المؤتمر .. وعقد سمو أمير البـلاد لقـاءات ثنائية مع رؤساء الوفـود العربية . ويرى سموه مـع الرئيس المصـرى أنور السـادات والرئيس الجزائرى هوارى بومدين .

● زار البلاد وفد باكستانى برئاسة السيد ذو الفقـار على بوتو رئيس وزراء جمهورية الباكستان .. ويرى سيادة الضيف مع سمو الأمير المعظم



● أعلن الشيخ سعد العبد الله وزير الدفاع والداخلية أن القوة الكويتيـة ستبقى على الجبهة المصرية .. وأن الكويت على استعداد فى حالة وقوع حرب جديدة مع اسرائيل لدعم هـذه القوة .

● زار الكويت الشيخ موسى طه مدير مدارس التقوى الاسلامية فى أوغندا بهدف تمتين الروابط الوثيقـة بين المؤسسات والهيئات الدينية فى بلاده مع مثيلاتها فى الكويت .

● رحب وزير الأوقاف والشـئون الاسلامية بعقد لقـاء عاجل لوزراء الأوقاف العـرب لتدارس المـوقف الراهن من أزمة الشرق الأوسط .

● بعث وزير الأوقـاف والشـئون الاسلاميـة برسائل الى المؤسسات والشـركات الوطنيـة يطلب منهـا المساهمة فى صندوق المعونة الطبية الخيرى .. الذى يشرف على علاج المرضى من غير الكـويتيين المقيمين بالكويت .

● أصدرت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية كتابا عـن مؤتمـر وزراء الاوقاف والشئون الاسلامية والدينية فى البلاد العربية الذى انعقـد لأول مرة في الـكويت فى المحـرم ١٣٩٣ هجرية .

القـاهرة :

● رفع علم جمهـورية موريتانيـا الاسلامية فوق مبنى جامعـة الدول العربية بعد أن أصبحت موريتانيـا عضوا بها .

● زار فضـيلة الشيخ الدكتـور

عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر .. قطر بدعوه من وزير التربية بها .. وقد اجتمع فضيلته بالمسئولين القطريين وبحث التعاون بين الأزهر والمؤسسات التعليمية بالبلاد .

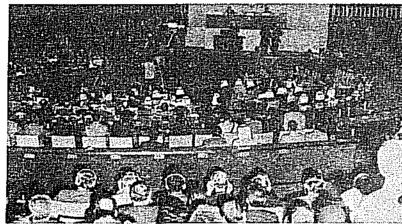
السعودية :

● أكد الشيخ زكى اليمانى وزير النفط السعودى أن الدول العربية ستواصل سياستها البترولية حتى يتم انسحاب اسرائيل .. وهدد بنسف آبار البترول اذا قامت أمريكا بعمل عسكرى ضد العرب .

● دعما للروابط الأخوية بين الدول الاسلامية قررت المملكة بث برنامج من الاذاعة باللغة التركية لمدة ساعة يوميا .. وذلك خدمة لقضايا أمتنا الاسلامية .

الجزائر :

● عقد فى الجزائر مؤتمر القمة العربى فى الفترة ما بين ٢٦ — ٢٨ نوفمبر .. وقد حضره ملوك ورؤساء الدول العربية .. وقد تم فيه اتخاذ القرارات المناسبة .. وتدارس الظروف التى تمر بها الأمة العربية . ونرى فى الصورة جانبا من الجلسة الختامية للمؤتمر والرئيس الجزائرى هوارى بومدين يلقى كلمته .



● اعلن المؤتمرون فى الجزائر قبول جمهورية موريتانيا الاسلامية عضوا بجامعة الدول العربية .. وأن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني وقرروا انعقاد مؤتمر قمة عربى كل عام ..

دمشق :

● صرح مصدر مسئول أنه تم إسقاط ٣٤٥ طائرة اسرائيلية على الجبهة السورية خلال حرب اكتوبر .

● أكد المسئولون السوريون أنه لن يكون هناك سلام فى المنطقة ما لم تتحرر الأرض العربية المحتلة عام ٦٧ .. وتعود للشعب الفلسطينى حقوقه كاملة .

المغرب :

● رفض المغرب تزويد هولندا بالفحم كجزء من الحظر الذى فرضته الدول العربية على صادرات النفط الى هولندا .

باكستان :

● تقرر عقد مؤتمر قمة للدول الاسلامية فى باكستان خلال الايام القليلة القادمة .. وذلك لمناقشة الموقف فى الشرق الأوسط. .وواجب الدول الاسلامية تجاه المشكلة الفلسطينية .

● يقوم رئيس وزراء باكستان السيد ذو الفقار على بوتو بزيارة عواصم الدول الاسلامية خلال اجتماع عقده المجلس الوطنى للعلوم فى باكستان .

أوغندا :

● وجه الرئيس الأوغندى عيدى أمين نداء الى الدول الافريقية التى لا تزال تحتفظ بعلاقاتها مع اسرائيل لكى تقطع علاقاتها بها ، وتخلص القارة الافريقية من الامبريالية الصهيونية .

مدريد :

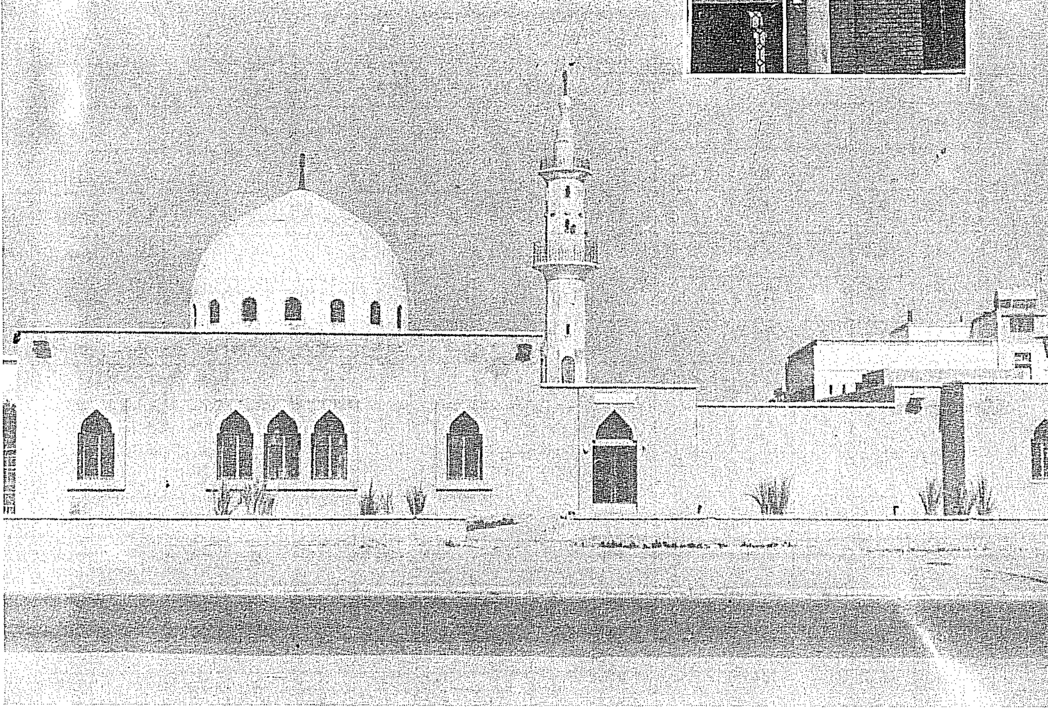
● صدرت ترجمة لمعانى القآن الكريم باللغة الاسبانية .

أندونيسيا :

● أعلن ٣٧ شخصا إسلامهم أمام القاضى الشرعى فى مقاطعة « كلمتنان الجنوبية . بأندونيسيا .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو الحجة ١٣٩٢	ديسمبر ١٩٧٢	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الثلاثاء	١	٢٥	٧ ٥	٤٠ ٦	٤٨ ١١	٣٧ ٢	٥٥ ٤	١٩ ٦	١٢ ١٢	٤٦ ١	٥٣ ٦	٤٢ ٩	٢٤ ١
الأربعاء	٢	٢٦	٧	٤١	٤٨	٣٧	٥٥	١٩	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الخميس	٣	٢٧	٧	٤١	٤٩	٣٨	٥٦	٢٠	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الجمعة	٤	٢٨	٨	٤١	٤٩	٣٨	٥٦	٢٠	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	٥	٢٩	٨	٤١	٥٠	٣٩	٥٧	٢١	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الأحد	٦	٣٠	٨	٤٢	٥٠	٤٠	٥٨	٢١	١١	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الاثنين	٧	٣١	٩	٤٢	٥٠	٤٠	٥٨	٢١	١٠	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الثلاثاء	٨	يناير	٩	٤٢	٥١	٤١	٥٩	٢٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الأربعاء	٩	٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٠٠ ٥	٢٣	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الخميس	١٠	٣	٩	٤٢	٥٢	٤٢	٠٠	٢٣	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الجمعة	١١	٤	١٠	٤٣	٥٢	٤٣	١	٢٤	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
السبت	١٢	٥	١٠	٤٣	٥٣	٤٤	٢	٢٥	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الأحد	١٣	٦	١٠	٤٣	٥٣	٤٤	٢	٢٥	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الاثنين	١٤	٧	١٠	٤٣	٥٣	٤٥	٣	٢٦	٧	٤٠	٥٠	٤١	٢٣
الثلاثاء	١٥	٨	١٠	٤٣	٥٤	٤٥	٤	٢٧	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣
الأربعاء	١٦	٩	١١	٤٣	٥٤	٤٦	٥	٢٨	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الخميس	١٧	١٠	١١	٤٣	٥٥	٤٧	٦	٢٨	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الجمعة	١٨	١١	١١	٤٣	٥٥	٤٧	٦	٢٩	٤	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
السبت	١٩	١٢	١١	٤٣	٥٥	٤٨	٧	٢٩	٣	٣٦	٤٨	٤١	٢٢
الأحد	٢٠	١٣	١١	٤٣	٥٦	٤٩	٨	٣٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
الاثنين	٢١	١٤	١١	٤٣	٥٦	٥٠	٩	٣١	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الثلاثاء	٢٢	١٥	١١	٤٣	٥٧	٥١	١٠	٣٢	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الأربعاء	٢٣	١٦	١١	٤٣	٥٧	٥٢	١١	٣٣	٥٩ ١١	٣٢	٤٦	٤١	٢٢
الخميس	٢٤	١٧	١١	٤٣	٥٧	٥٣	١٢	٣٤	٥٨	٣١	٤٦	٤١	٢٢
الجمعة	٢٥	١٨	١٠	٤٢	٥٨	٥٣	١٢	٣٤	٥٨	٣٠	٤٥	٤١	٢٢
السبت	٢٦	١٩	١٠	٤٢	٥٨	٥٤	١٣	٣٥	٥٧	٢٩	٤٥	٤١	٢٢
الأحد	٢٧	٢٠	١٠	٤٢	٥٨	٥٤	١٤	٣٦	٥٦	٢٨	٤٤	٤٠	٢٢
الاثنين	٢٨	٢١	١٠	٤٢	٥٩	٥٥	١٥	٣٧	٥٥	٢٧	٤٤	٤٠	٢٢
الثلاثاء	٢٩	٢٢	١٠	٤٢	٥٩	٥٦	١٦	٣٧	٥٤	٢٦	٤٣	٤٠	٢١
الأربعاء	٣٠	٢٣	١٠	٤١	٥٩	٥٧	١٧	٣٨	٥٣	٢٤	٤٢	٤٠	٢١



مسجد الزبير بن العوام

نسبه : هو الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشى ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من سلّ سيفه فى الإسلام ، وهو ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم .

مولده : ولد سنة ٢٨ قبل الهجرة — ٥٩٦ ميلادية .

إسلامه : أسلم وله ١٢ سنة .

جهاده : شهد بدرا وأحدا وغيرهما ، وكان على بعض الكراديس فى اليرموك ، وشهد الجابية مع عمر بن الخطاب .. ورشحه عمر فيمن يصلح للخلافة بعده . وروى له البخارى ومسلم ٣٨ حديثا .

وفاته : قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل بوادى السباع على مقربة من البصرة وتوفى عام ٣٦ هـ — ٦٥٦ م .

فهرس عام المجلة

في عامها التاسع

١٣٩٣ هـ

١٩٧٤/٧٣ م

يشتمل على الموضوعات والأعلام

كلمات وأحاديث

حديث الشهر

للشيخ رضوان رجب البيلى

من هدي السنة

أدب

دراسات قرآنيّة

العدد/الصفحة	الكاتب	الموضوع
٩١/١٠١	الاستاذ محمد بلى الفوتى	اشياء تستحق المعرفة فى القـــرآن
٤/٩٩	الدكتور محمد البهى	اعجاز القرآن وموضوعية التوجيه
٤٥/١٠٥	الاستاذ أحمد التاجى	اقرأ باسم ربك الذى خلق
٧٥/١٠٢	الاستاذ محمد اسماعيل الندوى	التحريف والنسخ فى شريعة الاسلام
١٢/١٠١	الدكتور محمد حسين الذهبى	التعريف بالقرآن الكريم (١)
٨/١٠٨	الاستاذ أحمد محمد جمال	دراسات قرآنيـــة
١٢/١٠٠	الشيخ محمد الغزالى	صور شاملة لسورة يس
١٠/١٠٧	الدكتور محمد البهى	ظاهرة فى القـــرآن واحدة
٢٩/١٠٥	الشيخ أحمد حسن الباقورى	فن التجويد هو موسيقى القرآن
٧٢/١٠٢	ق. ق.	القرآن يقرر قصور العلم البشرى
٢٩/٩٨	الاستاذ أحمد محمد جمال	قضايا قرآنيـــة
٦٤/١٠٧	الاستاذ محمد محمد الشرقاوى	كيف يتلى كتاب الله
١٧/١٠٤	اللواء محمود شيت خطاب	لغة القرآن الكريم
١٤/١٠٢	الدكتور محمد حسين الذهبى	مباحث قرآنية (٢)
١٢/١٠٤	« « «	مباحث قرآنية (٣)
٢٢/١٠٥	« « «	مباحث قرآنية (٤)
٨/١٠٢	الدكتور على محمد حسن	مشكلات الفواصـــل
١٥/١٠٨	الشيخ محمد الغزالى	الممتحنة سورة الحب والبغض
٢١/٩٧	الدكتور محمد الدسوقى	من حديث الهجرة فى القرآن
٥٧/٩٨	الاستاذ عبد العزيز العلى المطوع	نظرات فى سورة الاخلاص
٩١/١٠٧	الاستاذ اسماعيل سالم عبد العال	نقد ابن كثير للاسرائيليات

طبّ وعلوم

الموضـــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
آفة البحث العلمي	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي	١٠٠/٤٤
آن للعلم أن يحرم البيرة	الدكتور سالم نجم	١٠٧/٦٩
الحائرون بين المنبهات والمهدئات	الدكتور محمد محمد أبو شوك	١٠٨/٧٧
حول قياس الزمن وتوحيد المطالع	الدكتور محمد جمال الدين الفندى	١٠٤/٣٢
السموات السبع	« « «	١٠٠/٦٢
نظرات معاصرة	الدكتور أحمد شوكت الشطي	١٠٤/٤٨

عقيـــــــدة

الموضـــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
الاسلام فى أصوله الاولى والأخيرة	الدكتور وهبة الزحيلي	١٠٢/٦٤
الاسلام والعالمية	الدكتور محمد محمد حسين	١٠٤/٦٠
الالحاد ليس تطورا	الشيخ محمد الغزالي	٩٨/٤٠
الاوامر الشرعيـــة (١)	الدكتور محمد سلام مدكور	١٠٦/١٩
الاوامر الشرعيـــة (٢)	« « «	١٠٨/٢٨
حوار بيني وبين ملحـد	الشيخ محمد الغزالي	٩٩/٢٨
خطر اهمال التبشير فى ديار الغرب	الاستاذ محمود مهدى استانبولي	٩٨/٣٢
صدقة أم قصد وتدبير	الاستاذ عزت محمد ابراهيم	١٠٦/٥١
العلمانية والاسلام (١)	الدكتور محمد البهي	١٠١/٤
العلمانية والاسلام (٢)	« « «	١٠٢/٣٣
العلمانية والاسلام (٣)	« « «	١٠٤/٤١
العلمانية والاسلام (٤)	« « «	١٠٥/١٤
الفــكر الاسلامي	الاستاذ فاروق منصور	١٠٣/٨٠
موقف الفكر الاسلامي	الاستاذ يحيى هاشم حسن فرغل	١٠٨/٣٨
موقف المسلم من التنبوء والكهانة	« « «	٩٩/٥٢
هذا الدين تبدأ حقيقته بمعرفة الله	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي	٩٧/٤٨
وحدة الدين ومميزات الاسلام	الاستاذ محمد محمد أبو خوات	٩٨/٦٠

فقه وتشريع واقتصاد

الموضـــوع	الكــاتب	العدد/الصفحة
الاباحة عند الاصوليين والفقهاء	الدكتور محمد سلام مدكــور	١٢/٩٨
أساليب الاباحة (٢)	» » »	٣٨/١٠٠
أساليب الاباحة فى الفقه (٣)	» » »	٣١/١٠١
الأوامر الشرعية ودلالتها (١)	» » »	١٩/١٠٦
الاوامر الشرعية ودلالتها (٢)	» » »	٢٨/١٠٨
الاقتصاد الاسلامى وماهيته	الدكتور محمد شوقى الفنجرى	٥٠/١٠٨
بناء الاقتصاد الاسلامى	الاستاذ زيدان أبو المكارم	٤٥/١٠٧
عناية الإسلام بالطفولة وتحريمه التبنى	الدكتور محمد سلام مدكور	٢٠/١٠٢
التشريع الاسلامى	» » »	٣٢/١٠٥
حتمية الاعدام فى القصاص	الاستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيــل	٢٧/١٠٦
الحدود فى الاسلام (١)	الاستاذ عبد الكريم الخطيب	٢٠/٩٨
الحدود فى الاسلام (٢)	» » »	٤٠/١٠١
الحدود فى الاسلام (٣)	» » »	٢٣/١٠٤
حكم الاسلام فى الاسترقاق	الدكتور أحمد الحجى الكردى	
الزكاة بلغة العصر	الدكتور محمد شوقى الفنجرى	٤٩/١٠١
نظرية الشريعة الاسلامية فى الاشتراك	الدكتور أحمد المجدوب	٢٥/١٠٢

كتاب الشهر

الكتاب	المؤلف	النـــاقد	العدد/الصفحة
تاريخ الفكر السياسى	الدكتور ابراهيم دسوقى الدكتور عبد العزيز الغنام	الاستاذ عبد الرحيم بن سلامة	٩٠/١٠٣
تخليص الابريزفى تلخيص باريــز	الشيخ رفاعة الطهطاوى	الاستاذ ابراهيم محمود عوض	٩٠/ ٩٨
حاضر العالم الاسلامى	لوثروب	الاستاذ يوسف نوفــل	٧٤/١٠٧
دستور الاعـــلام	ابن عـــزم	الاستاذ محمد محمود زيتون	٧٠/١٠٦
الرسالـــة	للامام الشافعى	الاستاذ عبد الحليم عويس	٨١/١٠٢
عمر بن الخطـــاب	الدكتور سليمان الطماوى	الاستاذ محمد عبد الله السمان	١١١/ ٩٧
شرح كتابين فى القانون		الاستاذ عبد الرحيم سلامة	٨٤/١٠٨
من قضايا القرآن	الاستاذ عبد الكريم الخطيب	الاستاذ محمد عبد الله السمان	٨٩/١٠٥

مناسبات اسلامية

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
أثر ذكرى الاسراء والمعراج	الدكتور محمد سلام مدكور	٢٠/١٠٣
أسماء والهجرة	الاستاذ مناع قطــان	٨٠/٩٨
أنواع الصيام فى الاسلام	الدكتور محمد الدسوقى	٤٩/١٠٥
الباحثون عن النــور	الاستاذ محمد المجذوب	٥٦/١٠٠
خواطر فى الميــلاد	الاستاذ أبو القيم الكبيسى	٨٤/١٠٠
خير أمــة	الدكتور محمد الدسوقى	٨٥/١٠١
دراسة دينية عن الاسراء والمعراج	الاستاذ محمد أحمد بدوى	١٢/١٠٣
دروس من الاسراء	الاستاذ محمد المجذوب	٢٦/١٠٣
ذكرى ميــلاد الرسول	الاستاذ أحمد محمد جمال	٥٠/١٠٠
رمضان بين اللغة والتاريخ	الاستاذ عبد الله الكبير	٦١/١٠٥
رمضان دورة تدريبية	الدكتور أحمد الحجى الكردى	٤٠/١٠٥
رمضان والعيد ومشكلة تحول القيم	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	١٢/١٠٦
صور من المعركــة	التحـــرير	٩٤/١٠٦
عاشوراء اليهود وعاشوراء المسلمين	الدكتور على عبد الواحد وافى	٢٦/٩٧
العظمــة الخالــدة	الشيخ عبد الحميد السائح	٢٣/١٠٠
لا تحزن ان الله معنا	التحـــرير	٩٥/٩٧
لمــاذا الهجرة دون سواها	الشيخ بدر المتولى عبد الباسط	١٣/٩٧
ماذا يعنى العيد فى نظر الاسلام	الاستاذ حسن عيسى عبد الظاهر	٤٦/١٠٦
مواكب النصر فى رمضان	الدكتور ابراهيم على شعوط	٥٦/١٠٥
مولد النبى ومضة من نور	الدكتور أحمد الحجى الكردى	٢٢/٩٩
هجرة أو جهاد	الشيخ عبد الحميد السائح	١٦/٩٧
يوم الحج الأكبر	الاستاذ عزت محمد ابراهيم	٤١/١٠٧

تربية واجتماع

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
الاخلاق الوضعية	الاستاذ سعيد زايد	٩٦/٩٧
أزمة الزواج	الاستاذ عبد الرحمن احمد شادى	١٠٠/١٠٢
حينما ننحرف بالرياضة	الدكتور أحمد الشرباصي	٨٠/١٠٦
خطبة الجمعة	اللواء محمود شيت خطاب	٣٧/٩٧
رمضان دورة تدريبية	الدكتور أحمد الحجى الكردى	٤٠/١٠٥
رمضان والعيد ومشكلة تحول القيم	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	١٢/١٠٦
العقل الحديث	الاستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل	٨٠/١٠٥
علم النفس وأثره	الاستاذ محمد علم الدين	٦٧/١٠٨
فكرة الواجب فى الاخلاق	الاستاذ سعيد زايد	٥٥/١٠٦
فكروا لماذا	الشيخ على الطنطاوى	٣٢/١٠٠
المتكلمون فى الدين	اللواء محمود شيت خطاب	٤٨/٩٨
متى يدرك المسلمون أنهم المسئولون	الاستاذ محمد المجذوب	٥٤/٩٧
المسجد المعمور	اللواء محمود شيت خطاب	٨٨/١٠٧
المسجد المهجور	» » » »	٣٥/١٠٦
مشكلة العزوبة	الدكتور أحمد الحجى الكردى	٨٦/٩٨
معالم الطريق لاسعاد الاسرة	الشيخ سعد المرصفى	٨٨/١٠٤
مفهوم الزهادة فى الاسلام	الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى	٥٩/١٠٦
منهج الاسلام فى تربية المجتمع	الدكتور عبد العال سالم مكرم	٢٣/٩٩
منهج التربية فى الاسلام	الاستاذ على القاضى	٦٦/٩٨
نظام السلوك الانسانى	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٧٠/١٠٣
يا شباب المسلمين — قولوا لهم	الاستاذ أحمد العنانى	٥٠/١٠٧

قصائد

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
بالجسم والروح	الاستاذ الربيع الغزالى	٤٦/١٠٣
صوت المعركة	الاستاذ محمود حسن اسماعيل	٨٦/١٠٦

موضـــوعات عامـــة

تاريخ وحضارة

الفتـــاوى

تابع ــ الفتـــــاوى

باقـــلام القـــــراء

بريد الوعي

اعـــداد : الأستاذ عبد الحميد رياض

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
الاجر العظيم لمن ؟		١٢٠/٩٧
افريقيا وعلاقتها باسرائيل		١٠٤/١٠٧
الامة العربية فى ظل الاسلام		١٠٥/٩٩
الايمان هو العلاج		١٠٦/٩٨
تحيـــة للمجلة		١٠٤/١٠٨
تصـــــويب		١٠٤/١٠٨
التعريف بأحوال المسلمين	الدكتور عبد الكريم الخطيب	١٠٤/١٠٤
تعظيم المسلمين للحجر الاسود		١٠٧/١٠١
تفريغ الارض المحتلة من العرب		١٠٨/١٠٥
الثقافة الحديثة فى الكويت	الدكتور بيتر بيلمان	١٠٨/١٠٥
ثمن المجلة	الاستاذ عبد الفتاح صابر اسماعيل	١٠٩/١٠٦
الجزء الاول من المطالب العالية		١٠٥/٩٨
جزر البحر الاحمر		١٠٨/١٠١
جزر الكويت		١٠٦/١٠٠
جمع القرآن ودوافعه		١٠٦/١٠١
الجهاد وأنواعه		١٠٦/٩٩
حد الكفاف وحد الكفاية	الدكتور محمد شوقى الفنجرى	١٠٢/١٠٣
حديثان		١٠٧/١٠٥
الحق الواحد		١٠٦/١٠٢
الدراسات العليا فى جامعة الكويت		١٢١/٩٧
دسائس يهودية	الاستاذ عبد السلام العمرى	١٠٥/١٠٧
الصحافة الكويتيـــة		١٠٣/١٠٨
صلاة التسابيح		١٠٨/١٠٦
غلاف المجلة	الاستاذ أحمد العنانى	١٠٤/١٠٤
قطع البترول		١٠٤/١٠٧
الكويت فى المعـــركة		١٠٣/١٠٨
لغة القرآن	الاستاذ خليل محارب السويركى	١٠٨/١٠٦
المفسرون من الصحابة		١٠٥/١٠٠
من تايلاند	الاستاذ سالم عمر هلابى	١٠٣/١٠٤
من سيلان		١٠٤/١٠٣
من هو المسكين .. ؟	الاستاذ محمد عزة دروزة	١٠٣/١٠٣
نشر فتاوى المجلة		١٠٥/٩٨
نفاد أعداد المجلة		١٠٥/٩٨
هندسة الكون		١٠٥/١٠٢
هيئة دولية اسلامية		١٠٣/١٠٤

قالت صحف العالم

الموضـــــوع	الصحيفه او المجله	العدد/الصفحه
الاسلام بنفسه لا باتباعه	مجلة التضامن الاسلامى	١١٠/١٠٠
الاسلام والواقع العربى المعاصر	مجلة الشباب اللبنانية	١٠٩/١٠١
بداية نهاية اسرائيل	مجلة منبر الاسلام القاهرية	١١٠/٩٩
الجهاد واجب مقدس	مجلة منبر الاسلام القاهرية	١٠٩/١٠٨
الحادث الاكبر	صحيفة أخبار اليوم القاهرية	١٠٩/٩٨
حماية البلاد الاسلامية من خطـــر الصحافة الفاجرة	مجلة رابطـة العـالم الاســلامى السعودية	١٢٣/٩٧
حول ظاهرة احتشام الفتيات	مجلة الاعتصام المصرية	١١٠/٩٨
دروس من الحج	مجلة الخفجى الكويتية	١٠٦/١٠٧
الشريعة الاسلامية ليست ارهابا	« « «	١٠٩/١٠٤
الرسالة والرسول	مجلة المجتمع الكويتية	١٠٩/١٠٣
طريق النصر ما معالمه		١٠٩/١٠٢
العناية بالشباب المغترب	مجلة البعث الاسلامى الهندية	١٠٨/١٠٨
فريضة الحذر من العدو	صحيفة أخبار اليوم القاهرية	١٠٩/١٠٠
فى سبيل اعادة بناء فكرنا وأرتنا	مجلة الهدى الاسلامى	١١٠/١٠٣
لماذا يرفضون الاسلام	مجلة الميثاق المغربية	١٠٩/١٠٥
مادتنا الهب	مجلة البعث الاسلامى الهندية	١٢٤/٩٧
مشكلتنا الحضارية	مجلة جوهر الاسلام التونسية	١١٠/١٠١
واجبنا نحو الشباب	« « « «	١٠٩/٩٩

الأغـــلفة

الموضـــــوع	العدد/الصفحة
فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه (آية)	٩٧
مسجد الخليفة ــ الكويت (صورة)	٩٨
مسجد خالد بن الوليد ــ سوريـا (صورة)	٩٩
مسجد العمرى ــ بيروت (صورة)	١٠٠
مسجد مدينة عيسى البحرين (صورة)	١٠١
مسجد عبد اللطيف العثمان ــ الكويت (صورة)	١٠٢
مدينة القـدس ــ فلسطين (صورة)الكويت (صورة)	١٠٣
« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » (آية)	١٠٤
وأن تصوموا خير لـكم » (آيـة)	١٠٥
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (آية)	١٠٦
مقام ابراهيم ــ مكة المكرمة (صورة)	١٠٧
المقصورة النبوية ــ المدينة المنـورة (آيـة)	١٠٨

مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ : عبد الستار محمد فيض

الموضــــوع	الكــاتب	العدد/الصفحة
ابن تيميـــة	الاستاذ سعد صادق محمد	٦٧/١٠٦
الاجتهاد فى الفقه الاسلامى	الدكتور محمد الدسوقى	٧٣/١٠٧
الاذان والمؤذنون	السيد الحسينى الجلالى	١٠٣/ ٩٧
الى كل فتاة تؤمن بالله	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٨٧/١٠٤
البعــد الخامس	الاستاذ أحمد رائف	١٠٣/ ٩٧
التراث الاسلامى فى بيت المقدس	الشيخ طه الولى	١٠٢/ ٩٧
الحرب فى الاسلام	الاستاذ توفيق على وهبه	٩٣/١٠٢
حياة رسول الله	الاستاذ محمود شلبى	٧٣/١٠٧
دراسات فى مذاهب فلاسفة الشرق	الدكتور محمد عاطف العراقى	١٠٢/ ٩٧
الدراسة القرآنية المعاصرة	الاستاذ محمد عبد العزيز السديس	٩٣/١٠٢
دليل الامــلاء	الاستاذ عامر سعيد	١٠٢/ ٩٧
رجال ونساء أسلموا	الاستاذ عرفات كامل العشى	٦٧/١٠٦
العقل عند الشيعة الامامية	الدكتور رشدى محمد عرسان عليان	٨٧/١٠٤
الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمى	الاستاذ محمد سليمان الاشقر	٨٣/١٠٠
مائة يوم فى الكويت	الاستاذ كامل حمادة	٨٣/١٠٠
مبدأ المساواة فى الاسلام	الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد	١٠٣/ ٩٧
معجم الفقه الحنبلى	وزارة الاوقــاف والشئون الاسلامية	٨٣/١٠٠
مطامع اليهود فى فلسطين قديما وحديثا	الدكتور محمد بديع شريف	٩٣/١٠٢
منهج النقد فى علوم الحديث	الدكتور نور الدين عتر	٨٧/١٠٤

مائدة القارئ

العدد/الصفحة	العدد/الصفحة	العدد/الصفحة
٨٦/ ٩٧	٥٨/١٠١	٣٨/١٠٥
٧٨/ ٩٨	٩٢/١٠٢	٦٨/١٠٦
٧٢/ ٩٩	٤٤/١٠٣	٥٦/١٠٧
٨٨/١٠٠	٥٨/١٠٤	٣٦/١٠٨

قصص

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
أرض السهلة	الاستاذ أحمد العنانى	٩٠/١٠٠
أم حكيم (١)	الدكتور أحمد شوقى الفنجرى	٩٤/١٠٣
أم حكيم (٢)	» » » »	٩٦/١٠٤
بين خرائب برلين	الاستاذ محمد المجذوب	٩٦/٩٨
ثقب فى رأس كبير	الاستاذ محمد لبيب البوهى	٩٤/١٠٥
صراع فى الظلام	» » » »	٩٤/١٠١
عطاء وهشام	الاستاذ أحمد العنانى	٩٦/١٠٦
قصاص	الاستاذ سعيد زايد	٩٤/١٠٢
قلت لنفسى وقالت لى	الاستاذ محمد لبيب البوهى	٤٦/٩٩
ما كان يجهله عبد الله	الاستاذ محمد عطاء الله	٨٨/١٠٨

أعلام

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
ابن سيناء	الدكتور محمود محمد قاسم	٥٨/١٠٧
أبو بكر الصديق	التحرير	١١٤/٩٨
أبو العلاء المصرى	الشيخ طه الولى	٧٤/٩٧
اسماعيل بن القاسم	الاستاذ حسين الطوخى	٩٦/١٠٠
أى رجال كانوا هؤلاء	الدكتور أحمد الشرباصى	٦٢/٩٩
خالد بن الوليد	التحرير	١١٤/١٠٧
صلاح الدين السلجوقى	الاستاذ أنور الجندى	٧٠/١٠٤
سعد بن أبى وقاص	التحرير	١١٤/١٠٢
الشيبانى	الدكتور محمد الدسوقى	٣٨/١٠٦
عبد الحميد بن باديس	الدكتور محمود محمد قاسم	٧٦/١٠٣
عبد الله بن مسعود	التحرير	١١٤/١٠٥
عثمان بن عفان	التحرير	١١٤/١٠٠
عثمان بن مظعون	التحرير	١١٤/١٠٦
عمر بن الخطاب	التحرير	١١٤/٩٩
مالك بن بنى	الاستاذ أنور الجندى	٧٢/١٠٨
مصعب بن عمير	التحرير	١١٤/١٠٣
مصعب بن عمير	الشيخ محمد الصادق عرجون	٦٤/١٠٥
معاذ بن جبل	التحرير	١١٤/١٠٤
موسى بن نصير	الاستاذ عزت محمد أبراهيم	٩٦/٩٩

الكتّاب

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
ابراهيم المـــــدوى	وثيقة تسليم بيت المقـــدس	٧٦/١٠٠
ابراهيم على شمـــوط	مواكب النصر فى رمضـــــان	٥٦/١٠٥
ابراهيم محمود عوض	تخليص الابريز (كتاب الشهر)	٩٠/ ٩٨
أبو عبد الرحمن عقيل الظاهرى	العقل الحـــديث	٨٠/١٠٥
» » » » »	حتمية الاعدام فى القصاص	٢٧/١٠٦
أبو القيم الكبيسى	خواطر فى الميـــلاد	٨٤/١٠٠
أبو الوفا مصطفى المراغى	مفهوم الزهادة فى الاسلام	٥٩/١٠٦
أحمد ابراهيم أبو حمد	الاثر النفسى للاسلام	١٠٨/١٠٤
أحمد التاجى	اقرأ باسم ربك الذى خلق	٤٥/١٠٥
أحمد الحجى الكردى	مشكلة العزوبة	٨٦/ ٩٨
» » »	مولد النبى ومضة من نور	٣٢/ ٩٩
» » »	رمضان دورة تدريبية	٤٠/١٠٥
» » »	حكم الاسلام فى الاسترقاق	٢٣/١٠٧
أحمد حسن الباقـــورى	فن التجويد هو موسيقى القرآن	٢٩/١٠٥
أحمد الشربـــاصى	أى رجال كانوا هؤلاء	٦٢/ ٩٩
» »	حينما ننحرف بالرياضة	٨٠/١٠٦
أحمد شوقى الفنجـــرى	أم حكيم (قصة ١)	٩٤/١٠٣
» » »	أم حكيم (قصة ٢)	٩٦/١٠٤
أحمد شوكت الشـــطى	الحضارة وأركانها فى الاسلام	٦٩/١٠١
» » »	نظرات معاصرة فى الجنين	٤٨/١٠٤
أحمد الحنـــانى	نظرات فى الأزمة الراهنـــة	٧٠/ ٩٧
» »	أرض السهلـــة (قصة)	٩٠/ ١٠٠
» »	غلاف المجلة	١٠٤/١٠٤
» »	عطاء وهشام (قصة)	٩٦/١٠٦
» »	يا شباب المسلمين قولوا لهم	٥٠/١٠٧
أحمد المجـــذوب	نظرية الشريعة فى الاشتراك	٢٥/١٠٢
أحمد محمد جمـــال	استعجال السيئة واستبطاء الحسنة	٨٠/ ٩٧
» » »	قضايـــا قرآنيـــة	٢٩/ ٩٨
» » »	ذكرى ميـــلاد الرسول	٥٠/١٠٠
» » »	دراسات قرآنيـــة	٨/١٠٨

الكتاب

الكـــاتب	الموضـــــوع	العدد/الصفحة
اسماعيل سالم عبد العال	نقد ابن كثير للاسرائيليات	٩١/١٠٧
أنـور الجنـدى	صلاح الدين السلجوقى	٧٠/١٠٤
« «	مالك بن نبى	٧٢/١٠٨
الشيخ بدر المتولى عبد الباسط	لماذا الهجرة دون سواها	١٣/ ٩٧
بيتر بيلمان	الثقافة الحديثة فى الكويت	١٠٨/١٠٥
جمال الدين محمد حماد	الاسلام والمسلمون فى بروناى	٨٣/ ٩٩
حسن عيسىٰ عبد الظاهر	ماذا يعنى العيد فى نظر الاسلام	٤٦/١٠٦
حسين الطوخى	اسماعيل بن القاسم	٩٦/١٠٠
حسين مطـر	حواء وقضية الرداء	١٠٠/١٠١
حسين مؤنس	دور المساجد فى بناء الجماعة	٤٨/١٠٣
خليل محارب السويركى	لغة القرآن	١٠٨/١٠٦
راشد عبد الله الفرحان	ذكرى الجهاد الاعظم	٤/ ٩٨
« « « «	ذكرى المولد النبوى الشريف	٤/١٠٠
« « « «	المعركة لم تنته بعـد	٦/١٠٧
الربيع الغـزالى	بالجسم والروح (قصيدة)	٤٧/١٠٣
رضوان رجب البيـلى	عام جديد على العهد والميثاق	٤/ ٩٧
« « «	المصحف	٨/١٠٠
« « «	حاضر المسلمين	٤/١٠٢
« « «	اسرينا من المسجد الاقصى	٤/١٠٣
« « «	اقتحمنا العقبـة	٨/١٠٧
« « «	خواطـــر	٤/١٠٤
زيدان أبو المكـارم	بناء الاقتصاد الاسلامى	٤٥/١٠٧
سالم عمر هلابى	من تايلاند	١٠٤/١٠٤
سـالم نجـم	آن للعلم أن يهرم البيـرة	٦٩/١٠٧
سـعد المرصـفى	معالم الطريق لاسعاد الاسرة	٨٨/١٠٤
سعيد زايـد	الأخـلاق الوضعيـة	٩٦/ ٩٧
« «	قصاص (قصـة)	٩٤/١٠٢
« «	فكرة الواجب فى الاخـلاق	٥٥/١٠٦
سفيـان سالم	الدعوة الاسلامية وكيف نوجهها	٧٨/١٠١
طـه الـولى	أبو العلاء المعـرى	٧٤/ ٩٧
شـاكر زهـرة	هذا بـلاغ للناس	١٠٧/ ٩٩
عبد الحليم عويس	الرسالة (كتاب الشهر)	٧٠/١٠٦
عبد الحليم محمـود	الوحدة الاسلامية	٤٧/١٠٨

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
عبد الحميـــد رياض	بريد الوعى	جميع الاعداد
عبد الحميد السائح	هجرة أو جهاد	٩٧ /١٦
» » »	العظمة الخالـــدة	١٠٠/٢٣
» » »	واجب المسلمين تجاه احتلال اليهود	١٠٣/٣٢
عبد الحميد محمد اليسيونى	حديث مع علماء المغرب	١٠٧/٩٦
عبد الرحمن أحمد شادى	ذباب المكاتب	٩٩ /١٠٨
» » » »	مدينة الذهب والفضة	١٠٠/١٠٧
» » » »	أزمة الـــزواج	١٠٢/١٠٠
» » » »	حول تحفيظ القرآن الكريم	١٠٤/١٠٧
عبد الرحيم بن سلامـــة	تاريخ الفكر السياسى (كتاب الشهر)	١٠٣/٩٠
» » »	القانون (كتاب الشهر)	١٠٨/٨٤
عبد الستار محمد فيض	مكتبة المجلـــة	جميع الاعداد
عبد السلام المصرى	دسائس يهودية	١٠٧/١٠٥
عبد العال سالم مكرم	منهج الاسلام فى تربية المجتمع	٩٩ /٢٣
عبد العزيز عبد الله باز	كيف نحارب الغزو الثقافى	٩٨ /٤٤
عبد العزيز العلى المطوع	نظرات فى سورة الاخـلاص	٩٨ /٥٧
عبد الفتاح صابر اسماعيل	ثمن المجلة	١٠٦/١٠٩
عبد الكريم الخطيب	الحدود فى الاسلام (١)	٩٨ /٢٠
» » »	الحدود فى الاسلام (٢)	١٠١/٤٠
» » »	الحدود فى الاسلام (٣)	١٠٤/٢٢
» » »	التعريف بأحوال المسلمين	١٠٤/١٠٤
عبد الله سالم	شوه التاريخ فانسلخ منه الشباب	١٠٦/٦٣
عبد الله عبد الرحمن السند	من هدى النبوة	١٠٠/١٠٨
» » » »	اعرفوا أعداءكم	١٠٢/٩٨
عبد الله الكبير	رمضان بين اللغة والتـــاريخ	١٠٥/٦١
عبد الله النـــورى	الحب فى الاسلام	٩٩ /٣٥
عبد المقصود محمد هبيب	ما لا بد منه للسيرة	٩٩ /٦٧
عبد الناصر توفيق العطار	المرأة الصالحـــة	٩٧ /١٢٦
عثمان محمد مليبارى	كسوة الكعبـــــة	١٠٨/١٠٥
عزت محمد ابراهيم	موسى بن نصير	٩٩ /٩٦
» » »	صدفة أم قصد وتدبير	١٠٦/٥١
» » »	يوم الحج الاكبر	١٠٧/٤١
على عبد المنعم عبد الحميد	فطـــر نقيـــة	٩٧ /٨

تابع الكتاب

الموضـــــــوع	الكــــاتب	العدد/الصفحه
علی عبد المنعم عبد الحمید	درس من النبـــوة	٨/ ٩٨
〃 〃 〃 〃 〃	هــذا هــو الحـــل	١٨/ ٩٩
〃 〃 〃 〃 〃	نزول عیسی علیه السلام	١٧/١٠٠
〃 〃 〃 〃 〃	حدیث الفـــار	١٧/١٠١
〃 〃 〃 〃 〃	طهروا أموالـــکم	٨/١٠٣
〃 〃 〃 〃 〃	توجیهات الاسلام فی الازمات النفسیة	٦/١٠٤
علی عبد الواحد وافـــی	عاشوراء الیهود وعاشوراء المسلمین	٢٦/ ٩٧
علی الطنطـــــــاوی	فکروا لمـــاذا	٣٢/١٠٠
عـــلی القـــــاضی	منهج التربیة فی الاسلام	٦٦/ ٩٨
علی محمد حسن	مشکلات الفواصـــــل	١٥/١٠٨
عماد الدین خلیل	ملاحظات فی الحضارة المقارنة	٦٥/ ٩٧
〃 〃 〃	تحلیل الدعوة فی عصرها المکی	٦٧/١٠٠
〃 〃 〃	ملاحظات فیالتفسیر الاسلامی للتاریخ	٦٠/١٠١
〃 〃 〃	خواطر اسلامیة	٥٣/١٠٤
〃 〃 〃	خطوط عریضة فی العبادة الاسلامیة	١٠/١٠٥
فاروق محمود مساهـــل	من أمراض الیهـــود	١٠٧/ ٩٨
فاروق منصــــــور	الفــکر الاســــلامی	٨٠/١٠٣
فهمی عبد العلیم الامام	اخبار العالم الاســـلامی	جمیع الاعداد
مازن المبــــارك	جهاد الأمة العربیة وصراع اللغة	٤١/١٠٢
محمد أحمد بدوی	دراسة دینیة عن الاسراء والمعراج	١٢/١٠٣
محمد أحمد العـــزب	الاتجاه التاریخی الحدیث	٥٨/ ٩٧
محمد اسماعیل الندوی	التحریف والنسخ فی شریعة الیهود	٧٥/١٠٢
محمد بلی الغـــوتی	أشیاء تستحق المعرفة فـــی القرآن	٩١/١٠١
محمـــد البـــهی	اعجاز القرآن وموضوعیة التوجیه	٤/ ٩٩
〃 〃	العلمانیة والاسلام (١)	٤/١٠١
〃 〃	العلمانیة والاسلام (٢)	٣٣/١٠٢
〃 〃	العلمانیة والاسلام (٣)	٤١/١٠٤
〃 〃	العلمانیة والاسلام (٤)	١٤/١٠٥

تابع الكتاب

الكـــاتب	الموضـــــوع	العدد/الصفحة
محمـــد البـــهى	هل للمسلمين فى بلادهم وضع	٤/١٠٦
» »	ظاهرة فى القرآن واحـــدة	١٠/١٠٧
محمد التونجى	قضايا عربية من شعر اقبال	٨٦/١٠٢
محمد جمال الدين الفندى	السموات السبــع	٦٢/١٠٠
» » » »	حول قياس الزمن وتوحيد المطالع	٣٢/١٠٤
محمد حسين الذهبى	التعريف بالقرآن الكريم (١)	١٢/١٠١
» » »	مباحث قرآنيـــــة (٢)	١٤/١٠٢
» » »	مباحث قرآنيـــــة (٣)	١٤/١٠٤
» » »	مباحث قرآنيـــــة (٤)	٢٢/١٠٥
محمد الحسينى عبد العزيز	فن التذهيب فى الاسلام	٩٠/ ٩٩
محمد الدســـــوقى	من حديث الهجرة فى القرآن	٢١/ ٩٧
» »	خيـــر أمـــة	٨٥/١٠١
» »	أنواع الصيام فى الاسلام	٤٩/١٠٥
» »	الشيبانى	٣٨/١٠٦
محمـــد الزيـــــات	علماء المسلمين سبقوا علماء الغرب	٩٤/١٠٨
محمد سعيد رمضان البوطى	هذا الدين تبدأ حقيقته بمعرفة الله	٤٨/ ٩٧
» » »	آفة البحث العلمى	٤٤/١٠٠
» » »	مدرسة جديدة لدراسة السيرة	٤٦/١٠٢
» » »	نظام السلوك الانسانى	٧٠/١٠٣
» » »	رمضان والعيد ومشكلة تحول القيم	١٢/١٠٦
محمد سلام مدكـــــور	فكرة الدولة فى الاسلام	٣٠/ ٩٧
» » »	الاباحة عند الاصوليين والفقهاء (١)	١٣/ ٩٨
» » »	أساليب الاباحة (٢)	٣٨/١٠٠
» » »	أسباب الإباحة فى الفقه (٣)	٣١/١٠١
» » »	عناية الاسلام بالطفولة وتحريمه التبنى	٢٠/١٠٢
» » »	اثر ذكرى الاسراء والمعراج	٢٠/١٠٣
» » »	التشريع الاسلامى	١٧/١٠٤
» » »	الاوامر الشرعية دلالتها (١)	١٩/١٠٦

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
محمد سلام مدكـــــور	الاوامر الشرعية ودلالتها (٢)	٢٨/١٠٨
محمد شوقى الفنجـــرى	الزكاة بلغة العصر	٤٩/١٠١
» » »	حد الكفاف وحد الكفاية	١٠٣/١٠٣
» » »	الاقتصاد الاسلامى وماهيته	٥٠/١٠٨
محمد الصادق عرجـــــون	مصعب بن عمير	٩٤/١٠٥
محمـــد عبـــد الرءوف	نظرات فى الحـــديث (١)	١٦/١٠٧
» » »	نظرات فى الحديث (٢)	٢١/١٠٨
محمد عبد الرحمن عبد اللطيف	وعد الله ليس لبنى اسرائيل	٩٨ /٧١
محمد عبد الغنى أبو شرف	كلمـــة صريحـــة	١٠٧/١٠٢
محمـــد عبد اللـــه السمان	من قضايا القرآن (كتاب الشهر)	٨٩/١٠٥
» » »	عمر بن الخطاب (كتاب الشهر)	٩٧ /١١١
» » »	الكم والكيف فى نشر الثقافة الاسلامية	٥٤/١٠٢
محمد عزة دروزة	من هو المسلم .. ؟	١٠٣/١٠٣
» » »	أين هى توراة موسى عليه السلام	٧٦/١٠٤
محمد عطـــاء الله	ما كان يجهله عبد الله (قصة)	٨٨/١٠٨
محمـــد عـــلم الـــدين	علم النفس وأثـــره	٦٧/١٠٨
محمد عـــلى الطعمى	عمـــــورية	٩٧ /١٢٧
محمـــد الغـــزالى	الالحاد ليس تطـــورا	٩٨ /٤٠
» »	حوار بينى وبين ملحـــد	٩٩ /٣٨
» »	صور شاملة لسورة يس	١٢/١٠٠
» »	المتحنة سورة الحب والبغض	٨/١٠٢
محمد لبيب البوهى	قلت لنفسى وقالت لى (قصـــة)	٩٩ /٤٦
» » »	صراع فى الظلام (قصة)	٩٤/١٠١
» » »	ثقب فى رأس كبير (قصة)	٩٤/١٠٥
محمد الماجـــد	المسلمون السوفيت	٦١/١٠٨
محمد محمد أبـــو خـــوات	وحدة الدين ومميزات الاسلام	٩٨ /٦٠
محمد محمد أبو شوك	الحائرون بين المنبهات والمهدئات	٧٧/١٠٨
محمد محمد حسين	الاسلام والعروبة	٥٨/١٠٢
» » »	الاسلام والعالمية	٦٠/١٠٤
محمد محمد الشرقـــاوى	كيف يتلى كتاب الله	٦٤/١٠٧
محمد محمود أحمد محمدين	أهمية الوقت فى الاسلام	١٠٧/١٠٢
محمد محمود زيتون	دستور الاعلام (كتاب الشهر)	٨١/١٠٢

تابع — الكتاب

الكـــاتب	الموضـــــوع	العدد/الصفحة
محمد محمود زيتون	قزمان من أهل النار	٨٠/١٠٧
محمد المجـــذوب	متى يدرك المسلمون انهم المسئولون	٩٧ /٥٤
« «	بين خرائب برلين	٩٨ /٩٦
« «	الباحثون عن النـــور	٥٦/١٠٠
« «	دروس من الاسراء	٢٦/١٠٣
محمد منسى السيد سالم	حديث عن اللغة العربية	١٠٣/١٠٥
محمود حسن اسماعيل	صوت المعركة (قصيدة)	٨٦/١٠٦
محمود شيت خطـــاب	خطبة الجمعـــة	٩٧ /٣٧
« « «	المتكلمـــون فى الدين	٩٨ /٤٨
« « «	أنه كان صادق الوعد	٩٩ /٤٢
« « «	لغة القرآن الكريم	١٧/١٠٤
« « «	المسجد المهجور	٣٥/١٠٦
« « «	المسجد المعمـــور	٨٨/١٠٧
محمود محمد بكر هـــلال	من المجتمـــع	١٠٧/١٠٣
محمود محمد قاسم	عبد الحميد بن باديس	٧٦/١٠٣
« « «	ابن سينـــا	٥٨/١٠٧
محمود مهدى استانبولى	افتراء المستعمرين على الاسلام	٩٧ /١٠٤
« « «	خطر اهمال التبشير فى ديار الغرب	٩٨ /٣٢
مناع قطـــــان	أسماء والهجـــرة	٩٨ /٨٠
موسى ابراهيم	الاسلام والمسلمون فى تشاد	٩٧ /٤٢
نـــوال بـــدره	واعدوا لهم ما استطعتم من قوة	١١٠/١٠٦
نـــور الدين عتر	الوحى الى الأنبياء	٣٤/١٠٧
وهبـــه الزحيـــلى	الحضارة الاسلامية بين الحضارات	٩٧ /٨٨
« «	مظاهر أسباب تخلف العالم الاسلامى	٢٤/١٠١
« «	الاسلام فى أصوله الأولى والأخيرة	٦٤/١٠٣
يحيى هاشم حسن فرغل	موقف المسلم من التنبوء والكهانة	٩٩ /٥٢
« « «	موقف الفكر الاسلامى	٣٨/١٠٨
يوسف حسن نوفل	قبل الزحف والتصدى	٩٨ /٥٢
« « «	حاضر العالم الاسلامى (كتاب الشهر)	٧٤/١٠٧


مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ــ الكويت

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) .
بنغـازى : مكتبة الخـــراز — ص.ب : (٢٨٠) .

تونـس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شـــارع فرنســا .

المغـرب : الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة — ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

التقويم الهجرى لعام ١٣٩٤ عـدد ممتاز هديـه

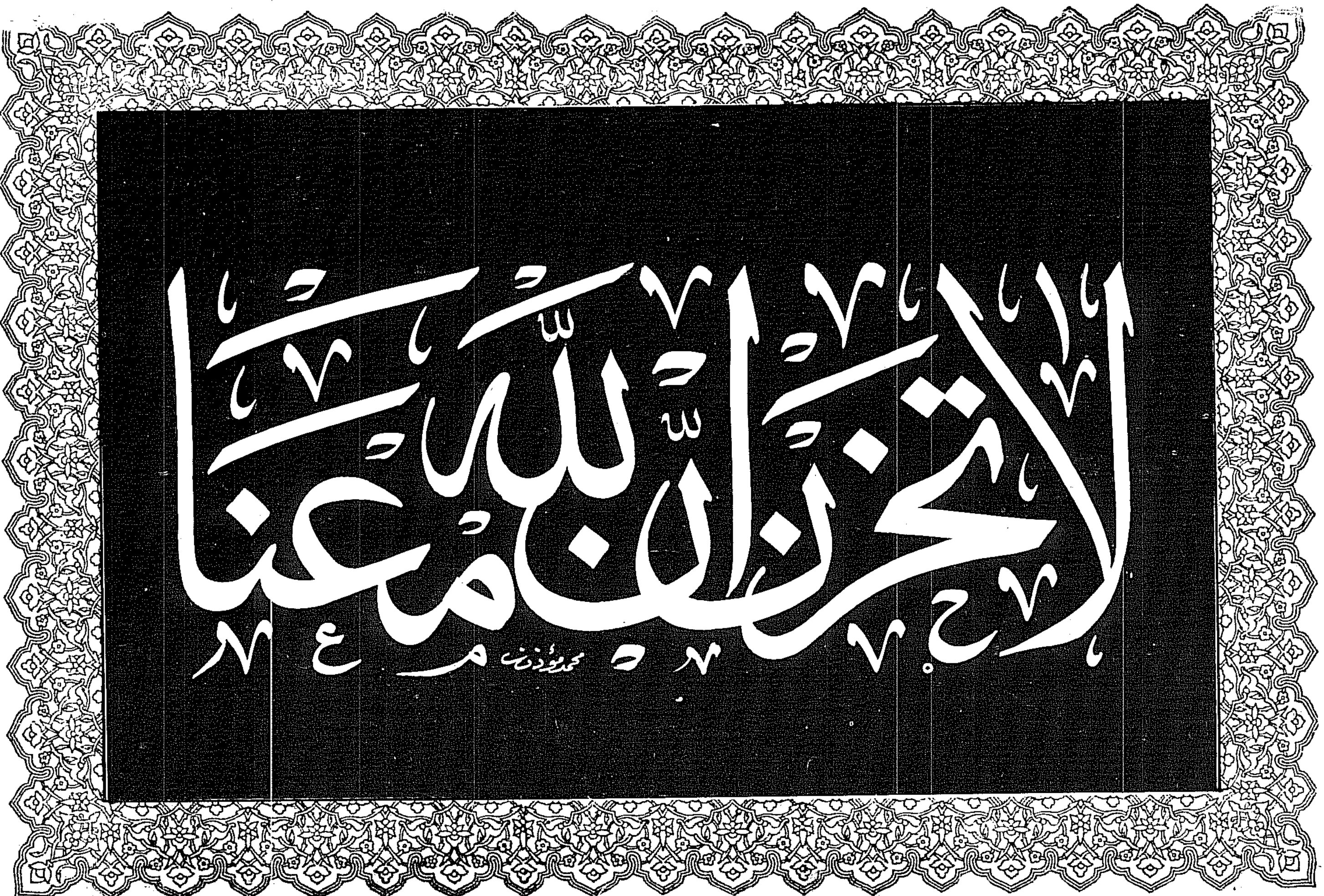
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

غرة المحرم ١٣٩٤ هـ يناير ١٩٧٤ م - السنة التاسعة - العدد ١٠٩ -



الطريق الذى سلكه الرسول في هجرته من مكة الى المدينة


لا تحزن إن الله معنا

الطريق الذى سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم فى هجرته من مكة المكرمة الى المدينة المنورة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العــــدد ١٠٩

غرة المحرم ١٣٩٤ هـ

ينــاير ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الافراد فيشتركون راسا

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمــن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنــوان المراســـلات :

مجــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـــئون الاســلامية

صـــندوق بريد : ١٣ ــ كـــويت ــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الهجرة

بين ماضينا وحاضرنا

للدكتور محمد بيصار

فى مستهل هلال شهر المحرم من كل عام هجرى ، يستعيد المسلمون ذكريات امجادهم ، ويستحضرون معالم تاريخهم ، ويستذكرون ما اسهمت به الأمة الاسلامية فى هذا التاريخ الطويل ، فى بناء الحضارة الانسانية ، وما شاركت به فى ركب التقدم العمرانى ، ثم ما بذلته هذه الأمة من افئدة ابنائها وقلوب عمارها ، وجهود أفرادها وجماعاتها من أجل اسعاد الجنس البشرى بصفة عامة ، وتقرير المصير العربى ، بل وتقييمه بصفة خاصة .

وكان مقترنا بذلك كله ، بل وأصلا لذلك كله ما أفاضت من المعانى الجميلة ، والقيم الرفيعة ، والنفوس الصافية ، المطمئنة على مجتمعها وعلى الناس كافة ، من فضائل ومثل ، ومن خلفيات عظيمة استقتها من تعاليم دينها الحنيف واستمدتها من نبع حضارتها المتدفق بالاصالة والازدهار ثم دفعت بها دفعا الى الحياة للناس تصبغها بكل خير ، وتحملها على حب الحق ، وتحضها على أداء الواجب والسمو بالنفس والضمير الى الاقتراب — ما أمكن — الى المجد المستطاع والتأسى بنور الرسالة الوهاج وصبح الاسلام الابلج ، ومشرق الحقيقة الخالدة فى النفوس الزاكية الصاعدة .

هذا ما اعتاده المسلم عندما يشهد هلال شهر المحرم من كل عام هجرى وكأنه يحاول حينذاك وبايجابية خالصة مخلصة ، وعزيمة صامدة صابرة أن يحدد فى ضوء ذلك كله مسيرته الى الله أولا ، وطريقه الى الحياة ثانيا ، ولعله لا يحس حينئذ بتناقض بين مسيرته الى ربه وطريقه الى واقعيـة فعالة فى حيـاة تتطلب العمل بمقدار ما تنكر الكسل وتنشد القوة بمقدار ما تنبذ العجز ، وتعانق العلم والمعرفة بمقدار ما تباعد بينها وبين الجهل والقصور ، لا يحس المسلم بأى تناقض أو تناحر بين هذا وذاك لان الاسلام ليس نظرية بغير تطبيق ولا جسدا من غير روح ، وليس حياة جامدة وإنما الاسلام تعليم روحى متدفق بكـل أسباب الحياة وعقيدة حقة بها من الطاقات البدنية والفكريـة والروحية ما يحيل المثاليـة الرفيعة والمبادىء المسطورة فى ضمير المؤمن الى واقع حى خلاق يثرى الحياة ، وينميها ويرقى بالوجود الانسانى فى مختلف جوانبه بل ويلبى حاجاته فى جميـع أوجه حياته .

ومن هنا يأتى المغزى الكبير لهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه معه من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ولا يقتصر هذا المغزى الكبير على هـذه المعانى الجميلة والقيم الرفيعة والمبادىء الخالدة وانما يتعداها الى واقعيـة حية وممارسة عملية لرسالة المسلم والحياة (١) بتنشيطها وعمارتها واستخراج ارزاقها (٢) واستثمار خيراتها والأخذ باسباب القوة المادية بشتى صنوفها وأوجه ادائها .

وبذلك يصل المسلم الكامل دينه بحياته ، ويحيى الأرض ويعمـرها بنشاطه كما يصل نفسه بربه ويعمل ما استطاع على الاقتراب من جلاله الأسمى ونوره الأسنى وبهاتين الصلتين ـ صلة المسلم بالله وصلة دينه بالحياة ـ يكتمل الوجود الإنسانى ، وتؤدى وظائفه فى إطار من الفهم الدقيق ، والوعى العميق ، بل يكتمل الوجود الكونى كله حيث تنسق الصلة بين الخالق والمخلوق وتتحقق عبودية العابد للمعبود فى ثمار العمل النافع والقوة الصامدة والدأب الصابر المثابر على تطوير الحياة الانسانية وتأمين مسيرتها ودعم اصرارها .

ولم تكن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة الا تأكيدا واثقا لكل هذه المعانى وترسيخا لها فى قلب المؤمن .

لم يقتصر عليه السلام على تبليغ الدعوة الى الناس وانما اخذ مع ذلك بأوجه الحياة وبقوانينها التى لا تتخلف ادراكا منه عليه السلام ومن صفوة الاخيار بـأن الكلمة وحدها لا تفى وبأن الحق بنفسه لا ينتصر وبأن المبـدأ بدون تطبيق عملـى وممارسة واقعية كلا مبدأ .

ومهما أوتى الحق وأصحاب الحقوق من بين الشواهد وقوة الحجج علـى صدق مبادئهم مما ينحصر فى دائرة القوة المعنوية فان ذلك وحده لا يكفى لانتصار حقهم اذا ما تسلح خصومهم بالقوة المادية وحصلوا من اسبابها ما يتفوقون به على أهل الرشاد ، وكما ان نفاسة الجواهر وجودتها لا تحميها من عبث العابثين بهـا

وكما ان بريق الماس وغلاء ثمنه لا يحول بينه وبين الاعتداء واختلاسه من خزائنه ، وكذلك الحق بحقيقته وخيريته وجودته وبكل ما يتصف به من فضل وشرف لا يحمى نفسه من أباطيل المبطلين وجحافل المعتدين .

لهذا كان لا بد للحق من قوة تحميه واعداد يصونه ودفاع صامد فعال يأخذ بكل ما يمكن من أسباب القوة .

هكذا كان التصور الاسلامى للهجرة وهكذا كان المغزى الكبير لها لذلك هاجر الرسول الى المدينة وخطط لاستراتيجية عسكرية واقتصادية وسياسية ووطد العزم على ان يأخذ بكل ما يمكن من سببه وبكل ما يستطاع من عمل يسير به خطوة نحو قهر أعدائه واعداء دعوته والانتصار عليهم وتثبيت دعائم الحق وأركان الدولة الاسلامية فى أرض الله ومن أجل نصرة دين الله .

ولم يكن أمرا عارضا ولا صدفة محضة ولا مجرد خاطر أن يختار الرسول المدينة المنورة دارا لهجرته وملجأ لدعوته ومقرا لدولته وحاشى أن تكون الهجرة فرارا من أعدائه أو خوفا على نفسه واتباعه وطلبا لشىء آخر غير نصر الله وانما كان ذلك لأهمية الموقع الاستراتيجى للمدينة من الناحيتين العسكرية والاقتصادية لقد كان فى شمال الجزيرة العربية أكبر دولتين عظيمتين فى العالم حينذاك هما دولتا الفرس والروم وكان فى مكة معقل الشرك وقوة المقاومة للاسلام على يد كفار قريش فلو ان ـ الرسول هاجر الى اليمن فى جنوب الجزيرة أو الى شرقها مثلا لأعطى الفرصة لكل القوى المناوئة له أن تلتحم وأن تتماسك فى جبهة متحدة فيتعرض لمواجهتها ومن ورائه المحيط الذى لا يسمح لكفاحه ولجيوشه بحرية الحركة وفنية المناورة ولكنه فى المدينة يستطيع أن يكون ذا موقع متوسط بين **أعدائه** فى شمال الجزيرة وبين **أعدائه** فى مكة فلا يسمح بلقاء بينهما ، كما أنه يستطيع من هذا الموقع نفسه محاصرة قريش اقتصاديا وتهديد تجارتها الى الشام التى كانت تمثل أكثر من سبعين فى المائة من ثرواتها .

ولكن دورات الفلك لا تقف والتاريخ الاسلامى يعيد نفسه وما أشبه الليلة بالبارحة فها هى ذكرى الهجرة فى عام ١٣٩٤ تأبى أن تكون تكرارا أو أن تكون مجرد انفعال بذكريات طيبة عطرة ، وإنما تقترن بمثل أعلى ، وتتجسم فى واقع حى لهذا المغزى الكبير للهجرة ، واقع يشمل جوانب الوجود العربى بصفة خاصة والكيان الإسلامى بصفة عامة فيصبح وكل فرد فيه مهاجر ويمسى وكل شعب فيه مرابط لا ببدنه فقط ولا بروحه فقط ولا بوجدانه فقط ولا بمشاعر فياضة ولا بشعارات فضفاضة ، ولكن يهاجر بالمغزى الكبير للهجرة ويناضل بالمعنى العميق للنضال ويفدى بالاسلوب الشريف للفداء . يهاجر من السلبية الى الايجابية ومن التفرقة الى الوحدة ومن الاحجام الى الاقدام ومن الضعف الى القوة ومن الخور الى الاصرار المصر المعاند على الجهاد حتى النصر .

يهاجر من ماله الى انفاقه فى سبيل الله ، ومن نفسه فداء لها من أجل الدين والوطن، ومن مضجعه إلى ميدان الشرف والجهاد، ومادام الهدف مشتركا والمصير

مشتركا والكفاح مشتركا والرباط القومى والدينى وشيجته ولحمته تعدل لحمة النسب ان لم تفقها فمن الطبيعى ان يملى ذلك أنواعا اخرى من الهجرة ويملى على شخصية المسلم أن يهجر الاحقاد الى الحب والوداد ، وان يهجر نوازع الشر ووساوس الشيطان الى قيم الخير ورضوان الرحمن .

وقد شاء المولى عز وجل ان يكرم عباده المؤمنين وان يبارك مسيرتهم ويسدد خطاهم وان تتمثل هذه الهجرات كلها فى السادس من أكتوبر وفى العاشر من شهر الانتصارات شهر رمضان ١٣٩٣ هـ .

لقد ربط العرب والمسلمون فى ذلك اليوم ومنذ فجره الأول بين النظرية والواقعية وحققوا ذلك التكامل بين جوانب وجودهم ونواميس كونهم الذى يحيون فيه فاتخذوا لصراعهم من أجل الحق أسلوبا جديدا وشقوا لمخططاتهم أنفاقا تحت الأرض تأمينا لسيرها وضمانا لدعمها وامعانا فى اخفاء أسرارها وحين أذن مؤذن الجهاد وانتفضت القوى العربية والجيوش العربية الباسلة لعبور القناة وتحطيم خط بارليف وانقضوا على قوى العدو فى الجولان . فما كان للامة العربية أن تصبر صبر أولى العزم من الرسل الا لكى تنتصر ولا ان تسكت الا ليتكلم الحديد والنار أو تنتظر الا أملا فى سلام قائم على احقاق الحق وسعيا وراء قضاء عادل من المنظمات الدولية يرد الحق لأصحابه ويرد المعتدى ويقر قاعدة الحق والعدل والسلام .

ويوم أن يئس العرب من كل المحاولات السلمية لاسترجاع حقوقهم المشروعة ويوم أن رأوا عدوهم قد اهدر القيم الانسانية وتنكر لمبادىء الاديان السماوية واعتدى على حقوق الانسان وداس المقدسات يوم ان ايقنوا ذلك كله لم يكن أمامهم الا أن يبرزوا أصالتهم وان يفجروا كوامن طاقتهم وان ينطلقوا الى تحرير أرضهم بالاسلوب الذى يفهمه الأعداء ولا يفهمون غيره وبالقوة المادية التى يخشاها الأعداء ولا يخشون سواها .

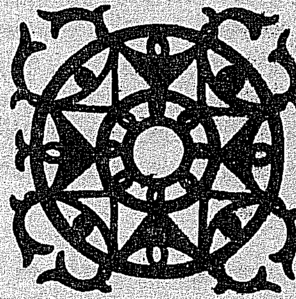
وقد شاء الله ان يطل علينا الهلال الجديد لشهر المحرم ١٣٩٤ هـ والمعركة ما زالت قائمة والهجرات متدفقة والاصرار متصاعدا والترصد لاسترداد الحق المغتصب وتحرير الارض السليبة والقدس الحبيبة يزداد يوما عن يوم كما وكيفا .

فالى مزيد من الاصرار ، والى مزيد من الفداء ، والى مزيد من الصمود حتى تعلو كلمة الله وينتصر الحق ، ويعم السلام أرض السلام على يد أولياء الله ، ودحضا لأولياء الشيطان .

(الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) .

نظرات في سورة الأنعام

للشيخ / محمد الغزالى



سورة « الأنعام » من السور الطوال التى نزلت بمكة تقيم قواعد الإيمان وتنصب حوله البراهين وتجادل عنه الأعداء والجاهلين ..

واسلوب السورة يتسم بالأخذ والرد ، والحوار الحى ، والنزول الى أرض الواقع واستخراج كل ما لدى المشركين من شبهات ومزاعم .

ولذلك تكررت كلمة « قل » للنبى — عليه الصلاة والسلام — أربعا وأربعين مرة يتنزل بعدها التوجيه الإلهى اعلانا للحق وخذلانا للباطل .

وسورة الأنعام بهذه الخاصة من اشد السور قمعا للضلال ، واخمادا لأنفاسه ، واعلانا لمنار التوحيد وجمعا للأفكار والأفئدة عليه .

ونبدأ بالقاء « نظرة » على مراحل الصراع بين الأسلام وأعدائه فى هذه السورة المباركة ...

* * *

إن الحق الغريب فى البيئة العاتية يبدأ ضعيف الشأن قليل الناصر يلقاه الأقوياء بالنظر المتجهم ويتناولونه بالسخرية الظاهرة ويرفضون رفضا شديدا أن يدخلوا فيه بل أن يسمحوا له بالسير .

والله عز وجل فى هذه السورة يوجه الحديث الى الطرفين المتنازعين فيطلب من المشركين أن يحذروا المستقبل وأن يتأملوا فى تاريخ الماضين لتنحسم سخريتهم : **« ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون . قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ! »**

وفى الوقت الذى ينبه المشركون فيه الى مصيرهم يقال لصاحب الرسالة ومن معه من المؤمنين : **« ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم**

نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله . ولقد جاءك من نبأ المرسلين » .

أى اثبتوا أيها المؤمنون ، وتحملوا صنوف الأذى ، وصابروا الليل الطويل حتى يطلع فجر النصر — ولا بد أن يطلع — فان كلمات الله لعباده وقوانينه فى خلقه لن تتغير . ويمكن استقراء الصراع القديم بين الهدى والضلال لتعرف هذه الحقيقة ..

بيد أن حبل النزاع طويل ويظهر أن طوله يستغرق أعمارا كاملة وأن النتيجة المرتقبة تتحرك ببطء رهيب .. بطء يغرى الكافرين بالتطاول والصلف وتكاد معه أرواح المؤمنين أن تزهق .

وتستطيع أن تتبين موقف الفريقين فى هذا الحوار : **« قل : إنى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به . ان الحكم إلا لله . يقص الحق وهو خير الفاصلين . قل: لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم .. »**

إن الله عز وجل يعطى المبطلين فرصا واسعة ليؤمنوا اذا ارادوا ، ويبدو أن سعة هذه الفرص لا تزيدهم إلا ضراوة . ولقد راقبت سيرة المشركين مع النبى عليه الصلاة والسلام فوجدت أن المشركين انفسهم هم الذين فتلوا الحبال التى شددت حول أعناقهم وأجهزت على حياتهم .

إنهم هم الذين صنعوا معركة بدر وكانوا قادرين على العودة من حيث جاءوا بعد نجاة قافلتهم لكن مشاعر الكبر التى أدارت رءوسهم وترجم عنها أبو جهل فى كلمته الحمقاء « لا نعود حتى ننحر الجذور ونشرب الخمور وتغنى لنا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا » . هذه الكلمة هى التى ألحقت بالشرك أول هزيمة قاتلة ، واحنت رأسه احناء مذلا الى آخر الدهر وكما فعل المشركون بأنفسهم ذلك فى بدر كرروا صنيعهم قبيل الفتح الأعظم ليعطوا المسلمين حق دخول مكة بعدما نقضوا العهد المبرم ورفضوا الهدنة الممتدة .

إن الخط الذى رسمه القدر كان فوق فكر البشر وذلك هو السر فى قول الله لنبيه :

« قل : لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم والله أعلم بالظالمين » .

إن على أهل الحق شيئا واحدا أن يعيشوا به وأن يعيشوا له ..

أما كيف يديل الله لهم من عدوهم فهذا ما أستأثر العلم الإلهى به وتعجز القوى عن دركه وارتفاع أهل الحق الى مستواه فى خلقهم وسلوكهم شىء صعب ولكن ما منه بد .

ثم هم بعد هذا الارتفاع لا بد أن يخضعوا لسنن الله الكونية التى تتناول أولياءه وأعداءه على سواء ويعد التعرض لها جزءا من الاختبار الشامل فى قصة الموت والحياة ..

.. وتأسيسا على ذلك يأمر الله نبيه أن يفهم المؤمنين بأنه « بشر » لا يملك طاقات فوق المادة وانه يتعرض مع جماهير المؤمنين لتكاليف الصراع الخالد بين الإيمان والكفر فلا هو صاحب مال لا ينفد ولا هو مدرك للغيوب ، ولا هو ملك متخفف من خواص المادة الانسانية . إنه صاحب دعوة اصطفاه الله لفتح البصائر المغلقة وهداية الجماهير التائهة .

« قل : لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إنى ملك . ان اتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوى الأعمى والبصير افلا تتفكرون » .

وقد قضت الحكمة العليا أن تغير الظروف التى يعيش البشر فيها تغييرا يرغم على الانتباه لما يطلب منهم فان الناس اذا الفوا النعماء قل تقديرهم لها وقل شكرهم لمرسلها الكبير وقل اكتراثهم بحقه وقل

استماعهم لرسله .

ومن ثم فان الله يسلبهم ما يطغيهم لعلهم يعتدلون !

وقد صح أن النبى عليه الصلاة والسلام لما رأى كبرياء قريش وطول صدورها دعا الله عليهم فقال : « اللهم سبعا كسبع يوسف !! »

أى أرسل عليهم سبع سنين عجاف تكسر كبرياءهم وترد اليهم صوابهم .

وهذا علاج حق فان الذاهب بنفسه قد يتواضع ويعقل اذا فقد ما غره من مال أو جاه .

وفى هذه السورة الكريمة يقرر الله جل شأنه هذه السنة الحكيمة : **« ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون »** .

والبأساء : سوء الأوضاع الاقتصادية . والضراء : سوء الأحوال الصحية .

وليس اضرى بالأفراد والجماعات من هذين البلاءين وجدير بمن فقد صحته وماله ان يجأر الى الله تائبا طالبا النجدة ..

ومع ذلك فان هناك شعوبا بليدة تنزل بها القواصم فما تطلب من الله رفعها وما تقف بساحته منيبة ضارعة بل تبقى على غوايتها وكفرها « فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » .

وهذا لون خطير من موت القلوب وعصف الشهوات بالأمم وقد كان المفروض ان الآلام ترد الناس الى بارئهم كى يحجب سخطه عنهم فاذا أوذوا وظلوا فى عماهم فمعنى ذلك أن الفساد تغلغل فى كيانهم واستبد بزمامهم .

وقد يطول بالأمم العناء ـــ والحالة هذه ـــ كما قال تعالى فى سورة أخرى : **« ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون . ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون . حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون »** (المؤمنون ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧) .

لكن سورة الأنعام تذكر لونا آخر من مكر الله بالأمم فان الله يرفع العذاب النازل بالأمم الشاردة ويعيد إليهم ما فقدوا من نعمة ومتاع بل ربما ارسل اليهم أكثر مما ألفوا ليزدادوا ترفا وشرها : **« فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين »** .

إن قطع دابر « المتكبرين » بعدما طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد نعمة تقربها العيون وتنشرح بها الصدور وتتبادل عليها التهنئة ويشكر عليها رب العالمين ..

وظاهر من وصف القرآن لمراحل التغيير من رخاء الى شدة ومن شدة الى رخاء أن الزمان طويل وأن أهل الحق خلال أيامه ولياليه يجب أن يصبروا ويصابروا (والعاقبة للتقوى) نعم زمان طويل يبدأ فيه النضال والباطل قوى مستقر والحق ضعيف منكور ثم تنشب الحرب النفسية والدموية لتتغير بعدها الأوضاع فيقوى الحق ويضعف الباطل بيد أن هذا التغيير يقطع من الزمن طريقا طويلا والى قبيل النهاية لا تؤذن الأمور بانهيار فى جبهة الضلال بل قد تظل مرهوبة الجانب محذورة الشر .

ولذلك فان المعادن الهشة تتفتت على مراحل الطريق ، وينجم النفاق ، ويؤثر الضعاف والجبناء أن ينجوا بأنفسهم ويستريحوا الى دنياهم .

من أجل ذلك يأمر الله نبيه بالثبات على الحق وتثبيت المؤمنين عليه

ويكشف له عورات الشرك ومقابحه لينفر العقلاء منها ويفروا من طريقها **« قل : أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران !!.. »**

فليبق الحيارى ضالين عن رشدهم وليلزم المؤمنون صراطهم المستقيم مهما تجشموا من مشقات **« وأمرنا لنسلم لرب العالمين . وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون »** .

لكن متى ينتهى هذا الصراع ؟ وترتفع راية الحق ؟ لا ندرى ! ولا بد من نهاية له على أية حال **« لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون »** .

وعلى أصحاب الإيمان طال المدى أو قصر أن يميشوا له ، وأن يميشوا به . وهذا المعنى هو الذى سيطر على المسلمين فى العصر المكى فتكون منهم جيل اعتنق الإسلام وربط به سفره واقامته ، وتعبه وراحته ، وصداقته وخصومته وحياته ومماته.

وقد قررت سورة الأنعام ذلك فى خواتيمها لتجعل فيه منهجا خالدا لكل جيل مكافح الى قيام الساعة .

وعلى صدر الطريق نلمح خاتم الأنبياء يتلو ما أمر الله به **« قل : إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »** ..

.. أجل انه الأول تجردا لله وتبتلا اليه ودأبا على عبادته وتسبيحا له وتمجيدا وركوعا وسجودا ثم .. حماية لهذا الدين بالنفس والمال . فالحياة لله والموت فى سبيله .

وعندما استوحش التوحيد فى زحام العالم وطمعت الخرافة أن تاتى عليه من القواعد . نهض الانسان الكبير « محمد بن عبد الله » ورمى بكل ما يملك من طاقات فى المركة اليائسة المضطربة فاذا الشيطان يخور .. واذا الشرك السافر والمقنع يتقهقر ..

وإذا التوحيد الخالص يتقدم ويشيع ..

وإذا العدالة فى الحساب والسلوك تتقرر **« قل : أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء ولا تكسب كل نفس الا عليها . ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون »** ..

إن الخلاف الدينى سوف يبقى ما بقيت الأرض ولن يبت فيه الا الله وحده ! وستنشأ الأجيال الجديدة وهى فى مهدها حاملة مظاهر هذا الخلاف .

والمهم أن يكون المؤمن بالله ورسوله رفيع اليقين والخلق معا ، طاهر القلب والسيرة جميعا . مقتفيا أثر نبيه العظيم وهو يؤكد أن صلاته ونسكه وحياته ومماته لله جل شانه.

إن هزائم الحق فى أغلب الأحيان تجيىء من تفريط المؤمنين وهبوطهم دون هذا المستوى المطلوب فمن ولد مسلما ورزقه الله هذا الشرف فليعلم أنه مكلف بخدمة الحق وتزيين صورته وتنقية حقيقته ، وحسن عرضه والقيام به وتلك هى الفريضة المنوطة بعنقه .

إنك لم تولد مسلما تفضل غيرك دون جهد مبذول وعبء محمول ، بل قد يفضلك غيرك يوم تبتذل النعمة الموروثة وتتركها للضياع أو الامتهان.

— ٢ —

فى هذه السورة الجليلة نلمح منطق القرآن الكريم فى بناء العقائد وغرس الإيمان وهو منطق بعيد عن التقعر ، برىء من الغموض يقوم على وصف الله جل شأنه بما ينبغى له من نعوت الجلال والكمال ، ويلفت النظر الى آفاق الملكوت كى يدرك الانسان

عظمة ربه خلالها . وصدر سورة الأنعام يتسق مع هذا المنهج فقد بدأ الكلام بحمد الله خالق السموات والأرض وجاعل الظلمات والنور . ثم لفت القرآن الكريم النظر الى تاريخ الأمم الأولى وموقفها من قضية الإيمان وكيف أن غفلتها هوت بها ! وأن جحودها لنعمة الله أوردها شر الموارد .

« ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم . »

بيد أن جماهير الناس ربما ضاقت بهذا المنطق ولم يعجبها أن تقاد من عقلها ، ولا أن تستثار مواهبها العليا كى تؤمن . انها تريد شيئا آخر ، تريد خوارق للعادات تشد انتباهها او تشبع فضولها او تتجاوب مع الاتجاهات المادية فى ذوقها وحكمها والرسالة الخاتمة لا ترتضى هذه النزعة ولا تحمدها .

ومن ثم فان المنطق القرآنى مضى فى طريقه يحرك العقل الجامد ويطلب اليه أن يؤدى وظيفته العتيدة فى البحث والموازنة والحكم .

والعرب فى جاهليتهم أصروا على مقترحاتهم فى ضرورة أن تسند الدعوة « معجزات حسية » وقاوموا النداء المتتابع بضرورة أن يفتحوا عيونهم الى آيات الله فى كونه وإبداعه فى خلقه ودلائل عظمته المسطورة بين سمعهم وبصرهم .

ونحن نرى أن اصرار الجاهلية على موقفهم إنما نشأ عن عناد كريه ، وجحد بكل ما يجب التسليم به من مقررات انسانية محترمة . ولو انهم اجيبوا الى ما طلبوا ما اعترفوا بالحق ولا انقادوا له وهنا نجد فى سورة الأنعام مجموعة من النصوص تشرح هذه الحقيقة :

« ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا : إن هذا الا سحر مبين » فهم لا يؤمنون ولو نزل عليهم كتاب من السماء يلمسون اوراقه ويحسون وجوده !. وقد طلبوا أن يتحدث اليهم أحد الملائكة لكن كيف يتم هذا ؟!.

ان البشر جهزوا بحواس محدودة لا تستطيع أن ترى الماديات الا فى حجم معين ، وعلى بعد معين فكيف ترضيهم السماء « **وقالوا : لولا أنزل عليه ملك .. ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون** » أى أنهم سيسترسلون فى عنادهم ويرفضون الايمان بعد استجابة مطلبهم وعندئذ تعجل عقوبتهم وينزل بهم العذاب الأليم .

... على أن ذلك كله مع قدرتهم على رؤية الملك فى طبيعته النورانية . فاذا استحال ذلك وتجسد لهم الملك فان الشبهات باقية والمراة مستمرة « **... ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ..!!** »

وتناولت سورة الأنعام الخوارق مرة ثانية فى قوله تعالى : « **وقالوا : لولا نزل عليه آية من ربه قل : ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون** » .

... اى أن الخوارق المطلوبة ليستمما يعجز القدرة العليا . ولكن الحكمة الإلهية فوق رغبات الطفولة . وعندما يريد الصغار الا يكبروا ...

وعندما تريد الانسانية ألا ترتفع الى مستواها العقلى . فانه لا بد من ارغامها على الصعود والأخذ بيدها الى أعلى وتكليفها أن تحترم العلم . ولعل ذلك السر فى أن النبى عليه الصلاة والسلام قارن بين ما منح من معجزات . وما اجراه الله على أيدى المرسلين الأولين من آيات ثم قال : « ما من نبى من الأنبياء قبلى الا وأوتى من الآيات ما على مثله آمن البشر وكان الذى اوتيته وحيا أوحى الى .. فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم

القيامة » .

ان هذا الحديث يشعر بأن الله جل شأنه يريد أن يبنى الناس إيمانهم على حسن البحث والنظر وصدق الفطانة والاستنباط لا أن يهملوا أفضل ما اوتوا ، وينتظروا القوارع والخوارق كى يعرفوا ربهم .

والمرء عندما يجحد الخاصة التى رجح بها بقية الحيوانات ويريد أن يحيا بغرائزه البدائية وأفكاره الساذجة وحدها .. لا ينبغى أن يجاب الى ما يشتهى . وهذا سر ختم الآية بقوله جل شأنه « **ولكن أكثرهم لا يعلمون** » .

وتعود سورة الأنعام الى تصوير لجاجة المشركين فى طلب الآيات الحسية وتعليق الايمان على وقوعها. قال تعالى : « **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل : إنما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون** » .

ومن حقنا أن نتساءل عن قيمة هذا القسم من مشركين سووا بالله مخلوقاته وحلفوا أيضا على انه لن يبعث أحدا وأن الدنيا هى الحس كله ولا شىء بعده ...

إن هؤلاء المشركين كأنما يذكرون اسم الله من باب الاسترسال مع الخصم . أو كأنهم يقولون : نقسم بالله الذى تزعمونه معشر المؤمنين وتتعلقون به .

أى قسم هذا ؟؟!!

... إن الأمر لا يعدو التشبث بما اقترحوه من قديم . اى أنهم ما زالوا متعلقين بالخوارق التى بنوا عليها إيمانهم وهى ان جاءت فلن تؤسس فى نفوسهم يقينا ولن تزحزحهم قيد أنملة عن جاهليتهم التى ورثوها وأوهامهم التى ألفوها ...

.. وما الظن بقوم يقولون لله : « **إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** » .

أما كان حريا بهم لو كانوا مخلصين ان يقولوا : **اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ...**

ولكنها الطفولة البشرية كما قلنا : هى التى دفعت الى هذه المطالب دون تقدير لها . أو ارتباط بنتائجها .

ولا بد من أن نسجل هنا خطأ سرى فى الفكر الاسلامى سريانا مستفريا هو : اهتمام المسلمين بالخوارق وربط الصلاح النفسى بها حتى أصبحت الولاية عند الجماهير لا مفهوم لها الا وقوع الخوارق على أيدى الأحياء أو الأموات !!

إن هذا الخطأ امتداد للطفولة البشرية التى أنكرها الاسلام على الجاهلين القدامى عندما تشبثوا بخوارق العادات وربطوا صدق النبوة بها . واستهانوا بقيمة العقل فى تقديرها واثباتها ..

وعلماء الكلام .. بل علماء الأديان عموما لا ينكرون وقوع الخوارق . ولكنهم يرون أن هذه الخوارق الواقعة عديمة الدلالة على ما يزعم لها إذ هى تقع من المؤمن والكافر والبر والفاجر . وفى كتب علم التوحيد عندنا تسميات شتى لخوارق العادات بحسب صدورها من الناس ولم يقل احد أن لهذه العجائب دلالة حاسمة أو غير حاسمة على صدق الايمان وقرب المنزلة عند الله .

... الولاية كما عرفها القرآن الكريم هى : الايمان والتقوى سواء حدث لصاحبها شىء من هذه العجائب أم لم يحدث !!

وقد نبه المحققون الى ذلك عندما قالوا : « لو رأيت إنسانا يطير فى الهواء أو يمشى على الماء فلا تشهد

له بخير حتى ترى مسلكه مع الكتاب والسنة » .
وهذا كلام جيد وهو يربط الكمال المنشود بالرقى المعنوى والاستقامة النفسية ولا يعطى ما وراء ذلك قيمة ما ..!.. اننا عندما نتدبر سورة يوسف نجد أنها تضمنت ثلاث رؤى كشفت عن المستقبل . فجاء تطبيقها صادقا كوضح النهار .

- أولى الرؤى الثلاث : لنبى كريم المعدن . حسن الدعوة الى الله.
- أما الرؤييان الأخريان : فهما لقوم لا يعرفون الله ولا يحسنون معاملته .

بعضهم كان سجينا وعاش بعد سجنه يسقى سيده الملك خمرا . والبعض الآخر كان ملكا غريبا على دائرة الايمان ومنطقه .
وقد بنيت خطة الدولة الاقتصادية على رؤياه خمسة عشر عاما . وأحسبنى لو صورت فكر المسلمين الآن لقلت : انهم يحسبون الرؤيا الصادقة أمارة على عظمة المنزلة عند رب العالمين ولو كان صاحبها لا يعرف صلاة ولا صياما . وقد لاحظنا ونحن نقرأ سورة الأنعام أنها زجرت المشركين زجرا شديدا لتطلعهم الى الخوارق ، وغفلتهم عن التدبر والوعى .
والسورة بهذه اللفتة الكريمة تريد أن تنبه الى أن العظمة الانسانية لها أصولها العتيدة وأبعادها المحددة . واذا كان الله قد رزقنا عقلا فيجب على هذا العقل أن يبحث ويقضى .. والأديان انما تستمد وجاهتها وتستحق القبول بما حوت من زكاة للنفوس ورشد للسلوك .. والأديان الفاشلة أو المهتزة القواعد تتحايل على اثبات صحتها وجمع الناس حولها باطلاق الاشاعات عن خوارق وقعت لأحيائها أو موتاها .
وهذه الخوارق فى الأغلب مفتعلة لا تعتمد على شىء .. انما هى الخيال أو التوهم ولو أن ما زعموه كان صحيحا ما دل هذا على شىء طائل فان الأديان تقوم على الصدق العقلى والنضارة الخلقية . وهذا ما طلبت منا سورة الأنعام ان نستيقنه وان نبنى عليه حكمنا . هل معنى ذلك أن حياة « محمد » عليه الصلاة والسلام كانت خلوا من الخوارق ؟؟ كلا !..
لقد صحت « الأسانيد » أن جملة من الآيات الباهرة ظهرت فى سيرة النبى الكريم ، ورأت جماهير من الناس كيف زاد الطعام فى يده وكيف نبع الماء من بين أصابعه وكيف هطل المطر توا استجابة لدعوته ، وكيف.. وكيف ..
.. ان عشرات من هذه الآيات الحسية ثبتت له — عليه الصلاة والسلام — ولكن هذه الآيات لم تعتبر سنادا لاثبات النبوة ولا كان بها التحدى الى آخر الدهر ..
لقد اعتبر أمرها ثانويا بالنسبة الى القرآن الكريم .. الكتاب الذى أحيا الفكر وأيقظ القلب وأنهض الأمم ودفع الأجيال فى طريق حضارة يانعة وربط بين الناس وربهم ربطا يتجدد على مر الأيام اذ لا يزال هذا الكتاب منذ نزل الى يوم الناس هذا .. الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ضانع الايمان الحر . وسائق العقول بطريق الاستدلال الى معرفة ربها والانقياد له .
هذه السورة المكية حافلة بالدلائل التى تسوق الناس سوقا الى الله . وتفتح الأبصار على الآيات الشائعة فى ملكوته ، والروائع التى بثها هنا وهناك تشهد بوحدانيته وعلوه ولطفه .
ان بعض المستشرقين والمبشرين تحدث عن الأسلوب المكى فقال : انه عاطفى يعتمد على الاثارة أكثر مما يعتمد على التفكير ، وتبعهم فى ذلك

سماسرة مستأجرون فى ميدان الأدب والثقافة تحمسوا لهذه الأكذوبة وأخذوا يروجونها ..

والقضية كلها دعوى تافهة ، وسورة الأنعام — من بين السور المكية — مليئة بالبصائر التى تنير طريق الحق وتجلو الغشاوات عن سالكيه .

وكلمة « بصائر » فى قوله تعالى : **« قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها »** هذه الكلمة واضحة الدلالة على العمل العقلى الذى يمزق الظلمات ويكشف الشبهات ويعرّف الناس بربهم عن طريق السريرة الصافية والفطرة الواعية .

وعلى ما ألفنا فى هذه السورة نسمع بعد كلمة « قل » سؤالا عن رب المكان يجيىء على هذا النحو **« قل لمن ما فى السموات والأرض ؟ قل لله » أهو رب المكان وحده ؟ لا . إنه رب الزمان أيضا « وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم »** .

إن اليقين فى تلك السورة يؤسس على النظر العقلى المتأمل المستنتج الذى يستعرض شتى الفروض ثم يرفض الخطأ ويقر الصواب ، وانك لترى ذلك فى السياحة الفلكية التى تضمنتها هذه السورة لإبراهيم عليه السلام ، وهو ينتقل من الكواكب الى مكوكبها ، ومن الشارق الغارب الى من لا يغيب تجليه ، ولا تنقطع قيوميته على العالم الرحيب **« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين »** .

ومن ثم نلحظ أن وصف الله فى هذه السورة يجيىء أحيانا بعد اسمه العلم الظاهر ، وأحيانا بعد ضمير الغيبة ، فيكاد الوصف البارز ينقل ضمير الغيبة الى ضمير حضور وقد بدأ ذلك من الصفحة الأولى فى السورة :

« هو » الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا .. » .

.. و « هو » الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم .. »
.. و « هو » القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة .. »

.. و « هو » الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار .. »
.. و « هو » الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر .. »

.. و « هو » الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع .. »

ويظل الأمر كذلك حتى آخر السورة ، فكما بدئت بضمير الغيبة الذى يبعث على الشهود ختمت به .

.. و « هو » الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم .. »

وهكذا تقف الانسانية كلها بازاء الاختيار الكبير الذى ينتظم جميع أفرادها .. تقف أمام ربها العدل الذى يكلف كل امرىء بقدر ما أوتى من امكانات مادية وأدبية ..

على أنه مهما تفاوت الذكاء البشرى بساطة وعمقا ، فلا يجوز أن يعمى عن الله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور .



مشكلات الفواصل (٢)

للدكتور علي محمد حسن

في المقال السابق ذكرت بعض الآيات التي عرض لها صاحب البرهان ، واجابته عما اشكل فيها من الفواصل ، واكتفي بهذا القدر . واذكر الآيات التي وقفت عندها ، وما قاله بعض المفسرين فيها ، ولعلى أوفى على الغـاية أو أقارب في بيان السر البلاغي من التذييلات التي ختمت بها هذه الآيات الكريمة .

من ذلك قوله تعالى : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم »(١) . ربما توهم أن الفاصلة ينبغي أن تكون : (وهو على كل شيء قدير) . ولكن لما كانت اجزاء الانسان المعادة ربما تفرقت في جهات مختلفة متعددة ، بل ربما اختلطت بأجزاء انسان آخر كانت صفة العلم هنا لازمة للتفرقة بين الاجزاء الاصلية ، والاجزاء الفضلية ، فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق ، وهذا لا يكون الا من عليم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة ، محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص ، اصولها وفروعها ، وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق .

ومن ذلك قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم »(٢) . ربما وقع في بادىء الظن أن التذييل ينبغي أن يكون : (ان الله على كل شيء قدير) ، ولـكن صفة العلم هنا هى الملائمة كل الملاءمة ، فهو سبحانه عليم بمقادير الحاجات ، ومقادير الارزاق .

---

(١) سورة يس ٧٨ — ٧٩ . (٢) العنكبوت ٦١ ، ٦٢ . (٣) لعلها : استوفى .

قال الفخر الرازي : وفي اثبات العلم هنا لطائف :

احداها : أن الرزاق هو كامل المشيئة ، اذا رأى عبده محتاجا ، وعلم جوعه لا يؤخر عنه الرزق الا لنقصان في نفوذ مشيئته ، كالملك اذا أراد الاطعام ، والطعام لا يكون قد استوى بعد ، أو لعدم علمه بجوع العبد .

الثانية : أن الله باثبات العلم استوجب(٣) ذكر الصفات التي هي صفات الاله ، ومن أنكرها كفر ، وهي أربعة : الحياة والقدرة والارادة والعلم ، وقد استوفت الآيات الاربع ، لأن قوله : « خلق السموات والأرض » اشارة الى كمال القدرة ، وقوله : « يبسط الرزق لمن يشاء » اشارة الى نفوذ مشيئته وارادته ، وقوله : « ان الله بكل شيء عليم » اشارة الى شمول علمه . والقادر المريد العالم لا يكون الا حيا .

ومن ذلك آيات من القرآن الكريم ختمت بالحلم والمغفرة ، أو بالعفو والمغفرة ، أو بالرحمة والمغفرة ، وربما وقع لبعض الاوهام أن هذه التذييلات في غير موضعها ، وأن غيرها أولى بهذه الأمكنة منها ، وعلى أحسن الظن ربما خفي على كثير من الدارسين سر التذييلات فيها .

من ذلك قوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم »(٤) .

ومثلها قوله سبحانه : « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما »(٥) .

فالاخبار عن المؤاخذة بما كسبت القلوب ، وعن لزوم الجناح على ما تعمدته يستدرج الذهن الى أن يكون التذييل مما يؤكد أمر المؤاخذة ، ومما يرهب ويخيف ، حتى يدعو ذلك الى الامتثال ، لأن الحكيم لا يذكر العفو مع التهديد لأنه يكون اغراء بالذنب . وهنا ختمت كل من الآيتين بالغفران ، مع الحلم في احداهما ، والرحمة في الاخرى .

وقد قال أبو حيان في (البحر المحيط) معقبا على الآية الاولى : (جاءت هاتان الصفتان تدلان على توسعة الله على عباده ، حيث لم يؤاخذهم باللغو في الأيمان ، وفي تعقيب الآية بهما اشعار بالغفران والحلم عمن أوعده الله بالمؤاخذة ، واطماع في سعة رحمته ، لأن من وصف نفسه بكثرة الغفران والصفح مطموع فيما وصف به نفسه ، فهذا الوعيد الذي ذكره تعالى مقيد بالمشيئة كسائر وعيده تعالى) .

وجعل أبو السعود الكلمة الاولى من التذييل متعلقة بالجزء الأول من الآية : فالله سبحانه غفور حيث لم يؤاخذ على اللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت ، وقلة المبالاة ، والكلمة الثانية متعلقة بالجزء الثاني ، فهو سبحانه (حليم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة .

وقيل في الآية الثانية « وكان الله غفورا رحيما » لا يؤاخذكم بالخطأ ، ويقبل التوبة من المتعمد ، ولكن لم يجر للتوبة ذكر هنا .



ومما يقرب من هاتين الآيتين قوله تعالى : « يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » .

فالمراد هنا الأمر باخفاء الجلابيب عليهن ، وامتثال الأمر انما يتحقق اذا

---

(٤) سورة البقرة ٢٢٥ . (٥) سورة الأحزاب ٥ .

وصل بالوعيد على مخالفته ، أما وصله بالمغفرة والرحمة فذلك يدعو الى التهاون فى التنفيذ .

وقد قال بعض المفسرين : وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط (رحيما) بتعليمهن آداب المكارم ، ومثل هذا الجواب جاء فى قوله تعالى — فى سورة النساء : « وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما » .

ولا يتجه هذا الجواب الا على الرأى الذى يقول ان الناس مكلفون بمكارم الاخلاق بحكم العقل ، وقد تعلق بذلك فعلا بعض المفسرين كالزمخشرى ، وهو معتزلى معروف .

وقريب من هذه الآيات الكريمة قوله تعالى : « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور »(٦) .

وقد احتفل المفسرون لبيان المناسبة فى هذه الآية بين اولها وآخرها ، وأطال فى ذلك الزمخشرى قال : فان قلت : كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع ؟ قلت : المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب ، والعفو عن الجانى على طريق التنزيه لا التحريم ، ومندوب اليه ، ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه ، وسلك سبيل التنزيه ، فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ، ولم ينظر فى قوله تعالى : « فمن عفا واصلح فأجره على الله — وأن تعفوا أقرب للتقوى — ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور » . ف (ان الله لعفو غفور) أى لا يلومه على ترك ما بعثه عليه ، وهو ضامن لنصره فى كرته الثانية من اخلاله بالعفو ، وانتقامه من الباغى عليه .

ويجوز أن يضمن النصر له على الباغى ، ويعرض — مع ذلك — بما كان أولى به من العفو ، ويلوح بذكر هاتين الصفتين .

أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة ، لأنه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده .

وقد نقل ذلك الفخر الرازى فى تفسيره الكبير — على عادته من كثرة النقل من الكشاف — ولم يزد عليه شيئا .

ويبدو لى أن كل هذه الأجوبة غير مقنعة تماما لا سيما الجواب الأخير ، فان الدلالة بذكر العفو عن القدرة لا يمنع أن يكون هنا سر لايثار هذه الكلمة (العفو) على ضدها ، وهو (القادر) مع أن الموضع لهذا المعنى الأخير .

ثم ان الله سبحانه كيف يعده بالنصر على من بغى عليه ، اذا عاقبه بمثل ما عاقب به ، ويذكر ذلك مؤكدا بان واللام . ثم يجعل هذا التصرف منه ذنبا يعده عليه بالعفو والمغفرة .. ؟!

أما الجواب الثانى ، وهو أن الله سبحانه وتعالى اشار بذلك الى انه ينبغى الصفح والعفو جواب حسن لو أن النظم الكريم : (وان الله لعفو غفور) أى بالواو ، حتى لا تكون هذه الجملة مبينة أو مؤكدة لما قبلها ، بل تكون مستقلة فيها صفتان من صفات الله تعالى ، نبه بذكرهما — بطريق الكناية والتعريض — على أن الاولى بمن اعتدى عليه أن يصفح ويغفر .

ولكن يبقى السؤال : لم أوثرت الكناية هنا ، ولم لم يقل — كما فى آيات أخر — وأن تعفوا وتصفحوا هو أقرب للتقوى مثلا .. ؟

وقد أجاب بعض المفسرين بأن المعاقب لمن اعتدى عليه كثيرا ما يغلبه أن يلتزم التماثل التام بين الاساءة والعقوبة عليها ، فأشار الله سبحانه الى انه

---

(٦) سورة الحج ٦٠ .

يعفو ويغفر لمن بغى عليه بعض ما تجاوز عليها ، فأشار الله سبحانه الى أنه مظلوم ، وفي التعبير بالنصر هنا ما يؤكد هذا الجواب .

وربما صح لي أن أضيف شيئا الى ما قاله المفسرون ..

يبدو لي — والله أعلم بمراده — أن ذكر الغفران والرحمة والحلم والعفو في كل هذه الآيات انما هو اشارات الى أن بعض هذه المخالفات سيقع كثيرا فيما يستقبل من الزمان ، وأن هذه المخالفات ليست من الكبائر التي تشدد فيها العقوبات ، فمثلا (الحلف) فشا في الازمنة المتأخرة ، وكثرة الحلف اللغو ، بل كثرة اليمين المنعقدة اذا حنث فيها ، والتي ليست غموسا ليست من الكبائر . كما أن ادناء بعض النساء من جلابيبهن قد قلت العناية به في كثير من الشعوب ، والذي يرد الاعتــــداء فلا يلتزم الحد الواجب أكثر من أن يحصى ، فناسب أن يجيء مع هذه التشريعات ذكر المغفرة والرحمة والعفو والحلم . ولذلك نجد الآيات التي عرضت لكبار الذنوب ختمت بتشـــديد العقوبات ، فآيات القتل والسرقة والزنا وشرب الخمر لا ظل فيها لذكر المغفرة والرحمة الا مع التوبة منها ، قال تعالى : « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما »(٧) .

وقد روى عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال : قرأناها على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سنين : والذين لا يدعون مع الله الها آخر .. الآية ، ثم نزلت : الا من تاب . فما رأيت النبي — صلى الله عليه وسلم — فرح بشيء قط مثل ما فرح بها ، وفرحه بأنا فتحنا لك فتحا مبينـــا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .

وقال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شــــهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم »(٨) .

فأما قوله تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرهن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم »(٩) ، فالمراد — والله أعلم — غفور رحيم لهن لا لسادتهن ، وروى أنها في مصحف ابن مسعود — رضي الله عنه — كذلك ، وكان الحسن — رحمه الله — اذا قرأها ، يقول : لهن والله ، لهن والله .

ولعل السر في ذلك أن الاكراه ربما كان دون ما اعتبرته الشريعة ، وهو الذي يخاف منه التلف ، فكن بقبول البغاء آثمات .

وأمر آخر بدا لي بعد ما أطلت النظر في هذه الآيات الكثيرة التي ختمت بالغفران والرحمة والعفو والحلم والرأفة ، وما الى هذه الصفات التي تبعث في نفوس المؤمنين الأمل والرضا ، وتفتح لهم طريق العودة الى الله مع كثير من الرجاء .

ذلك الأمر هو أن القرآن الكريم يؤثر جانب الوعد على جانب الوعيد ، فضلا من الله ونعمة ، فهو سبحانه يلفت نظر المسلم وقلبه حتى في المواضع التي تتملكه فيها الرهبة الى أنه — جل وعلا — غفور رحيم . وهذا — اذا صدق الايمان — لا يدعو الى التهاون ، بل ربما بعث في نفس المؤمن الخجل والحياء من الله ، أن يكون هو مقيما على معصيته الله ، والله سبحانه يمده العفو

---

(٧) الفرقان ٦٨ — ٧٠ . (٨) النور ٤ و ٥ . (٩) النور ٣٣ .

والحلم . وبذلك يشتد اقباله على الله ، وتقوى رغبته فيما عنده .

ولعل مما أعانني على هذا الفهم أن القرآن الكريم في بعض المواضع التي ترتعد فيها النفوس من قسوة الوعيد يلاطفها بحسن الوعد ، لعلها ترجع بالترغيب ، كما ترجع بالترهيب . لنقرأ قوله تعالى : « فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين »(١٠) فقد وقف المفسرون ، والناظرون في معاني القرآن الكريم عند قوله تعالى : « فقل ربكم ذو رحمة واسعة » وكيف جاء مع افتراض تكذيب أهل مكة للرسول ، وكيف جاء مع وصفهم في آخر الآية بأنهم قوم مجرمون ، وقالوا أن التناسب غير واضح .

وممن ذكروا ذلك صاحب (البرهان) حيث قال : (ذو رحمة واسعة مع أن ظاهر الخطاب ذو عقوبة شديدة ، وانما قال ذلك نفيا للاغترار بسعة رحمة الله تعالى في الاجتراء على معصيته ، وذلك أبلغ في التهديد ، ومعناه لا تغتروا بسعة رحمة الله تعالى في الاجتراء على معصيته فانه مع ذلك لا يرد عذابه عنكم) .

وقول الزركشي هذا واضح التكلف ، فان الآية لا تدل على منعهم من الطمع في سعة رحمة الله ، بل الذي يتبادر الى الذهن أن هذا اطماع لهم في أن يرجعوا عن كفرهم ، فيدخلوا في سعة رحمة الله ، ومع هذا الاطماع نبههم الى أن الله سبحانه — مع سعة رحمته — ذو بأس شديد لا يرده عن القوم المجرمين الذين لم تغرهم رحمة الله فظلوا على اجرامهم .

ولننظر — أيضا — الى قوله تعالى : « يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم »(١١) وقد أطال العلماء في بيان سر التعبير بالكريم في هذه الآية ، وقالوا ان النظم كان يقتضي : ما غرك بربك القهار ، أو الجبار ، أو المنتقم — مثلا — لأن كونه كريما يشجعه على الاغترار بكرمه ، ولذلك روى عن أبي بكر الوراق أنه قال : لو قال لي : ما غرك بربك الكريم ؟ لقلت : غرني كرم الكريم . وقال بعض أهل الاشارة : انما قال ربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه حجته في الاجابة ، حتى يقول : غرني كرم الكريم .

والذي روى عن العلماء في تفسير الآية فيه ما هو متقابل ، فبعضهم يتمشى مع السياق الطبيعي للآية ، ويرى أن الله سبحانه أراد أن ينبه عبده الى أنه — جلت قدرته — كريم ، يعطي بغير من ، وبغير انقطاع ، وأن الانسان ما كان يتخذ من هذا الكرم باعثا له على عدم الاغترار ، وعلى الاجتهاد في العبادة ، وعلى صدق الايمان ، فكثرة الكرم — كما يقول الرازي — توجب الجد والاجتهاد في الخدمة ، والاستحياء من الاغترار والتواني .

ونظر بعض المفسرين هنا ببيت امرىء القيس :

أغرك مني أن حبك قاتلي
وانك مهما تأمري القلب يفعل

مع أن بعض النقاد عابه قائلا : اذا لم يغرها هذا منه فماذا يغرها .. ؟

ولكن أهل التدقيق في المعاني اجابوا عن امرىء القيس بأن هذا مبالغة منه ، وتيئيس لها من أن يغرها هذا ، مع أنه موجب للغرور ، ولكن عند غيره ، أو مع غيرها ، وكأنه قال : اذا كان هذا يغر — وهو ولا شك كذلك — فما ينبغي أن يغرك مني ، لأني ، وان بلغ بي حبك ما بلغ ، وان كان قلبي يستجيب لك في كل ما تأمرين به — أملك ناصية أمري ، وأستطيع أن أتغلب على كل هذا

---

(١٠) الأنعام ١٤٧ . (١١) سورة الانفطار ٦ . (١٢) سورة النساء ٩٧ — ١٠٠ .

الضعف فى نفسى ، فأنا محب ، خاضع للحب ، ولكن انكر عليك أن تخدعى فتفترى بهذا منى .

ويمكن أن يقال : ان هذه الصفات متصل بعضها ببعض ، أى ما غرك بربك الذي تكرم عليك بأن صورك فى صورة حسنة ، وهو اذا شاء جعلك فى أية صورة اخرى ، هو منعم وهو قادر فلا ينبغي أن تفتر بمن هذه صفاته .

ومع كل هذه التخريجات لا نغفل أن الله سبحانه — وهو أعلم بمراده — اراد أن يرغب عباده فى عفوه ومغفرته وكرمه ، والا يجعل اليأس من كل ذلك يسيطر على نفوسهم .

ولعل جماع ذلك كله قوله تعالى : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا » .

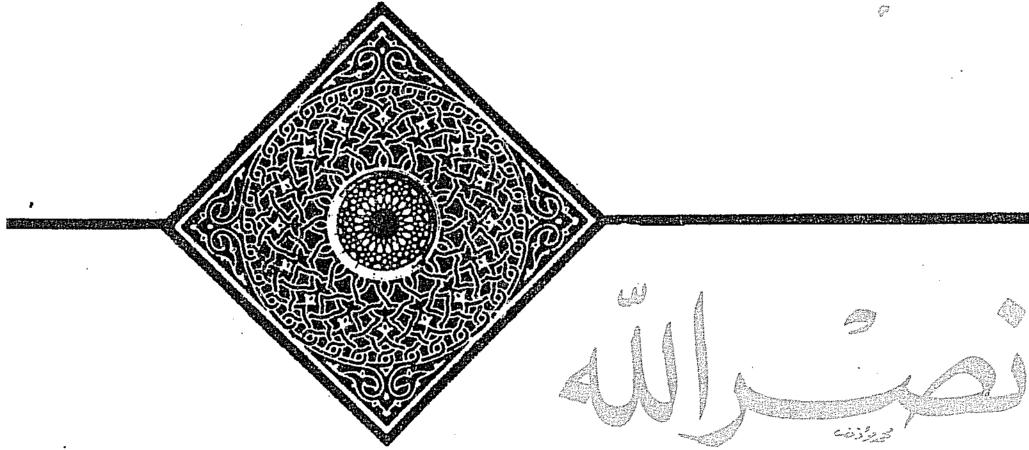
ويبدو للدارس فى بعض الأحايين أن هاتين الصفتين (المغفرة والرحمة) تجيئان لمجرد وصف الله تعالى بهما ، دون أن يكون هناك ذنب يشار اليه فى الآية ، وكأن القرآن يقول : حتى لو توهم أن هنا ذنبا فان الله غفور رحيم .

نقرأ قوله تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » .

فالقرآن الكريم وصف بعض الذين لم يهاجروا بأنهم مستضعفون فى الأرض ، وبأنهم لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا ، فهم لا يجدون وسيلة للهجرة بسبب الفقر والعجز ، وليس لهم علم بالمسالك فليس عليهم اذن جناح ، وقد أخرجهم الله سبحانه وتعالى من الوعيد السابق للذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم ، فما المراد بقوله : « فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » ، وعم يعفو ؟ ان هذا وعد من الله سبحانه ، وعد مؤكد بالعفو عنهم ، ولكن القرآن لم يشر الى ذنب ارتكبوه ، فما السر ؟ لقد أجاب صاحب الكشاف بأن هذا (للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه ، حتى ان المضطر ، البين الاضطرار من حقه أن يقول : عسى الله أن يعفو عنى ، فكيف بغيره) . وهو — بذلك — يقرر انه لا ذنب لهؤلاء الا مجرد الخوف من أن يكون تأخرهم مع اضطرارهم ذنبا ، ومع ذلك وصف الله سبحانه نفسه بأنه عفو غفور لتكون هاتان الصفتان على ذكر دائم من المؤمنين الذين عاقتهم ظروفهم المادية والجسدية والنفسية عن الهجرة .

والقرآن الكريم وصف (الرجل) بأنه خرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ، وبأنه حين مات دون غايته وجب أجره على الله ، فأى ذنب جناه هذا المهاجر ؟ لعل ذنبه انه تأخر عن الهجرة فى وقتها الواجبة عليه فيه ، فالله غفر له ذلك ، لكن القرآن يقول : « فقد وقع أجره على الله » . أى انه لما هاجر خالص النية لله ولرسوله كان ذلك كافيا فى ان يتكفل الله له بالأجر ، وان لم يبلغ غايته التى هاجر اليها ، فوصف الله سبحانه نفسه هنا بالغفران والرحمة لتذكير المؤمنين بهاتين الصفتين الكريمتين .

وقد أطلت فى هذا الموضع لأن الآيات التى ذكرت فيها هذه الصفات : (الغفران — الرحمة — الرأفة — العفو) كثيرة فى القرآن الكريم ، وبعضها يحتاج الى وقفة واعية متأملة ليصل الدارس الى سر ذكرها فى هذا الموضع أو ذاك .



نصر الله للمؤمنين وهدايته لهم

للدكتور محمد البهى

✻ يعد الله المؤمنين بنصرهم ، ويؤكد وقوع النصر كأمر لا يتخلف فى حياتهم اطلاقا : « .. **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » (الروم ٤٧) . فيوجب عليه جل شأنه فى هذه الآية القرآنية: نصره للمؤمنين . بل لا يكون النصر للمؤمنين الا منه وحده ، سبحانه : « **وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم** » (آل عمران ١٢٦) .

✻ هذا وعد الله فى كتابه . ولكن متى يتكفل الله بذلك للمؤمنين به؟ أو بعبارة أخرى : متى يتحقق النصر فعلا للمؤمنين به ؟ .

تقول آية قرآنية أخرى : « **يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » (محمد ٧) .. فتجعل نصر المؤمنين لله شرطا أو مقدمة لنصر الله لهم . وتأتى آية أخرى لتؤكد هذا الشرط ، فى قول الله تعالى : « **ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز** » (الحج ٤٠) والتعقيب فيها بقوله : « **ان الله لقوى عزيز** » ليوضح توافر أسباب النصر فى جانب الله ، وهى أسباب القوة والمنعة لديه . وهذا من شأنه أن لا يكون هناك عائق اطلاقا للنصر من جانب الله .

ونصر المؤمنين لله لا يتصور الا باتباعهم هدايته ، على نحو ما جاء فى كتابه . وهداية الله هى تخطيط لموقف المؤمنين نحو ذواتهم ، ولموقفهم من أعدائهم .

* فاذا قرانا بعد الآية الأخيرة هنا فى سورة الحج قول الله تعالى : **((الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور))** (الحج ٤١) .. وجدنا أن نصر المؤمنين لله باتباعهم هدايته فيما يتعلق بذواتهم هو — ان مكنوا — أن يقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويأمروا بالمعروف ، وينهوا عن المنكر .

ومعنى اقامتهم للصلاة : خضوعهم لله وحده ، وتوكلهم عليه ، وعدم طغيانهم بنعمه من قوة مادية ، أو اقتصادية ، أو بالأولاد والعصبية ، وبالجاه والسلطان .

اذ اتصالهم بالله فى الصلاة عدة مرات من شأنه أن يحملهم على الرجوع الى كتاب الله فيما يتعلق بسلوكهم .

ومعنى ايتائهم الزكاة : مشاركتهم بأموالهم الخاصة فى سد حاجة الآخرين معهم فى أمتهم ، وبعدهم بذلك عن أن تسيطر عليهم الأنانية . ومن لا تسيطر عليه الأنانية فهو انسانى ، قد تحول فعلا من الجاهلية المادية الى الروحية الانسانية فى مجتمع اسلامى ولذا جعل القرآن الكريم الظاهرة المميزة للمؤمن — وهو غير الأنانى شأنا — عن الجاهلى أو المادى ، وهو أنانى : ان المؤمن يسد حاجة المحتاج ، وهو محب لما يقوم به من مشاركة فى سد هذه الحاجة . يقول تعالى فى سورة الانسان ٧ : **((ويطعمون الطعام على حبه** (أى على حب الاطعام) **مسكينا ، ويتيما ، وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا))** بينما الجاهلى أو المادى الأنانى لو سئل فى سبيل المشاركة فى سد حاجة غيره هزأ وسخر من السائل ، وظن ان السائل له فى ضلال وحيرة : **((واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقهم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ، ان أنتم الا فى ضلال مبين))** (يس ٤٧) .

ومعنى الأمر بالمعروف : قيامهم بالواجبات ، سواء تلك التى فرضها عليهم ايمانهم بالله ، أو الأخرى التى يفرضونها هم على أنفسهم فى العهود والمواثيق لله ، وفى القبول والايجاب فى المعاملات : **((يوفون بالنذر** (وهو الواجبات المختلفة) **ويخافون يوما كان شره مستطيرا))** (الانسان ٩) .

أما النهى عن المنكر فهو العمل على البعد عن الجرائم ، وبالأخص الاجتماعية منها ، وهى التى تتعلق بالنفوس ، والأموال ، والأعراض .

واداء هذه الأمور الأربعة تجعل للانسان صلاحية : أن يتغلب على اهوائه ، وبالتالى يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الفردية . وايثار المصلحة العامة هو عامل نجاح الأفراد فى عمل جماعى . وهو قبل ذلك عامل فى السيطرة على الفردية المهلكة فى الذات .

* أما اتباع المؤمنين هداية الله فى موقفهم من أعدائهم فيتمثل فى ثلاثة أمور ، يوضحها كتاب الله :

الأمر الأول : ان يعد المؤمنون انفسهم لمواجهة اعدائهم فى رد عدوانهم ، أو فى القضاء على فتنتهم

واعداد المؤمنين أنفسهم هنا هو اعداد القوة المادية فى الدرجة الأولى . اذ الاعداد النفسى أو الذاتى قائم فعلا بأداء الصلاة ، وايتاء الزكاة والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . ويوجب الله على المؤمنين اعداد أنفسهم بالقوة فى قوله تعالى : **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »** (ويدخل فى حساب القوة : حسن التدريب على أساس علمى ومنهجى ، واقتناء الوسائل المتفوقة فى القتال واستكشاف وضع العدو ، وجودة الاعلام والتبصير فى الوسائل وفى الموضوعية ، وغير ذلك مما ينتمى الى التفوق فى الاعداد) **ومن رباط الخيل** (وهو مثل من الأمثلة التى يقوم عليها الاعداد القوى ، وليس حصرا الوسائل التمكن والاعداد وانما ذلك بحسب العصور المختلفة) **ترهبون به عدو الله ، وعدوكم** (أى والهدف من الاعداد القوى ليس هو الاعتداء على الآخرين ، أو العدوان على حرمات الغير . وانما هو ارهاب عدو الله وعدو المؤمنين معا . وعدو الله والمؤمنين معا هو ذلك الوثنى المادى أو الجاهلى الذى ينكر القيم الانسانية فى سلوكه وفى تعامله ، ويلجأ الى الميكافيلية واللا أخلاقية فى تحقيق أهدافه . وأرهاب عدو الله وعدو المؤمنين هو حائل يحول دون مباشرة عدوانه أو هو وقاية من عدوانه المفاجىء) **وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** (وعدو الله وعدو المؤمنين ليس هو فقط ذلك الفريق الذى يجهر بعداوته للمؤمنين وهداية الله . وانما من ورائه ومتستر خلفه : عدو لله وللمؤمنين أيضا ، أو قد يخرج من هذا الظاهر جيل أو أجيال قادمة تباشر عداوة الله وعداوة المؤمنين .

والاعداد القوى المتنوع اذن يجب أن يكون ملازما لوجود المؤمنين بالله لوقايتهم من أعدائهم فى الظاهر وفى الخفاء ، وفى حاضرهم ومستقبلهم . فان قصر المؤمنون بالله فى هذا الاعداد لم يكونوا عندئذ قد اتبعوا هداية الله التى هى شرط أساسى فى نصرة الله لهم على أعدائهم ، وبالتالى لا يكفل الله لهم النصر ، ان هم اشتبكوا فى قتال مع هؤلاء الأعداء) **وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون** (الانفال ٦٠) (والاعداد للقوة لمواجهة العدو أو القضاء على فتنته ، فى سبيل بقاء المؤمنين أحرارا يمارسون حقهم فى الحياة فى ظل هداية الله هو قطعا فى حاجة الى مال ، كما هو فى حاجة الى رجال مؤمنين ، ينسون أنفسهم فى سبيل الله ، وسبيل المصلحة العامة . وهنا ما ينفقه الأفراد على اعداد قوة المؤمنين يجعله الله جل شأنه فى مستوى قرض اقترضه من الموسرين ، ويعد بوفائه من غير نقص أو بخس فى قدره ومقداره . ويفى به سبحانه فى الدنيا والآخرة معا) .

والاعداد للقوة المادية ضرورة اسلامية لحياة المؤمنين ، وهدفه هو رقابة المؤمنين من اعتداء أعدائهم وأعداء الله عليهم ، وهم أولا وأخيرا : الماديون ، ولو كانوا من أهل كتاب سبق .

والموسرون من المؤمنين فى أى مكان مدعوون من قبل الاسلام بالاسهام فى اعداد المؤمنين للقوة المادية ، مع عهد الله على نفسه بالوفاء لهم وفاء حسنا . والقرآن هنا اذ يقول للمؤمنين : « وما تنفقوا فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » .. لا يعرف فواصل ولا

حدودا بين المؤمنين من القومية ، والشعوبية ، واللغوية .

الأمر الثاني : أن يرجع المؤمنون الى كتاب الله ليتفقوا على طبيعة أعدائهم ، وما لهذه الطبيعة من سلبيات ، فان هم رجعوا الى القرآن ليقفوا على طبيعة الأعداء الذين تفشى بينهم النفاق ، والغدر حول مدينة الرسول عليه السلام على عهده ، وهم بنوا النضير واخوانهم فى قريظة ، فانهم سيقفون على طبيعة تغلب عليها الانانية وحب الذات ، ويغلب عليها الميل الى التصديق بالمحسوس وحده . وكل صفة من هاتين الصفتين تتبعها آثار بارزة فى السلوك والمعاملة من أصحاب الطبيعة أنفسهم :

فحب الذات يستتبعه الجبن . والجبان لا يقاتل فى مواجهة عدوه . وانما يقبل على القتال من وراء حجاب اذا أمن آثار القتال على حياته . يقول الله تعالى : **((لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة ، أو من وراء جدر))** يقول سبحانه ذلك فى وصف طبيعة اليهود من بنى النضير . واذ يقول ذلك لا يقوله خاصا بهذا الفريق من سكان بنى النضير بالقرب من المدينة على عهد الرسالة . وانما يقوله كصفة عامة لليهود الذى تحولوا عن رسالة موسى الى الايمان بالمادية وحدها ، والكفر بالروحية والقيم الانسانية جميعا . ومن قول الله هذا فى تحديد هذه الطبيعة يتجلى : أن اليهود لا يجتمعون على قتال غيرهم الا بشرط التفوق فى الامان . فهم محبون لذواتهم حبا شديدا ، ويؤثرون ذواتهم على مجتمعهم وأهدافه . أى أن الفردية وعدم التضحية بالذات فيما يسمى بمثل عليا أساسان فى تكوين شخصيتهم . والتفوق فى الأمان قد يكون بالحصون والاستحكامات . وقد يكون بالأسلحة المتفوقة تيكنولوجيا ، أو بالأسلحة الهجومية ، كما يقال . وقد يكون بما يسمى الحرص على ميزان القوى بينهم وبين أعدائهم . أى أنهم يضمنون لأنفسهم التفوق النوعى فى الاعداد للقتال ، مقابل تفوق أعدائهم فى العدد . ومعنى ذلك أيضا : أن يمنع أعداؤهم بصورة أو بأخرى من التفوق النوعى فى السلاح وفى التدريب ، طالما هم أكثر منهم عددا ، والميزان اذن هو ميزان النوع فى مقابل ميزان الكم .

وحب الذات كما يستتبع الجبن : يستتبع الفرقة أو الفردية . وهى عدم الترابط بين الأفراد على أساس رباط نفسى أو معنوى أو ايمانى مشترك . والفردية كما هى عامل من عوامل الضعف فى المجتمع ، هى عامل أيضا من عوامل الحقد ، والتنافس البغيض ، والخصومة الحادة بين الأفراد فى المجتمع الواحد . ويصف هذه النتيجة قوله تعالى فى الآية ذاتها : **((بأسهم بينهم شديد))** (الحشر ١٤) (أى خصومتهم فيما بينهم شديدة . وهى تلك الخصومة القائمة على جراة فيهم) ((تحسبهم جميعا ، وقلوبهم شتى)) (وقد يظن انهم يجتمعون فيما بينهم على أمر ما . ولكن واقع الأمر أن قلوبهم متفرقة لأنه لا يعمرها الا حب الذات وحدها)) .

اما الميل الى التصديق بالمحسوس نفسه فيولد فى نفوسهم الرهبة من القوة المادية وحدها . أى أنه اذا انضمت الى القوة العددية لأعدائهم قوة نوعية فى الاعداد والتدريب فالخشية من لقائهم لهؤلاء الاعداء

ستكون عميقة وعظيمة فى نفوسهم ويقول الله فى ذلك فى سورة الحشر أيضا : ((**لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله**)) (أى أن المؤمنين فى المدينة بعد أن أصبحوا الآن قوة عددية يحسب حسابها من قريش ومن على شاكلتها من مشركى القبائل العربية بالاضافة الى قوتهم النوعية التى كانت لهم وتجلت فى غزوة ((بدر)) من قبل وهى قوة الايمان : اصبحوا مصدر إرهاب ليهود بنى النضير ومن حول المدينة ، يخافونها أكثر من خوفهم من الله . لأنهم راوا هذه القوة للمؤمنين بأعينهم . ولكنهم لم يروا الله محسوسا حتى يخشوا من عظمته . ولذلك نقضوا ايمانهم بالله فى عهد موسى ، وطالبوه بأن يريهم الله حتى يعيدوا الايمان به من جديد . ويقص ذلك كتاب الله فى قوله : ((**يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ، فقد سالوا موسى اكبر من ذلك ، فقالوا : ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات**)) (النساء ١٥٣) . وهم اذن لا يؤمنون الا بالمحسوس مجسدا .

والأمر الثانى فى هداية الله الذى يجب أن يقف عليه المؤمنون به ، خاصا بطبيعة أعدائهم : يقدم لهم معرفة الهية لا تخطىء اطلاقا . والخطأ أن وقع يكون فى عدم اتباعها . وعداوة اليهود للمؤمنين هى عداوة تاريخية . وقد أراد الله سبحانه أن يكشف عن هذه الطبيعة فى وضوح ، ويجعلها من المعتقدات التى لا تترك أبدا ، حتى لا يغفل عنها المؤمنون فى وقت من أوقاتهم .

وقد قدم لهم فى هذه المعرفة :

١ ــ أن اليهود لا يرهبون الا القوة المادية ، فى كمها ونوعها ، لأنهم لا يؤمنون الا بالمحسوس ، ويكفرون تبعا لذلك بالقيم الانسانية .

٢ ــ وان اليهود تسود بينهم الفرقة النفسية والخصوصة المنيفة ، تبعا لحب الذات وسيادة الفردية عليهم .

٣ ــ وأن صفة الجبن تتمكن من نفوسهم . فهم لا يقاتلون الا محصنين أو متفوقين فى أعدادهم للقتال وعدتهم فى وسائله ، ومن أجل ذلك تحملهم تضحية أعدائهم عند المواجهة على الفرار والتخلى عن القتال .

فاذا قابلهم المؤمنون بقوة الايمان وبقوة السلاح ، وبروح التضحية فانه لا مفر من خذلانهم وهزيمتهم . وهنا يكون نصر الله . ولذا اراد الله أن يؤكد فى هدايته فى كتابه هذه النتيجة ، ويسجلها لأجيال المؤمنين المتعاقبة ، فى قوله تعالى : ((**وانزل الذين ظاهروهم**)) (أى ظاهروا المشركين وساندوهم فى غزوة الأحزاب ضد المؤمنين) **من أهل الكتاب من صياصيهم** (أى من حصونهم ومعاقلهم) **وقذف فى قلوبهم الرعب** (أى اوصل الى قلوبهم الرعب من المؤمنين ، بسبب كثرتهم فى العدد . وصبرهم على حصار الأعداء . ورغبتهم الاكيدة فى القتال) **فريقا تقتلون ، وتأسرون فريقا**)) (الاحزاب ٢٦) .

ثم اضافت هداية الله الى تسجيل هزيمة الأعداء من اليهود حول المدينة : فعل الله بأن أورث المؤمنين به ما لهؤلاء الاعداء : من أراض ، وأموال ، وديار ، ايذانا منه سبحانه

بأن هؤلاء الاعداء لن يستقر لهم فى تاريخ البشرية وضع بعد ذلك ، مهما كان شأنهم ، أمام المؤمنين بالله ، ان هم اتبعوا هدايته كما خططت هنا فى قرآنه المجيد :

« وأورثكم أرضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وأرضا لم تطؤها ، وكان الله على كل شىء قديرا » (الاحزاب ٢٧) .

وما صورته هنا هداية الله بشأن ما يتبع مع الأعداء من اليهود الماديين ومن النتائج التى تترتب على اتباعها لنصر المؤمنين لا يعوضه بحال انصراف المسلمين اليوم فى مجتمعاتهم الى مصادر اخرى للمعرفة تقيهم شر هؤلاء الأعداء فى حاضرهم وفى محنتهم القائمة معهم اليوم .

والأمر الثالث : عندما تكون للمؤمنين قوتهم المرهبة — وهى القوة المادية والنوعية التى يراها هؤلاء من أهل الكتاب — وجوب قتالهم دفعا لعدوانهم لعموم قوله تعالى : **« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »** (البقرة ١٩) . فان لم يكن لهم عدوان فيجب أن يتحقق للمؤمنين هدف القتال معهم ، وهو الوقاية من أذاهم، وذلك باستسلامهم وخضوعهم . ويقبل منهم المؤمنون هذا الاستسلام طبقا لقوله تعالى فى سورة الأنفال : **« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم** (والسلم هو الاستسلام أو المسالمة . والجنوح اليه هو الميل له . وقد جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم » .**

ولكن ليس المقصود من التعقيب بها بعدها : أن يتراخى المسلمون فى أعداد انفسهم للقتال ، عندما يقبلون عرض اعدائهم بالمسالمة . لأن تراخيهم فى الاعداد قبول منهم للمذلة ، ووصول بهم الى فقد استطاعتهم فى فرض السلام فى حياتهم ، على اعدائهم . وانما المقصود من هذا التعقيب : إن طلب اعداء المؤمنين منهم ان يسالموهم — والمؤمنون فى حال قتال معهم .. أو فى حال هدوء قائم على الاعداد للقتال — فعلى المؤمنين أن يكفوا عن القتال .. أو يظلوا فى حال الهدوء ، مع الاستمرار فى حالة الاعداد للقتال . وفى حال قبول المؤمنين لمسالمة أعداء الله واعدائهم من أهل الكتاب يجب أن يتوكلوا على الله فى قبولها . لأن الله خير مساعد لهم فى وقاية مجتمعهم ، ودينهم ، معا) . **وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين : وألف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم »** (واذا استهدف الأعداء من عرضهم للسلم وقبول المؤمنين له : خداع المؤمنين لفترة ، ينقضون بعدها عليهم ، فالله كافى المؤمنين فى تفويت هذه الخديعة على المخادعين . أولا : لأن الله هو الذى أرشدهم وطلب منهم أن يكونوا على استعداد مادى .. ونفسى فى مواجهة اعدائهم . وثانيا : هو الذى ربط بين المؤمنين برباط واحد ، وهو رباط الايمان بالله بدلا من الرباط القبلى والأسرى السابق . وهو رباط يقوى على الاحداث ، ويتفوق فى أثره فى مواجهة الأزمات . والأمران معا ، من اعداد القوة ورباط الايمان .. كفيلان بأن

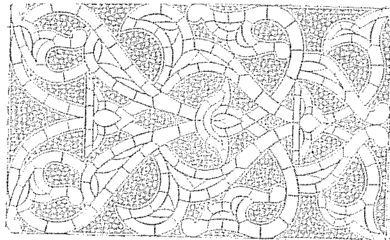
يستتبعا النصر للمؤمنين أصحاب القوة ، فى لقاء القتال مع اعداء ماديين ، لا تربطهم الا روابط المنفعية والمبادلات المادية) ، ((**انه عزيز حكيم**)) (الانفال ٦١ — ٦٣) .

(ومن صفات الله جل شأنه : العزة والمنعة ، وتفوقه فى القدرة على كل موجود سواه .. والحكمة كذلك . وهى البعد عن سوء التقدير .. وعن الجهل ، والحمق ، ويريد جل شأنه للمؤمنين به فى عبادتهم اياه : ان يحاكوا فى انفسهم : هاتين الصفتين صفة العزة .. وصفة الحكمة . والمؤمنون على سبيل الحقيقة : هم الأقوياء الذين يحولون بقوتهم دون اعتداء أعدائهم عليهم .. وهم كذلك أصحاب الحكمة فى توجيه قدرتهم . ومن الحكمة هنا : ان يقبل المؤمنون طلب الهدنة من الأعداء . ولكنه قبول فى حذر وحيطة ، تمنع من الغدر ، والخداع والخيانة . وحيطتهم هى أن يبقوا على قوتهم دائما) .

واذا كان القرآن يمنع المؤمنين من ان يطلبوا بادىء ذى بدء : الهدنة مع الأعداء ، فى قوله تعالى فى السورة التاسعة فى الوحى المدنى ، وهو سورة محمد ٣٥ : ((**فلا تهنوا ، وتدعوا الى السلم ، وأنتم الأعلون**)) .. لأنه يرى فى طلبها ، امتهانا لهم .. وتحريضا غير مباشر لأعدائهم على أن يستطيعوا منذ الآن أن ينالوا منهم ، ويفرضوا عليهم شأن عداوتهم .. اذا كان يمنعهم من ذلك ، فانه لا يرى بحال : التراخى فى حال اعداد الامة للقتال اثناء الهدنة .. ولا يرى كذلك : ان تفوت الهدنة على المؤمنين : هدفهم فى رقابة مجتمعهم ، ودينهم مما من فرض القتال عليهم ، كوسيلة لدفع اهل الكتاب الى الاستسلام .



وعندئذ اذا التزم المؤمنون بهداية الله فى علاقتهم بأعدائهم فانه من الضرورى ان ينتصروا عليهم اذا اشتبكوا معهم فى قتال ، ونصر الله للمؤمنين اذن لا يدخل فى باب الاعجاز بل هو قانون من قوانين الحياة الانسانية يمثل ارادة الله . فمشيئة الله تقضى أن ينتصر المؤمنون عندما يتبعون سبيله . وهى تلك السبيل التى أعلن عنها الوحى فى كتاب الله . وهذا القانون كما كان له اعتباره فى الماضى على عهد الرسول عليه السلام يكون اعتباره فى الحاضر والمستقبل . فان الطبائع البشرية لا تتغير وارادة الله فى حياة الانسان مرتبطة بخصائصه الانسانية .



الهجرة النبوية

أسبابها ونتائجها

للدكتور/أحمد الحجي الكردى

لم تكن الهجرة النبوية رحلة اجمام قام بها النبي — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه من مكة المكرمة الى المدينة المنورة للنزهة أو الترفيه ، كما لم تكن هربا من العذاب الشديد الذى كانوا يلاقونه على أيدى بعض زعماء قريش ابتغاء الخلود الى الراحة والسكينة ، وايثار العافيـة على المعاناة ، ولم تكن ايضا تخليا عن المسؤولية عن البلد الحرام الذى بقى أبد الدهر موئلا للاتقياء والعباد من بني البشر ، ولا فرارا من الزحف ، ولكنها كانت مرحلة ضرورية لابد منها لسلامة سير الدعوة الاسلامية بعد أن كادت تصل الى طريق مسدودة . فهى اذن مرحلة من مراحل الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وخطوة من خطوات الدعوة الى الاسلام كان لها أسبابها الكثيرة المتشابكة .

وأهم هـذه الاسباب :

١) اشتداد العذاب الذى كان يمارسه كفار قريش ضد المستضعفين من المؤمنين ، ولو ذهبنا نتحدث عن أساليب التعذيب الوحشية التى كـان يمارسها بعض زعماء قريش ضد هؤلاء المستضعفين لكتبنا فى ذلك المجلدات دون أن تنتهى هذه الصور . وحسبنا أن — نشير الى قصص تعذيب بـلال وياسر وسمية وابنهما عمار ، وغير ذلك .

وينبغى ان يتنبه هنا الى ان هذا التعذيب لم يكن هو الدافع الى الهجرة او أحد الدوافع اليها بقصد الخلاص من العذاب ، ولكنه الدافع اليها بغية تمكين الاسلام من الانتشار ، ذلك أن العذاب كان يثنى كثيـــرا من الهمم المتشوقة الى الدخول فى الاسلام من الدخول فيه خشية ان يصيبهـــا من العذاب ما يصيب هؤلاء المستضعفين . وذلك بدليل أن عدد المسلمين ازداد زيادة كبيرة بعد الهجرة وخلاص المؤمنين من هذا العذاب ، كما أن أحدا من المؤمنين الذين لاقوا العذاب الشديد لم يرجع عن اسلامه ، بـــل فضلـــوا جميعا الصبر على العذاب واحتمال الاذى والموت على الارتداد الـــى الكفر بعد الايمان ، وما قصة ياسر وسمية زوجه عنـــا ببعيدة .

٢) الحصار الاقتصادى :

ذلك أن الكفار عندما شعروا بعجزهم عن ايقاف مـــد الدعوة الاسلامية رغم كل انواع العذاب الذى مارسوه ضد المسلمين قـــرروا محاصرة بنى هاشم والمسلمين محاصرة اقتصادية كاملة تحول بينهم وبين ضروريـــات العيش البسيط ، وتمنعهم من الاتصال بأحد من العرب او غيرهم ، فاتفقوا على كتابة الصحيفة التى علقوها فى جوف الكعبة ؛ تلك التى عانى منهـــا بنو هاشم والمسلمون أنواع العذاب والحرمان حتى كادوا يأكلـــون أوراق الشجر من شدة الجـــوع ، ولقد كان باستطاعتهم ان يحتملوا ذلـــك كله لو انه اتيحت لهم معه حرية ممارسة الدعوة الى الاسلام فى انحاء الجزيرة العربية ، ولكن الأسى كان يحز فى نفوسهم عندما اضحت هـــذه الصحيفة المشؤومة حائلا بينهم وبين الاتصال بالعرب فى غير المواسم الدينية القليلة مما يجعل دعوتهم تسير نحو الاختناق فى قمقمها لا محالة لو استمروا هـــم على اقامتهم فى مكة .

هذا ولا يضر ان الصحيفـــة نقضت قبيـــل الهجرة ، ذلك ان آثارهـــا لم تزل باقية ، وأنى لها أن تزول وقد أدمت قلوب المسلمين وقرحت أكبادهم ، واهاجت أحقاد العرب عليهم .

٣) وفاة الناصرين لرسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ذلـــك ان الله سبحانه قيض لرسوله الكريم ناصرين له من أهله يواسونه ويخففون من آلامه ، ويدافعون عنه ويمنعون اذى الكفار من أن يصيبه ، ذلـــك الـــذى وصل الى درجة لا يستطيع انسان عادى احتمالها ، وهما خديجة بنت خويلد زوجه الكريمة التى وقفت الى جانبـــه بمالها وجاههـــا ، ونصبت من نفسهـــا مواسيا لجراحه ومخففا لاحزانه ، وعمه أبو طالب ، ذلك الانســـان الـــذى وقف الى جانب النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ على كفره فى جميع المواقف يدافع عنه ويحميـــه وينتصر له وهـــو من هو فى مكانته ومقـــامه من قريش . أما الآن فقد ماتا متتابعين فى عام واحد والحق ذلك الحزن العميـــق بنفس النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لفقده المواسى فى الملمات ، والمدافع فى المهمات ، حتى أصبح عرضة للعذاب الشديد الذى يحول بينه وبين تنفيـــذ

مهماته ومتابعته دعوته ، الامر الذى يتوجب معه الانتقال الى دار اخرى وقوم آخرين يحمونه ويدافعون عنه ويؤمنون به .

٤) كبرياء قريش وتعاليها :

فقد كانت قريش تتمتع بمكانة كبيرة بين العرب منذ القديم ، ذلك انها حامية بيت الله تعالى ، الذى يجتمع فيه العرب جميعا فى كل عام من شتى أرجاء الجزيرة العربية للحج والتجارة وانشاد الشعر والادب . وقد حالت هذه المكانة بينها وبين الدخول فى الاسلام الذى يسوى بين كل الناس قرشى وغير قرشى ، وعربى وغير عربى . ذلك أن الاسلام دائما يعلن المساواة التامة بين جميع البشر ، وان السبب الوحيد للمفاضلة بينهم هو تقوى الله تعالى . وقد حاول النبى الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — طيلة ثلاثة عشر عاما أن يصل الى نفوس القرشيين عبر تلك الكبرياء . وذلك التجبر دون أن يمسه بسوء أو يقضى عليه لعلهم يرجعون عن غيهم وينتهون من غفلتهم ، فرضى بتخصيص مجلس خاص بهم بعيدا عن عامة المسلمين ، ولكنهم أبوا الا العناد والتعالى على الاسلام والمسلمين حتى لم يعد بد من كسر هذا الكبرياء والتعالى واستعمال السلاح والقوة ، ولكن انى للنبى — صلى الله عليه وسلم هذه القوة لو لم يهاجر الى المدينة المنورة لاعداد الجيش والمجاهدين .

ذلك ما اضطر معه النبى — عليه الصلاة والسلام آخر الأمر الى الرحيل من ديارهم ثم العودة اليهم بعد ذلك عودة الفاتحين المنتصرين ، يكسر عنادهم وتعاليهم بحد السيف وسنان الرمح فتتفتح قلوبهم بعد أن زالت الاغلال عنها وتنيخ لصوت الحق ، وتحمل لواء الفضيلة والهداية ، وتدخل فى دين الله افواجا .

هذه هى اهم الاسباب التى دفعت النبى — صلى الله عليه وسلم — الى الهجرة من بلد الله الحرام مسقط راسه ومحط أمله واحب بلاد الله اليه . ذلك أن الدعوة التى أنزلت عليه من الله تعالى وأمر بتبليغها للناس كافة كانت أحب اليه من بلده ومن الدنيا جميعها ، فغادرها وهو يناديها بنفس مكتئبة وقلب حزين انك لأحب بلاد الله الى ، ولو لا أن أهلك اخرجونى منك ما خرجت (أو كما قال) .

هذه أهم الاسباب التى دفعت النبى — صلى الله عليه وسلم — الى الهجرة ، وهى بمجموعها تتركز حول حرصه — صلى الله عليه وسلم — على سلامة سير الدعوة الاسلامية نحو القلوب المقفلة والنفوس المظلمة .

والآن لا بد لنا أن نتساءل : هل حققت الهجرة النبوية من مكة المكرمة الى المدينة المنورة الغاية المرجوة منها .. ؟

وللاجابة على ذلك فان علينا أن نتطلع الى النتائج التى انتهت اليها هذه الهجرة الكريمة ، والى سير الدعوة الاسلامية بعدها . واذا ما فعلنا ذلك فإننا سوف نرى ان الهجرة النبوية كانت نقطة تحول كبرى فى طريق الدعوة

الاسلامية ، فقد انتقلت بها من عهد الى عهد آخر يختلف فى كثير من جوانبه عن العهد الاول .

ويتجلى ذلك فى النقاط التالية :

١) حرية الدعوة الى الله تعالى

فقد أصبح النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى المدينة المنورة حــرا طليقا يدعو الى ربه سبحانه من شاء فى أى وقت شاء ، دون ما رقيب عليه أو معارض له . فهؤلاء هم الأوس والخزرج فى المدينة يلتفون حوله ويدافعون عنه ويحمونه ويؤمنون به ، وهم من هم فى قوتهم وجلدهم ، فقد أعطوه العهد والميثاق يوم العقبة على شركهم وعدم ايمانهم به بعد لا ينالونه باذى ، لانهم بصدد دراستهم لاحواله ودعوته وفى طريقهم للايمان به .

هذه الحرية لم تكن متاحة للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى مكة ، فقد كان اذى قريش يناله وينال كل من يتصل به أو ينصت اليه فيصرف ذلك الناس عن الايمان به .

٢) الخلاص من عذاب قريش واذاها

فقد كانت قريش تنال المسلمين والمستضعفين منهم خاصة باذى شديد لا يحتمله بشر والامثلة على ذلك كثيرة لا تعد . وهذا العذاب صارف ولا بد لكثير من النفوس عن التفكير فى الاسلام والايمان به لما ركبت عليه النفوس الانسانية من ضعف خلقى . أما فى المدينة فقد أصبح المسلمون فى أمـــان الله بعيدين عن ان تنالهم ايدى المشركين باذى ، فان المدينة بلد ــ حصين ، وان الانصار قوم أشداء وأقوياء وقد آخو المهاجرين والتزموا بحمايتهم والدفاع عنهم .

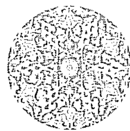
٣) تفرغ النبى ــ صلى الله عليــه وسلم ــ لبناء الدولة ، فقد أمضى فى مكة ثلاثة عشر عاما كان فيها مشغولا ببناء الفرد لم يتحول عنه ، أما بناء الدولة والمجتمع المسلم فهو ما لا سبيل اليه فى مكة مع قلة العـــدد وشدة العدو . أما الآن فقد زاد عدد المسلمين وتفقهوا جميعا فى دين الله تعالى ، وخف عنهم اذى قريش ، لذلك فاننا نرى النبى ــ صلى الله عليه وسلم قد انصرف الى بناء الدولة الاسلامية وتنظيم المجتمع المسلم على أسس مخططة مدروسة اثمرت اقوى دولة عرفها التاريخ البشرى تناسقا وتماسكا وحضارة ورقيا . دولة تحمل النور والهداية والعلم للعالم كله ، فتنير بذلك قلوبــا مظلمة ، وتفتح افكارا مغلقة ، وتهدى نفوسا طالما تعطشت الـــى العدالة والحرية والحق ، وتخلص بذلك الانسانية المعذبة كلها من الهاوية التى كادت تتردى فيها . فحق لها أن تكون بذلك كله خير دعوة وخير رسالة حملتها خير امة اخرجت للناس .

وعلى ذلك تكون الهجرة النبوية نقطة تحول كبرى فى تاريخ الدعــوة الاسلامية ، انتقلت بها من مرحلة بناء الفرد الى مرحلـــة بناء الجماعـــة والدولة .

وقد واكب القرآن هذا التحول ، فبينما كان يعنى فى مكة المكرمة ببناء العقيدة والاخلاق وترسيخ القيم وغسل الافكار والقلوب مما ران عليها من الجهل والضلال ، أصبح يعنى فى المدينة المنورة بأمـــور التشريع وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع من النواحي المختلفة المادية منها والمعنوية وبقيمها على أسس من العدالة وتكافؤ الفرص امام جميع المسلمين ، بل أمام جميع الناس على اختلاف لغاتهم واجناسهم ودياناتهم ، حتى أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يعلن دائما قوله الشريف (من آذى ذميا فانا خصمــه يوم القيامة) ، ويعلن قوله (كلكم لآدم وآدم من تراب) ، فانه ليس بعد هذا الانصاف انصاف ، وليس بعد هذه العدالة عدالة على وجه الارض .

٤) تفرغ النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ للوقوف فى وجه الكفــر ان للضلال ، وصده بالدليل والبرهان ، وبالقوة والحرب . فانه من المعروف أن للضلال شوكة فى كثير من الاحيان لا يمكن ردها بالدليل والبرهان وحده ، ولا بالحوار فقط ، بل انه يحتاج فى كثير من الاحيان مع الدليل والمجـــادلة بالحسنى الى السلاح ، وهو ما لم يكن متيسرا للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى مكة مع قلة عدد المؤمنين وضعف قوتهم أمام كبرياء قريش وشدتها ، ولكنه تيسر للنبى الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد ذلــك فى المدينة المنورة . فقد استطاع أن يعد جيشا من المؤمنين تمكن به من ان يدرا الاذى عنهم ، كما استطاع به أن يفك الاقفال الثقيلة التى جثمت على صدور كفار قريش وغيرها من العرب ، فلم تدع النور الالهي يصل اليها الى أن فكها سيف المسلمين ، وازال الغشاوة التى تركها رانا على تلك القلوب الطيبة ، وهـــو ما يشير اليه النبى الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقوله ــ (خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام اذا فقهوا) ، ذلك أن الفقه هو استنارة القلب بنور الله بعد ازاحة غشاوة الكفر والعناد والشرك من فوقه .

وبذلك نستطيع ان نؤكد أن الهجرة النبوية من مكة المكرمة الى المدينـــة المنورة قد آتت أكلها وثمارها وانتجت كل نتائجها المرجوة منها ، وكانت بذلك فتحا كبيرا فى تاريخ الدعوة الاسلامية مما حدى بأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ ان يجعل منها منبثقا للتاريخ الاسلامى ، اشادة منه بمكانتها وأهميتها . وحق له أن يفعل ذلك . رضى الله عنه وعن الصحابة اجمعين وعن تابعيهم باحسان الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .



الحاجة إلى

تقويم هجري موحد

يكون عليه عمل المسلمين في الأرض جميعاً

للدكتور : محمد عبد الرؤوف

فى اليوم الذى يطلع فيه هلال المحرم ، يبشر بميلاد العام الهجرى الجديد ، ندعو البارى تعالى الذى قدر لنا فى شهر رمضان من العام المنصرم انتصارات تاريخية على أخبث عدو عرفه الناس أن يبشرنا فى هذا العام الجديد بمزيد من النصر والتأييد والأمن والفلاح والرخاء ، ونسأله سبحانه أن يبارك وحدة عروبتنا الاسلامية ويجعلها بداية لمولد دولة اسلامية موحدة يخشى بأسها ويحسب حسابها .

انتهز هذه المناسبة لأشرح لاخواننا فى الشرق الاسلامى عن طريق هذه المجلة المباركة مدى حاجة اخوانهم الذين يعيشون فى العالم العربى لتقويم هجرى موحد ، يعد وينشر لأعوام سابقة كى يرتبوا حياتهم وأعمالهم ونشاطهم الاسلامى على ضوئه دون شك واضطراب ، ودون انتظار حتى آخر لحظة كى يسمعوا بالحكم بثبوت الرؤية فى بلد آخر — ثم يقال لهم ان شهر الصوم قد بدأ ، أو أن عيد الفطر يحتفل به بعد سويعات ، مما لا يتفق مع نظام الحياة فى هذه البلاد التى لا يزال الاسلام فيها غريبا .

تتفضل الادارة العامة للحساب المساحى والارصاد بالقاهرة فتعد التقويم الاسلامى لكل عام وتبعثه للمراكز الاسلامية الكبرى ، وفى مقدمتها المركز الاسلامى بواشنطن ، وذلك على حسب التوقيت الزمنى للمدينة التى يوجد بها المركز الاسلامى ، ويبين فى هذا التقويم التواريخ والأعياد الاسلامية على طول العام بالمقارنة للتواريخ الشمسية ، كما يشتمل على قوائم لمواعيد الصلاة اليومية ، والمسلمون يدينون بالفضل والشكر الجزيل للسيد مدير

الادارة المذكورة ومعاونيه الكرام ، فان اعداد هذه القوائم يتطلب عمليـــات حسابية ومجهودات مضنية ومراجعات دقيقة .

وفور وصول التقويم الينا يقوم المركز بنقل هذه القوائم الى اللغـة الانجليزية واعدادها للطبع بكيفية تتناسب مع الحاجة المحلية ثم يطبع آلاف النسخ من التقويم ويوزعها قبل عيد الهجرة على المسلمين فى شتى النواحى بأمريكا الشمالية .

وبوصول التقويم ليد المسلمين ، يقفون على تواريخ أعيادهم ومواسمهم الدينية ، فيقيدونها فى مفكراتهم ، ويرتبون على أساسها مواعيد اجازاتهـم ، وقد يتقدم من يحتاج منهم الى رئيس الشركة أو المصلحة التى يعمل بها بطلب اجازة أو اجازات من العمل فى هذه التواريخ ليتيسر لهم ولعائلاتهم الاشتراك فى النشاط الاسلامى فى هذه الايام .

وليس من المستحسن أن ينتظر الموظف فى شك الى آخر لحظـــة متلقفا الأخبار حتى يسمع فى إحدى الأمسيات أن شهر رمضان يبدأ الليلـــة فينوى الصيام ، أو أن عيد الفطر سيكون غدا فيتخلف عن عمله فى صباح اليوم التالى ليكون مع اخوانه المسلمين ثم يعتذر لرؤسائه فى العمل فى اليوم الذى يليه ، فمثل هذا يؤثر على علاقته مع الشركة أو المصلحة التى يعمل بها ، وقد يؤدى الى طرده وحرمانه من مورد رزقه ، كما أنه لا شك ان ذلك ليس فى صالح العمل نفسه ، وفوق هذا فقد لا يتيسر لكثير من أعضاء الجالية الاسلامية سماع النشرة من راديو خارجى أو من صديق أو زميل مسلم ، وبالتالى يفوتهم صوم اليوم أو الاشتراك فى يوم العيد .

والعطلات الرسمية هنا فى أمريكا منها ما هو مناسبات دينية مسيحية ومنها ما هو مناسبات وطنية ، وقد نشط اليهود وأصروا على المطالبة بحق اجازاتهم أيام أعيادهم ومواسمهم الدينية ، بالاضافة الى العطلات العامة ، دون خصم شىء من رواتبهم ، وقد حصلوا على ذلك ، بل إن بعض الولايـــات الامريكية مثل ولاية نيويورك تحتفل بالمناسبات الدينية اليهودية وتعطل فيها المصالح ودور الحكومة ، لذلك نشط بعض المسلمين من طـلاب وموظفين وطالبوا المسئولين باعفائهم من العمل أو الدراسة أيام المواسم الدينيـــة الاسلامية ، وقد ظفر بعضهم بهذ الحق ، وبدأت بعض هذه المصالح والجامعات تكتب لنا تطلب قوائم بالمواسم الاسلامية لعدد من السنين مقدما ، وقـد طلبت منا جامعة « هارفر » المشهورة أن أبعث لها بتقويم اسلامى للسنوات العشرة القادمة كما أن عددا من دور النشر التى تعنى بنشر التقاويم لمختلف الأديان طلبت منا تزويدها بهذه التقاويم ، وهذا لديهم شىء مألـوف فان للمسيحيين واليهود تقاويم جاهزة لعدد كثير من السنوات المقبلة لا يتطرق لتواريخها الشك ولا تتعرض للاختلاف ، وينظم رجال الاعمال رحـلاتهم واجازاتهم على أساس هذه التقاويم فى وقت مبكر ، ويتطلع المسلمـــون الذين يعيشون فى بلاد الغرب ليتيسر لهم مثل ذلك .

ومما يذكر بهذه المناسبة أيضا أن الكثير من الجمعيـــات والهيئات الاسلامية ليس لديها مسجد يتسع للعدد الكثير الذى يشترك فى المناسبات

الكبرى مثل العيدين ، لذلك يضطرون لاستئجار قاعات كبرى لهــذا الغرض ، ولا يتيسر لهم هذا الاستئجار والتعاقد عليه الا اذا علموا بتواريخ هــذه المناسبات مقدما بوقت كاف ، وتجد بعض هذه المؤسســـات صعوبات جمــة فى الحصول على اتفاق لحجز قاعة مناسبة . نظرا لان هذه القاعات تحجز لأغراض اخرى فى مواعيد مبكرة جدا ، ومن ناحية اخــرى يتغلغل النفــوذ الصهيونى بين القائمين على هذه القاعات ففى مدينة نيويورك مثلا يبادر المركز الاسلامى فور وصول التقويم الجديد اليه ويعمل مبكرا على حجــز قاعة كبيرة مناسبة ، ويلقى فى سبيل الحصول على ذلك عنتا كبيرا ، ولاضرب على ذلك مثلا ما حدث فى عيد الفطر عام ١٣٨٨ هـ ، وتصادف أن كــان أيضا أول شهر يناير ١٩٦٨ ، وكان اليهود لا يزالون فى نشــوة الفرح بالنصر الذى أحرزوه فى يونيو عام ١٩٦٧ ، وبصعوبة شديدة استطعنا أن نوقــع العقد لحجز قاعة فى احدى الفنادق الكبرى المعروفة قبل عيد الفطر ببضعة أشهر ، ودفعنا جزءا من الاجر مقدما ، وابلغنا كالعادة أعضاء الجالية الاسلامية بالمنطقة عن مكان صلاة العيد وموعدها عن طريق آلاف المكاتيب الدورية التى نرسلها من وقت لآخر ، وبطرق أخرى ، ولكن قبل العيد بيومين فقط اتصل المسئول بالفندق تلفونيا بكاتب هذه السطور ليقول ان القاعــة تلزمهم لشىء آخر فى اليوم نفسه وأنه لذلك سوف لا يمكننا استعمالهــا ! فأسقط فى يدى حيث لم يكن يتيسر بحال فى هذا الوقت المتأخر ان نحصل على قاعــة أخرى . وحتى لو استطعنا الحصــول على مكــان آخــر .. وهــو أمر بعيد الاحتمال .. فلم يكن لدينا من الوسائل ما نستطيع به افادة الألوف من أعضاء الجالية عن هذا التغيير ، ولو رفعنا الامر الى القضاء — وأكثــر قضاة المحاكم من العنصر المعادى — فلم يكن يجدينا شيئا ، والمحاكمة تستغرق طويلا ولم يبق على العيد الا يومان ! ولا نرى مقتضيا لسرد ما حــدث بعد ذلك من تفاصيل مؤلمة !!

والانتظار حتى يحكم بالرؤية فى بلد أو آخر من شأنه ان يثير الخلافــات ويؤدى الى الارتباكات ، خذ مثلا على ذلك ما حدث فى شهر رمضان من العام المنصرم ١٣٩٣ هـ فلقد ورد بالتقــــويم الذى أعده لنـــا حاسـبون قديــرون على أسس صحيحـــة وبيانات دقيقـــة .. أن أول شــــهر رمضــــان ١٣٩٣ سيكون يوم الجمعة ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ ، وان عيد الفطر سيكون يوم الاحد ٢٨ اكتوبر من العام نفسه ، وقد رتب المسلمون امرهم على اساس هــذه المعلومات حيث وزعنا التقويم عليهم ، ثم ذكرناهم بقرب مقدم الشهر وبعثنا لهم بامساكيات وتأهب الجميع للصوم فى اليوم المذكور ، وفجأة اذاع راديو القاهرة — وسمعه بعض المسلمين — أن الرؤية ثبتت وان اليوم — الخميس ٢٦ سبتمبر أول شهر رمضان ، فضج الكثيرون واضطربوا ولم تكــد تنقطــع المكالمات التلفونية الواردة من جميع انحاء أمريكا استفسارا أو لومــا أو احتجاجا ، وحدث مثل ذلك وأكثر منه لما سمع البعض اعلان رؤية شوال فى مساء الخميس ٢٥ اكتوبر وان العيد لذلك يوم الجمعة التالى أى قبــل ما حدد فى تقويمنا بيومين ؟ فعملت بعض الهيئات الاسلامية بما سمع مؤخرا

فغيرت وبدلت . وابقى البعض الآخر على المواعيد السابقة لأسباب يصعب التغلب عليها ، والبعض صام وافطر على حسب ما سمع من الخارج ، وظل البعض على ما نوى أول الامر ، ولكن قلوب الجميع غير مطمئنة وبالهم غير مستريح .

ولما كان عيد الاضحى فى العاشر من ذى الحجة وتاريخــه يعرف عنــد هلال الشهر فقد قررنا منذ عامين أن نؤجل اعلان تاريخ عرفة وعيد الاضحى حتى يرد لنا تاريخهما من المملكة العربية السعودية ليتفق عيدنا مع يوم الأضحية هناك ولا يعترض إذا حدث اختــلاف بين تقويمنا وما تثبتــه الرؤية بالبلــد الحرام ، وخشية أن نصلى العيد يوم يقف الحجيج بعرفة ، فاذا وقفنا عــلى تاريخ يوم العيد أول الشهر يكون لدينا اكثر من اسبوع لابلاغ أعضاء الجالية الاسلامية وعمل الترتيبات الاخرى من ضرب الخيام وترتيب تدفئتها وتثبيت آلات الصوت بها لتقى المصلين من البرد وأذى الامطار والثلوج المحتملة ، وكتبنا لشخصية اسلامية كبيرة مسئولة فى مكة المكرمة للتفضل بافادتنا برقيا فور الحكم بشأن رؤية هلال شوال ايجابا أو نفيا ، فوعدنا خيرا .

وقبيل شهر ذى الحجة أعددنا آلاف المكاتيب وأغلفتها ، وابقينا فراغا سيرا بالمكاتيب لنثبت به اسم يوم العيد وتاريخه فور وصول البرقية الينــا ، وكنا قدرنا أن تصلنا فى الثلاثين من ذى القعدة الذى يحتمــل أن يكون أول ذى الحجة ، ولكن لم يصلنا شىء لا فى اليــوم الاول ولا فى اليوم الثانــى أو الثالث ، وظللنا نتلقى الاستفسارات من كل جانب ونحن عاجزون عن الجواب حتى مساء اليوم الرابع !

ونظرا لما سبب لنا هذا من الحرج قررنا فى العام التالى أن نتصــل تلفونيا فى مساء التاسع والعشرين من ذى القعدة بالشخصية الاسلاميــة المسئولة بمكة المكرمة لنستفسر عما تم بشأن تحديد أول شهر ذى الحجة ، ولما كانت أمريكا تتأخر زمنيا عن مكة بأكثر من سبع ساعات حسبنا أننا اذا اتصلنا بسيادته بعد الـ... مر قد بت فيه هناك وعلم أول الاضحى على التأكيد ، ولكن لاسباب عدة لم يتيسر الاتصال بسيادته الا فى اليوم الثالث من ذى الحجة حسابيا ، وكان سيادته كريما نبيلا وسر لما طمأنته عن أحوال المسلمين لدينا ودعا لهم بالخير ، ولكن كم كانت دهشتى عندما ذكر أنهم لا يزالون فى انتظار الحكم بشأن الرؤية ، وأنه بالتالى لا يعلم أول الشهر ولا يوم عرفة ولا يوم العيد ! ولكنه تفضل ووعد بإفادتى برقيا عندما يتقرر الامر .

* * *

أسوق هذا كله لاشرح لك أيها القارىء الكريم مــدى الاضطــرابات والمتاعب التى يعانيها اخوانك المسلمون فى هذه الديار ، التى لا يزال الاسلام فيها غريبا — من جراء عدم الاتفاق على تقويم اسلامى موحد نخطط على ضوئه نشاطنا وأعمالنا فى أمن واطمئنان ، فهل يرضى السادة العلماء والمسئولون — وهم أدرى الناس بالروح الاسلامية السمحة — أن يكون هذا حال المسلمين بين جيران من أهل الكتاب والصهيونيين والملاحدة . وفيهم من يتربص بنـا الدوائر للطعن على ديننا واتهامه بالتأخر وعدم المبالاة بصالــح الفــرد ونظام

الجماعة ؟ وديننا هو دين التوحيد ـ توحيد الاله وتوحيد الكلمة وتوحيد الامة .. ؟

لقد صدرت فى السنوات الاخيرة فتاوى مقتضاها انه اذا حكم بثبوت الرؤية فى بلد وجب الصوم على من علم بذلك من المسلمين فى سائر الاقطار وهذا اتجاه طيب نحو الوحدة ومتفق مع ما جرى عليه كثير من المذاهب ، لكننى اقول مع جليل التقدير أن هذا لا يكفى ، فان توقف الامر على حدوث الرؤية الفعلية والحكم بها أو اعلانها لا يدفع عنا الحرج ولا يحقق ما نرجو من تيسير ولا يعطينا الفرصة للتخطيط والاعداد المبنى على علم مؤكد سابق لا تردد فيه ، فالتوقف على ثبوت الرؤية يعنى عدم العلم بالحال الا بعد دخول الوقت ويجعل المسلم فى حيرة من أمره حتى آخر لحظة .

نعم خاطبنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه بأن نصوم لرؤيته ونفطر لرؤيته ، وقد اخذ بهذا حرفيا عندما كانت الامة جماعة تعيش على السليقة والفطرة ولم ترق بعد وسائل المواصلات اللاسلكية والحسابات الفلكية كما هى عليه فى عصرنا الحاضر عصر الذرة والفضاء ولكن كلام المصطفى صلوات الله عليه خالد وصالح للعمل والتطبيق فى كل حال وكل زمان تطبيقا لا يؤدى الى الحرج والمشقة ، ولذلك قد يتساءل سائل فيقول : هل حصر الرسول طريق العلم ببدء الشهر على رؤية الهلال بشاهد أو شاهدين ؟ وهل يمنع أن يكون هناك طرق أخرى يعلم بها دخول الشهر كأن يثبت بالحساب المنضبط إن بالامكان رؤية الهلال حيث لا يقرب القمر الا بعد غروب الشمس ببضع دقائق ؟ وهل قوله صلوات الله عليه : « فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » قرانية حتمية على أن الرؤية هى السبيل الشرعى الوحيد للعلم ببداية شهر الصوم ونهايته ؟ أم أن الرسول [illegible] طرق العلم يبدء الشهر وهو الرؤية نصحنا ماذا نصنع اذا كانت هى طريقتنا الوحيد [illegible] يبدء الشهرالحجاب ؟ الا يجوز أن يكون ذلك مثلا من أمثلة العجز عن العلم كاحتجاب القمر وعدم معرفة أكمال الشهر ثلاثين فى حالات العجز كلها فكيف قال السادة الشافعية قبل الحساب ؟ واذا كان هذا حصرا مؤكدا أن يعمل بحسابه ؟ وكيف عصرنا هذا بقرون طويلة بأن على المنجم ومن صدقه ان يعمل بحسابه ؟ وكيف تتردد فى تصديق الحاسبين المعاصرين وقد تمكنوا من تنظيم رحلات ناجحة الى القمر مبنية على حساباتهم الدقيقة ومعرفتهم التامة بحركات القمر ومنازله ؟ ولو حدث أى خلل فى عملياتهم الحسابية لأودى ذلك بحياة رواد الفضاء ولترتب عليها خسائر فادحة .

ان العالم الذى يحسب ويخطط لرحلات الفضاء ، ويحسب لاوقات المد والجزر ليرشد السفن التى تسير عبر المحيطاتلايسر عليه أن يحسب ليعلم متى تمكن رؤية الهلال الجديد فى أول كل شهر ، بل لعل حسابه المنضبط اقوى دلالة من شهادة ثقة قد تخطىء عينه ، فيحسب السراب ماء ، والخطأ فى الرؤية محتمل جدا نظرا للبعد الشاسع بين الرائى والمرئى .

أننا معشر المسئولين عن العمل فى الحقل الاسلامى بالبلاد الامريكية

شعرنا بالحاجة الماسة لعمل تقويم موحد ، وتوعية المسلمين من اعضاء الجالية بالحاجة الى هذه الوحدة ، وتمهيد النفوس لعدم الفزع أو الاضطراب اذا ما سمعوا آخر لحظة أن المسلمين فى قطر ما قد خالفوا لثبوت الرؤية عندهم على غير ما أعلن فى تقويمنا ، ولذلك ولاسباب اخرى هامة منها الحاجة الى تنسيق الجهود والخدمات الاسلامية ، كونا فى العام الماضى مجلسا يضم رؤساء المراكز الاسلامية ممن يحملون مؤهلات عالية من جامعات اسلامية معتبرة مثل جامعتى الازهر والنجف ، وسمينا هذا المجلس : « مجلس الائمة بأمريكا الشمالية » ونأمل أن يحقق هذا المجلس اذا قدر له التوفيق أن شاء الله . أعظم الخدمات لصالح الاسلام والمسلمين وقد عقد المجلس عدة اجتماعات ، وكان مما أتمه بفضل الله تنظيم برامج الحلقات الدراسية التى تعقد للمسلمين خاصة الناشئة وحديثى العهد بالاسلام ، كما عنى المجلس بدراسة موضوع توحيد التواريخ الاسلامية ، وقد نظر فيه مرارا وقام باتصالات مع السادة المسئولين بالبلاد الاسلامية بهذا الشأن ، وأخيرا اتخذ قرارا بحل مؤقت وذلك بعمل تقويم خاص للمسلمين فى أمريكا الشمالية تحدد فيه تواريخ الاعياد والمناسبات وبدء الصوم ونهايته على حسب مطلع احد البلاد الامريكية وعلى ضوء ما تحصل عليه من معونة وارشاد من المراصد الامريكية والاسلامية ، وذلك حتى يتم عمل تقويم حسابى تجمع عليه الامة ويكون عليه عملها مهما اختلفت مطالع بلادهم .

ولنعد الى موضوع الرؤية ، فقد يظهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « صوموا لرؤيته » قد دلنا على النقطة الزمنية التى يبدأ بها الشهر الاسلامى ، الا وهى عندما تتأتى رؤية الهلال الجديد ، فليست هى منتصف الليل كما هو الحال فى بداية اليوم الشمسى والشهر الشمسى ، وليست مطلع الفجر ولا وقت شروق الشمس أو زوالها ، ولكنها اللحظة التى تعقب غروب الشمس فى الليلة التى يتخلف فيها غروب القمر الجديد لاول مرة عن مغيب الشمس ويمكننا معرفة ذلك ، إما برؤية الهلال الجديد فعلا واما بالحساب الصحيح المعتمد ، وعليه هل يمكن أن يحتمل قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « صوموا لرؤيته » وجوب الصوم عند العلم بالحساب الصحيح المؤكد إمكان الرؤية مطلقا .؟

والذى نقترحه ونرجو السادة العلماء والمسئولين النظر فيه هو ما يلى :

أولا : النظر فى امكان اعتبار الحساب الموثوق به لضبطه وأمانته أساسا للتقويم دون انتظار لثبوت الرؤية طالما أكد الحساب المؤكد أن الرؤية ممكنة اذا أرتفعت الموانع لتخلف غروب القمر الجديد عن غروب الشمس .

ثانيا : اختيار بلد اسلامى عريق كبلد الله الحرام يكون مطلعه أساسا لهذا التقويم الموحد .

ثالثا : العمل على جمع كلمة المسلمين حول هذا التقويم والاخذ به مهما تباعدت ديارهم أو تعددت مطالع أماكنهم .

والله على ما نقول وكيل ، وهو نعم المولى ونعم النصير .



أهمّية القدس قديماً وحديثاً

للشيخ عبد الحميد السائح

رغم أنى لست ممن يؤمن بجدوى الحلول السلمية ، والمباحثات السياسية ، فى نزاعنا مع الصهيونية العالمية ، والاستعمار والامبريالية ، فانى رأيت أن أكتب هذا المقال عن القدس ، لألفت النظر ، وأنبه الغافل ، وأذكر المؤمن ، بأهمية هذا البلد ، ومدى تأثيره فى أى حل يمكن أن يوضع أو يتوصل اليه ، فى هذا النزاع الخطير ، وأوضح أيضا أنهم خلقوا تعبير النزاع فى الشرق الاوسط ، ليسدلوا ستارا ، أو ليضعوا قفازا على وجوههم ، يحجبون بذلك مؤامرتهم على ديار الاسلام ، وعلى مسرى النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وموطن معراجه الشريف ، ولو أن سكان هذه الديار يدينون بغير دين الاسلام، أو ينتسبون لغير الامة العربية ، لما أمكن أن يحيكوا هذه المؤامرة بهذا الاتقان ، والا فأين هذا النزاع فى الشرق الاوسط .. ؟ أليس هو مؤامرة اغتصاب فلسطين من المسلمين ، وطرد سكانها العرب ، وتسليمها للصهيونية العالمية ، لاقامة دولتهم عليها .. ؟

ونحمد الله أن تنبه المسلمون والعرب أخيرا ، وأدركوا حقيقة الخطر ، وابعاد الشرر ، فوضعوا فى الميدان ثقلهم ، وسخوا فى تضحياتهم ، ونرجو أن يستمروا فى خطتهم ويزيدوا تضحياتهم ، حتى يتحقق الهدف ، حرصا على وجودهم، ومقابلة لتحدياتهم ، ونرجو أن يكونوا على حذر من مغبة حلقة أخرى ، من حلقات التآمر ، حتى لا نؤخذ على غرة ، ولا نخدع من جحر مرتين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين))(١) .

ونسمع من وراء الكواليس همسات عن حلول أو اقتراحات لمصير القدس ، تبعدها عن أن تعيدها الى حالتها الاولى قبل الاحتلال ، كما تزيل عنها صبغة الاسلام والعروبة وتعرضها لخطر كبير ، لذلك رأيت أن أشرح وأنبه الى أشياء قد لا تكون معروفة الا للنذر اليسير ، وأشياء أخرى لها خطرها : وقد يحاول اخفاؤها حتى لا يتنبه لها المسلمون والعرب ، فى أية مناسبة يطرح فيها مصير القدس .

القدس ..

القدس بلد عربى منذ نشأته ، مقدس قبل اليهودية والمسيحية والاسلام ، فان ملكى صادق العربى اليبوسى منشىء القدس ، كان فى مرتبة كهنوتية عالية ، حتى أن المسيح عليه السلام ، اعتبر من مرتبته(٢) .

ثم ظهرت الديانات الثلاثة على التوالى اليهودية والمسيحية والاسلام فنظرت اليها نظرة الاحترام والتقديس .

فى نظر اليهود

رغم أن موسى عليه السلام رسول بنى اسرائيل ، لم يأت القدس ولم يدخلها ، فقد اهتمت اليهودية بها لسببين :

الاول : أقاموا لهم فيها مملكة فى عهد داود عليه السلام سنة ١٠٤٩ ق.م لم تتجاوز مدتها سبعين سنة .

الثانى : أنهم أقاموا لهم فيها هيكلا للعبادة فى عهد سليمان عليه السلام وهو قسم من قصره .

ثم فى عهد عزرا ، وقد هدم الهيكلان نتيجة أحداث دموية ، ثم أقيم الهيكل الثالث فى عهد هيرودوس ، وقد هدم فى عهد تيطس الرومانى سنة ٧٠ م .

ولما تولى ادريانوس عرش الرومان ١١٧ ــ ١٢٨ م ثار اليهــود وقامت اضطرابات دموية لم يسبق لها مثيل ، فأيقن أدريانوس أنه لا سلم ولا أمان فى البلاد ما دام اليهود فيها ، فقاتلهم وقهــرهم ، ومن لم يقتله أمر بطرده وحرم عليهم العودة للبلاد ودمر المدينة تدميرا كاملا وأنشـــأ مكانها مدينة جديدة(٣) .

أين الهيكل .. ؟

يزعم اليهود أن المســجد الاقصى المبارك ومسجد الصخرة المشرفة ، أقيما على أنقاض الهيــكل دون أن يكون لديهم أى دليل علمى أو تاريخى صحيح ، ولذلك أخذوا منذ احتلال سنة ١٩٦٧ يجدون فى البحث عن مكان الهيـــكل ، وأخذوا يؤازرون البعثات الاثرية الاجنبية التى تبحث شرقى وجنـــوبى وغربى الحرم الشريف ، وان الدكتورة كينون باسم المدرســة البريطانية لعلم الآثار فى القدس منذ سنة ١٩٦٠ م وهى تبحث فى الجهة الجنوبية خارج سور الحرم عن آثار الهيكل وحتى الآن لم تعثر على شىء من ذلك . ثم تولى اليهود أنفسهم البحث بواسطة البروفسور بنيامين مازار مدير الحفريات باســم الجـــامعة العبرية ، وقد ابرزت الحفريات اربع مستويات آثرية :

١ ــ طبقــة العصر الأموى حتى ايام السلاجقة .

٢ ــ طبقــة العصر البيزنطى من الفتح العربى الاســـلامى الى أيام قسطنطين الكبير .

٣ ــ طبقــة العصر الرومانى ، عصر مدينة ايليا كابتولينا .

٤ ــ طبقة عصر هيرودوس حتى خراب الهيكل الثالث سنة ٧٠ م .

وقد وضع البروفسور تقريرا بما توصل اليه واصدرته الجمعية الاثرية الاسرائيلية ســنة ١٩٧٠ م ، وقد تضمن التقرير أيضــا أن الجــدار الجنوبى للاقصى شرقا وغربا هو بناء اسلامى ، كما تضمن اكتشاف ثلاثة قصور أموية استمرت مســكونة من قبل أمراء القـــدس من الامويين والعباسيين والفاطميين، وأن الوازع الدينى حمل الفاطميين والســلاجقة على اصلاح المساجد ولكن القصور بقيت خرابا حتى أظهرها التنقيب .

وهذا التقرير أغضب ســـلطات الاحتلال خصـــوصا دايان حتى أمر بإزالة الآثار العربية والاســــلامية وإبقاء ما عداها .

وقد توســعت الحفريات على يد الاستاذ مبير بن دوف المســـاعد للبروفسور مازار ، وقد وضــع هو تقريرا يتضــمن آثارا أموية وآثارا أخرى ليس منها أثر اسرائيلى . كما تضمن التقرير أنه يمكن اعتبــار عبد الملك بن مروان الروح التى حركت الاتجاه نحو أهمية القدس وعمل على اعادة عمرانها(٤) .

البراق أو المبكى

هذا المكان فى حقيقته هو الجدار الغربى للمسجد الاقصى المبــارك ، وفى سنة ١٩٢٩ حصــل نزاع بين العرب واليهود على هذا المكان أدى الى اشتعال الثورة المعروفة حينئذ ، وقد شكلت لجنة من ثلاثة قضــاة ليسوا من التبعية البريطانية ، وبعد أن اطلعت على جميع الوثائق التى ابرزها الطرفان تأييدا لوجهة نظره ، واســتمعت للبينات والمرافعات التى قدمها المحامون عن الفريقين قررت أن المكان جزء من المســجد الاقصى المبارك وهو وقف اسلامى ، وليس لليهود فيه الا حق المرور لتــادية طقوس معينة بقيود مقررة ، وقد تأيد هذا بالمرسوم الذى اصــدره ملك

بريطانيا سنة ١٩٣٠ ، كما وافقت عليه عصبة الامم ، وبذلك يكون هذا النزاع قد فصل فيه قضائيا بصورة حاسمة لا يجوز اعادة النظر فيه .

الكنس اليهودية

رغم أن حكام المسلمين كانوا يحافظون على اليهود ومعابدهم واعطائهم الحرية الدينية في جميع العصور ، حتى أنه في القرن الخامس عشر في عهد السلطان قايتباى على أثر صدام بين العرب واليهود هدم بعض متهوسى المسلمين كنيسا يهوديا ، فاعاد السلطان قايتباى بناء الكنيس كما كان (٥) .

وفي سنة ١٩٤٨ م كان لهم ثلاث كنس فى داخل المدينة القديمة وقد تترسوا بها وجعلوها مستودعات أسلحة وذخائر وكانوا منها يقذفون بقنابلهم ورصاصهم السكان الآمنين فى بيوتهم والحرم الشريف ، مما دفع المناضلين لنسفها وهدمها ليتخلصوا من مصدر الخطر عليهم وعلى المقدسات .

عند المسيحيين

يعود تقديس المسيحيين للمدينة الى أن السيد المسيح عليه السلام ولد فى رحابها فى بيت لحم ، وعاش فى القدس ، وله فيها آثار ومواقع دينية ، وأنهى حياته الشريفة فيها ، وأكثر الطوائف المسيحية يعتقدون أن قبره المقدس فى كنيسة القيامة ، كما أن لهم فيها عدة كنائس وأديره ، وان كان بعضهم يعتقد أن القبر موجود خارج سور المدينة فى الجهة الشمالية ، فى مكان معروف ، وهو من الاوقاف الاسلامية .

عند المسلمين

ينبع تقديس المسلمين للمدينة من عدة أمور :

١ — اسراء الرسول محمد عليه الصلاة والسلام اليها من مكة المكرمة ومعراجه منها الى السموات العلا .

٢ — انها قبلة المسلمين الاولى ، وقد صلى المسلمون اليها ، حين فرضت الصلاة ليلة المعراج ، واستمروا يتجهون اليها بعد الهجرة نحو ثمانية عشر شهرا .

٣ — ان المسجد الاقصى المبارك أحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرجال .

٤ — مضاعفة الاجر والثواب لمن يصلى فى المسجد الاقصى ، أو يساهم فى اعماره .

٥ — انها مركز من مراكزالحضارة الاسلامية .

٦ — دفن الاعداد الكبيرة فيها من أصحاب الرسول والمجاهدين والشهداء والعلماء فى مختلف العصور .

التراث الاسلامى فيها

كانت القدس تعرضت لخراب واسع فى أثناء الفتح الفارسى سنة ٦١٤ م واستمر ذلك الخراب حتى الفتح الاسلامى لأن الرومان وان استعادوها بعد ذلك ، الا أنهم كانوا متضعضعين ومرهقين نتيجة الحروب المتوالية فلم يعمروا فيها شيئا يذكر .

ومنذ الفتح الاسلامى اتجه الولاة فى جميع العصور الى اعمار المدينة،

ففى عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ما لبث أن بحث عن مكان يقيم فيه مسجد المدينة ، فأرشد الى مكان الصخرة ، وكان الخراب مخيما عليها وأقام مسجده فى الجهة الجنوبية الشرقية ، فى المكان الذى يعرف حتى الآن بمسجد عمر .

وفى العهد الاموى قام عبد الملك ابن مروان الخليفة الاموى الخامس ٦٨٥ — ٧٠٥ م ببناء مسجد الصخرة المشرفة الذى يعتبر بحق درة يتيمة وتاجا فى رأس كل مظاهر الحضارة والاعمار فى أى عصر من العصور السابقة واللاحقة ، حتى أن السيد حسين شافعى كبير المهندسين المصريين لاعمار مسجد الصخرة والمسجد الاقصى ، أخبرنى أنه لولا تعصب المستعمرين الغربيين لاعتبر بناء مسجد الصخرة وقبتها احدى العجائب السبعة ، ففيه من الفن والاتقان ما هو أهم بكثير من أهرامات الجيزة وقد أقام عبد الملك فى المدينة عدة قصور ، واستمر بعده ابنه الوليد ٧٠٥ — ٧١٥ م فى إنجاز مشروعات والده حتى تجاوزها فى الاتساع فعاد الى القدس عمرانها وأبهتها .

وأينما سرت فى القدس ، وفى المسجد الاقصى وحوله ، تجد آثار الحضارة الاسلامية من دور العلم والمستشفيات والمساجد والتكايا والرباطات وسبل الماء ، تتحدث عن أعمال الامويين والعباسيين والفاطميين والسلاجقة ، والايوبيين والعثمانيين ، وقد دون الكثير من ذلك فى وقفيات لا يزال الكثير منها محفوظا فى سجلات المحكمة الشرعية فى القدس ، ومنها :

١ — وقفيات أبى مدين الغوث والمحسنين من المغاربة .

٢ — وقفية صلاح الدين الايوبى .

٣ — وقفية خاسكى سلطان زوجة السلطان سليم العثمانى .

٤ — وقفيتا المحسنة المقدسية السيدة امينة الخالدى ، فقد وقفت عقاراتها التى كانت تملكها فى القدس الجديدة وفى القدس القديمة ، وهى فى غاية الاهمية والمكانة الممتازة من حيث موقعها وقيمتها ، وبخاصة العقارات الواقعة قرب المستشفى الالمانى فى أحسن موقع تجارى فى القدس الجديدة ، وقدرت قيمتها حينئذ باربعمائة ألف جنيه استرلينى، وقفتها على مستشفى اسلامى ينشأ فى القدس ، وكان ذلك حينما كنت قاضيا فى القدس سنة ١٩٤١ — ١٩٤٥ م .

ومما يزيد فى مكانة القدس لدى المسلمين أنها ضمت فى عدة نواحى منها رفات عدد من أصحاب الرسول عليه السلام والمجاهدين والعاملين ، ومن هؤلاء الصحابى الجليل شداد بن أوس ، والصحابى عكاشة ، وعبد الله القرشى ، وابو مدين الغوث المغربى ، والجراح من قواد صلاح الدين ، ومجير الدين بن الحنبلى صاحب كتاب الانس الجليل ، والملك حسين بن على صاحب الثورة العربية الكبرى وجد الاسرة الهاشمية ، ومولانا محمد على الهندى من زعماء العالم الاسلامى وعبد القادر الحسينى ، وآخرون كثيرون .

احراق الاقصى

نظرا لأطماع الصهيونية التى لا حد لها ، ومزاعمهم فى أن الاقصى اقيم على انقاض الهيكل ، اقدموا بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢١ على احراق

المسجد الاقصى فى مسرحية مكشوفة قدموا لها ضحية شابا استراليا ، زعموا أن فى عقله خللا ، وأن جريمة الاحراق أكبر من أن تحدد أبعادها ، فهى بالاضافة لآثارها المعنوية فى نفوس المؤمنين وهى لا تقدر بثمن ، فان تلك الجريمة أتت على المنبر التاريخى المعروف بمنبر صلاح الدين، وقد أعده فى حلب نور الدين الشهير خلال مدة عشرين سنة ، ليوضع فى الاقصى ، وهو تحفة فريدة فى العالم، كما أتت جريمة الاحراق على القبة الخشبية الداخلية من قبة الاقصى ، بزخارفها وما فيها من فن بديع ، وقد أعلمنى السيد حسين شافعى المشار اليه ، أن ذلك المنبر مصنوع من خشب الارز وخشب الأبانوس ومطعم بالفضة وليس فيه مسمار واحد ، فى زخرفة نادرة وان حضارة القرن العشرين تعجز عن صنع مثيل له أو للقبة الخشبية المشار اليها(٦) .

مناقشة هادئة

ولو أردنا أن نناقش مناقشة هادئة بعيدة عن التعصب والهوى لخرجنا بنتيجة هي أن القدس موضع اهتمام وتقديس أصحاب الديانات الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام، وان كلا من اليهودية والمسيحية انما تدين بديانتها فقط وبرسولها ، أما الاسلام فمبدأه أن أصل الديانات السماوية واحد ، وان مردها واحد ، قال تعالى : ((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)) (٧) .

قال مجاهد فى تفسيرها أوصيناك واياهم دينا واحدا ، وبذلك يعترف الاسلام بوحدة الاديان السماوية ، قبل أن تمتد اليها يد العيث والعبث، كما أن الاسلام يقضى بضرورة الاعتراف برسالة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام ، ورسالات جميع النبيين والمرسلين ، قال تعالى : ((آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)) (٨) .

ومن هذا المنطلق وهذا المفهوم ضمنت العهود والمواثيق التى كانت تعقد فى زمن الرسول عليه السلام أو زمن خلفائه من بعده ، لليهود والنصارى، حريتهم الدينية والمحافظة على كنائسهم ومعابدهم وحقوقهم كاملة .

ومن هذا المنطلق أيضا كان الحسن البصرى وأمثاله من كبار علماء المسلمين لا يتعصبون تعصبا يجعل الواحد منهم يمقت أهل الديانات الاخرى ، وكان الحسن يفتح صدره لكل شخص مهما تكن ديانته ، وأستوحى من حقائق الاسلام الدعوة الى السلام والمحبة ، ولذا كان يحضر دروسه اليهود والنصارى ويواسيهم ويعزيهم أن كان ما يوجب العزاء(٩) .

وأيضا فان سلطان المغرب محمد ابن عبد الله أصدر بتاريخ ٢٦ شعبان سنة ١٢٨٠ هـ و ٥ فبراير سنة ١٨٨٤ م أمرا تضمن أسمى مبادىء العدالة ، والمساواة بين اليهود وغيرهم وبين المسلمين فى المعاملة ، وأن كل من يخالف ذلك يتعرض لاقصى أنواع العقاب الرادع(١٠) .

ومنهم من كان يشغل وظيفة الوزارة أو أية وظيفة سامية أخرى، وهذا الموقف السمح كانوا يلقونه من

الاسلام والمسلمين قبل أن تظهر فيهم الفكرة العنصرية الصهيونيه الفاشية .

وأما المسيحيون المواطنون فهم أقراننا فى الحقوق والواجبات ولم يقع بين هؤلاء والمسلمين أية أحداث جدية مطلقا ، الا كما يقع بين فريق وآخر من المسلمين ولهذا فان أى تفكير فى المطالبة برعاية حقوق المسيحيين فى مقدساتهم لا يستند الى أساس صحيح ولا وجه له .

وأما المستعمرون الاجانب فغير مؤهلين لحكم البلاد وسيادتها لاسباب لا تخفى على أحد ، وبذلك نصبح نحن المؤهلين الوحيدين لحكم المدينة حكما قائما على رعاية حقوق جميع الطوائف واشاعة العدالة والمساواة بين الجميع ، واعادة الحالة الى ما كانت عليه قبل العدوان الاخير ، وكل تفكير يغاير ذلك يعرض المدينة لأفدح الأضرار ويعرض السكان من المسلمين والمسيحيين لخطر التصفية النهائية والتهجير ، كما يدل على ذلك خطط الغاصبين فى تهويد المدينة وتغيير معالمها ، وازالة كل آثار العروبة والاسلام عنها .

الاقتراحات المتداولة

بلغنا أن فكرة التدويل يجرى بحثها بطريق أو بآخر ، وهى معروضة للمناقشة ، فى اى مؤتمر يعقد ، كما أن هناك فكرة أخرى معروضة ، وهى جعل المدينة بقسميها مفتوحة ، بحيث يسمح لرعايا المنطقتين أن يذهب كل منهم للمنطقة الاخرى ، ولكن لا يكون بينهما حواجز .. الخ . مع ابقاء السيادة اليهودية علىالقسم المحتل سنة ١٩٤٨ وابقاء نوع من السيادة علىالمحتل سنة ١٩٦٧ الخ .

أخطار التدويل

يعتمد الساسة الذين يدعون الى التدويل ، على أنه مما تضمنه قرار الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ م وهذا يعنى التزاما دوليا ، غير أن تدويل القدس هو جزء من قرار تقسيم سنة ١٩٤٧ ، وقد كان شاملا للقدس بقسميها ، ومع أن القسم المحتل من القدس سنة ١٩٤٨ لا نفرط فيه ولا نتنازل عنه لما يلى :

١ — انه جزء من المدينةالمقدسة .
٢ — اشتمل على مناطق واسعة، وأملاك شاسعة ، هى للعرب .

٣ — هو جزء من الوطن المغتصب .

الا أن موضع البحث هو تدويل القسم العربى من المدينة ، لأن هؤلاء يرون انه ليس من السهل على الإسرائيليين أن يسلموا القسم المحتل من المدينة سنة ١٩٤٨ لسلطة دولية، وقد أعلنوها عاصمة لهم ، ورغم كل هذا فاننا نعلم من التاريخ أن جبل طارق قد أصابه بسبب التدويل كثير من الفساد والتخريب مما لا يزال الناس يتحدثون عنه وعن أهواله ، ولم يكن لليهود علاقة ظاهرة فيه هناك ، فكيف يمكن أن يطمئن الى اية سلطة دولية تقوم فى القدس العربية فقط ، ثم لا تسيطر عليها الصهيونية العالمية أو لا تخلق فى كل يوم مشكلة جديدة للسكان العرب ؟

وبالاضافة الى هذا فان التدويل يكون سببا لجعل القدس ممرا من أجل تصريف منتجات سلطات الاحتلال الى البلاد العربية الاخرى مما يكون عاملا مهما فى افساد الاقتصاد العربى ، والتنفيس عن الاقتصاد اليهودى ، فضلا عن تسربالاشخاص

المشبوهين أو المدمرين الى البلاد العربية مما ينذر بشر كبير وضرر مستطير .

خطر الانفتاح

وأما انفتاح القسم المحتل سنة ١٩٤٨ على القسم المحتل سنة ١٩٦٧ فانه مرحلة للقضاء على الوجود العربي أو الاسلامي في المدينة وذلك للاسباب التالية :

١ — السكان العرب في القدس المحتلة سنة ١٩٦٧ حول ستين الفا .

٢ — بعد احتلال السلطات الصهيونية لذلك القسم ، انشأوا فيه عدة أحياء على أراض عربية اغتصبوها من أهلها ، وبنوا على تلك الاراضي عمارات شاهقة ، لاسكان المهاجرين فيها من اليهود ، وقد سكن فيها حتى الآن ما لا يقل عن ستين الفا ، وهو ما يعادل السكان العرب ، ويوجد الآن مساكن وعمارات جاهزة أو في سبيل الاعداد والتجهيز لاسكان مثل ذلك العدد .

٣ — القسم المحتل سنة ١٩٤٨ من القدس يسكنه من اليهود مئتان وعشرة آلاف ، فاذا فتح القسمان على بعضهما ، كانت النتيجة ، أن يكون العرب من مسلمين ومسيحيين نحو ستين الفا ، يقابلهم من اليهود مئتان وعشرة آلاف سكان المنطقة المحتلة سنة ١٩٤٨ ، ونحو مائة وعشرين الفا ، السكان اليهود في المنطقة العربية من القدس ، أي نحو ثلاثمائة وثلاثين ألف يهودي ، ولا شك أن هذا العدد الضخم من اليهود ، والذي هو قابل للزيادة ، بأساليبه الجهنمية ، وخداعهم وختلهم ، يبتلع تلك الاقلية العربية ويقضي عليها تدريجيا الى أن تصبح القدس بكاملها ، صهيونية ، بموافقتنا ، ليس فيها الا أقلية عربية ، لا حول لها ولا طول ، ولذلك لا يجوز أن نقبل بحال من الاحوال ، بأقل من عودة القدس العربية الى حالتها السابقة ، وضرورة اخراج السكان اليهود الطارئين عليها بعد سنة ١٩٦٧ .

فتنبهوا يا عرب ، ويا مسلمون ، واياكم ثم اياكم أن تقعوا في أحبولة ، قد يكون مظهرها تسامحا ، ولكن جوهرها قضاء مبرم على عروبة المدينة واسلاميتها .

فاللهم اني قد بلغت ، واللهم فاشهد .

واخيرا ..

وقبل أن اختتم هذا البحث أرى الاشارة الى الكاتب اليهودي الاميركي ، موشى منوهين ، الذي نشر في الولايات المتحدة كتابا بعنوان (انحطاط اليهودية في عصرنا) الذي كشف فيه بصراحة متناهية مخازي الصهيونية وفضائحها ، وجرائمها الوحشية ، ابتداء بمذبحة دير ياسين ومرورا بمجزرة كفر قاسم ، وانتهاء بالمجازر البشرية التي ارتكبتها اسرائيل في عدوان ٥ حزيران ، وما بعده ، وقد استهل كتابه بهذه المقدمة :

« لقد أطلقت على هذا الكتاب عنوان — انحطاط اليهودية في عصرنا الحاضر — ولكن كنت أفضل له عنوانا آخر هو (القومية اليهودية جريمة تاريخية ، رهيبة ولعينة) ، وبعد أن يؤكد ، مستندا الى التاريخ والتوراة أن عرب فلسطين الذين

اصبحوا اليوم لاجئين فى الكهوف والمخيمات خارج حدود وطنهم وأرض آبائهم وأجدادهم ، بسبب السياسة الصهيونية ، هم المالكون الحقيقيون لفلسطين)) .

يختم كتابه بقوله :

((ولما كانت الحقيقة كلها يجب أن تقال ، مهما بدت مريرة ، وجارحة وقاسية ، فانى أقول : ان المطامع الصهيونية ولعنة القومية اليهودية ، تسببت حتى الآن فى وقوع ضحايا أبرياء كثيرين ، وأنا لا أعنى بالضحايا الأبرياء عرب فلسطين وحدهم ، بل كذلك يهود فلسطين أيضا ويهود المهاجر كذلك ، الذين سيدفعون يوما ما غاليا جدا ، من أخطاء زعمائهم وجرائمهم الرهيبة)) .

هذا ، ومع أن حقنا فى القدس وسائر الديار المغصوبة واضح وضوح الشمس فى رابعة النهار ، يؤيده التاريخ والآثار واستمرار وجودنا العربى آلاف السنين ، ووجودنا الاسلامى أربعة عشر قرنا ، يستثنى منها فترة الحروب الصليبية، فان الامر مع الصهيونية ومؤيديها من أركان الاستعمار والامبريالية ، لا يجدى فيه المنطق والدليل التاريخى والعلمى ، وقرارات الامم المتحدة ، لذلك يجب على جميع القوى العربية والاسلامية أن تستمر فى تكتلها وتضحياتها ، البترولية ، والمادية والبشرية ، وأن تتجاوز عن أى تناقض أو خلاف بينها ، حتى تتخلص من هذا الاخطبوط ، الذى يهدد كل عربى وكل مسلم ، فى وجوده وحضارته وعقيدته، واذا وصلنا لتلك النتيجة ، وهذا ما نامله ونرجوه ، بفضل اتحادنا وتضامننا ووعينا ، فحينئذ يجب أن يرفرف على المدينة المقدسة وسائر الديار ، علم الحرية والمساواة والعدالة ، فى غير حقد ولا ضغينة ولا كراهية .



---

(١) البخارى .
(٢) المجلد الاول من كتاب روايات اليهود لجنزبرج بالانجليزية ص ٢٣٣ ، والمجلد الخامس من نفس الكتاب ص ١١٥ و ١٦٢ وقاموس الكتاب المقدس بالانجليزية ص ٧١٠ وماذا بعد احراق المسجد الاقصى .
(٣) مكانة القدس بالاسلام .
(٤) نحن وآثارنا للسيد محمود العابدى .
(٥) الانس الجليل ، وبحث خاص لاحمد زكى باشا ومكانة القدس فى الاسلام ص ٤٢ ، ومجير الدين الحنبلى .
(٦) ماذا بعد احراق المسجد الاقصى ص ٥١ .
(٧) الآية ٦ من سورة الشورى .
(٨) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .
(٩) مكانة القدس فى الاسلام .
(١٠) ماذا بعد احراق المسجد الاقصى .

نحـــو اقتصاد إسلامي

دكتور ابراهيم فؤاد أحمد على

تلك دعوة الى الأخذ بالنظم الاقتصادية الاسلامية وتطبيقهـــا بعد أن هجرتها الدولة الاسلامية منذ وقت طويل واستبدلتها بنظم مستوردة غيـــر صالحة فى غالب الأحيان . ويهمنى فى هذا المقال الاشارة الى النظام المالى فى الاسلام كما نزل به القرآن الكريم وبينته السنة الشريفة وعمل به الخلفاء الراشدون ، وذلك لاظهار ما فى الفقه المالى الاسلامى من صلاحية للتطبيق الآن ، وما به من مزايا لم تتوصل اليها النظم المعاصرة بعد .

واذا نظرنا الى الفقه المالى الاسلامى نرى أنه وضع دعائـــم التنظيم المالى الحديث منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا . فقد حدد الموارد التى تـــؤدى لبيت المال لينفق منها على مصالح الدولة المختلفة ، واتبع مبدأ فصل أموال الدولة عن أموال الحكام فى وقت كانت تختلط فيه تلك الاموال بأموال الحكام وكان ينفق منها هؤلاء بحسب أهوائهم دون ضوابط للانفاق أو اتباع قواعد ترشيده أو مراعاة الصالح العام . ولم يتبع مبدأ الفصل الا فى العصـــور الحديثة فى حين طبقه الاسلام منذ العصور الوســـطى (منذ بداية القـــرن السابع الميلادى)

ولا بد من الاشارة عند الدعوة الى تطبيق النظام المالى الاسـلامى فى الدول الاسلامية الى بعض المفاهيم الاسلامية لنتعرف عليها ونتفهم وضعها بالنسبة للمفاهيم السائدة .

المفهـوم الأول :

هو أن الاسلام وضع دعائم التنظيم الحديث ، فمن الناحية المالية وضع الأصول الجوهرية لأحكم وأعدل سياسة مالية ، فبيَّن المـوارد التى تؤدى لبيت المال ، كما بيَّن أوجه الانفاق الرشيد على مصالح الدولة العامـة ، وهذا يتفق مع قاعدة « عمومية الميزانية » ووجَّه الانفاق وجهة اقتصاديـة واجتماعية ، وهو اتجاه لم تسع اليه الـدول الحديثـة الا فى فجر القرن العشرين ولما تبلغ غايته المرجوة بعد .

والمفهوم الاسلامى الثانى :

هو أن الاسلام جاء بأحكام مجملـة تتصل بالشؤون الاجتماعيـة والسياسية والاقتصادية . وقد أجمل تلك الاحكام قصدا اذ لو أتى بها مفصلة لتقيدت بها الأجيال ولأصاب الناس من ذلك عنت كبير . فالنظم الاسلاميـة ليست نظما جامدة تقف عند جماعة خاصة أو حقبة معينة من الزمن ، ولكنها مرنة ترك للمسلمين تكييفها وفق ظروفهم وأحوالهم التى يعيشـون فيهـا . وهذا هو سر عظمة الاسلام وخلوده .

المفهـوم الثالث :

ان مصادر التشريع هى القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، والاجماع والقياس وهو مبنى على الاجتهاد الذى يبين مرونة الفقه الاسلامى ويبعده عن الجمود . وقد اجتهد السلف الصالح فى الكشف والاستنباط الفقهـى والعرض بما يتفق مع أسلوب عصرهم ومعارف زمانهم ، وخلَّفوا لنا ميراثا ضخما تتمثل فيه عقليات العصور والمدارس الفكرية المختلفة والأزمـان المتعاقبة التى عاصرت الاسلام وارتبطت به وارتبط بها فى شؤون الحيـاة المختلفة .

وقد ورثنا — نحن أبنـاء هذا العصر — ذلك الميـراث فلم نفـكر فى الاستفادة منه أو الانتفاع به ، ولم نفكر فى الاسلوب الذى نعرضه به علـى انفسنا وعلى غيرنا ، عرضا صحيحا جذابا يدفـع الى العناية بـه ويلفت الانظار اليه . واستهوتنا النظم الأجنبية فأصبحنا فى كثير من نواحى الحياة

عن هدى الاسلام وأصوله وقواعده بعيدين ، مع أن الاسلام لا يأبى علينا أن نقتبس النافع مما كشفه العالم الأجنبى على أن نرد الطيب منه الى أصوله الخالدة ، وانما الذى يأباه الاسلام علينا أن نأخذ كل شىء من الخارج دون رده الى قواعد الشريعة الغراء ، وقد آن الآوان لبعث هذا التراث العظيم على أيدى ، صفوة من ذوى الغيرة على الدين .

وقد دعى ذلك البعض الى القول بأن الفقه الاسلامى قد جمد وان المسلمين قد تركوا الاجتهاد ، وهذا يجعله — فى نظرهم — غير صالح للعمل به فى هذا العصر الذى ارتقت فيه القوانين والنظم الحديثة حتى كادت تبلغ الغاية . ونحن نوافق هذا الفريق على أن الفقه الاسلامى جمد من ناحية أسلوب عرضه ، ولكنه من ناحية قواعده الاساسية ومبادئه الكلية فانه لا جمود فيه بل هو حى ينبض بالحياة . يدلنا على ذلك أنه كان يظهر فى فترات متفاوتة من الزمان بعض الأئمة المجتهدين « كابن تيميه » وتلميذه « ابن القيم » يستنبطون أحكاما موافقة للعصور التى عاشوا فيها ، ويعرضون الفقه الاسلامى عرضا سليما يظهرون ما فيه من مزايا عديدة تدلنا على صلاحيته لكل الأزمان . ثم مالنا نذهب بعيدا ونحن نرى فى هذا العصر من ينادون بفتح باب الاجتهاد على مصراعيه بعد أن فتحوه ودخلوا فيه بالفعل ؟ فمثلا البحوث التى قامت بها حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية التى انعقدت بدمشق سنة ١٩٥٢ لبحث أوجه التكافل الاجتماعي ووسائل تنظيمه فى الدول العربية ، ذهبت فى هذه البحوث الى ان الزكاة تستحق الآن فى أموال لم تكن معروفة فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة وأيام الاستنباط الفقهى . وقد اتجهت الحلقة هذا الاتجاه عن طريق الاجتهاد والتخريج فى الفقه الاسلامى . مثال آخر هو البحوث التى قام بها مجمع البحوث الاسلامية فى مؤتمراته التى عقدها بين آن وآخر ، الى غير ذلك من أمثلة الاجتهاد .

والمفهوم الاسلامى الرابع :

هو أن الاسلام فى نظرته الى المال راعى المبادىء التالية :

١ — لم يحتقر الاسلام المال ولم يزهد فيه بل اعتبره نعمة من نعم الله الواجبة الشكر ، وكذلك لم يرغب فى المال لدرجة السعى الى كسبه عن طريق غير شرعى .

٢ — حث الاسلام على الكسب الحلال واعتبر ذلك قربة الى الله تؤدى الى حبه ومثوبته ومغفرته قال النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله يحب المؤمن المحترف » كما قال « من أمسى كالاً من عمل يومه أمسى مغفورا له » . وكذلك حرّم الاسلام الكسب الحرام لما له من نتائج سيئة ،

فحرم الربا والقمار .. الخ . ووضع فى ذلك القاعدة المشهورة من « تقديم المنفعة العامة على المنفعة الخاصة دائما » .

٣ ــ حرّم الاسلام السؤال والاستجداء لما فى ذلك من مذلة وهوان . قال النبى صلى الله عليه وسلم « لئن يحتطب أحدكم خير له من أن يسأل الناس اعطوه أو منعوه » . وحث على العمل ولفت النظر الى منابع الثروة المختلفة ، فقال تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » .

٤ ــ عمل الاسلام على التقريب بين الطبقات باعادة توزيع الدخل عن طريق الزكاة المفروضة والكفارات وصدقات التطوع ... الخ ، ففرض للفقير فى مال الغنى ما يزكيه ويطهره وقرر له حقا معلوما وجعله فى كفالة الدولة وعليها أن تأخذ حقه من الغنى وتعطيه للفقير حتى لا يشعر بالمهانة ، وفى الوقت نفسه أوضح الاسلام بشكل ظاهر أن المال مال الله والانسان أمين عليه ينفقه حيث أمره الله ، وان ملكيته للمال ملكية مقيدة . واذا اعتقد الانسان ذلك لم يبخل باخراج حق الغير فى المال . قال تعالى : « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .

هذه هى نظرة الاسلام للمال ، فهو من جهة جعل له مركزا ممتازا لأنه عصب الحياة ، ومن جهة أخرى بيَّن أن المال مال الله وأن الانسان خليفته فيه ليتصرف فيه حسب الأصول الشرعية .

واختتم هذه المفاهيم بالاشارة الى أن موارد الخزانة أو « بيت المال » هى :

١ ــ **الزكاة** : بأنواعها المختلفة .

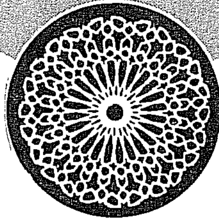
٢ ــ **الفيىء** ، ويشمل الخراج والجزية والعشور . والخراج هو ضريبة الأطيان الزراعية المفروضة عليها نظير التمتع بحق الانتفاع بها . والجزية هى الضريبة المفروضة على رؤوس أهل الذمة فى مقابل الزكاة المفروضة على المسلمين .

أما العشور فهى تقابل الرسوم الجمركية الآن ، وهى ضريبة تفرض على الصادرات والواردات من والى البلاد الاسلامية .

٣ ــ **الخُمس** : ويشمل خُمس الغنائم التى يستولى عليها المسلمون فى الحرب ، وخمس المعادن المستخرجة من الأرض ، وخمس الأسماك واللآلىء المستخرجة من البحار .

والموارد السابقة هى الموارد الرئيسية لبيت المال فى الاسلام وسيكون التركيز فى المقال التالى باذن الله على مورد الزكاة ، اذ انه من أهم الموارد المالية لبيت المال فى الاسلام على نطاق الهيئات المحلية .

نحو تربية إسلامية



للأستاذ أحمد محمد جمال

يا بني :

● « لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم »(١) .

ليس في بلدك الذي ولدت فيه ، وولد فيه آباؤك من قبل ، شرك بالله في المعتقد الديني ، بمعنى أن الها غيره ينازعه خلقه ورزقه ، أو يدعي ويخشى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وحاشا سكان هذا البلد الحرام ، وجيرة الكعبة المشرفة ، رمز الوحدة الإلهية : أن يكون بينهم مشرك من هذا القبيل !!

ولن أخشى عليك ، ولا على غيرك ، من أبناء اليوم وآباء الغد ، الحادا الى هذا الشرك الاكبر ، وهذا الظلم الاعظم فقد استنارت الأذهان ، واهتدت القلوب ، وآمن العالم جميعه — أو كاد — بوجود اله واحد خالد ، لولا أن وسائل هذا الايمان تختلف ، ويكتنف مظاهره ما يكتنفها من حميات وعصبيات وعقائد وتقاليد .

ولكني أخشى عليك الوانا أخرى من الشرك .. الوانا لا تفتأ شائعة ذائعة ، في أكثر بلاد المسلمين اليوم ، ولا أبرىء منها بلاد غير المسلمين ، فانها أخلاق تعم ولا تخص ، وتنتشر ولا تقتصر ، ولكنها في بلادنا — المسلمين عامة — اشيع وأذيع ، لما سترى من (عروبة) مذكورة و (اسلام) مهجور .. !!

هذه الألوان من الشرك ، يا بنى : منها ما هو خفى ستير ، ومنها ما هو مكشوف وضاح ، ومنها ما يمسك وحدك ضرره وأذاه ، ومنها ما يقتصر عليك شره وبلواه ..

● يا بنى :

لا تشرك بالله ، فتطلب من أحد حاجة (فضلا) ، تتذلل لها وتتعلل ، بل اطلبها (حقا) ، فان (الامور تجرى بمقادير) ، كمـــا يقـــول على بن أبى طالب كرّم الله وجهه .

وتحدث الى الناس بقوة فى أدب ، وبعزة فى تواضع ، لئلا يظن أحد بك نفاقا أو ضعفا ، فان المؤمن لا يكون ذليلا ولا منافقا ولا ضعيفا .

ان رزقك المكتوب لكـ يا بنى ـ على استقامتك ، لن يزيده أحد من الخلق ، اذا رضى عليك لنفاقك وضعفك ، ولن ينقصه أحد منهم ، اذا سخط عليك لقوتك وعزتك وعفتك .

لا تشرك بالله أحدا من الناس فى خوف أو رجاء ..

خفه وحده ـ سبحانه ـ فلا تأت معاصيه ، وارجه وحده كذلك ، فآت مراضيه . وقل الحق ما استطعت اليه سبيلا .

فقد مضى على أبيك شبابه وهو لا يمدح ظالما ، ولا يمجد غاشـــما ، ولا يهش ولا يبش فى وجه لص ، ولا يقول للمخطىء : أصبت ، ولا للمصيب : أخطأت ، مرضاة لرأى رئيسه أو صديقه ولا يصبر على ظلم ظالم ، الا اذا كان لا يقدر عليه ، متمثلا فى ذلك بقول الشاعر :

ان كنت تعلم يا نعمـــان أن يدى

قصـــــيرة عنك ، فالأيام تنقلب

وينتظر انقلاب الأيام ، وانتقـــام القدر ، وقد ذاق حلاوة وفاء الأيام ، وحلاوة عدل القدر .. !

● يا بنى :

لا تشرك بالله ، فتعدل مشهودا بين الناس ، وتظلم مختفيا عنهم ، ليقال انك عادل ، والله يعـلم ظلمك ، ولا تنفق جهرا ، وتمسك سرا ، ليقـال انك كريم ، والله يعلم لؤمك . ولا تظهر الورع والزهد بين يدى اخوتك وجيرانك ، وأنت تأتى المآثم فى خلوتك ، ليقال : انك صالح تقى . والله يعلم اثمك .. !

ان هذا اشراك للخلق مع الخالق ـ سبحانه ـ فى خشـيته وهيبته ، فأعيذك يا بنى من ذلك ، وأرجو الله أن تكون واحدا فى سرك وعلنك ، فلا تأتى الا ما تحبه ويحبه الناس ، ولا تدع الا ما تمقت ويمقتون .

أجل ان الشرك لظلم عظيم :

ظلم للظالم نفسه بما يخسر من رضا ربه الذى ينبغى ألا يطلب سواه ، وما يتبع ذلك من عقاب لن يفلت منه ، وظلم للمظلومين بما يخسرهم من حق ، ويحرمهم من فضـــل ، وبما يفترى عليهم من قلب الحق باطلا والباطل حقا ، فلا تشرك [illegible] جبانا والجبان بطلا ، وجعل الحلال حراما ، والحرام حلالا .

[illegible] احدا من خلقه ، والتمس رضـاه وحده ،

لتكون من عباده الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لأنهم آمنوا به ، واستقاموا على طريقته ، واتبعوا هداه .

● يا بنى :

احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . واذا استعنت فاستعن بالله ، واذا سألت فاسأل الله ، واعلم أن اهل الارض جميعا لو تآمروا ليضروك ، لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، ولو اجتمعوا لينفعوك ، لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك « جفت الاقلام ، وطويت الصحف »(٢) .

ليس هذا الحديث من فلسفتى ، ولكنه توجيه كريم من توجيهات نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام ، يشد به عزائم أمته ، ويغذى ضمائرهم ، ويطهر مشاعرهم ، ليعيشوا وليس فى قلوبهم الا الله يخافون عذابه ، ويرجون رحمته ، ويصطحبون تقواه ، وكل الذى فوق التراب تراب ، ليس فى حسبانهم من دون الله حساب ، وليس لهم من دون الله أرباب .

● يا بنى :

عندما مضت مشيئة الله بهلاك (يام) بن نوح عليه السلام ، فغرق فى الطوفان الذى أرسل عذابا للكافرين من قوم نوح .. وعندما توجه نوح بكل ما فى فؤاده من حنان الابوة ورحمتها الى ربه ، يسأله نجاة ابنه من الموت .. كان جواب القدر العادل الحكيم : « قال يا نوح انه ليس من أهلك .. انه عمل غير صالح »(٣) .

أرأيت يا بنى كيف أن النسب مهما ارتقى ، لا ينفع صاحبه اذا ساء خلقه ، وفسد عمله ؟ فهذا نسب نوح ، وهو النبى الكريم ، لم ينج ابنه (يام) من الغرق ، لأنه اختار المضى مع القوم الكافرين . وقد ألح عليه أبوه بكل ما أوتى من حنان الابوة ، وعزيمة النبوة : « يا بنى اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين »(٤) .

ان نسب المسلم هو اسلامه اسلاما صحيحا فلا تهتم يا بنى ان قيل لك : انك غير عربى الأصل ، أو قيل لك : ان نسب جدك يتصل بـ (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه ، ذلك أن أباك لا يرى لعربى فضلا على عجمى الا بالتقوى والعمل الصالح ، وهذا هو أدب الاسلام ، الذى ندين به ، ويلزمنا أن تتفاضل بالاعمال لا بالانساب : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم »(٥) .

وقد دلت وقائع التاريخ المتتابعة منذ العهد الاسلامى الأول الى اليوم ، على خطأ من لم يتأدبوا بهذا الأدب الرفيع : « العمل قبل النسب » اذ ترك أكثر العرب العمل والعلم اللازمين لاستقامة الحياة وصلاحها ، وللاطمئنان على المصير السعيد ، والخاتمة الحسنى ـ تركوهما للتفاخر بالأنساب ، والتكاثر بالأموال .

لقد رضى العرب بالحياة الدنيا ، واطمأنوا اليها ذليلة قليلة عليلة ، ولم يتزودوا لعزتها بإعداد القوة ، ولرخائها بانشاء الصناعة والزراعة ، ولعافيتها بمعرفة العلوم الطبية والرياضية والتربوية .

ومن أجل ذلك كان مؤلفو أكثر تفاسير القرآن ، وانه لكتاب العرب ،

وشروح السـنة ، وانها لحكم نبيهم — من غير العرب الأصلاء ، وجاء بعد هؤلاء علماء الغرب — عدو الشرق وسالبه حضارته وثقافته وحكمته — فوضعوا التواريخ ، والفهارس ، وأبحاث الآثار ، بعد أن ضربوا فى صحارى بلاد العرب ودرسوا ما فيها .. !

ان أيدى غير العرب على العرب طائلة ، وانى لأعزى نفسى مكرها ، بأنه عسى أن يكون ذلك فى مقابل أيدى العرب الطائلة على غيرهم ، أى بدلا وعوضا عما قدمه النبـى العربى الـكريم الى العالم جميعا من نور .. نور فـى كل شيء .. !

● يا بنى :

ان تكن عربيا ، فلا فضـل لك على غير العـربى الا بالتقوى والعمل الصالح ، وان تكن غير عربى أصلا ، فلك اسلامك ، وانه لفخر كل فاخر ، فقد تعلم أبوك العربية ، وحفظ القرآن ، ودرس بعض تفاسيره ، وليست العربية كما يقول رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام « بأحدنا من أب ولا أم ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى »(٦) .

ولك فيما يقوم به الآن المسلمون ، غير العرب ، من أعمال تبشـيرية بالدين الاسلامى ، وأعمال اصلاحية للنهضة باخوانهم من الذلة والقلة ، التى أورثهم اياها الاستعمار الغربى — لك فيما يقومون به ، ولا يقوم به غيرهم فى أى بلد اسلامى آخر — أسوة حسنة ، فانما الاعمال ، كما قدمت لك ، ميزانها العمل الصالح ، لا النسب والحسب .

وان صح نسبك الى عربى أصيل — عمر بن الخطاب أو غيره — فقـد جمعت خيرين : العروبة والاسلام ، على الا تسمى باسمها ، ثم تدع العمل وتركن الى الامل ، فكل امرىء بما كسب رهين ، ورب أعجمى مسلم بعمله ، أكرم وأسلم وأغنم من عربى مسلم بأمله .

كن — يا بنى — عربيا كما كان العرب الأول : مروءة وكرما وعفـة ، وشجاعة فى الحق ، ومسلما كما كان المسلمون الأولون : قولا سديدا ، وعملا صالحا ، وجهادا فى سبيل الله بيدك ولسانك ومالك .

وأحب العرب بكل قلبك ، فان حب العرب من حب نبيهم ، وبغضهم من بغضه ، وسل الله لهم العزة والقوة والتوفيق .

● يا بنى :

انك مأمور أن تدعو بالرحمة لأبويك وهما كبيران ، جزاء ما تعبـا فى تربيتك وأنت صغير .

وسأصور لك ما رأيت بعينى ، وما أحسست فى نفسى من مظـاهر ومشاعر ، لحنان الأم ورحمتها ، وحبها الأسمى لولدها . لتدرك لمـاذا كرر القرآن الكريم الوصية بالاحسان الى الوالدين ، ولماذا خص الحديث النبوى الأم بالنصيب الأكبر من هذا الاحسان .

شهدت بعينى رأسى ، ذات صباح ، أما شابة تضاحك طفلها الرضيع ، وتقبل يده الصغيرة فى نهم وشوق واعتزاز ، بعد ليلة ليلاء قضتها سـاهرة جاهدة مع بكائه وعويله .

وتذكرت عندما رأيتها تهوى بشفتيها الرحيمتين على يد طفلها اليمنى ثم اليسرى – تذكرت الآيات القرآنية المتعددة النازلة بايصاء الأبناء بآبائهم وأمهاتهم احسانا وبرا .. !

ما أروع هذا المنظر : أم تقبل يدى طفلها اليمنى واليسرى معا ، فى نهم وشوق واعتزاز . وقد تعودنا فى مراحل شبابنا ، وكهولتنا ، وشيخوختنا ، أن يقبل الصغار أيدى الكبار ، والمرءوسون أيدى الرؤساء ، والجهلة أيدى العلماء ، وطالبوا الفضل والبركة أيدى الاتقياء والاولياء .

ان هؤلاء الأدنين يقبلون أيدى الأعلين ، خوفا ، أو طمعا ، أو اجلالا مجرد اجلال ! ولكن الأم التى تقبل يدى طفلها اليمنى واليسرى ، فى نهم وشوق واعتزاز ، لا يدفعها الى ذلك شعور بخوف ولا طمع ولا اجلال .

انما دافعها الحب الخالص ، المنزه عن الطمع والخوف والاجلال .. الحب الذى لم يكن ثمنا لأى شىء ترجوه فى طفلها الحبيب .. !!

الا ما أغلاها قبلة .. ! وما أحلاها شفة أم تهوى على يدى طفلها الرضيع .. ! وما أجله حبا ، حب الأمهات للرضعاء .

ثم هذه الليالى الطوال ، ليالى الأمهات مع أطفالهن ، الليالى التى كلها سهر وتعب وصبر على شم أقذار الطفولة ومسها وتطهيرها ، الليالى التى تنتهى فى الصباح الى قبلة رحيمة من فم الأم الطهور ، على يدى الطفل العزيز ، فى نهم وشوق واعتزاز .. هذه الليالى المثقلة بدموع الأم ، وعرقها ، وآهاتها ، هذه الليالى السود التى تتنفس عن صبح باسم تنسى فيه الأم آلامها ، وتهوى على يد من كان سبب هذه الآلام والأتعاب تقبلها ، فى نهم وشوق واعتزاز ، وتضحك فرحة مسرورة سعيدة كأن شيئا ما لم يقع منذ بضع ساعات أسال عرقها ودموعها ، وأخرج آهاتها وأناتها من صدرها الحنون .. !

هذه الليالى ، هى التى هيأت الأمهات لأن تكون الجنة تحت أقدامهن ، وهى التى أوجبت حق الأمهات مضاعفا على الابناء ، فى البر والاحسان اليهن ، أكثر من حق الآباء(٧) .

ليس ذلك وحده هو فضل حب الأم لأولادها ، وليس ذلك وحده هو ما أوجب برها والاحسان اليها واكرامها مضاعفا كل ذلك عن حق الأب على ولده . فهنالك الدعوات المكررة الحارة ، فى كل يوم وكل ليلة ، بل فى كل ساعة ، تدعوها الأم لأولادها أن يهبهم الله كل صحة وعافية تراهما فى شخص ، وكل خير وبركة تشاهدهما فى آخر ، وكل مجد ورفعة تعجب بهما فى ثالث .. وهكذا لا ترى ما يسر ويعجب فى أحد من الناس الا تضرعت الى الله أن يقر عينها بتحقيقه فى أولادها الأحباء .. !

وهنا يجب أن ندرك لماذا كرر القرآن فى مواضع كثيرة منه وصيته : « وبالوالدين احسانا » فى كل من سورة البقرة / ٨٣ والنساء / ٣٦ والأنعام / ١٥١ والاسراء / ٢٣ قارنا هذه الوصية المكررة بوجوب توحيده بالعبادة ، ونهيه عن الاشراك به عز وجل .. ؟!

هذا ، ولسنا نهضم حق (الأب) بما أكثرنا من الحديث عن حق (الأم) على (الولد) ، فالأب هو صاحب الفضل الأكبر فى الانفاق والاشراف على

الاولاد ، تربيــة وتعليما ، وتقديما لهم فى مدارج الحيــاة ، ومعارج المجد والرفعة . وحسبنا أن نتصور حياة (الولد) دون أبيه .. اننا نسميه (اليتيم) وننظر اليه نظرات الشــفقة والرثاء ، ونمد اليه أيدى البر والغوث ، ويراه الناس فى مجتمعه كسيرا كسيفا ! ولا كذلك (الولد) يعيش فى كنف أبيه ، وتحت ظله عزيزا كريما آمنا ، قوى النظرة واليد واللسان .

الا ما أعظمه حقا هذا الذى يجب للآباء على الأبناء ، وما أكرمها دعوة هاته التى أوحى الينا بها القرآن ، بعضا من مكافأة الاولاد للوالدين : « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »(٨) .

● يا بنى : « أقم الصلاة ، وامر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الامور »(٩) .

تلك يا بنى وصية (لقمان) لابنه ، وقد كان رجلا حكيما من غير نبوة ، وقاضيا فى بنى اسرائيل على عهد داود عليه الســلام ، أوصى ابنه باقامة الصلاة ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والصبر على ما يصيبه فى سبيل كل ذلك من مكروه ..

ان اقامة الصلاة يا بنى — على وجهها — تنهى صاحبها عن الفحشــاء والمنكر ، ولذلك بدأ لقمان نصيحة ابنه باقامة الصلاة ، لينتهى هو أولا عن المنكر ، ويأتمر بالمعروف ، ويتهيأ بذلك لاصلاح الناس بعد صلاح نفسه ، اذ أن النصيحة بالخير لا تؤتى ثمارها ، وتضىء أنوارها ، الا اذا كانت صادرة من رجل خير فى ذاته ، لا كما يقول الشاعر :

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى
كيما يصــح به وانت ســقيم
ابدأ بنفســك فانهها عن غيهــا
فاذا انتهت عنــه فانت حكيم
لا تنــه عن خلق ، وتأتى مثله
عار عليــك اذا فعلت عظــيم

ولا يغرنك — يا بنى — ما ترى من رجال يقيمون الصــلاة ، ويترددون على المساجد ، يحملون مسابحهم ، وعلى وجوههم آثار السجود الطويل ، وهم مع ذلك لا يأتمرون بمعروف ، ولا ينتهون عن منكر ، فان أولئك لم يعملوا ، وانما قاموا وركعوا وســجدوا . وايمــا صلاة لم تنه صاحبها عن الفحشــاء والمنكر ، لم يزدد بها من الله الا بعدا ، وستلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها ، رمزا لعدم القبول .

فأقم الصلاة — يا بنى — صلة بالله تناجيه فيها بقلبك ، وتبثه همومك وآلامك وآمالك ، وترجوه — وحده — العون على الجهاد فى ســبيل حياة شريفة عفيفة ، وخاتمة مجيدة سعيدة .

كان (محمد) نبيك الكريم عليه الصلاة والســلام يقول : « كلمــا حزبنى أمر فزعت الى الصلاة » ، وكان يقول لمؤذنه : « أقم الصــلاة يا بلال .. أرحنا بها » .

لقد كان عليه الصلاة والسلام يلتمس فى الصلاة الفرج ، ويرجو بها الراحة، ويجد فيها حلاوة الاتصال بالخالق الرازق ، الواهب السالب ، المحيى المميت .

وكذلك أرجو أن تكون صلاتك يا بنى ، صلة بالله وثيقة قوية ، تبعد عنك سخطه وتدنى رضاه .

ثم اذا استويت قويم الخلق ، صالح العمل ، فانشد فى غيرك الاستقامة والصلاح ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، وقل الحق ، وادحض الباطل ، وارفض الذلة والهوان « فالساكت عن الحق شيطان أخرس » ، « وافضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » . ومن المعجب فى الرجل اذا سيم خطة خسف أن يقول بملء فيه : (لا) !

واذا رأيت جاهلا بأمر من أمور الدنيا والدين ، فهبه من علمك علما ، واذا لقيت عسير فهم ، فامنحه من ذكائك قسما ، واذا رأيت مظلوما فانصره ، أو ظالما فانصحه ، وامح فى طريقك ما تعثر عليه من علائم الباطل وآثار البهتان .

وبالجملة كن يا بنى : نورا من نور الله الذى يغرينا القرآن بالتماسه : « أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ، كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها »(١٠) .

● التمس يا بنى هذا النور ، فليس من دونه ملتمس لنور : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »(١١) .

على أنك ــ بسبب هذا النور الذى تؤتاه ملتق بشياطين الأنس والجن ، الذين يبسطون أمامك الحجب ، يصدونك بها عن سبيل الله ، ويؤذونك فى نفسك وعرضك ومالك ، فلا تبتئس لما يفعلون ، فتلك سنة الله سبقت فى من هو أفضل منك .. فى الانبياء المصطفين : « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا »(١٢) .

ولا يلقى الصبر والنصر على هؤلاء الشياطين الا ذو حظ عظيم : من حزم وعزم وايمان ، فاصبر على ما يصيبك ، ان ذلك من عزم الامور .

---

(١) سورة لقمان / ١٣ .
(٢) أخرجه الترمذى فى السنن .
(٣) سورة هود / ٤٦ .
(٤) سورة هود / ٤٢ .
(٥) سورة الحجرات / ١٣ .
(٦) رواه ابن عساكر عن مالك .
(٧) فى التوجيهات النبوية : الزم رجلها فثم الجنة .. وسأل رجل الرسول عليه الصلاة والسلام : أى النـاس أحق بحسن صحابتى ؟ قال : أمك ــ ثلاثا ــ ثم قال فى الرابعة : أبوك .
(٨) سورة الاسراء / ٢٤ .
(٩) سورة لقمان / ١٧ .
(١٠) سورة الانعام / ١٢٢ .
(١١) سورة النور / ٤٠ .
(١٢) سورة الانعام / ١١٢ .

من تاريخ اليهود

١ اليهود وتآمرهم

الدكتور : محمود محمد زيادة

اليهود اهل غدر وخيانة منذ وجدوا فتاريخهم حجة دامغة على أنهم لا عهد لهم وأنهم رجس يجب تطهير الإنسانية منه ، ووباء يجب حماية البشرية من فتكه .

فطالما أشعلوا نيران الحروب بين الشعوب ، وسلبوا أموالهم ، وافسدوا أخلاقهم ، وكان الرسول عند هجرته الى المدينة يعرف أخلاقهم المرذولة وطبيعتهم الغادرة ، ويدرك أن وراء ظهره فى الجنوب طغيان مكة وجبروت أهلها ورفضهم تقبل دعوته ومطاردتهم إياه ، فليس من الحكمة أن ينهج منهجا يثير به ثائرة اليهود الذين هم أخطر وأقوى من أهل مكة فى النواحى العلمية والاقتصادية والعسكرية وفى الوقت نفسه لا تربطه بهم قرابة كقريش بمكة تخفف من حدة العداء بل إنه كان بين هؤلاء اليهود وبين الخزرج والأوس معاهدات ومحالفات قبل مجىء محمد عليه الصلاة والسلام فإذن من الحكمة كل الحكمة أن يعقد معهم حلفا ليأمن خطرهم وليحقق فى منطقة المدينة الاستقرار والدفاع عنها ضد أى اعتداء قد يقع عليها والتعاون بالمال إذا حدثت أزمة اقتصادية ، وليضرب المثل العليا للتعاون بين أتباع الأديان المختلفة على أساس من حرية العقيدة وحرية الدين فعقد معهم المعاهدة المشهورة فى التاريخ . تلك المعاهدة التى كانت عملا بارعا وسياسة حكيمة رشيدة فقد أخذ زمام المبادرة وأفصح عن رغبته فى حسن الجوار والمشاركة فى الأمور العامة وكان الأمل كبيرا بعد عقد المعاهدة أن تسير الأمور بين الرسول واليهود سيرة حسنة **ولكن ذلك لم يكن فلماذا :** ذلك لأن الرسول عندما أقام حكومته بالمدينة أساسها الوحى والشورى ، والمؤاخاة فى المبدأ والعقيدة والفكر وانفسح أمام الرسول الكريم المجال ليعلن تعاليم الإسلام وليكون بذاته وتصرفاته المثل الأعلى للتعاليم الاسلامية ، وتركت هذه التعاليم وتلك القدوة أعمق الأثر فى النفوس فأقبل كثيرون على الإسلام وإزداد المسلمون فى المدينة شوكة وقوة ، فبدأ اليهود يفكرون من جديد فى موقفهم من محمد وأصحابه لقد عقدوا معه عهدا ، وهذا العهد يحول بينهم وبين المجاهرة بالعداوة وحمل السلاح ، وكانوا يطمعون أن يضموه إلى صفوفهم ، وأن يزدادوا به على النصارى قوة ومنعة لأنه كان أقوى من هؤلاء وأولئك جميعا فهل يتركون دعوته تنتشر مكتفين بالأمن فى جواره أمنا يزيد من تجارتهم سعة ، وثروتهم ربحا ؟؟ لعلهم كانوا يقنعون بهذا لو أنهم آمنوا الا تَمْتدّ دعوته إلى اليهود والا تفشو فى عامتهم . على حين تقتضيهم تعاليمهم المزعومة الا يؤمنوا بنبى من غير بنى اسرائيل ،

في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

فكانوا يفهمون أنهم خارج نطاق الدعوة الإسلامية وحسبهم منها أن يتحالفوا مع صاحبها ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم افهمهم أن الدعوة لهم وللعرب وللناس جميعا . بل كان النبى ينتظر من اليهود أن يكونوا أول المؤمنين به لا أن يكونوا أول الكافرين به ، فدعوته دعوة السلام والإصلاح ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وقد حرفوا صفات النبى العربى التى يجدونها مكتوبة عندهم فى التوراة حتى لا تقوم عليهم الحجة بنبى يبعث من العرب ، وكانوا يستفتحون به على العرب من الأوس والخزرج ويقولون لهم : « إنه قرب زمان نبى يبعث فى آخر الزمان سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وثمود » فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، وعاندوا وبلغ عنادهم نهايته ، وغيظهم مداه حين فوجئوا بإسلام حبر من كبار أحبارهم هو « عبد الله بن سلام » وقد روى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة جاءه عبد الله بن سلام فسأله عن أشياء لا يعلمها إلا نبى فأخبره بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال : « يا رسول الله إن اليهود قوم بُهْت ـــ جمع بهوت والبهوت العريق فى الكذب والافتراء ـ وأنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى يبهتونى فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم الى اليهود فدخلوا عليه فقال : « يا معشر اليهود ويلكم . اتقوا الله فوالذى لا إله إلا هو . انكم لتعلمون انى رسول الله حقا وإنى جئتكم بحق فاسلموا » فقالوا : « ما نعلمه » قال : « فأى رجل فيكم « عبد الله بن سلام » ؟ قالوا : « سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن أعلمنا » قال : « أفرأيتم إن أسلم ؟ » قالوا : « حاشا لله ما كان ليسلم » قال « يابن سلام اخرج عليهم » فخرج فقال : « يا معشر يهود اتقوا الله فوالله إنكم لتعلمون إنه رسول الله وإنه جاء بالحق » فقالوا : « أنت شرنا وابن شرنا » وتنقصوه . فقال : « يا رسول الله هذا الذى كنت أخاف » .

فخبرنى أيها القارىء الكريم أى تناقض أعجب من هذا التناقض ولا عجب إذا عرفنا طبيعتهم المتناقضة ، وانهم لا يرعون إلاً ولا ذمة .

وبدأت حرب جدل بين اليهود والمسلمين أشد لددا وأكبر مكرا من حرب الجدل بينه وبين قريش فى مكة واستعملوا الدس والنفاق والعلم بأخبار السابقين من الأنبياء والمرسلين أسلحة يقاومون بها انتشار الدعوة الإسلامية ولو أدى ذلك إلى إنكار كل ما فى التوراة كما استعملوا سلاح الوقيعة بين الأوس والخزرج .

ومن أمثلة إنكارهم لما فى التوراة ما سبق من انكار صفات محمد وأيضا ما روى عن عبد الله بن عمر أن اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا أن رجلا منهم وامرأة

زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم ؟ »

فقالوا : « نفضحهم ويجلدون » فقال عبد الله بن سلام : « كذبتم إن فيها الرجم » فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها فقال عبد الله ابن سلام « : أرفع يدك » فرفع يده فإذا آية الرجم موجودة فيها .

ومن أمثلة الدس والوقيعة بين الأوس والخزرج ما روى أنه مرّ شاس بن قيس على نفر من أصحاب رسول الله من الأوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فآلمه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فقال : « قد اجتمع ملأ بنى قيلة — الأوس والخزرج — بهذه البلاد لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار » فأمر شابا من يهود وكان معه فقال : « أعمد اليهم فاجلس معهم وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار » ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا ثم قال أحدهم لصاحبه : « إن شئتم رددناها الآن جذعة » وغضب الفريقان جميعا وقالوا « قد فعلنا موعدكم الظاهرة — وهى الحرة — السلاح السلاح » فخرجوا إليها وبلغ ذلك الرسول فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه من المهاجرين حتى جاءهم فقال : « يا معشر المسلمين . الله . الله . أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم ؟ »

فبكى القوم وعانق بعضهم بعضا وعرفوا أنها دسيسة من عدوهم .

ولما لم تفد هذه الاسلحة فكروا فى أن يمكروا بالرسول وأن يقنعوه بالجلاء عن المدينة كما أجلاه أذى قريش من مكة ، فذكروا له أن من سبقه من الرسل ذهبوا جميعا إلى بيت المقدس ، وكان به مقامهم ، وإنه إن يكن رسولا حقا فجدير به أن يصنع صنيعهم ، ولكن الله سبحانه وتعالى أخبره بهذا المكر وأوحى اليه أن يجعل قبلته إلى البيت الحرام « فلنولينك قبلة ترضاها . فول وجهك شطر المسجد الحرام » فولى وجهه شطر المسجد الحرام ، وانكر اليهود على النبى ما فعل وقالوا : « إنهم يتبعونه اذا رجع الى قبلتهم » وهم كاذبون فى ذلك أشد الكذب وأعظمه وعندئذ نزل قول الله تعالى : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها . قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

وقد أكثر اليهود من التنديد على الاسلام لهذا التحويل فقالوا : « إذا كان سمت المسجد الأقصى غير حق فقد أضاع محمد عبادة الذين صلوا إليها ، وأذا كان حقا فلا معنى للتحول عنه وتكون الصلاة إلى الكعبة ضائعة : وقالوا : « إن أفعال محمد لو كانت مستندة إلى وحى ربانى لما نسخ اليوم ما فعله بالأمس ، ولما قال اليوم قولائم نقضه فى الغد ولا سيما فى الأمور التعبدية » .

ولا شك أن هذا دس ودعاية كاذبة أرادوا بها تشكيك المسلمين فنزلت آيات سورة البقرة حاملة على اليهود ومطمئنة للمسلمين فقررت أن المسألة ليست فى الشرق ولا فى الغرب وإنما

هى الاتجاه الخالص لله ، وأن الله لا يضيع إيمان المؤمنين ولا صلاتهم ، وعليهم الا يستمعوا إلى دسائس اليهود الذين يعلمون أن ما وقع حق وإن كتموه ، وانه لا أمل فى اتباعهم لدعوة النبى وقبلته وان الله لا ينسخ امرا إلا ويأتى بخير منه أو مثله ولله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

وإزاء موقف قريش وموقف اليهود كان على الرسول واصحابه ان يناضلوا عن وجودهم ، وأن يعملوا ما يستطيعون على إيجاد حالة من السلم الدائم تهىء الجو لتأسيس مجتمع فاضل يعيش فى ظله الناس متحابين فى أمن وسلام ، وذلك لا يكون إلا بنشر دعوة الإسلام . دعوة الاصلاح والسلام ، والحضارة التى وضع الرسول حجر الأساس فيها بتعاليمه ومثله ، ولكن كيف يكون ذلك ومشركو العرب لا يزالون سادرين فى غيهم واضطهادهم للمسلمين واليهود يتحينون الفرص للقضاء على الإسلام .

الرسول يريد أن يؤدى رسالته وأن يبلغ دعوة الاصلاح والسلام يريد أن ينقذ الناس ويخرجهم من الظلمات عليهم . ... عليه عنتهم حريص والرحمة ، وكان شأن المحا... للرسل الذين سبقوه المحق والابادة ففريق يغرقهم فى اليم وفريق آخر يرسل عليهم صيحة واحدة فيجعلهم كهشيم المحتظر لا تبقى ولا تذر كالقنابل الذرية الفتاكة ، والرسول يشفق عليهم من كل هذا مع انهم اشد شموسا وأغلظ اكبادا وأعظم إيذاء من سابقيهم فكان موقفه معهم كموقف الطبيب الألمعى من المريض يجرب كل دواء ، ولا يلجأ الى المبضع إلا إذا فشل الدواء وتعين السلاح ، فقد بشر وانذر ، ولاقى من الأذى ما لاقى، وأخرجوه من داره بعد ان ائتمروا على قتله ، واخرجوا اصحابه من ديارهم بغير حق سوى قولهم ربنا الله ، فحاول تجنب قتال القرشيين بإرسال جماعات صغيرة وهى المعروفة بالسرايا — جمع سرية وهى القطعة من الجيش وتطلق على الجماعة الصغيرة التى يكون على رأسها احد قادة رسول الله — تهدد طريق تجارتهم التى يحرصون على سلامتها كل الحرص وتشعرهم بقوة المسلمين علهم يثوبون الى رشدهم ، فيحاولون التفاهم مع الرسول وأصحابه تفاهما يؤدى إلى حرية الدعوة وحرية دخول مكة لأداء فريضة الحج فيحجون كما تحج بقية القبائل العربية ، فكانت السرايا والغزوات وفى المرحلة الأولى منها كان اليهود يعدون انفسهم لرفض الوجود الاسلامى الذى كان ينمو ويتزايد ، فلما حدثت سرية عبد الله بن جحش وأثارت قريش ثائرة الدعاية ضد الرسول دخل اليهود فى الموضوع يريدون اشعال الفتنة والحرب ثم نزل القرآن قاطعا لألسنة قريش واليهود وبينت آية البقرة (٢١٧) أن المتلبس بكثير من الشرور ليس له الكلام فى الزشتول تكب ما هو أشنع منها وايقن الدعوة ، وليس هذا فحس... منهم اجابة لا عهد ... انهم ... .

أثر انتصار بدر فى اليهود — إجبر يهود بنى قينقاع عن المدينة :

حدث عقب السرية السابقة غزوة « بدر الكبرى « أولى معارك الإسلام ضد الذين

حاربوا الدعوة وانتصر المسلمون فيها انتصارا رائعا،وإذا كان هذا الانتصار قد ترك آثارا فى المشركين عامة وفى قريش خاصة فإنه ترك آثارا اكثر وضوحا فى اليهود فقد ازداد حقدهم أكثر من ذى قبل على الرسول يدلنا على ذلك قول كعب بن الأشرف أحد زعمائهم : بطن الأرض خير من ظهرها بعد أن أصيب أشراف الناس وسادتهم وملوك العرب وأهل الحرم والأمن : ويقفون موقفا جديدا بدأت مظاهره بالتحريض والإغراء بمحمد وأصحابه والتشبيب بنساء المسلمين ، والائتمار بالرسول والتفكير فى اغتياله وكان ذلك يصل علمه الى الرسول والمسلمين فيأخذون حذرهم منهم ويصبرون على أذاهم وما زال الأمركذلك حتى نقصد يهود بنى قينقاع — وكانوا يسكنون فى قلب المدينة — عهدهم بالتعدى على امراة مسلمة من الأنصار بسوق الصاغة حيث ذهبت الى سوق بنى قينقاع فجلست عند صائغ لأجل حلى لها . فتعرض لها جماعة من اليهود والذين كانوا عند الصائغ ، وأصروا على أن تكشف لهم عن وجهها . يعاونهم فى ذلك الصائغ اليهودى اللئيم الذى ادرك اصرار المرأة وعدم تنازلها عن أن تكشف لليهود وجهها فاختلس لحظة وعقد طرف ثوبهاالى ظهرها بشوكة فلما قامت ا... ، فوثب رجل ... حوا منها ، فصاحت ... ودخل معه من المسلمين على ... وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم بالمسلمين على اليهود فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع فذهب الرسول إلى هؤلاء الأوغاد وطلب منهم أن يكفوا عن أذى المسلمين وأن يحفظوا عهد الموادعة أو ينزل بهم ما نزل بقريش.

فاستخفوا بوعيده وأجابوه : لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة : إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس !

فى اعتقادنا انه لم يبق بعد ذلك إلا مقاتلتهم ، وإلا تعرض المسلمون وتعرض سلطانهم للتداعى ، وأصبحوا حديث الناس ، فكان قرارا حكيما من الرسول حينما أعلن أن يهود بنى قينقاع . إما أن يسلموا ، وإما أن يجلوا جلاء تاما عن المدينة ، ولما لم يستجيبوا لهذا الاعلان وتحصنوا بحصونهم خرج المسلمون إليهم فحاصروهم فى دورهم وحصونهم خمسة عشر يوما متتابعة فى بطولة فدائية رائعة . لم يجرؤ فيها احد منهم على مغادرة منزله . على الرغم من أن عددهم وعدتهم أكثر وأقوى مما لدى المسلمين فهم عند بعض المؤرخين سبعمائة مقاتل (ثلاثمائة دارع وأربعمائة جاسر) ، وكان هذا العدد يتحرك على أرض تمكنه من القتال ، ومن المناورة ، وذلك أنهم كانوا قد اتخذوا لهم حصونا ومخابىء . ومع ذلك فإن أولئك الذين هددوا وتوعدوا الرسول فى سوقهم « لئن حاربتنا لتعلمن انا نحن الناس »

.. قد ظلوا فى حصونهم ومخابئ... حتى ... ودلتهم التى كتبت عليهم والتى أصبحت صفة لازمة لهم ، فاليهود أجبن خلق الله وأضعفهم ، ولا يستأسدون إلا إذا وجدوا من يحميهم ويشد ظهورهم ، وهم الآن فى طريقهم الى الضعف والاختلاف « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » والفرصة متاحة للقضاء عليهم إذا ما صدقت العزائم وقويت الهمم ، وإنا لا محالة إن شاء الله لمنتصرون عليهم .

وعندما أعلن اليهود تسليمهم بلا

قيد ولا شرط فوضوا أمرهم للنبى أن يفعل بهما يشاء . وقبل أن يتخذ الرسول قراره فى القوم تقدم إليه عبد الله بن أبى بن سلول وقال : يا محمد أحسن فى موالى : فأعرض عنه الرسول ولم يرد عليه فاستجار ابن أبى بالرسول وقال : والله لا أدعك حتى تحسن فى موالى أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع منعونى من الأسود والاحمر تحصدهم فى غداة واحدة ، والله لا آمن ولا أخشى الدوائر !

فهل أثر هذا الكلام فى نفس الرسول ؟ أم ان الرسول أراد أن يلقن بقية اليهود من بنى النضير وبنى قريظة وغيرهما درسا فى العفو عند المقدرة ، وأنه مهما كثر عددهم وقويت عدتهم فإن الله ناصره عليهم ؟ فقال لابن أبى : هم لك : واكتفى بإجلائهم عن المدينة على أن يتركوا من ورائهم السلاح وأدوات الذهب وكان الذى يشرف على عملية الجلاء « عبادة بن الصامت » الذى كان حليفهم ومع ذلك لم يتشفع فيهم وتبرأ من حلفهم ، فنزل فيه وفى ابن أبى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم .. إلى قوله : ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » فتم الجلاء وساروا حتى بلغوا وادى القرى وبقوا هناك زمنا ثم ساروا إلى أذرعات على حدود الشام ولم يبقوا فيها طويلا حتى هلك اكثرهم واستولى المسلمون على أموالهم ، وديارهم وحصونهم دون أن تراق قطرة دم واحدة .

أثر جلاء بنى قينقاع

وكان ذلك الجلاء فى منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة ولا شك أن جلاء قبيلة يهودية كانت تسكن قلب المدينة يعد نصرا كبيرا للإسلام والمسلمين ، وهزيمة شنيعة لليهود والمنافقين والمشركين فقد جلا بنو قينقاع دون أن تتمكن بقية القبائل اليهودية من مدّ العون والمساعدة لهم . ذلك أن الرسول حينما عقد المعاهدة مع اليهود عمل عملا بارعا يدل على حنكة سياسية ، وبعد نظر ، فلم يجمع قبائل اليهود كلها فى معاهدة واحدة ، ولم يجعل منهم شخصا معنويا حتى إذا ما حدث النزاع فى المستقبل بين المسلمين وبعض طوائف اليهود لم تجد بقية القبائل اليهودية مجالا للتدخل فى هذا النزاع ، وهذا ما حدث بالفعل . فمثلا عند ما نقض يهودبنى قينقاع عهدهم واصطدم بهم المسلمون وقف بقية اليهود على الحياد وقالوا : مالنا ولهم نحن على عهدنا : فلم تمكنهم المعاهدة من عمل شىء ظاهر ، ولكنهم اليهود . الجبناء فقد بدءوا يخططون على المدى البعيد فلجأوا الي أساليب إشاعة الفتنة وعمل العراقيل ضد المسلمين ونقل أخبار المسلمين إلى المشركين ، فيروى لنا التاريخ أن أبا سفيان لم يطق البقاء بمكة قابعا تحت خزى هزيمة بدر فخرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ، ولما قاربها أراد أن يقابل اليهود من بنى النضير ليستشيرهم ويستعين بهم على حرب محمد فأتى سلام بن مشكم ، واجتمع به وتدارس معه أجدى الطرق للايقاع بالمسلمين ووضح له سلام افضل الثغرات للهجوم برجاله على وادى العريض ، فهجموا عليه وقتلوا رجلين وحرقوا بيتين وبعض النخيل ثم أنكفأ أبو سفيان هاربا مخافة أن يطلبه محمد ، فكانت حملته كحملة قطاع الطرق وكان يصل علم ما يقوم به اليهود الى الرسول وأصحابه فيأخذون حذرهم منهم وصاروا

يعتقدون أنهم لا يقلون خطرا عن قريش .

إجلاء بني النضير : بعد موقعة أحد وجد أهل المدينة من اليهود والمنافقين فيما أصاب المسلمين بالرجيع وبئر معونة ما أعاد إلى ذاكرتهم هزيمة المسلمين فى أحد وما أضعف فى نفوسهم من هيبة محمد وأصحابه ، وفكر النبى فى هذه الحالة تفكير سياسى دقيق النظر . بعيد مرامى الرأى ، فليس شىء أشد على المسلمين يومئذ خطرا من أن تضعف فى نفوس مساكينهم بالمدينة هيبتهم ، وليس ما يطمع قبائل العرب فيهم من أن تشعر بهذا الانقسام الداخلى الذى يوشك أن يثير حربا أهلية إذا غزا المدينة غاز من جيرانها . ثم إنه رأى أن اليهود والمنافقين يتربصون به الدوائر ، فقدر أن لا شىء خير من أن يستدرجهم لتتضح نياتهم . وكان قد حدث أن قتل « عمرو بن أمية الضمرى » رجلين من بنى عامر انتقاما من قبيلتيهما لقتلهما عددا من المسلمين يوم « بئر معونة » وكان الرسول قد أمنهما ولم يعلم بذلك عمرو فعزم الرسول على دفع دية الرجلين فذهب الى محلة بنى النضير على مقربة من قباء فى عشرة من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى . يطلب منهم دفع نصيبهم — بمقتضى المعاهدة — من دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو ابن أمية خطأ ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه : وتظاهروا بالقبول ثم خلا بعضهم إلى بعض وتآمروا على قتل النبى عليه السلام بالقاء حجر عليه من فوق الجدار الذى يجلس الرسول إليه ويحدد ابن هشام فى سيرته أسم الرجل الذى يقوم بهذا العمل وهو « عمرو بن جحاش » .

وهل جاء الرسول الوحى بما عزم عليه القوم فقام ، وقال لأصحابه : لا تبرحوا مكانكم حتى آتيكم ، وخرج راجعا الى المدينة ؟أو عرف النبى ذلك بعمق شفافيته وسرعة بديهته فقد رأى ببصيرته النافذة كيف يقوم بعض القوم إلى البعض يسرون القول . ثم يلمح أحدهم يتسلل إلى البيت الذى يجلس الرسول إلى جداره فيستأذن أصحابه فى هدوء ويقوم وحده عائدا إلى المدينة . وأيًّا ما كان فإنه لما أبطأ قام أصحابه فى طلبه فأخبرهم الخبر من اعتزامهم الغدر به .

وأمر بالتهيؤ لحربهم ، وقبل أن يسير لهم أرسل إليهم « محمد بن مسلمة الأوسى » يقول لهم :

« إن رسول الله أرسلنى إليكم . أن اخرجوا من بلادى . لقد نقضتم العهد بما هممتم به من الغدر . لقد أجلتكم عشرة أيام . فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه » فبدأ القوم يستعدون للرحيل ، وبينما هم يتجهزون إذ جاءهم رسولان من عبد الله بن أبى يقولان لهم : « لا تخرجوا من دياركم وأموالكم واثبتوا ونحن ننصركم على محمد وصحبه » فطمع بنو النضير بهذا الوعد ورأوه فرصة . ماذا لو انتصروا هم ومنافقو المدينة ، وعادت إليهم أوضاعهم كما كانت قبل الإسلام ؟

ويستقر رأيهم على القتال ، ويقيمون المتاريس فى الطرقات ويحتمون بالحصون ويكدسون أرزاقا تكفيهم سنة كاملة من الحصار ، والماء متيسر فى آبار الحصون ورغم كل هذا الذى عبأ به اليهود أنفسهم من تآمر وتحالف وتحصين فإن النبى قد وجه المسلمين أن يقوموا الى اليهود فى مواقعهم ويهاجمونهم فى حصونهم ، وتدور الحرب بين المسلمين ، وبين بنى النضير : دارا

بعد دار وشارعا بعد شارع واليهود يدمرون ما يضطرون الى اخلائـــه « يخربون بيوتهم بأيديهم وأيــدى المؤمنين » . ومع صبر المسلميــن وجلدهم ، وقوة إيمانهم ومواصلـة حصارهم لبنى النضير ست ليـال متتابعة لم يظهر ضعف فى مقاومـة اليهود ، فأمر الرسـول بقطع بعض نخيلهم وحرقها . ليكـون أدعـى لتسليمهم . لأن الرسول يعرف طبعهم الذى لا يعرف معاني التضحية والبذل فى مواقف الشـدة وقذف الله فـى قلوبهم الرعب ، ولم يصل إليهم مـن عبد الله بن أبي مساعدة ، فقبلــوا الجلاء بشرط أن يكف الرسول عـن دمائهم وأموالهم وأمتعتهم إلا آلـة الحرب فقبل الرسول أن يكف عـن دمائهم ، وكل ثلاثة منهم لهم بعيــر يحملون عليه ما شاءوا من متـاع وأموال فقط . فصار اليهود يخربون بيوتهـم بأيديهـم كى لا يسكنهـا المسلمون .

جلا بنو النضير فنزل بعضهم بخيبر وقصد بعضهم الآخر الشام :

الجريمة والجزاء : إذا نظرنا إلـى جريمة بنى النضير . نجدها جريمة فظيعة كانوا يستحقون من أجلهـا الإبادة جميعا .

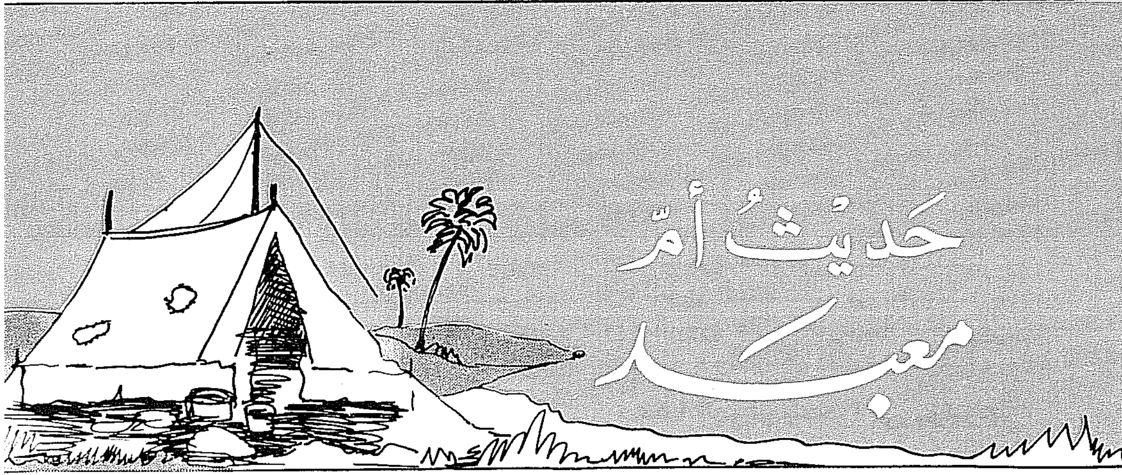
ذلك انهم لم يتآمروا على قتل فرد بصفته فرداً ، وإنما تآمروا عليــه بعنوان أنه نبى المسـلمين ، ورئيس دولتهم ، وصاحب الدعوة التى ألفت بين قلوبهم ، وجعلتهم قوة لا يستهان بها ، وإذن فهــم تآمروا على كـل المسلمين فى شخص الرسول عليــه الصلاة والسـلام . ولا زالت تلـك طبيعتهم الشريرة إلى يومنا هـذا . يحاولون القضـاء على صاحب كـل دعوة جديدة وعلى كل رئيس يعمـل للصالح العام فى الدول العربيـة يسـعى للنهوض بهـا وتقدمها ، ويضعون الصعـاب فى طريقـه ، ويعملـون على التفرقـة بينه وبين جماعته ، ولكن كل ذلك لن يكون !.

فكما أنهم لم ينجحوا فى مؤامرتهم ضد الرسول ورد الله كيدهم فـى نحورهم ، فلن ينجحوا فى مؤامرتهم ضد المسلمين والدول العربية ، فقـد وضحـت سرائرهـم ، وانكشفت مؤامرتهم ووضحت لكل ذى عينين .

وعلى ذلك فجريمتهم كانت بشعـة ومع هذا فلم يأمر الرسول بإبادتهـم بعد استسـلامهم لأن الرسول مـن خلقه العفو والصفح حتى مع أعدائه

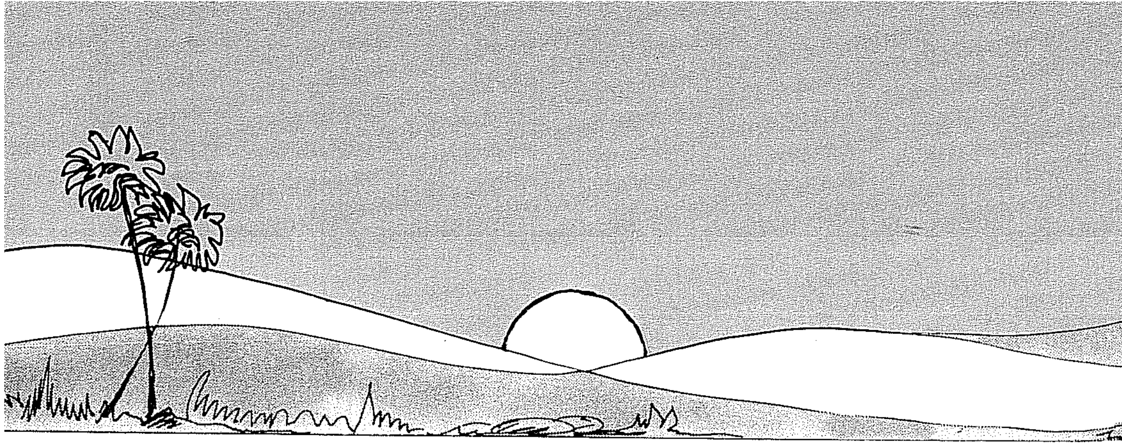
ويرجو أن يرتدع غيرهم ، ويرجع عن التآمر والغدر ، ولكن ذلك لم يكن لأن جبلتهم الغدر والخيانـة وسيتضـح ما كان من يهود بنى قريظة من تآمر ، ولذا كان جزاؤهم يختلـف عن بنـى قينقاع وبنى النضير اختلافا تاما .

أثر جلاء بني النضير : من السهل أن يقدر الإنسان قيمة نصر المسلمين واجلاء بنى النضير عـن المدينـة ، فضعف اليهود ، يؤدى بالتالـى إلى اضعاف العنصر الثاني وهم المنافقون ويبين أهمية جلاء بنى النضير أن سورة الحشر نزلت فيما كان منهم ومـا حل بهم ، وفيما كان من المنافقين الذيـن شجعوهم على المقاومة وما كان من الفوائد التى عادت على المسلمين من جلاء قبيلة بأكملها عن المدينة ، فقـد أصبحت أرضها ملكا لمن اختص بـه من المهاجرين وبعض الانصار الفقراء مثل أبى دجانة وسهل بن حنيف فاغتبط المهاجرون والأنصار بما أصابـوا من أرض اليهود ، وسر الجميع بغنيمـة السلاح الذى تركه بنو النضير بنـاء على شروط الجلاء .



من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حديث أم معبد رضى الله عنها الذي حدث به حبيش بن خالد رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رســـول الله صلى الله عليه وسم حين خرج من مكة مهاجرا الى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبى بكر عامر بن فهيرة رضى الله عنهما ، ودليلهما الليثي عبد الله بن الاريقط مروا على خيمتي-أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة جلدة ، تحتبى بفناء قبتها ، ثم تسقى وتطعم ، فسألوها تمرا ولحما ليشتروا منها ، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك ، وكان القوم مرملين مسنتين ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وســلم الى شاة فى كسر الخيمـــة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، قال : هل لها من لبن قالت : هى أجهد من ذلك ، قال : اتأذنين لى أن أحلبها ، قالت : نعم بأبى أنت وأمى ان رأيت بها حلبا فأحلبها ، فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسح بيده ضرعها ، وسمى الله تعالى ، ودعا لها فى شأنها فتفاجت عليه ، ودرت واجترت ، ودعا باناء يربض الرهط ، فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصـــحابه حتى رووا ، وشرب آخرهم ، ثم أراضوا ، ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء حتى امتلأ الاناء ، ثم غادره عندها ، وبايعها وارتحلوا عنها ، فما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يســـوق أعنزا عجافا ، تساوك هزالا ، مخاخهن قليل ، فلما رأى أبو معبـــد اللبن عجب وقـــال : من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشـــاء عازب حيال ، ولا حلوب فى البيت قالت : لا والله الا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا .

قال صفيه يا أم معبد قالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزر به صعلة ، وسيما قسيما ، فى عينيه دعج ، وفى اشفاره وطف ، وفى عنقه سطع ، وفى صوته صحل ، وفى لحيته كثاثة ، أزج أقرن ، ان صمت فعليه الوقار ، وان تكلم سماه وعلاه البهاء ، فهو أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنهم وأجملهم من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هزر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة ، لا يأس من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، ان قال أنصتوا لقولـــه ، وان أمر تبادروا الى أمره ، محفود محشود لا عابس ولا مفند .



قال ابو معبد : هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ، ولقد هممت بأن أصحبه ، ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا ، فأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه — رفيقين قالا خيمتى أم معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت به — فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيالقصي ما زوى الله عنكم — به من فخار لا يبارى وسؤدد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم — ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها — فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت — له بصريح ضرة الشاة مزيد
فغادرها رهنا لديها لحالب — يرددها فى مصدر ثم مورد

فلما سمع بذلك حسان رضى الله عنه قال يجاوب الهاتف :

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم — وقدس من يسرى اليهم ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم — وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم — وأرشدهم — من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا — عمى وهداة يهتدون بمهتد
لقد نزلت منه على أهل يثرب — ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبى يرى ما لا يرى الناس حوله — ويتلو كتاب الله فى كل مسجد
وان قال فى يوم مقالة غائب — فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده — بصحبته — من يسعد الله يسعد

● ام معبد : بفتح الميم ، واسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن حنيبيس بن حرام بن حبشية ، خزاعية ، كعبية ، صحابية ، وكانت نازلة بخباء فى طريق المدينة ، وقصتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورة مروية من طرق عديدة ، تعضدها ، وتصححها ، وحبيش بن خالد هو أخوها .

في ذكرى الهجرة

من حديث النصر

للدكتور محمد الدسوقي

١ — تذكر المعاجم اللغوية لمادة « نصر » بعض المعاني المختلفة ، ومع هذا تدور كلها في نطاق نشر الخير ودفع الضر ، فقد جاء في كتاب المفردات للراغب الاصفهاني : النصر : العون ، ثم قال : ونصرة الله للعبد ظاهرة ، ونصرة العبد لله هو نصرته لعباده ، والقيام بحفظ حدوده ، ورعاية عهوده ، واعتناق أحكامه واجتناب نهيه .

وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة : النون والصاد والراء أصل صحيح يدل على اتيان خير وايتائه . ونصر الله المسلمين : آتاهم الظفر على عدوهم . وانتصر : انتقم .. والنصر : العطاء .

وورد في لسان العرب لابن منظور : النصر : اعانة المظلوم ، والنصر : الغيث والعطاء ، والنصرة : حسن المعونة ، والتناصر : التعاون ، وانتصر الرجل : اذا امتنع من ظالمه ، قال الأزهري : يكون الانتصار من الظالم الانتصاف والانتقام ، وفي التنزيل العزيز : والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون (١) » .

قال ابن سيده : ان قال قائل : اهم محمودون على انتصارهم أم لا ؟ قيل : من لم يسرف ولم يجاوز ما أمر الله به فهو محمود .

٢ — وقد تحدث القرآن الكريم عن النصر في آيات كثيرة ، اذ وردت في الكتاب العزيز مادة « نصر » نحو مائة وخمسين مرة ، وقد تناول ذلك الحديث بوجه عام نصر الله لعباده المؤمنين ، وأن غير الله لا يملك لأحد نصرا ولا خيرا ، وأن الذين بغوا وسعوا في الارض فسادا انتصر الله منهم ، وكانوا عبرة لغيرهم من المتجبرين والقاسطين .

ولا مجال في هذه الكلمة للحديث عن تلك الآيات جميعها ، فهي تحتاج الى دراسة مستفيضة ، ومن ثم أقصر حديثي الآن على آية واحدة جاءت في سورة البقرة — أطول سور القرآن الكريم — لأنها ربطت بين النصر وأسبابه وأكدت أن الخلف

---

(١) الآية : ٣٩ في سورة الشورى .

كالسلف يخضعون لقانــون واحد لا يتبدل ولا يتحول « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة اللـــه تبديلا » (٢) .

وهذه الآية هى قول الله تبــارك وتعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكـم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب » (٣)

٣ ـ وللمفسرين (٤) أقــوال متباينة فى سبب نزول هذه الآيــة ، منها أنها نزلت فى غزوة الخنــدق ، حين تعرض المســلمون فى المدينــة لحصار الاحزاب وأصابهم ما أصابهم من الجهد والشدة وســوء العيش ، حتى استبد بهم الجزع والفــزع ، وبلغت القلوب الحناجر ، وظنوا بالله الظنونا .

وقيل : نزلت الآية فى غزوة أحد ، وهى الغزوة التى اضطرب فيها أمــر المسلمين بسبب مخالفة الرماة أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلــم ، فنالت منهم قريش ما نالت ، وسقــط منهم عدد من الشهداء كان على رأسهم حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه .

وروى أن عبد الله بن أبى قــال للمسلمين بعد حرب أحد : الى متى تقتلون أنفسكم وترجون الباطل ، ولو كان محمد نبيا لما سلط الله عليكــم الأسر والقتل ، فأنــزل الله هــذه الآية (٥) .

وقيل : نزلت الآيــة بعد الهجــرة تسلية للمهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم ، وتحملوا العنــت والأذى فداء لعقيدتهم وحريتهم .

٤ ـ والذى يلاحظ أن هناك قاسما مشتركا بين كل مــا قيل فى سبــب نزول هذه الآية ، وهو ورودها فــى معرض الحديث عن الفتنة والابتلاء ، ومكايدة الشدائد ومجاهدة الأعداء ، وأن الفوز بنصر الله فى الدنيا ودخول الجنة فى الآخرة مناطه هذه المكايدة والمجاهدة ، ورسوخ اليقين عند الفتنة والصبر والثبات فى مواطن الابتلاء .

واذا كانت الآيــة الكريمــة قــد اشارت الى أن الصراع قائم بين الحق والباطل منذ أن خلق الله الانســان

---

(٢) الآية : ٦٢ فى سورة الأحزاب .

(٣) الآية : ٢١٤ من سورة البقرة .

(٤) انظر تفسير القرطبى جـ ٣ ص ٣٣ ، والبحر المحيط جـ ٢ ص ١٣٩ .

(٥) تفسير الفخر الرازى جـ ٥ ص ٢٠ .

فانها قد بينت فى ايجاز دقيق ، وتصوير رائع أن مشيئة الله فى خلقه اقتضت أن يكون انتصار الحق على الباطل مرتبطا بدرجة الايمان بالحق والجهاد فى سبيله ، فلا يكفى الحق انه الحق لتكون له السيادة والقيادة ، وليدفع عدوان الباطل عليه ، بل لا بد من أن يصبح الحق واقعا ماديا فى الظاهر ، بعد أن صار حقيقة كامنة فى الضمير ، وآية هذا جهاد دائب وبذل موصول وصبر كريم مهما تكن المشقات والأخطار والمصائب فى الأنفس والأموال ، وبدون ذلك لا ينتصر أصحاب الحق فى هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

٥ ــ على أن الآية فى مستهلها تخاطب أهل الصدر الأول من المؤمنين (٦) ، ولكن هذا الخطاب ليس قاصرا عليهم ، فهو موجه الى كل من ارتضى الاسلام دينا ليدرك أن مجرد الانتماء الى هذا الدين القويم لا يؤهل لنصر الله فى الدارين ، وإنما يؤهل لهذا النصر التزام صادق بكل ما تعبد الله به خلقه « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (٧) » وصبر على ما جرت به سنة الله من ابتلاء عباده المؤمنين بمختلف الوان الابتلاء ، اظهارا للمجاهدين الصابرين من المنافقين والمخادعين « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم (٨) » .

وحديث الآية عن المجاهدة والابتلاء والصبر يوضح مبلغ ما يتعرض له المؤمنون من نصب ، وما ينالهم من عنت ، ويومىء الى أن الباطل يلجأ إلى كل وسيلة تتيح له فرصة النيل من الحق ، فقوله تعالى : « مستهم البأساء والضراء وزلزلوا » يدل على أن دعاة الحق ينزل بهم من الشدائد والمصائب سواء فى الأنفس والأموال ما يقض مضاجعهم ويزلزل قلوبهم ، فهم فى رعب واضطراب كأن الأرض قد مادت بهم .

وفى قوله تعالى : « حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله » ما يدل كذلك على أن ما أصاب المؤمنين من شدائد واهوال تجاوز حد الصبر عليه والثبات معه ، لأن رسل الله أسوة فى الجهاد والصبر والثبات عند المحن والفتن ، فاذا لجأ الرسول والذين آمنوا معه الى استعجال نصر الله الذى أبطأ عليهم (٩) ــ فيما يرون ــ دل ذلك على ان الأمر بلغ الغاية القصوى فى الشدة ، وان المؤمنين أمسوا فى خطب عظيم وكرب احاط بهم ولا يجدون مخرجا ينقذهم ويدرأ السوء عنهم .

٦ ــ ويذهب بعض المفسرين الى أن التعبير بصيغة المضارع « حتى يقول » فيه إشارة الى تكرر استعجال النصر ، وهو يبرز جسامة الخطر وضراوة الخوف والجزع ؟ كما أن فيه تصويرا لهذا الموقف كأنه واقع مشهود يتمثله المخاطب فيستخف بما ينزل به ازاء ما يتمثله ، ولذا يواجه الشدائد والأهوال بعزيمة الصابرين وثبات المجاهدين الصادقين .

وقد جاء ختام الآية معلنا ان نصر الله قريب ، وهو بلا جدال قريب لمن استحقه وبذل تكاليفه واضطلع بأعبائه ، وإذا كان هذا النصر يبطىء أحيانا فلحكمة قد تخفى على المؤمنين،

---

(٦) انظر تفسير المنار جـ ٢ ص ٢٩٩ .
(٧) الآية ٧ فى سورة محمد .
(٨) الآية ٣١ فى سورة محمد .
(٩) انظر البحر المحيط جـ ٣ ص ١٤١ .

وهم من ثم لا يضجرون ولا يهنون لأنهم على ثقة من أن الله لا يتخلى عنهم ، وصدق الله العظيم : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين (١٠) » .

٧ ـ وحاصل معنى الآية أن طريق الجنة محفوف بالمكاره ، وأن نصر الله مقرون بالتضحية والصبر ورباطة الجأش لا بالأماني والكلمات ، وأن ما يتعرض له المؤمنون من الآلام والأخطار قليل فى جنب ما قاسى غيرهم ممن سبقهم بالإيمان والهدى (١١) ، ليتأسى اللاحق بالسابق فى المجاهدة والمصابرة وليؤمن الناس بما لا يدع مجالا للشك أن سنة الله فى عباده المؤمنين واحدة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد روى عن خباب بن الارت رضى الله عنه قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة ـ وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلنا : الا تستنصر لنا ، الا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار ، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون (١٢) » .

٨ ـ وهذا المعنى الذى تحدثت عنه آية البقرة وقررت به سنة الله فى خلقه لتقبل النفوس المؤمنة راضية مطمئنة على حمل الأمانة لا تخشى الباطل مهما أمعن فى الكيد ، ولا تزيدها المحن الا قوة فى الإيمان وصبرا فى الجلاد ، تتوقع نصر الله كلما غام الأفق وبدا أن الفجر بعيد (١٣) . ـ هذا المعنى تحدثت عنه عدة آيات غير تلك الآية ، منها قوله تعالى فى سورة آل عمران : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » (١٤) . وفى سورة التوبة قال الله تعالى : « أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ، ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون » (١٥) . وفى سورة العنكبوت يقول الله تبارك وتعالى : « الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (١٦) . وفى سورة محمد قال الله تعالى : «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فامَّا منّاً بعد وإمَّا فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضهم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم » (١٧) .

وهذه الآيات كما نرى تتحدث عن فتنة المؤمنين وابتلائهم وتمحيصهم ، وتؤكد سنة الله فى خلقه ، وأن الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل وأن سبيل الفوز برضوان الله ونصره مناطه الجهاد والصبر ، ومن ظن غير ذلك فقد ضل سواء السبيل .

٩ ـ ومن المسلم به أن الله لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، فهو سبحانه يعلم حقيقة القلوب قبل المحنة والابتلاء ، فكيف

---

(١٠) الآية ٤٧ فى سورة الروم .
(١١) تفسير المنار جـ ٢ ص٣٠١ .
(١٢) تفسير القاسمى جـ ٣ ص ٥٣٠ .
(١٣) فى ظلال القرآن جـ ٢ ص ١٣٠ .
(١٤) الآية ١٤٢ .
(١٥) الآية ١٦ .
(١٦) الآية ١ ، ٢ ، ٣ .
(١٧) الآية : ٤ .

ورد فى بعض تلك الآيات ان الله يمتحن عباده المؤمنين ليعلم الذين جاهدوا وصبروا وصدقوا واخلصوا فى ايمانهم ؟ إن هذا يعنى ان الابتلاء والامتحان يكشف فى عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله مغيب عن علم البشر ، فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من امرهم ، وهو فضل من الله من جانب ، وعدل من جانب ، وتربية للناس من جانب فلا يأخذوا أحدا إلا بما استعلن من أمره ، وبما حققه فعله ، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه (١٨) .

ومن المسلم به ايضا ان الله يدافع عن عباده المؤمنين ، ولكن دفاع الله لا يتنزل على الكسالى والمهملين والمتواكلين والذين يحسبون أن مجرد الإيمان وإقامة بعض الشعائر يحقق لهم النصر والخير ، وإنما يتفضل الله بدفاعه ونصره على الذين أبلوا فى سبيله أحسن البلاء ، وجاهدوا أصدق الجهاد ، لأنه سبحانه لا يريد لعباده أن يكون النصر لقية تهبط عليهم من السماء بلا عناء (١٩) ، ففى الجهاد والبذل والصبر فى مواطن الشدة والخوف تربية ضرورية للأمة التى اختارها الله لحمل الرسالة الخاتمة ، فلا تنوء بها أو تتقاعس عن الذود عنها ، ولهذا جاء الإذن بالقتال بعد الحديث عن دفاع الله عن المؤمنين ، وفى هذا إشارة إلى ان النصر لا يجىء الا بعد بذل وجهاد ، ولا يهبط على الذين أخلدوا إلى شهواتهم وآثروا الدنيا على الآخرة وصدق الله العظيم « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور . اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٢٠) » .

١٠ — ولنا فيما قصه القرآن من أخبار الأنبياء والمرسلين والمؤمنين المجاهدين ما يرشد الى تلك السنة الإلهية التى تحدثت عنها بعض آيات الكتاب العزيز سنة الابتلاء والامتحان قبل الحماية والدفاع والتأييد والنصر ، فهذا سيدنا ابراهيم عليه السلام دعا قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فأعرضوا عنه وسخروا منه وآذوه واضطهدوه ، ولكنه لم يعبأ بسخريتهم وإيذائهم واخذ يواصل جهاده وكفاحه من اجل تبليغ دعوته وانقاذ قومه من براثن الجاهلية ، غير انهم قرروا أن يحرقوه بالنار بعد أن عجزوا عن أن يمنعوه وما يريد « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين (٢١) » ، ولم يستطع ابراهيم أن يتغلب على قومه ، وهنا منعه الله مما هو عاجز عنه ، وأيده بنصره وحمايته وأنقذه من كيد المشركين « قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . وارادوابهكيدا فجعلناهم الأخسرين (٢٢) » .

١١ — وفى قصة الهجرة دليل واضح على تلك السنة الخالدة ، فقد صبر المؤمنون فى مكة على الاضطهاد والتعذيب ، وضربوا أروع الأمثلة فى

(١٨) فى ظلال القرآن جـ ٢٠ ص ١٠٥ .

(١٩) المصدر السابق جـ ١٧ ص٩٨ .

(٢٠) الآية ٣٨ ، ٣٩ فى سورة الحج .

(٢١) الآية ٦٨ فى سورة الأنبياء .

(٢٢) الآية ٦٩ ، ٧٠ فى سورة الأنبياء .

الجهاد والفداء ، فنصرهم الله نصرا عزيزا .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اذن له ربه بالهجرة الى يثرب يفكر مليا فى هذه الرحلة الشاقة ويتخذ الأسباب التى تكفل لها النجاح مع ثقة لا حد لها فى وعد الله بالحماية والنصر .

إن الرسول كان يدرك أن قريشا قد أعدت عدتها لتنفيذ ما أطبقت عليه كلمتها فى دار الندوة ، وأن بالها لن يهدأ حتى تنفذ ما انتهت اليه وان مجرد خروجه من مكة لا يعنى نجاته من الخطر ، لأنه سيطارد . فى مخارم الجبال والأودية ، فكان عليه أن يخطط لهجرته ويحتاط لكل الاحتمالات وإن بدا ما قام به الرسول إزاء قوة قريش أمرا هينا لكنه كان لازما ، فضلا عن تأييد الله ونصره — لكى يصل الرسول الى يثرب ومعه صاحبه دون أن تنال قريش منهما ما تريد .

وتمثلت الخطة التى وضعها الرسول ليفوت على قريش هدفها فيما يلى :

أولا : سرية اللحظة التى خرج فيها من مكة ، أو بعبارة أخرى تضييق دائرة الذين يعرفون هذه اللحظة بحيث لم تشمل سوى أفراد قلائل ممن لا يشك فى اخلاصهم وصدق جهادهم (٢٣) .

ثانيا : خداع قريش والتجسس عليها للوقوف على خططها بعد أن عجزت عن النيل من الرسول وهو فى بيته حتى يأخذ حذره ويتصرف طوعا لما تدعو إليه الأحداث وتوحى به الأخبار .

لقد كانت الهجرة عملا منظما يخضع للتخطيط العلمى الدقيق ، وكان هذا من عوامل نجاحها وآية على أن التوكل الحق على الله يجب أن يصحبه العمل المخلص والسعى الممكن وأن من أخلد إلى الوهن والكسل وظن أن السماء لن تدع حقه فريسة للباطل فهو واهم .

إن قدرة الله لا يعجزها أن يأوى محمد الى فراشه ليلا فى مكة لتبزغ شمس اليوم التالى عليه وهو فى يثرب دون أن يلجأ إلى غار ودون أن يستعين بمن يأتيه بأخبار أو يدله على طريق ودون أن يتحمل ما تحمل من وعثاء السفر فى طريق طويل كله صخور ورمال ، ولكن قضت مشيئة الله أن تكون الهجرة على هذا النحو من الجهاد والتنظيم والتخطيط لتكون أروع دليل على أن تأييد الله لأوليائه منوط بما يبذله هؤلاء من جهد وعمل « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم (٢٤) » .

لقد ذاق محمد صلى الله عليه وسلم النصر بعد مرارة الصبر والكفاح والنضال ، وكان ربه قادرا على عصمته من أذى الناس الا أنه جل شأنه اراد به ذلك حتى يفتح أعين الذين آمنوا على سنته فى خلقه ، فلا

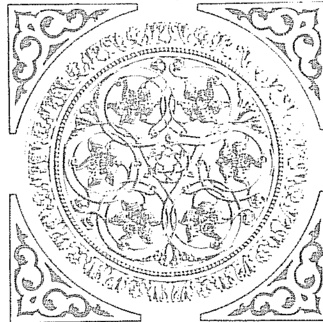
---

(٢٣) انظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢٩ .
(٢٤) الآية ٤٠ فى سورة التوبة .

يفتروا بانتسابهم الى الاسلام من غير جهاد ، أو يستسلموا الى الوهن وهم يحسبون انهم على ربهم يتوكلون .

١٢ — وبعد فهذا طرف من حديث النصر فى القرآن الكريم يتضح منه أن سنة الله فى عباده المؤمنين ماضية الى يوم القيامة ، وأن نصر الله لأوليائه مرتبط بما يبذله هؤلاء من المهج والاموال وما يصبرون عليه من الشدائد والمصائب ، فقد شاء الله أن يكون للنصر تكاليفه وأعباؤه التى ينوء بها ضعاف الإيمان والذين يعبدون الله على حرف ، وهؤلاء أبدا لا ينصرون ، أما المؤمنون الذين صبروا وصابروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، واتخذوا كل أسباب النصر ، ولم يركنوا إلى التواكل والكسل فهم أهل لحمل تلك التكاليف والأعباء لا يفرون منها ولا يضيقون بها وإنما يقبلون عليها بنفوس مطمئنة تزيدها الشدائد مضاء واصرارا على بلوغ الغاية المقدسة — النصر أو الشهادة — مهما يكن الثمن ، وهؤلاء المؤمنون الصابرون يدافع الله عنهم ، ويمنعهم مما هم عاجزون عنه ولا قبل لهم به ، ويحقق لهم دائما النصر على أعدائهم .

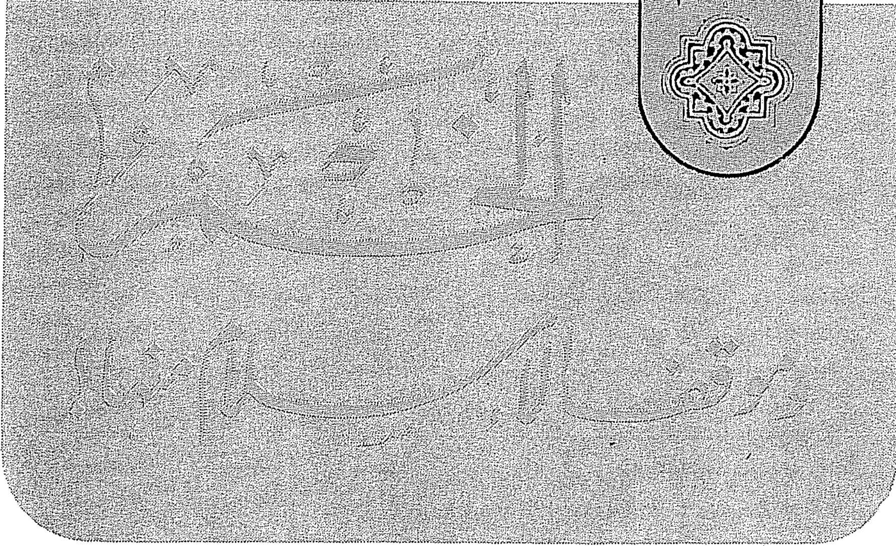
إن المسلم لا يرضى بالدنية فى دينه ودنياه ، وهو لهذا لا يهادن الباطل ولا يصادق الكفر والطغيان ، ويؤمن بأن الله وحده نعم المولى ونعم النصير ، وأن السبيل إلى عون الله ونصره إعداد القوة ، قوة الإيمان والأبدان والسلاح ، ثم الصدق فى الجهاد والثبات والصبر عند الشدائد والمحن ، والسعى المخلص لإعلاء كلمة الله ،وصدق الله العظيم : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٢٥) » .



(٢٥) الآية : ٤٠ ، ٤١ فى سورة الحج .

الحدود في الاسلام





للاستاذ : عبد الكريم الخطيب

١ ــ يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ، فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » (٩٠ ــ ٩٢ المائدة) .

تجىء هذه الآيات الكريمات من سورة المائدة تعقيبا على آيات جاءت قبلها فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » .. وفى هذا التعقيب تحرير للطيبات ، وعزل للخبائث من المأكولات والمشروبات عن حماها ، حتى لا يدخل فى طعام المؤمن وشرابه الا ما هو طيب ، لأن المؤمن طيب طاهر ، ولن يحفظ عليه طيبه وطهره الا اجتنابه لكل رجس وخبث .

وقد كشف القرآن هنا عن وجه بعض تلك المطاعم الخبيثة ، وهى الخمر التى من شأنها أن تذهب بعقل شاربها ، وتنقله من عالم الانسان الى عالم دون عالم الحيوان ، ثم الميسر ، وهو القمار ، والمال الذى

يخاطر به فيه ، ويقع ليد كاسبيه ، وهو مال حرام ، وما جلب به من طعام هو خبيث محرم .. ثم الأنصاب ، وهي حجارة كانت تنصب حول الاصنام ، لتذبح عليها الذبائح المقدمة قربانا لها ، فكل طعام مورده من هذا المورد ، هو خبيث بخبث ما دخل عليه من شرك بالله ، وان كان فى أصله طيبا .. ثم الازلام ، وهى قداح الميسر يلعب بها على الذبائح ، مقامرة ، فحكمها حكم الميسر فى خبث ما يرد منها ..

٢ — ويعنينا هنا من الكشف عن وجه هذه المنكرات ما يدخل على المتلبس بها ، أو بواحدة منها من ضياع وخسران ، وبعد عن مواطن النجاح والفلاح ، لأنها من عمل الشيطان ، والشيطان لا يعمل الا الشر ، ولا يريد بأبناء آدم الا افسادهم ، والتنكب بهم عن طريق الخير والولاء لله رب العالمين ، كما يقول سبحانه : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة » فهذا ما يريده الشيطان من اغوائه واغرائه لمن يستجيبون له ، ويتناولون من يده هذا الرجس المهلك ..

٣ — ولأن الخمر هى اشأم وجوه هذا الرجس ، وأشدها فتكا بمعالم الانسانية فى الانسان ، فقد أقامها القرآن الكريم فى تلك الآية الكريمة على رأس هذه المنكرات : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان » ولهذا أدرجتها الشريعة الاسلامية مع الكبائر التى أوجبت اقامة الحد على مرتكبها ، كالقتل ، والزنا ، والسرقة .

٤ — وقد بينا فى أحاديث سبق نشرها فى أعداد مضت من مجلة (الوعى الاسلامى) موقف الشريعة الاسلامية من القتل والزنا ، والسرقة ، وما رصدت لها من عقوبات رادعة ، يتولى ولى الأمر من المسلمين انزالها بمرتكبيها ..

ونعرض فى حديثنا هذا لجريمة الخمر ، ونظرة الشريعة اليها ، وحسابها لشاربيها .

ويقتضينا البحث هنا أن ننظر فى أمرين :

أولهما : الخمر ، من حيث ماهيتها ، والمادة أو المواد التى تتخذ منها ..

وثانيهما : الخمر ، ومكانها بين المحرمات فى الشريعة الاسلامية .

أما الخمر ، من حيث ماهيتها فأمرها معروف ، ولم تكن بنا من حاجة الى الكشف عن وجهها ، لولا أن كثر كلام الفقهاء فيها ، وتعددت وجوه الخلاف بينهم فى صفتها ، وفى المادة التى تصنع منها ، والطريقة التى تصنع بها حتى تكون خمرا ، وحتى تأخذ صفة الخمر التى جاءت الشريعة بتحريمها ، واقامة الحد على شاربها ..

ولقد اختلف الفقهاء فى المادة التى تصنع منها الخمر ، فوقف بها بعضهم عند التمر والعنب ، بمعنى أن ما صنع من غيرهما لا يعد خمرا ، وان كان له ما للخمر من أثر فى شاربها ، وهم يستدلون على هذا بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من أنه قال : « الخمر من هاتين الشجرتين » وأشار الى النخلة والكرمة .. بل لقد ذهب بعضهم الى أن الخمر ما كان من العنب وحده ، مستدلا على هذا بقوله تعالى : « انى أرانى أعصر خمرا » (٣٦ : يوسف) ومؤولا الحديث : « الخمر من هاتين الشجرتين » على أن المراد بالشجرتين شجرة واحدة ، هى شجرة العنب ، اذ المثنى — فى تقديره — قد يطلق على المفرد — كما

فهم ذلك من قوله تعالى : « يخرج منهمـــا اللؤلؤ والمرجان » قائلا ان المراد بالبحرين أحدهما .. وهذا لا شك تعسف فى التأويل ، لا يراد به الا التلهى بشــــرع الله ، والعبث بآياته وكلمـــاته .. والأمر فى هذا أوضح من أن يحتاج الى الكشف عن عواره ، والدلالة على اســـــفافه وسقوطه .. اذ كيف يشير الرسول الكريم الــى شـــيئين بـلفظ المثنى فيقول « من هاتين الشجرتين » وهو يريد واحدة ؟ .. ثم كيف يســــتدل بقوله تعـــالى : « انى ارانى اعصر خمرا » على أن الخمر لا يكون الا من العنب ، حيث هو الفــــاكهة التى تعصر ، وما دام صاحب يوسف فى السجن قال : « أعصر خمرا » فذلك دليل قاطع على أن الخمر لا يكون الا مما يعصر ، ولا يــكون ما يعصر الا العنب . ان هذا الضرب من اللغة ، لا يصدر ـــ كما قلنا ـــ الا من عابث لاه ، لا يرعى للدين حرمة ، ولا يقيم لمدلول اللغــــة وزنا !! انه اهدار لمعانى الكلمات اللغوية ، فضلا عن الاســــتخفاف بدين الله ، والجرأة عليه .. !

٥ ـــ وأما القــــائلون بأن مادة الخمر محصورة فيما أخذ من التمر او العنب ، وهم يستدلون على هذا بقوله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقـــا حسنا » (٦٧ : النحل) . القائلون بهـــذا القول لا يختلفون كثـــيرا عن القائلين بأن الخمر من العنب وحده، فكلاهما متعسف فى التأويل ، يرمى بهذه الشطحات البعيدة ليقال انه من أصحاب الرأى والنظر .. !!

والذى ينظر فى الحديث الشريف : « الخمر من هاتين الشجرتين » لا يجد فيه حصرا لمادة الخمر فى فاكهتى هاتين الشــــجرتين اللتين كانتا بين يدى الرسول الكريم ، والذى كان ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ يشير اليهما بيده الـــكريمة ، وهو يحدث اصحابه عنهما ، وعما كان يتخـــذه العرب منهما من شراب الخمر ، لأن مادة الخمر الغالبة عند العرب كانت من التمر والعنب ، اذ كانت هاتان الفـــــاكهتان اكثر الفواكه عندهم ، ولهذا جاء وصف الجنات الدنيويـــــة والأخروية فى القرآن الكريم منوها بأشجار النخيل والاعناب ، وجعلهما اللون الغالب على اشجار الجنـــات وفواكههـــا ، فيقول ســـــبحانه : « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنـــا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل » (٣٢ : الكهف) ويقـــول جل شأنه : « أيود احدكم أن تـــكون له جنة من نخيل واعنـــاب تجرى من تحتها الانهار ، له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر ، وله ذرية ضـــعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت » (٢٦٦ : البقرة) وقوله تبـــــارك اسمه فيما كان يقترحه المشركون على النبى فى مقام العنـــاد والتحدى : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعـــا . أو تـــكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهـــار خلالهـــا تفجـــيرا » (٩٠ و ٩١ : الاسراء) ويقـــول عز من قائل عن جنات الآخرة : « فيهما فاكهة ونخل ورمان . فبأى آلاء ربكما تكذبـــان » (٦٨ و ٦٩ : الرحمن) .

ومن هذا يتضـــح انه لم يكن بين يدى النبى صلى الله عليه وســـلم وهو يحدث اصــــحابه عن الخمر ، وعن المادة التى تصنع منها الا شجرتا النخل والعنب ، وهما ـــ كما قلنا ـــ الشجرتان اللتان كانتا اكثر اشجار الفاكهة شيوعا عند العرب ..

ولهذا ، فانه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حين كان يتحـــــدث عن الخمر ، وعن المواد التى تصـــــنع

منها ، دون أن يكون بمشهد منه شيء من أشجار النخيل والاعناب — قال : « ان من العنب خمرا ، وان من التمر خمرا ، وان من العسل خمرا ، وان من البر خمرا ، وان من الشعير خمرا » ..

ومع هذا فان حصر النبى — صلى الله عليه وسلم لهذه المواد الخمس ، لم يكن حصرا مطلقا لكل ما تصنع منه الخمر ، وانما كان تقريرا للواقع المعروف عند العرب يومئذ لما يتعاطونه من خمر ، سواء كانت مصنوعة بأيديهم ، أو واردة عليهم مما يجلبه التجار من خارج الجزيرة العربية ..

يقول الخطابى فى تعليقه على هذا الحديث : « ليس معناه ان الخمر لا تكون الا من هذه الاشياء الخمسة بأعيانها ، وانما جرى ذكرها خصوصا لأنها كانت معهودة فى ذلك الزمان ، فكل ما كان فى معناها من ذرة وسلت — وهو الشعير — ولب ثمرة ، وعصارة شجر ، فحكمه حكمها » .

وفى صحيح مسلم عن انس قال : « لقد أنزل الله الآية التى حرم فيها الخمر ، وما بالمدينة شراب يشرب الا من تمر » .

وفى صحيح البخارى عن انس ايضا ، قال : « حرمت علينا الخمر حين حرمت ، وما نجد خمر الاعناب الا قليلا ، وعامة خمرنا البسر والتمر » .. والبسر هو ثمر النخيل قبل أن ينضج ويصير تمرا ..

وعلى هذا فمادة الخمر لا معتبر لها فى تحريمه ، وانما المعتبر فيها هو أية مادة تعطى خمرا ، وهو الخمر الذى يستخرج منها ، والذى من شأنه أن يسكر من يتعاطاه .. فكل ما اسكر فهو خمر ، لأنه يخامر العقل ويستره ، كما يستر الخمار وجه المرأة .. وفى الحديث : « ان الخمر من العصير ، والزبيب ، والتمر ، والحنطة والشعير والذرة ، وانى انهاكم عن كل مسكر » (مختصر سنن أبى داود للمنذرى ، حديث ٣٣٢) .

٦ — وكما اختلف الفقهاء فى مادة الخمر ، اختلفوا أيضا فى الصفة التى تكون عليها ، والصنعة التى تصنع بها ، فقال بعضهم : الخمر ما خمر دون أن تمسه النار ، وأما ما طبخ بالنار فليس خمرا ولا يأخذ حكم الخمر وان اسكر ... !!

كذلك اختلفوا فى النبيذ ، وهو ما ينقع من تمر ونحوه ، فقال بعضهم : اذا تخمر وغلا ورمى بالزبد فهو خمر ، قليله وكثيره حرام ، واذا لم يتخمر ويرمى بالزبد ، فاذا أسكر فهو مكروه ، واذا لم يسكر فلا شيء فيه ! ومن هذه المقولات قول أبى حنيفة فى النبيذ ، اذ يقول : « الانبذة كلها حلال الا أربعة أشياء : الخمر والمطبوخ اذا لم يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ، ونقيع التمر فانه السكر ، ونقيع الزبيب » .

ويعلق ابن حزم على قول أبى حنيفة هذا بقوله : « ولا خلاف أن نقيع الدوشات — وهو نقيع الشعير — حلال عند أبى حنيفة وان أسكر ، وكذلك نقيع الرب وان أسكر » والرب — بضم الراء المشددة — خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها .

وقال أبو يوسف ، صاحب أبى حنيفة : « كل شراب من الانبذة يزداد جودة على الترك فهو مكروه ، ولا اجيز بيعه ، ووقته عشرة أيام ، فاذا بقى أكثر من عشرة ايام فهو مكروه ، فان كان فى عشرة أيام فأقل ، فلا بأس ! » .

وقال محمد بن الحسن — صاحب أبى حنيفة أيضا : « ما أسكر كثيره

مما عدا الخمر اكرهه ، ولا احرمه !! » .

ويعلق ابن حزم على هذه الآراء — رأى أبى حنيفة وصاحبيه — فيقول : فأول فساد هذه الاقوال انها كلها اقوال ليس فى القرآن شيء يوافقها ، ولا شيء من السنن ، ولا شيء من الروايات الضعيفة ، ولا عن احد من الصحابة رضى الله عنهم، ولا عن أحد من التابعين ، ولا عن أحد من خلق الله ، قبل ابى حنيفة ، ولا احد قبل أبى يوسف فى تحديده عشرة أيام لما ينقع من الانبذة !!

ثم يقول ابن حزم فى جراة وصراحة هما طبيعة غالبة فيه — يقول : « فيا لعظم مصيبة هؤلاء القوم فى أنفسهم ، اذ يشترعون الشرائع فى الايجاب والتحريم والتحليل من ذوات أنفسهم ، ثم بأسخف قول وأبعده عن المعقول ! » (المحلى ، لابن حزم جزء / ٧ ص ٥٦٢ وما بعدها) .

وقد تتبع ابن حزم باسلوبه الحاد وصوته الجهير — تتبع جميع الأدلة والاسانيد التى استند اليها أبو حنيفة وصاحباه فى رأيهم فى النبيذ ، ففند هذه الآراء ورد ضعيفها ، أو تأولها على وجهها الذى يدعم وجهة نظره فى دفع هذه المقولات وابطالها .

ولا شك ان فى هذا الجدل بين أصحاب تلك الآراء المختلفة ، وفى التدافع بين الحجج والحجج ، والتلاطم بين الأدلة والأدلة — لا شك أن فى هذا متعة ذهنية ، ورياضة عقلية ، يشهد فيها المرء كيف تتصارع العقول وكيف تصول الافكار وتجول — ولكنها متعة تذهل الانسان عن الحقائق التى بين يديه من أمر دينه ، وتفتح لذوى القلوب المريضة طرقا كثيرة للجمع بين هذه التناقضات ، فيأخذ من كل رأى ما يرضيه ، ويوافق هواه ، فاذا دينه رقع مختلفة الالوان ، رقعة من هنا ورقعة من هناك ، وكلها — فى تقديره — من الدين .. !!

وفى هذه القضية بالذات — قضية الخمر — اخذ قوم فيها بهذا المذهب الذى يجمع بين متناقضات الآراء ، ويتبع ما يرضى هواه منها دون نظر الى حلال أو حرام ، ما دام يرجع فى هذا الى رأى من آراء هؤلاء الأئمة الاعلام .. !!

وفى هذا يقول الشاعر متهكما بهذا التضارب فى شأن الخمر ، التى ليس فيها الا قول واحد ، هو انها الخمر وانها الحرام ، قليلها وكثيرها، ما اسكر منها وما لم يسكر .. يقول هذا الشاعر :

احل العراقى النبيذ وشربه
وقال الحرامان : المدامة والسكر
وقال الشامى النبيذ محرم
فحلت لنا من بين قوليهما الخمر !!

ويعنى الشاعر بهذا أن أبا حنيفة ومن تابعه — وهو عراقى — قد قال فى النبيذ قولا يخرجه به عن دائرة الخمر ، ويرفع عنه الحرمة المضروبة على الخمر ، وأن اقصى ما يكون على شاربه انه أتى فعلا مكروها اذا شرب منه حتى سكر ، أما اذا شرب ولم يسكر فلا شيء عليه .. !

اما الحرامان عند أبى حنيفة واصحابه فهما المدامة ، أى الخمر المصنوعة من العنب ، والسكر ، وهى الخمر المصنوعة من التمر ، فما خمر من تمر أو عنب فهو خمر ، وهو الحرام قليله وكثيره ، أسكر أو لم يسكر ، أما ما خمر من غير العنب والتمر فهو نبيذ ، وقد عرفنا رأى أبى حنيفة فيه !

والشامى الذى يشير اليه الشاعر هو مالك وأصحابه .. ومالك يحرم النبيذ من أى شىء كان ، اذا أسكر كثيره فقليله حرام ، شأنه فى هذا شـأن الخمر التى جاء القرآن بتحريمها .

وما كان ينبغى أن يكون فى شأن الخمر خلاف ، وقد جاء النص القرآنى قاطعا بحرمتها بوصفها خمرا ، أى تخامر العقل وتغطى على مدركاته ، دون أن ينظر الى المادة التى تتخذ منها أو الاسلوب الذى تصنع به .. ثم جاءت السنة المطهرة بعد هذامؤكدة ما نص عليه القرآن الكريم اذ يقول الرسول — صلوات الله وسلامه عليه : « كل مخمر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب مسكرا بخست صلاته أربعين صباحا » ومعنى بخست صلاته أى خف ميزانها ، فلا يؤتى صاحبها أجرها كاملا .. ويقول — صلوات الله وسلامه عليه : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

فكيف يزاغ عن هذا الحكم القاطع فى الخمر وحرمتها ، أيا كان الوجه الذى تظهر به ، وأيا كان لونها وطعمها ! ان كل مسكر خمر ، قليله وكثيره حرام ، والمؤمن مؤتمن على دينه ، فما عرف أنه يخامر عقله اذا شربه ، كان حراما عليه أن يذوق قطرة منه .

هذا هو فيصل الامر فى الخمر .. قليلها وكثيرها حرام ، يأثم شاربها ، ويقام الحد عليه اذا ثبت عليه انه شربها بشهادة شهود عدول ، أو بدلالة حاله ، كأن ظهر فى الناس وهو سكران لا يعى ما يقول .

فالعلة فى تحريم الخمر هى الاسكار ، والتأثير على العقل تأثيرا يغير من طبيعته ، ويفقده توازنه ، والعلة تدور مع المعلول وجودا وعدما .. وليست علة تحريم الخمر قلتها وكثرتها عند شاربها ، وانما علتها أنها الخمر ، وأنها رجس ، وأنها الحرام ، وليس فى الحرام قليل أو كثير ، فما حرم كثيره فقليله حرام ، سدا للذرائع ، حيث لا حجاز بين القليل والكثير الذى يسكر !!

٧ — وأما نظرة الشريعةالاسلامية الى الخمر وعدها من الآفات التى اذا تفشت فى مجتمع أفسدت عليه وجوده ، ونزعت عنه كل معانى الانسانية — هذه النظرة أوضح من أن يدل عليها ، فقد عدها القرآن الكريم رجسا من عمل الشيطان ، وأقامها على رأس الكبائر ، وجعلها اما لها ، اذ أن شارب الخمر اذا لعبت حمياها برأسه خلع عذار حيائه ، وتحلل من كل دين ، وخلق ومروءة ، وأفلت من سلطان عقله ، وهان عليه أن يأتى كل منكر ، وان يفعل كل محرم ، مما كان يرده عنه عقله ويمنعه منه حياؤه ودينه ومروءته ، قبل أن تلعب الخمر برأسه .

روى أبو داود فى سننه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعنت الخمر على عشرة وجوه : لعنت الخمر بعينها — أى لذاتها — وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وآكل ثمنها » .

ولا نجد فيما حرم الله من كبائر كبيرة تحيط بها لعنات الله من كل جانب ، فتصيب كل من يتصل بها من بعيد أو قريب ، باللعنة ، وتنزله منازل سخط الله وغضبه مثل كبيرة الخمر !!

وقد رصد الاسلام للمجاهر بشرب الخمر عقوبة دنيوية فاضحة مخزية

له ، منزلة اياه منزل الصغار والهوان ، فلم تأخذه بعقوبة محددة كالجلد ، أو الرجم ، وانما جعلت للجماعة التى يعالن فيها أحد أفرادها بشرب الخمر أن ترجمه بكل ما تطوله يدها ، وأن تزجره كما يزجر الكلب العقور ، حتى يغيب عن وجهها .. هذا فضلا عن العقاب الاخروى الراصد له ..

روى انه جىء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشارب خمر ، فأذن الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — لمن فى مجلسه من أصحابه أن يتولى زجره وتأديبه ، فكان منهم الذى رماه بنعله ، وكان منهم الذى ضربه بيده ، وكان منهم الذى ضربه بثوبه .. هكذا يلقى النار كل خطر يدهمهم ، انهم يدفعونه بكل ما يجدونه حاضرا بين أيديهم .

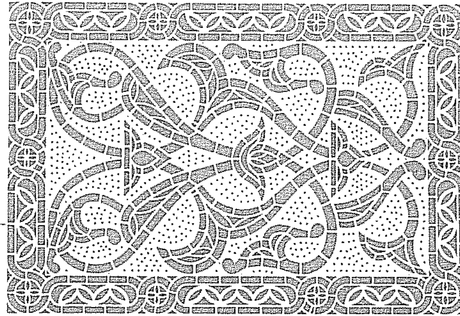
هذه صورة من صور العقاب لشارب الخمر ، ومن صور العقاب لشارب الخمر ايضا أن يجلد عددا من الجلدات غير محدد ، وانما يحدده ولى الامر حسب نظرته الى حال الشارب فقد جلد رسول الله شارب الخمر عشرين جلدة ، وجلد عمر اربعين جلدة ، وذلك بعد أن فتحت الامصار ، وكثر الداخلون فى الاسلام ، الذين خف وازع الدين عندهم عما كان عليه المسلمون ، فى عهد رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه .

٨ — واذا كانت أمم الغرب تأخذ على الاسلام موقفه من الخمر ، وأخذه بالنكير على شاربيها ، وعدها ذلك دلالة من دلالات تأخر المسلمين ، واستغلاق ملكاتهم التى من شأن الخمر ان يفتحها كما فتحها على أمم الغرب ، فسادت وعزت ، وملكت أزمة الحياة ، وقادت موكب الحضارة ، على حين بقيت دول الاسلام فى قيد العجز والتخلف — نقول اذا كانت هذه هى تهمة الغرب للاسلام والمسلمين ، فانها ليست أول فرية يفتريها الذين يضمرون العداوة للاسلام ، دون أن يعرفوا حقيقة هذا الدين . ودون أن يختبروا حقائقه ، مكتفين فى هذا بالنظر الى حال المسلمين اليوم ، وما رماهم به الاستعمار الاوربى من أدواء اغتالت معالم العزة فيهم ، واصارتهم الى ما هم فيه من تخلف فى ماديات الحياة التى كانت هى رغيبة الاستعمار وطلبته من استعمار أوطانهم ، وسلب خيراتها ، حتى أقفرت من هذه الماديات التى يفخر بها الغرب ، وان لم يستطع هذا الاستعمار ان ينتزع معالم الانسانية من كيان المسلمين التى غرسها الاسلام فيهم . فحفظ هذا الدين وجودهم وما يزخر به عالمهم الداخلى من عواطف انسانية كريمة حرم العالم الغربى من كثير منها ، وتحول الناس هناك الى آلات تعمل وتنتج لكسب المال ، ولا شىء غير كسب المال .. !

٩ — ولقد عرف العالم الغربى من آثام الخمر واضرارها اكثر مما يعرف المسلمون ، وخاصة فيما تفعله الخمر فى الاجسام فضلا عن العقول ، وذلك بما كشف الطب هناك من الأدواء والعلل الجسدية التى تتركها الخمر فى شاربيها ومن يدمنون تعاطيها ، حتى لقد لجأت دول كثيرة ، ومن بينها امريكا الى سن قانون يحرم الخمر ، ويحارب الذين يتعاطونها ، ويرصد العقوبات المالية وغير المالية لمن يخالفون هذا القانون ، ولكن سلطان الخمر على الناس كان قد تمكن منهم ، فغلب على سلطان القانون وقهره ،

واضطرت الحكومات الى الغاء هذا القانون ، والعودة بالناس الى حالهم الاولى مع الخمر يعبون منه كما يشاءون ، وهى تعلم أنها تسوق الناس — مكرهة — الى أوخم العواقب .. وفى تحريم هذه الدول للخمر ، ثم قهرها ، وتخاذلها ، واستسلامها لهذا السلطان القاهر لها حجة قائمة على الذين يرون فى الخمر غير ما يرى القرآن من شناعتها وسوء عاقبتها ، وما تخلفه وراءها من ضحايا مشوهة الانسانية فى ظاهرها وباطنها .

١٠ — واذا كان الغربيون قد عجزوا أمام سلطان الخمر ، واستسلموا له صاغرين ، فان الاسلام بتدبيره الحكيم فى محاربة هذا الداء ، قد استطاع أن يعزله عن دنيا المسلمين عزلا يكاد يكون تاما ، وخاصة عند المتدينين منهم ، ومن فى قلوبهم خشية لله ، ورعاية لحدود الله .. أما الذين لا يخشون الله منهم ، ولا يرعون ناموس المجتمع فقد رصدت الشريعة الاسلامية العقوبة الرادعة لمن يجاهرون به من أخذ الشارب منهم بالضرب المذل المهين ، أو الجلد المخزى الاليم وهذا حكم قائم فى شريعة الاسلام على شاربى الخمر ، المجاهرين بها ، ولو نفذ هذا الحكم كما أمرت الشريعة به لاختفت حانات الخمر من بلاد الاسلام ، ولما ظهرت فى المجتمع الاسلامى تلك الوجوه المنكرة لشاربيه .. فما طبقت أحكام الشريعة الاسلامية فى جريمة من الجرائم الا اختفت تلك الجريمة ، واستراح الناس منها ، والشاهد الحاضر لهذا جريمة السرقة التى اختفت فى الجزيرة العربية بعد أن اخذ السارقون بأحكام الشريعة ، وما تقضى به من قطع يد السارق اذا ثبتت عليه التهمة مستوفية جميع أركانها ، فيا ليت قومى يقيمون حدود الله على الخارجين على شرع الله .. اذن لطابت حياتهم ، وعلا فى الحياة شأنهم ، وفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض .





للأستاذ : على القاضى

التربية عملية دائمة فى حياة الفرد لتعديل خبرته وبها يكون الإنسان قادرا على النمو المتجدد الذى يجعله يحيا حياة سعيدة ويكون عضوا ايجابيا نافعا فى المجتمع .

وكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية يرسم صورة لما يريد أن يحققه فى مجتمعه ويضع الأسس لتربية أبنائه حتى يمكن أن ينشئهم على المنهج الذى يحقق الصورة التى يرسمها .

وللتربية عوامل تؤثر فى تربية أبناء المجتمع .

والإسلام دين له مثله وله أهدافه التى يريد أن يحققها فى هذه الحياة وقد وضع الاسلام الأسس السليمة لتربية ابنائه . وتناولت هذه الأسس جميع نواحى الإنسان الجسمية والنفسية والفكرية .

كما اهتم بعوامل التربية التى تحقق المثل التى تنشدها .
وعوامل التربيـــة فى الاسلام هى : الأسرة والمسجد والمدرسة والمجتمع — وسنتناول بإيجاز الكلام عن كل واحد منها .

الأســــــرة :

الأسرة هى البيئة الطبيعية لنشوء الأطفال ، وقد أثبتت تجـارب الجنس البشرى أنها أفضل نظام لتربيتهم وتزويدهم بالعوامل النفسية والثقافية اللازمة لنموهم ، وتقدمهم ، وحمايتهم — فرعاية الطفل والعنـــاية به أول ما يجب على الوالدين ، يحسنان تربيته ويقومان بتعليمه وهما مسئولان عن ذلك مسئوليـــة كاملةً لا تقتصر على فترة من الفترات ، فالطفل قليل التجارب سهل التأثر لقلة خبراته ، وسهولة استهوائه ، ولذلك يجب ان يحاط بكل عنـــاية حتى لا تتأثر نفسيته بعادات وآراء غير صالحة وغير مناسبة للأغراض التربوية التى يهـدف المجتمع الى تحقيقها . فالوالدان عليهما أن يهتما بصحة الطفل وحمـــايته من الأمراض وعلاجه منها اذا أصيب بنوع منها وعليهما أن يهتما بتكوين العـــادات الصحية وحمايته من الأخطار . وعليهما أن يعنيا بالناحية العقلية لادراك العلل . كمـــا أن عليهما الاهتمام بالناحية الوجدانيـــة فيهذبا انفعالاته ويكونا العـــادات الوجدانيـــة الصالحة ويحاولا استئصال العادات الوجدانية السيئة ان وجـــدت ويعوداه السيطرة على انفعالاته كالثورة لسبب تافه مما يسبب له المتاعب الدائمة كما يسببها لمن يتعامل معه .

وقد أثبت علماء النفس ان ما يلاقيه الطفل من المعاملات فى السنوات الأولى سيستمر صداه فى نفسه طوال حياته . ففى حضن الأسرة يجد الطفل حاجته من الحنان — والعطف والرعاية — والرســـــول الكريم أوصى باظهار العطف والحنـــان للأطفـــــال .
وقد كان يعامل الحسن والحسين رضوان الله عليهما بمنتهى الرفق والحنان ، وقد أطال السجود مرة لأن الحسن كان متعلقا بكتفه فلم يحب أن يفزعه . .

وقد أوصى بالمساواة بين الأبناء فى العطف والحنان حتى لا تتأثر نفســـية الطفل فيتأثر سلوكه . . . وقد نظر الرسول الكريم الى رجل له ابنان قبّل أحدهما وترك الآخر فقال له : فهلا سويت بينهما ؟ ودخل عامل على عمر بن الخطـــاب فوجده يداعب ابناءه ويضاحكهم . فتعجب العامل وعتب عليه فقال له عمر : كيف انت مع أهلك ؟ قال : إذا دخلت سكت الناطق ! فقال عمر : (اعتزل عملنا فانك لا ترفق بأهلك فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟)

وفى ظلال العطف والحنان تكون الرعاية والتربية يقول الرســـول الكريم : **(أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم)** .

وكما اهتم الاسلام بتربية الطفل اهتم بتربية الطفلة . بل لعل اهتمامه بها اكثر لما لها من أهمية فى الأسرة ومن اثر فى تربية أبنائها فى سنواتهم الأولـــى فهى ملازمة لهم قائمة على أمورهم معنية بشئونهم فهم يقتدون بما ويتشربون روحها ويأخذون من عاداتها وأخلاقها وهذا الحديث الشريف يبين لنا مقدار اهتمامه بها **(من كانتله ابنة فادبهافاحسن تاديبهاوغذاها فاحسنغذاها واسبغ عليهامنالنعمة التى أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة)** بل أكثر من هذا فالاسلام لم يكتف بالتربية فى الصغر بل تعداها الى ما قبل ذلك . فقد تدخـــل لمصلحة الطفل قبل أن يولد ! فللوراثة تأثيرها العميق . تأثيرها فى الصفات

الجسمية وفى كثير من الصفات الخلقيـــة فقد يرث الصغير أشــــياء لا يستطيع التخلص منها وقد أثبت علم النفس الحديث أن الذكاء والقدرات الخاصة والغرائز كلها تورث . كما أثبت أن المزاج ـــ وهو الذى يتوقف على حالة الجهازين العصبى والغـــدى ـــ يتأثر بالوراثة .

والاسلام اكتشف هذه الأشياء منذ اربعة عشر قرنا تقريبا فأوصى بملاحظتها والح فى الوصية ونبه وشدد فى التنبيـــه على اختيار الأبوين اللذين لهما صفات خاصة تحقق ايجاد الجو الصالح الذى يصلح لتربية الطفل فالرسول الكريم يقول فى اختيار الزوجة :

(**إياكم وخضراء الدمن** . فيسأله سائل : **وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟** فيقول : **المرأة الحسناء فى المنبت السيء**) فالمرأة اذا لم تنشأ فى بيئة طيبة ولم تربَّ تربيـــة طيبة لا يمكن ان تخرج أبناءها إلا مثلها ومن هنا كان لا بد من التحذير والتحذير الشديد فضلا عن أن ابنها سيرث بعض صفاتها فان تربيتها له سيكون لها اسوأ الأثر فى حياته لما لها من المقدرة على استهوائه ولما يراه فيها من المثل الأعلى فيقتدى بها،ويبالغ الرسول فى التنبيه حين يبين الأثر الذى تنتجه الوراثة فيقول : **تخيروا لنطفكم فان العرق دساس**) ويبين الرســـول الكريم أن (**المــرأة تنكح لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها**) ويقول لمن يريد أن يتزوج (**فاظفر بذات الدين تربت يداك**) .

وفى اختيار الزوج يطلب من اهل الزوجة أن يختاروه على اساس الدين وإلا فان الفساد ينتشر . يقول الرسول الكريم : (**إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير**) .

المســـــــجد :

يمثل المسجد فى الاسلام عاملا هاما من عوامل التربية فهو مكان للعبـــادة وهو مكان للتربية ايضا وما العبـــادة الا جزء من رسالة المسجد ولذلك فقد كان اول شيء فعله رسول الله عليه الســـلام بعد أن حط رحاله فى المدينـــة أن سأل عن المربد الذى نزلت فيه ناقته قائلا : لمن المربد ؟ فأجابه معاذ بن عفراء : انه لسهل وسهيل ابنى عمرو وهمـــا يتيمان ، وسيرضيهما . ورجا النبى أن يتخذه مسجدا وقبل النبى وأمر أن يبنى فى هذا المكان مسجده .

فى هذا المســـجد وضع النبى الكريم اسس دعوته الاســـلامية وكان يبين لأصحابه خطوطها الرئيسية وتفصيلاتها ويفهمها لهم ويربيهم عليها . ففى خطبته الثانية بالمسجد قال :

(**أعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا . واتقوه حق تقاته ، وأصدقوا الله ما تقولون ، وتحابوا بروح الله بينكم . ان الله يغضب أن ينكث عهده**) .

فالصلة الروحية بين العبـــد وربه هى اول شيء يجب على المســـلم فالله يُعبد وحده باخلاص ولا يشرك به فى عبادته .. وهو الذى يتقى حق تقاته . ويراعى فى كل عمل يعمله الانسان سواء كان خاصا به أم عاما لمجتمعه ووطنه وهذه خير طريقة لتربية الضمير وكان المربى الأول صلوات الله عليه يلاحظ حال تلاميذه ويخلطهم بنفسه ويتخذ خير الطرق لتربيتهم وتثبيت المعلومات فى أذهانهم وطريقته فى ذلك هى أحدث طرق التربية إذ كان يطلب من المخطيء اصلاح خطئه بنفسه فان لم يصل الى ذلك تركه الى أن يفقد توازنه ويزداد انتباهه فيكون

عنده استعداد عظيم لتلقى الصحيح منه .

صلى رجل بمسجد الرسول صلاة سريعة ثم جاء فسلم على النبى وصحابته وهم جالسون فرد النبى عليه السلام ثم قال له : **(ارجع فصل فانك لم تصل)** فعاد وصلى كما صلى من قبل وحين رد عليه مثل رده الأول قال له : والذى بعثك بالحق نبيا ما أحسن غيره فعلمنى فأخذ الرسول الكريم يعلمه كيفية الصلاة الكاملة . فالرسول صلوات الله عليه لم يعلمه في مبدأ الأمر بل طلب منه أن يصلح خطأه بنفسه أولا . وحين لم يفعل ذلك فى المرة الأولى تركه حتى فقد توازنه وأصبح عنده الاستعداد الكافي لتلقى تعليم النبى له فى يقظة تامة وانتباه كبير فلا ينسى بعد ذلك أبدا بل ويهتم بأن يعلم غيره ما تعلمه .

ومن أساليب التربية التى اتبعها المسجدأن المسلم اذا دخله ووجد حلقة علم جلس حيث ينتهى به المجلس بلا فرق بين انسان وانسان فالجميع فى بيت الله سواء .

وكان من أهم الأشياء التى لاحظها الرسول إلا يثقل على أصحابه حتى لا يسأموا فلا يستفيدوا شيئا ، من ذلك ما رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا . بل كان كثيرا ما يدخل فى دروسه عنصر التشويق حين يقص عليهم أخبار الأمم السابقة وما آلوا اليه وكان النبى يتعهد أصحابه بالرعاية والعناية يخطب فيهم ويدرس لهم ويبين لهم الجديد من التشريع ويوضح لهم ما غمض عليهم يسألهم أحيانا ليختبر ذكاءهم وانتباههم وكان يجيب على أسئلتهم التى يوجهونها اليه . واستطاع المسجد الأول بهذه الطريقة أن يخرج للاسلام علماء فى الفقه الاسلامى وفى فهم القرآن الكريم ورجالا فى كل ناحية من النواحى ، وقد كان لهم أثر بين فى نشر الثقافةالاسلامية فى انحاء العالم الاسلامى بعد امتداد رقعته واتساع سلطانه . ولم تقتصر رسالة المسجد على التعليم وحده . بل تعدته الى تقوية الروابط الاجتماعية ، وتوثيق الصلات الأخوية ، واشعار أعضاء المجتمع الاسلامى بأنهم أخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا لا فرق بين فرد وآخر . فالمسلمون يصلون خمس صلوات كل يوم فى المسجد يقفون متجاورين بدون تفريق فى صفوف منتظمة فاذا ما قضيت الصلاة لاحظوا من تخلف منهم فيسألون عنه ويبحثون عن السبب الذى تخلف من أجله .

وروح المسجد روح تكافل واتحاد . ولأهمية المساجد فى التربية الاسلامية لم يتهاون النبى فى المسجد الذى أنشأه جماعة من المنافقين وكانوا يأوون اليه ليحرفوا كلام الله عن مواضعه ويفرقوا بين المؤمنين ضرارا وهو الذى سماه القرآن الكريم **((مسجد الضرار))** فلم يكتف الرسول بعدم تلبيتة لدعوتهم فيرفض الصلاة فيه بل أمر باحراقه بدون هوادة لما له من أثر سيء فوجوده موضع خطر كبير على أبناء المسلمين .

واستمر المسجد يؤدى دوره التربوى والتعليم فى جميع العصور الاسلامية وحتى عصرنا الحاضر فى بعض أقسام الأزهر . واقتصر حين انتشرت المدارس على بعض نواحى التربية .

وهكذا استطاع المسجد ان يقوم بدور كبير فى تربية الأمة الاسلامية ، وان يكون ذا أثر قوى لا نزال نحس به ونرجو أن يعود الى سابق عهده فى التأثير والتربية حتى نصل الى ما وصل اليه أجدادنا من رقى وتفوق .

وحتى نحس بالهدوء الهدوء النفسي والاطمئنان القلبى ، والسعادة الحقة .

المدرســـــــة :

نشأت المدرسة فى الاسلام نشوءا طبيعيا تدريجيا فكانت قليلة العدد فى بداية الأمر وما زالت تنمــو حتى أصبحت فى صدر الدولة العباسية كثيرة منتشرة فى البلدان الاسلامية انتشارا كبيرا . وقد كانت على درجات منها الكتاتيب ومنها بيت الحكمة الذى انشىء أيام الرشيد والمدارس النظامية ببغداد ودار العــلم بالقاهرة ، والبيئة الاجتماعية فى المدرسة أوسع من بيئة المنزل وأكثر تنويعــــا وذلك ضرورى لتربية الطفل حتى لا ينشأ الطفل مدللا . والمدرسة توجد توازنا فى حياة الطفل من الناحية الفردية والاجتماعية — فالمدرسة حلقة وسط بين البيئة المنزلية والمجتمع الحقيقى — والمدرسة القديمة كان المدرسون الذين يتصـــدون للتدريس فيها يمتهنون هذه المهنة عن رغبة — والمدرسة الحــديثة تعد المدرس اعدادا خاصا لمهنـــة التربيـــة .

والمدرسة عامل هام من عوامل التربية لأنها بأسلوب التربية الذى تتبعــه تؤثر فى مفاهيم التلاميذ وفى تكوين معتقداتهم كما تؤثر فى ســـلوكهم .. وعن طريق تقليدهم لأساتذتهم واستهوائهم والايحاء اليهم يستمر التأثير فى ذلك .

وقد اخذت المدرسة بذلك جزءا كبيرا من رسالة المسجد فى التربية وهى بذلك تعتبر مكملة له بما لها من امكانيات لا توجد فى المسجد وبخاصة فى عصور العلم والتكنولوجيا او هى امتداد للمسجد ولرسالته اذا كانت التربية فيها تسير على أساس العقيـــدة الاسلامية والتعـــليم يسير على أساس تحقيـــق أهداف الاســــلام .

المجتمـــــع :

المجتمع عامل هام من عوامل التربية لما له من تنوع وأثر فهو يشمل كـــل ما فى المجتمع من أصدقاءومن صحافة واذاعة مسموعة واذاعة مرئيـــة وخيالة وهيئات دينيـــة واجتماعية وغير ذلك .

والإسلام يعطي صورة لترابط المجتمع وتأثير بعضه فى بعض فى الحديث الشريف الذى يقول : (مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها اذا ما استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالــوا : انا خرقنا فــى نصيبنا خـــرقا ولم نؤذ من فوقنـــا ؟ فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعـــا .

ومن هنــا فان الاسلام يضع قاعدة للمجتمـــع تجعل كل فرد فيـــه يحس بالاحساس الكامل بالمسئولية **كلكم راع ومسئول عن رعيته)** ويفرض على كـــل مسلم ان يغير المنكر الذى يراه فى حدود استطاعته **(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان)** وهـــو بهذا يجعل المسلمين كالجســـد الواحد اذا اشتكى منه عضـــو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . .

وقد بين الرسول الكريم اثر الجليس الصالح وجليس السوء حتى يكون كل فرد على بينة من أمره فلا يصاحب الا الصديق الصالح (مثل الجليس الصالح والجليس السوء كصاحب المسك ونافخ الكير — لا يعدمك من صاحب المسك اما أن تشتريه أو تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة) ويحذر القرآن الكريم من الاطمئنان الى الظالمين **(ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير)** .

ولقد كان الجلوس فى الطرقات — وما زال — مصدرا للمشكلات الكثيرة فى المجتمع ومحكا لمستوى الأخلاق فى الأمة . ولقد نهى الرسول الكريم اصحابه عن الجلوس فى الطرقات فلما قالوا له : ان ذلك غير ممكن طلب منهم أن يؤدوا حق الطريق بحيث لايترتب على الجلوس فى الطريق أى مشكلة اجتماعية ، بل بحيث تظهر منها فوائد اجتماعية (اياكم والجلوس فى الطرقات قالوا : يا رسول الله مالنا بدمن الجلوس فيها . انما هى مجالسنا نتحدث فيها قال : فان أبيتم الا الجلوس فيها فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) .

والحوادث التى يراها الأطفال فى الخيالة وفى الاذاعة المرئية تظل فـــى ذاكرتهم مدة أطول من تلك التى يرونها عن طريق آخر — وانهم يضعون فيها ثقة اكبر مما يضعون فى المعلومات التى يحصلون عليها من طرق أخرى . وان أكثر الحقائق تذكرا تلك التى تقترن بصفة وجدانية .

ولقد كان للخيالة اثر كبير فى رفع نسبة جرائم الأطفال حين اتجهت الأفلام الى الاكثار من المناظر التى تتحدث عن الجرائم ومثل ذلك الاذاعة والصحافة فان لذلك كله أثرا كبيرا فى تربية الصغار والكبار أيضا .

هذه الأشياء التى تحدث آثارها فى المجتمع تعتبر عاملا هاما من عـــوامل التربية وعلى المجتمع أن يحيطها بالضمانات التى تكفل التأثير الحسن فى نفوس الأطفال والشباب ،وتكون عاملا طيبا من عوامل التربية فى الاسلام .

خاتمـــــــــة :

وبعد فهذه هى عوامل التربية في الاسلام وينبغي أن تسير كلها فى الطريق الذى رسمه لها الاسلام تحقق مثله وتنشر أفكاره وتطبقها على نفسها وتكون قدوة للناس جميعـــا فبذلك يسعد الفرد ويسعد المجتمع الاسلامى ويسير على هـــذا النهج من يريد أن يسعد من المجتمعات الأخرى .

سيادة الدولة أو الأمة في ظل الإسلام

للدكتور
وهبه الزحيلى

فى غرة شهر الله الحرام المحرم من كل عام إذ يسدل الستار على عام قد مضى ، وتبدأ صفحة جديدة لعام آخر من عمر الزمان قد بقى ، لا يشعر المسلم بأية حال باهتزاز فى قيم الإسلام ومبادئه وأحكامه التشريعية ، وانما يرى أنها فى نداوتها وجدتها وحيويتها ربيع يتدفق شبابه بالحيوية ، أو سلسبيل يفيض عذوبة ، أو مولود بكر يتخايل ويملأ الأفق بهجة وانتعاشا وفرحا ونضـــارة .

فالقدم لا يزرع فى رأسه الشيب ، ولا تعرض له الشيخوخة والهرم والعدم ، ولكنه يزداد بهاء وقدسية واحتراما ، واستمساكا بتلابيبه ، والتزاما لتعاليمه .
ويظل هو السيد المطاع الذى يحتكم إليه ، والميزان الحساس الدقيق الذى تقيَّم به الأعمال صغيرها وكبيرها ، فيحاول المرء العيش فى ظله ، ويعاهـــد الله على ألا يحيد عن حدوده ، ويشحن النفس بطاقة قويـــة ليكون الغـــد أو المستقبل أفضل من الماضى ، ويزداد الشعور بضرورة الالتزام الصارم كلمـــا انحدر عمر الانسان ، واتجه نحو النهاية الحتمية بيقين الصادقين ، وعزيمـــة المجاهدين الصابرين ، وتوبة الأطهار الأصفياء من عباد الله الصالحين .

إذا فتقادم الزمن لا يؤثر ولا يغير قيد أنملة فى طبيعة التشريع السماوى الخالد الذى ضمه القرآن المجيد وأبانته السنة المطهرة ، مما هو مقطوع به ،

أو له صفة الديمومة والخلود ، أو الواضع لمبدأ ثابت لا يقبل التغير والتطور فى ناموس الحياة السوية . ومن هنا ينبع احترام تشريع الإسلام ، ويزداد اعتباره ، ويقوى الاهتمام به كلما ذر شارق ، وغرب غارب ، وتوالت الشهور، وتتابعت الأعوام ، وطلعت الحياة بأنظمة ينقض بعضها بعضا ، أو تهدم نظرية علمية ما استقر فى الأذهان .

ولكن لنا أن نتساءل فى العصر الحديث حيث ازداد تدخل الدولة فى كل شىء تشريعا وتنفيذا وتخطيطا ، وأصبحت القيادة وقفا عليها ، وفتن الناس ببريق المدنية ومعطيات الديمقراطية ، وبأسطورة حق « الشعب » وكونه « مصدر السلطات » ، فى هذه الظروف الحاسمة وجب أن نتساءل : ما مدى حرية الدولة أو الأمة التى تمثلها الحكومة فى ممارسة سلطاتها على الناس ، أو بعبارة أخرى : ما هى حدود أو قيود سيادة الدولة فى ظل الإسلام ، وهل يعنى قيامها بالتشريع انفرادها بهذه السلطة ، وصم الآذان عن نداءات السماء ، وتشريعات القرآن الذى تقرع آياته صباح مساء سمع الشعوب الإسلامية ؟

إن كلمة « السيادة » اصطلاح حديث نسبيا وجد مع وجود فكرة الدولة الحديثة ، وهى صفة أو خاصية تنفرد بها السلطة السياسية فى الدولة بعد أن تكتمل أركانها الثلاثة من شعب وإقليم وهيئة حاكمة (تنظيم) ، وقد برزت فكرة السيادة بادىء ذى بدء لتسويغ إطلاق سلطة الدولة ، فلا يحد سلطانها شىء ، ثم تعرضت نظرية السيادة المطلقة فى العصر الحديث لنقد قوى جوهرى مقتضاه أنها لم تعد تتفق مع الظروف الحالية للمجتمع الدولى وحقوق وحريات الأفراد وتضامن الجماعة وتعاونها فى تحقيق حاجاتها المشتركة .

وادت هذه الانتقادات الى ضرورة تقييد السيادة فى الداخل والخارج ، ومن مظاهر السيادة فى داخل الدولة : الحرية فى اختيار النظام السياسى والاقتصادى وسن التشريعات الملائمة لفرضها على المواطنين . ومن مظاهر السيادة خارج الدولة : الحق فى إعلان الحرب وعقد المعاهدات والاستقلال السياسى .

وقد تمتعت الدولة الإسلامية منذ بدء تكوينها فى المدينة المنورة بكل مظاهر السيادة الداخلية والخارجية ضمن قيود محددة ، فكان لها سمو السلطان فى الداخل ، والاستقلال الكامل عن غيرها ، وأساس هذا الاستقلال ظاهر فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » وفى قوله عز وجل : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . وتجمع آية أخرى مظهرى السيادة معا ضمن القيود المعقولة وهى : « محمد

رسول الله ، والذين معه اشداء على الكفار ، رحماء بينهم » .

أما عن قيود السيادة فى ظل الإسلام ، فمن الخطأ الشائع إطلاق القول بأن « الأمة مصدر السلطات » إذ أن حق التشريع بالمعنى الدقيق إنما هو للشارع الحكيم وهو الله سبحانه وتعالى ، فليس لأى فرد أو جماعة سلطة التشريع أى إنشاء أحكام مبتداة أصيلة فى الدولة ، وإنما يكون الاجتهاد ، ومنه إجماع الأمة محصورا فى نطاق استلهام روح الشرع ، واستمداد الحكم المناسب لضرورات الزمان المتجددة من فحوى التشريع السماوى ، أى أن التشريع لله وليس للأمة بدليل قوله تعالى : « إن الحكم إلا لله » ، وما على الأمة إلا إطاعة أوامر الله والرسول : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » . وقد أثنى الله على الطائعين الملتزمين فقال سبحانه : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا » وقد حذر القرآن من التفكير فى الحيدة عن الوحى الإلهى ، فقال عز وجل : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما » . وقد أذعن المسلمون الأوائل لوحى السماء إذعانا كليا ، فكانوا كما حكى القرآن عنهم : « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » .

وتشدد القرآن فى هذه القضية ـ قضية طاعة الوحى ، فأنذر بالعذاب « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم » وأعلن تجرد المتنكرين لهذه الطاعة من صفة الإيمان مخاطبا من له صفة السلطة أولا : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » « فأولئك هم الظالمون » « فأولئك هم الفاسقون » (المائدة : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧) .

وفى مجال القضاء طولبت السلطة القضائية إحدى سلطات الدولة بتطبيق شرعة الله ، وخوطب الأنبياء أولا بذلك ليكونوا القدوة المتبعة لغيرهم : « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهدى فيضلك عن سبيل الله » وأمر الرسول محمد أيضا بالطاعة : « وأن أحكم بينهم بما أنزل الله » « فاحكم بينهم بالقسط » « إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس » « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » .

وأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصاياه لأمته مبدأ سيادة التشريع الإلهى مجردا عن كل لبس أو غموض : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » .

وأوضح النبى أيضا للأمة حدود طاعة أولى الأمر فيما يكفل سيادة التشريع ، فقال عليه السلام : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصيته ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » « إنما تجب الطاعة فى المعروف » وصارت القاعدة المقررة : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

وعلى هذا فالأمة مصدر السلطات فى التنفيذ واختيار الحكام ومراقبتهم ، لا فى التشريع المبتدأ ، والسيادة بهذه الحدود أو القيود تكون لمجموع الأمة أو الأفراد ، وما الحكام إلا وكلاء عن مجموع الشعب ، فهم الذين يختارون الحاكم، ولهم حق عزله من منصبه إذا خالف الشرع ، وعليهم مراقبة تصرفاته ، وهو مسئول أمام الله ، وأمام الأمة : « الإمام راع ومسئول عن رعيته » . ولا تختلف المسئولية أيا كانت صورة نظام الحكم خلافيا أم ملكيا دستوريا أم نيابيا أم رئاسيا عسكريا أو مدنيا ، والسيادة تكون مقيدة إذن بحدود الشريعة ، والدولة تتصرف ضمن مخطط التشريع الالهى ، وكل القوانين والدساتير والأنظمة الصادرة عنها ينبغى أن تكون فى إطار الشريعة ، لأن الأمة أو الدولة التى تمثلها مستخلفة عن الله فى التطبيق والتنفيذ واستلهام روح التشريع السماوى . أما معالجة الأمور الجديدة الطارئة التى لم تكن وقت نزول الوحى، فتكون بواسطة اجتهاد أولى العلم والخبرة والاختصاص وكل من تتوفر فيه أهلية الاستنباط دون اقتصار على فئة أو طبقة معينة ، وانما المطلوب توفر المقدرة والكفاءة العلمية . وتستعين الدولة بهؤلاء الذين يستنبطون الحكم الشرعى من مصادره الإلهية ، ووفق روحه التشريعية العامة ، ومراعاة وجه المصلحة والأعراف والعادات الزمنية التى لا تكون مصادمة لنص أو مبدا تشريعى . والاجتهاد حق للأمة بل واجب مفروض عليها ، إذ به يتحقق خلود الشريعة ، وتتوفر صلاحيتها المقررة لكل زمان ومكان . ومن المستبعد أو غير المقبول أن تكون مجالس الأمة أو الشعب القائمة فى دول الإسلام الحالية قادرة على الاجتهاد أو محققة له ، وإن توفر فيها بعض الأفراد المتخصصين ، لأن العبرة فى النهاية للتصويت بأغلبية الأصوات ، بقطع النظر عن كون الصوت أو الرأى نابعا من شريعة الله أو منسجما مع احكام الإسلام .

ويمكن تجلية كيفية ممارسة الدولة لسيادتها فى ظل الشريعة بالأمثلة الآتية : إن إعلان الحرب على العدو وعقد الاتفاقيات ومعاهدات الصلح أو السلام معه ينبغى أن يتجسد فيه كل مبادىء القرآن والسنة والسيرة النبوية ،

حتى يكون ذلك مشروعا . وليس العدو الذى تطبق عليه قوانين الحرب أو القتال ، والسلم أو الصلح هو الذى اغتصب أرضا أو مقدسات إسلامية ، وإنما هو الجاثم فى بلاده الأصلية ، ويبدأ المسلمين بالعدوان . لهذا يخطىء الكثيرون الذين يطبقون الآيات القرآنية الداعية الى قبول السلام على الصهاينة المحتلين لأراضينا بظروف دولية معينة ، مثل قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وكذلك القوانين الوضعية التى تجيز التعامل بالفائدة وان قلت نسبتها ، أو التى تحرم الفائدة أو الربا فى القطاع الخاص بين الأفراد ، وتجيز التعامل به فى القطاع العام أى أن الدولة لها حرية المراباة من جانبها ، عملا ببعض الاجتهادات الحديثة المنحرفة ، هذه القوانين كلها غير مشروعة لمصادمتها النصوص القرآنية القطعية التى تحرم الربا مهما كان قليلا ، فليس ذلك إذن من أعمال سيادة الدولة .

وعقد التأمين وإن اعتبر صحيحا لأنه يعتمد على دراسات اجتماعية دقيقة يقل معها احتمال الغرر أو المقامرة ، يظل غير مشروع بالنسبة للعوض المدفوع عند وقوع الضرر ، لأنه من كسب خبيث قائم على الربا .

ومظاهر الحياة الحديثة التى تجيزها الدول المعاصرة من مسارح وتمثيليات وغناء ورقص واختلاط ودور عرض الأفلام ، مهما قيل فى تسويغها من الحكومات ، تظل غالبة الضرر ، ومنافية لأخلاقية الشعب الذى ينبغى أن يتربى على الخشونة ومعرفة أسباب وفنون الحرب ، لدفع مختلف أوجه الاعتداء التى تتعرض لها الأمة الإسلامية من جميع أعدائها .

ومهما قيل بأن للحاكم تقييد المباح وتقييد الحريات من أجل الصالح العام، لا يجوز له بأية حال تعطيل واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بحجة الحفاظ على وجود الدولة والدفاع عنها .

وإذا جاز للقاضى الحكم بالظاهر دفعا للحرج ، وقطعا للخصومة وإنهاء النزاع ، فإن حكم القاضى لا يحل الحرام ، ولا يحرم الحلال ، أى أن الاعتبار الديانى يظل سائغ العمل به مع الاعتبار القضائى . وفى ذلك مراعاة لمظهر سيادة الدولة الداخلية وسيادة الشريعة أيضا ، كل فى نطاقه الخاص به دون تصادم ولا تعارض .

وإجماع الأمة أو التضامن الاجتماعى الذى يقوم عليه أساس تحديد السيادة في الاسلام ، والذي يتفق مع أمثل النظريات القانونية فى هذا الشأن

لتقييد سيادة الدولة ، لا يعنى الخروج عن سيادة الشريعة ، وانما ينبغى أن يتم اتفاق الجماعة معها ، فللشريعة الحاكمية المطلقة على تصرفات الأفراد والجماعة ، وهى التى تحدد سلفا ما يجوز من تصرفات تتفق مع فكرة التضامن الاجتماعى ، وما يتعارض معها ، وليس الأمر متروكا لمجرد شعور الجماعة أو رد الفعل الحادث فى المجتمع للحكم على تصرفات الدولة صحة أو بطلانا .

والخلاصة أن الدولة بمختلف سلطاتها التشريعية والتنفيذية والقضائية لا تملك بمقتضى خاصية السيادة المتصفة بها الخروج على أحكام الشريعة المقررة فى القرآن أو السنة الصحيحة الثابتة ، وإنما هى مقيدة بها ، وعملها قاصر على تنفيذ تلك الأحكام البينة ، وعلى الاجتهاد فيما يطرأ على المجتمع من وقائع وحوادث تتطلب حلا وفقا لمبادىء الشريعة وأحكامها العامة ومقاصدها التشريعية .

وأما الأسباب التى تجعلنا نصبر على تقييد سيادة الدولة بالقيود التى فرضتها الشريعة ذات السيادة الحقيقية والخلود ، فهى كثيرة متنوعة منها :

١ ــ إقامة التشريعات التنظيمية الصادرة من الدولة على أساس متين من الأخلاق والعقيدة والعدل والحق والمساواة بين الأفراد ، وبين الحاكمين والمحكومين على السواء .

٢ ــ تحقيق وحدة التشريع بين دول الإسلام أو اقاليمه ، والوحدة التشريعية التي يحلم بها رجال القانون والتى هى أساس الوحدة السياسية والاقتصادية لا يتوصل إليها بغير طريق شريعة الإسلام السماوية الأصل .

٣ ــ الاطمئنان الى سلامة المنطلقات التشريعية والثقة بواضعيها ، والمبادرة الى تنفيذها باعتقاد ذاتى ورقابة شخصية .

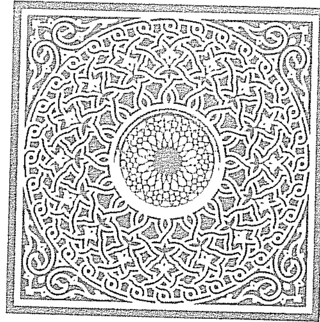
٤ ــ نشدان الكمال وتجنب أوجه النقص والعجز والقصور التى قد نجدها فى القوانين الوضعية .

٥ ــ شمول نواحي الحياة السلبية والإيجابية من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، حتى تسير الحياة سيرا صحيحا غير متعثر ، ويتم بعدها تحقيق المجتمع الفاضل . وذلك بعكس ما تقتصر عليه القوانين الوضعية من معالجة العلاقات الاجتماعية القائمة ومحاولة إقرارها ، وإن خالفت مبادىء الدين والأخلاق .

٦ ـ وفوق كل ذلك الفوز برضا الإله وبنعيم الآخرة ، وضرورة الشعور بمراقبة الله فى كل تصرف ، وخوفا من عقاب الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، وإن تم الإفلات من العقوبات الدنيوية المادية التى تمارس تنفيذها السلطات القضائية وأعوانها من رجال السلطة التنفيذية .

٧ ـ تحقيق الاستقرار التشريعى فى أصول الحياة ، ومراعاة واقع التطور والتبدل الحادث فى مصالح الناس وتهيئة كل عوامل التقدم والرقى ، ونبذ كل أوجه العجز والتخلف والركود ، إذ أن مرجع كل ما مر بالمسلمين من انحطاط وانهزام آفته الجهل بمعانى أحكام الشريعة الحقة ، ثم محاولة إلصاق الاتهام ظلما بأنها سبب هذا التخلف ، ليتم فعلا ايجاد الهوة السحيقة والفجوة البعيدة بين المسلمين ومصدر تقدمهم الفعال ، والدافع الى الحركية الدائمة التى تلحقهم بمن سبقهم الى النهضة أو تفوقهم أحيانا .

ونكرر اخيرا ما يقوله علماء الإسلام : إن على الدول الاسلامية أن تعود الى التزام شرعة الله دستورا ونظاما وقانونا وحياة اجتماعية ، فهو الشرط الأساسى والسلاح المعنوى الذى ينقصهم فى حروبهم المستمرة مع الأعداء ، فقد خاضت الدول العربية حروبا أربعة مع اسرائيل ولم يحققوا نصرا بسبب فقدانهم شرط النصر المطلوب منهم ، وإن فقده عدوهم ، فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم .



في موكب الصالحين

عبد الله بن عمر

للأستاذ محمد شوكت التونى

شجرة مباركة كانت بعض جذورها مباركة فى الجاهلية وسمق من جذعها أصل ثابت كان دعامة من الدعامات التى قامت عليها رسالة الاسلام حتى ليقال بحق إن سيدنا عمر بن الخطاب كان جزءا من الرسالة المحمدية .

انها عائلة الخطاب بن نفيل التى طابت نبتا وعظمت فروعا وصوح لها عطر ما تزال الاجواء تحمل طيبه وتتحدث عنه الاقلام والالسن ولهم فى الجنة غرفات ومقاعد صدق واكرام عند مليك مقتدر « ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .

كان الخطاب رجلا مهابا موهوبا فى الجاهلية ولئن وصفه المؤرخون ، ومنه ما أجروه على لسان سيدنا عمر من أنه كان فظا غليظا الا أن المفكر اليوم ليجزم أن صفاتا حميدة كثيرة قد انتقلت من صلبه فى دم أولاده وأحفاده وحفظت الصفات الحميدة الطيبة التى كانت من عناصر السمو الانسانى والتفوق البشرى . واهم هذه الصفات هى الشدة فى الحق حين دخل الايمان فى قلوبهم والعنف حين كانوا على جاهليتهم ، والطيبة التى جعلت منهم البكائين الرحماء . فان ما أثر عن سيدنا عمر من قوة حزم وشدة فى الحق وتمسك بأوامر الله وفناء لا نظير له فى اقامة ميزان العدل حتى لقد قتل ولديه عبد

الرحمن قطعا وعبيدالله فى رواية كما سنلمح من بعد لاقل بكثير عن مواقف خشوعه وجزعه ورحمة قلبه ، حتى لتسيل دموعه من الاشفاق على نفسه من مظنة جور أو على الناس من وطأة الفقر أو الجوع أو الظلم . والذى بدا من بعد فى عبد الله عمر وظل يتسرب من جيل لبطن حتى أنار وأضاء من شجرة مباركة زيتونة تضىء بنور الله فى قلب عمر بن عبدالعزيز سبط أمير المؤمنين سيدنا عمر .

ان هذه الشجرة الطيبة الميمونة فيها من الغصون اليانعة التى آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا ما من شأنه وعظمة قدره أن يزين أى راية وأى دين وأية ملة .

ان منها زيد بن نفيل وهو من أوائل الذين كفروا بالأصنام وآمنوا بالله وكان ذلك فى عهد الجاهلية . وما أدراك ما الجاهلية ظلام وظلم وجهل وعمى وتأخر الى حد عبادة الأصنام وقد كان أحد أربعة أدرك منهم الاسلام ورقة بن نوفل الذى طمأن الرسول الكريم حين نزل عليه الوحى ووعده بمؤازرته .

أما زيد فانه لم يلحق الاسلام ولكنه هاجر من مكة الى الشام وتنصر معرفة بالله وكانت هجرته الى الشام لا هربا من تعذيب أخيه الخطاب بن نفيل ولكن هروبا الى بقاع يعبد فيها الله ويعرف فيها الله ويذكر فيها الله .

وأن قصته مع أخيه الخطاب لتدل على مقدار صلابته فى الحق وقوة احتماله للعذاب فى سبيل العقيدة فقد كان دائم المجاهرة بكفرانه بالاصنام والاوثان ، عازفا عن عبادتها باحثا عن دين قويم ، وكان أخوه الخطاب متحمسا لدين آبائه واجداده متحزبا لعقيدة الكفر ويعتبر أن صبأ اخيه معرة لعائلته وقبيلته فكان دائم الايذاء والتعذيب له ولكن زيدا كان على التصميم والعزم أن لا يعبد الاوثان ولا يؤله الأصنام ولا يقارف الميتة والدم والذبائح التى تذبح عن الأوثان ويقول دائما : « أعبد رب ابراهيم »

وقد جاء فى القصص أن زيد بن نفيل كان اذا ما تخلص من عذاب أخيه الخطاب لجأ الى الكعبة وأسند ظهره الى جدارها وهو يقول « يا معشر قريش والذى نفس زيد بن عمر بيده ما أصبح منكم احد على دين ابراهيم غيرى » ثم يقول « اللهم لو انى أعلم اى الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه » .

ويقول ابن اسحاق أن سيدنا عمر ابن الخطاب وسعيد بن زيد قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أنستغفر لزيد بن عمرو ؟ قال « نعم . انه ليبعث أمة وحده » .

ثم يجىء الى رحابة صدر الايمان والاسلام زيد بن الخطاب وهو شقيق سيدنا عمر ولكنه كان أسبق منه الى الايمان بالله وبرسوله ورسالته بل انه كان من أوائل الاحاد الذين آمنوا

برسول الله ومن أوائل الذين هاجروا الى المدينة قبل هجرة الرسول اليها وبأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم حضر جميع الوقائع مع الرسول وكان من أعمق المسلمين ايمانا وأثبتهم على الحق جنانا ومن أعف الناس لسانا وأصدقهم اخلاصا .

وقد سبق سيدنا عمر من دوحة الخطاب سيدة من أوليات المسلمات هى فاطمة بنت الخطاب أخت سيدنا عمر أسلمت هى وزوجها سعيد بن زيد بن نفيل وكان اسلام سيدنا عمر فى دارهما التى بقى من آثارها ما يستدبره المسلمون كل يوم وهم يهرولون بين الصفا والمروة وهى مبتدأ الصفا .

وفى دار فاطمة سمع سيدنا عمر سورة طه يرتلها العبد المؤمن الصابر الصامد الذى بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة خباب بن الأرت ..

ومع سيدنا عمر واسلامه الذى اهتزت له أرجاء مكة وتنادت به رمال الصحراء وريحها وأنواؤها .. وصك آذان قريش واصطكت من هوله فرائص أهل الكفر يسلم ابنه الاكبر عبد الله بن عمر وكان صبيا .

أما الحديث عن سيدنا عمر الذى أعز الله به الاسلام ، وكان تشهده مؤذنا بارتفاع الأذان من صوت بلال قد تعالى إعلاما نورانيا سماويا يعلن أن جاء الحق وزهق الباطل لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، الله اكبر ، الله أكبر .

أما الحديث عن سيدنا عمر الذى يتمثل فيه التطبيق العملى لشريعة الاسلام وعدله والذى كان فى الحق أقسى ما يكون حتى ليصبح مضرب الأمثال وموضع إعجاب القادة والساسة من جميع الأجناس على اختلاف العصور والأجيال .

أما الحديث عن سيدنا عمر الذى خلد باسم العدل وخلد العدل مقترنا باسمه والذى قال فيه رسول ملك الروم القولة التى سارت على الايام كلما تقدم عليها الزمان تجلى ضوؤها وبهر نورها تلك قولته « حكمت فعدلت فأمنت ياعمر » ومنها نقش على جبين الحياة أن الحكم لا يرضى الله الا اذا كان عدلا فاذا كان الحاكم عادلا فقد عاش آمنا من غوائل المعتدين وأمن معه المحكومون فان الحياة بلا أمن اشد سعيرا من جهنم فاذا أمن الحاكم وأمنت الرعية فقد حق للحاكم أن ينام فى العراء بلا حراس ولا حجاب فان عين العادل الاعظم تكلؤه وحق للمحكومين أن يتمتعوا بنوم لا بغى فيه عليهم ولا عدوان .

أما الحديث عن سيدنا عمر فان الصحائف ولو كانت عدتها بالآلاف ما أحاطت بشمول شخصيته ولقد صنف المصنفون والف العاكفون على التسطير والتحبير وسيكتب الكاتبون وسوف يسطر الكاتبون ويفنى الزمان ولا تزال بقية تقال فى سيدنا عمر .

وانما نحن بصدد الحديث عن ولده عبد الله بن عمر ، ولا شك أنه كان طرازا آخر من دوحة الخطاب . وكان غصنا قويا مخضدا من الشوك صافيا للحق .

لم يكن فيه عنف الخطاب بن نفيل ولكن فيه ايمان زيد الكبير وزيد الصغير وصلابتهما فى الحق . ولم يكن فيه شدة أبيه على نفسه وآله وعلى الناس أجمعين فى تمكين الاسلام ورد المظالم وتحقيق العدالة والحكم بالقسطاس المبين . ولكن كان فيه رحمة قلب أبيه العظيم الذى كان يبكيه صياح طفل جائع . والذى قال معبرا عن شعوره بمسؤوليته كأمير

للمؤمنين فاذا قوله يصير دستورا لكل حاكم ومسؤول عن الرعية « والله لو ضاع عقال بعير فى أرض السواد (أى العراق) لسألنى الله عنه » وقوله : « والله لو عثرت شاة بأرض الفرات لسئلت عن عثرتها يوم القيامة » .

كان عبد الله بن عمر قد بلغ الثامنة من عمره عندما أسلم أبوه فأسلم هو الآخر ولزم باب رسول الله واجتاز عتبات الجامعة الكبرى جامعة محمد عليه السلام فاذا به ينمو والعلم اللدنى يزكو معه فى قلبه وروحه ونفسه وهاجر مع أبيه وهو فى العاشرة من عمره ولزم قرب النبى عليه أزكى الصلاة والسلام وحضر المواقع بعد أحد .

ويروى عن اسلامه واسلام أبيه قال رضى الله عنه (لما أسلم عمر لم تعلم قريش باسلامه فقال أى أهل مكة أنقل للحديث ؟ قيل له جميل بن معمر الجحى فخرج اليه وأنا معه أتبع أثره — ولعله كان يدرى أنه انما يتبع النور ويمشى فى طريق النجاة ويسلك سبيل الفائزين بالجنة ثم يتابع قوله — وكنت غلاما أعقل ما أرى وما أسمع فأتى جميل بن معمر فقال : يا جميل انى أسلمت ، فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام يجر رداءه وتبعه عمر واتبعت أبى حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : « يا معشر قريش » وكانوا فى أنديتهم وسوامرهم حول الكعبة « الا ان عمر بن الخطاب قد صبأ » .

وكان عمر يقول من خلفه بصوت أعلى من صوته :

« كذب ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله » فثاروا عليه فوثب عمر على عتبة بن ربيعة فبرك عليه وجعل يضربه وأدخل اصبعيه فى عينيه فجعل عتبة يصيح فتنحى الناس عنه فقام عمر فجعل لا يدنو منه أحد الا أخذ شريف من دنا منه حتى أحجم الناس عنه » .

وفى هذه اللحظة ولد عبد الله المسلم المؤمن ودلف الى قربة رسول الله يغترف من علمه وقد فتح الله بصيرته للايمان ومشى نور الايمان بين يديه .

وظل ملازما لسيد الخلق ، والمعلم الاول والاخير يتلقى عنه العلم ويحفظ عنه الحديث وأصدق الاقوال فمن ثبت الثقاة أن عبد الله بن عمر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ألفا وستمائة وثلاثين حديثا ولم يزد عنه فى رواية الحديث الا أبو هريرة وعبد الله بن مسعود .

ومن المسلم بين المحدثين ورواة الحديث ومدونيه وباحثيه ان الحديث اذا انتهى الى عبد الله بن عمر فقد صلح سنده واحتج به .

ولقد وصفه أبو جعفر فيما روى صاحب الطبقات (ابن سعد) انه قال (لم يكن أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أحذر الا يزيد فيه قولا ولا ينقص منه ولا « من عبد الله بن عمر بن الخطاب » .

وظل على حاله من تتبع الدرر المحكمات التى هى من الوحى تنثر من فم الرسول الامين الذى وصفه ربه بأنه « ما ينطق عن الهوى » فاذا أذن الزمان يتلقفها فينثرها بدوره على الخلق وعلى الاجيال حتى يرث الله الارض ومن عليها نورا يهدى الى الحق ويضمن سعادة الدارين ويؤلف بين الخلق ويساوى الناس لا يتفاوتون الا بالتقوى يضمن الحرية والعدل والمساواة والايمان وينهى عن الظلم والعبودية والتعالى والتعاظم ويؤسس على الرحمة والمودة المجتمع فالدول فالانسانية .

وكان من حظ عبد الله عند الخالق ان جعله من خزنة نور النبوة ومن رواة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالد قوله وما أوتي من الناس مثل هذا الحظ الا القليل « وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

وبعد أن قبض الرسول ولحق بالرفيق الأعلى لم يتجه عبد الله بن عمر الى أية ناحية من نواحي النشاط السياسى أو الحربى أو الدينى كالفتيا أو القضاء ولم تدفعه نفسه الى اكتساب الرزق عن طريق المتاجرة ، ولكنه آثر أن يعيش مع النبى محمد عليه صلوات الله يضرب فى الارض حيث كانت تطأ قدما محمد عليه السلام وحيث بقى عبير انفاسه المحملة بأطهر النفحات اللدنية المحملة بأنقى العطور الالهية .. كان يرتاد الوديان والبطاح التى شرفت برسول الله الامين ويصلى حيث سار الحبيب ويركع حيث وقف ويسجد حيث رقد وكلما ذكر شجرة استراح تحتها الرسول الكريم وأظله منها ظل وارف وهو المحمى بظل الله موقى من كل شر بأستار العرش وعنايته وكلاءته هام عبد الله فى هذه الشجرة يصلى تحت غصونها وفوق ترابها الذى حال مسكا من أثر الرسول أياما وليالى .

وهو فى بيوت الله وفى سامر المؤمنين يحدث السامعين بأحاديث الرسول وهو لا يعلم وقتئذ انه إنما يسمع القرون والاجيال والآباء وهو كما وصفه أبو جعفر أكثر الناس حرصا على أن لا يزيد أو ينقص من قول سمعته من فم الطاهر المطهر .

وانزوى عبد الله فى أيام أبيه فهو لا يبدو نور الكتب والمؤرخين الا حين يكون الورع والجد وتنفيذ شرع الله .

فها هو عمر أمير المؤمنين ومن وهبه الله بسطة من الهيبة حتى لقد كان يفزع منه ومن شدته وبطشه كبراء أهل الشرك ويخافه المؤمنون — اخوته فى الله وأحباؤه فى دين الله — وهو الذى يدخل على سيد الخلق فاذا امهات المؤمنين يتصايحن طمعا فى لين الرسول الكريم ورحمته وعذوبة شيمه وسجاياه حتى اذا ما ابصرن بعمر امسكن عن الصياح .. فزجرهن وهو يكاد يبطش بهن وهو يصيح : الا تخافن رسول الله وتخشينني ؟ ... والله انها لكبيرة .

وهو المسلم الوحيد الذى جاهر بهجرته عندما اعتزمها متقدما رسول الله وصاحبه الى المدينة فقد خرج متشحا سيفه ورمحه وطاف بالبيت مجاهرا بالهجرة وكانت عند المشركين جريمة يقتص من صاحبها فما نبت شفة ولا رفعت يد باشارة استنكار الا رفعها بسيف أو رمح .

ها هو عمر وهذا حاله الذى عرفه عنه القاصى والدانى منذ فجر الاسلام الى يوم الدينونة يقف فى المسجد خطيبا فيعترضه أعرابى وهو يقول : « مالك علينا طاعة يا عمر » .

ويفزع عمر من قولة الاعرابى الأشعث الأغبر الذى لا حول له ولا طول الا خشية الله ويسأله عما جعله يخلع عنه طاعة أمير المؤمنين فيرد عليه الأعرابى بشجاعة المسلم المؤمن الذى لا يخاف الا الله والذى يواجه بقوله الحق أمير المؤمنين وهو يوقن « ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار » .

« لقد أعطيت كلا منا ثوبا وجعلت لنفسك ثوبين » .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يضع على جسده الكريم الذى بشر بالجنة وطوق بورودها ورياضها وزحزح من أول يوم فى اسلامه عن النار ولهبها ولظاها المستعر — كان سيدنا عمر بالفعل يضع ثوبين .

وكان يكفى أن ينطق سيدنا عمر بكلمة فيصدقه الخلق جميعا فما عهد

الناس فيه الا الصدق وشجاعة الرأى ولكنه أشهد على نفسه فنادى عبد الله بن عمر وهو يصيح :

« تكلم يا عبد الله بن عمر »

وقام عبد الله الورع التقى وهو مشفق من حال أبيه والاعرابى يسائله عن النصفة والعدل يقول :

« لقد رأيت القميص الذى ناله ابى قصيرا فأعطيته قميصى يسبل عليه» .

وصمت عبد الله لكى يتحدث التاريخ فلا يسمع فى علو صوت التاريخ قولة الاعرابى :

« الآن وجبت علينا طاعتك »

نعم لقد رأى الابن المطيع الشفوق اباه أمير المؤمنين وقد وقع فى نصيبه — دون انتقاء ولا اختيار — قميص قصير يشمر عن ساقيه ولا يكاد يغطى ركبتيه فلم يعجب من زهد أبيه وعدله فانه قد ربى فى حجر الرسول أمين العدل والزهد وسيد العادلين الزاهدين ولكنه ارتجف اشفاقا من حال أبيه وهو يرأس القوم ويقابل رسل الملوك والاباطرة فضحى من اجله بثوبه .

وتغفو عين التاريخ عن عبد الله ثم ترفع جفونها عنه وقد رأى سيدنا عمر أن أمير مصر سيدنا عمرو ابن العاص قد جامله فى حق الله فاصطنع الحد على ابنه عبد الرحمن ابن عمر حين اعترف له بشرب الخمر فسخط على سيدنا عمرو وبعث يستقدم ابنه على قتب أى مقيد على راحلة ولم يأتمن على تنفيذ أمره الا عبد الله بن عمر فأرسله برسالته واستقدمه بأخيه وبقدر ما عانى أمير المؤمنين من اشفاق على ابنه وهو يقيم عليه الحد والناس يتصايحون من حوله « انك يا عمر تقيم عليه حدين » وهو يصيح فيهم « ومن يجيرنى من عقاب الله » قاسى عبد الله وهو يعود — بأخيه من مصر الى أرض الحجاز مقيدا موثوق القدمين وموثوق النفس عن الضراعة والتشفع وأخوه الاكبر العطوف الرقيق لا يفكر فى مخالفة الأمر لا أمر أبيه ولكن أمر الله بالحد . وهو لا يخشى أمير المؤمنين وانما يخشى الله ، ولكنه لا جدال قد اصطرع حسه وشعوره مع يقينه على طول الطريق .

ثم تبطىء انباؤه عن التاريخ حتى يظهر عند فاجعة مصرع أبيه العظيم وقد ناله مجوسى بطعنات قاتلات واذا بعبد الله فى جوار الجريح العادل الخالد يأمره بما يصنع به وبقاتله وبالناس فيطيع وينفذ وهو أرضى ما يكون نفسا بقضاء الله وأهدأ ما يكون جنانا بقدر الله شره كخيره بينما ثار أخوه عبيد الله بن عمر وسار فى المدينة يقتل فى الاغراب من الفرس والمجوس فقتل الهرمزان وجفنية وابنة صغيرة لأبى لؤلؤة ولولا أن اجتمع عليه المهاجرون والانصار لفتك بهم فتكا ذريعا .

أما عبد الله فقد لازم اباه يستحضر له المداوين والدواء ثم يسأله سيدنا عمر عن الكتفة التى كتب فيها اجتهاده فى توريث الجد ليمحو ما كتب ويسارع اليه بها .

ثم اذا جاء موعد الشورى وقد استخلص أمير المؤمنين ستة من صحابة الرسول وهناك رواية تروى عن رفض سيدنا عمر أن يجعل بينهم عبد الله وهناك رواية تروى أن عبد الله قد رفض الخلافة بعد أبيه وكلا الروايتين تدلان على مقدار عظمة عبد الله ونظرة المسلمين له حتى يرغب بعضهم فى استخلافه وحده أو كواحد من ستة ولكن المقطوع به أن سيدنا عمر لكى يطمئن على حسن سير الشورى بين الستة الكبار الصالحين أمر أن يدخل معهم عبدالله ولا يكون له فيها إلا حق الرأى

وليس له الترشيح .

وعندما تاقت نفس الراحل العظيم إلى أن يدفن بجوار سيده وسيد خلق الله وجوار صديقه وصديق النبي وصديق المسلمين حتى تقوم الساعة بعث بعبد الله الى أم المؤمنين السيدة عائشة وجاء بردها الى أبيه مبشرا .

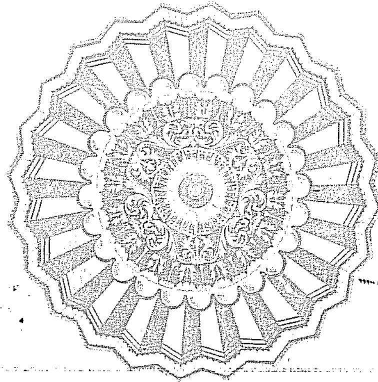
والقى إليه القول عندما أراد أمير المؤمنين أن يستن للموتى فقال له موصيا (اقصدوا فى كفنى فانه ان يكن لى عند الله خير ابدلنى خيرا منه وان كنت على غير ذلك سلبنى فأسرع سلبى واقصدوا فى حفرتى ولا تخرجن معى امرأة ولا تزكونى بما ليس فى فان الله هو أعلم بى واذا خرجتم بى فاسرعوا فى المشى فانه ان يكن لى عندالله خير قدمتمونى الى ما هو خير لى وان كنت على غير ذلك كنتم قد القيتم عن رقابكم شرا تحملونه » .

وكان عبد الله يوسد رأس ابيه فخذه فقال له سيدنا عمر « ضع خدى على الأرض ... ويلى وويل أمى ان لم يغفر الله لى » .

. . . .

هذا هو عبد الله بن عمر واحد من دوحة الخطاب التى شرفت بعمر وبحفصة أم المؤمنين وعبد الله بن عمر وزيد بن الخطاب وفاطمة بنت الخطاب ثم سار عنصرها الطيب فأخرج بعد حين خامس الخلفاء الراشدين « عمر بن عبد العزيز » .

لقد أسدلت عظمة سيدنا عمر سترا ان لم يكن كثيفا فهو ثقيل على آل الخطاب وانهم لسادة وقدوة ومصابيح هدى ... رضى الله عنهم وأرضاهم ونفعنا ببركاتهم — آمين .



من أحمد بن تيمية
إلى الوالدة السعيدة

(كان الإمام ابن تيمية سجينا في مصر وقـــد أرسل الى والدته فى الشام هذه الرسالـــة

(من احمد بن تيمية الى الوالدة السعيدة اقر الله عينها بنعمــــه ، واسبغ عليها جزيل كرمه ، وجعلها من خيار إمائه وخدمه ، سلام عليكم ورحمة اللـــه وبركاته — فإنا نحمد إليكم الله الذى لا إله الا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شىء قدير . ونسأله أن يصلى على خاتم النبيين وامام المتقيــن ، محمد عبــده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما .

كتابى اليكم عن نعم من الله عظيمة ، ومنن كريمة ، وآلاء جسيمة ، نشكر الله عليها ونسأله المزيد من فضله . ونعم الله كلما جاءت فى نمو وازدياد ، وأياديه جلت عن التعداد . وتعلمون أن مقامنا الساعة فى هذه البــلاد إنما هو لأمــور ضرورية متى اهملناها فسد علينا امر الدين والدنيا . ولسنا والله مختارين للبعد عنكم ، ولو حملتنا الطيور لسرنا اليكم ، ولكن الغائب عذره معه ، وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور فانكم — ولله الحمد — ما تختارون الساعة الا ذلك ، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهرا واحدا ، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم، وادعو لنا بالخيرة . فنسأل الله العظيم أن يخير لنا ولكم وللمسلمين ما فيه الخيرة فى خير وعافيـــة .

ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة والهداية والبركة ما لم يكن يخطر بالبال ولا يــدور فى الخيال ، ونحن فــى كل وقت مهمومون بالســـفر ، مستخيرون الله سبحانه وتعالى ، فلا يظن الظان انا نؤثر على قربكم شيئا مــن أمور الدنيا قط ، بل ولا نؤثرمن أمور الدين ما يكون قربكم أرجح منه ، ولكن ثم أمور كبار نخاف للضرر الخاص والعام من إهمالها ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب .

والمطلوب كثرة الدعاء بالخيرة ، فان الله يعلم ولا نعلم ، ويقدر ولا نقــدر ، وهو علام الغيوب . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم (من سعادة ابــن آدم استخارته الله ورضاه بما يقسم الله له ، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله وسخطه بما يقسم الله له) ، والتاجر يكون مسافرا فيخاف ضيــاع بعض مالــه فيحتاج ان يقيم حتى يستوفيه . وما نحن فيه أمر يجل عن الوصف ولا حول ولا قوة الا بالله ، والسلام عليكم ورحمةالله وبركاته كثيرا كثيرا ، وعلى سائر من البيت من الكبار والصغار ، وسائر الجيران والأهل والأصحاب واحدا واحدا ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

مائدة القارئ

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »
(قرآن كريم)

(من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا) .

رواه الطبراني

فلسطين صح
الشرق الأوسط خطأ

حرص أعداء العرب ، على طمس اسم فلسطين فى كل ما ينشر ويذاع ، ويكتب ويقرأ ، وهدتهم حيلتهم الشيطانية ، الى تسمية هذه المشكلة التعسة باسم مشكلة الشرق الأوسط فتجرعنا سمومهم ، برضا نفس ، وطواعية فاختفى اسم فلسطين من الخطب الرنانة والاذاعات التى تصابح الناس وتماسيهم فى حين بقيت جميع مشكلات العالم باسمها ، فيتنام ، وحربها تسمى فيتنام ، ومشكلة برلين تسمى باسمها ، ومشكلة أرلندا تسمى باسمها ، حتى مشكلة ايسلندا والصراع على السمك حملت اسم الدولة الصغيرة التى تكافح من أجل رزقها ورزق أولادها .

العمل سر الحياة

حكى احد العلماء عن نفسه قال : كنت مغرما فى طفولتى بجمع شرانق الفراش ومراقبة خروج الفراشة منها فى الربيع ، وكان جهادها فى التخلص من سجنها يثير عطفى دائما ، وانى والدى بمقص واعمله فى غلاف الحرير المطبق على الفراشة وساعدها على الخلاص ، ولكنها ما لبثت قليلا حتى ماتت ، عندئذ قال ابى : يا بنى الجهد الذى تبذله الفراشة لتخرج من الشرنقة يخرج السم من جسمها ، واذا لم يخرج هذا السم ماتت الفراشة .

وكذلك الناس اذا جهدوا فى الحياة زادوا قوة وعزما .

وشهد شاهد

وراء كل حجر ثعبان يهودى .
تحت كل شجرة دودة يهودية .
وراء كل طريق عود كبريت يهودى
وراء كل مرض ميكروب يهودى
انهم المرض والدمار لكل البشرية .

الفيلسوف الالمانى
تريتشكه

الأنبياء والرسل

فى القرآن الكريم

ذكر الله عز وجل فى كتابه طائفة من الأنبياء ، ولم يذكر جميع الأنبياء والمرسلين . قال تعالى : « ورسلا قد قصصنا عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » .

وهؤلاء الأنبياء الذين ذكرهم الله فى كتابه خمسة وعشرون نبيا : منهم ثمانية عشر فى أربع آيات متتالية من سورة الأنعام وهى قوله تعالى : « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء أن ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » .

والسبعة الآخرون هم آدم وادريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين .

حقوق المرأة

جاءت أسماء بنت يزيد الانصارية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت :

بأبى أنت وأمى يا رسول الله . انا وافدة النساء اليك . ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك وبالهك . انا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وانكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وافضل ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم اموالكم ، وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم أفنشاركم فى هذا الأجر والخير ؟

فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجهه كله ثم قال :

هل سمعتم مسألة امرأة قط احسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه ؟

فقالوا : يا رسول الله .. ما ظننا أن امرأة تهتدى الى مثل هذا .

فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم اليها فقال لها :

افهمى أيتها المرأة ، واعلمى من خلفك من النساء ، أن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله .

قصـــــة

الركب

للأستاذ
محمد المجذوب

كان أبو سفيان بن مالك بن جعشم على ثقة من أنه في الطريق الـذي وصف له ، فهو يتلفت يمنة ويسرة ، ويصعد بصره ويصوبه ، ويرسلـه بعيدا فى ثنايا الغبار ، والذى تقذف به الصحراء من خلال الجبـال الذاهبة الى الاعالى فى حركة شبه لولبية ، وحينا ينحدر عن فرسـه الكميت فى رشاقة النمر ، لينعـم النظر فـى آثار المناسم التى طبعتها الابل على صفحة الرمل .. كأنـه يستنطقها عن ضالة وقف نفسه على نشدانها ، ثم لا يلبث أن يقفز الـى قربوسه مستأنفا مسيرته اللغوب ..

ويغيب الفارس الاسمر أثناء ذلك في تصورات غير محدودة تشد بخياله الى آفاق لا يرغب فى فراقها ، ولا

يريد أن ييأس من ملاقاتها على صعيد الواقع .. أنه ليردد على نفسه خبر الجائزة الكبرى التى اعلنتها قريش لكل من يرد عليها غريمها وصديقه حيين أو ميتين .. مئتى ناقة .. أجل مئتى ناقة . وانها لثروة تتجاوز نطاق الاحلام فى هذه البادية التى تكاد تكون عارية ، الا قليلا من طوائف النخيل منثورة هنا وهناك تخضر حينا وتيبس أحيانا ، والا نتفا موزعة خلال الاودية- من أشجار الضال والسلم ، تنتابها غرائب الابل ، وهزالى المعزى ، تتغذى من أطرافها أو تستظل بها فى حمارة القيظ المحرق مع رعايتها من الصبيان والصبيات ، على مشارف الاحياء العابرة ، أو القريات المستقرة .. وبالها ثروة لن تكلفه — اذا قدرت له — سوى اليسير من الجهد ، الذى هو أبدا على أتم الاهبة للقيام باضعافه فى الاغارات القبلية ، التى لا تخلو منها أيام الناس ولياليهم فى هذه الصحراء الرهيبة ..

وأنه ليتذكر ، وهو يطلق بصره الحاد فى ثنايا العجاج ، ويشد جانب خماره على نصف وجهه الاسفل ، ليقى فمه وأنفه دفقات الغبار .. يتذكر تلك اللحظة التى وافى بها نسيبه الدلجى نادى قومه بكرة اليوم، ليقص عليهم خبر الركب الذى لمحه فى هذه البقعة من أرجاء (قديد) متوقعا أن يكونا هم الضالة التى تنشدها قريش . ويعز على ابن مالك أن يشركه بهذه الغنيمة أحد ، بعد أن قضى الأيام ، وهو يتنسم أخبارها ... فيومىء لابن عمه بعينيه أن اسكت ، ثم عقب على خبره بقوله : إنما هم بنو فلان يبتغون ضائعة لهم .. ثم لم يكد يطمئن الى انصراف أذهان الحضور عن بغيته حتى نهض متثائبا ليمضى الى سرادقه ، فيامر بسلاحه فيخرج له من مؤخر حجرته ، ثم يلبس عدة القتال ويأخذ سهامه التى يستنبئها عن الغيب ، فيستقسم بها يريد استطلاع حظه قبل الانطلاق .. ولكن الطالع لم يكن على ما يريد ، اذ خرج له السهم الذى لا يبشر بالنجاح .. وكان عليه أن يعدل عن خطته لو أطاع أعراف الناس ، ولكن الشره الى النياق قد حفزه على خلافها ... ومن أجل ذلك يواصل سبيله مغذا المسير ، لا يلوى على شواغله القلبية التى لا تنفك تهيب به أن يعود ..

وفجاة عثر الكميت بفارسه الأسمر ، فلم يستطع التماسك فوقه ، فاذا هو ينزلق من على رقبته فيكاد

المبارك

يكب على وجهه ، لولا دفعه الأرض بيديه .. وعاد الى قداحه يستوضحها السر ، فاذا السهم الزاجر نفسه يواجه عينيه بما يكره .. ومع ذلك لم يجد لديه القدرة على استجابته ، والفى نفسه عائدا الى صهوة فرسه هامزا إياه ، يريد منه مزيدا من السير يشغله عن أوامر السهم الزاجر ..

بيد أنه سرعان ما عوجل بعثرة ثانية قذفت به الى الثرى بأشد من المرة السابقة . وراح يغالط نفسه ، ويحاول اقناعها بكل تفسير يصرفها عن الواقع . وفي عفوية صرفة تمتد يده الى جراب القداح ، فيخرجها ثم يستخرج أحدها ، فاذا هو هو ذلك النذير الكريه !. ويرد القدح الى مكانه ثم يعلو متن فرسه ويهمز جانبيه بعصبية ، فيندفع على وجهه مهتديا بظل الرمح المحتد بين أذنيه ، وهو يضرب الحصى بحوافره فتتطاير في كل اتجاه ، ويرسل الزفير من منخريه الواسعين ، يحمل هدير جوفه كضوضاء القربة الكبيرة حين يضطرب بها ظهر البعير ..

ويستأنف الفارس الأسمر تصوراته دون ارادة منه .. ويكاد يذهل عما حوله .. وبغتة يرى نفسه غارقا في شأن الرجل الذي هو في طلبه .. ويسأل نفسه : أليست مغامرة جنونية أن أتبعهم وحدي ، وكان في وسعي أن أستعين ببضعة رجال من خاصة أهلي !؟ حقا .. ان مثلي لا يبالي كثرة العدو ، ولكن .. هؤلاء المهاجرون وطنهم وأهليهم نجاة بأنفسهم وحريتهم ليسوا كأولئك الذين نلقاهم في غزواتنا الأخرى .. انهم أبعد من أن يستسلموا دون قتال تشيب من هوله نواصي الأطفال .. وتتفتق ذاكرته عن روائع الأنباء التي تتناقلها البادية عن محمد وصحبه .. هذا القرشي المطارد .. أليس هو

صفوة قريش كلها .. فلِمَ يغادرُ مكة فرارا من إيذائها ؟؟ ان ألسنة الرواة لتجمع على أن الرجل أعجوبة البشر في سمو الأخلاق ، وفي صدق المعاملة .. وفي التزام جانب البر .. فعلام كل هذا التنكر له .. وفيم يستبيح قومه العدوان عليه ؟. ويتذكر بدقة ما يقوله أولئك الرواة من البدو المترددين على مكة .. انهم يؤكدون فضائله ، ويلحون على التنويه بمناقبه التي لا يملك أعداؤه جحودا لها ، حتى ليسمونه فيما بينهم الصادق والأمين .. وكل ذنبه أنه يدعوهم الى مثل فضائله ، فلا يعدو قوي على ضعيف ، ولا يطغى غني على فقير . وأنهم ليسمعون بعض هذا في مواعظ أولئك الحنفاء ، الذين هجروا تقاليد الجاهلية ، وراحوا يضربون في الأرض بحثا عن ملة ابراهيم ، فلا يناكرونهم ، ولا يتنكرون لهم ، بل يصغون اليهم في أناة وتقدير .. فلم يخصون هذا القريشي وحده بالجفاء والعنف والمطاردة والايذاء ؟..

ويرجع الفكر في آخر ما تلقاه عن دعوة الرجل .. فيتذكر أنه يدعو الى دين من شأنه ــ لو استجيب له ــ أن يغير حياة قريش ، بل حياة الناس كلهم في هذه الجزيرة .. دين يسفه أحلامهم ، ويحطم أوثانهم ، ويهبط بصناديد قريش وذوائب مضر الى مستوى عُبدانهم ، حتى لا يرتفع أحد على آخر الا بقدر التزامه لمعالم هذا الدين .. وليس هذا فحسب .. بل انه ليجتذب اليه الانصار من كل ضعيف ومظلوم وذي تطلع الى تغيير الواقع الجاهلي ، فيتفانون في حبه ، ويعرِّضون نحورهم لكل ألوان العذاب في طاعته .. حتى أن أحدهم ــ رجلا أو امرأة ــ ليتقبل الموت مبتسما ما دام ذلك مؤديا الى مرضاته ..

أفيكون ذلك هو السبب المباشر لكل هذا العداء الرهيب !.. وخيل للفارس الأسمر أنه قد وجد فى هذا التعليل ما تسَوَّغ به قريش مطاردتها لصاحبها ، وتصميمها على وقف دعوته ، ما دام هذا هو السبيل الوحيدة لاستبقاء سيادتهم على المجتمع المكى ، والحفاظ على مصالحهم التى تهددها دعوة محمد !.

غير أنه لم يلبث أن هز رأسه بقوة ، كأنما يريد أن يطرد منه ذلك الضرب من التفكير الذى لم يزاول مثله من قبل .. وراح يهمس لنفسه : مالى وللتنقيب عن أسرار الناس .. وحسبى من الأمر هذه الثروة الكبيرة التى رصدتها قريش تمناً لغريمها .. انها مئتا ناقة ... مئتا ناقة !.. وأنها لتستحق منى القيام بأكثر من هذه المغامرة ..

ودق جانبى الفرس بمؤخر قدميه ، فراح يسبح فوق الرمل بأقصى ما تمكّن له طبيعة الأرض الهشة من الإسراع .. وفى الوقت نفسه تحرك عدد من الزوابع الترابية ، متجها الى الاعالى وهو يلملم الحصى والهشيم وفتات السلم ، ليقذفها بوجهه ووجه فرسه ...

وتتتالى صفعات الزوابع على محيا الفارس شديدة مدوية دون أن يستطيع اتقاءها بغير هذا اللثام الذى أحاط به وجهه وغطى ببعضه احدى عينيه ، اللتين شحنتا بالأتربة .. ثم لم يلبث أن جمد بفرسه مضطرا ، وهبط عنه ليلوذ بجانبه ريثما تهدأ العواصف ...

وفرك مقلتيه مليا ، ثم أطلق بصره يتبين موضعه ، فاذا هو براحلتين يرفعهما السراب فى أقصى الشعاب وقد علاهما عدد من الشخوص لم يستطع احصاءهم أول الأمر ، ثم اتضح له أنهم أربعة رجال .. فلم يتردد فى الحكم بأنهم مطلوبه الذى خرج له . وبأقصى قوته تسلق متن الفرس ، وجعل يخزه ليضاعف من قدرة انطلاقه .. وما هى الا لحظات حتى كان على مرمى السهم من الركب، وقد أمسك برمحه يهزه ليستوثق من صلاحيته ، وأعد نفسه لكل احتمال .. غير أنه سرعان ما وجد نفسه مطروحا على وجهه ، اذ ذهبت يدا فرسه فى الأرض ، ثم ما لبث أن انتزعهما بعد الأى ، فاذا الغبار يتصاعد وراءهما كأنه سحابة من الدخان يضربها الأعصار ...

ولبث أبو سفيان هنيهة ينفض وجهه ويديه وثيابه ، ويتلمس جسمه كأنه يبغى التيقن من سلامته .. ثم أطرق يفكر ..

لم يمد يده هذه المرة الى جراب الأزلام ، لأنه فرغ من الحاجة اليها ، وخمدت سورة المطامع فى صدره ، فلم يعد راغبا فى التطلع نحوها .. لقد رجع الى نفسه يتأمل ويتمتم : حتام تغالب يا سراقة القدر !.. ألم يكن لك أن تدرك أن الرجل محفوظ .. وألا سبيل لبشر عليه ! ..

وفى استسلام عميق الى الواقع جعل ينادى : أنا سراقة بن جعشم . انظرونى أكلمكم ، فوالله لا أريبكم ، ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه ..

ويقف الركب ، ويسمع سراقة صوت أحدهم يقول لرفيق له على الراحلة الأخرى ، دون أن يصرف نظره عن وجهته : قل له : وما تبغى منا ؟..

ولم تخطىء فراسة الفارس المدلجى ، اذ أدرك لفوره أنه أمام

الرجل الذى ملأ نبؤه العظيم أرجاء هذه الجزيرة ، وانتشر فتاكها ينفضون هذه البقاع بحثا عنآثاره .. وشعر بقوة خفية لاذ"ة تشده الى صاحب ذلك الصوت ، الذى حرك كل طاقة حية من عقله وقلبه ، ومد بصره الى وجهه ، يريد أن يستشف الأسرار التى بها استطاع أن يزلزل كبرياء قريش ، فيدفعها الى التذرع بكل الوسائل الممكنة للقضاء عليه ، ولوقف تأثيره العجيب على القلوب .. وكأن مهابة محمد قد كسرت بصره فلم يطق مواجهتها ، ومضى يتكلم وهو نصف مطرق : أن قومك قد جعلوا فى كل منك ومن رفيقك مئة ناقة لمن يردكما عليها .. وقد انبعثت ذئاب البادية تنشد أثركما فى كل مكان رغبة فى نوال الديتين .. ولكنى أيقنت أن الله مانعك وناصرك ، فلكم على أن احفظ غيبكم وأرد عنكم الطلب .. وأن أزودكم بما يعوزكم فى هذه الرحلة ، فاكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك .. ومرنى بما شئت.

وسر رسول الله بما سمع من سراقة فدعا له بخير ، ولم يرزأه شيئا ، والتفت الى صديقه يقول : اكتب له يا أبا بكر ..

وتناول الفارس المدلجى العظم المكتوب بكلتا يديه ، وفى حرص كبير دسه فى أعماق كنانته ، ثم عاد أدراجه ليكف الطلب عن الركب ، فلا يلقى باغيا له الا رده قائلا : لقد كفيتكم هذا الجانب ، فانشدوا غرضكم فى سواه .

ويتذكر سراقة طاغوت مكة أبا الحكم ابن هشام وهو يحرضه على ملاحقة محمد .. ثم يتصوره وهو يتلقاه باللوم على تهاونه فى شأنه بعد لقائه ، فلا يتمالك أن يرد على لومه من وراء الصحراء بذلك الحداء ، الذى ما لبث أن مازج نفس فرسه فراح يتراقص تحته فى نشاط يترجم عن مشاركة عاطفية لا يعرف كيف يصفها :

أبا حكم . والله لو كنت شاهدا
لأمر جوادى اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه !
عليك بكف القوم عنه فاننى
أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم
بأن جميع الناس طرا يسالمه

وتموج البادية بأنباء الأحداث الجديدة ، التى فجرتها دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وتتتبع القبائل أخبار الوقائع التى تكاد تغير وجه الجزيرة وتغير معه حياتهم نفسها بين يوم ويوم ! ..

لقد حققت هذه الدعوة من القوة خلال سنوات ثمان ما لم يخطر فى بال أحد من سكان هذه البادية .. فانتصار فى بدر يستأصل سدنة الوثنية فى مكة بل فى جزيرة العرب كلها ، وصمود فى أحد يحطم آمال الخصوم فى صد السيل الدافق من روافد هذا الدين الذى لا يقهر ، وتضعضع رهيب فى صفوف الأحزاب من قريش وغطفان ، يقضى على كل تفكير بغزو يثرب فى المستقبل ، بعد الاخفاق الذى أصابهم يوم الخندق .. وفوق ذلك تدمير لقوة يهود جميعا لا فى المدينة وحدها فحسب ، بل فى كل بقعة يحتلها هؤلاء الدخلاء فى خيبر ووادى القرى وتيماء ..

وكانت ذروة الأحداث خضوع مكة نفسها لسلطان محمد ، إذ انكسرت بفتحها شوكة كل معارضة لدعوته فى هذه الجزيرة ...

ولقد كانت القبائل ، حتى قبيل فتح مكة ، تتردد متتبعةً حركة الصراع بينها وبين المدينة ، أما الآن ، وقد أعلنت قريش كلها اسلامها وبيعتها لهذا الصادق الأمين ، فلم يبق أمام هذه القبائل سوى الدخول فى ما دخلت فيه قريش ، أو القيام يدا واحدة للدفاع عن بقية الوثنية التى لا تربطهم بها وشيجة سوى تقليد الآباء ، الذين أورثوهم تقديس هذه الحجارة ، دون أن يسمحوا لأنفسهم بالتفكير فى قيمتها ..

ولا جرم أن اتفاق القبائل فى ما بينها على حماية الوثنية أحد المحالات التى لا سبيل الى تصورها فضلا عن تحققها .. فلم يبق الا الطريق الأول .. وهو الذى قد شرع في سلوكه الكثير من وفود القبائل .. واذا كان ذلك هو الاتجاه السليم بالنسبة الى كل أولئك المتربصين فى هذه البادية ، فهو بالنسبة الى سراقة ابن جعشم أكثر سلامة وأحكم خطة ... لأنه قد أتيح له أن يرى ويلمس من براهين الله فى ذلك الداعى الأمين ما لم يقيض لغيره .. ومع ذلك فقد انتظر أكثر مما يجب أن ينتظر ، وتحقق من الأحداث خلال هذا الانتظار أكثر مما كان يتوقع .. فإلام هذا التردد .. والى متى يمتد هذا الانتظار ؟ ..

ويرف الشعور القديم فى قلب سراقة .. فتعاوده أطياف اللحظات السعيدة ، التى عاشها ساعة واجه الركب المبارك فى أطراف (قديد) ويتذكر ما لم يكن قد نسيه قط من روعة ذلك الموقف ، وكأنه يلمح من جديد تلك الطلعة المشرقة ويسبح كرة أخرى فى جو تلك المهابة التى لا يثبت أمامها القلب ولا البصر ...

وكأن يدا خفية انتزعته من فراشه ثم دفعته دفعا الى متاعه وفرسه ، ثم مضت به تسوقه فى رضى عميق نحو الجهة التى يشير اليها قلبه ، الذى كان يخفق بقوة تحت كنانته الأثيرة ..

وبعد أيام من السير الذى كاد أن يتصل ، وافى سراقة كتائب المصطفى فى صعيد (الجعرانة) وهى عائدة بالنصر من معركة (حنين) ..

واستل الفارس المدلجي من كنانته ذلك الكتف الذى طالما حرص عليه ، ورفع به يده ، ثم مضى يشق سبيله خلال كتيبة من خيل الانصار .

ويتلقى سراقة قوارع الرماح من هنا وهنا ، وينهال عليه الزجر والسؤال : اليك .. اليك .. ماذا تريد ؟!. ولكنه يصبر نفسه ، ويواصل خطاه حتى يقابل نبى الله وهو يقول : يا رسول الله .. أنا سراقة بن جعشم .. وهذا كتابك لى ...

ويقبل نبى الله بوجهه على سراقة، لا يصرفه عنه شيء من مشاغل ذلك الموقف ، وفى نبرة آسرة يقول له : يوم وفاء وبر . أدنه .

وكان ذلك كافيا ليفسح له الطريق، فمضى حتى اذا كان بين يديه ، ضم بكفيه راحته وأعلن اسلامه وبيعته ..

وثارت فى صدر الفارس المدلجى شئون لا يستطيع حصرها ، ويود لو يسأل بها كلها رسول الله ، لتطول وقفته معه ، وليتزود منه بما ينفعه وينفع به .. الا أنه لم يجد قدرة على ترجمتها ، فقد أرتج عليه فما يدرى بماذا يتكلم ... حتى ثاب اليه بعض مراده فقال : يارسول الله الضالة من الإبل تغشى حياضى ، وقد ملأتها لأبلي ، هل لى من أجر فى أن أسقيها ؟ .. وجاءه الجواب الحكيم

يهز نياط قلبه : نعم . فى كل ذات كبد حرى أجر ! .. وقبل أن يودع نبى الله ليعود الى أهله ، فيطبق هناك ما رأى وما سمع هنا من حقائق الاسلام ، سمع رسول الله يقول له : كيف بك — يا سراقة — اذا لبست سوارى كسرى ؟! ولم يدر سراقة باى شىء يجيب على هذا النبأ العجيب .. ولو هو سمع هذه الكلمة من غير رسول الله لما كان لها عنده من جواب سوى السيف ، لأنها اذ ذاك لا تعدو أن تكون سخرية منه وهزؤا .. بيد أنها من الرسول صلى الله عليه وسلم نبأ من الغيب لا مندوحة من تحقيقه على وجه من الوجوه .. ولكن .. كيف .. وأين ... ومتى ؟!..

وانطلق سراقة باتجاه أهله ، وقد تبدلت مشاعره ، وشَفَّتْ روحه ، وخف جسده حتى ليخيل اليه أنه على وشك أن يطير عن ظهر فرسه . ولم يستطع أن يفصل ذهنه عن آخر كلمات الرسول ، فهو يقلب كفيه ويردد على نفسه فى مثل الذهول : سوارى كسرى .. ومن أين لمثل سراقة بن مالك بن جعشم بسوارى كسرى !!..

x x x

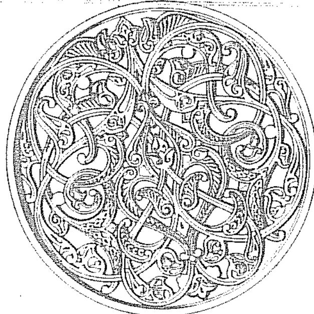
وسرعان ما استحالت أرض العرب فى ظل الاسلام حَرَماً كبيرا ، لا تخاف المرأة السالكة فيه الا الله والذئب على غنمها .. بعد أن كانت مظنة الضياع والهلاك ، لا يطمع فيها ضعيف بأمن، ولا يأمن فيها سار أو سائر الا أن يكون له مجير من جباريها ..

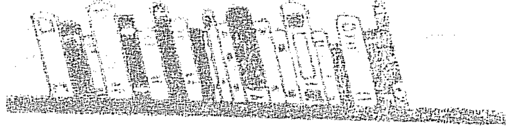
وخرج أمير المؤمنين الفاروق لاستقبال ذلك الوفد ، وحوله بقية الصحابة الذين استبقاهم لمعونته فى عاصمة الاسلام ..

وعلى مشهد من الحشود ، التى تجمعت لتسقط أخبار المجاهدين أخذ أمير المؤمنين فى عرض هاتيك التحف التى حملها الوفد .. ولما نظر الى نفائس كسرى الخاصة دعا بسراقة ، وألبسه السوارين اللذين بشره بهما رسول الله ، ثم قال له : ارفع يديك — حتى يراهما الناس — وقل : الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقة الأعرابى .

ورفع سراقة يديه ، وجعل يحركهما ليكتشف شعرهما الكثيف عن السوارين ، وهو يردد فى لهجة تفيض بالفرح والخشوع والايمان : (الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقة الأعرابى..)

وترتفع أصوات المؤمنين من حوله : (الحمد لله .. الحمد لله ...) .





مكتبة المجلة

اعداد الاستاذ عبد الستار فيض

حيـــاة يوســف

منهج جديد فى معالجة قصة سيدنا يوسف عليه السلام كما وردت فـى القرآن الكريم . تلك القصة الوحيدة التى قصها الله تعالى فى سورة وحيدة من أولها الى آخرها وسلك فى سردها التسلسل التاريخى فكانت أعجوبة وأعجازا فى التفصيل والاجمال ، ومن أجل ان الله تعالى تولى تسجيلها كاملة . فى سورة كاملة من كتابه الكريم ، ومن أجل الحفاظ على اشاعات انوارها كما رتبها تبارك وتعالى سلك المؤلف الاستاذ محمود شلبى مسلكا جديدا فقدم للناس (حيـــاة يوسف) كما قدمها كتاب الله تعالى مع الآيات تبيينا وتفسيرا فى أسلوب جميـل والفاظ سلسلة جميلة وعبارات منسقة .

والكتاب يقع فى (٢٣٢) صفحة ومن نشر مكتبة القاهرة ـــ شارع الصناديقية ـــ بميدان الأزهر بمصر .

مسند الإمام أحمد بن حنبل

من اعظم الموسوعات فى علم الحديث كما أنه مرجع من أدق المراجع لعلماء السنة ومنهل لكل مسلم يريد أن يرتوى من حديث النبى صلى الله عليه وسـلم ويقف على أحكام دينه من أقوال نبى المسلمين وأفعاله .

قضى مؤلف هذا الكتاب الاستاذ أحمد عبد الرحمن البنا زمنا فى اعداده وابداعه وتبويبه على أبواب الفقه وشرحه وخرج احاديثه واستنبط الأحكـام الشرعية منها وقد أسماه (الفتح الربانى) فى ترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل مع مختصر شرحه (بلوغ الامانى) .

وكل جزء من أجزائه الاثنين والعشرين يقع فى قرابة ٤٠٠ صفحة ومن نشر دار الحديث ٥ عطفـة الرسام بالغورية بالقاهرة .

الفتاوى

حكم المصاب بسلس البول

السؤال :

شخص يكثر خروج البول منه ، وخاصة في فصل الشتاء بغير إرادته ، فهل ينتقض وضوءه بذلك ؟ وهل يجب عليه تطهير ثوبه كلما أصابه البول في هذه الحالة ؟

الجواب :

خروج البول ولو قطرة واحدة ناقض للوضوء لحديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » غير أنه إذا دام خروجه واسترسل ولم يستطع منعه « وهو المعروف باسم سلس البول » كان ذلك عذرا يبيح الترخص بقدره ، والضرورات تبيح المحظورات ، والمشقة تجلب التيسير .

وحكم من ابتلى بهذا العذر ونحوه كاستطلاق بطن ، أو انفلات ريح ، أو رعاف دائم ، أو جرح لا يرقأ — حكم المستحاضة (وهي ذات دم نقص عن أقل مدة الحيض أو زاد على أكثره أو زاد على أكثر مدة النفاس ، أو زاد على عادتها في أقل مدة الحيض والنفاس ، وتجاوز أكثرهما ، أو حبلى أو آيسة) .

وقد نص الحنفية على أنها تتوضأ لوقت كل فرض ، لا لكل فرض ولا لكل نفل ، وتصلى به ما شاءت من الفرائض والنوافل في الوقت . ويبطل وضوءها بخروجه عند أبي حنيفة ومحمد . ويجب أن تستأنف الوضوء للوقت الآخر ، وكذلك من به سلس البول ونحوه .

ويشترط لثبوت العذر ابتداء أن يستوعب وقتا كاملا من أوقات الصلاة بحيث لا ينقطع زمنا يسع الوضوء والصلاة ، والانقطاع اليسير في حكم العدم ، وشرط بقائه ودوامه بعد ذلك أن يوجد ولو مرة واحدة في كل وقت كامل من أوقات الصلاة ، ولا يعد منقطعا الا إذا زال وقتا كاملا .

• • •

وأما الثوب الذى تصيبه نجاسة العذر فقيل لا يجب غسله ، لأن قليل النجاسة يعفى عنه ، وقدر في النجاسة المائعة بقدر مقعر الكف فألحق به الكثير للضرورة ، ولأن العذر غير ناقض للوضوء فلم يكن نجسا حكما ، وقيل يجب غسل الزائد عن القدر المعفو عنه إذا أفاد الغسل بأن كان لا يصيبه مرة بعد أخرى . وإلا لا يجب ما دام العذر قائما . واختاره مشايخ الحنفية وصححه في البدائع .

وقال ابن قدامة الحنبلي في شرحه الكبير على المغني : « إن المستحاضة تغسل فرجها وتعصبه وتتوضأ لوقت كل صلاة ، وتصلى ما شاءت من الصلوات ، وكذلك من به سلس البول ، والمذى ، والريح ، والجرح الذى لا يرقأ دمه ، والرعاف الدائم ، ويجوز لهؤلاء الجمع بين الصلاتين ، وقضاء الفوائت والتنفل الى خروج الوقت . وتتقيد الطهارة بالوقت إذ هي طهارة ضرورة ، فإذا توضأ قبل الوقت وخرج منه شيء من الحدث بطل وضوءه ، وإذا توضأ بعد دخول الوقت

صح وارتفع الحدث ولم يؤثر فى الوضوء ما يتجدد من الحدث الذى لا يمكن التحرز منه ، وإذا خرج الوقت بطل الوضوء » أ هـ ملخصا .

وذهب الشافعية كما فى المجموع وشرح المنهاج إلى ان المدار فى ثبوت العذر على الاستمرار والدوام غالبا ، ويجب فى الاستحاضة وما الحق بكا غسل النجاسة ، وشد المحل بنحو عصابة عقب الغسل . والوضوء لكل فريضة عقب الشد فى وقت الصلاة لا قبله لأنها طهارة ضرورة فتتقيد به كالتيمم ، والمبادرة بالصلاة عقب الوضوء ، الا لمصلحة تتعلق بالصلاة كانتظار الجماعة ، ويصلى به الفريضة والنوافل القبلية والبعدية ، ولا يصلى به فريضة أخرى حتى يتوضأ لها . ولا يبطل الوضوء والصلاة بتجدد الحدث أثناءهما . أ هـ بتلخيص .

وفى مذهب المالكية « كما فى شرح متن الخليل » طريقتان : إحداهما ان العذر لا ينقض الوضوء مطلقا ولا تبطل به الصلاة ، غير انه يستحب لمن ابتلى به أن يتوضأ لكل صلاة الا أن يؤذيه البرد .

والأخرى : وهى التى شهرها ابن رشد انه لا ينقض الوضوء ولا تبطل الصلاة اذا لازم نصف وقت الصلاة على الأقل ، إلا أنه يستحب الوضوء إذا لازم نصف الوقت أو أكثره لا إن لازم كل الوقت . وينتقض الوضوء إذا لازم أقل من نصف الوقت فيتوضأ لكل صلاة ، أ هـ .

* * *

وذهب الظاهرية وابن حزم (كما فى المحلى) الى ان من غلب عليه خروج البول « وهو من به سلس البول » ويسميه ابن حزم « المستنكح » بمعنى من غلب عليه ، يجب عليه بعد غسل الموضع حسب الطاقة بدون حرج ومشقة ، الوضوء لكل صلاة فرضا أو نافلة ، فيتوضأ للفريضة ، ويتوضأ وضوء آخر للنافلة ، ثم لا شىء عليه فيما خرج منه بعد ذلك فى الصلاة أو فيما بين الوضوء والصلاة ، ولا بد أن يكون الوضوء أقرب ما يمكن من الصلاة . أ هـ ملخصا .

* * *

وجملة القول أن جمهور الفقهاء قاسوا ارباب الأعذار على المستحاضة لورود النص فيها ، فالحنفية والحنابلة ذهبوا الى انها مأمورة بالوضوء لوقت كل صلاة . والشافعية ذهبوا الى أنها مأمورة بالوضوء لكل فريضة ، والمالكية لم يوجبوا عليها الوضوء مطلقا فى الطريقتين ، فذهبوا فى أرباب الأعذار الى ما بيناه بطريق القياس .

* * *

ويعلم من هذا ان مجرد خروج البول بكثرة كما فى السؤال لا يعد عذرا مبيحا للترخص المذكور ، وانما يكون كذلك إذا دام واستمر على النحو الذى بيناه فى المذاهب ، ولعل الأرفق بأرباب الأعذار مذهب الحنفية والحنابلة ، وللعامى ان يقلده ولو كان من مقلدة المذاهب الأخرى ، والله أعلم .

* * *

الوفاء بالحج المنذور

السؤال :

نذر إنسان لله تعالى أن يحج الى بيته الحرام إن شفاه الله من مرضه ، وكان قد أدى فريضة الحج قبل ذلك . فشفاه الله وتيسرت له أسباب الحج من جهة المال ، فعزم على الوفاء بالنذر فى هذا العام ، غير أن الأطباء قرروا أنه وهو

فى الحادية والسبعين من عمره ، لا يمكن أن يتحمل حرارة الجو بالأقطار الحجازية فى هذا العام ، فماذا يصنع للوفاء بهذا النذر ؟ وهل يكفى التصدق بالمال الذى أعده للحج ؟

الاجابــة :

مذهب الحنفية أن من نذر طاعة لله تعالى كالحج مثلا ، وجب عليه الوفاء بهذه القربة التى التزمها فى الحال ، إن كان النذر مطلقا مثل « لله على حجة » أو عند تحقق الشرط إن كان النذر معلقا مثل : « إن شفانى الله فعلى لله حجة » لقوله تعالى : « وليوفوا نذورهم » وقوله : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » .

والنذر نوع عهد من الناذر مع الله عز وجل فيلزمه الوفاء بعهده ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : « من نذر أن يطيع الله فليطعه » .. ولا تجزىء عنه الكفارة سواء اكان الشرط المعلق عليه مما يقصد الناذر حصوله كالمثال المذكور أولا ، نحو « إن دخلت هذه الدار فلله على حجة » .

وقال فى (البدائع) ـ ثم الوفاء بالمنذور به نفسه حقيقة إنما يجب عند الإمكان ، فأما عند التعذر فإنما يجب الوفاء به تقديرا بخلفه ، لأن الخلف يقوم مقام الأصل كأنه هو ، كالتراب حال عدم الماء ، وكالأشهر حال عدم الأقراء (جمع قرء وهو الحيض) حتى لو نذر الشيخ الفانى الصوم يصح نذره وتلزمه الفدية ، لأنه عاجز عن الوفاء بالصوم حقيقة فيلزمه الوفاء به تقديرا بخلفه ، ويصير كأن صام . أ هـ .

والفدية خلف عن الصوم عند العجز عنه بالنص .

فإذا نذر إنسان الحج وجب عليه الوفاء به فى الحال إن كان النذر مطلقا ، وعند تحقق الشرط إن كان معلقا ، وكل ذلك عند الإمكان . فإذا عجز عن ذلك لعذر كالمرض مثلا ، تقبل النيابة عنه فى الحج ويسقط عنه الفرض بحجة النائب إذا كان العذر لا يرجى زواله ، كالعمى ، والزمانة ، والكبر الذى لا يستمسك معه الإنسان على الراحلة ، ولا إعادة عليه مطلقا ، سواء استمر به ذلك العذر أم لا .

وأما إذا كان العذر مما يرجى زواله فيشترط لجواز النيابة عنه فى الحج دوام العجز الى الموت حتى يستوعب العجز بقية العمر ، ويقع به اليأس عن الأداء بالبدن ، وينبنى على ذلك أنه إذا زال العذر وجب عليه أداء الحج بنفسه ، ولم تعتبر حجة النائب عنه ، وإذا لم يزل العذر حتى مات ظهر أن حج الغير عنه وقع صحيحا مجزيا ، وخرج به عن عهدة النذر .

ولجواز حج الغير عن العاجز شروط مذكورة فى بابه : منها ان يكون للعاجز عن الحج ببدنه مال ينفق منه على النائب عنه فى الحج ، فاذا لم يكن له مال لم يجب عليه الحج بنفسه ، فلا يقبل منه أن ينيب عنه غيره فيما لم يجب عليه ، وقد نصوا على أن العذر يجب أن يكون قائما قبل إنابة الغير عنه . وعلى أن تكون نفقة النائب على الآمر بالحج من مصاريف السفر ذهابا وإيابا وإقامة الى آخر ما ذكر من الشروط .

أما التصدق بالمال ممن عجز عن الحج بنفسه فلم يشرع خلفا للحجة المفروضة او المنذورة ، فلا يخرج به عن عهدة الفرض أو النذر ، ولا تسقط به عنه هذه الحجة .

وظاهر أن الشيخوخة وحرارة الجو مجتمعتين لا تعدان عذرا مانعا من الوفاء بالحجة المنذورة بالنفس ، الا إذا غلب على الظن بمعونة رأى الأطباء المسلمين الحاذقين ، أو التجربة الصادقة ، حدوث ضرر معه من أداء الحج بالنفس ، كما نصوا عليه فى باب الصوم . والله أعلم .

بريد : الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

الايمان بالغيب

ما هو الايمان بالغيب وهل صعود الانسان الى القمر يعتبر معرفة للغيب بالنسبة للانسان .. ؟

محمد مطلق الحساوى ــ السعودية

الايمان بالغيب قولا واعتقادا وعملا هو الايمان بالله فذات الله بالنسبة للانسان غيب ، والمؤمنون بالله يؤمنون بغيب يجدون آثار فعله ولا يدركون ذاته ولا كيفيات أفعاله .

والايمان بالآخرة ايمان بغيب فقيام الساعة من الامور الغيبية والمحجوب معرفة ما يكون فيها من بعث وحساب وثواب وعقاب ، والمؤمن يعتقد بحتمية وقوعها تصديقا لأخبار الله بذلك .

والإيمان بوجود الملائكة وهم أجسام نورانية تنفذ أوامر الله بالنسبة للكون وما فيه من مخلوقات ، وهى كذلك غيب لا يعرف عنها الانسان شيئا الا ما أخبر الله به عن صفاتهم بالقدر الذى يتحمله عقله وطاقته ، فهم خلق الله الذين يدينون له بالعبودية والطاعة المطلقة ، وهم يحملون عرش الرحمن ويحفون به « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به » وهم خزنة الجنة والنار وقد بلغوا الوحى الى رسل الله ، ويرسلون لتأييد الحق فى الارض مقاتلين فى صفوف المؤمنين « اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا » وهذه الوظائف الخاصة بالملائكة والتى يكلفهم الله بها انما هى من الامور الغيبية التى يجب الايمان بها ولا تدرك بالحس .

والايمان بالقدر خيره وشره فهو غيب كذلك حتى يقع للانسان كما جاء فى الحديث النبوى الشريف « ... وان تؤمن بالقدر خيره وشره » ومتى آمن الانسان بالغيب فانه يصون فكره المحدود عن التمزق والانشغال بما لم يخلق له وما لم يوهب القدرة للاحاطة به وعندها يعلم أن المحدود لا يدرك المطلق ، وعلى هذا يكون الايمان بالغيب هو تلقى العلم بشأنه عن الله .

والايمان بالغيب هو الصفة الاولى من صفات المتقين يقول الله تبارك وتعالى : « الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

والغيب يحيط بالانسان من كل جانب وليس معنى صعود الانسان للقمر يعد من معرفة الغيب وانما هو معرفة بآيات الله ضمن القدر الذى يسمح به الله

للانسان اذ يقول سبحانه وتعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

فقد صدق الله وعده فكشف للانسان عن بعض آياته فى الآفاق المغيبة عنه حتى يعرف أن الارض التى يعيش عليها ما هى الا ذرة صغيرة تابعة للمجموعة الشمسية والشمس كذلك يقابلها مجموعة ضخمة على شاكلتها أو تختلف فى هذا الكون الفسيح وما هو الا اهتداء لمعرفة ما فى الكون من عجائب فى حدود المسموح به من الخالق المبدع المفهوم من الآية الكريمة السابقة ولا يعد ذلك معرفة للغيب بقدر ما هو اثبات وحجة على من عرف عظمة من خلق هذه النواميس ولم يؤمن به والمولى سبحانه وتعالى يقول : « حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » .

السنة النبوية محفوظة ومخدومة

نشرت احدى الصحف : أن دراسة صحيح البخارى متنا وسندا كاد أن ينقرض ، وقد عقب على هذا الخبر فضيلة الشيخ عبد الله بن حميد الرئيس العام للاشراف الدينى على المسجد الحرام بقوله :

ان مثل هذا الاعلان اجحاف وتجن على علماء المسلمين عامة والمسجد الحرام خاصة سيما وهو يضم بين جوانحه نخبة كبيرة من علماء المسلمين يدرسون الحديث بجميع أقسامه ومتونه على مختلف كتبه الصحاح والسنن والمسانيد ، وان الذين يدرسون صحيح البخارى فى الوقت الراهن بالمسجد الحرام تسعة من افاضل العلماء .. فالمسجد الحرام بخير والحديث منتشر فيه بحمد الله ، وأما بالنسبة للعالم الاسلامى والعربى فلا يخفى ما يوجد فيه من جهابذة الرجال وأكابر العلماء الذين يدرسون الحديث ويخدمونه تأليفا ونشرا كالباكستان والهند ومصر وسوريا والمغرب والجزائر ، وغيرها من البلدان الاسلامية ، فالسنة النبوية محفوظة ومخدومة ولا زالت بخير والحمد لله .

أرتيريا ..

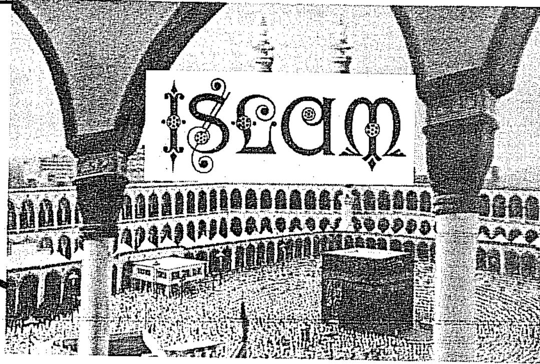
خطأ وقع على العدد (١٠٧) فى صفحة ١٠٥ من مجلة الوعى الاسلامى وذلك فى خريطة الدول الافريقية أو خارطة افريقيا ، التى ضمت فيها أرتيريا مع الحبشة دون اى حدود فاصلة ، هذا مع العلم ان قضية الشعب الارتيرى وثورته الثائرة من اجل احقاق الحق وازهاق الباطل لم تعد خفية على أحد .

وان ارتيريا كما هو معروف لديكم لم ترتبط بالكيان الحبشى الا بعد الاتحاد الفدرالى المزيف الذى توج بمباركة الامبريالية العالمية ضد رغبة الشعب الارتيرى ، ولا أود الاسهاب على قضية هذا الشعب البرىء لأنها لم تتعد حدود ١+١=٢ ورجائى الوحيد ونحن بصدد الوعى الاسلامى هو أن لا يخيب ظنى وان ينشر هذا التنبيه .

أحمد حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

VOLUME 1 • Rabi' I, 1394 March, 1974 • NUMBER 1



An Independent Journal Expressing the Islamic Point of View

PUBLISHED QUARTERLY by
Islamic Productions International, Inc.

اول مجلة اســـــــلامية على المســـتوى الجامعى فى أمريكا

يسعدنا احاطتكم علما بصدور اول مجلة اسلامية على المستوى الجامعى فى أمريكا ومرفق مع هذه الرسالة غلاف المجلة التى سيصدر عددها الأول باذن الله فى ربيع الأول القادم (مارس ٧٤) وأيضا جميع المعلومات المتعلقة بهذه المجلة التى تحتاجها أمريكا اشد الحاجة ..

وانا اكتب اليكم راجيا التعاون معنا فى سبيل الله وفى سبيل اعلاء كلمة الحق والدين .. فنحن نرى أن ٦ مليون يهودى قد امتلكوا أمريكا .. وليس هناك سبيل الى نصرنا وهزيمة اسرائيل سوى نشر الاســـــلام بين المواطنين الامريكيين ..

١ ــ فنرجو ارسال مجلتكم الغراء (الوعى الاسلامى) الى العنوان الموضح اعلاه .. وكذلك منشوراتكم الاسلامية ..

٢ ــ نرجو ارسال اذن منكم بترجمة بعض المقالات المختارة من مجلة (الوعى الاسلامى) ..

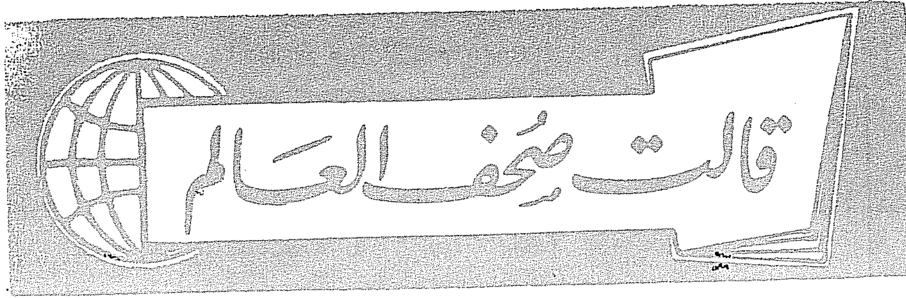
٣ ــ يا حبذا لو نشرتم عنوان كل كاتب يكتب فى مجلة (الوعى الاسلامى) حتى يستطيع القراء أن يراسلوه مباشرة ..

٤ ــ نأمل أن يصلنا منكم قائمة بأسماء كبار الكتاب فى مجلة (الوعى الاسلامى) وعناوينهم حتى نستطيع أن نكتب لهم ..

٥ ــ هل يمكنكم مساعدتنا ماليا .. ؟ وما هى السبيل الى الحصـــول على معونتكم .. ؟ اذ أننى لست بحاجة لأن أشرح لكم العقبات التى توضع فى سبيلنا .. وموجة التضاد اليهودية لعرقلة مساعينا ..

وفقنا الله واياكم لخدمة الاسلام والمسلمين . والسلام عليكم ورحمة الله .

دكتور رشاد خليفة
رئيس التحرير



هذا المصحف .. (مزور)

استطاعت اسرائيل أخيرا أن تسرب الى بعض الدول العربية مجموعة من المصاحف المزورة .. وفرت لها من حيث المظهر والشـــكل الخارجي كل الوسائل التى تبعدها عن مجال الشبهة .. نسبت طباعة المصحف الى وزارة التربية والتعليم الاردنية ، واتضح ان الوزارة لا علم لها به .. !

.. وذكرت اسم مكتبة فى عمان قالت إنها تعهدت بطبعه ، وتبين الا وجود أصلا لهذه المكتبة لا فى عمان ولا فى غيرها .. ثم — لمزيد من الاغراء — أصدرته فى طبعة فاخرة تغرى على الشراء .. ! وهذه هى القصة كاملة :

.. بالصدفة وحدها وقعت فى يد الشيخ عبد الرشيد صقر امام مسجد الزمالك نسخة من هذا المصحف فى اثناء وجوده فى (دبى) مبعوثا من وزارة الاوقاف ولقد اكتشف المبعوث المصرى على الفور أن المصحف خال تماما من خمس سور كاملة هى : (النساء و (الاعراف) و (المائدة) و (الانعــــام) و (الانفال) وان صفحات عدة غير موجودة فى مواضع كثيرة من المصحف .

الأردن تنفى :

وعلى الفور — والكلام هنا لإمام مسجد الزمالك — « اتصلت بوزير العمل والشئون الاجتماعية لدولة الاتحاد والمشرف على الشــــئون الدينية فيها ، وأطلعته على النسخة ، فقام من جانبه باتصال سريع بالشيخ عبد الحميد السايح كبير علماء الاردن ، لمعرفة حقيقة هذا المصحف ، وكيف صدر فى الاردن بهذه الطريقة ثم كيف خرج منها الى البلاد الاسلامية .. وجاءت الاجابة بعد البحث الدقيق تقول أن ليس فى الاردن أى نسخ مشابهة لهذا المصحف ، فضلا عن عدم صدوره أصلا فى الاردن .. فوزارة التربية والتعليم الاردنية لم تطبعه ، ولا وجود اطلاقا للمكتبة التى أشير اليها » .

وأبلغ الامر لأمير دولة الاتحاد فأصدر قراره بجمع كل النسخ واحراقها فورا .. ثم ارسال مذكرة عن طريق مبعوث وزارة الاوقاف المصرية الى كل من الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء والدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر لمخاطبة الدول الاسلامية بشأن هذا المصحف .

لماذا اسرائيل .. ؟

وقبل توجيه الاتهام مباشرة الى اسرائيل ، تم التأكد من :

● أولا : عدم وجود الآيات التى تدين اليهود صراحة مثل قوله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » وقوله تعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا » .

● ثانيا : تسرب هذا المصحف الى دولة الامارات عن غير الطريق الشرعى لدخول المطبوعات ، وعدم بيعه داخل المكتبات بالطريق العلنى .

واذا أضفنا الى هذا :

ـ تجارب اسرائيل السابقة فى تسريب العديد من المصاحف المزورة الى الدول الافريقية ، والدول الاسلامية .

ـ التأكد من أن كل البيانات التى ذكرت على الصفحة الاولى من المصحف غير صحيحة ..

يصبح من البديهى أن أحدا غير اسرائيل لا يمكن أن يقدم على هذا العمل الذى يشكك على المدى الطويل ـ فى كتاب مقدس عندما يجد بعض الناس بين أيديهم مصاحف تضم ١٠٩ سورة فقط ، ومصاحف أخرى تضم ١١٤ سورة .

ولتفادى هذا المخطط الصهيونى نحو تزوير كتاب الله ، تبرز الدعوة مرة أخرى ـ وربما بصورة ملحة هذه المرة ـ بضرورة توحيد جهة طبع واصدار المصحف الشريف على مستوى العالم الاسلامى كله ، والاتفاق على علامة مميزة يصعب تزويرها ـ تتصدر ـ على الأقل الصفحة الاولى من المصاحف .

(عن جريدة الاهرام القاهرية)

يجب تعديل مناهج الدراسة بكلية الحقوق فورا
دعوة من شيخ الأزهر وعمداء كلية الحقوق ورجال القانون

فى رمضان الاسبق ١٣٩٢ هـ دعى الدكتور عبد الحليم محمود ـ وكان وقتئذ وزير الاوقاف ـ الى طنطا لالقاء محاضرة فى نقابة المحامين بالغربية وكان مما قاله فضيلته أنه دعى مرة الى القائه محاضرة فى كلية حقوق جامعة عين شمس ، فسأل عميد الكلية وأساتذتها ما نصيب الشريعة الاسلامية من المحاضرات التى تلقى على الطلبة كل أسبوع ، وما نسبتها الى محاضرات باقى المواد . فكانت الاجابة أن محاضرات الشريعة لا تتجاوز محاضرتين أو ثلاثا كل أسبوع ، بينما باقى المواد نحو خمس عشرة أو ثمانى عشرة محاضرة .

وقال فضيلته يومئذ : ان العكس هو الواجب ، يجب أن تكون محاضرات الشريعة الاسلامية خمسة عشر أو ثمانية عشر ، بينما تقتصر محاضرات باقى المواد على محاضرتين أو ثلاث محاضرات ..

وهذا الذى قاله فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود ، لا يليق بنا أن نمر به مرورا عابرا ، بل يجب أن ندرسه ، ونضعه موضع الاعتبار والتطبيق .

وهو نداء ردده من قبل الكثيرون من الصادقين ، ولا يزال يردده الكثيرون من الدعاة المخلصين .

قال الدكتور جمال العطيفى فى مقاله الذى نشرته (الأهرام) فى ٤ اكتوبر ١٩٧٣ « ان ما نحتاج اليه قبل كل شىء آخر هو خلق جيل من رجال القانون ، يجمع الى جانب الثقافة القانونية الوضعية ثقافة شرعية واسعة .

وان هذا يلقى علينا واجبا آخر نحو اعادة النظر فى برامج الدراسات فى كليات الحقوق ، وهو موضوع سبق أن اثير على نطاق واسع فى ندوة عمداء كليات الحقوق العربية فى ابريل من هذا العام (١٩٧٣) ودعت هذه الندوة الى أن تكون دراسة القانون مقارنة بأحكام الشريعة الاسلامية كخطوة

أولى نحو اقامة فقه قانونى ، على أصول الشريعة ومبادئها » .

والمشرع المصرى حين وضع القانون المدنى ، أراد أن يربط رجال القانون بالشريعة فنص فى المادة الاولى من القانون المدنى على أنه :

١ ــ تسرى النصوص التشريعية على جميع المسائل التى تتناولها هذه النصوص فى لفظها أو فى فحواها .

٢ ــ فاذا لم يوجد نص تشريعى يمكن تطبيقه ، حكم القاضى بمقتضى العرف ، فاذا لم يوجد فبمقتضى مبادىء الشريعة الاسلامية ، فاذا لم يوجد ، فبمقتضى مبادىء القانون الطبيعى وقواعد العدالة .

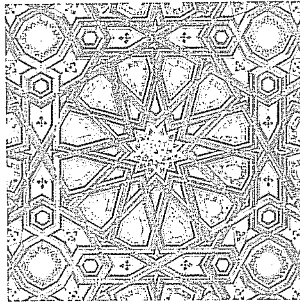
وكتب الدكتور عبد الرزاق السنهورى ــ واضع القانون المدنى المذكور ــ معلقا على هذه المادة فى كتابه « الوسيط فى شرح القانون المدنى » فقال :

« جعل الشريعة الاسلامية هى الاساس الأول الذى يبنى عليه تشريعنا لا يزال أمنية من أعز الإمانى التى تختلج بها الصدور ، وتنطوى عليها الجوانح . ولكن قبل أن تصبح هذه الامنية حقيقة واقعة ، ينبغى أن تقوم نهضة علمية قوية لدراسة الشريعة الاسلامية فى ضوء القانون المقارن ، ونرجو أن يكون من وراء جعل الاسلام مصدراً من المصادر الرسمية للقانون الجديد ما يعاون على هذه النهضة » .

والقى السيد أبو الاعلى المودودى أمير الجماعة الاسلامية بباكستان محاضرة فى ١٩٤٨/٢/٩ فى كلية الحقوق بلاهور (باكستان) بناء على دعوة من أساتذتها وطلابها ، وقد حضرها عدد غير يسير من المحامين .

قال سيادته فى هذه المحاضرة والتى نشرت ضمن رسالة بعنوان « القانون الاسلامى وطرق تنفيذه » قال « ان التعليم الذى يناله الطلبة اليوم فى كلياتنا الحقوقية لا طائل تحته ، ولا يكاد يغنى من جوع بوجهة نظرنا لإن الذين يتخرجون فى هذه الكليات ، يجهلون الاسلام وقانونه جهلا تاما ، ولا يكون لهم أدنى اتصال به ، بل تتبدل عقليتهم وتصطبغ بصبغة الافكار والنظريات غير الاسلامية ، ولا يتربون الا على صفات هى أنفع ما يكون لتنفيذ القوانين الغربية ، وأردأ ما يكون لتنفيذ القانون الاسلامى ، ولا يدخلون معركة الحياة العملية الا بها فما دمنا لا نغير هذا الوضع المزرى ، ولا نهتم بأن نخرج فى كلياتنا الحقوقية فقهاء حسب ميزاننا ومقياسنا ، لا يمكن أن يوجد عندنا رجال يجدرون بأن تناط بهم وظائف القضاء والافتاء فى محاكم الدولة الاسلامية » .

(عن الاعتصام القاهرية)



بأقلام القراء

المرأة والهجرة

اشرك الاسلام المرأة فى حياة الرجل وجهاده لتكــون له سندا وركيزة ، فكانت خير رفيق ونعم شريك وسند للحق وشاركت فى الهجرات الآتية :

هجرة الحبشة :

رقية بنت الرسول أولى المهاجرات صحبت زوجها عثمان بن عفان رضى الله عنهما .

أم سلمة بنت ابى أمية بن المغيرة رافقت زوجها ابا سلمة بن عبد الأسد بن هــلال .

ليلى بنت ابى حتمة شاركت زوجها عامر بن ربيعة .

بيعة العقبة الثانية :

كانت صحبة وفد الأنصار من يثرب الى المدينة والبالغ عدده ٧٣ امراتان هاجرتا لتبايعا الرسول عليه السلام وهن :

نسيبت بنت كعب أم عمارة من بنى مازن النجار .

اسماء بنت مروام منيع من بنى سلمة .

الهجرة الكبرى الى المدينة :

تأزمت الأمور وزاد الطغيان عن حده حتى وصل الى حد التآمر واغتيال الرسول فأتى أمر السماء بالهجرة الكبرى من مكة الى يثرب مدينة الرسول .

ويكفى دور المرأة أن تقوم أسماء بنت أبى بكر بدور التموين والمخــابرات للمهاجرين الكريمين الرسول عليه السلام وأبى بكر رضى الله عنه فى غــار حراء .

وقد اضطرت أسماء يوما أن تعلق الزاد بالرحل فلم تجد ما تربطــه بــه فنزعت نطاقها فشقته وربطت بنصفه الزاد وانتطقت بالثانى فلقبها الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام بذات النطاقين .

محمد لطفى عيسى ــ القــاهرة

الخدمة فى المناطق النائية

هى واجب اسلامى ووطنى ولكن هل يعفى الواجب من النظام والعــدل والمساواة بين الناس واختيار القواعد التى تؤدى الأهداف السابقة .

ومن هذه القواعد العمل فى بداية الوظيفة حين يكون الموظف خفيف الظل ، فاذا انتهت المــدة المفروضة عليه كان من حقه أن يذهب الى حيث يرغب .

ويليه من لم يقض مدة اغتراب من قبل فى المناطق النائية .

ويليه من يريد السفر الى الخارج فى الدول التى يتهافت الناس عليها ولا يتم اخراج العدد المطلوب الا بامتحان .. ليتهم يشترطون عليه (قبل أن يخرج) مدة مماثلة فى منطقة نائية بدلا من هذا الامتحان .

العظم شرط فى نيل اللحم والجمرة مع التمرة ــ أو يؤخذ اليها اقرب الناس مكانا ليؤدى المدة ثم يعود .. أو يلجأون الى نظام المأموريات والانتدابات .

ويعفى من تجاوز سن الخمسين .

والمهم أن ينفذ العدل وان تطبق القوانين فوق رأس الجميع وان يستوى الناس فى الخضوع لها فلا تكون هناك طبقة محظوظة تستطيع الهرب فى اللحظة المناسبة من المشقات التى يتعرض لها السواد الأعظم بالتماس واسطة أو طلب شفاعة أو دفع رشوة فهذه معرة كانت فى الأمم السابقة وأهلكتها كما ورد فى الحديث الشريف المروى عن عائشة وفيه أن اسامة شفع لامرأة مخزومية سارقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها « متفق عليه » .

فالشرائع والقوانين لا بد لها من حراس أشداء يدافعون عن الفضائـــل ويحمون الأمة والمجتمع من عوامل الحقد بين الناس وعدم الثقة فى القوانين وفيمن يطبقونها ويبقون الايمان بالمثـــل العليا حيا فى الأفئدة والقلوب بدلا من أن تنتقل الى متحف التاريخ ..

عبد الرحمن احمد شادى

من المتعصبـــــون

رغم كل المحاولات التى بذلت طوال السنوات الماضية من اجل صرف الناس عن دينهم واماتته فى صدورهم ، فوجىء العالم اجمع أن المقاتل العربى وهو يجتاز خط الهزيمة يرفع صوته بصرخة (الله أكبر) ولقد كانت هذه الكلمة تعلو عـــلى ازيز الطائرات على حد تعبير احدى الوكالات الأجنبية ـــ ولقـــد أدرك الجيش الاسرائيلى المقهور أنه أمام مقاتل عربى جديد ، غير ذلك الذى عرفه هاربا من ميدان القتال .

وحقا لقد كانت كلمة الله اكبر تعلو على هدير المدافع ورددتها أصداء الصحراء ، واننا لنرجو أن ترتفع هذه الكلمة عمليا على كل ربوع العالم الاسلامى وأن يعود هذا العالم الى الله باخلاص وصدق .

ومن العجيب أن بعض الوكالات الأجنبية ادعت أن رفع شعار الله اكبر فى المعركة الأخيرة يدل على التعصب الدينى لدى الجموع المقاتلـــــة ، ومن الأعجب أن نرى بعض الكتاب يحاول أن ينفى هذه الصفة وكأنما يشفق ويخاف من أن يقال إن العرب متعصبون للحق وعاملون على استرداده ، فيقول إن كلمة الله أكبر رددها المسلم والمسيحى فأين التعصب الدينى ؟ ! ثم يضيف على صفحات مجلته التى يرأس تحريرها « نحن حتى لا نحارب المعتدى الصهيونى باسم الدين ـــ وهو قوام الكيان الصهيونى ـــ ولكن فى سبيل تحرير أرضنا المغتصبة » .

فهو يقر أن اسرائيل قائمة على التعصب الدينى ، ومع ذلك فلا نرى صحيفة واحدة فى العالم تقول ان اسرائيل دولة متعصبة دينيا ، اما نحن اذا رفعنا شعار الله اكبر وهى مجرد كلمة نرجو أن تتحقق الى واقع عملى ، رمينا بالتعصب وقيل لنا إننا متعصبون .

ان الكيان الصهيونى لا يستهدف مصر وحدها ولا حتى العالم العربى بأجمعه بل إنه يعمل على تدمير العالم الاسلامى كله وتحطيم العقيدة الاسلامية فى نفوس أبنائه ويجب الاعداد لسحق اسرائيل المعتدية كلية ، ولن يتم القضـــاء عـــلى اسرائيل الا بعد أن نعد انفسنا بمثل ما تقيم عليه اسرائيل دولتها .

خليل محارب السويركى

أخبار العالم الاسلامي

اعداد : الأستاذ فهمى الامام

الكويت : أدى سمو أمير البلاد المعظم صلاة عيد الأضحى المبارك بمسجد السوق الكبير .

● بعث سمو أمير البلاد ببرقيتى تهنئة بالعيد الى رجال القوات المسلحة الكويتية المرابطين على خط النار فى سورية ومصر .. وقد أذاع نص البرقيتين راديو الكويت .

● أدلى وزير الداخلية والدفاع بتصريح جاء فيه : اننا عندما أقدمنا على اتخاذ قرار وقف الضخ أخذنا بالحسبان كل الاحتمالات المرتقبة وقال : ان التهديدات ما كانت يوما لتخيف العرب فنحن أمة جبلت على الشجاعة .

● بحث وزير الأوقاف والاعلام الباكستانى مع المسئولين مراحل الاستعداد لمؤتمر القمة الاسلامى المتوقع عقده فى باكستان فى الشهر القادم .

● زار البلاد وفد من كينيا برئاسة نائب وزير المالية ورئيس الجالية الاسلامية فى كينيا ، ومما يذكر أن كينيا قطعت علاقتها باسرائيل مؤازرة للعرب .

● نظمت ادارة النشاط الثقافى بوزارة التربية مسابقات لطلاب وطالبات المدارس الثانوية وما فى مستواها ومن موضوعات المسابقة التضامن العربى خلال عام ١٩٧٣ ودور الكويت فيه .

● زار الكويت الرئيس الصومالى محمد زيادى برى بعد أن أدى فريضة الحج هذا العام .

القاهرة : قررت لجنة السنة النبوية برئاسة فضيلة شيخ الأزهر اصدار موسوعة للأحاديث النبوية مع شرحها وبيان الأحاديث المنسوبة للرسول خطأ .

● عرض فضيلة شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود على سمو أمير دولة قطر مشروعا بانشاء كلية للشريعة الاسلامية فى قطر .. وقد وافق سمو الأمير على المشروع .

● قرر مجمع البحوث الاسلامية اصدار دائرة معارف قرآنية ومعانيه اللغوية المبسطة مع معجم تاريخى وجغرافى مبسط يشمل خرائط رصد الأماكن والمعالم الأثرية الواردة فى القرآن الكريم .

□□□□

السعودية : أكد جلالة الملك فيصل فى حديث أذاعه راديو الرياض أنه ليس لليهود أية علاقة أو حق بأن يكون لهم وجود أو سلطة أو تصرف فى مدينة القدس . ولا صحة لما يدعيه اليهود من وجود هيكل سليمان فى مدينة القدس لان الرومان عندما استولوا على المدينة نقلوا الهيكل منها .

● بلغ عدد الحجاج الذين وقفوا بعرفات هذا العام مليونا ومائة وثلاثة وعشرين حاجا تقريبا .

● عقد بالسعودية مؤتمر وزراء مالية الدول الاسلامية ، واتخذ المؤتمر قراره بانشاء بنك اسلامى للتنمية يكون مقره جدة ، وتشكلت لجنة

تحضيرية لانشاء البنك برئاسة السيد تنكو عبد الرحمن .

ووافق المؤتمرون على عقد مؤتمر سنوى لوزراء مالية الدول الاسلامية

● وزعت وزارة المعارف مجموعة كبيرة من الكتب الدراسية للمرحلة الثانوية والمتوسطة والابتدائية على رابطة معلمى اللغة العربية والاتحاد الاسلامى بداكار بالسينغال .. وذلك مساهمة منها فى نشر الدين الاسلامى واللغة العربية فى أفريقيا .

□□□□

ابو ظبى : قرر مجلس وزراء « ابو ظبى » المساهمة فى انشاء المركز الاسلامى الافريقى بالخرطوم بمبلغ مليون جنيه .

□□□□

الأردن : قررت الأردن المشاركة فى رأسمال البنك الاسلامى للتنمية بمبلغ ٢٩٠ الف جنيه .

● بلغ عدد الخريجين من دار القرآن فى « عين جنة » بلواء عجلون ٦٠ طالبا وقد وزع وكيل وزارة الأوقاف الشهادات على الخريجين .

□□□□

الجزائر : أعلنت وزارة التعليم الأصلى والشئون الدينية أن الملتقى الثامن للفكر الاسلامى سينعقد فى « بجاية » من الفاتح الى الثانى عشر من ربيع الأول ١٣٩٤هـ .

□□□□

المغرب : افتتح وزير الأوقاف والشئون الاسلامية والثقافة مسجدا جديدا فى « بنى كرار » .

● قررت وزارة التربية الوطنية تعريب كلية الآداب والعلوم الانسانية فى جميع أقسام العلوم الانسانية .

● صدر العدد الأول من مجلة « التضامن » .. ومن أهداف المجلة مواصلة الدعوة الى فكرة التضامن الاسلامى ، وابراز شئون العالم الاسلامى ، والدعوة الى الرجوع للنبع الصافى من كتاب الله وسنة رسوله .

● أخبار متفرقة ●

باكستان : أعلنت باكستان أنها تستعد لعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية فى مدينة «لاهور» .

● قال السيد ذو الفقار على بوتو رئيس وزراء باكستان : ان هناك اليوم من المغرب على المحيط الأطلسى الى أندونيسيا على المحيط الهادى رغبة متجددة ومعززة لتحرير العالم الاسلامى من ربقة السيطرة السياسية والاقتصادية الأجنبية .

● أعلن وزير الحج والأوقاف والاعلام الباكستانى أن (٦٠٠٠٠) باكستانى أدوا فريضة الحج هذا العام .

□□□□

أندونيسيا : بلغ عدد المصاحف التى طبعت فى أندونيسيا خلال السنوات الثلاث الماضية حوالى ١١ مليونا ونصف مليون مصحف الى جانب ٣٠٠ كتاب اسلامى باللغة الأندونيسية .

□□□□

نيجيريا : ستقام بنيجيريا محطة اذاعة إسلامية ، وهى أول اذاعة اسلامية تقام فى جنوب الصحارى بأفريقيا .

● تكونت الرابطة الاسلامية بنيجيريا لتنسيق وتدعيم النشاط الذى يقوم به الهلال الأحمر ، وجعله متمشيا مع العقيدة الأسلامية وفى خدمة الدعوة الاسلامية .

□□□□

غينيا : قررت غينيا تدريس اللغة العربية فى مختلف مراحل التعليم بنفس القدر الذى تدرس به اللغة الغينية المحلية ، وذلك خدمة للغة القرآن حتى يتمكن المسلمون من تفهم دينهم .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	محرم ١٣٩٤	يناير ١٩٧٤	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الخميس	١	٢٤	٥ ٩	٦ ٤١	١٢٠٠	٣ ٥٨	٥ ١٨	٦ ٣٩	١١ ٥٢	١ ٢٣	٦ ٤٢	٩ ٤٠	١ ٢١
الجمعة	٢	٢٥	٩	٤١	٠٠	٥٨	١٨	٣٩	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
السبت	٣	٢٦	٩	٤٠	٠٠	٥٩	١٩	٤٠	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
الاحد	٤	٢٧	٩	٤٠	٠٠	٠٣	٢٠	٤١	٤٨	١٩	٤٠	٤٠	٢١
الاثنين	٥	٢٨	٨	٣٩	٠٠	٠٠	٢١	٤٢	٤٧	١٨	٣٩	٣٩	٢١
الثلاثاء	٦	٢٩	٨	٣٩	١	١	٢٢	٤٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١
الاربعاء	٧	٣٠	٨	٣٨	١	٢	٢٣	٤٣	٤٥	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الخميس	٨	٣١	٧	٣٨	١	٣	٢٤	٤٤	٤٤	١٤	٣٧	٣٩	٢٠
الجمعة	٩	فبراير	٧	٣٧	١	٣	٢٤	٤٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
السبت	١٠	٢	٧	٣٧	١	٤	٢٥	٤٥	٤٢	١٢	٣٦	٣٩	٢٠
الاحد	١١	٣	٦	٣٦	١	٥	٢٦	٤٦	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠
الاثنين	١٢	٤	٦	٣٦	٢	٥	٢٧	٤٧	٣٩	٩	٣٥	٣٨	٢٠
الثلاثاء	١٣	٥	٥	٣٥	٢	٦	٢٨	٤٨	٣٧	٧	٣٤	٣٨	٢٠
الاربعاء	١٤	٦	٥	٣٥	٢	٧	٢٩	٤٨	٣٦	٦	٣٣	٣٨	٢٠
الخميس	١٥	٧	٤	٣١	٢	٧	٣٠	٤٩	٣٤	٤	٣٢	٣٨	٢٠
الجمعة	١٦	٨	٣	٣٣	٢	٨	٣٠	٥٠	٣٣	٣	٣٢	٣٧	١٩
السبت	١٧	٩	٢	٣٢	٢	٨	٣١	٥٠	٣١	١	٣١	٣٧	١٩
الاحد	١٨	١٠	٢	٣٢	٢	٩	٣٢	٥١	٣٠	٠٠	٣٠	٣٧	١٩
الاثنين	١٩	١١	١	٣١	٢	١٠	٣٣	٥٢	٢٨	٢٥٨	٢٩١	٣٧	١٩
الثلاثاء	٢٠	١٢	٠٠	٣١	٢	١٠	٣٤	٥٣	٢٧	٥٧	٢٩	٣٧	١٩
الاربعاء	٢١	١٣	٥٩	٣٠٤	٢	١١	٣٤	٥٣	٢٥	٥٥	٢٨	٣٦	١٩
الخميس	٢٢	١٤	٥٨	٢٩	٢	١١	٣٥	٥٤	٢٣	٥٣	٢٧	٣٦	١٩
الجمعة	٢٣	١٥	٥٨	٢٨	٢	١٢	٣٦	٥٥	٢٢	٥٢	٢٦	٣٦	١٩
السبت	٢٤	١٦	٥٧	٢٧	٢	١٣	٣٧	٥٦	٢٠	٥٠	٢٥	٣٦	١٩
الاحد	٢٥	١٧	٥٦	٢٦	٢	١٣	٣٨	٥٧	١٨	٤٨	٢٥	٣٥	١٩
الاثنين	٢٦	١٨	٥٥	٢٥	٢	١٤	٣٨	٥٧	١٧	٤٧	٢٤	٣٥	١٨
الثلاثاء	٢٧	١٩	٥٤	٢٤	٢	١٤	٣٩	٥٨	١٥	٤٥	٢٣	٣٥	١٨
الاربعاء	٢٨	٢٠	٥٣	٢٣	٢	١٥	٤٠	٥٨	١٣	٤٣	٢٢	٣٥	١٨
الخميس	٢٩	٢١	٥٢	٢٢	٢	١٥	٤١	٥٩	١١	٤١	٢١	٣٤	١٨
الجمعة	٣٠	٢٢	٥١	٢١	١	١٦	٤١	٥٩	١٠	٤٠	٢٠	٣٤	١٨

الأم الأولى للمؤمنين :

السيدة خديجـــة

- **الأم الأولى للمؤمنين هى السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد القرشيـــة الأسدية من أكرم عقائل قريش وأرفع بيوتاتها ، وكان لقبها فى الجاهلية ((الطاهـــرة)) .**

- تزوجت من أبى هالة بن زراة التميمى ، وبعده اقترنت بعتيق بن عائـــذ المخزومى .

- كانت غنية تستثمر أموالها فى التجارة ، وتستعين بمن تثق من الرجـــال فى تجارتها ، استعانت (بمحمد) صلى الله عليه وسلم ، وارسلت برفقته خادمها ميسرة ، ولما عاد أسرع الى سيدته وأخبرها بما حققه محمد من ربح عظيم ، وبما رآه من صدقه وأمانته ، فبعثت اليه تعرض عليه الزواج منها .

- تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها أربعون سنة ، وكان فى سن الخامسة والعشرين ، وأقامت معه خمسا وعشرين سنة ، وواسته بنفسها ومالها ، وكانت أول من آمن به ، فلم ير زوجان أسعد بيتا ولا أصدق وفاء من محمد رسول الله وزوجه خديجة أم المؤمنين ، أنجبت له كل أولاده الا ابراهيم ، وكانوا ستة هم ، القاسم ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة وعبد الله ، وكلهم توفى قبله إلا فاطمة فانها انتقلت الى جوار ربها بعده بستة أشهر .

- وارتحلت خديجة الى الرفيق الأعلى وهى فى الخامسة والستين ، ودفنت بالحجون ، ونزل النبى صلى الله عليه وسلم فى حفرتها وحزن عليها حزنا شديدا ، ولم ينس لها وفاءها وإخلاصها طول حياته . رضى الله عنهـــا وأرضاها وجزاها عنا خير الجزاء .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شــارع فرنســا .

المغـرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧) .

الأردن : عمــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـدة : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـرين : المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .

قطــر : الدوحــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبــى : مطبعة دبى .

الكـويت : مكتبة الكــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

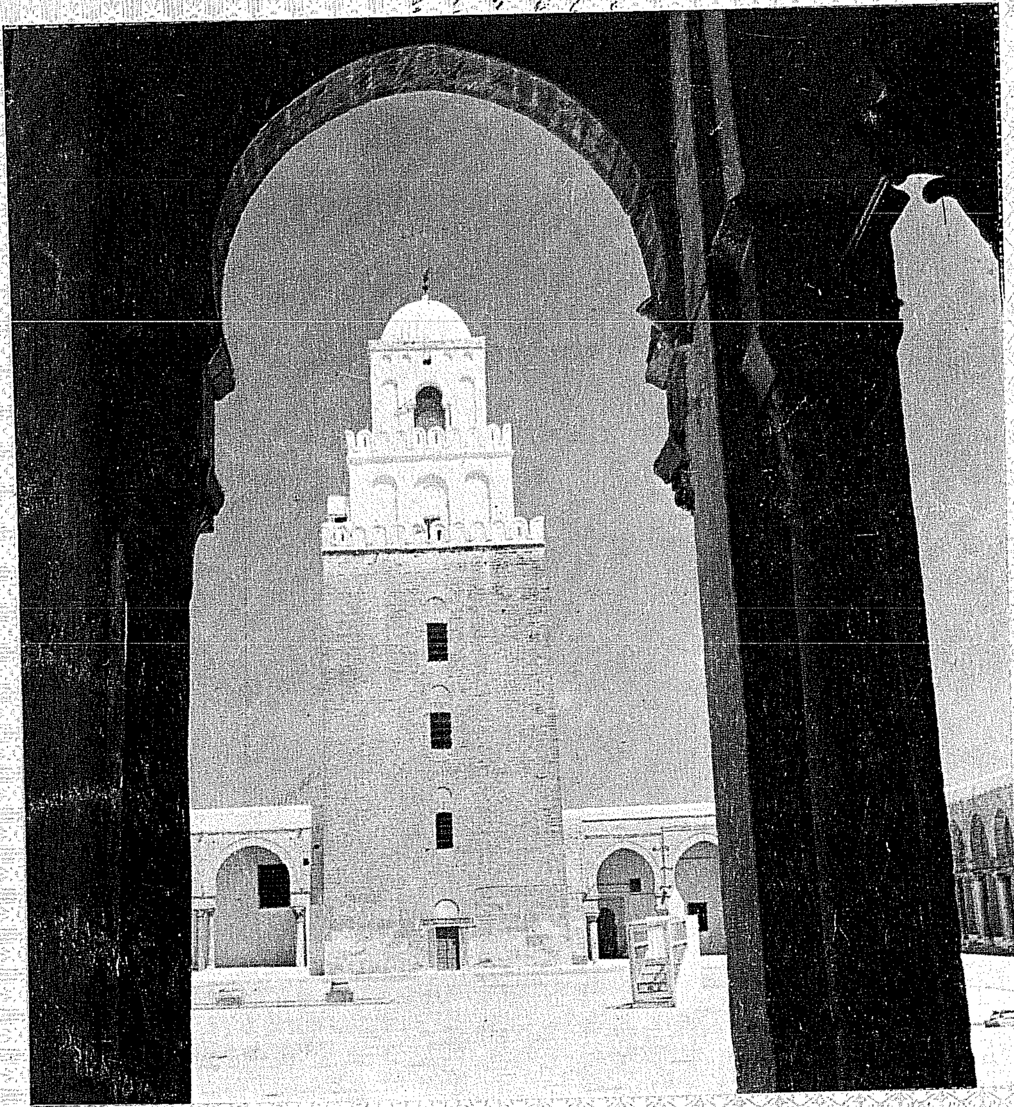
اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة العاشرة ـ العدد ١١٠ ـ غرة صفر ١٣٩٤ هـ ـ فبراير ١٩٧٤ م



يا أيها الذين آمنوا

اصبروا وصابروا ورابطوا

واتقوا الله لعلكم تفلحون



صومعة جامع القيروان ، وهي ذات طوابق ثلاثة ، وارتفاعها ٣٥ مترا . بناها الأمير حسان بن نعمان ، وقد بني جامع القيروان بتونس القائد المظفر عقبة بن نافع بعد ٤٩ عاما من وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

(تصوير مجلة العربي)

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١١٠

غرة صفر ١٣٩٤ هـ

فبراير ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

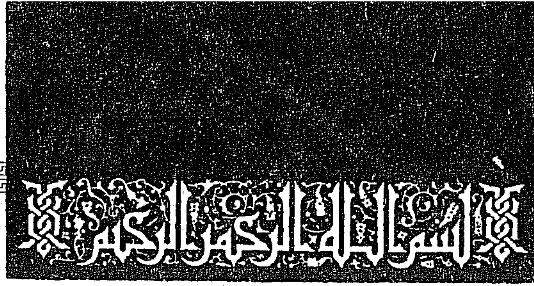
الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي ــ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ ــ كويت ــ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨



الله

هذا الاسم الكريم علم على الذات المقدسة التى نؤمن بها ، ونعمل لها ونعرف أن منها حياتنـــا واليها مصيرنا .

والله تبارك وتعالى اهل الحمد والمجد وأهل التقوى والمغفرة ، لا نحصى ثناء عليـــه ، ولا نبلغ حقه توقيرا واجلالا .

ولو أن البشر منذ كتب لهم تاريخ والى أن تهمد لهم على ظهر الأرض حركة ــ نسوا الله ما خدش ذلك شيئا من جلاله ، ولا نقص ذرة من سلطانه ، ولا كسف شعاعا من ضيائه ، فهو سبحانه أغنى بحوله وطوله وأعظم بذاته وصفاته وأوسع فى ملكوته وجبروته من أن ينال منه وهم واهم أو جهل جاهل .

ولئن كنا فى عصر عكف على هواه ، وذهل عن أخراه ، وتنكر لربه ، ان ضير ذلك يقع على أم راسه ولن يضر الله شيئا .

ووجوده تعالى من البداهات التى يدركها الانسان بفطرته ، ويهتدى اليهـــا بطبيعته ، وليس من مسائل العلوم المعقدة ، ولا من حقائق التفكير العويصة ، ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء ، واقتراب المسافة جدا قد يعطل الرؤية ما اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد **(أفى الله شك فاطر السموات والأرض)** .

وقد جاءت الرسل لتصحيح فكرةالناس عن الألوهية ، فانهم وان عرفوا الله بطبيعتهم الا انهم أخطأوا فى الاشراك به والفهم عنه .

والبيئة الفاسدة خطر شديد على الفطرة فهى تمسخها وتشرد بها وتخلف فيها من العلل ما يجعلها تعاف العذب وتسيغ الفج ، وذلك سر انصراف فريق من الناس عن الايمان وقبولهم الكفر أو الالحاد مع منافاة ذلك لمنطق العقل وأصل الخلقـــــة .

وقد اقترنت حضارة الغرب التى تسود العالم اليوم بنزوع حاد الى المماراة فى وجود الله والنظـــر الى الأديان جملة نظـــرة تنقص ، أو قبولها كمسكنات اجتماعيــــة .

ولا شك أن المحنة التى يعانيها العالم اليوم ، أزمة روحية منشؤها كفره بالمثل العليا التى جاء بها الدين ، فلا نجاة له مما يرتكس فيه الا بالعودة الى هذه المثل يهتدى اليها بفطرته كما يهتدى الجنين سبيله فى ولادته ، ومتى هدى العالم الى الفطرة هدى الى الاسلام فان الاسلام هو دين الفطرة .



ان الانسان لم يخلق نفسه ، ولم يخلق اولاده ، ولم يخلق الأرض التى يعيش عليها ، ولا السماء التى يستظل بها ، والبشر الذين ادعوا الألوهيــــة لم يكلفوا أنفسهم مشقة ادعاء ذلك ، فمن المقطوع به ، أن وظيفة الخلق والابداع من العدم لم ينتحلها لنفسه إنسان ولا حيوان ولا جماد ، ومن المقطوع به كذلك أن شـــــيئا من ذلك لا يحدث من تلقاء نفسه فلم يبق الا الله .

« أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السمــــوات والأرض بل لا يوقنون » .

ولو دخل المرء دارا فوجد فيها غرفة مهيأة للطعام ، وأخرى للمنام واخرى للضيافة وأخرى للنظافة لجزم بأن هذا الترتيب لم يتم وحده ، وان هذا الاعداد النافع لا بد قد نشأ عن حكمة وتقدير وأشرف عليه فاعل يعرف ما يفعل .

والناظر فى الكون وآفاقه والمادة وخصائصها يعرف أنها محكومة بقوانين مضبوطة شرحت الكثير منها علوم الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب ، وما وصل اليه علم الانسان من أسرار الكون حاسم فى أبعاد كل شبهة توهم أنه وجد كيفما اتفق .

« تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا . وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) .

وهذه الكواكب السيارة التى تخترق أعماء الجو والتى تلتزم مدارا واحدا لا تنحرف عنه يمينا ولا يسارا ، وتلتزم سرعة واحدة لا تبطىء فيها ولا تعجل ، ثم نرتقبها فى موعدها المحسوب فلا تخالف عنها ابدا .

هذه الكرات الغليظة الحجـم . الحى منها والميت . المضىء منها والمعتم معلقة لا تسقط . سائرة لا تقف . كل فى دائرته لا يعدوها ، وقد يصطدم المشاة والركبان على أرضنا وهم أهل بصر وعقل .. أما هذه الكواكب التى تزحم الفضاء فانها لا تزيغ ولا تصطدم .

من الذى هيمن على نظامها وأشرف على مدارهـا ؟ بل من الذى أمسـك بأجرامها الهائلة ودفعها تجرى بهذه القوة الفائقة .. انها لا ترتكز فى علوهـا الا على دعائم القدرة .

((ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا)) .

اما كلمة الجاذبية فدلالتها العلمية كدلالة حرف (س) على المجهول .. انها رمز لقوانين تصرخ باسم الله ، ولكن الصم لا يسمعون .

ان وجود كل منا له بداية معروفة ، فنحن قبل ميلادنا لم نكن شيئا يذكر **((هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)) .**

وعناصر الكون الذى نعيش فيه كذلك لها بداية معروفة ، وعلماء الجيولوجيا يقدرون لها اعمارا محدودة ، مهما طالت فقد كانت قبلها صفرا .. وكان هناك ظن بأن المادة لا تفنى ، اعتمد عليه فريق من الناس فى القول بقدم العالم وما يتبع هذا القدم الموهوم من أباطيل .. على أن تفجير الذرة هدم هذا الظن ، ولو لم يتم تفجيرها ما قبلنا هذا الظن على أنه حقيقة ثابتة فان المفتاح الذى يفتح على العالم أبواب الفناء ليس من الضرورى أن يضعه الله فى أيدى العلماء . وعدم اهتـداء الناس الى ما يدمر مادة الكـون لا يعنى أن مادة الكـون غير قابلة للدمار والفنـاء .
اننا جازمون بأن وجودنا محدث لأن تفكيرنا واحساسنا يهدينا لذلك ، وغير معقول أن يتطور العدم الى وجود تطورا ذاتيا .

انه اذا وقعت حادثة لم يدر فاعلها قيل أن الفاعل مجهول ، ولم يقل أحد انه ليس لها فاعل ، فكيف يراد من العقلاء أن يقطعوا الصلة بين العالم وبين ربه . اننا لم نكن شيئا فكنا .. فمن كوننا **(قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) .**

□□□□

نشوء حياتنا هذه ودوامها يقومان على جملة ضخمة من القوانين الدقيقة يحكم العقل باستحالة وجودها هكذا جزافا ، فوضع الأرض أمام الشمس مثلا ، ثم على مسافة معينة لو نقصت بحيث ازداد قربها من الشمس لاحترقت أنواع الأحياء من نبات وحيوان ، ولو بعدت المسافة لعم الجليد والصقيع وجه الأرض وهلك كذلك الزرع والضرع .. أفتظن اقامتها فى مكانها ذاك جاء خبط عشواء .

وحركة المد والجزر التى ترتبط بالقمر ، أفما كان من الممكن أن يقترب القمر من أمه الأرض اكثر فيسحب أمواج المحيطات سحبا يغطى به وجه اليابسة كلها ثم ينحسر عنها وقد تلاشى كل شيء ؟

من الذى أقام القمر على هذا المدى المحدود ليكون مصدر ضوء لا مصدر هلاك .

اننا على سطح الأرض نستنشق الأوكسجين لنحيا به ونطرد الكربون الناشيء من احتراق الطعام فى جسومنا ، وكان ينبغى أن يستنفد الأحياء وما اكثرهم هذا العنصر الثمين فى الهواء فهم لا ينقطعون عن التنفس أبدا .. لكن الذى يقع أن النبات الأخضر يأخذ الكربون ويعطى بدله أوكسجين ، وبهذه المعاوضة الغريبة يبقى التوازن فى طبيعة الغلاف الهوائى الذى يحيا فى جوه اللطيف الحيوان والنبات جميعا . أفتحسب هذا التوافق حدث من تلقاء نفسه ؟

اننى أحيانا أسرح الطرف فى زهرة مخططة بعشرات الألوان التقطها من بين مئات الأزهار الطالعة فى احدى الحدائق ، ثم أسأل نفسى : بأى ريشة نسقت هذه الالوان ؟ انها ليست الوان الطيف وحدها .. انها مزيج رائق ساحر من الألوان التى تبدو هنا مخففة وهنا مظللة وهنا مخططة وهنا منقطة .

وانظر الى أسفل الى التراب الأعفر انه بيقين ليس راسم هذه الألوان ولا موزع أصباغها .. هل الصدفة هى التى أشرفت على ذلك إن المرء يكون غبيا جدا عندما يتصور الأمور على هذا النحو .

ان انشاء الحياة فى أصغر خلية يتطلب نظاما بالغ الاحكام ، ومن الحمق تصور الفوضى قادرة على خلق (جزىء) فى جسم دودة حقيرة فضلا عن خلق جهازها الهضمى والعصبى . فما بالك بخلق هذا الانسان الرائع البنيان الهائل الكيان . ثم ما بالك بخلق ذلك العالم الرحب ؟

ان العلم برىء من مزاعم الالحاد ومضاد لما يرسل من أحكام بلهاء .. الحق ان الالحاد الذى يشيع بين طوائف المتحذلقين والمتنطعين لا يستند ألبتة الى ذرة من المعرفة أو التفكير السليم .

محمد الغزالى

نظرات في الحديث النبوي

٢

للدكتور محمد عبد الرؤوف

تحدثنا فى المقال الثانى من هذه السلسلة عن المرحلة الأولى من مراحل تدوين الحديث الشريف ، وسميناها « مرحلة الصحيفة » ، وذكرنا أن الصحابة وكبار التابعين ترددوا أمدا طويلا فى شأن تدوين الحديث ، فقد كان يدفعهم لكتابته رغبتهم فى الحفاظ عليه والانتفاع بالمكتوب فى تأييد الذاكرة ، غير أن تخوفهم مما قد يترتب على الكتابة من اثر على القرآن الكريم ومكانته الفذّة جعلهم يحجمون عن كتابة الحديث لغرض التداول ، ثم ان الصحابة على العموم كانوا يتحرّجون من فعل لم يعهد عمله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتا لنذكر كيف أن الصديق وزيد بن ثابت رضى الله عنهما ترددا فى شأن جمع الصحف القرآنية التى كانت كتبت على عهده صلى الله عليه وسلم حتى قال زيد : « لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىّ مما أمرونى به من جمع القرآن » .

فمع أن القرآن كان قد كتب وقيّد فى أثناء حياة الرسول صلوات الله عليه وبأمره فقد اعتبر ابو بكر وزيد جمع هذه الصحف القرآنية وترتيبها أمرا خطيرا ترددا فى عمله حتى اقتنعا وشرح الله صدرهما له ، وكذلك بدا للصحابة رضى الله عنهم أن تقييد الحديث وجمعه فى شكل كتاب أو كتيب أو كتيبات أمر خطير ، فترددوا وأحجموا حتى تغير الحال وتبدلت الظروف حوالى العقد الثامن من القرن الأول الهجرىّ حين تبدد الخوف على القرآن المجيد وخُشى على ضياع الحديث بذهاب حفظته من الرعيل الأول ، ومسّت الحاجة لدراسته وتمييز السليم من الدخيل منذ اشتدت الخصومات وكثرت الفتن واستخدم الحديث فى الجدل وسعت كل فرقة لتجد فى السنة ما يؤيد رأيها ويدحض موقف خصومها .

ولنستطرد قليلا فنسوق مثالا واحدا لبيان أهمية الحديث فى هذا الصدد ، وهو ما رواه مسلم فى أول صحيحه عن حميد بن عبد الرحمن قال : « كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين ، فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول فى القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبى أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبى سيكل الكلام الىّ فقلت : أبا عبد الرحمن ، انه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم ، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف ، قال : فاذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم برآء منى ، والذى يحلف بـه عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم ملء الأرض ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ، ثم قال : حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال : « وساق ابن عمر الحديث الذى يذكر فيه رجل طلع وجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسند ركبته الى ركبتيه ، وسأله عن الاسلام والايمان والاحسان ، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تعريف الايمان : « وتؤمن بالقدر خيره وشره » (١) .

وبينما لجأ المخلصون الى السنة يستضيئون بهديها ويستمدون من نورها ، عمد بعض أهل الزيغ الى الابتكار فنسبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله ، وهكذا تعددت الأسباب المقتضية لتدوين الأحاديث وارتفعت الموانع ورأى الصحابة وكبار التابعين أنه لم يبق مبرر للتردد ، فصح عزمهم على تقييد العلم .

على أننا نعتقد أن هذا التحول لم يحدث فجأة بل تدرج مع الزمن ، لذلك نجد أنه كان لبعض الصحابة والتابعين صحف ترجع الى تاريخ مبكر ، كالصحيفة الصادقة المنسوبة لعبدالله ابن عمرو بن العاص الذى قبض عام ٦٣ هـ ، وكصحيفة همام بن منبه التى اقتبسنا صدرها من قبل وذكرنا أن كتابتها كانت قبل وفاة شيخه أبى هريرة عام ٥٨ هـ .

واذاو صفت صحيفة همام بن منبه بأنها أقدم تأليف فى الحديث فلا يعنى ذلك أنها سبقت كتابتها كتابة غيرها من الصحف المنسوبة الى الصحابة رضوان الله عليهم ، ولكن المقصود أنها أقدم تأليف بقيت منه نسخ مستقلة وصلت الينا ككتاب مستقل بصرف النظر عن كونها قد استوعبت فى المسانيد والصحاح التى جمعت بعد ذلك ، فالصحيفة الصادقة لا نعرف منها الآن نسخة مستقلة بذاتها ككتاب أو كتيب مؤيد بالسند ، وان هى استوعبت فى الكتب الكبرى كما استوعبت صحيفة همام ، ولكن قد تكشف البحوث والجهود عن وجود مخطوطات لصحف قديمة أخرى ، وقد عثر فعلا على صحيفة تنسب لصحابى آخر هو نبيط بن شريط الأشجعى الكوفى ورواها عنه ابنه سلمة الذى يعتبر من الثقات ، ويقال انه توجد نسخة منها فى مكتبة الظاهرية بدمشق وأخرى بدار الكتب بالقاهرة (٢) ، فاذا صح نسبتها فهى من أقدم الصحف الباقية .

* * *

ولنعد الآن الى النص الذى اقتبسناه فى الحلقة الثانية من هذه المقالات ، من صحيفة همام بن منبه ، ولنلق نظرة على الطريقة التى أوصل

بها همام أحاديثه الى النبى صلى الله عليه وسلم :

يقول همّام : « هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وساق الأحاديث الأول فالثانى فالثالث ، وهكذا ، فاصلا بينها بمثل هذه الكلمات » . « وقال صلى الله عليه وسلم » أو : « وقال أبو القاسم » .. وهكذا ..

فلم يبدأ همّام قائلا : « قال النبى صلى الله عليه وسلم » ولكن ذكر ما يدل على انه تعلم هذه الأحاديث من شيخه أبى هريرة الصحابى وتلقاها عنه ، فأبو هريرة هو طريقه الى الرسول وسنده الذى اعتمد عليه فى معرفة الحديث ، لذلك يسمى ذكر الراوى أو مشايخه الذين تعلم الحديث عن طريقهم : « سندا » أو « إسنادا » وغلب استعمال الاصطلاح الثانى وهو « الإسناد » .

وحيث ان عهد همّام كان قريبا من عهد رسول الله ولم يكن بينه وبين صاحب الحديث صلى الله عليه وسلم الا جيل واحد فان إسناده مكوّن من ذكر معلم واحد وهو الصحابى ، ولكن اذا نزل الراوى زمنا وكان بينه وبين المصطفى عدد من الاجيال فان سلسلة الاسناد تمتد وعدد حلقاته تتعدد ، فأبو بكر القطيعى ، راوى الصحيفة كما وردت بمسند احمد بن حنبل — بعيد العهد من رسول الله(٣) ، لذلك نجد اسناده طويلا نسبيا ، فهو يروى عن شيخه عبدالله ابن أحمد ، وعبد الله هذا يروى عن شيخه وأبيه الامام ، ويروى الامام أحمد عن شيخه عبد الرزاق ، وهو بدوره يروى عن معمر ، فعن همام ابن منبه ، فعن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكل من حلقات هذه السلسلة فوق القطيعى شيخ لمن دونه وراو عمَّن فوقه ، والشيخ أو المعلم الأول هو النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون صحابيا اذا كان لفظ الحديث له كأن يقصّ شيئا عن أحوال الرسول أو يذكر فعلا من أفعاله عليه الصلاة والسلام .

وعليه ، فالاسناد هو سلسلة المحدثين الذين يروى الراوى حديثه عن طريقهم سواء قلّ عددهم أو كثر ، وقد يتصل هذا الاسناد وقد ينقطع كما سنشرحه فيما بعد ان شاء الله .

وفى تقديم الحديث بذكر اسناده أمارة على صحة نسبة الحديث الى صاحبه عادة ، وتمكين للباحث من معرفة درجة هذه الصحة بناء على ما يثبته البحث من درجة ضبط رواته الواردة أسماؤهم فى الاسناد ومبلغ عدالتهم ، وفيه كذلك وقاية من خطر الكذابين والوضاعين ، فلو لم يكن هناك اهتمام بالاسناد وسُمح لمن يرغب فى التحديث أن يكتفى بقوله : « قال عليه الصلاة والسلام » : لكان الأمر أسهل وأيسر على الوضاعين دون أن ينكشف أمرهم أو يفتضح غشهم ، لذلك كان الاسناد — وهو مما ميز الله به هذه الأمة — أمرا من أمور الدين ، وقد روى مسلم فى مقدمة صحيحه أن عبد الله بن المبارك كان يقول : « الإسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » وروى أيضا فى نفس المقدمة أن محمد ابن سيرين قال : « ان هذا العلم (الحديث) دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم » .

ويمكننا أن نستنبط من استعمال همام بن منبه الاسناد فى رواية صحيفته — ويغلب انه حررها فى

منتصف القرن الأول من الهجرة — أن استخدام الاسناد عند رواية الحديث كان مبكرا ، ويبدو أن هذا كان أمرا طبيعيا ، فالراوى يحدث عن صاحب المقام الجليل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا روعة واحساس عاطفي بليغ ، فالراوى من شأنه فى مثل هذا الموقف المهيب أن يتذرع بذكر سنده وطريقه الى الرسول فيدعم دعواه بذكر مصدرها ويلتمس الكرامة بذكر اسم شيخه وخاصة اذا كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك نعتقد أن الاسناد نشأ طبيعيا ثم نما وتطور ، ثم لما أساء البعض استخدام الحديث وتجاسر الملحدون على الوضع والكذب تعمد المحدثون الصادقون التأكيد على الاسناد والاهتمام بشأنه ، لذلك نقرأ لمحمد بن سيرين فيما رواه مسلم وغيره : « لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم ، فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » . ولا يعنى ابن سيرين الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الهجرى الاول وتوفى عام ١١٠ هـ ، أن الاسناد لم يكن مستعملا أول الأمر ثم مست الحاجة اليه عند ظهور الفتن ، بل قد كان الاسناد مستعملا فى رواية الحديث قبل ذلك حتى أننا نجده فى حالة رواية الصحابى عن صحابى آخر ، ولكن المعنى — على ما نعتقد — أن الانتباه أول الأمر كان منصرفا الى نص الحديث وفحواه فلما حدثت الفتن وجه جزء كبير من العناية الى الاسناد وفحص حال رجاله للنظر فى درجة الحديث من الصحة والقبول أو غير ذلك .

ومن المهم أن نلفت النظر الى أن المواظبة على الاتيان بالاسناد كان شأن المحدثين ، وهم العلماء المعنيون برواية الحديث واثباته بصرف النظر عن مغزاه وأهميته ، فالاسناد كان لذلك هاما دائما بالنسبة اليهم أما الفقهاء ، والمفسرون وأصحاب السير فان عنايتهم كانت منصرفة نحو دلالة الحديث فى القرينة التى يساق لها ، لذلك كان هؤلاء يأتون بالاسناد أولا يأتون به ، وقد يقتبس أحدهم الحديث مرات فى مواضع مختلفة . فيأتى بالحديث مسندا فى موضع ثم يسوقه دون اسناده فى المواضع الأخرى ، وليس ذلك شأن المحدثين .

ولقد حاول بعض الغربيين من المستشرقين أن ينال من الاسناد ويثير حوله الشبه ليسىء الى الحديث نفسه باثارة الشك فى صحته ، كما خاض بعضهم فى شأن القرآن الكريم وتاريخه ولكن الله رد كيدهم فى نحورهم ، يزعم هؤلاء أن الأسانيد استحدثت مؤخرا ، وأن محدثى القرنين الثانى والثالث ابتدعوها من عند انفسهم ورفعوها من راو الى آخر حتى تصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كى يوهموا بها صحة احاديثهم ويؤيدوا بها دعاواهم ، وهذا زعم لا يقوم على أساس صحيح ولا على دليل معتمد ، وانما هو حدس وتخمين ورمى بغير حق يصاغ فى أسلوب قد يؤثر على خالى الذهن ممن يجهل شأن الحديث ودقة رواته وأمانتهم ، ولقد رأينا صحفا قديمة يرجع تاريخها لمنتصف القرن الأول وفيها رويت الأحاديث بأسانيدها ، كما أننا نجد أحاديث كثيرة روى الواحد منها بأسانيد مختلفة ، وينتمى الرواة فى الأسانيد الى فرق متباينة ولا يتأتى أن يتفق هؤلاء الرواة على اختلاق

الأسانيد لما كان بينهم من جفوة وشقاق ، اضف الى ذلك أن الرواة الذين بدأت بهم هذه الأسانيد كانوا يعيشون فى أمصار متفرقة وأقطار متباعدة لا يعرف الكثير بعضهم بعضا ومع ذلك فقد يروى عدد منهم الحديث الواحد متفق المعنى واللفظ أو متفق المعنى مع اختلاف لفظى يسير ، وهذا شأن كثير من الأحاديث الشريفة ، ولا يتصور مع التفرق وبعد الديار وعدم معرفة بعضهم البعض الآخر أن يتفقوا على الاختلاق والكذب ثم تأتى أسانيدهم بنصوص حديثية متفقة ومعان منسجمة متناسقة . « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون ! »

ويجمل بنا وقد فرغنا من تعريف الاسناد وشرح ثمراته وأكدنا قدم استعماله أن نتحدث الآن عن الطريقة أو الطرق التى تلقى بها الرواة الأحاديث عن شيوخهم ، وهذا موضوع هام لأن نوع الطريقة التى تلقى بها الراوى الحديث قد تؤثر على درجته من الصحة والسلامة . لذلك عنى رجال الحديث بدراسة هذا الموضوع ، وأطلقوا عليه : « تحمل الحديث » ، أى تعلمه وطريقة تلقيه من الشيخ أو المعلم .

يقول العلماء ، ان هناك طرقا ثمانية لتحمل الحديث ، أولها وأعلاها طريق « السماع » ويلعب فيه المعلم الدور الهام فيلقى بالعلم على طلابه وهم يسمعون ليعوا فى ذاكرتهم أو ليقابلوا على ما فى كتاب بأيديهم أو ليحرروا من املائه بكراساتهم ، وهذا أقدم الطرق وأقربها الى الطبيعة ، وقد كان طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم فى تعليم صاحبته رضوان الله تعالى عليهم .

الطريقة الثانية تسمى « القراءة » أى القراءة على الشيخ ، يقرأ التلميذ على الشيخ من الذاكرة أو من كتاب بيده ، فيقر الشيخ ما قرىء عليه ويجيز القارىء وزملاءه الحاضرين للقراءة ما قرىء عليه بحضرتهم ، وهذه طريقة هامة معتبرة أيضا وان كانت تعتبر دون سابقتها .

الطريقة الثالثة : « الاجازة » وهى أن يجيز الشيخ تلميذه برواية نص أو أكثر أو يمنحه رخصة برواية ما تحتوى عليه كراسة أو كتاب أو جزء معين منه ، ولكن لا بد أن يكون المجاز به معينا وأن يكون المجاز له من الثقات الماهرين ، وعلى كل حال فالاجازة أدنى منزلة من طريقى السماع والقراءة .

والطريقة الرابعة : « المناولة » ومعناها أن يناول الشيخ مريده كتابا على سبيل التمليك أو الاستعارة لينقل منه ويجيز له روايته وهى طريقة سائغة فى تحمل الحديث حتى أن بعضهم يرفعها لدرجة السماع ولكن المرجح أنها دون السماع والقراءة .

والطريقة الخامسة تسمى : « المكاتبة » ، وذلك أن يكتب الشيخ لتلميذه حديثا أو أحاديث ويبعث لتلميذه بالمكتوب أو يسلمه اياه اذا كان حاضرا ويجيزه بروايته ، ويقدم الرواى الذى تحمل بهذه الطريقة حديثه بعبارة « كتب الىّ » أو « من كتاب » .

والطريقة السادسة من طرق تحمل الحديث تسمى : « الاعلام » ومعناه أن يعلم الشيخ تلميذه أن حديثا ما أو أن عددا من الأحاديث من مروياته أو أنه سمعها أو يرويها عن فلان ، ثم يسيغ له روايتها .

والطريقة السابعة تسمى : « الوصية » وهى طريقة عجيبة يوصى

فيها الشيخ بكتاب له ليكون لآخر عند موته ويروى عنه منه ، وانما يسوغ للتلميذ رواية ذلك اذا نص على أن تحمله كان عن طريق الوصية .

والطريقة الثامنة والأخيرة تسمى « الوجادة » بكسر الواو ، ومعناها أن يجد الراوى كتابا صحيح النسبة لصاحبه لكنه لم يسمعه منه ولم يقرأه عليه ولم يناوله اياه ولم يجز له روايته ولا كاتبه بشأنه ، وليس للراوى ان يروى من ذلك الا بالنص على انه وجد كذا بخط فلان ، كما كان يصنع عبد الله بن احمد أحيانا فيقول: « وجدت بخط أبى كذا » ويسوق الحديث .

وقد اتفق العلماء على جواز رواية الراوى مما تلقاه بالمناولة أو المكاتبة اوالاعلام أوالمكاتبة مجردة عن الاجازة الشيخ للتلميذ برواية ما ناوله اياه أو كاتبه عنه أو أعلمه به ، واختلفوا فى جواز الرواية اذا كانت المناولة أو الاعلام أو المكاتبة مجرة عن الاجازة والواقع أن العلماء — رحمهم الله — افاضوا فى دراسة طرق التحمل وشرح تفاصيلها وما يترتب على كل منها من جواز الرواية أو عدمه ، وارجع ان شئت الى ما كتبه ابن الصلاح مثلا بشأن ذلك فى مقدمته المسماة « علوم الحديث » ، مما يعكس حرص العلماء البالغ على سلامة الحديث ودقة التحرى فى تلقيه وروايته .

وقد اهتم العلماء ايضا بضبط العبارات وتحديد الألفاظ التى يستعملها الراوى للدلالة على تلقيه ما يرويه عن شيخه ، فكان لا بد أن تتناسب مع الطريقة التى تحمل بها الحديث عنه ، فاذا كان التحمل بطريق « السماع » فله أن يقول : « سمعت فلانا يقول أو يحدث » مثلا أو « حدثنا فلان » أو « حدثنى » ، ويختلف الضمير على حسب ما اذا كان قد سمع وحده أو مع غيره . واذا كان نوع التحمل « القراءة » فللراوى أن يقول : « قرأت » أو « قرأنا عليه » أو « أخبرنا » أو « أخبرنى » . وهذا التفصيل هو اصطلاح المحدثين المتأخرين ، وأما الأقدمون فانهم أجازوا استعمال لفظ التحديث والإخبار فى كل من حالتى السماع والقراءة . ومن الألفاظ التى استعملها الرواة فى حال القراءة : « نبأنا » و « أنبأنا » ولكن كان ذلك نادرا نسبيا . وقد سوغوا للراوى فى حال التحمل بالاجازة أو المناولة أن يستعمل لفظ « أخبرنى » ، كما أن له أن يستعمل لفظ « أجازنى » فى حال الاجازة . ولفظ « ناولنى » فى حال المناولة .

ولنلق نظرة الآن — على ضوء ما تقدم — على الاسناد الذى رويت به صحيفة همام بن منبه ، وفيه قال أبو بكر القطيعى ما يلى :

« حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى (أى الامام أحمد صاحب المسند) ، ثنا (أى حدثنا) عبد الرزاق بن همام ثنا معمر ، عن همام بن منبه ، قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

نرى أن كل الرواة فى هذا السند — ما عدا معمر بن راشد — يستعملون لفظ « حدثنا » أو «حدثنى» وهذا يعنى أن كلا من هؤلاء تحمل أحاديث الصحيفة سماعا أو قراءة على الأقل اذا كانوا ممن يستسيغون استعمال لفظ التحديث فى حال التحمل بالقراءة ، أما معمر فقد اتصل بهمام فى هذا السند بلفظ « عن » ،

وحرف الجر هـذا كثيرا ما يرد فى الأسانيد ، ويوصف فى هذه الحالة بكونه « مُعَنْعَناً » ، والعنعنة تتضمن معنى الاجازة ، ولكنها تحتمل فى نفس الوقت أن الراوى لم يسمع مباشرة من الشيخ الذى يرد اسمه بعد حرف الجر بل قد يكون قد تلقاه عن شيخ هو أحد رواة الشيخ المذكور . وحيث سقط اسم هـذا الراوى من الاسناد فلا يمكن الحكم على مبلغ عدالته أو درجة ضبطه ، لذلك اشترط الامام مسلم — كما سنفصله فيما بعد — أن يكون الراويان فى الحديث المعنعن قد تعاصرا حتى يمكن لقاؤهما وتلقى أحدهما من الآخر ، وتشدد الامام البخارى فاشترط أن يثبت لقاؤهما .

ولكننا نعلم فى حال همام بن منبه ومعمر بن راشد أنهما تعاصرا ، فقد ولد أولهما فى ٤٠هـ وتوفى عام ١٣١هـ على الأظهر ، وولد معمر عام ٩٦هـ وتوفى عام ١٥٣ أو ١٥٤هـ ، كما ثبت أن معمر بن راشد كان أشهر تلاميذ همام بن منبه ، وأنه سمع من همام بعض الصحيفة وقرأ عليه بعضها الآخر ، حيث صاحبه معمر بعد أن كبر سنه وسقط حاجباه على عينيه ، ولقد قرأ همام على معمر حتى اذا ملّ أخذ معمر الصحيفة فقرأ الباقى (٤) .

وحيث فرغنا من التعليق على إسناد صحيفة همام الوارد فى مسند الامام أحمد . يحسن بنا أن نقارن بينه وبين اسناد الصحيفة نفسها الوارد فى النسخة الدمشقية التى يرجع تاريخها الى القرن السادس الهجرى والتى عالجها الدكتور محمد حميد الله ونشرها فى المجلد الثامن والعشرين من مجلة « المجمع العلمى الصادرة بدمشق عام ١٩٥٣م (٥) ، وهو كما يلى :

« **حدّثنا** الشيخ .. أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المسعودى .. بقراءته علينا من أصل سماعه .. فى السادس والعشرين من ذى القعدة سنة ٥٧٧ ، قال : **أخبرنا** الشيخ .. أبو الخير محمد بن أحمد الاصبهانى قراءة عليه وانا اسمع ، قال : **أخبرنا** والدى الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق قال : **أخبرنا** أبو بكر محمد ابن الحسين القطان . قال : **حدّثنا** أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمى قال : **حدّثنا** عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى ، **عن** همام بن منبه ، قال : هذا ما **حدّثنا** أبو هريرة عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : .. »

وبالتأمل نلاحظ ما يلى :

أولا : يلتقى السندان فى عبد الرزاق بن همام الحميرى ، فيشتركان فى الرواية عنه ، ثم عن معمر بن راشد ، فعن همام بن منبه صاحب الصحيفة ، فعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعليه فقد سمع الامام أحمد الصحيفة من عبد الرزاق كما وردت فى مسنده ، وسمعها منه أيضا أبو الحسين السلمى كما وردت فى النسخة الدمشقية ، وبالرغم من تعدد الأسانيد فان النصوص الحديثية فى النسخة الدمشقية والنسخة الألمانية التى اطلع عليها الدكتور حميد الله ونسخها ، وفى مسند الامام أحمد وكما وردت متفرقة فى كتب الصحاح متفقة تماما الا فيما ندر مما فقد يحدث نتيجةِ التصحيف أو السهو اليسير ، وهذا الاتفاق العجيب فى نصوص النسخ المروية عن هـذه

الصحيفة وامثالها يرد على طعون الذين يطعنون فى الحديث جملة متشددين باختلاف الروايات فى عدد من الأحاديث ، مما نرجو أن نتعرض له تفصيلا ان شاء الله .

ثانيا : يفرق رواة النسخة الدمشقية بين استعمال لفظ «حدثنا» ولفظ « أخبرنا » ، فيستعملون اللفظ الأول فى حال السماع من الشيخ نفسه ، ويستعملون اللفظ الآخر فى التحمل بالقراءة عليه بذلك يروى صاحب هذه النسخة عن شيخه المسعودى بلفظ « حدثنا » ثم يؤكد تحمله سماعا بقوله : « بقراءته علينا من سماعه » ، ويروى المسعودى « عن شيخه أبى الخير بلفظ «أخبرنا» ثم يؤكد أن تحمله كان بطريق القراءة قائلا : « قراءة عليه وأنا أسمع » ، اى أن أحد زملاء المسعودى قرأ على الشيخ أبى الخير بحضرة المسعودى واصغائه لما قرىء على الشيخ .

ثالثا : واشترك السندان فى لفظ الرواية عن عبد الرزاق ، وهو : « حدثنا » ، وفى لفظ الرواية عن همام بن منبه ، وهو : « عن » وفى لفظ الرواية عن أبى هريرة وهو : « حدثنا » ، ولكنهما اختلفا فى لفظ الرواية عن معمر — فهو فى اسناد المسند : « حدثنا » وفى إسناد النسخة الدمشقية لفظ « عن » . فلعل عبد الرزاق روى الصحيفة أكثر من مرة على تلاميذه ، مرة سمعها منه الامام أحمد وفيها عبر عبد الرزاق عن تحمله من معمر بلفظ « حدثنا » ، ورواها مرة أخرى سمعها منه أبو الحسن السلمى وفيها عبر عن تحمله من معمر بلفظ « عن » . على أن التعبير بلفظ « عن » هنا لا ينفى التحمل بالسماع أو بالقراءة بل يحتملهما أو أحدهما ، وقد ثبت أن عبد الرزاق عاصر معمرا وصاحبه وتتلمذ عليه سبع سنوات (٦) ، وقد ولد عبد الرزاق سنة ١٢٦هـ وتوفى عام ٢١١هـ عن خمسة وثمانين عاما ، وولد معمر سنة ٩٦ هـ وتوفى عام ١٥٣هـ . فتحقق بذلك شرط كل من الامامين مسلم والبخارى ، وعليه فاسناد الصحيفة متصل ، وتحملها رواتها بطريق السماع أو القراءة ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) وحيث قبض عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى ٧٣هـ — وهو الاصح — وقيل فى ٧٤هـ . فان هذا الحديث يدل على ان فرقة القدرية كانت قد نشات واحتدت أزمتها قبل هذا التاريخ ، ويبدو أن تفاقم الامور بمقتل الشهيد الامام الحسين ثم حرق الكعبة عام ٦٤هـ قد احدث صدمات عنيفة فى نفوس المسلمين جعلتهم يتساءلون عن شان القدر فى مثل هذه الاحداث التى ما كانت تتصور فنشا الكلام فى القدر ، فكان المنكر ليسد الباب على الآثم فلا يعتذر بتدخل القدر فى عمله . وكان هناك المثبت دون القول بالجبر ، كما كان هناك من بالغ فقال بالجبر ورفع المسئوليات عن العباد .

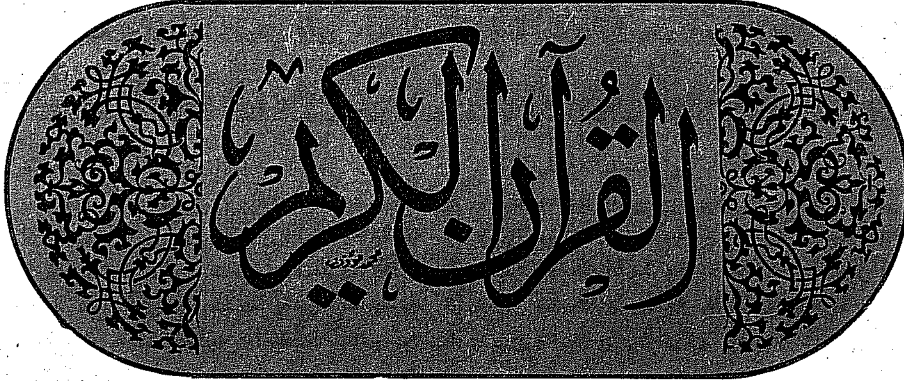
(٢) « تاريخ التراث العربى » لفؤاد سزكين ، الجزء الاول (القاهرة ١٩٧١) ، ص ٢٥٥ .

(٣) توفى ابو بكر القطيعى عام ٣٦٨هـ.

(٤) « تاريخ التراث الاسلامى »(الجزء الاول) ص ٢٥٦ ، و «مجلة المجمع العلمى » دمشق ، (المجلد ٢٨ ، الجزء الاول)ص ١١٢ .

(٥) « مجلة المجمع العلمى » دمشق ، (المجلد ٢٨) الجزء الثانى ص ٢٧٠ — ٢٨١ — والجزء الثالث ص ٤٤٣ — ٤٦٧ .

(٦) « تذكرة الحفاظ » لشمس الدين الذهبى (الجزء الاول) ص ٣٣١ .



مشكلات الفواصل (٣)

للدكتور : على محمد حسن

ومما اشكل على الدارسين من الفواصل ما جاء فى قوله تعالى : ((**إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا**)) فقد وقع فى بعض الأوهام أن يكون التذييل فى هذه الآية : ((**انه كان عليما قديرا**)) أو ما الى ذلك ، أى أنه كان المناسب ــ على ما توهموا ــ ذكر القدرة لا ذكر الحلم والغفران .

وقد أجاب بعض المفسرين بأن هؤلاء المشركين كانوا يستحقون اسقاط السماء عليهم ، وخسف الأرض بهم ، ولكن الله سبحانه حليم غفور فلم يعاجلهم بالعقوبة ، واستأنسوا فى هذا الموضع بقوله تعالى : ((**وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا ادا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . ان دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا**))(١) .

ولكن المتأمل فى الآية الكريمة لا يجد إشارة الى ما ذكره المفسرون ، فليس فى هذه الآية ، ولا فى الآيات التى سبقتها ما يشير الى أن الكفار يستحقون العذاب باسقاط السماء أو بخسف الأرض ، على أن ذلك اذا كان حلما فلمن يكون الغفران .. ؟

اللذين تحدثت عنهم الآية السابقة ، والذين يستحقون العقوبة باسقاط السماء أو خسف الأرض : ((**قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا**)) . أم لغيرهم ممن لم يرد لهم ذكر فى الآيات السابقة واللاحقة ؟

وربما صح أن نقول ان إمساك السموات والأرض ابقاء لنعم الله على الخلائق ، وابقاء للجنس البشرى الذى لا بد وأن تقع منه المعاصى ، فالله حليم يبقى العاصين يتمتعون بهذه النعم التى اشتملت عليها السموات والأرض ، والتى

---

(١) سورة مريم : ٨٨ ــ ٩٢ .

لا يستطيع أحد غيره أن يحتفظ بها ، والله غفور يغفر لهؤلاء العاصين ما يقع منهم من الذنوب ما عدا الشرك ، كما جاء في آية أخرى : **((إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء))** .

ولا يزال الملحظ الذى لاحظته فى الآيات السابقة متجها هنا فى هذه الآيـة الكريمة ، على أن ذكر القدرة هنا يغنى عنه ما جاء فى الآيتين الكريمتين ، فالقرآن يتحدى هؤلاء الذين أشركوا أن يدلوه على ما خلق شركاؤهم من الارض ، وأن يدلوه على كتاب أنزل اليهم فهم على بينة منه ، ويؤكد لهم أن الله سبحانه هو ـــ وحده ـــ الذى يمسك السموات والارض أن تزولا ، فكأن الآية جاءت بشىء جديد حين ختمت بالحلم والمغفرة ، حتى يفكر الدارس للقرآن ، ويطيل التفكير ليعرف ما أشارت اليه الآية ، ولا يكتفى بالنظر العابر .

◆◆◆ ◆◆◆

ومن الفواصل المشكلة ما جاء في سورة الملك :: **((أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن انه بكل شىء بصير))** ، فربما توهم أن الأولى أن تختم الآية ـــ مثلا بـــ (إنه على كل شىء قدير) ولكن التأمل الواعى يحكم بأن ختم الآية يجب أن يكون ما عليه التلاوة ، ذلك أن ذكر الصف والقبض هنا يدل على الصفتين اللتين يكون عليهما الطير فى طيرانه ، وخلق الطير على الصف والقبض ، وتزويده بما يصلح لكل منهما ، وإيجاد الأجزاء الدقيقة فى جسمه التى تمكنه من الطيران والوقوع ، والهامه كيف يصف ويقبض ، وكيف يطير ويقع كل ذلك لا يكون الا من (بصير) عالم بدقائق الأمور وجلائلها ، وبكيفية ابداع المبدعات : **((الا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير))** .

وقد ذكر الفخر الرازى سؤالا وأجاب عنه ، قال : (انه تعـالى قال فى النحل) : **((ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله))** . وقال هنا : **((مايمسكهن إلا الرحمن))** . فما الفرق ؟ قلنا : ذكر فى النمل أن الطير مسخرات فى جو السماء ، فلا جرم كان إمساكها هناك محض الإلهية ، وذكر ههنا أنها صافات وقابضات فكان إلهامها الى كيفية البسط والقبض على الوجه المطابق للمنفعة من رحمة الرحمن) .

◆◆◆ ◆◆◆

وقد تتحد آيتان أو أكثر وتختلفان فى التذييل ، وقد يكون التذييل واحـــدا والآيتان مختلفان قبله .

مثال النوع الأول قوله تعالى : **((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها))** جاء تذييلها فى سورة (ابراهيم) : **((إن الانسان لظلوم كفار))** وفى سورة النحل : **((إن الله لغفور رحيم))** .

قال الزركشى فى البرهان : (من بديع هذا النوع اختـلاف الفاصلتين فى موضعين ، والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة) . وبعد أن ذكر الآيتين السابقتين قال : (قال القاضى ناصر الدين ابن المنير (م ٦٨٣ هـ) فى تفسيره الكبير (البحر الكبير فى نخب التفسير) : كأنه يقول : اذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها ، وأنا معطيها ، فحصل لك عند أخذها وصفان : كونك ظلوما ، وكونك كفارا ، ولى عند اعطائها وصفان ، وهما : أنى غفور رحيم ، اقابل ظلمك بغفرانى ، وكفرك برحمتى ، فلا أقابل تقصيرك الا بالتوفير ، ولا أجازى جفاءك الا بالوفاء . انتهى .

وهو حسن ، لكن بقى ســؤال آخر — هكذا يقول الزركشــي — وهو : ما الحكمة فى تخصـــيص آية النحل بوصف المنعم ، وآية ابراهيم بوصف المنعم عليه .
والجواب : أن سياق الآية فى سورة ابراهيم فى وصف الانسان ، وما جبل عليه ، فناسب ذكر ذلك ، عقيب أوصافه ، وأما آية النحل فسيقت فى وصف الله تعالى ، واثبات الوهيته ، وتحقيق صفاته ، فناسب ذكر وصفه سبحانه .
فتأمل هذه التراكيب ، ما أرقاها فى درجة البلاغة ! انتهى كلام الزركشي .
وقد ذكر الفخر الرازى عند تفسيره آية ابراهيم : انه تأمل الفرق بين آيتى ابراهيم والنحل ، وأنه لاحت له دقيقته ، ثم ذكر ما نقله الزركشى عن ابن المنير ، فالكلام للرازى ، وقد نسب لابن المنير (توفى الرازى سنة ٦٠٦ هـ أى قبل ابن المنير بزهاء ثمانين سنة) .

◆◆◆ ◆◆◆

ومثاله أيضا ما جاء فى سورتي الجاثية وفصلت : ((**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها**) ، وقد ختمت آية الجـاثية بقوله ســبحانه : ((**ثم الى ربكم ترجعــون**)) وختمت آية فصلت بقوله — علت كلمته — : ((**وما ربك بظـــلام للعبيـد**)) .
وقد أجاب صاحب البرهان بأن الختام فى الآية الثانية مناسب ، أما فى الأولى فحكمته أن قبلها : ((**قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون**)) . فناسب الختام بفاصلة البعث ، لأن قبله وصفهم بانكاره .

◆◆◆ ◆◆◆

وقد أورد الزركشى فى هذا المقام آيات سورة المائدة : **ومن لم يحكم بمــا أنزل اللــه**)) حيث ختمت الأولى بـــ ((**فاولئــك هم الكافرون**)) والثانيـــة بـــ ((**فاولئك هم الظالمون**)) والثالثة بـــ ((**فاولئك هم الفاسقون**)) ، وذكر لذلك بعض الأسرار ، ثم قال (وقيل الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى واحد ، وهو الكفر . عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة ، واجتناب صورة التكرار) .
والذى يعنينا من هذا القول أن من العلماء من أجاز تفنن القرآن الكريم فى التعبير لأجتناب صورة التكرار .

◆◆◆ ◆◆◆

ومثال النوع الثانى قوله تعالى فى سورة النور : ((**يايها الذين آمنــوا ليستاذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ....**)) الى قوله تعالى : ((**كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم**)) وقوله سبحانه بعد هذه الآية ((**واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم**)) .
وقد فسر ابن عبد السلام — فى الأولى — : (عليم) بمصالح عباده (حكيم) فى بيان مراده . وفى الثانية : (عليم) بمصالح الأنام (حكيم) ببيان الأحكام .
قال الزركشى بعد أن نقل هذا التفسير : ولم يتعرض للجواب عن حكمــة التكرار . ولم يزد الزركشى على ذلك .
قلت : ولم نستفد شيئا لا من ابن عبد السلام ولا من الزركشى . أما ابن

عبد السلام فلم يتعرض لمناسبة هذين الوصفين لكل من مضمون الآيتين ، ولعله ظن أن المناسبة واضحة .

وأما الزركشي فقد عاب صاحبه بأنه لم يتعرض لحكمة التكرار ، وسكت هو عن هذه الحكمة .

وقد ذكر أبو السعود أن التكرير للتوكيد ، والمبالغة فى الأمر والاستئذان .

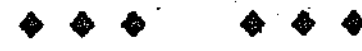
ويصح أن يقال ان موضوع الآيتين واحد ، وهو بيان آداب الاستئذان ، غير أنه فى الاولى ذكر استئذان الموالى والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم ، والأوقات التى ينبغى استئذانهما فيها ، وما عداها فليس على الجميع جناح اذا لم يقع استئذان ، وفى الآية الثانية ذكر استئذان الاطفال الذين بلغوا الحلم .

ولما كان فى هذا البيان ما يدفع كثيرا من الأضرار المتوقعة وغير المتوقعة ، ناسب أن تجيء صفة العلم ، لأنه وحده العالم بخفيات الظواهر والبواطن ، ولا شك أن فى الأمر بهذا الاستئذان حكمة بالغة حتى تتجنب الأسر المفاسد .

وربما كان فى متعارف الأسر والجماعات أن هؤلاء الذين طلب استئذانهم شديدو المخالطة لمن يستأذنون عليهم وعليهن ، ومن هنا يقع التسامح معهم . — الذى ملكته اليمين ، والطفل لم يبلغ الحلم والطفل بلغ الحلم . كلهم أصحاب صلة وثيقة ، والقرآن نفسه يقول : ((**طوافون عليكم بعضكم على بعض**)) فلا جرم يكون أمرهم بالاستئذان حكمة بالغة من الذى يعلم السر وأخفى ، وتهيئة لنفوس المؤمنين أن تتقبل هذا الأمر ، وأن تحافظ عليه لأنه من عليم حكيم .

وكم وقع ويقع من المفاسد بسبب ترك هذا التأديب الإلهى ، بل كم وقع ويقع من الأضرار النفسية التي تتمكن من نفوس الاطفال حين لا يحول بينهم وبين الدخول على أهليهم فى الأوقات التى ينبغى أن لا يدخلوا فيها إلا بعد اذن ، وربما دفعهم هذا العامل النفسى الى ارتكاب القبيح ، فوق ما يسبب لهم من القلق والاضطراب العاطفى . فسبحانه وتعالى ما أجل حكمته ، وما أصدق علمه .

وهذا الذى ذكرت كما أنه يبين مناسبة التذليل لكل من المحدث عنه فى الآيتين ، كذلك يبين حكمة التكرير ، فالنفوس حين تنبه الى أمر لعلها لا تباليه بالة ، ولا ترفع له رأسا تحتاج الى تأكيد ما يدفعها الى الامتثال ، وما ينبه الى خطر التهاون ، ذلك أن الذى شرع هذا الأدب الاجتماعى هو العليم الحكيم .



الى هنا نثنى عنان القلم ، مع أمل أن يتاح لى أو لغيرى أن يوفق الى بيان الأسرار فى بقية الفواصل التى قد تغمض الأسرار فيها .

وأكاد أكون اقتصرت على لون واحد منها ، وهناك لون آخر يحتاج الى جهد متواصل ، والى نظر واع ، ذلك هو الذى تنتهى فواصله بمثل هذه الكلمات : (يؤمنون — يتذكرون — يتفكرون — يعلمون — يسمعون — يعقلون — يوقنون) ، وهى فواصل كثيرة فى القرآن .

ولون ثالث تنتهى فيه الفواصل بمثل (السميع العليم — السميع البصير — اللطيف الخبير — الواحد القهار — العزيز الجبار) .

ونوع رابع وخامس وسادس . وكل هذه الأنواع تحتاج الى دراسة متفطنة ، والى جهد متواصل .

والتوفيق والعون من الله وحده .



بين العقل والوحي

للدكتور عبد العال سالم مكرم

الاسلام دين عام شامل جاء لإصلاح البشرية ، ونشر القيم الفاضلة والمثل العليا فى أرجاء الدنيا وفى كل زمان ومكان ، لأنه الدين الخالد ، « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » .

هذا الدين العام الشامل قوامه دعامتان : العقل والوحى .

أما العقل فقد أحله الله تعالى منزلة سامية ، لأنه الوعاء الذى يصون العقيدة ويحفظها ، ولأنه الدرع الذى يحميها من سهام الأعداء وطعنات الجهلة والحاقدين .

والعقل هو سلاح الشريعة الذى تدافع به عن رسالتها بحيث تكون مصونة من جموح الهوى ، وغرائز الشهوة ، ووساوس الشيطان .

وأما الوحى فهو النور الذى يساعد العقل على أن يسير فى دروب الحياة ثابت الخطا . رابط الجأش . ذلك لأن هذا العقل قد تؤثر فيه البيئة فينحرف عن الصواب ويميل عن الحق . ومن ثم يتحول الى مارد جبار ، يدمر ولا يبنى ، يهدم ولا يصلح ، يشقى ولا يسعد . ولما كان شأنه كذلك ربطه الله تعالى بالوحى على أيدى رسل كرام يعيشون على هذه الارض يأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق . وسأتناول فى بحثى التفكير الاسلامى فى ضوء هاتين الدعامتين .



مكانة العقل فى الاسلام :

العقل من صنع الله تعالى الذى أتقن كل شىء ، وسعادة الانسانية لا تتحقق إلا فى استخدام هذا العقل فى ضوء وظيفته التى خلق من اجلها .

والعقل هو الحياة ، وفقده هو الموت : « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس

فى الاسلام

كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » .

والعقل منطلق عظيم للتحرر من سلطان التقاليد التى لا تقوم على ادراك سليم ووعى كامل . « واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون »

والذين لا يستعملون عقولهم لينقادوا الى الحق هم فى الدرك الأسفل من الحيوانية . « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » .



هذا العقل الذى يقوم بهذه الوظيفة الكبرى لم يولد فى الانسان كامل النضج تام التطور ، لأن هذا مخالف لطبائع الأشياء ، فكل مولود على ظهر هذه الأرض أيا كان انسانا أو حيوانا أو نباتا يولد صغيرا ، ثم ينمو ويتطور حينا بعد حين .

ومن أجل ذلك اسقط الاسلام التكاليف الشرعية عن الصبى حتى يبلغ سن الرشد ، عندها يكون العقل وصل الى المرحلة التى يستطيع ان يدرك بها حقائق الأشياء وبذلك يكون فى موضع المسئولية .

ولم يترك الاسلام العقل فى هذه المرحلة يسير من غير توجيه ، لأن الدروب متعددة والمسالك متشعبة بل رسم له منهجا يتربى من خلاله على أصول التفكير السليم .

ومن عناصر هذا المنهج توجيهه الى النظر فى ملكوت السموات والارض لأنه كلما زاد معرفة بأسرار الكون زاد معرفة بخالقه ومدبره وصانعه .

وقد كثرت فى القرآن الكريم الآيات التى تدعو الانسان الى التفكير فى هذا الكون بما حوى من مظاهر مختلفة لينطلق العقل الى آفاق رحبة فسيحة ، فيقر بصانع هذا الكون ومبدعه من أجل أن تستقر العقيدة ، وتضرب جذورها فى القلب وتمتزج باللحم والدم ، والحس والشعور ، والعاطفة والانفعال .

وجهه الى ذلك الكون ليلتمس العبرة بنفسه ، ويحس بالحقيقة

عن طريق ادراكه : « وهو الذى مد الارض ، وجعل فيهـا رواسى وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .
« وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب ، وزرع ونخيل . صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

ولم يكتف القرآن الكريم بذلك ، بل وجهه الى ادراك الحكمة من ضنع هذه المخلوقات ليعرف الانسان مدى مكانته عند الله فيقول : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت ، فذكر انما أنت مذكر » .

وجهه أن ينظر الى قوام حياته ، الى الطعام الذى قطع مراحل عديدة ليصل الى فمه ، الى معدته ، فيمده بالحياة والحركة ، والنمو والتطور .
« فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا . فأنبتنا فيها حبا وعنبا ، وقضبا وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولانعامكم » .

ثم وجه عقله بعد ذلك الى قصة الابداع الكبرى ، قصة خلق السموات والارض ، قصة انبثاق الحياة من العدم : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حى » .
وفى آية أخرى يقول عز وجل : « وآية لهم الارض الميتة أحييناها ، وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون » .
وقد أعجبتنى كلمة فى هذا المقام لعالم من علماء الذرة يقول فيها :

« لست فى معملى أعنى باثبات حقيقة الحياة بعد الموت ، ولكنى أصادف كل يوم قوى عاقلة تجعلنى أحس ازاءها أحيانا بأنه يجب على أن أركع احتراما لها » .

ولم يقف القرآن الكريم فى تربية العقل عند هذا الحد ، بل انتقل الى مرحلة أخرى من مراحل التربية ، وهى توجيهه الى الله ذاته ، بين له بالأدلة الفطرية والعقلية أن السموات والارض لا يستقيم أمرهما الا باله واحد : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » .

وهذا الاله الواحد قريب يسمع نداء من ناداه ، ودعاء من دعاه : « واذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى » .

وحينما تستبد أحداث الحياة بالانسان ، وتضيق منافذ الدنيا فى نظره يحس العقل الانسانى بأنه قاصر عاجز ، لا يستطيع أن يدفع عوادى الزمن ويرد نكبات الحياة .
ومن هنا رباه الاسلام على أن يركن فى هذه الحالة الى قوة ترد اليه الاطمئنان ، وتبعث فى نفسه الثقة ، وهى قوة الاله الذى بيده وحده مصائر الامور . « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الارض » . « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » .

وينتقل الاسلام فى مجال تربية العقل الى مرحلة أعمق من هذه المراحل جميعا مرحلة مراقبة الله فى السر والعلن ، فى البيت والعمل ، وفى كل شأن من شئون الحياة يتربى العقل فى هذه المرحلة على

يقظة الضمير التى تثير فيه معنى الاحاس بأن الله معه ، يراه ويسمعه « وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير » ومن هنا يتولد فى نفسه معنى الحياء ممزوجا بمعنى الاطمئنان ، والشعور بقوة الله تعالى التى تحل كل مشكلات حياته صغيرها وكبيرها « وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذن تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين » .

وفى مقام آخر يقول : « الم تر أن الله يعلم ما فى السموات والارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شىء عليم » .

وقصة موسى مع فرعون مثال حى لهذا الاحساس بمعية الله تعالى ، ومصاحبته حيث يمد هذا الاحساس النفس البشرية بطاقات اخرى لا تحد لانها من قوة الله الذى لا يعجزه شىء وحينئذ يسير الانسان الى هدفه لا يحفل بطغيان ، ولا يعبأ باستبداد ، ولا يهتم بما يلقى فى طريقه من صخور واشواك : « اذهب انت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى ، اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى . قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو ان يطغى . قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى » .

ولما خرج موسى وقومه فارين من وجه الظلم والطغيان ، واذا بفرعون يتبعهم بجنوده وحشوده ، ولما رآهم قوم موسى اعتقدوا أن الهلاك مصيرهم ، وأن العذاب نهايتهم ، ولكن موسى كان يشعر بهذه المعية معية الله وصحبته : « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى : انا لمدركون ، قال : كلا ان معى ربى سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك الحجر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وازلفنا ثم الآخرين ، وانجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين » .

ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومعه صديقه أبو بكر ، واختبآ فى الغار تبعهما المشركون ، ووقفوا على باب الغار ، وهنا تتجلى المعية بأوضح معانيها ، وأعمق صورها حينما يقول النبى عليه السلام لصاحبه أبى بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثهما . « الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها » .

على أن هذا العقل الذى أتيح له أن يتربى فى هذه المجالات جميعا ، والذى أتيح له من فرص التفكير ما يستطيع به أن يعى الدرس فى يقظة وادراك وقف عند مرحلة محدودة من التفكير لا يستطيع أن يتجاوزها ، لانها فوق استعداده وفوق طاقته ، وفوق ادراكه . انه تربى أن يفكر فى كل ما تقع عليه العين أو يأتى اليه عن طريق الوسائل الحسية والمدركات ، ولكن ما وراء ذلك ، التفكير فيه تطاول على الحقيقة ، لأن العقل المحدود لا يستطيع أن يلمس هذه المرحلة أو يطرق بابها الا وهى مرحلة التفكير فى ذات الله تعالى ، وحقيقة هذه الذات ، ومن أجل ذلك نهى الاسلام العقل أن يفكر فى ذات الله ،

فعن ابن عباس رضى الله عنهما : « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله ، وكل ما ورد فى بالك ، فالله بخلاف ذلك » .

ان التفكير فى الله جنون لا يستقيم مع المنهج السليم، وكيف يفكر المحدود فى اللامحدود ، والفانى فى الباقى، والعاجز فى القوى ، والميت فى الحى ؟ .

ان العقل يعجز أن يحيط بادراك هذه المخلوقات العظيمة التى تملأ هذا الكون من نجوم وشموس ، واقمار وكواكب ، ومجرات وراءها مجرات . فكيف يتطاول اذا الى صانع هذه المخلوقات ليدرك ذاته ، وهو « لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » .

ان الاسلام قد وضع يد الانسان على أزرار الكون كما عرضت سابقا ليلمس بعقله العبرة والعظة من وراء هذه المظاهر الكونية ، ولكن عقل الانسان لو تجاوز حدوده لأدى ذلك الى التفكير المضطرب ، الى الانحدار ، الى الهاوية الى الكفر والالحاد ، وهذا هو الهلاك الذى يعنيه حديث ابن عباس . وقد ربى الاسلام العقل على هذا المعنى ففصل فى كثير من القضايا بين الاسباب والمسببات ، والمقدمات والنتائج ، والعلة والمعلول ، وهى مجالات لا يستطيع العقل الا أن يعيش فى مجالها ، فمنها يستمد تفكيره ، وعليها يبنى نتائجه وكانت تربية الاسلام للعقل فى هذا المجال اعلاما له بأن الله الذى جعل لكل شىء سببا قدرته تعالى لاتحد ، يستطيع أن يفصل بين المقدمة والنتيجة ، ويقطع العلاقة بين السبب والمسبب ، والعلة والمعلول . ولا أدل على ذلك من قصة زكريا عليه السلام مع السيدة مريم أم المسيح عليه السلام ، انها قصة مليئة باللفتات العجيبة فمريم يأتيها رزقها رغدا من حيث لا تدرى ، ففاكهة الصيف تجدها فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء تجدها فى الصيف ، وليس هناك من يقدم لها هذه الفاكهة . وهنا كان مثار العجب عند زكريا عليه السلام : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب »

وما لى أذهب بعيدا وزكريا نفسه امرأته عاقر ، والعاقر لا تلد وقد بلغ من الكبر عتيا ومن كان كذلك فقدرته على الانجاب غير ممكنة ، ولما أراد الله تعالى له أن ينجب توارت الاسباب وتلاشت المقدمات أمام القوة التى فى امكانها أن تقول للشىء كن فيكون . « قال رب انى يكون لى غلام ، وقد بلغنى الكبر ، وامرأتى عاقر ، قال كذلك الله يفعل ما يشاء »

وجاءت ولادة عيسى عليه السلام درسا ملهما لهذا العقل ليقف على حقائق القدرة الالهية ، انها ولادة أحدثت دويا هائلا فى بنى اسرائيل ، أقاموا الدنيا واقعدوها لان عقولهم عجزت عن ادراك حقيقة هذه القدرة العظيمة التى فى اطارها توجد الاشياء .. « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

ومن هنا يتلقى العقل أول درس فى الايمان بالغيب ، وبهذا الايمان يستسلم العقل الى ما وراء هذا الكون فيؤمن بالجنة والنار ، والبعث والنشور ، والحساب والعقاب والملائكة والرسل . وكل ما ورد عن طريق رسل الله سلام الله عليهم مما لا يخضع لتجربة ، ولا يوضع تحت مجهر ، مما لا يدركه حس ، أو

يتناوله بصر ولكنه انقياد يدل على الطاعة ، واقرار يدل على الايمان . وبذلك ننتقل الى الدعامة الاخرى التى يقوم عليها الفكر الاسلامى ، وهى دعامة الوحى .

الوحى :

المدلولات التى تشير اليها كلمة : « الوحى » عديدة :
فالوحى الهام لا ينفرد به الانسان فقد تشاركه بعض المخلوقات فى مجال الالهام دليل ذلك قوله تعالى : « وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » .
وفى جانب الانسان قوله تعالى : « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه » والوحى اشارة : « فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » وقد تكون وسوسة الشياطين وحيا : « وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون » ..
والقرآن الكريم وحى : « ان هو الا وحى يوحى » ..

والذى يعنينى فى هذا المقام من هذه المدلولات العديدة لكلمة الوحى هو الوحى فى اصطلاح الشرع . ومعناه : الرسالات السماوية التى يكلف بها نبى مختار من عباد الله ليعمل بها أو يبلغها مع عمله بها الى القوم الذين أرسل اليهم . والوحى بهذا المدلول أنواعه عديدة فقد يكون عبارة عن القاء المعنى فى النفس أو القلب ، وقد يكون كلاما من وراء حجاب ومن أنواعه أن ينزل ملك الوحى وهو جبريل عليه السلام الى الانبياء ليلقى عليهم رسالات السماء وتعاليمها ، وقد يأتى على صور مختلفة .. لا نستطرد فى ذكرها لانها تحتاج وحدها الى بحث طويل .

والذى أريد أن أقوله هنا ان الاسلام تميز عن الاديان التى سبقته بأن معجزته الخالدة قرآن موحى به من الله تعالى ، « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » اعنى أن القرآن ليس من صنع عقل بشرى ، والا لتناولته العقول لتجاريه فى مجال القول ، وتنافسه فى مضمار البلاغة ، وتتحداه فى مجال القدرة البيانية . ولا زال القرآن الكريم الى اليوم ، والى أن يرث الله الارض ومن عليها يحمل عناصر القوة التى تفرض سلطانها على العقول والقلوب والعواطف والمشاعر ، والتى لا تملك القوى البلاغية الا أن تستسلم لها فى انقياد وخضوع .

والقرآن الكريم ثورة جارفة قلبت النظم العقائدية ، والسياسية والاجتماعية رأسا على عقب ، لانه كتاب اصلاح للانسانية التى خربها الظلم ، واستبد بها الباطل ، وشوهها الانحراف ، وهذا الاصلاح نابع من طبيعة القرآن ذاته لانه كما يقول الدكتور عبد الله دراز فى كتابه « مدخل الى القرآن الكريم » : يقول « راجع الى ماله من جاذبية خاصة بتوافقه الكامل مع أسلوب الناس الفطرى فى التفكير والشعور ، وباستجابته لما تتطلع اليه نفوسهم فى شئون العقيدة والسلوك ، وبوضعه الحلول الناجعة للمشكلات الكبرى التى تقلق بالهم . وبمعنى اخر لا بد أنه ينطوى على ما يشبع حاجتهم الى الحق ، والخير والجمال بما يجمع من صفات العمل الدينى والأخلاقى والادبى فى آن واحد » ..
ولنا أن نتساءل : هل القرآن الكريم الذى جاء لاصلاح الانسانية ليقوم بناؤها على أسس ثابتة من الايمان والعلم ، والخلق والعدل ، وقف من

الاديان التي سبقته موقف الخصم العنيد ليثبت وجوده ، ويعزز مكانته ؟

الحقيقة أن القرآن الكريم لم يكن كذلك ، لانه أيقظ ضمائر أهل الكتاب بدعوته الى الوحدة الدينية التي تقوم على اساس أن جميع الانبياء والرسل أمة واحدة تحت لواء الله تبارك وتعالى ، وان غياب هذه الوحدة باطل يقوم على التعصب والتفرقة . ولا أدل على ذلك من أن موسى عليه السلام يعلن أنه من ابراهيم واسحاق ويعقوب ، وعيسى عليه السلام يعلن أنه لم يأت الا ليؤيد من قبله من الرسل السابقين وشرائعهم ، ويؤيد بالبشارة رسالة محمد عليه السلام « ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » .

ومحمد عليه السلام يؤمن كما يؤمن اصحابه ، وتؤمن أمته بما انزل اليهم من ربهم « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله » .

وبذلك وضع القرآن الكريم أول لبنة فى بناء الوحدة الدينية بعيدا عن التعصب والهوى ، والحقد والانانية .

ومن هذا المنطلق اتجه التفكير الاسلامى يدعو الى هذه الوحدة فى منطق قوى واقناع عجيب . « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

منطق قوى يثير فى العقل تساؤلات لم الاختلاف وقد آمن العقل بوحدة هذا الكون التى أبدعها الاله الواحد ؟ كل ما فى الامر أن هذا العقل قد تشل قواه ، ويضعف بناؤه ، فيركع أمام وثن أو حجر أو يخضع لسلطان كاهن أو راهب ، ومن هنا يأخذ طريقه الى الانحراف فاذا ترك وشأنه ، انزوى الحق ، وضاع العدل ، وظهر الباطل وكثر الفساد ، واظلم الكون .

ومن أجل ايقاظ ضمائر هؤلاء المنحرفين نهانا القرآن الكريم أن نتخذ منهج العنف فى الحوار والمناقشة حينما ندعو أهل الكتاب الى الاسلام لأن العنف لا يقابله الا العنف ، والاسلام دين فوق مستوى العناد ومستوى الاستبداد الفكرى فقال : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » وقد تعمى العاطفة عيون اتباع الرسل عن الحقيقة فيبالغون فى اضفاء القدسية على انبيائهم ورسلهم فى تعصب ممقوت ليرتفعوا بها الى درجة الالوهية كما قالت اليهود عزيرا بن الله ، وكما قالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون .

ومن هنا كان القرآن الكريم حريصا على أن يضع الحقيقة واضحة حول رسول القرآن ليكون الأتباع على بينة من الأمر ، وحتى لا يقعوا فيما وقع فيه أتباع الأنبياء من قبل، فأكد القرآن الكريم بشرية الرسول عليه السلام فى أكثر من موضع ليلفت العقول دائما الى الحق : « قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك . ان اتبع الا ما يوحى الى » .

وفى الاعراف : « قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء ان انا الا

نذير وبشير لقوم يؤمنون » ، وقد حرص النبى عليه السلام نفسه أن يؤكد عبوديته لله . فكان يقول : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .



ولم يكن القرآن الكريم مجرد تشريعات تشرع ، أو قوانين تتلى ، أو قيم تعرض فحسب بل كان بجانب ذلك قوة تنفيذية ، لا يستطيع المسلم الفكاك منها ، لأنها قوة تعمل فى ضميره ذاته ، فبعد أن طاف القرآن الكريم بفكر المسلم فى رحاب الكون دارسا وباحثا ، وفى رحاب العقيدة مؤمنا وموقنا حول هذا الفكر الى قوة تنفيذية ، لا يتسرب اليها شك ، أو يعتريها ضعف ازاء أوامر القرآن الكريم ونواهيه ، فمثلا حينما حرم القرآن الخمر ، وكانت الخمر تشرب اذ ذاك لأنه لم ينزل فيها أمر بتحريمها حتى بعد دخول الاسلام ، فلما حرمت الخمر بعد ذلك كان لتحريمها قصة تدل على رفاهة الحس ويقظة الضمير ، وسمو النفس . يحدثنا انس بن مالك فيقول : « بينما أنا ادير الكأس على أبى طلحة ، وأبى عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل حتى مالت رءوسهم من الخمر اذ سمعت مناديا ينادى : الا أن الخمر قد حرمت قال انس : فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى اهرقنا الشراب وكسرنا القلال ، وتوضأ بعضنا ، واغتسل بعضنا . وأصاب من طيب أم سليم ثم خرجنا الى المسجد » .

وفى حديث آخر عن أبى بريدة عن أبيه قال : بينما نحن قعود على شراب لنا ، ونحن نشرب الخمر اذ قمت حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه ، وقد نزل تحريم الخمر ، فجئت أصحابى ، فقرأت الآية عليهم الى قوله . « فهل أنتم منتهون » ، قال بعض القوم وشربته فى يده ، شرب بعضا وبقى بعض فى الاناء ، فأراقوا ما فى كئوسهم ، ثم صبوا ما فى أباطينهم وقالوا : انتهينا ربنا .

مجرد تحريم الخمر تفعل فى نفوسهم هذا الفعل العجيب ، فيكسرون الأباطى ويحطمون الكئوس وليس هذا القانون فى حاجة الى قوة بوليسية تشهر سلاحها فى وجه من يقف دون تنفيذه . نعم كانت هناك قوة بوليسية ولكنها فى داخل النفس لامن خارجها ، انه الضمير المتفتح ، انه القلب الداعى ، انه الايمان بالله اقوى من كل القوى ، واعظم من اسلحة الدنيا .

وحتى النساء اللاتى تميزن بالجانب العاطفى نجدهن فى مجال الالتزام بأوامر القرآن الكريم ونواهيه كالرجال على قدم المساواة . فعن صفية بنت شيبة قالت : بينما نحن عند عائشة ، قالت : فذكرن نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة : ان لنساء قريش لفضلا وانى والله ما رأيت افضل من نساء الانصار اشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل . لما نزلت « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما انزل الله يتلو الرجل على امراته ، وابنته ، واخته وعلى ذى قرابته فما منهن امراة الا قامت الى مرطها المرحل ، فاعتجرت به تصديقا وايمانا بما انزل الله من كتاب ، فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن على رءوسهن الغربان .

ولعلك أيها القارىء تحس أن

الدافع لهذا الالتـزام ، والسر وراء سرعة التنفيذ انما يرجع الى العقيدة والعقيدة حياة وحركة ، عاطفـة وانفعال، قوة والتزام ، ليست العقيدة فلسفة فكرية سلاحها الجدل والمنطق ولكنها قوة ربانية سلاحها الحـق والخير . وتعجبنى فى هذا الموقـف كلمة أحد الكتاب حينما يقول : « ان الفـارق الأساسى بين العقـائد والفلسفات هو أن العقيدة كلمة حية تعمل فى كيان انسان ، ويعمل على تحقيقها انسان . أما الفلسفة فهـى كلمة ميتة مجردة من اللحـم والدم ، تعيش فى ذهنه ، وتبقى باردة هناك »



وحينما يتلاقى العقل والوحـى فى الاسلام يتكون الفكر الاسلامى المكتمل لان العقل يستمد مدركاته كما قلـت من الحياة والطبيعة والكون ، والوحى يستمد تعاليمه من الله خالق الحيـاة والطبيعة والكون .

وجوهر الفكر الاسلامى يقوم على العلم يدل على ذلك أن أول آية أنزلت فى القرآن الكريم : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

وعلم رب الاسلام نبى الاسـلام الا يقتنع بما عنده من المعرفة والعلم بل طلب منه أن يكون شعاره دائمـا « وقل رب زدنى علما » .

وكان النبى عليه السلام بعد نزول هذه الآية يدعو فيقول : اللهم علمنى ما ينفعنى ، وانفعنى بمـا علمتنى ، وزدنى علما ، والحمد لله على كـل حال .

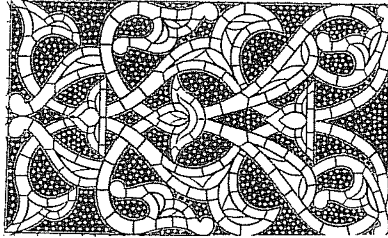
واذا كانت النبوة لا تورث لأنهـا هبة سماوية ، فهى أكبر من الارث ، ومن صلات اللحم والدم ، ومع ذلـك فان الرسول عليه السلام جعل العلماء فى الدرجة التالية للانبياء فقـال : العلماء ورثة الانبياء .

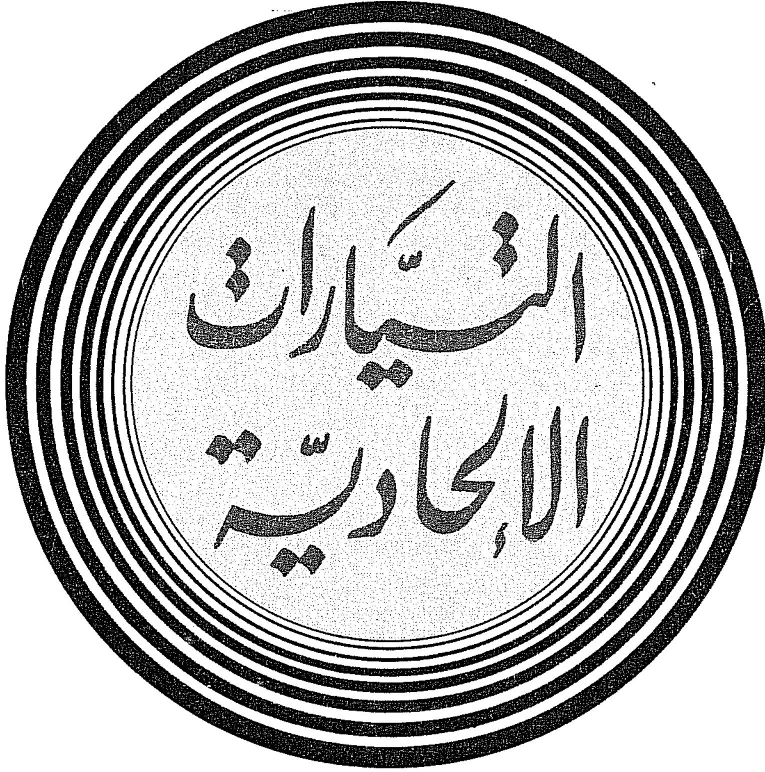
وليس للعلم غاية ينتهى اليها العقل فاذا ما وصل اليها القى السلاح ، لأن الرسول عليه السلام يقول : لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن انه قد علم فقد جهل .

وليس العلم فى الاسلام مقصورا على التفسير والحديث ، والفقـه والنحو ، واللغة ، فهذا جانب فقط ، ولكن العلم يشمل جوانب الحيـاة المختلفة التى تساعد على تقدم البشرية وتطور الانسان ، وتقدم العمران ، لان هذا يدور حول فكرة واحدة هى ربط السماء بالارض ، والدين بالدنيا والحياة بالموت .

لقد اضاء مشعل العلم فى الفكـر الاسلامى ظلمات أوروبا ، فتكونـت حضارتها التى تفرض وجودها علـى العالم الآن ، وما خيوط هذه الحضارة الا من نسيج ذلك الفكر العربى المسلم العملاق .

وانى لأدعو أن ننظر فى مسيرتنا الكبرى نحو الحرية والسلام الـى هاتين الدعامتين : الوحى والعقـل لنصل الى مرفأ السلام تحت رعايـة الرحمن .





للدكتور وهبه الزحيلى

منى الاسلام بهزات عنيفة عبر التاريخ ، ومن هذه الهزات فى العصر الحاضر : ظهور بعض الحركات أو التيارات الالحادية المعادية للدين عموما ، والتى تحاول التخلص من الاسلام بوصف براق أو بآخر مزيف تحت ستار التجديد والعصرية ، واستغلال بعض مظاهر الضعف والتخلف الطارئة التى يمر بها العالم الاسلامى أو العربى المسلم بعد انتفاضته الجبارة على يد شرفائه وعلمائه ، وتخلصه من ويلات الاستعمار وآثامه .

وهذه الحركات أو التيارات اما مصادمة لجوهر الاسلام وموضوعه المباشر فى العقيدة ونظام الحياة ، واما موجهة فقط نحو الشق الثانى وهو النظام الذى وضعه للمجتمع .

وكل هاتيك الحركات منشؤها التعصب الدفين ضد الاسلام ، أو التخوف من عودة سلطانه على حياة الناس أو السخف والرعونة التى دفعت سدنتها الى زعم كون الاسلام أو الدين عائقا عن السير فى مضمار

التقدم والمدنية الحديثة ، مما أوقع بعض حكام العرب أو المسلمين فريسة المخططات الاستعمارية المادية والفكرية .

وقد تفاوت تأثير تلك الحركات أو التيارات على نظام الاسلام بمقدار دعم السلطات الدولية الكبرى لها فى الظاهر ، أو فى السر والباطن .

وتمخضت أحداث قرن من الزمان تقريبا عن نشوء تيارات ثلاث أدت الى انحسار تطبيق (الشريعة) فى مجال تنظيم شئون المجتمع وهى :

١ ـ حركات الارتداد عن الاسلام المتمثلة فى (البهائية) منذ قرن ونيف ، وفى (القديانية) فى مطلع القرن العشرين . فالبهائية ألغت كل ما جاء عن الاسلام من أحكام الحلال والحرام فى البيوع والاطعمة وغيرها ، ومسخت أوضاع العبادات وشوهتها ، وأحلت محلها شريعة نسخت الشريعة الاسلامية ، ونشرت آراء قصد بها هدم الاسلام ونشر الفوضى والالحاد بين المسلمين . والقديانية أحلت بعد نبوة خاتم الانبياء نبوة جديدة تزعم تنزل الوحى فيها على زعيمها ، ثم اعتقد مردتها بحلول اللاهوت فى جسد (غلام أحمد القادياني) مؤسس هذه البدعة بوحى من الاستعمار البريطانى الذى قصد بالذات تفريق كلمة المسلمين وتعطيل مفهوم الجهاد كى يقر قراره فى ربوع الهند .

٢ ـ حركات الانتقاض على الاديان عموما ومنها الاسلام الذى يختلف عن المسيحية مثلا بتنظيم شئون الحياة أو العلاقات الاجتماعية بين الناس . ويتمثل ذلك فى (الوجودية) و (العلمانية) التى تولد الشك والفساد ، و (الشيوعية) العالمية عقب الثورة البلشفية عام ١٩١٧ فى روسيا ، والتى ذهب ضحية مجازرها الرهيبة فى آسيا وأوروبا الشرقية ملايين الناس من المسلمين الذين حاولوا الحفاظ على عقيدتهم وتعاليمهم الدينية .

٣ ـ حركات فصل القيم والدولة عن العقيدة الدينية بسبب تقدم العلوم الحديثة فى أوروبا وتقوية الجانب العلمانى فى حضارتها ، سواء فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومنها الناحية الدستورية والقانونية . وانعكست آثار هذه الحركات فى عالم الاسلام فى الثورة الكمالية فى تركيا بقيادة أتاتورك الذى الغى الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ ، وأعلن علمانية الدولة أو لا دينيتها ، حتى فى المظهر والشكل والشعائر الدينية ، زاعما تحقيق التقدم لبلاده ، مع أنها الى الآن ما زالت وكأنها تعيش فى القرون الوسطى .

وسارت فى ركاب العلمانية بعض الاحزاب اليسارية فى أواخر الاربعينيات فى بعض البلاد العربية ، والانظمة العسكرية العربية التى (أفسحت المجال لطبع المجتمعات بالطابع الغربي ، وبخاصة فى المجالات التقنية وفى مجالات التعليم) فعطلت الشريعة ، وأحلت محلها دساتير ونظما برلمانية وقوانين غربية . وجاهر بعض قادتهم بأن الاسلام ـ العظيم الرائع ـ قد انتهى ، وأدى دوره فى الماضى ، ولم يعد صالحا للتطبيق فى الوقت الحاضر بحجة كون (المذاهب الفقهية المختلفة) تمثل بيئة اجتماعية معينة ، وتصورا حياتيا خاصا ، أو ظرفا زمانيا ومكانيا محددا . فهل نطبق اسلام مالك أو أبى حنيفة أو الشافعى أو ابن حنبل ، أو الجعفرى أو الزيدى أو الظاهرى . وكيف يصح فرض أحكام الاسلام على غير المسلمين الشركاء فى الوطن الواحد .. الخ ما يهرفون ويخرفون .

والحقيقة أن مثل هذه التيارات

الخطيرة كسابقتها كانت من محض وحى الاستعمار ، ولاسيما فى أرجاء باريس ، ولندن ، وسرت بدعة العلمانية الى الدساتير العربية من الغرب ، دون وعى الواضعين الذين تجاهلوا أو نسوا أن طبيعة الدين المسيحى يقتصر على كونه مجرد معتقد ، ويسمح للدولة بتنظيم شئون الحياة بقوانين وضعية . فقد تقبل الغربى كل القيم الجديدة لمجتمعه ، لأنه وجد أن دينه لا يتمشى مع روح العصر ، وساعد على ذلك تاريخ الكنيسة فى العصور الوسطى فى أوروبا ، حيث قاوم رجال الدين (الكهنوت) كل العلماء والمفكرين ، واضطهدوهم ، واستغل الحكام لتأييد انحرافهم ستار الدين ، وادعوا أحقيتهم بالسلطة بالتفويض الالهى المطلق .

وصدم شعور العربى الذى وجد أن عليه أن يطرح قيم مجتمعه ، وأن يتنكر لحضارة الاسلام التى تعتبر فصل الدين عن الحياة خيانة للمجتمع وتخليا عنه .

وأيا ما كان دافع العلمانية شريفا أم خبيثا فقد ظل الاستعمار الفكرى جاثما فى البلاد العربية بتطبيق قوانينه وتصوراته ومنطقه، وتم تنفيذ مخططات تحالف معسكر الالحاد فى الشرق والغرب ، وانكماش الاسلام فكرا وعقيدة وأخلاقا ، ونظما وشرائع ودستورا وسياسة زهاء قرن من الزمان .

وكان لزاما علينا كشف هذه الحقائق لئلا يفتتن بسطاء المسلمين والجهلة والعامة وبعض المثقفين ببريق التيارات المخادعة باسم التقدم والمدنية ، ولنبذ كل التهم الباطلة الموجهة للاسلام زورا وبهتانا ، أو كيدا وتعصبا ، أو جهلا ومغالطة ، من طريق بيان دعائم خلود الاسلام ، وسبيل العودة اليه أبيض الوجه ناصع الجبين ، لا بالاساليب العاطفية ، وانما بالخطط النظرية والعملية . وأسارع الى القول بأن أغلب رجال القانون الذين يتحمسون للقوانين الغربية المستوردة ليسوا سوى مجرد نقلة ومترجمين ، مما يسهل عليهم الحفاظ على بضاعتهم ، ويريحهم من عناء الجهد والبحث فى معين الاسلام وفقهه الخصب .

وأما رجال فقهنا فيفرقون عادة لأعوام طوال فى تحصيل الفروع والجزئيات الفقهية من الشروح والحواشى ، حتى اذا تم تحصيلهم صاروا أسرى لها ، فوقفوا عندها ، ولم يتصدوا لبحث المشكلات الجديدة، ولم يجرؤ أغلبهم على اصدار رأى جديد فى شأنها ، واذا اقدم أحدهم باحثا قضية ، وأفتى فيها برأى معين، ناله الآخرون بالسب والجرح والطعن فى مروءته ودينه وعرضه . والحق يقال : لم يهيأ لرجال الفقه بحث القضايا الجديدة ، لاعراض السلطة وواضعى القانون عن مخلفات جهودهم وثمرات أفكارهم بسبب طرح الشريعة أساسا عن النفوذ الى مجال التقنين ولقد شجع الحكم الاستبدادى بحق على سيادة الفكر المحافظ . وظلت دور العلم الشرعى تدور فى حلقة مفرغة ، وسيطر اليأس على أذهان طلابها من التفكير فى استنباط الاحكام من الشريعة ، بالاضافة الى تعذر حصول الكثيرين منهم على مورد يكفيه مؤنة العيش ولقمة الحياة . وأما القائمون على تدريس الشريعة فى كليات الحقوق ، فقد فتنوا بالنظريات والمبادىء الفقهية العامة ، وبمحاولة تقريب الشريعة من الافهام القانونية، وتركوا المهمة الاصلية فى تأصيل وتجديد الفقه بصفة عامة ، ونادوا

بضرورة الاجتهاد وفتح بابه ولم يجتهدوا الا فى القليل أو النزر اليسير.

وأما مقومات خلود الاسلام التى تجعله غير قابل للانتهاء والانكماش فكثيرة منها ما يأتى :

١ ـ الحفاظ على الكرامة الانسانية واحترام العقل وتحريره من قيود التقليد الاعمى والخرافات ، بنبذ عبادة العباد ، وغرس أصول الايمان الحق بالله ، القائم على المنطق الحر والتفكير والتأمل والاقتناع بالدليل والبرهان .

٢ ـ تأسيس نظام الحياة على اساس العلم والمعرفة والبحث والتجربة والافادة من خبرات الآخرين الصالحة .

٣ ـ توسطه فى النظرة الى الانسان والكون والحياة ، والمال والمادة ، بالاهتمام بمصالح الدنيا والآخرة ، وبمطالب الروح والجسد ، وتوجيه الانتفاع بالمال وجهة جماعية تقوم على أساس الايثار وحب الغير والتكافل والتعاون والتآلف .

٤ ـ كونه دين اليسر والسماحة والمرونة فى الحدود التى تقبل التطور ، لأن قيم الاسلام الخالدة أصيلة لا يصح تجاوزها ، ولأن فكرة كون الاسلام يتجدد ويخضع لعامل الزمن فى تطوره فكرة استعمارية . فالمبادىء القطعية أو الاساسية فى الشريعة لا تقبل التطور كأداء الامانات والحقوق الى أصحابها ، والتزام العدالة فى القضاء والشهادة ، والتراضى فى العقود ، وقمع الاجرام وسد الذرائع الى الانحراف ، والمسئولية الشخصية وضمان الضرر .

٥ ـ اصلاح الفرد بتربية ضميره واصلاح سلوكه وتحصينه بالأخلاق المثلى ـ الواقعية لا الخيالية ، وتوجيهه نحو الخير والمحبة والاحسان ، وتغليب العقل على الأهواء والشهوات والمصالح الموقوتة ، وربطه بالله صباح مساء .

٦ ـ تقويم الجماعة على أساس العدالة والامن والحرية التى تقيم المجتمع الفاضل ، بواسطة العقيدة والايمان والعبادات ، وأنظمة المعاملات والعلاقات بين الأفراد ، التى تقيم حياة مدنية راقية تعرف بالحقوق والواجبات ، وتصون الحريات التى لا تصادم مصلحة الجماعة وتوفر أمنها واستقرارها .

وأما المذاهب الفقهية فليست أديانا أو شرائع متنابذة وانما هى مدارس اجتهادية للفهم والاستنباط واستقاء الحلول الصالحة للمشاكل المعقدة ، وتفسير النصوص قانونا أو قضاء ، فوجودها أمر طبيعى ضرورى بسبب اختلاف الافهام والانظار ، كالمدارس التى وجدت تماما لتفسير القوانين الوضعية ، فهى فرع والاسلام هو الاصل والمنبع ، وليست كل اجتهادات المذاهب ملزمة ، وانما الملزم هو نصوص القرآن والسنة الثابتة الصحيحة ، فيعمل حينئذ بالنصوص القطعية الرواية والدلالة التى لا مجال للاجتهاد فيها الا لمانع شرعى من فوات شرط كدرء حد بشبهة ، أو للضرورة المبيحة أو المانعة من المسئولية ، وأما غير القطعى فيعمل فيه الحاكم باجتهاده ، أو يتخير من المذاهب الفقهية ما يتفق مع روح الشرع ومبادئه ، ويحقق مصالح الناس التى لا تصادم النصوص القطعية ، أو الظنية . ويراعى فى الاختيار أيضا الوصول الى العدالة ، والمساواة فى الحقوق والشهادات والاحكام القضائية ، وملاءمة الاعراف والعادات التى لا تصادم النصوص الشرعية ، واباحة المعاملات والعقود والشروط غير الممنوعة شرعا ، والتى تيسر شئون المبادلات التجارية ، وتحرص على

مراعاة مقتضيات الفضيلة والاخلاق ، وتجنب نواحي الفساد والغش واهتزاز الثقة بنظام التعامل ، ونحو ذلك من القواعد الأصلية الثابتة فى الاسلام مهما تبدلت الظروف والاحوال .

وقد أكد القرآن الكريم صحة تشريع المذاهب الاجتهادية فى قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم .. » وأولو الأمر هم فى السياسة الحكام ، وفى العلم العلماء الموثوقون الذين عرفوا بسلامة تفكيرهم وصحة تفسيرهم واصابة استنباطهم فى الغالب . وأقرت السنة حق اللجوء الى الاجتهاد عند تعذر النص فى حديث معاذ الذى رواه البغوى فى مصابيح السنة ، وأخرجه أبو داود في سننه ، وفيه اقرار صريح بممارسة الاجتهاد ، اذا لم يجد القاضي حكما فى الكتاب والسنة . والاجتهاد ومنه الاجماع المعتمد على مستند شرعى أداة حساسة مرنة ووسيلة واعية للحفاظ على خلود الشريعة ، ونمو أحكامها ، وتطور ما يقبل التطور منها ، وفق حاجات البلاد واختلاف الازمان ، كما أنه تماما وسيلة المحافظة على مرونة القانون الوضعى .

وبذلك تظل حركة التجديد مستمرة لحماية مصالح المجتمع والقضاء على المفاسد ، عملا بمبدأ الاسلام الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . ولكن ينبغى الا يفهم أن الاجتهاد أو التجديد معناه الحكم بالهوى أو (حرية الحكم) المطلق ، كما زعم بعض المجددين . وانما هو عملية استنباط الأحكام من مصادرها الشرعية بواسطة العلماء المختصين ذوى الكفاءة العالية فى الفهم والادراك ، وتمثل روح الشريعة وأهدافها العامة .

وأما التباكي على مصالح غير المسلمين أو التعاطف معهم فمنشؤه الجهل بمبادىء الاسلام الحقة التى لا تقر ظلما لأحد من رعايا غير المسلمين ، ولا تكلف عبئا خاصا بهم ، ولا تطالبهم بما لا يطيقون وكل ما قد يشاع من تهم فمصدره الكيد والمغالطة ، والجهل بحقائق التاريخ ، والتعصب البغيض منهم على المسلمين الذين يعاملونهم بمنتهى التسامح . فان التزموا بقوانين الاسلام فى المعاملات وغيرها ، فلأن المسلمين هم الاغلبية الساحقة ، وايهما خير : هل فرض قوانين المستعمرين الظالمين على المسلمين وغيرهم فى ديار الاسلام أو تطبيق قواعدنا السماوية الاصل ، القائمة على الرحمة والعدل والمساواة ، النابعة من البيئة العربية ومدنية العرب قبل الاسلام وبعده .. ؟!

ولنا أن نبين للذكرى ودحض الحجة المغرضة ما يتجاهله الحاقدون على الاسلام ومنهم بعض رجال القانون ، وهو أن الشريعة صالحة فعلا لتنظيم الحياة الانسانية ، والفقه الاسلامى يلبى هذه الحاجة ويقرر أوجه الصلاحية بما تخلله من مبادىء وقواعد ثابتة وأحكام تفصيلية ، نذكر منها بعض الامثال فى نطاق الحقوق العامة والخاصة التى ينقسم اليها كل نظام قانونى قضائى .

أما الحقوق العامة فمنها داخلى ومنها خارجى ، والاول اما دستورى أو ادارى ، ففى نطاق الحقوق الدستورية قررت الشريعة مبادىء ثابتة مدعاة للاعجاب :

١ ــ حرية المواطن دون اخلال بالنظام العام والآداب ، ودون اعتداء على حق الغير وحريته .

٢ ــ المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات .

٣ ــ الشورى أساس الحكم .
٤ ــ اموال المواطنين ودماؤهم واعراضهم حرام .
٥ ــ العمل حق ضرورى وواجب على كل قادر عليه . واما العاجز فيعال من اقاربه أو من الدولة اذا لم يكن له قريب موسر ينفق عليه .
٦ ــ الاخاء والتعاون والتكافل قانون المجتمع .
٧ ــ المال وتملكه وان كان حقا خاصا ، لكنه ذو نزعة جماعية .
٨ ــ مال الخزينة العامة مرصود لمصالح الأمة ، ومنفصل عن ملك الحاكم .

وفى القواعد الادارية أقرت الشريعة المبادىء التالية :

١ ــ للحاكم حق اصدار مختلف القرارات الادارية التنظيمية ، بشرط التزام مبدأ الشورى ، ورعاية المصلحة العامة ، وعدم مصادمة نصوص الشريعة وقواعدها التشريعية الثابتة .
٢ ــ حق الطاعة من الرعية للحاكم مقيد بالمعروف .
٣ ــ تصرفات الحاكم فى نواحى الادارة وفرض الضرائب وجبايتها وتوفير الخدمات العامة والاستملاك الجبرى للمنفعة العامة : تخضع لرقابة الامة .
٤ ــ ليس للحاكم أو أحد موظفيه حصانة أو امتياز على أحد .

وأما فى مجال العلاقات الخارجية (الدولية) فقررت الشريعة ما يأتى :

١ ــ الشعوب البشرية كلها متساوية فى الحقوق الانسانية ، فليس هناك تقبل لأى تفرقة عنصرية أو جنسية أو مذهبية أو طبقية لشعب مختار أو فئة ممتازة على حساب المجموعة البشرية الأخرى .
٢ ــ المعاملة بين الدولة الاسلامية وغيرها تقوم فى السلم والحرب على أساس العدالة والحقوق الانسانية . ففى وقت السلم تحترم الحقوق المكتسبة للآخرين . وفى زمن الحرب يحرم الاعتداء والايذاء والفساد لغير ضرورة حربية ، لأن الله تعالى لا يحب الفساد .
٣ ــ المعاهدات بين الدولة الاسلامية وغيرها مقدسة لا تمس بنودها ، وملزمة وواجبة التنفيذ بحسن نية كالعقود بين الافراد ، ولا تنقض ما لم ينقضها العدو .
٤ ــ التعايش السلمى أساس العلاقة مع الامم المجاورة . والحرب اجراء اضطرارى لا يلجأ اليه الا عند العدوان بمختلف اشكاله . ولا حرب دون انذار باجماع الفقهاء ، ولا اقرار لاغتصاب بلادنا .
٥ ــ المعاملة بالمثل جائزة الا فيما يخالف اوامر الشريعة وقواعدها والاخلاق الاسلامية .
٦ ــ الحصانة السياسية حق للسفراء والقناصل وممثلى الدول الاجنبية .

وأما الحقوق الخاصة فتشمل النواحى المدنية والجنائية .

ففى الحقوق المدنية قررت الشريعة ما يأتى :

أ) فى الاحوال الشخصية : عنى الاسلام بتربية الفرد وتقوية شخصيته وارادته ، ليقوى المجتمع ويؤسس على قواعد راسخة صالحة . ونظمت حقوق واجبات أفراد الاسرة ، ووضعت لها القواعد والنظم الملائمة للطبيعة البشرية والحاجة الانسانية . واعتبر الزواج عقدا مدنيا رضائيا محضا كسائر العقود ، ومنع الزواج بالأقارب المحارم حفاظا على وشائج القرابة والرحم ، وأجيز انحلال الزواج اذا تعذر بقاؤه وأصبح عقبة فى اقامة الاسرة القوية المتماسكة . وحوفظ على نقاء نبتة الاسرة وطهارة الانساب فحوربت العلاقات غير المشروعة . وأقيمت الولاية والوصاية لحماية مصالح القاصرين . ووزع الارث بين الزوجين ، وبين الأولاد والاقارب على أساس متين من العدل والحق .

واعتبر الانسان فى مجال الاشخاص هو أساس الشخصية القانونية . ومع ذلك وجدت بعض الاحكام المؤيدة لوجود ما سمى بالشخصية الاعتبارية كفرض الكفاية ، وتمثيل الامة بالحاكم أو القاضى ، والوقف للمسجد ونحوه من سبل الخير ، وقول الفقهاء : (للمسجد وقف) ونحو ذلك .

ب) فى الالتزامات : اعتبرت الشريعة كل فعل ضار بالغير موجبا مسئولية الفاعل أو المتسبب ، والتزامه بالتعويض عن الضرر عمدا أو خطأ ، اذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام . وهذا يعرف حديثا بنظرية التعسف فى استعمال الحق ، وأخذت الشريعة أيضا فى باب الالتزامات بنظرية الضرورة الشرعية المقابلة لنظرية الظروف الطارئة فى القوانين الحديثة .

وعرفت مصادر التزام اخرى كالارادة المنفردة ، والشرع كالالتزام بنفقة الاقارب ، والفعل النافع المقابل لما يعرف قانونا بالاثراء بلا سبب ، كالاستيلاء على الشيء خطأ ، أو قبض مال من آخر لترك محرم كالقتل والسرقة ، أو لفعل واجب كالصوم والصلاة ، أو ايفاء ما لا يجب للغير ثم يتبين انه لا حق له ، أو دفع مال لغيره على عمل لا يعتبره العقلاء وانما يعد فى نظرهم عبثا ولغوا ، أو الرجوع بالحق على من تناول مال غيره للضرورة ، أو على صاحب الوديعة لتغطية ما أنفق أو بذل لها من أجل حفظها .

وفى نطاق الاجراءات اعتبرت جميع الالتزامات مضمونة بتأييد القاضى ، وله كل السلطات الممكنة لاجبار كل مدين على تنفيذ التزامه ، ولو كان الحاكم الاعلى .

جـ) فى العقود : أقرت الشريعة القواعد الآتية : يلتزم العاقد دون غيره بعقدة ، وينتقل التزامه الى الخلف ، كالوارث والموصى له

والعقود كلها رضائية تنعقد بالتراضي الحر دون توقف على ممارسة شكليات معينة . وتصبح العقود صحيحة بمجرد الاتفاق بين طرفيها . وتعتبر الشروط العقدية حرة ملزمة للعاقدين الا ما يخالف النظام العام والآداب . وتخضع العقود لقواعد الاخلاق العامة ، ويجب أن يسودها حسن النية ، فيعتبر الغش والتدليس والغلط ، والتغرير مسوغا فسخ العقد . والعرف والعادة أساس تحديد حدود الالتزامات العقدية ما لم ينص على خلافها صراحة .

وفى النواحى الجنائية : قررت الشريعةأن كل ممنوع شرعا وسياسة جريمة ، وكل جريمة يعاقب عليها بعقاب عادل متناسب مع الفعل وكاف للزجر واقرار الامن . وفوضت الشريعة السلطة الحاكمة (الدولة) فى تقدير مقدار العقوبة ونوعها حسب الظروف والملابساتالشخصية والزمانية والمكانية . وحددت مع ذلك عقوبات بعض الجرائم نظرا لخطورتها ، وأولها الردة باعتبارها خروجا على قيم الوطن ومسئولياته ، والمحاربة لتهديدها لأمن الاشخاص والاموال ، والسرقة ، والزنى ، والقذف ، وتناول المسكرات ، والاعتداء على النفس أو أحد الاعضاء ، مما هو معروف العلة . هذه هى الاصالة النظرية للشريعة التى حدت بالمحافل والمؤتمرات والجمعيات الدولية فى لاهاى وباريس وبرلينعام ١٩٣٢ ، ١٩٣٧ ، ١٩٤٨ ؛ ١٩٥١ أن تعترف بحيوية الشريعة ومرونتها وصلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان .

ومن أطرف ما قرأت عن اعجاب المستشرقين بالشريعة ما قالتهأستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الاسلامية فى جامعة نابولى بايطاليا الدكتورة لورا فيشيا فاغليرى فى كتابها (دفاع عن الاسلام) : ان

علينا أن نقدم أعمق اعجابنا الى دين لا يكتفي بنظرية ملائمة لمطامع الطبيعة البشرية ، وباقامة شريعة تتألف من أسمى القوانين التى يستطيع الانسان الحياة وفقها ، ولكنه يذهب الى أبعد من ذلك ، فينادى بفلسفة حياة . دين يقيم مبادىء الاخلاق الاساسية على أساس نظامى وايجابى .. الخ . ثم استشهدت بقول محمد فريد وجدى : « ان الاسلام هو فى الحقيقة دستور السعادة الحقيقية ، وانه رسول الحضارة الصحيحة ، وانه جدير بالتالى بأن يمنحه كل انسان حبه واحترامه ، كما منحه الحب والاحترام أولئك الفلاسفة الكبار الذين استهلوه وآمنوا به .. » ومن يدرى أن يتحقق التنبؤ القائل بأن الاسلام سيكتسح ويغزو أفريقيا لأنه دين التوحيد والمدنية ، ويغزو أوروبا لأنه دين العلم والتأمل .

أما من الناحية العملية فان شرع الاسلام وفقهه ما زال يطبق في بعض الدول العربية أو الاسلامية وعلى الصعيد الخاص فى معاملات الأفراد أحيانا ، وترتفع أصوات بعض رؤساء دول عربية تنادى بضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية ، حتى نحافظ على أصالتنا ونتخلص من رواسب الاستعمار الفكرى ، وشكلت سنة ١٩٧١ فى ليبيا فعلا لجان لمراجعة القوانين وحصر واستظهار ما يناقض الاحكام القطعية والقواعد الاساسية للشريعة الاسلامية والعمل على ازالة هذا التناقض باعداد تشريعات بديلة ، اخذا من مختلف المذاهب ، مع تخير ايسر الحلول حسبما تقتضيه المصلحة العامة ، ومع مراعاة ما جرى عليه العرف فى البلاد مما له أصل فى مذهب الامام مالك . وتنص المادة السادسة من دستور دولة اتحاد مصر وسوريا وليبيا عام ١٩٧١ على ما يلى : « تؤكد دولة الاتحاد على القيم الروحية ، وتتخذ الشريعة الاسلامية مصدرا رئيسيا للتشريع » وبهذا النص تخطت كل الشعارات النظرية المحضة كاعتبار دين الدولة الاسلام ، الذى يقتصر على « الاسلام كعقيدة وشعائر » ولا يأخذ بكونه « نظاما يحكم علاقات الافراد » .

وطريق العودة الى الاسلام وشرعه يكمن فيما يأتى :

١ — غرس أصول الايمان بعناصره الست ، والاسلام بأركانه الخمس .

٢ — توفير القوة المتفوقة على العدو الخارجى .

٣ — استمداد التقنينات من أحكام الشريعة .

٤ — العلم الحديث الذى لا يتصادم فى موضوعه مع أصول الايمان .

أما ما قد يتجافى أو يقصر أو يضيق من اجتهادات فقه المذاهب الاسلامية، فيمكن الاستعاضة عنه بما تنتهى اليه مجامع البحوث التى تنعقد كل عام فى مصر ، وما تسفر عنه الدراسات والابحاث فى الاقسام العليا فى كليات الشريعة والحقوق ، وما ينبغى أن يقوم به أساتذة الفقه الاسلامى من اجتهادات ودراسات جادة تتلاءم مع ظروف العصر وحاجات أهله ، ولا تتعارض مع نصوص الشريعة ومقاصدها وأهدافها العامة ، والروح التشريعية ، وعمل المسلمين المستمر ، والثابت غير المتعارض من سنة النبى العظيم عليه أزكى الصلاة والسلام .

لذا فان الاسلام سيظل رغم أنف الحاقدين قلعة صامدة لا تنتهى ، وأن تنكر له بعض الأذلة ، وايماننا ببقائه وصلاحيته على مر الدهور جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلم : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » . « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » . « ما كان محمد أبا احد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » .

كتاب الشهر



العلم والدين في الفلسفة المعاصرة

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣

تاليف : اميل برترو
ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى
عرض وتحليل : الدكتور يوسف نوفل

اميل برترو مؤلف الكتاب فيلسوف فرنسى معاصر ، عاش معظم حياته فى أواخر القرن التاسع عشر ، وتوفى بعد الحرب العالمية الأولى ، يقوم منهجه فى البحث على رد الدين الى عناصره ، والى تحليل العلم وتبيين أصوله التى يعتمد عليها ، وبيان الصلة بين دائرتى الدين والعلم ، وما يمكن أن تنتهى اليه العلاقة بينهما من وفاق أو خصام ، وعلى الرغم من معاصرة هذا الفيلسوف الفرنسى لموجة الالحاد فانه يدافع عن الدين ، وكأنه كان مبشرا بما آل اليه العلم من تقارب شديد من الدين فى وقتنا الحاضر .

ومن الملاحظ أن المؤلف لم يتناول كلية أمرا من أمور الدين الاسلامى ، وكذلك لم يتناول شيئا عن البوذية مع أنهما من أوسع الديانات انتشارا ، ومن الواضح أن ذلك يرجع بالدرجة الأولى — فى تصورنا — الى جهله الاسلام ، ففاقد الشىء لا يعطيه ، وربما كان من الأسباب أيضا ندرة المواقف المبحوثة حول علاقة الدين بالعلم فى الشرق الاسلامى ، وخصوصا فى الأزمنة المتقدمة من العصر الحديث .

ومما يجدر بالذكر أن بعض فقرات هذا الكتاب ترجمها الشيخ مصطفى عبد الرازق فى كتابه : « الدين والوحى والاسلام » .

وتأتى أهمية الموضوع المثار فى أن « الدين روح الأمة وسبب من أسباب وحدتها وعلة فى اتخاذها وجهة تشكيلها وتطبع سلوك أفرادها على هيئة خاصة بحسب الدين الذى يعتنقه هؤلاء الأفراد ، ولست تجد أمة تخلو من دين ، حتى البدائيين الذين كانوا يعبدون الحجر والشجر والشمس والقمر ، لأن الدين عبادة تقتضى عابدا ومعبودا ، وتستلزم أن يكون المعبود مقدسا ، وقد مرت البشرية فى أدوار كثيرة فى تدينها حتى بلغت الأديان السماوية التوحيدية ، كان الناس يعبدون مظاهر الطبيعة وكل ما يجلب لهم الخير أو ينزل بهم الضر ، فألهوا البقر كما ألهوا البرق والرعد ، ثم انتهى الأمر بالبشر الى تأليه كل قوة طبيعية ومن هنا نشأ تعدد الالهة .

ثم اضفى الناس من خيالهم على هذه القوى التى ألهوها الخرافات ، وحكوا عنها الأساطير فكانت أقدم الديانات عند قدماء المصريين وعند اليونانيين خرافية — أو مثيولوجية — ولكن تقدم البشرية فى البحث والتأمل والتفكير أفضى الى أمرين : الأول الخروج من التعدد الى التوحيد ، كما حدث فى عصر اخناتون ، والثانى تجريد الآلهة من مظهرها المادى المتشخص فى المثيولوجيا واعتبار الاله الواحد هو القوة العليا والكمال المطلق ليس كمثله شىء .

وتشترك الديانات السماوية الكبرى فى اعتقادات تعمها هى الاعتراف بوجود الله وانه خلق العالم بعد أن لم يكن ، وانه بعث الانبياء والرسل لهداية البشر ، وأن الناس جميعا على موعد مع اليوم الآخر حيث الحساب ، وحيث الجنة أو النار .

وعلى رأس الأمور التى تشغل البال الايمان بوجود الله ، مهما انشغل الانسان بأمور الدنيا ، ومهما حاول التغلب على صعابها بوسائل يصطنعها فى حياته وفى أموره اليومية ، وفى سبيل ذلك يسخر الكون بما فيه لخدمته ، ومن هنا يأتى العلم ودوره حيث تقدم بخطوات هائلة وخصوصا منذ القرن الثامن عشر الى أن توصل الانسان الى معرفة سر المادة وتركيبها ، وانتقل من عصر البخار الى عصر الكهرباء الى عصر الذرة .

هذا العلم الذى يقوم على التجريب ، على المشاهدة والملاحظة والاحصاء أثار سؤالا هاما لدى الناس هو : لم لا نطبق المناهج العلمية على الدين وبخاصة بعد تطبيقها على ظواهر انسانية أخرى مثل النفس الفردية والنفس الاجتماعية حيث نشأ علمان جديدان هما : علم النفس وعلم الاجتماع ؟

وهذا سؤال هام ، فهل يمكن أن يخضع الدين للمناهج العلمية ؟ وهل اذا طبقنا المناهج العلمية على الدين يزيد ايماننا بالدين أو تتزعزع قواعده باعتبار أن أساس الدين هو الوحى أو هذه الصلة بين الله والانسان ؟

فى القرن التاسع عشر سار العلم فى طريق معاد للدين وانتشرت فى أوربا موجة شديدة من الالحاد باسم العلم . ذلك أن العلم كان ينادى بالحتمية التى تعنى أنه اذا ما توافرت الشروط والاسباب تحتم وقوع النتائج ، وبناء على ذلك يكتفى العالم بنفسه ولا حاجة به الى علة أخرى خلاف وجود المادة وحركتها وتطورها وسيرها فى طريقها المحتوم ، ولكن العلم منذ صدر القرن العشرين بدأ يرى أن الحتمية غير ضرورية ، وأن القانون الذى يحكم العالم هو قانون الاحتمالات ، وبذلك انفسح المجال للقول بقوة عليا تسير العالم خارج نفسه ، ولذلك نرى فى الوقت الحاضر موجة من التدين تعم أرجاء العالم باسم العلم ذاته ، وقد ترجم فى مصر

الى اللغة العربية كثير من الكتب الحديثة التى تحث على الايمان عن طريق العلم مثل كتاب : العلم يدعو الى الايمان ، وكتاب : الله يتجلى فى عصر العلم ، وغير ذلك ، وراجت هذه الكتب رواجا عظيما ، وطبعت أكثر من مرة ، مما يدل على تعطش قراء العربية الى مثل هذا النوع من الدراسات ، ولا غرابة فى ذلك ، فنحن نعيش فى عصر العلم الذى تغلغل فى جميع شئون الحياة ، وأصبح تفكيرنا فى الأغلب الأعم تفكيرا علميا .

خطة الكتاب :

يقع الكتاب فى مقدمة وجزأين ، الجزء الأول مو موعه النزعة الطبيعية ويتكون من أربعة أبواب : الباب الأول عن أوجست كومت ودين الانسانية ، وفيه نلتقى ببحث مذهب أوجست كومت ، وتأويل المذهب ، وقيمته ، وفى الباب الثانى : نلتقى ببحث عن هربرت سبنسر وما لا يمكن معرفته ، وفى ذلك يصنع المؤلف مع سبنسر ما صنعه مع كومت ، أما الباب الثالث ففيه الحديث عن هيكل والوحدانية ، وفيه الحديث عن مذهبه ، وقيمة هذا المذهب ، والفلسفة الاخلاقية . أما الباب الرابع فيتحدث عن المذهب النفسانى والمذهب الاجتماعى وفيه نلتقى بالتفسير النفسانى والتفسير الاجتماعى ، ونقد المذهب الاجتماعى والنفسانى .

أما الجزء الثانى فموضوعه النزعة الروحية وفيه حديث فى الباب الأول عن ريتشل والثنائية المتطرفة ، ثم حديث عن الريتشالية ، ثم عن قيم الريتشالية .

أما الباب الثانى فعن الدين وحدود العلم وفيه دفاع الدين ، وحديث عن صعوبات المذهب ، وحديث عن العلم باعتباره يتجه نحو الدين ، ثم حديث عن بعض الصعوبات القائمة .

أما الباب الثالث فهو عن فلسفة العقل وفيه حديث عن البرجمانية ، وعن تصور للعقل الانسانى ، وملاحظات نقدية ، ثم ننتقل الى الباب الرابع وفيه حديث عن وليم جيمس والتجربة الدينية ، وحديث عن مذهب وليم جيمس ، وملاحظات نقدية ، ثم خاتمة مفصلة .

••• ••• ••• •••

يرى المؤلف أن أمر العلاقات بين الدين والعلم حين يراقب فى ثنايا التاريخ يثير أشد العجب ، فانه على الرغم من تصالح الدين والعلم مرة بعد مرة ، وعلى الرغم من جهود أعظم المفكرين التى بذلوها ملحين فى حل هذا المشكل حلا عقليا ، لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ، ولم ينقطع بينهما صراع يريد كل منهما أن يدمر صاحبه لا أن يغلبه فحسب ، على أن هذين النظامين لا يزالان قائمين ، ولم يكن مجديا أن تحاول العقائد الدينية تسخير العلم ، فقد تحرر العلم من هذا الرق وكأنما انعكست الآية منذ ذاك ، وأخذ العلم ينذر بفناء الأديان ، ولكن الأديان ظلت راسخة وشهد بما فيها من قوة الحياة عنف الصراع .

فاذا نظرنا الى المذاهب التى تلخص الأخطار الراهنة عن علاقة الدين بالعلم وتعرفها ، رأينا أنها تتوزع مجموعتين ، تمثل احداهما ما يمكن بالنزعة الطبيعية، وتمثل الأخرى النزعة الروحية .

وقد وضع المؤلف فى النزعة الأولى على سبيل المثال : مذهب أوجست كومت الوضعى أو دين الانسانية كما يقال ، ومذهب « هربرت سبنسر » فى

التطور ونظريته فيما لا يمكن معرفته ، ومذهب هيكل الواحدى الذى يفضي الى دين العلم ، والمذهبان النفساني والاجتماعى اللذان يردان الظواهر الدينية الى مظاهر طبيعية للنشاط النفسى أو الاجتماعى .

وقد ادخل فى النزعة الثانية : ثنائية « ريتشل » المتطرفة التى تنتهى الـــى التمييز بين الايمان والاعتقادات ، ومذهب حدود العلم ، وفلسفة الفعل باعتبار أنها تربط العلم بالدين بمبدأ مشترك ، ومذهب التجربة الدينية كما يعرضه وليم جيمس .

ويضيف المؤلف الى ذلك قوله انه : « لو نظرنا نظرة كاملة لأضفنا الى هذا الثبت مذاهب أخرى كثيرة ، ومع ذلك فهذه الأمثلة كافية فى بيان عنف ومثابرة وأسلحة هذا الصراع المتجدد على مر العصور ، ومن الجرأة أن نتنبأ بنتيجـــة هذا النزاع باسم المنطق وحده ، لأن أنصار كل قضية منهما يلحون منذ زمن طويل فى الجدل دون أن ينجحوا فى اقناع بعضهم بعضا ، أما أن نقطع فى هذه المسألة بأن نرسم بادىء ذى بدء خط التطور التجريبى للتطور المستخلص من التاريخ أو الذى يظن استخلاصه منه ، فهو أيضا منهج شديد السذاجة ، ولا يكفى أن يصبح الشىء قديما ليقترب من نهايته ، وليس الحال بالضرورة فى حياة الأفكار والعواطف والمعنويات كالحال فى حياة الأفراد ، بل أكثر من ذلك عندما تموت هذه الأمور فقد يمكن أن تولد من جديد ، وبخاصة اذا طال عليها أمد النسيان ، وهذا هو شأن الثورات التى تكون أعنف بمقدار ما تحيى مبادىء أقدم ، فعندما أراد روسو أن يجدد العالم رجع الى الطبيعة باعتبار أنها أقدم من سائر التقاليد ، هذا الى أن التاريخ يقدم لنا ألوانا من التطور يلوح أنها تتجه وجهة محدودة كما يقدم لنا كذلك حركات منتظمة تطور احدى مراحلها هو نهاية مرحلة مضادة لها ، ان سير الامور الانسانية يبلغ من التعقيد حدا يمنعنا من الانتقال من تطور معين الى أسبابه الميكانية المحددة له ، هذه الأسباب التى بدون معرفتها لا يتسنى التنبوء العـــلمى الصحيح .

واذا صح أن الدين والعلم يمكن تشبيههما بالأحياء ، فكيف نقيس حيويتهما ومستودع طاقتهما ، وامكانيات يقظتهما ، ألسنا نرى اليوم أن بعض علماء الطبيعة يفسرون التغيرات المفاجئة التى تظهر أحيانا فى بعض الأنـــواع الطبيعية بخصائص ظلت كامنة الى ذلك الوقت حتى جاء الظرف الملائم لظهورها فجأة ، فبدلا من التنبوء عن مستقبل الأديان بأحكام أقرب الى اليسر منها الى التحقيق ، قد يكون من المفيد أن ننظر الى حالة كل منهما الراهنة ، وأن نحدد بمقتض هذه الدراسة طريقة تصور العلاقات بينهما ، وهى طريقة تبدو كما يقول أرسطو ممكنة ومناسبة فى آن واحد .

الصلة بين الروح العلمية والروح الدينية :

يقول المؤلف : « أيهما أجدر بالبحث أولا الدين أم العلم ؟ لم يكن ذلك أمرا ذا بال فى الزمن القديم أما اليوم فلم يعد الأمر كذلك ، فقد تحرر العلم كما يقال فى التعبير المشهور ، ففى الوقت الذى لم يكن للعلم من يقين سوى ما تخلعه عليه بعض المبادىء الميتافيزيقية التى كان ينسق بها ظواهر الطبيعة ، وجد فى التجربة مبدأ خاصا به باطنا فيه ، منه تستمد على السواء بغير معونة سوى معونة النشاط الفكرى المشترك ، الوقائع التى هى مادة عمله ، والقوانين التى بها ينظم تلك الوقائع » .

الروح العلمية

بدت الروح العلمية مع ديكارت ، وبوجه خاص مع كانط ، محدودة بصورة ثابتة عن طريق الشروط المنطقية للعلم ، وطبيعة العقل البشرى ، وقد ذهب ديكارت الى النظر الى سائر الأشياء من زاوية تسمح بردها مباشرة أو بالواسطة الى عناصر رياضية ، أما عند كانط فالروح العلمية هى الاثبات ــ أوليا ــ للرابطة الضرورية بين الظواهر فى الزمان والمكان ، وبعد أن تسلح العقل بهذه المبادىء ، نزل الى الميدان بعزم جديد يكشف عن قوانين الطبيعة ، وخيل اليه أثر النجاح الذى لقيه أنه قد وضع يديه من الآن فصاعدا على الصورة الأزلية المطلقة للحقيقة غير أن هذا الرأى قد تعدل حين اختبرت من قريب الطريقة التى بها يتكون العلم وشروط نموه ، ويقينه .

ويلوح من الثابت اليوم أن الروح العلمية ، وكذلك مبادىء العلم ليست معطلة مقررة ، بل تكــون نفسها كلما تجدد العلم وتقدم ، فمن جهة العقل يصنع العلم الذى لا ينفصل عن الأشياء ، كما ينفصل العنصر عن المركب الكيمائى ، ومن جهة أخرى يؤثر المصنوع فى الصانع ، اذ ليس ما نسبه بالمقولات العقليــة الا مجموع العادات التى كونها الذهن فى عمله لتمثل الظواهر فهو يلائم بينها وبين غاياته ، ويلائم بين نفسه وبين طبيعتها ولا تتم هذه الملاءمة الا بضرب من التوفيق .

الروح الدينية :

قد يبدو المؤلف ذا ميل كبير الى الاعتقاد بأن العلم ينبع من العقل ، وأن الدين خارج عنه ، يقول المؤلف : « من أيسر الامور لحل هذه المسألة أن نقرر أن الروح العلمية لها وحدها كل ما هو جوهرى فى العقل البشرى ، وان جميع الآراء أو النزعات التى بوساطتها تجلت الروح العلمية على مر العصور ، لها فى مبادىء العلم تعبيرها الوحيد المحقق والمشروع ، وعندئذ فكل ما هو خارج عن العلم ، فهو من أجل ذلك خارج العقل ، وحيث كان الدين بالضرورة شيئا آخر خلاف العلم، فهو أوليا من بين مواد التجربة الخام التى من شأن العلم أن يحيلها الى رموز موضوعية ، قادرة أن تصاغ فى ثوب من الحقيقة » .

والواقع أن هذا الرأى فى حاجة الى نقاش ، فالروح العلمية ، تمتلك جوهر العقل بل تعتمد عليه بالدرجة الأولى ، وهذا حق ، لكن الشطر الآخر من القضية والذى يعنى أن كل ما هو خارج عن العلم فهو من أجل ذلك خارج عن العقل ، هذا الشطر يبنى على أساس واه يجعله غير مقبول فى ميدان النقاش ، فافتراض أن الروح الدينية لا تستند الى العقل افتراض غير علمى وغير موضوعى ، فالعقل البشرى فى مجال الاعتقاد أو فى الناحية الدينية يستند الى تراث حضارى دينى يرجع الى آلاف السنين من عمر البشرية ، كانت البشرية فيه خلال هذا العمر الطويل تحاول ــ دائبة ــ التوصل الى صيغة سديدة فى مجال الاعتقاد ، وغنى عن البيان تتبع هذا التسلسل الطويل ، والمحاولات المتعددة التى خاضتها البشرية فى هذا الصدد وبتأمل هذه المحاولات ــ بما فيها من صواب وخطأ ، وهدى وضلال وصيحات أرضية ووحى سماوى ــ يمكن أن يصل الباحث الى حقيقة هامة ، هى أنه حين استخدم الانسان عقله ، وعمل على ألا يقع فى تناقض ،

وأن يضع الامور فى نصابها ، وأن يتغلب على هواه وعواطفه ، وينتصر عليهما ، أى يحكم عقله ، وصل الى الحق ، وحين ارتفع صوت الله . سبحانه وتعالى على لسان رسول اليهودية ورسول المسيحية ، ورسول الاسلام ، نطق الحق باعمال العقل والتفكير والنظر ، فهذا تساؤل : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ ، وهذا حض على اعمال العقل ، وهذا تساؤل : أفلا يتدبرون ؟ ، أفلا يعقلون ؟ ، وغير ذلك مما يكثر حصره من آيات القرآن الكريم التى تشيد بالعقل واللب والفكر والنظر ، وتأمر بهما ، وتلوم من يبعد عن نطاقهما .

وقد يحلو هنا الرجوع الى كلام المؤلف ليبدو ايمانه بما نذهب اليه ، أو بما هو واقع انه يعود مرة أخرى الى القول بأن الايمان الحق هو ما يقوم على العقل ، وان هناك صلة قوية بين الدين والعلم ، يقول :

« الايمان ، لسنا نقصد الايمان الأعمى بل الايمان الذى يسترشد بالعقل ، والفطرة ومعنى الحياة والمثل والتقاليد ، ولا شىء من هذه الامور يوجد فيه الباعث العلمى الذى يسمح لنا بالقول : هذا موجود ، ولما كان المقصود هو توجيه العقل فى طريق يختلف عن النتيجة الميكانية للأشياء فمن المستحيل ههنا أن يكون العلم كافيا ، ولا تزال عبارة القديس أوغسطين التى لفتت نظر بسكال صحيحة ، وهى : أننا نعمل للمجهول ، والحياة بالنسبة الى الانسان الذى يفكر رهان ، ولا يمكن أن نتصور أن تكون غير ذلك .

يترتب على هذا الشرط الأول شرط ثان ، فالايمان ليس بالضرورة قبولا سلبيا لما هو موجود ، على العكس أنه قادر على اتخاذ موضوع لم يوجد بعد ، ولا يبدو أن يكون واجبا ، ولعله يكون مستحيلا لولا هذا الايمان نفسه ، ولهذا السبب كان الايمان فى الانسان بوجه عام ، وفى الصفوة الممتازة بوجه خاص ، يولد موضوعا من الفكر يختلف فى جدته ، فهو ادراك عقلى أصيل يركز فيه بصره ، والانسان الذى يريد أن يعمل كانسان فلا بد له من غاية ، وكلما كان الايمان شديدا قويا كانت هذه الغاية مثلا أعلى يختلف فى سموه وتميزه عن الواقع ، فالايمان أولا لا يبصر موضوعه الا غامضا ، وعلى بعد ، وفى الغيوم ، ولكنه يجتهد فى تحديده بما يطابق حاجة العقل والارادة فهو يحدد شيئا فشيئا كلما عمل على تحقيقه .

وأخيرا ينشأ عن الايمان الخالق والموضوع الذى ينصبه أمامه ، شرط ثالث للفعل هو المحبة ، فالارادة تعشق مثلها الأعلى بمقدار ما يتلون هذا المثال بظلال أكثر جمالا وحياة بالتأثير المؤتلف من الايمان والعقل .

فهذه هى الشروط الثلاثة للفعل الانسانى : الايمان ، والمثل الأعلى ، والحماسة ، ولكن أليست هذه هى بالضبط المراحل الثلاث لنمو الروح الدينية ؟ الا تعبر هذه الألفاظ الثلاثة تعبيرا أمينا عن الصورة التى تلبسها الارادة والعقل والعاطفة بتأثير الدين .. ؟

فالحياة اذن ، من أحد وجوهها ، تعنى من جهة مطامحها المثالية ، تشارك مشاركة طبيعية فى الدين ، واذ كان من الواضح من جهة أخرى لا من جهة صلة الحياة الانسانية بالطبيعية انها تشارع فى العلم لأنها تطلب منه وسائل بلوغ غاياتها ، فقد يبدو من الصواب أن نرى فى الحياة همزة الوصل بين العلم والدين » .

وهناك كثير من المفكرين يعترضون على المكانة التى ننسبها الى الدين فى حياة الانسان ويقولون : كان من المباح للدين ــ الى عهد قريب ــ أن يعمل على

تقدم الانسانية ، لأن الأخلاق كانت الى حد ما متوقفة عليه ، ولكن هذا التضامن بينهما لم يكن إلا عارضا مؤقتا ، فقد نشأ الدين والأخلاق تاريخيا ونما كل منهما بعيدا عن صاحبه ، بل ان تقدم الأخلاق نفسه هو الذى أرغم الدين أن يتلاءم واياه ، وأن يصطنعه ، ولكن كما انهما نشآ فى ابتداء الأمر مستقلين ، فكذلك هما فى الوقت الحاضر فى طريق الانفصال ، وأصبحت الأخلاق منذ أن تحررت واضحت شبيهة بغيرها من العلوم كافية ، وكافية جدا فى توجيه الانسانية .

طريق الانفصال ، وأصبحت الأخلاق منذ أن تحررت واضحت شبيهة بغيرها من العلوم كافية ، وكافية جدا فى توجيه الانسانية .

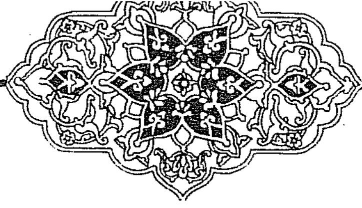
والمؤلف هنا ينشط فى بيان اهمية الدين ويرد على من يقلل من هذه الأهمية فهو يرى أن الدين يستهدف تحويل الناس والأشياء من الباطن لا من الخارج ، بالاعتقاد والمثال والمحبة والصلاة ، واتصال النفوس ، لا بالقهر أو بالسياسة ، ومن البين انه ليس على الدين أن يخشى تقدم العلم أو الاخلاق أو النظم .

ويأخذ المترجم على المؤلف — ونوافقه كما يوافقه القارىء على ذلك — يأخذ عليه انصرافه عن الاسلام تماما فهو يتحدث عن المسيحية ويقول : « وهى آخر ما شهدته الانسانية من الأديان الكبرى » ويثبت بذلك جهله بالاسلام وهو خطأ فادح يقع فيه فيلسوف كهذا فخاتم الديانات هو الاسلام وليس المسيحية ، وخاتم الأنبياء والمرسلين هو محمد عليه الصلاة والسلام وليس المسيح عليه السلام ، كيف يغيب عن المؤلف ذلك والاسلام ينتشر بين أكثر من أربعمائة مليون مسلم ينتشرون فى بقاع الأرض . ؟

ومع هذا كله فالكتاب يعد بحثا أصيلا فى تقريب الهوة المصطنعة بين العلم والدين ، وفى ذلك تأكيد للحق والصواب ، يقول المؤلف :

« والأمر كذلك بالنسبة الى الدين والعلم ، فالنزاع يشمل احدهما كما يشمل الآخر ، واذا ساد العقل فسينبثق من مبادئهما المتميزة بعد أن أصبحت أعظم وأقوى وأطوع ، صورة من الحياة على الدوام ، أضخم وأغنى وأعمق وأكثر حرية وجمالا وفهما ، ولكن هاتين القوتين المحتفظة كل منهما باستقلالها الذاتى ، لا يمكن الا أن يسيرا فى طريق السلام والتوافق والائتلاف ، دون أن يزعما أبدا بلوغ الغاية ، لأن هذا هو شرط الحياة الإنسانية » .



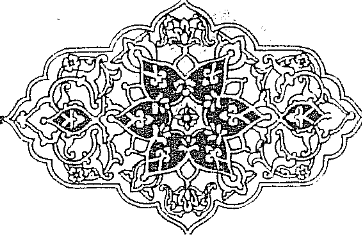


النهي في نصوص التشريع الاسلامي ودلالته على الأحكام

للدكتور : محمد سلام مدكور

عرضنافى مقال سابق الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام ، وأشرنا فيه الى أن كلا من الأمر والنهى تدور حولهما أغلب الأحكام التكليفية ، لأن الأحكام الشرعية الخمسة : « الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح » تدور فى نصوص التشريع الاسلامى الواردة فى الدليلين الرئيسيين : الكتاب والسنة حول الأمر والنهى وصيغ كل منهما . فهما اذا الركن الأساسى الأعظم للأصوليين والفقهاء .

ولما كان النهى قسيم الأمر ومقابله حتى أن الأسنوى قال : ان البيضاوى لم يعرفه لكونه معلوما من حد الأمر . اقتضى هذا أن نفرد هذا المقال للتعريف بالنهى وبيان صيغه ودلالته على الأحكام على سبيل الحقيقة والمجاز وافادة المرة أو التكرار والفور أو التراخى ، وما قاله الأصوليون فى اقتضاء النهى فساد المنهى عنه ، وفى متعلق النهى .



تعريف النهى :

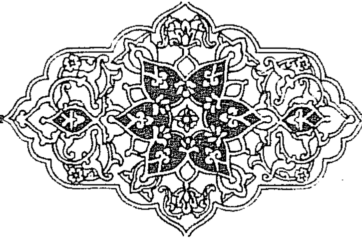
النهى فى اللغة بمعنى المنع يقال : نهاه عن كذا أى منعه عنه ، ومنه سمى العقل نهية لأنه ينهى صاحبه عن الوقوع فيما يخالف الصواب ويمنعه عنه . وعلى مسلكنا فى تعريف الأمر فى الاصطلاح الأصولى يكون النهى هو اللفظ الدال على طلب الكف عن فعل شىء **جزما** على سبيل **الاستعلاء** .. وقصدنا بتعبير « جزما » ابعاد الصيغ المستعملة للكراهة اذ المكروه ليس بمنهى عنه حقيقة لأن موجب النهى وجوب الانتهاء لقوله سبحانه وتعالى : « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » (الحشر ٧) ، أما كلمة الاستعلاء فان القصد من ذكرها فى التعريف اخراج ما كان لمجرد الالتماس والدعاء والارشاد وغير ذلك من المعانى التى استعملت فيها صيغة النهى فى نصوص التشريع الاسلامى على ما سنذكر بعد .

صيغ النهى :

ورد النهى فى الكتاب والسنة بصيغ مختلفة نستطيع أن نرجعها الى الآتى :

١ ــ صيغة المضارع المسبوق بلا الناهية : وهذا هو الأصل فى صيغ النهى ، وأكثرها استعمالا فى أساليب التحريم . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : « **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى** » (النساء ٤٣) . وقوله جل شأنه : « **ولا تطع كل حلاف مهين** » (القلم ١٠) وقوله : « **ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا** » (الاسراء ٣٢) وقوله : « **ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا** » (الاسراء ٣٧) .

٢ ــ كل لفظ آمر يدل على طلب الكف والمنع مثل الأمر بالاجتناب فى قوله تعالى : « **فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور** » (الحج ٣٠) وقوله : « **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه** .. » (المائدة ٩٠) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **اجتنبوا السبع الموبقات . قيل وما هن يا رسول الله ؟ قال : الاشراك بالله ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين ، وقذف المحصنات المؤمنات ، والتولى يوم الزحف** » ومثل (ذر) فى قوله تعالى : « **اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع** » (الجمعة ٩) ومثل : (دع) فيما روى من الأثر : « **دع ما يريبك الى ما لا يريبك** » ..



٣ ـ مادة التحريم ومشتقاتها مثل قوله تعالى : **« حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم .. »** (النساء ٣٢) وقوله : **« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير .. »** (المائدة ٣) وقوله : **« وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم »** (البقرة ١٨٥) وقوله : **« وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم .. »** (الأنعام ١٤٦) وقول الرسول عليه السلام : **« ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعا وهات »** .

٤ ـ مادة النهى ومن ذلك قوله تعالى : **« إن الله يامر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر »** (النحل ٩٠) وقوله : **« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون »** (الممتحنة ٨ و ٩) .

٥ ـ نفى الحل . ومن ذلك قوله تعالى : **« لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها »** (النساء ١٩) وقوله : **« ولا يحل لكم أن تاخذوا مما آتيتموهن شيئا »** (البقرة ٢٢٩) وقوله عليه السلام : **« لا يحل دم امرىء مسلم .. »** .

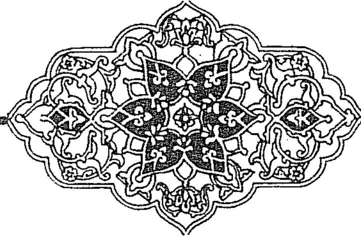
٦ ـ ترتيب الشارع العقوبة على الفعل ، ومن ذلك قوله سبحانه : **« ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة »** (النور ٢٣) وقوله جل شأنه : **« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »** .

المعانى التى تستعمل فيها صيغة النهى :

ترد صيغة النهى فى نصوص التشريع الأسلامى دالة على عدة معان مقصودة من النهى حصرها بعض الأصوليين فى سبعة ، ومنهم من قال : ان هذه السبعة ليست على سبيل الحصر ، وإنما ترد لمعان أخرى واليك البيان :

١ ـ تستعمل صيغة النهى لافادة **التحريم** . ومن ذلك قوله سبحانه : **« ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم »** (الأنعام ١٥١) وقوله : **« ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق »** .

٢ ـ وتستعمل لافادة **الكراهة** ومن ذلك قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع »** (الجمعة ٩) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(لا تصلوا فى مبارك**



الإبل) وقوله كما يرى الحنفية « لا يبع احدكم على بيع اخيه ولا يخطب على خطبـــة اخيه » .

٣ ــ تستعمل لافادة الارشاد . ومن ذلك قوله تعالى : **« لا تسالوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم »** (المائدة ١٠١) .

٤ ــ تستعمل لافادة الدعاء . ومن ذلك قوله تعالى : **« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أواخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به .. »** (البقرة) وقوله : **« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا .. »** (آل عمران ٨) .

٥ ــ وتستعمل لافادة التحقير . ومن ذلك قوله تعالى : **« لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم »** (الحجر ٨٨) .

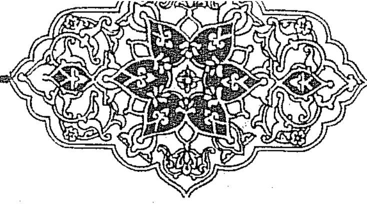
٦ ــ وتستعمل لبيان العاقبة . ومن ذلك قوله تعـــالى : **« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »** (آل عمران ١٦٩) وقوله :**« ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون »** (ابراهيم ٤٢) .

٧ ــ وتستعمل لافادة اليأس . ومن ذلك قوله تعالى : **« يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم .. »** (التحريم ٧) .

هذه هى المعانى السبعة التى قال بعض الأصـــوليين بأن صيغة النهى ينحصر استعمالها فيها لكن قد ينتج التتبع والاستقراء استعمالات أخرى لها على غرار ما قلناه فى المقال السابق بالنسبة لما تستعمل فيه صيغ الأمر ، وفى ذلك يقول الأسنوى : ان صيغ النهى تنحصر استعمالاتها فى هذه المعانى السبعة وقد ذكرها الغزالى والآمدى . لكن صاحب فواتح الرحموت على مسلم الثبوت قال بعد أن ذكر هذه المعانى السبعة : « وقد تجىء صيغة النهى لمعان أخرى كالتسوية والتهديد والالتماس » .

ما وضعت له صيغة النهى على سبيل الحقيقة :

وبناء على هذه الاستعمالات المتعددة المتنوعة فان من الأصوليين من اعتبر أن النهى من قبيل المشترك على أساس أن صيغته وضعت فى أصل اللغة للدلالة على أكثر من معنى واحد على سبيل الحقيقة والقرينة هى التى تعين المراد بالاستعمال . ومنهم من جعل النهى من قبيل الخاص الذى هو اللفظ الموضوع للدلالة على معنى واحد على سبيل الانفراد . ومن هؤلاء الحنفية اذ يرون أن صيغة النهى وضعت للدلالة على التحريم خاصة على سبيل الحقيقة ، وان استعمالها فى غير ذلك يحتاج الى قرينة ويكون استعمالا مجازيا ، والواقع أن جملة الأقوال فيمـــا تستعمل فيه صيغة النهـــى على سبيل الحقيقة أربعـــة اليـــك بيانها :



١ ــ يرى جمهور الأصوليين أن النهي حقيقة في التحريم وضع لذلك خصوصا . يقول الشوكاني وهو الحق « وأنه يرد فيما عدا ذلك مجاز » ومما ورد فيه على سبيل الحقيقة قوله تعالى : **((ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق))** (الأنعام ١٥١) وقوله : **((ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا ..))** (الاسراء ٣٢) واستدلوا بأن العقل ينتهي عند سماع صيغة النهي المجردة عن القرائن الى تحريم المنهي عنه ، وبأن السلف الصالح كانوا يستندون في تحريم الشيء الى مجرد علمهم بالنهي عنه . وهذا القول فيما نرى أرجح الأقوال لأنه المتباد للذهن ولقلوله تعالى : **((وما نهاكم عنه فانتهوا))** (الحشر ٧) فهو أمر بالانتهاء يقتضي وجوبه .

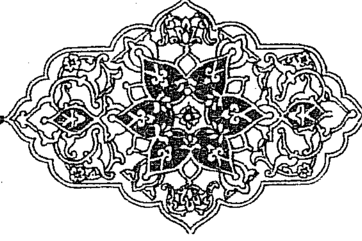
٢ ــ ويرى البعض أن صيغة النهي حقيقة في الكراهة بخصوصها فتكون حقيقة فيها ومجازا في غيرها واستدلوا على ذلك بأن الكراهة طلب الترك مع عدم المنع من الفعل والتحريم طلب الترك مع المنع من الفعل . ولما كان الأصل عدم المنع عن الفعل كانت الكراهة موافقة للأصل فتكون صيغة النهي وضعت لها حقيقة . ويمكن الرد على هذا الاستدلال بأن السابق الى الفهم عند التجرد من القرائن هو التحريم . والكراهة انما تستفاد بالقرينة .

٣ ــ ويرى بعض آخر أن النهي مشترك بين افادة التحريم والكراهة ، وصيغته حقيقة في كل منهما . ويمكن رد هذا بما قلنا من ان المتبادر للذهن هو التحريم عند انعدام القرائن فانتفى الاشتراك اذ لو كان مشتركا بمعنى أن اللفظ وضع لافادة كل منهما على سبيل الحقيقة لما تبادر للذهن عند انتفاء القرينة أحدهما .

ويرى آخرون أن المستفاد من دليل قطعي يكون للتحريم ، والمستفاد من دليل ظني يكون للكراهة وهذا ما نقله الشوكاني عن بعض الحنفية ورده بأن الكلام في مفاد طلب الترك بأصل وضع اللغة دون نظر للدليل . ويبدو لنا أن هذا الرأي لمحمد بن الحسن من فقهاء الحنفية . فهو الذي قال : ان الحكم الاقتضائي الناهي على سبيل الجزم ان كان دليله قطعيا أفاد التحريم وان كان دليله ظنيا أفاد الكراهة التحريمية .

مفاد النهي بعد الاذن :

سبق أن تكلمنا في المقال السابق عن مفاد الأمر بعد الحظر وبينا أقوال الأصوليين فيه وأن ذلك قرينة كما يرى الكثير منهم على افادة مجرد الاباحة . والمسألة هنا لا تختلف كثيرا عما قلناه هناك . فالقائلون بأن الأمر بعد الحظر يفيد الوجوب . يقولون : ان النهي بعد الاذن يفيد التحريم دون خلاف فقد ورد الاذن بنكاح المتعة في غزوة خيبر ثم جاء النهي عنها بعد ذلك فأفاد ذلك النهي تحريم المتعة .



اما بالنسبة لمن قالوا : ان الأمر بعد الحظر يفيد الاباحة . فجمهورهم على أن النهى بعد الاذن يفيد التحريم . بل حكى أبو اسحق الاسفراينى الاجماع على أن ذلك لا يكون قرينة للاباحة .

وهناك من قال : ان النهى اذا كان مسبوقا بالايجاب أفاد الاباحة . وهو كلام غير مستساغ بحال . اذ كيف يستساغ أن تفهم من قوله تعالى : **((ولا تقتلوا النفس ..))** (الأنعام ١٥١) اباحة القتل . مع انه ورد الايجاب بالقتل فى قوله تعالى : **((فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم))** (التوبة ٥) .

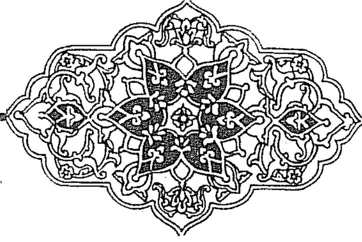
النهى واقتضاؤه التكرار والفور :

سبق أن بينا أقوال الأصوليين فى افادة الأمر التكرار والفورية فى المقال السابق . لكن النهى كما يقول الشوكانى : يخالف الأمر فى كونه يقتضى التكرار فى جميع الأزمنة وفى كونه للفور فيجب ترك الفعل فى الحال لكن البيضاوى فى المنهاج يقول : والنهى كالأمر فى التكرار والفور ، ويبين الأسنوى هذه العبارة بقوله : ان النهى حكمه حكم الأمر فى أنه لا يدل على التكرار ولا على الفور ونقل عن الآمدى وابن الحاجب أنهما صححا أنه للتكرار والفور ، وأن البيضاوى نفسه جزم به فى موضع آخر سابق فى كتابه . ونقل عن المحصول انه المشهور ، وعن ابن برهان أنه مجمع عليه . وفى المرقاة وشرحها المرآة أن النهى يوجب دوام الترك لأن معنى (لا تضرب) مثلا . لا يصدر منك ضرب . والنكرة فى سياق النفى تعم الا اذا قامت قرينة على انتفاء الدوام مثل قوله تعالى : **((لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى))** (النساء ٤٣) .

والذى ننتهى اليه فى هذا أن النهى يدل على طلب الامتناع فورا لما فيه من مفسدة لا يقرها الشرع ، كما يدل على دوام المنع واستمراره مقاومة لما فى الفعل من مفسدة . فالنهى يقتضى انتفاء الحقيقة وذلك يكون بانتفائها فى كل الأوقات . فالفور والتكرار من مدلول صيغة النهى وضعا ما لم توجد قرينة صارفة تحدد مدة للبدء أو للانتهاء .

اقتضاء النهى فساد المنهى عنه :

من المتفق عليه أن الفعل الذى يقع موافقا للشرع لاشتماله على ما يعتبر فيه شرعا من الأركان والشروط يحكم عليه بالصحة فتترتب عليه جميع آثاره ، كما أن ما اختل فيه ركن من أركانه أو فقد شرطا من شروط صحته كان غير صحيح فلا تترتب على الفعل نفسه الآثار الشرعية ، وذلك لنهى الشرع عنه لما لحقه من خلل فى أصله أو فيما اتصل به وان كان الحنفية ينظرون الى سبب



نهى الشارع فان كان لخلل فى أصله اعتبروه باطلا فلا اعتبار له البتة ، وان كان سبب النهى أمر خارج عنه متصل به اعتبروه فاسدا وقالوا : انه وان كان غير معتبر شرعا فلا تترتب عليه نفسه آثار لأن الشارع لا يقره ويوجب نقضه غير انهم قالوا : اذا تعذر نقضه تترتب بعض الآثار الشرعية على ما هو مبين فى كتب الفقه الحنفى ، وفى كتب الأصول .

وبعد أن عرفت هذا . نقول : ان المنهى عنه قد يكون أمرا من أمور العبادات أو أمرا من أمور المعاملات ، والنهى فى العبادات قد يكون لأمر خارج لازم كالنهى عن صوم الحائض وصلاتها وقد يكون لأمر خارج غير لازم كالنهى عن الصلاة فى المكان المغتصب والثوب المغصوب والنهى عن الوضوء بالماء المغصوب والنهى فى المعاملات قد يكون ايضا لأمر خارج لازم كالنهى عن الربا وقد يكون لأمر خارج غير لازم كالنهى عن البيع وقت النداء لصلاة الجمعة، وقد كثر كلام الأصوليين فى هذا وتشعبت أقوالهـــم فى اثر النهى فى المنهى عنه ، وقد توسعت كتب الحنفية خاصـــة فى عرض هذا الموضــــوع نظرا لتفرقتهم بين الفساد والبطلان على ما بيناه فى موضعه .

وجمهور الأصوليين على أن النهى اذا تعلق بالفعل لقبح فى ذاته كان النهى مقتضيا للفساد المرادف للبطلان عندهم .

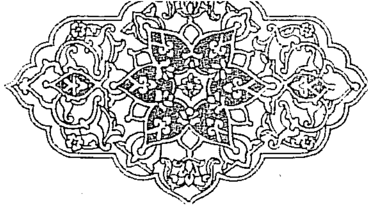
وقد نقل الشوكانى قولا بأن النهى لا يقتضى الفساد الا فى العبـــادات فقط لأن العبادات المنهى عنها لو صحت لكانت مأمورا بها فيجتمع النقيضان : الأمر والنهى ، ولولا عدم اقتضائه فساد المنهى عنه فى غير العبادات لكان غسل النجاسة بماء مغصوب ، والذبح بسكين مغصوب ، والبيع وقت النداء لصلاة الجمعة وطلاق البدعة والمباشرة فى فترة الحيض غير مستتبعة آثارها من زوال النجاسة وحل الذبيحة وترتب أحكام الطلاق والملك . وهذا باطل فلزم أن النهى فى غير العبادات لا يقتضى فساد المنهى عنه .

وهناك جماعة من الشافعية والحنفية ـــ كما ينقل الشوكانى أيضا .. يقولون : ان النهى لا يقتضى فساد المنهى عنه مطلقا ، عبادة كان المنهى عنه أو غيرها ، ويقول الأسنوى : انه المنقول عن إكثر الفقهاء ويقول الآمدى : انه منقول عن المحققين .

غير أن الشوكانى يقول : الحق أن كل نهى من غير فرق بين العبادات وغيرها يقتضى تحريم المنهى عنه وبطلانه وعدم ترتب أى اثر عليه لعدم اعتبار الشارع له ، الا اذا قامت قرينة خاصة تدل على اعتباره وترتب الأثر عليه .

يدل على أن النهى يقتضى فساد المنهى عنه وعدم اعتباره البتة ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد » اذ المنهى عنه ليس عليه أمرنا فيكون ردا ، وما كان مردودا كان باطلا . ويدل أيضـــا ما روى عنه صلى الله عليه وسلم : **« اذا أمرتكم بشىء فاتوا منه ما استطعتم . واذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه »** فقد أفاد وجوب ترك المنهى عنه .

أما اذا كان النهى فى وصف اتصف بغير حق مما يعتبر أكلا لأموال



الناس بالباطل ، فجمهور الاصوليين يرون أن النهى يدل على فساد نفس الوصف دون الأصل ، فعقد الربا تبطل فيه الزيادة ، اذ هى المنهى عنها ، ومن الأصوليين من قال : ان النهى فيها يقتضى فساد الاصل أيضا فيبطل العقد كلية .

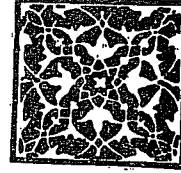
وفقهاء الحنفية يتفقون مع القائلين بأن النهى يقتضى بطلان المنهى عنه اذا كان النهى عن الشيء لقبح فى ذاته . أما اذا كان النهى لوصف اتصل به فيقولون انه فى العبادات يقتضى البطلان . أما فى المعاملات المالية فانهم رتبوا عليه درجة بين الصحة والبطلان . هى الفساد الذى هو أشبه بما يعبر عنه رجال القانون بالبطلان النسبى .

بقى ما اذا كان سبب النهى أمر خارج عن الفعل اقترن به دون أن يكون مؤثرا فى حقيقته أو فى شروطه كالصلاة فى الدار المغصوبة فان جمهور الفقهاء ومنهم الحنفية على أن التصرف صحيح وإن لحقته الكراهة خلافا للظاهرية وبعض أقوال لبعض الأئمة .

متعلق النهى :

متعلق النهى قد يكون أمرا حسيا كالكفر والزنى والقتل والغصب وهذا لم يرد الشرع باباحته فى أى ملة ولم يجعله سببا لتحقق نعمة تعود على مرتكبها كى لا يستفيد من جرمه وقد يكون متعلق النهى أمر شرعى ، وهذا يكون النهى عنه لسبب خارج عن ذاته فتثبت الحرمة لمخالفة المطلوب فقط ، ومع هذا فقد تكون سببا للنعمة فى بعض الظروف والأحوال كأكل الميتة للمضطر فان ما فيها من قبح سقط فى المخمصة . أما قبح الكفر والزنى فلا يسقط بشيء حتى قال الحنفية بالنسبة لمن اكره على الكفر : ان الرخصة له فى النطق بكلمة الكفر مع اطمئنان قلبه بالايمان رخصة مجازية لبقاء المحرم والحرمة .

وبعد فلعلك يا أخى القارىء تغفر لنا هنا ما سببناه لك من جهد ذهنى بعرض هذا الموضوع وسابقه لما فيهما من عمق ودقة ، وانما أردت ان اضع أمامك دقة الاصوليين والفقهاء وأرشدك الى طريق التعرف على الاحكام الشرعية من الأوامر والنواهى فى نصوص التشريع الاسلامى ، والله الموفق للصواب والهادى الى الرشاد .



حكم الأسرى والرق والاسترقاق في القرآن والسنة

بقلم : الأستاذ محمد عزة دروزة

— ١ —

قرات المقال القيم للدكتور احمد الحجى الكردى فى حكم الرق والاسترقاق فى الاسلام المنشور فى عدد ذى القعدة ١٣٩٣ من مجلة الوعى الاسلامى . وفيه آراء صحيحة .

وقد رايت ان اكتب هذا المقال لاوضح جوانب اخرى من الامر ولاستدرك بعض الاستدراكات . وارجو ان يكون فى ذلك فائدة وصواب .

— ٢ —

ان ما جاء فى مقال الدكتور الحجى من أن الاسلام لم يحرم الرق وانه لا يجوز لمسلم ان يقول انه حرام صحيح غير أن ما قاله فريق من الباحثين من ان الاسلام لم ينشىء الرق ولم يوجبه وانه كان نظاما شائعا فى العالم قبل الاسلام وكان له تأثير فى اقتصاديات البيئة العربية وان الاسلام عالجه على هذا الاعتبار واجازه ونظمه وهدف فى الوقت نفسه الى الغائه صحيح أيضا .

وكل ما جاء فى صدده فى القرآن والسنة دار فى هذا النطاق وهما فى المتناول . وكل نير واع حصيف يستطيع ان يلمح فيهما ذلك بكل شمول ووضوح . وليس من تعارض بين القول ان الاسلام لم يحرمه وبين القول انه هدف الى الغائه كما هو المتبادر كما انه ليس فى ذلك شطط لانه ملموح فيما جاء فى القرآن والسنة .

— ٣ —

ولقد كرم الله الانسان على ما جاء

فى القرآن بأساليب متنوعة . ولقد خلق الله الناس احرارا . والرق طارىء على الانسانية نتيجة ظلم القوى للضعيف والغالب للمغلوب وليس هو من تكوينها الذى يتوقف على ديمومته حياتها وليس هو أصل فى العقائد والمبادىء والاهداف الاسلامية . بل ليس فيه شىء مما هدف اليه الاسلام من عدل وحق وحرية ومساواة وكرامة ، وفيه ما حاربه الاسلام وهدف الى ازالته من ظلم ودونية وتمايز وارهاق وتسلط وحرمان . والاسلام جاء ليكون دين البشرية جمعاء وانطوى فيه الاستجابة لكل حاجة من حاجاتها وحالة من حالاتها ومشكلة من مشكلاتها بما فيه الافضل والاصلح والانفع والامثل والاعدل على المدى القريب والبعيد معا . فلا بدع أن يعالج الرق معالجة متسقة مع حالة الصدر الاسلامى الاول ثم أن يستهدف إلغاءه فى المدى القريب أو البعيد .

— ٤ —

ولقد حث القرآن على عتق الرقاب مى وقت مبكر من العهد المكى (**فلا اقتحم العقبة . وما ادراك ما العقبة . فك رقبة ..**) سورة البلد (١١ — ١٣) وحث على انفاق المال على حبه تطوعا لعتقها (**ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ...**) (البقرة ١٧٧) وجعل ذلك كفارة لليمين (**لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ..**) (المائدة ٨٩) وكفارة الظهار (**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا . المجادلة ٤**) وكفارة على القتل الخطأ (**وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا . فان كان من عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنه وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحريررقبة مؤمنة .**)) (**النساء ٩٢**) وحث مالكى الرقيق على قبول طلب رقيقهم بشراء أنفسهم (**والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ..** (**النور ٣٤**) وشرح النبى صلى الله عليه وسلم تحرير الاماء اللاتى يلدن من مالكيهم حال يموتون على ما جاء فى حديث رواه أحمد وابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ايما امراة ولدت من سيدها فهى معتقة دبر موته) وهذا باب واسع جدا . وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على العتق التطوعى فى احاديث عديدة منها ما يلى :

١ — روى الشيخان والترمذى عن سعيد بن مرجانة قال (قال لى ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل اعتق امرءا مسلما استنقذ الله بكل عضو منه عضوا من النار . قال سعيد فانطلقت الى على ابن حسين فاخبرته فعمد الى عبد له قد اعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة الآف درهم أو الف دينار فاعتقه) (١).

٢ — روى مسلم والترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من

(١و٢) التاج ح ٢ ص ٣٥٠ و ١٤٦ وهناك أحاديث صحيحة اخرى فيها ما فى هذين الحديثين انظر نفس المصدر .

اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار) (٢) .

٣ — روى الامام احمد عن البراء بن عازب قال (جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة فقال له لئن اقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة . اعتق النسمة وفك الرقبة . فقال يا رسول الله أوليستا واحدة . قال لا أن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين فى فكها) (٣) ثم بلغ الامر ذروته فى جعل تحرير الرقاب واجبا من واجبات الدولة الاسلامية وجزءا من نظامها المالى وهو ما جاء فى آية سورة التوبة هذه (**انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله .. ٦٠)** .

ففى كل هذا دلائل تدعيمية لاستنتاج هدف ازالة الغاء الرق لما فيه من دون ريب من دونية للرقيق وحرمان وارهاق وعذاب وتعارض مع كرامة الانسان وحريته ومجافاة للعدل والحق والمساواة . وطرق عملية لازالته والغائه وليس من تفسير لذلك غير هذا .

— ٥ —

ولقد نوه الدكتور الحجى فى مقاله بحسن معاملة الاسلام للرقيق ونظرته المختلفة عن نظرة غيره اليه . وقال فيما قال أن الاسر أو استرقاق الاسرى هو مدرسة لتربية الاسير وكبحه . واذا كان الدكتور يقول هذا فى معرض تبرير الرق واسترقاق الاسرى فى الاسلام وتبرير دوامهما فلا نظن أن احدا يمكن ان يوافقه عليه . فالرق واسترقاق الاسرى كانا سائدين قبل الاسلام ولم ينشئهما الاسلام حتى يكون محل لتبريرهما فضلا عن تبرير دوامهما . وانما اجازهما اجازة ونظمهما وحسب وهدف خلال ذلك الى ازالتهما بالطرق القرآنية والنبوية المتعددة مما فيه دلالة على انه كان يعتبر الرق ظلما ومجافيا لكرامة الانسان وحريته على ما شرحناه قبل .

ومعاملة الاسلام الحسنة للرق هى من طبيعة الاسلام السمحاء تجاه كل انسان اذا لم يكن فاسقا مجرما . وفى آية سورة النساء هذه شاهد على ذلك (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ..**)

ولقد كان الرقيق عند المسلمين فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم يتعرضون للتعذيب والارهاق والحرمان وسوء الاستغلال امتدادا لما كان عليه الامر قبل الاسلام حتى روى فيما روى أن بعضهم كان يطلب من امائه ان يؤجرن أجسادهن للزنى فيأخذ اجرتهن وان جملة (ولا **تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد أكراههن غفور رحيم**) فى آية سورة النور ٣٣ (٤) فكان ذلك مناسبة لما ورد فى صدد احسان معاملتهم فى القرآن والحديث وفى آية سورة النساء التى أوردناها آنفا شاهد قرآنى . وهذه طائفة من الاحاديث فى ذلك .

١ — روى الشيخان وأبو داوود

---

(٣) يروى هذا الحديث ابن كثير فى سياق سورة البلد .

(٤) تنبه أن هذا ما روى عن كبير المنافقين .

عن المعرور بن سويد قال مررنا بأبى ذر بالربذة وعليه برد وعلى غلامه مثله . فقلنا يا أبا ذر لو جمعت بينهما كانت حلة . فقال أنه كان بينى وبين رجل من أخوانى كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بها فشكانى الى النبى صلى الله عليه وسلم فلقيته فقال يا أبا ذر أنك أمرؤ فيك جاهلية قلت يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه وأمه . قال يا أبا ذر انك امرؤ فيك جاهلية . هم أخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فاطعموهم مما تأكلون . والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم . فان كلفتموهم فاعينوهم . ولفظ أبى داوود انهم اخوانكم فضلكم الله عليهم فمن لا يلائمكم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله (٥) .

٢ — وروى الترمذى وأبو داوود عن ابن مسعود قال (كنت أضرب غلاما لى فسمعت صوتا من خلفى . أعلم أبا مسعود مرتين الله أقدر عليك منك عليه . فالتفت فاذا هو النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله قال أما لو لم تفعل لمستك النار) (٦) .

٣ — روى مسلم وابو داوود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته ان يعتقه) (٧) .

٤ — روى أبو داوود والترمذى عن ابن عمر قال (جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت فاعاد عليه الكلام فصمت فلما كان فى الثالثة قال فى كل يوم سبعين مرة) (٨) .

ولا يستطيع احد أن يدعى ان هذا الاعنات والاذلال والحرمان قد زال بعد النبى صلى الله عليه وسلم .

وصفة الرق تلزم الانسان فى الاسلام اذا كان الرقيق من نسل رقيق قبل الاسلام أو استرقه ولى أمر المؤمنين بعد اسره وسبيه فى حرب شرعية بين المسلمين وبين كفار أعداء معتدين على الاسلام والمسلمين أو من نسلهم . مع التنبيه على أن الاسير يستطيع أن يمنع عن نفسه الرق اذا أسلم قبل قرار استرقاقه .

ولا يصح لولى أمر المؤمنين ومن باب أولى لأى مسلم ان يأسر ويسترق كافرا لكفره فقط أو لانه من جماعة كفار . ان لم يكونوا أعداء معتدين محاربين . فالاسلام لم يجعل للمسلمين سبيلا على الكافر المسالم المحايد كما جاء فى آية سورة النساء هذه (**الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** .. ٩١) . وفى سورة المتحنة هذه الآية (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين** .. ٨) فلا يصح على هؤلاء استرقاق بالتبعية . وهذا ينسحب على الكافر الذى بينه وبين المسلمين عهد وميثاق ما دام مستقيما على عهده غير ناكث له . وفى آية النساء التى أوردناها آنفا اشارة الى ذلك وفى آية سورة التوبة هذه اشارة أخرى (**الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم . أن**

(٥) التاج ج ٢ ص ٢٥١ بعض هذا الحديث اورده الدكتور الحجى ولكنا رأينا أن نورده بتمامه لانه ينطوى على ما أردنا تقريره من أن الرقيق كانوا يتعرضون من بعض المسلمين فى زمن النبى للارهاق والعذاب وان الحديث كان فى هذه المناسبة .

(٦) (٧) (٨) التاج ج ٢ ص ٢٥٢ و ج ٥ ص ١١ وهناك احاديث اخرى فاكتفينا بما تقدم .

الله يحب المتقين ٠٠ ١١) وفى القرآن والسنة نصوص عديدة توجب على المسلمين الوفاء بعهودهم . وهذا ينسحب ايضا على الكافر الخاضع للجزية لانه فى حكم المعاهد . وهكذا يكون كل بيع وشراء لبيض وسود وكل معاملة لشخص ما ابيض وأسود كعبد باطلا وحراما أن لم يكن من نسل رقيق قبل الاسلام أو مسترقا من جانب المسلمين من كفار أعداء محاربين لهم أو من نسلهم . ولا يصح لمسلم أن يشترى شخصا كافرا من كافر او مسلم قد يكون وقع فى اسر كافر واسترقه وباعه على هذا الاساس لان استرقاقه غير شرعى اسلامى .

— ٧ —

ولقد كان المصدر الاكبر للرقيق قبل الاسلام أسرى الحرب وسباياها (٩) وظل ذلك كذلك فى الاسلام . ولقد عالج الله ورسوله هذا الامر معالجة حكيمة ليس من الشطط أن يقال أنها يمكن أن تؤدى الى سد باب هذا المصدر واليك البيان :

١ — ان أول ما نزل من القرآن فى صدد الاسرى هو آيات سورة الانفال هذه (**وما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله أن الله غفور رحيم ٠٠)**

وقد نزلت معاتبة للنبى لانه أخذ أسرى من قريش فى واقعة بدر فقتل بعضهم واطلق سراح معظمهم بالفداء ومن على بعض آخر فاطلق سراحهم بدون فداء . وقد نبهته الآيات الى أنه كان الاولى أن يتشدد فى قتال الكفار وان لا يهتم لاخذ أسرى منهم الا بعد أن يكون قد اثخن فيهم أى القى الرعب فى قلوبهم وجعلهم عاجزين عن القتال والعدوان . ووطد رهبة الاسلام والمسلمين فى قلوبهم . وقد أحل الله له فى الآيات ما أخذه من فدية .

٢ — ثم نزلت آية سورة محمد هذه (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ٠٠ ٣) ٠٠**

وواضح أنه ليس من تعارض بين آيات الانفال وهذه الآية . وكل منهما موضح ومتمم للاخرى .

وأسلوب هذه الآية تشريعى يحدد معالجة أسرى الحرب باحدى الطريقتين وفقا لما يراه المسلمون بعد أن تضع الحرب أوزارها (١٠) .

٣ — وفى سورة الاحزاب هذه

---

(٩) — فى سورة الانسان آية ذكر فيها الاسيرمرادفا على الارجح للعبد (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا) حيث يؤيدهذا كون الاسر هو المصدر الاكبر أن لم يكن الاوحد للاسترقاق والآية مكية اى قبل ان يكون هناك حرب اسلامية يؤسر فيها اسرى حيث يفيد هذا أن هذا المعنى لكلمة الاسير هو ما كانمفهوما قبل الاسلام .

(١٠) — اختلفت تاويلات المؤولين لهذه الجملةفمنهم من قال حتى منتهى الحرب باسلام الكفار ومنهم من قال حتى تنتهى الحرب باسلامهم أوبخضوعهم للجزية أو بصلح معهم . والمن والفداء انما يكونان بالنسبة لاناس لم يسلموالان الاسلام يحررهم من الاسر فيكون المن والفداء بالنسبة لهم غير ذى موضوع . ونرجح هذاالقول الذى فيه المرجح على القول الاول ومن الثابت ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذ فديةمن اسرى وبقوا على دينهم ومن على أسرى وبقوا على دينهم على ما سوف ياتى ذكره بعدوفى سورة الانفال هذه الايات (يا أيها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى ان يعلم اللـــهفى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم . وان يريدوا خيانتك فقدخانوا الله من قبل فامكن منهم والله عزيز حكيم) وهى تؤيد هذا القول حيث يبدو ان الاسرى أوبعضهم وعد بالمسالمة او بالتفكير بالاسلام وان الآية افترضت ان ينكثوا بما وعدوا وان يخونوا فان الى اطلقهم وهم على دينهم .

الآيات (**وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقــا وأورثكــم أرضهم وديــارهم وأموالهم وارضا لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديرا ٠٠ ٢٦ و ٢٧)**

والآية نزلت على ما أجمع عليه الرواة فى صدد يهود بنى قريظة الذين نقضوا عهد المسالمة مع المسلمين وظاهروا احزاب كفار العرب وقــريش التى زحفت على المدينة فى جمــع عظيم ليستأصلوا شأفة الاسلام والمسلمين فيها . وقد زلزل المسلمــون زلزالا شديدا وزاغت أبصارهـــم وبلغت قلوبهم الحناجــر وخــامر بعضهــم الظنون فى الله واسفر المنافقـــون والذين فى قلوبهم مرض عــن موقف عدائى وكيدى شديد علي ما جاء فى سلسلـــة آيات ســورة الاحــزاب (١٠ ـــ ١٥) .

وقد روى فى صدد ما استحقـــه بنو قريظة من العقوبة التى ذكــرت فى الايات ٢٦ و ٢٧ حـــديث رواه الشيخان والترمذى عن ابى سعيــد قال (لما نزلت بنو قريظة على حــكم سعد بن معاذ أرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم وكان قريبا منه فجاء على حمار فلما دنا قال صلى الله عليه وسلم قوموا لسيدكم فجاء فجلس الى النبى فقال له ان هؤلاء نزلوا عــلى حكمك . قال فانى احكم ان تقتــل المقاتلة وان تسبى الذرية . قال لقد حكمت فيهم بحكم الله) (١١) .

والحديث يفسر كلمة تأسرون فى الآية بمعنى (تسترقون) كما هــو واضح وهذا التفسير متسق مع ما ذكرناه فى الذيل التاسع من ان الاسير كان يعنى الرقيق والعبد قبل الاسلام)

٤ ـــ وليس هناك ما يساعد على القول أى من آيات الاحزاب ومحمد نزلت قبل الاخرى . ولكن الروايات المتواترة تذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم مارس بعد آية محمد استرقاق السبى مع ممارسة المن والفداء بحيث يمكن القول أن أيا من الآيات لم تنسخ الاخرى . وان القواعد الاربع التــى انطوت بالنسبة لاسرى الحــرب وسباياها أى المن والفداء والقتــل والاسترقاق ظلت ممارسة الى آخر حياة النبى صلى الله عليه وسلم . والروايات متواترة على انها كــانت ممارسة فى عهد الخلفاء الراشـــدين وبعدهم .

٥ ـــ والمتمعن فى آيات محمــد والاحزاب لا بد من أن يلمح فرقا هاما فى الاسلوب والمدى . ففى آيــة الاحزاب حكاية لممارســـة المسلمين لقاعدتى القتــل والاسترقاق بــدون تثريب مما ينطوى فيه اجازة ربانية لذلك . فى حين أن أسلوب آية محمد تشريعى ايجابى بالتخيير بين المــن والفداء .

ولقد كان النبى صلى الله عليــه وسلم قتل من أسرى بدر عقبة بن معيط والنضر بن الحارث لشدة اذيتهما للنبى والمسلمين وكان ذلك قبل نزول آيات الاحزاب ومحمد . ولم نطلــع على خبر أو حديث يفيــد أنه مارس قاعدة القتل بعد قتل بنى قريظة . وكل ما اطلعنا عليه هو ممارســـة للمن والفداء واسترقاق السبى النســاء والاطفال وقد استرق سبى هوازن وبنى المصطلق ويهود خيبر . ثــم اطلق سبى هوازن بمشاورة وموافقة المسلمين حينما اســلم رجــالهم والتمســـوا من النبـــى اطـــلاق سبيهم . واطلـــق بعض سبى بنى

---

(١١) ـــ انظر التاج ج ٤ ص ٣٧٧ وهناك حديث رواه الشيخان عن عائشة فيه هذا الخبر مع شيء من الزيادة فيها ذكر سبى النساء مــع الذرية انظر ص ٣٧٦ .

المصطلق منا وبعضه بفداء (١٢) . بل ولم نطلع على خبر وثيق يفيد أنه مارس الاسترقاق غير ما تقدم . وكل ما اطلعنا عليه من ممارساته هو المن والفداء ومبادلة أسرى مشركين باسرى فى يد الكفار (١٣) .

٦ — ومهما يكن من أمر فالمتبادر من أسلوب آيات محمد والاحزاب هو أن آى المن أو الفداء هما القاعدتان القرآنيتان التشريعيتان الموجبتان وان القتل والاسترقاق مجازان إجازة وان ولى أمر المؤمنين يستطيع أن يكتفى بتطبيق قاعدتى المن والفداء وان لا يطبق قاعدتى القتل والاسترقاق اذا رأى ذلك من مصلحة المسلمين .

٧ — ولقد ذكر الدكتور الحجى أقوال بعض الفقهاء بكون النساء والاطفال يسترقون تلقائيا . وقد يفيد هذا عدم جواز اطلاق سراحهم بالمن والفداء والنص القرانى مطلق . وليس هناك أحاديث نبوية موجبة فيما أطلعنا عليه وان كان من المحتمل أن تكون تلك الاقوال من وحى ممارسات النبى صلى الله عليه وسلم . ولكن ممارسات النبى تنوعت نتائجها فالسبى الذى استرقه من بنى قريظة باعه واشترى به سلاحا على ما روته الروايات أو قسمه على المسلمين كما جاء فى رواية أخرى . وسبى هوازن أطلقه منا بدون فداء . وسبى المصطلق أطلقه بالفداء كما ذكرنا قبل وهناك حديث يرويه رواة الحديث من طرق عديدة . يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قد من على أخت عدى ابن حاتم التى كانت من جملة سبى سباه بعض سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم (١٤) بحيث يمكن القول ان من حق ولى أمر المؤمنين أن يمن على السبى من نساء واطفال أو ان يطلقهم بفداء وان استرقاق النساء والاطفال ليس هو القاعدة الوحيدة فيهم .

واذا جاز المن والفداء بالنسبة للرجال ودون أن يسلموا على ما شرحناه سابقا واحتمال عودتهم الى العداء والحرب والخيانة وارد فان المن والفداء بالنسبة للنساء والاطفال يكون جائزا من باب أولى وهذا فضلا عن أن الاسترقاق الذى مورس فى حق النساء والاطفال والذى عبرت عنه كلمة تأسرون فى آيات الاحزاب ليس ايجابيا وانما هو مجاز اجازة وليس من شأن هذا ان يمنع ولى أمر المؤمنين من اطلاق سراحهم بالمن والفداء .

٨ — ولقد كان المصدر الاكبر للرق هو أسرى الحرب كما قلنا قبل . ومهما يكن من حق ولى أمر المؤمنين بالاسترقاق بالاضافة الى المن والفداء فان هاتين القاعدتين اللتين جاءتا بأسلوب تشريعى فى القرآن دون الاسترقاق الذى أجيز اجازة واللتين يستطيع ولى أمر المؤمنين أن يكتفى بهما تنطويان على ضربة قاضية أو شبه قاضية الى ذلك المصدر كما هو المتبادر حيث يصح للدولة الاسلامية أن تكتفى بالمن والفداء والمبادلة بدون حرج فتسد بذلك باب استرقاق الأسرى .

— ٩ —

وحينئذ يبقى الارقاء الموجودون .

---

(١٢) انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠٦ و١٦١ و ٢٠٦ .

(١٣) خذ انى فدية من اسرى بدر وهذا ينص القرآن . ومن على ثمامة بن أثال سيد اليمامة كما جاء فى حديث رواه الثلاثة (انظر التاج ج ٤ ص ٣٥٣ و ٣٥٤ وفدى رجلين من المشركين برجل من المسلمين كما جاء فى حديث رواه الترمذى (التاج ج ٤ ص ٣٥٤) .

(١٤) انظر مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٣٤ و٣٣٥ .

فما كان منهم شرعى الرق — أى من نسل رقيق قبل الاسلام أو استرق فى حرب شرعية أو نسل مسترق — فالطرق القرآنية والنبوية كفيلة بتحريرهم . وعلى الدولة أن تلح على مالكيهم بالتقرب الى الله بعتقهم فاذا لم يفعلوا فعليها أن تشتريهم من مالكيهم من مالها وهو من واجباتها بل وهذا هو الاولى بها وعليها . وما كان غير شرعى الرق وهؤلاء على ما نرجح هم أكثر ما يعاملون فى البلاد العربية معاملة الرق فعلى الدولة أن تحررهم أى ان تعلن أنهم أحرار رفعا للظلم والتسلط وهذا من واجبها .

— ١٠ —

والمتدبر فى أحوال البلاد العربية والاسلامية يرى أن باب استرقاق أسرى الحرب مغلق منذ قرون عديدة فلا يتجدد أرقاء من هذا الباب . ويرى أن الارقاء القدماء من أسرى الحروب الاسلامية الاولى الذين صار يعرف أكثرهم بالمماليك أيضا هم فى طريق التصفية . وان ما يجرى من تعامل بيع وشراء لنساء وأولاد ورجال سود أو بيض هو استرقاق قسرى وتهريب وخطف على الاعم الاغلب ولا يستند الى أصل شرعى ولا يعد رقيقا ملك يمين من الوجهة الشرعية الاسلامية .

وعلى هذا فلسنا نرى باسا وحرجا شرعيا فى موافقة الدول الاسلامية على الميثاق الدولى بالغاء الرق الذى هو مما هدف اليه الاسلام على ما شرحناه بل وان لها والمسلمين عامة ان يعتزوا بدينهم العظيم من أجل هذا الهدف الذى هدف اليه قبل أربعة عشر قرنا ولم تستطع الانسانية أن تجمع على هديه الا فى القرن السابق ولسنا نرى محلا للتثريب على الدولة الاسلامية من جراء اهمالها لادخال أحكام الرق فى قوانينها الحديثة لان ذلك كاد أن يصبح غير ذى موضوع عمليا ونظريا بعد أن تحقق هدف الغاء الرق دوليا ومورس قانونيا .

ومن الوجهة الشرعية الاسلامية يمكن أن يبقى باب استرقاق اسرى الحرب مغلقا وهو فى أصله مجاز اجازة وليس واجبا شرعيا . والارقاء الشرعيون يمكن أن يصفوا بالتحرير ، بل نكاد نقول إنهم صفوا أو فى طريق التصفية فعلا والدول الاسلامية قادرة ومن واجبها إنهاء ذلك ، وغير

الشرعيون يمكن أن يصفوا بالتحرير وبل نكاد نقول انهم صفوا أو فى طريق التصفية فعلا والدول الاسلامية قادرة ومن واجبها انهاء ذلك ، وغير

الشرعيين تحررهم الدولة بالقانون لأن استبعادهم ظلم فى أصله وليس له أصل من شرع والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين .



مائدة القارئ

« وننزل من القرآن ما هو شفــاءورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا » .
(٨٢ سورة الاسراء)

طب الإيمــان

عن عائشـــة رضى الله عنهــا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما ، فقرأ فيهما : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقــل أعوذ برب الناس ، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده . يفعل ذلك ثلاث مرات .

وتقول عائشة فى رواية أخرى ، ولما اشتد وجعه كنت اقــرأ عليــه وأمسح بيده رجاء بركتها .

(**البخارى**)

معلم الصبيــان

قال الجاحظ : مررت بمعلم صبيان وعنده عصا قصيرة ، وعصا طويلة وصولجان ، وكرة ، وطبل وبوق . فقلت له : ما هذا ؟

فقال : عندى صغار اوباش . اقول لأحدهم : اقرأ لوحك ، فيصفر لــى فأضربه بالعصا القصيرة ، فيتأخــر فأضربه بالعصا الطويلة ، فيفر من بين يدى فأضع الــكرة فى الصولجــان واضربه فأشجه ، فيقوم الى الصغار كلهم بالألواح فأجعل الطبل فى عنقى والبوق فى فمى واضرب الطبل وانفخ فى البوق ، فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الى ويخلصوننى منهم .

تحديـــد النســـل

يخبر رسول الله صلى الله عليهوسلم عن زمان يتنافس فيه النـــاس فى تحديد النسل فيقول : ليأتين على الناس زمان يغبط فيه الرجل لخفـــة الحاذ كما يغبـــط اليـــوم أبو العشرة« والحاذ شجر قليل الورق » . قال فى لسان العرب : ضربه الرســـولصلى الله عليه وســـلم مثلا لقلـــة العيال .

وحدة الأمة الاسلامية

مـمالك ضمها الاسلام فـــى رحم
وشيجة وحواها الشرق فى نسب

ولا أزيدك بالاســـلام معرفـــة
كل المروءة فى الاسلام والحسب

اهـــل الحديث

اهل الحديث همو اهل النبى وان
لم يصحبوا نفسه انفاسه صحبوا

ســـبحانك

سبحانك . متى غبت حتى نحتاج الى دليل يدل عليك . ومتى بعـــدت حتى تكون الآثـــار هى التى توصـــل اليك ؟ أيكون لغيرك من الظهور مـــا ليس لك حتى يكون هو المظهر لـــك ؟ عميت عين لا تـــراك رقيبا عليهـــا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له مـــن حبك نصيبا .

الإمام الحسين

الى المتقاعدين

لما كبر أبو الأسود الدؤلى وأســـنكان يركب الى المسجد والســـوق ، ويزور أصدقاءه فقال له رجل : يا أباالأسود أراك تكثـــر الركوب وقـــد ضعفت عن الحركة وكبرت فلو لزمتمنزلك كان أودع لك .

فقال أبو الأسود : صدقت ، ولكنالركوب يشد أعضائى ، وأسمع من اخبار الناس ما لم أسمعه فى بيتى ،وأستنشق الريح وألقى اخوانى ، ولو جلست فى بيتى لاغتم أهلى وأنس بىالصبى وأجترأ على الخادم ، وكلمنى من لا يهاب كلامى لألفهـــم ايـــاىوجلوسهم عندى حتى لعل العنـــزات تبول على فلا يقول لها أحد هش .

دور المؤسسات
تعاطى المخدرات



للــدكتور احمد على المجدوب

لا شك فى أهمية الدين كعــامل من العوامل التى يمكن الاستعانة بها لمواجهة المظاهر المختلفة للســلوك غير السوى ، وخاصة فى مجتمــع يتمسك بعقيدته ويحرص على اتباع تعاليمها فيعمل بما أمرت به وينتهى عما نهت عنه كالمجتمع الاسلامى . وبالنســبة للــدور الذى يمكن ، أو بالأحرى يجب أن تلعبه المؤسسات الدينيــة للوقاية من ظــاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها ، فان هــذا الدور تتدخل فى تحديده عوامل كثيرة واعتبارات متعددة من بينها نوع هذه المؤسسات والمجال الذى تزاول فيه نشاطها ، والامكانيات المتاحــة لها لمزاولة هذا النشاط فى المستوى الذى يحقق فعالية معينة ثم ، وهذا هو الأهم ، مدى قدرتها على مواجهــة مشكلة تعاطى المخدرات فى حــدود ادراكها للمشكلة ونظرتها اليها فى ظل الظروف السائدة . والمقصود بهذا هو ، هل تعتبر هــذه المؤسســات تعــاطى المخــدرات والادمان عليها مشكلة ؟! واذا كانت تعتبرها كذلك ، فهل ترى أن للدين رأيا فيها وموقفــا منها ؟ والاجابة على هذا السؤال هى فى الواقع التى ستحدد دور هــذه المؤسسات فى الوقاية من ظــاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها .

والمؤسسات الدينيــة فى الدول العربية لا تختلف من حيث طبيعتها عن مثيلاتها فى الدول الأخرى وان اختلفت فى الدور الذى تقوم به وهو اختلاف يرجع الى الدين الاسلامى ، وذلك بالنســبة للمؤســســات الدينيــة الاسلامية ، الذى يختلف عن الديانات الأخرى من حيث كونه شريعة متكاملة تتناول كافة نشاطات الانسان سواء ما كان منها خاصــا بعــلاقته بالله سبحانه وتعالى ! وما كان خاصــا بعلاقته بالناس وهو ما يجعل لموقف هذه المؤسسات من ظاهرة تعــاطى المخدرات أهمية خاصة ويمنح لموقفها السلبى مبررا ، وان بدا للوهلة الأولى مقبولا ، الا أنه فى الحقيقــة ليس كذلك مما سنوضحه فى سياق هــذا التقرير .

الدينية في الوقاية من ظاهرة والادمان عليها!

مفهوم المؤسسة الدينية :

لم يعد مفهوم المؤسسة الدينية بالاتساع الذى كان عليه فى السابق حيث كانت المؤسسة الدينية وبصفة خاصة المسجد ، تقوم بدور كبير وشامل فى حياة المجتمع الاسلامى ، وهو دور يستمد من الشريعة الاسلامية ذاتها التى أسلفنا أنها لا تقتصر على العبادات فقط بل تشمل المعاملات أيضا . فكان المسجد وهو المؤسسة الدينية الاولى يقوم فى الأقاليم الاسلامية كالحجاز والعراق والشام ومصر والأندلس بوظائف سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية وثقافية وتعليمية فهو مكان للعبادة وللتشاور فى مختلف الأمور التى تعرض للمسلمين وهو مدرسة وجامعة ومنتدى ثقافى واجتماعى ومحكمة ففى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان المسجد النبوى فى المدينة هو المركز السياسى والادارى للمسلمين وكذلك فى عهد الخلفاء الراشدين الذين كانوا يديرون شئون الدولة الاسلامية كلها من هذا المسجد وفيه يلتقون بالولاة وسائر المسلمين ويتخذون فيه القرارات السياسية والادارية والعسكرية كما كان هذا المسجد هو المجلس النيابى الاسلامى حيث يلتقى الخلفاء الراشدون بالصحابة رضوان الله عليهم ، وبالشخصيات الاسلامية الكبيرة فيتداولون فى شئون الدولة الاسلامية .

وبعد اتساع الدولة الاسلامية أصبح المسجد الجامع ، وهو المسجد المكون من أربعة ايوانات مسقوفة ومحمولة عقودها على عمد رخامية أكبرها ايوان المحراب فى الأقطار المفتوحة هو مركز السياسة والادارة ، كذلك كان للمسجد دور فى الحياة الاجتماعية للمسلمين فقد كان بمثابة النادى الاسلامى الذى يلتقون فيه بعد صلاة العشاء فيتحادثون ويتداولون فى شئونهم العامة كما كان يعقد فيه قران المسلمين . وبالاضافة الى هذا وذاك فقد كان له دور كبير فى الحياة الاقتصادية حيث اعتاد معظم الولاة فى صدر الاسلام حفظ الخزانة العامة فى المسجد . كما كانت تعقد به الصفقات التجارية على مشهد ومسمع من المسلمين وفضلا عن ذلك فقد كانت الجيوش الاسلامية فى كثير من

المدن الاسلامية تبدأ مسيرتها وزحفها من الفناء الواسع أمام المسجد . كما كان المسجد يقوم بدور الجامعة والمعهد والمدرسة ، وأدى المسجد فى صدر الاسلام وظيفة قضائية فقد اعتاد القضاة الجلوس فى الجامع الرئيسى فى كل مدينة اسلامية . وقد استمر المسجد يقوم بهذه الأدوار أو بأغلبها حتى القرن السادس عشر عندما فقد مركزه فى الحياة العامة (١) .

وأخذت وظائفه تتقلص حتى اقتصرت على العبادة فقط فلم يعد الجامع يختلف عن المسجد أو الزاوية فكلها تخصص لأداء شعائر الدين فقط ، أما الوظيفة الاجتماعية والثقافية للجامع فقد انتقلت الى الجمعيات التى انشئت لهذا الغرض وهو رعاية الناس اجتماعيا بالاضافة الى العناية بهم من الناحية الدينية فى اطار فكرة أو مذهب أو طريقة معينة . كذلك انتقلت الوظيفة التعليمية للجامع الى الجامعات والمعاهد والمدارس وتم الفصل بين العلوم الدينية وغيرها فتخصصت فى الأولى كليات ومعاهد ومدارس تقصر نشاطها على هذا النوع من العلوم . وهكذا يمكننا أن نحدد مفهوم المؤسسة الدينية فى العصر الحديث بأنها التنظيم الذى يقدم خدمة دينية للناس سواء كانت هذه الخدمة متعلقة بأداء الشعائر أو الرعاية الدينية والاجتماعية معا لأنصار فكرة ومذهب أو طريقة دينية معينة أم كانت الخدمة الدينية تتعلق بتعليم علوم الدين المختلفة .

أنواع المؤسسات الدينية :

يأتى فى مقدمة المؤسسات الدينية المسجد . واذا كانت وظائفه قد تقلصت حتى اقتصرت على أداء الشعائر فقط الا انه يمكن القول أن الدور الذى يلعبه فى حياة المسلمين لم يفقد كل أهميته وهى الأهمية المستمدة من الطبيعة الجماعية للشعائر الدينية فى الاسلام حيث يتيح التجمع فى المسجد أو الزاوية للناس فرصة التشاور والحديث والنقاش فى مختلف الأمور سواء فيما بينهم أو فيما بينهم وبين امام المسجد ورجال الدين بصفة عامة الذين يلتقون بهم أثناء الصلاة . فيستفتونهم فى أمور دينهم ودنياهم ، كذلك هناك صلاة الجمعة التى تلقى فيها خطبة الجمعة ويتناول فيها الخطيب المشكلات التى تواجه المسلمين ، وعن هذا الطريق يمكن للمسجد أن يتصل بظاهرة التعاطى ويبدى رأيه فيها وهو بلا شك رأى له قيمته وأهميته وخطورته باعتباره معبرا عن وجهة نظر الدين الاسلامى .

أما النوع الثانى من المؤسسات الدينية فهو الجمعيات والروابط الدينية التى تشمل برعايتها الروحية فئات من الناس سواء بحسب السن كجمعية الشبان المسلمين أو بحسب المذهب كجمعية أنصار السنة المحمدية والجماعات الصوفية وغيرها من الجمعيات الخاصة بالطرق المختلفة ويبلغ عدد الجمعيات ذات الغرض الدينى فى جمهورية مصر العربية ١٥٧٣ جمعية موزعة على جميع انحاء الجمهورية من اجمالى الجمعيات المشهرة والقائمة سنة ١٩٧٠ والبالغ ٥٥٣٢ جمعية أى بنسبة ٢٨٫٤٪ بالاضافة الى الجمعيات الخيرية التى تؤدى خدمات دينية ويبلغ عددها ٢١٤٠ جمعية أى بنسبة ٣٨٪ وهذه الجمعيات وتلك تضم

---

(١) الدكتور على حسنى الخربوطلى — الجامع والحياة العامة — منبر الاسلام — عدد ٤ — سنة ١٩٢٩ ص ١٦٢ .

مئات من الألوف من الأعضاء . بل ان الطرق الصوفية وحدها يتجاوز عدد أعضائها المليون وربما اضعاف ذلك وهو أمر لا يمكن تحديده نظرا لعدم وجود احصاءات فى هذا الموضوع .

والنوع الثالث من المؤسسات الدينية هو نظام التعليم الدينى الذى يهيمن عليه الأزهر بجامعته وكلياته ومعاهده ومدارسه المنتشرة فى جميع انحاء البلاد . التى تقدم تعليما دينيا الى مئات الألوف من المواطنين من الجنسين فى مختلف فئات العمر موزعين على مراحل التعليم المختلفة. والملاحظ أن التعليم الدينى فى المراحل العليا قد تطور تطورا هاما وملحوظا أدى الى الجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا والفصل السابق لم يكن قائما فى العصور الأولى للاسلام وانما حدث فى عصور الظلام نتيجة التخلف العلمى والحضارى للمسلمين الذى فرضته عليهم الهجمات البربرية والحروب الصليبية التى لا تزال مستمرة حتى اليوم .

دور المؤسسات الدينية فى الوقاية من الظاهرة :

هذه هى المؤسسات الدينية القائمة اليوم ، فما هو الدور الذى يمكن ان تقوم به للوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها ؟

الواقع أن المؤسسات الدينية الاسلامية لم تقم حتى الآن بأى دور فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها وربما سيظل هذا هو موقفها الى وقت طويل قادم . وذلك يرجع الى سببين هامين أولهما الشريعة الاسلامية ذاتها وثانيهما الأوضاع القانونية القائمة فى مجتمعنا .

السبب الأول : ــ

وفيما يتعلق بالسبب الأول وهو الذى يرجع الى الشريعة الاسلامية فان هذه الشريعة كما أسلفنا وكما هو معلوم للجميع ليست شعائر وطقوس دينية فحسب وليست دعوة الى الاخاء والمحبة والتسامح فقط وبوضوح أكثر فهى ليست نصائح تزجى أو ارشادات وتعليمات خلقية تساق وانما هى دين ودنيا معا تنظم كافة جوانب الحياة الانسانية وتحدد المباح وغير المباح والمأمور به والمنهى عنه وتفرض عقوبات لمن يخرج عن هذا التحديد بعضها دنيوى وبعضها أخروى . واذا جاز للمؤسسات الدينية أو بالأحرى للمشرفين عليها أن يوجهوا النصح بشأن بعض الاوضاع أو المواقف إعمالا لمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كأن ينصحوا بعدم المبالغة فى التزين أو ارتداء الثياب البالغة القصر أو ترديد الأغانى الهابطة أو عرض الأفلام الجنسية الفاضحة فان ذلك لا يجوز بالنسبة لتعاطى المخدرات والادمان عليها حيث لا يجدى النصح ولا يفيد التوجيه وهو ما سنوضحه فيما يلى .

اما السبب الثانى : ــ

فى عدم قيام المؤسسات الدينية بدورها فيرجع الى الأوضاع القانونية القائمة . فالقانون الوضعى لا يعاقب على شرب الخمر بالرغم من أمرين ، الأول أن ضررها لا يقل بل ربما يزيد عن ضرر المخدرات والثانى أن الشريعة الاسلامية قد نهت عنها نهيا صريحا ، وعاقبت شاربها عقابا صارما ولكن القانون الوضعى لم يتبع الشريعة فى ذلك وترك شرب الخمر بلا عقاب بالمرة فكيف نريد من امام المسجد أن يطالب الناس بعدم

تعاطى المخدرات ويسكت عن المطالبة بتحريم الخمر ومعاقبة شاربها وهو الذى يقرأ عليهم قول الله سبحانه وتعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**)) (المائدة ٩٠ و ٩١) وبالرغم مما أسفرت عنه كافة البحوث التى أجريت بقصد التعرف على عوامل الانحراف بصفة عامة وجناح الأحداث بصفة خاصة من أن الخمر قد لعبت دورا خطيرا فى عمليتى الانحراف والجناح على السواء .

كذلك ترتب على تفشى عادة شرب الخمر والادمان عليها ارتفاع هائل فى نسبة الجرائم غير العمدية وخاصة الجرائم الناشئة عن قيادة السيارات واصابات العمل وغيرها مما دفع بدولة كالاتحاد السوفيتى الى اصدار قانون يحرم بيع وتعاطى خمور تزيد نسبة الكحول فيها على ٣٠٪ ، بل وصل الامر الى معاقبة من يحرض الشباب دون السابعة عشرة على تعاطى الخمور باعتباره مرتكبا لجريمة عقوبتها الأشغال الشاقة . كذلك لجأت السلطات السوفيتية الى معاقبة السائقين الذين ثبت انهم من مدمنى الخمر بسحب رخص القيادة منهم وبلغ عددهم خلال مدة وجيزة لا تزيد عن بضعة أسابيع ١٩١٠ سائق .

ولا زالت المجتمعات الأخرى تكتشف — يوما بعد يوم — مضار الخمر وتتخذ الاجراءات الكفيلة بالحد من انتشارها والتخفيف من مضارها . إن ذلك اذا حدث فلن يؤدى الى امتناع الناس عن تعاطى المخدرات وإنما سيؤدى الى فقدهم الثقة فى المتحدث اليهم وعدم تصديقهم له لأن ما يقوله لا يتفق مع المنطق فضلا عن تعارضه أو تجاهله للدين وما قضى به . والملاحظ أنه بالرغم من أن الكثير من أحكام الشريعة الاسلامية لم تستوح عند سن القوانين الوضعية وبخاصة قانون العقوبات الا أن الناس لا تزال تراعى تلك الأحكام فى الكثير من تصرفاتها وتحرص بقدر الامكان على أن يكون سلوكها متلائما معها حتى ولو كان ذلك يتعارض مع القانون الوضعى ، من ذلك اصرارهم على الثأر من القاتل باعتبار ذلك هو القصاص الذى أمر الله به ولعلمهم أن اعدام القاتل لن يتحقق عن طريق المحاكمة القانونية وهو ما يرونه متعارضا مع أحكام الشرع . هذا فى مجال التحريم والعقاب على إتيان المحرم وهو القتل أما فى مجال الأباحة فالمثال هو تعاطى المخدرات فرغم تحريم القانون الوضعى له وتوقيعه أقسى العقوبات على من يتجر فيها أو يتعاطاها ، إلا أنهم يفهمون خطأ أن الشريعة الاسلامية لم تحرم المخدرات وانما حرمت الخمر فقط ولذلك لا يأبهون كثيرا بتحريم الشارع للمخدرات ويتجرون فيها ويتعاطونها وهم مطمئنون الى أن ما يفعلونه ليس محرما .

وبغض النظر عن صحة هذا الاعتقاد أو عدم صحته فان الناس بصفة عامة ليسوا على دراية كافية وأحيانا ليسوا على دراية بالمرة بأمور دينهم وخاصة ما يتعلق منها بالمعاملات والأجزية وما هو محرم وما هو مباح وانما يستقون هذه المعلومات من المؤسسات الدينية التى يتعاملون معها سواء أكانت مسجدا أم جمعية دينية أم معهدا دينيا وهى المؤسسات التى تتكلم باسم الدين وتتعامل مع الناس بشأنه . وعن طريق

المؤسسات يعرف الناس أن الأصل فى الأشياء والأفعال الاباحة ولما كانت المخدرات لم يرد بتحريم تعاطيها والاتجار فيها نص صريح أو ضمنى فان هذا الفعل أو ذاك يعتبر مباحا .

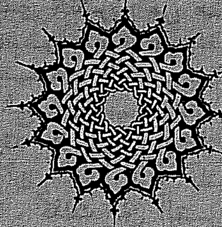
ويوجد عدد كبير ممن يشرفون على الجمعيات الدينية لا يؤمنون الا بالتحريمات التى وردت بالقرآن أو بالسنة بنص صريح وقاطع كتحريم الخمر والزنا والسرقة والقذف والقتل وعموما الحدود والقصاص ولما كانت المخدرات ليست مما ورد بشأنه نص لا فى القرآن ولا فى السنة فانهم لا يقولون بتحريمها ، وهم معذورون فى ذلك لأنهم — فى الغالب لم يدرسوا الفقه الاسلامى دراسة شاملة ومتعمقة لكى يعرفوا أن هناك بالاضافة الى القرآن الكريم والسنة النبوية مصادر أخرى للتشريع كالاجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع وغيرها استقر الرأى بشأنها وأصبحت مصادر ثابتة للأحكام ثبتت أصالتها بالكتاب والسنة ، فيجب أن يعرف هؤلاء المشرفون على المؤسسات الدينية بصفة عامة أنه كما توجد فى الشريعة جرائم الحدود وجرائم القصاص توجد كذلك جرائم التعزير وهى بطبيعتها غير محدودة ، فقد نصت الشريعة على بعضها ، وتركت لأولى الأمر النص على البعض الآخر وهو القسم الأكبر من جرائم التعازير .

إلا أن الشريعة لم تترك لأولى الأمر الحرية فى النص على هذه الجرائم ، بل أوجبت أن يكون التحريم بحسب ما تقتضيه حال الجماعة وتنظيمها وللدفاع عن صوالحها ونظامها العام ، وأن لا يكون مخالفا لنصوص الشريعة ومبادئها العامة .

وقد قصدت الشريعة من اعطاء أولى الأمر حق التشريع فى هذه الحدود تمكينهم من تنظيم الجماعة وتوجيهها الوجهات الصحيحة ، فمراعاة المصالح من عمد التشريع الاسلامى . وقد علل الشارع الأحكام ليرشدنا الى أن الحكم يتبع علته وجودا وعدما . كذلك فان القرآن الكريم لم يلجأ الى تفصيل أحكام المعاملات المالية والجنائية والمدنية والدولية والدستورية وغيرها مما يختلف فى بيئة عنه فى الأخرى ، ويتغير بتغير الأزمنة ، ويتأثر بمختلف المؤثرات ، لاتاحة الفرصة أمام ولاة الأمر والعلماء والمجتهدين فى أى عصر من العصور ليضعوا قوانينهم بما يحقق مصالح الناس مع التزام الأسس العامة للشريعة الاسلامية وعدم الخروج على نص من نصوصها القطعية .

وهكذا تبين لنا أن قيام المؤسسات الدينية بدور فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها يتوقف على أمرين : أولهما ، تمهيد الطريق أمام الشريعة الاسلامية حتى تقوم بدورها الهام والخطير فى حياة الناس باعتبارها تشريعا فضلا عن كونها دينا وثانيهما ، القضاء على التناقض بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى بحيث لا تحرم الشريعة عملا يبيحه القانون الوضعى كتحريمها شرب الخمر واباحة القانون الوضعى له وهو ما يحول دون قيام المؤسسات الدينية بدور فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات لأن الأجدر بها أن تقوم بدور الوقاية من ظاهرة شرب الخمر والادمان عليها استجابة لأمر الله أولا ثم بعد ذلك تقوم بدورها فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها وهو ما يقضى به المنطق ويفرضه العقل .

(للبحث بقية)



العناية

تمثل بيوت الله صفحة خالدة من حضارة تونس الاسلامية المجيدة وقد اقبلت الحكومة منذ الاستقلال على اقامة المساجد الجديدة وترميم المساجد القديمة والاعتناء بها ، وقد أغدقت الأموال الطائلة فى العناية والاهتمام بالجوامع والمساجد مثابرة على تركيز الدين الاسلامى الحنيف ومحافظة على التراث الحضارى الاسلامى العريق وتقديرا لأهمية الجانب الروحى للانسان التونسى ورغبة فى أن تكون بيوت الله فى مظهر يليق بالاسلام والمسلمين .

وأنفقت ادارة الشعائر الدينية خلال السنوات الثلاث الاخيرة ما لا يقل عن ٦٠٠ ألف دينار فى سبيل ترميم عدة جوامع بتونس ، ولعل ارتفاع النفقات بهذه الصورة يقيم الدليل على مدى ما لقيته بيوت الله من اعتناء من طرف الحكومة التونسية ، تلك البيوت التى تخلد التراث الحضارى الاسلامى وهو تراث مجيد أصيل يشهد على نبوغ أجدادنا فى ميدان الفن المعمارى .

وانطلاقا من مبدأ احياء التراث جندت ادارة المعالم الأثرية كل الطاقات الأدبية والمالية لبعث الروح من جديد فى هذا القسم من تاريخ تونس ، وذلك بوازع المحافظة على التسلسل الزمنى والربط بين الماضى والحاضر والعمل على ابراز الشخصية العربية الاسلامية الصميمة فجندت الادارة اخصائيين فى فن النقش على الخشب وفى ميدان الآثار ووضعت تحت تصرفهم وسائل علمية عصرية لمقاومة تداعى خشب الأبواب والسقوف .

ومن أهم الجوامع التى نالت الحظ الأوفر من العناية ترميما واحياء جامع « عقبة بن نافع » بالقيروان ، وجامع « الزيتونة » وجامع « سيدى محرز » وجامع « صاحب الطابع » بالعاصمة وجامع « المهدية الفاطمى » .

ولا شك أن لكل جامع من هذه الجوامع طابعه الخاص الذى يجسم مظاهر الفن المعمارى الذى أتسم به العصر الذى شيد فيه .

فالفاحص للجوامع والمساجد بتونس يلاحظ مثلا أن الجوامع الحنفية تتميز بشكل مآذنها المستديرة أو المثمنة بينما المساجد والجوامع المالكية تتميز بشكل مآذنها المربعة مثل ما نجده بجامع الزيتونة وجامع عقبة .

فيعتبر جامع عقبة بن نافع أول مسجد بافريقيا ، وقد شيد سنة ٥٧ هجرية من طرف الفاتح الكبير عقبة ابن نافع ثم أعيد بناؤه من قبل ابراهيم ابن الأغلب أمير أفريقية فى عهد العباسيين فى بداية القرن الثالث للهجرة ، وهو يحتوى على زخارف فنية غاية فى الجودة .

وجامع القيروان مثال وقع حذوه لبناء جامع القرويين بفاس (المغرب)

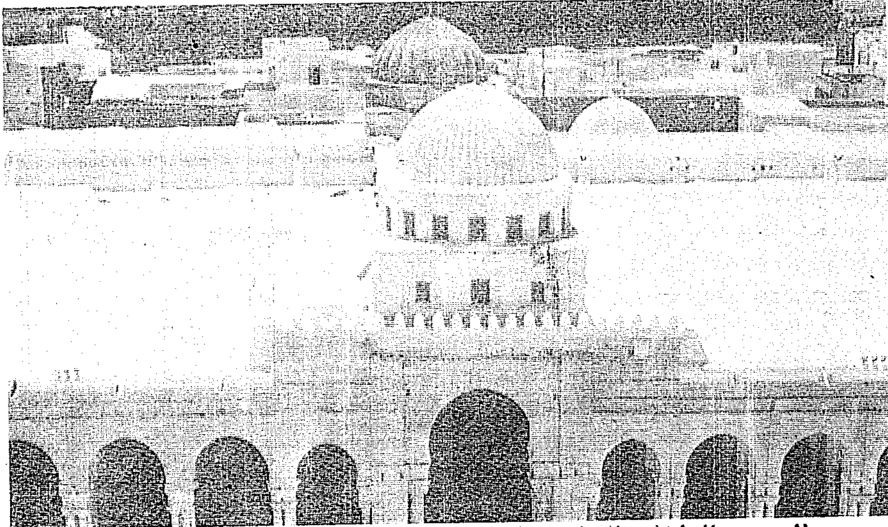
بيوت الله بتونس

التى يرتكز عليها بناء قرية جديدة بجانب المدرسة والسوق والمستوصف وقد جهزت كلها بالنور الكهربى وبمضخمات الصوت ولعل أروع تحفة من هذه المساجد الحديثة مسجد الرئيس الحبيب بورقيبة بمدينة المنستير .

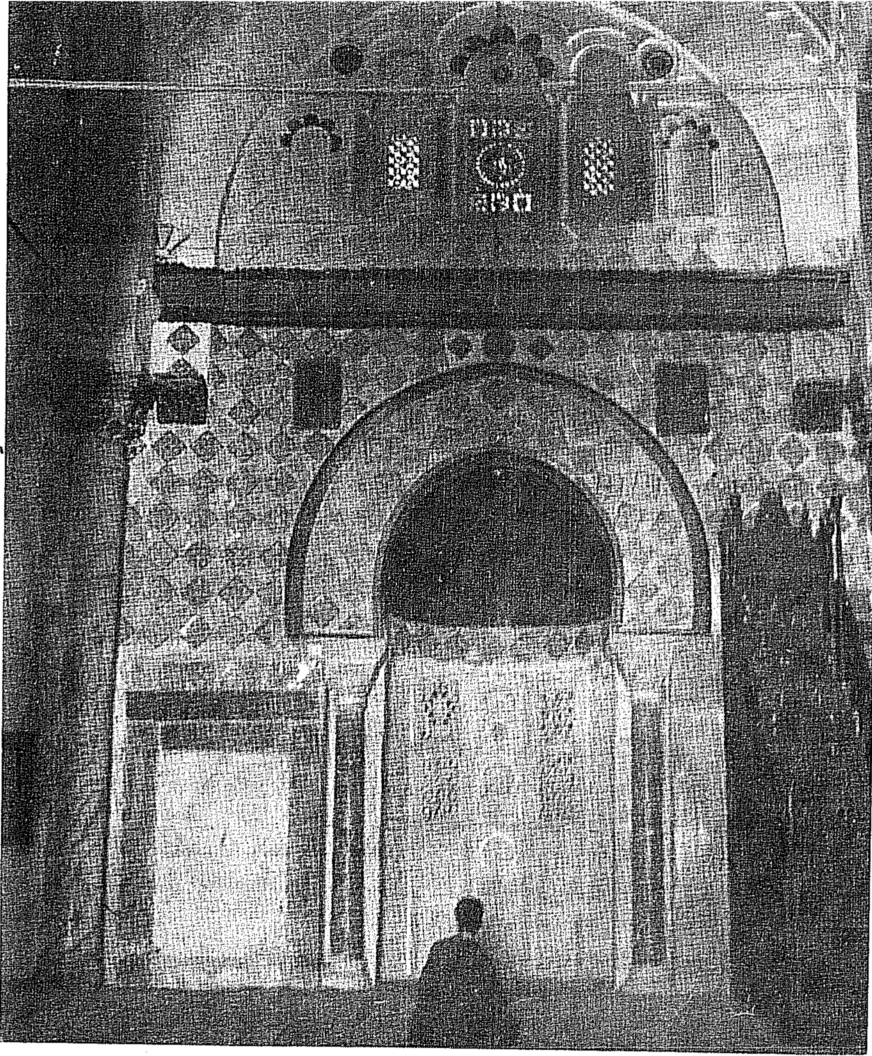
وقد ساهم المواطنون التونسيون بقسط كبير فى بناء هذه المساجد ، كما ساهمت المؤسسات المشرفة على النواحى الدينية فى هذا المجهود بالاضافة الى ما يبذله الخواص من وضع امكانياتهم الخاصة فى سبيل بناء المساجد .

وتجاوزت عناية تونس ببيوت الله حدود البلاد لتعم بلدانا اسلامية أخرى من ذلك أن فريقا من الفنيين الاختصاصيين تحول سنة ١٩٦٥م الى المملكة العربية السعودية حيث ساهم فى أشغال ترميم مسجد « قبا » وهو أول مسجد اسلامى شيده الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قرب المدينة .

كما ساهم رئيس الدولة التونسية بمقدار خمسة آلاف دينار لتزويق جامع داكار بالسينغال ، وكذلك بنفس المقدار فى سبيل تشييد محراب جامع « ياموسوغرو » فى ساحل العاج بأفريقيا وقد صنع منبر هذا الجامع فى مركز الصناعات التقليدية بتونس .



الصحن الداخلى للجامع المغطى بالرخام وبجواره عدة قباب ..



المحراب الذى بناه أبو العباس محمد بن الأغلب امام محراب عقبة بن نافع .

حكموا تونس قد زار تونس مرارا فى السنوات الاخيرة مبديا أشد العناية بالآثار الفاطمية وعزم على اقامة مكتبة بجامع المهدية المذكور يجمع فيه كل تراث الفاطميين .

واذا انتقلنا الى جامع « سيدى البشير » بالعاصمة نجده حفصى العهد أنشىء فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى وتم اصلاحه فى عهد الاستقلال .

وان اهتم العثمانيون الذين خلصوا تونس من أيدى الاسبان ببناء التحصينات حتى يتم لهم الدفاع عن أمن البلاد فهم لم يهملوا قط الركن الدينى اذ شيدت فى عهدهم المساجد والجوامع العديدة سواء كانت بمساعدة الدولة أم بالمجهودات والتمويلات الخاصة من أبناء البلد .

ومن أهم جوامعهم جامع صاحب الطابع — أى وزير العدل — وجامع حمودة باشا المرادى . والملاحظ أن تسعين بالمائة من عقود الزواج بالعاصمة التونسية تعقد بجامع حمودة باشا تيمنا وتبركا .

ولم تقتصر مجهودات الحكومة التونسية على احياء التراث الاسلامى العتيق بل ساهمت بقسط وافر فى تشييد مساجد جديدة فبنيت المساجد فى كل مدينة وفى كل قرية وفى الريف وكان المسجد من العناصر الاساسية

الذى بناه جماعة جاءوا من مدينة القيروان .

أما جامع الزيتونة بالعاصمة فقد شيد على يد حسان بن النعمان فى أواخر القرن الاول للهجرة ثم أعيد بناؤه من جديد سنة ٢٥٠ هجرية ، ولعل أروع ما يمتاز به هذا المسجد قبة المحراب ، والمنبر ، وقبة البهو وقد تم ترميمه تبعا لمراحل عديدة فأبرزت معالمه الأثرية والفنية .. ويعتبر جامع الزيتونة أول جامعة اسلامية فى العالم الاسلامى سبق جامع الأزهر فى هذا الميدان .

أما جامع المهدية وهى بلدة فى الساحل التونسى والتى كانت عاصمة الفاطميين فقد بنى فى أوائل القرن الرابع ، وعلى غراره بنى جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى جامع الأزهر عندما فتح مصر سنة ٣٥٨هـ وبنى فيها القاهرة التى انتقل اليها المعز لدين الله سنة ٣٦١ هـ .

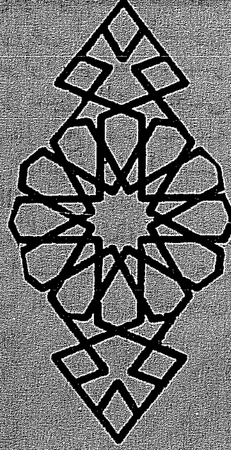
ومما يذكر أن سلطان طائفة البهرة الذين ينتمون الى المذهب الشيعى وهو نفس مذهب الفاطميين الذين



جانب خارجى من جامع الزيتونة

التركستان

بين الظلم والنسيان



للأستاذ عبد ألقادر طاش التركستاني

أصيب العالم الاســلامى فى الفترة الأخيرة من تاريخه بجراح كثيرة عميقة الغور بالغة التأثير ، ففى الأندلس كان جرح وفى زنجبار كان جرح وفى أرتيريا كان جرح وفى فلسطين كان جرح وهناك فى قلب آســيا فى تركستان الشهيرة كان جرح ، ولا زالت الدماء تنزف من تلك الجراح بغزارة وكلما نزلت قطرة منها تلفتت من حولها مستغيثة مســتنجدة عسى أن يتألم لألمها المسلمون ولكن القوم فى شغل عنها قد رضوا بالحياة الدنيا وزخرفها ولم يعد يسرى فى أرواحهم ما كان يسرى فى أرواح المؤمنين الصادقين الذين وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . وقد أدى هذا التبلد العاطفى فى المسلمين الى ان تتكالب عليهم الأمم ويكيد لعقيدتهم الكائدون ويطمع فى خيراتهم الطامعون .

ولكن نفحة من أمل مشرق أصــابت قلوبنا — فى الآونة الاخيرة — عندما انطلقت دعوات مخلصة تدعو الى أن يتحرك المسلمون لتحقيق التضامن والتآزر والتلاحم فيما بينهم . وفى الحق أن هذا التضامن الاسلامى هو بداية الطريق للوصول الى الصورة الفذة الرائعة التى رسمها الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين فى حديثه المتقدم .

ولا يخامرنى شك فى انه يجب علينا — معشر المسلمين — ونحن فى مرحلة الصحوة الاسلامية أن نتلمس جراحنا ونتعرف على أحوال اخواننا الذين يعيشون فى المناطق الجريحة من وطننا الاسلامى الكبير حتى نستطيع مساعدتهم ومد يد النصرة لهم .. وهذا حديث عن التركستان المســلمة الشهيرة وعن أحوال المسلمين فيها وما يلاقونه من ارهاب .

تركستان الكبرى :

تركستان : كلمة فارسية مؤلفة من ترك : وهو شعب آسيوى قديم نشأ فى سهول سيبريا وجبال آلتاى . وستان : معناها محل أو أرض أو بلاد . فتركستان معناها : بلاد الترك وبذلك يمكن أن تطلق هذه التســمية على كل قطر يسكنه الشعب التركى ولكنها فى اصــطلاح جغرافى تاريخى أصبحت علما على المناطق التى تحدها سيبريا شمالا وايديل أورال وبحــر الخزر — قزوين حاليا — غربا ومنغوليا والصين شرقا وايران وأفغانستان وكشمير والتبت جنوبا .

وكلمة تركســتان استعملت أول مرة — كما يقول زكى وليدى — من طرف الايرانيين الساسانيين للبلاد التابعة لدولة (كوك تورك لر) . ويقول ياقوت الحموى فى معجم البلدان : تركستان اسم جامع لجميع بلاد الترك وحدهم الصين والتبت والخزلج والــكيماك ، ولقد اطلق المؤرخون والجغرافيون — بعد الاسلام — على تركستان اسم بلاد ما وراء النهر .

ذكر ابن الأثير فى الكامل أن بلاد التركستان وهى كاشغر وبلاساغون — آلما آتا حاليا — وختن وطراز وغيرها مما يجاورها : من بلاد ما وراء النهر .

ومساحة التركستان تبلغ ٤١٨ر٨٠٥ر٥ كم٢ ويبلغ عدد سكانها حوالى أربعين مليون نسمة أكثرهم من المسلمين(١) .

وتركستان بلاد عريقة في الحضارة . ويمتاز أهلها بالكثير من الصفات الحميدة كالشجاعة والفروسية والأنفة وشدة تمسكهم بعقيدتهم وتفانيهم فى الذود عن حريتهم وكرامتهم . يقول ياقوت فى معجم البلدان « وأهلها — يقصد بلاد ما وراء النهر — يرجعون الى رغبة فى الخير والسخاء وسماحة بما ملكت أيديهم مع شدة وشوكة ومنعة وبأس وعدة وآلة وسلاح » .

ولقد ابتدأ نور الاسلام يشع فى التركستان بعد أن فتح القائد المسلم قتيبة بن مسلم سمرقند سنة ٨٦ هـ فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان(٢) وفتح كاشغر بالتركستان الشرقية سنة ٩٦ هـ .

ولقد كان ابتهاج التركستانيين بالاسلام عظيما وكان اخلاصهم له كبيرا ولذلك فقد اتخذوا الحروف العربية حروفا رسمية فى لغتهم — ولا تزال هذه الحروف فى اللغة التركستانية حتى اليوم — ولم يقف الامر عند هذا الحد بل كانت المحاكم والدوائر الحكومية تعطى الاولوية للوثائق المكتوبة بالعربيـــة وكانت النقود تكتب عليها « ضرب فى سمرقند أو كاشغر ونحو ذلك »(٣) .

ونبغ من أبناء التركستان علماء أفذاذ « كالبخارى ومسلم والطبرى وابن سينا والغزالى والزمخشرى وغيرهم»(٤) . والتركستان مقسمة الى قسمين : شرقية وغربية . وسأتحدث فى هذه السطور عن التركســــتان الشرقية فقط حتى يتســـع بنا الحديث ثم لأن القسم الشرقى لم يعط العناية اللائقة بخلاف القسم الغربى منها .

التركستان الشرقية :

● **نظرة عامة :** تبلغ مســــــاحة القسم الشرقى من تركســــتان ٧٤٥ر٧١٠ر١ كم٢ ويبلغ عدد السكان ثمانية ملايين نسمة(٥) وقيل : أربعة ملايين وقيل : ستة الى غير ذلك(٦) . وتحتل التركستان الشرقية موقعـــا استراتيجيا بين سيبريا ومنغوليا والصين والتبت والهند وكشمير . وقد كانت منذ القديم صلة الوصل بين الشرق والغرب(٧) . ويزرع فيها القمح والقطن والحبوب والخضروات والفاكهة ، ومن الثروات المعدنية التى تحتضــــنها أرضها البكر : الفحم الحجرى والبترول والتنفستن والرصاص واليورانيوم والزئبق . ولا يزال الجـــانب الاكبر من هذه الثروات مخبوءا لم يكتشـــف بعد(٨) .

● **الاحتلال الشيوعى :** عاشت التركســــتان الشرقية فى صراع مرير ودائم مع الاستعمار الروسى والصينى منذ أقدم العصور وكافح التركستانيون فى سبيل حريتهم وكرامتهم كفاحا كبيرا « حتى بلغ عدد قتلاهم فى فترة من الفترات المليون قتيل كما هو مسجل فى بعض الاوراق الرسمية التى عثر عليها فى بكين عاصمة الصين »(٩) .

وحتى لا يطول بنا المقام نقفز تفاصيل ذلك الصراع ونصـــل الى عام ١٩٤٩ م عندما سقطت التركستان الشرقية فى أيدى الشيوعيين الصينيين .

ولقد قام التركستانيون بمعارضة الاحتلال الصينى الغاشم معارضة شديدة وقاموا بحركات مضادة مما ادى الى أن يشدد الشيوعيون من قبضتهم الارهابية على تركستان وأن يفصلوها عن العالم الخارجى بسياج حديدى رهيب . ولكن لماذا حرص الشيوعيون على احتلال التركستان الشرقية وتشديد القبضة الارهابية على شعبها المسلم .. ؟ لعلنا نستطيع تلخيص الاسباب التى دفعت الشيوعيين الى احتلال التركستان الشرقية فيما يلى :

١ — ان سكان التركستان الشرقية مسلمون . والاسلام بمبادئه وأهدافه يتعارض مع النظام الشيوعى تعارضا كليا ولذلك فلا بد من القضاء عليه وعلى معتنقيه حتى لا يشكلوا خطرا على نظامهم .
٢ — الطمع فى استغلال وامتصاص خيرات التركستان وخصوصا الثروات المعدنية والتى ذكرنا بعضا منها فيما سبق .
٣ — متاخمة التركستان الشرقية للحدود الروسية مما يجعلها ذات موقع استراتيجى فى خارطة الصراع بين الصين والاتحاد السوفيتى .
٤ — يدعى الشيوعيون أن التركستان جزء من الارض الصينية وانها كانت تدعى فى تاريخ الصين والعالم (شييو) والواقع يكذب ذلك الادعاء فان التركستانيين وجدوا فى الارض التركستانية منذ أقدم العصور وهم أقوام لا يمتون الى العنصر الصينى بأية صلة اطلاقا . وقد اعترف بذلك كثير من القادة الصينيين ووردت التركستان فى كثير من المؤلفات التاريخية الرسمية للصين على أنها بلد أجنبى وليست من الصين(١٠) .
٥ — الانتقام من الشعب التركستانى الثائر الذى كلف الصينيين خسائر فادحة وسبب لهم كثيرا من المتاعب والمشاق خلال صراعهم الطويل معهم حتى قيل : « ان ثوراتهم جاوزت الخمسين ثورة »(١١) .

مسخ التركستان الشرقية لتحويلها الى مقاطعة صينيه :

عمل الشيوعيون على مسخ تاريخ تركستان وتغيير أسماء المدن فيها لتحويلها الى مقاطعة صينية وقد اتخذوا للوصول الى هدفهم الخطوات التالية :

١ — تغيير اسم التركستان الشرقية الى (سنكيانج) وهو اسم صينى معناه المستملكة الجديدة(١٢) وأطلقوا على التركستانيين لقب (تشانتو) ومعناه الرجل المعصب راسه لأنهم كانوا يلبسون العمائم(١٣) .
٢ — تغيير أسماء المدن فى تركستان واستبدالها بأسماء صينية فقد استبدلوا كاشغر بشولى وياركند بسوتش وأورمجى بيهوا وختن بهوتى اين وطورفان بطولوفان وغير ذلك(١٤) .
٣ — جلب الصينيين الى تركستان واسكانهم بها وقد بلغ عدد الصينيين الجدد فى خلال سبع سنوات مليونى نسمة(١٥) وقد أجبر التركستانيون على مصاهرة الصينيين وتزويجهم بناتهم حتى يصل الصينيون الى هدفهم من مسخ تركستان وطمس قوميتها

مظاهر القضاء على الدين الاسلامى :

الاسلام هو العدو الأول والأعظم للشيوعية ولذلك فقد جهد الشيوعيون للقضاء على هذا الدين وطمس معالمه ومحو آثاره من قلوب المسلمين فى التركستان الشرقية وتجلت مظاهر القضاء على الاسلام فيما يلى :

١ — احراق نسخ القرآن الكريم والكتب الدينية الاخرى التى عثروا عليها وحظر اقتنائها .
٢ — اصدار نسخة محرفة من القرآن فى محاولة لايجاد أوجه شبه بين الاسلام والشيوعية وتوزيعها على الطلاب المسلمين .
٣ — اغلاق المساجد والمدارس الدينية ويقدر عدد المساجد التى اغلقوها أو حولوها الى ملاه واسطبلات .. !! بـ ٢٢ الف مسجد وعدد المدارس بـ ٢٦ الف مدرسة .
٤ — منع التكلم باللغة العربية أو تدريسها .
٥ — القضاء على الشعائر الدينية الاسلامية كالصلاة والزكاة والحج والختان . والغاء الاعياد الاسلامية .
٦ — اجبار المسلمين على الزواج المختلط (أى من غير المسلمين) ، وعلى تربية الخنازير واكل لحومها وارغامهم على الانضمام الى التعاونيات الشيوعية .
٧ — انشاء معاهد خاصة لنشر تعاليم (ماو) ومبادىء الشيوعية والتاريخ الصينى وزرع الالحاد فى قلوب الطلبة المسلمين .
٨ — قتل العلماء وتعذيبهم والقتل الجماعى للمخالفين للانظمة الشيوعية أو نفيهم الى مجاهل سيبريه أو سجنهم فى سجونهم الرهيبة .

أساليب الشيوعيين فى تعذيب المسلمين :

ذكرت فيما سبق بعض مظاهر القضاء على الدين الاسلامى واجتثاث الروح الاسلامية من الشعب التركستانى ولكن تلك الاعمال الاجرامية لم ترو ظمأ الشيوعيين ولم ترض شهوة العداء والحقد والانتقام التى استولت على قلوبهم المتحجرة فراحوا يتفننون فى أساليب تعذيب المسلمين فمن ذلك :

١ — دق مسامير طويلة فى الرأس حتى تصل المخ .
٢ — جعل السجين هدفا لرصاص الجنود الذين يتمرنون على اطلاق النار .
٣ — وضع خوذات معدنية على الرأس وتسليط التيار الكهربائى عليها وذلك لاقتلاع عيون السجناء .
٤ — صب الزيت المغلى على جسم المعذب .
٥ — اجلاس المعذب بصورة تسهل الضرب على اعضائه التناسلية وتسبب له آلاما مبرحة .

٦ ــ دق مسامير حديدية فى الأظافر حتى تنفذ من الجانب الآخر .
٧ ــ تمشيط الجسم بأمشاط حديدية .

ولكن مع كل هذا الارهاب والتعذيب الوحشى الذى تندى له جبين الانسانية فان المسلمين فى التركستان وقفوا صامدين ولم تنتج هذه الاساليب الشيوعية فى التعذيب الا مزيدا من التصميم والثبات وارادة الثورة . ولقد نشرت جريدة (البلاد) السعودية فى عدد يوم ١٣٨٢/٨/١٧ هـ أن الانباء الصحفية التى تسربت من التبت ذكرت بأن الثورة ضد النظام الشيوعى قد نشبت فى سنكيانج (التركستان الشرقية) وأن اصابات كثيرة لحقت بالقوات الصينية الشيوعية . وذكرت جريدة الندوة السعودية فى عدد يوم ١٣٨٣/٨/٢٢ هـ أن الصين سحبت عددا كبيرا من الفرق العسكرية الى مقاطعة سنكيانج عبر الحدود الروسية مما يدل على أن هناك متاعب ومصاعب يسببها التركستانيون للثورة الشيوعية ولولا الستار الحديدى الشيوعى المفروض على تركستان الشرقية لتسربت الينا أخبار الثورات والحركات القتالية التى يقوم بها التركستانيون للتعبير عن الاستياء الشديد من الاحتلال الشيوعى والارهاب الاحمر لبلادهم .

مقترحات :

تلك هى الخطوط العريضة (المختصرة) للمشكلة التركستانية ولكن الشىء المؤلم حقا أن قضية التركستان قضية منسية مهملة حتى أن كثيرا من المسلمين ــ بله المثقفين لا يعرف عن هذه القضية شيئا أبدا .

وهذه بعض المقترحات ــ المتواضعة ــ التى أراها فى سبيل « بعث هذه القضية المنسية وتوعية المسلمين بملابساتها وظروفها واطلاع العالم عليها » .

١ ــ أن تقوم وزارات المعارف والتربية والتعليم فى البلاد الاسلامية بوضع مادة تدرس فيها مشاكل المسلمين فى البلدان المضطهدة فى المدارس الرسمية .

٢ ــ أن تقوم (رابطة العالم الاسلامى) بايفاد لجنة من المسؤولين المسلمين الى البلاد الاسلامية الواقعة تحت السيطرة الروسية والصينية لتقصى الحقائق ومن ثم عمل الدراسات اللازمة والبحوث الدقيقة لمعرفة أفضل السبل لمساعدة المسلمين فى تلك البلاد . وعلى الرابطة أيضا أن تناقش هذه القضية فى دوراتها التى تعقدها فى مكة واطلاع المسلمين على حقائقها وما وصلت اليه من أبعاد .

٣ ــ أن تقوم الهيئات والمراكز الاسلامية فى البلدان الاسلامية وفى غيرها كالمراكز الاسلامية فى أوروبا وأمريكا وآسيا بطبع النشرات والكتب التى تشرح للعالم أحوال المسلمين فى تلك المناطق .

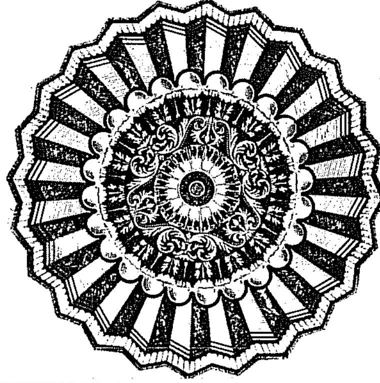
٤ ــ أن تشجب المؤتمرات الاسلامية التى تعقد بين حين وآخر الاضطهاد الشيوعى والارهاب الاحمر اللذين تمارسهما الصين الشيوعية والاتحاد السوفيتى فى التركستان وأن تطالب باستقلال تركستان .

٥ ــ اثارة القضية التركستانية فى المحافل الدولية والمؤتمرات العالمية بقصد تعريف العالم عليها وكسب مؤيدين لها .

٦ ــ مناشدة الدول المحبة للسلام للوقوف الى جانب الشعب التركستانى الذى يتعرض للافناء الشيوعى .

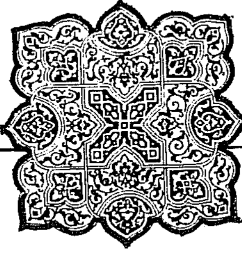
وانى لا أنسى فى هذا المجال دور الاعلام ووسائل النشر والصحافة ــ وخاصة الصحافة الاسلامية ــ فانه يجب على المجلات والمنشورات الاسلامية أن تقوم بتوعية القارىء المسلم بهذه المشكلة وأن تعمل على تقصى الاخبار المتعلقة بها والاهتمام بنشرها .

حقق الله الآمال . والله يتولى الصابرين .



---

(١) أنظر « حقائق عن التركستان المسلمة » لمحمد أمين اسلامى ٤ ــ ٧ .
(٢) أنظر « تاريخ الاسلام السياسى » د. حسن ابراهيم حسن ج ٢٤/١ والدعوة الى الاسلام لآرنولد و « الكامل فى التاريخ » لابن الاثير ج ١٧٩/٩ .
(٣) « حقائق عن التركستان المسلحة » ١٠ .
(٤) « تركستان : « سلسلة مواطن الشعوب الاسلامية » لمحمود شاكر ٩ .
(٥) « تركستان الشرقية » (من نفس السلسلة) لمحمود شاكر ٣٢ .
(٦) انظر حقائق عن التركستان المسلحة ٣٠ ــ ٣٤ .
(٧) تركستان الشرقية لمحمود شاكر ٣١ .
(٨) أنظر تركستان الشرقية لشاكر ٣١ وأنظر « مجلة البلاغ الكويتية » العدد ١٥٩ .
(٩) مجلة البلاغ الكويتية عدد ١٥٩ .
(١٠) حقائق عد التركستان المسلمة ٢٣ ــ ٢٥ .
(١١) حقائق عن التركستان المسلمة ١٦ .
(١٢) هذه التسمية تدل على تناقض الصينيين فى ادعائهم أن التركستان جزء من الصين اذ لو كانت كذلك فلماذا أسموها بالمستملكة الجديدة .. ؟!
(١٣) حقائق عن التركستان المسلمة ٢٣ .
(١٤) حقائق عن التركستان المسلمة ١٦ ــ ١٧ .
(١٥) حقائق عن التركستان المسلمة ١٩ .
(١٦) أنظر « الاسلام والمسلمون فى الصين » لفؤاد كرم ٤٠ ــ ٤٩ وأنظر أيضا « نداء الى المسلمين » لعيسى يوسف البتكين ٨ ــ ١١ .



الوحدة الاسلامية

أصولها ومنهجها وعوامل استمرارها

للأستاذ يحيى هاشم حسن فرغل

يدعو الاسلام الى وحدة الأمة الاسلامية على أساس من وحدة الجنس البشرى التى يقررهاالاسلام فى صورة قاطعة لا تحتمل تحريفا أو تأويلا .

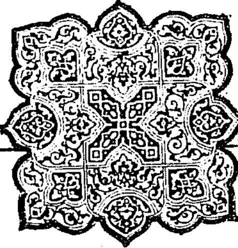
« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. »

« وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصَّلنا الآيات لقوم يفقهون » .

ولما كان الاسلام هدى الله للإنسانية جمعاء ، وهو الدين الذى جاءت به الرسل جميعا من عند الله : **« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »** ..

فان دعوة الاسلام الى وحدة الأمة الاسلامية لا تعنى دعوة الى عصبية حمقاء ، ولا تعنى دعوة الى تمزيق الروابط الإنسانية ، وإنما هى — فى نفس الوقت — دعوةالىالوحدة الانسانية يصنع الاسلام نموذجها الأصيل ، وركيزتها الفذة فى وحدة الأمة الاسلامية : **« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من**



رسله .. » . **« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ... »** .

والوحدة التى يدعو اليها الاسلام ليست ـ فحسب ـ زينة لحياة المسلمين ، أو حاجة يميلون اليها حين يدعوهم حافز من حوافز المصلحة الدنيوية ...

ولكنها ـ قبل ذلك ـ ضرورة من ضرورات إيمانهم ، يَدْعَون اليها حين يُدعون الى عبادة الله الواحد ، وتقواه :

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »
« وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »

وهى ضرورة من ضرورات فطرتهم التى جمعتهم على الاسلام .. :

« فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وهى ضرورة من ضرورات نعمة التأليف التى منّ الله بها على عباده المؤمنين ، أخبر عنها ، ووعد بها : **« واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا .. »**

وهى ضرورة من ضرورات واقع الإيمان الماثل فى قلوبهم « إنما المؤمنون إخوة » ، ويقول صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » ، ويقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، ويقول : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم . »

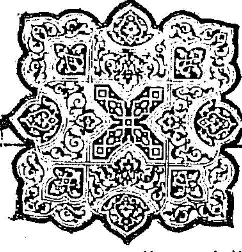
والاسلام إذ يقرر الوحدة الاسلامية كضرورة من ضرورات الإيمان يربطها بجذوره الأساسية ، ويوثقها بأصوله : فى العقيدة ، والشريعة والأخلاق .

ففى مجال العقيدة ترتبط هذه الوحدة بعقيدة المسلمين الأساسية وهى عقيدة « التوحيد » . وفى رحاب هذه العقيدة التى تنفى عنها أية صورة من صور الشرك : الخفى أو الظاهر ، يتربى المسلمون على « الوحدة » تربية تتغلغل فى نظرتهم الى وجودهم فى هذه الحياة ، كما تمد بفيئها على نظرتهم الى مستقبلهم فى الآخرة ..

وفى مجال الشريعة ترتبط هذه الوحدة بخضوع المسلمين ـ نظرا وعملا ـ لنظام تشريعى واحد ، واحد فى كيانه ، واحد فى مصدره ، واحد فى أهدافه ... **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »** .

وفى مجال الأخلاق تتوثق هذه الوحدة بقيام المجتمع الاسلامى ـ والفرد المسلم ـ على أساس من القيم الاسلامية التى وضحها الكتاب وبينتها السنة ، وصارت أصلا لأخلاق المسلم ، يستعصى على التزييف ، ويتأبى على التهجين .

وإذ يقرر الاسلام الوحدة : أصلا إنسانيا ، وضرورة من ضرورات الإيمان ، وعنصرا متغلغلا فى أصول الدين :



يبين فى نفس الوقت الطريق الى تحقيق هذه الوحدة ، والمنهج العملى المؤدى اليهـا .

ذلك المنهج هو « حبل الله » .

وحبل الله هو القرآن كما ورد فى الحديث الصحيح .

يقول صاحب المنار فى تفسير قوله تعالى : **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »** : « إن المختار هو ما ورد فى الحديث المرفوع من تفسير حبل الله بكتابه ، ومن اعتصم به كان آخذا بالاسلام — ولا يظهر تفسيره بالجماعة والاجتماع — وإنما الاجتماع هو نفس الاعتصام ، فهو يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه ، عليه نجتمع وبه نتحد ، لا بجنسيات نتبعها ، ولا بمذاهب نبتدعها ، ولا بمواضعات نضعها ، ولا بسياسات نخترعها ... »

وأنى للسياسات المخترعة والمذاهب المبتدعة أن تحقق وحدة ، وهى موضع الخلاف ومصدر الفرقة ؟

أما حبل الله فهو خيط الضوء وسط المتاهة الظلماء يقصد اليه من يقصد النجاة ... ولا يضل عنه ذو بصر أو بصيرة .. يتحرك اليه الأفراد .. وتهاجر اليه الجماعات الممزقة .. فاذا هم هناك جميع ، يربطهم حبل متين .

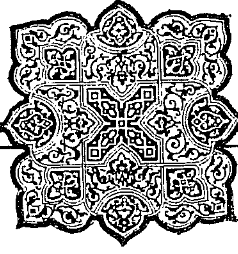
يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا القرآن هو حبل الله المتين . وهو النور المبين . وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعـه » .

من هنا كان الاعتصام بحبل الله منهج وحدة ، فضلا عن كونه هدف حياة .

وإذا كان الاعتصام بحبل الله — كما بينا — منهج الوحدة المطلوبة بين المسلمين فانه بعد ذلك — أو قبل ذلك — منهج الاتصال بالله سبحانه .

ثم إنه أخيرا منهج التوقى من الضياع ، والهلاك .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أليس تشهدون ألا إله إلا الله وانى رسـول الله ؟ قالوا : بلى . قال : إن هذا القرآن طـرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا » . ويقول صلى الله عليه وسلم : « أتانى جبريل فقال : يا محمد ، ان الأمة مفتونة بعدك . قلت له : فما المخرج يا جبريل ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . وهو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم ، وهو قول فصل ليس بالهزل ، ان هذا القرآن لا يليه من جبار فيعمل بغيره الا قصمه الله ، ولا يبتغى علما سواه الا أضله الله ولا يخلق عن رده ، هو الذى لا تفنى عجائبه ، من يقل به يصدق ومن يحكم به يعدل ، ومن يعمل به يؤجر ، ومن يقسم به يقسط » . رواه الامام أحمد فى مسنده عن سـيدنا الامام على كرم الله وجهه .

وحبل الله يعنى سنة رسوله كما يعنى كتابه تعالى ، بل انه يعنى هذه السنة من حيث يعنى كتاب الله .



يقول تعالى : ((**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**)) ، ويقول: ((**فلاوربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**)) .

ويقول ((**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**)) .

ويقول : ((**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تاويلا**)) .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله » .

ويقول عليه الصلاة والسلام « يوشك أحدكم أن يكذبنى وهو متكىء على أريكته يحدث بحديثى فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله » .

فهذا إذن حبل الله : كتاب الله وسنة رسوله .

والاعتصام به ليس مقصدا فى ذاته فحسب ، بل هو — فوق ذلك — المنهج الاسلامى للوحدة ، منهج بسيط بين المناهج المعقدة ، مضىء بين المناهج المعتمة ، ممكن بين المناهج المستحيلة ، ميسر بين المناهج المستعصية ، منتج بين المناهج العقيمة .

ولقد وهنت وحدة المسلمين — ثم انفرطت — يوم وهن استمساكهم بحبل الله ، ويوم انفضوا عنه ..

وهنت وحدة المسلمين — ثم انفرطت — يوم راحوا يهجّنون عقائدهم بعقائد من هذا المذهب أو ذاك ، فسرت اليهم عدوى من الأديان المخالفة ، أو من الفلسفات الملحدة ، من يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو غيرها ، من رواقية ، أو أبيقورية ، أو مادية ، أو وجودية أو وضعية أو ما أشبه .

ووهنت وحدتهم — أو انفرطت — يوم راحوا يبتدعون فى دينهم ، ويضيفون الى عقائدهم اجتهادات بشرية ما أنزل الله بها من سلطان ((**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**)) .

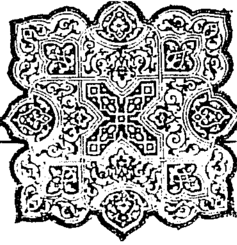
كذلك وهنت وحدتهم — أو انفرطت — يوم اخذوا بشرائع وقوانين يعارضون بها شريعة الله وقوانينه فانفرط بهم السبيل مسالك شتى :

أهملوا تعاليم الله وشرائعه فى تحريم الربا .

أهملوا تعاليم الله وشرائعه فى القصاص والحدود .

أهملوا تعاليم الله وشرائعه فى الزكاة والمال ..

وصاروا بعد ذلك مزقا تنتهبهم مسالك الحياة ما بين يمين ويسار وتتداعى عليهم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها ..



وان المنهج لواضح وسط هذه المتاهات .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

ذلكم هو المنهج : حبل الله .

حبل الله وحده هو المنهج البسيط الميسر ، الممكن ، الذى ينتهى — وحده — بالوحدة .

فاذا وجدنا أنفسنا — بهذا الاعتصام — على طريق الله ، وجدنا أنفسنا — ببساطة وتلقائية — على طريق واحد ، وعلى مسيرة واحدة ، وعلى مقصد واحد ، وفى « وحدة » متينة الرباط موثوقة بوثاق الله .

ولا يبقى بعدإلا شكل يختار لهذه الوحدة ، وفقا لهذه التجربة من تجارب الأمم أو تلك ، شكل يدعو اليه الواقع أو يفرضه ، دون أن يطول بنا البحث عنه ، فهو سهل المنال عند ذاك سهل التنفيذ .

والاسلام لا يقيدنا بشكل معين من أشكال الوحدة .

ولكنه يقيدنا بعناصر محددة للشكل الذى تهدينا اليه التجربة .

فهو يحدد لنا موضوع الوحدة ، وهدفها ، وظروف قيامها ، وظروف صيانتها واستمرارها .

فموضوع الوحدة الذى يتم الالتفاف حوله والعمل من أجله ، يجب أن يكون طاعة الله ، وتنفيذ أوامره ..

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

« واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

فطاعة الله ورسوله ، وتنفيذ أوامره هى موضوع التعاون أو الاتحاد أو الوحدة فى الأمة الاسلامية .

إن المنهج هنا يصبح هو الموضوع فى نفس الوقت .

وإذا كان لا بد لكل وحدة من موضوع فانه لا بد من أن يكون هذا الموضوع منتسبا الى الحق ، نقيا من الباطل ، فقد خرج المشركون فى غزوة بدر تحت راية واحدة لكنها كانت راية الشيطان ، فماذا كان من أمرها ؟

« وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب » . فالباطل إذن لا يصمد ، ولا يفوز فى النهاية ، ولا تقوم عليه وحدة طويلة العمر ثابتة القدم .

وهدف الوحدة الاسلامية هو النجاح **« ... ولا تنازعوا فتفشلوا »** وهو فى عبارة محددة تحقيق (الحياة) **« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم »** ، ولذلك كانت الآخرة هى الهدف الرئيسى للاسلام وللوحدة الاسلامية ، **« وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون »** .

وظروف صنع الوحدة الاسلامية هى ظروف الكفاح والجهاد والمشقة والابتلاء ، كان الأمر على هذا النحو فى قيام الوحدة الاسلامية الأولى وما أظنه

(البقية ص ٩١)

الشعب المختار وماضيه مع الاستعمار!

للأستاذ محمد عبد الحافظ

قبل البدء فى حديث كهذا فان هناك عددا من الاسئلة تطرحها أمانة الكلمة ، وتثيرها موضوعية البحث ، وتستلزم أن نتلمس لها اجابات مقنعة منصفة .

وفى مقدمة هذه الاسئلة :

هل اليهود شعب .. ؟

وهل هم شعب الله المختار .. ؟

وهل اختار الله لهم فلسطين (أرض الميعاد) .. ؟

لقد جاء فى كتب اليهود أنفسهم أن اسرائيل (يعقوب) عندما رحل الى مصر كان معه أكثر من أربعة آلاف .. وأن هؤلاء لم يكونوا جميعا من نسله .

ويروى التاريخ أن كثيرا من الكنعانيين ، والعمونيين ، والحيثيين وغيرهم قد اعتنقوا اليهودية .. وأصبحوا من أتباع (سليمان) .

فامتزاج اليهود — اذن — بغيرهم حقيقة ثابتة ..

يقول (جوستاف لوبون) فى كتابه « اليهود فى الحضارات الاولى » (ان اليهود ابتعدوا عن عرقهم الاصيل لاتصالهم الطويل بأمم أرقى منهم كثيرا) .

ومعنى هذا كله ان اليهود لم يكونوا شعبا حتى فى أقدم عصورهم .. أضف الى ذلك أن صلة اليهود بفلسطين لم تتجاوز أربعة او خمسة قرون قبل الميلاد .. ومن هنا فان ما ينبغى أن يطلق على اليهود أنهم (طائفة

دينية) مما يجعل المقارنة بينهم وبين الشعب الفلسطيني فيها كثير من الاعتساف ..

ولكن الخرافات اليهودية الذائعة .. والأباطيل الصهيونية الشائعة دفعت الكثير من المؤرخين الى عقد هذه المقارنة .. يقول (دابوبور) فى كتابه (تاريخ فلسطين) :

« يعود وجود السكان فى فلسطين الى عصر بالغ فى القدم ، نحو عشرة آلاف سنة قبل الميلاد ، وقبل أن يضع اليهود أول قدم لهم فى هذه البلاد .. فقد استوطن بها أقوام ذوو حضارة وتاريخ عريق مثل الكنعانيين .. والحيثيين .. والفينيقيين .. والفلسطينيين » .

وتقول الحقيقة التاريخية : أن المنطقة الممتدة (من النيل الى الفرات) كانت خاضعة للسيادة المصرية من سنة ٢٨٠٠ الى سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ما عدا فترات قصيرة ومحدودة قامت فيها دول أخرى بغزو هذه المنطقة (التى كان يلقب فيها شيوخ العشائر ورؤساء المدن والقرى انفسهم بلقب ملك) .

ولم يرد فى الآثار المصرية التى تم اكتشافها حتى اليوم ما يشير الى اسم (بنى اسرائيل) لا كشعب ولا كدولة . حقيقة أن ملوك هذه المنطقة (شيوخ العشائر) كانوا ينتهزون فرصة ضعف الدولة المصرية فيتمردون على سلطتها لفترات ضئيلة قبل أن يجبروا على العودة الى سلطانها .. وحقيقة ايضا أن بعض ملوك هذه المنطقة مثل (سليمان بن داود) الذى كان يلقب (بملك أورشليم) قد استطاع ان يبسط رقعة نفوذه ، ولكن الحقيقة التاريخية تؤكد كذلك ان ذلك التوسع لم يحدث الا على أساس أن سليمان كان زوجا لابنة فرعون مصر .

على أن مصر لم تكن تتوانى فى القضاء على تمرد ملوك هذه المنطقة فور تجاوزها لاسباب فترات الضعف العابرة فى تاريخها كما حدث سنة ٩٠٧ قبل الميلاد فى عهد (شيشنق) ملك اليهود ، وكما استطاعت القوات المصرية فى عهد (نخاو الثانى) فرعون مصر أن تزحف الى الامبراطورية الآشورية وتستولى فى طريقها على فلسطين ، وتعيدها الى مصر مرة أخرى وتقضى على ملك يهوذا (يوشع) فى معركة مجدو الشهيرة سنة ٦٠٩ قبل الميلاد . على أن أول عهد العالم بكلمة (اليهود) و (يهودى) كان بعد (سليمان بن داود بزمن طويل ، فبعد وفاته انشقت الاسباط — وهى كالقبائل عند العرب — فخرج عشرة أسباط ونصف على (ابن سليمان) ، وأقاموا بلدة سميت (بالسامرة) ونصبوا عليهم ملكا عرف باسم (ملك اسرائيل) وبقى (ابن سليمان) فى (أورشليم) ملكا على سبط ونصف ، وعرف باسم (ملك يهوذا) .. ويهوذا أحد ابناء يعقوب .. ولما شرعت آشور فى حرب مصر هاجمت الاراضى الممتدة من الفرات الى النيل .. وهى ما تعرف (بأرض كنعان) وسقطت بلدة (السامرة) مقر (ملك اسرائيل) سنة ٧٢٢ قبل الميلاد وتم سبى الاسباط العشرة والنصف وذابوا فى المجتمعات الاخرى ، واختفى كل أثر لهم ..

ولولا وقوف مصر فى وجه الغزو الاشورى وتصديها له ومنعه من الوصول الى (أورشليم) لكان قد تم القضاء النهائى على السبط والنصف الباقى من أحفاد (يهوذا) من عشرة آلاف عام .

وفى سنة ٥٨٦ قبل الميلاد استولى (بختنصر) البابلي علي (مملكة يهوذا) ودمرها ، وحرق الهيكل ، وسبى أهلها جميعا ، وظلوا أسرى فى (بابل) حتى سنة ٥٣٨ قبل الميلاد عندما تولى حكم الفرس الملك (قورش) ابن (قمبيز) ففك أسرهم وسمح لهم بالعودة الى مملكتهم ، بعد أن جثوا تحت قدميه واخترعوا له نصا فى التوراة يزعم أن (قورش هو المسيح المنتظر) . وجاء (الاسكندر) سنة ٣٢٢ قبل الميلاد واحتل فلسطين ، وتبعه بطليموس الأول ، ثم (انطيوخوس) اللوقى اليونانى ملك سوريا سنة ٢٠٣ قبل الميلاد .

واستولى الرومان على مملكتهم فى عهد القيصر (بومبى) ، ولما قام اليهود بالثورة على الحكم الرومانى ، دمر الرومان القدس من جديد ، ومحوا الهيكل وبنوا فوقه معبدا لكبير آلهتهم (الجوبتر) .. وكان ذلك فى عهد الامبراطور (تيطس) سنة ٧٠ قبل الميلاد الذى أباد منهم ما وصلت اليه يده الطويلة العنيفة ، ولم ينج من عقابه الصارم الا من لاذ منهم بالفرار فى آفاق الارض البعيدة . ثم جاء الفتح الاسلامى لفلسطين سنة ٦٣٦ ميلادية ولم يكن بفلسطين آنذاك الا اقلية ضئيلة يهودية .. ومن ذلك التاريخ وفلسطين عربية مسلمة اللهم الا ردحا من الزمن أيام الحروب الصليبية ، ولكنها سرعان ما عادت الى العرب على يد البطل العربى (صلاح الدين الايوبى) .

ومما يؤكد ان اليهود كانوا اقلية ضئيلة ، ليس لها أى وزن سياسي أو اجتماعى فى الفترة السابقة للفتح الاسلامى لفلسطين — ما جاء فى وثيقة استلام زمام الامور فيها ، والتى حضر لتوقيعها الخليفة (عمر بن الخطاب) بنفسه فى فلسطين — لقد اشترط المسيحيون فى شروطهم التسليم — « الا يسكن بايليا أحد من اليهود » وضمن لهم الخليفة هذا الشرط .. وما ذلك الا شعور منه بعدم أى وجود لليهود من شأنه أن يكون له احترامه أو مجرد ثقله .. على الرغم من مرور اكثر من أربعة قرون على ما أنزله بهم الرومان فى قلعة (الماسادا) .

هذه هى جذور ما يسمى بـ (الشعب اليهودى) .. ولكنها جذور عفنة ابلت الاعاصير ساقها وقصفت الرياح فروعها ، وجفت من زمن بعيد أوراقها وصارت هشيما تذروه الرياح فأين اذن الشعب اليهودى .. ؟

هل هو أولئك الصهاينة المستعمرون الموجودون من ربع قرن بفلسطين المحتلة .. ؟ ان الواقع يؤكد — كما ذكر آنفا — أنه لا وجود لما يمكن أن يطلق عليه اسم (الشعب اليهودى) .. وأن أولئك الصهاينة الموجودين بفلسطين المحتلة ليسوا شعبا تحت اى منظار ، وبأى مقياس .. لا بمقياس

التاريخ ، ولا بمقاييس الحضارة والاجتماع .. ولا بمقاييس الواقع .. انهم ليسوا سوى أقلية يهودية عربية ، وأكثرية مجلوبة جلبا من (شذاذ الآفاق) من الشرق والغرب ، خليط متنافر متزاحم لا تجمعه وحدة العقيدة — كما يزعمون — وانما تجمعهم الاطماع والاحقاد .. فهل يمكن أن يسمى هذا شعبا .. ؟

وهؤلاء .. ليسوا شعب الله المختار .. ولا كذلك أجدادهم الأقربون ولم يخترهم الله .. ؟ السفكهم دماء عباده الأبرياء .. ؟ التكبر فى الارض بغير الحق .. ؟ أم لسعيهم بالفساد بين الناس وأكلهم الربا .. ؟ أم لاجترائهم على شرائع الله ومقدساته فى الارض .. ؟

ولماذا اختار الله لهم فلسطين بالذات .. وهى مهد مقدساته .. ؟ الأنهم عاشوا فيها زمنا .. ؟ أم لأنهم خير خلق الله وأجدرهم برعاية المقدسات .. ؟ ان التاريخ — كما سبق — يؤكد أن فترات تواجد اليهود على أرض فلسطين اقل بدرجة لا تقارن بالوجود المصرى ولا بالوجود العربى عليها .. سواء بعد الفتح الاسلامى أو قبله ..

ولماذا يمنحهم ربهم أرضه المقدسة (أرض الميعاد) .. ؟

ان الكتب المقدسة والتاريخ يؤكدان أن اليهود — منذ كانوا — أكثر خلق الله عقوقا لربهم ، واجتراء وتطاولا عليه ، وقتلة الانبياء والمصلحين ومحرقى الكتب والشرائع المقدسة ، ولقد منحهم الله الفرصة تلو الفرصة للاستقامة ، وفضلهم على العالمين زمنا بما منحهم من انبياء ، وأنعم عليهم من نعم ولكنهم تطاولوا وتمادوا فى طغيانهم فسلط الله عليهم — فى كل جيل — رسل انتقامه يمزقونهم كل ممزق ، ويشردونهم بددا حينا بعد حين .

ان اناسا هذا ماضيهم — وهو حافل بالضياع والانتقام — لا يمكن أن يصدق عاقل أنهم (شعب الله المختار) الا اذا اقتنعنا بأن الثواب يكون للعاصى وأن المكافأة يستحقها المسىء ..

ولكن يبقى سؤال : لماذا اخترع اليهود هذه الاسماء : (شعب الله المختار) ، (أرض الميعاد) ، (الشعب اليهودى) .. ؟

يجيبنا العالم الانجليزى المعاصر (جون اليجرو) الاستاذ المتخصص فى اللغات الشرقية فيقول :

« ان كل هذه (الخرافات) التى آمن بها اليهود قد ظهرت بين سنتين معروفتين فى تاريخهم سنة ٥٨٦ قبل الميلاد .. عندما جاء الملك البابلى (بختنصر) وهدم أورشليم (القدس) وهدم معبد سليمان ، وأحرق أخشابه ، وأخذ كل ما فيه من ذهب ، وحطم قدس الاقدام حيث أودع اليهود (وصايا موسى العشر) .

والسنة الثانية عندما انهدم المعبد مرة ثانية سنة ٧٠ ميلادية عندما تقدم الرومان وهدموا هذا المعبد عليهم وأحرقوهم .. ثم حاول بعض

اليهود أن يقفوا فى وجه الرومان ، واعتصموا بقلعة (ماسادا) حتى هلكوا جميعا ..

بعد هاتين السنتين تفجرت عن اليهود هذه الافكار التى تقوم بتعويض ما فقدوه فهم أناس لا أرض لهم .. لأنهم مطرودون من كل أرض .. ولذلك اخترعوا لأنفســـهم أنهم مشردون بلا أرض ، ولكن الله اختار لهم أرض فلسطين ، انها خرافات يهودية .. خرافات جياع مشردين ، منبوذين ، مكروهين لا جذور لهم .. بلا حوائط .. بلا أرض .. جلسوا فى مهب الريح الرملية فى الصحراء وامتدت أيديهم الى أعشاب مخدرة .. وراحوا يتخيلون ، ويصدقون أوهامهم .. ولكنهم حتى لو صدقوها وجنوا بها ، فهى أوهام لم تنزل من السماء ، وانما نبتت من الارض ، التى ليست أرضهم ولن ينعم اليهود بالراحة فى أى عصر ما دام الدم والدمار ، والحقد أسلوبهم فى الحياة » .

ولا عجب أن يجىء فى (توراة اليهود) نفســـها ما يؤكد راى هذا العالم ــ غير العربى ــ ففى الاصحاح السادس والعشرين من (ســـفر التثنية) وصف للشعب اليهودى بأنه (لقيط) وفى الاصحاح السادس عشر جاء فى سفر (حزقيال) وصف للشعب اليهودى بأنه (مثل الغانية الداعرة التى تدفع فلوسا لمن يزنى بها) .

والدارس لتاريخ اليهود يلفت نظره بوضوح أنهم مفتونون بالأرض ، حريصون على (كيان مستقل) لهم ، مغرمون بالتحكم والتملك ، ولما لم تسعفهم الارض برغائبهم تجنوا وافتروا على السماء ، واختلقوا الوعود المقدسة وتفننوا فى اختراع القصص الغيبية لاكتساب شرعية ما ليس من حقهم ، وهم فى سبيل تحقيق أطماعهم الشخصية مستعدون للتعاون ولو مع الشيطان متنكرين لكل مبدأ متعامين عن كل دين .

ولم يكن (وعد بلفور) بتمكين اليهود من وطن قومى لهم في فلسطين هو أول وعد حصلوا عليه لاقامة هذا الوطن فى نفس المكان .. مكافأة لهم على عمالتهم .. ففى القرن الخامس قبل الميلاد حصلوا على نفس الوعد من الاستعمار الفارسى نظير قيامهم بدور تخريبى فى العراق من الداخل حتى يسهل احتلال الجيش الغازى له ــ على نحو ما سبقت الاشارة اليه ــ وبلغت المؤامرة مداها وانطلقت الجيوش الفارسية سنة ٥٣٦ قبل الميـلاد فى اكبر حركة استعمارية عرفها الشرق فى العصور القديمة ، فاستولت على العراق وأجزاء من شبه جزيرة العرب ، وسوريا ، ولبنان وفلسطين . ولما دهم الفرس مصر بقيادة (قمبيز) استعانوا فى اســـتعمارها أيضا باليهود ، أو بتعبير أدق وضع اليهود انفســـهم فى خدمتهم للتـــآمر على الشعب المصرى .

وقد تم العثور على وثائق باللغـــة (الآرامية) ــ اليهودية ــ فى جزيرة (فيلة) بأسوان تثبت هذا التآمر .

وعندما غزا الاسكندر الشرق ، وتمكن من رد الغزو الفارسي على أعقابه مدحورا ، حاول اليهود احتواءه وبذلوا جهودا مكثفة ، استغلوا خلالها أسلحتهم التقليدية المعروفة من حيلة وذكاء ، ومكر ودهاء ليسكونوا محل ثقته .. ولكنه عاملهم بمنتهى اليقظة والحذر .. ولئن كان اليهود قد استطاعوا أن يحصلوا منه على بعض المزايا ، كأن جعل لهم شخصية قومية متميزة وأتاح لهم حكم أنفسهم بأنفسهم فى الشام — فى ظلال الحكم اليونانى — الا أنه حرم عليهم المناصب السياسية الخارجية ، ولم يمكنهم من التدخل فى الشئون العسكرية ، ولم يسمح لهم بالتدخل فى الامور الاقتصادية .. وجعل ذلك مقصورا على اليونانيين وحدهم ..

وبعد اليونان جاء الرومان ، وحاول اليهود التعاون معهم في سياستهم الاستعمارية ، ووصل بهم الامر — وهم أصحاب الكتاب السماوى — الى الوقوف بجوار وثنية الرومان ضد (يوحنان المعمدان) .. وليت تآمرهم انتهى بقتله فحسب ، بل تآمروا على السيد المسيح عليه السلام ، محاولين الفتك به والقضاء عليه ، كما تآمروا من بعده على المسيحيين فى (نجران) اذ دفعوا (ذو نواس) آخر ملوك حمير الى حرقهم . وعندما جاء الاسلام وبرغم وجود اتفاقيات صداقة وحسن جوار بينهم وبين المسلمين فى أول صدر الاسلام الا أن هذا لم يمنعهم من أن يتآمروا مع الوثنيين من قريش ضد الدعوة الاسلامية التى تقوم على التوحيد .

وقبيل غزوة الاحزاب ذهب جماعة منهم الى قريش بزعامة (حيى بن اخطب) بهدف التعاون معه لتدمير الدعوة الاسلامية ، ولقد ترددت قريش فى أول الأمر وقال قائلها للوفد اليهودى : يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الاول واهل العلم ، بما أصبحنا نختلف فيه مع محمد .. افديننا خير ام دينه ؟ قال اليهود : بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه .

ويشير القرآن الكريم الى ذلك : ((**ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا**)) .

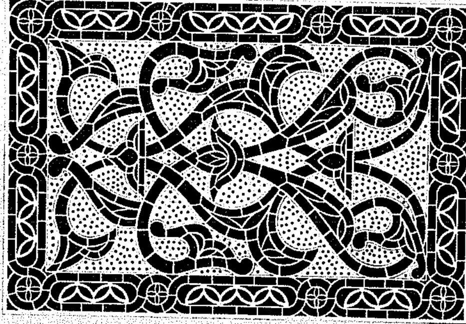
وحول تفضيل وثنية قريش على توحيد محمد عليه السلام يقول الدكتور (اسرائيل ولفنسون) فى كتابه « تاريخ اليهود فى بلاد العرب » كان من واجب هؤلاء اليهود الا يتورطوا فى هذا الخطأ الفاحش ، والا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام افضل من التوحيد الاسلامى ، ولو أدى بهم الامر الى عدم اجابة مطلبهم .. هذا فضلا عن انهم بالتجائهم الى عبادة الاصنام انما كانوا يحاربون أنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التى توصيهم بالنفور من أصحاب الاصنام والوقوف معهم موقف الخصومة .

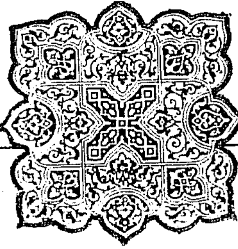
٨

واذا كان التآمر من سمات اليهود — كما يروى التاريخ — فانه يروى أيضا أن الغدر واثارة الشغب ، وحب الذات هى صـــفات من أبرز خصائصهم . وهى الصفات نفسها التى جعلت الرومان يقلبون لهم ظهر المجن ، ويمزقونهم كل ممزق ، وهى أيضا نفس مبررات (هتلر) لممارسة الاسلوب الذى اتبعه معهم الرومان والفرس ، فاليهود هم اليهود فى كل زمان ومكان ، نبغوا فى (العمالة) طريقا لبلوغ أطماعهم وتحقيق مآربهم .. كالمتسلقات من النباتات التى لا يستقيم لها صعود وارتفاع الا على عود تستند اليه . وهم — لكى يصلوا الى أغراضهم — لا يهمهم على أى ركيزة يرتكزون .

وفى العصر الحديث كانت ركيزة اليهود (أوروبا) ثم انكمش دورها وصارت ركيزتهم أمريكا .. ومهما طال الزمن . فسوف ينكمش دور أمريكا لأن عدالة الســماء تطارد اليهود بما اقترفوه .. فى كل عصر .. ولعنة الضـــحايا الابرياء تلاحقهم بمـــا أجرموه فى كل جيـــل ، و ((**ان ربك لبالمرصاد**)) .

وانه لمن واجب العرب .. كل العرب ، ومن واجب المسلمين .. كل المسلمين .. بل من واجب الانسانية جمعاء ، أن يدرك الجميع أبعاد التآمر اليهودى ، وخطورة أحلامهم التوسعية الجامحة النابعة من نفوس مريضة ، تتراكم فيها مركبات نقص شريرة .. فما حلمهم (من النيل الى الفرات) يصور غاية مطامعهم ، وانما هو — على ما نعتقد — خطوة على طريق مطامحهم الخرافية للسيطرة على العالم كله واذلاله ان اتيحت لهم فرصة الاستمرار على هدى تعاليمهم التى اخترعها لهم حاخاماتهم ضيقوا الافق ذوو التفكير البربرى والطوية المريضة والتى تقول : « تقرب الى الله بقتل غير يهودى » أوليست سياستهم هى — كما يحكى القرآن الكريم — ((**ليس علينا فى الأميين سبيل**)) .. ؟





(بقية الوحدة الاسلامية)

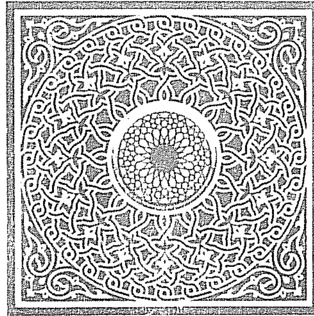
كان غير ذلك في أية وحدة في التاريخ ، وما أظنه يكون غير ذلك في أية وحدة في المستقبل ، « **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين • ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون** » • وإذن فهيهات أن تصلح ظروف الدعة والرفاء والرخاء لقيام وحدة يرجى لها البقاء .



وظروف استمرار الوحدة أو عوامل دعمها وتقويتها ووقايتها تتلخص في وجود مرجع أعلى يرجع اليه عند ظهور بوادر الخلاف ، تكون له الكلمة الحاسمة ، والطاعة الواجبة ، على جميع الأطراف عن اقتناع واذعان وخضوع ورضا .. ذلك المرجع الذي توفره الوحدة الاسلامية هو شريعة الله سبحانه المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله « **.. فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** »

هذه بعض ملامح للشكل الذي ترك لنا أن نختاره للوحدة من واقع التجربة : تناولت الموضوع والغاية ، كما تناولت عوامل الإنشاء وعوامل الوقاية ، لا أدعي أنني أصبت بها نهاية القول ، ولكن أدعي أنني طرقت بابه .

إنما الأمر الذي أود أن نلتفت اليه بقوة في ظروف الأمة الاسلامية الراهنة وما تعانيه من تمزق وحيرة ، وما تتلهف اليه من اهتداء الى طريق النجاة .. هو أن نجاتها في وحدتها ، وأن وحدتها ليست سرابا اذا سلكت اليها المنهج الميسر ، منهج الاعتصام بحبل الله ، وهو منهج يملكه الفرد ، كما تملكه الجماعة وتملكه الدولة ، فكلهم مسئول عنه . والله الموفق .




قصة اسلامية

صانع المعجزات

للأستاذ عزت محمد ابراهيم

كان الوقت قد جاوز العشاء بقليل ، وقد بدت واجهة الحرم المطلة على (جياد) بمئذنتيها الشامختين غارقة فى الاضواء ، وقد جعل المصلون يتهادون خارجين من الحرم تلهج السنتهم بالحمد والشكر ، وما لبثت جموعهم أن تفرقت يمنة ويسرة ، كل الى وجهته .

كان جليا أن جموع المصلين أكثر من المعتاد ، فقد كان موسم الحج قد هلت تباشيره ، وبدأ شارع (جياد) مائجا بالحركة ، مضطربا بالناس ، ذاهبين وآيبين ، وعلى جانبيه صفت مقاعد هنا وهناك أمام بيوت المطوفين ، قد اتخذ منها بعض وفود الرحمن مجالس ينعمون فيها بنسمات الليل المنعشة ، وتتعلق ابصارهم بالحرم أمامهم فتشيع فى نفوسهم الراحة والسكينة بعد عناء الجهد والتعب فى الوصول الى مهوى افئدتهم ومرتجى آمالهم .

وفى بيت من بيوت (جياد)كانت تعيش أسرة قليلة العدد ، لم تكن تجاوز الثلاثة أفراد : أم وابنتها وابنها ، ولم يكن الابنان هما كل ما للأم من أبناء ، ولكنهما كانا كل من بقى معها من أبنائها ، فقد تزوج الآخرون ، واستقل كل منهما ببيت أصبح له فيه بنون وبنات يزورونها بين الوقت والآخر ، ولولا ما ألم بها من مرض ، وما الح عليها من علة ، لكانت أسعد الناس وأهنأهم بحياتها .

لم تكن قد بلغت من الكبر عتيا ، ولم تكن قد ردت الى أرذل العمـــر ، ولكنها كانت تبدو في مرضها وشحوبها كمن طعن به السن ، وأصبح على شفا النهاية التي لا مفر منها لانسان .

ومن خصاص نافذة في البيت كانت الابنة تطل على شـــارع (جياد) ويتعلق بصرها بالحرم في خشوع وابتهال ، لعل لسانها كان يلهج بالدعاء لشفاء أمها التي اضناها المرض وأسقمتها الآلام ، ولعلها كانت ترقب مجيء اخيها ليبدد عنها الوحشة الضاربة أطنابها في البيت الذي خيم عليه الهدوء والسكون .

كان الناس ينحدرون من أعلى الشارع الى أسفله ، أو يصعدون من أسفله الى أعلاه ، ويختلط بعضهم ببعض فيخيل اليها أن شارعهم — وهي تطل عليه من عل — هو مجرى سيل ، فمن ناحية تكتنفه العمارات المرتفعة، وعلى الاخرى يستقر جبل (قبيس) قد انتشرت فوقه البيوت والمساكن حتى أصبح كأنه مدينة قائمة بذاتها .

وكرت بذاكرتها الى أيام خلت فانفرجت شفتاها عن بسمة خفيفة وهي تقول محدثة نفسها : بل هو على الحقيقة مجرى سيل . ما كان أشد ولعها — وهي طفلة غريرة — بمشاهدة السيل في تدفقه وجريانه حاملا في طريقه اشياء كثيرة متنوعة ، كانت تتبعها بعينيها اثناء مسيرها فتحسبها سفنا تمخر عباب بحر متلاطم الامواج ، زاخر الاثبـــاج ، ولعلها كانت تسرع الى أمها فتمسك بتلابيبها حتى تأتي بها الى النافذة لتشاهد معها ذاك السيل المتدفق ، وتلك الاشياء الصغيرة المتنوعة التي لا تقوى على اعتراض طريقه فتستسلم لتياره ، ذكرت أمها فترقرقت الدموع في عينيها ، ها هي ذي طريحة الفراش منذ ما يقرب من العام ، لا تكاد تغادره الا لقضــــــــاء حاجة لا مناص من قضائها ، ثم تعود اليه ، خائرة القوى ، شاحبة اللون ، تتراقص شفتاها توجعا وشكاية من هذه الآلام التي تنتابها بين الحين والآخر .

ما اكثر ما تناولت من دواء ، وما أكثر من عادها من أطباء ، ولكن العلة هي العلة ، والآلام هي الآلام .

اتجهت الى أمها متثاقلة الخطى ، وأجلستها فوق فراشها ، وامسكت بقارورة صبت من سائلها شيئا فوق ملعقة قربتها من فمها فابتلعته على كرْهٍ ومضض ، ثم انزلقت الى فراشها وقد اتسعت عيناها ولمع فيهما بريق وهي تتطلع الي ابنتها مشفقة من عنائها وتعبها ، وكأنما تريد أن تقول : لا فائدة — يا بنية — ولا رجاء ، فلم تشقين على نفسك ؟

ولم تنبس الابنة بكلمة ، وانما انتبذت من نفسها مكانا قصيا ، وأطلقت العنان لعبراتها تبلل بها خديها ، ودخل أخوها على حين غفلة منها فرآها على ما هي عليه فتخاذلت ساقاه ، وخيل اليه انهما لا تقويان على حمله ، وانه سيتهاوى على الارض كأنه بنيان قد انقض فجاة . قال يسأل أخته في انفاس متتابعة :

ــ ماذا بك ؟ هل ألم بها شيء .. ؟ هل أصابها مكروه .. ؟

ولم تجب ، وانما مسحت عينيها بمنديل فى يدها ، ثم اتخذت مجلسا فوق مقعد القت بنفسها فوقه القاء ، وظل الابن ذاهلا لا يدرى شـــيئا ، وأحست الأم بمقدمه فنادت فى صوت ضعيف متهالك :

ــ فواز ، فواز ، أين أنت .. ؟ هل أتيت يا بنى .. ؟

وسمع (فواز) الصوت الضعيف المتهالك يحمل اسمه ، فثاب اليه رشده ، وردت اليه روحه ، وانتظمت أنفاسه التى كادت أن تنقطع خشية وتوجسا ، وهرع الى أمه يحتضنها ويدعو لها بالبرء والشفاء ، ثم عاد الى أخته يكيل لها اللوم والتقريع ، ولكنها تطلعت اليه يكسو وجههـــا الحزن والأسى وهى تقول :

ــ الى متى ستظل على هذه الحال .. ؟ ان فؤادى يتمزق كل يوم عشرات المرات ، ليت الله أن يشفيها أو ..

وغص حلقها فلم تكمل كلامها ، وانما عادت العبرات تنهمر فوق خديها منطلقة العنان .

وقلب (فواز) كفيه ، يضرب الواحدة بالاخرى وهو يقول :

ــ ارادة الله ، وماذا فى وسعى أو وسعك أن نفعله ؟ لم ندخر جهدا ، ولم نبخل ــ على علاجها والتماس الدواء لها ــ بمال ، وليس فى طاقتنا بعد ذلك الا أن نبتهل الى الله أن يشفيها ويكتب لها البرء والنجاة . هل فى وسعنا غير ذلك ؟ هو وحده بيده كل شيء ، ولكل أجل كتاب ، واذا حانت الآجال فلا مهرب ولا مفر .

وبدا كمن يفكر فى شيء ، أو كمن يتذكر شيئا ، وانفرجت أسارير وجهه وهو يقول لأخته فى ابتهاج كمن يزف اليها بشرى :

ــ لقد سمعت عن طبيب فى (جده) له سيرة حسنة على الســـنة الناس ، فهم يلهجون باسمه ، ويمدحون فيه المهارة ويشيدون بالمقدرة ، ولعل الله أن يجعل الشفاء على يديه ، فاذا كانت الغداة فسأذهب بها اليه من يدرى ؟ لعلها بعد ذلك تصبح غير ذات أسقام .

وفى عصر اليوم التالى ، كان (فواز) قد أعد العدة للذهاب بأمه الى ذاك الطبيب . تحاملت الأم على نفسها مستندة على ذراع ابنها وهو يكاد أن يحملها حملا حتى استقرت فى داخل السيارة . واتخذ (فواز) مكانه أمام مقود السيارة وقد غمرته فجأة مشاعر الفرح والسرور . وسار بسيارته الهوينى فى شارع (جياد) حتى اذا بلغ منتهاه انحرف عن يمينه ثم توقف هنيهة ملتفتا الى أمه يريد أن يلتمس شيئا يسرى به عنها فقال مفتر الثغر ضاحك السن :

ــ ألا تلحظين شيئا يا أماه على هذا الشارع .. ؟

ردت مبتسمة :

ــ بلى يا بنى ، لكأنى به قد ازداد سعة ورحابة .

شاعت الفرحة فى أسارير (فواز) وهو يقول :

ــ انه لكذلك ، أنظرى الى الجبل عن يمينك ، ألا ترين أثر الهدم فيه ، لقد اقتطع منه جزء كبير ، أضيف الى الشارع فأصبح على ما ترين .

ومضت بهما السيارة متجهة الى (الغزة) ، ثم الى (ريع الحجون) فى طريقها الى (جده) .

لاذت الأم بالصمت غير راغبة فى كلام أو حديث ، ولكن عقلها لم يكن يكف عن التفكير ، تارة فى مرضها الذى أعيا الاســـــاة ، وأخرى فى هذا الطريق الذى لم تقع عليه عيناها منذ زمان طويل .

وبلغت السيارة مشارف (جده) ، ووقعت عينا الأم على صــــخرتين كبيرتين تتوسطان الطريق فقالت فى فرح كفرح الاطفال :

ــ « أم السلم » ، أليس كذلك .. ؟

التفت اليها (فواز) وهو يشاركها فرحها قائلا :

ــ بلى ، انها هى .

قالت الأم :

ــ أعرفها من هاتين الصخرتين ، ومن الطريق حين يهم بالارتفـــاع صاعدا .

قال (فواز) منشرح الصدر :

ــ ومن هذا البناء الذى يتوسط الطريق ، ويســـــتقر بداخله شرطى الجوازات ، هل نسيت .. ؟

وعاد الصمت يلفهما بردائه ، وعادت الأم تفـــكر وتتأمل وهى تتطلع بعينيها يمنة ويسرة :

ــ ما أسرع ما يمتد العمران ، لو استمر الحال على ما هو عليه فما أظن الا أن (مكة) و (جده) ستتصل احداهما بالاخرى ، أو يسكون بينهما من المسافة ما لا يكاد يذكر .

وصل (فواز) الى مبتغاه ، فأوقف سيارته ، وخرج وأمه تتحامل عليه تحاملا شديدا ، ودخلا الى عيادة الطبيب ، وجلست الأم فى غرفة للنساء ، وانتظر هو مع المنتظرين فى غرفة الرجال ، وحان دور الأم فاتجهت الى الطبيب الذى جعل يسأل ويستفسر عن أصل الداء وأعراضه وبدايته ، وفحص مستأنيا ، وخرجت المريضة منبسطة الاسارير تقص على ابنها ما رأت وما سمعت ، وهى راضية مستبشرة .

وارتاح (فواز) لراحتها ، ثم عادا أدراجهما الى السيارة .

لم تكن غير لحظة تلك التى انبسطت فيها أسارير الأم وتلك التى رضيت فيها واستبشرت ، ثم ما لبثت أن عادت الى التجهم والاكتئاب ، وعاد ذهنها الى تفكير القانط الذى دهمه اليأس من جميع أقطاره حتى لم يكن يجد لنفسه منفذا أو مخرجا .

وما هى الا ساعة أو تزيد قليلا حتى كان (فواز) يتهادى بسيارته متجها الى بيته فى (جياد) مارا بـ (السوق الصغير) وهو يتمهل فى سيره تارة ، ويتوقف أخرى حتى يتيح لافواج الخارجين من (الحرم) عبور الشارع بعد صلاة العشاء .

تطلعت الأم ناحية (الحرم) وبدا لـ (فواز) كأنما قد استشف ما يدور فى خلدها ، فقال مبتسما :

— هيا بنا ندخل .

وفتح باب السيارة ، واخذ بيد أمه يعينها على الخروج .

كان (الحرم) متلألئا بالانوار ، يتردد فى جوانبه التهليل والتكبير ، والناس فى رحابه بين ساع وطائف ، وقائم وقاعد ، منهم من يسعى بين (الصفا) و (المروة) ، ومنهم من يطوف بالكعبة متعلقا بأستارها تارة ، متمتما بالدعاء تارة أخرى ، ومنهم من يقوم ويقعد قد اتخذ من مقام ابراهيم مصلى ، ومنهم من جلس فى خشوع وابتهال باسطا بين يديه كتاب الله يقرأ بعض آياته .

اقتربت الأم من الكعبة ، وجلست ساكنة ، قد ران عليها الصمت والخشوع ، وغير بعيد منها جلس ابنها (فواز) ، وما هى الا لحظة حتى نهضت منتصبة القامة مستقيمة العود ، لكأنما قد دب فيها فجأة دبيب الصحة والعافية ، أو كأنما قد بدلت فى لحة خلقا جديدا ، وهرع (فواز) يلحق بها ممسكا بيدها وهو يقول فى اشفاق :

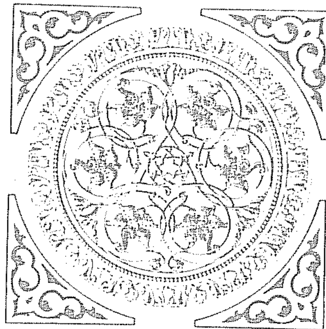
— ولكنك لا تقدرين يا أماه ، ليس فى طاقتك ذلك ، حسبك الجلوس على مقربة منها ، اذا كنت قد عقدت العزم على الطواف فدعينى آت لك بمحفة وأستأجر لك من يحملك فوقها .

ولكنها لم تلق اليه بالا ، ولا أصاخت له سمعا ، وانما بدات الطواف وهى تحس كأن طاقة قوية قد تدفقت فى كيانها فجأة ، فهى تشـــيع فيه الصحة والعافية ، وتمده بالقدرة على الحركة والنشاط . وجعل (فواز) يرنو اليها مشدوها لا يكاد أن يصدق ما تراه عيناه ، وأخذ يحدث نفسه قائلا : لقد كنت أحملها حملا ، لقد ظلت طريحة الفراش زمنا ، اية قوة تلك التى واتتها على غير توقع وانتظـــار ، انها لم تعد مريضـــة ، لقـد زايلها المرض وانكشفت عنها غمته .

وفرغت الأم من طوافها ، وقد غمرت وجهها ســـعادة قد نبعت من سويداء قلبها ، ثم اتجهت الى (مقام ابراهيم) تركع أمامه وتسجد ، وتقوم وتقعد ، وابنها لا يحول عنها عينيه ، وهو يكاد يقفز من مكانه فرحا ، ثم لم يلبث أن رفع يديه الى الله شـــكرا واعترافا بما اسبغ من فضـــل ، وبمـــا انعم من نعمـــة .

وخرجا من الحرم معا ، والأم تدب على قدمين قويتين ، واتخذت

مجلسها فى السيارة بغير مساعدة او مساندة ، وأمسك (فواز) بالمقود ثم التفت الى امه يقول ضاحكا :
ـــ لم اشتر الدواء بعد ، سأذهب لشرائه .
ـــ كلا ، لا حاجة لى به ، لم يعد بى مرض ، حمدا لله على ما أنعم وأفاد ، لعل الله قد أجرى على خاطرك ذكر هذا الطبيب لكى يحدث ما حدث وليس سواه .
وفى البيت كانت الابنة تنتظر بقلب واجف ، ولم تكد ترى أمها حتى اعتراها ما اعتري (فواز) وهو مع أمه فى رحاب الحرم ، وتطلعت اليهما تقول فى دهشة :
ـــ عجبا ، هذا من فعل الطبيب !
واعترضت الأم مستنكرة :
ـــ بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء ، ويســـــبغه على من يشاء ، لا تأتينى بعد اليوم بدواء يا بنية ، وحسبى كل يوم أن أذهب الى هذا الحرم الآمن المطمئن ففيه الدواء لكل الادواء .
قلب (فواز) وجهه بين أمه وأخته ، واتخذ لنفســـه الى جانب الأم مجلسا ، وشغله التفكير والتدبير فأخذ يناجى نفسه قائلا :
ـــ لا وجه لغرابة او استغراب ، ولا محل لعجب او دهشة ، انما هو فعل الايمان وأثره فى النفوس ، ولو خلصت النيات ، وصفت القلوب ، واتجهت الناس الى بارئهم بقلوب صافية غير مشوبة بشوائب واخلاط ، لما الم بهم مرض ، وما اعترضت حياتهم علل واوجاع ، تنغص عليهم الحياة ، وتفسد عليهم سعادتها وبهجتها .
انه الايمان ، صانع المعجزات ، لا يخفى أثره ولا ينكر فضله ، هو دواء لكل الادواء : أدواء النفس وأدواء الجسد معا .



رسالة مفتوحة

إلى مؤتمر القمة الإسلامي

• صورة من الرسالة المفتوحة التى وجهها مكتب المؤتمر الاسلامى العام فى عمان لملوك ورؤساء الدول الاسلامية ، والمتضمنة النداء لهم بنصرة الحق وازالة الخطر المحدق بالارض المحتلة والقدس خاصة •

فى حلكة هذا المنعطف التاريخى وتدافع الخطوب والاحداث التى تحيط بامة الاسلام ، نتوجه اليكم ناقلين صدى صرخات الايتام الذين حرموا عطف الابوة ، ونحيب الأمهات اللواتى فقدن الابناء ، وحيرة الأرامل اللواتى فقدن حنان الازواج ، باسم مئات الآلاف من المشردين الذين يفترشون الارض ويلتحفون السماء ، بعد أن تنكر لهم ضمير الانسانية ، حين طردوا من بيوتهم وديارهم ليفرض عليهم اللجوء والتشريد •

باسم الاسلام الذى جمعتنا عقيدته نتوجه اليكم معلقين الآمال الكبيرة على مؤتمركم الخير أن تتذكروا فى كل قرار يتخذ ومع كل بيان يصدر انصاف الحق وأهله وخذلان الباطل ومشايعيه ، خاصة وانكم تلتقون باسم الاسلام وشريعة التوحيد وبعد أن عرفت الدنيا كلها ما وقع على مقدساتنا من جراء الاحتلال اليهودى الغاشم وما آلت اليه الاوضاع فى القدس دون أن يقع فى ذهن العدو الغاصب أن القدس لها الاهمية الكبيرة لدى شعوب الاسلام ودوله ••

أيها السادة ،

حين نذكر القدس بشكل خاص ، نذكرها ونحن نغص بكلماتنا ، كقبلة اولى للمسلمين حين كانت الدعوة الاسلامية فى بدايتها تبحث لها عن هوية ولقد التزم العرب والمسلمون فى كل العصور صيانة المقدسات الدينية وتامين الوافدين لها من كل ملة ونحلة وأشاعوا فى بيت المقدس جوا من الدعة والطمانينة حتى تؤدى رسالتها المقدرة كواحة للأمن ومهدا للسلام على الارض •

وانكم لتعلمون أن القدس ليست في الكيان الاسلامي مجرد مدينة من تلك المدن الكثيرة التي تخضع لمد الزمن وجزره ، لا وليست حاضرة حبرى ترتبط بالمقدسات والذكريات التي يمكن الاستغناء عنها بغيرها ، انها تتوجود الاسلامي ــ عقيدة وحضارة وأوطانا ــ ذلك الرمز الشامخ الذي يعني بقاؤه أو زواله بقاء الكيان أو اندثاره من الوجود .

ان القدس في تاريخنا هي خط الدفاع الاخير والخندق الذي لا يجوز بعده التراجع ، فاذا ابتلعها الخطر كان على الامة الاسلامية أن تختار خيارها الحاسم بين الوجود والعدم . وها قد عادت القدس اليوم يغمرها طوفان أسود كئيب حين دخل المستعمر القزم باحات مسجد عمر وقبة الصخرة المشرفة وأخذ يعبث بالمقدسات ويغير واقع المدينة وواقع سكانها ويفرض عليها شراذم الوافدين الغرباء .

لقد قدم العدو الدليل تلو الدليل على أن هدفه المرسوم هو تدمير الكيان الاسلامي في المدينة المقدسة وفرض الوجه اليهودي الزائف عليها ، ولقد شرع منذ حرب حزيران عام (١٩٦٧) يفتعل الاسباب لتحقيق هذا الهدف ، ففي الرابع من آب من ذلك العام ، نشرت مجلة (تايم) الامريكية حوارا مع المؤرخ اليهودي (اسرائيل الداد) حول اعادة بناء هيكل سليمان فقال ((اننا نقف في مرحلة حيث كان سليمان في القدس ، أما المسجد الاقصى فهو موضوع بحث ، ولكن من يدري فقد تحدث هزة أرضية)) ، والهزة الارضية المقصودة ستاتي بفعل الحفريات التي تجرى تحت مبنى المسجد الاقصى وكان الحريق المفتعل داخل المسجد خطوة أولى نحو هدمه ، وفي الاسبوع الثالث من احتلال البقية الباقية من القدس في عام (١٩٦٧) م أصدر البرلمان اليهودي قانونا بضم القدس الشرقية الى دولة الاحتلال متحديا بذلك قراري الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٢٢٥٣) تاريخ (٤ تموز ١٩٦٧) ورقم (٢٢٥٤) تاريخ (١٤ تموز ١٩٦٧) ومنذ ذلك التاريخ أخذت سلطات الاحتلال اليهودي ترغم السكان العرب على التنازل عن ملكية أراضيهم وتطرد من يرفض الانصياع لذلك ، رغم الاحتجاجات والقرارات الدولية التي شجبت هذه التصرفات الهمجية والوسائل البربرية الصهيونية التي خطط لها وأشرف عليها زعماء اليهودية العالمية .

أيها السادة ،

تعلمون أن أول مؤتمر اسلامي عقد كان موضوعه الرئيسي ما أصاب المسجد الاقصى في القدس بعد الحريق الذي اندلع فيه على يد سلطات الاحتلال اليهودي ، وعندئذ بدأت علائم الحياة ودلائل العافية تظهر على الجسم الاسلامي للالتفاف حول العقيدة السامية ، ولا ننسى أن انعقاد مؤتمركم هذا جاء بعد العدوان اليهودي في رمضان الماضي على اخوتكم العرب فكان علاقة ايمان وتكاتف ضد الخطر المشترك وليؤكد من جديد أن أرض الاسراء هي جزء لا يتجزأ من الوطن الاسلامي لا سبيل للتخلي عنها أو التفريط في شيء منها .

وفي هذا الظرف العصيب الذى تظهر فيه المشاريع المتآمرة والتى تود نزع اسلامية القدس عنها سواء عن طريق التدويل أو التهويد ، ينعقد مؤتمركم العتيد ليعلن أن الشعوب الاسلامية لن تتنازل عن قدسها والسيادة على مقدساتها الى اى جهة كانت مهما بذلت فى سبيل ذلك ، وستبقى القدس بؤرة توتر فى العالم ما دام الوضع السائد على ما هو عليه من تنكر لحقوق الشعب المشرد والمقدسات الاسيرة .

ايها السادة ،

ازاء هذه الاحداث وما ترونه من نذر تلوح فى الاجواء الدولية تقودها الكتل والمنظمات الدولية المتصارعة ، تبرز ضرورة حيوية للتضامن الاسلامى ، ولا بد للمواقف الاسلامية من أن تزداد وضوحا فى دعمها للحق العربى وللضغط على الدول الكبرى التى تقف ظهيرة للعدوان اليهودى .

ونجد من واجب الدول الاسلامية المشاركة الفعالة فى معركة البترول الحالية لتشعر قوى الطغيان أن دعم الظلم والوقوف مع المعتدين سيكلفهم الكثير فى اقتصادهم ومالهم ومصالحهم ، وظننا أن اخوتنا فى البلاد الاسلامية كلها يشاركوننا الشعور بأن من يساند المعتدى شريك فى الجريمة ، فكيف اذا كانت الفريسة مقدسات الاسلام وقبلته الاولى كما أن الاحداث تدفعنا للمطالبة بايجاد تكتل اسلامى عسكرى ليكون الدرع الواقى والمظلة التى يقف تحت سقفها التجمع الاسلامى وقاية من الاخطار المحيطة ودفعا للضيم وازالة للاعتداء عن كل شبر من أرض الاسلام يتعرض لأى نوع من التآمر ، وأولها ازالة الحيف الذى يلف مقدساتنا فى القدس وفلسطين والذى اذا ما تهاونت الدول الاسلامية فيه ولم تفكر فى ازالة غيمته ، سيكون الباب الذى يلجه العدو الغاصب للوصول الى مدينة محمد (صلى الله عليه وسلم) والكعبة المشرفة — لا سمح الله .

راجين لمؤتمركم النجاح ولشعب باكستان المسلم — الذى حمل لواء الدعوة لهذا الاجتماع — مزيدا من القوة ليكون ظهيرا ونصيرا للاسلام وقضايا المسلمين .

((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)) .

صدق الله العظيم

المؤتمر الاسلامى العام
(لبيت المقدس)
عمان — الأردن

الفتاوى

في الأذان .. ؟

السؤال :

بعض المؤذنين يفتح الراء في التكبيرة الاولى في الأذان فيقول : الله اكبرَ ، الله أكبر ، فهل يجوز ذلك .. ؟

فهد السحيم — الاحساء

الاجابة :

يستحب أن يقف المؤذن على التكبيرة الاولى بالسكون ، ويجوز أن يصلها بالتكبيرة الثانية ، وفي هذه الحالة يجوز له اسكان الراء وتحريكها بالضم حركة اعراب وتحريكها بالفتح بنقل حركة اسم الجلالة في التكبيرة الثانية الى الراء ، وأما التكبيرة الثانية فلا بد من اسكان رائها وتحريكها خطأ .

الصلاة على النبى

السؤال :

ما معنى الصلاة في قول الله تعالى : ((ان الله وملائكته يصلون على النبى)) .. ؟

عثمان بنونه — البحرين

الاجابة :

الصلاة من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم تشريف له وزيادة تكرمة فهي رحمة خاصة ، وقيل هي ثناء منه سبحانه على حبيبه ومصطفاه ، والصلاة على النبى من الملائكة دعاء له بزيادة الانعام والاكرام .

قال ابن عباس : ان الله تبارك وتعالى يبارك لنبيه في أمره ويزيد في قدره ، والملائكة يدعون ربهم أن يرفع ذكره .

وصلاتنا على النبى صلى الله عليه وسلم طلب من الله تعالى ودعاء له أن يزيد في انعامه واحسانه وفضله على رسوله ، وما من كمال الا وعند الله أكمل منه وما من احسان الا يفوقه احسانه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

معاشرة الزوجة بعد الطلاق

السؤال :

رجل طلق زوجته ، ولم يخبرها بهذا الطلاق ، واستمر يعاشرها معاشرة الأزواج بعد وقوع الطلاق ، فهل يحل ذلك شرعا .. ؟

على الكرخى — الموصل

الاجابة :

الطلاق الذى أوقعه الزوج ان كان رجعيا ، فمماشرته لزوجته بعده اذا كانت قبل انقضاء عدتها منه شرعا كانت رجعة ، ولو لم تعلم بالطلاق ، واذا كانت بعد انقضائها ، أو كان الطـــــلاق بائنا كانت مماشرته محرمة ، ويجب التفريق بينهما ..

الطلاق قبل العدة
والطلاق بعد العدة

السؤال :

رجل طلق زوجته طلقة اولى رجعية ، واثناء العدة وقبل مراجعتها قال لها « أنت طالق مرة ثانية » ثم قال لها وهى لا تزال فى العـــدة « أنت طالق ثلاثا » فما هذا الطلاق ، وهل يختلف الحـــكم اذا كانت فى العدة أو خرجت منها .. ؟

ابو اليزيد الجمل ــ الاردن

الاجابة :

الطلاق الثانى والطلاق الثالث اللذان صدرا من المطلق والزوجة فى عدة الطلاق الرجعى الاول يقعان ، وبذلك تصبح بائنة منه بينونة كبرى ، فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره بشروطه الشرعية ، واذا صدر الطلاق الثانى والثالث بعد انقضاء العدة فلا يقعان لأن المرأة حين الطلاق لم تكن محلا للطلاق ، فيجوز العقد عليها برضاها ومهر جديد .

حكم تسعير مواد التموين

السؤال :

ما حكم الشرع فى تسعير مواد التموين وغيرها وما الحكم فى البيع اكثر من السعر المحدد .. ؟

بندر خليفة ــ الكويت

الاجابة :

تسعير المواد التموينية فى أوقات الأزمات عمل ضرورى تقتضيه المصلحة العامة لتيسير العيش لجميع الأفراد على سواء ، ويدخل ذلك فى باب السياسة الشرعية التى تجعل لولى الأمر فى مثل هذه الظروف حق التخصيص والتحديد والتسعير استنادا الى قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) وتجعل طاعته فيما يجريه فى ذلك حتما ومخالفته اثما والعقوبة عليها حقا .

وكذلك الحكم فى تسعير غيرها مما يحتاج اليه فى المعيشـــة كالملابس ومواد البناء ، ويحرم البيع بأكثر من السعر المحدد والله أعلم .

زواج المطلقة قبل الدخول

السؤال :

رجل طلق زوجته قبل الدخول بها ، فهل يحل لها أن تتزوج بآخر قبل انقضاء عدتها .. ؟

آدم فضل ــ السودان

الاجابة :

المطلقة قبل الدخول والخلوة بها تبين من زوجها ، لا عدة عليها ، ويجوز لها التزوج بآخر عقب الطلاق قال تعـــالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها » .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

وزع فى جنوب تايلاند مصحف مزور على حســـاب جماعة التبشـــير (تمجاريك)

وقد قام الحاج حسن الأستاذ بالمدرسة الحسنية فى منطقة (فطانى) بمراجعته وبيان الأخطاء الواردة فيه وفيما يلى هذا التصحيح :

السورة	الآية	الخطأ	الصـــواب
آل عمران	١٣٠	يا أيها الذيم ولهم عذاب اليم	يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا
	١٤٣	وأنتم لا يشترون	وأنتم تنظرون
	١٨٨	من العذاب آمنوا	من العذاب ولهم عذاب اليم
	١٩٩	خاشعين لله تنظرون	خاشعين لله لا يشترون
المائدة	٩٣	ليس عليك وعلى والدتك	ليس على الذين آمنوا
	١١٠	ولو عليك وعلى والدتك	اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك
الأنعام	٧٧	لأكونن ما تستعجلونه	لأكونن من القوم الضالين
	٩٨	لأكونن يفقهون	قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون
	١٠٨	فيسبعوا لله عدوا	فيسبوا الله عدوا
الأعراف	٤٦	وعلى الأعراف اجال	وعلى الأعراف رجال
النور	٥٦	لدلكم ترحمه ن	لعلكم ترحمون
يس	٦٦	لطمسنا على هذا ذكر	لطمسنا على أعينهم
الصافات	٣٩	وما تجرون ولا تزر وازرة	يرضه لكم ولا تزر وازرة
الزمر	٧	يرضه لكم الا ما كنتم	وما تجزون الا ما كنتم
المؤمن	٥٧	اخلق السموات	لخلق السموات
الزخرف	٨٠	لا نسمع مرهم	لا نسمع سرهم

بسم الله الرحمن الرحيم

MOHAMED RASSOUL, M. A.
GDS-DIPLOM
ISLAMIC INFORMATION CENTRE

الموضوع = امداد مركز الدعوة الاسلامية بالمطبوعات التعليمية باللغة الالمانية

5 Köln 80 (Dünnwald)
Leimbachweg 2
Telefon: Köln 602811

خطاب دوري موجه الى الحكومات الاسلامية
ووزارات الاوقاف والشئون الاسلامية بها
والهيئات العاملة على نشر الدعوة الاسلامية

Datum: تاريخ خاتم البريد

حضرات الاخوة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

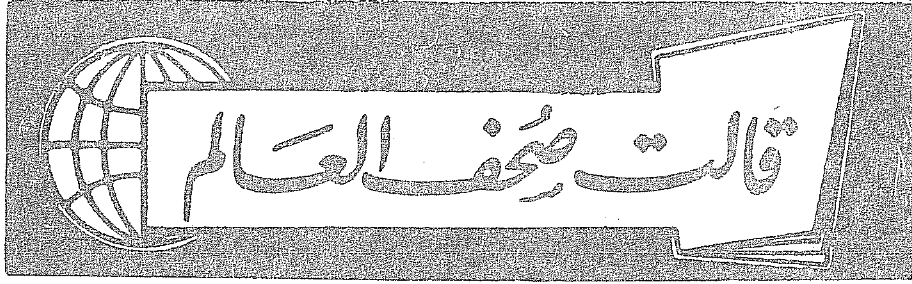
الدعوة الى سبيل الله عز وجل مفتوحة للجميع، بل هى واجب وفرض عين على كل مسلم قادر يملك العلم والوسائل لذلك الامر. وانطلاقا من هذا المبدأ الاسلامى قام محرر هذا الكتاب بتكوين مركز للدعوة الاسلامية مع بعض الاخوة الذين اكرمهم الله سبحانه وتعالى بطلاقة اللسان الالمانى وسعة العلم والحجة، فانبروا يدعون فى كل مناسبة وكل مكان، وقد لمسوا مع هذا العمل توفيق المولى عز وجل ولاقوا نجاحا بفضل الله كانوا لا يتوقعونه بهذه السرعة. فان عدد المهتمين بالاسلام يزداد يوما بعد يوم وانهدمت فى كثير من الاذهان هذه الصورة المقيتة التى شكلتها الكنيسة عن الاسلام والمسلمين منذ العصور الوسطى.

لقد اصبحت حاجتنا ماسة الى مطبوعات مختلفة باللغة الالمانية توضح الصلاة والزكاة والحج والصوم واحكام العبادات بصفة عامة وارشادات عن احكام الاسلام وشرح لتعاليمه الى اخر هذه الكتيبات التعليمية.
كذلك نحن فى حاجة الى مراجع اسلامية باللغة العربية ذات قيمة علمية للاستناد اليها فى البحث والتوسع فى اقراع الحجة بالحجة.
واننا لكبيرى الامل عند الله سبحانه وتعالى ان تقضى حاجتنا على اياديكم وتتكرموا بارسال مافى وسعكم وطاقتكم من كتب ومطبوعات على العنوان التالى

Mr. Mohamed Rassoul
Islamic Information Centre
5 Cologne 80, Leimbachweg Nr. 2
Western Germany

نتقدم اليكم بالشكر سلفا وندعو الله ان يجزيكم عنا خير الجزاء ويوفقكم الى مايحبه ويرضاه.

محمد رسول
مركز الدعوة الاسلامية بالمانيا الغربية



الايمان طريقنا الى النصر بحول الله

ليس النصر فى معركة من المعارك فى تاريخ الأمة الاسلامية الا ثمرة للجهود ، وليس هو الأصل أو الهدف كما علمنا الاسلام فى تاريخه المجيد ، وان دراسة التاريخ الاسلامى الاول تدل على أن عددا كبيرا من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بذلوا نفوسهم فى سبيل اعلاء كلمة الحق ، وتطبيق تعاليم النبى صلى الله عليه وسلم ونالوا الشهادة فى سبيلها ، ولم تشهد عيونهم بوادر النصر ، ولكن السنتهم كانت تلهج (فزت ورب الكعبة) ان هذا الايمان بوعد الله ونصره والشوق الى الشهادة فى سبيل الله هو الطريق المضمون المجرب لتحقيق النصر ، وما النصر الا من عند الله .

اننا لا ننظر الى معركة العاشر من رمضان من ناحية الاعتبارات العسكرية والمنجزات الحربية ، بكل تقدير واعتراف بالنصر الذى اعترف به وحتى الدوائر الغربية ــ وانما ننظر الى الاساسيات التى حققت هذا التقدم فى النضال وبوادر الامل والتفاؤل التى ابرزتها الحرب ، وكل ما حقق العرب فى هذا المجهود الحربى كان نتيجة لتغيير أساسى فى الفكر وتحول جذرى فى طبيعة الاستعداد والتنفيذ ، وتغير فى مصدر الكفاح ومنبع القوة ، فاذا سارت القيادة العربية فى الطريق الذى اكتشفته فى الحرب فانى واثق بأنها ستواصل النصر .. وتحقق النصر النهائى مهما تكاثفت قوى العدوان .

انى أريد أن أوضح لا أومن بالدعم الأمريكى أو الدعم السوفياتى ، فانهما يمكن أن يكونا عاملين من العوامل ، ولكن المسلمين حطموا أسطورة الدعم فى معركتهم الأولى فى بدر ، فانتصر المسلمون رغم القلة ، واجهوا نكسة فى حنين رغم الكثرة ، فيختلف فى ذلك نظر المسلمين عن نظر غيرهم اختلافا جوهريا وعلى هذا الأساس يقوم صرح مجدهم ويستمدون منه قوتهم وانطلاقهم .

عن صحيفة الرائد الهندية

في سبيل الاصــلاح

ضمني بالامس مجلس مع طائفة من الناس الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم ، قضينا فيه ساعتين من الزمن ، تحدث فيه الحاضرون أحاديث لا تفيد في دنيا ولا في دين ، لا تخرج عن كونها كلاما غثا تافها ، وكلمات مهلهلة تذهب مع الريح ولا يبقى لها اثر في النفس ، وهي الى ذلك لا تخلو من الطعن بالناس وذكر معايبهم ومثالبهم وتوجيه سهام النقد اليهم بالحق حينا وبالباطل احيانا .

فقلت في نفسي لو ان أمثال هؤلاء عرفوا ما للوقت من قيمة ، وان كل ساعة تنقضي من عمر أحدهم تضيع عليه وانه مسؤول عنها ، وان كلامه محسوب عليه (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) أو أنهم عرفوا ذلك لما أضاعوا ساعات اعمارهم في اللغو الباطل والكلام الفارغ ، فالمؤمن اليقظ العاقل لا يتحدث الا بما ينفعه ولا يحضر الا المجالس التي تزيده علما وتمنحه خلقا وأدبا وتكسبه نفعا في أمور دينه وفي مصالح دنياه ، وهو مأمور بترك اللغو وهو الساقط من القول الذي لا خير فيه ولا نفع ، لان الانسان العاقل انما يتكلم لجلب منفعة أو لدفع مضرة فاذا خلا عنهما كان كلامه عبثا لا طائل تحته وقد وصف الله سبحانه عباده المؤمنين بقوله «والذين هم عن اللغو معرضون » وبقوله« واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه» وربما كان اللغو وبالاعلى صاحبه ، لانه لا يخلو من عبث وكذب وغيبة وبذاءة

وورد في الحديث أنه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس ، من بينها (عن عمره فيم أفناه) وأيام عمر المؤمن محسوبة له أو عليه ، فهــو يستفيد منها ويشغلها بالخيرات والعبادة وطلب العلم والنصيحة والكسب الحلال والحديث النافع ، وقد ورد في الاثر من حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ، يعني أن ما ينطق به اللسان معدود من العمل ويكتب في الحسنات أو في السيئات وهذا ما يشير اليه الحديث الشريف (وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد السنتهم ؟) قال تعالى (لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) واللسان يورد صاحبـــة موارد العطب ، ومن حفظ لسانه اراح نفسه ، ويروى عن الامام مالك بن أنس رحمة الله انه قال كل شيء ينتفع بفضله — أي بزيادته — الا الكلام فان فضله يضر ، وقال الفضل بن عياض شيئان يقسيان القلب كثرة الكلام وكثرة الاكل . .

ونختم حديثنا بان ننصح القراء ان يختاروا الموضوعات النافعة عنــدما يتحدثون في مجالسهم ، فمن كان منهم يحفظ قصة طريفة ذات مغزى أو خبرا طريفا وصحيحا من أخبار التاريخ ، أو رأيا من الآراء الأدبية أو العلمية النافعة التي تصلح موضوعا للنقاش الهادىء المثمر فليحدث بها أخوانه وأن كان لا يحسن شيئا من ذلك فليكن مستمعا مستفيدا . .

عن صحيفة الدعوة السعودية

بأقلام القراء

كيف يتكرر جيـــل الصحابة من جديد ؟

لقد خرجت هذه الدعوة جيــلا من الناس ــ جيل الصــحابة رضوان الله عليهم ــ جيلا مميزا فى تاريخ الاسلام كله وفى تاريخ البشرية جميعه ثم لم تعد تخرج هذا الطراز مرة أخرى . . نعم وجد أفراد من ذلك الطراز على مدار التاريخ ولكن لم يحدث قط أن تجمع مثل ذلك العدد الضخم فى مكان واحد ، كما وقع فى الفترة الأولى من حيـــاة هذه الدعوة .

هذه ظاهرة واضحة واقعة ، ذات مدلول ينبغى الوقوف امامه طويلا ، لعلنا نهتدى الى سره .

ان قرآن هذه الدعوة بين أيدينا ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه العملى وسيرته الكريمة ، كلها بين أيدينا كذلك ، كما كانت بين أيدى ذلك الجيل الأول ، الذى لم يتكرر فى التاريخ ، ولم يغب الا شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل هذا هو السر ؟

لو كان وجود شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم حتميا لقيام هـــذه الدعوة ، وايتائها ثمراتها ، ما جعلها الله دعوة للناس كافة . وما جعلها آخر رسالة ، وما وكل أمر الناس فى هذه الأرض الى آخر الزمان .

ولكن الله سبحانه تكفل بحفظ الذكر ، وعلم ان هذه الدعوة ستقوم بعـــد رسول الله صلى الله عليه وسلم وستؤتى ثمارها فاختاره الى جواره بعد ثلاثة وعشرين عاما من الرسالة ، وأبقى هذا الدين من بعده الى آخر الزمان . . واذن فان غيبـــة شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفسر تلك الظاهرة ولا تعللهـــا .

فلنبحث اذن وراء سبب آخر . لننظر فى النبع الذى كان يستقى منه هذا الجيل الأول فلعل شيئا قد تغير فيه . ولننظر فى المنهج الذى تخرجوا عليه فلعل شيئا قد تغير فيه كذلك .

كان النبع الأول الذى استقى منه ذلك الجيل هو نبع (القرآن) القرآن وحده . فما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه الا اثرا من آثار ذلك النبع . فعندما سُئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : (كان خلقه القرآن) .

كان القرآن وحده اذن هو النبع الذى يستقون منه ويتكيفون به ويتخرجون عليه ، ولم يكن ذلك كذلك لأنه لم يكن للبشرية يومها حضارة ولا ثقافة ولا علم ولا مؤلفات ولا دراسات . .

كلا . . فقد كانت هناك حضارة الرومان وثقافتها وكتبها وقانونها الذى ما تزال أوربا تعيش عليه ، أو على امتداده . وكانت هناك مخلفات الحضـــارة

الاغريقية ومنطقها وفلسفتها وفنها ، وهو ما لا يزال ينبوع التفكير الغربى حتى اليوم . وكانت هناك حضارة الفرس وفنها وشعرها وأساطيرها وعقائدها ، ونظم حكمها كذلك .. وحضارات أخرى قاصية ودانية .. كما كانت اليهودية والنصرانية تعيشان فى قلب الجزيرة .

فلم يكن إذن عن فقر فى الحضارات العالمية والثقافات يقصر ذلك الجيل على كتاب الله وحده .. فى فترة تكوينه .. وانما كان ذلك عن (تصميم) مرسوم ونهج مقصود . يدل على هذا القصد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى فى يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه صحيفة من التوراة وقوله : « .. وانه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعنى » .

وإذن فقد كان هناك قصد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقصر النبع الذى يستقى منه ذلك الجيل .. فى فترة التكوين الأولى على كتاب الله وحده ، لتخلص نفوسهم له وحده ، ويستقيم عودهم على منهجه وحده . ومن ثم غضب أن رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستقى من نبع آخر .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد صنع جيل خالص القلب خالص العقل ، خالص التصور ، خالص التكوين من أى مؤثر آخر غير المنهج الإلهى ، الذى يتضمنه القرآن الكريم .

ذلك الجيل استقى إذن من ذلك النبع وحده . فكان له فى التاريخ ذلك الشأن الفريد ، ثم ماذا حدث ؟ اختلطت الينابيع !

صبت فى النبع الذى استقى منه الأجيال التالية فلسفة الاغريق ومنطقهم ، وأساطير الزمن وتصوراتهم واسرائيليات اليهود ولاهوت النصارى . وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات .

واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم ، وعلم الكلام ، كما اختلط بالفقه والأصول أيضا . وتخرج على ذلك النبع المشوب سائر الأجيال بعد ذلك الجيل . فلم يتكرر ذلك الجيل أبدا .

وما من شك أن اختلاط النبع الأول كان عاملا أساسيا من عوامل ذلك الاختلاف البين بين الأجيال كلها وذلك الجيل المميز الفريد .

هناك عامل أساسى غير اختلاف طبيعة النبع . ذلك هو اختلاف منهج التلقى عما كان عليه فى ذلك الجيل الفريد .

إنهم فى الجيل الأول لم يكونوا يقربون القرآن بقصد الثقافة والاطلاع . ولا بقصد التذوق والمتاع . إنما كان احدهم يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله فى خاصة شأنه وشأن الجماعة التى يعيش فيها وشأن الحياة التى يحياها هو وجماعته . يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه ، كما يتلقى الجندى فى الميدان الأمر اليومى ليعمل به فور تلقيه ومن ثم لم يكن أحدهم ليستكثر منه فى الجلسة الواحدة ، لأنه كان يحس أنه انما يستكثر من الواجبات التكاليف التى يجعلها على عاتقه . فكان يكتفى بعشر آيات حتى يحفظها ويعمل بها . كما جاء فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه .

هذا الشعور .. شعور التلقى للتنفيذ .. كان يفتح لهم من القرآن آفاقا من المتاع ، وآفاقا من المعرفة لم تكن لتفتح عليهم لو أنهم قصدوا اليه بشعور البحث والدراسة والاطلاع ، وكان ييسر لهم العمل ويخفف عنهم ثقل التكاليف ،

ويخلط القرآن بذواتهم ، ويحوله فى نفوسهم وفى حياتهم الى منهج واقعى والى ثقافـــة متحركة لا تبقى داخل الأذهان ولا فى بطون الصحائف ، انما تتحـــول آثارا وأحداثا تحول خط سير الحياة .

ان هذا القرآن لا يمنح كنوزه الا لمن يقبل عليه بهذه الروح . روح المعرفة المنشئة للعمل . انه لم يجىء ليكون كتاب متاع عقلى ، ولا كتاب أدب وفن ، ولا كتاب قصة وتاريخ ، وان كان هذا كله من محتوياته انما جاء ليكون منهاج حياة . منهاجا اليها خالصا (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) الاسراء : ١٠٦ .

لم ينزل هذا القرآن جملة ، انما نزل وفق الحاجات المتجددة ، ووفق النمو المطرد فى الأفكار والتصورات ، والنمو المطرد فى المجتمع والحيـــاة .. ووفق المشكلات العملية التى تواجهها الجماعة المسلمة فى حياتها الواقعية . وكانت الآية أو الآيات تنزل فى الحالة الخاصة والحادثة المعينة تحدث الناس عما فى نفوسهم ، وتصور لهم ما هم فيه من الأمر ، وترسم لهم منهج العمل فى الموقف ، وتصحح لهم أخطاء الشـعور والسلوك ، وتربطهم فى هذا كله بالله ربهم ، وتعرفه لهم بصفاته المؤثرة فى الكون .

فيحسون حينئذ أنهم يعيشون مع الملأ الأعلى ، تحت عين الله ، فى رحاب القدرة . ومن ثم يتكيفون فى واقع حياتهم وفق ذلك المنهج الإلهى القويم . منهج التلقى للتنفيـــذ والعمل هو الذى صنع الجيل الأول . ومنهج التلقى للدراسة والمتاع هو الذى خرج الأجيال التى تليه . وما من شك أن هذا العامل الثانى كان عاملا أساسيا كذلك فى اختلاف الأجيال كلها عن ذلك الجيل المميز الفريد .

هناك عامل ثالث جدير بالانتباه والتسجيل ،لقد كان الرجـــل حين يدخل الاسلام يخلع على عتبته كل ماضيه فى الجاهلية . كان يشعر فى اللحظة التى يجىء فيها الى الاسلام أنه يبدأ عهدا جديدا منفصلا عن حياته التى عاشهـــا فى الجاهليـــة .

وكان يقف من كل ما عهده فى جاهليته موقف المرتاب الشـــك الحـــذر المتخوف ، الذى يحس أن كل هذا رجس لا يصلح للاسلام .

فاذا غلبته نفسه مرة . واذا اجتذبه عاداته مرة . واذا ضعف عن تكاليف الاسلام مرة .. شعر فى الحال بالإثم والخطيئة ، وأدرك فى قرارة نفسه أنه فى حاجة الى التطهر مما وقع فيه . وعـــاد يحاول من جـــديد أن يكون على وفق الهدى القرآنى ..

كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضى المسلم فى جاهليته وحـــاضره فى اسلامه .

واخيرا يجب أن يضع كل منا فى اعتباره أن هدفنا الأول أن نعرف : ماذا يريد منا القرآن أن نعمل ؟ ما هو التصور الكلى الذى يريد منا أن نتصـــور ؟ كيف يريد القرآن أن يكون شعورنا بالله ؟ كيف يريد أن تكون أخلاقنا وأوضاعنا ونظامنا الواقعى فى الحيـــاة ؟

مصطفى أحمد حسن

أخبار العالم الاسلامي

اعداد : الأستاذ فهمى الامام

الكـــويت :

● يرأس سمو أمير البلاد المعظم وفد الكويت الى مؤتمر القمـــة الاسلامى المنعقد حاليا فى لاهور .

● زار البلاد فى الشهر الماضى بعض كبار الشخصيات العربية والاسلامية من بينهم رئيس جمهورية مصر العربية ورئيس الجمهورية العربية السورية ورئيس المجلس الأعلى لجمهـــورية الصومال الديمقراطية .

● أعلنت وزارة التربيـــة النتـــائج النهائية لمسابقة القرآن الكريم ، وقد حصل ٧٢ طالبا وطالبة على جوائز ماليـــة .

مصـــر :

● وافقت ادارة الأزهر على السماح لخريجـــات كلية البنات الاســـلامية بدخول مسابقة مبعوثى الأزهر الى البلاد العـــربية والاسلامية ، وذلك للعمل كمدرسات ومرشدات دينيـــات ورائدات اجتماعيات .

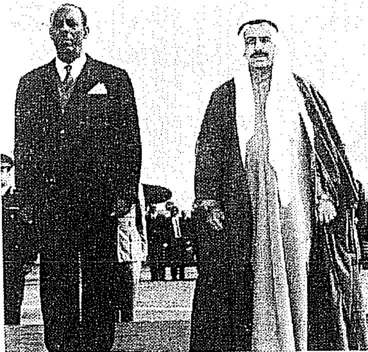
● بحث الدكتور عبد العـــزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينيـــة مع السيد ياسر عرفات قضية عروبة



● صاحب السمو ورئيس جمهوريـــة مصر العربية يتبادلان وجهات النظر .



● صاحب الســـمو الأمير المعظم ورئيس الجمهورية العربية السورية فى قصر السلام .



● صاحب السمو الأميـــر المعظم والرئيس الصـــومالى على منصـــة الشرف أثناء عـــزف السلامين الصومالى والكويتى .

مدينــة القــدس وتعبئة الطــاقات الاسلامية للدفاع عنها وتحريرها .

● يعقد فى القاهرة اجتماع للخبراء العســكريين العــرب وذلك لبحث مشروع انشاء قاعدة عربية متطــورة للصناعات الحربية .

الســعودية :

● يقوم وفد رابطة العالم الاسلامى بزيارة الصــومال ، ويجرى الوفــد سلسلة من المباحثات واللقاءات تتعلق بالقضايا الاسلامية ، ودعم الصلات الأخوية بين المسلمين .

● اقترح وزير التجارة الســعودى انشاء معرض إسلامى فى جدة .

فلســـطين :

● بلغ عدد الجمعيات الخيرية داخل الأرض المحتلة ١٧٥ جمعية .. مهمتها مســاعــدة المواطنين الفلســطينيين تدعيما لصــمودهم ، ومحافظة على أراضــيهم ، وتقــدم القــروض والمساعدات المجانية لهم .

● اخبار متفرقة ●

الجــابون :

● أعلن الرئيس الغابونى الحاج عمر بونغو موافقته على افتتاح مكتب جديد لرابطة العالم الاسلامى فى غابون . يكون مقره فى العاصــمة ليبرفيل ، وتنطلق منه الدعوة الاســلامية فى ساحل افريقيا الغربى .

هولنــده :

● يبلغ عدد المسلمين فى هولنــده حوالى (٣٠) الفا ، تشــكلت لهــم جمعيــة اسلامية تهــدف الى تعبئة جهودهم لخدمة الدعوة الاسلامية .

باكســتان :

● يعقد مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهور .. ويحضره أكثر من ٣٠ دولة اسلامية .

● وضعت باكستان مشروعا لانشاء مؤسســة للعــلوم الاسلامية تقــوم بتمويل عدد من مراكز الأبحاث وتدريب العلماء والفنيين فى العالم الاسلامى .

ميونيــخ :

● أفتتح فى مدينة ميونيخ مســجد جديد يضم مكتبة وقاعة واستراحة .. والمسجد يخدم (٣٠) الف مسلم فى ميونيخ .. وهو سادس مسجد فى المانيا الغربيــة .

اليــابان :

● تصدر رابطــة المسلمين اليابانيين نشرة باسم « صوت الاسلام » باللغة اليابانيــة مع ملخصــات باللغـــة الانجليزية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	صفر ١٣٩٤	فبراير ١٩٧٤	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
السبت	١	٢٣	٤٥٠	٦٢٠	١٢١	٣١٩	٥٤٢	٧٠٠	١١ ٨	١٢٣٨	٩١٩	٩٣٤	١١٨
الاحد	٢	٢٤	٤٩	١٩	١	١٧	٤٣	١	٦	٣٦	١٨	٣٤	١٨
الاثنين	٣	٢٥	٤٨	١٨	١	١٧	٤٤	٢	٤	٣٤	١٧	٣٣	١٨
الثلاثاء	٤	٢٦	٤٧	١٧	١	١٧	٤٤	٢	٣	٣٣	١٧	٣٣	١٨
الاربعاء	٥	٢٧	٤٦	١٦	١	١٨	٤٥	٣	١	٣١	١٦	٣٣	١٨
الخميس	٦	٢٨	٤٥	١٥	١	١٨	٤٦	٤	١٠٥٩	٢٩	١٥	٣٢	١٨
الجمعة	٧	مارس	٤٤	١٤	٠٠	١٨	٤٦	٤	٥٨	٢٨	١٤	٣٢	١٨
السبت	٨	٢	٤٣	١٣	٠٠	١٩	٤٧	٥	٥٦	٢٦	١٣	٣٢	١٨
الاحد	٩	٣	٤٢	١٢	٠٠	١٩	٤٨	٦	٥٤	٢٤	١٢	٣١	١٨
الاثنين	١٠	٤	٤١	١١	٠٠	١٩	٤٨	٦	٥٣	٢٣	١٢	٣١	١٨
الثلاثاء	١١	٥	٤٠	١٠	٠٠	٢٠	٤٩	٧	٥١	٢١	١١	٣٠	١٨
الاربعاء	١٢	٦	٣٩	٩	٠٠	٢٠	٥٠	٨	٤٩	١٩	١٠	٣٠	١٨
الخميس	١٣	٧	٣٨	٨	٠٠	٢٠	٥١	٩	٤٧	١٧	٩	٣٠	١٨
الجمعة	١٤	٨	٣٧	٧	١٥٩	٢٠	٥١	٩	٤٦	١٦	٨	٢٩	١٨
السبت	١٥	٩	٣٦	٦	٥٩	٢١	٥٢	١٠	٤٤	١٤	٧	٢٩	١٨
الاحد	١٦	١٠	٣٥	٥	٥٩	٢١	٥٢	١٠	٤٣	١٣	٧	٢٩	١٨
الاثنين	١٧	١١	٣٤	٤	٥٩	٢١	٥٣	١١	٤١	١١	٦	٢٨	١٨
الثلاثاء	١٨	١٢	٣٣	٣	٥٩	٢١	٥٤	١٢	٣٩	٩	٥	٢٨	١٨
الاربعاء	١٩	١٣	٣٢	٢	٥٨	٢١	٥٤	١٢	٣٨	٨	٤	٢٧	١٨
الخميس	٢٠	١٤	٣١	١	٥٨	٢٢	٥٥	١٣	٣٦	٦	٣	٢٧	١٨
الجمعة	٢١	١٥	٣٠	٥٥٩	٥٨	٢٢	٥٦	١٤	٣٤	٤	٢	٢٦	١٨
السبت	٢٢	١٦	٢٨	٥٨	٥٧	٢٢	٥٦	١٤	٣٢	٢	١	٢٦	١٨
الاحد	٢٣	١٧	٢٧	٥٧	٥٧	٢٢	٥٧	١٥	٣٠	٠٠	٠٠	٢٥	١٨
الاثنين	٢٤	١٨	٢٦	٥٦	٥٧	٢٢	٥٨	١٦	٢٨	١١٥٨	٥٥٩	٢٥	١٨
الثلاثاء	٢٥	١٩	٢٥	٥٥	٥٧	٢٢	٥٨	١٦	٢٧	٥٧	٥٩	٢٤	١٨
الاربعاء	٢٦	٢٠	٢٤	٥٣	٥٧	٢٣	٥٩	١٧	٢٥	٥٥	٥٨	٢٤	١٨
الخميس	٢٧	٢١	٢٢	٥٢	٥٩	٢٣	٥٩	١٧	٢٣	٥٣	٥٧	٢٣	١٨
الجمعة	٢٨	٢٢	٢١	٥١	٥٦	٢٣	٩٠٠	١٨	٢١	٥١	٥٦	٢٣	١٨
السبت	٢٩	٢٣	٢٠	٥٠	٥٦	٢٣	١	١٩	١٩	٤٩	٥٥	٢٢	١٨
الاحد	٣٠	٢٤	١٨	٤٨	٥٥	٢٣	١	١٩	١٧	٤٧	٥٤	٢٢	١٨

أم المؤمنين
السيدة عائشة رضى الله عنها

اسمها : عائشة بنت أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأمها : أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية .

مولدها : ولدت بعد البعثة بأربع سنين فى مكة .

كنيتها : كناها الرسول بأم عبد الله .. نسبة الى عبد الله بن الزبير — ابن أختها — .

زواجها : كانت أول من تفتح لها قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة السيدة خديجة رضى الله عنها بثلاث سنين . وهى الوحيدة التى تزوجها الرسول بكرا . عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بنت ست سنوات ودخل بها فى المدينة وهى بنت تسع سنوات ، وكان ذلك فى شوال من السنة الأولى للهجرة .

روايتها للحديث : كانت راوية حافظة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين .. وكانت ذات أثر عميق فى نشر تعاليم الاسلام .. وكانت عالمة بالحديث والفقه وعلم الفرائض .

فقد عاشت عائشة لتكون المرجع فى الحديث والسنة . وليأخذ المسلمون عنها نصف دينهم .

مكانتها : كانت أثيرة عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما نزل به المرض دعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض فى بيتها فأذن له أن يكون حيث أحب .. وتوفى فى بيتها ..

تقول عائشة رضى الله عنها : « أعطيت خلالا ما أعطيتها امرأة : ملكنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا بنت سبع ، وأتاه الملك بصورتى فى كفه لينظر اليها ، وبنى بى لتسع ، ورأيت جبرائيل ، وكنت أحب نسائه اليه ، ومرضته فقبض ولم يشهده غيرى والملائكة » .

وفاتها : توفيت عائشة أم المؤمنين فى السادسة والستين من عمرها بالمدينة المنورة فى ١٧ رمضان سنة ٥٧ هـ . ودفنت بالبقيع . وصلى عليها أبو هريرة . رحمها الله ورضى عنها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

المغـــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧) .

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الأعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

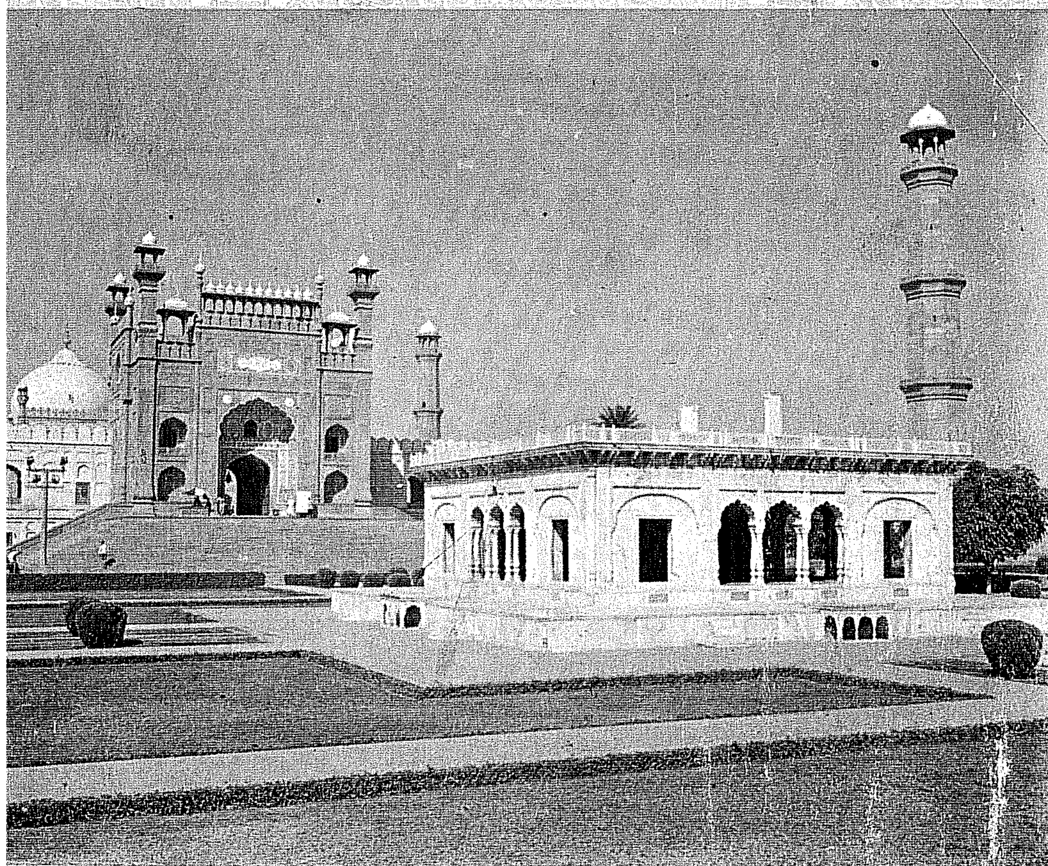
اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

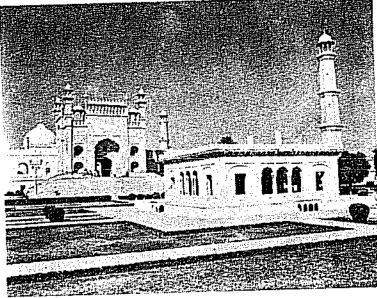
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة العاشرة — العدد ١١١ — غرة ربيع الأول ١٣٩٤ هـ — مارس ١٩٧٤



وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ



مسجد شاه جيهان بمدينة شاتا ــ باكستان

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشر

العـــدد ١١١

غرة ربيع الأول ١٣٩٤ هـ

مارس ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت فى غــرة كل شـــهر عــربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الأفراد فيشـــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

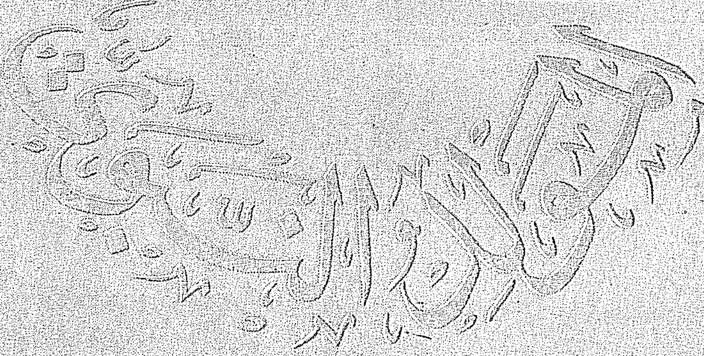
الـــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العــراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـــئون الاســـلامية

صـــندوق بريد : ١٣ ــ كـــويت ــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم



وذكرى إعلان حقوق الإنسان ..

منذ بضع سنوات دق الهاتف فكان المتكلم كبيرا مسئولا فى هيئة الأمم المتحدة من احدى دول امريكا اللاتينية ، قال : انه سمع سفير أندونيسيا بالأمس فى خطاب القاه على أحد المحافل الدولية يسوق آية ذكر أنها من القرآن الكريم وفيها يخاطب الله عباده بأنه خلقهم جميعا من أصل واحد وانه لا فضل لأحد على آخر الا بالعمل الصالح ، ثم قال هذا المتحدث إنه حاول العثور على هذه الآية فى النسخة القرآنية التى بيده ، وهى باللغة الاسبانية ترجمة عن الأصل العربى فلم يجدها ، فأدركت انها الآية التى تقول : **((يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير))** فدللته على موضعها من الكتاب الكريم وذكرت له أنها الآية رقم ١٣ من السورة رقم ٤٩ (سورة الحجرات) ، فقلب صفحات الكتاب الذى بيده ، ثم صاح مسرورا وقال انه قد عثر عليها ، ثم صار يترجم ما يقرؤه من الاسبانية الى الانجليزية ليطمئننى على أنها الآية التى يتطلبها ، وأبدى اعجابه من أن يشتمل هذا الكتاب الكريم الذى أوحى به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا على هذه التعاليم الانسانية الجليلة قبل صدور اعلان حقوق الانسان فى العصر الحديث .

ذكرت ذلك الحادث فى الشهور القليلة الماضية حيث احتفلت هيئة الأمم المتحدة واحتفل العالم معها بالعيد الفضى لاعلان حقوق الانسان ، اعنى تلك الوثيقة التاريخية التى صاغتها هيئة الأمم ووافقت عليها وأوصت وصاة مؤكدة أن تعمل جميع الدول الأعضاء بمقتضى هذه الوثيقة ، وكان اعلانها فى العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ ، واعتبر اعلانها حجر زاوية فى تاريخ

الانسانية لما اشتملت عليه من وصايا انسانية جليلة ، والوثيقة ــ كما هو معلوم ــ تحتوى على ثلاثين مادة ، ولكنها كلها تدور حول مبدأ المســـاواة وكرامة الانسانية ، ومبدأ حــرية الفرد ، وسائر موادها تدور حــول هذين المبدأين أو ترجع إليهما .

وقبل مقدم تاريخ تلك الذكرى بأشـــهر ، اهتمت هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها الفنية المختلفة باعداد العدة للاحتفال بالذكرى ، فعقدت الاجتماعات وتبودلت المذكرات ونشرت المقالات ، والقيت الاحاديث ، ولا نزال نقرأ وتصلنا المقالات والوثائق الخاصة بهذه المناسبة .

ثم ذكرنى بالحــادث الذى سقته أول هذا المقــال مقــدم المولد النبى الشريف ، مولد الهدى والنور ، مولد اعلان الحقوق الانسانية اعلانا تاما كاملا شاملا صحيحا ، وجذبنى ذلك كله الى التأمل ومقارنة ما ورد بهذه الوثيقة وخاصة من حيث هذه المبادىء المذكورة ، وما جاء محمد بن عبد الله فى القرن السادس الميلادى ، فى زمن أهدرت فيه كرامة الفرد ، وفشــا فيه الظلم والجهــل والبغى والفســاد ، ولفت نظــرى الى ذلك بالأكثر ما ورد بالخطب والأحاديث والمناقشات والمقالات فى هذا الصدد ، اذ كان أكثرها نقدا مرا لما عليه وضع الانسان الحالى ، وفشل الأمم فى تطبيق نصوص هذا الميثاق ، فقد ذكروا أن العالم لا يزال يعانى من ويلات الحروب أو من الخوف منها ، ولا تزال السجون مشحونة بالابرياء ، ويعامل أسرى الحرب معاملة وحشية غليظة ، فتخلع أظافرهم وتكوى جلودهم ويغمسون فى المـــاء أو يعلقون فى الهواء بعد طول الحرمان من النوم والطعام والشراب لإكراههم على الإدلاء بمعلومات فى صالح جلاديهم ، بل تعذب أطفالهم ويعتــدى على حرمهم أمام أعينهم من أجل ذلك ، وقالوا : لا يزال القوى يعتـــدى على الضعيف ، ولا تبالى الدول الكبرى بمصالح الدول الصــــغرى ، ولا تزال الانسانية تعانى من التفرقة العنصرية المريرة . الى غير ذلك مما يتنافى مع الكرامة الانسانية ويتعارض مع نص اعلان الحقوق الانسانية .

وهكذا كان تقييم المختصين لأثر اعلان حقوق الانسان سلبيا ، فلم يحقق هذا الاعلان ما توقع له الناس من نجاح ، فلم يغير وجه التاريخ ولم يسهم فى تقدم الانسانية شيئا يذكر .

كل هذا أحضر فى الذهن مزايا تعاليم الرسول وفضل هدى ديننـــا الحنيف ، وإذا كانت الامم تهتم بتخليد عظمائها وتجدد ذكرى كفاحهم بالاحتفال بأعياد ميلادهم ، فالرسول الكريم ــ خير البشر وسيد الأنبيــاء وأفضــل المصلحين ــ الأجدر بالخلود ، وتعاليمه وهديه أولى بالمذاكرة والمراجعة ، وبيان مزاياها وفضلها ، وخاصة فى مناسباتنا الدينية من مثل مولده الكريم الذى نحتفل به هذه الأيام .

لقد سبق هدى الرسول صلى الله عليه وآله وســـلم معلنا حقوق الانسان قبل أن تعلنها الوثيقة الحديثة عام ١٩٤٨ بقرون طويلة ، والواقع أن اعلان حقوق الانسان لم يأت بشىء لم ينطو عليه كتاب الله أو ســـنة رسوله ، ولقد رأينا كيف دهش المسئول الكبير بهيئة الأمم المتحــدة عندما رأى

ان اعلان مبدأ المساواة والكرامة قد عبر عنه كتابنا الكريم بأعلى أسلوب وأبلغه قبل اعلان المساواة في وثيقة حقوق الانسان بأكثر من ثلاثة عشر قرنا ، واعلان المساواة بالوثيقة الحديثة الفاظ بدون روح وعبارات لا يصحبها الايمان ، أما ما ورد بالكتاب العزيز عن المساواة والكرامة فهى تعاليم مؤكدة من لدن الخالق المبدىء .

يعبر الكتاب الكريم عن المساواة بوحدة الأصل ، أى كون مصدر الجميع واحدا ، ذكرا وأنثى ، ويكرر ذلك الكتاب العزيز بأسلوب آخر فيقول : ((**والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا**)) ويقول : ((**منهـا خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**)) ويقول : ((**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين**)) ، ويحرم التمييز والتفرقة فيقول : ((**.. ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله**)) ويقول : ((**والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادّى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء**)) ، ويقول الرسول الكريم : ((الناس سواسية كأسنان المشط)) .

أما مبدأ الكرامة الانسانية واحترام الفرد ذكرا كان أو أنثى ، فيتجلى فى جعل الله الانسان خليفة فى الارض ، وأمره الملائكة بالسجود لآدم ، وتفضيل بنى آدم على العالمين ، قال سبحانه : ((**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**)) ويقول : ((**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**)) ، وقال : ((**لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم**)) ، ويقول سبحانه : ((**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**)) ثم ان الاسلام حض على اكرام الضعيف ونهى عن الاهانة حتى حين اعطاء الصدقات فقال : ((**قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى**)) ، كما حث على اكرام الأسير وعتق الرقاب وجعل ذلك من أعظم الحسنات وكفارة عند ارتكاب بعض السيئات ، وحض الناس على أن يطعموا من تحت يدهم مما يطعمون ويكسوهم مما يكسون ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : ((اخوانكم خولكم)) .

فغرس الاسلام بتعاليمه الرشيدة مبدأ المساواة الانسانية وكرامة الفرد فى نفوس المسلمين حيث أعلن عن ذلك الخالق الذى يؤمنون به ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، لذلك يلتقى المسلم بأخيه المسلم وقد قدما من بلدين بينهما آلاف الأميال فلا يعنيه شكله ولا لونه وانما يعنيه أنه يشاركه ايمانه بالله ورسوله ويشاركه الاعتقاد بمبدأ الوجود ومصير الوجود وما يتفرع عن ذلك من قيم ومثل : ولقد طبق الرسول صلوات الله وسلامه عليه وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده هذه المبادىء تطبيقا واقعيا عمليا ، فكان الرسول نفسه — رغم عظيم فضله وارتفاع منزلته فوق العالمين — يجلس حيث ينتهى به المجلس ، ورضى من الدنيا بالقليل ، وقال : ((انما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة)) ، وقال : ((سلمان منا آل البيت)) ، واختار عتيقا حبشيا ليكون مؤذنه ، ولو أطلقنا العنان لما أثر عن كبار الصحابة والراشدين فى هذا الصدد لطال الكلام وضاق بنا المقام .

فما جاء به الاسلام من المساواة والعدالة والكرامة الانسانية هى

مبادىء مشتقة من الايمان بالله كما ذكرنا ، مبادىء صريحة صادقة فعالة ، ولا تعانى البيئة الاسلامية حتى اليوم ـ بالرغم مما حل بها من الفساد على مر الدهور ـ مما تعانى منه البيئة الغربية من مشاكل عنصرية عميقة المدى ، تتنكر فى كثير من الأحيان للانسانية ، وتفرق بين الأبيض والأسود والغربى والشرقى والرجل والمرأة ، كما تتجاهل كثيرا حق الفرد من الكرامة والمعاملة الحسنة العادلة .

اما مبدأ الحرية الفردية كما ورد باعلان حقوق الانسان فان الوثيقة لم تكفل شيئا لضمان تنفيذه ، وتركت فجوات واسعة ينفذ منها ذوو المصالح الجشعة والاغراض غير الشريفة ، ولم تصنها بسياج يحميها من عدوان النفعيين المنحلين وتوسعهم فى تأويلها وتفسير مداها ، فترى الصهيونيين مثلا يبالغون فى حرية الفرد وحقه فى الهجرة التى نص عليها (الاعـلان) للضغط على الحكومة الروسية للسـماح لليهود من مواطنيها بالهجرة الى اسرائيل ليستعمروا ما يغتصبون من أرضنا العربية الاسلامية ظلما وعدوانا ، وهم فى نفس الوقت يحرمون من هذا الحق مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين طردوهـم من بلادهم واغتصـبوا أرضهم وديارهم ، كمـا يسىء الكثير من المسيطرين على الصحافة ودور النشر فى الغرب استعمال هذا الحق بدعوى حرية الصحافة وحرية التعبير فيستبيحون الطعن والذم ، ويخوضون فى حق من لا يتبع أهواءهم ، وينالون حتى من شخصيات الرسل والأنبياء الكرام ، كما أن الإباحيين يستغلون هـذا الحق فيستخدمونه فى نشر موادهم الفاتنة الخليعة داعين للفوضى والقضاء على الموروث من قيم ومبادىء خلقية ، فأصبح الاتصال الجنسى بين شخصين بالغين خارج الزواج أمرا عاديا فى نظر هؤلاء ومن قبل فلسفتهم من ملايين (المتنورين) المنحلين ، وينعون على من ينقد ذلك أو يسميه (بالزنا) ويعتبرون ذلك رجعية فاسدة ! فتيسرت وسائل منع الحمل كى يتمتع الشباب والشابات دون أن تتعرض الفتاة لمشـاق الحمل ومتاعبه ، ولا تتردد الأم فى ذلك الجزء من العالم فى حض بنتها غير المتزوجة على تناول حبوب منع الحمل ، واذا حدث أن حملت الفتاة فان ذلك قد أصبح بحيث لا يضر سمعتها ، وأصبح اصطلاح (أم غير متزوجة) اصطلاحا مألوفا مستعملا ـ ومع هذا فهناك عيادات الاجهاض منتشرة فى البلاد تقوم بهذه العملية بسهولة وسرعة وعلى حساب الدولة أحيانا ، وكثر الترويج لمـا يسمونه (الزواج المفتوح) الذى لا يلزم أحد الطرفين ـ أعنى الزوج والزوجة ـ بقصر نشاطهما الجنسى عليهما بل يزعمون أنه ينبغى فتح الباب لكل منهما للاتصال بالأجنبى والأجنبية جنسيا للترويح والتغيير ، ومن العجيب أنهـم يزعمون ـ وما أعجب ما يزعمون ـ أن هذا أدعى لدوام العلاقة الزوجية ، وبالتالى انفع فى الجو العائلى ، معاذ الله !

وحتى عبارة (الشـذوذ الخلقى) يريدون محوهـا من القواميـس ، ويزعمون أنه كما أن هناك أفرادا يؤثرون الاتصال الجنسى بأفراد من الجنس الآخر ـ وهم غالبية الشعوب ـ فهناك من يؤثر الاتصال الجنسى بفرد من نفس الجنس ذكرا أو أنثى ، ثم يزعمون ويؤكدون أن ذلك أمر عادى وخلقى

وطبيعي ولا يسوغ اعتباره شذوذا أو خطأ ، ويزيدون فيقولون : إن القول بشيء من ذلك ظلم من الأغلبية للأقلية ، ونتيجة لأعمال الإباحيين كثر نشر الكتب والمجلات الخليعة وتعددت الأفلام الفاسدة الضارة المكشوفة المستهترة ، وأضحى لمن نسميهم بذوي الشذوذ الخلقي نواد وجمعيات ومؤسسات دون حياء ولا خجل ، حدث كل ذلك باسم حرية الرأي وحرية التعبير مع مخالفة هذا كثيرا لمبدأ الحرية الصحيح كما يخالف كذلك — فيما نرى — مبدأ الكرامة الانسانية .

جاء الهدى المحمدى بمبدأ حرية الفرد ولكنه صان هذه الحرية وكفلها بما يضمن صالح الفرد والجماعة ويرضي الله تعالى ، يقول سبحانه : **« انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا »** ويقول : **« وهديناه النجدين »** ، ويقول : **« لا اكراه في الدين »** ويقول : **« فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »** ويقول : **« فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا »** ، ورفع الاسلام الحظر عمن تورط فى محظور مكرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ، ولكن الاسلام اذ يكفل الحرية الشخصية فانه يرعاها ويصونها ويصون صالح الفرد والجماعة ، فهى حرية فيما ليس بضار أو محظور ، فلا حرية فى العدوان على الحقوق والأعراض أو انتهاك حرمات الله ، ولا يسوغ نشر الفساد أو الاعتداء على القيم بحجة حرية الصحافة أو حرية التعبير ، والمسلم اذ يستغل حقه من الحرية التى كفلها له دينه يعرف أنه مسئول أمام الله وأمام ضميره ، محاسب على كل أعماله ، وهو يعرف ويؤمن بأن الله تعالى مطلع على كل ما يعمل ويعلم ما خفى فى الصدور ، فالحرية ليست قاصرة على المحظوظين بالسلطان أو النفوذ أو من يملكون دور النشر أو الصحافة ، أو على بعض الاجناس الانسانية التى تدعى لنفسها مزية على غيرها ، بل هى حرية يتساوى فيها الكبير والصغير والغني والفقير ، والقوى والضعيف ، وهى حرية للانسانية عامة وفى صالح الانسانية كلها ، ثم هى محدودة بحدود من الايمان وعمل الضمير ، لا بحدود ناشئة عن ضغط وارهاب ، وهى حرية ذات مغزى وروح تعمل فى السر والعلن والظاهر والباطن ، لا حرية قانونية جافة تحسب حساب البوليس والقضاء وضغط الرأى العام فتستبيح ما تشاء فى غيبة البوليس وغفلة أعين الناس .

فحقوق الانسان كفلها الاسلام على خير وجه ، وكان محمد بن عبد الله الذى نحتفل هذه الايام بذكرى مولده ، معلنها ، والداعى اليها ، وحامل لوائها ، والمبشر بها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

الدكتور : محمد عبد الرءوف

التخلف الحضاري بين المسلمين

للدكتور محمد البهي

* الحضارة هي الانتاج البشري : الفكري ، والوجداني ، والارادي ، لزيادة امكانيات الانسان في سعيه في الحياة ، وفي تغلبه على مشاق العيش فيها ، ولرفع مستوى انسانيته في تقدير ذاته ، وفي علاقة الأفراد بعضهم ببعض .

والحضارة بهذا المفهوم لها جانبان : جانب مادي .. وجانب انساني :

فالجانب الحضاري المادي هو ما يتمثل في تقدم البحوث العلمية التجريبية وفي مدى تطبيقها في المجالات الصناعية المختلفة . أي يتمثل في تطور العلوم الطبيعية . وعلى وجه أخص في علوم الحيوان — والنبات — والمعادن — والكيمياء ، وفي قيام الصناعات التي تؤسس على نظرياتها المتجددة ، لخدمة الانسان في المرافق العديدة : في السكن ، والنقل ، وفي وسائل التعليم ، ووسائل الوقاية من الأمراض أو المعالجة منها .

والجانب الحضاري الانساني هو ما يتمثل في المستوى السلوكي الرفيع وفي حسن العلاقة بين الأفراد التي تقوم تلك العلاقة على الاحساس المشترك بالقيم الانسانية ، متجاوزة الاحساس بعلاقة الدم ، والأسرة ، والقبيلة ، والعرق والعنصر .

وتوضع الحضارة — عند توضيحها — في مقابل البداوة . وهي الفطرة الأولى للانسان قبل تهذيب طبيعته . ولهذه البداوة مظاهر في أسلوب الحياة ، وفي السلوك ، وفي المعاملة ، تنم جميعها عن دفع أناني يسيطر في الانسان . فحياة البدائي لا تقوم على بساطة الوسائل المادية فحسب في السكن والنقل ،

والمعيشة . بل كذلك استخدامه لهذه الوسائل يدل على تشبثه بالبقاء وحده ، فى غير رعاية للآخرين معه ، وسلوكه يصدر فيه عن ارتباط وثيق بالذات ، دون ما سواها . ومعاملته للآخرين تبعد كل رعاية لحق : فى وجودهم وفى حياتهم المشتركة معه ، وان كانوا ذوى قربى قريبة له .

وهكذا : البداوة والحضارة مفهومان يستخدمهما الانسان : مرة للتعبير عن وقوفه عند طبيعته ، مغلقة وغير مشذبة ، وعند خصائص هذه الطبيعة فى المعيشة ، والسلوك ، والمعاملة . ومرة أخرى للتعبير عن تجاوز هـذا الوضع المغلف الى وضع التفتح والتطور والتحرك نحو ما يزيد فى طاقاته ، ويعينه على اجتياز الصعاب فى الحياة ، ويوثق أواصر القربى فى الانسانية بينه وبين الآخرين معه فى المجتمع .

وكما هما مفهومان ، هما أيضا مرحلتان فى تاريخ الانسـان ، وتاريخ مجتمعه . فهناك انسان بدائى ، وآخر حضـارى . وهناك مجتمع بدائى ، ومجتمع حضارى .

* وجانبا الحضارة ــ وهما الجانب المادى ، والجانب الانسانى ــ ليسا متساوقين . أى ليس بلازم اذا وجد أحدهما ان يوجد الآخر حتما . فالتقدم الحضارى المادى هو تقدم فكر ، وعلم ، وتجربة ، وصناعة . والتقدم الحضارى الانسانى هو تقدم وجدان ، وعمل ارادى ، وخلق وسلوك . وهنا قد يوجد انسان أو يوجد مجتمع ، متقدم فى الحضارة المادية ، وهو بدائى أو انانى فى السلوك والمعاملة . كما قد يوجد العكس . وهو انسان أو مجتمع متقدم فى السلوك والمعاملة ، أى غير انانى فيهما ، وهو مع ذلك غير صاحب حضارة مادية ، أى غير صاحب حضارة علمية تجريبية ، وصناعية . وحضارته فى السلوك والمعاملة حضارة انسانية ، يشارك بانسانيته الآخرين معه فى مجتمعه : يحسن ولا يسىء .. وينفع ولا يضر .. ويطمئن ولا يرهب ... ويتحمل ولا يندفع .

ولأن الجانب الحضارى المادى يلفت النظر أكثر من الجـانب الآخر الانسانى : يقع كثيرون ممن يجذبهم التقدم الصناعى أو التيكنولوجى فى حياة المجتمعات المتطورة صناعيا تحت اعتبار : ان التقدم الحضارى المادى يستتبع كنتيجة له مسلمة : تقدما حضاريا فى مستوى الانسانية .. وأن التخلف فى الحضارة المادية والصناعية يلازمه كذلك حتما : التخلف فى الحضارة الانسانية أو تلازمه البدائية . ويستخلصون من ذلك : أن المجتمع أو الانسان الفرد صاحب الحضارة الصناعية هو مجتمع أو انسان ذو تقدم أيضا فى المستوى السلوكى الانسانى ، وبالتالى يفضل ذلك الانسان أو المجتمع الذى لم تكن له هذه الحضارة المادية . وازاء ما يستخلص على هـذا النحو : تكون الريادة لصاحب الحضارة المادية ، وتكون التبعية أو التقليد والمحاكاة له : من فاقد هذه الحضارة .

وينسى هؤلاء الذين يقعون تحت اغراء التقدم الصناعى التيكنولـوجى ، ويستخلصون بسبب وقوعهم تحت اغرائه منطقا حزبيا : أن مقياس الحضارة الانسانية هو فى مدى البعد عن الأنانية فى السلوك ، والمعاملة : نحو الذات ، أو نحو الآخرين . والمنطق المجرد عن التأثر بالاغراء المادى أو بالانجذاب الى

عامل غير موضوعي : ان صاحب الحضارة المادية هو صاحب ريادة حقا في هذا الجانب من غير شك يجب أن يحاكي ويقلد فيه ممن هو متخلف فيه . وهو أيضا يمكن أن يكون صاحب ريادة في الجانب الحضاري الانساني اذا توفر له بالفعل مستوى الحضارة الانسانية في البعد عن الأنانية .

ولكن اذا كان هو يستخدم تفوقه في الحضارة المادية : الصناعية والتيكنولوجية في التخريب والتدمير وسفك الدماء ، أو في الارهاب وقهر الآخرين واكراههم على ما لا يقبلونه مختارين وفي مشيئة حرة .. أو يستخدم هذا التفوق الحضاري الصناعي في استغلال الآخرين ، ويصبح بهذا التفوق ذا نزعة استعبادية ، لا يعرف الحق الا من طريق القوة المادية وحدها ، ولا يعترف للآخرين الضعفاء بحق الحياة في وجود مشترك ، فانه عندئذ يكون متخلفا في الجانب الحضاري الانساني ، رغم تقدمه في الجانب الآخر الصناعي وبالتالي ليست لديه صلاحية : أن يكون رائدا ومتبوعا في الجانب الانساني ، الذي هو ثمرة الوجدان ، والعمل الارادي ، وحسن الخلق والسلوك .

ولكن كذلك : اذا كانت بعض المجتمعات الحضارية حضارة صناعية تبيح ممارسة اللواط في الوقت الحاضر ويتبنى القانون حماية هذا الشذوذ الجنسي بين شباب الجامعات في نواديهم الجامعية (١) .. أو يبيح تبادل الزوجات (٢) بين الأزواج في النوادي أو في المساكن الخاصة .. أو ينهى عهد الزواج وتكوين الأسرة على النحو المتعارف ويستعيض عن الزوج بأزواج، وينسب الابن الى أمه بعد ما اختلطت الأنساب وضاعت بين الرجال العديدين : فان هذا البعض من المجتمعات الحضارية الصناعية يفقد الصلاحية في المستوى الحضاري الانساني ويجعله مساوقا للانسان البدائي في الغابات ، الذي لا يعرف ستر عورته ، ولا تخير المراة التي يعاشرها .

❋ والمسلمون في حاضرهم يقلدون في خطواتهم الحضارية أصحاب التفوق في الحضارة المادية : العلمية والتيكنولوجية . يقلدونهم في مصانعهم . ويقلدونهم في أسلوب حياتهم . ويقلدونهم في سلوكهم نحو ذواتهم ، ونحو الآخرين معهم في مجتمعاتهم . أي أنهم يقلدونهم في جانبي الحضارة : المادية الصناعية ، والانسانية السلوكية .

وتقليدهم للمتفوقين في الحضارة الصناعية اذن هو تقليد في تفكيرهم ، وفي علمهم التجريبي ، وفي وجدانهم ، وأخيرا في عملهم الارادي وتصرفاتهم . ومعنى هذا التقليد المطلق لأصحاب التفوق الحضاري المادي : ان هؤلاء اذا كانوا مصلحيين ونفعيين أو « برجماتيين » .. واذا كانوا انتهازيين أو استغلاليين .. واذا كانوا استعماريين أو قراصنة : فان المصلحية ، والانتهازية ، والقرصنة لا ينكرها أولئكم الذين يقلدونهم تقليدا مطلقا ، لأن هذه الاتجاهات هي اتجاهات سلوكية تقوم على ايثار الذات ، والأنانية ، وعلى عدم رعاية حرمات الآخرين .

ومعنى هذا التقليد المطلق لأصحاب التفوق الحضاري المادي ، العلمي والصناعي ، من المسلمين : هو أن هؤلاء المسلمين اذا أفادهم التقليد في التقدم الصناعي والعلمي لزيادة قدراتهم على اجتياز المصاعب والمشاق في حياتهم ومعيشتهم ، فانه سيضرهم حتما : تقليدهم في الجانب السلوكي

لأصحاب هذا التقدم . لأن المسلمين فى حاضرهم يغلب عليهم الميل الأنانى بحكم الضعف ، والفاقة رغم ثرواتهم العديدة المصادر ـ وهو ميل غير اسلامى أو هو ضد الاسلام ـ فى روابط بعضهم مع بعض . وهم فى نهضتهم وفى بعثهم للحياة الكريمة من جديد فى حاجة الى روح المشاركة والجماعة بينهم ، كى تكون لهم قدرة يدفعون بها التخلف فى الجانب الحضارى المادى ذاته . فاذا بقى الميل الأنانى مسيطرا بينهم بجانب ضعف المستوى الحضارى الصناعى والعلمى لديهم فسيظلون ضعفاء .. ويظلون متخلفين فى الحضارة بمفهومها العلمى ، والانسانى .

* والمسلمون لم يكونوا بدائيين عندما كونوا مجتمعهم الانسانى . وانما كانوا أصحاب حضارة انسانية ، ثم أصبحوا ـ بعد حين ـ بالاضافة الى ذلك : أصحاب حضارة فكرية ، وعلمية ، وان لم يصبحوا بعد فيما مضى أصحاب حضارة تيكنولوجية بالمفهوم المعاصر .

كانوا أصحاب حضارة انسانية . لأن تكوين المجتمع الاسلامى ، ونقل أفراده عن طريق الدعوة الى الاسلام : من المجتمع الجاهلى ، وهو المجتمع المادى الأنانى .. الى مجتمع انسانى صاحب روابط انسانية ، وصاحب مشاركة جماعية : هو فى ذاته تحول حضارى وتحرك نحو الجانب الحضارى الانسانى . فدعوة الاسلام هى دعوة عن التخلى عن الأنانية ومظاهرها المختلفة التى تقوم على أساس منها : المجتمع المادى الأنانى أو الجاهلى .. هى دعوة فى الوقت نفسه الى قيام الروابط الانسانية على أساس من القيم الانسانية العليا وحدها . وهى تلك القيم التى تكون المستوى الفاضل للانسانية ، التى من بينها التعاطف ، والتواد ، والتعاون ، والتى من اجلها كان الميل الاجتماعى لدى الانسان فى طبيعته ، ولتحقيقها كان المجتمع الانسانى فى وجوده .

فالمجتمع الانسانى ليس مجتمع عدد : فى كثرة أو قلة . وانما هو مجتمع قيم انسانية يترابط الأفراد فيه على أساس منها . ومن أجل هذا الهدف فى حياة الانسان اختلف الانسان عن الحيوان ، والنبات ، مع أن هناك جامعا مشتركا بين الثلاثة ، وهو النمو الكمى والمادى .

والقرآن يشير الى هذا الجامع المشترك فى بعض آياته . فيقول تعالى : ((**فاطر السموات والأرض ، جعل لكم من انفسكم أزواجا ، ومن الأنعام أزواجا ، يذرؤكم فيه**)) (أى يكثركم وينميكم) ((الشورى ـ ١١)) .. فيجعل هدف الزوجية من الذكورة والأنوثة فى خلق الانسان والحيوان هو الكثرة والنمو المادى . ويقول أيضا : ((**سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ، ومن أنفسهم ، ومما لا يعلمون**)) (يس ـ ٣٦) .. فيشير الى عامل الكثرة والنمو المشترك بين النبات ، والانسان ، وما لا يعلمه الانسان مما يتكاثر فى ملكوته سبحانه وتعالى .

ثم يفرد القرآن : الانسان بهدف آخر وراء النمو والتكاثر ، وأسمى منه . وهو هدف المجتمع الانسانى من تحقيق القيم العليا فى روابط الأفراد بين بعضهم بعضا . فيقول جلت قدرته : ((**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)) (الروم ـ ٢١) .. فيحدد هذا الهدف الآخر بأنه السكنى والاطمئنان

يتفكرون)) الروم ـ ٢١) .. فيحدد هذا الهدف الآخر بأنه السكنى والاطمئنان

والمودة ، والرحمة ، فى العلاقات بين الأفراد . وهذه القيم العليا الثلاث تلتقى عندها جميع القيم الأخرى . فهى المصب الذى تصب فيه كل قيمة عليا انسانية . فالتعاون ، والتضامن ، والكرامة البشرية ، والحرية الانسانية ، والاخوة .. وغيرها اذا تحققت تحقق الاطمئنان ، وتحققت المودة ، وتحققت الرحمة حتما بين الأفراد .

والقرآن يفرد هذا الهدف الانسانى للمجتمع الانسانى ، بعد ان افرد أيضا بتعبير خاص الغاية المشتركة فى خلق الانسان ، بينه وبين الحيوان ، والنبات ، وهى غاية التكاثر والنمو ، فى قوله : « **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة** » (النحل ٧٢) .. حتى لا تلتبس احدى الغايتين بالأخرى ، وحتى اذا ما حقق الانسان غاية النمو والتكاثر وحدها ، دون الغاية الأخرى : يبقى الانسان فى الدائرة المشتركة بينه وبين الحيوان والنبات — وحدها . وعندئذ لا يتميز عنهما بميزته الانسانية ، وهى ميزة اجتماعية ، أى ميزة تكوين المجتمع وتحقيق أهدافه .

فتكوين المجتمع الاسلامى القائم على توجيه القرآن هو تكوين تصحبه ظواهر الحضارة فى جانبها الانسانى . والجاهليون أو الماديون الذين انتقلوا الى المجتمع الاسلامى يومذاك ، استجابة للدعوة الاسلامية ، انتقلوا اليه مؤمنين بهدفه . وهو تحقيق القيم الانسانية فى علاقة بعضهم ببعض . وهى قيم حضارية ، تمثل الجانب الحضارى الانسانى .

فدعوة الاسلام هى دعوة الى تهذيب الوجدان فى الانسان وجعله فى خدمة التعاطف ، والتواد ، والتعاون ، والتماسك . ودعوة الى تنمية العمل الارادى وجعله فى خدمة السلوك السوى ، والسلوك الانسانى الكريم ، بعيدا عن الاغراء بالمتع المادية والوقوع تحت ما يشتهى منها .

ان المجتمع المادى يكون مجتمعا ذا طابع أسرى ، أو قبلى ، أو عنصرى ، لأن الرباط بين أفراده آنئذ هو رباط مادى ينبثق من الأسرة ، أو القبيلة ، أو العنصر والعرق . والمجتمع الانسانى هو ما يسمو الترابط فيه الى مستوى القيم الانسانية وحدها . والقرآن يمتن على المؤمنين به فى قوله تعالى : « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا ، واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها** » (آل عمران ١٠١ —١٠٣) : يمتن عليهم بأنه نقلهم بإيمانهم بالله وحده وبهدايته فى كتابه من دائرة القبيلة التى كانت مثارا للفرقة والخصومة — وهى دائرة مادية — الى محيط الانسانية وقيمها ، وهو محيط يشمل الناس جميعا . وبذلك تبتعد الفرقة فيه ، كما تبتعد الخصومة ، ومحيط الانسانية محيط غير مادى . لأنه فوق الروابط التى تقوم على أساسها التكتلات المحدودة بالمكان ، أو العنصر . ومن هنا كانت الدعوة الاسلامية دعوة الى الانسانية ، فوق الروابط المادية .

والمجتمع الذى يدعو اليه الاسلام هو مجتمع انسانى يقوم اذن على الروابط الانسانية وحدها . والروابط الانسانية وما يحققها : جانب حضارى للانسان ، يقابل الجانب الآخر المادى له ، وهو الجانب العلمى والصناعى .

وهذا الجانب الحضارى الانسانى أوصل المسلمين فيما بعد الى ان يكونوا أصحاب حضارة علمية وفكرية يوم نقدوا الفكر الاغريقي فى وثنيته ، فى الوقت الذى أضافوا فيه الى معارف الاغريق الطبيعية والرياضية ، ما جعل من الجانبين ــ الاغريقى ، والاسلامى ــ مصدرا للبعث والنهضة العلمية فى أوربا ، تلك النهضة التى أتت بهذا التقدم الصناعى والعلمى المتفــوق : للمجتمعات الغربية المتطورة فى حاضر المسلمين اليوم .

* ومسلمو اليوم انفكوا عن الارتباط بهدف المجتمع الاسلامى ، فى دائرة التعاون ، والتضامن ، والتآخى . وانحدروا الى خصيصية المجتمع المــادى ، أو المجتمع الجاهلى . وهى خصيصية الأنانية والحركة فى دائرة الذات وحدها وآثروا الترابط على أساس المنفعة المتبادلة .. أو أساس العرق والعنصرية .. أو أساس نظام الحكم الدخيل المشترك .. أو أساس وحدة التبعية للأجنبى عنهم . وبذلك يعيشون فى تخلف فى الجانب الحضارى الانسانى ، كما تعيش الآن لفترة ما : تلك المجتمعات المادية المتطورة تطورا صناعيا فى دائرة الذات ، بعيدة عن المستوى الانسانى الحضارى الذى يتم على أســــاس من القيم الانسانية العليا .

واذا كان تخلف المسلمين فى الجانب الحضارى المادى أو الجانب العلمى والتيكنولوجى يمكن أن يتجاوزوه بتقليدهم للمجتمعات الصناعية العلمية ، ونقلهم من تجاربها ، ومن منهاجها وسبلها فى البحث والتطبيق : فتخلفهم فى الجانب الحضارى الانسانى لا ينفعهم فى تخطيه : اتباع مبدأ الفصل بين الدين والدولة ، كما ينصح المجددون بينهم .. ولا استيراد نظام مادى يقــوم على أساسه الحكم ، كما يروجه فيهم بعض المشتغلين بالسياسة . كما لا يعوض التخلف فى هذا الجانب لديهم : جدهم ــ لوجدوا ــ فى نقل الحضارة الصناعية العلمية ، والتوسع فى هذا النقل الى ابعد حد . لأن الصناعة اذا كانت ركنا من أركان الحضارة ، فمستوى الانسان هو الركن الآخر أو الأول فيها . وطالما لا يكون هو متحضرا فى مستواه الانسانى فلا ضمان لبقاء حضارته الصناعية والعلمية . وبقاء المجتمعات الصناعية العلمية المعاصرة الآن هو بقاء مؤقت ، بعد ما انحدرت الى المادية وسيطرت مظاهر الجاهلية فى المستوى الانسانى على علاقات بعضها ببعض ، وعلى الروابط بين الأفراد فيها .

وبعد حين ــ طال الزمن أو قصر ــ ستصطدم هذه المجتمعات المعاصرة بعضها ببعض . لأن المنافع المادية ستفرق حتما بينها . كما اصطدمت فى الحربين العالميتين : الأولى ، والثانية . وقد كان التنازع على المواد الأولية أو الحصول على قسط منها هو السبب الحقيقى الذى أدى اليهما . وسياسة : « الوفاق » فى الوقت الراهن هى سياسة مصطنعة ، وهى سياسة مؤقتة كذلك .. هى أشبه بهدنة للتمكن من الاستعداد للحرب الثالثة القادمة . وهى حرب لا مفر منها : اليوم .. أو غدا .

* والمسلمون فى مجتمعاتهم المعاصرة اذا أرادوا حقا اجتيــــاز التخلف الحضارى : الصناعى العلمى ، والانسانى ، معا : يجب أن يسلكــوا نفس التجربة التى خططت لها الدعوة الاسلامية . اى يجب أن ينتقلوا من الوضع الجاهلى أو الوضع المادى الأنانى .. الى الوضع الانسانى . يجب أن تقوم

الروابط بينهم على أساس من الأخوة فى الايمان بالله وحده .. وان يبتعدوا عن الانحراف فى استغلال المال وبالأخص عن الربا .. وأن يجعلوا ملكية المال الخاصة سبيلا الى المنفعة العامة ، ينتفع به المالك وغير المالك له من أصحاب الحاجة على السواء ، دون أن يقصروا منفعته على المالك وحده فيمعن فى الترف ، بينما تأخذ الحاجة برقاب غير المالكين له .. وأن يتجنبوا الجرائم الاجتماعية ، وهى جرائم الاعتداء على الأعراض ، والأموال ، والنفوس .. وأن يوفروا الكرامة البشرية والاعتبار البشرى للضعفاء بينهم .. الى غير ذلك مما تخطه الدعوة الاسلامية فى منهج تطوير المجتمع (٣) .

فالمسلمون المعاصرون فى حاجة الى نقل انفسهم من وضع الجاهليين الأنانيين .. الى وضع الانسانيين الـــذين يستهدفون تحقيق القيم العليا الانسانية فى سلوكهم ، ومعاملاتهم ، ومواقفهم ، وفى ترابطهم : قبل نقلهم المصانع والتجارب العلمية الطبيعية ، أو معها على الأقل ، حتى يمكنهم أن يسخروا طاقات المصانع ونتائج التجارب العلمية فى سبيل قوتهم وبقائهم .. وحتى يمكنهم بالتالى . أن يضيفوا الى الصناعة والتجارب العلمية جديدا اليها اذا استوعبوها ، كما صنع أسلافهم من قبل ، يوم أن أضافوا الى الفكر الاغريقى : فكرا اسلاميا جديداً ، أعطاه الصلاحية لأن يكون مصدر النهضة الأوربية الحديثة ، ثم المعاصرة .

ولعل التحرك الاسلامى الحاضر ، نحو تأسيس بنك اســــلامى .. ومشروعات للتنمية فى البلاد الاسلامية .. ونحو مؤتمر لوزراء الاقتصاد فى هذه البلاد .. ونحو مؤتمر قمة اسلامى لبعث التضامن الاسلامى كجزء فى السياسة الاسلامية المعاصرة : يكون تعبيرا عن الرغبة الأكيدة نحو الانتقال الى الوضع الاسلامى ، كما تنشده دعوة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام.

ولعل ذكرى ميلاد هذا الرسول الكريم صاحب الاعجـــاز بأميته ، وبموضوعية كتابه : تثير من عام الى عام وعيا أقوى نحو خروج المسلمين من تخلفهم الحاضر الى المستوى الحضارى الانسانى ، فالمستوى الصناعى العلمى فالحياة الانسانية الكريمة التى تستمر فيها الآلة والعلم لخدمة الانسان ، وليس الانسان للآلة وللتجارب العلمية .

---

(١) حكم القاضى الاتحادى Huge Bownes بولاية New Hamp Chire من الولايات الامريكية فى القضية التى رفعتها منظمة طلاب المتعة ضد الجامعة هناك بان مجموعة الطـلاب التى تمارس متعة اللواط لها الحقوق الكاملة فى ممارسة هذه المتعة فى منطقة الجامعة ، طبقا للتعديل الاول الرابع عشر . ونشر هذا الحكم فى الصفحة الثالثة فى عدد ٢٨/٣٠٧ من صحيفة Herald Tribune. بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٩٧٤ .

(٢) كما هو شائع الآن فى المجتمعات الغربية المادية .

(٣) كتاب منهج القرآن فى تطوير المجتمع — وهو من مؤلفاتنا ، طبع دار الفكر ببيروت — يحاول توضيح نقل المجتمع المادى الى مجتمع اسلامى أو انسانى وتحديد المراحل التى تبتدىء بالتنديد بالظواهر المادية فى المجتمع المادى .. حتى مرحلة الامر بما يحقق المستوى الانسانى للفرد والمجتمع .

من عيد الهجرة إلى عيد المولد

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى

يوم الخميس ١ محرم عام ١٣٩٤ كان يوما ثقيلا ينوء بحمل تاريخ كبير من أمجاد هذه الأمة .

يوم يحمل ينبوع وجودها ، وسر أمجادها ، ومبعث عزتها ، وروح وحدتها ! ..

كان يوما ارتسم على شمسه الباب العظيم الذي دخلت منه هذه الأمة الى التاريخ ثم تبوأت عرشه ، وقد كانت قبل ذلك ملقاة على هامشه ، شاردة وراء سوره ! .. ذلك لأنه كان يوم الهجرة ! ..

فكيف استقبله المسلمون عندنا ؟ .. وكيف احتفلوا به ، وكيف أكرموا مقدمه ؟

لا شيء .. لقد أقبل اليوم ومر كما يمر أى آخر دون أن يأبه به أحد .

ولقد طلعت شمسه ، ثم ارتفعت ، ثم استوت فى قبة السماء ، ثم دلفت الى مغربها وغابت فيه ، وليس فى الناس من يحفل بها ، أو يلتفت الى عظيم ما تحمله من تاريخ ، أو يستهدي بشعاعها الى غابر مجد لهذه الأمة سجدت له الدنيا كلها ذات يوم !! ..

وهكذا دخل اليوم الاول من عام هجرى جديد ، دخول اليتيم الى دار لا عشيرة له فيها ولا أهل . ولكنه هنا يتيم بين أهله ، وغريب بين قومه وعشيرته .

وقبل ذلك بشهر او اقل ، دخلت

أجراس الكنائس واحتفالاتها بيضوت المسلمين كلهم ، وسمعوا ذلك كلسه طوعا أو كرها ! .. وازينت الاسواق وزخرفت الحوانيت والمحال التجارية بالاضاءات الملونة واشجار (الكريسمس) واغرقت واجهاتها بالقطن الذى صيغت منه عبارات ، وشكلت به شعارات ، تماما كما هو الشأن فى أى سوق من اسواق أوروبا ! .. وتجلت هذه الصورة ذاتها لا فى الأندية والملاهى العامة فقط ، بل تجاوزتها الى داخل كثير من البيوتات الاسلامية العريقة ! .. حيث احتفلت الأسر وتجمع أفرادها — على الطريقة الأوروبية ذاتها — فى سهر صاخب الى مطلع الفجر ..

كل ذلك ، احتفالا بقدوم عام ميلادي جديد ! ..

ويأتى بعد ذلك يوم الهجرة ، بكل ما يحمله من ذكريات ، وبكل ما سجل فيه من تاريخ وعز ، فلا يرتفع له شعار ، ولا تبتهج به دار ، ولا تحس به فى سوق ، ولا تسمع عنه فى اذاعة أو نحوها !! ..

الا يا حسرتا على الأمة التى لم يكن يعرف عز الارض الا بها ، فأصبحت وذل الارض لا يعرف الا بها . أمة لا تقاسى الهوان ولكن تتعشقه ، ولا تعانى من الذل بل تستريح اليه ، ولا تبتلى بالضيم وانما ترحب به ! ..

يا هؤلاء الناس ! .. ما الذى نفعكم مما يفعله المستعمرون فى افتتاحات أعوامهم الميلادية فتقلدوهم فى ذلك أتم تقليد وتسبقوهم فى الابتهاج بها والصخب من حولها ، وصبغ بيوتكم واذاعاتكم بشعاراتها وايحائها ؟ .. وما الذى ضركم من تاريخكم ورأس عامكم الهجرى — وانما هو عنوان وجودكم ، ومسرح أمجادكم ، ومنفذ سلطانكم — فتعرضوا عنه هذا الاعراض وتنسوه هذا النسيان ؟

أفمن الحتم عليكم — وقد فرغتم أنفسكم لوظيفة التقليد — أن لا تعرفوا لعامكم الهجرى معناه وأن لا تؤدوه حقه ، الا بعد أن يسبقكم الى ذلك أولئك الأسياد ، فيحتفلوا به لكم ويؤدوا حقوقه عنكم ، فتفعلوا مثله بدوركم تقليدا ، وتنهجوا نهجهم محاكاة واتباعا ؟ ..

أم هل من الحتم اذا قام الخطباء فى مساجدهم يذكرون بهذا اليوم وخطورته وينبهون الناس والمسؤولين الى حقوق هذا اليوم والقيام بواجباته أن يظهر من إعراض الناس عنهم ما يصبح تكذيبا لهذا الحق ، وعقوقا لهذا اليوم ، وكفرانا لفضله وجميل أياديه ؟!

يا هؤلاء الناس ! .. من انتم ، بل ما أنتم لولا الهجرة ؟!

أى اسم كان يذكر لكم فى العالم ، أم أى وطن كان يحويكم، أم أى أرض كانت تقلكم أم أى حضارة كانت تنتسب اليكم ، لو لم تكن الهجرة ؟! ..

هل كنتم تعرفون اسم الشآم التى تفخرون بأمجادها ، أو العراق التى تتباهون بحضارتها أو مصر التى تعتزون بتراثها ، بل هل كانت لكم فلسطين تذودون عنها ، أو ثروة تخيفون العالم بسلاحها لو لم يبعث فيكم هذا النبى الأمى القرشى ، ولو لم ينفذ أمر ربه فيهاجر الأرض فى سبيل المبدأ ، ويترك الوطن فى سبيل العقيدة ، ولو لم يجعل الله له من أرض هجرته (المدينة) منطلقا الى شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه ؟! ..

ماذا تقولون غدا لعلام الغيوب ، اذا أخذكم بجريرة هذا النكران ، ثم

أخذكم بجريرة تقليد لا فائدة فيه واتباع لا حكمة من ورائها ؟ ..

أولادكم يا مسلمون .. يستيقظون من طفولتهم الصغرى على الطنين والرنين اللذين تعج بهما ليلة رأس السنة الميلادية ، يرتضعون منكم لبان عاداتها وتقاليدها ، وتفيض آذانهم بأحاديث المعلقين من أفراد الأسرة وغيرهم على نهاية العام الماضي .. وبداية العام الجديد ، والتقاليع المستوردة لتوديع ذاك واستقبال هذا ! .. حتى اذا بلغ الطفل أشده استحكمت الصورة في أغوار نفسه وانصبغ بها عقلا وطبعا ووجدانا ، وتهيأ له — مما غذى به — أن أيام السنة ان هي الا دائرة مغلقة متماسكة ، لا ينتهي ذيلها الا عند رأسها الوحيد : أول كانون الثاني حيث رأس السنة الميلادية ! ..

أما الهجرة والحديث عنها ، فكلام كالطيف كان يردده الاجداد .. وأما مكانها من دائرة العام وأيامه ، فقد عفى عليه الصدأ والقدم ، ولم يبق منه الا رمز كالطلل ، وأشبه ما يكون بشارة على قبر مهجور ربما ذكر بعض العابرين بقراءة الفاتحة ! ..

أفيسعدكم يا مسلمون أن تربوا أولادكم على هذا النهج ؟ ..

أفلا يؤرق لكم بالا ، أن تقبلوا الى الله غدا تحملون أوزار هذه التربية على ظهوركم عذابا من الله ونكالا ؟ ..

● ● ●

أكتب هذا الكلام ، وان ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلوح لي من بعيد ، ولعل كلامي هذا لن ينشر الا والمسلمون في انحاء عالمهم الاسلامي يستقبلونها ، وينصرفون الى الاحتفاء بها والاحتفال لها .

ولكني أعتقد أن المسلمين مهما فعلوا في استقبالهم لهذه الذكرى ، فان جميع ما يفعلونه لن يقع موقع القبول من صاحب الذكرى محمد عليه الصلاة والسلام .

ان الأمة التي تصدق في احتفائها بمولد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم ، لا تذهب هذا المذهب العجيب في احتفالاتها التقليدية برأس السنة الميلادية . وقد علمت جيدا أنها لا تسترضي بذلك قلب عيسى عليه الصلاة والسلام ، وانما تسترضي به نظرة أجنبية الى هذه الأمة ! .. نظرة ترمي بشرر من الحقد على دينها وغابر عزها وأمجادها ! .. نظرة لا تقوم الدنيا الا من خلال الأحقرين : متعة الفرج ومتعة البطن ! ..

فتعالوا نكن صادقين — يا مسلمون — في احتفالنا بذكرى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذه المرة . ولنفسر صدقنا هذا بسلوك يمسح عنا ماضي آثامنا ويرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنا .

ان عواطفنا الاسلامية — ولله الحمد — قد غدت مشبوبة وناضجة وما رأيتها في عهد من العهود أنضج منها اليوم .

ان كلا من ظروف الحرب والسلم، وموقف الدول الأجنبية — صديقة وعدوة — منا ، وعبر الحياة التي نراها من حولنا والمآسي التي لاحقتنا يوم ابتعدنا عن حمى اسلامنا — كل ذلك قد أورثنا يقينا لا يتزعزع بأن الاسلام من حياتنا كالروح من الجسد وكالماء البارد من الكبد الحرى .. وبأن مشكلاتنا — على اختلافها — لا يمحقها الا الاسلام عقيدة أولا ونظاما وأخلاقا ثانيا .

وقد ولى العصر الذي كان يتجمل فيه بعض الناس بالالحاد ، ويجاهر

بالفسوق والكفران . انها اليـــوم (موضة) قديمة ، وتقليعة بائدة .
ان ملاحدة الأمس ، يتنافسون فى عرض عظمة الاسلام اليوم ! ..
وان الدنيا كلها قد علمـت أن الالحاد ليس الا ظاهرة مرضيـــة ، تتسلل الى الفكر بواسطة جرثومـــة من أهواء النفس ، أو عقــدها ، أو عصبيتها ، أو ردود فعلها !.. وليس بعد الاسلام من ملجأ لأى فكـــر حر ، بعد أن تخلص من وباء الالحاد .
واذا فمــــا جمودكم اليـــــوم يا مسلمون ؟ .. يا مسلمون : علماء ومثقفين ومدرسين وعمالا وموظفين ؟
كيف تستقبلون مولد نبيكم محمـــد صلى الله عليه وسلم ، من سجن هذا الجمود ، وقد علمتم أن ميراثه الوحيد الذى وضعه فى أعناقكم انما هــــو النهوض بأعباء الدعوة الى الله ؟ ..
أو لا تزالون تعيشون فى تلافيف تلك الضلالة التى تزعم على السنـــة كثير من الجهال بأن للاسلام (رجال دين) هم المسؤولون عن الدفاع عنه اذا هوجم ، وعن أحيائه اذا ذبح ، وعن اعادة تشييده اذا هـــدم ، وأن غيرهم ليسوا الا نظارة يتخـــذون أماكنهم أمام المسرح ؟!..
لقد آن لنا ، جميعا ، أن نستغفر الله من هذه الضلالة البشعة ، وأن نقف خاضعين خاشعين أمام قول الله عز وجل :

«ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقـــال اننى مـــن المسلمين » .

ثم أمام قول رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .
ثم أن نبسط إيمانا صادقة الى الله عز وجل نبايعه بها على أن نكون — وقد انتسبنا الى حزبــه — أعضـــاء عاملين لا أشخاصا تقليديين .
انكم لتكثرون الكلام فى هذه الأيام عن الجهاد ، وتسمعون عنه كثيرا ، ولكن اعلموا أن أهم جهاد يستنفـــر له الاسلام المسلمين جميعا ، فى هذا العصر ، انما هو جهاد الدعوة الــــى الاسلام والتعريف به ، بقلب متحرق صادق لله عز وجل .
ولست أعنى أن قتال العدو الذى يستحل أرضنا يأتى فى الدرجة الثانية من هذا الجهاد ، أو انه ينبغـــى أن يؤخر الى ما بعد قيام المسلمين بواجب الدعوة الـــى الاســلام ، لا .. ليس هكذا . فان العدو الجاثم فى أرضنا صائل ومقاومة الصائل واجب مستقل بذاته ، يكلف به المسلمون بقطــــع النظر عن الجهاد الذى نتحدث عنه .
فاذا خرج العدو من ديارنا ، فــــان ملاحقته بعد ذلك بالدعوة الى الاسلام والقتال فى سبيلها ، هو الجهاد .
ان القاعدة العريضة الكبرى التى يجب أن ينطلق منها المسلمون جميعا، للجهاد فى سبيل الله اليوم ، انما هى جهاد الدعوة الى الاسلام على شتى المستويات وبكل الطرق والاساليـــب ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة .
ولو نهض المسلمون اليوم، أوأكثرهم أو كثرة عظيمة فيهم ، بهذا الجهاد ، لا يبتغون الا وجه ربهم ، لا يسوقون أمامهم عصبية أو غرضا أو ضغينـــة لفتح الله على أيديهم وبألسنتهم آلاف القلوب الموصدة ، ولرأيت للمسلمين مجتمعا اسلاميا سليما غير هـــــذا الذى تراه اليوم .
ولكن آفة المسلمين أحد بلاءين ، بل كلاهما معا ! ..
آفة المسلمين أنهم أحد رجليـــن : رجل يتقلب فى نعيم دنياه منصرفا عن الاسلام وشأنه ، لا يبالى بالمصيـــر

الذي ينتهي اليه . وآخر يدعو الى الله والاسلام بزعمه ، ولكن بسلاح من عصبيته وكبريائه ، وبسائق من حقد متمكن وراء صدره ! .. وقليل جدا في المسلمين من ينهض بواجب الدعوه الى الله دون أن يخلط بذلك حظ نفسه ودافع عصبيته .

وما السر في ان أكثر المنصرفين عن الاسلام لا يلتفتون الى دعوة الداعين اليه ولا يتأثرون بكلامهم ؟ ..

السر أن اكثر هؤلاء الدعاة قد أصبح مظهر الدين جزءا من شخصياتهم وأصبحت مظاهر الاسلام من مقومات ذاتيتهم ، فتراهم يدافعون عن هذه المظاهر من حيث يدافعون عن شخصيتهم ومن حيث يذودون عن ذاتيتهم وكرامتهم . ويحس الآخرون بهذا ، فتستيقظ عوامل العصبية في نفوسهم ، ويقوم من ذلك حاجز يحول دون وصول كلمة الحق صافية الى افكارهم .

وانه لمنزلق خطير ما ينبغي أن يقع فيه المسلم اذ يدعو الى الاسلام ، وانما يترفع عن الانزلاق فيه بالتنبه الدائم الى حقيقتين عظيمتين :

الأولى : كراهية معصية العاصي لا كراهية شخصه ، فان كراهية الشخص من حيث ذاته حقد يأباه الاسلام وينهى عنه . وما ينهى الانسان عن فسوق أو عصيان أو كفر الا شفقة على المتلبس به .

الثانية : أن لا يخلط الانسان بين دافع الانتصار لربه والانتصار لذاته ، وما أدق الفرق بينهما لمن لا يكون دائم الرقابة على نفسه .

رب رجل ذي مظهر ديني يقابله بعض الفاسقين بتصرف ساخر من الدين ، فيأخذه الهياج ويتملكه الغضب ، وربما بطش به وضربه .. وهو لو تأمل فيما قد دفعه الى ذلك لرأى أنه حب الانتصار لشخصه ، اذ كان في تلك السخرية جرح لشخصيته الدينية .

وآية ذلك انه لو كان متجردا عن هذا المظهر ، لمر بذلك الفاسق غير مكترث به ولا ملتفت اليه ، ولما حرك العصيان أو السخرية لديه أي غيرة أو هياج .

وانما يحبس الفاسق في فسقه على الأغلب — انانية أو عصبية تستفحل بين جوانحه ، فلا يتأثر بتذكير ناصح ولا بتنبيه واعظ . والشيء الوحيد الذي يملك اذابة هذه العصبية والأنانية فيه ، أن يشعر شعورا واضحا بتجرد الانسان الذي ينصحه ويذكره ، وأن يقتنع بأنه لا يستهدف من نصيحته استعلاء عليه ، أو تغلبا ، أو تقوية لعصبته أو عصبيته . وانه انما يكلمه من مستوى الحب له والشفقة عليه .

فان زاد الداعي الى ذلك أن راح يقابل الايذاء بالصفح ، والسخرية بالرضى ، واستدبر حظ نفسه والانتصار لذاته ، فان ذلك من شأنه أن يوقظ كوامن الانسانية عند الطرف الآخر ، ويحيي في فكره موضوعية البحث والنظر .

وجل القائل في محكم كتابه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يستقبلون دعوة الاسلام بأهواء نفوسهم بدلا من أفكار عقولهم — : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر** » .

وانظر كيف طبق الرسول وصية ربه جل جلاله ، يوم بلغه قول رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول في غزوة المريسيع عن الرسول والمهاجرين : قد نافرونا وكاثرونا في دارنا ، والله ما أعدنا وجلابيب قريش « يقصد المسلمين » الا كما قالوا

سمن كلبك يأكلك ، أمـا والله لئـن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ! ..

وحسب بعض الصحابة أن النبى صلى الله عليه وسلم قاتله .. وقال له عمر رضى الله عنـه : ألا أضرب عنقه يا رسول الله ؟ .. وجاء عبـد الله بن عبدالله بن أبى بن سلول يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : بلغنى يا رسول الله انك تريد قتـل أبى ، فان كنت لا بد فاعلا فمرنى أنا أحمل اليك رأسه !..

ولكن رسول الله صلى اللـه عليه وسلم أبى أن يمسه بأذى وقال لابنه : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا .

لقد كان من آثار هذا الموقف مـن النبى عليه الصلاة والسلام ، أن انفض عن ابن سلول كثيـر من قومـه وجماعته ، فكان اذا حدثهم بحديث عن المسلمين بادروه بالمعارضة والتعنيف، ولقد قال عليه الصلاة والسلام لعمر رضى الله عنه بعد ذلك :

كيف ترى يا عمر ؟ .. أما والله لو قتلتهيوم قلت اقتله لأرعدت له آنف ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ..

. . . . .

يا مسلمون .. لقـد آن لنـا أن نستيقظ الى حقيقة الدنيا التـى من حولنا ، وأن يتعرف كـل منا علـى هويته :

إننا عبيد أذلاء ، مهرت أعناقنـا بختم العبودية لله عز وجل .

اننا جميعا موظفون .. ولكن فـى ديوان الله عز وجل .

فلننهض جميعا بالوظيفة التى كلفنا بها سيدنا .. ولا يهمنكـم رزق ولا مال فان سيدكم قد ضمن لكم ذلـك كله ، ان أنتم قمتم بمسؤولياتكـم الوظيفية تجاهه : « **لا نسألك رزقـا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** » .

ووظيفتنا نحن معشر العبيد لله ، النهوض بالدعوة الى دينه فى بيوتنـا ومدارسـنا وجامعاتنـا ومعاملنـا ووظائفنا وأسواقنا ، وبين زملائنـا وأصدقائنا ، لا نقيم محبة أو صداقة مع انسان الا على أساس الدعوة الى الله ، ولا نكره أو نبغض انسانا الا فى سبيل الله .

لا نحقد .. لأن الحقـد دخـان لنيـران الانتقـام الشخصـى ، وشخصياتنا ذائبة لا وجود لها فـى طريق الدعوة الى الله .

لا ننحاز لعصبية .. لأن العصبية مظهر لأنانية الجماعة ، ولا أنانيـة فردية أو جماعية فى بوتقة العبودية المطلقة لله .

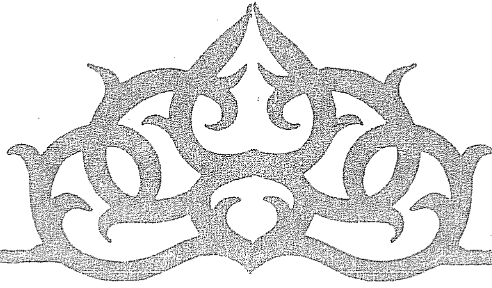
لا نطمع فى دنيا أو مصلحـة .. فقد كفانا مالك الملك كله ، كل طمـع فيمن دونه ..

قطب سعينا كله فى الدنيا هـو البحث عن الحقيقة .. الحقيقـة الكبرى التى تندرج فى تضاعيفهـا حقائق الدنيا أجمع . فاذا اهتدينا اليها فان من حق الأسرة الانسانية كلهـا علينا أن نعرض لهـا سبيل هـذه الحقيقة . وخيانة كبرى أن يهتـدى أحد الأخوين الى الطريق السليـم ، فينحط فيه معرضا عن أخيه الـذى أسلم نفسه لمتاهـة توصلـه الـى الهلاك .

هذه وظيفتنا جميعا .

فان نحن قمنا بها ، كان ذلك خيـر إحياء لذكرى رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ، وكان ذلك اقصر سبيل لنصر متكامل قريب ، ومجد صادق لا ينال منه عدو ، وقوة تخيف منكـم الدنيا كلها .

يأتيكم ذلك كله واكثر .. من حيث لا تحتسبون .



عصمة النبي

اثبت دعائم الأمن والثقة بالوحي

الدكتور وهبه الزحيلى

لست عادة ممن يكتبون فى الموضوعات التقليدية القديمة ، ولا من الذين يرددون مكرور القول المعاد ، او محـاكاة الغير والنقل عنهم ، الا فيما يتعلق بالمبادىء والأصول الثابتة ، فهذه حق مشاع للجميع ، وتركة غالية الثمن نحتفظ بها فى صميم القلب والروح ، ومنطلق اساسى لـكل محاولة تجديد بمعناه الصحيح ، وليس بمعناه الفوضوى الذى يريد دعاته التخلص من كل قديم بغيا وعدوانا لاحقا وانصافا ، وانما هو المستند الى القديم النافع ، والمبدا الاصيل الذى لا يتغير شان القرآن والسنة النبوية وما ضما بين جناحيهما من اصول القيم والفضائل التى حددت مقاصـد التشريع وابانت غاياته ومراميه العامة .

وعصمة الانبياء ، وان كان الكلام فيها قديما ، الا انها مبدأ متجسـد وماثل فى ذهن وعقيدة كل مؤمن بالرسالات الالهية صباح مسـاء ، ليل نهار . وقد حركتنى دوافع معينة للكتابة فى هذا الموضوع ، منها : ما نرى ونلمس فى الاوساط الكتابية الصحفية والتأليفية ، وغير الكتابية مما يتردد على السنة الناس هوسا وغوغائية من رصف واسباغ اوصاف مغالى فيها اما لبعض الزعماء والقادة الذين ينتصرون فى معركة حربية أو ثقافية ، أو ينجحون فى وضع خطة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ، واما لبعض العلماء الذين يبتكرون اختراعا هاما ، فيجعلهم عامة الناس اشبه بالاله

أو النبي المعصوم : « إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » .

وبما أن المؤمن بباعث إيمانه حريص على معرفة حقائق الاسماء والمسميات ، مسئول عن كل كلمة يتفوه بها ، فهو مطالب بمعرفة الفرق الواضح بين ما له صفة القداسة بمعناها الحق ، وبين ما هو عرضة للخطأ والانحراف ، وان أصاب أحيانا ، سواء أكان المصيب حاكما ذا سلطان قاهر ، أو عالما ذا باع واسع في ميدان العلوم .

أما صفة القداسة المطلقة فلا تكون الا للاله الواحد خالق الأكوان ، لا للآلهة المزعومة ، ويقترب من صفة القداسة نسبيا النبي أو الرسول المبلغ عن الاله وحيه وأحكامه وشرائعه . فضمانا لصحة التبليغ وامانة الوحي لا بد من توفر ما يعرف بالعصمة لكل نبي في تبليغ الوحي الالهي وما تقتضيه الرسالة ، وفيما يضمن له النجاح في أداء مهمته بتوفير السلامة والأمن والصون من أذى الناس .

فالعصمة اذا هي أوطد صمام أمان في وصول الشرع السماوي سليما لبني البشر ، وآمن وسيلة لتوفير الثقة والصحة والأمن من التبديل والتصديق بمضمون رسالة الانبياء عليهم السلام ، كاملة غير منقوصة .

ثم ان معجزة العصمة هي أول الاصول التي تساعد النبي أو الرسول في اظهار معجزاته المادية والمعنوية الخارقة لقانون العادة والقدرة المألوفة ، والدالة على صدق رسالته المؤيدة لادعائه النبوة من قبل الله تعالى .

ويجدر الكلام عن العصمة بمفهوميها السابقين : عصمة التبليغ ، والعصمة من الناس ، وذلك بتحديد معنى العصمة وأدلة ضرورتها ، ووقائع عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ايذاء الناس كنموذج للأنبياء . ويتخلل البحث عرضا لا قصدا تفنيد دعاوى المغالين بعصمة الأنبياء أو عصمة الأئمة الحاكمين بعدهم .

ويمكن الافادة بحق مما كتبه علماؤنا الأوائل كشرح المواقف للعضد الايجي والشريف الجرجاني ، وأصول الدين للبغدادي ، والاربعين في أصول الدين ، وعصمة الأنبياء للامام الرازي ، وأعلام النبوة للماوردي ، ومنهاج السنة النبوية ، وشرح العقيدة الاصفهانية أو الواسطية لابن تيمية الحراني .

أما حقيقة عصمة الانبياء بالمعنى العقدي فهي الا يخلق الله فيهم ذنبا . وهي عند الحكماء الفلاسفة : ملكة تمنع عن الفجور ، وتحصل بالعلم بمثالب المعاصي ، ومناقب الطاعات ، وتتأكد بتتابع الوحي اليهم بالأوامر الداعية الى ما ينبغي ، والنواهي الزاجرة عما لا ينبغي . وعرفها الشيخ المفيد من علماء الشيعة الامامية بأنها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه ، وهو لطف يمتنع من يختص به

عن فعل المعصية ، ولا يمنعه على وجه القهر . اى انه لا يكون له حينئذ داع الى فعل المعصية ، وترك الطاعة ، مع القدرة عليهما .

وقصر ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة — خلافا لبقية الشيعة — العصمة على الانبياء من حيث نزول الوحى عليهم ، فراى أن العصمة مقتضية أربعة أشياء :

أولها : أن يكون لنفس الانسان ملكة مانعة من الفجور ، داعية الى العفة .

ثانيها : العلم بمثالب المعصية ومناقب الطاعة .

ثالثها : تأكيد ذلك العلم بالوحى والبيان من الله .

رابعها : أنه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان والسهو لم يترك مهملا ، بل يعاقب وينبه ويضيق عليه العذر . وهذا الوضع الاخير مخالف لراى أغلبية الشيعة ، كما سنبين ، فمتى اجتمعت هذه الاوصاف الاربعة فى رأى ابن ابى الحديد ، كان الشخص معصوما عن المعاصى .

وقد أجمع اهل الملل والشرائع كلها على وجوب توفر صفة عصمة الانبياء عن تعمد الكذب أو الخطأ فيما يبلغونه عن الله تعالى من شرائع وأحكام وأوامر ونواهى وأخبار ، فلا يقع منهم تحريف أو خيانة فى ذلك ، لا عمدا ، ولا سهوا ، حفاظا على حقيقة الشرائع الالهية .

وكذلك هم معصومون عن كل ما تقتضيه الرسالة من عدم الوقوع فى الكفر والبدعة ، وتعمد الخطأ فى الفتوى ، والامتناع فى افعالهم واحوالهم عن اقتراف المعاصى الكبائر ولو سهوا فى رأى الايجى ، أو تعمد الذنوب الصغائر فى راى بعض العلماء كالرازى ، واجاز جمهور العلماء صدور الصغائر عنهم ولو عمدا ، الا الصغائر الخسة : وهى ما تلحق فاعلها بالأراذل كسرقة حبة أو لقمة ، فانها لا تجوز منهم أصلا لا عمدا ولا سهوا .

وهذا كله بعد الوحى والاتصاف بالنبوة وزمانها . أما قبل اتصافهم بالنبوة فلا مانع من صدور معصية منهم ، لأنهم بشر عاديون ، كحادثة القتل التى ارتكبها موسى عليه السلام قبل أن يصير نبيا .

وأما ما ورد فى القرآن من أخطاء الأنبياء : فهو اما على سبيل النسيان كمعصية آدم فى الجنة قبل أن يصير له أمة : « فنسى ولم نجد له عزما » ، واما على سبيل ترك الأولى .

وبغض النظر عن أى خلاف جرى بين العلماء فى احتمال وقوع النبى فى معصية كبيرة سهوا أو صغيرة عمدا ، فان الأمة قاطبة متفقة على أن الانبياء هم تحت مرصد دقيق للعناية الالهية ، وفى ظل مراقبة محكمة من الله حتى لا يستقر منهم الخطأ ، فلا يقرون على الخطأ . كما نقل — وهو حديث مكذوب — أنه القى على لسانه صلى الله عليه وسلم : « تلك الغرانيق العلى

وان شفاعتهن لترتجى » عقب قوله تعالى : « **واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى** » فقد نسخ الله ما ألقاه الشيطان ، وأحكم آياته : « **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى أمنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد** » .

وغلا الشيعة الامامية لا الزيدية فى شأن العصمة ، فقالوا بثبوتها للأنبياء قبل نبوتهم ، وكذلك للأئمة الحاكمين قبل امامتهم ، بل فى دور طفولتهم ، من الكبائر والصغائر كلها ، لا عمدا ولا سهوا ، ولا خطأ فى التأويل ، بل إنهم مبرءون عنها قبل الوحى وبعد الوحى .

والذى يهمنا بصدد الاقتداء بالنبى واتباعه فى قوله وفعله أن نؤكد قضية هامة : وهى أننا مطالبون باتباع ما يصدر عن النبى قصدا لا سهوا ، وقد وقع السهو والنسيان والخطأ فعلا من نبينا صلى الله عليه وسلم أثناء الصلاة بزيادة ركعة ، أو بصلاة ركعتين بدل الاربع ، من أجل ارشادنا وتعليمنا ، ولأن السهو والخطأ ليسا من الذنوب . روى مالك فى الموطأ : « انما أنسى أو أنسى لأسن » وأخرج الشيخان فى صحيحيهما : « انما أنا بشر أنسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكرونى » وقد ذكره الصحابة ، وسجد عقب الانتهاء من صلاته سجدتى السهو .

وأما التحريف والخيانة فى نقل الموحى به ، فهو أبعد ما يكون عن الانبياء ، لأنهم معصومون . وقد تكرر فى مناسبات متعددة فى القرآن تحديد مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوحى ، واتباع ما يوحى به اليه ، بل والتهديد بالعقاب الشديد فيما لو كذب فرضا ، أو غير وحرف جدلا ، فقال تعالى مثلا : « **ان عليك الا البلاغ** » « **انما أنت منذر** » « **قل : انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد** » « **ان اتبع الا ما يوحى الى** » « **وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى** » « **ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين** » . وقد نصل القرآن المجيد فى مطالب القرشيين المتعذرة بحكم العادة من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال سبحانه عارضا قصة هؤلاء المعاندين : « **وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل : سبحان ربى ، هل كنت الا بشرا رسولا** » .

وتقررت بذلك حقيقة كبرى : وهى أن الرسول بشر كسائر البشر

فيما لم يتصل بالوحي ، ولا يقدر أحد من البشر على الاتيان بشيء من الوحي من عنده ، قال تعالى مبينا هذه الحقيقة : ((**قل : ما كنت بدعا من الرسل**)) ((**وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى**)) ((**تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر ان العاقبة للمتقين**)) .

أما البراهين المثبتة لعصمة الانبياء ، فهي كثيرة ، دل عليها المنطق والعقل ، وأيدها القرآن الكريم ، وقد أوردها الامام الرازي ، ومنها : أن الانبياء قدوة للناس وواجب اتباعهم في اقوالهم وافعالهم بالاجماع لقوله تعالى في حق رسوله صلى الله عليه وسلم : ((**قل : ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**)) فلو وقع منهم ما يخالف مقتضى الرسالة من المعاصي حرم اتباعهم في ذلك وهو مخالف لعموم الأمر بالاتباع . وادى ذلـــك ايضـــا الى رد شهادتهم اذ لا شـهادة لفاسق بالاجماع لقوله تعـــالى : ((**ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**)) وكذلك يجب تعنيفهم وزجرهم للأمر العـــام بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي زجرهم ايذاء لهم ، وايذاؤهم حرام اجماعا ، ولقوله تعالى : ((**ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيـــا والآخرة**)) ، وكان عقابهم على الذنب مضاعفا ، لصيرورتهم أسوأ حالا من عصاة الأمة . ولا يستحقون حينئذ الائتمان على عهد الله لقوله سبحانه : ((**لا ينال عهـــدي الظالمين**)) وكانوا ايضا غير مخلصين ، علما بأن الشيطان لا يغوي المخلصين : ((**لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين**)) ، وصاروا بالذنب من حزب الشيطان وحزب الشيطان هم الخاسرون ، وما استحقوا الوصف بالمبادرة الى الخيرات من فعل وترك ، مع أن الله قال في ابراهيم واسحق ويعقوب والانبياء : ((**انهم كانوا يسارعون في الخيرات**)) وقال سبحانه : ((**انهم عندنا لمن المصطفين الأخيار**)) ، واصبحوا بترك الطاعة وفعل المعصية داخلين في قوله تعالى : ((**لم تقولون ما لا تفعلون**)) وقوله عز وجل : ((**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**)) ، ولما ثبت أنهم افضل من الملائكة ، ولما استحقوا الوصف بكونهم أئمة يقتدى بهم ، كما قال تعـــــالى في حق ابراهيم : ((**اني جاعلك للناس اماما**)) .

واستدل المعتزلة بناء على منهجهم في الاستدلال العقلي لاثبات رأيهم في عصمة الانبياء من اقتراف الذنوب الكبائر ولو سهوا ، والصـــغائر ولو عمدا وان تاب عنها : بأن ذلك يوجب النفرة عنهم ، وعدم الانقيـــاد لهم ، مما يؤدي الى اهدار المصلحة المترتبة على البعثة ، وافساد الخلائق ، وترك استصلاحهم . وهو أمر مخالف لمقتضى العقل والحكمة . ولذا يمتنع على الانبياء أيضا كل ما ينفر مطلقا حتى لو لم يكن من افعالهم ، وانما من اب ال غيرهم كعهر الأمهات أي كونها زانيات ، وفجر الآباء ودناءتهم واسترذالهم واقترافهم الصغائر الخسيسة .

واذا كانت هذه هي العصمة ومشتملاتها وأدلة ثبوتها والغاية منها فلا يمكن أن تكون لغير نبى ، سواء أكان حاكما اماما أو عالما . اذ بها فقط نضمن سلامة وصول الوحي السماوى الينا من غير تحريف ولا تأويل ، ولا نقص ولا زيادة ، فهى أمر ضرورى تفرضه طبيعة النبوة ، وتقتضيه الرسالة الالهية .

أما القول بعصمة الأئمة الحاكمين ، أو عصمة الارادة العامة للأمة ممثلة بالاجماع أحيانا ، فهو ذو وصف آخر يرتبط فى الحقيقة بامامة الناس وسياسة الدولة أكثر من ارتباطه بالنبوة ، وذلك من أجل اضفاء نوع من القداسة على السلطة الحاكمة ، أو تقرير سيادة الدولة فى مواجهة الرعية لتأمين اخضاع الفرد لدولته ، اذ ماذا يمكن لحاكم او لأهل الحل والعقد أن يقرروا من أمور دستورية ذات صبغة الهية ؟ فالقول بعصمتهم من الوقوع فى الخطأ مقيد فى نطاق تطبيق الشريعة الالهية ، لا من أجل تشريع مبتدأ . ومن هنا نفى سيدنا على رضى الله عنه أن يكون مخصصا بشىء من النبى فيما عدا الفهم البشرى الذى يؤتيه الله لانسان فى كتاب الله ، فلم يصف سيدنا على نفسه بالعصمة ، بل ولم يتقبل مثل هذا الوصف الذى أطلقه عليه غيره فى عهد متأخر أو فى عهد جعفر الصادق رضى الله عنه . لذا لم يقل الزيدية بمبدأ عصمة الامام . ونحن لا نجد حاجة فى مناقشة حجج الامامية القائلين بذلك ، لأنهم أراحونا فقالوا بعدم وجود الامام المعصوم من زمان بعيد ، وأدلتهم وان قبلت من الناحية النظرية وفى النطاق السياسى ، لكنها تصطدم بالواقع ، فاذا كانت الامة بحاجة الى معصوم يحفظ لها الشرع ويقضى بالوقائع المتجددة ، فهذا مجرد تصور عقلى وتمن مجرد ، لا يلائم الواقع بعد انقطاع الوحى . ويفضل أن تثبت العصمة لمجموع الأمة ، لأن نقل الشرع بطريق التواتر خير من نقله من طريق الشخص الواحد ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تجتمع أمتى على ضلالة » أو « على خطأ » .

ويكفى فى الامام الحاكم عدالة ظاهرة بموافقة الشريعة ليتبع أمره وتخضع الرغبة لسلطانه ، كما أن القاضى والأمير والمجتهد يتبعون وهم ليسوا بمعصومين ، هذا فضلا عن أن القول بعصمة الحاكم وتقديسه ، أو القول بسيادة الدولة المطلقة أصبح لا يتفق مع مفاهيم الحياة الحديثة والانظمة الديمقراطية ، بل ومبدأ الاسلام الذى يقضى بمسئولية الحاكم

واخضاعه لرقابة الأمة ، فتطيعه اذا استقام ، وتحاكمه وتعزله ان انحرف وزاغ عن سنن الحق .

وأما العصمة بالمعنى الثانى المكملة لمعنى العصـــمة فى التبليغ عن الاله : وهو صيانة النبى عن أذى النــــاس ، فأمر ثابت لكل نبى بعد اداء رسالته ، لتتحقق الغاية المرجوة من ارساله : وهى اصلاح البشرية وتبليغ مضمون الرسالة السماوية لهداية الانسان . وأذكر هنا كأنموذج للأنبياء معجزات عصمة نبينا محمد صّلى الله عليه وسلم التى أظهرها الله تعالى له بعد ثبوت نبوته بمعجز القرآن واستغنائه عما سواه من البرهان ، ومن هذه المعجزات تكرر حدوث وقائع متعددة وفرت له الحصانة والصون والنجاة من أذى الأعداء ، تحقيقا لقوله تعـــالى : ((**والله يعصمك من النـــاس**)) ومن ذلك : نجاته صلى الله عليه وسلم من مؤامرة القتـــل التى دبرها له مشركو قريش ليلة هجرته الى المدينة المنورة بصحبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه : « **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين**)) وحينما اكتشف سراقة بن مالك النبى وصاحبه فى الطريق الى الغار ساخت أقدام فرسه فى الارض الى ابطها ، فقال : « يا محمد ادع الله أن يطلقنى ، ولك على أن أرد من جاء بطلبك ، ولا أعين عليك أبدا » ثم أسلم وحسن اسلامه .

وقبل الهجرة أيضا حاول قتله عليه الصلاة والسلام نفر من عظماء قريش وهم معمر بن زيد من سادات بنى كنانة ، وكلدة بن أسد أبو الأشد ، وأبو لهب ، وعتبة بن ربيعة ، ثم ارتدوا على أعقابهم خاسـئين ، وقال معمر لقريش حينما هم بقتله فى حجر ابراهيم : « ويحكم المغرور ممن غررتموه .. انى لما دنوت من محمد ، فأردت أن أهوى بسيفى اليه ، أهوى الى من عند رأسه شجاعان أقرعان ينفخان بالنيران ، وتلمع من أبصارهما ، فعدوت ، فما كنت لأعود فى شىء من مساءة محمد » ولما أراد كلدة قتله فى الطريق وهو ذاهب الى المسجد ، رجع السهم فى صدره . ولم يقدر أبو لهب من قتله رغم وقوف امرأته أم جميل على ظهره عليه الصلاة والسلام وهو ساجد . وقال عتبة ــ الذى حاول القتل بعد أن قرأ عليه الرسول أوائل سورة (فصلت) الى قوله تعالى **(لمثل صاعقة عاد وثمود)** ــ مخاطبا قريشا : «ويحكم دعونى ، انه كلمنى بكلام لا أدرى منه شيئا ، ولقد رعدت على الرعدة ، حتى خفت على نفسى ، وقلت : الصاعقة قد أخذتنى » .

وبعد الهجرة أراد رجل اسمه (دعثور) قتل النبى حينما انفرد بنفسه فى غزوة ذى أمر عن أصحابه ، فسقط السيف من يده ، حينما استله ، قائلا

للرســـول : « من يمنعك منى » فأجابه : « الله » ، ثم أخذه النبى عليــه السلام .

وفى موقعة حنين اراد شيبة بن عثمان بن أبي طلحة قتل الرســـول حينما رآه منفردا عن صحبه ، وقال : « اليوم أدرك ثأرى ، وأقتل محمدا » ، لأن أباه قتل يوم أحد فى جماعة اخوته وأعمامه . ثم خذله الله ، فقـــال : « فلما أردت قتله ، اقبل شىء حتى تغشى فؤادى ، فلم اطق ذلك ، فعلمت أنه ممنوع » .

وحينما اتفق عامر بن الطفيل واربد بن قيس (اخو لبيد بن ربيعـــة الشاعر لأمه) على أن يشغل الاول النبى ، ويضربه الثانى بالسيف ، بدت اعظم مظاهر الخيبة لهما ، اذ امسك الله يد (أربد) الذى سل سيفه قريبا من ذراع ، فلم يستطع أن يسله ولا أن يغمده . ثم دعا النبى عليهما ، فمات عامر بالطاعون ، وارسل الله على اربد وعلى جماله صاعقة أحرقتهم .

قال الماوردى فى أعلام النبوة عقب هذه الحوادث وأمثالها : « فان قيل : فهذه أخبار آحاد لا يقطع بمثلها ؟ قيل : العداوة ظاهرة ، والطلب معلوم ، والسلامة موجودة ، فلم تدفع جملة الاخبار ، ولم يصح فى جميعها توهم الكذب ، وان جاز فى آحادها توهم الكذب ، كالمحكى من سخاء حاتم ، وشجاعة عنترة » أى أن ثبات عصمة النبى صلى الله عليه وسلم واضح من طريق التواتر المعنوى : وهو ما اختلفت فيه الفاظ النقل ، واتحد فيه مضمون الخبر .

هذه هى عصمة النبيين التى كانت أولى الوسائل للحفاظ على آخر الكتب السماوية وخاتمة الوحى الالهى منذ بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والى يوم القيامة صحيحا غير محرف سليما غير مبدل ، الا وهو القرآن المجيد هداية العالمين ونور السماء والارض : « **وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين** » « **وما هو بقول شيطان رجيم . فاين تذهبون . أن هو ذكر للعالمين** » .



من الرباط الى لاهور :

بإحراق إسرائيل للمسجد الأقصى في اغسطس ١٩٦٩ ، بدأ المسلمون الذين يشكلون — في حقيقتهم — أمة مشتركة العقيدة والتاريخ والأهداف والمصير ، يتأكدون — بوضوح — من حقيقة الغارة اليهودية على فلسطين .

إنها تحد جديد موجه الى الإسلام ، بدأ بإحراق المسجد الأقصى ، لكنه لن ينتهي — اذا ظل المسلمون على حالهم من التفكك والتخلف — إلا بإحراق أستار الكعبة ، وهدم مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، واغتصاب أرض الجزيرة ، التي عاش فيها ذات يوم يهود خيبر ، وبنو النضير ، وبنو قينقاع ، وبنو قريظة !!.

هكذا يخطط اليهود ، وتلك اهدافهم التي يعلنونها ، في كل مناسباتهم الدينية : « السيطرة على العالم الإسلامي بدءاً من السيطرة على العالم العربي ومقدساته ، وتكوين امبراطورية يحكمها حاخامات بني إسرائيل » . . . !!

ولم يمض شهر على إحراق المسجد الأقصى ، حتى عقد زعماء المسلمين مؤتمر القمة الاسلامي الاول في سبتمبر ١٩٦٩ ، بمدينة الرباط بالمغرب ، لبحث مشكلة المقدسات الإسلامية والمسجد الأقصى بخاصة .



● ادى حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح صلاة الجمعة فى مسجد (بادشاهى) بالباكستان . ويبدو سموه فى مقدمة المصلين ، كما يبدو الى جانب سموه جلالة الملك فيصل ، ملك المملكة العربية السعودية ورئيس مجلس قيادة الثورة الليبي الرئيس معمر القذافى ، ويبدو كذلك الشيخ عبد الله الجابر الصباح المستشار الخاص لصاحب السمو الأمير المعظم .

ولأن مؤتمر الرباط كان مجرد رد فعل عاطفى على حادث الأقصى ، ولأنه ــ كذلك ــ عقد فى ظروف نفسية وتاريخية صعبة ــ فانه لم يسبقه إعداد تمهيدى ، ولم يكن لديه برنامج محدد « جدول أعمال » ، وبالتالى فانه لم ينته الى إصدار أية قرارات ، وانما تركزت قيمته الحقيقية ، فى أنه إعلان عن بداية مواجهة المسلمين للتحديات التى تواجههم ، واعلان ــ كذلك ــ عن أن الشعور الاسلامى والتضامن الاسلامى لا يزالان بخير فى الأمة الاسلامية .

وخلال السنوات الأربع التى تلت قمة الرباط تتابعت مؤتمرات إسلامية على مستوى وزراء الخارجية : فى جدة ١٩٧٠ ، وكوالا لامبور ١٩٧١ ، وجدة ــ مرة ثانية ــ ١٩٧٢ ، وبنغازى ١٩٧٣م ، بما أكد أن اتجاه المسلمين الى التضامن قد بدأ يشق له طريقا واضحا ، أكثر وعيا وتنظيما وإيجابية .

المناخ الجديد :

ــ لقد تغيرت فى هذه السنوات التى تلت مؤتمر الرباط كثير من المعادلات الدولية التى اكدت للمسلمين أن طريقهم الى الحياة والتقدم لن يكون بغير وحدتهم الاسلامية ،واعتمادهم على الله وعلى أنفسهم ، كما أن الوجه الحقيقى لأعداء المسلمين ــ على اختلافهم ــ قد تكشف إزاء عديد من القضايا التى هزت الكيان الاسلامى هزا عنيفا .

ـ ومع هذه الرؤية التى بدأت تتضح لأنظار المسلمين ، وقمت حرب العاشر من رمضـــان التى ظهر العرب فيها بوجـــه مشرف للإســـلام والمســـلمين ــ فأعطت هذه الحرب الكريمة للمسلمين والعرب روحا جديدة ، تؤكد حقيقة الوحدة التى تضمهم ، وتؤكد أنهم يملكون طاقات ضخمة تؤهلهم لتحرير أنفسهم ، وتحقيق التقدم والتفوق فى المجالات المختلفة ، شريطة السير فى تحقيق الوحدة ، وتحقيق الاعتماد على الله وعلى الذات .

وفى ظل الرؤية الجديدة ، وهـــذا الشعور الجـــديد ، انعقد مؤتمر القمة الاسلامية الثانى بلاهور فى يوم الجمعة (٣٠ محرم ١٣٩٤هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٧٤م) .

أكبر تجمـــــع إســـــلامى :

وجهت سكرتارية المؤتمر الاسلامى الدعوة الى الدول الاسلامية الأعضاء ، فلبىّ النداء احدى وثلاثون دولة من بينها تسع عشرة دولة عربية ــ باستثناء دولة عربية واحدة ، ومع اعتبار منظمة التحرير الفلســـطينية ممثلة لشـــعب فلســـــطين .

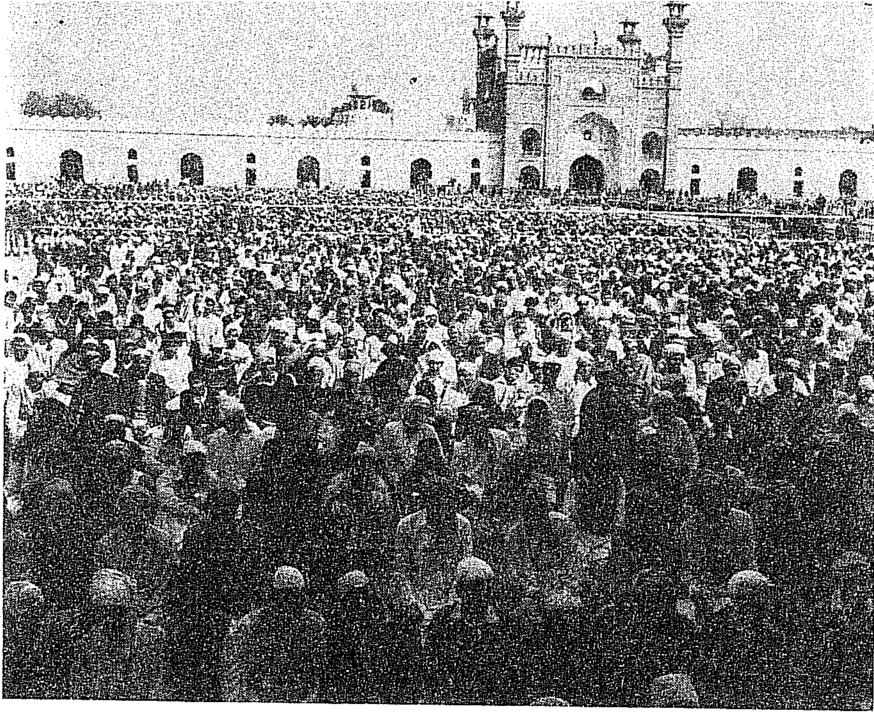
وقد طلب الانضمام لعضوية المؤتمر الاسلامى ست دول إفريقية تمّ قبول طلبها ، وقبول حضورها المؤتمر وهى : الجابون (التى اعتنق رئيسها عمر بونجر الاسلام مؤخرا) وغامبيا ، والكاميرون ، وأوغندا ، وفولتا العليا ، وغينيا بيساو .

وبقيـــة الدول الاسلاميـــة المشتركـــة هى : باكستان ، واندونيســـيا ، وأفغانستان ، وتركيـــا ، وايران ، وماليزيا ، وتشـــاد ، والنيجر ، وغينيا ، والسنغال ، والصومال ، ومالى . وأخيرا ، انضمت بنغلادش ، بعد محاولات الوفاق بينها وبين باكستان ، فبلغ بذلك مجموع الدول المشتركة فى المؤتمر ثمان وثلاثين دولة إسلامية .

مؤتمـــــر لاهـــور :

فى مسجد « باد شـــاهى » الذى شـــيده الامبراطـــور المغولى المســـلم « أورانجزيب » منذ ثلاثة قرون .. فى هذا المسجد الذى يعدّ من اكبر وأجمـــل مساجد العالم ، والذى ارتبط اسمه بالشاعر والفيلسوف المسلم « محمد اقبال » .. فى هذا المسجد قام الملوك والرؤساء بأداء صلاة الجمعة ، ووراءهم مائة الف مسلم ، حيث أمّهم حامى حمى الحرمين ، **عاهل السعودية ، الملك فيصل .**

ــ وبعد الجمعة ، توجـــه الزعماء المسلمون الى مقر المؤتمـــر ليبـــدءوا عملهم الذى استمر ثلاثة أيام متتالية . وقر ركز « جدول الأعمال » ــ الذى كان وزراء الخارجية قد انتهوا اليه ــ على قضية واحدة محددة ، ذات أبعاد ثلاثة



● جموع المصلين الذين توافدوا على مسجد بادشاهى بالباكستان لتادية صـــلاة الجمعـــة ، حيث اجتمع اكبر عدد من رؤساء الدول الاسلامية فى العالم لتـــادية صلاة الجمعـــة فيه .

... اما القضية فهى قضية الشرق العربى ، وأما ابعادها الثلاثة فهى : « عروبة القدس وإسلاميتها ــ حقوق شعب فلسطين ــ انســـحاب اسرائيل من الأرض العربيـــة المحتلة » .

ولم يمنع هذا التركيز المؤتمر من أن يصل الى قرارين مهمين عـــاجلين ، احدهما خاص بقضية « الفلبين » ، والآخر خاص بقضية « الارتفاع بالمســـتوى الاقتصـــادى للأمة الاسلاميـــة » ، حتى لا تقع فريسة المســـاعدات الخارجية الخبيثـــة !!

وكما بدأ المؤتمر واضحا ، فانه انتهى ــ كذلك ــ واضحا .. فكانت قراراته التى اقرها فى جلسته الختامية تؤكد فى مجموعها وسائل تحقيق الأهـــداف التى وردت فى جدول الأعمـــال .

ولما كان الأستاذ وزير الأوقاف والشئون الإسلاميـــة ، عضوا فى الوفـــد الكويتى الذى رافق صاحب السمو أمير الكويت المعظم الى المؤتمر ، توجهنا إليـــه بالأسئلة الآتيـــة :

● سيادة الوزير : **« صرح صاحب السمو امير البلاد المعظم ، بأن مؤتمر لاهور كان مؤتمرا عمليا وإيجابيا ، امتاز بالنظرة الواقعية » هل تتكرمون بتفصيل هذا التصريح من خلال معايشتكم للمؤتمر وقراراته ؟**

ــ أجاب سيادته :

« لقد كان مؤتمر القمة الذي عقد في مدينة لاهور عاصمة « البنجاب » الإقليمية ، متفهما للقضية العربية ، مدركا أنها قضية تهم كل مسلم . وليست قضية عربية فقط ، وانها ــ قضية كل البلاد التي تقف ضد الظلم والعدوان ، وقضية كل أولئك الذين يؤمنون بأن من حق كل شعب أن يقرر مصيره بإرادته الحرة .

وبالنظر لما توفر لهذا المؤتمر من تجمع إسلامي كبير ، ضم مختلف المناطق الاسلامية ، شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ، فقد عبّر المؤتمرون باجتماعهم هذا ــ عن روح التضامن الاسلامي والأخوة الاسلامية التي حث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : **((ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))** ..

وأيضا الى بالنظر الى الروح التي سادت هذا المؤتمر وهي روح الأخوة الاسلامية الصافية الصادقة .

وبالنظر للقرارات التي اتخذها المؤتمر ، وهي القرارات التي أعطت للقضايا العربية الاسلامية دفعا معنويا وواقعيا طيبا ..

ــ بالنظر لهذا كله ــ يتأكد بجلاء أن مؤتمر لاهور ، كان ــ حقيقة ــ مؤتمرا عمليا وايجابيا وواقعيا .

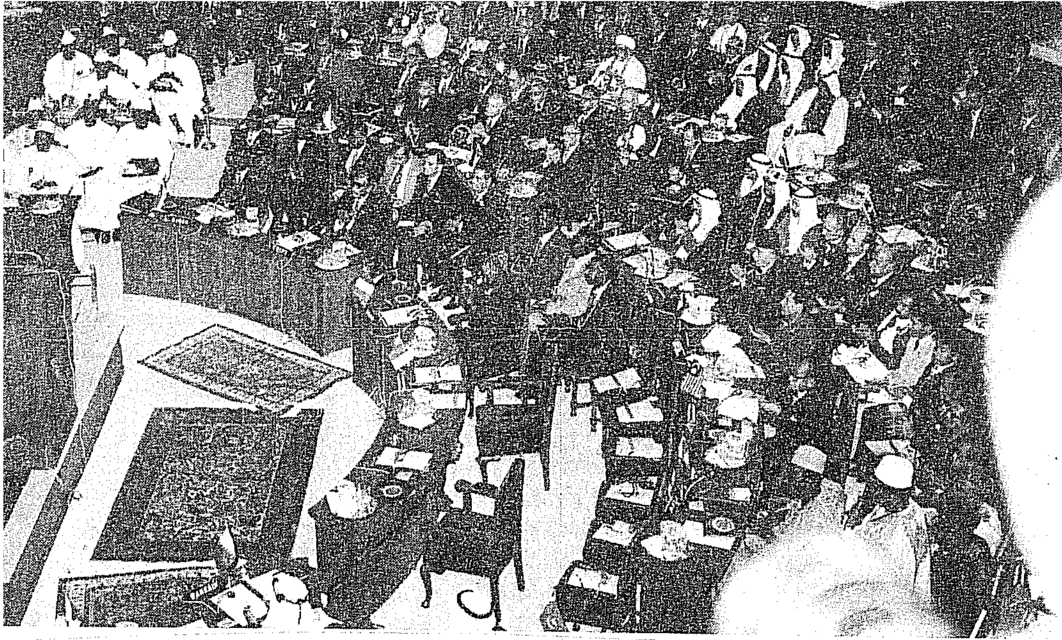
● **هل أعطى المؤتمر قضايا إسلامية أخرى ــ غير القدس وفلسطين ــ نصيبا من جهده وقراراته ؟**

ــ نعم ، أهتم المؤتمر ببعض القضايا الاسلامية الملحة ، غير قضيتي القدس والشرق الأوسط ... وعلى سبيل المثال ، فان مشكلة الفلبين أخذت حيزا كبيرا من اهتمام المؤتمر ، واتخذت بشأنها قرارات مناسبة وجدية ، وشكلت لجنة لمتابعة هذه القرارات ، وأيضا .. نجح المؤتمر في تقريب الخلاف بين باكستان وبنغلادش ، وفي حضور الشيخ مجيب الرحمن الى المؤتمر ، واعتراف باكستان ببنغلادش . وغير خاف الجهد الكبير الذي قامت به الكويت ــ بالذات ــ في هذا السبيل ــ وانه بحق لجهد ريادي ضخم ..

ومع ذلك ، وفيما يتعلق بهذا السؤال أحب أن أقول : إن القضايا الاسلامية كثيرة ، ومن الصعب تناولها بالقدر المطلوب لها في مؤتمر « القمة » ، والمعروف أن مؤتمرات وزراء خارجية الدول الاسلامية المتتالية تقوم بمتابعة القضايا الاسلامية كلها ، وأما اجتماع « القمة » فهو لعلاج قضايا حاسمة وملحة وعاجلة .

هذا فضلا عن أن مؤتمر القمة الاسلامي كان يسير وفق « جدول أعمال » انتهت اليه الاجتماعات التمهيدية لوزراء الخارجية ، وتم فيها وضع القضايا ذات الأولوية أو الخطورة أمام الزعماء المسلمين . وهي تلك القضايا التي تستدعي جهد « القمة » نفسها ، ومشاركتها مشاركة مباشرة .

● **مع تقديرنا لقرارات المؤتمر المحددة حول القدس والحق العربي والفلبين ... هل صدرت قرارات عامة تؤكد بداية التضامن الاسلامي ، وتخدم مجموع المسلمين ؟**



● جانب من حفل افتتاح مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهور

ــ لقد تدارس المؤتمر الموقف الاقتصادى الاسلامى بصفة عامة ، ووضع البلاد الاسلامية الاقتصادى بصفة خاصة .
وبناء على هذه الدراسة ، قرر إنشاء لجنة تتكون من ممثلين وخبراء من الجزائر ، ومصر ، والكويت ، وليبيا ، وباكستان ، والمملكة العربية السعودية ، والسنغال ، ودولة الامارات العربية .
ــ وابرز أعمال هذه اللجنة إيجاد الوسائل والأساليب التى تهدف الى تخفيف المصاعب الاقتصادية التى تواجهها الدول النامية ، والتى تنظم شروط التبادل التجارى بين الدول المتقدمة والدول النامية ، فيما يتعلق بموارد المواد الخام واستيراد السلع المصنعة والخبرة الفنية .. وكل هذا فى سبيل القضاء على الفقر والمرض والجهل فى البلاد الاسلامية ، وإنهاء استغلال الدول الصناعية الكبرى للدول الاسلامية .
واعتقد أن هذا القرار الاقتصادى سيكون له أثر حميد فى خدمة الأمة الاسلامية كلها ، وحل كثير من مشاكلها التى تكاد تكون مشتركة بين أكثر دولها .

● من بين قرارات مؤتمر وزراء الأوقاف العرب المنعقد بالكويت فى المحرم ١٣٩٣ ، إنشاء ((مكتب تنسيق إسلامى)) ... هل تم انشاء هذا المكتب ؟ والا يمكن عن طريق هذا المكتب ــ بعد مؤتمر لاهور ــ التخطيط لعقد مؤتمرات وزراء الأوقاف على مستوى العالم الاسلامى كله ؟

ــ الحق أن مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية العربى الذى عقد فى الكويت ، كان مؤتمرا تأسيسيا فقط ، وبالتأكيد ، وبعد ظهور طابع التضامن الاسلامى .. لا شك أن التنسيق سيكون قائما بين مؤتمرات وزراء الأوقاف والامانة العامة للمؤتمر الاسلامى ، لتتولى هى مهمة مكتب التنسيق الاسلامى . وسيكون من السهل بعد ذلك عقد مؤتمرات لوزراء الأوقاف والشئون الاسلامية على مستوى العالم الاسلامى ، ولا سيما وأن معظم وزراء الأوقاف

والشئون الاسلامية كانوا أعضاء فى وفود بلادهم الى مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهــور .

● **هل تقابلتم وبعض السادة وزراء الأوقاف الذين حضروا الى لاهور ؟**

ـــ التقيت بأكثر من وزير للأوقاف والشئون الاسلامية ، وتباحثت معهم في القضايا التى تهم العالم الاسلامى ، والتى يمكن التعاون فيها لخدمة الاســـلام والمســـلمين .

ومن هؤلاء الإخوة الوزراء الذين التقيت بهم : وزير الشئون الدينية والتعليم الأصلى بالجزائر « مولود قاسم » ، ووزير الشئون الدينية فى موريتانيا « أحمد ابن آل عمر » ، ووزير الأوقاف والشئون الاسلامية فى المغرب « الناصرى المكى » والدكتور « عبد العزيز كامل » نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف فى مصر ، وغيرهم من إخوانى المسئولين عن الشـــئون الاســـلامية فى البلاد العربيـــة والاســـلامية .

● **ايمكن بعد مؤتمرى الرباط ولاهور أن نقول : ان هناك قوة اسلامية ، ذات شخصية مستقلة ، وأهداف مشتركة ، بدأت تظهر على المسرح الدولى ؟**

ـــ الحقيقة أن هذا التجمع الاسلامى الذى تمثل فى مؤتمر القمة بلاهور ، أعطى العالم الاسلامى مميزات وملامح مستقلة ، كقوة مادية ومعنوية دوليـــة ، لها عقيدتها الخاصة ، ولها رسالتها نحو الانسانية . وهى تملك المقومات المشتركة التى تربط بين أعضائها ، وتمكنها من متابعة مسيرتها ، وتحديد موقفها من الصراع الحضارى الدائر فى عالم اليوم .

والأمل كبير فى أن هذا التجمع الاسلامى ، سيكون له ما بعده من مظاهر الوحدة والتضامن بين أعضاء خير أمة اخرجت للناس ، حتى يعود المســـــلمون ـــ باذن الله ـــ الى مكان القيادة من جديد ، فينقذوا المدنية الحديثة من هـــاوية السقوط الأخـــلاقى ، وعبادة المادة ، واستعباد الانسان لأخيه الانسان . وما ذلك على الله ببعيـــد !!

اضواء اخيرة على المؤتمـــر :

إن التقويم الموضوعى لمؤتمر لاهور يوجب نظرة شمولية الى النتائج القريبة والبعيـــدة التى اسفر عنها المؤتمر .

وفى يقينى أن القرارات التى انتهى اليها المؤتمر ، لا تعدو ان تكون جزءا محـــدودا من آثاره البعيـــدة المدى فى قضية التضامن الاسلامى ، والنهضـــة الاســـلامية .

والمتتبع لحركة المؤتمر الدائبة خلال أيامه الثلاثة ، يلاحظ التفاعل والتلاحم بين أعضـــاء الجسم الاسلامى ، الذى اجتهد الأعداء فى تمزيقه وتشتيته ، فهنا

وهناك لقاءات ، ومباحثات « واتصالات جانبية » ، « ومساع حميدة » ومحاولات جادة لإزالة الخلافات الطارئة المصطنعة التي تراكمت بفعل المخطط الاستعماري والتدخــلات الأجنبيـــة .

ــ ولقد أثيرت خلال الجلسات قضايا حيوية ، يعتبر مجرد إثارتها ، والتفكير فيها هذا التفكير الجدى ، وطرحها للحوار على النحو الذى طرحت به ــ عمــلا ايجابيا فى حد ذاته : فقضية المصرف الاسلامى ، والسوق الاسلامية المشتركة ، والالتزام بالدفاع عن أية دولة اسلامية يعتدى عليها ، وإنشاء جامعة اســلامية للتكنولوجيا ، وعدم السماح بنزول الطائرات الاسرائيلية في الأرض الاسلامية ، والانتقال بالتعاون الاسلامى من دائرة الشعارات الى دائرة التنفيذ الفعلى عــن طريق التعاون الاقتصادى بين الدول الاسلامية بعضها البعض .

... هذه القضايا الحيــوية التى طرحت فى لاهور على مائدة الحــوار ، وأخذت طريقها الهادىء الى لجان المؤتمر الاسلامى ، كانت منذ سنوات قريبــة حلما ، لا يكاد يصل إليه الخيـــال .

ــ وظاهرة أخرى جديرة بالنظر ، فان المجموعة العربية ، قد ظهرت خلال المؤتمر كمجموعـــة متماسكة قوية ملتزمة جــديرة بأن تعود الى قيـــادة العالم الاسلامى من جــديد .

ــ ومع اننا كنا نأمل فى حضــور قادة « أندونيسيا وايران وتركيــا » شخصيا ، لأن ذلك كان من شأنه ابراز « التضامن الاسلامى » على نحو أقوى ، إلا اننا نعتقد أن ظاهرة التضامن الاسلامى فى طريقها الى أن تصبح ظاهرة عامة ، لا توقفها عوارض جزئية طارئة !!

ــ لقد أعلنت مقدمة البيان الختامى للمؤتمر ، أن ملوك ورؤســاء الدول والحكومات وممثلي البلاد والمنظمات الاسلامية يعربون عن :

- « إيمانهم بأن دينهم المشترك انما يمثل رابطة لا انفصام لها بين شعوبهم » .

- « ويقينهم بأن للبلاد الاسلامية دورا رئيسيا فى الكفاح من أجل التقـــدم الجماعى وخلق نظام عالمى يقوم على العدل والإنصاف » .

- « وتصميمهم على صون التضامن بين الدول الاسلامية وتنميته » ..

ــ ان هذه الروح الجديدة التى عبَّرت عنها مقدمة البيان الختامى للمؤتمــر هى أبرز « المنطلقات » التى تهم حركة التاريخ ، لأنها الإعلان عن انطلاق « الارادة الاسلامية » و « التضامن الاسلامى » و « الروح الاسلامية » القادرة على قهر التحديات ، وصنع الحضارة ، وإعادة بناء الانسان المسلم والانسانة المسلمة .

عبد الحليم عويس

مائدة القارئ

« ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » .

ـ قرآن كريم ـ

والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أهل النار .

ـ حديث شريف ـ

الايمان طمأنينة

مر ابراهيم بن أدهم على رجل ينطق وجهه بالهم والحزن ، فقال له :

أيها الرجل انى سائلك عن ثلاث ، فأجبنى عنها . فقال الرجل : نعم

قال : أيجرى فى هذا الكون شىء لا يريده الله ؟ قال : كلا . قال : أفينقص من رزقك شىء قدره الله لك ؟ قال : كلا . قال : أينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك فى الحياة ؟ قال : كلا . قال ابراهيم : فعلام الهم اذن .

نساء الأنصـــار

قالت ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها : ما رأيت أفضل من نســـاء الأنصار أشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل .. لما نزلت فـي سورة النور : ((وليضربن بخمرهن على جيوبهن)) انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما أنزل الله اليهم منها ، يتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذى قرابته ، فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقا وايمانا بما أنزل الله من كتاب فاصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنهن على رءوسهن الغربان .

اجير أو أميــر

دخل أبو مسلم الخولانى علـى معاوية بن أبى سفيان فقال :

السلام عليك أيها الاجير فاستنكر ذلك جلساء الخليفة ، وقالوا له : قل السلام عليك أيها الأمير ، فاعـــاد السلام عليك أيها الاجير ، قالوا : بل قل ايها الامير ، فأصر على قوله وهنا فطن معاوية الى قصده ، وقال : دعوا أبا مسلم فانه اعلم بما يقول .

فقال أبو مسلم : انما انت أجير استأجرك رب هذه الأمة لرعايتها ، فان أنت داويت مرضاها ، وحبست أولاها على أخراها وفاك سيدهـا أجرك وان أنت لم تفعل عاقبـــك سيدك ..

جائزة وعقوبـــة

مثل رجل بين يدى المنصور ، ورمى بابرة ، فغرزت فى الحائط ، ثم أخذ يرمى واحدة بعد الأخرى ، فكانت كل أبرة تدخل فى ثقب سواهــا حتى بلغ عدد الابر مائة ، فاعجب المنصوربه ، وامر له بمائة دينار وحكم عليه بمائة جلدة ، فارتاع الرجل وسال عن السبب ، فقال له المنصور :

اما الدنانير فلبراعتـــك ، وأما الجلدات فلاضاعتك الوقت فيمـا لا ينفع .



الشيخ عبد الحميد السائح

ميلاد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم حدث من الأحداث العالمية ، التي غيرت مجرى التاريخ ، وكان لها الأثر الأكبر ، فيما حدث بعد ذلك ، من تغييرات جوهرية في الجزيرة العربية وفيما حولها ، ثم في الأقطار والأمصار ،التي وصل اليها الإسلام بدعوته الخيرة ، وأخلاقه العظيمة ، التي كانت تتمثل في تطبيق المسلمين أحكام الاسلام في معاملاتهم وتصرفاتهم ، وكان رسل الاسلام ومبعوثوه وتجار المسلمين مرآة للاسلام سلوكا وصفاء ، وعدلا ووفاء ، فجذبوا غيرهم اليهم ، وانتشر الاسلام في انحاء المعمورة .

ولكن هل وفي المسلمون بحق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تفرقوا أيدي سبأ ، وأصبح كل فريق يناوىء الآخر ، ويخطط لقهره أو التغلب عليه ، وشاعت العصبية بثوب الحزبية ، والمبادىء المستوردة ، وأصبح كل جماعة يتنادون لما يلتفون حوله من آراء ، ولو عارضت الاسلام في مخططاته ومعتقداته ، وقد نحى الاسلام عن الحكم والتشريع ، وابعد القرآن عن العمل والتطبيق ، وهجر الاسلام في دواوين الدولة ، ومجتمعات الأمة ، على اختلاف أنواعها وأشكالها ، واكتفينا من ذلك كله بالمظاهر ، وأغرقنا في البعد عن الجواهر ، مع أن هذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » (١) ، والله تعالى يقول : (**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم**) (٢) .

وقد أرسل الله هذا الرسول العظيم رحمة للعالمين ، ينقذهم من جهالاتهم وضلالاتهم ويصرفهم عن عصبيتهم وأهوائهم ، ويجعلهم مثال العدالة والاستقامة ، قال تعالى : « **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) (٣) .

وقال سبحانه : (**وما ارسلناك الا رحمة للعالمين**) (٤) .

يا مسلمون : هذا الرسول الأعظم نعمة الله عليكم فلا تكفروها ، وهبة الله اليكم فلا تجحدوها ، ومصدر كل خير فاجعلوه قدوتكم وإمامكم ، وليكن الحكام السباقين ، حتى يتبعهم المحكومون ، ولتعم خيرات هذا الرسول صلى الله عليه وسلم البيت والمدرسة والشارع وكل المجتمعات ، تغترف من هديه وتستنير بتعاليمه حتى نصبح حقيقة مسلمين مؤمنين ، بشريعة الله عاملين ، ولهدى الرسول مطبقين ، (**قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم . انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون**) (٥) .

وحينئذ يتسابق المؤمنون فى ميادين البر والخير والعمل الصالح ، وجهاد الأعداء والحفاظ على كرامة المؤمنين ومقدسات المسلمين ، فى سبيل ارضاء الله والرسول وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : (عند الله خزائن الخير والشر ، مفاتيحها الرجال ، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر ، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير) (٦) .

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على ان يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) : رواه الترمذى ، وفى رواية غير الترمذى . احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك ، وما اصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا) (٧) .

فهذه الهداية النبوية وأمثالها هى التى دفعت أصحاب رسول الله الى ميادين القتال والشهادة دفاعا عن الاسلام وذيادا عن حياضه وطمعا فى رحمة الله ورضوانه ، وهذه المبادىء هى التى كان المسلمون يتسابقون ويتنافسون فى تطبيقها ، ورسول الله قدوتهم وسيد البشر امامهم ، يعتبرون أموالهم حقا لله وانفسهم وقفا على رضا الله ، يبذلون كل ذلك حرصا على طاعة الرسول

ورضـــاه **(من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهـــم حفيظـــا)** (٨) .

وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتابعون من بعـــدهم يدفنون كل عصبية أو تجمع لا يرضي رسول الله ، وكل مبـــدأ يسبب سخطا لرسول الله ، لا يحبون الا فى الله ، ومن أجله ، ولا يبغضون الا فى الله ومن أجل الله ، سائرين على درب الرسول فى اعتبار القرآن امامهم وقبلتهم ، يتعبدون بتلاوة آياته وتدبرها ، وتنفيذ أحكامه ، وتطبيق تعاليمه ، فكونوا تلك الجماعة الاسلامية المجندة لخير البشرية والمتماسكة فى سبيل دفع الأذى والشر ونصر المظلوم وردع الظالم والتضحية من أجل كل ذلك بالنفس والنفيس متمثلين بقوله سبحانه : **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين . وانفقوا فى ســـبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين)** (٩) .

وقوله سبحانه : **(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** (١٠) .

الموقف فى ساعة العسرة

ولما وقع المسلمون فى ضائقة وشدة يوم تبوك ودعا الرسول أصحابه الى البذل والسخاء انقاذا للاسلام والمسلمين من شر الطغاة والمعتدين تسابق أصحاب رسول الله وتنافسوا فبذل أبو بكر كل ماله ، وبذل عمر نصف ماله وبذل عثمان الكثير الكثير فى تجهيز الجيش واعـــداده كما بذل الآخرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

موقفـــه من المتخلفين

وقد تخلف عن اجابة النداء عدد من أصحاب الرسول منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ، وليس لهم عذر فى هذا التخلف فقرر الرسول مقاطعتهم ومنع الناس من كلامهم وقد جاءت زوجة أحدهم تستأذن الرسول فى خدمته وهو شيخ طاعن ليس له من يعينه فأذن لها فى خدمته عـــلى أن لا يقربها ، واستمروا على ذلك خمسين ليلة ، وهم فى اشد حالات الضنك والضيق الى أن نزلت توبتهم من السماء ، فرأى كعب أن من تمام توبته أن يخرج عن ماله صدقة الى الله ورسوله .

وانزل الله تعالى على رسوله : **(لقد تاب الله على النبى والمهاجـــرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)** (١) .

فكان هذا الموقف درسا لكل من يتخلف عن مسايرة الجماعة والمساهمة فى عمل الخير والجهاد بالنفس والمال خصوصا فى أوقات الشدة والضائقة التى تصادف المسلمين (١٢) .

العبرة فى هذه الذكرى

على المسلمين حيثما وجدوا أن يراجعوا أنفسهم ويفكروا فى ما أصابهم فى فلسطين وغير فلسطين وما يمكن أن يتهددهم من أخطار ويتعرضوا له من بالغ الأضرار اذا هم تخلفوا عن الاستمرار فى البذل والسخاء والتخلى عن الأهواء والأطماع ويذكروا أن للمسلمين قوة لا تبارى ولديهم من الامكانات المتعددة ما يحمل أية جهة على التفكير عدة مرات قبل التخطيط لمعاداتهم واهمال شأنهم لو انهم على درب الرسول سائرون ولدعوة محمد منفذون ولشريعتـــه مطبقـــون .

فواجب عليهم أن يعملوا جديا على استلهام شريعة الرسول وتطبيق أحكامها فى قوانينهم والتقيد بحدودها فى كل تصرفاتهم ويحرصوا على ديار الاسلام غير مفرطين فى أى جزء منها خصوصا اذا ارتبطت بعقيدتهم الدينية وحضارتهم الاسلامية ويحزموا أمرهم على أن لا يفرطوا فى القدس الشريف أو غير القدس من الديار المنهوبة المعتدى عليها ، واذا اعتصموا بحبل الله واذعنوا لأمر الله ، وكان هدفهم رضا الله ورضا رسول الله فانهم واصلون لما يعيد اليهم عزتهم وكرامتهـــم وديارهم **« ان تنصروا الله ينصـــركم ويثبت أقدامكم »** (١٣) .

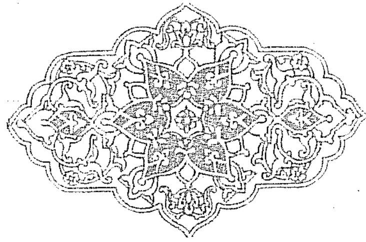
أيها المسلمون :

فى ذكرى مولد الرسول اذكروا جهاد الرسول وأصحاب الرسول
فى ذكرى مولد الرسول اذكروا تضحيات الرسول وأصحاب الرسول
فى ذكرى مولد الرسول اذكروا صـــفحات سيرة الرســـول وأصحاب الرســـول
فى ذكرى مولد الرسول اذكروا غزوات الرســـول ومواقف أصحاب الرســـول

في ذكرى مولد الرسول اذكروا ما منّ الله على الرسول وأصحاب الرسول من النصر المبين والاعزاز والتكريم

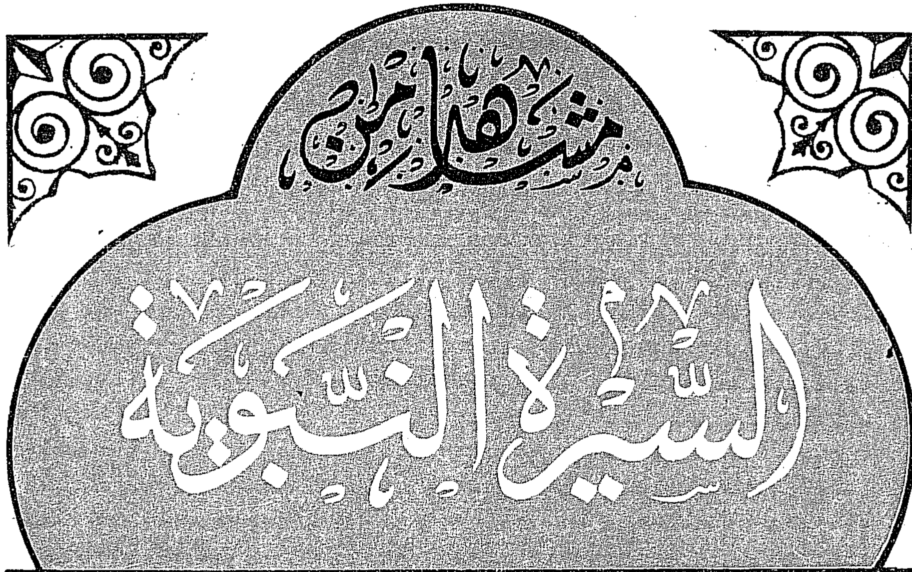
اذكروا كل هذا للائتساء والاقتداء بالرسول وأصحاب الرسول لتعود لكم قوتكم ويهابكم أعداؤكم وتقفوا فى الذروة بين الأمم ، وحينئذ يرضى عنكم الرسول فى ذكرى مولده وتحققون ما هدف اليه الرسول فى قوله صلى الله عليه وسلم :

(المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف) (١٤) .



---

(١) الامام مسلم .
(٢) الآية ٣٧ من سورة الحج .
(٣) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران .
(٤) الآية ١٠٧ من سورة الانبياء .
(٥) الآيتان ١٤ و ١٥ من سورة الحجرات .
(٦) الطبرانى ، الحديث ١١٥ من كتاب قبس من نور محمد صلى الله عليه وسلم للدكتور محمد فايز المط .
(٧) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى ص ١٦٠ ، ١٦١ .
(٨) الآية ٨٠ من سورة النساء .
(٩) الآيتان ١٩٤ و ١٩٥ من سورة البقرة .
(١٠) الآية ١١١ من سورة التوبة .
(١١) الآيات ١١٧ — ١١٩ من سورة التوبة .
(١٢) مختصر زاد المعاد ص ٣٥٨ .
(١٣) الآية ٧ من سورة محمد .
(١٤) الامام مسلم .



للاستاذ : محمد المجذوب

— ١ —

((لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)) .

وردت هذه الآية الكريمة أثناء القسم الأول من سورة الأحزاب ، التى نزلت فى أعقاب غزوة الخندق ، وكانت ضربا عاليا من الامتحان ، كشف مخبآت النفوس ، وميز كل صنف من سكان المدينة بلونه وخصائصه .. فكان هناك المؤمنون الذين ابتلوا وزلزلوا فلم تزدهم الشدة الا صفاء وتألقا ، وكان هناك المنافقون ، الذين فضحتهم المحنة فلم يملكوا كتمان ما انطوت عليه أنفسهم ، فاذا هم يصارحون بالعداء والشمات والتكذيب ، وكان هناك أيضا اليهود ، الذين استهوتهم الفتنة فنكثوا أيمانهم ، وانسلخوا من الذى وقعوه مع رسول الله ، وتهيئوا للاجهاز على المؤمنين من وراء وراء ..

ونظرة واعية الى سياق الآية ما تقدمها وأعقبها من وصف لظــروف الغزوة ، كيف بدأت وكيف انتهت ، توضح بصورة قاطعة أن تدبيرا ربانيا حكيما قد تولى تنسيق الوقائع ، ويسر لكل جزء مناسبته الممهد لخاتمته .. لتتمايز الوجوه فيحيا من حى عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة .. ولتتجلى للمؤمنين ، فيما بعد وحتى تقوم الساعة ، طريق العزة والنصر لاحبة بارزة ، لا يزيغ عنها الا عم لا يفرق بين سبيل المؤمنين ومجاهل الكافرين ..

ومع أن السورة قد عنونت باسم (الاحزاب) لم يستغرق حديث الغزوة منها سوى أقل من ربعها . أما ما قبل ذلك وما بعده فينصب عـلى ترسيخ المبادىء الاساسية التي يجب أن ينهض عليها المجتمع المسلم . يبدأ ذلـك بشخص الرسول نفسه صلوات الله وسلامه عليه ، وبأهل بيته المطهر ، وبيان الصلة الوثقى التي يجب أن تربط الأمة به وبهم .. ثم الوشائج الروحية التي تؤلف بين قلوب أهل الايمان .. ومن ثم تسلط الاضواء على العناصر الخارجة عن نطاق هذا المجتمع النبوى ، لتكشف مؤامراتها عليه .. فاذا ما استوفت آيات الغزوة عرض الأحداث القتالية ، عادت الى اتمام ما بدأت من رفع ركائز التنظيم ، وفي طليعته تحصين البيت النبوى بكل ما يجعله صالحا لاعطـــاء القدوة العليا . ثم تمضي الآيات في توسيع هذه الدائرة حتى تشمل جوانب المجتمع الاسلامي بأسره..مجهزة أثناء ذلك على رواسب من تقاليد الجاهلية ، التي لا تتفق مع أهداف الاسلام ، ومعمقة لجذور الاعتصام بقيادة الرسول وطاعته ، انسجاما مع الادارة الربانية ، التي تعلن رضاها عنه بصلاة الله وملائكته والصالحين من عباده عليه ، صلى الله عليه وسلم ، وموجهة عناية كبيرة الى توكيد سلامة البيت المسلم وحياطته بكل الآداب التي تجعل منه مثلا أعلى للمجتمع السعيد النظيف .. حتى ينتهي المطاف بمصاير كل من المهتدين والضالين ، مع التوكيد على ما بدأت به السورة من أمر بالتقوى ، والتزام سبيل المؤمنين ، والحفاظ على أمانة الله بالطاعات المؤدية الى مغفرتـــه ورضوانه .

وبقليل من التفكير السديد يتبين العقل أن حياة رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، في نفسه وفي بيته وسلوكه في معالجة القضايا الانسانية، هي النواة التي حولها تتحرك محاور السورة كلها ..

إنه المجتمع المسلم المتميز بخصائصه الربانية ، من الايمان باللـــه ، والتطلع الى ما وراء الحياة الفانية ، والاستحضار الدائم لجلال الله .. ذلك المجتمع الذى عرف سبيله واضحا على خطى الانموذج البشرى الاسمى ، الذى اصطفاه الله قائدا لعباده ، وقرن مرضاته بالتزامه فقال : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد أنشأه على عينه فلم يزل يترقى في آفاق الكمـــال حتى استحق أن يقول له : (وانك لعلى خلق عظيم) وأن يوجه المجتمع الايماني الى الاقتداء به في كل تصرفاته ، قائلا على سبيل القطع والاستمرار (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ...)

ومن أوائل البدهيات الا سبيل الى تحقيق الأسوة الا باقتفاء آثار المعنى بها ، ومعنى ذلك بالنسبة الى المسلمين أن يكونوا على علم بسيرة المثل الكامل، الذى أخذ عليهم العهد باتباعه منذ أن أعطوا ربهم ميثاق السمع والطاعـــة بشهادة التوحيد ، ومن هنا كان العلم بسيرته صلوات الله وسلامه عليه واجبا،

بل فرض عين على كل مسلم حسب طاقته من المعرفة ، اذ لا مندوحة للمسلم عن تعرف المثل التطبيقي لحقائق الاسلام ، متجلية في صورة بشرية تعيش واقع الحياة ، وتعامل احداثها على ضوء من هذه الحقائق .

ولا حاجة الى التذكير بان اغفال سواد المسلمين لهذا الجانب الهام من أصول الاسلام ، هو الذى قذف بالامة فى ظلمات الضياع والتخلف ، لانه قطع ما بينها وبين نبيها من وشائج المعرفة وعلائق الاسوة .. وهو انفصام واسع المدى يستوى فى تبعاته عامة المسلمين ، والجيل الذى امتصته الثقافة الغربية وعلى رأسه فئة المزودين بمركب الجهالة العمياء لدينهم .. وانما جـــاء استواء الفريقين فى مسئولية هذا الانفصام ، من حيث التقاؤهما على مجافاة الحقيقة الممثلة فى شخصيته صلوات الله وسلامه عليه . فاذا كان المستغربون من أبناء المسلمين قد أفسد المكر اليهودى فطرتهم ، حتى لم يعودوا يعلمون عن هذا النبى العظيم الا ما لقنوه من أعدائه ، فان فطرة العامة قد شوهتها أيضا شعوذات المنحرفين ، فهم لا يحملون عن شخصية الرسول الا بعض الصور القاتمة ، التى لا تكاد تتصل بحقائق الحياة .. ولا يكادون يتصلون هم بهـــا الا فى حفلات الموالد ، التى استحالت فى الغالب ألوانا من اللهو واللغو لا تهب المجتمعين عليها أى مردود صالح ..

واذا كان للأسوة الحسنة كل هذا الأثر البناء ، فلا بد من العلم الحاسم بان كل محاولة لاستردادها ، ورد المسلمين اليها ، سيكون نصيبها الاخفاق الذريع ، اذا لم تقم على أساس الفهم السليم لحيـــاة الرسول الكريم ، من خلال الكتاب الحكيم ، والسيرة الصحيحة ..

وهذا ما حدانى اليوم للوقوف عند بعض المشاهد من خلال الســـيرة المطهرة .. يقينا منى بانها خير ما نستقبل به ذكرى اشراقته صلوات الله عليه وسلامه على هذا العالم التائه ..

لما أحس مشركو قريش فشو الاسلام ، ونجاة المهاجرين الى الحبشة من أذاهم ، وما نال رسول الله من القوة باسلام حمزة وعمر رضى الله عنهما ، عمدوا الى سلاح جديد من صنع الشيطان ، هو المقاطعة الشاملة لكل من يقف الى جانبه من بنى هاشم وبنى المطلب .. وكتبوا بذلك الصحيفة المعروفة. ومضت القطيعة الى غايتها قرابة الثلاث السنوات لقى المسلمون خلالها أفانين البلاء .. ولكن هذا لم يفل من دأب رسول الله فى عرض دعوة الله على الناس ، ولا سيما الوافدين الى مكة من أرجاء الجزيرة ، على كثرة ما واجه من أذى الطواغيت ، الذين استخدموا كبير نفوذهم للحيلولة بينه وبينهم ، وظل على شانه من الطواف والتعبد فى المسجد الحرام متحديا بذلك جبابرة قريش ، ثقة بموعود الله الذى آمره بالتبليغ ، وبشره بالعصمة من الناس .

— ٢ —

ونزل الموت بابى طالب ، ثم تلته الزوجة الوفية الخالدة خديجة رضى الله عنها خلال أيام .. وبذلك حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجناحين اللذين طالما أظلاه بالعون والحب ، وتجرأ عليه من لم يكن ليطمع بذلك من قبل ، حتى ليعترضه أحد السفهاء فينثر على رأسه التراب ، ولما جاءت احدى بناته تغسل رأسه جعلت تبكى فيهدىء من روعها بقوله : ((لا تبكى يا بنية ، فان الله مانع أباك)) ..

ويغادر مكة بحثا عن انصار للدعوة فى الطائف .. بيد انه يعود باشد من الأذى الذى لقيه من قريش ، حتى أن كبراءها ليغرون به السفهاء والعبيد يسبونه ويصيحون به ، الى أن الجئوه الى حائط لاثنين من ألد أعدائه .. فلم يزد على أن يُرفع الى ربه هذه النفحات المائجة بعبير الرضى عن قضـــائه : ((اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس .. ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى)) ..

— ٣ —

وفى أحد تضيق الدنيا بالمسلمين وهم يستمعون الى النبأ الصادع بمقتل رسول الله ، فيطيش وعى الكثرة منهم ، حتى ليغفلون عن أزمة النصر التى قبضوا عليها ، ويهيمون على وجوههم تتقاذفهم الارض هنا وهناك ... ولـــكن رسول الله يثبت فى وجه الدفق المنصب عليه من العدو كانه الجبل الاشم بازاء العواصف .. تزهر عيناه من خلال المغفر ، وينظر الى البقية القليلـــة من صحابته يشجعهم وهو يبتسم ، فكأن الشاعر لم يعن سواه عندما قال وهو يغالى فى وصف بطله :

وقفت ، وما فى الموت شك لواقف
كانك فى جفن الردى وهـــو نائـــم
تمـــر بك الأبطـــال كلمى هزيمـــة
ووجهك وضاح وثغـــرك باســـم

— ٤ —

وفى مرجع رسول الله صلوات الله عليه وسلامه من غزوة ذات الرقاع نزل بصحابته فى أحد الاودية ، واتخذ مقيله فى ظل سمرة بعد أن علق بها سيفه .. وبينا هو غارق فى نومه أقبل أعرابى من الفتاك فاخذه فاستلـــه . واستيقظ رسول الله ليرى الاعرابى وقد استعد للجريمـــة ، وتملكه الزهو

فجعل يهز السيف بوجهه وهو يقول : من يمنعك منى ؟!.. وفى وقار النبوة الذى لا يعرف الخوف من بشر أجاب : يمنعنى الله .. وسرعـان ما سرت الرعدة فى أوصال الرجل حتى سقط السيف من يده ، فيأخذه الرسول ويقبل الصحابة ليروا الفاتك وقد أخذه الروع ، وجلس بين يديه صلى الله عليـه وسلم يترقب قضاءه العدل .. ولكنه صلوات الله عليه وسلامه يأبى أن يكون الا حيث وضعه ربه فوق الانتقام الشخصى ، فرد للمرتاع أمنه ، ومنحه الحياة والحرية وكان لهذا الفضل مردوده فى نفوس القوم الذين أدركوا أن الذى يجهدون للايقاع به هو فى حماية الله ، وفوق المألوف من خيار عباده .

— ٥ —

وفى وادى حنين فوجئت كتائب الله بكمائن هوازن تنحدر عليها من جانبيه فتاخذ الفجاءة عيون المؤمنين ، فاذا هم ينتشرون باحثين عن منافذ النجاة . ولا يتمالك بعض الطلقاء ، الذين لم تخالط بشاشة الايمان قلوبهم بعد ، فيعلن فرحته بما توقعه هزيمة ساحقة للاسلام ، ويصرخ آخر : ألا بطل السـحر اليوم ..

وثبت مع رسول الله نفر من المهاجرين والانصار ومن أهل بيته ، ممن كان على مقربة منه اثناء الجولة ، فلم تنل منهم الصدمة المفاجئة .. وجعل رسول الله يتقدم فى نحر العدو وهو يرتجز :

أنـا النبى لا كـذب   أنا ابـن عبـد المطـلب

ويهيب بالمسلمين الشاردين : أين أيها الناس ؟ .. هلموا الى .. أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ..

ويوعز الى العباس عمه أن أصرخ : يا معشر الانصار .. يا معشر اصحاب السمرة ... فتتردد اجاباتهم : لبيك .. لبيك .. وينتهى اليه بعد لأى مئة منهم ، لا تلبث أن تقتحم غمرات الموت بين يديه صلوات الله وسلامه عليه .. وما هى الا صولة حتى سقطت راية المشركين ، وتلاحق المؤمنون عائدين الى نبيهم ليجدوا أسارى هوازن مكتفين عنده وقد كفى الله المؤمنين القتال ..

وفى حميم المعركة يبصر صلى الله عليه وسلم بالصحابية الجليلة بنت ملحان قائمة على جمل زوجها أبى طلحة رضى الله عنه وقد أخذ منها الغضب لانفضاض الناس من حوله فتقول له : بابى أنت وأمى يا رسول الله .. أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك .. ولكنه لا يجاريها فى غضبها على أصحابه بل يقول لها : ان الله قد كفى وأحسن يا أم سليم ..

- ٦ -

وكان رسول الله عائدا بالمؤمنين من تبوك ، حتى اذا وافى منى انفرد عن الجيش بناقته ، يقودها حذيفة ويسوقها عمار رضى الله عنهما ، فما ان وافى العقبة حتى فوجىء باثنى عشر ملثما يعترضون مسيرته ، ويريدون أن يزحموه للقضاء عليه ، فلما انتبه اليهم صرخ بهم ، فأوقع الله فى قلوبهم الرعب وولوا هاربين .

ويقترح رفيقاه الجليلان أن يبعث رسول الله الى عشائر هؤلاء المنافقين بأمرهم ليقتلوهم ويأتوه برؤوسهم ... ولكنه يرفض ذلك الرأى قائلا : لا .. أكره أن تتحدث العرب أن محمدا قاتل بالقوم حتى اذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم ! ..

ولم يكتف صلوات الله وسلامه عليه بالسكوت عن المتآمرين ، بل أعلن لصاحبيه أسماءهم وأخذ عليهم العهد بكتمانها .. حتى كان الصحابة يطلقون على حذيفة بعد أخيه عمار رضى الله عنهما ((صاحب السر الذى لا يعلمه غيره ..))

ولاجرم أن مثل أولئك الغادرين جديرون بحكم الموت ، ولكن حكمة رسول الله أبعد رؤية من تفكير صاحبيه ، لان الإعراض عنهم أعود بالخير على الدعوة من أخذهم بالعقوبة . هذا الى أن القاصين من الناس الذين لم يحيطوا أنه ضرب من الاحتياط لحماية السلطة ممن تخشى معارضته إياها ، على طريقة الطغاة الذين ما أن يبلغوا غايتهم من التسلط حتى يفرغوا لتصفية شركائهم فيه ..!

- ٧ -

وفتح الله على رسوله مكة ، فدخلها منتصرا عزيزا ، مطلق التصرف فى أهلها وأرضها ، ولكن ذلك لم يزده الا تواضعا لربه وخشوعا لجلاله ، حتى إن لحيته لتكاد تمس واسطة رجله تذللا لله ... فكان فعله هذا درسا خالدا للفاتحين من أمته ، تعلموا منه كيف يتلقون نصر الله بمزيد من التواضع والانكسار لعظمته سبحانه .. بخلاف الجبارين من أهل الجاهلية الاولى والآخرة ، الذين يستقبلون كل نجاح يحرزونه بمزيد من الطغيان .

وفى المسجد الحرام يحتشد أعداء رسول الله ، الذين أخرجوه من أحب أرض الله اليه ، وقد استحوذ عليهم الهول ، وحضرهم كل ما اقترفوه فى حقه وحق أصحابه من سوابق العدوان ، ولبثوا ينتظرون عاقبة ما جنت أيديهم وألسنتهم .

ويشرف رسول الله من على باب الكعبة ، التى طالما دنسوها بارجاس الشرك والبغى ، فيحمد الله ويمجده ثم يقول : ((يا معشر قريش .. لا تثريب عليكم اليوم .. يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا فأنتم الطلقاء)) ..

— ٨ —

ويستأثر الله بابراهيم ابن رسوله ، وقد رزقه على شوق الى الولد ، وتقارب من أواخر العمر .. ويشاء ربه جلت حكمته أن يوافق ذلك موعـــد كسوف الشمس .. فتسير الظنون فى الناس أن الله قد كسفها تكرمة لنبيه ، فما يكاد يعلم خبر ذلك حتى يدعو الناس الى صلاة جامعة ، يعلمهم بها (أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته) وأن عليهم اذا واجهوا مثل هذه التغيرات الكونية أن يجددوا صلتهم به سبحانه ، فيستقبلوها بالصلاة والذكر .. فتكون تلك الظاهرة الفلكية مناسبة صالحـــة لتعميق شعور المسلمين بفضل ربهم وعظيم رعايته وحكمته ..

— ٩ —

وذات يوم تضل ناقته صلى الله عليه وسلم أثناء عودته من تبـــوك ، وينطلق بعض صحابته للبحث عنها . فينتهزها المنافق اليهودى ابن اللصيت فرصة للغمز من رسول الله ، حتى ليقول : أليس محمد يزعم أنه نبى ويخبركم خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته !! ..

وتبلغ مقالة الخبيث رسول الله فلا تثيره ولا تاخذه الحمية ، بل لا يزيد على أن يقول : ((انى والله ما أعلم الا ما علمنى الله .. وقد دلنى عليها ، وهى فى هذا الوادى فى شعب كذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ..))



وبعد .. فتلك مشاهد خاطفة من سيرة الهادى الأمين صلوات اللــه وسلامه عليه ، تعرض بعض جوانب العظمة من حياة هذا القائد الذى أدبه ربه فاحسن تاديبه ، وزوده من الكمالات بالذخر الذى لم يجتمع لسواه من خلقه ، ثم قدمه الى الانسانية مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وهيهات للانسان أن يعرف طريقه للاستقرار ما لم يتخذ منه الأسوة الحسنة فى كل ما ياتى وما يذر ، ويجتنب مخالفته فى كل ما نهى عنه او زجر .

فاللهم ردنا الى حماه ، ووفقنا الى اقتفاء خطاه . ربنا لا تزغ قلوبنا بعـــد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب .

الإسلام ومعاملة الأسرى

للدكتور احمد الشرباصي

نشرت الصحف اخبار جريمة خسيسة لجأ اليها الصهاينة اللئام ، للاعتداء على كرامة البشرية ، وللاستخفاف بالحقوق الانسانية ، وهى أن بعض اطبائهم سمحت لهم دناءتهم أن يقوموا بعمليات جراحية ، ينقلون فيها أجزاء من اجسام بعض الجرحى الأسرى لديهم ، الى أفراد منهم يحتاجون الى هذه الاعضاء .

وقد ذكرتنا هذه الجريمة بما جاء فى بعض كتبهم المقدسة — فى نظرهم — من أن القائد اذا انتصر على مدينة واحتلها ، فعليه أن يقتل جميع ذكورها بالسيف ، وأن يأخذ من فيها من النساء والاطفال والبهائم غنيمة له ، فقد جاء فى الاصحاح العشرين من كتاب التثنية هذه العبارة :

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها ، استدعها الى الصلح ، فان اجابتك الى الصلح ، وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، وتستعبد لك ، وان لم تسالمك ، بل عملت معك حربا ، فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم ، وكل ما فى المدينة وكل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك » .

وهذه الدناءة ينبغى أن تذكرنا بفضل الاسلام العظيم على العالمين ؛ لانه صان كرامة الانسان من العدوان ، حتى قال رسول الله صلوات الله

وسلامه عليه : « الانسان بنيان الله ، ملعون من هدم بنيانه » ، ولأنه ضمن للأسرى حقوقا يجب أن تكون قدوة للمتحاربين أجمعين ، وهذه الحقوق يجب علينا أن نعيها ، وأن نعلنها ، ليستبين لكل عاقل أن فضـــل الاســــلام على الانسانية عنوان فخار وتمجيد : **« صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون »** (البقرة ١٣٨) .

واذا كانت اليهودية تدعو المنتصر الى قتل كل الأسرى من الرجال ، والى استعباد النساء والاطفال ، فان القرآن الكريم يمنع هذا العدوان بعد انتصار الحق ، وكسب المعركة بحرب صارمة لا بد منها ، للمقابلة بالمثل ، ولرد العدوان وردع الطغيـــــــان ، فيقول القرآن : **« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء »** (محمد ٤) أثخنتموهم : أوسعتموهم قتلا وجرحا . وشدوا الوثاق : احكموا قيد الاسرى منهم . ومنا : اطلاق الاسرى بلا مقابل .

وأعطى الاسلام الحق لولى المسلمين فى أن يعفو عن هؤلاء الأسرى ، اذا رأى المصلحة العامة فى ذلك . أو يأخذ منهم الفداء اذا احتاج المسلمون الى ذلك .

ونحن لا ينبغى لنا أن ننسى موقف العفو الرائع من النبى صلى الله عليه وســـلم ، بعد أن انتصر انتصـــــاره الباهر فى فتح مكة ، حيث قال للمهزومين المدحورين من مشركى مكة : ما تظنون أنى فاعل بكم .. ؟

فقالوا فى طمع ورجاء : خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وعفا عنهم ، وقد كان قادرا على أن يعمل فيهم السيف كما تردد كتب اليهود .

وعلم النبى اتباعه أن الانتصــــار مع التمكن من الاسرى لا ينبغى أن يدفعهم الى الاسراف فى اسالة الدماء ، بل وذكرهم بالانســــانية وحقوقها المشتركة ، فقال لهم فى شأن الاسرى الأرقاء : « ان الله تعالى ملككم اياهم ، ولو شاء لملكهم اياكم » .

وقرر أن من سيطر على أسير ، وأعطاه عهد الأمان على حيـــاته ، فلا يجوز له أن يهدر عهد الأمان معه بعد ذلك . فقال عليه الصـــــــلاة والسلام : « من أمن رجلا على نفسه فقتله فأنا برىء من القاتل » .

وروى تاريخ الاسلام ما كان من أمر (الهرمزان ـــ وهو أحـــد أكابر الفرس ـــ وقد أسره أبو موسى الأشعرى ، وبعث به الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان الهرمزان ذكيا داهية ، فاعتصم بالصمت أمام الخليفة ، فقال له عمر : تكلم . فلم يتكلم ، فعاد عمر يقول له : تكلم لا بأس عليك ، وكان عمر يهم بقتله لما ارتكبه ، فلما سمع الهرمزان كلمة عمر له : « لا بأس عليك » طلب ماء ليشرب ، فجاءوا له بالماء ، وأمســـك بالماء وقال لعمر : أأنا آمن حتى أشرب هذا الماء .. ؟ فقال له عمر : اشرب فلا بأس عليك .

فسكب الهرمزان الماء على الارض . وهنا قال أنس لعمر : قد امنته بقولك لا بأس عليك .

فلم يستطع عمر أن يمسه بسوء ، خضوعا لما أعطاه اياه من أمان . وأسلم الهرمزان بعد ذلك .

وزاد الاسلام فى كرامته وسماحته مع الاسرى ، فأوجب الاسلام على المسلم أن ينفق على أسيره ، وأن يطعمه مما يأكل ، وأن يكسوه مما يلبس ، والا يكلفه فوق طاقته فى العمل . وها هو ذا القرآن المجيد يصف الاخيار الأبرار من عباد الرحمن فيقول عنهم فى سورة الانسان ٨ ، ٩ : « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** » .

فالقرآن المجيد هنا يدعو المسلم الى أن ينظر الى الأسير نظرة العطف والرحمة ، لا نظرة التشفى والانتقام ، بعد أن صار أسيرا ضعيفا ، ولذلك عطفت الآية الكريمة (الأسير) على (المسكين واليتيم) ، وهما ممن يستحقون المعونة والاشفاق .

وقال معلم الانسانية سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله فى الضعيفين : المملوك والمرأة » . كما أن مما أوصى به قبل موته وصيته « بالصلاة وما ملكت أيمانكم » .

وحث الاسلام على الترفق بالرقيق حثا قويا بليغا حتى قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « لقد أوصانى حبيبى جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم » .

وشجع الاسلام المسلم على أن يتفق وأسيره المملوك له على أن يكاتبه ، والمكاتبة هو أن يتفق المالك والمملوك على أن يؤدى المملوك قدرا معينا من المال لمالكه فى زمن معين ، فاذا فعل المملوك ذلك صار حرا . يقول القرآن الكريم عن ذلك فى سورة النور ٣٣ : « **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم** » .

وبلغت سماحة الاسلام فى معاملة الأسرى مبلغا نبيلا كريما ، حيث منع التفريق فى الأسرى بين الوالدة وولدها ، حتى لا يتعرض الولد للضياع والحرمان من جهة ، وحتى لا تتعرض الأم للقلق والخوف على ولدها من جهة أخرى ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم مهددا من يفعل ذلك أقوى تهديد : « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة »(١) .

وزاد الاسلام سماحة حين علم أبناءه أن يكونوا مؤدبين مهذبين حتى فى خطاب هؤلاء الأسرى الأرقاء ، فقال الحديث الشريف : « لا يقل أحدكم : عبدى وأمتى ، وليقل فتاى وفتاتى » فكأن هؤلاء أفراد من أسرة ذلك المالك الآسر .

واذا كان التاريخ قد شهد ويشهد محاولات كثيرة من المجرمين الآسرين لحمل الاسرى على ترك عقيدتهم ، بطريق العسف والاكراه ، أو التهديد والوعيد ، أو الاعتداء والتعذيب ، فان الاسلام قد حرم هذا الاكراه ، وسد الباب في وجه هذا العدوان ، فقال القرآن الحكيم في سورة البقرة ٢٥٦ : **« لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »**

وجعل القرآن المجيد الهداية الى طريق الحق والنور ، من عمل الله الخالق البارىء المصور ، فقال عقب الآية الماضية : **« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »**

وفى الوقت نفسه وجه القرآن الى ترغيب الأسرى الضالين عن الحق الشاردين عن طريق الصواب فى الاهتداء الى شريعة العدل والنور ليسعدوا ويفوزوا وتصير لهم كرامة الاسلام وحقوق المسلمين فقال الحق عز من قائل فى سورة الأنفال (٧٠) **يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ، ويغفر لكم والله غفور رحيم .**

وفى الوقت نفسه حذر الله هؤلاء اللئام الأسرى أن يخدعوا أو يخونوا ، فقال عقب ذلك : **« وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم »** (الأنفال ٧١) .

وها هو ذا سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول فى هذا المجال « عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل » . وهو يريد بهذا — والله أعلم بمراده — ان من الأسرى المقيدين بالأغلال ، من يشرح الله صدره للإسلام فيسلم ، فيستحق رضوان الله عليه ، فيصير الى نعيم الجنة ، وقد كان قبل ذلك مقيدا بسلاسل الأسر والاسترقاق .

جاء فى كتاب « فتح البارى » لابن حجر : « قال : خير الناس للناس يأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام .

قال ابن الجوزى : معناه انهم أسروا وقيدوا ، فلما عرفوا صحة الاسلام دخلوه طوعا فدخلوا الجنة ، فكان الاكراه على الأسر والتقييد هو السبب الأول ، وكأنه أطلق على الاكراه التسلسل ، ولما كان هو السبب فى دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب .

وقال الطيبى : ويحتمل أن يكون المراد بالسلسلة الجذب الذى يجذبه الحق من خلص من عباده من الضلالة الى الهدى ، ومن الهبوط فى مهاوى الطبيعية الى العروج للدرجات » (٢) .

وقد اتسعت سماحة الاسلام فى هذا المجال حتى شملت عبيد المشركين انفسهم ، فقد كان من هدى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يعتق عبيد المشركين ، اذا تركوهم ، وهاجروا الى المسلمين مهتدين ، وكان النبى صلوات الله وسلامه عليه يقول فى شأن هؤلاء الأرقاء : « هم عتقاء الله عز وجل » .



بالتمر ، والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد ، فاذا اختلفت ... فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد » . رواه أحمد ومسلم . وللنسائى وابن ماجه وأبى داود نحوه .

الثانى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، وَالتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فيه سواء » . رواه أحمد والبخارى .

ولقد أجمع المسلمون على تحـريم الربا فى الأشياء الستة المنصـوص عليها ، وقال أهل الظاهر النافين للقياس ان الربا محصور فيها فقط ، وقال جمهور أهل القياس أنه يجرى فى غيرها وأنه متعد منها الى سائر الأشـياء التى تشاركها فى العلة ، ولكنهم اختلفوا فى تحديد تلك العلة اختلافا لم يسبق له مثيل فى تاريخ الفقه الاسلامى .

قال أبو حنيفة وأحمد فى احدى الروايتين عنه : العلة فى الذهب والفضة هى الوزن وبذلك أجريا الربا فى الحديد والرصاص والنحـاس وغيرهـا من الموزونات ، وقال مالك والشافعى وأحمد فى الرواية الأخرى : هى كونهما جنس الأثمان فلا يتعدى الربا منهما الى غيرهمـا من الموزونات وغيرهـا لعدم المشاركة .

أما الأصناف الأربعـة الباقية ، فان الخـلاف فى علتها كثير جدا بين المذاهب وفى داخل المذهب الواحد ، وسنكتفى بذكر أشهر الأقوال فيها . قالت الحنفية : هى الكيل ، وقالت المالكية : هى الاقتيات والادخار وما يصلح به الطعام المتقوت ، وقالت الشافعية : هى الطعمية (بضم الطاء) أى مجرد كون الشىء مطعوما ، وقال فريق من الحنابلة كقول الحنفية وقال بقيتهم كقول الشافعية . وقالت العترة بمثل ما قالت الحنفية فى الأصناف الستة . وقال ربيعة : كل ما يجب فيه الزكاة يحرم فيه الربا فلا يجوز بيع بعير ببعيرين .

واتفق العلماء على أنه لا يجوز بيع الربوى بعضه ببعض متفاضلا سواء كان يدا بيد أو أحدهما مؤجلا ، وعلى أنه لا يجوز التفرق قبل التقابض اذا باعه بجنسه أو بغير جنسه مما يشركه فى العلة كالذهب بالفضة والبر بالشعير ، وعلى جواز بيع الربوى بربوى لا يشاركه فى العلة متفاضلا ومؤجلا كبيـع الذهب بالحنطة وبيع الفضة بالشعير ، وعلى جواز التفاضل عند اختـلاف الأجناس اذا كان يدا بيد كصاع تمر بصاعى شعير .

ولقد أحصى ابن حزم الظاهرى فى باب البيوع من كتابه « المحلّى » (الجزء الثامن ، ص ٤٦٧ ـــ ٥١٨) جميع علل الفقهاء فى تحريم ربا الفضل وأفاض فى ايراد حججهم وتفنيدها بمنطق رصين شابه بمهاترات وددنا لو ترفع عنها .

وكان ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما يعتقدان جواز بيع الجنس بعضه ببعض متفاضلا اذا كان يدا بيد ، وأن الربا لا يحرم فى شىء من الأشياء الا اذا كان نسيئة أى مؤجلا ، وكان معتمدهما الحديث المتفق عليه عن أسامة ابن زيد رضى الله عنه عن النبى صـلى الله عليه وسلم : انمـا الربا فى

النسيئة . ثم رجعا عن قولهما هذا عندما بلغهما حديث النبى عن التفاضل فى غير النسيئة . وذكر مسلم رجوعهما صريحا حين بلغهما حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وقد أجمع المسلمون على ترك العمل بظاهر حديث أسامة ..

٣ — الجهود التى بذلت لحسم الخلاف :

نجد فى العصور الماضية وفى عصرنا هذا رجالا بذلوا مشكورين جهودا متواصلة لحسم الخلاف القائم حول العلة فى ربا الفضل ، ولكنهم لم يسلموا أنفسهم من الخلاف . فمنهم الذين استصوبوا رأى أهل الظاهر حين رأوا ضعف العلل التى استنبطها الفقهاء علاوة على اضطرابها ، ومنهم المتشبثون برأى ابن عمر وابن عباس ومن تابعهما غير ملتفتين الى رجوعهما أو الى اجماع الأمة ، ومنهم من رجح احدى العلل التى قال بها أحد الأئمة على ضوء الحكمة التى انكشفت له . وأشهر من سلك هذا الطريق أبو حامد الغزالى وابن رشد وابن قيم الجوزية رحمهم الله . فقال الأول ان الحكمة فى منع التفاضل بين جيد الصنف الواحد ورديئه هى اسقاط الشارع الحكيم غرض التنعم فى المطعومات لتكافؤ الجيد والردىء منها فى أصل الفائدة ، ومن هنا بدت له صحة علة الشافعى أى أن العلة فى الأصناف الأربعة كونها مطعومة . وقال الثانى هكذا : لما كانت الأشياء المكيلة أو الموزونة لا تختلف كل الاختلاف وكانت منافعها متقاربة ، ولم تكن حاجة ضرورية لمن كان عنده منها صنف أن يستبدله بذلك الصنف بعينه الا من جهة السرف كان العدل فى هذه الأشياء أن تباع بعضها ببعض متساوية فى الكيل أو الوزن اذ كانت لا تتفاوت فى المنافع ، ومن ثم ذهب الى ترجيح علة الحنفية فى الأصناف الستة أى كون هذه الأشياء موزونة أو مكيلة . والحقيقة أن عبارة ابن رشد فى غاية الغموض وما ذكرناه هنا هو غاية ما فهمناه منها . وقال ثالثهم ابن القيم الربا نوعان : جلى وهو ربا النسيئة الذى حرم قصدا ، وخفى وهو ربا الفضل الذى حرم وسيلة وسدا للمسالك التى تقود الناس الى ربا النسيئة . وصرح ابن القيم بتصويبه لعلة المالكية فى الأصناف الأربعة أى كونها أقوات الناس وما يصلحها .

ولقد ارتضى الباحثون المعاصرون قول ابن القيم فى حقيقة ربا الفضل ، ولكنهم لم يتابعوه فى ترجيح علة المالكية كما لم يحاولوا استصواب أى علة معلومة أو الكشف عن علة جديدة .

٤ — رأينا فى مسلك الفقهاء :

من السهل علينا أن نعبر عن رأينا فى منهج الفقهاء الذين وفقوا فى الكشف عن العلل المختلفة باستخدام اصطلاح شائع فى الرياضيات الحديثة .

اتفق علماء الرياضيات فى وقتنا هذا على اعطاء لفظة « مجموعــة » أو « فئــة » معنى أضيق مما عرفه الناس عامة ، فقالوا المجموعة أو الفئة عدد من الأشياء تشترك جميعها فى خاصية أو أكثر تميزها تمييزا لا لبس فيه ولا غموض عن سائر الأشياء الأخــرى . مثال ذلك لو تحدثنا عن مجموعــة الأشياء التى أجمع المسلمون على تحريم الربا فيها فاننا نقصد الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح ولا شيء سواها حيث أن الخاصية المميزة لها عن ســائر الأشياء هى تحريم الربا فيها باجماع المسلمين ، وأما غيرها فلم يجمع المسلمون عليها . ويسمى الرياضيون الأشياء المكونة للمجموعة أى التى تحويها المجموعة أعضاء أو عناصر المجموعة ، فنقول على سبيل المثال الشعير عضو أو عنصر فى مجموعــة الأشياء التى يجــرى فيها الربــا بالاجماع . وبهذا الاصطلاح السائد عند الرياضيين نقول ما يلى :

نلاحظ أن جميع الفقهاء درجوا على تقسيم الأشياء الستة التى خصــها النبى صلى الله عليه وسلم الى مجموعتين مستقلتين أو أكثر من ذلك . فنراهم وضعوا الذهب والفضــة فى مجموعة منفصلة ، ثم عمدوا الى الأربعــة الباقية فتارة اعتبروها مجموعة واحدة ، ومرة جعلوها مجموعتين فوضــعوا البر والشعير والتمر فى واحدة ، والملح فى أخرى ، وحينا وزعوها بين ثلاث مجموعات تشمل أولاها البر والشعير ، والثانية التمر ، والثالثة الملح . وبعــد هذا التوزيع أو ذاك نظروا الى كل مجموعة كأنها ممثلة تمثيلا صادقا لمجموعة كبرى تتكون من عناصر تشترك جميعها فى صفة أو صفات تميزها عن بقيــة الأشياء ، ثم اعتبروا هذه الصفة أو تلك الصفات المميزة العلة المانعة للتفاضل فيها . ولعل هذه الطريقــة التى اتبعوهــا فى تقسيم الأصــناف المنصوص عليها هى من أهم العوامل التى حجبت الحقيقة التى انكشفت لنا وأدت الى اختلاف وجهات النظر بينهم والله أعلم .

٥ ــ هــل من علة جــــديدة ؟

ان الذى استرعى انتباهنا هو ذكر الشارع الحكيم للأشياء الستة من غير تفريق بينها ، فلذلك لاح لنا أنه ربما كان الأصوب أن ينظر اليها كعناصر فى مجموعة واحدة لا غير ، وأنها تشترك جميعا فى خاصية تميزها عن سائر الأشياء الأخرى . وبدا لنا أيضــا أنه لو عثرنا على هذه الخاصية المميزة لاستطعنا أن نقول هى علة التحريم وأن الربا يجرى فى كل الأشــياء التى تتوافر فيها هذه الخاصــية .

واذا استعرضنا الصفات التى يمكن أن تكون مشتركة بين جميع الأصناف الســتة لظهر لنا أن الأمر الذى يستحق البحث هــو احتمال استخدام البر والشعير والتمر والملح كنقود سلعية فتكون مشاركة للذهب والفضة فى أداء وظيفــة النقود . فيجب علينا أولا أن نثبت أن الأصناف الأربعة كانت فعــلا نقودا سلعية . وثانيا أن نبحث عن حكمة القيــود التى وضعها الشارع عند

التعامل بالربويات . وثالثا أن ننظر فيما يترتب على قولنا أن علة الربا فى الأصناف الستة هى النقـــدية .

٦ - كيفية التعامل بالذهب والفضة فى العهد النبوى :

يظهر لنا من وصف المقريزى لنقود الجاهلية وصدر الاسلام أن النبى صلى الله عليه وسلم وجد الناس يتعاملون بالذهب والفضة وكان بعض هذين المعدنين مسكوكا وبعضهما تبرا اى غير مسكوك . وكانت القطع المسكوكة التى ترد عادة من الروم والفرس تختلف فى الوزن خاصة الدراهم من الفضة لذلك تواطأ الناس على صنج معلومات لوزن المعدنين وســموا زنة واحـــدة منها من الفضة مسكوكة كانت أو تبرا : درهما ، كما سموا زنة صنجـــة أخرى من الذهب مسكوكا كان أو تبرا : دينارا . والثابت أنهم كانوا يرجعون دائما الى الميزان لتقدير عدد الدراهم والدنانير ولا يعولون أبدا على عد القطع المسكوكة لاختلاف أوزانها .

ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم اقر الناس على ما كانوا عليه ، وحسم ما قد ينشب من نزاع عند الوزن بأن جعل صنج مكة الوحدات القياسية التى يجب أن يرجع اليها كما أمر بالرجوع الى مكيال المدينة عند الاختـــلاف فى الكيل بقوله صلى الله عليه وسلم : « المكيال مكيال أهل المدينة ، والوزن وزن أهل مكة » (رواه أبو داود والنسائى والبزار وصححه ابن حبان والدار قطنى جميعهم عن ابن عمر . وفى رواية عن ابن عباس مكان ابن عمر) .

وقطع النبى صلى الله عليه وسلم مادة الخلاف حول نوعية الذهب عند التبادل بأن ساوى بين جميع أنواعـــه من مضروب ومنقوش وجيـــد ورديء وصحيح ومكسر وحلى وتبر وخالص ومغشوش ، وكذلك فى الفضة . وبهذا الأمر الواضح الصريح أسقط الشارع الحكيم القيمة الذاتية للمعدنين دفعـــة واحدة وأصبغ عليهما صفة التجانس اللازم توافرها فى النقود المعدنيـــة أو النقود السلعية لكى تكون مقياسا ثابتا للقيمة ، وبذلك استطاع الدرهم والدينار أن يؤديا الوظيفتين الرئيسيتين والثانويتين للنقود . أما الوظيفتان الرئيسيتان فهما : (أ) وسيط للمبادلة (ب) مقياس للقيمة ، وأما الوظيفتان الثانويتان فهما : (جـ) مستودع للقيمة (د) مقياس للدفع المؤجل .

ولو لم يحرم النبى صلى الله عليه وسلم التفاضل فى المعدن الواحـــد بسبب الاعتبارات النوعية ، ولو لم يأمر صلى الله عليه وسلم باستعمال وحدات قياسية معينة عنـــد الوزن وهى صنج مكة لاستفاد من الوضع المضطرب أهل الغش الذين يعرفون جيدا خصائص المعادن والفروق بين الصنج المختلفة ، وذلك لأنه فى وسع الحاذق منهم أن يقنع الناس بوجـــود تفاوت حقيقى أو متوهم فى نقاء الكميات المتبادلة من الذهب أو الفضة فيأخذ منهم مقادير أكبر مقابل مقادير أقل بحجة انه أعطى جيدا وأخذ رديئا بينما يعلم تماما أن القوة الشرائيـــة لكل أنواع الذهب والفضة واحـــدة فى عين البسطاء . وبهـــذا الأسلوب المحبب للذين لا يرقبون فى ضحاياهم قرابة ولا ذمة استطاع بعض

الأفراد خاصة اليهود الذين مارسوا تزييف النقود وتعويج الموازين أن يكثروا أموالهم بالباطل . ولو أخذنا برأى ابن رشد القائل : يظهر من الشرع أن المقصود بتحريم الربا انما هو لمكان الغبن الكثير فيه . لكان من حقنا أن نقول لقد كان رباالفضل ربا حقيقيا وحرم قصدا لا وسيلة . وان الفارق الوحيد بينه وبين ربا النسيئة هو أن المرابى قد استغل فى الأول جهل الناس ، وفى الثانى عجزهم عن سداد الدين عند حلوله .

٧ ـ النقـود فى المجتمعات المتخلفة :

تعطينا معرفة النظم الاقتصادية التى كانت موجودة الى وقت قريب جدا فى المجتمعات البدائية التى تسودها الأمية فكرة صادقة عما كان سائدا عند العرب الأميين خاصة أهل البادية حينما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم تتضح للقارىء صحة ما ذهبنا اليه أى أن البز والشعير والتمر والملح كانت نقودا سلعية (أو سلعا نقدية كما يقول آخرون) . والمقصود بالسلعة النقدية أى سلعة يستخدمها أفراد مجتمع بدائى لقياس قيم السلع الأخرى . وغالبا ما نجد أكثر من سلعة نقدية فى نفس المجتمع .

مثال ذلك ما كان شائعا بين أفراد احدى القبائل التى تعيش فى جزر الفلبين من استخدامهم للأرز الذى هو غذاؤهم الرئيسى والخنازير والجواميس وقلادات الذهب والخرز والأجراس والجرار المملوءة بالخمر المصنوع من الأرز ونوع خاص من البطاطين لتكفين موتاهم كسلع نقدية . وتستخدم بعض قبائل الكنغو كنقود سلعية قضبانا من الحديد وعددا من الأشياء المصنوعة من هذا المعدن مثل الفؤوس والخواتم . ويعتبر الملح سلعة نقدية عند بعض القبائل التى تعيش فى أقليم كتانجا ، وكان معتبرا كذلك فى أواسط سيراليون حتى عام ١٩١٣ الذى تم فيه انشاء خط السكة الحديد وفقد الملح مكانته بسبب الكميات الكبيرة التى أصبحت تصل منه الى الأسواق .

ولقد كان شعب الولف الافريقى المسلم الذى يعيش فى المنطقة الممتدة بين نهرى السنغال وغامبيا يستعمل الحبوب والثياب التى يصنعها من القطن المحلى كنقود سلعية . وكذلك كان شائعا فى كثير من أجزاء السودان استعمال الذرة والثياب المصنوعة محليا كنقود سلعية بجانب الريال الاسبانى ، كما استعمل سكان الجزء الغربى منه بجانب الذرة الدخن قطعا صغيرة من الحديد يصنعون منها الرماح والمدى والبلط وما اليها لنفس الغرض . أما فى الصفقات الكبيرة فقد كانوا يتبايعون بالبقر . وكانت الخاصية المميزة للثياب التى استخدمها السودانيون وشعب الولف كنقود سلعية أنها ثابتة الطول والعرض .

٨ ــ طبيعـة النقـود السـلعية :

يمكننا ان نلخص ما يهمنا من آراء الباحثين الذين قاموا بدراسة النظم الاقتصادية فى المجتمعات البدائية فيما يلي : ــ

أولا ــ تعتبر النقود السلعية مرحلة انتقالية بين نظام المقايضة البحتة ونظام النقود المعدنيـة .

ثانيـا ــ يجب التحقق من مكانة الشيء فى أى نظام اقتصادى قبـل اعتباره نقـدا أو مجرد سلعة سوقية ، فان كان يستعمل لقياس قيم السلع الأخرى أو يستبدل بسلع مختلفة أو يعطى مقابل خدمة فهو نقد حتى لو استخدم أحيانا فيما يتصـل بالسحر أو الزينة .

ثالثـا ــ يعتبر الشيء سواء كان معدنا أو حجرا أو صـدفا أو سلعة استهلاكية أو غير ذلك نقدا طالما استخدم فى الدفع مقابل الأشياء الأخرى أو الخدمات المختلفة .

رابعـا ــ زعم كارل بوخر (اقتصـادى المانى عنى بدراسة التطـور الاقتصادى فى أوروبا) أن نقد أى قبيلة هو تلك السلعة التجارية التي لا تنتجها بنفسها بل تتحصل عليها بانتظام من القبائل الأخرى عن طريق المبادلة . ويعرف هذا القول بقانون بوخر .

خامسـا ــ من أهم خواص السلعة النقدية التجانس (أى أنها ذات طبيعة واحدة أو تكوين واحد حتى تبـدو متشابهة تمـاما مثل الثياب التى استخدمها شعب الولف والسودانيون) وسهولة النقل وقابلية التجزئة وبطء التلف ، كما أنها تشارك النقود المعدنية فى أداء الوظيفتين الأساسيتين (أى كوسيط للمبادلة وكمقياس للقيمة) ولا يشترط أن تشاركها فى القيام بالوظيفتين الفرعيتين (أى كمستودع للقيمة وكمقياس للدفع المؤجل) ، وذلك لأن السلعة النقدية تختلف من النقود المعدنية بكونها ذات قيمة ذاتية كغيرها من السلع السوقية التى يحكمها قانون الطلب والعرض ، وبأنها أسرع تلفا .

سادسـا ــ لم تكن المجتمعات البدائية التى استخدمت النقود السلعية فى معزل عن المجتمعات المتقدمة التى كانت تستخدم النقود المضروبة .

٩ ــ اثبات ان البر والشـعير والتمر والملح كانت سلعا نقـدية :

ذكرنا فى البنـد السـابق أن الحبـوب والملح وبعض الحيوانات قد استعملت بالفعـل كنقود سلعية فى بعض المجتمعات البدائيـة المعاصرة ، فلذلك ليس بمستغرب لو استعمل العرب فى الجاهلية والاسلام هذه السلع الرئيسية الأربع وكذلك الابل والبقر والغنم كنقود سلعية ، بل من المؤكد أنهم فعلوا ذلك كما يفهم من العـديد من الأحاديث النبـوية والآثار المـروية عن الصحابة الواردة فى استخدام هذه الأشياء كوسيط للمبادلة نظرا لقلة الذهب

والفضة بل لا نعدامهما فى بعض الأمكنة . روى البيهقى فى سننه أن عمرو بن حريش قال لعبد الله بن عمرو بن العاص : انا بأرض ليس فيها ذهب ولا فضة افأبيع البقرة بالبقرتين والبعير بالبعيرين والشاة بالشاتين . وهذا دليل على أن الناس فى هذا الموضع يتبايعون بالابل والبقر والغنم كما قلنا .

وقال الامام الشافعى رحمه الله : إن الحنطة تجوز بالحجاز التى بها سنت السنن جواز الدنانير والدراهم . وقال أيضا : إن الحنطة ثمن بالحجاز ، والذرة ثمن باليمن . وهذا يؤكد صحة ما قلناه عن السلع التى خصها النبى صلى الله عليـــه وسلم بالذكر ، أى انها كانت سلعا نقدية .

١٠ ــ حكمة منع التفاضل فى الصنف الواحد :

يستفاد من بعض الأخبار الصحيحة أن نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن بيع الصنف بعضه ببعض متفاضلا جاء بعد فتح خيبر وعلمه بما كان يجرى فى سوقها الذى احتكره اليهـــود قرونا طويلة من بيع الصـــاع بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة ، من الصنف الواحد بحجة التفاوت النوعى بين المقـــادير المتبادلة . ومن هنا نشأت نسب متعددة لتقويم الأنواع المختلفة داخل الصنف الواحد الذى اتفق الناس على استخدامه كنقود سلعية . ومثل هذا الوضع يفرض على المتبايعين أن يتساويا فى معرفة قيم السلع السوقية بالنسبة لكل نوع من هذه النقود السلعية حتى لا يخدع احدهما الآخر . وهذا شرط لا يمكن أن يستوفيه الا فئة قليلة من جمهور المستهلكين . ويبدو أن اليهود استغلوا هذا الوضـع المربك للعرب الأميين عند التعامل معهم .

وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نفهم تحريم الشارع الحكيم للتفاضل فى الصنف الواحد بمثابة اصلاح للنظام الاقتصـــادى القائم يستهدف ابطـــال النسب المتعددة داخل كل سلعـــة نقدية لكى تصبح مقياســا موحدا سهل الاستعمال . ولولا هذا التحريم لأصبحت هذه النسب قوانين ثابتة وأحكامــا شرعية راسخة تستمد قوتها من إقرار النبى صلى الله عليه وسلم للعاملين بها . ويمكننا أن نتصور كثرة النسب التى كان من المحتمل استنباطها بواسطة الفقهاء عن طريق القياس ، وربما اضطروا الى وضع جداول لها وبذلك تصير عملية التبادل عسيرة على أهل الورع من المتعلمين فضلا عن الأميين . وبعبارة اخرى لقد خدم التحريم جمهـــور المستهلكين بأن وضع فى أيديهـــم مقاييس بسيطة لتقويم السلع المختلفة وبذلك وفر عليهم كثيرا من الوقت الذى كان يضيع فى النزاع حول الفروق النوعيـــة للنقود السلعية وحماهم من الغبن الذى كثيرا ما وقع عليهم نتيجة لجهلهم بهذه الأمور .

١١ ــ كيف رعى الشارع الحكيم مصالح الآخرين ؟

والذى يعقد الأمر ويحول دون رؤية الحكمة فى منع التفاضل فى الجنس الواحد بوضوح هو ان هذه الأجناس التى أصبحت تقوم بدور النقود هى فى

المقام الأول سلع استهلاكيــة لها قيم ذاتية تعتمد على درجاتها من الجــودة والرداءة وغير ذلك من الصــفات التى تهم المسـتهلك . ونتيجة لتفضــيل المستهلكين بعض أنواع الجنس الواحد على بعض كان من الطبيعى أن يطالب أحد المتبايعين بأن يزاد فى الكيل أو الوزن بحجــة أنه أعطى أجود مما أخــذ ومن ثم ظهرت النسب المتعددة لمقايضة الأنواع . ولما كان منع التفاضل الذى يعنى النهى عن التعامل بهذه النسب فى الجنس الواحد يرعى مصلحة جمهور المستهلكين الذين لا يعرفون الفوارق الدقيقة بين الأنواع بنفس القدر الذى يعرفه الملازمون للأسواق ومصلحة الأميين الذين لا يحسنون الحســـــاب ، فان النبى صلى الله عليه وسلم رعى أيضا مصلحة المتبايعين عند وجود تفاوت حقيقى أو ظنى بين الأنواع المتبادلة بارشادهم الى الطريقــة المثلى التــى بينها لبلال فى الحديث المروى عن أبى سعيد الخدرى قال : جاء بلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر برنى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين هــذا ؟ قال بلال :كان عندنا تمر ردىء فبعت منه صاعين بصاع ليطعم النبى صلى الله عليه وسلم ،فقال النبى صلى الله عليــه وسلم عند ذاك : أوه عين اربا ، لا تفعل . ولكن اذا أردت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به . (رواه البخارى ومسلم والنسائى) . والتمر البرنى أجود أنواع التمر كما يقال ، وربما كان تأوه النبى صلى الله عليه وسلم مبالغة فى الزجر أو تألما من سوء فعل بلال أو فهمه والله أعلم . فالطريق القويم هو أن يبيــع المرء ما عنده من تمرردىءبدراهم أو دنانير أو قمح أو أى سلعة نقدية أخرى ثم يشترى بثمنه التمر الجيد .

١٢ ــ مزايا هــذا التوجيــه النبوى :

والمهم فى الأمر هو ضرورة ادخال وسيط آخر للمبادلة لتقدير النســـبة التى يجب أن يتم بها تبادل نوعى التمر بدل التوصل اليها مباشرة عن طريق المساومة كما فعل بلال . والسبب الذى استوجب هذا الاجراء هو أن التمر قد فقد فى هذه العمليــــة وظيفته كسلعة نقدية وأصبح كل نوع منه سلعة سوقية مستقلة بذاتها فلذلك احتاج المتبادلان الى تقويم تمريهما بواســطة مقياس مستقل لكى يتوصلا الى نسبة عادلة للتبادل . وبعبارة أخرى ، لقد مكن الشارع الحكيم ميكانيكية (أو آلية) السوق من القيام بدور الحكم المحايد لتقدير النسبة التى يجب أن يتم على أساسها تبادل الجيد والردىء من التمر . وتم اعطاء الفرصة لآلية السوق لكى تعمل بواسطة السلعة النقدية الجــديدة التى أدخلت فى العمليـــة فأدت الى شطرها الى عمليتين مستقلتين واحالتها الى بيع منفرد وشراء منفرد .

وأقل ما يقال عن محاسن الطريقة التى أرشد اليها النبى صلى الله عليه وسلم حتى ولو أدت أخيرا الى نفس النسبة التى يتوصــل اليها المتبايعـــان مباشرة أنها أبعد الوسيلتين الحاقا للغبن بأحدهما وأقلهما مضيعة للزمن علاوة على أنها صانت لكل سلعة نقدية وحدتها القياسية التى اكتسبتها بمنع بيع بعضها ببعض متفاضلا .

١٣ ـ حكمة منع بيع الأصناف الربوية نساء :

اجمع المسلمون على منع بيع الصنف الربوى بعضه ببعض نساء ؛ واتفقوا على منع النساء فى بيع الذهب بالفضة وفى بيع أحد الأصناف الأربعة الباقية بآخر منها . كما اتفقوا على جواز بيع احد الأصناف الأربعة بالذهب أو الفضة نساء .

والسر فى ذلك ـ والله أعلم ـ هو منع الغبن الفاحش الذى قد يلحق بأحد المتبايعين على واحدة من هذه الصور . مع افتراض عدم التفاضل فى المقادير المتبادلة :

أولا ـ اذا باع شخص شيئا بجنسه مؤجلا فهو بمثابة دين للمشترى ؛ وعليه يجب مراعاة أحكام الديون فى هذه الصورة حتى لا يظلم أحد الطرفين الآخر كان يعطى رديئا ويشترط أن يرد اليه جيدا ، أو يعطى فى زمان رخصه ويشترط أن يرد اليه فى زمان غلائه .

ثانيا ـ اذا بيع الذهب بالفضة نساء ، أو أحد الأصناف الأربعة الباقية بآخر منها نساء فانه قد يلحق أحد الطرفين غبن كبير نتيجة للتقلبات المفاجئة فى أسعار هذه السلع بسبب أو آخر مثل وصول قافلة محملة ببعض هذه السلع فتهبط قيمتها بنسبة كبيرة عما كانت يوم ابرام الصفقة ؛ أو اصابة المحاصيل بآفة فيرتفع ثمنها كثيرا عما كان يوم عقد البيع . أما جواز بيع الأصناف الأربعة بالذهب أو الفضة فيرجع أساسا لثبات قيمة هذين المعدنين نتيجة لضآلة الكميات المستخرجة منهما سنويا بالنسبة لما هو فى أيدى الناس بحيث لا تؤثر الزيادة السنوية فى العرض الكلى لكل من هذين المعدنين تأثيرا يذكر . وبفضل هذه الخاصية التى تميز بها هذان المعدنان عما سواهما من أنواع النقود السلعية أصبحا قادرين على قياس الدفع المؤجل .

ثالثا ـ القصد من منع التفرق قبل التقابض هو انجاز عملية التبادل بالسرعة التى تؤمن الطرفين من التقلبات المفاجئة للأسعار ، وفى جو من الثقة التى قد تتزعزع بسوء ظن أحد المتبايعين بالآخر اذا غاب عن نظره بسلعته قبل أن يوفيه حقه خاصة اذا كان ممن عرفوا بالغش والخيانة مثل اليهود الذين وصفهم جل ثناؤه بقوله : ((**ومنهم من أن تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل**)) . (آل عمران : ٧٥) ، وفسر ابن عباس قوله عز وجل ((**ومنهم من إن تامنه بدينار لا يؤده اليك**)) بقوله : ((ومنهم من تبايعه بثمن الدينار لا يؤده اليك)) ، وفسر السدى قوله تعالى : ((**الا ما دمت عليه قائما**)) بقوله : ((الا ما دمت قائما على رأسه بالاجتماع معه والملازمة له)) والمعنى أنه انما يكون معترفا بما دفعت اليه ما دمت قائما على رأسه فان أنظرت وأخرت أنكر ، وكانوا يستحلون الخيانة بحجة أنه لا اثم عليهم فيما أصابوا من أموال العرب وغيرهم من الأمم (١٤) .

أما عدم مفارقة أهل التقوى والصلاح بعضهم البعض حتى يتم التقابض فانما نفسره بحرصهم البالغ على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما أمر وان لم يروا ما يستوجبه لأنهم يأتمنون بعضهم البعض ـ والله أعلم .

١٤ — كيف استغل اليهود سذاجة العرب ؟

ذكرنا فى حديثنا عن الذهب والفضة أن التمييز بين الجيد والردىء لا يعرفه العامة الا اذا كان الفارق فاحشا ، أما الفوارق الضئيلة فلا يدركها الا الحذاق من الناس .. وكذلك يمكننا أن نقول هنا لقد كان أهل المدينة أعرف الناس بأنواع التمر لكثرة النخيل عندهم ولهذا لم يروا بأسا فى بيع صاع من الجيد بصاعين من الردىء ، بينما كان أكثرهم لا يميزون بين البر والشعير حتى قالوا أنهما صنف واحد وهكذا اعتبرهما مالك ومعظم علماء المدينة . وهناك من عدّ الدخن والذرة والأرز صنفا واحدا بينما يستطيع اقوام التمييز والمفاضلة بين كثير من الأنواع التى يحويها أى واحد من هذه الأصناف التى اعتبرت صنفا واحدا . فاذا كان كثير من الناس لا يفرقون بين الصنفين أو الثلاثة ، فكيف نتوقع من الأعراب أن يميزوا بين أنواع التمر بنفس القدر الذى يفعله المتفكهون من أهل المدينة ؟

ويبدو أن يهود المدينة قد استغلوا لأقصى حد عدم تساوى معرفة المستهلكين بالمواد الغذائية الرئيسية بالطريقة الآتية أو مثلها . كانوا يأخذون من المستهلك القادر على التمييز بين أنواع التمر مثلا مقدارا مما يعرضه عليهم من الردىء يزيد بكثير على ما يعطونه له من الجيد وهو راض بذلك لأنه زاهد فيما عنده وراغب فيما لديهم ، ثم يبيعون هذا التمر الردىء بأسعار عالية للذين تتساوى كل الأنواع فى نظرهم . وقد يحدث عكس هذه العملية اذ كانوا يأخذون من البسطاء الأنواع المختلفة أو الأصناف المتباينة بسعر واحد على أساس أنها شىء واحد ثم ينوعونها أو يصنفونها ويبيعونها للقادرين على التمييز والمفاضلة بأسعار متفاوتة قد تصل الى ضعف ما اشتروا به . ولقد مارس بعض التجار السودانيين الذين لا يخشون الله العملية الثانية هكذا . اعتاد التجار الذين هم من شمال السودان وأكثر وعيا من غيرهم أن يسافروا ومعهم كميات من الملح الى المناطق المتخلفة التى يزرع فيها خمسة أنواع من الذرة التى هى الغذاء الرئيسى لأهل السودان ويشتروا هذه الأنواع المختلفة بسعر واحد من المزارعين البسطاء بدعوى أنهم لا يعرفون أى فرق بين نوع ونوع ولكنهم كانوا يضعون كل نوع على حدة ، وكانوا يعطونهم الملح ثمنا لذلك . ثم يرحلون الذرة الى مدن السودان الرئيسية ويبيعون كل نوع بسعر خاص وقد يبلغ سعر أجود الأنواع ضعف سعر أدناها .

١٥ — حقيقة ربا الفضل :

كان يهود المدينة يزيفون الذهب والفضة ويتلاعبون بالأوزان ، وكانوا ينتجون أجود أنواع التمر ليبيعوه للمستهلكين من ذوى السعة بأكبر مقدار من أبخس أنواع التمر الذى لا يرغبون فى الاحتفاظ به لا لشىء الا لكى يبيعوه للمساكين والمضطرين عندما يعز الطعام وتختفى من السوق الأنواع الجيدة بسبب استهلاكها أو ادخارها فى البيوت المتيسرة الحال للقوت ، فيطلبون منهم

أثمانا عالية ويملون عليهم شروطا قاسية اذا أعطوهم نسيئة. وكثيرا ما أهدرت تلك الشروط كرامة المضطرين وحريتهم اذ كانوا يرفضون أن يعطوهم أى دين ما لم يرهنوا عندهم سلاحهم بل نساءهم وأطفالهم كما ذكر ابن هشام فى قصة مقتل كعب بن الأشرف اليهودى من أنه طلب من أبى نائلة وكان أخاه من الرضاعة أن يأتيه هو وأصحابه بنسائهم أو أولادهم كرهائن لكى يبيعهم طعاما نسيئة .

ويشهد على صحة ما قلناه عن اليهود ما جاء على لسان نبيهم عاموس الثائر على ظلمهم للعباد بل لبنى جلدتهم ، فهو يقول لهم منذرا : اسمعوا هذا أيها المتهممون المساكين لكى تبيدوا بائسى الأرض . قائلين متى يمضى رأس الشهر لنبيع قمحا والسبت لنعرض حنطة . لنصغر الايفة ونكبر الشاقل ونعوج موازين الغش . لنشترى الضعفاء بفضة والبائس بنعلين ونبيع نفاية القمح . وقد أقسم الرب بفخر يعقوب أنى لن أنسى الى الأبد جميع أعمالهم .

تحكى لنا هذه العبارة أساليب المكر والخيانة التى ابتكرها تجار بنى اسرائيل لأكل أموال المساكين بالباطل . وتحدثنا أنهم كانوا فى غاية الجشع حتى تضايقوا من رأس الشهر ومن السبت لعدم السماح لهم بالعمل فى هذه الأيام . فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر مجىء الأيام الأخرى ليزاولوا أعمالهم الذميمة من تصغير للمكيال المسمى بالايفة وتكبير للصنجة المسماة بالشاقل وتعويج للموازين حتى يأخذوا أكثر مما هو لهم ويعطوا أقل مما يجب عليهم . كانوا يستعملون الايفة لكيل القمح والحنطة عند البيع فلذلك صغروها لكى يظلموا الشارى بانتقاص حقه ، وكانوا يستعملون الشاقل لوزن المال المدفوع — ذهبا كان أو فضة — بواسطة الشارى فلذلك زادوا فى وزنه لكى يظلموا الشارى مرة ثانية بأن يأخذوا من ماله أكثر مما هو لهم . ولم يكتفوا بذلك بل ظلموه مرة ثالثة باستخدام الموازين المعوجة عن قصد .

يقول عاموس : إنهم استرقوا أخوانهم المساكين الذى عجزوا عن دفع ديونهم التى قد تكون ثمن نعلين فقط وباعوهم كعبيد بأبخس الأثمان ، وباعوا حثالة القمح ورذالته للمضطرين بأبهظ الأثمان . أخذوا كل ما فى أيدى الناس ظلما حتى أفقروهم وسلبوهم حريتهم .

وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نرى بوضوح أن بيع الردىء بالجيد من الصنف الواحد — خاصة التمر — متفاضلا قد مارسه يهود المدينة الذين احتكروا انتاج أجود أنواع التمر بقصد الحصول على أكبر مقادير من حثالته بأقل الطرق تكلفة مستغلين حاجة المستهلكين للأنواع الجيدة وزهدهم فى الأنواع الرديئة التى بأيديهم عند وفرة الطعام . وغرضهم من كل هذا هو كما قال عاموس أن يبيعوا هذه الحثالة للمضطرين بأبهظ الأثمان خاصة عندما يعز الطعام ولا يجدون شيئا سواه للبقاء على حياتهم .

ولا ريب فى أن الكسب الذى يحصلون عليه بهذا الأسلوب سحت محض بل هو صنو الربا لفداحة الغبن الذى فيه . ومن هنا يتضح للقارىء صحـــة ما ذهبنا اليه من أن ربا الفضل ربا حقيقى وليس مجرد وسيلة لربا النسيئة وأنه يعتمد تارة على استغلال جهل الناس كما ذكرنا فى نهاية البند السادس ، وتارة على استغلال حاجتهم كما حاولنا أن نثبت هنا . أما ربا النسيئة فانه يعتمد أساسا على استغلال عجز المدين عن سداد الدين عند حلوله . وهذا مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم لبلال « عين الربا » .

١٦ ــ خلاصـــة البحث :

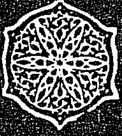
أولا ــ كانت تستعمل السلع الرئيسية الأربع وهى البر والشعير والتمر والملح كنقود سلعية مساعدة للذهب والفضة فى مجتمع المدينة . ويستفاد من عبارة عمرو بن حريش أن الابل والبقر والغنم كانت تستعمل أيضا كوســـيط للمبادلة فى بعض أجزاء الجزيرة العربية . فلذلك نرى أن علة تحـــريم ربا الفضل فى الأصناف الستة المنصوص عليها واحدة وهى النقدية .

ثانيـــا ــ لا يمكن أن نضع قائمة بالأشياء التى يجرى فيها ربا الفضل على ضوء العلة التى ذكرناها وذلك لأن الأشياء التى يقع عليها اختيار الناس لكى تقوم بدور النقود تختلف من بيئة الى أخرى بحيث يتعذر علينا معرفتها ســــلفا .

ثالثـــا ــ ان منع الشارع الحكيم لبيع الصنف الربوى بعضه ببعض متفاضلا ناجزا أو نسيئة ينطوى على مقاصد عديدة لا يدركها جميعا الا من نظر الى الأمر من عدة زوايا كمـــا حاولنا أن نفعل . مثـــال ذلك ، لو نظـــر الى الأصناف الربوية كنقود سلعية لأبصر غرض النبى صلى الله عليه وسلم من المنع وهو اضفاء خاصية التجانس على كل منها حتى تتمكن من القيام بدورها كوسيط للمبادلة ومقياس للقيمة على ما يرام ؛ ولو نظر اليها كسلع سوقية وتأمل الظروف التى كانت تباع فيها وتشترى لأدرك أن المنع جاء لحماية مصالح الأكثرية التى لا تستطيع أن تميز بين الأنواع المختلفة كما وضحنا ذلك .

رابعـــا ــ لم يكن تحريم ربا الفضل لمجرد كونه ذريعة لربا النسيئة . ولكنه حرم لكونه ربا حقيقيا كما قال صلى الله عليه وسلم « عين الربا » أى أنه حقيقـــة الربا المحرم . .

المنجزات الاسلامية في القرن العشرين



للدكتور محمد زايد

اسمحوا لى ان أعترف بصعوبة ايفاء الموضـــوع حقه من الاحاطة لأسباب ثلاثة :

الأول : هو اتساع العالم الاسلامى وتعدد أجناس عنـــاصره واختلاف أوضاعهم السياسية والاجتماعية وبالتالى لتعدد المشكلات التى يواجهونها .

الثانى : هو خيبة أمل الباحث فيما يجد فى متناوله من ابحاث عن بقـــاع كثيرة من العالم الاسلامى يندر مثلا أن تجد بحثا عن مسلمى مدغشقر أو جزر المالديف أو جنوبى أفريقيا ، ولا بد من ســـد هذه الثغرة المهمة فى المـكتبة الاسلامية وتوجيه بعض الاهتمام لأطراف العالم الاســـلامى ، لا حصره فى وسطه .

الثالث : يتعلق بما يمكن أعتباره من المنجزات .

هذا أمر ذاتى الى حد كبير ، لأنه يستند بصورة رئيسية الى ما يعتبره المرء مقوما من مقوماته ، والى تصوره لحاضره ، ولما ينبغى أن يـكون عليه مستقبله .

وما انطلاقى فى هذه المحاضرة الا من مفهومى لهويتى وهو أننى مســـلم وعربى .

استضافت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الدكتور محمود زايد استاذ التاريخ الاسلامى فى الجامعة الاميركية ببيروت ، وقد القى سيادته محاضرتين : الاولى بعنوان « المنجزات الاســـــلامية فى القرن العشرين » وكانت فى قاعة المحاضرات بجامعة الكويت ، والثانية تحت عنوان : « الاسلام وتحديات القرن العشرين » وكانت باللغة الانجليزية ، وذلك فى قاعة المحاضرات بغرفة التجارة والصناعة ، وفيما يلى نص المحاضرة الاولى :

وأود أن أعترف بأننى لم اختر هذا الموضوع يقينا منى بأننى من أقدر من يوفيه حقه من البحث ، ولا يقينـــا بأنى موفيه حقه ، وانما اخترته بســـبب ما الاحظه ويلاحظه غيرى من تركيز كثرة من الكتاب فى الشرق والغرب على تخلف المسلمين وجمود الاسلام ، بعضهم لا يزال يضرب على نغمة قصـــور المسلمين عن اللحاق بغيرهم من الأمم (المتقدمة) ، ويذهب البعض الآخر الى أن الاسلام لا يستطيع أن يساير الحياة ، بل ، وهناك من يذهب الى أن صلتنا بتراثنا انقطعت نهائيا ، كتب احد هؤلاء يقول :

« من يدعو الى رفض الافكار المستوردة اليوم ، بعد مرور أكثر من قرن على النهضة وعجز جميع المصلحين عن السياحة فى غير محيط الأفكار والنظريات الغربية ، يفوه بكلام فارغ اذن ، كلام لا معنى له اطلاقا ، لأن رباطنا بالتراث الاسلامى فى واقع الامر قد انقطع نهائيا فى جميع الميادين وأن الاســـــتمرار الثقافى يخدعنا .. » .

ولا يخفى ما فى دعاوى هؤلاء وغيرهم من افتئات على الواقع ، ومن تضليل لكثرة من الناشئة الذين لم يأخذوا من الاســـــلام أكثر بكثير من شرف الانتماء اليه . ولكن يجدر بنا أن ندرك كيف تكون هذا الانطباع .. ؟

أول سبب أساسى هو وقوع العالم الاسلامى فى براثن الاستعمار ، كان هذا صدمة كبيرة للمسلمين أينما كانوا ، ودفعهم هول الصـــــدمة الى اطلاق الصرخة بعد الصرخة استنهاضا للنفوس واستثارة للهمم لمقاومة العدوان ، ولكنهم فى الوقت ذاته اظهروا من الأسف لحال المسلمين والأسى لما وصلوا اليه ما أسهم فى تكوين الانطباع السائد عن تخلف أو انحطاط المسلمين ، وأحيانا عن جمود الاسلام ذاته ، قال الشاعر الفيلسوف اقبال :

« أين حماتك يا هذه الديار ، وأين من جلجلت تكبيراتهم فى المساجد ؟ .. اسفا عليك يا ديار الاســـلام التى منك انبعثت طـــلائع الحـــرية والعـــدالة والسلام » .

وظهر من المقالات والكتب التى حملت عناوين تنسب الانحطاط او التأخر للمسلمين ما ترك الانطباع بأن الاسلام فى انحطــاط وتأخر وتخلف بالفعل ، ولعل أخطر ما فى هذا الانطباع هو ايهام السامع بانحطاط الاسلام بوصفــه دينا أو بجموده ، أو بقصوره وعجزه عن مسايرة الحياة .

وقد أســهم فى تكوين هذا الانطباع بشـــكل رئيسى تحامل كثرة من المستشرقين والمبشرين والكتاب الذين وضعوا أنفسهم فى خدمة الاستعمار ، كتب اللورد (هيلى) يقول عن الاستعمار الفرنسى :

« ومنذ البدء وجدت الادارة الفرنسية فى أفريقيا نفسها تشن حربا لتحرير الافريقيين الاصليين من سيطرة الاسلام المكافح » .

ويضيف اللورد هيلى الى هــذا أن هذه النظــرة السياسية الفرنســية انعكست على أبحاث الفرنسيين عن الاسلام .

لكن يجب الا يغرب عن البال أن أحوال المسلمين السياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت أيضا ذات تأثير كبير على تكوين هذه النظرة .

لقد سبق لى أن بينت فى محاضرة سابقة وقبل حوالى عام واحد من هذا المكان نفسه أن العصور التى تلت القرن الحادى عشر الميــــلادى من تاريخ الاسلام لم تكن عصور انحطاط كما هو شائع ، وعليه فنسبة الجمود والقصور الى الاسلام خاطئة من الاساس وتدل على جهل بواقع التطور التاريخى .

وأود فى هذا الحديث أن أوضح أمرين أساسيين :

الأول : هو أن المنجزات الاسلامية فى هذا القرن انجـــازات ضخمة من أى زاوية نظرنا اليها ، وبأى مقياس قسناها ومن الناحيتين العملية والنظرية .

والثانى : اننا نشهد ثورة فكرية ذات اتجاهات واضحة فى مقدمتها رفض الفكر الاوروبى الذى طالما وقعنا تحت رقاه ، واصلاح الخلل الذى أحدثه فى مؤسساتنا ، ثم الاتجاه الى منابع ثقافتنا وخاصة الدينية منها ومحاولة الخروج بأيديولوجية عربية اسلامية متكاملة ، واذا كانت هناك ثورة فكرية سلمية كبرى فى تاريخ الاسلام الحديث فهى هذه ، أى التخلص من براثن الفـــكر اللبرالى الاوروبى .

أما بالنسبة للأمر الأول :

وهو المنجزات .. فانى أضع فى مقدمتها انتشار الاسلام حتى فى الفترة التى بلغ فيها التسلط الغربى على العالم الاسلامى أوجه ، فانتشاره دون قوة سياسية تدعمه ، وفى وجه قوى تتسارع معه ، وتهدف الى زعزعة مقوماته ، هو أعظم دليل على حيويته الدافقة وتوثبه الدائم ، وجاذبية عقيدته الصافية .

هذا من ناحية ..

ومن ناحية أخرى ، فنحن مدينون لانتشاره فى اتساع رقعة العــــالم الاسلامى اتساعا أدركنا نحن العرب مؤخرا مدى أهميتــــه فى معركتنا مع الاستعمار ورأس حربته اسرائيل ، وأدركوا هم أيضا أهمية مشاركتهم لنا فى صراعنا الحالى ضد الصهيونية .

فمنذ أواخر القرن الثامن عشر شهدت مناطق كثيرة مدا اسلاميا جارفا أصاب المستعمرين والمبشرين بالذهول ، فقد شهدت مناطق السودان الشرقى والاوسط والغربى من القارة الافريقية نهضة اسلامية عظيمة كان رائدها الشيخ عثمان دنفديو الذى كان له الفضل فى جعل الاسلام دين شعوب بأكملها فى

السودان الاوسط وأسس الامبراطورية الفلانية وعاصمتها سوكوتو ، بعد أن بلغ ثمانية عشر عاما من عمره (١٨٧٦ — ١٨٩٤) يدعـو الى الاسـلام بين القبـائل الافريقيـة .

وقد تلت هذه الانطلاقة انطلاقات أخرى :

فى السودان الغربى بقيادة الحاج عمر ، وفى السودان الشرقى بفضل محمد عثمان الميرغنى ، وأشرق نور الاسلام على بقاع أخرى كثيرة مثل قفقاسيا حين نهض الضابط التركى فرح فى عام ١٧٨٢ م بتأسيس مركز فى انابا بالقرب من منفذ على البحر الاسود ليكون مركزا لنشر الاسلام بين الشراكسة . وكان هؤلاء قد بقوا حتى هذه الفترة على الوثنية فيما عدا قلة ضئيلة منهم كان افرادها قد دخلوا فى الاسلام . تزوج هذا الضابط من شركسية وطلب من أتباعه أن يحذوا حذوه ، واستقدم علماء من القسطنطينية لتعليم الاسـلام ؛ وكانت هـذه الحركة منطلقا لانتشار الاسلام حتى القرن العشرين .

وفى الهند ، نجد قائمة الدعاة الى الاسلام تضم الى جانب الفقهاء رجالا ونساء من جميع الطبقات ، « ونجد فى ثبت يتضمن أسماء دعاة الهنود فى صحيفة احدى جمعيات لاهور الدينية الخيرية أسماء معلمى مدارس وكتاب للحكومة .. وتجار (وفيهم أحد العمال فى عربات النقل بالجمال) ومحرر احدى الصحف ومجلد كتب وعامل فى مطبعة . فقد خصص هؤلاء الناس سـاعات فراغهم بعد انجاز عملهم اليومى للدعوة الى دينهم فى الطرقات وأسواق المدن الهندية » .

ويشيد أرنولد بالدور الكبير الذى قامت به المرأة المسلمة فى هذا السبيل ، وكم يتمنى المرء أن يجد فى كتبنا المدرسية — واغلبيتنا من المسلمين — اسـم واحد من أولئك المصلحين الافريقيين أو اشارة الى الجنود المجهولين الذين كرسوا ما لديهم من جهد فى سبيل نشر دينهم .

ولا يقل عن هذا الانجاز تحرر الغالبية الكبرى من البلدان الاسـلامية من الاستعمار ، وغنى عن القول أن اكبر الفضل فى ذلك يعود الى الاسـلام الذى وجد فيه الغربيون معقلا يحول دون تمثل المسلم وحمله على التخلى عن مقومات تراثه ، والجزائر بلد المليون شهيد أبرز مثال على ذلك .

كما كان للاسلام والعروبة معا الفضل فى صمود المسلمين عربا وغير عرب لعملية (غسل الدماغ) التى قام بها الغرب لزعزعة مقومات الاسلام ، وذلك بازدرائه للعقل الشرقى بوجه عام ، وطعنه فى قدرته ، وبفرض مؤسساته وقوانينه وعاداته ، وبالتبشير فى دياره ، وبفرضه ثنائية التعليم وثنائية القوانين والمحاكم . وأخيرا وليس آخرا بقيامه بمحاولة بعد محاولة لاضـعاف صلتنا بتراثنا . فأطلق أبواقه تدعو الى تبسيط قواعد اللغة العربية أو اصلاحها أو بالاثنين معا ، وحينا بالتحول الى اللهجات المحلية لغة للتدوين والتأليف ، وحينا آخر بالتحول عن الحروف العربية الى اللاتينية ، وفى الوقت ذاته أخذ يشجع الدعوات الاقليمية كالفرعونية والفينيقية وغيرهما .

وبالرغم من تحول تركيا الى الحروف اللاتينية ، واضطرار تركستان الى التحول اليها ، فان الشعوب العربية كلها وكثرة من الدول والاقليات الاسلامية وخاصة فى الهند والباكستان وشرقى أفريقيا واندونيسيا تمسكوا بالحروف العربية ، وينص الدستور الباكستانى الحالى على ضرورة تشجيع تعليم اللغة العربية .

وفى هذه الاثناء اضطلع العرب بتجديد لغتهم وذلك بتبسيط اسلوبها واغناء

مصطلحاتها وترجمة مختلف العلوم اليها ، وهذه هى المحاولة الثانية لتجديد اللغة بعد العصر العباسى .

ومن أبرز ما حققه المسلمون فى القرن العشرين هو اصلاح الخلل الذى أحدثه الاوروبيون بتشجيع ثنائية التعليم أو بفصل التعليم الحديث عن التعليم الدينى ، وبتشجيعهم ثنائية القوانين والمحاكم باحداث قوانين مدنية وشرعية ، ومحاكم مدنية وشرعية . وكان القصد من هذا كله كما لا يخفى حصر الاسلام فى أضيق نطاق ممكن فى المعاهد وفى حياة الشعب .

وكان أخطر ما ترتب على فصل الدراسات الدينية عن الدراسات العلمية غير الدينية اننا قطعنا الصلة بين شبابنا وبين أهم مقومات تراثهم وهو الدين . وتركناهم فى فراغ روحى شديد الى درجة أن بعضهم تخيل أن كل صلة لنا بالتراث قد انقطعت وأننا لا بد متغربون أو متأمركون أو متفرنسون أو متروسون .

ولا يقل عن هذا خطرا ما جنيناه على المتخصص بالدراسات الدينية عندما عزلناه عن أبعاد مهمة الثقافة ، فضاق أفقه ، وانعكس واقعه هذا على نظرتنا له ، وأحللناه فى معاشه منزلة دون منزلة طالب العلوم الأخرى ، وباختصار أصبناه فى عقله وفى ماله ، ونادرا ما ثار وجدان أصحاب السلطة والمثقفين ونادوا بدفع الظلم عنه ، ومما يبعث على الاسى أننا بعد هذا كله نضع مسئولية التخلف عليهم ، هذا بينما لا نلوم المهندس ولا الطبيب وغيرهما من المتخصصين بالدراسات الاخرى .

ومن آثار هذا الفصل بين الدراسات الدينية وغيرها اننا أخذنا نجرى على سنة الغرب فنقول : عالم دين وعالم دنيا ، بدلا من أن نقول : هذا مسلم متخصص بالدراسات الدينية وهذا مسلم متخصص بغيرها من الدراسات .

ووراء هذين الاصطلاحين فكرة الفصل بين الدين والدنيا وهى فكرة تتنافى بشكل مبدئى مع الاسلام .

لقد بدأت فكرة الفصل بين العلوم الدينية والدنيوية منذ أوائل احتكاكنا المباشر بالغرب وشجعها المستعمرون لأنهم أدركوا بأن أكبر عقبة فى سبيل السيطرة على المسلمين واستغلال خيراتهم هو الدين ، وعليه فلا بد من زعزعة أسسه بتحويل الشبان عنه . ولحسن الحظ أن المسلمين تنبهوا الى هذا فأخذوا منذ حوالى مائة وخمسين سنة يصلحون الخلل بالعودة الى ما انقطع من صلتنا بالتراث فى المعاهد الحديثة ، ولجأوا فى ذلك الى حلول رئيسية أربعة :

الأول : انشاء دوائر أوكليات للدراسات العربية والاسلامية فى الجامعات الوطنية .

والثانى : ادراج موضوعات عن الاسلام فى الجامعات كما حدث فى جامعة القاهرة والاسكندرية ودمشق والرباط وأندونيسيا وذلك فى فروع اللغات أو الأدب أو التاريخ أو القانون لكن بدون انشاء دوائر خاصة بالدراسات الاسلامية .

والثالث : انشاء أقسام للدراسات الدينية على نهج كليات الدين فى الغرب كما حدث فى عليكرة وطهران وأنقره (١٩٤٩) واستنبول (١٩٥٩) .

والرابع : هو ادخال العلوم الحديثة فى المعاهد الدينية وأبرز مثل على ذلك هو ما شهده الازهر من اضافات الى مناهجه الدراسية وكلياته منذ عام ١٩٦١ م .

وأرى أن العودة بالدراسات الدينية الى المدارس الثانوية والجامعات والمعاهد على اختلاف أنواعها هى بمثابة اعادة الروح الى الأمة بأسرها وبداية انطلاقة عظيمة لعملية التجديد والبناء ولكن المسألة ليست مجرد اضافة دائرة أو كلية وانما هى دمج الثقافة الدينية فى العملية التعليمية برمتها .

وأود ممن يقولون بقصور الشريعة عن مسايرة الحاضر أو يلومون الفقهاء أن يمعنوا النظر قليلا فيما تم فى حقل التشريع من انجازات كان فى مقدمتها القضاء على الازدواجية أو الثنائية فى القوانين والقضاء التى قصد بها أيضا حصر المتخصص بالعلوم الدينية . وحصر تطبيق الشريعة فى أضيق نطاقات ممكنة ، وقد جاءت هذه الازدواجية بين قوانين مدنية وشرعية ، ومحاكم مدنية ومحاكم شرعية نتيجة لخضوع البلاد الاسلامية للاجانب ، ولسهولة اقتباس القوانين الاجنبية ، وحرص علماء المسلمين على ألا يجرى العبث بأحكام الشريعة الغراء . وأوليت دراسات الحقوق فى البلاد العربية بمزيد من الاهتمام ، وفتحت لخريجيها أبواب الوظائف فى السلكين السياسى والدبلوماسى ، بينما حصر خريجو كليات الشريعة الاسلامية فى مجال ضيق ، وأصيبوا فى أرزاقهم تبعا لذلك .

وعلى الرغم من تأثر مركز الفقهاء وخريجى كليات الشريعة على هذا النحو ، فقد بذلوا هم وعدد لا يستهان به من خريجى الحقوق من أصحاب الغيرة على الاسلام جهودا كبيرة موفقة كان لها فضل كبير فى اثبات زيف ما ذهب اليه المغرضون والمتحاملون على الاسلام الذين زعموا بأن الاسلام يتصف بالجمود ولا يتسع للتجديد وانه فى حالة تجدده فانه يفقد الصبغة الاسلامية ، لقد أثبت الفقهاء من خلال ما استنبطوه من أحكام ، وبلغة سهلة وعصرية ، على أن التجديد الدائم هو فى صلب التعاليم الاسلامية . كما اثبتوا انه باستنارته بمصالح المسلمين ، وتوخيه التيسير عليهم ، ورفع الحرج عنهم ، وحضه على التجديد ، وفرضه لضرورة الاجتهاد على الأقل عند بعض المذاهب كما هو الشأن عند الحنابلة .. بهذا كله أثبتوا أن الاسلام قادر على التغلب على المفاسد واقامة المصالح وان شئت قل : قادر على مواجهة التناقضات فى المجتمع ما جد منها وما سيتولد عنها .

أكدوا هذا بوجه عام وأتبعوا فى الوقت ذاته منهجية من شأنها أن تساعدهم على الاستفادة من الثروة الضخمة التى خلفها الفقهاء فى كل ناحية من نواحى التشريع .

لقد لجأوا أولا الى اصدار القوانين مع التقيد بمذهب ولكن بدون التقيد بالرأى الراجح فيه وهو ما فعله الفقهاء أيام العثمانيين فى المجلة ، ثم ما لبثوا أن لجأوا الى تخير الاحكام دون التقيد بمذهب معين وهو ما فعلوه حين أصدروا قانون الاسرة . وسار فى أثرهم الفقهاء فى مصر أيام الخديوى اسماعيل ، وفى القوانين التى تنظم شئون الاسرة والتى صدرت عام ١٩٢٠ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٩ ، استمد الفقهاء الاحكام من المذاهب الاربعة .

ولجأ الفقهاء بعد ذلك الى تلفيق الاحكام ، بل والى تلفيق الحكم الواحد كذلك ، ومال البعض الى التيسير على المسلمين بالاستناد الى المبادىء الخلقية الاساسية ، والعمل فى ضوئها على رفع الظلم عن بعض الفئات الاجتماعية .

ولم تقتصر اجراءات التغلب على الازدواجية على ميدان الاحكام فقط ، بل تعدت ذلك الى القضاء كما حدث فى مصر حين جرى توحيد المحاكم .

ولا بد لي من أن أدرج في هذه المنجزات حقيقة مهمة وهي أن الحكام في البلاد العربية سواء كانوا ثوريين أو غير ثوريين ، يلتقون عند نقطة أساسية ومصيرية وهي أن هويتهم عربية اسلامية وأن البناء على غيرها لا بد وأن يكون كمن يبني في الهواء .

وأعتقد أنهم بصفة عامة أخذوا يدركون أن الاسلام برغم كل ما رمى به من نعوت سلبية هو بناء شامخ ومتكامل لا ينال منه الزمن ، وأنه يتسع لكل اصلاح ما دام أساسه روحيا .

قال نابليون مرة بأن أعظم قوتين في العالم هما السيف والروح ، والنصر هو في النهاية دائما للروح ، وليس من شك في أن سلطان الاسلام الروحي على المسلمين قد أثبت أنه لا يقهر ، وأن المسلم قد يلبس القبعة ولكن رأسه يظل مسلما .

وصلنا النقطة التي يجب أن نتساءل فيها عن الاسباب التي تكمن وراء هذا التيار القوي للتأكيد على الاسلام واتخاذه أساسا للحركات القومية ثورية وغير ثورية والغوص في منابعه الروحية وثروته الفكرية .

ليس من شك في أن حيوية الاسلام ، وتكامله روحا وفكرا وموازنته بين الحاجات الروحية والمادية سبب رئيسي . ولكن هناك أسباب أخرى وان كانت غير واضحة في أذهان الكثيرين .

في مقدمة هذه الاسباب أن افتتان المسلم بالغرب وبحضارته قد تزعزع من أساسه وأن المسلم قد أخذ يتغلب على الشـــــعور بالنقص ازاء الغربي وحضارته .

ولهذا أسباب في مقدمتها سببان رئيسيان :

وهما : خيبة أمل المسلم في الفكر اللبرالي ، والفكر المادي الثوري ، جدليا كان أو غير جدلي ، فالحضارة الاوروبية القائمة على اللبرالية التي طالما وقع المسلم تحت تأثير رقاها هي نفسها تعاني من أزمات شديدة زعزعت ايمان الاوروبيين أنفسهم بها وبمستقبلها .

ولم يفت المسلم أن يلاحظ أن هذه الازمات هي في الاساس روحية ، وأنها كما يقول مؤرخ أميركي للحضارة الغربية أنها تكمن في : ازدواجية المقاييس الخلقية . فبينما ينشد الغربي بوصفه فردا مقياسا عاليا لسلوكه ، تتبع دولته في علاقاتها مع غيرها مقاييس لا أخلاقية وتتبع أساليب لا تبررها أية غاية . ولقد أثار تنكر الغرب للعدالة لا ثائرة شعوب العالم الثالث فحسب ، بل وثائرة الشبان الاوروبيين أيضا . وما مرد تمرد هؤلاء الشبان على سلوك بلادهم في حرب الفيتنـــام وغيرها الا مظهر من مظـــاهر الثورة على الظلم والقرصنة والعدوان على الحرية .

ويتتبع المسلم أخبار المجتمعات الاوروبية فيستلفت نظره أن التيار المادي الجارف وفقدان الايمان عند الاجيال الناشئة وايمانهم بنسبية الاخلاق قد دفع الكثيرين الى التوسل بالمخدرات للانعتاق من ســــطوة المادة وللتعبير عن نقمتهم على المجتمع واحتقارهم له .

ويلاحظ المسلم كذلك أن هذه النقمة تجد متنفســـا لها في جرائم فردية وجماعية وحشية وفي الهروب من العمل ، والتمرد على النظم ، ونبذ أساليب

الحياة المألوفة ، والانعزال عن المجتمع فى الكهوف أو الشعاب أو تحت الارض .

وأهم من هذا كله أنه لم يفت المسلم أن يدرك أن الفكر اللبرالى أو المتحرر الذى ساد أوروبا فى القرن الماضي وشطر من القرن الحاضر كان نتاج ظروف خاصة بأوروبا لا ظروف انسانية عامة .

وقد يغيب عن بال كثرة من مثقفينا وكتابنا ومؤرخينا أن العلماء الغربيين الذين افتتن بأبحاثهم وعلمهم كانوا ولا يزالون يسخرون أنفسهم لخدمة أغراض تتنافى مع مقومات المسلمين وتطلعاتهم وأوضاعهم . لقد كان أولئك المثقفون الغربيون مثل كلاب الحراسة كما يقول الكاتب الوجودى الفرنسي جان بول سارتر ، يعملون فى خدمة الايديولوجيا البورجوازية ، ناصب هؤلاء المثقفون اللبراليون رجال الدين العداء ونادوا بتحرير ميادين الاقتصاد من الصبغة الدينية وذلك لاطلاق يد البورجوازية فى خيرات الشعوب . ونادوا بحرية الاقتصاد لهذا الغرض نفسه وتوصلوا الى نظريات عنصرية تثبت تفوقهم ، بل بلغ الأمر بهم حدا قام معه الاطباء النفسيون الفرنسيون بأبحاث ترمى الى تفسير تأخر الافريقيين ببنية أدمغتهم وتركيبهم الفيزيولوجى .

وكما انعتق المسلم من رقى الفكر اللبرالى أخذ كذلك ينعتق من الفكر الثورى المستورد .

ان الاختلاف بين المسلم وبين هذا الفكر أساسى وكامن فى بعد الاسلام الروحى ، ولكن فيما يخص المجتمع فليس فى الفكر الثورى شىء لا يتسع له الاسلام .

والاختلاف هو اختلاف ظاهرى فحسب اللهم الا فيما يتعارض مع أى حكم اسلامى قاطع .

وبعد ، ماذا نستخلص من هذا .. ؟

أولا : أن سيطرة الاسلام الروحية على المسلمين أقوى من أن تزعزعها النكسات والغزو الفكرى وأن حيويته الدافقة كانت حتى فى أوج التسلط الاوروبى كفيلة بانطلاقه وانتشاره .

ثانيا : أن فى العالم الاسلامى كله نزعة شديدة الى اصلاح الخلل الذى تم فى المؤسسات أيام الاستعمار والعودة بها الى سابق عهدها مع تجديدها . وأوضح ما يكون هذا فى التعليم والتشريع .

ثالثا : أن عهد الافتتان بالغرب وحضارته قد قارب على الانتهاء ، وأنه بدأ يرفض الفكر اللبرالى الاوروبى الذى وضع نفسه فى خدمة البورجوازية والاستعمار والفكر الثورى المادى .

وأن فى هذا شبها بما تم فى العصر العباسى من رفض لما لا يتفق مع الاسلام من الحضارات الاخرى .

الزي الإسلامي

للدكتور أحمد الحجى الكردى

قد يكون هذا الموضـــوع غريبا لأول وهلة إذ يقول بعض القارئين ما علاقة الاسلام بالزى ، وهل له فيه حكم ؟ أليس الاسلام دين الحرية والانطـــلاق من القيود ؟

لكن الجواب على ذلك واضح ولا يحتـــاج الى غوص وتعمق ، فالاسلام حقا دين الحرية الى غايتها ونهايتها ، الحرية غير المحـــدودة إلا بحدودها هى نفسها . فالاسلام كفل الحرية للناس جميعا لا فرق فى ذلك بين رجل وامرأة ، ولا بين عربى وغير عربى ، أو بين غنى وفقير ، أو كبير وصغير .. والحرية ملك الجميع بقدر متساو بينهم وهى حق لهم جميعا ، لكن هذه الحريات لا بد وأن يتماس بعضها مع بعض فى خطوط تماس تشكل الفاصل بينها المحدد لحدودها ، فحرية الانسان لا بد وأن تنتهى عند نقطة انتهاء حرية غيره فى موقع التماس والا كان الاعتداء على حـــرية الآخرين وهذا ما لا يرضى به الاسلام لما فيه من الظلم الذى جاء هو لتغييره ورفعه .

وبذلك تكون الحرية قد حدت نفسها بنفسها حفاظا على كيانها وجوهرها ، دون ان يكون للاسلام فى هذا شىء غير بيان هذه الحدود التى تضمن للجميع قدرا متساويا من الحرية .

وانطلاقا من هذا المبدأ الاسلامى العام فى تكريم الحرية وصيانتها والحيلولة دون اعتداء بعض الناس على بعض فان الاسلام يقرر ان للمسلم أن يتخذ الزى الذى يراه ويناسبه دونما قيد او شرط الا ان يكون فى ذلك اعتداء على حرية الآخرين ، فاذا كان فى هذا الزى اعتداء على حرية احد فانه يعتبر ممنوعا صونا لحرية الآخرين التى يحرص الاسلام عليها ، ولا غرابة فان فى بعض انواع الزى ملبسا كان او غيره تعديا على الكثير من حريات الآخرين فى اخلاقهم وسلوكهم وتربية اولادهم وغير ذلك .

فلكل امرىء الحق بل هو مسؤول عن حفظ اخلاقه واخلاق من يعوله ويلى عليه من الجنوح والانحراف بل هو مسؤول عن أخلاق المجتمع الاسلامى كله ، وفى بعض انواع الزى استهتار بهذه الأخلاق ، ودعوة الى ما يجافيها مما يحول بين المسلم وبين ما يتطلع اليه من مستوى اخلاقى رفيع دعا الاسلام اليه .

وجمعا بين المبدأين ، مبدأ صون الحريات وحمايتها ، ومبدأ عدم اعتداء بعضها على بعض فقد ابان الاسلام عن بعض القيود فى الملبس التى يعتبر فى تجاوزها اعتداء على حريات الآخرين .

واهم هذه القيود :

١ ــ ان لا يكون اللباس كاشفا للعورة أو لجزء منها ، وعورة الرجل هى من السرة الى الركبة ، أما عورة المرأة الحرة فهى جميع بدنها الا الوجه والكفين والقدمين فى قول جمهور الفقهاء .

وعلى ذلك فان أى لباس ينكشف معه فخذ الرجل أو بطنه ، أو ينكشف معه شعر المرأة او ساعدها او ساقها ، أو غير ذلك يعتبر لباسا ممنوعا محرما لما فى ذلك من دعوة ضمنية الى الرذيلة

والتحلل الخلقى الذى لا يستطيع الآخرون معه الحفاظ على أخلاقهم وأخلاق أسرهم وأبناء مجتمعهم ، وفى ذلك اعتداء كبير على أسمى ما تكفله الحرية لكل انسان من المبادىء وهو مبدأ حرية العيش فى مستوى أخلاقى رفيع .

ولا يجوز أن يقال بحال : ليغلق الانسان على نفسه الباب ولا يتعرض للآخرين ، ولا يأبه بهم ولن يناله بعد ذلك منهم اى أذى . ذلك أن الحياة العامة ملك مشترك بين الجميع ، ولا يستطيع أى انسان أن يمنع الآخرين من ولوجها ، وعلى جميع المسلمين أن يكفوا عن أى عمل يلحق أذى بالآخرين فيها ماديا كان ذلك الأذى أو معنويا . الا ترون أنه لا يقال لولى من قتلته سيارة فى شارع عام « لو كان هذا القتيل فى بيته لما قتلته السيارة وبالتالى لا مسؤولية على القاتل » واذا ما قيل ذلك اعتبر شذوذا مردودا على صاحبه ، لأن الشارع العام ملك لكل الناس ، وعلى كل الناس أن يبتعدوا عن ايذاء بعضهم فيه . فكذلك اللباس لا يجوز أن تتعدى فيه الحدود التى يلحق منها ضرر بالآخرين ، مثله مثل السيارة تماما لا فارق بينهما الا من حيث أن ضرر السيارة مادى وهذا ضرره معنوى ، وهو فارق غير مؤثر هنا .

بل ان النظرة المستهترة يلقى بها الرجل الى امراة فى الشارع ، أو تلقى بها المرأة الى الرجل فيه تعتبر أمرا ممنوعا شرعا بنص كتاب الله تعالى حيث يقول : ((**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**)) ويقول : ((**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن**)) لما فى ذلك من اعتداء على حرية الآخرين فى السير فى الشارع العام فى أمان وسلام بعيدا عن الفساد ومسبباته .

٢ — أن لا يكون اللباس شفافا يشف عن العورة تحته ، لأن الشفافية هذه مثل الكشف تماما ان لم تكن أشد منه اغراء ودعوة الى الفساد ، ولأن الثوب الشفاف لا يعد ساترا ، والله سبحانه ورسوله قد أمرانا بالاستتار ، فقد روى أبو هريرة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال (صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر

يضربون بها الناس ، ونســـاء كاسيات عـــاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) رواه مسلم .

٣ ــ ان لا يكون اللباس ضيقا يشكل حجـم العورة تحته ، كالسروال الضيق الذى يشكل حجم الفخذ والمعطف الضيق الأكمـام الذى يشـكل حجم الساعدين بالنسبة للمرأة ، وكذلك الثوب الضـيق الذى يشكل حجم الصدر والخصر للمرأة .. وغير ذلك . لأن فى هذا كله نوع اغراء وإيذاء ونيـلا من حرية الآخرين فى المحافظة على أخلاقهم وعفافهم ، ولأن فيه نوع كشف للعورة بالجملة .

٤ ــ ان لا يكون فى اللباس نوع خيلاء وكبر واسراف ، لأن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ نهى عن ذلك ، والقرآن الكريم جاء بتحريمه أيضا ، فقال تعالى : ((**ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخـرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**)) ، وقال جل شأنه : ((**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**)) . وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة) رواه البخارى . ولم لا فان فى التكبر اعتداء على مبدأ المساواة التى قررها الله تعـالى ترسيخا لمبدأ الحرية ، ثم ان الاسراف داء اذا انتشر وباؤه بين افراد الأمة الحقَ بها الخراب والدمار وهو ما لا يرضى به الاسلام .

٥ ــ ان لا يكـون اللبـاس زيا خاصـا لغير المسلمين ، فاذا كان كذلك كان فى ارتدائه تشـبه بهم قد يجـر الى تقمص شخصيتهم والتخـلى عن الشخصية الاسلامية بكل مقوماتها شيئا فشيئا ، وفى هذا من الخطر على الأمة ما فيه ، وهـل كان أول ضعفنا الا التخلى عن تقاليدنا واستيراد تقاليد غريبة عنا فى الملبس والمسكن .. (من تشبه بقوم فهو منهـم) .

وهذه أمم الأرض كلها تحـافظ على تاريخهـا وتقاليدها بما فى ذلك أرقى الأمم ، ونظرة عجـلى الى هذه الأمم من أقاصى الصين الى أواخر أوروبا كافية لوضع النقاط على الحروف فى ذلك ، فما بال بعضنا يستسيغ التخلى عن هذه التقاليد غير آبه بما يترتب على ذلك من أفدح الأضرار .

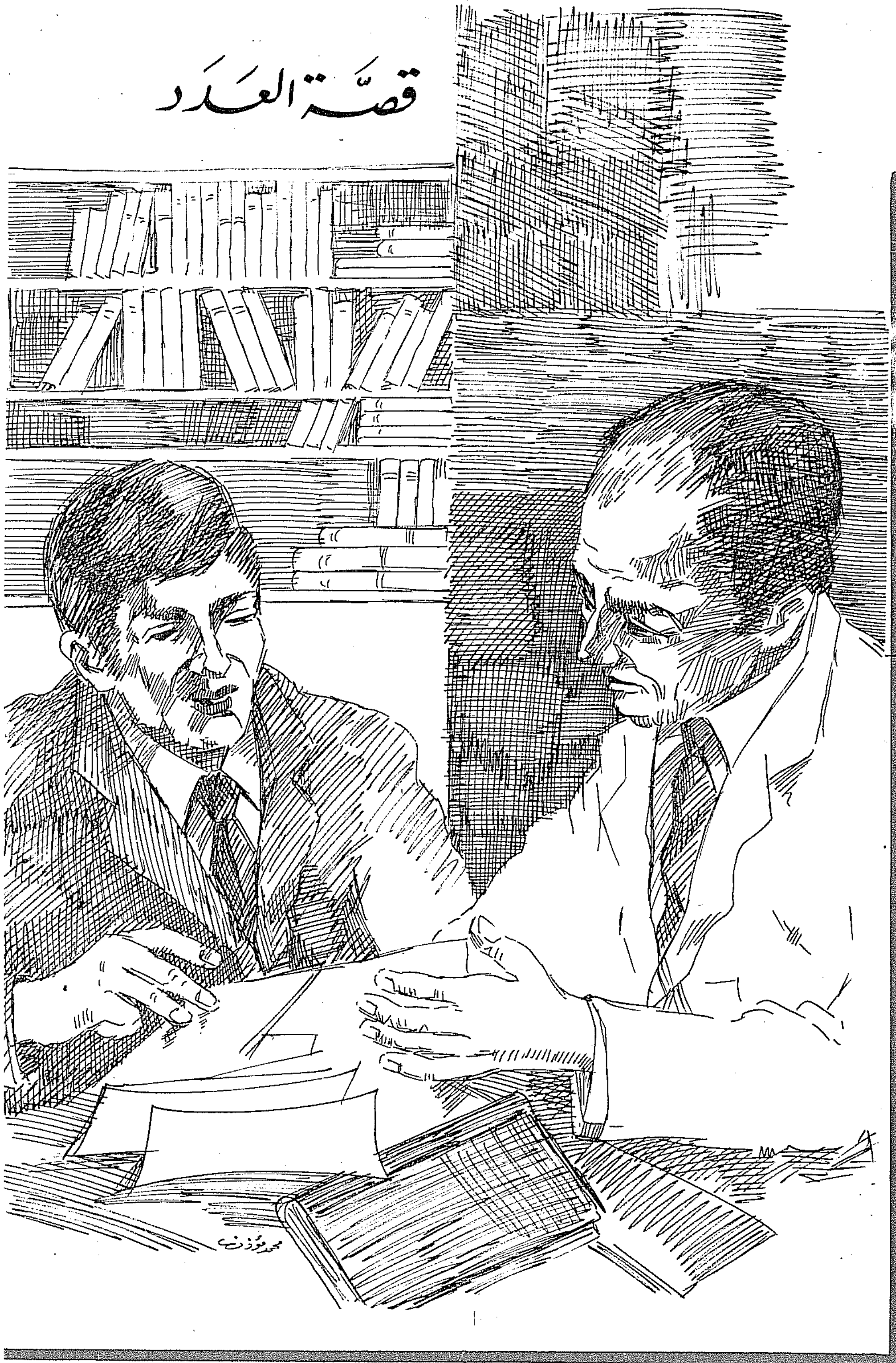
ولكن ليتنبه هنا الى أن ذلك لا يعنى بحال أن نصم آذاننا عن كل جديد ، فان الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدهـا التقطها ، بل يعنى أن نفتـح آذاننا وعيوننا وكل حواسنا جيدا عندما نقع على أى جديد فنقيسه بعقولنا ونزنه بمبادىء اسلامنا ، ثم بعد ذلك لنقرر أخذه أو تركه ، فاذا أخذناه فلنحاول أن نصبغه بصبغتنا الخاصة قطعا لمعنى التبعية فيه ، فقد ثبت عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ انه أمر اصحابه الأبرار مرة بصوم يوم عاشوراء ، فقـالوا له : يا رسول الله هذا يوافق صوم اليهود ــ لأنهم يعلمون أنه لا يحب الأخذ عن أحد من غير المسلمين ــ فأجابهم بقوله : نحن أحق بموسى منهم ، نغيره فان جاء العام القابل نصوم معه يوما قبله أو يوما بعده . (أو كما قال) ، وقد ثبت عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال لأصحابه مرة أيضا (إن اليهود والنصـارى لا يصبغون ــ أى شيب شعرهم ــ فخالفوهم) متفق عليه . والرسول ــ عليه الصلاة والسـلام ــ هو قائدنا ومعلمنا وهو الأسوة الحسنة فينا .

٦ ــ أن لا يكون فى لباس الرجل ما يشـبه لباس المرأة ، ولا فى لباس المرأة ما يشبه لباس الرجل وذلك لنهى النبى ــ صلى الله عليـه وسلم ــ عن ذلك ، فقد روى عن ابن عبـاس انه قال : (لعن رسـول الله المتشـبهين من الرجـال بالنسـاء ، والمتشبهات من النساء بالرجال) رواه البخارى ، وقد روى أبو هريرة أيضا : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ الرجل يلبس لبسة المـرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل) رواه أبو داود بإسناد صحيح .

ذلك أن الله تعالى خلق الناس من ذكر وانثى وأودع فى كل منهما من الصفات ما يجعلــه أهلا لتحمــل مسؤولياته الخاصة به فى هذه الحياة ، وفى ارتداء اى منهما لباس الآخر تغيير لنفســه ومشاعره مما يعوقه عن القيام بالأعباء الحياتية التى خلقــه الله تعالى لها . فيكون بذلك مفوتا على الأمة فردا نافعا طالما عملت على اعداده والعناية به ، ذلك أن لطريقة الانسان فى ملبسه ومأكله ومسكنه وحديثه .. اثرا فى نفسه وسلوكه ، هذا ما يراه ويشهد به العلماء المتخصصون فى الدراسات النفسية والاجتماعيـــة بصرف النظر عن عظم أو صغر ذلك الأثر .

هذه هى أهم صفات وملامح الزى الاسلامى ما يتعلق منها بالملبس للرجل والمرأة ، رأينا كيف سلك الاسلام بها مسلك الأخذ بالحرية المقيدة بما يحفظ حرية الآخرين فى أمورهم المادية والمعنوية وكلى رجاء أن يتفهمها شبابنا وشاباتنا ويدركوا مغزاها العميق ويلتزموا بها محافظة منهم على استقلاليتهم وبعدا بهم عن التسكع على موائد أزياء الأجانب التى تأتينا كل يوم بجديد ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، يحمل فى طياته كل ما يكفى للقضـــاء على أخـــلاقنا وصمودنا ومثلنا ، وهو ما لم تستطع فعله سيوف الصليبيين وحروبهم التى امتدت قرونا .. ((**فهل من مدكر ؟**)) .

قصة العدد



العودة

للاستاذ / محمد رشدى عبيد

حجرة صغيرة ضمت رفيقين جمعهما طلب العلم فى ديار الغربة اما احدهما ، وهو حسن فكان رضى النفس ، جم الأدب ، حلو الحديث ، حسن المعاملة ، لطيف المعاشرة ، مؤمنا بالله تعالى اعمق ايمان واصدقه مواظبا على العبادات يؤديها بخشوع وشوق ، وكان يملك اضافة الى علمه الدينى ، ثقافة عصرية ، واطلاعا على العلوم الحديثة ، يتابع ما جد من اخبارها ، وما اكتشف من أسرارها ، ليزداد ايمانا الى ايمانه .

لقد وزع أوقات فراغه بين العبادة والتأمل ، وبين المطالعة ، ولقد كانت مطالعاته تشمل كل كتاب يعرض تيارا فكريا مستحدثا ولو لم يرقه ، وكل لون من الوان الثقافة ولو تضاد مع ما وقر عليه قلبه ، واشتملت عليه نفسه ، فأما غايته من الاطلاع على النظم والآراء البشرية المستحدثة بعيدة عن هدى الله فهى معرفة عمق المنحدر السحيق الذى هوى اليه الفكر الانسانى ليقدر قيمة موقفه الفكرى السامق ، لقد كان ينظر الى ضحالة المستنقع الوبىء ، ليتذوق عذوبة النبع الذى ورده ، ويرتوى من منهله الصافى حتى ينتشى ... استطاع الاستاذ حسن كما كان يلقبه زملاؤه بسيماه الذى تعلوه الهيبة ، ووجهه الروحانى المشع وحديثه الآسر ، ان يسيطر على القلوب ويجتذب اليه النفوس ، وما أكثر الشاردين الذين أعادهم الى حظيرة الحق ، حيث الروح .. والحياة الايمانية ، حيث سلامة التصور ونظافة القلب .. واطمئنان النفس وراحة الضمير .

اما رفيقه (سعيد) فكان بالرغم من رقة حاشيته ، وظرفه ، وبشاشته البادية على وجهه المستدير يبدو في أحاديثه وآرائه ، وكأنه يحمل اتجاها فكريا مناقضا لاتجاه صاحبه ، وكان الاستاذ (حسن) يملك موهبة غريبة في معرفة الحالة النفسية التي يتصف بها كل من يقابله ويحادثه وذلك من خلال التدقيق والتفرس في سيماوجوههم وحركاتهم والمواضيع التي يودون مباحثتها معه ، ولهذا فقد ساورته شكوك في ان رفيقه (سعيد) يعاني من آلام نفسية تضطرم نيرانها بين جنبيه بالرغم من اجتهاده في اخفائها عن صاحبه وكافة زملائه ، ثم يتيقن الاستاذ بان تهلل اسارير سعيد ، ودعاباته الكثيرة ، ما هي الا طلاء لامع لنفس متألمة منهدة البنيان ، وان مرحه المصطنع ما هو الا ستار يخفي تحته القلق الذي يعانيه ، وذلك حين رجع الى البيت في يوم مشهود ، وما أن اقترب من الباب حتى سمع من داخل الحجرة انينا تحول الى بكاء مر .. استولت الدهشة على الاستاذ حسن وردد مع نفسه : الله .. انه سعيد ... ولكن ماذا أصابه ؟ .. ما الذي احدث هذا الانقلاب المباغت في شعوره .. ؟ وبادر الى طرق الباب طرقات قوية متتالية على غير عادته ــ كانت تعبر عن اللهفة والقلق اللذين يعتملان في صدره اشفاقا على رفيقه . نهض (سعيد) بخطى متثاقلة ، وجفف من دموعه المنسابة على خديه ، ثم فتح باب الحجرة .. دخل الاستاذ وأغلق الباب وراءه برفق ودون أن يحول نظراته المستفربة عن وجه رفيقه ، كانت ملامح سعيد لا تزال تنطق بالأسى ، وتعبر عن ما يجيش في صدره من انفعالات حبيسة ، ولم يكن الأستاذ حسن قد أخذ مقعده من الأرض حين بادره الى السؤال عن سبب بكاء رفيقه ، قال :

ــ اخي ، لماذا كنت تبكي ؟ لقد كان عهدي بك أن أراك جذلانا ، تملأ جو الغرفة غناء ، ولا تكف عن دعاباتك الحلوة .. !!

أجاب سعيد بصوت ملؤه الشجن : انا لم يصبني يا اخي أي عارض ، وانا لست الا ذلك المرح ، ولكن لأصارحك : اني أحس بإحساسات اليمة تدمر كياني ، وتهد من قواي ، وتذيقني مر العذاب .. كما أني لا اشعر بالراحة الا اذا بكيت .. وليست هذه هي المرة الأولى التي أبكي فيها ، بل أنني قد لجأت الى الوسيلة كلما انتابتني تلك المشاعر لاخفف من حدتها ، وأطفىء نيرانها المستعرة التي تلهب وجداني ، ولكني أجتهدت أن أخفي عنك بكائي ، كي لا اقلق راحتك ، وأنغص سعادتك .

الأستاذ مستفربا : وما نوع تلك الأحاسيس التي تعاني منها الى هذه الدرجة .. انك تعيش كما تحب وتهوى .. لا ينقصك المال .. أما الشهرة فأنت في طريقك اليها .. أو هي في طريقها اليك ، ثم انك لا تمنع عن نفسك أية شهوة ، ولا تكبت أية رغبة أو نزوة ، لانك لا تعترف بوجود رقابة خارجية عليك ، ولا تبالي بأعراف المجتمع أو مبادىء الأخلاق ، ألست تدعي بأن الانسان وجود مستقل فعليه أن يسعى لتحقيق هذا الوجود ، وبحرية كاملة ، وبدون قيود أو حدود ؟ أليس الألم الذي تعاني منه قيداً يشل الطاقة الإنسانية ويحد النشاط البشري ، فلماذا لا تحرر نفسك من عقابيله ؟ !

اجاب سعيد بصوت يائس : أخي حسن لو كانت تلك الآلام والمشاعر قيودا خارجية لتحررت منها ، ورميتها بعيدا عني ، ولكنها تنبع من أعماق قلبي

وصميم وجداني ، ولهذا فلا سبيل لي الى ازالتها ، ثم أردف بعد تنهدة عميقة : إني لا أرى نور الأمل في انكشاف مصابي ، وباعتقادي أن مأساتي سترافقني الى القبر ، ثم سأل مستعطفا :

— هل تسمح لي أن أسرد لك قصتي بشيء من التفصيل ، عسى أن أجد عندك الحل المرتجى لمشكلتي أو اشعر بدفء اليقين في رحاب قلبك الكبير الذي وسع آلام كثير من الناس وآمالهم ، وان لم يكن ذاك فقد أحس ببعض الارتياح ، وأتذوق حظا من الانشراح عندما أجدك تشاركني آلامي وتسري عني بعض ما أعاني .. ؟

الأستاذ : سأكون سعيدا اذا ما استطعت أن أقدم لك العون الذي تبغيه .. اننا معاشر المؤمنين نتقرب الى الله بتفريج كروب المصابين ، وادخـــال العزاء والسلوى الى قلوب المنكوبين ، ومسح الدموع المتحدرة من عيـــون البائسين ، وأضاءة أسرجة الأمل في أفئدة القانطين ، قل اسمع ، ولا تخف عني شيئا من جوانب المشكلة وأسرارها ومواردها ومصادرها عسى أن يوفقني الله تعالى لحلها .. !!

سعيد : أخي لقد نشأت في أسرة لا تؤمن ألا بالعلم المادي ، ولا توقن بوجود شيء لا تقع عليه الحواس ، ان والدي يرفض وجود عالم الغيب ، انه يعتقد بان المصادفة هي التي خلقت الكون ، وان الأنسان انما أصله حيوان بلغ هذه الدرجة من التطور والرقي بفعل عوامل الطبيعة ومتطلبات البيئة ، وهو يرى في هذه الحياة الفرصة الوحيدة التي يملكها الانسان ثم يصير الى العدم ، ولهذا فانه ينتهب اللذات نهبا ، لا يبالي بدين أو خلق أو عرف ، وقد نشأني على ما يعتقده ، وانسجمت مع هذه الأفكار ردحا من الزمن ، الا أن صوتا ما بدأ ينبعث من أعماق فؤادي ، لقد بدأ خافتا خفيضا ، لكنه لم يزل يعلو ويعـــلو وزادت الأوقات التي ينبعث فيها ، حتى أنه أخذ يكدر صفو أوقاتي ، ويحرمني التمتع المطمئن بملذاتي ، ولا يزال يطرق فكري بتساؤلاته !

الأستاذ : وماذا يقول ذلك الصوت ... ؟

سعيد : أنه يقول : ان خالقا قد خلقك ، وخلق كل هذه العوالم البديعة ، ووضع فيها القوانين والنواميس الثابتة .. انه مصدر كل هذا التناسق والجمال والابداع في المخلوقات .. كل مظاهر الوجود ونواميسه تدل على عظمته ، وحكمته ، وعدله ، ورحمته !!

تهلل وجه الأستاذ حسن فرحا وسرورا ، وشعر بسعادة غامرة ثم قال بلهجة الواثق من نفسه :

— انه صوت الايمان المحبوس .. انه نداء الفطرة التي استيقظت من غفوتها .. يأبى الله الا أن يتم نوره ، ويبين الآيات الدالة على وجوده في الأنفس والآفاق .. انه ... موجود .. قاطعه سعيد بلطف قائلا :

— أخي أما وجوده فقد توصلت اليه بعد تجربة مريرة .. انه يتجلى في كل شيء ، كل مظاهر العظمة والجمال توصل اليه ، الجبال السامقة التي تبهر الأنفاس ، الوديان العميقة التي تدهش المتطلعين ، أصوات الطيـــور الشجية ، انغام مظاهر الطبيعة المتناسقة جمال الطفولة وبراعتها المؤنسة ، عبق الأزهار وأريجها العاطر ، جمال الفجر الوليد ، حمرة الشفق وقت الأصيل ، همسات الأطياف السارية في الليل ... أين المصادفة العمياء من كل هذا الجمال ، بل هو الله ... ولكن !!

الأستاذ : لكن ماذا يا أخي .. ؟

سعيد : ان هناك تناقضات تعتمل في فكري ، أشعر معها بعبثية الحياة ، وانعدام الحكمة في بعض حوادثها بل اني لأشعر بالظلم البين في بعض وقائعها ، اني لأتساءل : لماذا يموت أحبائي وذوو قرباي ثم سأتبعهم أنا في الطريق اللاحب الممتد ؟ أيعقل أن تنتهي بالموت حياة هذا الإنسان الذي لا يتشوق لشيء كما يتشوق للخلود ، ولا يحب أمرا كما يحب البقاء والأمتداد ؟ ما علة اختلاف الناس في الحظوظ الدنيوية التي وهبوها ؟ ما الحكمة من وجود الشر والمرض والألم ؟ هل من المعقول أن يستعلى الباطل ، ويضام أهل الخير ويسام الضعفاء الخسف ، ثم يذهب الكل ولا حساب ! ؟ انه ليقض مضجعي تمزق الأواصر بين الأفراد ، واضطرام نار البغض بين الطبقات ، وتفكك الروابط بين الشعوب ... لقد فقدت السلام النفس .. لقد ضقت بمشاعري هذه .. إني اريد أن أعيش عيشة سعيدة ولهذا فإني أغرق مشاعري طورا في الملذات ، وطورا الجأ الى وسائل التخدير والتعمية .. فقط لكي أنسى نفسي .. ولكن بدون جدوى يا اخي .. لقد تعبت في الهرب والأختفاء وأسلمت قيادي للألم !

الأستاذ حسن : مهلا يا أخي ، أما الحقيقة الكبرى فقد توصلت اليها وأما تلك التناقضات التي تعتمل في أفكارك فهي نفسها سوف تتمخض عن الايمان الوليد .. بل هي تباشير فجر العقيدة التي سوف تطمئن روحك المعذبة وتقر نفسك القلقة . وكانت علائم التطلع والأهتمام قد بدت ظاهرة على وجه سعيد .. ما أشد حاجته الى النور .. ما أعظم حاجته الى الزاد الروحي الذي حرم منه سنين طويلة !! واستطرد الأستاذ يقول :

ــ فأما وقد توصلت الى وجوده ، فما عليك الا ان توثق صلتك به ليمدك بالهدى واليقين ، ويمنحك سلامة الادراك ، وصفاء الفكر ، وراحة البال ، واطمئنان الضمير اتعرف عليه من خلال كتابه الأخير للأنسانية (القرآن) الكتاب الذي لم تبل جدته السنون ، النبع الذي يفيض بالخير والنور ، انه وصفة ناجحة لجميع أمراض النفس والفكر والقلب ، فاذا ما حسنت صلتك بكتابه ، فقد حسنت صلتك به ، واذا ما تم ذلك فسيكون لك ربك السند المتين في المحن ، سيملأ نفسك رضى ، ويشرح صدرك أملا .. ثم أردف :

ــ سأحل لك كل المشاكل في ضوء القرآن بإذن الله ، فاسمع .

ــ نعم ..

ــ فأما رغبة الامتداد في الانسان ونزعة البقاء والخلود في نفسه فان كتاب الله سبحانه لم يهملها ، بل انه قد جعل الحياة في الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية التي سوف يحياها الأنسان ليكمل وجوده الناقص على الأرض ، وليشبع حاجته الى الخلود ، ويطمئنه على مصيره بعد الموت ، فما الموت الذي ترهبه الا معبر من حياة زائلة الى حياة باقية ، أو من قاعة امتحان الى حيث الدار التي تستعصى على الفناء وترفض العدم ، هناك يثاب المحسن ، ويعاقب المسيء ، وينال المؤمنون جزاء اتعابهم وتضحياتهم كاملة غير منقوصة ، وهناك ينتصف للمظلومين ممن ظلمهم ، ويدخل الطغاة والمتجبرون اشد العذاب . اسمع قوله تعالى ((**اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . لا ظلم اليوم**)) .

فقر عينا وطب نفسا يا صاحبي اذا ما نزل الموت ، أو قربت أيامه فان الجنة قد تزينت وتجملت للقاء عباد الله الصالحين ، فاجتهد أن تكون منهم ، ولا عليك اذا من القدر المحتم اذا ما اتبعت الهدى وقصد السبيل ... هاك البشارة الألهية : « **ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** » .

سعيد : اذن فالدنيا دار بلاء وليست دار جزاء ووفاء .

الأستاذ : نعم . ولهذا فان الله سبحانه وتعالى لا يقيد ارادة البشر الحرة ، بل يدعهم وما يعملون حتى حين ، فهو إمهال وليس إهمالا ، والكل منظرون ليوم لا ريب فيه ! اسمع قوله تعالى : « **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** » .

سعيد : فما هي علة اختلاف الناس في الحظوظ الدنيوية التي وهبوها ؟

الأستاذ : هناك نقطتان أحب بيانهما في هذه الشبهة التي تتردد في صدرك ، أولاهما ... انه يجب تطبيق الشريعة الالهية في المجتمع الذي يجب أن يصل أو يصل أكثر افراده الى المستوى الذي ينسجم ويصلح ويتقبل المبادىء الاسلامية ، تلك الشريعة التي تعطى كل ذي حق حقه ، وتعدل كل العدل في توزيع الخيرات والمنجزات ، وتضمن حقوق جميع الأفراد والطبقات ، ولكن حتى عند قيام ذلك المجتمع الصالح ، المتكافل ، المتساند ، فان التفاضل في الرزق لا ينعدم ، ويبقى الأختلاف في مقدار الحظوظ الممتلكة ، والطيبات المنالة والجاه المحرز ، تلك سنة من سنن الله لم تتبدل ولن تتبدل قال تعالى « **الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له** » ولكن سنثوب الى حكمة الله العليا مرة أخرى ونستشف طرفا منها فنقول : ان الله تعالى يبتلى عباده بالخير والشر : « **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** » وذلك ليعلم مدى صبرهم ، ودرجة شكرهم ، وصلابة أيمانهم ، ان هناك بعض النفوس يطغيها الخير ، وبعضها يقسيها النعيم ، فتنسى الله وتحرم ذواتها من نعيم الآخرة ، ولهذا يتفضل الله تعالى على كل طائفة بقدر من متاع الدنيا يلائم حالتها ، ويناسب طبيعتها ، حتى لا تضل ولا تشقى .

كما أنه لا بد من وجود الاختلاف في الثروة بين النشيط الدؤوب ، والمتعطل الكسول ... بين المقتصد في انفاقه وصرفه ، والمسرف المبذر الذي ينفق ماله بغير حساب فيما ينفع ولا ينفع ... بين من جعل الآخرة أكبر همه فهو يقدم من ماله مهرا سخيا للجنة التي جعلها نصب عينيه ، والمقتر الذى لا يكاد يؤدى الحق المفروض في حاله للسائل والمحروم .

سعيد : ولكن ما الحكمة من ابتلاء الله لأحبائه بالأمراض والآلام والمصائب بينما اعداؤه يسرحون ويمرحون في الدنيا ، يتمتعون بطيبات الحياة ، لا يبالون بدين ولا يلتزمون بحد من حدود الله ؟

الأستاذ : أما احباؤه فأنه يبتليهم ليكشف صدق دعواهم ، ويتحقق من نواياهم وهو أعلم بها ، ثم ان هذه الآلام والمحن التى تصيب المؤمنين لهى خير مفجر لينابيع الرحمة التى تفيض من قلوبهم على عباد الله المحرومين ، وهى اجدى وسيلة لتقوية اتصالهم بربهم ، وتحسين علاقتهم به وتخليص قلوبهم من التوجه لغير الله والتعلق بعرض من الأعراض الفانية ، انها اضافة الى ذلك سلسلة من التمرينات المتعبة التى تؤهل المتقين لدخول جنة الله الخالدة التى لا يستحق دخولها الا من طهرت نفسه ، وعظم صبره ، وهانت عنده التضحيات . أما أعداؤه الذين انحصرت هممهم فى نيل ثواب الدنيا ، وضاقت آمالهم فلم تتعد حدود الارض ، فلا بأس بالتفضل عليهم بشىء من النعيم الظاهرى الذى يتقلبون فيه .

سعيد : وماذا تقصد بظاهر النعيم .. ؟

الأستاذ : اقصد أن النعيم الحقيقى حتى فى هذه الدنيا ليس فى زينة الحياة وزخارفها . بل ان سعادة النفس ، وراحة الروح ، وطمأنينة الضمير لهى من أعلى اللذات وأدومها . ان كثيرا من المؤمنين يعيشون فى حرمان من لذات الدنيا ولكنهم سعداء أكثر من أصحاب المال والجاه والنعيم وكما قال تعالى : « **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان ربك محظورا** » ولكن سوف يقال يوم القيامة للكافرين : « **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون** » . أما المؤمنون فينالون جزاءهم الأوفى فى ذلك اليوم .

انك تنظر الى جزء من قصة الحياة الأنسانية وهى الحياة على الأرض .. لكن القصة لم تكمل بعد فلا يضق صدرك ، ولا تذهب نفسك حسرة ، أن الناقد الأدبى ليحكم بتراجيدية القصة اذا كانت نهايتها مؤلمة وغير عادلة .. لكننا لم نر نهاية قصة الوجود .. فهذا المصاب الذى تشفق عليه الآن ، وتتأثر لحاله ، قد تتمنى ان تكون فى محله فى الآخرة ، وانما العبرة بالخواتيم .

سعيد : فما هى الحكمة من اختلاف المؤمنين فى عظم المصاب . ومقدار البلاء ؟

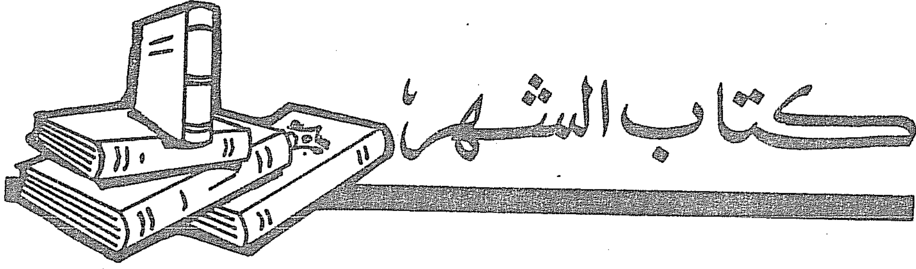
الأستاذ : ان عظم المصاب يتوقف على ايمان الشخص ، فكلما كان ايمانه راسخا زيد بلاؤه ليمس نفسه ، ويتأثر به كيانه ، وتدفعه شدة معاناته الى الأستنجاد بقوة الله والأسترشاد بهديه ، والتضرع على عتبة بابه ، والتبرؤ من الحول والقوة الأنسانية والألتجاء المطلق الى الله تعالى ، والتعرف على ضعف نفسه ، حتى لا يأخذه الغرور بسلطانه ، ويستغنى بقوة نفسه عن الاحتماء بقوة الله ، اما من ضعف إيمانه أووهنت نفسه ، فيبتلى بالقدر الذى تتحمله نفسه ، ويثبت له ايمانه . ولهذا ورد فى الحديث الشريف « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه » ولهذا فقد يتألم الأنسان لشخص ما أصابه بلاء شديد فى نظره وهو يستغرب فى تحمله

له ، ولكن هذا البلاء ليس شديدا على صاحبه الى تلك الدرجة الكبيرة ، كما ان الناس يختلفون فى نوعية المصائب التى يتأثرون بها فقد يتأثر أحدهم لموت ولده تأثرا بالغا ، بينما هو لا يتألم كثيرا لخسارة فادحة فى ماله وبالعكس ، كما انهم يختلفون فى درجة وحدة الشعور بالمصيبة والاحساس النفسى بوقعها ، لهذا كله فان المؤمن لا يسعه الا الرضا والتسليم بالحكمة الالهية فى اختيار عبيده بشتى أنواع المحن والابتلاءات والمصائب .

سعيد : لقد سكبت فى نفسى ايمانا راسخا ، لا تؤثر فى بنيانه الشبهات ولا تزعزعه المصائب ولكن شبهتى الأخيرة هى معرفة سر ما نرى فى العالم بأسره من الشر ، والاختلاف ، والتضاد ، والضغن ، والحروب والفتن ؟

الأستاذ : السر واضح ، والسبب بين ، عندما لا يكون للناس جميعا مرجع واحد يؤوبون اليه فى اختلافاتهم ، ويثوبون بفضله الـــى رشدهم ، ويتبينون بواسطته الحق من الباطل ، هذا المرجع الذى ينظر الى الجميع نظرة واحدة ، نظرة حب ورحمة وعدل ، ثم يشرع للجميع شرعة تكفل حقوق الجميع وتصلح حالهم ، وتساوى بينهم ، حينئذ — حين فقد الناس أو اعراضهم عن هذا المرجع — سيختلف الناس باختلاف مصالحهم ، فتتنوع اتجاهاتهـــم ، وتتباين آراؤهم ، وتتعدد قياداتهم تبعا لذلك ، فيخطط كل شخص لنفسه ، وكل طبقة لمصلحتها ، وكل شعب لمنافعه ، ويتدخل الهوى الانسانى ، والعقل الانسانى القاصر ، والعلم الانسانى الجزئى فى رسم النظم والمبـــــادىء والمخططات الخاصة لكل منه ، فيقع التصادم بين مختلف الفئات ، فتسود الفوضى ، ويعم الاضطراب ، وتتقطع الأواصر ، وتوقد الحروب وتثار الفتن ، ويضرب الظلم أطنابه ، ان ما تراه من هذه المظاهر المؤلمة ليست الا من صنع الانسان الذى غفل عن ذكر الله ، وأعرض عن شرعه ، واتبع هواه ...
سعيد : اذا ما أردنا سعادة نفوسنا ، وسلامة عقولنا ، وصلاح أحوالنا ، واستقرار مجتمعاتنا ... اذا ما رغبنا فى خير الانسان ، وعزمنا عـلـى تخليصه من آلامه وعذاباته المضنية ، وشفائه من أمراضه النفسية ، واشباع خوائه الروحى ، وحل مشاكله العقائدية .. اذا ما أردنا للانسانية جمعاء الخير والسلام ، والتقدم والتحاب ، فلنعد الى الله ، لنعد الى شرعه ..

سعيد : أما أنا فسأعود اليه .. سأعود اليه .. سأبذل ما فى وسعى لابلاغ هذا الخير لكل انسان تجمعنى به علاقة قرابة أو صداقة أو زمالة .. ثم انى لا أنسى فضلك العميم لقد جعلك الله سببا لهدايتى .. وقاربا لنجاتى .. سأكون وفيا لك ما دمت .. وكان الأستاذ يردد فى نفسه الحديث النبـــوى الشريف « لأن يهدى بك الله رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها » ثم تمتم « الحمد لله » ..



عالم الاسلام

تاليف الدكتور حسين مؤنس

عرض الاستاذ احسان صدقى العمد

كتاب « عالم الاسلام » الذى صدر مؤخرا للدكتور حسين مؤنس يعتبر بحق دراسة جديدة فى تكوين العالم الاسلامى وخصائص الجماعات الاسلامية . وتبرز أهميته للمكتبة العربية فى كونه محاولة رائدة فى ميدان التاريخ الاجتماعى الاسلامى الذى لا يزال ميدانا بكرا يستنهض همم الباحثين الجادين . وقد أحاط الكتاب فى صفحاته الستمائة بأهم الظواهر الاجتماعية العامة التى اشتركت فيها كل المجتمعات الاسلامية خلال العصور الوسطى . فكان ذلك كما يقول المؤلف بمثابة مقدمة أو مدخل للتاريخ الاجتماعى لبلاد الاسلام .

والمؤلف الذى يعمل حاليا أستاذا للتاريخ الاسلامى فى جامعة الكويت، علم معروف فى الاوساط العلمية والعربية والدولية ، وله باع طويل وجهود مشكورة فى ميدان التعليم الجامعى وفى ميادين البحث والتأليف والترجمة والتحقيق والنشر فى كل ما يتعلق بتاريخ الاسلام والمسلمين .

وكتابه الجديد « عالم الاسلام » يمتاز كغيره من مؤلفاته وأعماله بجدية البحث والرصانة ، العلمية ، وقد تمكن المؤلف بثقافته الواسعة واشرافة منظوره التاريخى ودقته المعروفة فى الملاحظة والتحليل والاستنتاج من الوصول الى كثير من المعلومات القيمة التى تغلب عليها

الجدة والموضوعية . واذا كان المستشرق الالمانى ادم ميتز (ت١٩١٧) قد تطرق الى بعض ظواهر المجتمع الاسلامى فى كتابه « نهضة الاسلام » الذى نقله الاستاذ الدكتور محمد عبد الهادى ابو ريده بعنوان الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى، فان دراسة ميتز برغم أهميتها وريادتها لم تشمل دراسة الظواهر الاجتماعية الاسلامية فى جميع بلاد الاسلام منذ نشأتها وحتي بداية النهضة الاسلامية الحديثة كما فعل الاستاذ مؤنس ، فضلا عن الروح والمنظور الاسلامى الذى نحسه بوضوح فى كتابه « عالم الاسلام »

ضم هذا الكتاب فى دفتيه ستة فصول ، والحق المؤلف بكل منها قائمة بالمراجع الخاصة به مما يفتح آفاقا لطالب التوسع فى أى بحث من مباحث الكتاب .

وجاء الفصل الأول تعريفا موجزا بعالم الاسلام كمدخل لا بد منه لتحليل بناء المجتمع الاسلامى وتبيان ملامحه المميزة . وسلط فيه ضوءا كاشفا قويا على قيام الجماعة الاسلامية فى المدينة المنورة ، والأسس الاجتماعية التى اقامها الرسول صلى الله عليه وسلم عليها ، والتطور السريع الذى شهدته الجماعة الاسلامية بعد الرسول . وخلص الى أن هذه الجماعة والدولة الاسلامية كانتا شيئا واحدا حتى انتهاء خلافة عمر بن الخطاب بسبب سير الاثنتين على قانون أخلاقى واحد والتزامهما مبادىء الاسلام . وبعد ذلك شهد التاريخ الاسلامى بداية الانفصال بين الجانبين ، وتجلت هذه الظاهرة فى أوضح صورها زمن الدولة الأموية ، ثم استمرت ظاهرة الانفصال هذه بعد ذلك ، واخذ البون بين الجماعة الاسلامية والدولة يتسع حتى اصبحنا نجد اليوم فى كل المجتمعات الاسلامية كيانين متميزين هما الجماعة والدولة. ويقرر المؤلف أن هذه الظاهرة هى التى جعلت المجتمعات الاسلامية تنظم نفسها بنفسها دون الاعتماد على الحكومات ، الامر الذى يجعل التاريخ الحقيقى للأمة الاسلامية هو تاريخ الجماعات التى تكونت منها .

وتناول الفصل باسهاب ظاهرة انتشار الاسلام واكد أن الفتوح الاسلامية انما فرضت لكسر الحواجز المادية التى تقف فى وجه الدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة الصالحة .

ويقول الأستاذ حسين مؤنس فى هذا الصدد ايضا إن جانبا كبيرا من الفضل فى نشر الاسلام يعود الى قوة هذا الدين الذاتية وفضائله وسلامة مبادئه ، وان هذه القوة والمبادىء هى السر فى اجتياز الجماعات الاسلامية للاخطار الكبيرة التى تهددت وجودها . وتحدث فى هذا المجال عن مدى انتشار الاسلام فى أوروبا والامريكتين وافريقيا ، ولكنه حذر فى نفس الوقت من سياسات الدول الافريقية الحديثة التى تضع العراقيل فى سبيل انتشار الاسلام ، ودعا الى ازالة هذه العراقيل مؤكدا أن الاحصائيات التى تنشر عن عدد المسلمين غير صحيحة وأن عددهم يصل اليوم الى حوالى سبعمائة مليون مسلم .

وتناول المؤلف فى الفصل الثانى قيام الجماعة الاسلامية الاولى فى المدينة المنورة ، والأسس القانونية والاخلاقية والحضارية التى بنيت عليها باعتبار أن هذه الجماعة ظلت المثل الأعلى الذى تتطلع اليه جميع الجماعات الاسلامية فيما بعد . واشار الى الخطوات المدروسة التى قام بها الرسول الكريم لتنظيم الجماعة الاسلامية الاولى وعلاقاتها بسكان المدينة والمقيمين فيها والوافدين

عليها . وقدم الدكتور مؤنس فى هذا الفصل دراسة جديدة ورائدة لدستور المدينة الذي يتمثل فى الكتاب الذى كتبه الرسول بين المهاجرين والانصار ومن انضم اليهم من سكان المدينة ، وبين أهمية هذا الكتاب كوثيقة دستورية من الطراز الاول وصدورها عن التفكير القانونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصه على ابراز حقوق الجماعة وواجباتها فى اتفاق حر واضح باعتبار أن الحرية كانت اساس الحياة فى الجماعة التى كانت تضم رجالا احرارا ذوى اعتزاز بدينهم وجماعتهم واشخاصهم . والى هذا الاعتزاز كما يقول الأستاذ مؤنس ترجع الانتصارات التى كسبوها فى ميادين الشرف والجهاد والحكم والادارة . وقدم المؤلف بعد ذلك صورة عامة للمجتمع الاسلامى وملامحه البارزة كما بدت فى ايجابياتها وسلبية غير المشرف منها .

ووقف طويلا عند الاخيرة بالتحليل والكشف عن الاسباب ، وأوضح أن تلك النواحى ترجع لظروف قاسية ألمت بالمجتمعات الاسلامية فى العصور الوسطى وبخاصة المتأخرة منها ، وذهب الى أن هذه الظروف هى التى جعلت الناس فى تلك العصور يتصرفون بطريقة بعيدة عن مألوف ما عهد منهم باعتبار أن تدهور الظروف حول الانسان يؤدى الى انحطاط فى مستوى تفكيره وردود الفعل التى تصدر عنه . وأبرز فى هذا الفصل ست عشرة ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية لدى المسلمين فى العصور الوسطى ، أهمها غلبة الروح الجماعية وعدم وجود طبقات متمايزة فى المجتمع وتأكد الانفصال بين الحكومات القائمة وجماهير الأمة ، وقلة حماس الناس للاشتراك فى جيوش الدول ومبادرة المجاهدين الى التطوع من أنفسهم لحماية ديار الاسلام والذود عنها ، فقويت روح الاعتماد على النفس عند الجماعات الاسلامية ، ووجدت الجماهير سبيلها الى النفوذ والاحترام عن طريق الدين والعلم الامر الذى جعل الفقهاء وأهل العلم يصلون الى مراكز القوة ويصبحون فى نظر الجماهير رؤساء الناس وشيوخ المجتمع ، وتطرق المؤلف بعد ذلك الى قطاعى المدن والريف فى المجتمع الاسلامى فى العصور الوسطى ، وكيف استطاع الفلاحون القيام بمسؤولياتهم كاملة تجاه المجتمع باعتبارهم عماده الاقتصادى ، أما الاضمحلال الذى أصاب معظم المدن الاسلامية فعزاه المؤلف الى غياب الهيئات البلدية المسؤولة عن المرافق والمنشآت العامة ومواجهة الاخطار التى تهددها وخالف بذلك رأى العلامة ابن خلدون فى خراب الأمصار القائم على القانون الطبيعى لنمو الاشياء وهرمها وفنائها . ويرى المؤلف أن المجتمعات الاسلامية استطاعت النجاة بنفسها برغم كل الظروف والاخطار بفضل نظام الأسرة الاسلامية المتماسك فى الاسلام . وافرد المؤلف فصلا مستقلا عن الاحوال الاقتصادية فى بلاد المسلمين ، وتحدث عن النشاط البرى والبحرى للشعوب الاسلامية ولاحظ ارتفاع نسبة التجار من عرب الجنوب والخليج العربى وكيف كان هؤلاء يفضلون لدى هجرتهم من الجزيرة الموانىء والمراكز التجارية حيث نجحوا فى تكوين الثروات والبيوت التجارية . وأشار الى مراكز التجارة وطرقها ومعاملاتها المالية والى الدور الذى لعبه اليهود والنصارى فى هذا المجال بفضل روح التسامح التى سادت العالم الاسلامى الذى كان له الفضل فى انقاذ اليهود من الفناء فى العصور الوسطى ، وكيف تنكروا فيما بعد للمسلمين وفضلهم . وأكد على ارتباط الازدهار الاقتصادى بتوفر الأمن ومستوى

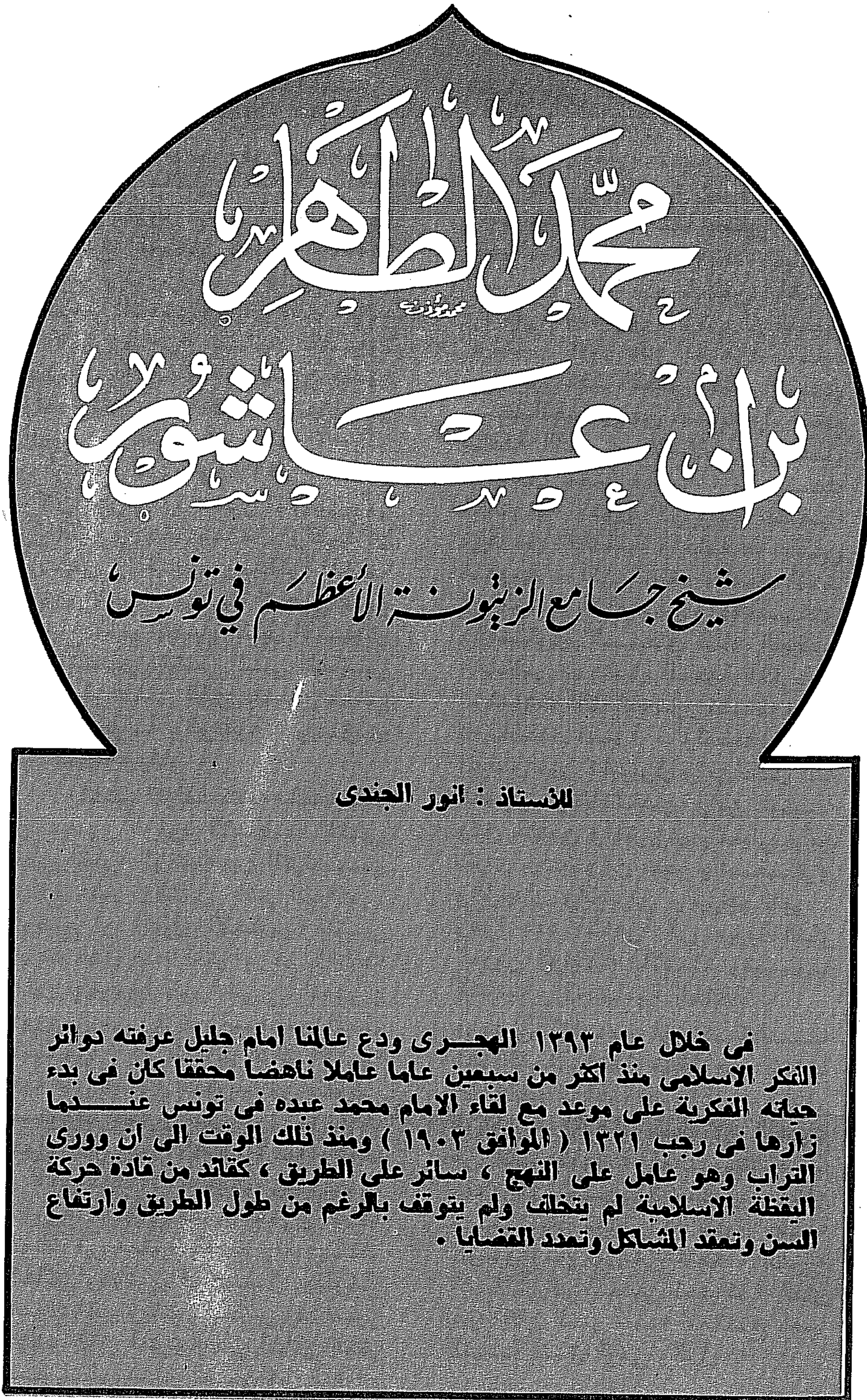
نظام الحكم ، وان هبوط هذا المستوى وطمع الحكام في ابتزاز ما في أيدي الناس من الاموال أدى الى انهيار الاقتصاد الاسلامي بكافة أشكاله .

وخصص المؤلف فصلا آخر للفنون التي أبدع المسلمون فيها كالعمارة والنحت والتصوير والموسيقى والقصص الشعبي وخيال الظل ، واكد أن الفنون ظاهرة انسانية عامة لا علاقة لها بالترف كما ذهب ابن خلدون ووقف وقفة طويلة عند الموسيقى والغناء وموقف الفقهاء منها ، ورأى أن السماع الذي كرهه أهل الفقه هو ما كان يجري في قصور المترفين وفي دور اللهو والحانات . واكد أن الموسيقى والغناء لم يستنكرا لذاتهما بل لما رافقهما وانه لا حرج في السماع للنغم الجميل النبيل الذي يعزف للسمو بالنفس الى المعاني العالية أو الغناء الذي يتضمن معاني العفة والكرامة والوطنية ، ويؤدى الى حشمة ووقار .

واختتم المؤلف كتابه بالحديث عن عصور الركود الاسلامية التي تغطي الفترة الواقعة بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر للميلاد . واوضح ان الدول الاسلامية التي ظهرت خلال هذه الفترة برغم ما قامت به من جهود مشكورة في رد العدوان الاوروبي عن اجزاء واسعة من العالم الاسلامي ، الا أنها لم تترك آثارا باقية في اصلاح شعوبها أو النهوض بمستواها الفكري على غرار ما فعلت الدول الاوروبية المعاصرة لها ولاحظ أن الجماعات الاسلامية جميعا تدهورت حالها وسادها الفقر وأخلاقه المتمثلة في سقوط الهمم وفساد الاخلاق وتفشي الجهل والمرض وضياع المستويات والمعايير وقد صور المؤلف الآثار المترتبة على أخلاق الفقر أصدق تصوير حين قال : « ان المجتمعات الي تسودها نفسية الفقر تجد الناس جميعا يتخلقون بأخلاق الجياع حتى الحاكم وصاحب الأمر تراه ينهب ويعتدى دون حياء لأنه وان لم يكن فقيرا الا أنه تسيطر عليه روح الفقر وأخلاقه كما لاحظ أن الحكومات التي عرفتها عصور الركود الاسلامية كانت طرازا واحدا سيئا من الاستبداد والظلم والافلاس المالي والعجز العسكري . وقرر أن السبب الرئيسي لقيام هذه الظاهرة يعود الى تبنى نظام الحكم المطلق الذي أسقط الجماهير من حسابه ولم ينتفع بقاعدة الشوري الاسلامية في كل ما يتصل بمصالح الأمة ، في وقت كانت فيه الدول الاوروبية المعاصرة تزيد من اهتمامها واعتمادها على شعوبها . لكن المؤلف المنصف لاحظ أن الركود السياسي والاقتصادي والعسكري الذي ساد العالم الاسلامي لم يشمل الناحية الفكرية ، اذ شهدت تلك العصور نشاطا فكريا له ملامحه المميزة . وانجبت كبار الموسوعيين كالنويري وابن فضل الله العمري والقلقشندي وابن تيمية وابن خلدون والمقريزي والعيني وابن تغري بردي وابن حجر والسخاوي والزبيدي والجبرتي وغيرهم كثير . وعزا هذه الظاهرة الي حيوية الفكر العربي لارتباطه بالاسلام وقيمه الثقافية والاجتماعية الخالدة .

وكان المؤلف يود أن يختم كتابه عالم الاسلام بفصل ضاف عن النهضة الاسلامية الراهنة التي أعقبت عصور الركود ، ولكنه لم يفعل لأن الحديث عن عصر النهضة طويل ومتشعب يحتاج الى كتاب لا فصل ، وكان الأستاذ مؤنس قد تناول هذا الموضوع من قبل في كتابه « الشرق الاسلامي في العصر الحديث » الذي يعيد الآن النظر فيه ليعالج عصر النهضة بشكل أوفى واكمل .

أمد الله في عمره ونفعنا بالمزيد من أبحاثه وعلمه .



محمد الطاهر بن عاشور

شيخ جامع الزيتونة الأعظم في تونس

للأستاذ : انور الجندى

فى خلال عام ١٣٩٣ الهجـــرى ودع عالمنا امام جليل عرفته دوائر الفكر الاسلامى منذ اكثر من سبعين عاما عاملا ناهضا محققا كان فى بدء حياته الفكرية على موعد مع لقاء الامام محمد عبده فى تونس عنـــــدما زارها فى رجب ١٣٢١ (الموافق ١٩٠٣) ومنذ ذلك الوقت الى أن ووري التراب وهو عامل على النهج ، سائر على الطريق ، كقائد من قادة حركة اليقظة الاسلامية لم يتخلف ولم يتوقف بالرغم من طول الطريق وارتفاع السن وتعقد المشاكل وتعدد القضايا .

يقول نجله العلامة (محمد الفاضل ابن عاشور) في تأريخه للحركة الفكرية الاسلامية في تونس : « انه كان أكثر الناس التفافا حول الامام محمد عبده والتحاما به مدة أقامته بتونس وكان رفيقاه من رجال الخلدونية الشيخ سالم أبو حاجب والشيخ محمد النخلي وكان ثلاثتهم من العاملين في تأييد الفكرة الاصلاحية ويقول الفاضل في تصوير دور والده (الطاهر) رحمة الله عليهما : « والشيخ محمد الطاهر بن عاشور يومئذ شاب في الرابعة والعشرين يعد أبرز مدرسي الجامع شبابا وذكاء وعلما وأدبا وأسبقهم الى اتباع استاذيه الشيخ سالم أبو حاجب والشيخ محمد النخلي في تأييد الفكرة الاصلاحية فكان من انصار الجمعية الخلدونية ومن أعضاء مجلس ادارتها وكانت محبة الطلبة الزيتونيين فيه بالغة مبلغا عظيما » .

« واقامت الخلدونية مجمعا عاما القى فيه الاستاذ الامام محاضرته القيمة عن (العلم وطرق التعليم) فكانت تأكيدا وتقوية للحركة الاصلاحية وأصبحت أساس العمل لحركة الاصلاح الزيتوني وقد نشرتها جريدة الحاضرة تباعا ونقلتها عنها المؤيد والمنار وثمرات الفنون » .

تلك هي صورة هذا العلامة منذ ذلك الوقت البعيد قبل سبعين عاما على وجه التقريب وقد قص طرفا من حياته وجهاده في كتابه (اليس الصبح بقريب) الذي صدر عام ١٩٦٠ فأشار الى أنه حصل على شهادة التطويع عام ١٣١٧ هـ وأنه شارك في تأسيس الجمعية الخلدونية ١٣١٤ وكان الشيخ محمد بن الخوجة هو شيخ الاسلام في عهد تلمذته . كما أشار الى أن جمعية قدماء المدرسة الصادقية تأسست عام ١٣٢٤ برئاسة (خير الدين بن مصطفى) وأنه شارك فيها مع عبد الرحمن الكماك والطيب ابن عيسى والصادق النيفر وبلحسن النجار ومحمد بن الصادق بن القاضي ومحمد الخضر بن الحسين ثم رأس هذه الجمعية بعد ذلك بقليل .

وقد جاء هذا العمل كله في دائرة اللقاء بالشيخ محمد عبده سابقا له وتابعا بعد سفره وقد أكد هو هذا الاتصال في كتابه (اليس الصبح بقريب) حين قال : (في عام ١٣٢٠ (١) هـ صادف ورود الاستاذ الشيخ محمد عبده الى تونس والافكار قد نضجت من الخوض في هاته المسائل ومطالعتها (يقصد دراسة العلوم الاسلامية) فاشرأبت الأعناق الى سماع رأى زعيم النهضة المصرية وما كان الا أن سمعوا عنه خطابه الذي القاه في قاعة الخلدونية وحضره مئات من أهل العلم فأنحى فيه على الحالة المتبعة عندنا وعندهم بما كان سببا لفتح ما بقي مغمضا من عيون الغافلين ولذلك أغضب عليه كافة الجامدين من أهل العلم الا انهم اعترفوا بوجود خلل في التعليم بألسنتهم وبما كتبوه ومن أهم ذلك وأصرحه ما كتبه محمد النجار المفتي المالكي في رمضان ١٣٢١ هـ) .

وقد تضمن خطاب الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده توجيها صالحا للمسلمين في البلاد المحتلة والمستعمرة وهو الاتجاه الى العلم وترك السياسة حتى ينفسح السبيل أمام المسلمين إلى التماس النهضة الحقيقية .

وقال الاستاذ محمد عبده فى خطابه : ان معنى العلم الحقيقى الذى اثنى الله عليه وميز به المهتدين من الضالين هو الكشف عن الأمر الحقيقى بمعنى اذا أراد أن يميلك عنه مميل لا يقدر على ذلك ، كمن عرف طريقا موصلة الى غاية فلا يعدل عنها مهما حاول مضله فلا يكون العلم حقيقيا ولا تنبعث النفس الى تحصيله الا اذا كان كذلك بالنسبة الى الغاية المطلوبة منه » .

وقد دعا الشيخ محمد عبده علماء تونس الى الأخذ باشياء ثلاثة :

اولا : الجد فى تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طريقها القريبة .

ثانيا : الجد فى الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعة الشريفة مع الاقتصاد فى المعيشة .

ثالثا : مسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وبهذا الأمر يتم لهم كل ما يريدون من مساعدة الحكومة لهم » .

وقد أشارت جريدة الطان الفرنسية بعد ذلك الى أن فى تونس طائفة معتدلة تعمل لترقية المسلمين فى العلوم والمدنية مع المحافظة على دين الاسلام وأهلها يتبعون التعاليم التى كان يلقيها فى مصر الشيخ محمد عبده والتى تنشر فى مجلة المنار .

— ٢ —

اما علامتنا المرحوم (محمد الطاهر ابن عاشور) فقد تابع طريق (مدرسة المنار) فى العلم من ناحية وظاهر الاستاذ الشيخ محمد عبده فى كل معاركه بعد ذلك وفى مقدمتها ما أثير حول (مسألة الفتوى الترنسفالية) فى أواخر عام ١٣٢١ هـ وهى التى تتعلق بإباحة لبس القبعة وأكل ذبائح أهل الكتاب .

وكانت القضية قد أثيرت فى مصر غير أن الشيخ الطاهر فى تونس لم يلبث أن أعد رسالة فقهية مدعمة بالأدلة على المذهب المالكى لتأييد مفتى الديار المصرية فى هذا الامر نشرت يومئذ منسوبة الى عالم تونسى ثم أشار صاحب المنار من بعد انها للشيخ ابن عاشور .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد نمى الشيخ الطاهر مفاهيم العلم ومناهجه وشرع يكتب فى المجلات الاسلامية حول تجديد الدراسات الاسلامية واصلاح التعليم الاسلامى وفى احدى دراساته التى نشرتها مجلة السعادة العظمى يدعو الى « اقامة نبراس مبين بين يدى الباحثين يكون متحفظا فيه من عواطف الأهواء والشبهات) فهو يرى ضرورة قيام التناظر والبحث دون أن يكون ذلك محفوفا بتعصب أو اضطهاد . كذلك فهو يدعو الى شجب الحجر على الرأى لأن ذلك (يكون منذرا بسوء مصير الأمة ودليلا على أنها قد أوجست فى نفسها خيفة من خلاف المخالفين وجدل المجادلين) .

فهو ينهى عن أمرين : ضيق فى الأفكار وقصور عن اقامة الحق . ويرى أن قيد الاستعباد اذا خالط نفوس أمة كان سقوطها أسرع من هوى الحجر الصلد » . ولقد امتد هذا الفهم وهذا النضال من أجل تحرير مناهج الدراسات الاسلامية والتعليم طوال حياة مترجمنا الذى مد الله له فى العمر فتوفى فى الثالثة والتسعين بعد حياة حافلة تقلد فيها مختلف المناصب الاسلامية الكبرى وكان آخرها شيخ جامع الزيتونة الأعظم فى تونس .

وقد شارك خلال حياته الفكرية

الطويلة في مختلف المسائل والقضايا التي تناثرت في مختلف أنحاء العالم الاسلامي ولكنه كان حريصا على أمرين كبيرين .

(الأول) : اصلاح التعليم الاسلامي وقد أورد في كتابه (اليس الصبح بقريب) دراسة تاريخية مطولة لما قام به في ذلك ولما شارك به من جهاد ونضال ومعارك في سبيل اصلاح التعليم الاسلامي منذ عام ١٣٢١ هجرية حتى السنوات القريبة قبل وفاته بقليل . يقول :

(قد كان حدا بي حادي الآمال واملى على ضميري منذ عام (واحد وعشرين وثلاثمائة والف) للتفكير في طريق اصلاح تعليمنا العربي الاسلامي الذي اثمرتني مدة مزاولته متعلما ومعلما بوافر حاجته الى الاصلاح الواسع النطاق فعقدت عزمي على تحرير كتاب في الدعوة الى ذلك وبيان أسبابه) ثم اشار الى أنه لم يدع فرصة خلال هذه السنوات السبعين الى اصلاح التعليم الا انتهزها وقدم فيها مقترحاته الضافية وقد اتخذ من نفسه مثالا لمناهج التعليم التقليدية التي لو ازيحت لحققت الكثير له يقول : « اني على يقين انني لو اتيح لي في فجر الشباب التشبع من قواعد نظام التعليم والتوجيه لاقتصدت كثيرا من مواهبي ولاكتسبت جما من المعرفة ولسلمت من التطوح في طرائق تبين لي بعد حين الارتداد عنها مع اني اشكر ما منحت به من ارشاد قيم من الوالد والجد من نصحاء الاساتذة » .

وفي جولة واسعة وعميقة وثرية بالتجربة والخبرة يكشف عن أسباب تأخر العلوم الاسلامية ويلخصها في عبارة مضيئة هي :

« وجود مسائل لا حاجة اليهما وإهمال مسائل وعلوم مهمة او ان شئت فقل « الزيادة والنقصان » . ويفسر ذلك في قوله :

خطأ تعليم ما يفشل عزائم النفوس مثل تعاليم الزهد الغالي وتعليم الحيل والمغالطات ومساوىء الأخلاق .

كذلك يشير الى خطأ الاعجاب الى درجة التعصب بآراء المتقدمين كيف كانت وتنزيهها عن الخطأ «فانحصر العلم في نقل واحد عن آخر وربما وجدت في التآليف نقل قولين متجانبين وهما متضادان من غير أن يبحث المؤلف في صحة أحدهما » .

(الثاني) تأكيد عظمة الشريعة الاسلامية والكشف عن ميزات النظام الاجتماعي في الاسلام : وذلك في كتابه الذي صدر في السنوات الأخيرة من حياته تحت عنوان (أصول النظام الاجتماعي في الاسلام) وقد تحدث فيه عن علاقة دين الاسلام بالمدنية وتأثيره في ارتقاء الأمة وذلك بالكشف عن تاريخ الأمة كما كانت زمن ظهوره .

ويرى أن أصول النظام الاجتماعي في الاسلام تقوم على (ضبط) حالة المسلمين في مجتمعهم عن طريق اصلاح الأفراد والاصلاح الاجتماعي .

فهو يرى أن الاسلام دين الفطرة ودين الاعتدال والتوسط ودين السماحة وان (كل هذه الخاصيات نابعة من ميزة الاسلام الكبرى وهي أن هذا الدين دولة لأن دعوة الاسلام تخالف ما سبقها مخالفة بينة من جهة كونه دينا عاما حيث استعد البشر الى قبول دين عام ومن جهة امتزاج الدين مع الشريعة بما يضبط للأمة أحوال نظامها الاجتماعي في تصاريف الحياة كلها مكملة للنظام الديني الذي هيأ

أفراد الحياة للاتحاد والمعاصرة .
كما يشير الى أن هناك خصلتين أساء الجمهور فهمهما : هما التوكل والرضى بالقضاء والقدر وقد كشف عن عظمة مفهوم الاسلام فيهما . ثم خلص الى ضرورة قيام (الجامعة الاسلامية) مبينا طرافة الاسلام الذي جعل جامعة الدين هي الجامعة الحقة للمسلمين والغى ما عداها من الجوامع فاعتبرها جوامع فرعية ما لم تعتمد على الجامعة الكبرى وقال (ان هذه الجامعة الاسلامية لا تعادلها جامعة أخرى لأن جوامع الأنساب والمواطن جوامع اصطلاحية قاصرة » .

— ٣ —

من خلال دراسة نتاج العلامة محمد الطاهر بن عاشور وآثاره في الحركة الفكرية الاسلامية عامة والتونسية خاصة وأثره فى الجامعة الزيتونية والتعليم الاسلامى ودراسته للنظام الاجتماعي الاسلامي ودفاعه عن مفهوم الاسلام الكامل الجامع دينا ونظام مجتمع على النحو الذي تتسم به كل آثاره وخاصة كتابه الذى رد فيه على ما كتبه (على عبد الرازق) عن الخلافة وأصول الحكم وهو من خير الدراسات التى واجهت أهداف هذا الكاتب ومن تابعه فى محاولة انتقاص مفهوم الاسلام ومنهجه الجامع للاسلام دينا ودولة . اقول من خلال هذه الآثار كلها ومن خلال ذلك العمر المديد المريض الذى لم يتوقف فيه هذا العلامة عن العمل وارتباطه الواضح بحركة اليقظة الاسلامية من مصادرها الأولى ومنابعها منذ دعا بها الامام محمد بن عبد الوهاب وتابعه عليها المصلحون المسلمون نجدنا قادرين على ابراز مكانة هذا العلامة بين اهل جيله وقومه من ناحية وبين دعاة الاسلام البارزين من ناحية أخرى .

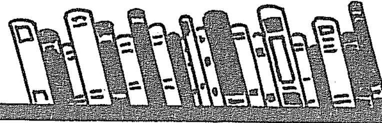
أما في تونس فهو من أبرز ذلك الرعيل الذى عرف فيه عبد العزيز الثعالبى ومحمد الخضر حسين والصادق النيفر وهم صفوة المجاهدين فى الحقل الاسلامى والذين تابعوا مدرسة المنار حين اتجهت غربا واتصلت بقادة النهضة فى الجزائر من أمثال عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الابراهيمى وأحمد توفيق المدني ومبارك الميلى وغيرهم وكذلك اتصالها بنهضة الاسلام فى المغرب ومن العاملين لها محمد العربي العلوى ومحمد بن كنون وشعيب الدكالى وتابعهم على الطريق العلامة علال الفاسى وصفوة من العاملين .

هذا فى الجناح المغربى اما فى المشرق فقد كان على طريقهم عبد الرازق البيطار وجمال الدين القاسمى فى دمشق ومحمد رشيد رضا فى مصر ونعمان أبو الثناء الالوسي فى العراق فهي مدرسة ممدودة متصلة مترابطة تسير فى طريق واضح هو نفس الطريق الذى سار فيه الامامان الجليلان : أحمد بن حنبل وابن تيمية .

واذا كان لم يتح لنا ان نلتقي بهذا العلامة الكبير فقد رأينا ثمرة غرسه فى ابنه النابغ الذى قضى مسرعا محمد الفاضل بن عاشور ، ذلك النموذج الطيب الكريم الجامع بين علم الاسلام وعلم الغرب ولغته من حيث هذا كله فى خدمة الاسلام رحم الله العلمين الجليلين وكتب لهما منازل الصديقين .

---

(١) اشار الشيخ رشيد رضا فى المنار وفى كتابه عن الاستاذ الامام ان ذلك كان صيف ١٣٢١ هـ ..



اعداد الاستاذ عبد الستار محمد فيض

مكتبة المجلة



الحرية السياسية .. اولا
للدكتور احمد شوقي الفنجرى

كتاب يقارب التسعين صفحة ، يبحث بايجاز دقيق مفهوم الحرية السياسية ، ويتناول بأسلوب شيق سلس العلاقة بين الحاكم المحكوم ، وحق الرعية فى حكم نفسها بنفسها ، والمبادىء والقواعد التى نادت بها الأديان السماوية والمذاهب الوضعية ونصت عليها الدساتير الحديثة ، كما أنه يتعرض الى الاسباب التى أدت الى تخلف أمتنا عن ركب الحضارة ، وكذلك أسباب فشل الديمقراطية فى عالمنا العربى ، ثم أخيرا يرسم لنا المؤلف الطريق السليم الى الحرية السليمة وذلك بالعودة الى روح الاسلام وتعاليمه النبيلة التى تنادى بالتراحم والتعاون والعدل والمساواة .

والكتاب من نشر دار القلم ص.ب (٢٠١٤٦) الكويت .

لمحات فى الثقافة الاسلامية
للأستاذ عمر عوده الخطيب

كتاب يرمى الى تزويدنا بثقافة نافعة عن اسلامنا ، تؤدى الى ترسيخ مبادئه والايمان بمثله ، وفهم نظمه ، ورد الشبهات عنه ، واحباط المكائد التى تحاك ضده من أعدائه وبخاصة فى المضمار الفكرى والثقافى — وهو يزود العقل بالحقيقة الناصعة عن هذا الدين وسط ضباب كثيف من أباطيل الخصوم ، ويربى فيه ملكة النقد الصحيح التى تقوم المبادىء والنظم والمذاهب التقويم السليم .

والكتاب يحتوى على ستة فصول تشمل كل مدلولات الثقافة . منها الثقافة والمجتمع ، والثقافة والحضارة ، وركائز الثقافة الاسلامية وخصائصها والقوى المعادية لها ، والاستشراق والثقافة . وغير ذلك مما احتواه الكتاب المذكور الذى يقع فى (٣٨٠) صفحة ومن نشر الشركة المتحدة للتوزيع ص ب (٧٤٦٠) بيروت — لبنان .

الفتاوى

وجهت هذه الاسئلة الى فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل فاجاب عليها بما يلى :

هجر القرآن

السؤال :

ما تقولون فيمن يهجر القرآن العظيم وهو ممن يحسن القراءة ويمد نفسه من الكتاب هل عليه اثم بذلك .. ؟

الاجابة :

أولا ينبغى أن نعرف معنى الهجر ، فهجر القرآن ذكره الله تعالى فى كتابه بقوله : ((**وقال الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا**)) .. قال ابن كثير : وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون الى القرآن ولا يستمعون اليه كما قال تعالى عنهم : ((**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه**)) فكانوا اذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام بغيره فهذا من هجرانه ، وترك الايمان به وترك تصديقه من هجرانه ، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه ، والعدول عنه الى غيره

من شعر أو قول أو غناء أو كلام او طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ، وقال ابن القيم رحمه الله في الفوائد : هجر القرآن أنواع :

أحدها : هجر سماعه والايمان به والاصغاء اليه .

الثاني : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به .

الثالث : هجر حكمه والتحاكم اليه في أصول الدين وفروعه .

الرابع : هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به سبحانه وتعالى .

الخامس : هجر الاستشفاء والتداوي به من جميع أمراض القلوب وأدوائها ، وكل هذا داخل في قوله تعالى : ((**وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**)) وان كان بعض الهجر أهون من بعض . انتهى .

فهذا كلام أهل العلم في معنى هجر القرآن ، وأما ما ذكروه في آداب قراءة القرآن فقالوا : يسن ختمه في كل اسبوع . يعني في سائر السنة قال عبد الله بن الامام احمد كان أبي يختم القرآن في كل أسبوع وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو « اقرأ القرآن في كل أسبوع » رواه ابو داود .

ويكره تأخير ختم القرآن فوق اربعين يوما بلا عذر ، قال الامام احمد أكثر ما سمعت أن يختم القرآن في أربعين يوما ، ولأنه يفضي الى نسيانه والتهاون به ويحرم تأخيره فوق الاربعين ان خشي نسيانه قال الامام أحمد ما أشد ما جاء فيمن حفظه ثم نسيه .

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القرآن اذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له ابل فان عقلها حفظها ، وان أطلق عقالها ذهبت ، فكذلك صاحب القرآن » .

وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الابل في عقلها » التفصي التخلص ، يقال تفصى فلان من البلية اذا تخلص منها .

وقال ابن كثير : ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان فان ذلك خطأ كبير ، نسأل الله العافية منه .

وفي حديث عبادة بن الصامت « ما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه الا لقي الله أجذم » رواه الامام أحمد وأبو داود وغيرهما . وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت على أجور أمتي حتى القذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أكبر من آية أو سورة أوتيها رجل فنسيها » . رواه أبو داود والترمذي وغيرهم .

قال ابن كثير : وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى : **« ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »** وهذا الذي قاله وان لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه فان الاعراض عن تلاوة القرآن ، وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير ، وتفريط شديد ، نعوذ بالله منه . الى آخر ما ذكره ابن كثير رحمه الله .

مد الانسان رجليه الى القبلة

السؤال :

ما حكم مد الانسان رجليه الى القبلة سواء حال النوم أو اليقظة وعن اسناده ظهره اليها في المسجد وغيره .. ؟

الاجابة :

قال ابن مفلح في كتاب الآداب الشرعية (فصل) في كراهية اسناد الظهر الى القبلة في المسجد : ويكره أن يسند ظهره الى القبلة ، وقال احمد يعني الامام أحمد بن حنبل : هذا مكروه ، وصرح القاضي بالكراهية قال ابراهيم : كانوا يكرهون أن يتساندوا الى القبلة قبل صلاة الفجر ، رواه أبو بكر النجاد الى أن قال (فصل) في كراهية مد الرجلين الى القبلة : ذكر غير واحد من الحنفية رحمهم الله انه يكره مد الرجلين الى القبلة في النوم وغيره . وهذا ان أرادوا به عند الكعبة زادها الله شرفا فمسلم ، وان أرادوا مطلقا كما هو ظاهر العبارة فالكراهية تستدعي دليلا شرعيا ، وقد ثبت في الجملة استحبابه أو جوازه كما في حق الميت ، قال في المقصد في كتبهم : ولا يمد رجليه يعني في المسجد لأن في ذلك اهانة له ، ولم أجد أصحابنا ذكروا هذا ولعل تركه أولى ، ولعل ما ذكره الحنفية رحمهم الله من حكم هاتين المسألتين قياس كراهية الامام أحمد الاستناد الى القبلة كما سبق ، فان هاتين المسألتين في معنى ذلك ، والله أعلم .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

طاعة أولي الامر

ما معنى قول الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تاويلا » .
واذا كانت طاعة اولى الأمر من الحكام واجبة فما حدود هذه الطاعة الواجبة ؟

صالح قايد ـ عدن

لا شك أن الاسلام يوجب على المسلم الطاعة لله فى كل أمر ، فان مقتضى الايمان بالله أن يتلقى المؤمن من الله ما سنه من شريعة أودعها كتابه الكريم بقبول ورضى وتطبيق ، لأن شأن المؤمن بالله المقر بألوهيته العلم بأن طاعة الله واجبة .
ويجب كذلك على المؤمن طاعة رسول الله فيما بلغ عن الله من شريعة ، وسن من قواعد ، لأنه لا ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحى يوحى اليه ، وطاعة الرسول فى واقع الأمر طاعة لله عز وجل « **من يطع الرسول فقد أطاع الله** » .
وانه لمن النفاق أن يدعى المرء أنه يؤمن بالله ، لكنه يتحفظ فى الايمان برسوله ، لأنه لا حاجة له بذلك ، مع العلم أن الذى يؤمن بالله حقا لا بد أن يتلقى بالتسليم والرضا ما شرعه على لسان رسوله ، ومن هنا كانت السنة النبوية الصحيحة مصدرا من مصادر التشريع بعد كتاب الله عز وجل .
بقى أن تعلم ان طاعة أولى الأمر من الحكام المؤمنين واجبة بنص هذه الآية « **وأولى الأمر منكم** » ولحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « **السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب أو كره ما لم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة** » وقوله صلى الله عليه وسلم « **لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا واطيعوا** » فاذا أمر بمعصية أو أحل حراما أو حرم حلالا لم يكن أمينا على شريعة الله ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا طاعة له ، وليس له فى رقاب المؤمنين طاعة واجبة ، وما أروع ما قاله الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته المشهورة « أطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم » .

وليكن الحكم دائما فيما يعرض من المشكلات ، والفيصل فى كل ما يجد من أقضية ، هو كتاب الله وسنة رسوله ، تمشيا مع المنهج النبوى المأخوذ من الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم : ((**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى**)) .

الدين والدولة

هل هناك فصل بين الدين والدولة ، وهل يمكن أن يستقيم شأن الناس فى دولة دون أن يكون لها دين تحتكم اليه .. ؟

عبد الله سيف زايد ــ البحرين



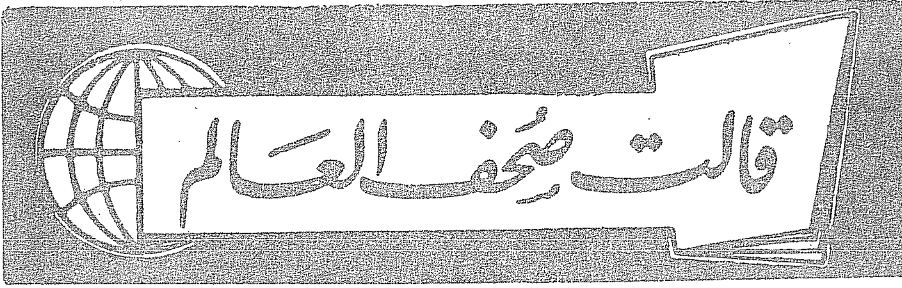
ليس هناك أصلا فصل بين الدين والدولة ، لأن الاسلام يوجب أن تقوم الدولة فى عقيدتها ، وتشريعها ، ومنهجها فى الحياة على أساس من الدين ، فالادارة والقوانين ، وكل ما له اثر فى حياة الأمة ، لا بد أن يستمد صلاحية نفسه من الدين ، والذين يدعون أن التمسك بالدين رجعية ، ودعوة الى التأخر ، وتنكب للجادة ، جانبهم الصواب كثيرا ، بل إنهم يحاولون بذلك أن يحطموا فى الأمة نهضتها ، وأن يصموها بالجهل ، وأن يبعدوها عن ما يصلحها ، ويقوم معوجها ، وأمامهم الدليل واضح ، فقد حكم الاسلام قرونا طويلة بلاد الاسلام بشريعته السمحة ، على خير وجه ، وقد لوحظ أن فصل الدين عن الدولة فى بلاد المسلمين ، قد أدى الى أن يأخذ المسلمون بقوانين لا تمت الى دينهم ، وطبيعة تكوينهم بصلة ، ولماذا نترك الدين ، ونفصله عن الدولة وهو الذى يدعو الى إقامة المجتمعات القوية على أساس من العدالة الاجتماعية ، دون مظالم ، والمساواة الحقة دون أثرة ، والفرص المتكافئة دون احتكار واستغلال ، والحياة الكريمة دون بطالة وكسل .

وهذه هى الدولة فى ظل الاسلام ، كل متماسك كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

فلا دولة مدعمة القوائم بلا دين يشد من ازرها ، ويكون صخرة تتحطم عليها معاول الهادمين الداعين الى فصل الدين عن الدولة ، وأمامنا قول الله تعالى ((**وأن احكم بينهم بما أنزل الله**)) وقوله سبحانه ((**اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء**)) وقوله سبحانه ((**والذين إن مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر**)) .

وخلاصة القول أن الدولة بلا دين جسد بلا روح ، فقوام الدولة المسلمة دينها ، وفصلها عن دينها حكم عليها بالفناء ، وهاوية تتردى فيها بلا روية .

وان كان هناك دول أقامت صرحها على أساس من الالحاد واللادينية ، فانها لا شك منهارة من داخلها يتحكم فيها شرذمة من الأراذل لا ترعى فى الناس إلا ولا ذمة ، لأن أساس العدل فيها متداع ، ورباط المجتمع فيها مفكك العرى ، ولا تلبث أن يزول سلطانها من النفوس فيعيش أبناؤها نهبا للرذيلة ، وهدفا للانحلال البغيض المقيض للدعائم ، فيبدون وقد مزق اللهو كيانهم ، وهذه الحقيقة الماثلة أمامنا فى المجتمعات اللادينية فى الامم التى اتخذت لنفسها خطا غير متلائم مع الدين ، بل ومناف لكل دين تؤكد بلا خفاء أنه لا يمكن أن يستقيم شأن الناس بلا دين تحتكم اليه والاسلام هو غاية ما تصبو اليه الانسانية .



رسـالة الأزهـر

تحدث فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر عن رسالة الأزهر وذلك فى مقابلة أجراها معه مندوب صحيفة (أخبـار العالم الاسلامى) بمكة ، فقال فضيلته :

نشر العلم الاسلامى هو رسالة الأزهر الخالدة . وهـذه الرسالة تتحقق بطرق شتى منها :

١ ــ استقبال الوافدين من مختلف الأقطار الاسلامية لتعليمهم فى رحاب الأزهر ، وقد بنى الأزهر من أجلهم مدينة سكنية تتسع لخمسـة آلاف ، يأكلون فيها ، ويبيتون ويتعلمون ، على نفقة الأزهر ، ويأخذون بعض المال كمصـاريف شخصية . وقد رصد الأزهر الآلاف المؤلفة من أجل ذلك .

٢ ــ واذا كان الأزهر يستقبل الوافدين فانه فى الوقت نفسه يرسـل المبعوثين الى مختلف البلاد فى العالم يدرّسون ويعظون وينشرون العلم الاسلامى فى بقاع هى فى حاجـة الى ذلك . وقد رصدت الدولة لذلك نصف مليـون من الجنيهات المصرية .

٣ ــ والدعوة الى الله عن طريق الكتب والرسائل تطبع وتباع بثمن رمزى.

٤ ــ والدعوة الى الله عن طريق رد الشبهات والرد على الانحرافات التى تفد من الغرب فى صور مختلفة .

٥ ــ ومن المشاريع التى يزمع الأزهر القيام بها ، مشروع دائرة المعارف الاسلامية ، وهو مشروع جليل يخطط الأزهر له . .

٦ ــ ويقوم الأزهر الآن بعمل تفسير وسيط للقرآن وهو يصدر تباعا ، وقد صدر منه بالفعل بعض الأجزاء . . وهكذا يتابع الأزهر الدعوة الى الله بشتى الوسائل وفى حدود امكاناته المادية . .

ولا يمكن أن ننهى الحديث عن نشاط الأزهر دون أن نشير الى مشروعين جليلين :

احداهما : مشروع تقنين الشريعة الاسلامية ، وقد انتهى الأزهر من تقنين الجانب المدنى من الشريعـة بحسب كل مذهب ، وأصدر فى ذلك كتبا عن كل مذهب مستقلا ، ثم بدأ بتقنين الشريعة على وضع موحد ، أى انه يختـار من المذاهب الأقوى حجة والأثبت دليلا والانسب للعصر الحاضر . .

أما المشروع الثانى : فهو موسوعة السنة ، وذلك بتحقق أمور ثلاثة :

أولها : جمـع الأحاديث .

ثانيها : التعريف بالمصطلحات .

ثالثهما : التعريف برجال الحديث .

وهو مشروع طويل المدى ، ولكن العمل بدأ فيه ، ونرجو من الله التيسير .

وان المشاريع التى ذكرنا تنال من عناية الأزهر الكثير . . واذا كان الحديث يقتضى التنويه بميدان بالذات ، فانه من غير شك ميدان التعليم : وذلك أن الأزهر

تتبعــه معاهد لتعليم القرآن ، ومعاهد أخرى للتعليم الابتدائى ، ومعاهد للتعليم الثانوى وجامعة الأزهر وحدها أى التعليم العالى فى الأزهر يبلغ طلبتها حوالى الأربعين ألفا ، يدرسون مختلف العلوم ، وقد استكمل الأزهر الآن فى جامعتــه مختلف العــلوم ..

واذا كانت جامعة الأزهر وحدها تضم ما يقرب من الأربعين ألفا فان معاهد الأزهر على مختلف مراحلها تضم آلافا من الطلبة ، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يهيىء لهم مستقبلا كريما ..

المؤسسة الاسلامية الماليــــة

اتفق وزراء مالية الدول الاسلامية على اقامة بنك اسلامى عالمى يكون سندا للدول الاسلامية تجابه به مطالب العصر وحاجاته ، والأمة الاسلامية وهى تملك الطاقة الضخمة من مصادر الثروة كما تملك فى نفس الوقت الطاقة الضخمة من القوة البشرية ، هذه الأمة أولى بها ثم أولى أن تدرك أهمية وحدتها الاقتصــادية فى عصر قامت فيه التكتلات الاقتصادية العالمية بهدف نهب خيرات المســلمين والسيطرة عليهم اقتصاديا واستغلال ثرواتهم لخــدمة اغراضــهم الاستعمارية ولتدعيم الكيان اليهودى المعادى للاسلام والمسلمين .

اليوم قد آن لأمتنا الاسلامية ذات التشريع الانسانى والحضارة التالدة التى اضاءت للعالم طريقه نحوا من عشرة قرون من الزمان ، أن تتأهب لاســتئناف القيام بدورها الحضارى من جديد ، فقد كان العالم الاســلامى ، وما يزال ، مصدرا للاشعاع الفكرى والحضارى ، تهتدى به البشرية فى مختلف عصــور تقدمها . وهو أقدر اليوم على أن يبدد أسباب القلق وأن يكون مصدر خير وبركة على العــالم كله .

ومن أجل ذلك يجب انشاء (المؤسسة الاسلامية المالية للتنمية الاقتصادية) برأسمال يوزع على أسهم اسمية ولا يجوز لغير المسلمين الاكتتاب فيها أو تلقيها بالتنازل وانما تكتتب فيها الحكومات الاسلامية والجمعيات والمنظمات والمؤسسات والأفراد والشخصيات الاسلامية حتى تقوم على أغراض مشروعات التنميـــة الاقتصادية فى مختلف مظاهرها من صناعة وزراعة وتجارة وخدمات لحسابها أو لحساب الغير أو بالاشتراك معه .

كما يجب أن تحتوى فى مجالها اوجه الاستثمار فى مشروعات التنميـــة وقبول الودائع وفتح الحسابات الجارية وتنظيم الاكتتابات العامة وســندات الشركات أو غيرها وانشاء صناديق مشتركة لاستثمارات الأوراق المالية وادارتها لحساب المشتركين وجميع الأعمــال المتعلقة بالأوراق الماليــة وتحصيل ودفع الاوامر وأذون الصرف وغيرها من الاوراق ذات القيمة .

ومؤسسة كهذه تهدف الى توحيد الكيان الاقتصادى للأمة الاسلامية ودعم وابراز أسسه ومقوماته علميا وعمليا فكرا وتطبيقا ، لا بد لها من أن تنشىء صندوقا للزكاة يقتطع له ٢٫٥٪ من صافى الأرباح يضاف اليه ما يقدمه لها المسلمون من مال الزكاة لتنفق خصيلته على مصارف الزكاة الشرعية فى الاسلام بالنســبة للمسلمين فى جميع انحاء العالم وعلى خدمة نشر الدعوة الاسلامية واقامـــة المساجد والمدارس والمستشفيات .

وفقنــا الله للخير والحق ، وهــدانا لهديه الكريم ، وأنار قلوبنــا بنــور الاخلاص واليقين .

عن مجلة الشبان المسلمين القاهرية

بأقلام القراء

واجب علماء المسلمين

فى خضم هذا الصراع الداوى بين الاسلام وخصومه ، بين الحضـــارة الحديثة بكل ما تملك من قوى مادية وفكرية ، وبين الاسلام وما يحوى من مثل عليا ومنهاج سوى يبنى الحياة ويسعد الانسانية المعذبة من شقوتها المادية ، وعدالة تصبو إليها النفوس ولن تجدها الا فى هذا الدين .

فى هذا الصراع يقوم واجب علماء المسلمين لانقاذ شباب المسلمين من وهدة المادية ، وفلسفات الإلحاد ، وفساد القيم ، وضلال المناهج ، والتحلل فى الأخلاق والسلوك .

ويتساءل نفر كيف يؤدى علماء المسلمين واجبهم المقدس ؟ أيبعث الفـــكر من شتى العصور وطبعه على ورق صقيل بدلا من الأصفر ؟ أو التبويب والتنظيم لكل ما جاء فى التراث الاسلامى ، ليقف هذا التراث أمام الفكر المعاصر ؟ وهل يفى هذا التراث بكل حاجات العصر . ؟

ومع تقديرنا لهذا التراث المجيد ، وقد قام بالحفاظ على الاسلام وعقائده ، وكان مصدر قوة للاسلام وفخر واعتزاز . فإذا كان الاسلام قد انتصر عسكريا لدك صروح البغى والظلم فى امبراطوريتى فارس والروم ، فإنه قد انتصر فكريا وعقائديا وتمكنت جذوره فى نفوس البـــلاد المفتوحة حتى نسوا ماضيهم نهائيا ، وأصبحوا هم هو ، وهو هم . يدافعون عنه كما يدافعون عن أنفسهم أو أشد .

وهذا كل ما نطلبه اليوم من علماء المسلمين . أن يبرزوا الاسلام كقـــوة محطمة للفكر المنحل فى الاقتصاد ، والاجتماع ، والسياسة . ولن يكون هـــذا ببعث الفكر الاسلامى عبر العصور . بل بدراسة لغة الحاضر ومناهج فكره ، دراسة التخصص فى شتى الدراسات الحديثة فى علم النفس ، والاجتماع ، والنظم السياسية والاقتصادية ، ثم نقدها بالاسلام نقدا ينهى تعلق الشباب بها . نقدا منهجيا موضوعيا تحنى له الجباه ويبهت الذى كفر . وأى تخلف عن هذه الدراسة الجادة فلن يجد الشباب الحائر بين زخرف المدنية الحديثة وبين دينه ودين آبائه وأجداده إلا مزيدا من الحيرة والضياع ، والفنـــاء فى الفـــكر الوافد .

والشباب اليوم يجد القصة العاطفية والتمثيل المسرحي ، وفنون الشعر من السهل الممتنع . تقوده الى ما يريد ، وتقنعه بكل ما يملى عليه ، حتى يظن القارىء انه بلغ غاية الثقافة من كل ما يقرأ .

فأين القصة الاسلامية التي توحي بفكرة الاسلام عن الحياة ونظامه في المجتمع ، وسمو فكرته في بناء النفس الانسانية ؟ ! ولا أريد قطعا القصص البائدة التي لا تمس المشاعر ولا تحرك الأحاسيس .

والشباب اليوم يتخرج من الجامعة ، وكل ما عنده حضارة الغير وأفكار الغير . فهو يتقمص شخصية غير شخصيته ويقلد غيره ليبدو مفكرا متطورا ، ويلحق بأساتذته الغربيين . فأين الفكر الاسلامي الحديث الذي ينقد الفكر المعاصر وينهي قدسية العلم الحديث في النفوس المصبوغة به ، وتقوم الجامعات الاسلامية بدراسته ؟ !

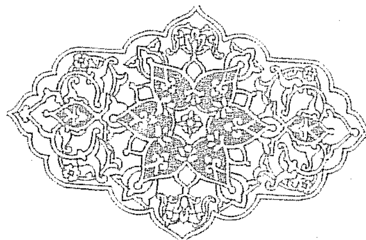
وعلى الرغم من وجود بعض المحاولات في هذا ، فانه غير كاف . ولا هو بعمق الموضوعية الموسعة ، لنرى الفكر الاقتصادي الاسلامي منهاجا كاملا يحطم كل النظم الأخرى . ونرى الفكر السياسي الاسلامي يدك غرور النظم المعاصرة .

لقد نجحت النظم المصرية في إقناع الفتاة . أن الاسلام قيد لا بد من التحرر والانطلاق من عقاله . رغم أن القيود الحديدية على حرية الانسان المعاصر لا تفكها الا الثورات الحمراء لكي تجدد قيودا أخرى لم تذق مرارتها بعد . كل هذه القيود السوداء على أعناق البشرية لا تظهر للعيان .

فهل أبان علماء المسلمين هذه القيود . لتحرر الانسان بالاسلام والى الاسلام ويقبل على الدفاع عنه كأشد ما يدافع عن نفسه وعرضه وأرضه ؟؟ !

أقدم هذه الصرخة المخلصة الى علماء المسلمين وأنا أقل منهم باعا في هذا . إنما حالة الاسلام تدفعني الى هذا النداء الحار إليهم .

الشيخ محمد عبد الغني ابو شرفي



أخبار العالم الإسلامي

اعداد : الأستاذ فهمي الامام

الكـــويت :

● لقاءات خير وعمل تلك التي تمت في لاهور بين ملوك وأمراء ورؤساء الدول الاسلاميــــة لخدمة الاسلام والمسلمين ، وقد كان للكويت دور بارز في انجاح المؤتمر ، وكان لسمو الامير المفدى نشاط مرموق تجلى في اللقاءات المباركة التي تمت بين سموه وقادة المسلمين .

● تفضل حضرة صاحب السمو أمير البـــلاد المعظم فادلى بتصريح عقب عودته من مؤتمـــر لاهور الاسلامي جاء فيه : يمتاز هذا المؤتمــر بالنظرة الواقعية لما تواجهه الشعوب الاسلامية من قضايا ومشاكل ، وما يواجهه الاســــــلام كعقيدة من تحديات .

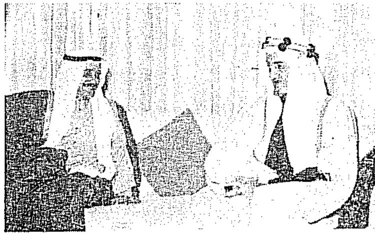
● زار البلاد وفد جزائري برياسة الرئيس الجزائري هواري بومدين ليبحث مع المسئولين الكويتيين الوضع الراهن واحداث المنطقة . ويرى سمو الامير المعظم مع سيادة الضــيف ومعهما سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء وسعادة وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة.

● قام رئيس الاركان العامة بزيارة القــوات الكويتية وقوات سلاح الطيران الكويتي المرابطة في جمهورية مصر العربية .

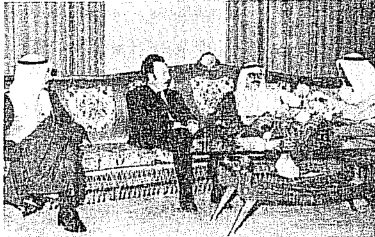
● تقيم وزارة الاوقاف والشئون الاســـلامية احتفالها السنوي بذكرى مولد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك في مسجد السوق الكبير عقب صلاةعشاء الخميس ١١ ربيع الاول .

● تقوم الوزارة بارســــال كميـــات كبيرة من المطبوعات الاسلامية باللغات المختلفة الى منطقة جنوب شرق آسيا وقارة افريقيا لما تتعرض له المنطقتان من تبشير نصراني مركز .

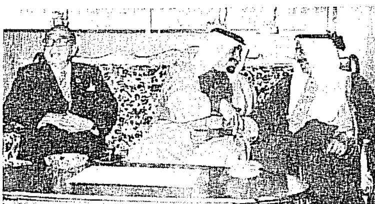
● قرر مجلس الوزراء تقـــديم مـــزيد من المساعدات المالية للمسلمين في الفلبين .



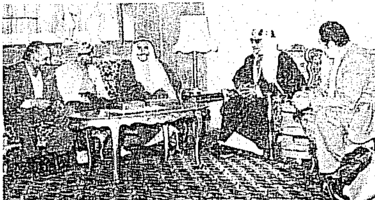
صاحب السمو الامير مع جلالة الملك فيصـــل



سمو أمير البــلاد والرئيس الجزائـــري هواري بومدين .



سمو أمير البلاد مع أمير دولة قطر بحضـــور رئيس وزراء ماليزيا



سمو أمير البلاد يستقبل في مقر اقامته بلاهور رئيس منظمة التحرير الفلسطينية .

مصـــــر :

● الغيت الرقابة على جميع الصحف والمجلات ما عدا كتب ومجلات الجنس ، والكتبوالنشرات التى تدعو الى الالحاد أو تطعن فى الانبياء أو تهاجم الاهداف القومية للبلاد .

● صادرت السلطات مجموعة مصاحف مزورة كانت مرسلة بالبريد الى هيئات ومؤسسـات خاصة فى القاهرة والاسكندرية .. وتركــز التزوير على حذف الآيات التى تتحدث عن اليهود وعن عيسى عليه السلام ، ويعتقد ان هــذه المصاحف قد تم تزويرها فى اسرائيل .

● قرر الازهر عقد ندوات لطلبة الجامعـات والمعاهد العليا عصر كل يوم لنشر تحفيظ القرآن الكريم .. وقد افتتح الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر أولى هذهالندوات بالجامع الازهر.

● أجرى وفد اسلامى من جمهورية غينيــا بيساو محادثات مع المسئولين فى الازهر لبحث تدعيم العلاقات بين مصر وغينيا بيســاو فى المجال الاسلامى .

السعودية :

● ادلى السيد عمر السقاف وزير الـدولة للشئون الخارجية بتصريح جاء فيه : ان موقف المملكة من عروبة القدس قد أوضحه جــلالة الملك فيصل أكثر من مرة وهو يتمثل فى الاصرار التام على عروبة هذه المدينة المقدسة .

● أصبحت « رابطة العالم الاسلامى » عضوا فى الامم المتحدة .. كمنظمة عالمية غير حكومية .. وللرابطة نشاطات واسعة فى مجــال الدعوة الاسلامية والتقريب بين الشــعوب الاسـلامية .

● زار مانيلا وزير الخارجية الســعودى للوقوف على أحوال المسلمين فى الفلبين .

الجـــزائر :

● يبحث الملتقى الثامن للفكر الاسلامى الذى يعقد أوائل هذا الشهر فى مدينة بجايه وضـع الاقليات والجاليات الاسلامية ، ومساهمـة الفكر الاسلامى فى مجالات العلوم والفنون ، ودور المفكر المسلم تجاه امته والانسانية .

ســـوريا :

● اعلن الرئيس السورى أن الحرب مـع اسرائيل لم تنته ولن تنتهى بالنسبة الى سورية ما لم تتحرر الارض العربية بكاملها وما لم تعد الى شعب فلسطين حقوقه كاملة .

● صدر قرار حكومى بفرض غرامة ماليـة ضد كل من ينشر صورا مسيئة للاخلاق .

الســودان :

● سيفتتح فى السودان مركز اسلامى تساهم فيه الدول العربية والاسلامية وذلك لنشــر الاسلام فى افريقيا .

أخبـــار متفرقة

الفلبين :

● لا يزال المسلمون يقاومون بعنف الحملات الشرسة التى تستهدف ابادتهـم ولا يزالون يترقبون من المسلمين الموقف الحازم لنصـرتهم وحمايتهم .

لاهــــور :

● رفع السكرتير العام للمؤتمر الاســلامى تقريرا الى ملوك ورؤساء الدول الاســلامية تضمن انشاء مجلس اسلامى اعلى يضم العلماء والفقهاء بهدف وضع خطة اسلامية ، تتمشى مع روح العصر ، وانشاء جامعتين اسلاميتين فى اوغندا والنيجر .

كوالا لامبــور :

● يقوم السيد تنكو عبد الرحمن رئيس اللجنة التحضيرية للبنك الاسلامى بجولة فى الاقطار العربية لشرح التقدم الذى احرزه بصدد انشاء البنــك .

بانكــوك :

● صـرح مصـدر مسـئول بان عـددا من الشخصيات الاسلامية فى تايلاند بصدد تأسيس هيئة للدفاع عن مصالح المسلمين فى البلاد .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع الأول ١٣٩٤	مارس ١٩٧٤	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر (س د)	شروق (س د)	ظهر (س د)	عصر (س د)	مغرب (س د)	عشاء (س د)	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر (س د)	شروق (س د)	ظهر (س د)	عصر (س د)	عشاء (س د)
الاثنين	١	٢٥	٤١٧	٥٤٧	١١٥٥	٣٢٣	٦ ٢	٧٢٠	١٠١٥	١١٤٥	٥٥٣	٩٢١	١ ١٨
الثلاثاء	٢	٢٦	١٦	٤٦	٥٤	٢٣	٢	٢٠	١٤	٤٤	٥٢	٢١	١٨
الاربعاء	٣	٢٧	١٥	٤٥	٥٤	٢٣	٣	٢١	١٢	٤٢	٥١	٢٠	١٨
الخميس	٤	٢٨	١٤	٤٤	٥٤	٢٣	٤	٢٢	١٠	٤٠	٥٠	٢٠	١٨
الجمعة	٥	٢٩	١٢	٤٢	٥٣	٢٤	٤	٢٣	٨	٣٨	٤٩	١٩	١٩
السبت	٦	٣٠	١١	٤١	٥٣	٢٤	٥	٢٤	٦	٣٦	٤٨	١٨	١٩
الاحد	٧	٣١	١٠	٤٠	٥٣	٢٤	٦	٢٥	٤	٣٤	٤٧	١٨	١٩
الاثنين	٨	ابريل	٨	٣٩	٥٣	٢٤	٦	٢٥	٢	٣٣	٤٧	١٧	١٩
الثلاثاء	٩	٢	٧	٣٨	٥٢	٢٤	٧	٢٦	٠٠	٣١	٤٦	١٧	١٩
الاربعاء	١٠	٣	٥	٣٦	٥٢	٢٤	٧	٢٦	٩٥٨	٢٩	٤٥	١٦	١٩
الخميس	١١	٤	٤	٣٥	٥٢	٢٤	٨	٢٧	٥٦	٢٧	٤٤	١٦	١٩
الجمعة	١٢	٥	٢	٣٤	٥١	٢٣	٨	٢٨	٥٤	٢٦	٤٣	١٥	١٩
السبت	١٣	٦	١	٣٢	٥١	٢٣	٩	٢٩	٥٢	٢٤	٤٢	١٤	٢٠
الاحد	١٤	٧	٠٠	٣٢	٥١	٢٣	٩	٢٩	٥١	٢٣	٤٢	١٤	٢٠
الاثنين	١٥	٨	٣٥٩	٣١	٥١	٢٣	١٠	٣٠	٤٩	٢١	٤١	١٣	٢٠
الثلاثاء	١٦	٩	٥٨	٣٠	٥٠	٢٣	١٠	٣١	٤٨	٢٠	٤٠	١٢	٢٠
الاربعاء	١٧	١٠	٥٧	٢٩	٥٠	٢٣	١١	٣١	٤٦	١٨	٣٩	١٢	٢٠
الخميس	١٨	١١	٥٥	٢٧	٥٠	٢٢	١١	٣٢	٤٤	١٦	٣٨	١١	٢٠
الجمعة	١٩	١٢	٥٤	٢٦	٤٩	٢٢	١٢	٣٢	٤٢	١٤	٣٧	١٠	٢٠
السبت	٢٠	١٣	٥٢	٢٥	٤٩	٢٢	١٢	٣٣	٤٠	١٣	٣٧	١٠	٢١
الاحد	٢١	١٤	٥١	٢٤	٤٩	٢٢	١٣	٣٤	٣٨	١١	٣٦	٩	٢١
الاثنين	٢٢	١٥	٥٠	٢٣	٤٨	٢٢	١٣	٣٤	٣٧	١٠	٣٥	٩	٢١
الثلاثاء	٢٣	١٦	٤٩	٢٢	٤٨	٢٢	١٤	٣٥	٣٥	٨	٣٤	٨	٢١
الاربعاء	٢٤	١٧	٤٨	٢١	٤٨	٢٢	١٥	٣٦	٣٣	٦	٣٣	٧	٢١
الخميس	٢٥	١٨	٤٦	٢٠	٤٨	٢٢	١٥	٣٧	٣١	٥	٣٣	٦	٢١
الجمعة	٢٦	١٩	٤٥	١٩	٤٨	٢٢	١٦	٣٨	٢٩	٣	٣٢	٦	٢٢
السبت	٢٧	٢٠	٤٤	١٨	٤٨	٢٢	١٧	٣٩	٢٧	١	٣١	٥	٢٢
الاحد	٢٨	٢١	٤٢	١٧	٤٧	٢١	١٧	٣٩	٢٥	٠٠	٣٠	٤	٢٢
الاثنين	٢٩	٢٢	٤١	١٦	٤٧	٢١	١٨	٤٠	٢٣	١٠٥٨	٢٩	٤	٢٢

ام المؤمنين
السيدة حفصة رضى الله عنهـــا

اســــــمها : حفصة ، وابوها أبو حفص عمر بن الخطـــاب ، وأمها زينب بنت مظعـــون .

مولدهـــــا : ولدت قبل البعثة المحمدية بخمس سنوات .

زواجهـــــــا : تزوجها الصــحابى الجليل خنيس بن حــذافة ، وكان من مهاجري الحبشة وشهد أحدا ومات سنة ثلاث من الهجـــرة وكانت آنئذ فى سن الثامنة عشرة . وتزوجها رســـول الله بعد السيدة عائشة سنة ثلاث من الهجرة على الأرجح .

روايتها للحديث : روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين حـــديثا ، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة منها ، وانفرد مسلم بستة .

حفظها للمصحف : أم المؤمنين حفصة هى الحافظة الأمينة على أول نسخة من المصحف الشريف ، وذلك انه لما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه الأعلى جمع ابو بكر المصحف الكريم واودعه عند أم المؤمنين حفصة ، وبقى المصحف لديها حتى أخذه عثمان بن عفان رضى الله عنه فنسخ منه النسخ التى وزعت فى الأمصـــار .

وفاتهــــــا : تفرغت حفصة للعبادة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاشت صـــوامة قوامة حتى فارقت الدنيـــا ســـنة خمس واربعين من الهجـــرة .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصــــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـازى : مكتبة الخـراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـارع فرنسـا .

المغـرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنـان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـدن : مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـان : وكالة التوزيع الأردنيـة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـدة : مكتبة مكـة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـرين : المكتبة الوطنية : شارع بـاب البحرين .

قطـر : الدوحـة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـى : مطبعة دبى .

الكـويت : مكتبة الكـويت المتحـدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

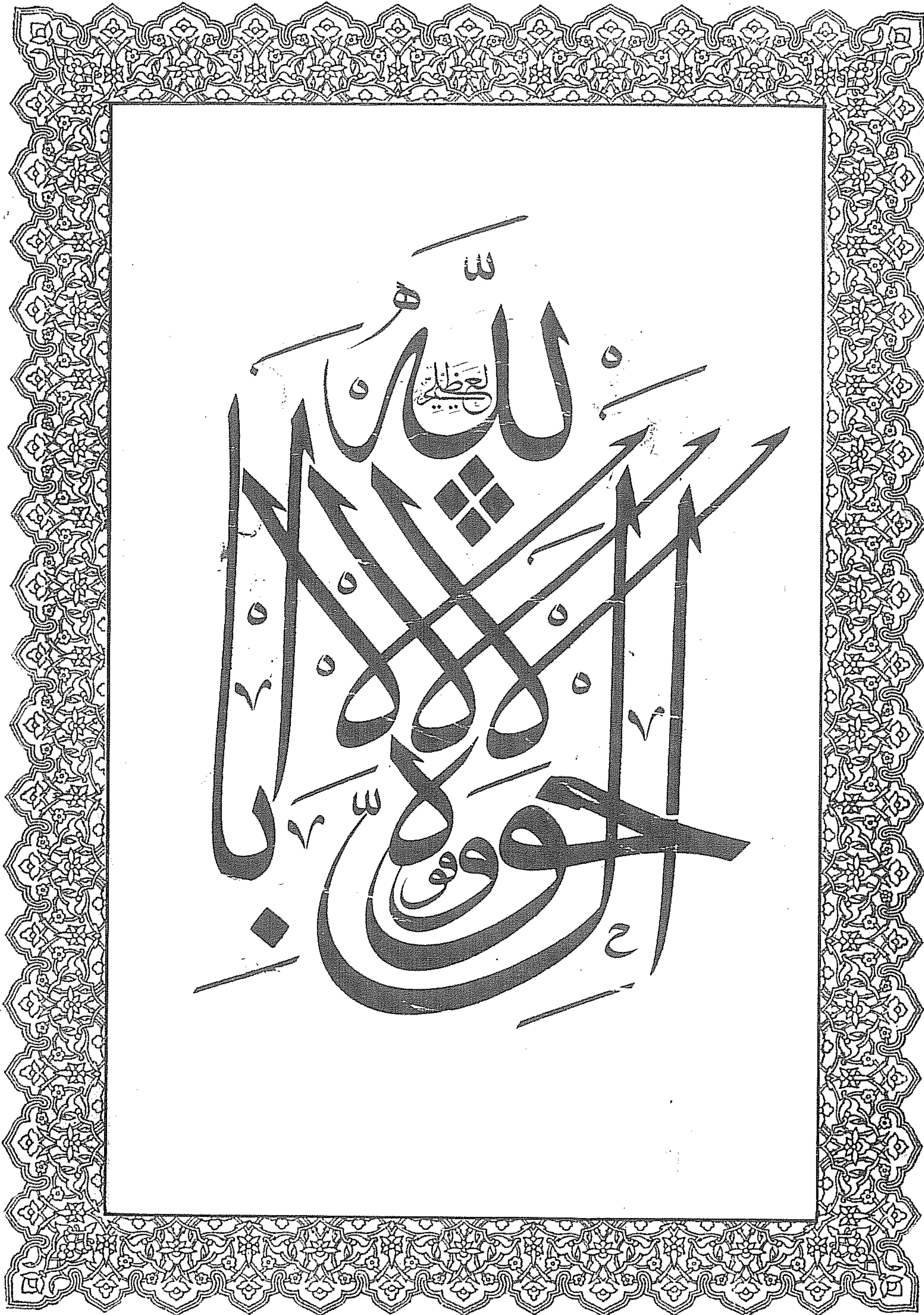
مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

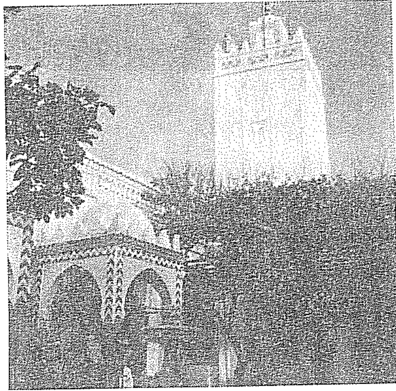
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



السنة العاشرة ـ العدد ١١٢ ـ غرة ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ ـ ابريل ١٩٧٤ م


لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم



الجامع الكبير فى مدينة الجزائر وهو من أقدم مساجد العاصمة والمرجح أنه شيد بين ٤٠٧ و ٤٧٥ هـ وتبدو فى الصورة منارته (صومعته) المربعة والقبة التى تعلو المطهرة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١١٢

غرة ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ

ابريل ١٩٧٤

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

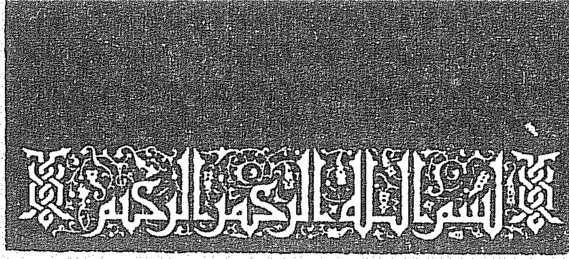
الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى — وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ — كويت — هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨



احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجد السوق الكبير عقب صلاة العشاء يوم الخميس ١١ من ربيع الأول ، وقد افتتح الحفل كما اختتم بآيات الذكر الحكيم ، وارتجل الاستاذ وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الكلمة التالية في الحفل :

رسول الإنسانية

أيها الإخوة ،

يحتفل العالم الاسلامى اليوم بذكرى مولد محمد صلى الله عليه وسلم . ولذكريات الأبطال وأعمال الرجال الجليلة تقدير فى نفوس الأمم والشعوب ، لذلك فإن الأمم الواعية تعتز بميلاد زعمائها وتحتفل بأبطالها الذين أشاعوا النور فى بلادها ، والمسلمون اليوم من المشرق الى المغرب يحتفلون بهذه الذكرى العظيمة ، ذكرى مولد محمد بن عبد الله صلى الله تعالى عليه وسلم . واننا حين نحتفل بذكرى محمد ومولده صلى الله عليه وسلم انما نحتفل بذكرى ايجاد المجتمع الاسلامى الفاضل ذلك المجتمع الذى تفوق على المجتمعات المادية والرأسمالية ، هذا المجتمع الفاضل الذى جمع الفضائل وزواج بين المادة والروح فقام على بناء الانسان .. حقا

ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بنى الانسان الذى أوجد المجتمع الفاضل بنى الانسان بالمثل العليا والفضائل الكريمة بعث فيه الروح التى عمت أعماله وحركاته وسكناته . أوجد فيه الفضائل الكريمة والمزايا الحميدة التى يقوم عليها ذلك المجتمع الفاضل ، ان الاسلام اهتم بالانسان قبل أن تهتم به الأمم المتحدة وقبل أن تهتم به الدول الشرقية والغربية .

لقد خلق الاسلام للانسان العزة والكرامة « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ».

نعم لقد كرم الله الانسان « **والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » .

أيها السادة :

ان الجسد والمجتمع بلا روح كالخشب وكالحجر لا رحمة فيه ولا انسانية فالمجتمع الذى يتكون من بنى الانسان لا بد أن تكون به العواطف الانسانية ، لا بد أن تتحرك فيه المثل الانسانية . لا بد أن تتحرك فيه العواطف النبيلة والأخلاق الفاضلة الحميدة « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » حقا يا محمد لقد بعثك الله رحمة للعالمين .

أيها السادة :

احتفلت الأمم المتحدة منذ مدة بحقوق الانسان وألقى بعض المندوبين المسلمين خطبة فى هذا الاحتفال وذكر فيها آية من القرآن الذى نزل على محمد عليه الصلاة والسلام فسمع هذه الآية أحد السياسيين الكبار وذهب يبحث فى الكتب عن تفسيرها ومعناها ولما لم يجد اتصل بأحد العلماء المسلمين يسأل عن معنى هذه الآية وتفسيرها فأدرك هذا الشيخ انه يعنى قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » فدله على تفسيرها وشرحها ومعناها فصاح عجبا فوق عجب : كيف أن هذه الآية تعالج حقوق الانسان ، تقرر المساواة وتعالج التفرقة العنصرية وكل ما أتى به ميثاق الأمم المتحدة حول حقوق الانسان قبل ثلاثة عشر قرنا من الزمان . انه الاسلام أيها السادة انه القرآن الذى نزل على نبيكم والذى يتعجب منه الناس اليوم . انه الأخلاق الفاضلة انه المثل العليا انه القواعد الانسانية التى يجب أن تقوم عليها المجتمعات الفاضلة . ان الاسلام ربى فى المسلمين الشعور الطيب ، ومن ذلك نجد فى سورة الانسان

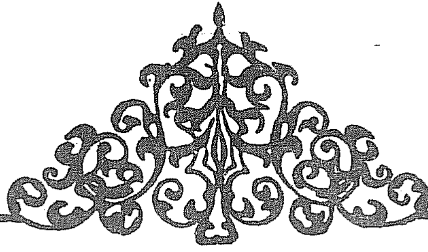
« ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليــوم ولقاهم نضرة وسرورا » نعم من يعمل الخير ومن يؤثر الناس على نفسه . لقد ربى الاسلام فى الناس المثل العليا ، ربى فيهم الروح الى جانب الجسد . ربى فيهم الايثــــار فقد كان أهل هذا البيت فى امس الحاجة الى الطعام ولكنهم يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفى معركة اليرموك يسقط بعض الجرحى من المسلمين فى ساحة الجهاد فى سبيل الله فيأتى شخص بالماء الى احدهم يطلب الماء فيسمع أنينا حوله ينادي بالماء فيقول اذهب الى فلان فيذهب اليه فيســـمع الآخر أنين أخ له ينادي بالمـــاء فيقول له اذهب الى أخي ويذهب الى الثالث ليسقيه المـــاء فيجده قد مات ويرجع الى الثـــانى فيجده قد مات ويرجع الى الأول فيجده قد مات . انه الايثار . انه الاســـــلام . انه الروح التى بعثها محمد صلى الله عليه وسلم فى اتباعه . انه صلة الانسان بخالقه عز وجل . انه صـــلة العبد بربه التى يبتغى من ورائهـــا الأجر والثواب من عند الله لا من عند بنى الانسان ، فان الانســـان يحب ويكره لأجل المصلحة المـــادية والمنفعة المؤقتة ، ولكن العمل الصالح الخالص لوجه الله هو الذى يبقى دائما وهو الصلة التى تربط العباد بعضهم ببعض ومن هنا نجد أن الاســـلام حرص كل الحرص على أن تكون أفعالنا وحركاتنا وسكناتنا تقاس بمقياس الاسلام وتوزن بميزان الاسلام ان خيرا فخير وان شرا فشر ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . ولقد أعجبنى ما رايت فى الدورة الرياضـــية التى أقيمت فى الكويت رأيت الروح الرياضية التى يتحلى بها شـــــبابنا من حب وإخاء بين الغــــالب والمغلوب ، انها الروح الرياضية التى يســـــمونها ، هى أخلاق الاسلام ، هى الروح الاسلامية التى يجب أن يتمسك بها كل مسلم ، يجب أن يتمسك بها الكبار والصغار الشباب والشيب الرجال والنســــاء ، هذه المثل العليا هذه الاخلاق الفاضلة التى تميز المسلم عن غير المســـلم ، هذه الأخلاق هى التى تميز المجتمع الاسلامى عن غيره من المجتمعات الفاســـدة وكلنا يعلم او بعضنا قرأ فى الصحف فى هذه الأيام أن بعض النـــاس فى البلاد الاوروبية خلعوا ملابسهم وساروا فى الشـــوارع عراة كما ولدتهم أمهاتهم ، اذا لم تستح فاصنع ما تشاء . واننا نخشى أن تسرى هذه العدوى الى بلاد المسلمين ، لأن المسلمين مع الأسف بدأوا يتركون أخلاقهم وأخلاق نبيهم ومثل دينهم التي أمروا أن يتبعوها وبدأوا يتخلون عن هـــذه الأخلاق الفاضلة ويقلدون الغرب فى كل ما يأتى منــه من مفاسد واننا نحـــذر كل الحذر من اتباع هذه الأخلاق الفاسدة التى تدمر المجتمعات وصــــدق الله اذ يقول : **« واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففســـقوا فيها فحق عليها**

القول فدمرناها تدميرا » . اننا يجب علينــــا أن نتمسك بأخلاقنا وديننــا وشيمنا وعاداتنا الأصيلة التى ورثناها عن آبائنا وأجدادنا لأن الرسول عليه الصلاة والسلام جاء ليتمم مكارم الأخلاق ، يجب أن نتمسك بأخلاق العرب الفاضلة الكريمة التى تركوها لنا وان نزيد عليها من فضائل الاسلام التى جاء بها ، يقولون ان هذا العرى حرية .. لا .. إنه فوضى . انه جنون . انه نزوة وطيش .

ان الحريات أيها المسلمون اذا أطلقت دون أن تقيد ودون أن توزن وتقاس بميزان الاسلام ومقياس الاسلام فانها ستكون وبالا وفسادا . كثير من الناس اتخذوا من الحرية السياسية والديمقراطية منطلقا لنكران الدين ونكران العقيدة ونكران الفضائل الحميدة ، وكثير من الناس اتخذوا من الحريات واطلاقها طريقا للنيل من الناس فى صحفهم وفى جرائدهم ومجلاتهم ، وبعض الناس اتخذوا من الحرية طريقا لاعطاء المراة مزيدا من التحلل والاباحية ، وكثير من الأعمال الفاسدة ارتكبت لتدمر المجتمع باسم الحريات الشــخصية وحريات العقيدة حتى أفسدوا العقيدة ، وهؤلاء لا يريدون الا دمار مجتمعاتنا كما دمرت مجتمعات الغرب ، واننا كمســلمين نرفض هذا المبدأ لأن ديننا الحنيف لا يرضى بالحريات المطلقة ، وقد روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما معناه : مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم فى أعلاها وبعضهم فى أسفلها فصار الذين فى أســفلها اذا استقوا من المــاء يمرون على من فى أعلاها فيقولون : لو أنا نقرنا نقرا فى المكان الذى لنا فيه نصــيب فلو أنهم تركوهم هلكوا جميعا ولو أنهم أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا . هذا الحــديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام يوضح الحرية ويحدد المســئولية . فاذا أخفق الحكام يجب على الشعوب أن تقف وتحاسبهم ، واذا أخفق السياسيون يجب على الشعوب أن تقف وتردهم ، فاننا جميعا مسئولون ، واننا جميعا مسئولون أمام الله عز وجل عن أخلاقنا وعن مجتمعــاتنا وكما يقول الله ســبحانه وتعالى : **« والعصر . ان الانســان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »** .

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

والسلام عليكم ورحمة الله .



خواطر في القرآن

للأستاذ : علي الطنطاوي

تحت أيدى الناس اليوم أكثر من عشرين مليون كتاب ، بجميع الألسن والخطوط ، ولو سئلت : اى هذه الكتب أفضل وأكمل ، وأجمل وأشمل ، لقلت : القرآن .

وكل واحد من قراء هذه المجلة ، يجيب بمثل هذا الجواب ، لو سئل ذلك السؤال ، ما عندى في ذلك شك ، ولا عند أحد منهم في الجواب تردد .

ولكنى فكرت ، هل أقول هذا لأنى مسلم آمن به ونشأ عليه ، وتعوده حتى صار عنده من البديهيات (١) ، أم هو حق في ذاته يقول به كل باحث منصف .. ؟

وفكرت كيف كان العربي يسمع الآيات من القرآن ، فتملك قلبه ، وتمسك لبه ، حتى تقوده الى الاسلام كما فعلت بعمر ، أو تحمله على الاقرار بعظمته ، وغريب تأثيره ، ولو بقي على كفره كما صنع الوليد ، حين زعم أنه سحر ، وأصل السحر في لسان العرب ما بان أثره ، وخفيت علته .

فأخرجت مصحفا كان معى ، (وكنت لما خطرت لى هذه الخواطر في سفر بالطيارة) وجعلت أقرأ ، أحاول أن أجد مثل ذلك الشعور الذى وجده عمر المسلم ، والوليد الكافر ، والذى كان يحس به كل عربي يقرأ القرآن ، أو يسمعه .

فماذا كان ؟ أقول لكم أم أكتم الأمر عنكم ، خجلا منكم .. ؟

انى لم أجد ذلك الشعور ! حقيقة أقولها بأسف وخجل .

وفكرت مرة ثانية : لم لم أجده ؟

الأنى أعرف القرآن وليس جديدا على ، فصار احساسى به ، كاحساسى

عندما انظر الى الكعبة الآن ، بعد اقامة أحد عشر عاما فى مكة ؟

لقد فقدت تلك الهزة الرائعة التى شعرت بها لما رأيتها أول مرة ، وأذهب الإلف روعة المفاجأة أم لأنى تعودت أن أقرأ القرآن مسرعا ، أصل الآية بالآية لأبلغ نهاية (الختمة) فلا أتذوقها ولا أتدبرها ولا ألمح اشاراتها ومراميها .. ؟ نعم ، هذا هو السبب ، ان قراءتى القرآن مثل سفرى من مكة الى جدة ، همى وهم السائق أن أصل فى خمسين دقيقة . لا أرى من الطريق شيئا ، الا بيوتا متناثرة فى (بحرة) أو (حداء) . وفضاء يرحب أو يضيق ، وجبالا تعلو أو تنخفض ، وتدنو أو تبعد .

ولو سئلت ما شكل هذه البيوت .. ؟ وماذا فيها من أناسى ومن فرش ؟ وما فى هذا الفضاء من تراب ورمل ؟ ما تركيبه ؟ وما فى هذه الجبال من صخور ؟ ما نوعها ؟ لما عرفت : لأنى لم أتنبه لها ، ولم أسأل عنها .

ولكن البعثة الجيولوجية (٢) التى تجيء للكشف والتحرى ، وتمضى على الطريق خمسين يوما بدلا من خمسين دقيقة ، تعرف هذا كله ، وتقدم تقريرا عنه .

هذا هو مثال تلاوتنا وتلاوة الصحابة . نحن نكمل الختمة فى يوم أو يومين ولا نفهم شيئا،ومن الصحابة من كان يمضى فى دراسة السورة الواحدة سنين ، ولكنه يتدبر ويعى ، ويعمل بما تدبره ووعاه .

فهذه السرعة ، وما يقابلها من انصراف الأذهان عند سماع القرآن ، للصوت والألحان ، وظن كثير ممن يسمون بالقراء ، أن القرآن ليس الا كلاما معدا للتلحين ككلمات الأغانى ، وتنافسهم على اجادة تلحينه والتصرف فى أنغامه واتخاذنا القرآن مجرد شعار تفتتح به الحفلات ، هذا كله وأمثاله هو الذى حجز بينى وبين التنبه الى أسرار القرآن ، وحرمنى من الشعور بروعته ، وقد كان يشعر بها كل عربى يسمعه ولو كان كافرا .

ما تبدل القرآن ، بل تبدلت الألسنة التى تقرأ ، والآذان التى تسمع ، والقلوب التى تعى .

اننا نقرأ القرآن بلا فهم ، أو نطرب له بلا خشوع ، أو نتخذه وسيلة لـ (الشحادة) على أبواب المساجد فلا يحق لنا (لا لى ولا لغيرى) ان يتخذ من الشعور الذى يشعر به ميزانا لتقويم (٣) القرآن ، فلندع الشعور الى العقل .

ولنتصور لو أن رجلا مثلى يقرأ (كما أقرأ) ما معدله أكثر من مئة صفحة فى اليوم ، من أكثر من خمسين سنة . حتى اطلع على جانب كبير من المعارف البشرية ، وكان منصفا ولو كان غير مسلم ، وسئل السؤال الذى استهللت به المقال ، فبماذا يجيب . ؟

انه ينظر فيرى أن البشرية شهدت كتبا عالمية ، كان لها الأثر البالغ فى الناس . أو فى جمهور كبير من الناس .

منها ما نزل من السماء فحرفه البشر ، كالكتاب الذى يدعى اليوم بـ (الكتاب المقدس) ومنها ما هو أرضى قدسه أتباعه ، كالفيدا (Vedas) الهندية ، والأفستا (Avesta) الفارسية المنسوبة الى زراداشت ، ومكتوبات كونفوشيوس (واصل اسمه بالصينية : كونغ فوتس) .

ومنها كتب أدبية كالياذة هوميروس ، ومسرحيات شكسبير وموليير ولافونتين وخطب فيخته (Fichto) الألماني .

ومنها كتب فلسفية أو علمية كجمهورية افلاطون ومحاورات سقراط وكتب ارسطو وخطبة المنهج لديكارت ونقد العقل لكانت ، والتطور المبدع لهنري بركسون ، والانسان ذلك المجهول لكاريل ، ونسبية آنشتاين .

وما كتب دارون ، وفرود ، ودوركايم ، ومكيافيلي ، ثم هيكل وماركس وغيرها من أمثالها ، فأنا انما اجمل وامثل ، لا استقصي وأفصل ــ ولم اذكر كتب المسلمين لسببين :

الأول : اني احاول أن افكر بعقل باحث منصف غير مسلم وغير متعصب لدين أو مذهب يمنعه من الانصاف .

والثاني : ان كتب المسلمين كلها ، متأثرة (من قريب أو بعيد) بالقرآن ، فهي كالفرع عنه وأنا أتكلم هنا عن القرآن ، فكيف احتج بالفرع للأصل ، واقبل شهادة الولد للوالد ؟

اقول : لو جاء هذا الباحث النزيه يوازن بين هذه الكتب وبين القرآن فماذا يجد . . ؟

يجد أن المثل العليا للبشرية ، والغايات القصوى للمعارف والمشاعر الانسانية ، هي الحق والخير والجمال .

وهذه الكتب منها ما يبحث عن الحق ، بوساطة الفكر ، ولكنه لا يعني بالجمال ولا يفتش عن الخير ، ومنها ما يفتش عن الجمال من طريق الذوق ، بوساطة العاطفة ، ولكنه لا يهتم بالخير ولا بالحق .

اي ان منها كتبا في العلم وحده وكتبا في الأدب فقط وكتبا في الأخلاق وفلسفتها ويجد أن منها ما هو مخالف لفطرة البشر ، وطبيعة تكونهم ، والفطرة تأبى ما يخالفها ، كالكتاب الذي يقبح الغنى لأهله ، ويقول (لا يدخل الغني ملكوت السموات) والانسان مفطور على حب المال . ويزين لهم التبتل والرهبانية ، والانسان مفروز فيه (غريزة) الميل الى الزواج . ويقول : (من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر) والانسان مجبول على دفع الأذى والرغبة في الانتقام .

والكتاب الذي يحاول أن يمحو الفرد ليثبت بزعمه المجموع ، ويحرمه الربح ، ويكلفه الجد في العمل . ويريد أن يطمس عقله فلا يفكر به ، بل بعقل طبقته . ويجعل الناس طبقات يجمعها الحرب والخصام لا الصلح والوئام . ويقول : بخرافة (حتمية التاريخ) مع أن التاريخ ليس الا الرواية والتحليل لما كان ، لا التحكم فيما سيكون ــ كما يهذي به الماركسيون .

ويجد كتب الفكر والعلم ــ تبلى على الأيام جدتها ــ وتنقص قيمتها ، فلا يبقى لها الا مزية السبق الزمني حتى ان طالب الجامعة يعرف اليوم من الطب اكثر مما كان يعرف بقراط (ابيوقراط) ، ومن الهندسة اكثر من اقليدس ، ومن الفلك اكثر من كوبرنيك ، ومن الكيمياء اكثر من لافوازيه .

وكتب الأدب يتبدل نظر الناس اليها ، وتقديرهم اياها ، بتبدل الأذواق ، وتباين العصور ، وان كانت اثبت (في الجملة) وابقى من كتب العلم .

وكتب الأخلاق ، تختلف اسسها ، وتتعدد نظرياتها .

ويجد ان منها ما يظهر خطؤه فتخبو ناره ، وتنطفىء أنواره ، كآراء فرود ، ونظرية دارون ، ومنها ما ينكشف لأتباعه ، (عند التطبيق) ما فيه من ضرر بالغ ، ونتائج مدمرة ، فضلا عن تعذر تطبيقه كاملا ، ككتاب (رأس

المال) و (الميثاق) لماركس .
فماذا تركها ونظر الى القرآن ، فماذا يجد ؟
يجد القرآن (أولا) قد أحاط وحده بالمثل العليا كلها : الحق والخير والجمال ، فكان كتاب علم ولكنه لا يفرض نظريات ، ولا يسرد قوانين ، بل يوجه الناس الى إعمال عقولهم في فهم أسرار الحياة الدنيا ويؤكد لهم أن لهذه الحياة سننا محكمة ، وقوانين ثابتة ، ويشير (بمقدار ما يفهم المجتمع الذي سمع القرآن أول مرة) الى بعض هذه القوانين والسنن ، ويدعوهم الى اكتشافها في أنفسهم : في أجسادهم وعواطفهم ، وفي الحيوانات من حولهم : الابل والأنعام ، وفي النباتات كيف تتجرد وتكسى وتموت في الشتاء ثم تحيا ، وفي الأرض وما فيها ، والسموات وما يرى منها . ويخبرهم أن كل شيء في الكون محدد المقادير . قائم على نسب مضبوطة ، وعلاقات ثابتة . وأن الذي أوتوه من العلم بها قليل وأنه سيخلق ما لا يعلمون ، ويعطي من يأتي من البشر من المعرفة بالكون ما لا يعرفون .
والقرآن يشير دائما الى قوانين الطبيعة التي طبعها الله ، وينبه أتباعه الى استثمار كل ما فيها والى أنه سخره لنا لننتفع به ، اذا أعملنا عقولنا وأفكارنا ، (وسخر لكم ما في السموات والارض جميعا منه) وليس هذا التسخير لمجرد الانتفاع بها في هذه الحياة المؤقتة بل لتكون علامات وآيات نستدل بها على طريق الانتفاع الحقيقي ، في الحياة الأخرى الدائمة : «إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .
فمن أهمل عقله من المسلمين قصر ، ولم يدرك هذه الآيات ، ومن انتفع بها ونسي خالقها وموجدها ، كان جاحدا للمعروف — استفيد من الهدية وتنكر حق مهديها ؟ هذا ما يفعله أتباع هذه الوثنية الجديدة . وثنية العلم ، الذين يكشفون بعقولهم التي هي عطية الله القوانين الطبيعية التي وضعها الله ، ثم لا يشكرون الله ، بل ربما أنكروه وجحدوه .. !!
ومن انتفع منها النفع الذي وضعه الله فيها ، وشكره عليها ، كان مؤمنا عاقلا ، ومن عظمها لذاتها ، وترك النفع الذي وضع فيها ، كان أحمق جاهلا ، كمن يحفظ الثوب ، ينظفه ويمسحه ولا يلبسه لدفع برد ولا حر ، ولا لستر ولا لتجمل ، ومن يجمع المال ويعده ويحبسه ، ولا ينفق منه على نفسه ولا على أهله ، ولا يشتري به دنيا ولا يشتري به أخرى ، لذلك ورد (تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة) أي الثوب .



وهو كتاب عقائد ولكنها ليست نصولا متسلسلة تشغل القلب بالعقيدة ، وتصرفه عن إعمال العقل ، وتذوق الجمال ، بل هي آيات تقرر العقيدة من خلال التفكر في المخلوق وتأمل جماله للاستدلال به على خالقه .
وهو كتاب تشريع ولكنه ليس كمجموعة جوستنيان مثلا نصوصا وأحكاما تبين الحكم فقط بل هو يصلها بالعقيدة ، ويربطها بالخالق ، حتى عندما يحدد حصص الورثة في التركة ، أو أسلوب التوثيق عند الكاتب العدل .
وهو كتاب تاريخ ولكنه لا يجمع أطراف القصة من قصص الأنبياء ويسردها سردا متصل الحلقات بل يأخذ منها في كل موطن جانبا يعرضه ، للاعتبار به ، فهو يحرص على الاستفادة من الخبر ، لا على الإحاطة بالخبر .
ولعل حكمة هذا المزج بين القصص والعبرة ، وتكرير القصة على صور مختلفة ، وفي مواضع متعددة ، هي (والله أعلم) أن مستقر العقيدة هو

العقل الباطن (٤) . وهذا الأسلوب في التلقين والايحاء ، غيـــر المباشر ، يوصل اليه رأسا لا سيما اذا اقترن بالتكرار ، وقد تنبه لهذا المربـــون من الاجانب وأطالوا البحث فيه ، واستعملوه في تلقين المبادىء التي يريدون الشباب عليها .

ولو كانت القصة معروضة عرضا مدرسيا ، يخاطب العقل الواعي ، لحفظتها (الذاكرة) لتقدمها الى العقل عند الطلب فيعمل فيهــا ، مناقشة وبحثا وتشكيكا ، ثم تنساها على مر الأيام ، كما ينسى التلميذ اذا كبر دروس المدرسة التي وعاها وامتحن فيها ، ولكنه لا ينسى توجيهات المدرس ، التي تجيء عفوا ، واني لأذكر الآن والله من هذه التوجيهات العارضة ، أشياء سمعتها في المدرسة خلال أيام الحرب العالمية الأولى .

وقد ظن قوم ضلوا وزلوا ، أن قصص الأنبياء في القرآن ، كقصص الأدباء من أمثال اسكندر دوماس وشارلز دكنز ، يراد بها العبرة ولا يحرص فيها على الحق (٥) وهذا كلام باطل وجميع تلكم الكتب (الا ما كان سماويا وبقي كما نزل) ، مهما سما فيها الفكر ، ومهما رقت فيها العاطفة ، كتب أرضية منبثقة من حياة الانسان على هذه الارض ، محدود ما فيها بحدود هذه الحيـــاة لا تعرف ما قبلها ، ولا ما بعدها ، لا تعرض له ولا تشير اليه ، الا بأصابع الخيال الذي لا تدعمه حقيقة ، أو التوهم الذي لا يســـــنده دليل ، والقرآن يشمل موضوعه ما قبل هذه الدنيا ، وما بعدها ، ويخبرنا معشر البشر (ولم نكن لنعلم لولا أن علمنا) : من أين جئنا ، ما أصلنا والى أين نمضي ، وما مصيرنا .

فان نظرنا الى الموضوع ، وجدنا القرآن وحده من بين تلك الكتب جميعا هو الذي يحوي الدستور الكامل ، للحياة الفردية والجماعية ، الجسديـــة والروحية ، ولحياة المجتمع المالية والاجتماعية والأخلاقية ، والحكومية ، حياته هذه القصيرة على الأرض ، وحياته المقبلة في الآخرة .

بل إن من عجائب القرآن ، أن هذا الدستور قد أجمل في أربع عشرة كلمة فقط . نعم أربع عشرة كلمة هي : **والعصر ، ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .**

يبدأ بالتذكير بحقيقة نعرفها ونوقن بها ، ولكننا قد ننساها ، هي أن رأس المال للانسان ، عمره ، فكلما مر عليه يوم خسر منه يوما ، حتى تجيء ساعة الموت فيكون الخسر الكامل ، لهذا أقسم بالعصر (أي الزمـــان) لا تعظيما له كما يقسم البشر ، بل للتنبيه اليه .

نخسر بالموت لأننا نترك كل شيء ونمضي . ولكن منا من لا يشمله هذا الخسر ، هو الذي يحمل معه من خيرات هذه الدنيا ما ينتفع به في الآخرة ، أولئك هم (**الذين آمنوا وعملوا الصالحات**) ثم يضع لنا المنهج العام للمبدأ وللتطبيق ، للفرد في نفسه وللجماعة فيما بينها ، فالمبادىء منها ما هو حق وما هو باطل ، فالمؤمن يتمسك بـــ (الحق) ، والمتمسكون بالمبدأ الحق منهم من لا يصبر على مشاق التطبيق ، فالمؤمن يحرص على (الصبر) عليها ، حتى يطبقه تطبيقا كاملا .

ثم لا يكتفي كل واحد بنفسه ، بل يتعاونون عليها و (يتواصون بها) (٦) فيصلح الأفراد ويصلح بهم المجتمع .

هذا من حيث مجموعه ، ومن حيث موضوعه .

أما أسلوبه فأسلوب مفرد ، ليس في كل ما عرف البشر من كتب كتاب آخر له مثل هذا الأسلوب الذي جاء جديدا ، وبقي جديدا ، لأنه لم يقلد ولم

يحتذ ، ولم ينسج احد على نوله ، والقرآن يدور كله على وصل الانسان الفاني بالله الباقي ، بتوحيده وتذكره ، وتجنب اشراك غيره في الالوهية معه ، أو توجيه العبادة الى سواه وعلى وصل هذه الحياة الفانية بالحياة (الآخرة) الباقية بالايمان بها ، والاستعداد لها ، والعمل على ما ينفع فيها .

ولكنه لا يفصل بين الدين والدنيا ، كما يفعل أتباع الديانات الأخرى (٧) اذ يجعلون من الناس (رجال دين) يسلكون طريق الدين ، ورجال دنيا أي رجال علم وسياسة ومال ، فكل مسلم بنظر القرآن رجل دين ما دام متمسكا به ، قائما بواجباته ومبتعدا عن محرماته ، ورجل دنيا ما دام يبتغي فيها (من الحلال وحده) ، العز والقوة والمال ، ويقوم فيها بجلائل الأعمال .

واذا كان طريق الدنيا وطريق الآخرة عندهم ، كطريق قطر وطريق العراق للساكن في الكويت مثلا ، فمثالهما في القرآن كطريق العراق وطريق اسطنبول (٨) ، لا يختلفان بالاتجاه بل بالامتداد ، فطالب الدنيا يقف عندها ، ولا يجاوزها ، وطالب الآخرة يتخذ الدنيا محطة في طريقه اليها يتزود منها لها .

هذه مقاصد القرآن ، ولكنه خلال ذلك ، يلم بكل ما يحتاج اليه الانسان من أدوات توصله ، الى الكمال (الممكن) في الفكر والجسد والعاطفة والخلق الكريم ، يمزجها مزجا مفردا ، بأسلوب هو الغاية في الجمال فتصل به الى منطقة اللاشعور (Inconseience) أي العقل الباطن ، حتى اذا استقرت فيها ، ظهر أثرها في فكر الانسان وعاطفته وسلوكه ، ومجموع اعماله ، لذلك (وبذلك) بدل الاسلام العرب ، حتى ولدوا به في التاريخ ولادة أخرى ، وخذوا مثالا على ذلك عمر ، وتصوروا ماذا بلغ لما أسلم ، وماذا كان لو لم يسلم(٩) .

ما فرط القرآن في شيء ، ولكن ليس معنى هذا أن فيه حل تمرينات الحساب في دفتر التلميذ ، واعراب أبيات الاختبار في كتاب القواعد ، وبيان عدد جبال البرازيل وطول أنهار فرنسا ، القرآن لا يقدم اليك صندوق التفاح ، بل يعطيك الأرض والخبرة التي تملك بها شجرة التفاح ، لا يذكر لك قوانين الفيزياء بل يمنحك العقل ويرشدك الى استعماله في معرفة قوانين الفيزياء ، والفرنسيون يقولون في أمثالهم : « من أهديت اليه سمكة أشبعته يوما ، ومن تعلمه صيد السمك تشبعه كل يوم » .

القرآن يدعو للتدبر والتفكر واعمال العقل ، في فهم آيات القرآن ، وفي معرفة اسرار الأكوان ، خبرنا بأنه وضع لكل شيء قانونا ، وأعطانا ابصارا وعقولا ، وقال لنا « **انظروا ماذا في السموات والأرض** » . أنزل لكل داء دواء وقال ، ابحثوا عن الدواء للداء ، اكتشفوا سنن الله وقوانينه في هذه الدنيا ، واعرفوا (الطبيعة) التي طبعها عليها .

علم المسلم قبول التحدي والمناظرة العقلية والخضوع للبرهان القاطع ، وان تكلف الخصوم إبراز دليلهم ان كان لهم دليل (**قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين**) لأن الدعوى بلا برهان حقها الرفض .

وان نقول الحق ولو على انفسنا ، اي ان نخضع رغباتنا وشهواتنا ، وآلامنا ولذاتنا لحكم الحق .

والقرآن يعلل احكامه واوامره ، في العقائد الأساسية التي هي من البديهيات (١٠) (**لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا**) وفي الشرائع (**ذلك ادنى الا تعولوا**) .

ويشير الى القوانين الاجتماعية ، اشارته الى القوانين الطبيعية ، والى انها من سنن الله الثابتة (**قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا**

كيف كان عاقبة المكذبين) .

هذا قانون الهي اجتماعي : الذين يكذبون الحق ، ويرفضونه ، ويسلكون غير سبيله تكون عاقبتهم الهلاك (واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) وهذا ايضا قانون .

ويمنع الاعتقاد بالخرافات ، أي النتائج المتوهمة ، لمقدمات غير مسلمة ، اى ما ينافى التفكير العلمى من الاعتماد على المصادفات ، كالاستقسام بالازلام ، والأوهام كالبحيرة والسائبة ، وتصديق الدجالين من المشعوذين ، واتخاذ أسباب لا تؤدى بطبيعتها الى المسببات ، كالحجب والتمائم ، فهو بذلك يحرر الانسان من عبودية الخرافات .

ويجعل المؤمن لا يصدق الا باحد اثنين : بما ثبت لديه ثبوتا عقليا مستندا الى الحس الصحيح ، أو التجربة المضطردة . وبما جاء به الخبر اليقينى .

فهو دستور ، ودستور الدولة فى العادة يحدد الحدود العامة ، ويبين الأهداف الكبرى ولكن لا يدخل فى التفصيلات الا فى حالات خاصة لها ما يدعو الى ادخالها فى الدستور ، فالدستور ينص على أن اللغة الرسمية للدولة هى العربية مثلا ، وعلى وجوب الاعتناء بها ، لكن لا يشرح عمل اسم الفاعل والصفة المشبهة . وعلى أن القضاء مستقل ، ولكن لا يحدد مدد التبليغ وطريقة التنفيذ وكذلك القرآن قال لنا (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ؟ وترك لنا اختيار الطرق والأساليب للوصول الى تحقيق العدل .

للبحث بقية

---

(١) القياس الصرفى : بدهى ، ولكن كلمة بديهى وطبيعى مستعملة من أكثر من ألف سنة ، وصقلتها الألسنة والأقلام .

(٢) جى : ارض ، ولوجى : علم باليونانية القديمة والواو للتركيب كما يقولون مثلا (فرانكو آراب) .

(٣) تقويم بالواو — أما تقييم فلا صحة لها ، واذا ظنوا انها من (القيمة ، فان قيمة أصلها (قومة) .

(٤) راجع كتابى (تعريف عام بدين الاسلام) .

(٥) منهم خلف الله فى اطروحته التى طلب بها شهادة الدكتورية ، وكنت تلك السنة (١٩٤٧) مقيما فى مصر موفدا من وزارة العدل فى الشام الى ادارة التشريع فى مصر ، وكنت أشرف على مجلة الرسالة لمرض صاحبها الاستاذ الزيات رحمه الله ، فأثرتها عليه حربا تطاير شررها وانتشر خبرها ، ووصلت الى القضاء فى دعوى أقامها على الشيخ أمين الخولى — وكانت النتيجة أن رفضت الاطروحة تلك السنة — ومن رجع الى مجلة الرسالة لسنة ١٩٤٧ وجد تفصيل الخبر .

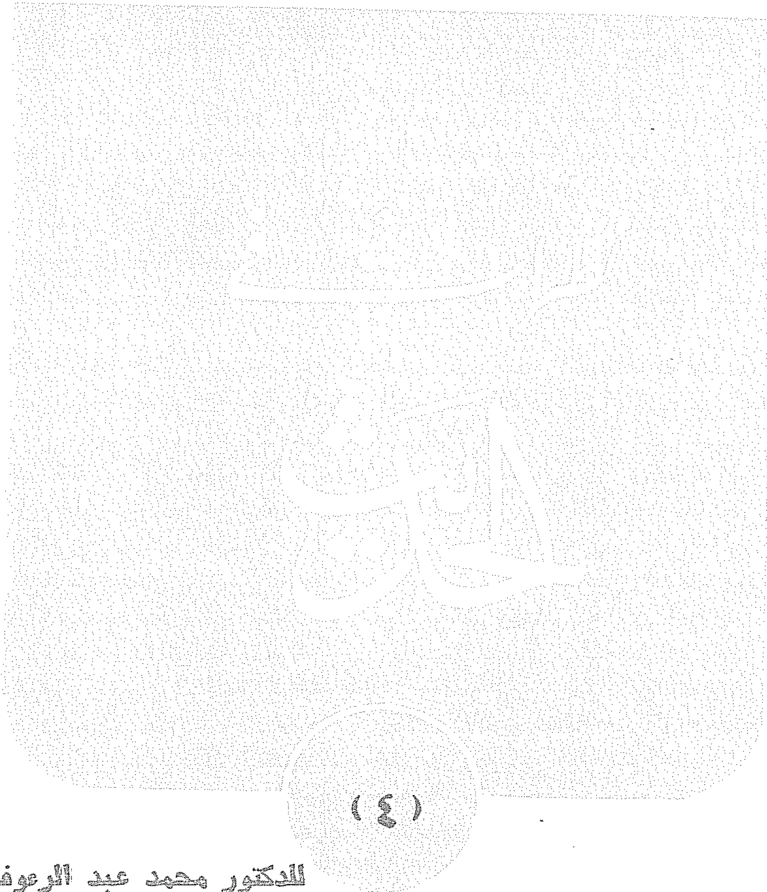
(٦) لى تفسير مفصل لهذه السورة هذه خلاصته . أذعته فى رمضان من عام ١٩٦٠ من اذاعة دمشق .

(٧) ودين الحق واحد (ان الدين عند الله الاسلام) .

(٨) أصلها اسلامبول (أى بلد الاسلام) سماها بذلك السلطان محمد الفاتح رحمه الله .

(٩) لى كتاب كبير عن عمر جمعت فيه اخباره كلها مع ذكر مصادر بالجزء والصفحة طبع سنة ١٩٣٥ ثم عدلته وسميته اخبار عمر طبع سنة ١٩٥٩ ولا يزال يطبع .

(١٠) انظر كتابى (تعريف عام بدين الاسلام) .



للدكتور محمد عبد الرءوف

مرحلة تدوين المصنف

كانت المرحلة الاولى من مراحل تدوين الحديث التي سميناها (مرحلة الصحيفة) تمثل البداية الطبيعية لحركات النمو والتطور ، فكانت بسيطة القدر والهدف ، أما بساطة القدر فلأن عدد أحاديثها لم يتجاوز غالبا بضع العشرات ، وأما بساطة الهدف فلأن الصحيفة كانت ترمى الى نقل ما فى الصدور الى السطور دون اتباع منهج فى ترتيب احاديثها للتيسير على الدارسين الذين كانوا بحاجة الى الحديث لاستنباط المبادىء العقيدية والأحكام الشرعية اذا عز عليهم الأمر فى الكتاب الكريم .

لذلك اتجه المدونون للحديث فى المرحلة التالية ، وهى التى نحن الآن بصددها ، الى منهج التصنيف والتبويب ، وقد بدأت هذه المرحلة فى العقد الثالث من القرن الهجرى الثانى ، أى ما بين سنة ١٢٠ و ١٣٠ هـ(١) ، أى فى

الوقت الذى كانت تحتضر فيـــه الدولة الاموية وتتحفز فيـــه للوثوب الدولة العباسية .

ويقصد (بالتصنيف) تنويع الاحاديث على حسب موضوعاتها ووضع كل نوع أو صنف منها فى فصل من الكتاب تحت عنوان يدل على موضـــــوعها ، وأطلقوا على كل فصل من الكتاب المدون بهذه الطريقة اسم (كتاب) مثل كتاب الايمان وكتاب الطهارة وكتاب الصلاة وكتاب الزكاة وكتاب الصيام وكتاب الحج وكتاب البيوع وكتاب المناكحات وهكذا ، ولقد قسموا كل فصل من هذه الفصول أو الكتب الى (أبواب) وجعلوا أيضا لكل باب عنوانا يدل على موضوع أحاديثه، وذلك كتصنيفهم كتاب الطهارة مثلا الى باب المياه وباب الوضوء وباب الغسل وباب المســـح وباب التيمم وباب الحيض ، وقد أطلقـــوا على هذا التنظيم : (التبويب الفقهى) ، وذلك لأن العناوين والموضـــوعات الفقهية كانت تغلب عليها .

ويتميز هذا النوع من تدوين الحديث فى هذه المرحلة بثلاث مميزات : أولها (الترتيب المنهجى) على الوجه الذى شرحناه من الاتيـــــان بالاحاديث المشتركة فى موضوع واحد معا فى فصل واحد تحت عنوان يدل على موضوعها العام ، ثم تقسيم كل فصل الى وحدات أصغر يسمى كل منها (بابا) تحت عنوان دال على موضوع الباب أيضا ، لذلك يوصف الكتاب الحديثى المدون على هذا المنهج بكونه (مصنفا) ، وحيث أن (المصنف) يهدف الى التيسير على الدارس الباحث الذى يسعى لاستنباط الاحكام ونحوها فان المؤلف لهذا النوع يروى مع الأحاديث فى كل فصل أو باب ما قد يتيسر له من أقوال الصحابة والتابعين وفتاواهم المتعلقة بالموضوع ، وأخيرا يتميز (المصنف) بغزارة المادة وكثرة ما يروى به من أحاديث وآثار حيث ارتفع الحرج من تقييد العلم واشتدت الرغبة فى تسجيل ما وعته الصدور وتناقلته الالســـــنة قبل أن يضيع بذهاب حفظته ، وساعد على ذلك انتشار فن الكتابة وتيسير أدواتها .

وقد سمى المؤلفون لمدوناتهم الحديثية على هذا المنهج لفظ (السنن) لاشتمال الكتاب عليها ، أو (المصنف) لتصنيف ما به وتبويبه ، أو (الجامع) أو (المجموع) لكبره وشـــــموله ، أو (الموطأ) لأن ما به وطىء ومهد ويسر للطالبين .

ويقال أن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المـــكى ، المكنى أبا خالد ، المعروف غالبا باسم (ابن جريج) المتوفى عام ١٥٠ هـ فى بغداد ، كان أول من دون مصنفا حديثيا على هذا المنهج ، وقد سماه (كتاب السنن) ، كما كان من المبكرين أيضا فى هذا النوع من الجمع والتصنيف (معمر بن راشد) المتوفى سنة ١٥٣ هـ(٢) والذى سبق أن التقينا به فى حديثنا عن اسناد صحيفة همام ابن منبه ، وقد أطلق على كتابه اسم (الجامع) .

وسوف نشرع الآن مستعينين بعونه تعالى فى وصف ثلاثة نماذج لهذه التآليف التصنيفية ، أولها كتاب (المجموع) المنسوب للامام زيد بن على زين العابدين الذى استشهد عام ١٢٢ هـ ، والذى رواه عنه تلميذه أبو خالد عمرو بن خالد الواسطى المتوفى حوالى سنة ١٥٥ هـ ، وهو أخصر الثلاثة ، ثانيها كتاب (الموطأ) لامام دار الهجرة مالك بن انس المتوفى عام ١٧٩ هـ ، وهو أشهرها ، وثالثها كتاب (المصنف) للامام عبد الرزاق بن همام الصنعانى المتوفى ســــنة ٢١١ هـ ، وهو أطولها ، وسوف نتبع ان شــــاء الله تعالى وصف كل منهـــا باختيارات من الكتاب مزيدا فى الفائدة .

(أ) المجموع الزيدى

نشأ الامام زيد الذى يروى عنه هذا المجموع فى بيت النبوة والعلم تحت رعاية أبيه الامام على زين العابدين الذى شهد صبيا مصرع أبيه الامام الحسين وكان الموت منه قاب قوسين ولكنه نجا منه بأعجوبة فقضى سائر حياته بالمدينة عاكفا على العلم والعبادة ومساعدة المساكين وذوى الحاجة ، وكان مهابا موقرا محببا الى القلوب ، وليس ادل على مكانته فى نفوس المسلمين رغم تواضعه وحسن أدبه مما حدث يوم أقبل هشام بن عبد الملك للطواف بالبيت أيام الحج ومعه حرسه وحشمه حيث كان ولى عهد الخليفة الاموى ، فقد عجز هشام بسبب الزحام ورغم الجهد عن الوصول الى الكعبة المشرفة واستلام الحجر ، فنصب له منبر فجلس عليه واستلم على بعد وحوله حاشيته ، وبينما هو كذلك رأى الجموع المحتشدة تتنحى اختيارا وتفسح الطريق لقادم بدا فى شكل مليح ودنا من الحجر واستلم فى هيبة ووقار ، فأوغر ذلك صدر هشام لأنه عرف أن القادم الوقور على ابن الشهيد الحسين ، ولكنه قال استنكارا وغيظة : « من هذا ؟ » ، وتصادف أن سمعه الفرزدق الشاعر المشهور فبادر وأنشد قصيدته البديعة التى مطلعها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها : ... الى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى الى ذروة العز التى قصرت ... عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

هذا هو أبو صاحبنا زيد ، وفى بيته – بيت العلم والايمان – ولد زيد عام ٧٦ هـ ، وعلى يده نشأ زيد وترعرع ، وقد تعلم وحفظ وعنه روى وحكى ، حتى اذا توفى الأب ولم يكن زيد قد بلغ العشرين بعد ، واصل الدرس والتحصيل مع أخيه الاكبر الامام محمد الباقر الذى يقال عنه انه بقر العلم ، ومع ابن أخيه الامام الصادق الذى سارت بذكره الركبان ! فى هذا الجو المبارك شب زيد ونضج على التقوى وحفظ وارتوى من فيض العلم والعرفان حتى أصبح حجة ومنارا ومثلا فى الفصاحة والبيان ، وبحرا فى الحديث وعلما فى معرفة وجوه تلاوة القرآن ، وحسبك شهادة الباقر له حيث أجاب من سأله عنه بقوله : « سألتنى عن رجل ملىء ايمانا وعلما من أطراف شعره الى قدميه ! » .

والحديث عن الامام زيد وشجاعته وأدبه وشعره وجهاده ممتع وطويل ، وقد يبعدنا عن الموضوع الذى نحن بصدده ، وقد حفزته شجاعته وايمانه واستنكاره لبغى بنى أمية على قبول البيعة له بالكوفة فى عهد خلافة هشام ابن عبد الملك ، ولكنه خر صريعا فى معاركه ضد جنود الامويين عام ١٢٢ هـ ، وهو لا يزال فى مقتبل العمر ، فمثل ببدنه تمثيلا وحشيا نمسك القلم عن وصفه ، وقد زاد ذلك من كراهية الناس لبنى أمية وضاعف عطفهم على بنى على ، وقد نما مذهب زيد وأطلق عليه مذهب الزيدية ، وهو مذهب شيعى

معتدل ، ويكثر أتباعه في جنوب شبه الجزيرة ، وكان لعلماء الزيدية يد طولى في اثراء المكتبة العربية الاسلامية .

وكان أعظم تلاميذ زيد ومريديه واكثرهم به صلة وأطولهم له صحبة عمرو بن خالد الواسطي المكنى بأبي خالد ، وقد روى ابو خالد هذا مجموعين عن الامام زيد ، أحدهما مجموع حديثي والآخر مجموع فقهي ، فضم أحدهما الى الآخر في كتاب واحد هو (المجموع) ، وكما يقول العلامة المحقق الشيخ محمد أبو زهرة : تحمل ابو خالد هذا المجموع عن زيد « بطريق الرواية الشفوية أحيانا وبالاملاء أحيانا »(٣) ويقول : « رواه ابو خالد الواسطي فيه الفقه وفيه الحديث ، فهو يشتمل على المجموعين الفقهي والحديثي »(٤) وذلك لأن أبا خالد تلقى عن الامام مجموعين ، المجموع الفقهي والمجموع الحديثي فرواهما أبو خالد معا كمجموع واحد مرتب ومبوب ، ويقرر الشيخ أبو زهرة أن هذا الترتيب كان من عمل الواسطي ولكن « يحتمل أن يكون التبويب قد جرى فيه بعض التغيير ، ولكننا لا نفرضه فرضا .. ولم يجيء في كتب الزيديين ما يدل على هذا التغيير في التبويب ، ولذلك لا ندعي وقوعه ولا نفرضه وانه لا تضعف الثقة في الكتاب اذا حدث »(٥) .

وعلى هذا فالمجموع الذي بأيدينا يشمل ما تحمله أبو خالد عن الامام زيد من أحاديث وما تعلمه عنه من فقه وأحكام ، ولكنه خلط الفقه والحديث ، فنرى الباب الواحد مشتملا على الحديث والفقه ، وهذا هو شأن المدونات (المصنفة) كما شرحنا من قبل واليك المثال التالي ، وهو أول (باب ذكر الوضوء) من كتاب الطهارة الذي هو أول فصول المجموع :

قال أبو خالد الواسطي :

حدثني زيد بن علي

عن أبيه علي بن الحسين

عن جده الحسين بن علي

عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهم السلام ،قال :

«رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فغسل وجهه وذراعيه ثلاثا ثلاثا ، وتمضمض واستنشق ثلاثا ثلاثا ، ومسح رأسه وأذنيه مرة ، وغسل قدميه ثلاثا » .

قال أبو خالد رحمه الله :

« سألت زيد بن علي عليه السلام عن الرجل ينسى مسح رأسه حتى يجف وضوءه ، قال عليه السلام : (يمسح رأسه ويجزئه ولا يعيد وضوءه) » .

وقال زيد بن علي عليهما السلام :

« الاستنجاء سنة مؤكدة ، ولا يجوز تركها الا أن لا يجد الماء» .

وقال زيد بن علي عليهما السلام :

« المضمضة والاستنشاق سنة ، وليس مثل الاستنجاء » .

ثم يسوق أبو خالد في هذا الباب أثرا عن أبيه فيقول :

« حدثني زيد بن علي قال : « كان يقول أبي علي بن الحسين بن علي عليهم السلام : اذا ظهر البول على الحشفة فاغسله » .

وتحت عنوان (باب المسح على الخفين) يسوق ما يلي :

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام :

« أن رسول الله صلى الله عليه وآلهوسلم مسح قبل نزول المائدة ،

فلما نزلت آية المائدة لم يمسح بعدها » .
حدثني زيد عن أبيه عن جده الحسين عليهما السلام قال :
« انا ولد فاطمة لا نمسح على الخفين ولا عمامة ولا كمة ولا خمار ولا جهاز » .
وسألت زيدا عليه السلام عن المسافر يخاف على نفسه من الثلج ، هل يجوز له أن يمسح على خفيه ؟ قال :
« نعم ، هذا عذر مثل المسح على الجبائر ، فان استطاع الغسل لم يجزه المسح » .
ومما تجدر الاشارة اليه أن الاحاديث كلها الواردة في (المجموع) مروية بسند واحد : زيد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فكل رواته ـ كما نرى ـ من أهل البيت ، ولا تأخذ الشيعة الا عنهم . ولكن مع أن الراوي للمجموع عن زيد ـ أعني أبا خالد الواسطي ـ ليس من أهل البيت ، فان آل بيت زيد أنفسهم قد تلقوا المجموع بالقبول ، كما تلقاه بالقبول سائر جماعة الزيدية .
ويحتوي المجموع على أربعة عشر (كتابا) ، هي كتاب الطهارة فكتاب الصلاة فكتاب الجنائز فكتاب الزكاة فكتاب الصيام فكتاب الحج فكتاب البيوع فكتاب الشركة فكتاب الشهادات فكتاب النكاح فكتاب الطلاق فكتاب الحدود فكتاب السير فكتاب الفرائض ، وقسم كل كتاب منها الى أبواب ، فكتاب الشركة مثلا يشتمل على باب الاجارة وباب الرهن وباب العارية والوديعة وباب الهبة والصدقة وباب اللقطة واللقيطة وباب جعل الآبق ، وباب الغصب والضمان ، وباب الحوالة والكفالة والضمان وباب الوكالة ، وقد طبع المجموع أخيرا باسم (مسند الامام زيد) ، ولا تعني كلمة (المسند) هنا المعنى الاصطلاحي الذي سنشرحه ان شاء الله عند الكلام على المرحلة القادمة من مراحل تدوين الحديث، ولعل المقصود لفظا (ما أسند) أي ما نسب الى الامام زيد أو عن طريقه ، أما تسميته بالمجموع فلما جمع به من أحاديث وأقوال وفتاوى .
ويشتمل المجموع على ٢٢٨ حديثا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى ٣٢٠ خبرا موقوفا على الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وخبرين مرفوعين الى الامام الحسين عليه السلام ، ويبدأ أبو خالد سند هذه الاحاديث والاخبار بقوله : (حدثني زيد) ، أما ما يرويه عن زيد نفسه فيبدؤه بقوله : (قال زيد) ، وقد يقول :« سألت زيدا عن كذا » ويأتي بالجواب .
ونأتي هنا ـ كما وعدنا ـ بمختارات من (المجموع) لمزيد الفائدة :
حدثني زيد عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « دخلت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضي الله عنها فاذا نسوة في جانب البيت يصلين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أم سلمة ، أي صلاة يصلين ؟ قالت : يارسول الله ، المكتوبة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلا أممتهن ؟ قالت : يا رسول الله : أويصلح ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نعم ، تقومين وسطهن ، لا هن أمامك ولا خلفك ، ولكن عن يمينك وعن شمالك » .
حدثني زيد عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال : أما هذا فلو خشع قلبه لخشعت جوارحه » .
حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : « اذا طهرت الحائض قبل المغرب قضت الظهر والعصر ، واذا طهرت

قبل الفجر قضت المغرب والعشاء » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عودوا مرضاكم ، واشهدوا جنائزكم ، وزوروا قبور موتاكم ، فان ذلك يذكركم الآخرة » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى لا يرفع العلم بقبض يقبضه ، ولكن يقبض العلماء بعلمهم فيبقى الناس جيارى في الارض ، فعند ذلك لا يعبأ الله بهم شيئا » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « نزل القرآن على أربعة أرباع ، ربع حلال ، وربع حرام ، وربع مواعظ وأمثال ، وربع قصص وأخبار » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أنه قال : « من قرأ القرآن وحفظه فظن أن أحدا أوتي مثل ما أوتي فقد عظم ما حقر الله وحقر ما عظم الله تعالى » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يحب الحيي الحليم العفيف المتعفف ، ويبغض البذيء الفاحش الملح الملحف ، الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا ، بسم الله الرحمن الرحيم » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « من قرأ فاتحة الكتاب فقال : الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه صرف الله عنه سبعين نوعا من البلاء أهونها الهم » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « خرجت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل رجل من الانصار عدناه فاذا هو يضرب غلاما له والغلام يقول : (أعوذ بالله ،أعوذ بالله !) كل ذلك لا يكف عنه سيده ، قال : فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أعوذ برسول الله) فكف عنه الرجل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألم تعلم أن عائذ الله أحق أن يجار ؟) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرقاكم أرقاكم ! فانهم لم ينجروا من شجرة ، ولم ينحتوا من جبل ، أطعموهم مما تأكلون ، واسقوهم مما تشربون ، واكسوهم مما تكسون » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : أفشوا السلام بينكم وتواصلوا وتباذلوا » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أفضلكم ايمانا أحسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الواصلون لأرحامهم ، الباذلون لمعروفهم ، الكافون لأذاهم ، العافون عن قدرة » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « للمسلم على أخيه ست خصال : يعرف اسمه واسم أبيه ومنزله ، ويسأل عنه اذا غاب ، ويعوده اذا مرض ، ويجيبه اذا دعاه ، ويشمته اذا عطس » .

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « اذا

دخلت السوق فقل : « بسم الله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم انى أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة ومن شر ما أحاطت به أو جاءت به السوق » .

حدثني زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آوى الى فراشه عند منامه اتكأ على جانبه الايمن ثم وضع يمينه تحت خده مستقبل القبلة ثم قال : « باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه ، اللهم ان أمسكت نفسي فارحمها وان أخرتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين » .

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : « بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله ، تبعثنى وأنا شاب لا علم لى بالقضاء ؟ قال : فضرب يده فى صدري ودعا لى ، فقال : اللهم اهد قلبه وثبت لسانه ولقنه الصواب وثبته بالقول الثابت ، ثم قال : يا على ، اذا جلس بين يديك الخصمان فلا تعجل بالقضاء بينهما حتى تسمع ما يقول الآخر ، يا على لا تقض بين اثنين وأنت غضبان ، ولا تقبل هدية مخاصم ، ولا تضفه دون خصمه ، فان الله عز وجل سيهدى قلبك ويثبت لسانك ، قال : فقال عليه السلام : فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما شككت فى قضاء بعد ! »

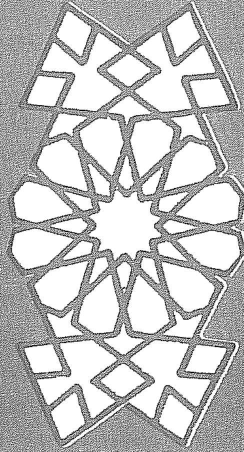
حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام : « فى الرجل يطلق امرأته فيختلفان فى متاع البيت فقضى عليه السلام فى ذلك أن ما كان يكون للرجال فهو للرجل وما كان يكون للنساء فهو للنساء ، وما كان يكون للنساء والرجال فهو بينهما نصفان ! » .

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا نظر العبد الى زوجته ونظرت اليه نظر الله اليهما نظر رحمة ، فاذا أخذ بكفها وأخذت بكفه تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما ، فاذا تغشاها حفت بهما الملائكة من الارض الى عنان السماء ، وكانت كل لذة وكل شهوة حسنات كأمثال الجبال ، فاذا حملت كان لها أجر المصلى الصائم القائم المجاهد فى سبيل الله ، فاذا وضعت لم تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » .

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده الحسين عليه السلام قال : بينما على عليه السلام بين أظهركم بالكوفة وهو يحارب معاوية بن أبى سفيان فى صحن مسجدكم هذا محتبيا بحمائل سيفه وحوله الناس محدقون به ؛ وأقرب الناس منه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتابعون يلونهم اذ قال له رجل من أصحابه : يا أمير المؤمنين ، صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنا ننظر اليه ، فانك أحفظ لذلك منا ، قال : فصوب رأسه ورق لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم واغرورقت عيناه ، قال ثم رفع رأسه ثم قال :

« نعم ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض الوجه مشربا بحمرة ، أدعج العينين ، سبط الشعر ، دقيق العرنين ، سهل الخدين ، دقيق المسربة ، كث اللحية ، كان شعره مع شحمة أذنيه ، اذا طال كأنما عنقه ابريق فضة ، له شعر من لبته الى سرته يجري كالقضيب ، لم يكن فى صدره ولا فى بطنه شعر غيره الا نبذات فى صدره ، شثن الكف والقدم كأنما ينقطع من صخر أو ينحدر فى صبب ، اذا التفت التفت جميعا ، لم يكن بالطويل ولا بالعاجز اللئيم ، كأنما عرقه اللؤلؤ ، ريح عرقه أطيب من المسك ، لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم ! » .

أصحيح أن عقائد أسباب التخلف



للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى

قرأت مقالا فى مجلة سيارة ، يحلل فيه كاتبه أسباب التخلف عند المسلمين ، ويتلمس أهم المعوقات التى أخرتهم فى سباق الانتاج عن اللحاق بغيرهم .

لقد كان من أهم أسباب ذلك فى نظر كاتب المقال ، تلك الآثار الباقية من الدين وغيبياته عندهم ، وتلك العقيدة التى تنسب كل شىء الى الخالق !!

والحقيقة أن ربط التخلف بالدين ، قد غدا عند كثير من الكتاب العرب ، حركة آلية فى سير تفكيرهم ، تماما كآلية تصور ارتباط الطعام بقرع الجرس عند الكلاب التي أجرى عليها بافلوف نظريته المشهورة عن رد الفعل الشرطى .

فمهما انحسر سلطان الدين (الذى هو الاسلام فى هذا المقام) عن مجتمعنا العربى وابتعد الناس عن سبيله وقيوده . ومهما ابتعد عنهم محصورا فى مخزن التاريخ ، منزويا فى مغربه الحضاري — فان هؤلاء الكاتبين يظلون يلصقون به جريرة تخلفهم كلما سئلوا عن أسبابه أو كلما تظاهروا بالنهوض لمعالجته والثورة عليه .

والتخلف كلمة تشمل كل مظاهر الضعف أو الجهل أو الفقر فى حياة الأمة . فهى اذا تنحط على تفرق المسلمين وتدابرهم ، وعلى استلاب اليهود لأراضيهم ، وعلى جمود الحركة العلمية فى حياتهم ، وقعودهم عن تسخير ما فى الأرض لمعاشهم .

يزعم هؤلاء الباحثون اذا ، بأن من أهم ما يمنع وحدة العرب اليوم بقايا الايمان بالدين وغيبياته فى حياتهم ، ومن أهم ما يمنعهم من رد عدوان اليهود بقايا هذا الدين أيضا ، ومن أهم ما يكبلهم عن الانطلاق فى آفاق المعرفة بقايا هذا الدين نفسه ، ومن أهم ما يقعدهم عن السبق الاقتصادى وكثرة الانتاج بقايا هذا الدين ذاته !

ويعلم هؤلاء الباحثون ، كما يعلم

الاسلام من أهم وضعف الانتاج ؟

غيرهم ، أن هذه الأمة كانت فيما مضى خاضعة خضوعا تاما لسلطان الاسلام ، فحكمها ينبثق عن قانونه ، ومجتمعها قائم على نظامه ، وأخلاقها مستلهمة من روحه . وكان ذلك فيما أجمع عليه الباحثون هو سر اتحادها بعد تفرق ، وقوتها بعد ضعف وغناها بعد فقر .

فكيف ينعكس الأمر ، ويصبح ما كان سببا للوحدة والقوة والتقدم بالأمس ، سببا للفرقة والضعف والتخلف اليوم ؟ ..

ومع ذلك ، فلو أن من نسميهم اليوم مسلمين لا يزالون يحتكمون الى الاسلام في قانونه ونظامه وأخلاقه ، لأقررنا بالتناقض تحت سلطان الواقع ولقلنا — والعجب يملأ كياننا — ان الاسلام على ما يبدو ذو أثرين متناقضين !! ..

ولكن من نسميهم اليوم بالمسلمين ، بعيدون عن الاسلام بمقدار ما كان أسلافهم قريبين منه متعلقين به .

فأين هو مكان العتب على دين تراجع سلطانه عن الحكم ونظامه ، وتقلص ظله عن المجتمع وأخلاقه ، ولم يعد أكثر من شعارات في المساجد وكلمات تردد في المحافل ؟ ..

ولئن كان ثمة بقية قليلة من المسلمين الذين لا يزالون على وفاء مع اسلامهم ، فانهم على كل حال يقفون — طوعا أو كرها — بعيدا عن طريق المتقدمين والمتوثبين الى الاصلاح ، لم يقف واحد منهم يوما ما عثرة في سبيل وحدة ، ولم يصد عن طريق قوة ، ولا سعى الى اجهاض مصنع .

الجنس البشري الثالث :

لم يقل واحد منهم لقطعان الكسالى سمار النوادي ، ونوام الضحى ، المتثائبين بين كل يقظة ونوم : أياكم أن تبرحوا نواديكم التي تعابثون فيها الحياة ، لتسلكوا سبيل غيركم في علم يرفع لكم شأنا أو يثمر لكم مصنعا

أو ينهضكم الى سبيل مع الآخرين فى ارتياد الفضاء .

أجل .. ولم يعمد أى واحد منهم الى جيش هذا الجنس البشرى الثالث ، الذى لم يعد يفهم الدنيا الا على أنها ليلة حمراء وفتاة حسناء ، ولم يعد يذكر لأمته تاريخا ، ولا يؤرقه عليها مصير ، ولا يشاركها فى ألم ، ليقول لأحدهم : استمر كما أنت ، نائما فى أرجوحة الأحلام ، ولا توقظنك غيرة على وطن ، أو حرقة على اصلاح فانما أنت كما قال الشاعر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

ولم يتقدم واحد منهم الى أى فرد من هؤلاء الذين يتبرمون بالتخلف ومظاهره ، ويطمحون الى التقدم وأسبابه ، ويلومون فى سبيل ذلك الدين والمتدينين والمؤمنين بخالقية الخالق ، ليغلله فى الأصفاد ، ويشده الى قاع التخلف حيث الفقر والجوع والجهل وقلة الانتاج ! ..

إنهم جميعا يتحركون كما يشاءون، ويتجهون الى حيث يريدون ، الميدان ميدانهم ، والساحة فارغة أمامهم ، والعدو — أيا كان — مكشوف تحت أبصارهم . فلماذا كل هذه الضجة الراكدة فى أرضها ، والنزق الذى لا يتحرك من مكانه ، والصراخ المتلاحق بدون موجب : اتركنى عليهم .. اتركنى عليهم ؟؟ !! .

لو كان بهذه البقية القليلة من المسلمين الأوفياء لدينهم ، بقية طاقة للوقوف عقبة فى وجه شىء ، لوقفوا عقبة فى وجه هذا الكسل الماجن الذى تحتضنه الملاهى الى لمعة الصباح ،ثم يستقبله النوم الثقيل الى وهج الضحى بل لوقفوا عقبة فى سبيل هذه الأحلام الداعرة التى التفت على كينونة الجمهرة الكبرى من شباب هذه الأمة، نفسية وعقلا وتفكيرا . بل لوقفوا عقبة فى طريق نفاق يصطنع الحرقة على الأمة والوطن والمصير ظاهرا ، وينصرف الى اقتطاف ثمار هذه (الحرقة) مكاسب وأرباحا . باطنا .

ولكن هذه البقية المسلمة ليس لها من الأمر شىء .. ليس لها من الأمر شىء فى اصلاح هذا الفساد ، أفيكون لها الأمر كله فى افساد ذلك الصلاح ؟ ..

حقيقة التهمة :

اذا فما هى حقيقة هذه التهمة ؟

حقيقتها أن الخائب الذى يغص بالاعتراف بخيبته ، يشتهى أن يلحق بغيره التهمة ويعوض عن خذلانه بجعجعة فارغة : اتركنى عليهم !!

والا ، فما من عاقل ذى نصيب ما من الثقافة والبحث ، الا وهو يعلم أن أى أمة من الأمم الناهضة والمتقدمة لم تكلفها نهضتها أن تنبذ دينها أو تاريخها أو شيئا من عاداتها وتقاليدها ، أيا كان مستوىذلك كله .

لقد نهضت اليابان وأخذت تنافس اليوم كبرى الدول الأوروبية فى شتى ميادين الصناعة والعلم ، فهل كلفها ذلك أن تتجرد عن شىء من طقوسها الدينية أو مقدساتها التاريخية أو أن تهجر شيئا من معابدها ، أو تجحد شيئا من غيبياتها ؟ .. بل هل تستطيع لدى المقارنة بين اليابان كما هى اليوم واليابان منذ مائة عام ، أن تقول انها اليوم أشد تحررا من الدين وغيبياته التى كانت منقادة لها بالأمس ؟ ..

يقول أحد الصحفيين الاوربيين فى حديث له عن اليابان ونهضتها :

(ان ظفر اليابان بالصين لم يثبت علو الأفكار والمبادىء العلمية التى أخذتها اليابان عن الغرب وكفى ، بل أثبت أمرا آخر ، وهو أن شعبا آسيويا بمجرد ارادته وعزيمته عرف أن يختار ما رآه الأصلح له من مدنية

الغرب ، مع الاحتفاظ باستقلاله وقوميته وعقليته وآدابه وثقافته) .
ولقد تبوأت أوربا مركزها الحضاري الجديد في العالم، دون أن يحملها ذلك على أن تتنكر لمسيحيتها أو تتساهل في شيء من تقاليدها وموروثاتها الدينية ، أو تجحد شيئا من غيبيات تلك التقاليد . بل ان بريطانيا ـ وقد كانت ولا تزال عنوانا من ابرز عناوين النهضة الاوربية ـ لا تفخر بشيء من علومها وصناعاتها كما تفخر بعتيق عاداتها وتقاليدها والمحافظة على موروثاتها .
واليهود الذين يحتلون فلسطين وبعضا مما حولها ، لا يشك أحد في انصرافهم الكلي الى العلوم والصناعات ، ولا يشك أحد في أنهم يحاربوننا بسلاح العلم والتنظيم أكثر مما يحاربوننا بسلاح من القوة العارية ومع ذلك فهل يجهل أدنى مثقف من الناس أن جميع نشاطاتهم هذه انما تنمو عندهم في تربة الدين واحضانه ؟
أفتكون هذه الأديان التقليدية ، عونا عند أربابها على التقدم الحضاري وكثرة الانتاج . ثم يكون الاسلام (وهو الدين الذي ينهض وجوده على دعائم العلم وينبذ كل اسطورة وتقليد) هو وحده من بين الأديان جميعا سببا في التخلف وعثرة في طريق التقدم ومعوقا عن الانتاج ؟!
هل في العقلاء الأحرار من يستعد أن يبيع عقله ليعتنق هذا المنطق المعكوس ؟

. . . .

انا أعلم أن أرباب هذا الزعم العجيب قد يبادرونني قائلين :
وهل أوقف عجلة التقدم الاقتصادي عندنا غير الاسلام: عندما حرم الربا؟
وهل أوقف عجلة التقدم العلمي والاجتماعي والاقتصادي مما غير الاسلام ، عندما فرض على المرأة الحجاب وحرم عليها الاختلاط ؟ .
واقول في الجواب على هذا الكلام الذي غدا باليا من كثرة التكرار :
اولا : ها أنتم اولاء تحرمون الربا ، وتفسحون له في حياتكم الاقتصادية سبيلا عريضا تغلغل منه الى سائر وجوه المعاملات . ومع ذلك فانه لم يساعدكم في تحقيق أي تقدم تحلمون به ولا في تخليصكم من أي تخلف تضجون منه .. فهل جربتم في مقابل ذلك ما ينادي به الاسلام من ترك الربا ، وسرتم في أعمالكم الاقتصادية ذاتها ـ ولو عاما واحدا ـ ضمن هذه التجربة ، ولمستم النتيجة السيئة ليصح لكم أن تقولوا : لقد جربنا نصيحة الاسلام فوقعنا في شر من التخلف الذي كنا نعانيه ؟
بل استغفر الله ، ما هكذا ينبغي أن أقول .
انسيتم تجربة بنوك الادخار ، يوم قام بها العالم الاقتصادي المنصف المتحرق حقا على أمته ووطنه ، والمتألم حقا من التخلف وأسبابه ، في منطقة ميت غمر بمصر ؟ .. بنوك قائمة على احدث وجوه النشاطات الاقتصادية ، طاهرة مطهرة عن رجس الفائدة والربا ، حيث تحقق لها من النجاح العجيب في أقل من سنتين ما استقطب ثقة الأمة وحرك دولابا اقتصاديا خطيرا خلف كثيرا من البنوك المحيطة بها الى الوراء ، واستيقظ الناس من هذا الفتح الكبير على آمال يرونها مرسومة أمامهم في منهاج علمي سليم ، يحقق لأول مرة أكبر حلم يراود هذه الأمة المسلمة ، منذ أن استحالت عزتها الى احلام .. لقد راوا بأعينهم سبيل التخلص من تبعية الاسترليني والدولار .. والوصول من

ورائه الى حقيقة الاستقلال الاقتصادى الذى طالما هتف به (كلاما فارغا) تجار المناصب والأهواء ، استقلال يظلله ويرعاه الدينار الاسلامى ، من وراء تطبيق منهاج لبعث اقتصاد علمى دقيق ، يخضع لقانون الله ، وينسجم مع تطور الحياة ، ويتحرر من سجن اليهودية العالمية الكبير .

فلماذا وقف هذا المشروع ثم اختنق مع العلم بأنه انطلق منذ يوم وجوده يسير فوق أرفع ذروة من ذرى النجاح ؟ ! ..

بل ينبغى أن أكون دقيقا فى التعبير فأقول : لماذا أوقف هذا المشروع ثم خنق ؟ !

سلوا الرجل الذى خنقه بعد نجاحه (وهو حى يرزق) لماذا خنقه ؟ .. ولماذا أصر اصراره العجيب على أن لا يترك المشروع يواصل سيره الا اذا خضع لقانون الفائدة ؟ ! .

لقد سلكتم الى التقدم والازدهار الاقتصادى كل سبيل يعجبكم فما انتهى بكم السبيل الا الى مزيد من التخلف والضعف .

وسلك صاحب هذا المشروع الى الغاية نفسها سبيل الخالق الحكيم فحقق العجيب من ألوان النجاح خلال عامين فقط (وسجلات الحساب والأرباح لا تزال محفوظة) ثم جاء منكم من أسرع هائجا وأغلق عليه فم الطريق .. فمن الذى يكرس أسباب التخلف ويقف فى وجه التقدم ؟ .

. . . .

ثانيا : فى أى قرآن أو سنة رأيتم أن الحجاب الذى فرضه الله قانونا على المرأة المسلمة ، انما يعنى أثقالا من الجمود تحت كلكل الماضى ، وانحباسا عن المجتمع فى كهوف العزلة ؟ .. والى أى دليل أو شبهة دليل استندتم فى الربط بين حشمة المرأة كما يأمر به الاسلام ومظاهر الجهل والسخف والتخلف التى يندد بها الاسلام ؟ ..

بل أقول : من أين لكم هذا التلازم المختلق بين أن تبرز المرأة عارية الجسم والمفاتن . وأن تنطلق فى دنيا العلم والثقافة والتصنيع ؟

ها هى ذى الشوارع والأسواق ، قد فاضت كما تحبون بالعاريات صنوفا وألوانا ، وها هى دوائر الموظفين قد امتلأت بهن حتى لم تعد تتسع لمزيد ، فأى قيد من قيود التخلف حطمتموه .. ؟ وأى كسب من اكساب التقدم حققتموه .. ؟

اللهم الا أن جاء من يقول لنا من فوق سور المنطق والعقل : ان ظهور المرأة بهذا الشكل فى الشوارع والدوائر هو عين التقدم المطلوب ، فهو غاية بذاتها وليس وسيلة الى غيرها .

ونقول لهؤلاء : فاهنؤوا اذا بأنكم تقفون فى مصاف الدول المتقدمة الكبرى ، وكفاكم حديثا عن التخلف وتأففا عن الفقر والجهل والضعف ، فان ذلك كله ليس الا وهما تتخيلونه .. وحسبكم أن قارنتم أنفسكم بالمتقدمين أن تعلموا بأن نساءكم قد غدون نهودا ، مع الرجال فى كل ناد ودائرة وملتقى ، أكثر مما قد يكون ذلك لدى أى أمة من الأمم المتقدمة الأخرى ..

فأما اذا أردنا أن نعود فنخاطب العقلاء ، فانا نتابع الحديث فنقول :

سلوا الفتيات اللائى جربن حشمة الاسلام وحجاب القرآن ، هل منعهن ذلك من متابعة درس فى كتاب ، أو مواظبة حضور فى الجامعة ، أو هل صدهن ذلك عن القيام بأى عمل

انسانى سليم ، تستهدف منه الغاية ولا يستغل من أجل خدعة أو اثارة فتنة ؟ .. أو هن أثقلهن الحجاب عن ممارسة أي نشاط اجتماعي يبتغي من ورائه احقاق حق أو ابطال باطل أو معونة ضعيف .. ؟

اننا نعلم ، كما يعلم كل منصف ، ان فتياتنا المتحجبات الجامعيات ، هن الصفوة الأولى في النجاح وقوة الدراية وسلامة الوعي في أي فرع من فروع الدراسة والعلم .. وأننا نعلم ، كما يعلم كل منصف ، أن في فتياتنا المتحجبات من تمارس النشاط الاجتماعي في سبيل أمتها صنوفا ، وألوانا ، بصدق وحزم واخلاص وعلى مستوى من الاهتمام لا تبلغه أي واحدة من هؤلاء اللائي ينفقن أيام حياتهن على النظر في أعطافهن وتعهد زينتهن .

أجل .. لقد امتنعت المرأة المسلمة من أن تعرض جسمها للرجل حتى ولو كان طبيبا . ولكنها لم تغلق الباب على نفسها لتعرض جسمها ، بدلا منه على الموت وأسبابه ، وانما انطلقت تدرس الطب كما يدرسه الرجل وعادت فأخرجت لأخواتها مستشفيات تنهض على أحدث وسائل الرعاية والعلاج ، تشرف عليها نساء مسلمات يحملن أعلى درجات العلم والاختصاص .

نعم .. ولقد امتنعت المرأة المسلمة عن أن تستعين بفن الرجل في الميكانيك وقيادة السيارة ، فيما قد يحوجها نشاطها الانساني ، ولكنها لم ترتد بذلك على أعقابها ، ولم تطو شيئا من منهاج نشاطها ، بل اختصت هي الأخرى بالميكانيك وتعلمت قيادة السيارة وفن صيانتها ، ثم عادت وقد حققت مبدأ الاكتفاء الذاتي في المدارس التي ترعاها والمستشفيات التي تديرها وهكذا تجسد تكامل الدين والدنيا (وهذا هو الاسلام) في مظهر امرأة مسلمة متحجبة تقود سيارة الاطفال ، وتسعف جرحى الحرب ، وتطبب المرضى ، وتعلم الجهال . دون أن تتعثر في طريق شيء من ذلك بحجابها المحتشم أو دينها القويم أو خوفها من الفاطر الحكيم(١) .

هذا كله على حين لم يتجسد النشاط الانساني — في غالب الأحيان — عند الأخريات ، الا في عرض مزيد من المفاتن ، واتقان مزيد من فن الاتيكيت ، ومزيد من فن الجلوس في الصالونات .. تلك هي الفتاة الاجتماعية الصالحة ، كما يروق للمتألمين من التخلف ، العاكفين في هم منقطع النظير ، على معالجته ودراسة أسبابه .. !!

*** *** ***

أطلت ذيل هذا الكلام ، وانما أردت أن اجعله مقدمة بين يدى أصل الموضوع وهو البحث، في أمرين اثنين :

أولهما : هذا الذى ينسبوننا اليه بتسميتنا : (غيبيين) ما هو الغيبي من الأشياء ؟ .. وهل كل غيبيوهم ؟ .. وهل في العقلاء من لا يصدق غيبا في حياته ؟

ثانيهما : ما هي حقيقة أسباب التخلف الاقتصادي وغيره ، كما هو واقع في نفس الأمر ، لا كما تشتهيه نفوس أصحاب الأماني ؟

وموعدنا في معالجة ذلك لقاء في عدد قادم ان شاء الله .

---

(١) ليس هذا خيالا نتمناه ، بل هو واقع معروف نخبر عنه .

رسالة الإسلام ..

ونسخها للرسالات السابقة

للأستاذ : عبد الكريم الخطيب

١ — من الحقائق التي ينطق بها كتاب الاسلام « القرآن الكريم » ويؤمن بها المسلمون ويعتقدونها ، ان الاسلام هو الدين الذى يرث الأديان السماوية التى سبقته ، ويحتوى حقائقها جميعها ، ويهيمن عليها ، إذ كان الإسلام خاتم الديانات ، فلا دين بعده ، وإذ كان رسوله خاتم النبيين ، فلا نبيّ بعد نبوته ، ولا رسالة بعد رسالته .. يقول الله تعالى : **إن الدين عند الله الإسلام** (١٩ : آل عمران) ويقول سبحانه : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين** » (٨٥ : آل عمران) ..

ومن هنا كانت دعوة الاسلام عامة للناس جميعا ، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم وأوطانهم ، على امتداد المكان والزمان ، الى يوم الدين .. فمن بلغته دعوة الاسلام بلاغا يكشف له عن وجهه ، ويبين له مضمونه ، ثم لم يؤمن بهذه الدعوة ، ويدخل فى دين الله ، ويأخذ نفسه بشريعته ، فهو من الكافرين ..

يقول ابن تيمية رحمه الله : « ومما يجب ان يعلم ، هو ان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم الى جميع الإنس والجن ، فلم يبق إنسيّ ولا جنيّ الا وجب عليه الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، واتباعه .. فعليه أن يصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر ، ومن قامت عليه الحجة برسالته ، ثم لم يؤمن به فهو كافر ، إنسيا كان أو جنيا » (١) .

فالرسول — صلوات الله وسلامه عليه — هو رسول الله الى الثقلين

عامة ، والى الناس خاصة ، يقول الله تعالى : «**قل يايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ، الذى له ملك السموات والأرض ، لا إله الا هو يحيى ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى ، الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون**» (١٥٨ : الأعراف) ويقول جلّ شأنه : «**وأرسلناك للناس رسولا**» (٧٩ : النساء) . ويقول تبارك اسمه : «**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**» (١٠٧ : الأنبياء) ويقول سبحانه : «**وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون**» (٢٨ : سبأ) .

ومن هنا ، فانه لا حجة لأهل الكتاب — من اليهود والنصارى — بانهم على دين سماوى من عند الله . . وعلى فرض التسليم بما يزعمون من أنهم لم يغيروا ولم يبدلوا فيما بين ايديهم من التوراة والانجيل ، وقد سجل القرآن الكريم عليهم بطلان هذا الزعم ، وانهم قد أحدثوا فى الكتابين الكريمين من التحريف ، والتبديل ، وفساد التأويل ما غير وجه الحق الذى فيهما — نقول على فرض التسليم بما زعموا ، فانهم محجوجون بما يعلمون من كتبهم ، وما فيها من بشارات بظهور هذا النبى الأمىّ ، كما يقول تعالى عن اليهود : «**ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين**» (٨٩: البقرة) . . ويقول جلّ شأنه فى اليهود ايضا : «**ولما جاءهم رسول من عند الله مُصدقٌ لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ، كأنهم لا يعلمون**» (١٠١ : البقرة) . ويقول سبحانه عن اتباع المسيح ، على لسان المسيح : «**وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدىّ من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحرٌ مبين ، ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب ، وهو يدعى الى الاسلام ، والله لا يهدى القوم الظالمين**» (٦ و ٧ : الصف) .

٢ — ثم إنه من جهة أخرى ، اذا كانت دعوة الاسلام دعوة جامعة للإنس والجن ، فان من مفهوم ذلك ان تكون رسالة الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — فى مواجهة الإنس أولا ، ثم فى مواجهة الجن ثانيا ، بمعنى أن يواجه الرسول — صلى الله عليه وسلم بدعوته الناس جميعا ، ثم بعد أن يُبلى بلاءه معهم يتجه الى العالم الثانى المقابل للإنس ، وهو عالم الجن ، وهذا ما حدث فى مسيرة الدعوة الاسلامية ، فان الرسول الكريم بدأ دعوته فى مكة ، التى واجه فيها المشركين الذين يمثلون بشركهم وعنادهم ، الشرك والعناد فى جميع صورهما ، وقد ظل الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — فى هذا الموقف اكثر من عشر سنوات ، ثم كان استماع الجن الى ما يتلو من آيات الله ، وهو عائد من الطائف ، بعد أن ذهب الى أهل ثقيف ، لعله قد يجد منهم ما لم يجده من أهل مكة من الاستجابة لدعوته ، فكان موقفهم من تلك الدعوة أكثر إمعانا فى العناد والضلال من موقف قريش ، فانصرف النبى الكريم عنهم ، عائدا الى مكة ، وفى الطريق نزل بمكان يعرف بوادى نخلة ، وبات هناك ليلة مع مولاه زيد بن حارثة ، يرتل آيات الله ، وقد اقبل نفرٌ من الجن على هذه التلاوة يستمعون اليها ، ثم لم يلبثوا ان يؤمنوا بما سمعوا ، وأن يدخلوا فى دين الله ، وأن يكونوا حملة تلك الدعوة الى قومهم . . كلّ ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم بما حدث ، حتى تلقى ما أوحى

اليه من ربه فى قوله تعالى : « **وإذ صرفنا اليـك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ، يهدى الى الحق والى طريق مستقيم .. يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويُجركم من عذاب أليم** » (٢٩ — ٣١ : الاحقاف) .

يقول ابن تيمية — رحمه الله — : « ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين باتفاق المسلمين ، وقد استمعت الجن القرآن ، وولوا الى قومهم منذرين » (٢) .. وفى القرآن الكريم سورة سميت باسم الجن ، وقد بدئت بقوله تعالى : « **قل أوحى إلىّ أنه استمع نفرٌ من الجن ، فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبـا** » .

٣ — ومن جهة ثالثة ، فان القرآن الكريم تحدى فى أكثر من آية ، أيا من الناس ، متفرقين أو مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثل القرآن ، أو بعشر سور ، حتى يكون مجال الاختيار متسعا أمامهم ، فقال تعالى : « **وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ، ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ، أعدت للـكافرين** » (٢٣ و ٢٤ : البقرة) ويقول سبحانه : « **أم يقولون أفتراه ، قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله** » (٣٨ و ٣٩ : يونس) . ويقول جل شأنه : « **أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ، ان كنتم صادقين** » (١٣ : هود) .. ثم بعد أن تقوم الحجـة بالاعجـاز على الناس أجمعين ، ويُبلسوا أمام هذا التحدى مرة ، ومرة ، ومرة ، يُدعى عالم الجن معهم ، ليأخذ مكانه بينهم فى موقف التحدى ، اذ يقول سبحانه : « **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » (٨٨ : الإسراء) .

والتحدى بالمعجزة التى بين أيدى الرسل — عليهم السلام — انما تكون فى مواجهة من يدعون الى الايمان بالرسول الذى يحمل تلك المعجزة ، وذلك فى محيط قومه الذين جاء اليهم .. فهؤلاء قوم نوح يتحدون نبيهم أن يأتيهم بالعذاب الذى تهددهم به إن لم يؤمنوا ، فانه ان فعل ذلك كان صادقا فيما يدعيه من أنه رسول من عند الله ، والا فهو عندهم على الوصف الذى وصفوه به من الكذب والافتراء : « **قالوا يا نوح ، قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ، فأتنا بما تعِدُنا إن كنت من الصـادقين .. قال انما يأتيكم به الله ان شاء ومـا انتم بمعجزين** » (٣٢ و ٣٣ : هود) وهذا صالح — عليه السلام — يقول لقومه ، وهو يقدم بين يديه الآية المعجزة الدالة على صدقه ، بعد أن لجوا فى عنادهم وتكذيبهم له : « **ويا قوم ، هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل فى ارض الله ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب** » (٦٤ : هود) وموسى عليه السلام يُرى قومه من آيات الله ، ما كانت تفعل العصا فى يده من انقلابها حيـة تسعى ، ومن فرق البحر بها ، ومن تفجير الماء من الصخر يضربه بها .. وعيسى — عليه السلام — يجىء الى قومه ، بنى اسرائيل بالآيات البينات ، كما يقول سبحانه : « **ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم ، انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيـه فيكـون طيرا باذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله ، وانبئكم بما تأكلون ومـا**

تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » (٤٩ : آل عمران) .

هذه هى معجزات الرسل ــ قبل معجزة خاتم النبيين وهى القرآن ــ مقصورة على جماعة من الناس بأعيانهم وأزمانهم ، تتحداهم وتقيم الحجة عليهم ..

فاذا كان التحدى بالقرآن الكريم تحديا للانس والجن ، وعلى امتداد الزمان ، فان منطق هذا التحدى هو أن يكون الإنس والجن مدعووين جميعا الى ما يدعو اليه الرسول الذى بين يديه تلك المعجزة .. فمن استجاب لتلك الدعوة فهو من المؤمنين ، ومن أبى ، فهو من الكافرين ، ولا ثالث بعد هذين الأمرين .. فاما إيمان فيه سلامة ونجاة ، واما كفر فيه بلاء وهلاك ..

٤ ــ ثم إنه لكى يستقيم هذا المعنى ، ويصدق هذا الحكم ، لا بد من ان تكون طبيعة هذه المعجزة المحمدية بحيث تسع الناس جميعا ، فى أى مكان وأى زمان ، وبحيث يستطيع كل انسان أن يجدها حيث يطلبها ، وأن ينظر فيها بنفسه ، وأن يرجع فيها الى عقله ، بحيث يشهد منها الدليل القائم على صدق الرسول ، وصدق ما يدعو اليه .

فهل فى المعجزة القرآنية ما يحقق هذه المعانى على تلك الصورة ؟

ونعم ، فان من تدبير الحكيم العليم ، لإقامة هذه المعجزة حجة على الناس جميعا الى يوم القيامة ــ أن جعلها سبحانه معجزة فى كلمات من كلماته سبحانه ، تخاطب العقل الإنسانى فى أدنى مستوياته الى أعلاها ، وانها تضع هذا العقل أمام اختبار يسلمه دائما الى العجز بين يدى هذه المعجزات من آيات الله وكلماته .. وأنه ما دام مع الانسان عقل ، فانه مدعو الى مواجهة هذه المعجزة أو المعجزات ، ومطالب بالتسليم لها بعد أن يستبين له موقع الإعجاز منها ، والا كان مكابرا معاندا ، يلقى جزاء المكابرين المعاندين

٥ ــ وليس إعجاز القرآن وجها واحدا من حيث بلاغته وفصاحته التى أعجزت العرب ، لأول آيات نزلت من الكتاب الكريم ، بل ان البلاغة والبيان ، وعلو الأسلوب عن قدرة أبلغ البلغاء وأبين الأبيناء ، ليس الا وجها واحدا من وجوه النظم القرآنى ، الذى تقوم معه وجوه أخرى كثيرة للاعجاز .. منها مقررات الشريعة التى حملها كتاب الله الكريم فى أحكامها التأديبية للخارجين على حدود الله ، أو الخارجين على ناموس المجتمع ، وذلك فيما فرضت الشريعة من حدود فى القتل ، والزنا ، والسرقة ، وقذف المحصنات ، والإفساد فى الأرض ، كما يقول سبحانه : « **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا او يصلبوا أو تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الارض .. ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ، الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ، فاعلموا ان الله غفور رحيم** » (٣٣ و ٣٤ : المائدة) .. ثم من وجوه الاعجاز أيضا ما قررته الشريعة الاسلامية فى الاموال ، كسبا وانفاقا ، وفى المعاملات بيعا وشراء ، وفى الدين ، والربا ، وفى المواريث ، والزكاة ، والصدقات .. ثم من وجوه الاعجاز فى التشريع ما جاء فى الزواج واحكامه ، وما لحقوق كل من الزوجين على الآخر ، وما للمولودين من حقوق على الوالدين ، من نفقة ، وارضاع ، وتربية ، وما للوالدين على الأولاد من طاعة وبر واحسان .. ثم ما يعرض للأسرة من عوارض بشرية تقتضى الطلاق ، أو التعدد ، مما يدفع به شر أعظم وأخطر من أى شر ، حيث يحمى بذلك الأسرة من الانحلال ، والتفسخ والضياع ..

ثم قبل هذا كله ما جاءت به الشريعة الاسلامية فى التعرف على الله ، والتعريف به ، ووصفه الوصف الحق ، الذى لم تبلغه عقول الفلاسفة ، ولم تهتد اليه خطرات الكهان والرهبان . .

كل هذا ، وكثير غيره مما حمله كتاب الله من شريعة الله ، يمكن نقله الى اية لغة ، حيث يرى الناظر فيها من دقة الأحكام ، وروعة التشريع ، ووفائه بجميع متطلبات الحياة الروحية ، والعقلية ، والمادية ، على اكمل واحكم مـا تتطلع اليه الانسانية فى اعلى مستوى تبلغه ، الأمر الذى عجزت عنه القوانين والأحكام الوضعية التى لا تثبت على حال ، ولا تستقر على وجه ، ولا تقيم الناس على سلام ، ولهذا تتبدل وتتغير يوما بعد يوم وكلما أصلح منها عيب بدت عيوب ، قد جرى عليها الاصلاح من قبل ولم يغن شيئا .

٦ ــ فاذا نظرنا الى اليهود والنصارى ، من أهل الكتاب ، كان شأنهم مع الدعوة الاسلامية ، شأن الناس جميعا ممن هم ليسوا على دين سماوى . .

ذلك ان اهل الكتاب ، هم على دين وعلى شريعة ، الى أن جاء النبى الأمى ــ صلوات الله وسلامه عليه ، للناس كافة ، حيث كان مبعثه ، وكانت رسالته ، وكانت شريعته ــ رحمة للناس جميعا ، ومنهم أهل الكتاب . .

ومن محامل الرسالة الاسلامية من رحمة الى اهل الكتاب ، أنها جاءت لتحمل عنهم ما اخذهم الله تعالى به من نكال وبلاء فى شريعتهم التى شرعها لهم ، وذلك لما كان منهم من إعنات لرسلهم ، ومكر بآيات الله ، وكفر بآلائه ، حتى بلغ بهم ذلك حد العدوان على رسل الله المبعوثين اليهم بالرحمة ، فقتلوا كثيرا منهم ، كما يقول سبحانه عن اليهود : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » (٨٧ : البقرة) .

ومن أجل هذا جاءت شريعة الله لليهود ــ وهى شريعة المسيحيين جميعا (٣) ــ تحمل اليهم الوانا من الابتلاء ، والإعنات ، جزاء بغيهم وعدوانهم ، يقول الله تعالى : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، واكلهم اموال الناس بالباطل ، واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما » (١٦٠ و ١٦١ : النساء) . . ويقول سبحانه : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ، ذلك جزيناهم ببغيهم ، وانا لصادقون » (١٤٦ : الانعام) . . ويقول جل شأنه : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون » (٦١ : البقرة) .

وهكذا يظل اهل الكتاب من اليهود واتباع المسيح ، واقعين تحت هذا البلاء ، المضروب عليهم فى شريعتهم من الله ، الى أن يجىء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان دخلوا فى شريعته ، وآمنوا به ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، كان فى ذلك عافيتهم من هذا البلاء ، والا فهم فيه الى يوم الدين . . يقول تعالى : « يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » (١٥ : المائدة) . . ويقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام ، وهو يستغفر لقومه بعد أن عبدوا العجل : « واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة ، وفى

الآخرة ، إنا هُدْنا اليك » ويجيبه الحق سبحانه وتعالى بقوله : **« قال عذابي أصيب به من أشاء ، ورحمتي وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ ، الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ، والانجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به ، وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه ، اولئك هم المفلحون »** (الأعراف : ١٥٧) .. فهذا الدعاء الذي دعا به موسى ربّه لرفع البلاء عن قومه ، هو دعاء موقوف اجابته على تحقق شرط منهم ، وهو أن يؤمنوا بهذا النبي الأميّ ، الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، والذي يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث .. فاذا آمنوا بهذا الرسول رفع عنهم هذا الابتلاء الذي ابتلاهم الله تعالى به : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » والا فهم باقون قيد هذا الابتلاء ، ثم هم كافرون لأنهم لم يؤمنوا بما وجدوه في التوراة والإنجيل من دعوة الى الايمان برسول الله ..

ثم يأتي بعد هذه الآية مباشرة قوله تعالى ، آمرا نبيّه الكريم ان يؤذّن في الناس جميعا بتلك الدعوة الإلهية : **« قل يأيها الناس ، اني رسول الله اليكم جميعا ، الذي له ملك السموات والارض ، لا إله الا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأميّ ، الذي يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون »** (الأعراف : ١٥٨) .

فهاتان الآيتان الكريمتان ، تقرران في صراحة ، وبيان مبين ، أن رسالة الإسلام رسالة عامة شاملة ، للناس جميعا على امتداد الأزمان ، وأن اليهود والنصارى ، لن تكتب لهم رحمة الله ، ولن يخرجوا من الابتلاء المضروب عليهم ، ولن يكونوا من المؤمنين الا اذا تابعوا النبي الأميّ ، واستجابوا لدعوته ، ودخلوا في دين الله ، مسلمين ، ووسعتهم رحمة الله التي وسعت كل شيء .

٧ — واذا عرفنا أن هذه الآيات التي تدعو أهل الكتاب الى الايمان بالنبيّ الأميّ ، الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، اذا عرفنا أن هذه الآيات آيات مكية ، في سورة مكية ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قد واجه أهل الكتاب بعد ، ولم يكن بينه وبينهم لقاء مباشر بدعوته — اذا عرفنا هذا أدركنا سرّ هذه الإشارات البعيدة التي كان يشير بها القرآن المكي الى اليهود من أهل الكتاب ، حيث كانت هذه ارهاصا بالمواجهة الصريحة التي ستكون بين النبي واليهود ، بعد أن يهاجر صلوات الله وسلامه عليه الى المدينة ، ويلتقي باليهود ، الذين يقابلون دعوته بالمكر الخبيث ، والكيد العظيم ، ثم المواجهة السافرة في تحالفهم مع المشركين على حرب النبي وأصحابه في غزوة الخندق ، مما انتهى به أمرهم الى اجلائهم من المدينة في عهد النبي ، ثم إجلائهم من الجزيرة العربية كلها ، في خلافة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه .

ونخلص من هذا الى القول بأن دعوة الاسلام قائمة على أهل الكتاب

فى مشارق الارض ومغاربها ، على امتداد الزمن ، وأنهم مطالبون من دينهم ومن الكتب السماوية التى بين أيديهم أن يؤمنوا إيمانا مجددا بالدين الاسلامى ، وأن يصلوا إيمانهم بكتب الله التى فى أيديهم بالايمان ، بالكتاب المصدق لها ، والمهيمن عليها ، وهو القرآن الكريم الذى هو حجة الله عليهم ، كما هو حجة على كل من بلغته دعوته .. يقول الله تعالى : « **وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** » (٤٨ : المائدة) .. ويقول سبحانه : « **وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** » (١٩ : الأنعام) .

فمن لم يؤمن بالاسلام ، وبرسول الاسلام ، وبكتاب الاسلام ، اذا بلغته الدعوة الاسلامية سواء أكان من أهل الكتاب ، أو من غير أهل الكتاب ، فهو من الكافرين : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين** » (٨٥ : آل عمران) .

وقد أخذ الله تعالى الميثاق على النبيين وأتباع النبيين ، أن يؤمنوا بالرسول الذى يأتى مصدقا لما معهم ، وأن ينصروا دعوته ، يقول سبحانه وتعالى : « **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** » (٨١ : آل عمران) ..

فالذين ينقضون هذا الميثاق من أتباع النبيين ، ولا يؤمنون بالرسول الذى جاء مصدقا لما معهم ، ولا ينصرون دعوته ضد المناوئين لها — هم واقعون تحت قوله تعالى : « **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون** » (٢٧ : **البقرة**) ..



---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان ، لابن تيمية .. ص : ٨٠.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لابن تيمية .. ص : ٨١

(٣) ذلك لان المسيح عليه السلام ، ليس له شريعة . وانما كانت شريعة موسى هى شريعته ، وشريعة كل من يتبعه . وفى هذا يقول المسيح فى الانجيل : « ما جئت لانقض الناموس ، وانما جئت لأكمل » ولهذا فان كل مسيحى يدين بالتوراة — العهد القديم — وبالانجيل — العهد الجديد — والاول شريعة ، والثانى آداب وأخلاقيات ..

الاقتصاد الاسلامي

والدور الذي يمكن أن يلعبه

للدكتور محمد شوقى الفنجـــرى

لعل من أهم الدراسات الاقتصادية اليوم ، الاقتصاد الاسلامى وليس ذلك لصلتنا بالاسلام فحسب ، وانما ايمانا منا بالدور الضخم الفعال الذى يمكن ان يؤديه الاقتصاد الاسلامى ، سواء :

— بالنسبة لمعركة القضاء على التخلف من خلال التنمية الاقتصادية .

— او بالنسبة للعالم الاسلامى .

— او بالنسبة للعالم أجمع .

ونبين ذلك فيما يلى : —

دور الاقتصاد الاسلامى بالنسبة لمعركة القضاء على التخلف من خلال التنمية الاقتصاديـــة

١ — التنمية الاقتصادية ذات بعد جماهيرى :

ان معركة اليوم الاقتصادية ، هى معركة القضاء على التخلف عن طريق التنمية الاقتصادية ، ومن المتفق عليه لدى اساتذة التنمية الاقتصادية ، انه لا يكفى فى هذه المعركة هيمنة الدولة باعتبارها ممثلة للمجتمع على ما يسمى بالقطاعات المسيطرة على الاقتصاد القومى ، كالتجارة الخارجية والصناعات

الاساسية ووسائل النقل الرئيسية . كما لا يكفي أعداد خطط التنمية ومتابعة تنفيذها على المستوى الرسمي . وانما يتطلب الأمر التعبئة الشاملة للشعب كله لتحقيق التنمية بأعلى معدلات ، ومقاومة كافة صور الانحراف والاستغلال ، وبحيث تستقر خطط التنمية فى وعى المواطنين ، وتنتقل منه الى الممارسة الفعلية .

فالرأى الآن منعقد على ان عملية التنمية الاقتصادية ليست عملية فنية فحسب ، ولكنها عملية ذات بعد جماهيرى ، ومن هنا كان الحرص على اشراك الجماهير على كافة مستوياتها فى مناقشة مشروعات التنمية الاقتصادية ، وفى متابعة نتائج تنفيذها .

٢ ــ التنمية الاقتصادية والجهاد المقدس :

واذا كان من المسلم به ان حركة الشعب كله شرط اساسى لانجاح أية تنمية وأية معركة شاملة ضد التخلف ، فانه لا بد أن نتعرف على مشاعر كل شعب ونفسيته وتاريخه لتعبئة كل قواه وطاقاته للمعركة ضد التخلف ومن أجل التنمية . ولا شك انه بالنسبة للشعوب الاسلامية ، يعتبر الاسلام عاملا اساسيا ان لم يكن العامل الرئيسى ، لانجاح كل معركة تخوضها هذه الشعوب ..

لقد استطاع جمال الدين الافغانى ان يربط بين فكرة الجهاد المقدس والتخلص من الاستعمار . وبقوة تعاليم الاسلام ووضوحها فى العزة والحرية ، خاضت الشعوب الاسلامية معركتها من أجل الاستقلال . وما كانت تستطيع أندونيسيا وباكستان والشام وليبيا والجزائر وغيرها ان تقدم عن رضا واصرار ، ملايين الشهداء الا بتأثير تعاليم الاسلام (**ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما**) (النساء ٧٤) ، (**ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل أحياء ولكن لا تشعرون**) (البقرة ١٥٤) .

ولما كانت المشكلة الاساسية التى تواجه الشعوب الاسلامية اليوم ، هى مشكلة التخلف الاقتصادى ، فاننا نرى ضرورة ربط التنمية الاقتصادية بفكرة الجهاد المقدس تفجيرا للطاقات المختزنة فى الفرد المسلم ، وتحقيقا للتنمية الاقتصادية باحالتها الى ممارسة دينية . ذلك ان قوام المجتمع الاسلامى هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (**كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**) (آل عمران ١١٠) . والأمر بالمعروف يتضمن فى رأينا بصفة أساسية العمل على تحقيق التنمية الاقتصادية ، والنهى عن المنكر يشمل أساسا القضاء على أهم صوره ألا وهو التخلف الاقتصادى ، ذلك التخلف الذى يؤدى الى كثير من المساوىء الاجتماعية والانحرافات الخلقية .

لذلك فانه لا بد من أن نعلنها حربا مقدسة ضد التخلف ومن أجل التنمية الاقتصادية . فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول (لكل أمة سياحة وسياحة امتى الجهاد فى سبيل الله) . وسئل عليه الصلاة والسلام : ما هو الافضل فى الاسلام ؟ فقال : (الايمان بالله واليوم الآخر ، والقتال فى سبيل الله) ويقول عليه الصلاة والسلام : (الجهاد قائم حتى يوم القيامة) ، ذلك ان الحياة كلها صراع بين حق وباطل ، وبين ما هو كائن وما يجب أن يكون . فالجهاد وهو غاية الاسلام وذروة سنامه ، وسواء كان جهاداً حربيا أو جهادا سلميا مقصوده واحد هو دفع الظلم واقامة مجتمع المتقين ، مجتمع الأمر بالمعروف والتنمية والنهى عن المنكر والتخلف .

والجهاد المقدس فى مجال الاقتصاد الاسلامى ، هو الجهاد ضد التخلف ومن أجل التنمية الاقتصادية . ومن هنا تبرز أهمية الاقتصاد الاسلامى ودوره فى معركة التخلف والتنمية الاقتصادية، بان تصبح خطط التنمية بالنسبة للشعوب الاسلامية جهاداً مقدسا وممارسة دينية .

٣ ــ حقيقة التحدى الاسرائيلى :

وتزداد أهمية الاقتصاد الاسلامى ودوره فى معركة التخلف والتنمية الاقتصادية خاصة بالنسبة للدول العربية ، وذلك متى لاحظنا ان التحــدى الذى تلقاه من قبل اسرائيل ليس تحديا حربيا فقط ، وانما هو أساسا تحدى اقتصادى . فاسرائيل تنشد السيطرة الاقتصادية على المنطقة العربية ومعركتنا مع اسرائيل ليست مقصورة على ازالة آثار العدوان ، وانما هى تتصل بتخلفنا الاقتصادى وما يتطلبه من ضرورة التنمية الاقتصادية العاجلة والتى يجب ان نجند لها كافة قوى وامكانيات الشعوب العربية .

ومن هنا نتبين أهمية الوحدة العربية الشاملة ، وانها وحدة حتمية مقدسة ، وانه لا يتطلبها التاريخ فقط ، وانما يستلزمها المستقبل قبل التاريخ فى عصر لم تعد فيه للكيانات الصغيرة مكان ، وفى ظروف أصبحت فيه مستلزمات التنمية الاقتصادية تتجاوز طاقة الدولة الواحدة .

وانه لكى يتم ذلك لا بد أن ندرك جيداً ، أن الوحدة العربية الشاملة لا تفرض ، كما أنها لا تكون بالشعارات والعواطف ، ولا تتحقق بالطفرة السياسية ومختلف الاشكال الدستورية . وانما تتحقق هذه الوحدة عمليا وتتأكد أساسا عن طريق ربط الدول العربية بعضها ببعض اقتصاديا . ان وحدة ولايات الشعوب الالمانية لم تتحقق الا عن طريق ربطها بالسكك الحديدية ، وباتفاق الزولفرين الذى هو اتحاد جمركى . وان التمهيد لوحدة أوربا الاقتصادية لم يتحقق الا عن طريق اتفاق البنلوكس بين هولندا وبلجيكا

ولوكسمبورج . وان التمهيد الآن لوحدة أوربا السياسية يأخذ مجــراه عن طريق السوق الاوروبية المشتركة . وان نهوض اليابان بعد هزيمتها المنكرة في الحرب العالمية الثانية ، وتحديها اليوم لامريكا وفرض ارادتها على المجتمع الدولي ، انما كان نتيجة حتمية لمخططها الجديد الرشيد « السياسة فى خدمة الاقتصاد » وليس « الاقتصاد فى خدمة السياسة » .

وأيا كان الأمر ، فانه يجب ان نعلنها حربا مقدســــة ضد العدوان الاسرائيلي وضد التخلف الاقتصادى ، وان نربط معركتنا من أجل ازالة آثار العدوان ومن أجل التنمية الاقتصادية بفكرة الجهاد المقدس ، وان ترتبط الدول العربية ببعضها اقتصاديا كخطوة أولى أساسية وكأقصر طريق يؤدى حتما الى ارتباطها سياسيا .

دور الاقتصاد الاسلامى بالنسبة للعالم الاسلامى

١ ــ الاقتصاد الاسلامى هو المنهج الاقتصادى الذى يتوافر له التجاوب لدى الشعوب الاسلامية :

يشمل العالم الاسلامى أكثر من ٦٠٠ مليون مسلم (منهم نحو ٨٥ مليون عربى) أى نحو ١٥ ٪ من سكان هذا الكوكب ، أو قل ان واحدا من كل ستة أو سبعة اشخاص فى العالم يدين بالاسلام . « والاسلام بعد هذا فى توسع دينا ميكي مضطرد بعيد المدى ، بل لعله اليوم أكثر الاديان نموا عدديا . فهو من ناحية يكسب كل يوم أرضا جديدة وقوى مضافة على امتداد جبهة عريضة فى أفريقيا ، وربما فى آسيا المدارية ، بالاضافة الى العالم الجديد شماله وجنوبه ... ومن المرجح ان قوته النسبية فى ديموغرافية العـــالم ستزداد باستمرار وقد لا تحل دورة القرن الا وقد أصبح خمس البشرية من المسلمين » .

ومن هنا تبرز أهمية الاقتصاد الاسلامى ودوره بالنسبة للعالم الاسلامى ، بوصفه المنهج الاقتصادى الذى ترتبط به حضاريا جماهير هذا العالم ، ويتوافر له التجاوب والاطمئنان النفسى .

٢ ــ الاقتصاد الاسلامى هو المنهج الاقتصادى الذى تتوافر له الفاعلية وقوة التنفيذ :

يضاف الى ما تقدم ان أساس الاقتصاد الاسلامى هو الشريعة الاسلامية وهى أحكام يؤمن المسلمون بقدسيتها وحرمتها ووجوب تنفيذها بحكم عقيدتهم الدينية وايمانهم ان الاسلام دين نزل من السماء على خاتم النبيين ، وانه لا يقتصر على مجرد العبادة والهداية الروحية ولكنه أساسا أسلوب للحياة وتنظيم

سياسي واجتماعي واقتصادي للمجتمع .

ولا شك ان ارتباط الاقتصاد الاسلامي بالعقيدة الدينية ، يخلق له الجو والمناخ لتقبل احكامه وضمان قوة تنفيذها . واذا كان مدخل أي تحرك أو اصلاح اجتماعي أو اقتصادي ، هو غرس أفكاره ومبادئه في العقول والنفوس قبل محاولة اخراجها الى ميدان العمل ، وهو اعداد المناخ وتهيئة الناس للاقبال عن اقتناع على هذا الاصلاح والمشاركة في هذا التحرك قبل محاولة حملهم عليه بقوة القانون وسلطان الدولة ، فانه يجدر بنا ان نستفيد في هذا المجال من العقيدة الدينية في الاسلام التي هي عقيدة التقدم والتطور والصالح العام . والايمان فيها ليس ايمانا مجردا أو ميتافيزيقيا (غيبيا) ، وانما هو ايمان يحدد مرتبط بالعمل والانتاج (**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**) (البينة ٧) ومرتبط بالعدل وحسن التوزيع (**أعدلوا هو أقرب للتقوى** ـــ المائدة / ٨) ، وان أكبر تكذيب للدين هو ترك احد أفراد المجتمع يعاني الضياع والحرمان (**أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين .**) (الماعون ١ ـــ ٣) . فيجدر بنا ، ان نقيم اقتصادنا على أساس تعاليم الاسلام لنضمن له الفاعلية وقوة التنفيذ ، وهو غاية ما يتطلع اليه أي تنظيم اقتصادي ينشد النجاح والاستمرار .

ومن هنا تبرز من زاوية أخرى ، أهمية الاقتصاد الاســـــلامي ودوره بالنسبة للعالم الاسلامي ، بوصفه المنهج الاقتصادي الذي ترتبط به عقائديا جماهير هذا العالم وتتوافر له الفاعلية وقوة التنفيذ .

٣ ـــ الاقتصاد الاسلامي هو المنهج الاقتصادي الذي يحقق لجماهير العالم الاسلامي الوحدة والانسجام :

وثمة نقطة أخرى تحتم على المسئولين في العالم الاسلامي إعمـــال الاقتصاد الاسلامي والتزامه وهي القضاء على هذا التمزق الذي يعانيه أفراد الأمة الاسلامية موزعين بين ضميرهم الديني وقوانينهم الوضعية .

حقا ان أغلب دساتير الدول الاسلامية تنص على أن الاسلام هو دين الدولة الرسمي ، وقد تنص على ان الشريعة الاسلامية هي مصدر التشريع أو المصدر الرئيسي له . ولكن ستبقى هذه النصوص مجرد شعارات جوفاء ، ما لم يقم علماء الاسلام بابراز تعاليم الاسلام الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وبيان كيفية أعمالها بحسب ظروف كل زمان ومكان ، وما لم يقم الحكام من

جانبهم بوضع هذه التعاليم موضع التطبيق وعلى راسها فى المجال السياسى الشورى وحرية ابداء الرأى ، وفى المجال الاقتصادى ضمان حد الكفاية لكل مواطن والقضاء على البؤس والحاجة .

ومن هنا تبرز من زاوية اخرى ، أهمية الاقتصاد الاسلامى ودوره بالنسبة للعالم الاسلامى ، بوصفه المنهج الاقتصادى الذى يحقق لجماهير هذا العالم الوحدة والتناسق بين حياتهم المادية والروحية .

دور الاقتصاد الاسلامى بالنسبة للعالم أجمع

١ ـ ذاتية السياسة الاقتصادية الاسلامية :

يتجاذب العالم اتجاهان ، الاتجاه الفردى (الراسمالى) والاتجاه الجماعى (الاشتراكى) . وقد رأينا ان لكل منهما سياسة اقتصادية معينة ، لها محاسنها ولها مساوئها .

وقد سبق أن أوضحنا على صفحات الوعى الاسلامى ، ان للاسلام اتجاها خاصا ، وان له سياسة اقتصادية متميزة وهى سياسة ان اتفقت مع السياسات الاقتصادية الاخرى فى بعض الخطوط والفروع الا انها سياسة منفردة ذلك انها :

أولا : سياسة تجمع بين الثبات والتطور . فهى سياسة ثابتة خالدة من حيث أصولها العامة وضمانها ـ منذ البداية ـ الحاجات الاساسية للفرد والمجتمع ، بغض النظر عن درجة تطوره وأشكال الانتاج . وهى سياسة متغيرة ومتطورة من حيث تطبيقاتها العديدة لهذه الاصول بحسب ظروف الزمان والمكان .

ثانيا : وهى سياسة تجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة ، وكلاهما لديها أصل . فهى لا تهدر المصلحة العامة شأن النظم الفردية ، ولا تهدر المصلحة الخاصة شأن النظم الجماعية ، وانما هى ـ منذ البداية ـ تعتد بالمصلحتين على درجة واحدة وتحاول دوما التوفيق بينهما .
على انه اذا تعذرت هذه الملاءمة أو الموازنة بين المصلحتين . وهو ما لا يكون الا فى الظروف الاستثنائية أو غير العادية كحالة الحروب أو الاوبئة أو المجاعات . فانه فى مثل هذه الحالات تضحى المصلحة الخاصة من أجل المصلحة العامة .

ثالثا : وهى سياسة تجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، حيث تعتبر الفرد فى مباشرته نشاطه الاقتصادى البحت ، متعبدا طالما كان هذا النشاط مشروعا ومستهدفا به وجه الله تعالى . بل انه يكافأ ويثاب على ذلك النشاط بقدر اتقانه لعمله وبقدر ما يعود به من منفعة على أكبر عـــدد من الناس .

فليس هناك فى الاسلام اصطدام بين المادة والروح ، وليس هنـــاك انفصال بين الاقتصاد والدين . بل هناك ارتباط وثيق بينهما يحقق فلاح الدنيا والآخرة . فالدنيا هى مزرعة الآخرة ، والانسان هو خليفة الله فى أرضه ، وغاية النشاط الاقتصادى هو تعمير الدنيا واحياؤها .

٢ ــ جدلية السياسة الاقتصادية الاسلامية :

فالسياسة الاقتصادية فى الاسلام كما يتضح لنا ، سياسة شاملـــة منضبطة تنظر الى جميع الجوانب الانسانية وتدخل فى اعتبارها كافة الحاجات البشرية ، وتوفق بينهما بأسلوب جدلى (ديالكتيكى) . .

ولكنه أسلوب جدلى خاص . ذلك ان الاسلام يقر التناقضات الاجتماعية الموجودة فى الحياة : الثبات والتطور ، مصلحة الفرد ومصلحة الجماعـــة ، المصالح المادية والحاجات الروحية . الا ان نقطة الخلاف الاساسية فى نظرنا بين الاسلام وكافة المذاهب والنظم الوضعية السائدة ، تتمثل فى ان هذه التناقضات الاجتماعية ، تعتبر فى نظر الاسلام كالسالب والموجب ، للتعاون والتكامل لا للصراع والاقتتال ، ومن ثم فهو على خلاف كافة المذاهب والنظم الوضعية السائدة ، يعمل على التوفيق بين تلك التناقضات لا على جحد أو نفى احداها للاخرى . على أنه فى بعض الحالات الخاصة قد يغلب احداها على الاخرى ولكن ، بصفة مؤقتة وبقدر الضرورة وذلك لاعادة التوازن وتحقيق التعاون الذى هو مبتغاه .

واذا كانت السياسة الاقتصادية الاسلامية ــ على نحو ما سبق بيانـــه توفق بين كافة المصالح المتعارضة بما يحقق الصالح العام ، وتقدم الحل العملى لمشكلة الاقتصادية ، وبالتالى لمشكلة الحرب والسلام ، فانه من الخير ان تدلى هذه السياسة بدلوها ، وان يسهم الاقتصاد الاسلامى فى حل مشاكـــل العالم .

٣ — دور الاقتصاد الاسلامى فى رأى بعض العلماء الاجانب :

وقد أصبحنا نسمع أخيرا أصواتا أجنبية عالمية تدعو الى الأخذ بالمذهبية (الايديولوجية) الاسلامية . وكان ذلك لمجرد أن وضحت أمامها احدى جوانبها سواء ناحية جمعها بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، أو عدم تضحيتها بالمصالح الخاصة أو المصالح العامة ومحاولة التوفيق بينها ، أو جمعها بين الثبات والتطور وجدليتها الخاصة .

ولا ندرى الى أى مدى تكون حماسة العالم المستنير للمذهبية الاقتصادية الاسلامية اذا اتضحت لها سياستها مكتملة ، واذا قدمت لها حلولها التفصيلية وتطبيقاتها العملية .

فهذا هو الاشتراكى الانجليزى والفيلسوف العالمى برنارد شو ، يردد بعد دراسة دقيقة قوله « اننى أرى فى الاسلام دين أوربا فى أواخر القرن العشرين » ، ومن قبله يقول المفكر الالمانى الكبير جوته « اذا كان هذا هو الاسلام أفلا نكون كلنا مسلمين » ..

وهذا هو استاذ الاقتصاد الفرنسى جاك أوسترى ينتهى فى مؤلفه الصادر سنة ١٩٦١ (الاسلام فى مواجهة النمو الاقتصادى) ، الى ان طريق الانماء الاقتصادى ليس محصورا فى الاقتصادين المعروفين الرأسمالى والاشتراكى ، بل هناك اقتصاد ثالث راجح هو الاقتصاد الاسلامى الذى يبدو فى نظره انه سيسود عالم المستقبل لانه أسلوب كامل للحياة يحقق كافة المزايا ويتجنب كافة المساوىء ..

وهذا هو المستشرق الفرنسى رايموند شارل يعلق سنة ١٩٦٩ على رسالتنا المقدمة باللغة الفرنسية للحصول على دكتوراه الدولة عن (مشكلة تخلف العالم الاسلامى) فيؤكد بدوره ان الاسلام يرسم طريقا متميزا للتقدم فهو فى مجال الانتاج يمجد العمل ويحرم كافة صور الاستغلال ، وفى مجال التوزيع يقرر أن « لكل حد الكفاية » كحق الهى مقدس تكفله الدولة لكل فرد بغض النظر عن ديانته أو جنسيته ثم « لكل تبعا لعمله » فالحديث النبوى يقول (لا بأس بالغنى لمن اتقى) ..

ونلمس اليوم لدى بعض المستشرقين ، الحاحا فى ضرورة العودة الى الاسلام ، والى دراسة قواه الكامنة خاصة السياسية والاجتماعية والاقتصادية منها ..

الإسلام وتحديات القرن العشرين

للدكتور/محمود زايد

هذه ترجمة لملخص المحاضرة الثانية التي القاها الدكتور محمود زايد استاذ التاريخ الاسلامي في الجامعة الامريكية ببيروت اثناء زيارته للكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

ان حاجات الانسان المستجدة والظروف الجديدة التي تواجهه من حين الى الآخر تخلق له تحديات لا بد له من الاستجابة لها .

والتحديات التي تواجه الاسلام في هذا القرن كثيرة ، وفي راسها ضرورة تنقية تصور الناس للاسلام خارج البلدان الاسلامية والعربية وحتى في داخلها مما علق به من شوائب عمل المغرضون من مبشرين ومثقفين مزيفين ومسخرين ، ودعاة الاستعمار وقراصنته على ترسيخها في النفوس ، ومن سخرية القدر أن عددا من كتابنا ومفكرينا عملوا — بوعي منهم حينا وبلا وعي حينا آخر — على الترويج لها فتسربت الى فكرنا وثمراته مفهومات غريبة يتفاوت مدى خطرها بمقدار ما تتنافى مع مبادىء الاسلام وتعاليمه .

ومن أخطر المفاهيم المستوردة التي تكمن وراءها فلسفة كاملة في الكون والانسان والحياة وتتنافى مع مبادىء الاسلام وأسسه مفهوم مقبول في ظاهره

فاسد المقاصد فى باطنه ، وهو مفهوم « الفلسفة اللبرالية الانسانية » أو « الفلسفة التحررية الانسانية » التى استهدفت فيما استهدفته فصل الكنيسة عن الدولة ، واتخاذ الانسان مصدراً وحيداً للقيم .

لا يكفى الرد على التحامل على الاسلام لتنقية صورته فى الخارج والداخل من الشوائب فلا بد أيضا من عرضه عرضا واضحا وبلغة يفهمهـــا الصغير والكبير ، على ان يجرى التركيز على جوهر مبادئه وتعاليمه .

ينبغى التركيز أولا على الايمان بالله تعالى ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والتأكيد على أن فى قولنا « الله أكبر » تحريراً للبشرية من كل استبداد وطغيان سياسى وفكرى مهما كان لونهما ومصدرهما .

والاسلام ليس دينا بالمعنى الأوروبى الضيق ، بل هو نهج شامل للاعتقاد والعمل والسلوك ، وأنه نظام واحد متكامل للحياتين الخاصـــــة والعامة ، والعبرة الكبيرة لنا فى تجربة الأوروبيين والأمريكيين الذين يعانون أكثـــر ما يعانون من أزمة أساسها روحى وهى ازدواجية المبادىء الخلقية التى تنعكس فى تعارض واقع العلاقات الدولية والمثل الأخلاقية للفرد .

وللاسلام نظريتان متكاملتان فى الكون وفى الانسان ، وجوهر مفهوم الاسلام للانسان أنه يولد على الفطرة ثم يقع تحت تأثير أسرته ومجتمعه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » أى أن الانسان ابن المجتمع ، فاذا صلح المجتمع ونظامه صلح الفرد ، والاسلام أكثر الديانات انسانية من حيث انه يستهدف التيسير على الفرد ،ورفع الحرج عنه ، وفى صلب الاسلام وتعاليمه طلب القوة ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ان : « المسلم القوى خير وأحب الى الله من المسلم الضعيف » ومصادر قوة المسلم هى : فى العلم والتربية والتقوى وصدق المعاملة مع الناس ، والتعاطف مع الغير ، وفـــى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

كما أنه لا بد من التأكيد على أن الاسلام فى تاريخه الطويل قد واجه كل تحد بنجاح ، وأثبت أنه يساير الحياة ويضع اتجاهات المستقبل ، وفى الأحاديث النبوية الشريفة أكثر من حديث يرسم الطريق للعلماء ، مثل : « جهد البـــلاء كثرة العيال مع قلة الشىء » ومثل : « ليأتين على الناس زمان يغبط فيه الرجل بخفة الحاذ كما يغبط اليوم أبو العشرة » .

وكم يتمنى المرء أن تدخل هذه الأحاديث الشريفة وغيرهـــا فى صلب الأدب الاسلامى الذى يعلم للناشئة .

وفى ميدان الشريعة نؤكد مبدأ التجديد ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها » ، كما ينبغى تأكيد واجب الفقيه فى أن يعمل دائما على النظر فيما يستجد من مشكلات وظروف ، وأن يفرغ جهده فى سبيل استنباط الحلـــــول استنادا الى مصادر الشرع ، واستنارة بمصالح المسلمين وتطلعاتهم الــى المستقبل .

نضيف الى هذا أن الفقهاء قد قاموا بدورهم بمقدار ما سمحت به ظروفهم

وأن من نسب التقصير اليهم ظلمهم ظلما كبيرا ، لقد صانوا الشريعة في كل ظرف صعب ومحنة ، وبذلوا جهودا موفقة في سبيل استنباط الأحكام لمواجهة ظروف جديدة ، مشكلة أكثر من ينتقدونهم أنهم لا يعرفون شيئا أبعد كثيرا من كلمة « شريعة » .

أعتقد أن من واجب ولاة الأمور أن ينصفوهم ، وواجب خريجي الجامعات أن يسعوا اليهم ، ويتعاونوا معهم .

ومن التحديات الكبرى للاسلام حاجة المسلمين الماسة الى الوحدة أو على الأقل الى الترابط الوثيق ، وأقرب سبيل الى هذا هو انشاء منظمة اسلامية مركزية لها فروع في كل قطر اسلامي وفي كل بلد فيه أقلية اسلامية كبيرة ، ولها دوائر للدين والاقتصاد والتاريخ والمجتمع على أن تتجنب التدخل في شئون البلدان الداخلية ، وذلك لكي تضمن تعاون الجميع وبالتالي الاستمرار .

ومن التحديات القضاء على الثنائية في التعليم والمحاكم والقوانين ، وثنائية التعليم لا تنتهي باضافة كلية دينية الى الجامعات ، وأضافة كليات لهذا العلم أو ذاك في المعاهد الدينية ، انما تكون بادماج الدراسات الدينية في صلب العملية التعليمية كلها ، وندعو المربين الى أعادة النظر في مناهجهم .

وهناك تحديات نابعة من المشكلات التي تعاني منها البلدان الاسلامية وعلى رأسها فلسطين ، ويكمن التحدى الكبير في ضرورة انقاذ ثالث الحرمين وثاني القبلتين ـــ أى القدس ـــ من أيدي الغزاة .

لقد أثبت العرب في حرب تشرين أن بامكانهم لا انقاذها فحسب وانما هزيمة اسرائيل هزيمة ساحقة ، ولكن شرف الانقاذ يجب أن يشارك فيه كل مسلم لكي نضرب مثلا للجيل الحاضر والأجيال القادمة على أن المسلمين كأعضاء الجسم اذا اشتكى بعضه تألم له الباقون وهبوا لنجدته ، وانقاذ القدس سيكون بمثابة أعادة الروح الى العالم الاسلامي وسيعيد الثقة بالنفس الى كل مسلم .

لكن مع هذا ينبغي أن نعير مشكلات الأقليات الأخرى كمسلمي الفلبين ومسلمي كشمير واريتريا وغرب أفريقيا ما تستحقه من اهتمام ، ولعل مشكلات مسلمي غرب أفريقيا أكثر الحاحا من الأخرى .

وهناك التحدى الناشيء عن تدفق المال والحاجة لصرفه في عملية البناء فتوافر المال ينطوي على تحد كبير لمن تتوفر فيه الحكمة وينشد البناء ، والحكمة تقضي بأن نستثمر المال في بلادنا أي في العالمين العربي والاسلامي مهما كانت عوائده ، لا أن نظل تحت رحمة تقلبات الدولار والاسترليني ، وليس لأحد أن يملي علينا كيفية صرفه أو التعاون معنا في صرفه اذ لم نسمع بأحد من قبل سعى الينا يطلب تعاوننا معه في صرف ماله ، والمال ليس عندنا وحدنا .

ومجال صرفه الأول في بلادنا هو في التعليم والزراعة والتصنيع ، فالجزء الأكبر من بلادنا لا يزال صحراء أو كالصحراء ، ولا بد لنا من أن نعتبر بما حدث للأمم التي تدفق عليها المال فصرفته في وجوه كثيرة دون النظر الى المستقبل .

واخيرا يمكن وصف ما يجري في الفكر الاسلامي المعاصر بأنه يمارس عملية تجديد ونأمل الا ينسلخ هذا القرن قبل أن يظهر مجدد يجدد للأمة دينها وحياتها .

هل نقيد تعدد الزوجات وتشريع الطلاق؟

للدكتور : نور الدين عتر

مركب النقص آفة تصيب العاقل فتقلق تصرفاته وتضل سلوكه .
وحسبان العجز امام المظاهر البراقة ، يضيع قوى الانسان ويفشل مساعيه فى بنيان نفسه وتخطى العقبات التى تواجهه .

ولا سلاح للأمة مثل سلاح الثقة بالنفس فان أمتنا تتمتع بكنوز حضارية تشريعية وأخلاقية لا تعرف مثلها امة من الأمم ، سيما وأن المسلمين والعرب خاصة يواجهون التحدى الاجنبى ويخوضون المعارك ضد الاعتداء ، وذلك يزيد من فريضة الاعتصام بالشخصية الاسلامية ويؤكد ضرورته ، كى تحافظ الأمة على كيانها وتستمد من خصائصها الذاتية قوة لا تغلب .

ونظام الاسرة أخص الانظمة بشخصية الأمة وأكثرها التصاقا بذاتيتها ، يربطها بأصولها الاعتقادية وعاداتها وأخلاقها ، ويمس تركيبها ، لذلك كان مساس هذا النظام بأى تبديل أو تحوير أو اقتباس من الامم الأجنبية امرا خطيرا جدا لا بد أن يؤدى الى انتكاسات اجتماعية ومفاسد لا تعرف لها نهاية .

● متى نتخلص من مركب النقص في مواجهة المدنية الأجنبية ؟!
● إلى متى نقلد الأوروبيين في أمور عديدة لو اعنها ؟

لكنا للأسف نجد طائفة من أبناء مجتمعنا من عرب ومسلمين يولون عقولهم وأفكارهم شطر الأمم الأجنبية يستمدون من نظمها فى شؤون الاسرة أصولا يودون تطبيقها فى بلادهم دون أن يفكروا فى الافادة من رصيد أمتهم الضخم فى هذا الجانب الحضارى الهام ، على حين ان اى مفكر لا يقبل باستيراد سلعة أجنبية أيا كانت جهتها اذا كان فى وطنه ما تسد مكان تلك السلعة فكيف بما هو أهم وأعظم وهو مادة صناعة الشخصية للأمة أعنى الانظمة والقوانين والافكار .. ؟ !!

ولعل الكثيرين يغفلون عن أثر الدعاية الخطير فى هذه المسألة ، تلك الدعاية التى تسبغ قالب التطور أو التقدم على هذا الاقتباس ، أو على هذه المتابعة غير الواعية لسابقة وقعت فى دولة عربية أو اسلامية لم يتعظ بنتائجها التى ربما يتكتم عليها أرباب تلك التجربة كى لا يظهر خطؤهم وكى لا ... !! وهكذا لا تكاد تهدأ محاولة لتعديل قانون الأحوال الشخصية الاسلامى فى بلد حتى تقوم محاولة فى بلد آخر ، ثم تعود محاولة أسوأ فى البلد الأول .. الخ .

وإزاء ذلك فاننا ندعو كل منصف من هؤلاء متحرر حقا من الخضوع لأى مؤثر غريب عن هذه الامة لا يرغب الا فى الخضوع للحق أن يتمعن معنا

خطوطا أساسية لأمرين أساسيين نجعلهما مدار النظر في هذا المقام هما : تعدد الزوجات وتقييد الطلاق . يكونان مثالا لما يراد تعديله من هذا القانون والخروج به عن مقررات الفقه الاسلامي

تعـدد الزوجـات

إن الله جلت حكمته اذ شرع تعدد الزوجات احكم شرعته بما يزيح عنه كل نقد وعيب . وإن الشريعة لم تجعل نظام التعدد فرضا لازما على الرجل ، ولا أوجبت على المرأة أو أهلها أن يقبلوا الزواج من رجل ذي زوجة ، فلولا أن المرأة وأهلها يرون في هذا الزواج منفعة ومصلحة محققة ، لما أقدموا عليه ، ولما قبلوا به اطلاقا فأين هو الضرر المزعوم بالمرأة ، وهل يتصور عاقل في انتقال المرأة من العزوبة وشقائها واحتمالات الانزلاقات الى حصانة الزوجية ضررا او شرا ؟ ! .

ثم ان الشريعة اوجبت على الرجل ان ينفق على جميع زوجاته ، ويعاملهن بالقسمة العادلة السوية ، والمعاملة الحسنة الاسلامية ويتوعد النبي صلى الله عليه وسلم من اخل بهذا فيقول : « اذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط » (1) .

وذلك لا شك يشعر كل امرأة بمكانة لا تحس أن غيرها يحتلها عند الزوج ، ولو فرضنا تحقق الضرر ــ وهو مستبعد جدا اذا روعيت شروط التعدد ــ فمن حق الزوجة المتضررة أن ترفع أمرها للقضاء تطلب الطلاق وفقا لما ذهب اليه المالكية وعملت به قوانين الاحوال الشخصية في سورية . فالله سبحانه وتعالى أوجب على الرجل أن يراعي العدالة والانصاف في سلوكه ، وحرم عليه التعدد اذا خاف الميل لأحد الجوانب وظلم الجانب الآخر في معاشرة أو معاملة أو مال ، وهذا معناه أن الذي يسوغ له التعدد هو ذلك الرجل الحازم ، القوي الارادة ، الذي يتمتع الى جانب مزاياه الشخصية بخلق رفيع ومراقبة لله عز وجل ولا شك أن مثله إذا تقي ربه ، وحزم أمره على أداء ما وجب عليه يستقيم به أمر الاسرة ويحل الوئام والوفاق بين الزوجات وبين الاولاد كما أن التعدد لهؤلاء ربح للمجتمع إذ يزود الأمة بأبناء يرثون تلك الصفات الممتازة ، كما نشاهد ذلك الآن في بيوتات عريقة معروفة .

أما الذي يتزوج الثانية أو الثالثة تبعا لهواه دون أن يتوفر فيه الشرط ، أو لمجرد ازعاج زوجه الأولى فهذا زواجه محرم شرعا ، وليست الشريعة مسؤولة عن تبعات مخالفته وانحرافه . لكن المجتمع مسئول إذ لا يقوم اعوجاجه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أما قولهم إن تعدد الزوجات يؤدي الى كثرة النسل وهذه تسبب الفاقة والتشرد ، فإنا نعجب من هؤلاء إذ يرتمشون من كثرة النسل إن كثرة النسل خير وقوة للمجتمع ، وقديما واجه أجدادنا معاركهم المتلاحقة بكثرة النسل . ونحن اليوم أمام معركة قد تستمر أمدا طويلا، ما دامت مصادر الكيان العدواني

قائمة فى هذا الوجود ، تمده بأسباب القوة وتشجعه على العدوان فكيف يتصور من ذي حكمة أن يوقف كثرة النسل ، أمام هذه الاخطار المحدقة !

ثم إن كل داع لمنع التعدد يدعو لخروج المرأة الى العمل ، فأين هى الفاقة التي تؤدي للتشرد إذا كانت المرأة بزعمهم الفاسد ستعمل لا محالة !! ؟

إن كل الدلائل فى واقع الحياة تسير الى جانب تشريع تعدد الزوجات تدعمه وتشد من أزره ، والحقيقة أن البلاد التى تمادى هذا النظام وتشنع عليه، لم تخرج عنه ولم تخالفه ، بل إن كل أوربا وأمريكا تسير على نظام تعدد النساء العملي والواقعي ، وإن لم تقره شرعة القانون وهو نظام أقبح وأشد سوءا من كل ما يزعمونه كذبا وافتراء من مساوىء تعدد الزوجات إذ أن نظامهم هو الشر والفساد والتفسخ الا وهو إباحة الزنى ، واتخاذ الاخدان والخليلات .

لقد حرموا تعدد الزوجات ، ثم أرغموا أمام الضرورات الواقعية وعملوا بتعدد النساء غير الشرعيات . فأهانوا المرأة ، وداسوا كرامتها، ومرغوا عزتها وشرفها ، ثم أذلوها حيث ساقتها الضرورة والحرمان الى المصنع لتكسب قوتها وقوت أولاد الأوغاد الذين خدعوها ومكروا بها .

إن الواقع البشري فى كل اقطار العالم المتحضر يقرر أن تعدد الزوجات امر ضرورى لا مناص منه للانسانية ، وذلك لأن عقارب الساعة فى هذا الواقع تشير الى ضرورات عديدة تحتم التعدد :

١ ــ فهناك ضرورة تفرضها قوانين الطبيعة فى الحياة والموت إذ تقرر فى علم احصاء السكان أن الذكور الصغار أكثر تعرضا للموت من الاناث ، وهذا يؤدي إلى أن يكون الشبان أقل عددا من الفتيات بالرغم من أن نسبة مواليد الذكور قد تكون أكثر من الاناث (٢) .

٢ ــ وهناك الضرورة التى يحتمها نظام الحياة الاجتماعية ، فان هذا النظام يفرض على الرجال الأعباء الثقال فى الحرب والاشغال الشاقة فى المصانع الضخمة وغيرها مما يجعلهم أكثر عرضة للموت من النساء حتى بلغ عدد الأيامى من النساء فى أوربا ما يزيد على /٢٥/ مليون امرأة بعد الحرب العالمية الثانية . وإن وجد فى بعض البيئات الضيقة زيادة عدد الرجال على النساء فان هذا لا يسوغ العدول عن تشريع التعدد إلا اذا كان ثمة من يريد الغاء صلته القومية أو الاعتقادية بأمته الكبرى التى ينتمى اليها ، وهو عمل خطير يدل على طبيعة هذا النوع من الناس .. !! على ان هذه الزيادة ظرف طارىء غير طبعى ، كما أن خلل الاحصاء يلعب دورا كبيرا فى ابرازها حيث تكون عادة أهل البيئة كتمان تسجيل نسائهم وبناتهم ولن يلبث تيار النظام الطبيعى أن يغير هذا الوضع المدعى .

٣ ــ وهناك اخيرا الضرورات الفردية التى تطرأ كثيرا لمريد الزوجة الواحدة اذ يفاجأ بماليس فى حسبانه حيث يجد زوجته عقيما أو تصاب بمرض يمنعها من تحقيق غرض الزواج أو غير ذلك من الضرورات ، فهل نلزم الرجل بطلاق زوجته ، وإن كان يحبها ويريد الوفاء لها ، أم نرفع عنه الضيق ونحثه على ذلك الوفاء فنسمح له بالتعدد ؟ ! .

إن كثيرا من الزوجات يسمين لأزواجهن بالزواج الثانى ويخطبن لهم ، طيبة بذلك نفوسهن لأن هذا هو الذى يجيب به المنطق الصحيح ، ويتقبله العقل الصريح .

واننا نعلن إزاء ذلك ان التعدد بشروطه المقررة شرعا مباح لا يملك احد تغيير حكمه الشرعى ، وان اى تقييد قانونى للتعدد لا يشكل تحريما شرعيا يلغى ما شرعه الله ، كما أننا نحذر من أى تقييد للزواج أو لتعدد الزوجات سيقابله فى المجتمع انتشار الزنى والفواحش على قدر ذلك التقييد ، والا فأين ستذهب تلك الاعداد الزائدة من النساء التى دلت الاحصاءات على وجودها ، خصوصا وان الاثارة الجنسية يتطاير شررها ويستفحل ضررها فى كافة المجالات . وها هى ذى أوربا نفسها تشكو آثار الزواج الواحد وأضراره الخطيرة . بل ان بعض البلاد الاسلامية لوت حكومتها المستبدة وجهها عن الاسلام واصدرت قانونا مدنيا منعت بموجبه تعدد الزوجات ، ولم تمض عليه ثمانى سنوات حتى هال أولياء الأمر فيها عدد الولادات السرية وعدد وفيات الاطفال المكتومة . . . و . . . !!

الحاجة إلى تشجيع الزواج

وقد أجمعت آراء الباحثين الاجتماعيين من الشرق والغرب على أن أكبر خطر يهدد المجتمعات هو تلك العزوبة المزمنة فى الرجال وفى النساء مما يهدد بالوقوع فى مهاوى الفواحش والرذائل ، وإن هذا الخطر قد أخذت بوادره فى مجتمعنا تظهر بوضوح لكل ذى عينين ، فما أكثر ما نرى اليوم من الأسر التى حرم بعض بناتها من الزواج ، وما أكثر ما نرى من شباب موسر مترف يعرض عن الزواج . وما أحسن ما اقترحه إزاء ذلك العلامة الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الاسبق ــ رحمه الله . حيث قال يرد على مشروع مصرى لتقييد التعدد بالقدرة على النفقة فقال ما نصه :

« إن مثل هذه الحالة جدير بأن يدفع الأمة الى التدهور الأخلاقى ، الذى شكا منه الغربيون أنفسهم ، وجربته دولة شرقية اسلامية ، وهو مما يوجب على عقلاء الأمة ــ اتقاء للانتكاس الخلقى ــ أن لا يفكروا لا فى منع التعدد أو تقييده ، وإنما فى وضع حد أعلى للعزوبة بالنسبة لأصل الزواج ، ووضع تشريع عكسى فى تعدد الزوجات ، أقل درجاته مساعدة الذين يتزوجون بأكثر من واحدة مساعدة تحفز غيرهم إلى السير فى طريقهم ، وتساعدهم على الانفاق على زوجاتهم وعلى أولادهم .

ولا ريب أن التشريع الذى يراد لتقييد تعدد الزوجات هو فى الواقع بملاحظة ما تقدم أكبر معين للناس فى التلخص من العلاقات الشريفة ذات الآثار الطيبة فى الاخلاق والاجتماع ، اكتفاء بما يقع فى أيديهم من أعراض لم تجد من يغار عليها أو يعمل على صيانتها .

خطأ آخر :

بقي أن المشروع قد اتخذ أصحابه الفقر وعدم القدرة على تربية الأولاد والانفاق على من تجب على الشخص نفقته أساسا لتقييد التعدد ، ومعناه أنهم يبيحون للغنى أن يعدد كما يشاء ، وليس للفقير أن يتزوج أخرى .

ولو كان يصح اتخاذ الغنى والفقر أساسا لاباحة التعدد ومنعه لكان الواجب عكس القضية بأن يباح للفقير ويمنع عن الغنى ! ، فإن الفقراء يطمئنون بعضهم إلى بعض ويتعاونون فى تحصيل رزقهم ، فيسعى الرجل بقـــدر استطاعته وتسعى كل زوجة بقدر استطاعتها ، وليس عنده ما يمكن أن يحابى به إحدى الزوجات على الأخرى ..

أما التباغض الذى يحصل من جراء تعدد الزوجات بينهن وبين أولادهن فمنشؤه غيرة طبيعية لا يمكن سلامة النفوس منها ، ولم تمنع من التعدد ، لما فى تعددهن من خير يربو على شر هذه الغيرة .

كما وجدت أساليب الكيد فى أعلى أولاد الضرائر « يوسف وإخوته » ومثل هذا الشأن الطبيعى لا يمكن وقف التشريع لأجله ، للفوائد العظيمـــة المترتبة على التشريع (يعنى تشريع التعدد) والله الذى يعلم أن الغيرة أمر طبيعى فى نفوس الزوجات شرع تعدد الزوجات فى قديم الزمن وحديثه ، ولم تر الحكمة الالهية أن وقوع الكيد فيما بينهن ، وفيما بين أولادهن مانع من إقرار التعدد ، فدل ذلك على أن مقاصد التعدد فى نظر المشرع الحكيم تسمو بكثير عما يقع من الكيد والتباغض أثرا لهذه الغيرة الطبيعية .

على أن هذا التباغض الذى يقع بين الزوجات يرى مثله كثيـــرا بين الزوجة وأحمائها ، ومثل ذلك عفو فى نظر التشريع ، لأنه وإن كان شرا إلا أنه شر قليل ، لا يترك لأجله الخير الكثير » انتهى .

والذى يثير الدهشة ولا ينقضى منه العجب ما يلحظه المطلع على القانون من التناقض العجيب حيث يقيد الزواج بأنواع القيود ، ويرسل الزنا مباحا لا شبهة فيه ، فهذا الشاب إذا أراد الزواج قبل خدمة التجنيد توضع أمامـــه العقبات ، ويطالب بالكفالات والتعهدات فاذا فجر وزنى فلا تثريب عليه .

والرجل اذا تزوج بفتاة تصغره كثيرا أنحى عليه القانون اللوم والعقاب ، فاذا فجر بها ربت على كتفه !!

والزوج إذا تزوج على زوجته قامت قيامة القانون (أو هكذا يراد له) فاذا خان زوجه هدأت الثائرة وسكنت الغضبة .. !!

لقد بلغنا حد التضارب الفاضح بسبب التقليد ومحاكاة الأجانب ، على حين أن عقلاء الأجانب يزكون نظام التعدد وينادون به ، سواء فى ذلك رجالهم أو نساؤهم .

ففى انكلترا كتبت الكثيرات من النساء الانكليزيات فـــى الصحف السيارة وغيرها المقالات الطوال يدعون فيها للأخذ بنظام التعدد الاسلامى ، بل إن طائفة من رجال الدين ومن رجال البحث قررت الدفاع عن نظام تعدد الزوجات والمطالبة به .

فقد ذكر الاستاذ الخطيب المكى فى تفسيره المشهور : « إن وكالة

رويتر نقلت منذ سنوات قليلة خبرا من لندن يقول : إن أربعة من كبار القسس بزعامة اسقف كانتربرى — وهو من أكبر رجال الكنيسة البروتستانتية — قد اجتمعوا مع بعض الباحثين الاجتماعيين فى لندن وأصدروا قرارا دافع عن نظام تعدد الزوجات ، وطالبوا بإباحته للمسيحيين من اجل المصلحة العامة ومصلحة النساء أنفسهن » . وفى المانيا يصرح الاستاذ فون اهرمسلس « بأن قاعدة تعدد الزوجات لازمة أو ضرورية للسلائل الآرية » . وفى فرنسا وغيرها يصرح الكثيرون من الفلاسفة والمصلحين بهذا مما لا يتسع المقام لسرده والاطالة به ، وحسبنا من اقاويلهم هذه كلمة للفيلسوف الفرنسى غوستاف لوبون شرح فيها المسألة وفند مزاعم بني قومه التى يتشدق بها بعض ابنائنا . قال لوبون فى كتابه : « حضارة العرب » (٣) .

« ولا نذكر نظاما أنحى الأوربيون عليه باللائمة كمبدأ تعدد الزوجات كما اننا لا نذكر نظاما اخطأ الأوربيون فى ادراكه كذلك المبدأ ، فيرى أكثر مؤرخى أوربة اتزانا أن مبدأ تعدد الزوجات حجر الزاوية فى الاسلام ، وأنه سبب انتشار القرآن ، وانه علة انحطاط الشرقيين .. ذلك وصف مخالف للحق وأرجو أن يثبت عند القارىء الذى يقرأ هذا الفصل بعد أن يطرح عنه أوهامه الأوربية جانبا أن مبدأ تعدد الزوجات الشرقى نظام طيب يرفع المستوى الاخلاقى فى الأمم التى تقول به ، ويزيد الاسرة ارتباطا ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تراهما فى أوربا .. ولا أرى سببا لجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعى عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السرى عند الأوربيين مع أننى ابصر بالعكس ما يجعله أسنى منه ، وبهذا ندرك مغزى تعجب الشرقيين الذين يزورون مدننا الكبيرة من احتجاجنا عليهم ، ونظرهم الى هذا الاحتجاج شزرا .. »

ويقول لوبون فى موضع آخر : « إن تعدد الزوجات على مثال ما شرعه الاسلام من أفضل الأنظمة وأوفاها بأدب الأمة التى تذهب اليه وتعتصم به وأوثقها للأسرة ، وأشدها لأصرته أزرا ، وسبيله أن تكون المرأة المسلمة اسعد حالا وأوجه شأنا وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية » (٤) .

(فاعتبروا يا أولى الألباب) .

تشريع الطلاق

وتشريع الطلاق أصبح مثلا معروفا لهزيمة النظام الأوربى ، بعد أن ظل الأوربيون قرونا طوالا يشنون الغارة على الاسلام بسبب تشريع الطلاق فيه .

لكن اوروبا وأمريكا لم تأخذا من نظام الاسلام حكمته فى محاولات الاصلاح وراب الصدع ، وجمع شمل الأسرة ، ولا التفتوا إلى ما يترتب على الطلاق من مسئوليات ونتائج فرضها الشارع الحكيم سيما فى الزام الزوج بالنفقة للعدة وحضانة الأولاد مما يعيق التسرع للطلاق ويضع له صمام الأمان .

غاية ما فعله القوم أن جعلوا أمر ايقاع الطلاق بيد القاضى يترافع اليه طالب الطلاق لينظر فى طلبه ، ويصدر الحكم فى شأنه قبولا أو ردا .

وها هنا تبدو محنة مجتمعنا ، إذ نجد جماعة من ابنائنا تنادى بتقييد الطلاق بأن يجعل محصورا باذن القاضى ، أو بأن تفرض غرامة على الزوج اذا لم يطلق باذن القاضى كالطلاق البدعى أو بدعوى الاضرار بالزوجة وهذا الموضوع اعنى تقيد ايقاع الطلاق بقضاء القاضى ومثله كل احتراز من شأنه ارجاع الطلاق للقاضى قد تناولناه فى بحث ناقشته لجنة من كبار علماء اساتذة الأزهر برئاسة فضيلة شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت . رحمه الله وأثبتنا بما اقنع المتشككين بطلان هذا التقييد وفساده وأن الضرر كامن فيه ونلخص ههنا للقارىء توجيه ذلك من نواح .

١ ــ إن الاسلام قد علم أبناءه وجوب الحفاظ على رابطة الاسرة والتمسك بها واتبع أساليب متعددة من النواحى التوجيهية والنواحى التطبيقية لترسيخ هذا المعنى :

فى نطاق التوجيه يعلن القرآن الكريم هذه الوصية : (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) .

والحديث النبوى : « لا يفرك (٥) مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر » أخرجه مسلم .

وفى نطاق التطبيق العملى يخول الرجل الحق فى بعض التدابير للاصلاح بمقتضى قوامته التى شرعها الله فاذا لم تجد نفعا فان الخطاب الالهى يأمر بالتحكيم فى قوله تعالى :

(وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) .

فان فشلت كل وسائل الاصلاح جاء دور الطلاق .

ولا يخفى ان فى هذه المراحل من العلاج ما يكفى لتدارك الأمر إن كان للتدارك مجال أو مكان ، فأى معنى لتقييد الطلاق باذن القاضى ، أو لفرض غرامة على الزوج لأى عذر كان .

٢ ــ إن الشريعة قد أناطت ايقاع الطلاق بالزوج ، فاذا طلق الرجل زوجته وقع الطلاق واحتسب عليه باجماع العلماء السابقين واللاحقين وبصريح نصوص القرآن والسنة .

أما القرآن ففى مثل قوله تعالى : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف » (٦) وقوله تعالى : « وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم » (٧) وقوله فى الطلقة الثالثة : « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » (٨) .

فكل آيات القرآن تحتسب الطلاق وتوقعه بمجرد صدوره عن الزوج ، دون أن يتقيد باذن القاضى أو موافقته .

وأما الأحاديث فأكثر من أن تحصر ، ومنها الحديث المروى فى الصحيحين وغيرهما بأسانيد كثيرة منها ما هو من أصح الأسانيد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « طلقت امرأتى وهى حائض وأتى عمر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعها ، فإذا طهرت فإن شاء فليطلقها » .

قال : فقلت لابن عمر : « فاحتسبت بها » . قال ما يمنعه ، أرأيت ان عجز واستحمق » (٩) فطلاق ابن عمر الأول واضح أنه لم يكن باذن النبى صلى الله عليه وسلم وإلا لما كان مخالفا للسنة ومع ذلك فقد وقع واحتسب عليه ، وكذلك الطلاق الذى جعل النبى صلى الله عليه وسلم له الحق فى إيقاعه لم يقيده بأن يرجع فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم وأن يستأذنه كى يقع عليه ويصح منه ، وإنما جعله حقا له يتصرف فيه بمشيئته واختياره ، فليس لأحد أن يطالبه بأى غرم لأى سبب كان من دعوى ضرر أو غيره ، فالزام الزوج بتعويض زيادة على النفقات التى أوجبها الشارع أكل للمال بالباطل .

٣ ــ إن الشريعة قد أوجبت على الرجل نفقات مالية بسبب ايقاعه للطلاق ، وهذه النفقة فى الواقع تشمل على معنى التعويض عن الضرر الذى يقترحه من يريد تبديل الحكم الشرعى ، ولذلك فانا نجدها تتناسب مع العروة الزوجية المنفصلة ضعفا او قوة ، كلما كانت العروة المفصومة أقوى كان الغرم أكبر فمن طلق قبل الدخول يجب عليه نصف المهر كما نص القرآن (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم » (١٠) .

وإن طلقها بعد الدخول أو الخلوة الصحيحة يجب عليه المهر كاملا .

« وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » (النساء الآية ٢٠ و ٢١) .

وعليه أيضا أن ينفق على مطلقته ويسكنها مدة عدتها منه على ما ذهب إليه الحنفية وغيرهم وأقره قانون الأحوال الشخصية .

وإن طلقها بعد الدخول وقد ولد له منها ولد أو أولاد فعليه زيادة على ما سبق نفقة الحضانة للأطفال ، وكثيرا ما تستغرق سنين تحتاج لأموال كثيرة ممايجعل هذه المسئوليات حجر عثرة أمام ايقاع الرجل للطلاق ، تصده اكثر ما يصده التقيد باذن القاضى أو بغير ذلك من القيود . ثم إن هذا كله يشعرنا بأن الشريعة قد افترضت الزوج مسئولا عن الطلاق وحملته تلك الآثار والمسئوليات المالية (١١) ، فما حاجتنا بعدئذ الى أن نقول : إنه يحق للطرف المتضرر بالطلاق أن يطالب بتعويض إلا أن يكون غلوا يعقد قضايا الأسرة ، ويجعل كل واحد من الزوجين يقذف الآخر بالتهم الصحيحة أو الباطلة بسبب هذا التعويض الزائد على ما شرعه الله ، وسيعود الضرر الاكبر فى ذلك على المرأة لأن أى كلام من الرجل فى حقها يجرحها جرحا بليغا ويقضى على مستقبلها فضلا عما سيؤدى إليهالتقاذف بالتهم من اضرام عداوات لا تنطفىء بين العائلات .

٤ ــ إن التجارب المشاهدة أثبتت أنه لا يمكن لقوة أن تقف أمام طلاق

الزوجين الفاشلين ، وحسبنا دليلا على ذلك الدول التي أباح قانونها الطلاق ، فمع ان ديانة المسيحيين جميعهم تتجه الى تحريم الطلاق ، وانهم لما أباحوا الطلاق قيدوا وقوعه بحكم القاضي ، بالرغم من هذا كله بلغت نسبة الطلاق في أمريكا ٤٨٪ أي أن كل مائة زواج ينتهي منها ثمانية واربعون بالطـــلاق والفراق كما دلت الاحصاءات .

وفي المانيا الغربية بلغت نسبة الطلاق فيمن دون سن الخامسة والعشرين ٣٥٪ خمسا وثلاثين بالمائة وهذا معناه أن القوم أدركوا أن جحيم الاسرة الفاشلة لا يقف أمام لهيبها أي عائق لذلك تساهل القضاة في إيقاع الطلاق بمجرد تقديم الطلب ، أو لأتفه الاسباب ، حتى أصبح الناس يتسامعون عنهم أنباء تثير السخرية والضحك !!

بينما تجد الاحصاءات في بلادنا التي يبيح دينها الطلاق ولا تقيده باذن القاضي ولا بأي قيد تقل عما ذكرنا من الطلاق في تلك البلاد بمقدار كبير جدا ، كما تنبئك به هذه الأرقام الرسمية ، للاحصاءات للقطر السوري كله ، نقدمها اليك في هذا الجدول :

السنة	المنطقة	الزواج	الطلاق	النسبة
١٩٥٠	القطر السوري	٢٤٨٧٦	٢٤٠٩	٩ر٦ ٪
١٩٥١	القطر السوري	٢٠٦٤٤	٢٣٣٧	١١ ٪
١٩٥٢	القطر السوري	٢٢٥٤٧	٢٤٧٥	١٠ر٩ ٪
١٩٦٣	القطر السوري	٣٠٣٦٣	٣١٩٨	١٠ر٥٣ ٪
١٩٦٤	القطر السوري	٣٤٧٧٦	٣٢٧٣	٩ر٤١ ٪
١٩٦٥	القطر السوري	٣٤٦١٩	٣١٩٧	٩ر ٢ ٪

هذه الأرقام تكشف عن بون شاسع بين عدد حوادث الطلاق التي تقع في بلادنا ، وبين عددها في بلاد النصرانية التي يحرم دينها الطلاق وتأخذ بقانون مدني يعتبر ايقاع التطليق بحكم القاضي ، حيث تبلغ النسبة عندهم أضعافها في بلادنا . هذا مع احاطة القارىء علما بأنه ادخلت في سنة ١٩٥٣ تعديلات على قانون الأحوال الشخصية أخذت من بعض المذاهب غير المعمول بها ، ومن أقوال غير معتمدة لدى الفقهاء لكنها لم تثمر أي فائدة الا لمدة يسيرة جدا ثم عادت لمجراها الاصلي .

على أنه لا بد من القاء النظر على نسبة الطلاق بحسب البيئات المتعددة لما له من فائدة هامة في الموضوع وذلك في هذا الجدول :

السنة	المنطقة	الزواج	الطلاق	النسبة
١٩٦١	مدينة دمشق	٥٦٢٧	١٠٩٧	١٩٫٤٩٪
١٩٦٥	مدينة دمشق	٦١٢٥	١٠٩٥	١٧٫٨٧٪
١٩٦٦	مدينة دمشق	٥٩٤٦	١١٨٢	١٩٫٨٧٪
١٩٦١	مدينة حلب	٣٤٦٠	٥٠٢	١٤٫٥٠٪
١٩٦٥	مدينة حلب	٤٠٢٣	٥٢٤	١٣٪
١٩٦٦	مدينة حلب	٣٩٩١	٥١٧	١٢٫٩٥٪
١٩٦١	مركز محافظة حماة	١٢٥٤	١٣٣	١٠٫٦٪
١٩٦٥	مركز محافظة حماة	٢١٤٥	١٤٩	٦٫٩٪
١٩٦٦	مركز محافظة حماة	١٨٧٠	١٠٨	٥٫٧٧٪

إن هذه الاحصاءات توضح لنا بجلاء أثر البيئة فى وقوع الطلاق فالبيئة التى هى أكثر تعرضا لتيارات الغزو اللاأخلاقى والتى تشيع فيها التقاليد الاجنبية أكثر تضعف فيها روابط الاسرة ، وتكون أكثر تعرضا للانفكاك والضياع كما هو الحال فى مدينة دمشق ، والبيئة التى يقل فيها ذلك التعرض للمفاسد الخلقية ، والمباذل ، تكون الأسرة فيها أشد تماسكا وأقوى عروة ، كما هو ملاحظ فى مدينة حماة ثم حلب .

وحسبنا من العبرة فى ذلك تلك التطورات التشريعية التى حدثت أخيرا فى أعتى دولة متعصبة ضد تشريع الطلاق ، ألا وهى ايطاليا فقد أقر البرلمان الايطالى منذ ثلاث سنوات فقط قانونا باباحة الطلاق ، ورقص احتفاء به جمهور الناس هناك ، لكى تواجه المحاكم الايطالية العدد الضخم من قضايا الطلاق ، والذى يبلغ مليون قضية أو يزيد ، ولم يمتنع القوم عن تشريع الطلاق خوفا من كثرة وقائعه ، علما بأنهم لم يضعوا من الضمانات للمرأة مثلما فرضت لها الشريعة الاسلامية . واذا كانوا قد وضعوا بعض القيود فى ايقاع الطلاق فلا ريب أنها لن تلبث أن تنقلب الى مجرد شكليات لا أثر لها بتاتا ، كما انقلبت اليه حال القيود فى الدول الأخرى .

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن العالم أيقن — فى حين يتشكك أناس ههنا — أن وضع القيود المصطنعة أمام وقوع الطلاق ليس تصرفا مثمرا ولا علاجا شافيا . وأيقن أن كثرة الطلاق لا يجوز أن تدعو إلى عرقلة وقوعه ومنع ممارسته ، بل نجدهم على العكس جعلوا كثرة الطلب على الطلاق سببا لاباحته وتشريعه والتوسع فى ايقاعه .

وهذا يثبت لكل ذى سمع متعقل ، وبصر متأمل أن للحفاظ على الأسرة أسبابا أخرى وراء التقييد بالقضاء ، وأن عوامل انهيارها أقوى من كل سد يصطنع أمام الطلاق ما لم تعالج تلك العوامل المخربة ، وتقتلع جذورها من الأساس .

ومن هنا فانا نقول بثقة كاملة : إن محاولة تقييد الطلاق بأى لون من التقييد رجعية موغلة فى الجمود ، والتقهقر الى الخلف .

ونبين أيضا أن الشريعة حكمت بوقوع الطلاق متى أوقعه الزوج ، فتقييده

بالقاضي لا يغير حكم الشرع ولا يلغي الحرمة التي يثبتها الطلاق ، لكن هذا التقييد يؤدي الى مفسدة عظيمة جدا هي الزام الرجل والمرأة بمعاشرة فاسقة يحرمها الله .

وهكذا نجد البحث العلمي الصحيح يأبى كل تعديل يراد اقتباسه من الأوروبيين ، سواء نظرنا إلى النظام الاسلامي من حيث طبيعته وصلته بمقومات امتنا وسلامة الاسرة فيها ، أو من حيث نتائج التعديل في البلاد العربية أو الاسلامية التي خاضت غمار تجربته واثبتت الاحصائيات فشلها .

كما أننا نجد الاتجاه العالمي أخذ يقتبس أخيرا من نظامنا الاسلامي حيث مهد لتعدد الزوجات كحل ضروري لتزايد عدد النساء وكواجب يحتمه انقاذ المرأة من مهانة السفاح ويحتمه انقاذ النسل من الفوضي وسوء التربية ، وحيث أخذت الانظمة الأوربية بتشريع الطلاق ثم جعلت بصمة القاضي عليه أمرا شكليا محضا لا ينتظر الا تقديم الطلب .

والواقع أن ليس عندنا مشكلة تشريعية ، انما نحن بحاجة ماسة الى حسن الوعي والتطبيق لشرعنا الاسلامي الأغر كما أننا بأمس الحاجة الى أن ننفض عنا غبار الشعور بالعجز ونتخلص من مركب النقص في مواجهة المدنية الاجنبية لنقدم للعالم مدنية اسلامية صافية ، وحضارة مؤمنة تجمع بين الدين والعلم والتقدم ، تنقذ العالم من وهدته وتنير له الطريق .

---

(١) أخرجه أصحاب السنن ورجاله ثقات .

(٢) وقال الدكتور عبد السلام العجيلي في مقابلة اذاعية : « ان المرأة اكثر وجودا على الارض من الرجل ، واحصاءات المواليد في العالم تثبت أن مواليد الاناث أكثر من الذكور »

(٣) ص ٤٨٢ — ٤٨٤ .

(٤) يرجع للتوسع الى تفسير المنار ، وكتاب نداء للجنس اللطيف لمحمد رشيد رضا ، وكتاب الاسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ، وكتاب بيت الطاعة وتعدد الزوجات للدكتور على عبد الواحد وافي ، وكتاب الاسلام والاسرة للاستاذ معوض عوض ابراهيم من علماء الازهر .

(٥) أي يبغض بغضا يؤدي للفراق .

(٦) البقرة الآية — ٢٣١ — .

(٧) البقرة الآية — ٢٣٧ — .

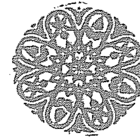
(٨) البقرة الآية — ٢٣٠ — .

(٩) البخاري ج ٧ ص ٥٩ (باب مراجعة الحائض) وانظر الحديث وطرقه في صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٩ — ١٨٣ .

(١٠) البقرة الآية — ٢٣٧ — .

(١١) لهذا درج العوام على التعبير بهذا اللفظ « خرب بيته » في حق من طلق زوجه . وضربت هذه الكلمة مثلا للنكبات الضخمة .

مكانة المرأة في الإسلام



للأستاذ : محمد عبد المنعم الخاقانى

يجدر بنا قبل أن ندخل فى تفاصيل وضع المرأة فى الاسلام أن نعيد الى الأذهان أن الاسلام دستور ونظام إلهى يحيط بالحياة الانسانية بأسرها ويطبع كل فرع منها بطابع نظريته الأخلاقية الخاصة ويضع لها برنامجا اصلاحيا متميزا ، فللمرء الحرية التامة فى أن يرتضى الاسلام كله ، أو يرفضه جميعا ، وليس له بأى حال من الأحوال أن يأخذ بجانب منه ويستثنى أمرا من الأمور مدعيا أن هذا أمر شخصى لا علاقة للدين به ، فان الاسلام فى صورته الحية كل متماسك الأجزاء مترابط الأعضاء بروابط داخلية حددتها عبقرية التشريع الاسلامى التي وضعتها منسجمة مع الأهداف المنشودة ، فكل جزء فيه لا يمكن أن يؤدى وظيفته متكاملة إلا مع جميع الأجزاء الأخرى ، فاذا انتزع منه جزء وركب فى بنية أخرى فقد يؤدى شيئا من وظيفته ولو الى حين ، ولكن أنى له أن يؤديها تامة وبصفة مستمرة كما لو انتظم مع كل الأجزاء الأصيلة .

فللمرء اذن أن يخرج عن دائرة الاسلام ليصبح له حق الاعتراض بما شاء ويطالب بالحجة العقلية ومن حقه أن يجاب الى طلبه ، أو أن يختار الاسلام فيذعن لكل ما جاء به ولا يتوقف امتثاله له على الاقتناع العقلى بكل جزئية على حدة ، وليس له أن يعتبر نفسه مسلما ثم يفسح لنفسه المجال للاعتراض على حكم من أحكام الاسلام : ((**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**)) (النساء : ٦٥) .

نعم له أن يبحث ويجد فى البحث عن هذا الحكم بعينه هل أمر به الاسلام ؟ أم لم يأمر ؟ أما بعد ثبوت الأمر به فليس أمامه الا الاذعان .

اجـل له أن يفتش عن الحجـة العقلية ولكن لا ليتوقف عليها الامتثال وانما لحصول الطمأنينة النفسية وزيادة البصيرة .

وقضية المرأة في الاسلام جزء من الشريعة الاسلامية الشاملة فالنظر اليها بمعزل عن باقي أركان الشريعة عمل خاطيء وليس بمستقيم ، فان الذي يقصر نظره على عمود في بناء يرى وضعه عبثا ، أما اذا شمل البناء كله بنظرته فانه سوف يلحظ اهمية ذلك العمود في رفع السقف وما له من دخل في محافظة البناء على توازنه وتماسكه .

ولهذا فان الاسلام لا يحتمل تبعات وضع المرأة في المرحلة الحاضرة لدى الدول الاسلامية ، فانه وضع — لا شك — متدهور ومنحط ، ولكن السبيل لتقويم هذا الوضع ليس نفس السبيل التي سلكتها المرأة الأوربية التي صادفت ظروفا وانحرافات خاصة بها ، وانما الطريق لتصحيح وضعها — وحتى وضع الرجل — هي الاحتكام الى الشريعة الاسلامية الخالدة بايمان يعقبه تنفيذ بحرارة وصدق .

داعون الى التحرير ، ومطالبون بالابعاد :

هناك طائفتان تتوزعان العالم الاسلامي ، احداهما نصبت من نفسها الذائد عن حقوق المرأة ، والأخرى تطالب بابعادها من المجتمع .

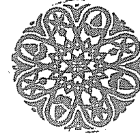
وحين يتجاوز الباحث الامور السطحية ويفتش عن الدوافع النفسية العميقة التي تقود هاتين الطائفتين الى ما قالتا يصبح من اليسير عليه اكتشاف الدوافع الحقيقية ، وهي تلتقي جميعا عند أمر واحد هو : دوافع الغريزة الجنسية .

فالغريزة الجنسية هي المحرك الأول لكل منهما الا أنهما تدابرا في الطريق التي سلكا .

فالذين يطالبون بظهور المرأة في صورة فاتنة مثيرة بأقوالهم الشعرية الحالمة انساقوا اليه مو قفهم هذا تحت ضغط النزعة الجنسية ، ليوقظ ذلك غرائزهم ، ويستهوي أنفسهم . أما الذين يؤمنون بوجوب ابعاد المرأة عن المجتمع وعزلها في سجن ضيق فانهم مدفوعون — أيضا — الى موقفهم هذا بدافع تلك النزعة — وان بدا هذا غريبا لاول وهلة — لان الرجل الذي يمنع أنثاه من الخروج لا يكفي في تبرير عمله هذا أي سبب سوى خوفه من أن يشاركه فيها غيره . فمن أراد أن يجد حلا لمشكلة المرأة وجب عليه أن يستبعد كلا الرأيين ، لأنه لا أمل في أن نجد في آراء تنبعث عن الغريزة حلا لأي مشكلة . فلا بد أن نشيح بوجوهنا عن الآراء العاطفية ثم نحاول حل المشكلة واضعين مصلحة المجتمع وتقدمه الحضاري وبالتالي مصلحة المرأة — القطب الثاني من المجتمع — في الاعتبار الاول .

فعلى هذا لا يجوز اعطاء المرأة أي حق على حساب مصلحة المجتمع ، لأن ذلك سوف يؤدي الى انهيار المجتمع ، فيتدهور وضع المرأة لأنها عضو فيه . وحل مشكلة المرأة الاجتماعية لدينا لا يكمن في تقليدها لمظاهر المرأة الاوربية دون اعتبار الأسس التي قررت المرأة الاوربية السير عليها ، بل هي مشكلة انسانية يتوقف على حلها استقامة المدنية .

يقول بافلوف : « ان التخطيط قد يخص الحالة (القشرية) في الشخصية دون الحالة الداخلية » . فمحاولة تغيير مظهر الشخصية أمر يسير ، أما تطوير ما يتصل بجوهرها أي تطوير النفس فانه يحدث نتيجة



لعمل بطيء ينحت الصورة المرغوب فيها نحتا عبر زمن طويل .

وسلوك المرأة المسلمة السبيل التى سلكتها المرأة الاوربية لا يحل المشكلة، لأن الحال التى عليها المرأة الاوربية الآن تدعو الى الرثاء ، لأنها تخلت عن وظيفتها الطبيعية وهى حفظ الأسرة وبقاء المجتمع وفقدت الشعور بالعاطفة نحو الأسرة لتظهر فى مظهر لا يخاطب فى نفس الرجل إلا غريزته فاختارت الأزياء الفاتنة والمثيرة وحددت النسل ومحت فى نفسها كل معانى التقديس للعلاقة الجنسية ، هذه هى بعض الأعمال التى تؤكد المعنى الجسدى الذى يتمسك به مجتمع يسوده الغرام باللذة العاجلة .

فما العمل ، وما هو الحل إذن ؟

ينحصر الحل — كما سبق لنا ذكر ذلك — فى أن نعيد الى المرأة المكانة التى وهبها إياها الاسلام ، لنجعل منها « سيدة » تساهم فى الحياة وتوحى الى الرجل المواطف النبيلة دون أن نخلق منها مسيطرا عليه ، أو نمسخها خادما له .

ومشكلة المرأة تنحل الى فروع عدة، نستعرضها مع الحل الذى طرحه الدين الاسلامى كما نتصوره :

القيمة الانسانية :

ينظر الاسلام الى الرجل والمرأة على أنهما القطبان اللذان يكوّنان معا الانسانية دون امتياز لأحدهما على الآخر فيما لهما من قيمة انسانية : **« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »** (النساء : ١) . **« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم »** (الحجرات : ١٣) .

وهو ينيط بهما التكليف : **« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب »** (الحجرات : ١١) .

« ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا » (الحجرات ١٢) .

ويحمل كلا منهما مسؤولية عمله : **« كل امرىء بما كسب رهين »** (الطور : ٢١) . **« ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون »** (الجاثية : ٢٢) . .

وينال لديه كل منهما ما يستحق من جزاء : **« فاستجاب لهم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض »** (آل عمران : ١٩٥) .

وعندما يوصى الانسان برعاية والديه يخص الأم بذكر ما عانت من آلام ويوجب الاحسان لهما جميعا : **« ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها .. »** (الأحقاف : ١٥) .

وقد لا يرضى قوم بأن الاسلام قد ساوى بين الرجل والمرأة فى القيمة الانسانية مستدلين على ذلك بمسألة اعتبار الاسلام شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد ، مستلهمين منه أنه يساوى المرأة بنصف الرجل .

وليس هو كما يظنون ... ان التشريع الاسلامى لم يفرض ذلك

لنظرته الى المرأة على أنها تساوي نصف الرجل ، وانما هو لغرض آخر هو أن يوفر كل الضمانات الممكنة في الشهادة ، لأن المرأة تسيطر عليها الطبيعة العاطفية السريعة الانفعال ، فلأجل أن يتلافى تأثرها — في بعض الملابسات للقضية — طلب أن تكون معها اخرى ، لأن من النادر جدا أن تتفق امرأتان على تزييف واحد : **« فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى »** (البقرة : ٢٨٢).

الحقوق المدنية :

لقد سوى بين الرجل والمرأة في القوانين المدنية والجنائية الاسلامية، فكل منهما محفوظ النفس والعرض والمال إلا بالقانون ، ولا يسلب حريته الفردية دون أن تثبت عليه جريمة ، وله الحرية في ابداء رأيه ومبدئه دون ارهاب ، وتكفل الدولة لكل فرد من أفرادها — مسلما كان أم غير مسلم — حاجاته الانسانية اللازمة .

وقد ترك للمرأة حرية اختيار شريك حياتها ، ومنحها حق الخلع والفسخ وأباح لها تجديد الزواج بعد طلاق أو فسخ دون أن تكون لأحد عليها سلطة . وقد أمر الرجل بمعاملة المرأة معاملة طيبة ومعاشرتها معاشرة سمحة : **« وعاشروهن بالمعروف »** (النساء : ١٩) . **« ولا تنسوا الفضل بينكم »** (البقرة : ٢٣٧) .

وأمره أن يشاورها فيما يعن له من أمر **« وائتمروا بينكم بمعروف »** (الطلاق : ٦) .

حق التعليم والثقافة :

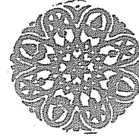
حث الاسلام على تعليم المرأة كثيرا وجعل التثقيف لها لازما كلزومه للرجل ، فلم يميز في ذلك بين رجل وامرأة ، الا أنه طالما هو يرمي الى تربية المرأة لتصبح زوجة ذات حصافة في تدبير شؤون الأسرة وأما تنمي جيلا يستطيع النهوض بأعباء الحياة ، فانه يوجه عنايتها الى العلوم التي تفيدها في مجال نشاطها وتوسع أفق نظرها وتهذب أخلاقها .

أما اذا وجد فيها طموح الى أن تضيف الى ذلك ما سواه من علوم أو فنون لم يقف الاسلام حائلا بينها وبين ما تطمح اليه ما دامت ملتزمة بما وضعه لها من حدود . فهو يتيح لها الفرصة الكاملة لتنمي مداركها وكفاءاتها لتصبح مؤهلة للاضطلاع بنصيبها من العمل على رقي الحضارة الانسانية ، لكنه يمسكها عن أن تستغل أداة للانحطاط الخلقي المؤدي دائما الى دمار الحضارات .

الحقوق الاقتصادية :

إن منزلة الانسان تعتمد الى حد كبير على حالته الاقتصادية وقد كانت حالة المرأة الاقتصادية هزيلة في ظل كل القوانين ، فأدى عجزها الاقتصادي هذا — بوصفه أحد الأسباب الهامة — الى استعبادها . ونهضت أوربا وأرادت الاصلاح فدفعت المرأة لتجعل منها عضوا في المجتمع كاسبا ، فأفضى بها هذا التغيير الى مفاسد أخطر من الأولى .

أما الاسلام فقد سلك السبيل الوسطى فمنحها حقوقا واسعة في الميراث ، وقد يثار الحديث هنا عن فرض الاسلام نصف نصيب الرجل للمرأة في الميراث مكتشفين من ذلك أن الاسلام يخفض من قيمتها الانسانية ويحد من حقوقها الاقتصادية ، الا أن هذا الحديث قد عفى عليه الزمن فان الاسلام لم يفرض لها ذلك النصيب لأنه يعتبرها نصف انسانة أو رغبة



منه فى أن يجعل حقوق المرأة الاقتصادية فى المرتبة التالية بعد الرجل ، وانما فعل ذلك لأنه قد فرض للمرأة حقوقا اقتصادية أخرى هى النفقة والمهر اللذان كلف بهما الرجل، ولحفظ التوازن الاقتصادى بينهما كان ذلك التشريع ، فالتفرقة بينهما فى المال الموروث اذن لسبب واحد وظاهر وهو تكليف الرجل بالانفاق واعفاء المرأة من ذلك ولهذا نجده لا يبيح التفرقة بينهما فى الكسب والأجر .

وكل ما ظفرت به من مال بوسائل مشروعة ، منحت فيه كل حقوق الملكية ، ومنع غيرها أن يتدخل فى شىء من ذلك .

ولها الحق فى تثمير أموالها بالوسائل المشروعة ، ولا يرفع كل هذا وجوب صرف النفقة اليها من زوجها .

حق العمل :

إن شؤون الأسرة التى تهيىء السكن النفسى للزوجين حين يفقدانه فى أى مكان آخر وتهيىء الجو النقى لارساء الكيان النفسى للأطفال على أسس قويمة — انَ شؤون هذه الأسرة لكثيرة ومتشعبة فلا يستطيع الرجل منفردا أو المرأة وحدها القيام بمهام الأسرة جميعا ، فمن العدل أن توزع بينهما جريا على مبدأ توزيع العمل ، ثم لا بد أن يختص كل منهما بالقسم الذى هو أقدر عليه وبما هيىء له طبيعيا . وليس هناك شك فى أن الرجل قادر على أن يقوم بما تؤديه المرأة من تكاليف الأسرة والبيت وان المرأة تستطيع أن تشارك الرجل فى الحياة العامة ، الا أنه لا يصح للرجل أن يترك دائرة عمله ليتسلم المهام التى تؤديها المرأة ، وكذلك لا يصح للمرأة أن تتخلى عن البيت والأسرة لتنازع الرجل فيما يقوم به من دور ، لأن الرجل لا شك أصلح للجهاد خارج البيت ، والمرأة أصلح لتدبير السكينة فى الحياة .

فهنا حصتان لكل منهما الحصة التى أعد لها طبيعيا ووجدت فيه المؤهلات النفسية والجسدية للاضطلاع بأعبائها ، وليست احداهما بأهون ولا أوهن من الأخرى . فهما متعاونان متقاسمان الجهد والسعى لا متنازعان متصارعان .

لها حق الانوثة والأمومة ، وله حق الرجولة والجهاد . لها وظيفة اعداد جيل المستقبل ، وله وظيفة اعداد جيل الحاضر .

ويؤيد هذا علم الأحياء الذى أثبت أن تركيب جسم المرأة يختلف عن تركيب جسم الرجل فى الانسجة وحتى الخلايا عليها الطابع الانثوى .

فمنذ يبدأ الجنين فى النمو ، يرتقى كل من الصنفين فى صورة تخالف صورة الآخر ، فجسم المرأة ينمو نموا تستعد به للولادة والتربية ، فيصمم فى تركيب جسمها منزل ليستقبل الكائن الجديد ويعزل نصيب من غذائها ليتحول الى غذاء لذلك الضيف ، ومع الشباب يعروها الحيض الذى يتركها فى حالة شبه مرضية ويؤثر فى جهازها العصبى والذهنى فيصيرهما فى حالة ارتخاء وعدم انتظام ويحرمها كثيرا من حريتها العملية ، ثم تجيىء فترة الحمل فيختل جهازها العصبى

ويضطرب فيها اتزانها الذهنى وتصبح قواهـا الروحيـة فى حـالة فوضى مستمرة . وتعقب ذلك فترة النفاس التى تكون فيهـا عرضـة لأمراض مختلفة لأن الجروح التى تعانى منهـا تكون مسـتعدة للتسـمم ، وتكون أعضاؤها الجنسية فى حالة استعادة وضعها الاصيل .

وبعد أن تتجاوز هذه المراحل الشاقة والعسيرة تبدأ مرحلة جـديدة وهى مرحلة الرضاع التى تحيا فى أثنائها لوليدها ، ثم يجيىء دور الحضـانة والتربية الذى يستغرق زمنا طويلا ، ولم يَجدِ شيئا تغذية الطفل بغير لبن أمه ، لأنَ الاخصائيين قد أجمعوا على أن لبن الأم ليـس له بديل ، وقـد اقترحـوا لتربيـة الناشـئين دورا للحضانة ليوفروا للأم وقت العمل فى خارج البيت ، ولكنه اقتراح عقيم ، فليس هناك أى امرأة يمكن أن تغدق على الطفل ذلك الحنان الذى يجـده عنـد أمه .

هذا هو تركيبها الجسـدى الذى هيىء للحمل والولادة والرضاع .

أما الكيان النفسى الذى منحتـه ليتمشى مع أهداف ذلك التركيب فهو تلك المشاعر النبيـلة والصبر على العمل المتواصل والدقـة فى الأداء والملاحظة والرقـة فى العاطفـة ، والسرعة فى الانفعـال ، واللين والمرونة فى السلوك ، وباختصـار فان الجانب العاطفى هو الذى يلون كيانها النفسى لأن الأمومة لا تحتـاج الى الفكر بمقدار ما تستلزم العاطفة التى تستجاش بأول لمسة .

وحتى فى طبيعـة احساسـها الجنسى تختلف عن الرجل بحيث يوائم وظيفتها الفطرية ، فاحساسـها به أعمق كثيرا من احساسه واشمل ، وهو لا يتركز عندها فى نشوة الجنس الطارئة وانما يمتد ليشمل فترة الحمل والولادة والتربيـة ، فان الاحساس الذى يرافق كـل هـذه الامور هو إحساس جنسى أصيل ، بخلاف الرجل فان احساسه به يتركز فى النشـوة الجنسية الطارئة وينتهى عند تفريغ تلك الشحنة الكهربية الجارفة ، وبينما تتركز الشهوة الجنسية عند الرجـل فى نطاق محدود ، فان المرأة لا تعرف هذا التركيز ، لأن معظم جسمها موطن يصلح لذلك الاحساس على درجات متفاوتة ، وتحس المـرأة بأكثر من موضع واحد حساسية شديدة بعضها فى جوف الجسم والآخر على سطحه أثناء العمل الجنسى . فاختلافهما فى طبيعة احساسهما الجنسى هيىء بتلك الطريقة الخاصة ليلائم وظيفة كـل منهما فى الحياة .

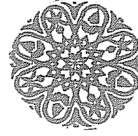
فالرجـل يشـعر بالجنس الا أن شعوره به أشبه بالنزوة الطـارئة المركزة التى تنزع الى التفريغ ، فاذا أفرغت هدأ ذلك الاحساس واستقر حتى يعود ، وفى أثناء ذلك ينصرف بفكره عن مسائل الجنس الى ألوان أخرى من مسائل الحيـاة وينصرف بجسـده أيضـا ليمارس شـؤون الصراع .

أما المرأة فان شعورهـا بالجنس أعمق وأوسع نطاقا وليس يتركز فى نشوة طارئة وانما يمتد ليشمل فترة الحمل والولادة والرضاع والتربيـة لئـلا تحملها آلام الحمل والوضـع وتبعـات الرضاعـة والتربية على الافلات من هذه الوظيفة .

فهل من المساواة أن نضيف الى أعبائها هذه كلها التى انفردت بهـا أعباء كسب المعيشة ؟

أم هل هى مهيئة بكيانها الجسدى وتكييفها النفسى للصراع خارج البيت؟

كلا !! وانما هو من الظلم والحيف على طبيعتها أن تقوم بكل هذا الدور العظيم ثم تخرج لتكسب قوتها ، ومن خسة الرجل وأنانيته أن يطالبها بذلك وليس معنى اختلافهما فى الوظـائف



كون أحدهما أفضل من الآخر ، وانما لكل فضائله ومخازيه فى ميدانه الخاص ويمارسها على طريقته المتميزة :

فالرجل الذى يهب نفسه لفكرة فيكرس كل حياته من أجلها لا تزحزحه عنها كل ما فى الأرض من مغريات غير قاصد الى مصلحة شخصية وانما هو يفعل ذلك لخير الانسانية كلها ، تلك الانسانية التى يمنحها كل حبه ووده الخالص من كل حقد أو ضغينة — هذا الرجل يرتقى الى قمم لا ترقى اليها المرأة .

والمرأة التى تهب نفسها لحب عظيم تكنه لزوجها وأبنائها وبيتها فتتفانى فى ذلك الحب الى أبعد الحدود فتنسى نفسها وتطرح أنانيتها لتتحول الى طاقة تنفق لاسعاد هؤلاء — هذه المرأة تصل الى قمم لا يدانيها الرجل .

أما الرجل الذى يهبط فى غرائزه الجنسية الى مستوى الحيوان فلا تهدأ نزواته البهيمية فينقلب الى حيوان مفترس لا يكاد ينتهى من افتراس عفاف صيد حتى يمضى قدما فى البحث عن صيد آخر ، فى صورة جنونية — أما هذا الرجل فانه ينحدر الى مستوى لا تنحط اليه المرأة السوية .

والمرأة التى تبلغ بها شدة الغيرة وضراوتها أن تضع حدا لحياة أطفال لامرأة أخرى ولو كانت تحت التراب ! — هذه المرأة تتردى الى هوة سحيقة تبعث على الخزى لا يهوى اليها الرجل السوى .

هذه هى القاعدة الرئيسية فى نظام الاجتماع الاسلامى ، وللأحوال الاستثنائية والضرورات أجيز للمرأة أن تعمل ، كما لو فقدت المعيل أو فقد المعيل القدرة على العمل أو عجز المال الذى يتقاضاه عن القيام بشؤون الأسرة ، الى كثير من الأسباب الأخرى .

الاشراف على شؤون الأسرة :

اكتشف التحليل النفسى فى الانسان أن المرأة تسيطر عليها نزعة (Thnatos) وهو حب وقدرة خلاقة ، أما الرجل فان النزعة التى تغلب عليه هى نزعة (Thnatos) وهى جفاء وقدرة على التحطيم من جهة ، وقدرة مراقبة ونظيم من جهة أخرى . فاذا سيطرت نزعة (Eros) على المجتمع كان عليه طابع الامومة بما تملك الانثى من عبقرية ، واذا سيطرت عليه نزعة (Eros) كان عليه طابع الابوة بما للذكر من عبقرية . والحضارة التى تطبعها عبقرية الأنثى — وهى عندما تتولى فيه مقاليد الأمور وتقوم بأدوار البطولة وينزوى فيها الرجل ليقوم بدور المخنث — ان هذه الحضارة لا بد مؤدية الى الفجور والانحلال والميوعة . والحضارة التى تطبعها عبقرية الذكر — وهى عندما يستقل الرجل بتسيير دفة الحياة مهملا المرأة تعين على هامش الحياة — لا شك تنتهى الى الجفاف والعقم والتحجر .

وجاء الاسلام ليضع الاشراف على شؤون الأسرة بيد الرجل : « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض** » (النساء : ٣٤) الا أنه يحول بينه وبين نزعات الجفاء والتحطيم فحظر وأد البنات الذى كان يمارسه المجتمع الذى طبعته عبقرية الذكر ، ثم ترك له القدرة على ضبط النفس والتنظيم والتوجيه على أن يشاور المرأة : « **وعاشروهن**

بالمعـــروف » (النســـــاء : ١٩) . « **وائتمـــروا بينكـــم بمعــــروف** » (الطلاق : ٦) . فصاغ مجتمعا نالت فيه المرأة كل حقوقها ، وأدت واجبها الفطرى وهو شؤون الزوجية ، ولم يفرض عليها الأعمال المنزلية كالطبخ والغسيل حتى ارضاع الوليد فانـــه ليس مفروضا عليها ، بل لها أن تأخذ عليه الأجـــر ان شـــاءت ، فتكافأت حقوقها مع واجباتها :

« **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجـــة** » (البقرة : ٢٢٨) .

تعـــــدد الزوجـــات :

ان تعدد الزوجـــات تشريع سابق للاســـلام ، فقد أباحت الشريعـــة الاسرائيلية تعدد الزوجات فى حالة رغبة الزوج واستطاعته وأطلقته من غير تحـــديد لعدد معين ، وجـــاءت المســـيحية فالتزمت الصـــمت ازاء مسألة تعدد الزوجات ، وقد ورد فى كلام بولس الرسول ما يفضل الاكتفاء بواحـــدة لرجل الدين لأن ذلك أهون الشرين ! وظل العالم المسيحى يبيح ذلك حتى القرن السادس عشر وقد أقره المصلحون لديهـــم أمثال مارتن لوثر ، وقد أوجبته بعض الطـــوائف المسيحية ، ففى أوائل العقد الرابع من القرن الســـادس عشـــر نادى اللامعمدانيـــون فى مونســـتر بـــأن المسيحى الحق ينبغى أن تكون له عدة زوجـــات ، ويعتبر المورمون تعـــدد الزوجات نظاما إلهيا مقدسا ! كما نقل كل ذلك (Westermarch) فى تاريخه .

أما الاســـلام فانـــه أباح تعـــدد الزوجات على أن لا يزيد عن أربع : « **فانكحوا ما طاب لكم من النســـاء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتـــم الا تعدلوا فواحدة** » (النساء : ٣) .

فأباحه ، مجرد اباحة ، لا وجوب فيها ولا استحســـان ، واشترط لاباحتـــه العدل بين الزوجات فمن لا يجد مـــن نفسه القدرة على العـــدل بينهن لم يجز له ذلك .

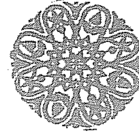
وقد أشار القرآن الكريم فى موضع آخر الى صعوبة العدل حتى يفكروا مرتين ــ كما يقولون ــ قبل أن يقدموا عليه : « **ولن تستطيعوا أن تعـــدلوا بين النساء ولو حرصتم** » (النســاء : ١٢٩) . أما اباحة تعدد الزوجات فهو قانون لمواجهـــة الطـــوارىء وأمر ضرورى لحـــالات استثنائيـــة كثيرة تطرأ على المرأة والرجل وعلى المجتمع أيضا تكون فيها اباحة التعدد أفضل الحلول .

فقد تصاب المرأة بالعقم ، فان منعنا التعدد فاما أن يصـــبر الزوج ويبقى على زواج قد فقد معناه والهدف منه ، واما أن يلجأ الى الطلاق . وكذا اذا أصيبت بداء أقعدها عن أداء وظيفتها المنزلية . فهل هذان الحلان أفضل من اباحة التعدد ؟

لا شك أن صبر المـــرأة العقيم أو المريضة على التعدد أفضـــل لها من الطلاق ولفظها الى الخارج فى أشـــد الأوقات حاجة الى زوجها .

ولا شك أن اباحة التعدد أفضـــل للزوج من الصبر عـــلى زواج فاقد المعنى والهدف وأفضل له فى البقاء دون عقب يسكن ويطمئن اليه ويرضى به نزعته الى الخلود !

وقد تمر بالأمـــم أزمات يحـــدث بســـببها زيادة فى عـــدد النســـاء على عـــدد الرجال ، كما يحـــدث ذلك فى أعقاب الحروب والثورات وقد يحدث فى أعقاب الأوبئة الفتاكة حيث لا تتعرض لها المرأة على الصورة التى يتعرض لها الرجل ، وحتى اذا تعرضا لها معا فان الاحصـــاءات تثبت قلة الفتك فى جانب النساء ولعله بسبب مناعة فى جسمها ضد الامراض أكثر



من المناعة التي يتمتع بها الرجل .

ويقـــول بعض المشـــتغلين بعلم الاحياء : أن هناك زيادة مطردة فى عدد الاناث لدى أنواع كثيرة .

ففى كل هذه الحالات لا يوجد حل أسلم من السماح بتعدد الزوجات ، لأننا اذا منعنا التعدد بقيت طائفة من النساء بغير زواج ، فإما أن تســلك سبيل الغواية وإما أن تحـــافظ على عفافها ، وفى الحالة الاولى تصـــبح شرا على نفسها وعلى المجتمع ، وفى الحـــالة الاخـــرى تبتـــلى بالعقـــم والاضـــطراب النفســـى الناشىء عن الكبت .

والذين ينقمون على الاسلام اباحته لتعدد الزوجات يغيب عن أذهانهم أن المرأة ــ فى الاســـلام ــ حـــرة فى اختيار الزوج ، فان لم تشـأ الزوج الذى يجمعهـــا مع امـــرأة أخـــرى لم يكرهها النظام الاجتماعى عليه . أما حين تشاء ، فمن الذى يصـــادر حريتها ؟ أهو القانون الذى يبيح تعدد الزوجات ؟ أم الذى يحظره ؟

بقى شىء واحد ، وهو أن هذا هو التشريع الأصيل ، أمـــا أن يحســـن استخدامه أو يساء فان تبعات ذلك لا تقع على عاتق التشريع .

الطـــــلاق :

اذا استحال بقاء الزوجين متفاهمين فلا بد حينئذ من الطلاق ، لأنه أرحم بهما فى هذه العلاقة البالية .

ولِمَ لم تمنح حق الطلاق ؟ لأنهـــا انســـان عاطفى يوافق على الشـــىء موافقة تامة ، فاذا تحولت عاطفته عنه فما أسرع ما يرفضه . والمرأة تعرف ذلك من نفسها فلتفكر ــ ولتكن واقعية فى ذلك ــ كم مرة ســــوف تطلق لو منحت ذلك الحق ، فان كل ثورة عاطفية ــ وما أكثرها ــ سوف يعقبها طلاق ، فلا يقر للأسرة قرار ، ويختل توازن نفوس الاطفال فى هذا الوسط القلق المضطرب .

الا أن الاسلام منحها حق الخلع : وهو أن يطلقها لقاء فداء تدفعه اليه ويجوز أن يكون أكثر من المهر ، وهذا يقع فى حال كراهية الزوجة فحسب، ومنحها حق المباراة : وهو مثل الخلع الا انه لا يجوز فيه أن يكون الفـــداء أكثر من المهر ، وهو يقع فى حـــال كراهيتهما معا .

والاسلام ينظر الى الطلاق والخلع والمبـــاراة عـــلى أنها قســـــوة من المستحسن جدا اجتنابها مهما أمكن ، فالطلاق أبغض الحلال الى الله .

ولا يدخر الاسلام وسعا للحيلولة دون وقوعه : فاذا أحس الزوج بنفرة من زوجته فعليه بالصبر عسى أن تكون هذه النفرة عارضة وفى باطنها خير : « **فان كرهتموهن فعسى أن تكرهـــوا شـــيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** » (النساء : ١٩) .

واذا شعرت الزوجـــة بجفوة من زوجها فعليهما بالصلح : « **وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما انيصلحابينهماصلحا والصلح خير ، واحضـرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا** » (النســـاء : ١٢٨) .

فان لم ينجح ذلك وبدت فى الافق امارات الشقاق بينهما : « **وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهـــله وحكما من اهلها ان يريدا اصــــلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليمـــا خبيرا** » (النساء : ٣٥) .

واذا عجزت هذه الوسائل كلها عن ايجاد الصلح بينهما فليس هناك مناص من الطلاق : « **وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما** » (النساء : ١٣٠) .

والاسلام يحفظ للمرأة حينئذ حقها في المال فلا يجيز للرجل أن يمسك عنها شيئا في صداقها : « **وان أردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا واثما مبينا** » (النساء : ٢٠) .

واذا تم الفراق وجب على الزوج أن يتكفل لها بمعيشتها مع ابنائها طول مدة العدة : « **ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف** » (البقرة : ٢٣٦) . « **اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى . لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاه ، سيجعل الله بعد عسرا يسرا** » (الطلاق :٦ر٧) **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** » (البقرة : ٢٣٣) . وكل الآيات التي وردت في شأن الطلاق تؤكد المعاملة بالمعروف وتشدد في النهي عن الايذاء أو أي لون من ألوان الاساءة .

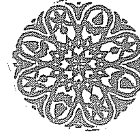
الحجاب :

يقول الله تعالى : « **يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن في جلابيبهن ، ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين** » (الاحزاب:٥٩)

« **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن او ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** » (النور : ٣٠ — ٣١) . « **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى** » (الاحزاب : ٣٢ — ٣٣) .

فهذه الآيات الكريمة لا تترك مجالا للشك في وجوب الحجاب على المسلمين ، فيجب على النساء أن يدنين عليهن من جلابيبهن ، والجلباب هو الثوب الواسع ، ويجب عليهن أن يضربن بخمرهن على جيوبهن أي أن يسترن صدورهن بما يغطين به رؤوسهن ، ولا يسمح لهن في ابداء زينتهن الا ما ظهر منها دون ارادة ، ويجوز لهن أن يبدين زينتهن لازواجهن مع الآباء والنساء والمماليك والتابعين الذين لا يرتاب فيهم والطفل الذي لا يدرك الامور الجنسية .

ولم يكن الاسلام مبتدعا للحجاب بل قد سبقه الى ذلك كتب العهد القديم والأناجيل ، وفرض اليونان العزلة على نسائهم والرومان وان لم يصنعوا صنيع اليونان الا أنهم حرموا على المرأة الظهور في الطرقات بزينتها وحرموا عليها المغالاة بالزينة حتى في البيوت .



وعندما فرض الاسلام الحجاب لم يفعل ذلك محافظة على التقاليد وانما ليطهر الجو من كل آثار الفتنة ولهذا نراه قد أجاز للاتى لا تحتمل فى حقهن الفتنة أن يضعن ثيابهن بصورة لا تتكلف فيها بابداء ما عليها من زينة : « **والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا ، فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن** » (النور : ٦٠) .

وأوجب غض البصر على الرجال والنساء سواء بسواء لأن النظر هو الباعث للتورط فى الاثم .

وينفر من هذا بعض المثقفين زاعمين أن هذا يتنافى مع الشعور المرهف وتذوق الجمال ، ولا يحظر الاسلام على المرء أن يستمتع بالجمال وأن يرضى ذوقه فى ذلك بل يفتح أمامه سبيل الزواج ليظفر بذلك كله عن طريق مشروعة .

فالتشريع الاسلامى يمنع الانسان من النظرة الآثمة ويحتاط لذلك أشد الاحتياط لئلا يلحق بالناس دنس أو شرود فكر وضياع حيوية وهيجان على الاقل ، فيفقد المجتمع فكرا وحيوية وهدوءا نفسيا كان فى الأحرى أن يصرف نحو الرقى والتقدم .

ولم يعين الاسلام زيا خاصا ، لا للمرأة ولا للرجل ، لأن الزى أمر خاضع للتطور ، ولكل زمان زيه الخاص به .

فالحياة الهادئة تتطلب زيا خاصا يختلف عن الزى الذى تستلزمه الحياة المتحركة العنيفة ، فالعباءة مثلا كانت فى الماضى تناسب كل الطبقات من النساك والرعاة والامراء المترفين لأن الهدوء كان يسود حياتهم جميعا ، أما اليوم فلا يتصور أحد أن يرتدى العامل الذى يبنى أو يصلح الماكينة أو أى عامل آخر العباءة ، لأن حياة المصنع والمعمل تستدعى النشاط .

الا أن الملبس ليس كمًا مهملا بالنسبة الى التوازن الأخلاقى وانما هو أحد العوامل التى يناط بها ذلك التوازن ، لأن له روحا تخصه وهو يساهم الى حد ما فى تكوين الشخصية ، ويضفى عليها لونا مميزا ونستطيع أن نلمس ذلك فى الشاب القوى الذى يرتدى لباس العجوز فان ذلك يؤثر فى نفسه وحتى فى مسيره وكذلك العجوز الذى يخلع ملابسه ليحل محل ملابس الشباب محلها فانه سرعان ما يظهر أثر ذلك فى نفسه وسلوكه . ومثل آخر شاب ضعيف يلبس لباسا رياضيا فانه يشعر أن روحا رياضيا يدب فى جسمه .

فالملبس له أهمية اذن بالنسبة الى التوازن الاخلاقى ، الا أن هذا يجب أن لا يقودنا الى الاعتناء بالشكليات أكثر مما تستحق .

وهو فى تطور دائم لأن لكل رجال لباسا ، الا أن هذا يجب أن لا يسلمنا الى التقليد بغباوة ودون التفات الى ما تقتضيه أحوالنا الدينية والاقتصادية وما تطالبنا به أذواقنا وحاسة الجمال لدينا .

ويشد انتباهى نفر ممن أصابوا ثقافة ممتازة يلهجون بأن الاسلام لم يفرض على المرأة حجابا ، وينهضون الى كل من يتصدى لهم بالنقد فيمطرونه بوابل من الاتهامات !!

وهؤلاء قد أخذوا بالحياة الغربية واستقر فى أنفسهم أن مسايرة الزمن تنحصر فى تلقى كل ما جاء به الغرب بالقبول ، فأظهروا مرونة فائقة وحنوا رؤوسهم له واتخذوه قبلة لهم ،

وضربوا بالقرآن عرض الحائط ، وراحوا يفتشون عن منافذ « شرعية » يعززون بها آراءهم ، وهم يجيدون البحث فيذلك فينقبون في بطون الكتب ليعثروا على خبر هنا ورواية هناك يضمون بعضها الى بعض ليسوقوا لنا « دليلا » ! على أن الاسلام لم يفرض الحجاب ، بل هو قد حث على التخففمنه !!!

وليتهم جشموا أنفسهم عناء يسيرا فبسطوا القرآن ليتلوا تلك الآيات البينات التيترفض الحجاب بما لا يدع مجالا لشك ، الا أنهم يمرون بها مهرولين دون أن يعنيهم الالتفات اليها واذا ذكرهم بها مذكر تصامموا عنه لأنه سوف يضيع عليهم فرصة العمر !

وكأنهم قد غاب عن أذهانهم أن الخبر مهما بلغ من القوة فانه ليس يقوى على الوقوف أمام آية صريحة من الذكر الحكيم .

أما المسلم الموضوعي فحين تصادفه مشكلة يريد حلها في ضوء تعاليم دينه فانه يعالج الموضوع بجد ويستطلع رأي القرآن في ذلك دون أن يأتي بفكرة مسبقة ثم يحاول أن يفسر عليها بعضا من آيات الكتاب ، ثم اذا اطمأن الى شيء عمل بدون هوادة على تغيير البيئة لتوافق عقيدته .

أما أن يقف موقفا متخاذلا يتقوّل فيه على الاسلام بما ليس منه ولا تواتيه الشجاعة أن يكون مسلما حقا أو غير مسلم ، فأحرى به أن يترك هذا الخور في العزم ويمزق الأقنعة ليفصح عن شخصيته الحقيقية .

وليست مسألة الحجاب عقدة مستحكمة وانما تتطلب من الباحث شيئا واحدا وهو أن يمارس عملية « تعقيل الأهواء » .

فبدل أن نثير ضبابا يجعل الرؤية شبه متعذرة نلقي نظرة على الآيات التي استعرضت مسألة الحجاب دون أن نعتسف في تفسيرها أو نأتي بطابور من الروايات ان صح سندها فليس هناك من يعتبرها في مستوى حجية القرآن الكريم .

هذه هي المنزلة الرفيعة التي تحتلها المرأة في التشريع الاسلامي والتي لم تمنح ما يقرب منها في أي تشريع آخر قديم أو حديث ، فكل ما نالته المرأة من حقوق في التشريعات الحديثة لم تظفر بها الا بعد انتفاضات عنيفة وثورات دامية واضرابات مستمرة .

أما المكانة والحقوق التي وهبت اياها في الاسلام فقد حصلت عليها دون هذا كله . بل دون أن تطالب بها ، فخولت هذه المكانة ومنحت هذه الحقوق لكونها مخلوقا انسانيا خلقه الله سبحانه مكملا للرجل ومعينا له ، ولأن الشريعة الاسلامية قد أرسيت قواعدها على الحق والعدل .

وهناك قسم كبير من مجتمعنا الحاضر يعاني من نكسة كالنكسة التي لازمت المجتمع الجاهلي ، الا أننا لا نستطيع — اليوم — أن نئد البنات لأن هناك بقية من القانون الأخلاقي الاسلامي يمسكنا ، وقانونا جنائيا يغلّ أيدينا ، ولكننا ان لم ندسهن في التراب وهنّ أحياء فاننا ندفنهن في ظلام الجهل !!

« واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون »
(المائدة : ١٠٤) .

مائدة القارئ

واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التـــوراة ومبشرابرسول ياتى من بعدى اسمه احمـــد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحرمبين .
صدق الله العظيم

قال صلى الله عليه وسلم : ان لي أسماء : انا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذى يمحو الله به الكفـــر ، وأنا الحاشر الذى يحشر النـــاس على قدمى ، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى .

الــم نشرح

حكى عن العتبى قال : كنت ذات ليلة فى البادية بحالة من الـــغم ، فالقى فى روعى بيت من الشـــعر فقلت :

أرى المـــوت لمن أصبـ
ـح مغمـــوما له أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف:

الا أيهـــا المرء الـــ
ـذى الهـــم به برح
وقـــد أنشد بيتـــا لـم
يزل فـــى فكـــره يسنح
اذا استبـــد بـــك العسر
ففكـــر فى ((الــم نشرح))
فعســـر بين يســـرين
اذا أبصرتـــه فافـــرح

فحفظت الابيات وفرج الله همى .

فقـــه عـــلى

جاء فى كتاب المغنى لابن قدامه : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنـــه استدعى يوما امرأة لسؤالها ، فقالت: يا ويلها . ما لها ولعمر ؟ فبينما هى فى الطريق اذ فزعت وفاجأها الطلق ، فألقت ولدا صاح صيحتين ثم مات ، فاستشار عمر أصحابه ، فأشـــار بعضهم ان ليس عليك شيء انما أنت وال ومؤدب ، وصمت علي رضى الله عنه ، فأقبل عليه عمر فقال له : ما تقول يا أبا الحسن ؟

فقال : ان كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأوا رأيهم وان كانوا قالـــوا فى هواك فلم ينصحوك .. ان ديته عليك لأنك أفزعتها فألقته .. واستجـــاب عمر لهذا الرأى .

الغوغـــــاء

الغوغاء : صغار الجـــراد ، ثم استعير للسفلة من الناس والمتسرعين الى الشر .

العتيق والهجين

العتيق : الجـواد الأصيـــل ، والهجين : الجواد غير الأصيـــل ، والهجنة في الخيل انما تكون من قبـل الأم ، فاذا كـــان الأب عتيقا والأم ليست كذلك كان الولد هجينا .

وأول من فرق بينهما القائد الفاتح سلمان بن ربيعة الباهلي . اذ دعـا بطست فوضعت على الأرض ، ثم قدمت الخيل اليها واحدا واحدا ، فما ثنى سنبكه (طرف حافره) ثم شرب هجنه ، وما شرب ولم يثن سنبكـه جعله عتيقا ، لأن أعناق الخيل العتاق طوال ، فهي لا تثنى سنبكها لطـول أعناقها ، ولأن أعناق الهجن ، قصار ، فهي لا تنال الماء الا بثني سنبكها .

احسن من القمر

قال رجل لامراته مداعبـا : انت احسن من القمر ، فظنت الزوجة انه يسخر منها ، فاكد لها قائـلا (انت طالق ان لم تكوني احسن من القمر) فظنت الزوجة انها اصبحت طالقة ، فذهبت مع زوجها الى فقيه لاستفتائه فقال لها الفقيه ان يمين زوجـك صحيحة وانك لم تطلقي لانك فعـلا احسن من القمر والدليل على ذلـك قول الله عز وجل ((لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم)) فانت من بنـي الانسان ، وبنو الانسان خلقهم اللـه في احسن صورة .



لحم القطـط

اتفق العلماء على حرمة لحم القطط التي تعيش في البيوت وهي صاحبة أنياب تفترس بها الطيـور الصغيرة والفئران ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم (أنه نهى عن اكل لحم الهر) .

الإسلام

والصحة النفسية

للأستاذ على القاضى

الصحة النفسية تعبير حديث يقصد به : أن يكون الانسان قادرا على التوافق مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش فيه بنفس خالية من الاضطرابات مليئة بالتفاؤل والأمل . فالشخص الصحيح نفسيا هو الذى يواجه مشكلات الحياة بأسلوب موضوعى فيحلها وكأنها ليست مشكلته وبذلك لا يهرب منها ولا يقابلها بانفعالات تؤذى ولا تفيد .

والاسلام جاء ليخرج الناس من الظلمات الى النور .

والقرآن أنزله الله ليكون شفاء ورحمة للمؤمنين (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**) ذلك لأن الايمان بالله نور يشرق فى القلب فتشرق به النفس فيرى الانسان الطريق أمامه واضحا فلا يصيبه اضطراب ولا قلق .

وعقيدة الاسلام حين تتغلغل فى النفس تدفعها الى سلوك ايجابى سليم يجعل المؤمن مطمئنا ثابتا (**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة**) .

والاسلام يجعل المسلم مرتبطا بالله تعالى فى كل خطوة من خطواته فهو يؤمن بالله وحده لا شريك له ومنه يستمد القوة والعون وهو يصلى لله خمس صلوات فى كل يوم يتلو فى كل صلاة (**إياك نعبد وإياك نستعين**)

عدة مرات ، ومن يجعل الله هو العون له فـــانه يحس بالأمن والطمأنينـــة والراحة لأنه يحس بأقوى سند فى هذه الحياة .

الصحة النفسية فى الطفولة :

يقول علماء النفس : (ان شخصية الانســـان تبدأ فى التكوين فى الأيام الأولى من الحياة ويتم تكوينها سريعا وتتبلور ملامحها من الصور المتلاحقة التى يستقبلها جهاز الأطفال العصبى والتى تتجمع من سلوك الآباء والأبناء) ولهذا كانت الدعوة الى الصـــلاة والتمسك بها والصبر عليها من أهـم الأشياء التى دعـــا اليها الاســلام **(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)** فالصلاة تجعل النفس تطمئن فتحس بأنها فى حمـــاية الله فتهدأ من قلق الوحدة وتشعر بالحماية من كل شر إلا ما شاء الله ، وفى الابتلاء تصبر هذه النفس على البلاء لتنال رضوان الله وتهدأ لأنهـــا تحس بأنها ليســت وحدها فى الوجود وكل ما حولها من صنع الله وهو صديق لها لأن اللـــه سخرها له **(سخر لكم ما فى الأرض جميعـــا)** فالنفس المسلمـــة ليســت كالنفس الغريبـــة التـــى تحس بـــأن الطبيعة عدو لها فهى لذلك فى صراع دائم معها .

ولقد حرص النبى الكريم على أن يغرس فى الناشئة من أبناء المسلمين أركان الصحة النفســـية حتى تكون حياتهم خالية من الاضطرابات والقلق وحتى تكون نفوسهم سليمة ومن ذلك أنه أوصى عبد الله بن عباس (وقـــد أردفه خلفه وهو صبى) أن يداوم الصلة بالله حتى يدوم له الأمن والطمأنينـــة فقـــال له : « يا غـــلام . احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشـــدة واذا سألت فاســـأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ولـــو اجتمعت على أن يضروك لـــم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك » .

ومن الملاحظ أن بلوغ سن الرشد الدينى للمسلم يأتى فى مرحلة مبكرة عن سن الرشد الاجتماعى وفى ذلك فائدة كبيرة للفرد المسلم ذلك لأنـــه سيخرجـــه الى الحيـــاة وهو حامل لرصيد كبير من الأسس النفســـية السليمة ومن الصلة القوية بالله ومن يقظة الضمير ومن توافق الانسان مع نفسه الأمر الذى يجعله يتغلب على صعوبات الحياة وتتزن انفعالاته فى فترة المراهقة بعد أن يكون قد تمكن من السيطرة على كافة نزعاته وذلك بفضل الإيمان الذى ينتج عن التربية الدينية الصحيحة وهـــو الدواء لكن مسلم إذ يحل له جميـــع مشـــكلاته ويجعـــله يعيش فى هـــدوء وعمل مستمر .

مطالب الإنسان فى الحياة :

لكل إنسان مطـــالب فى الحيـــاة بعضـــها يتحقق وبعضـــها لا يتحقق والإنســـان اذا أصـــابه خير فـــرح واستبشر واذا أصابه ضر ضاق وحزن وقد يؤثر هذا فى نفســـه ويؤثر فى سلوكه وقد يصيبه بالقلق والأمراض النفسية المختلفة والأمراض الجسمية المتنوعة .

والاسلام يعالج هذه الناحية فيبين للمسلم أن الشىء الذى يحبه قد لا يكون فيـــه الخير وأن الشىء الذى يكرهه قد لا يكون فيه الضر وعلم ذلك عند الله **(وعسى أن تكرهوا شـــيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شـــيئا وهـــو شر لكم واللـــه يعلم وأنتـــم لا تعلمـــون)** وبهذا يســـتريح قلب الانسان فلا يصبح موضع صراع لأنه يحس بأن ما أصابه من خير أو شر

هو خير بالنسبة له وان كان لا يعلم فيه وجه الخير .

قد يفكر الانسان فى عمل شىء ويقف مترددا هل يقدم او يحجم ؟؟ ان على الانسان أن يبحث هذا الأمر من جميع الزوايا وأن يستشير فيه أهل الذكر والأصدقاء والأخوة فان لم يهتد الى رأى قاطع فعليه أن يستخير الله ويطلب منه العون فى قالب عبادة يصلى ركعتين تطوعا ثم يدعو الله بدعاء مخصوص ثم يستخيره فأى شىء يوجهه الله اليه ففيه الخير ودعاء الاستخارة موجود فى كتب السنة وفى كتب الفقه وهو (**اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر (ويسمى حاجته) خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به**) .

وبهذا يستريح قلبه ويطمئن فؤاده فإن الله الكريم هو الذى أراد له هذا ففيه الخير كل الخير حتى وان كان لا يظهر له ذلك .

داخل المجتمع الإسلامى :

المسلم داخل المجتمع فى حاجة الى الأمن والطمأنينة ولذلك فقد جعل الله الصلة بين المسلمين هى صلة المودة فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر فهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وهو الناصح الأمين له وهو الصديق الذى يشاركه فى أفراحه وأحزانه .

والحب فى الله له مكانة عالية والاسلام يوجه المسلمين هذه الوجهة القوية ليستمر فيها ويسير عليها فالمتحابون فى الله لهم مكانة عالية عند الله يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء (ان من عباد الله اناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم من الله قالوا : يا رسول الله من هم ؟ قال : قوم من أمتى تحابوا على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله انهم لفى نور ولا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس) .

والحياة بين المسلمين حياة تعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، والتسامح هو الطريق الذى يزيد المودة بينهم ويبعد البغضاء (**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم**) وكظم الغيظ والعفو عن الناس دليل قوة النفس وتقوى الله ولقد كان الرسول الكريم قدوة فى ذلك كله .

والإنسان وحده قد يكون ضعيفا لا يقوى على تيار الحياة وصعوباتها وقد تنتابه الانفعالات المختلفة التى تؤثر على صحته الجسمية والنفسية ولذلك ينصحه القرآن بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه والمسلم بهذا مستقل عن القيم الزائفة فى مجتمعه لأنه يؤمن بالقيم التى أقرها الاسلام .

وتطلع الانسان الى ما فى يد غيره وتطلعه الى أن يكتسب أشياء فوق قدراته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية يجعل الانسان دائم الضيق والألم وقد يدفعه هذا الى الانحراف حتى يصل الى مثل ما وصل اليه غيره والقرآن يعالج هذه الناحية فيطلب من المسلم القناعة (**ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض**) فان أراد شيئا فليسأل الله من فضله فان أعطاه

شكر وان لم يعطه صبر وله الثواب فى الحالتين . ومع ذلك فقد يكون ما فى يد غيره مقصـود به الفتنة وقد عافاه الله منها (**ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى**) فتستريح نفسه ويشكر الله الذى عافاه من هذا الابتلاء وينبعـد نفسه بذلك عن كثير من المشكلات النفسية وهو بهذا يستعلى عن المغريات ولو كان فى حاجة اليها ويتوج هذا كله بأن يطلب المسلم من الله أن يصفى قلبه وألا يجعل فيه غلا لأحد (**ولا تجعل فى قلوبنا غِلا للذين آمنوا**) .

والاسلام يعطى للفرد أهميته ويجعل له مكانا مستقلا عن الناس جميعا حتى ولو ظن غير ذلك (كلكم على ثغرة من ثغر الاسلام فلا يؤتين من قبله) وهو بهذا يجعله يثق بنفسه ويبعده عن الأمراض النفسية اذ هى نوع من فقدان الثقة بالنفس وفقدان الأمـل .

وعلاج هذه الأمراض النفسية يكون بالايمان الذى ينتج عن التربية الدينية الصحيحة .

المسلمون فى فترات الشدة :

تمر بالمجتمع الاسلامى فترات شدة حين تكون الحرب مستمرة بين الكفار والمسلمين وحين ينهزم المسلمون فى موقعة من المواقع فيستولى الحـزن على نفوسهم لانتصار أعدائهم عليهم. وحتى لا تتأثر صحتهم النفسية وروحهم المعنوية بذلك يبين لهم القرآن الكريم أن المسلم قوى فى كل حالاته ما دام متصـلا بالله مؤديا لواجبه وعلى المسلمين الا يهنوا ولا يضعفوا وعليهم الا يحزنوا ولا ييأسوا فهم الأعلون فى كل وقت حتى وإن انهزموا فان كل ما لاقوه من صعوبة هو فى ميزان حسناتهم ومن استشهد فله الجنة ، والى جانب ذلك فان الأعـداء قد أصابهم من الشدة مثل ما أصاب المسلمين وما هذه الهزيمة الا اختبار لمدى صبرهم على البأساء والضراء حتى يتبين الصادقون من غيرهم (**ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**) .

ثم يطلب الله جل شأنه من المسلمين أن يكونوا متفائلين دائما وأن يبعدوا اليأس عنهم فان المؤمن متفائل دائما لأنه يحس بأن الله معه دائما (**ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون**) . ويطمئنهم بأنه معهم دائما اذا سألوه فانه قريب منهم يجيبهم اذا دعوه (**واذا سألك عبادى عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان**) . وهذا نهاية الأمن والطمأنينة التى يحتاج اليها الانسان .

وفى ظلال التربية الاسلامية لا نجد شيئا من الأمراض النفسية التى تجعل حياة الناس جحيما لا يطاق .

وفى ظلال التمسك بالقيم الاسلامية يعيش الناس جميعا فى رضا وفى هدوء وفى سعادة ، كل فرد يحس بكيانه يعرف حقوقه وواجباته يحس بأن من فى الكون وما فى الكون صديق له فالناس أخوة له يحبونه ويتعاونون معه ويعملون معه فى سبيل هدف مشترك لخير الناس جميعا والطبيعة كلها مسخرة لمصلحته يستخدمها بالطريقة التى تفيده . وبذلك يرضى عن نفسه وعن مجتمعه ويرضى عنه مجتمعه وهذا نهاية ما يؤمله كل مجتمع من المجتمعات التى تريد أن تحيا حياة سعيدة .

يومان في حياة

للدكتور محمد الدسوقى

١ — فى حياة الرسل والأنبياء والمصلحين والمجددين أيام مشهورة وأحداث بارزة تعكس مبلغ ما بذل هؤلاء من الجهاد والكفاح من أجل ان تسود كلمة الحق والخير ، كما تعكس أيضا سطوة الباطل وحرصه الشديد على التصدى دائما لدعوات الهداية والاصلاح .

وكان خاتم الهداة والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل فى كل شيء ، وكانت حياته المباركة كلها صفحة مشرقة بجلائل الأعمال ، ومن ثم تعد هذه الحياة بلا جدال الأسوة الحسنة للدعاة فى سبيل الله ، والصورة المثلى للبذل والفداء ، والآية الصادقة على أن الايمان الذى لا تشوبه شائبة ما لا تنال منه أعاصير البغى والكفر مهما قست وطغت ، ولا تزيده الشدائد والمصائب الا مضاء فى العزيمة وثباتا فى اليقين واصرارا على الجهاد والتضحية .

٢ — ولا مجال فى هذه الكلمة للحديث عن تلك الحياة الفريدة فى تاريخ البشرية ، ومهما يكتب الكاتبون فيها فانها ستظل أبدا فى حاجة إلى مزيد من الحديث عنها ، والكشف عن مثلها وقيمها الرائعة ، فهى غنية بالمثل والقيم التى يبحث عنها الانسان فى ظل الحضارة المادية الحديثة ، عله ينجو مما يقاسيه من القلق والاضطراب ، ولكنى — تحية لذكرى المولد الشريف — أقصر الحديث فى ايجاز على يومين من حياة رسولنا الكريم هما :

أ — يوم الطائف .

ب — يوم الفتح .

الرسول صلى الله عليه وسلم

لأنهما وإن تفاوتا من حيث ما وقع فيهما للرسول عليه الصلاة والسلام تجمعهما صفة الرحمة والرأفة فى حياة الرسول العظيم .

٣ ـــ والحديث عن يوم الطائف يقتضى الاشارة الى طرف من الأحداث قبله، فقد كانت الجاهلية فى مكة منذ صدع محمد بأمر ربه تحاول ما استطاعت أن تحول بين محمد وما يدعو اليه ، وكانت تسوم المؤمنين برسالته كل الوان الأذى والعنت ، بيد أنها ما كانت تجرؤ على إيذاء الرسول كما كانت تؤذى أصحابه واتباعه ، لمكانة عمه ابى طالب فى قريش ، ولبطولة هذا العم فى الدفاع عن ابن أخيه (١) ، وليس أدل على هذا من موقفه يوم قدم وفد قريش اليه قائلا له ! يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فقال لهم أبو طالب قولا جميلا ، وردهم ردا رفيقا فانصرفوا عنه ، وهم يحسبون أنه سيقف دون محمد وما يدعو اليه ، ولكن محمدا مضى فى طريقه يبلغ رسالة ربه غير عابىء بما تضعه الجاهلية من أشواك أمامه وأمام الذين آمنوا به .

وذهب وفد قريش مرة ثانية الى أبى طالب واتسمت لهجتهم فى الحديث معه هذه المرة بالحدة والتهديد بالحرب إن لم يمنع ابن أخيه من سب الآلهة والآباء ، وتسفيه الأحلام وفتنة الأرقاء والضعفاء ، واحتار الشيخ الوقور بين مشاعره نحو ابن أخيه واحساسه بالانتماء إلى قومه ، ولم يجد خلاصا مما هو فيه من حيرة سوى أن يبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه ما قالت قريش ، ثم أردف هذا بقوله : ابق على نفسك وعلى ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق ، وما كاد أبو طالب يلفظ بهذه العبارة فى هدوء يشوبه القلق والأسي حتى استولى على الرسول احساس بأن عمه قد خذله وضعف عن نصرته ، غير أن هذا الاحساس لم ينل من الايمان الذى لا يغلب ولا يهن ، فقال الرسول

لعمه تلك القولة التى أصبحت شعارا للفداء وثبات اليقين : يا عماه والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه .. ما تركته (٢) .

ويروى أن الرسول بكى بعد هذا وقام منصرفا ، ولكن عمه ناداه وقال له : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا ، وانشد :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا (٣) .

٤ ــ فلما توفي أبو طالب فى السنة العاشرة من المبعث ، وتوفيت بعده بقليل السيدة خديجة رضى الله عنها حزن الرسول لموتهما حزنا شديدا حتى سمى العام الذى ماتا فيه عام « الحزن » .

وبموت أبى طالب وخديجة تتابعت الشدائد والمصائب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ، فخديجة رضى الله عنها كانت سندا لزوجها بما توليه من حبها وبرها ومن رقة نفسها وطهارة قلبها وقوة إيمانها (٥) لقد كانت له وزير صدق على الابتلاء يسكن (٦) اليها فتهون عليه كل شدة وتزيل من نفسه كل خشية ، وأما أبو طالب فقد كان لابن أخيه حمىوملاذا من خصومه وأعدائه ، ومن ثم تجرأت قريش على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موت عمه وزوجه ، وأسرفت فى إيذائه والاساءة اليه ، فقد روى عن ابن مسعود قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى جزور بنى فلان فيضعه بين كتفى محمد « عليه الصلاة والسلام » إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه .

فلما سجد النبى صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل على بعض ، وأنا قائم أنظر ، لو كانت لى منعة طرحته عن ظهره ، والنبى صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة .

فجاءت ــ وهى جويرية ــ فطرحته عنه ، ثم أقبلت عليهم تشتمهم (٧) .

كما يروى أن بعض سفهاء قريش نثر على رأس الرسول ترابا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إحدى بناته تغسله وتبكى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تبكى يابنية فإن الله مانع أباك .. ثم كان يقول بين ذلك : ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب (٨) .

٥ ــ وضاق الرسول بمكة بعد أن ضاقت به وتنكر له الناس حتى أقربهم إليه وادناهم منه ، فخرج إلى ثقيف بالطائف يلتمس عندهم النصر والعون والجوار (٩) ، وبين مكة والطائف نحو خمسين ميلا والطريق وعر ، يخترق سلسلة من الجبال ، وقد قطع محمد صلى الله عليه وسلم هذه المسافة ــ فى ذهابه ورجوعه ــ على قدمه ، ولم يكن معه غير مولاه زيد بن حارثة ، وحين انتهى الرسول الى الطائف عمد الى جماعة من أشراف ثقيف ، ودعاهم الى الاسلام ، فسخروا منه وهزئوا به ، ومكث الرسول يتردد على منازل القوم

عشرة أيام ، فما رأى منهم جميعا إلا ردا منكرا ، فلما يئس عليه السلام من خيرهم طلب منهم أن يكتموا عليه أمره معهم حتى لا تزداد عداوة أهل مكة له ، وشماتتهم به ، ولكن القوم كانوا أخس مما ينتظر ، فقد قالوا له : اخرج من بلدنا ، ولم يكتفوا بذلك ، فقد حرشوا عليه الصبيان وأغروا به السفهاء والعبيد يسبونه ويرمونه بالحجارة ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس في صورة كريهة تبعث على الأسى والألم وزيد بن حارثة يحاول — عبثا — الدفاع عنه حتى شج في ذلك رأسه (١٠) .

وكان الرسول يحاول أن ينأى عن هؤلاء السفهاء الذين تملكتهم حمى السخرية والايذاء ، ولكنهم ظلوا يطاردونه ويركضون وراءه حتى وجد نفسه أخيرا يدخل بستانا ، فانصرفوا عنه ، وقد أدموه وأرهقوه كل ارهاق .

٦ — وأوى الرسول إلى ظل شجرة في بستان ابني ربيعة بعد هذه المطاردة المؤلمة ، وقد عز عليه ما كان من ثقيف التي سعى اليها يدعوها للتي هي أقوم ، ويلتمس لديها الجوار والنصرة ، فلم يجد منها الا القسوة والجفوة وسوء الخلق وكان هذا الذي حدث له في الطائف ذكره بما حدث له في مكة فاتجه الى السماء قائلا : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، أنت أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ، ، إلى بعيد يتجهمني أم الى عدو ملكته أمري ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك ، أو ينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك (١١) .

٧ — وكان يوم الطائف أو ثقيف لما أومأت اليه أشد الايام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وظل عليه السلام يذكر هذا اليوم وما كان فيه من حماقة أهل الطائف ، فقد روى عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لرسول الله صلىالله عليه وسلم : هل اتىعليك يوم أشد من أحد(١٢) ؟ قال : لقيت من قومي ما كان أشد ، قال : وكان أشد ما لقيت منهم يوم ثقيف ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت على وجهي وأنا مغموم فلم استفق الا أنا وبقرن الثعالب (١٣) فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال : ان الله قدسمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم على وقال : يا محمد : انا ملك الجبال ، وقد بعثني ربي اليك لتأمرني بما شئت فان شئت ان أطبق عليهم الأخشبين (١٤) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا (١٥) .

هذا يوم الطائف ، يوم بلغت فيه الجهالة والضلالة ذروة المنكر والشر ، كما تجلت فيه بعض أخلاق النبي الأمي الذي بعثه ربه رحمة للعالمين وأثنى عليه في كتابه المبين بقوله تعالى : وإنك لعلى خلق عظيم (١٦) .

٨ — ولم يستطع الرسول دخول مكة بعد رجوعه من الطائف حزينا إلا

فى جوار المطعم بن عدي ؛ فالجاهلية في تلك المدينة قد اهتبلت تلك الأحداث التي ألمت بالرسول فادخلت علي قلبه الحزن الشديد ، وأخذت تفكر جديا في قتله وتصب العذاب صبا على كل من آمن به ، فكان دخول مكة بعد يوم الطائف محفوفا بالمخاطر الجسيمة ، وكان الجوار ضروريا لتجنبها حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .

وأخذت الاحداث تترى بعد ذلك ، والكفر لا يدخر وسعا فى عدوانه وطغيانه والرســـول الأمين لا يألو جهدا فى تبليغ ما أمره الله به ، ثم كانت الهجرة الى يثرب لا فرارا من البطش والاضطهاد ولكن تحولا إلى بيئة جديدة تصلح للدعوة الخاتمة حتى يمكن أن تقام الدولة وتعد القوة ، حماية للحق وتمكينا له ، وردعا للباطل وقضاء عليه ، فالحق بلا قوة تذود عنه فكرة ذهنية مجردة لا تستطيع أن تعيش فى دنيا الناس ، ولهذا خاضت القلة المؤمنة بعد الهجرة معارك عديدة ضد الكثرة المشركة ، فما أجدت كثرة هؤلاء شيئا ، وما حالت قلة المؤمنين بينهم وبين الظهور على أعدائهم من المشركين والمنافقين واليهود .

٩ — وأما يوم الفتح فقد كان فى شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، كان قمة الانتصار لدعوة الحق ، ففى هذا اليوم دالت دولة الشرك ، وطهر البيت الحرام من الاوثان والاصنام ، ودخل الناس بعده فى دين الله أفواجا .

على أن يوم مكة أو فتحها لا يمثل عدوانا على أهلها ، فهم قد نقضوا ما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية ، إذ كـــان من مبادىء هذا الصلح أن من أحب ان يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده (١٧) .

ودفعت سورة الحقد الجاهلى قريشا وحلفاءها من بنى بكر الى مهاجمة خزاعة — وهى مع المسلمين فى حلف واحد — وقاتلوهم فأصابوا منهم رجالا وانحازت خزاعة الى الحرم ، اذ لم تكن متأهبة لحرب ، فتبعهم بنو بكر يقتلونهم وقريش تمدهم بالسلاح وتعينهم على البغى(١٨) .

١٠ — وفزعت خزاعة ، لما حل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبره بما أصابها وبما كان من تحالف قريش مع بنى بكر عليها ، بالاضافة الى أن ما قامت به قريش نقض صريح للعهد ، ولا سبيل إلى نصر خزاعة والرد على نقض العهد الا بإعداد الجيوش لفتح مكة حتى لا تكون فتنة ويكــون الدين كله لله .

ولم يمض وقت طويل حتى كان المسلمون قد تجهزوا للسير نحو مكـــة ، ولم تنجح محاولات قريش فى اقناع الرسول بالعدول عن عزمه ، ولم يترك الرسول لأهل مكة الفرصة حتى يستعدوا للقائه ، حرصا منه عليه السلام على ان يباغت القوم فى غرة منهم فلا يجدوا له دفعا فيسلموا من غير أن تراق الدماء ، ولذلك كانت أوامر الرسول للقواد الا يحاربوا أو يسفكوا الدم الا اذا أكرهوا على ذلك ، ليدخل المسلمون البلد الحرام آمنين مطمئنين ، وليظل

لهذا البلد قدسيته وحرمته فلا يخاف فيه انسان ولا تزهق فيه أرواح ، ولـذا يروى أن زعيم الأوس سعد بن عبادة حين ذكر ما فعل أهل مكة وما فرطوا فى جنب الله ، وأدرك أنهم لا حول لهم أمام قوة المسلمين صاح قائلا : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة . وبلغت هذه الكلمة مسامع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأمر بنزع اللواء من سعد ، ودفعه الى ابنه مخافة أن تـكون لسعد صولة فى الناس (١٩) .

١١ ـ وكان جيش المسلمين نحو عشرة آلاف مجاهد ، وقد دخل هذا الجيش مكة دون مقاومة او قتال اللهم الا ما كان من الفرقة التى قادها خالد ابن الوليد ، فقد اعترض لها بعض المشركين ، ولكنهم لم يصمدوا أمام بأس خالد ورجاله وولوا منهزمين .

وبعد أن أخذ الرسول الكريم حظا قليلا من الراحة فى قبته التى ضربت له على مقربة من قبرى أبى طالب وخديجة امتطى ناقته القصواء ، وسار بها حتى بلغ الكعبة فطاف بالبيت سبعا ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحـة ففتح الكعبة ، فوقف الرسول على بابها وتكاثر الناس فى المسجد فخطبهم قائلا : يا معشر قريش ، ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمهـا بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب ، ثم تلا قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » ثم قال : يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء(٢٠) .

وبهذه الكلمة صدر العفو العام عن قريش وأهل مكة جميعا ، وهو عفو لا يصدر الا عن قلب كبير لا يعرف غير الحب والتراحم والرأفة ويزيد من جلاله وروعته صدوره فى لحظة القوة والغلبة ، فالقوى الذى ينتصر من الضعيف أضعف الضعفاء ، والقوى الذى يصفح عن عدوه وهو قادر عليه أرحم الرحماء وأشرف الأقوياء .

١٢ ـ وبعد فهذه كلمة موجزة عامة عن يومى الطائف والفتح ، وفيهما تجلت عظمة الرسول الانسان الذى جاهد فى الله حق جهاده ، والـذى تحمل ما تحمل من المشقات فى سبيل انقاذ قومه من دياجير الكفر والوثنية ، وما كان يؤلمه إيذاء قومه له بقدر ما كان يؤلمه عكوفهم على أصنامهم وجاهليتهم وعـدم ايمانهم بما جاءهم به من عند ربه ، لأنه يعلم أن مآلهم بهذا الضلال والعناد جهنم وبئس القرار ، ولذلك كان عليه السلام فى ساعـات العسر واليسر ولحظات الهزيمة والنصر الانسان الرحيم الذى بلغ الذروة فى الحب والعفو والصفح ، والذى واجه الاذى والاضطهاد بالاغضاء والدعاء بما هو خير كما حدث فى يوم الطائف ، فلم يشأ أن ينزل العقاب المدمر بهؤلاء السفهاء ، وانما رجا الله تبارك وتعالى أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده .

وفى يوم الفتح وقف أمامه فى ذلة وضعف من كانوا بالأمس يأتمرون به ليقتلوه ، ومن أساءوا اليه والى أصحابه اساءة تجاوزت كل حد ، وكـان عليه السلام يستطيع أن يعاقب هؤلاء القساة الظالمين ولا جناح عليه فى

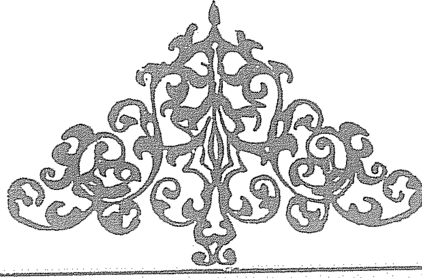
ذلك ، فجزاء سيئة سيئة مثلها ، ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة تعفو عمن ظلم وتدفع دائما بالتي هي أحسن ، وهذا بعض اسرار العظمة الانسانية في حياته عليه السلام .

لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم رحيما عظيما في ضعفه وقوته ، ما عرف الانتقام سبيلا الى فؤاده ، وما جازى مسيئا باساءته ، وما حرص على شيء حرصه على أن يخرج قومه من الظلمات الى النور ، وصدق الله العظيم « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » (٢١) .

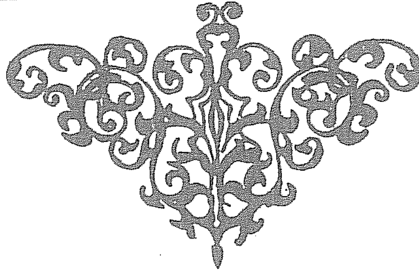
فما أجدر الدعاة والقادة والحكام والناس كافة أن يسترشدوا بسيرة هذا النبي الانسان الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فهي كلها دروس رائعة تنير معالم الطريق نحو حياة انسانية كريمة تليق بالانسان الذي كرمه الله وجعله خليفة له في أرضه وصدق الله العظيم « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٢٢) .

---

(١) فقه السيرة للاستاذ محمد الغزالي ص ١٢٩ .
(٢) فقه السيرة ص ١١٤ .
(٣) فقه السيرة ص ١١٥ .
(٤) أنظر السيرة النبوية لابن كثير حـ ٢ ص ١٢٢ .
(٥) حياة محمد لهيكل ص ١٨٦ .
(٦) السيرة النبوية لابن كثير .
(٧) فقه السيرة ص ١٢٩ .
(٨) انظر سيرة ابن هشام م ١ ص ٤١٦ .
(٩) على هامش السيرة حـ ٣ ص ١٤٠ .
(١٠) فقه السيرة ص ١٣١ .
(١١) السيرة لابن هشام م ١ ص ٤٢١ .
(١٢) في احد كسرت رباعية الرسول وجرح وجهه وكسرت البيضة على راسه ، واصيبت ركبتاه فضلا عن استشهاد عدد كثير من الصحابة ومنهم حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم (انظر امتاع الاسماع للمقريزي حـ ١ ص ١٢٥) .
(١٣) موضع تلقاء مكة على مرحلتين منها . (١٤) الاخشبان : جبلان بمكة .
(١٥) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص ٩٨ .
(١٦) الآيــة ٤ في سورة القلم .
(١٧) السيرة لابن هشام م ٢ ص ٣٩٠ .
(١٨) فقه السيرة ص ٤٠٣ .
(١٩) المصدر السابق ص ٤١٣ .
(٢٠) السيرة لابن هشام ، م ٢ ص ٤١٢ .
(٢١) الآيــة ١٢٨ في سورة التوبــة .
(٢٢) الآيــة ٢١ في سورة الاحزاب .



أساليب التعليم عند..
المسلمين



للأستاذ محمد الحسيني عبد العزيز

شجع النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين على طلب العلم وامتدح من يتعلم القرآن الكريم والفقه وأثنى على من يعلم جيرانه ، وبعث الرسول الى يثرب مصعب بن عمير بن عبد مناف ليعلم الاثنى عشر مسلما من الانصار ممن بايعوه في العقبة الاولى أمور دينهم ويقرأ عليهم كتاب الله ويفقههم في أمور الشريعة ، ويؤمهم في صلاتهم ، كما استخلف عتاب بن أسيد على أهل مكة ليعلمهم القرآن ، كما أرسل عمرو بن حزم الخزرجي الى نجران ليفقه أهلها في الدين ويعلمهم القرآن المبين ، وبعث أبا عبيدة عامر بن الجراح الى بلاد اليمن ليعلم أهلها ممن أسلموا أصول الدين وقراءة القرآن .

وما أعظم قوله تعالى « **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » ففي هذه الآية الكريمة أبلغ دلالة على فضل العلم وأهميته ، كما امتدح سبحانه أهل العلم وفضلهم على غيرهم درجات . وكان هذا حافزا للمسلمين على مواصلة العلم وطلبه مهما لاقوا من صعوبات وما صادفوا من عقبات لأن العلم ينير العقول ويشرح الصدور ويرفع من مستوى الانسان ويجعله قادرا على أن يميز بين الخير والشر . وهكذا وجهت

دعوة الاسلام العرب الى التفقه فى الدين وطلب العلم وتنافسوا فى هذا السبيل ورحلوا من مكان الى مكان للاستماع للعلماء والمحدثين فصقلت عقول العرب المسلمين واستنارت أفئدتهم ونمت مواهبهم وازدادوا ثقافة وعلما فكان لهذا أكبر الاثر فى تمدنهم وتحضرهم .

وكان القرآن الكريم هو المصدر الأول لعلوم اللغة والدين فأقبل المسلمون على قراءته وفهم معانيه والاقتباس من محكم آياته ومن أساليبه البليغة وعباراته الفصيحة مما رفع مستوى العقول العربية وزاد من ثقافة العرب ووسع مداركهم إذ عرفوا كثيرا من قصصه فعلموا أخبار الأمم والشعوب السابقة ، وأسهمت دراسة الكتاب الحكيم فى تقدم علوم النحو والبلاغة وظهرت طبقة من القراء والمفسرين الذين فهموا تفسير القرآن وأسباب نزوله كما أصبح البعض قادرا على استنباط الأحكام التى كانت الخطوة الاولى لنشأة علم الفقه وبحوثه .

كما اهتم المسلمون فيما بعد بجمع الحديث النبوى الذى يضم شرحا للعبادات وتفصيلا لما جاء فى القرآن من أحكام المعاملات والتشريع والجنايات ، كما أن الحديث حوى كل ما يتعلق بحياة النبى فى مكة وحياته فى المدينة بعد هجرته اليها وغزواته ، وأعمال الخلفاء والفتوحات التى تمت فى عهدهم مما عرف بالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين وكان المنطلق لعلم التاريخ والأساس الذى سار عليه المؤرخون فى كتب المغازى التى اتبعت نظام الرواية بنفس طريقة الحديث .

وهكذا كانت علوم الدين أول العلوم التى اشتغل بها المسلمون وكان القرآن تدوينه وتفسيره والحديث وروايته والفقه أول العلوم التى مارسها المؤمنون ، وجاء بعدها الاهتمام بعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة . وظل الحال كذلك فى العصر الأموى حيث كانت مسائل العلم تدور حول القرآن وتفسيره ، وعلم الحديث وشرحه ، بل أن علم النحو نفسه جاءت كتابته ووضع قواعده بعد أن كثر اللحن بين الناس .

أما فى العصر العباسى فقد ظهرت الى جانب علوم الدين واللغة التى عرفت باسم العلوم النقلية علوم مستحدثة عرفت بالعلوم العقلية كدراسة الطب والكيمياء والطبيعة والفلك وغيرها ، وقد أوضح ابن خلدون فى مقدمته هذين النوعين من العلوم بقوله : « إن العلوم صنفان : صنف طبيعى للانسان يهتدى اليه بفكره ، وصنف نقلى يأخذه عمن وضعه . والأول هى العلوم الحكمية الفلسفية ، وهى التى يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة تفكيره ، ويهتدى بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها ، وانماء براهينها ، ووجوه تعليمها ، حتى يوقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو انسان ذو فكر ، والثانى هى العلوم النقلية لوضعية ، وهى كلها مستندة الى الخبر عن الوضع الشرعى ، ولا مجال فيها للعقل الا فى الحاق الفروع من مسائلها بالاصول . »

وقد وصلت الى العرب العلوم العقلية متطورة منظمة فلما ترجمت كادت تكون مكتملة ، ولم يكن أمام المؤلفين الا دراسة هذه العلوم وتمحيصها والعمل على تحسينها بما توصلوا اليه من تجربة ودراسة

وتطبيق . وكان التطبيق والتجربة وامتحان الحقائق عمليا هو طريق علماء المسلمين في البحث وبهذا سبقوا المفكرين الأوروبيين ووضعوا أصول العلم والدراسات التجريبية ونقدوا الاخطاء وتوصلوا الى الصواب .

المساجد معاهد للعلم :

وكان مسجد الرسول في المدينة مكانا للدراسة كما ظل كذلك أيام الخلفاء الراشدين والأمويين حيث كان الفقهاء يحدثون ويفسرون آيات الكتاب المبين ويروون الأحاديث ويشرحون النصوص للمسلمين ، وكان ربيعة الرأى يجلس فى مسجد النبى بالمدينة ويلتف حوله التابعون ، وكذلك كان الحال فى مسجد البصرة حيث كان يجلس الحسن البصرى ويشرح بأسلوب قصصى ، وبجانب حلقات الدين كانت هناك حلقات اللغة لمن يريد أن يجيد ويتقن اللغة العربية وقد حدث هذا فى مسجد عمرو بالفسطاط بمصر .

وأصبح مسجد عمرو بن العاص في مصر المدرسة الاولى لتعليم أصول الدين وعلومه ففى رحابه جاءالصحابة والتابعون ليشرحوا ويفسروا القرآن ويوضحوا الأحكام الشرعية ، وعلى راسهم عبد الله بن عمرو بن العاص، ويزيد بن حبيب والليث بن سعد ومحمد بن ادريس الشافعى ممن أخذ عنهم أهل مصر أمور دينهم .

ولما أسس جوهر الصقلى الجامع الازهر ليكون مركز الدعوة الفاطمية كان المسجد معهدا تعقد فيه حلقات العلم ودروسه وكلف العزيز بالله الخليفة الفاطمى وزيره يعقوب بن كلس ليرعى العلم فصرف الوزير كل جهوده ليصبح الأزهر أعظم المساجد والمعاهد العلمية فى عصره ولينافس بغداد ومعاهدها العلمية ورصد الأموال للدارسين والاساتذة ووفر لهم العيش الكريم والحق بالجامع مكتبة فخمة .

كما أصبحت دار العلوم التى انشأها العزيز بالله مكانا للبحث العلمى .

وضمت مكتبة الأزهر أنفس المخطوطات من كل مكان فانصرف الطلبة والباحثون للدراسة والتأليف مما ظهرت آثاره واضحة فى الانتاج الأدبى والتاريخى الذى ظهر فيما بعد فى انتاج الموسوعات الادبية مثل صبح الأعشى فى صناعة الانشا للقلقشندى والنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى ، والخطط للمقريزى الذى يعتبر مرجعا تاريخيا وجغرافيا ومعماريا عن مساجد مصر وآثارها ومدارسها وعمائرها .

واعتمد نظام التدريس فى الأزهر على نظام الحلقات حيث كان الاستاذ يقف ويحاضر أمام تلاميذه ويبدأ النقاش والجدل ، ويعهد لكل طالب بكتابة بحث ودراسة موضوع معين وهذا ما يعرف فى أيامنا بالرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراة فكان الجامع الأزهر أول جامعة دينية وعلمية تبتكر هذا الاسلوب وتصبح قبسا للجامعات فى العصور الوسطى بأوروبا .

وقد حاضر فى هذا المعهد العتيق نوابغ الاساتذة وفحول العلماء أمثال العالم المؤرخ ورائد علم الاجتماع ابن خلدون ، كما تولى التدريس به عبد اللطيف البغدادى الرحالة والمؤرخ المشهور الذى قال أنه القى به دروسا فى الطب ، وشارك فى هذه المحاضرات أئمة الحديث أمثال الشافعى والبخارى والغزالى ومن

الشعراء أبو ناس وأبو تمام وأبو الطيب المتنبي وغيرهم .

وقد أنتعشت الحركة العلمية فى مصر وأينعت بسبب هجرة كثير من علماء المشرق خاصة بعد سقوط بغداد فى يد المغول كما نزح الى مصر علماء من الأندلس وقد حضر هؤلاء وحملوا الى مصر مؤلفاتهم وأفكارهم فأسهموا فى تطوير النهضة الأدبية والفكرية فى البلاد .

وتعتبر مكتبة الفاطميين لا نظير لها فى العالم حيث كانت تضم زهاء مليون وستمائة ألف مجلد ومن بينها ستة آلاف وخمسمائة كتاب فى الرياضيات وثمانية عشر الف فى الفلسفة .

هذا بخلاف المكتبة التى اسسها الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى والتى كانت تشغل ثمانى عشرة قاعة للدراسة والاطلاع .

ومن أعظم علماء الطبيعة الذين ظهروا فى مصر الحسن بن الهيثم الذى استدعاه الخليفة الحاكم الى مصر لينظم فيضان النيل والذى ابتكر نظريته الخاصة بالأشعة والانكسار التى تعتبر نقطة تحول فى أبحاث العالم فى علم الضوء كما اكتشف أن جميع الأجرام السماوية ومن بينها النجوم الثابتة ترسل نورها عدا القمر الذى يستمد نوره من الشمس . وأدرك هذا العالم المصرى أخطاء علماء اليونان وقال أن العين لا ترسل أشعة بصرية بل العكس هو الصحيح فان الجسم المرئى هو الذى يرسل أشعة الى العين وأن عدسة العين هى التى تحوله . وهكذا أثبتت الأبحاث صحة نظرية ابن الهيثم الذى يعتبر واضع أساس النظرية التجريبية وقد سبق بهذا العالم الاوروبى روجر بيكون الذى ينسب اليه الاوروبيون وضع الأبحاث التجريبية .

ولم تقتصر أبحاثه على هذا بل أوجد رأيه الخاص بمصادر الضوء وأوجد دراسة خاصة بطبيعة القاء الظل كما سماها وأول تجربة قام بها هى الخاصة بجهاز يشبه آلة التصوير الذى أثبت عن طريقه استقامة خطوط الضوء وأوجد تعليلا لانكسار الاشعاعات عندما تمر خلال وسيط كالهواء وطبق معلوماته على اجهزة البصريات وحسب الانعكاس فى قطاع المرآة الكروية واهتدى الى قوانين كشاف الضوء ومعظم نظرياته فى الطبيعة ظلت مسيطرة على هذا العلم فى أوروبا حتى القرن الحالى .

كما ازدهرت الحركة العلمية فى مصر أيام الأيوبيين والمماليك اذ وجه صلاح الدين الأيوبى عنايته الى انشاء المدارس السنية لتولى تعليم الناس الفقه السنى وكانت هذه المدارس هى الطريق الى الدراسات العليا فى المعاهد العلمية كالأزهر الذى أصبح جامعة لدراسة الشريعة الاسلامية والمذاهب الأربعة المعروفة الى جانب قيامه بحفظ التراث الاسلامى وحمل مشعل الثقافة الدينية واللغوية وعلوم التاريخ والجغرافيا والطبيعة والفلك والاحياء وغيرها .

الاجازات العلمية :

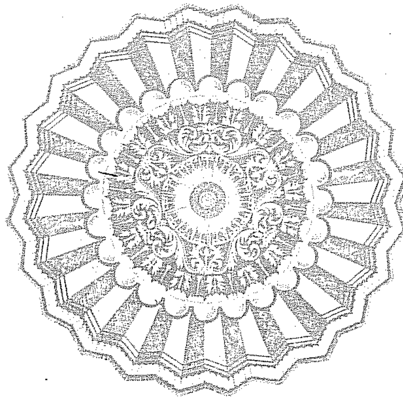
وفى حلقات المساجد الجامعية تكون المرحلة النهائية للدراسة حيث تعقد بها حلقات فى الفقه وثانية فى اللغة وثالثة فى النحو ورابعة فى الحديث وللمتعلم أن ينضم الى أى حلقة وله أن يختار أى أستاذ يشاء ، فاذا وجد الطالب فى نفسه المقدرة جلس مكان المعلم ليناقشه العلماء فاذا أثبت جدارة وكفاية صار من حقه أن يرأس احدى الحلقات .

ولم تكن الشهادات العلمية معروفة فى صدر الاسلام فكان الطالب يسعى لطلب العلم اذا اتيحت له فرصة من فراغ واذا كان يحترف العلم واظب على حضور حلقات الدرس ليكون جديرا بمهنة المعلم التى يسعى للوصول اليها والتى تحتاج منه لعلم ومنطق ومقدرة للوقوف أمام الطلبة والاجابة على اسئلتهم المحرجة واذا استطاع هذا حق له أن يتصدر حلقات العلم وعندما يتأكد المدرس من استيعاب الطالب للعلم كتب له شهادة على الورقة الاولى أو الاخيرة من الكتاب الذى عهد إليه بدراسته يبين فيها أن الطالب قد أتم قراءة الكتاب وأجاز له تدريسه .

وتدل الاجازة العلمية على المستوى العلمى الذى وصل اليه الطالب ولا تمنح الاجازة الا لذوى المعرفة الذين تهىء لهم اجازة تدريس الكتاب المجاز به أو رواية الحديث المأذون لهم فى روايته ، ويشترط للمجيز أن يكون عالما بما يجيز وثقة فى دينه ، معروفا بالعلم وأن يكون المستجيز من أهل العلم متسما بسمة حتى لا يوضع العلم الا عند أهله .

هذه هى الأساليب العلمية التى بدات بالمساجد والقصور والمدارس والتى كانت قبسا للجامعات الأوروبية التى سارت فى نظامها على هذه الطريقة خاصة حينما نشأت الجامعات فى انجلترا .

وبهذا كان المسلمون هم رواد الحركة العلمية والبحث وواضعى أساس النظام التجريبى فى البحث العلمى التى أدت الى النهضة العلمية التى ينعم بها الانسان وأسهمت فى تنمية المعرفة وازدهار العلوم والفنون وأدت الى التقدم العلمى الذى وصلت اليه البشرية فى العصر الحديث .





ـ صاحب الموسوعة الضخمة فى التاريخ التى لم تنشر بعد .
ـ ومؤلف عمدة القارى فى شرح البخارى .
ـ والعالم الذى قربه السلاطين فحسده أقرانه .

. . . . . .

ذلك هو العينى محمود بن أحمد ابن موسى الملقب ببدر الدين أو البدر على ما هو معروف ومشهور . ويعتبر البدر العينى من أشهر مؤرخى مصر فى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى ، على كثرة ما ظهر بمصر فى هذا القرن من المؤرخين الموسوعيين أمثال القلقشندى والمقريزى وابن تغرى بردى وابن حجر والسخاوى وابن الصيرفى وابن عرشاه وابن اياس والسيوطى وغيرهم .

الأصل والنشأة :

وينتسب العينى الى بلدة عينتاب التى ولد فيها عام ٧٦٢ هـ (١٢٦٠ م) وكانت هذه البلدة تعتبر فى ذلك الوقت من أعمال مدينة حلب وهى اليوم واقعة فى الاراضى التركية المتاخمة للحدود الشمالية لسوريا . وينتمى صاحبنا الى أسرة عربية ذات علم وفضل كانت تقيم فى حلب ثم انتقلت منها الى عينتاب ، حيث عين والد العينى القاضى شهاب الدين أحمد قاضيا فيها من قبل ممثلى دولة المماليك التى كان معظم المشرق العربى آنذاك موحدا تحت رايتها . وقد تأثر العينى ببيئته العلمية التى هيأت له فرصة الاطلاع والتعلم فتلقى العلوم على والده وعلى غيره من الشيوخ فى عينتاب وأظهر تفوقا مبكرا فيها حتى أنه استطاع فى

للأستاذ : احسان صدقى العمد

شبابه أن يتولى القضاء نيابة عن والده وأن يجيد القيام بالاعباء الموكلة اليه .

ولما كان التعليم فى ذلك الوقت لا يكتمل لطالبه الا بشد الرحال للأخذ عن مشاهير العلماء والرجال ، فقد ارتحل العينى من أجل هذه الغاية الى حلب ودمشق والقدس ومكة المكرمة والقاهرة ، حيث اتصل بكبار العلماء والفقهاء فى هذه الحواضر وأخذ عنهم وسمع منهم . وكان من شيوخه وأساتذته علاء الدين السيرامى وزين الدين العراقى وسراج الدين البلقينى وجمال الدين الملطى وحسام الدين الرهاوى وعيسى بن الخاص وغيرهم كثير .

وقد منحه معظم هؤلاء العلماء بعد التثبت والاختبار اجازات علمية « أهلته للافتاء فى الواقعات المعضلة والحادثات المشكلة والتدريس والتعليم والتبليغ والتفهيم والتذكير من تفسير القرآن الكريم ورواية الحديث بالاتفاق لكونه للمنزول أهلا وسلوك الطريقة سهلا على ما قرره أستاذه عيسى بن الخاص فى اجازته له ، كما مهدت هذه الاجازات للعينى الطريق الصعب نحو الشهرة والمجد وسط مجتمع زاخر بالمشاهير من العلماء والفقهاء والمؤرخين الذين كانوا بحق الشعلة المضيئة فى عصر ساده التدهور فى الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وظل العينى وفيا لشيوخه وأساتذته طوال حياته حتى أنه وضع لهم ترجمات فى كتاب أسماه « معجم الشيوخ » اعترافا بفضلهم .

بداية الشهرة :

لكن الشهرة التى نالها البدر العينى لم تبدأ الا عام ٧٨٨ هـ عندما التقى فى القدس وهو فى طريقه لاداء فريضة الحج بشيخ علماء ذلك العصر علاء الدين على بن أحمد ابن محمد السيرامى الذى كان يعتزم الحج أيضا ، فأعجب به العينى وقرر ملازمته وسافر معه بعد اداء الفريضة الى القاهرة حين دعاه السلطان الظاهر برقوق للتدريس بمدرسته البرقوقية التى كانت أحد المراكز العلمية الهامة فى مصر آنذاك، وبقى العينى على هذه الحال حتى تهيأت له جملة أسباب قربته الى عدد من امراء المماليك وسلاطينهم الذين نال عند معظمهم الحظوة والمكانة ، وساعده على ذلك ما كان يتحلى به من علم وفضل وثبات على الولاء والطاعة للسلطان برقوق فى أثناء محاصرة التركمان لعينتاب ، فضلا عن اتقانه التركية التى كانت اللغة الرئيسية للسلاطين والامراء وبعض الخاصة فى ذلك الوقت ، واستطاع البدر العينى أن يحتل بذلك مكانة رفيعة فى بلاط ثلاثة من سلاطين المماليك

الجراكسة هم المؤيد شيخ المحمودى والظاهر ططر والسلطان الاشرف برسباى ، ويبدو أن العينى كان يعرف من أين تؤكل لحم الكتف فوضع لكل من السلاطين الثلاثة كتابا أشاد فيه بسيرته فكان الاول بعنوان « السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد » نشر عام ١٩٦٧ ، والثانى « الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر (ططر) مطبوع .

والثالث فى سيرة الأشرف برسباى لا زال مفقودا ، كما وضع القصائد الكثيرة فى مدحهم . وتحدثنا المصادر أن العينى كان من اخصاء السلطان المؤيد وندمائه فولاه المناصب الرفيعة وعهد اليه بتدريس الحديث فى المدرسة المؤيدة واختاره سفيرا للدولة القرمانية التى كانت تدين بالولاء الاسمى لدولة المماليك ، كما علت منزلته عند السلطان ططر لصحبة قديمة كانت بينهما ، وقام العينى بترجمة كتاب القدورى فى فقه الحنفية الى اللغة التركية بناء على رغبة هذا السلطان ، وزادت مكانته لدى السلطان الاشرف برسباى الذى لم يعرف من العربية الا القليل ، فكان العينى يجلس الى حضرته ساعات من الليل يعلمه أمور الدين ويفسر له غوامض الفقه والشريعة ويقرأ عليه موسوعته التاريخية التى كتبها بالعربية وهى « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » ثم يترجمها له الى التركية رأسا لتقدمه فى اللغتين كما يقول السخاوى ، وقد اعترف برسباى بفضل العينى حتى حكى أنه كان يقول « لولا البدر العينى لكان فى اسلامنا شىء » .

العينى يتقلد أرفع المناصب .

وقد هيأت له مكانته العلمية الراسخة أولا وعلاقاته الوطيدة بالأمراء والسلاطين ثانيا أن يتقلد أرفع المناصب فى مصر ، فتولى حسبة القاهرة مرات ومرات وعرف بالنزاهة والشدة فى أثناء مباشرته هذا المنصب اذ « كان يعزر من يخالف أمره بأخذ بضاعته غالبا واطعامها للفقراء والمحابيس ، وبذل جهودا كبيرة فى ضبط أسواق القاهرة ومراقبتها فكان ينام فى المراكب غالب الليالى ولا يقطع الركوب ليلا ونهارا حتى طاب الوقت وحسنت الحال » كما تقلد منصب « نظارة الاحباس » أى الاشراف على الاوقاف الخيرية ، وولاه برسباى بالاضافة الى هذين المنصبين منصب قاضى قضاة الحنفية ويقال فى هذا الشأن إنه « لم يجتمع القضاء والحسبة . ونظر الاحباس فى أحد قبله » .

جهوده العلمية :

وبرغم كثرة مشاغل العينى التى استدعتها طبيعة الوظائف الهامة التى شغلها فانه لم ينقطع عن الاطلاع والتدريس والتأليف ، واستمر فى تدريس العلوم الدينية فى المدرسة المؤيدية طوال أربعين سنة ، ومارس التدريس أيضا فى مدرسته « العينية » التى انشأها لهذا الغرض النبيل بالقرب من الجامع الأزهر ، وأوقف عليها الكثير من كتبه القيمة التى يضيق المقام عن ذكرها ، لكثرة ما خلفه البدر العينى من المؤلفات الموسوعية والشروح الطويلة التى أربت على الأربعين وتراوحت بين التاريخ والفقه والحديث واللغة والأدب أضافة الى مؤلفاته باللغة التركية نفسها . ومن المؤسف أن كتبه المطبوعة لا تتجاوز السبعة هى « البناية فى شرح الهداية ، للامام المرغينانى » « ورمز الحقائق فى شرح كنز الدقائق للنسفى » « والروض

الزاهر فى سيرة الملك الظاهر » « والسيف المهند فى سيرة الملك المؤيد » « وعمدة القارى فى شرح البخارى » « والمقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الالفية » « وفوائد القلائد فى مختصر شرح الشواهد » .

وقد أورد السخاوي قائمة طويلة بأسماء الكتب والرسائل الأخرى التى صنفها العينى بعضها مفقود والبعض الآخر لا يزال مخطوطا وموزعا فى عدد من مكتبات العالم . ومن أهم كتبه المخطوطة موسوعته التاريخية الكبيرة « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » وشرح سنن أبى داود وتحفة الملوك فى المواعظ والرقائق ، والدرر الزاهرة فى شرح البحار الزاخرة للرهاوى ، والعلم الهيب فى شرح الكلم الطيب لابن تيمية ، ومنحة السلوك فى شرح تحفة الملوك ، ونخب الافكار فى شرح معانى الاثار ، وقد لاحظ السخاوى كثرة مؤلفات العينى فقال أنه « كان لا يمل من المطالعة والكتابة ، كتب بخطه جملة ، وصنف الكثير بحيث لا أعلم بعد شيخنا (ابن حجر) أكثر تصانيف منه » . ومع ذلك فان موسوعتيه عقد الجمان وعمدة القارى تعتبران من اهم ما خلفه العينى للمكتبة العربية . ويبدو أن دعوة الدكتور زيادة قد لقيت أخيرا استجابة فى القاهرة ، حيث يقوم الدكتور أحمد دراج بتحقيق قسم من عقد الجمان يبدأ من النصف الثانى للقرن الثامن الهجرى وذلك بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان :

ويتألف هذا الكتاب الضخم فى الأصل من تسعة عشر مجلدا ومنه نسخة فى دار الكتب المصرية مصورة عن نسخة استانبول تقع فى تسعة وستين مجلدا . وقد اتبع العينى فى تاريخه الترتيب السنوى على عادة معظم المؤرخين المسلمين فى كتابة الحوليات ، وانتهى به الى عام ٨٥٠ هـ (١٤٤٦م) فجاء تاريخا شاملا لأخبار مصر الاسلامية حتى تلك السنة ، وقد اعتمد فى تأليفه على تاريخ ابن كثير واعترف صراحة بذلك حين قال عنه « وهو عمدة تاريخى هذا الذى جمعته » . ويعتبر القسم الأخير منه أهم أجزاء الكتاب وذلك لأنه يغطى حوادث العصر الذى عاشه العينى ووعاه وشارك فى بعض وقائعه وأحداثه ، ومن هنا كان هذا القسم الذى يشمل الفترة الواقعة بين ٧٢٥ ــ ٨٥٠ هـ سجلا عاما يصور المجتمع الذى ورثه العينى وعاش فيه . ويحتوى هذا القسم على اخبار دولة المماليك الجراكسة وحروبها وعلاقاتها الخارجية بالاضافة الى ظواهر المجتمع وطبيعة جهاز الحكم فيه وما أصاب الناس فى تلك الفترة من أوبئة ومجاعات هزت الحياة الاجتماعية والاقتصادية للناس وأثرت فيها . فضلا عن أن هذا القسم يضم الكثير من المعلومات المتعلقة بحياة العينى وذويه مما لا يستغنى عنه باحث فى سيرة هذا المؤرخ الفقيه . وقد اعتمد عليه ابن حجر فى كتابه إنباء الغمر بابناء العمر برغم المنافسة الحادة التى كانت قائمة بينهما . وذكر ابن حجر ذلك بصريح العبارة حين قال « كتبت منه ما ليس عندى مما أظن أنه اطلع عليه من الامور التى كنا نغيب عنها ويحضرها » . ومن هنا كان عقد الجمان وابناء الغمر يكمل أحدهما الآخر فى كثير من المواضع . وقد لفت المرحوم الدكتور محمد مصطفى زيادة الانظار الى أهمية تاريخ العينى وقال « ان هذا الكتاب من أعظم ما كتب العينى فى التاريخ ، وهو كذلك من أهم ما أهمله القوامون على نشر المخطوطات العربية واحيائها حتى الآن . »

عمدة القارى فى شرح البخارى :

أما الكتاب الآخر الشهير للعينى فهو « عمدة القارى فى شرح البخارى » فى واحد وعشرين مجلدا، وقد جاء تصنيفه فى وقت كان فيه العلماء والفقهاء يشعرون بحاجة الى شرح الجامع الصحيح للبخارى شرحا وافيا . وقد سبق العينى فى انجاز هذا العمل الكبير العلامة الشهير ابن حجر العسقلانى بأربع سنين مما جعل البدر العينى يستفيد من شرح ابن حجر المعروف « بفتح البارى فى شرح البخارى » وينقد كثيرا من آرائه ويعترض عليه . وقد انبرى ابن حجر للرد على اعتراضات العينى وتعريضه به ووضع فى ذلك كتابا لم يتمه ، فكان ذلك من الامور التى اوجدت جفوة كبيرة بين العالمين لم تلبث أن انتقلت الى تلاميذهما الذين عملوا على تعميقها . وبرغمأن شرح العينى للبخارى لم يحقق الانتشار والشهرة اللتين حققهما شرح ابن حجر الا أن عمدة القارى جاء ايضا حافلا على حد قول السخاوى أشهر أنصار ابن حجر . وقد اتبع العينى فى تصنيفه طريقة البسط والايضاح واعطاء الاحاديث النبوية حقها من البحث والتمحيص فيتم سياق الحديث اذا اختصره البخارى ويذكر اختلاف الرواة اذا كان هناك اختلاف ، ويستوفى الكلام فى ذكر الرجال وضبط الاسماء والانساب ، ويفصل معانى الكلمات ووجوه الاعراب وينتهى الى استخراج المعانى واستنباط الاحكام . ولا يزال شرح ابن حجر وشرح العينى للبخارى يعتبران بحق من أهم المراجع التى يعتمد عليها المحدثون وعلماء الشريعة فى دراسة صحيح البخارى . وقد اثار الاختلاف العلمى الذى وقع بين العينى وابن حجر اهتمام عدد من الباحثين والمستشرقين بينهم بروكلمان وجلودسيهر . كما حاول المرحوم الشيخ عبد الرحمن البوصيرى التوفيق والفصل بينهما فى كتابه المعروف باسم « مبتكرات الالى والدرر فى المحاكمة بين العينى وابن حجر » .

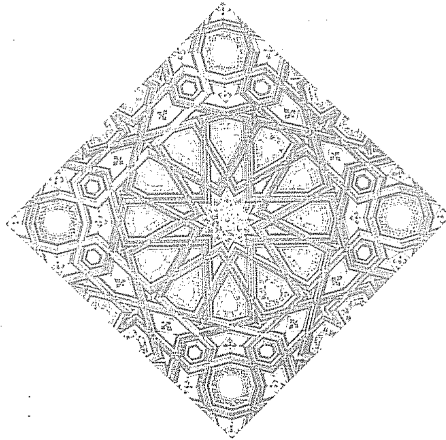
تنافس المتعاصرين :

لكن هذا الاختلاف بين الرجلين يظل فى جوهره مظهرا من التنافس المعروف بين العلماء المعاصرين وبخاصة أن عصر العينى حفل كما ذكرنا بالعديد من العلماء والفقهاء والمؤرخين الكبار الامر الذى جعل فرصة التقدم وسطهم لا تتوفر الا لذوى القدم الراسخة والجهد العلمى المتواصل . وقد نشأت بين البعض منهم منافسات حادة بلغت حد التشهير يهمنا منها ما كان بين العينى وابن حجر والسخاوى والمقريزى . ويرجع سبب هذه المنافسات الى حسد أقران العينى اياه على ما بلغ من حظوة ومكانة لدى الامراء وما ناله من مناصب رفيعة كانوا يطمعون فيها ويرونأنهم أحق منه بها كما كان الحال بالنسبة للمقريزى الذى حل العينى محله عدة مرات فى تولى منصب الحسبة . وأمثال هذه الخصومة وان كانت مما يؤسف له الا أنها معروفة ومألوفة بين العلماء المتعاصرين يقف الباحث منها موقف الحذر الشديد ، وقد نبهالى ذلك ابن عباس بقوله « لا تقبلوا قول العلماء بعضهم على بعض » .

ومع ذلك فقد أنصف العينى كثير ممن عاصروه أو جاءوا بعده واعترفوا بمكانته العلمية الرفيعة ، وذكر أبو المحاسن ابن تغرى بردى أن زعامة المؤرخين كانت قبله فى البدر العينى

الذى وصفه بأنه « كان بارعا فى عدة علوم مفتيا كثير الاطلاع واسع الباع فى المعقول والمنقول ، قل ان يذكر علم الا وله فيه مشاركة جيدة .

واشاد به السخاوى برغم تعصبه لاستاذه ابن حجر ، ووصفه بأنه « كان اماما عالما علامة عارفا بالصرف والعربية وغيرها حافظا للتاريخ واللغة مشاركا فى الفنون لا يمل من المطالعة والكتابة كتب بخطه جملة ، وصنف الكثير بحيث لا أعلم بعد شيخنا اكثر تصانيف منه ، واشتهر اسمه وبعد صيته مع لطف العشرة والتواضع ، كما تتلمذ عليه واخذ عنه جمهور من المتعلمين نبغ منهم بعده غير واحد وكان لهم مثله فضل فى حمل شعلة الثقافة والعلم . وقد ظل العينى وفيا لرسالته العلمية ، حتى وفاته اذ بقى يمارس التدريس والتعليم فى مدرسته العينية ، الا أن الحال قد ضاقت به فى أواخر حياته بعد عزله عن نظارة الاحباس حيث اضطر الى بيع بعض املاكه ومؤلفاته لسد حاجته واستمر كذلك الى أن توفى عام ٨٥٥ هـ (١٤٥١ م) بعد أن جاوز التسعين من عمره ، ودفن فى القاهرة حيث « عظم الاسف على فقده ولم يخلف بعده فى مجموعة مثله » بشهادة خصمه السخاوى . ولا زال هناك فى القاهرة أثر عظيم يذكرنا بالعينى وهو « القصر العينى » الذى ينسب الى حفيده الأمير أحمد بن عبد الرحيم بن المؤرخ والفقيه المشهور البدر العينى الذى نتطلع الى اليوم الذى ينشر فيه باقى تراثه العلمى المخطوط .



حمزة السقاء

للأستاذ : على حسن الشكرجى

ترجع بنا احداث هذه القصة الى قرن من الزمان خلا حينما كانت القيم الروحية لا القيم المادية متغلغلة فى القلوب فتغلغل معها ما حرم منـه عصرنا : اطمئنان النفس وسـعادة الروح وان لم تكن آنذاك وسـائل الترفيه والراحة البدنية التى وفرها لهذا العصر العلم الحديث .

وكان ممن نعموا بالايمان سـقاء اسمه حمزة يكسب رزقه الحـلال بسقى الماء يحمله بقربته من نهر ليس بقـريب . فهـو على أميته ملىء بالاطمئنـان والسـكينة يفتقدهما ويحسده عليهما كثير من اهل العلم فى هذا العصر ذى العين الواحدة التى لا يبصر بها الا الماديات .

بلغ حمزة مبلغ الرجال وما زال عزبا . يود لـو يتزوج ، انه يتقلـب فى فراشه ليلا . متى يكون أبا ومتى يرد بعض جميل أمه فى زوجة تعينها فى أمور بيتها الكثيرة من طحن وخبز وطبخ وحياكة وكلها يدوية مجهدة . كان يقول لها : « يا أمى ادعى لى ان يوسع الله على رزقى ويوفقنى الى زوجة صـالحة ، ان دعاء الأم مستجاب » فتدعو له بعد كل صلاة .

لم يسـتطع حمزة أن يدخر مما يكسب شيئا فلا يكاد رزقه يسـد ضرورات العيش آنذاك . وقد عزم الا يتزوج حتى يوسع الله عليه رزقه . وتمضى سنون وما زال رزقه شحيحا ويشتد شوقه الى زوجة وكان يقول : « لك فيها ارادة يا خالق الجرادة » .

ذات صباح رجع حمزة الى بيته بعد أن صلى صلاة الفجر فى الجامع جماعة وقد هيأت له أمه طعـام الفطور المعتاد الذى لو يأكله طبيب اليوم لظهرت عليه بعد أيام أعراض نقص الفيتامينات والمعادن والبروتين .. لكن حمزة لم تظهر عليـه أية أعراض .. غسل حمزة يديه وقال « بسم الله الرحمن الرحيم » وأكل ومعه أمه . وما أن انتهى حتى قال : « الحمد لله رب العالمين » .

قال : توكلت على الله ، وحمل قربته يضمها حزام جلد الى جنبـه الايمن بمساعدة كتفه اليسرى التى مر عبرها الحزام . ودعت أمه معيلها

الوحيد بالدعاء وانطلق صوب النهر . وضع قربته على الارض وشد أذيال جبته الى حزامه وحمل القربة باسم الله ونزل الى النهر وهو يريد أن يملأ قربته من الماء الجارى البعيد عن الجرف فهو أطهر . وبينما هو كذلك اذ يرى تفاحة يحملها جريان الماء وقبل أن تجوزه يلتقطها حمزة بيده اليسرى وما زالت يده اليمنى تمسك بالقربة . انها تفاحة ناضجة شهية وما أن امتلأت القربة حتى حملها خارجا ووضعها على الارض ثم بسم الله الرحمن الرحيم يقضم التفاحة ، ما الذها انها رزق من حيث لا يحتسب ، وفجأة يعلو وجه حمزة وجوم وقد امتقع لونه ، كان قسم من التفاحة فى يده وآخر فى فمه ممضوغا وآخر قد نزل جوفه . كيف يأكل تفاحة ليست ملكا له ولم توهب له ؟ انه اذن مغتصب سارق .

يجب أن يكفر عن ذنبه ويتدارك ما بدر منه . الطريق أمامه واضح لكن ماذا يفعل بما مضغ فى فمه أيأكله ، أيلفظه على الأرض ؟ أم ماذا ؟ أيضعه فى منديله مع القطعة الباقية فى يده ؟ والعمل الاخير هو الحل الذى أرضى ضميره وتقواه ..

أخرج منديله ووضع فيه قطعة التفاح التى فىيده وما كان يمضغهفى فمه . كيف يجد صاحب هذه التفاحة ليعطيه ما بقى منها وليوهبه ما أكل منها حلالا طيبا ، كيف .. كيف .. ؟

وما لبث أن برقت عيناه فرحا وأسرع يسير بمحاذاة النهر من حيث أتت التفاحة يحملها الماء وترك القربة فى مكانها على الارض . يسير وهو يتأمل الاشجار القريبة من النهر . يرى شجرة تفاح ويهرع اليها ويتفحصها علّه يجد ما يشير الى أن تفاحة سقطت منها وتدحرجت الى النهر . لم يجد ما يقتنع به ليبت بالأمر ، انها بعيدة نوعا ما عن النهر ويستبعد أن تتدحرج تفاحة منها الى النهر والارض غير منحدرة .

تابع حمزة سيره وهو يفتش عن اشجار التفاح حتى راى شجرة تفاح كبيرة وقد مالت بأغصانها الى النهر . نعم ، لا بد أن التفاحة سقطت منها وراح يتأملها : حمدا لله !! هذا مكان التفاحة الساقطة !! واشرق وجهه ، انه سيستطيع أن يكفر عن ذنبه .

وأسرع مبتعدا عن النهر وراح يسأل كل من يصادفه حتى علم أن البستان يملكه ثلاثة أشخاص وما أن علم أين يمكن أن يلقاهم حتى انطلق الى أحدهم وأخرج منديله وقال له بعد السلام عليه متلعثما : « انى أكلت تفاحة من تفاحك .. بل اكلت قسما كبيرا من تفاحتك . كان قسم منها فى يدى والقسم الآخر فى فمى ممضوغا وكنت قد أكلت شيئا منها ودخل جوفى .. كنت لا أدرى .. لم يخطر ببالى .. انه ذنبى .. »

فقاطعه الرجل : « مهلا !! لم أفهم اية تفاحة هذه ؟ » .

أجاب حمزة : « تفاحة وجدتها وأنا أملأ قربتى وأكلت منها ولم تكن لى .. انى والله لم أعلم الا بعد أن أكلت منها ، فقلت يجب على أن أبحث عن صاحبها ليجعل ما أكلت حلالا كيف

يشاء واعطيه بقية التفـاحة وسرت بمحاذاة النهر حتى وجدت الشـجرة التي سقطت منها التفاحة، وقالوا لي إنك أحد مالكيها الثلاثة .. والآن .. في هذا المنديل ما كان في يدي من التفاحة وما كان ممضوغا في فمي » وقرب اليه المنديل .

قال الرجل مشمئزا : « لا ، انى اتنازل عن حصتى فى هذا » .

قال حمزة وقد امتلأ غبطـة : « جزاك الله عنى خيرا كثيرا و .. »

قاطعه الرجل : « أما ما اكلت من حصتي في التفاحة فسأجعله لك حلالا بعد أن تنجز لي عملا » .

قال حمزة مندهشا : « أي عمل ؟ انه يجب على أن ارضيك .. انى مستعد » .

قال الرجل : « هناك فى أرضي مسـتنقع أريد أن تطمره بتراب تل ليس ببعيد كثيرا عنه وحينما تتم هذا العمل فأنت مبرأ الذمة فيما يخصنى »

سأل حمزة : « بأى شيء أحفر وبأى شيء أحمل التراب ؟ » .

أجاب الرجل : « سـأعطيك ما تحتاج لهذا العمل » .

كان الوقت ضحى وأمامه عمل يتطلب وقتا طويلا وجهدا كثيرا وعليه أن يعود قبل اشتداد الظلام والا فأمه سوف تقلق كثيرا وهذا ما يثقل عليه . يجب أن يتم عمله بأسرع ما يستطيع ثم يسرع الى المالكين الآخرين . شمر عن ساعديه وشد أذيال جبته الى حزامه وراح يحفر وينقل التراب الى المستنقع والعرق يتصبب من جسده، الجو كان حارا . وما أن انتهى من طمر المسـتنقع حتى حمل أدواته وانطلق الى صاحبها وسأله هل أدى ما يريد . ولما كان الجواب بالايجاب انطلق الى الآخر مسرعا فقد زالت الشمس قبل مدة . وحكى له القصة وكيف صـاحبه برأ ذمته . فأطرق الرجل ثم قال : « إننى أيضا أهبك حصتى فى بقية التفاحة . ان فى بيتى حوضا فيه ماء وسخ آسن أريد منك أن ترمى ماءه فى النهر وتنظفـه ثم تملأه بماء النهر وسأجعل لك ما اكلت من حصتى حلالا » .

قال حمزة : « لا سبيل لى الا الرضوخ . سأصلى الفريضة ثم أبدأ بالعمل » .

قال الرجل : « أنت وشـأنك . وسأجلب لك ما تحتاج فى عملك » .

لم يشعر حمزة بسمو روحه وقربه الى الله فى أية لحظـة مضت من حياته كتلك اللحظات وكأنه فى صلاته قد طار الى السماء وحلق فى عليائها وجرد منه كل ما يثقل ويحبس الروح من اثم وجشع واغتصاب وشهوة .. وأسرع الى العمل وكأن يدا خفيـة تحمل معه الماء الثقيل ما كان يتصور أنه يمكنه أن ينجز ما عمل وهو على ما عليه من جوع ونصب .

وحينما رضى المالك الثانى من عمله انطلق الى المالك الثـالث وحكى له القصة ، وما كان من شريكيه . أخذ الرجل ينظر اليه ثم أطرق ثم قال : « قف مكانك حتى آتيك » .

دخل بيته ثم يعود بعد دقائق ويقول لحمزة : « انى أيضا أهبك حصـتى فيما بقى من التفاحة . ان لى بنتا أريد أن أزوجك منها .. »

تهلل وجه حمزة ، انه الفرج بعد الشدة ، ابنة غنى تزف اليه !! حمدا لله وشكرا ، ستكون له زوجة وطالما اشتاق الى زوجة وسيكون له أولاد وستكون لأمه معينة وأنيسة !!

وواصل الرجل كلامه : « ولا أبرىء ذمتك فيما أكلت من مالى حتىتتزوجها على ما هى عليه » .

هنا انكفـأ وجه حمزة . قال : « ما عليها ؟ » .

أجاب الرجل : « انها عميـاء ، خرساء ، صماء ، مقعدة ، عجوز ، والى جانب ذلك سوداء كالفحم » .

قال حمزة متقززا : « لا ، لا يمكنني أن أتزوجها ليس لي رغبة فيها » .

قال الرجل : « اختر بين أمرين : اما أن تبقى آثما حتى تموت وتلقى الله يوم الحساب واما أن تتزوج ابنتي هذه .. » .

قال حمزة وقد شعر أن جسده يثقل عليه ثقل الجبال : « ودي أن أفعل ما تريد لكن ليس هذا في مقدوري وفي ارادتي » .

قال الرجل : « أنت وشأنك فهي قد وافقت على الزواج منك وبقيت موافقتك لتعتق رقبتك من النار » .

قال حمزة مؤيدا وقد أظلمت الدنيا في عينيه : « كلامك صحيح لكن لا أستطيع ، انه فوق طاقتي . وليس عندي ما يعينني على اعالتها » .

قال الرجل : « هل تطيق نار جهنم ؟ وأنت تعلم أن عذاب الدنيا ليس كعذاب الآخرة » .

شعر حمزة أن نور روحه قد انطفأ وأن جسمه يغوص به في الارض . ما العمل وكيف يحمل نفسه على هذا الامر ..

قال حمزة وقد قرر أمرا : « سأعطيك الجواب بعد قليل » .

أخذ حمزة يجمع من على الارض عيدانا وقطع قماش والرجل ينظر اليه مندهشا . يضع حمزة ما جمع على الارض ثم يضرم فيه النار ذلك ما زاد اندهاش الرجل .

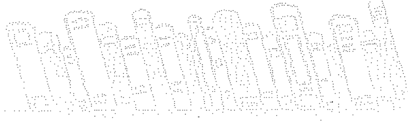
وحينما علت النار شمر حمزة عن ساعده الأيمن واذا به يدخل يده في النار وما لبث أن أخرجها وقد انكمش وجهه ألما وقد حبس آهة عميقة ثم ينطق قائلا : « كيف أتحمل نار الله ولم أتحمل نار الانسان » . ثم خرجت من فمه كلمة : « وافقت » .

تم عقد الزواج بوكالة الرجل . نهض حمزة ليذهب الى غرفة عروسته ليحملها (لأنها مقعدة) الى أمه قبل اشتداد الظلام . وما أن دخل حمزة غرفتها حتى خرج مرتجفا ممتقع اللون مضطرب اللسان وهو يردد كلمات الاستغفار ، وحينما سأله الرجل ما باله قال حمزة متلعثما : « اني توهمت ودخلت غرفة بنت غير زوجتي والله يعلم أني غير قاصد ذلك » . قال الرجل : « لا عليك » ويهدأ حمزة ويسرع بخياله : « كيف تكون الحور العين ما أظن تلك البنت الا منهن . تكاد روحي تخرج من جسدي شوقا الى الحور العين سأصبر حتى يزوجني الله منهن يوم القيامة » .

قال الرجل مبتسما : « يا أيها المؤمن الطيب انك لم تتوهم وما رأيت الا زوجتك ابنتي » . وتساءل حمزة مندهشا : « كيف ؟ ألم تقل لي إنها عمياء سوداء عجوز .. وهذه البنت لم أر أجمل منها في حياتي » .

فقاطعه الرجل : « نعم قلت ذلك . ان عاهاتها ليست كالعاهات قلت لك عمياء لأنها لم تنظر الى ما حرم الله وقلت خرساء لأنها لم تنطق بما حرم الله وقلت صماء لأنها لم تنصت الى ما حرم الله وقلت لك إنها سوداء لأنه لم يرها أجنبي الا وهي ملفعة بعباءة سوداء وقلت عجوز لأن لها عقلا كالكبار وقلت إنها مقعدة لأنها لم تسر الى ما حرم الله . اني قد آليت ألا أزوجها الا ممن كان له تقوى كتقواها على كثرة من طلبوا يدها حتى هداك الله الينا فأنت الذي كنت أبحث عنه فهنيئا لك فقد نلت سعادة الدنيا ونعيم الآخرة . وأشركك رزقي الحلال لوجه الله تعالى » .

وما كان من حمزة الا أن انهال على يد الرجل يقبلها شاكرا الله .



لمحات فى الثقافة الاسلامية
للأستاذ عمر عوده الخطيب

كتاب يرمى الى تزويدنا بثقافة نافعة عن اسـلامنا ، تؤدى الى ترسيخ مبادئه والايمان بمثله ، وفهم نظمه ، ورد الشبهات عنه ، واحباط المكائد التى تحاك ضده من أعدائه وبخاصة فى المضمار الفكرى والثقافى — وهو يزود العقل بالحقيقة الناصعة عن هذا الدين وسط ضباب كثيف من أباطيل الخصوم ، ويربى فيه ملكة النقد الصحيح التى تقوم المبادىء والنظم والمذاهب التقويم السليم .

والكتاب يحتوى على ستة فصول تشمل كل مدلولات الثقافة . منها الثقافة والمجتمع ، والثقافة والحضارة ، وركائز الثقافة الاسلامية وخصائصها والقوى المعادية لها ، والاستشراق والثقافة . وغير ذلك مما احتواه الكتاب المذكور الذى يقع فى (٣٨٠) صفحة ومن نشر الشركة المتحدة للتوزيع ص. ب (٧٤٦٠) بيروت — لبنان .

عالم الاسلام
للدكتور حسين مؤنس

موضوع هذا الكتاب هام بالنسبة لكل مثقف عربى يريد أن يأخذ صورة واضحة عن حقيقة المجتمع الاسلامى وتطوره التاريخى السياسى والاجتماعى .

وهو أساس لكل من يدرسون المجتمع العربى ولا يستغنى عنه طلاب الثقافة الاسلامية ، فهو يعرض بصورة موجزة وشاملة قيام عالم الاسلام ومقومات مجتمعه على عهد الرسول عليه السلام ، ثم نمو ذلك المجتمع فى الاتساع والعمق مع دراسة مستفيضة الملامح للمجتمع الاسلامى .

كما يتعرض الكتاب لما يسمى بعصور الركود فى تاريخ المسلمين ، ويحاول التعرف على حقيقـة ذلك الركود وأسبابه ، مع الالمام بتاريخ الـدول الاسلامية الكبرى التى ظهرت فى العصور المتأخرة .

والكتاب يقارب الستمائة صفحة ومن نشر دار المعارف بالقاهرة .

الفتاوى

صلاة الظهر

أثناء صلاة الجمعة

السؤال :

أنا ملازم للفراش بامر الطبيب ، ولا أستطيع الذهاب الى المسجد لأداء صلاة الجمعة ، فهل يصح لي أن أصلي الظهر في فراشي حال صــــلاة الامام الجمعة التي أســـمعها من المذياع ، أو يجب على أن انتظر حتى يفرغ الامام من صلاته .. ؟

الاجابة :

يرى الشافعية والمالكية والحنابلة أن من سقطت عنه صـــــلاة الجمعة لعذر من الأعذار كالمرض يسن له تعجيل صلاة الظهر في أول وقتها ولا ينتظر فراغ الامام من صلاته ، وبناء على هذا فاذا صلى الظهر أثناء صـــــلاة الامام الجمعة صحت صلاته مع ترك الســـــنة ، أما الأحناف فقالوا يسن للمعذور تأخير صــــلاة الظهر الى ما بعد صـــلاة إمام الجمعة ، أما صــــلاته قبل ذلك فمكروهة ، وبناء عليه تكون صلاتك الظهر صحيحة أثناء صلاة الامام الجمعة مع الكراهة .



وجه هذا السؤال الى فضيلة الشيخ عبـــد الله بن عبد العزيز بن عقيـــل فاجاب عليه بما يلي :

حكم نقل المسجد

السؤال :

شارع ضيق احتيج الى توسيعه من المســـجد بهدمه كله ونقله الى محل آخر او بأخذ جزء من المسجد .. فهل يجوز مثل هذا في الشريعة المطهرة .. ؟

الاجابة :

قد أمر الله سبحانه بعمارة المساجد وحث عليها ، وعمارة المساجد تكون ببنائها وترميمها . وتكون بذكر الله فيها واحيائها بطاعته . قال الله سبحانه :

« **انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** » . وفى حديث عثمان رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة » . وفي حديث أبي ذر : « من بنى لله مسجدا ولو قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة » ، وقال الله سبحانه : « **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة** » . فعمارة المساجد من أوجب الواجبات وأفضل القربات كما أن السعى فى خرابها والاستهانة بها من أعظم المحرمات ، فيجب احترام المساجد وتعظيمها كما عظمها الله ، ولا تجوز الاستهانة بها ، وتقذيرها ، والاستخفاف بحقها ، لأنها بيوت الله وموضع عبادته ، ومشاعر دينه . فالاستخفاف والاستهانة بحرمتها من أعظم أنواع الجراة على الله والاستخفاف بدينه ، وقد تكاثرت الأدلة فى الحث على احترامها وتنظيفها وتطييبها ، واماطة الأذى والأوساخ والقمامة عنها ، كما جاءت النصوص بالنهى والتحذير عن السعى فى خرابها ، وعمل كل ما ينفر عنها أو يقلق راحة المصلين فيها ، وقد ورد فى الحديث : « البزاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها » وورد أن النبى صلى الله عليه وسلم حينما رأى نخامة فى المسجد غضب وأمر بحكها ، وكذلك ورد أنه صلى الله عليه وسلم عزل الامام الذى تنخم فى قبلة المسجد ، ونهى آكل الثوم والبصل عن قربان المسجد ، فاذا كان الأمر كما ذكر من وجوب احترام المساجد وتعظيمها والتحذير من كل ما ينفر عنها علم من ذلك تحريم الاقدام على هدمها ونقلها لمجرد تصور متصور من غير حصول على افتاء شرعى مدعم بالدليل ، ولا تكون الفتوى فى مسجد بعينه فتوى فى عموم المساجد ، بل كل مسجد يحتاج الى فتوى تخصه بعينه . . لأن الأصل المنع ، ويحتاج كل مسجد الى نظر جديد ، وتأمل فى جنس المسوغات حتى يتحقق المسوغ الشرعى ، فهدم المساجد ونقلها بدون تحقق مسوغ شرعى لم يقل بجوازه أحد من علماء المسلمين .

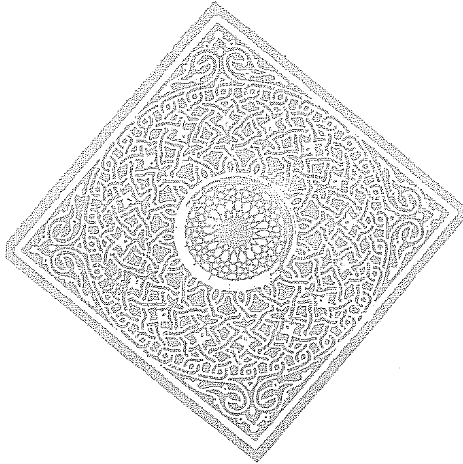
أما نقلها لمصلحة أو لتعطل منفعة فهذا فيه خلاف بين العلماء ، منهم من منعه ، وهم الجمهور من العلماء واستدلوا بحديث : لا يباع أصلها ولا توهب ، ولا تورث . ومنهم من أجازه اذا تعطلت منافعه ولم يجزه لرجحان المصلحة ، ومنهم من أجازه لمجرد رجحان المصلحة ، ومنهم الشيخ تقى الدين بن تيمية وأتباعه ، قال فى الإنصاف : يجوز نقل المسجد لمصلحة الناس . وهو من مفردات المذهب واختاره صاحب الفائق وحكم به ، وقال أيضا : وجوز الشيخ تقى الدين ذلك ــ اى بيع البقعة والمناقلة فيها ــ لمصلحة ، وقال : هو قياس الهدى ، وذكره وجها فى المناقلة ، وقال فى الإنصاف أيضا : وأما اذا تعطلت منافعه أى الوقف فالصحيح من المذهب أنه يباع والحالة هذه ، وعليه جماهير الأصحاب ، وقطع به كثير منهم ، وهو من مفردات المذهب ، وعنه لا تباع المساجد لكن تنقل آلتها الى مسجد آخر ، اختاره أبو محمد الجوزى ، والحارثى ، وقال : هو ظاهر كلام ابن أبي موسى . وعنه لا تباع المساجد ولا غيرها لكن تنقل آلتها ، وقال فى الانصاف : فعلى المذهب المراد من تعطل

منافعه المنافع المقصـــودة بخراب محلته ونقله عبد الله ، وهذا هو المذهب وعليه أكثر الأصحاب ، وقدمه فى الفروع .

وقال فى المغنى : وجملة ذلك أن الوقف اذا خرب وتعطلت منافعه كدار انهدمت وأرض خربت وعادت مواتا ولم تمكن عمارتها أو مســـجد انتقل أهل القرية عنه وصار فى موضع لا يصلى فيه ، أو ضاق بأهله ولم يمكن توسيعه فى موضعه . أو تشققت سقوفه ولم تمكن عمارتها ولا عمارة بعضه الا ببيع بعضـــه جاز بيع بعضـــه لتعمر به بقيته ، وان لم يمكن الانتفاع بشىء منه بيع جميعه . اهـ .

فظهر مما تقدم أن نقل المسجد لحاجة الشارع اليه لا يجوز على المذهب ، وهذا على قول الجمهور أظهر ، وعلى أصل الشيخ تقى الدين لا يعد هذا بمجرده مسوغا لكن على أصله فقط أنه لو نقل فى هذه الصورة الى موضع آخر لكونه أصلح وأسهل لجماعة المسجد ، وكان بمقدار المسجد الأول سعة وصفة أو أتم ساغ الافتاء بذلك ، وقد استدل أصحابنا الحنابلة على جواز نقل المسجد عند تعطل منفعته بما يروى أن عمر رضى الله عنه كتب الى سعد لما بلغه أنه قد نقب بيت المال الذى فى الكوفة : أن أنقل المسجد الذى بالتمارين ، واجعـــل بيت المال فى قبلة المسجد فانه لن يزال فى المسجد من يصلى ، قالوا وكان هذا بمشهد من الصحابة ولم يظهر خلافه ، فكان اجماعا ، وأجابوا عما استدل به الجمهور بأن البيع المنهى عنـــــه فى الحديث هو بيعه كبيع الأمـــلاك ، أو لا يحل ثمنه . وابطال وقفيته ، وهذا مما لا نزاع فيه ، والنقل عند تعطل المنفعة أو لرجحان المصلحة ليس من هذا فى شىء ، وانما هو من تكميل الوقف والسعى فى حصول مقصود الواقف أو ما هو أكمل من مقصوده ، وهذا من الاحسان والتعاون على البر والتقوى الذى أمر الله به .

والله أعلم .



بريد الوعي الاسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « شهرا عيد لا ينقصان : رمضان وذو الحجـــــة » .. ؟

عبد العزيز لطفي ــ كويت

ليس المراد بالنقص في الحديث النقص في عدد الأيام في كل من الشهرين بمعنى أنه لا يكون رمضان ولا ذو الحجة ألا ثلاثين يوما ، لأن الواقع يخالفه فقد يكونان تامين وقد يكونان ناقصين ، وقد يكون أحدهما ثلاثين والآخر تسعة وعشرين ويدل على أنه ليس المراد العدد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا العدة » فانه لو كان رمضان أبدا ثلاثين يوما لم يحتج الى هذا .

والمراد أنهما لا ينقصان في الأجر والثواب المترتب عليهما وان نقص عددهما ، بل يتفضل الله عز وجل بالحاق الناقص بالتام ، في الثواب ، وسمى رمضان شهر عيد مع أن شهر عيد الفطر شوال لقرب رمضان من العيد .

الخمر وموقف الاسلام منها :

تساؤلات ... وأجوبة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وامام المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، والتابعين ..

وبعد ، فقد بعثت الى مجلة (الوعى الاسلامى) مشكورة برسالة تلقتها من المواطن الكريم السيد/أحمد عبد الفتاح مصطفى بكلية زراعة القاهرة ، يسأل عن أشياء دارت بخاطره ، وهو يقرأ مقالا لى ، نشر فى المجلة ، ضمن سلسلة بحوث نشرتها المجلة عن : « الحدود فى الاسلام » ومن بينها موضوع : « الخمر وموقف الاسلام منها » وهو الموضوع الذى دار حوله تساؤلات المواطن الكريم .

... ...

يقول الأخ الكريم فى رسالته : « وكانت ثمرة هذا الموضوع القيم أن الخمر بجميع أنواعه ، وأصنافه وطرق اعداده ، وكميته ، محرم شرعا » .

ثم يقول : « ولكن يخطر ببالى تساؤلات أرجو الاجابة عليها :

١ ــ « تفاوت درجات تحريم الخمر فى القرآن الكريم ، فقد ذكر فى سورة البقرة ، قول الله عز وجل : **« يسـألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما »** .. الآية .

ويسأل الأخ الكريم : « ما المقصود بالمنافع للناس ، والموازنة بين اثمهما ونفعها ؟ وهل اتخاذ الغرب الخمر والميسر نافع لهم هذا النفع المقصود فى الآية الكريمة ؟ وما منافع الخمر والميسر ؟

٢ — قوله تعالى فى سورة المائدة : **« يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون »** ويسأل الأخ الكريم : « فى الآية السابقة الأمر النهائى بتحريم الخمر والميسر واجتنابهما .. فما حكمة التدرج فى التحريم ، بالمقارنة الى سورة البقرة السابقة ، التى ذكرت أن للخمر منافع وآثاما » ؟ .

٣ — وننتقل فى نهاية المطاف الى سورة محمد ، حيث يقول الله عز وجل : « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات » .. الآية .

ويسأل الأخ الكريم : « ما المقصود بأنهار الخمر اللذيذة للشاربين ؟ وهل هى مسكرة كخمر الدنيا وما هى صفاتها حتى لا يحدث فيها اختلاط بين خمر الدنيا المحرمة ، وخمر الجنة ؟ » .

ذلك هو محتوى رسالة الأخ الكريم نقلناه بنصه .

وانى لأحمد الله تعالى للأخ الكريم أن حمى شبابه من هذه الغفلة التى تستولى على كثير من الشبان فلا يلتفتون الى ما ينبغى أن يلتفتوا اليه من أمور دينهم ، صارفين جل أوقاتهم فيما يترضون به أهواء الشباب ونزواته .. نسأل الله العافية لشبابنا ، والسلامة لهم من الغرق فى تيارات الآراء ، والمذاهب المضللة الزاحفة الينا من الغرب فى صور شتى من المنطوق ، والمسموع ، والمنظور ..

••• ••• •••

ويسعدنى بعد هذا أن التقى مع الأخ الكريم ، لأجيب على أسئلته ، راجيا أن أوفق فى الاجابة الى ما يزيده ايمانا بدينه ، ويقينا بما فى كتاب الله تعالى من حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبما فى شريعة الاسلام ، من بصائر للناس ، وهدى ورحمة للمؤمنين ..

••• ••• •••

فأولا : ما يتساءل عنه الأخ الكريم : « من تفاوت درجات تحريم الخمر فى القرآن الكريم » .

ولعله يقصد بهذا ما جرت عليه الشريعة السمحة من اليسر والترفق بالناس فيما تلزمهم به من أحكامها ، تقريرا أو تحريما ، وذلك بالتدرج فيما يدعو الناس الى الأخذ به أو الكف عنه ، وخاصة فى التكاليف التى تشق على الناس فى أول عهدهم بها .. كالصلاة مثلا .. فانها فرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيدت ركعاتها بعد ذلك الى ما هو معروف منها .. بل وأكثر من هذا فان ثقيفا حين أرادت أن تدخل فى الاسلام اشترطت على النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا بوحدانية الله ، وبأن محمدا رسول الله ، وألا يؤدوا الصلاة ، ولا الزكاة ولا الجهاد فى سبيل الله .. فقال لهم الرسول الكريم : أما الصلاة ، فانه لا خير فى دين لا صلاة فيه .. فقبلوا أن يصلوا ، ولم يقبلوا أداء الزكاة ولا الجهاد فى سبيل الله ،فقبل منهم الرسول الكريم دخولهم فى الاسلام على هذا الشرط ، وحين راجعه بعض أصحابه فى هذا ، قال : انهم سيؤدون الزكاة ، وسيجاهدون اذا دخلوا الاسلام » وقد كان فحسن اسلام ثقيف ، وأدوا الزكاة وجاهدوا مع

المجاهدين ، حتى انه حين ارتدت بعض قبائل العرب لم يرتد أحد من ثقيف ، وكانوا جندا من جند الله فى حروب الردة .

وكذلك الشأن فى الخمر التى جاء الاسلام والجاهليون يتعاطونها ، ويتواردون شيبا وشبانا على مجالسها ، توارد عطاش الابل على الماء .. فكانت الحكمة الربانية التى قضت بتحريمها أن تنتزع هذا الداء الخبيث المتمكن من النفوس ، بتلطف ورفق ، وأن تسقيهم الدواء الشافى لهذا الداء جرعة جرعة .. فذلك هو الذى تصلح عليه النفوس .. كما تصلح عليه الأبدان .

وأول لمسة من لمسات القرآن الكريم لهذا الداء جاءت بالاشارة من طرف خفى الى أن فى الخمر شيئا ، ينبغى للعاقل أن يتجنبها من أجله ، والا يجعلها تجارة من تجارته أو زادا من زاده .. وفى هذا يقول الله تعالى فى سورة النحل : **« ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا »** (الآية ٦٧) .. وفى هذا اشارة من بعيد الى أن ما يتخذ من ثمرات النخيل والأعناب ، منه ما هو رزق حسن ، كالذى يتخذ للأكل أو للتجارة ، ومنه ما هو غير رزق حسن . وهو ما يتخذ سكرا ، وخمرا .. **« ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ، ورزقا حسنا »** .. فالسكر شىء ، والرزق الحسن شىء آخر ، حيث لا يستحق السكر هذا الوصف الكريم ..

هذه لمسة أولى من لمسات القرآن الكريم الخفية الخفيفة للكشف عن هذا الداء ، لينبه الغافلين عنه .

ثم تجىء اللمسة الثانية ، جوابا لتساؤلات السائلين عن الخمر والميسر ، بعد أن رأوا منها هذا الوجه الخبيث ، القبيح ، الذى يعزلها عن أى وصف حسن ، فيقول جل شأنه : **« يسألونك عن الخمر والميسر .. قل فيهما اثم كبير ، ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما »** .. وفى هذا تصريح بعد التلميح الذى حملته آية النحل ، بما فى الخمر ، وصاحبها الميسر من اثم كبير ، الى جانب ما قد يحسبه يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .. ذلك أن ما قد يجده شارب بعض الناس من نفع فيهما .. وأن هذا النفع المتوهم اذا نظر اليه العاقل نظرة مبرأة من الهوى ، بعيدة عن الخداع النفسى ، وجد أنه لا يعدو أن يكون سرابا يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ذلك أن ما قد يجده شارب الخمر من انتشاء وخفة ومرح ، هو شىء يخف ميزانه ، الى جانب ما يعقب ذلك من فقدان الوعى ، وضياع المروءة ، وسقوط الكرامة ، والنزول من مقام الانسان الكريم ، الى عالم الحيوان البهيم .. وكذلك شأن من يتجر بالخمر ، صانعا أو بائعا ، أو جالبا ، أو ساقيا ، هو لا بد شارب لها يوما ما ، ان لم يكن اليوم ففى غد ، أو بعد غد ، وبهذا يجنى ما يجنى شاربوها من هذا الثمر المر القاتل منها .. ثم هو الى جانب هذا يحمل الى غيره من الناس ما يوردهم موارد الضياع والهلاك ..

وفى اقتران الميسر بالخمر فى هذه الآية الكريمة ، وفى غيرها ، اشارة الى أن هذين الداءين الفتاكين ، متآخيان متلازمان ، فحيث كانت موائد خمر ، كان المجتمعون عليها شاربين ومقامرين ، وحيث كانت موائد قمار ، كان الملتفون

حولها مقامرين وشاربين .. وهكذا يجتمع الخبيث الى الخبيث ويأتلف به .

ثم يجيء القرآن الكريم بعد هذا البيان المبين الكاشف عن الخمر والميسر ، وعما فيهما من اثم كبير ، يرجح بكل ما قد يلتقطه بعض الناس من منافع متوهمة لهم من معاقرة الخمر ، أو لعب الميسر — يجيء القرآن فيكشف عن وجه آخر خبيث من وجوه الخمر ، فيقول سبحانه : « **يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** » (النساء : ٤٣) .

وكفى بالخمر شناعة وبلاء أن تعزل شاربها عن جماعة المسلمين ، وأن تبعده عن مقام القرب من الله فى هذا الموقف الكريم ، الذى يقفه المصلون بين يدى الله ، يناجون ربهم ، ويتلقون ما يتلقون من سوابغ فضله ، وعظيم رضوانه ..

وكفى بشارب الخمر ضياعا وخسرانا أن يجد نفسه معزولا عن الناس فى أشرف مقام وأكرم منزلة .. وحسبه أن يرى الناس يدخلون من أوسع الأبواب الى لقاء الله ، والى مناجاة ربهم فى محاريب الصلاة ، ثم يظل هو واقفا على الباب ، لا يؤذن له ، حتى يذهب عنه داء الخمر ، الذى أخذ عقله ، وذهب بلبه ، واغتال انسانيته .

وفى هذا الموقف الذى يدخل فيه المسلم فى تجربة عملية مع الخمر وما جرته عليه من ويلات ، ومساءات يرى كيف أزرى بانسانيته ، وفقد أهليته أن يقف مع الناس بين يدى الله ، على قدم المساواة ، لينال ما ينالون من خير ، ويذهب بما يذهبون به من أجر — فى هذا الموقف يتهيأ هذا الانسان للخطوة التى ان خطاها أخذ مكانه بين الناس ، وصف قدميه مع أقدامهم ، وهذا لا يكون الا بأن يجتنب الخمر ، ويقطع صلته بها .. وهنا يجد هذا النداء الكريم من رب كريم يدعوه اليه ليكون من عباده المفلحين : « **يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » (المائدة ٩٠) .. فالفلاح كل الفلاح لمن جانب هذه المنكرات ، وأبى أن يمد يده الى ما عمله الشيطان ، وزينه له .. وانه لا فلاح أبدا لمن استجاب للشيطان ، وتناول من يده هذا الرجس الذى يفتنه به ، ليضله عن سبيل الله ..

تلك هى بعض حكمة التدرج فى تحريم الخمر ، وما يدور فى محيطها من منكرات ، جريا على سنة الشريعة السمحة الحكيمة ، فى سياسة النفوس ، ومعالجة أمراض القلوب ، وذلك بالرفق والحكمة واليسر ، حيث تستجيب النفوس ، وتلين القلوب ..

••• ••• •••

ولا أرانا بعد هذا فى حاجة الى اجابة الأخ الكريم اجابة مسهبة مفصلة على تساؤله : « وهل اتخاذ الغرب الخمر والميسر نافع لهم هذا النفع المقصود فى الآية الكريمة » ؟

ويكفى أن نقول : ان ما يصدق على المسلمين من أمر الخمر والميسر ، ومن

أن ضررهما أكبر من نفعهما عقليا وجسديا وماديا ــ يصدق على غير المسلمين فى الشرق والغرب ، من حيث اشتراكهم جميعا فى الانسانية ، وأن الضرر الذى يقع على المسلم من أى منكر يتعاطاه ، أو اثم يقترفه مما نهاه الله عنه ، يقع على غير المسلم . والفرق بينهما أن المسلم يتلقى أوامر ربه ونواهيه مؤمنا موقنا بالخير الذى يناله من امتثال أمر ربه ، ومطمئنا مستيقنا بالأمن والسلامة باجتناب ما نهى عنه .. أما غير المسلم فان أهواء نفسه وشهواتها ، هى صاحبة الأمــر والنهى له ، فبسلطان أهوائه ، وبنزعاته يأتى ما يأتى ، ويدع ما يدع ، ولو كان فيما يأتيه بلاؤه وشقاؤه ، وكان فيما يدعه خيره وسعادته .. والله سبحانه وتعالى يقــول : **« أفمن كان على بينة من ربــه كمن زين له سوء عمله واتبــعوا أهــواءهم » ؟** (محمد ١٤) ..

... ...

ونقف مع الأخ الكريم وقفة عند تساؤله عن خمر الجنة التى وعد المتقون ، اذ يتساءل عن « المقصود بأنهار الخمر اللذة للشاربين ، وهل هى مسكرة كخمر الدنيا ؟ وما هى صفاتها حتى لا يحدث اختلاط بين خمر الدنيا المحرمة ، وخمــر الجنة »

ونقول للأخ الكريم : ان خمر الجنة لا تسكر ، ولا يسكر شاربوها ، ممن أنزلهم الله تعالى منازل جنته ورضوانه .. يقول الحق جل وعلا : **« يطاف عليهم بكاس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها غــول ولا هم عنها ينزفــون »** (الصافات ٤٥ ــ ٤٧) . ومعنى : (لا فيها غول) أى ليس فى هذه الخمر ما ينال من العقول ، ويغتال ملكة الادراك فيها .. ومعنى (ولا هم عنها ينزفون) أى ولا يجد شاربو هذه الخمر أثرا لها فى عقولهم .. وذلك أن أهــل الجنة طيبــون ، لا يقبلون الا طيبــا ولا يســمعون الا طيبــا ، كما يقول ســبحانه : **« لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما ، الا قيلا سلاما سلاما »** (الواقعة ٢٥ ، ٢٦) ومجالس الخمر لا يسمع المجتمعون عليها الا ما كان من لغو الأحاديث ، لأن من سكر هذى . ولغا .

وأما كون خمر الآخرة من وسائل النعيم لأهل الجنة ، فذلك مما لا شــك فيه ، اذ الجنة كما وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله : **« وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين »** (الزخرف ٧١) وبقوله سبحانه : **« ولكم فيها ما تشتهى أنفسـكم ولكم فيها ما تدعون »** (فصلت ٣١) .

فكل ما تشتهيه نفوس أهل الجنة يجدونه بين أيديهم من غير أن يتكلفوا له عملا .. وليست الخمر هى كل ما يشتهيه أهل الجنة . فهناك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، كما يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ..

ان ثم كثيرا من الناس فى هذه الدنيا قد دعتهم أنفسهم الى شرب الخمر فردوا أنفسهم عنها ، امتثالا لما نهاهم الله عنه،وخشية لجلاله ، ومراقبة لسلطانه، فكان من فضل الله عليهم أن هيأ لهم فى الجنة مجالس يتعاطون فيها الخمر مبرأة مما يصيب شاربيها فى الدنيا ، من صداع الرءوس ، وفتور الأجسام وذهاب العقول : **« يطــوف عليهم ولدان مخلدون ، باكواب واباريق وكاس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون »** (الواقعة ١٧ ــ ١٩) .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

عبد الكريم الخطيب

بأقلام القراء

حول تعدد الزوجات

لا يدرى الانسان البصير الى متى يظل هذا الدين عرضة للهجوم ، ومجالا للاتهامات الباطلة ، والى متى تظل هذه النفوس فى حالة هروب عن الهدى ، وعمى عن الحق ، بل الى متى يظل هذا المنهج الالهى القويم مثارا للافتراءات والأكاذيب التى تهدف الى نزعه من الصدور ومحوه من القلوب . ولقد ظل تعدد الزوجات فى الاسلام أمرا كثر فيه القول والجدل بغير دليل ولم ترض النفوس الحاقدة أن تعرف الحكمة من وراء هذا التعدد والسبب فى مشروعيته ، وفى هذه الأيام تتوارد علينا الاحصائيات التى نشرت فى العالم عن عدد الأناث وعدد الذكور ، فلقد نشرت صحيفة الأهرام القاهرية الاحصائية التالية يوم الأربعاء ١٩٧٤/١/٩ تحت عنوان (نساء العالم فى ازدياد) : « تشير الاحصاءات الى أن عدد النساء فى العالم يزداد بدرجة ملحوظة على عدد الرجال ، وأن هذه الزيادة مستمرة ففى أمريكا أصبح عدد النساء يفوق عدد الرجال بنسبة ٣٠٪ ، وفى السويد ٢٤٪ ويوجد فى بريطانيا الآن ١٥ مليون أنثى فى مقابل ١١ مليون رجل وفى الاتحاد السوفيتى تبلغ الزيادة فى تعداد الاناث اللاتى فى سن الزواج عن عدد الرجال فى نفس السن ٩ ملايين فتاة » هذه هى الاحصائية .

فماذا يفعل العالم الآن ازاء هذا العدد الكبير من النساء فى مقابل العدد القليل من الرجال ؟ وماذا يضع فى تشريعاته الوضعية من حل لهذه المشكلة الخطيرة والمتفاقمة ؟ نفس هذا التساؤل يضعه الأستاذ محمد الغزالى ، فهو يقول (اما اذا كان عدد النساء أربى من عدد الرجال فنحن بين واحد من ثلاثة :

١ — اما أن نقضى على بعضهن بالحرمان حتى الموت .
٢ — واما أن نبيح اتخاذ الخليلات ، ونقر جريمة الزنا .
٣ — واما أن نسمح بتعدد الزوجات .

ونظن أن المرأة — قبل الرجل — تأبى حياة الحرمان ، وتأبى فراش الجريمة والعصيان ، فلم يبق أمامها الا أن تشرك غيرها فى رجل يحتضنهما وينتسب اليه أولادها ، ولا مناص بعدئذ من الاعتراف بمبدأ التعدد الذى صرح به الاسلام .

هذا هو الحق وربما ظهرت الحكمة الربانية من وراء التعدد ، وبالاضافة الى التساؤل السابق نضع هذه الأسئلة الواقعية التى تطلب حلا وتلح فيه :

ما هو السبيل الى ذرية صالحة اذا كانت الزوجة عقيما ؟ وما الحل الأم اليتامى التى فقدت الزوج الذى كان يرعاها ؟ ، وما الخلاص للتى طلقت من زوجها ؟ أو للعانس التى فاتها سن الزواج ؟ أو للأرملة التى مات زوجها ؟ أو حتى للتى اعوج بها السبيل فى ريعان الشباب ؟

الى غير ذلك من الأسئلة .

ثم هناك السؤال الكبير والخطير ، ان التعدد تشريع من الله سبحانه وتعالى الله الذى خلق والذى أحيا وأمات ورزق ، الله الذى يعلم السبيل الوحيد لانشاء مجتمع مثالى صالح ، فكيف يمكن ويجوز لنا ، أو حتى لغيرنا ، أن يرضى بمنهج

الخلق على منهج الخالق ، وبقانون العبد عن تشريع المعبود ؟ ثم (**أأنتم أعلم أم الله**) ؟ (**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) .

خليل محارب السويركى

المساعي المشكـــورة

تساعد وزارات الأوقاف فى الدول الاسلامية طلاب العلم الفقراء باعانة شهرية طول مدة الدراسة وقد أحصى صاحب كتاب اشتراكية الاسلام واحـــدا وثلاثين غرضا تتوجه الأوقاف لتحقيقها .. ثم يتخـــرج الطالب طبيبا أو مهندسا أو صيدليا أو مدرسا أو مذيعا أو صحفيا أو ممثلا أو مخرجا .

فهل يرد الجميل الذي أسدي اليه بعد أن أصبح غنيا قادرا على رد الجميل ؟ أم يكون أول القصيدة كفرا فلا تنال منه أوقاف المسلمين الا العيب والشتم والطعن لأنه رأى فيها ما لا يعجبه ؟

وما أكثر وأعقد بذور السخط والتمرد فى نفسه ويتمنى لها الخراب والفناء والالغاء وان كان خيرها عليه من مفرق رأسه الى أخمص قدميه .

لأنه تأثر بالحضارة الغربية أو شم هوى الشيوعية وأصبح فى حب البيضاء أو الحمراء أصغر أو أحقر عبد ورحم الله أبا العلاء حين قال :

والقلب من أهوائـــــه عابـــــد   ما يعبـــد الكافـــر من بـــره

فتراه يفزع من ظلال الاسلام والشرق والعروبة والفلاحة والبادية والمصرية كما يفزع الملدوغ اذا رأى الحية .. واذا ذكر بماضيه الذى يمد جذوره الى هذه المعانى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما (ذكر) به ، مع أن رسول الله لم يستنكف بعد الرسالة من رعى الغنم قبلها ..

هل يستعد هذا الطالب القديم بعد أن يصبح صاحب سيارات أو عمارات أو عيـــادات أو أراضى أو مصانع أن يهب ايراد بعض هذه الأشياء لطلاب العلم وقد كان منهم قبل أن يغير جلده ؟

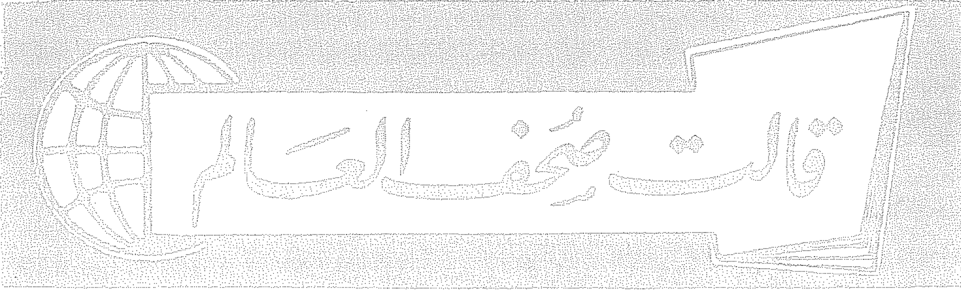
كم هم أصحاب المئات والألوف والملايين الذين ينزلون عن شيء من أموالهم طائعين مختارين لجهات البر التى تنفق عليها وزارات الأوقاف ؟

وما دامت مواردها قد أصابها الكساد وجفت الأمطار التى تغذى منابع أموالها لتغير الأحوال ودناءة النفوس وميلها للأثرة وحبها لأن تأخذ ولا تعطى ومعرفتها للحق دون الواجب ومطالبتها بالعدل اذا كان لها وتجاهله اذا كـــان عليها .. فلا بد أن تراجع الأوقاف نفسها وان تتكيف مع البيئة فيكون العطاء عندها بمقدار فى وقت الحاجة ، وأنا أقترح على الوزارة والهيئات والمصالح التى تساعد طلاب العلم أن تكون هذه المساعدات ديونا عليهم تقرضها لهم فى وقت الفقر ثـم تستردها بعد اليسار والسعة لتعين بهذه الأموال غيرهم بدلا من أن يوكل استمرار الأوقاف فى مساعدة طلاب العلم الى ضمائرهم وقد أصبحت كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

وليس من الحكمة أن تضع الأوقاف رسالتها واستمرار حياتها تحت رحمة هذه الضمائر التى شاعت أقوالها وأفعالها وهى لا تبشر بخير ولا تسر الصديق ولا العدو .

أليس أخذ أموال المساعدات من هؤلاء ضمانا لاستمرار الرسالـــة التى أسسها الرواد الأوائل من الواقفين خيرا من انفاقها فى المصايف والمشاتى والملاهى وعلى الغوانى والزخارف ؟

عبد الرحمن احمد شادى



الطريق الى حياة العزة والكرامة

لقد أصبح واضحا الآن بما لا يدع مجالا للشك ، وبما ليس فى حاجة الى برهان : أن الأمة التى لا يتعدد فيها الضحايا ، ولا يكثر فيها طلاب الشهادة دفاعا عن عقائدهم وشرائعهم ، وآدابهم وقيمهم وحرماتهم ومقدساتهم ، ومبادئهم ومثلهم التى أمروا بالدفاع عنها أو الموت من أجلها ، والتى تنتظم الحياة بأكملها وتحفظ الهيبة والكرامة ، والحق والحرية والعدالة للأحياء من أفرادها .. هى أمة غير جديرة بحياة العز وعيش الكرامة ، بل انها لحرية أن يتخطفها الناس من كل صوب ، وأن يطمع فيها القوى والضعيف والصالح والطالح من كل جانب ..

ومن هنا ــ وليس من أى شىء آخر ــ كان الشهداء من الأمة ــ بحق ــ هم بمثابة القاعدة من البناء ، على جثثهم الطاهرة المباركة ينهض بناء الأمم ويسمو حتى ليطاول السحاب : علوا وشموخا وعزة واباء وبدمائهم الطاهرة الزكية تروى أشجار عزها وتزدهر أزهار مجدها وفخارها على تعاقب الأيام ومر الأجيال .. بل اننا لا نغالى اذا قلنا : أن الشهداء من الأمة بمثابة الروح للجسد ، والعافية للبدن ، كما أننا لا نتجاوز الحق اذا قلنا : ان دماءهم الزكية الطاهرة هى وقود حياة الأمم ، بل انها الطاقة الخفية التى تشق للأمم طريقها الى الخلود والمجد ، وتظلها بسحائب الرحمة والخير والطمأنينة والرخاء .. ذلك لأن كل قطرة من دماء الشهداء تهرق على أرض أوطانهم المباركة ، وتشربها تربتها المقدسة .. لا تضيع سدى ، ولا تذهب هباء : بل انها لتأتى بالغرائب ، وتصنع الأعاجيب فى حياة الأمم والأوطان ، ان لم تكن تأتى بالمعجزات الباهرات ..

ذلك : لأنه اذا كان من شأن الماء حين يمس الأرض أن يهزها من أعماقها حتى يشقق من بنيانها ويفتت من مادتها ، ويخرج منها من خلال النبات وأغصان الشجر حبا جنيا وثمرا شهيا ، وأكلا طيبا هنيا كما حدث الله تعالى عباده فردا فردا فقال : « وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » الحج . فان دم الشهيد لا يكاد يسيل من عروقه ويسقى أديم الأرض ويسوخ فى أعماقها : حتى يبرز من جديد .. من خلال أحاسيس البشر وأفكارهم ، وطاقاتهم الوجدانية ، غضبا عاصفا يموج فى الأثير ، ثم ينصب على رءوس الظلمة الغاشمين فى كل زمان وفى كل مكان ، على مر الأيام وتعاقب الأجيال .

مسئولية الكتاب والمثقفين والشباب

ان أخطر ما تواصى به المسلمون مستمدا من أعمق مقومات الاسلام هو القدرة الدائمة على مواجهة الحرب النفسية التى تحاول اخراجهم عن قيمهم وذاتيتهم . فقد عمل الاسلام على تحرير أتباعه من التأثير الاجنبى بكل أنواعه ودعا الى اليقظة ازاء الحرب النفسية التى تهدف الى تغيير المعالم الأصيلة لعقيدتهم وفكرهم وثقافتهم ومزاجهم النفسى . فقد كان أعداء الاسلام يعلمون أن الطريق الوحيد الى تمزيق وحدة الأمة هو ضربها من خلال قوائم فكرها باثارة الشبهات وادخال مفاهيم وتفسيرات غريبة تختلف عن التفسيرات الأصيلة .

ولقد كافح المسلمون فى تاريخهم كله لتحرير الفكر الاسلامى من هيمنة أى فكر آخر أو عقيدة أخرى ، ولذلك فان أهم المسؤوليات الملقاة على الكتاب والمثقفين والشباب اليوم هو النفاذ المستنير والقدرة الواعية على تعرف أبعاد الأخطار التي تحيط بالمجتمع والأمة والفكر .

ان هناك عدوا خطيرا لا يتوقف عن القاء السموم والشبهات ، فعلينا أن نتحصن بالحذر واليقظة ، ولنكن قادرين على مواجهة هذه الشبهات ودحضها ، وان هناك حربا نفسية تعمل على تشكيك أمتنا فى وجودها ، رغبة فى تدمير صمودها ومقاومتها تمهيدا لتدمير وجودها نفسه .

وتحاول الحملة النفسية أن تشكك فى عشرات من الحقائق وأن تثير الشبهات فى عدد من القضايا فضلا عن القاء مفاهيم وافدة لا تتفق مع ذاتية الاسلام وطبيعته الأصيلة القائمة على التوحيد والايمان والاخلاق .

ولذلك فقد كان من الضرورى أن يوفق المسلمون الى الحقائق الاصيلة التى يراد دحضها وأن يقفوا من أجل الدفاع عن ذاتيتهم الخاصة التى يراد تدميرها .

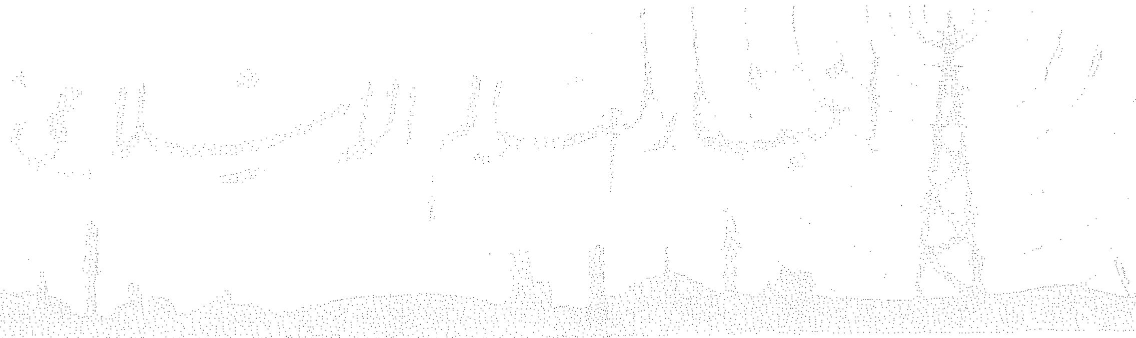
ان الذين يردون ركود المسلمين الى الاسلام نفسه يخطئون ، فان الاسلام براء من كل عناصر التأخر والركود . ولقد أقام نهضة وأنشأ حضارة ما زالت تضىء للانسانية من خلال الاجيال ، والحق أن ضعف المسلمين انما يعود الى انفصالهم عن أصول الاسلام ومقوماته باندفاعهم فى حياة الترف ، وتعطيلهم الجهاد .

ولقد تواصى المسلمون بالحذر من أهداف تحريف مفاهيمهم التى تتمثل فى العصر الحديث فى أهداف التغريب والاستعمار والغزو الثقافى التى تحاول [illegible] العقيدة باذاعة الالحاد وتقويض المجتمع والاسرة بنشر الالحاد .

ولقد كان الاسلام قادرا دوما على التجدد من خلال مقوماته ، ولم تخل حقبة فى تاريخ الاسلام حتى فى أشد عصوره ضعفا من المصلحين والمجددين من ذوى العقول المستنيرة والقلوب المؤمنة ، ولقد كان شغل أعلام المسلمين الشاغل هو الرفض بالسماح لشخصية الاسلام الحضارية أن تذوب أو تتلاشى في أي حضارة أخرى .

لقد كانت للاسلام انتفاضات بين فترة وفترة تسقط كل ما أدخل الى جوهره من قيم غريبة عنه ، ولقد كان الفكر الاسلامى قادرا دوما على رفض الدخيل وطرد البديل . وحضانة الاصيل .

عن (أخبار العالم الاسلامى) — مكة المكرمة



إعداد الأستاذ : فهمي الامام

الكويت : عاد حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بحفظ الله ورعايته الى أرض الوطن بعد أن قضى فترة من الراحة والاستجمام في ربوع لبنان وكان في استقباله في مطار الكويت الدولي سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء والشيوخ والوزراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية وكبار ضباط الجيش والشرطة ، وجمهور غفير من المواطنين .



● استقبل سمو أمير البلاد المعظم في الشهر الماضي وزير خارجية بنغلادش الدكتور كمال حسين . ويبدو في الصورة وزير الخارجية يصافح سمو الأمير المفدى .



● احتفل في الشهر الماضي بالذكرى العاشرة لقيام مؤسسة الدراسات الفلسطينية وذلك بقاعة الاجتماعات الكبرى بمبنى غرفة تجارة وصناعة الكويت .
وفي الصورة سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم يلقي كلمة الافتتاح .



● وصل الى البلاد وفد اسلامي من جمهورية غينيا بيساو .. وقد استقبل الوفد في المطار الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية .. ويرى سيادته في الصورة مع الوفد في قاعة مطار الكويت .

● احتفلت جامعة الكويت فى الشهر الماضى بتوزيع الشهادات على الخريجين فى العام الدراسى ٧٢ — ٧٣ . ويبدو فى الصورة سعادة وزير التربية والرئيس الأعلى للجامعة وهو يسلم شهادة لأحد الخريجين .

● قرر مجلس الوزراء دعم الجامعة الأردنية بمبلغ خمسين ألف دينار للمساهمة فى بعض الانشاءات الجامعية .

كما وافق مجلس الوزراء على مشروع قانون بمساهمة دولة الكويت فى صندوق الدعم العربى للدول الافريقية بمبلغ ثلاثين مليون دينار .

● أعلن وزير التربية ووزير الدولة بالنيابة أن الكويت التى قدمت الدعم لسورية ستستمر ، وأن جيشنا يقاتل فى الجولان الى جانب اخوانه .

مصر : أمر الرئيس أنور السادات باهداء الكويت احدى الدبابات الاسرائيلية التى غنمتها القوات المسلحة أثناء حرب أكتوبر .

● تجرى اتصالات بين القاهرة والدول الاسلامية لانشاء جمعية عالمية تساهم فى انقاذ الآثار الاسلامية على الصعيد العالمى . وسوف تسند رئاسة الجمعية للدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية .

● اشترك فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر فى مؤتمر المنظمات الاسلامية الذى عقد بمكة المكرمة مؤخرا .

● زار فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير الأزهر يرافقه عدد من العلماء جبهة القناة والتقى بالمقاتلين فى مواقعهم داخل سيناء ... وأدى معهم صلاة الشكر ، وصلاة الغائب على أرواح الشهداء فى مدينة القنطرة شرق .

السعودية : أمر جلالة الملك فيصل بمنح الجمعية الاسلامية الايرلندية



مبلغ (١٧٠٠٠) جنيه استرلينى لاقامة مركز للشبان المسلمين والذين يعدون بالآلاف .. وقد تسلمت الجمعية المبلغ .

● عقدت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة مؤخرا مؤتمرا للمنظمات الاسلامية استمر خمسة أيام حضرته وفود عن مختلف الهيئات الاسلامية فى العالم .

● أصدر وزير المعارف قرارا يقضى باعتبار مادة الثقافة الاسلامية مادة أساسية فى جميع الكليات الجامعية وفى كل سنوات الدراسة دون استثناء .

الجزائر : عقدت فى الجزائر اجتماعات الدورة السادسة لاتحاد الاذاعات العربية وذلك لبحث التنسيق وتدعيم التعاون بينها .

● دفعت الجزائر خلال حرب رمضان مبلغ ١٠٠ مليون دولار ثمنا لأسلحة اشترتها لصالح المعركة مع اسرائيل .

سورية : تتصاعد الاستباكات يوميا بين الابطال السوريين وقوات الاحتلال الاسرائيلى وقد صرح مصدر سورى مسئول بأن قرار وقف اطلاق النار لم يعد له وجود فى جبهة الجولان .

فلسطين المحتلة : قام الفدائيون مؤخرا بعمل بطولى داخل مدينة « الخالصة » .. وكبدو العدو خسائر فادحة فى الأنفس والأموال .

● ما زال العدو الاسرائيلى يعانى من الاضطراب والقلق بعد حرب رمضان وقد استقالت رئيسة وزراء العدو مؤخرا .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع الآخر ١٣٩٢	أبريل ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الثلاثاء	١	٢٣	٣٣٩	٥١٥	١١٤٧	٣٢١	٦١٨	٧٤١	٩٢١	١٠٥٧	٥٢٩	٩٠٣	١ ٢٣
الاربعاء	٢	٢٤	٣٨	١٤	٤٧	٢١	١٩	٤٢	١٩	٥٥	٢٨	٢	٢٣
الخميس	٣	٢٥	٣٧	١٣	٤٧	٢١	٢٠	٤٣	١٧	٥٣	٢٧	١	٢٣
الجمعة	٤	٢٦	٣٥	١٢	٤٦	٢١	٢٠	٤٣	١٥	٥٢	٢٦	١	٢٣
السبت	٥	٢٧	٣٤	١١	٤٦	٢١	٢١	٤٤	١٣	٥٥	٢٥	٠٠	٢٣
الاحد	٦	٢٨	٣٣	١٠	٤٦	٢١	٢٢	٤٥	١١	٤٨	٢٤	٨٥٩	٢٤
الاثنين	٧	٢٩	٣٢	٩	٤٦	٢١	٢٢	٤٦	١٥	٤٧	٢٤	٥٩	٢٤
الثلاثاء	٨	٣٠	٣١	٨	٤٦	٢١	٢٣	٤٧	٨	٤٥	٢٣	٥٨	٢٤
الاربعاء	٩	مايو	٣٠	٧	٤٥	٢٠	٢٣	٤٨	٧	٤٤	٢٢	٥٧	٢٤
الخميس	١٠	٢	٢٩	٦	٤٥	٢٠	٢٤	٤٩	٥	٤٢	٢١	٥٧	٢٥
الجمعة	١١	٣	٢٧	٥	٤٥	٢٠	٢٤	٤٩	٣	٤١	٢١	٥٦	٢٥
السبت	١٢	٤	٢٦	٥	٤٥	٢٠	٢٥	٥٠	٣	٤٠	٢٠	٥٥	٢٥
الاحد	١٣	٥	٢٥	٤	٤٥	٢٠	٢٥	٥١	٠٠	٣٩	٢٠	٥٤	٢٥
الاثنين	١٤	٦	٢٤	٣	٤٥	٢٠	٢٦	٥٢	٨٥٨	٣٧	١٩	٥٣	٢٦
الثلاثاء	١٥	٧	٢٣	٢	٤٥	٢٠	٢٧	٥٣	٥٦	٣٥	١٨	٥٣	٢٦
الاربعاء	١٦	٨	٢٢	١	٤٤	٢٠	٢٧	٥٣	٥٥	٣٤	١٧	٥٢	٢٦
الخميس	١٧	٩	٢١	٠٠	٤٤	١٩	٢٨	٥٤	٥٤	٣٣	١٧	٥٢	٢٦
الجمعة	١٨	١٠	٢٠	٠٠	٤٤	١٩	٢٨	٥٥	٥٢	٣٢	١٦	٥١	٢٧
السبت	١٩	١١	١٩	٤٥٩	٤٤	١٩	٢٩	٥٦	٥٠	٣٠	١٥	٥٠	٢٧
الاحد	٢٠	١٢	١٩	٥٨	٤٤	١٩	٣٠	٥٧	٤٩	٢٩	١٥	٤٩	٢٧
الاثنين	٢١	١٣	١٨	٥٨	٤٤	١٩	٣٠	٥٨	٤٨	٢٨	١٤	٤٩	٢٧
الثلاثاء	٢٢	١٤	١٧	٥٧	٤٤	١٩	٣١	٥٩	٤٦	٢٦	١٣	٤٨	٢٨
الاربعاء	٢٣	١٥	١٦	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	٨٠٠	٤٤	٢٥	١٣	٤٨	٢٨
الخميس	٢٤	١٦	١٥	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	٠٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٧	٢٨
الجمعة	٢٥	١٧	١٤	٥٥	٤٤	١٩	٣٣	١	٤١	٢٢	١١	٤٦	٢٨
السبت	٢٦	١٨	١٣	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٢	٣٩	٢١	١١	٤٦	٢٩
الاحد	٢٧	١٩	١٢	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٣	٣٨	٢٠	١٠	٤٥	٢٩
الاثنين	٢٨	٢٠	١١	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٤	٣٧	١٩	١٠	٤٤	٢٩
الثلاثاء	٢٩	٢١	١٠	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٥	٣٥	١٨	٩	٤٤	٢٩

أم المؤمنين

السيدة أم حبيبة رضي الله عنها

اسمها : رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أميه بن عبد شمس الأموية .
امها : صفية بنت أبى العاص بن أمية .

ولدها : ولدت قبل البعثة بسبع عشرة سنة .

اسلامها : اسلمت هي وزوجها عبيد الله .. وقاست ما قاست من اضطهاد أهلها وتعذيبهم لها .

هجرتها : لم تجد بدا من الهجرة بصحبة زوجها عبيد الله الى الحبشة فرارا بدينها .. تاركة الأهل .. مفارقة الديار .. رغم أنها كانت حاملا .. وهناك وضعت ابنتها « حبيبة بنت عبيد الله » .. وصارت تكنى بها « أم حبيبة » . وفى المهجر ارتد زوجها عبيد الله عن الاسلام .. واعتنق النصرانية .. فأصابها هم كبير .. فقد أصبحت وحيدة فى دار الهجرة .. حيث فارقها زوجها ..

زواجها : ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنبأها أرسل الى النجاشي يطلبها منه فجاءها رسول النجاشي ـ جارية تدعى (أبرهة) ـ تقول لها : « ان الملك يقول لك : وكلي من يزوجك من نبى العرب فقد أرسل اليه ليخطبك له » ..
فوكلت : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية .
فقال له النجاشي : « زوجها من نبيكم ، وقد أصدقتها عنه أربعمائة دينار » .
وبذلك تم زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فى المدينة : عادت أم حبيبة رضى الله عنها من أرض الحبشة لتحتفل المدينة بها زوجة فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولتكون أما للمؤمنين .

رواياتها للحديث : روت عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث .. كما روت حبيبة ابنتها عن زينب بنت جحش أم المؤمنين .

وفاتها : رحلت الى جوار ربها فى سنة ٤٤ من الهجرة فى خلافة معاوية .. ودفنت بالبقيع . رضى الله عنها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

المغـــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٧) .

الاردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الأعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

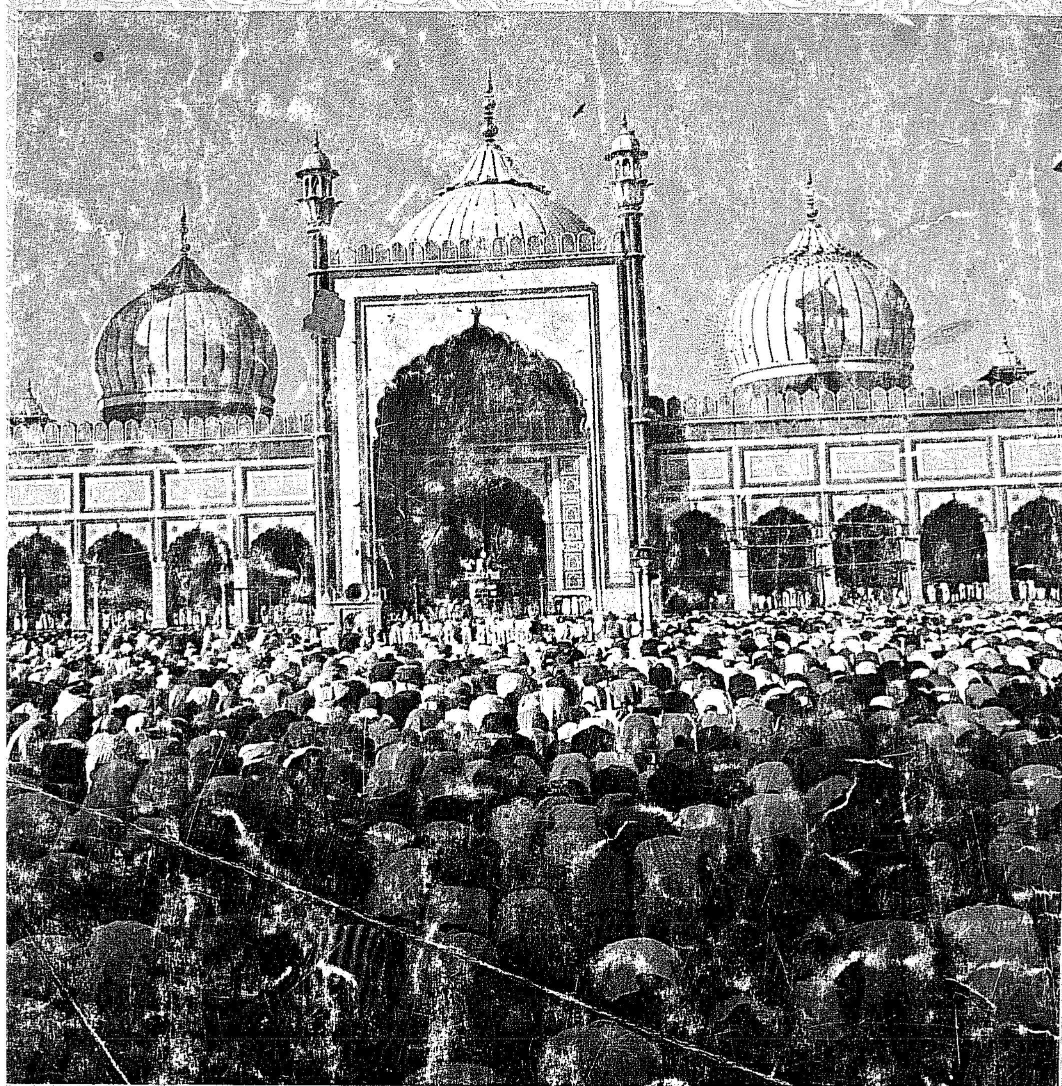
ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



السنة العاشرة — العدد ١١٣ — جمادى الأولى ١٣٩٤ هـ — مايو ١٩٧٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

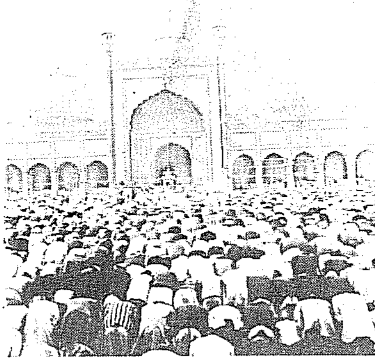
الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم

له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء

وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم

١٣٧٤



المسجد الجامع بمدينة دلهى فى الهند ويعتبر هذا المسجد من أكبر وأفخم المساجد وله شهرة تاريخية واسعة وقد شيده الامبراطور شاه جيهان ويرى فى الصورة جموع المسلمين أثناء تادية صلاة الجمعة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١١٣

جمادى الأولى ١٣٩٤

مايو (أيار) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الأفراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ ــ كويت ــ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المسد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾
فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

يخطىء من يظن ان المرأة فى الجاهلية كانت صفرا ، لا رأى لها ولا وزن .

ان التأمل في النشاط النسائى — عند ظهور الاسلام — يفيد أن المرأة كانت صديقا للدعوة ، له آثاره النافعة وانها — كذلك كانت خصما، له خطره المحذور .

وقبل أن نذكر عداوة أم جميل — زوج أبى لهب — للدعوة الاسلامية، وتحاملها السيىء على الرسول — صلى الله عليه وسلم — نريد أن نذكر نماذج لبعض النسوة اللائي وسعن رقعة الاسلام ، وشرحن به صـــدورا ضيقة ، أو انرن به عقولا كانت مظلمة .

اخرج أحمد عن أنس — رضى الله عنه — ان ابا طلحة — رضى الله عنه — خطب أم سليم — رضى الله عنها — (يعنى قبل ان يسلم) فقالت : يا ابا طلحة الست تعلم ان الهك الذى تعبد نبت من الارض ؟ فقال بلى . قالت : أفلا تستحي تعبد شجرة ؟ ان اسلمت فانى لا أريد منـــك صداقا غيره .

قال حتى انظر في أمرى فذهب ثم جاء فقال : أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .

واخرج الواقدى ، وابن عساكر ، عن عبد الله بن الزبير — رضـــى الله عنهما — قال : لما كان يوم الفتح ، اسلمت أم حكيم بنت الحارث بن هشام — امرأة عكرمة بن ابى جهل ثم قالت أم حكيم : (يا رسول الله ، قد هرب عكرمة منك الى اليمن ، وخاف أن تقتله فآمنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — (هو آمن) ، فخرجت فى طلبه — ومعها غلام لها — فادركته ، وقد انتهى الى ساحل من سواحل تهامة فركب البحـــر فجعل نوتي السفينة يقول له : اخلص قال : أى شىء أقول ؟ قال : قل (لا اله إلا الله) . قال عكرمة ما هربت الا من هذا فجاءت أم حكيم على هذا من الامر فجعلت تلح عليه وتقول : يا بن عم جئتك من عند أوصـــل الناس ، وابر الناس ، وخير الناس ، لا تهلك نفسك فوقف لها حتى أدركته ..

فقالت : انى قد استأمنت لك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال: أنت فعلت ؟ فقالت نعم أنا كلمته فآمنك فرجع معها — وقد شرح الله بالاسلام صدره — فلما دنا من مكة قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لاصحابه (يأتيكم عكرمة بن أبى جهل مؤمنا مهاجرا فلا تسبوا أباه ، فان سب الميت يؤذى الحى ، ولا يبلغ الميت ، فلما التقى برسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال له ، بعدما أعلن اسلامه ، ووثق بالحق صلته — : أما والله يا رسول الله لا أدع نفقة كنت أنفقها فى صد عن سبيل الله الا أنفقت ضعفها فى سبيل الله ، ولا قتالا كنت أقاتل فى صد عن سبيل الله ، الا أبليت ضعفه فى سبيل الله . ثم اجتهد فى القتال حتى قتل شهيدا .

من السبب فى هذا الخير ؟ من صانع هذه البطولة ؟ زوجة مؤمنة مخلصة متحركة أدت واجبها ، ونصحت لله ورسوله ، فكانت يمنا على رجلها ودينها .

كانت زوج أبى لهب تستطيع أن تكون واحدة من اولئك السيدات الراشدات المرشدات ، لكنها كانت امرأة شريرة ، سيطر الحقد على فؤادها فراحت تبعثر الفتنة هنا وهناك .

أغرت أبا لهب بالكفر ، فكفر وصد عن سبيل الله ، وصبت غضبها على بنات النبى صلى الله عليه وسلم فاغرت بتطليقهن ، وهددت بيوتا كانت مستقرة ، وأخذت تنتقل فى أحياء قريش توغر الصدور على رسول الله ، وتضع العوائق امام دعوته .

وقد عبر القرآن عن هذه السيدة الشرسة بقوله — جل شأنه — (تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب .فى جيدها حبل من مسد)

ولم تكن امرأة أبى لهب ممن يحملن الحطب للوقود فى بيوتهن ، — فهى امرأة غنية عريضة الجاه ، انها بنت أبى سفيان ، وامرأة رجل من عظماء بنى هاشم ولديها من الخدم ما يكفيها هذا العمل — ولكن المقصود بهذه العبارة أنها تشعل الفتن ، وتثير النفوس ضد محمد ، وانها تحكم الوسائل لبلوغ هدفها ، ولا تتراجع عن كيد بدا لها .. وهذا سر التعبير بأن فى عنقها حبلا من مسد ، والمسد هو الصوف ، والتركيب كله يعنى انها تحارب الاسلام بعنف ، وتوغر الصدور ضد نبيه ، وتنشر الاشاعات المثبطة ، والانباء المحرضة على النيل منه .

وأرى أنها السبب فى ضلال زوجها ، فهو من هذا الصنف الذى يتبع امرأته ويطلب رضاها ، ولو كان فى ذلك حتفه ، وقد كان أبولهب أول المكذبين لرسول الله مع أنه عمه الشقيق ، وهو لم يكذبه فقط بل انطلق وراءه ينفر منه ، ويحول دون دخول الناس فى دينه ، روى عن طارق المحاربى انه قال : رأيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى السوق يقول : أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ، ورجل خلفه يرميه بالحجارة ، وقد أدمى عقبه ويقول : لا تطيعوا محمدا فانه كذاب فقلت : من هذا ؟ قالوا : محمد وعمه أبو لهب .

لم يكن هذا المسلك جديدا من أبى لهب فانه منذ سمع بنبوة محمد ودعوة التوحيد عارض بعنف ذلك الدين الحنيف ، وخاصم الرسول الكريم،

ولم تحجزه قرابته عن عمل شائن يسىء به الى ابن اخيه ، واستعان بغناه ووجاهته على مقاومة الاسلام فى كل مكان .

قال ابن عباس — رضى الله عنهما — : لما نزلت الآية (وأنذر عشيرتك الاقربين) صعد النبى — صلى الله عليه وسلم — على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر ، يا بنى عدى — لبطون قريش — حتى اجتمعوا، فجعل الذى لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لنظر ما هو ؟ فجاء أبولهب وقريش ، فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا . قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبا لك سائر هذا اليوم الهذا جمعتنا ؟ فنزل قوله تعالى (تبت يدا أبى لهب وتب ..)

وروى ابن الاثير قال جعفر بن عبدالله بن أبى الحكم لما أنزل الله على رسوله (وأنذر عشيرتك الاقربين) ، اشتد ذلك عليه ، وضاق بـه ذرعا فجلس فى بيته كالمريض فأتته عماته يعدنه فقال ما اشتكيت شيئاً. ولكن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى — فقلن له فادعهم ولا تدع أبالهب فيهم، فانه غير مجيبك — فدعاهم فحضروا ومعهم نفر من بنى المطلب بن عبد مناف ، فكانوا خمسة وأربعين رجلا ، فبادره أبو لهب وقال (هؤلاء هـم عمومتك ، وبنو عمك فتكلم ودع الصباه ، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وأنا أحق من أخذك فحسبك بنو أبيك، وان أقمت ما أنت عليه، فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش ، وتمدهم العرب فما رأيت أحدا جاء على بنى أبيه بشر مما جئتهم به) فسكت رسول الله ولم يتكلم فى ذلك المجلس . ثم دعاهم ثانية وقال (الحمد لله أحمـده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريـك له . ثم قال ان الرائد لا يكذب أهله ،والله الذى لا اله الا هو انى رسول الله اليكم خاصة والى الناس عامة والله لتموتن كما تنامـون ، ولتبعثـن كما تستيقظون ، ولتحاسبن ، وانها للجنة أبدا ، او النار أبدا) .

فقال أبو طالب ما أحب الينا من معونتك ، وأقبلنا لنصيحتك ، وأشـد تصديقنا لحديثك وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون ، وانما أنا أحدهم ، غير أنى أسرعهـم الى مـا تحب ، فامض لما أمرت بـه ، فواللـه لا أزال أحوطك وأمنعك غير أن نفسى لا تطاوعنى على فراق دين عبد المطلب .

فقال أبولهب : هذه والله السوأة خذوا على يديه قبل أن يأخـذه غيركم ، فقال أبو طالب : والله لنمنعنه ما بقينا .

وبلغت الخسة بأبى لهب وامرأته مداها عندما أمرا ابنيهما بتطليـق بنات الرسول صلى الله عليه وسلم .

ان الحقد على الدين الجديد ، تادى بهما الى هذا التصرف النابى ، فعاقبا أولاد محمد بهذه القطيعة الشاذه ، فكان عاقبتهما أن حقت فيهمـا كلمة الله ، فقد هلك أبو لهب ومات مفجوعا بانتصار المسلمين فى بدر ، ثم انتقل الى آخرته ليصلى نارا ذات لهب .

وجمع العـذاب بينه وبين قرينته هناك مصـداق قوله تعالـى : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) .

لعالم كبير

القصص القرآنية

١

للأستاذ : محمد عزة دروزة

— ١ —

تشغل القصص حيزا كبيرا فى القرآن الكريم . وقد شغلت نتيجة لذلك حيزا كبيرا فى كتب التفسير . وتشغل دائما أذهان قارئى القرآن من مسلمين وغير مسلمين ولا سيما الذين يأخذونها على موضوعيتها التاريخية فيكون منهم المتوسع ومنهم المستنبط ومنهم المتسائل ومنهم الحائر ومنهم المتحفظ أو المشكك .

ولقد قرأنا فى الوعى الاسلامى أكثر من مقال فى صدد القصص القرآنية ومداها . وهذا بحث تناول هذه المسألة بأسلوب ومدى آخرين نرجو أن يكون فى نشره الفائدة ان شاء الله .

— ٢ —

أولا : فى القرآن شواهد وقرائن عديدة تدل على أن ما ورد فيــه من قصص وأخبار الأمم السابقة وأحداثها وأنبيائها بما فى ذلك معجزات الأنبياء عليهم السلام وما وقع على الأمم الجاحدة من عذاب الله ونكاله لم يكن غريبا عن سامعى القرآن لأول مرة اجمالا سماعا أو مشاهدة آثار أو اقتباســا

وتناقلا . وسواء منه ما هو موجود فى أسفار وكتب أهل الكتاب وغيرهم المتداولة مماثلا او زائدا او ناقصا او مباينا لما جاء فى القرآن . أم ليس موجودا فيها مما يتصل بالأمم والأنبياء الذين وردت أسماؤهم فيها مثل قصص ابراهيم عليه السلام المتعددة مع قومه وتسخير الجن والريح لسليمان عليه السلام ومائدة المسيح عليه السلام . أو مما يتصل بغيرهم من الأمم والبلاد العربية وأنبيائها مما لم يرد أسماؤهم فيها مثل قصص ثمود وعاد وسبأ وتبع وشعيب ولقمان .

من ذلك هذه الآيات التى لها أمثال اخرى :

١ ــ ((**ألم يأتهم(١) نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**)) التوبة : ٧٠ .

٢ ــ (**بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ..**) الانبياء : ٥ .

٣ ــ ((**وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود . وقوم ابراهيم وقوم لوط . وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير . فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد . أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور**))(٢) الحج : ٤٢ ــ ٤٦ .

٤ ــ ((**ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا**))(٣) الفرقان : ٤٠ .

٥ ــ ((**وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين**)) العنكبوت : ٣٨ .

٦ ــ ((**وان لوطا لمن المرسلين . اذ نجيناه وأهله أجمعين . الا عجوزا فى الغابرين . ثم دمرنا الآخرين . وانكم لتمرون عليهم مصبحين . وبالليل أفلا تعقلون**))(٤) الصافات : ١٣٣ ــ ١٣٨ .

ولقد جاء فى سورة القلم التى هى ثانية سورة فى ترتيب النزول هذه الآيات :

((**فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم . لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . فاجتباه ربه فجعله من الصالحين**)) القلم : ٤٨ ــ ٥٠ .

فالاكتفاء بهذه الاشارة الخاطفة الى قصة يونس ونعته بصاحب الحوت فى هذه السورة المبكرة جدا فى النزول دليل قاطع على أن هذه القصة لم تكن مجهولة عند النبى صلى الله عليه وسلم والسامعين قبل البعثة . واذا كانت سور أخرى نزلت بعد واحتوت تفصيلا أكثر عن القصة مثل ما جاء فى آيات سورة الصافات ١٣٩ ــ ١٤٨ فالمتبادر أن لذلك حكمة سامية . ولكنها لا تنقض الدليل من دون ريب . وهذه القصة واردة بتفصيل فى سفر يونان بن متاى من أسفار العهد القديم المتداول اليوم فى أوساط الكتابيين . وهناك حديث رواه مسلم وأبو داود عن النبى صلى الله عليه وسلم جاء فيه : (ما ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) ونسبه الى أبيه . واسم الأب لم

يرد فى القرآن . **وانما فى سفر يونان بصيغة** (متاى) وفى سيرة ابن هشام حديث يذكر أن النبى حينما ذهب الى الطائف قدم له غلام طبقا عليه قطف عنب فسمى أولا باسم الله ثم اكل فأكب الغلام على يده يقبلها ويقول ان هـذا كلام لا يقوله أهل هذه البلاد . فسأله النبى من اى بلد هو . فقال له انه من نينوى فقال له بلد يونس بن متى . فقال له ومن اين عرفت يونس بن متى . فقال له هو نبى أنا نبى مثله . ونينوى لم تذكر فى القرآن وانما ذكرت فى السفر المذكور .

ومثل هذا يقال فى الاشارة الخاطفة المقتضبة فى سورة المزمل ثالث سورة فى ترتيب النزول الى فرعون وهى **(انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا . فعصى فرعون الرسول فاخذناه أخذا وبيلا)** ١٥ ، ١٦ .

فان قصص موسى وفرعون مما كان معروفا متداولا فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ومبثوثا بسعة فى أسفار العهد القديم التى كان يتداولها أهل الكتاب فيها ، وفى آية سورة القصص هذه **(فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى)** ٤٨ . دليل قاطع على أن هذه القصص كانت معروفة عند أهل بيئة النبى صلى الله عليه وسلم من المشركين العرب قبل البعثة .

ومثل هذا يقال أيضا فى أولى اشارة الى قصة صالح عليه السلام وقوم ثمود وناقتهم فى سورة الشمس التى هى من السور المبكرة جدا فى النزول وهى : **(كذبت ثمود بطغواها . إذ انبعث أشقاها . فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها . فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها)** ١١ — ١٤

فالاشارة المقتضبة فى سورة مبكرة جدا دليل على أن سامعى القـرآن يعرفون القصة . وهى قصة عربية . ومنازل ثمود وآثارهم فى حدود الحجاز الشمالية مما يسمى اليوم مدائن صالح . ولا ريب فى أن قصة النبى صـالح عليه السلام وقومه وناقته ودمارهم من القصص التى كان يتداولها أهل بيئة النبى صلى الله عليه وسلم جيلا بعد جيل فجاءت أولى الاشارات اليها مقتضبة لأنهم يعرفونها . وفى سـورة العنكبوت آية ٣٨ تذكرهم بأنهم يعرفون ذلك معرفة مشاهدة وسماع معا وهى : **(وعـادا وثمـود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين)**

ومثل هذا يقال أيضا فى الاشارات المقتضبة الواردة فى آيات سورة (ص) ١٢ و ١٣ وسورة (ق) ١٢ — ١٤ وسورة (الفجر) ٦ — ١٤ الى الأقوام حيث يصح القول بجزم ان هذه الاشارات دليل على أن السامعين للقرآن من العرب يسمعون أسماء أقوام يعرفون قصصها قبـل أن يتنزل القرآن الكـريم .

— ٣ —

ثانيا : ان القصص القرآنيـة لم ترد فى القـرآن لذاتها وموضوعها التاريخى وانما وردت للعظة والتذكير والافحام والالزام والتنديد والوعيـد والتسلية والتثبيت وبكلمة أخرى قصدت الرسالة المحمدية ، وهذا ظاهر فى

اسلوب جميع القصص القرآنية الذى لم يكن سردا تاريخيا ، والذى تخلله الوعظ والارشاد والتبشير والانذار . بل الذى جاء سبكه وعظا وارشادا وتبشيرا وانذارا وتنبيها وتذكيرا . ثم فى سياق ايراد القصص حيث تورد على الأعم الأغلب عقب التذكير والتنديد والتسلية والتطمين والموعظة وحكاية مواقف الكفار وعنادهم وحجاجهم أو بين يدى ذلك . ثم فى تكرار القصص فى سور عديدة وبأساليب وصيغ متنوعة ومختلفة بعض الشىء لسبب تنوع وتجدد المواقف النبوية دعوة وحجاجا وتنديدا وبيانا وعظة وتذكيرا وانذارا وتبشيرا سنين طويلة . وتجاه فئات مختلفة مما هو مبثوث فى مختلف السور وبخاصة المكية وفى غنى عن التمثيل مع بروز القاسم المشترك الذى يجمع بين هذه الصيغ وهو الاسلوب من جهة ، وقصد العظة والتذكير والمثل من جهة ، ولكون ما جاء فيها مما ليس قريبا كليا أو جزئيا عن السامعين من جهة .

ونلفت نظر القارىء الى آيات سورة الحج ٤١ — ٤٦ وآية سورة العنكبوت ٣٨ وآيات سورة الصافات ١٣٢ — ١٣٨ التى اوردناها قبل ثم الى آية سورة الأنعام هذه **(ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين)** ٣٤ حيث يبدو هذا الهدف صريحا قاطعا وماثلا أمامه . وفى سورة يوسف هذه الآية بعد تفصيل قصة يوسف واخوته التى تخللها حكم ومواعظ وعبر عديدة **(لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)** ١١١ حيث يبدو الهدف المذكور صريحا وقاطعا أيضا كما يبدو فيها دليل أو قرينة على النقطة الأولى .

أما كون القصص لم ترد لذاتها وموضوعها التاريخى فانه بالاضافة الى أن هذا متمثل فى تكرارها وتنوع صيغها وأساليبها وهدف العظة والعبرة البارز عليها فانه متمثل فى كون ما جاء فيها ليس فيه سرد للتاريخ والأحداث وفيه كثير من الثغرات أو الحلقات المفقودة من ناحية الموضوعية التاريخية ، مما هو ملموح فيها حتى فى ما قد يبدو أنه قصة متكاملة مثل قصة يوسف وموسى وفرعون وبنى اسرائيل . ويستطيع القارىء أن يتبين ذلك بسهولة وهذا يغنى عن التمثيل .

— ٤ —

ثالثا : ان القصص القرآنية من المتشابهات التى يحتمل كثير من صيغها وعباراتها وجوها عديدة للتأويل أو التى فى بعض صيغها وعباراتها ما يعجز العقل الانسانى عن ادراك سره وتأويله . ويكون من واجب المؤمن المخلص أن يكتفى بالقول **(آمنا به كل من عند ربنا)** كما علمنا الله عز وجل فى قوله : **(هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب)** آل عمران (٧) .

وهذا ماثل فى كثير من آيات القصص وصيغها المتنوعة لا يعيا عن لمحها المتوسطون فى الثقافة فضلا عن الراسخين .. ومن الأمثلة البارزة على ذلك قصة خلق آدم فقد ذكرت آية البقرة (٣٠) ان الله سبحانه اراد من خلقه ان يجعله ويجعل نسله خلفاء فى الأرض . ومع ذلك فانه أسكنه الجنـــة مع زوجته ولم يخرجهما منها الى الارض الا عقوبة على اكلهما من الشجرة الممنوعة كما جاء فى آيات البقرة (٣٥ — ٣٧) وغيرها . وقد ذكر فى بعض الآيات أن الله خلقه من تراب (٥٩ آل عمران مثلا) وفى بعضها أنه خلقه من طين (سورة ص ٧٦ مثلا) وفى بعضها أنه خلقه من صلصـــال كالفخار (سورة الرحمن ١٤) وفى بعضها أنه خلقه من صلصال من حمـــأ مسنون (سورة الحجر ١٨) وخوطب فى بعضها جميع الناس فى معرض خلق الانسان الاول (سورة الأعراف ١١) و (سورة المؤمنون ١٢ — ١٥) و (السجدة ٧ — ٩) وذكر فى بعضها مراجعة الملائكة لله وحوارهم معه فى صدد خلق آدم وخلافته فى الأرض . وان الله علم آدم الأسماء كلها . وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا الا إبليس فطرده الله فطلب إنظاره فأنظره الله فآلى على نفسه أن يغوى ذرية آدم (سورة البقرة ٣٠ — ٣٦) و (سورة الأعراف ١١ — ١٨) و (سورة ص ٧١ — ٨٥) .

فمما احتوته هذه الآيات ما يتحمل تأويله وجوها عديدة . ومنه لا يدرك سره عقل الانسان . وقد يقاس على ذلك ما جاء فى قصص سليمان وداود فى سورة النمل وسبأ و ص وغيرها وغيرها .

— ٥ —

ومن الحكم المتبادرة فى النقطة الأولى أن المخاطبين يتأثرون بما احتوته الحادثة أو القصة التى تورد عليهم من موعظة ومثل أو تذكير أو زجر أو تنبيه أو دعوة الى الاعتبار والارعواء والتأسى والتدبر فى العاقبة اذا كانت مما يعرفونه أو يسمعون عنه حتى ولو كان فى نطاق هذه المعرفة والسماع ضيق من حيث التفصيل أو عدد الأشخاص العارفين والسامعين . أما اذا لم يكن أحد يعرف ذلك فان الكلام لا يستحكم الالزام والافحام والتأثير والعبرة ، ولا سيما على مخاطبين جاحدين لأصل الدعوة التى يراد التذكير بمواقف الغير والسابقين من مثلها ومصائرهم بسبب هذه المواقف أو جاهلين للحادثة التى يراد استخراج العبرة من سيرها وظروفها وعواقبها .

وملاحظة ذلك مع ملاحظة هدف القصص القرآنية وكونها لم ترد لذاتها أو للسرد التاريخى ومع ملاحظة أن كثيرا من عباراتها يدخل فى نطاق وصـــف المتشابهات التى تحتمل وجوها عديدة للتأويل أو التى يعجز عقل الانســـان عن سرها وتأويلها ضرورية بل واجبة على من حسنت نيته من الناظرين فى القرآن والراغبين فى فهم مداه . ومن شأن ذلك أن يعصمه من الاستغراق فى ماهيات ووقائع ما احتوته من اشارات الى أحداث ووقائع وأشخاص . وأن يغنيه عن التكلف والتجوز والتمحل فى التخريج والتأويل والتوفيق . وأن ينجيه من الحيرة أو التساؤل فى صدد تلك الماهيات والوقائع . وأن يجعـــله

يبقى القرآن الكريم في نطاق قدسيته وهدفه من التذكير بالمعروف والارشاد والعظة والعبرة . ولا يخرج به الى ساحة البحث في الوقائع وما يكون من طبيعته من الأخذ والرد والنقاش والجدل والتشكيك علي غير طائل ولا ضرورة . ولا سيما انها ليست من المحكمات والأسس الدينية وانما هي كما قلنا من الوسائل القديمة والمتشابهات التي لا ضرورة دينية للاحاطة بوقائعها وماهياتها ومداها ولا للتوسع والتزيد فيها في سياق تفسير القرآن وفهمه .

واذا كان غير واحد من المفسرين المطولين قد تورطوا في ذلك وأوردوا بيانات كثيرة على هامشها فيها كثير من الخيال والاغراب والتكلف حتى شغل ذلك الحيز الأكبر من كتبهم وصارت القصص نتيجة لذلك قديما وحديثا شاغلة لأذهان الناس والمسلمين . وكادت تغطى على أهداف القرآن ومحكماته . وصارت مثار جدل بسبيل اثباتها وانكارها وتعليلها . واستكشاف الحقائق والأحداث التاريخية منها حتى تعرض القرآن للجدل والنقاش بسببها فان القرآن لا يتحمل مسئوليته . وان كان ذلك يدل على أن بيئة النبي صلى الله عليه وسلم كانت تتداول كثيرا من الروايات المتصلة بهذه القصص وبالتالي يؤيد ما قلناه من أن أهل هذه البيئة كانوا يعرفون ويتداولون الشيء الكثير منها . وانما يتحمل مسئوليته الذين رووا وتوسعوا وتزيدوا وتكلفوا وجمعوا الغث والسمين والخيال والمبالغة مع الحقائق والمعقول وغير المعقول ثم الذين دونوها في كتبهم بدون غربلة وكانوا جديرين بذلك ، فكان حصيلة ذلك تلك الفصول الطوال التي يسميها بعضهم بالاسرائيليات والتي شغلت أذهان الناس وشوشت على أهداف القرآن ومحكماته وما تزال . ولا سيما أن في القرآن كما شرحنا الدليل الناصع القاطع على أن ذلك ليس من أهداف قصصه وأن أهداف قصصه هي العظة والعبرة والانذار والتبشير والتسلية والتطمين . ويظل الوقوف منها عندما اقتضت حكمة التنزيل ايحاؤه منها بالأسلوب الذي أوحى به هو الحق الأولى بالقول والتقرير . مع واجب التنبيه على أن آيات القصص جاءت بأسلوب يجعل ما احتوته من هذه المقاصد غير قاصر على سامعي القرآن لأول مرة . بل شاملا وعاما ومطلقا على الأعم الأغلب ليكون كذلك بالنسبة للأجيال الانسانية التالية الى ما شاء الله ليجدوا فيها العبرة والعظة والتلقين والتوجيه والتشريع والطمأنينة ، وهو الأسلوب الذي تميز به القرآن الكريم ورشحه للحضور والشمول .

---

(١) الضمير عائد لكفار العرب السامعين باسلوب انكارى يفيد الايجاب .

(٢) الآية الاخيرة تفيد ان السامعين عرفوا اخبار السابقين ونكال الله بهم اثناء تطوافهم في بلادهم .

(٣) الآية تفيد انهم رأوا القرية التى امطرت مطر السوء وآثار ذلك .

(٤) المقصود هم قوم لوط وبلادهم المدمرة الواقعة على ضفاف بحيرة لوط فى غور الاردن . وكان تجار الحجاز يمرون بها اثناء ذهابهم الى فلسطين ومصر للتجارة وعودتهم فيرون آثار الدمار ويسمعون قصته .

ولاية الرجل على نفسه

في الطلاق وتعدد الزوجات

للدكتور محمد البهى

مقال يستهدف توضيح راى القرآن فى حق الرجل فى الطلاق .. وفى حقه كذلك فى تعدد الزوجات ، وقد شوهت الرغبة الملحة في تقليد الغرب في شئون الأسرة فيه راى الاسلام فى هذين الأمرين .

ورسالة الاسلام يوم أن جاء الوحى فيها بتأصيل هذين الحقين للرجل قصدت الى ابعاد كثير من الأضرار التى تصيب البشرية . ويقضينا النصح لله ورسوله أن يعلم المسلمون امر دينهم .

استقلال المجتمعات الاسلامية من الاستعمار العسكري لم يكن استقلالا لها عن نفوذ التوجيه الاجنبي ، الذي ارتكز فيها على مطاردة الاسلام من الحياة الاسلامية في مجالات : السياسة .. والتشريع .. والاقتصاد .. والروابط الاجتماعية .. والأحوال الشخصية أو شئون الاسرة .

ويعود توجيه الاستعمار الذي كان يمارسه في هذه المجتمعات الى ما يسميه بالفصل بين الدين والدولة ، أو الى ما يعرف باسم العلمانية . ويتضح هذا الفصل بين الدين والدولة في هذه المجتمعات في أن تأخذ الدولة في اتجاه معين لها في حياة المجتمع بتوجيه للغرب مثلا ، وتترك توجيه الاسلام فيه يقرأ في كتب التراث وحدها ، ولا يتعدى ترديد المشتغلين بالفقه الاسلامي له في الدراسة ، أو في العرض النظري :

* ففي العلاقات الخارجية مثلا قد توالي الدولة في المجتمع الاسلامي : أعداء الايمان بالله من أصحاب الوثنية المادية ، وربما تؤثرهم بالولاء والمودة على بعض المسلمين الذين يشاركون مجتمعها في الايمان . بينما يبقى توجيه القرآن هنا في عزلة تماما عن صنيع الدولة .

فالقرآن ينهى عن موالاة الأعداء الملحدين الماديين بصفة عامة الا في حالة واحدة ، وهي حالة اتقاء شرهم . اذ ترقب النفع منهم أمر لا يقع اطلاقا . يقول تعالى في سورة آل عمران :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، الا ان تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، والى الله المصير » .

ويعلل القرآن ذلك في سورة أخرى ، وهي سورة الممتحنة ، بقوله سبحانه وتعالى :

« يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء ، تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .. الى أن يقول :

« ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ، ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء ، وودوا لو تكفرون »(١) .

ولكي يزيد القرآن في توضيح الأمر يعلن أنه لا يجتمع ايمان بالله ومودة لمادي ملحد في نفس واحدة ، ولا يوجد مؤمنون بالله يوادون من حاد الله ورسوله :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم ، أو ابناءهم ، أو اخوانهم ، أو عشيرتهم »(٢) .

وعدم سؤال الدولة آنئذ في المجتمع الاسلامي عن رأى الاسلام في معاملة الأعداء — فضلا عن عدم تطبيقه — وسلوكها مع ذلك في معاملتهم مسلكا آخر على النقيض هو فصل للدين عن الدولة في المجال السياسي ، مهما أعلنت في نظام حكمها عن أن الاسلام مصدر رئيسي في التشريع ، وأنه الدين الرسمي للدولة .

* واذ جعلت الدولة في مجال تشريعها — في قانون العقوبات مثلا — أن الزنا جريمة شخصية ، على معنى اذا تم الزنا برضاء الطرفين فليست هناك عقوبة على أى من الزاني والزانية . واذا وقع الزنا من الزوجة وعفا زوجها

عنها تسقط اقامة الدعوى عليهـــا وعلى الزانى بها .. اذا نظرت الدولة الى الزنا على هذا النحو ، وتركت رأى القرآن ونظرته اليه جانبا : تكون الدولة فى المجتمع الاسلامى حينئذ قد فصلت بين الدين والدولة . لأن الاسلام يرى فى الزنا جريمة اجتماعية ، وليس جريمة شخصية ، وان وقعت بين شخصين . أى أنه يرى فيه اعتداء على المجتمع ككل ، وليس اعتداء على عرض واحدة فقط . ولذا كانت عقوبة الزنا هى جلد الزانية والزانى مائة جلدة ، على مشهد من مجموعة من أعضاء المجتمع ، وفى غير رأفة اطلاقا على أى منهما . ولو أن الاسلام كان يرى فى الزنا جريمة شخصية لما أوجب العلن فى توقيع عقوبته ، ولأفسح مجالا للرأفة فى توقيع هذه العقوبة . يقول تعالى :

((الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين))(٣) .

والزنا فى نظر الاسلام يساوى قتل النفس بغير حق ، ويساوى سرقة المال من حرزه . فهى الجرائم التى تصيب المجتمع كله ، ان وقعت . فاختلاط الانساب عن طريق الزنا .. واضعاف المجتمع عن طريق القتل .. وحرمان أصحاب الحاجة فى المجتمع من منفعة المال المسروق تصـــور أضرارا اجتماعيـــة توجه الى كيان المجتمع وقوته فى الكثرة والتماسك ، وان وقعت على بعض أفراد منه .

* وفى الاقتصاد ان اباحت الدولة فى المجتمع الاسلامى المعاملات المالية على أساس الربا وسعر الفائدة المصرفية تكون قد فصـــلت بالفعل بين الدين والدولة . لأنها تتجاوز بذلك عندئذ رأى الدين فى الربا . فالاسلام يرى للربا آثارا مدمرة للمجتمع البشرى وهى آثار الصراع الطائفى . ولذا ينذر مجتمع المؤمنين بالحرب من الله ، ان استمر هؤلاء المؤمنون فى التعامل به ، واستمروا فى نظرتهم اليه على أنه مثل البيع فى نفعه وفى بعده عن الإضرار . يقول تعالى :

((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقى من الربا ، ان كنتم مؤمنين (أى ان كنتم قد تحولتم الى الايمان بالله فعلا ، من ماديتكم واتجاهكم المصلحى وحده) **فان لم تفعلوا** (فان لم تتركوا التعامل على أســـاس من الربا) **فاذنوا بحرب من الله ورسوله** (وهى الحرب التى يثيرها أصحاب الحاجة ضد الأثرياء والمترفين على حساب المحرومين .. هى تلك الحرب التى تجعل آكل الربا غير مستقر وغير مطمئن فى حياته كالذى يتخبطه الشيطان من المس) **وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ، ولا تظلمون)) (٤)** .

وصراع المجتمعات الغربية اليوم .. صراع الماركسية ضد الرأسمالية .. صراع الماديين ضد بعضـــهم بعضا ، هو صراع دفع اليـــه شـــيوع الربا فـــى المعاملات المالية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فى أوروبا . والحربان العالميتان الاولى والثانية ــ وكذلك الحرب العالمية الثالثة القادمة اليوم أو غدا ــ من نتائج التوجيه المادى فى البشرية كدافع للمعاملات الربوية السابقة فى الغرب الصناعى .

ومجتمعات الغرب اليوم هى مجتمعات غير مستقرة .. هى مجتمعات قلقة كشأن من يتخبطه الشيطان من المس .

* وان أخذت الدولة بنظام التأمين الاجتماعى وتركت نظـــام الزكاة فى التكافل : تكون قد عزلت الاسلام أو الدين عن الدولة . فنظام الزكاة يختلف

كثيرا عن نظام التأمين الاجتماعي . فالزكاة السنوية ليست قسطا يؤديه المزكى لحسابه المادى ، كما يؤدى المؤمن قسطه المفروض عليه من التأمين . وانما هى عبادة وقربى لأصحاب الحاجة ، الذين حددتهم آيه التوبة فى قول الله تعالى .

((انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم)) (٥) .

وأنواع المصارف المختلفة للزكاة ــ كما ذكرتها الآية هنا ــ تغطى جوانب عديدة فى حياة المجتمع :

١ ــ تغطى جانب الحاجة للفقير ، وهو العاجز عن الكسب لعاهة أو شيخوخة .. وللمسكين ، وهو الذى لا يقوم دخله من عمله بمتطلباته اليومية هو وأسرته : **((انما الصدقات للفقراء ، والمساكين))** .

٢ ــ وتغطى جانبا من سياسة الدولة الاسلامية ازاء اضعاف قوة الأعداء ، عن طريق استمالة بعض منهم : **((والمؤلفة قلوبهم))** .

٣ ــ وتغطى تحرير الرقيق ، فردا أو مجتمعا ، ليعود له اعتباره البشرى : **((وفى الرقاب))** .

٤ ــ وتغطى جهد الخيرين من المؤمنين الذين يسعون بين المؤمنين لاستمرار التماسك فيما بينهم ، أو يسعون لزيادة عدة المؤمنين واعدادهم لمواجهة الأعداء فينفقوا مالهم فى سبيل هذا أو ذاك : **((والغارمين))** .

٥ ــ وتغطى شئون الدعوة الى الله : **((وفى سبيل الله))** .

٦ ــ وتغطى أخيرا حاجة المار فى سفره من المسلمين ودعت حاجة سفره وبعده عن موطن اقامته الى كفالة المسلمين له .

والتأمين ــ وان كان صورة من صور التعاون بين مجموعات معينة من الأفراد ــ الا أن قصوره عن تغطية أهداف الزكاة من جهة ، وقيامه على أساس الالزام فى دفع القسط من جهة أخرى : يبعده عن أن يكون قربى الى الله خالصة ، كما يبعده عن أن يكون البديل عن الزكاة ، وأن يحل محلها فى تقوية أواصر الأخوة بين افراد المجتمع .

* وان سلكت فى التوجيه مسلكا قوميا وجعلت من القومية وثنا .. أو سلكت فيه مسلكا أجنبيا تتبع فيه أيديولوجية غريبة عن تاريخ المجتمع وتراثه .. أو خرجت فيه عن أخلاقية الاسلام فشجعت أفلام الجنس ، والجريمة ، وقوت الاختلاط فى سن المراهقة بين الجنسين .. الخ . تصبح الدولة فى المجتمع الاسلامى دولة علمانية أو دولة تقر الفصل بين الدين والدولة .

* وان ألغت فى شئون الاسرة : المحاكم الشرعية التى كانت مختصة بشئون العلاقة بين الزوجين والولاية على النفس ، واحالت أمر هذه الشئون الى دائرة من دوائر المحاكم التى تسيطر على تشريعها مصادر التشريع الاوربية .. وان قبلت باسم تنظيم النسل : شرعية الاجهاض ، واباحة صرف حبوب منع الحمل للبنت أو المرأة غير المتزوجة .. وان قبلت باسم الانسانية مساواة الطفل غير الشرعى بالطفل الشرعى ، بعد أن تقر بما وقع من علاقة عابرة بين ابيه وامه .. وان قبلت باسم حرية المرأة أو تحريرها : مساواة المرأة بالرجل فى الميراث .. ان قبلت هذا ومثله : تكون الدولة عندئذ قد فصلت فى شئون الاسرة بين الدين والدولة ، ويكون تصرفها عندئذ تصرفا علمانيا ، أى بعيدا عن الدين وفى عزلة منه .

* وان حاولت الدولة أن تسقط ولاية الرجل على نفسه فى الطلاق .. وفى تعدد الزوجات ، وتجعل للقاضي بدلا منه حق الترخيص بهما فى الأمرين : تكون الدولة آنئذ قد سارت بالعلمانية أو بفصل الدين عن الدولة الى نهاية الشوط فى شئون الأسرة .. وبالتالى الى ترك الاسلام كلية وابعاده عن مجالات العلاقات بين الأفراد ، الى خصوصياتهم .

ولكن عليها عندئذ أن تجلب العوض من الغرب فى شئون الأسرة : العوض عن حق الرجل فى الطلاق .. والعوض عن حقه كذلك فى تعدد الزوجات .. على معنى ان تستطرد الدولة فى التشريع فتلغى ما يترتب على الرجل مما كان مرتبطا بحقه فى الطلاق .. وتتيح له القرصنة التى كانت متاحة له فى مجال تعدد الزوجات فى صورة أخرى عن طريق التشريع كذلك .

* ان مباشرة الزوج لحق الطلاق فى الاسلام واضح ، وولايته على نفسه فى هذا الشأن أمر لا يشك فيه اطلاقا . فقوله تعالى :

« فان طلقها (اى طلق الزوج زوجته) **فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » (٦) .**

.. يسند طلاق الزوجة الى زوجها ، وليس لأجنبى عنه .. بجانب أن يعلن فى هذا القول : أن الطلاق غير البائن يتضمن فرصة لعودة العلاقة الزوجية ان ظن الزوجان أن يسيرا فى هذه العلاقة مستقبلا ، وفقا لما يطلبه الله فيها من البعد عن الضرر والاضرار فى المعاشرة بينهما .. وان الطلاق البائن ، بعد فوات فرصة المراجعة : يصير الى تحريم الزوجة ، حتى تنكح زوجا آخر .

ويسمى هذه الأمور الثلاثة :

١ ــ مباشرة الزوج للطلاق .

٢ ــ وجواز مراجعة الزوجة من زوجها فى عدتها .

٣ ــ وعدم جواز نكاحها من زوجها ان بانت ، الا بعد أن تنكح زوجا آخر غيره : حدود الله .

فمباشرة الزوج حق طلاق زوجته حد من حدود الله . واسقاط هذا الحق بالتالى عنه ، واضافته الى القاضي : اغفال لحد الله فى كتابه .

ويرتب القرآن على مباشرة الزوج لهذا الحق فى طلاق زوجته : التزامه ــ ولو كان سوء العشرة من جانبها ــ بالانفاق على مطلقته ، ولو لم يكن قد دخل بها أو فرض لها مهرا ، فترة أخرى من الزمن بعد الطلاق ، يعينها على تدبير أمرها فى حياتها المستقبلة ، مما يسميه القرآن نفسه (متاعا) . وقد جاء ذلك بوجه عام فى قول الله تعالى :

« وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » (٧) .

وجاء كذلك عقب طلاق غير المدخول بها أو غير المفروض لها مهرا فى قوله جل شأنه :

« لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، متاعا بالمعروف ، حقا على المحسنين » (٨) .

فحق المتعة ــ أو حق الزوجة فى الانفاق عليها من زوجها بعد طلاقها منه ــ يعود الى استقلال الزوج بأمر الطلاق ، وولايته الذاتية على نفسه فى

هذا الشأن . فطالما هو كان صاحب المشيئة في فراق زوجته ، ولو كان من اجل تجنيه أضرار معاشرتها له ، فانه يلتزم بحق المتعة لزوجته . وذلك هو منطق الحقوق . فان ممارستها تستتبع أداء واجبات للآخرين .

فاذا جاءت الدولة — تحت تأثير فصل الدين عن الدولة — في مجتمع اسلامي واسقطت في تشريع الأحوال الشخصية حق الرجل في مباشرة طلاق زوجته ، واضافته الى القضاء فانها يجب عندئذ أن لا تلزمه بأداء المتعة لمطلقته سنة عن كل خمس سنوات في الحياة الزوجية مثلا ، أو سنة مرة واحدة ، الا اذا ثبت أنه كان السبب في سوء العشرة الزوجية وفي الاضرار بزوجته . على نحو ما عليه تشريع الغرب العلماني . اذ هذا التشريع يسقط نفقة المطلقة أن كانت هي السبب في الفرقة بينها وبين زوجها .

على أن الزوج — في نظر الاسلام — باستقلاله بحق الطلاق ليس مستعليا على المرأة ، ولا منفردا بحق ليس له نظير للمرأة في عقد الزواج كما يروج من الحاقدين على الاسلام . فالزواج بين الذكر والأنثى هو عقد له خصائص العقود في المعاملات . ومن أهم هذه الخصائص أن لا يكون مصدرا ولا مؤديا لضرر أحد الطرفين المتعاقدين ، فضلا عن أن يكون مصدر ضرر لهما معا .

فالزوجة — في نظر الاسلام كذلك — ان تضررت بالحياة الزوجية رخص لها في أن تعيد جزءا من مهرها لزوجها ، ورخص لزوجها عندئذ في قبول ما تعيده اليه من هذا المهر ، كمقدمة لفسخ عقد الزواج بحكم القاضي ، اذا لم يسارع الزوج الى طلاقها .

والآية التي تحدد الطلاق كحق يباشره الزوج بثلاث مرات هي نفسها التي تعلن هذا الترخيص في شأن المهر للزوجة وللزوج معا . يقول تعالى :

« الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف ، أو تسريح باحسان ، ولا يحل لكم (أيها الأزواج) **أن تأخذوا مما آتيتموهن** (أي من المهور) **شيئا الا أن يخافا** (الزوجان) **ألا يقيما حدود الله** (وهي تلك الحدود التي تطلب أن يكون الامساك بين الزوجين بالمعروف . أي بعيدا عن الضرر) ، **فان خفتم ألا يقيما حدود الله** (وذلك لوجود الضرر في المعاشرة الزوجية ، ولو كان من جانب الزوجة وحدها) **فلا جناح عليهما** (أي على الزوجين في تنازل الزوجة ، وقبول الزوج) **فيما افتدت به** (أي فيما أعادته من مهرها لزوجها تعبيرا عن فداء نفسها من أسر سوء المعاشرة الزوجية) **تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون » (٩)** .

فافتداء الزوجة — وهو ما يعرف في الفقه الاسلامي بالخلع — هو السبيل لها في طلب الفراق من زوجها ، ولكنه لا يصل الى مستوى الطلاق في أن الزوجية تباشره ، كما يباشر الزوج حقه في الطلاق ، فتتم الفرقة بينهما . وانما لاتمام الفرقة في الخلع يجب أن ترفع الزوجة الأمر الى القضاء للحكم بفسخ عقد الزوجية بينها وبين زوجها .

والرأي الواضح في الفقه الاسلامي في شأن الخلع هو رأي ابن القيم في أن الخلع فسخ للعقد يعلنه ولي الأمر — وهو القاضي — دون حاجة الى ارتباطه بطلاق الزوج . ويؤسس ابن القيم رأيه هذا على الأمور التالية :

أولا : أن عدة المختلعة هي شهر واحد ، أو حيضة ، وليست ثلاثة أشهر أو ثلاث حيضات . لأنها كارهة لمعاشرة زوجها . ولذا كان من التيسير عليها للخروج من أزمة زواجها واعطائها حرية الزواج من آخر أن تكون عدتها أقل

مدة ممكنة تدل على براءة الرحم . وهذه المدة هي الشهر . أما المطلقة فكانت عدتها ثلاثة أشهر لا لبيان براءة الرحم فقط ، ولكن لاعطاء فرصة لمراجعة الزوجة ، ابقاء على العلاقة الأسرية . وزيادة العدة للمتوفي عنها زوجها الى أربعة أشهر وعشر فلمعنى اجتماعي . وهو مشاركة الزوجة مشاركة وجدانية لأهل المتوفى في وضع الاسرة بعد وفاته .

ثانيا : أن طلاق المختلعة طلقة واحدة لو تم من زوجها يعتبر طلاقا بائنا بينونة صغرى . أى طلاقا غير رجعى . ومعنى ذلك أن الزوج لا يجوز أن يراجعها بعد الطلقة الواحدة ، كما يمكن أن يفعل مع المطلقة طلاقا عاديا . وانما كل ما يمكن للزوج أن يفعله الآن بعد الطلاق الواحد — ان أراد العودة لزوجته — أن يعقد عليها عقدا جديدا . وعندئذ تتاح للزوجة الفرصة في اختيار الزواج الجديد أو رفضه ، حسب مستوى كراهيتها لمعاشرة زوجها . والفقهاء اذ يطلقون على طلاق المختلعة بأنه بائن بينونة صغرى يقصدون أنه لا تحتاج الزوجة عند عقد زواجها مرة أخرى على زوجها السابق ، أن تنكح زوجا غيره ، كما في الطلاق الثلاث .

ثالثا : لو كان الخلع طلاقا لكان عدد الطلقات أربعا ، بدلا من ثلاث . فالآية عندما تقول : **((الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف أو تسريح باحسان))** .. تجعل الطلاق الآن ثلاث مرات . فاذا جعل قوله فيما بعد في الآية نفسها : **((فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به))** (وهو ما تعارف عليه الفقهاء باسم الخلع) طلاقا جديدا ، كان طلقة رابعة مضافة الى الطلقات الثلاث السابقة . والاجماع على خلاف ذلك .

ورأى ابن القيم هذا لم يؤخذ به في تشريع الاحوال الشخصية في المجتمعات الاسلامية لا لعدم الاعتداد به . ولكن لأن مذهب أبي حنيفة كان مذهب الخلافة الاسلامية في تركيا ، واستمر التقليد على الأخذ به منذ الغاء الخلافة حتى الآن .

واذن : اذا كان الطلاق في جانب الرجل وسيلة للفرقة بين الزوجين عندما يتضرر بالزوجية .. فالخلع في جانب المرأة هو وسيلة الفرقة عندما تتضرر بها . وهنا يكون قول الله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » . وكل ما في الأرض من فرق هو أن مباشرة الزوجة حقها في الفرقة يتوقف على ولاية القضاء . ويروى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد قضى في شأن جميلة بنت عبد الله بن أبي ، زوجة ثابت بن قيس بن شماس عندما أتت اليه تشكو زوجها فسألها عليه السلام : أتردين عليه حديقته (وكانت الصداق الذى أصدقه اياها) ؟ قالت : نعم ، وزيادة . فقال النبي : أما الزيادة فلا ولكن حديقته ؟ قالت : نعم . فأخذها له وخلى سبيلها . فلما بلغ ذلك ثابت بن قيس بن شماس قال : قد قبلت قضاء رسول الله (١٠). وفي رواية الربيع بنت معوذ : أن الرسول عليه السلام أرسل في قضية جميلة : في طلب زوجها ثابت وقال له : خذ الذى لها عليك (وهو الحديقة) وخل سبيلها . قال : نعم . فأمرها الرسول عليه السلام أن تتربص حيضة واحدة ، وتلحق بأهلها .

وعلى أية حال فان الخلع هو وسيلة الزوجة للفرقة ، كالطلاق في يد الزوج . والاسلام بذلك لا يمكن طرفا في العقد من اذلال الطرف الآخر أو الاستعلاء والسيطرة عليه كما يقال . كما لا يمكن أيا من الطرفين من الحاق الضرر بالطرف الآخر .

* واذا جاءت الدولة فى مجتمع اسلامى — تحت تأثير الفصل بين الدين والدولة ، أو تحت التأثر بحركة تحرير المرأة — وسلبت كذلك الرجل حقه فى تعدد الزوجات وجعلت النظر فى شأن هذا التعدد من اختصاص القضاء : فيجب عندئذ أن تعدل فى تشريع العقوبات وتفسح المجال لبديل عن هذا التعدد لا يكون محظورا على الرجال .. وهذا البديل هو قبول صـــور عديدة من صور الزنا واللواط على انها مشروعة لا يتناولها القانون بالعقوبة ، على نحو ما هو فى التشريع الغربى الآن الذى يمنع تعدد الزوجات . كتبادل الزوجات فى الاندية ، أو فى المساكن الخاصة .. وكالزواج الجماعى .. وممارسة اللواط لمن بلغ سن الواحدة والعشرين فأكثر .

فالقرآن عندما حرم الزنا ونهى عنه فى سورة الاسراء فى قوله تعالى :
((ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة ، وساء سبيلا)) (١١) .
.. قرن ذلك باباحة تعدد الزوجات فى سورة النساء فى قول الله جل شأنه :

((وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، مثنى ، وثلاث ، ورباع (ويقول الزمخشرى فى تفسيره الكشـــاف ، وقيل كانـــوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولايـــة اليتامى فقيـــل : إن خفتم الجور فى حق اليتامى ، فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ، ولا تحوموا حول المحرمات) (١٢) **فان خفتم الا تعدلوا فواحدة))** (١٣) .

فتعدد الزوجات من وجه : رخص به ليعين على حل مشكلة انتشار الزنا ، وهى المشكلة التى كانت متفاقمة — وتتفاقم عادة فى المجتمع المادى — ويساعد على تحويل المجتمع الاسلامى الى مجتمع انسانى يواجه مسئولياته ازاء المرأة والاولاد فى علن وصراحة . ولذا بعد نزول هذه الآية التى أباحت تعدد الزوجات الى أربع — وقد نزلت فى سورة النساء ، وهى السورة الرابعة فى الوحى المدنى — نزل حد الزنا فى السورة السادسة عشرة فى الوحى المدنى ، وهى سورة النور ، فى قوله تعالى :

((الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلـدة ، ولا تأخذكم بهمـا رأفة فى دين الله ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)) (١٤) .

.. وهذا الحد يبرره وجود الترخيص ببديل مشروع فى نظر الاسلام عن الزنا الذى هو منـكر فى رأيه . اذ عدم مشروعية الزنا يعود الى اختـــلاط الأنساب .. وضياع المسئولية الشخصية عن الاولاد الذين هم ثمرة العلاقة السرية الآثمة بين المرأة والرجل .. وضياع المسئولية كذلك ازاء المرأة التى تنتهك حرمتها وان كان برضاها ، بسبب لذة عابرة . والمجتمع السليم فى بنائه وتماسكه يتوقف على تحديد المســئوليات ومباشرتها . أى يتوقف على أداء الحقوق والواجبات .
وهكذا : اباحة تعدد الزوجات من شأنه أن يقلل فرص الزنا . بينما من شأن قصر الزواج على واحدة انه يتيح الفرصة للزنا فى أشكال عديدة .

والغرب – كنتيجة للفصل بين الدين والدولة ، أى بين سلطة الكنيسة وسلطة الدولة – يلتزم بالزوجة الواحدة . لأن شـــئون الاسرة من زواج ، وتفريق ، وأولاد في تعميدهم : تدخل فى اختصاص الكنيسة وحدها . ومن ثم ان حاولت الدولة أن تتدخل فى هذه الشئون من غير موافقة الكنيســة تلقى العنت والاحتجاجات المتكررة . كما حصل فى قانون الطلاق الذى أصدرته الجبهة الاشتراكية والشـــيوعية فى برلمان ايطاليا فى مواجهـــة الحزب الديمقراطى المسيحى . فانه بعد أن صدق عليه رئيس الدولة ســيعاد عليه الاقتراع الآن اقتراعا شعبيا ، بعد أن وقع مليون من الايطاليين التماسا يدعون فيه الحكومة الى هذا الاقتراع ، طبقا للدستور .

والتزام الدولة فى الغرب بالزوجة الواحدة جعل الدولة تعيد النظر فى موقفها من الزنا ، بعد أن شاع وانتشر فى سن مبكرة للشباب فى سنى الدراسة فى المدارس المتوسطة والثانوية . ففى تشريع الدانيمارك الآن لم يعد زنا الزوجة بغير رضاء زوجها سببا للتفريق بينهمـــا أمام القضاء . أى لم يصبـــح جريمـــة ولا أمرا غير أخلاقى . وفى تشريع المانيا الاتحادية اقر البندستاج (البرلمان) فى العام الماضى : رفع الحظر عن تبادل الزوجات فى المساكن الخاصة . اى أن النيابة العامة الفيدرالية لا تبيح التفتيش على المساكن التى يتفق الضـــيوف القادمون مع زوجاتهم أو صديقاتهم ، مع سكان هذه المساكن على تبادل النساء بين الرجال فى حفلة تقام لهذا الغرض فى المسكن . . كما لا ترفع دعوى الزنا على صاحب المسكن ولا على ضيوفه ، لأن المعاشرة الجنسية التى تتم الآن تقع وفقا لتراض فيما بين الجميع . كما اقر تشريعا آخر باباحة اللواط لمن فى سن الحادية والعشرين فأكثر ، اذا وقع بالاتفاق بين الطرفين . وفى الولايات المتحدة الامريكية ترخص الحكومات المحلية بنوادى تبادل الزوجات ، وترى النيابة العامة هناك عدم الحرج فى هذا الترخيص . لأن الزنا عندئذ هو بالاتفاق والتراضى . وفى انجلترا وافق البرلمان هناك فى العام الماضى ايضا على اباحة اللواط منذ الحادية والعشرين . وفى السويد يوجد الزواج الجماعى ، ولا تتدخل الدولة فى شأنه . وهو أن يتزوج خمسة من الشبان مثلا بخمسة من الشابات . كل واحد بواحدة . وعندئذ لا يوجد تعدد للزوجات فى حكم القانون . ثم يسكن الجميع بيتا مكونا من عدة مساكن على أن تكون النساء شيوعا بين الشباب الخمسة . والولد الذى يأتي من أية واحدة ينسب الى زوجها الرسمى ، رغم معاشرتها الجنسية للخمسة من الشبان (١٥) .

وهذه الصور من الزنا هي صور عادية ومنتشرة ، بالاضافة الى الصورة المألوفة تحت عنوان (الصـــداقة) أو (الزواج التجربى) . وفى الاتحـــاد السوفيتى يوجد بحكم القانون بجانب مكاتب التسجيل المدنى للزواج : مكاتب أخرى لتسجيل (الحب) وتمكين المحبين من المعاشرة الجنسية لفترة محدودة . وبكارة البنت لم تعد فى تلك المجتمعـــات التى تعارض تعـــدد الزوجـــات رمزا للعفة . وانما بالاحرى أصبحت دليلا على تخلفها فى العلاقات الجنســـية والاجتماعية .



والدولة فى المجتمع الاسلامى اذن ان هى حاولت الآن السير الى النهاية

فى طريق العلمانية ، والفصل بين الاسلام والدولة ، وقيدت تعدد الزوجات بحكم القاضى ، وبعبارة اخرى الغته فى صورة مقنعة او سلبت بذلك ولاية الرجل على نفسه فى هذا المجال فمنطق هذا الالغاء يقضى عليها بأن تترقب شيوع الزنا وانتشاره فى المجتمع ، ومن ثم فلا مناص لها من تعديل القوانين القائمة بحيث يخفف هذا التعديل حدة النظرة الى الزنا على انه فاحشة كما يراه الاسلام ، وبالتالى يسقط أمره كلية من بين الجرائم الشخصية أو الاجتماعية ، ويترك أمر ممارسته مباحا فى صوره المختلفة للشباب ، وأصحاب الفراغ ، والمال . وهذا المنطق القائم على الغاء حق الرجل فى المجتمع الاسلامى فى تعدد الزوجات هو منطق تطبيق الحضارة الغربية المعاصرة التى ترهب هذا التعدد بسبب نفوذ الكنيسة التى جعلت شئون الاسرة من اختصاصها .

وكما تترقب الدولة عندئذ فى المجتمع الاسلامى ان هى الغت حق الرجل فى تعدد الزوجات : شيوع الزنا ووجوب تيسير أمره بالسماح باقامة بيوت الدعارة وغير ذلك ، فانها تتوقع لا محالة انهيار المجتمع وانحلاله ، ثم زواله وزوال قيادته : « **واذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** » (١٦) . وارادة الله التى تتمثل هنا فى ترتب هلاك المجتمع على شيوع الفسق والفاحشة فيه هى قانون الحياة الانسانية فى مجتمعاتها ، الذى لا يتخلف اطلاقا . والذى يبقى شكلا على المجتمعات الاوربية اليوم هو قوتها المادية الماضية .

والقرآن عندما نهى عن الزنا ووصفه بالفاحشة والسبيل السىء فى حياة الانسان يريد حماية المجتمع من التفكك والسقوط واستمراره قويا عزيز الجانب : « **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** » (١٧) .

والدول فى المجتمع الاسلامى كذلك ان الغت حق الرجل فى الطلاق فلا تنتظر العسر فى الحياة الزوجية ، والتعقيد فى حياة الناس فحسب . بل لا بد أن تجارى واقع الحضارة الاوروبية اليوم التى ترى الطلاق — ان راته — أمام القضاء : فى اعفاء الرجل من وجوب النفقة عليه لمطلقته ان ثبت لدى القاضى أنها كانت السبب فى الفرقة . وماذا تصنع هذه الدولة فى المجتمع الاسلامى ان هى أصبحت غدا أو بعد غد فوجدت الحضارة الاوربية تأخذ بتعديل قانون الاحوال الشخصية الذى تم فى السويد فى سنة ١٩٧٢ خاصا بجواز الطلاق بدون القاضى والاكتفاء بقيده فى السجل المدنى عندما تتفق الزوجة والزوج بينهما على الاطلاق .. ؟

واخيرا ان سلب ولاية الرجل على نفسه فى الطلاق .. وفى تعدد الزواج فى المجتمع الاسلامى امعان فى العلمانية وفى فصل الدين عن الدولة فيه ، لم يبلغه المجتمع الاوربى بعد حتى الآن . لأن هذا المجتمع لم يستطع الى هذه اللحظة فى اجراءات الفصل : أن يستهين بالكنيسة ، ويتغاضى عن اختصاصها فى شئون الاسرة . بينما الدولة فى المجتمع الاسلامى بمحاولاتها المتكررة لا تعير اهمية للهيئات الاسلامية المختصة بالرأى فى شئون الاسلام ، وفى شئون

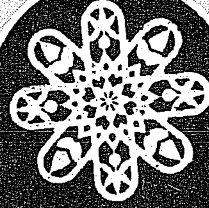
الاسرة على الخصوص ، وتصدر من القوانين ما تمليه التبعية للتفكير الاجنبى والسير فى تخطيط حياته : فتسوى في الميراث بين الذكر والانثى .. وتبيح الاجهاض وحبوب منع الحمل لكل راغبة أو مكرهة .. وتحـــاول بين الفينة والاخرى : أن تقيد الطلاق والزواج وتعود بهذا الشأن الى نظام الانفصال البدنى .. وتبيح الافطار فى رمضان .. وتسقط الزكاة .. بينما الدولة فى المجتمع الاوربى تقوم بجباية رسوم الكنيسة وبالخدمات الاخرى التى ينص عليها عقـــد الفصل بين الكنيسة والدولة .

وكم كان يرجى أن يعيش المسلم فى مجتمعه بكرامة الانسان كما يريد الاسلام .. وكم كان يرجى أن تكون الدولة فى مجتمعه حفية بالتقدم العلمى والصناعى متبعة رأى الاسلام فى القوة والاعداد .. وكم كان يرجى أن يكون الحاكم فيه مسلما وانسانا ، وأن تكون المرأة فيه على وعى بالامومة والزوجية وواجبات الخدمة الوطنية .. وأن يكون الرجل مسلما وأمينا فى علاقته بأسرته وبالآخرين معه فى مجتمعه ، وفى أخذ حقوقه وأداء واجباته . وتلك هى مهمة الدولة فى التوجيه .

ان الانحراف فى تطبيق المبدأ الحق لا يدعو الى الغاء المبدأ . وانما يدعو فحسب الى اعادة التوجيه السليم : « **ولتكن منـــكم أمـــة يدعـــون الى الخيـــر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر** » .

---

(١) الآيتان الاولى والثانية .
(٢) المجادلة : ٢٢ .
(٣) النور : ٢ .
(٤) البقرة : ٢٧٨ و ٢٧٩ .
(٥) آية : ٦٠ .
(٦) البقرة : ٢٣٠ .
(٧) البقرة : ٢٤١ و ٢٤٢ .
(٨) البقرة : ٢٣٦ .
(٩) البقرة : ٢٢٩ .
(١٠) نيل الاوطار ﺟ ٦ ص ٢٦١ .
(١١) آية : ٣٢ .
(١٢) ﺟ ١ ص ١٨٨ طبع المطبعة الشرقية .
(١٣) النساء : ٣ .
(١٤) النـــور : ٢ .
(١٥) لزيادة الايضاح فى هذا الموضوع يراجع كتابنا : الفكر الاسلامى المعاصر ــ مشكلات الاســرة والتكافل . طبع دار الفكر ببيروت .
(١٦) الاسراء : ١٦ .
(١٧) هود : ١١٧ .



للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

كلمة (الغيبية) و (الغيبيون) و (اليقين بالغيب) هي ينبوع الاسلوب الجديد في نقد الدين ، وانما نعني بالدين في هذا الصدد الاسلام .

والكلمة تعني عند هؤلاء الناقدين، أن الاسلام لما كان يحمل اصحابه على اليقين بأمور غيبية ، فقد حملهم بذلك على القفز من فوق سور العلم دون اى التزام بقواعده واحكامه ، وهو دليل على بطلان الاسلام من اساسه .. !

ولكن لست ادري ما الذي يفهمه هؤلاء من معنى (الغيب) أو (الغيبيات) .

فان كانوا يفهمون منها أنها تعني كل ما غاب عن قناعة العقول ويقينها ، فان الاسلام حقا ما ينبغي أن يكون فيه شيء من ذلك ، اذ الامر الذي لا سبيل للعقل الى اليقين به لا يمكنه تبينه الا بواسطة القسر والارغام . وحسبك من الأمر الذي لا يعقل معناه الا يلتزمه الانسان الا تحت سلطان القسر والاكراه . ولكن الاسلام لا ينطوي على شيء من هذا

الجاحدون بغيبيات الإسلام

القبيل ، وهذا ما أردنا بيانه فى هذا المقال .

أما ان كانوا يفهمون من الكلمة أنها تعني الامور الغائبة عن الابصار أو الحواس ، وأن كل ما كان كذلك فهو مفصول عن دائرة العلم مقطوع النسب اليه ، فهو خطأ شنيع لا يأتي الا نتيجة غيبوبة شنيعة عن معرفة حقيقة العلم وضوابطه وأحكامه . وهيهات أن يكون فى اخبارات الاسلام عن شيء من هذه الغيبيات (بهذا المعنى الثانى) اى دليل على أنه يناقض قوانين العلم أو يقفز من فوق بسور المنطق ومدارك العقول .

اذ من المقطوع به أنه ليس كل ما لا تراه عيناك ولا يلمسه حسك ، محكوما عليه بالانعدام . وما قال عالم من العلماء ان وسيلة العلم بالشيء محصورة فى طريق العين أو الأذن أو الذوق أو الشم أو اللمس . والا لما قال العلماء انفسهم ان المعلومات تنقسم الى معلومات حسية وغير حسية .

لو كان كل ما غاب عن حسك وهما باطلا يجافى العلم ويناقض مكانة العقل ، اذا لكانت سائر دراساتنا التاريخية وهما باطلا ، ولكانت سائر أحكامنا على المستقبل وجميع توقعاتنا الغيبية فيه خرافة يتنزه عنها العقل . واذا لانبتر فكر الانسان عن النظر فى الماضى ، وعن التأمل فى المستقبل ، ولانحصر عمله في استعراض الصور والاحداث التى تمر تحت حسه ، لا يسأل عقله من أين جاءت ولا يستهديه الى أين تسير .. !!

فهل من عاقل فى الدنيا يتعامل مع الحياة على هذا الاساس ؟!

وهل هذا الا الجنون الصافى فى اتم خصائصه ومزاياه ؟!

— ● —

وبلاؤنا بصنف من الناس اليوم ، انهم يتحمسون في استعمال شعارات وتعبيرات غامضة ، دون أن يتبينوا اى حجم لمعانيها او يقفوا على اى ضابط لمدلولاتها .. ثم يمتطون صهوة هذه الكلمات لينطلقوا فى حرب كلامية بها على غير هدى .. !

★ يحاربون الاسلام بكلمة (العلم) أو (البحث العلمى) دون أن يضعوا

انفسهم امام اى مدلول علمى لهذه الكلمة .. ! وانما معناها عندهم ان يبتعد الباحث عما يقرره الاسلام، ثم يتجه فى بحثه عن الحقيقة الى اى جهة شاء ويصبغ حديثه بكلمات العلم واسلوبه ويشتق فى ذلك الآراء والاحتمالات .. ! وقد يسلك هؤلاء (العلميون) بعد ذلك طرائق قددا ، وينتهون الى آراء وافكار متناقضة ، ومع ذلك فان العملية كلها بنتائجها المتضاربة المتناقضة تعتبر علما ، وتسمى السبل المختلفة الى هذه النتائج ابحاثا علمية او مناهج علمية .. !

فداروين ، ولامارك ، وفرويد ، وماركس ، وديكارت ، هم العلماء . واحكامهم هى العلم الذى لا نقض فيه ، مهما جاءت متخالفة عن بعضها ، ومهما ظهر التناقض فيما بينها .. !

ولكن ما هو معنى (العلم) .. ؟ وما هو المنهج السليم اليه .. ؟ وكيف تكون جملة افكار متناقضة علما ؟!

.. هذا ما لا يجيب عليه ولا يعلمه (العلماء) الذين يحاربون الاسلام بكلمة العلم .. !

★ ويحاربون الاسلام بكلمة (التطور) و (الجمود) دون أن يضعوا للمسلمين اى ميزان ينضبط به معنى التطور الذى يريدون ، ومعنى الجمود الذى يكرهون ، ودون ان يلزموا انفسهم بأى منهج علمى يفصل لنا التطور عن التهور ويميز لنا الثبات عن الجمود .. !

★ ويحاربون الاسلام بتهمة (الغيبية) ويجسدون من هذه الكلمة غرضا يعلقونه على اللائحةالاسلامية المتضمنه عقائد الاسلام واحكامه وآدابه ، ثم يصوبون سهامهم اليها عن طريقه ويحاربونها فى مظهره .

ولكن ماذا يعنى هؤلاء بالغيبية ؟ .. أهى غيبوبة العقل عن الفهم ، أم العلم عن الحكم ، أم هى غيبوبةالعين عن الرؤية أو الحس عن اللمس ؛ .. أم لعلها غيبوبة المعلوم فى تلافيف الماضى ، أو غيبوبة المحكوم به فى ضمير المستقبل .. ؟ وأى هذه الغيبيات تعتبر امتهانا للعلم أو ارتكاسا للفهم ، أم هل أن جميعها محكوم عليه بالخروج عن قانون العلم واحكامه .. ؟ وكيف تم هذا الخروج وبأى قانون .. ؟ بل أين هو الخط الذى يفصل بين العلم الذى هو العلم والظن الذى هو الظن ، والشك الذى يسمى الجهل ، والغيبية التى لا ندرى ما الذى يقصدون بها .. ؟

أليس من أخص واجبات هؤلاء الذين يتباهون بالعلم ، أن يستعينوا بالعلم للاجابة على هذه الاسئلة ، وأن لا يكونوا غيبيين فى اغماض أعينهم عنها ، ثم أن لا يكونوا عشوائيين فى اقتحام الامر على غير بصيرة ولا هدى .. ؟!

— ● —

اننى أتجه الآن بالسؤال الى رأس كبير ممن ينعتون الاسلام (بالغيبية) من حيث ينزه نفسه من أوضارها :

انك تستمع فى الصباح الباكر الى نشرة الارصاد الجوية ، وهى تخبر بأن البلاد ستتعرض لمنخفض جوى أثناء النهار ، فتخرج من بيتك وقد

اخذت للبـــــرد عدته وارتديت له لباسه .. ! فلماذا تستقبل شيئا غير موجود ، وتؤمن بوهم غير منظور ، وتستيقن أمرا لم يولد من غيبه بعد ؟!

وتمسك بيدك مجلة أجنبية ، فتقرأ فى احدى صحائفها خبرا عن جهـــاز عجيب اخترع أخيرا ، تلتقــــط به الذبذبات الصـــــوتية المنطلقة الى الفضاء منذ عشرات السنين ، لتعاد من جديد الى الاسماع كما كانت يوم انطلاقها . فتســـــتقبل الخبر بكل يقينك ، وتمضى تحدث الناس عنـــه كانه تحت يدك ، وكأنك تراه بعين رأسك ! .. فكيف صح لك فى قانون العلم الذى تعتز به أن تسلم بما لم تره عيناك ، وأن تستيقن بما لا علم لك منه بكيفية ولا تحليل ولا تركيب ؟ .. ثم كيف صح لك أن تقفز اليه فوق قنطرة من احتمالات الـــكذب فى الاخبار واللبس فى الموضوع والنقص فى الشروط .. ؟!

ويلتفت الطبيب الذى تثق بطبـــه وتؤمن بصدقه ، الى الـــكأس التى تدنيهــــا من فمك ، فيحـــذرك من شربها ، لأن فيها شيئا ان دخل جوفك هددك فى حياتك ، فتقصى الكأس عن فمك ، وترفع عنها يدك وتستيقن أن فيها الهلاك ! .. فكيف آمنت بما لم يوجد ، وتصورت ما لم يولد ، وأنت لا تعلم شيئا عن طبيعة ما فى الكأس ولم تطـــلع على شىء مما قد عرفه الطبيب .. ؟

كيف تنعت المســلمين بالغيبيين وترميهم بالتجافى عن منهج العلم من أجل ذلك ، وأنت لا تكاد تتحرر عن سلطان هذه الغيبيات نفســها يوما واحدا فى حياتك .. ؟ ! وما سعيك وأعمالك وأفكارك الا مخازن لهـــذه الامثلة وعشرات من امثالها لو تنبهت وتأملت ..

أنا لا أعيرك فى غيبيتك هذه كمـــا تعير أنت المســـلمين بنظيرها . ولا أستعجل فأجعلها منك عنوان جهل ودليل غفلة ، كما تســـــتعجل أنت فتجعلها عند المسلمين مصدرا لذلك . ولكنى أســـــأل فقط : ما هو المنهج العلمى « وأنت رجل عــلم » الــى يقينك بهذه الامور الغيبية التى ضربت لك المثل ببعضها .. ؟

لو كنت رجل علم حقا ، لأدركت أن الامر فى ذلك قائم على منهج علمى ذى شروط وقيود وضوابط . ولو أدركت هذا المنهـــج ، لمـــا أغمضت العين ورحت تصم اسلام المســـلمين بالغيبية التى لا تعلم حدود مدلولها .

والخطيئة الاولى — وهى أخطـــر الاخطاء وأهمها فى هذا الصـــدد — أنك لم تدرك بعد معنى (العلم) ! .. فأنت تظن ، ككثير من أمثالك ، أن العلم ليس الا نتيجة التجارب التى يجريها علماء الطبيعة على الظواهر المرئية أمامهم ، فلا وجود لحقيقـــة العلم فيما وراء ذلك .. !

والواقع المتفق عليه عند جميـــع العلمـــــاء أن العلم انما هو **ادراك الشىء مطابقا لما هو عليه فى الواقع** . أيا كانت وســـــيلة هذا الادراك وطريقه . وليست وسيلة التجـــربة على الظواهر المحسوسة الا واحدة من وسائل كثيرة مختلفة .

وتختلف الوســـائل الى ادراك الحقيقة مطابقة لما هى عليه ، حسب اختلاف الحقيقة نفسها . فالحقائق المتعلقة بالطبيعة والظواهر المرئيـــة أو المحسوسة ، لا يغنى فى اليقين بها الا الاعتمـــــاد على ميزان من

التجربة والمشاهدة ، اذ هى سبيلها الطبيعى الوحيد .

أما الحقـــائق المتعلقـــة بماض منصرم ، أو مستقبل لم يأت بعد ، أو بواقع غير خاضع لأى سبيل من سبيل الخبـــر اليقينى — عنـــدما بها أحد شيئين .

أولهما : قانون (التلازم البين) أو (القياس الجلى) . ولسنا بصـــدد شرحهما الآن ، واذكر القارىء بأنى كنت قد فصلت القول فيهمـــا فى سلسلة مقالات متتابعة فى هـــذه المجلة منذ عدة أعوام .

ثانيهما : الخبر اليقينى الصادق . وهذا ما يتعلق به بحثنا الآن .

ومعلوم عند العلمـــاء جميعا ، أن سبيل الخبر اليقينـــى — عنـــدما يتعذر سبيل التجربة والمشاهدة — يعتبر منهجا علميا سليما للوصـــول من طريقه الى الحقيقة ، اذا توفر فيه شرطان اثنان :

أولهما ، أن يكون مصدر الخـــبر موثوقا به مقطوعا بأنه أهل لأن يكون مصدرا له .

ثانيهما ، أن يكون الســـبيل الى ذلك المصدر سندا من الرواة المتصلين بلغ درجة الصحة ، ثم تجاوزها الى درجة التواتر . والصحة فى السند أن تكون سلسلة رواة الخبر موصولة الحلقات الى مصدره الاخير ، وأن يكون جميـــع الرواة ممن عرفوا بالصدق والضـــبط والوعى . أما التواتر ، فهو أن تكون كل حلقة فى هذه الســـلسلة جماعة كثيرة من الرواة ، بحيث يجزم العقل باستحالة تواطئهم جميعا على الكذب .

فاذا توفر فى الروايـــة هـــذان الشرطان ، فلا جرم أن مضـــمون الخبر يصبح عندئذ حقيقة علميـــة لا مناص من قبولها واليقين بها . وهو قانون تخضع له الفطرة الانســـانية قبل أن ينساق وراءه العقل . فما من انسان عاقل يجد نفســـه أمام خبر توفر فيه هذان الشرطان الا وينبعث كل من نفسه وعقله للتفاعل معـــه واليقين به .

ان كثيرا منا لم ير جدار الصين ، ولم يشـــاهد أهرامات مصر ، ولم يزر تاج محل ، ولم ير الـــكعبة ولا طاف بها . ولكن أى واحد من هؤلاء لا يساوره أدنى شك فى وجود هذه الاماكن والآثار . بل هو لو رآهـــا بعينه لما زاده ذلك يقينا بوجودها ، مهما كانت ثقافته ، ومهما كان علميا فى أفكاره واعتقـــاداته ، فما السبب .. ؟!

السبب أنه اعتمد على منهج علمى سليم ، لا يقل بحد ذاته عن منهج التجربة والمشاهدة فى القضـــايا المحسوسة التى تخضـــع للتجربة والمشاهدة . الا وهو منهج الرواية بشروطها العلمية المعروفة .

واذا ، فان اليقين الذى رسخ فى كيانك بأن منخفضا جويا ســـيفاجئك أثناء النهار ، انما جاء بسبب يقينك بصـــدق علمـــاء الارصاد ودقة اختصاصهم — أولا . ثم بسبب السند الصحيح المتواتر الذى نقل لك خبرهم ثانيا .

واليقين الذى رسخ فى كيـــانك بالجهاز العجيب الذى لم تره ، ولم تعلم شيئا عن كيفيته ودخيلة أمره ، انما كان بسبب ثقتك بما يتمتع بـــه العلماء الاوربيون من الطاقة العلمية الهائلة ، وبسبب التواتر الذى تحقق فى نقل هذا الخبر ، اذ تضـــافرت

على نقله شتى وكالات الانباء .
واليقين الذى يستقر فى عقلك ونفسك بأن الذى يقتل عدوانا مع سبق عمد واصرار ، سيلاقى عقوبة القتل قصاصا ، انما جاء بسبب اطلاعك على المادة التى تنص نصا واضحا عليه فى قانون العقوبات (فهذا هو السند) ثم بسبب يقينك بأن الدولة التى تبنت هذا القانون صادقة فى اتخاذه جادة فى تطبيقه (وهذا هو مصدر الخبر) . وحينئذ تتفاعل مع هذه المادة التى ليست فى جوهرها أكثر من إخبار عن أمر غيبى لم يقع بعد .
وهكذا ، فان تواتر السند + توفر الصدق والعلم بمصدر الخبر = يقينا علميا لا يشوبه أى وهم بالخبر الذى جاءك عن طريقه ، رغم أنه بحد ذاته أمر غيبى خارج عن سلطان أى نافذة من نوافذ التجربة والحس .
فاذا كان هذا الكلام واضحا (ولا اظنه يخفى على عاقل ، ولا أتصور أن منصفا يمارى فيه) فان المسلم لا يحمله اسلامه على الاعتقاد بأمر غيبى ، الا اذا كان خاضعا لسلطان هذا القانون . وما كان للاسلام الذى يقول دستوره الالهى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » أن يكلف أتباعه بأن يغمضوا العين وينغضوا الرأس ويبتعدوا عن العقل ، ليحملوا أنفسهم على اليقين بما لا يعلمون والاعتقاد بما لا يصدقون .
لقد آمن المسلمون أولا بوجود الله ووحدانيته ، ولم يكن سبيلهم الى هذا الايمان مشوبا بأى غيبية أو عفوية فكر أو تقليد واتباع . بل كان معتمدهم هو رؤية الآثار ولمس الدلائل المباشرة ، وهى دلائل بلغت من الكثرة والوضوح حدا جعل كثيرا من العلماء يقررون بان مظاهر وجود الله عز وجل أوضح دلالة مما قد يحتاج معه الانسان الى وساطة فكر ونظر ، ومعلوم ان من هؤلاء العلماء «كانت » .
ثم ان ايمانهم بالله عز وجل استلزم ايمانهم بنبوة الانبياء عامة وبنبوة محمد عليه الصلاة والسلام خاصة . وقام عندهم هذا الاقتضاء فى اجماله وتفصيله على أدلة علمية مباشرة لم يتوصل اليها بواسطة غيب ، ولا تقليد . وليس فى هذا المقال الوجيز أى مجال لعرض هذه الأدلة ، ولكن ارجع اذا شئت الى مصادرها التى تتحدث عن ظاهرة الوحى فى حياته عليه الصلاة والسلام ، وعن القرآن وتحليله والدراسات العلمية المختلفة حوله ، وعن تحليل شخصية محمد عليه الصلاة والسلام ودراسة الاحتمالات المختلفة فى تفسير دعوته وتحليل ذاته ، والى كثير من المصادر التى بحثت بحثا علميا مستفيضا فى هذا الموضوع مثل كتاب (دلائل النبوة) للقاضى عبد الجبار وغيره .
فلما آمنوا بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، كان معنى ذلك الايمان بأن القرآن الذى جاء به انما هو كلام الله عز وجل لم يتقوله محمد صلى الله عليه وسلم على الخالق ولا كذب به على مخلوق . على أنهم وجدوا فى القرآن ذاته دليل هذه الحقيقة . ويطول بنا الكلام لو انتقلنا الى البحث فى القرآن لاستخراج ما فيه من البراهين العلمية التى لا مرد لها ولا مطعن عليها والتى تجزم بأن القرآن ليس كلام بشر وما ينبغى أن

يكون كلام بشر . ولكن ارجع اذا شئت الى المصادر التى تتحدث عن هذا كله بأسلوب علمي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فاذا استقر الايمان عند المسلمين بهذه الحقائق الثلاثة ، وثبت ذلك فى يقينهم بأدلة علمية قائمة على منهج لا لبس فيه ولا خداع ولا تضليل ، فما الذى يقتضيه العلم بعد ذلك ، اذا رأوا أن هذا القرآن الذى ثبت لهم أنه ليس الا رسالة من الله عز وجل الى عباده فى الارض ، يخبرهم عن أن هناك حشرا للاجساد مع أرواحها من بعد الموت ، وأن هناك حسابا وميزانا وجنة ونارا ، ويخبرهم عن وجود عوالم أخرى من حولهم وان كانوا لا يرونها ولا يقعون منها على أثر كالملائكة والجان ، ويخبرهم أن لحياة كل انسان ميقاتا تنتهى عنده لا تتجاوزه ولا تتخلف عنه مهما كانت المحاولات والاسباب ؟!

ما الذى يقتضيه قانون العلم تجاه هذه الاخبارات من كتاب ثبت باليقين أنه كتاب الله ، وثبت باليقين أنه موجود بكل ما يقرره العلم له من صفات الحكمة والكمال .. ؟

لماذا تكون اخبارات القرآن عن الحساب والجنة والنار غيبيات لا يقرها العلم والعقل . فلا وجه لانصياع الانسان لها ، ثم تكون اخبارات قانون العقوبات التى أصدرته دولة ما ، حقائق يقينية جديرة بالانصياع لها والاهتمام بها ، مع أن مضمون كل منهما لا يزال فى ظهر الغيب ومن وراء سور المستقبل .. ؟!

لماذا يكون القرآن الذى أخبر عن ذلك كله مشكوكا فيه ، ثم يكون الكراس الممهور بختم الدولة مصدرا قطعيا لا شك فيه .. ؟ ولماذا يكون تحذير القرآن من العقوبات التى يخبر عنها ويجزم بها حديثا غيبيا لا ينبغى أن يلتفت اليه ويكون اتباعه سببا للتخلف وضعف الانتاج ، ثم يكون تحذير ذلك الكراس من عقوبات الدولة حقيقة خطيرة جديرة بالاهتمام .. ؟

لماذا تصدق نشرة الارصاد الجوية فى إخبارها عن أمر تزعم أنه سوف يقع بعد حين ، ثم لا تصدق نشرة رب العالمين ورب الارصاد والمرصدين ، فى إخبارها عن مصيرك ، وكلاهما فى وصف الغيبية سواء .. ؟!

اتريد أن أتولى الاجابة عنك .. ؟

ان الذى يحملك على هذا التفريق، ليس عائدا الى شيء مما تسميه بالغيبية أو الغيبيات ، فان كلا الأمرين سواء ، يقر بذلك كل ذى بصيرة وعقل .

ولكن الذى يحملك على ذلك ، هو عدم يقينك بالمصدر الذى تنزلت منه غيبيات الاسلام ، على حين انك آمنت واستيقنت بالمصادر الأخرى التى بلغتك منها تلك الاخبارات التى عرضت لك نماذج منها .

فلو انك آمنت بالله عز وجل ، ايمانك بالقائمين على الارصاد والمختصين بشؤونه ، ولو أنك آمنت بالله ايمانك بوجود الدولة التى توعد وتهدد ، ولو أنك آمنت بالله ايمانك الأعمى بالطبيب الذى تسلمه كل يقين عقلك وطمأنينة نفسك — اذا لما فرقت بين متماثلين ، ولما خالفت بين مثالين لحقيقة واحدة ، ولاتبعت القانون العلمى الذى تخضع له سائر

المعقول ، وتنقاد له فطر البشر أجمع ، وهو القانون القائل : يقينك بالمصدر + تواتر الخبر عنه = ضرورة اليقين بالمضمون ، وان لم تره عيناك ولم يدخل تحت سلطان احساسك .

لقد أخبرك الله عز وجل بأنه خلق الانسان من صلصال من حمأ مسنون ، وانه خلق الانسان منذ أوجد أول أصل منه في أحسن تقويم .

ولكن داروين أخبرك بأن الانسان يحتمل أن يكون قد تصاعد من حيوانات أقل شأنا . وكلا الخبرين من الغيبيات التي تشمئز منها . ولكني أراك مع ذلك تعتنق غيبية داروين (رغم تحفظه في الاخبار عنها) من حيث تنصرف عن غيبية القرآن (رغم قطعه بالاخبار عنها) ! .. فما السبب .. ؟

السبب أنك آمنت بداروين وصدق فراسته وواقعية حدسه ، ايمانا غيبيا لا يرفده اثارة من برهان ولا علم ، في حين انك لم تؤمن هذا الايمان ولا نصفه بالخالق الحكيم جل جلاله رغم ما هو متوفر بين يدي ذلك من براهين وعلوم . فآمنت بحدس الاول وتخمينه وذهبت تسمي ذلك بحثا وعلما .. ! وأنكرت اخبارات الفاطر الحكيم جل جلاله وذهبت تسميها غيبية وجهلا .. !

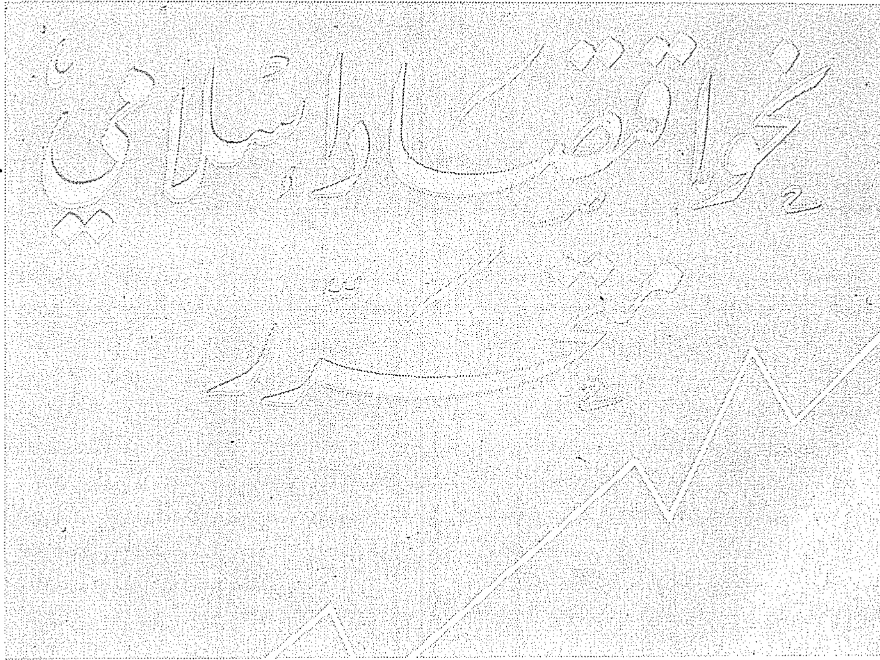


فرق ما بينك وبين المسلمين اذا ، ليس ما قد تتوهمه أو توهمه ، من انك تتسامى على الغيبيات ، لانك رجل علم ، وانهم ينحطون اليها لانهم دون مستوى العلم . فانك خاضع شئت أم أبيت في كل تقلباتك الفكرية والسلوكية لأمثالها ولأشد منها في المعنى الذي تقول . وما في العقلاء عاقل ولا في العلماء عالم الا وهو يؤمن بأن الاخبارات الغيبية لا مناص من قبولها واليقين بها ، اذا جاءت الينا ضمن سلم من القانون العلمي بشروطه وقيوده المعروفة عند العلماء .

انما الفرق بينك وبينهم ، انهم آمنوا بمصدر الخبر ، ووجدوا تواتر السند وارتفاعه الى درجة اليقين ، فآمنوا به علما ، وصدقوه قانونا ، والتزموه حقيقة لا مرد لها ، وانك جحدت أو شككت بالمصدر الأول ، فلم تبال بعد ذلك بأن يأتي السند متواترا أو ظنيا ، وجحدت بالأمر كله من حيث جحدت بالمصدر ذاته .

وحديثنا معك اذا ، ما ينبغي أن يكون في تحليل أمر الغيبيات وموقعها من العلم واليقين . وما ينبغي منك — وأنت رجل علم كما تقول — أن تخدعنا وتجرنا الى هذا البحث الذي لن يأتي بطائل . وانما ينبغي أن يكون حديثنا معك محصورا في الدليل العلمي على وجود الله ، وأن تكون جريئا معنا في عرض المشكلة على هذا الاساس .

وعندئذ ننتقل بك الى موضوع آخر ، ونكلف أنفسنا القيام بايضاح الواضحات ، والكشف عن أمر لم يبق خافيا عن أي عاقل ينصف في التفكير ويتحرر من ذاتيته وما تنطوي عليه من عصبيات وعقد وردود فعل ، هو أدرى بها وأعرف الناس بأنه انما يفكر بها ، أجل بها فقط ، دون أن يكون معها شيء مما يسميه العقل أو العلم أو البحث العلمي .



للاستاذ عبد الكريم الخطيب

١ ــ الدعوة التي يدعو اليها كثير من زعماء المسلمين لتحرير الاقتصاد الاسـلامي من التبعية للغرب ، وللمذاهب الاقتصادية التي تتحكم في أفراده وجماعاته ــ هذه الدعوة من الدعوات الرشـيدة ، اذ تحمل في طياتها أكثر من معنى كريم من معاني العزة والسيادة ، والقيادة لركب الحياة ، لا الانقياد لغير شريعة الاسلام ، واتباع سبيل غير سبيل المؤمنين .. هذا فضلا عما تحمل تلك الدعوة الطيبة من تصحيح للمشاعر النبيلة الكريمة التي أفاضها الاسلام على أتباعه ، اذ ربط بعضهم ببعض بروابط الاخوة ، والمودة ، والرحمة ، والايثار ، وجمعهم جميعا على مائدة واحدة ، لا يرد عنها جائع أو محروم ..

وانه ليس يصح في وجودنا أن نتخلص من أغلال الاستعمار ، وأن تجلو جيوشه عن أوطاننا وحسب ، فان ذلك وحده لا يعطي معنى التحرر الذي تنشده الامم التي تريد أن تساير ركب الحياة ، وتأخذ مكانها فيه ، فضلا عن أن تكون رائدة لهذا الركب ، وممسكة زمامه بيدها .. بل لا بد من أن نضم الى هذا التحرر من الاستعمار ــ لكي تثبت أقدامنا في الحياة ــ التحرر من النظم والتقاليد الاقتصادية والاجتماعية ، والاخلاقية ، التي نقلناها ، أو نقلت الينا من الغرب ، واتخذناها دستورا لنا في مختلف شئوننا .. فهذا التحرر هو الذي يرفع تلك الحواجز التي أوهت الصلات التي بيننا وبين تراثنا العريق ، وهو الذي يرينا في شريعتنا السمحة المعطاءة لكل خير ، ما رآه فيها أسلافنا الكرام ، فأقاموا على مشاعل أضوائها ما أقاموا من صروح المدنية والحضارة ، بما مكن الله تعالى لهم في الارض ، وبما أوسع لهم في مجال الحياة ، وأحلهم محل العزة والسيادة فيها ..

فليست الدعوة الى (اقتصاد اسلامي) دعوة الى عصبية قومية ، أو تناد الى لون من الوان الطائفية ، وانما هي دعوة الى تصحيح أوضاع ، وتناد الى اعادة مجد مسلوب ، والى

استرجاع حق ، والى نصرة عقيدة .
٢ — وقد يفهم بعض الناس غير هـذا ، وقد يحرفون الـكلم عن مواضعه ، وقد يبدو لقـائلهم أن يقول : ان هذه الدعوة ان لم تكن نزعة عصبية أو طائفية ، فهى عن فهم خاطىء لأوضاع الحياة فى هذا العصر ، الذى تشابكت فيه الامم ، وترابطت مصالحها ، وتلك دعوة أقل ما فيها أنها دعوة انعزالية ، تحرم المجتمع الاسلامى ثمرة التعـاون والتبادل بينه وبين بقية أمم العالم ، وخاصة فى المجال الاقتصادى الذى يدور فى فلكه كل نشاط انسانى فى هذا العصر ، سواء أكان فرديا أو اجتماعيا ، وسـواء أكان ماديا أو عقليا ، حيث يتحكم الاقتصاد اليوم فى عالم الانسـان ، الخـارجى والداخلى ، وفى نشاطه الذهنى ، أو الجسدى !!

ومن قال هذا .. ؟ اننا لا ندعو الى عزلة ، ولا جفوة وقطيعة ، بيننا وبين العالم غير الاسلامى ، وانما الذى ندعو اليـه ، هو شىء يتعلق بوجودنا نحن كأمة لها دين ، ولهذا الدين شريعـة ، ولهذه الشريعة مبادىء وأحكام ووصايا ، هى دستور سماوى وضعه لنا الحكيم العليم ، رب العالمين ، ودعانا الى اتباع هذا الدستور ، كى تطيب لنا هذه الحياة ، ونملك زمامها ولا تملك زمامنـا ، ونتزود منها بالزاد الطيب لآخرتنا ، حيث نلقى الله بما وعدنا به من حسن المثوبة وكريم الجزاء ، كما يقـول سبحانه : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبـة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (النحل : ٩٧) .

ان من حق أتباع هذه الشريعة ، بل من الواجب المفـروض عليهم أن ينزعوا المنزع الذى يرتضيه دينهم ، وتدعو اليه شريعتهم .. فاذا اتجه المجتمع الاسلامى الآن الى احيـاء أمجاده ، وبعث تراثه ، وتصحيح مسيرته على الوجهة التى يوجههـا اليه دينه ، فانما يتجه الى كل أولئك ، وليس فى تفكيره مثل هذه التصورات الخاطئة التى يصرخ بها فى وجوهنا أولـئك الذين لا يرجون لهذا المجتمع خيرا ، ولا يريدون له أن يتخلص من تبعية الغرب ، ووصايته عليه ..

وما أكثر ما تصدق المنى وتتحقق الاحلام .. !!

فلقد بلغ المجتمع الاسلامى اليوم رشده ، وزايلته تلك النكسة التى أصابته بالضعف والضمور ، والتى قضت عليه زمنا أن يدور فى فلك الاستعمار ، وأن ينهج نهجه ، ويتبع أثره ، فى كل ما يأخذ أو يدع من أمور ، دون أن يكون له فى هـذا مجال للاختيار .. وكيف يكون للتابع خيرة مع قائده ، والقيم عليـه .. ؟

أما وقد انجلت هذه الغاشية عـن سماء المجتمع الاسلامى ، وتكشفت غيومها ، فقد آن لهذا المجتـمع أن يدير النظر فى خاصة شئونه ، وأن يقيم أوضاعه على ما يحب ويؤثر ، وأن يصبغ حياته كلها — المادى منها والمعنوى — بالصبغة التى يأخذها عن شريعته ، ويستمليها من دينـه ، ويقيسها على ظروف بيئته ، وأحوال مجتمعه ..

والاقتصاد ، هو — فى هذا العصر بخاصة — المجال الحيوى الذى تظهر فيه انطبـاعات المجتمع الروحيـة والمادية ، وفيه تتجلى خصـائص الامم ، وتتكشف عنـاصر الخير أو الشر فيها ..

فاذا دعونا الى (اقتصاد اسلامى) فانما ندعو الى أكثر مما يحمل منطوق هذه الدعوة من تحـرير المجتمع الاسـلامى من التبعية للغرب ، أو صـيانة الاقتصاد الاسـلامى من استغلال الدول الاستعمارية له ..

انما ندعو فوق هذا ، بل وقبل هذا ، الى ما هو أجل وأسمى .. اننا ندعو الى استنقاذ أخلاق ، وتصحيح عقيدة ، وبعث أمة !!

٣ ــ لقد طغت على الغرب مادية غليظة معتمة ، امتصت من الناس كل عصارات التعاطف والتراحم والتواد، وقطعت ما بين الناس من أواصر الحب ، والحنو والمواساة ، وافرغت الكيان الداخلي للانسان من كل عاطفة نحو الغير ، حتى لقد بلغت فى ذلك الى الحد الذى جار على عواطف الابوة والبنوة ، التى هى غريزة فى الكائن الحى ، فلا تكاد تجد سقف الاسرة الغربية يضم تحت سمائه اسرة تسكن فيها عواطف الزوجية وأرواح الابوة والبنوة ، الا فى القليل النادر من الأسر ، والا فى صورة باهتة لا تكاد ترى أو تحس ، وانما الذى تجده فى غالبية هذه الأسر أشخاصا جمعتها المصلحة الذاتية ، وربطت بينها المادة .. فكل شيء هناك محسوب بحساب المال ، مقدر بما فيه منفعة ذاتية ..

الزوج والزوجة شريكان فى اقامة بيت ، وفى توفية مطالبه ، كل يؤدى نصيبه فى هذه الشركة .. الزوج يعمل ، والزوجة تعمل .. انهما ــ فى واقع أمرهما ــ شريكان فى ادارة محل تجارى ، يقتسمان فيه الربح والخسارة ، ولكل منهما نصيبه على قدر ما يعمل ، وليسا انسانين ألفت بينهما رابطة مقدسة ، وجعلتهما كيانا واحدا ، مجتمعا على المودة والرحمة ، وعلى السكن النفسى لكل من الزوج وزوجه .. ان هناك حواجز مادية غليظة تحول بين الزوج والزوجة أن يستشعرا هذا الشعور ، ويعيشا فيه .. ودع عنك ما ترى من مظاهر تمثيلية يبدو فيها الزوجان وكأنهما نغم موسيقى منسجم .. انها مجرد مظاهر تمثيلية يتحرك فيها الناس كما تتحرك الدمى، بلا مشاعر ولا عواطف ..

والآباء والأبناء ، هم كذلك فى عزلة شعورية ، لا يربط بينهم الا خيط واه ضعيف لا يكاد يمسك بين الطرفين الا ريثما يعرف الابناء كيف يحصلون على لقمة ، ثم ينقطع هذا الخيط ، وتتناثر حبات هذا العقد ، فتذهب كل حبة مذهبا لا تلتقى فيه واحدة بأخرى أبد الدهر !

مادية الغرب هذه مادية طاغية ، قد كادت تغير خلق الله ، وتحيل الانسان حيوانا مجردا من كل عاطفة .. ان حب المال وتسلطه على المجتمع الغربى ، لم يدع فى النفوس قطرة من عاطفة ، تندى بها القلوب ، وتترطب بها المشاعر .. بل ان الجرى اللاهث وراء المال قد نزع من الناس هناك عواطف الرحمة حتى نحو أنفسهم ، فلا تراهم أبدا الا فى حركة دائبة مسعورة وراء المال ، يكاد يتساقط الناس فيها ، وهم فى هذا السباق المجنون ، كما تتساقط أوراق الشجر فى عواصف الخريف ..

يقول العالم الفيلسوف : « كاميل فلامريون » وهو من كبار مفكرى الغرب :

« لا يجوز لنا أن نخجل من الاعتراف بما وقعنا فيه من الانحطاط ، لأننا رضينا به ، وأصبحت عقولنا المتشبعة بالأثرة ، والتى لا هم لها الا أغراضها الذاتية .. أليس حظنا اليوم قد استحال كله الى جمع الثروة دون مبالاة بوجوه جمعها ، وأصبح همنا الحصول على المجد بطريق الاغتيال لا الكسب .. ان من التناقض البين أن نرى الرقى الذى حصل فى العلوم بما لا مثيل له فى التاريخ ، وهذه الفتوحات التى تمت للانسان فى الطبيعة ــ نرى هذا الذى رفع عقولنا الى الدرجات العالية ، قد أهبط انسانيتنا الى

اخس الدركات .. وان من المحزن ان نحس بأنه بينما نشعر بنماء قوتنا المادية يوما بعد يوم ، تنطفىء شعلتنا الروحية ، وتتصوح زهرة حياتنا القلبية ، بتأثير المطامع المادية والشهوات الجسدية » .

ولقد زحف علينا من الغرب هذا الداء الذى أصاب كثيرا منا ، فوقع تحت وطأة هذا الوباء الخبيث ، وجعل همه كله اشباع هذا الشره الذى لا يشبع من جمع المال ، والجرى وراءه لاقتناصه من كل وجه، غير واقف عند حرام أو حلال ، مع الضن به عن الانفاق فى الوجوه التى تدعو اليها المروءة ، وتوجبها الشريعة ..

فالزكاة مثلا ، التى هى الركن الثانى فيما افترض الله تعالى علينا من عبادات قد خف ميزانها فى المجتمع الاسلامى ، حتى لا يكاد أكثر المسلمين ينظرون اليها ، أو يعدونها مما افترض الله تعالى عليهم .. وهؤلاء المستخفون بالزكاة ، يقيمون الصلاة ، ويصومون رمضان ، ويحرصون على أداء فريضة الحج ، لا مرة واحدة بل عشرات المرات .. أما الزكاة فهيهات أن تخطر لهم على بال .. فهم ان أعطوا فقيرا أو مسكينا شيئا من مالهم ، لم يخرجوه مخرج الزكاة المفروضة ، ولم يضيفوه اليها ، ولم يقع فى شعورهم أنهم مطالبون بأداء ما افترض الله تعالى عليهم فى أموالهم ، وانما يعدون هذا الذى أعطوه سماحة نفس ، ورقة شعور ، وسخاء يد ، يفعلونه اذا شاءوا ، ويغفلون أو يتغافلون عنه متى أرادوا .. وما علموا أن هذا الاحسان وان حمد لهم ، فانه لا يعدو أن يكون نافلة من النوافل ، وانه لا تقبل نافلة حتى تؤدى فريضتها !

ولا أحسب أن وضع الزكاة فى المجتمع الاسلامى قد صار الى تلك الحال من الغفلة عنها ، والتهاون بها، الا لأمرين :

أولهما : المشاعر المادية الضاغطة على الناس فى هذا العصر ، والتى اصطبغ بها تفكيرهم ، فكانت الأثرة وحب الذات دافعا قويا لا شعوريا يدفعهم بعيدا عن المظان التى ينفقون فيها المال ، ويخرجونه من أيديهم دون مقابل عاجل له ، كما يجرى ذلك فى المعاملات الدائرة بينهم ، من بيع وشراء ، وأخذ وعطاء ..

وحال كهذه ، لا بد فيها من ان يكون هناك دافع قوى ، قائم على الانسان فى كل لحظة ، ينبهه اذا غفل ، وينخسه اذا تغافل ، حتى يخرج من هذا التفكير المادى المسلط عليه من مجريات الحياة من حوله ، وحتى يذكر أن فى هذا المال الذى بين يديه حقا لله ، ولعباد الله ، وأنه محاسب عليه حسابه على الصلاة ، والصوم ، والحج .

وثانى الأمرين ، اللذين يرجع اليهما التهاون بأمر الزكاة ، الجهل المستولى على كثير من الناس بوضع الزكاة فى شريعة الاسلام ، وبمكانها المكين فى تلك الشريعة ، حيث يكثر حديث العلماء ، والوعاظ ، والخطباء فى المساجد ، وفى حلقات الدرس بعد الصلاة ، عن الصلاة ، وعن الصوم ، وعن الحج ، وعن الآداب والاخلاق الاسلامية، ثم لا يكاد الناس يسمعون شيئا عن الزكاة ، حتى لكأن هذه الفريضة العظيمة المحكمة نافلة من نوافل الدين .. الأمر الذى جعل أولئك الذين يستمعون الى هذه الخطب وتلك الدروس يستصغرون شأن الزكاة ، التى يعرفون أنها فريضة من فرائض الاسلام ، ولكن اغفال الحديث عنها فى تلك المواقف من أهل العلم والفقه ، يوقع فى نفوس الناس أن للزكاة شأنا دون شأن غيرها من الفرائض ، والا لكثر

الحديث عنها ، كما يكثر الحديث عن الصلاة والصوم .

ومن هنا كان العامل (الاقتصادى) عنصرا غالبا متحكما فى مسارب حياتنا ، وفى ألوان تفكيرنا ، وفى صلات بعضنا ببعض .. وكان لهذا سؤال أكثر ما يتردد فى خواطرنا هو: ماذا نستفيد من مادة ؟ وماذا نحصل من مال ؟ وكيف نضاعف من ثرواتنا ، وننمى من دخلنا دون ان نسأل سؤالا واحدا عن كيف ننفق من هذا المال ؟ وفيم نوجه الفائض منه ؟ وما حق الله فيه ؟ وما نصيب الزكاة منه ؟ ان ذلك كله بعيد عن دائرة تفكيرنا ، ومنزع مشاعرنا ..

لقد كانت (الزكاة) فى الصدر الاول للاسلام مصدرا عتيدا لتمويل بيت مال المسلمين بالمال الكثير الذى يسد مفاقر الفقراء ، ومسكنة المساكين ، ويقضى ديون الغارمين ، ويجهز جيوش المجاهدين ، وذلك على رغم ما كان من قلة المال فى أيدى الناس ، وقلة الاعداد من الذين يعدون فى الاغنياء ..

وانه لو أخذت الزكاة مكانها الصحيح فى هذا العصر ، الذى فاضت فيه الاموال بين أيدى الناس ، وكثرت أعداد أصحاب الثراء العريض ، من أشباه (قارون) — نقول لو أخذت الزكاة مكانها الصحيح فى المجتمع الاسلامى اليوم ، وحوسب عليها الذين تجب عليهم ، لقام للمسلمين منها بيت مال يسع كل فقير ومسكين ، ويحمل كل عاجز وضعيف ، ويقرض كل ذى حاجة من أولئك الذين يقعون فى مصيدة المرابين ، فلا يخرجون منها الا وقد ذهبت دنياهم ودينهم جميعا ..

لقد ربى الاسلام المسلمين تربية اقتصادية سليمة تشيع فيها معانى الانسانية الطيبة الكريمة ، حيث دعا الى العمل الجاد المثمر ، لاستخلاص اطيب ما فى الحياة من ثمرات ، دون بغى ، أو عدوان على مال أحد بالسرقة أو الاختلاس ، أو النصب والاحتيال ، أو الغش والاحتكار .. فاذا جمع المرء ما جمع من مال عن هذا الطريق المستقيم ، ولو كان القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، لم يكن لأحد سلطان عليه ينازعه فى شىء مما ملك ، اذا هو أدى ما افترض الله تعالى عليه من حق فى هذا المال ، هو زكاة لهذا المال ينميه ويبارك عليه ، ويطهره من كل ما قد يكون علق به من شوائب فى اكتسابه عن غير قصد من صاحبه ..

يقول الله تعالى لنبيه الكريم : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » (التوبة : ١٠٣) .

لقد وضع الاسلام المال بموضعه الصحيح فى الحياة ، حيث جعل منه أداة نفع عام ، لا مصدر تسلط على الناس ، ولا مظهر تفاخر واعتزاز به ، وانما المال — فى الاسلام — وسيلة لا غاية ، وسيلة لحفظ كيان الفرد والجماعة ، ولقيام مجتمع قوى سليم من آفات الفقر والذلة والمسكنة .

ان وظيفة المال — فى الاسلام — هى سد المطالب ، وقضاء الحاجات ، ووصل الأقارب وذوى الأرحام ، وعون البائس والمحتاج ، فمن حصل فى يده المال ولم ينل منه حظ نفسه ، وحظ أهله وولده من كل ما أحل الله من طيبات ، فقد ظلم نفسه ، وأساء التصرف فى استخدام هذه النعمة التى أنعم الله تعالى بها عليه .. ومن كان فى يده المال ، ثم ضن به عن أداء حق الله تعالى فيه ، وما أوجب للمجتمع منه ، فقد عرض نفسه لسخط الله ، وأنزل نفسه منزل المذنبين المحاسبين أشد الحساب عليه .. يقول الله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ،

يوم يحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » (التوبة : ٣٤ ، ٣٥) ..

وعن أبى ذر رضى الله عنه ، قال : انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس فى ظل الكعبة ، فلما رآنى مقبلا ، قال : « هم الأخسرون ورب الكعبة » فقلت ، مالى ، لعلى أنزل فى شىء .. من هم يا رسول الله ، فداك أبى وأمى ؟ فقال : « الأكثرون أموالا ، الا من قال هكذا » وحثا بين يديه وعن شماله ، ثم قال : « والذى نفسى بيده ، لا يموت أحد منكم ، فيدع إبلا ، أو غنما ، أو بقرا ، لم يؤد زكاتها ، الا جاءت يوم القيامة أعظم مما كانت وأسمنه ، تطؤه بأخفافها ، وتنطحه بقرونها ، كلما نفدت أخراها عادت اليه أولاها ، حتى يقضى بين الناس » (رواه الإمام أحمد والترمذى .. ومثل الإبل والغنم والبقر فى هذا كل مال لم تؤد زكاته .

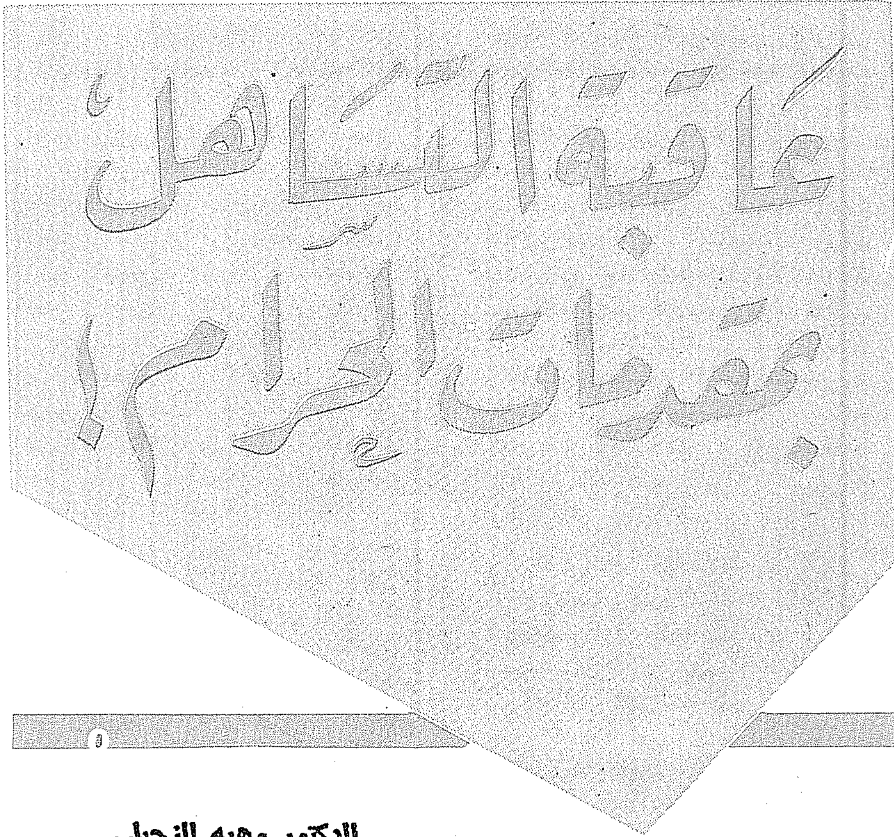
وفى القرآن الكريم ، وفى السنة المطهرة كثير وكثير من النواهى والزواجر التى من شأنها أن تقتل فى النفوس دواعى الشح والأثرة ، وتشيع بين الجماعة الاسلامية مشاعر التعاطف ، والتآلف ، والتواصل ، والتواصى بالبر والمرحمة ، مما يوثق روابط الاخوة ، ويمسك بنيان الجماعة من التصدع والانهيار .

والزكاة باب من أوسع الأبواب الذى يدخل منه الناس الى مرضاة الله ، والى غرس مكارم الاخلاق فى النفوس ، والى نشر الوية الألفة والحب ، والإخاء بين أفراد الأمة الاسلامية وجماعاتها ..

وانه لمن اليسير اعادة بناء هذا الركن الذى تداعى أو أوشك أن يتداعى من أركان الاسلام ، وذلك بفرض نظام شبيه بنظام الضرائب فى محاسبة أصحاب رءوس الاموال ، وفى قيام مؤسسة حكومية مهمتها تحصيل نصيب الزكاة من أصحاب الاموال التى بلغت النصاب الذى تجب فيه الزكاة ، ثم اقامة بيت مال — كمصرف أو نحوه — تجتمع فيه أموال الزكاة ، ثم يصرف من هذا المال على أولئك الذين جعل الله تعالى مصارف الزكاة فيهم فى قوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » (التوبة : ٦٠) .

واذ لم يعد للمؤلفة قلوبهم ، ولا لمن فى الرقاب وهم الأرقاء ، مكان اليوم فى الحياة ، فانه يمكن أن يوجه نصيبهم فى نشر الدعوة الاسلامية وفى تأليف القلوب اليها ، بما ينفق على الدعاة لدين الله ، وبما ينشر من رسائل وكتب فى الكشف عن حقائق الاسلام ، وفى الرد على الذين يفترون الكذب عليه .

ثم ان فيما يجتمع من حصيلة الزكاة ما يسد باب المعاملات الربوية التى تشوه وجه الاقتصاد الاسلامى ، وتوقع كثيرا من المسلمين فى هذا الاثم الغليظ ، تحت وطأة الحاجة ، وذلك باقراض المحتاجين للمال ، سواء اكان ذلك للاستهلاك أو للانتاج ، مع قيام أجهزة متخصصة لدراسة المشروعات الانتاجية ، وتوجيه المقترضين الى احسن الوجوه للعمل والانتاج .. وبهذا تتحرر نفوسنا من أسر الحاجة ، والفقر والمسكنة ، ويتحرر اقتصادنا من آفة الربا ، وتحكمها فى رقاب كثير من الناس ، وافساد دينهم ودنياهم جميعا .



للدكتور وهبه الزحيلي

لقد شاعت في مجتمعنا ظواهر مرضية خطيرة ودخيلة بسبب طغيان المادة على القيم الخلقية ، وفي أعقاب رحيل الاستعمار عن بلادنا ، وانتشار آفات المدنية الحاضرة ، فبدأ استشراء الداء أولا من زاوية الوسائل والمقدمات ، واخفاء المقاصد والغايات الخبيثة واستخف الناس بالمحظور شرعا ، وتنكروا للمبادىء الأولية واستهانوا بأحكام الحلال والحرام في الاسلام ، وساقهم الجهل بمقاصد الشريعة الى ادعاء الحل والحرمة بالعقل والمنطق الأعوج ، واتسع الخراب بشكل ملموس في مجتمع الاسرة وفي بعض أوجه النشاط والسلوك والتعامل بين الافراد .

وتجاهل الناس ذلك المبدأ الخطير في الاسلام والذي لا يقبل التغير أو التطور والتبدل الا وهو (سد الذرائع) الذي تضافرت على تقريره كأصل عام في الشريعة آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، وأحكام فقهية مستنبطة من مصدري الشريعة الاصليين .. وهما القرآن والسنة .

ومعنى المبدأ : أن كل ما يتوصل به الى الشيء الممنوع المشتمل ، على مفسدة يكون ممنوعا أى أن كل ما كان وسيلة الى المحرم فهو محرم . فالله سبحانه حرم على المرأة الضرب بالارجل والكعاب ، حتى لا يكون ذلك ذريعة الى اجتذاب الأنظار اليها وافتتان الرجل بالمرأة . قال تعالى : « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » ، وحرم الله على المؤمنين سب آلهة المشركين من الأصنام .. والأوثان المزيفة ، حتى لا يكون ذلك ذريعة الى أن يسب المشركون الاله الحق جهلا وزورا وعنادا : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » .

وحرم القرآن النظر الى النساء وأمر بغض البصر ، لأنه يؤدى حتما أو غالبا الى الزنى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم .. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن » . وقد لعن النبى صلى الله عليه وسلم مع آكل الربا موكله وشاهده وكاتبه، لأنهم كانوا عونا على المعصية وذريعة الى ارتكاب الحرام . كذلك لعن عليه السلام فى الخمر عشرة وليس شاربها فقط : وهى ذات الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها ، لأنهم كانوا وسطاء الحرام ووسيلة المعصية ، وطريق الاثم . وحرم عليه الصلاة والسلام الخلوة بالمرأة الاجنبية ، فانه ما اختلى رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما ، وحرم أن تسافر المرأة لمسافة تزيد عن ٨٠ كم مع غير ذى رحم محرم كأب أو ابن أو أخ بالغين عاقلين أو زوج ، لأن فى الاسفار سواء بالطائرة أو الباخرة أو السيارة أو الدواب تعرضا للمخاطر وخدشا للعرض ، ووقوعا فى الفواحش وان ندر ذلك ، أو طمس واخفى الضرر والاثم عن الناس . ونهى النبى عن بناء المساجد على القبور وعن الصلاة اليها لتجنب الوقوع فى الشرك من البسطاء والجهلة والعامة .

ونهى عليه السلام أيضا عن الجمع فى الزواج بين المرأة وعمتها وخالتها ، كما نهى القرآن عن الجمع فى الزواج بين الاختين وقال النبى : « انكم ان فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » وحرم خطبة المعتدة ونكاحها فى أثناء العدة حتى لا تكذب فى ادعاء انتهاء العدة ، ونهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه وأن يستام على سوم أخيه ، أو يبتاع على بيعه ، سدا لذريعة التباغض والشحناء واثارة المنازعات .

وقال عليه السلام : « لا تقبل شهادة خصم ولا ظنين » خشية الشهادة بالباطل ، ومنع شهادة الآباء للأبناء وبالعكس منعا من التهمة ، وصاغ النبى صلى الله عليه وسلم المبدأ الشامل لمثل هذه الحالات بقوله : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات » ، « المؤمنون وقافون عند الشبهات » ، « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه » « الاثم ما حاك فى الصدر

وكرهت أن يطلع عليه النـــــاس »
« استفت قلبك وان افتاك المفتون »
« ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل : يا رسول الله ، كيـف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب أبا الرجل فيسب اباه ، ويسب أمه فيسب أمه » .

وبه يتبين أن الشرع حرم الوسائل والمقدمات كتحريم المقاصد والغايات ، سدا لذرائع الفساد والشر ، وحماية لمقاصد الشريعة من الخلل والهدم ، حتى تؤدى الغرض منها فى اصلاح الناس على أسس صالحة من الخير والسداد في النظم الاجتمـــــاعية والاقتصادية والسياسية ، وهو يدل دلالة واضـــــحة على أن الآداب والفضائل الانسانية والاعتبـــارات الاخلاقية لها صفة الالزام والايجاب كبقية التكاليف والالزامات القـــانونية أو الشرعية . وسـأذكر هنا بعض الأمثال من فقه الشريعة التى تعطينا كل يوم برهانا جديدا على صـــحة ما تهدف اليه ، بوضع كل المؤيدات والوسائل الحامية لحمـــاية أحكام الشريعة الاصلية ، من ذلك ما يأتى :

فى الخطبة :

يتخطى الشباب والشابات حدود ما سمح به الشرع من النظر الـــى المخطوبة ومعاشرتها ، ويتســـاهل الآباء والأمهات غالبـــا فى مراعاة قواعد الشريعة ، فينظر الخاطب الى نواح اكثر مما اباحته الشريعة فى الوجه والكفين والقدمين والرقبـــة وتنعقد الجلسات السرية الطويلة بين الخاطبين ، ويتواعدان سرا أو جهرا على اللقاء فى مكان ما ، ويغـدوان ويروحان صباح مســاء الى الاندية والملاهى والحدائق ودور الحيالـــه ، ولا بد حينئذ من الوقوع فى ما حرم الله قبل العقد ، وتقع الطامة الكبرى أحيانا ، وتتم المعاشرة النهائية ، ثم يعدل الخاطب عن الخطبـــة ويدع خطيبته فريســـة اللقاءات المحرمة وحسن النية المزعوم ، ويقضى على مستقبل الفتاة .

أليس اذا فى التساهل بالمقدمات « وهى حرمة الاطلاع على المخطوبة وحرمة معاشرتها تذرعا بادعاء معرفة طباعها » ما يؤدى الى افدح النتائج الخطيرة ، واضطراب الحياة ، واثارة المشاكل والعداوات بين الأسر .. ؟!

التبرج والاختلاط :

حظر الشرع ابداء الزينة وكشف العورات ، والاختلاط بين الجنسين (الرجال والنساء) فى غير ضرورة شرعية كالتعليم والمعـــالجة الطبية والمعـــاملة بيعا وشراء ونحـــوهما . ولكن المرأة خرجت كاشـــفة الرأس واليدين والرجلين والنحر والصدر ، وتساهل الشباب فى ستر عوراتهم أمام بعضهم بعضا ، علما بأن الفخذ عورة ، وأنه يحرم ابداء ما بين السرة والركبة ، سواء فى أماكن النـــوم المشتركة أو فى المســبح والملعب الرياضى ، وادعى اناس أن مثل ذلك مما عمت به البـــلوى ، ولم يعد التستر بالنســـبة للمرأة أو للرجل محترما أو ملتزما به . وعم الاختلاط بين الجنسين فى المدارس والجامعات والزيارات العائلية المشتركة فى غير الحدود المسموح بها وفوق القدر الذى تقتضيه المصلحة العامة أو الضرورة

العملية . واذا تكلم الواعظ أو المذكر بحكم الاســــلام في هذا المجال اتهم بالرجعية ومعاداة التطور والمدنية ، وكانت النتائج طبعا ســـيئة للغاية تحت ستار العلم والتمدن والتحــرر والتطور ، واصبحت الوســـــائل والذرائع الممنوعة شرعا مستساغة طبعا وذوقا وعرفا ومكابرة ، بالرغم من الوقوع في اخطاء متعددة صارخة على مرأى ومســـــمع من الآباء والأمهات .

تدخل الأبوين في الزواج والطلاق :

يخطىء الأبوان في اعتبار زوجة الابن بمثـــابة الابن ، فيتـــدخلان في اختيار هذه الزوجة ، وكأنها مخطوبة الأب ، دون مراعاة لاعتبـــارات الثقافة والملاءمة في السن وتطـــور الأعراف والعـــادات ويكرهان الابن أحيانا على زوجة معينـــة ، فاذا لم تعجبهما أكرهاه على مفارقتها ، وكلا التصرفين خاطىء ، وليست طاعتهما المطلوبة ومصاحبتهما في الدنيـــا بالمعروف تقتضيان السماع لرأيهما في حالي الزواج والفـــراق . فالزواج ينبغي أن يــكون بمحض الرضـــا والاختيار دون اكراه ولا اجبار من أحد ، ويكفي تقديم النصــــيحة والارشاد ، لا الزجر والتعنيف ، فقد رد النبي صلى الله عليه وسلم زواج امرأة زوجها أبوها كارهة ، ومنــح الخيار في حالة أخرى لفتـــاة بأن تفسخ زواجها الذي أبرمه وليها ، وهي كارهة للزوج وغير راضية بهذا الزواج . واذا كان الخيار ممنوحا للمرأة بالرغم من أن وليها له الحق في مباشرة العقد حفاظا على اللياقات والأخلاق المرعية ، فان .. الرجل أحق بهذا الخيار ، اذ لا ولاية لأحد عليه في مباشرة عقد زواجه اذا كان بالغا راشدا . كذلك لا حق للأبوين في اجبار الولد على مفارقة امرأته ظلما وعدوانا ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، انما الطاعة في المعروف شرعا وعرفا ، وليس في المنكر ، ومن أشد المنكرات الوقوع في ظلم امرأة بريئـــــة لم تلتق في طباعها وسلوكها مع أبوين شـــاخا ونبت الشيب في عارضيهما . ومثل هذه الوسائل المنكرة تعقب حسرة وندما شديدا ، سواء في حال الابقاء على امرأة مكروهة من زوجها منذ أول عهده بهـــا أو في فراق امرأة يحبها زوجها ، ولا ذنب لها ، الا أنها لم تتمكن من ارضاء أبوي زوجها .

زواج الكبار من الصـــغار تحت اغراء المال :

لا يصح في الوسط الاســـلامي الواعي اســـتغلال ما يبيحه الشرع أحيانا في بعض الحــــالات مراعاة لبعض الظـــروف القاســـية أو الاضطرارية ، ومنها مشروعية زواج الكبير من فتاة أصغر منه ســـنا بعشرات السنوات ، فمثل هـــذا الزواج الذي يتم غالبا طمعا في مال ثري من قبل الفتاة أو من أهلهـــا لا يمكن فعلا أن يحقق الغاية المقصودة منه عاجلا أو آجلا ، ويتخذ ذريعـــة للانحراف والشذوذ ، وتكون هـــذه الفتاة ضحية الطيش العارض والطمع القـــاتل ، وحلم الثراء العريض ،

واغراء المال الذاهب ، فماذا ينفع المال أمام حاجات الجسد العارمة ، والشهوة المسيطرة ، فى وقت تخور فيه عزيمة الرجل ، أو تأتيه المنية عاجلا ، أو لا تتحقق فيه الامنية المرجوة على وجه صحيح ، ان فى الاقدام على مشروع زواج كهذا يعد طعنة موجهة للقيم والاخلاق والأعراض فى الغالب ، وأما الاحوال النادرة التى تتوفر فيها عواصم العصمة من تربية عالية ودين قوى وتقوى أصيلة ، فلا يقاس عليها ، وتظل جائزة شرعا لأهداف وغايات نبيلة وانسانية كريمة ، ومثل ذلك فى عصرنا بعيد المنال .

مشكلة غلاء المهور :

لم يشرع تقديم المهر فى الاسلام الا وسيلة بناءة للزواج ورمزا لتكريم المرأة وتطييب خاطرها واشعارها بذاتيتها ومجاملتها ، وليس المهر ثمن شراء ، أو وسيط مزايدة أو مكافأة غلاء معيشة أو عوض تربية ، لهذا أدى تنافس الناس فى تقديم مهور عالية الى أزمة زواج مستعصية عند الشباب المتوسطى الدخل الذين يشكلون أكثرية ساحقة فى المجتمع ، فأعرضوا عن الزواج، أو تقدمت بهم السن ليوفروا المال اللازم ، وصارت الفتيات كأنهن إماء رقيقات يبعن فى سوق النخاسة لمن يدفع المهر الاعلى ، وتناسى الآباء والأمهات القيم الخلقيةالتى لا تشترى بالمال ، والتى هى أصون وأعز وأخلد شىء فى الحياة ، بل وأضمن سبيل لبقاء رابطة الزوجية بين الفتى والفتاة : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه ، فزوجوه ، الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير »

والفساد الاكبر الذى نوه عنه الحديث النبوى جاثم فى محيلاتنا هذا الزمان، بالتماس ارضاء الشهوة عن طريق الحرام بسبب تعذر الوصول الى المطلوب من طريق حلال ، وتلك مفسدة خلقية واجتماعية تعم الأسر كلها .

واذا كان صحيحا أن الشرع الحكيم لم يحدد مقدارا أعلى للمهور ، تاركا للوازع الدينى والخلقى مجاله الخصب للتامل والالتزام ، فان سيرة المسلمين الاولى ، وسنة النبى صلى الله عليه وسلم القولية والعملية خير قدوة للمسلمين اليوم فى التسامح بمطالب المهر ، وترك المزايدات الحاصلة بين الأسر ومحاربة الانفاق والبذخ فى حفلات الزفاف التى يدفع اليها حب الشهرة والسمعة والرياء .

ومن المعلوم أن النبى عليه السلام ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتى عشرة أوقية من الفضة أى ٤٨٠ درهما ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ان أعظم النساء بركة أيسرهن مئونة » « خير الصداق أيسره » ومما يعد عيبا وأكلا للسحت والاثم أن تمتد يد الأب الى مهر ابنته فيستحل أخذه وصرفه فى موكب الزفاف أو على مصالحه الشخصية لقاء التربية وبدل النفقة التى انفقها عليها فى حياتها الاولى ، وكأنها غير انسانة ولا ابنة ، فأين اذن المعانى الانسانية وأين البر والخير ، وأين الروابط الكريمة التى تربط الفتاة بأسرتها وذويها .. ؟ هل نسى الآباء فضل آبائهم فى تربيتهم، وهل أعرض الآباء عن الثواب العظيم الذى يدخره الله تعالى لهم فى الدار الآخرة بتربية البنات ، وهل من المروءة

والكرامة أن يأخذ الوالد حق ابنته الشرعي ، وهي من ضلع قاصر ، وتحتاج الى دعم الأب ومساعدته ومساندته لها .. ؟! ان خلقا كهذا لا يرضى به الاسلام ولا تتقبله الكرامة الحقة والقيم الصحيحة والرجولة الأبية ولا مصلحة البنت ذاتها ، اذ هل يكون لهذه المرأة قدر أو احترام عند زوجها الذي يرى كأنه اشتراها، وهل مثل هذا التصرف الا داعية خطيرة لكثرة الطلاق كما يحصل فعلا في بعض البلاد .. ؟

ومثل هذا المال الذي يستحله الأب بغير حق : ذلك المال الذي يأخذه بعض الكفلاء من العمال الاجانب بدون مقتضي ولا عذر مبيح شرعا ، علما بأن الكفالة عقد تبرع تمليه قواعد التعاون والتضامن والمثل الاسلامية والانسانية ، فبأي حق يستحل كفيل من جنسية معينة جهد عامل وعرق صانع ، يقدم جهده وخبرته في سبيل بناء وطن الآخرين ، فهو مشكور مأجور ، لا منبوذ مستغل . الا فليبحث الناس عن مورد رزق حلال وليبتعدوا عما يخل بالمروءات ، فكل ما أعطى كرها لا بركة فيه ، وكل جسم نبت من حرام فالنار أولى به . ومما يشبه هذا أنه بأي حق تقوم دولة اسلامية بمصادرة أموال المسافرين منها بعد أن سمح لهم بدخول اراضيها والعمل في ربوعها ؟

الاقامة والسفر :

لا تجبر الزوجة بالاقامة مع من تكره من أهل الزوج ، ومن حقها الا يغيب عنها زوجها أكثر من ستة اشهر أو سنة كحد اقصى ، فاذا اكرهت المرأة على الاقامة مع قريب أو بعيد ، أو غير أمين ولا ثقة في في دينه وخلقه ، وقعت بعض المفاسد الدينية أو الخلقية التي لا يمكن تسوية آثارها ، فيحدث الفراق بين الزوجين بسبب التساهل في المقدمات المكروهة ، كما يحدث ذلك أحيانا بسبب غيبة الزوج عن زوجته مدة طويلة أقصاها سنة عند فقهاء الاسلام ، وتكون العاقبة وخيمة والنتائج سيئة ، مع أنه لو التزمت تعاليم الاسلام ، وامتنع الزوج عن وسائل الضرر بالمرأة ، لما وقع محظور ، ولا حدث فراق ، ولما وجدت مشكلة اللقطاء ، أو قتل الأولاد أو الاجهاض بسبب الحمل غير المشروع . وهنا يجدر القول : ان المؤمن بحق معطاء للحقوق ، مقدر لمقتضيات الطبيعة البشرية ، غيور على الحرمات ، محافظ على موجبات العفة والمروءة والشرف ، حذر من المخاطر ، ليس بضار ولا ظالم ولا متهاون ولا مفرط ، وانما متوسط في الامور كلها .

اليمين بالطلاق :

استخف الناس بالحلال والحرام وتخطوا حدود ما أنزل الله وأكثروا من ايقاع الطلاق لأسباب شيطانية ونزوات طائشة واتخذوا آيات الله هزوا ، فتلاعبوا بالطلاق ومزجوا الهزل بالجد ، واللعب بالحزم والعزم، ولم يراعوا الوجه الشرعي الصحيح الذي شرع من أجله الطلاق ليكون يسرا ورحمة ومنفذا من بعض الحالات المستعصية الحل ، فأصبح مشكلة ونقمة وهدما وتخريبا ، سواء بالنسبة للزوجة أم للأولاد ، كذلك اتخذوا من تعدد الزوجات المباح

للضرورة أو الحاجة الملحة مثل الطلاق سبيلا للكيد والاغاظة والتشفى والعبث واهدار مصلحة الاولاد وعنوانا للتشهير بالاسلام .. مع أن شرع الله برىء من فعل هؤلاء الجهلة والعابثين وأرباب الأهواء ، وحينما تستحكم المشكلة بسبب الطلاق أو تعدد الزوجات يشيع الندم وتأكل الحسرة الأكباد ، ويلجؤون الى الترقيع والفتاوى بالآراء الضعيفة أو الشاذة حفاظا على رابطة الزوجية .
وكان جديرا بكل مسلم الا يجرى الطلاق على لسانه لا جادا ولا هازلا ولا أن يطلق أحد امراته الا بسبب خطير أو حاجة شديدة ، لأن هزل الطلاق كجده ، ولأن أبغض الحلال الى الله الطلاق ، وان الله لا يحب الذواقين والذواقات ، ولا تطلق النساء الا من ريبة ، كما شرع لنا النبى صلى الله عليه وسلم ، ولقوله تعالى : « فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » وبما أن أحكام الزواج والطلاق مبنية على الورع والاحتياط فى الدين ، فمهما قيل عن اليمين بالطلاق (أى الطلاق المعلق على شرط) من أنه مجرد يمين فيها الكفارة أخذا برأى ابن تيمية ، فان الورع يقضى باحترام اختلاف الآراء بين العلماء والتى منها المذاهب الاربعة القاضية بوقوع الطلاق عند تحقق الشرط ، كما قضوا بوقوع الطلاق بلفظ الثلاث ثلاثا ، وان أفتى بعضهم عملا برأى ابن تيمية ومن وافقه بوقوعه واحدة وأخذ برأيه بعض قوانين الاحوال الشخصية .

عدة الفراق :

ان وقع الطلاق أو حدثت وفاة الزوج لم تعد اغلب النسوة يلتزمن أحكام العدة المقررة بصريح القرآن الكريم . والعدة : مدة حددها الشرع تمكث فيها المرأة فى بيت الزوجية ولا تخرج منه الى أى مكان الا لضرورة قصوى ، مثل احضار حوائج البيت اذا لم يكن لها قريب يوفر لها مطالبها ، ولا يجوز لها التزين ولبس الألبسة الزاهية ، ولا الخطبة ولا الزواج فى فترة العدة : وهى التى تنتهى بوضع الحمل ان كانت حاملا ، وبمضى مدة ثلاثة أشهر ان كانت مطلقة لا تحيض أو أربعة أشهر وعشرة أيام ان كانت متوفى عنها زوجها ، أو ثلاث حيضات أو اطهار على حسب اختلاف العلماء ان كانت مطلقة تأتيها الدورة الشهرية وهى الطمث : « واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ، ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة » : ومن المعروف أن تشريع العدة كان لحكم جليلة منها : منع اختلاط الأنساب وتقدير نعمة الزواج ، ورعاية حق الزوج ، وتمكينه من مراجعة المرأة أو العقد عليها من جديد ان جاز له ذلك، وصيانة سمعة المرأة من التلوث والطعن وكلام الناس ، ونحو ذلك .
لكن من المخالفات الصارخة فى زمننا لحكم العدة : أن تخرج المرأة من بيتها ، أو أن يخطبها أحد ، أو أن تتزوج فعلا بزوج آخر ، وفى ذلك البلاء المبين الذى أعقب العجلة ، وعدم انتظار نهاية العدة مما يؤذى الرجل والمرأة معا .

زواج التحليل :

ان كثرة حوادث الطلاق بالثلاث أو المفرق ثلاث مرات يؤدى الى ندم

شديد عند الرجل كما نوهنا ، وحينئذ اما أن تعاد المرأة الى زوجها بفتوى باطلة عن طريق افساد عقد الزواج الاصلى ، واما أن يلجأ الى التحليل بتزويجها من زوج آخر ينام معها ليلة ثم يطلقها ، وبعد انتهاء عدتها يعقد عليها زوجها الأول عقد زواج جديد . وعملية التحليل هذه سواء صرح فى العقد بأنها عملية مؤقتة ، أو اتفق سرا على اجراء الطلاق ، فانها اشبه بالزنا ، وهى عقد فاسد عند الله وفى عرف الناس ، ولا يجوز للمحلل الاستمتاع ، ولا تحل المرأة بهذا الفعل لزوجها الأول ، لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لعن الله المحلل والمحلل له » وسمى المحلل فى رواية أخرى بالتيس المستعار ، وكان يعده الصحابة سفاحا ، وقال سيدنا عمر : لا اوتى بمحلل ومحلل له الا رجمتهما ، وأما القصد من قوله تعالى : « حتى تنكح زوجا غيره » فهو تنفير الزوج من ايقاع الطلاق وتحذيره من الوقوع فى وضع يستقبحه وينفر منه ، ولا تتقبله الطباع السليمة والأذواق الصحيحة وأولو الغيرة والحمية . فان تم زواج طبيعى بعد البينونة الكبرى أى الطلاق الثلاث ، وقصد به الدوام والبقاء ثم طرأ على الزواج الجديد ما ينقضه ونقض فعلا ، أمكن للزوج الأول اجراء عقد جديد على هذه المرأة التى كانت قد بانت منه .

بيوع الربا :

ومثل زواج التحليل بالمناسبة تلك البيوع الصورية التى تحدث كثيرا فى عصرنا ويقصد منها فعلا التوصل الى الربا أو الفائدة ، بأن يبيع الشخص شيئا لآخر بثمن مقسط أو مؤجل لأجل محدد ، ثم يقوم المشترى فورا ببيع الشيء الذى اشتراه لبائعه الأول بثمن نقدى معجل أقل من الثمن الأول المؤجل الذى اشترى به السلعة ، فيكون الفرق بين الثمنين ربا ، لصالح البائع الأول الذى هو فى الحقيقة مقرض الفائدة ، والمشترى منه مقترض ، هذا البيع حرام لأنه ذريعة للربا ويسمى فى السنة (بيع العينة) ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة ، واتبعوا اذناب البقر — أى شغلوا بالزراعة — وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، أنزل الله عليهم بلاء ، فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم » وقد فعله صحابى اسمه زيد بن أرقم ، فقالت له عائشة رضى الله عنها : « انه أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن يتوب » . ولا غرو فان فقهاء المالكية والحنابلة بالذات أصابوا بحكمهم على زواج التحليل وبيوع الربا بالفساد والبطلان عملا بقاعدة الامور بمقاصدها .. وقوله صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » .

أى أن النية والباعث الفاسد يفسد العقد ويبطله ، وبه يأثم صاحبه عند الله . وأخيرا أليس فى اهمال المقدمات والوسائل الفاسدة فيما ذكرناه ونحوه دليل على التوصل لأخطر النتائج وأفدح الغايات بسبب التهاون فى ذرائع الحرام فى الاسلام ؟! وهكذا يقضى المنطق ويوجب الشرع والواقع أن كل فساد مهمل فى المقدمات يستتبع خللا خطيرا فى النتائج ، وكل ما أفضى الى الحرام فهو حرام ، وكل ما أدى الى الشر فهو شر .

مائدة القارئ

(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) .
(ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) .
ـ قرآن كريم ـ

« استوصوا بالنساء خيرا »

« خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » .
ـ حديث شريف ـ

القضاء والقدر

قال رجل للامام على كرم الله وجهه : أخبرنا عن سيرنا أكان بقضاء الله وقدره .

قال الامام : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ـ ما وطئنا موطئا ، ولا هبطنا واديا الا بقضاء الله وقدره ، ومع هذا فقد عظم الله أجركم فى سيركم وفى متصرفكم ، ولم تكونوا فى شىء من أحوالكم مكرهين ولا مضطرين .

إن الله أمر تخييرا ، ونهى تحذيرا ، وكلف تيسيرا ، ولم يعص مغلوبا ولا كارها ، ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثا ، والقضاء والقدر هو الأمر من الله تعالى ، والحكم ، ثم قرأ قول الله سبحانه (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ..) .

جمل عبود

كان للوالى (عبود) جمل يسرح ويمرح فى مزارع الرعية ، فاتفق أصحاب المزارع فيما بينهم على أن يرسلوا وفدا الى الوالى ليمنع جمله من اتلاف الزرع ، فلما مثل الوفد بين يدى الوالى تكلم واحد منهم عن الجمل والضرر الذى يلحقه بالحرث ، فغضب الوالى وصار يتهدد الوفد ويتوعدهم وخيم الصمت على الجميع ولم يتلفظ أحد منهم ولم يجد المتكلم من ينصره ، فاستأنف الحديث :

وقال يا طويل العمر : ان هذا مسكين ومعذور حقا لأنه وحيد بلا انيس ولا جليس ، ولهذا قررنا أن نساهم فى شراء ناقة له تؤنسه فسر الوالى ، وجيىء للجمل بناقة .

هــذه حقيقــة

كان رجل مطلوبا للشرطة ، وكان قد أخذت له صور فى ستة أوضــاع مختلفة ، ووزعت الصورة على مكاتب الشرطة ، وبعد أيام كتب المسئول عن احد المخافر كتبا الى رياسته يقــول فيه : تسلمنا الصور الست الخاصة بأشخاص مطلوب القبض عليهم ، وقد تم اعتقال خمسة منهم ، أما السادس فسنعتقله قريبا .

انسان ملــــون

قال الطاهى لسيــده : ماذا نطبخ اليــوم .
السيد : والله لا أدرى . أنطبــــخ باذنجانا ؟
الطاهى : الله . نعم ما ذكرت أنه لذيذ الطعم مفيد للجسم .
السيد : ولكنه يتعب معدتى .
الطاهى : صدقت ، ما أثقله ، وما أعسر هضمه ، وما أقل فائدته .
السيد : يا رجل إنك من لحظـــة واحدة تمدحه ، وتقر بفائدته .
الطاهى : اسمع يا سيدى ـــ أنا خادمك أو خادم الباذنجان .

الديــك الرومى

أهدى صديق الى الأديب الكبير عبد الله باشا فكرى (ديكا روميا) فكتب اليه كتابا ظريفا جاء فيه :
حصل من الأنس ـــ بما وصل من ديك الانس ـــ ما يقصر عن بيانه (ديك الجن) ولا أدرى لماذا أختلفت فيــه الأحســاب وتدافعته النساب فتـــرى الناس فى مصر يسمونه روميا ، وفى بلاد الروم يسمونه مصريا وفى البصرة (ديك خيبر) والانجليز يسمونه هنديا فان لم يأتنى بحقيقـــة نسبه وحسبـــه لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنــــه أو ليأتينى بسلطان مبين .

بدعة التقليد

يحكى أن ثنية (البنطلون) سببها أن لوردا انجليزيا سافر الى أمريكا ، وكان مدعوا الى حفلة عاجلة ، ولم تكن حقيبة ملابسه قد وصلت بعد ، فاشترى بدلة على عجل ، ولبسها على عجل ، وكان البنطلون طويلا ، فثنى رجليه ، فأصبح ذلك تقليدا ، ولو فعل ذلك غير (لورد) لضحـــــك الناس عليه .

قـــريش

القرش : الكسب ، يقال هو يقرش لعياله أى يكتسب ، وسميت قريش بهذا الاسم لتجارتهم وجمعهم المال .
ويروى أن معاوية سأل ابن عباس رضى الله عنهم : لم ســـميت قريش قريشا ؟
فقال : بدابة تكون فى البحر يقال لها القريش لا تمر بشىء الا أكلته ، وانشد :
وقريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشا وقيل سموا بهذا الاسم لاقتراشهم بالرماح . قـــال الشاعر :
ولما دنا الرايات واقترش القنا   وطار مع القوم القلوب الرواجف

الحاجة الى توحيد

للشيخ عبد الحميد السائح

فى العدد الممتاز ١٠٩ من مجلة (الوعى الاسلامى) تاريخ غرة محرم ١٣٩٤ هـ ، يناير ١٩٧٤ م قرأت مقالا هاما للدكتور محمد عبد الرؤوف بعنوان « الحاجة الى تقويم هجرى موحد » ، وبما أن الموضـــــوع فى ذاته جدير باهتمام علماء المسلمين فى العصر الحاضر ، فى مشارق الارض ومغاربها ، وبما أن الامور التى ذكرها الدكتور فى مقاله أسباب وجيهة وكافية لضرورة الاستجابة وتلبية النداء ، واخراج الفكرة الى حيز الوجود ، حرصــــا على تأمين وحدة المسلمين فى أعيادهم ، وتوفيرا لمصـــــالح جماعة كبيرة من المسلمين ، موزعين فى أنحاء المعمورة ، يجب أن يهتم بهم ، ويشعروا أن المسلمين ــ حيثما كانوا ــ يتعاطفون معهم ، ويعملون على حل مشاكلهم ، وان الإسلام فى تشريعه ومبادئه وأهدافه ومقاصده ، صالح لــكل زمان ومكان ، رأيت أن أساهم فى ذلك ، ببيان بعض المراحل التى مرت بها الفكرة حتى نستبين الطريق السليم الذى نسلكه ، والباب المرجى الذى نطرقه .

١ ــ منذ مدة وأنا شاعر بالحاجة الماسة الى توحيد المواسم والاعياد الاسلامية ، لما رأيت فى شرقنا العربى من حالات مؤسفة ، بسبب التفاوت فى تاريخ الصوم أو العيد ، فى كثير من الاحيان ، ففى ســنة ١٩٥٢ م بدأ صوم رمضان فى الاردن وسوريا ، يوم السبت فى ١٩٥٢/٥/٢٤ ، وفى مصر يوم الأحد فى ٢٥ من الشهر المذكور ، وفى المملكة العربية السعودية

المواسم والأعياد الاسلامية

يوم الاثنين فى ٢٦ منه ، وعلى اثر ذلك كتبت مقالا نشر فى جريدة الدفاع الاردنية يوم الاثنين فى ١٠ رمضان سنة ١٣٧١ هـ (٢/٦/١٩٥٢ م) بينت فيه مذاهب الأئمة الاربعة ، وان المعتمد عندهم — عدا الشافعية — عدم اعتبار اختلاف المطالع ، فيصـــــوم أهل المشرق برؤية أهل المغرب ، وان الشافعية اختلفوا وصحح الامام النووى فى المنهاج عدم اعتبار اختـــلاف المطالع .

٢ — بما أن الاختلاف فى تاريخ الصوم وتاريخ الاعياد قد تكرر فقد أعدت الكتابة فى الموضوع للمراجع الرسمية — فى الاردن — وطلبت عقد مؤتمر اسلامى ، يضم علماء المسلمين ، لبحث هذا الموضوع ، بكتابى تاريخ ٤ شوال ١٣٧٤ هـ (٢٨/٥/١٩٥٥ م) .

٣ — اهتمت الحكومة الاردنية بالموضوع ، وكتبت للجامعة العربية ، فتألفت فيها لجان متعددة ، كان حصيلتها الموافقة المبدئية على الفـــكرة ، وضرورة عقد مؤتمر فى نطاق الجامعة ، وقد عقد هذا المؤتمر سنة ١٩٦٣ م فى تونس ، ولم يتفق مندوبو الدول العربية على رأى معين ، وأصرت تونس على الأخذ بالحساب ، وانتهى عند هذا الحد فى الجامعة .

٤ — حينما انعقد المؤتمر الأول لمجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة

سنة ١٩٦٤ م قدمت اقتراحا برغبة ، لبحث هذا الموضوع ومناقشته ، مع دعم ذلك بكتابة بحث فيه بيان وجهة النظر الشرعية ، والأدلة التي تستوجب الاعتماد على الحساب في العصر الحاضر ، وان ذلك مما تقتضيه رحابة الشريعة الاسلامية ومرونتها ، وسعة أفقها ، وشمول أحكامها ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

فأحال المجمع الموضوع ، مع البحث الذى قدمته ، لأحد اعضائه فضيلة الشيخ على السايس ، فقدم بحثا مستفيضا ، بين فيه مختلف آراء علماء المسلمين ، ووجهة كل منهم ، وذكر فى آخر بحثه أن الحساب الفلكي الشرعى ، المبنى على الوضع الهلالى ، وامكان رؤيته بعد غروب يوم ٢٩ من الشهر السابق ، بحساب الرؤية ، يصلح مناطا مستقلا لاثبات الشهر ، كما اختاره طائفة من العلماء الاثبات كالسبكى وابن سريج وابن مقاتل وغيرهم ، ورجحه فضيلة المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعى ، وان ذلك لا يتنافى مع أحاديث اثبات الشهور بالرؤية أو الاكمال ، بناء على أن المراد العلم بالرؤية لا حقيقتها .

ويدل على ذلك ما جاء فى بعض روايات الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم : « فان غم عليكم فاقدروا له » . فقد فسر من يرى من العلماء الأخذ بالحساب القطعى قوله « فاقدروا له » بمعنى فانظروه وتدبروا فيه ، من قولهم : قدرت الأمر ، نظرت فيه وتدبرته ، وذلك بالحساب عند من خصهم الله بهذا العلم . قال السبكى : والبحث فى الحديث فى موضعين ، احدهما قوله : فاقدروا له ، قال بعض من يقول باعتماد الحساب ، معناه : احسبوا له ، ويكون معناه قدره بالحساب والمنازل ، كما قال تعالى : « وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » (٥ يونس) ، قاله مطرف بن عبد الله من التابعين ، وابن قتيبة من المحدثين ، وابن سريج من الشافعية ، وابن مقاتل من أصحاب محمد بن الحسن ، وطائفة من المتأخرين ، قالوا : ولا يلزمنا مقال المازرى « من أن الناس لو كلفوا بالحساب لضاق عليهم ، لأنه لا يعرفه الا أفراد قلائل » ، لأنه انما يلزمهم ذلك ، لو كلف عامة الناس بالحساب ولم يقل بذلك أحد .. الخ .

رأى المرحوم الشيخ أبو العلا البنا

مدرس الفلك بكلية الشريعة بجامعة الأزهر

٥ — وممن تحدثت معه فى الموضوع ، المرحوم الشيخ محمد أبو العلا البنا ، وكان مؤيدا لفكرة التوحيد ، بناء على ما توصل اليه من معلومات دقيقة ، وحسابات صحيحة ، ومن المفيد أن أنقل بعض ما ذكره :

— ان جميع الحكومات الاسلامية تقع بين شاطىء آسيا الشرقى ، وشاطىء أفريقيا الغربى ، أعنى من شرقى جرينتش الى غربى جرينتش ، بمقدار تسع ساعات من ٢٤ ساعة دورة اليوم بقسميه الليل والنهار ، حول الارض من الشرق الى الغرب .

اذا علمنا ذلك تأكدنا أن البلاد الاسلامية كلها تجتمع فى يوم واحد ، دون تفرقة ، اذ يبدأ اليوم الاسبوعى والتاريخ للعالم الاسلامى كله ، من أبعد البلاد الاسلامية شرقا ، وهى الفلبين واندونيسيا والملايو قبل جرينتش ب ٨ ساعات ، ومثل العراق وباكستان ، ب ٥ ساعات ، وقبل مصر والسودان ب ٦ ساعات وقبل تونس ب ٧ ساعات ، وقبل مراكش ، التى هى أبعد البلاد الاسلامية غربا ب ٩ ساعات ..

ثم قال ، وأما وحدة هذا اليوم فى باقى بلاد الدورة من سطح الارض كأميركا فأمرها ظاهر ، (اذ أنه اذا ثبت رؤية الهلال فى أبعد البلاد الاسلامية غربا وهى مراكش ، وأذيع الخبر) فان أهل أميركا مثلا يكونون حينئذ فى عصر اليوم السابق أو فى ظهره أو فى شروقه ، وعندئذ يستقبلون هذا اليوم الجديد من أوله دون تغيير فى اسمه أو تاريخه .. الخ .

مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية

٦ — بعد الاطلاع على كل تلك البحوث والآراء ، قرر ما يلى :

أ) ان الرؤية هى الأصل فى معرفة دخول اى شهر قمرى ، للحديث الشريف ، لكن لا يعتمد عليها اذا تمكنت فيها التهمة .

ب) يكون ثبوت الرؤية بالتواتر والاستفاضة كما يكون بخبر الواحد ، اذا لم تتمكن التهمة فى أخباره ، ومن أسباب التهمة مخالفة الحساب الفلكى الموثوق به الصادر ممن يوثق به .

جـ) خبر الواحد ملزم له ولمن يثق به ، أما الزام الكافة فلا يكون الا بعد الثبوت عند من خصصته الدولة لذلك .

د) يعتمد على الحساب فى الاثبات اذا لم تتحقق الرؤية ، ولم يتيسر الوصول الى اتمام الشهر السابق .

هـ) يرى المؤتمر أنه لا عبرة باختلاف المطالع ، وان تباعدت الأقاليم ، متى كانت مشتركة فى جزء من ليلة الرؤية ..

و) يهيب المؤتمر بالشعوب والحكومات الاسلامية أن يكون فى كل

اقليم اسلامى هيئة اسلامية يناط بها اثبات الشهور القمرية ، مع اتصال بعضها ببعض ، والاتصال بالمراصد والفلكيين الموثوق بهم .

٧ ـ فهذا مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة الذى يضم عددا من العلماء المسلمين فى عدة اقطار اسلامية ، فتح الباب لاعتماد الحساب الموثوق به ، فى حالات خاصة ، يضاف الى ذلك ما يلى :

أ) ما قاله العلامة العبادى من الشافعية : اذا دل الحساب القطعى على عدم رؤية الهلال لم يقبل قول العدول برؤيته وترد شهادتهم أ. هـ. وعلق عليه القليوبى بما نصه : وهو ظاهر جلى ، ولا يجوز الصوم حينئذ ، ومخالفة ذلك معاندة ومكابرة (حاشية القليوبى على شرح المحلى للمنهاج ج ٢ ص ٤٩) .

ب) ما ذكره شيخنا المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعى ، مفتى الديار المصرية سابقا ، فى رسالته « ارشاد أهل الملة الى اثبات الأهلة » ، من اختيار القول بالعمل بالحساب الصحيح ، وان مما يؤيد ذلك ، أن أهل الشرع والفقهاء وغيرهم يرجعون فى كل حادثة الى أهل الخبرة وذوى البصيرة فيها .

الا ترى أن الحاسب اذا قال ـ بناء على حسابه ـ ان الخسوف أو الكسوف يقع ساعة كذا من يوم كذا ، وقع كما قال قطعا ولا يتخلف .. الى ان قال : ولم يكن السبكى مخترعا للقول بالاعتماد على الحساب ، بل ذلك قول فريق من العلماء ، منهم ، ابن سريج ومطرف ، وابن قتيبة وابن مقاتل الرازى وهو قول بعض كبار التابعين وكفى بأولئك قدوة .

جـ) ما بينه المرحوم الشيخ أحمد شاكر فى رسالته فى اثبات العمل بالحساب ، استنادا الى نصوص الأئمة الذين قالوا به ، من قبل ، وان الحديث الشريف : إنا أمة أمية .. الخ . خرج مخرج الكلام المعلل .. الخ .

د) ما أوضحه الاستاذ علال الفاسي ، من علماء الطبقة الاولى بجامعة القرويين ، فى رسالته (التى تتعلق بمبدأ الشهور الاسلامية العربية) .

فقد استعرض اقوال الفقهاء في العمل بالحساب ، ونقل عن القرافى فى الفروق ، فى الفرق الثانى والمائة ، ان فى الموضوع قولين عند المالكية وعند الشافعية .. ثم بين أن المشهور فى كل مذهب هو القول بعدم العمل بالحساب .. وان السبب فى ذلك يعود الى :

أولا : فهم الحديث الذى رواه البخارى ومسلم : انا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب .. الخ . على أن المقصود به المنع مطلقا من العمل بالحساب ، وان الرؤية هى الامارة الشرعية الواحدة حتى لو تبدلت الاحوال .

ثانيا : التخوف من الوقوع فيما وقع فيه البابليون وقدماء الامم الذين خالطوا التنجيم ، والخلط بين عبادة النجوم والسحر بها ، وبين استعمال الحساب والرصد لفائدة المعرفة وتدقيق السنين والحساب .

ثالثا : كون الاغلبية الساحقة فى العصور الاولى ، بل جميع الامم فيما قبل العصر العباسى كانت بعيدة عن اتقان الفلكيات حتى تستفيد منها .

وقد تطورت الاحوال وبقي معظم علمائنا علي القول بما قال به الأولون ، الا فئة يسيرة ، ممن أعملوا رأيهم من العلماء في كل عصر ، من بينهم ابن دقيق العيد ، فقد قال فى شرح عمدة الاحكام .. اذا دل الحساب على أن الهلال قد طلع فى الأفق على وجه يرى لولا المانع كالغيم مثلا ، فهذا يقتضي الوجوب لوجوب السبب الشرعى ، وليس حقيقة الرؤية بمشروطة فى اللزوم .. الخ .

ومن بينهم الشيخ الاكبر محيى الدين بن عربى فقد قال فى الفتوحات المكية : اختلف العلماء اذا غم الهلال (وبعد أن نقل الاقوال المعروفة) قال : ومن قائل إن ذلك يرجع الى الحساب بتسيير القمر والشمس ، وهو مذهب ابن الشخير وبه اقول .

ثم قال الاستاذ علال ، واذن فالقول باعتبار الحساب هو مذهب مطرف ابن عبد الله بن الشخير من أعيان التابعين ، وابن سريج والشافعي فى احدى المنقولات عنه ، ومحمد بن مقاتل الرازى ، وقال به بعض المالكية ، وهو مذهب ابن طاووس من الامامية ، وحكوه عن جماعة منهم ، كما يؤخذ من كتاب « فرج المهموم فى نهج الحلال والحرام من علم النجوم » لابن طاووس ، وكذلك العاملى فى الحبل المتين ، واليه مال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة . ثم أيد رأى الاستاذ أحمد شاكر ، فى أن حديث : انا أمة أمية .. الخ . خرج مخرج الكلام المعلل ، وهو ان العرب ، بل الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم من أمم العالم ، لم يكونوا على درجة من العلم يجعل نتائج حساباتهم قطعية .

أما اليوم فقد تطورت حال معرفة المسلمين للفلك ، ومنذ العصر العباسي وعلماؤنا يتعاطون هذا الفن ، وانضمت اليه الدراسات العصرية ، فلم يعد من الممكن القول بأن النتائج الحسبية ظنية ، بل هى قطعية بقدر ما تكون الرياضيات قطعية .

وعليه فما دام الحكم قد خرج معللا ، وما دامت العلة قد انتفت ، أى لم نعد أمة أمية ، بل أصبحنا نقرأ ونحسب ، فقد أرشدنا الحديث الى العمل بالحساب ، طبقا للقاعدة الاصولية ، العلة تدور مع المعلول وجودا وعدما .. الخ .

ثم ختم رسالته بنصيحة الى جلالة ملك المغرب وولاة أمور المسلمين فى كل الارض بالقيام بعمل موحد لضمان توحيد المواسم والاعياد والصوم والافطار تحقيقا لأعظم مظهر للاخوة الاسلامية فى هذا العصر .

٨ — وبعد هذا الاستعراض للمراحل التى مر بها بحث الموضوع ، ولأقوال ائمة المسلمين وعلمائهم فى القديم والجديد .

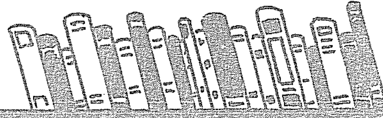
رأيي ..

أرى انه يجب على ولاة أمور المسلمين بحث هذه المسألة ، والخروج منها بموقف موحد ، يتفق مع ما يشعر به المسلمون فى كل صقع وقطر ، بحيث ييسر لهم أن يصوموا معا ، ويفطروا معا ، ويضحوا معا .

واعتقد — بعد ان اصبح للمؤتمر الاسلامى جهاز — أن المكـــان المناسب او الجهة المناسبة لبحث ذلك ودراسته والخروج به من حيز الفكرة والدراسة الى حيز التنفيذ ، هو ذلك المؤتمر ، لهذا أتوجه لأمينه العام الاستاذ حسن التهامى أن يهتم بالموضوع اهتماما متناسبا مع حاجة المسلمين اليه ، وارجو أن يطلع على الاسباب الوجيهة التى ذكرها الدكتور محمد عبد الرؤوف فى المقال المشار اليه آنفا ، وأن يوجه الدعوة لولاة أمور المسلمين مع جماعة من علماء المسلمين من كل صوب ، حتى يتفقوا على مخرج مناسب للعصر الحاضر ، ولكون الاسلام صالحا لكل زمان ومكان ، وأنه يتسع لحل المشكلات والمعضلات فى كل آن ، فانه دين الله الخالد وخاتمة الشرائع ، وليس فى القول باعتماد الحساب القطعى منافاة لاحكام الشريعة الغراء ، ولا مصادمة لخبر قطعى ، وحديث صوموا لرؤيته ، وحديث انا أمة أمية ، يمكن فهمهما فهما لا يتعارض مع اعتماد الحساب ، ولا يتنافى مع اللغة العربية ، ولا مع ما قاله الأئمة الموثوقون ، وقد المعت الى ذلك فيمــــا نقلت أعلاه ، وكون المشاهدة للهلال هى الوسيلة التى كانت معتمدة ومعولا عليها فى العصور الاولى ، لا ينفى الاعتماد على غيرها ، من وسائل العلم .

واعتقد أنه لو اتفق على أن تكون مكة المكرمة مركزا لمجمع اسلامى ، يضم العلماء الواعين من كل ناحية ، الذين يفقهون شريعة الله على حقيقتها ، سهلة سمحة ، كما يضم خبراء الحساب الموثوقين فى دينهم وعلمهم ، مع تأسيس مرصد اسلامى هناك ، والاستعانة بأحدث الوسائل والآلات ، لأمكن حينئذ أن يخرج المسلمون برأى موحد ، بالموافقة على تقويم اسلامى موحد ، يعين تواريخ صيامهم وافطارهم ، ومواسمهم وأعيادهم ، وفى ذلك خدمة للاسلام ، ووسيلة ناجحة فى هذا العصر ، من وسائل الدعوة اليه ، واثبات جدارته ليكون دين البشرية ، وأعتقد أن لنا فى كنوز المسلمين من الأئمـــة السابقين ، ما يساعدنا على الوصول لتلك النتيجة ، فليس من الحرص على الاسلام ، التمسك بأقوال ومفاهيم معينة ، ولو خالفت روح العصر ومصالح الناس ، ما دامت لا تتصادم مع آية قرآنية أو سنة نبوية ، وباب الاجتهاد لأهله مفتوح ميسر ، ويمكن للعلماء المشـــار اليهم وذوى الخبرة ، أن يروا رأيهم فى ذلك كله ، خصوصا ان أولئك العلماء الاثبات من الســــــابقين واللاحقين ، رأوا صحة الاعتماد على الحساب ، وان القول بالزام المسلمين بشهادة واحد أو أكثر ، بأنه رأى الهلال ، لا يمكن أن يتساوى بشهادات علماء الحساب القطعى ، والا وقفنا موقفا لا نحسد عليه ، ولا تؤيدنا فيه القواعد الصحيحة ، ولا روح التشريع الاسلامى ، وكنا كما قال القليوبى ، فى موقف المعاندة والمكابرة .

والله ولى التوفيق ، وهو الهادى لأقوم طريق .



اعداد الاستاذ عبد الستار محمد فيض

مكتبة المجلة

كيف ندعو الناس

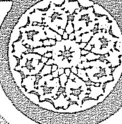
صدرت هذه الرسالة سنة ١٩٤٠ ، ثم أعيد طبعها عدة مرات ، وكان حجمها لا يتجاوز ٤٠ صفحة من القطع المتوسط ، وقد نفدت جميع طبعاتها منذ سنة ١٩٤٨ .

ويقول المؤلف الأستاذ عبد البديع صقر أنه أعاد كتابتها مع شيء من التوسع والتنقيح على ضوء ما افاد من التجربة ، وقد قسمها الى عدة رسائل منفصلة وهى : كيف ندعو الناس ، كيف تصبح داعية ، كيف تختار مكتبتك ، كيف تسلك فى جماعة ، وقد روعى فيها تجنب الاكثار من ايراد الاستشهادات والأمثلة وليس البحث ــ كما يقول المؤلف ــ تحقيقا علميا ، وانما هو خطة ارشاد وكان هدفنا الحرص على الايجاز ، فأثبتنا الكلمة المطلوبة لذاتها فقط مع مجانبة أى تعقيد فى اللفظ أو تكلف فى المعانى فهو حديث النفس للنفس لكى يفيد منه العامة والمثقفون على السواء .

والكتاب من منشورات المكتب الاسلامى ويقع فى ١٨٠ صفحة .

مناهج الاجتهاد فى الاسلام

بحث جديد وفريد فى موضوعه يتناول الاختلافات الفقهية ومناهج الفقهاء فى الأحكام الفقهية والعقائدية ، وقد تحدث المؤلف الدكتور محمد سلام مدكور فى التمهيد لهذا الكتاب على التعريف بالفقه الاسلامى والحكم الشرعى والدليل ونشأة الفقه الاسلامى وطرق استنباطه وبدء ظهور علم الأصول ومنهج الفقهاء وقسم الكتاب بعد ذلك الى ثلاثة أقسام تناول فيها مواد البحث باسهاب وتفصيل الى أن اختتمه ببيان ما يجب على المسلمين من الفقهاء المتخصصين والعلماء المخلصين فى مختلف العلوم والمعارف حيال الفقه الاسلامى فى عصرنا والكتاب بجزئيه يقع فى ثمانمائة وخمسين صفحة ومن طبع المطبعة العصرية ونشر جامعة الكويت .

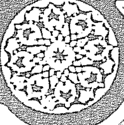


فكرة الحق من

للأستاذ سعيد زايد

يعرف الفيلسوف لينبز فكرة الحق بأنها نوع من القدرة الاخلاقية هى فى الغالب سبب لانتاج أى عمل أخلاقى أو منعه . وهذه القدرة هى الضابط الذى يقف حداً مانعاً بين ما للإنسان وما عليه ، وبها يمكن للانسان أن يسمح لظاهرة معينة بالحدوث أو يتدخل فى سبيل منعها .

وفكرة الحق وان كانت قديمة الا انه من الصعب التماسها فى الفلسفات القديمة وخاصة عند اليونان والرومان فعنصر المساواة لم يكن سائداً عندهم ، وهم الذين كتبوا كثيرا فى أخلاق السادة وأخلاق العبيد ، فطبقة الاشراف — عند الرومان — هى التى كانت تنتظم العشائر الرومانية القديمة ، أما العامة فلم يكن له شرف الدخول فى العشائر ولا يخضعون لحماية الاشراف ، ولقد كان أفراد طبقة الاشراف يتمتعون بجميع الحقوق العامة والخاصة ، أما طبقة العامة فقد كانوا محرومين من مباشرة معظم هذه الحقوق ، فلم يكن لهم — مثلا — حق الاقتراع داخل المجالس القديمة ولم يكن لهم حق تولى المناصب العامة ، ولم يكن لهم ايضا حق الزواج بالاشراف ولقد كانت الثروة العقارية فى أيدى الاشراف لأن الأرض كانت ملكا للعشائر الرومانية التى تتكون منها المدينة وهذه بالتالى كانت مقصورة على الاشراف وها هو أرسطو يرى المرأة أقل عقلا وليس بصحيح أن الطبيعة هيأتها للمشاركة فى الجندية والسياسة وانما وظيفتها العناية بالأولاد وبالمنزل تحت اشراف الرجل والعبيد يحصلون الثروة الضرورية لقوام الاسرة ويعتبر أرسطو الرق نظاما طبيعيا ، فالعبد آلة للحياة أو آلة منزلية يعاون على تدبير الحياة داخل المنزل . ويرى أرسطو أن هناك من الناس من ولد حرا ومنهم من ولد عبدا . فاليونانى — فى رأيه — سيد



الناحية الأخلاقية

حر ، والاجنبى عبد له لأنه بربرى ، ولا يستعبد اليونانى اخاه بأى حال .

ولقد ابرز الاسلام فكرة الحق واظهرها بوضوح فى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وتصرفات النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مما لا يدع مجالا للشك . فقد قال تعالى : « إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » ، « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والانثى بالانثى » . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى » ، وقال عمر بن الخطاب : « أخطأ عمر وصدقت امرأة » .

واهتمت الثورة الفرنسية ايضا بفكرة الحق ، فمحت الفوارق الاجتماعية ، ووضعت مبادىء الانسانية أو حقوق الانسان ، فأصبحت الفكرة بعدها ذات طابع علمى على أيدى العلماء والفلاسفة الذين وضعوا مبادىء الثورة فى قوالب علمية .

وبعد ، فما هى مقومات الحق وخصائصه .. ؟

ان أول صفة تظهر للعيان هى صفة القداسة ، وهذه الصفة تظهر فى ثورات الجماهير اذا ما أحست باعتداء على حقوقها التى اكتسبتها بمضى الزمن ، أو بالعرف أو بالتشريع ، أو حتى بمجرد المقارنة والتشبه بالمثل . وتظهر ايضا فى الشعور النفسانى الذى يعقبه الانفجار دفاعا عن حق مسلوب ماديا كان أم أدبيا .

ولكن هذه القداسة لا تعنى الانانية ، فللحق صفة أخرى متميزة هى صفة العمومية . وهى أن يقر الانسان لنفسه ما يقره لغيره ، ويعتبر المساواة عنصرا هاما من عناصر الحياة .

وهناك صفة ثالثة للحق هى أن ينشأ بمجرد ولادة الانسان ، فمن صفات الانسانية أن تصبح لأفرادها حقوق أولية ، مثل حق البقاء وحق الفكر .

ولقد انصبت فكرة الحق فى قوالب مختلفة عبر التاريخ ، فأخذت شكلا دينيا عند قدماء المصريين فى نظام القساوسة والكهنة ، وأخذت شكلا عرفيا عند اليونان فقامت على العرف السائد عندهم ، هذا العرف الذى كان له أثر فى كتابة فلاسفتهم . وهذا ما ظهر عند أرسطو فى فكرة (الشعب المختار) ، فقد ظنها أولية كلية ضرورية ، ولم يستطع أن يسمو فوق عرف عصره فيفطن ان الدهر قلب وان المرء لا يدوم له حال فمن يتمتع بمزية اليوم قد يفقدها غدا ومن حرم من مزية اليوم قد يكتسبها غدا ، فالنظم فى تحول دائم ، بل ان ارسطو لم يكن منطقيا مع فلسفته هو فقد قال بوحدة الماهية وثباتها ، وأن العوارض لا تحدث هذه الهوة — التى ذكرها فى التفرقة بين أفراد البشر — بين جزئياتها . فالعبد أولا واخيرا انسان وهذا يتعارض مع اعتباره مجرد آلة حية ، وتفاوت الناس خلقا وذكاء لا يخلق انواعا جديدة ، ولا يخرج جزءا من الاجزاء عن نوعه وطبيعته ..

وأخذت فكرة الحق شكلا قانونيا عند الرومان ، فالحضارة الرومانية ، وان كانت ترديدا للحضارة اليونانية ، الا أن العقلية الرومانية اتجهت الى الناحية العملية اكثر من الناحية التجريدية ، ومن ناحية أخرى كثرت الحروب والفتوحات الرومانية ، فتطلب ذلك أن توضح حقوق الغالب من حقوق المغلوب ، فصبت كل فى قوانين وتشريعات وبذلك يمكن التمييز عندهم بين حقوق ثلاثة هى : الحق المقدس ، والحق الانسانى ، والحق التشريعى الذى كان سائدا ويشرف على تنفيذه مجلس الشيوخ بروما .

ثم عادت فكرة الحق فأخذت شكلا دينيا فى القرون الوسطى على يدى المسيحية والاسلام ففى أواخر القرن الثالث للميلاد انتشرت النصرانية فى أوروبا فغيرت الافكار ونشرت أصول الاخلاق التى وردت فى التوراة ، وعلمت الناس ان الله مصدر الاخلاق ، فهو الذى يضع لنا القواعد نراعيها فى معاملاتنا ويبين لنا الخير من الشر ، والخير كل الخير فى ارضاء الله وتنفيذ أوامره ، وقد أقامت الاولياء والقديسين مقام الفلاسفة عند اليونان ولاسيما الرواقيين ، ولم تخالفهم كثيرا فى تقويم الاشياء خيرها وشرها ، وانما أهم ما خالفتهم فيه النظر الى الباعث النفسى على المعاملة ، فعند فلاسفة اليونان كان الباعث على عمل الخير المعرفة أو الحكمة مثلا ، وعند النصرانية انما ينبعث عمل الخير عن حب الله والايمان به . كانت النصرانية تطلب من الانسان أن يجتهد فى تطهير نفسه فكرا وعملا ، وتجعل للروح سلطانا تاما على البدن وعلى الشهوات ، ولذلك غلب على أتباعها الأولين احتقار البدن واعتزال العالم والميل الى الزهد والتنسك والرهبانية .

أما الاسلام فقد دعا الى الاعتقاد بأن الله مصدر كل شىء فى العالم ، فما فى الكون من ظواهر مختلفة ومخلوقات متنوعة من الحبة فى ظلمات الأرض الى السماء ذات البروج فانما عنه صدر ، وبه قام وانتظم . وكما خلق الانسان وضع له نظاما يتبعه وطريقا يسير عليه وشرع له أمورا من صدق وعدل أمره باتباعها وجعل السعادة فى الدنيا والنعيم فى الآخرة جزاء من اتبعها . وجعل عكسها من كذب وظلم رذائل نهى عنها وحذر من ارتكابها ،

وجعل الشقاء فى الدنيا والعذاب فى الآخرة عقوبة من ارتكبها . وان الله لم يأمر بما أمر اعتباطا ، ولا نهى عما نهى كذلك ، بل ان الله جعل صلاح الدنيـا يتوقف على أمور : من عـدل وصدق وأمانة ، وجعـل فسـادها بأضدادها ، فأمر بما يتوقف عليه صلاح الدنيا وانتظام شؤونها ، ونهى عما يسبب فسادها . ولقد أخذ اغلب من بحثوا فى الأخلاق من العرب عن الدين ، وكان الدين عمادهم فى أغلب ما كتبوا كالغزالى والماوردى . ولكن الفارابى وابن سينا واخوان الصفاء وابن مسكويه تأثروا بفلاسفة اليـونان فى بحـوثهم الأخلاقيـة .

واستمرت فكرة الحق تعتمد على أساس دينى حتى القرن الثـامن عشر الذى ضعفت فيه الحقوق على ايدى النظام الاقطاعى ، الى ان قامت الثورة الفرنسية واقامت فكرة الحق على أساس اخلاقى متميز تقابل فكرة الواجب .

وكما انصبت فكرة الحق فى قوالب مختلفة عبر التاريخ فقد اخذت اشكالا متباينة تبعا للمجتمعات التى قامت فيها ، وتطورت مع الزمن . ففى القبيلة مثلا كان الحق يأخذ شكلا جماعيا وينظر اليه كوحدة متماسكة يندرج تحتها المجموع ، فاذا اعتدى شخص من خارج قبيلة معينة على آخر ينتسب اليها هبت القبيلة تدافع عن الكرامة المهدرة والشرف المهان . ولقد تطور الحق الى أن صار حقا فرديا يحفظه القانون ويحميه الرأى العام ، سواء أكان عرفيا أم مكتوبا ، وأصبح أساسه التجريد والضمير ، فاحترام الحقوق الآن أميل الى الاخلاق منه الى القانون .

بقى أن نتكلم عن طبيعة الحق ، وهى عبارة عن ذلك الشعور الذى ينشأ مع طبيعة الانسان والذى يشعر به من حيث هو انسان له حق الحياة الحرة الكريمة . فالشعور بالحق سابق لكل تشريع ، يفهمه الفرد بمحض تفكيره الخالص ، فهو مخلوق له حق المساهمة فى بناء التراث الانسـانى والاجتماعى ، وهذا هو الحق الطبيعى .

ففهم الحق مشتق من طبيعة الانسان ككائن عاقل ، ولقد أشار اليه ارسطو فى كتابه عن الاخلاق ، وشيشرون فى نواميسه . ويذكر العلامة هوفدنج فى كتابه عن تاريخ الفلسفة أن الحق الطبيعى مظهر يمليه علينا العقـل السليم ، وبه نحكم على أعمـال الناس بالعدل أو بالأنانية . ويعتقد العلامة ديكارت أن الناس يولدون وكلهم متساوون فى المقـدرة العقليـة والمقدرة على التخلق ، وما الضعف الا عرض طارىء لاسـباب خارجية . ونجد مثل هذا الفهم عند العلامة روسو والعلامة كانط . وهو الفهم الذى قامت على أساسه الثورة الفرنسية .

ولكن هناك نظرية أخرى تبنى الحق على القوة وتشترط فيمن ينال حقا القدرة على حمايته ، وتاريخ البشرية خير شاهد على هذا ، فهو سلسلة من انتصارات القوة وما تبع ذلك من حقوق . ورائد هذه الفكرة هو العلامة الالمانى هيجل ومن تبعه من المفكرين . فالاخلاق شىء جميل حقا ، وهى تبشر

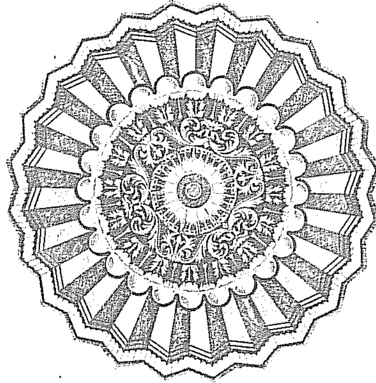
بالفضيلة الحقة التي تنزوي أمامها كل فضيلة أخرى ، الا وهي القوة . ومن يقل بغير ذلك انما يتستر خلف المبادىء البراقة التي تخدع البصر وتتخذ من فكرة الحق والانسانية ستارا لاستعباد الناس .

ولكن العلامة ميل والعلامة سبنسر ومن تبعهما مثل العلامة جيرنج المشرع الالماني لا يبنون طبيعة الحق الا على المنفعة الاجتماعية أو الصالح العام ، فالأنانية شعور متأصل عند الانسان ، وهي الشعور الذي بني عليه الحق . فمنذ القدم مارس الانسان الفتح والحروب وروى غليله من الانتصارات ورتب لنفسه حقوقا بناء على ذلك ، فعند الرومان — مثلا — كانت التشريعات تبنى على فكرة الانتصار والتمييز بين حق الغالب وحق المغلوب .

ومن هذه الروح التي تطورت على مر العصور ظهرت روح المنفعة الكلية والصالح العام ، وعليه فان الحقوق تبنى على المنفعة الكلية والصالح العام . وهكذا كانت الانانية أساسا للغيرية .

ويحسن — ختاما للبحث — أن نذكر أنواع الحقوق :

فهناك حق الحياة الذي ينشأ مع مولد الفرد ، وتجب المحافظة عليه واحترامه . وهناك حق الملكية ، وحق الحرية الشخصية ، وحق التفكير ، وأهم من هذا كله حق الجنس ، أي حق الانسان في التناسل . ولقد قال عنه العلامة أوجيست كونت : « ان الذي يحجم عن تحقيق هذا الحق الطبيعي اما شخص مريض جسميا او عقليا ، واما أناني عديم الاحساس الوطني والديني » .



بين المركز الثقافي الاسلامي في نيويورك والمركز الثقافي الاسلامي في ايطاليا

الافتاء والقضاء

للدكتور : سليمان دنيا

نشرت مجلة « الهدى الاسلامى » التى تصدر فى الجمهورية العربية الليبية في عددها الصادر فى شهر يوليو سنة ١٩٧٣ « بيانا صادرا عن المركز الثقافى الاسلامى بايطاليا تحت عنوان « موقف الاسلام من جراحة نقل القلب وغيره من الأجزاء البشرية » اشتمل على فتاوى لبعض مشاهير العلماء ، والمركز الاسلامى فى نيويورك يريد أن يلقى بدلوه بين الدلاء مشاركة منه فى البحث عن الحقيقة فيقول :

الافتاء والقضاء مهام يقوم بها المفتى والقاضى نيابة عن الله وعن رسول الله فان المفتى يقول عن فتواه « هذا ما أفادنا به الله ورسوله بخصوص هذا الأمر المستفتى عنه » وان القاضى يقول فى قضائه « هذا حكم الله ورسوله بخصوص الأمر المتنازع فيه » فأى خطأ يقع فيه القاضى والمفتى نتيجة لعدم البحث والتحرى والاحتياط ، هو أشبه بالكذب على الله ورسوله والله سبحانه وتعالى يقول (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) من سورة الأنعام الآية ١٤٤ .

ونعرض الآن للبيان :

أولا : يقول البيان (ان علماء الشرع الاسلامى الذين كانوا دائما وابدا من دعاة العلم والمعرفة والبحث فى أصول الأشياء والوقوف على حقائقها هم دائبون . فى بحث هذا الموضوع ، والقاء الأضواء عليه ، وتبيان مواقف الشريعة الاسلامية منه) ..

ثانيا : ويقول البيان (يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أنزل الله داء الا أنزل له دواء » ويقول صلى الله عليه وسلم أيضا « تداووا عباد الله ، فان الذي انزل الداء ، أنزل الدواء » وله صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث تعتبر من المبادىء الأساسية فى الطب ، كالحمية ، والحجر الصحى ، والنظافة ، وغير ذلك) .

وهذه الفقرة تبين موقف الاسلام من الطب ، فهو يأمر به ، ويبين أهميته ، ويشرح بعض أصوله ومبادئه .

ثالثا : ويقول البيان أيضا (وللتداوى لا بد من عالم بأصوله ، واقف على حقائقه ، وان تعلم الطب والعمل به فرض كفائى يتعلق بذمة الأمة ، فاذا فعله البعض سقط وجوبه عن الآخرين .

وإن لهذا العلم عند المسلمين مكانته المرموقة ، وهو مقدم على علم الأديان ، وإن هذا التقديم من قبيل عموم منفعته لكل البشر ، حتى الحيوانات والنباتات) .

أ ــ حقا إنه لا بد للتداوى من عالم بأصوله ، واقف على حقائقه .

ب ــ وحقا إن تعلم الطب والعمل به فرض كفائى يتعلق بذمة الأمة ، فاذا فعله البعض سقط وجوبه عن الآخرين .

جـ ــ وحقا إن لعلم الطب مكانته المرموقة عند المسلمين . كما تدل على ذلك الأحاديث السالف ذكرها .

د ــ أما أن علم الطب مقدم على علوم الدين ، من قبيل عموم منفعته لكل البشر حتى الحيوانات والنباتات ، فشىء أخذت أقلبه على وجوهه :

١ ــ فقلت : لعل المقصود أن علم الطب مقدم على علم الدين بالزمان ، لا بالرتبة ، فالأمة قبل أن تتعلم ما يلزمها من الدين عقيدة وعملا ، يجب أن تتعلم ما يلزمها من الطب دراسة وتطبيقا .

ولكن هذا الترتيب الزمنى بين الطب والدين بحيث أن الأمة تتعلم الطب أولا وبعد ذلك تتعلم الدين ، أمر لا نجد له مساغا يبرره .

فانه ، كما ان العلم بأصول الطب والوقوف على حقائقه ، فرض يتعلق بذمة الأمة إذا فعله البعض سقط عن الباقين ، كذلك العلم بأصول الدين والوقوف على حقائقه ، يتعلق بذمة الأمة ، إذا فعله البعض سقط وجوبه عن الباقين ، كما قال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذ رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) .

وليس هناك ضرورة تدعو الى أن يتأخر علم عن علم ، ما دام كل منهما فرضا كفائيا ، فان فى وسع الأمة أن تقوم بتعلم العلمين فى وقت واحد ، بأن يتخصص فريق منها فى دراسة هذا العلم ، وفريق آخر فى دراسة العلم الآخر . واذن فالحكم بأن علم الطب له الأولوية فى أن تبدأ به الأمة قبل علم الدين ، غير صحيح .

٢ ــ لذلك قلت : لعل المقصود ان علم الطب مقدم على علم الدين بالرتبة والمنزلة بمعنى ان الأمة ينبغى أن تضع علم الطب فى المنزلة الأولى ، وعلم الدين فى منزلة بعد ذلك ، ويبدو أن هذا المعنى هو المراد من العبارة ، بدليل ما

جاء فيها من أن منفعة الطب أعم من منفعة الدين ، حيث يستفيد من الطب جميع البشر مؤمنين وكافرين ، وايضا الحيوانات والنباتات .

ولست أظن أن فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسول الله ، ولا فى كلام الأئمة المجتهدين شيئا يؤيد هذا الراى ، أو يشهد بصحته .

واذن فالعبارة غير صحيحة بأى معنى من المعانى ، ومن المؤسف أن يوجد فى سجلاتنا الاسلامية عبارات كهذه مبعثرة هنا وهناك ، لا يعرف قائلها ولا ما يشهد بصحتها ، تقع عليها أعيننا ولا نقف عندها نبحثها ونمحصها ، ثم تحت تأثير كثرة سماعها وقراءتها يقع فى أنفسنا شعور بصدقها ، ثم لا نلبث أن نحكيها ونستشهد بها . وهذا خطأ كبير ينبغى أن لا يفوتنا تداركه .

رابعا : ويقول البيان (وبصدد نقل القلب فقد أفاد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر بيانا يتضمن : أن نقل قلب الميت ، أو أى جزء منه ، إلى غيره من الأحياء ، أمر جائز شرعا،ولايعتبر إهانة للميت ، ولا ماسا بكرامته الآدمية ، لأنه مقصود بمنفعته الحى ، والانسان لم يخلق لنفسه فقط ، بل لنفسه ومجتمعه ، فهو مطالب بالجهاد والتضحية بالنفس ، فى سبيل الذود عن الأمة والوطن ، وان أخذ جزء من الميت لينتفع به الحى أيسر عملا وأهم شأنا من التضحية بالنفس فى باب المنفعة العامة) .

ويتضمن بيان رئيس لجنة الفتوى ما يلى :

أ ــ أن نقل قلب الميت الى غيره من الأحياء جائز شرعا .

وهذه هى الدعوى .

ب ــ أن هذا النقل (لا يعتبر إهانة للميت ولاماسا بكرامته الآدمية ، لأنه مقصود بمنفعته الحى) .

وهذا تبرير للدعوى ، ببيان أن شق صدر الميت وانتزاع قلبه منه ، ليزرع فى صدر مريض ، لا يلحق بالميت إهانة ولامساسا بكرامته ، لأن القصد من وراء ذلك ، هو نفع غيره من الاحياء .

وفى هذا التبرير مجال لقول ، لأن سلامة القصد لا تغير من طبيعة الفعل . ارايت لو أن شخصا صفع آخر على وجهه فى مجتمع عام ، فذهب المضروب يشكو الى القاضى ما لحق به من إهانة ، فأدلى الضارب أمام القاضى بما جعله يقتنع بأن لهذا الصفع ما يبرره ، فماذا يقول القاضى للشاكى ؟ انه لا يقول له : أنت لم تهن ؟ بل يقول له : انك تستحق ما نزل بك من اهانة ، فتبرير الاهانة لا ينفى أنها اهانة، كذلك الجمع الذى شهد الصفع ، يقول عن الضارب إنه ظالم لأنه أهان المضروب ، لكنه بعد أن يعلم أن الضارب ينتقم لنفسه من ظلم سبق وقوعه عليه ، يقول : ان المضروب يستحق ما نزل به من إهانة ، وايضا فالمضروب نفسه حين يلقى هذا الجمع بعد الضرب ، يحس بالخزى من الاهانة التى لحقت به ، ولا يمحو عنه الشعور بالخزى علمه بأن هذا الجمع مقتنع بعدالة ما لحق به .

واذن فالحق أن يقال : إن شق صدر الميت وانتزاع قلبه منه ، اهانة له ، ومن أجل ذلك اعتبر ذلك محظورا ، لكن دعت الى ارتكاب هذا المحظور ضرورة

وعند ذلك نجد انفسنا وقوفا أمام القاعدة القائلة : (الضرورات تبيح المحظورات) كما فعل فضيلة المفتي في فتواه التي سنعرض لها فيما بعد .

جـ ـــ (أن الانسان لم يخلق لنفسه فقط بل لنفسه ومجتمعه ، فهو مطالب بالجهاد والتضحية بالنفس في سبيل الذود عن الأمة والوطن ، وإن أخذ جزء من الميت لينتفع به الحي ، أيسر عملا ، واهم شأنا من التضحية بالنفس في باب المنفعة العامة) .

وهذا تبرير آخر للحكم ، وهو أشبه بعمل قياسي ، مفاده : أن شق صدر الميت وانتزاع قلبه منه ليزرع في صدر حي آخر تتوقف حياته على زرعه يقاس على تضحية الانسان بحياته دفاعا عن امته ووطنه .

فأركان القياس كما تؤخذ من الفتوى هي ما يلي :

(١) الفرع المقيس وهو نقل قلب الميت الى جسم شخص مريض .

(٢) الأصل المقيس عليه ، وهو بذل المجاهد روحه ، دفاعا عن وطنه وامته .

(٣) وجه الشبه الجامع بينهما الذي هو علة الحكم ، وهو بذل ما تدعو إليه المصلحة ، الشامل (لبذل قلب الميت ، للمريض المحتاج اليه) و (بذل روح المجاهد دفاعا عن وطنه وامته) .

ويلاحظ على هذا القياس ما يلي :

أ ـــ أن حكم البذل في الأصل المقيس عليه ، هو الوجوب ، فان الجهاد في سبيل الأمة والوطن حين تتوفر أسبابه ، يكون واجبا . وحكم الأصل يثبت للفرع ، فعلى هذا يكون حكم نقل قلب الميت الى المريض المحتاج إليه ، واجبا . ولكن صاحب الفتوى لم يشأ أن يسير مع القياس الى نهايته ونتيجته ، فعدل بالجهاد عن حكمه الذي هو الوجوب ، الى شيء آخر أسماه المطالبة ، والمطالبة كلمة عامة تشمل الطلب الحتمي الذي هو الوجوب ، والطلب غير الحتمي الذي هو الاستحباب .

فان أخذناها بمعنى الوجوب ، وقعنا فيما وقعنا فيه سابقا . وأن أخذناها بمعنى الاستحباب ، غيرنا حكم الجهاد الذي هو الوجوب . وان أخذناها الى جانب نقل القلب بمعنى الاستحباب ، وإلى جانب الجهاد بمعنى الوجوب ، خالفنا طبيعة القياس ، فان القياس هو إلحاق شيء بشيء في حكم لمعنى جامع بينهما هو علة الحكم .

وفضلا عن هذا كله : فإن الدعوى التي كان هذا القياس من أجل اثباتها هي أن نقل قلب الميت الى جسد المريض جائز ، ولا سبيل الى جعل الجهاد جائزا حين تدعو دواعيه وتتوفر أسبابه ، فالقياس على أية حال غير تام .

ب ـــ أن الفتوى جعلت الفرع المقيس الذي هو نقل قلب الميت الى جسد المريض أولى بالحكم من الاصل المقيس عليه الذي هو الجهاد وذلك حيث تقول (وان أخذ جزء من الميت لينتفع به الحي أهم شأنا من التضحية بالنفس في باب المنفعة العامة) .

ثم هى تجعل حكم الفرع ، المقيس ، الجواز ، وذلك ينزل بحكم الجهاد الى ما دون الجواز .

جـ ــ وهل صحيح ما تدعيه الفتوى من أن المنفعة الخاصة اهم شأنا من المصلحة العامة ، ان المعروف أن الأمر على العكس ، وأن المصلحة العامة اهم من المصلحة الخاصة .

د ــ ثم إن الفتوى تقول : (ان أخذ قلب الميت لينتفع به الحى أيسر عملا من التضحية بالنفس) وقضية اليسر فى العمل أمر غير واضح ، فان المرء فى الحرب قد يقتل بضربة ، أو طعنة برمح ، أو بسيف ، أو بشظية من قنبلة ، وشق الصدر وانتزاع القلب منه ، أشد من ذلك كله عنفا ، واكثر مشقة . اللهم الا أن يقال : ان الفتوى تقصد أن شق صدر الميت وانتزاع قلبـه منه ، يتم دون أن يشعر الميت بألم ، مع أن التضحية بالنفس دفاعا عن الأمة والوطن ، تتم مصحوبة بألم ، ولكن اذا كان هذا هو المراد فصحة العبارة (أيسر ألما) على أنى لا أسلم أن عملية شق صدر الميت وانتزاع قلبه منه ، تتم بدون ألم ، فقد مر بى من الآثار ما يفيد أن الميت يتضرر كما يتضرر الحى .

هـ ــ ثم ان الدعوى قد سيقت سياقة عامة تشمل نقل قلب الميت المؤمن الى جسد المشرك وبالعكس . فهل القياس الذى أوضحناه فيما سبق ينتج أن نقل قلب الميت المؤمن ، الى جسد المريض المشرك . أهم شأنا من الجهاد فى سبيل الأمة الاسلامية والوطن الاسلامى ، أو يساويه ، اللهم لا .

خامسا : ويقول البيان (ومما قاله مفتى الديار المصرية ، تقرر القاعدة الاسلامية « بأن الضرورات تبيح المحظورات » ففى ضوء هذه القاعدة نقرر أن استعمال القلب بأخذه من جسم انسان أمر غير جائز ابتداء ومحظور ، لأن الواجب تكريم جثة الميت والمحافظة عليها الا اذا دعت الضرورة الى غير ذلك ، فيجوز العدول عن هذا الأساس بالقدر الذى تقتضيه الضرورة ، فاذا قرر الاطباء المختصون أن زرع القلب فى جسم آخر ، مما يفيد وينقذ من الموت ، جاز ذلك وأيدته الشريعة الاسلامية ، فى الحدود السابقة) .

ولا شك أن القاعدة المذكورة فى الفتوى هى من مقررات الفقه الاسلامى ، ولكن تطبيقها يتطلب دقة واحتياطا شديدين ، رغم ما يظن بها من السهولة والوضوح . فمثلا لو كان لرجل بيت الى جانب المسجد ، وضاق به البيت ، وظن أن له الحق فى أن يضم اليه قطعة من المسجد بناء على قاعدة (أن الضرورات تبيح المحظورات ورفع الأمر الى أولى الأمر قائلا : انى أعلم ان أخذ قطعة من المسجد محظور ، ولكن ضيق بيتى ضرورة تبيح لى هذا المحظور ، فلا شك أن أهل الفقه فى دين الله يرفضون طلبه رغم ما يبدو من أن القاعدة تشهد له ، وتؤيد وجهة نظره ، لان تأييد القاعدة الفقهية لوجهة نظره انما هو فى الظاهر فقط ، أما بعد أن نتبين مقدار الحظر ومقدار الضرورة ونقارن بينهما فسوف يظهر أن الواقع على خلاف الظاهر ، هكذا :

المسجد هو المكان الذى يؤدى فيه المسلمون الصلوات ، ويعكفون فيه على

عبادة ربهم أوقاتا متفرقة من العام ، ويتلقون فيه دروسا فى الدين ، ويجمعون فيه التبرعات للأعمال الخيرية ، وفيه يتدارسون مشاكلهم الدينية والسياسية والاجتماعية والحربية ، وهو مملوك لله ليس من حق أحد أن يتصرف فيه الا بما يرضيه ، وفى تضييقه تفويت لهذه المصالح أو لبعضها وفى تفويت هذه المصالح أو بعضها مضار تلحق بجماعة المسلمين .

أما البيت فهو مملوك ملكية خاصة ، تعود منفعته على صاحبه خاصة وفى ضيقه مضرة تلحق بصاحبه خاصة .

وفى الاخلال بمصالح المسلمين فى هذه النواحى كلها ، مضار أعظم من مضرة ضيق المنزل التى تلحق بصاحبه خاصة . ولا يضحى بمصلحة كبيرة صيانة لمصلحة صغيرة ، لذلك فانه اذا كان ظاهر القاعدة يؤيد وجهة نظر من يطالب بتوسيع بيته باضافة جزء من المسجد اليه ، فواقع أمرها يشهد ضده ويعارضه ولا يؤيده ..

فهل تمنا بتطبيق هذه القاعدة الفقهية على فكرة نقل قلب الميت الى شخص مريض ، على هذا النحو من المقارنة بين الضرورة التى تدعو الى هذا النقل ، وبين الحظر الذى يمنع هذا النقل .

ان الفتوى تعترف صراحة بأن هذا النقل محظور شرعا ، ولكنها اقتصرت حين تعرضت لذكر أسباب هذا الحظر على ما ورد الامر به من وجوب تكريم جثة الميت والمحافظة عليها ، كأن لم يكن هنالك من الاسباب سوى ذلك ، فما رأى صاحب الفتوى فيما اشترطه بعض رجال القانون من ضرورة استئذان الميت قبل موته ، أو استئذان صاحب الحق فى ذلك بعد موت الميت اذا فات الحصول على اذن منه نفسه . وأنه اذا لم يتم الحصول على هذا الإذن فلا يجوز نقل القلب ؟ وما رأى صاحب الفتوى أيضا فيما أثر من أن جسد الميت يتضرر كما يتضرر جسد الحى ، فهذان سببان مانعان ينضمان الى السبب الذى ذكرته الفتوى نفسها فتكون الأسباب ثلاثة . ولعل هنالك أسبابا أخرى يكشف عنها البحث ، لو اعطينا الامر من العناية ما يستحقه . هذا هو جانب الحظر وهذه هى أسبابه .

أما جانب الضرورة ، فهو الأمل فى شفاء المريض ، وهذا الأمل قد يكون من وجهة نظر رجال الطب يقينا أحيانا — رغم أن علم البشر المحدود لا يمكن أن يبلغ فى مثل هذا الأمر درجة اليقين ، لأن أمر الحياة والموت بيد من لا يملك الطب ورجاله ان يعترضوا طريق ارادته — وقد يكون هذا الامل أحيانا أخرى ظنا راجحا ، وقد يكون امكانا صرفا ، وقد لا يكون هناك أمل قط ، وهذه الحالات ليست كلها جديرة بالاعتبار ، فينبغى أن لا يؤخذ منها الا ما يكون يقينا أو ظنا راجحا .

وقد احتاطت الفتوى فذكرت — كشرط لجواز نقل قلب الميت — أن يقرر الاطباء المختصون أن زرع القلب فى جسم آخر مما يفيد وينقذ من الموت .

ولكن هل هذه الفائدة المذكورة فى جانب الضرورة ، تعدل الامور الثلاثة المذكورة فى جانب الحظر — امتهان ما أمر الله بتكريمه ، والاعتداء على حق

الغير بدون اذنه ، وايقاع ألم بالغ به ـ ولا سبيل الى الحكم بجـواز نقل قلب الميت ما لم يتم التأكد من أن هذه الفائدة الواحدة ترجح هذه الأمور الثلاثة ، أو على الاقل تعدلها ، وعندى أن هذا التأكد أمر بعيد المنال ، ثم لو كان هذا المريض مشركا ، أيرجح انتفاعه بقلب الميت المسلم ، هـــذه الامــور الثلاثة ؟ إن الحكم بالايجاب جراة ليس لها ما يبررها .



انى لا اشك فى اخلاص النوايا التى تكمن وراء هذه الفتاوى ، انها تريد عقد لقاء بين الاسلام والمدنية الغربية ، حتى لا يتهم الاسلام بالتخلف والرجعية ، ولكن اية مدنية هذه ، تلك التى يراد للاسلام أن يلتقى معهـا أهى التى أبـاحت الزنا والخمر والميسر والربا وأكل الميتة ، والاجهاض والتلقيح الصناعى ، وسلبت الحريات ، وقتلت الأبرياء ، وكفرت بأنعم الله ؟ ان الاسلامقد نزل لاصلاح مثل هذه الجاهلية التى أطلقوا عليها زورا وبهتانا اسم المدنية . وكيف يتم اللقاء بينهما والأمر كما قال القائل :

سارت مغربة وسرت مشرقـا   شتان بين مشرق ومغـرب

انى لأذكر أنه حينما ثار جدل فى الصحف والمجلات حول جواز أو عدم جواز تشريح جثة الميت لمعرفة تكوينها ، وأمراضها ، ووسائل علاجها ، صارت رؤوس الموتى توجد ملقاة هنا وهناك فى الازقة والطرقات ، وتهتم الشرطـة ظانة أن جنايات ارتكبت ، فيهديهم بحثهم الى أن بعض طلبة الطب أشتروا هذه الرؤوس من حراس المقابر لفحصها ، ثم بعد أن يتموا عملهم عليها ، يلقون بها من نوافذ حجراتهم ، والعلوم ومنها الطب تتقدم بسرعة مذهلة ، فربما يصبح فى امكان رجال الطب زرع العين والاذن واللسان والمخ والرئة والكبد والكلية والمعدة والايدى والأرجل ، وعندئذ يصبح الموتى من الاهمية بمكان للأحياء ، وعندئذ يقال : ان الضرورة تقضى بحفظ الصالح من أجسام الموتى فى الثـلاجات والفترينات كقطع غيار طبيعية عوضا عن قطع الغيار الصناعية .

فيا عباد الله اتقوا الله فى دين الله ، ولا تكونوا أحرص منه على دينه فهو أعرف بمصلحة عباده واحرص عليها من غيره ، وحسبكم أن تبلغوا الدين كما بلغ اليكم ، فالله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم (فانما عليـك البلاغ) ويقول جل شأنه لعامة خلقه (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها)

تراثنا الحضاري

علم مؤمن وعمل عامر

للشيخ : محمد الصادق عرجون

تقوم الحضارات كيفما كان لونها وزمنها على دعائم العلم في صوره وأشكاله وفنونه التي أبدعها ويبدعها الفكر الانساني منذ انطلق العقل البشرى جوابا في أودية الحياة ، يمهد لها ، ويدفعها في مدارج التقدم العملى ، تبنى وتشيد ، وتجدد .

فالعلم هو الأصل في بناء الحضارات ، والعمل ثمرته وتطبيقه ، فلا وزن لعلم لا يثمر عملا ، ولا ثمرة لعلم لا يأخذ مجاله من التطبيق الايجابى الذى يعطى الحياة قوتها الدافعة ، ويدفعهمـــا الى مداها المقدور لها في آفاق الرقى الفكرى والاجتماعى ، والعمرانى ، ليسعد في ظلها الذين يواكبونها في سيرها المنطلق من أغلال الجمود ، والذين يسيرون معها في موكبها التقدمى حذرين ، يخافون الطفرة ، ويخشون المزالق ، ولكنهم لا يتخلفون في الطريق ، لأنهم يعرفون أن للعلم نزواته وأن للجهل سقطاته ، فلا يطغيهم العلم ببريقه فيندفعون معـــه دون تقدير لموضع خطوهم ، ولا يتقاعسون عن وثبة جهالة لمسالكه ، فـــاذا علموا عملوا ، واذا عملوا جددوا ، واذا جددوا كان تجديدهم دعما لركائز الحياة الكريمة ، والحياة الكريمة لا ترتكز الا على دعائم الايمان بقيوم السموات والأرض ، والايمان بسننه التي جعلها وشـــائج في نظام الكون ، تعتمـــد عليها روابط ذراته في جميع أنحائـــه « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهمـــا من أحد من بعده » ، « ألم تر أن الله ســـخر لكم ما في الأرض والفلك تجرى في

البحر بامره ويمسك السمــــاء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم » .

وسنن الله في الكون هي آياته التي لا ينفرد العقل الانســاني بادراك اسرارها التي تكمن وراء ظواهرها ، فلا بد له من مرشــد يرشده ويوجهه ، وينصب له في طريق ســيره منائر الهداية حتى لا يضل الطريق ، اولئك رسل الله الذين يصــطفيهم الله لهدايه الانسانيه بمقود الوحى الــذى يطلع الرســل على غيب الله ، فيريهــم مكنون صنع الله تعالى في ملكه مشهودا لهم ، لأنه تعالى يرفع عن بصائرهم حجب الغيب فيشهدون الحقائق الكونية كما هي في واقعها من الكون ، فاذا أخبروا عن حقيقة من هذه الحقائق الــكونية كان إخبارهم عن يقين الشهود الــذى خصهم الله بــه ، ليرشدوا العقــل الانساني في سيره الى كشف حقائق الكون بطريقتـه النظرية المتدرجة حتى لا يفجأ بما ليس في طاقته احتماله .

وهذا الايمان بالله تعالى قيوم السموات والارض ، والايمان بسننه في نظام الكون وآياته ، والايمان بضرورة مرشد للعقل يهديه الطريق في سيره للتعرف على أسرار الكون ومظاهره وآياته الدالة على جلال الله وحكمته في تدبير ملكوته ، وانعامه على الانســان بما سخر له من عوالم الملك والملكوت ، ومعرفة أن هذا المرشد الذى يتهدى به العقل هو رسول من الله ، يدعو الخلق الى اخلاص الايمــان لله تعالى ، وتفريده بالعبودية له وحده ، والقيام بحق شكره على إنعامه وفضله .

هذا الايمان بضروبه وانواعه هو فيصل التفرقة بين تراثنا معشر المسلمين الذى قامت على دعائمه حضارتنا الاسلامية ، واحتلت مكانها في تاريخ البشرية ، وبين تراث غيرنا الذى قامت عليه حضاراتهم في الماضي والحاضر .

فتراثنا الحضارى علم مؤمن يعتمد على معرفة الله تعالى مدبر الكون وخالقه ، وإفراده بالتعبد له ، والشكر على إنعامــه وفواضله ، ويعتمد على الاعتراف برسالات الله وتصديق رسله فيما أخبروا به عن الله تعالى من آيات ودلائل وبراهين ، وشرائع للتعبد ، وارشاد الى ما يصلح الحياة للناس حتى يمكنهم تسخيرها والافادة منهــا فيما يعود عليهم بالنفع والاصلاح ، وأن هؤلاء الرسل هم الذين يستهدى بهم العقل في سيره لكشف آيات الله في الكون ، وهذا الاســتهداء بالرسل هو العاصم من الوقوع في المزالق التى يواقعها العقــل اذا جمح واستقل بنفسه في سيره ، كما هو مشهود في وثبات العقل التى انطلقت متحررة من مراشد الاستهداء برسالات الله تعالى ، وما جاءت

به من آيات بينات ، ترسم للعقل محجته التي يسلكها في اقامة الحياة الفكرية على دعائم الايمان .

هذا هو العنصر الأول في تركيب التراث الحضاري في الاسلام ، وهذا العنصر لم يقف به تاريخ الاسلام والمسلمين في عصور ازدهار الحضارة الاسلامية عند حد التفكير والنظريات المجردة ، والشطحات المثالية ، ولكنه حوله الى عمل يعمر الحياة ، ويقيمها على ركائز الاصلاح والتقدم في سبيل منفعة الانسان وسعادته ، ومنفعة الانسان وسعادته ليست شهوات تقضى ، ورغائب غرزية تحقق ، وانما هي تطييب للحياة ، واحلاء لتذوقها بمقاييس تعتمد على التناسق في مظاهر الوجود الحسي ليتناسب مع عمل الفكر .

فالعمل العامر للحياة هو العنصر الثاني في تركيب تراثنا الحضاري ، ذلك التراث الذي خلفه الرعيل الأول من بناة المجتمع الاسلامي على دعائم العلم المؤمن ، والعمل العامر ، فالايمان عند المسلمين أكسب علمهم قوة الدفع الى خوض مجالات التعرف على الظواهر الكونية ، بما أتاحه الله تعالى للانسان من نعمة تسخير تلك الظواهر ، حتى يملك الانسان زمامها ، ويخضعها لارادته في الافادة منها والانتفاع بها تحقيقا لمعنى قوله عز وجل « الم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » .

ولا يمكن أن تتحقق نعمة التسخير الا بالعمل الذي ينهض الحياة ويجدد ديباجتها ويعمرها بمظاهر الحضارة والتقدم في كل جانب من جوانبها .

وقد كان للتراث الاسلامي القائم على العلم المؤمن ، والعمل العامر ، أثره القوي في بناء الحضارة الاسلامية وتوجيهها في مجالات الفكر والاجتماع ، والتربية السلوكية للأفراد والجماعات ، والأمم والشعوب ، توجيها وضع في يد هذه الحضارة المؤمنة زمام القيادة الانسانية ، ردحا من الزمن ، كانت فيه تلك الحضارة رائدة الاصلاح والتقدم في الحياة ، يوم أن كانت حضارات الغابرين رسوما وأطلالا ، لا حس فيها ولا شعور لها ، وانما هي ذكريات جامدة لا تحلى ولا تمر ، ويوم لم يكن لمعاصري الحضارة الاسلامية أثر من آثار حضرية توضع معها في ميزان .

والتاريخ شاهد على تفرد الحضارة الاسلامية في اعطاء الحياة صورتها التقدمية الناهضة ، قبل أن تستلب منها أسبابها وعواملها ، بما منيت به الأمة الاسلامية من فرقة شتتت جمعها ، ومزقت شملها ، وأخفتت صوتها ، وأوقفت سيرها ، وعطلت عملها في العمران

والتشييد ، وجمدت تفكيرها ، وحلت عقد نظامها الاجتماعي ، وفصمت عروة وحدتها ، وبددت أهدافها ، وقلصت آمالها ، وناءت كواهل أبنائها عن تحمل عبء تراثها ، فلم يستطيعوا ان يسيروا في طريق أسلافهم ، ولا أن يهتدوا بهديهم ، فلم يحسنوا توجيه تراثهم ، بل عجزوا عن حراسته والحفاظ عليه ، فتبدد منهم في متاته الحياة ، وتخاطفته ذئاب الأمم المتربصة بالاسلام وحضارته ، الحاقدة على المسلمين وتقدمهم ، فحرفوا تراثهم إلحادا ، بما أدخلوه عليه من مذاهب ونحل وخرافات وأساطير ، وآراء ونظريات لا يعرفها الايمان ، ولا تعرفها شرائع الاسلام .

وغفى المسلمون في ظل هذا التحريف اغفاءة طال فيها غطيطهم ، وامتد فيها زمن جهالتهم التى صحوا منها على حشرجة كابوسها وهو يكتم أنفاسهم ، وتحسسوا حياتهم فاذا هي فراغ يلفه فراغ ، يفكرون بغير عقولهم ، ويعيشون في أوطانهم على غير شخصيتهم الاسلامية ، ويحيون حياة مستعارة لا تمثل شيئا من خصائصهم الحضارية التى كانت لهم ، يوم أن كانوا باسلامهم أمة التراث الحضارى العليم المؤمن العامل العامر .

وشغلنا تفرقنا شيعا وأحزابا ، ومذاهب وآراء عن حقيقة أمرنا في واقعنا وتاريخنا ولم تشغل أعداء الاسلام شهواتهم ومتعهم عن احتضان تراثنا الفكرى ، فتدارسوه ، وتخيروا منه لأنفسهم ما رأوا فيه خير دنياهم ، فعملوا به ، واتخذوه منهجا لحياتهم ، وآتاهم الله حرث الدنيا بأيدينا ومنهج تراثنا ، تحقيقا لسنته في الحياة ، فانه سبحانه وعد من أراد الدنيا وعمل لها بجد وصدق أن يؤتيه منها ، قال عز شأنه : « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها » . وقال تبارك اسمه « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد » وقال جل جلاله « ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب » .

هذه سنة الله تعالى في المجتمع البشرى ، يقررها القرآن الكريم في مواضع منه متعددة يؤكد بعضها بعضا للتدليل على أن الله تعالى يحقق للعزائم القوية والارادات المصممة مقاصدها في هذه الحياة التى لم يجعلها دار جزاء في الثواب والعقاب ، ولكنه تعالى جعلها دار كفاح وكد ونصب من عمل فيها عملا فلا يحرمه الله ثمرة عمله ، عدلا منه تعالى مقرونا بالتفضل ، ابقاء على عمارة الكون ونهضة الحياة .

ولم تهمل السنن الاجتماعية التى يقوم عليها نظام الكون العاملين للدار الآخرة في ظل العلم المؤمن اذا عملوا عملا عامرا تفيد منه الحياة ، فقرر القرآن الكريم جزاء هؤلاء من ثواب الله تعالى الذى أعده لهم في دار الجزاء فقال متمما للآية الاولى « ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » وقال جل شأنه معاقبا للآية الثانية « ومن أراد

الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا » وقال في مفتتح الآية الثالثة « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه » .

فهذه الآيات الكريمة تجعل الارادة الانسانية هي مصدر تقويم العمل في هذه الحياة ، ووزنه بميزان الجزاء ، فالذى يريد الدنيا بعمله ، ويعمل لها بارادة قوية وعزيمة صادقة ، له جزاء عمله يناله في دنياه ، والذى يريد الدار الآخرة بعمله في هذه الحياة وهو مؤمن بسنن الله وعدله وفضله ، له جزاؤه في دار الجزاء ، وله ثمرة عمله في هذه الدار ، لا يحرمه الله تعالى من هذه الثمرة ، كما يشير الى ذلك قوله تعالى « نزد له في حرثه » ، وهذا معناه أن الله تعالى يؤتيه حصيلة عمله ، وثمرة جده وكده ، ويؤخر له عظيم ثوابه الى الدار الآخرة التى هى دار المجازاة بالثواب والعقاب .

فالمؤمن الصادق فى ايمانه العامل المجد فى عمله ، الذى أراد الله والدار الآخرة بعمله يعطى ثواب عمله وجزاءه مزدوجا ، لأنه زاوج بين ارادة الآخرة والعمل لها فى دنياه ، فالعامل القوى الذى أراد الدنيا بعمله يعطى ثمرة عمله فيها ، تحقيقا لسنة الله تعالى فى عدم حرمان العامل من ثمرة عمله .

والعمل العامر للحياة اذا قام على أساس العلم المؤمن كان من أعظم مقاصد التراث الحضارى فى شريعة الاسلام ، وهو الذى نهضت به الأمة الاسلامية فى بناء حضارتها ، التى كانت لها أرفع منزلة فى تاريخ الحضارات البشرية .

فلما انصرف المسلمون عن العلم المؤمن بفنونه ومعارفه ، ولاسيما الفنون التجريبية والمعارف العملية ، صرف الله حياتهم عن العمل العامر الناهض بحياتهم ، وأخلدوا الى الأرض ، يستجذون ما تساقط من فتات موائد الناهضين ليجعلوا منه وسائل نهوضهم وتقدمهم ، بينما الذين نهضوا واستعلوا عليهم بالعلم والعمل انما نهضوا معتمدين على تراث المسلمين الذى استلبوه من أيديهم فى غمرة الفرقة وتمزيق الوحدة الاسلامية فى الأندلس وغيرها من أوطان العزة الاسلامية .

لقد أخذ هؤلاء المستلبون للتراث الاسلامى من هذا التراث جانبه العملى فأقاموا على دعائمه دنياهم حتى جعلوها على أرفع شرف من السلطان والقوة والحمية والتعزز المستكبر ، ونالوا به من رفغ العيش وترف مظاهر الحياة ألوانا أخذ بريقها أبصار المسلمين المستضعفين ، وملكوا بهذا التراث الاسلامى عناصر العلم الطبيعى والمعارف الكونية التى كشفوا بها عن كثير من ظواهر الطبيعة ، فسخروها لحياتهم ، وأفادوا منها قوة فكرية ، وأنظمة سياسية واقتصادية ، وتحولا اجتماعيا

جعل منهم قادة الانسانية يوجهون الحياة فى أوطانهم وجهة تضمن لهم السلطان والغلبة وقهر الامم المستضعفة ليتمكنوا بسلطانهم العلمى واستبدادهم السياسى من امتصاص دمائها واغتصاب خيراتها واستعباد أفكارها ، وافساد اخلاقها ، والتحكم فى مصائرها .

واذا كان التراث الاسلامى علما مؤمنا ، وعملا عامرا ، فالعلم المؤمن يعتمد أول ما يعتمد على رسوخ العقيدة التوحيدية فى القلب ، تملؤه نورا وهدى ورحمة ، وهذه العقيدة التى هى أصل أصول التراث الاسلامى يجب أن تقوم على معرفة الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، كما يجب أن تقوم على الايمان برسالات الله وشرائعه التى انزلها على رسله نورا وهدى للناس ، وختمها بشريعة الاسلام ، المنزلة على خاتم النبيين محمد عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه .

لكن الذين استلبوا من التراث الاسلامى جانبه العملى حولوا علمه المؤمن الى علم كفور ، يلحد فى آيات الله ، ويتخذها هزوا ، ويجحد معرفته بأسمائه وصفاته ويكفر بالغيب ولا يؤمن الا بالمادة العمياء ، وهؤلاء قد ابتدعوا فى علمهم مذاهب فلسفية فاسدة ، وأباطيل من الآراء والأفكار اشبه بخيالات المبرسمين وهلوسة المرورين .

بيد أنهم حاولوا أن يزينوا ذلك كله بزينة التفلسف الخادع والعلم المغرور ، واستمرأ كثير من شباب المسلمين هذه الترهات الخادعة ، لأنهم كانوا خلوا من العواصم الدراسية الواقية فى فهم التراث الاسلامى ، لتعصمهم من الوقوع فى حبائل ضلالات هذا التفلسف الملحد وتحفظهم من السقوط فى مزالق الخداع الفكرى ، ولا سيما أن الاستقامة الخلقية كانت مفقودة من فهارس هذه الفلسفات الضالة ، وحل محلها التحلل الخلقى ، والانطلاق من قيود الفضائل وموجبات استقامة السلوك .

وقد حاولت هذه الفلسفات الضالة المخربة أن تلبس الايمان ، وهو صنو العقيدة فى التراث الاسلامى ، جلابيب المذلة والاستسلام لمكاره الحياة ، ومظالم العباد ، وطغيان الاستبداد لتوحى الى عامة المسلمين المستضعفين فى الأرض أن العنوان المميز للمسلم فى ايمانه هو الخنوع ، والرضا بما يناله وينال دينه ووطنه وأمته من مكاره ظالمة ، ومظالم منكرة ، حتى لا يحاول المسلم صدها عن نفسه ، ولا عن أمته ، ولا عن دينه ولا عن وطنه بزعم الرضا بالقضاء والقدر ، وقد كذب المتفلسفون وتلاميذهم من المخدوعين وافتروا على الايمان وقوته ، لأن عقيدة الرضا بالقضاء والقدر فى التراث الاسلامى هى القوة التى فتح بها المسلمون البلاد ، وقلوب العباد ، وهى القوة التى نشرت الدعوة الى الله حتى بلغت عقيدة التوحيد أقاصى الشرق والغرب ، وهى التى كتبت بدماء العزة تاريخ أبطال الاسلام فى فتوحاتهم المجيدة .

العقوبات السالبة للحرية

للدكتور : أحمد على المجدوب

ليس هناك ما هو ادعى لحزن المرء من رؤيته للعلماء فى جهلهم او تجاهلهم لتراث أمتهم الحضارى .

ولقد عانيت من هذا الاحساس الجارف بالحزن ذات يوم فى مؤتمر علمى حضرته ، كانت المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي التابعة لجامعة الدول العربية قد نظمته لدراسة ما يسمى بقواعد الحد الأدنى فى معاملة المسجونين . وحرص فيه المجتمعون وبالذات الذين اهتموا بتقديم مذكرات فى الموضوع والذين اشتركوا فى المناقشة ، على ذكر البيانات الخاصة بنظام العقوبات السالبة للحرية ونظام ادارة السجون فى بلادهم وما طرا على هذا وذاك من تطور ربطوه كله فضلا عن نشأته بالنظريات التى ظهرت فى الغرب فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بشأن السجون ومعاملة المسجونين وبالفلسفات التى نادى بها بعض فلاسفة الغرب أمثال جان جاك روسو وبنتام ومونسكيو وبيكاريا وغيرهم .

وعز على ان نتجاهل العلماء والفقهاء المسلمين الذين سبقوا بآرائهم فى هذا الصدد نظراءهم فى الغرب بمئات السنين والا نشير لهم ولو من طرف خفى ، طالما أن التصريح قد يعود علينا بالوبال ويجعلنا هدفا للسخرية والاستخفاف ، فطلبت الكلمة ودعوت المشتركين فى المؤتمر الى اعطاء جزء ولو ضئيل من اهتمامهم لآراء بعض هؤلاء العلماء الاجلاء الذين اسعفتنى الذاكرة باسمائهم أمثال ابو يوسف وتاج الدين السبكى وابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن سهل وسحنون وابن عبد الحكم .

ولشد ما كانت دهشتى عندما رأيت كلمتى تقابل بردود فعل لم تشمل فيما شملته ، على قدر اختلافها وتباينها ، الترحيب أو التأييد أو حتى التصديق ،

في الشريعة الإسلامية

وكان اخفها وطأة الرثاء ، ووصلت فى اقصاها الى التحدى الممتزج بالسخرية ان اثبت صحة ما اقول بل ووقف احد الأعضاء لينفى بصورة جازمة أن عقوبة السجن او الحبس فضلا عن نظام الحبس ذاته قد عرفها المسلمون فى تاريخهم الطويل قبل أن يستعيروها من الغرب ، وقبلت التحـــدى ووعدت بالكتابة فى الموضوع عند عودتى الى القاهرة ، الا انه شغلتنى أمور عديدة عن الكتابة وان لم تحل بينى وبين التصدى للمشكلة فى المحاضرات التى القيتها والندوات وحلقات البحث التى اشتركت فيها وهأنذا اليوم أكتب لهؤلاء الذين نفوا وسخروا والذين رثوا واشفقوا وايضا للذين تظاهروا بالتصديق أو حتى صدقوا دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث ومشقة الدراسة ، بالرغم مما يقال عن علمهم الذى أهلهم للاشتراك فى مؤتمر علمى متخصص .

واذا كان الغرب قد خرج من الثورة الفرنسية بتلك الكلمة المأثورة التى تقول : أيتها الحرية كم من الآثام ترتكب باسمك ، فحرى بنا أن نخرج من مأساتنا الحضارية بكلمة تقول « أيها العلم كم من الأثام ترتكب باسمك » . ولكم الله يا علماء الاسلام وفقهاءه يا من تركتم ميراثا عظيما لورثة سفهاء .

الهـــدف الاصلاحى للعقوبـــة : ـــ

لعل هؤلاء العلماء الذين يرددون ترديدا ببغائيا ما يقرأونه فى كتب الغرب عن الهدف الاصلاحى للعقوبة زاعمين أن أول من صرح به ودعا اليه هو بيكاريا ؛ لا يعلمون أن أول من ذكر ما يجب أن يكون للعقوبة من هدف اصلاحى هو ابن تيمية فى السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية (١) حيث قال

(والقصد من العقوبة رحمة الخلق ، بكف الناس عن المنكرات ، ولذلك يجب أن يكون ولى الأمر فى تنفيذه لها بمنزلة الوالد اذا أدب ولده ، فإنه لو كف عن تأديب ولده ، كما تشير به الأم رقة لفسد الولد، وانما يؤدبه رحمة به واصلاحا لحاله) ، وقد يتسرع المتسرعون وتلاميذ الغرب المخلصون وحفظة كتبه الواعون لما تتضمنه من أضاليل الى القول فى حماس الجهل متساءلين : كيف يمكن أن يكون هناك أصلاح للمذنبين والغالبية العظمى من العقوبات فى الشريعة الاسلامية ، كما يزعم علماء الغرب عقوبات بدنية ، أما رجم أو جلد أو قطع ، بينما الاصلاح يستلزم وضع المذنبين ، وبدون أدنى مساس بسلامة اجسامهم ، فى مؤسسات عقابية يخضعون خلال وجودهم فيها لاجراءات وتدابير علاجية اصلاحية تهدف الى تأهيلهم واعادتهم الى المجتمع مواطنين صالحين زاهدين فى الجريمة كارهين للاجرام .. ؟

والحقيقة خلاف هذا على طول الخط فالعقوبات البدنية فى الشريعة الاسلامية لا توقع الا فى جرائم قليلة تنحصر فيما يسمى بجرائم الحدود وهى الزنا والقذف والسرقة وشرب الخمر والردة والبغى يضاف اليها عدد قليل آخر من الجرائم التى يمكن فيها القصاص من الجانى بالحاق اذى به مماثل لما الحقه بالمجنى عليه كالقتل والجرح العمديين ، وهذه وتلك لا تكاد تبلغ عشر جرائم من اجمالى الجرائم التى بلغت فى قوانين العقوبات الحديثة نيفا وثلاثمائة جريمة فضلا عما تزدحم به القوانين الفرعية التى تعالج العديد من صور السلوك المضاد للمجتمع التى يستحدثها المشرع لسبب أو لآخر ، كجرائم التموين والتسعير والمرور وغيرها وهذه وتلك يصح أن توقع على مرتكبيها عقوبات سالبة للحرية مما تقرره القوانين الحديثة بل وغيرها من العقوبات والتدابير الاصلاحية كالغرامة والمصادرة والمراقبة والمنع من الاقامة والابعاد والايداع فى مؤسسة اصلاحية أو فى مؤسسة علاجية أو سحب الترخيص بمزاولة مهنة معينة أو القيام بنشاط ما ، أو اغلاق المحل ، أو النشر عن الجريمة أو الحرمان من بعض المزايا والحقوق مما تمتلىء به القوانين المختلفة وما عرفته الشريعة الاسلامية منذ ثلاثة عشر قرنا .

العقوبات البدنية فى القوانين العقابية الغربية :

إن من يدرس قوانين العقوبات الغربية فى الماضى أو يتتبع بطريقة علمية محايدة تاريخ العقوبات فى الغرب سوف يصاب بالفزع عندما يعرف الحقائق المروعة لهذا التاريخ الحافل بالتعذيب والتنكيل والتمثيل المبالغ فيه ، فقد كانت عقوبة الاعدام هى العقوبة الغالبة فى التشريعات الجنائية الغربية يعاقب بها على جرائم تبدو اليوم فى نظر الناس بسيطة أو قليلة الاهمية فالقتل كان يتم بعشرات الطرق التى تمثل أبشع ما تفتقت عنه قريحة الانسان ، فمن فصل الرأس بالسيف الى فصلها بالبلطة أو بالمقصلة ومن القاء للمحكوم

عليه فى البحر حيا وقد اثقلته الحجارة الى القائه من فوق الصخور حتى تمزقه وتشوه جسده ووجهه الى وضع المحكوم عليه فى الزيت المغلى أو سحقه تحت صخرة أو تمزيقه أربا بين أربعة خيول جامحة أو اسالة دمه بوضعه فى تابوت برزت المسامير الحادة من ضلفتيه الى وضعه على خاذوق أو شده على آلة تفصل أطرافه ، الى تقطيع هذه الأطراف وغيرها بالتدريج . ولعلنا لم ننس تلك الصور البشعة التى امتلأت بها كتب التاريخ تصف فيها حفلات التعذيب التى كانت تقيمها الحكومات فى روما القديمة وتقدم خلالها المذنبين الى الحيوانات المفترسة ، وغير ذلك من الوسائل الوحشية التى كانت الحكومات الغربية تلجأ اليها عند معاقبة المذنبين ، ولقد بلغت الجرائم التى كان يحكم فيها بالاعدام أكثر من ثلاثين جريمة بعضها من البساطة بحيث لا يستحق فاعله ان توقع عليه مثل هذه العقوبة القاسية ، ففضلا عن اعدام القاتل والساحر والمجدف فى الدين والخائن لوطنه او للملك ، فأن السارق للمرة الثالثة كان يعاقب بالاعدام فى عهد الامبراطور الفرنسى شارلمان فى حين كانت تفقأ عينه فى السرقة الاولى ويجدع أنفه فى السرقة الثانية .

كذلك كان الوضع فى المانيا طبقا لقانون كرولين الصادر سنة ١٥٣٢ فقد كانت المادة ١٦٢ منه تنص على ان من يسرق للمرة الثالثة يعدم وكذلك من يسرق لاول مرة مستخدما الاكراه وكانت طريقة الاعدام هى الشنق بالنسبة للرجال والاغراق فى الماء بالنسبة للاناث .

وكانت النساء اللاتى يفسدن اخلاق الشباب يعدمن اذا عدن الى ارتكاب هذه الجريمة طبقا للامر الذى أصدره لويس الحادى عشر فى ١٤ مارس سنة ١٤٧٨ .

ويقول العالم الفرنسى ايسمان انه فى فرنسا فى القرن الخامس كانت العقوبات التى فرضها الملوك ورجال الكهنوت بالغة القسوة فقد جعلوا عقوبة الاعدام تطبق على من يرتكب جرائم مثل الخيانة وعدم الولاء للملك والهروب من الجيش وتزييف النقود وشهادة الزور وقطع الطريق والسرقة من الكنائس .

واحيانا كانت جثث الموتى تعاقب باعتبارها مسئولة جنائيا مثال ذلك ما حدث فى فرنسا سنة ١٩٧٠ عندما صدر أمر ملكى ينظم العقوبات التى توقع على انواع من المجرمين بعد اعدامهم وبالذات الذين ادينوا بارتكاب جريمة العيب فى ذات الملك والمنتحرون .

أما البقية الباقية من الجرائم فكان يعاقب عليها بعقوبات بدنية تتسم بالبشاعة وعدم التماثل بين الضرر الذى وقع والألم المحقق للردع أو للتكفير مما جعل العقوبات مجرد اجراءات انتقامية خالصة .

فقد عرفوا أنواعا من العقوبات لا تقل بشاعة عن الصور السابقة ، منها عقوبة قطع لسان المجدف فى الدين وبتر الاعضاء التناسلية والكى بالنار ووسم المذنب بوضع علامات بالحديد المحمى من النار على جسده ، وغير ذلك

الكثير من العقوبات التي لم يكن هناك مبرر لها اللهم الا ما جبل عليه الغرب منذ فجر تاريخه من حب القسوة ومبالغة فى التنكيل جعلت تاريخه كله مخضبا بالدماء سواء فى ذلك دماء المذنبين أو دماء الابرياء من ابناء الشعوب التى نكبت به وباستعماره البشع وعنصريته البغيضة التى أصابت مشاعره بالبلادة ازاء جرائم ابادة الجنس التى ارتكبتها جيوشه ضد الشعوب المختلفة وراح ضحيتها مئات الألوف بل شعوب بأكملها بالرغم مما هو معروف عنه من رقة المشاعر والاحاسيس ازاء اضرار تافهة أو شديدة تصيب غير الادميين من حيوان أو طير وما قصة حزنه على فقد الكلبة (لايكا) فى الفضاء ببعيدة عن الذاكرة .
ومع ذلك فان هذا الغرب يعبر عن ضيقه الشديد واشمئزازه من معاقبة من يزنى بالاعدام طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية ، بل يستنكر قطع يد السارق أو جلد شارب الخمر ، بالرغم مما تنطوى عليه هذه الجرائم من أضرار محققة تصيب المجتمع ويتعلل علماء الغرب ذوو القلوب الرقيقة فى ذلك بأنه لا يجوز الاعتداء على سلامة جسم أو حياة الجانى سواء كان قاتلا أو زانيا أو سارقا أو شارب خمر ، لافتقار المجتمع الى السند الذى يمنحه الحق فى توقيـــع هذا النوع من العقاب ويمضون فى دفاعهم عن الجناة وانسانيتهم وكرامتهم وحريتهم حتى يحسب المرء أنهم سوف يطالبون بمنحهم أوسمة أو مكافأتهم بمبالغ من المال ، ويكاد يحمد لهم هذه الغيرة على الانسانية لولا ما يلاحظه من سكوتهم المشبوه ازاء مذبحة دير ياسين فى فلسطين أو مذبحة ماى فى فيتنام ، فيدرك على الفور أن الحمية ليس مبعثها الايمان بفكرة أو الاعتقاد بمبدأ أو حتى مجرد موقف أخلاقى أملته المثل العليا وانما سببها التعصب ومصدرها الرياء بل فى كثير من الأحيان شذوذ الفكر وانحراف الطبع .

العقوبات المالية فى الشريعة الاسلامية : ـ

طبقت الشريعة الاسلامية هذا النوع من العقوبات فى نطاق ما يسمى بجرائم التعزير وهى التى ترك أمر فرض عقوباتها وتقديرها لولى الامر بحيث يمكنه أن يعاقب عليها بعقوبة بدنية أو بغيرها من العقوبات كالحبس أو الغرامة أو المصادرة أو النفى .

وقد كان طبيعيا أن يظهر هذا النوع من العقوبات فى هذه المرحلة بعـــد ان اتاح التطور فى القيم والعادات والتقاليد والاعراف وبصفة عامة الاوضاع والظروف الاجتماعية وجود ونمو حقوق عديدة لم تكن موجودة من قبل أو كانت موجودة ولكنها ضعيفة عاجزة فنمت بحيث أصبح المساس بها من جانب المشرع يحقق الايلام لصاحبها الذى خرج على النظام وخالف القانون .

فبعد أن حصل الناس على حريتهم ومارسوها بالفعل وتخلصـــوا من أصفاد العبودية ونير الخضوع لسواهم أصبح سلب حريتهم بحبســـهم أو سجنهم محققا لعنصر الايلام المقصود من العقوبة وللردع بنوعيه الخـــاص والعـــــام .

كذلك الحال بالنسبة للعقوبات المالية التى تمس الذمة المالية للخارجين على القانون ، ففي ظل الحرية الشاملة واستقلال الناس بعضهم عن بعض اقتصاديا ، وحماية الدولة للحرية الاقتصادية وكفايتها الرزق الكريم للرعية ، لم يعد هناك فرد يعتمد على غيره فى الحصول على رزقه ، ونمت التجارة وامتلأت الذمم المالية للناس واصبح الايلام متحققا بمجـرد المساس بذمـة الجانى وبحقوقه المالية . فعرفت عقوبات مالية جديدة لم يكن لها وجود من قبـل ..

وقد اعترف الفقهاء المسـلمون بالتعزير بالعقوبات المـالية ، واقـروا بمشروعيته فى مواضع مخصوصة فى مذهب مالك واحمد بن حنبل وأحد قولى الشافعى ، وقد جاءت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه بذلك فى مواضع كثيرة منها : أمره بكسر دنان الخمر وشق ظروفها ، وأمره بتحريق متاع من يغش البضاعة ومضـاعفته الغرم على الشـخص الذى سرق مالا قليلا لا يجوز فيه الحكم بقطع يده ، ومضاعفته الغرم على من وجد مالا ضائعا وأخفاه لنفسه ، وصادر نصف مال من امتنع عن اداء الزكاة كذلك حرق عمر وعلى رضى الله عنهما المكان الذى يباع فيه الخمر وحرق عمر قصر سعد ابن أبى وقاص لما احتجب عن الرعية .

العقوبات السالبة للحرية فى الشريعة الاسلامية : —

أما العقوبات السالبة للحرية فقد عرفها المسلمون منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ثم عرفوا نظام السجون فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذى اشترى بيتا فى المدينة اتخذه سجنا ، وتبعه الولاة فى مختلف الامصار فاتخذوا بدورهم سجونا أودعوا فيها الجناة فى الاحوال التى يرتكبون فيها جريمة من جرائم التعزير ..

واعترف الفقهاء المسلمون للحبس بطبيعته كعقوبة فقالوا « ان الحبس عقوبة ، والعقوبة انما تسوغ بعد تحقق سببها وهى من جنس الحدود فلا يجوز ايقاعها بالشبهة بل يتثبت الحاكم ويتأمل حال الخصم ويسأل عنه »(٢) .

وبانتشار السجون وزيادة عددها تبعا لزيادة الجرائم المعتبرة من التعازير نتيجة للتغير الشامل الذى أصاب الحياة فى المجتمع الاسلامى والتطور العميق فى العلاقات الاجتماعية مما أدى بالمشرع الى التوسع فى تطبيق عقوبة الحبس فأتاح ذلك للعلماء أن يلمسوا مضار الحبس ويعاينوا بانفسهم الاذى المترتب الى الحد الذى جعل الامام مالك يرى أن الحبس أشد وطأة من الضرب(٣) وهو رأى لابن قيم الجوزية أيضا الذى قال « لا ريب ان الحبس من جنس الضرب ، وقد يكون أشد منه »(٤) .

وهذا النظر راجع الى تقديرهم لحرية الانسان التى ينال منها الحبس

بتقييده لحركة الجاني وتعطيله لمواهبه وقدراته وتحويلهالى مجرد حيوان خطر وكائن ضار فقد اعتزازه بنفسه وتقديره لذاته ، مما جعلهم يذهبون الى قصر هذه العقوبة على المجرمين الخطرين والمعتادين ويروى مطرف عن الامام مالك انه قال فى هؤلاء الذين عرفوا بالفساد والاجرام ان الضرب لا ينكلهم ولكن أرى ان يحبسهم السلطان فى السجون حتى تظهر توبتهم وتثبت عند السلطان فيطلق سراحهم(٥) .

وفي احكام ابن سهل انه « اذا شهد عند الحاكم على رجل انه من أهل الشر والأذى للناس ومن أهل الفساد والردى فيجب عليه الأدب الموجع والحبس الطويل(٦) .

وهو ما يدل على ان لجوءهم الى الحبس كان فى أضيق الحدود وفى الاحوال التى تبلغ فيها خطورة الشخص حدا يجعل بقاءه طليقا فيه اضرار بالناس ، لذلك فقد تجنبوا العقوبات الطويلة المدة ولم يتصوروا امكان حبس شخص مدة تزيد على سنة ، لما فى ذلك من ظلم وافساد له .

كذلك ناقشوا المشكلات التى تترتب على سلب حرية الشخص وايداعه السجن ومن أهمها ما يتعلق بحاجاته الجنسية فرأى البعض أنه يحق للمحبوس ان تأتى اليه زوجته فى السجن بين وقت وآخر ليعاشرها حتى لا يؤدى حرمانه من هذه العلاقة الى انحرافه .

ولكن الفقيه سحنون عارض هذا الرأى قائلا « لا يمكن الرجل من دخول امرأته اليه فى الحبس وان كان مسجونا فى حقها ، لان المقصود من السجن التضييق ، ولا تضييق عليه مع تمكينه من لذته »(٧) ، فى حين يرى ابن عبد الحكم ان يقتصر ذلك على من كان معروفا بشدة خطورته دون الشخص قليل الخطورة فيكون لهأن يلتقى بزوجته ، كذلك يرى ان للزوجين ذلك اذا حبسا بموضع خال حتى ولو طلب الغرماء أن يفرق بينهما .

وهو ما تأخذ به بعض الدول الاسلامية الآن كالمملكة العربية السعودية التى تسمح للمحبوسين بالسجون بالالتقاء بزوجاتهم وازواجهم بين وقت وآخر .

هذا فضلا عما دعا اليه الفقهاء المسلمون من وجوب معاملة المحبوس معاملة انسانية فالحبس الشرعى عندهم « ليس هو الحبس فى مكان ضيق ، وانما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه »(٨) فلا يجوز أن يتجاوز هذا الحد فيمتد الى حقه فى سلامة جسمه أو سلامة عقله أو عقيدته أو شرفه أو سمعته وهذه جميعا مما دعت اليه قواعد الحد الأدنى فى معاملة المسجونين وطالبت به المؤتمرات العديدة لعلماء الجريمة والعقاب .

العقوبات السالبة للحرية فى التشريعات الغربية : ـ

لم يصبح تقييد الحرية وسيلة عامة من وسائل العقاب الا فى القرن

السابع عشر فى اعقاب حركة اصلاح التشريع الجنائى وبعد أن ثار الناس على ما اتسمت به العقوبات السائدة من قسوة بلغت حد البشاعة الا أن العقوبات المقيدة للحرية سواء كانت سجنا أو حبسا لم تكن لتأخذ مكانها بين العقوبات لولا التطور الذى صادفته المجتمعات الغربية وادى الى ظهور مبادىء الحرية والعدالة والمساواة مما جعل تحقيق عنصر الايلام المقصود من العقوبة وبلوغ هدف الردع ممكنا يعكس ما كان عليه الوضع فى السابق حيث لم يكن الافراد يتمتعون بأى قدر من الحرية وليس لهم الحق فى شىء اللهم الا الحق فى الحياة مما كان سمة عامة فيما يسمى بالعصور الوسطى وما تلاها ، فلم يكن تقييد الحرية محققا الغاية من العقوبة بل كان على العكس ضارا بالامير أو الاقطاعى الذى كان حبس الجانى يؤدى الى حرمانه من عمله باعتباره أحد رقيق الارض .

ولذلك كانت العقوبات بالغة القسوة معبرة عن ثورة الحاكم أو الاقطاعى أو الامير على عبده أو تابعه الذى جحد نعمته وانكر فضله بخروجه على قوانينه ونظمه وشريعته وحتى بعد ان اصبح الحبس أو تقييد الحرية وسيلة من وسائل العقاب لم تتوقف عمليات تعذيب الجانى والتمثيل به والتفنن فى الحاق كافة صنوف الايذاء به وحرمانه من كافة حقوقه كإنسان ومواطن مما يزخر به تاريخ السجون الرهيب .

وكان جديرا بالعلماء ان يثوروا على هذه الاوضاع ويتنكروا لها ويطالبوا بالقضاء عليها ووضع الحدود أمام سلطة العقاب حتى لا تتجاوزها فتنال من حقوق ليس لها أن تعتدى عليها وارتفع من بينهم صوت يردد ما سبق أن قاله ابن قيم الجوزية من أن الحبس هو تعويق للشخص ومنعه من التصرف بنفسه أى أنه منع للشخص من أن يأتى من الافعال ما يدعم به موقفه غير المشروع أو ما يؤدى الى ارهاب الغير أو ما يترتب عليه فوزه بثمرة عمله الاجرامى وعدم مقابلته باجراء رادع يمنعه من العود الى الجريمة ويردع غيره فلا يقلده أو يحاكيه .

كذلك ترددت من جديد أصداء كلمات أبى يوسف وتاج الدين السبكى التى تقول أن الحق فى العقاب لا يجب أن يمتد الى حق المحبوس فى سلامة جسده وعقله ودينه وشرفه وانما يقتصر فقط على تعويقه ومنعه من التصرف بنفسه كما يتصرف الاسوياء من الناس لما فى ذلك من اهدار لمعنى الجزاء . الا ان التطرف يؤدى دائما الى التطرف ، فكما تطرف الحكام فى الماضى فى فرض العقوبات الصارمة بل القاسية وبالغوا فى تنفيذها ، فقد تطرف العلماء فى مطالبتهم بالتخفيف من وطأة العقوبات والتحلل من شدتها فذهب بعضهم الى حد اقتراح الغاء العقوبات واحلال ما يسمى بالتدابير محلها .

وبطبيعة الحال فقد تدرجت هذه الدعاوى فى تطرفها فبدأت بالمطالبة بالغاء بعض العقوبات التى كان الغاؤها منطقيا بلا جدال كالنفى والوسم بعلامة

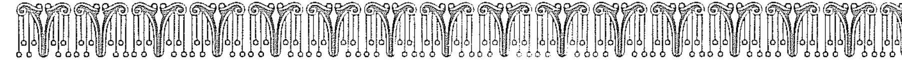
تطبع بحديد محمى بالنار الى غير ذلك من العقوبات ، فضلا عن التنفيذ الـذى يتسم بالوحشية ولا يحقق اى غرض اضافى يمكن ان يقال انه يحققه كالاعدام بالاغراق فى الماء أو بالقطع أو بالالقاء من فوق جبل الى آخر هذه الصور التى عرفتها الشعوب الاوروبية حتى القرن الثامن عشر . وكذلك التكليف باشغال شاقة اثناء فترة السجن .

ثم امتدت المطالبة بالالغاء الى عقوبات معينة كعقوبة الاعدام بغض النظر عن طريقة تنفيذها أو الجرائم التى تطبق بشأنها . وثار الجدل حول حق المجتمع في تطبيق هذه العقوبة وسنده فى هذا التطبيق وفي غمرة الاهتمام بالجانى الذى اصبح قطب الرحى في كل ما يدور من نقاش أو يثور من جدل حول العقوبات نسى العلماء الجريمة وما تحدثه من اضطراب فى المجتمع وما تلحقه بالافراد وبالجماعة من اضرار ، بل الادهى من هذا ان العلماء اصيبوا بما يشبه انفصام الشخصية فهم حين يناقشون مشكلة الجريمة والحد الذى بلغته من الاستفحال والخطورة ينعون على المشرع ضعف الجزاءات وبساطة العقوبات وحين يبحثون مشكلة المجرمين والمنحرفين يبدون أسفهم لشـدة العقوبات وقسـوتها وتظهر من بينهم الآراء التى تنادى بإلغـاء العقوبات والسجون بل وقانون العقوبات وتستبدل كل هذا بمـا يسمى بالتدابيـر والمؤسسات العلاجية وقانون الدفاع الاجتماعى وكلها مسميات مختلفة لنفس الاشياء . والجدل يدور وبقدر دورانه واشتداده تدور عجلة الاجرام وتشتد فتزداد نسبة الجرائم وتتضاعف معدلاتها .

ويحضرنى فى هذا المقام قول الفقيه ابن الجوزية(٩) « أعظم المعاقبة ان لا يحس المعاقب بالعقوبة وأشد من ذلك ان يقـع الشرور بمـا هـو عقوبة » ..

---

(١) ص ٨٥ .
(٢) ابن قيم الجوزية ــ الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ص ٧٥ .
(٣) تبصرة الحكام فى اصول الاقضية ومناهج الاحكام لابن فرحون الجزء الثانى ص ١٦٢ .
(٤) الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ص ٧٥ .
(٥) تبصرة الحكام الجزء الثانى ص ١٦٢ .
(٦) المرجع السابق ص ١٦٣ .
(٧) المرجع السـابق ص ٢٠٥ .
(٨) ابن قيم الجوزية ــ الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ص ١١٩ .
(٩) صيد الخاطر الجزء الاول ص ٣٨ .



آخر كلمات في حديث الوداع مع الشيخ أبو زهرة

للأستاذ : محمد نعيم

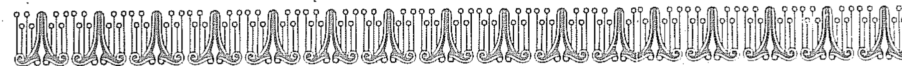
فقد العالم الاسلامى مؤخرا علما من أعلام الشريعة الاسلامية المبرزين ورائـدا من روادها الاوائل ، هـو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبـو زهرة ، الأستاذ بالأزهر والدراسات العليا ، وعضـو مجمع البحـوث الاسلامية .

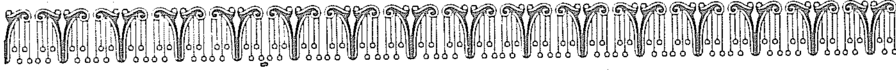
ــ قبل وفاته كنت أزوره بمنزله . وامتدت جلستنا اكثر من ساعتين . ثم ودعنى وداعـا حـارا وكان وداع الحياة ..

هكذا ذهب الجسـد وبقيت الكلمات ..

وترددت هل أنشر حديثه معى فى جريدة (الجمهورية) القاهرية حيث اعمل ، ام اخص به (مجلة الوعى الاسلامى) الكويتية لتقرأه جمـاهير المسلمين فى العالم .. وكان هذا هو الاختيار ..

انه اقل واجب نحو شيخ جليل قل ان يجود الزمان بمثله فى علمه وفكره وشجاعة رأيه .. كان عملاقا فى كل شيء ، لم يعرف المجـاملة أو المهادنة على حسـاب الدين وفى أصعب الظروف تصدى للأيدولوجيات الوافدة والغزو العقـائدى وحارب بايمانه وكلمته دعاة العلمـانية





ومستحدثات العصر وفضح أهدافهم الخبيثة لتقويض شريعـــة الله فى أرضه ..

وكان شجاعا فى وقت قلت فيـه شجاعة الرجال فى مواجهة السلطان .. وعالما اثرى بعلمه الحيـــاة الاسلامية دعوة وفكرا وتعريفـــا ودرسا لأصول الفقه الاســـلامى وفروعه ..

ولنبدأ حديث الوداع مع الشيخ العلامة ابو زهرة من أوله ، وكما كان معدا لنشره في حياته دون تغيير أو تبديل أو اضافة ..



على
امتداد خمسين عاما ..
عرفته محافل العلم هنا
وهناك ..
ودانت بفضله حلقـــات
الدرس فى الازهر والجامعات ودور العلم والمساجد ..

واهتزت بآرائه منابر الصـــحافة والاعلام ..

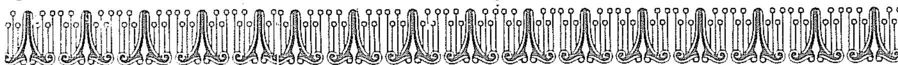
سعادته أن يرى تلاميذه الالوف وقد ازدادوا تلميذا جديدا ..
وأن يضيف الى مؤلفاته الســتين كتابا آخر ..

.. ويدور الحديث مع الشـــيخ العلامة محمد ابو زهرة وحديثه دوما يفيض ..

☐ قلت : انا حر .. وانا حرة ، عبارة يرددها بعض الشباب لتبرير تصرفاتهم وان كانت خاطئــــة ، أو للخروج عن التقاليد والعـــادات الاصـــيلة فى المجتمع .. فما هو المفهوم الاسلامى للحرية .. وما هي الحدود التي يرسمها الدين لحـــرية الفرد .. ؟

— قال الشيخ الجليل :

ان قال قائل ان الاســـلام دين الحرية الكاملة العاملة الهادية فذلك حق لا ريب فيه ، انه دين الحرية من رق التقاليد والعادات غير المعقولة فهو يدعو دائما الى تحكيم العقل فى كل شيء ، لمـــا دعا المشركين الى التوحيد قالوا له بل نتبع ما ألفينـــا عليه آباءنا فقال القرآن الـــكريم : « أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ودعا الى الحرية وجعل الكرامة ملازمة للحرية ، فلا كرامة الا مع الحرية ، ولما ضرب ابن عمرو ابن العاص الفتى القبطى لأنه سبقه فى سباق خيـــل وقال له : أتسبـــق ابن الاكرمين ؟ ذهب الشـاب القبطى الى عمر فأمره بأن يضرب ابن عمرو فى حضرته كما ضربه ، ثم التفت الى عمرو وقال كلمته فى الحـــرية التى تنبعث بالنـــور فى هذا الوجود ، ويستشهد بها أحرار الاوروبيين تلك الكلمة هى قوله : يا عمرو . متى



استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا .. فالحرية والكرامة متلازمان ، فلا حرية من غير كرامة ، ولا كرامة الا بين الاحرار . وان كلمة عمر تفيد أن كل انسان مولود حر .. وعبارة القرآن السامية التى تلوناها تفيد بأن الحرية كما تسير مع الكرامة سيرا مطردا هي أيضا تسير مع العقل ، فالحرية الحقيقية لا تخالف أحكام العقل ، ولا تنأى عنها وان معنى كلمة حرية فى اللغة العربية يؤدى تفسيره الى أن تكون الحرية الحقيقية مقيدة بالعقل وضبط النفس، لأن كلمة حرية من نوع ما يسميه النحويون المصدر الصناعى ، فهى مأخوذة من الحر ، والحر هو الرجل الذى يسود نفسه ويسيطر عليها ، فلا تكون نفسه أمة لشهوة جارفة ولا هوى مترف ، بل يجعل العقل هو السائد ، والاهواء والشهوات أمة ذلولة للعقل وليست سيدا مطاعا .

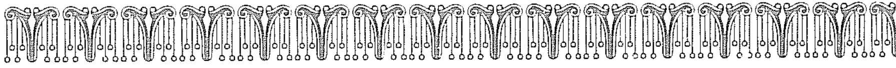
وفرق بين الحرية والانطلاق ، ان الحرية مقيدة أولا بالعقل ، ومقيدة ثانية بعدم الاضرار بالغير ، وأما الانطلاق فهو استرسال فى اجابة سلطان الهوى وسلطان الشهوة ، وامتناع عن مراعاة حرية الغير ،وان الحر الصادق فى حريته يقدر الحرية فى غيره كما يقدرها فى نفسه ، فاذا كان حرا فى أن يعمل ويقول فانه يراعى فى قوله وعمله أيمنع حرية الغير أم لا يمسها ، فان كان يمسها توجب عليه الحرية الا يفعل، وان كان لا يمسها فهو حر فى أن يفعل ، فاذا كنا لا نتصور الحرية الا مقيدة ، فانها مقيدة بأن لا تضر بحرية الغير ..

الحرية فى ظل المجتمع الفاضل

واضاف الشيخ الجليل :

وتعجبنى كلمة لرجل الحرية والقانون سعد زغلول اذ يقول : كل تقييد للحرية لا بد أن يكون له مبرر من قواعد الحرية ذاتها .. أى أن كل تقييد للحرية يلاحظ فيه ألا تمس حرية الغير ، وهذا بخلاف الانطلاق ، فانه لن يكون الانطلاق الا اذا كان منع الحرية فى جانب آخر .. ولنضرب مثلا اذا كان كاتب تنطلق به شهوة التجريح لمخالفه والنيل من كرامته فان ذلك بلا ريب يقيد حرية من يخالف ذلك الكاتب المنطلق ، وقد يكون وراءه من يؤيده ، فهذا واضح من أن انطلاقه منع غيره من حرية القول وهكذا كل انطلاق هو جناية على الحرية وليس من الحرية فى شىء ..

ويجب أن تكون الحرية فى ظل المجتمع الفاضل ، فلا ينطلق الفتى والفتاة باسم الحرية تهجما على كل رباط اجتماعى فاضل ، فليست الحرية ترك الحياء ، ولا البعد عن اللياقة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « الحياء خير كله » .. ويقول : « لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء » .



حرية الوطن فى ظل الله وحرية المرأة فى ظل زوجها

ويستطرد الشيخ الجليل :

.. وتعجبنى كلمة للمرحوم لطفى المنفلوطى صدر بها روايته (الفضيلة) تعجبنى الشجاعة فى الشباب ، والحياء فى الفتاة .. وقد كان رحمه الله ورضى عنه يرى أن الحرية لا تنمو وتترعرع الا فى ظل جو اجتماعى وأدب خلقى فهو يقول :

« تعجبنى حرية المرأة فى ظل زوجها ، وحرية الرجل فى ظل وطنه ، وحرية الوطن فى ظل الله » .

ويضيف الشيخ الجليل :

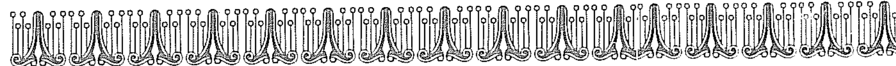
ان أخشى ما نخشاه فى وطننا العربى والاسلامى عامة هو شيوع الاقوال والافكار التى تدعو الى الانطلاق فى كل شىء ، كما نرى فى الروايات الماجنة ، وفى المعابث الساخرة ، وفى الكتاب الذين لا يعرفون واجبهم من قيادة الفكر العربى ، ومن كتب تدعو الى هتك الحياة الانسانية فى علاقة الرجل بالمرأة ، ومن انحرافات يسمونها مذاهب تحارب الأديان والسلوك الانسانى أينما كان ، مثل ما يسمونه بالوجودية والهيبز وغيره .. هذا ما نخشاه ، وهو وباء سيطر على كل وسائل التوجيه النفسى والخلقى والاجتماعى ، ولا مانع يمنع الا اذا علمنا أنه وباء تفشانا وان علينا أن نتخذ كل أساليب الوقاية من الاعتصام بدين ، ومراعاة للمقومات الخلقية ، ودعوة الى ضبط النفس ، وأن نعمل على تشجيع كل من يستعصم بخلق ودين ونتجه اتجاها كاملا الى الفضيلة ..

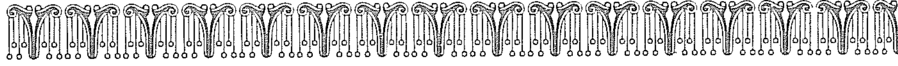
الطموح والزهد فى الحياة

□ قلت .. وماذا عن الطموح والزهد وهل يتعارض أحدهما مع الآخر .. وما هى الحدود المشروعة لكل منهما .. ؟

ـــ قال الشيخ الجليل :

الطموح اتجاه الى طلب الرفعة والعلو الى أعلى المعانى والسمو على سفاسفها ، ولا شك أن هذا أمر مستحسن فى ذاته ، ومن نوع الطموح يمكّن الحكم على الشباب والرجال ، فمنهم من يطمح الى خدمة قومه وأن يكون فى المنزلة العليا بين المجاهدين أو المدبرين لمصلحة الكافة، ومنهم من يتجه به الطموح الى ناحية المادة وهذا منه ما يكون خيرا كأولئك الذين يعملون على تنمية الاقتصاد القومى ، وانشاء المصانع واقامة معالم الحضارة فيكون عاملا للنفع العام ، والنبى عليه الصلاة والسلام يقول : « خير الناس أنفعهم للناس » .. ومن الطموح ما يكون معنويا بحتا أو دينيا بحتا كبعض المتصوفة





الزاهدين فى ماديات الحياة الطالبين للسمو الروحى فهؤلاء فى زهدهم يعدون طامحين أيضا ، ولكن السؤال الذى يحوم دائما حول الطموح : أمن الخير للجماعة ان يكون الطموح فى المعنويات الصرفة كعمل الزهاد أم فى الماديات الصرفة كعمل الاقتصاديين ؟ . الجواب على ذلك أن عمل الاقتصاديين وأمثالهم من الماديين ان كان يتجه الى المصلحة الشخصية دون غيرها فليس فى ذلك خير ، أما اذا كان يتجه الى النفع العام والى تنمية ثروات الأمة لتكون قوية بالمال ونحو ذلك فاننا نرى أن ذلك أولى من الزهد المطلق ونقول فى ذلك : إن الزاهد ينمى روحه وعبادته وذلك يعود على شخصه هو ، أما الذى يعمل للمادة للنفع العام أو يجاهد لحماية الامة أو يدبر سياستها عاملا لخيرها فان عمله يعود على الجماعة بالخير .. سئل الامام أحمد عن أميرين للجيش أحدهما ضعيف تقى والآخر قوى غير تقى مع أيهما ينبغى أن يعمل المجاهد فقال رضى الله عنه يعمل مع القوى غير التقى لأن قوته للمسلمين وعصيانه على نفسه ، ولا يعمل مع الضعيف التقى لأن تقواه لنفسه وضعفه على المسلمين ..

مستحدثات العصر للشريعة .. والعكس خطـأ

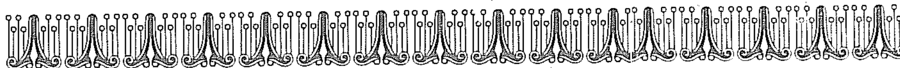
□ قلت : فضيلة شيخنا الجليل .. البعض يردد أن الاسلام (كنظام) لم يعد صالحا لحل مشكلات العصر .. فما القول .. ؟

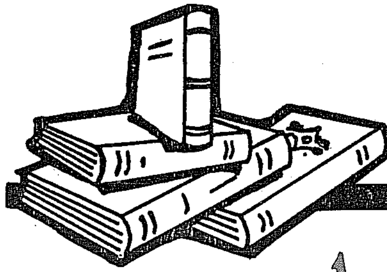
ـ وأجاب الشيخ الجليل :

ان الاسلام نهى عن أمور وحث على أمور فان كان المستحدث ينطوى تحت ما أجازه الاسلام أصبح مقبولا وحسنا ما دام فيه نفع للناس ، وان كان المستحدث يدخل فى أمر منهى عنه كفوائد البنوك والقمار .. الخ . فان ذلك لا يجوز ويدخل فى قوله عليه السلام : « ان شر الامور مستحدثاتها وكل مستحدث بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » .

ان باب الحلال متسع يسع كل مستحدثات هذا العصر ، ان أريد الاستمساك بالدين ، فشركات المساهمة حلال، والشركات الصناعية حلال ، والمؤسسات الزراعية حلال، وهكذا ان تجنبنا المنهيات فان باب الحلال واسع .

وأرى أن كثيرين ممن يتكلمون فى الشريعة الاسلامية أو باسمها يريدون أن يطوعوها لمستحدثات العصر بمعنى أنهم يحاولون التأويل فيما لا يحتمل التأويل ليخضعوا الشريعة للعصر مع أن الواجب أن يخضع العصر للشريعة والا كنا غير مسلمين .





كتاب الشهر

الاجتهاد

ومدى حاجتنا اليه فى هذا العصر

تأليف : سيد محمد موسى توانا
عرض وتحليل : محمد عبدالله السمان

هذه الدراسة التى بين أيدينا والتى تقع فى نحو ستمائة صفحة من القطع الكبير ، نال بها مؤلفها الدكتوراه فى أصول الفقه من كلية الشريعة بالأزهر ، والمؤلف افغانى الأصل وهو عضو الآن بهيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة (كابل) افغانستان .

يشير المؤلف فى مقدمته الى أن الحاجة ماسة اليوم الى التشبث بأذيال الاجتهاد والانتفاع به حسب اقتضاء الظروف ، ومتطلبات الزمن ، وذلك بعد أن أصبحت الأمة الاسلامية وقد توانت عن أداء رسالتها ، بل لقد فقد بعض أفرادها استقلاله الفكرى ، وثقته بتعاليم دينه وأحكام فقهه ، واصبح العمل بالفقه مظهرا من مظاهر التخلف ، واثرا من آثار الماضى البغيض ــ على حد بعض التعبيرات ــ وهذا ما دعا المؤلف الى الاسهام فى خدمة الفقه الاسلامى ، والقيام بعمل ما لأجل المسلمين ، ولا سيما أن موضوع الاجتهاد ــ لكونه مفتاح باب الدخول فى حلبة الصراع الثقافى ، وسبيلا الى النهوض بالشريعة الاسلامية ، ووسيلة لاثبات صلاحية الفقه الاسلامى لأن يكون قانونا للوطن الاسلامى الكبير ــ قد جلب اهتمام المؤلف الى الموضوع الذى بذل فيه جهدا مضنيا بحثا وتنقيبا .

والمؤلف يقسم دراسته الى أحد عشر بحثا قدم لها بتمهيد مسهب عرض فيه لتاريخ الاجتهاد منذ وجوده الى عهد بلوغه ذروة الكمال ثم أخذه فى النزول ، وبخاصة بعد أوائل القرن العاشر الهجرى ، حيث لم يبق من الاجتهاد الا اسمه فى ظل سلطان التقليد ، واصبحت دعوى الاجتهاد بل دعوى امكان وجوده ذنبا لا يغفر وقد ساعد على استحكام التقليد فى نفوس العلماء وجود الرغبة فى تقييد القضاة ، وقصر التدريس على مذهب معين ، ووجود تلاميذ للأئمة ذوى مكانة علمية ومنزلة رفيعة بين العامة ، كذلك تحاسد العلماء وتزاحمهم فى الفتوى ، وايضا وجود المؤلفات فى الفقه وسهولة المراجعة اليها ، مما أضعف بدوره روح الاستقلال بالاضافة الى أن التعصب لمذهب فى العصور الاخيرة

أضر بالمنتسبين اليه ، فلم يفيدوا بآراء غير إمامهم ، مما يفتح أمام الباحث أفاقا أخرى غير أفق معلوماته الخاصة على الأقل .

فى البحث الأول تناول المؤلف تعريف الاجتهاد وما يتفرع عنه ، وفى البحث الثانى تناول شروط الاجتهاد وآراء العلماء فيها ، وفى البحث الثالث تناول حكم الاجتهاد وحكمة تشريعه ، وفى البحث الرابع تناول كيفية اجتهاد المجتهد ثم أسباب الاختلاف ، وفى البحث الخامس تناول مراتب الاجتهاد المطلق ، والمقيد ، والعام ، والخاص ، ثم مراتب المجتهدين ، وفى البحث السادس تناول أزمة المجتهدين فى بعض العصور ، وفى البحث السابع تناول تكرار الاجتهاد واعادته وسبب ما ينسب الى مجتهد واحد من أقوال مختلفة فى مسألة واحدة ، وحكم ذلك ، وفى البحث الثامن تناول موضوع نقض الاجتهاد وعدم نقضه فى الحالات المختلفة ، وفى البحث التاسع تناول الاجتهاد غير الفقهى أى الاجتهاد فى المسائل الاعتقادية ، والالهام ، والاجتهاد الصوفى ، وفى البحث العاشر تناول آراء بعض المستشرقين فى الاجتهاد ، وفى البحث الحادى عشر والاخير تناول المؤلف الحاجة الى الاجتهاد ، وكانت الخاتمة بعد ذلك التى اشتملت على بيان مواضيع التفويض ، والتقليد ، وخلاصة موجزة للبحث .

لا شك فى أن المؤلف قد بذل غاية جهده الفكرى بحثا وتنقيبا واستقراء فى موضوع ذى أهمية خاصة فى حياة المجتمعات الاسلامية ، وبخاصة اليوم ، بل فى موضوع له متاعبه الخاصة لدى كل باحث يريد تناوله فى دراسة متكاملة ، وقد يبدو الموضوع للمثقف العادى سهلا ميسرا تناوله لكثرة ما كتب فيه قديما وحديثا .

وينسى أن مصدر المتاعب للدارس لهذا الموضوع هو كثرة ما كتب فيه ، وتشعب الآراء المختلفة حوله ، اذ تكون مهمة الكاتب عسيرة حين يحاول تجلية الموضوع تجلية تيسر للناس استيعابه والاقتناع به ، ليس هذا وحسب بل يجب أن يأتى الكاتب بجديد فى الموضوع يوائم تطور الحياة وتشعب مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية معا .

فى البحث الأول أشار المؤلف الى أركان الاجتهاد الاربعة ـــ الحدث أى بذل الجهد ، والمجتهد أى الفقيه ، والمجتهد فيه وهى الاحكام الشرعية : الفرعية والظنية ، ثم الأدلة الشرعية التفصيلية بمساعدة الأدلة الاجمالية ، ويرى المؤلف أن وجه جعل التفصيلى هو الركن مع عدم الاستغناء عن الاجمالى بحال من الاحوال ، هو أن التفصيل أصل للاجمالى ، كما أنه أصل للأحكام أيضا ، وهذه الأركان الاربعة ليست على سبيل الحصر ، لأن من العلماء من أضافوا اليها غيرها ، ومنهم المرحوم الدكتور عبد الله دراز الذى عد من أركان الاجتهاد علم اللغة ، وعلم أسرار الشريعة ، وهذا خلاف لما يراه بعض علماء الأصول ـــ لا جميعهم ـــ من أن علم اللغة وعلم أسرار الشريعة من شروط الاجتهاد ، ومن الفقهاء أيضا من اقتصر على أركان ثلاثة مع حذف الأدلة الشرعية ، كالغزالى ، والزركشى ، ومنهم من اقتصر على ركنى المجتهد والمجتهد فيه .

الا أن المؤلف ذكر أن المجتهد فيه هى الأحكام الشرعية : الفرعية والظنية ، وحسب ، لأن الاحكام الأصلية ليست مما يبحث عنها الفقيه بصفته فقيها ، ولأن القطعية للحكم لا تأتى الا من قبل الدليل القطعى الثبوت والدلالة ، فالحكم الذى يجتهد فيه لا بد وأن يكون ظنيا ، ومثل هذا الرأى فى حاجة الى توقف ، أو على

الأقل فى حاجة الى تعقيب ، والمؤلف نفسه فى البحث الذى عقده للاجتهاد فى عصر الصحابة يسرد علينا اجتهاد عمر فيما فيه نص قطعى الدلالة والثبوت ، فقد منع الزواج من الكتابيات مع النص القرآني الصريح بحلهن ، ولجأ عمر الى ذلك درءا للمفسدة المقدم على جلب المنفعة ، أو كما قال : « وكفى بذلك فتنة لنساء المسلمين » كذلك سرد علينا اجتهاد أبى بكر وغيره ، والاستاذ الإمام المراغى شيخ الأزهر الأسبق يقول فى رسالة له عن الاجتهاد ، نشرت فى العدد الحادى عشر من سلسلة الثقافة الاسلامية — القاهرة — يقول : « وتغيرت الفتوى بتغير العرف ، وحكم بعضهم — أى الفقهاء — العرف فى تخصيص النصوص الصريحة ، وما اباحة رعى حشيش الحرم دفعا للحرج مع النهى عنه صراحة ، واباحة تبادل النقود عدا وان اختلف وزنها ، واباحة الاستصناع مع النهى عن بيع ما ليس بموجود ، الا نوع من هذا .. ولعل تتبع فروع المصالح المرسلة والاستحسان ، وفروع العرف العام والخاص يكشف الى حد بعيد عن مرامى الفقهاء » .

فى الفصل التاسع تناول المؤلف مسألتى الالهام والاجتهاد الصوفى ، وكم كنت أود الا يلجأ المؤلف الى حشر هذا البحث فى مثل هذه الدراسة الجادة فقد امتعنا بالفصول السابقة من حيث احاطته الشاملة بكل ما يتصل بقضايا الاجتهاد فى اطار من آراء كبار الفقهاء والأصوليين ، فاذا به ينقلنا فجأة من جو هادىء ممتع الى حلبة مزدحمة بالجلبة والمتاهات ، والعجيب أن المؤلف فى تمهيده للبحث يصدر حكمه كمسلمة من المسلمات فى مسألة كثر فيها الجدل فيقول : « من الثابت أن المسلم اذا تخلق بالأخلاق الفاضلة وتأدب بآداب نبيه زكت نفسه فأخرج من قلبه محبة ما سوى الله تعالى ، ووزن كل ما يعرض له بميزان الشرع ، وراقب المولى جل جلاله فى السر والعلانية ، وحاسب نفسه على ما فعل وما ترك لظهرت على يديه الكرامات .. وقد يكون منها معرفة بعض الحقائق معرفة غير المعرفة العقلية والحسية ، وقد يعرف بعض ما يعرفه المجتهدون بطرقهم الاجتهادية المعروفة » .

بل ان المؤلف يذهب الى أبعد من هذا فيقول : « ان الفقيه من علماء الظاهر يستنبط الحكم من الأدلة الفقهية من الكتاب والسنة ، وبالنظر العقلى ، بخلاف الإلهام ، فانه ليس كذلك ، وبخلاف الملهم ، فانه يعرف الحكم بالذوق ، ولا يستدل له بما وكما يستدل علماء الظاهر ، ويعتبر الصوفية علمهم علم مشاهدة وعيان بينما الفقيه يعترف بأنه قد يصيب الحق وقد يخطئه » .

معنى هذا أن الصوفى يرى فى الكتاب والسنة والعقل أيضا قصورا ، ولكل هذه القيم ضوابطها ، فيلجأ الى الإلهام حيث لا ضوابط على الاطلاق ، والعجيب أن المؤلف يضع فى كفتى الميزان أمثال ابن الهمام الحنفى ، وابن السبكى الشافعى وغيرهما من جلة الفقهاء الذين لا يرون فى الالهام حجة على الاطلاق ، وأمثال بعض الصوفية الذين يقولون بحجية الالهام ، بل والجعفرية الذين نسب اليهم : أن لا دليل سوى الالهام ، بل الروافض الذين نسب أليهم القول بعصمة ائمتهم مثلما هو شأن الأنبياء ، وأعجب من هذا أن المؤلف يسوق الأدلة على السنة أمثال أبى يزيد البسطامى ، وغيرهم ممن بلغوا شوطا بعيدا فى الشطحات ، ثم يذكر لنا بعد ذلك قول الجنيد وهو من ائمة الصوفية : مذهبنا هذا مقيد بالأصول : بالكتاب والسنة ، فمن لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ، ولم يتفقه لا يقتدى به .

ويبدو أن المؤلف فى نهاية هذا البحث قد أحس بالقلق فى الزج بمسألة

لا تليق بها رسالة علمية ، فبعد أن اشار الى أن حجية الالهام تثبت على الملهم نفسه فيما اذا لم يخالف ادلة الشرع الثابتة ، لأنه هو الذى يدرك هذه الحجة دون غيره ، والى أن جواز العمل بما علمه الانسان علم يقين لا يقبل المناقشة على فرض وقوعه — ولست أدرى من أين له هذا الحكم .. ؟ راح يقول : « ولا يمكن أن يهمل جانب الاحتياط ولا سيما فى مثل هذا العلم ، ولا يلزم مما قلناه عدم التعرض لكل من يدعى الالهام ، فيكفينا ما عانيناه من ادعياء الكرامات واشباه الصوفية ممن افسدوا عقيدة المسلمين وشوهوا التصوف الحق ، وقدموا صورة غير صحيحة من مثالية الاسلام » .

والبحث العاشر « الاجتهاد والمستشرقون » عرض فيه المؤلف لآراء بعض المستشرقين حيال الاجتهاد ، كجولد تسيهر ، وهنرى ماسيه ، وماكدونالد ، وادوارد سخاو ، وعرض المؤلف لآراء جولد تسيهر فى الاجتهاد فيما قد يقبل منه ، بدون تعليق مسهب ، أما ادعاء هذا المستشرق اليهودى بأن الفقه الاسلامى تأثر بثقافات أجنبية منها الفقه الرومانى ، فقد آثر المؤلف الا يناقش هذا الادعاء بعد أن رد عليه غير واحد من العلماء ، واكتفى بقوله : ان كل جزئية من جزئيات الفقه الاسلامى يمكن ردها الى أصل قريب لها أو بعيد منها من أصول الأحكام الفقهية المعروفة ، وأن من استعان بها فى سن القوانين واستخراج الاحكام لم يحتج الى غيرها لذلك .. ثم ان لكل مذهب من المذاهب الفقهية التى كتب لها البقاء أصحابا أسسوا مذهبهم على أصول ومناهج معروفة وموجودة .

وقد تعقب المؤلف بقية المستشرقين المذكورين وكم كنت أود أن يكون لهذا البحث عناية أكبر من المؤلف ، ولا أظن أن أقل من عشر صفحات كفيل بتغطية قضية من أخطر القضايا ، قضية الغمز الملفوف فى غلالة من الحرير ، فليس هؤلاء المستشرقون وحدهم هم الذين حاولوا الاقلال من شأن الفقه الاسلامى ، وجهود رجاله ، بل كثير غيرهم .

أما البحث الختامى (الحادى عشر) فقد تناول فيه المؤلف « حاجتنا الى الاجتهاد » فعرض لموقف العلماء من الفقه الاسلامى ، ومن المصادر الأصلية للفقه ، وبلوغ مرتبة الاجتهاد ، وضرورة التوصل الى الاجتهاد المطلق والدعوة الى العمل بالفقه الاسلامى ، ثم التلفيق ..

ونحن مع المؤلف فى ضرورة التوصل الى الاجتهاد المطلق بعد أن دخلت الانظمة الحديثة فى حياتنا ، فى مجال الاقتصاد وغيره ، ولا بد من وجود من يجد لمشكلاتها حلا من الفقه الاسلامى بالاجتهاد فى المذهب ، أو بالاجتهاد المطلق ، كما أن هناك أمورا يتغير حكمها بتغير الزمان والمكان ، ولا يمكن أن يحكم فيها بما حكم فى الأزمنة الماضية ، ولذلك لا بد من اللجوء الى الاجتهاد المطلق كما يقول المؤلف ..

والدعوة الى العمل بالفقه الاسلامى هى أمنية كل مسلم ، لكن يجب أن يسبق ذلك فقه مدون صالح للعمل ، يتوافر فى اعداده الفقهاء الاسلاميون ، وعلماء القانون المخلصون لدينهم ووطنهم ، وبذلك نسد الطريق أمام بعض الفقهاء المنحرفين الذين لا مانع لديهم من أن يرتدوا رداء المجتهدين ، ويبذلوا ما فى وسعهم لإرضاء شهوات السياسة ورغباتها .

وبعد — فالمؤلف — والحق يقال — أمتعنا بدراسة جادة بدا فيها إخلاصه لدينه ، وحرصه على أن يساير الفقه الاسلامى الحياة ، ليكون فى مقدمة الركب ، وما ذلك على الله بعزيز .

خولة بنت الأزور

الفصل الأول

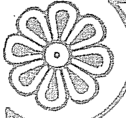
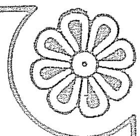
معركة بصرى بالشام

للدكتور : احمد شوقى الفنجرى

المنظر : خيمة كبيرة جلس فيها على الارض خالد بن الوليد بقلنسوته المشهورة ولحيته المريضة السوداء .. وفى يده عود من الحطب يخط به خريطة على الرمال وقد جلس حوله شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله وقائد جيش الحصار على بصرى .. والفارسى المظيم ضرار بن الازور وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ورافع بن عميرة الطائى ..

وخلف الرجال بمض النسوة فى الخيمة يتناقشن بدورهن فى شئون الاسعاف والطعام والتموين والحرب .. وبينهن الفارسة خولة بنت الازور أخت ضرار التى لا تترك سلاحها اينما سارت ومعها أم تميم زوجة خالد بن الوليد وعفرة وامامة وأم ابان ..

وخلف الخيمة من بميد تبدو ساحة الحرب .. كما ترى مدينة بصرى بأسوارها والطعام والتموين والحرب .. وبينهن الفارسة خولة بنت الازور أخت ضرار التى السلاح والصلبان ويرفمون الرايات الرومانية .

خالد : يا أخى شرحبيل .. لقد طال حصاركم لمدينة بصرى .. وانت تعلم ان أمير المؤمنين أبا بكر قد اقلقه تاخر فتح الشــام .. فطلب منى أن اترك أرض فارس واتوجه اليكم على عجل لقيادة جيوش الشام .

شرحبيل : والله لقد فرحت بقدومك يا أبا سليمان فلعل الله يعجل على يديك بالفتــح فانت سيف الله المسلول .. وقد دعا لك رسول الله بالنصر .

خالد : اكرمك الله يا كاتب وحى رسول الله .. فهلا تخبرنى يا أخــى لماذا تاخرتــم فى حصار هذا البلد شهرا كاملا ..

شرحبيل : يا أبا سليمان .. انك ترى أن هذه مدينة حصينة فيها قلاع وأسوار عالية .. وقد جمعوا فيها زادا يكفيهم شهورا .. ولديهم ينابيع ماء وفيرة ..

خالد : فهل حرزتم قوة دفاعها .

شرحبيل : نعم .. فيها حامية من اثنى عشر الف فارس على قيادتهم ثلاثة من كبار قادة الرومان هم بطرس واخوه بولس والدرنجار .. ونحن هنا ثلاثة آلاف فارس غير الالف فارس الذين قدموا معك من أرض العراق .

خالد : يا لهم من شجعان يحتمون بالحصون وهم ثلاثة اضعافنا فى العدد .. ولكنى أعرف يا شرحبيل أن مدنا اقوى واكبر من هذه قد سلمت لكم من قبل ..

ضرار : هذه المدينة يا أبا سليمان تختلف عن مدن الشام الاخرى .. كنا فى المدن الاخرى نجد المساعدة من اهل الشام كى يتخلصوا من ظلم حكامهم الرومان . وكانوا يقولون حكم العرب ارحم واعدل .. اما بصرى فيحكمها بطريق رومانى عادل اسمه رومانوس يحبه اهل البلد ومن اجله يساعدون الحامية ويحاربون معها وهذا هو ما جعل الرومان يصمدون لنا كل هذه المدة ..

خالد : هل درستم أسوار المدينة ودفاعاتها لعلكم تجدون فيها ثغرة .

شرحبيل : لقد بعثت يا أبا سليمان عيوننا من العرب المتنصرة فدخلوا المدينة وخرجوا منها أكثر من مرة دون أن يجدوا من أهل المدينة تعاونا .. ولم ياتونى بما يفيد ..

خالد : اترون لو تخلصنا من هذا البطريق .. الا يساعدنا ذلك ..

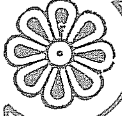
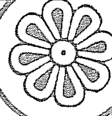
ضرار : لقد حاولت ذلك أيضا يا أبا سليمان .. لقد خرجت بالأمس اطلب منهم المبارزة .. وطلبت أن يظهر لى البطريق نفسه ..

خالد : وهل خرج لك يا ضرار ..

ضرار : نعم .. فوالله ما وجدت فى فرسان الروم من هو اثبت منه ولا أكثر خبــرة بفنون الحرب والطعان .. لقد ظللت انا وهو ساعة نتبارز ونتحاور دون أن يتمــكن أحدنا من صاحبه ..

خالد : عجبــا لأمرك يا ابن الأزور .. ما كنت احسب أن أحدا من الروم أو الفرس يثبت لسيفك هذا فماذا دهاك ..

ضرار : لقد حانت لى من هذا اللعين فرصـــة واحدة فضربته بملء عزمى ولــكنه أسرع وتلقى السيف بدرعه فتكسر سيفى على الدرع فقال لى بلغة عربية : والآن تمكنت منك يا بدوى .. أما كان خيرا لك أن تبقى ســـالما مع غنمك !! فقلت له ومع ذلك فلا بد لى من قتلك ولو بسيفك الذى فى يدك .. ثم ترجلت عن حصـــانى .. واخذت

اتلقى ضرباته بدرعي واطعنه برمحي . الى ان رايت اختي خولة قادمة تعوي بفرسها لتعطيني سيفا جديدا ..

خالد : لك الله يا خولة من بطلة .. دائما نعرف قدرك عند الشدة ..

خولة : لقد كنت ملثمة يا ابا سليمان فلم يتبين الرومانى اننى امرأة واخذ يصيح فى وجهى : يا معشر العرب .. هل من اخلاقكم الغدر .. هل اتيت ايها الفـــارس لتساعد زميلك بعد أن كدت أنال منه .. والله لأقتلنك قبله .. ثم انقض على يهاجمنى .

شرحبيل : والله يا أبا سليمان لقد ظلت خولة تكيل له الضرب والطعان وترينا من حيل وفنون الحرب حتى قال المسلمون لولا أن خالد بن الوليد غائب فى العراق لقلنا أن خالد هو هذا الفارس نفسه ..

خالد : وماذا فعلت بالبطريق يا خولة .. ؟

خولة : لقد كدت أنال منه لولا أنه عندما احس بالتعب انهزم ورجع الى الحصن .

خالد : فماذا ترون أن نفعل يا صحابة رسول الله .. لقد أمرنا الله بالتشاور فاخبرونى برأيكم .

عبد الرحمن : الرأى عندى يا أبا سليمان أن نترك هذه المدينة فهى غير هامة وقد يطول صبرهم على الحصار .. وأن ننتقل الى دمشق فى الشمال فاذا ســـقطت دمشق انقطعت عنهم الامدادات واضطروا الى التسليم دون قتال .

شرحبيل : هذا هو ما كنت أريد ان اكتب به الىٰ أبى عبيدة ولكن ما دام أمير المؤمنين قد ولاك امارة الجيش مكانه فهذا هو رأيى انا ايضا يا أبا سليمان .

خالد : الديكم أفضل من ذلك فانى لا أحب أن اترك وراء ظهرى عدوا متحصنا .

عبد الرحمن : لقد مكثنا هنا شـــهرا كل يوم نجرب حيلة أو ندرس خطة فلعلك يا أبا سليمان تجد الحل الذى يعيى كل الحيل .

خالد : ليست الحيلة وحدها يا صحابة رسول الله .. ولكن بالاخلاص لله فوالله لقد نصرنى الله فى مواقع كثيرة على قوم أكثر منى حيلة ودهاء .. فكنت أدعو الله وأنشده النصر الذى وعده لجنوده المؤمنين المخلصين العاملين اذ يقول تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمـــكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبـــدوننى لا يشركون بى شـــيئا » فلتتوجهوا الى الله بصـــلاتكم ودعائكم أن ينصرنا .. فانتم يا صحابة رسول الله قوم مباركون ..

ووالله يا اخوتى اننى أحس ببركة رسول الله الذى دعا لـــى بالنصر فى كل موقـــع .. أحس بان الله سيفتح علينا حصن بصرى هذه الليلة ..

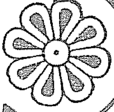
(ضرار وعبد الرحمن وشرحبيل وخولة وأم تميم يقولون فى وقت واحد) .

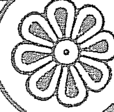
الجميع : هذه الليلة يا أبا سليمان .

خالد : والله ما أدرى كيف تكون .. ولكنى رايت فى منامى وكاننا هذه الليلة ناكل داخل الحصن ورسول الله يزورنا فيه ..

الجميع : الله اكبر ..

(تسود فترة صمت ودعاء .. تقطعها خولة بقولها) ..





خولة : يا أبا سليمان .. وانى أرى البطريق الذى بارزنى فى الصباح قد خرج من باب الحصن ..

ضرار : والله لقد سعى الى حتفه بظلفه .. فهذه المرة لن يفلت منى ولعل الله يحقق رؤياك يا أبا سليمان .

خولة : يبدو أنه لم يخرج للمبارزة فهو يشير الينا يريد المفاوضة يا ابا سليمان .

خالد : اشيروا له ودعوه يقدم علينا فلعل الله يمكننا منهم بالحيلة ..

رومانوس : يا معشر العرب .. لا يبرز لى اليوم الا اميركم فانا حاكم بصرى وبطريقها ..

الجنود المسلمون : تقدم أيها العلج فهذا هو اميرنا ..

(يذهب رومانوس فى زينة عظيمة وعليه بيضة موشاة بالذهب والياقوت وفوقها صليب الذهب وعليه درع وزرد يلمع منه الذهب .. ويظهر له خالد بن الوليد خارج الخيمة ..) .

رومانوس : هل انت أمير القوم ..

خالد فى تواضع : كذلك يزعمون انى اميرهم ما دمت على طاعة الله ورسوله فان عصيته فلا طاعة لى عليهم .

رومانوس : هل أنت خالد بن الوليد .. ؟

خالد : نعم هو أنا ..

رومانوس : وأنا رومانوس حاكم بصرى وقد رايت ان افاوضكم لحقن دمائنا ودمائكم ..

خالد : تفضل يا رومانوس لنجلس ونتكلم .

(يشير خالد الى ارض الخيمة ويهم بالجلوس .. فيتردد رومانوس ويقول له) :

رومانوس : اتجلس على الارض وانت أمير القوم .. اهذا من اوامر دينكم .. ؟

خالد : كلا يا اخا الروم .. ولكنها سنة عن نبينا أن نتقشف فى مجلسنا وملبسنا .. فمن الارض أتينا ومنها غذاؤنا وحياتنا .. واليها مصيرنا .. فماذا يضيرك لو جلست عليها ..

(يراه خالد مترددا فيخلع عباءته ويقول له) :

خالد : هذا ثوبى فاجلس ان أردت ..

رومانوس : كلا والله أجلس مثلك على الارض ..

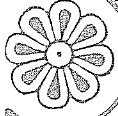
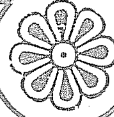
خالد : ومن أين لك هذا اللسان العربى يا اخا الروم ..

رومانوس : ان بصرى قريبة من أرض العرب .. وقد تربيت فيها عندما كان أبى حاكمها من قبلى .. وبها تمر قوافلكم الى الشام . وقد سمعت الكثير عن دينكم قبل ان تدخلوا هذه البلاد ..

خالد : فماذا تريد أن تفاوضنا عليه .

الحق أننى أريد أن استعلم منك عن اشياء كثيرة وارجو أن تصدقنى الجواب ..

خالد : اسال ما بدا لك .. فكما وجدتنا صادقين فى الحرب والضرب ، فستجدنا باذن الله صادقين فى القول .

رومانوس : قبل أن نبدأ بالحديث هل لك أن تعرفنى بالفارسين الذين بارزتهما بالامس .. احدهما كان يحارب عاريا الا من سرواله .. والآخر كان ملثما لا يبين منه الا عينه .

خالد : أيهمك أن تعرفهما يا أخا الروم .

رومانوس : نعم والله يهمنى .. لا لهذا التناقض فى الملبس .. ولا لما ابداه كل منهما من مهارة وفروسية .. ولكن ..

خالد : ولكن ماذا .. !!

رومانوس : لقد قيل لى أن الفـــــارس الملثم الذى بارزته امراة بدوية .. فهل هذا حق .. ؟

خالد : من قال لك ذلك فقد صدق .. اما الفارس العارى فهذا هو امامك ضرار بن الازور قائد ميمنتى ولعلمك انت الوحيد بين علوج الروم الذى صمد لضرار فى المبارزة وهذه شهادة كبيرة فى حقك ..

(رومانوس يمد يده الى ضرار ويسلم عليه قائلا) ..

رومانوس : لقد سعدت بلقائك يا ضرار ..

خالد : أما الفارس الملثم فهذه هى اخته خولة بنت الأزور وقد حسبتها انت جاءت تساعد اخاها ولكنها فى الواقع كانت تريد تسليمه سيفه ..

خولة : اتريد أن تبارزنى مرة اخرى يا أخا الروم .

رومانوس : ما لهذا جئت يا اخت العرب ..

خالد : لقد جاءنا رومانوس ضيفا مسالما يا خولة وما احســـــبه جاء متحديا او مبارزا ..

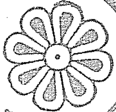
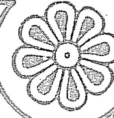
رومانوس : صدقت يا خالد .. والله ما جئت متحديا .. ولا مقاتـــــلا .. ولكنـــى جئت لامر عظيم افكر فيه طوال يومى وأمسى .. لقد حكمت بصرى وعشت فيهـــــا .. وكانت قبائل العرب واولها قريش تمر بهذه البلد فى طريقها الى الشام . فكنت ارى قوما جياع الاكباد ، وكانوا اذلة فى هذه البلاد .. نفرض عليهم الضرائب وهم صاغرون ونضرب رجالهم بالسياط وكان بعض الرومان يسبون نساء العرب ويبيعونهم فى اسواق العبيد .. فماذا غير احوالهم حتى اصبحت راعية الغنم فارسة تصمد فى القتال .. وماذا جعلهم يزهدون فى الحياة ويقبلون هكذا على الموت .. واذا فلا بد أن فى الامر معجزة من السماء .. وهذا هو ما جئت لاسالك عنه .

خالد : والله انك لرجل عاقل من عقلاء الروم .. وان الحـــق لا يخفى على ذى بصيرة . وما اصدق قولك ان فى الامر معجزة .

لقد كنا كما قلت ياكل بعضنا بعضا كالوحوش فى الغاب .. وكانت حياتنا على السطو وطعامنا ما نستخلصه من ايدى بعضنا فارسل الله لنا المعجزة التى غيرت حياتنا ووحدت كلمتنا وبعثت المحبة فى قلوبنا .. الا وهى الاسلام ..

رومانوس : خبرنى بالحق والصدق يا خالد .. احقا ان الله ارسل على نبيكم سيفا من السماء فاعطاكه فلا تسله على قوم الا هزمتهم .

خالد : لا ..

رومانوس : فيم سميت سيف الله .

خالد : ان الله عز وجل قد بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم فدعانا فنفرنا وابينا ونأينا عنه جميعا ثم ان بعضنا صدقه وتابعه وبعضنا باعده وكذبه فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ثم ان الله اخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه فقـــال لى الرسول « انت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين » ودعا لى بالنصر فســميت بذلك سيف الله فانا من أشد المسلمين على المشركين .

رومانوس : صدقتنى يا خالد .. فاخبرنى الام تدعونى .. ؟

خالد : الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله والاقرار بما جاء به من عند الله ..

رومانوس : فمن لم يجبكم ..

خالد : فالجزية ونمنعهم .

رومانوس : فان لم يعطها ..

خالد : نؤذنه بحرب ثم نقاتله ..

رومانوس : ولماذا لا تكون هناك رابعة .

خالد : ما هى الرابعة .

رومانوس : ان تتركونا فى سلام ونترككم لا تقاتلوننا ولا نقاتلكم ..

خالد : اذا تفسد الارض والله يريد صلاحها ..

رومانوس : كيف الا يكون صلاحها الا بالقتال ..

خالد : نعم يا اخا الروم .. هل انتم تحكمون بالعدل بين الناس .

رومانوس : لا والله .. ولكن اين هو العدل فى هذه الارض .

خالد : هذا هو ما جئنا من اجله وما حملنا الله به . فديننا هو العـــدل .. (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) .

رومانوس : اهذا فى كتابكم .. ؟

خالد : نعم .

رومانوس : والله لقد كنت أفكر فى هذا المعنى طوال يومى فاذا به عندكم فى كلمات قليلة .. فما منزلة الذى يدخل فيكم ويجيبكم الى هذا الامر اليوم ..

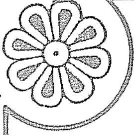
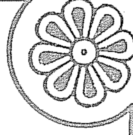
خالد : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا .. شريفنا ووضيعنا واولنا وآخرنا .

رومانوس : هل لمن دخل دينكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الاجر والذخر .

خالد : نعم وافضل .

رومانوس : كيف يساويكم وقد سبقتموه ..

خالد : انا دخلنا فى هذا الامر وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حى بين اظهرنا تاتيه اخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الايات .. وحق لمن يرى ما رأينـــا ويسمع ما سمعنا ان يسلم ويبايع .. وانكم انتم لم تروا ما راينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج فمن دخل فى هذا الامر بحقيقة ونية كان افضل منا ..

رومانوس : بالله صدقتني ولم تخادعني ولم تالفني .. ؟
خالد : بالله لقد صدقتك وما بي اليك ولا الى احد منكم وحشة وان الله لولى ما سالت عنه ..

رومانوس : اذا كان هذا مكانه في الاخرة فما حظه بينكم في الدنيا ..

خالد : يكون كواحد منا .. له ما لنا وعليه ما علينا ..

رومانوس : حسبى هذا والله انكم لعلى حق .. ودينكم هو العدل .. ومن يتاخر عنكم اليوم فقد خسر الدنيا والاخرة .. وانى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ..

(ضرار وشرحبيل وعبد الرحمن وخولة وام تميم فى وقت واحد) :
الجميع : الله اكبر .. الله اكبر ..
(يقوم خالد ورومانوس فيحتضنان بعضهما فى تاثر ..)
رومانوس : والآن اعطنى اسما مسلما يا خالد ..
خالد : خذ لك اسم واحد منا ..

رومانوس : ايحق لى أن اتسمى باسم نبينا احمد بن عبد الله .
الجميع : نعم نسميك أحمد بن عبد الله رومانوس .

خالد : ما دمت قد اصبحت واحدا منا فانى اقدم اليك كل قوادى واعقد الاخوة بينك وبينهم كما كان يؤاخى رسول الله بين المهاجرين والانصار .

(يشير خالد الى ضرار الذى يتقدم الى رومانوس ويحتضنه) :

خالد : هذا اخوك ضرار بن الازور . بالامس كنتما تتقاتلان قتال الموت واليوم قد الف الله بين قلبيكما فى الاسلام .
رومانوس : أهلا بك يا اخى ضرار .
ضرار : اهلا بك يا أخى رومانوس .
خالد : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » (١٠٣ آل عمران) .

رومانوس : ما أحلى هذا الكلام يا خالد لا بد ان هذا ايضا من الكتاب .. ؟
خالد : نعم .

رومانوس : ان أعطانى الله العمر فلا بد أن أحفظ هذا الكتاب .
(يشير خالد الى شرحبيل الذى يتقدم ويحتضن رومانوس) .

خالد : وهذا اخوك شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله وقائد جيش الحصار .

شرحبيل : اهلا بك ياأخى احمد .
رومانوس : انت والله من بركات رسول الله ..

خالد : وهذا عبد الرحمن بن خليفتنا ابى بكر الصديق وجندى من جنود الله ..

عبد الرحمن يحتضنه .

عبد الرحمن : اهلا بك يا اخى فى الله .

رومانوس : سبحان الله .. ابن الخليفة جندى كغيره من الجنود .. وعندنا ابن الرئيس يصبح رئيسا ولو كان طفلا فى المهد .

خالد : وهذه اختك التى بارزتها اليوم خولة بنت الأزور اخت ضرار ..

تسلم عليه خولة فيقول رومانوس اهلا بالفارسة البطلة .

خالد : وهذه زوجتى أم تميم لا تفارقنى فى حرب أو سلم ..

رومانوس : نعم الزوجة والرفيقة من تشارك زوجها ..

خالد : خبرنى بالله يا رومانوس .. لقد احسست منذ لحظة ندائك على انك تريد الاسلام .. فمتى فكرت فى أن تسلم .

رومانوس : ان لهذا قصة طويلة وقديمة لعلك تعجب لها ..

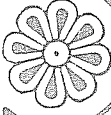
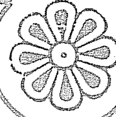
لقد كان ابى حاكم هذه المدينة قبلى .. وقد قص على انه رأى نبيكم فى دير بحيرا الراهب القريب منا منذ ثلاثين عاما .. فذات يوم وصلت عير قريش وفيها تجارة .. فنظر بحيرا الى القافلة ونبيكم فى وسطها .. فرأى سحابة على رأسه تظله من حر الشمس وتسير معه أينما سار .. فقال بحيرا لأبى ان فى الكتب ان نبيا يبعث من تهامة اسمه أحمد وأنا دائما أنتظره فلعله يكون هذا الرجل .. فدعا بحيرا القوم الى دخول الدير وأعد لهم طعاما فنظر فى القوم فلم يجده بينهم .. فقال هل تخلف احد منكم .. قالوا نعم تخلف فتى يتيم اسمه محمد بن عبد الله ليرعى الابل ويحرس التجارة قال : هل مات أبوه وأمه وهو صغير قالوا : نعم . قال هل كفله عمه وجده ؟ قالوا : نعم ، قال هل له اسم غير هذا : قالوا اسمه احمد ونحن نلقبه بالأمين لعظم امانته .. قال بحيرا لأبى : لعله يكون صاحبنا الذى ننتظره وبشرت به الأديان كلها .. فهيا نذهب لننظر ماذا يصنع .. فذهبا اليه .. فوجداه نائما تحت شجرة فقال بحيرا :

— وحق المسيح هذه الشجرة كانت يابسة منذ سنوات وهذه هى قد اخضرت وأورقت لكى تظله .. فليتنى اعيش حتى يبعث ويأتيه امر السماء فأكون أول من يؤمن به ..

وكان ابى يؤمن بما يقوله بحيرا .. فقبل أن يموت ابى قال لى : يا بنى لقد اختارك الملك بعدى حاكم بصرى ، فلا تكن كغيرك من حكام الرومان وسر فى الناس بالعدل .. واذا سمعت بهذا النبى الذى من تهامة فلا تتأخر عن نصرة دينه .. قلت يا أبى وكيف لى ان اعرفه .. قال : يا ولدى سيملأ خبره الدنيا وسيأتيك خبره هنا بين عينيك ..

خالد : هذه كلها والله صفات نبينا عليه افضل الصلاة والسلام .

رومانوس : وذات يوم دعانى الملك هرقل الى القسطنطينية .. وقال لى انت خبير بشئون العرب وتعرف لغتهم .. وقد وصلنى هذا الخطاب من نبيهم يدعونى فيه أن اتبع دينه .. فلما قرأت الخطاب اصابتنى رجفة فقد تذكرت قصة ابى .. فقال لى الملك : ماذا بك .. فاخبرته بقصة بحيرا الراهب .. وقلت له أن هذا رجل مبارك .. وقد تنبأ بانتصارك على ملك الفرس قبل موعده بعشر سنين .. والرأى عندى أن

تكرم رسوله وان تحسن الرد اليه ولا تكون مثل كسرى الذى مزق خطابه فدعا عليه ان يمزق الله عرشه شر ممزق .. فقـــال لى اكتب انت الرد .. فكتبت الرد بيدى رغم اعتراض البطارقة الاخرين وسخطهم على .

خالد : جزاك الله خيرا يا رومانوس ..

ضرار : ولكن هل لى ان اسالك يا رومانوس .

اذا كنت تريد ان تسلم فلماذا حاربتنى وبارزتنى بهذه الشدة حتى كاد احدنا ان يقتل الاخر .. ؟

خولة : ولماذا حاربتنى انا ايضا حتى كدت اقتلك .. ؟

(الجميع يضحكون) ..

رومانوس : والله ما حسبت يا خولة انك امراة فخبرتك بالمبـــارزة وضربات ذراعك لا تختلف عن اخيك ضرار حتى قلت لنفسى والله كانهما اخوان او ان معلمهما واحد ..

اما انت يا ضرار فانت الذى طلبت قتالى ولعلك رايتنى اسرع بالخروج وكاننى على موعد .. فقد كنت والله ارجو هذه الفرصة حتى لا تظنوا اننى اسلمت خوفا منكم او طمعا فيكم .. وحتى لا يظن اهل المدينة اننى خذلتهم عن خيانة او جبن ..

خالد : هذا والله نعم الراى ولو كنت مكانك لفعلت ذلك ..

رومانوس : هل تعلم ان هذه المبارزة يا ضرار هى التى اعطتنى القرار الاخير فى اسلامى وهى التى حسمت ترددى .

ضرار : كيف يا اخى .. لعلى يكون لى فضل عند الله فى اسلامك .

رومانوس : بعد هذه المبارزة ظللت طوال نهارى افكر فى امر هذا الدين الذى ملك عليكم كل حواسكم وجعلكم تستهينون بالموت .. وعندما نمت فى الليل رايت ابى فى الحلم .. يقول لى يا بنى لماذا لا تعمل بوصيتى لك .. هؤلاء اصحاب هذا النبى قد جاءوا حتى بابك فلماذا تحاربهم .. الى متى تتردد .. فقمت منزعجا ثم نمت مرة اخرى فرايت انكم جالسون معى تاكلون الطعام فى قصرى داخل المدينة .. فاقسمت اذا جاء النهار ان اخرج من المدينة باى حجة او سبب لكى اتصل بك يا خالد واعلن اسلامى ولم اخبر بذلك حتى زوجتى واطفالى الصغار ..

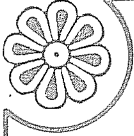
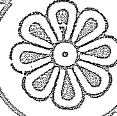
ضرار : سبحان الله هذه هى نفس الرؤيا التى رايتها يا خالد بالامس .

خالد : نعم والله وكاننا على موعد .. وفى نفس الليلة ..

ولكن خبرنى يا رومانوس باى حجة خرجت من المدينة لتقابلنا ..

رومانوس : لقد ذهبت الى بطرس قائد الجيش وقلت له اننى اعرف لســـان العرب ولى منهم معارف .. فدعنى اذهب اليهم وافاوضهم على السلام فلعلى احقن دمائكم وتسلم المدينة من التخريب .. فرفضوا اول الامر وقالوا ان حصـــوننا منيعة ولدينا مؤن تكفينا عاما كاملا .. فلماذا نطمعهم فينا بالتفاوض .. فلم احاول الالحاح حتى لا يشكوا فى امرى ثم اخذ بطرس واخوه والدرنجار يتناقشون .. ثم قالوا لى :

اذهب الى اصحابك العرب .. وقابل اميرهم وقل له اننا سنعطيهم زادا وهدية لكل واحد منهم ولاميرهم عشرة امثالها على ان يعودوا الى بلادهم ولا يحاربوننا ..

فكدت اضحك من جهلهم .. ولكني قلت لهم السمع والطاعة فانتظروني آتيكم بالراى .

خالد : اننا يا رومانوس نقدر موقفك ووجود اهلك فى ايديهم .. فلك كل الخيار .. اما ان تعود اليهم ويبقى ما بيننا سرا الى أن يفتح الله علينا البلد فتعلن اسلامك كما تشاء .. واما ان تبقى بيننا وتحارب معنا ..

رومانوس : ليس هذا بالراى يا خالد .. اننى لم اسلم لكى اقعد فى بيتى .. او اطلب لنفسى وأولادى الامان .. بل اسلمت لاجاهد مثلكم ويكون أجرى كاجركم ..

خالد : اذا تبقى معنا .

رومانوس : ولا هذا ايضا .. فلو بقيت وعلموا باسلامى لقتلوا زوجتى واولادى .

خالد : فماذا ترى .

رومانوس : ارى ان اعود الى المدينة واخبرهم انكم رفضتم عرضهم ثم اعمل فى الليل على فتح الحصن سرا ليتم النصر وترتفع كلمة الله ..

خالد : كيف بالله يا رومانوس ..

رومانوس : ان قصرى ملاصق للسور . .وسوف اجعل اهلى وخدمى ينقبون ثغرة فى القصر فاذا جاء الليل اشرت اليكم فيدخل عشرة من خيرة رجالكم فيقتلون حراس الابواب ويفتحون لكم المدينة .

خالد : هذا والله الجهاد الحق يا رومانوس .. وهؤلاء اخوتك عبد الرحمن بن أبى بكر ، وضرار بن الازور تعطيهما تفاصيل خطتك واشارتك وموعدك حتى يكونوا على اهبة ..

رومانوس : حبذا لو كانت لديكم ملابس جنود الرومان .

ضرار : لدينا منها الكثير يا اخى مما اخذناه من الغنائم ..

رومانوس : ان لى شرطا واحدا أطلبه منك يا خالد .. ولا مطلب لى سواه .

خالد : اطلب يا رومانوس .

رومانوس : اذا تم فتح هذا البلد بهذه الطريقة ان تعتبروها فتحت صـــلحا لا حربا ..

خالد : وماذا يهمك من هذا الامر .. ؟

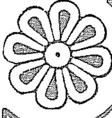
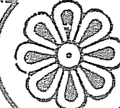
رومانوس : يهمنى ان اكسب قلوب اهل البلد للاسلام . وان يعرفوا اننى ما خنتهم ولكن حفظت دماءهم واموالهم فى ظل الاسلام .

خالد : لك هذا العهد بينى وبينك يا رومانوس .

رومانوس : حتى لو قتلت فى هذه المعركة يا خالد يظل هذا العهد ساريا ..

خالد : حتى لو استشهدت يا رومانوس .

رومانوس : بقى اهم شىء لا اريد أن يفوتنى فقد حضر من الامر ما رايت وقد اقتل فى المعركة فهل تعلمنى ماذا افعل لكى يتم اسلامى فاموت مسلما .

خالد : لقد دخلت الاسلام فعلا بهذه الكلمات القليلة التى نطقت بها الساعة فديننا بسيط وغير معقد وليس فيه طقوس ويمكنك بعد ذلك أن تغتسل وأن تصلى ولكن هـــذا أمر نعلمك اياه بعد المعركة .

رومانوس واذا مت فى المعركة قبل أن اغتسل وأصلى اينقص ذلك من أجرى فى الجنة .. ؟

خالد : لا والله لا ينقص ذلك من اجرك شيئا . فالله يحاسبنا على نيتنا وما فى قلوبنا .

رومانوس : سمعتم ذلك من رسول الله .. ؟

خالد : نعم سمعناه من رسول الله .. وهذا هو أخوك شرحبيل بن حسنة كاتب الوحى يحدثك بما سمعه من رسول الله ..

شرحبيل : نعم والله أخبرك بالصدق : خرج رجل من صفوف المشركين وتقدم من النبى وقال له : اشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله . ثم تقدم فقـــاتل مع المسلمين حتى قتل فقال الرسول « عمل هذا يسيرا وأجر كثيرا » .

رومانوس : أين كنتم من هذا العلم كله .. والله هذا اعجاز الهى ..

والآن أيها الاخوة فى الله أستودعكم الله والملتقى فى الجنة ..

ضرار : انما ندعو لك يا أخى بالسلامة وطول العمر ..

خولة : وفقك الله لنصرة الاسلام وهماك لخدمته ورفع رايته وباذن الله تخرج من الحرب سالما وتتفقه فى هذا الدين ..

رومانوس : بفضلكم يا اخوتى دخل الاسلام قلبى وباذن الله بعد اسلامى سوف يسلم أهل بصرى جميعهم فلى تاثير كبير عليهم ..

خالد : انتظر يا رومانوس ..

ان رجعت الى القوم بغير قتال بينى وبينك وبعد طول حديثنا شكوا فى أمرك .. وخصوصا اننى أرى الدرنجار وبطرس يرقباننا فوق الاسوار .. فقم الى فرسك واحمل على وقاتلنى حتى لا يتهموك أو يشكوا فى أمرك ..

(يقوم الاثنان الى سلاحهما وفرسيهما . ويتحاوران ويتبارزان) .

خالد : والله انك لفارس ضرغام حقا .. فما يفلت من ضرباتى هذه الا خبير بفنون الحرب .. والآن عليك أن تنهزم امامى وتعود الى قومك .. وموعدنا داخل القلعة .

رومانوس : اذا كتب الله لى السلامة اليوم فلن أفارقكم فى الجهاد أبدا وسأذهب معكم الى فتح دمشق وباقى مدن الشام وكل بلاد العالم حتى يعم نور الاسلام الدنيا كلها .

خولة : على بركة الله .

(يتبع)

الفتاوى

دجـــــل

الســـــــؤال :

تدعى امرأة أنها متصلة بمن يكشف عن الغيب ، ويخبرها بالسرقة ومكانها وأسماء السارقين ، وبالمرض وعلاجه ، وكثيرا ما تصف الحشيش دواء للمرض وتتهم الأبرياء ، وتسبب بين الناس عداوة وفتنة ، فما حكم ذلك شرعا ؟

الاجـــــابة :

اتخذ الدجالون هذه المزاعم خداعا للبسطاء من العامة ، وطريقا للكسب الحرام ، وهى ضرب من الكهانة المحرمة شرعا ، ولا فرق بين من يستعين فى تكهنه بالنجوم أو الضرب بالحصى أو قراءة الكف ونحوه مما هو محرم شرعـــا ، وبين من يزعم كذبا أنه يستعين بقرين من عالم الجن يسميه سيدا أو خادما ، ويوهم الناس أنه يحدثه ويخبره عن الغيب ، فان الـــكل فى الضرر والحرمة سواء .

وكما تحرم هذه الأعمـــــال على ، ويحرم التكسب بهـــا ، يحرم على المسلمين أن يذهبوا اليهم لمثل هذه الأغراض ، وأن يصدقوهم فيما يزعمون ، وأن يعطوهم أجرا على ما يفترون .

واذا كان الحجر واجبا شرعا على من يضر العامة كالطبيب الجاهل والمكارى المفلس والمفتى بغير علم ، فهو على هؤلاء الدجالين أوجب والزم ، لخطورة عملهم وعظم مفسدتهم وأكلهم أموال الناس بالباطل . وعلى المسلمين أن يتواصـــوا بالقضاء على هذه المفاسد ، وينصحوا العامة حتى لا يقعوا فى حبائلهم ، والله ولى المصلحين .

صـــلاة الوتر

الســـــــؤال :

ما حكم صـــلاة الوتر ؟ وما مقدار ركعاته ؟ وما حكم القنـــوت فيه فى رمضـــــان ؟

الاجـــــابة :

أعلم أن الوتر واجب عند الحنفية وسنة مؤكدة عند الأئمة الثلاثة ، وهو ثلاث ركعات عنـــد الحنفية . وركعة واحدة عند المالكية . واقله ركعة عنـــد الشافعية والحنابلة . وتجوز صلاته جماعة فى رمضان دون سائر الشهور عند الحنفية وتندب عند المالكية . وتسن عند الشافعية والحنابلة .

وأما القنوت فيه فواجب عند الحنفية فى رمضان وغيره . وسنة فى رمضان وغيره عند الحنابلة . وسنة فى النصف الثانى من شهر رمضان عند الشافعية . وغير مشروع فى الوتر فى رمضان وغيره عند المالكية ، والله أعلم .

هل المسجد شرط فى صحة الجمعة ؟

السؤال :

أراد أهل بلدة تجديد مسجدهم فهدموه ليقيموا بدله ، وليس فيها مسجد سواه ، فهل يتركون أداء الجمعة فى مدة اقامة البناء لعدم وجود مسجد أو يصح أن يقيموها فى غير المسجد ؟

الاجابة :

ذهب الحنفية والشافعية والحنابلة الى انه لا يشترط لصحة الجمعة أداؤها فى المسجد ، قال ابن قدامة الحنبلى فى المغنى : لا يشترط لصحة الجمعة البنيان ، بل يجوز اقامتها فيما قاربه من الصحراء وبهذا قال أبو حنيفة لما رواه كعب بن مالك قال : « أسعد بن زرارة أول من جمع بنا فى هزم النبيت فى حرة بنى بياضة ، فى نقيع يقال له نقيع الخضمات » (رواه أبو داود) .

وقال عطاء : وكان ذلك بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، والنقيع بطن من الأرض يستنقع فيه الماء مدة ، فاذا نضب نبت الكلأ وحرة بنى بياضة قرية على ميل من المدينة ، وكان الأصل عدم اشتراط ذلك ، ولا نص فى اشتراطه ولا معنى نص ا هـ .

وفى المجموع للنووى ولا يشترط اقامتها فى مسجد ، ولكن تجوز فى ساحة مكشوفة بشرط أن تكون داخلة فى القرية أو البلدة معدودة فى خطتها فلو صلوها خارج البلدة لم تصح بلا خلاف سواء كانت بقرب البلدة أو بعيدا عنها ، وسواء صلوها فى ركن أم ساحة ، ولو انهدمت أبنية القرية ، أو البلدة ، فأقام أهلها على عمارتها لزمتهم الجمعة فيها سواء كانوا فى سقائف ومظال أم لا ، لأنه محل الاستيطان قال القاضى أبو الطيب : ولا يتصور اقامة الجمعة عند الشافعى فى غير بناء الا فى هذه المسألة .

أما المالكية فذهبوا كما فى الشرح الكبير الى أن المسجدية شرط وجوب وصحة معا أو شرط صحة فقط ، ولا تصح فى براح أحيط بأحجار من غير بناء ، لأنه لا يسمى مسجدا ، اذ المسجد ماله بناء وسقف على المعتمد ، فلا يصح لأهل القرية انهدم مسجدهم وبقى بلا سقف أن يؤدوا الجمعة فيه الا على القول الأول .

وقال الشوكانى فى نيل الأوطار : قال أبو حنيفة والشافعى وسائر العلماء أن المسجد ليس شرطا لاقامة الجمعة اذ لم يفصل دليل وجوبها ، وأيده بما روى أنه صلى الله عليه وسلم ، صلى الجمعة فى بطن الوادى ، وقد روى ذلك أصحاب السير ومنهم ابن سعد . اهـ ملخصها .

ومن هذا يعلم أن أهل هذه القرية يلزمهم أداء الجمعة فى الأرض البراح التى فى قريتهم على بعض المذاهب ، وعلى ما ذهب اليه الجمهور من وجوب الجمعة على أهل القرى أيضا كالأمصار ، وهذا هو الأحق بالاعتبار حتى لا تهجر الجمعة بها ، والله أعلم .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

الفيلم الممنوع

أوقفت المغرب تصوير الفيلم السينمائي الذى قامت احدى شركات السينما باخراجه عن حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلماذا ، وما هى الاخطار الجسيمة التى تنجم عن ظهور مثل هذا الفيلم .

اسماعيل الغزنوى — سوريا

عندما أعلن عن انتاج هذا الفيلم قامت الهيئات العلمية الاسلامية بدراسته من الناحية الدينية ، واستقر رأيها بالاجماع على وجوب الحيلولة دون اتمامه ، وتدخلت مراجع اسلامية عليا ، وطلبت من حكومة المغرب ايقاف تصويره ، واستجابت الحكومة مشكورة لهذا الطلب ، وصدرت عن هيئات علمية اسلامية بيانات مستفيضة تشرح أسباب الايقاف منها مجمع البحوث بالازهر الشريف ، ورابطة العالم الاسلامى بمكة ، وهيئة الافتاء بلبنان ، وهيئات اخرى فى الهند وباكستان ، ونشرت الصحف والمجلات آراء كثير من علماء المسلمين ، وممن أخذ رأيهم فى هذا فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى قال فضيلته :

(الموضوع ببساطة اما ان نجني على التاريخ ، واما أن نجنى على الشخصيات المقدسة التى ستظهر فى الفيلم ، فاذا ظهر أصحاب الرسول وآل بيته فى صورتهم التى كانوا عليها .. وهى صورة لا تعجب الذوق الحاضر ، فنكون قد اعتدينا على أشخاصهم المقدسة ، واما أن نلبسهم صورة أخرى تعجب الذوق الحاضر ، فنكون قد اعتدينا على التاريخ .. ولا خير فى الاعتداء لا على الشخصيات المقدسة ولا على التاريخ !

— أعداء الاسلام يصورون محمداً صلى الله عليه وسلم دائما بصورة الانسان الذى أقام دعوته الى الاسلام على القوة والسيف .. ومن بين أحداث الفيلم معركتا بدر وأحد ، وهذا يعنى تأكيد الدعوة الكذوب التي يقوم بها أعداء الاسلام من أن الاسلام قام بقوة السيف ، وليس بقوة الاقناع .

ـــ وقال : اخواننا الذين قدموا فيلما عن السيد المسيح عليه السلام فى امريكا اشترطوا على من مثل شخصيته ان يحكم على نفسه بالموت الاجتماعى .. فلا يرقص ولا يجلس فى مقهى .. ولا يأتى بأى صغيرة تمس كيانه بين الناس لأنــه فى رأيهم سوف يكون صورة للسيد المسيح .. فاذا كان فى تصرفه عمل ناقص نسب الناس هذا العمل الى المسيح ، وسخروا منه ، وهذا معنى جليل يجب التنبه له ..

ثم قـــال :

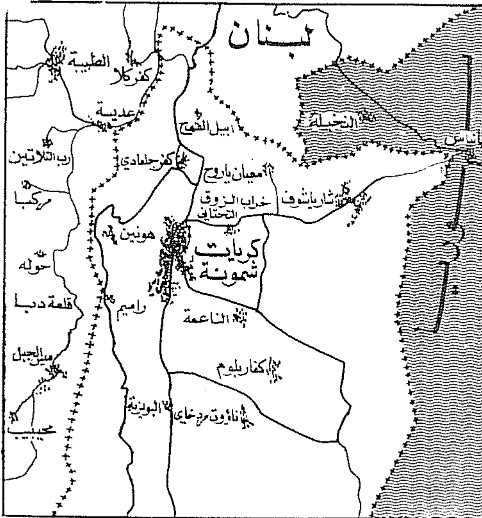
وأنا لا أقول (لا) عن مثل هذا الفيلم .. ولا ممنوع قانونا .. ولكننى أقول (عيب) وهو أقوى تعبيرا من حرام ديناً ، وممنوع قانونا .

عمليـــة الخالصـــة

تعتبر عملية الخالصة نقطة تحول فى تاريخ العمل الفدائى الفلسطينى وقد أثلجت صـــدورنا وشفت غليلنا نحن المسلمين الذين يعيشــــون فى الولايات المتحدة ويهمنا أن نعـــرف موقعها فى الارض المحتلة .

آدم محمد ـــ واشنطن

قرية الخالصة تقع فى الجليـــل الاعلى وتعتبر من أكبر المســتعمرات الاسرائيلية وأقدمها فى هذه المنطقة ، وقد سماها العدو مستعمرة (كريات شمونة) ومعناها القرية الثـامنة ، وأكثر سكانها من اليهود الشرقيين .



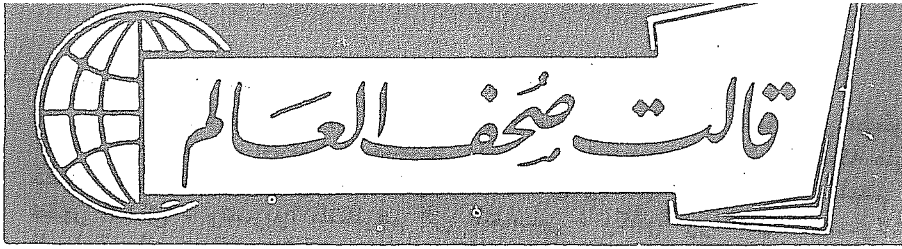
مصور جغرافى يحدد موقع الخالصة

خسائر اسرائيل فى حرب رمضان

عرفنا من الصحف والبيانات الرسمية عدد اسرى العدو فى حرب رمضان، ولم نعرف عدد القتلى والمفقودين من أفراده ، فهل لديكم حصر لهم ؟

عيسى الداعوق ـــ استراليا

أصدرت وزارة الدفاع الاسرائيلية كتابا يضم أســـماء وصورا ومعلومات عن (٢٥٢٢) قتيلا ومفقودا من الجيش الاسرائيلى فى حرب رمضان . وقد رفضت ٥٠ عائلة ادراج أسماء ابنائها فى الكتاب (٣٢ قتيلا و ١٨ مفقودا) . وبين القتلى والمفقودين ٥٨١ ضابطا (لواء واحد ، وعقيدان ، و ٢٥ مقدما ، و٨٩ رائدا ، و ١٩٥ نقيبا ، و٢٣٤ ملازمـــا أول ، و ٣٥ ملازمـــا ، و ١٩٤١ جنديا . (دافـــار ١٩٧٤/٣/١٢ م الاسرائيلية) .



كرسي للقـــرآن

فى محاضرة بالمجمع العلمى الفرنسى بباريس وقف وزير خارجية فرنسـا ليقول فى محاضرة علميـة سنوية لهذا المجمع .. وقف وهو ممسـك بالقرآن ليقول أن هذا الكتاب هو العدو الوحيـد للاستعمار الذى قابلناه فى شـمال افريقيـا وهو لم يقل ذلك الا بعد أن فشل الفرنسيون فى فرض اللغة الفرنسية بالجزائر وبعـد أن يئس آلاف المستشرقين ورجال الأعمال من غزو الحيـاة المادية والذهنيـة لشعب الجزائر .

وقبل ذلك كان الأزهر الشريف هو الذى قاوم لدرجة أن دخلته جيوشـها بالخيـول لتجبره على الخضوع وبعد ذلك أيضا كانت نفحة بسيطة من التأثر بالقرآن هى التى صدمت اسرائيل يوم ١٠ رمضان .

كل هذا يشير الى أن القرآن فعلا فيه شيء ما يقاوم الاستعمار ويبقي على الأمة الاسلامية رغم ضعفها وفقرها وتخلفها .. ويبقى على اللغة العربية كما هى منذ ١٣٠٠ سنة فى حين أن اللغة الانجليزية مثلا أيام شيكسبير تختلف تماما عن اللغـة الانجليزية اليوم وكم من لغة اندثرت بينما بقيت العربية .

وكم قامت حروب صليبية علنية وسرية ضد كل أجزاء العالم الاسـلامى وأفراده فلم نسمع أن مسلما دخل فى مسيحية أو يهودية . وقد لفتت هـذه الظواهر انظار الغرب . فأنشئت كراسى لدراسة الدين والقانون والسـياسة الاسلامية فى جامعات منيسوتا واللينوى وهارفاردبل اننى أؤكد أن هنـاك كرسيا لهذه الدراسات فى اسرائيل حتى أن ٦٠ رسالة قدمت للجامعة العبرية فى اسرائيل عن ابن خلدون وحده والأمر العجيب أن يكون عندنا كلية للاقتصاد والسياسة وليس فيها كرسى لدراسة القرآن من الوجهة السياسية علما بأن هذه الكلية تدرس النظم الوضعية من أمريكية وسوفيتية ، والأغرب من ذلك ألا يكون فى كليـات الآداب فى مصر كرسى للأدب القرآنى كنـوع راق من الآداب اللغـوية .

عن مجلة الشبان المسلمين القاهرية

* * *

المواجهـة الدائمـة

النـور والظلمـة ..

من يوم كان النور كانت هناك الظلمة ، وكان العـراك المستمر الدائم ، فالظلمة لا تريد للنـور أن ينتشر والنور من طبعه الانتشار ، لأنه هو الحق ، وللحق العلو والديمومة والانتصـار .

ظهر نور الاسلام ، ورأت الانسانيـة فيه مخرجا من الأزمات وعـلاجا للأمراض ، وتنظيما لشؤون الحياة ، فانشرحت القلوب لدين الله ، ولكن أعداء النور وقفوا فى وجـه الحق فى عناد وجمـود ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههـم .

لقد وقف يهود فى وجه الحق . مع انهم يعلمون انه هو الحق ، وخططوا الخطط للقضاء على الدعوة ، بالقضاء على الداعية ، وحرضوا مشركى مكة على ذلك ولكن الدعوة انتصرت فما كان منهم الا أن وضعوا خططا اخرى للهدم ، فظهر النفاق ، وتسربوا بأفكارهم الى التفاسير ، وكانوا وراء كل المحاولات الهدامة والفرق الضالة .

وبقيت عداوتهم للاسلام تزداد على مر الأيام حتى جاء العصر الحاضر فظهر حقدهم ، ووجدوا من يؤازرهم ويساندهم من أعداء الاسلام — والكفر ملة واحدة — فوضعهم أولئك الأعداء فى قلب الوطن الاسلامى . لينطلقوا من فلسطين متوسعين فى البلاد العربية مؤملين أن يحققوا حلمهم فى الوطن الكبير من النيل الى الفرات .

واليوم .. بعد هزيمة ٦٧ وعودة الروح فى حرب رمضان .. ماذا ينتظر الأمة الاسلامية ؟

— ينتظرها ويتوجب عليها الصمود الدائم والمواجهة الدائمة والاستعداد المستمر ، فلا حل بالحلول السلمية ، ولا بالمهمات الكيسنجرية .
— يتوجب على المسلمين الاستعداد بالتصنيع والبناء الداخلى المتماسك لتكون القوة .
— يتوجب على المسلمين أن يعملوا للوحدة الاسلامية الشاملة وذلك بالعودة الى الاسلام وتحكيمه وجعله هو المنظم لشؤون الحياة .. آنذاك تقوم الوحدة وتباشير الخير يراها من له بصيرة ، وان نصر الله قريب من المحسنين .

عن مجلة النور المغربية

الحـــرب النفســـية

ان المسلم الحق لا تؤثر فيه اشاعات الأعداء أو دعاياتهم ، لأنه لا يعتمد على قوته فقط فى حربهم بل يعتمد على عون الله وتوفيقه له . فاذا خوف العدو المسلمين من الموت ، وهددهم بالقاء المتفجرات عليهم فانهم لا يأبهون لذلك لأنهم يعلمون تمام العلم أن الموت والحياة بيد الخالق سبحانه .

واذا حاول العدو ايهام المسلمين بأن قوته لا تقهر لم يأبهوا لذلك لأن الله سبحانه وتعالى معهم وناصرهم ، فليس النصر بقوة السلاح بقدر ما هو بقوة الايمان والصبر والمصابرة فالسلاح وحده ليس هو الوحيد فى المعركة . يقول صلى الله عليه وسلم : ((**نصرت بالرعب**)) ويقول الله سبحانه وتعالى : ((**وما النصر الا من عند الله**)) ويقول : ((**ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**)) .

والمؤمن لا يصدق بالاشاعات التى يبثها الأعداء . يقول الله سبحانه وتعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**)) .

وقال تعالى : ((**واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**)) .

فاذا سمع المسلم أمرا لا يعلم حقيقته فلا يذيعه أو ينشره بين الآخرين بل يجب رفعه الى رؤسائه وقادته ليبينوا له حقيقة الأمر ، ويوضحوا ما خفى عليه لتكون الحقائق كلها وبصراحة أمام الناس .

عن صحيفة الدعوة الاسلامية

بأقلام القراء

الاضــطهاد الدينى

لقد قرأت مقالة الأستاذ عبد القادر طاش التركستانى فتألمت أشد الألم وحدثت نفسى متأوها آه لو كنت صاحب سلطة او قوة فأساعد هؤلاء بكل ما أوتيت من قوة ولقد اعتصرنى الألم لأن المسلمين شغلتهم الحياة الدنيا بملذاتهم وشهواتهم وشغلتهم المادة حتى أصبحوا عبيدا لها لا يحسون بما يحدث لاخوانهم المســلمين فى بقاع الأرض — ليت شعرى ما الذى أوردهم هــذا المورد المهلك أن أمامهم النور ويتركونه ليسيروا فى الظلام وأمامهم الحق ويتبعون الضلال كلما ظهــر منهم من يدعوهم للايمان ليجمع شملهم آذوه واضطهدوه تبا لكم أيها الغافلون من المسلمين كيف يهدأ لكم بال وتغمض لكم عين وأخوة لكم يؤمنون بالله وبرسوله ينكل بهم ويؤذون ويقتلون فى سبيل الله من أجل تمسكهم بعقيدتهم وايمانهم وأنتم تنظرون وكأن على أعينكم غشاوة — ان العلاج ورب الكعبة سهل لا يفزع ولا يروع وانمــا يبشر ويسعد ذلك أن المسلمين يجب أن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا تجمعهم عقيدتهم الدينية القوية ويجب أن يعمل حكامهم على جمعهم على أســاس من الحب فى الله حتى اذا ما قوى عــدوهم واشتدت شكيمتهم هبوا لنصرة اخوتهم فى كل مكان وانه لمن العار ومن الذلة والمسكنة ، ومن الهوان أن يسمع المسلمون بتعذيب وابادة اخوانهم المسلمين ولا تتحــرك مشاعرهم نحوهم ويثيرون العالم كله على أعدائهم ويمنعون معونتهم عنهم بترولا او غير ذلك كما فعلوا مع المتعاونين مع اسرائيل فلما لا تنذر الفلبين بقطع البترول عنها اذا لم تكف عن ايذاء المسلمين ولما لا نوجه نظر الدول التى تؤذى المسلمين ونتخذ الوسائل الكفيلة بردعهم عن ملاحقة المسلمين بالتشريد والتعذيب والقتل ، انا لن نعدم وسيلة نحن المسلمين اذا اخلصنا النية لله فسنجد كثيرا من الوسائل لوقف هذا التيار المجرم من الاضطهاد وكم أكون سعيدا اذا بعثت مجلة (الوعى الاسلامى) كما فعلت السعودية أكرمها الله وأكرم عاهلها العظيم جلالة الملك فيصــل حينما بعث لجنة لتقصى الحقائق للتعرف على أحوال المســلمين ومد يد المعونة والمروءة اليهم فانهم أخوة فى الدين وفى العقيــدة والاسلام وما ينبغى لمؤمن مسلم يؤمن بالله ورسوله ، أن يهدأ له بال وتقر له عين ويغمض له جفن الا بعد أن يرى هؤلاء المسلمين وقد انقشعت عنهم غشاوة الظلم والاضــطهاد ونعموا بعيشهم واطمأنوا على حياتهم وحياة أولادهم واستطاعوا أن يقيمــوا شعائرهم فى ظل من الأمن والأمان لا يروعهم ظالم ولا يعتدى على حرماتهم معتد .

مصطفى مصطفى القرمانى

العصر الذهبى لعلم الحديث فى الهند

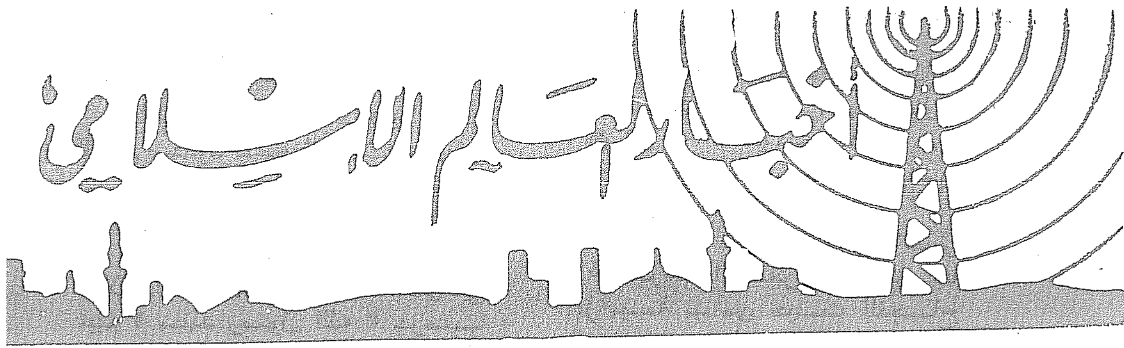
دخل علم الحديث فى أوائل الفتح الاسلامى فى بلاد الهند ، وكان من جملة من وفد اليها من المجاهدين فى سبيل الله الربيع بن الصبيح السعدى الذى قال عنه الحلبى فى (كشف الظنــون) هــو أول من صــنف فى الاســلام ، ولا

شــك أنه من أول المؤلفين فى عــلم الحــديث ، وقــد مات ودفن فى الهنــد ســنة ١٦٠ هـ ، وقد رافق علم الحــديث العرب الذين غزوا هــذه البــلاد ، وكان يرافقهم فى كل غزوة علماء محدثون ، وكان فيهم من ســكن الهند ومات فيها ، وانتشر علم الحديث فى الهند ، وادركت الهند العناية الالهية ، فأتحف الله هذه البــلاد بالوافدين الكرام من المحدثين ، من الحجاز ، وحضرموت ، ومصر ، والعراق ، وايران ، وذلك فى القرن العاشر الهجرى ، ثم سافر بعض علمــاء الهند الى الحرمين الشريفين مصدر هذا العلم ومعقــله وأخذوا علم الحديث ، ومن أشهرهم الشيخ على التقى صــاحب (كنز العمــال) المتوفى سنة ٩٧٥ هـ وتلميذه الشيخ محمد بن طاهر الفتنى صاحب (مجمع بحار الأنوار) المتوفى سنة ٩٧٥ هـ فخدما علم الحديث خدمة باهرة ، ثم جاء دور الشيخ العلامة عبد الحق البخارى الدهلوى المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ ، فأخذ علم الحديث من علماء الحجاز ونقله الى الهند واتخذ دار الملك (دهلى) مركزا له ، ونشر علم الحديث تدريسا وتعليما ، شرحا ، وتعليقا ، فأقبل العلماء على علم الحديث ، وانتشرت الصحاح ، ثم جاء دور شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولى الله المتوفى سنة ١١٧٦ هـ فرحل الى الحجاز وأخذ علم الحديث ثم رجع الى الهنــد وشمر عن ساعد الجد لنشره ، فقامت دولة الحديث فى الهند ، وتقرر تدريس الصحاح الستة فى كل حلقة تدريس ، وانتشر تلاميذه ، وتلاميذ تلاميذه فى طول الهند وعرضها .

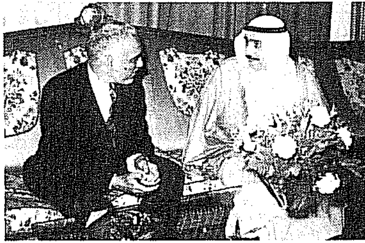
أشرقت الهند بنور هذا العلم وانتشرت فى جميع نواحيها كالكواكب الدرية ، وقامت فى وقت واحد فى مدن كثيرة حلقات مختصة لتدريس علم الحــديث ، وتخرج منها علماء محدثون ، ولا تزال تتسع الدائرة الى ما يشاء الله ، وكذلك الفوا مؤلفات ضخمة فى شرح الحديث والسنة وفى الرجال ومصطلح الحديث وفى الدور الثالث من أشهر المحدثين فى الهند المحــدث الجليل والمربى الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفورى صاحب (بذل المجهود فى حل أبو داود) المتوفى سنة ١٣٤٦هـ .

و (بذل المجهود فى حل أبو داود) ليس شرحــا وافيا لسنن أبى داود فحسب ، بل انه سفر ضخم يتضمن بحوثا ذات قيمة كبيرة فى علم الحديث وشرح كلام النبوة ، ورواة الحديث ومكانتهم ، وتراجمهم فى ضوء أقوال الأئمة والمحدثين الكبــار ، ليس له مثيل فى شرح الحديث فى جميع مؤلفات علماء الهند قد طبع ونشر وتلقى بقبول عام من العلماء ، ثم قامت المكتبة الامدادية . باب العمرة مكة المكرمة . على طبعه بالحروف العربية الحديثة فى القاهرة ، وطبع الكتاب فى عشرين جزءا ، وكــذلك فى عصرنا هذا من أشــهر المحدثين فى الهنــد تلميذ صاحب (بذل المجهود) المحدث الكبير العلامة ، محمد زكريا المعروف فى شبه القارة الهندية ــ بشيخ الحديث ، نزيل المدينة المنورة ، كتب عنه المصلح الكبير الداعية الاسلامى أبو الحسن على الندوى : ليس الحديث له علماء صناعة بل هو ذوق وحال يعيش به ويعيش فيه عدد مؤلفاته مائة وخمسون ، بل أكثر من ذلك ومعظمها على علم الجدث ومن أهمها (أوجز المسالك الى موطأ الامام مالك) فى ثلاثة عشر جزءا . . يطبع حاليا فى القاهرة ، وصدر الجزء الاول على نفقة المكتبة الامدادية ــ مكة المكرمة ، فشكرا للمكتبة وصاحبها من جميع أهل العلم والمشتغلين بالحديث .

تقى الدين الندوى المظاهرى



اعداد : الاستاذ فهمى الامام



الكويت — زار البلاد السيد مختار بن داده رئيس الجمهورية الاسلامية الموريتانية ويرى وهو يتحدث مع صاحب السمو الامير المعظم .



● احتفل بتخريج الدفعة الخامسة من طلبة الكلية العسكرية ، ويبدو فى الصورة سمو الامير المعظم وهو يسلم الشهادة لأحد الضباط الخريجين .

● تراس الاستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلاميةأول اجتماع للجنة التقويم الاسلامى .. والتى ضمت ممثلين من العلماء المسلمين لكل من الكويت ومصر وتونس والجزائر .. وقد انتهت اللجنة الى تكليف السيد صالح العجيرى — الفلكىالكويتى — بوضع تقويم اسلامى موحد للاعياد والعطل الرسمية .. على أن يكون جاهزا لعرضه على مؤتمر وزراء الاوقاف والشئون الاسلامية القادم .

● زار البلاد السيد محمود رياض الامين لعام لجامعة الدول العربية ، واجرى مباحثات مع المسئولينتناولت الاوضاع الخليجية ، ورغبة سورية فى عقد مؤتمر قمة عربى . وصرح سعادة الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية والاعلام بالوكالة : ان الكويت ترحب بالدعوة السورية ، وستحضر الكويت أى مؤتمر قمة عربى يحقق الخير للامة العربية .

● أبرم مجلس الامة الكويتى مشروعا يقضى بمد دول المواجهة

بمساعدة مالية تبلغ فى جملتها ١٥٠ مليون دينار كويتى .

القاهرة — ارسل الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر الى رئيس وزراء المملكة المغربية برقية تقول : « أرجو أن تنوبوا عنا فى تبليغ خالص شكرنا وتقديرنا لجلالة الملك الحسن لايقاف العمل فى فيلم « محمد رسول الله » حرصا على قداسة الرسول الكريم وجلال الصحابة » .

● بحث الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الاوقاف مع السيد تنكو عبد الرحمن الخطوات التى قطعها البنك الاسلامى ويساهم البنك فى المشروعات الانتاجية .. ويبلغ راسماله الفى مليون دولار .

● خصصت وزارة الاوقاف نصف مليون جنيه للاحتفاظ بالتراث الاسلامى للمساجد الاثرية ، وتجديد وترميم ما تهدم منها . وقد بدأ العمل فعلا بمسجد عمرو بن العاص .

● تقوم بعثة تمثل المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بجولة فى اوربا ، وستزور بريطانيا لدراسة الوسائل التى تمكن المجلس من تقديم الدعم العملى للنشاطات الاسلامية بما فى ذلك انجاز المسجد المركزى الذىيقام فى لندن ، والذى تبلغ تكاليفه ٢ر٥ مليون جنيه استرلينى .

● صدر بيان رسمى يفيد أنه لم يعتقل أى فرد من الاخوان المسلمين، وأن الذين تم استجوابهم فى حادث الكلية الفنية العسكرية منهم اطلق سراحهم فور استجوابهم .

السعودية — شكلت لجنة من كبار علماء الفلك لاستكمال الدراسات الخاصة بانشاء المرصد الاسلامى الذى تعتزم رابطة العالم الاسلامى انشاءه بمكة .

● تدور مباحثات جادة مع اسبانيا لاعادة مسجد غرناطة الى عهده الاول .

● قررت السعودية تقديم ٢٠ منحة دراسية فى جامعاتها لطلاب من أزاد كشمير المسلمة .

سورية — قررت سورية اعتبار مادة التدريب العسكرى من المقررات الالزامية — من حيث النجاح والرسوب — على طلاب الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة .

الاردن — تقوم وزارة الاوقاف والمقدسات الاسلامية باجراء مسح شامل للاملاك الوقفية فى البلاد كجزء من خطة الوزارة لتنميةمشاريع الاوقاف ورعايتها وصيانتها .

اليمن — أقيم فى مدينة «اريان» احتفال كبير بمناسبة وضع حجر الاساس لمدرسة اريان المقدمة هدية

الاساس لمدرسة اريان المقدمة هدية من دولة الكويت ضمن مساعدتها لليمن .

فلسطين المحتلة — صادف يوم ٥/١٥ الذكرى السادسة والعشرين لاغتصاب فلسطين . وتأتى الذكرى والفدائيون العرب يشنون هجماتهم الجريئة على العدو فى قلب الأرض المحتلة .

نيجيريا — خصصت السعودية مبلغ ٣٠ الف ريال للمساهمة فى بناء مسجد جامعة «ايفى» بنيجيريا .

موزنبيق — قام وفد من مسلمى موزنبيق بزيارة لباكستان . وقد ذكر رئيس الوفد ان عدد المسلمين فى موزنبيق يبلغ ثلاثة ملايين نسمة ، يشكلون ٣٣٪ من مجموع السكان .

كندا — عقد فى «تورنتو» أول اجتماع لمجلس الجالية المسلمة فى كندا . ويبلغ عدد المسلمين فى كندا حوالى ٨٥٫٠٠٠ مسلم ، منهم ٢٥٫٠٠٠ مسلم يعيشون فى مدينة تورنتو وحدها .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الأولى ١٣٩٤	مايو ١٩٧٤	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاربعاء	١	٢٢	٣١٠	٤٥٢	١١٤٤	٣١٩	٦٣٦	٨ ٦	٨٣٣	١٠١٦	٥ ٨	٨٤٣	١ ٣٠
الخميس	٢	٢٣	٩	٥٢	٤٤	١٩	٣٧	٧	٣٢	١٥	٨	٤٣	٣٠
الجمعة	٣	٢٤	٨	٥١	٤٤	١٩	٣٧	٧	٣١	١٤	٧	٤٢	٣٠
السبت	٤	٢٥	٨	٥١	٤٤	١٩	٣٨	٨	٣٠	١٣	٧	٤٢	٣٠
الاحد	٥	٢٦	٧	٥٠	٤٤	١٩	٣٨	٨	٢٩	١٢	٦	٤١	٣٠
الاثنين	٦	٢٧	٧	٥٠	٤٥	١٩	٣٩	٩	٢٨	١١	٦	٤٠	٣٠
الثلاثاء	٧	٢٨	٦	٥٠	٤٥	٢٠	٤٠	١٠	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الاربعاء	٨	٢٩	٥	٤٩	٤٥	٢٠	٤٠	١١	٢٥	٩	٥	٣٩	٣١
الخميس	٩	٣٠	٥	٤٩	٤٥	٢٠	٤١	١٢	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
الجمعة	١٠	٣١	٤	٤٩	٤٥	٢٠	٤١	١٣	٢٣	٧	٤	٣٨	٣١
السبت	١١	يونيو	٤	٤٨	٤٥	٢٠	٤٢	١٤	٢٢	٦	٣	٣٨	٧١
الاحد	١٢	٢	٣	٤٨	٤٥	٢٠	٤٢	١٤	٢١	٦	٣	٣٧	٣٢
الاثنين	١٣	٣	٣	٤٨	٤٦	٢٠	٤٣	١٥	٢٠	٥	٣	٣٧	٣٢
الثلاثاء	١٤	٤	٢	٤٨	٤٦	٢٠	٤٣	١٥	١٩	٤	٢	٣٧	٣٢
الاربعاء	١٥	٥	٢	٤٨	٤٦	٢٠	٤٤	١٦	١٨	٣	٢	٣٦	٣٢
الخميس	١٦	٦	٢	٤٧	٤٦	٢٠	٤٤	١٦	١٨	٣	٢	٣٦	٣٢
الجمعة	١٧	٧	٢	٤٧	٤٦	٢١	٤٥	١٧	١٧	٢	١	٣٦	٣٣
السبت	١٨	٨	١	٤٧	٤٦	٢١	٤٥	١٨	١٦	٢	١	٣٥	٣٣
الاحد	١٩	٩	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٦	١٩	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الاثنين	٢٠	١٠	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٦	١٩	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الثلاثاء	٢١	١١	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣
الاربعاء	٢٢	١٢	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣
الخميس	٢٣	١٣	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣
الجمعة	٢٤	١٤	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٩٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
السبت	٢٥	١٥	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الاحد	٢٦	١٦	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الاثنين	٢٧	١٧	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٤٥٩	٣٣	٣٣
الثلاثاء	٢٨	١٨	١	٤٨	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاربعاء	٢٩	١٩	١	٤٨	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الخميس	٣٠	٢٠	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣

أم المؤمنين

السيدة أم سلمة رضي الله عنها

اسمها : هند بنت ابى امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .
وامها : عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانية .

هجرتها : كانت زوجة للصحابى الجليل عبد الله بن عبد الاسد بن المغيرة .. وهو ابن عمة الرسول .. هاجرت بصحبة زوجها الى الحبشة حيث ولدت هناك ابنهما (سلمة) . ثم عادا الى مكة ولما ضاقت بهما هاجرا الى يثرب .. فحال المشركون بينها وبين زوجها .. فهاجر زوجها اولا .. ثم لحقت به فى دار الهجرة الثانية .
فكانت (ام سلمة) ـ بين المهاجرات ـ أول ظعينة دخلت المدينة .. كما كانت أول مسلمة هاجرت الى الحبشة .. وكان زوجها أول من هاجر الى يثرب من أصحاب النبى .

فى المدينة : ولدت لأبى سلمة : (عمر) و (درة) و (زينب) .. وبعد موقعة أحد التى جرح فيها أبو سلمة جرحا خطيرا .. عقد له الرسول لواء سرية عدتها (١٥٠) رجلا لغزو بنى اسد الذين ارادوا بالمسلمين شرا .. وبعد أن انتصر عليهم .. اشتد عليه جرحه وظل به حتى قضى عليه ، فرحل الى جوار ربه .

ام المؤمنين : وبعد انقضاء عدتها خطبها أبو بكر فرفضت فى رفق ، وتلاه عمر فكان حظه كحظ صاحبه .. ومن بعدهما بعث النبى يخطبها .. فتمنت لو يتاح لها هذا الشرف ولكنها اشفقت الا تملأ مكانها فى بيت النبى الى جانب عائشة وحفصة وقد جاوزت سن الشباب ومعها عيال صغار فارسلت للنبى تقول : « انها غيرى ، مسنة ، ذات عيال » فأجاب الرسول : « أما انك مسنة ، فأنا أكبر منك ، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك ، وأما العيال فالى الله ورسوله » وتمت خطبتها للرسول . ودخل بها فى شوال من السنة الرابعة للهجرة .

مكانتها : نزل الوحى على الرسول فى بيتها ، وكان لها فى (صلح الحديبية) دور عظيم فقد اشارت على الرسول بعد أن أمر اصحابه بأن ينحروا ثم يحلقوا ولم يستجب أحد ـ أشارت عليه قائلة : « يا نبى الله ، أتحب ذلك ؟ أخرج ثم لا تكلم احدا كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك » . ففعل وفعل المسلمون مثله . وصحبت الرسول فى خروجه لفتح مكة ثم فى حصاره للطائف وغزوه هوازن وثقيف .

وفاتها : كانت آخر من مات من نساء النبى ، وصلى عليها (أبو هريرة) الصحابى الجليل ، ودفنت بالبقيع .. ولم يبق بعدها من امهات المؤمنين غير ذكرى وتاريخ .. رضى الله عنها .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجاني — ص.ب : (١٣٢) .
بنغازى : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .

المغرب : الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عدن : مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العراق : بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .

قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبى : مطبعة دبى

الكويت : مكتبة الكويت المتحدة .

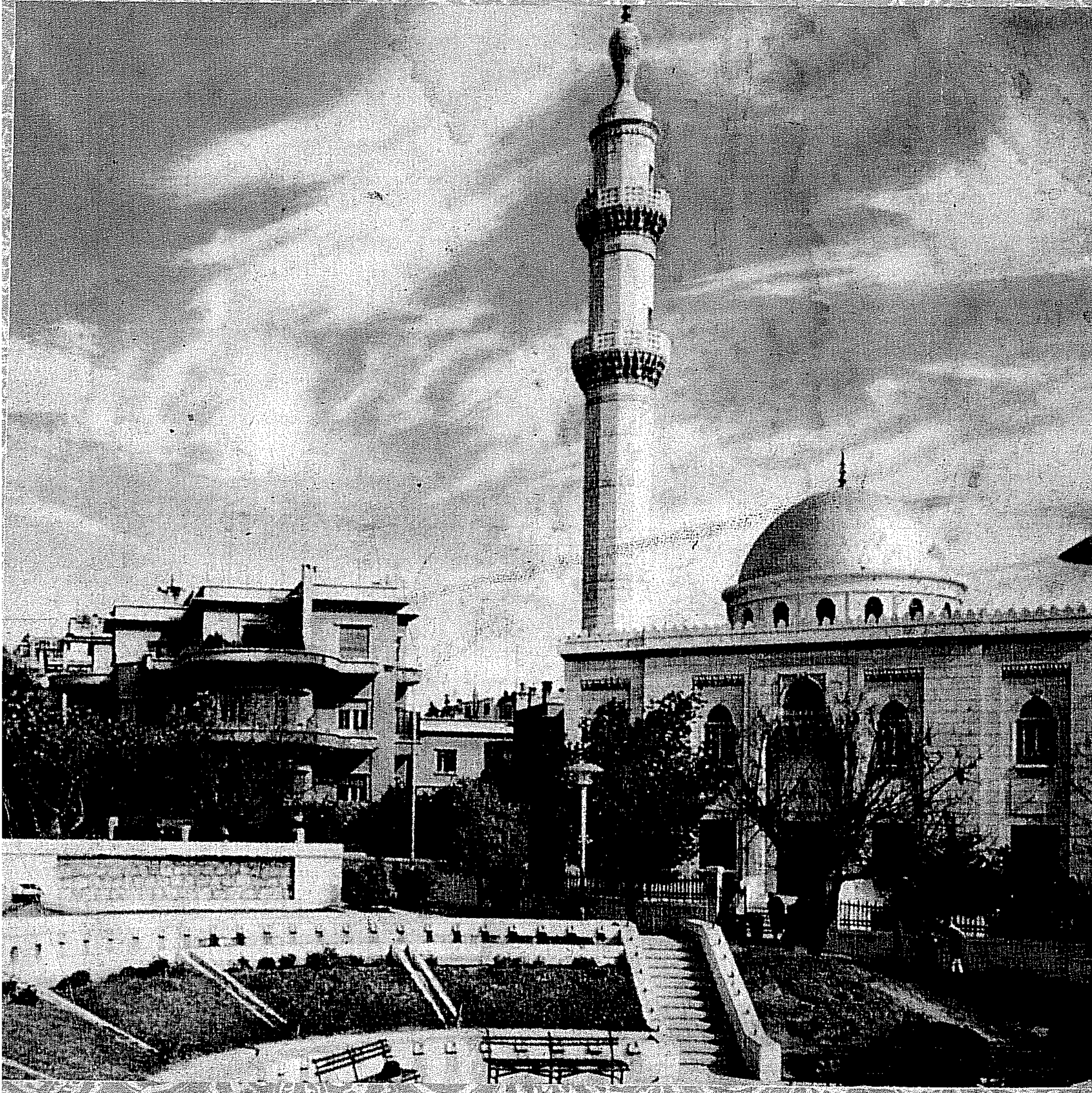
ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

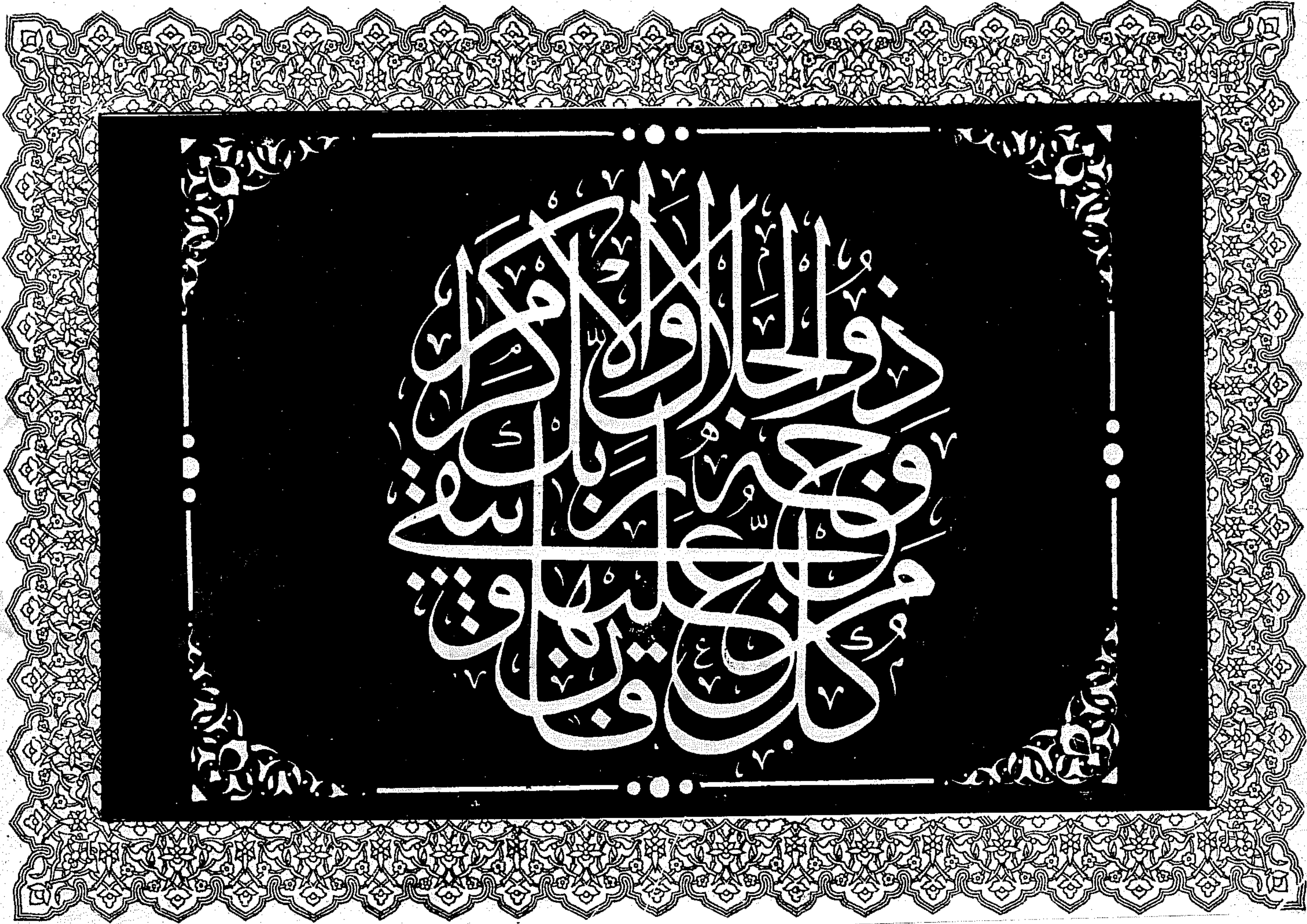
مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ــ الكويت

الوعي الإسلامي

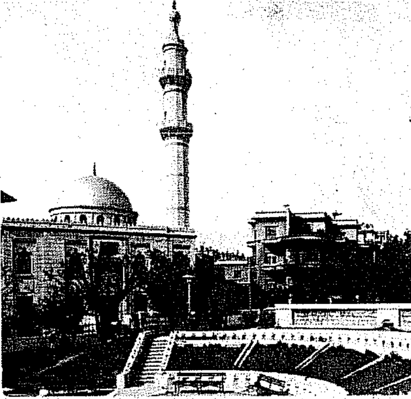
إسلامية ثقافية شهرية



السنة العاشرة ـ العدد ١١٤ ـ جمادى الآخر ١٣٩٤ هـ ـ يونيو ١٩٧٤ م


كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام

مسجد الروضـــة



أحد المساجد الفخمة بمدينـــــة دمشق .. ويقـــع فى حى من أرقى أحيائها وهو مشيد على الطـــــراز العربى الجميل وجمع بين روعة الفن وجمال الموقع .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العـــاشرة
العدد ١١٤

جمادى الآخر ١٣٩٤ هـ
يونيو (حزيران) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســــياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت فى غـــرة كل شـــــهر عـــربى
الاشتراك السنوى للهيآت فقط
اما الأفراد فيشـــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

التمـــن :

الــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريــال
العـــراق	٧٥ ملسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ علسا
اليمن وعـــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـــلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـــئون الاســـــلامية
صـــندوق بريد : ١٣ ــ كـــويت ــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

آية الكرسي

لعـــالم كبير

« الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشـــفع عنده الا باذنه ؟ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يئوده حفظهما ، وهو العلى العظيم » .

هذه الآية تعرف بين المسلمين بآية الكرسى ، وقد نوهت الســنة النبوية بفضلها ومكانتها ، وتتكون من عشر جمل متصلة المعنى فى الحــديث عن ذات الله وصفاته .

(١) « الله لا اله الا هو .. » ليس فى الوجود أحد يتجاوز مرتبة العبودية ، فكل ما عدا الله عبد له ، وهو وحده المتفرد بالألوهية فى الســموات والأرض .

من قال عن نفسه أنه اله فهو كاذب ، ومن قال عنه الناس ذلك فهم عليه كذبة ، وقد تمر بالناس أعصار يتخذون فيها بعض الجمادات والدواب آلهة ، وهذه أعصار الانحطاط الذهني والنفسي التي نرجو أن يتم خلاص البشر جميعا منها .

ولكن الضلال الشائع الى اليوم اتخاذ بعض البشر الطيبين آلهة مع الله بحجة انهم انبثقوا منه أو أنه حال فيهم .

وقد حارب الاسلام هذه الضلة حربا شديدة ، واكد أن البشر مستحيل أن يرتفعوا الى مصاف الآلهة ، وان الله العلى الكبير لا يمكن أن يهبط الى منازل البشر .

انه الاله الذى خلق غيره ، ومنحه الحياة ، وقام على أمره من المهد الى اللحد : « **واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شـــيئا وهم يخلقون . ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا** » .

ورسول الاســـلام — وهو قمة البشرية — عنـدما يدعو الله يؤكد هذه الحقيقة : « اللهم أنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك وفى قبضـــتك . ناصيتى بيدك ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك » .

(٢) « **الحي القيوم ..** » والأحياء من الخلق ليس لهم من أنفســـهم ما يوجب الحياة ، ان الحياة عرض مفاض عليهم من خارج أنفسهم .

وهو عرض يفارقهم يوما ولا يعود اليهم الا وفق مشيئة مفيضه جل شأنه ، الحى الذى لا بداية لحياته ولا نهاية ، فحياته وصف ملازم له أزلا وأبدا ، وذلكم الفارق بين حياة الخالق والمخلوق .

ومن ثم يقول الله لنبيه : « **انك ميت وانهم ميتون** » اما المتفرد بالحيـــاة العظمى فهو الله .

ولما كانت هذه الحياة وضاحة نفاحة ناسب أن يجىء عقبها وصف القيوم اى الذى يمد الأكوان والخلائق كافة بحركاتها وسكناتها ، ويشرف اشراف احاطة وهيمنة على شـــئونها وأحوالها فهى أحوج ما تكون اليه وهو أغنى ما يـــكون عنها ..

وقد ورد فى الآيات والآثار أن الله قائم على كل نفس بما كســـبت وأنه القيم على السموات والأرض ومن فيهن .

والقائم على الشىء ، والقيم عليه أو القوام عليه ، الفاظ تتفاوت فى الكشف عن هذه الاحاطة الشاملة لفنون التصريف والوان السيطرة على العالم .

ولكن لفظ القيوم جاء على هذه الصيغة فى المبالغة ، اشارة الى ان من المستحيل أن يفلت زمام الامور من الخالق ، أو أن تسير فى وجهة غير ما قضى ، اذ كل شىء يســـتند فى وجوده وبقائه وتقلبه الى هذا الوجود الأعلى : « **ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده** » .

وهذه الجملة — الحى القيوم — أولى الجمل التسع التى ترادفت أشـــبه بالاستدلال على الوحدانية المتقررة فى الجملة الاولى من آية الكرسى .

اذ هذه الأوصاف تنفى الشركة نفيا حاسما ، وتشـــهد للبارى انه لا اله غيره .

(٣) « **لا تأخذه سنة ولا نوم** » السنة ما يخالط الاجفان من أوائل النعـــاس ، والنوم هو الاستغراق التام .

والمراد أننا نحن البشر تدركنا ساعات غفلة نفقد فيها الشعور بأنفسنا وما حولنا .

بل نحن في ابان اليقظة يختلف انتباهنا ونشاطنا الذهني نحو ما نفكر فيه وما يحيط بنا .

وعند الكلال يضعف هذا الانتباه ، وتهن العزيمة ، وتكثر الأخطاء .

لكن رب العالمين لا يشغله شأن عن شأن ، ولا يغفل عن أمر في السماء لاهتمامه بأمر في الأرض ، ولا تلحقه عوارض الوهن والاعياء ، ولا تنفك قبضته الواعية عن ذرة في العرش أوالفرش لسهو أو اغفاء ..

(٤) **((له ما في السموات وما في الأرض))** الله واســـع الملك . وما تقول في غنى يشمل آفاق السموات وفجاج الأرض .. ؟

ان العالم كله ، علوه وسفله ، ملك لله وحده .

والذين يظنهم الجاهلون شركاء لله ، ليس لهم في هذا العالم ذرة ، ان كانوا أصناما فما هي الأصنام .. ؟ تماثيل نحتها المصـــــورون فهم في الحقيقة يملكونها ولا تملكهم .

ان كانوا بشرا ، فهؤلاء البشر ملك لمن صـــــورهم في الأرحام ، وجعل صدورهم تهبط وتعلو بالشهيق والزفير ، ولو شاء أن يقف دقات قلوبهم في اية لحظة من ليل أو نهار ما رده راد ..

ان هناك ملاكا على المجاز يضـــــعون أيديهم على بعض التراب ليرتفقوه حينا ، وربما طغوا بما يملكون ظاهرا ، ثم .. يجيئهم الموت فيدعون الحيـــاة صفر الأيدي ، يدعونها لمالكها الحق الذي له ميراث الســـموات والأرض **((ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم))** .

(٥) **((من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ..))** القاعدة العامة في الاســـلام انه لا شفاعة لمشرك ، أو ملحد .

وانه لا حق لأحد من الملائكة أو المرسلين يذهب به الى الله ليقول له أعف عن فلان أو اترك فلانا .

وان الاساس الأول للنجاة هو الايمان والعمل الصالح .

ولذلك قال الله تعالى قبل هذه الآية مباشرة : **((يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والـــكافرون هم الظالمون))** .

ويقول مخبرا عن مصاير المشركين والمجرمين **((انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار))** .

ويقول أيضـــا **((وان تدع مثقلة الى حملهـــا لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى))** .

وقد يقع ــ لمن ينجون بأعمالهم ــ شيء من الفضل ترتفع به درجاتهم فوق ما يستحقون .

أو يقع ــ لمن قاربوا ولم يصلوا ــ شيء من العفو ينجحون به ولا يرسبون ويجعل الله السبب الظاهر في ذلك شفاعة المرسلين أو الصالحين .

وهي شفاعة لا ترجع الى أن هؤلاء المرسلين أو الصالحين يجيرون على الله أو ينقذون منه من يريد عقوبته ، كلا ، فما يجرؤ ملك ولا نبي على أن يقف من الله هذا الموقف .

انهم لا يشفعون الا باذنه ، ولا يشفعون الا لمن ارتضى .

قال تعالى : ((**لا يســبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون**)) .

((**يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا**)) .

وربما قال قائل : ولم هذه الشفاعة وما قيمتها ؟ والجواب انهـا لا تعدو لونا من اكرام الله فى الدار الآخرة لمن أهينوا بسببه فى الدنيا ، فيريد الله أن يصلح بالهم وأن يعلى قدرهم ، وأن يشعر عباده بما لهم عنده من مثوبة ومنزلة ، وأن يطوى قلوب المقصرين والمتأخرين على محبتهم واعزازهم لما سبق اليهم من فضل على أيديهم .

بيد أن الشفاعة المذكورة لا تهدم قواعد العدل ، ولا تعطل موازين الحساب ولا يحتاج اليها سابق بالخير ، ولا ينتفع بها مارق من الحق .

(٦) ((**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهـم**)) ليس يخفى على الله شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وعلم الأمس واليوم والغد عنده سواء . كأن العالم منذ خلق ، والى أن تبدل معالمه صفحة واحدة يستوى فيها القريب والبعيد والأول والآخر .

وذاك ــ بداهة ــ لأن الخالق يعلم ما خلق ، ولا يتصور أن أحدا صنع من ورائه شيئا فيكون هو ــ سبحانه ــ جاهلا به .

ان الابداع ــ وهو ابراز شىء من العدم ــ لا يقدر عليه الا الله .

والتغيرات التى تحدث فى المادة ــ وهو محور الأعمال البشرية ــ لا تتم الا بأقدار الله ، ومن هنا كانت احاطة العلم .

ومن هنا كان معنى قولنا : ان الله لا يعلم هذا الشىء . ان هذا الشىء لا وجود له . اذ لو كان موجودا لعلمه حتما ، وهذا معنى الآيات الكريمة .

((**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون**)) .

ولقد تجول الفكرة فى خاطرى ــ وكم يحمل تيار الشعور الســارى فى كيان المرء من خطرات ، وسوانح ــ فأقول : ان الله يعلم هذه الخطرة المارة ، كما تمر السحب بالآفاق .

ثم أقول : وعلمه بها منذ أجيال !

واستتلى القول : وهو يعلم من غيرى مثل ما يعلم منى !

ومن غيرى ؟ ألوف مؤلفة تزحم أرجاء العالم .

وعلمه يسع هؤلاء فى عصرنا . وما قبل عصرنا وما بعد عصرنا !!

وما يملك المرء وهو يتابع هذا التصور الا أن يهتف بالآية .

((**ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم**)) .

(٧) ((**ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء**)) ينابيع المعرفة تنبجس ابتــداء من مشيئة الخالق ، حتى العلم بما يقع فى مجال السمع والبصر ، انه لولا ما ركب فى الانسان من عقل مدرك لماح ، ما استطاع أن يفقه مما حوله شيئا .

والاطلاع على ما هو أعمق من ذلك موكول الى مراتب الذكاء الانسانى ، وأنصبتنا من هذا الذكاء مقسومة علينا ونحن أجنة فى بطون الأمهات .

ومن هنا كان فتح نوافذ قليلة يطل منها العقل البشرى على آفاق من العلم محدودا بما تهيىء المشيئة العليا من أسباب عادية أو غير عادية .

ومصادر المعرفة المعتادة مبثوثة فى كتاب الكون المفتوح ، وفى تجارب الناس مع الحياة العامة ، ويمكن بالوعى والتأمل والتجربة أن نبلغ آمادا بعيدة فى هذا المضمار دون حرج ودون قيد .

أما المعارف الغيبية التى مصدرها الوحى الاعلى ، فان الله قد اصطفى لها رسله الأولين وقد انتهى هذا المصدر بالرسالة الخاتمة .

ولن يحيط أحد بشىء من هذا العلم عن الاتصال بالله أو بملائكته ، ومن زعم ذلك فهو كاذب .

وقريب من ذلك الانباء بالغيوب ، فان هذا ليس من العلوم الميسرة ، للخلق حتى تتاح فرصها للبشر على سواء ، ولا مكان لوحى ينزل به بعد انقضاء النبوات .

ومن ثم فلا يقبل من أحد القول بأنه داخل ضمن الامكان العام فى قوله تعالى : ((**ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء**)) .

(٨) ((**وسع كرسيه السموات والأرض**)) .

المتبادر الى الأذهان أن السموات والأرض هما حدود الملك الالهى ، وهذا خطأ ، فانهما بعض آثار القدرة العليا فحسب ، وكذلك قال فى آية أخرى :

((**ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة**)) .

وقال : ((**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ..**)) .

هما من آيات الله ، وآيات الله الشاهدة بجلاله لا يحاط بها ، وكرسيه من الرحابة بحيث يسع السموات والارض وسائر ما لا نحصى من آيات .

ونحن لا ندرى ما الكرسى ؟ ولا نكلف باكتناه ذلك .

وكل ما ندركه من هذه الجملة هو ما توحى به من الاشراف الالهى العالى على سائر الخلق ، ما نرى منه وما لا نرى منه ، وأن السموات والأرض ما يستغرقان الا جزءا من الملكوت الواسع الذى اشتمل عليه هذا الكرسى ((**والله من ورائهم محيط**)) .

(٩) ((**ولا يئوده حفظهما**)) لا يتجشم أية مشقة فى ضبط السموات والأرض وتدبير الأمر بينهما ، كما أنه لم يتجشم أية مشقة فى الخلق الأول ، وهذا ما ذكره فى قوله ((**والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون**)) .

أى أن ذلك البناء شىء هين الى جانب ما فى وسعنا ، كما ينفق صاحب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة فلوسا قليلة ، فلا يرى أنه أعطى شيئا طائلا ، كذلك ـــ ولله المثل الاعلى ـــ بناء العالم وحفظه ، وما يتعب الخالق المدبر ، ولا يثقله ولا يرهقه ، لفرط عظمته .

والجملة السابقة فى وصف الكرسى تشير الى علو الذات . ولذلك جاءت الجملة الأخيرة .

(١٠) ((**وهو العلى العظيم**)) .

تذييلا يختم المعانى السابقة بذكر اسمين من أسماء الله الحسنى مناسبين للمقام ، مقام العلو والعظمة الواجبين لذى الجلال والاكرام .

القصص القرآنية

٢

للأستاذ محمد عزة دروزة

- ٦ -

يجنح بعض العلماء والمفسرين الى القول أو الظن بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم شيئا من القصص القرآنية التى كان يوحى اليه بها قبل نزولها . بل والى القول ان جميع معارف النبى صلى الله عليه وسلم ومكتسباته هى من الوحى وحسب .

ولسنا نرى هذا وجيها لا من وجهة نظر الوحى القرآنى ولا من وجهة نظر النبــوة . ولا من وجهة نظر الوقائع والحقائق . فالنبى صلى الله عليه وسلم كان يعيش قبل نزول الوحى عليه فى بيئة فيها كتابيون يروون ما فى كتبهم من قصص ويتداولونها . وهناك روايات تذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجلس اليهم ويسمع منهم . وفى القرآن اشارة ما الى ذلك حيث كان المشركون يعرفون اتصاله بهم فنسبوا ما يبلغه وحى الله له ويتلوه على الناس إلى تعليمهم . وقد تضمن ذلك آية سورة النحل هذه (**ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشــر لسان الذى يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين**) (١٠٣) وآية سورة الفرقان هذه (**وقال الذين كفروا أن هذا إلا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون**

فقد جاؤوا ظلما وزورا) والآيات تنفى التعليم والاعانة دون الاتصال . ولم يكن المشركون يقولون ذلك لو لم يروا اتصاله بهم . وهو ما أيدته روايات عديدة فى كتب السيرة والتفسير مع ذكر اسماء لأفراد من أهل الكتاب كانوا فى مكة . وكان أهل بيئة النبى صلى الله عليه وسلم يرحلون الى البلاد المجاورة للجزيرة العربية التى كانت بيئات متحضرة وكتابية على الأغلب مثل العراق والشام ومصر والحبشة وجنوب الجزيرة ويرون فيها مختلف المشاهد الحاضرة والغابرة . وقد أشير الى ذلك فى بعض آيات قرآنية أوردناها قبل . وكان النبى صلى الله عليه وسلم نفسه قد قام ببعض الرحلات فى شبابه الى هذه البلاد وسمع ورأى وشاهد . ورواة العرب يروون ما يتناقله الأجيال من أخبار وأحداث وقصص عربية . فليس من المعقول ولا من الطبيعى أن يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجهل هذه القصص كليا أو جزئيا . وفى ما ذكرناه قبل فى صدد قصة يونس دليل بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة . وبالنسبة لما كان يتداوله أهل الكتاب من أحداث أسفارهم وما فيها من أسماء وشخصيات . ومعرفة النبى لهذه القصص قبل نزول القرآن الكريم لا يمكن أن تتعارض مع وحى الله القرآنى بها ولا مع نبوة النبى صلى الله عليه وسلم . لأن الوحى القرآنى بالقصص قد استهدف كما قلنا التمثيل والتذكير والانذار والموعظة والتسلية والتثبيت ولم يستهدف التاريخ والأخبار والسرد والتعريف . ويتبادر لنا أن ذلك القول أتى من عدم النفوذ الى مرمى وهدف الوحى بهذه القصص عن حسن نية ، وليس من تعارض قط بين وحى ما اقتضت حكمة التنزيل ايحاءه منها بالأسلوب الذى أوحيت به وبين ما يمكن ويصح أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد عرفه منها قبل نزول الوحى بما نزل منها . ولقد كان فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم تقاليد دينية واجتماعية متنوعة . وكان يجرى فيها أحداث متنوعة شاهد النبى بعضها وسمع بعضها . وعاش بعضها . ولقد ذكر القرآن كثيرا من ذلك . وليس من أحد يدعى أو يصح أن يدعى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف ذلك قبل بعثته .

وهذا وذاك من باب واحد .

وواضح أن هذا ليس مخلا بقدر النبى صلى الله عليه وسلم وعظمته التى انما كانت تقوم فى الحقيقة على ما امتاز به من عظمة الخلق وقوة العقل وصفاء النفس وكبر القلب وعمق الايمان والاستغراق بالله . ولقد قرر القرآن طبيعة النبى البشرية فى آيات عديدة وأمره الله أن يعلنها للناس كما جاء فى آية سورة الكهف هذه **(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ انما إلهكم إله واحد)** . وآية سورة الأعراف هذه **(قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)** وهذا متصل بهذه الطبيعة التى من البديهى جدا أن لا تتناقض مع معرفة النبى صلى الله عليه وسلم ما كان متداولا فى بيئته أو فى أى بيئة ونحلة تيسر له الاتصال بأهلها من أقوال وأفكار وأخبار وعقائد وتقليد وظروف وأحداث حاضرة وغابرة . بل ان من البديهى جدا أن يكون عارفا ملما بكل ذلك غير غافل عنه . وان هذا هو المعقول الذى لا يصح فى العقل غيره . واننا لنشعر بالدهشة مما أبداه ويبديه بعض العلماء المسلمين من حرص على توكيد كون النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له معارف مكتسبة . مما لا يتسق مع المنطق

والعقل والبداهة توهما بأن في هذا مأخذا ما على كون ما بلغه النبي من القرآن الذي فيه الاخبار والقصص السابقة أتى من هذه المعارف . ونرى في هذا التوهم خطأ أصليا في فهم معنى ومدى الرسالة النبوية التي هي هداية وارشاد ودعوة التي لا يعهد بمهمتها العظمى الا لمن يكون أهلا لها في عقله وخلقه وروحه وإيمانه ووعيه ومعرفته بما يدور في المجتمع الذي بعث اليه كما ذكرت آية الأنعام (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) كما أنه آت فيما يتبادر لنا من عدم ملاحظة كون القرآن نوعين متميزين اسسا ووسائل أو محكمات ومتشابهات وكون الوحي القرآني هو الأسلوب الذي يوحي به في ما يجب على النبي وعلى الناس عمله والسير عليه والتذكير والتبشير والانذار به .

ومما يورده بعضهم آيات سورة العنكبوت هذه (**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون**) (٤٨ و ٤٩) التي فيها دلالة على أمية النبي صلى الله عليه وسلم حيث يظنون على ما يبدو أن اكتساب المعارف والاطلاع على ما عند الناس من أخبار وأفكار وكتب انما هو حصر على القارىء الكاتب . وليس هذا صحيحا دائما كما هو المتبادر . وهو ناشىء من قياس الغائب بالحاضر . وهو قياس مع الفارق أيضا . والآيات والله أعلم بسبيل تقرير كون الدعوة التي يدعو اليها النبي صلى الله عليه وسلم وما يبلغه في صددها انما هو وحي رباني غير مقتبس من كتاب . وبسبيل تنبيه المشركين الى أنه لا يصح أن يكون عندهم شك في ذلك لأنهم يعرفون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ ويكتب . وانهم اذا جحدوا آيات الله التي يبلغهم اياها النبي الذي اختصه الله بمهمته وبيناته فيكونون ظالمين مكابرين . وأمية المرء لم تكن في وقت من الأوقات مانعة من أن يختزن كثيرا من المعارف والصور والروايات والنصوص الطويلة سماعا ومشاهدة . وهناك من يفوق في ذلك على غير الأميين . وهذا بالاضافة الى أن الأمية في الزمن القديم وفي بيئة النبي كانت هي السائدة ولم يكن هذا ليمنع نبهاء هذه البيئة من اختزان المعارف والصور والروايات والنصوص المحلية والعالمية التي كانوا يشاهدونها ويسمعونها في بيئتهم وخارج بيئتهم .

ومما يورد أيضا للتدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ذا نشاط وحركة وتطلع ما قبل نزول الوحي عليه هذه الآيات :

١ ــ **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون** .. (يونس ١٦) .

٢ ــ **وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك** . (القصص٨٦)

٣ ــ **قل ما اسالكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين** . (ص ٨٦) .

٤ ــ **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان** .. (الشورى ٥٢) .

والآيات قد تفيد شيئا من ذلك . ولكنها لا يمكن أن تفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان غافلا عما يجري ويروى ويتداول في بيئته من أخبار وأحداث وصور ومشاهد حاضرة وغابرة .

ويغمز الملحدون والمبشرون الحاقدون النبي صلى الله عليه وسلم بسبب

ما بين القصص القرآنيـــه والأسفار والكتب التى وصلت الينا والتي كانت على الأغلب متداولة فى زمن النبى بين أيدى أهل العلم والكتاب من تطـــابق ما . ويقولون انها مقتبسة منها . ولقد قال كفار العرب ذلك في مواجهة النبى صلى الله عليه وسلم وحكاه القرآن عنهم بدون أى حرج مؤكدا أن الله الحكيم الذى يعلم السر هو الذى أوحى به وانزله كمـــا جاء فى آيات سورة الفرقان هـــذه (**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما**) (٥ و ٦) .

ونقول ردا على الغامزين المحدثين أن ما بين القصص القرآنية والأسفار والكتب القديمة من تطابق ليس من شأنه أن يطعن بصحة وحيها الإلهى . لأنها لم تجيء للسرد التاريخي وانما للعظة والعبرة والتذكير . وليس من تعارض بين هذا وذاك بل ان ذلك من الحكمة المتبادرة من ايرادها فى القرآن كذلك على ما شرحناه قبل من حيث أن السامعين يتأثرون بما يعرفون . فليس من محل ولا معنى للغمز والنقد كما هو واضح . بل ان فى الغمز والنقد دليـــلا على غفلة الغامزين والناقدين عن مدى وهـــدف الوحى القرآنى بالقصص . اى العظـــة والعبرة والتذكير والانذار والتبشير وضرب المثل .

ولقد غمزوا النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن من ناحية أخرى أى من ناحية ورود بعض القصص القرآنية متباينة أو زائدة أو ناقصة بالنسبة لما ورد فى الأسفار . ومن ذلك مثلا تســـخير الجن والريح والطير لسليمان والجبـــال والطير والحديد لداود وقصص ابراهيم مع قومه ومع الملك . وجزئيات كثيرة فى قصص آدم ونوح ويوسف وموسى وفرعون وبنى اسرائيل ويونس وايوب الخ . وقالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم خلط أو أخطأ فيها أو اخترع ما ليس واردا منها فى الأسفار والكتب . وهذا القول متهافت . والمتمعن فى ما جاء فى الصيغ القرآنيـــة لا يجد له ضرورة فنية ولا اسلوبية — ونقول ذلك من قبيـــل المساجلة — حتى يخترعه النبى صلى الله عليه وسلم أو يزيد عليه أو ينقص منه ، ولا يستطيع أحد أن يدعى بصدق أن الأسفار والكتب المتداولة اليوم هى كل ما كان فى أيدى أهل العلم والكتاب والأمم الأخرى فى زمن النبي وقبله كما أن أحدا لا يستطيع أن يدعى بصدق انه لم يكن نسخ أخرى مما وصل الينا فيها ما ورد فى القرآن مما لم يرد فى النسخ التى وصلت الينا . فالكتب كانت تنسخ وكان النساخون وهذا ديدنهم فى كل وقت ينسون ويخطئون ويزيدون وينقصون فتكون النسخ للكتاب الواحد متباينة وفى بعضها زيادة وفي بعضها نقص . وفى أسفار العهد القديم التى وصلت الينا أسماء أسفار كثيرة من جملتها ســـفر التوراة شريعة موسى لم تصل الينا . وفى الأناجيل المتداولة اليوم والأســـفار الملحقة بالعهد الجديد ذكر لانجيل عيسى ولم يصـــل الينا . وهناك روايات عن أناجيل عديدة أخرى لم تصل إلينا وبين نصوص الأسفار التي وصلت إلينا من مجموعتى العهد القديم والعهد الجديد تضارب وتناقض وزيادة ونقص واختلاف مشاهد حيث يفيد هذا أن الذين كتبوها قد استقوها من مصادر مختلفة ضـــاعت أو بادت . ولقد اكتشف فى مغارة فى جهة البحر الميت أوراق من ســـفر اشعيا قال الدارسون : إن بينها وبين ما هو متداول معروف من هذا السفر تباينا . وفى القرآن آيات تذكر أن أهل الكتاب كانوا يخفون كثيرا مما فى أيديهم منها هـــذه الآيـــات :

١ ــ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنت تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . (المائدة ١٥)

٢ ــ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا .. (الأنعام ١٦٠) .

وفى سورة النمل هذه الآيات : (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين) (٧٦ و ٧٧) حيث تفيد ان القرآن قد جاء بما هو الحق والصدق والصحيح .

وفى سورة المائدة هذه الآية (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ..) (٤٨) حيث تفيد أن القرآن متطابق فى الأسس والأهداف مع كتب الله السابقة وانه ضابط لما هو الصحيح من وحى الله . ومصحح لما يمكن أن يكون وقع فى هذه الكتب من تحريف ورقيب عليها .

ولقد كانت هذه الآيات والقصص القرآنية تتلى علنا . ويسمعها أهل الكتاب ولا يمكن أن يكون ما جاء فيها جزافا ، وغير وارد فى أسفار وقراطيس فى أيدى أناس أو غير مروى على السنة أناس ثم ضاع أو نسى . ولقد آمن كثيرون منهم قدروا على التغلب على أنانيتهم وأهوائهم . وأعلنوا صدق القرآن كما حكى ذلك عنهم فى آيات عديدة منها هذه الآيات :

١ ــ وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم . (آل عمران ١٩٩) .

٢ ــ لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك . (النساء ١٦٢) .

٣ ــ ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق .. (المائدة ٨٢ و ٨٣) .

٤ ــ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . (الاسراء ١٠٨) .

وليس هناك اية رواية فيها انكار أهل الكتاب لشيء مما ورد فى قصص القرآن . ولقد حكى القرآن بدون حرج نسبة الكفار الى النبى صلى الله عليه وسلم بافتراء القرآن وكذبه ورد عليهم .

وقد حكى القرآن الكريم كثيرا من مواقف اليهود من النبى والاسلام ومحاولاتهم الدس والتفرقة والتشكيك . فلو كان صدر شيء من ذلك لحكاه ورده عليهم .

وفى كل هذا حجة لاقناع من يبغى الحق ، ولا يكون موقفه موقف المكابر العنيد الذى جعل إلهه هواه .



ونحن نعرف ان هناك ما يمكن ايراده بالنسبة للنقطة الاولى . اى كون

القصص مما كان معروفا من النبى صلى الله عليه وسلم والسامعين من قومه . حيث ورد فى القرآن آيات قد تبدو انها تناقض ذلك وهى :

١ — **ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون** .. (آل عمران)

٢ — **تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين** .. (هود ٤٩) .

٣ — **ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكـــرون** .. (يوسف ١٠٢) .

ونقول فى صدد ذلك : ان قصتى نوح ويوسف عليهما السلام قد وردتا فى سفر التكوين أول أسفار العهد القديم المتداول اليوم والذى نعتقد أنه كان متداولا فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم . واهل بيئته وهو نفسه كانوا متصـــلين بالكتابيين ويعرفون أخبارهم وما عندهم وما فى كتبهم على ما تفيده آيات عديدة أوردناها قبل وعلى ما جاء فى شرحنا السابق . فليس مما يصح فرضه أن يكون النبى صلى الله عليـــه وسلم والعرب السامعـــون أو بعضهم جاهلين هـــاتين القصتين .

ولقد أشير الى نوح وموقف قومه منه اشـارات خاطفة فى سور مبكرة فى التنزيل بأسلوب يلهم أن قصـــتهم مما كان معروفا متداولا مثل ســـورة النجم (الآية ٥٢) وسورة ق (الآية ١٢) وسورة القمر (الآيات ٩ — ١٥) وســـورة ص (الآيـــة ١٢) .

ولقد ذكر فى سورة نوح أسماء أصـــنام قوم نوح (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) وذكرت الروايات أن بعض قبائل عربية فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وقبله كانوا يعبـــدون هذه الأصنام ويعرفون ويقولون أنها أصنام قوم نوح . ولقد وردت قصة نوح مفصلة فى سور ترتيبها سابق لسورة هود فى النزول مثل سور الأعراف ويونس والقمر . وليس فيها تنبيه مثل التنبيه الذى احتوته آية سورة هود . ووردت مفصلة أيضا فى سور الشعراء والصافات ونوح والأنبيـــاء والمؤمنون والعنكبوت خالية من مثل هذا التنبيه .

ولقد جاء فى مطلع قصة يوسف فى سورة يوسف هذه الآية (**لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين**) (الآية ٧) وهذا النص يفيد أن من السامعين من كان يسمع قصة يوسف وانهم قد يكونون طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم تفصيلا ذلك فأوحى الله بالقصة كما جاءت فى سورة يوسف . ومتطابقة كثيرا مع ما جاء فى سفر التكوين مع تباين فى بعض الجزئيات . ولا نرى هذا يتناقض أو يتعارض مع احتمال أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم يعرف تفصيل هـــذه القصـــة فى سفر التكوين أن نسخه المختلفة التى يمكن أن يكون بينهما تباين ولم يصل الينا منها الا النص المتداول .

وقصة بشارة الملائكة لمريم بعيسى عليهما السلام واردة فى الاصحاح الأول من انجيل لوقا المتداول اليوم بما يقرب لما ورد من ذلك فى سورتى مريم وآل عمـــران . وفى الاصحاح خبر حبل امرأة زكريا بيحيى عليهما السلام وهى فى شيخوختها بأمر الله وقدرته . ووصفت بأنها نسيبة مريم . وهذا يعنى أن حياة مريم قبل ولادتها لعيسى ونذر أمها بما فى بطنها وكفالة زكريا لها والاختلاف على كفالتها والاقتراع على ذلك بما عبر عنه القرآن بجملة (**يلقون اقلامهم ايهم يكفل**

مريم) كل كذلك مما يمكن أن يكون متداولا في أوساط النصارى في البيئة النبوية ومما يمكن أن يكون قد سمعه وعرفه كليا أو جزئيا النبي صلى الله عليه وسلم وقومه . وفي كتب تفسير الطبري وابن كثير بيانات في صدد ذلك معزوة الى علماء الاخبار من أصحاب رسول الله وتابعيهم مما يؤيد ذلك .

ولقد قال المفسر الخازن تعليقا على آية سورة هود : ان قصة نوح مشهورة وانه ليس مما يحتمل أن لا تكون معروفة وانه يجب صرف الآية الى قصد عدم معرفة النبي وقومه جميع تفصيلاتها . وهذا قول وجيه مع اضافة شيء عليه وهو عدم معرفة النبي وقومه جميع التفصيلات التي جاءت في سورة هود بخاصة . لأن مثل هذا التنبيه لم يرد في سياق القصة في السور الأخرى ثم عدم نفي أن تكون التفصيلات التي لم يكن النبي وقومه يعرفونها قد وردت في أسفار وقراطيس كان الكتابيون يتداولونها . والله تعالى أعلم .

ويصح أن يشمل هذا القول ما جاء في سورة يوسف من تفصيلات في قصة يوسف واخوته . وما جاء في سورة آل عمران في قصة مريم أيضا حيث تكون حكمة التنزيل اقتضت الايحاء بما كان النبي صلى الله عليه وسلم وقومه لا يعرفونه من تفصيل القصص الثلاث مع عدم تعارض ذلك مع احتمال أن يكون ذلك واردا في أسفار وقراطيس أخرى .

وهناك آية أخرى تساق أيضا . وهي آية سورة يوسف هذه (**نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين** .. (الآية ٣) . وازاء ما ذكرناه وشرحناه من حقائق ووقائع لا مناص من تأويل الآية بتأويل لا يتناقض مع ذلك أيضا فيقال والله أعلم أن القصد هو التنبيه على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان غافلا عن حقيقة تلقي وحي الله القرآني أو عن أمور كثيرة من هذه القصص .

– ٩ –

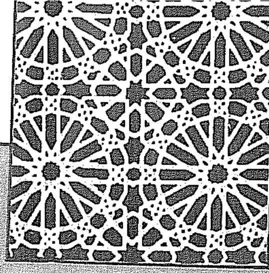
ويتظارف بعض الأدباء ومنهم مسلمون فيطلقون على أسلوب القصص القرآنية نعت (الفن القصصي) في القرآن . ولا ندري ماذا يقصدون من ذلك . فاذا كانوا يعبرون بهذا الوصف عن توهم كون القصص القرآنية حبكت بالخيال والتزويق والافتعال كما هو شأن القصص ففي ذلك تجوز وسوء أدب . لأن القصص القرآنية منزهة عن كل ذلك . فقد كانت كما قلنا معروفة مروية متداولة . فأوحى الله بها بالأسلوب والفحوى اللذين أوحيت بهما لتحقيق هدف الموعظة والتذكير والمثل والعبرة والالزام والافحام والانذار والتبشير . وقد يكون من مقاصدهم بذلك النعت التنويه بروعة الاسلوب الفني الأدائي الذى جاءت عليه هذه القصص وما فيها من صور كلامية رائعة . وهذا خطأ بدوره . لأن روعة الاسلوب والصور الكلامية في القصص القرآنية ليست أمرا متميزا عن روعة الأسلوب والصور الكلامية في سائر مواضيع القرآن وآياته وفصوله . فكل هذا بارز في كل مواضيع القرآن الأخرى . سواء أكانت أمثالا أم آيات في مشاهد الكون والخلق أم في المشاهد الأخروية . أم في الجهاد . أم في الأخلاق والاجتماع . أم في الجدل والحجاج أم في الانذار والتبشير . ففي كل ذلك كما

فى فصول القصص من الصور الكلامية الرائعة والأسلوب الأخاذ ما هو نافذ الى أعماق القلوب والعقول . وكل ما جاء فى القرآن من ذلك قد هدف الى هدف وحقق الهدف الذى جاء من أجله .

— ١٠ —

هذا . وقد يسأل سائل عما اذا كانت القصص القرآنيـــة حقائق ووقائع تاريخيـــة فى جزئياتها وكلياتها . ومع أن بعض علماء المسلمين قالوا انه ليس فى قصص القرآن ما هو مستحيل عقلا أو ما يثبت قطعيا عدم وقوعه أو ممـــا ليس محتملا أن يكون وقائع تاريخية حقيقية . ومع ما فى هذا القول من ســـداد فاننا نرى الأولى والأفضل أن نكتفى بالقول وأن يكتفى المسلم معنا بالقول ان كل ما فى القرآن وحى ربانى وانا (**آمنا به كل من عند ربنا**) مع القول أيضـــا أن هذه القصص لم يوح بها لتقرر وقائع تاريخية . وأن الوقائع المذكورة فيها كانت معروفة عند سامعى القرآن أو واردة فى كتب وقراطيس أو متداولة فى روايات شفوية فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم فاقتضت حكمة التنزيل بأن توحى قرآنا بالأسلوب والفحوى اللذين أوحيت بهما وبتكرارها فى سور متعددة وبصيغ متنوعة لتحقيق الأهداف المستهدفة منها التى ذكرناها قبل . وانها من الوسائل والمتشابهات التى لا ضرورة الى استقصاء حقائق جزئياتها ووقائع ما فيها من أحداث أو استنباط ذلك منها أو المجادلة أو النقاش والأخذ والرد فيها . وان من الواجب الدينى بل مقتضى الحق والعقل الوقوف عند ما ذكره القرآن منها دون تزيد وتكلف وتخمين .

ومن الجدير بالذكر والتذكير أن القرآن لا يحتوى استقصاء لحوادث القصص الواردة فيه . ولم يكن ما احتواه منها سردا تقريريا لوقائعها حيث اكتفى بذكر ما اقتضت الحكمة ذكره بالأسلوب والفحوى اللذين اقتضت هذه الحكمة ومناسبات السياق لتحقيق الهدف الذى جاءت من أجله من عظة وتذكير وتمثيل وانذار وتبشير وتوضيح وتلقين . وهذا واضح ملموح لكل من يمعن النظر فيها . ولو كان متوسط الثقافة . وهو ضابط مهم يجب على الناظر فى القرآن أن يلتزم به . وفى القرآن ظاهرة مهمة فيها توكيد لذلك واتساق معه . وهى أن أسلوب القرآن فى القصص وهدفه قد اتسقا مع ما ورد فيه من ذكر الوقائع الجهادية والمواقف القضائيـــة والحجاجية وغيرها من أحداث السيرة النبوية بحيث أن الناظر فى القرآن يجد أن ما ورد فيه من ذلك انمـــا ورد للعظة والتذكير والتنبيه والحث والتحـــذير والارشاد والتعليم والتسلية والتثبيت والتشريع . وهذا ظاهر من كون المذكور فى القرآن من ذلك لا يحتـــوى كل الصور والمشاهد والتفصيـــلات للمـــواقف والأحداث . وانما احتوى ما اقتضت الحكمة ذكره منها لتحقيق المقاصد المذكورة . وفى هذا دليل على الانسجام فى الأساليب القرآنية ومراميها . والخروج من هذا النطاق هو خروج عما يلهمه القرآن من نطاق مرسوم لقصصه وتعريف له كمـــا قلنا للنقاش والجدل . واخراج له عن هدفه وهو الهدى والموعظة والذكرى . وهو بعد ليس كتاب تاريخ . ولا يجوز النظر اليه على هذا الاعتبار . والله أعلم . والحمد لله رب العالمين .



أضواء على حركة المنافقين في عهد النبوّة

للأستاذ عبد القادر طاش التركستاني

ما إن بزغت شمس الدعـوة الاسلامية وعمت انوارها حتى التف الأعداء حولها يكيدون لها ،ويحاولون القضاء عليها بكل ضراوة واستماتة .

وكان المنـافقون ــ الذين أظهروا الاسلام بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ــ أشد أولئك الأعداء وأخطرهم اثرا في حياة الدعـوة . وذلك لأنهم كانوا يختلطون بالمجتمع المسلم ويندسون في الصف الاسلامي ويفعلون افاعيلهم ــ النابعة من حقدهم على الاسلام ، وحسدهم للمؤمنين ــ وهم آمنون من أن يلومهم أحد .

وقد بدأت حركة المنافقين بدخول الاسلام الى المدينة المنورة واستمرت الى قرب انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى .

ويصـور ابن القيم خطـورة تلك الحركة وأثرها السيء على الاسـلام وأهله فيقول : (فلله كم من معقل للاسلام قد هدموه وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه. وكم من علم له قد طمسوه ، وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوهـا وكم عموا عيون موارده بآرائهـم

ليدنسوها ويقطعوها ، فلا يزال الاسلام واهله منهم فى محنة وبليه ، ولايزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية ويزعمون انهم بذلك مصلحون (**الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**) (١) (**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**) (٢) .

وهذه صفحات عن صفات أولئك المنافقين وأسلحتهم فى محاربة الدعوة وعن دورهم فى المعارك التى خاضها الرسول أردت منها أن القى بعض اضواء على تلك الحركة الخطيرة عسى أن ننتفع بها فى معرفة المنافقين الذين يعيشون بيننا اليوم وكشف حقيقتهم وفضح نواياهم لنعمل بعد ذلك على تصفية المجتمع المسلم والصف المسلم منهم حتى نستطيع مواصلة المسيرة الاسلامية بعزم وإيمان دون أن يخذلنا مخذل أو يعوقنا معوق .

● تعريف النفاق :

المعنى اللغوى : يقول علماء اللغة : ـــ إن النفاق مشتق من نافقاء اليربوع ، ولليربوع جحران أحدهما النافقاء والثانى القاصعاء ، والنافقاء موضع يرققه بحيث اذا ضرب رأسه عليه ينشق وهو يكتمه ويظهر غيره فان ارتاب أو رأى الصائد آتيا اليه من قبل القاصعاء (وهو الجحر الظاهر) ضرب النافقاء برأسه فخرج .

وقيل : ان المنافق مأخوذ من النفق وهو السرب تحت الأرض ويراد بذلك أنه يستتر بالاسلام كما يستتر صاحب النفق فيه (٣) .

وقال الزرقانى فى شرحه على المواهب : ـــ ان النفاق اسم اسلامى لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو فعل المنافق الذى يستر كفره ويقيه بالاسلام كما يستر الرجل النفق وهو السرب فى الأرض له مخرج غير الذى يدخل إليه منه (٤) .

المعنى العام : ـــ والمعنى العام للنفاق هو: اظهار الانسان خلاف ما يبطن فى شتى نواحي الحياة فيتضمن الدخول فى الاسلام ظاهرا فقط ويتضمن غير ذلك مما يكون فيه الظاهر مخالفا للباطن(٥) ، مثل التظاهر بالفضيلة فى الوقت الذى لا يؤمن بها الانسان أو لا يمارسها فى الواقع . والنفاق بذلك يكون ضربا من ضروب الكذب ولكنه (يمتاز عن باقى أنواع الكذب بأنه ينحط الى دركات الكذب السفلى ويلف فى طياته كلما تلوى أشتاتا من الجبن والصلف والخسة والصفاقة ويدعو الى الحقد والحسد والضغينة ويفتن فى اخراج المآسى المروعة من الخبث والدهاء والمكر السيء وأكل الحقوق) (٦) .

المعنى الخاص :ـــ اما المعنى الخاص له فهو : اظهار الاسلام واضمار غيره أو هو التضارب بين العقيدة الباطنة والعقيدة الظاهرة ، يقول ابن القيم : هو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو فى الباطن منسلخ من ذلك كله ، مكذب به . (٧) وقد أورد الفخر الرازى فى تفسيره جدولا مؤسسا على التقسيمات المنطقية ، وتابعه على ذلك البدر العينى فى شرحه للبخارى ، وقد عرفا النفاق بأنه (الانكار القلبى والاقرار باللسان اضطراريا) (٨) .

ولقد حكم القرآن الكريم بكفر المنافقين فقال تعالى : (**ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم** (٩)

وقال تعالى : **(إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار)** (١٠) . وقال تعالى : **(إن الله جامع المنافقين والمشركين فى جهنم جميعا)** (١١) .

● أسباب النفاق :

للنفاق أسباب كثيرة تدعو اليه نذكر منها : ـــ

١ ـــ الخوف : فقد يؤمن الشخص بشيء ثم يرى وجوب ستر ذلك خوفا من المجتمع كالايمان بنظرية فاسدة أو الرغبة فى سيطرة او ملك ونحوه.

٢ ـــ الحسد : وقد ينافق الشخص حسدا لغيره على ما وهبه الله له كحسد عبد الله بن أبى بن سلول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن أعطاه الله القيادة والمكانة السامية فى المدينة .

٣ ـــ وقد ينافق حبا فى مال أو طمعا فى شهوة وهوى .

٤ ـــ وقد ينافق حبا فى جاه عريض ومركز كبير وجلبا لدعاية يطرق فى سبيل بلوغها كل الوسائل خيرها وشرها .

٥ ـــ وقد ينافق عداوة لشخص أو مذهب ليحيك بنفاقه وتظاهره بالاخلاص مؤامراته ويختلق دسائسه

● مناحى النفاق :

وللنفاق مناح متعددة وخطيرة ولكن أخطرها وأكثرها أثرا ما يتعلق بالنفاق فى الدين والنفاق فى الحرب والسياسة .

١ ـــ النفاق فى الحرب : ان الناظر فى صحائف التاريخ والواعى لوقائعه فى جميع عصوره يرى جليا أن كثيرا من الحروب والمآسى التى وقعت كانت تستند ـــ فى أغلبها ـــ على قواعد من النفاق والخديعة والمكر وكلنا يعلم أن الجاسوسية والمخابرات ترتكز على النفاق والكذب فى نطاقات واسعة ، وما الحرب النفسية أيضا الا نوع من أنواع الخداع والنفاق(١٢) .

٢ ـــ النفاق فى السياسة والحكم: ومجال النفاق في هذه ممتد الأطراف فما أكثر المؤتمرات والهيئات التى تعقد لتخرج الى الناس : (منتهى ما وصل اليه العقل البشري من أفانين النفاق والكذب وأساليب الخداع والدهاء والخبث مخلوطا بالألفاظ المعسولة الجميلة ومصبوغا بألوان مستعارة من الحق والمنطق) (١٣) . (ومن أكبر ميادين النفاق دعاوى الاصلاح عندما يكون موضوعها من المسائل التى يمرن فيها الجدل وليس لها روابط محدودة كوسائل التعليم وبرامجه واختلاط الجنس والرقص وأساليب السلوك وأغلبها يدور حول محور واحد كامن هو ارضاء الشهوات والغرائز وستر ذلك بالصور الفلسفية) (١٤) .

وللاعلام والدعاية والبلاغة البارعة دور بارز فى تنميق الأقوال وإلباس الباطل ثوب الحق فكم من الأنظمة تتشدق بأناشيد الحرية والمساواة وهى التى تخنق الحريات وتكتم الأنفاس ، وكم من المسؤولين وذوى الأمر والنهى فى الامة يدعون الفضيلة وهم أبعد الناس عنها .

٣ ـــ النفاق الدينى : ـــ فقد اتخذ ذوو النفوس المريضة المنحرفة الدين ستارا لأعمالهم الخبيثة وجرائمهم البشعة فتجدهم يدعون التقوى

والصلاح والاستقامة ويغرون الناس بمظاهرهم تم ياتون خباثتهم فى الخفاء مطمئنين من ان يلومهم أحد لانهم فى نظر الناس أبعد الناس عن الرذيلة ، وهذا المنحى من مناحى النفاق جد خطير واثره فى نفوس الناشئة عظيم .

٤ ــ النفاق فى الأفكار : ــ وبما أن النفاق يقضى على الانسان آن يعتبر ظواهر الامور من كل شىء دون نظر الى حقائقها فلا ضير لدى المنافق إن جرى وراء التيارات المتناقضة والمعانى المضطربة والنظريات الفارغة . بل انه ليتعمد خلق النقاش والجدال فى المسائل التافهة الحقيرة أو التى لا أصل لها البتة .

٥ ــ النفاق فى المجتمع : ــ وهو صورة متكررة فى حياة الناس تجدها فى كل مكان . فالمرؤوس ينافق رئيسه والصديق ينافق صديقه والزوج ينافق زوجته التى تنافق هى أيضا ، وأكثر الناس ينافقون ذوى السلطان عليهم وذوى الجاه والمال فيهم ــ ونحو ذلك .

● الاسلام والنفاق :

أتى الاسلام بتعليمات خاصة ومبادىء معينة تتنافى كليا مع النفاق وقد رسم الاسلام للانسان الطريق الأسمى نحو بلوغه كماله ، وتحليقه فى سماء الفضيلة والمثل العليا ، وقد كان ذلك الطريق متمشيا مع الطبيعة البشرية لا يصادمها أبدا ، ولا يكبت طاقاتها ومن ثم فاننا نقول بكل اطمئنان : ان الاسلام لا يلجىء الانسان الى النفاق لانه لا يتطلب من الناس ما يحوجهم الى النفاق فهو مثلا (لا يقول لهم ان الشعور الجنسى قذر فى ذاته فتطهروا منه وتعالوا عليه فاذا عجزوا عن اطاعة هذا النداء ــ تلبية لدوافعهم الفطرية ــ نافقوا ليحافظوا على تعاليم الدين . . كلا انه يقول لهم انه أمر طبيعى ونظيف فىذاته الى أبعد الحدود (حبب إلىّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة) بل يدعوهم دعوة صريحة الى أخذ نصيبهم من المتاع الجنسى اذ يدعوهم الى الزواج والتبكير فيه كل ما فى الأمر انه يمنعهم من أخذ هذا النصيب فوضى على طريقة الحيوان ويتيحه لهم نظيفا طاهرا كما يليق بالانسان . فاذا أطاع الناس تعاليم دينهم فى هذا الموضوع فلا نفاق إذن ولا حاجة الى النفاق وانما الصراحة الكاملة والسعى الواضح المكشوف ، وكذلك الأمر فى بقية تعاليم الاسلام لا تجد فيها النفس السوية حرجا يدعو الى النفاق) (١٥)

● بدء حركة النفاق واسبابها :

بدأت حركة النفاق بعد الهجرة النبوية الى المدينة ولم يكن لها وجود بمكة ، أما الاسباب التى أدت الى نشوء هذه الحركة فى المدينة : فهى الاوضاع الجديدة والتغييرات الجذرية التى حدثت بعد هجرة المصطفى اليها فلم تكن للاسلام فى مكة دولة أو قوة أو عصبية يخشاها أهل مكة فينافقونها أما فى المدينة (فقد أصبح الاسلام قوة يحسب حسابها كل أحد ويضطر لمصانعتها قليلا أو كثيرا وبخاصة بعد غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها انتصارا عظيما وفى مقدمة من كان مضطرا لمصانعتها نفر من الكبراء دخل أهلهم وشيعتهم فى الاسلام وأصبحوا هم ولا بد لهم لكى يحتفظوا بمقامهم الموروث بينهم وبمصالحهم كذلك أن يتظاهروا

باعتناق الدين الذى اعتنقه أهلهم واشياعهم ومن هؤلاء عبد الله بن أبى ابن سلول الذى كان قومه ينظمون له الخرز ليتوجوه ملكا عليهم قبيل مقدم الاسلام على المدينة) (١٦) .

ومن المؤكد أن للجالية اليهودية التى كانت تقيم بالمدينة الدور الأساسى والخطير فى نشوء حركة النفاق (فان لليهود تاريخا قديما وعريقا فى النفاق وتدبير الدسائس والمكائد واشعال الفتن هكذا كانوا منذ آلاف السنين ولا يزالون كما كانوا) (١٧) .

● العلاقة بين المنافقين واليهود :

واذا كان لليهود دور أساسى فى نشوء حركة النفاق فما هى الأسباب التى دعت اليهود الى اثارة تلك الحركة واخراجها الى حيز الوجود وتغذيتها وامدادها بالوقود اللازم ؟.

يمكن تلخيص تلك الأسباب فيما يلى :

١ ــ أن اليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار لذلك فانه يجوز لهم بل يجب عليهم أن يسخروا كل وسيلة ــ مهما كانت ــ لبلوغ مقاصدهم ومن تلك الوسائل : أسلحة النفاق والخديعة والدسيسة والكيد الماكر .

٢ ــ أن الاسلام حينما شع نوره فى أرجاء المدينة ألف بين قلوب الاوس والخزرج المتناحرة وصاغ منهم مجتمعا متماسكا متضامنا قويا متوحدا مما أفسد على اليهود فرصتهم فى استغلال الخصام الدائر بين الفريقين لصالحهم فعملوا على تغذية حركة النفاق لخلخلة وحدة المجتمع المسلم وتشتيت كلمته .

٣ ــ كان اليهود يتطلعون الى أن يكون الرسول الأخير الذى بشرت به التوراة والانجيل منهم فلما جاء من العرب .. حسدوه حسدا شديدا وحقدوا عليه وعدوا دعوته لهم الى الاسلام اهانة واستطالة ، وأخذتهم العزة بالاثم فعملوا على الانتقام من الرسالة والرسول باشعال نار فتنة النفاق .

٤ ــ شعور اليهود بالخطر المحدق بهم من جراء عزلهم عن المجتمع المدنى الذى كانوا يزاولون فيه القيادة العقلية والتجارة الرابحة والربا المضعف .

لكل تلك الأسباب كان اليهود يقفون من الاسلام موقف العداء الشديد ويغذون حركة النفاق ضده بل كان كثير منهم مشتركا فى تلك الحركة يعمل مع المنافقين جنبا الى جنب أمثال : أوس بن قيظى وشاس بن قيس وزيد بن اللصيت وسعد بن حنيف .

ومن أساليب اليهود التى اتخذوها لمحاربة الدعوة وزرع الشك والتردد فى نفوس المؤمنين ما يلى :

١ ــ كان جماعة منهم يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم ينتصحون لهم فيقولون : لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر فى ذهابها ولا تسارعوا فى النفقة فانكم لا تدرون علام يكون .

٢ ــ وكانوا يثيرون الأسئلة عن أشياء مريبة ومشككة فلقد جاء نفر منهم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : متى تقوم الساعة ؟ فنزل

قوله تعالى : « يســـــألونك عن الساعة .. » .
وجاءه مرة جماعة منهم فقالوا : يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله .. ؟!

٣ ـ وكانوا يحرضـــون المنافقين على أعمالهم التخريبية ويدلونهم على الخطط التي يمشـــون بمقتضاهـــا (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجـــه النهـــار واكفـــروا آخره لعلهـــم يرجعون) (١٨) .

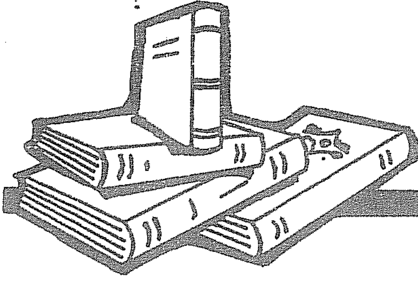
٤ ـ وكانوا يطلبون من المشركين أن يسألوا رســـول الله مثل تلك الاسئلة التي كانوا يثيرونها فقد سألت قريش رسول الله بايعـــاز من اليهود عن ذي القرنين .

٥ ـ ولشدة حنقهم على الاسلام وحسدهم للمسلمين فقد كانت قلوبهم تكره اجتماع المسلمين وألفتهم ويروى أن شاس بن قيس اليهودي مر يوما على نفر من أصـــحاب رسول الله مجتمعين فغاظه ما رأى من اجتماعهم وتحاببهم فأمر شابا من اليهود كان معهم أن يذكر في المجلس يوم بعاث وبعض اشعار الاوس والخزرج في ذلك ففعل فتكلم القوم وتفاخـــروا وتنازعوا فيما بينهم حتى بلغ بهـــم الأمر أن تواعدوا للقتال فخرج عليهم رسول الله وهدأ من ثورتهم وعرفهم أن ذلك نزعة من الشيطان وكيد من العدو فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا .

ومن اجل هذه العلاقة الحميمـــة والترابط الوثيق بين اليهود والمنافقين وبسبب من هذا التشابه الكبير بينهم في الأساليب التي يكيدون بها للاسلام وأهله وفي الطرق التي يتبعونهـــا لبذر الفساد والشـــقاق وزرع الفتن والقلاقل فان القرآن الكريم حينمـــا يتحدث عن المنافقين يوضح لنا هـــذه العلاقة بينهم وبين اليهـــود ويصفها (بالأخوة) قال تعالى : (**الم تر الى الذين يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ...**) (١٩) وامتدادا لهذه الأخوة في الدنيا فهم أخوة في المصـــير الأبدي (**إن الله جـــامع المنـــافقين والكافـــرين في جهنـــم جميعـــا**) (٢٠) .

---

(١) البقـــرة ١٢
(٢) الصــــف ٨
(٣) راجع القاموس ومختار الصحاح والمصباح المنير (مادة نفق) .
(٤) الزرقاني ج ٣٥٦/١ .
(٥) النفاق والمنافقون لابراهيم على سالم ص ٣
(٦) نفس المصدر ص ٤
(٧) صفات المنافقين لابن القيم ١٥
(٨) تفسير الفخر الرازي وشرح العيني على البخاري ج ٢١٧/١ .
(٩) المنافقـــون ٣ .
(١٠) النســـاء ١٤٥ .
(١١) النســـاء ١٤٠ .
(١٢) سنرى صورا للنفاق في الحرب في حلقة قادمـــة .
(١٣) و (١٤) النفاق والمنافقون ١١ و ١٢ .
(١٥) في النفس والمجتمـــع لمحمـــد قطب ١٠٤ و ١٠٥ .
(١٦) في ظلال القرآن م١ ج٢٧/١ و ٢٨ .
(١٧) النفاق والمنافقون ٧٦ .
(١٨) آل عمـــران ٧٢ .
(١٩) الحشـــر ١١
(٢٠) النســـاء ١٤١ .



كتاب الشهر

أبو حيان التوحيدي

عرض وتحليل الدكتور : يوسف نوفل

ما تزال الندرة تكتنف جنبات تراثنا المشرق ، وما يزال رجال هذا التراث وأعلامه يتوارون خلف غلالات التجاهل والنسيان على الرغم من روعة الدور الذى قام به هؤلاء الاعلام وعلى الرغم من أهمية ما يلقيه التراث من أشعة تترامى الينا عبر مسافات السنين وتنائى العصور .

وقليل أولئك الباحثون الأفذاذ الذين أعطوا من وقتهم وجهدهم وتفكيرهم الكثير لهذا التراث القابع خلف تراكم الزمن ، وللاعلام الراقدين تحت جبال النسيان ، واستاذنا الاستاذ الدكتور أحمد محمد الحوفى واحد من هؤلاء ، فقد قدم لنا من قبل دراسات عديدة طيبة عن أعلام التراث مثل كتابه عن ابن خلدون حيث عرض آراءه فى التربية وعلم الاجتماع التى لم يعرض لها الدارسون من قبل ، كما درس أدبه النثرى والشعرى ، وكتابه عن الطبرى الذى شمل دراسة لعصره ، وبيئته ، وحياته ، ومصادر ثقافته ، والوانها ، وعرض لتلاميذه ، ولمؤلفاته ، ودراسة لشخصيته ، ولمناهجه فى التفسير والتاريخ والفقه ، وكتابه عن الجاحظ الذى قدم فيه دراسة لعصره ، وحياته ، وعالم شخصيته ، ومؤلفاته وخصائصه الفنية ، مع تحليل بعض كتبه .

والى جانب دراساته عن أعلام التراث هناك العديد من جولاته الفنية حول القيم والمعانى المبثوثة فى تراثنا القديم ، مثل : الفكاهة فى الأدب ، والبطولة والبطل ، وسماحة الاسلام،

وأدب السياسة فى العصر الأموى ، والغزل فى العصر الجاهلى ، والمرأة فى الشعر الجاهلى ، والمثل السائر لابن الأثير (تقديم وتحقيق وتعليق) وفن الخطابة وغير ذلك من مجالات البحث .

.. .. ..

ونحن اليوم أمام دراسة جادة لباحثنا الكبير حول أبى حيان التوحيدى ، وقد يحسن أن نلتقى بشىء مما جاء بمقدمة الكتاب :

(اللهم لك الحمد ، وبك الاستعانة ومنك التوفيق ، وبعد :

فهذا كاتب قدير ممن زاوجوا بين العبارة الناصعة واللغة البارعة والفكرة الثرية ، وممن خلفوا للأعقاب ينبوعا ثرا من المعرفة ما زالوا يرتشفون من سلساله ويرتوون .

اتصلت به عن بعد حينما قرأت على عجل موضوعات من كتابه (المقابسات) ، وموضوعات أخرى من كتابه (الهوامل والشوامل) ولكن هذا الاتصال العاجل أوحى الى باكبار علمه والاعجاب بفنه .

ثم اتصلت به عن قرب قريب ، وعشت معه مدة من الزمن ، حينما شرعت أكتب هذه الدراسة ، فعظم اكبارى لعلمه واعجابى بفنه ، وأيقنت أن الرجل مغبون القدر ، مهضوم المكانة ، وأيقنت أنه أجدر بالدراسة والتقدير من أرباب الصناعة اللفظية ، الذين ذاعت شهرتهم فى حياتهم وبعد مماتهم ، وما زالوا يدرسون الى اليوم على أنهم زعماء مدرسة أو أصحاب طريقة فى الكتابة كابن العميد ، وابن عباد ، والقاضى الفاضل ولسان الدين بن الخطيب .

والحق أن أبا حيان يفضل هؤلاء جميعا ، ويفضل اضرابهم من كتاب الزخرف والزينة كبديع الزمان ، والحريرى ، والقاضى الفاضل .

نعم يفضلهم بعدة مزايا ، سأعرض لها حين أوازن بينه وبين كتاب عصره ، وحسبه أنه كاتب يحفل بالفكرة والعبارة معا ، وأنه يستلهم مشاعره وعواطفه ، كما يعتمد على التأنق والافتنان وأنه قد جال بقلمه فى ميدان العلم والمعرفة ، فطوع النثر للترجمة عن الثقافة فى تعبير من الأدب الرفيع ، وبهذا أكمل ما فعله الجاحظ من قبل) .

وقد يحسن بعد هذا الجزء من المقدمة أن نلتقى بنظرة عامة حول خطوات هذا البحث ومجالاته .

يبدأ الفصل الاول وعنوانه : أعاصير السياسة ، بتعريف بالخلافة والخلفاء والظروف السائدة آنذاك ، وما نشب من اختلاف وصراع ، ثم ما جد على الدولة من توسع .

أما الفصل الثانى ، وعنوانه : تيارات ثقافية ، فيعرض لاستمرار النشاط العلمى والأدبى وقوته ، ويذكر أمثلة من تشجيع الدويلات للعلم والأدب ، وحركة الترجمة من اللغات الاجنبية ، واتصال أبى حيان بكثير من التراجمة ، وازدهار مراكز الثقافة والأدب ، وكثرة العلماء والأدباء ، ومتابعة ظواهر جديدة فى النشاط العلمى والأدبى ، ونضج العلوم وكثرة المكتبات ، واتخاذ اللغة العربية واللغة الرسمية والادبية ، وتنافس المدن والعواصم ، الجديدة التى أصبحت مراكز للثقافة .

أما الفصل الثالث ، وعنوانه ، معالم حياته ، فيتناول بوعى واحاطة تعريفا وافيا بأبى حيان : اسمه وكنيته ، ومولده ، ووفاته ، وأصله ، وترجيح عروبة أصله ، وحرفته .

أما الفصل الرابع ، وعنوانه : ثقافته ، فيحيط بذكاء بثقافة عصره ، وينابيع ثقافته ، وأبرز الوانها من : فلسفة ، وفقه ، وحديث ، ولغة ، وعلم الكلام ، والادب .

أما الفصل الخامس ، وعنوانه فى قصور الخلفاء ، فيتناول الحياة الادبية من خلال اتصال الأدباء

بالخلفاء ، ويبرز هنا ابن العميد ، وابن سعدان .

أما الفصل السادس فهو عن معالم شخصية أبى حيان ببيان آثار عصره فيه ، وشغفه بالمعرفة ومظاهر شغفه ، واعتداده بعمله ، وبواعث هذا الاعتداد ، وطموحه الى التقدير وبواعثه وتطلعه الى ما نسميه اليوم منحة التفرغ ، ومظاهر طموحه ، وصراحته ، وبواعثها ، والرد على اتهامه بالتجنى فى الثلب والتجريح ، وأمانته فى ذكر المحاسن والمساوىء وحسن ظنه بالناس ، وأخلاقه ، وشكواه ، وتدينه ، والشهادة بسلامة عقيدته ، والرد على اتهامه بالزندقة ، وتصوفه ، ومظاهر هذا التصوف ، ونوع تصوفه ، والفرق بينه وبين المتصوفة ، ووجوه الاتفاق بينه وبينهم ، وأمانته فى الرواية وبواعثها، ومظاهرها ، كما يناقش باحثنا الكبير — فى هذا الفصل — اتهام أبى حيان بالوضع ومصدر هذا الاتهام والباعث عليه وأدلة ابن أبى الحديد فى نسبتها الى أبى حيان ومناقشة آراء كل من :

محمد كرد على ، والدكتور عبد الرزاق محيى الدين ، والنويرى ، ويخلص باحثنا الفاضل الى أن الرسالة قد وضعها أبو حامد المروزى أو أبو حيان ، ثم يقيم الأدلة على تبرئة ساحة أبى حيان ، ويمضى مع أبى حيان حتى نصل الى احراق كتبه ، وخلاصة دفاعه عن فعلته .

أما الفصل السابع وعنوانه : أضواء على مؤلفاته ، فيعرض لمؤلفاته بالعرض الواعى والتحليل العميق مثل :

المقابسات ، والهوامل والشوامل، والامتاع والمؤانسة ، والصداقة والصديق ، وأخلاق الوزيرين والبصائر والذخائر ، والمحاضرات ، وتقريظ الجاحظ ، ورسالة العلوم ، والزلفة ، والاشارات الالهية .

أما الفصل الثامن فيعرض لخصائصه الفكرية والفنية .

أما الفصل التاسع فيعرض لمكانة أبى حيان بين كتاب عصره .

ثم يأتى الفصل العاشر ليعقد موازنة بينه وبين الجاحظ .

.. .. ..

والكتاب يعتمد على ثلاثة وسبعين مصدرا ومرجعا كلها من عيون الفكر والأدب والثقافة الاسلامية ، وهى عيون نجد أنفسنا فى أمس الحاجة الى الالتقاء بها والنيل من ينابيعها الثرة وعطائها العظيم ، غير أن الجدير بالالتفات حقا ليس ما تحتويه المراجع والمصادر فحسب ، فكثير من النقول قد يصنع مؤلفات ضخمة ، وانما الخطير فى الأمر ما يكمن وراء الرجوع الى المراجع من فطنة وذكاء واحاطة شمول ، ومعرفة ودراية ، واخلاص وصدق ، وتلك أمور أربعة لا يستقيم بدونها منهج فكرى ، أو مبحث أدبى ، فبالفطنة والذكاء تتولد لدى الباحث يقظة للأمور وتنبه للقضايا ويتبع ذلك حسن معاملة هذه القضايا ، وبالاحاطة والشمول يلقى الباحث نظرة (صقر) تعبر المسافات وتحلق فى الأزمان ، فتربط ما مضى بما هو حاضر ، أما المعرفة والدراية فتجنب الباحث الزلل والعثرات وتجعله واعيا بمشكلات بحثه وقضاياه مقدما ما يستحق التقديم مؤخرا ما يستوجب التأخير ، ثم يجمع ذلك كله وعاء خطير هو وعاء الاخلاص والصدق ، فالبحث أمر شاق وعسير لا يأتى الا لمن يتجرد له بمواهب وقدرات محاطة بقدرة على التحمل ، وصبر وجلد ، وصدق فى المعاناة وتقمص شخصية البحث والتجرد من الزمان والمكان الخاصين بالمؤلف واحلال البحث محلا كريما فى نفسه يجعله قطعة من نفسه على نحو ما يفعل

الصوفي أو العاشق . وكل هـــذه الامور قد اجتمعت لدى باحثنا فأثمرت هذا البحث الجاد .

قضايا ومشكلات :

ونجد أنفسنا ازاء بعض القضايـــا التي تستأثر بالاهتمام وتنتزع قارئها ليخلص اليها ويقف عندها متأمـــلا فاحصا مستوعبا ، وخاصة اذا كانت هذه القضية مما يتصل من قريب أو بعيد . بمبادىء ديننا الحنيف وعقيدتنا السمحة .

اتهامه بالزندقة :

« هذا الرجل الذى لم يجد مـــن رفاهية الحياة ما يلائم علمه وأدبه ، ولم يلق من رعاية الوزراء والأمراء فى عصره بعض ما لقى من هم أقل منه علما وأدبا ، فقضى حياته يائسا ناقما هذا الرجل قد اتهم فى عقيدته ، وهى تهمة أشـــد ايلاما من البـــؤس ، وأقسى نكالا من الفقر ، لأنها تبغضه الى الخاصة والى العامة ، وتلقـــى على انتاجه غبارا كثيفا من الشك ، وتكاد تطوح بمكانته الأدبية والعلمية فى عصر لم يكن يحتمل من الزندقـــة والإلحاد ما يوصف بأنه زندقة وإلحاد وإن كان بريئا .

وربما كان أول من اتهمه بالزندقة الكاتب اللغوي الأديب ابـــن فارس (المتوفى سنة ٣٩٠ هـ) فى كتابـــه الفريدة والخريدة ، فقد نقل عنــــه قوله : كان أبو حيان قليل الديـــن والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان .. الخ . ثم جـــاء ابن الجـــوزى (المتوفى سنـــة ٥٩٧ هـ) فقـــال : « زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندى والتوحيدى ، وأبو العلاء المعـــرى وشرهم على الاســـلام أبو حيـــان ، لأنهما صرحا وهو مجمج ولم يصرح » ثم ردد الذهبى هذه التهمة ، وجرت دائرة المعارف على أنه نفى لزندقته ، قال مرجليوث : (نفاه المهلبى المتوفى سنة ٣٥٢ هـ ٩٦٣ م) من بغداد .. لزندقته) ووافقهم محمد كرد على ، ولكن علماء آخرين شهدوا له بسلامة العقيدة وصحة الدين فهو فـــي رأى ياقوت صوفي الســـمت والهيئـــة ، متعبد ، والناس على ثقة من دينه ، وابن النجار يصفه بأنه كان فقيـــرا صابرا متدينا صحيح العقيدة ، ودافع عنه السبكي وأرجع حملة الذهبـــي عليه الى محاكاته لما قاله ابن فارس، والى ما قاله ابن الجوزى والى أمـــر ثالث هو بغضه الشديد للمتصوفة .

وقد ذهب باحثنا الثقة الى تبرئـــة ساحة أبي حيان وقال :

(ومن الميســـور أن أبطل هـــذه التهمة الجائرة بعدة ردود :

١ ــ المفهوم من كلام ابن فارس أن الصاحب بن عباد طلبه ليقتله ففـــر منه ، ثم تعقبه الوزير المهلبى فاستتر منه حتى مات فى الاستتار ، وهـــذا كلام تعوزه الصحة ، لأن أبا حيان ، كما تبين فى صلته بابن عباد تركـــه سنة ٣٧٠ هـ ، والوزير المهلبى توفـــى سنة ٣٥٢ هـ ، فكيف يتفق هذا ؟ لقد اتصل أبو حيان بالصاحب ، ثم تركه بعد ثمانية عشر عاما من وفاة الوزير المهلبى الذى قيل إنه تعقبه ليقتلـــه .

٢ ــ لم يشر أبو حيان ــ على دقته فى وصف الأشخاص والأحوال ، ولا سيما حالته ــ الى أن ابن عباد فكـــر فى قتله وأوعز بحبسه ، ولو أن شيئا من هذا حدث لذكره ، على عادته فى تفصيل الأحداث والتشنيع على ابن عباد ، ووصف ما لقى من حرمـــان وخيبة فى صلته به .

٣ ــ يحملنى على الشك فيما زعم ابن فارس من نسبة الزندقة الى أبى حيان ومن نسبة التفكير فى قتله الى ابن عباد أن ابن فارس كان أستـــاذا لابن عباد قبل أن يلى الوزارة ، وكان صديقا له لما تولاها ، وكان أســـتاذا لأبى الفتح ابن العميد .

وقد هجا أبو حيان ابن عباد وابن العميد ، فمن المرجح أن ابـــن فارس أراد أن يشوه سمعته ويثأر منـــه ،

فألصق به تهمة الزندقة وأراد أن ينسب الى ابن عباد الغيرة على الدين ، فزعم انه هم بقتل أبى حيان ولكنه هرب منه .

٤ ـ كان ابن فارس معاصرا لأبى حيان ، وقد ذمه أبو حيان ذما شنيعا، وتنقصه فى مجلس ابن سعدان بقوله : انه شيخ فيه محاسن ومساوىء ، الا ان الرجحان لما يذم به ، لا لما يحمد عليه ، فمن ذلك أن له خبرة بالتصوف ، وهناك أيضا قسط من العلم بأوائل الهندسة وتشبه بأصحاب البلاغة ، الا ان هذا كله مردود بالرعونة والمكر والايهام والخسة والكذب والغيبة .

٥ ـ ابن فارس الذى يسند اليه اتهام أبى حيان بالزندقة والموت فى الاستتار قد مات قبل أبى حيان ، وسواء أكانت وفاة ابن فارس سنة ٣٦٠ هـ أو ٣٦٩ هـ أو ٣٧٥ هـ أو ٣٩٠ أو ٣٩٥ هـ ، فانها كانت قبل وفاة أبى حيان .

فكيف يقرر وفاة شخص آخر لم يمت بعد .

واذا أراد أحد أن يأخذ بشق رأيه وهو الاتهام بالزندقة ، وذهب الى أن الشق الثانى مدخول عليه فان اتهامه بالتحيز لابن عباد وابن العميد ما زال قائما يقدح فى طعنه أبا حيان ، وموت الوزير المهلبى قبل أبى حيان يقطع ببطلان تعقبه ليقتله .

على أنى لا أستبعد أن يكون خصوم أبى حيان هم الذين فعلوا ذلك ، ولكنهم أسندوه لابن فارس ليزيدوه قبولا وتثبيتا فى نفوس سامعيه .

٦ ـ ابن الجوزى ـ كما ذكر السبكى ـ متعصب على الصوفية ، مبغض لهم ، لهذا زاد من عنده قوله : (وأشدهم على الاسلام أبو حيان) .

٧ ـ اذا وازنا بين أبى حيان وابن الراوندى وأبى العلاء المعرى لم نجد تشابها يبيح لابن الجوزى أن يجعله أشد الثلاثة ضررا على الاسلام ، أو يسلكه فى عداد المعادين للاسلام .

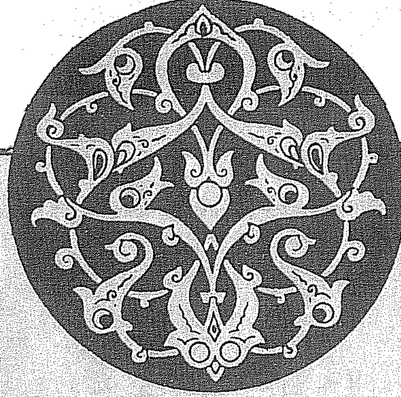
أما ابن الراوندى فلا جدال فى زندقته وكفره ، لأنه زعم أن فى كلام أكثم بن صيفى ما هو أحسن من بعض القرآن ، وادعى أن القرآن غير معجز بأن المسلمين احتجوا لنبوة نبيهم بالقرآن الذى تحدى به النبى العرب، فلم يقدروا على معارضته فقال لهم : لو ادعى مدع لمن تقدم من الفلاسفة مثل دعواكم فى القرآن فقال : الدليل على صدق بطليموس أن اقليدس ادعى أن الخلق يعجزون عن أن يأتوا بمثل كتابه لكانت نبوته ثبتت .

وأما أبو العلاء فقد اتهم بالالحاد لبعض آرائه التى رددها فى لزومياته ولما قيل إنه عارض القرآن بكتابه الفصول والغايات على نسق السور والآيات وان كان مظلوما فى اتهامه بالمعارضة لأن كتابه لا يشير الى ذلك ، وأما أبو حيان فليس فى كلامه ما ينبىء عن زندقة أو الحاد .

٨ ـ بل ان فى كلام أبى حيان ما ينقض دعوى خصومه نقضا لا يبقى ولا يذر ، فقد كان يغار على الدين منذ حداثته .

٩ ـ وفى سلوكه ما يكفى لنقض هذا الاتهام ، لأنه كان يصلى بالمسجد ، ويشكو أنه لا يرى بجواره الا قصابا أو ندافا .. وقد حج سنة ٣٥٤ هـ ، ولأنه كان متصوفا طول حياته ، ثم منقطعا للتصوف فى أخريات حياته ، اذ قضى سنواته الاخيرة بين الصوفية ، وانطبع بطابعهم ، ومات بينهم ، ودفن بجوار علم من اعلامهم .

ولم يكن تدينه ليخفى على معاصريه ولهذا يقول ياقوت : إنه كان يتأله والناس على ثقة من دينه .



وإذاً .. فما من التخلف

للدكتور : محمدسعيد رمضان البوطى

عقبت على كاتب جاء يقول : ان من أهم أسباب التخلف وضعف الانتاج عندنا ، الاعتقادات الغيبية واحالة الامور الى الله والتواكل الذى يتولد من ذلك . فقلت أولا :

ان أصحاب الاعتقادات الغيبية والمتبصرين ــ حقا ــ بسلطان الله فى الكون ، هم اليوم بعيدون عن الطريق .. وليس بيدهم ما يضيقون به سبيلا على أحد ، أو يعيقون به تقدم أى مخلص للأمة والوطن .. وأفردت هذا الحديث فى مقال .

وقلت ثانيا : ان الغيبيين حقا هم الجاحدون بغيبيات الاسلام .. وليس كل ما قد غاب عن الحس وسلطانه مقضيا عليه بالوهم أو العدم .

والانسان يخطو فى سلوكه العلمى والمعاشي معتمدا على التاريخ الماضى وتصورات المستقبل . وكلاهما خارج عن سلطان الحس مغموس فى ظلمات الغيب . والذى يريد أن يستعلى فى سلوكه عن وحي كل منهما ، لا يستطيع أن يستفيد من عقله شروى نقير ، ولا يملك الا أن يسجل اسمه ، بكل فخر ، فى ديوان المجانين . وأفردت هذا الحديث أيضا فى مقال .

واذا ، فلنعد الى صلب الموضوع ولنتساءل : فما هو سر تخلفنا اذا ؟

— ● —

هنالك فئة من الباحثين ، يوفرون على أنفسهم عناء التفكير فى هذا

هو السر فيما نعانيه

وضعف الانتاج..؟

البحث ، عندما يطيب لهم أن يتبنوا الرأى القائل بأن للحضارات أعمارا كعمر الانسان ، فهى تنشأ فى ضعف ، ثم تسير الى قوة ، ثم تعود الى ضعف ، ثم تنتهى بموت .. وهى لا بد أن تنتقل فى هذه المراحل ، ثم أن تلقى حتفها أخيرا ، مهما أحيطت به من رعاية وحفظ . كالانسان ذاته ، لا بد أن يسير فى مثل هذه المراحل ذاتها مهما حذر وحاول ، بل كأى شىء مادى دخل تحت سلطان هذا الوجود ، لا بد أن تجده ممهورا بطابع هذا القانون : ضعف ، فقوة ، فضعف ، فموت .. !

وهم يعللون ادخالهم للحضارة فى هذا الشمول ، بأن الحضارة ليست الا ثمرة جهود متناسقة بذلتها الموجودات الخاضعة لهذا الحكم ، بدءا من الانسان الى أصغر مظهر من مظاهر الطاقة . فلا بد أن ينعكس على الثمرة سلطان القانون الذى يخضع له المثمر .

وربما أدخل بعض هؤلاء الباحثين اسم ابن خلدون فى قائمة أصحاب هذا الرأى . وربما استدلوا على ذلك ببعض ما قد جاء فى مقدمته ، مما يشبه أن يكون تقريرا لهذا الرأى ..

والحقيقة أن ابن خلدون ، وان يكن شبه الحضارات بأعمار الناس ، ولكنه لم يقرر حتمية غروبها ، كالحتمية الثابتة لغروب أعمار الناس ، بل أسند كلا من نشأتها وقوتها وضعفها الى أسباب داخلة فى اختيار الناس وخاضعة لما من شأنهم أن يملكوه من طاقة وجهد . فهو

ليس من هذا الرأى وأصحابه فى شىء .

والحقيقة أيضـا أن التعليل الذى يعتمدونه لذلك ، تعليل باطل ، وان جاء فى مظهره الشـكلى منطقيـا سليما .

ذلك لأن الوجود الذى يتصف به جنس الانسان والمكونات ينقسم الى قسمين :

وجود فردى ، يتمـثل فى المشخصات الجزئية ، فهذا هو الذى يخضع لقانون الولادة والفنـاء وما بينهما من مراحل قوة وضعف .

ووجود نوعى ، يتمثل فى الماهيات المتنقلة ضمن سلسلة المشـخصات المسـتمرة . وهـذا لا يخضـع للقانون المذكور ولا شأن له به ، فان الوجود النوعى للقوة مستمر متصل، وان تنقل ضمن حلقات متغايرة فى سلسـلة الموجودات الفـردية أو الجزئية . وانما يتم النسيج الحضارى لأمة ما بقوة من هذا الوجود الثانى ، لا بحراسة قصيرة من الوجود الجزئى الأول .

واذا ، فالحق الذى لا مناص منه، هو أن نجهد الفـكر فى البحث عن أسباب هذا التخلف الذى نعانيه ، فان لذلك أسبابا عائدة الى تقصيرنا . وان للتغلب عليها وسائل خاضـعة لجهودنا وامكاناتنا . وما الشيخوخة التى انتهت إليهـا حضارتنا اليـوم الا ثمرة حكم اختيارى تسببنا له بملء اختيارنا وحريتنا .

ان ما يسمونه بالتخلف أو ضعف الانتاج ، عندنا ، يعود الى أسباب ، سأتحدث عنها بالقدر الذى يسمح به المجال .. فلا جرم أنى سـأختصر الكلام فى بعضها رغم أهميته ورغم الحاجة الماسة الى الافاضـة فيه . ولكنى أترك لذهن القارىء الحصيف أن يفهم تفصيل مـا أختصره ويقف على شرح ما أوجزه . وهذه الأسباب ما أظن انها تزيد على الامور التالية :

أولا — فقد الاستقرار الفـكرى والنفسى :

وهذا السبب ينشـأ بدوره عن الوان شتى من الاضطرابات ، كلها موفورة فى مجتمعنا بحمد الله ، وهو الالهالعادل الذى لا يحمد على مكروه سواه .

ان من هذه الالوان ، الاضطرابات فى فهم القيم والمعتقدات ، ونشـوء الصراعات المختلفة حولها .. فى كل الاماكن والمجالات ، بدءا من مدارس الاطفال ، الى مجالس الشـورى ومؤسسات التشريع والتقنين .. !

ومن هذه الالوان الاضـطرابات السياسية الناشـئة عن عوامل خارجية كالعدوان أو الاحتلال الاجنبى لبقاع من البلاد العربية والاسلامية ، وما يتبع ذلك من استنزاف الفـكر والقوى ، وتبديد الطاقات المختلفة على جبهات شتى .

ومن هذه الالوان اضـطرابات الحكم الناشئة عن تلاقل داخلية أو خارجية .. يطول الحديث عن تحليل أسبابها والكشف عن خفاياها ، ومن

اهم نتائجها انصراف الحكام — فى أكثر الاحيان — الى بذل اكبر قدر من الفكر والجهد ، لتغذية الحذر من شعوبهم ، وتشديد الرقابة على أحوالهم وأوضاعهم وأوجه نشاطاتهم .

ان من البداهة بمكان ، أن هذه الاضطرابات — وهى نماذج لألوان كثيرة أخرى — من شأنها أن تعصف بالاستقرار الفكرى والنفسى فى كيان الامة ، وأن تجعلها عاجزة عن أن تتفرغ للنظر فى أى مشاركة حضارية او نهضة علمية أو للعكوف على أى عمل انتاجى دائب .

ثانيا — فقد الثقة بين قطاعات الأمة عامة ، وبين الحاكم والمحكومين خاصة :

وقبل أن اشرح لك هذا السبب الثانى ، يجب أن أذكرك بأن الدخول فى أى مشروع انتاجى مهما كان نوعه ، انما يعتمد قبل كل شىء على رصيد من التفاعل والتعاون ، ولا يمكن لشىء من ذلك أن يولد بجهود جانب واحد . وانما أعنى بالتفاعل والتعاون ذلك القدر الشامل الذى يغطى رقعة الامة كلها ، فلا قيمة لتعاون ينهض به أفراد طرف واحد ، مهما كثرت الافراد ، ومهما تنوعت اختصاصاتهم ، ومهما انبسط سلطانهم .

أى أن اتصافهم بكونهم طرفا أو فئة ، يفسد كل قيمة ذاتية لكثرتهم وقوتهم . ذلك لأن أول مظهر من مظاهر قوة الطرف الواحد — فى مثل هذا الصدد — أن يتلاقى على صعيد من التفاهم والتواثق مع الاطراف الاخرى . واخطر بادرة لضعفه وخيبة مساعيه أن يتقوقع سعيه ونشاطه الاصلاحى ضمن واقعه الخاص به وجانبه الذى لا يشركه فيه غيره .

ان فئة ما من أفراد الأمة تستطيع بقوتها أن تحطم دولة وتقهر شعبا وتسيطر على حكم، ولكنها لا تستطيع أبدا أن تخلق بقوتها هذه تقدما وازدهارا وانعتاقا من أسباب التخلف والضعف . ذلك لأن بين طبيعة الأمرين فرقا كبيرا :

الأمر الاول منهما لا يعتمد الا ما لدى تلك الفئة من عزيمة وقوة ودقة تخطيط .

أما الامر الثانى فانما ينهض على استخراج أسباب القوة ومقومات التقدم من جميع فئات الشعب وأفراده ، ثم ضفرها جميعا فى سبيل الرقى والانطلاق . ان الأمر الاول ليس أكثر من لكمة تسدد الى هدف ، وانما يكفى من أجلها يد واحدة ، أما الامر الثانى فانما هو كالتصفيق لا ينبعث صوته الا باجتماع الكفين والتقائهما — فى خبرة وحرية تامة — على القيام بعمل واحد .

ولنتأمل فى مثال واحد ، من أمثلة المشاريع التى تستهدف التقدم والازدهار . انه مثال العمل على التنمية الاقتصادية .

ان (التنمية الاقتصادية) كلمة ارتفع لواؤها فى أكثر البلاد العربية منذ سنوات طويلة ، ولقد فاضت بالحديث عنها الاذاعات ، وامتلأت برسم حروفها الصحف والمجلات ، وفلسف الناس عنها فى مئات من المحاضرات والندوات . ثم وضعت لتنفيذها الوسائل والمخططات .. وتأتى اليوم بعد ذلك كله تبعث العين بحثا وراء نتيجة ذلك الغليان كله ، فتسمع جعجعة ولا ترى طحنا .. !

لماذا .. ؟ لأن الذين رفعوا لواء هذه التنمية وراحوا يهدرون بالحديث عنها ، انما انطلقوا فى ذلك من خطة انفردوا عن سواد الناس فى الايمان بها والاعتماد عليها ، فلم يقفوا — فى سعيهم هذا — على أى أرضية من التعاون مع الآخرين . فبقيت أسباب التنمية ووسائلها وأدواتها مبعثرة فى أيدى سواد الأمة ودهمائها على اختلاف طبقاتها ، وبقى فى أيدى أولئك الهائجين مجرد أوراق مكتوبة ومشاريع مخطوطة .

سيقول قائل : ولكن ما الذى يمنع سواد الأمة من التعاون .. ؟ ان العيب فيمن يدعى ثم لا يستجيب ، وليس العيب فيمن دعى فلم يستجيبوا له .

والجواب أن الذى يصد عن التعاون انما هو فقد الثقة. والثقة قاعدة أساسية لا بد منها بين يدى الانطلاق الى أى عمل اصلاحى لاسيما ان كان يستهدف ثمرة اقتصادية عامة .

ومن أين تأتى الثقة .. ؟
تأتى الثقة من مصدرين اثنين لا يغنى احدهما عن الآخر ..

المصدر الأول : يقين الأمة باخلاص أولئك الذين يتحرقون فى الحديث عن التخلف والتنمية وأسبابها .. ولا مجال للاطالة فى هذا المصدر الاول، فلأترك التفصيل والشرح لحصافة القارىء الكريم ، كما قلت .

المصدر الثانى : التلاقى على مبادىء متفق عليها لمعالجة التخلف على أساسها ، ولاقتباس خطة التنمية وسبيل التقدم منها . فاذا لم يجتمع السواد الاعظم من الامة ، حكاما ومحكومين ، على مبادىء متفق عليها ، فان الدعوة الى التعاون فى سبيل وضع خطة للتنمية لا تلقى استجابة كافية ، لأن الثقة بهذه الدعوة معدومة ، أو هى من القلة والضعف فى حكم المعدومة . واليك المثال :

السواد الاعظم من هذه الأمة لا يرى للازدهار الاقتصادى وسيلة خيراً من تلك التى تعتمد على النظام الاسلامى فى شؤون المال والاقتصاد . فاذا قام من يضع خطة للتنمية الاقتصادية على هذا الاساس ، واستشم الناس صدقه واخلاصه ، أحدق به الناس من كل صوب ومدوا اليه يد التعاون بأشكاله المختلفة ، وقدموا له رؤوس أموالهم فى غبطة وسرور ، وازدهر من ذلك تعاون مثمر بناء .

أما اذا قام من يروج لمبدأ مستورد (أيا كان) يزعم أنه يبنى عليه منهاجا اقتصاديا رائعا ، فانه مهما روج لما يقول ، ومهما جادل عن مبدئه بالأدلة والبراهين ، ومهما استخرج أموال الناس من جيوبهم ، أو من تحت « البلاط » في بيوتهم ، فانه لن ينجح فى العثور على أى استجابة مفيدة منهم . ذلك لأنهم لا يثقون بالمبدأ ، ومن ثم فهم لا يثقون بالداعى اليه ، ومن ثم فهم لا يثقون أيضا بالتقدم الاقتصادى المستند اليه .

ومرة أخرى أذكر القارىء بتجربة بنوك الادخار فى ميت غمر ، لقد كان رأس مال هذا المشروع قبل كل شىء الاستحواذ على الثقة .. ثقة الناس بأنه مشروع قام ليخدم مصالح الناس على سبيل من مرضاة الله ، ولم يقم ليستغل رؤوس أموالهم ويربح من وراء ظهورهم ، وأنه ليس الا تحقيقا لمنهج القرآن فى محق الربا وتربية الخيرات والاموال لاصحابها ..

عندئذ ظهرت الاموال الحبيسة ، وتقدمت الايدى المتعاونة ، ودار دولاب العمل ، وسعى سعيه الحثيث العجيب ، وأنتج نتائجه المعروفة لكل باحث ومهتم بحقائق الامور .

ثالثا ــ اعتماد الهويات والتبعيات السياسية بدلا من الكفاءات العلمية :

وهذا السبب يتفاوت فى الشدة والضعف ما بين مجتمع وآخر . ولكنه فى الجملة يعتبر من أخطر أسباب التخلف ، أيا كان نوعه ، فى بلادنا العربية .

وينبع هذا السبب من ظاهرة أشد خطورة وضررا ، وهى اتخاذ المذهب السياسي (الذى قد يعبر عنه بشعارات وألفاظ عدة) غاية مقدسة برأسها ، لا سبيلا الى تحقيق بعض مظاهر الخير للمجتمع . ان أعظم كسب تقدمى ، انما يتمثل (فى فلسفة من تعيش لديهم هذه الظاهرة) ، فى انتصار هذا المذهب بحد ذاته ! .. ومهما عظمت التضحيات وتلاحقت النكبات ، فان فى بقاء هذا المذهب سليما ، ما يهون شأن ذلك كله .

ان خطة التنمية الاقتصادية ، وبرامج التقدم العلمى ، ومقومات التوسع الصناعى ، كل ذلك ما ينبغى أن يأتي ــ فى فلسفة أصحاب هذه الظاهرة ــ الا فى دور الجندى المحافظ على وجود ذلك المذهب السياسى وسلامته .. !

واذا ، فأين تبقى الكفاءات العلمية المختلفة ــ وما أكثرها فى بلادنا ــ عندما تفضل أن تكون متحررة عن سلطان أى تبعية مذهبية أو سياسية ؟ .. انها تعيش متراكمة فوق بعضها فى أركان قصية جدا على هامش بعيد من الدنيا التى كان ينبغى أن توجد فيها .. ومن هم الذين يحلون أماكنهم من قيادة الحركة العلمية والنشاط الاقتصادى فى المجتمع .. ؟ انهم أصحاب تلك

الهويات والتبعيات السياسية .. !
وما ضر أنهم ليسوا من الطاقة والكفاءة العلمية فى شىء ما داموا يحملون فى صدورهم ، أو فى جيوبهم ، هذه الهوية .. !
ولك أن تتصور الضرر المزدوج من وراء هذه الظاهرة :

أولا : ضرر حرمان المجتمع من أرباب الاختصاص والكفاءات فيه .

ثانيا : ضرر انقياد المجتمع لجهال يخبطون به خبط عشواء ، ويدفعونه الى مغامرات وتجارب تستنزف كل عزيز من الطاقة والمال والعمر .. !

الا ان من أعظم جنايات الظلم أن يقول قائل : ان هذا الشرق العربى فقير فى العباقرة من الرجال ، والعظماء من أولى العلم ، وأن الغرب أغنى بهم من الشرق .

أجل ، انه لظلم عظيم للحقيقة أن يقول ذلك قائل . فالشرق العربى كان ولا يزال فياضا بالفطاحل من العلماء والعباقرة ، ولكنهم ــ لسوء طالع هذا الشرق ــ لم يجدوا يدا مخلصة تمتد اليهم ، ولم يروا أمامهم سبيلا مفتوحا لخدمة أوطانهم .
كثيرون هم هؤلاء العلماء .. تجدهم منثورين فى الزوايا ، يفكرون فى معضلة المعضلات وأصعب المعادلات : من أين يوفرون لأولادهم وذويهم رزقهم الضرورى .. ؟!

رابعا ــ عدم ضفر المعارف وأصول الثقافة كلها لمحاربة التخلف :

يظن الكثير ممن يثورون على التخلف وأسبابه ، ويخططون للتقدم بأنواعه ، أن مفتاح التقدم العلمى والرقي الاقتصادي كامن في الوسائل العلمية ، والتنظيمات والتخطيطات المباشرة. ولا يتصورون أن للمعارف والاخلاق الانسانية وأصول الثقافة أى دور فى الموضوع .
فأنت ترى أن اهتمام هؤلاء الكثيرين منصرف الى الحديث عن التقنية وما يسمونه بالمناهج العلمية فى الاقتصاد وعملية الانتاج .. وربما توهموا أن الكثير من العلوم والمعارف الاخرى ان هو الا تفاهات نظرية تقصي الامة عن مجال العلم والانتاج .. !
هذه النظرة تنطوي على سذاجة بالغة في تصور طبيعة الحياة ، وعلاقة العلوم المختلفة بعضها ببعض ، وعلاقتها جميعا بحوافز الجد والنشاط العملى .
ليست قواعد التكنولوجيا وأصول الاقتصاد ، هى التى تخلق فى الامة سعيها العلمى ودأبها على التطور الاقتصادى ، بل هى ليست أكثر من سلم موضوع فى عرض الطريق .
وانما الذى يوجد حوافز الصعود عليه ويخلق فى النفس رغبة استغلاله فى الوصول الى الهدف ، انما هو حصيلة المعارف الانسانية مضمومة الى الثقافة القومية ، أى ثقافة تلك الامة المتمثلة فى لغتها وآدابها وتاريخها وأعرافها .

فالجماعة التي لا تملك حصيلة كافية من ذلك كله ، لا يمكنها أن تتصور وجه الاستفادة من سلم العلوم والصناعات ، بل لا يمكنها أن تستهدف أي غاية علمية تسيطر على كيانها ورغباتها بالدفع والتحميس .

لا بد لمن يؤرق فكره لنهضة علمية وتقدم صناعي في بلده ، أن يبدأ السبيل الى ذلك بتنمية هذه المعارف الانسانية والثقافية بدءا باللغة وحل مشكلاتها وترقية آدابها وترسيخ جذورها ، الى التاريخ واستخراج صورة حقيقية (غير مشوهة) عن علاقة الامة بماضيها وعن تقويم ذلك الماضي دون تبديل ولا تغيير ، الى التشريع والقانون وبسط موازين العدالة في المجتمع ، الى الاخلاق والتربية وتلمس جذورها الانسانية البعيدة .

فاذا ما غذيت الامة بهذه المعارف وانصبغت بها عواطفها ووجداناتها ، تكونت لها من ذلك الرغبات الدافعة والآمال المهيجة . وعندئذ تجد نفسها بسبيل من الاستفادة من العلوم وقوانينها .

وما قامت ثورة انسانية في تاريخها القريب أو البعيد ، فنجحت في تحقيق آمالها ، الا لأنها اتجهت بالاهتمام الى جميع شروط النهضة فحفلت بها وأولتها كلها العناية والرعاية الكافية . وما قامت ثورة تستهدف الرقي والاصلاح فأخفقت ، الا لأنها — في أحسن أحوالها اخلاصا — حصرت اهتمامها ، في سذاجة وبساطة ، في الاسباب اللماعة المباشرة للقفزات العلمية والصناعية، فجمدت أمام هذه الاسباب دون أن تقتحمها ، واكتفت بعبارات التغزل بها والاطراء لها ، ثم انتهت كما بدأت لم تستفد علما ولم تحقق رقيا .

لقد قامت الثورة الفرنسية ، وهي نموذج للثورات الناجحة في تاريخ العالم ، فهل تظن أنها حصرت اهتمامها ، بهذا الشكل الساذج ، في معالم الاصلاح الضيقة ، ووقفت عند حدود أسبابها المباشرة ؟. انها لم تنجح الا لأنها نظرت نظرة اصلاحية الى الحياة الفكرية والانسانية (عندهم) بكل جذورها وجوانبها وتاريخها وآدابها .

وحسبك لتصور هذا المعنى الذي أقول أن تعلم أن هذه العبارات التالية كانت من أبرز ما ركز عليه البيان الاول لمجلس الثورة الفرنسية .

« أيها المواطنون : ليدفع كلا منكم تسابق مقدس للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا ، لأن تلك اللهجات رواسب من بقايا عهود الاقطاع والاستبداد » .

ولا ريب أن كثيرا من الناس ، عندنا ، يعجبون من أن تعنى الثورة الفرنسية في أول بيان لها بمثل هذه الشئون التي قد يظنونها تافهة . ولكن السذاجة كل السذاجة في أن نراها ، وأشباهها ، تافهة ولا نوليها العناية ، ولا نجعل من هذه العناية

اساسا لتحقيق أهم مظاهر التقدم والاصلاح .

ولو تأملت واقعنا الذى نعيش فيه ، لرأيت الاهمال محيطا بمعارفنا الانسانية وأصولنا الثقافية ، ولرأيت ميادينها مسرحا لفوضى الاغراض والآراء ، ولرأيت انعكاسات الشقاق والاضطراب تنقدح منها الى حياتنا الاجتماعية دون توقف .

خامسا ـ التجزؤ بمختلف مستوياته :

وأقصد بذلك ، التجزؤ الذى يبدأ فى الاسرة الواحدة ، ثم يتعداها الى الحى الصغير ، فالبلدة ، فالاقليم ، فالامة العربية بمجموعها . وأصغر هذه الدوائر سبب للذى بعده ، وهكذا ..

ولست أهدف مما أقول الى زعم أن الخلاف ما ينبغى أن يوجد ، والآراء المتباينة ما ينبغى أن تطرح . لا .. فان أى عاقل من الناس لا يزعم ذلك ، ولا يحيى الناس ، طالما كانوا مجتمعين ، الا فى ظلال من مخض الآراء والأفكار المتخالفة .

ولكن الخلاف شيء والتجزؤ شيء آخر ..

التجزؤ هو النتيجة السيئة للخلاف . أما الخلاف بحد ذاته فيمكن أن يكون سبيلا الى تمحيص مفيد ولقاء مثمر ، ويمكن أن يصبح سببا فى تجزؤ قتال . والامة الواعية هى التى تعرف كيف تتخذ من خلافات جماعاتها سلما الى تمحيص الفكر وسبيلا للاتفاق أخيرا على ما هو الاصلح والاكمل . أما الامة المتخلفة فهى التى تترك الخلافات الناشئة فيها لتتحول الى بركان دمار وعلة تجزؤ واضمحلال .

فهذا التجزؤ من أهم الاسباب التى تكرس أسباب التخلف بشتى أنواعه ، وهو تجزؤ يعيش فى حياتنا على شتى المستويات ، بدءا من أضيقها وهو الاسرة ، الى أوسعها وهو الامة العربية .

وعوامل هذا التجزؤ عديدة ورهيبة .. لا مجال فى هذا الصدد للوقوف عندها وتفصيل القول فيها .

ولكنى أقول ، فى نطاق البحث عن سبيل مفيد للقضاء على هذا التجزؤ :

ان سبيل ذلك البدء بأضيق الدوائر ، وهو الاسرة ، ثم السير الى الاوسع فالأوسع ، الى أن ينتهى العلاج ويتوج بوحدة الامة العربية قاطبة . ولا ريب أن هذه المرحلة الاخيرة أسهل المراحل كلها ، بل هى تكاد تكون آلية بعد الانتهاء من المراحل السابقة .

أى ان سبيل توحيد الأمة العربية ، لا يكون الا بالقضاء على أسباب التجزؤ فى الاسرة والبلدة والاقليم . ومن أعجب العجب أن تجد أناسا لا يعلمون الى اليوم هذا القانون

الطبيعى ، يثورون ويصولون بحثا — فى زعمهم — عن تحقيق الوحدة العربية ، فى الوقت الذى يزرعون فيه الارض التى تحت أقدامهم بمزيد من أسباب التجزؤ والتمزيق : يبددون الطاقات التى تعيش تحت أبصارهم ، ثم يبكون عليها ويبحثون عنها على طول الصحارى والقفار الفاصلة بين الاقاليم .. !!



هذه الاسباب الخمسة ، هى وحدها مكمن داء التخلف وضعف الانتاج فى بلادنا .

ولعلك ، ان تأملت ، رأيتها أسبابا متداخلة ، أى يؤثر بعضها فى تقوية بعض .

ومع ذلك فانها جميعا نتائج فرعية لسبب رئيسى خطير ، هو سبب الاسباب كلها . ألا وهو انصراف المسلمين عن اسلامهم ، ونقضهم للبيعة التى كانوا بايعوا بها ربهم .

هذه حقيقة ثابتة لا جدوى فى انكارها ، بل لا سبيل لانكارها ، عند من آمن بالله الها واحدا موجودا متصفا بكل صفات الربوبية والكمال .

غير أنها حقيقة خيالية لا جدوى من الحمل على اليقين بها عند من لم يؤمن بعد بهذا الاله . ونقاش ما بين هذين الفريقين لا ينتهى الى شىء .

غير أنى انما أخاطب فى هذا المقال الموقنين بوجود الله عز وجل ، أو المتظاهرين بهذا اليقين على أقل تقدير .

ان عمارة هذه الدنيا أمانة ، يشرف الله بها عباده المسلمين طالما كانوا مسلمين فعلا .. فاذا انحرفوا استلب الامانة منهم واستودعها عند غيرهم ، وربما كانوا شرا منهم ، لا ضير .. فان الله لا يوقف عمارة الارض ومسيرة الحياة من أجل عيون الذين ارتدوا على أعقابهم وانحرفوا عن منهج التشريف والتكريم .. لا بد أن تظل الحياة مستمرة وقانونها نافذا ، ان لم يكن زمامها بيد هؤلاء كان بيد آخرين .. الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

واليك نصوص هذا القانون فى بيان الفاطر الحكيم :

— « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » القصص : ٥ .

— « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .. » النور : ٥٥ .

— « وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا ، فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم الارض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » ابراهيم : ١٣ و ١٤ .

— « إلاّ تنفروا يعذبكم عذابا اليما ، ويستبدل قوما غيركم . ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير » التوبة : ٣٩ .

الأسس والآثار الحضارية في نظرة الإسلام العامّة

للدكتور مازن المبارك

لنقف الآن عند نظرة الاسلام العامة الى الكون والى الانسان لنرى ما فيها من اسس صالحة لبناء الحضارة ، ولنرى بعد ذلك ما ينتج عنها من آثار حضارية .

لقد كان للنظرة الاسلامية الى الكون والى الانسان اثرها البعيد فى تاريخ الحضارة وفى اتجاه تلك الحضارة ، كما كان لها اثرها فى تطور حياة الانسان وجعلها حياة مزدهرة مثمرة . ولقد كان من ابرز خصائص هذه النظرة الاسلامية انها ارست للحضارة اسسا ثابتة تنطلق الحضارة عنها فى كل مجال ، وانها نظرة واقعية تحققت فى عالم الواقع لا فى اوهام الفلاسفة وخيالات المشرعين فكانت مثلا رائعا للحضارات على مدى التاريخ .

١ ـ ففي مجال الحياة الفردية كانت لنا ثلاثة اسس :
اولها : ان للفرد حرية تكفل له نشاطه ولا تصل الى حد الاضرار بمصلحة غيره .
وثانيها : انها ايقظت في نفس الانسان ضميره ، فاصبح له من نفسه حارس عليه .
وثالثها : انها حررته من كل عبودية لغير الله تعالى .
اما الأساس الأول وهو ان تترك للانسان حرية لا تضيق حتى تشل حركته وتقتل موهبته ولا تستطيع حتى تطغى على مصالح الآخرين ، ففيه حل لمشكلة من ابرز مشاكل المجتمعات البشرية التي يدور فيها اليوم صراع شديد بين النظام الحر والنظام الموجه . ونحن نعتقد انه اذا اردنا ان نحفظ على الانسان انسانيته وعلى المرء مروءته فلا بد ان نتركه حرا ينطلق في تحقيق مواهبه واستثمار كفاءاته ليتنافس الأفراد في تقديم الخير لأنفسهم ولمجتمعاتهم ، ولن يكون هذا التنافس في ظل الاسلام وتحت اشرافه الا تنافسا خيرا يرعى حقوق الفرد وحقوق الجماعة . ونحن نستطيع ان نطبق هذا المبدأ القائم على الحرية المعتدلة في كل ميدان من ميادين الحياة ، فنطبقه في ميدان الفكر كما نطبقه في ميدان الاقتصاد ، وذلك بان نترك للأفراد ان يفكروا كيف يشاؤون وان يكتبوا ما يشاؤون على الا يكون في شيء من ذلك مساس بمصلحة جماعتهم وعقيدتها . ولقد كانت لهذا المنهج الحكيم ثمراته الخيرة في تاريخ حضارتنا يوم طبق فلم يشل حركة الفكر بل هيأ للعالم علماء افذاذا كابن سينا والغزالي وابن رشد وغيرهم ممن قال عنهم علماء الغرب انهم ظلوا اساتذة للغرب حتى القرن التاسع عشر . قال غرونباوم ((ليس ثمة ميدان من ميادين الخبرة الانسانية لم يضرب الاسلام فيه بسهم ولم يزد ثروة الثقافة الغربية فيه غنى)) ..
واما الأساس الثاني ، وهو ايقاظ الضمير ، فمتصل بالأساس الأول اذ قد يجنح بعض الأفراد او ينحرفون ، وتستعبدهم شهوة الكسب او شهوة الشهرة فيظلمون المجتمع بوسائل كسبهم الجشعة كاحتكار القوت ، او يسيئون اليه باتخاذ مخالفة العقيدة طريقا الى الشهرة .. فكان لا بد لهؤلاء واولئك من رادع ورقيب فكان الأساس الثاني لذلك قائما على ايجاد ذلك الرادع وتنبيه الضمير ليكون حارسا امينا او صمام امان يحرص المسلم على بقائه نقيا طاهرا يقظا لان الله سبحانه مطلع عليه وهو الذى يعلم الجهر وما يخفى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه .) . واما اذا صدىء هذا الضمير او قصر في واجبه فان الحاكم يقوم بوظيفة الرقيب والرادع ليحفظ حقوق الجماعة من المنحرفين ويعيد الى المجتمع توازنه المطلوب .
واما الأساس الثالث ، وهو تحرير الانسان من عبودية الانسا[ن] كان وربطه مباشرة بالله الخالق القوى ، فقد كان ذا آثار بعيدة [...] الانسانية من اقربها انه انقذها من حياة الفوضى والقلق تلك [...] تعيشها ، واوجد فيها سكينة وطمانينة اتاحت لها فرصة العمل [...]

النافع . ان الاسلام حين ربط نفس الانسان بالله فقد ربطها بمصدر قـوة كبرى تفزع اليه عند الملمات (ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا) ولقد قرر العلماء ان الايمان بالله هو الدواء الناجع والوحيد للتخلص من القلق والاضطراب النفسي ، وراحوا يعملون اليوم على ابراز هذا الجانب الروحي وبيان قيمته في العلاج النفسي ، وحسبك أن تقرأ كتاب ((دع القلق وابدأ الحياة)) لديل كارلنجي وكتاب ((العودة الى الايمان)) لموريس كريسون .. فكارلنجي يقول ((ان أطباء النفس يدركون ان الايمان القوى والاستمساك بالدين كفيلان بان يقهرا القلق والتوتر العصبي)) ويقول الدكتور بريل ((ان المرء المتدين حقا لا يعاني قط مرضا نفسيا .)) والحقيقة أنه متى انتصرت النفس الانسانية على شهواتها ، وأصغت الى ضميرها ، وراقبت ربها ، وتحررت من كل عبودية لغيره ، اندفعت بناءة في ميدان الخير تعمل لنفسها ولمجتمعها وللانسانية جميعا . هذا الى جانب ما للصلة الانسان بربه من أثر في رفعة الخلق وسمو الغاية .

٢ — وفى مجال الحياة الاجتماعية وضع الاسلام التكافل الاجتماعى اساسا يقوم عليه المجتمع وهو تكافل عام شامل لكل ميدان ، لا يقتصر على توزيع الثروات أو اعانة الفقراء وانما يمتد ويعم حتى يشمل ميدان الصناعات . وذلك ان الاسلام أوجب على المجتمع الاسلامى ان يكفى نفسه فان خلا مجتمع أو بلد من صناعة يحتاج اليها المسلمون فكل أهل البلد آثمون ومعنى ذلك أن على المسلمين اليوم أن يسهموا فى كل ميدان من صناعة النعال الى انتاج الذرة .

ولم يكتف الاسلام بجعل المجتمع شركة يتقاسم ابناؤه الأعباء والمغانم ، وانما جعله أسرة واحدة قائمة على المحبة والتعاون والتراحم تلك المثل التى يفتقدها عالم اليوم ، وواضح ان هذا الشعور العاطفى لم يكن ليفسد النظرة الموضوعية الى المجتمع وواقعه ، وحسبك بنظرة ابن خلدون مثالا للنظرة الموضوعية الاسلامية فى دراسة المجتمعات البشرية .

٣ — واما فى ميدان الانسانية عامة فكان الأساس الـذى ارساه الاسلام ان البشر جميعا من أصل واحد والى مصير واحد ، وانهم متساوون لا يفرق بينهم نسب ولا لغة ولا لون ولا جنس ، فالناس جميعا بشعوبهم وامهم ورجالهم ونسائهم .. مخلوقون للتعارف والتعاون على بناء العالم وازدهار الحياة . وكان من آثار هذه النظرة الاسلامية أن التقت لأول مرة فى تاريخ الانسانية أمم وشعوب تعاونت على بناء العالم ورقى حضارته رغم ما بينها من فروق الجنس واللون واللغة . وكان من أثر هذه النظرة أيضا ان فاضت الحضارة الاسلامية بخيرها على العالم اجمع فتمتعت بها اقوام وامم ، سواء منها من خضع لحكم المسلمين ومن لم يخضع .

٤ — وفى ميدان العلم قامت نظرة الاسلام على أساسين : ايمانى

وتجريبي . أما الايماني فخاص بما اخبر به الله تعالى وما تنزل به الوحي ، وليس للمسلم الا ان يقبل ويسلم ، وقد اخبر الله تعالى انه قد تمت الرسالة وانتهى الوحي وختمت النبوات . وأما العلم التجريبي فهو الذي لفت القرآن اليه اذهان الناس وحثهم على البحث فيه واخضاعه بالتجربة العلمية الموضوعية لمنافعهم ، وقد رأينا كيف كان القرآن يحض على استخدام العقل والفكر في الآيات الكونية فكان صوته اول نداء مزق في العالم حجب الوهم والخرافة ودعا الانسان الى اكتشاف قوانين الكون ومعرفة اسراره .

وكان من اثر هذه النظرة أن نقل الاسلام العلم من مرحلة النظر الى مرحلة العمل والتجربة ، فعرف العالم المناهج التجريبية وعرف النابغين من العلماء كالبيروني وابن الهيثم والجاحظ والرازي .. وغيرهم ممن كانوا اساتذة العالم في الطب والفلك والكيمياء . وكان العصر الزاهر للحضارة الاسلامية عصر العلم والعلماء .

ولقد اثبت الاسلام – كما يقول غوستاف لوبون – انه من اكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم . بل ان لوبون يصرح بأن المناهج العلمية الحديثة مدينة للمسلمين وحدهم بالفضل الأول فيقول « لم يلبث العرب – وهو يعني المسلمين – بعد ان كانوا تلاميذ معتمدين على كتب اليونان ان ادركوا ان التجربة والترصد خير من افضل الكتب » ويقول : « ويعزى الى بيكون على العموم انه أول من أقام التجربة والترصد اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الأستاذ ، ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم .. » ويورد لوبون آراء عدد من العلماء الذين يؤيدون رأيه هذا ثم يقول « قام منهاج العرب على التجربة والترصد ، واختبروا الأمور وجربوها ، وكانوا أول من ادرك هذا المنهاج في العالم ، وظلوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا » .

٥ – واخيرا ، ارسى الاسلام اساسا لا بد منه لازدهار الحضارة الانسانية وسعادة البشرية وهو السلام ، فالاسلام والسلم والسلام من اصل لغوي واحد ، والله تبارك وتعالى هو السلام ، ولقد بلغ من حرص الاسلام على السلام ان اتخذه شعارا له فكان اول ما يذكر في اللقاء بين مسلمين بل كان هو شعار المسلمين يوم يقدمون على ربهم (تحيتهم يوم يلقونه سلام .) .

والحق ان الاسلام منح السلام للعقل الانساني الذي كان قلقا يبحث عن الخالق واسرار الكون فلا يهتدي ، ومنح السلام للنفس الانسانية التي كانت مضطربة تعتقد انها في حرب دائمة مع الآلهة والأرواح الشريرة ، فهي دائمة اللهفة لاسترضائها ودفع سخطها فجعلها الاسلام مطمئنة راضية تؤمن بالله واحد ، وهو اله يحبها ويفرح باهتدائها ويدعوها لانهاء الخصومة والاستسلام له او الاسلام له (وانيبوا الى ربكم واسلموا له .) (ومن احسن ممن اسلم وجهه الى الله وهو محسن .) ومتى وجد السلام في

النفس والعقل ، ومتى وجد فى الارض بين بنى البشر فقد وجد الاستقرار، ومتى وجد الاستقرار فقد وجدت الحضارة .

٦ — على ان الاسلام لم يترك فكره السلام مجرد دعوة أو مجرد فكرة قد تضعف أو تعصف بها شهوات النفوس الجانحه وانما دعمها بالقوه تحرسها وتسهر على تحقيقها ، انه يؤثر السلام (فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) ولكنه يدعو الى ان تكون بجانب السلام قوة تدعم الحق الحق وتنتصر له فأمر باعداد القوة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوه) وأمر بقتال الفئة الباغية (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله) .

وهكذا فقد هيأ الاسلام العالم للحضارة اذ أوجد لها ظروفها الملائمة ، وأية ظروف أجدى على الانسانية وحضارتها من دفع العقل البشرى الى التفكير والعمل والتجربة ، وتهذيب النفس وحراستها بالضمير وربطها بالله ووضعها موضع الرغبة فيه والرهبة منه ، ثم كفالة الاستقرار بتأمين السلام ؟؟ وأى دليل أصدق على ملاءمة هذه الظروف من دليل الواقع الحى الذى يشهد له التاريخ ؟ لقد شهد التاريخ لهذه المبادىء الاسلامية بالنجاح الواقعى . وشهد أنه بفضلها أخصبت الحياة وازدهرت فى ميادين التجارة والصناعة والزراعة والعمران ، ويكفى أن نتذكر ما كانت عليه عواصم العالم الاسلامى — يوم سادت تلك المبادىء — من تقدم وما بلغت الحياة فيها من رقى ، وما شاد الفن فيها من آثار ما زالت قرطبة وغرناطة والقاهرة ودمشق وبغداد شاهدة عليه حتى اليوم .

ان التاريخ ليشهد أن تلك الأسس وهذه الآثار الحضارية ليست شيئا يزينه الوهم أو يبدعه الخيال كما هو الأمر فى أكثر الدعوات وما تزخرفه للناس أو تغرى به السذج ، وانما هى أسس عرفها واقع الحياة الاسلامية وعرف العالم حضارتها ، بل لقد شهد لتلك الحضارة علماء ومؤرخون من غير المسلمين فكان منهم من قال : (لم يفتح الاسلام العالم ، ولكنه غزاه بحضارته .) وكان منهم من قال : (الحق أن أتباع محمد ظلواأشدمنعرفتهأوربا من الاعداء أرهابا عدة قرون ، وأنهم كانوا عندما لا يرهبوننا بأسلحتهم كما فى زمن الحروب الصليبية كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم الساحقة .) وقال (ان للحضارة الاسلامية تأثيرا عظيما فى العالم . وأن أوربا مدينة بحضارتها للعرب) .

ونختتم بحثنا هذا بالتأكيد على أن هذه الأسس التى وضعها الاسلام للحضارة تمتاز بخصائص تجعلها أسسا صالحة لبناء حضارة انسانية عالمية فهى تمتاز :

أولا : بالنزعة الانسانية التى لا تعرف حدود الأرض أو القوم أو اللغة ، ولا تقبل بتفرقة الجنس أو اللون أو غيرهما من العصبيات .

ثانيا : بالبساطة وعدم التعقيد مما يجعلها ملائمة لشتى الظروف ومختلف المتطلبات .

ثالثا : بالشمول لجميع جوانب الحياة التى تحتاج اليها الحضارة من خلق وعقل وعمل .

رابعا : يمتاز الجانب الاخلاقي فيها بشمول رائع للفرد والجماعة والدولة ، فكما لا يقبل الاسلام من الفرد مثلا ان يكذب او يخدع أو يخون او يعتدى من أجل مصلحته الخاصة ، فكذلك لا يقبل هذه المفاسد من الجماعة أو من الدولة من أجل القوم أو الوطن أو سياسة الدولة ..

وبعد ، فان الحضارة الاسلامية ذات أساس ايماني ، لأن الايمان بالله هو الاساس الأول الذى ترتكز اليه ، وهو ايمان يحرسها ويجنبها الكثير من العثرات ، ويجعل عطاءها عاما لجميع عباد الله . وهي حضارة تنبعث كما رأينا من نظرة الاسلام الى الكون والى الانسان ، تلك النظرة التي تعطى كل شيء في الحياة نصيبه ، وتضع كل شيء موضعه ، فللايمان فيها موضع وعمل ، وللعقل فيها موضع وعمل ، وللروح فيها نصيب كبير ، ثم ان الروح والجسم فيها اليفان يساعد أحدهما الآخر ، ولا يطغى جانب فيها على جانب ، فلا ينسى الانسان فيها ربه ، ولا تطغى فيها العبادة حتى تشل العمل أو تعيق الانتاج .

على أنه يجدر بنا أن نشير الى أن الاسلام نظام شامل ، وأنه اذا أردنا له أن يقوم نظاما حضاريا ، وأن يؤتى ثماره الطيبة فلا بد من رعاية الأسس التي نادى بها جميعا ، وأنه لا جدوى من الايمان ببعض الاسلام دون بعض الآخر . ولا بد لنا بعد ذلك أن ندرك أنه ما من مذهب من مذاهب الارض ولا دين من أديان السماء جاء كالاسلام بانيا للحضارة في كل ميدان من ميادين الحياة فاذا هو فى حياة الفرد حرية لا تعرف العبودية لغير الله ، ولا تحدها في الارض غير مصلحة الجماعة ، وهو فى نفس الانسان ايمان يدفعه الى العمل ويحضه على الاتقان فيه فان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ، وهو ضمير يقظ يحول بين المرء والآثام ، وهو بعد ذلك أمر للانسان بالعمل الدائم وبكل طاقاته لتسخير الكون لمنفعته ، واعداد القوة لاقامة الحق والعدالة والمساواة فى الارض .

هذا هو الاسلام ، وتلك هي نظرته ، فما أحوج عالمنا اليوم اليه والى نظرته لينظر من خلالها الى الكون والى الانسان ، وليبنى على أساسها حضارته الجديدة .

ما أحوج عالمنا اليوم الى هذه النظرة الاسلامية التي تحرره من أخلاق الجاهلية بما فيها من شرك آثم وخضوع لغير الله ، وبما فيها من شهوات رعناء ، وعصبيات ضيقة . ما أحوج عالمنا اليوم الى الاسلام ليعود الى الارتباط بالله خالقه العلى العظيم .

وما أحوجه الى النظرة الاسلامية التي تتفرد بأنها وحدها من بين اديان السماء ومذاهب الارض تجمع ما فى الدين من سمو روحي الى ما فى العقل من طموح علمي الى ما فى العمل من فعالية دائبة ، مستثمرة ذلك كله فى سبيل المثل الاعلى والكمال المطلق .

ولا يسألنى سائل بعد الذى ذكرت أين هى اليوم أسس الاسلام فى حياة المسلمين ؟ ولا أين هى حضارة الاسلام فى واقع المسلمين ؟ فما أصدق من قال : أن الاسلام اليوم محجوب بالمسلمين .

وفيات الأعيان

عبد الله التل

للاستاذ : انور الجندى

لقد افضى (١) (عبد الله التل) الى ما قدم وعبر الى الشاطىء الآخر بعد أن ادى حق الله بالسيف والقلم فكان نموذجا كريما من نماذج المجاهدين المسلمين فى العصر الحديث فقد شارك عبد الله التل محاربا وقائدا عسكريا فى معركة فلسطين عام ١٩٤٨ وفتحت هذه المعركة الحاسمة التى انتهت بقيام اسرائيل ذهنه وقلبه الى الخطر الصهيونى العالمى ، ودفعته الى دراسة واسعة عميقة لهذا التحدى الخطير الذى واجه العرب والمسلمين فى العصر الحديث . وبذلك انتقل هذا المجاهد المسلم العربى من معركة الى معركة شأنه فى هذا شأن اللواء محمود شيت خطاب الذى اشترك فى نفس معركة فلسطين عام ١٩٤٨ ومنهما انطلق الى دراساته الاسلامية والسياسية .

ولا ريب ان هؤلاء المجاهدين قد اقاموا فى العصر الحديث صورة صحيحة لمفهوم الاسلام نفسه الجامع بين الجهاد باليد والجهاد بالقلم ولقد كان كذلك عدد كبير من مفكرى الاسلام ورجاله .

ويعد عبد الله التل فى مجاله العسكرى حبة من عقد ظهر منه الشيخ القسام وعبد القادر الحسينى واحمد عبد العزيز . يقول : أكرمنى الله تعالى وقدر أن أكون قائدا للقوات العربية التى خاضت معركة القدس واستطاعت أن تطهر القدس القديمة من اليهود وتحفظ للمدينتين الاسلامية والمسيحية مقدساتهما التاريخية الخالدة . وانتصارنا فى معركة القدس أبقى للعرب منطقة نابلس ومنطقة الخليل ، لأنه لو قدر لنا أن نخسر المعركة وننسحب من المدينة لما بقى بيد العرب شبر واحد فى فلسطين . ذلك لأن مدينة القدس هى الدعامة التى ترتكز عليها الميمنة (نابلس) والميسرة (الخليل) كما أن بيت المقدس هو فلسطين ومن يمتلكه وما فيه من مقدسات خالدة يعد مالكا لفلسطين ومن يخسره يخسر فلسطين كلها .

وقد استطاع عبد الله التل عرض القضية في دراساته المختلفة : وأولها (كارثة فلسطين) ، الذي أصدره عام ١٩٥٩ وكان قد هاجر الى القاهرة في اكتوبر ١٩٤٩ وبدا يدرس هذه القضية دراسة متأنية واسعة شاملة . ثم اصدر كتابه الضخم (خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية) عام ١٩٦٤ ثم اتيحت له فرصة اخرى لاعداد دراسة ضخمة قصد بها نيل الدكتوراه من جامعة الأزهر نشرها فيما بعد تحت اسم (جذور البلاء) (عام ١٩٧١) .

وفي كل هذه الدراسات التي استمرت أكثر من عشرين عاما لم يدع (عبد الله التل) شاردة ولا واردة حول هذه القضية في أفقها الواسع المتصل بالصهيونية العالمية وبالاستعمار وبتاريخ اليهود منذ ألوف السنين حتى اليوم ، كل ذلك في أسلوب دقيق ومنطق علمي .

وكان (عبد الله التل) هو في مقدمة المفكرين والقادة الذين اعلنوا الحقيقة التي أوصلهم اليها علمهم وتجربتهم وهي : « ان قضية فلسطين هي قضية دينية مقدسة في المقام الأول وان أية معالجة لها لا تكون على أساس ديني جهادي مكتوب عليها الاخفاق لا محالة » .

يقول : « وايماني هذا مبنى على تجارب عسكرية عشتها وحقائق تاريخية لمستها ووعيتها» .

ويشير في هذا الى تجربة الجزائر التي قامت على هذا الفهم الواضح .

« لم أنس بعد تجربة الثورة الجزائرية الكبرى التي هزمت الاستعمار الفرنسي وقضت على خرافة فرنسة الجزائر يوم خيل للاستعمار انه استطاع القضاء على عروبة الجزائر فجاءت الثورة وسلاحها الأول : (جهاد ديني في سبيل الله) مخيبة لآمال الغرب ومؤكدة عظمة الطاقة الكامنة في الاسلام فتمت المعجزة واستقلت الجزائر بعد استعمار فرنسي بشع دام (١٣٠) عاما كاد خلالها ان يهلك الحرث والنسل وأن يقضي على اللغة العربية ، بيد انه أخفق في القضاء على الاسلام » .

وقد هاجم عبد الله التل منذ ذلك الوقت البعيد تلك الدعوات المنحرفة التي كانت تخرج معركة فلسطين من مضمونها الأصيل ومفهومها الصحيح يقول :

« ويتناسى دعاة العلمانية الذين يسقطون من حسابهم العامل الديني في قضية فلسطين : انها القضية الوحيدة في العالم التي قامت منذ ثلاثين قرنا وما زالت تقوم على أسس دينية روحية ، وانه ان صحت معالجة أية مشكلة على أسس مادية فان قضية فلسطين لا تعالج الا على اسس دينية بالدرجة الأولى وأسس مادية بالدرجة الثانية ويتناسى قادة الأحزاب والحركات العربية العلمانية ان جميع المعارك الحاسمة في تاريخ العروبة والاسلام من القادسية واليرموك وحطين وعين جالوت الي بور سعيد والجزائر كانت صيحة الحرب فيها دينية مقدسة : الله اكبر » .

ولقد صدق الله وعده فكانت معركة العاشر من رمضان على النحو الذى تمناه لها (عبد الله التل) ولعل روحه قد قرت ورضيت بأن تحول تيار الفكر الاسلامى العربى نحو هذه الحقيقة وأصبح موقنا بها .

كذلك أشار (عبد الله التل) فى دراساته الى القوى المادية فى الوطن

العربى مثل البترول وقال انها اسلحة خطيره لا بد من استخدامها لكسب المعركة وقد تحقق ذلك .

ولقد كان على قدر كبير من الوعى والايمان حين قال :

« اما اذا اقتصرنا على استخدام السلاح المادى فى المعركة فان قوى الأعداء المادية تفوق قوانا ولا يمكن التغلب عليه فى مجال المادة وحدها فاذا ما ضممنا « القوة الروحية الكامنة فى الاسلام » الى قوانا المادية نتج عنها قوة عظيمة وطاقة جبارة » .

ولقد كان فهم عبد الله التل — رحمة الله عليه — لهذه القضية الحاسمة فهما عميقا وحاسما فلم يكن من أمثال الباحثين والمؤرخين الذين يقفون عند الأحداث وحدها ولكنه كان قادرا على النفاذ الى الأعماق وتحليل الأزمة على نحو لم يعرف الا عند عدد قليل من المقتدرين فهو من ناحية يصل الى أعماق الايدلوجية التلمودية قديما منذ خصومة اليهود للاسلام فى المدينة ويتحدث عن الدور الذى قام به اليهود فى المنفى البابلى حين أعادوا كتابة التوراة على طريق المطامع والأهواء على النحو الذى كشفه القرآن الكريم ، وقطع بالرأى فى علاقتهم بسيدنا ابراهيم عليه السلام وكيف كانوا يخفون الجانب الاسماعيلى العربى من تاريخه ليقصروه على جانبهم الاسرائيلى وحده واستطرد الى فهم اليهود للحياة وعبادتهم للذهب واشتغالهم بالربا وكيف كانت اقامتهم الأولى فى فلسطين سوداء الصفحة مفعمة بالقتل والذبح والنهب والسلب والبطش والارهاب والغدر والاسر والسبى وكيف ان عمليات القتل الجماعى والفتك بالناس دون النظر الى الجنس والتمييز بين الرجال والأطفال والشيوخ قد أوجدها اليهود أنفسهم ولم يسبقهم اليها شعب من شعوب الأرض ومن يقرأ سفر استير فى التوراة وهو سابق على عهد الرومان فى فلسطين يجد كيف أن اليهود قد ذبحوا (٧٥) الف نسمة فى يوم واحد بايعاز من هذه اليهودية الجميلة التى استغلت جمالها عند ملك الفرس وهم يعتزون بهذا اليوم ١٤ مارس ويعتبرونه عيدا قوميا لهم (٢) .

ثم يتحدث الكولونيل عبد الله التل عن التلمود ويورد تاريخا مطولا للأحداث ويكشف موقف أوربا من اليهود وكيف استطاعوا السيطرة عليها بالثورة الفرنسية وكيف أمكنهم احتواء الفكر الغربى المسيحى ثم كيف قاومتهم أوربا وفتحت لهم الطريق الى بلاد العرب والمسلمين تخلصا منهم .

ثم يصل عبد الله التل الى كشف جوانب خطيرة من التاريخ الحديث غابت عن كثير من شبابنا ومثقفينا ، مما يختلف عما أوردته كتب التاريخ التى قررها الاستعمار فى مدارسنا العربية والاسلامية . وكيف نشأت الماسونية وجمعية بناى برث ثم كيف ظهرت الصهيونية وحركة التنوير وكيف جرت الحركة من اجل اسقاط الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية وذلك كله مما لم يكشف الستار الا عن جانب منه كان لعبد الله التل فضل أى فضل فى الكشف عنه وخاصة فى كتابه (جذور البلاء) .

ولا ريب ان المسلمين والعرب فى حاجة كبرى الى أن يعرفوا هذه الجوانب الخفية وأن يصلوا الى هذه الابعاد الحقيقية التى تكشف لهم ابعاد الموقف الخطير الذى يعيشون فيه والذى ليس قاصرا على وجود احتلال استيطانى يهودى فى فلسطين وانما هناك محاصرة ضخمة للعالم الاسلامى

ومخططات خطيرة فى سبيل احتواء العالم الاسلامى . فحره وتراثه وثروته وكيانه كله . وان هذا العمل بدا من وقت بعيد واستهدف فى اول الامر احتواء الفكر الغربى المسيحى وقد تحقق ذلك ثم مضى للسيطرة على الفكر الاسلامى بالحرب العالمية الاولى والثانية وقد انكشف ذلك كله بتسرب بروتوكولات حكماء صهيون عام ١٩٠٢ ميلادية، هذه البروتوكولات التى حجبت عن المسلمين والعرب اكثر من خمسين عاما حتى يظلوا جاهلين ما يدبر لهم .

ويكشف عبد الله التل عن أن اليهود هم الذين أضرموا نار الحربين العالميتين الأولى والثانية وتسببوا فى قتل أكثر من ٤٠ مليون مسيحى .

ويصل عبد الله التل الى اعلان حقيقة هامة حين يقول : لقد كان سقوط الخلافة الاسلامية هو العامل الأول فى انجاح خطة اليهودية العالمية لاغتصاب فلسطين ، صحيح ان الوعد (وعد بلفور) قد صدر فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ قبل احتلال فلسطين وانهيار الخلافة ، الا ان ذلك الوعد كان نظريا ولم يترجم الى حقيقة وعمل الا بعد أن اقتحم الجنرال اللنبى مدينة القدس من باب الخليل وقال عبارته المشهورة : « الآن انتهت الحروب الصليبية » . هذا الجنرال اللنبى الذى ظن انه ينتقم لهزيمة حطين ويسترد سلطة الصليب على بيت المقدس كان جاهلا لا يدرى انه آلة صغيرة فى الجهاز الكبير الذى تسيره اليهودية العالمية لتحقيق اهدافها الجهنمية : اذ لم تكد تمضى بضعة أشهر على حكم الانتداب البريطانى على فلسطين حتى أصبح واضحا ان حكومة الانتداب مجنده لخدمة اليهود وتسهيل عملية استيلائهم على مرافق فلسطين لتحويلها الى دولة يهودية لا مكان فيها لهلال ولا صليب .

ثم كيف نذكر أنهيار الخلافة الاسلامية دون أن نشير الى أن اليهودية العالمية كانت عاملا قويا فى ذلك الانهيار . فاليهود لم ينسوا أن السلطان قد رد الصهيونى الأكبر هرتسل وايقنوا انه لا أمل لهم ولا فائدة فى السلطان فقررت الحكومة اليهودية المستورة القضاء على الخلافة وحينما نجح اليهود فى تحطيم الخلافة لم يكتفوا بذلك وانما رسموا لتركيا خطط المستقبل قرروا ان تتخلى تركيا عن الخلافة وعن اللغة العربية وان تتخلى عن الاسلام ثمنا لتأييد دول الحلفاء لها فى ثورتها التى قادها مصطفى كمال باشا ولقد كان الوسيط الذى اشرف على تنظيم اتفاقية الحلفاء مع مصطفى كمال هو الحاخام حايم نحوم الذى كان فى تركيا قبل انتقاله الى مصر حاخاما أكبر ليهودها (٣) .

وهكذا كشف عبد الله التل حقائق كثيرة وقدم فى مجال الفكر والعقيدة جهدا بالغا له أجر المجاهد الشهيد ، فكان بالقلم محاربا كما كان من قبل بالسيف وقد جمع الحسنيين ، مقاتلا بالكلمة ومقاتلا بالمدفع فى سبيل القضاء على أكبر خطر يتهدد الاسلام والعالم الاسلامى فى هذا العصر فجزاه الله أجر العاملين وكتبه فى الابرار المجاهدين .

---

(١) توفى عبد الله التل فى اواخر عام ١٣٩٣ هـ ولم ينتشر خبر وفاته الا بعد ذلك وقد قرانا اول نعى له فى مجلة (العرفان) التى تصدر فى صيدا فى عدد اخير وصلنا خلال شهر صفر ١٣٩٤ هـ .

(٢) اقرا ذلك بالتفصيل (ص ٣٦) من كتاب خطر اليهودية العالمية للكولونيل عبد الله التل .

(٣) راجع ص ٢٣١ من كتاب عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية .

صلاة

قصيدة للشاعر فى مهرجان عيد الشهداء بدمشق
٦ مايو ١٩٧٤ .

ماذا اغنى ؟

والسماء بقدسها وبنورها ،
غنت لهم ؟؟
والارض لملمت العبير وضمخته ،
بعاطر من ذكرهم
والله قربهم ، ومد العرش اظلالا ،
لرفرف خلدهم
وكتائب الاحرار شدت فى النضال ضياءها ،
من دربهم
وخطا الشعوب تضل ان لم تستمد حياتها
من خطوهم
.. عرفوا طريق الخلد ، فاتجهوا اليه ،
وعانقوه بعمرهم
وبروحهم ، وبسرهم ،
وبكل ما ملكت منابت كرمهم ،
وبكل ما وهبته اقداح الحياة
لدمعهم ولخمرهم ..
بالنور .. والأغلال ترفض ضوءه
من عزة فى ليلهم

للشهداء

للشاعر محمود حسن اسماعيل

بالحب .. والأغلال تنسخه لظى ،
متأججا من سخطهم
بالدم .. وهو النار عاطشة مدمدمة ،
لساعة ثأرهم
بالحلم .. وهو تميمة الجبناء ،
تخجل أن تطوف بمهدهم !
بالروح .. وهى الطائر المجروح ،
من غيظ التراب بأرضهم
بوجودهم .. ووجودهم هذا التراب الحر ،
يصرخ تحتهم :
ان لم أكن حرا ، فلا عبرت على وجهى
عروبة وجههم !
ردوا عليه بأن سقوه ، بكل آخر قطرة
من كأسهم
بدمائهم ، بفدائهم ، بمضائهم ،
قطفوا الحياة بموتهم
والله ما ماتوا .. ولا عرف البلى عرقا
يجف بجسمهم !
عرفوا طريق الله ، فاتجهوا اليه
وبايعوه بعمرهم !!

من هــؤلاء ؟
هــم الذين مشــاعل الانســـان تحمــل ضــوءهم
صنعــوا من الآجـال مصبــاحا ، عرفــت بـــه
اشعــة شمسهم
فعرفتهـــم .. لمــا رايت العــار تغسـله الدمـــاء
بجرحهم ..
وعرفتهم .. لمــا رايت الـــذل يحصـــده الاباء ،
بكبرهم ..
وعرفتهـــم .. لما رايت اليـــاس بـــدده اليقيـــن
بعزمهم ..
وعرفتهـــم .. لمــا رايـــت الأرض ترفع رأســـها
من بأسهم ..
وبـــكل يـــوم تشتهيهـــم حاصـــدا لعـدوهـــا
من تربهــم ..
وعرفتهم .. لما رأيـــت كرامــــة الأوطان تهـــزج
باسمهم ..
وعرفتهم .. لما اســتعدت وجــود وجهى فى الوجــود
بيومهم ..
قـــد كـــان ضـــاع ، وضــــاع . حتـــى عـــاد
ممتشق الاباء بكفهم !
شهـــداء .. تخشـــع كـــل ذرات الفضـــاء ،
لهالـــة من طهرهم
وتميس رايــــات المعـــارك كلمـــا نشقـــت
معارج عطرهم !
كل البطولـــة قطرة شربـــت رحيـــق مضائهـــا
من بحرهـــم

كـــل الثـرى عبـــد اذا لـــم يرشـــقوه
بوقدة من جمرهم ..
شهـــداء !! صـوت الحـق جلجـل كالأذان ،
محلقا من صوتهم ..
شـهداء .. ريـح النصر هبت مـن لظى قبس اللظى
من صدرهم
ذبحـوا اسـاطير الطغـاة .. ولقنوها آيـة
من درسـهم
ومضـوا .. ويمضـى كـل يـوم للفـرادس
زائـر من ركبهـم
حتى تغـرد فـى التـراب حقيقـة
تشجى سرائر طيرهم
.. حييتهـم فـى كل شبـر املكـوا فيـه
سلاسل قيدهم
وعـرجت بالأوتـار حتـى شـارفت
الق النبوة حولهـم
وطرقـت بـاب الخلـد اسـال اى روض
فى الأرائك ضمهم ؟
وبـاى رفـرف جنـة املاكهـا وطيورهـا ،
حظيت بهم ؟
فعلمـت ان اللـه كرمهـم
ونعم بالشهـادة قربهم !!
ماذا اغنى ؟؟ والسـماء بقدسها وبنـورها غنت لهـم
.. فاذا شدوت .. فلن اكون سوى صدى لقصيدة من
شـعرهم !!.

منهج الاسلام

للدكتور محمد فوزى فيض الله

١ — ربما كانت هذه التسمية حديثة فى البحث الاسلامى ، وربما كانت المانيا المهد الأول الذى نبتت فيه فكرة التضامن أو التكافل الاجتماعى فى العصر الحديث ، ومنها انبثت الى الأقطار الاوروبية ثم الشرقية ، وكتب فيها الباحثون والمقننون .

لكن هذا لا يعنى ابدا ، خلو النظام الاسلامى من فكرة التكافل ، أو غض نظره عنها ، أو اهماله أو تقصيره فى تطبيقها . وسنرى فى هذا البحث القصير ، كيف أن الاسلام سبق الى فكرة التكافل الاجتماعى ، وأقام لها نظرية مستقلة ، ورسم لها الخطوط العريضة ، ووزع المسئولية فيها على المجتمع المسلم وجهاته ، وأشرف الحاكم والمحكوم على السواء على تطبيقها ، كما يتضح ذلك من الصور العملية ، والوقائع التاريخية ، التى أبرزتها فى المجتمعات الاسلامية ، فى عهود النهضة ، وأزمنة التخلف .

٢ — ويمكن تحديد التكافل الاجتماعى — بوجه التقريب — بأنه : تنظيم مالى دينى ، يقوم على فكرة التعاون بين الدولة وبين الكاسبين ، أفرادا وجماعات ، لسد حاجات الفقراء ، وحفظ كرامة المحرومين ، وتهيئة سبل العيش الكريم لهم ، من غير استغلال أو تجاوز .

وليس من المهم فى الاسلام التحديد الصورى ، بعد تحقيق التكافل روحيا وعمليا فى المجتمع ، بدون اعتبار العرق والدم ، والعنصر واللغة ، ومجالات الاقتصاد ، وبيئات الفلاحين والعمال ، كما اقتصرت عليها بعض المذاهب الاجتماعية المادية الحديثة ، فهبطت ، واستهدفت للنقد اللاذع ، الذى قلل من انسانيتها .

كما يمكن رسم الهدف منه فى الاسلام ، وهو — كما يبدو من التحديد — : قطع دابر الفقر ، والعوز ، وصون كرامة الانسان ، واحباط أساليب التجاوز والاستغلال ، فى المجتمع الاسلامى .

٣ — وقد وزع الاسلام المسئولية التكافلية — اذا صح هذا التعبير — على جميع الجهات التى يتصدر منها الامداد المادى ، فى المجتمع الاسلامى ، بادئا بالفرد المسلم ، ومنتهيا بالدولة المسلمة ، والمجتمع الاسلامى موصول الرحم ، موثوق عرا المودة ، يتعاون أفراده على الخير فيما بينهم ، لاصلاح شأنهم كله ، فى الدين والدنيا ، متضامنين .

وقرر الاسلام — فى هذا الصدد — مبادىء ، من شأنها اذا طبقت أن تيسر تحقيق التكافل الاجتماعى فى الأمة ، وأن تقطع السبيل على كل ما يعوق وجوده أو يناقضه ، ثم حصر المسئولية التكافلية فى أربع جهات :

في التكافل الاجتماعي

١ ــ الجهة الاولى : مسئولية الفرد .
٢ ــ الجهة الثانية : مسئولية ذوى القربى .
٣ ــ الجهة الثالثة : مسئولية الجماعة المسلمة .
٤ ــ الجهة الرابعة : مسئولية الدولة .

وسنلم بهذه الجهات إلماما خفيفا بعد لمس سريع للمبادىء الشرعية الأولية المؤيدة ، التى تحقق التكافل تلقائيا ، وتحبط كل ما يعوقه .

اولا ــ المبادىء الأولية المؤيدة :

٤ ــ ان تكافل المسلمين ــ بالمعنى الذى رسمناه ــ حكم شرعى أصلى ، قرر له الشارع مبادىء سلبية ، وإيجابية ، وأخلاقيــة : من شــأنها أن تيسر تحققه ، وأن تحول دون تركز المال فى أيد قليلة .

القسم الأول ــ المبادىء السلبية :

٥ ــ ونعنى بها تحريم الاسلام كل كسب غير مشروع ، من ذلك ــ على سبيل المثال ــ :

ا) **الربا** . . وقد حرمته الأديان السماوية كلها ، لما فيه من اســتغلال كدح الآخرين ، دون تعرض لتعب أو مخاطرة . وكذب اليهود بزعمهم حله لهم ، ونطق القرآن بتحريمه عليهم .

ويؤخذ من نصوص الشرع فى الربا أنه محرم عموما ، والتحريم يشمل القليل والــكثير ، والاســتهلاك والانتاج ، وقد أكد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلغاءه فى حجــة الوداع ، التى لخص فيها خصــال الدين ، وخص بالذكر ربا عمه العباس ، وكان يمول التجار والمستوردين .

ب) **الاحتكار :**

وهو حبس ما يحتاجه المســلمون من السلع الضرورية ، ابتغــاء غلاء الأسعار ، بوقوع الأزمات . ولا شك أن هذا مطلب سيىء ، بل هو أنانيــة مسرفة ، ينطبق عليهــا المثل العربى القديم : « نعمَ كلب فى بؤس أهله » . وقد ورد فى الترهيب منه حديث : « من احتكر حكرة ، يريد أن يغلى بها على المسلمين ، فهو خاطىء ، وقد برئت منه ذمة الله ورسوله » .

جـ) **الغش :**

وقد حرمه الشرع لانطوائه على الخيانة ، وإلحاق المكروه بالآخرين .
وفى الحديث : « من غشنا فليس منا . والمكر والخداع فى النار » .

٦ ــ وحرم الاسلام كل ما فيه أخذ مال الآخرين بغير حق : كالسرقة ، والغصب ، والقمار ، والرشوة ، وأكل أجرة العامل ، وقرن ذلك بقتل النفس ،

فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم » . وفى الحديث : « لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا من أخيه إلا بطيب نفس منه » .

القسم الثاني — المبادىء الايجابية :

٧ — ونعني بها توزيع المال بين المسلمين بما يكفل تفتيت الثروة ، ويمنع تكتلها فى جانب أو جوانب محدودة . فمن ذلك :

٨ — أ) **التقريب بين الطبقات** ، باستغلال بعض المناسبات ، لايجاد نوع من التوازن بين الناس . كما فعل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى أموال بنى النضير التى صالحهم عليها ، فقد وزعها على المهاجرين على التخصيص من دون الانصار ، لأنهم افتقروا بسبب الهجرة ، والخروج من ديارهم وأموالهم ، ولم يشرك معهم سوى ثلاثة من الأنصار ، كانوا فقراء .

وكما امتنع عمر — رضى الله عنه — من تقسيم أراضى العراق بين الفاتحين ، الذى اقتضته النصوص ، واكتفى بأخذ خراجها للدولة ، ووجد مستنده فى قوله تعالى : « **كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم** » .

ب) الميراث :

٩ — فبينما حظرته بعض المذاهب المادية باطلاق ، وحصرته بعضها فى أفراد محدودين ، عمد الاسلام الى التوسط ، فوزع التركة على الأقارب الأقربين والأرحام ، بحيث تتحول الملكية الضخمة فى التركة ، الى ملكيات صغيرة متعددة .

وهذا أمثل طريق لتقليل الفروق الاجتماعية . ولذلك جعله الاسلام من النظام العام الذى لا يخالف عنه ، وحرم كل تصرف يناقضه ، كالوصية للوارث ، وحرمان الوارثين .

فأين من هذا النظام الحكيم ، نظم الغرب الحديثة ، التى ينقل بعضها ثروة المتوفى ، كلها أو معظمها الى البكر من أولاده ، ويدع كثير منها المالك حرا فى أن يوصى بتركته لمن يشاء .. ؟ فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة فى يد أفراد محدودين من الناس ، وأثار هذا حفيظة الفقراء ، وأورثهم الحقد على المجتمع ونظمه . فنشأت المذاهب المتطرفة الهدامة ، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية أيما اضطراب ، وأدى هذا الى معظم الانقلابات ، والثورات العنيفة ، التى تعرضت لها أوروبا — وغيرها — فى العصور الحديثة .

ﻫ) محاسبة العمال :

١٠ — ونشاط عمر — رضى الله عنه — وشدته فى هذا الجانب معروفة :

أ) مر ببناء يبنى من الحجارة لا الطين . فقال : لمن هذا .. ؟ فذكروا له عاملا ، فقال : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها . وشاطره ماله .

ب) وناقش أبا هريرة — رضى الله عنه — وقسا عليه ، ودارت بينهما محاورة قوية . ورد فيها قوله : استعملتك على البحرين ، وأنت بلا نعلين .. ولما تبينت له براءة ذمته ، أراد أن يعيده عاملا كما كان ، فاعتذر أبو هريرة .

ج) حتى عمرو بن العاص ، الصحابى الجليل ، الفاتح الوالى ، يرسل اليه عمر محمد بن مسلمة ليحاسبه ، ويوجه معه هذه الكلمات : « فأطلعه وأطعه ، وأخرج اليه ما يطالبك به ، واعفه من الغلظة عليك » .

والأصل فى هذه المحاسبات والمشاطرات ، حديث ابن اللتبية المعروف . وقد ورد فيه : « هلا جلس فى بيت أبيه وأمه ، فينظر أيهدى اليه أم لا ؟ » .

القسم الثالث — المبادىء الأخلاقية :

١ — ومما يعين على تحقيق التكافل فى المجتمع الاسلامى ، هذه المبادىء التى تعد من مكارم الأخلاق ، كالكف عن الظلم ، والشح ، والترف والسرف ، والحث على التراحم والكرم ، والتعاون والتوادد ، واطعام الجائع ، وحفظ الضائع ، وتقريب الفقراء ، واتخاذ الأيادى عندهم ، فهم أصحاب الدولة يوم القيامة .

وقد بلغ من حدب الاسلام عليهم ، أن دعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يحيا ويموت ويحشر مع المساكين . ولما سألته فى ذلك عائشة ، قال : « إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا . يا عائشة : لا تردى مسكينا ولو بشق تمرة . يا عائشة : أحبى المساكين وقربيهم ، فان الله يقربك يوم القيامة » .

ثانيا — جهات المسئولية :

وبعد أن فرغنا من تبيان هذه المبادىء الأولية ، التى هى بمثابة مقدمة للتكافل الاجتماعى ، نتناول الأسس والجهات التي أقام عليها الاسلام نظريته فى التكافل :

الجهة الاولى — مسئولية الفرد :

١٢ — وتتمثل هذه المسئولية في العمل . وهو ركن البقاء والحياة ، سواء أكان زراعة أم صناعة أم حرفة أم وظيفة . وهو بهجة الدنيا ، مهما استنزف من جهد . واللقمة الممزوجة بعرق الجبين وكد اليمين ، أهنأ من التى تأتى احسانا ، أو على موائد الآخرين : « ما أكل أحد طعاما قط ، خيرا من أن يأكل من عمل يده . وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » .

ان العامل يكفى نفسه ، ويغنى ذويه ، ويسعد المجتمع الذى يعيش فيه .

وان التقدم الحضرى ، والنشوء والارتقاء فى الحياة ، رهين بالعمل . ولولا أن يعمل الانسان لبقى عائشا فى المغارات والكهوف ، ولما تطور على مر العصور ، ولما وجدنا بيتا نسكنه ، أو ثوبا نلبسه ، أو كتابا نقرؤه ، ولما اتصل الانسان بأخيه الانسان ، ولا قامت مدنية ، ولا ازدهرت حضارة .

الحياة هى العمل ، والعمل هو الحياة . وليست الحياة من الكسل فى شىء ، لأنه العجز والموت .

١٣ — وقد فجر الله تعالى ينابيع الرزق عندما ذرأ الحياة على الأرض ، وسخر ما عليها وما فى جوفها لخدمة الانسان . لكن اقتضت حكمته أن لا تجود الأرض بخيراتها من دون جهد ، فأمر الانسان بالعمل ، وجعله ضربا من العبادة ، وربما جعل من العبادة قوة على التدبير والمعاش ، فقال تعالى : « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله** » . وقال : « **واستعينوا بالصبر والصلاة** » . وأثنى على الجائبين من رواد الرزق ، كما أثنى على المجاهدين بأنفسهم ، وقال : « **وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله** » .

وامتن على عباده إذ مكنهم من عمارة الأرض ، والتزود منها بالخير الذى تصلح به حياتهم ، فقال : « **ولقد مكناكم فى الأرض ، وجعلنا لكم فيها معايش** » وأشار الى الصلة بين الانسان والعمل والفكر ، ليتقن الانسان عمله ، ويتعرف على عظمة الله وتوحيده من خلال ما ينتجه : « **والله جعل لكم مما خلق**

ظلالا ، وجعل لكم من الجبال أكنانا ، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ، وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم ، لعلكم تسلمون » .

١٤ ــ وقد عقل الأنبياء والعلماء ــ ورثتهم ــ والسلف الصالح من هذه الأمة ، شرف العمل : فباشر آدم الزراعة ، وعمل نوح فى النجارة ، وتمرس داود بصناعة الحديد ، وامتهن عيسى الطب ، ورعى موسى الغنم ، كما رعاها نبينا ــ عليه وعليهم الصلاة والسلام ــ وأكد أن رعى الغنم قسمة بين الأنبياء جميعا ، وقال : « ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم » .

١٥ ــ وأشادت نصوص السنة بفضل العمل ، ونوهت بمنزلته :

أ) فمنها ما قطع للعاملين الكادحين بالمغفرة : « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له » .

ب) ومنها ما فضل عمل اليد بخاصة : « أفضل الكسب عمل مبرور ، وعمل الرجل بيده » .

جـ) ومنها ما سما به الى درجات العبادة ، واعتبره من الجهاد اذا صلحت النية : « فعن كعب بن عجرة ، قال :

مر على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ رجل ، فرأى أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله : لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال :

« ان كان خرج ليسعى على ولده الصغار ، فهو فى سبيل الله ،
وان كان خرج ليسعى على أبوين شيخين كبيرين ، فهو فى سبيل الله ،
وان كان خرج ليسعى على نفسه يعفها ، فهو فى سبيل الله ،
وان كان خرج ليسعى رياء ومفاخرة ، فهو فى سبيل الشيطان » .

د) ومنها ما سما بالعمل الى ما وراء الجهاد . فعن أنس مرفوعا : « ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه فى سبيل الله ، انما الجهاد من عال والديه ، وعال ولده ، ومن عال نفسه فكفها عن الناس ، فهو فى جهاد » .

١٦ ــ العمل لا ينافى التوكل :

ولهذا يرى أهل العلم أن العمل لا ينافى التوكل على الله ، بشرط أن يكون الاعتماد فى الرزق على الله ، لا على العمل نفسه ، لأن الله تكفل بكفاية مخلوقاته ، حين قال : **« وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها »** . لكن الانسان مأمور باتخاذ السبل للكسب المشروع ، معتقدا أن الرزق من لدن رب العالمين ، وأن الرزق ليس من حتميات العمل . وهذا ما أشارت اليه الجملة الحالية فى قوله سبحانه : **« وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله »** .

واذا تخلف الرزق عن الكسب ، كان لانعدام التوكل ، كما روى من حديث عمر : « لو أنكم توكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما ترزق الطير ، تغدو خماصا ، وتروح بطانا » .

قال الرواة : خرج شقيق البلخى ، يريد التجارة ، وودعه صديقه ابراهيم بن أدهم . ولم تمض أيام حتى عاد شقيق ، ورآه ابراهيم فى المسجد ، فقال له : ما الذى عجل بعودتك ؟ قال : رأيت فى بعض الفلوات طائرا مكسور الجناحين ، أتاه طائر صحيح الجناح ، فى منقاره جرادة ، فوضعها فى منقار الطائر المهيض الجناح . فقلت لنفسى : يا نفسى : الذى قيض لهذا

الطائر الكسير الجناح ، هذا الطائر السليم الصحيح فى هذه الفلاة من الارض ، قادر على أن يرزقنى حيث كنت . فتركت التسبب ، واشتغلت بالعبادة .

فقال له ابراهيم : ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح الذى أطعم الطائر المكسور ، حتى تكون أفضل منه .. ؟ أما سمعت عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أن اليد العليا خير من اليد السفلى .. ؟ ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين فى أموره كلها ، حتى يبلغ منازل الأبرار .. ؟

فأخذ شقيق يد ابراهيم فقبلها وقال : أنت أستاذنا يا أبا إسحق ، وعاد الى تجارته .

الاسلام يأمر بإتقان العمل ..

١٧ — ويأمر الاسلام العاملين باتقان العمل ، بحيث لا يكون فيه عيب أو خلل ، وفى الحديث : (ان الله يحب من العامل اذا عمل أن يحسن » . بل يعاقب المولى تعالى من قصر فى عمله بعذاب بئيس ، مستصعب الشفاء ، فورد : « اذا قصر العبد فى العمل ، ابتلاه الله بالهم » .

الاسلام يأمر بالاحسان الى العامل :

١٨ — اذا أدى العامل عمله ، استحق أجره المشروط له فى العقد ، بالغا ما بلغ . ويلاحظ ما يأتى :

أ) ان العامل يستحق الأجر بمجرد الانتهاء من العمل ، ما لم ينص فى العقد على خلافه ، ويعلل لذلك الفقهاء : بأن العامل سلم المعقود عليه ، فاستحق بدله ، كالبائع اذا سلم المبيع المعقود عليه ، استحق الثمن ، وهو البدل . بل لقد ورد مرفوعا : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » .

ب) لا حد لأجر العامل ، الا ما جرى به العقد . ولا يتدخل الشارع بالتحديد الا لرفع الضرر عن العامل ، اذا تحكم صاحب العمل فى أجره ، فيتدخل الشارع لانصاف العامل ، وذلك بفرض أجر المثل . ويعتبر ذلك ابن القيم — رحمه الله — من قبيل تدخل الحاكم عند احتكار الأقوات ، وتدخله هنا لاحتكار الصناعات .

ويشبه رفع الضرر هنا عن العامل فى الاجارة ، رفع الضرر عن البادى فى البيع ، اذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام .

جـ) لا يجوز ارهاق العامل ، وينبغى أن ينال قسطا من الراحة ، كغيره من المجاهدين . والله — تعالى — لم يكلف عباده الا وسعهم . ونهى الاسلام عن تكليف الرقيق المملوك ما لا يطيق ، فكيف بالعامل المالك .. ؟ « ولا تكلفوهم ما لا يطيقون ، فاذا كلفتموهم فأعينوهم » .

د) يتصرف العامل فى أجره كما يشاء ، انفاقا ، واستهلاكا ، وتمليكا ، وتملكا ، ولو لوسائل الانتاج ، كالأرض والآلة والمصنع ، والاسلام لا يعرف قاعدة : « من كل بحسب طاقته ، الى كل بحسب حاجته » .

توفير العمل للعاطلين ..

١٩ — فى نظام الاسلام ، تتعاون الدولة والأمة ، لايجاد العمل لذوى البطالة ، مهما كان نوع العمل ، مما يكفيه ، ولا يشقيه ، ويحميه من التكفف والمسألة .

وقد ورد : « لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يغدو الى الجبل فيحتطب ، فيبيع فيأكل ويتصدق ، خير له من أن يسأل الناس » .

كما روى « عن أنس ، أن رجلا من الأنصار أتى النبي — صلى الله عليه وسلم — يسأله ، فقال :أما فى بيتك شيء ؟ قال : بلى ، حلس (أى كساء) نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب (أى إناء) نشرب فيه الماء . قال : ائتنى بهما . فأتاه بهما ، فأخذهما ، فقال : من يشترى هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم . قال : من يزيد على درهم ؟ — مرتين أو ثلاثا — قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين .

فأعطاهما اياه ، واخذ الدرهمين ، وأعطاهما الأنصارى ، وقال : اشتر بأحدهما طعاما ، وانبذه الى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فائتني به . فشد فيه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عودا بيده ، ثم قال : اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما .

فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم . فاشترى ببعضها ثوبا ، وببعضها طعاما . فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم —: « هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة . ان المسألة لا تصلح الا لثلاثة : لذى فقر مدقع ، أو لذى غرم مقطع ، أو لذى دم موجع » .

٢٠ — وفي هذا الأثر دروس وعبر : فلم يشأ النبى — عليه الصلاة والسلام — له المسألة ، وكون له رأس مال من يسير ما يملكه (السكوب والكساء) ، ووجهه الى حرفة تناسبه ، وحدد له مدة للعمل ، ووازن له بعدها بين الحرفة والتكفف ، وقرر له أن المبدأ فى الاسلام هو النهي عن المسألة ، وانها لا تحل الا لمن أرهقه الفقر ، أو أثقله الدين ، أو فدحته الدية .

وقد سبق هذا الهدى النبوى : فى مكافحة البطالة ، واتاحة فرصة العمل للعاطلين — في يسر وأصالة وتوفيق — القائمين على شئون العمال فى أيامنا ، بقرون طويلة ، وأغنى بمبادئه عن تقنيناتهم ، وفلسفاتهم المادية .

كراهية الاسلام التكفف ..

٢١ — وأخذا من الحديث السابق وغيره قرر أهل العلم : أن من كان قادرا على العمل ، وهو يجده ، حرم عليه السؤال . فان كان غير قادر ، أو لم يجد العمل اللائق ، واحتاج الى النفقة ، جاز له السؤال ، بشرطين :

١ — أن لا يذل نفسه .

٢ — أن لا يؤذى المسئول .

فان فقد شرط منهما حرم السؤال اتفاقا .

نعم ، اذا ثبت العجز المطلق عن العمل ، لطفولة أو شيخوخة أو أنوثة أو آفة ، فان الشريعة تلزم أقارب العاجز بالنفقة عليه ، ويقضى له بها عند الامتناع ، كما سنرى الآن .

الجهة الثانية — مسئولية ذوى القربى :

٢٢ — وهذه أولى الجهات التى يتمثل فيها التكافل الاجتماعى .

وما تزال الأسرة فى الشرق ، الذى هو مهبط النبوات موئل الحنان الرحيب ، والعطف الدافىء ، والتناصر المؤزر . ومهما اهتزت فى الأسرة هذه المعانى ، فى عصور الصناعة ، وطغيان المادة ، فما يزال فيها بلغة من كفاف ، وسداد من عوز ، بفضل تعاليم الدين الحنيف .

وفي الفقه الاسلامي ـــ فضلا عن الكتاب والسنة ـــ نسقت أحكام الفقراء من ذوي القربى ، في تدرج دقيق ، لا يدع محتاجا في الأسرة إلا كفاه وأغناه .

ومن أهم ما ورد في القرآن الكريم في رعاية حق القريب قوله تعالى : « **واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، وبذي القربى** » . رفع الاحسان الى القريب الى منزلة الاحسان الى الوالدين ، وقرر وجوبهما بعد عبادة الله . وهذا وضع فريد ، لا يعرف عند غير المسلمين .

بل سمى القرآن الكريم الاحسان الى القريب حقا ، وجعله مختصا به باضافته اليه ، فيترتب عليه ما يترتب على سائر الحقوق ، من الالتزام والتنفيذ . قال تعالى : « **فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون** » .

وكذلك ورد في السنة : «أمك وأباك ، وأختك وأخاك .. حق واجب ، ورحم موصولة » .

وعلق ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ على هذا الحديث بقوله :

« فأي قطيعة أعظم من أن يراه يتلظى جوعا وعطشا ، ويتأذى غاية التأذي بالحر والبرد ، ولا يطعمه لقمة ، ولا يسقيه جرعة ، ولا يكسوه ما يستر عورته ، ويقيه الحر والبرد ، فان لم تكن هذه قطيعة ، فانا لا ندري ما هي القطيعة المحرمة ، والصلة التي أمر الله بها » .

التكييف الفقهي لنفقة القريب ..

٢٣ ـــ لما أن القريب يرث قريبه اذا مات ، فان من العدالة أن يحكم لهذا القريب على قريبه بالنفقة ، اذا احتاج أو اضطر . والغرم بالغنم ، وكل حق في الاسلام يقابله واجب . وهذا من العدالة الظاهرة البارزة في التشريع الاسلامي العظيم .

مذاهب الفقهاء في نفقة الأقارب ..

٢٤ ـــ تعددت مذاهب الفقهاء في نفقة الأقارب ومشمولاتها ، بالنظر الى سببها :

أ) فذهب مالك الى وجوب النفقة بين الأبوين وأولادهما فقط ، من دون الاجداد . وذلك اعتبارا للولادة المباشرة . فتجب نفقة الوالدين الفقيرين أو العاجزين على الولد القادر ، كما تجب نفقة الاولاد الفقراء والعاجزين على الآباء المباشرين .

وقد نص المالكية على أنه : لا يجب أن ينفق الجد على ابن ابنه ، ولا ابن الابن على الجد .

فانحصرت النفقة عند المالكية في حدود الولادة المباشرة .

ب) وتوسع الشافعي ، فأوجب النفقة ، بسبب الولادة ، مهما طال خط القرابة ، وامتد عمود النسب ، علا أو دنا .

جـ) بينما ذهب الحنفية الى وجوب النفقة بسبب قرابة المحرمية ، التي تحرم الزواج ، فتجب عندهم علاوة على ما تقدم للاعمام والعمات والأخوال والخالات على أقاربهم ، ولا تجب لأبناء هؤلاء على أقاربهم . وهذا الرأي أوسع من الرأيين السابقين .

د) وذهب الحنبلية ـــ متوسعين ـــ الى وجوب النفقة بسببين :

الأول : بسبب القرابة فى عمود النسب ، مهما بعدت ، بشرط اتحاد الدين .

والآخر : بسبب القرابة فى غير عمود النسب ، بشرط الإرث .

٢٥ ــ ويتضح من هذا العرض الموجز أن مذهب الحنبليين فى هذه الجزئية ، هو أوسع المذاهب الفقهية الاربعة . ولذلك اقترحت حلقة الدراسات الاجتماعية العربية الثالثة ، التى انعقدت فى دمشق سنة ١٩٥٢ م . العمل به ، فيما عدا نفقة الاصول ، فانها اقترحت العمل بمذهب الحنفية ، لإيجابه النفقة فيما بينهم ، مع اختلاف الدين .

٢٦ ــ وربما وجد فى غير المذاهب الاربعة ، من ذهب الى أبعد مما ذهب اليه الحنبليون ، فقد نقل الإمام الكاسانى ــ الملقب بملك العلماء ــ عن ابن أبى ليلى ، إيجاب النفقة لذوى الأرحام من غير المحارم ، على أقاربهم ، ووجد دليله فى قوله تعالى : ((**وعلى الوارث مثل ذلك**)) من غير تفصيل بين المحارم وغيرهم .

وقد نص الحنفية وغيرهم ، على أن الفقير العاجز اذا لم يكن له قريب غنى ، كانت نفقته واجبة فى بيت مال المسلمين ، فى جميع موارده . ولما حكمت بعض المحاكم الشرعية بذلك ، فى بعض البلاد العربية المسلمة ، نقض حكمها ولى الأمر ، ولفتت نظرها الى رفض كل قضية من هذا النوع .. !

مشمولات نفقة الأقارب ..

٢٧ ــ وتشمل نفقة الأقارب : الغذاء ، والكساء ، والسكن وملحقاته ، والعلم الضرورى ، وكل ما تنسد به حاجته ، كالتطبيب فى أيامنا ، لأنه أصون للحياة من شئون الغذاء والكساء .

وألحق الحنبلية بها الخادم إن احتاج اليه المنفق عليه ، لأنه من الكفاية . بل نصوا كالحنفيين : على وجوب اعفاف من تلزمه نفقته ممن هو فى عمودى النسب . بل قال القاضى : ((وكذلك يجىء فى كل من لزمته نفقته ، من أخ وعم ، وغيرهما ، لأن أحمد نص فى العبد ، يلزم أن يزوجه اذا طلب ذلك ، وإلا بيع عليه)) .

ثم نصوا على أن ((كل من لزمه اعفاف رجل ، لزمته نفقة امرأته ، لأنه لا يتمكن من الاعفاف الا بذلك)) .

وهذا التشريع الفقهى القضائى من فرائد التشريع الاسلامى ، الذى غمطه حقه ذووه وجاهلوه ، وراحوا يبحثون عن حلول مشاكلهم عند أهل الشرق والغرب ، مع أن هؤلاء بحاجة الى مثل هذه الحلول العملية المعقولة المقبولة ، التى لا يعرفونها فى أنظمتهم .

٢٨ ــ ومن طريف ما ذكره المرحوم ، الاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ، قوله ، فى حديثه عن الأسرة وعناية الاسلام بها :

((انى حين اقامتى بفرنسا ، كانت تخدم الأسرة التى نزلت فى بيتها فترة من الزمن ، فتاة يظهر عليها مخايل كرم الأصل . فسألت ربة البيت : لماذا تخدم هذه الفتاة ؟ أليس لها قريب يجنبها هذا العمل ، ويوفر لها ما تقيم به حياتها .. ؟

فكان جوابها أنها من أسرة طيبة فى البلدة ، ولها عم غنى موفور الغنى ، ولكنه لا يعنى بها ، ولا يهتم بأمرها . فسألت : لماذا لا ترفع الأمر الى القضاء ليحكم لها عليه بالنفقة .. ؟ فدهشت السيدة من هذا القول ، وعرفتنى أن

ذلك لا يجوز لها قانونا .

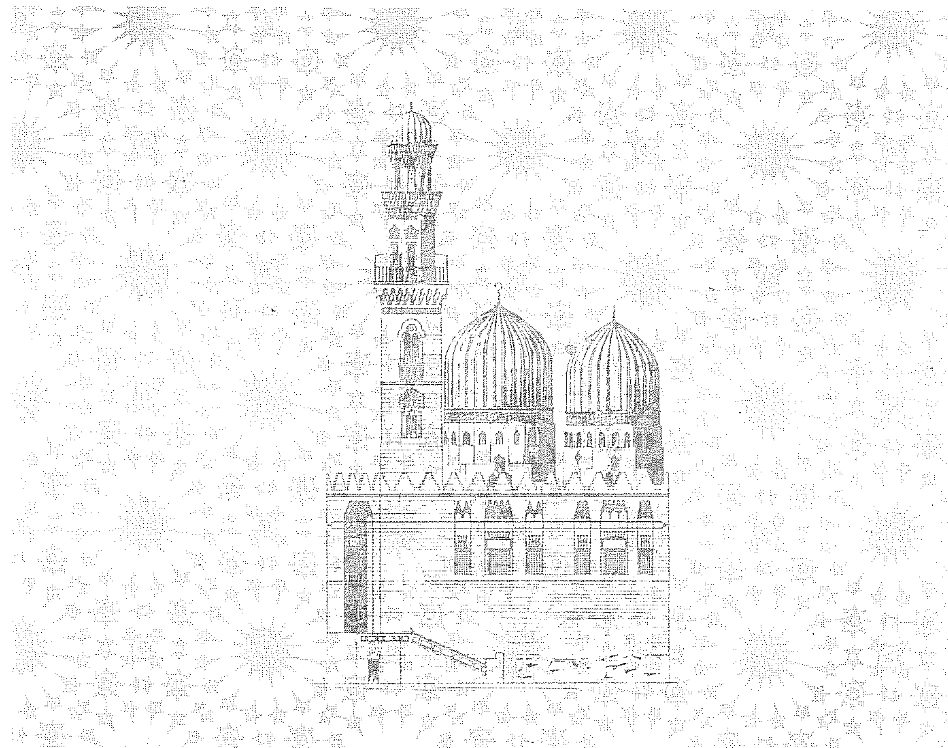
وحينئذ أفهمتها حكم الاســـلام فى هذه الناحية ، فقالت : ومن لنا بمثل هذا التشريع .. ؟ لو أن هذا جائز قانونا ، لما وجدت فتاة أو سيدة تخرج من بيتها للعمل ، فى شركة أو مصنع أو معمل ، أو ديوان من دواوين الحكومة » .

٢٩ ــ وبعد هذا العرض الموجز ، نســـتطيع أن نقول مطمئنين : ان الاسلام فى تقرير نظام النفقات على الأقارب ، الأصول والفروع ، والمحـــارم وغير المحـــارم من الارحام ، قد ثبت الركن الأســـاسى الأول فى التـــكافل الاجتماعى ، وسبق بذلك التقنينات الوضعية ، ان لم يكن قد انفرد عنها به .

وهو ــ مع ذلك ــ قد أخضعه للقضاء ، ولم يجعله من قبيل التوصيات والاحســـان الفردى الموكول الى رغبة القريب ، والموقوف على مبلغ تأثره بالأوامر الدينية . وان إناطته بالقضـــاء تعنى اخضـــاعه للعقـــوبة ، والتعزير بالحبس ، والتغريم عند الامتناع .

ولا نعرف نظيرا لهذه التشريعات الدقيقة ، لهذه المسألة الخطيرة ، عند غير المسلمين . وقد طبقت لحسن الحظ منذ فجر الاسلام ، وما تزال مطبقة ــ بحمد الله ــ حتى يومنا هذا فى معظم المحـــاكم الشرعية فى البـــلاد الاسلامية .

للبحث بقيـــة



قصة من الأدب الديني

لمن تدق الأجراس

بقلم : محمد لبيب البوهي

امر ابليس أعوانه بالاستعداد للحفل الدوري الذي يقام في العالم السفلي ، وفي هذا الحفل يمنح الشيطان الأكبر جائزة التفوق والتقدير لاكثر أعضاء الأسرة الابليسية فسادا وافسادا في الارض ، وقد حرض أتباعه على تنفيذ أوامره بغير تأخير ولا تأويل ، فهم يدعون من شتى بقاع الكوكب الأرضي كل شيطان مريد ليشارك في هذا الحفل الأسود ، وليستمع الى الفضائح السوداء ، التي تزداد قيمتها سوادا يوما بعد يوم .

ولما تكامل الحفل افتتحه ابليس بصيحة مدوية وقال : لقد أصبحتم في هذه الأيام تعانون من الراحة التي تنزل عليكم بغير حساب ، ان افسادكم لبني البشر لم يعد يكلفكم جهدا كبيرا ، فان فريقا كبيرا منهم يتولون عنكم هذه المهمة ، ولذلك فانكم لن تسألوا اليوم أمامي عن نوعية أعمالكم ، وانما ستسألون عن الكم فيها ، وما كان منكم من ابداع جديد ، أو اختراع ،

انكم لن تسألوا عن حجم الفساد ، ولا عن عدد الجرائم ، فكل ذلك أصبح تلقائيا ، وهم — أعني الناس — يؤدونه بطريقة منتظمة كما تدور عجلات الآلات .. ويزدادون منها كلما طلعت شمس أو غاب نهار ، من أجل هذا سوف أوجه اهتمامي الى الحيل التي تضاعف من حجم الخيبة على هذا الكوكب البئيس ..

يا أبناء الجحيم هل تسمعونني .. ؟ وهل تفقهون قولي ؟ .. أريد أفكارا جديدة — والآن اطفئوا الأنوار فانني أريد أن أسمع وأرى .. لقد درست الأمر من قبل ، وقامت بفحص أعمالكم طوال العام لجنة من اكبر أساطين الاثم والشر والعار .. وقد وقع الاختيار على من سوف تستمعون اليه .. والآن تقدم يا أعز الأبناء ، واذكر للخالدين في سقر ، كيف استطعت أن تضع الغامة الجديدة السوداء على عيون بني الانسان .

... ...

تقدم التلميذ الأول وهو وسيم على أحسن ما تكون صور الوسامة ، ذلك أن الشياطين لم يعودوا يظهرون في الفترات الأخيرة بقرونهم الملتوية ، وعيونهم التي ينبعث منها الشرر .. لقد اخذوا عن الناس صورهم ... الصور ولا شيء غير الصور فمن الناس من يعجبك مظهره في الحياة الدنيا وفي قلبه تفور براكين الأحقاد .

وانحنى الشيطان الحائز لجائزة التفوق أمام أخوانه كما ينحني بنو الانس في حفلات الكوكتيل قال :

انني اتبع في عملي فنا جديدا ، ان من فنون الصيد مثلا أن تعرف كيف تجعل السمكة تسرع الى الطعم المسموم لتبتلعه مأخوذة في البداية بما يثيره في نفسها من شهية بعناصر الاغراء البادية فيه ، أما ما يحدث بعد ذلك فأنتم تعلمونه .

قال ابليس الكبير : ولكننا قد بعثنا بك الى قوم يصلون ويصومون .. ومكثت فيهم طوال العام .. ولقد ظن كثير من أخوانك أن مهمتك ستكون صعبة ..

قال التلميذ النجيب ضاحكا في تلطف : ان أخواني هؤلاء من السذاجة بمكان عظيم ..

قال أحدهم غاضبا : لا نسمح لك أن ترمينا بالسذاجة .. ان نيلك للجائزة لا يمنحك علينا نوعا من الاستعلاء ..

فانحنى مرة اخرى حتى كاد جبينه أن يمس الأرض ثم قال :

انما أعني بالسذاجة .. انكم كنتم تظنون الصعوبة في مهمتي حين علمتم انني بعثت الى قوم يصلون ويصومون ..

قال الشيطان الغاضب : وهل استطعت أن تصرفهم عن ذلك ؟ .

قال الذى أوتى حظا كبيرا من ذكاء أبيه : أيها الزملاء من أبناء الجحيم .. اننى لم أصرفهم عن صلاتهم ، ولا عن صومهم ، لقد تركتهم يفعلون .. تركتهم يأخذونها بظاهرها لا ينفذون من سطحها الى اللباب والهدف والجوهر ، انهم فقط يقومون ويقعدون .. وتتمتم السنتهم بما لا تحاول أن تفقهه قلوبهم ، ثم يجوعون فى صومهم ويعطشون ، ولا يصعد من ذلك الا أقل القليل ، وأما أكثر الكثير فالى مدارج الضياع ، اننى لم أصرفهم عن صومهم ولا عن صلاتهم لأنهم بأسلوبهم هذا لم يكونوا يحصلون منها على شىء .. ان النتائج دائما تدور حول الصفر ..

ونظر بعض الشياطين الى بعض وراحوا يتهامسون : ان أخانا الذى نال جائزة التقدير لم يبذل شيئا من مجهود .. وقال بعضهم لبعض : كيف يمنحه ابليس الأكبر وسام التقدير ؟ أيكون زعيمنا قد هرم وشاخ وهرمت معه أفكاره وشاخت عنده المقاييس .. ! ؟ فهو يخبط خبط عشواء ويعطى الجائزة لمن لا يستحق كما يفعل أكثر بنى البشر حين يجعلون للوساطة أو المجاملة المحل الأول من موازينهم .. ؟ ترى أيكون هذا الابليس الصغير الجديد مرشحا للزواج من أحدى قريبات العاهل الهرم .. ! ؟

قال صاحب الجائزة : يا أبناء الدخان .. أعيرونى اسماعكم واصغوا الى بوعى حصيف :

اننى لم أكن لاعبا ولا لاهيا .. لقد كان هدفى النفاذ الى قلوبهم فأزين لهم ظواهر الأشياء وأقف بينهم وبين الحق .. فى احدى المدن الكبيرة جسر فوق النيل وضعوا على مداخله تمثالين كبيرين يمثل كل منهما أسدا مجرد تمثال من حديد ممتلىء من الداخل بالهواء .. ان السذج من الاطفال يقفون عنده مأخوذين بروعته وهم يرون فى النظر اليه متعة أكثر من النظر الى الأسد الحى الهصور .. ان الأسد الحقيقى المنطلق فى آفاق الغابات هو الانسان المؤمن القوى الذى يستمد قوته من غذاء السماء .. أما الذين تخلو قلوبهم من النور ، فانهم يصبحون صورا مزيفة انهم يحملون أسماء تدل على الايمان الذى ليس لهم من حقيقته الا الصورة .. مثلهم كمثل الأسد المصور القائم على قاعدة تمثال .. انه مملوء بالهواء .. أعنى ليس هناك شىء فى الداخل اى القلب .. وحين تشتد الريح فانه لن يصمد أمامها .. انها قد تلقيه فوق الأرض ويتحطم .. وهكذا العبادة الظاهرة التى لا تتحول الى ارادة للسلوك ، قال الشيطان الغاضب :

زدنا شرحا .. فانه لا يصح أن تؤخذ جوائز التقدير لقمة سائغة سهلة بغير حساب .

قال الذى عنده علم البشر : لا بأس .. سوف أزيدكم شرحا وايضاحا .. ان الناس قد خلقوا على هذه الارض ليعمروها بالأسلوب الذى أمرهم به ربهم وعلمهم اياه الرسل .. وكل عمل تصح فيه النية الممتزجة بالعلم تحت جناح العزم والارادة .. كل عمل لابن آدم تتوفر فيه هذه الأركان يكتب له فى سجلات اليمين .. ان هؤلاء الذين خلقوا من طين لازب قد فتحت امامهم أبواب المعارج ، ومن حقهم أن يصعدوا الى صفوف الملائكة .. ان الطرق أمامهم ممهدة بالعلم والمثابرة وارادة الصعود .. اصغوا الىّ جيدا لا يمكن أن يتم عمل ناجح بغير علم وارادة .. اننى أحاول أن أبعدهم عما يدعوهم اليه نبيهم الأعظم حين يحثهم على طلب المزيد من العلم .. ومع أنه قد أوتى العلم كله ، فقد أمر أن يطلب لنفسه المزيد ، ليكون المثل الأعلى الدائم لهم — اننى أحاول أن أصدهم عن هذا .. أزين لهم السطح الظاهر من الأشياء حتى يخلدوا اليه فى راحة ونوم لذيذ ، كما يفعل مدخن الأفيون ..

قالت الشياطين الحاقدة فى صوت واحد : ولكنك ذكرت أنك تركتهم يصلون .. لقد كنا نتصور أنك ستجعلهم يتركونها ..

قال : مهلا أيها الرفاق .. لقد تحدثت لكم عن الصور والتماثيل .. ان انسان القرن العشرين قد اخترع شيئا أسماه (الروبوت) أى الانسان الآلى (الميكانيكى) ولقد صنعوا هذا الانسان على صورة البشر .. ووضعوا فيه من الآلات ما يجعله يتحرك أماما أو يرجع الى الخلف ، أو يصعد أو يهبط أو يطير ، كما استطاعوا أن يجعلوه يرفع يده حين يؤمر بذلك أو يغمض عينيه .. أو يضحك أو يبكى وان الذين صنعوا الصواريخ استطاعوا أن يغزوا بها الفضاء البعيد وأن يحركوا هذه الآلات من مسافة تبعد مئات الألوف أو الملايين من الأميال .. ان هؤلاء يستطيعون أن يجعلوا هذا (الروبوت) أو الانسان الآلى ، يستطيعون أن يضعوا فيه من الأجهزة ما تجعله ينهض خمس مرات فى اليوم ليؤدى ما يشبه الصلاة .. وفى وسع هذه الآلات أن تجعله يصوم عن الوقود شهرا كل عام ..

ان العلم يستطيع أن يفعل هذا وأن يصنع مئات الألوف أو الملايين من هذه الأجهزة الميكانيكية التى على صورة الانسان .. وان تؤدى هذه المخلوقات الصناعية بدورها ما يسميه بعض الناس صلاة لهم .. أفتظنون أنه يصبح من حق هذا (الروبوت) أى الانسان الآلى أن يطالب بدخوله الجنة .. ؟

تبسم الشيطان الغاضب وصفق بيديه وصاح : أحسنت .. لقد فهمت .. قال الذى رشح للجائزة ان أكثرهم هكذا يفعلون ــ صلاة بلا روح ــ لا تهدى الى بر .. ولا تنير طريقا ولا تنقى قلبا .. ولا تشد عزما .. ولا تصل رحما .. مجرد حركات قد يبالغون فيها وهم يظنونها شيئا ، وهى ليست بشىء ، إن (الروبوت) أو الانسان الميكانيكى له عذره ، لأنه لم يعد لهذه الغاية .. أما هؤلاء فحسبى فخرا اننى استطعت أن أجعل اكثرهم هكذا .. صورا ولا شىء غير الصور .. هكذا أصبح أكثرهم الا الذين يحسنون وقليل ما هم ..

... ...

وحدث هياج بين الجموع ... وامتلأ الجو بلغط كبير ، قضى عليه ابليس بأن نفخ من فيه عاصفة من نار دعت الجميع الى الانصات وقال :

ولكن هناك الوف والوف من المنابر تقال عليها الخطب .. وهناك الوان من الثقافة يحرصون عليها ، فتحدث الى أخوانك عنها ، ان حفل الجائزة يجب أن يثير فيهم مزيدا من المعرفة .

قال الذى سينال التقدير : إن اكثرهم يغرمون بكل ما يأتى من الغرب .. أن مثلهم كمثل العصفور الذى أراد أن يقلد الغراب .. ان الغرب الآن يمر بفترة انهيار حتمى .. ان الثقافة الغربية ثقافة مريضة .. وهم يعرفون هذا ، ولكن ليس لديهم من شىء آخر يعطونه .. ذلك أن فاقد الشىء لا يعطيه .. هناك ثقافة هابطة تمجد الفردية .. والشذوذ .. وترفع من شأن الانحراف وهذه هى البضاعة التى يصدرونها ... لأنها تجد سوقا رائجة .. لقد سمعتم أنهم يطلقون على بعض ثقافتهم اسم العبث .. أو اللامعقول .. وتدور فلسفتهم حول اللذة والتماسها من كل سبيل .. والتحلل من القيم والمثل وهؤلاء الآخرون الذين نبتت من أرضهم القيم والمثل فأداروا لها ظهورهم .. هؤلاء الذين هم أكثر شبها (بالروبوت) يفعلون تماما كما فعلت العصافير حين طاب لها أن تقلد الغربان ..

قال قائل من الشياطين : أدرك تماما انك عملت جاهدا على تثبيت هذا المعنى .. انك لم تدفعهم من فوق المنحدر .. وانما زينت لهم حلاوة الهبوط الى الوادى المظلم ، الذى وضعت فيه بمهارتك اللذات المغناطيسية .. ولكن الذين ينادون بالثقافة الهابطة أعنى العبث واللامعقول هم قلة من المثقفين ..

قال الفائز بالجائزة .. نعم .. ان الأمر لم يصل بعد الى حد الخطر الكبير .. ولكن المكروب قائم فى

الجو .. والحالات الفرديـــــة من الكوليرا تسمح بالانتشار البعيد .. ان أخشى ما أخشـــــاه أن ينهض آخرون من الأمناء على المثل فيدقون الأجراس .. وهنا تبرز مهمتكم أنتم .. أما أنا فقد استطعت أن أغرى عددا كبيرا بأن يكونوا غربيين ولو لم يضعوا على رءوسهم القبعـــات ... ليس شيء أشد ضلالا من المرء حين يفقد ذاته .. ان صفحات كثير من كتبهم وصحفهم تحتفى بمـــا يسمى الوجودية .. والبرجمائيـــة .. ان أصحاب هذه المبادىء المستوردة لا يطيب للواحد منهم أن يكون تلميـــذا لمحمد .. لكن يسعده أن يفتح قلبه لترهات البير كامى أو العجوز سيمون بوفوار أو نحو ذلك من الذين يرون أن الحياة لا معنى لها .. وأنه يجب انتهاز فرصتها لانتهاب اللذات .. اننى أيها الأخـــوة أباشر انفـــــاق الملايين فى سبيل اقامة نواد لنشر هذه الفلسفات الهابطة .. ان كـــل كتاب منها خير من الف شيطان .. ان الترهات التى تملأ العقول لا تدع مجالا لأنوار الكتاب الحكيم .. انها مثل ثمار شجرة الزقوم ..

... ...

صفق عدد كبير من الحاضرين .. وهبوا واقفين يحيون البطـــل وهم يقولون : اننا نعترف لك بالبراعة . قال صاحبهم : شكرا لكم .. غير أن هناك ما هو أكثر اسعادا لنفسى من نيل الجائزة .. ذلك أن أكثر من ثمانين فى المائة من أصحابى هؤلاء أميون .. لا يعرفون كيف يخطون على الورق خطا أو يقيمون من الارقام الاوليـــة حسابا .. لقد كنت أخشى أن يدركوا أن معنى الثقافة الحقة هو فى الدرجة الاولى المحو لهذه الامية .. ذلـــك واجب الفئة المثقفة ولكننى شغلت هؤلاء بأنفسهم .. وباللامعقول .. وبالسينمـــا العابثـــــة .. وشغلت الآخرين بالعبـــادة علـــى طريقـــة (الروبوت) الانســـــان الآلـــى ، انها عبادة ميتة لا روح فيها ولا أخشى منها شيئا لانها لا ترفع صاحبها الى جنة السماء .. ولا تنقذه من جحيم الارض ..

قال قائل من الشياطين : لقد علمنا ما يحدث ونحن نوشك أن نودع القرن العشرين .. حيث أصبحت مهمتنـــا سهلة مع بنى الانسان حتى يستطيع مثلك وهو يلهـــو لاعبـــا متنقلا بين الربوع أن ينال جائزة التقدير .

قال الشيطان الذكى الفائز : أيها الاخوة .. لم يعد الأمر سهلا كمـــا تظنون .. لقد هب من بينهم من راح يدق النواقيس .. وهناك أضـــواء تتجمع فى الأفق من بين الغمام .. فخذوها منى نصيحة أخيرة .. عليكم أن تفتعلوا مزيدا من الضجيج حتى لا تقرع دقات الأجراس آذان الذين ما زالوا قائمين .

بالإسلام تستريح الإنسانية

للاستاذ عبد الكريم الخطيب

١ — من الحقائق المسلمة التى تقع موقع البدهيات فى العقول ، هى أن الأديان تعانى فى هذا العصر ازمات حادة وأنها تقف موقفا حرجا فى الحياة بعد أن غلبت المادية على منازع التفكير الانســــانى ، وبعد أن أصبحت المحسوسات هى أساس التعامل فى مجال الفكر ، كما هى أساس الأخذ والعطاء فى مناحى النشاط الانسانى العصرى كله .

إن انسان العصر الحديث ، لا يقبل التعامل مع الغيبيات ، ولا يدخل إلى عقله شيئا لا تلمسه حواسه ، وتختبره ، وتطمئن إليه ، تماما كما لا يدخل إلى جيبه شيئا من المال إلا اذا نظر فيه بعينيه ، وتحرى سلامته ، واطمأن الى خلوه من الزيف .

فلا عجب — والأمر كذلك — أن تقف مقررات الأديان التى تتحدث عمــا وراء المحسوس ، من إيمان بالله واليوم الآخر ، والبعث ، والحساب ، والجزاء والجنة والنار — لاعجب أن تقف هذه المقررات موقفا قلقا مضطربا ، فى مجال العقل المــادى ، الذى يطلب لكل مقولة من تلك المقولات الدينية شــاهدا شاخصا بين يديه ، يمسك به ، حتى يأذن المرء لعقله بالتعامل مع هذه المقولات وإلا اعرض عنها ، وصك أذنيه دونها . .

ان الدين الغالب اليوم ، وخاصة فى العالم الغربى ، هو دين المادة ، التى تغل ثمرا حاضرا معجلا . . ومن أجل هذا فقد زهد الناس فى الأديان التى لا تعامل الانسان على هذا الأساس ، ولا تضع فى يديه نقدا معجلا لكل حركة من حركات عقله ، أو جسده !!

٢ — والذى نريد أن نقوله هنا ، هو أنه ينبغى على الذين ينتصرون للدين والذين لا يزالون فى جماعة المتدينين أن يعرفوا هذه الحقيقة جيدا . وأن يواجهوا هذا الواقع ، مواجهة صريحة . .

كلهما في هذا العصر!

بقلم: محمد فوزي

وان أول ما ينبغي أن يفعله أصحاب الدين في صراعهم مع الماديين والملحدين . أن ينظروا في دينهم . وأن يكشفوا عن معطياته للحياة الدنيا ، إلى جانب معطياته للحياة الآخرة ـــ فان كان في الدين الذي يدينون به شيء ينفع الناس في دنياهم ، ويسد حاجات الجانب المادي منهم ـــ كان لهم أن يقفوا من الماديين والملحدين موقف المنكرين عليهم عداوتهم للدين ، ومجا نبتهم له ، اذ كان الدين ملبيا حاجتهم المادية ، حفيظا عليهم أن يغرقوا في تيارها المتدافع ، أو أن يحترقوا في نارها المتضرمة .. أما إذا لم يكن في الدين ما يستجيب ـــ في غير حرج أو ضيق ـــ لحاجة الانسان المادية ، فليمض أصحاب هذا الدين بدينهم ، ليعيشوا فيه وحدهم ، وليتركوا الحياة تمضي في مسيرتها بالناس الى حيث يشاءون !!

٣ ـــ وبعيدا عن الأديان ، والمذاهب ، والمعتقدات ، ننظر الى الانسان من حيث طبيعته وفطرته ، نجد أنه كائن جمع كيانه النور والظلام ، والهدى والضلال ، والخير والشر ، والروح والجسد ، والانسان والحيوان ، حيث التقت فيه نفخة الحق بتراب الارض .. فهو سماوي أرضي ، يعلو ، ويصفو حتى يطاول السماء ، ويصاف الملائكة ، ويتدلى حتى يكون في قطيع البهائم ، أو مسارب الديدان .. وهو في علوه وتدليه ، هو هذا الكائن الذي التقى فيه النقيضان ، فاذا علا الى أقصى غاياته من العلو ، فانه لا يزال مشدودا الى الارض ، أشبه بالطائر المحلق في السماء ، وعينه ناظرة دائما الى الارض . واذا تدلى الانسان إلى أسفل سافلين ، فان فيه بقية من أشواق الى العالم العلوي الذي تكمن أسراره في أعماقه .. فأحسن الناس حالا . وأعلاهم منزلة من سمت روحه على جسده ، فكانت اليها قيادة الانسان، روحا وجسدا فأخذت الروح حقها ، ولم تحرم الجسد حظه .. وأسوأ الناس حالا ، وأضلهم

سبيلا من كان جسده غالبا على روحه ، مستوليا عليها ، حيث تنقلب حقيقته ، وتنتكس خلقته ، ويصبح قياده إلى الحيوان الكامن فيه ..

هذه حقيقة مسلمة من مسلمات العلم لا يمكن أن يماري فيها حتى أشد الماديين اغراقا فى المادية ، وايمانا مطلقا بها .. وإن أيا من هؤلاء الماديين ، مهما تكن المادة قد غطت على الجانب الانسانى منه ، وما فى هذا الجانب من مشاعر العطف ، والرحمة ، والمودة ، والاخاء الانسانى — فانه لا يعدم أبدا حالا من الاحوال ، تهتز فيها مشاعره ، ويخفق لها قلبه ، ويتوهج منها ضميره ، واذا هو خارج من عالمه المادى ، فيبكى كما يبكى الناس ، ويحب كما يحب الناس ، ويعطف ويرق كما يعطف الناس ويرقون .. ان ذلك هو بعض الدين الذى ينكره الماديون ، ويفرون منه وهو ساكن فى أعماقهم !!

٤ — ولكن أى دين هذا الذى يقيم الانسان هذا المقام الكريم المكين فى هذه الحياة الدنيا ، وفى الآخرة ؟

لا شك أن الأديان السماوية ، المنزلة من عند الله الى عباد الله ، هى وحدها الكفيلة بشريعتها ، وأحكامها وآدابها — أن تضمن للانسان حياة طيبة فى الدنيا ، وخلودا فى جنات النعيم فى الآخرة .. ذلك أن الذى شرع هذا الدين ، هو أحكم الحاكمين رب العالمين ، قدره بعلمه ، وأحكمه بحكمته ، مقدورا بقدر الانسان ، وما أودع فيه الخالق جل وعلا ، من غرائز وملكات فمن أخذ بدين الله ، أخذ بكل خير ، ومن استمسك به استمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وهدى الى الحق ، والى صراط مستقيم .. ومن عدل عن دين الله ، واتبع هواه ، غوى وضل ، وكان من الهالكين .

٥ — والديانات السماوية التى يعيش فيها المتدينون الآن ، هى : اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام .. ولو جرت الامور على طبيعتها لكان أهل هذه الديانات الثلاث على دين واحد ، هو دين الله ، الذي جاء به رسل الله ، والذى أخذ الله به الميثاق على أنبيائه ، أن يصدق بعضهم بعضا ، وأن ينصر بعضهم بعضا ، وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم : « **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين** » (٨١ : آل عمران) .. ويقول تبارك اسمه لنبيه الكريم : « **قل آمنا بالله وما أنزل علينا ، وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** » (٨٤ : آل عمران) ويقول سبحانه لأتباع محمد — صلوات الله وسلامه عليه — : « **قولوا آمنا بالله ، وما انزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** » (١٣٦ : البقرة) .

هذا هو موقف المسلمين من رسالات السماء ، يؤمنون بها جميعها ، ويصدقون برسل الله الذين جاءوا بها ، اذ كانت دعوتهم قائمة على أصول عامة من الايمان بالله ، واليوم الآخر ، والحساب ، والجزاء ، والجنة والنار ، تلك الأصول التى هى الدعامات الأولى لدعوة كل نبى — أما الفروع الخاصة بتنظيم

اوضاع المجتمع ، فقد كان من الطبيعي أن تختلف صورها واشكالها حسب اختلاف الزمان والمكان ، والحال التي عليها كل مجتمع ، وذلك مراعاة لسنة التطور في الحياة ، وانتقال الانسان من طور الى طور ، كانتقاله من البداوة الى سكنى المدن ، وما ينشأ في المدن من حضارة وعمران، وما يجد في الحياة من وجوه مختلفة في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، وما يقتضيه ذلك من تشريعات واحكام ، وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم** » (٤٨ : المائدة) .

ولو أن أهل اليهودية والنصرانية استقاموا على دين الله ، لكان الاسلام وجهتهم ، ولكانوا أول الداخلين فيه ، المؤيدين له ، لأنه دين الله المصدق لما معهم من كتاب الله ، ولكنهم أبوا الا عنادا وضلالا ، لا يرون الدين الحق الا دينهم وأنهم قد اختصوا به دون الناس جميعا ..

أما اليهود ، فقد زين لهم الغرور أن الله تعالى خلقهم خلقا متميزا عن ابناء آدم جميعا ، وأنهم الشعب المختار عند الله ، واليهم وحدهم تنزل كتب الله ، وفيهم وحدهم تبعث رسله ، وأن الناس جميعا انما خلقوا ليسخروا لهم كما تسخر الحيوانات للناس .. ولهذا فانهم قد احتفظوا بنسبهم ، وعزلوا جنسهم عن بقية الأجناس الاخرى ، واحتفظوا بالدين الذى أنزله الله عليهم — احتفظوا به في محيطهم ، دون أن تكون لهم دعوة فى الناس به ، لأنهم يرون الناس — دون بنى اسرائيل — غير أهل للاتصال بالله ، وتلقى رسالاته ، تماما كما نرى نحن ذلك الرأى فى عالم الحيوان .. !!

ثم انهم لكى يرضوا هذا الغرور الذى استبد بهم ، عبثوا بالتوراة ، وغيروا كثيرا من نصوصها ، وحرفوا الكلم فيها عن مواضعه ، حتى يتطابق منطوق التوراة ومفهومها مع مدعياتهم الباطلة التى يدعونها من أنهم شعب الله المختار ، حتى لقد أصبح هذا الادعاء دينا ومعتقدا ، يدينون به ويعتقدونه .

فالتوراة التى فى أيدى اليهود ، والتى فى أيدى المسيحيين أيضا ، لانها كتاب الشريعة للنصارى ، كما أنها كتاب الشريعة لليهود ، اذ ان المسيح عليه السلام ، لم يأت بشريعة ، وإنما كانت شريعته ، وشريعة أتباعه هى شريعة موسى ، ولهذا يقول فى الأناجيل التى فى أيدى المسيحيين : « ما جئت لأنقض الناموس — أى شريعة موسى — وانما جئت لأكمل » .. فليس فى الانجيل الذى بشر به المسيح أحكام تشريعية ، وانما كل ما فيه آداب وأخلاقيات هى تطبيق عملى لشريعة موسى ، وتفسير مشرق لمضمونها — نقول : إن التوراة التى فى أيدى اليهود والمسيحيين ليست على الصورة الكريمة التى جاء بها موسى من عند الله ، اذ قد اختلطت بأهواء اليهود ومفترياتهم ، التى طمست معالم الحق والخير فيها ..

وإذا كان الناس فى عماية الجهل ، وتحت نشوة الحماس الدينى — قد قبلوا ما فى التوراة من متناقضات لا يقبلها عقل ، وسوغ لهم رجال الدين — بصورة أو بأخرى — أن يقرعوا فى التوراة أن أنبياء الله يزنون فى بناتهم ، ويخونون أبناءهم فى زوجاتهم ، كما تقول التوراة المحرفة إن لوطا قد شرب

الخمر حتى سكر ثم زنا فى ابنتيه وحملتا منه ، وأن يعقوب زنا مع زوجة أحد أبنائه — ثم لا ينكرون نسبة هذا الفسق الى أنبياء الله وحملة رسالاته الى الناس — نقول : اذا كان الناس قد دخل عليهم هذا الزور وهم فى عماية من الجهل ، فان العقول اليوم فى عصر العلم والتنوير لتصاب بصدمة مذهلة حين تقرأ فى كتاب سماوى مقدس مثل هذا الاستخفاف بالقيم الأخلاقية تكون من عامة الناس فضلا عن أنبياء الله ، وحملة مشاعل الهداية للناس .

وليس هذا كل ما فى التوراة من مفتريات على الله ، ينكرها العقلاء من الناس ، بل ان فى التوراة ما لا يحصى من أمثال هذه المقولات بحيث لا يكاد يخلو سفر من أسفارها من عشرات المتناقضات ، التى تخف بها موازين الحق، والعدل والاحسان ، حيث تستباح الدماء ، والأموال ، والأعراض ، وحيث تضيع معانى المثل الفاضلة : والأخلاق الكريمة ، اذا كان ذلك لحساب بنى اسرائيل ، الذين يرون الناس حمى مستباحا لهم ، دون تحرج أو تأثم : « **ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** » (٧٥ : آل عمران) .. والأميون هم الناس جميعا غير اليهود ، أهل الكتاب ، لأن الناس عند اليهود ، اما يهود ، أو أميون .. أما المسيحيون ، وهم أصحاب التوراة والانجيل ، فان فيما معهم من التوراة من متناقضات هو ما مع اليهود ، فضلا عن الانجيل وما فيه من حلول الله فى رحم مريم ، وولادته منها فى صورة المسيح .. ثم صلب هذا الإله فى شخص المسيح ، ودفنه ، ثم قيامته من بين الأموات بعد ثلاثة أيام من دفنه ، وظهوره لبعض حوارييه وأتباعه ثم اختفاؤه بعد هذا .. !!

كل هذه المعتقدات التى يعتقدها المسيحيون فى المسيح — عليه السلام — قد أنكرها العقل فى هذا العصر ، بعد أن استنار بنور العلوم والمعارف .. وكان من هذا أن انتشرت فى أوربا وأمريكا — حيث يدين الناس بالمسيحية انتشرت مذاهب الالحاد ، وخفت موازين الدين فى هذه المواطن ، وقام هذا الصراع الحاد بين مقولات العلماء ومقررات الدين ، واستمر هذا الصراع سنين طويلة ، انتهى بفصل العلم عن الدين ، بمعنى أن تكون مقولات العلم لحساب العلم ، ليس للدين شيء منها ، وأن تكون مقررات الدين لحساب الدين ليس للعلم شأن بها ..

٦ — وفصل الدين عن العلم ، هو فى الواقع هروب بالدين عن منطقة النور ، التى تتجلى فيها حقائقه ، وتتكشف فيها جواهر تلك الحقائق .. ثم إن هذا الفصل للدين عن العلم فى كيان الانسان أمر غير ممكن، اذ الانسان كل لا يتجزأ فى مداركه ، ومشاعره ، ونوازعه ، وعواطفه .. وكل حقائق العلم التى تبلغها مدركات انسان ما لا يمكن أن تعيش بمعزل عن أية حقيقة ترد عليه من حقائق الدين ، أو الفن ، وغيرها .. فالعلم اما أن يقبل حقائق الدين ، وبهذا تدخل تلك الحقائق فى دائرة العلم ، واما أن يرفض حقائق الدين . وبذلك يخرجها من محيط العلم .. وهذا ما حدث فعلا فى العالم المسيحى ، فى أوربا وأمريكا ، بعد أن رفض العلم ما تحدثت به الديانة المسيحية من مقولات عن ميلاد الله ميلادا بشريا فى المسيح ، وعن صلب الله فى المسيح ليكفر خطايا البشر التى ورثوها عن خطيئة أبيهم آدم . ثم عن قيامة المسيح أو الاله بعد

دفنه بثلاثة أيام .. الى غير ذلك من المقولات التى رفضها العقل الحديث ، وأبى أن يدخلها فى محيط العلم الذى يطمئن الى معايشته والحياة معه .

ان أوربا وأمريكا تعيشان اليوم بغير دين .. وهذا أمر غير طبيعى ، لا يمكن أن يعيش الناس فيه طويلا ، لان الدين والتدين غريزة فطرية فى الانسان فاذا لم يجد الانسان الدين الصحيح الذى يقبله العقل ويطمئن اليه القلب ، استبد به القلق ، واستولت عليه الحيرة .. ومن هنا كان هذا الذى نشهده فى أوربا وأمريكا من اغراق فى المادية والالحاد ، ومن تهالك فى الجرى اللاهث وراء حاجات الجسد واشباع غرائزه ، وليس ذلك الا تعويضا للجوع الروحى الذى يعانيه القوم هناك ، ولا يجدون سبيلا الى سد حاجتهم من هذا الجوع الا بالذهول عنه ، والقاء أنفسهم فى هذا التيه الصاخب بموائد القمار والخمر ، وحانات الموسيقى والرقص والعربدة .

وإنه لمن الخطأ أن نحسب أن هذا العقل العصرى الذى بعد عن الدين هذا البعد البعيد قد اطمأن الى تلك الحياة التى يحياها بلا دين .. فالانسان ــ كما أشرنا من قبل ــ متدين بطبعه ، والدين مطلب قوى من مطالب الانسان ، على أى مستوى يكون عليه من مستويات الانسانية ، وأيا كان عقله ، وأيا كان مبلغه من العلم ..

فالانسان البدائى ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، والفارابى ، وابن سينا ، وابن رشد ــ هم جميعا سواء فى الحاجة الى الدين ، والى تصور المعتقد الدينى الذى يدينون به ، والذى يغذى عاطفتهم ، ويروى الجدب الروحى الذى يجده الانسان ــ أى انسان ــ اذا هو بات ليلة أو بعض ليلة على غير دين .. !!

وإن هؤلاء الملحدين الذين تعج بهم دنيا الناس فى الغرب وفى الشرق ، هم أكثر الناس ظمأ الى الدين ، وتطلعا اليه ، ووسواسا به ، وطلبا له ، وبحثا عنه ، فاذا وجد أحدهم الدين الصحيح الذى يطمئن اليه قلبه ، ويستريح اليه ضميره ، أقبل عليه اقبال الظمآن على الماء ، وفرح به فرح الغريق بالنجاة .. أما من لم يصادفه التوفيق الى الدين الصحيح فسيظل فى هذا الاضطراب المحموم الى أن يموت .. !!

٧ ــ وهنا يجد الاسلام فرصته فى انقاذ المجتمع الانسانى الملحد من هذا الضياع ، حيث هو الدين الذى يحترم العقل ، ويعطيه حقه كاملا من البحث والنظر ، ومن تقليب الحقائق الدينية على جميع وجوهها ، وهو الدين الذى يؤاخى العلم ، ويزكى جهاد العلماء ، وما يكشفون من حقائق الوجود وأسرار الكون .. وفى هذا يقول الله تعالى : « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » (١١ : المجادلة) ويقول سبحانه : « **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون** » (٤٣ : العنكبوت) ويقول جل شأنه : « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولو الألباب** » (٩ : الزمر) ويقول تبارك اسمه : « **وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** » (٢٣٠ : البقرة) .

هذا ، وقد ورد ذكر العلم ، ومشتقاته فى نحو تسعمائة موضع من القرآن الكريم ، الأمر الذى لم يكن لغيره من الحقائق التى ورد لها ذكر فى كتاب الله

.. ويكفى تنويها بالعلم ، ورفعا لقدره وقدر أهله أن كان صفة من صفات الله سبحانه وتعالى ، فهو جل شأنه : عالم ، وعليم ، وعلام .

والقرآن الكريم هو جامعة العلم ، ومورد العلماء ، وإنه بحسب المرء من العلم أن يقبس قبسة من أضوائه ، فتكون له زادا عتيدا لكل علم ، ومنهلا طيبا الى كل معرفة .. ولهذا كثر الداخلون فى الاسلام من علماء أوربا وأمريكا ممن أتيح لهم الاتصال بالشريعة الاسلامية ، وبكتابها الكريم ، من غير دعوة لهم من أحد .. ففى كل يوم يدخل فى الاسلام أعلام من علماء الغرب وحكمائه، لما ظهر لهم من الحق المنزل من عند الله .. ولو جرت الامور على ظاهرها لما أمتد بصر أحد من هؤلاء الداخلين فى الاسلام الى الاسلام ، لما صارت اليه حال المسلمين من التخلف ، والفقر والجهل ، الأمر الذى يشوش على الدين نفسه ، ويسىء الظن به ، اذ كان المسلمون — وتلك حالهم — هم الوجه الذى ينظر الناظرون فيه الى الاسلام من خلاله .. ولكنه الحق أكبر من أن تحجب أنواره سحب عارضة ، أو أن تطفىء سراجه أنفاس محمومة !!

٨ — ان هذا العصر ، عصر العلم والشك ، عصر الامتحان لكل شىء ، عصر غربلة الأديان والمعتقدات ، وعرضها على محك العقل — هو عصر الاسلام ، وهو اللسان المجدد لدعوته ، حيث يجلى حقائق هذا الدين ، ويكشف عن الخير الكثير المخبوء للناس فيه ..

ولا يريد الاسلام من الناس أن يتلقوا دعوته قضية مسلمة ، دون بحث واختبار وتحقيق ، فان ذلك مما تأباه طبيعة هذا الدين ، الذى أراده الله تعالى ليكون خاتمة الرسالات السماوية ، وليكون من كتابه الكريم رسولا يلتقى مع العقل الانسانى على امتداد الزمان والمكان ، حيث يجد فيه العقل فى أعلى مستوياته الحجة القاطعة ، والبرهان المبين على كل مقولة يقولها ، وعلى كل قضية يقضى فيها ..

فالذى يريده الاسلام ، ونريده له ، هو أن يضع العلماء ، والفلاسفة والمفكرون — فى الغرب والشرق — قضايا الاسلام كلها ، موضع الشك أو الانكار — إن شاءوا — ثم ليعاملوها معاملة القضايا العلمية التى ينكرونها ، أو يتشككون فيها ، وليسلطوا عليها نظراتهم باحثة فاحصة ، ثم ليقلبوها فى أيديهم على جميع الوجوه الممكنة لهم ، وليمتحنوها بكل ما فتح به العلم عليهم من أساليب الامتحان، ثم ليحكموا بعد هذا على الاسلام بما يظهر لهم منه على محك الفحص والاختبار .. وان الاسلام ليتقبل هذا الحكم فى اطمئنان ورضى ، لأنه لن يكون الاشهادة بينة الحجة ، ساطعة البرهان ، على أن هذا الدين ، هو دين الله ، دين الحق الذى أراده الله تعالى لخير الانسانية واسعادها .

ان العلم الحديث — كما قلنا — هو فرصة الاسلام التى تتجلى فيها معجزاته من جميع جوانبها ، العلمية ، والسياسية ، والاجتماعية والاقتصادية حيث يشهد العقل الحديث من النظر فى حقائق الاسلام أنه أمام معجزات قاهرة ، ينقاد لها العقل ، انقياده لما ينكشف له من أسرار الكون ومعجزاته على ضوء العلم ، ومكتشفات العلماء .

وهذا هو كتاب الاسلام ، وتلك هى حجته القائمة ، ودستوره المسطور

فى القرآن الكريم .. انه يقدم نفسه لكل من يريد النظر فيه ، والتعرف اليه ، غير مستند الى تأويل المؤولين ، أو تفسير المفسرين ، فلسانه أفصح من كل لسان ، وبيانه أوضح من كل بيان ..

فالذين يعرفون العربية ، يعرفون طريقهم اليه فى غير عناء ، ويضعون أيديهم على حقائقه فى يسر ، وفى غير معاناة .. والذين لا يعرفون العربية ، يمكن أن تترجم لهم حقائقه الى اللغات التى يحسنونها ، كما تترجم الحقائق العلمية ، والقضايا الاجتماعية ، والأحكام القانونية .. ثم لا عليهم ان فاتهم اعجاز الكلمة ، ومعجزة البيان فى اللسان العربى الذى نزل به القرآن الكريم ، فان فى الحقائق التى تصل اليهم عن طريق الترجمة ما يكفى للكشف عن وجوه أخرى من الاعجاز القرآنى ، ممثلة فى محكم أحكامه وروعة حقائقه ، وخلود مقرراته ، وضبطها على أحكم ميزان وأعدله .

والاسلام — فى يسره ، وسماحته ، ومواءمته للفطرة الانسانية — قريب من كل نفس ، متجاوب مع كل عقل ، واقع فى فهم كل ذى فهم .. تلتقى عنده عقول المتعلمين والعلماء ، وتجتمع عليه أنظار العامة والفلاسفة ، بحيث يجد فيه كل ذى عقل ما يرضيه ويغنيه ، ويأخذ منه كل ذى نظر ما يرشده ويهديه .. هكذا دائما تكون آيات الله المبثوثة فى هذا الوجود ، مما يمسك على الناس حياتهم ، ويحفظ وجودهم ، لا تقصر عنها يد ، ولا يستأثر بها انسان دون انسان أو تختص بها جماعة دون جماعة ، أو أمة دون أمة .. انها من الله ، ولعباد الله ، كما نرى ذلك فى الماء ، والهواء ، والشمس والقمر ، والنجوم .. فان كان لأحد ، أو لجماعة ، أو لأمة ، نصيب أوفر ، أو حظ أعظم ، من هذه النعم العامة ، فهو مما زاد عن الحاجة التى لا تتطلبها ضرورات الحياة ، وان كان فيها متعة فوق متعة ، ورضى فوق رضى : فصاحب النظر الحديد ، والقلب السليم يرى من جمال الوجود وروائع الكون ما لا يراه صاحب النظر الكليل أو القلب السقيم .

ومثل هذا تماما موقف الناس جميعا بين يدى القرآن الكريم .. كلهم بين يديه مائدة طيبة ، طعامها هنىء لكل عقل ، وشرابها مرىء سائغ لكل ذى قلب .. ثم هم مع ذلك على حظوظهم من تلك المائدة ، بقدر ما تتسع العقول وتنشرح الصدور ..

وتلك هى معجزة القرآن القائمة على الناس أبد الدهر ، وتلك حجة الله على من أخلى عقله وقلبه من الدين ، أو دان بغير دين الحق ، دين الله الذى ارتضاه لعباده ، كما يقول سبحانه : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين** » (٨٥ : آل عمران) .

٩ — والأمر الذى ينبغى أن ننتبه اليه فى هذا المقام ، هو أن رجال الدين المسيحيى يدركون تماما هذه الحقيقة من أمر الاسلام ، ويعلمون أن الذين يتركون المسيحية لا يجدون دينا غير الاسلام يدينون به ، متى أتيحت لهم فرصة للتعرف عليه .. ولهذا اشتدت حملات المسيحية على الاسلام ، بالطعن فيه ، ومحاولة تشويه حقائقه ، حتى ينصرف الذين خرجوا من المسيحية عن الاتجاه الى الاسلام ، الذى ان اتجهوا اليه لم يولوا وجوههم عنه أبدا .. ومن هنا تحولت حركات التبشير بالدين المسيحى الى حملات حرب مسعورة على الاسلام ، فيما يكتبه المستشرقون من رجال الدين المسيحى ، يظاهرهم فى

ذلك المستشرقون من اليهود ، لا لشيء الا لازالة أي معلم من معالم الحق تفيء اليها الانسانية ، وتستعصم بها .. ولا يسع المسلم في هذا المقام ، وهو يتلو كتاب الله ، الا أن يذكر قول الله تعالى في سورة التوبة : « **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** » (الآية ٣٢) ثم يذكر بعدها قوله تعالى : « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » (الآية : ٣٣) .

ففي هاتين الآيتين الكريمتين نبأ من أنباء الغيب ، قد أخذت دلائله تظهر في هذا العصر ، وتحدث بأن تلك الأفواه التى تقذف بحمم الضلال ، وترمى بها في حمى الاسلام ، لن تنال من دين الله شيئا ، لان الله سبحانه وتعالى يأبى الا أن يتم نور هذا الدين ، على كره ومضاضة من الكافرين ، وأن تمام هذا النور انما يكون بتمام دورته في فلك الكوكب الارضى ، فيطلع نهاره على الغرب ، كما طلع نهاره على الشرق ، فيمحو بنوره ما ران على القلوب من ضلال ، وما استولى على العقول من زيغ وبهتان ، فلا يبقى على وجه الارض دين غير دين الله ، وبذلك تبلغ رسالة رسول الله كل دان وقاص ، وتنال الرحمة التى حملها بين يديه كل قريب وبعيد ، حتى تشمل العالمين جميعا ، كما يقول سبحانه : « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » (١٠٧ : الأنبياء) .

وقد جاءت هذه البشارة بظهور الاسلام على الأديان كلها — جاءت في سورة الصف ، وهى من القرآن المدنى أيضا مؤكدة لما جاء في سورة التوبة وهى من أواخر ما نزل من القرآن ، وذلك في قوله تعالى : « **ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين . يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسـوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » (الآيات : ٧ ، ٨ ، ٩) .

ونحب هنا أن نشير الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رواه البخارى عن أبى هريرة ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يتقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها . » ومعنى هذا أن دولة الصليب ستنتهى ، وأن ما يؤمن به أتباع المسيح من صلب المسيح سينكشف الغطاء عن بهتانه ، وقد بدأ أتباع المسيح أنفسهم يكسرون الصليب بأيديهم ، ويخرجون من المسيحية قبل أن يظهر المسيح ، وليس وراء هذا الالحاد الذى شاع في أوربا وأمريكا المسيحيتين الا الايمان الحق بالله ، والدخول في الاسلام دين الله ، « **ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » .

١٠ — هذا ، وقد استظهر بعض المشتغلين بالدراسات الاسلامية من علماء الاسلام(١) — استظهر من مسيرة الاسلام في فلك النبوة ، والذى كانت دورته فيها ثلاثا وعشرين سنة ، في مكة ، والمدينة — أن للاسلام دورة في فلك خارج فلك النبوة ، أشبه بهذه الدورة التى دارها في فلك النبوة ، وأن مدة هذه الدورة ثلاثة وعشرون قرنا ، أى أن كل سنة من عصر النبوة تمثل قرنا كاملا من تلك الدورة الواقعة بعد عصر النبوة .

كما استظهر أيضا ، أن الثلاثة عشر عاما الاولى من بعثة الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — والتى عاشتها الدعوة الاسلامية فى دائرتها الضيقة فى مكة ، تواجه الكيد لها ، والمكر بها ، والتضييق على أتباعها — هذه المدة تمثل الثلاثة عشر قرنا التى انسلخت بعد عصر النبوة من حياة الاسلام وأن الاسلام بعد هذه القرون الثلاثة عشر سينطلق من دائرته الضيقة ، كما انطلق بعد الثلاثة عشر عاما التى عاشها فى المدينة ، والتى انتقل بعدها بالهجرة الى المدينة ، فكان النصر ، وكان الفتح ، وكان دخول الناس فى دين الله أفواجا ، وكما دانت الجزيرة العربية كلها خلال عشر السنوات التى بعد الهجرة ، ستدين الانسانية كلها بالاسلام ، خلال عشرة القرون التالية للثلاثة عشر قرنا التى انسلخت من مسيرة الاسلام . حيث يتحقق قوله تعالى : ((**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**)) — كما تحقق قوله تعالى خلال عشر السنوات الاخيرة من مبعث النبى — صلوات الله وسلامه عليه — اذ يقول سبحانه : ((**اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا**)) .

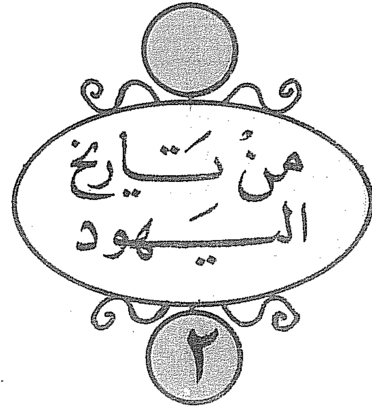
١١ — وبعد ، فهل يقعد بنا هذا الوعد الكريم من الله تعالى بنصر دينه ، وإظهاره على الدين كله — هل يقعد بنا ذلك عن أداء حق الله تعالى علينا نحو ديننا ، وما أوجبه جل شأنه على كل مسلم من الجهاد فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، والدفاع عنها ، والتضحية فى سبيلها بالأموال والأنفس ؟ إن ذلك إن يكن من المؤمن بالله ، فهو خيانة لله ، ولرسول الله ، ولدين الله .. فما كان وعد الله سبحانه وتعالى لرسوله وللمؤمنين بالنصر لدينه ، بالذى ألقى عن الرسول الكريم وأتباعه عبء الجهاد فى سبيل الله ، ولقاء المشركين فى مواقع القتال ، وبذل الأنفس والأموال فى سخاء ، وابتغاء مثوبة الله ورضوانه ، والله سبحانه وتعالى يقول : ((**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**)) (١٤٢ : آل عمران) ويقول تبارك اسمه : ((**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم**)) (٣١ : محمد) .

فلا بد اذن من بلاء وتمحيص ، لما فى القلوب من ايمان بالله ، يكون محكه الغيرة على دين الله ، والدعوة اليه ، والدفاع عنه ، وبذل النفوس والاموال فى هذا الجهاد المبرور ، وبذلك الامتحان تثقل موازين العاملين المجاهدين ، وتخف موازين الغافلين ، والمتكاسلين : ((**فأما من ثقلت موازينه . فهو فى عيشة راضية . وأما من خفت موازينه . فأمه هاوية . وما أدراك ما هيه . نار حامية** (((٦ — ١١ : القارعة) .

وهذا ميدان الجهاد مفتوح لكل مسلم ، يدخله من أى باب ، بما له ، أو بنفسه ، وبيده ، أو لسانه ، أو قلمه ، ((**فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما**)) (١٠ : الفتح) .

---

(١) هو المرحوم الاستاذ محمد فريد وجدى ، فى كتابه : ((الاسلام فى عصر العلم)) .



اليهود وتآمرهم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

للدكتور محمود محمد زيادة

اليهود وجمع الاحزاب :

كانت قريش وكان يهود بني قينقاع ويهود بنى النضير وعرب غطفان وهذيل والقبائل المتاخمة للشام تتربص كل واحدة منها بمحمد وأصحابه الدوائر ، وتود كل واحدة منها أن تجد الفرصة لادراك ثارها من هذا الرجل الذى فرق العرب فى دينها شيعا ، والذى خرج من مكة مهاجرا لا حول له ولا قوة الا ما يملأ نفسه الكبيرة من الايمان وها هو ذا فى خمس سنين قد أصبح له من الحول والقوة ما جعله مرهوب الجانب فانتصر على كثير من قبائل العرب واخرج بنى قينقاع من المدينة، واجلى بنى النضير عن ديارهم ، وذهب كثير من هؤلاء وهؤلاء الى خيبر والشام ، فهل يسكتون ويطمئنون الى ما حدث ؟ أم يحاولون تأليب العرب عليه ليأخذوا بالثأر منه .. ؟

كانت الفكرة الثانية هي التى اختمرت فى نفوس اكابر بنى النضير وتنفيذا لها خرج نفر منهم ، ومن بينهم حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق ، وكنانة بن أبى الحقيق ، ومعهم من بنى وائل هوذة بن قيس، وساروا حتى قدموا مكة ، فسأل أهلها حييا عن قومه ، فقال : تركتهم بين خيبر والمدينة يترددون حتى

تأتوهم فتسيرون الى محمد واصحابه .. وسألوه عن قريظة فقالوا : اقاموا بالمدينة مكرا بمحـــمد حتى تأتوهم فيميلوا معــــكم : وترددت قريش اتقدم ؟ أم تحجم ؟ فليس بينها وبين محـــمد خلاف الا على الدعوة التى يدعوها ، أليس من الجائز أن يكون على حق ما دامت كلمته تزداد كل يوم رفعة وسموا .. ؟

فقالت لليهود : يا معشر يهــود انكم أهل الكتاب الأول وأهل العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد . أفديننا خير أم دينه ؟ فأجاب اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وانتم أولى بالحق منه : والى ذلك يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى « الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الـــكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هــؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا » .

فكان قول اليهود هذا من الدوافع لقريش على الترحيب بالمحـــالفة ثم خرج الوفد اليهودى من مكة قاصدا ديار غطفان وهى قبيلة حربية لهـــا خطرها فى صحراء بلاد العرب وتقع على بعد ١٢٠ ك. م الى الشـــمالى الغربى من المدينة . وقد انضم الى هذا الحلف قبائل أخرى من العرب . وبذلك بلغت قوات قريش وحلفائها عشرة آلاف محارب فساروا جميعا تحت امرة ابى سفيان قاصـــدين المدينة ، ويستشير الرسول أصحابه فى الدفاع عن المدينة ويستقر الرأى على حفر الخندق فى الجهة الشمالية من المدينة لأن الجهات الاخرى كانت محصـــنة بالتلال والنخيل والبيوت المتراصة . وديار بنى قريظة متروكة لحراسة قوة خفيفة متحركة ، وينتهى المسلمون من حفر الخندق وتصـــل قريش الى خارج المدينة فى جموع كثيرة من احابيشـــــها واحلافها ، وجموع تأتى من أسفل المسلمين وهم قريش ومن جاء معهم وجموع اخرى تأتى من فوقهم وهم أهل نجد من حلفاء قريش وجلهم من غطفان ورأت هذه الجموع الخندق ، فاعترتهم الدهشة، وداخلهم الاضطراب لعدم معرفتهـــم بوسائل القتال أمام الخنادق ، ولم يكونوا يتوقعون هذا النوع من الدفاع المجهول لديهم، وبلغ منهم الغيظ حتى زعموا أن الاحتماء وراء الخنـــدق جبن لا عهـــــد للعرب به وبدأ رماة المســـلمين يطلقون عليهم من خلفـــه سهامهم الفاتكة فانسحبوا سريعا ، واخذوا يسوون صفوفهم على مسافة آمنة من مرمى الســـهام والنبـــال واستمر الجيشان يرقب كل منهمـــا الآخر لأيام قليلة نفد فيها صبر ابى سفيان الذى كان يعتقد أن محـــق المسلمين ما هو الا رهن لقائهم فى المعركة . وكان قد وعد حلفـــــاءه بالغنائم السريعة السهلة ثم يعودون أدراجهم يتغنون بأناشيد الفـــوز ثم تبين له أن الأمر مختلف تمـــــام الاختلاف ، وانه يحتـــاج الى وقت طويل لا يؤمن معه أن تفـــكر بعض القبائل فى ترك القتال والعـــــودة ولاسيما والشتاء قارس البرد واهل المدينة يمكنهم المقاومة شهورا طويلة ما دام بنو قريظة يمدونهم بالمؤن ، فكر ابو سفيان فى كل هذا وبدأ يقدر من الخير للأحزاب أن يعـــــودوا ادراجهـــــم ويتركوا الأمر لفرصـــة اخرى .. ؟

نعم لـــكن جمع هؤلاء الاحزاب لحرب محمد ليس بالأمر الميسور ، وقد استطاع اليهود وحيى بن أخطب

على راسهم أن يجمعوها هذه المرة للانتقام لأنفسهم من محمد واصحابه عما أوقع بهم . فان أفلتت هـــذه الفرصه فهيهات أن تعود . ثم لا شك أن انسحاب الاحزاب انتصار لمحمد ، وبعد ذلك الويل كل الويل لليهود ، فلو أن بني قريظة نقضوا عهدهم مع المسلمين لفقد الخندق قيمتـــــه في الدفاع من ناحية ولانقطـــــع المدد والميره من ناحية أخرى وكمـــا قدر ابو سفيان ذلك كله قدره ايضا حيي ابن أخطب ، فتلاقت الفكرتان واوحى حيي الى الاحزاب أنه مقنع بني قريظة بنقض عهد موادعتهم محمدا واصحابه وبالانضـــــــمام اليهم . وسرى عن الاحزاب بما ذكر حيي .

تآمر بني قريظة :

وبدات المحادثات تجرى سرا بين (حيى) وكعب بن أسد ، صاحب حصن بنى قريظة وانتهت بعد حوار الى الموافقة على انضـــــمامه الى الاحزاب ونقض عهده مع محـــمد والمسلمين على أن تمهل الاحـــزاب قريظة عشرة أيام تعد فيها عدتهـــا وتتخلص من عهودها مع المســلمين وعلى أن تقاتل الاحزاب المســلمين فى هذه الايام العشرة أشد القتال ، ووصلت انباء هذه الاتفـــاقية الى الرسول فبعث (سعد بن معاذ) سيد الأوس ، و (سعد بن عباده) سيد الخزرج ومعهما (عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير) ليقفوا على جلية الأمر على أن يلحنوا عند عودتهم ان كان حقا حتى لا يفتوا فى اعضاد الناس ، فلما اتى هؤلاء الرســل قريظة وجدوها على أخبث ما بلغهم عنها ، فقد نال كعب من رسول الله صلى الله عليه وســـلم وقال : من رسول الله : لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . وحدثت مشـــاده بين بنى قريظة وسعد بن معاذ ، ثم رجع الرسل الى النبى فســلموا عليه ، وقالوا : عضل والقارة ــ اى كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيـــع ــ فاشتد الأمر على الرسول واشـــتد الوجل على المســـــلمين ، وزلزلوا زلزالا شديدا لأن العدو جاءهم من فوقهم ، ومن أسفل منهم ، وزاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر .

ولا غرابة أن يبلغ الفـــزع من المسلمين مبلغا عظيما ، فقد كـــان الحصار شديدا عليهم ، فقد صاحبه ضيق على فقراء المدينة ، وقطعت قريظة المدد والميرة عن المســـلمين عامة منذ تم اتفاقها مع الاحزاب : والاحزاب نفسها قد استعدت للقتال حسب الاتفاق أيضا . وقريظة عما قريب تدخل الميدان ، والمنـــافقون يجهرون بما يريدون . فقـــد قال بعضهم : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليـــوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الـــى الغائط . وقال بعضهم الآخر لرسول الله : ان بيوتنا عورة من العـــدو فائذن لنا أن نخرج فنرجع الى دورنا فانها خارج المدينة ..

ويضاف الى ما ســـبق الخطر الداهم الذى يهددهم به عبد الله بن ابى ذلك الشـــيطان الرجيم الذى انسحب يوم احد بثلث النـــاس من صفوف المسلمين فانه كان قد اعد العدة لطعن المســـلمين من الخلف واشعال ثورة فى المدينة من عناصر المنافقين فكان من الضرورى حمـــاية قلب المدينة نفسها بما فيها من نساء المسلمين واطفالهم : فأرسل النبى

فرقة من الجيش عددها ثلثمائة الى داخل المدينه . وظلت جنود تلك الفرقة تغدو وتروح فى شوارعها ليلا ونهارا .

وبدأ ابو سفيان القتال تنفيذا لاتفاقيته مع بنى قريظة ، واستمر يشن الغاره على الخندق ليلا ونهارا حتى تصرمت الأيام العشرة ، وظهرت بوادر غدر بنى قريظة خلال هذه الأيام العشرة ، فقد بدأ المتحمسون منهم ينزلون من حصونهم الى منازل المدينة القريبة منهم يريدون ارهاب أهلها وخشى الرسول أن يعجل القرظيون بالغدر ، فيزحفون على المدينة ، ويفتحون ثغرة من الجنوب حيث حصونهم فيتدفق الاحزاب منها الى المدينة ، ويصبح المسلمون على ما هم فيه بين عدوين ، واتقاء لهذا وما يترتب عليه فكر فى محاربة قريش بنفس الوسيلة التى استخدمتها قريش فى استمالة بنى قريظة حتى يفرق الأحزاب ، فأرسل الى عينية بن حصن الفزارى والحارث بن عوف المرى قائدى جيش غطفان فراوضهما ان يعطيهما ثلث ثمار المدينة . على أن ينصرفا بجيوش غطفان فقبلا ، ولكنه قبل أن يبرم الأمر أرسل الى السعدين (سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة) فاستشارهما فيما رأى ، وعرفا من الرسول أن هذا أمر يصنعه لهم ، فلم يقبلا ، وأعجب الناس بحماس الأنصار ، وفوض أمره لربه اللطيف بعباده المدبر لأمورهم ، فقد جاء فى هذا الوقت (نعيم بن مسعود الأشجعى) وهو صديق قريش واليهود ، ومن غطفان الى رسول الله ، واعلمه باسلامه وأن قومه لا يعلمون بذلك ، ويطلب منه ان يأمره بأمر يساعد على انتصار المسلمين فيقول له الرسول : « خذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعه » فيقوم بدور عظيم لصالح المسلمين ، فينصح قريشا بان اليهود سيطلبون منهم رهائن يقدمونها الى محمد ليعفو عنهم ، وينصح اليهود بأن يطلبوا من قريش رهائن قبل دخولهم المعركة المشتركه ضد المسلمين .. حتى يضمنوا بقاء قريش معهم ، ويحدث ارتباط مصيرى وطلب من كل طرف ان يكتم هذا الامر ، وقد جازت الخدعه فحينما طلب ابو سفيان من يهود بنى قريظة دخول المعركة طلبوا رهائن ، فاعتقدت قريش وآمنت أن ما قاله نعيم صحيح ، فامتنعت ، وفشل التحالف . ثم كان نصر الله بإرسال الرياح العاصفة كل العصف .. الباردة اشد ما يكون البرد .. الممطرةمطرا غزيرا . أطفأت نيرانهم، وأكفأت قدورهم على أسافيها ، واقتلعت خيامهم ، وافسدت طعامهم، وأجفلت دوابهم ، فأدخلت الرعب فى قلوبهم ، فارتحلوا فارين ليلا وكفى الله المؤمنين القتال ، واقبل الصباح ونظر المسلمون الى الجانب الآخر من الخندق فلم يجدوا من الآلاف أحدا فانصرفوا الى منازلهم .. رافعين أكف الضراعة الى الله شكرا أن كشف الضر عنهم .

غزو بنى قريظة :

لقد خان بنو قريظة العهد خيانة ما بعدها خيانة ، وظهر عداؤهم للمسلمين بصورة بشعة ، كانوا يريدون استئصال شأفة المسلمين . فلا بد من حسابهم حسابا عسيرا على ما ارتكبوا من جنايات ، ولا بد ايضا من الاسراع حتى لا يقوموا بعمل اجرامى من تدمير الآبار الماء ،

وما شاكل ذلك ، وهذا ما كان من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد جاءه الوحى يأمره بالقضاء على بنى قريظة حتى يطهر دار الاسلام من قوم جبلوا على الخيانة والغدر فلا تنفع معهم العهود ، ولا تربطهم المواثيق ، فأمر عليه السلام مناديا فنادى فى الناس : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة .

ومع ما كان عليه المسلمون من نصب . بعد طول حصار الاحزاب فقد خفوا لهذا القتال فخرج ثلاثة آلاف ، وتوجهوا الى حصون بنى قريظة فى الجنوب الشرقى من المدينة ، وحين رأى بنو قريظة جيش المسلمين القى الله الرعب فى قلوبهم ، وأرادوا التنصل مما فعلوا ، ولكن أنى لهم ذلك ؟ وقد ثبت للمسلمين غدرهم ، فلا مناص من مقاتلتهم ، فأسرعوا باغلاق حصونهم عليهم ، فحاصرهم المسلمون ، وقد ظل هذا الحصار خمسة وعشرين يوما أو شهرا ولم يجرؤ بنو قريظة خلال مدة الحصار على الخروج من الحصون مرة واحدة ، وأيقنوا أنه اذا استمر الحصار أكثر من ذلك سيموتون جوعا وأن حصونهم غير ما نعتهم من الهلاك شيئا . بل لا بد من وقوعهم فى قبضة المسلمين ، وحينئذ يعرضون على الرسول الجلاء واللحاق باخوانهم فيأبى الرسول الا التسليم دون قيد أو شرط . ولا بد من الرضا بما يحكم به عليهم ، فاختاروا (سعد بن معاذ) زعيم الأوس وحليفهم قبل الاسلام ، فحمل سعد — لأنه كان جريحا — ويأخذ العهد على الطرفين بقبول الحكم .

فماذا حكم سعد .. ؟ حكم بقتل المقاتلة ، وسبى الذرية والنساء ، وقسم الأموال . فقال الرسول عقب الحكم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة .

ثم خرج الرسول الى سوق المدينة وأمر بحفر خنادق فيها ، ثم جىء باليهود ارسالا فضربت أعناقهم ، وفيهم حيى بن أخطب من بنى النضير لأنه كان معهم وقت الموقعة وفى عنقه دمهم ، وفى هذه الخنادق دفنوا ، وكان عدد القتلى ما بين أربعمائة الى ستمائة فى أصح الروايات . فان بعضها تقول كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة ، ويبدو لنا أن هذه الرواية تذكر عددهم جميعا لأن القتل لم يعمهم جميعا .

كما هو ظاهر قوله تعالى : « وانزل فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » كما الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب أن عددا قليلا منهم أسلم .

وقد وزع الرسول أرض بنى قريظة على المسلمين .

الجريمة والجزاء :

لم يكن بنو قريظة يتوقعون هذا الحكم من سعد حليفهم ، بل كانوا يظنون أنه سيصنع معهم مثل ما صنع ابن أبى مع بنى قينقاع أو مثل الحكم على بنى النضير ، ولكن شتان بين

الرجلين وبين الموقفين ، فسعد قد ذهب الى بنى قريظـــــة ليثنيهم عن موقفهم فى غزوةالاحزاب ــ كما سبق لنا ذلك ــ فقالوا : من الرسول ؟

أمامه ، ويضاف الى ذلك أن جريمتهم تختلف عن جريمة كل من بنى قينقاع، وبنى النضير ، وان كانت كلها جرائم غدر وخيانة . غير أن جريمة بنـــى قريظة كانت أشد خطرا وأعظم فتكا من الجريمتين الســـــابقتين . لأن المسلمين كانوا فى كل منهما فى حالة تمكنهم من الدفاع عن انفسهم . أما موقفهم وقت جريمة بنى قريظة ، فقد كان محفوفا بالخطر من جراء الحصار المحـــــكم الذى ضربه الاحزاب حول المدينة ، فلم يكن فى امكانهم الدفاع عن انفسهم .

ولعل سعدا ذكر وقت نطقـــــه بالحكم . ماذا كان يحدث . لو أن الاحزاب انتصروا بخيانة بنى قريظة ؟

فقــدر أنهم كانوا سيســــــتأصلون المسلمين ويمثلون بهم فان ســـعدا حليفهم ويعرف طبيعتهم ، وما جبلوا عليه من غدر وخيانة وتآمر وخلق ردىء ، فيؤمن بأنه لو أبقى علـــى حياتهم لا يهدأ لهم بال حتى يؤلبوا الاحزاب من جديد ضد المسلمين ، ولو ظفروا بهم لقطعوهم اربا اربا .

فالحكم الذى أصدره ســـــعد على قسوته انما أصدره متأثرا بالدفاع عن النفس معتبرا بقاء اليهــــــود أو زوالهم مسألة حياة أو موت بالنسبة للمســــــلمين فهو حكم تقره قوانين الحرب ، وقوانين السلم ولا عجب فهو حكم السماء ألهمه الله لسعد .

ولم يكن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم الا منفذا ، فأمر بقتـــل المقاتلة ، وسبى الذرية والنساء ، وقسم الاموال ، وأورث الله المسلمين أرضهم وديارهم فنـــــالوا جزاءهم وشربوا الكأس المرة . كما تجرعهـــا فى الوقت نفسه اخوانهم بالشام من يد (هرقل) بعد غلبته (كسرى) من جراء ما فعلوه بنصارى الشام حينما كان الظفر لفارس .

وأيا ما كان الامر فقد طهـــــرت قاعدة الاسلام (المدينة) من الخطر اليهودى الذى كان مسيطرا على جزء من منطقة قلب المدينة ، وعلى نقطة حاكمة فى الجنوب الشرقى . وأراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة ، ولم يبق الا بقية من كبارهم بخيـــبر من أهلها ، وعما قريب يشربون الكأس حتى الثمالة .

ووطد القضاء على طوائف اليهود الثلاث للمســـلمين فى المدينـــة فقد كسرت شوكة المنافقين حلفاء اليهود وخفت حدتهم ، وقل خطرهم ، ولم يعد فى المدينة قوة غير قوة المسلمين، وذهبت العرب تتحدث بقوة المسلمين وسلطانهم وقوة محمد ورهبة جانبه، فمهد هذا لنشر الدعوة الاسلاميـــة على أوسع نطاق ومهد للقضاء على اليهود الذين يقيمون قرب المدينة .

حتى تطهر بلاد العرب من رجسهم ، وتستقر الدولة الاسلامية ، فكان غزو خيـــــبر ، وفدك ، وتيماء ووادى القرى ..

فالى خيبر ..

مائدة القارئ

الزهـــــراوان

روى أبو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران ، فانهما يأتيان يوم القيـــامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف . اقرءوا البقــرة فان أخذها بركة ، وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة .

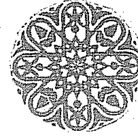
رواه مسلم

عـد الى ظلـك

بينما عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ في ارض له ، في العالية ، في يوم صائف اذ راى رجلا يسوق جملين ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر !!.. فقال عثمان : ما على هذا لو اقام بالمدينـــة حتى يبرد ثم يخرج حينئذ ؟.. ثم دنا الرجل ، فقال عثمان لمولى له : انظر من هذا ؟.. فقال : ارى رجلا معمما بردائه يسوق بكرين ، ثم دنا الرجل ، فقال : انظر من هذا ؟.. فنظر .. فاذا هو عمر ابن الخطاب .. فقال: هذا امير المؤمنين ! فقام عثمان فاخرج رأسه من الباب ، فاذا لفح السموم !!.. فأعاد رأسه ، حتى اذا حاذاه قال : ما اخرجك في هذه الساعة ؟ فقال : بكران من ابل الصدقة تخلفا ، وقد مضى بابل الصدقة ، فأردت أن ألحقهما بالحمى ــ المرعى ــ وخشيت أن يضيعا فيسألني الله عنهما ..!! فقال عثمان : هلم الى الظل والماء ونكفيك !. قال : عد الى ظلك قال عندنا من يكفيك !. قال : عد الى ظلك !!.. ومضى ..
فقال عثمان : (من أحب أن ينظر الى القوى الأمين فلينظر الى هذا !!) .

جهـــاد العلمـــاء

استدعى المندوب السامى الفرنسى الشيخ عبد الحميد الجزائرى وقال له : أما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الافكار والا ارسلت جنودا لاغلاق المسجد الذى تنفث فيه هذه السموم ضدنا واخماد أصواتكم المنكرة .
فأجاب الشيخ عبد الحميد : أيها المسيو الحاكم أنك لا تستطيع ذلك ..
فاستشاط غضبا وقال : كيف لا أســتطيع !.
فقال له : اذا كنت فى عرس علمت المحتفلين ، واذا كنت فى مأتم وعظت المعزين ، وان جلست فى قطار علمت المسافرين وان دخلت السجن أرشدت المسجونين ، وأن قتلتمونى التهبت مشاعر المواطنين ، وخير لكم أيها المسيو أن لا تتعرضوا للأمة فى دينها ولغتها .



(وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)

سورة يوسف

التسبيح أو الاستغفار

قال رجل للامام ابن الجوزى :
أسبح أو استغفر ؟.
فقال : الثوب الوسخ أحوج الى الصابون منه الى البخور .

مع الامام الشافعى

لما قدم الشافعى مصر قال له عبد الله بن الحكم :
اذا أردت أن تسكن هذا البلد فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به .
فقال له الشافعى :
يا أبا محمد من لم تعزه التقوى فلا عز له .. ولقد ولدت بغزة وربيت بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة ، وما بتنا جياعا قط .

أبو العتاهية وخادمه

عرف أبو العتاهية بالبخل والتقتير ، وتندر به الرواة :
يقول أبو الفرج عن الخريمى : (كان لأبى العتاهية خادم أسود طويل كأنه محراك أتون ، وكان يجرى عليه فى كل يوم رغيفين ، فجاءنى الخادم يوما ، فقال : والله ما أشبع ، فقلت وكيف ذاك ؟ قال : لأنى لا أفتر عن الكد وهو يجرى على رغيفين بغير إدام فان رأيت ان تكلمه حتى يزيدنى رغيفا فتؤجر ، فوعدته بذلك فلما جلست معه مر الخادم بنا ، فقلت : يا أبا اسحاق . كم تجرى على هذا الخادم فى كل يوم قال : رغيفين . فقلت : لا يكفيانه . قال : من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير ، وكل من أعطى نفسه شهواتها هلك .
ثم مات الخادم فكفنه فى ثوب خلق ، فقلت : خادم قديم الحرمة طويل الخدمة تكفنه فى ازار خلق ، وانما يكفيك له كفن بدينار ، فقال : انه يصير الى البلى والحى أولى بالجديد من الميت ، فقلت له : يرحمك الله فقد عودته الاقتصاد حيا وميتا) .

المفاوضات بين العرب
ابان فتوح الشام في ضوء ماورد

للأستاذ احسان صدقي العمد

عرف العرب فى تاريخهم قبل الاسلام نماذج مختلفة من العلائق والاتصالات سواء فيما بينهم داخل الجزيرة العربية ، أو بينهم وبين الدول والشعوب المجاورة لجزيرتهم ، وكان يحكم هذه العلاقات بصفة عامة عوامل اقتصادية سياسية كما هو الحال بالنسبة لنظام الايلاف الذى وطدته قريش وأمنت بموجبه الطرق التجارية داخل الجزيرة وحرية التبادل التجارى والاقتصادى مع الاقطار المجاورة ، وما كان من تحالف سياسى معروف بين مناذرة الحيرة والفرس من جهة والغساسنة والروم من جهة أخرى .

لكن جوهر تلك العلاقات وهدفها كان فى المقام الاول تحقيق المنافع المادية والمصالح المشتركة بين الاطراف المعنية دون النظر الى أى اعتبار آخر ، وهو أمر طبيعى فى غياب حمل أى من تلك الاطراف لعقيدة سامية أو مذهب صالح يسعون لنشره والانتصار له .

الاسلام والجهاد فى سبيله :

واستمر الحال على هذا المنوال حتى ظهر الاسلام فى جزيرة العرب ، وقضت حكمة الله عز وجل ان تكون الامة العربية طليعة المؤمنين بالدين الجديد والمكلفة بتبليغ رسالته الى أمم الارض وشعوبها . فكان أبناؤها خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وقد اختط الله لهذه الأمة طريق الجهاد فى سبيل الله وأمرهم بازالة الحواجز والقوى المعادية التى تقف فى وجه انتشار دعوة الاسلام ووصولها بحرية وسلام الى عقول الناس وأفئدتهم كما نص على ذلك العديد من الآيات البينات وبخاصة فى سورة التوبة .

وحياة الرسول صلى الله عليه

المسلمون والروم

في كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي

وسلم كلها كانت جهادا فى سبيل الله، وكان آخر عمل قام به من أجل هذه الغاية ، هو تجهيز جيش عربى اسلامى لفتح بلاد الروم التى تم فتحها فى عهد خليفتيه أبى بكر وعمر . ذلك ان الاسلام حدد موقفه بشكل واضح وصريح من جميع أقطار الارض وشعوبها . فهو يرى أن الارض ملك لله الذى استخلف عليها الناس ، وان أحق من يمتلك هذه الارض عباده الصالحون . ووفقا لهذه النظرية ينقسم العالم كله فى نظر الاسلام الى منطقتين أو دارين كما يذهب الفقهاء دار اسلام ودار كفر أو دار سلام ودار حرب . لان المنطقة التى يظلها الاسلام هى دار السلام ، والتى يسيطر عليها الكفر انما هى دار حرب ينبغى على المسلمين مجاهدة أهلها حتى يدخلوا فى ظلال الاسلام . ولم يكتف الاسلام بذلك بل حدد طريقة الجهاد ونشر الرسالة الاسلامية وذلك بالدعوة الى سبيل الله أولا بالحكمة والموعظة الحسنة وهو ما يعرف بالدعوة السلمية ، فأذا لم يستجب أهل الكفر لهذه الدعوة كان عليهم أن يختاروا بين اثنين لا ثالث لهما فأما الحرب والقتال ، واما القبول بحكم الاسلام حتى يتسنى للكافرين ان يتصلوا بالمسلمين اتصالا مباشرا فى حرية ويتعرفوا منهم على دينهم واخلاقهم ومعاملاتهم . فأذا تم لهم ذلك انشرح صدرهم للاسلام ودخلوا فى دين الله أفواجا دون جبر أو اكراه ، لان الاسلام دين الفطرة يقبله ويتقبل عليه كل صاحب عقل منزه عن التعصب والهوى .

وعلى هذا الهدى وهذه المبادىء وليس غيرها خرجت طلائع جيوش العرب المسلمين للجهاد والفتح . وقراءة متأنية فى المصادر والاصول

تكشف عن يقين أى امة كنا واى ايمان كان يحرك المسلمين ويجعل منهم عمالقة تتضاءل عند أقدامهم قامات الرجال .

كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفى :

وتلك وقفة قصيرة لا بد منها لفهم المفاوضات التى جرت بين العرب المسلمين والروم ابان فتوح الشام ، كما أوردها الأخبارى المؤرخ احمد بن محمد بن على المعروف بابن أعثم الكوفى المتوفى عام ٣١٤هـ/٩١٦م ، فى كتابه المسمى كتاب الفتوح ، والذى يطلق عليه صاحب الذريعة فى تصانيف الشيعة اسم كتاب فتوح الاسلام . ويتناول الكتاب فتوح المسلمين الاولى حتى نهاية الدولة الاموية ويذيله بأهم الوقائع التى حدثت فى عهود الخلفاء العباسيين الاول حتى المعتصم بالله . وبالرغم من ان الكتاب كان معروفا بين كتب التاريخ الاسلامى حتى أنه ترجم الى الفارسية أواخر القرن السادس الهجرى ، الا أنه لم يعثر الا مؤخرا على نسخ عربية مخطوطة عنه . وتقوم بنشره حاليا مشكورة دائرة المعارف الاسلامية بحيدر آباد الدكن بالهند ، وتوجد منه بجامعة الكويت نسخة مصورة عن نسخة استانبول . وقد بدأ هذا المخطوط يحظى باهتمام المشتغلين بالدراسات الاسلامية لما يتضمنه من معلومات قيمة وتفصيلات ضافية ، توضح بعض الروايات المختصرة لدى الطبرى بالاضافة الى انفراده ببعض الاخبار المتعلقة بحروب الردة وفتوح العراق والشام وخراسان وارمينيا واذربيجان والحروب بين العرب والخزر والعلاقات بين العرب والبيزنطيين .

بدء المفاوضات بين المسلمين والروم :

ويهمنا فى هذا المقال روايات انفرد صاحب الكتاب بذكرها حول مفاوضات جرت بين المسلمين والروم ابان فتوح الشام . ذلك ان ابا عبيدة عامر بن الجراح قائد جيوش المسلمين التى توجهت الى بلاد الشام ، أراد قبل أن يباشر الروم وحلفاؤهم من العرب الفساسنة القتال . ان يدعوهم الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ويقيم الحجة عليهم فأرسل اليهم بعثة سلام وهداية برئاسة هشام بن العاص شقيق عمرو ابن العاص ضمت جماعة من المسلمين من أهل الدين والحسب . ويصور لنا ابن اعثم لقاء البعثة أول الأمر بجبلة بن الايهم زعيم الغساسنة الذى كان يعسكر فى أربعين الفا من العرب المتنصرة فى غوطة دمشق ، فيقول ان افراد البعثة المسلمين « دخلوا عليه فى مجلس له مزخرف وعلى يمينه كراسى الذهب والفضة ... وعلى جبلة يومئذ ثياب سود وتاجه على رأسه فلما نظر المسلمين أومأ اليهم ان اجلسوا ، فجلس المسلمون بعيدا منه واذا رسول جبلة قد أقبل اليهم فقال لهم : يقول لكم جبلة ما حاجتكم ؟ فقال هشام للرسول : ارجع اليه فقل له : ان اردت كلامنا فانزل عن فرشك وكلمنا ، فانطلق اليه الرسول فخبره بذلك ، فنزل جبلة عن فرشه تلك المرتفعة التى كان عليها الى فرش دونها ، ثم جلس عليها واومأ الى المسلمين تقدموا ، فتقدموا وجلسوا قريبا من فرشه ، ثم كلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام ورغبه فيه وقرأ عليه كتاب الله عز وجل وخبره بأمر الجنة والنار ، فأبى جبلة ذلك ونفر من الاسلام نفرا شديدا . فقال له

هشام : اذ قد ابيت ما دعوناك اليه فاني مسائلك ما هذه الثياب السود التى أراها عليك ؟ فقال جبلة : انى لبستها نذرا على ان لا انزعها حتى أخرجكم من الشام . فتبسم هشام ثم قال : يا جبلة انك والله لن تقدر ان تمنع مجلسك هذا منا والله لنأخذنه ولناخذن ملك الملك الأعظم (قيصر الروم) وبذلك خبرنا نبينا الصادق عليه السلام ... فلا تشك فى ذلك يا جبلة فأسود وجه جبلة ... ثم قال : الى بعثتم أم الى الملك الاعظم ؟ فقال هشام بعثنا اليك واليه . قال : فسيروا اذا اليه فأن اجابكم الى ما تريدون اجبتكم ولم اتأب عليكم .

وهكذا أدت البعثة الاسلامية دورها المشرف وختمت مهمتها بتوجيه انذار شديد اللهجة الى جبلة الذى اضطر الى تعليق قبوله مطالب المسلمين على موقف قيصر الروم .

قيصر يرفض دعوة البعثة :

غادرت بعثة المسلمين برئاسة هشام بن العاص مقر جبلة فى غوطة دمشق وتوجهت الى انطاكية لتبليغ قيصر الروم رسالتها . ويحدثنا ابن أعثم كيف كبر المسلمون لدى وصولهم باب قيصر حيث منعهم من مواصلة التكبير وادخلهم قصره باعتبارهم رسلا . وكيف كان الروم يحسبون الحساب كله للتكبير الذى كان يطلقه المسلمون لدى فتحهم المدن والحصون .

غير ان هرقل قيصر الروم الذى أكرم وفادة البعثة رفض دعوة الاسلام خوفا من أن يؤدى ذلك الى انتزاع ملكه وسلطانه . وقد رفض هشام واصحابه قبول أى هدية من هرقل ، وعادوا الى ابى عبيدة بن الجراح ، فاخبروه بما كان من أمر جبلة وهرقل . فاستشهد أبو عبيدة بالآية الكريمة « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » .

وهنا لم يبق أمام المسلمين من خيار سوى قتال المشركين فاجتاح المسلمون البلقاء فى شرق الاردن ، وواصلوا تقدمهم شمالا حتى افتتحوا دمشق واوقعوا فى جموع الروم وحلفائهم فى اجنادين بفلسطين . الا أن الروم لموا شعثهم من جديد وجاءتهم أمداد كثيرة من الشمال حتى اجتمع لديهم حوالى مائة الف ، لقيهم المسلمون فى موقعة فحل شمال وادى الاردن ، وانتصروا عليهم بالرغم من أن عدد المسلمين لم يكن يزيد على عشرين ألفا .

مفاوضات بين الروم والمسلمين قبيل موقعة فحل :

ويورد ابن أعثم أخبار مفاوضات طويلة جرت بين الروم والمسلمين قبيل موقعة فحل ، نوردها بشىء من التفصيل باعتبارها نموذجا ممتازا لمفاوضات العرب المسلمين مع أعدائهم فى ذلك الوقت . فقد بعثت الروم برسالة شديدة اللهجة الى ابى عبيدة جاء فيها : « أيها الشيخ أخرج أنت ومن معك من أهل دينك من بلادنا هذه التى تنبت الحنطة والشعير والفواكه والاعناب والخير الكثير ، وارجعوا الى بلادكم بلاد القحط والجوع والبؤس والفقر ، والا اتيناكم فيما لا قبل لكم به من الخيل والجنود ثم لا تنصرف عنكم وفيكم عين تطرف وقد أعذر من أنذر . »

رد ابى عبيدة :

ولم يكن أبو عبيدة ولا أى فرد من المسلمين ليقبل هذه الرسالة او الانذار

فحمل رسول الروم رسالة جوابية قال فيها : ان الله تبارك وتعالى هو الذى جاء بنا اليها ـ اى بلاد الشام ، ولم نكن بالدى نخرج عنها فقد ورثنا الله أياها فاخذناها باسيافنا وفتحناهـا عنوة وغنما ونزعها الله من ايديكم وجعلها فى ايدينا ، وانما البلاد بلاد الله والعباد عباد الله ، وهو ملك الملوك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير .. ولما رأى الله تبارك وتعالى قلة صبركم وكثرة صبرنا وقلة شكركم وكثرة شكرنا ، رآنا لهذه البلاد أهلا وابدلنا بلاد البؤس والشقاء ببـلاد الخير الكثير والعيش الرفيع والجناب الخصيب ، وكنا أحق بها وأهلهـا لايماننا بالله وكفركم به ، فلا تحسبونا تاركيها ومنصرفين عنها ولا خارجين منها الى غيرها ، فذروا عنكم تمنى الاباطيل والامانى الكاذبة . وأما قولكم بأنكم تأتوننا فيما لا قبل لنا به فوالله لا تأتوننا بجند الا أتيناكم بمثلـه أو أضـعافه ان شـاء الله ولا قوة الا بالله ، فكونوا من ذلك على يقين .

تراجع الروم عن التهديد والوعيد :

فلما أطلع الروم على هذا الجواب الشديد داخل قلوبهم الرعب والخوف وأرسلوا الى أبى عبيدة يقولـون : « ابعث الينا رجلا من صلحاء اصحابك حتى نسأله عما تريدون وتطلبـون وتسألون ، ونخبره بما عندنا وندعوكم الى حظكم ورشدكم . »

سفارة معاذ بن جبل :

لم يمانع أبو عبيدة فى ذلك حتـى يقيم الحجة على الكافرين قبل قتالهم ، فأرسل اليهم معاذ بن جبل الصحابى المعروف ، فأقبل اليهم معاذ علـى فرس له أدهم كما يصفه ابن أعثم وعلى رأسه عمامة حمراء عليه درع له سابغقد ظاهره بحريرة صفراء وقد تقلد بسيف له يمـان ، حتى اذا دنا من القوم نزل عن فرسه وأخذ بعنانه وجعل يقوده وهو يمشى اليهم . فقال بعضهم لبعض غلمانه : اذهب فامسك عليه فرسه . فقال معاذ للغـلام اليك عنى فانى أمسك فرسى ولا أحب أن يمسكه غيرى واستطاع معاذ بن جبل بنفاذ بضيرته وقوة موقفـه وسلوكه ان يلتزع أعجاب أعدائه به من قبل أن تبدأ المفاوضات بينـه وبينهم .

ونوجز ما فصله ابن أعثم من أمر هذه المفاوضات فى أن الروم سألوا معاذ عما يريد المسلمون وعن دعوتهم وحذروه من الاستهانة بقوة الروم . وقد أجابهم معاذ بأن الله تعالى قد أمر المسلمين بجهاد الكفار فى كل مكان حيث قال فى كتابه الكريم « يا أيها الذين آمنـوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » وأكد لهم أن المسلمين لا يعتمدون فى النصر على كثرة عددهم وانما يعتمدون فى ذلك على ربهم عز وجل . وقدم معاذ شرحا موجزا لرسالة الاسلام وبعض أحكامه الهامة وتعاليمه ، ومن بينها رأى الاسـلام فى عيسى بن مريم عليه السلام . وأكد لهم أن دخولهم فى الدين الجديد هو الذى يضع حدا للقتال ويجعلهم أخوة فى الاسـلام للعرب المسلمين فيتحد الجانبان لقتال الأعداء . وعرض عليهم أن أبوا ذلك دفع الجزية والاقرار بالـولاء والا فالقتال والمناجزة .

الروم يبداون فى تقديم التنازلات للمسلمين :

وهنا حاول الروم ان يزحزحـوا معاذا عن موقفـه بتقديم بعـض

التنازلات فقالوا له : « أنا نرى الأمر متباعدا بيننا وبينكم متفاوتا جدا . وقد بقيت خصلة واحدة نحن نعرضها عليكم ، نعطيكم أرض البلقاء وما والاها مما غلبتم عليه وتتنحون عن بقية أرضنا ومدائننا وتكتبون لنا عليكم بذلك كتابا نسمي فيه خياركم وصلحاءكم ونأخذ فيه عهودكم ومواثيقكم ، انكم لا تطلبون من أرضنا شيئا الا ما صالحناكم عليه ، ونعطيكم منا من الوفاء مثل ذلك وتنصرفون عنا ، وعليكم بأرض فارس فقاتلوا أهلها ونحن نعينكم على ذلك . فأجابهم معاذ : أما ما ذكرتم أنكم تعطونا أرض البلقاء ، فأن البلقاء وغير البلقاء من أرضكم بأيدينا ونحن عازمون على ان نجليكم من جميع أرض الشام ، وتكون بأجمعها لنا ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله » .

غضب الروم من كلام معاذ وطلبوا منه الرجوع الى المسلمين ، بعد أن توعدوه وقومه بأن يشتتوا شملهم فى الجبال لانه لم يقبل بشروطهم . فرد عليهم معاذ : أما فى الجبال فلا يكون ذلك أبدا . ولكن والله لنقتلن عن آخرنا أو نخرجكم منها اذلة وانتم صاغرون . وفى ذلك دلالة وأى دلالة على مدى أصرار المسلمين على النصر أو الشهادة ورفضهم المطلق للتراجع أو الانسحاب .

الروم توفد مبعوثا آخر لابى عبيدة :

ويبدو أن الروم لم يكونوا ليتوقعوا هذا الموقف الصارم من المسلمين كما مثله معاذ ، وخشوا ان يكون معاذ قد سلك هذا الموقف من تلقاء نفسه ، دون موافقة أبى عبيدة ، فطلبوا من الاخير أن يرسل لهم رجلا آخر من المسلمين لتوضيح الامر ومواصلة التفاوض أو يرسلوا اليه رسولا من عندهم فوافق أبو عبيدة على استقبال مبعوثهم الجديد . ويحدثنا بن اعثم عن الحيرة التى انتابت المبعوث الرومى لما شاهده من بساطة المسلمين وعدم استطاعته التفريق بين أميرهم وعامة جنده . وقد عرض مبعوث الروم على أبى عبيدة أن يأخذ كل راجل من جند المسلمين دينارين والفارس خمسة دنانير وثوبين ، فى حين يأخذ أبو عبيدة الف دينار ، وخالد بن الوليد خمسمائة ، ويرسلوا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الفى دينار ، مقابل جلاء المسلمين عن بلاد الشام واحتفاظهم ان شاءوا بأرض البلقاء وما والاها من بلاد الاردن .

فرد عليه أبو عبيدة ردا واضحا فصلا قال فيه : انى أخبرك ما عندى يا رومى . ان الله تبارك وتعالى بعث الينا رسولا وانزل عليه كتابا جعله رحمة للعالمين وحجة على الكافرين ، وقد أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال : اذا لقيتم الذين كفروا فادعوهم الى الايمان بالله ورسوله والاقرار بما جاء من عند الله ، فمن أجابكم منهم الى دينكم فهو أخوكم فى دينكم وشريككم فى حظكم له ما لكم وعليه ما عليكم . ومن أبى منهم الايمان فاعرضوا عليه اذا الجزية حتى يؤديها عن يد وهم صاغرون فأن كرهوا ان يؤمنوا وابوا أن يؤدوا الجزية فقاتلوهم . فأن قتيلكم المحتسب بنفسه شهيد فى جنات النعيم ، وقتيل عدوكم فى النار والعذاب الاليم ، فأن صدقتم يا رومى بما سمعتم وقبلتم ما أعلمتم فحظكم أصبتم والخير أريد بكم وان كرهتم ذلك وادبرتم عنه وكذبتم ، فابرزوا الينا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » ..

وهو ما حدث فعلا فى موقعة فحل

عام ١٣ هـ التى انتصر المسلمون فيها على جموع الروم بعد ان اقاموا عليهم الحجه ودعوهم الى دعوة الاسلام والسلام .

مفاوضات أخرى بين المسلمين والروم قبيل معركة اليرموك :

ويذكر ابن أعثم الكوفى أخبارا عن مفاوضات أخرى جرت بين المسلمين والروم قبيل معركة اليرموك فقد بعث ما هان قائد قوات الروم مبعوثا الى أبى عبيدة يطلب منه ارسال رجل من المسلمين له حب للتفاوض معه قبل الحرب . فاختار أبو عبيدة خالد بن الوليد للقيام بهذه المهمة التى رافقه فيها ميسرة بن مسروق العبسى مستشارا له .

خيمة المفاوضات :

ويصف لنا ابن اعثم الخيمة التى نصبها خالد لتكون مقرا لوفد المسلمين المفاوض بقوله « فلما أصبح ابن الوليد وعزم على المسير الى ماهان أمر بقبة حمراء فضربت له قريبا من معسكرهم ، ثم ركب خالد وركب معه ميسرة وسارا جميعا حتى نزلا على باب القبة ، ثم دخل خالد الى قبته فجلس وجلس معه ميسرة بن مسروق ووقف غلام ميسرة على باب القبة يمسك فرسيهما . » ويمضى ابن أعثم فى القول أن المفاوضات جرت فى مقر ماهان الذى أعجب بخالد ورجاحة عقله ، وبخاصة عندما أصر خالد على أصطحاب مستشاره ميسرة بن مسروق ، وأكد لماهان أن فى عسكر المسلمين أكثر من ألف رجل لا يستغنى عن رأيه ومشورته . وهنا يقف المرء اعجابا بالعبقرية العربية فى ذلك العصر ، ويفهم السر الكامن وراء الانتصارات الباهرة والمكانة المرموقة التى احرزها العرب المسلمون خلال فتره وجيزة من الزمن .

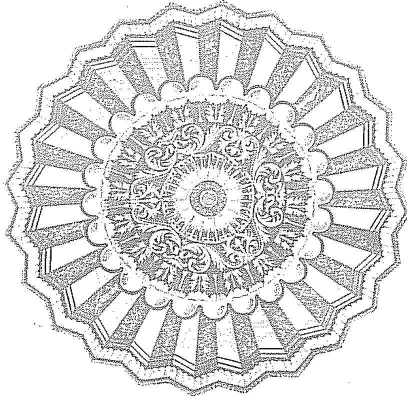
وقد حاول ماهان أن يتقرب الى خالد ويتودد له ، وابدى أعجابه بفسطاطه فوهبه خالد اياه ، ولكن ذلك لم يثن خالدا عن هدفه الاصلى وموقفه الثابت من المفاوضات وقد عرض ماهان على خالد ان يتنازل الروم للمسلمين عن جميع الاموال والاسرى الذين وقعوا فى قبضتهم خلال الحروب الاولى مع الروم ، وعرض دفع عشرة آلاف دينار لعمر ابن الخطاب وخمسة آلاف لابى عبيدة ومثلها لخالد ، ولمائة من رؤساء المسلمين لكل منهم ألف دينار ولكل من راجليهم خمسون دينارا . وذلك فى مقابل انسحاب المسلمين من بلاد الشام وعدم العودة اليها .

ولم يكن من الممكن قبول هذا العرض المادى الذى يصور المسلمين وكأنهم انما خرجوا طلبا لعرض الدنيا ومنافعها المادية لا لنشر الاسلام والدعوة الى رسالته الجديدة . وكان رد خالد واضحا كل الوضوح وهو أن المسلمين عندما خرجوا لفتح بلاد الشام كانوا يعرفون قوة الروم وحلفائهم وانهم انما خرجوا يحملون الاسلام لتبليغ رسالته للمشركين ، وبسط له تعاليم الدين الجديد ومبادئه وقال له : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا أن نقاتل من زعم ثانى اثنين أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، فان قلتم ذلك فقد حرمت علينا دماؤكم واموالكم الا بحقها ، وانتم أخواننا فى ديننا وشركاؤنا فى حظنا ، وان أنتم ابيتم ذلك فأدوا الجزية عن يد وانتم صاغرون ، فأن ابيتم ذلك قاتلناكم على

بصيرة ويقين انه من قتل منا كان حيا عند الله شهيدا مرزوقا ، ومن قتل منكم كان كافرا وصار الى النار مخلدا فيها ابدا . فاختر الآن يا ماهان ما احببت ، واعلم انه قد جاءك قوم هم احرص على الموت منكم على الحياة ، فاخرجوا بنا على بركة الله حتى نحاكمكم إلى الله ، فأن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

وصدق الله العظيم وعده وكتب النصر للمجاهدين الصابرين على الروم المشركين الذين رفضوا قبول دعوة الهدى والايمان .

ونتبين من هذه المفاوضات التى يفيض ابن أعثم الكوفى فى ذكر تفاصيلها ، أن العرب المسلمين خرجوا من جزيرتهم مجاهدين فى سبيل الله ونشر دعوته الاسلامية متمسكين بتعاليم دينهم وقدموا المهج والارواح رخيصة من أجل انتصار الاسلام . وقد حرصوا على دعوة المشركين الى اعتناق الدين الجديد قبل قتالهم ، ومن اجل ذلك أرسلوا الوفود واستقبلوا رسل الكفار واتصلوا بهم لتوضيح موقفهم وتبليغ المشركين رسالتهم الاسلامية بالطرق السلمية . الا أن أعداءهم أصروا على رفض دعوة الحق ، ولم يفطنوا الى التغيير الشامل الذى أحدثه الاسلام فى نفوس العرب وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس لهدايتهم . وظلوا يحسبون العرب المسلمين قوما خرجوا من الجزيرة من أجل الغزو والمغانم ، ولذلك كانت عروضهم خلال المفاوضات كلها تتمشى مع هذه النظرة الضيقة . وهو أمر كان لا بد أن يؤدى الى فشل جميع الاتصالات التى جرت مع الروم وبخاصة أن كل فرد من المسلمين كان يؤمن بحقه ويعرف هدفه ولا يفرط قيد انملة فيه ، مما أكسب العرب المسلمين قوة على قوة ومكنهم من الانتصار على أعدائهم ونشر الاسلام فى ربوع بلاد الشام وغيرها من أقطار المعمورة التى تعرف اليوم بالعالم الاسلامى .



مع الأمين العام للمنظمة الاسلامية العالمية

المؤتمر الإسلامي

تحقيق الأستاذ عبد الحليم عويس

منظمة المؤتمر الاسلامي

أسئلة كثيرة تتدافع الى ذهنك وأنت فى طريقك لمقابلة الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى الاستاذ « حسن التهامى » .

إن منظمة « المؤتمر الاسلامى » هى المنظمة الرسمية المسئولة عن المسلمين فى شتى أرجاء الأرض ، وهى الجهة المخولة من قبل الحكومات الاسلامية بالنظر فى الامور التى تتعلق بالمسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم .

وعقب قمة الملوك والرؤساء العرب فى الرباط (١٩٦٩ م) نشأت « منظمة المؤتمر الاسلامى » كتعبير عن ملامح مرحلة جديدة فى تاريخ المسلمين المعاصر .

وقبل ظهور المنظمة كان هناك « المؤتمر الاسلامى » الذى كان مقره القاهرة ، لكنه الغي بالاتفاق بين الدول المؤسسة له . ثم حاولت « رابطة العالم الاسلامى » ، وهى منظمة شعبية تتعاون مع الدول الاسلامية ، أن تلعب دور المؤتمر الاسلامى ، وقامت بجهود طيبة ، لكن المجال كان لا يزال بحاجة الى « منظمة رسمية » لها سمات العمل الرسمي وتنظيماته وامكاناته .

ومن هذا المنطلق ، ولدت منظمة المؤتمر الاسلامي ، التى يتولى أمانتها المستشار الاستاذ « حسن التهامي » الذى أعطانا — مشكورا — ساعة من وقته ، أثناء زيارة رسمية قصيرة (ليوم واحد) قام بها لدولة الكويت .

كن مع المتفائلين :

— هل نبدأ حوارنا مع الأمين العام للمؤتمر الاسلامى من نقطة « واقع

○ "القدس" المقر الدائم لمنظمة المؤتمر الاسلامي ..
○ بليون دولار : رأس مال البنك الاسلامي ..
○ جامعتان اسلاميتان في أوغندا والنيجر ..
○ قضية مسلمي الفلبين قضية ساخنة ..
○ تقنين الشريعة الاسلامية هو البداية لوجود الدولة الاسلامية

المسلمين » أم من نقطة « مستقبلهم »؟
— لقد حدد الأمين العام مسار الحوار (ومسار الاتجاه الحديث الذى يجب أن يتسم به العمل الاسلامى) حين قال لى :
« كن مع المتفائلين » ان كل الدعوات التى غيرت وجه التاريخ قد انطلقت من نقطة « تجاوز الواقع » ودعوتنا الاسلامية الانسانية العامة على رأس هذه الدعوات . ان الواقع المزلزل لم يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم فى « ظروف الخندق » أن يثق فى أن الله سيحقق وعده ، وأن رسالة الاسلام ستمتد من فوق أسوار « المدينة » المحاصرة ، الى آفاق الأرض كلها .. حتى يفتح الله بلاد كسرى وقيصر !!
— ومنظمة المؤتمر الاسلامى تنطلق فى « استراتيجيتها العليا » من هذه النقطة ... نقطة « استيعاب الواقع » والامساك بخيوط الأمل والنور من خلاله ، والتخطيط بالتالى للمستقبل .

● كيف .. ؟
أجاب الأمين العام :
— ان مقر الأمانة العامة للمؤتمر الاسلامى موجود فى « جدة » بصفة مؤقتة ، لكن مقره الرسمى ومركزه الاساسى الدائم فى مدينة « القدس » — كما قرر مؤتمر الرباط — ووجودنا فى « جدة » وجود مرحلي مؤقت .
ونحن — فى المنظمة — نواجه العصر ببرنامج انسانى عالمى ملائم لعالمية الدعوة الاسلامية .. اننا لا نريد أن تحد انطلاقتنا « جزئية وقتية » ولا « وجهة نظر عابرة » .. هناك — بجانب « مشروع عالمية الدعوة الاسلامية » — برنامج « النشاط العالمى للشباب المسلم » فى البلاد الاسلامية وغيرها .
وهناك برامج ثقافية وفكرية ورياضية واجتماعية ،سترصد لها أجهزة الرعاية الملائمة ، على مستوى الامكانات المادية وغيرها من العناصر اللازمة للنجاح . وهذه البرامج كلها عالمية الطابع .

● **وعن المشروعات الأخرى التى طال انتظارنا لها .. البنك الاسلامى مثلا .. ؟**

ــ أطمئنك ، وأطمئن الذين طال انتظارهم مثلك ، نحـــن فى عصر الدراسات الأكثر عمقا وأناة .. وفى ١٥ مايو الماضى ، عقد اجتماع للنظر فى اتمام الدراسات اللازمة التى قام بها المختصون . وبعــرض المشروع على مؤتمر وزراء خارجية الـــدول الاسلامية المنعقد بماليزيا ، يعلن قيام البنك الاسلامى ، وتتحدد فيه حصص الدول الاسلامية للمشاركة فى رأس المال ، ويتم ــ بالتالى ــ تشكيـــل مجالس ادارته ، ومشروعاته فـــى خدمة العالم الاسلامى .

ومن المقرر أن يبدأ « البنـــك الاسلامى » خطوته الأولى برأس مال قدره بليون دولار (ألف مليـــون دولار) .

● **ووكالة الأنباء الاسلامية ؟**

ــ لقـــد دخلت ضمن مشروع « التضامن الاســـلامى » ، وبازدياد تجميع رأس المال اللازم ستقوم هذا العام (١٩٣٤ هـ) ، فان مشروعهـــا المدروس مشروع متكامل ، وسيتم تمويله هذا العام ان شاء الله .

● **ونمد الطرف قليلا ، لنتعرف على خطـــة « المؤتمر الاســـلامى » فى نشر الاسلام بافريقيا .. ؟**

أجاب أمين عام المؤتمر الاسلامى :

ــ يقوم تخطيط منظمة المؤتمـــر الاسلامى لنشر الاسلام فى أفريقيا على ثلاث دعائم ، تمثل حصاد دراسة علمية طويلة واعية .

أولا : رعاية الشعوب الاسلاميـــة والجماعات الاسلامية بافريقيا ، وذلك لتثبيت انتمائهم للأمـــة الاسلامية . وأهم وسائلنا لتحقيق هــذه الغاية معاونة هذه الشعوب وتلك الجماعات على الحياة ، فقد أصاب الجفـــاف والقحط كثيرا من البلاد التى يقطنها هؤلاء . وان معاونتهم فى هذه الناحية ستفيدهم فى التغلب عــلى هــذه المصاعب ، وتثبيت قضية وجودهم وانتمائهم الاسلامى ، فضلا عن سد الباب امام الذين يستغلون امثال هذه الظروف لحرب الاســـلام وغرس المبادىء المستوردة .

ونحن نأمل أن يتم ذلك التعاون ، بجانب اطار التعاون العربى الافريقى ودعما له .

ثانيا : تعليم الدين الاســـلامى وتحفيظ القرآن الكريم ، وذلك عـــن طريق مد هذه الدول بالمـــدرسين والمبعوثين المسلمين . وهذا يتم ثنائيا بين الدول الأعضاء فى منظمـــة المؤتمر الاسلامى وافريقية .

والمنظمة بصدد دعم وتوسيع رقعة التعاون فى هذا المجال وتمويله .

ثالثا : تدعيم المراكز الاسلامية فى هذه البلاد ــ برسالتها المعروفة ــ وانشاء عدد من الجامعات الاسلامية بها . وهى آخر ما تقرر فى مؤتمـــر لاهور ، لكى تتخرج من هذه الجامعات أجيال من المثقفين ، يشاركون فـــى اقامة نظام الدولة الاســـلامية ، واطارات الحكومة الاسلامية الطابع ، بمـــا فى ذلـــك تأسيس كليات « للتكنولوجيا » والطب وغيرهما .

ونحن نرى أن الدول الافريقيـــة تحتاج وتهتم فعلا بهذا المستوى الرفيع من الثقافة الاسلاميـــة ، وتتمنى أن تحل محل الثقافات الأخرى الدخيلة عليها .

ــ والمؤتمر الاسلامى ، بصـــدد تنفيذ قرار « مؤتمر لاهور » الخاص بدراسة امكانية اقامـــة كليـــات الجامعات الاسلامية على أحـــدث النظم وأكثرها أصالة ، وضرورة دعم الفكر والعلوم والثقافة الاسلامية فى شتى ميادين الحياة الاسلاميـــة . ومعروف أن مؤتمر لاهور قد قـــرر ــ كبداية ــ بناء جامعتين : احداهما

فى أوغندا والأخرى فى النيجر .

وليس ثمة مانع من زيادة عـدد الجامعات فى البلاد الافريقية ـ بعد ذلك ـ فالاستعداد والقبول متوفران لدى كل دول المنظمة .

● **الأقليات الاسلامية ـ كما تعلم سيادتكم ـ تؤرق الضمير الاسلامى . ولكى أكون « عمليا » أركز ـ فى سؤالى حول قضية الأقليات ـ على قضيتين ، يتميزان بمستويين مختلفين: الفلبين وتايلاند .. ؟**

ـ أبدأ بالفلبين ..

المؤتمر مهتم بالفلبين ، لأنها قضية « ساخنة » كما يقولون . وقد نجحت المنظمة فى أن تصـل مـع الرئيس الفلبينى « ماركوس » الى نتيجـة ايجابية .. فقد وافق ماركـوس « كتابيا » لدول المؤتمر الاسـلامى على اقامة وكالة اغاثة للمسلمين فى الفلبين . ويتركز البحث الآن فـى وسيلة اقامتها وأسلوب عملها ورأس المال اللازم لها .

ـ أما قضية « تايلاند » فليست « ساخنة » على مستوى الفلبين . ومسلمو تايلاند يلقـون رعايـة واستعدادا طيبا للتفاهم من حكومتهم ولا تشابه بين مشكلتهم ومشكلـة الفلبين .

والذى نسعى اليه الآن هو تثبيت دعائم المسلمين فى جنوب تايـلاند ومشاركتهم فى الحكم .

وقد لقيت شخصيا من المسئولين الكبار فى حكومة تايلاند الاستعـداد الطيب لهذا التعاون ، وسأقوم بجولة لاحقة لإتمام ذلك ان شاء الله .

● **والتبشير ، بوسائله المعروفة ، أيضـا ، من مؤرقات الضـمير الاسـلامى . كيف يخـطط المؤتمـر الاسلامى لمواجهته ؟**

ـ نحن ـ فى المؤتمر الاسلامى ـ نواجه التبشير ببرنامج ايجابى محدد ، انه برنامج « احياء الدعوة الاسلامية » على مستوى عالمى ، وفق تنظيم عالمى وتمويل اسلامى عالمى . وذلك هـو الطريق الوحيد القادر ـ بعون الله ـ على وقف التيار الزاحف عـلى أطراف الأمة الاسلامية ، ومواجهته ، وتثبيت عقائد الأمة الاسلامية ، بل وتنميتها .

ومن الواجب علينا ألا ننزعج كثيرا مما حدث فى العامين الأخيرين من منجزات تبشيرية ، لأن الـدين الاسلامى قوى متين ، سوف لا يلبث أن يعيد الأمور الى نصابها ، بمجرد أن يبدأ هذا البرنامج . ومن واجبنا كذلك أن نخاطب وجدان المسلمين فى المناطق النائية التى تتعرض للزحف التبشيرى ، ونرعى مصالحهـم ، ونحميهم من ذلك الزحف الطـارىء المؤقت الانتهازى الطابع .

● **ومسلمو أوربا ـ سيادة الأمين العام ـ هل يلقون رعاية ثقافية من المنظمة .. ؟**

ـ هناك مشروع قائم بذاته خاص بأوربا ، يهدف الى رعايـة المراكـز الثقافية الاسلامية بها .

وقد تشكلت ـ فعلا ـ لجنـة دائمة لمتابعـة تحقيق هـذا الهدف . وسـوف يتبعهـا عمل مماثل فـى الأمريكتين هذا العام (١٣٩٤ هـ) . وكلمـا توفر المـال اللازم لهـذه النشاطات ، كلما زادت خطى السعى فى هذا الشأن .

ولست أخفى أن المؤتمر الاسلامى يرحب بمعاونة الدول الاسلامية فى دعم المنظمة العالمية بالمال والجهد . ونعتبر ذلك ركنا أساسيا من أركان الجهاد فى سبيل الله ، فى عصرنا الحالى .. عصر العلم والحضـارة والاقتصاد والفـكر والحـرب والسلام .

● **هـل تتكرمـون بتحديد موقف المنظمة من قضية « تغريب » المرأة المسلمة .. ؟**

ـ للمرأة فى الاسلام دورهـا وكرامتها وشرفها وأصالتها واحترامها ، سواء كانت ربة بيت أو عـاملة فى

المجتمع . لكن الاسلام عندما يقيم دعائم المجتمع المتين ، يصر على احترام وضع المرأة المسلمة ، في الدرس والبيت والمجتمع .

ويفكر المسئولون في المؤتمر الاسلامي ، كجزء من برامج النشاط الاسلامي — في افريقيا مثلا — في احياء المجتمع الاسلامي ، حتى يتحقق المستوى الرفيع لكيان هذا المجتمع بشتى أفراده وطبقاته .

وفي رأيي .. أنه مهما تحدثنا عن دور المرأة في بناء المجتمع الاسلامي ، فانه يبقى علينا أن نقرر في كل تشريعاتنا تنظيم مشاركة المرأة في العمل الايجابي ، بحيث تتحقق لها كرامتها الآدمية ، ويتحقق لها احترامها كامرأة ، وأيضا .. نحافظ على شعور المجتمع الاسلامي .

فاذا شاركت المرأة في عمل رسمي فلا بد أن ترعى هي — أولا — شروط الشريعة الاسلامية في معاملاتها وآدابها .. ويبقى على المشرع — بعد ذلك — أن ينظم تعاملها مع المجتمع ، وينسق ذلك في اطار حياة الأمة الاسلامية .

وعلينا جميعا شبابا وشيوخا — كمسلمين — أن نقف حراسا على المرأة ، حتى تنسجم مع المجتمع الاسلامي ، وحتى نحافظ على كرامتها وشرفها وسترها ، مهما تشعبت بنا السبل في عملية تخويلها ممارسة أعمال ما في الدولة الاسلامية .

● وسؤالنا الأخير — مع الشكر — يتعلق بموقف المنظمة الاسلامية العالمية من « القوانين الوضعية » في العالم الاسلامي .. ؟

— ثمة محاولة في « المؤتمر الاسلامي » لتقنين الشريعة الاسلامية في شتى المجالات ، بل حتى في الاقتصاد والقانون والتعليم ، بل وفي نظم الحرب وآدابها .

وغني عن القول : ان هذه الأمة الاسلامية ، والانسانية بعامة ، لن تجد خيرا من الشريعة الاسلامية أساسا رئيسيا لكل قوانينها . والمهم الآن : تقنينها ، بالشكل الذي يغني الأمة الاسلامية — تلقائيا — عن الرجوع الى دساتير وقوانين أجنبية .

واني لآمل من الله سبحانه وتعالى أن يمكن منظمة العالم الاسلامي من ايجاد هذه الموسوعة القانونية الشرعية في مدى عام ، لتكون مرجعا لكل الدول الاسلامية في التشريع .

وأحمد الله ، فان لدى العالم الاسلامي من المفكرين والباحثين ما يكفي لانجاز هذا العمل العظيم . ولا ينقصنا الا جمعهم على مستوى عالمي ، بعد توفير الامكانات اللازمة ، وبذل الجهد — بعد ذلك — لاخراج هذه الموسوعة ، وتعميمها بالطرق الممكنة .

وهذا العمل — من وجهة نظري — هو بداية وجود الدولة الاسلامية الكبرى ، حيث تعم الشريعة والقانون والدستور الاسلامي كل هذه الرقعة العريضة من الارض التي تعيش عليها الأمة الاسلامية ، وحيث يتمكن قادتنا وزعماؤنا الذين تضمهم منظمة « المؤتمر الاسلامي » العالمية — من الاستناد الى ذلك التشريع ، لتطوير النظم التقليدية الوضعية الأجنبية ، على الأسس الاسلامية ، بالتدريج ، عاما بعد عام . فيحققون — بذلك — الوجود الحضاري الأمثل للأمة الاسلامية .

نحو اقتصاد اسلامي متحرر - ٢

للدكتور : ابراهيم فؤاد احمد على

تعرضت فى المقال السابق الذى تفضلت المجلة بنشره فى عددها الممتاز رقم ١٠٩ الصادر فى غرة المحرم ١٣٩٤ هـ ـ يناير ١٩٧٤ م ، الى الدعوة الى الاخذ بالنظم الاقتصادية الاسلامية ، واشرت الى بعض المفاهيم الاسلامية التى تعتبر اساسا للمذهب الاسلامى والتى يدور فى اطارها النظم الاسلامية المختلفة بحسب الظروف الاقتصادية والاجتماعية لكل دولة اسلامية ، كما أوردت فى ختام ذلك المقال بيانا بموارد بيت المال الاسلامى .

وفى هذا العدد أتعرض لمورد (الزكاة) وهو من الموارد الرئيسية الشرعية لاية وزارة للخزانة أو المالية فى كل بلد اسلامى .

اولا ـ تعريف الزكاة

الزكاة فى اللغة هى الطهارة والنماء « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » والصدقة زكاة والزكاة صدقة ، يفترق الاسم ويتفق المسمى ، سميت بذلك لأنها تطهر المال وتنميه . يقال زكا الزرع اذا كثر ريعه ، وزكت النفقة اذا بورك فيها . والزكاة فى الشريعة هى « حق واجب فى مال خاص لطائفة مخصوصة فى وقت مخصوص » فهى عبادة من ناحية ، وواجب اجتماعى من ناحية أخرى ، وهى طهارة للضمير والذمة باداء الحق المفروض ، وطهارة للنفس من فطرة الشح وغريزة حب الذات ، فالمال غال وحين تجود به النفس للاخرين انما تطهر وتسمو وتشرق ، وهى طهارة للمال بأداء حقه وصيرورته بعد ذلك حلالا خالصا لصاحبه .

ولان فى الزكاة معنى العبادة لطلبها من المسلمين ، بلغ من لطف الاسلام الا يطلب من أهل الذمة من أهل الكتاب (النصارى واليهود مثلا) اداؤها واستبدل بها الجزية ليشتركوا فى النفقات العامة للدولة دون أن تفرض عليهم عبادة خاصة من عبادات الاسلام .

والزكاة ركن من أركان الاسلام الخمسة ، وفرض عين على كل من توافرت فيه شروطها . وقد فرضت فى السنة الثانية من الهجرة ، ودليل فرضيتها الكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى « واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » وحين بعث الرسول معاذ بن جبل الى اليمن قال له « ادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » وهذا الحديث يشير اشارة صريحة الى أن الزكاة من الموارد المالية الرئيسية للهيئات المحلية ، اذ أن الرسول أمر بجبايتها من أغنياء اليمن وانفاقها على فقرائهم .

وقد تشدد الاسلام فى ضرورة أداء الزكاة حتى أن الامر بأدائها ورد مقرونا بالصلاة فى اثنين وثمانين موضعا فى القرآن الكريم وتوعد مانعها بالعقاب الشديد ، قال تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » سورة التوبة ٣٥ ، ٣٦ . وعن النبى أنه قال « ان الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا وعروا الا بما يصنع أغنياؤهم ، الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا اليما » .

وقد قرر الفقهاء أن من منع الزكاة معتقدا وجوبها أخذت منه قهرا ، أما من انكر وجوبها وكان ناشئا ببلاد الاسلام بين اهل العلم فهو مرتد تجرى عليه أحكام المرتدين ويستتاب ثلاثا فان تاب والا قتل . وما حروب الردة التى قام بها الخليفة الاول أبو بكر الصديق حين منعت بعض قبائل العرب اداء الزكاة الا تطبيق عملى لبيان أهمية استيفاء الزكاة بمعرفة الدولة ، ولبيان عقوبة من يمتنع عن أدائها أو ينكر فرضيتها .

ثانيا ــ خصائص الزكاة

للزكاة خصائص متعددة لا يتسع هذا المقال القصير لتناولها ، ولكنى سأقتصر على ابراز أهم خصائصها باختصار . ومن خصائص الزكاة ما يأتى :

اولا ــ الزكاة ضريبة للدولة حق جبايتها وانفاقها :

يعتقد الكثيرون أن الزكاة احسان فردى متروك للفرد الحرية فى منحه أو منعه ولكن المدقق فيها يجد أنها ضريبة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ، وأنها من أهم الموارد الرئيسية للتكافل الاجتماعى فى المجتمع الاسلامى ، كما أن الحاكم مأمور بجبايتها وانفاق حصيلتها فى الأوجه التى حددها القرآن الكريم ، قال تعالى آمرا الرسول بجبايتها « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وقال تعالى مبينا أوجه انفاقها « انما الصدقات للفقراء والمساكين » الآية . ويتبين أن مصارفها كما توجه لنواحى التكافل الاجتماعى فى معظمها ، فانها توجه كذلك لقضاء المصالح العامة فى الدولة . وقد قام الرسول بجبايتها وانفاقها ، كما أرسل عماله لجبايتها من القبائل ، وبين لهم وعاءها وكيفية انفاقها . وقام بذلك الخلفاء الراشدون من بعده . وأبادر الى بيان أن الامر بأخذ الصدقة فى الآية

الشريفة المقصود به صدقة الفريضة وهى الزكاة ، وهي بخلاف صدقة التطوع المتروك امر منحها او منعها للفرد ، فان اداها استحق المثوبة وان منعهـــا فلا تثريب عليه .

ونحاول الآن اثبات ان الزكاة ضريبة . فالضريبة تعرف بأنها فريضة من المال تستأديها الدولة أو السلطات المحلية من رعيتها والقاطنين بها على قدر يسار كل مكلف لتمكينها من أداء المرافق العامة التى تضطلع بها . ولنبحث الآن أركان الضريبة لنرى مدى انطباقها على الزكاة :

١ ــ الضريبة فريضة ، أى ان أداءها واجب على المكلف فهو ليس حرا فى ادائها ولا فى اختيار مقدار ما يدفع منها ، ولا فى كيفية الدفع وموعده ، بل يحدد المشرع ذلك كله ويلزم الكافة باحترام هذا التحديد حتى ولو كان منهم من يعارضها . والزكاة أيضا فريضة فأداؤها واجب على كل من عنده النصاب حتى أن اليتيم يكلف وليه بأدائهـــا ، وحدد الشرع كيفية أدائها وموعده ، فمثلا زكاة الزروع تستحق عند نضج المحصول « وآتوا حقه يوم حصاده » .

٢ ــ لا تفرض الضريبة الا على الاشخاص لأن الضريبة تكليف او واجب وليس غير الشخص من يؤدى هذا الواجب فاذا فرضت ضريبة على المبانى مثلا فان الذى يكلف بدفعها هو صاحب المباني وكذلك الزكاة فان محل التكليف فيها الاشخاص مع انها مفروضة فى اموال مختلفة .

٣ ــ ان الضريبة لا تكون ضريبة الا اذا فرضتها سلطات عامة كالدولة بالنسبة للضرائب المركزية والسلطة المحلية بالنسبة للضرائب المحلية . وكذلك الزكاة فلم يتركها الله سبحانه وتعالى للحكام يفرضونها حسب أهوائهم ، بل فرضها الله وجعل ولاية جبايتها وانفاقها للسلطات العامة بشروط معينة ، وقد اوجب كثير من الفقهاء دفعها الى الامام حتى ولو كان جائرا .

٤ ــ تجبى الضريبة لاداء المرافق العامة التى تضطلع بها الســـلطات العامة ، فلا يدخل فى حسبان مقدار ما يفرض منها على المكلف مقدار النفع الذى سيؤول اليه بالذات من اداء هذه المرافق بل يوزن هذا التكليف بمقدار اليسار قل نفع المكلف أو كثر أو انعدم . وكذلك الزكاة فانها تجبى وينفق جزء منهـــا لأداء المرافق العامة فى الدولة بصرف النظر عما يعود على دافعها من منافع مادية وبقدر يسار كل مكلف تفرض الزكاة الواجبة فى أمواله .

ويتبين من هذا مدى توافر أركان الضريبة فى الزكاة والتى تجعلنا نحكم عليها بأنها فريضة تقوم الدولة بجبايتها وانفاقها ، وليست كما قد يظن البعض فى عداد الصدقات الفردية والتى يترك أمرها للافراد أنفسهم يخرجونها ان شاءوا او يمنعونها .

ثانيا ــ الزكاة من الضرائب المحلية :

من المعروف فى المالية الحديثة أن هناك ضرائب تفرضها الحكومة المركزية تتسم بالطابع الشخصى كضرائب الدخل واخرى تفرضها الحـــكومات المحلية تحصلها وتنفقها فى نطاقها المحلى وان لم تف الضرائب المحلية بنفقات الهيئات المحلية ، فعلى الحكومة المركزية أن تمدها باعانات مالية . والمعروف كذلك أن الاساس فى مالية الدولة الاسلامية أنها قائمة على أساس اللامركزية أو على نظام مالية الهيئات المحلية فى العصر الحديث ، فكل اقليم له موارده المـــالية الخاصة به ينفق منها ما يحتاج اليه من نفقات فى المرافق والمصالح المختلفة فان

بقي فضل من موارده أرسل الى بيت المال المركزى وان لم يبق شيء من تلك الموارد واحتاج الاقليم الى معونة بيت المال الرئيسى كان عليه اعانته .

والزكاة من الضرائب المحلية التي تؤخذ من المكلفين في مكان وتنفق على المستحقين من أهل ذلك المكان وما بقىبعد ذلك يرسل الى بيت المال الرئيسى لينفق على القرى القريبة من ذلك المكان والتي تحتاج الى الاعانة ، وقد اهتدت كثير من الدول حديثا مثل انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول الى قواعد مالية الهيئات المحلية التي عرفها الاسلام منذ حوالى اربعة عشر قرنا وجعلت للضرائب المحلية أهمية كبيرة من ناحية تحصيلها وانفاقها في مكانها .

وهناك الكثير من الأدلة التي تثبت أن ضرائب الزكاة بأنواعها المختلفة من الموارد المحلية ، أولها الحديث الشريف الذى أوردناه عندما أرسل النبى معاذا الى اليمن وأمره بأن يأخذ الزكاة من أغنيائهم وينفقها على فقرائهم ، وكذلك فان معاذا مكث باليمن أيام الرسول وأيام خلافة الصديق أبى بكر وأيام خلافة عمر بن الخطاب وحدث أن بعث معاذ الى عمربن الخطاب بثلث صدقة الناس فأنكر عليه عمر ذلك وقال له : لم أبعثك جابيا ولا آخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتردها على فقرائهم . فرد عليه معاذ بقوله : « ما بعثت اليك بشيء وأنا اجد أحدا يأخذه منى » فلما كان العام الثانى بعث اليه بشطر (بنصف) الصدقة فتراجعا بمثل ذلك فلما كان العام الثالث بعث اليه بها كلها (أى بعث اليه بالصدقة كلها) فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ذلك فقال معاذ « ما وجدت أحدا يأخذ منى شيئا » ويتبين مما حدث بين معاذ وعمر بن الخطاب أن الوالى على اليمن وهو معاذ لم يرسل الى بيت المال المركزى الا الفائض من موارد بيت المال الفرعى باليمن وأن مفهوم مالية الهيئات المحلية كان متأصلا فى فهمه وثابتا لديه بدليل انه كان يرد على عمر بقوله : إنه انما بعث اليه الفائض وأنه لم يجد أحدا يستحق شيئا من أهل اليمن .

وهناك دليل آخر على أن موارد بيت المال الفرعى — ومنها الزكاة — تنفق حيث تجبى وهذا الدليل يبين من انه روى أن زيادا أو أحد الأمراء بعث عمران على الصدقة فلما رجع عمران للأمير قال له الامير : أين المال ؟ فقال له عمران « أللمال بعثتنى » ؟ « أخذناها من حيث كنا نأخذها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعناها حيث كنا نضعها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهذه الواقعة تبين أن الامير سأل عن المال اعتقادا منه أن عمران كسائر العمال الذين يجمعون الاموال ويحملونها الى الامراء ليصرفوها فى مصارفهم الخاصة فأنكر عليه عمران ذلك وأوضح له أن المتبع فى عهد النبى هو صرف الزكاة لمستحقيها فى المكان الذى جبيت منه . الا اذا فاض منها شيء فانه ينقل الى مكان آخر عن طريق بيت المال الرئيسى .

وحديث آخر عن الامام أحمد بن حنبل أنه قال : « لا تخرج صدقة قوم من بلد الى بلد الا أن يكون فيها فضل عنهم لأن الذى كان يجيء النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر من الصدقة انما كان فضل عنهم يعطون ما يكفيهم ويخرج الفضل عنهم » ومن هذا يتضح أن نظام جباية الزكاة وانفاقها تفق مع أحدث النظم المالية للهيئات المحلية .

ثالثا — الزكاة ضريبة على راس المال والدخل :

من القواعد الاساسية فى النظم المالية أن الضرائب لا تقع الا على الدخل

لانها تتجدد سنويا فيجب أن يكون وعاؤها مماثلا لها في التجدد والتكرار والوعاء الذى تنطبق عليه تلك الشروط هو الدخل حيث أنه مال دورى يؤول للفرد . أما اذا تجاوزت الضرائب دخول الافراد وامتدت الى رؤوس أموالهم المنتجة لهذا الدخل وأخذت جانبا منها فانها تلتهم الثروة القومية تدريجيا وتمحق شيئا فشيئا رأس المال القومى ولو أنه قد تحصل بعض الاستثناءات لهذه القاعدة وتفرض الضريبة على رأس المال بنسبة كبيرة بقصد الاستيلاء على جانب منه يفوق الدخل الذى يدره .

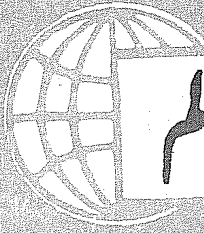
وهناك أسلوبان لربط الضرائب المباشرة على الدخل أحدهما ربطها على أساس رأس المال المنتج لهذا الدخل بحيث لا تقع الضريبة الا على الدخل المنتظر نتاجه من هذا المال ، والاسلوب الثانى ربطها على الدخل مباشرة بعد أن يقاس هذا الدخل باحدى طرق القياس المعروفة لدى السلطات المالية ، وللدولة الخيار فى اصابة دخل الفرد بطريق الضرائب المباشرة بين ربطها على الدخل ذاته أو ربطها على رأس المال لاصابة الدخل المنتظر أو الجائز نتاجه منه .

وقد روعى فى فرض الزكاة أنه لا بد من توافر النصاب المحدد لها والذى يختلف بحسب نوع المال المفروضة فيه كما أنها لا تجب الا فى مال نامٍ فعلا أو تقديرا حال عليه الحول (أى مضى عليه سنة) الذى هو مظنة انتاجه وأثماره ومظنة لأن يكون أداء الزكاة من ثمرته لا من أصله وقد أوصى الرسول باستثمار الاموال لتعطى عائدا تؤدى منه الزكاة فتحافظ بذلك على رؤوس الاموال وتكون متداولة غير عاطلة . ويؤيد ذلك الحديث الشريف « الا من ولى يتيما له مال فليتجر له فيه ولا يتركه فتأكله الصدقة » وفى هذا الحديث اشارة واضحة الى استثمار الاموال بمعرفة ولى اليتيم فما بالنا بأموالنا نحن .. ؟ من البديهى أنها أولى بالاستثمار ليمكن أداء الزكاة من عائدها .

وعلى ذلك فهل الزكاة ضريبة على رأس المال أم على الدخل .. ؟ الواقع أن للزكاة وضعا فريدا بين الضرائب فهى تجب فى رأس المال المتداول كالنقود وعروض التجارة (السلع المعدة للاتجار) ولا تجب فى رأس المال الثابت كالمبانى والارض وأدوات الحرفة التى يستعملها الصناع والحرفيون .. الخ . والزكاة بالنسبة للنقود وعروض التجارة تعتبر ضريبة على رأس المال المتداول والدخل معا حيث أنها تفرض فى نهاية العام على هذه الأموال بالنسبة لأصلها والدخول التى تولدت عنها ، أما بالنسبة لرأس المال الثابت فانها لا تجب فيه انما تجب على الدخل الناشىء عنه فقط ، فمثلا فى زكاة عروض التجارة فانها تجب على رأس المال المتداول وصافى الربح معا حسب نتيجة الجرد والحسابات الختامية فى نهاية العام اذ على التاجر أن يجرد ما عنده من سلع ويقومها ويضيف الى قيمتها ما عنده من أموال وديون قوية له فى ذمة الغير ويخصم من ذلك الديون التى عليه للغير (المطلوبات) والناتج هو وعاء ضريبة الزكاة . أما فى حالة المحاصيل الزراعية فان الزكاة لا تجب على الارض الزراعية وهى أصل ثابت بل تجب على المحصول الناتج منها بنسب خاصة فهى ضريبة على الدخل فى حالة رأس المال الثابت .

ونخلص من ذلك الى أن ضريبة الزكاة تجب على رأس المال المتداول أو العامل والايراد معا ، لا الايراد وحده كما هو الحال فى الضرائب الحديثة .

وسيكون موضوع المقال التالى باذن الله أنواع الاموال التى تجب فيها الزكاة .



قالت صحف العالم

وليس هو إلا الدين

لم يتعرض الدين أى دين كان ، والدين الحق بالخصوص ، في جميع العصور الماضية ، لمثل ما يتعرض له في العصر الحاضر من انكار وتشنيع ، فمن وصفه بأنه خرافة ، وانه أفيون الشعوب ، وانه ضد العلم وضد الحضارة .. الى الازراء على أهله ورميهم بأقبح التهم كالتعصب والنفاق والتخلف والرجعية ، وما الى ذلك ، هذا على حين أن الأكثرية من الأمم والشعوب ما تزال متمسكة بعقيدتها الدينية ، ومتشبثة بشعائرها من عادات وعبادات ، سواء كانت من أتباع الأديان السماوية أو من منتحلى الأديان الأخرى حتى الوثنية منها ، وذلك لأن حاجة البشر الى الدين كحاجتهم الى الطعام والشراب ، فإذا كان الجسم لا بد له من غذاء لاستكمال نموه والمحافظة على سلامته واستوائه ، فان الروح التى بها يعد الانسان إنسانا ، أولى بما يقيم أودها ويذكى شعلتها ، وليس هو إلا الدين .

وإنك لترى كثيرا من المسرفين على أنفسهم فى ساعات الحسرة والضيق والاضطرار ، فتلاحظ من تعلقهم بالله والتضرع اليه ورجاء رحمته ما تقضى منه العجب ، بل انى لا أشك فى أن أكبر الملحدين حين تنزل به النازلة لا يقوى لها على دفع ، من خطر عظيم يتعرض له ، أو داء عضال يصيبه ، بله حادث الموت إذ يستيقنه ، لن يتردد فى التطلع الى السماء والرجوع عن غلوائه ، مما يدل على أن التدين غريزة طبيعية فى الانسان لا يمكنه أن يتخلص منها ولا أن يتخلى عنها وأن أنكرها أحيانا وتوهم أنه يستطيع أن يعيش بدونها ، ولنقرأ على سبيل المثال قوله تعالى في شأن فرعون : (**فلما ادركه الغرق قال آمنت**) ، والأمثلة على ذلك من غير القرآن فى الواقع المحسوس ، والتاريخ المتداول ، والنصوص الأدبية ، شعرية ونثرية ، وصفية وذاتية ، كثيرة لا نستطيع أن نلم بها هنا .

إنما المشكل الذى تحار فيه الأذهان ، هو أن يكون هذا مقام الدين فى النفوس وعلى الصعيد العملى ، فى الوقت الذى تشن عليه الحرب التى لا هوادة فيها ، ويقاوم بكل الوسائل ، سواء فى البلاد التى أعلنت لا دينيتها بصراحة ، أو التى ما تزال تدعي بأنها متدينة رسميا .

والحقيقة أن المعركة ضد الدين ، ليست معركة الأمم والشعوب ، وإنما هى معركة طائفة من الناس استولوا على مقدرات بلادهم وأخذوا زمام السلطة فيها أما باستعمال القوة والعنف أو بطريق المكر والخداع ، فاستطاعوا أن ينفذوا مخططاتهم فى السياسة والاقتصاد ، وأن ينشروا أفكارهم التى تهدم دعائم المجتمع المتدين ، لأنه لا يتلاقى ومخططاتهم المبنية على فلسفة مادية إلحادية .

عن مجلة (الرائد) الهندية

الفتاوى

اذان الفجر

السؤال :

يطالب بعض الناس بمنع اذان الفجر من مكبرات الصوت بدعوى انه يزعج الاطفال ويؤذى المرضى ، فما راى الاسلام فى هذه الدعوى .. ؟

الاجابة :

الأذان شرع لاعلام أهل المدينة أو القرية أو الحى بدخول وقت الصلاة للتوافد على المسجد لأداء الفريضة ، ونظرا لاتساع المدن والقرى والأحياء وما تحدثه المواصلات والمصانع وازدحام الناس من جلبة وضوضاء فان الحاجة ماسة الى استعمال مكبرات الصوت للاعلام بدخول وقت الفريضة ، وصلاة الفجر تحين والناس نيام ، فهم فى امس الحاجة الى صوت يسمعهم ، ونظرا لما يطرأ على المسلمين فى هذه الفترة من كسل وتراخ واستسلام للنوم الذى يحرمهم من ثواب حضور هذه الصلاة المشهودة كانت الحاجة أشد الى من يهزهم للمبادرة لادراك فضل الله الذى يفيضه على من يشهد هذه الصلاة .

ولصلاة الفجر اهمية خاصة فقد قال الله تعالى : « وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » والتبكير فى اليقظة من النوم من أمارات النشاط والصحة والتأخر فى النوم من علامات الخمول والضعف ، ونحن فى عصر ننادى فيه بمضاعفة الانتاج ، واليقظة مبكرا خير عون على النشاط والعمل ، والاعتراض على أذان الفجر فى مكبر الصوت نتيجة لعدم تذوق حلاوة وثمرة اليقظة المبكرة ، ونتيجة لعدم تذوق حلاوة الطاعة والوقوف بين يدى الله سبحانه فى هذه الفترة من اليوم ، ونتيجة للسهر المضنى فيما لا ينفع ولا يفيد ، ولماذا لا نعود أطفالنا منذ نعومة اظفارهم هذه العادة الاسلامية الكريمة ، وأى شىء يقوى نفسية المريض أكثر من ذكر الله والالتجاء اليه سبحانه وطلب الشفاء من عنده ؟.

على أصحاب هذه الدعوة أن يتقوا الله ويجربوا بأنفسهم حلاوة الطاعة والعبادة والامتثال لأمر الله .

اجرة المواصلات

السؤال :

ركبت سيارة عامة ، واعطانى راكب (تذكرته) قبل ان ينزل فامسكتها بيدى ، ولما رآها المحصل لم يطالبنى بثمن تذكرة ، فهل هذا حرام أم حلال .. وما الحل اذا كان حراما .. ؟

الاجابة :

هذا تهرب واحتيال على دفع ثمن اجرة الركوب ، والراكب الذى اعطاك تذكرته شريك لك في الاثم ، ويجب عليك أن ترده (للهيئة التى تملك السيارة) وذلك بأن تشترى تذكرة ولا تركب بها ، أو تشترى تذكرتين واحدة لسداد الدين الذى عليك ، والاخرى ثمنا لركوبك مرة ثانية ، ولا داعى لاعلام المحصل بالقصة والله ستار كريم .

تصفيف الرجال
شعر النساء

السؤال :

هل هناك مانع شرعا يمنع الرجال من تصفيف وقص شعر النساء .. ؟

الاجابة :

قيام الرجل بتصفيف ، أو قص شعر المراة الاجنبية عنه حرام شرعا ، اذ يحرم على الاجنبى لمس جسم المراة أو شعرها الا عند الضرورة ، كأن يكون طبيبا لتشخيص المرض والعلاج ، وتصفيف الشعر أو قصه ليس من الضرورات التى تبيح ذلك .

ويجوز للمراة أن تقوم بهذا العمل .

فى الميراث

السؤال :

توفيت زوجة عن زوج وبنتين واب وام ، ولم تترك الا اثاث منزلهـــا ، وقدرت قيمته بالف دينار ، وتركت مؤخر صداقها وقدره ثلاثمائة دينار ، فهل يضم مؤخر الصداق الى التركة .. ؟ وهل يرث الزوج فيه .. ؟ وما نصيب كل وارث .. ؟

الاجابة :

مؤخرا الصداق يعتبر شرعا دينا للزوجة على الزوج ، يحل سداده أما بالطلاق أو بالوفاة ، وبناء على هذا اذا توفيت الزوجة كان مؤخر الصداق تركة لها ويورث عنها ، فيضم الى جميع تركتها ويأخذ كل وارث نصيبه الشرعى فيها بما فى ذلك مؤخر الصداق ، وتوزع التركة على النحو التالى :

— للزوج الربع . وللبنتين الثلثان . وللأب السدس وللأم السدس .

فتجمع التركة وتقسم على ١٥ مضروبة فى سهم كل وارث ليخرج نصيبه من التركة .

بريد الوعي الإسلامي

تفسير آية

أرسل القارىء السيد **وليد ابراهيم سعيد** يستفسر عن معنى قوله تعالى :
(وان منكم آلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) .

* * * * *

ونقول للقارىء الكريم جاءت هذه الآية الكريمة فـى معرض الحديث عـن البعث والمنكرين له :

(ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف اخرج حيا) ؟ .. ويقرر القرآن الكريم ان البعث اقرب الى التصور من النشأة الاولى (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئا) ؟ ثم يقسم الله سبحانه أنهم سيحشرون بعد البعث لا محالة **(فوربك لنحشرنهم)** ولن يكونوا وحدهم بل (والشياطين) جاثين على ركبهم فى ذلة وفزع حول جهنم .. ثم ينزع منهم من كانوا اشد عتوا وتجبرا ويلقون فى النار .. وان الله ليعلم من هم أولى بأن يصلوها .. وان المؤمنين ليشهدون هذا العرض الرهيب .. فهم يردون فيدنون منها وهى تتميز وتتلمظ ويرون الطغاة العتاة يقذفون فيها .. **(وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا)** .. ثم يزحزح المؤمنون عنها وينجون بأعمالهم **(ثم ننجى الذين اتقوا)** ويبقى فى العذاب أولئك الطغاة **(ونذر الظالمين فيها جثيا)** .

ومن هنا نرى أن ورود الجحيم المقصود فى الآية الكريمة بالنسبة للكفـار دخول فيها .. وبالنسبة للمؤمنين مرور بها ومشاهدتها عن قرب ..

وقيل : جميع الخلق يدخلونها فتكون بردا وسلاما على المؤمنين .. ووبالا ونكالا على الكافرين .

وقيل : ان الورود ممر عليها .. قال ابن مسعود : يرد الناس النار ، ثـم يصدرون عنها بأعمالهم ، فأولهم كلمح البرق ، ثم كالريح ، ثم كحضر الفرس (أى : كعدو الفرس) ، ثم كالراكب فى رحله ، ثم كشد الرحل ، ثم كمشيه .

وقيل : ورودها : حضورها .

وقيل أيضا : ورود المسلمين مرور على الجسر ، وورود المشركين دخولها .

نظرية دروين

كلما قرأت عن نظرية دروين أجد شكا فى صدرى وحيرة وقلقا .. فبعضهم يقول : نظرية دروين تتعارض مع الدين .. وبعضهـم الآخـر يقول : بل هـى لا تتعارض مع الدين ...

ارجو إجابتى عن الآتى :

١ ـــ هل اصل الانسان قرد أو اصله انسان . وما راى العلماء ؟

٢ ـــ هل ما ورد فى تفاصيل نظريه النشوء والارتقاء حقائق علميه يستطيع صاحبها ان يجزم بصحتها أم انها مجرد احتمالات ؟

٣ ـــ هل تتعارض فكره التطور مع الدين أم لا ؟

ارجو التكرم باجابتى مع الشكر .

على دهب عبد الجابر
كلية الاقتصاد ـــ جامعة الخرطوم

ونقول للقارىء الكريم :

اولا : ان اصعب مسالة من مسائل علم الحياة استبهمت على علماء الطبيعه هى : ما هو مبدأ الحياة ؟

ودينا يجيب على هذه القضية فى يسر وسهولة .. بما يتفق مع العقل الواعى والفطره السليمة .. فهناك قوة عليا هى التى أوجدت الحياة والاحياء .. وجعلت بين المخلوقات تنوعا وتفاضلا يدل على الخالق الحكيم .. الله سبحانه وتعالى **(انما امره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون)** . وكل الآثار الموجودة فى الكون والمشاهدات والقوانين الطبيعية المحسوسة تدل عليه سبحانه وتعالى بما لا يدع مجالا للشك أو الجدل ..

أما بعض علماء الغرب : فلسبب أو لآخر لم يشاءوا أن يؤمنوا بما هو فوق الطبيعة فراحوا يبحثون عن علة هذه الحياة .. وكيفية نشوئهاوتطورها ضاربين هنا وهناك محاولين التملص من الاقرار بوجود قوة عليا .. قادرة .. خالقة .. فلجأوا فى تسفير ظواهر الحياة الى القياس والخرص والرجم بالغيب . وقد قال الله : **(ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم)** .

لذا فالقول الحق هو قول القرآن الكريم **(لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم)** .. فقد خلق الانسان انسانا منذ اللحظة الأولى .. ولم يكن شيئا آخر غير كونه انسانا ..

ثانيا : ما قال دروين انه قد ادرك الحقيقة .. والقائلون بنظريته لا يعتبرون قياسهم حقيقة وفكرتهم واقعا .. بل قال دروين وقالوا : (نظن كذا) .. و (لعل كذا) .. ولكن اناسا ادعوا العلم تلقفوا النظرية ولقنوها لتلاميذهم على أنها حقيقة واقعة بعد أن حذفوا (نظن) و (لعل) . فما تزال نظرية النشوء والارتقاء حتى اليوم مجرد نظرية خيالية لا أساس لها فى الواقع .. والأمر الجدير بالاعتبار هو اليقين والواقع لا التخمين والرجم بالغيب .

ثالثا : ان الله سبحانه وتعالى خلق جميع الخلائق على ما هى عليها .. وأبقى منها على قيد الحياة ما تدعو اليه حاجة الانسان .. وهلك ما لم تعد هناك حاجة له (الله خالق كل شىء) .. وقال تعالى **(يايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب)** .

فليس هناك دليل واحد على تطور هذا من ذاك .. ولو انطلق دروين فى بحثه من حقيقة وجود الخالق لعلم ان التنوع والتفاضل من الخلية الواحدة الى الانسان الكامل جاء نتيجة لتخطيط حكيم مدبر .. وان الحكيم المدبر ما زال يخرج كل الانواع الى حيز الوجود بمزاياها المخصوصة المتنوعة بالتدريج .. تعالى الله وجلت قدرته .

بأقلام القراء

للاستاذ : ق . ق

ان المبادىء البشرية مهما تعددت اسماؤها ، وتغيرت الوانها تجمعها سمة واحدة وميزة بارزة ، وهذه الميزة البارزة هى انها لا تعترف بتوحيد الله ، وهذه المبادىء البشرية تسلك احد سبيلين لا ثالث لهما فى انكار وحدانية الله .

السبيل الأول هو ان تغالط ، وتكذب ، فتنكر وجود الله متخذة من هـــذا الانكار تبريرا لتصرفها فى وضع هذه المبادىء البشرية المعتمدة على الالحاد وانكار وجود خالق السموات والارض .

والسبيل الثانى ان تشرك بالله آلهة اخرى ، وتحدد واجبات كل اله .

وهذا النهج الذى نهجته المبادىء البشرية التى تدعى انها لا تنكر وجـــود الله ، أو لا تمنع عبادته وتقصد بالعبادة المفهوم الضيق الذى تحدده هى ، أو انها لا تمنع الناس من دخول المساجد أو وجود بعض المساجد التى لم تستطع هدمها حتى الآن والتى يؤمها بعض العجزة فى الوقت الذى لا يكون للشريعة أو المسجد اى توجيه فى الحياة العامة ، انه مسلك تعدد الالهة الذى انتشر فى بـــلاد اليونان فى عصرهم الذى يسمى بالعصر الذهبى فقد تعددت الالهة عندهم ، وحددوا واجبات كل اله ، فبعد ان صنعوا آلهة من حجر قالوا : هذا هو اله الجمال ، وهذا هو إله الحب ، وهذا هو إله الرياضة ، وهذا اله الحرب ، وهذا اله الزرع .

والمنطق الصحيح يقضى أحد أمرين ، اما أن تكون هذه آلهة حقا ، واما الا تكون كذلك ، فان كانت آلهة حقا فلا يستطيع أحد من البشر ان يحدد واجباتها . فيقول لها انت الهة للجمال فقط ، أو غيره . واياك اياك أن تتدخلى فـــى أمـــور اخرى . يا لها من آلهة عاجزة زائفة يحدد واجباتها المخلوق .

ولقد تكررت المهزلة فى القرن العشرين وظن مخترعو المبادىء البشرية ان خالق السموات والارض شانه شان الآلهة الزائفة ، التى اخترعها اليونان ، فقالوا انه داخل المسجد فاعبدوه داخله ، واياكم اياكم أن تعبدوه خارجه . وهذا يقال دائما على السنة أنصار المبادىء البشرية بلسان الحال ان لم يكن بلسان المقال ، بل أنهم يقولونه بلسان المقال وان اختلفت الاساليب والمعنى واحد ، فيقولون اتبعوا الاسلام داخل المسجد وادوا الصلاة لا نمنعكم منها ، ولكن إذا خرجتم من المسجد فاتبعوا سبيلا غيره اتبعوا للاقتصاد سبيل الاقتصاد الجماعى فانه لا

يتعارض مع الاسلام واتبعوا سبيل الديمقراطية للسياسة فان الاسلام ديمقراطي واتبعوا سبيل الوجوديه للتفكير فان بعض فلاسفة الوجوديه مؤمنون ، فلا ضير عليكم اذا اتبعتم سبيلها ، وعليكم باتباع فلسفة البراجماتزم النفعيه للاخلاق أو فلسفة فرويد سواء بسواء ، أما قواعد علم الاجتماع فعليكم باقتباسها من الغرب فان الاسلام يؤيد الحضارة الغربية بقضها وقضيضها وبشرها وخيرها (ان كان فيها خير) هذه الاقوال التي يرددها الكثيرون ، ويرددها البعض بجدية تامة لا اثر فيها للهنه ، ولا ادري من يخادع هؤلاء ، الا يعلم هؤلاء انهم اذا استطاعوا خداع بعض السذج والبسطاء فانهم لا يستطيعون مخادعة رب السماء وهم يتجراون على مبارزته ومسخ شرعه .

ان مثل هذه الحكايات التي تصدر من هؤلاء الذين يريدون تطبيق شرائعهم بدلا من شرع الله بدعوى أنهم مسلمون وانهم مؤمنون وانهم يحبون الاسلام ويريدون الخير له وهم يتصدرون لتصحيحه في نظرهم أو بالاحرى لتحريفه ان هذه الحكايات لا تروج الا على الجهلة فكيف على رب العالمين ؟ ان هؤلاء فيما اعتقد لم يبلغ بهم الغباء الى هذه الدرجة ، ولكنهم يريدون شق الطريق لدعواتهم الباطلة وأوهامهم الزائفة بالخداع والغش .

والخلاصة هناك ثلاثة طرق فحدد ايها المسلم موقفك منها :

١ ــ طريق الاخلاص والوضوح والاستقامة وذلك بتوحيد الله واتباع نظامه الذي أنزله من السماء وقام رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغه الى الناس على صورته النهائية سالما من التحريف والتغيير ، ومن مستلزمات اتباع هذا الطريق أن يكفر الانسان بما عداه لانه النظام الحق ، وما عداه باطل ، وهذا هو سبيل الاسلام ، وهذا هو المبدأ الذي مبناه على شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، ولا يبنى مبدأ سواه على هذا الاساس .

٢ ــ طريق التلون والخداع وانصاف الحلول والتسليم الجزئي ايثارا للسلامة ومعرفة الضعف الكامن في السبيل الذي يتبعونه وهو سبيل الاشراك بالله آلهة أخرى ، وهو الجانب النظري في هذا الطريق ، وأما الجانب العملي فهو الاشراك مع نظام الاسلام أنظمة أخرى ، وهو في الحقيقة عقد الهدنة بين الكفر والايمان وهي محاولة باطلة ، فهؤلاء يقومون بتشريع ما يشاؤون ، ثم يقولون ان هذه الامور خارج نطاق صلاحية الخالق ، ويشمل هذا الطريق جميع الانظمة التي اخترعها البشر خارج حدود الخلافة التي منحها الله للبشر للتصرف في هذه الارض بمقتضى حدود الله وتشريعه واوامره ونواهيه ، وهذه هي الانظمة التي تزعم أنها لا تحارب الدين أو لا تتعارض معه أو تؤيده مثل الديمقراطية والرأسمالية والاقطاعية والفوضوية والوجودية والجاهلية العربية التي تزعمها أبو جهل وابو لهب والتي حاربها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم رضخت لله في كل شأن من شؤون حياتها وكل مبدأ يدعى أنه لا ينكر الله صراحة أو جهرة وهذه المبادىء تقول ان هناك آلهة أخرى سوى الله بلسان الحال ان لم تقلها بلسان المقال .

٣ ــ طريق المكابرة والمغالطة وتزوير الحقائق وهو طريق انكار الله ، وهذه الفكرة ترتكز عليها كافة المبادىء الالحادية التي تنكر الله جهرة وعلى هذا الاساس وهو انكار الله سولت لنفسها أن تضع تشريعا بدلا من تشريع الله ، وقد تكون منطقته أكثر من الثانية لولا أن اثبات ما استندت عليه ضرب من المحال .

والله سبحانه وتعالى لن يقبل من البشرية الا أن تتبع الطريق الاول « ان الدين عند الله الاسلام » « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » .

أخبار العالم الاسلامي

اعداد الاستاذ فهمي الامام

الــكويت :

● احتفل بتخريج الدفعة الرابعة من الطلبة الضباط في كلية الشرطـــة برعاية سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ، وتتألف الدفعة من خمسين ضابطا كويتيا وضابطين من دولــة الامارات العربية ودولة البحرين .

● أعلن الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية والاعلام بالوكالة أن دعم الكويت لنضال الدول العربية يتم بدون اية مطالبة بثمن لهذا الدعم ، وأوضح أن تأييد الكويت المطلق لدول المواجهة لا صلة له بأي اعتبار آخــر غيــر التضامن الحقيقي والطبيعي بين الدول العربية .

● شاركت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية في الاحتفال بيــوم البيئـــة العالمي ، وذلك عن طــريق الـــوعظ والخطب لزيادة توعيـــة المواطنين للمحافظة على نظافة بيئتهم .

● انتهت لجنة التقويم الاســـــلامي المنبثقة عن مؤتمر وزراء الأوقــــاف والشئون الدينية والاسلامية العرب من وضع مشروع التقويم وفقا للأسس المتفق عليها ، والتي تجمع بين الحكم الشرعي والحساب الفلكي .

● أعلنت نتيجة امتحان الدور الأول في دار القرآن الكريم ، وكانت نسبة النجاح كالآتي :

السنة الأولى : فترة صباحية ٦٢٪ فترة مسائية ٨٠٪ .
السنة الثانية : فترة صباحية ٧١٪ فترة مسائية ٦٧٪ .
السنة الثالثة : فترة صباحيـــة ٥ر٨٢٪ فترة مسائية ٩٠٪ .



● يبدو في الصورة سيادة الوكيـــل الاستاذ عبد الرحمن المجحم وسيادة الوكيل المساعد الاستاذ عبد الرحمن الفارس وهما في زيارة لدار القرآن الكريم أثناء الامتحان .

● بدأت الدراسة الصيفية في مراكز جمعية الاصلاح الاجتمــاعي لتحفيظ القرآن الكريم ، وعددها ١٧ مركزا للبنين و ٣ مراكز للبنات ومما يذكر أنه مع تحفيظ القرآن الكريم تلقـــى دروس في التفسير والحديث والسيرة والفقه .

● وافق مجلس الوزراء عـــلى

المساهمة بمبلغ ٣٦ الف دينار . فى دعم المختبرات والمعامل العلميه لجامعة الازهر .

● اصدرت وزارة العدل احصائية بحالات اشهار الاسلام التى تمت فى قسم الاحوال الشخصية خلال عام ٧٣ . وقد بلغ عدد من اشهروا اسلامهم ٤٥ شخصا من جنسيات مختلفة .

مصر :

● صرح الأمين العام للجامعة العربية بأن مؤتمر القمة العربى سيعقد فى الأسبوع الأول من شهر سبتمبر المقبل بالرباط .

● استنكر مجمع البحوث الاسلامية فى اجتماع عقده برئاسة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر مشروع تيسير اللغة العربية وذلك بالتخلى عن القواعد الأساسية للغة واحلال العامية مكان الفصحى .

وحذر المجمع من خطورة هذا المشروع الذى يهدف الى قطع صلة المسلمين بقرآنهم وتراثهم الاسلامى .

السعودية :

● أمر جلالة الملك فيصل بتسليم قصر النيابة بجدة ليكون مقرا مؤقتا للبنك الاسلامى .

● بلغ عدد المسلمين فى الدنمرك ١٥ الف مسلم ، وقد تبرع جلالة الملك بمبلغ ١٠٠ الف جنيه استرلينى لمشروع بناء مركز اسلامى هناك .

● تلقى الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى قائمة تتضمن أسماء ثلاثين ضابطا فى حكومة الغابون قد اعلنوا اسلامهم .

ابو ظبى :

● بدأت وزارة الشئون الاسلامية الحديثة عملها بفتح مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، وتعميمها فى جميع الامارات .

عمان :

● قدمت وزارة الاوقاف وشئون المقدسات الاسلامية فى الاردن مجموعة من الكتب الثقافية الاسلامية الى الجامعة العربية الاسلامية فى الولايات المتحدة .

ليبيا :

● وافقت الحكومة الايطالية على انشاء مركز ومسجد ومكتبة اسلامية بروما وستتولى ليبيا الاشراف على هذا المشروع الاسلامى .

لبنان :

● افتتح فى بيروت المؤتمر الاسلامى العام . اشتركت فيه مختلف الهيئات الاسلامية فى لبنان . . وذلك للتنسيق بينها وتوحيد جهودها فى محيط الدعوة الى الله والعمل المثمر .

اخبار متفرقة

روما :

● وافق المجلس البلدى لمدينة روما على منح قطعة أرض مساحتها ٣٠ الف متر مربع فى شمال المدينة لمشروع بناء مسجد وقاعة محاضرات ومركز اسلامى .

اكرا :

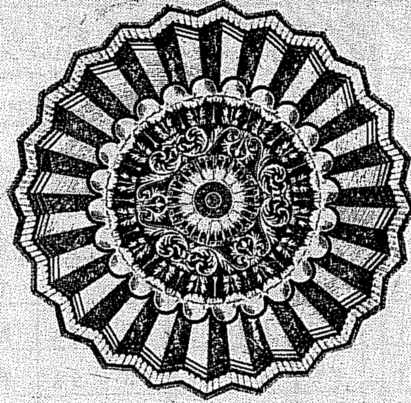
● تدرس منظمة الاغاثة الدولية الخاصة بالمسلمين انشاء جامعة اسلامية فى مالى تكون مهمتها الاشراف على كافة الدورات الاسلامية التى تعقد فى جامعات غرب افريقيا .

جاكرتا :

● أصدر وزير الداخلية قرارا باغلاق دور الفسق فى جاكرتا الشمالية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الآخرة	يونيو	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	ـ س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الجمعة	١	٢١	٣ ٢	٤ ٤٨	١١ ٤٨	٣ ٢٣	٦ ٥٠	٨ ٢٣	٨ ١٢	٩ ٥٨	٤ ٥٩	٨ ٣٣	١ ٣٣
السبت	٢	٢٢	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاحد	٣	٢٣	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاثنين	٤	٢٤	٢	٤٩	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الثلاثاء	٥	٢٥	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاربعاء	٦	٢٦	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	٣٣
الخميس	٧	٢٧	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	٣٣
الجمعة	٨	٢٨	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٥ ٠٠	٣٤	٣٣
السبت	٩	٢٩	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الاحد	١٠	٣٠	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الاثنين	١١	يوليو	٥	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤	١٤	١٠ ٠٠	٠٠	٣٤	٣٣
الثلاثاء	١٢	٢	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣
الاربعاء	١٣	٣	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣
الخميس	١٤	٤	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الجمعة	١٥	٥	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	٢	٣٥	٣٣
السبت	١٦	٦	٧	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٦	٢	١	٣٦	٣٣
الاحد	١٧	٧	٨	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٧	٢	١	٣٦	٣٣
الاثنين	١٨	٨	٨	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٣	١٨	٣	٢	٣٧	٣٢
الثلاثاء	١٩	٩	٩	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٢	١٩	٤	٢	٣٧	٣٢
الاربعاء	٢٠	١٠	١٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٢	٢٠	٥	٣	٣٧	٣٢
الخميس	٢١	١١	١١	٥٥	٥٣	٢٨	٥٠	٢٢	٢١	٥	٣	٣٨	٣٢
الجمعة	٢٢	١٢	١١	٥٦	٥٣	٢٨	٥٠	٢١	٢٢	٦	٣	٣٨	٣١
السبت	٢٣	١٣	١٢	٥٦	٥٣	٢٨	٤٩	٢١	٢٣	٧	٤	٣٩	٣١
الاحد	٢٤	١٤	١٣	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
الاثنين	٢٥	١٥	١٤	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٥	٩	٥	٤٠	٣١
الثلاثاء	٢٦	١٦	١٤	٥٨	٥٣	٢٨	٤٨	١٩	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الاربعاء	٢٧	١٧	١٥	٥٨	٥٣	٢٩	٤٨	١٩	٢٧	١٠	٥	٤١	٣١
الخميس	٢٨	١٨	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٨	١٨	٢٨	١١	٦	٤١	٣١
الجمعة	٢٩	١٩	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٢٩	١٢	٦	٤٢	٣٠



ام المؤمنين ..
السيدة زينب بنت جحش (رضى الله عنها)

اســـــمها : زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمـــر بن صـــبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة .

امهـــــا : أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم . عمة الرســـول صلى الله عليه وسلم .

زواجهـــــا : تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تطليقها من مولاه ومتبناه زيد بن حارثة .. لتشريع ابطـــال عادة التنبى التى كانت معروفة عند العرب ، وقد ذكر الله قصتها فى القرآن « فلمـــا قضى زيد منها وطـــرا زوجناكها لكى لا يكـــون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا » .

روايتها للحديث : روت عن النبى صلى الله عليه وســـــلم أحاديث .. وروى عنها عدد من الصحابة .

فضـــــلها : قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنها : « ان زينب بنت جحش أواهة » فقال رجل يا رسول الله : ما الأواه ؟ قال : « الخاشع المتضرع وان ابراهيم لحليم أواه منيب » .
وقالت عنها أم سلمة : « كانت صالحة صوامة قوامة » .
وقالت عنها عائشـــــة حين ماتت : لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل . وكانت رضى الله عنها تصنع بيديها أشياء وتتصدق بها فى سبيل الله .

وفاتهـــــا : قالت حين حضرتها الوفاة : انى قد أعددت كفنى وان عمـــر سيبعث الى بكفن فتصدقوا بأحدهما وان اســـــتطعتم أن تتصدقوا بحقوى فافعلوا . وكانت أول من ماتت بعـــد النبى صلى الله عليه وسلم من أزواجه .
رحلت الى جوار ربها سنة عشرين ، وقد صلى عليها عمر بن الخطاب .
رضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصــــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
المغــرب	:	الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
تونــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شــارع فرنســا .
لبنــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عــدن	:	مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن	:	عمــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جــدة : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العــراق	:	بغداد : وزارة الأعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .
قطــــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكــويت	:	مكتبة الكــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

بمطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية



السنة العاشرة ـ العدد ١١٥ ـ غرة رجب ١٣٩٤ هـ ـ يوليو ١٩٧٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم



وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

دار القرآن الكريم

انشـــــاؤها : بالهام من الله وتوفيقـــه فكر المســئولون فى الوزارة فى انشاء دار للقرآن الكريم تيسر للمسلمين حفظه وفهمه ، وقد قوبلت هذه الفكرة بترحيب وتشجيع من الدولة ، فلله الحمد والمنة ، وبدات الدراسة فيها فى شعبان ١٣٩١هـ .

هدفهـــــا : المحافظـــة على كتاب الله باتاحة الفرصـــة للراغـبين فى اتقانه حفظا وترتيـــلا وتجويدا .

مدة الدراســـة : مدة الدراسة في الدار (ست سنوات) يحفظ الطالب فى كل سنة (خمسة أجزاء) من القرآن الكريم .

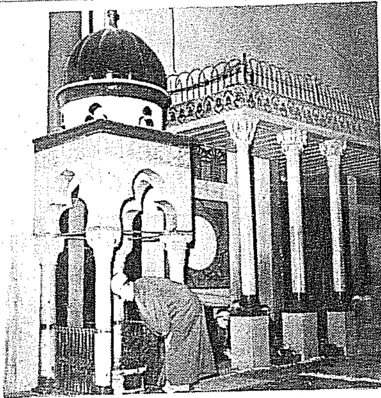
نظـــام الدراسة : تسير الدراسة فى الدار على فترتين :
فترة صباحيـــة ، وفترة مسائية .
وذلك لاتاحة الفرصة للراغبين فى الانتساب الى الدار مع تمكينهم من انتظامهم فى أعمالهم اليوميـــة .

مواد الدراســة : القرآن الكـــريم حفظا وترتيلا . التجـــويد . التفســـير . النحـــو .

الامتحـــــان : يمتحن الطالب فى المقرر عليه حفظـــه ودراسته كل عام ، ويكون الامتحان من دورين .

شروط الانتساب : الدار للمسلمين جميعا ليس لها شروط معينة للالتحاق بها سوى الالمام بالقراءة والكتابة ، ويعفى المكفوفون من هـــذا الشـــرط .

الطلبات الجديدة : تقدم الطلبات هذا العـــام فى مقر ادارة مجـــلة (الوعى الاسلامى) أثناء الدوام الرسمى حتى نهاية سبتمبر ١٩٧٤م
والله ولى التوفيـــق .



أحد المساجد الفخمة في دمشق.. ويرى من الداخل..
« وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا ».
قرآن كريم

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة
العدد ١١٥
غرة رجب ١٣٩٤ هـ
يوليو (تموز) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي
الاشتراك السنوى للهيآت فقط
اما الأفراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد : ١٣ ـ كويت ـ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

التبشير والاستعمار وآلام أخرى

يكاد المراقبون والنقاد يجمعون على ان الاوروبيين والامريكيين ليسوا مولعين بالتدين ، ولا ميالين الى التقوى ، وان صلتهم بالله لا تتجاوز الشكل الى الموضوع ، وأن احتفاءهم بالمناسبات الدينية يقوم على تحويل أيام الآحاد ومختلف الاعياد الى فرص للاستجمام وشباك للهو والمرح بريئا أو غير برىء .

والاوروبيون والامريكيون — اجمالا — يجنون ثمرات تقدم علمى رائع رفه معايشهم ، ونعّم حضارتهم ، وربما اســتطاع هذا التقدم أن يلطف مسالكهم ويهذب غرائزهم الا أن بيئات كبيرة فى كلتا القارنين لم يرفع العلم مسالكهم ويهذب غرائزهم الا أن بيئات كبيرة فى كلتا القارتين لم يرفع العلم الانسانى مستواها الا فى الكلمات والملابس .. !

اما ما وراء ذلك فهناك القتل ، والخطف ، والاغتصـاب ، والفوضى الجنسية ، والكبرياء العنصرية ، وعبادة الحياة الدنيا ، والتجهم أو الانكار لما وراءها ..

ومع هذا السلوك الهابط فان الاوربيين والامريكيين يهتمون بالتبشير ويرصدون لرجاله واغراضه أموالا طائلة ، ويتابعون نشاطه ونتاجه بيقظة !!

ومع أن الحكومات فى كلتا القارتين لا تبالى أن يؤمن أبناؤها أو يلحدوا .. الا أنها تولى الدين فى افريقية وآسيا قدراً ملحوظا من رعايتها ، وتتوسل

به الى تذليل الصعاب ، وحطم الخصوم .

ولننظر الى فلسطين فى ظل (الانتداب البريطانى) لنرى آثار هذا الاتجاه فى تحقيق الاغراض الاستعمارية بين سكان هذا القطر المحروب ..

كان تسعة أعشار الفلسطينيين مسلمين عربا فكيف يمكن تذويب عروبتهم واسلامهم معا ؟ وكيف يمكن خلق الظروف التى تتمخض عن قيام (اسرائيل) كما وعدت بذلك بريطانيا .. ؟!

لن أتعرض هنا للأساليب الاقتصادية والعسكرية على شناعتها ووحشيتها ، وانما أتعرض للنواحى الدينية وحسب .

كان بفلسطين معهد لتخريج الدعاة المسلمين يسمى (الكلية الصلاحية) أمر الانتداب البريطانى بالاجهاز عليه عشية باشر الحكم فى البلاد .

وقد نشرت احدى الصحف تاريخا موجزا لهذه الكلية جاء به : **« كلية صلاح الدين الأيوبى » .**

كانت تقوم فى الناحية الشمالية الشرقية على بعد عشرات الامتار من الحرم الشريف فى المكان المعروف بدير القديسة حنا ويقال ان هذا المكان جعل مدرسة اسلامية قبل صلاح الدين الايوبى .

ولكن اسمها قد التصق بصلاح الدين حينما جعل منها مدرسة للفقه الشافعى بطلب من فقهاء الشافعية ومر عليها زمن تقلبت فيه بين يد النصارى والمسلمين .

« حتى كانت سنة ١٩١٤ م — ١٣٣٣ هـ . وقام على بلاد الشام القائد التركى (جمال باشا) حيث أعادها مدرسة دينية اسلامية لاعداد مبشرين للعالم الاسلامى وبالأخص للهند والصين . وسماها (كلية صلاح الدين الأيوبى) وعرفت بين الناس بالكلية الصلاحية كما درس بها علماء من مختلف البلاد فى ذلك الوقت من أمثال : محمد اسعاف النشاشيبى ، وجودت الهاشمى ، وعبد القادر المغربى السورى الذى كان فيما بعد نائب رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق ، ثم عبد العزيز جاويش ، ورستم حيدر ، وجميل النيال ، وعبد الرحمن سلام .. الخ . وكان شيخ الاسلام فى الأستانة يحول مرتبات هذه المدرسة من تركيا بوساطة متصرف القدس . وبدخول الجيش الانكليزى القدس فى ١٩١٧/١٢/٨ م أعيدت هذه المدرسة الى يد الآباء البيض الفرنسيين وهى اليوم مدرسة اكليريكية دينيـة للروم الكاثوليك » .

والواقع أن هذا التاريخ مدخول ، فالمدرسة كانت تقوم بتعليم الفقه الاسلامى ثم حولها الترك الى كلية للدعاة تخدم الاسلام فى الداخل والخارج .. فلما ملك الانكليز الأمر حولوها الى كلية لتخريج المبشرين المسيحيين ، وسلموها الى جماعة الآباء البيض الفرنسية وهى جماعة لها دور هائل فى محاولة تنصير المغرب العربى أيام الاحتلال الفرنسى .

والتعبير بأنها (أعيدت) للفرنسيين يتمشى مع الفكر التبشيرى الذى يرى أن آسيا الوسطى ومصر والشمال الافريقى كله كانت مستعمرات رومانية ، ويجب أن تعود كما كانت وقد بذل الاحتلال البريطانى لمصر جهودا شاقة لابعاد الأمة عن دينها ، وعن المناسبات التاريخية التى تربطها به .

نشرت جريدة الاخبار تحت عنوان « أحتج الانجليز على الاحتفال بعيد

الهجرة فى اذاعة القاهرة منذ ٤٠ عاما » قالت : احتفل العالم الاسلامى أمس بعيد الهجرة ، وهو بداية العام الجديد منذ أمر عمر بن الخطاب بجعل الهجرة أساس التقويم الاسلامى . وقد احتفلت به الاذاعة المصرية لأول مرة سنة ١٩٣٤ ميلادية بقرار من (مدحت عاصم) أول مدير للاذاعة المصرية بعد أن اصبحت حكومية — وكانت من قبل تشرف عليها مؤسسات أهلية — وأمر المدير المصرى أن يبدأ الاحتفال بصلاة الفجر .. !

وعند ذلك حدثا غريبا ، وواجه المدير المصرى معارضة شديدة من الانجليز المشرفين على الاذاعة .. !

وكانت الحجة المعلنة أن الاداريين والفنيين سوف يسهرون الى الثانية صباحا ، ورد عليهم السيد مدحت عاصم بأن هؤلاء يسهرون فى رأس السنة الميلادية حتى مطلع الفجر ، وبعده الى الصباح ، واذن فلا بد — بالقياس — من الاحتفال بالسنة الهجرية وسكت المعترضون كارهين فان الاحتفال بالسنة الميلادية لذيذ أما الاحتفال بذكرى الهجرة فشىء ممجوج ، أو لعله شىء رجعى .. !!

المهم ان الانكليز بعد ان الغوا الكلية الصلاحية ، واطمانوا الى أنه لن يكون للاسلام دعاة مرشدون فى فلسطين راوا أن يستجلبوا الى الارض المستباحة مللا اخرى تثير الفوضى الدينية فيها ، وتبلبل الافكار ، وتكثر الظروف المهيئة لقيام اسرائيل .. وهم من قبل شجعوا البهائية ، واحتضنوا طاغيتها الداهية عباس عبد البهاء ، ورفعوا منزلته ماديا وأدبيا ، فجعلوا (عكا) كعبة البهائيين المبثوثين فى بقاع شتى ، وربطوهم بفلسطين روحيا ، ووثقوا الصلات بين المحافل البهائية ودعاة الصهيونية ، حتى تخدم احداهما الاخرى ويتظاهران جميعا على الاسلام .

بيد أن ذلك لا يكفى فلا بد من استقدام القاديانية الى فلسطين هى الاخرى كى تشارك فى صنع الشتات الاسلامى وتمهد للوجود اليهودى .

وغلام أحمد منذ نشأ فى الهند كان صوت سادته ومنفذ ارادتهم ، واذكر انى لما زرت (أوغنده) منذ عامين وجدت مسجدا للقاديانية فى أعظم ميادين العاصمة ..

وشاء الله أن ينقرض هؤلاء السماسرة من (أوغنده) بعد أن انقطع الاستعمار الانجليزى منها ..

لكنهم فى فلسطين بقوا بعد أن تركت لليهود يبنون بها دولتهم التى رفع الانكليز قواعدها .. والمجلة التى نقلنا عنها خبر الكلية الصلاحية البائسة تذكر النشاط القاديانى داخل اسرائيل وكأنه ولد ونما بطريقة طبيعية ، فهى تسوق القصة على هذا النحو :

« لقد كان الأستاذ المولوى جلال الدين شمس أول مبشر أوفد من قبل الخليفة الثانى للجماعة الاحمدية الى بلدان الشرق الاوسط . وذلك فى أواخر العشرينات من هذا القرن . وكان قد مهد لهذه الحملة حضرة المولوى دين العابدين أستاذ تاريخ الأديان فى كلية صلاح الدين الايوبى فى القدس . وقد بدأ عمله فى دمشق الشام الى أن اضطر الى الانتقال لمدينة حيفا بفلسطين بسبب المعارضة الشديدة التى لقيها من علماء المسلمين هناك وبناء على طلب من الحكومة الفرنسية آنذاك .

وفى حيفا أسس جماعة وبشر بدعوة المهدى زمنا ما حتى تسنى له

الاتصال بأهل قرية الكبابير الواقعة على جبل الكرمل والمجاورة لحيفا فقبل معظم سكانها الاحمدية واقام بها مركزا تبشيريا سنة ١٩٢٩ م وفي السنة التالية بني المسجد الموجود حاليا ثم أضيفت اليه دار التبليغ ، وانشئت سنة ١٩٣٤ م المطبعة الاحمدية وبدأ المركز يصدر مجلة (البشرى) وهي المجلة الاحمدية الوحيدة في بلاد الشرق الاوسط التي لا زالت تصدر باسرائيل كما بوشر في الحال بفتح مدرسة ابتدائية لتعليم البنين والبنات وكذلك مدرسة ليلية لتعليم الكبار .

وقد تطورت المدرسة مع الزمن الى أن أصبحت اليوم تضم ثمانية صفوف ابتدائية وروضة أطفال ولها بناية أنيقة وقاعة جميلة .

والمدرسة الاحمدية في الكبابير هي أيضا المدرسة الاسلامية الوحيدة في البلاد التي تدار بصورة مستقلة عن جهاز التعليم الحكومي .

لقد كان المركز في الكبابير حتى قيام دولة اسرائيل يشرف على الاعمال التبشيرية الاحمدية في جميع بلدان الشرق الاوسط . وكانت الكبابير محطة انتقال للمبشرين القاصدين من الشرق الى الغرب أو العائدين من الغرب الى الشرق .

لكن نشاطه انحصر بعد سنة ١٩٤٨ م في اسرائيل وحدها ..

وبعد حرب الأيام الستة سنة ١٩٦٧ م امتد نشاط الجماعة الى الضفة الغربية والى قطاع غزة وللاحمدية اليوم عدد غير قليل من الاتباع في هذه المناطق .

ولا بد من التنويه الى أن الجماعة الاحمدية في اسرائيل تمارس نشاطها بحرية ولها مكانة محترمة لدى الأوساط الرسمية والشعبية في هذا البلد .

ويشرف على المركز اليوم الاستاذ بشير الدين عبيد الله تساعده هيئة ادارية ينتخبها أفراد الجماعة المحلية . وكذلك جمعية خدام الاحمدية للشباب ولجنة اماء الله للنساء يقومون كل يوم بواجباتهم نحو الجماعة تحت رعاية المبشر .

وفي الكبابير اليوم نحو ثمانمائة أحمدي يكونون الغالبية الساحقة من سكان القرية .. والمعروف أن كلتا النحلتين المبتدعتين ، البهائية والقديانية ، تخدم الاستعمار العالمي وتشد أزره في ضرب الاسلام والعدوان على أمته ، وهي لون آخر من التبشير يتفق في الغاية ويختلف في المنهج .

وليس كل مدد يصل الى المبشرين من الشعوب الاوروبية والامريكية يتسم بالعدوان ، ويتعمد مقدمه النيل منا والعدوان علينا .. ففي الدهماء عدد كبير من السذج والقاصرين يحسب أنه يرضي الله بما يبذل من مال .. وربما عذر حكومته وهي تباشر أحط وسائل الفتنة والسرقة للعقائد والمقدسات ..

على أن الحكومات الاستعمارية عقدت صلحا دائما بين ضميرها وهواها ، وأقنعت به نفسها ورعاياها ، واستمرأت بمقتضاه تسخير الدين في تحقيق ما تسعى وراءه من أطماع ..

والتبشير يتطلب أمرين متكاملين :

أولهما : العنوان الذي يستر خبيئته ويجعل له — في الظاهر — وظيفة اخرى ثقافية أو اجتماعية أو طبية .. الخ يمضي تحت شعارها الى هدفه .

والثاني : — وهو في نظرنا شديد الخطورة — تكوين الظروف التي

تشغل الشعوب بجوار مفتعل ، أو قضايا وهمية ، أو مسالك محيرة تتبدد فيها الطاقة ، وتتشعب الآراء والأهواء .

ان هذه الظروف المصنوعة تشبه سحب الدخان التى تتحرك خلفهـا الجيوش الزاحفة ، فلا يوضع امامها عائق ولا يوقفها استعداد أو حذر .

وما اشك فى أن التبشير العالمى ، جند أقلاما كثيرة فى الأمة العربية والاسلامية :

- تشن حربا من الصمت مثلا على كتب جيدة نافعة لتقدم أخرى ضـارة تافهة ..
- أو تطفىء شعلة من الحق فى مكانها قبلما تتحول الى سراج وهاج لو تركت للنمو الطبيعى ..
- أو تخلق سرابا من المناهج تحدو اليه الوف الشباب ليلهثوا فى طلبه ثم يعودوا بخفى حنين .
- أو تسوى بين اليقينيات والأوهام لتهدم مكانة الاولى وما ينبغى لها من قداسة أو تتدخل فى الجبهة المناوئة لها كى تساعد على جعل قيادتها معتلة هزيلة ..

المهم إحداث شتات وبعثرة فى الوقت الذى يجدّ فيه رجال التبشـير للقيام بدورهم كاملا والميدان خال من الحراس ، أو الحراس مشغولون فيه بغيرهم .

وقد وصل الذين يعملون فى خدمة الأغراض التبشـيرية الى أعداد رهيبة ، وننقل هنا ما ذكرته مجلة دعوة الحق التى تصدرها وزارة الأوقاف المغربية فى عددها الاخير قالت :

نشرت دائرة معارف الكنيسة (انسكلوبيديا) الارقام التـالية عن النشاط الكنسى :

(١) لدى الكنيسة الكاثوليكية ٢٥٠٫٠٠٠ الف متفرغ فى العالم (مبشرين) بينما يبلغ مجموع العاملين لخدمة الكنيسة الكاثوليكية ١٫٦٠٠٫٠٠٠ مليون وستمائة الف نسمة .

(٢) خلال ربع قرن من عام ١٩٢٥ الى ١٩٥٢ حول المبشرون ١٣٫٠٠٠٫٠٠٠ ثلاثة عشر مليون شخص الى الكاثوليكية بمعدل نصف مليون سنويا .

(٣) لدى الكنيسة البروتسـتانتية ٤٣٫٠٠٠ ثلاثة واربعون الف متفرغ (مبشرين) يديرون ١٦٠٠ الفا وستمائة مركز ومستشفى فى العالم لأغراض التبشير .

وقد زاد عدد البروتستانت فى ربع القرن من عام ١٩٢٥ الى ١٩٥٢ حوالى ٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ثلاثين مليونا والجدير بالغرابة أن هذا النشاط الباهر يتم فى صمت ، وأن صحفنا البارعة الذكية متواصية على كتمانه ، زاهدة فى الاشارة اليه .

وتلتحق بحرب التبشير حرب الاسكان والتهجير ، وقد تمت ـ بتآمر عالمى ـ جريمة محو الوجود العربى فى فلسطين ، وتسـليم الارض الى المستوطنين اليهود المجلوبين من أطراف الدنيا ..

وقد ذكرنا فى بعض كتبنا :

كيف اخذت انجلترا جزيرة قبرص من تركيا ، وكانت اسلامية خالصـة طول ثلاثة عشر قرنا فاستقدمت اليها المستوطنين اليـونانيين حتى كادت

تذهب بصبغتها الاولى .. وتقوم الآن حركة لضـــمها الى اليونان ، التي لم تعرف هذه الجزيرة من بدء التاريخ .. !!

وفي ظلام الغفلة والصمت تحـــاول عناصر معينة شراء أراضي ذات قيمة تاريخية أو عسكرية ثم تحشد اتباعها فيها ليظهروا بغتة بمطالب شاذة يحميها القانون .. !!

ولا أدرى الى متى يبقى العرب والمسلمون ذاهلين عن مصيرهم مع تلك المؤامرات المدروسة التى تفاجئهم بين حين وحين ..

ولا أحس غضاضة من التنبيه الى قضية تحديد النسل .. ان اعداء الاسلام يعرفون النتائج المادية والمعنوية التى تترتب على الكثرة العددية للأمة الاسلامية ، ومن ثم يجتهدون فى اقناع المسلمين — وحدهم — بجدوى قلة النسل ، وأقول مؤكدا — وحدهم — لأن رؤساء الأديان الاخرى أجمعوا امرهم على تكثير نسلهم ..

ومن المفيد أن أذكر أن المسلمين فى الاقطار الشـــيوعية بعد ذبول معروف الاسباب أخذوا يكثرون .

لعل هذه الكثرة مصداق المثل السائر « بقية السيف أنمى » .. !!

وقد قرأت دراسة علمية دقيقة نشرتها مجلة (دعوة الحق) فى هذا الموضوع ختمته بهذه الحقائق « بعد انحسار دام نصف قرن على الأقل اخذ المسلمون يتزايدون تزايدا طبيعيا كبيرا فى كل المناطق التى درسناها ، وبهذا زادت نسبتهم فى السنين الاخيرة فى البلاد الشيوعية الاربع (الاتحـــاد السوفيتى ، يوغسلافيا ، البانيا ، بلغاريا) ، التى سبقت دراستها ..

- فمن بين كل الف سوفيتى كان ١١٣ مسلما سنة ١٩٣٩ فصار ١٣٦ مسلما سنة ١٩٧١ .

- ومن بين كل الف يوغسلافى كان ١١٢ مسلما سنة ١٩٣١ فصار ١٥١ مسلما سنة ١٩٧١ .

- ومن بين كل الف البـــانى كان ٦٨٦ مسلما سنة ١٩٣٠ فصار ٧٠٧ مسلما سنة ١٩٦٩ .

- ومن بين كل الف بلغـــارى كان ١٣٣ مسلما سنة ١٩٤٩ فصار ١٧٠ مسلما سنة ١٩٧١ .

وهذا هو نفس الوضع فى معظم بلاد العالم حيث يتزايد المســـلمون أكثر من غيرهم وهذا يكشف هدف الدعايات الخبيثة لتحديد النســـل بين المسلمين .

فواجب كل مسلم من جهة الوقوف ضد هذه الدعايات ومن جهة اخرى العمل على تحسين وضع المسلمين المادى والمعنوى .

ونحن نضع بين أيدى قرائنا هذه المعلومات ليدركوا الكثير مما يغيب عمدا عن العيون .

لعـــالم كبير

السنة

المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي

للأستاذ محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((الا إنني أوتيت الكتاب ومثله معه . الا يوشك رجل شبعان متكيء على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه . الا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله)) .

(حديث شريف)

السنة هى المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى بعد كتاب الله عز وجل ، وقد كتب الله جل شانه لهما البقاء حتى فى عصور تغلب فيها الاستعمار على الأمة الاسلامية ، وعمل بكل ما فى طاقته من قوة على تقويض أركانها .

لقد بقى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يعصمان الشعوب الاسلامية من الانهيار ، وقامت الأمة الاسلامية بمجهود كبير على يد علمائها لحفظ السنة النبوية الشريفة ، وتهذيبها وتنقيتها من كل زيف حاول أعداء الاسلام أن يلحقوه بها ، حتى وصلت الى ايدينا صافية خالصة من كل شائبة ، ولا يزال العلماء يبذلون جهودا كبيرة لشرحها وتبسيطها ونشرها .

وربما وجدنا بعض المحاولات الخبيثة الفاشلة فى عصرنا هذا للتقليل من شأن السنة النبوية الشريفة وأهميتها ، مع أنها هى المذكرة التفسيرية الشارحة للقرآن ، ومما يؤكد فشل هذه المحاولات ازدياد تمسك المسلمين بالسنة عندما يشعرون ببادرة للنيل منها ، هذا الى جانب ما يقوم به العلماء من جهود عظيمة لتوثيق السنة ، وان الحضارة الانسانية لتفخر بهذه الجهود .

والسنة النبوية الشريفة هى : أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، وما أقر عليه الصحابة بالقول أو بالصمت والسكوت ، وصفاته الخلقية والخلقية ، وقد جاءت السنة بأمور موافقة لما جاء فى كتاب الله عز وجل ، وجاءت بتبيين ما أجمل فيه من أمور ، وعلى سبيل المثال فقد أمرنا القرآن الكريم بإقامة الصلاة ، ولكنه لم يبين عدد أوقاتها ، وركعاتها ، وشروطها ، وهيئاتها ، وأركانها ، مما وضحته السنة النبوية الشريفة ، كما بينت ميراث الجدة وهو غير مذكور فى القرآن الكريم كما أن هناك آيات من القرآن الكريم يصعب فهمها بغير السنة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إننى أوتيت الكتاب ومثله معه . الا يوشك رجل شبعان متكىء على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . ألا إن ما حرم رسول الله مثل ماحرم الله » ، فالمقصود بالكتاب هو القرآن ، المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته ، المنقول بالتواتر ، المفيد للقطع واليقين ، المكتوب فى المصاحف من أول سورة « الفاتحة » الى آخر سورة « الناس » .

معنى السنة :

ان كل واحد من الأنبياء والرسل لا شك له كلام يرشد به الناس وينصحهم، وعمل يكون به لهم قدوة ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على أن يقرن بين العلم والعمل ، فكان يقول : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ، وقال

للمسلمين فى حجة الوداع وكان عددهم قد ازداد عن مائة الف : « يأيها الناس : خذوا عنى مناسككم ، فلعلى لا القاكم بعد عامى هذا » .

وكل نبى أو رسول له أخلاق وسلوك وآداب ، ومجموع الأقوال والأفعال والسلوك والأخلاق وموافقته لبعض صحابته فىأمر من الأمور أو عدم موافقته إياهم كل ذلك يسمى بالسنة .

والسنة فى الوضع اللغوى : الطريقة المسلوكة ، وتطلق على الشىء المعتاد محمودا كان أو مذموما ، ولكن اذا اريد بها السنة النبوية الشريفة فلا يكون معناها إلا السنة الحسنة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« من سنّ سنة حسنة فله ثوابها وثواب من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » .

وهى عند الفقهاء : ما طلب فعله لا على جهة الواجب ، أو ما اثيب على فعله ولم يعاقب على تركه ، وعند الأصوليين : ما صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير من جهة دلالته على احكام الشريعة ، وفى اصطلاح علماء الحديث : أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريراته سواء صدرت عنه باعتباره رسولا أم باعتباره إنسانا ، وصفاته الخلقية والخُلقية ، فمن اقواله : « المسلم أخو المسلم . لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره » ، ومن افعاله : أنه توضأ فغسل يديه ثلاثا ، ثم تمضمض ثلاثا ، ثم استنشق ثلاثا ، ثم غسل وجهه ثلاثا ، ثم غسل يديه الى مرفقيه ثلاثا ، ثم مسح رأسه ثلاثا ، ثم غسل رجليه ثلاثا ، وقد نقل عنه هذا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه .

أما تقريراته فهى أن يفعل أحد شيئا أو يقول قولا وهو حاضر ويؤيده بالكلام او يقرّه بالسكوت ، لأنه من المحال أن يرى الرسول صلى الله عليه وسلم منكرا او محرما ويسكت عليه .

ولقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم احد اصحابه الى جماعة من الناس يدعوهم الى الاسلام ، فأرسلوا اليه رجلا منهم يقول له : « لقد جاءنا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله ارسلك الى الخلق كافة » ، فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بتصديق رسوله ، فهذا تقرير بالقول .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نقول : أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ثم عثمان ، والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر ذلك » ، وهذا تقرير عن طريق السكوت .

ومن أوصافه الخلقية أنه كان ابيض البشرة مشربا بحمرة ، مفتول الأعضاء قوى البنية ، اذا مشى فكأنه ينزل من مكان مرتفع ، وكان لا يتمايل فى مشيته .

وأما أوصافه الخُلقية فهى لا تحصى ولا تعد ، فقد كان عفيفا ، أمينا ، جوادا ، صابرا ، شجاعا ، وغير ذلك من الصفات الحميدة التى كان فيها أسوة حسنة للمسلمين ، وصدق الله تبارك وتعالى حيث يقول : **« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة »** ، واذا أردنا أن نتحدث عن الفضيلة فعلينا أن نتذكر الآيات القرآنية التى تحدثت عنها ، والأحاديث النبوية الدالة عليها .

معنى الحـديث والأثر والخبر :

الحديث عند علماء اللغة ضد القديم ، ويطلق ايضا على القليل والكثير من

الكلام ، ومنه قول الله تبارك وتعالى : ((**فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين**)) ومعنى هذه الآية : أن الله عز وجل يأمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه بان يتحدى المنكرين للقرآن الكريم بأن يأتوا بحديث مثله ، ولو كان اقل حديث .

أما الحديث عند العلماء المحدثين فمعناه السنة كما سبق تعريفها ، وهذا راى غالبية العلماء ، بيد أن البعض يرى أن الحديث هو الأقوال ، وان السنة هى الأعمال ، ولا يطلق الحديث الا على كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما السنة فقد تنسب لغيره بشرط أن تكون مقيدة ، مثل ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين مما لم يوجد فى كتاب ولا سنة ، لكونها اما اتباعا لما ثبت عندهم ولم ينقل إلينا ، واما صدر منهم على جهة الاجتهاد ، وعلى هذا فان جميع المصالح المرسلة والاستحسانات تدخل فى مدلول السنة ، وإذن فيصح اطلاق السنة على سنة الخلفاء الراشدين بالمعنى الأصولى للكلمة ، والدليل على هــذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((عليكم بسنتى وسنة الخلفـــاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ)) ، اى الزموا التمسك بها لأنها سر النجاح فى الدارين ، ويقول ايضا : ((إياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة)) .

والأثر هو : اقوال الصحابة والتابعين ، فيقال مثلا : فى الأثر عن عمر أو على .. وهكذا ، فاذا قيل : فى الأثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيكون معناه الحــديث .

والخبر بمعنى الحديث عند بعض العلماء ، والراى الصــحيح أن الخبر يشمل الحديث وغير الحــديث ولذلك ينظر العلماء الى المحــدث نظرة اكبر من نظرتهم الى صاحب الاخبار ، لأن المحدث من أهل التحقيق فهو يتحدث عن الأحكام ويبين الحلال والحرام ، أما صاحب الاخبار فهو كالمؤرخ ، وعلى هذا فالزيادة أو النقص فى الاخبار لا يعودان بضرر على الدين ، ولذلك كان الصحابة ومن جاء بعدهم يتحرون الدقة فى الحديث .

مكانـــة الســـــنة من الــدين :

لقد بين الله عز وجل مكانة السنة من الدين فى قوله تبارك وتعــالى : ((**يايها النبى : إنا ارسلناك شاهــدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيــا الى الله بإذنه وسراجا منيرا**)) ، و ((**وانزلنا إليك الذكر ، لتبين للناس ما نزل اليهم**)) ، فكان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوضح للناس معانى القرآن الكريم ، لأن القرآن الكريم قد نزل ليكون دستورا محفوظا فى الصدور : ((**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**)) ، فليس فى القرآن الكريم مجال للتفصيلات الفرعية .

وهناك أمور جاءت فى السنة كما جاءت فى القرآن الكريم ، مثل قوله عز وجل : ((**واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**)) ، وبين الحــديث الشريف اركان الاسلام بأنها : ((**أن تشهد أن لا إله الا الله وأن محمــدا رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة**)) ، وهناك أمور مجملة تأتى فى القرآن الكريم ثم توضحها السنة وتفصلها ، من ذلك ما روى عن الامام الشافعى رضى الله عنه من قوله : يقول الله تعالى : ((**ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**)) . ويقول الله تعالى : ((**واتموا الحج والعمرة لله**)) ولكن القرآن الكريم لم يبين كيفية الصلاة ،

وعدد ركعاتها ، وهيئاتها ، فمن الذى بينها ؟ وما هى الصلاة ؟ وما طريقتها ؟ وما شروطها ؟ كل ذلك يبينه الرسول الداعى الى الله بإذنه ويبين بأقواله التى ينقلها عنه صحابته ، ويبين بأعماله فيصلى ويرونه ويقول : صلوا كما رأيتمونى أصلى . اذن لا بد للقرآن الكريم من تفصيل بوحى من الله ، وهذا هو ما اصطلح العلماء عليه بأنه السنة النبوية .

وقد تأتى السنة بأمور ليست فى القرآن الكريم ، ومن ذلك أن القرآن الكريم لم يتعرض لميراث الجدة ، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم جاءت جدة الى ابى بكر رضى الله عنه تطلب نصيبها فى الميراث الذى تستحقه فى ميراث حفيد لها مات ، فقال لها أبو بكر : « لا أجد لك فى كتاب الله نصيبا » ، قال هذا الكلام ولم يكن قد اطلع على الحديث ، فجاء أحد الصحابة واخبره بأن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل لها السدس ، فنفذ أبو بكر ما قاله الصحابى ، وكذلك لم يرد فى القرآن الكريم أن القاتل لا يرث قريبه اذا قتله ، ولكن ذلك ورد فى السنة ، وقد ورد فى السنة أيضا تقديم الدين على الوصية ، بينما لم يرد ذلك فى القرآن الكريم .

وفى القرآن الكريم آيات يصعب أو يستحيل فهمها بغير السنة ، ومنها قول الله عز وجل : « **ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما** » ، فالمعنى الذى يتبادر الى الذهن لهذه الآية الكريمة أن الله تبارك وتعالى رفع الإثم والحرج عمن لم يسع بين الصفا والمروة ، ولكن إذا نظرنا فى السنة وعرفنا سبب نزول هذه الآية الكريمة وجدنا معناها يخالف تماما ما يتبادر الى الذهن ، فقد روى عروة بن مسعود أن أباه سأل السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن معنى هذه الآية ، وذكر لها هذا المعنى الذى يتبادر الى الفهم ، فقالت : « ليس الأمر كذلك ، ولو كان الأمر كذلك لقال الله : لا جناح عليه ألا يطوف » . وقد نزلت هذه الآية لما تحرج الصحابة من أن يسعوا بين الصفا والمروة ، وقد كانوا يطوفون فى هذا المكان بين الاصنام فى الجاهلية ،فنزلت هذه الآية الكريمة لرفع الحرج .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم اختصاص السنة بالتشريع ، ودعا اليه وقام بتنفيذه ، ولا يتأتى تفسير القرآن الكريم بغير السنة ، وعندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل الى « اليمن » قال له : « يا معاذ : اذا عرض لك قضاء فبماذا تقضى ؟ » ، قال : « بكتاب الله » ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « فان لم تجد ؟ » ، قال : « اقضى بسنة رسول الله » ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « وان لم تجد ؟ » ، قال : « أجتهد رايى ولا آلو » ، فيفهم من هذا الحديث أن الانسان اذا لم يجد فى القرآن الكريم حلا لمسألة تهمه اتجه نحو السنة ليبحث فيها عن الحل ، فان لم يجده فعليه بالاجتهاد فى الحدود التى رسمها الشرع الحكيم ، فيقيس ما لم يرد على ما ورد بقدر ما يستطيع .

اقسام السنة :

والسنة قسمان : متواترة ، وأخبار آحاد .

فالمتواتر : ما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم برواية جماعة يؤمن

تواطؤهم على الكذب عن جماعة مثلهم حتى يصلوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل ما ليس كذلك فهو خبر آحاد .

ويجعل الحنفية بين المتواتر والآحاد درجة الأحاديث المستفيضة أو المشتهرة وهى التى استفاضت فى زمن التابعين وتابعى التابعين ، ويرى الحنفية أن هذه تخصص علوم القرآن الكريم ، وتقضى بالعلم والعمل ، وتفيد العلم الضرورى مثل الأحاديث المتواترة ، وان لم تبلغ حد التواتر .

واما الأحاديث التى اشتهرت بعد زمن تابعى التابعين فهى عند الحنفية وغيرهم من أخبار الآحاد الا اذا توافرت فيها شروط المتواتر ، والأحاديث المتواترة نادرة ، ومما لا خلاف فيه بين العلماء صحة الاستدلال بالحديث المتواتر ، سواء فى الاعتقادات أو فى الأعمال أو فى الفضائل ، وأما الحديث الصحيح من أخبار الآحاد فجمهور الأئمة على أنه يعمل به فى غير العقائد ، ويستدلون على ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « نضر الله امرأً سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

وبالنسبة للعقيدة فأخبار الآحاد لا تقوى على إثباتها ، لأنها ظنية الثبوت ظنية الدلالة ، ولا يمكن الاعتقاد الا فيما هو قطعى الثبوت ، وأما غير الصحيح من أخبار الآحاد فقد اتفق الأئمة على العمل بها فى فضائل الأعمال اذا لم يشتد ضعفها ، ولم تتعارض مع غيرها من الأخبار الصحيحة .

ويشترط فى صحة الحديث :

أ — عدالة الراوى .

ب — أن يكون حافظا واعيا ضابطا لما يسمع ويعى .

جـ — أن لا يكون فى المتن المروى شذوذ يخالف ما فى القرآن الكريم أو الحديث المتواتر أو الحديث الصحيح مخالفة صريحة لا تقبل الجمع .

د — أن يكون السند متصلا ، أى ليس فيه انقطاع ولا إرسال .

بدء تدوين السنة

كان الرسول صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحى يدعو أحد الكتاب ليكتب ما نزل منه أمامه ، وكان أصحابه يكتبون القرآن الكريم فى قطع من الرقاع والأكتاف والعسب .

وبعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى حدثت فى أول تولى الصديق أبى بكر خلافة المسلمين حركة « الردة » ، وقد قتل فى موقعة « اليمامة » عدد كبير من حفاظ القرآن الكريم ، الأمر الذى جعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه يفكر فيما عسى يكون عليه الحال لو تلاحقت المواقع وقتل فيها مثل من قتل فى موقعة « اليمامة » ؟ ، واستقر عمر على رأى ، ثم ذهب الى أبى بكر وهو بمجلسه فى المسجد ، فقال له : « ان القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة ، وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن كلها ، فيذهب قرآن كثير ، وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن » .

ولم ير أبو بكر الصديق بدًا من تلبية نداء مستشاره ، وتنفيذ اقتراح ساعده الأيمن ابتغاء مرضاة الله عز وجل ، وحرصا على كتاب الله من الضياع ، فأمر بتشكيل لجنة من الصحابة جعل على رأسها زيد بن ثابت ، الذى كان يمتاز بالكفاءة والنزاهة ، والذكاء وطهارة القلب ، فجمع القرآن الكريم من الرقاع

والأكتاف والعسب وصدور الرجال ، وقد ضم ابو بكر الى اللجنة سالم مولى أبى حذيفه ــ وكان من كتاب الوحى ــ ، ليعاونه فى جمع القران الكريم ، وعهد بتدوينه الى زيد بن ثابت ، وتم جمع القرآن الكريم فى كتاب روعيت الدقه التامة فى كتابته ، وقد حفظت الصحف المدون بها القران الكريم عند ابى بكر ، ثم عند عمر بن الخطاب الذى عهد بها الى ابنته السيدة حفصه زوجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم يكن بويع لأحد بالخلافة بعد عمر فى ذلك الوقت .

أما السنة النبوية فقد اكتفى الرسول صلى الله عليه وسلم بحفظ أصحابه لها ، ولم يأمرهم بكتابتها لئلا يشق عليهم ذلك وفيهم أمية ، وقد روى عن أبى سعيد الخدرى انه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكتبوا عنى غير القرآن ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى فلا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وبناء على هذا اتجه كثير من الصحابة الى عدم كتابة الحديث بيد أن البعض استأذن الرسول فى كتابته فأذن له لأنه كان كاتبا قارئا مثل عبد الله بن عمرو بن العاص ، والبعض استأذنه فى ذلك خوفا من النسيان فأذن له .

وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يدركون اهمية السنة ، وانها الأصل الثانى للتشريع وتوضيح الأحكام ، وكان الرسول الكريم يشجعهم على حفظها فيقول : « اللهم ارحم خلفائى » ، فيسألونه : « ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟ » ، فيقول : « هم الذين يروون أحاديثى ويحفظونها ويعلمونها الناس » ، وقال أبو هريرة رضى الله عنه : « ما من أحد من أصحاب رسول الله كان أكثر حديثا منى الا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص ، فانه كان يكتب وأنا لا أكتب » .

وقد يظهر أن هناك تنافيا بين النهى عن كتابة الحديث والاذن به ، وذهب كثير من العلماء الى التوفيق بينهما ، بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن كتابة الحديث فى أول الأمر خشية أن يختلط على الصحابة أثناء تلقيهم القرآن الكريم وكتابته بما يكتبون من السنة ، فأراد الرسول الكريم أن يحتاط لذلك ، فأمرهم بالاقتصار على حفظ السنة عن طريق الرواية والتحمل ، والعناية بكتابة القرآن الكريم وحده ، ثم أذن لهم بعد ذلك بعد انتشار العلم بالقراءة والكتابة ، واستطاع الناس التمييز بين الكتاب والسنة ، فيكون الإذن بالكتابة ناسخا للنهى عنها .

واننا اذا نظرنا فى الأحاديث وجدنا أن إسلام أبى هريرة كان فى السنة السابعة من الهجرة ، وإسلام أبى سعيد الخدرى فى السنة الأولى من الهجرة ، وحينما فتح الرسول صلى الله عليه وسلم « مكة » وقف أمام المسلمين خطيبا ، فقام رجل يدعى أبا شاة فقال : « يا رسول الله : أكتب لى » اى ائذن لى أن اكتب ، أو اكتب لى هذه الخطبة ، فقال عليه الصلاة والسلام : « اكتبوا لأبى شاة » ، وكان فتح (مكة) بعد الهجرة بثمانى سنوات ، فيكون بين حديث أبى سعيد بالنهى عن الكتابة وبين فتح (مكة) ثمانى سنوات ، وهذه أدلة تظهر لنا أن النهى عن كتابة الحديث نسخ ولم يستمر .

وأصبح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته حريصين على أن يكتبوا ما حفظوه من الأحاديث ، بل كانوا يقطعون المسافات الشاسعة فى سبيل سماع الأحاديث ممن حفظها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان عبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله فى قدمة من يسافرون من أجل سماع

الأحاديث ، وكان ابن عباس يذهب فى اليوم الشـديد الرياح الى بيت احد الصحابة فيجده نائما فلا يوقظه ، بل ينام على بابه الى الصباح ، فيخرج الصحابى فيراه فيقول له : « يا ابن عم رسول الله : لِمَ لَمْ ترسل لى وانا آتيك ؟ » ، فيقول له : « انا أعلم ذلك ، ولكنى انا الذى أسعى اليك ، لانى أريد أن أحمل عنك حديث رسول الله » .

عصـر التـــابعين :

وقد جاء التابعون بعد عصر الصحابة ، وأخذوا يهتمون بدراسة الأحاديث وحفظها وكتابتها ، وكان منهم عروة بن الزبير ، وابو يعلى ، وسعيد بن المسيب ، وابن شهاب الزهرى وغيرهم ، وعندما جاء عهـد عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين ، ورأى أن الظروف تقتضي تدوينا عاما للسنة ، كتب الى جميع العلماء فى كل البلاد يقول لهم : « انظروا الى ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه ، فانى خفت دروس العلم وذهاب العلمـاء ، ولتجلسوا للناس حتى يعلم من لا يعلم ، ولتفشوا العلم ، فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا » فأقبل العلماء على تدوين السنة .

ومن هنا نعلم أن السنة النبوية الشريفة قد بدأ تدوينها فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم زاد فى عهد الصحابة ، ثم زاد أكثر فى التابعين ، ولم يتأخر تدوينها الى القرن الثالث كما يزعم بعض المستشرقين .

وقد بدأ جمع السنة وتدوينها بعد أن استقر الأسلوب القرآنى ، واتخذ التدوين الصفة الرسمية فى القرن الثانى ، اى كان جمع الأحاديث بأمر الحاكم ، ومن السهولة بمكان أن يدون أفراد المجتمع الاسلامى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتى يجدون فى ظلها سعادة الدارين ، وعلى ذلك فمشكلة حفظ السنة من اختراع أعداء الاسلام للتشكيك فى صحتها ، فقد تم جمع السنة فى كراريس بأمر عمر بن عبد العزيز فى القرن الاول الهجرى ، وبيـد ابن الشهاب الزهرى الذى أعطاها للخليفة ، وقام الخليفة بتوزيعها على الأمصار .

ومما يدل على مكانة المرأة فى الاسلام ، وأن الناس كانوا يتعلمون منهـا السنة ، أن عمر بن عبد العزيز أرسل الى ابن حزم واليه على « المدينة » ليكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الانصارى ، وأرسل الى واليه على « حمص » يأمره بتأسيس جامعة اسلامية تخصصية ، فقال له : « اجعل للعلماء اجـرا ليتفرغوا لكتاب الله والحفاظ على السنة — لا ليتكلوا أو يستريحوا — ، ولكن ليعملوا وليدونوا احاديث رسول الله ، وليحافظوا على الثروة التى انطلق نورها فى المشرق والمغرب » ، وقد جمعت الأحاديث من غير تبويب ، فحديث الصيام قد يكون بجانب حديث الصـلاة مثلا .. وهكذا ، والمهم هو ذكـر اسم راوى الحديث ، وجميع المعلومات الخاصة به حتى يرجع اليه فيها بعد فترة تمحيصية ، وقد حدث هذا .

وجاء بعد ذلك الجيل الثانى ، جيل الامام مالك رضـى الله عنه ، إمام « المدينـة » المشهور بالورع والتقوى ، والذى بلغ من ورعه وتقواه انه كان

يمتنع عن الركوب فى « المدينــــة » ، لأنها تضم جسد الرسول صلى الله عليه وسلم ، جاء هذا الإمام الجليل وجمع كتابه وبوبه ، وكان كتابه أول كتاب مبوب على نظام كتب « الفقــــه » : باب الطهارة ، باب الصلاة ، باب الصيام .. وهكذا ، ولكنه لم يستوعب كل أبواب السنة ، غير أن مسلما ، والبخارى ، قد تعلما منه التدوين وأكملا ما بداه من جوامع الأبواب .

وقد قال الإمام الدهلوى : « وكتب الحديث من حيث الشهرة الطبقة الأولى ثلاثة كتب : موطأ الإمام مالك ، وصحيح الإمام البخارى ، وصحيح مسلم بن الحجاج » ، وقد كانت طريقة الإمام مالك فى التأليف أن يأتى بالأحاديث المرفوعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم يأتى بأقوال الصحابة ، ثم أقـــوال التـــــابعين .

العصـــر الذهبى للتــــدوين :

لقد ازدهر التأليف فى القرن الثانى ، ولكن مما يؤسف له أن معظم الكتب التى ألفت فى هذا القرن قد ضاعت أيام أن سقطت الدولة العباسية أمام الغزو التترى ، ولم يبق منها سوى موطأ الإمام مالك .

وأخذ العلماء يتجهـــون اتجاها آخر فى أواخر القـــرن الثانى ، فألفوا « المسانيد » ، ومنها مسند الإمام أحمد ، وكانوا يجمعون الأحـــاديث بحسب أسماء رواتها من الصحابة ، فكانوا يجمعون أحاديث أبى بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان .. وهكذا ، الى نهاية العشرة المبشرين بالجنة ، ثم من يلونهم فى المنزلة ، وقد جمع الإمام أحمد أكثر من خمسين ألف حديث .

أما فى القرن الثالث فقد ظهر عدد من كبـــار العلماء ، وكان لهم طريقتان :

الطريقة الأولى : ذكر الأحاديث الصحيحة فقط ، وأول من اتبع هذه الطريقة الإمام البخارى ، وسار على نهجه تلميذه وصاحبه مسلم ، فذكرا فى كتابيهما الأحاديث الصحيحة .

الطريقة الثانية : ذكر الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة ، وقد سار عليها أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه .

وكتاب الحديث الست المشهورون هم : البخــــارى « ١٩٤ ــ ٢٥٦ هـ » ، ومسلم « ٢٠٥ ــ ٢٦١ هـ » ، وأبو داود « ٢٠٢ ــ ٢٧٥ هـ » ، والترمذى « ٢٠٩ ــ ٢٧٩ هـ » ، والنسائى « ٢١٥ ــ ٣٠٣ هـ » ، وابن ماجة « ٢٠٩ ــ ٢٦٣ هـ » وبعض المحــــدثين يذكر (موطأ) الإمام مالك بدل ابن ماجه ، لأن « الموطأ » فى منزلة الصحيحين « البخارى ومسلم » ، أما الذين جعلوا ابن ماجه من ضمن الكتاب الستة فقد نظروا الى ما زاد فى كتابه من الأحاديث عن الكتب الأخرى أكثر من الأحاديث التى انفرد بها (الموطأ) عن كتب الستة .

ومن هنا نستطيع أن نقول ان الغالبية العظمى من السنة قد تم تدوينها فى القرن الثالث ، واكمل البقية القليلة الباقية أهل القرنين : الرابع والخامس ومن جاء بعدهما .

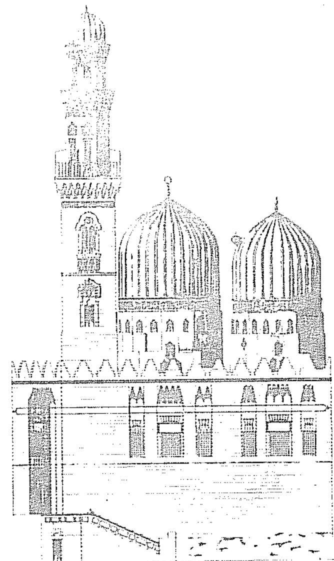
ما تم فى القرنين الرابع والخامس :

وبعد أن تم تدوين السنة النبوية فى الكتب الستة أخذ المؤلفون يضمون بعض كتب الأحاديث الى بعض ، أو يجمعون الأحاديث المتجانسة بعضها الى بعض ، وجمعت السنة جمعا دقيقا .

وقد الفت فى السنة كتب أخرى لا جديد فيها الا فى منهجها ، فيأتى المؤلف على كتاب البخارى مثلا فى أحد أحاديثه فى السند المتصل عن أبى هريرة ، فيأتى هو بطريق آخر لهذا الحديث ، أى برجال آخرين يوصلونه الى أبى هريرة ، فيرويه بنفسه ويستخرجه لنفسه ، ويطلق على مثل هذا النوع من التأليف اسم « مستخرج » ، ويمتاز بتقوية الحديث ، لأنه يأتى به من أكثر من طريق للدلالة على صحة الحديث .

ووجدت هناك مناهج أخرى فى التأليف تهدف الى خدمة السنة النبوية الشريفة ، كجمع أحاديث الأحكام ، أو شرح النصوص ، وقد وجد فى عصرنا هذا من سارع الى خدمة السنة فجعل لها فهارس تساعد على كشفها .

إن الجهود التى بذلها العلماء المخلصون لخدمة السنة النبوية الشريفة لا تعد ولا تحصى ، وقد جعلت هذه الجهود الاطلاع على السنة النبوية أمرا ميسورا لجميع الباحثين والمثقفين .





كلهم يبكي

نقل عن سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، أنه نظر يوما الى تلامذته من حوله ، فرآهم جميعا يبكون ، وقد افتقد أحدهم مصحفه ، فقال عاجبا : كلكم يبكى .. فمن سرق المصحف ؟

والمسلمون اليوم ــ أيها الأخوة الشباب ــ كلهم يبكون .. فمن سرق المصحف ؟

* الزعامات تشكو من رعاياها ، والرعايا تشتكى من زعاماتها !!
* الرئيس يشكو من موظفيه ، والموظفون يشتكون من رئيسهم !
* المعلمون يتضايقون بطلابهم ، والطلاب يسأمون من معلميهم !
* التجار يتباكون من كساد مزعوم، والمستهلكون يجأرون من احتكار التجار ، وتغاليهم بالأسعار ، وغشهم فى السلع .
* الأطباء يضيقون صدرا بالمرضى ، لأنهم لا يلتزمون بالحمية الواجبة ولا بالدواء الموصوف ، ومع ذلك يترددون عليهم ، ويتوجهون لهم .!
* والمرضى حاقدون على الأطباء ، لأنهم لا ينصحون فى فحص الداء ولا يخلصون فى وصف الدواء !
* الآباء والأمهات يشكون من الأولاد : جهدا فى التربية والتعليم وسوءاً فى المعاملة والجزاء . والأولاد يسخطون رقابة آبائهم وأمهاتهم على سلوكهم ، وحزمهم

فمن سرق المصحف ؟

للاستاذ احمد محمد جمال

في معاملتهم ، وحرصهم على نجاحهم .

* الأزواج تزعجهم معاملة زوجاتهم لهم : نشوزا أو إعراضا ، أو إسرافا في مطالب الزينة ، أو إهمالا لشئون البيت ، أو تقصيرا في رعاية الأولاد .

* والزوجات لا يعجبهن الا الرجل المطواع ، الجواد ، الصبور ، المستجيب لكل مطلب ، الملبى لكل نداء ، الراضي بكل إهمال ، الساكت على كل تقصير .

كلهم .. يبكي ، فمن سرق المصحف ؟ من المخطيء منهم ومن المصيب ، أو من الظالم فيهم ومن المظلوم ؟.

كلهم يقول : ان الزمان فسد — وكذبوا فما فسد الزمان ، وإنما الناس هم الفاسدون المفسدون للزمان .

وصدق أبو الطيب اذ يقول :

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

ان الواقع المؤسف : انهم جميعا سرقوا المصحف ! فكلهم راع ، وكلهم مسؤول عن رعيته : الرجل راع وهو مسؤول عن بيته وأهله وولده ، والمراة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والرئيس والمرؤوس راعيان مؤتمنان على مصالح الأمة ، ومسؤولان عن الأمانة الثقيلة الجليلة .

والطبيب مسؤول ، والمريض

مسـؤول ، والتـاجر مفروض عليه الأمانة والرفق ، وحرام عليه البخس والتطفيف والغش والاحتكار والآباء والمعلمون رعاة أمناء ، وهداة أيقاظ ، والأبناء مطلوب منهم أن يبروا آباءهم وامهاتهم ، وأن يحترموا معلميهم ، وان يستفيدوا منهم .

■ ■ ■

ان المجتمـع الاسـلامى بلغ من (العبث) درجة انعدم فيها الرابـط والضـابط ، واسـتوى السـائل والمسؤول ، واختلط الحابل بالنابل ، حتى أصبح كلهم يبكى ، وكلهم سرق المصحف !.

يقول الله عز وجل : **(الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)** ونحن المسلمين اليوم خائفون حزنى لماذا ؟ لأننا نفتقـد شـروط الأمن ، وأسباب الفرح .. فقد وصف الله أولياءه الآمنين بأنهم : ((**الذين آمنوا وكانوا يتقون**)) . ووعدهم فى الآية التالية : **(لهم البشرى فى الحيـاة الدنيا ، وفى الآخرة)** .

ويقول تبارك وتعالى : **(الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمـات الى النور)** ونحن المسلمين اليـوم نعيش فى ظلمـات الفرقـة والذل والمعصية ، وظلمات الجهل والضعف والمرض .

ويقول سبحانه : **(ومن يتـول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون)** ونحن المسـلمين اليوم مغلوبون لأحقر عدو وأذله وأقله مع كثرتنا وقلته ، وغنـانا وفاقته .

ويقول عز وجل : **(كمـا أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنـا ويزكيكم ، ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعـلمكم ما لم تكونوا تعلمـون ، فاذكرونى أذكركم ، واشـكروا لى ولا تكفرون)** .

فالله قـد بعث الينا رسـولا من أنفسنا ، وهو يمن علينا بذلك منا ، أبعثه لكى نلهو ونلعب ؟ ونرقص ونطرب ونملأ فراغات حياتنا بأباطيل القول والعمل ، ولذائذ الأكل والشرب ومحرمات السمع والبصر ؟.

لا . انما بعثـه الينا ليتلو علينـا القرآن الذى سرقناه وبعناه بأبخس الأثمان .. تماما كاللص الذى يسرق الجوهرة الثمينة ، أو السوار الذهبى النفيس ، ثم يبيعه بثمن بخس دراهم معـدودة .

ولا تستغربوا هـذا التشـبيه والتمثيل ..

فنحن سرقنا القرآن لأننا لم نقف عند حدوده ، ولا حرمنا حرامه ، ولا حللنا حلاله ، ولا أقمنا معالمه ، ولا حفظنـا مكارمـه . وكذلك وصـف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الرجـل الذى لا يتم صـلاته ركوعا وسجودا وقياما وقعودا بأنه (سارق) بل انه أسرق الناس .. فى حـديثه الذى يقول فيه : **(أسرق الناس الذى** يسرق صلاته . قيل يا رسول اللـه كيف يسرق صـلاته ؟ **قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها)** .

وبعثه الله الينا ليزكينا ويعلمنا الحلال والحرام . ثم أمرنا أن نذكره بالايمان والتقوى ، ليذكرنا بالحفظ والنصر ، ووعدنا أن صدقنا وعملنا صالحا أن نحيا حياة طيبة فى الدنيا ، ثم اجر الآخرة أعظم واكرم : **(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى ، وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) .**

وقال فى المقابل : **(ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى) .**

فلكل هذه المعيشة الضنك ، وهذا العبث الطاغى على شؤون المسلمين فى كل أوطانهم ، ولهذا الهوان المضروب عليهم : سبب واحد لا ثانى له : هو اتخاذهم القرآن مهجورا ، هو اهمالهم لذكر الله فى كل أحوالهم وهجرهم للدين أمرا وزجرا ، ووعظا وذكرا .

ونحن المسلمين اليوم لا ننتفع بصلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج . ولا اى منسك أو عبادة او عمل مما افترضه الله علينا . لأن فريقا منا لا يؤديه اطلاقا ، والفريق الثانى يؤديه رسما لا موضوعا ، وشكلا لا حقيقة ، وقليل جدا هم الصادقون.

والاسلام دين النوايا والموضوعات والحقائق . وليس دين الرسوم والأشكال . انه ليس دين النفاق والمنافقين الذين **(يخادعون الله ـ وهو خادعهم ـ واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ، ولا يذكرون الله الا قليلا .)**

والمسلمون اليوم لا يذكرون الله الا قليلا ، لا يذكرونه بقلوبهم وعقولهم وأعمالهم ، ولا يذكرونه فى متاجرهم وأسواقهم ولا يذكرونه فى مكاتبهم ومدارسهم ، ولا فى بيوتهم وأسرهم ، ولا فى سلمهم وحربهم .



لو كان المسلمون اليوم يذكرون الله كثيرا ، ويلتزمون الصدق والأمانة والوفاء .. فى كل ما يقولون ويعملون لكان لهم من الله عز وجل سلطان ونور .. فى ابصارهم واسماعهم وأيديهم وأقدامهم ـ وكانت سلمهم هناءة وعزا ، وكانت حربهم للعدو غنيمة لهم ونصرا .

وصدق الله الجواد الكريم اذ يقول فى الحديث القدسى : **(ما تقرب الىّ عبدى بأحب مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها . ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه) .**

ويؤكد القرآن حقيقة عواقب الايمان والتقوى والذكر الدائم لله عز وجل .. بركات من السموات والأرض : **(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ..) .**

ويقول عن أهل الكتاب ـ ونحن المسلمين مخاطبون بكل ما جاء فى

القرآن من توجيه وتنبيه للأمم الغابرة **(ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ، وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) .**

كذلك نحن المسلمين لو أقمنا القرآن عقيدة وشريعة وخلقا وسلوكا — وذكرنا الله قياما وقعودا وعلى جنوبنا لأكلنا من فوقنا ومن تحت أرجلنا ، ولانتصرنا فى حربنا ، وعوفينا فى سلمنا : **((ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ..))**

ولو أن المسلمين أقاموا القرآن ، فذكروا الله ، وتذكروا أمره الحازم المكرر فى عديد من الآيات القرآنية : بألا يتخذوا أعداءهم وأعداء دينهم أولياء .. لما تفرق شملهم ، ولا تصدع كيانهم ، ولا اختلفت كلمتهم ، ولا نزع الله مهابتهم من صدور أعدائهم ، ولا كانوا غثاء كغثاء السيل ، كما جاء ذلك فى تصوير رائع لحديث نبوى جليل .

■ ■ ■

لقد حدثنا الله تبارك وتعالى على ذكره فى تقلبنا لطلب المعيشة ، واكتساب الرزق ، فقال : **(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) .**

وكرر — عز وجل — الحث نفسه ، بعين العبارة وألفاظها ، حين حثنا على ذكره عندما نلقى العدو المتربص بنا فقال : **(يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) .**

وهكذا ترون أن الفلاح فى معركة الرزق والكسب — أى فى السلم — وفى معركة الحرب مع العدو ، مترتب على ذكر الله عز وجل .. بمعنى تقواه ومراقبته وطاعته ، واللجوء اليه بطلب التوفيق والنصر .

ولذلك هزم المسلمون فى الجولة الأولى من معركة أحد ، وانهزموا — كذلك — فى واقعة حنين . مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قائدهم ورائدهم — لما خالفوا سنة الله فى اكتساب النصر ، فعصوا أمر قائدهم فى الموقعة الأولى واغتروا بكثرتهم فى الثانية ، فقال بعضهم : (لن نغلب اليوم من قلة) وأنزل الله فى ذلك قرآنا يتلى على مر العصور ، ليكون لنا موعظة وذكرى : **(ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ، فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين) .**

ان قضية فلسطين مثل واحد من أمثلة كثيرة على هزيمة المسلمين ، فى معاركهم مع أعداء دينهم ، ومخربى حضاراتهم ، ومغتصبى أوطانهم ، ومذلى أعناقهم ، وآكلى ثرواتهم .. ولو أنهم آمنوا واتقوا — كما يؤكد القرآن الكريم — لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض ، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولجاءهم النصر مبينا على عدوهم المبين :

* ((ان ينصركم الله فلا غالب لكم ، وأن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ؟)) .
* ((ان تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم)) .
* ((أذكرونى أذكركم ، واشكرونى ولا تفكرون)) .
* ((ادعونى أستجب لكم . ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين)) .

■ ■ ■

لقد تكرر توجيه القرآن للرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه الى ذكر الله وتسبيحه والاستعانة به فى كل شؤونهم ، فهم مأمورون بذكر الله ذكرا دائما لازما لكل احوالهم . وهم حين نسوا الله أنساهم أنفسهم .. عطّل طاقاتهم عقليا وجسديا ، فلم يعد عندهم تفكير سليم ، ولا عمل صالح ، ولا شجاعة عند لقاء العدو ، ولا بركة فى طلب العلم والتماس الرزق . ولم تعد لهم معرفة صحيحة بعدوهم وصديقهم ، فاتخذوا الأعداء أولياء ، وهجروا الأقرباء والأصدقاء ، بل اعلنوا على أهليهم وذويهم واخوتهم فى العرق والدين حربا يضرب بعضهم رقاب بعض .. بينما عدوهم اللدود الذى اغتصب أرضهم وديارهم وأموالهم ينظر اليهم ضاحكا شامتا ، متمنيا لهم مزيدا من الفرقة والخلاف ، ومزيدا من التخريب وسفك الدماء .

وهم حين نسوا الله نسيهم .. فلم يعد عز وجل يذكرهم برحمة ولا لطف ولا توفيق الى الخير ، ولا هداية لأسباب النصر ، فهم فى غناهم فقراء وفى جماعتهم ضعفاء ، وهم على علمهم جهلة ، وعلى كثرتهم غثاء كغثاء السيل .

■ ■ ■

أيها الأخوة الشباب أنتم — ولا ريب — أمل الحاضر ، وذخر الغد . انكم اليوم ناشئة وشباب ، ولكنكم غدا رجال وقادة واصحاب راى وسلطان .

آباؤكم ومعلموكم والناس من حولكم ، والدولة من فوقهم جميعا — كل هؤلاء بأموالهم وقلوبهم وعقولهم ، لا مرجى لهم عندكم ، الا ان تعدوا الاعداد الصالح ، وتنشئوا التنشئة السوية ، وتعلموا التعليم النافع ، لتكونوا غدا علماء عاملين ، وقادة راى راشدين ، وسادة مجتمع كراما تصلحون فى الأرض والعمل ولا تفسدون ، وتعدلون قولا وحكما ، ولا تظلمون ، وتقيمون على دينكم الحق ، ولا تزيغون .

من اجل ذلك .. من اجل أهميتكم الذاتية آثرت أن اتحدث اليكم بما أراه (موضوع الساعة) أو (قضية العمر) . فلعل الله أن يجعل للمسلمين على أيديكم غدا فرجا ومخرجا .. اذا أحسن إعدادكم ، وصلح استعدادكم ، وصدقت نياتكم وصحت عزائمكم ، فانما الأعمال بالنيات ، ولكن (الايمان) ليس بالتمنى والتحلى .. ولكنه ما ثبت فى القلوب ، وصدقته الأعمال .

الايمان بالقدر قوّة

للدكتور احمد الحوفى

ليس من شك فى أن قضية القضاء والقدر قضية قديمة غامضة ، شغلت كثيرا من المفكرين على اختلاف أديانهم ، وتباين نزعاتهم ، ولم يهتد فيها أحد الى رأى حاسم ، تطمئن اليه النفوس جميعا ..

ولست أزعم أننى فى هذه العجالة سأبلغ ما لم يبلغوه ، ولا أنى سأعرض القضية كلها مفصلة مسهبة ، وأناقش الآراء والمذاهب المتشعبة فيها ، بل انى سأعتمد على التركيز وعلى الاصول العامة ، مقتصرا على ابطال الفرية التى افتراها علينا نحن المسلمين فريق من اعدائنا ، اذ زعموا أن تخلفنا الاخير راجع الى عقيدتنا فى القضاء والقدر .

ويقتضى الموضوع أن أمهد له بعدة قضايا :

١ ــ القدر (بفتح الدال وسكونها) هو التقــدير ، أى تدبير الشىء قبل وقوعه ، والعلم به وبحالاته التى سيقع عليها .

وقدر الله تعالى هو علمه الأزلى بالأشــياء والاحداث وزمانها ومكانها واحوالها ومقاديرها وكل ما يتصل بها من وجود وفناء ، وصلاح وطلاح ، وكبر وصغر ، وقوة وضعف ، وجمال وقبح ، ما شاكل هــذا ، فلا تقع الا مطــابقة لعلمه .

قد يطلق القدر على القوانين التى أودعها الله فى الكائنات ، لتسير على مقتضاها الاحياء ، ولتخضع لها الجمادات ، كرسوب بعض المواد فى الماء ، وطفو بعضها فوقه ، وتمدد المعادن بالحرارة ، وتبخر الماء بالتسخين ، وتجمد السوائل بالبرودة .

اما القضاء فهو الخلق والتفصيل والتنفيذ .

لهذا ذهب الغزالى الى أن القدر أعم من القضاء ، لأن القدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر ، والقضاء هو الخلق ، وقال ان تدبير الأوليات قدر ، وان سوق تلك الأقدار بهيئاتها ومقاديرها الى مقتضياتها هو القضاء ، ومعنى هذا أن القدر تقدير الامور بدءا ، والقضاء هو فصلها وقطعها ، كما يقـــال قضى القاضى ، أى فصل الحكم وقطعه وفرغ منه .

روى بعض أصحاب أبى عبد الله جعفر بن محمد قال : كنت عنده فقلت فى كلامى : ما شاء الله وأراد وقضى وقدر ، فقال : اخطأت ، انما هو ما أراد الله وشاء وقدر وقضى ، ان الله تبارك وتعالى اذا أراد شيئا شاءه ، فاذا شاءه قدره ، فاذا قدره قضاه ، فاذا قضاه أمضاه .

وفى حديث النبى عليه الصلاة والسلام انه كان اذا مر بحائط مائل او بهدف أسرع المشى ، فقيل له يا رسول الله أتفر من قضاء الله .. ؟ فقال : افر من قضائه الى قدره .

أى افر من الشىء قبل أن يقع فيصير قضاء فصـــلا الى ما قدر ولم يفصّل ، فان الله يزيله عنى ويغيره ويمحوه ، وهو عز وجل قادر على ذلك .

وروى عكرمة عن ابن عباس انه سئل عن القدر فقال : الناس فيه على ثلاث منازل : من جعل للعباد فى الأمر مشيئة فقد ضـــاد الله فى أمره ، ومن اضاف الى الله شيئا مما تنزه عنه فقد افترى على الله افتراء عظيما ، ورجل قال : ان رحمتُ فبفضل الله ، وان عذبت فبعدل الله ، فذاك الذى سلم له دينه ودنياه جميعا ، ولم يظلم الله فى خلقه ، ولم يجهله فى حكمه .

والآيات القرآنية كثيرة فى اثبات قدر الله ، منها قوله تعالى : « إنا كل شىء خلقناه بقدره » ، وقوله سبحانه : « وكان أمر الله قدرا مقدرا » ، وقوله جل وعلا : « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ، وقوله جل ثناؤه : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » ، وقوله تعالى : « ويستعجلونك بالعذاب ، ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب » ، وقوله سبحانه وتعالى : « قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم » .

٢ ــ أرأيت الى المهندس الخبير الحاذق الذى اخترع آلة اســـتقل هو بصنعها ، كيف يعلم تفصيل أجزائها ، وكيف يعلم طريقة عملها وسيرها ، وكيف يعرف مقدار قوتها ومدى صلاحيتها .. ؟

أرأيت الى صانعى الاقمار الصناعية والصواريخ الدوارة والموجهـــة كيف يعلمون علم اليقين اتجاهها وسرعتها والمناطق التى ستمر بها ، ويحددون أزمان مرورها على المدن والاصقاع ، وكيف يعرفون ما شاكل ذلك معرفة دقيقـــة يندر أن يتخلف بعضها .. ؟

فكيف ينكر عاقل أن الله سبحانه وتعالى وهو الخـــلاق العظيم والعليم البصير يعزب عن علمه شىء مما فى السموات والأرض .. ؟

لا عجب اذن فى أننا نعتقد اعتقادا جازما راسخا أن بارىء الكون ورب

الكاشفين والمخترعين يعلم أزلا علما لا يتغير ، ويقدر تقديرا لا يتبدل . واذا كان من صفات علم الانسان أنه قاصر ومحدود فان من صفات علم الله أنه لا حدود له ولا قصور فيه ، لأنه العلم العام الشامل الكامل .

كذلك يتصف العلم الانسانى بأنه لا يتعلق الا بالاشـــياء الموجودة ، لأنه نتيجة لها وأثر من آثارها ، أما العلم الالهى فانه يشمل حاضرها ومستقبلها ، شاهدها وغائبها ، لأنه السبب فى وجودها .

فالله سبحانه وتعالى يعلم الاسباب والمسببات ، يعلم الاشياء والاحداث ويعلم آثارها ونتائجها علما أزليا خاصا به وحده .

لهذا كان علم الغيب مقصورا على الخالق سبحانه ، قال تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله » ، وقال سبحانه : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الارض ، ولا رطب ولا يابس الا فى كتـــاب مبين » وقال جل وعلا : « وســـتردون الى عالم الغيب والشـــهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

وبديهى أن العقل الانسانى لا يستطيع أن يعرف حقيقة علم الله تعـــالى للأشياء المستقبلة ، لأن هذا العقل عاجز عن معرفة حقيقة الذات العلية ، فمن الطبيعى أن يعجز عن معرفة صفاتها ، بل ان هذا العقل الانسانى عاجز عن معرفة كثير من أحوال النفس الانسانية وأحوال الجسوم البشرية ، وكثير من ظواهر الكون التى يشهدها ، فهو أحرى بأن يســـتبين عجزه التام عن معرفة ما وراء المادة ، وعن ادراك صفات الله سبحانه وتعالى .

واذا كان من شأن الانسان أن يفرق بين علمه للماضى وعلمه للحـــاضر وظنه فى المستقبل ، فان هذه التفرقة تنطبق على الانسان وحده ، وليس من الجائز أن تنطبق على علم الله تعالى ، لأن علمه أزلى أبدى ، لا فرق بين ماض وحاضر ، ولا بين حاضر ومستقبل ، ولا بين شاهد وغائب ، فلا يقع فى ملكه حدث الا مطابقا لعلمه ، وموافقا لما لا ينفك عن علمه من قدرة ومشيئة وارادة .

يدل على هذا قوله تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمـــات الارض ، ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » .

وقوله سبحانه : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام ، وما تزداد ، وكل شىء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » .

وقوله سبحانه وتعالى : « وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون . وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين » .

وقوله جل وعلا : « انا نحن نحيى الموتى ، ونكتب ما قدموا وآثارهم ، وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين » .

وقوله سبحانه : « ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير » .

٣ ــ ولا منفذ الى شك فى علم الله تعالى ولا فى قدره وقضائه وأنه واقع لا يتخلف ، قال تعالى : «ولقدكذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا ، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله » .

وقال ســـبحانه : « ولقد ســـبقت كلمتنا لعبادنا المرســـلين وانهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون » .

وقال تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

والأحاديث النبوية تجرى على هذا النسق ، كقوله صلى الله عليه وسلم : مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله تعالى : ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الارحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، ان الله عليم خبير .

وقوله صلى الله عليه وسلم : كل شىء بقدر ، حتى العجز والكيس .

لماذا نؤمن بالقدر .. ؟

نؤمن نحن المسلمين بقدر الله ايمانا وطيدا لا يتزعزع ، لعدة اسباب :

١ — لأننا نؤمن بعلم الله وقدرته وارادته ، وندين بما يلائم عظمته وجلاله ، ونصدق بكتابه وبأحاديث رسوله ، وبما تضمناه من قضاء الله وقدره .

٢ — ولأن هذا الايمان يعصمنا من الغرور اذا ما حالفنا نجاح وظفر ، فقد تسول لظافر نفسه أنه بجده وحده ظفر ، فيتمرد ويطغى ، وينسى أن يشكر لربه ، ويتعامى عن حقوق من حوله ، كما فعل قارون ، اذ أبطره ثراؤه ، وزعم انه كسب ماله الكثير بعلمه ، ونسى حق الله فيه ، فجعله الله نكالا وعظة لغيره ، قال تعالى : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، اذ قال له قومه : لا تفرح ، ان الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ، ان الله لا يحب المفسدين .

قال : انما أوتيته على علم عندى . أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد قوة وأكثر جمعا ، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون .

فخرج على قومه فى زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا : يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون ، انه لذو حظ عظيم .

وقال الذين أوتوا العلم : ويلكم ، ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها الا الصابرون .

فخسفنا به وبداره الارض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين .

وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون : وى كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، وى كأنه لا يفلح الكافرون » .

٣ — على أن هذا الايمان اذ يعصمنا من الغرور يبعد عنا الخور والضعف واليأس والسخط ان نزلت كارثة ، أو حدث اخفاق ، لأن المؤمن بالقدر يصبر على ما نزل به ، ويستمد من صبره قوة على مغالبة عوامل القنوط والاستسلام ، فيستأنف حياته فى جد مثمر ، بعزيمة قوية ، وأمل متجدد ، وقلب متفتح .

٤ — ثم ان ايماننا بقدر الله وقضائه يبعث فى نفوسنا كثيرا من الفضائل ، لأن المؤمن بالقدر شجاع يعلم أنه لن يصيبه الا ما سبق فى علم الله من موت أو حياة ، ومن سلامة أو اضطهاد ، ومن نفع أو ضرر .

والمؤمن بقدر الله أبى عزيز النفس لا يذل لأحد ، ولا يدنس ضميره أو يلوث كرامته لقاء ثمن ، لأنه يعتقد أن النفع والضرر بيد الله تعالى ، وقد سبق به علمه وقدره ، فلو اجتمع الانس والجن على أن ينفعوه أو على أن يضروه

ما استطاعوا شيئا سوى ما سبق به قدر الله . وهو راض دائما ، مستبشر دائما ، متفائل فى جميع حالاته ، لأنه مطمئن الى رحمة الله ولطفه وعدله .

٥ — ولا شك أن هذا الايمان يحفظنا من رذيلة الحقد والحسد والسخط ، لأن الذى يحسد غيره على نعمة أنعم الله بها عليه ساخط على قدر الله ، والذى يحقد على ذى نعمة متبرم بحظه من الحياة ، والذى يسخط نصيبه من الدنيا ضعيف الثقة بقدر الله ، غافل عن نعم أخرى أسبغها عليه الله .

٦ — واننا اذ نؤمن بقدر الله تعالى نؤمن بأنه أوجب علينا أن نعمل وأن نسعى ، وأن نتخذ من الاسباب والوسائل الشريفة ما يحقق غاياتنا المشروعة ، فلا كسل ولا تكاسل ، ولا خمول ولا تواكل .

فمثلا أمرنا سبحانه وتعالى بالسعى والعمل للحصول على الرزق ، قال سبحانه : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض ، وابتغوا من فضل الله » ، وقال تعالى : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه » .

وأمرنا بالدفاع عن الدين وعن الوطن فى قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، وفى قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، وفى قوله جل وعز : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » ، وفى قوله سبحانه : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة » .

وأمرنا سبحانه وتعالى بعمل الصالحات ، ونهانا عن فعل المنكرات ، فقال تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، وقال سبحانه : « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها » .

وهكذا تتكرر الاوامر والنواهى فى آيات كثيرة .

والأحاديث النبوية تتفق مع كتاب الله فى الحض على العمل ، فطالما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمل ، وطالما عمل بنفسه فى السلم وفى الحرب ، فقاد الجيوش ، وأعد السلاح ، وحفر الخندق ، وادخر القوت .

وهو القائل : لأن يحمل أحدكم حبله على ظهره فيحتطب به خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه .

وهو القائل : المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير . احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله ، ما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان .

وهو القائل للرجل الذى عرض عليه أن يتصدق بماله كله : انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس .

وهو القائل : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

وهو القائل : تداووا يا عباد الله ، فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء ، الا داء واحدا : الهرم .

وقد سأله بعض الصحابة : يا رسول الله ، أرأيت أدوية نتداوى بها ، ورقى نسترقى بها ، وتقى نتقى بها ، هل ترد من قدر الله شيئا .. ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هى من قدر الله .

٧ — ونحن نؤمن بالقدر ، ولا يعوقنا هذا الايمان أيما تعويق عن العمل ،

لأن الاحداث قبل أن تقع سر محجب عنا ، خفي علينا ، لا يعلمه الا الله الذى قدر وقضى ، وليس فى استطاعة مخلوق أن يعلم المقدور . وكيف يتطلع احد الى معرفة الغيب ، وقد أمر الله رسوله أن يقول : « قل لا أملك لنفسى نفعـــا ولا ضرا الا ما شاء الله ،ولوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

لهذا نعى الله على المشركين اعتذارهم عن شركهم بأنه قدر من الله ، ونعى على من يعتذرون بالقدر فى انصرافهم عن الخير واقبالهم على الشر ، قال تعالى : « سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا .. ؟ إن تتبعون الا الظن ، وان أنتم الا تخرصون » .

وقد قال سراقة بن مالك لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن ، فيم العمل ؟ أفيما جفت به الاقلام ، وجرت به المقادير ؟ أم فيما يستقبل ؟ قال رسول الله : فيما جفت به الاقلام ، وجرت المقادير .

وروى عن على بن أبي طالب : كنا فى جنازة ، فأتانا رسول الله ، فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة ، فنكس وجعل ينكث بمخصرته ، ثم قال : ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة ، فقالوا : يا رسول الله ، أولا نتكل على كتابنا ، وندع العمل ؟ قال : اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة ، ومن كان من أهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة ، ثم قرأ قوله تعالى : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » .

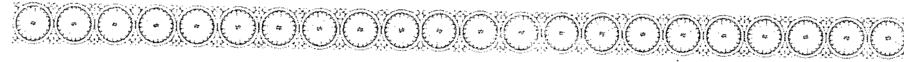
وهكذا تتوالى احاديث رسول الله ، كقوله : ما منكم من أحد الا قد كتب مقعده من النار أو الجنة ، فقال أحد السامعين : الا نتكل يا رسول الله .. ؟ قال : لا ، اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له .

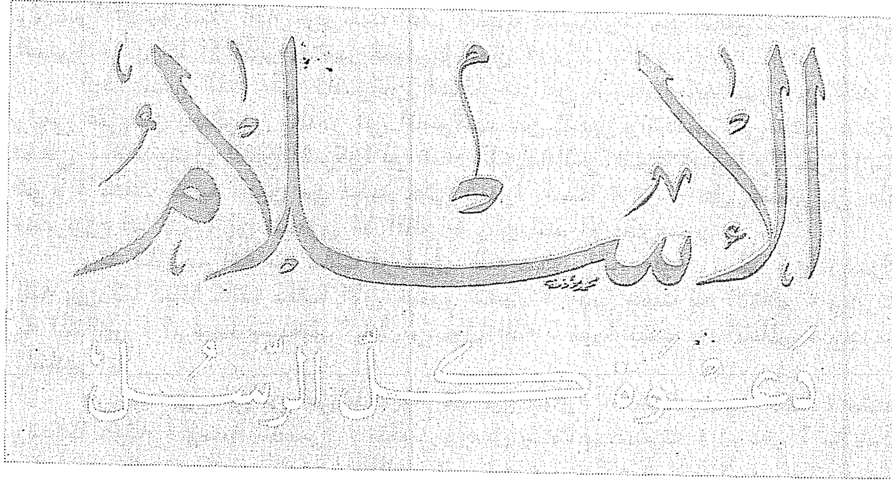
وقوله : اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك .

٨ ــ لهذا كله كان الايمان بالقدر وبالقضاء نعمة على البشر ، لأنه ظل من الطمأنينة وارف ، ونعمة من السكينة الراضية ، ولأنه حافز الى قوة العزائم ، وباعث على العمل والعزة والصبر والشجاعة ، ووقاية من الشرور التى تصيب الافراد والجماعات ، كالأثرة والحسد والشماتة والنفاق والجزع واليأس .

ولست أريد أن أكرر ما سبق من آيات وأحاديث فى الدلالة على هـــذه المعانى ، بل أريد أن أذكر أن المنافقين كانوا يتخلفون عن مشاركة رسول الله فى صد العدوان عن المدينة وعن الاسلام ، وهم فى أعماق نفوسهم يودون أن ينهزم الرسول ، ليفرحوا بهزيمته ، وليبرروا تخلفهم عن نصرته ، فأنزل الله تعالى على رسوله أن المسلمين الصادقين لا يأبهون بما يجول فى نفوس المنافقين ، لأنهم مؤمنون بأن ما يصيبهم من خير أو شر قد سبق به قدر الله ، ولأنهم قد أرضوا ربهم ، وأرضوا نفوسهم بجهادهم فى حماية العقيدة وصـــــيانة الوطن ، فاذا انتصروا لم يبطروا وان انكسروا لم ييأسوا .

قال تعالى : « ان تصبك حسنة تسؤهم ، وان تصبك مصيبة يقولوا : قد أخذنا أمرنا من قبل ، ويتولوا وهم فرحون . قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ، هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .





للدكتور : أحمد عمر هاشم

إن الاسلام هو دعوة كل الرسل ، ويتناول اطلاقه جميع الأديان التى أمر الله تعالى رسله أن يبلغوها للناس ، لأنه روحها الكلى ، على اختلاف في بعض التكاليف والأعمال وينضوى الانسان تحت راية الاسلام عندما تصح عقيدته ، وتخلص من كل شائبة من شوائب الشرك والنفاق .. ويخلص فى ايمانه وعمله لله تعالى .. من أى دين كان ، من الاسلام أو الأديان السابقة — وهذا هو المراد بقوله تعالى : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » فالاسلام بمفهومه القرآنى المشرق اسم للدين الالهى الذى جاء به جميع الانبياء والرسل وانتسب اليه اتباعهم جميعا . يقول نوح لقومه : « وأمرت أن أكون من المسلمين » ، ويوصى يعقوب بنيه قائلا : « فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » ويجيب أبناء يعقوب اباهم قائلين : « نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون » ويقول موسى عليه السلام لقومه : « ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » ويقول الحواريون لعيسى : « آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » ويقول بعض أهل الكتاب حين سمع القرآن : « قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين » .

وقد وجه القرآن الكريم الأمة الاسلامية ، إلى بيان هذه الحقيقة





فى قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ، كما خاطب الله تعالى الرسل جميعا مبينا أن الاسلام والتوحيد قد أمر به كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وكافة الامم فالملة واحدة ، متحدة فى أصول الشرائع ، لا تتبدل بتبدل العصور ، قال تعالى :

« وان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

وتتلخص دعوة الملة القيمة فى التوحيد الخالص لله الواحد الأحد ، البعيد عن العقائد الزائغة ، مع اتباع جميع الأحكام المنوطة بأتباع الاسلام ، كما قال تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » .

وقال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

فعلاقة الاسلام إذا — بالأديان الأخرى علاقة الشىء بنفسه ما دام جوهره هو جوهر كل الرسالات ، ودعوة رسوله هى دعوة كل الرسل . وأما ما اختصت به العقيدة الاسلامية الخاتمة من شرائع وأحكام فهذا مدلول معين ، كما أن اليهودية مدلول معين على شريعة معينة ، والمسيحية كذلك . وعلاقة الاسلام كشريعة للرسول صلوات الله وسلامه عليه بالاديان الأخرى تقوم على أساس تصديق القرآن لما بين يديه من الكتب والهيمنة عليها . .

وهذه العلاقة تأخذ اتجاهين واضحين : الاتجاه الاول : علاقة الاسلام بالشرائع السماوية قبل تطورها وتغييرها . والاتجاه الثانى : علاقته بها بعد تطورها وتغييرها :

أما عن الاتجاه الأول : فالقرآن جاء مصدقا لما قبله من الكتب ، وقد أخذ رب العزة سبحانه على كل نبى اذا جاءه رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره . . وتصديق الكتب المتأخرة للمتقدمة لا يعنى أنها لا تغير منها شيئا ، لا . فهى مع أنها مصدقة لها الا أنها تغير منها كما حدث أن جاء الانجيل بتعديل أحكام التوراة ، فأعلن عيسى عليه السلام أنه جاء ليحل لبنى اسرائيل بعض الذى حرم عليهم . . وأيضا فقد جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الانجيل والتوراة اذ أعلن أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، جاء ليحل للناس كل الطيبات ويحرم عليهم كل الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم . وليس فى هذا تناقض من اللاحق للسابق ، ولا انكار منه له، وانما هو توافق وتناسب للزمن الذى تعيشه كل أمة ، ليتواءم مع ظروفها وطبيعتها وأطوارها المختلفة ، فان الذى يتناسب مع أمة من الأمم فى طورها الاول ، قد لا يتناسب معها فى





الطور الثانى ، والذى يتناسب معها فى الطورين الاولين قد لا يتناسب معها فى الطور الثالث وهكذا ..

نعم هناك من الامـــــور ما تأذن الشريعة اللاحقة بابقائه واستمراره فى نطاق ظروفه السابقة : كالوصايا العشر مثلا ، ما عدا الوصية العاشرة التى تحرم العمل يوم « السبت » ، فمثل ذلك من التشريعات الخالدة التى لم تتغير بعد .. أما ما هنالـــك من تشريعات مؤقتة بآجال طويلـــــة أو قصيرة فهى تنتهى بانتهاء وقتهـــــا ، وتأتى الشريعة اللاحقـــة بمـــا يوافق الاوضاع مصداقا لقوله تعــــالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » اذا ففى كل شريعة من الشرائع عنصران ضروريان للدعوة :

عنصر مستمر : يربط حاضرهـــــا بماضيها .

وآخر غير مستمر : ويقوم بالتجديد بما يتناسب مع تطورها فى كل زمان ومكان .. فمثلا نرى شريعة التوراة تنص ضمن قوانين السلوك الاخلاقى على (النهى عن القتـــل والســـرقة .. الخ) ومن أهم ما تبرزه : طـــلب العدل والمساواة — ونرى شريعـــة الانجيل تقرر هذه المبادىء وتزيـــد عليها : « لا تراء الناس بفعـــــل الخير » و « أحسن الى من اســـــاء اليك » وأوضح ما فيهـــــا التسامح والاحسان .. فتأتى شريعة القرآن فتقرر المبدأين معا : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان » « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله » وقال تعالى : « وأن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم بـــه ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

وقد أضافت الشريعة الاسلامية كل مكارم الأخلاق ، فلم تدع جانبـــا من جوانب السلوك فى التحيـــــة ، والاستئذان ، والمجالسة ، والمخاطبة وما الى ذلك من الآداب الساميـــة ، والأخلاق الرفيعة ، كما هو موضح فى سورة النـــــور ، والحجـــرات ، والمجادلة ..

اذا فالشرائع كلها بمثابة اللبنات فى بناء الدين ، ومهمة اللبنة الاخيرة: إكمال البناء وامساكه ، وبلوغـــــه الكمال الخلقى ، كما قال عليه الصلاة والسلام :

« انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .. وقد وصف الله تعالى رسولـــه صلوات الله وسلامه عليه بأكمـــل وصف ، وأعظم خلق اذ يقول سبحانه وتعالى للرسول عليه الصلاة والسلام « وانك لعلى خلق عظيم » .. ويقول القرآن الكريم فى بيان إكمال الـــدين واتمام النعمة الالهية على العباد على يدى خاتم المرسلين صلوات اللـــــه وسلامه عليه : « اليوم اكملت لـــكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت



لكم الاسلام دينا » . ويوضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه موقفه من الأنبياء السابقين عليه كرسول خاتم ـ فيقول : « مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

وأما عن علاقة الاسلام بالاديان السماوية الاخرى بعد تطورها وتغييرها : فقد عرفنا أن القرآن الكريم ، جاء « مصدقا » لما بين يديه من الكتب و « مهيمنا » على تلك الكتب ، والهيمنة تعنى الحراسة الامينة عليها ، والحماية الواعية لها، من الدخيل الذى يدس فيها ، ويطرأ عليها ، وإبراز ما تدعو اليه الحاجة من حقائق قد أخفيت عنها ، وتأييد ما خلده التاريخ من حق وخير .

وهكذا كانت مهمة القرآن الكريم .. فنفى وجود الأمور الزائدة ، وتحدى ادعاء وجودها فى الكتب : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين » وابراز ما أخفوه « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب » فعلاقة الاسلام اذا بالأديان الأخرى فى طورها الأول علاقة تأييد كلى ، وأما فى طورها الاخير المتطور فهو تصديق لما بقى من أجزائها الاصلية ، وتصحيح لما طرأ من البدع والاضافات الغريبة عنها .

وقد أمر الإسلام اتباعه بالتعامل الحسن ، حتى مع أبعد الأديان عنه ، قال تعالى :

« وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » ان سماحة الاسلام لتنفسح جوانبها ، وتمتد ظلال الأمن فيها وارفة فتجير المشرك وتؤويه وتكفل له الامن ، وتقدم له الرشد الناجح ، والتوجيه السديد بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هى أحسن كما قال تعالى : « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » بل وتكفل له الحماية والرعاية والأمان من كل غائلة .. كما ندب الاسلام أتباعه أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف بر ورحمة ، وقسط وعدل : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم أن الله يحب المقسطين » .

وما أروع قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ يوم الحديبية :

« والله لا تدعونى قريش الى خطة توصل بها الارحام ، وتعظم فيها الحرمات ألا أعطيتهم إياها » .

الاحتكار وتسعير السلع
وحكمها في الفقه الاسلامي

للدكتور / محمد سلام مدكور

النزعة السائدة فى التشريع الاسلامى انه يعمل على الحد من سلطان الفرد اذا تعارض مع الصالح العام ، أو أساء الفرد استعمال ما له من حق ، اذ الحقوق فى استعمالها مقيدة بمراعاة مصلحة الآخرين وعدم الاضرار بالجماعة . ولذا فقد نص الفقهاء على أن المرء قد يمنع شرعا من عمل هو فى الاصل مباح وفيه مصلحة اذا ترتب عليه الاضرار بالمجتمع .

والاسلام اذ يعترف بالملكية الفردية فانه يفرض على المالكين لمصلحة الجماعة طائفة من التكاليف والالتزامات . فالشارع لم يطلق للمالك حق التصرف فى ملكه على وجه لا يحد من سلطانه فيه شىء ولا يصد هواه ورغباته قاعدة ولا قانون ، ولكنه ملكه ملكية محدودة بقيود رسمها الله . فاذا التزمها كان آمنا على ملكه وتصرفاته ، وان اخل بها كان عرضة للحجر عليه أو معاملته بالشدة والقهر .

ولذا فان التشريع الاسلامى — كما سنبين — منع احتكار الطعام وما فى معناه مما تتعلق به حاجة الناس واجاز — كما يرى كثير من الفقهاء — التحكم فى تسعير السلع التى لا غنى للناس عنها فى معاشهم ، ومن أبى الانقياد لتوجيه الاسلام ، وعزفت نفسه ، وخلا قلبه من التقوى . فقد سلط الله عليه سلطة الحكام يقومون زيفه ويعدلون ميله فيبيعون عليه ما عنده من حكرة لما يحتاج اليه الناس تنفيسا للكربة عنهم .

وفى ذلك خير لنفس المحتكر فى الواقع ، فربما كان أخذه بالشدة والقوة مما ينبه ضميره الآثم ويبعث قلبه الميت فيندم على تمنته مع جماعته ويعود فى تعامله الى ما يحقق التعاون والوئام ، وصدق الامام العادل عثمان (يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

معنى الاحتكار :

جاء في المصباح : احتكر فلان الطعام اذا حبسه ارادة الغلاء ، ومن الفقهاء من عرفه بأنه اشتراء الطعام ونحوه وحبسه الى الغلاء لمدة اختلفوا في تقديرها (وكلمة ونحوه تجعل الاحتكار شاملا للقوت وغيره مما يحتاج اليه الناس ويكون من مستلزمات معيشتهم) ، وينقل الشرنبلالي في حاشيته على درر الحكام شرح غرر الاحكام عن أبي يوسف الفقيه الحنفي : أن كل ما أضر بالعامة حبسه فهو احتكار وان كان ذهبا أو فضة أو ثوبا . . وقد خصه بعض الفقهاء بحبس الاقوات فقط انتظارا للغلاء يقول البابرتي الحنفي ان المراد بالاحتكار حبس الاقوات تربصا للغلاء وهذا ما اتجه اليه الفقه الشافعي والحنبلي والاباضي . بل يقصر الفقه الجعفري الاحتكار على سبعة أشياء من القوت : الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والزيت والملح .

ويتوسع المالكية في مفهوم الاحتكار كأبي يوسف الحنفي . فقد روى سحنون أنه سمع مالكا يقول : الحكرة في كل شيء في السوق من الطعام والزيت والكتان والصوف وجميع الاشياء وكل ما أضر بالسوق . فيمنع من يحتكر شيئا من ذلك الا اذا كان غير ضار بالسوق فانه لا يمنع . والى هذا اتجه الزيدية .

والذي نتجه اليه في تصوير الاحتكار الذي حظرته الشريعة الاسلامية بناء على ما تفيده القواعد العامة ولا يتنافى مع نصوص الشارع : انه شامل لحبس أي شيء تشتد حاجة الناس اليه ويستعملونه في حياتهم ويتضررون من حبسه عنهم على ما سنبينه تفصيلا بعد .

دليل منع الاحتكار :

لا نجد في نصوص القرآن حكما خاصا بموضوعنا شأنه في كل الاحكام المتعلقة بالمعاملات التي يكتفي بالنسبة لها بوضع القواعد الكلية . غير أن القرطبي المالكي ذكر عند تفسيره لآية : (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم) أن أبا داود روى عن يعلى ابن أمية أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه) وهو قول عمر ابن الخطاب) . وقد فهم هذا صاحب الاختيار الحنفي : (أن الآية اصل في افادة تحريم الاحتكار) . وان كان التحريم فيما نرى مستفادا من الحديث نفسه .

وبالرجوع الى السنة في موضوع الاحتكار نجد جملة احاديث واردة في الموضوع . بعضها عام ، وبعضها مخصص ببعض السلع دون بعض . ومما جاء عاما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (من احتكر فهو خاطىء) ، وفي رواية أخرى : (لا يحتكر الا خاطىء) .

كما روى أحمد في مسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من احتكر حكرة — بمعنى الاحتكار — يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطىء وقد برأت منه ذمة الله ورسوله) .

وعن معقل بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة) أي بمكان عظيم ، رواه أحمد في مسنده . وعن ابن عمر أن رسول الله قال : (الجالب مرزوق والمحتكر ملعون) رواه ابن ماجه والحاكم والدارمي وغيرهما وضعفه الحافظ .

ومما ورد خاصا باحتكار الطعام والقوت . ما رواه ابن ماجه بسنده

الى النبى صلى الله عليه وسلم : (من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجزام والافلاس) وما رواه احمد والحاكم وابن ابى شيبة والبزار وأبو يعلى : (من احتكر الطعام اربعين ليلة فقد برىء من الله وبرىء الله منه) .

ويقول الشوكانى : (ان احاديث الباب بمجموعها تدل على عدم جواز الاحتكار ، وظاهر أحاديث الباب أن الاحتكار محرم من غير فرق بين قوت الآدمية والدواب وبين غيره) وقال الصنعانى : (لا يخفى ان الاحاديث الواردة فى منع الاحتكار وردت مطلقة كما وردت مقيدة بالطعام ، وما كان من الاحاديث على هذا الاسلوب فانه عند الجمهور لا يقيد فيه المطلق بالمقيد لعدم التعارض بينهما) وقد أوضح ذلك الامام الشوكانى حيث قال (والتصريح بلفظ الطعام فى بعض الروايات لا يصلح لتقييد بقية الروايات المطلقة ، بل هو من التنصيص على فرد من الافراد التى يطلق عليها المطلق) .

ونحن من جانبنا نلاحظ أن احاديث الاطلاق أقوى من احاديث التقييد التى طعن فى سندها كما هو مبين فى نيل الاوطار للشوكانى وغيره من كتب الحديث بينما ما ورد مطلقا ثابت فى الصحيح وما رواه احمد قال الشوكانى : ان رجاله رجال الصحيح. وعلى هذا فيجب أن نقدم أحاديث الاطلاق على فرض تعارضها مع احاديث التقييد ، فكيف وقد ثبت انه لا تعارض لأن هذا من قبيل التقييد باللقب ومفهوم اللقب لا عبرة به على ما بيناه فى موضعه .

آراء فقهاء المذاهب :

يبدو مما جاء فى كتب الفقه الحنفى أن هناك خلافين فى المذهب . احدهما بين الامام وبين أبى يوسف اذ يرى الامام أن جلب الطعام من مكان بعيد وحبسه لا يعتبر احتكارا محتجا بقول الرسول (الجالب مرزوق) ومن يشترى من مكان بعيد جالب . وعلى هذا فمن زرع أرضا فامسك طعامه فلا يعد محتكرا عند الامام وان كان الافضل عنده ألا يفعل ذلك . بينما يرى ابو يوسف أن كل ذلك من قبيل الاحتكار .

الخلاف الثانى : بين أبى يوسف ومحمد بن الحسن اذ عمم أبو يوسف الاحتكار فى حبس كل ما يضر بالناس بينما قصره محمد على قوت الناس وعلف الدواب لأن الضرر فى الاعم الاغلب انما يلحق العامة بحبس ذلك عنهم .

ونحن من جانبنا نرى رجحان رأى ابى يوسف لانه اقرب الى تحقيق مقاصد الشريعة من التيسير على الناس ودفع الضرر عنهم ومراعاة مصلحة الجماعة . فضلا عن أن ما استدل به الفقهاء السابقون لقول ابى حنيفة من حديث (الجالب مرزوق) لا وجه فيه للاستدلال اذ تمام الحديث (ان المحتكر ملعون) ، فينبغى على هذا ان يفسر الجالب بمن ليس بمحتكر والا تضارب صدر الحديث مع عجزه فكيف يجلب الشخص الطعام من مكان بعيد ليمتنع عن بيعه للناس مع حاجتهم اليه . فهذا أمر يتحقق فيه معنى الاحتكار المحظور .

كما نرى وجاهة مسلك أبى يوسف ايضا فى الخلاف الذى بينه وبين محمد ابن الحسن لأن الاضرار بالعامة لا يختص بالقوت والعلف فقط .

كما نرى أن حابس غلة أرضه آثم أيضا اذا كان الناس فى حاجة اليها فينبغى أن يأخذ حكم المحتكر لتوافر الحكمة التى من أجلها منع الاحتكار .

ولذا فان ابن عابدين يعلق على ما قاله صاحب تنوير الابصار من أن من حبس غلة أرضه لا يعد محتكرا فقال: الظاهر ان المراد انه لا يأثم إثم المحتكر وان أثم

بانتظار الغلاء أو القحط .

مذهب المالكية :

والفكر المالكى يتجه وجهة التعميم تقليل القيود فى الجملة فهم يصرحون ى المنقول عن الامام مالك وفيما استنتجه القرطبى المالكى من حديث لا يحتكر الا خاطيء أن الاحتكار يتحقق فى كل شيء من القوت وغيره يقول الحطاب : يمنع احتكار ما يضر بالناس والمقصود بمنع الاحتكار هو منع التجار من الادخار . فلا خلاف فى أن ما يدخره الانسان لنفسه وعياله من قوت وما يحتاجون اليه جائز ولا بأس به .

ويقول الحطاب أيضا : ان المنع فيمن اشترى من الاسواق فأما من جلب طعاما من خارج المدينة فان شاء باع وان شاء احتكر الا أن نزلت حاجة فادحة أو أمر ضرورى فيجب على من كان عنده ذلك أن يبيعه بسعر وقته . ويفهم مما أورده فقهاء المالكية أن من يحبس غلة أرضه لبيعها وقت الغلاء لا يعتبر محتكرا .

مذهب الشافعية :

خص الشافعية الاحتكار — كما تفيده نصوصهم — باشتراء القوت الخاص بالناس وقت الغلاء ليمسكه ويبيعه بعد ذلك بأكثر من ثمنه . وعلى هذا فلا يعد حبس صاحب الضيعة غلته احتكارا ، ولا يعد حبس الامتعة ونحوها احتكارا بل ولا يعد حبس قوت الماشية احتكارا ، ولا يعد ما اشتراه وقت الرخص احتكارا .

فهم يضيقون دائرة الاحتكار وان كانوا لم يقيدوا الشراء بأن يكون من اسواق المدينة بل يعتبر جلب قوت الآدميين وقت الغلاء من الخارج وحبسه ليبيعه بعد ذلك بأكثر من ثمنه احتكارا .

ومع تقييد الاحتكار بهذه القيود عندهم فانهم قالوا : ان اشتدت ضرورة الناس لزمه البيع مما حبسه ولو لم يعد احتكارا فان ابى اجبره القاضى ، وعند عدم الاشتداد الاولى أن يبيع ما فوق كفاية سنة لعياله من محصول زراعته ، وقالوا : يكره امساك الثياب على سبيل الاحتكار .

مذهب الحنابلة :

الفقه الحنبلى أضيق دائرة حتى من الفقه الشافعى فى مفهوم الاحتكار اذ قصروا الاحتكار المحرم على شراء شيء مما يأكل الناس على سبيل الاقتيات وأن يكون الشراء من أسواق المدينة بقصد التضييق على الناس وعلى هذا فما اشتراه من خارج المدينة ، وما شتراه من غير ما اعتاد الناس اقتياته ، وما اشتراه من علف البهائم ومن مأكولات كمالية ، وما أنتجته مزارعه ، ومصانعه كل ذلك اذا حبسه عن الناس لا يعتبر احتكارا . ولذا فان ابن القيم يصور الاحتكار بقوله : (من المنكرات الاحتكار . فان المحتكر الذى يعمد الى شراء ما يحتاج اليه الناس من الطعام فيحبسه عنهم ويريد إغلاءه عليهم فهو ظالم لعموم الناس) .

الفقه الظاهرى :

يصور ابن حزم مذهب الظاهرية فى هذا بقوله : ان الحكرة المضرة بالناس حرام فى الاشتراء وفى امساك ما ابتاع ويمنع من ذلك (فهو لم يقصر هذا على قوت الانسان ، ولا على القوت عموما ، ولم يقصر الشراء على ما كان من أسواق المدينة . وان كان قيد ذلك بوقت الضيق والغلاء . ولذا فانه يقول : المحتكر فى وقت رخاء ليس آثما ..) .

فقه الزيدية :

تنص كتب الزيدية على انه يحرم احتكار قوت الآدمى والبهيمة لعموم قوله صلى الله عليه وسلم (من احتكر الطعام ..) وانما يحرم فى الفاضل عن كفايته ومن يمون الى القلة ، وانما

يحرم مع حاجة الناس اليه ولا يوجد الا مع مثله .. ولا يحرم احتكار غير ذلك اذ لا ضرر .

وهذا يفيد انهم لا يقصرون الاحتكار على الشراء ولا يخصونه بالمصر اذا كان بطريق الشراء وعلى هذا فاحتباس غلة الضيعة يعد عندهم احتكارا أيضا . وان كانوا قصروا الاحتكار فيما يحبس من قوت الآدمى والبهيمة مع حاجة الناس اليه .

الفقه الشيعى الجعفرى :

جاء فى الروضة البهية : ان احتكار الطعام وحبسه بتوقع زيادة السعر . الاقوى تحريمه مع استغنائه عنه وحاجة الناس اليه .. فيجبر على البيع من احتكر الطعام على هذا الوجه .. وتثبت الحكرة فى سبعة أشياء : الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والزيت والملح .. والاحتكار فيها يتحقق بالشراء من المصر أو بالاستيراد من الخارج او بالانتاج .

الفقه الأباضى :

يخص الأباضى الاحتكار بشراء المقيم طعاما ينتظر به الغلاء ، وكذا المسافر الذى يتجر بمال المقيم ، ويلاحظ ان يكون الشراء بقصد الاتجار والاحتكار يتحقق بشراء كل ما يطعم .. وقيل بما يسمى فى العرف طعاما .

حكم الاحتكار فى الفقه الاسلامى :

الاحتكار الذى تتحقق فيه القيود على اختلاف المذاهب فيها محظور ، وقد اختلفت عبارات الفقهاء فى التعبير عن هذا الحظر فمنهم من صرح بالحرمة كالكاسانى الحنفى ، والشبراملسى الشافعى الذى عده فوق ذلك من الكبائر ، وابن قدامة الحنبلى وابن حزم الظاهرى ، واحمد بن يحيى المرتضى الزيدى ، واطفيش الاباضى .

ومنهم من صرح بالكراهة . ومن ذلك ما قاله كثير من فقهاء الحنفية . ولعل هذا يرجع الى اعتبارهم الاصولى فى المكروه وهو انه ما دل على منعه دليل ظنى ، على ما بيناه فى كتابنا مباحث الحكم عند الاصوليين وكذلك فان الحطاب من المالكية لم يذكر اكثر من أنه ممنوع ولعله من احتياطات المالكية المعروفة عن امامهم ، كما أن الجعفرية ذكروا الاحتكار بعد الانتهاء من الكلام فيما يحرم فى المتاجرة وتكلموا عنه ضمن ما يكره . وان كان صاحب الروضة عاد فقال : ان الأقوى التحريم .

والنتيجة انه ليس فى المذاهب كلها من اباح الاحتكار . وكيف يتسنى لفقيه أن يستسيغ القول باباحة شىء مضت السنة على حظره فضلا عما ورد فيه من التهديد والوعيد .

وعلى هذا فان ولى الأمر يلزم المحتكر ببيع ما عنده ازالة للظلم وان تكرر منه ذلك ولم يؤثر فيه الوعظ والتهديد حبسه وعزره كما يرى الحنفية زجرا له عن سوء صنعه ويبيع القاضى الشىء المحتكر من غير رضاه عند الصاحبين وقيل باجماع الامام وصاحبيه وهو الصحيح فى المذهب .

ويصرح المالكية والشافعية والحنابلة والزيدية والاباضية بأن ولى الأمر يجبره على البيع بسعر وقته ولو امتنع من بيعه الا باكثر من سعره اخذ منه بقيمة المثل . وهو ما يفهم من كلام الظاهرية والجعفرية .

وجدير فيما نرى الا يكون حظر الاحتكار واجبار المحتكر على البيع موضع خلاف ، وقد تهدد الشارع عليه بذاته بوعيد شديد قل أن يذكر فى معصية من المعاصى ، وما ذلك الا لأنه أمر يتعلق بالصالح العام .فهو مظهر ضرر ودليل قسوة فى قلب من سمحت له نفسه به وآية على جشعه وان المحتكر لم يستكمل الايمان فى قلبه .

فاذا لم يتداع بعض المؤمنين لبعض عند وجود الحاجه فجدير بهذا الذى لم يتداع لاخوانه ان يخرج من حظيره المسلمين ، واذا كان بعض الناس قد استباح لنفسه الاحتكار لشبهه ان المال ماله وهو مالك له فله مطلق حرية التصرف فى اخراجه أو حبسه . فان ذلك شخص قد قصر نظره وساء فهمه .

فان شريعة الاسلام تنادى بأنه اذا تعارض الصالح العام مع الصالح الخاص قدمت المصلحة العامة .

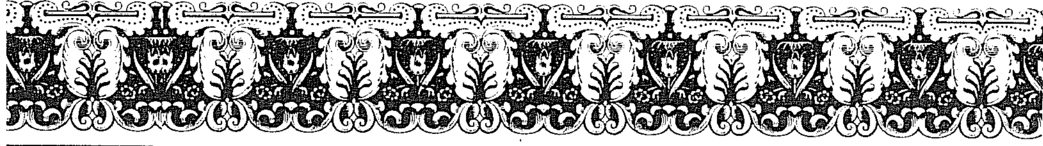
واذا كان الفقهاء قالوا : ان الامام يجبر المحتكر على ان يبيع بضاعته دون اغلائها على الناس فذلك لأن المحتكر لم ينجح فيه توجيه الدين ولم تخالط بشاشته قلبه الضعيف المهين مصداقا لقول عثمان بن عفان : ان الله يزع بالسطان ما لا يزع بالقرآن .

وسياسة الحكام فيما يرونه نافعا مفيدا لمقاومة البغى وتحقيق الصلاح تختلف باختلاف اعتبارات كثيرة تؤثر على سياسة الحاكم . واذا كان روى أن الامام عليا أحرق طعاما احتكره صاحبه عقابا له فان عمر من قبله يروى انه خرج ذات يوم مع بعض اعوانه فرأى طعاما كثيرا قد ألقى على باب مكة فقال ما هذا الطعام ؟ فقالوا : جلب الينا . قال : بارك الله فيه وفيمن جلبه . فقيل له : انه قد احتكر فقال : من احتكره ؟ فلما أخبر قال للمحتكرين ما حملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ فقد سمعت رسول الله يقول (من احتكر على المسلمين طعامهم لم يمت حتى يضربه الله بالجذام والافلاس) واكتفى بهذه الموعظه التى استجاب لها احدهما واما الاخر فقد سلك مع امير المؤمنين مسلك المناقشه ، ولا سيما ان هذه الواقعة جلب فيها الطعام من خارج مكه ، كما انه لم تثبت حاجه الناس اليه مما يجعل اعتباره احتكارا محل نظر . ولولا ذلك لبطش به عمر وهو الأمير الحازم . الا انه مع ذلك كان رجاعا الى الحق ولا يستعمل العنف فى موضع اللين .

وسياسة عمر وعلى وان اختلفتا فى هذا المضمار تبعا لاختلاف ما يتطلبه الحكم فى عصر كل منهما وفى الواقعة نفسها فان الأبى الفقيه المالكى المتوفى سنة ٨٢٧ نقل لنا فى شرحه على صحيح مسلم عن الخليفة فى عصره أنه كان اذا غلا السعر ترفق بالمسلمين فأمر بفتح مخازنه وان يباع بأقل مما يبيع الناس حتى يرجع الناس عن غلوهم فى الأثمان . ثم يأمر مرة أخرى أن يباع بأقل من ذلك حتى يرجع السعر الى أوله او القدر الذى يصلح بالناس حتى يغلب الجالبين والمحتكرين بهذا الفعل .

وما اشبه هذا بما تتجه اليه الحكومات من انشاء جمعيات تغمر الأسواق بالبضائع عند ما يتلاعب التجار فى أسعار السلع أو عند محاولتهم اخفاءها .

والى لقاء فى مقال قادم نختتم به الموضوع ونتكلم فيه عن ما نراه فى احتكار غير القوت من مختلف انواع السلع المستوردة والمنتجة محليا بل والأعمال ، وحكم تسعير السلع فى الاسلام .



الإسلام

للدكتور : عماد الدين خليل

إن المتتبع لتاريخ العقود الأخيرة فى القارة الافريقية ، يجد بوضوح أن قوى الاستعمار والتبشير والصهيونية بذلت كل محاولة ممكنة لوضع يدها هناك ، وتقدمت الى القارة من كل مكان ، من الشمال والجنوب ، من الشرق والغرب ، جاءت إليها بالسفن والطائرات والقطارات السريعة ، وتسللت إليها مع كل قطعة غيار أو أداة مصنع أو مؤسسة تعليمية أو اجتماعية ، ونفخت فى عقول ابنائها وقلوبهم بكل نشرة أو كتاب أو مساعدة اقتصادية أو بعثة متبادلة أو نشرة اخبارية . وكان الخطر يزداد يوما بعد يوم بسبب ما هنالك من تعايش وتعاون متبادل بين هذه القوى الثلاث ، رغم ما بين بعضها من عداء دينى وتقليدى .

والمسلمون الأفارقة السود تحيط بهم الأخطار ويضيق الخناق على أعناقهم يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة . ان جدرانا هائلة تقام كل يوم لتعزلهم عن إخوانهم العرب فى كل مكان ، انهم غدوا بمرور الوقت ، معزولين اكثر من أى وقت مضى لأن الصراع بين الاسلام والقوى المضادة بلغ حده الأقصى .. انهم يجردون من سلاحهم ومن وسائل معاشهم ، يحرم عليهم التعلم ، ويفتك بأعراضهم ويداس شرفهم بالأقدام وتسلط عليهم الوان التعذيب والتخويف والقتل والافناء .. وماذا يبقى للمسلم عندما يجرد من سلاحه ويغدو — بتصميم مسبق — جائعا جاهلا ، مسلوب العرض مسحوق الشرف ، معرضا للذبح فى كل لحظة ؟ لا يبقى أمامه الا أن يرتد عن دينه لكى يعيش ويتعلم ويحفظ عرضه وشرفه ، بل لا يبقى أمامه — ان أراد الحياة بأية صورة من صورها — الا ان يتنازل عن بيعته



والإفريقي المعاصر

لله ورسوله ويضع يده المهزولة المرتجفة فى احدى الأيادى القوية الثلاث التى امتدت اليه من كل مكان تدعوه : أن هلم الينا .

ورغم ذلك كله فان هناك عزاء يتنزل على العقول والقلوب ، آملا من الأمل ويقينا من اليقين ، عزاء ينبثق عن الاسلام نفسه ، ذلك الدين السمح الواضح العادل المتماسك القيم .. عن قدرته الفذة العجيبة على التقدم والانتشار رغم اشد الصعوبات وأقسى العقبات ، عن قوته الذاتية فى الاقناع وإزالة الجدران التى يحيط بها أعداؤه الشعوب فى كل مكان . انه يمحو — بقدرة قادر — هذه السدود ، وينطلق خفيفا واضحا مستقيما الى عقول الناس وأفئدتهم فى كل مكان فيملؤها بالنور واليقين ، ويعلمها كيف تعيش متوحدة ، نظيفة ، منطقية مع ذاتها ومع مجتمعها ومع العالم الذى تعيش فيه والكون الذى ترسم مصيرها على صفحات كتابه الكبير ، ويعطيها الأرضية الصالحة التى تتحرك فوقها فى أجواء يسودها العدل والاخاء والتعاون والفهم المشترك .

ان الاسلام ، هذا الخلاص الإلهى الأخير لأحزان البشرية وآلامها وتعقيداتها ظل ، وسيظل الى أن يشاء الله ، يحمل فى بنيته المعجزة القدرة على خطاب الآخرين والنفاذ بيسر وسهولة الى وجدانهم وأفكارهم .

ولقد علمنا التاريخ ، فضلا عن هذا وذاك ، خصيصة أخرى من خصائص هذا الدين الذى يحرسه الله ويدفع عنه ، تلك هى أنه ما ان كان يتعرض فى ساحة من ساحات الأرض لمحنة قاسية .. لهجوم عنيف من أعدائه .. لحصار صعب استخدمت فيه أشد

الأسلحة المادية والأدبية مضاء وقسوه ، ما ان كان يتوقف عن الحركه والفاعليه فى مكان ما من مكانات الأرض ، بما يكيد له اعداؤه من كيد ، حتى كان يسرع فى التعويض عن توقفه هناك ، بالتحرك السريع فى أماكن اخرى ، والاندفاع السهل العجيب لتغطية مساحات أوسع وأبعد من تلك التى أراد أعداؤه الا تطأها قدماه .

وفى الوقت الذى كان فيه الاسلام يهاجم ويحاصر فى مناطق واسعة من آسيا وسواحل البحر المتوسط ، واخذت الدولة العثمانية تتحول من مواقف الهجوم الى الدفاع ، وتنسحب من أرض واسعة من آسيا وسواحل البحر المتوسط تاركة اياها لجحافل الأعداء الذين لم يوقفوا حركة الاسلام فى تلك المناطق فحسب ، بل راحوا يقومون بهجوم مضاد لفتنة المسلمين عن دينهم واضعاف قدرتهم على الصمود ... فى ذلك الوقت كانت افريقيا الوثنية تستقبل يوما بعد يوم حشود الدعاة إلى الاسلام ، معلمين ومشايخ وتجارا ، وتفتح لهم عقلها وقلبها ووجدانها . وسرعان ما راح الاسلام ينتشر هناك بسرعة مذهلة ، لكى يغطى فى فترة قصيرة من الزمن مساحات واسعة من افريقيا شرقا وغربا وجنوبا .

كان نشاط هؤلاء الدعاة يقوم فى الغالب على الارشاد ، ويعتمد على انتشار التعاليم الاسلامية ، ويقوم على حب الجار والتسامح مع المخالفين واستخدام كل وسائل الترغيب فى نشر الدعوة الى الاسلام رغبة فى نشر الدين ابتغاء مرضاة الله وحسن الثواب فى الآخرة وهداية الناس وذلك بتأسيس المساجد وفتح المدارس والمصاهرة مع أهالى البلاد التى يتردد عليها المسلمون أو يسوطنونها او بشراء العبيد لتعليمهم مبادىء الدين الحنيف ثم اعتاقهم لوجه الله واعادتهم الى اوطانهم ليدخلوا اخوانهم فى الدين . اضف الى ذلك مبدأ الحرية والاخاء والعدالة والمساواة العنصرية (١) .

وقد حاول دعاة المسلمين هؤلاء أن يشقوا طريقهم الى بلاد الحبشة وان ينتشروا على حدودها الشرقية بالاضافة الى ما كان يفد الى هذه البلاد من التجار .. كان هؤلاء الدعاة والتجار يفدون الى شرقى أفريقيا عن طريق بلاد اليمن وحضرموت والبحرين .. واخذ الاسلام يشق طريقه معهم الى بلاد الحبشة والصومال ليس عن طريق الفتح والغزو بل عن طريق التجارة ، حيث اخذ التجار المسلمون يفدون على هذه البلاد ويدخلون الكثيرين فى الدين الاسلامى(٢) . وكذلك شق الاسلام طريقه الى أوغندا فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، كما شق الاسلام طريقه من الساحل الشرقى الى نياسالاند على أيدى العرب ، وخلفائهم المسلمين فى أفريقيا ، فانتشر بسرعة غريبة فى أوائل القرن العشرين وعلى أيدى العرب أيضا انتشر الاسلام بين السواحلية ، أهالى زنجبار ، وفى جزيرة مدغشقر حيث تحولت قبيلة أنتيمورنا التى تمثل جزءا كبيرا من الساحل الشرقى ، بل لقد نفذ الى كينيا واوغنده وتنجانيقا والى أقصى جنوب القارة الافريقية(٣) .

وفى الغرب تمكن الدعاة من اختراق نطاق الغابات والوصول الى الساحل الشرقى ، كما دخل مع بعض المهاجرين من سكان شبه القارة الهندية الى جنوب أفريقيا والكونغو (٤) .

أما فى غرب القارة فقد سلك الاسلام فى انتشاره ، طريقين رئيسيين أحدهما الطريق الساحلى عبر حوض السنغال ، وهو الطريق الذى سلكه المرابطون وعدد من الحركات الصوفية التى اعقبتهم ، والآخر طريق التجارة الذى يبدأ من افريقيا الشمالية متجها صوب الجنوب عبر واحات الصحراء الى المدن الكبرى فى السودان الإفريقى (٥) .

ويرجع السبب فى تحول كثير من اهالى هذه البلاد الى الاسلام ، الى أن الداعى المسلم كان منذ اللحظة الأولى التى يعترف فيها المتحول الى الاسلام بالعقيدة ، يسير على المبادىء القائمة على الإخاء والمساواة ومحاربة الطبقية ، وهى مبادىء يشترك فيها الاسلام مع المسيحية ، غير أن الداعى المسلم أسرع فى القيام بهذا العمل من المبشر المسيحى الذى يعد مضطرا الى المطالبة بدليل قوى على اخلاص المتنصر قبل أن يصافحه مصافحة المسيحى الأبيض سيدا والوثنى الأسود عبدا . ومن المهم ايضا أن نلاحظ أن لون الزنجى وجنسه لم يحملا بأية حال اخوانه فى الاسلام على أن يتعصبوا عليه وقد تقدم نجاح الاسلام فى أفريقيا الزنجية تقدما جوهريا بسبب عدم وجود كل احساس باحتقار الأسود الذى لم يعامل قط على أنه من طبقة منحطة ، كما هو الحال فى كثير من الأحيان فى العالم المسيحى . وبينما نجد المبشرين المسيحيين لا يتزوجون من الزنجيات حتى لا يثيروا ابناء جنسهم عليهم ، نجد الدعاة المسلمين ينفذون الى قلب أفريقيا ويحولون الوثنيين بسهولة الى الاسلام ويتزوجون من الزنجيات ، ويسيرون مع أهالى هذه البلاد على المبادىء القائمة على الإخاء والمساواة .

لهذا لا نعجب اذا نظر الزنوج الى الاسلام على انه دين السود والى المسيحية على انها دين البيض ويرون ان المسيحية تدعو الزنجى الى الخلاص ولكنها تضعه فى مكان منحط بحيث أصبح يعتقد انه ليس له نصيب فى هذا الدين ، أما الاسلام فانه يدعو الناس الى الخلاص ليكفل لهم الوصول الى أسمى الدرجات (٦) .

ان الداعى المسلم يستطيع أن يمد القبائل الزنجية غير المتحضرة بكثير من الحقائق المتعلقة بالله وبالانسان ، تصل الى القلب ، بل يستطيع الى جانب ذلك أن يمنحهم ترخيصا بالدخول فى وحدة اجتماعية سياسية تخولهم حق الحماية والمساعدة من البلاد الاسلامية التى تمتد من المحيط الأطلسى غربا الى سور الصين شرقا وحينما يستطيع المسلم أن يجد هناك دارا اسلامية ، يجد الافريقى الذى تحول الى الاسلام يردد أركان عقيدته واثقا من المأوى والقوت والنصيحة (٧) . ويتبين مدى ما يشعر به المسلم الافريقى فى المجتمع الاسلامى وتعلقه بدينه واطمئنانه اليه من هذه العبارة التى ذكرها موريل فى كتابه (نيجيريا : أهلها ومشاكلها) .. انه ليخيل اليك انه يقول : ان كلا منا يختلف عن الآخر ولكننا جميعا بشر . وان انتشار الاسلام الذى نشهده اليوم فى نيجيريا الجنوبية ليؤثر بصفة خاصة تأثيرا اجتماعيا ، ويمنح الاسلام هؤلاء الذين يتحولون اليه منزلة أرقى وفكرة أسمى عنمكانة الانسان من العالم المحيط به ، ويحرره من ربق ألف من الأوهام الخرافية (٨) .

ونستمر فى استعراضنا الموجز السريع للأسباب التى يسرت سبل انتشار الاسلام فى افريقيا والنتائج الحضارية التى ترتبت على ذلك ، فنرى الكاتب يؤكد فى كتابه (ص ٧٩٨ — ٨٠٠) ان أقبح الرذائل ، وهى أكل لحوم البشر ، وتقديم الانسان قربانا ، ووأد الأطفال أحياء ، تلك الرذائل اختفت فجأة والى الأبد . والأهالى الذين كانوا يعيشون حتى ذلك الوقت عراة أو أشباه عراة، بداوا يرتدون الملابس ، بل أخذوا يتأنقون فى ملابسهم ، والأهالى الذين لم يغتسلوا من قبل قط بدأوا يغتسلون ، بل انهم يكثرون من الاغتسال لأن الشريعة الاسلامية تأمر بالطهارة .. ويميل النظام القبلى الى فسح المجال لأساس أوسع نطاقا ، وبعبارة أخرى الى اندماج القبائل بعضها فى بعض لتصير أمما وبازدياد النشاط والمعرفة تصير الأمم امبراطوريات .. ومتى أثير الروح الحربى على هذا النحو تكون الحرب احسن تنظيما . وهم لا يثيرون القتال دونما سبب من الأسباب .

وقد قل السلب كما زاد تأمين الناس على أملاكهم وأرواحهم . وقد أنشئت مدارس أولية لو اقتصرت على تلاوة القرآن لكانت ذات قيمة فى نفسها ، وقد تكون خطوة فى سبيل ما هو أعظم منها بكثير كما أصبح المسجد الجيد البناء ، النظيف، بما فيه من آذان للصلاة خمس مرات فى اليوم وقبلة تتجه الى مكة ، وإمام وصلاة جمعة ، ومركز للقرية ، بدلا من دار عبادة الأوثان ذات المنظر البشع . وقد قهرت عبادة الله الواحد القهار ، الكائن فى كل مكان ، العليم الرحيم ، كل ما لقن الأهالى عبادته من قبل قهرا لا حدّ له . وظهرت صناعات وتجارة ، لا كالتجارة الصامتة التى تقوم الاشارات فيها مقام اللغة فى التفاهم .. ولكنها صناعة تنطوى على مهارة فائقة وتجارة منظمة نظاما محكما .. وظهرت المدن الكبرى فى أرض الزنوج بتأثير هذه الصناعة والتجارة وتأثير الحكومات الأكثر استقرارا التى جاء بها الاسلام . أما فيما يتعلق بالفرد فمن المسلم به من كل الوجوه ان الاسلام يمد السود الذين تحولوا اليه بالنشاط والعزة والاعتماد على النفس واحترام الذات ، وهذه كلها صفات يندر جدا أن نجدها فى مواطنيهم الوثنيين أو المسيحيين (٩) .

وكتب ت.ه.ب سايلر عميد الدراسات التبشيرية فى الولايات المتحدة فى كتابه (المسلم يواجه المستقبل) الذى طبع منذ عام ١٩٢٦ وتحت عنوان : لماذا يجلب الاسلام الزنوج ؟. يقول : (والوضع الآخر الذى أثار الاهتمام الكبير هو انتشار الاسلام فى السودان وغرب أفريقيا . لقد كتب الكثير عما يسمى بالجاذبية الطبيعية من قبل الافريقيين نحو الاسلام . ولقد اعتبر البعض هذا الاتجاه مرغوبا وحتميا لأن الاسلام يلائم الزنوج جدا ، وهو يحسن من أوضاعهم ، ولا أمل للمسيحية فى منافسة الاسلام . أما الآخرون فقد أعتبروا التحول الى الاسلام سوء حظ كبير للرجل الأسود لأن الاسلام يجعله أكثر مقاومة للمسيحية . ولذلك فهم ينادون الكنيسة لتشديد الجهود وعلى نطاق كبير لوقف المد الاسلامى) ثم يقول : ومن المهم جدا أن نعتبر بعض الحقائق .. لماذا انتشر الاسلام فى أفريقيا بشكل كبير وأكثر من المسيحية ؟

اولا : لأن الاتصال الاسلامى كان اكثر .

ثانيا : التجار والمعلمون المسلمون كانوا أقرب الى الأفارقة (لذلك كان الاستعمار الانجليزى يحارب دخـــول التجار المسلمين الى جنوب السودان والى مناطق أخرى) .

ثالثا : العامل الأكثر أهميـــة فى الموضـــوع هو أن رسالة الاســـلام ايجابية ومحددة وسهلة الفهم وليست مغالية جدا فى تطلباتها (١٠). الاسلام يعطى رؤيا محددة تجلب الشـــعور بالراحة لشىء قد أنجز اتمامه ، كمـــا تمنحه المساعدة على الانجاز . ان المتحول الى الاسلام يصلى بجـــانب أستاذه كما انه بمجرد تكوين مجتمع إسلامىفان صلاة المسجد والواجبات الدينيـــة الأخرى تعطيـــــه الشعور بالوحدة الاجتماعية .. ان الأخوة فى الاســـلام ليست دينيـــة فقط وانما اجتماعية أيضا ، المسلم لا يرسم خطا لونيا بين الأبيض والأسود ، المسلم يأكـــل ويتزوج من ذوى الجـــــلود السوداء) .

وفى النهاية يصـــل ســـايلر الى وجـــوب عمل الكنيســـة المســـيحية بسرعة أكبر وعلى مجال أوسع . ثم يضع الخطوط العامة لاستعمار العالم الاسلامى بواسطة الطرق المختلفـــة بما فيها التعليم لافساد المرأة المسلمة والتطبيب البشـــرى والاحتـــــلال العسكرى ، ويضع الأبعـــاد المثلى للاســـتعمار فى افقـــاد المســـلم شخصيته (١١) ..

ولن ننسى هنا ــ ونحن نتكلم عن التأثيرات الحضـــارية للاســـلام فى افريقيا الدور الكبير الذى لعبه هـــذا الدين فى القضاء على النزعات القبلية التى مزقت القـــوى الافريقية ردحـــا طـــويلا من الزمـــن ، والتى أتاحت للتبشير والاستعمار أن يشقا طريقهما فى القارة السوداء (وبينما تمـــوت القبيـــلة تحت ظـــلال الاسلام ، نجد المبشرين يحاولون صنع قبيلة دينيـــة رغم منافاة ذلك لحضـــــارة الرجل الغربى نفسه .. وبالاضافة الى ذلك فالقبيلة مرتبطة أساسا بالوثنيـــــة (التى يحرمها الاسلام) . وكما ذكر بريـــان (ان القبيـــــلة هى القـــوة الماســـــكة فى أفريقيـــــا والتـــى تزاحم الاسلام وتحاربه) ويشير بريان كيف أن الكاتب التبشيرى النشـــط (أدوين سميث يجد فى القبيلة كـــل الفـــائدة) . كما يقـــوم الكتـــــاب الاستعماريون بالدور نفسه . فمثلا نشرت مجلة نيويورك تايمز الأمريكية (١٩٥٩) مقالا مطولا تحت عنوان : (طبول التغير تقرع لقبائل أفريقيا) ، جاء فيه : (انه ســـيكون من المأساة لافريقيا لو أن القبيلة ضعفت فيهـــا وتركت الجماهير دون شعور بالوحدة والطمأنينـــــة والانضـــــمامية الى مجموعـــة) (١٢) .

وقد كتب الزعيم النيجرى الراحل أحمدو بللو ، قبيل استشهاده معللا سرعة تقبل الوثنيين والأفارقة للاسلام يقول : (أعتقد أنه ثمة قيما ذاتيـــــة فى أسلوب الحياة الاسلامية يعتبرها الوثنيون ــ وذلك فى أغلب الظن ــ أسمى وأجدر بالقبول من غيرهـــا ، كالنصرانية مثلا . هـــذه القيم هى انعدام التمييز العنصرى والطبقى ، وكرم المسلم الذى تضرب به الأمثال لكل من هو فى حاجـــة الى عون ، وفضائله فى الصحبة والرعـــــاية والاحترام ، واخلاصه الذى يؤدى به فرائض دينه . وأخيرا وليس آخـــرا .. فشل الأشياء فى التأثير عـــلى حكم المسلم الصادق وأعماله .. ان

الوثنى ينتقل فى لحظة اهتدائه الى الاسلام الى أحضان الجماعة الاسلامية ، عضوا كامل العضوية والحقوق ، وليس ثم حاجز من أى نوع يمنعه من أن يرتقى — بحق — سلم مجتمعه الجديد) (١٣) .

ويمكن أن نضيف الى ما سبق عوامل أخرى تعطى للاسلام فى أفريقيا موقعا أكثر قوة وتمكنا وامتيازا من الموقع الذى يحتله النشاط التبشيرى هناك .

أولا : ان المبشرين كانوا يقومون — فى الوقت نفسه — بتجارة الأرقاء وكان الرق قد وجد تشجيعا وانتشارا على أيدى المستعمرين القادمين من الدول الأوربية ، حيث قاموا بتسيير وقيادة تجارة الأرقاء فى أفريقيا على نطاق واسع لأنها كانت تشكل مصدرا واسعا للربح والدخل الحكومى . ثم ان مظالم الحكم الاستعمارى والقمع والضغط السياسى والاقتصادى ، ساهمت جميعها فى عدم رضا الافريقيين عن التبشير وعدم انخداعهم به .

ثانيا : ليس من السهل على الافريقيين استيعاب تعقيدات الدين المسيحى وتمثلها ، كما أن التحول اليها يبعد عنهم الاستقرار والسكينة. أما الاسلام فانه يعطيهم شعورا بالعزة والثقة بالنفس ، وهو ما لم يقدمه التبشير لهم . والافريقيون — لدى دخولهم الدين الاسلامى لأول مرة — يشعرون انهم كائنات حية لها شعورها وعواطفها وعقولها وشخصياتها المستقلة ، وتتفتح لهم كافة المجالات للتعبير عن الذات كما أن كافة الفرص لتطوير شخصياتهم الى المدى الأقصى تصبح متوفرة لهم . ان الافريقى اليوم يبحث عن دين يكون عمليا وحركيا وطبيعيا وقادرا على الانسجام مع أمور الناس وشؤونهم الدينية والدنيوية .. دين يجعله — اذا ما فصل عن عقيدته الوثنية — لا يجد أية صعوبة فى اعلان طاعته لقوة الإله الواحد الذى خلق العالم ويذبر أمره على السواء .. والاسلام لكونه حرا وغير مقيد بالأساطير المعقدة والأسرار المحيرة (١٤) ، يقف وحده كمنارة تشع الآمال للملايين من سكان افريقيا ، وهو يدعوهم للخروج من بحار الشكوك العاصفة والفوضى والحيرة الى دين السلام الروحى والطمأنينة .

ثالثا : ان الأخوة تحت ظلال التبشير ليست إلا أكذوبة ، فالحاجز الناتج عن اللون والعرق هو جزء أساسى من الحياة الغربية والنمط الغربى للحياة ، كما أن التمييز العنصرى فى التعليم والتوظيف وأماكن العبادة والطعام والمواصلات أمر لا يمكن انكاره . وقد أدى ذلك الى خلق حقد مرير واستياء شديد فى عقول (الافريقيين) فلا شىء — اذن — يمكن أن يكون افضل واغلى من أخوة الاسلام العالمية بالنسبة للافريقيين الذين استعبدوا لفترة طويلة وعوملوا معاملة قاسية على أيدى الأوربيين المستعمرين .

رابعا : ان المستوى المتدنى الحالى للأخلاق ، الذى يقدمه الغرب وينشره فى افريقيا ليس الا نتيجة طبيعية للتبشير ، وبما أن الافريقيين يحاولون الآن أن يرتفعوا فوق ماضيهم فان كل شىء يدعو اليه البيض يجب أن يزول. وقد تنبأ المبشر (بيلى غراهام) ، بعد عودته من سياحة فى قارة افريقيا بزوال النصرانية من هناك (١٥) .

× × ×

تلك هى — باختصار تام — مواقع النصرانية والاسلام فى افريقيا ،

والتى أتاحت لدين التوحيد والسماحة والأخوة والوضوح والعدالة واليسر ان يتغلب ببساطة على منافسيه وأعدائه رغم تفوق أساليبهم وضخامة امكاناتهم المادية والدولية . الا أن تلك الغلبة المنبثقة ـ كما ذكرنا ـ عن قوة الاسلام الذاتية ، واخلاص دعاته وتجردهم ، كانت أمرا واقعا حتى الأمس القريب . أما الآن فيجب الا ننسى أن أعداء الأمس غير أعداء اليوم ، هؤلاء الذين يتحركون بسرعة على كل الجبهات ، بما يسرته لهم التكنولوجية المعاصرة من قدرة على الحركة السريعة وامكانية فى ضم الكرة الأرضية جميعا ووضعها تحت انظار الأقوى ووصايته ومبادئه .. ومن ثم فهم مستعدون فى كل لحظة لمعرفة البثق الذى يتسرب منه الاسلام الى مناطق جديدة ، لكى يضعوا بسرعة سدا فى ذلك البثق ، ولكى يحاصروا الحركة الاسلامية هنا ، ويوقفوها عن التقدم ، وينزلوا بها ـ بعدئذ ـ ضرباتهم الماحقة .. يساعدهم على هذا كله مخططات عقائدية وسياسية فى غاية المكر والدهاء والتعقيد ، لم تكن معروفة من قبل يسهم فى وضعها واخراجها رواد الحركات المعادية جميعا .

وهذا ولا شك يضع على عاتق المسلمين المعاصرين ، شعوبا وقادة وتنظيمات ودولا وحكومات مسؤولية أكبر بكثير من تلك التى كانوا مكلفين بها فى ذلك العالم المتباعد ، السهل البطىء .. وان يكونوا مفتحى الأعين دوما للتحركات التى يقوم بها أعداء الاسلام والمخططات التى يبنون عليها تحركاتهم المعقدة تلك .. صحيح ان الاسلام سيظل يحتفظ بقدرته الفذة على تغطية مساحات أوسع والنفاذ الى قلوب أكبر عددا .. الا أنه قد ذهب ذلك اليوم الذى كانت تتاح فيه لدعاة الاسلام المدنيين وكبار شيوخهم وقادتهم ، أن يقابلوا وجها لوجه جماهير الأفارقة الوثنية ويجلبوها الى حظيرة الاسلام بالعشرات والمئات

ولقد جاء مقتل (أحمد وبللو) ذلك الداعية العظيم ، بتلك الصورة الصليبية المفجعة عام ١٩٦٥ م ايذانا بانتهاء عهد فى حركة الاسلام وبدء عهد جديد .. عهد يجب أن يتحرك الداعية المسلم فيه وهو على حذر تام من الأشراك والكمائن التى ينصبها أعداؤه فى الطريق .. يتحرك وهو يحمل السلاح الذى يمنحه فرصة الدفاع ، والنفاذ الى هدفه ، عندما ينقض عليه المهاجمون .. ثم ان التحرك الفردى الذى عرفته أفريقيا فى عهدها السابق مضى أوانه وغدا على الدعاة أن يتحركوا جماعات وعلى ضوء خطوات محددة ومدروسة مسبقا لكى يضمنوا الوصول الى أهدافهم ، والتصدى للمخططات المضادة التى تنتظرهم عبر الطريق .

ان مؤسسات الأوقاف وشؤون الدعوة فى وطننا العربى مدعوة للاسهام الشامل الملتزم العميق فى قضية المصير الافريقى هذه ، فى القارة التى تمتد وراء ظهورنا ، وتحمى وجودنا ، وتعزز استراتيجيتنا فى صراعنا ضد الصهيونية والاستعمار الجديد .

اننا أمام طريقين لا ثالث لهما : اما أن نكسب (الافريقى) فى صراعنا مع محتلى أرضنا ، ومشردى شعبنا .. نكسبه كلية ، وليس على مستوى العلاقات الديبلوماسية والمجالات الدولية فحسب وبهذا نضيف سلاحا خطيرا الى أسلحتنا .. وأما أن نخسره كلية ، ونسلمه لاغراءات اليهود ومن ورائهم أمريكا وتخطيطها

ومكايدها .. والمفتاح دائما هو دعوة الافريقى الى الاسلام وتعميقه فى قلبه وعقله (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) .

---

(١) توماس أرنولد : الدعــــوة الى الاسلام ص ٢٨١ و ٢٨٢ ، حسن ابراهيـــم حسن : انتشار الاسلام فى أفريقيا ص ٤٢ .

(٢) حسن أبراهيم حسن : المصـــدر السابق ص ٣٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٥ و ٣٦ ،

(٤) أرنولد : المصدر السابق ص ٢٨١ و ٢٨٧ .

(٥) حسن ابراهيـم حسن : المصـــدر السابق ص ١١ و ١٢ .

(٦) المصدر السابق ص ٧٦ و ٧٧ ، أرنولد الدعوة الى الاسلام ص ٣٩٩ .

(٧) حسن ابراهيم حسن : انتشـــار الا سلام ص ٦٢ وأنظر نفس المصدر ص ٣٢ و ٣٥.

(٨) المصدر السابق ص ٧٧ و ٧٨ عـــن ((موريل)) نيجيريا ص ٢١٦ و ٢١٧ .

(٩) عن حسن ابراهيم حسن : المصدر السابق ص ٧٩ و ٨٠ .

(١٠) هذا لا يعنى وبالطبع ــ أن الاسلام أدنى فى مستواه العقلى من المذاهب الاخرى ذات الطابع الفلسفى المعقـد ، والتحليـل النظرى العميق ، كما لا يعنى أن الشرقيين بعامة أقل قدرة على التفكير فى المسائل المعقدة من الغربيين ، كما اعتقد عدد من كتاب الغرب (رينان مثلا) .. والذى يذهب هذا المذهب فى نظرته للاسلام ومعتنقيــه ليس الا ساذجا جاهــلا ، أو طائفيا متعصـــبا ، لان هنـــالك فرقا واضحا بين اعجـــاز الاسلام فى مواجهتـــه للنفس البشـــرية بوضـــوح ويسر وانسجام عجيب مع متطلبات هذه النفس فى شتى مستوياتها الثقافية والحضارية ، وبين قدرة الاسلام ومعتنقيه على التفكير والبناء فى أشد المسائل الفكرية تعقيدا والتواء . وليس بعد العبارات الفكرية : فقهية وكلامية وفلسفية ومنطقية ولغوية .. الخ .. تلك التى شهدتها حضارة الاسلام وليس بعد تأكيد القرآن فى أكثر من ألف موضـــع على ضـــرورة التـــدبر والتفكير والتفقه فى خلق السموات والارض ، ليس بعد هذا وذاك مجال لاصدار حكم ساذج أو متعصب لهذا الذى يدور فى بعض الاذهان.

هذا الى أن عددا من الاديان السابقة لاتعنى بما أضيف اليها فيما بعد ــ من تعقيدات والتواءات أنها تمتلك ميزة فكرية راقية أوقدرة على مجابهة المســـائل العقيـــدية بعمق واتساع نظر ، اذ ليست هذه التعقيــــدات والالتواءات سوى مجموعة من الاســـــاطير الساذجة والرموز الوثنية البعيدة عن جوهر الاديان ، ومناقشات كلامية خاوية أدارها رجال الدين عبر العصور دون أن يبتغوا من ورائها وجه الله والحقيقة المجردة . ولا يمكن لمفكــر جاد أن يقول بأن مواضعات كهذه لا تنبثق عن نظرة موحدة متماسكة ، يمكن أن تصمد أمـــام حجج الفكر العميق وبراهينه وأدلته التى طالب القرآن اتباعه أن يلتزموها فى مجـــــابهة المبادىء والاديان كيلا يقعوا فى مظنة اعتناق الظنون والاوهام وما تهوى الانفس !!

(١١) مجلة الشهاب اللبنانية ، سنة ٢ عـــدد ١٩ ترجمـــة وتعليـــق محمـــد نذير السنكرى .

(١٢) المرجع السابق سنة ٢ عدد ٣٤ .

(١٣) مجلة المجتمع اللبنانية ، ســـنة ٥ عـــدد ١٣ .

(١٤) انظر هامش رقم ١٠ من هذا البحث

(١٥) مجلة حضارة الاسلام الدمشقية ، سنة ٨ عدد ٦ (معوقات انتشار الاسلام فى افريقيا) قسم الترجمة ، والمرجع نفســـــه سنة ٨ عـــدد ٩ .

في مجـالـ الدعـوة :

خطب الرسول

قال ابن القيم :

كانت خطبه صلى الله عليه وسلم إنما هى تقرير لأصول الايمـــان بالله وملائكته وكتبـــه ورسله ولقائه ، وذكر الجنـــة والنار وما أعد الله لأوليائه واهل طاعته وما أعد لأعدائه وأهل معصيته فيمـــلأ القلب من خطبته إيمانا وتوحيدا ومعرفة بالله وايامه ، لا كخطب غيره التى انما تفيد امورا مشتركة بين الخلائق ، وهى النوح على الحياة والتخويف بالموت فان هذا أمر لا يحصل فى القلب إيمانا بالله ولا توحيـــدا له ولا معرفة خاصة ولا تذكيرا بأيامه ولا بعثا للنفوس على محبته والشوق الى لقائه ، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم ويبلى التراب اجسامهم ، فيا ليت شعرى أى إيمان حصل بهذا وأى توحيد وعلم نافع يحصل به ؟ ومن تأمل خطب النبى صلى الله عليه وسلم وخطب اصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جلّ جلاله واصول الايمان الكلية والدعوة الى الله وذكر آلائه تعالى التى تحببه الى خلقه وايامه التى تخوفهم من بأسه والأمر بذكره وشكره الذى يحببهم اليه فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه الى خلقه ، ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم اليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم ، ثم طال العهد وخفى نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسوما تقوم من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سننا لا ينبغى الاخلال بها وأخلوا بالمقاصد التى لا ينبغى الاخلال بها فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البـــديع ، فنقص ، بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها .

منهج الاسلام

للدكتور/محمد فوزى فيض الله

الجهة الثالثة ــ مسئولية الجماعة :

٣٠ ــ الاسلام يعتبر الجماعة المسلمة هيئة متماسكة ، واسرة واحدة ، يحنو قويها على ضعيفها ، ويرحم كبيرها صغيرها ، ويكفى غنيها فقيرها . وفى هذا ورد فى الصحيح : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وازاء مسئولية الجماعة ، شرع الاسلام نوعين من الحقوق المالية لتكون موارد للفقراء : أحدهما الزامى ، والآخر أدبى .

النوع الأول ــ الحقوق الالزامية :

٣١ ــ وتنطوى تحتها موارد كثيرة ، نذكر هنا أهمها :

أولا ــ النذور . ومع أن الشارع نهى عن النذر وقال : « لا يأتى بخير ، وانما يستخرج من البخيل » ، الا انه أمر بتوفية النذر ، فى الحياة وبعد الممات لأنه حق الفقراء .

ثانيا ــ الأضاحى . والقصد منها التوسعة على المكتفين والمحتاجين : « **وأطعموا القانع والمعتر** » .

ثالثا ــ صدقة الفطر . لإغناء الفقراء عن المسألة يوم العيد . ولو اخرج هذا الواجب القليل ، لكفى الفقراء شهرا ، لا يوم العيد . وكذلك يعالج الاسلام مشاكل الحياة ،بالرفق والحكمة ، لا بالطفرة والثورة .

رابعا ــ الكفارات بأنواعها : كفارة الفطر العامد فى رمضان ، والفدية عن العاجز فيه عن الصوم ، وكفارة اليمين ، وكفارة الظهار ، وقد جاءت النصوص بصرفها الى الفقراء والمساكين .

خامسا ــ حق الجار : وقد أكده القرآن الكريم مرارا فى مناسبات عدة ، واخذ عليه المواثيق .

ومما ورد فيه من السنة حديث : « ليس بمؤمن من بات شبعان ، وجاره الى جنبه جائع ، وهو يعلم به » . وحديث ابن عمر : « لم يزل يوصينا بالجار ، حتى ظننا أنه سيورثه » . وحديث : « ما زال جبريل يوصينى بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه » .

سادسا ــ حق الفقير ، ان لم يقم به بيت المال والزكاة .

يقول ابن حزم : « وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ، ان لم تقم الزكاة بهم ، ولا فىء سائر أموال المسلمين » . بل انه قرر تضمين البلد الذى يموت أحد أفراده جوعا ، فيؤدى أهله جميعا ديته متضامنين ، كأنهم شركاء فى موته .

وقد صح من حديث أبى سعيد مرفوعا : « من كان عنده فضل ظهر ،

في التكافل الاجتماعي

فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضـــــل زاد ، فليعد به على من لا زاد له ، **فذكر أصنافا من المال** ، حتى رأينا أن لا حق لأحد منا فى فضل » .

النوع الثانى ـ الحقوق الادبية :

٣٢ ـ والاسلام يؤدب المسلمين ، ليكونوا للمسلمين ، اكثر مما يكونون لانفسهم ، وليؤثروا لا ليستأثروا . وما أكثر نصوص **الكتاب والسنة فى الحث على** التصدق ، وما أكثر ما انتفع بها المســـلمون تطبيقا وامتثالا ، عبر التاريخ الاسلامى المشرق ، وقدموا الى المجتمع الاســـلامى ، عن طريق الاوقاف الخيرية ، من ألوان الاحســان والبر ، ما يثير الدهشـــة والاعجاب ، فبروا الفقراء ، وواسوا المكروبين ، وداووا الجرحى ، وعالجوا المرضى ، وحنوا على العجماوات ، وبنوا المساجد ، وشيدوا المدارس والمعاهد والمكتبات ، وحفظوا شعائر الدين ، وأحيوا العلم ، وكرموا العلماء .

٣٣ ـ كان أكثر الأوقاف مصروفا الى الفقــراء ، وطلاب العــلم ، والمستشفيات والأيتام والأرامل . والى جانبها أوقاف خصص ريعها لتزويج الشـــباب ، الذين لا يجدون نفقات الزواج . ومنها أوقاف لتقديم الحليب مع السكر للمراضع ، ويصرف فى قاعة صلاح الدين فى دمشق .

وكانت أرض معرض دمشـــق الدولى الآن ، المترامية الأرجاء ، فى أصلها ، وقفا على الحيوانات العاجزة ، تأكل من مروجها حتى تموت ، دون أن يضطر صاحبها الى قتلها ، تخلصا منها .

وكانت فى بلاد الاسلام أوقاف على علاج القطط ، وتمريض الـــكلاب ، وسقى الحيوان .

هكذا كان عطفنا على الحيوان ، فكيف كان عطفنــا على الانســـان الذى كرمه الله .. ؟

٣٤ ـ هذه نتف من وثيقة مستشفى **قلاوون** ، **فى عهد المماليك فى مصر** . فقد ذكر واقفه انه انشأه : لمداواة مرضى المسلمين ، الرجال والنساء ، من الأغنياء المثرين ، والفقراء المحتاجين ، بالقاهرة وضواحيها ، من المقيمين بها والواردين عليها ، على اختلاف أجناســـهم .. يقيم به المرضى لحين برئهم ، ويصرف ما هو معد للمداواة ، ويفرق على البعيد والقريب ، والأهل والغريب ، من غير اشتراط لعوض من الأعواض .

ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف ، ما تدعو حاجة المرضى اليه ، من سرر أو لحف محشوة قطنا .. لكل مريض من الفرش والسرر على حسب حاله .. عاملا فى حق كل منهم بتقوى الله وطاعته ..

ويباشر المطبخ فى هذا (المســـتشفى) ما يطهى للمرضى ، من دجاج

ومراريج ولحم . ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف لمن ينصبه من الأطباء المسلمين .

ومن كان مريضا فى بيته وهو فقير ، كان للناظر أن يصرف اليه ما يحتاجه ، من الأشربة والأدوية والمعاجين ، وغيرها ، مع عدم التضييق فى الصرف ..

٣٥ — هذا ، ويقول المراقبون من أهل الفكر والقلم : كان سبع الأراضى الزراعية فى بعض الديار الاسلامية أوقافا . فكتبت بعض الصحف فى تلك الديار قبل فترة ، تتساءل قائلة : ماذا بقى لوزارة الأوقاف .. ؟

اترك للقارىء الكريم ، تفسير عبث المسلمين بأوقافهم فى البلاد الاسلامية ، وبعثرتها هبات وقربات ، ونقضها وتخريبها وإلغائها بأيدى المصلحين الخيرين الأتقياء منهم .. !! كما الغاها الاستعمار من قبل فى باكستان والجزائر وغيرهما ، وتفسير بقاء أوقاف النصارى فى بلاد الاسلام ، فى حرز حريز ، لا يجرؤ مخلوق ، أن يمسها بسوء .

الجهة الرابعة — مسئولية الدولة :

٣٦ — من أهم واجبات الدولة ، بث الأمن فى الربوع ، وحفظ الحدود ، واقامة العدل ، ونشر الثقافة . وزادت المهام فى العصر الحديث ، بعد أن تقسم العالم ، المذهب الحر والمذهب الجماعى ، فكادت تتركز المهمة فى تحقيق خصائص كلا المذهبين عند معتنقيهما .

ومن المؤسف أنه مع الدعاية العريضة الطويلة لكليهما ، لم يكن للفقراء نصيب ولا نصير فى كليهما .

فالمذهب الحر يحمى الملكية من الذين لا يملكون ، كما يقول آدم سمث ..

والمذهب الجماعى ينادى باتحاد العمال ، ولا ينادى الناس ، لأن الانسان — عنده — حيوان منتج والفقراء والأرامل والمستضعفون لا ينتجون ، فلا محل لهم من الاعراب فى دولته .

٣٧ — ولقد كانت دعوة محمد بن عبد الله — صلوات الله وسلامه عليه — صرخة مدوية فى سبيل الأخوة الاسلامية ، على صعيد المساواة ، بغض النظر عن أى اعتبار للعرق أو الدم أو الجنس .. كانت انطلاقا من الاخاء وللاخاء ، لا من العداء وللدماء .. ولهذا كان من أول من آمن بها المستضعفان : الرقيق والفقراء . وكان هؤلاء الفقراء نصب عين الشارع فى كل مناسبة ، وكانت همة الخلفاء منصرفة اليهم ، ويذكر الناس مواقف الفاروق منهم .

وهذا عمر بن عبد العزيز ، تعروه حالات تستغربها زوجه ، وتسأله ، فيجيب باكيا : « أجل ! لقد وجدتنى وليت أمر هذه الأمة ، أسودها وأحمرها .. فذكرت الغريب القانع الضائع ، والفقير المحتاج ، والأسير المقهور ، وأشباههم فى أطراف الأرض ، فعلمت أن الله تعالى سائلنى عنهم ، وأن محمدا حجيجى فيهم . فخفت أن لا يثبت لى عند الله عذر ، ولا يقوم لى مع محمد — صلى الله عليه وسلم — حجة ، فخفت على نفسى .. » .

بهذه الروح الشفافة ، والمراقبة المشفقة ، ملأ الدنيا عدلا ، واغنى الناس ، ولم يحكم سوى ثلاثين شهرا تقريبا .. وكان خامس الخلفاء الراشدين .

٣٨ — ان اهم واجبات الدولة ، مما يتصل بالمسئولية التكافلية ، هو جباية الخراج ، والعشر ، والزكاة ، والجزية ، والفىء ، والغنائم ، وصرفها مصارفها ..

واكتفى هنا بالحديث المختصر عن جوانب هامة من الزكاة فقط ، نظرا لطابعها الجماعى البارز ، وواقعيتها فى حياتنا ، وتيسر تطبيقها :

ركنية الزكاة ..

٣٩ — هى الركن الثالث فى الاسلام .. وهى الركن المالى الاجتماعى البارز الظاهر .. وتشير النصوص القرآنية الى شرعيتها — من حيث الأصل — فى جميع الأديان السماوية . ولا يخالف أحد من أهل القبلة فى ركنيتها ، وارتهان اكتمال الاسلام بأدائها .

وصف الزكاة الفقهى :

٤٠ — يظن بعض البسطاء أو السفهاء من الناس ، أن الزكاة احسان فردى مفوض الى ضمير الأغنياء ، يخرجونه من تلقاء أنفسهم ، بوازع من الدين .

ومن هنا انفسح المجال لنقد نظام الزكاة ، لأنها ليست — على هذا — حقا مستقرا ثابتا لازما ، وكثيرا ما يعرو الضمير ضعف فى الايمان ، والتفويض الى الأفراد يقلل من أهميتها ، لغلبة الشح عليهم .

ولا أساس لهذا الكلام من الصحة ، بل هو مخالف لنظرة الاسلام الى المال ، ولوصف الزكاة فى النصوص الشرعية .

٤١ — المال فى تقرير الاسلام هو مال الله ، والملك كله لله وحده ، لا يشاركه فيه أحد من المخلوقين . ويد أرباب الاموال على الاموال يد ارتفاق واستخلاف ، وليست يد ملك : ((**لله ما فى السموات وما فى الأرض**)) ، ((**إنا نحن نرث الارض ومن عليها**)) ، ((**وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**)) ، ((**ولله ملك السموات والأرض**)) .

وقد صور أبو العلاء هذه الملكية المطلقة تصويرا اسلاميا ، يهز القلوب ، فقال :

الملك لله ، من يظفر بنيل غنى يردده قسرا ، وتضمن نفسه الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة من التراب ، لكان الأمر مشتركا

٤٢ — والزكاة — فى نظر الاسلام الذى قرر حكمها — حق معلوم ، قدره الشارع ، وبين موارده ، وحدد مصارفه ، وأوجب على حاكم المسلمين أن يتولى بنفسه أو بأعوانه جباية هذا الحق ، وصرفه فى مصارفه . وطبق ذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وصحابته من بعده ، وسلف هذه الأمة فى خير القرون . واستقر العمل والاجماع على ذلك . وجاءت السنة بوقوع الزكاة فى كف الرحمن قبل وقوعها فى كف الفقير ، وهذا لأنه سبحانه هو صاحب الحق .

٤٣ — واذا كان الحق فى الشرع — عند أهل العلم — : اختصاصا يقرر به الشرع سلطة أو تكليفا ، فان لهذا الحق من قوة الثبوت ما لا يسقط معها بالاسقاط ، بالنظر الى أثره فى الفرد ، وخطره فى المجتمع ، بل يبقى قائما بعد موت المكلف به ، يستخرج من تركته ، ويقدم على الوصية ، وحقوق الورثة . وهذا قول الله تعالى : ((**من بعد وصية يوصى بها أو دين**)) . ولا شك أن الزكاة دين الله : و ((**دين الله أحق أن يقضى**)) بعد الموت ، كما ورد فى الصحيح . وهذا الحديث دليل من ذهب من الأئمة المجتهدين الى أن دين الزكاة مقدم على سائر الديون .

واذا كانت التقنينات الحديثة تجعل للضرائب الحكومية افضلية الاستيفاء من التركات على سائر الديون العادية ، نظرا لرجحان الحق العام على الخاص ، فان هذا الحكم قد تقرر فى بعض المذاهب الفقهية الاسلامية ، بالنسبة الى الزكاة ، قبل قرون سحيقة ، للاعتبار المذكور نفسه ، وهو حق الجماعة ومصلحتها .

ولا عيب فى هذا الملحظ الفقهى ، سوى اهتمام الحكومات باستيفاء ضرائبها ، وكثير منها غير مشروع ، أو مرصود لغير مشروع ، ثم اطباقها على تعطيل الزكاة ، وهى حق الفقراء الثابت المقرر فى الشرع ، وأفضل حقوق المستضعفين والمساكين فى المجتمع المسلم .

مجالات الزكاة :

٤٤ ـ تؤخذ الزكاة ـ كما يقول الفقهاء ـ من كل مال فاضل عن الحوائج الاصلية ، خال من الدين ، معد للنماء ، بعد مرور سنة كاملة على تملكه ، اذا بلغ النصاب ، وهو حد الغنى فى الشرع .

ففى النقود ـ بناء على ذلك ـ زكاة ، وفى المواشى والزروع زكاة ، وفى السلع التجارية زكاة ، وفى الابنية المعدة للايجار أو البيع زكاة ، وفى المصانع والمعامل زكاة ، وفى الشواحن وسيارات الاجرة زكاة ، وفى الأوراق المالية وأسهم الشركات زكاة . وفى كل ما أعد للاسترباح زكاة .

مقدار الزكاة :

٤٥ ـ تتراوح المقادير الزكوية فى نسب مختلفة ، بين العشر وهو الحد الأعلى ، وربع العشر وهو الحد الأدنى . وهذا المقدار يسير ، يسد حاجة الفقير ، ولا يرهق الغنى .

وقد تولى الشارع بنفسه بيان مقدار هذه الوظيفة ، وحددها فى كل مورد مالى . ولا دخل للرأى فى المقدرات ، ولا ينفسح المجال للزيادة عليها ، أو النقص منها ، مهما يكن من الأمر .

جباية الزكاة :

٤٦ ـ يجبى الزكاة فى نظام الاسلام حاكم المسلمين أو نائبه ، فى أجهزة ادارية منظمة . وهذا ما قررته النصوص ، وتوارثته الأمة .

ومما ورد فى هذا الصدد قوله تعالى : ((**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**)) . ويشير القرطبى الى أن هذا الخطاب خص به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لفظا ، وأريد منه جميع الأمة ، معنى وفعلا .

وللتعبير بالأخذ فى هذه الآية دلالة واعتبار . وأسلوب القرآن استعمال الأخذ فى مواطن الحوز الجاد الحازم ، كالمواثيق : ((**قد أخذ عليكم موثقا من الله**)) وفى مواطن القهر والعنف : « فأخذتهم الصيحة » ، ((**فأخذهم أخذة رابية**)) . وفى مناسبة التحصيل القوى : ((**خذوا ما آتيناكم بقوة**)) .

بينما يلاحظ أن القرآن حينما يأمر الواجدين الموسرين بالاعطاء ، يؤثر استعمال لفظ : الايتاء ، لأنه اعطاء قاصد فاعل سهل ميسر .

وقصد القرآن من المغايرة بين التعبيرين ، الأخذ والايتاء ، وهو يضع الحل لمشكلة الفقر فى المجتمع : أن يؤتى المؤدون لحق الله ، الذى هو حق

الجماعة فى المال ايتاء ، وان يأخذ المدبرون لهذه الحقوق أخذا جادا حازما ، لأن طبيعة هذا الجانب من الحياة حازمة ، وحاجة الفقير ناجزة ، لا تحتمل التأخير ، ملحة لا تطيق الابطاء والتسويف ، فهى حاجة ضرورية متجددة دائمة قاهرة ، يفسد التدبير لها بالتهاون .

٤٧ — ومن المعروف موقف الصديق من مانعى الزكاة ، وقتالهم مع المرتدين عن الدين جملة ، ومحاجته الصحابة فى ذلك ، وقولته المصممة : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال . والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لقاتلتهم على منعها » .

وهو موقف يدل على تقدير عميق لأبعاد المسئولية الكبرى فى جباية الزكاة وصرفها ، وقوله السابق يعد من كبار الاعمال ، وفى الذروة من جليل الاقوال المأثورة البينة المعبرة .

ولما اقتصر عثمان على جباية الاموال الظاهرة فقط : اعتبر ذلك تفويضا وتوكيلا منه للأغنياء باخراج زكاة أموالهم الباطنة ، وكانوا يؤدونها ويحملونها الى الأئمة الذين كانوا يقبلونها منهم . فاذا شحت النفوس ، وغلت الأيدى ، عادت الجباية الى الأصل ، وهو الحاكم .

ولا شك أن جباية الزكاة من قبل الحاكم أكثر ضمانا لحق الفقراء ، وأكرم لهم ، وهو أضمن لصرفها فى مصارفها المنصوصة ، وهو — أيضا — بحيث يسبغ على وظيفة الزكاة من الجدية والحزم والحيوية ، ما يلبسها ثوب الحق الملزم .

مصارف الزكاة :

٤٨ — حصرت آية الصدقات ، صرف الزكوات الى الاصناف الثمانية . ويتصل ببحثنا منهم ثلاثة :

١ — الفقراء الذين لا يملكون شيئا .
٢ — المساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم .
٣ — الغارمون : الذين فدحهم الدين للناس ، فى غير سفه ولا فساد .

صفة الواجب :

٤٩ — اتفق الفقهاء على وجوب الاكتفاء بأخذ النوع الوسط ، بين الجيد والردىء ، مما تجب فيه الزكاة . وهذا من النصفة ، اذ هو مما يسد الخلة ، وتجود به نفس المزكى ، وهو من سياسة الاسلام المالية الرشيدة العادلة . وهو بعد ذلك وقبله ، مما أوصت به السنة ، وجرى به العمل .

فمما أوصى به الرسول — صلى الله عليه وسلم — بعض جباته ، قوله : « لا تأخذ من حزرات أنفس الناس شيئا ، خذ الشارف ، والبكر ، وذات العيب » .

وقالت عائشة : « مرّ على عمر ، بغنم من الصدقة ، فرأى فيها شاة حافلا ، ذات ضرع عظيم ، فقال عمر : ما هذه الشاة ؟ قالوا : هى شاة من الصدقة . قال : ما أعطى هذه أهلها وهم طائعون . لا تفتنوا الناس ، لا تأخذوا حزرات أموال المسلمين .. » .

وروى أبو يوسف بسنده عن زياد بن أبى مريم : « ان النبى — صلى الله عليه وسلم — بعث مصدقا ، فجاءه بإبل مسان ، فقال له رسول الله — صلى

الله عليه وسلم — : هلكت وأهلكت . فقال : انى كنت أعطى البكرين بالجمس المسن . قال : فلا إذاً » .

ويروى عن الشعبى قوله : « المعتدى فى الصدقة كمانعها » .

وهذا الحرص الظاهر المؤكد على الرفق بأرباب الأموال ، والاعتدال فى الواجب المأخوذ ، مجال مقارنة بالتحديات المسرفة فى النزعات المذهبية الاجتماعية المتطرفة فى العصر الحديث ، وهو أيضا من أسباب الخلود فى هذه الشريعة الغراء .

صفة الجابى :

٥٠ — انما يوظف للجباية الأمناء ، الصالحون لها ، القادرون عليها ، من أهل الدين والعفاف . ومن قبل ، اتجه أبو يوسف القاضى الى هارون الرشيد ، يخاطبه فى هذا ناصحا ، يقول :

« ومر يا أمير المؤمنين ، باختيار رجل أمين ثقة ، عفيف ناصح ، مأمون عليك ، وعلى رعيتك ، فوله جميع الصدقات فى البلدان ، ومره فليوجه فيها اقواما يرتضيهم ، ويسأل عن مذاهبهم وطرائقهم وأماناتهم ، يجمعون اليه صدقات البلدان ، فاذا جمعت اليه أمرته فيها بما أمر الله جل ثناؤه به .

وقد بلغنى أن عمال الخراج ، يبعثون رجالا من قبلهم فى الصدقات ، فيظلمون ويعسفون ، ويأتون ما لا يحل ولا يسع . وإنما ينبغى أن يتخير للصدقة أهل العفاف والصلاح » .

شروط الفقير الذى تدفع اليه الزكاة :

٥١ — يعطى الفقير الزكاة بشروط :

١ — أن لا يكون مالكا للنصاب النامى الفاضل عن الحاجة .

٢ — وأن يكون مسلما ، الا ما روى عن عمر وابن عباس من جواز صرفها الى مساكين أهل الذمة .

٣ — وأن لا يكون من أصول المزكى ولا فروعه .

واختلف فى شرط عدم القدرة على الكسب .

من تطبيقات الشروط :

٥٢ — لا ينبغى أن يظن من ذكر هذه الشروط أن الزكاة لا تصرف الا للفقير المعدم ، ففى نصوص الفقهاء ما يشير الى صرفها لذوى الحاجة ، سدا لحاجتهم ، وارتفاعا بهم الى مستوى أفضل .

أ) فقد روى الحنفية عن الحسن البصرى قوله : « كانوا — يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعطون الزكاة لمن يملك عشرة آلاف درهم من الفرس والسلاح والخادم والدار » . وعللوا ذلك بأنه من الحوائج اللازمة التى لا بد للانسان منها ، فكان وجودها وعدمها سواء .

وانبعاثا من هذا نص من أئمتهم ، كزفر ومحمد ، على أن من له حوانيت ودور للغلة لا تكفيه غلتها ، ولا تكفى عياله ، هو فقير يحل له أخذ الصدقة . وقاسوا عليها من له أرض يستغلها ، أو كرم يستثمره .

ب) ونص الشافعية على أن من له عقار ، وينقص دخله عن كفايته ، فهو فقير أو مسكين ، فيعطى من الزكاة تمام كفايته ، وصرحوا بأنه لا يكلف بيعه .

جـ) وجاء فى معتمدات كتب الحنبلية أن الامام أحمد — رحمه الله — سئل فى الرجل اذا كان له عقاريستغله ، أو ضيعة تساوى عشرة آلاف درهم ، أو أقل من ذلك أو أكثر ، ولكنها لا تقيمه ، فقال : يأخذ من الزكاة .

د) وترددت نصوص المالكية فى هذا الصدد . وان يكن المروى عنهم عند الحنفية — والمذهبان يتقاربان — أن من يملك ما قيمته ربع النصاب لا يحل له اخذ الصدقة ، استدلالا بالمروى عن بعض الصحابة ، ومنهم على وابن مسعود . ويبدو هذا الاتجاه عندهم كاتجاه أبى يوسف من الحنفيين .

وفى كتبهم عن بعض أئمتهم جواز دفع الزكاة لمن يملك نصابا أو أكثر لكثرة عياله ، ولو كان له الخادم والدار .

ومن هذه النصوص ، يعرف المستوى المعشى الانسانى الكريم ، الذى كان فقهاؤنا يرمقونه فى ضوء الاسلام .

مقدار المدفوع الى الفقير من الزكاة :

٥٣ — لئن تردد الحنفية فى جواز اعطاء الفقير نصابا ، أو ما يكفيه سنة ، وقصروا المعطى على شهر باتفاق بينهم ، فان اجتهاد الجمهور استقر على جواز اعطائه ما يكفيه سنة ، بالغا ما بلغ .

أ) وقد أطلق الشافعية الاعطاء بما يخرج به الفقير عن وصف الفقر ، ويكفيه على الدوام ، وفصلوا فقالوا :

١ — من كان من أهل الضياع يعطى ما يشترى به ضيعة أو حصة فى ضيعة تكفيه على الدوام .

٢ — ومن كان من أهل الصنائع يعطى ما يشترى به الآلات التى تصلح لمثله ، قلت قيمة ذلك أو كثرت .

٣ — ومن كان تاجرا أو عطارا أعطى بنسبة ذلك .

٤ — ومن كانت حرفته بيع الجواهر يعطى عشرة آلاف درهم ، اذا لم يتأت له الكفاية بأقل منها .

ب) ومذهب الشافعية هذا مروى مثله عن الإمام أحمد . وفرعوا على فتواه السابقة : أن يعطى المحترف ثمن آلة حرفته ، ويعطى التاجر رأس مال يكفيه . ويعطى غيرهما من فقير أو مسكين تمام كفايتهما مع كفاية عائلتهما سنة ، لتكرر الزكاة بتكرر الحول ، فيعطى ما يكفيه الى مثله .

٥٤ — ومما يشهد للذى تقدم من الآثار ، ما يروى أبو عبيد أن امرأة تشكت من محمد بن مسلمة عند عمر بن الخطاب ، فدعا لها بجمل ، فأعطاها دقيقا وزيتا . وقال : خذى هذا ، حتى تلحقينا بخيبر ، فإنا نريدها . فأتته بخيبر ، فدعا لها بجملين آخرين ، وقال : خذى هذا فان فيه بلاغا ، حتى يأتيكم محمد بن مسلمة ، فقد أمرته أن يعطيك حقك للعام ، وعام أول .

كما روى عن عمر ان رجلا جاءه يشكو اليه ، فأعطاه ثلاثا من الابل : وقال للمصدقين : « كرروا عليهم الصدقة : وان راح على أحدهم مائة من الابل » .

وروى عن عطاء قوله : « اذا أعطى الرجل زكاة ماله أهل بيت من المسلمين ، فجبرهم ، فهو أحب الى » .

٥٥ — ولم نسمع فى القديم ولا فى الحديث أن دولة تسمح باعطاء مثل هذا الذى ذكرنا من رؤوس الاموال لموظفيها الذين يعملون لها ، فضلا عن الفقراء والذين يعملون لأنفسهم .

لكن بهذه الروح الاسلامية العمرية المعطاءة ، تساس القلوب ، وتجبر الكسور ، ويؤتدم بين الناس ، فلا يشعرون بالفوارق بين الطبقات ، فضلا عن اثارة الحروب الدموية الطبقية ، التى تشعلها المذاهب المادية ، المعزولة عن البشرية . والخطر لا يعالج بما هو ادهى وأمر ، انما هو كالضرر ، يزال ، ولا يزاد .

الضرائب لا تغنى عن الزكاة :

٥٦ ـ يتساءل بعض السذج عن امكانية سد الضرائب [illegible] ـالية سد الزكاة ، وعن جواز دفع الضرائب الى الدولة بنية الزكاة .

والواقع أن هناك فروقا واضحة بين الزكاة والضريبة ، فلا تغنى هذه عن تلك . ونذكر من الفروق :

أولا : أن الزكاة قربة خاصة ، وعبادة مالية خالصة لله رب العالمين ، مهما لبست ثوب الوظيفة المالية الاجتماعية . أما الضريبة ، فهى ـ فى الأصل ـ واجب مالى يلزم به الافراد ، فى نظير حقوق يتمتعون بها .

ثانيا : ان الزكاة تجب فى مستوى خاص من اليسار ، وشروط مقدرة محددة ، لا يمكن اعتبارها فى الضريبة .

ثالثا : ان الزكاة فريضة دينية مؤبدة ، لا تسقط حتى باستغناء الفقراء . والاصل فى الضريبة أنها وظيفة زمنية ، توضع لضرورة أو مصلحة ، فاذا زالت الضرورة ، أو غطيت المصلحة ، سقطت الضريبة .

رابعا : والزكاة مقدرة فى الشرع بالنص ، كعدد الركعات ، وشهر الصوم ، لا يزاد عليها ، ولا ينقص منها ، بخلاف الضريبة فى كل ذلك .

خامسا : مصارف الزكاة محصورة فى الاصناف الثمانية ، فى آية الصدقات ، ولا يصح اجماعا صرف الزكاة فى غيرها ، الا للضرورة ، وعلى أن يكون دينا يرد الى خزانة الزكاة ، كما نص عليه السرخسى من الحنفية ، وغيره ، بخلاف الضريبة .

لهذا لا محل للقول بالاستغناء بالضرائب عن الزكاة ، كما يقترح بعض المفسدين المغرضين ، أو يسأل بعض البسطاء ، مع وجود هذه الفروق والأبعاد السحيقة .

من آثار الزكاة فى المجتمع :

٥٧ ـ بل نقول : ان الضرائب ، مع ما خصص منها لرعاية المحتاجين ، لم تسد الحاجة ، ولم تحقق للفقراء حياة كريمة . واستطاع نظام الزكاة حين تطبيقه فى القرون الاولى أن يسد العوز ، ويعزل الفقر عن المجتمع الاسلامى ، بل ويشبع حاجات يذهل الناس اليوم أن يسمعوها ، وقد وقعت فى التاريخ ، وهو شاهد صدق .

روى أبو عبيد القاسم بن سلام بسنده ، أن معاذ بن جبل بقى فى اليمن حتى زمن عمر ، فبعث اليه بثلث صدقة الناس ، فأنكر عمر ذلك ، واستكثره ، وكتب الى معاذ : لم أبعثك جابيا ، ولا آخذ جزية ، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس ، فترد على فقرائهم . فقال معاذ : ما بعثت اليك بشىء وانا أجد احدا يأخذه منى .

فلما كان العام الثانى بعث اليه بشطر الصدقة ، فتراجعا بمثل ذلك .

فلما كان العام الثالث ، بعث اليه بها كلها ، فلما راجعه عمر قال معاذ : ما وجدت أحدا يأخذ منى شيئا .

٥٨ ــ بل روى أيضـــا أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وهو بالعراق أن أخرج للناس أعطيـــــاتهم . فكتب اليه : انى أخرجت للناس أعطياتهم ، وقد بقى فى بيت المال مال .

فكتب اليه أن انظر كل من استدان فى غير سفه ولا سرف ، فاقض عنه . فكتب اليه قد قضيت عنهم ،وبقى فى بيت مال المسلمين مال .

فكتب اليه أن انظر كل شاب ، ليس له مال ، فشاء أن تزوجه فزوجه ، وأصدق عنه ، فكتب اليه : انى قد زوجت كل من وجدت ، وبقى فى بيت مال المسلمين مال .

فكتب اليه عمر : انظر من كانت عليه جزية ــ يعنى من أهل الذمة ــ فضعف عن أرضه ، فأسلفه ما يقوى به على انماء أرضه ، فإنا لا نريد منهم الجزية لعام ولا لعامين .

٥٩ ــ وبعد هذا العرض الموجز ، يتضح أنه لا تستقيم الموازنة بين آثار الزكاة الشرعية ، وبين الضرائب وغيرها ، الا استقامت الموازنة بين العمـــلاق والقزم .

اجمال ..

٦٠ ــ وبعد : فهذه إلمامة خاطفة بنظرة الاسلام الى التكافل الاجتماعى ، مبادئه وأسسه ، وقد تجلى لنا فيها ما يأتى :

١ ــ أن الاسلام لا يعتبر التكافل تنظيما انسانيا فقط ، بل هو يدمجه فى جملة الواجبات الدينية المالية ، بين الكاسبين وبين الكادحين المحتاجين .

٢ ــ أن المجتمع الاسلامى مجتمع متكافل متضامن : الفرد فيه مسئول عن غيره فى الجماعة ، والجماعة فيه مسئولة عن الفرد .

٣ ــ وأن الدولة رمز لوحدة المجتمع الاسلامى ، وتعاونه وتســــانده وتكافله .

٤ ــ وأن الاسلام حقق التكافل الاجتماعى منبثقا من الايمان والتوحيد ، مصطبغا بمراقبة الله ــ عز وجل ــ مترفعا عن الفلسفات المادية ، وتعثرها وتخبطها .

٥ ــ وان وسائل التكافل فى الاسلام سلمية واقعية ، معقولة مقبولة ، لا تعقيد ولا اثارة ، ولا أحقاد ولا دماء .

٦١ ــ هذا ، وان المذاهب الاقتصادية والاجتماعية المتطرفة والمعتدلة فى العالم اليوم ، لم تستطع أن تفعل ما فعله الاسلام بالامس ، فيما يتصل بالتكافل الاجتماعى ، وهى ناظرة فيما يفعله المسلمون اليوم ، ويقدمونه من حلول لمشاكل المال والحرمان .

وقد رأينـــا أن مبادىء التكافل فى الاســـلام عادلة هادئة هادفة فذة ، ولا يعوزها الا التنفيذ ، وشق الطريق للنهضة الأصيلة ، التى لا تقليد فيهـــا ولا زغل .

فهل لنا أن نعقد العزم ، ونستأنف تطبيقها ، متكافلين متساندين ، متكلين على الله غير متواكلين .. ؟

إنا لنرجو ذلك متفائلين : ((**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورســـوله والمؤمنون**)) .

تحقيق حول
التعليم الاسلامي في الكويت

اعداد الأستاذ : عبد الحليم عويس

- الجهد الشعبى يتضافر مع جهود المسئولين فى التعليم الاسلامى .
- ٧٠٠ طالب من الكويت والبلاد الاسلامية فى دار القرآن الكريم .
- ٣٠٠٠ طالب يمضون عطلتهم الصيفية فى حفظ القرآن الكريم ودراسته .
- فى وزارة التربية جهاز فنى لتوجيه التربية الاسلامية ميدانيا .

فى الكويت ... فى هذا البلد الاسلامى العربى ، يحظى التعليم الدينى ، وتحظى التربية الاسلامية باهتمام كبير ، على المستويين : الرسمى والشعبى .

والاهتمام بالتعليم الاسلامى فى الكويت،سواء على المستوى الرسمى فى وزارتى الأوقاف والتربية ، أو على المستوى الشعبى فى مراكز تحفيظ القرآن والمجالات الاسلامية الأهلية — لا ينطلق من كونه مادة ثقافية ، تعطى العقل لونا من الغذاء الفكرى فحسب ، بل ينطلق هذا الاهتمام من قناعة بأن التربية الاسلامية — فى حقيقتها — الضمير القوى المهيمن على كل الأنشطة العلمية والاجتماعية ، والأساس الذى تنبنى عليه شخصية الأمة الاسلامية وشخصية الفرد المسلم ، والدعامة الأولى فى تنشئة جيل صالح معد للنهوض بواجباته نحو الله والأمة والوطن والأسرة .

ويمتاز التعليم الاسلامى فى الكويت — فى بعض مجالاته — بأنه تعليم مفتوح ميسر للجميع ، يقف فيه الشاب مع الشيخ ، ويلتقى فيه



الراغبون من أبناء الأمة الاسلامية المقيمين بالكويت جميعا ، دون تقيد بسن أو مستوى ثقافى ، أو شروط أخرى . فباستطاعة الجميع أن يجدوا لهم مكانا ملائما لمستوى تحصيلهم ، وأن ينمو — بالتالى — معارفهم الاسلامية ، ويقووا صلتهم بكتاب الله وسنة نبيه ، عليه الصلاة والسلام .

● **دار القرآن الكريم :**

فى سنة ١٣٩١هـ ، رأى المسئولون فى وزارة الاوقاف أن « الحاجة ملحة لتكوين جيل من العاملين فى حقل الدعوة الاسلامية ، تكوينا أكثر تخصصا فى الدراسات القرآنية ، وأكثر قدرة على حفظ القرآن ، وترتيله ترتيلا شرعيا ، ومعرفة أحكام تجويده ، وما يتصل بذلك — فى الحدود الممكنة — من نحو وتفسير .

وقد دفعتهم « الحاجة الملحة » ، والشعور بالمسئولية تجاه « القرآن الكريم » ، وقناعتهم بضرورة الحفاظ على الكتاب الكريم ، والوقوف فى وجه المؤامرات اليهودية والصليبية التى تحاك له .

دفعهم ذلك وغيره الى انشاء « **دار القرآن الكريم** » فى العام الهجرى نفسه ، كى يعتمد عليها فى تحقيق الأهداف السالفة الذكر .

وتحقيقا لأكبر نفع ممكن ، لم يشأ المسئولون فى وزارة الأوقاف ، جعل الدار وقفا على التابعين لوزارة الأوقاف فحسب ، بل أتاحوا الفرصة لجميع الراغبين فى الدراسات القرآنية ، ما داموا يجيدون القراءة والكتابة ، بصرف النظر عن السن أو الجنسية ، وقد أعفى من شرط القراءة والكتابة المكفوفون .

وتنقسم الدراسة فى الدار الى فترتين : الفترة الصباحية ، وينتظم فيها موظفو وزارة الاوقاف ، ويبلغ عددهم أربعمائة دارس . والفترة

المسائيه ، وينتظم فيها الحريصون على تقويه صلتهم بالقرآن الكريم من عامه الشعب ، ويبلغ عددهم ثلاثمائة دارس .

ومدة الدراسة فى دار القرآن ست سنوات ، يتلقى الدارس خلالها زادا طيبا من الدراسات القرآنية ، بجانب الأساس القوى فى الدراسة ، وهو حفظ القرآن الكريم وتجويده ، مقسما على السنوات الدراسية الست .

وتقوم وزارة الأوقاف ، بالإضافة الى توفير الأساتذة الذين يبلغ عددهم فى هذا العام ستة وعشرين أستاذا ، بتوفير الكتب للدارسين على نفقتها الخاصة ، وتقديم مكافأة تشجيعية شهرية لكل دارس منتظم ، هذا عدا ما تقدمه من جوائز مالية سنوية للعشرة الأوائل لكل صف دارس فى فترة الصباح ، أو فى فترة المساء .

وجدير بالذكر — قبل أن نترك الحديث عن دار القرآن الكريم — أن هذه الدار إنما أسست كمرحلة جديدة متطورة ، بعد أن انتهت مهمة « معهد الإمامة » الذى كانت الوزارة قد أنشأته عام ١٣٨٧هـ ، بقصد تدعيم المستوى الفكرى والمادى للعاملين فى وزارة الاوقاف . وبعد أن تمكن « معهد الإمامة » من تخريج أربع دفعات من الأئمة ، بلغ مجموعهم (١٣٦) خريجا : (فى السنة الاولى ٤٧ خريجا ، والثانية ٢٩ ، والثالثة ٢٢ ، والرابعة ٣٨) ، وسد بذلك حاجة الوزارة — فى المرحلة السابقة — الى الأئمة الأكفاء .

بعد ذلك أسست الوزارة « دار القرآن » لتقوم بدور أشمل وأعمق ، وهذا ما نأمله ويأمله القائمون على أمر الدار ، بإذن الله .

● مراكز تحفيظ القرآن الكريم :

ومن بين الجهود البارزة فى خدمة التعليم الدينى وتكوين « جيل قرآنى » بالكويت — تلك الجهود التى تبذلها « جمعية الاصلاح الاجتماعى » فيما يعرف « بمراكز تحفيظ القرآن الكريم » .

ففى كل عطلة صيفية ، منذ ست سنوات ، ، دأبت الجمعية بالتعاون مع وزارتى التربية والأوقاف ، على فتح « مراكز لتحفيظ القرآن الكريم » تتلقى فيها الأطفال والشباب ، بنين وبنات ، على اختلاف مستوياتهم ، وتشرف على تحفيظهم أجزاء محددة من القرآن الكريم ، وإعطائهم دروسا فى الحديث والفقه والسيرة النبوية ، فى حدود قدراتهم ، وما تسمح به أعمارهم العقلية .

وخلال ستة أعوام مضت ، قفز عدد المنتمين الى مراكز تحفيظ القرآن من « مائة » طالب الى « ثلاثة آلاف » طالب ، من بينهم أكثر من تسعمائة وسبعين فتاة .

وقد ازداد عدد المراكز — بزيادة الإقبال من الفتيان والفتيات — فوصل الى واحد وعشرين مركزا ، تقوم الجمعية بتوفير الأساتذة والأدوات والكتب اللازمة لكل مركز منها .

ويخصص لحفظ القرآن الكريم — وحده — عشر حصص فى الخطة الاسبوعية ، بالاضافة الى الحصص الأخرى المخصصة للمواد الدراسية الثلاث السابقة ، وحصص الوضوء العملى والصلاة الجماعية ، وبالاضافة الى «ربع ساعة» تخصص — يوميا — قبل بداية الدراسة ، لتجميع الطلبة والطالبات فى طابور الصباح ، الذى يبدأ بالقرآن الكريم ، ثم بالدعاء المأثور الذى يردده الجميع ، وكذلك الأناشيد الاسلامية .

وفى صيف العام الدراسى الماضى (١٣٩٣هـ) بلغ عدد الاساتذة العاملين فى هذه المراكز تسعين معلما ، من بينهم ثلاثون معلمة ، يقمن بالعمل فى المراكز المخصصة للفتيات .



وفى كل مركز من مراكز تحفيظ القرآن،توجد مكتبة صغيرة اسلامية، تضم بعض كتب السيرة والحديث وأجزاء من التفسير . ويسمح للتلاميذ والتلميذات بالاستعارة الداخلية والخارجية من هذه المكتبة .

وبين الحين والحين يقوم كل مركز بعمل رحلات علمية الى الضواحي النائية فى الكويت ، أو المعالم الأثرية أو التاحف أو المعارض العلمية ، حيث يتولى المشرفون على المراكز قيادة الطلاب وتوجيههم وشرح ما غمض عليهم .

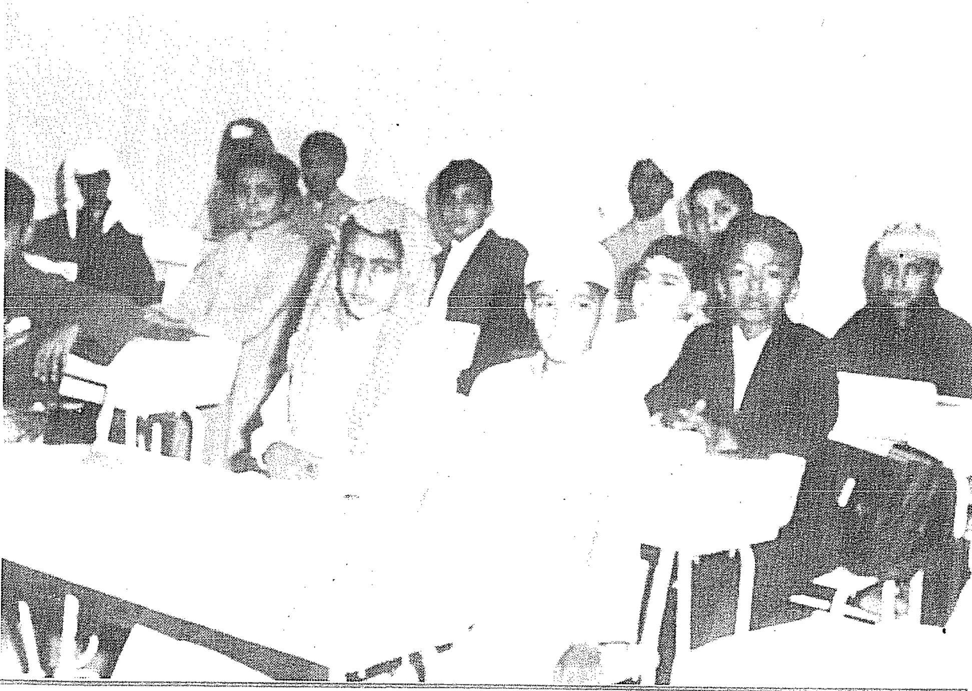
وفى نهاية كل دورة صيفية ، يقوم كل مركز من مراكز تحفيظ القرآن — على حده — بعقد امتحان للدارسين فيه ، ويمنح الناجحين شهادات تدل على المرحلة التى انتهوا منها ، كما يمنح المتفوقين جوائز مالية وأدبية ، ثم يجرى احتفال كبير عام ، فى مقر جمعية الاصلاح ، تسلم فيه شهادات تفوق وجوائز للأوائل على مستوى المراكز كلها .

● توجيه خاص للتربية الإسلامية بوزارة التربية

تتعاون أجهزة كثيرة على خدمة العلوم الدينية والتربية الاسلامية فى وزارة التربية بالكويت ، وأبرز الأجهزة العاملة فى خدمة المادة بالوزارة « توجيه التربية الاسلامية » وهو « التفتيش » الذى يقوم بمتابعة سير المادة ميدانيا ، وتوجيه معلميها التوجيه الفنى والعلمى الأمثل .

وعلى نحو قد يكون جديدا ، بالنسبة لكثير من البلدان العربية ، يقف « توجيه التربية الاسلامية » كتفتيش قائم بذاته ، يركز جهوده كلها فى خدمة التربية الاسلامية ، ولا ينظر اليها نظرته الى مادة تابعة للغة العربية ، كما كان الحال قبل ذلك .

وقد أخذ التفتيش المذكور وضعه ذاك منذ عام ١٣٩٠هـ ، حين أحس المسئولون بضرورة تفرغ جهاز فنى توجيهى لخدمة التربية الاسلامية ، ومن ذلك التاريخ ، والتربية الاسلامية (كما يحدثنا الأستاذ محمد عبد الحليم



الشيخ الموجه العام لمادة التربية الاسلامية) تحظى بعناية كبيرة ، فى الميدان والمنهج والكتاب المدرسى المتطور المشوق .

وقد نما التفتيش — خلال السنوات الثلاث التالية لانشائه — كيفا وكما ، وبلغ عدد موجهى المادة في العام الدراسى (٩٣/٩٤ هـ) ستة وعشرين موجها ، موزعين على المراحل التعليمية المختلفة ، والتعليم الخاص والأجنبى .

وعلى راس جهاز التوجيه الفنى ، يقف « الموجه العام » يساعده ، وفق التنظيم الأخير للتوجيه الفنى فى الوزارة — مفتشون أوائل للمراحل التعليمية الثلاث : الابتدائية والمتوسطة والثانوية .

ويقوم التوجيه المذكور ، بالتعاون مع مراقبة المناهج والكتب ، بالاشراف على تأليف الكتب المدرسية وتعديلها ، ووضع المناهج الدراسية المطورة لمادة التربية الاسلامية ، كما يقوم بالتعاون مع ادارة النشاط المدرسى ، باجراء مسابقات سنوية فى بحوث اسلامية ، بالاضافة الى مسابقة سنوية أخرى خاصة بحفظ « القرآن الكريم » ، تنتظم الطلاب فى المراحل الدراسية المختلفة ، وتوزع فيها جوائز مادية وأدبية قيمة على المتفوقين من التلاميذ والتلميذات .

● **المعهد الدينى :**

يعتبر المعهد الدينى ، التابع لوزارة التربية ، أقدم جهاز تعليمى ، قائم على أمر الدراسات الاسلامية فى الكويت .

وقد أنشىء هذا المعهد سنة ١٩٤٧م ، على نمط المعاهد الأزهرية الموجودة بمصر . وكان يضم — الى عامين دراسيين سابقين — المراحل التعليمية الثلاث ، لكن الاتجاه الاخير الجارى تطبيقه مرحليا ، سيجعل المعهد قاصرا على المرحلتين : المتوسطة والثانوية ، اسوة بالمعاهد الأزهرية فى مصر !!

ويبلغ عدد الطلبة المنتظمين بالمعهد فى العام الدراسى الحالى ٢٦١ طالبا، يقوم على امرهم ٣٨ أستاذا ، عدا الجهاز الادارى (كما أخبرنا الأستاذ احمد عبد القادر وكيل المعهد) .

وتنتظم هؤلاء الطلاب صفوف المرحلتين المتوسطة والثانوية الثمانية والصفان الثالث والرابع من المرحلة الابتدائية .

اما مناهج المعهد ، فشأنها شأن المعاهد الأزهرية ، تنقسم فيها الدراسة الى نوعين : علوم انسانية عامة ، وهذه يخضع المعهد فيها لمناهج وزارة التربية فى المراحل التعليمية العامة . وعلوم شرعية ولغوية ، وهذه يطبق فيها ما يطبق فى المعاهد الأزهرية بمصر ، ويقوم المعهد بادارته وأساتذته المتخصصين فى هذه العلوم بالاشراف عليها وتوجيهها على الأسس المطبقة فى المعاهد الأزهرية المصرية .

والمجالات المتاحة لخريجى المعاهد الأزهرية (القسم الأدبى) هى نفسها المجالات المتاحة لخريجى المعهد الدينى . فأمامهم كلية الآداب (قسم لغة عربية) وكلية التربية وكلية الشريعة بجامعة الكويت . وأمامهم الكليات النظرية بالجامعات العربية وكليات الجامعة الاسلامية بالمدينة ، والكليات النظرية بجامعة الازهر ، وكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

● **معهد الإيمان الشرعى :**

لم يتم افتتاح هذا المعهد رسميا إلا فى غرة العام الدراسى الحالى (١٧ رمضان ١٣٩٣هـ) ، فهو بذلك أحدث المعاهد الاسلامية الموجودة بالكويت.

والفكرة من إنشاء هذا المعهد — كما يأمل القائمون على أمره — إخراج جيل يؤمن بالله تعالى عن طريق العلم والمعرفة ، لا عن طريق التقليد ، ثم إخراج جيل عارف بشريعة الله تعالى من فقه واصول وتفسير وحديث وغير ذلك .

وعلى الرغم من أن المعهد أسس بجهود فردية « غير رسمية » فالخطة الموضوعة لسيره ، تقتضى ادراجه فى سلك المعاهد الرسمية الشرعية — فى أقرب فرصة ممكنة — حتى تتاح لأبناء الكويت الفرصة لبلوغ آمالهم فى إحياء شريعتهم وتفهمها ، وبخاصة وأن العلماء المتخصصين فى الدراسات الاسلامية يتناقصون يوما بعد يوم .

ومنهج الدراسة بالمعهد قريب من منهج المعهد الدينى ، فهو يدرس المواد الانسانية المقررة فى وزارة التربية ، ويضيف اليها العلوم الشرعية واللغوية .

وقد بدأ المعهد عامه الدراسى الأول بصفين فقط هما الصف الأول المتوسط والثانى المتوسط ، وعدد طلاب الصفين يقارب الخمسين طالبا ، ينتمون الى جنسيات مختلفة . ويضم المعهد هيئة تدريس تتكون من سبعة اساتذة ، ويديره متخصص على مستوى عال من التخصص فى العلوم الشرعية .

والدراسة فى المعهد مجانية ، بدون مقابل ، كما أن الكتب المدرسية والأدوات تعطى للطالب بدون مقابل ايضا ، بالاضافة الى وجبة غذائية يومية مجانية .

وليس للمعهد جهة رسمية تموله — كما ذكرنا — وانما هو قائم على تبرعات المهتمين بأمور دينهم من المؤمنين المخلصين فى الكويت .

● **ونظرة عامة أخيرة :**

الحق أن التربية الاسلامية — فكرا وسلوكا — انما تمثل قضية حيوية بالنسبة لبناء المجتمع الاسلامى ، وحفظ شخصيته ، ودفعه فى مضمار الحضارة خطوات الى الامام .

— ومن زاوية تاريخية وعقلية ، لا يمكن تصور وجود أمة مسلمة دون

تربية قائمة على دستورهـــا الإلهى وسنة نبيها وســـلوك راشــــديها وإيجابيات تراثها العظيم .

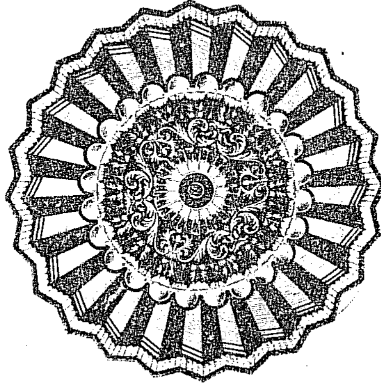
واذا كانت « الجهـــود الفردية » والجهود « الجماعية الشعبية » تلعب دورا حضاريا كبيرا فى تدعيم التربية الاسلامية والعلوم المتصلة بها ، فمما لا شك فيه أن النتائج المرجـــوة من هذه الجهــــود لن تتحقق الا بالتكامل والتعاون والتنسيق مع جهات كثيرة فى المجتمـــع ، تملك هى الأخـــرى إمكانية التأثير فى مجالى التربيـــــة والتعليم .

ولكى نضع بعض المعالم المحـــددة فى هذا الشأن ، فاننا نشير الى أن لأجهزة « الاعلام » من تلفاز واذاعة وصحافة ــ دورا مهما جدا فى تحقيق أهداف التربية الاسلامية فى المجتمع الاسلامى .

وأيضا فان « المسجد » يجب أن يلعب دورا تعليميا وتربويا بصــــورة أوضح فى المجتمع الاسلامى . وليس ذلك مجرد « إعادة » لرسالة المسجد الحقيقية فحسب ، بل يرجع ذلك الى طبيعة المناخ الذى يتحقق فىالمسجد ، ولا يتحقق فى المؤسسات التعليمية الأخرى .

ومما لا شــك فيــه أن تدعيــم المؤسسات التعليمية بالمســـــاجد الداخلية اللازمة ، والكفايات العلمية المتخصصة المتفرغة للتربيةالاسلامية ، بالاضافة الى وضع القواعد اللازمة لضمان استمرار « المعهد الدينى » ، وضــمان ادائه لرسالته ، وتطـــوير أساليب الأداء . .

ــ لا شـــك أن توفير ذلك كله ، سيكون له أكبر الأثر فى تمكين التربية الاسلاميـــة من تحقيـــق أهدافها ، وتأدية رسالتها الاجتماعية والانسانية والحضارية على أفضل نحو ممكن .



وأين هو أيضاً انجيل عيسى عليه السلام ؟

للأستاذ : محمد عزة دروزة

لقد ذكر الانجيل في القرآن الكريم مرارا كثيرة ، وجاء ذكره في بعضها مقرونا بعيسى عليه السلام . وفي الآيات التي ذكر فيها مقرونا باسمه صراحة بأن الله تعالى آتاه اياه وعلمه اياه كما جاء في هذه الآيات مثلا :

١ ــ ((**ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل**)) (آل عمران ٤٨ ، ٤٩) .

٢ ــ ((**وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين**)) (المائدة ٤٦) .

٣ ــ ((**اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل**)) (المائدة ١١٠) .

وهناك آيات كنى عنه فيها بالكتاب جاءت حكاية عن لسان عيسى مثل هذه الآية : ((**اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا**)) (مريم ٣٠) .

وفي بعض الآيات ما يفيد أن في الانجيل أحكاما ربانية كما جاء في هذه الآيات :

١ ــ ((**وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون**)) (المائدة ٤٧) .

٢ ــ ((**قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم**)) (المائدة ٦٨) .

وتقتضي هذه النصوص أن الانجيل كتاب واحد انزله الله أو أوحى به أو علمه أو آتاه لعيسى عليه السلام وفيه تبليغات وأحكام ووصايا ربانية . هذا في حين أن النصارى

اليوم يعترفون ويتداولون اربعة اناجيل هي أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا . ويسمى المجلد الذى يضمها مع سفر اسمه (سفر أعمال الرسل) وأربع عشرة رسالة من بولس الى اهل بلاد عديدة والى أشخاص والى العبرانيين . ثم رسائل بطرس ويوحنا ويعقوب ورؤيا يوحنا باسم (العهد الجديد) مع اعترافهم بأسفار (العهد القديم) فىنصوص يتداولونها وضم أسفار العهدين فى مجموعة ضخمة وتسمية المجموعة (الكتاب المقدس) .

وهناك خلاف فى عدد رسائل العهد الجديد وأصحابها عدا الاناجيل الاربعة . حيث أن الطبعة البروتستانتية لا تثبت بعضها ولا تعترف به فى حين أن الطبعة الكاثوليكية تثبتها جميعا وتعترف بها والنصارى يعولون على هذه الرسائل تعويلا لا يقل عن الاناجيل . لأن فيها شرحا للعقائد والتعاليم النصرانية التى لم ترد فى الاناجيل بصراحة وقطعية .

والاناجيل الاربعة صريحة بانها كتبت بعد عيسى عليه السلام لتحتوى قصة حياته ورسالته وتعاليمه وأقواله ونهايته . وبأنها كتبت بعد توفيه بمدة ما . وهناك من يذكر أنها كتبت خلال ستين سنة ما بين سنة ٣٧ وسنة ٩٨ بعد الميلاد .

وهناك خلاف فى ظروف ولغات وأشخاص كتاب الاناجيل الاربعة . ومتى صاحب أول الاناجيل من تلامذة المسيح أو حوارييه الاثنى عشر على ما تذكره الروايات التى تذكر أيضا انه كتب انجيله بعد ١٢ سنة من توفى المسيح بالعبرانية . وفى رواية بالسريانية . ثم ترجم الى اليونانية . وظلت الترجمة اليونانية هىالمعروفة دون الاصل المفقود حتى ظن أن اليونانية هى الاصل الوحيد له . وبعض الروايات تذكر أن الذى ترجمه الى اليونانية هو يوحنا . ومرقص صاحب ثانى الاناجيل تلميذ لبطرس فى رواية ، ومن الرسل الاثنين والسبعين الذين انتدبهم المسيح للبشارة فى رواية . ومما تذكره الروايات انه كتب انجيله فى روما حينما رحل اليها مع بطرس . وأنه كتبه باليونانية مع بعض عبارات باللاتينية . وهناك رواية تذكر أن كاتب انجيل مرقص هو بطرس نفسه . وقد عزاه اليه . ولوقا صاحب الانجيل الثالث طبيب من انطاكية . وقد كتب انجيله باليونانية لينقل الى صديق له اسمه تاوفلس ما سمعه من سيرة المسيح . ويوحنا صاحب الانجيل الرابع مختلف فى شخصيته . حيث يروى أنه يوحنا بن زبدى أحد تلامذة المسيح الاثنى عشر أو حوارييه كما يروى أنه شخص آخر . وقد كتب انجيله فى آخر حياته وبعد الاناجيل الثلاثة الاولى كما تذكر الروايات .

وبين الاناجيل الاربعة تطابق فى كثير من الاقوال المعزوة الى عيسى عليه السلام وتعاليمه وسيرة حياته ومعجزاته مع اختلاف فى الصيغة والاسلوب والعبارات غير أن بينها اختلافات كثيرة أيضا . ففى بعضها ما ليس فى بعض آخر ، وفى بعضها ما يتباين مع ما فى البعض الآخر . وهذا وذاك ملموحات فى الاحداث والجزئيات والكليات . وفى بعضها ما يلمح بقوة أنه من بنات الخيال أو التوهم أو شيب بكثير من المبالغة حتى أن بعض الباحثين يقطعون بكذب بعض محتوياتها أو على الاقل بأنها من تزيينات الاوهام .

ويبدو من كل هذا أن كتابها سجلوا ما كتبوه من الروايات والمسموعات والمنقولات والتوهمات التى يقع فيها عادة مباينات ومناقضات وزيادة ونقص ومبالغة وكذب مقصود وغير مقصود وخداع

رؤية وسماع . ولو كان العهد قريبا وليس فيها أية دلالة على ان شيئا مما فيها من املاء عيسى عليه السلام مباشرة . والوهية عيسى مثلا لم تذكر بصراحة الا في انجيل يوحنا . وقد لحظ دارسو هذا الانجيل بخاصة آثار الفلسفة اليونانية الجديدة فيه . وهذا ما جعلهم يتوقفون في رواية كون كاتبه هو يوحنا الحوارى بن زبدى ويذهبون الى انه شخص يونانى من القرن الثانى متأثر بتلك الفلسفة .

والى ما تقدم فان هناك روايات تذكر أن عدد الاناجيل كثير . والعدد الذى تذكره يتراوح بين العشرين والثمانين . ومن الاناجيل التى قرأناها غير الاربعة انجيل برنابا . وبرنابا ذكر في الاسفار الملحقة بالاناجيل الاربعة كأحد رسل المسيحية بعد المسيح مباشرة . ومن الاناجيل التى قرأنا خبرها او اسماءها اناجيل الطفولة والولادة ومريم وانجيل مرقيون وانجيل التذكرة وانجيل سرين . ولقد كان النصارى فرقا عديدة فكان لكل فرقة انجيل يختلف عن انجيل الفرقة الاخرى قليلا او كثيرا .

وفى القرآن الكريم أمور عديدة لم ترد فى الاناجيل المتداولة مثل فزع وحزن مريم حينما اخذها المخاض واجراء الله لها عين ماء لتشرب منها وهزها النخلة ليتساقط عليها رطبا جنيا وخطاب عيسى عقب ولادته لتهدئتها وتخفيف حزنها وفزعها . وخطاب بنى اسرائيل لها حينما أتت به تحمله وغمزهم لها وخطاب عيسى لهم واعلانه انه عبد الله ونبيه وأنه مأمور بالصلاة والزكاة من الله . وصفات النبى الأمى ومثل طلب الحواريين انزال المائدة وانزال الله المائدة بناء على ذلك الخ الخ ونعتقد ان كل هذا كان واردا فى أناجيل لم تصل الينا أيضا .

ومن الجدير بالذكر أن الاناجيل الاربعة التى يقال أنها كتبت بين سنتى ٣٧ و ٩٨ بعد الميلاد لم يذكر خبرها اى أثر تاريخى قبل سنة ٢٠٠ بعد الميلاد ثم المصادر تذكرها . غير أنه ليس هناك ما يثبت علميا أن النصوص المتداولة هى نفس النصوص التى كتبت لأول مرة بقطع النظر عما بينها من تناقض وتباين وما فيها من هنات وثغرات .

والنصارى يقولون عن غير الاناجيل الاربعة إنها منحولة ودخيلة ومزورة . وقالوا عن انجيل برنابا الذى فيه كثير من التطابق مع ما جاء فى القرآن من سيرة وحقيقة وأقوال عيسى عليه السلام . انه مزور فى زمن الاسلام او بقلم مسلم على ما قرأناه فى كتبهم . ولم نطلع على اقوال لهم عن زمن الاناجيل الأخرى التى يصفونها بتلك الأوصاف ولا عن واضعيها ومزوريها وكيفية ذلك .

وهذه الاقوال جزافية وليس من شأنها أن تمنع كون هذه الاناجيل واناجيل أخرى لم تعرف اسماؤها كانت موجودة قبل الاسلام بدليل ما فى القرآن الكريم من أمور عديدة لم تذكر فى الاناجيل المتداولة .

ومما قرأناه فى كتبهم أن من جملة الاناجيل المنحولة انجيلا آخر لمتى فيه مباينات كثيرة لانجيله المعترف به . حيث يبدو من هذا انه كان للاناجيل المعترف بها اليوم أيضا نسخ عديدة فيها مباينات لنسخ أخرى منها . ومن المحتمل أن يكون للاناجيل الاخرى غير المعترف بها مما ذكر اسمه ولم يذكر مثل ذلك .

ولقد مرت النصرانية والنصارى بدور اضطراب واضطهاد عصيب فى كنف الامبراطورية الرومانية التى كان لها السلطان فى فلسطين وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقية والاناضول والاقسام الشرقية الجنوبية من أوروبا مدة ثلاثة قرون . ولا شك فى أنه كان لذلك أثر فى اضطراب

لروايات والكتابات عن حياة المسيح واقواله وافعاله ونهايته .

ولقد ذكرت بعض المصادر القديمة التي تعود الى القرن الثاني بعد الميلاد انه وقع تبديلات كثيرة في الاناجيل التي كان يتداولها النصارى الاولون بل ان في بعض رسائل بولس اشارة الى أن هناك من كان يحاول تحويل انجيل المسيح ويقلبونه ويحرفونه .

وحينما نشب خلاف بين علماء ورجال الدين المسيحي في القرون الاربعة الاولى واستمر لما بعدها وما يزال في صدد المسيح وأمه وروح القدس والله عز وجل والاقانيم الخ وصاروا فرقا عديدة واخذوا يتراشقون بالتهم ويكذب بعضهم بعضا صار لكل فريق اناجيل وقراطيس مباينة للفرقاء الآخرين وصار كل فريق يقول أن ما في يده هو الصحيح وما في يدى الفرق الأخرى مزور ومحرف .

وعلى كل حال فان الواضح مما تقدم أن الاناجيل الاربعة المتداولة المعترف بها لا يمكن أن يصدق عليها ولا على اى واحد منها تسمية (الانجيل القرآنية) ، والوصف الذى وصف القرآن الانجيل به ، ولا يصح أن ينسب اى منها الى الله تعالى أو المسيح عليه السلام . ويجب أن يظل يذكر اسم مؤلف كل انجيل مع انجيله منسوبا اليه .

على أن آيات سورة المائدة (٤٧ ، ٦٥ ، ٦٧) التي أوردناها قبل وآية سورة الاعراف هذه : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » (١٥٧) .

قد تفيد أن الانجيل الذى آتاه الله عيسى وعلمه اياه وانزله عليه وفيه أحكامه وتعاليمه ووصاياه والذى امر القرآن أهله بالحكم بما جاء فيه وقال لهم : انهم ليسوا على شيء حتى يقيموا احكامه ، مع ما أنزل الله اليهم ، كان موجودا في أيدى النصارى حين نزول القرآن الكريم .

ولقد جاء في الاصحاح الاول من انجيل مرقص هذه العبارة : « وبعد ما أسلم يوحنا أتى يسوع الى الجليل ليكرز بانجيل ملكوت الله قائلا قد تم الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل » وفي الاصحاح السادس عشر من هذا الانجيل هذه العبارة : « قال لهم — اى المسيح عليه السلام — اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » وجاء في الاصحاح الاول من رسالة بولس الى أهل روما هذه العبارة : « فان الله الذى أعبده بروحى في انجيل ابنه شاهد لى بانى لم ازل اذكركم » وجاء في الاصحاح التاسع في رسالة بولس الاولى الى أهل كورنثوس هذه العبارة : « بصرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء . صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما . وهأنا افعله لأجل الانجيل » وفي رسالة بولس الى أهل غلاطيه هذه العبارة : « انى أعجب كيف تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر وان لم يكن انجيل آخر لكن قوما يبلبلونكم ويريدون أن يقلبوا انجيل المسيح » .

فهذه العبارات تفيد أنه كان هناك فعلا انجيل منسوب الى الله تعالى والى عيسى عليه السلام وكان عيسى يبشر به ويدعو الناس الى الايمان به . ومن الجائز أن يكون ظل موجودا متداولا الى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وأنه هو الذى كان القرآن الكريم يعنيه . ومادام أنه لا يوجد الآن انجيل يصدق عليه وصف القرآن

الكريم فلا مناص من القول أنه قد فقد في ظرف ما كما فقد سفر توراة موسى الذي كان موجودا هو الآخر يقينا بنصوص بعض أسفار العهد القديم التي أوردناها في مقالنا (أين هي توراة موسى عليه السلام) ثم بنصوص القرآن كما ذكرنا قبل .

وقد يكون في الاناجيل المتداولة المعترف بها أشياء مما تلقاه عيسى عليه السلام من ربه أواحتواه الانجيل الذى آتاه الله وعلمه اياه وأنزله عليه . غير انها لا يمكن أن تكون من وجهة نظر القرآن والمنطق والواقع بديلة عن الانجيل الذي أنزله الله على عيسى وآتاه اياه . لأنها ليست هو أولا ولأن فيها ما لا يمكن أن يكون من ذلك الانجيل . ومن ذلك على سبيل المثال سيرة عيسى عليه السلام منذ ولادته الى نهايته . وفيها كما قلنا تباين وتناقض وتوهمات يتنزه كتاب الله عنها . وليس فيها أمور عديدة وردت فيالقرآن تذكر بعض محتويات انجيل الله . ومن ذلك على سبيل المثال صفات رسول الله النبى الأمي بصراحة التي ذكرت آية سورة الاعراف (١٥٧) التي أوردناها سابقا انها مكتوبة في الانجيل . ومن ذلك ما ذكر في آيات قرآنية عديدة بصراحة قاطعة بأن عيسى عبد الله ونبى من أنبيائه وأنه جاء مبشرا برسول من بعده اسمه أحمد وداعيا الى عبادة الله وحده ربه وربالعالمين جميعا كما جاء في هذه الآيات :

١ — « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار » (المائدة ٧٢) .

٢ — « فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا . قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » (مريم ٣٠ — ٣٣) .

٣ — « ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » (الزخرف ٦٣و٦٤) .

٤ — « واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (الصف — ٦) .

وقد يكون في الاناجيل المتداولة المعترف بها عبارات يمكن تأويلها بما يتفق مع التقريرات القرآنية الواردة في هذه الآيات . كما ترى في هذه الامثلة :

١ — في انجيل متى (أراه ابليس جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له أعطيك هذه كلها ان خررت ساجدا لى . حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان . فانه قد كتب : للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد) و (لا يستطيع أحد أن يعبد ربين) و (اطلبوا أولا ملكوت الله وبره) و (ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات لكن الذى يعمل ارادة أبى الذى في السموات) و (لا تدعو لكم أبا على الارض . فان اباكم واحد وهو في السموات) و (أجاب يسوع وقال اعترف بك يا أبت رب السموات والارض) و (لكى تعلموا أن ابن البشر له سلطان علىالارض أن يغفر الخطايا) و (فقال له يسوع لماذا تدعونى

صالحا . انه لا صالح الا الله وحده) — اصحاح ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٣ .

٢ — وفى انجيل مرقص (من قبلنى فليس مقبلا لى بل للذى ارسلنى) و (أول الوصايا أن الهنا رب واحد) — اصحاح ٩ ، ١٠ .

٣ — في انجيل لوقا (فقال لهم انه ينبغى أن أبشر المدن الاخرى بملكوت الله لانى لهذا أرسلت) و (اذا صليتم فقولوا أيها الأب ليتقدس اسمك) — اصحاح ٤ ، ١١ .

٤ — من انجيل يوحنا (الحق الحق اقول لكم ان من يسمع كلامى ويؤمن بمن ارسلنى له الحياة الابدية) و (واما انا فلى شهادة أعظم من شهادة يوحنا لأن الاعمال التى أعطى لى الأب أن اتممها هذه الاعمال التى انا أعملها هى تشهد ان الأب قد ارسلنى) و (قالوا ماذا نصنع حتى نعمل أعمال الله . أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى أرسلنى) و (فأجابهم يسوع وقال ان تعليمى ليس هو لى بل للذى ارسلنى) و (فقال لهم يسوع انى لست افعل شيئا من عندى ولكن كما علمنى الأب كذلك أقول) و (صاح يسوع وقال من آمن بى فليس بى يؤمن بل بالذى ارسلنى) و (انى لم آت من عندى لكن الذى ارسلنى هو محق . وأنتم لا تعرفونه أما انا فاعرفه لأنه هو الذى أرسلنى) اصحاح ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ .

وننبه على أننا لم ننقل كل ما فى الاناجيل حيث يجد متصفحها عبارات كثيرة أخرى من باب ما نقلناه .

٥ — فى الاصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا عبارة يفسرها علماء المسلمين بأنها مصداق لآية الصف التى تحكى عن لسان عيسى عليه السلام قوله (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) وهذه هى (أنا الآن منطلق الى الذى ارسلنى وليس أحد منكم يسالنى الى اين انطلق . ولكن لانى كلمتكم بهذا ملأت الكآبة قلوبكم . الا أنى اقول لكم الحق أن فى انطلاقى خيرا لكم لأنى ان لم انطلق لم يأتكم المعزى ولكن اذا مضيت ارسلته اليكم . ومتى جاء يبكت العالم على الخطيئة وعلى البر وعلى الدينونة) .

ومع ذلك فاننا نقول إن النصارى يؤولون هذه العبارات تأويلا يجعلها غير متفقة مع تقريرات القرآن فضلا عما ورد فى الاناجيل المتداولة من عبارات كثيرة لا تتفق مع هذه التقريرات . ولا يمكن على أى حال أن تكون هذه الاناجيل بذلك بديلة عن الانجيل الذى قرر القرآن الكريم انه أنزله وآتاه عيسى عليه السلام .

وقد يكون فى القرآن ما يتطابق قليلا أو كثيرا مع ما جاء فى الاناجيل المتداولة المعترف بها . ومن ذلك على سبيل المثال قصة بشارة زكريا ومريم بيحيى وعيسى التى ذكرت فى الاصحاح الاول وانجيل لوقا مقاربة جدا لما حكاه القرآن فى آيات سورة مريم ١ — ٢١ وسورة آل عمران ٣٥ — ٤٧ . ومن ذلك قصة معجزات احياء الموتى وشفاء ذوى العاهات التى ذكرت فى آيات آل عمران ٤٦ — ٤٩ والمائدة ١٠٩ حيث ورد ذلك فى انجيل متى (الاصحاحات ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٦) وورد فى اناجيل اخرى . وكل ما يمكن أن يعنيه هذا ان الاناجيل الاربعة أيضا كانت متداولة فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بالاضافة الى انجيل عيسى الذى آتاه الله اياه .

ومن مزاعم المبشرين ان الاناجيل الاربعة هى وحى من الله . وان كتابها هم كتاب وحى الله .

وما ذكرناه من محتويات واسلوب وتاريخ الاناجيل الاربعة يجعل القول الاول عجيبا متهافتا . اما القول الثانى فالراجح انهم ارادوا الاقتباس

مما كان فى أمر كتاب وحى الله الذين كان النبى صلى الله عليه وسلم يملى عليهم ما يوحى الله اليه به .

وفى هذا غباء ومفارقة . فالنبى كان يوحى اليه القرآن من الله تعالى فيملى ما يوحى اليه به على كتابه فسموا لذلك كتاب الوحى . فى حين أن كتاب الأناجيل قد دونوا أحداثا سمعوها من رواة ولا يمكن الا أن تكون شيبت بالزيادات والنقص والتوهم والتناقض بدليل ما بين الاناجيل من تباين كثير فى الاحداث والصور والاقوال . وليس فيها شيء من املاء عيسي عليه السلام .

وللمبشرين طرافة فائقة أخرى اشد مفارقة من اقتباس اصطلاح الوحى حيث تطرق بعضهم الىأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف وزعم أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قد أسقط ستة أحرف وكتب مصحفه بحرف واحد وقال انه بذلك أضاع علينا معرفة ما كان فى الحروف الستة الاخرى من مباينات ومناقضات واختلافات بالنسبة الى الحرف الذى اثبتوه فى حين أن الانجيل نزل على اربعة أحرف تمثلت فى أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا . ولم يكن فيها ما يخشاه النصارى من تناقض وتباين فاحتفظوا بها كما نزلت كشهادات متعددة على صحة الإنجيل، ووحدة جوهره واتفاق معانيه مع اختلاف الفاظه . والشرع العالمى الدينى والمدني لا تقوم صحته على شهادة واحدة . وهكذا يكون لصحة الانجيل أربع شهادات بينما ليس للقرآن الا شهادة واحدة .. !

وهكذا تجر المفارقة فى القياس الى الزعم صراحة أو ضمنا الى القول انه كان للقرآن سبع نسخ مختلفة فى العبارات والترتيب والتبويب والألفاظ والسور والسياق والاحكام والمشاهد مثل الاناجيل الاربعة . وينسى الهوى والضلال قائلى هذا الهراء أن الاناجيل ليست الا ترجمة لحياة عيسى عليه السلام كتبها أناس بعده سماعا أو رواية . وليس فيها ما يدل على أنها أو أن فيها شيئا من املائه مثل القرآن الذى هو من املاء النبى محمد صلى الله عليه وسلم مباشرة . وانها ليست أربعة بل أضعاف أضعاف هذا العدد وأن هناك من الدلائل ما يدل بصورة قاطعة على أنها أكثر من أربعة وما يدل على أنها لم ترو كل ما القاه عيسى عليه السلام وبلغه ولا كل ما كان من مشاهد حياته ومعجزاته فضلا عن ما فيها من الثغرات العديدة على ما نبهنا عليه قبل بحيث يكون فى ذلك الزعم سخرية بالعقول والحقائق وجرأة غبية على الحق والمنطق .

وهذا فضلا عن انه لم يقل أحد من المسلمين أن معنى نزول القرآن على سبعة أحرف هو اختلاف وتعدد فى النصوص . والذى أجمع عليه أئمتهم أن ذلك كان لتيسير قراءة القرآن بأداء وهجاء واملاء مختلف بعض الشيء حسب اختلاف قدرة الناس وقابلياتهم وبسبب اختلاف اللهجات والأداء عندهم . وأنه كان مدونا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وان عثمان رضى الله عنه أمر بنقل مصحفه عن المصحف الامامالذى أمر بكتابته أبو بكر رضى الله عنه بعد انقطاع الوحى واشتمل على كل ما مات النبى صلى الله عليه وسلم عنه وهو قرآن يحفظ ويتلى . وكل ما فعله عثمان هو أمره بكتابة المصحف الجديد بهجاء ورسم واملاء ولهجة قريش لأن القرآن نزل بلغتهم ، وطلبه من المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها أن ينقلوا مصاحف جديدة عن هذا المصحف ليكون الرسم واحدا . وأطاع المؤمنون ذلك ايمانا واحتسابا .

والحمد لله رب العالمين .

مائدة القارئ

« إن هــو الا وحى يوحى . علمــه شــديد القــوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتــدلى . فكان قاب قوســين او ادنــى . فاوحــى الى عبــــده ما اوحــى . »

قرآن كريم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(عــرج بى حتى ظهرت بمستوى اســمع فيه صريف الأقلام)

(رواه البخارى والطبرانى)

حفظ اللســـان

قال احد الحكمــاء :

اخزن لسانك كما تخزن مالك ، وزنه كما تزن نفقتك .
وانفق منه بقــدر ، وكن منه على حذر .
فان انفاق الف درهم فى غير وجهه افضل من اطلاق كلمة فى غير حقها .

الدين والعــرض

قال ابن المقفــع :

ابذل لصــديقك دمك ومالك ، ولمعرفتــك رفدك ومحضرك ، وللعامة بشرك وتحيتك ، ولعدوك عدلك ، وضن بدينك وعرضــك عن كل احــد .

نصيحة

عندما ولى عمر بن الخطاب الخلافة قال له الامام على :
إن سرك أن تلحق بصاحبيك (النبى وابى بكر) فقصر الأمل ، وكل دون الشبع ، وارقع القميص ، واخصف النعل ، واستعن على الناس بفقرك — تلحق بهما . »

الأنبياء للهداية

كتب احد الولاة الى الخليفة عمر بن عبد العزيز أن الجزية نقصت فى بيت المال ، لكثرة الداخلين في الاسلام ، ويستأذنه في ابقائها مع أن الاسلام يوجب رفع الجزية عمن اسلم ، فقال عمر :
(قبح الله رأيك ، ما بعث الله محمدا جابيا ، بل هاديا) .

لباقة الرد

هجا ابو نواس اسماعيل بن سهل هجاء مرا بعدة قصائد وبعدة مناسبات ثم اتى اليه بعد ذلك راغبا فى صحبته فقال له اسماعيل :
— باى وجه تاتينى اليوم وكنت بالأمس تهجونى ؟

فقال ابو نواس : بالوجه الذى القى به ربى .. فان ذنوبى عنده اكثر من ذنوبى عندك !

فاعجب اسماعيل بن سهل من حسن جوابه ولباقة اسلوبه فعفا عنه وعاد الى مودته .

بيان عن مشروع العربية الأساسية

اتضح لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ان هناك حركة يقوم بها نفر من اعداء اللغه العربية ، وقد اتخذوا مقرا لهم بعض المدن العربيــة ، ويدل المشروع الذى اعدته هذه الجهات على انه يقصد هدم اللغة العربية بالتخلى عن عدد من قواعدها الأساسية ، وباحلال الألفاظ العامية الشائعــة محل الألفاظ العربية الفصيحة وتبعا لذلك يكون البعد باللغة العربية وباهلها عن القرآن الكريم ، كما يفرق أهل اللغة ببعدهم عن المقوم المشترك بينهم وهو الفصحى وتبين له أن جماعـــة فى بيروت يتحمسون له وأن المركز التربوى للبحوث والانماء يتبنى هذا المشروع وان الأعضاء الأساسيين الذين يقومون على المشروع ينتمون الى مؤسسة فورد الأمريكية .

لذلك عقد مجلس مجمع البحــوث الاسلامية بالازهر جلسة بتـــاريخ ١٦/٥/١٩٧٤م .

واصدر البيان التالى :

يرجع تاريخ الفكرة وتطبيقها على اللغة الانجليزية الى نحو ثلث قرن . حينما تبنى المشروع السياسي البريطانى ، تشرشل ، بأمل اذاعة اللغة الانجليزية في العالم بتيسيرها وخفض مفرداتها الى ٨٥٠ كلمة يتألف منها فى تركيبها بعضها مع بعض فى صور متعددة أهم الأفكار التى يحتاج المتحدث الى التعبير عنها فى الحياة اليومية وكانت الفكرة التى يستند اليها تنفيذ هذا المشروع فى اللغة الانجليزية ان مفرداتها تنقسم اساسا قسمين :

احدهما :

من اصل انجلو سكسونى ، وهو يتسم بقلة الحروف واعتماد الكلمات فى تحديد معانيها على مكملات للجملة مما يشبه الظرف والحال فى اللغة العربية .

والقسم الثانى :

من اصول لاتينية ويونانية ، وتتسم كلماته بكثرة حروفها واستغنائها بصفة عامة فى دلالاتها عن المكملات اذ ان هذه المكملات تكون قد الصقت بالكلمات جزءا منها بناء على قواعد الاشتقاق الخاصة بها .

وقد اختار مشروع الانجليزية الاساسية القسم الاول من الألفاظ وعدد الأفعال فيه قليل جدا بالنسبة الى عدد الأفعال المشتقة من الأصول اللاتينية واليونانية . وبضم المكملات الى الفعل السكسونى يتغير معناه مع كل مكمل وبذلك زعم أصحاب المشروع أن المتعلم يوفر جهدا كبيرا حين يحفظ فعلا واحدا ويركب معه الظروف والأحوال المتعددة التى تغير معناه فمثلا فعل : Get يحضر يأتى منه :

ينزل GetDown يصعد Get Up

يدخل Get In يخرج Get Out

يمرق Get Through

يبتعد Get Away

يستمر Get On وهكذا :

واذا كانت هذه الطريقة نافعة بعض النفع في اللغة الانجليزية لاعتمادها على أساس قائم فى تلك اللغة ، فانها لا تصلح لتطبيقها فى اللغة العربية .

على انها مع ذلك لم تلق شيوعا كافيا لأنها لم تزد على أن تكون وسيلة تفاهم للسياح وأشباههم دون أن توصل الى أسرار اللغة وآدابها وبذلك يتضح أن محاولة المشروع تسمية نفسه باللغة الأساسية ليست الا ستارا يكشف عما وراءه . ان فى اقتراح المشروع أن يقتصر على الجملة الاسمية مسخا لطبيعة اللغة العربية بل سائر اللغات السامية ، التى تمتاز بأسلوب التعبير بالجملة الفعلية فى مواضع لا تغنى فيها الجملة الاسمية كذلك ترك التثنية فى الافعال وتوحيد صيغة الأسماء الخمسة ، وصرف الأسماء الممنوعة من الصرف وفتح همزة أن مطلقا والاقتصار فى جمع المذكر السالم على صيغة الياء والنون .

كل ذلك هدم لقواعد اللغة العربية وتحويلها الى لهجة عامية يبدو واضحا انه هو المقصود من المشروع ، بدليل دعوته الى احلال الالفاظ العامية الشائعة فى قطر (اختاره المشروع وهو لبنان) محل الألفاظ الفصيحة .

وبذلك نجد أننا وجها لوجه أمام

مشروع احلال العامية محل الفصحى وهو مشروع قديم روج له اعداء العربية والعرب ، وخصوم الاسلام منذ أمد طويل ورفضته الأمة العربية فى جميع الصور التى قدم بها فى مراحل متعددة .

ونحن نعجب لاختصاص اللغة العربية بهذا الهجوم الذى يدعى اصحابه أنهم يقصدون به تيسيرها .

ان فى كثير من اللغات من الصعوبات مثل ما فى اللغة العربية ومع ذلك لم يجرؤ احد من اهل تلك اللغات ولا من ادعياء الاصلاح من غير أهلها ، أن يتقدموا باقتراحات تشبه ما يقحمونه على العربية .

هل يجرؤ هؤلاء المدعون للاصلاح ان يطلبوا الى اللغة الالمانية مثلا أن تتنازل عن أربعة الأحوال التى يتغير اليها الاسم رفعا ونصبا وجرا بحرف الجر وجرا بالاضافة ؟ او هل يجرؤون على محاولة اصلاح صيغ الجمع فى تلك اللغة بتوحيدها فى صورة واحدة بدلا من صورها الأربع ؟

ان هذا المشروع واضح الهدف فى هدم معالم اللغة العربية وتبعا لذلك البعد بها وبأهلها عن القرآن الكريم .

ثم ما ينتج عن ذلك من مساس بالاسلام وأصوله كما هى مصونة فى كتاب الله وسنة رسوله الكريم .

ذلك الى ايجاد الهوة الواسعة بين ما تؤول اليه اللغة (لا قدر الله) وما احتوته من تراث فى صورتها السليمة يمتد عبر اربعة عشر قرنا فى نحو اربعة عشر اقليما .

ان فكرة التيسير على صغار المتعلمين وعلى الاجانب تتحقق بوسيلتين معقولتين هما :

منهج التدريس ، اختيار اسهل الفاظ الفصحى .

فعل ذلك علماؤنا من قبل فى مثل : مختار الصحاح من صحاح الجوهرى ، وتهذيب المصباح المنير . ونفعله الآن فى مجمع اللغة العربية فى المعجم الوسيط ثم فى المعجم الوجيز الذى يعد الآن لتلاميذ المدارس

ان مجمع البحوث الاسلامية يرى فى هذا المشروع خطرا داهما على اللغة العربية والعلوم الاسلامية فهو من شانه أن يقطع صلة المسلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، والتراث الفقهى الذى يعتمد فيما يعتمد عليه ، على دلالة المفهوم والمنطوق وأساليب القصر والتقديم والتأخير وما الى ذلك مما لا يتحقق فى لغة أساسها العامية بل انه يقطع صلة المسلم بالتراث العلمي الاسلامى بصفة شاملة .

ويحذر المجمع أبناء العروبة والاسلام من قبول المشروع ، ويدعو القائمين عليه الى الانصراف عنه حرصا على منع الفتن وبلبلة الأفكار. والله الهادى الى سواء السبيل .

الإمام الأكبر وشيخ الأزهر
ورئيس المجمع
الدكتور عبد الحليم محمود

خولة بنت الأزور

معركة سحورا



للدكتور : أحمد شوقى الفنجرى

(المكان : نساء الصحابة فى جمع كبير فى وادى سحورا قرب دمشق .. كل فريق منهن منهمك فى عمل .. فريق يحمل السلاح على الإبل وفريق يحمل الخيل والبغال بالطعام .. وفريق يداوى الجرحى وينقلهم ، جلس ابو عبيدة الجراح على الارض يشرب القهوة العربية وحوله عدد كبير من نساء الصحابة بينهن زوجته ام عبيدة وام تميم زوجة خالد بن الوليد — وأم حكيم زوجة عكرمة ابن ابى جهل . وخولة بنت الأزور وأم أبان بنت سعيد وعفرة وامامة ورعلة .)

ابو عبيدة : يا صاحبات رسل الله .. لقد ألقت المقادير عليكن اليوم عبءا كبيرا وعملا عظيما لنصرة الاسلام .

خولة : نحن لها ايها الامين .. مُر بما تشاء فستجدنا باذن الله باذلات صابرات مؤمنات بالله ورسوله .

ابو عبيدة : كما اريتن اليوم .. لقد اتفق أمراء الاجناد مع خالد بن الوليد على ان نخلى كل مدن الشام التى فتحناها وان نجمع جيشنا كله فى وادى اليرموك ، وقد اختار ابو سليمان ذلك المكان لكى يقابل فيه جيش الرومان فى معركة فاصلة تنهى كل الحروب التى بيننا وبينهم .

خـــولة : حسنا رأيتم ايها الامين .. ولكنا رأينا خالد ينسلخ اليوم بالجيش ويترك النساء وحدهن .. فهل يريد المحاربة دوننا ؟

أبو عبيـــدة : هذا هو الموقف الذى اريد شرحه لكن يا خولة .. ان خطـة خالد تعتمـد على سرعة الحركة .. وهو يريد أن يصل الى وادى اليرموك قبل وصول جيش الرومان وبذلك يضع جيش المسلمين فى المكان الذى يريده هو ولا يبقى أمام الرومان الا المكان الذى يريده هو لهم ويأخذ منهم زمام المبادرة .. ولو انتظر خالد تحرك النساء وقوافل التموين لضاعت الفرصة منا .. وقـد اتفقت معه أن ينفصل بسرعة بالرجال وأسير انا على مهل بالنساء والتموين والعتاد الثقيل لكى نلحق به ..

خولة (ضاحكة) : اذا فقد اصبحنا جيشا مستقلا من النساء فقط .

أبو عبيـــدة : نعم .. انتن الآن لأول مرة جيش مستقل من النساء فيما عداى انا وبعض الرجال من الجرحى والمرضى وكبار السن الذين لا يقدرون على السرعة .. ولو علم الرومان بالأمر فلا بد أن يهاجمونكن ولو بقصد اعاقة جيش خالد وافساد خطته فماذا أنتن فاعلات ؟.

خـــولة : يا امين امـة الاسلام .. لا تخش علينا ابدا .. فنحن والله لها .. نحن بنات تبع وحمير ومن نسل العمالقة .. وقد اعتدنا والله هجوم الليل وركوب الخيل . وكلنا تجيد الحرب والطعان .. فلو حسبنا الرومان كنســـائهم للزينة والملبس فقد والله غرتهم أمانيهـــم ..

أم تميـــــم : ليت الرومان حقا يهاجموننا لكى نريهم قتالنا ..

أم حكيـــم : ولو انتصرنا عليهم لأصبحنا أول جيش من النساء ينتصـــر على جيش من الرجـــال .

أم ابـــان : لا أظن أن الرومان يجرؤون على مهاجمتنا يا أبا عبيـــدة . لقد اصبحوا اذل من أن يفعلوا ذلك بعد أن هزمناهم فى كل موقع وكل لقاء .

أبو عبيـــدة : ان الانسان العاقل يا إخوتى لا يصغر من أمر عدوه .. لأنه اذا ظفر لم يحمد واذا عجز لم يعـــذر ..

خـــولة : صدقت يا أبا عبيـــدة .

أبو عبيـــدة : ولا تنسين أن موقفكن الآن أخطر من أى جيش من الرجال فمعكن أطفالكن الصـــغار ..

أم حكيـــم : وهذا أدعى لنا للاستماتة والاستبسال فى الحرب ..

أبو عبيـــدة : ومعكن ايضا مؤن الجيش كله وتموينـــه ..

خـــولة : سنؤدى الامانة الى اهلها باذن الله سالمة كاملة ولو نموت جميعنا دونها .

أبو عبيـــدة : بارك الله فيكن .. هذا والله ما كنا نقوله عنكن فى اجتماع أمراء الأجناد .

النســـاء : حقـــا ايها الأمين .. وماذا كنتم تقولون عنـــا ؟..

أبو عبيـــدة : (مبتسما) كنا نقول ان نساء العرب فى الحرب اكثر جلدا وضـــراوة من علوج الروم والفرس .

ام عبيـــدة : فى الحرب فقط ايها الأمين .. ومع العدو وحده . (تضحك النسوة) .

أبو عبيـــدة : اى والله يا أم عبيـــدة .. فانتن سكننا وريحانة قلوبنا .. وانتن فى السلم القوارير التى نخشى عليها ..

أم عبيـــدة : الآن أحسنت ..!!

أبو عبيـــدة : والآن انى أترك لكن تقسيم العمـل بينكن .. فلتكن احداكن اميرة هـــذا الجيش فرسول الله يقول : « اذا كنتم ثلاثة بالفلاة فلتؤمروا أحدكم عليكم » .

خـــولة : وأنت أيها الأمين .. أنت أميرنا ..

أبو عبيـــدة : انا ممكن ولكن من يتولى امارة قوم يجب أن يعرفهم جيـــدا حتى يضع كـلا فى مكانه وموضعه .. ولا بد لقيادة النساء من امرأة منهن ..

النساء جميعا : اذا نختارك انت يا خولة بنت الأزور لقيادة الجيش وحراسته فانت فارسة الميدان وقاهرة الفرسان وقد رأينا بلاءك فى معركة بصرى وفى حروب الردة .

خـــولة : حبـــا وكرامـــة ..

النســـاء : ونختارك انتِ يا أم حكيم لشئون الاسعاف والتمريض فقد خبرت هذا الفن وكنت تداوين الجرحى على عهد رسول الله ..

أم حكيـــم : حبـــا وكرامـــة ..

النســـاء : واخترناكِ يا أم تميم لشئون التموين .. تموين السلاح وتموين الطعـــام .

أم تميـــم : حبـــا وكرامـــة ..

أبو عبيـــدة : (مبتسما) والآن يا خولة .. هل تعلمين تعـــداد جيشك ؟.

خـــولة : نعم أيها الأمين .. نحن الف وخمسمائة من النســـاء وخمسمائة من الأطفال والغلمان ومن الرجال ..

أبو عبيـــدة : لا تعتمـــدى كثيرا على الرجال يا خولة .. فما فيهم الا مريض او جريح أو كبار السن الذين اتعبهم السفر .. فهذا أبو سفيان عمره يزيد عن الثمانين .. وعمرو بن معد يكرب الزبيدى عمره مائة وعشرون عاما .

أم تميـــم : هؤلاء الشيوخ هم بركتنا ايها الأمين .. فقد رأيت الشباب وأولادهم وأحفادهم يستبسلون فى القتال عند سماع كلمة منهم ..

خـــولة : اذا سندافع عن الرجال ايضا فلا تقلق أيها الأمين ، ومن الآن يا أم تميم قومى ووزعى السلاح والدروع على النساء .. ومن ليس لها سلاح فليكن سلاحها الحجارة وأوتاد الخيـــام ..

أبو عبيـــدة : استطيع أن اطمئنكن الى شىء واحـــد ، لقد جعل خالد بيننا وبينه كتيبـــة رصـــد من أسرع فرسانه فاذا أحسوا بدنو الخطر منا ساعدونا وبادروا بابلاغـــه ..

خـــولة : ومن فى هـــذه الكتيبـــة أيها الأمين .؟

أبو عبيـــدة : اطمئنى يا خولة .. انه أخوك ضرار وأخوه فى الله رومانوس .

أبو عبيـــدة : أخى ضرار ورومانوس .. لقد أصبحا والله الزم من الشقيقين فى كـــل موضـــع .

أم عبيـــدة : مسكين رومانوس .. لقد ضحى بكل أهله فى ســـبيل الاسلام وأصبح وحيدا فى هـــذه الدنيـــا ..

أبو عبيـــدة : كيف ذلك يا أم عبيـــدة ؟.

أم عبيـــدة : عندما أسلم رومانوس عرض على خالد أن يفتح هو وزوجته ثغرة فى أسوار

	قصره فى بصرى ليدخل منها المسلمون .. وعندما علم بطرس قائد الحامية بذلك انتقم من رومانوس بان قتل زوجته واولاده ثم هرب من بصرى قبـل ان يصل المسلمون اليـه ..
ابو عبيـدة :	قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .. وعسى الله ان يمكنه من عدوه هذا .. الحق يا اخوتى لقد دخل قلبى حب هذا الفتى منذ رأيت حسن اسـلامه وصدق بلائه .. وقد كتبت عنه الى الخليفة ابى بكر الصديق .
ام تميـم :	ان رومانوس ايها الامين يريد ان يتزوج من فتـاة عربية مسلمة حتى يكمل بذلك اسلامه وينسى خسارة زوجته الرومية .
ابو عبيـدة :	ولم لا .. لو كانت لى اخت شابة لزوجتها له ..
ام تميـم :	لقد طلب يد خولة ولكنها تماطله ولم تعطه ردا شافيا ..
ابو عبيـدة :	إنما القلوب بيـد الله .. ولكن هل لى ان اسالك يا بنية لماذا لا تقبلينه .. فالفتى صاحب خلق ودين ..
ام تميـم :	وهو شباب ومليح .. وكان حاكمـا بين قومه ..
عفـرة :	ولن تكون لها ضرة .. فرجال الروم لا يتزوجون الا بواحدة (الجميع يضحكن).
خـولة :	بعض هذا .. ان هذا كله لن يجعلنى اتعجل امرى فما جئت هنا للزواج .. ولكنى جئت للجهاد فى سبيل الله ..
ابو عبيـدة :	اذا كان هذا فليس بسبب .. فديننا ولله الحمد لا يحرم علينا الدنيـا من اجل الاخـرة .. ولك فى رسول الله اسوة حسنة فقد كان صلى الله عليه وسلم يقول : ((انى اصوم وافطر .. واقوم وارقد واتزوج النسـاء وهذه سنتى .. فمن رغب عن سنتى فليس منى)) .
ام تميـم :	انا اخبرك بالسبب ايها الامين .. ان خولة هى الفتـاة الوحيـدة العـذراء والغير متزوجة بيننا .. وقد خشيت ان يكون رومانوس قد طلب يدها من اخيها ضرار لانه لم يجد غيرها لا لانه يريدها ويحبها ..
ابو عبيـدة :	هذا سبب وجيه ومعقول .. فكما قال رسول الله : ((إنه احق بكما ان يؤدم بينكما)) ولكن يا خولة لا تطيلى على الفتى حيرته وانتظاره ..
خـولة :	صدقت ايها الامين وانصفتنى .. فوالله ما اريد ان اعيش مع رجل يتزوجنى لانه لم يجد غيرى .. او لانه يريد ان يتزوج باعرابية فحسب .. ولكنى اريد رجلا يتزوجنى لشخصى ولدينى ..
ام تميـم :	اما هذا فلا احـد يعارضك فيـه ..
	(يسمع نداء من بعيد واحدى النساء تصرخ قائلة) :
المـراة :	يا بنت الازور .. يا ابا عبيدة .. هذه غبرة كبيرة تبدو من بعيد وراءنا .. واحسب انهم جماعة من الرومان .
	(يسمع هرج كبير .. وتقوم النساء الى العمل ولبس السلاح مسرعـات وخولة تصبح فيهن صيحات الحرب ويخرج ابو عبيدة ليحمل سلاحه) .
	الى السلاح .. الى السلاح ..
خـولة :	الله اكبر .. الله اكبر .. الله اكبر .. الجنـة تحت ظلال السـيوف .. الى السـلاح .. الى السـلاح ..
	(يعلو صوت خولة وهى تلقى تعليماتها) .

خــــــولة : الى الســـلاح يا صاحبيات رسول الله .. يا أم تميم انطلقى بفرسك الى زوجك خالد والى أخى ضرار وابلغيهم بالأمر ، يا أم أبان بنت عتبة أنتِ على فريق الرماة .. أين سلمة بنت زارع .. أين لبنة بنت حــازم .. أين مزروعة بنت عملوق .. أين مسلمة بنت النعمان ؟.

النســـــوة : لبيك .. لبيك ..

خــــــولة : رتبن النســـاء فى حلقة كبيرة .. ولا ينفك بعضكن عن بعض ولا تفرقن فتملكن فيقع بكن التشتيت .. واحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهم .. من ليس لها سلاح فلتتناول عامود خيمتها ولتضربن ارجل الخيل بها ..

(يظهر فرسان الروم ويطوفون حول حلقة النساء وتسمع أصوات الخيــل واقدامها وزئير النساء يدوى فى الفضاء وهن يضربن قوائم الخيل باعمـــدة الخيام ويصحن متنمرات) :

النســـــوة : الله اكبر .. الله اكبر .. الله اكبر .. سنريكم قتالنا يا علوج الروم .. الجنــة تحت ظــلال السيوف ..

(يظهر من بين صفوف الرومان قائدهم بطرس ويتقدم على حصـــانه نحو حلقــة النساء ويقول) :

بطـــــــرس : يا نساء العرب ان جنودى قد احاطوا بكن فالقين السلاح فلم نأت لقتالكن .. يا نساء العرب انتن أسرى الآن لدى جيش الملك هرقل ولن نصيبكن بضرر وسوف تكرمن لدينا فالقين هذه السيوف والعصى .

(يرى خولة فى المقدمة تصدر الأوامر وتحمل الراية فيقول لها) :

بطـــــــرس : ايتها الاعرابية .. يا حاملة الراية هل انتِ اميرة هؤلاء النسوة ؟.

(تتقدم خولة منه حاملة الراية بيد وسيفها باليد الأخرى) .

خــــــولة : ماذا تريد منا يا بطرس الويل لك اليوم منا ..

بطـــــــرس : كيف عرفت اسمى يا حلوة ؟.

خــــــولة : انت قاتل زوجــة سيدك بومانوس واطفاله .. لقد هربت منا فى بصرى واليوم لن تفلت منا ..

(بطرس يلتفت الى اخيه بولس ضاحكا ويقول مشيرا الى خولة) :

بطـــــــرس : اترى هذه الاعرابيــة الجميلة الكثيرة الصراخ يا بولس ؟.

بولــــــس : نعم يا أخى اتريدهــا لك ..!!

بطـــــــرس : إنها من الآن لى وانا لها لا يعارضنى فيها احــد .. وانتم ايها الجنـــــود فلياخذ كل واحد منكم ما يشاء من هذه الغنيمة تكون أسيرته وعبدته .. اما صاحبتى هذه فلا يتعرض لها واحد باذى .

(يتقدم احد العلوج الروم من عفرة يريد الامساك بها قائلا) :

العــــلج : ايتها الجميــلة انتِ لى وانا لك .

(تضربه عفرة بعامود خيمتها على راسه فتسقطه على الأرض يسيل الدم من راســه) .

عفـــــرة : وهـــذا منى لك ..

(يتراجع العلج مسرعا الى صفة وهو يضع يده على راسه) .

العـــلج : ما هـــذا .. يا ويلكن ما هذه افعال النساء ..

عفـــــرة : هذه فعال نساء المسلمين ايها الجبناء .. لا بد لنا من قطع اعماركم وانصرام آجالكم يا أهل الكفر ..

بطــــرس : يا معشر الرومان .. احيطوا بالنســوة كالسوار بالمعصم . ولا تبـذلوا فيهن السيوف . ولا احد منكم يقتل واحدة منهن وخذوهن أسارى ومن وقع منكم بصاحبتى فلا ينالها بمكروه ..

بولــــس : يا اخى بطرس .. ان هؤلاء النسوة شرسات متنمرات فلا يصـلح لهن الا القتل والقتال .. فلم يدن جندوى من احداهن الا هاجمته بالحجارة واعمدة الخيام وقد جرح الكثير من الجنود ..

العلج الأول : ايها الامير ان نسوة العرب لا يصلحن لنا عبدات ولا زوجات .
(يشير الى رأسه والدم يسيل منها) انظر الى ما اصابنى منهن .. دعنا ايها الأمير نقتلهن ونعود قبل أن تأتى الامدادات لهن ..
(تقف خولة خطيبة فى جموع النســاء) :

خــــولة : يا بنات حمير وتبع .. اترضين لانفسكن علوج الروم .. ويكون اولادكن عبيداً لاهل الشرك فاين شجاعتكن وبراعتكن التى نتحدث بها عنكن فى احيــاء العرب ومحاضر الحضر .. ولا أراكن إلا بمعزل عن ذلك .. وانى أرى القتل عليكن اهون من هذه المصائب وما ينزل بكن من خدمة علوج الروم الكلاب .

عفرة بنت غفار الحميرية. لبيك يا بنت الازور .. نحن اهل الشجاعة والبراعة .. نحن اهل المشاهد العظام والمواقف الحسام . نحن أهل الخيل وهجوم الليل .

خــــولة : يا بنات التبابعة والعمالقة .. ان الفرج قريب .. وكتيبة ضرار فى الطريق . فهيا ننال الفخر والشهادة .. احملن اعمدة الخيام واوتاد الاطناب ونحمل على هؤلاء اللئام حمـلة واحدة صـادقة فلعل الله ينصـرنا ونستريح من معرة العـــرب ..
(تتقدم خولة بعامود خيمتها من بطرس فيتراجع عنها ويصيح فيها غاضبا) .

بطــــرس : ايتها العربية الشرسة .. اقصرى من فعالك فانى مكرمك بكل ما يسرك .. اما ترضين أن اكون انا مولاكِ وانا الذى يهابنى اهل الشام ولى الضـياع والاموال وانا القائد المقرب عند الملك هرقل .. وجميع ما انا فيه مردود إليكِ .. اما ترضين أن تكونى سيدة اهل دمشق .. فلا تقتلى نفسك يا حلوة .

خــــولة : يا ملعــون يا ابن الف ملعون .. والله لئن ظفرت بك لاقطعن رأســك الفارغ .. وما أرضى أن ترعى الابل فكيف أرضاك أن تكون لى كفءا .. خذ هذا لترى قتال الاعرابية .
(تضرب قوائم حصانه بعامود خيمتها فيثور الحصان ويسقطه على الأرض فتضربه على رأسه ضربة تشج رأسه .. فيلحق به أخوه بولس ويستخلصه منها فتعود خولة الى الصف وهى تقول) :

خــــولة : هذه المرة اصبتك من بعيـد .. ولكن اذا اقتربت اكثر قطعت رأسك .

بطــــرس : لعنة المسيح عليكِ ايتها المجنونة .. أعطونى حصانا بدلا من هذا ..
(يقف على حصانه ويخطب فى جنوده ، قائلا) :

بطــــرس : يا جنود الرومان .. يا من هزمتم كسرى واستعدتم منه مصر والشام اترون عارا أكبر من هذا فى بلاد الشام ان النسوة العرب تغلبنكم فاتقوا غضب الملك وغضب المسيح عيسى بن مريم واهجموا على هؤلاء النسوة ولا تبقوا على أسيرة واحدة .. اقتلوهن جميعا ..

خــــولة : يا صاحبات رسول الله .. الجنة تحت ظلال السيوف .. متن كراما ولا تمتن لئاما ..

نحن بنـــــات تبع وحمـــــير
وضربنا فى القـــوم ليس ينـــكر
لأننـــا فى الحرب نار تســـــــعر
اليوم تسقون العـــــذاب الأكبر

(يسمع صوت خيل من بعيـد وصيحات هرب) .

الصوت من بعيد : الله أكبر .. الله أكبر .

بولـــــس : يا أخى هـــذه غبرة جـــاءت من بعيـــد للعـــرب وما أحسبها الا نجـــدة من خالد بن الوليـــد .. فدعنا ننسحب بســـلام .

(تقترب الأصوات .. الله أكبر .. الله أكبر) .

بولـــــس : (فى قلق) يا أخى انى أرى فى مقدمتهم رومانوس ومعه هذا الشيطان العارى .

خـــولة : إلينا يا أخى .. يا ابن أمى وأبى .. الينا يا فرسان الاسلام .. (بحماس) الله أكبر .. جاء الفرج يا نساء المسلمين .. فاضربن هؤلاء اللئام بشدة .. جاءت الكتائب المحمدية .. أبشرن بالنصر ولا تدعوهم يفلتون من أيديكن ..

بطـــرس : يا معشر النسوة .. ان الشفقة والرحمة قد دخلت فى قلبى فلنا أخـــوات وبنات وأمهات مثلكن . وقد وهبتكن للصليب .. فاذا قدم رجالكن فاخبرنهم بذلك .. هيا يا رجال أطلقوا سراحهن لنعود ..

خـــولة : إلىّ يا أخى ضرار .. الينا يا رومانوس قبل أن يفلت عدوك ..

بطـــرس : ويحـــك .. أنتِ أخت هذا الشيطان العارى .. انطلقى الى أخيـــك فقد وهبتـــك له واخبريه بكرم معاملتى ..

خـــولة : تجرى وراءه بسلاحها وتقول :

خـــولة : انتظرنى أيها الفارس الكريم حتى أرد لك هديتك ..

(يتلفت حوله مذعورا خائفا يريد الهرب بعد أن انسحب جنـــوده ولم يبـــق غيره فى الميـــدان) .

خـــولة : ليس هذا من شيم الكرام .. تظهر لنا المحبـــة والقرب ثم تظهر لنا الساعة الجفـــاء والتبـــاعد .

(تجرى وراءه وهو يحاول الهرب فيقول) :

بطـــرس : قد زال عنى ما كنت أجده من محبتـــك .

خـــولة : لا بد لى منك على كل حال . ولو أقطع رأسك وأحتفظ بها .

(يتبارزان معا ويتحاوران فيضربها بطرس على رأسها فتسقط على الارض وهى تصرخ) :

خـــولة : إلىّ يا ضـــرار ..

(يصل اليها رومانوس قبل أن ينالها بطرس بسيفه) .

رومـــانوس : لبيك يا خولة .. أخوك قادم ورائى ..

(يصل اليها رومانوس فينقض على بطرس ويتبارزان حتى يتمكن رومانوس من بطرس ويسقطه على الأرض ويضع السيف فوق رقبته ويقول) :

رومـــانوس : الآن حانت منيتـــك يا بطرس .

بطـــرس : أنت والله رومانوس حاكم بصرى .. لقد سحرك هؤلاء العرب فجعلوك تترك دينـــك ثم جئت تحاربنا .. اتقتل أخاك الرومانى يا رومانوس .. أما تخشى غضب المســـيح ..

رومـــانوس : لقد هدانى الله الى الاسلام .. ثم اوقعك بين يدى بعـــد ان قتلت زوجتى وأولادى .. فابشر بنار جهنم على يدىّ يا بطرس .

بطـــــرس : لقد تركت دينــك من أجل هذه الاعرابية التى لا أرضاها عبدة لى .

رومـــانوس : لقد تركت دينى فى سبيل ما هو خير منه .. فاسلم تسلم من القتــل ويكون لك ما لنا وعليك ما علينا وأعفو عن قتلك لزوجتى وأولادى ..

(يصل ضرار بن الأزور ويسعف أخته ويسمع الحديث فيقول) :

ضـــــرار : أتعفو عنه حقا يا أحمد بعــد أن قتل زوجتــك وأولادك .. الحقه باخيــه بولس فقــد قتلته الآن ..

رومـــانوس : اذا أسلم فوالله أعفو عنه وأنسى له قتله زوجتى وأولادى .

ضـــــرار : أنت وشانك فهــو أسيرك .

خـــــولة : وأنا أيضـــا اذا أسلم عفوت عنــه .

بطـــــرس : أحقا أيها الشـــيطان أنك قتلت أخى بولس .

ضـــــرار : أكون شيطانا اذا كذبت عليك .. وإذا لم تصدق أحضرت لك رأسه .

بطـــــرس : وما مصير جنــودى .

ضـــــرار : جنودك واحد من ثلاثة .. اما قتيل .. واما أسير واما هارب فى الوديان يهيم على وجهه ..

بطـــــرس : الحقونى باخى وجنودى فلن اترك دين الصليب بل أموت على ما مات عليــه أخى وجنــودى ..

رومـــانوس : (للجنود) خــذوا هذا والحقوه باخيـــه .

خـــــولة : (فى زهو) الحمد لله .. انتصرنا .. لأول مرة فى تاريخ الحــروب جيش النساء يغلب جيش الرجـــال .

رومـــانوس : لا يا خولة .. ان الاسلام هو الذى غلب الشرك .. فوالله لولا الاسلام لما غلبنـــا الرومان أبدا .. فاذكرى الله اذا نسيت يا خولة ..

خـــــولة : صدقت والشكر لله .. ولك يا أخى رومانوس فقد أنقذتنى من هذا الجبان .

رومـــانوس : لعلمك يا خولة .. اننى أعرف بطرس جيـــدا .. فهو ليس جبانا كمـــا تقولين .. ولكن الرومان أصبحوا لا يعرفون لمن يقاتلون ولماذا يقاتلون ونحن نعرف لمن نقاتل ولماذا نقاتل . لقد كان بطرس هذا من أشجع فرساننا .. ولم أبارزه فى مباراة أو أسابقه فى سباق الا غلبنى.. وهاأنذا منذ أسلمت ودخل قلبى هذا الدين.. لم يعد أحد من فرسان الروم يغلبنى .. لقد بدا لى بطرس اليوم كأنه قزم بكفره وأنا عملاق بايمانى .. كان هو يقاتل بفجوره وفسوقه .. وكنت أنا أقاتل بصلاتى وصيامى . كان هو يقاتل من أجل الملك هرقل وعرش الملك .. وكنت أنا أقاتل من أجل الله وحده .. هم حريصون على الدنيا وعلى الذهب والجوارى والنعيم .. ونحن نحرص على الشهادة .. فلا نخشى الموت بل نحرص عليه .. ومن حرص على الموت وهبت له الحياة .. هذه يا خولة هى الموعظة من كل قتالنا هذا ..

خـــــولة : أخجلتنى يا أحمد بعلمك وفقهك .. والله لقد أصبحت أكثر منا فقها بهذا الدين.

ضـــــرار : كيف لا وقد تفقه على يدى شرحبيل بن حسنة وأبى عبيدة الجراح لقد رأيته والله يقاتل بالنهار ويسهر الليل يدرس فى كتاب الله ..

رومانوس : الفضل كله لله .. ولأخوتنا فى الله يا ضرار .. فقد كنت أنت وخالد وخولة أول من صادقتهم فى حياتى من المسلمين وأنا الآن أتركك لأختك لتضمد لها جراحها وترتاح من جهد القتال .. أما أنا فذاهب لأبحث فى الأسرى عن أصدقائى القدامى لأدعوهم الى الاسلام ..

(يذهب رومانوس .. ويترك خولة وأخاها ضرارا . وتسود بينهما فترة صمت يضمد لها جراحها .. ثم يبتسم ضرار ويقطع الصمت قائلا) :

ضرار : يا أختى الحبيبة .. لو علمت لهفة رومانوس عليك اليوم لما ترددت فى قبوله زوجا .

خولة : كيف يا ضرار حدثنى بما عندك ..

ضرار : لقد كنا نسير معا فى مؤخرة جيش خالد .. فاذا برومانوس يتوقف فجأة ، ويقول لى : قلبى يحدثنى بأن الرومان قد هاجموا النساء وراءنا ..
قلت له ضاحكا : أحقا قلبك يحدثك حسبت أنك تركت قلبك وراءك ..

خولة : يا لعبرانك يا ضرار ..

ضرار : ولم نلبث حتى رأينا الغبرة مقبلة نحونا وأم تميم تنطلق كالريح وتنادى علينا .. ولم يمهلنى رومانوس ولم يصبر .. بل انطلق يسابق الريح ولهذا وصل إليكِ قبلى ..

خولة : لقد جاء والله فى لحظة الحسم .. فقد ضربنى بطرس بسيفه على رأسى فلما رأيت الدم حسبت أن منيتى قد حانت .. ولو تأخر عنى رومانوس قليلا لكان بطرس قد قضى علىّ وقتلنى ..

ضرار : الا يشفع هذا كله لديك حتى تعرفى أنه صادق فى حبه لك وتقبلين زواجه ..

خولة : أبلغه أننى قبلت زواجه ولكن بشرط واحد أخير .

ضرار : لقد اكثرت عليه الشروط يا خولة وهو صابر عليكِ .. ولولا ثقته بنفسه وحبه لك لمل منك ..

خولة : الشرط أن يتم الزواج بعد معركة اليرموك القادمة ..

ضرار : ومن يدرى ربما تموتين أو يموت هو فى معركة اليرموك ..

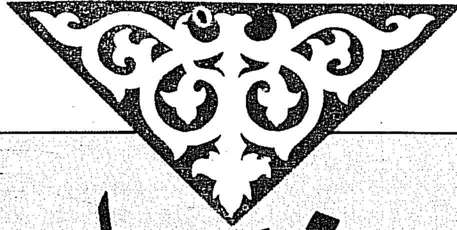
خولة : اذا يكون زوجى فى الجنة والله على ما أقول شهيد ..

ضرار : ولكن لماذا بعد اليرموك ؟.

خولة : لأنها فى ظنى المعركة الأخيرة التى تنهى حروب الشام كلها وتخلصنا من الرومان فاستقر معه فى بيت كأى امرأة .

ضرار : ما أظن ذلك يحدث يا خولة .. فالجهاد مكتوب علينا الى يوم القيامة واذا انتهينا من فتوح الشام يتزاح المسلمون لفتوح مصر وافريقيا والأرض كلها .. وما أظنك تقعدين فى بيتك كغيرك من النساء .
هذا أمر مكتوب علينا .. فهل يا ترى تؤجليه بعد ذلك ..

خولة : لا ... لن أؤجل بعد اليرموك ان شاء الله .. له علىّ عهد الله بذلك .



ابن خلدون

مقنن التاريخ ومؤسس علم الاجتماع

الاستاذ : عزت محمد ابراهيم

كان التاريخ قبل ابن خلدون فنا من فنون الأدب ولونا من الوان الكتابة الانشائية ، يعنى فيه بجمال السرد ، وانتقاء العبارة ، وتزويق اللفظ ، وتنميق الكلام ، ثم سرد الأحداث التاريخية كما وقعت ، أو كما تصورها صاحبها ، ففي سنة كذا حدث كذا وكذا من الأحداث ، ثم دخلت سنة كذا ، فحدث غيرها أو مثيلها ، وهو نمط لا يكاد يتغير فى كتب التاريخ ، الا ان يختلف أسلوبه بين كاتب وكاتب ، ويتراوح بين الركاكة والاجادة ، بما يختلف على العصور من رقى وانحطاط .

وأنشأ ابن خلدون من التاريخ علما يغوص فى أعماقه ، ويحلل أحداثه ويسبر أغواره ، ولا يكتفى فيه بالسرد المجرد ، علم هو عنده (نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصل فى الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد فى علومها خليق) .

واختلف الناس فى تفسير ما عناه ابن خلدون بكلمة (علم) ، رأى بعضهم انه كان يعني بها العلم كما نفهمه نحن اليوم : نظرا ودرسا واستقراء واستنباطا ، ورأى البعض الآخر انه ما كان ليخطر على باله مثل هذا المعنى للعلم ، وان كل ما كان يعنيه هو العلم بمعنى المعرفة .

نظر أصحاب الرأى الأول الى ما صاحب لفظ ابن خلدون من تفسير له ، وما اقترن به من الفاظ عن التعليل والكيفية ، فلم يستكثروا عليه أن يكون قد فطن الى مدلول العلم بأوسع نطاقه ، ونظر أصحاب الرأى الثانى الى ظاهر اللفظ دون سواه ، واستكثروا على عربى أن ينشىء علما أو يستنبط منهجا .

وكان من أصحاب الرأى الأول (دى سلان) و (سارتون) ، وقد ترجم (دى سلان) مقدمة ابن خلدون ، فنقل كلمة (علم) بمفهومها العلمي الحديث ،

وتحدث عنه (سـارتون) فى كتـابه (مدخل لتاريخ العلم) فقال : انه من المدهش أن يكون ابن خلدون قد توصل فى تفكيره الى ما يسمى اليوم بطريقة البحث العلمى ، أما أصحاب الرأى الثانى فقد كان منهم طه حسين الذى رأى أن (دى سلان) قد اخطأ فى ترجمة كلمة (علم) عند ابن خلدون وانه أسرف فى اعطائها مفهوم العلم في العصور الحديثة ، وان ابن خلدون لم يكن يقصد بها سوى مفهوم المعرفة .

وقد يكون رأى طه حسين صحيحا ، ولكننا لا نستنبط تجديد ابن خلدون للتاريخ ، أو انشاء علمه انشـاء ، من لفظة قالها ، يختلف النـاس فى تفسيرها ، وانما نستنبط ذلك من جملة رأيه فى التاريخ ، وعامة قوله فيه ، أما الوقوف عند ظاهر لفظة واحدة نريد أن نستنتج منها نتيجة ، أو نقرر بها رأيا ، فهو جهد لا يستقيم ، وعبث لا طائل من ورائه .

واذا كان لا بد من رد علي طه حسين ، فقد تكفل به (ايف لاكوست) فى كتابه عن ابن خلدون بقوله : إن « المهم أن يكون قد صدر عن ابن خلدون فى القرن الرابع عشر الميلادى تصور للتاريخ لا يزال يحتفظ الى يومنا هذا بطابعه العلمى » .

واذا كان ابن خلدون قد صدر عنه هذا التصور العلمى للتاريخ ، فانه قد وضع اسس علم جديد كل الجدة ، ذلك هو علم الاجتمـاع ، وهو مدار بحثه فى كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر) الذى يعده هو نفسه علمـا مستقلا قائما بذاته موضوعه (العمران البشرى والاجتماع الانسانى) .

وقد تعرض ابن خلدون فى هذه المقدمة الى موضوعات فى هذا العلم ظن العلامة (دور كايم) بعد خمسة قرون أنه أول من فطن اليها ، ودرس ظواهرها ، وحلل أسبابها ، فقد تحدث ابن خلدون عن الظواهر المتصـلة بطريقة التجمع الانسانى واثر البيئة الجغرافية فيها ، وفى غيرها من شئون الاجتماع ، وهو ما سماه (دور كايم) (المورفولوجيا الاجتماعية) ، وحسب انه أول من درس ظواهرها ، وعلل عللها .

ولم يكن للناس قبل ابرن خلدون عناية بربط الاسباب بمسـببباتها فيما يتعلق بظواهر العمران والاجتماع ، وتقنين القوانين لها ، انما كانت عندهم مجرد ظواهر لا تخضع لقانون ، ولا ترتبط بعلة ، ولا يتقدمها سبب يؤدى الى نتيجة .

ولم يكن للناس قبل ابن خلدون عناية بربط الاسباب بمسبباتها فيمـا والجغرافيا وعلم الحياة والرياضة ، اما ظواهر العمران والاجتماع ، أو علم الاجتماع فلم يكن لهم بقوانينه معرفة أو علم .

والظواهر الاجتماعية هى مجال البحث فى علم الاجتماع ، وهى متقلبة لا تثبت على حال فى الأمة الواحدة ، ولا تتشابه لها أحوال فى الامم المختلفة ، فالعادات والتقاليد ، والمثل والقيم والمقاييس هى فى تغير دائم فى المجتمعات المختلفة ، وما يعتبر خيرا فى مجتمع قد يعد شرا فى غيره ، وما يستحسنه أناس فى أمة ، قد يستهجنه غيرهم فى أمة سواها .

ومن هنا كانت الصعوبة التى تعرض لدارس علم الاجتماع ، ولا تعرض لغيره من دارسى العلوم الأخرى ، بما لها من ثبات واستقرار فى ظاهرهـا وخافيهـا .

وقد انتهج ابن خلدون فى بحث الظواهر الاجتمـــاعية النهج الذى لا يزال حتى اليوم أساس علم الاجتماع ، فهو يدرس ظواهر الشعوب التى عاش بين ظهرانيها ، وعرف طباعها ، وخبر أحـــوالها ، ثم يوازن بينها وبين ما عرف من أشباهها ونظائرها من بطون الكتب ، وسرد التاريخ ، ليصل من ذلك الى معرفة ما تخضع له الظواهر من قوانين ، أو ما يسميه بالأعراض الذاتية .

وكأنما كانت مباحث ابن خلدون فى علم الاجتماع ســـابقة لأوانها ، متقدمة على تفكير عصره ، فلم يتابعه أحد من المفكرين فى آرائه ، أو يستمد منها آراء جديدة تعمل على انمائها وذيوعهـــا ، فوقفت حيث هى ، وظلت مجهولة من الباحثين مدى قرون من الزمان فى الشرق والغرب على السواء ، فلم يكد يعرف الغرب عنه شيئا الا فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى حين نشر المستشرق الفرنسي (دى ساس) ترجمة لابن خلدون مع ترجمة لبعض أجزاء من المقدمة ، أما ما سبق ذلك من ترجمة له فى (دائرة معارف دربلو) فلا تعد بداية لمعرفة الغرب به ، فقد كانت موجزة حافلة بالأخطاء ، وأعقب ترجمة (دى ســـــاس)ما قام به (كاترمير) من نشر المقدمة كاملة بنصها العربى فى منتصف القرن التاسع عشر ، قبل ظهور طبعة بولاق بعشر سنوات ، وما قام به (دى سلان) من ترجمة كاملة لها باللغة الفرنسية ، ومنذ ذلك الحين بدأ الاهتمام الحقيقى بابن خلدون .

واذا تركنا النتائج التى توصل اليها ابن خلدون فى علم الاجتمـــاع ، واتجهنا صوب أوروبا ، رأينا أن دراسة مفكريها له قد بدأت من نقطة البداية التى لم يستفيدوا منها بآراء غيرهم ، وانما اختلفت دراساتهم فيه عن دراسة ابن خلدون فى نظرة الشمول والعموم التى نظر بها الى ظواهر الاجتماع ، فامتاز عليهم بذلك ، حين تناولت كل فئة منهم ناحية من نواحى الاجتمـــاع تدرسها وتحلل ظواهرها ، فمن دراســـة التاريخ وفلســـفته على يد (فيكو) الايطالى ، الى دراسة ظواهر ازدياد الســـكان ونموهم على يد (مالتس) الانجليزى ، الى دراسة الطبقة الاجتماعية على يد (كيتيليه) البلجيكى ، الذى اهتم بالاحصاء الخلقى فى الاحوال والظروف المختلفة ، وفى الامم والشعوب المتباينة ، وكان له أثره الواضح فى (أوجست كونت) الذى نفترض فيـــه انشاء علم الاجتماع .

ونفترض هذا الفرض لأنه لم يصل أبحاثه بأبحاث ابن خلدون ، ولأنه اهتدى الى بعض نتائجه غير متأثر به ، ولا ناسج على منواله ، ثم لا نمضى فى هذا الفرض الى غاية بعد هذه الغاية ، لأن من الثابت المحقق أن ابن خلدون قد سبقه الى ذلك .

ولهذا نجد لعلم الاجتماع شأنا يختلف عن غيره من العلوم التى تأثرت فيها أوروبا بالعرب ، وانتفعت بمآثرهم فيها ، وانما بدأ علماؤها فى بحوثه بداية جديدة مستقلة ، واعتقد ــ لهذا السبب ــ أن الذين يقولون بانشاء (أوجست كونت) لعلم الاجتماع هم على شىء من الصواب ، وهو صواب لا يضيع معه حق ابن خلدون ، فـــ (أوجست كونت) أنشأ علم الاجتمـــاع فى الغرب ، وابن خلدون أنشأه فى الشرق ، وكلاهما قد سلك سبيلا غير سبيل صاحبه ، ثم التقيا معا على غاية واحدة ، ويظن لابن خلدون فضـــل

السبق على (أوجست كونت) بمدى خمسة قرون من الزمان ، دليلا على مقدرة العقلية العربية وامتيازها ، وردا قويا على زعم الذين يقولون بقصور الحضارة العربية عن الابتداع والابتكار ، أو الاتيان بالجديد المبتكر .

واذا كان (أوجست كونت) هو منشىء علم الاجتماع في رأى البعض ، فما اكثر من يرى أن ابن خلدون وحده هو منشؤه دون سواه ، فهو لم ينسج على منوال أحد سبقه فيه ، ولم يترسم خطى باحث مهد له طريقه ، وعكس ذلك كان شأن (كونت) فقد شق له طريقه (كيتيليه) البلجيكي ، و (كوندورسيه) و (مونتسكيو) الفرنسيان .

وهذا باب من أبواب القول في ابن خلدون ، يحسن أن نعرض له بشيء من التفصيل ، فأصحابه من غير العرب ، وهذا أدعى الى الاطمئنان الى أقوالهم ، والركون الى أحكامهم ، ونتائج أبحاثهم .

من هؤلاء (لودفيج جمبلوفتش) الذى حلل نظريات ابن خلدون ، واثبت أنه سبق (كونت) الفرنسي و (فيكو) الايطالي في دراسة الظواهر الاجتماعية ، وخلص من درسه وتحليله الى القول بأن ما كتبه هو (ما نسميه اليوم علم الاجتماع) .

ويؤيد (لودفيج) في اعتبار ابن خلدون مؤسسا لعلم الاجتماع كل من (فريرو) الايطالي ، و (ليفين) الروسي ، اما (كولوزيو) فقد قال أن الفضل في تقرير مبدأ الحتمية الاجتماعية الذى يقوم عليه علم الاجتماع الحديث ، يعود الى ابن خلدون قبل (أوجست كونت) ومدرسته .

ويشير العلامة فارد الامريكي في (علم الاجتماع النظرى) الى الاتجاه الخاطىء الذى يقول بأن (مونتسكيو) و (فيكو) كانا أول من عرف مبدأ الحتمية الاجتماعية ، ويصحح هذا الخطأ بقوله : إن ابن خلدون قد اثبت خضوع الظواهر الاجتماعية لقوانين ثابتة قبل هذين بزمن طويل .

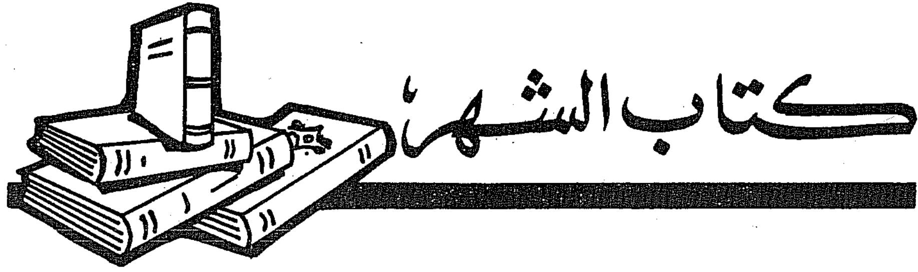
ويقول العلامة (سميث) في كتابه عن (ابن خلدون : عالم الاجتماع والمؤرخ والفيلسوف) : إنه قد قطع آمادا في علم الاجتماع لم تتحقق لـ (كونت) في القرن التاسع عشر ، وان (كونت) وأصحابه لو كانوا قد اطلعوا على ما حققه ذلك العبقرى في هذا العلم ، لتيسر لهم التقدم فيه بسرعة أوسع خطى ، ولحققوا فيه تقدما أبعد مدى . وهو يرى في تحليل آرائه ودرس نظرياته أنه قد اهتدى الى نظرية الاجيال الثلاثة الخاصة بنهوض الأسر وانحلالها ، قبل ان يهتدى اليها (أوتوكار لورنتس) في أواخر القرن التاسع عشر .

أما العلامة الاسباني (التاميرا) فيقول عنه في كتابه (تاريخ اسبانيا والحضارة الاسبانية) :

« يكفي ابن خلدون عظمة أن يكتب مقدمة تاريخه في القرن الرابع عشر ، حين كانت الدراسات التاريخية غاية في النقص والبعد عن الموضوعية ، وأن يدرس ابن خلدون في مقدمته كل المسائل التى غدت فيما بعد أهم ما يشغل المؤرخين المحدثين » .

ثم يصف مقدمة ابن خلدون بقوله :

« انها مؤلف في الاجتماع والفلسفة التاريخية ، لم يفقه حتى يومنا هذا اى مؤلف آخر » .



بين العقيدة والقيادة

تاليف : اللواء الركن
محمود شيت خطاب
عرض وتحليل :
الأستاذ محمد عبد الله السمان

هذا الكتاب الجديد الذى نشرته دار الفكر فى بيروت للمفكر الاسلامى . والمجاهد العربى اللواء الركن محمود شيت خطاب يقع في اكثر من خمسمائة وخمسين صفحة من القطع الكبيرة ، ولن يكون الا من تحصيل الحاصل اذا قلنا : ان المؤلف الجليل غنى عن التعريف ، فقد أثرت المكتبة الاسلامية والعربية بعشرات الدراسات التى هى على جانب من الاهمية ، فى الشئون العسكرية الفنية ، وفى التراجم لقادة الفتح الاسلامى ، وفى العسكرية التاريخية، وفى السياسية العسكرية ، وفى اللغة العسكرية ، وفى التراث العسكرى العربى الاسلامى .

لقد كتب مقدمة الكتاب فضيلة استاذنا الشيخ محمد أبى زهرة فى زهاء عشرين صفحة ، والحقيقة أنها مقدمة لها مغزاها ودلالتها ، وكان مما ذكره : أن المؤلف قد جمع الله له صفات أربعا : أولها – الاخلاص فى القول والعمل . وثانيها – الادراك الواسع ، وثالثها – الإيمان الصادق بالله عز وجل ورسوله – صلوات الله عليه ، ورابعها – الهمة العالية والتجربة الماضية والخبرة بالعلم والحروب ، وإزاء هذه الصفات الاربع الجوامع التى توافرت فى شخصية المؤلف ، لا أرى مكانا للمزيد من القول ، الا أن أشير الى أن القارىء الذى تابع ما كتبه

المؤلف يشمله احساس صادق بأن المجاهد العربي لا يكتب الا عن عقيدة وغيرة : عقيدة يتجلى فيها ايمانه بالحركة الاسلامية ايمانا مطلقا لا حدود له ، وغيرة تتجلى فيها آلامه لما وصل اليه الاسلام من انزواء ، وما وصلت اليه الأمة الاسلامية اليوم من وضع مهين يكاد يطمس أمجد ماض لها على مسار عدة قرون .

وكتب المؤلف مقدمة موجزة للكتاب في بضع صفحات عن بداية حياته العسكرية ، وبالرغم من هذه الصفحات المعدودة الا أن المؤلف قال فيها كل شيء ، ولقد بدأت بقراءتها وما أن انتهيت منها ، حتى أصبت بشبه دوار ، وكان من العسير أن أواصل قراءة الكتاب الا بعد أن التقط أنفاسي ، فالتربية العسكرية في بلد عربي مسلم تؤكد أن مقاييس النجاح للضابط بعد تخرجه أن يكون مستعذبا للموبقات الثلاث : الخمر والميسر والنساء ، وليس العقيدة والاخلاص والاخلاق الذاتية النبيلة ، حتى التقارير السرية التي يرفعها القواد عن الضباط الصغار كانت تتضمن عن أصحابها مدى تجاوبهم مع تلك الموبقات الثلاث ، أما التدين في نظر التربية العسكرية في بلد عربي مسلم فهو مظهر من مظاهر التخلف الذي لا يليق بضابط عسكري .. الحقيقة انني التمست في هذه المقدمة نهاية للحيرة التي طالما أرقتني ، فالهزائم التي لحقت ولا تزال تلحق الامة العربية والاسلامية ، من أبرز أسبابها التربية العسكرية التي ترفعت عن الدين والخلق فهبطت الى الحضيض .

— ● —

مهد المؤلف لهذه الدراسة المستفيضة ببحثين طويلين في أكثر من ثمانين صفحة .

الأول عن العقيدة ، تناول فيه العقيدة والقيادة ، وأشار الى : أن الانسان لا قيمة له من الناحية العسكرية ، بدون عقيدة تجمع شمله وتوحد صفوفه، وتشيع فيه الانسجام الفكري الذي بدونه لا يتم تعاون ولا اتحاد ، وأن روح الانسان أغلى ما يملكه الانسان ، فمن المستحيل أن يضحي بها مقبلا غير مدبر الا اذا كانت لديه عقيدة راسخة وأهداف سامية ، كذلك عرض المؤلف للتراث العربي الاسلامي في العلوم العسكرية ، فدحض الشبهة التي روجها أعداء الاسلام من المفكرين الصليبيين وغيرهم ، والتي تتلخص في أن الفكر الاسلامي فقير في العلوم العسكرية ، مع أن أوروبا نفسها اقتبست من العرب هذه العلوم ، وأن مكتباتها ومتاحفها . ومكتبات المخطوطات العربية في شتى أصقاع العالم تزخر بعشرات من تراث المسلمين في هذا المضمار ، وقد اكتفى المؤلف بالاشارة الى خمسة كتب مقتصرا على ما ورد فيها عن صفة (العقيدة) من بين صفات القائد الاخرى ، وهي : « مختصر سياسة الحروب » للهرثمي الذي عاش الى ما بعد عام ٢٤٣ هـ ، و « الأحكام السلطانية » للماوردي المتوفى عام ٤٥٠ هـ و « السياسة الشرعية » لابن تيمية المتوفي عام ٧٢٨ هـ ، و « الاحكام السلطانية » لأبي يعلي المتوفى عام ٤٥٨ هـ ثم « الأدلة الرسمية في التعابي الحربية » لابن منكلي ، الذي كان نقيب الجيش في سلطنة الاشرف شعبان على مصر ٧٦٤ ــ ٧٧٨ هـ ، كذلك تناول المؤلف في هذا البحث شخصية القائد الغربي (مونتكومري) الذي أحرز أعظم الانتصارات العسكرية في الحرب العالمية الثانية ، فسلط عليه الأضواء ليكشف عن صفة العقيدة

الدينية فيه ، ليصحح ما علق بالاذهان ــ أذهان ــ العسكريين العرب والمسلمين بأن العسكريين المحدثين فى الغرب والشرق لا يهتمون بالعقيدة والمثل العليا ..

أما البحث التمهيدى الثانى ، فقد كان عن (الاسلام والنصر) فعرض لأثر الاسلام فى العرب سياسيا واجتماعيا واقتصاديا مهتما بأثر الاسلام بالعرب فى الناحية العسكرية ، أثره فى مجال التربية العسكرية ، فالاسلام لم يكتف ببناء الرجال ليكونوا أعضاء نافعين فى جيش المسلمين ، أو باعداد جيش المسلمين ماديا ومعنويا ، بل حرص على تطبيق (الحرب العادلة) فى الجهاد .

قسم المؤلف هذه الدراسة القيمة المستفيضة ــ فى مجال التطبيق العملى ، الى ست مراحل من مراحل الفتح الاسلامى ، منذ مطلع فجر الاسلام الى أن فتح المسلمون القسطنطينية عام ٨٥٧هـ بقيادة محمد الفاتح ، وما حدث بعد ذلك من فتوحات للمسلمين فى آسيا وأوروبا، فالمؤلف اذن قد أرخ للفتوحات الاسلامية مع مسار زهاء تسعة قرون ، تأريخا شاملا مبرزا من خلاله دور العقيدةالاسلامية ومثالياتها الاخلاقية فى احراز النصر .

● المرحلة الاولى : « التطبيق العملى فى عهد النبوة » مع مستهل القائد ــ صلوات الله عليه ــ فى مكة ، فى الهجرة ، فى المدينة ، فى الجهاد ، ومع الصحابة ، فى مكة حيث التعذيب ، وفى الحبشة حيث الهجرة الى الله ، وفى المدينة حيث المجتمع الجديد ، وفى بدر وأحد ، ويوم الاحزاب ، ويوم الحديبية ..

● المرحلة الثانية : « التطبيق العملى فى أيام الفتح الاسلامى العظيم » مع الصحابة والتابعين ، تناول المؤلف فى هذه المرحلة المخطط الاول للفتح : وبعث أسامة وحرب الردة ، وفى اليرموك والقادسية ، وفى المدائن وفى أفريقية وفى الاندلس ، وقدم لنا المؤلف نماذج بطولية من القيادات العسكرية : البراء بن مالك الذى زحف فى معركة فتح (تستر) بين المسلمين والفرس مائة زحف ، فاستشهد فى آخرها ، والنعمان بن مقرن المزنى ، الذى قاتل فى معركة (نهاوند) حتى استشهد ، فتناول الراية أخوه (نعيم) قبل أن تقع ، وسجى النعمان بثوب ، وكتم مصاب أخيه حتى لا يؤثر فى معنويات رجاله ، وكان أن انتصر المسلمون ، وعبد الرحمن بن ربيعة الباهلى الذى قاتل فى (بلنجر) ببلاد الخزر حتى استشهد .

● المرحلة الثالثة : « التطبيق العملى بعد الفتح الاسلامى العظيم » وقد اختار المؤلف لهذه المرحلة نموذجه من شخصية (أسد بن الفرات) فاتح (صقلية) وقدمه الينا : عالما وفاتحا وانسانا وقائدا ، ثم مكانه فى التاريخ حيث كان اماما من ائمة المسلمين ، وشيخا من شيوخ الافتاء ورئيسا من رؤساء القضاة ، وحيث كان أول من جمع القضاء والقيادة فى افريقية ، كما يذكر له التاريخ : أنه قدم روحه ضحية من أجل اعلاء كلمة الله ، فخضب أرض صقلية بسيل من دمه الطاهر .

● المرحلة الرابعة : « التطبيق العملى بعد الفتح الاسلامى العظيم » أيضا ، تناول المؤلف فى هذه المرحلة الحروب الصليبية التى واجهتها البلاد الاسلامية ، واختار نموذجه من شخصية القائد البطل .. صلاح الدين الايوبى ، قاهر الصليبيين

ومحرر بيت المقدس ، هذا القائد الاسطورى لم يحظ بتقدير المؤلفين العرب والمسلمين فحسب ، بل بتقدير المنصفين من المؤلفين الغربيين القدامى والمحدثين ، الصليبيين وغير الصليبيين ، وحتى الذين حاربوه من الافرنج ، قوموه وقدروا له فضله وشجاعته ، وأعجبوا أيما اعجاب بمزاياه الحميدة وخصاله الفذة .

● المرحلة الخامسة : « التطبيق العملى بعد الفتح الاسلامى العظيم » ــ ثالثا : تناول المؤلف فى هذه المرحلة حروب التتار التى اكتسحت أمامها بلاد المسلمين ، واختار نموذجه من شخصية القائد الفذ (قطز) قاهر التتار ، وقد ركز المؤلف على أسباب النصر ، ورأى أن كل الحسابات العسكرية تجعل النصر الى جانب التتار بدون أدنى شك ، سواء فى مجال الخبرات العسكرية أم فى مجال معنويات الجيش ، بالمقارنة بين التتار والمسلمين ، اذن فهناك أسباب أخرى جعلت جيش المسلمين يحرز النصر ، من أبرزها التوعية الدينية لقطز من علماء الدين وعلى رأسهم المعز بن عبد السلام ، وارادة القائد قطز التى تجلت بأجلى مظاهرها فى التصميم على خوض المعركة مع التتار مهما تحمل من مشاق وتضحيات ، وايمان قطز بالله واعتماده عليه ومن خلفه المجاهدون الصادقون .

● المرحلة السادسة : « التطبيق العملى بعد الفتح الاسلامى العظيم » رابعا : وفى هذه المرحلة تناول المؤلف (فتح القسطنطينية) واختار نموذجه من شخصية (محمد الفاتح) الذى خاض معركة المواجهة مع البيزنطيين، حتى أنهى امبراطوريتهم فى الشرق ، وحيث لقى (قسطنطين) آخر أباطرتهم ــ مصرعه تحت أقدام الجيش الاسلامى المجاهد بقيادة (محمد الفاتح) والمحاولات العديدة لفتح هذه القلعة المحصنة ، والتى بدأت منذ خلافة عثمان ، وتكررت فى عهود الخلافة الاموية ، والخلافة العباسية وسلاطين آل عثمان قبل محمد الفاتح ، هذه المحاولات العديدة التى لم تحرز توفيقا فى قهر القسطنطينية ، تجعلنا نقف خاشعين أمام قائد مسلم من طراز نادر ، وقد كانت أخلاقيات هذا القائد مع عقيدته الراسخة عاملا من أبرز عوامل النصر العظيم .

—— ● ——

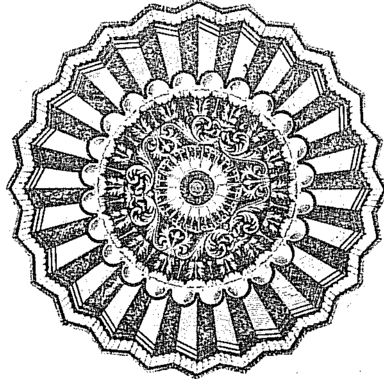
أما خاتمة المطاف فى هذه الدراسة التاريخية المستفيضة ، فهى الخاتمة المستفيضة أيضا ، والتى ختم بها المؤلف الكتاب فى ثمانين صفحة ، حيث ركز فيها ــ فى تحليل دقيق ــ على الصفات التى يجب أن تتوافر فى القائد وفى شتى القيادات وبخاصة القيادة العسكرية ، فأشار الى أن التزام القائد بالمثل العليا ضرورى . وهذه المثل العليا التى هى العقيدة الصالحة ، هى من مزايا القائد المنتصر عسكريا ، وهى من سمات القائد المدنى الناجح ، فلا نصر فى الحرب ولا نجاح فى السلم بدون عقيدة ، ولعل الذين دققوا بامعان ــ كما يقول المؤلف ــ فى سيرة قادة العرب والمسلمين الفاتحين فى أيام الفتح الاسلامى العظيم وبعده ، قد وجدوا أن (القاسم المشترك) فى صفاتهم جميعا ، هو: تمسكهم بتعاليم الدين الحنيف ، ورغبتهم الصادقة فى اعلاء كلمة الله ، كانوا أبطال الاسلام لا أبطال شعوبهم التى ينتسبون اليها ، وكانت الفكرة الاسلامية تملأ نفوسهم ومشاعرهم ، ولم تكن تحدوهم فى جهادهم أية فكرة قومية أو عنصرية أو اقليمية ، فاذا نحن أسبغنا على أولئك القادة الفاتحين والمنتصرين أو

على مشاريعهم وأهدافهم وجهادهم فى سبيل الله أى صفة أخرى غير الصفة الاسلامية ، واذا نحن نسبناها الى بواعث قومية او عنصرية او اقليمية ، فاننا بذلك نجنى على سير هؤلاء الابطال الاسلاميين العظام ، اذ نجردهم من أروع الحوافز البطولية وأشرفها ، كما نجنى على الواقع وحقائق التاريخ .. !

وبعد ،

فان المؤلف الجليل استطاع أن يقنع المثقف العربى والمسلم — فى هذه الدراسة المستفيضة — بأن العقيدة من اهم صفات القائد المنتصر، لا فى تراثنا فقط ، بل فى المصادر العسكرية الحديثة المعتمدة أيضا ، كما استطاع أن يصحح ما علق بأذهان العسكريين العرب والمسلمين وغير العسكريين أيضا ، بأن العرب والمسلمين القدماء ، يهتمون بالعقيدة وحدهم ، وأن العسكريين المحدثين فى الغرب والشرق لا يهتمون بالعقيدة والمثل العليا .. وأمل المؤلف — فى الله عز وجل — بعد ذلك — أن يعيد الذين يحبون بكل جوارحهم أن يستعيدوا حقوق العرب فى الأرض المقدسة ، الى طريق الحق والصواب ، وقطع دابر الانحلال الخلقى والميوعة والضياع الذى يعانيه العسكريون فى هذه الظروف العصيبة ، وهم فى حرب عصيبة مصيرية أصابت شرفهم وبلادهم بأفدح الخسائر والاضرار ، وذلك بالعودة الى عقيدتهم ومثلهم العليا ، اذ لم يغلبوا من قلة أشيائهم ، ولكن من ضعف عقيدتهم .. !

ولئن كان المؤلف فى هذه الدراسة المستفيضة ، مؤرخا راعى أمانة التاريخ فى كل ما سجل قلمه ، ومعلما ، قدم لنا دروسا على جانب من الاهمية من خلال تحليله للاحداث التى سارت مع مسار الفتوحات الاسلامية ، فان ما كنت أوده ، هو اهتمام المؤلف أكثر بواقع الامة الاسلامية المعاصر ، وهو واقع يفيض بالآلام ، لتدرك الشعوب المسلمة المغلوبة على أمرها اليوم ، كم جنت عليها قياداتها العسكرية والمدنية التى تخلت عن عقيدتها ، وأسلمت ارادتها لصداقات الغرب الصليبى والشرق الالحادى على السواء .. أما الاسلام فلم يصبح لديهم الا مجرد شعارات يلوحون به فى المناسبات للاستهلاك .. وليس الا .. وحسبنا الله وحده .. !



مركز المرأة

للدكتور احمد الحجي الكردي

لقد حظي مركز المراة عبر التاريخ باهتمام كبير لدى العلماء والباحثين فى الحقول الاجتماعية والقانونية والدينية ، ولم لا فالمراة نصف المجتمع أو اكثر من نصفه عددا فى كثير من الاحيان . وقد اختلفت نظرة هؤلاء العلماء والدارسين الى المراة عبر العصور اختلافا كبيرا ، فمنهم من كان يهبط بالمراة الى الحضيض حتى يسلخها عن طبيعتها البشرية ، ومنهم من كان يرتفع بها وينصفها بعض الشيء فتنال بعض التكريم والاحترام .

ولكن كل الدراسات الماضية السابقة على الاسلام لم تستطع أن تحل المراة محلها اللائق بها ، ولم توصلها الى حقوقها المشروعة التى تستحقها ، وذلك حتى بزوغ فجر الاسلام الذى انصف المراة واحلها المحل اللائق بها فى المجتمع .

وفيما يلى عرض لمجمل حال المراة ومركزها لدى الامم السابقة على الاسلام ، ثم عرض موجز أيضا لمركزها فى الاسلام ، ومن ذلك يظهر مدى تكريم الاسلام للمراة وانصافه لها .

اولا : المراة لدى الأمم القديمة السابقة على الاسلام :

أ ـ لدى اليونان :

لقد كانت المراة لدى اليونان تسمى رجسا من الشيطان ، فهى بعيدة عن رحمة الله تعالى لحملها خطيئة حواء امها العليا، وهى محرومة لذلك عندهم من كافة حقوقها المدنية كالبيع والشركة وغير ذلك .. كما انها محرومة من حق الارث من اى من اقاربها ، ذلك أن حق الارث عندهم وقف على الذكور دون الأناث .

هذا حال المراة لدى قدماء اليونان ، ولكنه تحسن بعض الشيء فى أواخر أيامهم حيث منحت المراة بعض الحقوق وسمح لها بالاتصال بالرجال الا أن المرأة اليونانية لم تكن حسنة الحظ بذلك فهى لم تكد تتمتع بهذه الحرية لبعض الوقت حتى أفل نجم الحضارة اليونانية وزالت شمسها .

ب ـ لدى الرومان :

لم تكن المراة الرومانية بأحسن حظا من المراة اليونانية ، فالنظام الابوى لدى الرومان شديد الوطأة على المراة والرجل معا حيث السلطة على الاسرة كلها بيد الاب وحده لا يشاركه فيها احد ، وهى سلطة مطلقة ، الا أن الابن الذكر سرعان ما يتحرر من هذه السلطة بوفاة أبيه فيصبح بذلك رب

اسره جديده تضم ابناءه وبناتـــه وابناءهم ، لكن المراة حبيسه هــذا الظلم الى الابد فهى أن مات ابوهـــا انتقلت السلطه عليها منه الى احيها او الى زوجها ان هى تزوجت . وبذلك تبقى أسيره مهضومه الحقوق طيلــه حياتها .

جـ ـ لدى شريعة حمورابى :

اما المراة فى شريعه حمورابى فهى كالماشية تماما من حيث مركزهـــا الاجتماعى ، لا تفترق عنها فى شيء ، ولذلك فان على من يقتلها أن يقــدم بنتا غيرها بدلا عنها الى وليها أو يقدم قيمتها ، وفى ذلك نهاية الامتهان لها .

د ـ لـــدى الهنـــود :

والمراة لدى الهنود قاصرة طيلـــة عمرها ، ولا تملك شيئا من أمرها ، بل كل حقوقها وأموالها منوطة بزوجها فاذا مات زوجها حكم عليها بالاعدام وأحرقت معه وكأنها قطعة حقيقية منه تابعة له .

هـ ـ لـــدى اليهود :

اما المراة لدى اليهود فهى لعنـــة ينبغى التحرز منها والابتعـــاد عنها وعدم ائتمانها على سر أو أمر ، وقد جاء فى التوراة تحذيرا منها (المراة أشد من الموت) .

و ـ لدى المسيحيين :

والمراة لدى المسيحيين حالها امتداد لحال المراة لدى كثير من الأمم السابقة على المسيحية فهى عندهم تحمل لعنة أمها العليا حواء الى يوم القيامة ، وقد جاء التحذير منها فى نصوص دينية كثيرة معتمدة لدى المسيحيين أهمها :

١ ـ قول القديس ترنوليان : (أنها مدخل الشيطان الى نفس الانســـان ، ناقضة لنواميس الله) .

٢ ـ وقول القديس سوستـــام : (انها شر لا بد منه ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ، ومصيبة مطلية مموهة) .

٣ ـ وفى القرن الخامس الميلادى اجتمع مجمع (ماكون) للبحث فى مسألة (هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه ؟) وبعد البحث قرر المجمع (أنها خلو من الروح الناجيه من عـــذاب جهنم ما عدا أم المسيح) .

٤ ـ كما عقد الفريسيون عـــام ٥٨٦/م مؤتمرا قرروا فيه (أنهـــا انسان خلق لخدمة الرجل فحسب) .

٥ ـ ثم ان القانـــون الانجليزى المسيحى البروتستانتى حتى عـــام ١٨٠٥/م كان يبيح بيع الزوجات .

٦ ـ اما الثورة الفرنسية التـــى تفخر بها أوربا المسيحية وتعتبرهـــا منطلق التحرر فى العصر الحـــديث فانها اعتبرت المرأة انسانا قاصرا ، وهذا اقصى ما وصلت اليه المـــراة المسيحية من الحقوق .

ز ـ لدى العرب فى الجاهلية :

واما المراة لدى العرب فى الجاهلية فاننا نستطيع أن نحدد مركزها من خلال الاحكام التاليـــة التى كـــانت تعيشها :

١ ـ محرومة من حق الأرث مطلقا لان الارث قاصر على الرجال عندهم .

٢ ـ يجوز للزوج طلاق زوجته فى اى وقت من غير عدد معين ، وله أن يراجعها فى أى وقت أيضـــا دون رضاها ، وليس لها هى مثل هـــذا الحق .

٣ ـ ليس للزوجات عدد معين ، فيجوز للزوج أن يتزوج بعشرة أو عشرين أو أكثر من ذلك .

٤ ـ الزوجة تعتبر جزءا من تركة زوجها ، فاذا مات ورثها أبناؤه من غيرها مع تركه ، ثم لهم بعد ذلـــك أن يتزوجوها أو يزوجوها من يشاؤون وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فى معرض النهى عنه فقال تعالى (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) .

٥ ـ وأد البنات كان منتشرا فى كثير من قبائل الجزيرة العربية خشية

الفقر أو خشية العار . وقد سجل القرآن الكريم على العرب ذلك فقال تعالى (واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) .

٦ ـ البنت شيء مكروه يستعاذ بالله تعالى منه ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، الا ساء ما يحكمون) .

٧ ـ شيوع نكاح الاستبضاع ، وذلك بارسال الزوج زوجته بعد استبرائها الى أحد زعماء القبائل المعروفين بالشجاعة والقوة ومكارم الأخلاق لتحمل منه ثم تعود الى زوجها بعد ذلك ، وذلك طلبا لنجابة الولد ـ على حد زعمهم .

٨ ـ عموم نكاح الشغار بينهم وهو أن يزوج الرجل ابنته من آخر على أن يزوجه الآخر ابنته مقابلا لذلك ، أو أخته باخته .. فتكون بذلك المرأة مهرا لزوجة ابيها أو زوجة أخيها .. وتكون سلعة مثلها مثل السلع الاخرى لا فرق بينها وبينها .

ثانيا) المرأة فى الاسلام :

أما موقف الاسلام من المرأة فانه لا يحتاج الى تعليق فيما أظن لانه واضح وضوح الشمس المشرقة فى رابعة النهار ، ولذلك فاننى سوف أكتفى بعرضه فى نقاط محددة واترك المقارنة بينه وبينما سبق من شرائع ونظم للقارىء يستنتجها بنفسه :

١ ـ من حيث بشريتها :

فانها بشر مثلها مثل الرجل تماما لا فارق بينهما مطلقا ، خلافا للمسيحية كما تقدم ، وذلك مصداقا لقوله تعالى: (يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) ، وقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه عنه أبو داود وأحمد أنه قال : (انما النساء شقائق الرجال) .

٢ ـ من حيث علاقتها باللعنة الناشئة عن خطيئة أمها حواء :

فان الاسلام يعتبر المرء ذكرا كان أو أنثى مسؤولا عن عمله هو لا غير ، وليس مسؤولا عن عمل غيره وذلك مصداقا لقوله سبحانه : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، هذا الى جانب أنه يعتبر آدم وحواء مسؤولين مسؤولية مشتركة عن المخالفة لأمر الله تعالى بالأكل من الشجرة مصداقا لقوله سبحانه : (فأزلهما الشيطان عنها) .

٣ ـ من حيث قبول الاعمال عند الله تعالى :

فان الاسلام يجعلها مساوية للرجل تماما فيقول سبحانه فى تقرير ذلك : (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) .

٤ ـ من حيث التشاؤم منها :

فان الاسلام يقف من ذلك موقف الناعى المؤنب حيث يقول سبحانه يحكى حال العرب (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا .. الا ساء ما يحكمون) .

٥ ـ من حيث الأمر بإكرامها :

فان الاسلام جاء بنصوص عدة توجب على الرجل اكرام المرأة واحترامها سواء اكانت اما أو بنتا أو زوجة أو .. تماما كما جاء بنصوص توجب على المرأة احترام الرجل واكرامه :

فقال تعالى فى حق الابوين (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) دون تفريق بين الاب والام .

كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ موصيا بالمرأة عامة

(استوصوا بالنساء خيرا) .

اما البنت فقد حض النبي — صلى الله عليه وسلم — على اكرامها اشد الحض فقال (ايما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فاحسن تأديبها .. دخل الجنة) .

٦ — من حيث حقها فى الإرث من اقاربها :

فقد منحها الاسلام حق الإرث من اقاربها مثلها فى ذلك مثل الرجل تماما — من حيث أصل الحق — فقال تعالى : (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثرَ نصيبا مفروضا) .

٧ — من حيث مساواتها بالرجل فى الحقوق والواجبات :

فقد ساوى الاسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات على خلاف ما كان معروفا فى الجاهلية كما تقدم ، فاعطى المرأة من الحقوق مثل ما أعطى الرجل ، وحملها من الواجبات مثل ما حمله ، هذا مع مراعات ما خلق له كل من الرجل والمرأة ، فقال تعالى : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) والدرجة هنا هى القوامة والاشراف على ادارة البيت ، وهو أمر ضرورى منحت المرأة مقابلا له هو الاعفاء من النفقة على نفسها وعلى أولادها .

هذا مركز المرأة فى الاسلام جلى واضح ، ولكن هنالك بعض النقاط والاحكام تفارق فيها المرأة الرجل لضرورات خاصة اقتضتها طبيعة الحياة البشرية يشتبه أمرها على بعض الناس فيظنها ميلا من الاسلام نحو الرجل دون المرأة أو العكس ، والاسلام برىء من ذلك لما تقدم .

واننى — توضيحا لهذه الشبهات ومحاولة للكشف عن الحقيقة — سوف اورد بعض الامثلة على هذه المفارقات مبينا وجه الحق فيها ، وأن الداعى اليها مصلحة عامة لا حيف ولا جور .

أ — الاختلاف فى مقدار الارث ، فان مرده أن الرجل مكلف بالنفقة على نفسه وعلى من يعول ما دام غنيا وفقيرا قادرا على العمل ، زوجا كان أو ابا او اخا .. أما المرأة فانها لا تكلف بالانفاق على أحد مطلقا ، حتى نفسها اذا كانت زوجة فان نفقتها على زوجها .

ب — الاختلاف فى الدية : فان مرده الى أن دية القتل الخطأ تعويض عن خسارة وخسارة العائلة بفقد معيلها أكبر دون شك من خسارتها بفقد ربة البيت من حيث الحاجة اليهما ، هذا مع الانتباه الى ان القتل العمد يستوى فيه الرجل والمرأة من حيث العقوبة ، فيقتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل على حد سواء ، وذلك لما فى هذا القتل من اعتداء على الكرامة وهى متساوية بين الرجل والمرأة ، بخلاف القتل الخطأ فلا أعتداء فيه على الكرامة .

جـ — فى الشهادة : الاختلاف فيها مرده الى طبيعة العزلة الجزئية التى تقع فيها المرأة بنتيجة ممارستها أغلب أعمالها داخل المنزل فانها تعرضها للنسيان بعض الشىء فى الامور العامة ، ولذلك افترض القرآن أن يضم للشاهدة شاهدة أخرى تذكرها اذا نسيت ، وليس فى ذلك ما يمس الكرامة بدليل أن شهادة المرأة مقبولة بمفردها فى بعض الامور الخاصة بها كالولادة والبكارة وغير ذلك ، ولو كان الاسلام يعتبر المرأة ناقصة الكرامة كما يظن لرد شهادتها مطلقا .

وعلى هذه الامثلة يقاس غيرها مما تفارق المرأة فيه الرجل أو الرجل المرأة من الاحكام الشرعية .

الفتاوى

ذكر السيادة في التشهد

السؤال : نرجو شرح حديث (لاتسيدونى أو لا تسودونى فى الصلاة) .

الاجابــة :

هذا ليس بحديث بل هو كذب . قال فى شرح الدر وحاشيته : وندب السايدة اى ذكر كلمة سيدنا فى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد الأخير لان زيادة الاخبار بالواقع عين سلوك الأدب فهو افضل من تركه كما ذكره الرملى الشافعى فى شرحه على منهاج النووى ، وأما حديث لا تسودونى فـى الصلاة فكذب وباطل لا أصل له ، وكذلك حديث لا تسيدونى فمع كونه كذبا هـو لحن لغة .

صلاة الشكر غير مشروعة

السؤال : هل فى الشريعة الغراء صلاة تسمى صلاة الشكر ؟
الاجابة :

لم يرد فى الكتاب ولا فى السنة نص مشروعية هذه الصلاة لا فرادى ولا جماعة . وامر العبادات يقتصر فيه على ما ورد عن الشارع ، ولا سبيل فيه الى القياس ، ولا مجال فيه للرأى ، وانما الذى أثر عن النبى صلى الله عليه وسـلم السجود لله تعالى شكرا اذا أتاه ما يسره أو بشربه ، ففى حديث ابى بكـرة أن النبى صلى الله عليه وسلم : (كان اذا أتاه امر يسره أو بشر به خر ساجدا شكرا لله تعالى) (رواه الستة الا النسائى) ، ورواه احمد بلفظ : (انه شهد النبـى صلى الله عليه أتاه بشير يبشره بظفر جند له على عدوهم ورأسه فـى حجـر عائشة ، فقام فخر ساجدا ، فاطال السجود ثم رفع رأسه فتوجه نحو صدقته) . وروى انه صلى الله عليه وسلم سجد لله شكرا حين أحضر عبد اللـه بـن مسعود رأس اللعين أبى جهل بين يديه يوم بدر . وسجد أبوبكر الصـديق حين بشر بفتح اليمامة . وسجد على حين بشر بوجود (ذى الثدية) بين قتلى الخوارج. اذ عرف انه فى الحزب المبطل ، وانه هو المحق . وسجد كعب بن مالك لما تيـب عليه فى حديث تخلفه عن تبوك ، فمن تجددت له نعمة ظاهرة أو رزقه الله مالا أو

ولدا أو وجد ضالته أو اندفعت عنه نقمة أو شفى له مريض أو قدم له غائب ونحو ذلك يستحب أن يسجد شكرا لله تعالى على ما أولاه من الخير والنعمة سجدة كسجدة التلاوة فى كيفيتها وشروطها ، فيكبر بدون رفع اليدين فيحمد الله تعالى ويشكر ويسبح ثم يرفع رأسه مكبرا . وليس بعدها تشهد ولا تسليم ، والسجود لله عز وجل أبلغ مظاهر العبودية واصدقها .

ومن ذهب الى استحباب هذه السجدة احمد والشافعى وداود ، وابن المنذر واسحاق ، وأبو ثور ، وأبو يوسف ، ومحمد ، وهو المفتى به عند الحنفية ، وروى عن أبى حنيفة انه لا يراها ، وفسر ذلك بأنه لا يراها مشروعة على الوجوب، وقيل لا يراها سنة . والمعتمد كما فى الاشباه انه لا خلاف بينه وبين صاحبيه فى الجواز وانما الخلاف في السنية . وروى عن مالك روايتان اشهرهما الكراهة ، والثانية انها ليست سنة ، واستبعد الشوكانى فى نيل الأوطار هذه الروايات بعد ورود حديث أبى بكرة ، وحديث عبد الرحمن بن عوف اللذين أوردهما صاحب المنتقى .

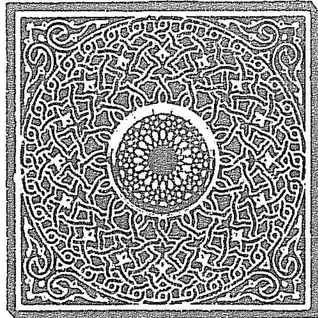
هذا هو المشروع فى مقام الشكر وخلافه بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، والله أعلم .

الحلف بايمان المسلمين

السؤال : صدر منى يمين وردّ ، ثم صدر منى اليمين الثانى ، ونصه : (وايمنات المسلمين ما تتمدى فى طولى طول حياتى) فهل وقع به طلاق أم لا ؟

الجواب :

الواقع بهذه الصيغة حسب المفهوم منها عرفا وأن من الايمان يمين الطلاق طلقة واحدة رجعية ، وهى طلقة ثانية لسبقها بطلقة . والله تعالى أعلم .



بريد الوعي الإسلامي

تفسير آيات من سورة النساء

أرجو التكرم ببيان معاني هذه الآيات :

١ ــ قوله تعالى : **(ياأيها الذين آمنوا لا يحل لكـم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) .**

٢ ــ قوله تعالى : **(ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ، ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا ، وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط او لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ان الله كان عفوا غفورا) .**

٣ ــ قوله تعالى : **(ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما) .**

ولكم جزيل الشكر .

محمد عبد الله محمد الكندرى

ونقول للأخ الكريم فى تفسير الآيات الكريمات :

١ ــ كان بعضهم فى الجاهلية اذا مات الرجل منهم وترك زوجته ورثها احد أوليائه ... ان شاء تزوجها وان شاء زوجهـا وأخذ مهرها وان شـاء عضلهـا وامسكها فى البيت دون تزويج حتى تفتدى نفسها بشىء .

ثم جاء القرآن الكريم يحرم وراثة المرأة كما تورث السلعة .. وحرم العضل الذى تسامه المرأة ويتخذ وسيلة للاضرار بهـا ــ الا أن يأتين بفاحشـة ــ وكان ذلك قبل تقرير حد الزنا .. ثم دعا القرآن الكريم الرجال الى معاشرة زوجاتهم

بالمعروف حتى فى حالة كراهية الزوج لزوجته .. فربما كان هناك الخير فيهما يكره .. وذلك حتى تستقر الحياة الزوجية ولا تبقى كريشة معلقة فى الهواء .. عرضة لكل نزوة عاطفية .

وما أعظم قول عمر رضى الله عنه لرجل اراد أن يطلق زوجه لأنه لا يحبها (ويحك : الم تبن البيوت الا على الحب ؟ فأين الرعايه وأين التذمم ؟) .

. ـ . ـ . ـ .

٢ ــ منعت الآية الكريمة المؤمنين من أن يقربوا الصلاة وهم سكارى حتى يعلموا ما يقولون وكان ذلك حكما تدريجيا فى الطريق الى تحريم الخمر على الاطلاق .. حيث نزل قوله تعالى : **(انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)** .

كما منعتهم من الصلاة وهم جنب حتى يغتسلوا .. الا (عابرى سبيل) أى الا أن يكون عابرا بالمسجد مجرد عبور .. وقد كانت بيوت بعض الصحابة تفتح أبوابها فى المسجد والمسجد طريقهم من والى هذه البيوت فرخص لهم المرور ــ وهم جنب ــ لا المكث فى المسجد ولا الصلاة فيه إلا بعد الاغتسال .

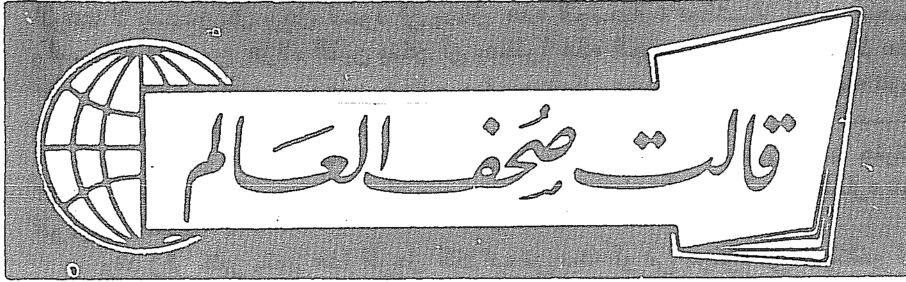
ثم تمضى الآية فتخبرنا بحكم من يعجز عن استعمال الماء لمرض ، أو فقده فى سفر وقد أصابه حدث أكبر ــ يوجب الغسل ــ أو حدث أصغر ــ يوجب الوضوء ــ كمن جاء من الغائط .. (والغائط مكان منخفض كانوا يقضون حاجتهم فيه) أو لامس النساء .. (بمعنى الجماع فيستوجب الغسل .. أو بمعنى لمس أى جزء من جسم الرجل لجسم المرأة فيوجب الوضوء فى بعض المذاهب الفقهية) .. فى هذه الحالات حين لا يوجد الماء أو لا يمكن استعماله مع وجوده لضرورة مثلا يغنى عن الغسل والوضوء التيمم **(فتيمموا صعيدا طيبا)** .

والصعيد : كل ما كان من جنس الارض من تراب أو حجر أو حائط .. **والطيب** . الطاهر ، وفى شرعية التيمم تيسير على المؤمنين : **(ان الله كان عفوا غفورا)** يعطف على الضعيف .. ويغفر فى التقصير .

. ـ . ـ . ـ .

٣ ــ ان النفس البشرية ذات ميول لا تملكها .. من ذلك أن يميل القلب الى احدى الزوجات ويؤثرها على الأخريات .. وهذا ميل لا حيلة له فيه .. والاسلام لا يحاسبه على أمر لا يملكه بل يصرح بأن الناس لن يستطيعوا أن يعدلوا بين النساء ولو حرصوا على ذلك لأن هذا الميل القلبى خارج عن ارادتهم . أما العدل فى المعاملة والقسمة والنفقة والحقوق الزوجية كلها فأمر مطلوب وهو فى حيز الامكان .. ولذا نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فى قسمه بين نسائه : (اللهم هذا قسمى فيما املك . فلا تلمنى فيما تملك ولا املك) . يعنى القلب (أخرجه أبو داود) .

فالمنهى عنه اذن هو الميل فى المعاملة الظاهرة فتبقى الزوجة معلقة لا هى بالزوجة ذات الحقوق ولا هى بالمطلقة **(فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة)** .ثم طالبت الآية الكريمة بالمودة والرحمة والاصلاح والتقوى فى المعاملة بين الزوجين .. وبالتسامح والتغاضى عن الأشياء البسيطة **(فان الله كان غفورا رحيما)** .



المسلمون فى الولايات المتحدة
حقيقة اليجا محمد وجمعيته المسماة بـ (المسلمون السود) .

عدد المسلمين التقريبى فى الولايات المتحدة الآن أكثر من نصف مليون بعضهم من المهاجرين الذين هاجروا الى أمريكا من البلاد الاسلامية المختلفة ، وحوالى نصفهم الآخر أو أكثر من الأمريكيين الذين أسلموا وكانوا مسيحيين أو يهود من قبل ، واغلبية هؤلاء من الافرو — امريكيين أو (السود) فمن الممكن أن يمثل هذا العدد أكثر من ٩٠٪ منهم بسبب حرية الأديان فى الدستور الأمريكى .

وليس للحكومة الأمريكية طريقة شرعية مباشرة ضد هؤلاء المسلمين ، ففى معظم الأحيان اذا ارادت الحكومة الأمريكية أو أى منظمة أخرى أن تتخذ اجراء ضد المسلمين يجب عليها أن تجد طريقة غير مباشرة ، فمن أكبر الموانع ضد انتشار الاسلام الصحيح فى الولايات المتحدة الآن وجود حركة اليجا — أو — الياس محمد المعروفة فى العالم الاسلامى باسم (المسلمون السود) وللأسف نجد كثيرا من المسلمين يريدون أن يبرروا هذه الحركة على الرغم من أنهم لا يعرفون شيئا عنها أو عن دورها الذى تلعبه فى الولايات المتحدة ضد انتشار الاسلام الصحيح .

فمن المهم أن نعلم أولا أن جمعية الياس محمد لا تمثل الاسلام أبدا ولا يستحق أعضاؤها اسم (مسلمين) ان الياس محمد يدعى أنه رسول الله ويقول انه يمثل النبى الياس فى التوراة والنبى محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن .

وتعاليم هذا الرجل الكذاب تعاليم عنصرية ، فمن تعاليمه : أن الرجل الأبيض شيطان والرجل الأسود اله ويعلم الياس محمد أيضا أن الله عز وجل قد ظهر اليه فى مدينة ديتروت فى الولايات المتحدة فى شكل رجل فعلمه كل ما يعلم عن الاسلام وأسرار الغيب .

والياس محمد ينكر وجود الآخرة ولا يسمح لأتباعه أن يقرأوا القرآن الكريم ، ولقد أخذ بعض الآيات من القرآن وجمعها فى كتاب دعاه بـ (قرآن الياس محمد) وكان فى أغلب الاحيان يعتمد على الانجيل والتوراة .

ولا يسمح الياس محمد لأى شخص غير اسود ان يدخل جمعيته وفى نفس الوقت لا يسمح لكل رجل أسود ان يدخل هذه الجمعية ، فيختار الياس محمد وأصحابه المقربون هؤلاء الذين يمكن أن يدخلوا هذه الجمعية ، انه يريد فقط هذا النوع من الناس الذين يطيعون كل أمر ويؤمنون بكل عقيدة من عقائد جمعيته دون تفكير ودون برهان منطقى وبانقياد أعمى ، وعند بعض المسلمين فى العالم الاسلامى حسن الظن بالياس محمد ، ويظنون انه لو علم الياس محمد حقيقة الاسلام وتعاليمه الصحيحة لأسلم واصبح عاملا فى خدمة الاسلام وانتشاره فى الولايات المتحدة .

وقد زار كثير منهم هذا الرجل الكذاب فى بيته أو فى مركزه فى شيكاغو أو غيرها وكل هذا دون نتيجة تذكر ، فكان هذا الرجل يعلم الاسلام الحقيقى من قبل ، ولكنه يعمل ضده وكان الياس محمد ممن دخل فى حركة القاديانى فى الثلاثينيات من قبل ان يؤسس جمعيته .

وفى رأيى كمسلم أمريكى أن الياس محمد يمثل اكبر مانع ضد انتشار الاسلام الصحيح عند الامريكيين لأسباب مختلفة منها أنه يمثل الاسلام فى عين الرجل العادى من آلافرو — أمريكيين أو بعض الأمريكيين الآخرين ، فعندما يفكر الأمريكيون فى الاسلام أو يهتمون بتعاليم هذا الدين الحنيف يذهب فكرهم الى التعليم الناقص أو من ناحية اخرى ولعلها تكون الأهم يمارس الياس محمد وتابعوه الضغط والبطش ضد المسلمين الحقيقيين من الافرو — امريكيين فمثلا فى العام الماضى قتل ثمانية من المسلمين السنيين الافرو — أمريكيين فى مدينة واشنطن على ايدى جمعية الياس محمد ، فكان رب هذا البيت يهتم بالدعوة الاسلامية فى شوارع واشنطون فقال : عموما أن الياس محمد لا يمثل الاسلام وأن تعاليم الاسلام الحقيقى شىء آخر تماما وأرسل بعض الرسائل لالياس محمد واكبر رجال جمعيته قال فيها أن الياس محمد رجل كذاب وشيطان .... الخ .. ودعا الناس الى الاسلام الحقيقى وبعد ذلك ذهب الى بيت هذا المسلم المجاهد ثمانية رجال من جمعية الياس محمد فقتلوا زوجته وبناته الثلاث وشابا واحدا وثلاثة أطفال .

وليست هذه أول حادثة من هذا النوع فمن المعروف أنه اذا أسلم تابع لالياس محمد واصبح مسلما صحيح الاسلام فمن المحتمل أن يكون هذا الرجل وعائلته فى خطر القتل على ايدى جمعية الياس محمد ، ومن المعروف أيضا أن الحاج مالك (مالكم اكس) قتل بأيدى هذه الجمعية وذلك لانه كان أحد اعضائها ثم تركها واصبح مسلما حقيقيا وأدى فريضة الحج ، ثم رجع الى أمريكا ودعا الناس الى الاسلام الصحيح والى التخلص من تعاليم الياس الباطلة ، فكان نتيجة ذلك أن قتل على أيدى جماعة الياس محمد كما ذكرت آنفا ، ومن المحتمل أن سبب قتله يعود لنشاطه السياسى عند الافرو — أمريكيين ونشاطه الاسلامى ، ومن المحتمل أن تكون الحكومة قد استعملت جمعية الياس محمد كوسيلة غير مباشرة ضد الحاج مالك .

والواجب على كل مسلم ان يعرف حقيقة جمعية الياس محمد ودورها ضد انتشار الاسلام فى أمريكا ويجب عليه الا يبرر هذه الجمعية ، فهى من اكبر الموانع ضد انتشار الاسلام فى أمريكا وعلى ايديها أريق دم بعض اخواننا الذين كانوا يدعون الأمريكيين للاسلام الصحيح .

عن مجلة : الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

بأقلام القراء

التنزيل والحضارة

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ محمد رمضان يقول :

ان هذه الحضارات التى دعا اليها الأنبياء نشأت أول ما نشأت على أساس معرفة الله والايمان به إلها واحدا قديرا حكيما توحيدا للمسئولية وبعثا للهيبة والخشية من قدرة الله تعالى حتى يتكون الوازع الدينى فى النفوس ، فتعمل مخلصة متعاونة فى نطاقها الانسانى الفسيح .

وينهض الدين من هذا الأساس الى العناية بعناصر الحضارة ينظم طاقاتها لتحقيق الحياة الكاملة التى دعا الله اليها بقوله تعالى « **يأيها الذين آمنوا** استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » وهذه العناصر هى الانسان والارض والوقت . وقد عنى الدين بالعنصر الأول بوصفه أهم العناصر ، فانه العنصر الذى منه واليه يرجع فضل الحضارات ومزاياها .

لقد دعا الى تعليمه وتهذيب نفسه وبعث عواطفه الخيرة وصقل شعوره ووجدانه واعداده اعدادا صالحا بعد تخليته عن الرذائل والشوائب والرواسب النفسية والخلقية على اساس من الرغبة والرهبة ، وبهذا يتكون العنصر الروحى فى كيان الحضارة وهو القوة الرهيبة المسيطرة التى تولد الطاقات الخلاقة فى مادتها ، وقد عنى الدين بوسائل التهذيب بما فرض من عقائد وعبادات لتحقيق الغاية منها فى خلائق الاحسان والصبر والاخلاص والتعاون متقصيا فى ذلك اغوار النفس وظلمات القلب وخلجات الصدر ومجريات السر ، حتى اذا ما علم الانسان « انها ان تلك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير » باشر عمله عن أمانة واخلاص واحسان .

وعلى اساس من صنع الانسان فى عواطفه ووجدانه وشعوره يستطيع ان يتفاعل هذا العنصر الانسانى فى مادة الحضارة مع عنصريها الآخرين الارض والزمن ، حتى يستخرج من الارض كنوزها وثمارها ، ويشق أنهارها ويحيى

مواتها ويغرس أشجارها ويستثبت زروعها ، وينحت أحجارها ويرفع بناءها ، ويمتطى سحابها ويغوص بحارها ويستخرج طاقاتها ويصنع موادها ، حتى يحقق بذلك حياة طيبة رضية ناعمة بالحب والسلام .

من هنا نرى كيف أن الدين قد حرص على استخدام العناصر الخلاقة للحضارة على وجه يجعلها لخير الانسانية .

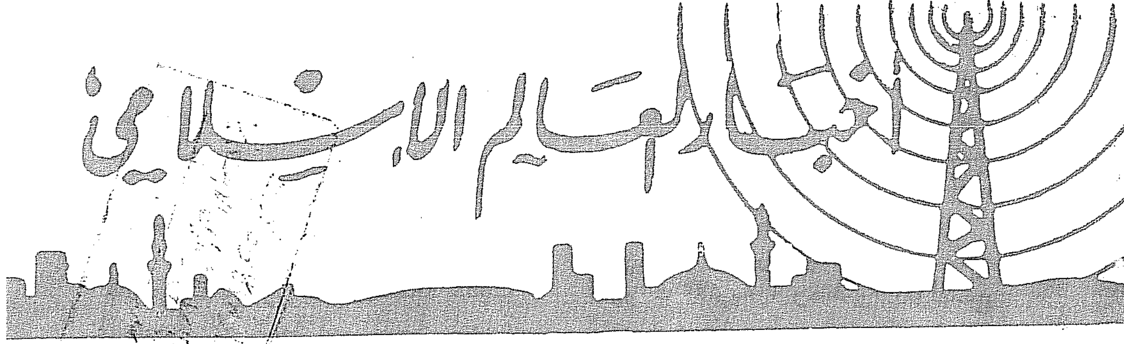
ولقد خسر الذين قالوا ان الاسلام يعوق الحضارة ويقف بالانسانية عند حدود ضيقة ، ولعل افكارهم قد ارتدت حسيرة على واقع المسلمين وحاضرهم ، وما يرونه في بلدانهم من فقر وحرمان وجهل ومرض وانحطاط ونقص فى الاموال والثمرات وتأخر فى الفنون والصناعات ، ونحن لا ندعى أن ما عليه المسلمون الآن يمثل حضارة الاسلام ، بل انما يمثل حضارة شوهاء لا هى شرقية ولا غربية ، ولا هى دينية ولا غير دينية ، انما هى كثوب من مرقعات عديدة لا تخلق شخصية ولا تبعث على تقدير .

ان حضارة الاسلام كانت أزهى الحضارات إبان أعصارها الاولى ، عصور العلم والايمان والمعرفة والقوة حين كانت تنشر الحق والعدل والمساواة والأمن والسلام ، وتنظر الى البلاد المفتوحة نظرة الاخاء والوفاء ، ويوم كانت الحظوظ من الطيبات ليست قصرا على الاغنياء دون الفقراء ، ولا على بعض الشعوب دون بعض كما هو واقع الآن .

ان كل حضارة تنحرف عن أصولها الدينية وعناصرها الروحية تنحرف عن قصدها ، كالحضارات الغربية والشرقية فانها تنحرف عن أصولها المنزلة ، وانها لتنهض على أساس من الأثرة والانانية وحب الذات ، وقد تحكمت فيها الشهوات والأهواء والنزوات ، واصبحت لا تعرف لوصايا الله حقا ولا للانسانية واجبا ، واضطربت فيها مفاهيم الحقائق فى العلم والفن والفلسفات ، فانحرفت فيها هذه الحقائق عن أهدافها ، واصبح العلم كما أصبح الفن من اكبر أسباب الشقاء والحرمان . والانسان وان ظن أنه قد رقى ، فولد الكهرباء واستخدم الذريات وسكن القصور وتدثر بالحرير الا أنه لا يحس بالسعادة فى نفسه ولا بالأمن فى وطنه ولا بالسلام فى عالمه ، بل يأت خائفا يترقب فجعل كل امكانياته وقدراته وخبراته واقتصادياته وعلومه وفنونه فى خدمة الحرب وترويع البشرية ، فأصبحت فى هم خانق وعذاب واصب ، وانتشر الفقر والحرمان فى بقاع الارض ، وتقطعت أوصال الانسانية وأمست حربا على نفسها فى ظلال ما يسمونها حضارة القرن العشرين .

ان الحضارة يجب أن تكون فى النفس والقلب والشعور والوجدان ، قبل أن تكون فى الاحجار والكهرباء والذريات .

وان المدارس والمعابد والمصانع وتعبيد الطرقات واقامة الجسور واحياء الموات وبناء البيوت والارتفاع بمستوى المعيشة الى جانب الحب والتعاون والاخلاص والتعاطف والتراحم والتواد ، ليست الا عوارف الحضارة النافعة التى تعطى البشرية كفليها من ثواب الدنيا وثواب الآخرة « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين » .



إعداد : الأستاذ فهمى الإمام

الكويت : غادر البلاد سمو الأمير المعظم فى زيارة رسمية للبنان الشقيق تعقبها زيارة خاصة للراحه والاستجمام ، وقد اجتمع سمو الأمير بالمسئولين اللبنانيين هناك .. وتدارسوا الوضع الراهن فى المنطقة .

● دعت الكويت على لسان سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الى اجتماع مجلس الدفاع العربى المشترك فى نطاق الجامعة العربية لوضع خطة للدفاع عن جنوب لبنان وعن الثورة الفلسطينية ضد الاعتداءات الاسرائيلية الغادرة وقد اجتمع المجلس فى القاهرة واتخذ القرارات المناسبة .

● أرسل الأستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الى المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة يستطلع رأيه فى التقويم القمرى الذى أعدته لجنة التقويم الاسلامى .. وذلك لعرض رأى المجلس على المؤتمر القادم لوزراء الأوقاف والشئون الاسلامية والدينية ..

● زار الكويت الزعيم الدينى فى جنوب السنغال الشريف ادريس حيدر بدعوة من وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية وأجرى مباحثات مع المسئولين فى الوزارة تتعلق بوضع المسلمين فى السنغال وزيادة الدعم المالى لهم .

مصر : بدأ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى ترجمة التفسير القرآنى الى اللغة اليابانية ، والتى ستقدم هدية من الرئيس السادات الى مسلمى اليابان . ويعتبر هذا التفسير أول تفسير علمى للقرآن الكريم ، وبه تعليق علمى عن اعجاز القرآن الكريم .

● تقرر انشاء جامعة جديدة بالمنوفية تضم كليات متعددة من بينها الكلية التكنولوجية الجديدة للنسيج والآلات الزراعية والقوى الكهربائية .. وتكاليف انشاء الجامعة تقدر بسبعة ملايين جنيه .

● تلقى الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الأوقاف الدعوة لالقاء بعض

المحاضرات في البرنامج الثقافي الذى تقيمه وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات بالأردن .

● أعرب السفير اليونانى بالقاهرة لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر عن ترحيبه بتنفيذ أى مشروع دينى يشرف عليه الأزهر فى اليونان .

السعودية : تقرر انشاء مسجد حديث للجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة .. وسوف يتسع المسجد لمائتين (٢٠٠) من المصلين .

● ساهمت رابطة العالم الاسلامى بمبلغ (٤٦١/٩٧١) دولار أمريكى لبناء مسجد فى سيلان .

● وافقت السعودية على منح منظمة الشئون الاسلامية الماليزية مبلغ (٢٠ ألف جنيه) استرلينى لمساعدتها في القيام بنشاطاتها فى مجال الدعوة .

سورية : أقيمت صلاة الجمعة فى مدينة القنيطرة وذلك بعد تحريرها من الاحتلال الاسرائيلى والذى دام بسبع سنوات .. وقد اشترك فى أداء الصلاة مئات الأهالى السوريين .

● نهب الاسرائيليون جميع الثروات الأثرية ، وحطموا المواقع القديمة والمنشآت التاريخية فى مرتفعات الجولان .

الاردن : تبرع جلالة الملك حسين بمبلغ ٢٠ ألف دينار لفرش القسم الذى تعرض للحرق من المسجد الأقصى المبارك فى القدس عام ١٩٦٩ .

اخبار متفرقة

نيجيريا : أعلنت الخطوط الجوية النيجيرية انها ستقوم بنقل خمسة آلاف حاج نيجيرى الى المملكة العربية السعودية فى موسم الحج القادم .

كوالالمبور : اختتم مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية اجتماعه الخامس فى كوالالمبور والذى استمر خمسة أيام ، وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات بشأن القدس والعدوان الاسرائيلى على لبنان ، ومسلمى الفلبين ، وجميع القضايا المطروحة على جدول أعماله . هذا وسوف يعقد المؤتمر الاسلامى السادس فى القاهرة فى النصف الثانى من شهر أيار ١٩٧٥ م .

ترنداد : تعقد نقابة الدعوة الاسلامية فى ترنداد والكاريبى مؤتمرها السنوى الدولى التاسع فى ٢٥/٨/ ١٩٧٤ ويستمر المؤتمر ستة أيام وذلك لبحث الشئون الاسلامية فى البحر الكاريبى :

بريطانيا : تسعى الجالية الاسلامية فى مدينة تونتج هام بانجلترا فى انشاء مركز اسلامى فيها حيث يبلغ عدد المسلمين فى المدينة اكثر من ٢٠٠٠ مسلم .

الولايات المتحدة الامريكية : وجه اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا الدعوة لحضور المؤتمر الثانى عشر والذى سيعقد فى الفترة الواقعة بين ٣ اغسطس ١٩٧٤ حتى ٢ سبتمبر ١٩٧٤ م فى جامعة توليدو بولاية أوهايو وسيكون موضوع بحث المؤتمر مستقبل الاسلام والمسلمين فى أمريكا الشمالية ..

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	رجب ١٣٩٤	يوليو ١٩٧٤	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
السبت	١	٢٠	١٧	٠٠٣	٥٣٥	٢٩١١	٤٧٣	١٧٦	٣٠٨	١٣٨	٧١٠	٤٢٥	٣٠٨
الاحد	٢	٢١	١٨	١	٥٣	٢٩	٤٦	١٦	٣١	١٤	٧	٤٣	٣٠
الاثنين	٣	٢٢	١٩	١	٥٤	٢٩	٤٦	١٥	٣٣	١٥	٨	٤٣	٢٩
الثلاثاء	٤	٢٣	٢٠	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٥	١٧	٩	٤٤	٢٩
الاربعاء	٥	٢٤	٢١	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٦	١٨	٩	٤٤	٢٩
الخميس	٦	٢٥	٢١	٣	٥٤	٢٨	٤٤	١٣	٣٧	١٩	١٠	٤٥	٢٩
الجمعة	٧	٢٦	٢٢	٣	٥٤	٣٠	٤٤	١٢	٣٨	٢٠	١٠	٤٦	٢٩
السبت	٨	٢٧	٢٣	٤	٥٤	٣٠	٤٣	١١	٤٠	٢١	١١	٤٦	٢٨
الاحد	٩	٢٨	٢٤	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٢	٢٣	١٢	٤٧	٢٨
الاثنين	١٠	٢٩	٢٥	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٨	٢٨
الثلاثاء	١١	٣٠	٢٦	٦	٥٤	٣٠	٤١	٩	٤٤	٢٥	١٣	٤٨	٢٨
الاربعاء	١٢	٣١	٢٧	٧	٥٤	٣٠	٤١	٨	٤٦	٢٦	١٣	٤٩	٢٧
الخميس	١٣	غسطس	٢٨	٧	٥٤	٣٠	٤٠	٧	٤٨	٢٧	١٤	٤٩	٢٧
الجمعة	١٤	٢	٢٩	٨	٥٤	٣٠	٣٩	٦	٥٠	٢٩	١٥	٥٠	٢٧
السبت	١٥	٣	٣٠	٨	٥٤	٣٠	٣٨	٥	٥١	٣٠	١٥	٥١	٢٧
الاحد	١٦	٤	٣١	٩	٥٤	٣٠	٣٨	٤	٥٣	٣١	١٦	٥٢	٢٦
الاثنين	١٧	٥	٣١	٩	٥٣	٣٠	٣٧	٣	٥٤	٣٢	١٧	٥٢	٢٦
الثلاثاء	١٨	٦	٣٢	١٠	٥٣	٣٠	٣٦	٢	٥٦	٣٤	١٧	٥٣	٢٦
الاربعاء	١٩	٧	٣٣	١١	٥٣	٣٠	٣٦	١	٥٨	٣٥	١٨	٥٤	٢٥
الخميس	٢٠	٨	٣٤	١١	٥٣	٢٩	٣٥	٠٠	٥٩	٣٦	١٨	٥٤	٢٥
الجمعة	٢١	٩	٣٥	١٢	٥٣	٢٩	٣٤	٥٩	١٧	٣٨٩	١٩	٥٥	٢٥
السبت	٢٢	١٠	٣٦	١٣	٥٣	٢٩	٣٤	٥٨	٢	٣٩	٢٠	٥٦	٢٥
الاحد	٢٣	١١	٣٧	١٣	٥٣	٢٩	٣٣	٥٧	٤	٤٠	٢٠	٥٧	٢٤
الاثنين	٢٤	١٢	٣٨	١٤	٥٣	٢٩	٣٢	٥٦	٦	٤٢	٢١	٥٧	٢٤
الثلاثاء	٢٥	١٣	٣٨	١٤	٥٣	٢٩	٣١	٥٥	٧	٤٣	٢٢	٥٨	٢٤
الاربعاء	٢٦	١٤	٣٩	١٥	٥٣	٢٩	٣٠	٥٤	٩	٤٥	٢٣	٥٩	٢٤
الخميس	٢٧	١٥	٤٠	١٥	٥٢	٢٨	٢٩	٥٣	١١	٤٦	٢٣	٥٩	٢٤
الجمعة	٢٨	١٦	٤١	١٦	٥٢	٢٨	٢٨	٥١	١٣	٤٨	٢٤	٠٠	٢٣٩
السبت	٢٩	١٧	٤١	١٦	٥٢	٢٨	٢٧	٥٠	١٤	٤٩	٢٥	١	٢٣
الاحد	٣٠	١٨	٤٢	١٧	٥٢	٢٧	٢٦	٤٩	١٦	٥١	٢٦	١	٢٣

أمّ المؤمنين
السيّدة سودة بنت زمعة
رضي الله عنها

اسمها : سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس .. القرشية العامرية .

أمها : الشموس بنت قيس بن زيد الأنصارية .. من بنى عدى بن النجار .

اسلامها : أسلمت وبايعت النبى وأسلم زوجها السكران بن عمرو معها .. وهاجرا الى الحبشة .. وكانت ذات أخلاق حميدة ، تحب الصدقة .. وفيها نزلت آية الحجاب .

خطبتها : أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم يخطبها لنفسه بعد أن توفى عنها زوجها السكران بن عمرو . وكان لها منه خمسة صبية أو ستة ..
وكانت أرملة ، مسنة .. أدركت أن الرسول تزوجها اشفاقا عليها بعد أن توفى عنها زوجها . ولما خاف الرسول الا يعدل بينها وبين أزواجه الاخريات فى الحب العاطفى .. قالت له : « أمسكنى ، ووالله ما بى على الأزواج من حرص ، ولكنى أحب أن يبعثنى الله يوم القيامة زوجا للرسول » .

زواجها : تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم فى رمضان سنة عشر من النبوة بعد وفاة السيدة خديجة بمكة .. على صداق قدره ٤٠٠ درهم ، وهاجر بها الى المدينة .

رواياتها للحديث : روت عن الرسول صلى الله عليه وسلم خمسة احاديث . لها فى الصحيحين حديث واحد .. وفى رواية أن البخارى روى لها حديثين .
وروى عنها ابن عباس ، ويحيى بن عبد الرحمن بن أسعد ابن زرارة .
وروى لها أبو داود والنسائى .

وفاتها : توفيت بالمدينة فى شوال سنة ٥٤ هجرية فى خلافة معاوية .. وفى رواية انها توفيت فى خلافة عمر بن الخطاب .
ورحلت الى جوار ربها .. رضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
المغـــرب	:	الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

[illegible]ـسة عبد الرزاق الصحفية — الكويت

السنة العاشرة — العدد
غرة شعبان ١٣٩٤ هـ أغسطس ٧٤

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

وقال ربكم ادعوني أستجب لكم

"وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ



"وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العـــدد ١١٦

غرة شعبان ١٣٩٤ هـ

أغسطس (آب) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت في غرة كل شـهر عربي

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

أما الأفراد فيشـتركون رأسا

مع متعهد التوزيع كل في قطره

الثمـن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربي	٧٥ فلسا
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـوان المراسـلات :

مجـلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الأوقاف والشـئون الاسـلامية

صـندوق بريد : ١٣ ـ كـويت ـ هـاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

في الاحتفال الذى اقامته وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ارتجل معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الأستاذ راشد عبد الله الفرحان الكلمة التالية :

قضيتنا قضية الحق والحق أساس لإقرار السلام والعدل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أيها السادة : تحتفل الكويت الليلة كما يحتفل سائر العالم الإسلامى بذكرى الإسراء والمعراج : (**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله**) ، أسرى الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهذا الحدث التاريخى ، وهذا الحدث الدينى أساس وقاعدة عظيمة من مقومات الإسلام ، ومن دعائم الإيمان ، فالإسراء والمعراج أمر غير منظور ، ولا معقول ، ولكننا أمرنا أن نصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن نؤمن بالإسراء والمعراج كما حدثنا القرآن وأخبرنا صلوات الله وسلامه عليه ، ولأهمية هذا الحدث العظيم فى تاريخ الإسلام والمسلمين ، الذى يجب على كل مؤمن ومسلم أن يوقن ويؤمن به ، لأهمية هذا الحدث ، أكده الله سبحانه وتعالى بالقرآن العظيم ، وورد ذكره فى الأخبار والروايات، والأحاديث الصحيحة .

فالإسراء والمعراج حقيقة من حقائق الإيمان التى ينبغى أن يؤمن بها كل مسلم . وهذه الحقائق غير المعقولة ، وغير المنظورة فى الاسلام هى التى يجب أن تبنى عليها الماديات ، والإسراء من مكة الى المدينة ، يثبت حقيقة من حقائق التاريخ ، وهى ارتباط بيت المقدس ، ارتباط قبلة المسلمين الأولى بقبلة المسلمين الثانية ، ارتباط فلسطين بالجزيرة العربية ، ارتباط بيت المقدس بالمسجد الحرام ، ارتباط المسجد الأقصى بمساجد الإسلام ، ارتباط ما حول المسجد الأقصى من الأرض التى باركها الله سبحانه وتعالى بأرض المسلمين بل بقلوبهم ، بأفئدتهم ، بإيمانهم .

أيها السادة : لذلك لا يكفى فى الإسلام أن يؤمن المرء بالحقائق المعقولة والحقائق المنظورة حتى يؤمن بالحقائق غير المنظورة وغير المعقولة ، حتى يكمل إيمانه ، ويكمل إسلامه ، ويكمل دينه .

لأن الذى آمن بالعقيدة الكبرى عليه أن يؤمن بسائر الفروع وسائر الأخبار التى تأتى عن طريق هذه العقيدة ، ولذلك وجب على كل مؤمن أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقضاء خيره وشره ، حلوه ومره .

أيها السادة : لقد أدرك اليهود بل الصهيونيون ، أدركوا هذه الحقيقة حق إدراكها ، فأخذوا يبثون هذا المعنى فى نفوس أتباعهم،وأخذوا ينشرون هذا المبدأ بجميع وسائل الدعاية التى يملكونها ، واذا ما نظرنا إبان الاستعمار البريطانى لفلسطين فاننا نجد أن اليهود لم يكن عددهم آنذاك يزيد على ٥٠ الف شخص بمساحة لا تزيد عن ٥ر٢٪ ، بينما كان عدد الفلسطينيين فى ذلك الوقت يفوقهم أضعافا مضاعفة بمساحة من الأرض أكثر من ٥ر٩٧٪ .

ولكن اليهود الذين اتخذوا من هذا الشعار ــ شعار الدين ــ ومن الإيمان بالحقائق غير المعقولة والمنظورة وسيلة لتحقيق أطماعهم كرسوا لها جميع الوسائل ــ وسائل الدعاية ــ وأخذوا يبثونها فى قومهم وأتباعهم ، بل فى غير اتباعهم ، أخذوا يبثون هذه الحقيقة ، بأن هناك أماكن مقدسة يجب أن نسعى لها ، وأن نموت ونستميت فى سبيل احتلالها ، أخذوا يبثون هذه الحقيقة ، فقالوا : علينا بأرض الميعاد ، فتوجهوا أفرادا وجماعات الى فلسطين ، ثم قالوا بعد ذلك : علينا أن نتوجه الى هيكل سليمان ، وبثوا هذه الدعاية ، فتوجهوا أفرادا وجماعات الى فلسطين ، واحتلوها . وها نحن الآن نسمع الأخبار أن حثالة من اليهود تحاول أن تحتل أجزاء من مدينة نابلس والقرى المحيطة بها ، وتعتبر ذلك من الأماكن المقدسة اليهودية ، كما احتلوا من قبل بعض الأماكن التابعة للمسجد الأقصى . وقالوا : انها حائط المبكى .

وهكذا أيها الأخوة نجد أن اليهود ، ومن ورائهم الاستعمار ، ومن ورائهم الكفر يؤيدهم ضد الاسلام ، وضد العرب ، ليحتلوا أرض العرب شبرا بعد شبر ، وذراعا بعد ذراع ، وها هم يحتلون الآن فلسطين ، ويتحكمون فى المسجد الأقصى ، يتحكمون بمسرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان الأولى والأجدر بنا أن نموت فى سبيل القدس ، وفى سبيل المسجد الأقصى ، وان من الأمور التى فرضت على المسلمين ، وجعلت من العبادات التى يؤجر الانسان عليها ، الجهاد فى سبيل الله ، وعلينا أن نهتم بهذه الحقيقة حتى نستطيع أن نخلص المسجد الأقصى وما حوله من هذه الطغمة المستعمرة .

أيها السادة : وفي الأسبوع الماضي حملت إلينا الأحداث أن أمريكا استطاعت أن ترغم رئيسها على الاستقالة وقدم استقالته ، وقيل ما قيل ، بأن الشعب الأمريكى ، وأن الكونجرس الأمريكى ، وأن مجلس الشيوخ الأمريكى ، يهدف من وراء ذلك إلى احقاق الحق ، وإلى تحقيق الديمقراطية ، والى وضع العدالة في نصابها ، وقد أمرنا ديننا بذلك من قبل ، سار خلفاؤنا على هذا المنهج ، وها هو أبو بكر رضى الله تعالى عنه عندما اعتلى الخلافة وعندما انتخب رئيسا ، وأميرا للمؤمنين قال : أيها الناس : لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتمونى على حق فأعينونى ، وان رأيتمونى على باطل فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ له الحق . هكذا أيها السادة كان أبو بكر رضى الله عنه ، خليفة المسلمين ، وأمير المؤمنين .

وها هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، عندما اعتلى الخلافة ، واعتلى منبر المسلمين أول ما بدأ قال : من كانت له مظلمة عندي فاني على استعداد الآن أنزل معه فأتحاكم الى أى رجل يختاره من الشعب .

وهكذا أيها السادة : أيها المسلمون ، الإسلام دين العدل ، والمساواة ، يعلمنا الحق ، والحق أحق أن يتبع ، واننا لا يعنينا استقالة رئيس ، وأن يأتى بعده رئيس ، فذلك من شأن الحكومة الأمريكية ، وشأن الشعب الأمريكى ولكن الذى يعنينا ، ان الذين وصلوا لهذا الحس عليهم أن يحسوا بشعب بكامله قد شرد من أرضه ، ووسد التراب ، وأنزل بالخيام ، عليهم أن يشعروا بهذا الآدمى الذى طرد من دياره ، والذى احتلت أرضه ، وهدمت منازله ، وليس هذا فقط ، وإنما يوما بعد يوم يضرب بالقنابل ، ويوما بعد يوم يلاحق فى خيامه ، ويلاحق فى ملاجئه ، ويلاحق فى رزقه وفى مكمنه ، أليس هناك حقوق للإنسان ، أليس هناك أمم متحدة ، أليس هناك دول تعمل للعدالة ، أليس هناك مجلس أمن ينصف الضعيف من القوى ، يا ليت المسلمين الذين يملأون مشارق الأرض ومغاربها ، يصحون من سباتهم ، ويتحركون بقواتهم ويضحون بأرواحهم فى سبيل إخوانهم ، وفى سبيل إنقاذ مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أيها المسلمون : أيها السادة : إن القضية التى تناقش فى أرقة الأمم المتحدة ، والتى تناقش فى أروقة عدة دول ، ليست هى قضية السلام والأمن ، وإنما هى قضية حق وباطل ، قضية باطل بغى على الحق فاعتدى عليه ، قضية ظالم ومظلوم ، هكذا يجب أن تعرف هذه القضية ، قضية شعب آمن فى بلده ، آمن فى منازله ، آمن فى رزقه ، تسلط عليه شعب آخر ، تسلط عليه شعب أتى من آفاق مختلفة ، من بلاد شتى ، أتت هذه الجموع ، وزحفت على هذا الشعب ، فأخرجته من أوطانه ، ومن دياره ، ويتمتهم ، وقتلت الشيوخ والأطفال .

هذه هى قضية فلسطين كما ينبغى أن تفهم ، وينبغى أن تعرف ، وينبغى أن نناضل فى سبيلها على هذا الأساس .

فعلى المسلمين ، وعلى العرب على وجه الخصوص بأعدادهم وقواتهم وبأموالهم بدل أن يبنوا القصور ، وبدل أن يعيشوا مترفين ، وبدل أن يركبوا السيارات الفارهة ، عليهم أن يتجهوا الى الجهاد أولا ، والى تحرير هذه الأرض ، فانها جزء لا يتجزأ من بلادهم ، وهذا الشعب جزء منهم لا يتجزأ ، وكل مسلم آثم اذا لم يتحرك الجهاد فى قلبه ، وفى بدنه ، ولم يقاتل فى سبيل الله ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان .

وإننا نسأل الله سبحانه وتعالى فى هذه الليلة المباركة أن يشد أزرنا ، وأن يقوي عزائمنا ، وأن يوحد صفوفنا ، وأن يهيئنا للجهاد والقتال لتحرير الأرض المقدسة ، ولتحرير فلسطين ، إنه نعم المولى ، ونعم النصير ، ونعم المجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله .

تفسير

سورة الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

من الأخطاء التى وقع فيها الكثيرون ، تعريفهم للعبادة بأنها (مطلق الخضوع) سواء كان خضوعا أعمى ، أو خضوعا كارها .

ونحن — المسلمين — عندما نقول : اننا عبيد الله ، لا نقصد شيئا من ذلك ، فنحن نخضع لربنا خضوع حب وبصر ، أى ان شدة حبنا له ، ومعرفتنا به ، هى التى دفعتنا الى الانقياد له والاتباع لأمره .

وليست علاقتنا بالله ، علاقة المغلوبين على أمرهم تحت وطأة حاكم ظالم، أو علاقة الهائمين على وجوههم وراء قوة مبهمة .. كلا .. كلا .. انا نـ[illegible] الله الذى أنشأنا من عدم ، ورزقنا من فضله وحده ، ونرفض عبادة غيره ، لأنه لا معنى لاستجداء صعلوك ، أو تخوف عاجز ، ولا معنى للارتباط بناس « لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا » .

ان صلة المسلم بالله وبما عداه ، تدور على هذا المحور الفذ ، فهو على بينة من ربه ، يدرى جيدا ما يستحقه من كمال ، وما يبذله من عطاء ،

ويدرى جيدا أن غيره صـــفر ، أو وهم ، أو اسم لا مفهوم له ، ومن ثم فهو يقول ــ كما أمره الله ــ لأعداء الله « لا أعبد ما تعبدون » .

وقد جاء في الســنة الشريفة استحباب القراءة بهذه الســورة ، وسورة الاخلاص في أول النهــار وآخره . فعن عبد الله بن عمر : رمقت النبي ــ صــلى الله عليه وسلم ــ أربعا وعشرين ، أو خمسا وعشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجــر ، والركعتين بعد المغــرب بـ « قل يا أيها الكافرون » و « قل هو الله أحد » .

وظاهر أن السورة الاولى تشرح التوحيد العملي ، والثــانية تشرح التوحيد القلبي ، فيكون الجمع بينهما مطــابقة بين السلوك والشــعور النفسي ، ويكون بدء اليوم بهما وختمه اشعارا بأن كدح الانسان في حياته كلها ، محصــور داخل هذا الاطار الواضح المستقيم .

روى أحمد في مســنده ، عن الحارث بن جبلة قال : قلت يا رسول الله .. علمني شــيئا أقوله عند منامي ؟ قال : اذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ « قل يا أيها الكافرون » فانها براءة من الشرك .

ومن هم الكافرون الذين نبتعد عن خطهم ، ونبرأ من طريقهم .. ؟

أنهم فرق شتى .. فهناك الماديون الذين يجحدون الالوهية ، ويتعلقون بعالم الحس وحده ، ويكرسون العمر لتحصيل الشهوات وعبــادة الهوى « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على ســمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة .. فمن يهديه من بعد الله » .

ان التقدم العلمي عند هؤلاء لا يغير من ضلالهم شيئا ، وما داموا ينكرون الله الواحد فهم كافرون حقا .

وهناك ناس يعبدون الها من صنع الخيال : وقلما يوفرون له ما ينبغي توافره للاله الواحــــد من تنزيه وتحميد .

والغريب أن جماهير كثيفـــة في المشارق والمغارب تقع في هذا العوج « وما يؤمن أكثــرهم بالله الا وهم مشركون » .

وبدعة أن العالم تحكمه شركة من الآلهة ، أو أعضاء في أسرة مقدسة شاعت قديما وحديثا : وقد رفضــها الاســـلام جملة وتفصيلا ، وأقام العقيدة على تجريد الالوهية من كــل خرافة ، ودعا دعوة حارة الى التوحيد المطلق . وذلك سر التكرار الملحوظ في سياق هذه السورة « لا أعبــد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتــم عابدون ما أعبد » .

قال أبو العبـــاس بن تيمية : « لا أعبد ما تعبدون » ، « ولا أنا عابد ما عبدتم » نفى قبــوله لذلك بالكلية ، لأن النفي بالجملة الاسمية آكد ، فكأنه نفى الفعل وقبوله له ، أى نفى الوقوع وامكانه شرعا وعقلا ، وظاهرا وباطنا .

وطبيعي أن يكون مع هذا التشبث بالحــق ، تعصب للباطل وبقــدر ما يغالى المؤمنون يغالي خصــومهم بالجحود أو التعديد !! وتلك سنة

الحياة « ولا يزالون مختلفين » .

وقد بين القرآن الكريم في مواضع أخرى أن المبطلين قد يستبد بهم الضلال فلا يكترثون لدليل ، أو يلتفتون لحجة « ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك » « ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون .. ولو جاءتهم كل آية .. » فهم ماضون في طريقهم المعوج ، لا يلوون على شيء ، ولا يصيخون لناصح .

لكن ماذا يستتبعه هذا المسلك من نتائج ؟ ان كل ما يستتبعه هو زيادة العبء على المؤمنين ، فلا يضعفون ولا ينكصون ، وعليهم أن يرسخوا أقدامهم في طريق الحق فلا تهزهم فتنة ، ولا تردهم عاصفة ولا ينال منهم مر الزمان ، وذلك ما توحي به هذه السورة التي تحدد المواقف ، وتمنع الميوعة واللبس .

وكلمة (قل) خطاب لصاحب الرسالة — عليه الصلاة والسلام — بيد أن كل مسلم مكلف بهذا النداء الحاسم ، وما تضمن من تحديات .

نعم ينبغي أن نتأسى بالنبى الكريم فيما كلفته به هذه السورة ففى حياته — صلى الله عليه وسلم — مثل عليا يفزع اليها كل صاحب رسالة فاضلة عادلة ، ليرتوى منها اذا صدى ، ويسعد بها اذا شقى ، وليقتبس منها دروسا مجدية في طرائق الجهاد المضنى عندما يتجرد الحق الا من اشراقه ، ويتشدد الباطل لكثرة عدته وعتاده .

بدأ هذا الرسول فوضع فواصل غليظة بين الحق الذى اهتدى اليه ، وبين الباطل الذى توارث الناس العمل به ، والاحتكام اليه .

انه من — ناحية العدد — قليل بنفسه واخوانه ، وهؤلاء كثيرون بأنفسهم ونظمهم المألوفة ، وأفكارهم القديمة ، وأوضاعهم العتيدة ، فلا بد اذن من قطع كل أمل في أن يتفق معهم ، أو يخضع لهم .

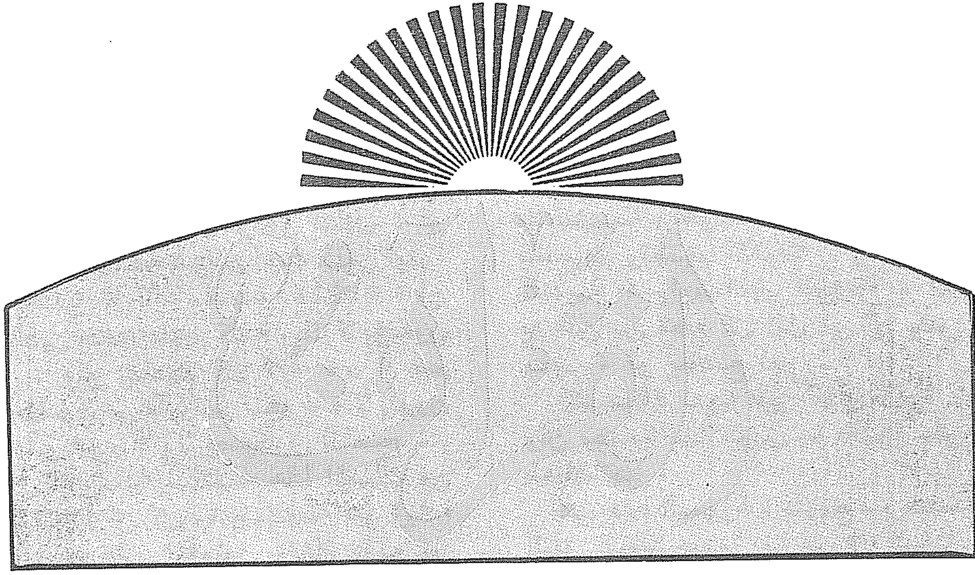
لقد سلك نهجا غير الذى الفوا ، ولن يجمعه بهم طريق ما داموا على معتقداتهم .

في هذه السورة ، تسمع صرخة الحق العنيد عندما يفترض أن الباطل سيلج في غوايته ، وان هذه اللجاجة لن تثنى لأصحاب الحق عزما ، أو تقيد لهم قدما ، وآيات هذه السورة ترمى الى مجاهرة الكافرين بهذه الحقيقة الرائعة ، وهى أن كتيبة الله انطلقت لأداء رسالتها ، وعرفت أنها متمردة على الاوضاع الباطلة ، ثم هى مسرورة بهذا التمرد ، آنسة به ، وأنه يزداد سرورها عندما يعلم الكفار ذلك . وعندمايؤمنون بأن الكتيبة المؤمنة ، قد بنت حاضرها ومستقبلها على ذلك .. فلن ترجع الى الكفر حتى يلج الجمل في سم الخياط .

والرسول العظيم — في هذه الخطة — يقتفى أثر جده ابراهيم لما نابذ قومه بالخصومة ، وجعل من أهله المؤمنين حزبا يمثل الحق ، وينافح عنه .

« واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون . الا الذى فطرنى فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون » .

لعالم كبير



معجزة خالدة لرسالة خالدة

الدكتور عبد الجليل شلبى

كتب الىّ الأستاذ منذر بشير من طلاب الدراسات العليا بجامعة ليدس Leeps (بانجلترا) رسالة مطولة يدور حديثها على معجزات الانبياء والموازنة بينها وبين معجزات النبى محمد صلى الله عليه وسلم . وهو يقول انه أرسل الى مثل هذه الرسالة بعنوانى فى المركز الاسلامى بلندن اذ كان يظن أننى ما زلت أعمل به ، ثم اهتدى الى عنوانى بالقاهرة فأعاد كتابة رسالته .

ويدل هذا على أهمية الموضوع لدى الأستاذ منذر ، ولعل كتابته انما هى صدى لحوار ومناقشات دارت بينه وبين رفاقه من غير المسلمين أو المسلمين . وهو بعد فخور بأنه أصبح يجيد قراءة اللغة العربية والتحدث

بها وفهم تراكيبها « الكلاسيكية » ويرجو أن يقرأ اجابة لأسئلته فى مجلة (الوعي الاسلامي) لأنها تصله من بعض أصدقائه .

وخلاصة ما جاء فى الرسالة ذات الصفحات العديدة أن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم ليس له معجزات وخوارق مادية كالتي كانت للانبياء السابقين ، ومعجزته الوحيدة الثابتة هى القرآن الكريم ، أما معجزاته الأخرى مثل انشقاق القمر له ، وتظليل الغمامة اياه وحنين الجزع له ... الخ فكلها جاءت من طرق آحاد ، وليس فيها شيء تعتمد عليه رسالة الاسلام ، ويبدو أنها مما أملته عاطفة المسلمين الجامحة نحو نبي الاسلام . وقد ذكر القرآن الكريم معجزات للانبياء السابقين مثل ناقة صالح التي كانت تكفي قومه بما تدر لهم من اللبن ، ومثل معجزات عاد ونوح ولوط اذ أبيد كل من كفر بهم . وقد كانت لموسى ، وعيسى معجزات عديدة فلم لم يكن للنبى محمد مثل هؤلاء .. الخ الخ .

هذه هي زبدة المشكلة التي حيرت الأستاذ منذر وكتب لي من أجلها مرتين .

وأود قبل أن أدخل فى تفاصيل الاجابة المطلوبة أن أذكر أن هناك فرقا بين الخوارق التي ظهرت على يد النبى محمد صلى الله عليه وسلم دلالة على تكريم الله تعالى اياه وبين المعجزة المقرونة بالتحدى ، التى طالب النبى مكذبيه أن يأتوا بمثلها ان استطاعوا . فهناك خوارق كثيرة ظهرت على يد رسول الله لكنه لم يتحد بها ولم يكن يعنيه أو يعتبرها الناس معجزة أولا . فتظليل الغمامة اياه ودر شاة أم معبد له ، وانشقاق القمر حقا روايات آحاد ، ولا يترتب على انكارها انكار للاسلام ولا يحكم على منكرها بالكفر ، وهناك أشياء من هذه ذات سند أقوى وثبوت أدنى الى الصحة ، مثل سقيه عددا من أهل الصفة من قعب لبن حتى شبعوا وحتي أحس أبو هريرة أن الري يكاد يخرج من أظفاره ، وكان فى آخر الصف يخشى أن ينفد اللبن ، لأن القعب لم يكن يكفى شخصا واحدا ، وكذلك أطعم عددا من أصحابه من برمة صغيرة لأحد الانصار . ولم يكن (صلى الله عليه وسلم) يهمه اشاعة هذه الخوارق ولا هى ذات أثر فى دعوة الاسلام . وقد تصادف أن خسفت الشمس يوم وفاة ابنه ابراهيم وتهامس الناس أنها معجزة ، فلما انتهى اليه ما قالوا قال ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لولادته .

وهناك أشياء لا تحتمل الانكار لأنها جاءت فى القرآن الكريم . من ذلك ما جاء عن غزوة بدر فى قوله تعالى : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلة » . وقوله : « اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به » .. « اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا » .. الخ . وكذلك

ما جاء عن غزوة الأحزاب فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها . » وهناك أشياء أخرى من هذا القبيل ولكن الاسلام لا يعتمد عليها فى اثبات صحته .

وهناك فرق واسع بين هذه الخوارق وبين ما جاء به الانبياء السابقون من معجزات . فناقة صالح وعصا موسى ونار ابراهيم وما جاء به عيسى ... كانت هى المعجزات التى بنيت عليها دعوتهم وتحدّوا الناس بها ، أما هذه الخوارق فلم تكن مقرونة بالتحدى وانما هى تكريم من الله لنبيه ، واظهار الناس على ما له من تفضيل من الله .

واذن فحقا أن المعجزة الكبرى التى تبنى عليها دعوة الاسلام هى القرآن الكريم ، وهو معجزة عقلية وليس معجزة مادية . وأمر هذه المعجزة يدعونا الى شىء من التأمل والتريث فى البحث ولكن نتيجته واضحة بينة .

كانت رسالات الانبياء السابقين رسالات موقوته — فكل نبى أرسل لجماعة معينين ، وكانت دعوته لفترة من الزمن ، ثم يأتى بعده نبى آخر برسالة جديدة تتحد مع اخواتها فى عقيدة التوحيد وتختلف فى تشريعها حسب البيئة التى يعيش النبى فيها . وربما وجد نبيان أو أكثر فى وقت واحد .

ومن شأن المعجزة المادية أن تنفعل بها نفوس الذين يشهدونها أو يكونون معاصرين لها ، ثم يضعف أثرها تدريجيا مع الزمن حتى تنكر نهائيا وتدخل فى حيز الأساطير ، لقد كانت لموسى عصاه شقت له طريقا فى البحر يبسا ، وفجرت له عيونا فى الحجارة سفحًا وأتت على كل ما صنع السحرة من تهاويل ، وقد اثارت هذه الأعمال اعجاب مشاهديها وعجبهم ، ثم ضعفت بعد ذلك بمضى الزمن حتى ان الباحثين من الماديين ينكرونها نهائيا ، وبيننا عدد كبير من كتاب اليهود والباحثين فى تاريخ العبرانيين ينكرون هذه المعجزات نهائيا .

ولا ريب أن الذين شاهدوا معجزات عيسى عليه السلام كانوا أشد انفعالا بها ودهشة لمشاهدتها .

وما ظنك بانفعالات شخص يرى ميتا مضى على موته أيام حتى رم ثم ينبعث حيا يتحدث ويمشى ويحيا الحياة ؟

هذا الشعور لا يمكن أن يكون لشخص سمع القصة من بعيد أو رويت له بعد زمن طويل . لهذا أنكر الماديون كل ما كان لعيسى من معجزات ، بل انما نعلم أن كثيرين أنكروا وجود عيسى نفسه واعتبروه شخصية وهمية من عمل الخيال وقال هذا الكلام نفسه عن ابراهيم قوم أكثر عددا . أما نحن المسلمين ، فانا نؤمن بكل هذه المعجزات لأنها جاءت فى القرآن الكريم .

وعلى العكس من رسالات الأنبياء السابقين كانت رسالة النبى محمد

صلى الله عليه وسلم رسالة عامة لجميع الناس ورسالة خالدة لا يحدها زمن . فهو صلى الله عليه وسلم لم يبعث للعرب وحدهم ولا للذين عاشوا فى عصره فقط ، ولكنها رسالة عامة للبشرية كافة حتى يرث الله الأرض ومن عليها . وأنه من حق الذين يؤمنون برسالة الاسلام أن يطلعوا على معجزته حتى يكون ايمانهم عن طريق الاقتناع لا عن طريق التقليد .

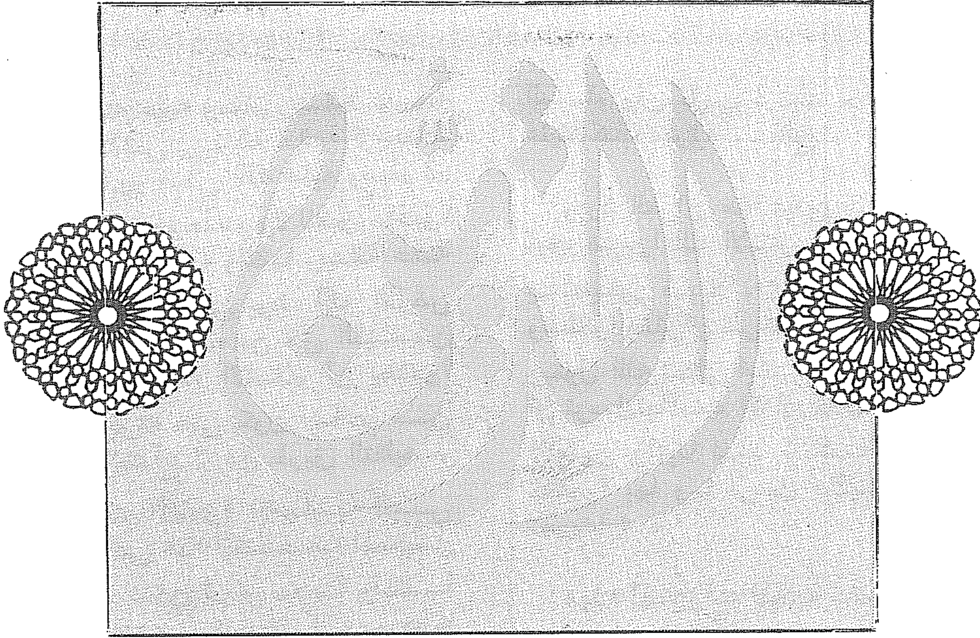
لهذا كانت المعجزة الاساسية لنبى الاسلام هى هذا الكتاب المعجز الخالد . فنحن لم نر محمدا ولكننا نرى معجزته ، وقد تكفل الله سبحانه بحفظ القرآن ، فنحن الآن نقرأ ما قرأه النبى على أصحابه بكل كلماته بل وبحروفه ونبراته ، وقد تحدى النبى صلى الله عليه وسلم قومه أن يأتوا بقرآن مثله أو حتى ببضع آيات مماثلة فلم يستطيعوا أن يأتوا بشىء وثبت لهم أنه كلام الله وليس كلام محمد ، وها هو ذا القرآن ما زال يتحدث وما زال الناس يشعرون بالعجز عن محاكاته فهو اذن معجزة باقية .

وقد سأل العرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بمعجزات مادية ، قالوا : لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ... وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ... أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا .. أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه .. الخ .

ويرد القرآن هذا فيقول : « انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . » وهم ضلوا حقا وسلكوا بالقرآن طريقا ماديا محدودا ، ويقول الله تعالى أيضا : « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا » .

فهذه المعجزات المادية كانت اخافة وارهابا ومع ذلك عاندها وجحدها من أرسلت اليهم .
كذلك لم يكن من المناسب لخاتم الأنبياء أن تكون له معجزات مبيدة مهلكة كما حدث لقوم هود وصالح وثمود وغيرهم . وقال الله فيهم : « فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا .. » فهؤلاء أهلكوا لأنهم كانوا جماعات محدودة ولأن نبيا آخر أو أنبياء آخرين سيأتون بعدهم ، أما محمد صلى الله عليه وسلم فلا نبى بعده وهو بعث لهداية الناس لا لإبادتهم .. « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

واذن فاعتماد الاسلام على معجزة القرآن وحدها ليس عيبا ولا نقصا فيه ، ولكنها معجزة خالدة لدين عام خالد .
والله يرشدنا جميعا للحق ويهدينا سواء السبيل .



للشيخ السيد سابق

من الظواهر التي تشاهد في المجتمعات البشرية ، وعلى اختلاف درجاتها في سلم التطور ، ظاهرة التدين :

فالمجتمع البدوى الذى لم يعرف شيئا عن الحضارة ، له معتقداته وعباداته ، والمجتمع الحضرى الذى بلغ شأوا فى العلم والمدنية ، له كذلك ايمانه بالغيب وطقوسه الخاصة .

ولظهور هذه الظاهرة وبروزها رأى العلماء أنه كلما وجد مجتمع وجد معه دين ، أيا كان هذا الدين ، وأيا كان مصدره .

ولا يعترض على هذا . بأن المجتمع الشيوعى ، قد أسقط الدين من حسابه وأقام حياته على أساس : أن لا اله ، والحياة مادة .

فان هذا لا يعبر فى الواقع عن نفسية المجتمع ، ولا يترجم مشاعره ترجمة صحيحة .

اذ أن فكرة هذا الانحراف الدينى، نبتت فى ذهن بعض الأفراد ونمتها الظروف الاجتماعية الخاصة . ظروف الفقر والحاجة والحرمان . وساعد على تقوية جذورها ، وبسط سلطانها، انه لم يكن ثمة دين ، ينير العقل أو يطمئن القلب ، فضلا عن أن المتظاهرين بالتدين كانوا مظهرا للتخلف والرذيلة ، بل كانوا مضرب المثل فى التفاهة والحقارة ، ولم يقضوا يوما واحدا فى جانب المحرومين ، وانما كانوا دائما عونا للقياصرة ، وسندا للمستبدين .

فهذه الفكرة الالحادية ، ليست وليدة علم،ولا ممثلة للفطرة الانسانية وانما هى فكرة شاذة ، أوحت بها الظروف القاسية ، وخلقتها البيئة المجهدة ، وروجت لها الأحقاد التى ملأت الصدور أمدا طويلا . ثم حمل الشعب عليها حملا ، وأكره عليها اكراها ، دون أن يكون له رأى أو اختيار .

ومنذ قيامها وهى فى حماية الحديد والنار .

وأعتقد أن الفطرة الانسانية أقوى من جميع القوى التى تحاول ان تطمسها ، وتغير معالمها ، وان لها الغلبة والنصر مهما طال الزمن .

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

(ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) .

واذا كان للدين هذه الجذور العميقة فى النفس الانسانية ، فانه لا يتصور أن يأتى يوم يعيش الناس فيه من غير دين . بل ستبقى النفس تنزع اليه ، لأنها تنزع الى شىء هو من طبيعتها ، وتشعر بفراغ كبير اذا تخلت عنه .

وليست المشكلة هى مشكلة الدين، من حيث هو ، فالتدين غريزة كما قلنا، وكما يقرر الاسلام :

« فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وفى الحديث الصحيح : (كل مولود يولد على الفطرة) .

وانما المشكلة الحقيقية ، هى عدم وجود الدين التعليمى الذى يفتح آفاق الفكر ، ويطلق الطاقات الكامنة فى النفس ويدفع الى السمو الروحى والكمال المادى .

لقد كان الانسان فيما مضى — ولا يزال ذلك فى الطبقات الجاهلة — يستسلم لما يلقى اليه من عقائد ، ويذعن لما يقال له من دين ، ولا يكلف نفسه مشقة البحث ، ولا مؤونة الدرس . ولو كان الذى يلقى اليه من الخرافات ، التى لا يصدقها العقل ولا يعترف بها العلم .

ولكن هذا الأمر قد تغير الآن فى نظر الانسان الذى يعيش فى عصر العلم ، انه يريد من الدين أن يقنع عقله ، ويرضى طموحه ، ويساير تقدمه ويجارى تطوره ، ولا يحرمه من ثمره جهده ، ولا لذة بدنه .

وربما كان عدم وجود دين ينطوى على هذه المبادىء ، هو احد الأسباب التى صرفت بعض العلماء الذين اسهموا فى بناء الحضارة عن الدين ، وجعلهم يتجهون الى العقل وحده ، يستفتونه ويحتكمون اليه ، ولا يعولون فى قضية الا عليه .

ولم تتح الفرصة لهؤلاء أن يطلعوا على مبادىء الاسلام الكريمة ، وتعاليمه السامية ، وان كان أتيح لبعضهم أن يعرف الاسلام ممثلا فى أعمال من ينتسبون اليه ، وهى فى واقعها تشويه لجمال الاسلام ، وعرض سيىء لمبادئه الحقة . فكان حكمهم عليه كحكمهم على غيره من الديانات الأخرى .

ان الانسان فى هذا العصر — بالرغم من المغريات المادية التى صرفته عن الدين — تهفو نفسه الى دين موثوق بأصله من جهة ، وقادر على أن يسمو به الى الكمال المادى والروحى من جهة أخرى .

ونحن نجزم فى ايمان وفى ثقة .. بأن الاسلام — والاسلام وحده — هو الذى توفر فيه هذان العنصران ، لأنه هو الدين الذى وضحت معالمه ، وكرمت مبادئه ، وثبتت مصادره ، وحفظت من التغيير والتحريف ، والتبديل والتصحيف ..

« وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وانه كفيل بأن يحقق للانسان

ما ينشده من ارتقاء ، وما يرجوه من كمال ورفعة .

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين .يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

والاسلام هو الدستور الكامل ، والمنهج الذى استهدف اقامة حياة انسانية رفيعة .. يتحرر فيها العقل والضمير ، وتستقل فيها الارادة والتفكير ، ويشعر فيها كل فرد بأنه سيد نفسه ، ومالك أمره ، وأنه لا سلطان لأحد عليه ، سوى سلطان الحق ، الذى يعلو ولا يعلى عليه .

وهو الذى أهاب بالناس أن يفتحوا عقولهم ، ليعرفوا آيات الله فى الكون ، وسننه فى الخلق ، وحكمته فى الطبيعة .

« أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض . وما خلق الله من شىء » .

وتعطيل قوى الادراك ، وعدم الانتفاع بها ، يعتبر فى نظره جريمة، يسأل عنها الانسان ، ويحاسب عليها الحساب العسير .

« ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا » .

والاسلام بعقائده ، وعباداته ، ومثله ، وقيمه ، قد بعث الحياة فى العواطف الجامدة ، واليقظة فى القلوب الهامدة وحرك حواس الخير فى الانسان لتتسع نفسه للعلاقات الحسنة ، والصداقات الطيبة ، والمعاشرة بالمعروف .

وانه الى جانب هذا حارب الظلم، والبغى ، حتى لا تهدر كرامة أحد ، ولا تنتهك حرمة انسان ، ولا يشعر ضعيف بهوان ، ولا يحس فقير بضياع ولا يؤخذ مال بغير حق .

وانه أراد أن يقيم أطهر حياة وأنظفها على وجه الأرض .

حياة لا شرك فيها ولا وثنية .. بل فيها التوحيد الخالص ، والعبادة لله الذى تعنو له الوجوه . حياة لا ظلم فيها ولا استبداد بل فيها حق ، وعدالة وحرية ، واخاء ، حياة لا جهل فيها ولا أمية ، بل فيها علم ومعرفة وحكمة . حياة لا رفث فيها ولا فسوق . ولكن فيها طهارة ، ونظافة وعفاف ، حياة لا حسد فيها ولا حقد . بل فيها محبة وتعاون وتآزر وتناصر ،حياة لا سرف فيها ولا ترف ، بل فيها بذل ، وكرم وايثار ، حياة لا خمر فيها ، لا قمار ، بل فيها كدح وعمل وطلب لما أحل الله .

وانه استهدف تهذيب الفرد ، وتعاون الجماعة ، وايجاد حكم أساسه الشورى ، وغايته حراسة الدين ، وسياسة الدنيا ، وجعل فى طليعة وظيفته الدعوة الى هداية هذا الدين ، لتعم الأخوة الانسانية مما يعجل بسلام عام ، يعيش الناس فى ظله آمنين .

هذا هو الاسلام الذى يمكن أن نقدمه للناس فى عصر العلم والاكتشاف الذرى .

وان هذا الوقت لهو أنسب الأوقات للنهوض بهذه الرسالة السامية .

فقد انتهت معظم الآراء فى أوربا وأمريكا الى وجوب المناداة بالعودة الى الدين ، لأن التطور المادى الذى لم يصحبه سند من روح تطور خطر لا غاية له الا الخراب والدمار ، ولأن النفوس قد أفسدها الطمع ، والجشع ، والشره ، والأنانية ، وهم أحوج ما يكونون الى اصلاح هذه النفوس وعلاجها ، ليسود المجتمع المودة ، والرحمة ، والمعاونة ، والايثار ، والسماحة ، والطيبة .

وهذه الفضائل لا مصدر لها الا الدين والايمان .

وليس من دين سوى دين الاسلام ، يستطيع تقديم هذه الفضائل الانسانية ، وليس هذا هو رأينا الخاص ، وانما هو رأى علماء الغرب الذين درسوا الاسلام، ووقفوا على حقائقه ..

يقول جولد زيهر :

« انه اذا أردنا الانصاف ينبغى أن نؤمن بأن فى الاسلام قوة صالحة ، توجه الانسان نحو الخير.

وأن الحياة المتفقة مع التعاليم الاسلامية ، حياة أخلاقية لا غبار عليها ذلك .. أنها تتطلب الرحمة نحو جميع مخلوقات الله ، والوفاء بالعهود والمحبة ، والاخلاص ، وكف غرائز الأنانية ، الى هذه الفضائل التى أخذها الاسلام من الديانات التى اعترف لأصحابها بالرسالة .

المسلم الصالح هو الذى يحيا حياة يحقق فيها مطالب خلقية قاسية » .

ولكى يتم هذا فى أقصر وقت ، وبأقل جهد ، لابد من أن تتبنى الدولة الاضطلاع بهذا العبء ، أو تحتضنه أمة مخلصة،فان جهد الأفراد أضعف من أن يحتل النهوض بهذا الأمر الكبير .

وعلى الدولة ، أو الأمة التى تتبناه أن تتمثله علما وعملا،وأن تكون صورة صادقة لمبادئه ، وتعاليمه ، كما جاء فى الكتاب والسنة .

وبعرض الاسلام فى صورته الصحيحة ، وفى صورته العلمية التطبيقية نكون قد أقمنا الدعوة الاسلامية على أساس متين . بينما يكون علمنا وعملنا أقوى حجة ، وأوضح برهانا ، فى الاقناع ، والاستدلال ، وافحام من يتصدى لنا من الخصوم المعارضين .

ان الاسلام قوى بنفسه ، لأنه الحق ، ولكنه فى حاجة الى رجال يوضحون حقائقه ، ويظهرون معالمه، ويضحون من أجله .

وان أى جهد يبذل من اجل الاسلام لهو خدمة للانسانية نفسها وهى أحوج ما تكون اليه .

وان مئات الملايين من البشر الذين يؤمنون بالاسلام ويدينون به،والذين يشغلون حيزا كبيرا من أرض الله الواسعة ، ليحتاجون الى من يزيدهم علما بالاسلام ، وتبصرا به ، وهم من جانبهم مستعدون لأن يكونوا جنود هذا الدين ، وأنصاره المخلصين ، ولن يدخروا وسعا فى اعزازه وتأييده ، ومناصرة كل من يمد يده اليهم .

ان صراع المبادىء اليوم على أشده ، وانه بالغ غاية العنف .

وان كل دولة تتخذ كل الوسائل الممكنة لها ، لترويج أفكارها والدعاية لمذاهبها ، فتنشىء الوزارات ، وتجهز الأجهزة ، وتستغل الطاقات الفكرية، والأدبية ، والفنية ، لتأييد ما تراه ، واقناع الآخرين به .

واذا كانت هذه الدول تنفق عن سعة ، وتبذل هذه الجهود ، من أجل تأييد أفكارها البشرية ، القابلة للتغيير ، فان المسلمين أحق بالبذل وأولى بالتضحية ، وأجدر بالتنظيم ، لحماية الاسلام الحق ، والتبشير به ، والدعاية له ، فى آفاق الدنيا الرحبة ، المتعطشة لهداية الله ، والفقيرة الى من يرشدها الى الحق وينير لها الطريق .

وان هذا لهو جهاد الوقت ، ولا يقل فى قيمته عن جهاد الحرب والقتال .

وأى جهد يبذل فى هذه السبيل لهو جهد عظيم يباركه الله ، ويثيب عليه أجزل مثوبة .

بين الشريعة والقانون

للأستاذ علي عبد الله طنطاوي

منذ وقت ليس ببعيد علت أصوات كثيرة تطالب باستبدال الشريعة الاسلامية الغراء بالقوانين الوضعية التي لم تؤت ثمرتها وكشفت الأيام عن قصورها وعدم ملائمتها للبيئة الاسلامية .

ولكن بعض المعارضين تصدوا لصيحة الحق هذه يحاولون النيل منها متشدقين بأسانيد باطلة ، وحجج واهية ناسبين الى شريعة الله ما ليس فيها .. زاعمين أنها قاسية ، وأنها لا تساير ما يسمونه بالتطور ومدنية القرن العشرين ..

وبادىء ذي بدء أقول إنه ليس من المستغرب أن نسمع هذه المفتريات في وقت شاع فيه الباطل ، وذاع فيه قول الزور ، وتغلغلت فيه المادية الفاجرة في كثير من مناحي الحياة .

ولكن فات هؤلاء المعترضون ان الحق وإن تأخر انتصاره لن يخبو ضياؤه وأن لا بد له من الانتصار حتى وان علا الباطل عليه وطال .

ومما لا جدال فيه ولا مراء أن الناظر لحجج هؤلاء المعترضين يكاد يلمس من الوهلة الاولى مدى مجافاة اسانيدهم للوقائع ، ومخالفتها للعقل والمنطق العادي للأمور .

فغني عن البيان أن وظيفة كل قانون هي خدمة الجماعة التي يحكمها وسد حاجاتها ، وصيانة أخلاق أفرادها ورعاية آدابها وتقاليدها ، وحماية دينها ومعتقداتها .. ومن هنا اختلفت القوانين باختلاف الشعوب فالقانون يجب أن يكون نابعا من الظروف الاجتماعية للدولة ومن عقائدها ومشاعرها وعاداتها وتقاليدها انه يجب أن يكون قطعة من ماضيها وحاضرها والا فقد الغاية المرجوة منه بل يكون وبالا على الجماعة وأخلاق أفرادها .

ومما يؤسف له أن هذا هو ما تعاني منه الدول الاسلامية التي تحكمت فيها عقدة الاستيراد وهبطت بدينها الى المستوى الذي حجب عنها حسناته فلجأت الى الدول الاجنبية واستعارت بعض قوانينها ، فجاءت هذه القوانين مخالفة لعادات المسلمين وتقاليدهم ولا مكان فيها لعقيدتهم . بل جاءت مجافية كل المجافاة للاسلام متحدية للمسلمين تسخر من عقيدتهم وتمتهن مشاعرهم ، وتعبث بحرماتهم فكانت الطامة الكبرى وأصبحت

الدول الاسلامية « بسبب تطبيق هذه القوانين الغربية » مجتمعات تشيع فيها الفاحشة ويتفشى فيها الفساد الذى يوشك أن يدمرها والانحلال الذي كاد يقضي عليها ..

نعم .. كل هذا بفعل هذه القوانين الاجنبيــة التى عطلت حدود الاسلام ، وأحلت ما حرمه الله ، وحرمت ما أحله الله ، ونظرة خاطفة الى بعض مواد هذه القوانين تكفى لمعرفة مدى انسلاخها من الاخلاق وانحرافها عن الفضائل وتنكرها للبر والتراحم .

ولضيق المقام وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن القوانين الوضعية لا تعاقب على شرب الخمر ولا السكر لذاته وانما تعاقب عليه فى حالة السكر البين فى الطرق العامة أو المحلات العامة لأن المشرع تخوف من أن وجود السكير فى هذه الاماكن قد يعرض المارين بالطرق أو المرتادين لهذه المحلات لاذاه أو اعتدائه ورغم هذا التخوف من المشرع نجد أن الحماية التى أراد أن يسبغها على هؤلاء أضعف من انفاس المحتضر اذ جعل عقوبة هذه المخالفة الغرامة التى لا تزيد على جنيه أو الحبس مدة لا تزيد على أسبوع .. وبكل أسف ومرارة جرى القضاء فى الغالب الأعم من قضائه على تطبيق الغرامة دون الحبس .

ولكن الشريعة الغراء تعاقب على شرب الخمر فى جميع الاحوال لانها تعتبره رذيلة مضرة بالصحة ، مفسدة للأخلاق ، متلفة للمال .. انها تجرّمه لأنها تريد بناء الانســان النقى الضمير الحسن الخلق مكتمل الصفات والفضائل لكى ينشر الفضل ولكى يسمو بنفسه وبالحياة والأحياء المحيطين به الى درجة الكمال .

مرة ثانية على سبيل المثال أيضا نجد القانون الوضعى يحل الربا ويسبغ الحماية اللازمة عليه فى حدود قيمة الفائدة المحددة قانونا .

ونسى المشرع أن المدين لم يستدن الا لضرورة من ضرورات العيش ، ونسى أن هذه الفائدة ترهق المدين وتزيده اعسارا على اعسار .

ولكن شريعة الاسلام تحرم الربا فيقول الله عز وجل : « وأحل الله البيع وحرّم الربا .. » .

ثم يضع فى الاعتبار المدين الذى اعجزته ضآلة الدخل عن السداد فيعانى من أجل ذلك الدين هم الليل وذل النهار فيقول وهو أحكم الحاكمين « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

وعلى سبيل المثال أيضا بينما نجد القانون الوضعى لا يحرم الميسر الا اذا كان فى محل عام مهيأ لدخول الناس فيه ، نجد الاســلام يحرم الميسر فى كل آن ومكان لأنه يرى فيه ضياعا للوقت واتلافا للمــال .. وكم شاهدنا وطالعتنا الصحف بأخبار أسر هدمت وأطفال شردت وكانت وبالا على المجتمع من جراء انغماس ذويهم فى السهر ولعب القمار ثم تأمل معالجة القوانين الوضعية لجريمة الزنا وكيف أباحتها ما دام ذلك برضاء الانثى « ما لم تقل سنها عن ثمانى عشرة سنة » واذا كانت أقل من هذه السن جعلت عقوبة الزنا الحبس وتركت تقدير مداه للقاضى الذى قد ينزل به الى أسبوع . وهكذا نجد القانون خرج على الدين والاخلاق والتقــاليد وجعل الاباحية هى القاعدة والاخلاق الفاضلة الكريمة هى الاستثناء ..

أين هذا من عقوبة الله التي جعلها الرجم للمحصن والجلد لغير المحصن .. ؟!

ان الله أراد حماية الأعراض من أن يعبث بها أو تمتد اليها الايدى الملوثة الآثمة حرصا على الحرمات وصونا للأنساب من العبث والفساد .

هذا قليل من كثير أحلت به القوانين الوضعية ما حرمه الله وآذت به شعور المسلمين وأشاعت الفساد بينهم وعطلت الحدود التى جاء بها دينهم .

ولقد زعم بعض الاشخاص أن هذه الحدود لا تساير ما يسمونه بالمدنية والتطور مدعين أنها قاسية وكان أدنى للحق وأقرب للنفع العام والأوفق والأرشد فى علاج جرائم السرقة ، واحراق المال العام واختلاسه أن يسارع المشرع بتطبيق حدود الشريعة الاسلامية حتى لا يكون مال الدولة مستباحا لكل موظف خرب الذمة طامع فيه ولكى لا يكون أفرادها غرضا لكل هاجم وموضعا لكل معتد أثيم .

انى أقول لهؤلاء المفترين والمدعين بأن شريعة الاسلام لا تلائم المدنية ولا تساير التطور ان الاسلام هو الذى انتشل الناس من ظلمات الجهل الى النور وهو الذى قاد العالم الى المدنية التى يزعمون انه لا يسايرها وعلى هؤلاء الذين تتحكم فيهم عقدة الاستيراد أن يمعنوا النظر فى أقوال المستشرق الفرنسي رينان « ان المدنية الاوروبية الحالية هى وليدة المدنية الاسلامية القديمة فى حقائقها العليا » .

ثم هذا هو العلامة الكاثوليكى شبرل عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا يقول « ان محمدا الذى تفخر به البشرية بانتسابه اليها استطاع أن يأتى من قرون بتشريع سنكون نحن الاوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا الى مثله بعد ألفى عام » .

وهذا مستشرق أمريكي آخر هوكنج أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد يقول « .. ان فى الشريعة الاسلامية كل المبادىء اللازمة للنهوض بالحياة » .

هذا رد المستشرقين أنفسهم أضعه أمام القائلين بعدم مسايرة الشريعة للمدنية الحديثة ..

بقيت الفرية الخبيثة التى ينسبونها للاسلام وهو منها براء .. فرية القسوة فى قطع يد السارق ..

ان الاسلام وضع الحدود لتقويم الخاطىء وهداية المنحرف ووقاية المجتمع من شر الفاسد ..

ترى هل الرحمة فى نظر هؤلاء الضالين المضلين هى الحنان الذى لا عقل له .. ؟ هل هى الشفقة التى تتنكر للعدل والنظام .. ؟!

ان الاسلام لا يقيم الحدود الا بعد أن لا يكون هناك عذر للمسلم فى ارتكاب جرمه ولا شبهة فى وقوعه منه . فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول « ادرءوا الحدود عن المسلمين بالشبهات فان كان له مخرج فخلوا سبيله فان الامام لأن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » .

ان الاسلام يقطع يد السارق الذى لا يسرق اضطرارا ليطعم نفسه أو أهله فان ساقته ضرورات العيش الى جرمه فلا عقوبة عليه بل قد توقع العقوبة على من دفعه الى السرقة كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع غلمان ابن أبى بلتعه الذين سرقوا ناقة فقد أطلق

سراحهم وغرم سيدهم ثمنها ضعفين لأنه أجاعهم فاضطروا الى السرقة .
ولما عمت المجاعة في عام الرمادة لم يطبق حد السرقة لأن شروطه لم تتوافر ويخطىء بعض المسلمين فيقولون أن عمر رضي الله عنه عطل حد السرقة وحاشى لله أن يقوم عمر بتعطيل حدود الله وهو الحريص على ارضاء ربه وشدته في الدين وحرصه عليه لا يخفى على أحد .
ولكن عمر لم يطبق حد السرقة لأن شروطه لم تكن متوافرة لأن السارق كان يسرق وقتئذ اضطرارا .
ثم أن هذه القسوة التي يرمون بها الشريعة الاسلامية لا تدل الا على جهل القائلين بها بدين الاسلام . ان الاسلام جعل الرحمة أساس الاسلام والايمان وعلامة من علاماته بل هي صفة من صفات المؤمنين كما وصفهم القرآن الكريم .
والرحمة في الاسلام لا تقتصر على الانسان بل تشمل الانسان والحيوان فيقول الله عز وجل « .. ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » .
ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « في كل كبد رطبة أجر » ويقول « والذى نفسي بيده لا يضع الله الرحمة الا على رحيم » .
هذه هي شريعة الرحمة .. شريعة الاسلام .. الشريعة التي جمعت بين العقيدة والنظام .. شريعة جمعت بين الدين والدنيا في توجيهاتها وتشريعاتها وأمرنا الله أن نطبقها في نظامنا الاجتماعي والقانوني والخلقي . فيقول « وان أحكم بينهم بما أنزل الله » ويقول : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » ووصف من لا يحكم بكتاب الله كافرا وظالما وفاسقا « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .. « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » .. « .. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .
وتضمن القرآن الكريم أن من يختار حكما غير كتاب الله فهو ضال لا يعرف الايمان سبيلا الى قلبه « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .
أقول لهؤلاء المعترضين أن لدينا من التشريعات الاسلامية ما نعطيه للآخرين .
ولسنا بحاجة الى استيراد قوانين أجنبية تخالف ديننا وتنحدر بأخلاقنا .
يا قوم تدبروا قول الله عز وجل « يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » يا قوم تدبروا قول نبيكم الكريم « كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم .. هو الفصل ليس بالهزل .. من تركه من جبار قصمه الله .. ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله .. وهو الصراط المستقيم .. هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة .. من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم » .
يا قوم أفيقوا من نومكم .. وسارعوا الى تطبيق شريعة ربكم .. فهي المنقذ ولا منقذ لنا سواها .
يا قوم ان الله هو خالقكم وهو الاعلم بعلاجنا ، وشريعته هي الاقدر على حل مشاكلنا وهي الطريق الوحيد لسعادتنا .



للدكتور : محمد محمد الشرقاوى

اقتضت حكمة الله تعالى أن يسن شرائعه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يتوخى فى انشائها وتدرجها فى النمو والاكتمال اسلوب الملاءمة والمسايرة لطبائع الاشياء بلا فجاءة ، ولا طفرة ، وبدون اكراه او اضطرار ، فكان الانتقال بها من طور الى طور ، ومن درجة الى درجة هو ديدن التشريع ، ومنهج الاصلاح الدينى فى كل زمان ومكان ، وعلى تعاقب الاجيال والاحوال ، وذلك حتى تكون شرعة العدل .. شرعة الله مثلا حيا ، وواقعا عمليا ليس غريبا على دنيا الناس ، ولا نابيا عن سنن الكون ، وناموس الحياة .

ومن هنا جاء النسخ فى شريعتنا الغراء ، وفى شرائع الامم السابقة كتعبير عن رحمة الله ورفقه بخلقه ، وحكمته البالغة فى تبيين أحكامه ،

وفى صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم تكن نبوة الا تناسخت » (القرطبى ج (١) آية النسخ) .

ومعنى النسخ فى متداول لغة العرب : التبديل : أى جعل شىء

مكان شيء آخر ، وقد يطلق بطريق التجوز على الازالة وعلى النقل باعتبارهما ملزومين للتبديل ، وقد جاء القرآن الكريم بالمعنى الاول في قوله تعالى : « واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين» كما جاء في الاستعمال العربي : نسخت الشمس الظل : اذا أذهبته وحلت محله ، ومنه قوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » .. كما أثر عنهم : نسخت الكتاب أي نقلت ما فيه الى آخر ، ونسخت النحل : أي نقلتها من موضع الى آخر ، ومنه قوله تعالى : « انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » أي نأمر بنسخه واثباته .

ويراد بالنسخ عند علماء اصول الفقه : ان يرد دليل شرعي متراخيا عن دليل شرعي بحيث يقتضي الثاني حكما يدافع وينافي حكم الدليل الاول سواء كان ذلك في قطاع الكتاب العزيز ، أو السنة المطهرة من الاقوال أو الافعال أو غيرهما .

فليس من النسخ نسيان أو انساء حكم ثم مجيء حكم آخر مكانه ، وليس من النسخ رفع التلاوة لحكم مع بقاء سريانه بدون تلاوة ، ومعنى الابطال غير مراد بالنسبة الى الحكم الاول الذي وقع فعلا في الماضي قبل ورود الحكم الثاني ، وانما يعني هذا : التنظيم والتوقيت للأحكام والشرائع حسبما ثبت في علم الله تعالى من تقدير الامور ، وتنسيق الاوامر والنواهي .. كل في وقته المناسب ، وبالقدر الملائم ، وهذا يجرنا الى القول بأن النسخ وما يتصل به من ناسخ ومنسوخ انما هو عمل مرحلي يستهدف اعداد النفوس ، وتهيئة المناخ الصالح لتقبل الجديد من الاحكام التي تدور مع فلك الحياة العامة أينما دارت ، وتتأثر بها في واقعها المتنوع فهو بيان لوقت الحكم الاول ومداه وانهاء سريانه في حد ذاته بحيث لا يكون صدور الحكم الثاني مؤثرا في هذا الانهاء .. فلو لم يأت الدليل الثاني بالحكم الثاني لانتهى العمل بالحكم الذي يتضمنه الدليل الاول مطلقا ، ولم يمكن الاستمرار فيه ولا سريانه على المستقبل ، وكل ما أفادنا صدور الحكم الثاني هو تبديل حكم بحكم في علمنا ، ومعرفة مدى صلاحية الحكم الاول في علم الله تعالى ، ومثال ذلك : وفاة شخص ما .. ثم ولادة شخص آخر عقيب وفاة الأول .. فلا وفاة الاول مستلزمة لولادة الثاني ، ولاولادة الثاني متأثرة بوفاة الاول ، وانما هي الحكمة الالهية العليا التي اقتضت الوفاة والولادة تحقيقا لما تضمنه علم الله تعالى من مصالح ، وما انطوى عليه من أهداف لا شك في سدادها وسلامة مسلكها .

والنسخ بهذا المعنى الذي يوقت بعض الاحكام ، ويبين أمد الشرائع بدءا ونهاية ، جائز عند جمهور المسلمين وواقع في شريعتهم ، وفي غيرها لتحقيق المنافع الشرعية المترتبة عليه ، واليهود ما عدا العيسوية قد أنكره بعضهم عقلا ،

وانكره البعض الآخر نقلا كما أنكر ابو مسلم الاصفهاني من المتكلمين وقوعه فى القرآن . لقوله تعالى : « كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » فلو وقع النسخ فيه لاتاه الباطل ، كما استند اليهود الى نفى البداء عن الله تعالى وهو التردد فى الامر بعد صدوره وعدم ادراك وجه الحكمة فيه فلذا يستحيل عليه النسخ .

بيد أن الكثرة الكاثرة من علماء الاسلام وفقهائه ورجال الاصول فيه قد رأوا جوازه ووقوعه بدون أن يترتب عليه باطل فى القرآن ولابداء على الله تعالى ، لان البداء سببه الجهل بالأمور ، وكل من الناسخ والمنسوخ حق من عند الله تعالى .. فهو الحاكم أولا وآخرا وهو صاحب الناسخ والمنسوخ ، ومرجع كل ذلك الى علمه وحكمته : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ، الا أن المنسوخ رفع حكمه لانتهاء وقته المناسب لصلاحيته ، وابتدأ العمل بالناسخ حين حان الظرف الملائم لسريانه والاحتكام اليه .. نزولا على متطلبات الحياة المتجددة ، ومسايرة لساراتها المتنوعة وليس فى هذا بطلان ولا ابطال ، ولا تردد ، ولا بداء ، وانما فيه مرونة وتدرج ، وحكمة وترتيب .

وقد ثبت فى التنزيل الحكيم أن موسى وعيسى عليهما السلام قد بشرا بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام ، وأوجبا الرجوع اليها عند ظهورها ، وأن الشريعة الاخيرة تسمى ناسخة اتباعا لقوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها » .

ولا تعارض بين الحكمين المتناسخين ما دام وقت كل منهما غير وقت الآخر ، والمتتبع لذلك يدرك وجه الحكمة فى كل منهما على حدة ، ثم فيهما معا ككل ، وقد حفلت الشرائع قديما وحديثا بالنسخ ، وجرى بين احكامها بمقادير محكمة ، وأوقات محددة كما يجرى استيعاب الأدوية المختلفة فى أوقاتها المناسبة تحت اشراف الطبيب الماهر : فمن القديم : ماروى من حل الاخوات للاخوة فى شريعة آدم عليه السلام ، وحل حواء له مع أنها جزء منه .. وذلك للحاجة الى التكاثر النوعى لبنى البشر عن هذا الطريق الذى لا بديل له .. ثم جاء نسخ ذلك فى الشرائع اللاحقة ، حين لم يعد الوقت ملائما لهذا التشريع الذى يعرض صلة الأرحام للهوان والابتذال وهو ما يتنافى مع التكامل المنشود من الشرائع والفضائل ، ومن امثلة ذلك أيضا : — ما ثبت فى الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام قد أمر ليلة المعراج بخمسين صلاة فى اليوم والليلة الواحدة .. ثم نسخ ما زاد على خمس صلوات .. تخفيفا ورحمة ، .. وكل من المنسوخ والناسخ لا يكون الا كتابا أو سنة .. أما الاجماع والقياس فهما فى خارج دائرة النسخ ، لانه محدد بحياة النبى صلى الله عليه وسلم التى لا اجماع فيها ولا قياس من حيث انه صلى الله عليه وسلم متفرد ببيان الشرائع من دون الناس جميعا ، ولأن من شرط القياس أن يتناول فرعا لا نص فيه .

وفى النسخ حكمة بالغة ، ومصلحة عليا .. فهو كالاحياء والاماتة ، وتعاقبهما على مدرج الحياة .. فضلا عن كونه اختبارا دينيا لمدى صلابة الايمان ، وثبات العقيدة ، واحتواء النفوس لما تأتى به الشريعة من هذا اللون المتنوع من الاحكام المتناسخة .. مصداقا لقوله تعالى : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله » ولهذا جاء النسخ على صور شتى وألوان متباينة فمنه : —

١ — نسخ السنة بالكتاب كما سبق بيانه من تغيير القبلة من بيت المقدس بالشام كما كان الحال فى مطلع الأمر ، الى البيت الحرام بمكة ، والاول ثابت بالسنة والثانى بالقرآن الكريم فى قوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام » .

٢ — نسخ الكتاب بالكتاب كنسخ آية الوصية للوالدين والاقربين حال المرض الاخير فى قوله تعالى : « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين » .. فانها قد نسخت بآيات المواريث من مثل قوله تعالى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » الى آخر ما جاء فى تنظيم المواريث بالقرآن الكريم .

٣ — نسخ السنة بالسنة ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم — : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها »

٤ — نسخ الكتاب بالسنة مثل سقوط الجلد الثابت بقوله تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » فانه قد سقط جلد الثيب الزانى اكتفاء برجمه، ولا مسقط لذلك الا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع ماعز والغامدية .

والعقل لا يمانع فى جواز النسخ ولا فى وقوعه لانه امر وجودى لا يتصور فى العقل عدمه ولا يترتب عليه نقيصة فى حق الله تعالى ، ولا محظور دينى يخشى وقوعه ، لان مرجعه اولا وأخيرا الى الشارع الحكيم فهو الناسخ وهو صاحب المنسوخ ، وهو فى هذا أو ذاك حاكم بأمره لا يسأل عما يفعل ، « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» وقد اخبرت الآيات بوقوعه ضمن الشريعة بمثل « ما ننسخ من آية .. » و « و بدلنا آية مكان آية » ولا داعى لارتكاب الشطط فى تأويلها واخراجها عن مدلولها القريب ، ما دام حملها على مفهومها المتبادر قد درج عليه العلم والعمل عند جماهير العلماء ، واعتبروه حقا ومصلحة شرعية تستهدف الترقى فى تنظيم الامور ، والتدرج فى اصدار الأوامر والنواهى فى دائرة الاحكام الشرعية العملية التى هى فروع الشريعة — وليست من اصولها الثابتة ، ولا من عقائدها الراسخة .. اذ أن هذه الاصول الشرعية المتعلقة بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله

واليوم الاخر والقضاء والقدر وما يتصل بها من مكارم الاخلاق ، ومحاسن الآداب وما يدعم هذا من قصص قرآني او نبوي يحمل في ثناياه العبر والمواعظ ، ويتحدث في صدق وواقعية عن الحقائق التي لا تحتمل التغيير والتبديل .. كل هذا خارج عن موضوع النسخ ، وغير داخل فيه ، فعمل النسخ محصور في اطار الاحكام الفرعية التي تنعكس عليها مؤثرات الزمان والمكان ، ومالا يقبل النسخ هو الدين ، وما يقبله هو الشريعة ، وفي القرآن الكريم « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وقد جاءتنا الاخبار بكثير من المنسوخ نذكر منها : —

١ — ما ذكره القرطبي عن عائشة رضي الله عنها : « ان سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة في الطول »

٢ — ذكر أبو بكر الأنبارى : ان رجلين قاما من الليل ليقرآ سورة من القرآن فلم يقدرا فلما أخبرا الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك قال : «أنها مما نسخ البارحة » .

٣ — قوله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » فقد نسخ في حق السكر وصار محرما لا منة فيه .

٤ — قوله صلى الله عليه وسلم : « .. ونهيتكم عن الاشربة الا في ظروف الأدم فاشربوا في كل وعاء غير الا تشربوا مسكراً ونحوه » .

٥ — نسخت عدة الوفاة من الحول الى اربعة اشهر وعشر تخفيفا على الامة .

٦ — نسخ وجوب صوم يوم عاشوراء في أول الامر بوجوب صيام رمضان في السنة الثانية للهجر

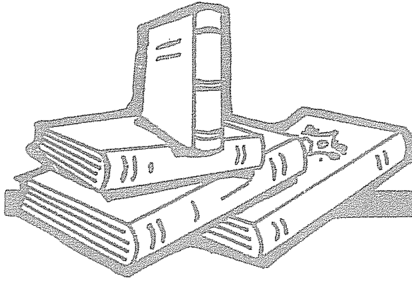
٧ — نسخ حبس الزانية في البيوت وايذاء الزاني بالقول الى رجم المحصن وجلد غيره .

٨ — نسخ ارجاع المؤمنات الى الكفار بمكة بمقتضى صلح مع قريش بقوله تعالى : « فلا ترجعوهن الى الكفار » .

٩ — نسخ الامر بذبح ولد ابراهيم عليهما السلام بنزول الفداء في قوله تعالى « وفديناه بذبح عظيم » .

١٠ — نسخت العشر الرضعات المحرمات بما روته عائشة رضي الله عنها : « أنه كان فيما أنزل : عشر رضعات محرمات » .

١١ — نسخت آية صدقة النجوى بقوله تعالى : « أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون » .



كتاب الشهر

دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام

● تأليف الاستاذ : منصور حسين عبد العزيز
● الناشر : مكتبة علاء الدين بالاسكندرية
● عرض وتحليل : محمد عبد الله السمان

هذه هى الطبعة الثانية من هذا الكتاب الذى بين أيدينا ، فقد سبق أن طبع طبعته الاولى عام ١٩٦٣ م ، لكن الطبعة الثانية أضافت فصلا فى زهاء اربعين صفحة تضمن التعليق على ما ظهر من ردود على الطبعة الاولى ، ولقد فعل المؤلف خيرا حين أفسح صدر الطبعة الجديدة لما وجه الى الكتاب من نقد ، وهذا ما يفعله كل كاتب مطمئن الى ما كتب ، وما أكثر المؤلفين الذين لا يعنون بمثل هذا : اما مكابرة بغير حق ، واما هروبا من النقد بغير شجاعة ، واما تجاهلا بغير انصاف ..

والمؤلف قاض بالمحاكم الوطنية فى جمهورية مصر ، وموقفه هو موقف القاضى النزيه الذى يتسع صدره لمثل الدفاع كما يتسع لمثل الاتهام سواء بسواء ، وقد عنى فى فصله الختامى بكتابين ظهرا بعد الطبعة الاولى وتوليا مناقشة الكتاب والرد عليه ، أولهما بعنوان (الحق) لكاهن كنيسة رئيس

الملائكة ميخائيل بفريال بالاسكندرية والآخر بعنوان (بيان الحق) فى اربعة اجزاء لأحد وعاظ الاقباط ومدرسى التربية الدينية ، ولم يترك المؤلف بقية الردود تجاهلا لها ، بل ربما لان هذين الكتابين قد استوعبا الخطوط الرئيسية لكل الردود ، ومنها التعليقات التي وصلت المؤلف عن طريق البريد ..

ان فكرة الكتاب تقوم اساسا على البحث فى الحقيقة بين صلب المسيح عليه السلام أو عدم صلبه ، وبين الوهيته أو عدم الوهيته ، وهنا نقرر حقيقة يجب أن تقرر ، وهى أن معظم كتابنا الكبار والصغار مما حين يترجمون عن شخصية المسيح عليه السلام . انما يحاولون جهد الاستطاعة البعد عن هذين الامرين الاساسيين ، لا لكونهما أمرين شائكين ، وحسب ، لذلك فهم يؤثرون السلامة من الجدل ، بل أيضا لأن هذين الأمرين تتطلب مناقشتهما كثيرا من الاجهاد الذهنى ، لذلك فهم يؤثرون تناول شخصية المسيح من جانبها السلوكى والاخلاقى .. وكفى ..

واذا كان من حق أتباع المسيح أن يؤمنوا به كيفما شاءوا فان من حق المسلمين ان يناقشوا أسلوب هذا الايمان ، لأن الايمان بالمسيح جزء من عقيدتهم ، والاسلام لم يضع سدا يحول دون هذه المناقشة ، وانما أشترط أن يكون الجدل بالتى هى أحسن : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » كما يقول القرآن الكريم ، وقد التزم المؤلف بتحقيق هذا الشرط ، فجاءت دراسته موضوعية لا أثر فيها للعاطفة أو الانشاء ..

يقرر المؤلف فى تمهيده للبحث ، أن المسيحية والاسلام يلتقيان معا على الايمان بجميع الرسل والرسالات السابقة ، والايمان بالمسيح ورسالته ، كما يلتقيان على الدعوة الى كل خير ، وعلى الدعوة الى عبادة الله الواحد ، وعلى هذا اللقاء الرائع العظيم بين الاسلام والمسيحية ، والذى كان حقيقيا بأن يجعل منهما دينا واحدا يؤمن به الناس جميعا ، مسيحيين كانوا أم مسلمين . فاللقاء بينهما لقاء وحدة ، ولكن مع هذا ، وبرغم هذا اللقاء الكامل ، فان المسيحية والاسلام يبدوان بين الناس اليوم كأبعد ما يكونان عن أن يلتقيا .

فى الباب الأول : يعرض المؤلف منهجه فى البحث ، فيشير أولا الى اربعة مناهج دأب معظم الكتاب — مسيحيين ومسلمين — على الأخذ بها فى مؤلفاتهم ، ففى المنهج الاول يكتفى كل فريق بشرح معتقدات دينه واثباتها بمفهومها المستقر لدى من يدينون بها دون التعرض لمعتقدات الفريق الآخر ، وفى المنهج الثانى ، يحاول كل فريق اثبات مفهومات عقيدته بنفى معتقدات الفريق الآخر ، وفى المنهج الثالث : يحاول كل فريق من الفريقين جاهدا التقريب بين العقيدتين ، باثبات مفهوم عقيدته من مصادر عقيدة الفريق الآخر أو التجاوز نهائيا عن الخلافات الاساسية التى يجب أن لا تقف عائقا عن أن تتعاون كل من الثقافتين المسيحية والاسلامية فيما يتفقان عليه انتصارا لقضية التدين جملة ، أما المنهج الرابع ، فهو منهج يقوم على التعرض للدين الآخر بالهزء والتجريح ، دون أن تتبع أسس سليمة أو مقبولة للبحث ، والمؤلف قد أسقط هذا المنهج الاخير من المناقشة مكتفيا بهذه الاشارة العاجلة اليه ..

ويأخذ المؤلف على المنهج الاول : أن البحث وفقه لا يجدى فى البحث المقصود عن الحقيقة بين المسيحية والاسلام ، اذ هو يفترض ابتداء الايمان

بمفهومات المسيحية ، كما استقرت لدى المسيحيين والتسليم بها ، أو يفترض ابتداء الايمان بما جاء به الاسلام والتسليم بصحة ما قال به القرآن ، والبحث على هذا الاساس انما هو مصادرة للحقيقة لأنه انما يقوم على أساس من افتراض ثبوتها على نحو معين ابتداء ، بينما نفس الافتراض هو ما نقصد الوصول الى الحقيقة بشأنه ..

ويرى المؤلف في المنهج الثاني الذى يقوم على اساس البدء بهدم الكتاب المقدس نفسه وعدم الاعتراف به ، أو محاولة هدم القرآن نفسه وعدم الاعتراف به ، يرى المؤلف في هذا المنهج اسلوبا يكاد يصل الى حد السخرية بالملايين ، لأن كلا الكتابين المقدسين مهما قيل فيه ، فان هذا لن ينفي بأى حال من الأحوال أنه حقيقة قائمة لا يمكن تجاهلها ..

أما المنهج الثالث الذى يقوم أساسا على محاولة توحيد الكلمة بين المسيحية والاسلام ، فالمؤلف بازائه يحمد ابتداء لأصحابه قصدهم الطيب ، لكن التقليل من شأن الخلاف الجذرى بين العقيدتين ، أو الاعتراف به كحقيقة مسلم بها والأفضل عدم المساس به ، فهذا وذاك مما يرفضه المؤلف ..
واذا كان المؤلف قد نقد المناهج الثلاثة السابقة ، فهو يرى أن اول ما يجب مراعاته في البحث عن الحقيقة ، هو عدم افتراضها ابتداء على نحو معين على الاطلاق — كما سلكت المناهج الثلاثة السالفة الذكر ، انما يجب أن يجرى البحث مجردا عن أي فرض لها ، فاذا كان المسيحيون يقولون بصلب المسيح مثلا ، بينما يقول المسلمون بعدم صلبه ، فان الوصول الى الحقيقة فى هذه القضية ، لا يكون بافتراض أنه قد صلب أو انه لم يصلب ، وانما بأن نضع هذين الفرضين أمام أعيننا ، ثم نبحث في الحقيقة بينهما ، متبعين في ذلك أسسا صحيحة ومقبولة للبحث ، يقبلها المسيحيون والمسلمون على السواء ، أو على الاقل لا يقبل منهم رفضها ، بأن تكون واضحة الحيدة ، يستوجب العقل قبولها ، وكذلك الحال أيضا بالنسبة للخلاف بين طبيعة المسيح عليه السلام ..

أفرد المؤلف الباب الثانى من الكتاب الذى يقع فى أكثر من ثلاثمائة وخمسين صفحة ، للبحث عن الحقيقة بين صلب المسيح أو عدم صلبه ، وقد حرص على الالتزام بمنهجه في البحث وهو البحث عن الحقيقة المجردة بين الفروض محل البحث ، وفي مسألة الصلب يدور البحث عن الحقيقة بين فرضين محددين : الأول ما يعتقده المسيحيون من أن المسيح قد صلب ، والآخر ما يعتقده المسلمون من نفي الصلب عن المسيح ذاته ، وبعد أن استعرض المؤلف أقوال الاناجيل الاربعة بالتفصيل فيما يختص بمسألة الصلب ، أشار الى أن تفاصيل الصورة العامة للواقعة واحدة عند المسيحيين والمسلمين على السواء . ما عدا أمرا واحدا ، فالمسيحيون يعتقدون أن المسيح ذاته هو الذى صلب ، بينما يعتقد المسلمون أن شخصا آخر غير المسيح هو الذى صلب ، لكن قد يبدو هذا الفرق ضئيلا للغاية في ظاهره ، الا أنه كبير وبعيد الأثر في عمقه وحقيقته ..
أما المعيار الذى اعتبره المؤلف في البحث عن الحقيقة المجردة فى مسألة الصلب ، يكون بالاحتكام الى الكتب السماوية السابقة على المسيح ، بالاحتكام الى ما فيها من نبوءات ، وبصفة خاصة بالاحتكام الى ما ورد في سفر المزامير

من نبوءات صريحة كانت أم قياسية ، وهذه النبوءات كلها تجمع على أن المسيح يدعو الله فيستجيب له ، يخلصه ويرفعه اليه ، أما ذلك الشرير (يهوذا) الذى تآمر عليه ، فأنه يقبض عليه ، ويحاكم ويصلب بدلا منه ، وهنا يقـــول المــؤلف :

« وانه لمن الأحسن ، توضيحا لكمال النبوءة وصراحتهـــا وقطعها ، أن نجمع على حدة ، النبوءات التى تشير الى كل جانب من جوانب النبوءة ، فنجمع على حدة الآيات التى تشير الى دعاء المسيح لله أن يخلصه من الصلب ، ثم تلك الآيات التى تشير الى استجابة الله لدعاء مسيحه بتخليصه من الصلب ، ثم اخيرا ، الآيات التى تشــــير الى القبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا من المسيح عليه السلام ، لنستخلص من كل ذلك الحقيقة كما تنبأت بها المزامير » .



وكان منهج المؤلف فى القضية الاخرى ــ قضية الوهية المســــيح أو بشريته ــ نفس منهجه فى القضية السابقة ــ صلب المسيح أو عدم صلبه ــ فهو يبحث ايضا عن الحقيقة المجردة وحدها ، وللوصول الى هذه الحقيقـــة المجردة لا يجوز افتراضها على نحو معين ابتداء ، وانما يتعين البحث عنهـــا هنا بين فرضين محددين : الاول ما يعتقده المسيحيون وهو الوهية المسيح ، والآخـــر ما يعتقده المســـلمون ، وهو أنه انسان نبى بشر ، كذلـــك لـــم يتقيد المؤلف بصحة اى فرض منهما ابتداء ، وانما بحث عن الحقيقة وحــــدها بينهما ، وكما فعل فى القضية الاولى حيث بدأ بشرح مفصل لمسألة الصلب من واقع الأناجيل الاربعة ، وعدم صلبه كما يعتقد المســـلمون من واقع القرآن الكريم ، فعل ايضا فى القضية الاخرى ، حيث بدأ بشرح مفصل لالوهية المسيح كما يعتقد المسيحيون من واقع الأناجيل الاربعة ، وبشرح مفصل لعدم الوهيته كما يؤمن المسلمون من واقع القرآن الكريم ..

يقرر المؤلف ــ بعد أن استعرض الخلاف القائم بين المذاهب المسيحية حول طبيعة المسيح نفسه ــ انه من العجز بمكان أن نستخلص بأنفسنا من الاناجيل الاربعة المتداولة الوهية المسيح كما يعتقد بها المسيحيون ، بعد أن وضح بجلاء أن المسيحيين أنفسهم لم يستطيعوا استخلاص تعبير واحد من هذه الأناجيل ولا غيرها عن هذه الطبيعة يتفقون عليه جميعا حتى أنهم ليصلُّون من اجل الوصول الى مثل هذا التعبير من أجل وحدة الكنيسة نفسها ..

لذلك رأى المؤلف أن المعيار الصحيح للكشف عن الحقيقة بين صـــــلب المسيح أو عدم صلبه ، كان فى البحث عما ورد فى العهد القديم وبالذات فى سفر المزامير من نبوءات عن ذلك ، وهى ــ أى النبوءات ــ من الأسس التى تقوم عليها دراسات المسيحيين وابحاثهم دون المسلمين ، الا أن فيها معيـــارا صحيحا تقتضى الأصول السليمة للبحث عن الحقيقة بأن يقبله المسلمون ايضا ، لكن قد يكون مقبولا أن نبحث عن نبوءة تقول بأن المسيح سيصلب أو سيخلصه الله ويرفعه اليه ، أما أن نبحث عن نبوءة تقول بأنه سيكون الها أو لن يكون الها ، فهذا غير مقبول ، فان تعليق الكون على المستقبل ينفى الالوهية نفسها ، والتى تستلزم الدوام والاستمرار .

لكن المؤلف يؤكد أن نبوءات العهد القديم خلت من أية اشارة الى طبيعة المسيح ، ولا الى أن الله قد تجسد ، لذلك فان هذه النبوءات لن تكون ذات جدوى فى الكشف عن الحقيقة بين الوهية المسيح عليه السلام او عدم الوهيته .. ويتمم البحث عن معيار آخر ، التمسه المؤلف من سيرة المسيح المدونة عن حياته بأقلام المسيحيين أنفسهم . فقد اتضح من خلال حياته أن اطول فترة منها ظل الجميع خلالها على السواء لا يرون فيه غير انسان بشر كسائر الناس ، الا انه ولد من عذراء لم يمسسها بشر ، وفى هذا ، وحتى آخر هذه الفترة ــ كما يقول المؤلف ــ يتفق ايمان المسيحيين تماما مع اعتقاد المسلمين بشأن طبيعة المسيح كأنسان ، والمعيار الذى يكشف لنا عن الحقيقة بشأن تلك الطبيعة . يكون اذن فى بيان ما اذا كان ما تلا هذه الفترة يؤدى بالفعل الى القول بألوهية المسيح أم لا ..

ويرى المؤلف : انه ليس أمامنا من وثائق يمكن أن نتتبع فيها أقوال المسيح عن نفسه غير الأناجيل المتداولة ، لأن هذه الاقوال عليها معول كبير فى البحث عن الحقيقة ، لكن يجب أن لا ننسى أن هذه الأناجيل بنصوصها لا يمكن أن تكون موحى بها من الله على أية صورة كان هذا الوحى ، لا لأنها دونت بعد المسيح بفترة زمنية بعيدة وحسب ، بل أيضا لأن فيها من صور التناقض ما لا يقع تحت حصر ، وما لا يقبل أى تأويل للتوفيق بين صور التناقض .

وقد أضاف المؤلف أن كتبة الأناجيل الثلاثة الاولى : متى ومرقص ولوقا ، واذ كانوا يتوقعون عودة المسيح بمجد وبتاريخ مبكر ، فقد أوردوا لهذا السبب على لسانه فى هذه الاناجيل أن مجيئه وانقضاء الدهر سيكون قبل أن يمضى هذا الجيل الذى كان يتحدث اليه .. ولهذا فينبغى أن لا يفوتنا أن هؤلاء الكتبة أنفسهم كانوا ممن آمنوا بألوهية المسيح ، ولذا ينبغى التدقيق الى أقصى حد فيما يثبتونه على لسانه ويدل على الوهيته ، خشية أن يكون ايمانهم بألوهيته قد حدا بهم الى ان يثبتوا على لسانه ما لم يقله قصدا منهم الى اثبات هذه الالوهية له ، كما دفعهم من قبل ان يثبتوا على لسانه أن مجيئه وانقضاء الدهر سيكون فى جيلهم ، وهو ما انتهينا الى أنه لم يقله ، بل يجب الاهتمام بانجيل يوحنا الذى كتب أصلا للرد على من نفوا ألوهية المسيح ، وثبوت قصد الكاتب لهذا الانجيل مع وجود أناجيل أخرى عديدة وقت كتابته طوردت وأحرقت ولم يبق منها الا الثلاثة الاخرى ، كل ذلك يوجب الحذر بل التشكك فى كل ما يثبته هذا الانجيل على لسان المسيح مقرراً ألوهيته ، وبخاصة اذا لم يتطابق مع ما ورد فى الاناجيل الاخرى .

هذا ــ وقد عقد المؤلف فصلا ذا أهمية عن : (الله فى ضوء العلم) ليعيننا ــ كما يقول ــ فى التعرف على الله ، والذى يقول المسيحيون أنه المسيح عليه السلام ، واهتم المؤلف بكتاب (الله يتجلى فى عصر العلم) الذى الفه نخبة من العلماء الامريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الارض ، حيث أن كلا منهم أثبت وجود الله حسب الفرع من فروع العلم الذى تخصص فيه ، ويكفى الاشارة فى هذا الحيز الضيق الى عبارات من مقال د. وولتر أوسكار :

« .. وحتى عندما تتحرر عقول الناس من الخوف ، فليس من السهل أن تتحرر من التعصب والاهواء ، ففي جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى اله على صورة الانسان ، بدلا من الاعتقاد بأن الانسان قد خلق خليفة لله على الارض . وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية ، فان تلك الصـــورة التى تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم فى التفكير أو مع أى منطق مقبول » .



وبعد ،

فلا أعتقد أن هذه الصفحات المعدودة يمكن أن توفى هذا الكتاب حقه ، وهو الذى يقع فى أكثر من ستمائة وعشرين صفحة من القطع الكبير ، ويتناول موضوعا من أخطر الموضوعات وأدقها ..

ونحن اذا تجاوزنا عن أن مثل هذه الدراسة الجيدة كان يجب أن تنزه عن الاخطاء اللغوية العديدة ، وعن أن المؤلف تغاضى — ربما بغير قصد — عن دراسات سبقته فى هذا الموضوع ، كان يهمنا أن يتناولها بقلمه ، مثل كتاب (اظهار الحق) للمرحوم رحمة الله الهندى ، وهو تسجيل لحوار دار بينه وبين مبشر انجليزى ، كذلك كتاب : (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لابن تيمية، كذلك كتابات المرحوم محيى الدين البغدادى على صفحات مجلة (الاسلام) وهى من التقدير بمكان — أقول : اذا نحن تجاوزنا عن هذه وتلك ، لا يسعنا الا أن نعترف أولا ، بأن الجهد المضنى الذى بذله المؤلف فى بحثه ، جدير بأن ينال تقدير كل مثقف منصف ، فقد كان بحثا موضوعيا خلا من جو العاطفة والانفعال ، كما كانت عنايته بمناقشة الاعتراضات على كل مسألة لا تقل عن عنايته باقرار الحقائق التى هدف الى اقرارها ..

ولا يسعنا الا أن نعترف ثانيا ، بأن صدور الكتاب في هذه الآونة ، كان ضرورة ملحة ، فما أكثر الكتب التبشيرية التى هبطت فجأة الى أسواق البلاد الاسلامية وبخاصة المنطقة العربية ، ولم يكن المقصود منها — وحسب — مجرد التبشير ، بل الهدف الاساسى هو التشكيك فى العقيدة الاسلامية لدى الشباب المسلم ، ولا حاجة بنا الى اثارة الأسى لنشير الى أن كتيبـــا وزع في بعض جامعات بلد عربى مسلم عنوانه (كيف تنصر مسلما) بل نحن فى حاجة الى أن نشير الى كتاب لكاتب مسيحى منصف هو كتاب : (فى خطى محمد) للكاتب اللبناني الاستاذ (نصرى سلهب) لا لأن الكاتب أعلن فى كتابه عن ايمـــانه برسالة النبى العربى عليه السلام ، ودعوة المسيحيين الى الايمان بالرســالة المحمدية ونبذ روح البغضاء المفتعلة ، بل أيضا لورود مثل هذه الــكلمات العاقلة :

« لن نخسر السماء اذا آمنا بأن القرآن كلام الله أنزله رحمة للنـــاس وهدى ، بل اننا بانفتاحنا على الاسلام وبايماننا به دينا منزلا ، وبمحمد نبيـــا مرسلا ، نعيش مسيحيتنا كما أرادها المسيح واحـــة محبة .. » .

الاحتكار وتسعير السلع

وحكمها في الفقه الاسلامي

٢

للدكتور محمد سلام مدكور

عرضنا فى المقال السابق معنى الاحتكار فى اعتبار فقهاء المذاهب ودليل منعه ، وأن المقصود من المنع والحظر هو التحريم كما يتجه الى ذلك جمهور فقهاء المذاهب ، وبينا ان المحتكر اذا لم يخرج للناس ما حبسه عنهم يلزمه ولى الأمر بذلك او يبيعه جبرا عنه فضلا عن ما يراه البعض من حبسه وتعزيره ، وبينا ان سياسة الحكام فى ذلك تختلف تبعا لاختلاف العصر وما يحف بكل واقعة من ظروف وملابسات . وعرضنا ما قيل من أن أحد الخلفاء كان يملأ المخازن بالسلع التى يحتاجها الناس فاذا شحت من الأسواق أو تلاعب التجار فيها فتح مخازنه وغمر السوق بها بالسعر المعتاد وهكذا حتى يحفظ الاسعار ويمنع الاحتكار .

ونتناول هنا امرين نختتم بهما الموضوع :

١ — ما نراه فى احتكار غير القوت من مختلف السلع المستوردة والمنتجة بل والاعمال والحرف .

٢ — تسعير السلع وحكم ذلك فى الاسلام .

اولا : ما نراه فى احتكار غير القوت :

رايت مما ذهب اليه كثير من الفقهاء أن الاحتكار مقصور على اقوات الناس وان زاد بعضهم شيئا فهم أولئك الذين اضافوا الى القوت ما يحتاج اليه الانسان مع القوت فى كثير من الاحيان كاللحوم والفواكه والزيوت وما الى ذلك . وكانت وجهة نظر هؤلاء أنهم وجدوا ما ورد فى السنة أو ما روى عن الصحابة فى ذلك يتصل بهذا المعنى ويدور حوله .

ونحن نرى أن لهم وجهتهم فى ذلك لان تلك الأشياء هى التى كانت تتجلى فيها قديما أثرة التجار وجشعهم ، وتبدو فيها ضرورة الناس الملحة ، لأن الحاجة الى القوت والطعام هى التى تتسم بسمة الاضطرار وتوصف بالضيق تارة وبالسعة تارة أخرى ولكن الواقع أن سر التشريع كما خرصوا به هو دفع الضرر والضيق عن الناس ، وكل ما كان كذلك فقد حرمه الشارع فى مظاهر عديدة من التشريعات والاحكام .

ولقد احسن الإمام ابو يوسف الفقيه الحنفى اذ رأى أن الاحتكار عام شامل لكل ما يحتاج اليه الناس ، ولم ينفرد ابو يوسف بهذا الراى بل نقله سحنون عن مالك ايضا . وقال به فقهاء غيرهما . وهذا هو الذى يتفق مع مقصد الشارع من تشريع الأحكام ، وان الاحكام الشرعية تعتبر جلب النافع ودفع الضار ، وهل يخفى علينا قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث المشهور (لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام) وقوله فيما روى عنه (ملعون من ضار مسلما) . ومن المضارة بالجماعة أن تحجز عنها السلع والثياب والفراش والدواء والكتب والدواب أو أى شىء غير ذلك مما يلزم الناس وتشتد الحاجة اليه .

ما نراه فى احتكار المستورد والغلة :

نريد بالمستورد ما ليس مشترى من سوق المصر وانما جلبه التجار اليها من خارجها . والاحتكار كما يرى أبو يوسف يتحقق فى المجلوب من السلع ايضا ، ومذهب الشافعى وان كان قصر الاحتكار على الطعام الا أنه لم يقصره على المشترى من سوق المدينة فشمل عنده المستورد أيضا اذا حبس وكان الناس فى حاجة اليه وكذا المذهب المالكى والظاهرى والزيدية والجعفرية فانهم يعممون فى الشراء من أسواق المصر ومن خارجها على ما ذكرنا قبل .

على أن التعليل الذى ينقل مع رأى أبى حنيفة فى قصر الاحتكار على المشترى من سوق المصر . وهو ما روى من قول النبى صلى الله عليه وسلم (الجالب مرزوق) يبدو أنه ليس من صنع الامام وانما أيد رأيه به بعض علماء المذهب . وقد صرح كل من الحافظ بن حجر والقريزى والشوكانى بضعف أسناد الحديث .

على أن الحديث مشروح كما نقله المقريزى فى شرحه للجامع الصغير : (بمن يجلب الطعام للبيع من بلد الى آخر ويبيعه بسعر يومه) ويؤيد هذا التفسير تأييدا واضحا المقابلة فى عجز الحديث (والمحتكر ملعون) وفسر المقريزى المحتكر بمحتبس

الطعام الذى تعم الحاجة اليه ليبيعه بسعر مرتفع يتحكم هو فى فرضه على الناس . فهما معنيان لا يلتقيان ولا يمكن ان يفسر الجالب المرزوق بمن يجلب الطعام من بلد بعيد ليحبسه حتى يبيعه بثمن يضار به الناس ويغلو به عليهم . فالمقابلة فى الحديث تجعل الأمر واضحا بينا من ان اجتلاب السلع واستيرادها لتداولها بين الناس وبيعها لهم فى الحال أمر حسن مطلوب ، أما احتكارها وحبسها عن الناس لاغلائها عليهم وعدم اظهارها الا وقت اشتداد الحاجة اليها مع التحكم فى سعرها . فهو عين الاحتكار الممنوع وداخل فى عموم قول الرسول عليه السلام (المحتكر ملعون) .

نعم اننا لا ننكر ان الذى يشترى السلع من الأسواق بالمصر يحتبسها ليحول بين الناس وبين شرائها حتى يشتد اضطرارهم فيبذلون له ما شاء من السعر اشد مضارة واشنع معاملة ، ولا سيما ان السلع التى جمعها من أسواق المصر تعلق حق المواطنين بها أظهر وأوضح . ولكن هذا لا يمنع من تحقيق الاضرار بالعامة فى منع المستورد من الخارج واحتكاره ، لأن من منعهم شيئا يستطيع ايصاله اليهم وهم يحتاجون اليه — فضلا عن أن يكونوا فى أشد الحاجة اليه — فقد منعهم حقهم الاسلامى وهو ظالم جائر أيضا .

والعجيب ان من يقول لأبى حنيفة على اخراج المجلوب من خارج المصر اذا حبس من دائرة الاحتكار يقول كما فى البدائع (لكن مع هذا فالأفضل له الا يحبسه ويبيعه لأن فى الحبس ضررا بالمسلمين . . وهذه العلة — مضارة المسلمين — تقتضى حرمة الحبس لا مجرد أفضلية البذل .

والحق أن ملكية الافراد فى الفقه الاسلامى ليست مطلقة وانما هى مقيدة من الشارع بقيود كلها تحقق صالح الجماعة وتحقق معنى التكافل والبر والتعاون من الزكاة والنفقات والصدقات ومنع الاحتكار والتشريع الاسلامى لا يسمح باساءة استعمال الحق .

ومن هذا يتبين أن الفقه الاسلامى فى حقيقته يقتضى أيضا منع الاحتكار فى غلة الضيعة ، وما تنتجه المصانع اذا حبسه صاحب المصنع لاغلائه على الناس عند خلو السوق منه واشتدت حاجة الناس اليه لأن فى حبسه مضارة للناس واستغلالا لهم استغلالا يتنافى مع ما يدعو اليه الدين من التعاون .

احتكار الأعمال والحرف :

بل نحن لا نقف فى مفهوم الاحتكار عند هذا الحد بل نرى أن اتفاق المشتركين فى مهنة أو حرفة على استغلال المحتاجين الى الانتفاع بمهنتهم أو حرفتهم استغلال يفيدون به كسبا كبيرا بأن يقصروا أعمال هذه الحرفة فى دائرتهم ، ويقصروا تعلمها على طائفة محددة من أفراد أسرهم ليضطروا الناس الى الخضوع لما يفرضون من الأجور على أعمالهم اطمئنانا منهم الى أن من هم فى حاجة الى صنعهم وعملهم لا يستطيعون أن يخرجوا عن دائرتهم . وهذا فيما أرى يتحقق فيه معنى الاحتكار لأن المضارة التى حرم من أجلها الاحتكار متحققة . وأن كان هذا النوع من الاحتكار من لون آخر

ظهر مع انتشار المدنية ونشأ نتيجة تغلب المادة وتكالب الناس على جمعها بعد أن بعدوا عن روح التعاون .

وواضح أن هذا المعنى وان لم يكن احتكارا بالاصطلاح الفقهى العام فان فيه دون شك معنى المضارة المتحققة فى الاحتكار الفقهى ومعنى إساءة استعمال الحق الذى حد الشارع من سلطان المتعسف فيه وكان الفقه الاسلامى أسبق من سائر الحضارات فى وضع أسس هذه النظرية ، وجعل مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد مما جعلنا نقول إنه ذو نزعة جماعية . ولذا فاننا نجزم بأن مثل هذا النوع من الاحتكار يسرى اليه حكم الاحتكار الفقهى وهو التحريم على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء .

على أن الفقهاء قد نصوا على انه يحق لولى الأمر اذا احتاج صالح الجماعة الى أرباب حرفة ما كالطبيب والمهندس والمعلم والزارع والصانع والسائق . كان من حقه أن يجبرهم على العمل لصالح الجماعة بأجر المثل . وقد أشار ابن القيم الى مثل ذلك فى قوله (ان من اقبح الظلم ان يحتاج الناس الى صناعة طائفة كالفلاحة والنساجة والبناء وغير ذلك فلولى الامر ان يلزمهم بذلك بأجر مثلهم فانه لا تتم مصلحة الناس الا بذلك) .

ومن اجل هذا قالت طائفة من أصحاب أحمد والشافعى : ان تعلم هذه الصناعات فرض على الكفاية لحاجة الناس اليها ، وكذلك تجهيز الموتى ودفنهم .. وما الى ذلك مما لا تقوم مصالح الامة الا به فاذا كان الناس محتاجين الى صناعة الصانع صارت هذه الصناعة مستحقة عليه . يجبره عليها ولى الأمر بعوض المثل ولا يمكنهم من مطالبة بزيادة عن ذلك ولا يمكن الناس من ظلمهم بأن يعطوهم دون حقهم مثلا ..) .

احتكار الصنف :

ويتصل بهذا ما يسمى باحتكار الصنف . وقد صوره ابن القيم اذ يقول : (ومن اقبح الظلم ايجار الحانوت على الطريق أو فى القرية بأجرة معينة على أن لا يبيع احد غيره .. فهذا ظلم وحرام على المؤجر والمستأجر . وهو نوع من المضارة .. ثم يقول : ومن اقبح الظلم أن يلزم الناس أن لا يبيع الطعام أو غيره من الاصناف إلا لأناس معروفين فلا تباع تلك السلع الا لهم . ثم يبيعونها هم بما يريدون . فلو باع غيرهم ذلك منع وعوقب .. فهذا من البغى والفساد فيجب التسعير عليهم) ومن هنا ذهب كثير من الفقهاء الى القول بأن من حق الامام بل من واجبه أن يسعر السلع ويحدد الاجور .

ثانيا : تسعير السلع :

التسعير لون من ألوان مقاومة الاحتكار ، ولذا ناسب أن نبين حكمه وما قاله الفقهاء فيه باعتباره طريقا من طرق معالجة الاحتكار .

والتسعير هو أن يأمر السلطان أو نوابه أو كل من ولى من أمور المسلمين أمرا أهل السوق أن لا يبيعوا أمتعتهم الا بسعر كذا فيمنع من الزيادة عليه أو النقصان لمصلحة تعود على المجتمع . ولم يرد فى

التسعير نص من كتاب الله ولا من سنة رسوله المتواترة . وانما ورد حديث رواه كثير من اصحاب السنة وصححه الترمذي وابن حبان عن أنس قال : غلا السعر على عهد رسول الله فقالوا يا رسول الله : لو سعرت ؟ فقال : (ان الله هو القابض الباسط الرازق المسعر ، واني لأرجو أن القى الله عز وجل ولا يطالبنى أحد بمظلمة ظلمتها اياه في دم ولا مال) .

حكم التسعير :

اختلف الفقهاء في حكم التسعير بناء على ما فهمه كل منهم من دلالة هذا الحديث . فذهب بعضهم الى منعه وتحريمه أو كراهته . واعتبره مظلمة ، وعلله بأن الناس مسلطون على أموالهم والتسعير حجر عليهم والامام مأمور برعاية مصلحة المسلمين ، وليس نظره فى مصلحة المشترى برخص الثمن أولى من نظره فى مصلحة البائع بتوفير الثمن . واذا تقابل الأمران وجب تمكين الفريقين من الاجتهاد لأنفسهم ، وبالزام صاحب السلعة أن يبيع بما لا يرضى به مناف لقول الله سبحانه

(يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) .

قال الشوكانى : والى هذا ذهب جمهور العلماء . وروى عن مالك رضى الله عنه انه يجوز للامام أن يسعر ، وقال : ان حديث الباب يرد عليه ، وظاهر الحديث انه لا فرق بين حالة الغلاء ، وحالة الرخص ، ولا فرق بين المجلوب وغيره والى ذلك مال الجمهور .

ثم قال : وفي وجه للشافعى جواز التسعير فى حالة الغلاء .. وجوز جماعة من متاخرى الزيدية جواز التسعير . هذا ما قاله الشوكانى .

ونحن نرى أن الغلاء الذى طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسعر من أجله لم يعتبره الرسول غلاء يقتضى التسعير ، بل ربما رأى أن الناس تريد أن تبخس التجار وأصحاب السلع حقهم ، والا فقد كان فى استطاعة الرسول أن يصوغ الحديث بأسلوب التحذير من التسعير والنهى عنه . لكنه لم يعبر بأسلوب صريح فى المنع .

ولئن سلمنا بأن الحديث يشعر بمنع التسعير فأين هو من القاعدة المشهورة : (تحدث للناس أقضية بحسب ما يحدثون من الفجور) فاذا كان النبي صلوات الله وسلامه عليه أراد ان يأخذ جيله الصالح بذلك الأدب الكريم .. فهل يمنع ذلك من أنه اذا نشأ الفجور فى التجار فلم يبالوا أن يضاروا المسلمين وأن يستغلوهم استغلالا فاحشا أن يضرب الإمام العادل على أيديهم بما يقضى على تلك المضارة ويقاوم ذلك الأذى المحظور .

اليس ذلك يدخل فى نطاق نظرية إساءة استعمال الحق ؟

اليس هذا ايضا من التجار مما يدخل فى الاستغلال المنهى عنه ؟

أولا يمكن أن يكون القول بالتسعير ومشروعيته من قبيل دفع الضرر الأكبر بالضرر الأدنى ومتمشيا مع نزعة الفقه الاسلامى الجماعية ؟

أولا يدخل هذا فيما قاله الفقهاء من أن لولى الامر أن يجبر الناس على العمل لصالح الجماعة بأجر المثل ؟

الا يندرج هذا تحت ما أجازه الفقهاء من نزع الملكية جبرا عن صاحبها بقيمتها أو بثمن المثل اذا كان الصالح العام يقتضى ذلك ؟

وما الفرق بين استيلاء الحاكم على السلع لبيعها للناس بثمن المثل دون اغلائها عليهم واستيلائه على عمل الصانع واعطائه أجر المثل ، وبين أمره التاجر أن يبيع بسعر يحقق له ربحا حلالا مشروعا ويمنعه من التحكم فى الناس واغلاء السعر عليهم وخاصة عند حاجتهم للسلعة أو ندرتها فى الاسواق .

يقول ابن القيم (ان غلو الاسعار والتحكم فى حاجيات الناس من البغى والفساد فيجب التسعير عليهم ، وأن يمنع ولي الأمر الناس أن لا يبيعوا الا بقيمة المثل وأن لا يشتروا الا بها بلا تردد فى ذلك عند أحد من العلماء) .

ويقول ابن القيم أيضا (أما التسعير فمنه ما هو ظلم محرم ومنه ما هو عدل جائز بل واجب ..) .

وأما القسم الأول فمثل ما جاء فيه حديث الرسول المذكور الذى رواه أنس فهو فى هذا يؤيد ما اتجهنا اليه فى فهم الحديث . من أن الواقعة التى ورد بخصوصها الحديث لا تقتضى ذلك .

وأما اذا كان غلو السعر على وجه المضارة والاساءة الى الاسواق فهو الوجه الثانى الذى بينه ابن القيم بقوله : وأما الثانى الذى يعتبر التسعير فيه عدلا فمثل أن يمتنع أرباب السلع من بيعها مع ضرورة الناس اليها الا بزيادة عن القيمة المعروفة . فهنا يجب عليهم بيعها بقيمة المثل ..

وقد أيد وجهة النظر هذه كثير من الفقهاء فقد جاء فى الفقه الحنفى : يكره التسعير الا اذا تعدى أرباب الطعام فى القيمة تعديا فاحشا للقوتين . وذلك بأن يبيع بالضعف ، وعجز الحاكم عن صيانة حقوقهم الا بالتسعير فلا بأس حينئذ بالتسعير بمشورة أهل الخبرة لأن فيه صيانة لحقوق المسلمين من الضياع ..

كما نقل عن الامام مالك القول بجواز التسعير ، وأنه أحد قولين فى مذهب الشافعى . وقد نقل الأبى فى شرحه لصحيح مسلم عن ابن العربى : (انه اذا زاد السعر فى بلد فأراد أحد أن يزيد فان كان جالبا فله أن يبيع كيف شاء وان كان بلديا قيل له بع بسعر الناس أو اخرج من السوق) فالمالكية يربطون التسعير بالاحتكار لأنهما فى الواقع يتداخلان فى كثير من الصور . والواقع أنه بغير هذا لا يمكن أن يصلح المجتمع ولا سيما فى الأزمنة التى تغيرت فيها النفوس وطغت المادة فيها على كل القيم .

وانظر الى ما علل به سعيد بن المسيب وربيعة الرأى قولهما بجواز التسعير بأن مصلحة المجتمع تقتضى ذلك لفساد ذمم التجار .

ومما عرضنا فى هذين المقالين

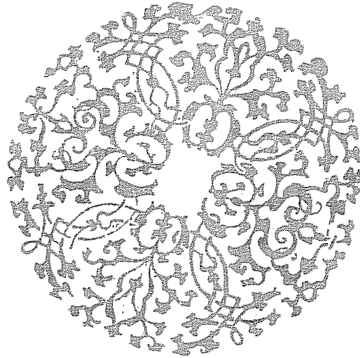
يبين اننا نتجه الى القول بمنع الاحتكار بوجه عام سواء منه ما يكون في القوت وفي غير القوت ، وما كان في اسواق المصر او مستوردا من خارج المصر ، وما كان مشترى من الاسواق أو كان من نتاج الضيعة أو المصنع وما سميناه احتكار العمل واننا نعتز بما نقلناه عن كثير من الفقهاء الذين يذهبون الى مثل ذلك .

اذ الاحكام ولا سيما فى المعاملات معللة بجلب المصالح ودفع المفاسد . وقد أيدنا ذلك بعمومات القواعد الشرعية فى المعاملات عامة بمثل

قوله صلى الله عليه وسلم . (لا ضرر ولا ضرار) وبعموم الحديث الصحيح فى الاحتكار (من يحتكر فهو خاطىء) وقوله : (لا يحتكر الا خاطىء) فمن فى الحديث الأول من صيغ العموم فتتناول كل محتكر ، كما أن النفى

والاستثناء فى الحديث الثانى أوضح فى الدلالة على العموم كما صرح به أئمة الاصول والبلاغة . وبهذا لا نكون بعدنا فيما اتجهنا اليه عن الحقيقة .

ونستطيع أن نقول فى ختام المقال إن جميع الأديان السماوية قررت أن كل ما يحقق العدالة ويقاوم البغى والطغيان ويرد الناس الى القسطاس المستقيم فهو شرع الله ودينه . وولاة الأمر كما هو مقرر فى الفقه الاسلامى من واجبهم أن يسهروا على مصالح رعيتهم وأن يسوسوا الناس بما يكفل لهم التعاون ويحول بين نفوسهم وبين التحاقد . وان مما يحقق ذلك الضرب على أيدي الطغاة الجشعين الذين لا هم لهم الا اشباع أطماعهم المادية وجمع المال ولو من دماء الناس ولا يعنيهم بعد ذلك شقاء الناس أو سعادتهم ورضى الله عن عثمان ابن عفان الذى قال : قد يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) . ولذا فانه من الواجب على ولاة الأمر الضرب على أيدي الجشعين ، ومقاومة كل احتكار وتسعير ما يرون صالح الناس فى تسعيره مع مراقبة قراراتهم مراقبة دقيقة تمنع النفوذ منها والتلاعب بها . وفقنا الله جميعا للاهتداء بهدي الاسلام والالتزام بأحكامه .



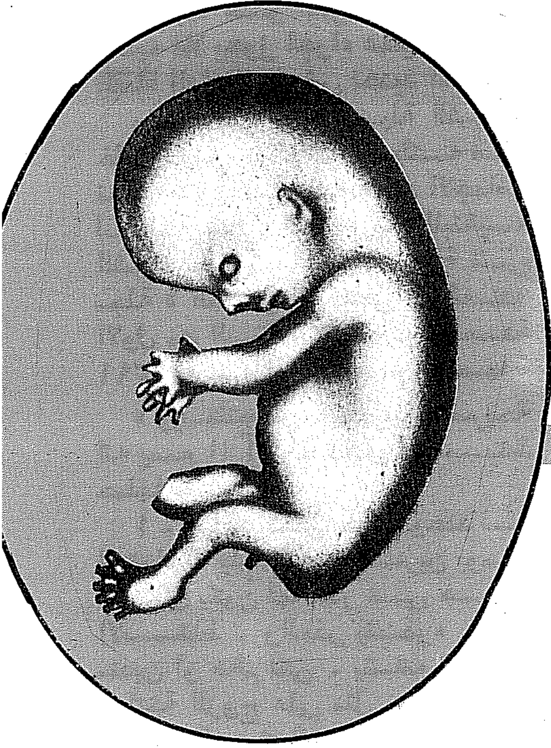
العزل والاجهاض في الإسلام

في العدد السادس من السنة الرابعة والصادر في جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ (يونيو ١٩٧٣ م) نشرت مجلة «الفكر الاسلامي» التي تصدرها دار الفتوى الاسلامية بالجمهورية اللبنانية مقالا بعنوان « حكم العزل والاجهاض في الشريعة الاسلامية » لفضيلة الشيخ خليل الميس مدير أزهر لبنان .

عرف الكاتب الفاضل العزل بأنه الانزال بخارج الفرج بعد النزع منه خشية العلوق (الحمل) وبين كيف أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعزلون والقرآن ينزل ولم يحدث نهي عنه لا في كتاب الله ولا في تنبيهات الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأن الرسول الاعظم رد على رجل أتاه يعزل عن جارية له مخافة الحمل ذاكرا له بأن اليهود يقولون عن العزل « هي الموءودة الصغرى » فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « كذبت يهود ، لو أن الله أراد أن يخلقه لم تستطع أن تصرفه » وهو رد ليس فيه اعتراض ، وذكر الكاتب الكريم ما روى عن علي كرم الله وجهه : انها لا تكون موءودة حتى تمر بالتارات السبع أخذا من قوله تعالى « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم انشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين** » (المؤمنون ١٢ — ١٤) وبجواز العزل استخلص الكاتب الفاضل جواز استعمال موانع الحمل .

وسواء العزل أو موانع الحمل المختلفة (الحاجز — الحبوب — اللولب ....) أي منها تستعمل فالنتيجة واحدة مع مراعاة الآتي :

١ — أن تكون باتفاق الزوجين ونابعة من ظروفهما الخاصة ، ولا تخضع لما يشاع من مشاكل الانتاج والاقتصاد فبلادنا والحمد لله من أغنى وأوسع بلاد العالم .



للدكتور فاروق محمود اسماعيل

٢ — أن تكون لفترة مؤقتة ولسبب وجيه (تنظيم النسل) فمن أسس الزواج الانجاب .

وتجرى حاليا فى بلاد الغرب و (بريطانيا بالذات) حملة محمومة يكاد يفهم منها لا تنظيم النسل أو تحديده بل ايقافه ! وذلك بتشجيع الرجال على أجراء عملية اغلاق القناة الدافقة (الموصلة بين الخصية والحوصلة المنوية وفيها تتدفق الحيوانات المنوية) Vasectomy وهى تؤدى الى العقم ، وعملية تعقيم الرجال كانت وما تزال تجرى فى بلاد مكتظة بالسكان مثل الهند ، أما وقد بدءوا فى تطبيقها فى دول الغرب فاننا نتوقع من خبرتنا أن ينشط دعاة التقليد السىء والمحاكاة الضارة الى الدعاية لها فى بلادنا غير ناظرين الى تعاليم ديننا وتراثنا وواقعنا ، ولقد شاهدت فى لندن (مايو ١٩٧٣م) جانبا من هذه الحملة المكثفة والتى فاقت فى براعتها كل تصور ، وتأكد لى عمق وقوة تأثيرها على الناس هناك ولو قدر لمثل هذه الحملة أن تجرى فى بلادنا فليس أمامنا من سبيل لصدها سوى ادراك الجماهير الدينى ووعيها الاسلامى .

ولكى نكون مستعدين ومتيقظين لهذه الحملة المتوقعة بل ونرد عليها من الآن فاننا نذكر ما ورد فى صحيح مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما أنه قال : « رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان ابن مظعون التبتل (الانقطاع عن الزواج والدنيا) ولو أذن له لاختصينا وعملية اغلاق القناة الدافقة Vasectomy هى بمثابة أستئصال الخصية ولم يأذن الرسول

الكريم بما هو ادنى منها (التبتل) وعليه **فلا يجوز اجراء عملية اغلاق القناة الدافقة بغرض تحديد النسل .**

ونعود الى مقال فضيلة الشيخ خليل الميس حيث أقر فضيلته فى نهايته فتوى سابقة عن الاجهاض لسماحة مفتى الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد والمنشورة فى مجلة « الفكر الاسلامى » بالعدد الاول من السنة الثالثة (ذو القعدة ١٣٩١ هـ — يناير ١٩٧٢ م) ونصها :

« ويستنتج من النصوص الصريحة انه يسع المرأة الحامل أن تسقط حملها بشرطين :

١ — ما لم يتخلق حملها وحدد له الفقهاء الا يتم مائة وعشرين يوما

٢ — أن يكون لها عذر فى هذا الاسقاط . والعذر يقدره طبيب متدين أو عالم تقى . يضاف الى ذلك موافقة الزوج على مثل هذا التصرف

وفى الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان احدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك (٤٠ يوما) ثم يكون مضغة مثل ذلك (٤٠ يوما) ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ... الحديث . أى ينفخ فيه الروح بعد تمام مائة وعشرين يوما .

ونحن لا نستدل من الحديث الشريف على أن الفترة السابقة لنفخ الروح والتى تعادل المائة والعشرين يوما هى فترة يكون فيها الجنين ميتا، كما وأننا لا نستدل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طبيعة الروح وما هيتها ، والله سبحانه وتعالى يقول : « **ويسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما اوتيتم من العلم إلا قليلا** » (**الاسراء**)

وإنما نستدل من آيات الله البينات ومن الحديث الشريف على أن هناك أطوارا يمر بها الجنين (نطفة — علقة — مضغة ...) كل طور ينمو ويكبر عن سابقه .

وقد يكون الدليل الظاهر على بدء الحياة فى الجنين هى حركته فى بطن أمه" Quickening "والتى تشعر بها الحامل عند نهاية الاربعة أشهر الاولى من عمر الجنين فى رحمها (١٢٠ يوما) ومنها استدل أنه قبل حركته هذه يجوز اسقاطه وما بعدها لا يجوز ، ولكن من خلال ما أنعم الله به علينا من وسائل متقدمة ومتنوعة تبين أن الجنين تدب فيه الحياة منذ اللحظات الاولى لالتقاء الحيوان المنوى من الرجل بالبويضة فى المرأة ليكونا خلية ملقحة * تنقسم الى اثنتين ثم أربع ثم ثمان ثم ست عشرة وهكذا ، فبالمعايير الطبية فان الجنين حى وهو ما يزال خلية واحدة فليس النمو والانقسام من شيمة الخلايا الميتة .

وإذا كان الاعتماد على بدء حركة الجنين فى بطن أمه هو المقياس لدبيب الحياة فى الجنين فان قلب الجنين يبدأ فى النبض خلال الاسبوع الرابع (أى فى الشهر الاول) ويكون طول الجنين

---

* الخلية الواحدة من جسم الانسان فى حركة دائبة ونشاط مستمر حتى خلايا العظام . وكان قد اتى على الانسان وقت توهم فيه انه يستطيع صنع خلية حية فى أنبوبة اختبار ليكون دليلا على نشأة الانسان من الطبيعة واستعمان باختراعاته فاذا بها تقوده الى عظمة البارى جل وعلا — فمثلا اكتشف ان جزيئات حامض نواة الخلية ,, DNE ,, والتى سعى لصنعها فى المختبر تحتوى على ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (خمسمائة مليون) قاعدة بروتينية مرتبة ترتيبا خاصا ، « فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا ، يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين » (البقرة ٢٦) .

وقتها ثلاثة مليمترات(٣/١٠ السنتيمتر) أي وهو ما يزال نطفة وتبدأ دورته الدموية فى العمل مع بداية عمل القلب .

وعلى هذا فما ينطبق على الجنين بعد تمامه المائة والعشرين يوما من صون لحياته واعتناء بها ينبطق عليه قبل اتمامه لها ولا يجوز بأى حال من الأحوال اعتراض حياته بالاسقاط المتعمد .

أما الحامل ذات العذر والذي يقرره طبيبان مسلمان ورعان (أحدهما متخصص بأمراض النساء والتوليد والثانى فيما يتعلق بمرضها كطبيب القلب مثلا) فيجوز اسقاط حملها قبل الاربعة أشهر الاولى (١٢٠ يوما) أو بعدها إذا كان لديها العذر لذلك . وعذر الحامل هو الخوف على حياتها في أي فترة من حملها لأن بقاءها على هذه الحالة مع استمرار الحمل قد يقود الى فنائها مع جنينها ، فاذا ما أنقذت حياتها باسقاط حملها فلربما يمكن التغلب على عذرها ويكون فى مقدورها الحمل ثانية ، وعند تمام الشهر السادس وما بعده أي حينما يكون الجنين قادرا على الحياة خارج رحم أمه ولو بوسائل مساعدة (مثل المحضن (Incubator)فان الخوف على حياة الجنين لو صادف صعوبة ما فى استمرار بقائه فى رحم أمه يكون فى حد ذاته سببا وعذرا حتى ولو لم يوجد عذر عند الأم . ولاتشتمل الأعذار المبيحة للاجهاض على اى عذر اجتماعى أو اقتصادى أو ما شابه .

والاجهاض عموما خسارة فادحة للجنس البشرى وجهده ، وصحة الأفراد والأمم تبدأ من الاهتمام بصحة الأم وطفلها منذ لحظة تكوينه فى رحمها ، والدول الواعية تعرف جيدا ان ما تنفقه فى سبيل ذلك هو خير استثمار لأنه سيعود عليها بالنفع قوة وصحة فى ابنائها أجساما وعقولا .

وفى بلادنا العربية والاسلامية يتربص كثير من الانتهازيين وتجار الرقيق الأبيض ودعاة الاباحية والانحلال وضعاف النفوس على أمل اصدار قانون يبيح الاجهاض ليكون آخر معول هدم للفضيلة والشرف والحياء التى ما تزال متأصلة فى بلادنا ، وليس أبلغ من أن أسوق بعض الاحصائيات التى جرت فى بلاد تبيح الاجهاض كان من نتائجها أن نادت جهاتها الطبية بوقف أو تعديل قانون الاجهاض ففى إحدى مستشفيات انجلترا(West Middle East Hospital) فى الفترة من يناير ١٩٦٧ م حتى ديسمبر ١٩٧٠ م بلغ مجموع حالات الاجهاض الرسمية ١٣١٧ وكان بيانها كالآتى :

الحالة الاجتماعية	أقل من ١٥ سنة	١٦ الى	٢١ الى	٢٦ الى	٣١ الى	٣٦ الى	٤١ الى	٤٦ فمافوق	المجموع
غير متزوجة	٣٨	٢٥٥	١٦٦	٥٣	١٨	٩	٤	٢	٥٤٥
متزوجة	—	١٧	١٤٠	١٨١	١٦٠	١١١	٣٥	٣	٦٧٧
مطلقة	—	—	٥	١٣	٩	٩	١	١	٣٨
مفصولة عن زوجها	—	٨	٢٤	٢٠	١٣	٩	٤	١	٧٩
أرملة	—	١	—	٢	٣	٢	—	—	٨
									١٣٤٧

مجمــوع حالات الإجهــاض فى غير المتزوجــات (الفتيــات) حتى ٢٥ سنة = ٤٥٩ منها فتاة عمرهــا ١٣ سنــة وعشر فتيــات أعمــارهن ١٤ سنة .

ومن هذه الاحصائية يتبين أيضــا ان اعدادا كبيرة من الفتيات والمطلقات والمنفصولات عــن أزواجهن والأرامل قد تشجعن على اتيان الفاحشة وذلك لسهولة التخلص من حملهن وفي ظل قانون الاجهاض .

ولنأخذ بريطانيا كمثال لدولة أبيح فيها الاجهاض حيث وافــق مجلس عمومها على القانون الخاص به فــى سنة ١٩٦٧ على الرغم من معارضة المؤسسات الطبية هناك ، وأصبــح الاجهاض هناك من أكثر الصناعــات رواجا وربحا ، بل واصبحت لنــدن بؤرة لاسقاط النساء في أوربا ، وفى الاحصائيات الرسمية نجــــد أن حالات الاجهاض بلغت :

في سنة ١٩٦٨ م	٢٥٠٠٠	في مقاطعتي انجلترا وويلز فقط
٦٩	٥٨٠٠٠	
٧٠	٩٢٠٠٠	
٧١	١٢٧٠٠٠	

ويتوقعون له أن يبلغ ربع المليون سنويا .

وبلغ عدد الاوربيات اللاتى ذهبن خصيصا لاجراء عملية الاجهاض فـــى انجلترا ٣٠٠٠٠ فتاة وامراة ١٢٠٠٠ من فرنسا ، ١٣٥٠٠ من المانيــــا والباقيات من بلاد أخرى .

وإذا استعرضنا المضاعفــات الناشئة عن عمليات الاجهاض فنجد أنها كثيرة ونسبتها مرتفعة (علمــا بأن أحدث الاساليب تتبع فى اسقاط المرأة) ومن هذه المضاعفات : الحمى ــ التهابــات المجــارى البوليــة ــ التهابات الاعضــاء التناسلية ــ تسمم الــدم ــ التهــاب الرئتين ــ مضاعفات الجرح ، وشلل الأمعــاء ــ والفتق ــ إعادة العمليــــة مرة أخرى ــ النزيف الشديد ــ فقر الدم تخثر الدم ــ تعطل القلب المفاجىء ــ استئصــال الرحم وأخيرا الوفاة . واحصائية حالات الوفاة كالآتى :

البلــد	المــدة	عدد حالات الاجهاض المعلنة	الوفاة من الاجهاض
الدنمارك	١٩٦١ ــ ٦٥	٢١٧٠٠	٩
السويد	١٩٦٠ ــ ٦٦	٣٠٦٠٠	١٢
يوغوسلافيا	١٩٦٠ ــ ٦١	١٧٧٤٩٩	٨
اليابان	١٩٥٩ ــ ٦٥	٦٨٦٠٠٠٠	٢٧٨
تشيكوسلوفاكيا	١٩٥٨ ــ ٦٤	٥٦١٠٠٠	١٢
المجر	١٩٦٣ ــ ٦٤	٣٢٨٢٠٠	٢
بريطانيا	١٩٧٠	٩٢٠٠٠	١٤

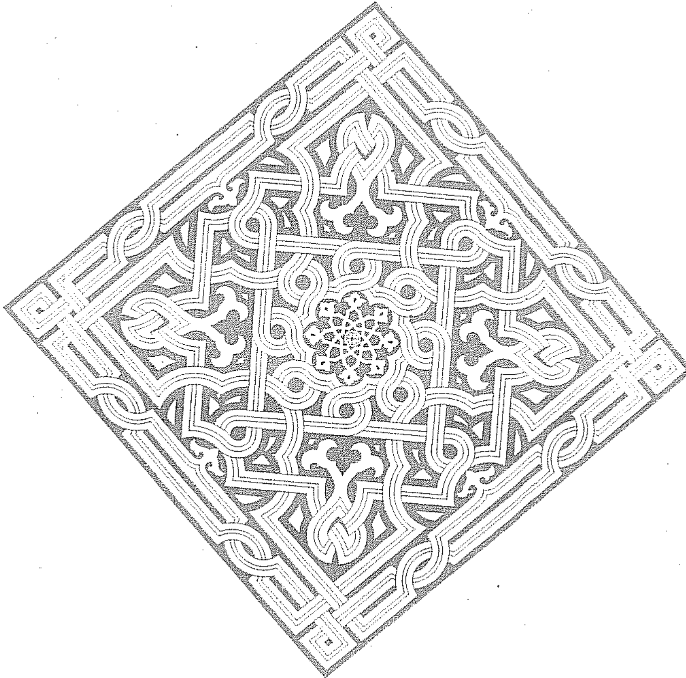
بدون ادنى شك الصورة مخيفة ومرعبة ونحن ندينهم من وثائقهم ونصرخ في وجوههم : أى شر تريدون بمن فى الارض ، وأى شقاء تعدونه لهم ؟ ناديتم بحقوق المرأة وحريتها فهل حق المرأة فى عرفكم أن تكون متعة لعابر تتجرع العذاب بعدها الوانا ؟ وهل حرية المرأة وأدها فى قبور الفسق وحفر الضلال ؟

وشتان بين موقفين : موقف لايجرؤ فيه امرؤ أن يتهم امرأة فى عرضها دون بينة ، وموقف يدنس فيه الشرف عيانا وينتهك فيه العرض بيانا ويتحلل فيه من التبعات فى ظل القانون ؟؟!!

أن المرأة فى الاسلام رمز للطهر والعفة ، صانها دين رب العالمين وحماها وحافظ عليها من وأدين : وأد باسم الجاهلية فى الماضى، ووأد باسم المدنية فى الحاضر ، وكان المصطفى صلوات الله عليه دائم التوصية بالنساء ، وحتى فى خطبة حجة الوداع ــ أعظم وثيقة للحرية فى تاريخ البشر ــ أوصى عليه الصلاة والسلام بهن فقال : « فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله »

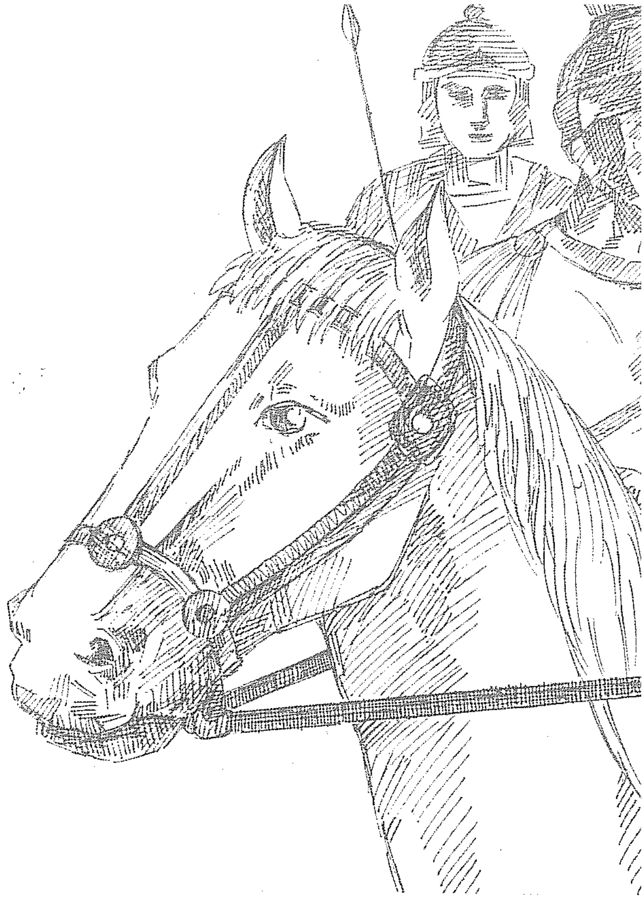
والى المتربصين بنا ممن يدعون أنهم منا ومعنا لا نريد قانونا سوى قانون الاسلام المنزل من لدن خبير عليم بما خلق وبما هو أصلح لهم ، ولنا عبرة وعظة فى مجتمعات الفساد والضياع والانحلال ، تعيش فى الاثم وتتجرع واقعها المر الأليم ...

والعاقل من اتعظ بغيره .





السلاح والخطيئة



قصة إسلامية قصيرة

للدكتور نجيب الكيلانى

لم يعد للحياة معنى فى نظره ، كل شىء حوله يوحى بالملل ، ويبعث فى نفسه الضيق ، ذلك هو ((جبلة ابن الأيهم ملك غسان)) ، الذى يعرفه العرب فى شتى أنحاء الجزيرة وينظرون اليه فى تجلة ووقار ، ويتسابق الى بابه الشعراء ، لكنه اليوم غيره بالأمس . فالدنيا لا تثبت على حال ، والتغيرات الضخمة — بعد مجىء الإسلام — عصفت بالجزيرة شرقها وغربها ، وشمالها وجنوبها ، وولدت قيم جديدة ، وظهرت بطولات من نوع لم يألفه ، وإلا نكيف تتحدث الركبان عن ((عبد)) يقال له (بلال) ، وعن شبان حديثى السن ، يقودون الجيوش ، ويغيرون وجه العالم .. ثم .. اين ملكه الكبير فى الشام .. لقد انتهى كل شىء ، وعمر ابن الخطاب خليفة المسلمين يقتحم ممالك كسرى وقيصر ، ولا تستطيع قوة ان تصمد امامه .. إن ((جبلة بن الأيهم)) يعترف بينه وبين نفسه أن صورة البطولة الإسلامية فى الجزيرة العربية ، تلهب خياله ، وتنال إعجابه وتستحوذ على فكره .. وإن حياته هنا فى كنف الروم حياة ذليلة ((ميتة)) برغم ما ينعم فيه من مال وخدم ونفوذ .. اصبح جبلة يؤمن بانه يكاد يختنق فى البيئة الرومية المرفهة الباردة .. ليس فيها ما يشعل أشواقه ، ويؤجج طموحه ..

ودخلت امرأته عليه ، وقد مضى الليل إلا اقله :

— ((اراك تعانى من آلام مكظومة)) .

تنهد فى حسرة وقال :

— ((لقد سئمت هذا الجو)) .

— ((ارى انه لا ينقصك شىء يا جبلة بن الأيهم ..))

قهقه فى سخرية واردف :

— « هناك أشواق لروحى لا تعرفينها » .

— « ما هى ؟؟ »

التفت اليها وقال وقد بدا الاهتمام على ملامحه :

— «الا تعتقدين ان الإسلام حق ؟»

— « أوه يا جبلة .. أليس لهذا التفكير المؤرق من نهاية ؟؟ »

— « إنه لا ينتهى ما دام فى عرق ينبض » .

— « أنت تعذب نفسك .. »

— « كيف ؟؟ »

— « تستطيع أن تختار ما تؤمن به .. أنت حر .. »

صرخ فى حدة قائلا :

— « آه .. هنا مربط الفرس .. أن أختار .. تلك هى القضية المضنية وأنا حر .. نعم : لكن هناك قيودا خفية تشل حركتى .. قيودا لا يراها احد غيرى ، لقد اعتنقت النصرانية .. لكنها لم تملأ قلبى .. »

ثم امسك بذراع زوجته وهزها فى عنف وقال :

— « ويا للعار اذا تخليت عن دينى القديم !! ماذا سيقول الناس عنى ؟؟ أعرف ما يقولون .. نعم ..

(جبلة) كان على خطأ .. جبلة يلعب بالعقائد كما يلعب بالجوارى الحسان .. أو جبلة يعود ذليلا مستسلما لسطوة عمر .. »

همست زوجه فى ضيق :

— « افعل ما يحلو لك .. »

— «كل شىء مر المذاق فى حلقى»

ولم تسفر المناقشة عن شىء حاسم جبلة يريد أن يهرب من واقعه الأليم ، يتمنى أن يكف عقله عن التفكير ، ويسحب ستارا من النسيان على كل ما ينغص عليه حياته المرفهة ، فدعا المغنيات والعازفات والراقصات الى ليلة حمراء ، يريد أن يشرب ، ويمرح ، ويغرق همومه فى الطرب والكؤوس ، وفى المساء الحافل احتشدت طائفة الطرب والندماء ، وهتف فى فرح مصطنع :

— « يا جارية .. غنى لى .. ترنمى بقصائد حسان بن ثابت التى كان يمدحنى بها قبل أن يعتنق الإسلام .. »

النغم الشجى يلعب بالقلوب ، ويثير الذكريات الحلوة ، ولحن القيثار يختلط بالصوت الحنون ، والنشوة التى تبعثها الخمر ، فيترنح الجالسون وتهتز الرؤوس إعجابا ، وتنطلق صيحات الانبهار ..

وصرخ « جبلة بن الأيهم » صرخة اهتزت لها جنبات القاعة الكبرى المفروشة بالبسط الأعجمية ، والتى تتدلى فيها القناديل المذهبة ، وقال :

— « اذهبوا عنى جميعا .. لا اريد أن أرى احدا أمامى .. »

وسيطر الصمت والشجن ، ومالت زوجه وقالت فى توجس :

— « ماذا جرى لك ؟؟ »

قال والدموع تكاد تطفر من عينيه :

— « ليس هذا هو الدواء الشافى .. »

— « ما هو الدواء إذن ؟؟ »

— « ساذهب الى عمر فى المدينة .. »

— « يا إلهى !! كيف ؟؟ لقد تصديت للإسلام وحاربته فى عنف ، الا تعتقد انهم قد يقتلونك ؟؟ »

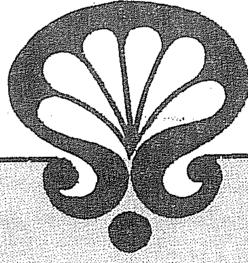
تنهد في ارتياح وقال :
ـ « إنهم لا يردون ولا يغدرون بمسلم .. »
ـ « أتعتنق الإسلام يا جبلة ؟؟ »
ـ « ان كبريائي تثور يا زوجتي .. ولكن لا بد من مواجهة الحقيقة .. إن الهروب من مواجهتها سيقتلني .. أنا أعاني من أحزان مروعة .. »



ودخل الملك الغساني مدينة النبي صلى الله عليه وسلم في ركب جليل مهيب ، وعلى رأسه التاج يتلألأ فيه الدر والياقوت .. ومن حوله خمسمائة فارس من فرسانه يرتدون أفخر الثياب التي تخطف الأبصار لما يتحلون به من ذهب وفضة ، وخرجت المدينة عن بكرة أبيها أطفالا ونساء ورجالا يشهدون الموكب الفريد ، وينعمون النظر بمشهد الملك العظيم وفرسانه الذين يرتدون الخز والديباج وكان (جبلة) حريصا أشد الحرص على هيبته وكبريائه ، ليؤكد للجميع أنه ما جاء كرها ، ولا دخل مهزوما ، وإنما أتى ليعتنق الإسلام بمحض إرادته ، وبعد أن أسلم دعاه عمر بن الخطاب لأداء فريضة الحج ، وبينما كان يطوف بالبيت العتيق وطيء أعرابي إزاره فحله ولم يملك جبلة من شدة الغضب أن لطم الأعرابي لطمة هشمت أنفه .. ومضى في طريقه كأن لم يحدث شيء ، وذهب الأعرابي ورفع ظلامته الى عمر بن الخطاب .. فدعا اليه جبلة على الفور :
ـ « أي جبلة بن الأيهم .. كلنا امام الشريعة سواء .. لا فرق بين ملك وسوقه .. أي جبلة .. إما أن تترضى الأعرابي فيعفو عنك ، وإما أن تدعه يلطمك كما لطمته .. »
وبحركة لا شعورية وضع جبلة يده على وجهه وهتف :
ـ « أيلطمني ؟؟ مستحيل .. »
ـ « ذلك هو العدل .. »
ـ « وماذا يقول الناس عني ؟؟ أأعرابي يلطم جبلة ؟؟ » .
ـ « ومن تكون يا جبلة ؟؟ »
ـ « ملك الشام يا عمر » ..
ـ « لكنك عبد من عبيد الله .. ولا تستطيع أن تتميز عن أحد من المسلمين الا بالطاعة .. »
ـ « معنى ذلك أنكم تلجئونني الى الارتداد عن الدين .. »
ـ « المهم أن يمضي أمر الله .. وامامك فسحة من الوقت إما أن تسترضيه واما أن يقتص منك .. »
وذهب جبلة الى رجاله مكروبا مهموما ؟ يكاد يجن جنونا ، كان يجلد الرجال بالسياط ، ويسوقهم الى السجن ، ويشير باصبعه فتقطع رقبة المناوىء ، ويصدر أمره ، فتتحرك الجيوش ، ويمضي الى ملك الروم فتنحني له الهامات احتراما وتوقيرا .. واليوم يأتي أعرابي حقير ليلطمه ؟؟ يا للعار الأبدي الذي لا ينمحي أبد الدهر !!
وقال رجل من خاصته :
ـ « كيف يجرؤ عمر على قولها ؟؟ »
هز جبلة رأسه ورد قائلا :
ـ « لقد عرفتهم .. هنا المبادىء فوق الرجال .. »
ـ « وما قيمة المبادىء بدون الرجال العظماء ؟؟ »
ـ « المبادىء هي التي تمنح الرجال صفة العظمة .. والآن فهمت

لماذا سار خلف محمد مئات الألوف من البشر .. جيش عرمرم من السادة.. لا فرق فيه بين عمر وبلال .. »
قال الرجل :
ـ « أفهم من ذلك أنك وافقت على القصاص إذا امتنع الأعرابى عن التجمل بالعفو عنك ؟؟ »
احتقن وجه جبلة وقال بصوت اجش يرعشه الانفعال :
ـ « مستحيل .. »
وابتلع ريقه واستطرد فى حسرة :
ـ « ليس هذا العصر عصرى .
وليس هذا المكان مكانى ، وجبلة بن الأيهم الغسانى .. لا يحلو له المقام بين قوم يسوون بين العبيد والسادة. والسوقة والملوك .. إننى أفضل البقاء فى سجن الروم ، على أن يقال : لطم أعرابى فقير جبلة بن الأيهم .. الموت ولا هذا .. »
وأفاق جبلة من هواجسه وهمومه وهب واقفا ممسكا بسيفه ، والتاج يتلألأ فوق جبينه . وقال :
ـ « أعدوا العدة للرحيل .. سوف أتسلل تحت جنح الظلام قبل أن يفضحنا الصبح .. وسيبقى عدد منكم هنا للتمويه ، ولكى يلحقوا بنا بعد برهة وجيزة ، وسنتخذ نفس الطريق الذى جئنا منه ، وتخففوا من احمالكم التى لا قيمة لها .. واذا حدث ولحقوا بنا فلا تسلموا انفسكم إلا جثثا هامدة .. الموت ولا العار » .
واخذ يجفف عرقه ويقول :
ـ « فى الشمال سوف تحلو لنا برودة الجو ، ونعود للأرض الخضراء ولحياة الكبرياء والنعيم والطرب ، هناك سيعرف الحكام من هو جبلة ابن الأيهم .. وشرعنا هناك يعرف للملوك قدرهم ، لقد عشت طول حياتى فوق التشريع .. كنت مصدره دائما .. ولن أرضى ما حييت أن يكون شىء فوق راسى سوى التاج ، حتى تسقط هذه الرأس عندما يحين القضاء .. »
وعاد الركب الهارب الى نقطة البداية ..
قالت زوجه فى أسى :
ـ « ليتك لم تذهب »
ـ « لست نادما يا امرأة .. »
ـ « لقد عدت تثقل الهموم والآلام قلبك .. »
ـ « ليكن .. فقد رايت دنيا جديدة » ..
ـ « اتراحها اكثر من أفراحها.. »
ضحك فى بلاهة وقال :
ـ « لكنهم سعداء بما هم فيه .. هم آلاف مؤلفة .. وكل واحد يعيش بروح ملك .. ومع ذلك فان رأيى الذى لا استطيع أن اتزحزح عنه هو ان جبلة الملك .. شىء آخر غير بقية الناس .. »
وأخذ يقهقه ويدق رأسه بقبضته :
ـ « تصورى .. عمر بن الخطاب نفسه ، الذى دانت له هذه الدنيا لا يبدو عليه سوى أنه مجرد واحد منهم .. اية إرادة تلك التى صنعت تواضع هذا الرجل .. دعى هذا الأمر ، فسيبقى يعذبنى الى الأبد .. وادعى لنا الجوارى الحسان .. اريد ان اسمع العزف والغناء ، واشرب.. واشرب كثيرا حتى تنزاح همومى.. »
ومال عليها هامسا : والدموع عالقة فى أهدابه وهمس :
ـ « أتعتقدين ان ايامنا السعيدة القديمة ستعود ؟؟ » .

× × × ×



علة ربا الفضل

للدكتور نور الدين العتر

اطلعت على المقال القيم ((تصور جديد لربا الفضل)) للدكتور احمد صفي الدين عوض الذى نشر فى مجلة ((الوعي الاسلامي)) الغراء (١) التى نرجوها لخير كثير يشع فى ارجاء العالم فوجدت فيه مقالا علميا عاليا جمع اصالة البحث الفقهي وعمق النظر الاقتصادي ، خصوصا حكمة تحريم ربا الفضل التى تعود فى النهاية الى رعاية مصلحة سواد المستهلكين الذين يذهب ربا الفضل بقيمة سلعهم الحقيقية والتى عبر عنها بقوله : ((ومن هنا نشأت نسب متعددة لتقويم الانواع المختلفة داخل الصنف الواحد الذى اتفق الناس على استخدامه كنقود سلعية . ومثل هذا الوضع يفرض على المتبايعين ان يتساويا فى معرفة قيم السلع السوقية بالنسبة لكل نوع من هذه النقود السلعية حتى لا يخدع احدهما الآخر . وهذا شرط لا يمكن ان يستوفيه الا فئة قليلة من جمهور المستهلكين . ويبدو ان اليهود استغلوا هذا الوضع المربك للعرب الاميين عند التعامل معهم ..))

وقال الدكتور ايضا : ((ونتيجة لتفضيل المستهلكين بعض انواع الجنس الواحد على بعض كان من الطبيعي ان يطالب احد المتبايعين بان يزاد فى الكيل او الوزن بحجة انه أعطى اجود مما اخذ ومن ثم ظهرت النسب المتعددة لمقايضة الانواع . ولما كان منع التفاضل الذى يعني النهي عن التعامل بهذه النسب فى الجنس الواحد يرعى مصلحة جمهور المستهلكين الذين لا يعرفون الفوارق الدقيقة بين الانواع بنفس القدر الذى يعرفه الملازمون للاسواق ..)) .

وهي نظرة ثاقبة ياتي بها الدكتور عوض فى هذا الموضوع جزاه الله خيرا .

وقد وفق الدكتور كل التوفيق حين حلل حديث تحريم ربا الفضل : ((الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلف النوعان فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد)) اخرجه مسلم واحمد .

فحلل هذا الحديث وغيره من احاديث تحريم الربا تحليلا دقيقا لفت فيه الابصار الى ان هذه الاشياء كانت تستعمل فى مجتمع المدينة آنذاك استعمال النقود يباع ويشترى بها ، واستدل على ذلك بحديث عمرو بن حريش فى مقالته لعبد الله بن عمرو ابن العاص : ((انا بارض ليس فيها

ذهب ولا فضة آفابيع البقرة بالبقرتين ..)) ويقول الشافعي : أن الحنطة تجوز بالحجاز .. جواز الدنانير والدراهم .

ونضيف الى ما ذكره الدكتور عوض بعض الأحاديث التي تدل لما ذكره بل تدل على ما هو أوسع من ذلك ، مثل ما كان شائعا عندهم من بيع المزابنة وهو بيع الثمر الطرى بنوعه يابسا كالرطب (البلح) بالتمر ، والعنب بالزبيب : عن ابن عمر قال : ((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع المزابنة ..)) متفق عليه . ومثل بيع اللحم بالحيوان كما في الموطا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع اللحم بالحيوان .

وغير ذلك لا نطيل بذكره هنا يرجع اليه في ابواب الربا والبيوع والقرض من مصادر السنة النبوية يدل على توسع الناس في تلك العصور في استعمال السلع النقدية استعمالا مماثلا للعناصر التي ذكرها حديث تحريم ربا الفضل مما يشعر بأن تخصيصها بالذكر في الحديث كان باعتبار الاغلب في تداول السلع النقدية .

وهي دلائل مفيدة في حل عدد من اشكالات الخلاف الفقهي ، مثل اختلاف الفقهاء في حديث صدقة الفطر المتفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنه قال : ((فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر صاعا من شعير أو صاعا من تمر على الصغير والكبير والحر والمملوك)) فقرر الحنفية انه لا يلزم التقيد باخراج صدقة الفطر من هذين الصنفين أو غيرهما مما ذكرته احاديث صدقة الفطر ، بل لو انه اخرج قيمة الكمية المذكورة لكفاه ذلك، وخالف الأئمة الثلاثة فلم يجيزوا في اخراجها دفع القيمة وقد رجحت مذهب الحنفية وقلت (٢) : ((والذى يظهر أن الانواع المذكورة ـ أعني في احاديث صدقة الفطر ـ كانت في زمنهم قوتا معتادا للناس يدخر ويتداول كالدراهم ، وقد تغير حال الناس الآن فلا يدخرون لقوتهم شيئا منها ، بل انهم في اغلب الامصار والمدن المتحضرة يعتمدون في قوتهم على الخبز تقدمه المخابز في الاسواق ، فأصبح دفع القيمة في زمننا اجدى على الفقير وأنفع .

والذى يبدو لي أن هذا التفويم التحليلي للمساله يفضي الى ترجيح مذهب الحنفية والزيدية في علة تحريم ربا الفضل ، وهي عندهم اتحاد الجنس والتقدير بان يكون الثمن والمبيع موزونا من جنس واحد كالذهب بالذهب أو الفضة بالفضة ، وعلى ذلك فالحديد بالحديد والنحاس بمثله ونحوهما من المعادن يجرى فيه الربا اذا بودلت بمثلها لانها توزن أو ان يكون الثمن والمبيع مكيلا من جنس واحد كالذرة بالذرة ، ونحوها كالفول بالفول والفاصولياء بالفاصولياء يجرى فيه الشرط الذى عرفناه وهو التماثل والتقابض يدا بيد واذا بيع أى جنس مكيل أو موزون بجنس آخر حل التفاضل ووجب التقابض حالا .

ويدل لذلك دلائل من النقل والعقل :

اولا ـ من النقل حديث الحسن عن عبادة وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ما وزن مثل بمثل اذا كان نوعا واحدا ، وما كيل فمثل ذلك فاذا اختلف النوعان فلا باس)) اخرجه الدار قطني والبزار (٣) .

ورجال الحديث ثقات لكن في سنده الربيع بن صبيح البصرى كان من عباد أهل البصرة وزهادهم . وذكر الرامهرمزى فيالمحدث الفاصل(٤) انه اول من صنف الحديث بالبصرة وقال شعبة بن الحجاج : ((كان من سادات المسلمين)) وقال أبو حاتم : ((رجل صالح)) وقال أبو زرعة : ((شيخ صالح صدوق)) وقال ابن عدى :

ارجو ان لا باس بـه .. (٥) لكن ومعت له اوهام في رواياته حتى ضعفه كثير من المحدثين ، فقال الساجي : « ضعيف الحديث احسبه كان يهم » وقال ابن سعد والنسائي : « ضعيف » ، فلا ينزل حديثه عن الاستئناس به ، لذلك أخرج له البخارى تعليقا . فيصلح حديثه لترجيح هذا المذهب فى علة ربا الفضل (٦) .

ثانيا — ومن دلالة العقل ، وجوه نوضحها على الضوء الذى القاه الدكتور عوض منها :

١ — ان وصف الوزن أو الكيل الصق بمعنى النقدية فى السلعة من الصفات الاخرى التى ذكرها الدكتور فى مقاله القيم ، فاذا جرى التبادل بما هذه صفته فقد جعله المتعاقدان نقدا فعلا ، وان لم يكن ثمة عرف عام بذلك فيجب الزامهما بمقتضى تصرفهما ، وبهذا يلتقى رأى الدكتور عوض فى النهاية مع مذهب الحنفية والزيدية .

٢ — ان هذا التعليل اكثر العلل الفقهية المستنبطة فى المسالة تحقيقا للحكمة الجليلة التى ابداها الدكتور لتحريم ربا الفضل ، والتى صدرنا المقال بشذرات من بيانه لها .

حيث انه ينطبق على عدد أكبر من أنواع السلع مما يجعله أقرب لتحقيق المصلحة التى حرص الشارع على مراعاتها .

٣ — ان ثمة حكمة اخرى تنطوى تحت تحريم ربا الفضل نحب تذكير القراء بها وهي الدفع العملى للاقتصاد نحو التقدم والتخلص من البدائية ، وذلك ان البيع بمبادلة السلع مع بعضها وجعلها فى قوة النقد من سمات الاقتصاد البدائى ، وتحريم ربا الفضل يضيق نطاق هذا النوع من المبادلات المالية ، وبما ان مذهب الحنفية يفضى الى تضييق أكثر فى هذا المجال فهو اخلق بالرجحان من المذاهب الأخرى خصوصا وان العلماء متفقون على ان شبه الربا ياخذ حكم الربا فى الحرمة والمنع ، فهذا الطريق أكثر دفعا لشبهة الربا وحيله التى يتفنن الجشعون ومصاصو عرق الناس فى تنويعها .

ونود اخيرا ان نذكر القراء بنتائج حيوية اسفر عنها البحث فى الموضوع :

اولها : حرمة الربا حرمة باتة قاطعة بجميع اشكاله وصوره .

ثانيها : سد ذرائع الربا وحظر الوسائل التى تؤدى اليه ، كى ياخذ الحكم مجراه العملى ، وذلك من حكمة هذه الشريعة .

ثالثها : عناية الشريعة الاسلامية بان تكون المعاملات المالية جارية فى المجتمع على الانصاف والعدل والخلق الكريم بعيدا عن الاستغلال او الاستغفال للناس .

رابعها : ترسيخ الاسلام اصول اقتصاد يقضى على البدائية ليسير فى عراقة الرقى والتقدم .

---

(١) فى العدد ١١١ غرة ربيع الاول ١٣٩٤ ص ٥٧ — ٦٩ .

(٢) فى كتابى « دراسات تطبيقية فى الحديث النبوى » المقرر للسنة الثالثة بكلية الشريعة جامعة دمشق طبع مديرية المطبوعات الجامعية بجامعة دمشق .

(٣) انظر سنن الدارقطنى والتعليق المغنى ج ٣ ص ١٨ ونيل الاوطار للشوكانى ج ٥ ص ٢١٨ .

(٤) المحدث الفاصل ص ٦١١ بتحقيق الدكتور محمد عجاج خطيب .

(٥) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ . والمغنى فى الضعفاء للامام الذهبى رقم ٢٠٩٦ بتحقيقنا .

(٦) انظر باب الربا من كتابنا دراسات تطبيقية فى الحديث النبوى .

عوامل نشأة الفلسفة العربية

للدكتور محمد عاطف العراقى

اولا : تمهيد

يبدو لنا أنه من الخطأ تفسير نشأة أية ظاهرة من الظواهر الفكرية ، أو أية حركة من الحركات الفلسفية بالقول بأنها أتت فجاة وطفرة دون مقدمات أدت اليها .

وعلى هذا فان الدارس للفكر الفلسفي العربى ، إذا شاء ان يلتزم بالتفسير الصحيح لنشأة هذا الفكر ، والعوامل التى أدت إلى وجوده ، عليه الرجوع إلى ما كانت عليه معارف العرب الأولى فى الجاهلية ، ثم عند ظهور الإسلام ، وبعدها يتتبع تطور الفلسفة على النحو الذى نجده فى مذاهب ناضجة متكاملة عند الكندى والفارابى وابن سينا وابن باجه وابن طفيل وابن رشد وغيرهم . هذه المذاهب التى تدلنا على أنهم تأثروا فى تقريرها بفلاسفة اليونان إلى حد كبير ، وذلك بعد اطلاعهم على آرائهم نتيجة لحركة الترجمة التى بدات فى العصر الأموى وبلغت اوجها فى العصر العباسى .

ثانيا : معارف العرب فى العصر الجاهلى :

لو رجعنا إلى المصادر التى تصور لنا حالة العرب فى الجاهلية قبل ظهور الاسلام ، وجدنا ان البيئة العربية لم تكن خلوا من مظاهر التفكير الذى يصطبغ بالصبغة العملية إن القول بغير ذلك كان منذ كانت

معلوماتنا عن حالة العرب في الجاهلية معلومات يسيرة قليلة . ولكن المؤلفات التي ركزت على دراسة الجاهلية واحوالها ومعارفها قد كشفت النقاب عن بعض الظواهر التي كانت سائدة في هذه البيئة قبل ظهور الاسلام .

صحيح أن المقارن بين افكار مفكري الاسلام وبين تلك الأفكار التي وجدت في الجاهلية وصدر الاسلام ، يلاحظ بونا شاسعا بين هذه وتلك ، بحيث يرجع ذلك إلى ظهور الدين الاسلامي من جهة وتأثير نظريات الفلاسفة اليونانيين من جهة أخرى ، ولكن هذا لا يمنع من القول بوجود حياة فكرية عند عرب الجاهلية .

فالعرب في الجاهلية لم يكونوا في عزلة عن غيرهم من الأمم ، بل كان بينهم وبين الأمم الأخرى اتصال سواء عن طريق وجود بعض البلدان العربية التي تقع على حدود الروم والفرس ، او عن طريق التجارة التي عن طريقها احتك العرب بغيرهم من الأمم ماديا وروحيا . ولا شك أنهم تعرفوا من خلالها على بعض مظاهر حضارات هذه الأمم وعرفوا شيئا من علومها ومعارفها . وكذلك عن طريق أصحاب الديانات السابقة على الديانة الاسلامية الذين كانوا ياتون إلى جزيرة العرب للتبشير بدينهم والتعريف به ، عرف العرب بعض القضايا الدينية وغيرها .

ومن هنا لم يقتصر العرب على معرفة أحوالهم ومعارفهم الداخلية فحسب ، بل إنهم عن طريق التجارة وعن طريق أصحاب الديانات وعن طريق وجود بعض المدن القريبة من حدود الأمم الأخرى ، استطاعوا التعرف على احوال غيرهم من الشعوب والأمم .

فاذا انتقلنا من ذلك وتساءلنا عن معارف العرب في الجاهلية ، قلنا إنهم كان لهم معارف يسودها الطابع العملي في كثير من زواياه أكثر من الطابع النظري المنهجي المنظم .. لقد كان عندهم شعراء وحكماء صاغوا الكثير من الحكم والأمثال . يقول صاعد الأندلسي : وأما علمها (العرب) الذي كانت تتفاخر به وتتبارى به ، فعلم لسانها وأحكام لغتها ونظم الأشعار وتاليف الخطب ، وكانت مع ذلك أصل علم الأخبار ومعدن معرفة السير والأمصار (١) .

بالاضافة الى معارفهم الطبية وغيرها من المعارف المتعلقة بالنجوم وهي معارف أقرب إلى الجوانب العملية . يقول صاعد : كان للعرب معرفة باوقات مطالع النجوم ومغاربها وعلم بالكواكب وأمطارها على حسب ما ادركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في أسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق ولا على سبيل التدرب في العلوم (٢) ..

كما كانت هذه المعارف والصنائع موجودة ايضا في صدر الاسلام . يقول صاعد الأندلسي عن صناعة الطب : انها كانت موجودة عند أفراد من العرب ، غير منكرة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرا إليها ، ولما كان عندهم من الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحث عليها حيث يقول: يا عباد الله تداووا ، فان الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحدا وهو الهرم (٣) .

في هذه البيئة ايضا جرت مناقشات دينية جدلية . اذ كان هناك اديان في هذه الجزيرة العربية . ولعلنا لو رجعنا إلى آيات القرآن الكريم استطعنا معرفة هذه الأديان . يقول الله تعالى : ((إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى

والمجوس والذين أشركوا ، إن الله يفصل بينهم يوم القيامه ، إن الله على كل شيء شهيد)) .

وإذا كان المجال لا يتسع فى الواقع لذكر مظاهر الحياة العقلية عند العرب فى الجاهلية ، إلا اننا نود أن نشير الى أن معارف العرب على هذا النحو تعد دون تكوين مذاهب فلسفية محكمة . يقول أحمد أمين موضحا ذلك ومؤيدا له : إن العلم والفلسفة لا أثر لهما عندهم ، لأن الطور الاجتماعى لا يسمح لهم بعلم ولا فلسفة . وما كان عندهم لا يتعدى معلومات أولية وملاحظات بسيطة لا يصح أن تسمى علما ولا شبه علم أما القواعد والبحث المنظم الذى يسمى علما ، فلا عهد للعرب الجاهليين به .. فان هناك فرقا كبيرا بين مذهب فلسفى وخطرة فلسفية . فالمذهب الفلسفى نتيجة البحث المنظم وهو يتطلب توضيحا للرأى وبرهنة عليه ونقضا للمخالفين وهذه منزلة لم يصل إليها العرب فى الجاهلية . أما الخطرة الفلسفية فدون ذلك ، لأنها لا تتطلب إلا التفات الذهن الى معنى يتعلق بأصول الكون من غير بحث منظم وتدليل وتفنيد . وهذه درجة وصل إليها العرب (٤) .

ثالثا : ظهور الدين الاسلامى :

تحدثنا عن معارف العرب فى الجاهلية . وإذا شئنا استيفاء العوامل التى أدت الى نشأة الفلسفة الاسلامية ، قلنا ان ظهور الاسلام وهو من اهم الاحداث الكبرى فى تاريخ البشرية ، يعد عاملا من أقوى العوامل الداخلية التى لا بد أن ناخذها فى اعتبارنا حين دراسة نشأة الفلسفة العربية الاسلامية .

إن هذا الدين حين ظهر احدث ثورة روحية كبرى فى نفوس المؤمنين به . والمقارن بين احوال العرب فى الجاهليه واحوالهم بعد ظهور الاسلام ، يجد بونا شاسعا ، وبالتالى لا بد أن يحدث هذا أثره فى نفوس المفكرين الذين يدينون بالدين الاسلامى .

هذا الدين حين ظهر قد غير الى حد كبير من الاعتقادات التي كان يدين بها الناس فى الجاهلية . يقول صاعد الأندلسى: كان العرب حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم قد تفرق ملكها وتشتت أمرها ، فضم الله شاردها ، وسكن نافرها ، وجمع عليه جماعة ممن كان بجزيرة العرب من قحطان وعدنان ، فآمنوا به وانقادوا إليه ورفضوا جميعا ما كانوا يدينون به من عبادة الأوثان وتعظيم الكواكب وأقروا لله تعالى بالتعظيم والتحميد والربوبية والتوحيد والتزموا شريعة الاسلام من اعتقاد حدث العالم وخرابه والبعث والنشور والجزاء ومن العمل بالطاعات والصيام والصلاة والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وغير ذلك من شريعة الاسلام (٥) .

ونود أن نشير إلى أن هذا المصدر الاسلامى يثبت لنا — خلافا لما يذهب اليه نفر من المستشرقين الذين قالوا بأن الفلسفة الاسلامية لا تعدو كونها نقلا عن الفلسفة اليونانية — أن الفلسفة العربية لها مشكلاتها الخاصة بها ، والتى نبعت فى جو اسلامى . ومن هنا يكون من الضرورى لفهم نشأة الفلسفة العربية أن نقول ان فلاسفة العرب ، قد تأثروا بالقضايا الدينية الاسلامية أكبر تأثر . بحيث أننا لو درسنا مذاهب فلاسفة العرب سواء فى المشرق أو فى المغرب ، وجدنا أن كلا من العقيدة الدينية والفلسفة

اليونانية ، يقفان جنبا الى جنب فى تكوين هذا المذهب او ذاك من مذاهب كثير من فلاسفة العرب (٦) .

بل اننا لو فهمنا الفلسفة العربية بالمعنى الواسع لها ، وادخلنا فيها الدراسات التي تركها لنا المتكلمون والمتصوفة ، استطعنا التأكيد على قولنا هذا تأكيدا تاما .

فالمطلع على نظريات متكلمى الاسلامى من معتزلة واشاعرة وجبرية وغيرهم ، يجد العنصر الدينى الاسلامي بارزاً ومهيمنا على بحوثهم لدرجة قصوى . بل ان موضوعات المشكلات التي بحثوا فيها تحمل طابعا اسلاميا دينيا قلبا وقالبا . ان المعتزلة مثلا حين بحثوا فى التوحيد والعدل والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وغير ذلك من موضوعات ، فان بحثهم هذا يقوم على اسس دينية لا يمكن للباحث اغفالها باى حال من الأحوال . وكذلك فعل الأشاعرة وغيرهم من اصحاب الفرق الاخرى الاسلامية .

وما يقال عن علماء الكلام ، يقال عن الصوفية ايضا ، وخاصة الصوفية الأول الذين تاثروا بالآيات القرآنية التي تدعو الى الزهد وعبادة الله والتسبيح بحمده آناء الليل وأطراف النهار ، بحيث كان ذلك كله منبعا خصبا لآراء الصوفية الأول كالحسن البصرى ورابعة العدوية .

هذا بالاضافة الى اننا قد ذكرنا فيما سبق أن فى القرآن آيات عديدة تحث على النظر والتامل والبحث فى جنبات الكون . « قل أنظروا فى ملكوت السموات والارض » ، « وفى الارض آيات للموقنين وفى انفسكم افلا تبصرون » . وهذا يدلنا على أن القرآن الكريم لم يكن فيما يزعم بعض المستشرقين عائقا عن النظر والبحث فكم كانت آيات القرآن مادة خصبة لتكوين النظريات الكلامية والفلسفية والتصوفية .

رابعا : حركة الترجمة واطلاع فلاسفة العرب على التراث اليونانى :

اذا كان المصدر الاسلامى يمكن اعتباره مصدرا داخليا ، فان هناك مصادر اخرى يمكن أن نعتبرها مصادر خارجية . واهم هذه المصادر يتمثل فى المصدر اليونانى ، اى الفلسفة اليونانية .

فاذا كانت الفلسفة اليونانية على وجه العموم والمنطق على وجه الخصوص قد أثرا وظهر اثرهما الى حد ما عند بعض المتكلمين في العصور المتاخرة ، فان الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني ، قد أثرا أكبر الأثر فى آراء فلاسفة العرب ، كالفارابى وابن سينا وابن رشد وغيرهم . وهم انفسهم يعترفون بذلك .

ولكى نتعرف على هذا الأثر ، فاننا لا بد ان نتحدث عن حركة الترجمة ، اى تلك الحركة العظيمة التى عن طريقها استطاع مفكرو الاسلام التعرف على أفكار مفكرى اليونان وفلاسفتهم .

يمكننا القول بان حركة الترجمة قد انتشرت انتشارا واسعا أيام العباسيين . بل أيضا يمكن أن نبحث عند الأمويين عن اهتمام بالترجمة . فيروى عن الامير الأموى خالد بن يزيد ابن معاوية انه أمر بترجمة كتب الكيميا من اللغة اليونانية الى اللغة العربية .

يقول ابن النديم : كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان وكان فاضلا فى نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم . خطر بباله الصنعة فامر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ، ممن كان ينزل مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى الى العربى . وهذا أول نقل كان فى الاسلام من لغة الى لغة (٧) .

بيد أن الانتشار الحقيقي لحركة الترجمة ، انما كان أيام العباسيين . اذ بدأ العمل المنظم في نقل كتب مفكري اليونان في الطبيعة والطب والمنطق وغير ذلك من علوم وفلسفات .

ونود أن نشير الى أنه كان هناك الكثير من المترجمين . ومن أشهرهم يوحنا أو يحيى البطريق ، وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي ، وقسطا ابن لوقا البعلبكي ، وحنين بن اسحق ، واسحق بن حنين ، وحبيش ابن الحسن ، وأبو بشر متى بن يونس وأبو زكريا يحيى بن عدى المنطقى ، وأبو علي عيسى بن اسحق بن زرعة، وغيرهم كثيرون .

هؤلاء المترجمون أو النقلة قد اقتصر عملهم في الواقع على الترجمة غير أن هناك القليل منهم ممن قام بتأليف بعض الرسائل الخاصة به . فقسطا بن لوقا مثلا له رسالة قصيرة في الفرق بين النفس والعقل . وأكثر هؤلاء المترجمين كانوا من النصارى وقد قاموا بالترجمة بعد تكليف الخليفة أو الوزير لهم . وكان الخلفاء متسامحين معهم فى دينهم كما كانوا يشجعونهم تشجيعا كبيرا فى عملهم هذا .

النشاط الحقيقى فى حركة الترجمة يرجع اذن الى العباسيين . فالمنصور مثلا حين أنشأ مدينة بغداد ، استدعى من مدرسة جنديسابور ، تلك المدرسة التى تقع فى فارس ، والتى يمكن أن نعدها همزة الوصل ونقطة الالتقاء بين الفلسفة اليونانية والفلسفة العربية . استدعى المنصور العباسى ، جورجيس ابن بختيشوع الطبيب الذى كان فى ذلك الوقت رئيسا لمستشفى جنديسابور ، وذلك لمعالجته من أمراض ألمت به .

وكان هذا الحادث — فيما يقول أو ليرى OLEBRY — الاتصال الاول بين أسرة بختيشوع وبلاط بغداد . وهذه الاسرة أدت دورا هاما فيما بعد من جهة نشر العلم والثقافة بين العرب (٨) .

وقد توالى استدعاء الاطباء والعلماء من مدرسة جنديسابور الى بغداد ، بحيث أن مراكز الحياة الثقافية انتقلت تدريجيا من جنديسابور الى بغداد . والواقع أنه لولا تشجيع الخلفاء لحركة الترجمة والقائمين عليها لما تمت هذه الحركة على هذه الصورة العظيمة . يقول المسعودى عن الخليفة المنصور كان المنصور أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغة العجمية الى العربية ومنها كتاب كليلة ودمنة ، وترجمت له كتب أرسطو من المنطقيات وغيرها ، كما ترجمت كتب لبطليموس واقليدس وسائر الكتب القديمة من اليونانية وغيرها من اللغات كالفارسية والسريانية الى العربية (٩) .

عصر العباسيين اذن يمكننا ان نسميه عصر الترجمة . فقد انتشرت حركة الترجمة انتشارا عظيما وخاصة بعد اهتمام المأمون ببيت الحكمة الذى احتوى كتبا وضعت بلغات شتى يونانية وفارسية وهندية ، وقد اختار له المأمون الرؤساء والمترجمين الذين يجيدون هذه اللغات ، بحيث ينقلونها الى العربية .

فاذا رجعنا الى كتاب طبقات الأمم لصاعد الأندلسى نجده يقول : لما أفضت الخلافة الى الخليفة السابع منهم (المأمون) بن هارون الرشيد ابن محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور ، تمم ما بدأ به جده

(المنصور) فأقبل على طلب المسلم في مواضعه واستحرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة ، فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا اليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطو وأبقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة ، فاختار لها مهرة التراجمة وكلفهم احكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن ، ثم حض الناس على قراءتها ورغبهم في تعليمها (١٠) .

ونستطيع أن نقول ان هؤلاء المترجمين قد أدوا عملهم على خير وجه . وأن نظرة واحدة الى أسماء الرسائل والكتب التي نقلت الى العربية والتي كان أكثرها لمفكرى اليونان ، تدلنا على ذلك تماما . لقد شملت الترجمة علوما شتى بحيث لا نجد ميدانا الا وللمترجمين فيه فضل . ترجمت كتب فلسفية وطبيعية ورياضية وفلكية وكيماوية ، وغير ذلك من علوم وفنون شتى . وعن طريق هذه الترجمات توصل فلاسفة العرب الى الاطلاع على ما كتبه فلاسفة اليونان .

لقد كانت الترجمة في بدايتها تتم من اللغة اليونانية الى السريانية . وبعد ذلك كانت النصوص اليونانية يتم نقلها الى العربية مباشرة . واذا كانت الكتب المنطقية لأرسطو مثلا قد ترجمت ، فان كتبه الفلسفية ايضا قد تم ترجمتها .

ولكننا نود أن نشير الى أن هذه الترجمات رغم دقتها ، الا انه قد حدثت بعض الاخطاء حول نسبة كتاب ما الى صاحبه . مثال ذلك أن عبد المسيح بن عبد الله الحمصي ترجم كتابا بعنوان « أثولوجيا أرسطو طاليس » . وقد أدى هذا الى خطأ فلاسفة العرب حين نسبوا هذا الكتاب الى أرسطو ، في الوقت الذى هو في حقيقته بعض مقتطفات من تاسوعات أفلوطين الرابعة والخامسة والسادسة .

وأخيرا نقول ان المطلع على ما كتبه فلاسفة العرب ، يرى أنهم قد عرفوا الى حد كبير كل المدارس الفلسفية اليونانية القديمة . صحيح أنهم — فيما سبق أن أشرنا منذ قليل — وقعوا أحيانا فى بعض الاخطاء ، بحيث خلطوا بين آراء فيلسوف وفيلسوف آخر وخلطوا بين المدارس الفلسفية . ولكنهم بوجه عام استطاعوا معرفة آراء الطبيعيين الاول ، أى المدرسة الايونية ، وعرفوا آراء المدرسة الايلية ، وآراء الفيثاغوريين والسوفسطائيين وسقراط وأفلاطون وارسطو الذى احتل عندهم مكانة كبيرة وكذلك تأثروا بأفلوطين تأثرا عظيما واطلقوا عليه اسم الشيخ اليونانى .

---

(١) طبقات الامم ص ٦٨ .
(٢) المصدر السابق ص ٧٢ .
(٣) المصدر السابق ص ٧٤ .
(٤) فجر الاسلام ص ٤٨ و ٤٩ .
(٥) طبقات الامم ص ٧٣ .
(٦) راجع كتابنا : النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد ص ٥٥ و ٥٦ (طبع دار المعارف بالقاهرة) .
(٧) الفهرست ص ٣٥٢ .
(٨) How Greek Science passed to the Arabs P. 196.
(٩) مروج الذهب — جزء ٨ ص ٢٩١ .
(١٠) ص ٧٥ من كتابه .

واحد من قادة الفكر والدعوة الاسلامية

العلامة علال الفاسي

للأستاذ أنور الجندي

فى شهر ربيع الثانى ١٣٩٤ عبر الى الشاطىء الآخر ملبيا نداء ربه علم من أعلام الاسلام والوطنية وزعيم سياسى ومصلح اجتماعى لم يعرف عصرنا نموذجا مثله فى جمعه بين الجهاد السياسى الوطنى وبين الدعوة الى الله والقدرة فى مجال الدراسات الاسلامية ولقد يبدو هذا غريبا على الأجيال الجديدة التى ترى دائما الفصل بين الزعيم السياسى وداعية الاسلام بينما جاء هذا الفصل نتيجة سيطرة المفاهيم الغربية فى انشطاريتها ودعوتها الى عزل ميادين العمل الفكرى والاجتماعى مما لم يعرفه المسلمون على طول تاريخهم ولذلك فقد كان العلامة علال الفاسى مثلا مجددا لمفهوم الاسلام فى القائد والزعيم .

واذا كان علال الفاسى له تاريخه الطويل فى ميدان العمل السياسى والجهاد الوطنى مشاركا فى حركة تحرير المغرب وقد احتمل فى ذلك السجن والنفى والتشريد فان جانب الفكر فيه هو ما نركز عليه فى هذه الدراسة أملا فى استصفاء قيمه الفكرية وتقديمها للمسلمين من جديد لتكون نبراسا للعاملين فى مجال الاصلاح والدعوة الاسلامية .

ولقد نشأ « علال الفاسي » في أحضان حركة اليقظة الاسلامية التي احتضنت المفكرين المسلمين جميعا في مراحلها المختلفة منذ صدع الامام محمد بن عبد الوهاب بالدعوة في قلب الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري متقدما وسابقا لكل حركة يقظة أخرى مما جاء من الغرب وقبل الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية وكل ما يتصل بالارساليات والمدارس الغربية بأكثر من خمسين عاما .

ومن منطلق دعوة التوحيد امتدت كل حركات اليقظة في الهند وفي مصر وفي سوريا وفارس وجاء جمال الدين الافغاني الى مصر عام ١٨٧١ ليحمل نفس اللواء الذي حمله السنوسي والمهدي والشوكاني والالوسي والطهطاوي وخير الدين التونسي ثم جاء محمد عبده ومدرسة المنار فامتدت حركة اليقظة الى المغرب حيث ظهر كنون والدكالي ومحمد العربي العلوي اساتذة علال الفاسي والرصيد الذي استمد منه ثقافته ودعوته وانطلاقه الى آفاق العمل الوطني الاسلامي جميعا ، ذلك أن المغرب العربي لم يعرف التقسيم بين العمل الوطني والعمل الاسلامي بل أن العمل الوطني نفسه قد انطلق من قلب حركة اليقظة ومفاهيم السلفية بوصفه جهادا للاستعمار ومقاومة للغزو الاجنبي .

ولقد أشار العلامة علال الفاسي الى هذا المعنى في كتابه :

« الحركات الاستقلالية في المغرب العربي » : حين قال :

« لئن كانت السلفية في باعثها الحنبلي (١) ترمي لتطهير الدين من الخرافات التي الصقت به والعودة الى روح السنة المطهرة فانها لا تقصد من وراء ذلك الا تربية الشخصية الاسلامية على المبادىء التي جاء بها الاسلام بصفته المتكفل بصلاح الامة في دينها ودنياها لكن هذا الاعداد الفردي لا يقصد منه الا تقوية التضامن بين الجماعة الاسلامية على أساس الاخاء الاسلامي أولا والانساني ثانيا ، وذلك ما يستوجب كثيرا من التسامح مع المخالفين في الوقت الذي يدعو للوقوف صفا واحدا في الدفاع عن الاسلام وعن الامم الاسلامية كلها والدفاع عن الاسلام وأممه يستدعي بالطبع قبول المبادىء التي تعطي للفرد حرية العقيدة وحرية الفكر وتعطي للأمم حق تقرير مصيرها .

غير ان الوصول لهذه الوسيلة لا يتحقق الا اذا تحررت البلدان الاسلامية من سيطرة الاجنبي المادية والمعنوية ولذلك فالعمل على الاستقلال شرط أساسي لاكتساب الحرية التي لا بد منها لتحمل المسئولية » .

وهكذا يرى العلامة علال الفاسي انه في سبيل تحقيق أهداف حركة اليقظة الاسلامية لا بد من تحقيق التحرر الوطني وتحرير التراب الاقليمي ،

---

(١) ترد كل حركة اليقظة الاسلامية بمنطلقها السلفي الذي دعا اليه محمد بن عبد الوهاب ترد الى احمد بن حنبل وابن تيمية .

ولذلك فهو ينظر الى دوره الوطني ومجاهدته للاستعمار الفرنسي كجزء من خطة العمل الاسلامي الكبير ــ وهذا هو أصدق مفهوم ــ فاذا تم تحرير التراب المغربي اتجه علال الفاسي الى العمل من أجل (اليقظة الاسلامية) وهذه هي المهمة التي جرد لها نفسه منذ أعلان الاستقلال عام ١٩٥٤ فأمضى ما يقرب من عشرين عاما في هذا المجال ، ولم يكن عمله الفكري الاسلامي ومحاضراته في جامعة فاس الا جزءا من عمله السياسي بوصفه رئيسا لحزب الاستقلال وقد جرى عمله الفكري الاسلامي في ثلاث قنوات واسعة :

الاولى : تقنين الشريعة الاسلامية والاقتصاد الاسلامي على النحو الذي يمكن المسلمين من معرفة عظمة شريعتهم في مواجهة تحديات الغزو الفكري العربي وبالمقارنة مع القانون الوضعي والاقتصاد الرأسمالي والماركسي ..

وله في هذا بحوث متصلة موسعة أهمها : بحثه : « مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها » وبحثه عن (التنمية الاقتصادية في الاسلام) بالاضافة الى (تقريراته على مشروع مدونة الاحوال الشخصية) .

الثاني : في مجال التاريخ الاسلامي والتاريخ المغربي بوصفه جزءا من تاريخ الاسلام وله في ذلك دراسة هامة عن مكان التاريخ الاسلامي من التاريخ العام للبشرية ، بالاضافة الى دراساته المختلفة :

١ ــ الحماية الفرنسية في المغرب من الوجهة التاريخية القانونية .
٢ ــ حماية اسبانيا في مراكش .
٣ ــ السياسة البربرية : عناصرها ومظاهر تطبيقها .
٤ ــ مفاخر العلويين : موجز تاريخ الدولة العلوية .
٥ ــ الكتاب الاحمر عن القضية الموريطانية والحدود المغربية (بالفرنسية) .
٦ ــ الاستعمار الفرنسي في الجزائر .

(ثالثا) في مجال ترشيد وبناء الشخصية الاسلامية العربية .

وأهم أبحاثه في هذا المجال كتابه (النقد الذاتي) الذي حظي باهتمام الباحثين في كل مكان والذي ترجمت اقسام منه الى اللغات المختلفة .

ودراسته عن مستقبل اللغة العربية في المغرب .

وبحثه عن الحرية بالمقارنة بين النظريات الفلسفية المختلفة والاسلام وبحثه عن محمد عبده وموقفه من الشبه والمتشابه .

ودراسته عن التبشير المسيحي وبعض الوثنيات الطائفية الهندية ودراسته عن مهمة علماء الاسلام .

ومن خلال هذا الحصاد الضخم الواسع المنوع نجد شخصية (علال الفاسي) كمفكر اسلامي واسع الافق ، عميق الرؤية ، متمكن من معرفة

ابعاد الفكر الاسلامي مع مقدرة كافية للمقارنة مع الفكر الغربي بشقيه في ايمان واضح بالتميز والذاتية والاصالة الواضحة في الفكر الاسلامي .
ولنذهب معه الى مفهوم الاسلام ، عندئذ نجده واسع الافق ، واضح الفكرة عميق الدلالة :

ما هو الاسلام ؟

« الاسلام ثورة على الجاهلية ، هو نقيضها ، هي شرك وهو توحيد وهو ايمان وهي شكوك واوهام ، هي فوضى وهو نظام ، هي تقاليد وعادات ما أنزل الله بها من سلطان وهو شرعة ومنهاج ، هي جبت وطاغوت وهو عدل وحرية والدين هو مجموع ما شرعه الله من أحكام سماوية منزلة على انبيائه ، وهو جامع للايمان والاسلام والاحسان كما في حديث جبريل ، هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم ، قال البخاري فجعل ذلك كله دينا .

والدين عند الله الاسلام واذن فالاسلام والدين بمعنى في الاصطلاح الاسلامي ، والايمان هو اعتقاد في النفس وتعبير عنه باللسان واثبات له بالعمل ، والمناسك هي التعبدات التي تعبد الله بها عباده من صلاة وصيام وحج وقربان ، وهي مظاهر الايمان ، وتدخل في مدلول الدين ، والشرع فرع من فروع الدين ، وهو دستور الفرائض والسنن والمباحات والمحرمات التي جاء بها الدين باحكام عامة أو خاصة منها المعاملات ومنها دستور الحكم الشرعي والحكم السياسي في الامة والدولة .

والشرعة هي السبيل المستقيم ومنها ضرورات الحياة وتدخل فيها الشرائع السياسية ، فالشرعة اذن الدستور القويم لكل ما هو سبب الحياة فالاسلام هو الانقياد لله الناشيء عن الايمان به ومحبته وطاعة النفس لامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

وقد حاول الغربيون أن يجعلوا من كلمة الاسلام ما يدل على معنى الاستسلام الاعمى وبنوا على ذلك تصورهم الخاطيء لفكرة القضاء والقدر عند المسلمين ورتبوا على جميع ذلك تعبير ما أصاب المسلمين من انحطاط وكسل بهذا الاستسلام الذي يعني بزعمهم الايمان بانه لا حاجة لعمل شيء من شأنه ان يغير احوال المسلمين لان كل شيء مكتوب واذن يجب الخنوع والاستسلام وكل محاولة لغير ذلك عبث ، مع ان الاسلام يعني الانابة لله في طاعته وهذه تعني القيام بكل ما فرضه الاسلام ودعا اليه من أعمال دينية ودنيوية لضمان السعادة والهناءة في هذه الحياة وفي الآخرى » .

العرب بعد الاستقلال

ويصور علال الفاسي موقف الأمة العربية بعد ان خرج المستعمر ، وبدأت مرحلة الاستقلال : ـــ

« امتنا العربية آمنت بالاسلام دينا واتخذت أحكامه خلقا ورأت آثار ذلك في كل تاريخها فعاشت معه عزيزة حرة كريمة مصونة حتى اذا هاجمها المستعمرون الغربيون في عهودها الاخيرة وغلبوها بقوتهم المادية وجدوا عندها من طاقة الايمان ، وخلق الدين ، مادفعها للاستمرار في النضال والثبات في المقاومة فاستطاعت أن توحد صفها وتلتف حول الخيرة من أبنائها وتقسر الاستقلال من يد العدو قسرا ، وكانت تسير بعد الاستقلال في طريق مفيدة تفضي بها الى « ثورة المؤمن » الذي يتحرك ليثبت عقيدته وينقلها من عالم الضمير الى ميدان الواقع ، وذلك باقرار مبادىء العدالة الاجتماعية كما أرادها الاسلام لا ضرر فيها ولا ضرار حتى اذا قاربت الثورة أن تبدو ونورها أن يشرق قامت ردود الفعل فأوقفت الأمة عن سيرها وشغلتها بنفسها واحدثت بينها الفرقة وفقدان الثقة .

ولقد صرخنا على أثر النكبة الاولى التي حلت بفلسطين ان لا منقذ لنا غير الاسلام ولاخلاص لشعبنا الا بتعاليم القرآن .

ولما اشتدت الفرقة وافضت الى حروب ومشاجرات نادينا مع المؤمنين في كل انحاء الارض المسلمة بضرورة التضامن الاسلامي علما منا بان الوحدة المبنية على العقيدة لا على السلالة أو اللغة هي أمتن رباطا وأقوى عملا وأجدى عاقبة ، ولكن خصوم (الجامعة الاسلامية) انضموا الى طائفة الدول الكبرى في محاربة هذه الدعوة البريئة بانها حلف استعماري مع أنها وحدها التي كانت قادرة على ابراز ما للشعوب الاسلامية من قوة وهكذا انعزل العرب عن بقية العالم الاسلامي وانقسموا .

كل ذلك والاحزاب صهيونية وصليبية تتستر باسم الديمقراطية أو الاشتراكية تفت في عضدهم ولا تألو جهدا في تضليلهم وتوقع بينهم العداوة والبغضاء .. »

وننتقل الى جانب آخر من جوانب فكر « علال الفاسي » ومفاهيمه .

« الغزو الفكري »

« الذين حبذوا الغاء الخلافة والتخلي عن فكرة الجامعة الاسلامية ظنوا أن ذلك سيتيح الفرصة للتكتل على أسس تقدمية جديدة ، دون التعرض لمعاداة الغربيين الذين زعموا انهم تخلوا عن التعصب الديني وفتحوا صدورهم لعلاقات انسانية كما شبه للعرب ان انهاء الخلافة العثمانية سيتيح لهم اقامة سلطان عربي موحد ؛ هذا كله لم يكن الا استدراجا لنفوس العرب والمسلمين للتحلل من مثلهم العليا واخوتهم الدينية التي لا مثيل لقوتها . ولقد نجح الصهيونيون والصليبيون والمستعمرون في افساد الروح الوثابة التي اخذت تنمو في نفوس العرب والمسلمين منذ

الصرخة الاولى التي أعلنها جمال الدين ومحمد عبده وغيرهما من قادة الفكر في عالم الاسلام الجديد ومن غير أن تزول قداسة هؤلاء القادة في نفوس المسلمين يشبه اليهم دعاة الاعداء ان أفكارهم انما تمثل مرحلة من مراحل النضال ضد الرجعية وان النتيجة الحتمية لها هي هذه الافكار الانحلالية التي ضيعت على المسلمين طاقاتهم ومعنوياتهم في سبيل مثل بعيدة عنهم ولا تفضي الا الى زوال الكيان العربي الاسلامي . ان النكبة من هنا بدأت من الاحتلال الفكري الذي تغلغل في نفوس أجيال من قومنا باسم التقدمية والديمقراطية والاشتراكية دون تعمق لمعاني الاشياء ونفوذ لفحواها » ..

مستقبل الاسلام

وكان العلامة علال الفاسي صادق الايمان بمستقبل الاسلام اذا ما تسلح المسلمون بالوعى والايمان :

« ان ضعف تمسك المسلمين بالاسلام والابقاء على بعض منه فقط فهذا صحيح مع غاية الاسف ، ولكنه لا يدعو الى اليأس وان ذلك من طبائع الاشياء . قال الله تعالى في كتابه العزيز . (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) فالصعود للانسان ثم الهبوط ثم الصعود ثم الهبوط شيء ضروري ولكن الثلة المؤمنة التي تظل تعمل الصالحات ولا ينقطع أجرها هي التي تعود بالمسلمين وبالانسان الى ما خلق عليه من احسن تقويم وترفعه من اسفل سافلين الى اعلى عليين ، فضعف المسلمين أو تخليهم شيء موقوت لا بد أن يزول ولن يزيله خروجهم من ملتهم أو قبولهم مبدأ اللادينية بل بقيام طائفة ظاهرة على الحق بواجبها لرد المسلمين الى حظيرة الاسلام الحق ان علمائنا اليوم مسئولون عن تربية شبابنا وارشاد امتنا ، ولكن عليهم لكى ينجحوا ان يعطوا الدليل العملي من سلوكهم وقيامهم بالنضال المستميت في سبيل الحق في بعث الاسلام ثقافة وحضارة وشريعة ولغة كتابة » .



(وبعد) فقد كانت حياة علال الفاسي حياة خصبة عامرة بالكفاح والنضال ، قضى طرفا منها في القرويين متعلما ومعلما ، وقضى طرفا منها في الشرق ومصر مهاجرا وقضى طرفا منها في الصحراء منفيا وقضى طرفا منها في السجن معتقلا ، ثم عاش سنواته الاخيرة بعد الاستقلال مجاهدا بالكلمة واستطاع أن يرسم صورة واسعة لاصول الثقافة العربية الاسلامية في المغرب كواحد من قادة الفكر وائمة الدعوة الاسلامية « رحمه الله » .

الفكر الإسلامي

للاستاذ : فاروق منصور

ما هو دور الفكر الاسلامى وواقعنا يخضع لاعتبارين او يواجه أمرين ؟ عدو يهدد او ننتظر منه العدوان ولا نأمن جانبه ، ودين يأمر بالجهاد ويدفع للاستعداد له ؟

اننا امام امرين ان أعددنا لكل منهما عدته سلمنا وسلمت حياتنا ، وضمنا الامان والامن والفـــوز ، بل ضمنا الحياة ٠ ومن حسن الحظ أن الوفاء بالالتزامين ، والقيام بالامرين ، واحد ٠ فلسنا أمام تعدد الجهود ولكن أمام تضافرها ، ان ما يرضى ديننا هو نفسه ما يصلح دنيانا ٠

ان ديننا يأمر بالجهاد والاستعداد له لا خلاف فى ذلك ولا شك ، واننا نواجه عدوا لا يمكن أن نتقى شره ونأمن مكره الا بالجهاد والاستعداد الدائم له ، فما هو واجب الفكر الاسلامى فى هذه الحالة ٠ ؟

والإنسان والمعركة

ان الفكر الاسلامى المعاصر ايمانا برسالته وفهما لواجبه ووعيا لاحتياجات الأمة المسلمة عليه أن يواجه واقعا ، ويعد له حماية لهذا الواقع ودفاعا عنه . وتبشيرا بمستقبل زاهر ، وعملا له واعدادا لما يجب أن يكون عليه بناؤه ، عليه ان ينبه الأمة الاسلامية الى الخطر ويضع لها اساليب المقاومة او طرق اتقاء ذلك الخطر وأن يمدها بالقدرة عليه . نحن أمة أمرها دينها بتحمل أعباء الجهاد استعدادا دائما له ، وتربية على تحمله . وتوفيرا لمقتضياته ومتطلباته . ونحن امة تواجه عدوا أريد لها أن تواجهه ، وأن توجه جل اهتمامها له ، أو لمقاومته واتقاء شره والتخلص من أخطاره . هذه الحقائق يجب أن تظل مطروحة علينا ومفهومة .

لكى نعرف حقا :

واذا كان ذلك هو حقيقة واقعنا ، فان معرفة حقيقتنا تدفع الى معرفة الطريق الذى نسلكه ، وتؤدى الى فهم الواجب الذى ينبغى الالتزام به ، أو القيام بأدائه . وهذا هو دور الفكر الاسلامى المعاصر : توضيح الواقع ، ووضع الحلول ، ورسم الخطط . ان الفكر الاسلامى وهو يأخذ من الكتاب والسنة أصوله ويقوم عليهما لا ينبغى ان يكون أبدا بعيدا عنهما ، او غير ملتزم بهما فى شكله أو موضوعه ، فى واقعه أو تصوراته . لأننا اذا كنا نعد المفكر العصرى الذى لا يواجه مشكلات عصره انعزاليا أو سلبيا بتفسيرات العصر فان المفكر الاسلامى الذى لا يلتزم بالكتاب والسنة غير مؤمن . وفكره آنذاك ليس مطلوبا وليس مقبولا بل انه بمعنى أدق

مرفوض ، لا يريده ديننا ولا تريده أمتنا ولا تريده حياتنا اليوم وغدا ، وما أظنها كانت تريده بالأمس بل أن حياتنا في كل مراحلها ترفضه . واذا كان المفكر غير مؤمن فهو غير مؤتمن واذا كان العدو خطرا فان الخائن في صفوفنا أشد خطرا . لذلك فان الفكر الاسلامي مطالب في هذه الأوقات أكثر من أي وقت مضى بأن يرتبط بواقعنا أكثر ويتلاحم مع حياتنا ، يحسها ليعطيها ، ويفهمها ليدفع لها بما يعينها ، ويدفع بها الى ما يقويها ويحسنها ، ويجعل منها الافضل والأحسن لكي يحفظ لأمتنا حياتها ولديننا سموه ولقيمنا أصالتها .

ان الفكر الاسلامي اليوم لا يمكن ان يكون دوره قاصرا على أن يدور حول القضايا الشكلية ليزيدها غموضا ، أو ليغرق في غموضها ، ويغرق معه الكثيرين منا .

بل واجبه ان يعود الى حقيقته ، الى سالف أيامه ، يوم كان أكثر أصالة وأكثر اقترابا من الكتاب والسنة ، كي يبدع اليوم كما أبدع بالأمس . لأن الفكر الاسلامي لا يمكن أن يبدع كما أنه لا يمكن أن يكون شيئا ما لم يلتزم بالكتاب والسنة . وارتباط هذا الفكر بالكتاب والسنة ليس في حقيقته اتباعا فقط ، ولكنه صمام أمن ، وضمان سلامة ، واتساق مع حقيقته، وتمش مع واقعه ، وهو وضع للأمور في نصابها ، أو تعريفها بصفاتها ، فاذا ما قلنا مثلا أن الماء يتركب من الايدروجين والاوكسجين بنسبة ٢ : ١ كيمائيا ، واذا قلنا أن مناخ البحر الابيض المتوسط حار جاف صيفا معتدل ممطر شتاء . أو قلنا ان غاز الاوكسجين لا يشتعل ولكنه يساعد على الاشتعال بينما الايدروجين يحترق ، فاننا نقول إن الفكر الاسلامي ما قام على الكتاب والسنة يلتزم أولا بالكتاب ويسير في ضوء السنة مهتديا بها .

فهو فكر اسلامي ما اتبع ذلك وليس اسلاميا ما خالفه لأنه اذا كان اتباع الكتاب والسنة أمرا حيويا للفكر الاسلامي فانه عندما يبعد عنهما يفقد هويته ، يتخلى عن لبه ، يتنازل عن جوهره ، وحينئذ لا يكون شيئا ذا بال ، وحينئذ لا يكون بمقدوره أن يقدم شيئا . وهذا ليس مطلوبا لنا ، وليس متمشيا مع احتياجات أمتنا ، ولا ملائما لظروفنا : الفكر سياج أمن لواقع وضمان أكيد لمستقبل .

عندما نعود الى الكتاب والسنة !

ان العودة للكتاب والسنة والالتزام بهما اتباعا وتسليما لا يعني الجمود بل يعني الارتباط بالاسس السليمة . والاهتداء الى الطريق السوي الذي يسلم من يسير عليه ، ويغنم من يلتزم به ، ويهتدي من يسلكه . والالتزام بالكتاب والسنة يعني الارتباط بالله ، وحينئذ يكون ايماننا مبصرا ، واعتقادنا سليما ، ويقيننا بناء . فالايمان بالله يوضح الامور أمامنا ، ويضاعف من قدرتنا على العطاء ، ومقدرتنا على الفهم بصورة أدق وأوضح . الالتزام بأمر الله واتباعه يطهر نفوسنا ، ويشحذ قوانا فنرتفع عن كل حقد ونسمو فوق كل ضغينة ، وتتعالى عقولنا على الوقوع في براثن الجهل أو الخرافة أو الشعوذة ، لأن الايمان بالله يعني معرفة الحق ، ومعرفة الحق تقود الى الخير والصواب . ان الايمان بالله يدفع الانسان الى تفهم طريقه ومعرفة مساره ، يجعل من صاحبه متوكلا على الله وليس متواكلا ، مجاهدا وليس

مخدرا أو منوما . مدركا للأسباب والنتائج ، يرجع الامور كلها لله ، وفي نفس الوقت وانطلاقا من هذا الايمان يحس أنه مخلوق له قدرات يجب أن يحسن استخدامها ، ويوجهها توجيها سليما فيما يعود بالنفع والفائدة على دينه وأمته وجماعته ، وفيما يصلحه ويصلح مجتمعه ، فبقدر استخدامه الحسن ، وبقدر عطائه الحسن يكون كمال ايمانه ، وكلما أتقن عمله وخلصت نيته وصلح عطاؤه كلما زاد اقترابا من الله وكمل ايمانه، وثقته به ، واخلاصه له .

والالتزام بالكتاب والسنة يقود الانسان الى معرفة الذات ، وفهم الواقع ، لأن الكتاب والسنة انما استهدفا اقامة المجتمع الأمثل وكفلا له أحسن الاساليب وأنجح الوسائل التي اذا التزمت حققت الغاية ، وأوصلت الى الهدف المرجو ، والأمل المنشود .

يا امة الاسلام هذا عدونا !

ان معرفة الذات في ضوء الكتاب والسنة ستقودنا الى معرفة الواقع : ما يواجهنا من مشاكل ، ما نعيش فيه من ظروف ، ما نخضع له من مؤثرات ومعرفة حقائق الأمور ليست كل شيء ولكن لا بد من اكتشاف العلاج والقيام به لتكتمل المعرفة . اننا مثلا عندما نعرف ان انسانا ما عزيزا علينا يشكو مرضا فهذه المعرفة في حد ذاتها ليست شيئا ، ولكن ما يترتب عليها هو الشيء ، وهو ما نسعى اليه دائما . ندرك أنه مريض فنسعى به الى الطبيب المختص ليعالجه ، واذا لم يجد العلاج يغير الطبيب الدواء أو نغير له الأطباء حتى يبرأ ، وبالمثل في حالتنا هذه عندما نعرف ذاتنا فاننا نعرف أننا أمة عربية ، دينها الاسلام يطالبها بحياة مثلى ، يرسم لها طريقها ويمدها بلبنات البناء ، وهي مطالبة باقامة تلك الحياة المثالية والا كانت جاحدة بنعمة الله عليها ، مقصرة في حق الله وحق نفسها ، وغير مستحقة للحياة . وعليها أن تسعى لما يرضي الله ، ويحفظ عليها حياتها ، ويبقي لها مكانها بين الأمم ، ومعرفة الذات تقودنا الى تفهم الواقع ، فنعرف اننا نواجه عدوا جاءنا ليسرق الأرض ، ويشتت الشمل ويقتل الأفراد والجماعات . جاء الى أرضنا متسلحا بأحقاد قديمة ، وأطماع تاريخية ، جاءنا مزودا بأحدث الأسلحة التي يملكها أو تمنح له . جاءنا ولديه اصرار على أن يقضي علينا انه لم يقنع نفسه أبدا بامكانية التعايش بل هو مصر على الانفراد . انه عدو يزعم التفرد والتميز . وهو لا يعني بتميزه وتفرده مجرد اكتسابه لصفات ـ يزعم لنفسه أنها تميزه عن الآخرين . ولكنه يصر على أن تميزه المزعوم يعطيه الحق بالسيادة على الآخرين . يعطيه الحق في أن يسود فيستعبد غيره ، ويستخدمه وفق أهوائه . والتميز في مفهوم عدونا يعني أن حق الحياة مكفول له ليس على رؤوس الآخرين ولكن فوق جثثهم ، لا بد في زعمه أن يحيا هو ، وهو وحده . انه يؤمن بأن حياته تتعارض مع حياة الآخرين فلا بد أن يفقد الآخرين حياتهم ليسعد هو . اي يجب ان نفنى لكي يحيا سعيدا . معرفة هذا الواقع تقتضي معرفة كل شيء عن العدو ، تاريخه وتفسية أفراده ، وفهم نواياهم العدوانية ، كيف يتجمعون ؟ ولماذا يتجمعون ؟ وكيف نفرق جمعهم ؟ ومعرفة الواقع ستقودنا الى فهم مخططات العدو . كيف يفكر ؟ وكيف

ينفذ أفكاره ؟ وما هي خطورة هذه الأفكار؟ وكيف نتقيها ؟ أن معرفة هذا الواقع وفهمه ووضع الحلول اللازمة له هو أهم ما يجب أن يعنى به الفكر الاسلامي المعاصر . والطريق اليه ليس اطلاق صرخات الخوف ، وليس نفخ البالونات وصنع آلاف من الطبل الاجوف عن خطورة العدو ، أو عن مقدرتنا التي لا تقهر ، وجموعنا التي لا تهزم .

لا هذا ولا ذاك ، ولكن واجب الفكر الاسلامي اليوم أن يوضح حقيقة الواقع ، حقيقة العدو ، والطريق السوى لمواجهة الواقع ومجابهة العدو . لكي نحيا كراما ، ولكي نعيش الحياة التي ارادها لنا ديننا ، وأمرنا الله بها ، والتي نريدها لأنفسنا ، والا فلنذهب جميعا .

رسالة هذه الأمة :

واذا كانت معرفة الذات وفهم الواقع هما واجب الفكر الاسلامي المعاصر ، فهما ليس واجبه الوحيد ، ولارسالته الوحيدة ، أو عمله الأوحد . ولكن للفكر الاسلامي دوره ، وعليه واجبه وهذا الدور أكبر من معرفة الذات ومواجهة الواقع . وواجب الفكر الاسلامي اعظم من ذلك أيضا لأنه يتمشى مع الاسلام ورسالته — وما نواجهه اليوم من أخطار أيا كان حجمها ما هي الا شلالات اعترضت المسار ، أو عقبات في طريق الاسلام ومضيه الى غاياته الحضارية . وهذه الشلالات أيا كان عددها ، ومهما بلغت حجما وكيفا يجب الا تكون صخرة تحطمنا ، سدا نقف عنده وتمنعنا من المضى . أن واجب الفكر الاسلامي المعاصر أن يصنع الانسان القادر على تخطى الصعاب ، والعبور فوق مشاكل عصره ، يحللها ويضع اجابات عملية لتساؤلاتها ، ويحسم ما تلقيه عليه من متاعب ، ليبنى ما يأمره به دينه ، وما يتلاءم مع قيمه ، ويتمشى مع سلامته وأمنه . لقد جاء الاسلام ليكون دين الانسانية ، وليكن اتباعه بهديه واتباعه خير أمة أخرجت للناس جاء الاسلام ليتبعه كل القادرين على اطاعة الله والعمل بهديه ، وعندما يطيعون الله انما يتحملون عبئا ، وعندما يعملون بهديه انما يتحملون مسئولية ارتضوا طواعية أن يتحملوها ، وحملوا أمانة يسعدهم القيام بتأديتها .

امة شرفها الله :

وهذه الأمة التي ارتضت ذلك وسعدت به لا ترجع عظمتها في رضائها فقط بأن تكون في طاعة الله ، ولا في قبولها لحمل رسالته ، وهما أمران محققان للعظمة ، يبعثان الفخر . ولكن ترجع عظمة أمتنا وفخرها الى كونها الأمة الوحيدة التي اختارها الله لحمل رسالته ، والقيام بشرف توصيلها للآخرين ، بالابلاغ والسلوك . ولنا في الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة لقد أبلغنا صلى الله عليه وسلم رسالة ربه وكان بسلوكه مثالا لم يتكرر ، وعلينا ان نتولى ابلاغ غيرنا الرسالة التي حملناها ، وعلينا ان نربيه بالآداب المثالية التي تعلمناها من الرسول الكريم ، والتزمنا باتباعها . معنى ذلك أن علينا واجبا دينيا هو حمل رسالة الله ، وتحضير الانسان . هداية الانسان الى معرفة الله والعمل على قيام حضارة انسانية مرتبطة بتعاليم الله ، هذا هو دورنا في الحياة وهذا الدور هو واجب

الفكر الاسلامي المعاصر الذي عليه أن يقوم به ما كلفه من جهد ، أو القى عليه من مشاق .

فاذا ما نظرنا في ضوء الواقع فاننا نجد أن قيام الفكر الاسلامي بهذا الدور وقيام المسلمين به يصادم أطماع العدو ، ويقضي على أحلامهم ، أي أن هناك صراعا حضاريا آخر . لم يخلقه مجرد أطماع العدو ولا أحقاده التاريخية وكونه ركيزة استعمارية ولكن جاء نتيجة لأننا دعاة خير . وأمناء على رسالة الله في الأرض . ولا بد والأمر كذلك من أن نلتقي بالشر فنصارعه ونصرعه ، ونحارب الباطل فنسحقه وننتصر عليه بتأييد من الله عندما نعد للنصر عدته من ايمان بالله وقيام بواجب الجهاد ، والاعداد له عسكريا وماديا ومعنويا ونفسيا وحضاريا .

معركة قديمة ما زلنا نعيشها :

ان المعركة بيننا وبين عدونا لم تبدأ في ١٥ مايو ١٩٤٨ يوم قامت في منطقتنا دولة دخيلة علينا ، تهدد وتنشر الدمار ، وتسرق الارض ، وتلوث العرض ، وتدوس الكرامة . وهي بالطبع لم تبدأ عندما أعطى بلفور وعده المشئوم في ٢ نوفمبر ١٩١٧ للصهاينة بانشاء وطن قومي لليهود بأرض فلسطين العربية . بل لم تبدأ بطلب الصهاينة من السلطان عبد الحميد سلطان تركيا منحهم قطعة أرض — فلسطين او سيناء لاقامة وطن قومي عليها . بل انها بالتأكيد لم تبدأ بالمؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ ، ولكنها بدات منذ عهد بعيد . انها ترجع الى مئات السنين ، بل الى آلاف السنين . ان المعركة بيننا وبين عدونا تتمثل في أن فئة معينة مدفوعة بشذوذها الى القيام بتصرفات متعارضة مع القيم الانسانية ومتعارضة مع صالح الجنس البشري مستمرة في عدوانها ، أن عدونا مدفوعا بشذوذه يروج بأنه متميز عنصريا عن بقية البشر . وقد اقنع نفسه ، واقنع جموعه بهذا الشذوذ ثم راح يروج له ، ولم يكتف بمجرد الدعاية . ولكنه حاول فرض ذلك بأن يكون له السيادة على الآخرين ، فمارس الغزو ، وحاول التسلط ، وهم بايذاء الآخرين ، ولم يكف عن العدوان الا مرغما ، ولم ينطو على نفسه الا مكرها ، انه عدو يكبله عجزه ، ويقيده الضعف ، ولا يحفل بالقانون أو الخلق ، تلك طبيعته ، ولهذا كانت محاولاته لقهر الآخرين ، نادرا ما كان ينجح ، وكثيرا ما هزم لينطوي على نفسه ، وينطوي على أحقاده مخططا لجرائم جديدة الم يكن ذلك تاريخ العدو مع مصر القديمة حتى سحقهم أحمس ؟ الم يكن ذلك موقفهم حتى قضى عليهم بختنصر ؟ الم يكن ذلك هو ما حاولوه مع المسيح عيسى ابن مريم كلمة الرحمن التي أرادوا اطفاءها فخيبهم الله ونصر عبده وأنقذه منهم ؟

ولكن نصر الله عبده :

الم تكن تلك هي طبيعتهم مع الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فكان هو الوحيد الذي كشف مؤامراتهم ووضع حدا لجرائمهم وخيانتهم . وقضى على جموعهم ، الم يكن محمد صلى الله عليه وسلم وهو وحده الذي قضى على أعداء البشرية قتلة الرسل ناشري الحقد والضغينة ؟ بل أن انتصار محمد صلى الله عليه وسلم

هو الانتصار الوحيد الحاسم الذى تقضي على شوكتهم فظلوا مئات السنين مضيعين . وليس غير اتباع محمد صلى الله عليه وسلم من يقدر على سحق هذا العدو اليوم .

ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد أنقذ الجنس البشرى من هذا السرطان وجنب الانسان شر عصابات يدفعها الحقد وتحركها الضغينة ويجمعها الشذوذ . وان رسالة اتباع محمد اليوم حماية الانسانية منهم . فالمعركة بيننا وبين الصهيونية قديمة اذن . اننا العرب قد تصدينا لهم قبل الاسلام ونحن العرب أتباع محمد الذى هزمهم والذين سنحمى البشرية من خطرهم باذن الله . هى أمانة حملناها وعلينا أن نؤديها .

ماضى يجب ان نذكره :

واجب الفكر الاسلامى المعاصر ان يعى ذلك ويبشر به لا بمجرد البشرى يسوقها ، أو الأمانى يتغنى بها ، ولكن بكشف العدو ، وتوضيح المسار التاريخى لمؤامراته ، والمواقف التى هزم فيها ، وكيف هزم . ان واجب الفكر الاسلامى المعاصر أن يوضح للانسان العادى فى أمتنا كيف انتصر الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم وكيف يمكن أن ننتصر . ومرورا بهذه المهمة سيقوم الفكر الاسلامى بالطبع بتوضيح ما هو الاسلام ؟ ومن هو المسلم ؟ كيف نعيش الاسلام ؟ وكيف نكون مسلمين ؟

المعركة بيننا وبين عدونا معركة حياة والحياة مستمرة ولضمان استمرارها يجب أن نقهر عدونا .

والمعركة بيننا وبين عدونا معركة حضارة يجب أن تستمر ، ولكى تستمر لا بد من مقومات ، وأول هذه المقومات الانسان صانع الحضارة ، وحاميها ، فلكى نقهر عدونا ، ولكى نصون الحضارة ونعمل على استمرارها وتقدمها لا بد من وجود الانسان المسلم ، لأنه القادر على هذه المهمة ، ولأنه الذى اختاره الله لها . ولكى يوجد الانسان المسلم فلا بد من توفر منهج اسلامى لبنائه ، منهج اسلامى لتربيته ، منهج اسلامى لحياته ، لنجد الانسان المسلم والحياة الاسلامية لأنه لا حياة بلا انسان ، ولا انسان بلا ايمان ، ولا ايمان الا بما أمر الله به ، وأنزله على عبده ، واختاره له ، وأمره بابلاغه لنا .

المعركة بيننا وبين عدونا اذن لا يحسمها الانتصار فى جولة أو جولات ولا ينهيها قرار بالسلام أو الرغبة فيه ولكن ينهيها هزيمة عدونا حضاريا بأن يكون لدينا دائما الانسان الاقوى ، الانسان الافضل الانسان الاقدر ، وأول الطريق لبلوغ القوة الايمان ، وحقيقة الايمان اقرار وعمل ، وأحسن العمل أصدقه وأصلحه ، ولا عمل بغير علم . لقد علمنا الله وأرسل الينا رسولا ليعلمنا ، ويعطينا العلم باعتباره ضرورة للحياة لأنه لا ايمان بغير علم ولا حياة بغير ايمان فليأخذ الفكر الاسلامى بأساليب العلم . انه واجب الفكر الاسلامى المعاصر أن يسعى لبناء الانسان المسلم الصالح للحياة وواجبه أيضا أن ينبه دائما وباستمرار الى معركة الحياة ودورنا الحضارى ومتطلبات هذا الدور من جهد مطلوب ويقظة دائمة واستعداد متواصل مرتبط بالايمان بالله والاصرار على النصر .



للأستاذ : أحمد مظهر العظمة

جعل الله تعالى للمسلم مناسبات تقوى فيها التوبة وتقبل الطاعة ويمتد الرجاء فى عون الله ونعيمه ، وبذلك يطمئن المسلم برضاء الله عنه فينشط فى سعيه المحمود الى قصده المبرور المنشود .

وللاطمئنان النفسى قيمته الكبرى فى هذا المضمار ، فهو كما يقول علماء النفس والتربية من عوامل النشاط ونمو الشخصية ، اما القلق النفسى فهو على عكس ذلك : هدام للرغبات والآمال والأعمال ، ان الطفل الذى يسكن الى جناح أبويه مثلا ، هو أرضى نفسا وأسلم سلوكا من اليتيم الذى فقدهما وفقد من يحنو عليه بعدهما .

سبق الدين بغفرانه الى هذه المعانى ، وجاءت رحمة الله تعالى لا حد لها ، لأن الله سبحانه أرحم بعباده من آبائهم وأمهاتهم لهم . قال الله تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) (الأعراف : ١٥٦) ، وقال سبحانه : (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) (الشورى : ٢٥) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ؟ فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من

راحلته فبينما هو كذلك ، اذا هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ...)

ننتقل بعد هذا التمهيد الى الحديث عن التوبة والغفران فى شهر شعبان الذي يعلى همم المؤمنين ليجدوا فى سيرهم (فيزيدوا من انتاجهم) فى الطاعات والمبرات .

فشهر شعبان شهر مبارك ، فهو موسم من مواسم الخير والبر . عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر صياما منه فى شعبان) — رواه البخارى — .

وان لليلة النصف من هذا الشهر المبارك — شعبان — مزايا عطرة . روى المنذرى فى (الترغيب والترهيب) أحاديث عديدة إن كان فيها شيء من ضعفه أو ارسال فان بعضها يعين بعضا فى سبيل الطاعات ، منها حديث طريف صريح ، تصحبه الخشية والخشوع ، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع عنه ثوبيه ثم لم يستتم أن قام ، فلبسهما ، فأخذتنى غيرة شديدة ، ظننت أنه يأتى بعض صويحباتى ، فخرجت أتبعه ، فأدركته بالبقيع بقيع الفرقد (مقبرة المدينة) يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ، فقلت : بأبى وامى أنت فى حاجة ربك ، وأنا فى حاجة الدنيا ، فانصرفت فدخلت حجرتى ولى نفس عال ، ولحقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا النفس يا عائشة ؟ قلت : بأبى أنت وأمى ، أتيتنى فوضعت عنك ثوبيك ثم لم تستتم ان قمت فلبستهما ، — فأخذتنى غيرة شديدة ، ظننت انك تأتى بعض صويحباتى حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع . فقال : يا عائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ أتانى جبريل عليه السلام فقال : هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم كلب (اسم قبيلة) لا ينظر الله فيها الى مشرك ، ولا الى مشاحن ولا الى قاطع رحم ، ولا الى مسبل (مستكبر من أسبال الازار) ولا الى عاق لوالديه ، ولا الى مدمن خمر) . ثم وضع عنه ثوبيه فقال لى : يا عائشة ، تأذنين لى فى قيام هذه الليلة ، قلت : نعم بأبى وأمى ، فقام فسجد ليلا طويلا ، حتى ظننت أنه قد قبض ، فقمت التمسه ، ووضعت يدى على باطن قدميه ، فتحرك ففرحت وسمعته يقول فى سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك ، جل وجهك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

فلما أصبح ذكرتهن له ، فقال : يا عائشة تعلميهن ، فقلت نعم ، فقال:

تعلميهن وعلميهن ، فان جبريل عليه السلام علمنيهن ، وأمرنى أن أرددهن فى السجود . (أى مطلق سجود) : الترغيب (رواه البيهقى) .

أما الدعاء الذى اعتاد كثير من الناس تلاوته ليلة النصف من شعبان فليس دعاء نبويا مأثورا وانما هو من وضع بعض المتأخرين ، ولا يرتضيه العلماء المحققون . واظهر دلائل وضعه جعل ليلة النصف من شعبان ليلة يفرق فيها كل أمر حكيم ، مع أن هذا الوصف من شأن ليلة القدر ، قال تعالى فى سورة الدخان (انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا انا كنا مرسلين . رحمة من ربك انه هو السميع العليم) الآيات ٣ — ٦ .

ومما تضمنه الدعاء المعتاد قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب) . واستكمال هذه الآية يوضح تمام معانيها ، قال تعالى فى سورة الرعد : ٣٩ (ولقد أرسلنا رسلا من قبلكم وجعلنا لهم أزواجا وذريه ، وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله ، لكل أجل كتاب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فيه كل ما هو ثابت من أصول الشرائع . فالله تعالى يمنح رسله ما شاء من أزواج وذرية وغير ذلك ، ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم الذى استنكر المشركون رسالته وبعض شئونه وما تنزل عليه من آيات مباركات . كما أن الله تعالى ينسخ أحكاما أو يعدلها ويثبت أخرى وشبيه بما تقدم قوله تعالى فى سورة البقرة : ١٠٦ (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) وهذا أمر مألوف مثله فى الشرائع الوضعية أيضا حين ينسخ قانون متأخر قانونا سابقا أو يعدله مراعاة للمصلحة الحقة .

وبعد ، فان فى الأدعية القرآنية والنبوية الثابتة ما يغنى عن سواها والله يقول الحق والرسول لا ينطق عن الهوى (ان هو الا وحى يوحى) ومن أروع الأدعية الدعاء الذى سمعت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به وهو ساجد كما تقدم : أعوذ بعفوك من عقابك الخ .

وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت : يا رسول الله : أرأيت إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال : (قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى) مصابيح السنة .

وعن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج من بيته قال : بسم الله توكلت على الله ، اللهم انا نعوذ بك من أن نزل ، أو نضل ، أو نظلم أو نظلم ، أو نجهل أو يجهل علينا) مصابيح السنة .

وعن أبى بكرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين ، وأصلح لى شأنى كله ، لا اله الا أنت) — مصابيح السنة — .

أمراض الكبد

للدكتور : محمد محمد ابو شوك

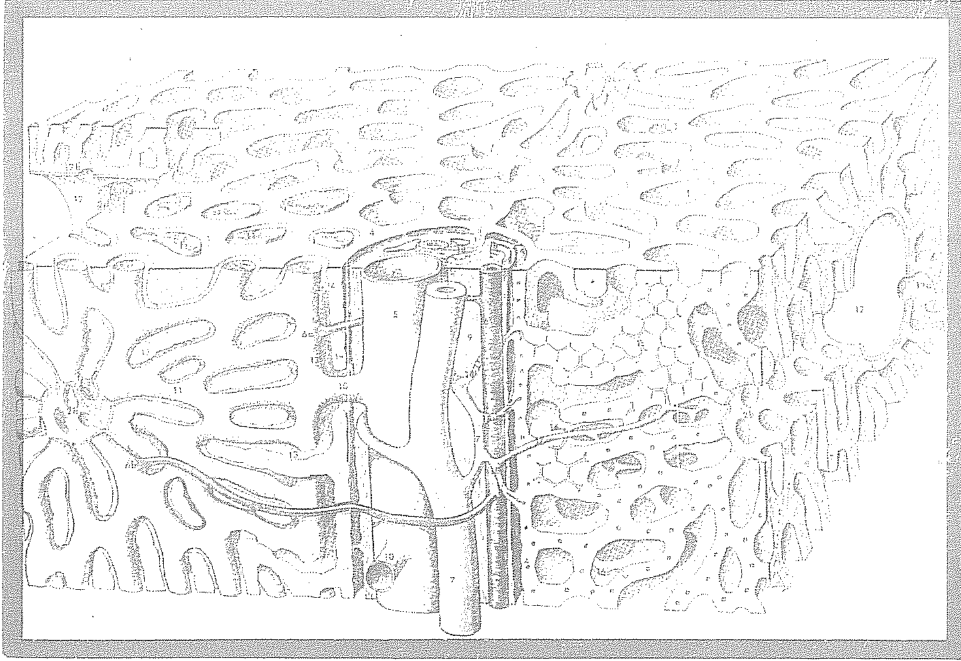
الكبد عضو من اعضاء الجسم . يشغل الجزء العلوى من البطن من الجهة اليمنى . ويحجزه عن تجويف الصدر الحجاب الحاجز . يزن حوالى الف وخمسمائة من الجرامات وينقسم الى فصين : الفص الأيسر والفص الأيمن . هذا هو الكبد الذى طالما حير العلماء والأطباء — هذا المعمل الضخم الذى يعمل ليل نهار دون توقف ولا راحة لسنى عمر الفرد قصر هذا العمر أو طال — هذا المعمل المحيرة آلاته التى تسير بمقدار دقيق كل الدقة اذا اختلت اختل الجسم كله ، من صنع الرحمن وخلقه ، فتبارك الله احسن الخالقين .

ونظر الباحثون الى خلية من خلايا الكبد فأذهلتهم ، ووجدوا أن هذه الخلية يأتى اليها الدم وما يحمل من مواد غذائية من الامعاء تأخذها بداخلها وتحول هذه الأغذية من جلوكوز — احماض أمينية — وجليسرين — وأحماض دهنية — تحولها الى ما يحتاجه الجسم من جليكوجن وبروتينات — ومواد دهنية لتخزن فى الجسم أو لتستعمل وتعطى الجسم الطاقة التى يحتاجها وتحفظ كيانه .

وكذلك تصنع مادة البروترومبين والفابرينوجين هذه المواد وغيرها اللازمة لتجلط الدم ولولاها اذا جرح الانسان لظل ينزف الى أن يموت .

ومن أنواع البروتينات أيضا تفرز الخلايا ما يسمى بمادة الجلوبين هذه المادة التى تحمل فى طياتها المواد المضادة للميكروبات وتعمل خط دفاع قوى ضد هجومها على الجسم فتحميه .

والهرمونات التى يفرزها الجسم من الغدد الصماء كلها تمر بالكبد بعد



خلايا الكبد

ان تقوم بعملها ليحولها الكبد الى مواد غير نشطة حتى لا يستمر تأثيرها على الجسم ، وتفرز مع البول بعد هذا التحول حتى لا تضر بالجسم .

معظم الأدوية التي يتعاطاها الانسان — لا بد وان تمر بالكبد ليبطل مفعولها بعد أن تقوم بعملها ، فمثلا الحبوب المنومة ، والاسبرين ، والمورفين ، واقراص السلفات وغيرها كثير لو تركت تسري في الجسم بعد تعاطيها لأضرت به أيما ضرر ولكنها تحول في الكبد بتفاعلها مع مواد به فيبطل فعلها بعد أن تقوم بعملها .

ولنأخذ لذلك مثلا — لو أعطينا حقنة مورفين أو قرص منوم لسليم في جسمه ، سليم في كبده لأثر ذلك عليه لفترة محدودة وقصيرة ولنقل ٤ — ٦ ساعات لأن المورفين يتكسر ويبطل مفعوله بالكبد بعد هذه الفترة فلا يقوى على التأثير على الجسم . في حين لو أعطينا نفس الكمية لشخص به مرض في كبده فانه لا يمكن أن يبطل المفعول في هذه المدة . لذا نرى مفعول المورفين يبقى لفترات طويلة ربما لمدة أربع وعشرين ساعة الى أن تؤثر الخلايا الضعيفة على كمية المورفين التي أعطيت وتفقدها فعاليتها .

والخلية تأخذ مركبات الفيتامينات التي في الطعام وتحولها الى فيتامينات تذهب الى أجزاء الجسم أو تخزن في خلايا الكبد . وهذه الخلية أيضا تأخذ ما تكسر من الكرات الدموية الحمراء وما خرج منها من مادة الهيموجلوبين (المادة الحمراء) وتحولها في داخلها ثم تفرزها على هيئة المادة الصفراوية وترسلها الى الأنابيب التي تحملها لتوصلها في النهاية الى الحويصلة الصفراوية او الى الامعاء لتقوم بعملية تفتيت

واستحلاب المواد الدهنية الممتصة من الأمعاء . ولولا هذه المادة الصفراوية لخرجت المواد الدهنية وهي فيتامين أ ، د ، ك ثم انه تبارك وتعالى جعل هذه الخليــة تصنع من الأنزيمــات والمواد المساعــدة على التفاعــلات ما لا يحصى ولا يعد .

وبرهة واحدة تقف الخلية فيها عن صنع هذه الأنزيمات والمساعد على التفاعلات يتوقف العمل ويختل وتكون المضاعفات التي ربما تودي بحيــاة الانسان .

هذه الخلية ــ خلية الكبد ــ لهــا القدرة على أن تأخذ المواد الضــارة والناتجة من التفاعــلات والتي اذا تجمعت في الجسم أماتته تأخذهــا وتحولها الى مواد نافعة للجسم أو تبسطها وتطردها خارج الجسم لكي لا تضر به .

هذا ما ظهر ، وما توصلنا اليه من عمل وظيفة خلية الكبد وما أوتينا من العلم الا القليل وما خفي لعله أعظم وأقوى ــ وما زالت الأبحاث تجري وتكتشف الأعمال التي تقوم بها خلية الكبــد .

أئتوني بمعمل أو مختبر في العالم مهما بلغ من الضخامة وما يصــرف عليه من مال يمكن أن يقوم ببعض ما تقوم به خلية الكبد من هذه الأعمال ، لا ولن تجدوا هذا ولن تعثروا على مختبر يقوم بما تقوم به الخلية من دقة واستمرار في العمل دون توقف أو اضراب عن العمل فسبحان الخالق القادر العظيم .

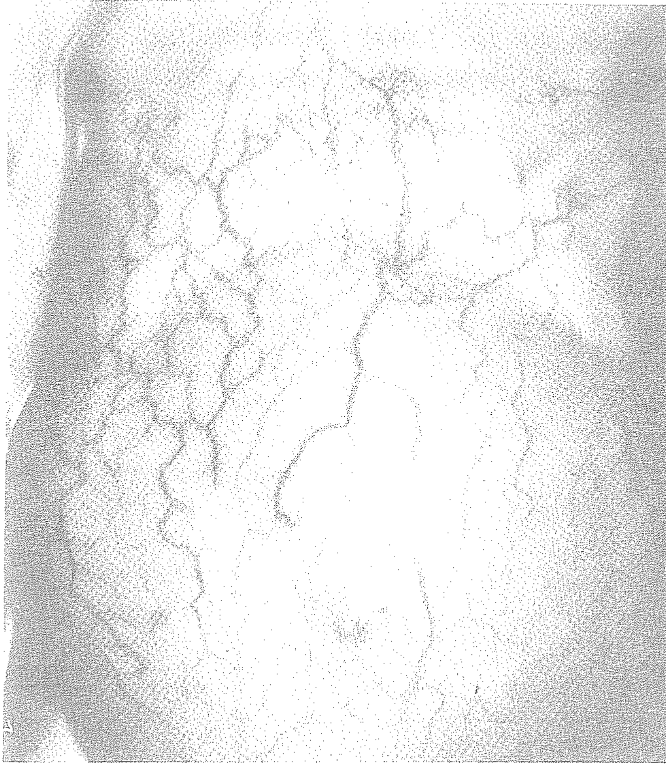
هذه المعامل التي تحيا في الكبــد أراد العلماء والباحثون تقليدها حتى ولو القيام ببعض وظائفها عندما تتأثر خلايا الكبد وتنهار أثر مرض شــديد يصيب الكبد ، ولكن التجربة فشلت مرات ومرات ، وبقيت القدرة الإلهية فوق كل قدرة الى أن يمن الله علينا من فضــله وعلمه ــ ولو بالقليــل القليل ــ ونصل الى أي شيء قد يقوم مقام الكبد اذا أصيب بمرض وتوقف عن العمل وذلك لفترة الى أن يستعيد الكبد قدرته على تحمل وظيفته .

ولأهمية هذا العضو وما يقوم به من عمل جعله الله كبيرا في حجمــه لكي تحــل بعض الخلايا محــل التي توقفت عن العمل ــ فيستمر العمل ولا يتوقف ــ بل وأكثر من ذلك عندما يحدث ضمور في خلايا كثيرة تنمــو بعض الخلايا الجديدة وتحل محلهــا لتقوم بوظائفها فهل من مبدع ورحيم بخلقه غير الله ؟

والكبد كسائر الأعضــاء معرض للأمراض ، ولأمــراض عديدة فهــو يحتقن عندما يهبط القلب ، وتصــيبه التهابات شديدة ، وأمراض سرطانية وأمراض خلقية وغيرها كثير ، وأحب أن أتعرض لمرضين لأوضح أهميــة هذا العضو الجليل في الجسم .

أولا : التهاب الكبد الفيروسي :

وهو مرض يصيب صغار الســن والشباب ــ معد ينتقل من انســان الى انسان يسببه فيروس يدخل مع الطعام وسرعان ما يسري مع الدم بعد



تليف تحت الصدر

تركه الأمعاء — ويذهب الى الكبد فيسبب له التهابا . ومدة حضانة المرض تختلف من اسبوعين الى خمسة اسابيع اى مدة وجود الفيروس فى الجسم دون أن تظهر على المريض أى أعراض ، وعلى قدر قوة الفيروس وعدده ، وعلى مدى مناعة المريض ومقاومته تتوقف نتيجة المرض — ففى بعض الحالات يكون غير واضح المعالم ويمر وكأنه لم يكن تاركا وراءه وجود الفيروس فى براز المريض — واذا لم يعالج المريض يصير حاملا للمرض أو ربما عاود المريض من آن الى آخر الى ان تظهر معالم المرض جلية واضحة للمريض والطبيب .

وفى الحالات الأخرى ربما كان المرض شديدا جدا ومناعة المريض ضعيفة كما يحدث أحيانا فى الحوامل فيتغلب الفيروس ويلتهم الكبد التهاما — ويسبب للمريض غيبوبة — ربما أودت بحياته نتيجة لاصابة الكبد الشديدة بالمرض . وعجزه عن القيام بمهام عمله .

وفى معظم الحالات — أى الحالات المتوسطة — تظهر العلامات الأولية للمرض لبضعة أيام على هيئة رجفة ، صداع ، وأعياء ، ثم يحدث للمريض غثيان وقىء ، وفى بعض الأحيان اسهال وآلام فى أعلى البطن مع ارتفاع بسيط فى درجة الحرارة . ثم يظهر صفار العينين ويلاحظ المريض

أن لون البول صار بنيا داكنا مثل لون الشاي — أو المرقسوس — ويصفر لون الجلد وربما صحب ذلك حكة فيه، وتستمر هذه الحالة من ثلاثة الى ستة أسابيع يعود الكبد الى حالته الطبيعية وتذهب الصفرة التى فى العينين والجلد، ويعود الكبد الى حالته الطبيعية . وفى بعض الحالات تعاود المريض نكسة تؤثر على خلايا الكبد وتسبب ضمورها ويحل محلها الياف — لا تقوم بالعمل التى كانت تقوم به الخلايا، فتسبب ما يسمى بتليف الكبد .

هذا مثل حى عن انحراف خلايا الكبد، فقصرت عن عملها بواسطة مخلوق دقيق لا يرى الا بواسطة ميكروسكوبات خاصة، ذلك الفيروس الذى حير العلماء والذى ربما تجبر واتى على جميع الخلايا فحطمها وحطم كل ما يقوم به هذا المعمل من عمل وبالتالى حطم الجسم كله فسبحان الخالق الذى بيده مقاليد كل شىء يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير .

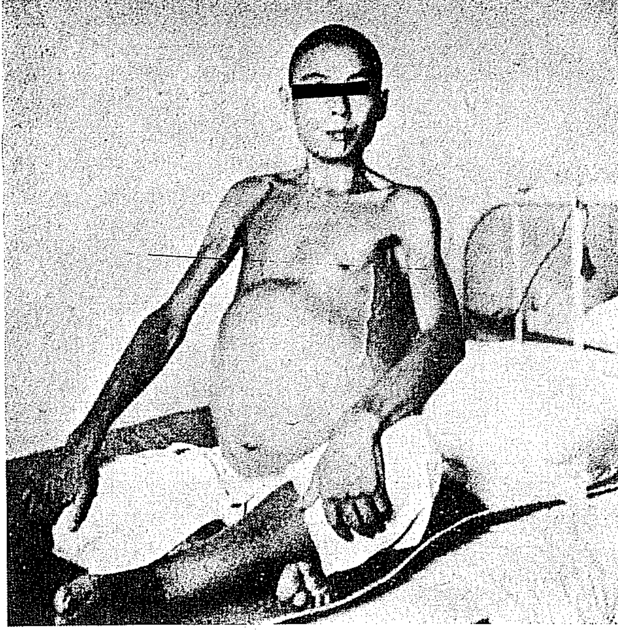
والمثل الثانى :

من أمراض الكبد هو ما يسمى بتشمع الكبد أو تليفه وهذا ينتج عن التهاب حاد متكرر بالكبد، أو سوء التغذية، أو نتيجة لانسداد مزمن بالقنوات المرارية — أو هبوط مرض القلب — ولعل أعظم سبب لتليف الكبد هو الادمان على الخمر، ولقد ازدادت نسبة تليف الكبد فى الدول التى يباح فيها الخمر على نطاق واسع واصبح يشكل مشكلة شاقة الحل فى بعض الدول، مما جعل بعضها يحد من تعاطى الخمر، أو يقلل ساعات بيعها أو يتحايل بشكل أو آخر للاقلال منها .

ونظرة اخرى الى حكمة البارى جل وعلا فى تحريم الخمر فهو خالق الأجساد ويعرف ما ينفعها وما يضرها والكبد احد الأعضاء التى تتأثر بالخمر أيما تأثر فما بالك كذلك بالتأثير على الجهاز الهضمى بأكمله والجهاز العصبى والناحية الخلقية والاجتماعية والمادية التى تتأثر بالخمر أيما تأثر .

وتتأثر الخلايا بالخمر سواء بالتأثير الفعلى عليها أو بتأثرها لعدم تعاطى الأغذية الواقية منها — أو نقص الفيتامينات التى يعانى منها مدمن الخمر . أو نقص البروتينات وغيرها من المواد اللازمة للطعام، الذى دفع الى كل هذا هو تعاطى المسكرات.واذا تأثرت الخلايا فقدت حيويتها وضمرت وحلت مكانهاالياف تغير من هيكل الكبد وتجعله يضمر ويقل حجمه وتتأثر كل الوظائف التى يقوم بها الكبد فترتفع نسبة المادة الصفراوية فى الدم وفى بعض الأحيان لا ترتفع بنسبة كبيرة، ويتورم الجسم نتيجة لنقص فى البروتينات التى تصنع فى الكبد، وحدوث نزف فى أجزاء متعددة من الجسم لنقص البروتين والعوامل التى تساعد على التجلط والتى يقوم بصنعها الكبد . ثم حدوث ما يسمى بشبه غيبوبة أو غيبوبة كبدية لعدم تمكن الخلايا من تحويل المواد الضارة بالجسم الى غير ضارة، فتزداد نسبة هذه المواد فى الدم وتؤثر على المخ وفى مقدمة هذه المواد (النشادر) .

وتبعا للتليف يرتفع الضغط داخل الأوردة البابية وهذه بدورها تسبب تمددا فى أوعية الجزء السفلى من المرىء، فاذا جرح بعضها نزف نزفا



مرض تليف الكبد
مع استسقاء بالبطن

شديدا ربما أودى بحياة المريض . وكذلك يسبب حدوث البواسير الضخمة التى تدمى من آن الى آخر . وبارتفاع الضغط فى الأوردة البابية تحتقن المعدة وبقية الجهاز الهضمى ويحدث به (تلبّك) من انتفاخ ، وغثيان وفقدان الشهية للطعام مما يزيد الحالة سوءا ، ويتضخم الطحال ويملأ البطن ويزداد تكسر الكرات الحمراء فيسبب فقر الدم — وتقل الكرات البيضاء فتقل مناعة الجسم ، وتقل صفائح الدم فيتعرض لنزيف ، ويحدث الاستسقاء فى البطن وتمتلىء بسائل يفقد الجسم بروتيناته ، وتقل بروتينات الدم أكثر فأكثر اذا عمل بزل بطن للمريض ، ويتعرض كذلك لغيبوبة كبدية .

هذه بعض شواهد واعراض مرض تليف الكبد التى يعانى منه الكثير من مدمنى الخمر صورة واضحة جلية لمن يعصى أمر ربه العالم بخلقه والعالم بما ينفعهم وما يضرهم .

وبعد فلقد تعرضت لبديع صنع الرحمن فى عضو من أعضاء الجسم الا وهو الكبد ، ولقدرة الخالق على جعل أبسط الأشياء وهو الفيروس يدمر — اذا أراد — حياة الانسان ، ثم إن الانسان ينكر الجميل للـه الخالق ويرتكب نواهيه بتعاطيه الخمر وما يجره على تلك الخلايا الغالية من هلاك ودمار .

فتبارك الله ربى أحسن الخالقين .



للدكتور أحمد الحجى الكردى

ان مما لا يحتاج الى دليل أو برهان القول بان الاسلام دين الوحدة وأن المسلمين جميعا هم أمة واحدة .

فقد قضت حكمة الله العلى القدير أن يجعل هذه الامة خاتمة الأمم ، وشريعتها خاتمة الشرائع ، حيث جعلها شريعة تضم الانسانية كلها فى أمة واحدة ، وتحكمها بشريعة واحدة تتسم باليسر والسهولة ورفع الحرج والمشقة ، وتسير بها نحو عبادة اله واحد لا شريك له .

فبينما كان النبى من الانبياء السابقين على نبوة سيدنا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام يبعث الى قومه خاصة فقد أرسل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بشيرا ونذيرا الى العالم كافة ، وبينما كان النبى من الانبياء السابقين يكلف بهداية قومه مدة حياته فقط كلف النبى عليه الصلاة والسلام بهداية الانسانية كلها الى يوم القيامة ، وهذه خاصية أفرد بها نبينا عليه الصلاة والسلام ، فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد

قبلى ، وذكر منها قوله : وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وانما بعثت للناس كافة » .

وقد أعلن الله سبحانه هذه الوحدة الشاملة بقوله جل من قائل « وان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ، فالمسلمون على هذا أمة واحدة وشعب واحد ودولة واحدة مهما بعدت بهم الديار من اقصى الشرق الى أقصى الغرب ، ومن أقصى الشمال الى أقصى الجنوب،متساوون فى الحقوق والواجبات ، متعاونون متكاتفون متحابون ، يسعون جميعا نحو هدف واحد هو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له تلك العبادة التى تتمثل فى إعمار الارض بالخير والسلام .

ولكن الله تعالى لم يكن ليعلن هذه الوحدة الشاملة بين البشر جميعا ثم يتركها بعد ذلك للايدى العابثة تعبث بها وتقوض أركانها ، ذلك أن الله تعالى حكيم ومن مقتضيات حكمته هنا التخطيط لهذه الوحدة بما يضمن استمرارها ودوامها ، ولهذا فاننا نلاحظ فى التشريع الاسلامى عامة وفى القرآن الكريم خاصة قواعد متعددة ترسم لهذه الوحدة الطريق السليم الذى يجب أن تمشى فيه بعيدا عن التعثر ، كما تبين لها المحاذير التى عليها أن تبتعد عنها وتتقيها محافظة على وحدتها الشاملة ، الوحدة القائمة فى القلوب والصدور قبل أن تقوم على الارض .

فاذا ما اتبع المسلمون هذه القواعد التى تؤدى الى التضامن وتحذر من التنافر والتباغض سلمت لهم وحدتهم وكانوا كما أرادهم ربهم سبحانه أمة واحدة ، وكما أحبهم نبيهم عليه الصلاة والسلام بنيانا مرصوصا وجسما واحدا اذا تداعى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .

وأهم هذه القواعد والاسس نجملها فيما يلى :

١ ـ الدعوة الى التحابب والتآلف وافشاء السلام :

وفى هذا المعنى وردت نصوص شرعية كثيرة : منها قوله تعالى « يايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » ، وقوله سبحانه « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » .

ومنها قوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم » .

فمن هذه النصوص وغيرها يتضح لنا معنى التحابب وأثره فى ربط أفراد الأمة بعضهم ببعض ، فانه ليس هنالك رباط يجمع أفراد الامة مثل المحبة الصادقة ، وقد رغب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسلمين فى المحبة هنا أيما ترغيب حين جعلها أساس الايمان الذى يدخل به الانسان

الجنة ، الأمنية الاولى والأخيرة لكل مسلم .

وفى هذا الحديث الشريف أيضا تنويه بقيمة السلام ، تلك الكلمة الصغيرة فى لفظها الكبيرة فى معناها واثرها ، فانها رباط القلوب تربطها بعضها ببعض وتشد وثاقها فلا تنفك بعده ، ولم لا ؟ فكم من متباغضين أزال السلام بغضهما ، ومتحاسدين أذاب السلام حسدهما ، فلا غرو بعد ذلك أن يجعل الاسلام السلام مطلوبا من كل متلاقيين فى طريق أو منزل أو غير ذلك ، متعارفين كانا أو لا ، فان كانا متعارفين زاد السلام من معرفتهما وحبهما ، وان كانا غير متعارفين كان السلام أداة المعرفة بينهما ، وان كانا متباغضين أنهى السلام بغضهما .

٢ ــ التعاون على البر والتقوى :

فانه بالتعاون تستديم المودة والالفة وتقوى المحبة وتترابط الأمة ، وقد جاء بالأمر بذلك نصوص كثيرة منها :

قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » والبر هنا هو كل ما من شأنه مرضاة الله تعالى من الاعمال التى تفيد الامة ، كاقامة العدل ، ومنع الظلم ، وبناء المدن والحضارات ، ونشر العلوم والمعارف ، واداء الأمانة وحفظ السر ، واسداء النصيحة وغير ذلك .

ومنها ما روى عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قوله : « الخازن المسلم الأمين الذى ينفذ ما أمر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذى أمر له به أحد المتصدقين » كما قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ (من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا) .

٣ ــ المساواة :

فليس أعظم فى توطيد أواصر المحبة بين الناس من استشعارهم لمعنى المساواة فيما بينهم ، وليس أدعى للبغضاء والنفرة بينهم من تعالى بعضهم على بعض ، وقد نوه الاسلام بقيمة المساواة هذه وقررها قاعدة راسخة من قواعده الاساسية فى نصوص كثيرة من نصوصه ، وأعلن مبدأ الاخوة التامة بين الناس جميعا أبيضهم وأسودهم ، عبدهم وحرهم ، عربيهم وأعجميهم فقال جل من قائل فى كتابه العزيز : ــ « انما المؤمنون اخوة » ، كما قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (المسلمون سواسية كأسنان المشط) ، وقال (لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى) .

فهذا اعلان صريح بالمساواة بين جميع المسلمين ، مساواة عامة تامة مطلقة فى كل شىء ، وهذا ما لم تصل اليه اى حضارة بشرية الى يومنا هذا ، وان كل ما نراه من نزاعات دولية وحروب وخصومات بين الناس فان مرده بالجملة الى عدم الأخذ بقاعدة المساواة هذه التى تتضمن توحيد الامة والشد من أواصر المحبة بينها .

٤ ــ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

فالانسان خطاء بطبعه ، ميال الى الجنوح عن طريق الحق بدافع من متطلبات ملذاته وشهواته ، وان هذا الميل عن طريق الحق ملحق ضررا كبيرا بالأمة دون شك إن بطريق مباشر أو غير مباشر ، فان الجنوح معد فى كثير من الاحيان ، ولذلك فقد أمر الله الامة بالاخذ على يد الجانحين والمنحرفين فورا عن طريق نصحهم

أولا ، وتوبيخهم ثانيا ، وضربهم ثالثا ، وقتلهم اخيرا . وما افسد الامم السابقة شيء بقدر اهمالها لمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد سجل الله سبحانه ذلك على بني اسرائيل في كتابه الكريم فقال « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » . وقد جاءت نصوص كثيرة في الاسلام لتقرير هذه القاعدة والتنويه بشأنها وعظيم خطرها حتى ان الله تعالى جعلها فرضا لازما على المسلمين كفرض الصلاة والصوم فقال في كتابه الكريم — « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » ، كما أمر الله تعالى بها رسوله فقال « خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » ، كما بين لنا الرسول الكريم خطورة اهمال هذا المبدأ فقال (مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها اذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) .

٥ — تكريم أفراد الامة بعضهم بعضا :

وذلك باحترام الكبير وتوقيره ، والحنو على الصغير ومعاونته ، وبخاصة الابوين فان الاسلام أمر الاولاد باكرامهما ، كما امرهما بالحنو على الاولاد وحسن معاملتهم ، وكذلك توقير العلماء وأهل الفضل والتقوى ، فان ذلك يوفر الترابط بين افراد الامة ويدعم اواصر الحب والاخوة فيها ، وفي ذلك نصوص كثيرة منها قوله تعالى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب أرحمهما كما ربياني صغيرا » وقوله — صلى الله عليه وسلم — (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا) .

٦ — منع الظلم والوقوف عند حدود الله تعالى في الحقوق والواجبات :

فقد قال تعالى في كتابه العزيز «ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع» وقال — صلى الله عليه وسلم — « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » وقال (لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) .

هذه بعض مظاهر الوحدة التي عقدها الله تعالى بين المسلمين جميعا في شتى انحاء الارض ، وتلك هي الضمانات لاستمرارها قوية متينة راسخة في القلوب قبل أن تقوم على الارض ندعو الله تعالى أن يبصرنا بها لنتمسك بأهدابها فتعود لنا قوتنا وعزتنا والنصر على أعدائنا ، فقد روى عن عمر بن الخطاب — رضى الله تعالى عنه — أنه قال (كنا قوما أولى جاهلية أعزنا الله بالاسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله) .

مائدة القارئ

دعــــاء

عن أبى موسى الأشعرى : عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه كان يدعو بهذا الدعاء : « اللهم اغفر لى خطيئتى ، وجهلى ، واسرافى فى أمرى وما انت أعلم به منى ، اللهم أغفر لى جدى وهزلى ، وخطئى وعمدى ؛ وكل ذلك عندى ، اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما اسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم وانت المؤخر ، وانت على كل شىء قدير » .

الاعتـــــدال

قال أحد الحكماء لبنيه : لا تعادوا أحدا وان ظننتم أنه لا يضركم ، ولا تزهـــدوا فى صداقة أحد وان ظننتم أنه لا ينفعكم ، فانكم لا تدرون متى تخافون عداوة العدو ، ولا متى ترجون صداقة الصديق .

خطــر المنـــافق

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما أخاف عليكم رجلين : مؤمن قد تبين ايمانه ورجل كافر قد تبين كفره ، ولكن أخاف عليكم منافقا يتعوذ بالايمان ويعمل لغيره .

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » .

قرآن كريم

الجـــوع والبـــرد

خرج أحد الأدباء الظرفاء من مسجـــد كان يقرىء فيه فوجد سائلا يرعد بالبرد .. ويصيح : الجوع والبرد يا مسلمين . فاخذه بيده وحمله الى موضع فيه الشمس ، وقال : صح بالجـــوع ، فقد رفع الله عنك البرد .

مـــا الكمـــــــوج

سأل تلميذ أستاذه : ما الكموج ؟ فقال الأستاذ : وأين رأيت هذه اللفظة ؟
قال التلميذ فى قول امرىء القيس :
« وليل كموج البحر أرخى سدوله »
فقال : نعم ، الكموج : دويبة من دواب البر تحمل الكتب ولا تعلم ما فيها .

ما حقيقة أيمانك ؟

قال الثورى رضى الله عنه لرابعـــة العدوية رضى الله عنها : ما حقيقة ايمانك ؟
قالت : ما عبدته خوفا من ناره ، ولا حبا لجنته ، فاكون كالأجير السوء ، بل عبدته حبا له ، وشوقا اليه .

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

يتساءل كثير من الناس عن المهام التى تضطلع بهـا وزارة الأوقـاف والشئون الاسلامية وخاصـة فيمـا يتعلق بالجانب الاسلامى الذى يعود بالفائدة على الاسـلام والمسلمين ، لهذا نعرض للسادة القراء صورا من هذه الانجازات حتى يعرفـوا مدى ما تؤديه الوزارة من خدمات للاسلام والمسلمين .

المقدمة

تأسست وزارة الأوقاف والشؤون الاسـلامية عام ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م وكانت تسمى دائرة الأوقاف ، وكانت مهمتها تنحصر في ترميم بيوت الأوقاف وتأجيرها ، وكانت المساجد جميعها تبنى من تبرعات الأهلين وصدقاتهم ، ولم يكن للعاملين بالمساجد رواتب اللهم الا ما يرزقونه من بعض أوقاف على بعض المساجد المحظوظة .

وفي عام ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م صدر كادر للموظفين ثم قانون الوظائف العامة المدنية فشمل الأئمة والمؤذنين ، بعد صدور الأمر السامي المنظم للأوقاف عام ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م الذى أعطى الدائرة الحق فى النظارة على الأوقاف ، باشرت الادارة بالاشراف عليها وتنفيذ مقاصد الواقفين فيها .

وفي هذا الوقت بدأت الكويت تحصل على ضريبة أكبر من انتاج النفط ، حيث تدفق بكميات تجارية ، فارتفع دخل البلاد ثم استملكت العقارات القديمة لتنظيم البلاد بما فى ذلك عقارات الأوقاف فأعطت عائدات لا بأس بها .

وأما المساجد التى كانت فى السابق تبنى من الطين بتبرعات المحسـنين تولت الدولة بناءها والعناية بها فأصبحت مفخرة للبلاد ومنارة للاسلام .

وبعد ان اضطلعت الوزارة بمهامها الجديدة وأعطيت اسم : وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية انتهجت فى سياستها التى سارت عليها حمل لواء دعوة الحق على هدى من ديننا الاسلامى الحنيف وأمتنا العربية المؤمنة ، آخذة فى اعتبارها تعاونها الاخوى مع الشعوب الاسلامية المخلصة ، ولما لاقت الوزارة من استحسان وثناء على أعمالها داخل الكويت وخارجها مما حقق للبلاد السمعة الطيبة لدى شعوب العالم الاسلامى ، كان علينا أن نقدم للقارىء الكريم صورة كاملة وفكرة جلية عن هذه الاعمال التى حظيت برضى وتشجيع حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم وتأييد زملائى الوزراء وفى مقدمتهم ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح .

والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم .

وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية
راشد عبد الله الفرحان

الوقف ..

١ ــ ترعى الوزارة الأوقاف بصفتها ناظرا عليها وتوليها كل اهتمام وتقوم برعايتها واستثمارها بالطرق الشرعية حسب مقاصد الواقفين ، ومن ذلك الأوقاف الاهلية (الذرية) وعددها (٣٠٠) وقفا ٦٦ عمارة و ٤٧ بيتا و ١١٠ دكانا ، والأوقاف الخيرية وعددها (٣٥٠) وقفا ، ١١ عمارة ، و ٨٨ بيتا و ٢٩٩ دكانا ، وقد قامت الوزارة مؤخرا بنقل أموال الأوقاف المودعة لدى البنوك وأودعتها لدى بنك التسليف والادخار لتكون الفائدة في خدمة المصلحة العامة ، كما أسست الوزارة مع بنك التسليف والادخار ودائرة الأيتام شركة عقارية .

وتضع الوزارة ما لديها من أموال البدل الموقوفة في عقارات وبنايات عوضا عما استملك للصالح العام .

٢ ــ مكتب الشؤون القانونية والترجمة :

ولقد قام مكتب الشؤون القانونية والترجمة علاوة على الدراسات والبحوث التى يقدمها للوزارة باعداد الدفوع وتقديم المذكرات القانونية فى ١٠٩ قضية معروضة على القضاء وتتعلق بالأوقاف الاهلية والخيرية ، وهذا العدد من القضايا عن المدة من ١٩٧١/١/١ الى تاريخه .

المساجد

٣ ــ قد بلغ عدد المساجد فى الكويت ٣١٤ مسجدا تقام صلاة الجمعة فى ١٧٢ منها ، وهذه نسبة لا توجد فى أى بلد آخر ، وتعمل الوزارة على تلبية حاجة المصلين وبناء المساجد فى الأماكن الجديدة ، وقد تسلمت مؤخرا أكثر من ثلاثين مسجدا ، وقد قامت باعدادها بكل ما تحتاجه من فرش وكتب علاوة على الأئمة والخطباء والمؤذنين والفراشين ، وقد بلغ عدد العاملين فيها أكثر من (١١١٩) شخصا .

وحرصا منها على راحة المصلين قامت بتنفيذ المرحلة الاولى المتضمنة تكييف وتبريد اثنين وخمسين مسجدا تبريدا مركزيا ضمن خطتها الرامية الى

تكييف جميع المساجد واصبح جميع المساجد المكيفة حتى الآن ١٥٧ . ولقد امدت الوزارة المساجد بالمصاحف الشريفة وكتب التفسير والأحاديث والكتب الدينية المختلفة وفيها مكاتب تضم من الكتب (٤٥٥٨) كتابا .

٤ ــ بيوت العاملين فى المساجد :

لقد قامت الوزارة بتشييد عدد كبير من البيوت من أموال الأوقاف الخيرية الموقوفة على المساجد واجرتها للأئمة والمؤذنين والفراشين بايجارات رمزية تتراوح من (٩ الى ١٤) دينارا وهى فى سبيل استكمال الباقى فى المناطق التى تحصل على قسائم فيها . وقد تم حتى الآن بناء ٦٨ بيتا ، والوزارة فى سبيل انجاز عدد آخر من المساكن فى عدة مناطق فى البلاد وما زالت تحت الانشاء .

دار القرآن الكريم

٥ ــ افتتحت مدرسة دار القرآن الكريم عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧١ م لتدريس الأئمة والمؤذنين والراغبين فى دراسة القرآن تجويدا وحفظا وتفسيرا ، وقد تزايد الاقبال من المواطنين عليها فاضطرت الوزارة الى جعل الدراسة فيها مرتين فى اليوم حيث بلغ مجموع الطلاب فيها ٥١٧ طالبا ، وقد عنيت الوزارة بتدريس مادة اللغة العربية الى جانب حفظ القرآن الكريم وتجويده وتلاوته وتفسير آياته ، ويقوم بالتدريس فيها الى جانب حملة الشهادات العالية من العاملين بالوزارة أساتذة متخصصون استقدموا من الأزهر الشريف لهذا الغرض .

وقد أعجب بالمدرسة كل من زارها من ضيوف الدولة واعتبروها مفخرة للكويت وخيرا للعرب والمسلمين .. والوزارة تدرس فتح فروع للمدرسة فى المحافظات كما انها مستعدة لفتح فرع للنساء متى تقدم عدد من الطالبات ، وسوف تنفذ ذلك فى الوقت المواتى .

مكتبة الوزارة

٦ ــ تتبع الوزارة مكتبة عامة كبيرة زاخرة بأمهات الكتب ومختلف الموضوعات تضم (١٧٩١٣) كتابا ، ورغبة من الوزارة فى اتاحة الفرص أمام

المواطنين لاكتساب العلم والمعرفة بشتى المجالات الدينية والثقافية قامت المكتبة بواجبها وفتحت أبوابها للمطالعة ووضعت نظاما للاعارة الخارجية استفادت منه اعداد كبيرة من المواطنين والأئمة والخطباء وطلاب المدارس ، كما قامت المكتبة بفتح فروع لها فى المساجد الرئيسية .

مطبوعات الوزارة

٧ — وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية تقدر مدى أهمية ارتباط المسلمين بتراثهم وأمجادهم وسلفهم الصالح وفى سبيل ذلك قامت الوزارة بطبع عدد كبير من الكتب الاسلامية ومن سلسلة التراث نذكر منها :

١ — الأشرفية .
٢ — الأطعمة .
٣ — الحوالة .
٤ — الفوائد فى مشكل القرآن لعز الدين بن عبد السلام .
٥ — الجمان فى تشبيهات القرآن لابن ناقيا البغدادى .
٦ — مختصر صحيح مسلم للإمام المنذرى .
٧ — الجزء الأول من المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلانى .
٨ — الجزء الثانى من المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلانى .
٩ — الجزء الثالث من المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلانى .
١٠ — الجزء الرابع من المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلانى .
١١ — موسوعة الفقه الاسلامى معجم الفقه الحنبلى (حسب الحروف الأبجدية) .

كتب صدرت ملاحق لمجلة الوعى الاسلامى

١٢ — رسالة الصوم والزكاة .

١٣ — رسالة الحج .
١٤ — حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية .
١٥ — قضية غزو اليهود لفلسطين .
١٦ — بحث فى التنسيق بين المراكز الاسلامية .
١٧ — بحث فى توحيد العمل بأيام الصوم والأعياد والمناسبات الاسلامية .
١٨ — رسالة فى تجويد القرآن الكريم .

مجلة الوعى الاسلامى

٨ — مجلة الوعى الاسلامى مجلة اسلامية ثقافية شهرية تصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى غرة كل شهر عربى ، وهى ملتزمة بمضمون اسمها ومعطيات هدفها وهو : ايقاظ الروح الاسلامية بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية . مضى عليها حتى الآن ثمانية أعوام ، صدر منها ٩٥٠ر٦٠٠ر٢ عددا ، ولتزايد الاقبال على المجلة زادت الوزارة عدد المطبوع من كل عدد حيث بلغ (٠٠٠ر٤٠) نسخة شهريا ، بلغ عدد المقالات المنشورة (١٤٨٦) مقالا ، اشترك فى تحريرها (١٤٠) كاتبا من كبار المفكرين والباحثين فى العالم الاسلامى ، وهى موزعة حسب الأبواب التالية :

الأبواب	الأبواب الثابتة
دراسات قرآنية	أخى القارىء
من هدى السنة	حديث الشهر
عقيدة	خواطر
فقه وتشريع	الفتاوى
اقتصاد	البريد
تاريخ وحضارة	مائدة القارىء
تربية واجتماع	أقوال الصحف
دراسات عن البلاد الاسلامية	بأقلام القراء
مناسبات اسلامية	الأخبار
القصة	
الشعر	

وقد صدر للمجلة عدد من الملاحق فى الصيام والزكاة والحج وعن أطماع اليهود فى فلسطين ، كما صدر عنها التقويم الهجرى .

أعمال الوزارة الخارجية

٩ — وفى مجال نشر الدعوة الاسلامية وتوثيق الروابط مع المنظمات والمؤسسات والأقليات الاسلامية فى مختلف أنحاء العالم قامت الوزارة بتوسيع اتصالاتها معها وأمدتها بالمساعدات المادية والمعنوية فقدمت الوزارة ما ينوف على (٢٠٠,٠٠٠) مائتى ألف نسخة من القرآن الكريم وكتب التفسير والأحاديث والفقه ، وغير ذلك من الكتب المختلفة بلغات عدة منها العربية والفرنسية والانجليزية والسواحلية لأفريقيا والملاوية والاندونيسية لجنوب شرقى آسيا .

١٠ — المساعدات المادية :

قامت الوزارة بمد هذه الهيئات والمراكز بالمعونات المالية وفق أسس وشروط محددة تستهدف التأكد من جدوى المساعدات ، وتشترك مع وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى لجنة خاصة وزارة الخارجية ووزارة الشئون الاجتماعية والعمل ، وقد بلغت تلك المساعدات منذ ١٩٦٠ حتى الآن ١٫٨٩١٫٤١٥ د. ك موزعة على دول آسيا وافريقيا واوروبا وأمريكا وجنوب شرقى آسيا واستراليا ، كما اسهمت الحكومة فى المركز الاسلامى المزمع انشاؤه بالخرطوم (١٠٠٠٠٠/—) مائة ألف دينار والذى سوف تشترك فى ادارته ورعايته كل من دولة الكويت والجمهورية العربية الليبية وجمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية وجمهورية السودان الديمقراطية ، وقد مثل دولة الكويت فى مجلس الأمناء مندوبون عن الوزارة فى اجتماعاته الاولى .

العلاقات مع الخارج

١١ — والوزارة على صلة دائمة مع المسلمين فى الخارج ، تتبع مشاكلهم وتسأل عن أحوالهم وتتلقى الرسائل منهم وتبادلهم الرأى عن طريق الزيارات والوفود .

وقد قام وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بزيارة عدد من مدن الاتحاد السوفيتي واجتمع مع المسلمين وتعرف على أحوالهم في كل من مدينة (أوفا) عاصمة جمهورية بشكيرا ومدينة (طشقند) عاصمة جمهورية ازبكستان و (بخارى) و (سمرقند) و (موسكو) و (لينينغراد) .

وزار عددا آخر في المملكة المتحدة (بريطانيا) (لندن) التي فيها المركز الثقافي الاسلامي و (ليفربول) و (ساوث شيلد) و (كاردف) و (برستل) وغيرها من المدن الاخرى . كما زار المسلمين في يوغسلافيا بجمهورية البوسنة والهرسك .

وفي أفريقيا شارك الوزير في الندوة الاسلامية الكبرى التي أقيمت في داكار عاصمة السنغال تحت عنوان (الاسلام والعصر) وزار السودان وموريتانيا والجزائر وليبيا وشارك في العديد من المؤتمرات والملتقيات في الجزائر والقاهرة وحضر عدة مرات مؤتمر علماء المسلمين (مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر) بالقاهرة . كما اشتركت الوزارة بمندوبين عنها في عدة ندوات ولجان ثقافية واسلامية داخل الكويت وخارجها في المملكة المغربية والجزائر واندونيسيا وغيرها .

وقد أوفدت مبعوثا خاصا الى الفلبين (مدير المساجد السيد أحمد المديني) حمل معه المعونة المالية فتعرف على أحوالهم ومشاكلهم وقدم تقريرا عنهم ولا زالت الوزارة توالي نشاطها واهتمامها بالمسلمين في العالم . وتقدم لهم المساعدات دون تدخل في شئونهم .

مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الاسلامية في البلاد العربية

١٢ — ايمانا من الكويت بما للدعوة الاسلامية من أهمية كبرى يتحتم حملها للناس وبما للعمل العربي والاسلامي المشترك من أثر يعود على الأمة في توحيد كلمتها ورفعة شأنها بادرت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بعد موافقة مجلس الوزراء على توجيه الدعوة الى الوزراء المسئولين عن الشئون الاسلامية لعقد المؤتمر في ٢٣ محرم ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣/٢/٢٦ م .

وقد وجهت الدعوة الى ثماني عشرة (١٨) دولة الى جانب منظمة التحرير الفلسطينية والجامعة العربية والأمانة العامة للمؤتمر الاسلامي بجدة ،

وأجابت الدعوة جميع الدول العربية وقدمت الوزارة عدة أبحاث وضعت تحت نظر اللجان وكان مؤتمرا ناجحا لقى ترحيبا كبيرا فى الكويت وخارجها .
وقد أصدرت الوزارة كتابا عن المؤتمر يبين اعماله وقراراته . والكلمات التى القيت فيه .

مدينة الحجاج

١٣ — يهم الوزارة راحة الحجاج المارين بارض الكويت الى الديار المقدسة ، لذلك جهزت لهم مساحة كبيرة من الأرض فى شارع الدائرى الرابع تبلغ ٦٠٫٠٠٠ متر مربع ، واقامت فيها جميع المرافق اللازمة ، وانجزت المنشآت الجديدة التى تضم عددا كبيرا من الغرف .

وقد آوت المدينة هذا العام جميع الحجاج المارين بالكويت الى الأراضى المقدسة من مختلف الاقطار .

صندوق المعونة الطبية (الخيرى)
لمعالجة المرضى غير الكويتيين

١٤ — أنشىء هذا الصندوق عام ١٩٧١ بموجب المرسوم الاميرى بتاريخ ٧١/٧/١٧ ، يتلقى الصندوق التبرعات مما تقدمه الحكومة والأفراد والهيئات والزكوات ، تقوم على ادارة الصندوق لجنة من وزارة الصحة ووزارة الشئون الاجتماعية والعمل وممثل عن مكتب ولى العهد وممثل عن الهلال الاحمر الكويتى برئاسة وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية .

وتنظر اللجنة فى التقارير الطبية من وزارة الصحة وتقارير من وزارة الشئون الاجتماعية عن حالة المريض المادية والاجتماعية ثم تقرر مساعدته .
وقد أرسلت اللجنة حتى الآن أكثر من مائة مريض ، ويدخل الصندوق الآن عامه الثانى من العمل الخيرى والانسانى وهو فى حاجة الى الدعم والتبرع (تبرع بما تجود به نفسك لصندوق المعونة الطبية فربما أحتجت اليه أو احتاج اليه صديق عزيز عليك) ، وقد أصدر الصندوق كتيبا بأعماله .

ومن نشاط الوزارة الداخلى فى حقل الدعوة الاسلامية والمساعدات الخارجية

١٥ ـــ علاوة على ما للوزارة من نشاط بارز فى حقل الدعوة الاسلامية فى الخارج من مد المسلمين بما يحتاجونه من آلاف الكتب بمختلف الموضوعات وتقديم المعونات المادية والنقدية وما توزعه من (مجلة الوعى الاسلامى) وطبع مختلف الكتب فى التراث الاسلامى وتسهيل مرور الحجاج منهم ، وعلاوة على نشاطها الداخلى المتمثل فى انشاء مدرسة دار القرآن الكريم ، وصندوق المعونة الطبية لمعالجة المرضى من غير الكويتيين فى الخارج ، وما تقوم به من واجبات فى النظارة على الأوقاف ، ورعاية شئون المساجد ، فان لها نشاطات أخرى فى ميدان الدعوة نذكر منها ما يأتى :

١٦ ـــ أ) الوعظ والارشاد :

علاوة على ما يقوم به خطباء المساجد والأئمة الذين بدأت تحرص الوزارة على اختيارهم من ذوى الشهادات العالية والتخلص تدريجيا ممن فاتهم التعلم وامتد بهم العمر ، فان للوزارة فرقا من الوعاظ والمرشدين الأكفاء يطوفون مساجد البلاد يعظون الناس ويرشدونهم للخير ويبصرونهم بأمور دينهم ودنياهم .

وتستقدم الوزارة فى كل سنة فى شهر رمضان عددا من العلماء الكبار من سوريا ومصر لالقاء الدروس والمحاضرات فى المساجد والمدارس والتلفزيون والاذاعة ، كما تستقدم بعض القراء فى مثل هذه المناسبة الكريمة .

ومن بين هؤلاء العلماء الاسماء التالية :

١ ـــ الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود : شيخ الجامع الأزهر الحالى .
٢ ـــ الشيخ محمد الغزالى : المدير العام لادارة الدعوة بوزارة الأوقاف المصرية سابقا .
٣ ـــ الشيخ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار : الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر .
٤ ـــ الشيخ محمد خاطر : مفتى جمهورية مصر العربية .

٥ ـــ الشيخ خلف السيد : المدير العام لادارة الوعظ والارشاد بالازهر .
٦ ـــ الشيخ الدكتور احمد كفتارو : مفتى الجمهورية العربية السورية .
٧ ـــ الشيخ بشير اليانى : محكمة النقض .
٨ ـــ الشيخ أحمد راجح : من علماء سوريا .
٩ ـــ الشيخ سعدى ياسين : من علماء لبنان .
١٠ ـــ الشيخ حسن راجح : من علماء سوريا .

١٧ ـــ ب) الاحتفالات فى المناسبات الاسلامية :

تحتفل الوزارة بالمناسبات الاسلامية الرسمية فى كل سنة وهى : راس السنة الهجرية بمناسبة هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، ويوم الاسراء والمعراج وذلك فى مسجد السوق الكبير ، حيث يجتمع الناس فى مهرجان كبير يتحدث فيه علماء الوزارة وفى مقدمتهم وزير الاوقاف والشئون الاسلامية وينقل الحفل على الهواء من التلفاز والاذاعة على الملأ وتنشر مجلة الوعى الاسلامى كلمة الوزير فى مثل هذه المناسبات كما تشير الصحف المحلية الى مضمون الاحتفال .

١٨ ـــ ج) لجنة الفتوى :

تقوم اللجنة المختصة بالفتوى فى الوزارة بدور كبير فى مجال تلبية حاجات الناس اليومية فتوضح ما خفى عليهم من أمور دينهم وتحل كثيرا من مشكلاتهم الاجتماعية والنفسية .

١٩ ـــ د) مراجعة الكتب :

تقوم الوزارة بمراجعة الكتب التى تتطرق الى الشريعة الغراء سواء ما يقع تحت يدها أو ما ترسله وزارة الاعلام لتقرير صلاحية مطالعته وتداوله بين الناس . وقد قامت اللجنة المختصة فى الوزارة بمراجعة العديد من الكتب والمصاحف .

٢٠ ـــ هـ) المساعدات :

تشرف الوزارة على الاموال الخيرية بصفتها ناظرا عليها ، فتنفق ريعها فيما هو مخصص له من أعمال البر والخير على المحتاجين ، فترزق من لا دخل

لهم من العجزة واليتامى ومن ألمت به مصائب الدهر ، وقد ساعدت الوزارة كذلك أبناء السبيل المنقطعين من المسلمين الذين يصلون الى الكويت من طلبة العلم وأعانتهم للوصول الى أوطانهم ، ولا تدفع المساعدة فى هذا الخصوص الا بعد التأكد والتحقق من حاجة المستحق لها .

نشاطات للوزير فى الحقل الداخلى

٢١ — علاوة على ما يقوم به وزير الاوقاف والشئون الاسلامية من الاشراف والتوجيه لأعمال الوزارة وعلاوة على نشاطاته الخارجية واتصاله بالعاملين فى الدعوة الاسلامية وبالمنظمات الاسلامية وحضوره العديد من المؤتمرات الاسلامية كان له فى الحقل الداخلى نشاطا بارزا يتمثل فى :

١ — ندوة فى جمعية الهلال الاحمر الكويتى تحت عنوان (الانسان بين الروح والمادة) اشترك فيها الشيخ محمد الغزالى .

٢ — ندوة فى جمعية المعلمين الكويتية تحت عنوان (حرية النقد فى البيت والمدرسة) اشترك فيها الدكتور عبد الرحمن العوضى والاستاذ يوسف عبد المعطى مدير معهد المعلمين والطالب الجامعى ناجى .

٣ — ندوة فى التلفاز تحت عنوان (الانسان والعصر) اشترك فيها الدكتور عبد العزيز كامل مدير الجامعة سابقا .

٤ — ندوة فى التلفاز تحت عنوان (طريق النور — النسخ فى القرآن) اشترك فيها الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الاوقاف السابق فى مصر .

٥ — ندوة فى التلفاز باشراف جمعية المعلمين الكويتية تحت عنوان (التربية الروحية بين البيت والمدرسة) .

٦ — ندوات فى التلفاز بجمهورية مصر العربية تحت عنوان (نور على نور) عدة مرات اشترك فيها الشيخ على عبد الرحمن رئيس وزراء

السودان الأسبق والشيخ حسن خالد مفتى لبنان والدكتور احمد البهى وغيرهم من العلماء .

٧ — تحدث الوزير فى الاذاعة فى العديد من المناسبات كعيد الاضحى والفطر والعيد الوطنى وفى مجالات مختلفة .

(٢٢) ٨ — واجاب على اسئلة واستفسارات كبريات الصحف والمجلات السياسية والاجتماعية والدينية .

(٢٣) ٩ — قابل العديد من الوفود العربية والاسلامية واجرى مباحثات معها فى شأن الدعوة ورفعة الأمة ، نذكر منها :

١ — وفد من المملكة المغربية برئاسة الشيخ محمد المكى الناصرى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية والثقافة .

٢ — وفد من الجمهورية العربية السورية برئاسة وزير الاوقاف الشيخ عبد الستار السيد .

٣ — وفد من جمهورية السودان الديمقراطية برئاسة وزير الاوقاف والشؤون الدينية الدكتور عون الشريف .

٤ — وفد من جمهورية موريتانيا الاسلامية برئاسة وزير الخارجية ووزير التعليم العالى .

٥ — وفد من جمهورية الصومال برئاسة وزير التعليم والثقافة .

٦ — وفد من الاتحاد السوفيتى برئاسة المفتى الشيخ ضياء الدين بابا خانوف .

٧ — وفد من المسلمين السود برئاسة الملاكم المعروف محمد على كلاى (أتباع محمد اليجا) .

٨ — وفد من أوغندا برئاسة رئيس القضاة عبد الرزاق أحمد .

٩ — وفد من الجمهورية العربية الليبية برئاسة الدكتور على التريكى وكيل وزارة الخارجية .

١٠ — وفد من ماليزيا برئاسة رئيس وزراء ولاية كلنتان داتر محمد بن الحاج مودا .

١١ — وفد من السفراء العرب العاملين فى بريطانيا للتباحث فى أمر التبرعات لاكمال بناء المركز الاسلامى فى لندن ، والوفد مكون من السفراء :

١ — سفير الكويت .

٢ — سفير السعودية .

٣ — سفير لبنان .

٤ — سفير تونس .

١٢ — وفد من يوغسلافيا برئاسة رئيس العلماء سليمان كمورا .

١٣ — وفد من الفلبين برئاسة الدكتور أحمد النتو عضو مجلس الشيوخ ولجنة الدستور ووفود من الفلبين كثيرة ليس هذا مقام ذكرها .

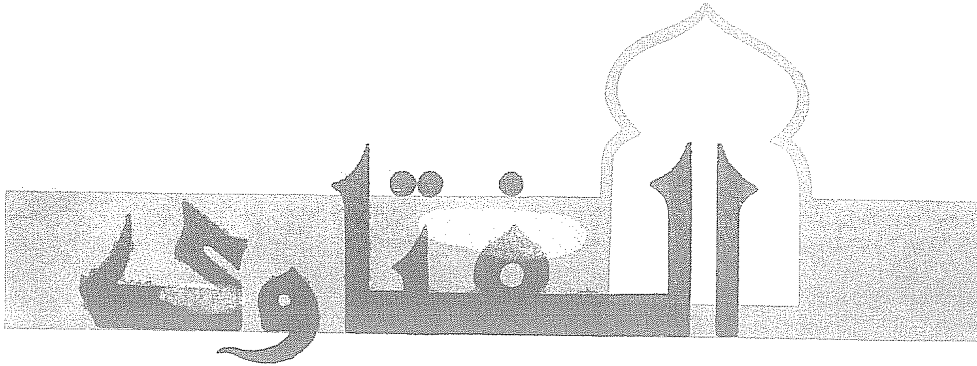
١٤ — وفد من أمريكا برئاسة الدكتور محمد الهادى سالم .

١٥ — وفد من أندونيسيا برئاسة الدكتور محمد ناصر .

١٦ — وفد من رابطة العالم الاسلامى بجدة بر[illegible]سة الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا .

١٧ — وهنـــــاك وفود عديدة وكثيرة من جنوب شرقى آســـيا وأوروبا وأفريقيا يطول بنا المقام فى تعدادها .

١٨ — كما زار الكويت وفد من المملكة العربية السعودية برئاسة وزير الحج والاوقاف الشيخ حسن الكتبى ووفد جمهورية باكســـــتان الاسلامية برئاسة وزير الاوقاف والاعلام والاذاعة مولانا كوثر نيازى .



قبــلة الصــلاة

السؤال :

الى اى قبلة كان يصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكــة قبـل الهجرة .. ؟ وما مدة صلاته بالمدينة الى بيت المقدس .. ؟

الاجابة :

اختلف العلماء فى هذه المسألة . والاصح أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى حين فرضت عليه الصلاة بمكة متجها الى الكعبة ، ولم يزل يصلى اليها طول مقامه بمكة على ما كانت عليه صلاة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . كما نقله القرطبى فى تفسيره .

ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا أوحى الله تعالى اليه أن يصلى الى صخرة بيت المقدس بدل الكعبة فصلى اليها ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا على ما رواه البخارى . وقال أبو حاتم البستى : صلى الى بيت المقدس سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام سواء ، ثم نسخ الله ذلك وأمــره ان يستقبــل الكعبة فى صلاته كما كان بمكة ، قال تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

ومن هذا يعلم ان صلاته بالمدينة الى الصخرة لم تكن اجتهادا منه عليه الصلاة والسلام كما نقل عن بعضهم وانما كانت بوحى من الله تعالى غير متلو وأن النسخ كان بالقرآن . ولذا عده الأصوليون من باب نسخ السنة بالقرآن وقالوا ان القبلة نسخت مرتين ، فاستقبال الكعبة بمكة نسخ باستقبال بيت المقــدس بالمدينة وهذا نسخ باستقبال الكعبة بعد تلك المدة .

ونقل القرطبى اجماع العلماء على أن القبلة أول ما نسخ بالقــرآن ، وقد أنكر اليهود النسخ من أصله ليتم لهم ما زعموه باطلا من ان التوراة غير منسوخة ، وطعنوا فى الاسلام بتجويزه النسخ وقالــوا إن محمدا يأمر أصحابه بشىء ثم ينهاهم عنه فأنزل الله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير) ، وقوله تعالى : (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون) . والله تعــالى أعلم .

حكم الايقاظ لصلاة الفجر بذكر الله

السؤال :

اعتاد بعض المسلمين في جهتنا ان يوقظ الناس لصلاة الفجر بقوله بصوت عال في الحي (لا اله الا الله الملك الحق المبين ، محمد رسول الله الصادق الوعد الامين) وقد ينشد :

يا نائما مستغرقا في المنام   قم واذكر الحي الذي لا ينام

مولاك يدعوك الى ذكره   وانت مستغرق في المنام

وقد الف الناس منه ذلك وحمدوا له تذكيرهم بامر الله فما حكم ذلك ؟

الاجابة :

أعلم أن ايقاظ النائمين ، وتنشيط الوانين للاستعداد لصلاة الفجر في أول وقتها أمر مشروع يشهد له ما في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يمنعن أحداً منكم اذان بلال من سحوره ، فانه يؤذن بليل ليرجع قائمكم ولينبه نائمكم) أي ليعود القائم منكم ليلا للتهجد الى شيء من الراحة لينهض لصلاة الفجر نشيطا وليوقظ النائم ليستعد للصلاة في أول الوقت بالوضوء أو الاغتسال .

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (ان بلالا يؤذن بليل فكلوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم) . وزاد في رواية : (فانه لا يؤذن حتى يطلع الفجر) . قال القاسم بن محمد : لم يكن بين اذانيهما الا أن يرقى هذا وينزل هذا .

فكان بلال يؤذن قبل الفجر لما ذكر ، وعبد الله بن أم مكتوم يؤذن عند طلوعه للاعلام بدخول الوقت . وقد ترجم لهما البخاري في صحيحه . وقال الحافظ إنه اراد بذلك أن يبين أن المعنى الذي كان يؤذن لاجله قبل الفجر غير المعنى الذي كان يؤذن له بعد الفجر ، وان الاذان قبله لا يكفي عن الاذان بعده .

وقد أقر الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك كما دل عليه الحديثان فكان أصلا لمشروعية ما يقوم به كثير من المؤذنين في غسق الليل ، قبيل الفجر من التسبيح والتهليل ، والابتهال الى الله تعالى الى أن يطلع الفجر تحقيقا للمعنى الذي كان من أجله يؤذن بلال رضي الله عنه ، فهو أداء وتذكير وان اختلف عن الأذان الأول في صيغته اذ كان الأول بألفاظ الأذان المعروفة كما يفيده ظاهر الحديث ، وهذا بالتهليل والتسبيح والابتهالات .

* * *

وبذلك يتبين مشروعية ما يفعله بعض المسلمين اليوم من ايقاظ النائمين للتأهب لصلاة الفجر بذكر الله تعالى ، والثناء على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحث الغافلين بما يستحث هممهم ، ويستنهض عزائمهم للمسارعة الى الصلاة ،

وكل ذلك عبادة وطاعة . فاذا كان قبل طلوع الفجر فهو فى معنى أذان بلال . واذا كان بعد طلوعه فهو فى معنى اذان ابن أم مكتوم ، والغالب الأول .

واذا علم أن تكرار الأذان العام بعد طلوع الفجر غير مشروع ، وان أكثر الناس فى هذا الوقت وقبله ما بين نائم يغط فى نومه ووسنان كسلان ، والنوم لذيذ والدعة محبوبة ، ولذا زيد فى اذان الفجر جملة : (الصلاة خير من النوم) . واذا تركوا وشأنهم حرموا فضيلة الصلاة فى أول وقتها ، بل حرموا أداءها فى وقتها ــ علم موقع هذا النداء من الحسن والفائدة ، فهو ايقاظ وتنبيه وهو من التعاون على البر والتقوى ومن الذكرى التى تنفع المؤمنين .

وكم حرم أناس ادراك فضيلة أول وقت الفجر ، بل صلاة الفجر فى وقتها بسبب غفلتهم أو استسلامهم للدعة والكسل . ولذلك كان هذا النداء خيرا وبرا وعملا مشروعا مشكورا . ولا يدفعه ما ذكره صاحب المدخل فانه فى زمان غير زماننا . والناس اليوم فى أشد الحاجة الى الايقاظ والعظة وتكرار التذكير ، وفى المنع منه حرمان من خير كثير وثواب جزيل .

... ...

وقد شهدنا أثر هذا النداء فى الأحياء التى ينادى فيها . فكثير من أهلها رجالا ونساء يلبونه سراعا وينهضون للصلاة فيفوزون بفضل صلاة الفجر فى أول وقتها ، قال تعالى : (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) . وفى الحديث: (من صلى البردين دخل الجنة) والبردان مثنى برد بفتح الباء وسكون الراء وهما الغداة والعشى يعنى صلاة الفجر والعصر ، وسميتا بردين لانهما تصليان فى بردى النهار وهما طرفاه حين يطيب الهواء وتذهب سورة الحر ، والمراد الصلاة فى أول وقتها .

بريد الوعي الإسلامي

البهائية

جاءنا السؤال التالي من السيد محمد رضا يقول :

تردد الحديث في الصحف والمجلات عن البهائية .. وأنها مذهب هدام .. ولها خطرها على الاسلام والمسلمين .. فهل لي أن أعرف شيئا عن نشأتها .. وعلاقتها باليهود وماهي مبادئها ؟

ولكم الشكر .

. . . .

ونقول للأخ الكريم ان مؤسس البهائية هو :

الميرزا حسين علي المازندراني النوري .. ولد في سنة ١٢٣٣ هـ . نشأ في طهران وكان يضع على وجهه برقعا ويدعي أن بهاء الله المتجلي في وجهه لا يرى بالأبصار .

ثقافته :

خليط من البوذية والمزدكية والبراهمية واليهودية والاسلام ..

افتراءاته :

١ ــ أنه هو المسيح الموعود النازل من السماء بالحق ..

٢ ــ وأحيانا يسند الألوهية لنفسه ولولده عباس ..

٣ ــ ألف كتابا أسماه (الأقدس) مدعيا أن الأحكام الواردة فيه نزلت من السماء .

٤ ــ ادعى أنه جاء ناسخا للشريعة الاسلامية .. فهو وأتباعه يعترفون بالقرآن الكريم الا أنهم لا يعتقدون بخلوده .. لأن الميرزا حسين نسخه بكتابه (الأقدس) .

طريقتهم في نشر دعوتهم :

يعتمدون على التصرف مع الأفراد حسب الأهواء والميول .. فليست لهم خطة ثابتة واضحة .. تراهم مع المسلمين في مساجدهم .. ومع النصارى في كنائسهم ، ومع اليهود في هياكلهم .. فلا مانع عندهم أن يجمع الفرد بين البهائية وأية عقيدة أخرى . .ثم يلقون تعاليمهم المزعومة .

العلاقة بين البهائية والبوذية :

ساعدهم اليهود على نشر مبادئهم وتعاليمهم .. وذلك حتى يضعفوا من قوة المسلمين ويشغلوا عزيمتهم عن الجهاد .. فقد كان (عبد البهاء) وهو زعيمهم الثاني يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود ويجمعهم [illegible] أساس موسى عليه السلام الذي يؤمنون به جميعا . وبذلك يكون المسيطر على العالم كله اليهود .

القاديانية

[illegible] الدعوة على (بريد الوحي) [illegible] نعمة طيبة وبعد :

فالقاديانية لها نشاط واسع في أفريقيا .. وهي خطر على الإسلام والمسلمين .. والذي أرجوه أن تبينوا لنا كيف نشأت ؟ ومن زعيمها ؟ وما حكم أتباعها ؟

مسلم عبد الله

[illegible]

[illegible] هذه الطائفة رجل يدعى ميرزا غلام أحمد .. ولد في ١٨٣٦ م بالهند .. وادعى أن [illegible] روح المسيح [illegible] بأن روح المسيح قد حلت به .. وبقولها في قوله تعالى (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) بأنه هو الرسول المنتظر .. ولذلك فأتباعه يسمون أنفسهم (الأحمديون) .. وأحيانا يشعر بالألوهية .. ويزعم أنه أفضل من كل الأنبياء .. وأنه يوحى إليه .. وقد جعل القاديانيون بلدتهم (قاديان) بلدة مقدسة يحجون إليها .

والعجيب من أنهم يؤمنون بأنه [illegible] من يكذبه [illegible] كافرا [illegible]

[illegible] ولذلك فهم يتخذون من المسلمين موقفا عدائيا .. [illegible] في [illegible] على جسم الأمة الإسلامية .. [illegible] الإسلام إنهم يبطلون الجهاد في سبيل الله الذي هو [illegible] وهذا [illegible] في الظروف التي [illegible] فيها ميرزا بشعوره أيام الاستعمار البريطاني للهند .. [illegible] يعلمون كيف أنه كان [illegible] وخاصة .. فأبطل الجهاد حتى [illegible] من مقاومة [illegible] الوحيد للاستعمار البريطاني .. وكان المسلمون [illegible] في بلادهم [illegible] بإعلان الجهاد في سبيل الله .. فأراد ميرزا أن يضعف [illegible]

والإنجليز .

والحق أن هذه [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] يريد أن تحل محل الإسلام في [illegible] [illegible] [illegible] المسلمين عن دينهم وعن قيم الجهاد .. ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره . أما الرد فيه [illegible] ولنا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .. [illegible] الإسلام هو الدين الخالد .. [illegible] الأحمدية لأنه خاتم الرسالات .. والمسلمون [illegible] [illegible] الذين [illegible] [illegible] .

قالت صحف العالم

بين التجربة والتخطيط

تحت هذا العنوان كتبت مجلة (دعوة الحق) المغربية مقالا قيما نقتطف منه ما يأتي :

نحن نؤمن بأن لا شيء يعلم مثل التجربة ، وخاصة اذا كانت التجربة من النوع البالغ العميق الذي يترك اثرا في النفس أي أثر ، الا ان كثيرا من الناس تمر بهم التجربة تلو التجربة ، ومع ذلك يظلون مخطئين في أخطائهم ، ممعنين في سقطاتهم ، لأنهم لم يؤتوا حظا من الذكاء والحنكة وحسن التدبير ، والا لارتدعوا وتراجعوا .

ان الذكي ليس في حاجة لأن يخوض غمار التجربة من أولها الى آخرها لكي يرتدع ويتعظ بل يكفيه أن يخطو في مضمارها بضع خطوات ليحرز النتيجة ويقدر العاقبة المنتظرة ، اذا ما استمر فيها الى نهاية الشوط .

فتجارب الانسانية كثيرة ، تملأ بطون الكتب ، وتبدو في تصرفات الناس وأعمالهم التي نراها تتمثل أمامنا على مسرح الحياة كل يوم ، ولكننا نغمض أعيننا ونقفل أسماعنا تجاه كل تجربة من هذا النوع وهكذا تتكرر الأخطاء في الحياة ، وتتعدد سقطات الانسان جيلا بعد جيل ، حتى أننا كثيرا ما نقع في نفس الأخطاء التي وقع فيها آباؤنا أو وقع فيها غيرنا قديما او حديثا .. يقول الشاعر اسماعيل صبري :

أين كأسنا الحبيبة والحق   أين من فتح الكتاب وفسر؟

وهذا يكون من أمر فالتجربة تنضج الذهن ، وتصقل النفس ، وتنظفها مما علق بها من أدران .. وتكسبها مزيدا من الحنكة ، وكثيرا من الخبرة الواسعة ، والبصيرة النافذة في بواطن الأمور .. وتهب مسلكا وافرا من الحذر والتريث ، فلا يطيش ، ولا يتهور ، ولا يتسرع بعد أن عرف أن أخطاءه كان منه جرى الطيش وعدم الروية والتأني .

واذا فتشنا عن أسباب الأخطاء في الماضي والحاضر ، لوجدنا أن معظمها كان نتيجة دوافع خفية غارقة في اللاشعور ، ونتيجة دوافع مكبوتة ، ورغبات دفينة .. وسوء التخطيط ، أو انعدامه في حياتنا هو سبب الانتكاسات المتكررة

التي نقع فيها .. فليس من يضع رأسه بين يديه ويسترسل في التأمل والنظر الى أبعاد المشكلة اللامرئية ، ويصرف فيها الساعات الى أن يخرج بنتيجة مرضية تعصمه من الخطأ وتقيه شر الزلل .

اننا كشباب نعيش في القرن العشرين أحوج ما نكون لمعالجة قضايانا الاجتماعية والنفسية بأيدينا ، دون اللجوء الى الأطباء النفسيين ، أو سؤال المجلات التي كثيرا ما تزيد هذه المشكلات تعقيدا ولفلفة بما تقدم من تفسيرات خاطئة ، وحلول مغلوطة ، وتوجيهات شوهاء ، لان المشرفين على هذه الابواب تنقصهم الخبرة ، ويعوزهم الاختصاص ، وانا واثق أنهم أجهل الناس بحل قضاياهم وتيسير أمورهم ، فكيف يستطيعون مساعدة الآخرين .

في محيط الاسرة

تحت هذا العنوان قالت مجلة (رابطة العالم الاسلامي) السعودية :

من أمثال العرب قولهم (آخر العلاج الكي) أي أن الداء اذا استعصى وعز الدواء فعندئذ يكون الكي حاسما للداء — كانت هذه نظرتهم أو تجربتهم ولن يعنينا في بحثنا ان نصوبهم أو نخطئهم .. وانما الذي حدا بنا الى الاتيان بهذا المثل ما يتطلبه البحث في محيط الاسرة عن العلاج الحاسم للشقاق وعدم الوفاق بين الزوجين والذي لا مندوحة عنه بعد أن بذلت كل الوسائل وبعد أن وضع الشرع حلولا متعددة للاصلاح كان آخرها اقامة حكمين من قبل الزوجين ينظران فيما يصلح شأنهما من التقريب بينهما بعد ذلك كان العلاج الحاسم الذي يقضي على الشقاق هو الطلاق من قبل الزوج فهو الذي بيده عقدة النكاح كما جاء في حديث عمرو بن شعيب بالسند عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ولي عقدة النكاح الزوج) وقيل هو الولي أي أن الذي يحل الزواج هو الزوج ولا يأتي الطلاق من قبل الزوجة .. وعلل بعض العلماء ذلك بأن الرجل أحرص على بقاء الزوجية التي أنفق في سبيلها من المال ما يحتاج انفاق مثله أو أكثر منه اذا طلق وأراد عقد زواج آخر . وعليه أن يعطي المطلقة مؤخر المهر ومتعة الطلاق ، وان ينفق عليها في مدة العدة أي في الطلاق الرجعي ولانه — أي الزوج — بمقتضى عقله ومزاجه يكون أصبر على ما يكره من المرأة فلا يسارع الى الطلاق لكل غضبة يغضبها أو سيئة من الزوجة يشق عليه احتمالها .

والمرأة أسرع غضبا وأقل احتمالا ، وليس عليها من تبعات الطلاق أو نفقاته مثل ما على الزوج فهي أجدر بالمبادرة الى حل عقدة الزوجية لادنى الاسباب ان اعطي لها هذا الحق وشرع لها ان تفتدي نفسها من الزوج فيما لو ابغضته أو نقمت عليه هنة لا تستطيع معها البقاء في حباله كما جاء في الحديث ان امرأة ثابت بن قيس جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني امرأة أكره الكفر في الاسلام — لا أطيقه بغضا — فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم (أتردين عليه حديقته ؟) .. أي التي بذلها صداقا — قالت نعم — فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزوج ان يأخذ منها حديقته ويطلقها ..

ثم أن هذا العلاج الحاسم — أعني الطلاق — راعى فيه الاسلام الظروف وتدرج في ايقاعه دون ضرر بالزوجة أو اعنات لها أو تشف منها كما أنه لم يجعله لعبة في يد الزوج فشرعه مرة بعد مرة بين كل واحدة والأخرى عدة تكون فيها الرجعة ..

بأقلام القراء

مواقف شجاعة للامام الأوزاعى

للأستاذ محمد شمس الدين

تتميز سيرة الامام الكبير ابى عمرو عبد الرحمن الاوزاعى (٩٠ — ١٥٧ هـ) فقيه بيروت وأمام الديار الشامية بمواقف شجاعة تدل على سمو فى الاخلاق وعزة فى النفس وروح كبيرة تضج بالسماحة والصدق والزهد فى المغريات .

وفيما يلى نماذج من تلك المواقف :

— جاءه أحد المواطنين النصارى بهدية (جرة عسل) وقال له : لو تكتب لى يا أبا عمرو الى عامل مدينة بعلبك فتشفع لى عنده فقال له الامام : (ان شئت رددت الجرة وكتبت لك ، والا قبلت الجرة ولم اكتب لك) .. فقال الرجل : (لك ما تريد) فرد الجرة وكتب له . فوضع العامل عنه ثلاثين دينارا . ولا شك بأن الإمام رد الهدية على الشفاعة خوفا من الوقوع فى الرياء ...

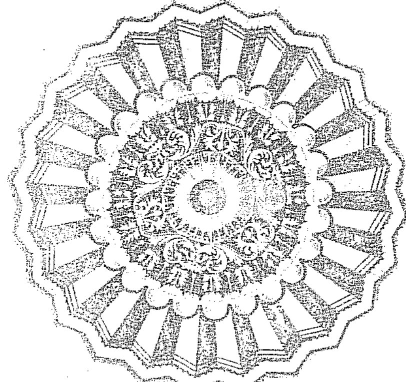
— خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك ، فوجه صالح بن على — الوالى يومذاك على بلاد الشام من قبل الخليفة المنصور العباسى — من قتل مقاتلهم واقر من بقى منهم على دينهم وردهم الى قراهم وأجلى قوما من أهل لبنان . فكتب الإمام الاوزاعى الى صالح هذا رسالة طويلة جاء فيها : وقد كان من اجلاء أهل الذمة (النصارى) من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئا لمن خرج على خروجه ، ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم الى قراهم ماقد علمت ، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم وحكم الله تعالى : « ان لا تزر وازرة وزر أخرى » وهو أحق ما وقف عنده واقتدى به ... واحق الوصايا ان تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال : « من ظلم معاهدا وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه » .

— لما قدم الشام عبد الله بن علي عم السفاح وقائد الحملة على سوريا سنة ١٣٢ هـ لمطاردة الأمويين فيها جلس يوماً على سريره ودعا أصحابه . . . ثم بعث الى الإمام الاوزاعي فقال له : انت عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي قال : « نعم ، أصلح الله الأمير » قال : ماتقول في دماء بني أمية ؟ قال الإمام : « قد كان بينك وبينهم عهود وكان ينبغي أن يثقوا بها » قال : « ويحك » اجعلني واياهم لا عهد بيننا . فقال : « دماؤهم عليك حرام » فغضب القائد وانتفخت اوداجه واحمرت عيناه ثم أومأ بيده أن اخرجوه . . . وهنا يقول الإمام : خرجت فما ابتعدت حتى لحقني فارس وقال « ان الأمير بعث اليك هذه الدنانير ، ففرقتها قبل ان أدخل بيتي . »

— يروي الإمام نفسه عما حدث له مع الخليفة ابي جعفر المنصور فيقول : بعث الي ابو جعفر وانا بالساحل فأتيته فلما وصلت سلمت عليه فرد علي السلام واستجلسني ثم قال : « ما الذي أبطأ بك عنا ياأوزاعي ؟ » . . فقلت : « وما الذي يريده أمير المؤمنين ؟ » قال : « أريد الأخذ عنك والاقتباس منك » قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أيما وال بات غاشاً لرعيته حرم الله عليه الجنة ، ومن كره الحق يا أمير المؤمنين فقد كره الله ، ان الله هو الحق المبين » فحقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظراً ولما استطاع من عوراتهم ساتراً ، وبالقسط فيما بينهم قائماً . . وأعلم يا أمير المؤمنين أن السلطان أربعة : أمير يظلف (يكلف) نفسه وعماله فذلك له أجر المجاهد ، وأمير رتع ورتع عماله فذاك يحمل أثقالا وأثقالا فوق اثقاله ، وأمير يظلف نفسه ويرتع عماله فذاك الذي باع آخرته بدنياه وأمير يرتع ويظلف عماله فذاك شر الأربعة .

ويستطرد الاوزاعي فيقول : ولما نهضت اريد الذهاب قال : (الى أين ؟) قلت : (الى البلد والوطن بإذن أمير المؤمنين) . قال : (قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبول حسن) وبعد خروجي من عنده علمت انه أمر لي بمال استعين به فلم اقبله وقلت : « أنا في غنى وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا ولا بها كلها . »

تلك هي أقباس من سيرة أبي عمرو . أين لنا من يقتفي أثرها ويمشي في ضوئها في هذه الآونة من تاريخنا ، عسى ان تعود لنا عزة فقدناها ومنعة أضعناها ، ولن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .





اعداد : الاستاذ فهمى الامام

الكويت :

● يقيم سمو نائب الأمير المعظم الشيخ جابر الأحمد مسجدا في المعادي — من ضواحي القاهرة — على نفقته الخاصة .. وسيتكلف المسجد ٣٥ ألف جنيه .

● أقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بمسجد السوق الكبير حفلها السنوى المعتاد فى ذكرى الاسراء والمعراج على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ..

● وقعت الكويت مع يوغسلافيا اتفاقا يقضي بتصميم وبناء قواعد عسكرية في البلاد وقد صرح معالى الشيخ سعد العبد الله الصباح رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع بأن القواعد الجوية التى تم الاتفاق على انشائها ستكون من أحدث القواعد الجوية فى العالم ، وستزود بأحدث وسائل التكنولوجيا العسكرية .

● دعا مجلس الوزراء الى قيام تعاون بين وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية والصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية . .. وذلك للمساعدة في أقامة مساجد ومراكز اسلامية ومعاهد دينية فى القارة الافريقية .

● سيتم — ابتداء من العام الدراسى القادم — تدريب جميع طلاب مدارس وزارة التربية على استخدام السلاح .. وذلك حتى يكونوا على استعداد تام للذود عن البلاد اذا اقتضى الأمر .

مصر : —

● زار جلالة الملك فيصل جمهورية مصر العربية فى الفترة الواقعة بين ٨/١ وحتى ٨/٧ .. وقد أجتمع بالرئيس أنور السادات وبالمسئولين المصريين ودار البحث حول قضية فلسطين والاحتلال الاسرائيلى وكيفية معالجته .. كما تم بحث قضايا أخرى تهم العالم العربى والاسلامى .. واتخذت بشأنها القرارات المناسبة .

● وافق فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر على ايفاد بعثة أزهرية من العلماء والوعاظ الى جنوب افريقيا لأول مرة ، كما تم قبول عدد من طلاب جنوب افريقيا في مختلف مراحل التعليم بالأزهر .

● بدأت لجنة برئاسة الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف دراسة مشروع اعادة كتابة تاريخ الاسلام والعرب .. والذى تقدمت به جامعة الكويت .

● التقى فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر بوفد يمثل الصحافة الاقليمية ودور النشر بأمريكا .. وأجاب على اسئلتهم حول اثر الاسلام فى توحيد العالم العربى وقانون الاحوال الشخصية .

السعودية :

● قدم جلالة الملك فيصل خلال زيارته الأخيرة لمصر مبلغ ١٥٠٠ مليون دولار مساعدة من جلالته للشعب المصرى .

● افتتح فى جدة المؤتمر الثانى لوزراء مالية الدول الاسلامية بحضور وفود من ست وعشرين دولة اسلامية وذلك للتوقيع على صيغة اكتتاب الدول المشتركة فى رأس مال البنك الاسلامى للتنمية ، وقدره ٩٠٠ مليون دولار .

● أصدر وزير المعارف قرارا يقضى باعتبار مادة الثقافة الاسلامية مادة أساسية فى جميع الكليات دون استثناء .

● قررت رابطة العالم الاسلامى ايفاد أحد العلماء الى مدينة (بريناجوا) فى البرازيل ليعمل هناك اماما وواعظا للجالية الاسلامية .

● قام مكتب رابطة العالم الاسلامى فى بلاد اسكندنافيا بوضع مشروع لترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة الدنماركية .

الأردن : ـــ

● تبرعت الأردن بمبلغ من المال مساهمة منها فى مشروع بناء مسجد بمدينة (نور مبرغ) الألمانية .

● اعتمد وزير الأوقاف والمقدسات الاسلامية المبالغ اللازمة لاتمام مشروع مسجد خالد بن الوليد فى بلدة حوران .. وكذلك مشروع دار القرآن الكريم فى مسجد بلدة (سوف) .

قطر :

● ساهمت قطر بمبلغ ١٠٠ الف جنيه استرلينى لاستكمال تنفيذ مشروع انشاء المركز الاسلامى بالسودان .

اليمن : ـــ

● صدر قرار جمهورى فى صنعاء يقضى باقامة معهد دينى فى العاصمة ، على أن تكون له فروع فى جميع المحافظات اليمنية .. ويعنى المعهد بتدريس العلوم الاسلامية واللغة العربية والتاريخ والأدب .

النرويج : ـــ

● عقدت الجمعيات الاسلامية بالنرويج اجتماعات تقرر فيها انشاء اتحاد من الجمعيات يسمى اتحاد الجمعيات الاسلامية في النرويج .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شعبان ١٣٩٤	اغسطس ١٩٧٤	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)						المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	١٩	٣ ٤٣	٥ ١٧	١١ ٥١	٣ ٢٧	٦ ٢٥	٧ ٤٨	٩ ١٨	١٠ ٥٢	٥ ٢٦	٩ ٢	١ ٢٣
الثلاثاء	٢	٢٠	٤٤	١٨	٥١	٢٧	٢٤	٤٦	٢٠	٥٤	٢٧	٣	٢٢
الأربعاء	٣	٢١	٤٥	١٩	٥١	٢٧	٢٣	٤٥	٢٢	٥٦	٢٨	٤	٢٢
الخميس	٤	٢٢	٤٦	١٩	٥١	٢٦	٢٢	٤٤	٢٤	٥٧	٢٩	٤	٢٢
الجمعة	٥	٢٣	٤٧	٢٠	٥١	٢٦	٢١	٤٣	٢٦	٥٩	٣٠	٥	٢٢
السبت	٦	٢٤	٤٨	٢٠	٥٠	٢٦	٢٠	٤١	٢٨	١١ ٠٠	٣٠	٦	٢١
الأحد	٧	٢٥	٤٩	٢١	٥٠	٢٥	١٩	٤٠	٣٠	٢	٣١	٦	٢١
الاثنين	٨	٢٦	٤٩	٢١	٥٠	٢٥	١٨	٣٩	٣٢	٤	٣٢	٧	٢١
الثلاثاء	٩	٢٧	٥٠	٢٢	٤٩	٢٤	١٦	٣٧	٣٤	٦	٣٣	٨	٢١
الأربعاء	١٠	٢٨	٥١	٢٢	٤٩	٢٤	١٥	٣٦	٣٥	٧	٣٤	٨	٢١
الخميس	١١	٢٩	٥١	٢٣	٤٩	٢٣	١٤	٣٥	٣٧	٩	[illegible]	٩	٢١
الجمعة	١٢	٣٠	٥٢	٢٣	٤٨	٢٣	١٣	٣٤	٣٩	١٠	٣٥	١٠	٢١
السبت	١٣	٣١	٥٣	٢٤	٤٨	٢٢	١٢	٣٢	٤١	١٢	٣٦	١٠	٢٠
الأحد	١٤	سبتمبر	٥٣	٢٤	٤٨	٢٢	١١	٣١	٤٢	١٣	٣٧	١١	٢٠
الاثنين	١٥	٢	٥٤	٢٥	٤٨	٢٢	١٠	٣٠	٤٤	١٥	٣٨	١٢	٢٠
الثلاثاء	١٦	٣	٥٤	٥ ٢٥	٤٧	٢١	٩	٢٩	٤٥	١٦	٣٨	١٢	٢٠
الأربعاء	١٧	٤	٥٥	٢٦	٤٧	٢١	٨	٢٨	٤٧	١٨	٣٩	١٣	٢٠
الخميس	١٨	٥	٥٦	٢٦	٤٧	٢٠	٦	٢٧	٤٩	١٩	٤٠	١٤	٢٠
الجمعة	١٩	٦	٥٧	٢٧	٤٧	٢٠	٦	٢٥	٥١	٢١	٤١	١٤	١٩
السبت	٢٠	٧	٥٧	٢٨	٤٦	١٩	٤	٢٣	٥٣	٢٣	٤٢	١٥	١٩
الأحد	٢١	٨	٥٨	٢٨	٤٦	١٩	٣	٢٢	٥٥	٢٥	٤٣	١٥	١٩
الاثنين	٢٢	٩	٥٩	٢٩	٤٦	١٨	٢	٢١	٥٧	٢٧	٤٤	١٦	١٩
الثلاثاء	٢٣	١٠	٤ ٠٠	٢٩	٤٥	١٨	١	٢٠	٥٩	٢٨	٤٤	١٧	١٩
الأربعاء	٢٤	١١	١	٣٠	٤٥	١٧	٠٠	١٩	١٠ ١	٣٠	٤٥	١٧	١٩
الخميس	٢٥	١٢	١	٣٠	٤٥	١٦	٥ ٥٨	١٧	٣	٣٢	٤٦	١٨	١٩
الجمعة	٢٦	١٣	٢	٣١	٤٤	١٥	٥٧	١٦	٥	٣٤	٤٧	١٨	١٩
السبت	٢٧	١٤	٣	٣١	٤٤	١٥	٥٦	١٤	٧	٣٥	٤٧	١٩	١٨
الأحد	٢٨	١٥	٤	٣٢	٤٤	١٤	٥٥	١٣	٩	٣٧	٤٩	١٩	١٨
الاثنين	٢٩	١٦	٤	٣٢	٤٣	١٣	٥٣	١١	١١	٣٩	٥٠	٢٠	١٨

أم المؤمنين السيدة ميمونة

رضي الله عنها

اسمهـــا : برة بنت الحارث بن حزن الهلالية .

امهـــا : هند بنت عوف بن زهير بن الحارث .. كان يقال فيها : « اكرم عجوز فى الارض أصهارا هند بنت عوف : أصهارها : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق ، وحمزة والعباس ابنا عبد المطلب ، وجعفر وعلى ابنا ابى طالب رضى الله عنهم » .

أخواتها : شقيقتها « أم الفضل » لبابة الكبرى بنت الحارث زوج العباس ابن عبد المطلب وأول امرأة آمنت بالرسول بعد خديجة رضى الله عنها .

وأسماء بنت عميس — اختها من أمها — تزوجت جعفر بن أبى طالب وولدت له عبد الله . ومن بعده تزوجت ابا بكر الصديق وولدت له محمدا ، ثم تزوجت عليا بن أبى طالب وولدت له يحيى .

وسلمى بنت عميس .. زوج حمزة بن أبى طالب .

خطبتهـــا : كانت أرملة فى السادسة والعشرين من عمرها ، مات عنها زوجها أبو رهم بن عبد العزى القرشي العامرى . ولما دخل الرسول وصحابته مكة لمدة ثلاثة أيام كما نص عهد الحديبية ، أرسلت — رضى الله عنها — العباس الى الرسول صلى الله عليه وسلم يذكرها له ، فاستجاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصدقها ٤٠٠ درهم ، وبعث ابن عمه جعفر يخطبها له .

زواجهـــا : بنى بها الرسول صلى الله عليه وسلم فى (سرف) — قرب التنعيم .. ثم رجع بها الى المدينة . وسماها ميمونة ، حيث أن زواجها كان فى المناسبة الميمونة التى دخل فيها أم القرى لأول مرة منذ سبع سنوات .

فضلهـــا : قيل هى التى وهبت نفسها للنبى ونزلت فيها الآية .

وقالت عنها السيدة عائشة : « كانت والله من أتقانا لله ، وأوصلنا للرحم » .

وفاتهـــا : رحلت الى جوار ربها فى سنة ٥١ هجرية على الأرجح ، رضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .
المغــرب	:	الدار البيضاء ـــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧) .
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الأعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

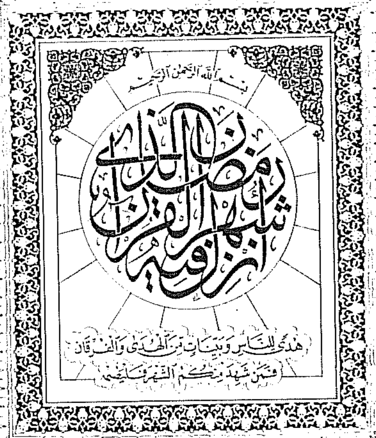
هدية العدد
رسالة الصيام والزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم



هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
فمن شهد منكم الشهر فليصمه


ان الدین عند الله الاسلام



بسم الله الرحمن الرحيم

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه صدق الله العظيم

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١١٧

غرة رمضان ١٣٩٤ هـ

سبتمبر ١٩٧٤ م

سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

أما الافراد فشتركون رأسا

مع متعهد التوزيع كل في قطره

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي ــ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ ــ كويت ــ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

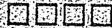
الصيام والقرآن

يطل علينا شهر رمضان بهلاله الميمون ، ويظلنا بأيامه الكريمة ولياليه المباركة ، ويحلق بنا في سماوات الطاعة وروضات العبادة ، ويجعلنا أهلا للفيوضات الإلهية والنفحات القدسية وموضعا لنظر الله ورضوان الله .

في هذا الشهر العظيم تتزين السماء وتتنزل الملائكة وتفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتحجب الشياطين ، وينجلي الله على عباده الصائمين القائمين فيغفر لهم ، ويستجيب دعاءهم ، ويوفيهم أجورهم بغير حساب .

وفي هذا الجو الروحي الطهور تزكو النفوس وتطهر القلوب ، وتصفو النوايا ويصدق العزم ، فتصغر الدنيا وتعظم الآخرة ، ويحلو كل ما يقرب من الله ، ويكره كل ما يباعد عن الله ، وتأنس المشاعر والجوارح بالموافقة لكل ما يرضي الله ، وتنفر وتفر من كل ما يغضب الله ، ويبلغ الصائم القائم مقام الإحسان ، فيعبد الله كأنه يراه ، ويتصرف في دنياه كأنه يراه .. يتقن كل عمل ، ويحسن كل تصرف ، ويراقب الله في كل سلوك ، ويقيم أوامره في شئون الحياة كافة .

الإحسان مراقبة ومشاهدة ، والرقابة الإلهية لا تتناول عملا وتدع آخر ، بل تتناول الأعمال كلها من الصلاة التي يقف فيها المسلم خاشعا بين يدي الله الى الحرفة والمهنة التي يباشرها قياما بواجبه في الحياة .. الإحسان الذي يبلغه العبد بالصيام والقيام وتلاوة القرآن رحب الدائرة يشمل الأعمال والأحوال كلها : (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه) .



إن الله عز وجل شرف هذا الشهر وميزه بأمرين فرض الصيام وانزال القرآن فيه قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .

وقد اقتضت الحكمة العالية أن يكون هذا الاقتران والارتباط بين الصيام والقرآن فالصيام اعداد وتهيئة للنفس لتلاوة القرآن وتدبر معانيه ، والصيام رياضة وترويض للغرائز الانسانية على الخضوع والانقياد لما أنزل الله ، وبالصيام تطمئن النفس الى الحق وترقى الى أفقها الروحي وتستعد لتلقي الفيض الإلهي من كلام الله .

وهذا موسى عليه السلام قبل أن يتلقى كلمات ربه واعده الله ثلاثين ليلة وأضاف اليها عشرا فبلغت عدتها اربعين ليله يروض فيها موسى نفسه بالصوم حتى تصفو روحه وتقوى على تلقى كلمات ربه .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة) قال المفسرون : فصامها موسى عليه السلام وطواها ، فلما تم الميقات ثلاثين ليلة استاك بلحاء شجرة ــ بقى شيء من سلطان النفس وحكم الهوى عليه ــ فأمره الله أن يكمل اربعين .

إن الصوم يملأ النفوس روحانية وابداعا ، ويشرق على القلوب بهجة وسناء ويطلع على العقل شفافية علوية ترفعه من حضيض الحيوانية المادية الى مستوى الملائكيه والروحانية ، فيكون أهلا لمجالسة الحق ومناجاته بتلاوة كلامه ومدارسة قرآنه .

إن سيد الصائمين محمدا صلى الله عليه وسلم كان يعنى بمدارسة القرآن في رمضان ، وكان جبريل عليه السلام يتنزل عليه كل ليلة منه فيدارسه القرآن : يقرأ ويسمع جبريل ، ثم يقرأ جبريل ويسمع محمد . روى الإمام البخاري ومسلم عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة .

وكان السلف الصالح يعتمدون على العصى من طول القراءة في صلاة التراويح ، وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر ، وبعضهم كان يختم القرآن في قيام رمضان في كل ثلاث ليال ، وبعضهم في عشر ، وكانوا زمن التابعين يقرؤون بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات ، ويرون أن قراءتها في اثنتى عشرة ركعة من التخفيف ، وكان لأبي حنيفة والشافعي ستون ختمة في رمضان ، وكان مالك إذا دخل رمضان تفرغ لقراءة القرآن .

إن هذا الشهر الكريم يشدنا الى كتاب الله الخالد الذى لا ريب فيه . المبارك القيم الذى لا عوج فيه . العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . المثاني الذى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم .. يشدنا إليه حفظا وتلاوة ، وفهما وعملا ، والصوم خير وسيلة تقربنا من الله ، وترطب ألسنتنا بكلامه ، وتمنحنا عفوه وتحقق لنا رضاه .



إننا نعيش في عصر كل ما فيه جديد كل الجدة في حياة البشرية المادية ، وقد حقق الإنسان في هذا القرن من التقدم العلمي والتطور المادى ما لم يحققه في القرون السابقة ، وحسبه أنه انتقل من الأرض الى السماء ، ولكنه بجانب هذا أخفق إخفاقا كبيرا في مجال القيم الانسانية ، وكل ما أحرزه من تقدم لم يزده إلا ضراوة وحيوانية ، ومعنى هذا أن جميع النظم والقوانين والمناهج التى وضعت لتربية الانسان واصلاحه فشلت فشلا ذريعا ومن أجل هذا تنادى المصلحون لاعادة بناء الانسان من جديد ، والمنهج الوحيد لاصلاح النفس الانسانية هو منهج الله المتمثل في كتابه وسنة رسوله ، والوسائل للانتصار على النفس والتسامى بها هي طاعة الله وعبادة الله وفي مقدمتها الصوم ، ثم اضاءتها وتحريكها بالقرآن الكريم (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) و (الصوم جنة) .

رضوان البيلى

دراسات في القصص القرآني :

المرأة ومكانها في

١ ــ للمرأة مكانها فى الحياة مع الرجل .. ونشاطها الانسانى فى الحياة مكمل لنشاط الرجل ، ولا يختلف عن نشاطه الا بالقدر الذى يختلف فيه تكوينهما العضوى وما ينشأ عن هذا الاختلاف من وجود استعدادات خاصة فى كل منهما تجعله أقدر على القيام ببعض الوظائف من صاحبه ، واكثر استعدادا له منها ..

فالمرأة والرجل هما الانسان ، كل منهما ذهب بأحد شطريه .. فهما متماثلان ، ومتغايران فى وقت معا .. وبهذه النظرة ، ينظر القرآن الكريم الى المرأة فى تشريعاته واحكامه،وفى أوامره وزواجره، وفى تعاليمه ووصاياه ، وفى حسابه وجزائه .. فهو يسوى بينهما حين يكون الحكم متعلقا بشأن انسانى ، يقوم على اصل الفطرة المركوزة فى الانسان .. ثم هو يفرق بينهما حين يكون الأمر شأنا خاصا بالرجل ، أو أمرا منوطا بالمرأة .

٢ ــ وفى القصص القرآنى ، يبرز وجه المرأة كعنصر أصيل من عناصر هذا القصص ، حيث تأخذ المرأة مكانها فيه كانسان وكامرأة معا .. فهى كانسان لها دورها الذى تشارك به فى صنع الاحداث ، وفى دفع مسيرة الحياة الانسانية ، وما يتطلبه ذلك من نشاط مادي ، وعقلى .. وهى كأنثى لها دورها فى القيام على وظيفة الامومة ، ورعاية الاطفال ، والسهر على راحتهم ، واعدادهم للحياة اعدادا جسديا ، وعقليا ، وخلقيا ..

القصص القرآني

للأستاذ : عبد الكريم الخطيب

فهى انسان ، عاقل رشيد ، يزن الامور بعقله ، ويتعرف على مواقع الخير ببصيرته ، ثم الى جانب هذا العقل ، وهذه البصيرة ، ارادة قاطعة ، ورأى جميع ، يقهر الحدود ويحطم القيود ، ليعبر عن مشيئته وارادته على الوجه الذى شاء واراد .. ولهذا كانت المرأة مناطا للتكليف ، واهلا للثواب والعقاب ، شأنها فى هذا شأن الرجل سواء بسواء ..

وفى مخاطبات القرآن الكريم للانسان بقوله تعالى : **(يايها الانسان)** خطاب للرجل والمرأة معا .. مثل قوله تعالى : **(يايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه)** (٦ الانشقاق) .

ومثل قوله جل شأنه : **(انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان .. انه كان ظلوما جهولا)** (٧٢ : الأحزاب) .

ومثل مخاطبات القرآن الكريم للانسان ، مرادا به الرجل والمرأة ، مخاطباته للناس ، كقوله تعالى : **(يايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)** (١ : النساء) — وكقوله سبحانه : **(يايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا)** (٣٣ : لقمان) .

وهكذا تجىء مخاطبات الحق سبحانه وتعالى للرجال والنساء

خطابا عاما للانسان ، وللناس حيث الانسان ذكر أو أنثى ، وحيث الناس ذكور أو إناث ..

هذا ، وقد تجيء مخاطبات الله سبحانه وتعالى للرجال وللنساء مفصلة ، بمعنى أن يذكر الذكور ، وفى مقابلهم الاناث ، وفى هذا ما يجعل التوازن قائما بينهما فيما تقرر الشريعة لهما من حقوق ، وما تفرض عليهما من واجبات ، كما يقول سبحانه : (**ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**) . وكقوله سبحانة : (**فاستجاب لهم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض**) .

٣ ــ وكما أن فى الرجال الأخيار والاشرار ، والعقلاء والسفهاء، فكذلك فى النساء الخيرات والشريرات ، والعاقلات والسفيهات .. انهم جميعا ثمر شجرة واحدة ، وكما يكون فى ثمر الشجرة السليم والمعطوب ، والجيد والردىء ، فكذلك كانت شجرة الانسانية ، وما تعطى من ثمر ، بعضه صالح وبعضه فاسد ، وبعضه جيد ، وبعضه ردىء .. (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) (٣٥ الأنعام).

وفى القصص القرآنى نماذج متعددة للمرأة فى مستوياتها المختلفة ، فى علوها واسفافها ، وفى رشدها وغيها ، وفى هداها وضلالها .. شأنها فى هذا شأن الرجل سواء بسواء ..

وتحت سقف البيت الواحد ، يعرض القصص القرآنى الزوجين ، المرأة والرجل ، وكل منهما قد أخذ طريقا غير طريق صاحبه ، فتارة يكون الرجل غويا ضالا ، غارقا فى الضلال ، على حين أن امرأته تكون على رشد وهدى ، وعلى ايمان وتقوى ، كما ذكر القرآن الكريم ذلك عن امرأة فرعون التى كانت فى صحبة هذا الانسان الذى أعماه الغرور ، فكفر بأنعم الله ، ثم تمادى فى كفره وطغيانه حتى ادعى الالوهية لنفسه ، وأبى على من تحت سلطانه الا أن يتخذوه الها يعبد من دون الله ، وقد استجابوا له ، واتبعوا ضلاله وهواه ، كما يقول سبحانه : (**فاستخف قومه فاطاعوه ، انهم كانوا قوما فاسقين**) ..

ومع هذا الجو المكفهر ، وفى وسط هذا الظلام الكثيف ، فان شعاعا من نور قد ظل مضيئا فى قلب امرأة فرعون ، فأبصرت طريقها الى الحق ، ووجهت وجهها الى الخالق المعبود ، رب السموات والأرض وما فيهن ، وخرجت من سلطان فرعون ، وحررت ضميرها من تسلطه على ايمانها بالله رب العالمين ، فكان لها عند الله تعالى هذا الذكر العظيم فى القرآن الكريم ، يرى فيه المؤمنون المثل الصادق للعقل الرشيد ، والارادة القوية ، والعزيمة الماضية فى امرأة يرجح ميزانها اعداد الحصا من الرجال الذين زهدوا فى عقولهم ، واتبعوا أهواءهم ، فيقول جل شأنه : (**وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ، ونجنى من فرعون وعمله ، ونجنى من القوم الظالمين**) (١١ : التحريم) وقد استجاب الله تعالى لها دعاءها ، وأعد لها بيتا فى الجنة .. فهنيئا لها ما أعطاها ربها من كريم فضله وعظيم إحسانه ..

وعلى عكس هذا ، نجد المرأة التى تلج فى الضلال والعناد ، وتأبى أن تفتح عينيها لأنوار الحق التى تتلألأ فى البيت الذى يضمها مع زوجها ، فتركب رأسها ، وتأخذ طريقها مع الغواة الضالين ، وترد معهم موارد الهالكين .

فهذه امرأة نوح عليه السلام ، تتأبى عليه أن تستجيب لدعوة الحق التى يدعو بها ، وتصر فى عناد لئيم ألا تنصر دعوته ، وألا تكون فى جبهة الايمان مع المؤمنين الذين استجابوا له .. ومثل امرأة نوح امرأة لوط التى أبت أن تأخذ مكانها مع هذا النبى الكريم ، وأن تقفو أثره وتتبع خطوه ، وتكون دعوة من دعوات الحق والخير التى يدعو اليها ..

وقد عجل الله تعالى للمرأتين العقاب فى الدنيا ، وأعد لهما العذاب الاليم فى نار جهنم فى الآخرة .. فيقول سبحانه عن امرأة نوح وامرأة لوط ، وقد ضربهما الله تعالى مثلا للكفر والضلال ، وما يلقى الكافرون والضالون : (**ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين**) .

انهما امرأتان فى بيت النبوة ، كل واحدة منهما امرأة نبى ، تملأبيته أنوار السماء ، وتغدو وتروح فيه ملائكة الرحمن ، وهى تشهد هذا وتحضره ، ثم هى مع هذا تأبى الا جماحا ونفارا عن الحق والخير ، والا امعانا واصرارا على الضلال والكفر ..

٤ — وهذا موقف تبدو فيه المرأة ، وكأنها خارجة على طبيعتها منحرفة عما ينبغى أن يكون منها من القيام وراء زوجها تشد أزره ،

وتأخذ بناصره ، وخاصة اذا كان بالمكان الذى يدعو فيه الى الخير ، ويبشر بالرحمة والمودة ، ثم لا يجد من الناس الا نفورا منه ، واستخفافا به ، وعدوانا عليه ، انها ان لم تنتصرله فى تلك الحال لشخصه وللحق الذى يدعو اليه ، فلتنتصر له فى شخص رجلها وأبى ابنائها .. فان لم يكن منها هذا أو ذاك ، فلتعطفها عاطفة الرحمة من الضعيف الى الضعيف ، فالمرأة بطبعها ضعيفة تكره التسلط،والبغى، يتربى فى حجرها الانسان فى أضعف أحواله ، فتغذوه بحنانها ، وتكسوه برحمتها وعطفها ، وتسهر عليه بقلبها وعقلها .. والنبى الكريم ، الذى سكن اليها وسكنت اليه فى حال قد اجمعت عليه فيها قوى الشر والبغى ، تنوشه بألسنتها ، وترميه بالحقد والشنآن من اعينها ، وتلقاه بألوان الضر والأذى فى كل موقف يقفه وكل سبيل يسلكه .. وتلك حال من شأن المرأة فيها أن تكون أرق قلبا والين جانبا من الرجال ..

وعلى أى فلا بد أن تقيم الحياة فى المجتمع الانسانى شواهد للمنحرفين من الرجال والنساء على السواء ..

فأمرأة نوح وامرأة لوط مثلان للشواذ المنحرفات منَ النساء .. فاذا كان فى النساء ــ وهذا فى الكثير الغالب ــ من يكن مع رجالهن اينما كانوا ، فان فيهن هذا الصنف المشاكس المخالف الذى لا يرضى أن يعيش فى غير الخلاف والمشاكسة .. واذا كان كثير من النساء قد ابى عليهن عقلهن ورشدهن أن ينسقن فى طريق السفه والضلال الذى ركبه ازواجهن ، فان كثيرا منهن ايضا قد التقين مع ازواجهن على الباطل ، وتقاسمن معهم الشر الذى يغرسونه فى منابت الخير .. وفى امرأة أبى لهب المثل لهذا ، فقد كان لها فى القرآن الكريم مع زوجها أسوأ المثل للشر يجتمع الى الشر ، والسفه يتآخى مع السفه .. فيقول سبحانه وتعالى : **(تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وأمرأته حمالة الحطب ، فى جيدها حبل من مسد)** (سورة المسد) .

٥ ــ ثم اننا نجد فى القصص القرآنى المرأة (الأنثى) تستجيب لطبيعتها فى طلب الزوج ، وفتح منافذ وصوله اليها ، فى تلطف ومداراة ، من غير أن يخدش حياؤها ، أو تجرح كبرياؤها ، فتبدو مطلوبة وهى طالبة وتظهر متمنعة وهى راضية .. وهذا ما يقصه علينا القرآن الكريم عن ابنة النبى الكريم شعيب عليه السلام ، مع موسى عليه السلام حيث يقول سبحانه : **(ولما ورد ماء مدين وجد عليه**

امة من الناس يسقون ، ووجد من دونهما امرأتين تذودان ، قال ما خطبكما ؟ قالتا لا نسقى ، حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير .. فسقى لهما ، ثم تولى الى الظل ، فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير) (٢٣ و ٢٤ القصص) .

فالمراتان اللتان تذودان غنمهما ، هما ابنتا شعيب عليه السلام ، وقد سقى لهما موسى ، دون أن يعلم من ابوهما .. (فجاءته احداهما تمشى على استحياء ، قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) (٢٥ : القصص) لقد ارسل شعيب احدى ابنتيه لتدعو هذا الطارىء الغريب الذى سقى لهما ، ليكون فى ضيافته يوما ، أو بضعة أيام .. (فجاءته احداهما تمشى على استحياء ..) لقد تجسد الحياء حتى لكأنه بساط تمشى عليه .. انها لا تمشى على الارض ولكنها تمشى على حياء ، تتعثر فيه خطاها ويضطرب كيانها .. فاذا وصلت الى حيث يجلس موسى ، خاطبته فى خفر ، وعفة وحياء قائلة : (ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) .

ويستجيب موسى لهذه الدعوة الكريمة ، ويمشى بين يدى تلك الابنة التى حملت اليه دعوة أبيها ، حتى يلتقى بشعيب ، ويأنس اليه ، ويعرف كل منهما صاحبه ، ويعلم شعيب سبب مجىء موسى فارا من مصر الى أرض مدين ، فيقول له شعيب مطمئنا : (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) (٢٥ : القصص) .

وهنا تجدها ابنة شعيب فرصة فى الامساك بهذا الرجل القوى الأمين أن يفلت : (قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين) .

إنها هى نفس الابنة التى بعث بها أبوها الى موسى لتدعوه الى ابيها ، لينزله منزل الضيفان ، وهو الغريب المنقطع عن أهله ..

٦ ــ وفى القرآن نجد المرأة (الأم) التى تفيض مشاعرها بعاطفة الأمومة ، فتذهل معها عن كل شىء ، وتنسى معها كل شىء .. فهذه امرأة فرعون ، وقد جاء الملأ من أعوان فرعون بهذا الوليد من بنى ــ اسرائيل ــ وهو موسى عليه السلام ــ ليقتله كما يقتل غيره من مواليد بنى اسرائيل ، وما ان تكاد المرأة ترى الوليد الذى التقطوه من اليم ، يعرض للقتل ، حتى تصرخ فيها عاطفة الأمومة ، ولا تحفل بما قرره فرعون فى أمر هؤلاء المواليد ، ولا ترهب سلطانه ، وما قد تلقاه من مصير ، فتقول : (قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه ، عسى

ان ينفعنا أو نتخذه ولدا) (٩ القصص) ويفيق فرعون من هذه المفاجأة وتحرك هذه الكلمات فى نفسه عاطفة الأبوة التى حرمه الله منها ، فيمسك عن قتل هذا الوليد ، أرضاء لزوجه ، وترضيا لمشاعرها وقد حرمها الله الولد منه .

٧ — ومن هذا نرى أن المرأة نسيج متلاحم من التركيب الطبيعى للحياة الانسانية ، وأنها تأخذ مكانها فى القصص القرآنى كانسان ، وكأنثى معا .. أما ، وزوجة ، وأختا ، وابنة ، تقوم بوظيفتها فى الحياة ، بمالا يخرج عن طبيعتها كأنثى ، فتهتدى ، وتضل وتستقيم وتنحرف ، وهى فى جميع احوالها انثى تناظر الرجل ، وتقاسمه الحياة من غير أن تزاحمه فى وظيفته كرجل ، ومن غير أن يزاحمها الرجل فى وظيفتها كأنثى .. وبهذا تنتظم حياة الجسد الاجتماعى ، الذى يقوم كل عضو فيه بوظيفته التى لا يقوم بها غيره ، والتى ان كلف القيام بوظيفة غير وظيفته عجز ، ودخل من عجزه هذا الاضطراب والاختلال فى توازن الجسد كله .

والقصص القرآنى لا يستجلب المرأة استجلابا لاثارة العواطف، وتهييج المشاعر ، كما هو الشأن الغالب فى القصص الأدبى ، الذى تستجلب له المرأة لاثارة الغرائز ، وتهييج المشاعر ، واسترضاء القراء لهذا القصص ، أو المشاهدين له فى عمل مسرحى أو سينمائى .

فالقرآن اذ يذكر المرأة فى قصة من قصصه فانما يستدعيها من الواقع الذى كان مشهودا فى يوم من الأيام ، ثم يحركها وينطقها بما كانت قد تحركت أو نطقت به ..

فكل امرأة جاء ذكرها فى القصص القرآنى ، سواء ذكرت باسمها ، كمريم ابنة عمران ، أو بصفتها كامرأة نوح ولوط ، وأبى لهب وكامرأة فرعون — كل امرأة من هؤلاء كان لها مكانها فى الحياة ، وكان لها دورها على مسرح هذه الحياة — فهى — والأمر كذلك — حقيقة تاريخية ، لا شك فيها ولا امتراء ، وصورتها فى القصة القرآنية ، هى صورة مصغرة لها ، تحمل أبرز ملامحها ، وأوضح صفاتها .. فما ذكر القرآن الكريم فى قصصه الا الحق ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : (**وبالحق أنزلناه ، وبالحق نزل**) (١٠٥ : الاسراء) .. انه كلام الله ، والله تعالى هو الحق ، وكلامه الحق : (**قوله الحق وله الملك**) (٧٣ : الأنعام) .. (**والله يقول الحق وهو يهدى السبيل**) .

نقد ابن كثير للإسرائيليات

الأستاذ : اسماعيل سالم عبد العال

(٢)

أوضحت فى المقال السابق الذى نشر بالعدد رقم ١٠٧ أقسام الاسرائيليات وموقف ابن كثير منها :

فالأول : ما علمنا صحته مما بأيدينا من الحق . وهو صحيح مقبول .

والثانى : ما علمنا كذبه مما عندنا من الأدلة الصادقة . وهو مردود مرفوض .

والثالث : وهو المسكوت عنه . لا نؤمن به ولا نكذبه . وتجوز روايته .

ونزيد الأمر وضوحا — فى هذا المقال — فيما يتعلق بالقسم الأخير . ونعرض منهج ابن كثير فى نقده للاسرائيليات .

من الأمور البدهية أن دين الاسلام قد كمل فى عقيدته وشريعته ومنهاجه منذ انتقل المبلغ الأعظم — صلى الله عليه وسلم — الى الرفيق الأعلى .

واذا كان من المستحيل — عقلا — أن تمنّ قناة اضمحل ماؤها ، وتعكر وردها وقل خيرها على نهر فاض ماؤه ، وصفا ورده ، وكثر خيره ، فمن المستحيل كذلك أن تضيف الاسرائيليات شيئا ذا بال يكمل ديننا بعد نقصان أو يوضحه بعد ابهام !

ان من الخطأ البين الذى وقع فيه الكثيرون من المفسرين — غفر الله لهم — أن توضع كلمات اسرائيلية لا

وزن لها بجوار آيات الله على أنها تفصيل لمجمل أو توضيح لمبهم !

ذكر ابن كثير سبب رفضه للاسرائيليات فقال عند تفسير قوله تعالى : ((**والقى الالواح واخذ براس أخيه يجره اليه**)) (١) .

« روى ابن جرير عن قتادة فى هذا قولا غريبا لا يصح اسناده الى حكاية قتادة . وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء ، وهو جدير بالرد ، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب ، وفيهم كذابون ، ووضاعون وأفاكون ، وزنادقة » (٢) .

وعقد موازنة بين علمائنا وعلماء اهل الكتاب فقال : « فى القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء ، والسادة ، والأتقياء والبررة ، والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه ، وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه ، من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه ، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال ، كل ذلك صيانة للجناب النبوى والمقام المحمدى خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم أن ينسب اليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه » (٣) .

وهذا المنهج الجيد الذى سار عليه ابن كثير فى تفسيره نجده أيضا مطبقا فى موسوعته الكبرى : (البداية والنهاية) فى التاريخ .

واذا كان المؤرخون يتسامحون فى ذكر كثير من الأخبار الواهية ، ويجمعون بين الغث والسمين ، والسقيم والصحيح بحجة (أن من نقل إليك فقد حملك) فان ابن كثير — وهو المحدث المدقق — قد أعرض عن الأفك الاسرائيلى الفاضح ، والأخبار التى لا يقبلها عقل ولا يقرها نقل . غير أنه اذا ذكر شيئا من الاسرائيليات التى أذن الشارع فى نقلها مما فيه بسط لمختصر وتسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة فى تعيينه ، فانه يذكره على سبيل التحلى لا على سبيل الاحتجاج إليه ، والاعتماد عليه ، وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عيه وسلم — ما صح نقله أو حسن ، وما كان فيه ضعف يبينه (٤) .

قد يشعرك كلام ابن كثير هذا ، بأن تشدده قد قل ، وحدته قد هدأت عما رأيناه فى التفسير . وهذا حق . وما كنا نود أن يذكر شيئا من الاسرائيليات لا على سبيل التحلى ولا غيره .

وهذا الاحساس جال فى خاطر ابن كثير ، فعاد وقرر أنه قد اتخذ منهجا فريدا فى البعد عن الاسرائيليات والخرافات ، وانكار ما

خالف ديننا وابطـاله (وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ، ويتزاحم فى فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب مما لا فائدة فيه الكثير من الناس اليه ، وقد يستوعب نقله طائفة من علمائنا ، ولسـنا نحذو حذوهم ، ولا ننحو نحوهم ، ولا نذكر منها الا القليل على سبيل الإختصار ونبين ما فيه حق مما وافق ما عندنا ، وما خالفه نوقع فيه الانكار)»(٥) .

ولعل هذا هو السبب فى وقوف ابن كثير طويلا أمام الروايات التى ذكرها فى موسوعتـه ، يوضـح اسنادها ومتنها ، وصحتها أو ضعفها ولا يقبل الروايات على عـلاتها بل يناقشـها ، ويدقق فيها ، باعتباره علما من اعلام الحديث .

وهو منهج فريد فى دراسـة التاريخ لولا ما فاته من الاسرائيليات فى (البداية) وكذلك التفسير وهو — على كل حال — قليل . وسـنذكر الاسرائيليات التى فاتته فى تفسيره فيما بعد ، ونناقشـها ان شاء الله .

منهـج ابن كثير فى نقـد الاسرائيليات :

لمنهج ابن كثير فى نقد الاسرائيليات جوانب متعـددة :

أ — فقد يشير اليها ويعرض عنها.
ب — أو يذكرهـا منسـوبة الى (بعض المفسرين) مفندا لها.

جـ — أو ينسبها الى قائلها مـع مناقشة لها وبيان لبطـلانها .

أ — الاعراض عن ذكر الاسرائيليـات :

يذكر ابن كثير فى كثير من الآيات أنه قد قيل ههنا اسرائيليات ضربنـا عنها صفحا . وقد علل وجهة نظره فى عدم ايرادها بأن بعض الروايات يستحى من ذكرها ، وبعضها الآخـر لا يذكره خشية الاطالة ، أو لما فيه من اختلاق وافتراء ، أو لقلة ثمرته .
وهذه نماذج لما أعرض عنه :

١ — قال فى تفسير قوله تعالى : **(فخسفنا به وبداره الأرض)** (٦) ، « وقد ذكر ههنا اسرائيليات غريبـة أضربنا عنها صفحا » (٧) .

٢ — وفى قصة أيوب عليه السلام ذكـر كثير من الأسـاطير والآثار المختلفة والتى رواها الطبرى وابن أبى حاتم والخازن وغيرهم ، لكن ابن كثير يقول فى هذا :

« روى ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه قصة طويلة ساقها ابن جـرير وابن أبى حاتم بالسند عنه ، وذكرها غير واحد من متأخـرى المفسرين ، وفيها غـرابة ، تركناهـا لحـال الطول » (٨) .

٣ — وفى تفسير قوله تعـالى : **« وهل أتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب .. »** (٩) والآيات المتصلة بقصة داود عليه السلام تجد كثيرا من المفسرين — كالطبرى — على علو مكانته وشأنه — ومقاتل بن سليمان وغيرهما — يذكرون كلاما منكورا ، وقصصا ملفقا من شـأنه أن يرمى الأنبيـاء بما ليس فيهـم ، ويخـل

بعصمتهم ، وجنابهم الأعلى .
لقد قالت الاسرائيليات — وبئس ما قالت — ان داود تحايل على احد قواده ليقتله حتى يتزوج امرأته بعد ان أعجبه حسنها ، مع أن داود كان تحته من النساء — حسبما تقول الرواية — تسع وتسعون زوجة .. الى آخر هذا الكذب المحبوك ..

وقد فسرت النعاج فى الآية — على باطلهم — بالنساء مع أن الملاقة بين الكلمتين مبتوتة .
لكن ابن كثير — وهو الحافظ الناقد — يقول عند تفسير قصة داود :

(وقد ذكر المفسرون ههنا قصة اكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه) (١٠) .

٤ — قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : ((**وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب** ..)) (١١) :
(وقد روى ابن جرير فى هذا المكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا ، وهو حديث موضوع لا محالة لا يستريب فى ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث .

والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وامامته ؟!
وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزى رحمه الله بانه موضوع مكذوب ، وكتب ذلك على حاشية الكتاب .

وقد وردت فى هذا آثار كثيرة اسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها لأن منها ما هو موضوع من وضع زنادقتهم ، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحا ، ونحن فى غنية ولله الحمد ، وفيما قص الله علينا فى كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يحوجنا الله ورسوله اليهم) (١٢) .

٥ — وفى تأويل قوله تعالى : (**فلما افاق قال سبحانك تبت إليك وانا أول المؤمنين**) (١٣) قال : (وقد ذكر محمد بن جرير فى تفسيره ههنا أثرا طويلا فيه غرائب وعجائب عن محمد بن اسحاق بن يسار ، وكأنه تلقاه من الاسرائيليات والله اعلم) (١٤) . . وأحجم عن ذكر هذا الأثر الغريب والعجيب .

٦ — وفى تفسير الآيات المتعلقة بذى القرنين قال عند قوله تعالى : (**حتى اذا بلغ بين السدين**)(١٥) .

(وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أثرا طويلا عجيبا فى سير ذى القرنين ، وبنائه السد ، وكيفية ما جرى له ، وفيه طول وغرابة ونكارة فى أشكالهم وصفاتهم وطولهم ، وقصر بعضهم وآذانهم .

وروى ابن أبى حاتم عن أبيه — فى ذلك — أحاديث غريبة لا تصح اسانيدها والله أعلم) (١٦) .

٧ — وفى (تفسير ابن مردويه) تجد منكرات وغرائب يقول ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : (**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**) (١٧) : (وقد روى ابن مردويه عند تفسير هذه الآية عن أبى ذر حديثا مطولا غريبا عجيبا جدا) (١٨) وأعرض عن ذكره .

٨ — لقد وقع كثير من المفسرين — وعلى رأسهم الطبرى — فى اسرائيليات ما كان لهم أن يضمنوها كتبهم أو يسودوا بها صحفهم .

من ذلك ما يتعلق بقصة زواج النبى صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضى اللـه عنها . ولقد راج — للاسف الشديد — قصص اسرائيلى مخرف حول قصة الزواج وأسبابه قديما — كتفسير الطبرى ومقاتل — وحديثا كما نجد فى بعض كتابات المعاصرين .

يقول بعض من تصدوا للكتابة عن زوجات النبى صلى الله عليه وسلم حديثا :

« أفينكر على بشر رسول أن يرى مثل زينب فيعجب بها ؟ وماذا يطلب من مثله فى سمو خلقه ، وعفة ضميره أكثر من أن يشيح بوجهه عمن أعجبته وهو يسبح باسم اللـه العظيم مقلب القلوب ؟ وأى ضبط للنفس ينتظر من بشر رسول أكثر من أن يجيئه زيد فيستأذنه من جديد فى طلاقها فيأبى عليه الا أن يمسكها ويتقى الله ؟! » (١٩) .

وهذا كلام لا يليق بقدر النبى ومقامه الكريم ، وهل يصل الأمر الى حد يدافع فيه هؤلاء القوم عن اسرائيليات مكذوبة مفضوحة ، وضعت افتراء على رسول الله ، وعلى كتاب الله ؟!

لقد بلغ الجهل والحمق ببعض الناس أن وضع كتابا — كما يقول ابن القيم — فى العشق ، وذكر فيه عشق الأنبياء ، وذكر قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زينب !

يقول ابن القيم — صديق ابن كثير الحميم وزميله فى الدراسة :

(وأما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق قدره أنه ابتلى به فى شأن زينب بنت جحش ، وانه رآها فقال : سبحان مقلب القلوب وأخذت بقلبه ، وجعل يقول لزيد ابن حارثة أمسكها حتى أنزل الله عليه (واذ تقول للذى انعم الله عليه ..) الآية .. فظن هذا الزاعم أن ذلك فى شأن العشق . وصنف بعضهم كتابا فى العشق ، وذكر فيه عشق الأنبياء ، وذكر هذه الواقعة وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل ، وتحميله كلام الله ما لا يحتمله ، ونسبته رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى ما براه الله منه) (٢٠) .

ان الغرض الأساسى فى قصة زواج زينب رضى الله عنها هو احلال زواج الرجل من زوجة ابنه بالتبنى ، وكانت العادة المتأصلة فى نفوس العرب تأبى ذلك . فندب الرسول — صلى الله عليه وسلم — وهو القدوة الحسنة لكسر هذا التقليد الذى استشرى فى أرجاء الجزيرة العربية ولا يقره شرع الله الحكيم .

فاذا ورد — بعد ذلك — قصص يحاك حول رسول الله ، واعجابه بزينب وانها طلقت ليتزوجها الرسول لوقوعها فى قلبه ، فهو محض افتراء وأفك مبين .

حقيقة كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، وكان أحبهن اليه عائشة رضى الله عنها ولم تكن

تبلغ محبته لها ، ولا لأحد سوى ربه نهاية الحب كما يقول ابن القيم . وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (لو كنت متخذا من اهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليــلا) وفى لفظ (وان صـــاحبكم خليل الرحمن) .

وها هو ابن كثير يعقب على تلك الروايات التى لفقت من قبل فيقول :

(ذكر ابن جرير ههنا آثارا عــن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها .

وقد روى الامام احمد ههنا أيضا حديثا من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن انس رضي الله عنه فيــه غرابة تركنا سياقه أيضا) (٢١) .

فهل يجوز لأحد من المستشرقين أو من يدور فى فلكهم أن يعتبر هـــذه الروايات المكذوبة ، والاسرائيليـــات الهابطة ، حقائق يجب الدفاع عنها بعد أن قال ابن كثير وزميـــله ابن القيم منذ ما يزيد على ستمائة عـــام انها غير صحيحة ؟!

يقول الدكتور مصطفى زيد ــ مد الله فى عمره ــ وهو يرد على هـــذا البهتان :

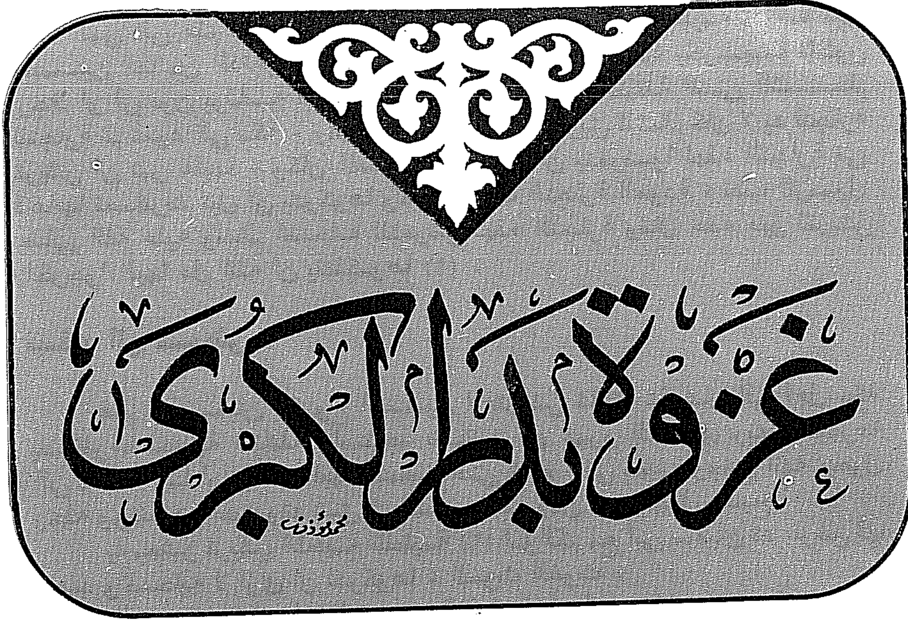
(ولســـنا ندرى كيف تبلغ بهــم الجراة الى حد الدفاع عن اسرائيليات لفقت قبل الطبرى ..؟) ثم لمـــاذا يحتجون بمفسر كالزمخشرى لم يعرف بالحفظ والرواية فى أمر يحتاج اليهما ويغفلون مفسرا حافظا محدثا هــو الحافظ ابن كثير) (٢٢) . ثم نقـــل النص الذى أوردناه عــن ابن كثير سابقا .

هـــذه بعض الاسرائيليـــات التى اعرض عنها ابن كثير ولم يذكرها فى تفسيره مع اشارته الى من ذكرهـــا وتنبيهه على عدم صحتها .

لكننا نجده يذكر فى مواضع أخرى كثيرة من تفسيره اسرائيليات منسوبة الى قائليها ويناقشها ويدحضها سندا ومتنا . **وهو ما سنبينه فى مقال آخر ان شاء الله .**

---

(١) الأعراف : ١٥٠/٧
(٢) تفسير ابن كثير : ٢٤٨/٢ ط الحلبى .
(٣) المصـــدر السابق : ٨٩/٣
(٤) انظر البداية والنهاية : ٦/١
(٥) المصدر السابق : الموضع نفسه .
(٦) القصـــص : ٨١/٢٨
(٧) تفسير ابن كثير : ٤٠١/٣
(٨) المصدر السابق : ١٨٨/٣
(٩) ص : ٢١/٣٨
(١٠) تفسير ابن كثير : ٢٠/٤ ، ٢١ .
(١١) الاسراء : ٤/١٧
(١٢) تفسير ابن كثير : ٢٥/٣
(١٣) الأعراف : ١٤٣/٧
(١٤) تفسير ابن كثير : ٢٤٥/٢
(١٥) الكهف : ٩٣/١٨ .
(١٦) تفسير ابن كثير : ١٠٤/٣
(١٧) آل عمران : ١٠٦/٣
(١٨) تفسير ابن كثير : ٣٩٠/١
(١٩) انظر : نساء النبى : ١٤١ دار الهلال
(٢٠) زاد المعـــاد : ١٥١/٣
(٢١) تفسير ابن كثير : ٤٩١/٣
(٢٢) سورة الأحـــزاب عرض وتفســـير : ١٥١ ، ١٥٢ طبعة دار الفكر العربى .



للدكتور عبد الله محمود شحاته

هاجر المسلمون من مكة الى المدينة فرارا بدينهم وتركوا أرضهم وأموالهم وأخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . وفى المدينة وضعت دعائم الدولة الجديدة وبنى المسجد النبوى ، وكان دارا للعبادة وبرلمانا للشورى ومقرا لاستقبال الوفود ، ومنتدى للاجتماع ، ومؤسسة اجتماعية تربوية للتعليم والتهذيب .

وكان القرآن فى المدينة يشرح العقيدة ويوضح أصول الدين وأهداف التشريع وحقوق الأسرة ويبين نظام العلاقات بين الأفراد والجماعات .

والاسلام فى طبيعته نظام عام ودعوة عالمية (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقد وقفت قريش فى سبيل هذه الدعوة ، وعرضت المسلمين لجميع صنوف الأذى والاضطهاد وصادرت أموالهم وحقوقهم ، والقانون الدولى يبيح للدول أن تقتص لنفسها من غرمائها ، وقد أباح الله للمسلمين أن يقاتلوا ، دفاعا عن أنفسهم وردعا لطواغيت الكفر وتحطيما لكبرياء الظالمين ، قال تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) .

قافلـــة أبى سفيـــان

نمى الى علم المسلمين أن قريشا أسهمت فى تجارة عظيمة قدر ما فيها بخمسين الفا من الدنانير وأن هذه التجارة تسير فى قافلة يحرسهـــا ثلاثون رجلا أو أربعون برئاسة أبى سفيان وستذهب هذه القافلة الـــى الشـــــام للتجارة ثم تعود الى مكة ، ولما كانت المدينة على طريق الشام كان لا بد لتجارة قريش أن تمر عليها ، وكان المسلمون يريدون أن يتعرضوا لهذه التجارة فى ذهابها فسافرت قبل أن يدركوها وحين قاربت التجارة العودة ، ندب الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه للتعرض لهذه التجارة وقال هذه عير لقريش اخرجوا اليها عل الله أن ينفلكموها (١) .

نـــذير الى قـــريش :

علم أبو سفيان بخروج المسلمين لاعتراض قافلته فأرسل الى أهل مكة يستنفرها لحماية القافلة واستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى وبعثه مسرعا الى مكة ، وما أن وصل اليها ضمضم حتى قطع أذنى بعيره وجدع أنفه وحول رحله ووقف هو عليه وقد شق قميصه من قبل ومن دبر وجعل يصيح :

يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة (٢) أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد واصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث .

فخرجت قريش على الصعب والذلول وكان أبو جهل يستنفر الناس عند الكعبة ويحثهم على الخروج من مكة لقتال المسلمين وحماية التجارة .

نجـــاة القافلـــة :

نجا أبو سفيان بتجارته وسار متبعا ساحل البحر ، وارسل الى قريش يشير عليهم بالرجوع ، فقال أبو جهل : لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم فيه ثلاثا ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالـــون يهابوننا أبدا ، وقد عاب القرآن على المشركين غرورهم بقوله : (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) .

جيش المســـــلمين :

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم فى أصحابه من المدينة لثمان خلـــون من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة ، وكانت أمـــام المسلمين فى مسيرتهم رايتان سوداوان ، وكان معهم ثلاثة أفراس وسبعون بعيرا يتعاقبون عليها وكل أربعة يعتقبون بعيرا . وكان حظ النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا كحظ سائر أصحابه . فكان هو وعلى بن أبى طالب ومرثد بن أبى مرثد الغنوى يعتقبون بعيرا .

وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، مائتان ونيف وأربعون من الأنصار والباقون من المهاجرين .

جيش المشركين :

تميزت قريش فى بلاد العرب بالجاه والمنزلة الرفيعة وتمتعت بالسيادة الدينية والسياسية وكان اهل مكة يتميزون بالغنى والثروة والتدريب على الحروب ، وكانوا على علم تام بضروب القتال كما هى الحال فى العالم فى ذلك العصر ، فكانوا يعرفون فنونه وأدواته كما تعرفها الأمم المحيطة بهم ، وبذلك أصبحت مهمة المسلمين فى انتزاع النصر من قريش شاقة عسيرة .

كان جيش قريش ينطق بما لها من قدرة اقتصادية وعسكرية ، فكان عدد فرسانها مائة فارس ، وكان مشاتها ثلاثة أضعاف المشاة من أصحاب الرسول، وكان معها من الأبل ما يكفى لأن يذبحوا لطعامهم عشرة كل يوم ، وكان كل ما يعرف من أنواع الســـلاح إذ ذاك متوافرا لها بسبب ثرائها ، واستمدادها الدائم للحرب وخصوصا هذه المعركة .

مقارنـــــة :

كان جيش قريش اقوى وأكثر ولكن المسلمين كان معهم سلاح لا يملكه أعداؤهم :

معهم الله : أيدهم بنصره وأرسل النوم الى عيونهم ليلة المعركة ، وانزل المطر ينعش أبدانهم ، والملائكة تؤيدهم (اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط عــلى قلوبكم ويثبت به الأقدام) .

معهم الله : أراد أن يجعل من بدر فرقانا بين الحق والباطل وأن تكون بدر هزيمة للمشركين ونصرا للمؤمنين وأن تدفن قريش كبرياءها وجبروتها وسطوتها فى معركة بدر .

(واذ يعــدكم الله إحدى الطــائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحــق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) .

معهم الله : نصروا شرعه ونفذوا تعاليمه وأيدوا نبيه فبــارك اللــه المسلمين وأيدهم بروح من عنده .

(وألف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم) .

معهم الله : كان يؤيد خطاهم ويبارك عملهم ويقوى جنانهم فتنهال سيوفهم على رقاب المشركين تحصدهم حصدا .

(اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الــذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) .

معهم الله : ومن وجد الله وجد كل شيء ومن فقد الله فقد كل شيء ، عند الله جنود كثيرة وأسلحة متعددة عنده سلاح الملائكة وسلاح الرعب والخوف وسلاح الريح العاتية (وما يعلم جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر) .

كيف دارت المعركـــة :

تلاقى الفريقان عند قرية بدر (٣) . وقد تقدم جيش المسلمين من الشمال الى الجنوب ، فلما وصل الى ساحة بدر كانت على ميمنته سلسلة من التلال

المرتفعة وكذلك على ميسرته سلسلة أخرى أقل ارتفاعا .
وتقدم جيش المشركين ، وكان أمامه كثبان من الرمل تقع غرب وادى بدر وعلى ميسرته أرض صخرية قليلة الارتفاع .
فى السهل الذى بين هذه الجبال وهذه الكثبان وقع أول تصادم بين القوتين ، وكانت الليلة التى سبقت المعركة شاتية ، فهطل مطر غزير فى ناحية قريش ، وكان أقل غزارة فى ناحية المسلمين ، مما جعل مهمة قريش فى التقدم الى ساحة بدر أشق من مهمة المسلمين ، ولما تقدموا فى الصباح استقبلت المشركين الشمس من المشرق وهم متجهون اليها ، فكانت من العوامل الطبيعية المؤذية لهم . نشبت المعركة كما تنشب المعارك فى ذلك العصر ، بفرسان يتقدمون الصفوف ويتصارعون ، فتقدم ثلاثة من بنى هاشم ، ولقيهم ثلاثة من صناديد المشركين ، وفى دقائق معدودة فتك المسلمون بأندادهم فكان هذا استفتاحا حسنا للقتال . وهنا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك الأمر الحكيم ، أمر الكتيبة الاسلامية أن تتراص والا تتحرك من مكانها ، وأن تصد بالنبال خيل العدو وهى تأتيها من جوانبها فرأت قريش لأول مرة كيف تثبت الراجلة أمام حملات الخيالة غير هيابة ولا مرتبكة . وللخيالة رهبة عظيمة فى هجومها يعرفها الذين مارسوا الحرب وشاهدوها .

دعاء الرسول وبلاؤه :

حمى وطيس المعركة ورسول الله يدعو ويحرض على القتال ، ينظر الى المشركين فيقول . اللهم هذه قريش جاءت اليك بخيلها ورجلها تحارب دينك وتكذب نبيك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى .
ويلتفت الى المسلمين فيقول : اللهم هؤلاء أتباعى حفاة فاحملهم عراة فاكسهم جياع فأطعمهم ، اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض .
والتفت النبى لأصحابه قائلا « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة » .
وفى حال النبى وأصحابه هذه نزلت هاتان الآيتان :
(يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وأن يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) .
وكان صلى الله عليه وسلم ينظم الصفوف ويحث على الثبات ويبشر المؤمنين بالنصر ، وتناول حفنة من التراب فرمى بها فى وجوه الكافرين وقال : شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس فكانت حفنة التراب كأنها قنابل مسيلة للدموع فصار كل كافر يفرك فى عينيه والمسلمون يضربون أعناق الكافرين ويقطعون رقابهم . قال تعالى : (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) .

نتيجة المعركة :

انتهت معركة بدر بهزيمة المشركين فانطلق المسلمون فى اثرهم واثخنوا فيهم الجراح والقتل ، لا يلتفتون الى نهب ولا سلب ، كعادة العرب فى ذلك

العصر ، حتى انقلبت العظمة القرشية فرارا مخزيا ، وانكسارا غير مسبوق لقريش .

كانت قتلى قريش فى هذه المعركة خمسة أمثال قتلى المسلمين وكان اسراهم مثل قتلاهم ، ولكن ليس المهم فى بدر عدد من دفنت قريش من القتلى ولا عدد الأسرى ولا مقدار الغنائم ، وإنما المهم هو أن قريشا دفنت فى وادى بدر سيادتها على الجزيرة العربية ، وليس الأمر الخطير هو أن المسلمين أخذوا سبعين أسيرا ، ولكن الأمر الخطير هو أن هامات المشركين العالية ورءوسهم المرتفعة وأوداجهم المنتفخة قد شدت بالأغلال والقيود وسار المشركون وراء دواب المسلمين وخيولهم وقد طأطئوا رءوسهم واذلوا جباههم وأحنوا هاماتهم أمام قدرة المسلمين . وانتقلت القدرة العسكرية من مكة الى المدينة .

ارادة الله :

أراد الله أن تكون بدر ملحمة لا غنيمة ، وأن تكون موقعة بين الحق والباطل ليحق الحق ويثبته ، ويبطل الباطل ويزهقه . وأراد أن يقطع دابر الكافرين فيقتل منهم فريق ويؤسر فريق ، وتذل كبرياؤهم وتدول دولتهم وتخفق راية الاسلام عالية جهارا نهارا عن استحقاق لا عن مصادفة وبالجهد والجهاد ، لا بالمال ولا بالأنفال .

نعم أراد الله للفئة المؤمنة أن تصبح أمة وأن تصبح دولة ، وأن يصبح لها سلطان وقوة . وأراد لها أن تقيس قوتها الحقيقية الى قوة اعدائها فترجح ببعض قوتها على قوة أعدائها وأن تعلم أن النصر ليس بالعدد وليس بالعدة وليس بالمال والخيل والزاد ، انما هو بمقدار اتصال القلوب بالقوة الكبرى التى لا تقف لها فى الارض قوة أبدا .

أراد الله أن تمضى بدر فى التاريخ كله قصة نصر حاسم ، قصة فرقان بين الحق والباطل ، قصة انتصار الحق على أعدائه المدججين بالسلاح ، المزودين بكل زاد ، وهو فى قلة من العدد ، وضعف فى الزاد والراحلة .

قصة انتصار القلوب حين تتصل بالله وحين تتخلص من ضعفها الذاتى الا ان غزوة بدر بملابساتها هذه ، لتمضى مثلا فى التاريخ ، الا وانها لتقرر دستور النصر والهزيمة ، وتكشف عن أسباب النصر وأسباب الهزيمة . الأسباب الحقيقية لا الأسباب الظاهرة المادية . الا وانها لكتاب مفتوح تقرؤه الأجيال فى كل زمان وفى كل مكان ، لا تتبدل دلالتها ولا تتغير طبيعتها فهى آية من آيات الله ، وسنة من سننه الماضية فى خلقه ما دامت السموات والأرض .

الشورى فى معركة بدر

الاسلام دين حرية العقيدة وحرية الرأى (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) .

ومن مبادىء الاسلام ونظمه الشورى ، قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) .

وفى بدر ظهر مبدأ الشورى واضحا ظاهرا ، استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مبدأ القتال هل يقاتل أم يرجع ، وذلك أن المسلمين

خرجوا للاستيلاء على قافلة أبى سفيان ثم فرت القافلة واصبحوا أمام جيش مدرب بأحدث الأسلحة معد بأقوى العدد والعتاد ، فكرر عليه الصلاة والسلام طلب المشورة من أصحابه وقال أشيروا على ، فأدلى ابو بكر وعمر برأيهما ثم قام المقداد فقال : « يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معـك والله لا نقول لـك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا أنا هاهنا قاعدون ، ولكن : اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون » .

وسكت الناس . فقال الرسول : أشيروا على أيها الناس . وكان يريد بكلمته هذه الأنصار الذين بايعوه يوم العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ، ولم يبايعوه على اعتداء خارج مدينتهم . فلما أحس الأنصار انه يريدهم ، وكان سعد بن معاذ صاحب رايتهم ، التفت الى النبى الكريم وقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟

قال : أجل . قال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق . وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعـة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق نبيا لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد . وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، أنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، ولم يكد سعد يتم كلامه حتى أشرق وجـه الرسول بالمسرة وبدا عليه كل النشاط وقال : سيروا وأبشروا فان الله قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى انظر الى مصارع القوم .

وقد عمل النبى بمشورة أصحابه أيضا فى بناء عريش له وهو خيمة من خشب تدار منها المعركة أشبه بغرفة العمليات ، وقد بنى العريش بمشورة سعد بن معاذ زعيم الانصار الذى قال عند بدء القتال :

يانبى الله الا نبنى لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا . وان كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبى الله ما نحن بأشد حبا لك منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ، ويجاهدون معك . وأثنى محمد صلى الله عليه وسلم على سعد ودعا له بخير . وبنى العريش للنبى حتى اذا لم يكن النصر فى جانبه لم يقع فى يد أعدائه بل يسرع الى المدينة ليجد الأنصار والاتبـاع مستعدين للجهاد والدفاع عن الحق وعن الدين .

وهنا نلمح وفاء المسلمين وعظيم محبتهم للنبى وصدق ايمانهم برسالته ، ففى أشد حالات الحرج فكروا فى حماية النبى وتوقيته أن يظفر به عدوه ومهدوا له سبيل الاتصال بمن خلفهم من أهل المدينة .

وقد استجاب الرسول القائد لتفكيرهم السليم عملا بمبدأ الشورى ، الذى أقره الاسلام ودعا اليه .

الشورى فى تخير مكان المعركة :

تابع الرسول صلى الله عليه وسلم مسيرته وسار مع المسلمين الـى ماء بدر فلما جاءوا أدنى ماء منها نزل محمد به ، وكان الحباب بن المنذر بن الجموح عليما بالمكان فلما رأى حيث نزل النبى قال : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخـر عنه ، أم هو الرأى

والحرب والمكيدة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم ، بل هو الرأى والحرب والمكيـــدة . فقال يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى ادنى ماء من القوم فننزل ثم نغور ما وراءه من القلب (٤) ثم نبنى عليـــه حوضا فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

ولم يلبث النبى الكريم حين رأى صواب ما أشار به الحباب أن قام ومن معه واتبع رأى صاحبه ، معلنا الى قومه أنه بشر مثلهم وأن الرأى شورى وأنه لا يقطع برأى دونهم ، وأنه فى حاجة الى حسن مشورة صاحب المشورة الحسنة منهم .

من أسباب النصر في بـــدر :

كان جيش المشركين ثلاثة أمثال جيش المسلمين وكان أكثر عدة وعددا ، ولكن شيئا آخر عظيما كان متوفرا لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فاستعاضوا به عما كان ينقصهم من العدد والعدة ، أما هذا الشىء العظيم فهو أمور ثلاثة :

الأول : النظام ، فان التربية المحمدية سواء أكانت فى صورة العبادة أم تلقين عقيدة التوحيد ، أم ارجاع الأمر الى الله مع حسن العمل أم الايمـــان بالمساواة فى عمل الدنيا والآخرة ، أم ايثار الشهادة فى سبيل العقيدة على الحياة وما يتعلق بها من أحوال الأهل والعشيرة وكذلك انطباع نفوسهم بطاعة الرسول وأولى الأمر منهم .

ـــ ان هذه التربية أحدثت فيهم قوة جديدة لم يكن العرب يعرفونها من قبل تلك هى قوة النظام التى رجحت بها كتيبة المؤمنين على جيش المشركين .

والثانى : القوة المعنوية التى ملأ بها الاسلام نفوسهم ، فانهم دون مشركى العرب كانوا يؤمنون بالبعث فهم لذلك لا يرون فى الموت فناء مطلقا ، بل يرون أن وراءه ـــ مع إدراك فضل الشهادة ـــ حياة أبقى وأسعد من هذه الحياة .

يرون أن روح الشهيد لا تذهب الى فناء بل تأوى الى قناديل من نـــور وتسبح حـــول العرش ، وتحيا فى حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة وتشرب من رحيقها المختوم مصداقا لقول الحق سبحانه « ولا تحسبن الذين فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هـــم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين »

ومن نماذج الشهداء ما روى أن شابا فى السادسة عشرة من عمره كان فى كتيبة المؤمنين فلما سمع الرسول يحرض المؤمنين على القتال ويعدهم الجنة قال اذن ليس بينى وبين الجنة الا هذه الثمرات ؟ وهى ثمرات كان يأكلها ، فقذفها ، وحمل بسيفه على المشركين فلم يـــزل يقاتل مستبسلا حتى لقى الموت الذى يريده وقد استشهد حارثة فى معركة بدر وسألت أم حارثة رسول الله قائلة يا رسول الله حارثة ابنى فى الجنة أم فى النار فان كان فى الجنة صبرت وان كان فى النار بكيت ما أسعفنى البكاء ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم اتق الله يا أم حارثة أنها جنان وليست جنة وان ابنك أصـــــــاب الفردوس الأعلى منها .

والثالث ـــ من أسباب النصر ـــ وحدة القيادة ، فقد كان المسلمـــون

ممتازين بها ، يتفانون فى الاخلاص والطاعة لقائدهم ، وذلك من الأمور التى ضاعفت قواهم .

ولنذكر لذلك ما حدث فى أثناء المعركة ، اذ رأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقوم الصف رجلا خارجا عن رفاقه فى الصف ، فوكزه ، فقال الرجل: أوجعتنى يا رسول الله ، فأقدنى منك ، فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال : اقتص لنفسك ، فقبل الرجل بطن النبى ، فقال النبى : ولم اذن ؟ قال يا رسول الله حضر من الأمر ما ترى فأردت أن يكون آخر عهدى بالدنيا أن يمس جلدى جلدك .

تلك أهم الأسباب التى انتصر بها المؤمنون ، ولا تظنوا أن قريشا كانت خائرة فاقدة للنظام والقوة المعنوية ، فقد كان لديها أكمل نظام يعرفه العرب ، ولها من عزتها ، ومن حب المحافظة على سيطرتها العسكرية ، ومن الرغبة فى الانتقام ، ومن العزم على الاحتفاظ بحرية التجارة وسلامة الطرق الموصلة لهذه التجارة ، ما جعلها تقاتل مستبسلة ، حتى ان رجلا منها أقسم أن يرد حوضا وسط جيش المسلمين ، فلما قطعت رجله قبل أن يصل اليه دفع نفسه الى الحوض ، وهدم جزءا منه برجله الأخرى ، ولما جرح أبو جهل مر به رجل من المسلمين وهو فى حشرجة الموت ، فوضع قدمه على عنقه ، وقال أرأيت كيف أخزاك الله ؟ قال وبم أخزانى أعار أن أقتل ؟

من هذا تدركون عظم مهمة الجيش الاسلامى فى سبيل انتزاع السيطرة العسكرية التى كانت لقريش .

وترون أن نصر المسلمين فى بدر يمكن أن يسجل لهم بحروف من نور لأنه كان أعجوبة الأعاجيب وحدثا هاما من أحداث الحرب ودليلا عمليا على أن للنصر أسبابا معنوية لا تقل أهمية عن الأسباب المادية وتظل بدر فى جبين التاريخ غرة ناصعة ، وحدثا خالدا :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

ولئن ذهبت بدر فانها لم تكن حادثا فريدا بل توالت بعدها الغزوات فى أحد والخندق والحديبية وغزوة تبوك وفتح مكة وغزوة حنين والطائف .

وتوالى زحف المسلمين فى القادسية ونهاوند واليرموك ومصر .

وظلت روح الايمان تدفع المسلمين الى النصر فى تاريخهم المجيد فى معركة عمورية وفى معركة حطين وفى كفاح الجزائر وفى معركة بورسعيد .

وعند الله بدور أخرى وسيظل نصره يخفق على المؤمنين ما داموا أهلا لنصرته عاملين بشرعه ملتزمين بأمره مجتنبين لنواهيه وصدق الله العظيم « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

---

(١) ان يجعلها لكم من الانفال والغنائم فيغنم المسلمون هذه التجارة تعويضا عن الخسائر الفادحة التى لحقتهم بالهجرة فرارا بدينهم بعد ان تركوا أوطانهم ودورهم وأموالهم وتجارتهم فى مكة .

(٢) اللطيمة : المال والتجارة ..

(٣) هى قرية بين مكة والمدينة ، وهى الى المدينة أقرب . وكانت بها سوق تعقد كل سنة ثمانية أيام ، وقد شاهدتها عند أداء فريضة الحج فرأيت قرية بسيطة بها استراحة للمسافرين . فقلت هنا كانت الامجاد والشهداء والنصر المؤزر من السماء .

(٤) القلب جمع قليب ، وهو البئر ، يذكر ويؤنث . وتغويرها : كبسها بالتراب حتى ينضب ماؤها .

اليهود وتآمرهم على النبي صلى الله عليه وسلم

— ٣ —

للدكتور محمود محمد زيادة

خيبر :

تقع خيبر فى شمال المدينة . على بعد مائة ميل منها ، وهى واحة كبيرة خصبة بها نخل كثير ومزارع واسعة وحصون مرتفعة مقامة بين النخيل والحقول على مرتفعات من الأرض تزيدها حصانة ومناعة .

وكان اليهود الذين أجلاهم النبى عن المدينة نزل بعضهم فى خيبر والقرى المتصلة بها ، والداخلة فى نفوذها مثل وادي القرى ، وفدك وتيماء . بينما تابع بعضهم الآخر سيرهم الى الشام ، وكان ممن ذهب الى خيبر زعماء بنى النضير .

ومن هذا الموقع بدءوا يدبرون المكايد ، وطريقة الانتقام لأنفسهم وليهوديتهم . ظانين أن يد الرسول لن تصل اليهم .

وكان من أهم ما قاموا به تحريض قريش على الرسول وتحالفهم معهم ثم ذهابهم الى غطفان ، وتحالفهم معهم أيضا ، وجمع الأحزاب . ثم اقناعهم ليهود بنى قريظة بنقض عهدهم مع الرسول . وبذلك أحكموا الحلقات وضيقوا الحصار على المسلمين ، وكان زحفا خطيرا . كان من نتائجه أن زلزل المسلمون زلزالا شديدا ، وبلغت القلوب الحناجر ، ولكن الله نصر المسلمين نصرا رائعا وتم القضاء على بنى قريظة كما سبق منا القول بذلك .

وكان من المنتظر ان يقف نشاط اليهود ، وأن يكفوا عن التآمر ، وأن يتعظوا بما حدث للقرظيين ، ولكنهم ما زالوا فى غيهم سادرين ، واستمروا فى نشاطهم وتحريضهم قبائل غطفان وغيرها على غزو المدينة

ومن هؤلاء المحرضين « سلام بن أبى الحقيق » و « أبو رافع بن الحقيق » وكلاهما من زعماء بنى النضير فقد جعل الأول لغطفان جعلا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل الثانى لبنى سعد بن بكر تمرا من خيبر ، وعلم النبى بذلك ، فبعث بعثا من الأنصار بقيادة « عبد الله بن عتيك » الذى كان يعرف اللغة العبرية ، فاستطاعوا بذلك أن يدخلوا عليه ويقتلوه ، وقد تصايح اليهود ، وخرجوا اليهم فى ثلاثة آلاف ولكنهم افلتوا منهم ، ووصلوا المدينة سالمين، فأمر اليهود عليهم فى خيبر « أسير بن رزام » فصاريجمع الأحزاب لحرب المسلمين ، فأرسل الرسول اليه « عبد الله بن رواحة » فى جماعة فقتلوه هو ومن معه ، وكانوا ثلاثين شخصا .

وهكذا صار الرسول يرسل سراياه للتنكيل بالمتآمرين ، وفى عزمه أن يطهر شمال المدينة من هذا الرجس كما طهر نفس المدينة ، ولكن يظهر انه أخر ذلك لأنه كان لا يزال فى حالة حرب مع مكة . فلما عقد مع قريش صلح الحديبية ، وأمن ظهره من الجنوب . زاد حنق اليهود ولجأوا الى سلاحهم الدنىء ، وهو سلاح الشائعات لبلبة الأفكار وإشاعة الأقاويل ضد الاسلام ، والمسلمين ، فما أن تناهى الى علمهم أن الرسول عقد صلحا مع قريش — صلح الحديبية — حتى أثاروا شائعة وهى أن النبى والمسلمين كانوا ذاهبين لفتح مكة ، فلما لم يقدروا لضعفهم وقلتهم عقدوا صلحا ، ويظهر أن بعض القبائل العربية فى نجد صدقت هذه الشائعة فبدأوا يستعدون للتحالف مع اليهود ، وكان علم ذلك يصل الى الرسول فيباغتهم ، ويمزقهم شر ممزق ، فتغير الموقف ، لأن القبائل الكثيرة . التى كانت تقف موقف المتربص . تبدل موقفها ، فأخذت تتقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم بالتعاهد أو الدخول فى الاسلام . بل أخذ يفد وافدون على النبى من وراء مكة ويدخلون الاسلام مثل الأشاعرة اليمنيين الذين جاءوا ، وعلى راسهم « أبو موسى » وشهدوا حرب خيبر .

حينئذ عزل اليهود ، وصاروا وحدهم ، فكانت الفرصة مهيأة لغزوهم فسار الرسول اليهم فى شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة بألف وستمائة من المسلمين فيهم مائتان من الفرسان ، وان هذا الجمع فى مسيره الى تطهير أرض الجزيرة من عنصر اليهود أو تقليم أظفارهم . كانت علامات البشر بادية على وجوههم وصدرت أوامر رسول الله الى «عامر بن الأكوع» أن يتولى حداء القافلة ليشحذ همم القوم ويجدد نشاط الإبل . فصار عامر يحدو بهذه الأبيات :

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام ان لاقينا
إنا اذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

وهكذا قطع المسلمون الطريق الى خيبر ، فلما تراءت لهم حصونها المنيعة الكثيرة أمر أصحابه بالوقوف . ثم رفع يديه الى السماء وقال : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين ، وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين . نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر ما فيها . اقدموا باسم الله .

ولا غرابة أن يأمر الرسول أصحابه بالوقوف أمام خيبر ، ويدعو ربه الذى لا ملجأ له سواه ، فتلك عادته صلى الله عليه وسلم . لا سيما أمام حصون خيبر فالاستيلاء على حصونها

ليس بالأمر الهين ، فهى تقع فى منطقة صخرية وتربتها بركانية . خصبة بالنخيل والحبوب الغذائية ، وكان اهلها أعرف بشئون الحرب وأقوى طوائف اليهود بأسا وأكثرها سلاحا ، وعندهم آلات تخريب ودفاع عن الحصون . لكنهم ككل اليهود يغلب عليهم الجبن ، ولا يحاربون الا أمام حصونهم لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر .

وكان الرسول يعرف فيهم هذه الطبيعة ، فأعد للأمر عدّته ، فكان وصول المسلمين الى خيبر ليلا ، فلما كان الصباح فوجىء يهودها برسول الله يقول : الله أكبر خربت خيبر . إنا اذا نزلنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين . وردد أصحابه التكبير ، فدوى صوتهم فى الفضاء وتردد صداه ، فملأ الجو فزعا ورعبا . استيقظ أهل خيبر على هذا الصوت فزعين ، فأسقط فى أيديهم واعتصموا بحصونهم الكثيرة التى منها ناعم ، والصعب ، والزبير ، والنطاة ، والقموص ، والوطيح ، والسلالم ، وظنوا أنها مانعتهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب .

ولما كان الرسول يعرف مقدار حب اليهود للمال . هددهم بإتلاف مالهم ، فأمر أصحابه بقطع نخيلهم عسى أن يحملهم ذلك على التسليم ، فلما لم يسلموا أمر بالكف عن قطع النخيل ، وبدأ فى مهاجمة الحصون ومحاصرتها حصنا حصنا . فالطرف اليهودى فى كثرة من عدد وعدة وعتاد ، ومناعة موقف ، والمسلمون فى استبسال وإيمان ويقين بالسيطرة على الموقف . اليهود يخرجون للقتال فى النهار ، ويلجأون للحصن الذى عليه القتال بالليل . فيسقط حصن ناعم ، ومن بعده حصن القموص . ثم حصن الصعب ، ثم حصن الزبير. ثم حصن النطاة الذى قتل فيه إخوة ثلاثة من اليهود هم مرحب، والحارث، وياسر، ثم جاء دور الوطيح والسلالم ، وكان كلما ظهر زعيم معتد بنفسه دحر أمام قوات المسلمين ، وثباتهم ، وقد أبدى على بن أبى طالب فى هذه الغزوة شجاعة نادرة ولعبت الفدائية الاسلامية دورها فى نفوس وقلوب المقاتلين المسلمين وقدم المسلمون فيها نماذج للبذل والتضحية . كى يتخلصوا من كل آلامهم وضيقهم من مؤامرات اليهود ضدهم ، ونجحوا فى ذلك نجاحا رائعا بعد أن استمر القتال سبعة أيام ، وبلغ عدد الشهداء من الجيش الاسلامى خمسة عشر شهيدا ، وقد هلك من اليهود نحو ثلاث وتسعين .

وبعد أن قتل هذا العدد الكبير منهم ، وسقطت حصونهم ، استسلموا وطلبوا الصلح فدارت المفاوضات بين الفريقين . انتهت بالشروط التى منها :

١ — أن يحقن الرسول دماءهم ، ويترك أسراهم .

٢ — ضرورة الجلاء اليهودى عن خيبر بكل أراضيها ، وأن لا يأخذ أحد منهم أكثر من ثوب واحد .

ولكنهم توسلوا الى رسول الله ، أن يسمح لهم بالبقاء فى بلدهم وأن يقوموا بزراعة الأرض على أن يكون لهم نصف محصولها ، وللمسلمين النصف الآخر ، وقالوا له : نحن أعلم بها منكم وأعمر لها : فصالحهم الرسول على المناصفة وشرط عليهم انه اذا شاء أخرجهم .

ولعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك منهم لدوافع منها :

أولا : انه بسقوط خيبر . أمن بأن اليهود لن تقوم لهم قائمة بعد ذلك .

ثانيا : لأن الأرض الزراعية التى آلت اليهم من خيبر بحدائقها

وزروعها ونخيلها كانت تحتاج الى الأيدى العاملة ، ولا يوجد فى المدينة من الأنصار من يستطيع القيام بحاجة أرض خيبر الى جوار بساتينهم فى المدينة .

ثالثا : كان النبى فى أشد الحاجة الى جيوشه التى تعمل معه فى ميدان الحرب ، فمن الحكمة أن يترك هؤلاء اليهود للعمل فى الزراعة تحت بصر المسلمين ورعايتهم . بعد تقليم أظفارهم بالقضاء على زعمائهم فى ميدان الحرب وقتل كل خطر بعد انتهاء الحرب مثل كنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق الذى كان من رؤوس المحرضين على غزوة الأحزاب ، وكان قتله قصاصا لقتله أخا لمحمد بن مسلمة ، وكذلك قتل أخوه الربيع . الذى شاركه فى التحريض .

وبعد أن أمن يهود خيبر وقسم غنائمها ترك « عبد الله بن رواحة » ليتولى خرص ثمارها وتقسيمها بالعدل .

وبهذه النهاية . قضى على نفوذ يهود خيبر ، وأطماعهم وآمالهم فى السيطرة والتوسع (**فدك ، وادى القرى ، تيماء**) سقوط خيبر ألقى فى قلوب يهود فدك الفزع والرعب ، فلما أرسل اليهم النبى يطلب منهم أن يَسْلموا أو يُسْلِموا أعلنوا رغبتهم فى الصلح على نصف ما بأيديهم من غير قتال ، فكانت خيبر للمسلمين الذين قاتلوا عليها ، وكانت فدك نصيب رسول الله خالصة له لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب .

وفى عودة رسول الله الى المدينة بعد هذا النصر على اليهود فى خيبر وفدك . مر بوادى القرى فوجد أهلها من اليهود قد تجهزوا لقتاله فنازلهم حتى أذعنوا للصلح على ما اصطلحت عليه خيبر ، واقام عليهم عاملا هو « عمرو بن سعيد بن العاص » .

ولما بلغ أهل تيماء فتح وادى القرى ، صالحوا النبى على الجزية واقاموا ببلدهم وأرضهم فى أيديهم .

وبسقوط تيماء دانت كل العناصر اليهودية فى شبه الجزيرة العربية لسلطان الرسول عليه الصلاة والسلام ، وانتهى كل ما كان لهم من سلطان فيها واصبح رسول الله فى مأمن من ناحية الشمال الى الشام . كما أصبح فى مأمن من الجنوب . بعد صلح الحديبية .

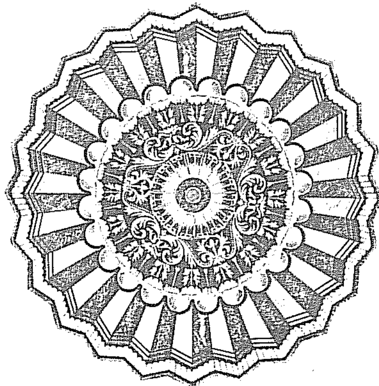
وبهذا العمل الجليل رفض المسلمون الوجود اليهودى القائم على السيطرة والاستغلال ، والتوسع بأسلوب التآمر والدس والخديعة والوشاية والخلق اليهودى الدنىء الذى لا يبالى بالقيم الخلقية ، ولا يعترف بالقوانين ولا التقاليد ، ولا العهود والمواثيق . فمع أن الرسول منحهم فرصة الحياة فى الواحات الشمالية الا أن طبعهم الدنىء ، وحقدهم الدفين دفعهم على الرغم من تشتتهم أن يتربصوا بالمسلمين الدوائر للأخذ بالثأر منهم فصاروا يعملون فى الخفاء . غريزة الجبناء الأنذال ، فلم يقدروا على شىء ، فلما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ظنوا أن قوة المسلمين ستنهار فكانت لهم مواقف عدائية ، فساعدوا « طليحة بن خويلد » الأسدى المتنبىء وساعدوا « الأسود العنسى » وكانت هذه المساعدات فى الخفاء ، ولكن الله قيض للاسلام رجل الساعة وهو خليفة رسول الله الأول « أبو بكر الصديق » ففوت على اليهود أغراضهم وخيب ظنهم .

ثم جاء بعده الخليفة الثانى « عمر ابن الخطاب » فتابع رسالة أبى بكر فى الفتوح وتأمين الدعوة ،

واستقرار الدولة على اساس قوى من العدل والمساواة والحرية ، ومبادىء الاسلام القوية الصادقة .

ورأى أن الجزيرة العربية ، وهي منطلق الدعوة ، ومركز الاشعاع يجب أن تكون خالية من كل عوامل الفتنة ، وقد عرف أن اليهود هم دعاتها ، والباعثون لها في كل مكان فطهرها منهم ، وكان أكثرهم في خيبر وما جاورها . لأنه قد بلغه أن النبي قال عند موته : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان : فلما ثبت عنده هذا الخبر أرسل اليهم . ان الله قد أذن في جلائكم لأنه قد بلغنى أن النبى قال : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ! فمن كان عنده عهد من رسول الله من اليهود فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهز لجلاء ، فأجلى من لم يكن عنده عهد . خصوصا أنهم قد بدءوا يتحرشون بالمسلمين عندما كانوا يذهبون الى خيبر لتفقد أملاكهم التي غنموها منهم . كما فعلوا مع عبد الله بن عمر فإنهم أصابوا يديه بسوء . كما أنه استند على شرط في عهد رسول الله إليهم ، وهو . أن له اخراجهم عندما يشاء .

وبهذا طهرت الجزيرة العربية من دنسهم ، ولم يجدوا لهم مستقرا الا خارج حدودها في أطراف بلاد الشام ولكن لم تنته مؤامراتهم ضد الاسلام والمسلمين ، فما زالوا يكيدون للاسلام والمسلمين بصور شتى . تحتاج الى كتب كثيرة لو تتبعنا تاريخ هؤلاء الأنجاس ، وآخرها الحركة الصهيونية التي استطاعت بمساعدة الاستعمار أن تجعل لها كيانا في فلسطين ، وان شئت فقل ان الاستعمار وضع اليهود شوكة في جنب العرب ، وجعلهم جسرا له ، ولكن قد قربت نهاية الاستعمار وربيبته اسرائيل فقد صمم الشعب العربي على أن يستعيد حقوقه ويطهر ارضه ومقدساته ، ويقضي على الدخلاء قضاء نهائيا ، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وإنه لقريب (ولينصرن الله من ينصره . ان الله لقوى عزيز) .



أثر رمضان في

للاستاذ : على القساضي

امتنا العربية فى طريق نهضتها الكبرى ، وهى لذلك تعمل على تعبئة القوى لتسير في طريقها بكل قوة وكل أمة ناهضة تعمد الى تعبئة الطاقات المختلفة فيها لاستثمار منابع القوى الكامنة فى البلاد اذ عليها اساس نهوضها وبناء مجدها وترقية مستوى المعيشة فيها ، كما انها تستطيع بذلك ان تنشىء مصانعها ومعاملها وأن تبرز الى الميدان الخارجي في كل ناحية من نواحيها فتأخذ مكانتها اللائقة بها بين الأمم من الناحية الادبية ومن الناحية المادية على السواء ..

والطاقة الحقيقية الاساسية هى الطاقة الانسانية ، وهى القدرة الانسانية على العمل والانتاج والتعاون بقدر ما لديهم من جهد على الاشتراك الايجابى فى بلوغ الأهداف التى ترمى اليها البلاد .

وقد حرص المستعمر دائما على تبديد هذه الطاقات الهائلة بكل ما أوتى من قوة فهو آنا ينشر الفساد والانحلال وآنا آخر ينشر المكيفات ومرة ثالثة يستبعد ويستعبد ويسجن ويعذب .. وهكذا يعمل جاهدا على تبديد هذه الطاقات الضخمة حتى يستطيع أن يسير فى الطريق الذى يريد .

التعبئة العامة :

والأمة التى تريد أن تنهض وأن تسير الى الأمام بخطوات واسعة تعمد الى التعبئة العامة ووسيلتها فى ذلك :

التعبئة العامة للأمة

١ ــ ان تقوى صلة الفرد بالله بحيث يراقبه فى كل خطوة .
٢ ــ وأن تبصره بحقوقه وواجباته .
٣ ــ وأن تغرس المسئولية الاجتماعية فى نفسه .
٤ ــ أن تشجع الكفايات وتكتلها وتبث روح التنافس المنتج بينها .
٥ ــ أن تراعى مبدأ تكافؤ الفرص .
٦ ــ أن تهتم بالتوجيه المهنى والتوجيه التعليمى .
٧ ــ أن تحيط الطاقة الانسانية بالعناية وتصرفها فى مجالاتها المفيدة حتى لا تبدد فى مسالك عقيمة أو غير مشروعة .

أصناف الناس :

الناس كما نشاهد فى حياتنا العامة أصناف شتى منهم من لا تعوزهم القدرة على العمل والانتاج ولكنهم لا يرغبون فى ذلك ، ومنهم من يرغب فى العمل والانتاج ولكنهم سلبيون لا ينفذون ما يرغبون فيه ، ومنهم من يرغب فى التنفيذ ولكنهم لا يستطيعون التعاون مع غيرهم ، ومنهم من يسرف فى تبديد ما لديهم من طاقة فيما لا يعود عليهم أو على غيرهم بالنفع ، ومنهم من لا تعوزهم القدرة على العمل والانتاج وهم يستغلون هذه الناحية بقدرة وكفاءة ولكنهم قليلون ، **هل هذا طبيعى .. ؟**

نعم وهذا طبيعى ، ذلك لأن النفس ميدان تتصارع فيه الميول المختلفة والدوافع المتنافرة .. وإذا لم تستطع الأمة أن توجه هذه النفس وأن تحولها الى الانتاج فانها تخسر كثيرا .. ومن هنا فاننا نجد علماء النفس يوصون بأنه ينبغى أن تأتى تعبئة الأمة من داخل النفس وذلك بمعرفة المنابع التى تحرك النـــاس وتحفزهم الى بذل الجهود وتسير بهم فى الطريق السليم الذى يوصلهم الى الانتـــاج والنجاح والى المتعة بهذا النجاح وأيضا بمعرفة الموانع التى تعطل الناس وتصدهم عن البذل والتعاون فتعمل على ازالة هذه الموانع العائقة وتجعل الطريق أمامهم ممهدا ميسورا .

معنى التعبئـــة :

التعبئـــــة تنظيم نفسى داخلى يوفق بين الدوافع والنزعات المختلفة يقابله تنظيم اجتماعى خارجى يوفق بين الجهود المختلفة مع تحصين الناس والحيلولة دون أن تضيع طاقاتهم هباء منثورا .

وفى كل أمة طاقات مدخرة ويمكن استغلالها على أكمل الوجوه وأفضلها اذا راعينا ما يأتى :

صون هذه الطاقة والمحافظة عليها حتى لا تضيع :

ولكن ما الاشياء التى تبدد هذه الطاقة .. ؟

الواقع أن العامل الرئيسى الذى يقوم بتبديد هذه الطاقة هو الصراعات التى تقوم فى داخل نفس الانسان بين حقوقه وواجباته ، بين غرائزه ومبادئه ، بين ما تشتهيه نفسه وما يرتضـــيه المجتمع الذى يعيش فيه .. هذه الصراعات هى بمثابة حروب صغيرة أهلية تستنفذ طاقات الفرد ولا تترك له ما يستطيع به أن يؤدى واجبــه نحو نفسه ونحو أمته ، وهذه المشكلات هى فى حقيقة الأمر صـــدى لما يقوم فى المجتمع الخارجى لأن النفس مرآة لما يدور فى المجتمع .. ولكل مجتمع مشكلاته الخاصة ، وهذه المشكلات تشتد فى مراحل الانتقال حيث يوجد الصراع بين القديم والجديد .. بشكل يختلف فى عنفه من مجتمع الى آخر .. هذا الى أن المدنية الحاضرة التى نعيش فيها قد زادت الصراع بين الناس من أجل لقمة العيش ، ثم ان الفرد فى ظل هذه المدنية قد زادت مطالبه زيادة كبيرة ، وهذه الزيادة تفوق طاقة المجتمع على ارضائها ، ولا تجد لها رصـــيدا روحيا يمكن أن يحدث التوازن فى النفس أو يبعث الرضا فى القلب

ومن هنـــا زاد القلق فى النفوس وظهر بين الناس الانطـــواء والعدوان . وكل هذا له أثر عميق فى ميدان الانتاج بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع كما أن له آثارا خطيرة فى صحة الناس الخلقية حيث ينعدم التعاون بين الناس ويقل الانتاج وتكثر المشكلات ولهـــذا يحاول كثير من الناس أن يهربوا من الواقع بالمخـــدرات أو غيرها ولهذا تكثر المشكلات الاجتماعية كالقتل والطلاق والانانية والخداع .

والناحية الثانية التى يمكن بها استغلال طاقة الأمة المدخرة هى استثارة هذه الطاقة وانماؤها وتنظيمها بجميع نواحيها الجسمية والفـــكرية والخلقية والاجتمـــــاعية ، وسأبين كل ناحية من هذه النواحى ..

الناحية الجسمية :

الجسم الضعيف لا يمكن صاحبه من العمل وقد يكون سببا مباشرا فى البعد به عن الكفاح المطلوب فيهرب به من العمل اخفاء لضعفه الجسمى ، والحيوية الجسمية من طبيعتهـــا أن تبعث فى صاحبها التفاؤل والتحمس للعمل كما أنها تعين صاحبها على احتمال المشاق ، وهى بعد هذا كله سبيل الى الرجولة الذهنية واليقظة الفكرية ولا زلنا نسمع الحكمة القائلة (العقل السليم فى الجسم السليم) .

الناحية الفكرية :

الانسان السوى يفكر ويحكم على الأمور بنفسه .. حقيقة أنه يستمع الى آراء غيره ويســـتشير من يثق فيهم ولـــكنه هو الذى يمحص الآراء ويرجح الرأى الـــذى تسانده الحجة .

الناحية الخلقية :

من طبيعة كل واحد أن يحب نفسه ، ولكن الانانية الفردية يجب أن تحد ، والتواكل ايضا يجب أن يحد ، وينبغى أن توجه الجهود لصالح الجماعة ، والتربية السليمة تعنى بأن تكتسب الفضـــائل الانسانية عن طريق ممارستها بالنشاط الذاتى والخبرة الشخصية ، ويستدعى هذا الحرية والتوجيه .

الناحية الاجتماعية :

الانسان الصالح هو الذى يشعر بالروابط التى تربطه بغيره من الناس كما يشعر بالواجب الملقى على عاتقه نحو نفسه ونحو بلد ه ومهنته .. والناحية الاجتمـــاعية فى حالتها القوية تجعل صاحبها يسيطر عليه هذا الشعور فيعمل فى جد ونشـــاط وحيوية لصالح الجماعة ناسيا مصلحته الخاصة بعيدا عن المسائل الفردية .. ويعمل فى فهم وتعاون واحتمال ..

يقول رجال التربية : وينبغى أن نعنى بالتربية الوقائية والتربية الانشائية .. وينبغى أن تشمل التربية تربية الآباء والمدرســـين والمفكرين والمشرعين ، كما ينبغى أن نعنى بتربية الطفل فى مرحلة طفولته المبكرة والمتأخرة وبالشباب والرجال والنقابات التى تتيح للرجل أن يعبر عن نفســـه بالقـــول وبالفعل . ولـــكن كيف نربى ومن الذى يربى ، وعلى أى أســـاس يربى .. ؟

ويأتى رمضان المعظم فى هذه اللحظات الحاسمة من تاريخنا ليجيبنا على هذه الاسئلة التى تشغل بالنا :

الصوم فى حقيقته عملية تعبئة عامة للأمة الاسلامية لتجنيد أبنائها وتدريبهم على احتمال الجهد والمشقة حتى اذا ما احتيج اليهم فى يوم من الأيام بسبب الحرب الباردة أو الساخنة كانوا مستعدين استعدادا نفسيا واستعدادا جسميا .. ثم أن الصوم تدريب لهـــم على الصراع الاكبر صراع الحياة الدائم الذى يقابله كل نسان فى هذه الحياة وهذه التعبئة ليست تعبئة روحية فقط ولا جسمية فقط هذه الحياة ، وهذه التعبئة تشمل الروح والجسم والعقل ..

ولا عقلية ولكنها تعبئة تشمل الروح والجسم والعقل ..

وقد اختار الاسلام التدريب بطرق كثيرة من أهمها الصـــوم وهو تدريب على كل شىء فى الحياة لفترة من الوقت حتى يتعود على تحمل الامتناع الاجبارى عن شهواته وضروراته حين تحـــكم بذلك ظروف الحياة .

ان الطفل المدلل الذى تجاب رغباته كلها فى الحياة ينشـــأ شابا رخوا لينا لا يستطيع أن يقف على قدميه بل ان الرياح لتتقاذفه من كل جانب . ثم هو فى العادة الذى يصاب بالامراض وبالعقد النفسية وبـ ـدمات الحياة .

اننا ندرب فى جيشنا العربى فرقا خاصة .. ذلك التدريب الذى يحدث آثاره القومية فى كل معركة نخوضها ، ولم يكـــن من المصادفة أن يفرض صوم رمضان فى العام الذى فرض فيه القتال لرد العدوان ونشر الاسلام .

ان الجندى الذى يؤخذ الى ميدان المعركة بدون اعداد نفسى

وجسمى وعقلى لهو جندى حكم عليه بالفناء العاجل .. وان الشاب الذى يوضع لمقابلة صعوبات الحياة بدون اعداد لهو شاب فاشل فى ميدان الحياة . ومن هنا فرض الصوم كما فرض غيره من العبادات التى تهدف الى هذه الناحية لفائدة الفرد وفائدة الأمة كلها ..

ورمضان بما له من قوة فى التربية يؤثر فى الانسان من جميع النواحى الروحية والجسمية والفكرية والخلقية والاجتماعية .

الناحية الروحية :

يهدف الاسلام فى كل خطوة من خطواته الى ايجاد الصلة القوية بين الله وعباده الصلة الدائمة التى تدفع القلب الى الرجوع فى كل لحظة الى الله تعالى .. والصوم ــ كغيره من العبادات ــ يعطى المسلم شحنة قوية روحية .. شحنة تدفعه الى العمل .. وما دام المسلم يهدف فى صلته الى الله فان فى ذلك الخير للناس جميعا لأن الله لا يقبل الا طيبا ، ولأن الله سبحانه وتعالى يطلب العدالة المطلقة بين عباده ويحب الخير للناس جميعا وعبده يتقرب بهذا كله اليه .. وصيام رمضان يعطى المسلم شحنة قوية فى الصلة بينه وبين الله تعالى يقول الله تعالى « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فالهدف هو التقوى . تقوى الله عز وجل . والتقوى هى مراقبة الله فى كل الأمور . هى السير على النهج الذى أراده الله سبحانه وتعالى فلا غش ولا كذب ولا خداع بل محبة وتعاون وبناء . ويوضح الرسول الكريم بعض الامراض التى تنخر عظام الأمة فيقول « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ومعنى هذا أن المقصود بالصيام أسمى من أن يكون تركا للطعام والشراب .. ويؤكد هذا الحديث الشريف « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » ومعنى هذا أن الصائم الذى لا يصوم كما ينبغى ليس له ثواب الصوم ويؤكد هذا المعنى الحديث الشريف مرة ثالثة بأسلوب القصر فيقول « ليس الصيام من الأكل والشرب انما الصيام من اللغو والرفث » .

ويتدرج النبى الكريم فى هذه الناحية فيقول « خمس يفطرن الصائم : الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة » .. ولما كان الصوم عبادة لا رياء فيها فان الله سبحانه وتعالى يجزى الصائم بلا حساب يقول الحديث القدسى « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » .

الناحية الجسمية :

وللصوم اثر كبير فى الصحة الجسمية فانه ينفى الاخلاط الضارة التى تراكمت على مر الاعوام ، ويشفى أمراض الامتلاء ، فالمعدة بيت الداء ، والجوع لا يعرض الانسان للمرض ، ولكن الامتلاء المستمر يعرضه للأمراض المختلفة ، ولذلك فان الأطباء كثيرا ما يصفون الصوم للمرضى حتى يكون له الأثر الطيب فى صحتهم .

الناحية الفكرية :

والصوم يجلو صدأ الذهن فيكون الانسان أقدر على الفهم والادراك ، ولذلك فان العلماء القدامى كانوا يستفيدون من رمضان فى تأليفهم وكتاباتهم . وكان انتاجهم فى هذا الشهر مضاعفا ولئن كنا على غير ذلك فان السبب هو أننا لا نسير فى رمضان على النهج الاسلامى الذى يفيد فى ناحية من النواحى .. بل أننا نتبع طريقة ترهق أجسامنا ونفوسنا وماليتنا .. طريقة هى الى المظهر أقرب وما أحوجنا الى أن نسير على النظام الذى كان يسير عليه الرسول الكريم فنستفيد من رمضان الفائدة الكاملة .

الناحية الخلقية :

ورمضان يعطى المسلم فرصة ذهبية ليحرر نفسه من سلطان العادة سواء أكانت فى الطعام أو الشراب أو فى سلوك الانسان فى أى وقت من أوقات الليل أو النهار وفى أى مكان .. يحرر نفسه بالمران وبالعزم الصادق ، وبهذا يفطم الانسان نفسه من أهوائها .. ولئن كان الكثير منا لا يستفيدون من رمضان هذه الفائدة فان العيب ليس فى الطبيب ولكن فى المريض الذى لا يطيع أمر الطبيب .

ورمضان يعلم الانسان الصبر فان الصوم نصف الصبر والصائم يكبح جماح نفسه حتى لو سابه أحد أو شاتمه فان المطلوب منه أن يقول له انى صائم ، والصائم المحتسب لا يجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا بل يكون راضيا محتسبا مطمئنا هادئا .. والذى يغضب فى رمضان لأتفه الاسباب هو الذى لم يفهم معنى الصوم ولم يتأثر به .

وفى رمضان تقوى مراقبة الله تعالى بالصوم وبقراءة القرآن

وبصلاة القيام ، والصائم يجد الجزاء القريب فى اللفتة القرآنية التى تأتى بين آيتى الصوم وهى قوله تعالى « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » فهى لفتة موجهة الى أعماق النفس اذ يجد الصائم العوض الكامل عن مشقة الصوم والجزاء على الاستجابة فيها لله وهذا الجزاء تصوره الفاظ رقيقة فيها رقة هائلة « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب » أنه الجزاء الاوفى على الاستجابة والتعويض الكامل على طاعة الله . انه الخيط الذى يجذب الأرواح الى الطاعة فى يسر وسهولة وطواعية .

وبهذا يكون المسلم مسلما كاملا فلا أنانية ولا حقد ولا غل بل حب وتعاون وعمل للمصلحة العامة واحساس بالقرب من الله تعالى وهكذا يمكن أن يؤدى صوم رمضان الى استغلال طاقات المسلم كلها الروحية والفكرية والجسمية والخلقية .

واذا كانت هذه هى فوائد الصوم بالنسبة للفرد ، فان له فوائد أخرى بالنسبة للمجتمع ومن طبيعة الاسلام أن يعنى بالانسان ككل فهو يعنى به من ناحيته الفردية كما يعنى به من ناحيته الاجتماعية عضوا فى مجتمع .

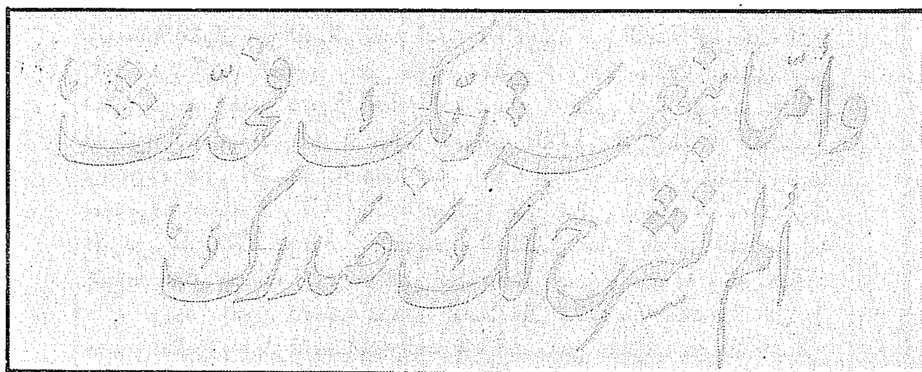
فالمسلم يحس بالمساواة التامة بينه وبين جميع أخوانه المسلمين لأنهم يصومون فى وقت واحد ويفطرون فى وقت واحد الغنى والفقير ، الرجل والمرأة الكل سواسية فى الصوم ، وفى هذا كثير من الراحة النفسية بالنسبة للمسلم .

ورمضان يعطى الفرصة الكاملة للتعاطف بين الأغنياء والفقراء لأن الغنى يحس باحساس الفقير فيعطف عليه .

والاسلام حث على هذا التعاطف فى كل وقت ولكنه حث عليه فى رمضان أكثر ، والتاريخ يحدثنا بأن النبى عليه الصلاة والسلام كان أجود من ريح المسك وكان أجود ما يكون فى رمضان .. وجعل الاسلام من تمام الصيام صدقة الفطر .

وهكذا يأتى رمضان ليجمع هذه الطاقات كلها ويوجهها الى الخير .. انه يجعل المسلمين يحسون بأن القوة الالهية تسندهم فتفتح أمامهم الآمال ويثقون فى أنفسهم وفى الله الذى يناديهم « ولا تيأسوا من روح الله » . ويؤدون واجبهم وينتصرون على عدوهم ويضربون المثل الانسانية لهذا العالم الحائر الذى يبحث عن منقذ ولن يجده الا فى المسلمين الذين يتمسكون بدينهم .





للاستاذ أحمد التاجى

نزلت آيات الانشراح عقب آيات الضحى . فكان شرح الصدر بيانا للنعمة التى امر بها الرسول أن يحدث بها نفسه دائما . لا ليحدث بها الناس ولكن ليذكرها دائما ويقرنها بالشكر لربه .

وبعض العلماء يجعلون من السورتين سورة واحدة (١) خوطب بها النبى (صلى الله عليه وسلم) وفيها عدد الله نعمه على عبده . وكانت أشهر نعمه عليه أن شرح له صدره .

ونرى أن فى هذا اشارة الى عملية الخلق التى أجراها فى قلبه حتى يصبح انسانا مهيأ للنبوة من صغره ، لا تنصرف نفسه الى نوازع البشرية .

ثم كرر العملية عليه حين تلقى الوحى : فخلق قلبه خلقا جديدا ، ليتحمل الأمانة التى عجزت عنها السموات والارض والجبال .

فشرح الصدر عملية تشريح وتشقيق وخلق شىء جديد (٢) .

★ ★ ★ ★

وقد جاء فى السيرة اشارات لحادثة شق الصدر حين كان النبى صلى الله عليه وسلم طفلا يسترضع فى بنى سعد . قوم حليمة .

وكان هذا الخبر وأمثاله غريبا على الناس الذين يحكمون عقولهم وحدها فى نواميس الكون ويقولون : كيف يشق القلب ثم تخرج علقة من داخله ثم يخاط ويعود سليما فى لحظات ويبقى صاحبه حيا بعد ذلك كله ؟ !

اذ كان منطق العلم يومئذ يقول : ان القلب هو العضو الذى لا تجرى فيه عمليات كما تجرى فى سائر الأعضاء ، والا تعطل وفارق صاحبه الحياة .

ونسى هؤلاء أن ما لا يستطيع الناس صنعه ، يصنعه الله بقدرته . وقد صنع الله الكثير من هذا للأنبياء ، وذكر قصصهم لنا فى القرآن .

فصنع لموسى وهو غلام صنعا ، حين أوحى الى أمه أن تلقى بـه فى البحر ، وتكفل الله بسلامته . ولولا قدرته تعالى لابتلعه اليم فى لحظة !

وجعل الله النار لابراهيم بردا وسلاما ، فسلبها خاصة الإحراق ، ومنحها نقيض طبيعتها !

وجعل الله من بطن الحوت مسكنا ليونس ، يتسع لصلاته وتسبيحه . ولو شاء لاتخذه طعاما !

فلولا أن قص الله علينا ذلك فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل ، لتنازعت عقول الناس فى تلك القصص ، والحقها قوم بالأساطير ، لأنها تفوق حوادث شق الصدر غرابة !

وهل نستطيع أن نجعل العقل ميزانا نزن به قدرات الله (سبحانه) كما نزن به قدرات البشر ؟ ان العقل الانسانى جهاز خلقه اللـه للانسان كمصباح يضىء بقدرة محدودة ، ليساعده على العيش فى أرضه التى خلقها له ، ويحيا حياته المحدودة التى قضاها عليه . ويستمد هذا الجهاز قدرته المحدودة من حواس محدودة كذلك . فالعين مثلا قد تبصر ميلا ولا تستطيع أن تبصر ما وراء ذلك . واذا حجبها حجاب من جدار أو غيره فلا تستطيع أن تخترق الحجاب ، وتبصر شبرا واحدا وراءه . وكذلك السمع ، والشم ، واللمس . تحس ولكنها ذوات قدرات محدودة .

والعقل يتلقى اشارات هذه الحواس ، ويختزنها ويرتب نتائج محدودة أيضا عليها . ولا يستطيع المحدود أن يدرك ما فوق المحدود . فلا يدرك شيئا من الغيب ، أو ما حجب عنه من أرض وسماء .

وحين يكشف الانسان بعض المجاهل المحدودة بعقله وحواسه يرى قدرة الله أكبر من قدرته . فكلما ازداد الانسان علما ومعرفة شعر بضآلة نفسه ، وعظمة ربه ، وخشيته أكثر من غيره من العباد : « انما يخشى الله من عباده العلماء » (٣) .

وعرف أنه الحق ، ولا حق غيره .

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» (٤) .

★ ★ ★ ★

فلقد ظل الناس قرونا حيارى يتجادلون فى حادثة شق الصدر ،

فمنهم من صدقها وهم الذين يعلمون قدرة الله ، ويرونها فوق كل شيء ، ومنهم من أنكرها وهؤلاء العلميون الماديون . اعتمادا على ما درسوه من علوم الدنيا ، التي تقوم على الظن ، ولا تتخطى ظاهر الكون .

« وان الظن لا يغنى من الحق شيئا . » (٥) .

« ولكن اكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا » (٦) .

★ ★ ★ ★

وتقدمت المعارف البشرية نوعا ما . وجاء فى عصرنا هذا من استطاع أن يشق القلب ويجرى به العمليات الجراحية ، ويستبدل به آخر حين يريد ، بشريا أو حيوانيا أو صناعيا . ونجحت تلك الجراحات حينا ، وأخطأت احيانا !

فأخرس ذلك السنة المتعالين الذين انكروا هذا العمل من قبل ، واستبعدوها على محمد رسول الله الذى يهيئه ربه لاعظم رسالاته .

★ ★ ★ ★

كما أستبعد هؤلاء وأمثالهم حديث الاسراء ، وأن يكون النبى قد أسرى به بجسده وروحه وعرج به الى السموات العلى بجسده وروحه . وتعللوا بجاذبية الارض التى لا ينفذ منها الانسان أبدا ، ثم بجو السماء الذى يخنق المتعالى فيه شيئا فشيئا .

تعللوا بهذا وأمثاله حتى جاء عصر الفضاء ، ورأينا الانسان يذلل هذه العقبات ، ثم يسبح فى الفضاء ، ويسير على صفحة القمر ، ويستعد للسفر الى الكواكب الأخرى .

وخرست السنة المتشدقين مرة أخرى ، وبدءوا يعيدون النظر فيما انكروه من معجزات الانبياء . ويفرقون بين قدرة الانسان ، وقدرة الخالق الذى يقول للشيء : كن فيكون .

★ ★ ★ ★

وقد ضرب الله مثلا لقصة العقل البشرى المحدود بظواهر هذا الكون ، ولا يدرك ما وراءه ، وقصة العقل الموهوب بالمعرفة من الله ، المنطلق عن ظواهر هذا الكون ، الذى لا يتقيد بقيوده ولا يخضع لاسبابه — حين قص حديث موسى وصاحبه فى سورة الكهف . حين اصطحبا ومرا بالسفينة والغلام والبنيان . وكان موسى يرمز للعقل البشرى ، وكان صاحبه قد أوتى من لدن ربه علما . فهو يمثل القدرة الالهية التى تتخطى نواميس هذا الكون . ولم يستطع العقل البشرى أن يصبر على مالا يحيط به علما ، فتعجل الجدل ، واعترض على كل صنع صنعه العقل الموهوب ، وعرف أنه لا يستطيع أن يسايره ، وأعطى العذر لصاحبه أن يفارقه . ولكنه سأله أن يفسر له سر ما صنع .

فانطلق العقل الموهوب يشرح له أسرار افعاله ، وختمها بقوله : وما صنعته عن أمرى ، أى هكذا صنع الله . وهكذا شاءت قدرته . أن يتخطى الاسباب الظاهرة الى أسباب خفية لا يعرفها البشر .

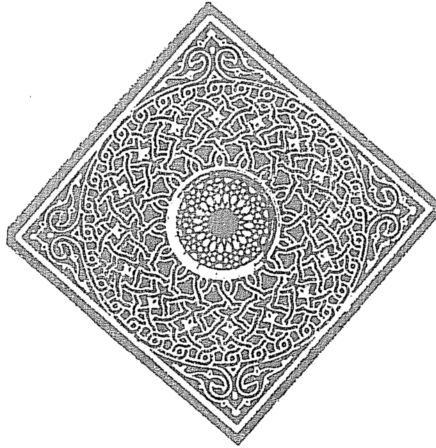
فأسرار الكون لا يحل مغاليقها الا صاحبها الذى خلقها :

« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر .. » (٧)

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . (٨) .
لهذا كان الايمان بالغيب ، وما لا تحيط به عقولنا القاصرة ضرورة . وبهذا جاءت رسالات الانبياء .

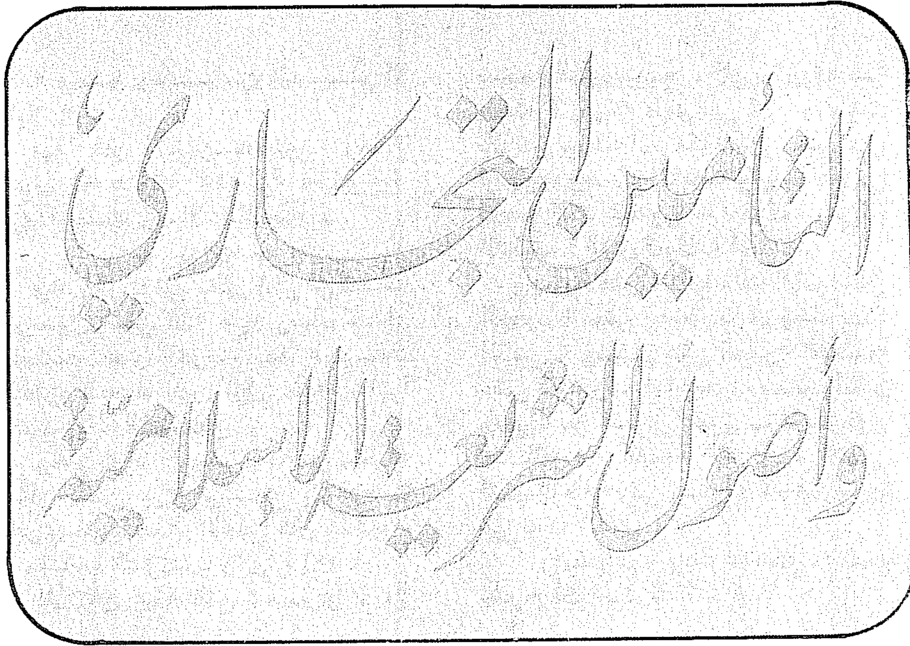
★ ★ ★ ★

وقد ذكرت فى مقال آخر أن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم كان الموضع الذى أجريت فيه عمليات الخلق الجديد حين نزل عليه : اقرأ باسم ربك الذى خلق .
وحين أراد أن يسرى به فى ملكوته صار النبى يرى ويسمع بفؤاده ما يجرى فى الملأ الأعلى قال تعالى :
« ما كذب الفؤاد ما رأى » (٩) .
فلم تكن عينه التى ترى . ولا سمعه الذى يسمع . لان ما وراء هذا العالم لا تدركه الحواس التى خلقت للارض وحدها . فكان من الضرورى أن يرى ويسمع بقلبه ، وأن تنطبع فى نفسه تلك الصور . فيدركها بفؤاده اللطيف ، الذى لا يكذبه أبدا .
وعملية خلق القلب ذلك الخلق الجديد ، حتى يحيط بما لم يحط به الناس ، ويمضى على الفطرة السليمة حتى لا ينحرف كما ينحرف سائر البشر ويدرك من أسرار الكون ما لا يدركون — تلك هى النعمة الكبرى ، التى انعم الله به على رسوله ، وذكره بها فى قوله تعالى :
« وأما بنعمة ربك فحدث . ألم نشرح لك صدرك ؟ ! »



---

(١) روى ذلك عن طاوس . وعمر بن عبد العزيز : تفسير النيسابورى .
(٢) فى القاموس المحيط . شرح ، وشرح بتضعيف الراء بمعنى واحد .
(٣) فاطر : ٢٨
(٤) فصلت : ٥٣
(٥) النجم : ٢٨
(٦) الروم : ٦ ، ٧ .
(٧) الانعام : ٥٩
(٨) الاسراء : ٨٥
(٩) النجم : ١١



للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

١ ـ عقد التأمين التجاري من العقود المستحدثة التي أختلف فقهاء هذا العصر حول حكم الشريعة الاسلامية فيها . ولكل رأى من آراء هؤلاء الفقهاء دليله ، وفي هذا المقال وما يليه من مقالات ، نعرض ـ أن شاء الله ـ هذه الأدلة على أصول الشريعة الاسلامية ، سواء أدلة من اجازوه او أدلة من حرموه ، لنعرف مدى صحة الاستدلال بهذا الدليل أو ذاك ، عسى الله عز وجل أن يهدينا الى أصوب رأى فيه .

خذوا حذركم

٢ ـ ان أنصار التأمين يذكرون أن الحياة لا تخلو من كوارث ومخاطر تصيب الانسان في شخصه كالموت والمرض أو في ماله كالحريق والهلاك والتلف ومسئوليته عن خطئه .. الخ وتتزايد هذه الكوارث والمخاطر وتتنوع في العصر الحديث بتنوع استخدام وسائل المدنية الحديثة كالسيارات والآلات والأجهزة السلكية واللاسلكية ويتخذ أكثر الناس وسائل للوقاية من هذه الكوارث وتلك المخاطر كالتطعيم ضد الأوبئة والعلاج من المرض والتوسع في استخدام وسائل الأمن الصناعي لحفظ الأموال والأشخاص من الهلاك أو التلف وتنظيم استخدام وسائل المدنية الحديثة بما يكفل أكبر قدر من الأمن

فيها ... الخ . والتأمين من الوسائل الحديثة للوقاية من الأخطار التى قد تنتج عند موت شخص أو هلاك ماله أو ثبوت مسئوليته حيث يجبر مبلغ التأمين الذى يحصل عليه المؤمن له أو المستفيد ما قد يلحقه من ضرر الكوارث والمخاطر المؤمن منها .

واذا كان التأمين التجارى من وسائل جبر ضرر الكوارث والوقاية من الأخطار كالافلاس والضياع وغيرها ، فقد ساق بعض من أجاز التأمين (١) دليلا شرعيا على جوازه هو قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم » (٢) ووجه الاستدلال بهذه الآية أن المؤمن له بعقده التأمين يأخذ حذره من غوائل المستقبل ، وقد دعتنا الآية الى الأخذ بأسباب الحذر أيا كانت ، والتأمين من أسباب الأخذ بالحذر ، فيجوز شرعا .

واذا عرضنا الاستدلال سالف الذكر على أصول الشريعة الاسلامية لوجدنا أن هذا الاستدلال غير كاف للقول بجواز التأمين التجارى شرعا ، فهو استدلال قاصر . ذلك أن الآية سالفة الذكر وردت للحذر من العدو . عند قتاله ، والمراد منها خذوا سلاحكم حذرا أو احذروا عدوكم .

واذا كانت الآية قد نزلت بخصوص الحذر من الأعداء ، الا أنه ليس هناك ما يمنع من أن تكون عامة فى اتخاذ أسباب الحذر من أى خطر ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وقد وردت الفاظ الآية عامة « خذوا حذركم » دون تخصيص لذلك بخطر معين . ومع ذلك لا يكفى الاستدلال بهذه الآية على جواز التأمين شرعا ، لأن الآيةتخاطب الذى آمنوا باتخاذ أسباب الحذر ،وهؤلاء لايتخذون الا وسائل مشروعة تتفق مع أحكام الشرع ، فهل ثبت أن التأمين وسيلة من الوسائل المشروعة حتى ندعو الذين آمنوا الى اتخاذها كسبب من أسباب الحذر ؟ هذا أمر لم يثبت بعد ، لأن فريقا من العلماء ينازع فى شرعية التأمين (٣) . وبالتالى اذا أريد الاستدلال بالآية سالفة الذكر على جواز التأمين التجارى شرعا ، فيجب أن يثبت قبل ذلك أن التأمين وسيلة يقرها الشرع ، والا كان الاستدلال بهذه الآية غير كاف .

القضاء والقدر

٣ ــ وقد لاحظ فريق ممن حرم التأمين أنه مهما اتخذ الناس من وسائل للحيطة ضد وقوع الكوارث والمخاطر ، فانه لا يغنى حذر من قدر والمتأمل فى حياة أشد الناس حيطة وحرصا وحذرا لا بد أن يؤمن بالقضاء والقدر . وقدر الله هو سننه ونواميسه فى الكون ؛ وقضاؤه هو انفاذه القدر أى ايجاده الكائنات وتسييرها وفق ما قدره سبحانه . قال تعالى : « انا كل شىء خلقناه بقدر . وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر » (٤) وقد استدل هؤلاء الفقهاء (٥) بهاتين الآيتين وأمثالهما فى القضاء والقدر على تحريم التأمين . ووجهة نظرهم تتلخص فى أن التأمين انكار للقدر ، أو هو على الاقل تحد لقضاء الله وقدره واجتراء عليه بينما لا يملك أحد أن يمنع قضاء الله وقدره .

واذا عرضنا الاستدلال السابق على أصول الشريعة الاسلامية ، نجد أنه استدلال غير صحيح ، لأن التأمين ليس انكارا للقدر وانما هو اعتراف به ومحاولة للتخفيف من آثاره لأنه ليس ضمانا لعدم وقوع الخطر وانما هو ضمان لجبر الضرر الذى

يحدث عند وقوع الخطر المؤمن منه . فمن يؤمن حياته ضد الموت أو يؤمن بضاعته ضد الغرق أو الحريق يعترف بالقضاء والقدر ويخشاه ويسعى للتخفيف مما قد ينتج عنه من أضرار . وقد شبه بعض الفقهاء (٦) التأمين بسفود الصاعقة ، وهو القضيب الحديدى الدقيق الرأس الذى يوضع فى قمم المآذن أو المبانى العالية ، فهو لا يمنع الصاعقة ولكنه يخفف من اثرها اذ يتلقى شرارتها ويحولها الى جسمه حتى تتلاشى ، وليس فى وضعه فى قمم المبانى العالية تحد لارادة الله عز وجل أو انكار للقدر ، بل فيه اعتراف بقضاء الله وقدره . من جهة أخرى تجد المؤمن يعتمد فى حساباته لوقوع الخطر على علم الاحصاء ، ليعرف نسب الوفيات ونسب الحرائق ونسب حوادث السيارات وغير ذلك من المخاطر التى يقبل التأمين عليها . وقد ثبت فى علم الاحصاء أن الكوارث فى الكون لا تحدث جزافا ، وأن القضاء والقدر وان كان مفاجئا لشخص معين الا أن له ضوابط بالنسبة للكون كله . وقد سبق القرآن الكريم الى بيان هذه الحقيقة حيث قال تعالى فيه « وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » (٧) . واعتماد المؤمن على ذلك وسعيه لمعرفة نسب الحوادث انما هو ايمان بالقضاء والقدر واعتراف به . ويمكن القول بأن الاتفاق على عقد التأمين انما هو اتفاق على التخفيف من آثار القدر ، أو هو اتفاق على دفع قدر بقدر فالقدر يمكن تقسيمه الى ثلاثة أنواع : قدر يستحيل على الانسان دفعه كالموت ، وقدر يمكن التخفيف من آثاره كغريزة حب الذات فهى قدر غالب لكن يمكن التخفيف من آثاره بتهذيب النفس وكبح جماحها ، وقدر ثالث يمكن للانسان دفعه بقدر آخر كأعداء الدين تقاومهم فندفع قدرا بقدر (٨) . وهكذا ننتهى الى أن التأمين التجارى ليس فيه انكار للقدر ولا تحد له ، وأن الاستدلال بآيات القضاء والقدر على تحريمه استدلال غير صحيح لا يتفق مع أصول الشريعة الاسلامية الغراء .

التوكل على الله

٤ — لا شك أنه يجب على كل مسلم أن يتوكل على الله ، فهل فى التأمين ما يتنافى مع التوكل على الله عز وجل ، أو أن فيه توكلا عليه سبحانه .

قد يبدو أن التأمين يتنافى مع التوكل على الله عز وجل ، فالمؤمن له لا يعتمد على الله عز وجل فى دفع ما قد يلحق به من ضرر ، وانما يعتمد على المؤمن الذى سيدفع له مبلغ التأمين عند تحقق الخطر المؤمن منه ، وقد قال تعالى : — « .. وليس بضارهم شيئا الا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٩) .

وقد يبدو أن التأمين فيه توكل على الله عز وجل ، اذ يصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم « اعقلها وتوكل» لأن المؤمن له لا يترك نفسه أو ماله نهبا للمخاطر التى قد تلحق به وانما يحتاط لنفسه بالتأمين ثم يتوكل على الله عز وجل .

والصحيح أن التوكل على الله عز وجل هو الاعتماد على رب الأرباب مع عدم التفريط فى الأخذ بالأسباب . وقد انقسمت الخلائق بالنسبة الى التوكل على الله عز وجل الى ثلاثة أقسام (١٠) قسم أهمل الاسباب واعتمد على قدرة الله تعالى . وهذا تفريط وسوء

أدب مع الله تعالى لأنه سبحانه رتب المسببات على الاسباب . وقسم آخر اتخذ الأسباب واعرض عن الاعتماد على رب الأرباب ، وهذا ادعاء بالعلم لا محل له لأنه ينقصه الايمان بمسبب الأسباب ، وكم من أسباب اتخذت ولم تترتب عليها نتائجها ، مما يدل على أن هناك ارادة أخرى تتدخل في ترتيب هذه النتائج هي ارادة الله تعالى . والقسم الثالث جمع بين اتخاذ الأسباب والاعتماد على رب الأرباب ، وهذا هو التوكل بحق على الله عز وجل .

والتأمين يتخذ سببا لجلب منفعة أو دفع مضرة ، فالمؤمن له يتخذه سببا لجلب منفعة حاضرة بادخار ما فاض معه من نقود في صورة أقساط التأمين أو لجلب منفعة مستقبلة ليعود به هو أو ورثته الى مركزه المالي قبل تحقق الخطر اذا حل به هذا الخطر . كما قد يتخذه المؤمن له سببا لدفع ضرر حاضر كالقلق والخوف من وقوع الخطر المؤمن منه أو لدفع ضرر مستقبل عند وقوع الخطر بقبض مبلغ التأمين لجبر ما لحقه من ضرر (١١).

واذا كان التأمين اتخاذا للأسباب ، فقد يكون فيه توكلا على الله عز وجل وذلك اذا اعتمد المؤمن له فيه على رب الأرباب في دفع الخطر وفي أمل الحصول على مبلغ التأمين ان تحقق الخطر ، كما أن التأمين قد يخلو من التوكل على الله وذلك اذا اعتمد المؤمن له فيه على المؤمن ولم يعتمد فيه على الله عز وجل . فالأمر يتوقف على علاقة المؤمن له بربه ونيته عند التأمين ، ولا شأن لنظام التأمين في ذاته بالتوكل على الله . جل وعلا . وبالتالي لا يصلح الاستناد الى آيات التوكل على الله والأحاديث المتصلة بها للقول بجواز التأمين شرعا أو بتحريمه .



وهكذا ننتهي ، الى أن التأمين التجاري اذا كان سببا من أسباب الأخذ بالحذر فليس في هذا دليل كاف على جوازه شرعا ، كذلك لا يصح القول بأن فيه ما يتنافى مع قضاء الله وقدره للاستناد الى ذلك في تحريمه ، فقد رأينا أنه اعتراف بقضاء الله وقدره ومحاولة للتخفيف من آثاره ليس فيها أي تحد لارادة الله عز وجل . كذلك انتهينا الى أن التأمين التجاري لا شأن له في ذاته بالتوكل على الله أو عدم التوكل عليه ، فمرجع ذلك الى النية .

الأمر بالوفاء بالعقود .

٥ — من المعروف أن التأمين عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدي الى المؤمن له أو الى المستفيد الذي اشترط التأمين لصالحه مبلغا من المال أو ايرادا مرتبا أو أي عوض مالي آخر في حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر المبين بالعقد ، وذلك في نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن الذي يأخذ على عاتقه مجموعة من المخاطر ويجري بينها مقاصة طبقا لقوانين الاحصاء .

ومن المعروف كذلك أن الله عز وجل أمرنا بالوفاء بالعقود . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (١٢) .

وقد استدل بعض من أباح التأمين (١٣) بالآية سالفة الذكر على جوازه شرعا . ووجه الاستدلال أن لفظ

العقود فى الآية الكريمة لفظ عام ، فيشمل عقد التامين وغيره من العقود ولو لم يشمله وكان محظورا لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه بعث لبيان الحلال والحرام ، وقد بلغ الرسالة وادى الأمانة . والشارع هنا فى الآية الكريمة كان فى مقام البيان لا الاجمال ، وحيث لم يبين يكون العموم مرادا ويدخل عقد التأمين تحت عموم كلمة العقود .

والحجة السابقة غير سليمة فى الاستدلال على جواز التأمين شرعا ، كما انها غير كافية للقول بمشروعيته .

فليس صحيحا أن الآية الكريمة عامة فى وجوب الوفاء بكل عقد ، لأنه لا يعقل أن تأمر الآية بالوفاء بعقد القمار مثلا أو عقد الربا أو غير ذلك من العقود المحظورة ، فدل ذلك على أن لفظ العقود فيها ليس لفظا عاما وانما هو لفظ مجمل ، وقد فسرت هذا اللفظ المجمل آيات أخرى كما فسرته سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومما يؤكد أن لفظ العقود فى الآية سالفة الذكر لفظ مجمل ، أن سياق هذه الآية يدل على أن الشارع كان فى مقام الاجمال لا البيان ، فهو سبحانه لم يذكر الآية لبيان العقود الجائزة وانما أجمل ذلك ، فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ، ان الله يحكم ما يريد » (١٤) . وهذه كلها آية واحدة ، والوفاء بالعقود شطر منها ، مما يدل على أن لفظ العقود هنا لفظ مجمل .

وقد فسر الشارع لفظ العقود المجمل هنا فبينه فى آيات أخرى ، كما فسر الرسول صلى الله عليه وسلم ببيان العقود المنهى عنها . فالله عز وجل فى آيات أخرى نهى عن عدة عقود كالعقد على الربا والعقد على الخمر والعقد على لحم الخنزير والعقد على الميسر (القمار) .. الخ . كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن عقود أخرى كعقود الغرر وبيع حاضر لباد وبيع النجش وبيع الحصاة وبيع الملامسة وبيع المنابذة وغير ذلك مما هو محظور فى الشريعة الاسلامية وهذا النهى عن بعض العقود يدل على أن لفظ العقود الوارد فى الآية ليس لفظا عاما وانما هو لفظ مجمل . كما يدل هذا النهى على أن المراد بالعقود فى الآية سالفة الذكر هو العقود الخالية من المحظورات . يؤكد ذلك أن الآية تخاطب الذين آمنوا ، وهم من صدقوا بكل ما جاء فى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (١٥) .

ولا يلزم أن يصرح الشارع بكل محظور تفصيلا بجميع أنواعه ، اذ يكفى أن يضع الشارع القاعدة لنستنبط منها ونقيس عليها . فالله سبحانه مثلا نهى عن الميسر فيدخل فيه كل نوع منه ما كان من قبل وما يستحدث فيه ، والرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الغرر فيدخل فيه ما كان منه وما يكون فيه بعد ذلك .. وهكذا . وبالتالى لا يصح القول بأن التأمين لو كان محظورا لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه بعث لبيان الحلال والحرام ، فالرسول صلى الله عليه وسلم وضع لنا القواعد وبلغ الرسالة وأدى الأمانة وعلينا أن نطبق هذه القواعد لنرى هل التأمين جائز شرعا أم هو محظور؟ ومن المعروف أن فريقا من الفقهاء يرى أن تطبيق هذه القواعد يؤدى الى القول بأن التأمين فيه ربا وغرر وجهالة ومخالفة لقواعد الميراث والوصية مما هو محظور .

وطالما انتهينا الى أن لفظ العقود في الآية الكريمة سالفة الذكر ، ليس لفظا عاما وانما هو لفظ مجمل ، وأن الشارع قد فسر هذا اللفظ المجمل بأن المراد منه هو العقود التي استوفت الشروط والأركان وخلت من المحظورات ، فانه اذا أريد الاستدلال بهذه الآية على وجوب الوفاء بعقد التأمين وجوازه شرعا ، فانه يجب قبل ذلك أن يثبت أن عقد التأمين قد استوفى ما نصت عليه الشريعة الاسلامية من أركان وشروط وخلا من المحظورات ، وهو أمر لا زال محل نزاع بين العلماء ، وبالتالي كان الاستدلال بهذه الآية على جواز التأمين شرعا استدلالا غير كاف .

استحداث عقود في الاسلام

٦ — ذهب بعض من حرم التأمين (١٦) الى أن العقود الجائزة في الاسلام واردة على سبيل الحصر ، وأن عقد التأمين ليس من العقود المعروفة في صدر الاسلام ، فلا يكون عقدا جائزا شرعا ، على أساس أن الاسلام — في نظر هذا الفريق من الفقهاء — لا يجيز احداث أي عقد لم يكن معروفا في صدره ، لأنه جاء كاملا ولأن اضافة عقود أخرى الى العقود المعروفة في شريعته معناها احداث تشريع جديد بدون استناد .

ويكاد يكون هذا الرأي رد فعل على نقيض الرأي السابق الذي ينادي بأن الوفاء بالعقود يشمل كل عقد فيشمل عقد التأمين ! وكأن هذا الرأي يذهب الى أن المقصود بالعقود في آية سورة المائدة سالفة الذكر هو العقود المعروفة في صدر الاسلام !

والصحيح أن الزعم بأن الاسلام لا يجيز احداث أي عقد لم يكن معروفا في صدره ، انما هو دعوى بلا دليل .

واضافة عقد جديد الى العقود المعروفة في صدر الاسلام لا يعني احداث تشريع جديد دون استناد ، لأن العقد الجديد قد يتفق مع أصول الشريعة الاسلامية وقد يختلف معها . فاذا كان العقد الجديد لا يتعارض مع أصول الشريعة وأحكامها فهو خاضع لما شرعه الله ورسوله وليس فيه تشريع جديد دون استناد ، لأنه يستند الى الأصول العامة للشريعة الغراء أما اذا كان العقد الجديد يختلف مع أصول الشريعة وأحكامها فهو مردود لأنه لا يستند الى شيء من هذه الأصول ولا تلك الأحكام . فالامر يتوقف على مدى اتفاق العقد الجديد مع أصول الشريعة الاسلامية وأحكامها . وبالتالي اذا كان عقد التأمين عقدا جديدا فهل يتفق مع أصول الشريعة وأحكامها فيكون جائزا شرعا أم يختلف معها فلا يجوز شرعا ؟ هذا أمر يتطلب بحث عقد التأمين ذاته .

واستحداث عقد جديد لا ينتقص من كمال الاسلام شيئا ؛ لأن كماله يتأتى من أن قواعده فيها ما يحكم على كل جديد ، لا أن قواعده صرحت بكل صغيرة وكبيرة فيمتنع الجديد ، وبالتالي للناس أن يتعارفوا على أنواع جديدة من العقود ، وعلى الفقهاء عندئذ استنباط حكم الاسلام في هذه العقود الجديدة . (١٧) .

وطالما انتهينا الى أنه يجوز استحداث عقود جديدة في الاسلام ، اذا كانت هذه العقود لا تتعارض مع أصول الشريعة الاسلامية وأحكامها فانه يتضح أن لفظ العقود في الآية الأولى من سورة المائدة لا يقتصر على العقود المعروفة في صدر الاسلام

وانما يشمل ما يستحدث بعد ذلك طالما استوفى الشروط والأركان وخلا من المحظورات .

الأصل هو الاباحة

٧ — [illegible] أن فريقا آخر من الفقهاء (١٨) استدل على [illegible] التأمين شرعا بأن الأصل [illegible] تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » (١٩) [illegible] طالما خلق الله عز وجل لنا [illegible] فى الارض جميعا لننتفع به ، فان الأصل فى معاملات الناس فيما خلقه الله لمنفعتهم هو الاباحة . وبالتالى فان الأصل فى عقد التأمين وهو معاملة وشروط هو الاباحة ، فيكون عقدا جائزا شرعا بهذا الاعتبار .

والاستدلال سالف الذكر غير كاف ، لأنه اذا كان الأصل فى العقود والشروط هو الاباحة (٢٠) ، فذلك اذا لم يثبت أن العقد أو الشرط لا يتعاوض مع أصول الشريعة الاسلامية واحكامها . فهل ثبت ذلك فى عقد التأمين حتى نستدل على جوازه شرعا ؟ الأمر يتطلب بحث عقد التأمين ذاته .

والى مقال تال نستكمل الجزء التالى من هذا البحث ان شاء الله تعالى .. !!

---

(١) محمد وصفى فى مقال له بمجلة منبر الاسلام س ٢١ عدد ١٢ .

(٢) من الآية ٧١ من سورة النساء .

(٣) احمد النجدى فى « عقد التامين بين الشريعة والقانون » رسالة على الآلة الكاتبة ص ٣٢٨ .

(٤) الآيتان ٤٩ و ٥٠ سورة القمر .

(٥) احمد الخريصى فى بحث له لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف .

(٦) مصطفى الزرقا فى أسبوع الفقه الاسلامى بدمشق ط ١٩٦١ م ص ٤٠٠ و ٤٠١ .

(٧) الآيتان ٨ و ٩ سورة الرعد .

(٨) على الخفيف فى بحثه المقدم لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف ص ٢٦ واحمد النجدى فى رسالته المرجع السابق ص ٣٢٩ ..

(٩) من الآية ١٠ سورة المجادلة .

(١٠) زاد المعاد هـ ٢ ص ١٤ .

(١١) قحطان الدروى فى رسالته عن التامين ص ١٤٢ ويرى أن سعى المؤمن له لجلب المنفعة يشبه سعيه لادخار مافاض معه من نقود وكالقائه الحبة فى الارض لتخرج زرعا ، وسعيه لدفع ضرر يشبه عدم نومه على قارعة الطريق وتداويه من المرض ، فهو اتخاذ للاسباب لحفظ موجود أو جلب منفعة أو دفع ضرر لم ينزل به أو نزل .

(١٢) من الآية الاولى من سورة المائدة .

(١٣) على آل كاشف الغطاء فى بحثه المقدم لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف .

(١٤) الآية الاولى من سورة المائدة .

(١٥) أحمد النجدى فى رسالته « عقد التامين بين الشريعة والقانون » ص ٢٨ .

(١٦) عبد الستار السيد وفخر الدين الحسنى من علماء سوريا فى بحثهما لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف .

(١٧) مصطفى الزرقا والصديق الضرير فى اسبوع الفقه الاسلامى بدمشق ١٩٦١ م ص ٣٨٨ و ٤٣٨ على التوالى . ومحمود قاسم بعيون فى بحثه لمجمع البحوث الاسلامية . وأحمد الخريصى ، فى بحثه لمجمع البحوث الاسلامية .

(١٨) عبد الرحمن عيسى فى اسبوع الفقه الاسلامى بدمشق ١٩٦١ م ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ — ٤٧٨ .

(١٩) من الآية ٢٩ سورة البقرة .

حول ولاية الرجل على نفسه في

للاستاذ : محمد عزة دروزة

قرأت المقال الممتع للدكتور محمد البهي في عدد جمادى الأولى من مجلة (الوعي الاسلامي) بالعنوان الذي عنونت به هذا المقال .

وأنا أعترف بأن الدكتور عالم متمكن واقدر عمله وفضله . واعرف أن عمله وتمكنه مما يجعل لكتاباته قوة وأثـرا في القارىء ويوجب عليه احترامه .

وأنا أشاركه في ما جاء في تمهيدات مقاله من تنبيهات وانتقادات وملاحظات فيها سداد . وفيها دفاع عن الشريعة الاسلامية وايجاب الالتزام بها وعدم تهاون الحكومات الاسلامية في ذلك واستبدال النظم والاتجاهات الغربية بها وجعلها متأثرة بها .

وبيت القصيد في مقاله هو مـا

عنون به المقال وعنونا به مقالنا . ولقد بدأ كلامه بقوله (وإن حاولت الدولة أن تسقط ولاية الرجل على نفسه فى الطلاق وفى تعدد الزوجات وتجعل للقاضى بدلا منه حق الترخيص بهذين الأمرين تكون قد سارت بالعلمانية أو فصل الدين عن الدولة الى نهاية الشوط فى شئون الأسرة وبالتالى الى ترك الاسلام كلية وابعاده عن مجالات العلاقات بين الأفراد الى خصوصياتهم) ثم اخذ يعرض آيات الطلاق وتعدد الزوجات ويشرحها وينبه على ما فيها من تقرير لكون الرجل هو صاحب الولاية فيهما وحسب دونما استدراك أو استثناء .

واعتقد أن هذا يتحمل كلا ما جديرا بالتأمل . وانى أعجب أن يكون الدكتور الألمعى قد فاته ذلك .

فاولا : ليس من احد يستطيع أن ينكر أن كثيرا من المسلمين فى مختلف الحقب اساءوا وما يزالون يسيئون استعمال ولايتهم على أنفسهم فى الطلاق وتعدد الزوجات . وأن ذلك قد بلغ حد الظلم وادى وما يزال يؤدى الى فواجع ومآس أليمة محزنة .

وثانيا : أن فى القرآن آيات تلهم أن اساءة استعمال تلك الولاية والوقوع فى اثم ذلك متوقع كما تفيده هذه الآيات :

١ — « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فى ما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون .. » البقرة ٢٢٩ .

٢ — « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شىء عليم .. » البقرة ٢٣١ .

٣ — « وان خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا »(١) النساء ٣ .

٤ — « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن(٢) لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا . وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا .. » النساء ١٨ — ٢٠ .

٥ — « وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون

خبيرا . ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما . وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته . وكان الله واسعا حكيما .. » النساء ١٢٨ — ١٣٠ .

٦ — « يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا . فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا » الطلاق ١ و ٢ .

ثالثا : ان اساءة استعمال المسلم لولايته على نفسه فى الطلاق تكمون فى حالتين . الأولى أن يندفع بنزواته وانفعالاته فيسرع فى استعمال هذه الولاية بدون ترو وتدبر ولأتفه الأسباب مما يؤدى الى ظلم وشقاء الزوجة والأولاد وانهدام الحياة الزوجية وتحقق المآسى والفواجع . فى حين أن الطلاق الذى هو أبغض الحلال الى الله كما وصفه رسول الله (٣) انما ابيح من أجل الفراق الذى لا يكون مناص منه بعد استنفاد بالمعروف وكظم للغيظ فى حالة كل الوسائل التى أمر الله من معاشرة بالمعروف وكظم للغيظ فى حالة الكراهية وعدم العضل للابتزاز وبذل الجهد للاصلاح والصلح كما جاء فى آيات النساء ١٨ — ٢٠و١٢٨ — ١٣٠ التى أوردناها آنفا ، وكما جاء فى آية سورة النساء هذه (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا) ٣٥ ، ثم من مراجعة مرة بعد مرة وحث على العودة الى الزوج فى حال غلبة الظن بالصلاح والاصلاح كما جاء فى آيات البقرة هذه (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان أرادوا اصلاحا) ٢٢٩ ، وهذه (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ٢٣٣ ، وأصبح الوسيلة الوحيدة لخلاص الزوجة من الشقاق والشقاء .

والحالة الثانية : أن يكون تمسك الزوج بولايته بقصد الابتزاز والاعتداء والمكايدة والاضرار الذى نبهت عليه آيات البقرة ٢٣١ والنساء ١٨ مع الشذوذ عن المبدأ القرآنى المحكم الذى أقام الله عز وجل عليه الحياة الزوجية الرضية وهو الامساك بالمعروف أو التسريح باحسان كما جاء فى الآيتين ٢٢٩ و ٢٣١ من البقرة والآية الثانية من سورة الطلاق فيتحقق بذلك الظلم وتفقد المودة والرحمة اللتين جعلهما الله اساسا للحياة الزوجية كما جاء فى آية سورة الروم (ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك الآيات لقوم يتفكرون) .. (٢١) .

وفى صدد اساءة استعمال المسلم لولايته على نفسه فى تعدد الزوجات نقول ان الله قد نبه فى آية النساء (٣) ان التعدد مظنة الجور وعدم العدل . ونبه فى آية النساء (١٢٩)

ان العدل غير مستطاع . ونبه فى الآية (٣) بناء على ذلك على أن الأولى للمسلم ان يكتفى بزوجة واحدة . واذا كان الله سبحانه لم يغلق الباب فلانه يعلم أن طبيعة الحياة تقتضى بقاءه مفتوحا وقاية للرجل من إثم الزنا أو ضرر الحرمان والكبت أو تحقيقا للرغبة فى البنين من حيث أن تكون زوجته الأولى مريضة مرضا مانعا أو عجوزا او غير مشتهاة أو عاقرا او من حيث اضطراره الى غياب طويل الخ الخ وقد ابقى الله الباب مفتوحا فى ظل التنبيهات والتحذيرات المذكورة وفى ظل ما يكون من قدرة على الانفاق التى هى من صور وواجبات العدل المطلوب . واساءة استعمال هذه الرخصة تكون فى اندفاع الرجل وراء شهواته ونزواته فى حين يكون عنده زوجة مغنية منجبة . وتكون كذلك فى عدم القدرة على الانفاق . وعدم المبالاة بالعدل بين الزوجات والأولاد فتتحقق بذلك المآسي والفواجع فى الشقاق والشقاء والضياع والعداوة بين الاخوة والأخوات والزوجات الخ .

رابعا : ان المتبادر الذى لا يصح ان يتبادر الى الذهن غيره هو أن الدعوة الى ايجاب جعل الطلاق وتعدد الزوجات منوطين بالقضاء قد هدفت الى الحد من سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه فى هاتين المسألتين وتلافى ما يمكن أن يؤدى ذلك اليه من ظلم وفواجع ومآس .

ونهتف بكل قوة ونقول ان الله عز وجل لا يمكن أن يرضى عن اساءة استعمال شرعه وما يمكن أن ينتج عنها من ظلم ومآس وفواجع وشقاء . وان حكمته وعدله ليأبيان أن يقول أحد إنه لا يجوز مس ولاية المسلم على نفسه فى الطلاق وتعدد الزوجات ولو شذ عن المبدأ القرآنى المحكم الامساك بالمعروف والتسريح باحسان ولو تمسك بزوجته لضررها والاعتداء عليها وابتزازها . ولو كان فظا غليظ القلب فاحش اللسان طويل اليد بالضرب والأذى . ولو كان مندفعا وراء نزواته وانفعالاته يطلق كيف يشاء ويتزوج كيف يشاء أو سكيرا فاسقا وعربيدا ولو كان غير قادر على الانفاق على زوجة واحدة فضلا عن أكثر من واحدة . ولو كانت زوجته مغنية منجبة حيث يكون كل هذا تجاوزا على حدود الله وسببا فى الظلم والضرر والشقاء وانهدام الحياة الزوجية .

خامسا : واذا كان ما قلناه أن الله لا يرضى عن سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه فى الطلاق والتعدد حقا فان هذا يستتبع أن يقال ان الله تعالى يرضى عن الحد من هذه الولاية لتلافى نتائج الاساءة فى استعمالها . ولا سيما أن الله قد نبه على أن الشذوذ فى استعمال هذه الولاية واساءتها وما يؤدى ذلك اليه من جور وظلم متوقع .

سادسا : ان المتمعن فى كتاب الله واجد فيه الوسائل الى ذلك بحيث يصدق القول ان الحد من سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه فى الطلاق والتعدد متسق مع كتاب الله عز وجل وليس فصلا للدين عن الدولة ولا أيغالا فى العلمانية والاستغراب ولا تعطيلا لشريعة الله .

فبالاضافة الى ما فى كتاب الله من شجب للاثم والظلم والتجاوز على حدود الله وايجاب دوران حرية

المسلم في افعاله واقواله في نطـــاق الحلال واجتناب الحرام والظلم والأذى بصورة عامة مما يمثله آيات كثيـــرة كثرة تغني عن التمثيل فان فيه آيات خاصة يمكن أن تكون منطلقا ووسيلة الى ذلك .

ففي آية النساء (٣٥) التـــي اوردناها قبل أمر الله المخـــاطبين بالمبادرة للتدخل بين الزوجين اذا خيف الشقاق بينهما . والمبادرة للتدخـــل تكون أشد وجوبا اذا وقع الشقـــاق بطبيعة الحال . ومن أسباب الشقاق الذي يمكن أن ينشب بين الزوجين أن يريد الزوج التزوج بأخرى او أن يشذ عن المبدأ القرآني (الامساك بالمعروف أو التسريح باحسان) ويتمسك بزوجته بقصد المكايدة والضرر والابتزاز أو يكون طائشا سريع الانفعال يطـــلق لأتفه الأسباب .

والخطاب في الآية عام يمـــكن أن يكون لجماعة الحل والعقـــد من المسلمين او للحاكم . والحاكم عـــلى كل حال مخاطب فيها . وهي مطلقـــة بحيث يصح أن يقال في ضوء ذلك ان المبادرة يمكن أن تكون بمراجعـــة الزوجة أو أهلها أو من الحاكم مباشرة اذا بلغه احتمال الشقاق أو وقوعه ، والآية تامر بالتدخل للاصلاح الى ازالة أسباب الشقاق . وتلافى نتائج سوء استعمال الزوج لولايته على نفسه في الطلاق وتعدد الزوجات مما شرحنـــا صوره ومظاهره قبل . وقـــد ينجح الحكمان في ازالة الأسباب وتلافـــي النتائج وهو المقصود في التوجيـــه القرآني وقد لا ينجحان ويتمسك كل من الزوجين بموقفه فيتعذر الاصلاح والتوفيق . ومن الفقهاء من يجتهد بأن للحـــكمين أن يفرقـــا بين الزوجين ويخلصا كلا منهما من الشقاق والشقاء وهذا من وحي آيات النساء (١٢٨ ــ ١٣٠) ومنهم من يقول إن الحـــكمين يقترحان التفريق على الحاكم والحاكم هو الذي يفرق . وعلى كل حال ففي ذلك تدخل في ولاية الرجل على نفسه وحد لها مستلهمان من التوجيـــــه القرآني . ولقد روى الشافعي فـــي صدد ذلك حديثا جاء فيه (جاء رجل وامرأة الى علي رضي الله عنه ومع كل واحد منهما فئة من الناس . فامرهم فبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين أتدريان ما عليكما ان رأيتما أن تجمعا فاجمعا . وان رأيتما التفريق فافرقا . قالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ومالي . وقال الرجل أما الفرقة فلا . فقال علـــي كذبت والله حتى تقر بما أقرت به) (٤)

وللفقهاء اجتهاد مماثل في صـــدد الايلاء (٥) فاذا مضت الشهور الاربعة المعينة للزوج المولي على ما ذكرتـــه آيات سورة البقرة هذه (للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهـــر فان فاءوا فان الله غفور رحيـــم . وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم) ٢٢٦ و ٢٢٧ . ولم يرجع الزوج عن ايلائه فان الزوجة تطلق منه تلقائيـــا طلقة رجعية في اجتهاد وان للزوجة ان ترفع أمرها للحاكم والحاكم يطلق على الزوج في اجتهاد حتى لا تبقى الزوجة معلقة فتتظلم وتتضرر . وفي كلا الاجتهادين لا يملك الـــــزوج أن يرفض بحجة ان الطلاق بيده وهو ولي نفسه عليه .

وكذلك في الظهار (٦) حيث يوجب القرآن على المظاهر الذي يعود عما قال كفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو اطعام ستين مسكينا .

فاذا امتنع الزوج عن التكفير فالزوجة ترفع أمرها للحاكم . والحاكم يجبر الزوج على التكفير أو يعين له مدة فاذا لم يكفر فيها طلق عليه ولا يملك الزوج الرفض بحجة ولا يته على نفسه في الطلاق حسب ما عليه اجتهادات الفقهاء وهو ما تلهمه روح التوجيهات القرآنية . ولقد قال بعض المفسرين ان جملة (فان خفتم) في آية البقرة ٢٢٥ موجهة للحكام . وهذا سديد تسوغه صيغة الآية حيث يكون في الآية على ضوء ذلك توجيه للحاكم بوجوب التدخل وحل النزاع الذي ينشب بين الزوجين اذا خيف ان لا يقيما حدود الله . وفي الآية تسويغ لافتداء الزوجة نفسها ببعض المال من زوجها حتى تخلص مما تعانيه من أذى وشقاء . وفي صدد ذلك روى البخاري والنسائي عن ابن عباس (ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الاسلام (تعني انها تكرهه ولا تطيق مباشرته وتخشى ان تكون في ذلك شاذة عن الدين) فقال رسول الله أتردين عليه حديقته قالت نعم قال اقبل الحديقة وطلقها تطليقة) . وقد يقال ان الرجل استعمل ولايته ولكن هذا الاستعمال لم يكن في الحقيقة طوعا من نفسه وانما هو اطاعة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

سابعا : ليس هناك خلاف في أن القضاء هو صاحب صلاحية في التدخل لتنفيذ وصية الموصي اذا رفض الورثة تنفيذها وكانت في حدود سنة رسول الله أي الثلث أو أقل . ولاعطاء كل ذي حق حقه من الارث اذا أراد بعض الورثة ظلم بعضهم الآخر ولاعطاء صاحب الدين دينه من تركة الميت اذا رفض الورثة ذلك . وفي الزام المطلق أو ورثته بنفقة المطلقة وسكناها اثناء العدة وأجر رضاع طفلها . وفي الزام الزوج بدفع مهر زوجته . وفي التدخل لمنع الناس من اكل أموال بعضهم بالباطل .

وصيغ التشريعات القرآنية في هذه المسائل موجهة للمسلمين ليلتزموا بها دينا وأيمانا وتقوى . ووقوفا عند حدود الله وأوامره . وليست موجهة للحكام أي أنها تجعل الولاية للمسلمين على أنفسهم في ذلك كله . وهي مماثلة في أسلوبها ومداها لصيغ آيات الطلاق وتعدد الزوجات .

ويبدو هذا من مقارنة الآيات مع بعضها . فاذا كان تدخل الحاكم سائغا في هذه الأمور فيكون ذلك سائغا أيضا فيما يتبادر لنا في مسائل اساءة الزوج لاستعمال ولايته على نفسه في الطلاق والتعدد .

واذا قيل إن تلك المسائل حقوقية وللسلطان احقاق الحقوق فان واجب السلطان في منع الظلم والضرر غير منازع فيه أيضا . وظلم الزوج لزوجته من أشد أنواع الظلم لأنه مؤد الى الفواجع والمآسي وهدم الحياة الاجتماعية .

وآيات سورة الطلاق الأولى والثانية تأمر باحصاء العدة واشهاد العدول واقامة الشهادة لله . وكل هذا انما يكون لاحتمال رفع الأمر للقضاء ويسوغ القول بالتالي ان القضاء مرجع لجميع هذه الأمور فليس في الدعوة الى ذلك شذوذ وتجاوز يجعلانها بمثابة فصل الدين عن الدولة .

وهناك احاديث نبوية كثيرة (٧) تفيد أن المسلمين كانوا يراجعون النبى صلى الله عليه وسلم فى مختلف شئونهم الأسرية ومنها الطلاق والخلع والعدة والنفقة الخ وان النبى كان يقضى بينهم فى ذلك . وفى بعضها كان النبى يتدخل مباشرة فى بعض المواقف ويفسر مدى التشريع القرآنى فيها وهو فى متناول كل من يريد وكثيرة كثرة تجعل المقال طويلا جدا لو اردنا ايرادها . حيث يكون فى ذلك ايضا ملهمات بأن القضاء الاسلامى مرجع شرعى صحيح لهذه الأمور . وقد يقال إنهم كانوا يراجعونه لأنه نبى مشرع يوحى اليه وهذا حق . ولكنه كان يتلقى مراجعتهم ويقضى بينهم كقاض وكصاحب السلطان أيضا على ما تفيده أحاديث كثيرة . وهناك حديث صريح الدلالة على هذا . فقد روى الخمسة عن أم سلمة (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما أنا بشر وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار) (٨) .

هذا . وقد يلحظ انى ادرت الكلام على سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه فى الطلاق والتعدد . وقد يقول قائل انه قد يكون سائغا ان ينظر القضاء فى الأمر فى حالة الشكوى والمراجعة وان التوجيهات القرآنية هى فى صدد ذلك فى حين أن النقد الموجه من الناقدين لاناطة ذلك للقضاء هو بسبب الدعوة الى جعل هذه الاناطة عامة شاملة وسواء اكانت شكوى وخوف شقاق واساءة أم لم تكن حيث يكون الطلاق والتعدد منوطا باذن القضاء مطلقا . وجوابا على هذا أقول أن الدكتور البهى أدار الكلام على نقد المساس بولاية المسلم على نفسه مطلقا ولم يستدرك ولم يستثن فتاثر كلامى بذلك .

ولقد أورد الدكتور آية سورة البقرة (٢٢٩) فى سواغ افتداء الزوجة نفسها ولكنه لم يذكر ماذا يكون الأمر اذا رفض الزوج واصر على التمسك بزوجته ضرارا واعتداء ، وابتزازا . ولقد نبه الدكتور على مبدأ الامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان ولكنه لم يذكر ماذا يكون الأمر اذا شذ الزوج عن هذا المبدأ . ولقد اورد الدكتور آية سورة البقرة التى تأمر بعدم الامساك بالزوجة المطلقة للضرر اذا بلغت أجلها وامساكها بالمعروف أو مفارقتها بالمعروف ولم يذكر ماذا يكون الأمر اذا شذ الزوج عن ذلك . ولقد أورد الدكتور آية سورة النساء (٣) التى تأمر بالاكتفاء بواحدة اذا خيف الجور وعدم العدل ولم يذكر ماذا يكون الأمر اذا تحقق الجور وعدم العدل بالتعدد .

ولا ريب فى أن الدكتور يعرف أن للزوجة أن تراجع القضاء وان للقضاء أن يتدخل وأن تدخله قد يصل الى الحد من ولاية الزوج على نفسه فى ضوء آية النساء (٣٥) والمأثورات واجتهادات الفقهاء فيها على ما شرحناه قبل . والظاهر أنه تحرز من ذكر ذلك حتى لا يضعف نقده .

ومن ذلك فانى لا أعتقد أن فى كتاب الله وسنة رسوله ما يمنع أن يناط أمر الطلاق وتعدد الزوجات عامة بالقضاء الاسلامى الذى يكون الكتاب والسنة والفقه الذى يقوم عليهما

مرجعه وسنده . بل واعتقد ان فى القرآن والسنة ما يلهم ذلك . واعتقد ان هذا العمل هو تنظيم اسلامي وليس كما يوصف فصلا للدين عن الدولة . ولا تعطيلا للشريعة الاسلامية ولا ايغالا فى العلمانية والاستغراب . وانه لمن الممكن الاحتياط بحيث يدع القاضي ولاية المسلم على نفسه نافذة يباشرها بحريته اذا ما تحقق له فى الحالة التى ترفع اليه انه ليس فيها سوء استعمال وظلم وضرر ويتدخل فقط فى الحالة التى يتحقق له فيها ذلك فيحد من الولاية ويمنع الظلم والجور والضرر استنادا الى حقه وواجبه فى منع الظلم والأذى والضرر وتأييد المبادىء القرآنية فى بذل الجهد فى الاصلاح والامساك بالمعروف فى حالة جنوح المسلم الى الطلاق ويمضيه اذا تعذر التوفيق والاصلاح ثم فى منع التعدد الذى يكون الجور وعدم العدل مؤكدا والذى لا تكون الضرورة البشرية والصحية فيه قاضية . ويمضى ما لا يكون فيه ذلك . ورأيى هذا ليس جديدا ولعلى من أوائل الداعين اليه فقد شرحته فى كتابى (الدستور القرآنى فى شئون الحياة) المطبوع فى مصر سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ (٩) ، ثم أعدت ابراده مع زيادة فى الشرح فى الطبعة الثانية لهذا الكتاب المعنون (الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة) المطبوع فى مصر ١٣٨٦ — ١٩٦٩ (١٠) وقد أوردت الملهمات القرآنية والنبوية ورددت على ما يورد على هذا الرأى من اعتراضات . ولولا خوف التطويل وقد طال المقال حقا لأوردت ذلك .

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) لا تعولوا فى آية النسا(٣) بمعنى لا تميلوا عن الحق ولا تجوروا .

(٢) لا تعضلوهن فى آية النساء ١٨ وفى آية البقرة (٢٣٣) بمعنى لا تمسكوا بهن بقصد الابتزاز وعدم العودة الى ازواجهن .

(٣) حديث ابغض الحلال الى الله الطلاق رواه ابو داود والحاكم وصححه عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم — التاج ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٤) التاج ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٥) الايلاء يمين يحلفها الزوج بان لا يعاشر زوجته جنسيا .

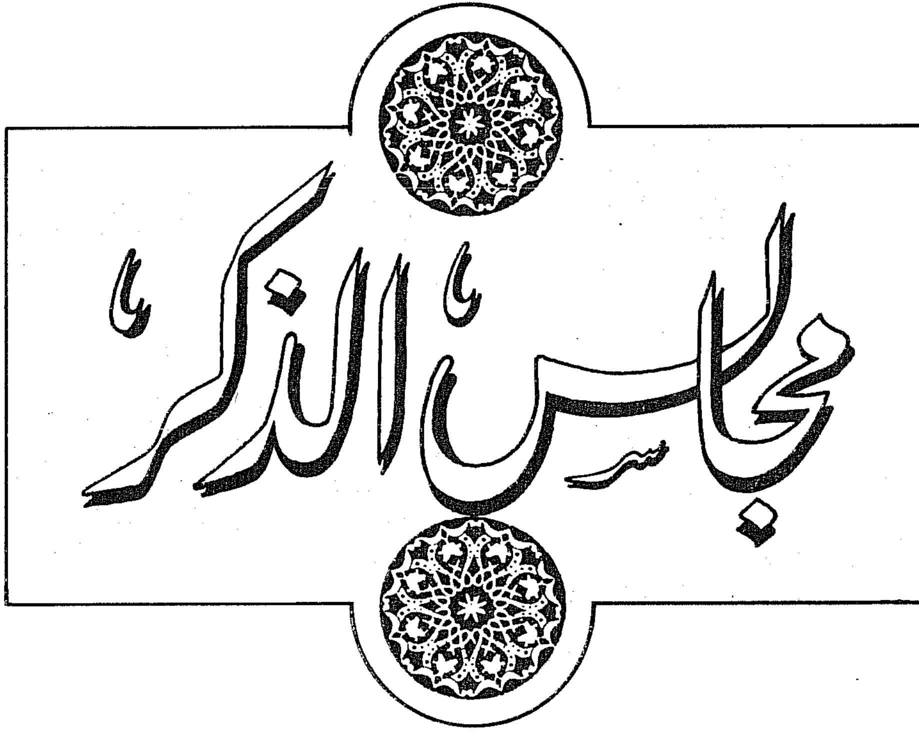
(٦) الظهار ان يقول الزوج لزوجته انت على محرمة كظهر امى .

(٧) انظر الجزء الثانى من التاج ص ١٧٦ الى آخره والجزء الثالث ص ٣ — ٦٥ .

(٨) هذا الحديث فى الجزء الثالث ص ٦١ .

(٩) الدستور القرآنى فى شئون الحياة ص ١٧٠ — ١٨١ .

(١٠) الجزء الاول من الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة ص ٢٧١ — ٢٩٨ والجزء الثانى ص ٩٠ وبعدها .



اللواء الركن : محمود شيت خطاب

- ١ -

كانا جارين ليس بين داريهما غير حائط قصير يسهل اجتيازه على الشاب والرجل ، ولكنهما كانا متناقضين فى الطباع والخلق والسيرة . أما الاول فكان يمثل النور بما فيه من صفاء وبهجة وخير ، وأما الثاني فكان يمثل الظلام بما فيه من عتمة وانقباض وشر .

وساق سلوك الاول صاحبه الى حب الناس وتقديرهم ورضا الله ، وساق سلوك الثاني صاحبه الى الموت شنقا والى كره الناس له وسخط الله عليه .

رحلا من هذه الدنيا كل بأجله الموعود ، ولكن سكان الموصل لا يذكرون الاو ل الا بالرحمات والعبرات ولا يذكرون الثانى الا باللعنات والمسبات .

وكان رحيل الجارين حين رحلا ، يوما مشهودا يذكره الموصليون حتى اليوم ، كأن رحيلهما تاريخ من التاريخ .

أما رحيل الاول ، فقد كان يوم حزن بالغ والم شديد ، شيعه المشيعون بالعبرات والزفرات ، واجتمع فى جنازته القاصي والداني، وأعلن الحداد غير الرسمي على وفاته ولا يزال ذكره الحسن يعطر المجالس.

أما رحيل الثانى ، فقد كان يوم فرح بالغ وانشراح عميم ، حضر الناس جميعا موعد شنقه ، فأخرج روحه على أصوات الزغاريد والتهاليل ولا يزال ذكره السيء على كل لسان .

ولم يقض وحده شنقا حتى الموت بل أخذ زوجته معه أيضا ، اذ شاركته مصيره المفجع شنقا حتى الموت .

كان اسم الاول الحاج خطاب أحمد ، وكان اسم الثانى عبود .

— ٢ —

تقلب الحاج خطاب بين النعمة وشظف العيش ، وبين اليسر والعسر ، ولكنه صبر على العسر وشكر على اليسر .

كان تاجرا ينقل الاغنام والابقار من الموصل الى حلب ، وقد تمتد مسيرته الى الاسكندرونة والاسكندرية ، وحين يبيع أغنامه وأبقاره يشترى بالمال اقمشة وصابونا وينقلها من أرض الشام أو مصر الى العراق .

وصادف مرة فى رحلته من الموصل الى حلب ، أن أصيبت ماشيته بوباء من تلك الامراض المعدية التى تصيب الماشية كالوباء ، فعاد من رحلته لا يملك قوت يومه .

وصادف مرة فى طريق عودته من أرض الشام الى العراق ، أن هاجمه قطاع الطرق ونهبوا أمواله وبضاعته، فعاد أدراجه وهو لا يملك شروى نقير .

ولكن مروءة الناس حينذاك ، لم تكن كمروءتهم اليوم ، فقد حدث أن الحاج خطاب كان يطوى هو وأهله فى بيته ، وهو فى عزلته يتجرع الغصص ، ولكنه كان دائبا على شكر الله . حدث أن طرق عليه بابه ، فاذا برجل من أصدقائه يقول له : خذ !

وتلمس الحاج خطاب ما أخذه ، فاذا هو صرة كبيرة من الليرات الذهبية العثمانية ، فبادر الى طرح الصرة أرضا ، ثم هرول الى القادم الذى دفع اليه المال ليلا ، ليعرف هويته ويشكر صنيعه فكان الحاج خطاب يخب ليلحق بالرجل ، وكان الرجل يخب حتى لا يعرف أحد هويته، وأخيرا لحق الحاج خطاب بصاحبه ، فاذا هو رجل من عائلة آل الجومرد عليه رحمة الله .

وعاد الحاج خطاب الى داره ، وحمل الصرة وآوى الى غرفته ، وحين استقر به المقام ، وفتح الصرة وجد فيها خمسة آلاف ليرة ذهبية عثمانية .

والذين كانوا يملكون خمس ليرات يومذاك ، كانوا يعدون من الأغنياء !!

ومضى الحاج خطاب الى السوق بهذا المال يشترى الأغنام والابقار ، ورحل بها الى سورية ، فربح ربحا وفيرا .

وعاد من سورية بالأقمشة والصابون ، فربح ربحا وفيرا .

وعاهد الله أن يشكر نعمته بتوزيع الأموال على الفقراء والمحتاجين واليتامى ، فبلغ فى ذلك شأوا بعيدا قارب به ما كان يبلغه السلف الصالح من المنفقين أموالهم فى سبيل الله .

— ٣ —

وكان عبود شابا فتزوج بامرأة سوء ، شجعته على السرقة ، وحثته على طلب المال الحرام .

سرق أول أمره بيض دجاج الجيران ، ثم سرق دجاجاتهم .

وتطورت سرقته من البيض والدجاج الى الأثاث والمتاع ، ثم الى سرقة خزائن المال .

وكان يعتمد على نفسه في أول امره ، ثم أصبح رئيسا لعصابة من اللصوص ، تقطع الطرق ، وتعتدى على الآمنين ، وتهاجم البيوت في الليل .

وفى يوم من الأيام ، خطط للسطو على دار جاره الحاج خطاب ، وكان الأمر ميسورا بالنسبة له ولعصابته ، اذ لم يكن بين دار الحاج خطاب وداره غير حائط قصير ، يجتازه هو وعصابته بسهولة حين يريدون .

وكان الحاج خطاب قد عاد من سورية بتجارته الرابحة ، وكانت أخبار أرباحه الكبيرة حديث الناس جميعا ، فقال عبود لرجاله : لا بد أن نبادر الى أخذ أموال الحاج خطاب قبل أن يبددها على الفقراء .

— ٤ —

كان يوما من أيام الشتاء القارص وكان القمر فى المحاق ، فلما انتصف الليل ، اجتاز عبود وعصابته الحائط بين داره ودار الحاج خطاب ، فحلوا فى سطح المنزل ، وأخذوا يترقبون الفرصة السانحة للنزول من السطح الى داخل الدار .

وانتظر عبود خروج الذاكرين ، ولكنهم لم يخرجوا حتى أذن المؤذن بالذاكرين الله ، وهم يرددون كلمات الذكر بخشوع .

وانتظر عبود خروج الذاكرين ، ولكنهم لم يخرجوا حتى أذن المؤذن لصلاة الفجر .

وعاد عبود ورجاله من حيث أتوا ، وازمعوا أن يعودوا الكرة فى اليوم التالى .

وعادوا مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة وسابعة ، وهم يجدون مجلس الذكر حافلا ، وكان عدد الذاكرين يزداد كل يوم .

واخيرا قررت العصابة ألا تعود الى دار الحاج خطاب ، لأن مجلس الذكر يمنعهم من تحقيق مآربهم .

وبعد شهر حل موسم الربيع ، وجاء مع الربيع الخير والبركة .

وتقدم رعاة أغنام الحاج خطاب بالسمن واللبن ، فوزع شطرا منه على الجيران ، وكان لعبود من هذا الخير نصيب .

وجاء عبود شاكرا للحاج خطاب هديته ، وفى أثناء الحديث ، قال عبود : يا حاج خطاب ! اتعقد فى بيتك كل يوم مجلسا للذكر ؟

وقال الحاج خطاب : لم أعقد فى بيتى مجلسا للذكر منذ سنين .

وقال عبود : ولكننى رأيت بعينى هذه المجالس تعقد كل يوم .

وقال الحاج خطاب : سبحان الله ! هل رأيت تلك المجالس بعينك ؟

وقال عبود : الآن حصحص الحق .. ثم حدثه بمحاولته سرقة داره ، وما رآه بعينه .

وقال الحاج خطاب : الحمد لله .. (ان الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور) .

ومضى عبود على وجهه كمن أصابته لوثة يردد : أنا رأيت مجالس الذكر بعينى ؟ كيف !! وقال لأصحابه : لقد رأينا مجالس الذكر ، والحاج خطاب تقى يكتم تقواه .

واجتاحت البلاد العربية موجة الغلاء الفاحش فى السنوات الاخيرة

من سني الحرب العالميـــة الاولـــى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) .

واصبحـت الحنطة مفقـــودة ، واصبح سعر الوزنة (ما يسوى ١٣ كيلوغراما تقريبا) بثـــلاث ليـــرات ذهبية .

وجاع عبود وجاعت زوجته ، فقد بدد المال الحرام الذي ربحه مـــن السرقات والميسر والخمر وما يتبـــع الميسر والخمر .

وشجعته زوجتـــه على خطـــف الاطفال وذبحهم ، فخطف العديد منهم وذبحهم وأكل لحمهم .

وكشف أمره بعد حين ، فحوكـــم وحكم عليه وعلى زوجته بالشنق حتى الموت .

واذاعت الحكومة القائمة حينذاك نص الحكم على عبود وزوجته وموعد تنفيذه ومكان التنفيذ .

وجاء الناس من كل فج عميـــق ، ليشهدوا موت المجرم السفاح ، وهم في فرح غامر وسرور عظيم . .

وقيل لعبود قبل تنفيذ حكم الاعدام عليه : ما هي آخر رغباتك في الحياة لنحققها لك ؟

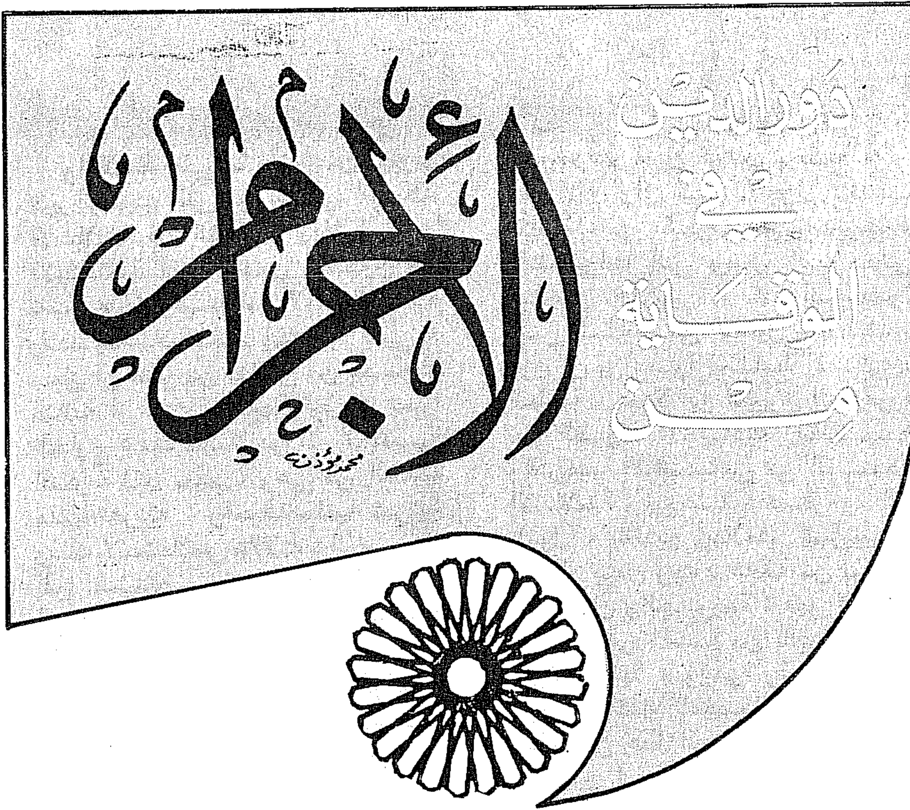
قال : أن اقبل لسان زوجتي .

وأمام مشهد من الناس اخرجـــت زوجته لسانها ليقبله عبود ، فأخـــذ اللســان بفمه وقضمه بأسنانـــه حتى قطعه بين صراخ الزوجة وصخـــب الجماهير .

وقال عبود : قطعت لسانها قبـــل موتي وموتها ، لأنه سبب نكبتي ، لقد حثتني على الجرائـــم الصغيـــرة ، وشجعتني على الجرائم الكبيرة ، حتى أصبحت مجرما خطيرا .

واذا كانت حياتي كلها شرا ، فان قطع لسان زوجتي على مشهد مـــن الناس فيه عبرة ، لعل فيهـــا بعض الخير .

وبعد لحظات كان عبود وزوجتـــه في عداد الاموات ، وكانا يتمرجحان على حبال المشنقة عبرة لمن يعتبر .



للدكتور احمد على المجدوب

بالرغم من أن النتائج المتماثلة للبحوث العديدة التى أجريت فى الخارج سواء على الظاهرة الاجرامية بصفة عامة ، أو على نوع معين من الجرائم،تقول إنه ليست هناك علاقة بالمرة بين الجريمة والدين باعتباره عاملا مانعا ، أو على الاقل مخففا من شدة الميل الى الجريمة ، وهو ما حرص كل العلماء والباحثين فى مجال الجريمة على ابرازه والتركيز عليه ، الى الحد الذى جعلهم يستبعدون الدين من بين العوامل التى يمكن الاستعانة بها لمواجهة الظاهرة الاجرامية ، وتجريده من تلك الاهمية التى أضفوها على غيره من الوسائل والاساليب التى اقترحوها ، سواء للوقاية أو للعلاج من الاجرام ، فان قبول هذه النتائج على علاتها والترويج لها فيما ينشر من كتب عن الجريمة فى بلادنا ينطوى على خطورة كبيرة ، فضلا عما فيه من خطأ منهجى واضح ، لأن التشابه الظاهرى بين المشاكل لا يعنى وجود تشابه مماثل بين الأسباب التى أدت اليها أو العوامل التى ترتبت عليها ، وبالتالى تشابه وسائل مواجهتها وأساليب علاجها ، مثال ذلك ظاهرة العلاقات الجنسية المثلية أو الشذوذ الجنسى فهى موجودة فى دولة متقدمة جدا كبريطانيا حيث تسود قيم وأنماط من العلاقات تختلف كل الاختلاف عما هو سائد فى بعض الدول حيث توجد نفس الظاهرة ، وبالتالى فانه لا يمكن القول بأن الاسباب فى كلتا الحالتين واحدة وان العلاج واحد كذلك .

والملاحظ على ما ينشر من تقارير عن البحوث التى أجريت فى البلاد الاسلامية عن الظواهر والمشكلات الاجتماعية ان الباحثين يعتمدون فى تفسيرهم للبيانات الاحصائية ولحصيلة ملاحظاتهم الميدانية على ما سبق أن نشر من تقارير عن بحوث مماثلة أو حتى مشابهة أجريت فى الخارج ، فضلا عن اثر الخلفية الفكرية لكل منهم ، وهى فى الغالب خلفية غربية ، وأحيانا خلفية شرقية وذلك لاستخلاص دلالات والوصول الى استنتاجات لا يراعون فى استخلاصها والوصول اليها ، لا الفروق الثانوية فحسب بل ولا الفروق الاساسية أيضا بين الواقع الاجتماعى فى البلاد الاسلامية والواقع الاجتماعى فى الدول الغربية ولذلك تأتى تحليلاتهم غير صحيحة رغم مظهرها المنطقى .

ولو انهم وضعوا حدا للثقة المبالغ فيها فيما يقرأونه من كتب الغرب وبحوثه ، والتى لا يفرقون فيها بين الغث والثمين من الاعمال والدراسات لوصلوا الى نتائج أفضل بكثير مما يصلون اليه عادة ، نظرا لأن الشك ، وهو أمر له مبرراته العديدة فى مجال العلم ، سيجعلهم أكثر اصرارا على معرفة الحقيقة ، وأشد رغبة فى استجلاء الأمر ، فلا يكتفون بالتحليلات السريعة والتفسيرات المتعجلة استنادا الى الاعتقاد الخاطىء بأن — التشابه بين المشكلات يعنى التشابه بين العوامل والاسباب وأيضا بين وسائل العلاج وأساليب المواجهة .

وهذا الحكم ينطبق الى حد كبير على تحليلات الباحثين المسلمين للعلاقة بين الدين والجريمة ، وتفسيرهم للدين كعامل مانع ، أو على الأقل واق من الاجرام ، فقد اكتفوا ، فى البحوث التى أجروها ، بالتفسيرات التى وصل اليها بعض الباحثين الغربيين ، كما استخدموا نفس أساليبهم فى التحليل والوصف ، دون أن يراعوا أبسط المبادىء العلمية ، فضلا عن الفروق الجوهرية بين الظروف الاجتماعية المختلفة والتركيب الاجتماعى فى البلاد الاسلامية وغيرها ، فسارعوا الى القول ، مقلدين زملاءهم الغربيين ، بأنه لم يتبين وجود علاقة من نوع ما بين الدين والجريمة ، فهو لا يلعب أى دور فى المنع من الجريمة أو الوقاية منها ، وأيدوا رأيهم هذا بما ورد فى كتب العلماء الغربيين من نتائج فى هذا الصدد ، ناسين أو متناسين أن الدين الذى عناه هؤلاء العلماء ليس هو نفس الدين الذى تدور حوله بحوثهم .

فالملاحظ أن الباحثين العرب والمسلمين ينقسمون ازاء الدين الى فريقين أحدهما ينسى فى ترديده لآراء علماء الغرب فى الدين الاختلافات الاساسية بين الاسلام وغيره فى غمرة انبهاره بهذه الآراء من ناحية ، ولجهله التام أو المحدود بالشريعة الاسلامية من ناحية أخرى ، مما يجعله عاجزا عن ادراك ما بينها وبين غيرها من اختلافات رئيسية وفروق أساسية .

فى حين أن الفريق الثانى يتناسى عن عمد الاختلافات التى بين الدين الاسلامى وغيره من الأديان ، ويصر على تعميم الاحكام التى وصل اليها علماء الغرب والشرق على السواء بشأن الدين ويمدها الى الدين الاسلامى بالرغم من أن هذا التعميم

يتعارض بشكل صارخ مع المبادىء العلمية الاساسية . ولكنه التقليد الأعمى للغرب ، والمحاكاة البلهاء لكل ما يصدر عنه ، الصادرين عن الجهل حينا وعن الانتهازية والنفاق والوصولية غالبا .

لذلك يكتفي الباحثون لدينا بالبيانات البسيطة عن الظاهرة دون أن يتتبعوها في علاقتها بغيرها من العوامل والظواهر الأخرى ، فلا يستخدموا ما يسمى بالجداول المركبة واذا استخدموها فبالنسبة للعلاقة بين الجريمة والدين فقط دون العلاقة الأوسع التي تشمل الجنس والسن والتعليم وغيرها مما يتفاعل بشكل ملحوظ مع الدين ، وهو قصور معيب ينبغي تداركه والعدول عنه ، فالمعروف أن فهم الدين واستيعاب أحكامه والالتزام بمبادئه وقيمه يختلف باختلاف الجنس والسن والتعليم ، مما يستوجب وضع جداول ارتباط تشمل هذه الامور جميعا حتى يمكن الوصول الى تحديد للعلاقة بين الدين والجريمة ، فضلا عن ملاحظة الفروق بين الدين الاسلامي وغيره ، وأهمها بلا جدال أن الاسلام ليس مجرد مبادىءأخلاقية وتعاليم دينية وعبادات فحسب ، بل هو شريعة كاملة تتناول كافة صور العلاقات الانسانية والاجتماعية سواء بين الافراد وبعضهم بعضا أو بينهم وبين الجماعة فضلا عن اهتمام الاسلام بالانسان أولا وقبل أي شيء آخر فسعى الى أن يوفر له انسانيته ويضمن له كينونته ازاء الجماعة ، فجعل اهتمامه موجها في المكان الاول الى جعله اجتماعيا يعرف ماله وما عليه وذلك بتنمية الاحساس بالمسؤولية لديه نحو الجماعة وتجريده بقدر الامكان من أنانيته وحبه لذاته واحلال الاحساس الغيرية لديه والرغبة في التضحية وانكار الذات دون قهر أو اكراه ، وانما بالاقتناع والفهم والرغبة الصادقة . وقد سبق جهد الاسلام في هذا المجال جهده في مجال العقاب ، فهو يربي الفرد ويجعله انسانا ثم بعد ذلك يفرض عقوبات رادعة على من يخرج على ما وضعه من ضوابط وما فرضه من حدود قصد بها حماية الجماعة وتوفير الأمن والطمأنينة لأفرادها حتى لا تستحيل الحياة الى غابة يسودها منطق القوة الغاشمة ويستشري فيها الفساد والانحلال والظلم والبغي .

لذلك فان الاسلام عكس غيره من الأديان لم يتضمن تحديدا للجرائم فحسب ، بل تضمن أيضا المبادىء الاساسية في اجراءات التحري والتحقيق والمحاكمة ، مما يمكن معه القول أن مد الحكم الذي أصدره علماء الغرب على الدين الى الدين الاسلامي يعد عملا تعسفيا يفتقر الى التبصر والحكمة ، بل يمكن القول بأنه لا يصدر عن اعتبارات علمية بالمرة .

والملاحظ أن دراسة العلاقة بين الدين والجريمة في المجتمعات الاسلامية أسهل من دراستها في غيره من المجتمعات ، لا لشيء الا لوضوح التأثيرات التي يزاولها الدين الاسلامي في المجتمعات التي تدين بالاسلام ، إما بصفة عامة وفي كافة الظروف ، كما في المجتمعات التي تطبق الشريعة الاسلامية وأحكامها ، أو بصفة خاصة وفي ظروف معينة ، كما في المناسبات التي تسود فيها روح الاسلام مثل شهر رمضان .

وهناك تأثيران أساسيان واضحان يزاولهما الاسلام ، وتبدو علاقته فيهما بالجريمة أوضح ما تكون سواء في الجانب السلبي أو في جانبها الايجابي .

ومصدر التأثير الاول ، الاسلام كدين يدعو الى الفضائل وينفر من الرذائل ، ويحض على فعل الخير ونبذ الشر ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويربط الانسان بهذه القيم ربطا دائما بما يمارسه عليه من تأثير يستمر خلال اليوم فضلا عن العام ، ويتمثل فى الصلوات الخمس ثم الزكاة والصوم والحج ، وقراءة القرآن وسماعه وهى لا تكاد تنقطع طول اليوم بما تتضمنه من تذكير دائم بمبادىء الدين وأحكامه وضوابطه وأوامره ونواهيه وهو امر لا يشبهه فيه مجتمع آخر المجتمع الاسلامى ، مما يجعل من السهل قياس ورصد اثر الدين فى سلوك الأفراد وعلاقاتهم وبالتالى تحديد العلاقة بين الدين والجريمة . أما مصدر التأثير الثانى فهو العقوبات الرادعة التى قررتها الشريعة الاسلامية لمن يخرج على أحكامها ولا يراعى ضوابطها ومبادئها وهو خروج ينم عن فساد جدير بالمواجهة الحازمة وانحراف قمين بالردع لما يؤدى اليه من اضرار تصيب الجماعة والافراد وما ينطوى عليه من اخطار تهدد أمنها وتنال من سلامتها وتتهدد العلاقات المستقرة بين أفرادها .

ويمكن استخدام المنهج الاحصائى فى دراسة العلاقة بين الدين الاسلامى والظاهرة الاجرامية فى المجتمعات الاسلامية بهدف التحقق من صحة الفرض القائل بأن للدين اثرا مانعا من الانحراف والاجرام ، وذلك بطريقتين : الاولى يتم فيها اجراء حصر شامل لكل ما وقع من جرائم فى دولة تطبق الشريعة الاسلامية لمدة خمس سنوات على الأقل ، ثم تفرغ البيانات الرقمية فى جداول بحسب تصنيف للجرائم يتم وضعه على غرار اكثر التصنيفات العلمية شيوعا حتى يسهل اجراء المقارنة بين هذه البيانات ومثيلتها فى دولة أو عدة دول لا تطبق الشريعة الاسلامية رغم أنها دول يدين أغلب رعاياها بالاسلام ، فالعامل المتغير الوحيد بين الدول التى تجرى المقارنة بينها هو تطبيق الشريعة الاسلامية ، بينما تثبت العوامل الاخرى . وذلك لمعرفة أثر هذا العامل فى المشكلة وهل هو سلبى أم ايجابى .

كذلك يمكن بواسطة نسبة اجمالى الجرائم التى ارتكبت الى اجمالى عدد السكان ، معرفة ما يسمى بالمعدل وهو نسبة مرتكبى الجرائم الى كل مائة الف من السكان .

أما الطريقة الثانية ويستخدم فيها المنهج الاحصائى أيضا ، فيقصد بها التحقق من صحة الفرض نفسه بادخال العامل المتغير اى الدين ، خلال فترة معينة من السنة مع تثبيت العوامل الأخرى وهذه الدراسة تجرى على نفس المجتمع ولكن خلال فترتين زمنيتين مختلفتين احداهما يظهر فيها أثر الدين ، مثال ذلك شهر رمضان ، والثانية لا يظهر فيها هذا الأثر كبقية شهور السنة ثم يتم حصر الجرائم التى وقعت فى الفترتين واجراء المقارنة بينها لمعرفة اتجاهها خلال الفترة التى كانت المشاعر الدينية فيها لدى الناس فى حالة نشاط وهل كان هذا الاتجاه نحو الارتفاع أم نحو الانخفاض أم أنه لم يختلف عن الاتجاه العام طول العام .

كذلك يمكن تحديد معدل الجريمة خلال شهر رمضان ومقارنته بالمعدل فى الشهور الأخرى لمعرفة ما اذا كان قد طرأ عليه تغيير من نوع ما أم لا .

ولقد حاولت اجراء مثل هذه الدراسة وخاصة ما يتعلق منها

بالمقارنة بين البيانات الاحصائية الخاصة بالجرائم التى ارتكبت فى بلدين اسلاميين أحدهما يطبق الشريعة الاسلامية والآخر لا يطبقها ولكن للأسف الشديد اعترضت المحاولة عدة عقبات ، يمكن التغلب عليها اذا رغب المسئولون فى الدول الاسلامية وخاصة التى تطبق الشريعة الاسلامية فى تقديم التسهيلات اللازمة لاجراء هذه الدراسة وتذليل الصعوبات التى تحول دون المضى فيها . وأهمها جميعا تقديم البيانات الاحصائية الخاصة بالجرائم التى ارتكبت فيها خلال فترة زمنية معينة أو تمكين المسئولين عن الدراسة من اجراء حصر لما يقع من جرائم . ومما لا شك فيه أن وجود ادارة احصائية تختص بتسجيل ما يقع من جرائم أصبح من المرافق الاساسية فى وزارات الداخلية والعدل وغيرهما مما يتصل نشاطه بالظاهرة الاجرامية ، فضلا عن المؤسسات العقابية التى تستعين بالاجهزة الاحصائية والبيانات الاحصائية فى العديد من العمليات كالتفريد العقابى والتصنيف وغيرها .

الا انه لوحظ أن الكثير من الدول الاسلامية قد استجلبت أحدث الاجهزة فى شتى المجالات ونسيت أن تستجلب الاجهزة الاحصائية رغم فوائدها العديدة ، وهناك بعض الدول التى استجلبت هذه الاجهزة ولكنها لم تستخدمها الاستخدام المفيد والنافع واكتفت بالنشر عنها فى الصحف والمجلات فى المناسبات التى ينشط فيها الحديث عن العصرية والتقدم والأخذ بالاساليب العلمية .

وهناك بعض الصعوبات الناشئة عن اختلاف الظروف السائدة فى الدول الاسلامية وأهمها الاختلاف المعروف بين السنين الشمسية والسنين القمرية والذى يترتب عليه عدم التطابق بين الشهور الهجرية والشهور الميلادية والسريانية مما يجعل المقابلة بين الشهور صعبا ولكنه ليس مستحيلا طالما أنه يمكن تحديد ما يقابل شهر رمضان من الشهور الميلادية أو السريانية فى كل عام .

وربما يأخذنا الحماس فنسارع الى اصدار حكم تعسفى بأن الدين الاسلامى له تأثير مانع من الجريمة يبدو بوضوح فيما نلاحظه من اختلاف شديد بين معدلات الجريمة فى الدول الاسلامية والدول الاوروبية مثلا حيث ترد الينا الانباء كل يوم بالمزيد والجديد بل والغريب من الجرائم كالقتل الجماعى والشذوذ الجنسى والسطو والاغتصاب وجرائم العنف بصفة عامة ، مما جعل الجرائم تزيد فى كل عام بنسبة ١٠٪ عما كانت عليه فى العام السابق ولكن مثل هذا الحماس ضار أكثر مما هو نافع نظرا لما هو معروف من وجود مؤثرات أخرى غير الدين يمكن أن تخفض معدل الجريمة كالتخلف مثلا ، فالمعروف أن الجريمة تتجه اتجاها طرديا مع التحضر ، بمعنى أنه كلما زاد التحضر زادت الجريمة ومن ثم فان انخفاض نسبة الجرائم أو ضعف معدلها لا يعنى أن الدين هو السبب .

كذلك قد تتدخل عوامل جانبية تؤدى الى خفض معدلات الجريمة خفضا ظاهريا فقط مثال ذلك ضعف الشرطة وهبوط مستوى رجال الأمن الذى يؤدى الى عدم الكشف عن الجرائم وضبط مرتكبيها فتظهر الاحصاءات غير متضمنة كل ما وقع من الجرائم وتدخل نسبة كبيرة من الجرائم فى دائرة الظل أو ما يسمى بالارقام السوداء أو المظلمة

وهى مشكلة تعانى منها كل الدول بصور متفاوتة فى خطورتها مما جعل المختصين يعقدون المؤتمرات وينظمون الندوات من أجل دراستها والتعرف على أسبابها والعوامل الكامنة وراءها .

لم يبق اذن متاحا سوى اللجوء الى الطريقة الثانية وهى الدراسة الاحصائية للبيانات الرقمية للجرائم التى ارتكبت فى فترتين مختلفتين من حيث ظهور أثر الدين فى احداهما وعدم ظهوره فى الأخرى وبمعنى أصح اجراء مقارنة بين الجرائم التى ارتكبت فى شهر رمضان والجرائم التى ارتكبت فى غيره من الشهور على مدار السنة وذلك خلال عدد من السنين حتى نتمكن من متابعة أثر العامل المتغير وهو الدين خلال فترة طويلة نسبيا واستبعاد أثر أى عامل من العوامل غير المتوقعة التى قد تطرأ فى عام دون آخر ، كالحرب مثلا حيث تبين حدوث انخفاض كبير وواضح فى نسبة الجرائم التى ارتكبت فى شهر رمضان ١٣٩٣ أثناء حرب أكتوبر سنة ١٩٧٤ مقارنة مع ما سبق ارتكابه من جرائم فى شهر رمضان من الاعوام السابقة ، مما يدل على أن الحرب كان لها تأثير لا شك فيه فى هذا الانخفاض غير العادى ، بعكس ما هو معروف عن أثر الحروب فى ارتفاع معدلات الجريمة فى دول العالم ، مما يمكن رده مرة أخرى الى الدين الذى تفاعل تأثيره المكثف خلال شهر رمضان مع تأثير الحرب التى بعثت فى ذاكرة المسلمين ذكريات تلك الحروب المقدسة التى خاضوها دفاعا عن دينهم وعقيدتهم وذودا عن كرامة الانسان المهدرة فى كل مكان وشرفه المهان أينما كان .

وقد أجريت الدراسة على الخمس سنوات الواقعة بين سنتى ١٩٦٨ و ١٩٧٢ الموافقتين لسنتى ١٣٨٨ و ١٣٩٢ هجرية وبطبيعة الحال ، فانه نظرا لاستخدام مصر للتقويم الميلادى فان الاحصاءات الجنائية تصدر بحسب الشهور الميلادية التى لا تتطابق حتما مع الشهور الهجرية ، مما يجعل شهر رمضان يقابل ثلاثين يوما يقع بعضها فى شهر ميلادى وبعضها الآخر فى شهر آخر ، مثال ذلك شهر رمضان ١٣٨٩ هجرية فثلثاه يقعان فى شهر نوفمبر والثلث الأخير يقع فى شهر ديسمبر سنة ١٩٦٩ مما يسبب صعوبة عند محاولة تحديد عدد الجرائم التى ارتكبت فى شهر رمضان فهى تستخلص مما ورد بالتقارير الاحصائية منسوبا الى الشهور الميلادية ، وفى هذا المثال الذى ذكرناه حالا فان تحديد الجرائم التى ارتكبت فى شهر رمضان سنة ١٣٨٩ يتم بضم ثلثى الجرائم التى ارتكبت فى نوفمبر الى ثلث الجرائم التى ارتكبت فى ديسمبر بكل ما ينطوى عليه ذلك من مخاطر ناشئة عن ان الجرائم ليست عملا منتظما وثابتا يقع على مدار أيام الشهر بنسبة ثابتة ومتساوية بحيث يتساوى ما يقع فى كل اسبوع من أسابيع الشهر مع ما يقع فى غيره ، وانما تتدخل عوامل واعتبارات عديدة تجعل ذلك التساوى متعذرا ان لم يكن مستحيلا مما يجعلنا ننصح فى حالة اجراء دراسة واسعة أن يتم حصر الجرائم بحسب الشهور الهجرية وليس الميلادية تلافيا للصعوبة المشار اليها وهى تتعلق باجمالى الجرائم ، وهناك صعوبة أخرى تتعلق بتصنيف الجرائم فهناك أنواع من الجرائم ينخفض عدد ما يقع منها فى شهر رمضان بينما

يرتفع عدد ما يقع من انواع اخرى بحسب ما ينطوى عليه هذا النوع او ذلك من تعارض مع الصيام بصفة خاصة ومع الدين بصفة عامة ، ومن ثم فان تحديد نسبة ما وقع من هذه الانواع فى الجزء من الشهر الميلادى المقابل لشهر رمضان يلقى صعوبة واضحة وفضلا عن ذلك فان التعرف على اثر الدين فى المنع من الجريمة لا يمكن أن يتم باليقين المطلوب نظرا لاستحالة الفصل بين العوامل المختلفة سواء التى تؤدى الى الاجرام أو التى تمنع منه فهى متداخلة متفاعلة لا تعمل بمعزل عن بعضها بعضا .

ومع ذلك وبالرغم من هذه المحاذير ومن غيرها مما تضيق عنه هذه الدراسة المبسطة ، فاننا قد مضينا فى محاولتنا تقصى أثر الدين فى المنع من الاجرام أو الحد منه فتبين من التحليل الاحصائى للبيانات الخاصة بالجريمة ومع الأخذ بعين الاعتبار العوامل الأخرى التى تلعب دورا سلبيا أو دورا ايجابيا أن الدين يلعب دورا واضحا بالنسبة لبعض الجرائم كالجرائم الجنسية أو جرائم الآداب ، مثل الاغتصاب وهتك العرض والفعل الفاضح العلنى والتحريض على الفسق ، وكذلك جرائم القذف والسب كما تنخفض بنسبة أقل جرائم السرقة والقتل ، فى حين لا تنخفض جرائم الضرب والجرح بل قد تزيد وخاصة المشاجرات البسيطة المعدودة من الجنح وجرائم التزييف والحريق العمد وتعاطى المخدرات والاتجار فيها .

والملاحظ أن الجرائم التى تنخفض نسبة ما يقع منها ، تتعارض بشكل واضح مع الدين ، بل أن أغلبها مما يدخل فى الحدود المنصوص عليها مباشرة فى الشريعة كالزنا والجرائم الجنسية بصفة عامة والسرقة والقتل والقذف والسب .

اما الجرائم التى لا تنخفض نسبتها وكذلك التى تزيد فانها من وجهة نظر عامة الناس لا تتعارض بشكل مباشر مع الدين ولا مع الصيام وخاصة التزييف وتعاطى المخدرات والاتجار فيها التى يرون انها ليست محرمة بعكس الخمر التى حرمها الله ومع ذلك يبيحها ولاة الأمر .

اما المشاجرات البسيطة فبالرغم من تعارضها مع الدين الذى نهى عن العدوان بكل درجاته الا انها تجد ما يبررها عند الجهل فى حالة الصائم العصبية والضيق الذى ينتابه نتيجة الجوع .

وبصفة عامة فان اجمالى الجرائم التى ترتكب فى شهر رمضان يقل كثيرا عن اجمالى ما يقع منها فى غيره من الشهور ، كذلك فان نسبة ما يقع فى شهر رمضان الى إجمالى ما يقع فى العام كله من جرائم يقل بشكل ملحوظ عن نسبة ما يقع فى غيره من الشهور مما يدل على أن الدين يلعب دورا هاما فى المنع من الجريمة والوقاية من الاجرام بعكس ما وصل اليه علماء الغرب بالنسبة لغيره من الأديان حيث بينت لهم بحوثهم انها لا تلعب مثل هذا الدور .

وهكذا يمكننا أن نستفيد من الدين فى مكافحة الجريمة ومنعها باعتباره عاملا هاما بل أهم العوامل بلا جدال على شريطة أن يكون توظيفه لهذه الغاية مدروسا بشكل جيد وجاد حتى لا ينقلب الوضع ونسىء اليه بدلا من أن نحسن الى انفسنا به ، فلا تزال نفوس الناس فى البلاد الاسلامية تنطوى على الكثير من الخير والحب والايمان العميق .

مائدة القارئ

بسم الله الرحمن الرحيم

((إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من الف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر)) .

(صدق الله العظيم)

قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله انى ان علمت ليلة القدر فبماذا أدعو فيها ، فقال : قولى : (اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى) .

الصوم فى الحر

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى على رأس سرية فى البحر فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع فى ليلة مظلمة اذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه ؟ فقال أبو موسى : أخبرنا ان كنت مخبرا . قال : ان الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له فى يوم حار سقاه الله يوم العطش ، وكان حقا على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة .

خير زاد

خطب ابو ذر عند الكعبة قائلا :

أليس اذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ، فقالوا : نعم ، فقال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون ، فقالوا : دلنا على زاده ، فقال : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور .

ضيف الله

دعا الحجاج اعرابيا لياكل معه ، فقال الأعرابى : دعانى من هو خير منك فلبيته ، فقال الحجاج : من هو ؟ قال الأعرابى : ربى دعانى للصوم فصمت . فقال : كل اليوم وصم غدا . فقال الأعرابى : اتضمن لى الحياة لغد ؟ فقال الحجاج : لا . فقال : كيف أبيع حاضرا بآجل . فقال الحجاج : انه طعام لذيذ طيب . فقال : والله ما طيبته أنت ولا طيبه طاهيك ، وانما طيبته العافية ، فقال الحجاج : صدقت ولكن اليوم شديد الحر ، فقال ، وأنا صمت ليوم اشد منه حرا ، فقال الحجاج : ان فطرك اليوم خير ، فقال الأعرابى : (وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون) . فقال الحجاج : هديت يا رجل فانصرف راشدا .

السلف الصالح فى رمضان

١ – كان عبد الله بن عمر يصوم ولا يفطر الا مع المساكين ، فاذا لم يجد أو منعه أهله عنهم لم يتعشى تلك الليلة .

٢ – جاء سائل الى الإمام احمد وكان صائما فدفع اليه رغيفين كان قد أعدهما لفطره ، ثم طوى واصبح صائما .

٣ – كان ابو حنيفة يختم فى رمضان ستين ختمة : ختمة بالليل واخرى بالنهار وكان اذا دخل رمضان تفرغ لقراءة القرآن ، فاذا دخل العشر الأواخر فقلما يستطيع احد أن يكلمه .

للدكتور محمد عبد الرءوف

لا زلنا بصدد الكلام عن المرحلة الثانية من مراحل قيد الحديث وكتابته تلك المرحلة التى سميناها « مرحلة المصنف أو التصنيف » ، أى جمع الأحاديث والآثار فى كتاب مرتبة على حسب ترتيب أبواب الفقه ، وقد درسنا نموذجين من المصنفات فى المقالين السابقين من هذه السلسلة وهما « مجموع الامام زيد » و « موطأ الامام مالك » ، ونتحدث فى هذا المقال عن نموذج ثالث كان من ثمرات هذه المرحلة ، وهو : « المصنف » للامام عبد الرزاق ، وبه ينتهى الحديث عن مرحلة المصنفات ان شاء الله .

وكتاب « المصنف » الذى نحن بصدد الحديث عنه موسوعة حديثية جليلة ، تحتوى على اكثر من واحد وعشرين الفا من الأحاديث والآثار والعجيب أنه على الرغم من أن الكتاب ثروة فقهية وتاريخية رائعة وأنه مصدر حديثى رائد مبكر ، وبالرغم من جلال المؤلف الامام وعلو قدمه ، فان « المصنف » لم يحظ بنصيب يذكر من العناية والدراسة من جانب الاجيال الماضية اذا قورن بما لقى كتاب « الموطأ » ، وما قدر للمجاميع التى دونها بعد من درس على يد صاحب المصنف وحفظ عليه وروى عنه من أمثال الامام احمد وصاحبى الصحيحين رضى الله عن الجميع ، بل قد ظلت مخطوطات « المصنف » مدفونة فى خزائن الكتب حتى أذن الله تعالى

للإمام عبد الرزاق الصنعاني

ببعث الكتاب فى السنوات الأخيرة على يد المجلس العلمى الذى نشره عن طريق دار القلم ببيروت فى أحد عشر مجلدا كبيرا ، ظهر أولها عام ١٣٩٠ هـ ، وتم طبع آخرها فى شهر رمضان المعظم عام ١٣٩٢ هـ ، وذلك بتحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمى الذى أبلى بلاء حسنا وبذل جهدا مشكورا فى تحرير الكتاب وضبطه وتخريج أحاديثه والتعليق عليها وترقيمها ، جزى الله الجميع خير الجزاء .

ولقد سبق أن التقينا بالامام عبد الرزاق صاحب هذا « المصنف » ، وذلك أثناء مناقشتنا اسناد « صحيفة همام بن منبه » ، فقد رواها عبد الرزاق عن شيخه « معمر بن راشد » عن همام بن منبه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، واسم مؤلفنا كاملا هو : عبد الرزاق بن همام ابن نافع الحميدى الصنعانى ، ولد باليمن عام ١٢٦ هـ وتوفى فى شوال عام ٢١١ باليمن عن خمسة وثمانين عاما (١) ، وقد كف بصره قبل وفاته ،

---

(١) « وفيات الاعيان لابن خلكان » بتحقيق المرحوم الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، الجزء الثانى ص ٣٧١ ، و « هدى العارفين » لاسماعيل باشا البغدادى (١٩٥١) الجزء الاول ص ٥٦٦ .

وتسميته « الصنعاني » نسبة الى صنعاء بقلب الهمزة نونا على غير قياس كما نسبوا الى بهراء ، فقالوا بهراني .

وكان الامام عبد الرزاق من ذوى الورع والتقوى ، ومن حكمه قوله : « من يصحب الزمان يرى الهوان » ، وقد سمع وهو ينشد :

فذاك زمان لعبنا به

وهذا زمان بنا يلعب (٢)

ومن مؤلفات الامام عددا كتاب « المصنف » : « تزكية الارواح عن مواقع الفلاح » و « تفسير القرآن » و « السنة فى الفقه » و « كتاب المغازى » (٣) .

بدأ عبد الرزاق يدرس الحديث ويحفظه عندما بلغ العشرين من عمره فلزم معمر بن راشد لسبع سنوات وذكر أنه كتب عنه عشرة آلاف من الأحاديث (٤) ، وكان معمر من علماء البصرة ثم رحل عنها الى اليمن ، وكان من المبكرين فى جمع الأحاديث مصنفة مبوبة حتى قيل ان مصنفه « الجامع » كان أول المصنفات ، ولما رحل عبد الرزاق الى الشام ثم بلد الله الحرام بقصد التجارة وأداء الفريضة وطلب العلم التقى بعلماء البلاد التى حل بها ودرس على يدهم وحفظ الكثير عنهم من أمثال الأوزاعى والثورى وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الذى كان من الرائدين فى كتابة المصنفات واسم مصنفه « كتاب السنن » ، ويقال أيضا إنه أول ما دون من المصنفات المبوبة (٥) ، وبعد أن حفظ عبد الرزاق واستوعب ما قدر له بدأ يروى ويعلم ويجمع ويدون ، وملأت سمعته الآفاق ، فهرع الى حلقة درسه طلاب نضجوا وبورك فيهم ونفع الله بهم من أمثال الامام ابن حنبل ويحيى بن سعيد والبخارى وغيرهم ، حتى قيل فى شأنه : « ما رحل الناس الى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رحلوا اليه (٦) . .

ويبدو أن الامام عبد الرزاق دون كتابه « المصنف » فى النصف الأخير من القرن الثانى للهجرة ، فقد سمعنا أن المؤلف بدأ يدرس الحديث وعمره عشرون سنة ، أى عام ١٤٦ هـ حيث

---

(٢) « وفيات الاعيان » .

(٣) « هدى العارفين » و « تذكرة الحفاظ » الجزء الاول ص ٣٣١ .

(٤) « ميزان الاعتدال » للحافظ الذهبى ، جزء ٤ ، ص ١٥٤ .

(٥) قيل ان ابن جريج كان أول من صنف الحديث ، وقيل بل كان معمر بن راشد وقيل الربيع ابن صبيح وقيل بل كان سعيد بن عروبة ، والواقع ان هؤلاء المحدثين ومن نسب اليه هذا الشرف من غيرهم كانوا متعاصرين ولا يدرى تماما أيهم سبق الاخر ، فقد توفى ابن جريج عام ١٥٠ هـ ، ومعمر عام ١٥٣ هـ والربيع عام ١٦٠ هـ ، وسعيد عام ١٩٧ هـ .

(٦) « وفيات الاعيان » .

كان قد ولد في ١٢٦ هـ ، كما انه توفي عام ٢١١ هـ بعد فترة عانى فيها من ذهاب البصر واعتلال الذاكرة ، ولقد روى صاحب ميزان الاعتدال (٧) أن الامام احمد فضله وقال في شأنه : « اتينا عبد الرزاق قبل المائتين وهو صحيح البصر ، ومن سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع » ، كما يروى قول البخاري عنه : « ما حدث عنه عبد الرزاق من كتاب فهو اصح » ، وعليه فالمصنف دون قبل المائتين وعبد الرزاق قوى البدن سليم البصر .

جمع الامام عبد الرزاق كتابه ودونه وسماه « المصنف » فدل بعنوانه على أنه مرتب ومبوب على ترتيب أبواب الفقه ، فقد قسمه الى كتب ، كل كتاب منها يحتوى على عدد من الأبواب يزيد عددها او ينقص ، أولها كتاب الطهارة محتويا على ١٣٦ بابا ، وتلاه كتاب الحيض مشتملا على خمسة وعشرين بابا ، ثم كتاب الصلاة الذي يحتوى على نحو ثلاثمائة من الأبواب ، فكتاب الجمعة فكتاب العيدين فكتاب فضائل القرآن فكتاب الجنائز فكتاب الزكاة فكتاب الصيام فكتاب العقيقة فكتاب الاعتكاف فكتاب المناسك فكتاب الجهاد فكتاب المغازى فكتاب أهل الكتاب فكتاب النكاح فكتاب الطلاق فكتاب البيوع فكتاب الشهادات فكتاب المكاتب فكتاب الأيمان والنذور فكتاب الولاء فكتاب الوصايا فكتاب المواهب فكتاب الصدقة فكتاب المدبر فكتاب الاشربة فكتاب العقول فكتاب الفرائض .. وهكذا .

وبينما عنى الامام مالك صاحب « الموطأ » بعد جمعه اياه بتهذيبه وتشذيبه واختصاره ليقتصر فيه على ما رجح لديه ، يظهر أن الامام عبد الرزاق صاحب « المصنف » تركه على حال جمعه الأول ، لذلك قد يحتوى الكتاب على الصحيح والضعيف والسليم والسقيم ، ولكنه مع ذلك موسوعة قيمة جديرة بمزيد الفحص والدراسة لتقييم ما ورد به من حيث الصحة والسلامة ، ومقارنة ما احتوى عليه بما ورد فيما أعقبه من كتب الصحاح والسنن وحصر ما اتفقت معه في روايته ، ومبلغ خلافه معها ، الى غير ذلك من نقاط البحث المفيد .

وكتاب « المصنف » رغم حسن ترتيبه وجمال تبويبه فان مؤلفه يستطرد أحيانا فيدرج في الكتاب أبوابا قد يبدو أنها أجنبية في موضوعها عنه ، كما أنه قد يختلف احيانا مع الترتيب الزمنى ، ثم إن ترتيب الكتب التي قسم اليها الكتاب يختلف قليلا عن الترتيب المألوف في كتب الفقه والحديث الأخرى ، فنجده مثلا يستطرد في كتاب الصلاة فيأتي بباب عن « حسن الصوت » ، ويدرج

(٧) اسناد هذا الحديث هو نفس الاسناد روى به عبد الرزاق صحيفة همام بن منبه ، وقد روى هذا الحديث مسلم في صحيحه والبيهقي في « السنن الكبرى » كلاهما من طريق عبد الرزاق .

بابا عن « ذكر القُصَّاص » فى كتاب الجمعة ، كما نراه يفصل بين كتاب العيدين وكتاب الجنائز بكتاب «فضائل القرآن» ، ويأتى بكتاب العقيقة عقب كتاب الصيام وقبل كتاب المناسك ، كما يأتى بكتاب البيوع بعد كتاب الجهاد والمغازى واهل الكتاب والنكاح والطلاق ، ويأتى بباب تزويج فاطمة رضى الله عنها فى كتاب المغازى بعد الأبواب التى ذكر فيها مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ووفاته والأحداث التى تلت ذلك حتى مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولكن هذه أمور يسيرة لا تنقص من قيمة الكتاب وأهميته .

وكسائر المصنفات الأخرى يحتوى مصنف الامام عبد الرزاق على الأحاديث المرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غيرها من أحاديث موقوفة ومن أقوال وفتاوى منسوبة الى الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ويكثر فى « المصنف » مراسيل التابعين من أمثال عطاء وقتادة ومجاهد والزهرى وابن سيرين ويكثر من روايات معمر عن قتادة وابن جريج عن عطاء ، وكثيرا ما يقول ابن جريج : « سألت عطاء » أو « سئل عطاء » عن كذا فأجاب بكذا ، وأحيانا يزيد عبد الرزاق بعد الرواية تفسيرا لكلمة أو توضيحا لعبارة ، وقد تكون هذه الزيادة من عنده ، وقد ينسبها لأحد شيوخه ، ويستعمل عبد الرزاق فى تحمله عبارة « عن فلان » أو « أخبرنا فلان » أو «قال فلان» ، ولم يستعمل لفظ « حدثنا » .

ولقد حاولت عد الاحاديث المرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم فى « المصنف » فوجدتها تبلغ ثلاثة آلاف وبضع مئات ، اى ان عددها بين السدس والسبع من مجموع ما ورد بالكتاب كله وهو ٢١٠٣٣ من أحاديث وآثار ، على انه ليست الأحاديث المرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم بالمصنف كلها متصلة الاسناد ، بل منها ما اسناده مرسل ومنها ما اسناده منقطع ومنها ما هو معضل بل ورد الابهام فى بعض الاسانيد كأن يقول « عن رجل » دون تسميته ، فهذا مما ينزل بدرجة صحة الحديث حيث قد يكون هذا الراوى المجهول غير ثقة أو غير ضابط .

واليك الآن مختارات من كتاب « المصنف ، يسبق كلا منها الرقم الذى يحمله فى الطبعة المشار اليها تيسيرا للرجوع اليه :

أ — فمما ورد مرفوعا متصل الاسناد نقتبس ما يلى :

٢٩٩ — عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يتوضأ فيه » .

٣٣٠ — عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا ولغ الكلب فى

الاناء فاغسلوه سبع مرات أولاهن بالتراب » (٨) .

١٩٨٤ — عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ، لقد هممت أن آمر فتيانى أن يستعدوا الى بحزم الحطب ، ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ، ثم تحرق بيوتا على من فيها »(٩) .

٢٦٣٣ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن أبى اسحاق عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال : آمين » .

قال معمر : يؤمن وان صلى واحدا .

٩٠٣٣ — عبد الرزاق معمر عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال : رأيت عمر بن الخطاب يقبل الركن وكان يقول : « والله انى لأقبلك وأعلم انك حجر وأعلم أن الله ربى ، ولكن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك فقبلتك »(١٠) .

١٠٩٥٢ — عبد الرزاق عن مالك عن نافع عن ابن عمر « انه طلق امرأته وهى حائض ، فسأل النبى صلى الله عليه وسلم فأمره أن يراجعها ويتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم ان شاء أمسك بعد ، وان شاء طلق ، فتلك التى أمر الله أن تطلق لها النساء »(١١) .

١٢٥٩٦ — اخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا المثنى بن الصباح قال : أخبرنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو ان امرأة طلقها زوجها وأراد أن ينتزع ولدها منها ، فجاءت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت « يا رسول الله : حين كان بطنى له وعاء وثديى له سقاء وحجرى له حواء أراد أبوه أن ينتزعه منى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنت أحق به ما لم تزوجى »(١٢) .

٢١٠٣٣ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس قال : « كان شعر النبى صلى الله عليه وسلم الى أنصاف أذنيه »(١٣) .

ب) ومما رفع الى النبى صلى الله عليه وسلم وحدث ابهام فى اسناده نسوق ما يلى :

١٨٢٣ — عبد الرزاق عن معمر عن صاحب له عن الحكم بن عيينة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم امر

---

(٨) رواه أحمد عن عبد الرزاق ، ورواه مسلم من طريق غيره .

(٩) ورد هذا الحديث فى صحيفة همام ، ورواه كل من مسلم والبيهقى من طريق عبد الرزاق .

(١٠) اخرجه أحمد فى مسنده وابن ماجه فى سننه من طريق أبى معاوية عن عاصم .

(١١) ورد هذا الحديث بالموطا ، ورواه البخارى ومسلم عن طريق مالك .

(١٢) ورد مثله فى مسند أحمد وسنن أبى داود .

(١٣) هذا الحديث آخر ما ورد فى كتاب (المصنف) .

بلالا أن يثوب في صلاة الفجر ولا يثوب في سواها »(١٤) .

٥٧٢١ ــ عبد الرزاق عن هشام ابن حسان عن حفصة بنت سيرين أن امرأة حدثتها قالت : « غزا زوجي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة غزوة ، فخرجت معه في خمس منهن ، فكنا نقوم على المرضى، ونداوي الكلمى ، وأمرنا في العيدين أن من لم يكن لها جلباب أن تلبسها صاحبتها من جلبابها ، قالت حفصة : فقدمت علينا أم عطية الانصارية ، فذكرت ذلك لها ، فقالت : نعم ، بأبي هو و أمي أمرنا أن نخرج في العيدين العواتق وذوات الخدور والحيض ، قالت : فأما الحيض فيمتزلن المصلى ويشهدن الخير ودعوة المسلمين »(١٥) .

٩٤٢٢ ــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا بني النضير الى أن يعطوا عهدا يعاهدونه عليه فأبوا ، فقاتلهم »(١٦) .

٩٤٢٧ ــ عبد الرزاق عن الثورى عن صاحب له عن رجل عن ابن عباس قال : « ما قاتل النبى صلى الله عليه وسلم قوما الا دعاهم »(١٧) .

١٢٦٩٤ ــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن رجل من مزينة عن أبى هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديا زنى بيهودية »(١٨) .

جـ) ومما رفع الى النبى صلى الله عليه وسلم أو الى عهده ولم يتصل سنده نسوق ما يلى :

١٨٦٤ ــ عبد الرزاق عن ابن عيينة عن صفوان بن سليم عن عطاء ابن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يغفر الله للمؤذن مدى صوته ، ويصدقه كل رطب ويابس سمعه »(١٩) .

---

(١٤) في اسناد هذا الحديث يبهم معمر شيخ عبد الرزاق اسم صاحبه الذى روى عنه ، فالاسناد لذلك (منقطع) واذا اضفنا الى ذلك ان ابن ابى ليلى لم يلق بلالا ، فيكون الحديث (مرسلا) كذلك .

(١٥) وفي اسناد هذا الحديث ابهمت حفصة بنت سيرين اسم المراة التى حدثتها بالجزء الاول من الحديث وان كانت صحابية كما يبدو من سياق الحديث ، وقرراه البخارى ومسلم من طريقين آخرين .

(١٦) أبهم من هذا الاسناد اسم الصحابى كذلك .

(١٧) وأبهم في اسناد هذا اثنان : شيخ الثورى وشيخ شيخه ، فالاسناد لذلك (معضل) وان كان قد أوصل الحديث غيره عن طريق الثورى عن ابن أبى نجيح عن ابيه عن ابن عباس .

(١٨) وهنا أبهم الزهرى اسم من حدثه عن أبى هريرة ، فهو لذلك (منقطع) .

(١٩) يرفع هذا الحديث عطاء وهو تابعى توفي عام ١٠٣ هـ ، وحيث سقط منه الصحابى فهو (مرسل) .

٢١١٩ — عبد الرزاق عن ابن جريج عن سليمان بن موسى قال : أنبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « صلوا العشاء بعد أن يغيب الشفق بينكم وبين نصف الليل »(٢٠) .

٧٣٠١ — عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان لم تروا هلال رمضان فاستكملوا شعبان ثلاثين يوما ، وان لم تروا هلال شوال فاستكملوا رمضان ثلاثين يوما »(٢١) .

٨١٣٣ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر قال : « بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم ذبح بالمصلى ، أو قال نحر »(٢٢) .

٨٧٤٨ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة قال لا أعلمه الا رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم : « أنه نهى عن أكل الهر وأكل ثمنه »(٢٣) .

٩١٦٢ — عبد الرزاق عن ابن جريج قال : حدثت عن بصرة بن أبى بصرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يعمل المطى الا الى ثلاثة مساجد ، مسجد الحرام ثم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد بيت المقدس »(٢٤) .

٩٥٤٣ — عبد الرزاق عن هشام عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غزوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولوقوف أحدكم فى الصف خير من عبادة رجل ستين سنة »(٢٥) .

٩٦٤٤ — عبد الرزاق قال : أخبرت عن ابن سيرين قال : « كان الرجل من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خاف نزع سلاحه فأعطى هذا وأعطى هذا من سلاحه ، وكان أسفها عليهم

---

(٢٠) يرفع سليمان بن موسى الحديث هنا بقوله (انبئت) بصيغة المبنى للمجهول ، وهو تابعى (٦٠ — ١١٥ هـ) فالاسناد (مرسل) .

(٢١) وهنا يرفع عطاء الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تابعى ، فالاسناد (مرسل) أيضا ، وعطاء هذا هو عطاء بن أبى رباح شيخ ابن جريج ، ولد عام ٢٧ هـ وتوفى عام ١١٧ هـ ، وسمع من الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(٢٢) يبلغ معمر الحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أتباع التابعين فسقط من الاسناد على الاقل اثنان : التابعى والصحابى فالحديث (معضل) .

(٢٣) واسناد هذا الحديث (مرسل) ، فقتادة بن دعامة تابعى توفى عام ١١٧ هـ وحفظ عن جابر بن عبد الله المتوفى ٧٨ هـ .

(٢٤) وسقط من هذا الاسناد التابعى الذى حدث ابن جريج بالحديث ، فهو (منقطع) .

(٢٥) ويرفع هذا سيد التابعين الحسن بن يسار البصرى المتوفى ١١٠ هـ ، فالاسناد (مرسل) .

الريح »(٢٦) . يعنى حتى ينكران فلا يعرفان .

١٠٦٥٨ ــ عبد الرزاق عن معمر قال : « بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أراد فراق سودة ، فكلمته فى ذلك فقالت : يا رسول الله ، ما بى حرص على الازواج ، ولكن احب أن يبعثنى الله يوم القيامة زوجا لك »(٢٧) .

د) ومما يرويه (المصنف) موقوفا على الصحابى نقتبس ما يلى :

٤٥٩ ــ عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن ابن سيرين عن يحيى بن الجزار قال : « صلى ابن مسعود وعلى بطنه فرث ودم من جزر نحرها ولم يتوضأ » .

١٦٠٨ ــ عبد الرزاق عن الثورى عن خصيف عن مقسم عن ابن عباس « أنه كان يكره أن يصلى فى كنيسة اذا كان فيها تماثيل » .

١٨٥٨ ــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى أن أبا بكر الصديق قال : « الاذان شعار الايمان » .

١٠٠٥٧ ــ أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة أن حذيفة نكح يهودية فى زمن عمر ، فقال عمر : طلقها فانها حجرة ، قال : أحرام هى ؟ قال : لا ، فلم يطلقها لقوله ، حتى اذا كان بعد ذلك طلقها .

١٢٥٩٤ ــ عبد الرزاق عن معمر قال : « بلغنى أن عمر بن الخطاب سمع امرأة وهى تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه
وليس بجنبى من حبيب الاعبه
فلولا الذى فوق السماوات عرشه
لزعزع من هذا السرير جوانبه

فأصبح عمر فأرسل اليها فقال : انت القائلة كذا وكذا ؟ قالت : نعم ، قال : ولم ؟ قالت : اجهزت زوجى فى هذه البعوث ، قال : فسأل عمر حفصة : كم تصبر المرأة من زوجها ؟ قالت : ستة أشهر ، فكان عمر بعد ذلك يقفل بعوثه لستة اشهر » .

هـ) ومما نسب الى التابعين فى (المصنف) من أقوال وفتاوى نسوق الامثلة الآتية :

١٤٧٤ ــ عن عبد الرزاق عن أبى حنيفة عن حماد عن مجاهد(٢٨) قال : سئل عن المطر يصيب الثوب ، قال : « يصلى فيه فاذا جف فليحكه »

١٨١١ ــ عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : « يستقبل القبلة فى الأذان والاقامة ولا يتكلم فيهما » .

١٠١٩٣ ــ أخبرنا عبد الرزاق قال : اخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال : « لا تؤكل ذبيحة المجوسى وان ذكر الله » .

---

(٢٦) سقط من هذا الاسناد شيخ عبد الرزاق فهو (منقطع) ، وسقط منه الصحابى لان محمد بن سيرين تابعى توفى ١١٠ هـ فهو (مرسل) أيضا أو (معضل) .

(٢٧) وهذا من بلاغات معمر أيضا ، فالاسناد (معضل) لفقد حلقتين منه على الاقل .

(٢٨) هذا مجاهد بن جبر ، تابعى توفى عام ١٠٢ هـ .

١٠٢١٦ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن المسيب (٢٩) قال « دية المجوسى ثمان مئة درهم » .

١٠٦٨٢ — عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال : « ترد فى النكاح الرتقاء » .

والرتقاء : هى التى لا يقدر الرجل عليها .

١٣٣٧١ — عبد الرزاق عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : « لو شهدت ست نسوة على زنا مع الرجل ؟ قال : لا ، الا ثلاثة رجال وامرأتان » .

و) ومما ورد فى (المصنف) لمن دون التابعين(٣٠) من أقوال وفتاوى نسوق ما يلى :

٧٢٨٣ — قال عبد الرزاق : « وكان معمر يكره أن يستحلف أحد بالمصحف » .

١١٣٥٦ — عبد الرزاق عن سفيان فى رجل قال لامرأته : « أنت طالق ثلاثا الا ثلاثا . قال : قد طلقت منه ثلاثا ، واذا قال : أنت طالق ثلاثا الا اثنتين ، فهى طالق واحدة ، واذا قال : أنت طالق ثلاثا الا واحدة ، فهى طالق اثنتين » .

١١٩٥٠ — عبد الرزاق عن الثورى قال : « اذا قال الرجل للرجل : اذهب فطلق امرأتى ثلاثا فطلقها واحدة فهو جائز لأن الواحدة من الثلاث ، وان قال طلق واحدة فطلق ثلاثا فهو خلاف ليس بشىء » .

١٣٨٢٨ — عبد الرزاق عن الثورى فى أكل لحم الخنزير ، قال : « ليس فيه حد ، ولا يعزر » .

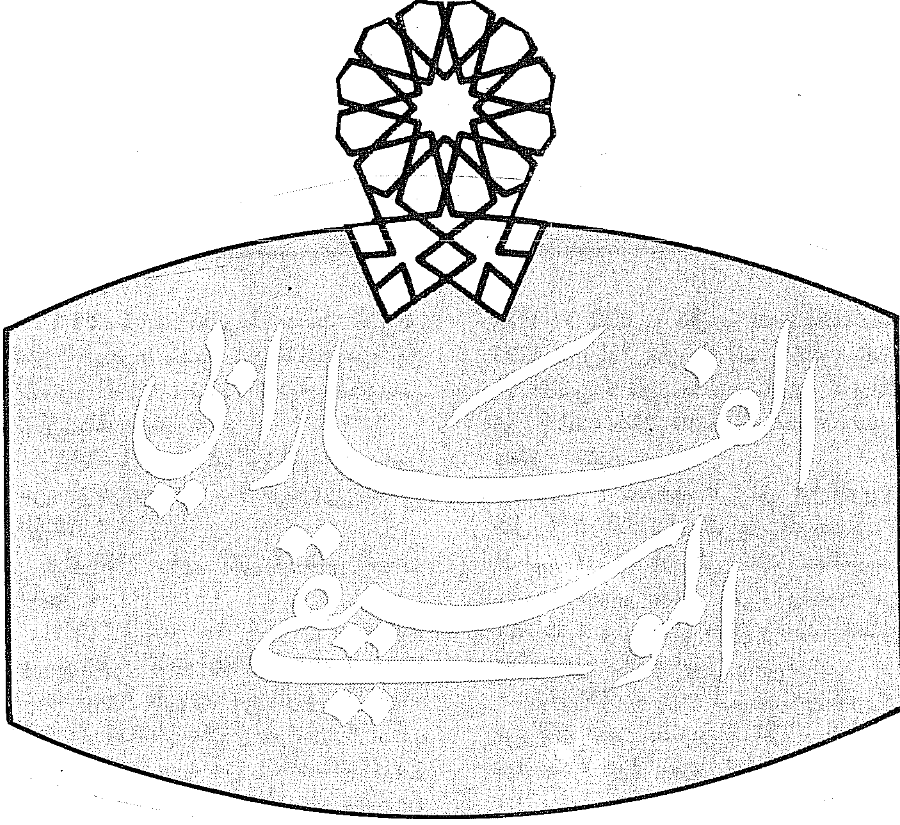


وبذلك يتم الكلام على المرحلة الثانية من مراحل تدوين الحديث ، وهى مرحلة كتابة المصنفات ، ويلى ذلك الكلام على مرحلة تدوين (المسند) ان شاء الله تعالى .

---

(٢٩) توفى سعيد بن المسيب عام ٩٣ وقيل عام ٩٤ .

(٣٠) هؤلاء الائمة الثلاثة الذين سقنا أقوالهم من طبقة اتباع التابعين ، فمعمر بن راشد سمع من عدد من التابعين كهمام بن منبه ، وتوفى عام ١٥٣ هـ وسفيان بن عيينة كان من تلاميذ الزهرى وعمرو ابن دينار وتوفى عام ١٩٨ هـ ، وأما سفيان بن سعيد الثورى فقد سمع من الزهرى ومن غيره ، وتوفى عام ١٦١ هـ .



للأستاذ : سعيد زايد

لم يكن الفارابى بالرجل الذى تغريه مظاهر الدنيا والجاه ، بل انه قضى حياته كلها فى شظف من العيش وكان يكسب قوته بعمل يديه ، حتى انه كان يعمل ناطورا ابان الفترة التى ذهب فيها الى دمشق . والشىء البارز فى حياته ، هو انقطاعه للتعليم والتأليف ، وحبه للأسفار ، قضاها فى حلب – الى دمشق والى مصر ، وانتقل من مسقط راسه الى بغداد ، ومنها الى حران ، ثم رجع اليهما ..

وقد اختلف المؤرخون فى نسبه ، فقال ابن أبى أصيبعة فى (عيون الأنباء) ان اسمه أبو نصر محمد ابن محمد بن أوزلغ بن طرخان . وقال ابن خلكان فى (وفيات الأعيان) إن اسمه أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ . وقال القفطى إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ووافقه فى ذلك البيهقى . وقال ابن النديم فى (الفهرست) إن اسمه هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان . وقال صاعد فى (طبقات الأمم) إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد بن نصر وقال فى مكان آخر من نفس الكتاب إنه أبو نصر محمد بن نصر .

وواضح من هذا أن المؤرخين قد أجمعوا على اسمه ، وان كانوا قد اختلفوا فى ذكر نسبه واسم أبيه ، فقالوا جميعهم إن اسمه (محمد) .

وقد اتفق أغلب المترجمين للفارابي

على أنه تركي الأصل ، ولكن ابن أبى أصيبعة ذكر أن والده كان قائد جيش، وهو فارسي المنتسب ، والغالب أن أباه لم يكن من القواد الذين يشيد بذكرهم التاريخ ، ولكن صفتى الشجاعة والصبر قد ورثهما الفارابى عنه اذ أنه احتمل متاعب الدرس وشظف العيش ومشاق الأسفار .

وينسب الفارابى الى بلدة فاراب ، ولكن صاحب الفهرست قال انه من بلدة فارياب من أرض خراسان . وبديهى أنه لو كان من فارياب لكان اسمه الفاريابى لا الفارابى . وبذا يصبح من المؤكد انه من بلدة فاراب .

وقد ذكر ابن خلكان أن الفارابى توفي سنة ٣٣٩ هـ عن ثمانين عاما ، وبذا يمكننا أن نستنتج تاريخ مولده بأنه كان حوالى سنة ٢٥٩ هـ . وهذا الاستنتاج ضرورى فى هذا المجال ، اذ انه لم يترجم لنفسه كما صنع غيره من مفكرى الاسلام ، وكذا لم يفعل ذلك أحد من تلاميذه .

ولقد كان الفارابى يهوى التنقل والأسفار . ولكن المؤرخين لم يذكروا شيئا عن رحلاته الا ما وقع منها بعد أن بلغ سن الخمسين ، أضف الى ذلك أنهم لم يذكروا لنا شيئا يروى الغلة عن طفولته وشبابه ، بل انهم تتبعوا حركة أسفاره بعد أن رحل هو من بلده الى بغداد ، وبذا تظل فى حياة الفارابى فترة غامضة قد يجلوها كشف علمى .

وقد نشأ الفارابى على ثقافة لغوية دينية ، فقد أقبل على العلوم الاسلامية من فقه وحديث وتفسير ، وتعلم اللغة العربية والتركية والفارسية ، ويبعد عن الظن أنه عرف لغة أخرى غير تلك اللغات ، فما رواه ابن خلكان من أنه كان يلم بسبعين لسانا يدخل فى باب الأساطير .

وتوفى الفارابي فى دمشق ، وكرمه سيف الدولة بن حمدان بأن صلى على جثمانه مع بعض خواصه ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير .

وقد قيل ان الفارابى — فوق كونه مفكرا — كان شاعرا أيضا ، ونسبوا إليه بعض الاشعار كما جاء عن ابن خلكان وابن أبى أصيبعة . ولكن ذلك لم يثبت علميا ، فأغلب ما نسب اليه من شعر لا يتفق مع ما كان عليه من منزلة علمية وخلقية .

ولكن الثابت أنه كان موسيقيا بارعا ، فقد روى ابن خلكان فى وفيات الأعيان (١) أن الآلة المسماة بالقانون من وضعه ، وأنه أول من ركبها هذا التركيب . وحكى أيضا أن الفارابىكان ذات يوم فى مجلس سيف الدولة بن حمدان ، فقال له سيف الدولة : « هل لك فى أن تأكل ؟ فقال : لا ، فهل تشرب ؟ فقال : لا ، فهل تسمع ؟ فقال : نعم . فأمر سيف الدولة باحضار القيان ، فحضر كل ماهر فى هذه الصناعة بأنواع الملاهى ، فلم يحرك احد منهم آلته ، الا وعابه أبو نصر وقال له : أخطأت . فقال له سيف الدولة : وهل تحسن فى هذه الصناعة شيئا ؟ فقال : نعم . ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيدانا وركبها ، ثم لعب بها ، فضحك كل من كان فى المجلس، ثم فكها وركبها تركيبا آخر ، ثم ضرب بها ، فبكى كل منكان فى المجلس ؟ ثم فكها ، وغير تركيبها ، وضرب بها ضربا آخر ، فنام كل من فى المجلس حتى البواب ، فتركهم نياما وخرج » .
ويعلق أستاذنا المرحوم الشيخ

مصطفى عبد الرزاق على ذلك بقوله : « ولئن كانت هذه الحكاية أدنى الى الأساطير منها الى التاريخ ، فهى تشبه أن تكون غلوا مجاوزا لا اختراعا صرفا » .

وهذا حق ، فان للمعلم الثانى باعا طويلا فى الموسيقى ، فقد ذكر الدكتور فارمر انه الف كتبا موسيقية منها : كتاب الموسيقى الكبير ، وكتاب الايقاعات ، وكتاب آخر بعنوان : (كلام .. فى النقلة أو (فى النقرة كما يرى مستر شتاينشنيدر) مضافا الى الايقاع) وفصل عن علم الموسيقى فى كتابه (احصاء العلوم) (٢) .

وذكر ابن ابى أصيبعة ان كتب الفارابى الموسيقية هى : كتاب الموسيقى الكبير ، وقد الفه للوزير أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى ، وكتاب فى احصاء الايقاع ، وكلام فى النقلة مضافا الى الايقاع ، وكلام فى الموسيقى) (٣) .

وكتاب الموسيقى الكبير ، انما جاءت تسميته بهذا الاسم من عند ابن أبى أصيبعة ، وقد جاراه فى ذلك الدكتور فارمر . وفى الحق أنه كتاب كبير ، ولكن اسمه الحقيقى هو (كتاب صناعة الموسيقى) كما يظهر من افتتاحيته .

وينقسم الكتاب المذكور الى قسمين : الأول فى المدخل الى صناعة الموسيقى ، (وقد ظنه البعض خطأ انه كتاب مستقل) (٤) ويقع فى مقالتين ، والثانى فى صناعة الموسيقى ويتناول الكلام فى أصول الصناعة ، وفى الآلات المشهورة ، وفى أصناف الألحان ، وقد ذكر الفارابى فى مقدمته انه الفه بناء على طلب أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى . (٥) .

هذا ، وتوجد ست نسخ من هذا الكتاب مخطوطة واحدة فى ليدن ، والثانية فى ميلانو ، والثالثة فى مكتبة الاسكوريال ، والرابعة فى بيروت ، كما أشار دير لانجيه ، اما النسختان الخامسة والسادسة فتوجدان فى دار الكتب المصرية ، واحدة كاملة وهى التى كتب على غلافها (كتاب الموسيقى الكبير) والأخرى ناقصة . وقد نشر هذا الكتاب أخيرا فى مصر .

ويعتبر الفارابى علم الموسيقى جزءا من علم التعاليم ، ويقول عنه أنه العلم الذى تعرف به صناعة الألحان ، وهو قسمان : موسيقى نظرية ، وموسيقى عملية . ومن الآلات الموسيقية ما هى طبيعية مثل الحنجرة واللهاة وما فيها ، ثم الأنف ، وما هى صناعية مثل المزامير والعيدان وغيرها . وينقسم علم الموسيقى النظرى الى خمسة أجزاء : أولها المبادىء التى تستعمل فى استخراج ما فى هذا العلم ، وثانيها البحث فى أصول هذه الصناعة ، وثالثها مطابقة ما تبين فى الأصول على اصناف الآلات ، ورابعها القول فى أصناف الايقاعات الطبيعية التى هى أوزان النغم ، وخامسها البحث فى تأليف الألحان فى الجملة ، ثم تأليف الألحان الكاملة .

ونختم كلامنا بنصين للفارابى : الأول عن معنى صناعة الموسيقى ، والثانى فى الغرض من تأليف كتاب الموسيقى الكبير .

يقول فى الأول : « نبتدىء فنلخص أولا ، ما معنى صناعة الموسيقى ؟

فلفظ الموسيقى معناه الألحان . واسم اللحن قد يقع على جماعة نغم مختلفة رتبت ترتيبا محدودا . وقد يقع أيضا على جماعة نغم الفت تأليفا محدودا ، وقرنت بها الحروف التى تركب منها الألفاظ الدالة المنظومة على مجرى العادة فى الدلالة بها على المعانى . وقد يقع ايضا على معان اخر غير هذه ليس تحتاج اليها فيما نحن بسبيله .

فالمعنى الأول من هذين ، اما أعم من الثانى ، واما شبه مادة له . فان الأول هو جماعة نغم تسمع من حيث كانت ، وفى أى جسم كانت ، والثانى هو جماعة نغم يمكن أن تقرن بها الحروف التى تركب منها ألفاظ دالة على معان ، وهذه هى الأصوات الانسانية التى تستعمل فى الدلالة على المعانى المعقولة ، وبها تقع المخاطبات .

وظاهر أن دلالات اسم اللحن على هذين بالتقديم والتأخر » (٦) .

ويقول فى الثانى : « واذا كانت الأقاويل التى اشتملت على الفنون الثلاثة التى أثبتناها فى كتابنا هذا ، قد استوفت جميعا ما هو تابع للمبادىء الأول الخاصة بصناعة الموسيقى العلمية ، وذلك كان مقصودنا من أول ما شرعنا فيها ، فلنجعل هذا الموضع آخر كتابنا هذا بأسره ، وهو الكتاب الذى اشتمل على أسطقسات هذه الصناعة ، وعلى الآلات المشهورة ، وعلى تركيب الألحان . وكتابنا هذا انما انتظم فى هذه الصناعة ما شأنها خاصة أن يتبع المبادىء والأصول الموضوعة فيها والمصادرات التى تسلمت فيما سلف .

وأما تبيين حال كثير من مبادئها ، وجل الأصول الموضوعة ، وسائر الأشياء الخارجة المنسوبة الى هذا العلم بغير الجهة التى أثبتت ههنا ، فقد تقدمنا نحن ووفينا بيانها ، ولخصناها كلها فى كتابنا الذى الفناه فى المدخل وفى الاشياء الخارجة المطيفة بهذا العلم ، والمنسوبة اليه بالجهة الأخرى » (٧) .

---

(١) الجزء الثانى ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) مصادر الموسيقى العربية ، تاليف فارمر ، ترجمة الدكتور حسين نصار ص ٦٠ ، — ٦٣ القاهرة ١٩٥٧ .

(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ج ٢ ص ١٣٩ ، القاهرة ١٨٨٢ م .

(٤) فارمر ، المرجع السابق ، ص ٦٢

(٥) « تقلد ابو جعفر محمد بن القاسم الجبل وديوان السواد دفعات ، وقطعة من المشرق كبيرة ، وتقلد البصرة والاهواز مجموعة ، ثم تقلد عدة دواوين . ثم آلت حاله فى آخر عمره الى الفقر الشديد ومات بعد سنة ٣٣٠ هـ فى منزله ببغداد » معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ طبعة ليبزج ١٨٦٩ م .

(٦) كتاب الموسيقى الكبير ، مدخل الكتاب . (٧) المرجع السابق ، الفصل الأخير .

حدث في المدينة

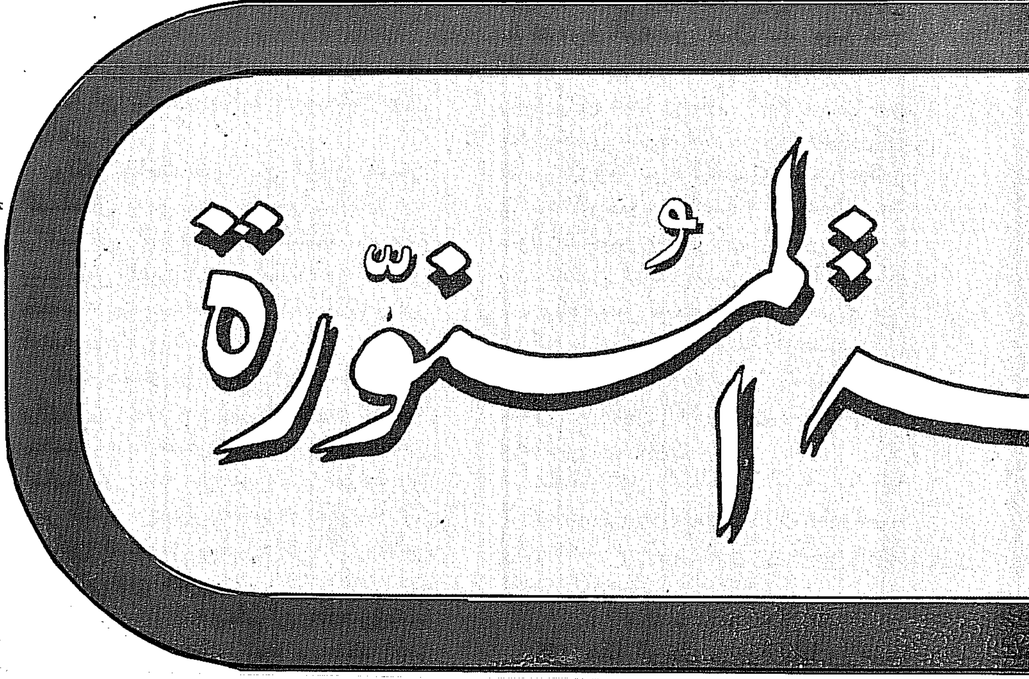
للأستاذ : محمد لبيب البوهي

كان السلطان العادل نور الدين محمود قد نذر كل جهده وحياته لمحاربة الصليبيين أولئك الغزاة الذين جاءوا من الغرب يبيتون أطماعا خبيثة فى أرض العرب ... وحقدا دفينا على الاسلام والمسلمين قاطبة ... وكانت تحدوهم اكذوبة كبرى يعلنونها على السذج من الناس .. ولقد هبت بلاد الاسلام من أدناها الى اقصاها لرد هذا البلاء الذى امتحنت به كما يمتحن دائما المؤمنون الصادقون .. فمن أجل هذا فرض

الجهاد .. وهو بذل الجهد من قوة .. وعقيدة .. ومال فى سبيل احقاق الحق .. وأيام الجهاد هى الذروة فى تاريخ الأمم .. قدرا وشرفا وسعادة أنفس .. ففيها يتنسم الناس ريح الجنة .. اذ يكونون أقرب الى ربهم من سائر أيامهم .

• • • •

ولقد كان السلطان العادل المؤمن نور الدين فى عام ٥٥٧ من الهجرة يقوم على رأس المجاهدين من قومه .. وكان قد أعد لكل احتمال عدته ،



وكان الرجل مثلا فى الشجاعة وبعد النظر والصبر والثبات وحب التضحية .. وذهب فى ذلك كله مثلا يروى للناس على مدار الاجيال .. وكان يعلم رجاله أن هناك سلاحا لا غنى عنه هو أقوى من كل سلاح .. ولا بد منه قبل أى سلاح آخر فى يد الجندى .. إنه العون الذى يستمد من اليقين .. من قوة الايمان الذى يجعل المجاهد المؤمن قادرا على مواجهة عشرة .. ومهما اشتد بصاحبه الضعف فهو فى الحد الأدنى قادر على أن يغلب اثنين من أهل الباطل .

• • • •

ولقد كان السلطان العادل المؤمن صاحب تهجد فى الليل — وصاحب أوراد فى النهار — .. وكان صاحب عدل ينشر ظلاله على الناس . وكان مجلسه من أطيب المجالس وأكرمها .. فما قصده صاحب حاجة الا استمع اليه بقلب مستنير وعقل يقظان حتى لقد شاع بين الناس .. أن الملائكة تحف دائما بمجلس السلطان العادل

حدث في المدينة المنورة

نور الدين بن محمود .. وكان من عادته أن يتلطف دائما بأصحابه حين يلقاهم .

ولكن جاءت فترة من الزمن كان السلطان يبدو فيها مشغول البال .. راغبا فى العزلة قليل الكلام .. ولم يشأ نور الدين أن يكاشف أحدا من خاصته بما يهمه حتى تزداد الأمور فى ذهنه تبيانا واشرافا ..

فقد حدث من بضع ليال مضت ان رأى فى المنام .. نبى الهدى والرحمة محمدا عليه صلوات الله وهو ينهض أمامه فى حلة من نور .. فيأخذ بيد نور الدين ويشير بأصبعه الكريمة الى رجلين أشقرين ويقول له : أدركنى وأنقذنى من هذين .. وكان الذى يهم السلطان .. أنه يعلم أن هذه رؤيا صادقة ما فى ذلك ريب .. فقد أخبر الهادى البشير ان من يراه فى النوم فقد رآه حقا لأن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بشخصه الكريم .. اذ لا يمكن للظلام أن يلبس ثوب النور .

. . . .

لقد أيقن السلطان أنه رأى النبى العظيم فى هذا المنام حقا — ولقد رآه فى منامه من قبل كثيرا .. رآه يوم فكر فى الخروج للجهاد .. ورآه فى بداية كل جولة من جولات الجهاد وفى أعقابها .. وإنه لشرف عظيم كان يبدو به سعيدا مستبشرا قرير العين اذ يرفعه الله الى هذه المكانة .. فيريه فى منامه أشرف خلق الله طرا .. ولكن لماذا يبدو النبى الكريم فى هذه الرؤيا حزينا مهموما ..؟ وما شأن هذين الرجلين الأشقرين ..؟ ومن هما .. ؟ وما هو ذلك الاثم الكبير الذى يهمان به ويريد محمد العظيم أن يندبه لدفعه ..؟

مضت الأيام تباعا والسلطان المؤمن العادل نور الدين بن محمود موزع النفس بين هذه الرؤيا .. وبين ما تدعوه اليه من عمل .. وما كان له أن ينسى فى خضم أعباء الجهاد رؤيا رأى فيها رسول الله .. ولم يكد يمضى على ذلك أسبوع حتى رأى نفس الرؤيا مرة أخرى .. فنهض وأعاد الوضوء والصلاة ثم حاول بعد طول تسبيح وتفكر أن يلتمس ساعة من نعاس فاذا بنفس الرؤيا تعاوده .. ولما نهض مستيقظا مرة أخرى بدا له انه يرى بعين اليقظة الرسول الكريم ممسكا بيده وهو يشير الى نفس الرجلين الأشقرين .. أدركنى وانقذنى من هذين ..

عندئذ دبر السلطان امرا .. انه لا يستطيع وما ينبغى له أن يكتم ما رأى فأسرع على الفور فى طلب جمال الدين الموصلى .

. . . .

كان هذا الرجل وزيرا تقيا ورعا .. وما كان لسلطان تقى ورع الا أن يتخذ وزيرا على شاكلته ..

لم يكن ضوء النهار قد انبلج بعد .. ولكن الرجل أسرع من فوره ليلبى هذا الأمر الذى جاءه فى غير وقت معتاد .. وما أن أشرف فى مقدمه على القصر .. حتى رأى الشرفة الكبرى مضاءة ووجد الحاجب يدعوه الى لقاء السلطان على الفور .

وما أن استمع الوزير الى رؤيا السلطان حتى استغرق فى تفكير عميق .. هذه رؤيا صادقة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .. فمن رأى المصطفى فى منامه فقد رآه يقينا .. ولكن ما هذا الشىء العجيب الذى تنبىء به الرؤيا ..!؟

لقد حار الرجل فى تأويلها وادراك ما ترمى اليه .

فلما طال سكوت الوزير .. أوجس السلطان خيفة وظن فى الرؤيا نذيرا

له فقال : يا جمال الدين .. المعهد بك الصدق والوفاء .. وانك لصاحب علم ونظر فى الأمور .. ماذا ترى فى هذه الرؤيا .. ؟

. . . .

قال الوزير فى أناة وتدبر : مولاى .. ما من ريب أن هناك شيئا لا يرضاه الرسول العظيم .. وأن كيدا ما يدبر فى الخفاء .. وأن المصطفى عليه صلوات المولى وتسليماته يندبك لدفع هذا البلاء ..

قال السلطان : ولكن ماذا ترانى فاعلا ؟

قال الوزير : ما يليق بك أن تقعد بعد اليوم دون أن تسعى الى صاحب هذه الرؤيا ...

ان الرأى عندى أن ترحل الى المدينة المنورة بأنواره حيث مقامه الكريم .. وهناك سوف تكون قريبا منه .. عسى أن تزداد الأمور ازاء هذا التجرد وضوحا وتبيانا .

قال السلطان مستبشرا وقد اشرق وجهه بنور اليقين : هو ذاك يا جمال الدين .. أعد للرحلة عدتها من مال ورجال وما نتقرب به من هدى الى بلد الرسول وأهله الأكرمين .

قال الوزير : ومتى يرى مولاى أن نبدأ المسير .. ؟

قال السلطان : اليوم يا جمال الدين .. فلا وجه ولا مبرر لتأخير ..

. . . .

أعلن السلطان أمر خروجه مسافرا الى بلد الرسول .. واستبشر الناس بذلك كثيرا .. غير انه كتم أمر الرؤيا فلم يطلع عليها أحدا غير وزيره .. ولقد أوصاه بالكتمان .. فان كتمان السر من أفضل ما تعالج به الامور .

واجتمع الناس حول السلطان التقى الورع يودعونه . ويسألونه صالح الدعوات فى روضة الرسول الكريم .

وخرج السلطان مع وزيره فى عشرين من خاصة حرسه ورجاله .. وقد قدروا أن يقطعوا الطريق الى المدينة فى اسبوعين .. على انيحطوا الرحال فى بعض مناطق المسير التماسا لبعض راحتهم وراحة الدواب .. وللاجتماع بأهل هذه البقاع .. والاستماع الى ما يهمهم من شئون حياتهم .. فما يليق بالسلطان العادل أن يمر ببعض رعيته مرورا عابرا .. فى فرصة لا تتكرر كثيرا على مدار الاعوام .

وكان السلطان ما ينفك فى كل ساعات نهاره عن التفكير فى هذه الرؤيا .. ولقد استقرت فى وجدانه صورة هذين الرجلين الأشقرين اللذين اشار اليهما المصطفى فى المنام .. لقد كانت الصورة فى خياله واضحة تماما .. فهو يعرف لون شعرها ... وملامح وجهيهما .. وطريقتهما فى المشى والحوار .. ولقد أوتى حظا من القدرة على الرسم لخط صورتهما على الورق .

. . . .

وكان الركب السلطانى حين يحط فى أية مرحلة .. يسارع أهلها الى تحية السلطان الذى سبقه اليهم انباء عدله .. وكان خطباؤهم وشعراؤهم يتبارون فى الاشادة بسجاياه فى هذه الأحفال التى كانت تقام لتكريمه .. ولقد كان السلطان يحاول ان يلمشتات فكره للاستماع الى هذه الكلمات .. غير ان فكره كان يبرحه ويذهب عنه دائما بعيدا .. انه ما يكاد يتخذمجلسه بين الناس حتى تلم به صورة هذين الرجلين الأشقرين اللذين رآهما فى المنام .. ويخيل اليه انهما يتحديانه . وأنهما يتجسدان أمامه يروحان بين القوم ويجيئان وكأنهما يغيظانه .. من أجل هذا كان صدره يضيق بالمكان ..

حدث في المدينة المنورة

ويود ان ينطلق الى الرحاب الواسعة للتنفيس عن نفسه .. فما أن ينتهى الحفل حتى يبرح السلطان خيمته ويضرب وحيدا الا من أفكاره فى البيداء على غير هدى .. وكان بعض رجاله يتابعونه من بعيد لحراسته .. دون ان يعكروا عليه فكره .. ويستمر السلطان مصعدا فى التلال متابعا صورة هذين الأشقرين الملعونين .. وكأنه يطاردهما ولكنه ما زال فى حيرة من امرهما .. وفى امر الشر الذى يدبرانه .. لا يخفف عنه الا احساسه بهذا الشرف الذى اسبغه عليه سيد الرسل حين ندبه فى الرؤيا الصادقة لهذه المهمة .. ولكن كيف يتسنى له أن يعرفهما ... وأن يعرف هذا الشر الذى يدبرانه ..

كان السلطان يبدو دائما مسترسلا فى هذه الأفكار .. وكان حراسه يتهامسون عما يفعلون حين يرونه قد قطع فى مسيره المستوحد شوطا بعيدا وان أحدا منهم لا يجرؤ فى الحديث اليه كى يعود ادراجه قبل أن يتقدم الليل . فأسرعوا الى وزيره ليدبر الأمر .. وجاء جمال الدين .. وسار الى جوار السلطان هادئا ساكنا لايريد أن يبدأ الحديث .. حتى أحس به السلطان فاستيقظ من شروده وعاد يتلطف الى الوزير .. ويصطنع الابتسام .. وعاد معه من حيث جاء .

• • • •

وصل الركب السلطانى المهيب مشارف المدينة .. وأسرع السلطان فى طلب وزيره ليسأله عما يلزم من الآداب التى يستقبل بها مدينة الرسول العظيم .. فانه لكل مجال آدابه ..

قال الوزير : فليغتسل مولاى السلطان وليطهر .. وليصلين ركعتى التحية فى هذا المسجد القائم فى مدخل المدينة .. مسجد قباء .. على مسيرة زهاء ميلين منها .. وهو أول مكان نزل فيه محمد عليه صلوات الله قبل دخوله المدينة .

فعل السلطان ما أشار به الوزير . ثم سار الركب الى الحرم النبوى ... ووقف السلطان فى الروضة مسلما فى أدب وخشوع على صاحبها .. ولم يكن الرجل بقادر على أن يمسك دمعه الذى انهمر فى جلال الموقف .. لقد وقف صامتا عاجز اللسان عن الكلام وترك المجال لقلبه ليستقبل أنوار الهداية .. وكانت تتردد فى خفايا القلب دعوات صامتة الى رب الأرض والسموات .. ورب محمد .. ورب كل شىء كى يكشف الله عن بصيرته هذه المهمة التى ندبه من اجلها رسول الله ثم تراجع السلطان خطوات .. وراح يصلى ما طابت له الصلاة .. وما أن سلم عن يمين وعن شمال .. حتى خيل اليه أنه يرى رسول الله أمامه فى المحراب يمد اليه يمناه الشريفة ... فأسرع وتقدم كى يقبل اليد الكريمة . وكان وزيره على القرب منه .. فراح يضرب يديه أسفا وهو لا يرى حوله غير الجبال وقد ظن الظنون بما أصاب عقل السلطان الرشيد الحكيم ..

• • • •

كان السلطان ما يزال يكتم سره فلم يطلع عليه أحدا غير وزيره .. ولكنه تحدث الى والى المدينة فقال : إنه يريد أن يصافح بيده كل رجل .. وكل شاب .. وكل فتى ممن يقيمون فى المدينة .. سواء كانوا من أهلها أو من زوارها .. انه يريد أن يراهم أجمعين وأن يصافحهم فردا فردا لا يتأخر ولا يتخلف منهم أحد ..

اخذ والى المدينة ينشر هذا على الناس .. وفرح القوم بهذه الفرصة المباركة التى اتيحت لهم للقاء السلطان العادل المجاهد الذى اشرقت أنوار أمجاده فى الآفاق .

وتزاحم الناس . واخذوا يتدافعون افواجا .. ولكن الوزير جمال الدين تحدث الى والى المدينة كى يجعل لقاء الناس بالسلطان بتخطيط واعداد ونظام .. وكان الوزير يدير فى نفسه أن السلطان يريد أن يتمعن فى كل شخص وهو يصافحه .. حتى لا يفوته أحد من المقيمين بالمدينة .. عساه أن يكشف بينهم عن هذين الأشقرين اللذين طلب اليه رسول الله فى الرؤيا ان يدركه ويغيثه منهما .

• • • •

قام الوالى بوضع خريطة للمدينة . وقام رجاله بتحديد طرقاتها وبيوتها .. وحصر الناس فيها .. وحددوا لأصحابها من الرجال والشباب الموعد المضروب للقاء السلطان نور الدين العظيم .

وكان السلطان يلقاهم فردا فردا . يصافحهم ويهش اليهم . ويتحدث الى بعضهم ويسألهم عما يهمهم .. ويأمر كل يوم بالصدقات لذوى الحاجة منهم .

فرأت المدينة أياما وليالى مشرقة مضيئة وكان الناس فى كل مكان يلهجون بالنصر للسلطان وهم يتذاكرون أعماله .. وأخذ الشباب والصبيان يقلدونه لحبهم اياه فى حركاته وسكناته ، وفرح أهلهم بذلك كثيرا .

أما الشىء الذى لم يدركه احد .. فهو انه كان يتفرس طويلا فى وجه كل من يصافحه عساه أن يجد بينهم أحدا من هذين الأشقرين الملعونين .. ولكن الأيام تمر . والسلطان لم يقع على بغيته .. حتى انتهى عرض كل أهل المدينة والمقيمين فيها عليه . دون أن يتحقق له الأمر الذى كان ينشده .

ضاق صدر السلطان العادل نور الدين .. وركبه الهم .. وقام فى روضة الحرم المحمدى باكيا . خاشعا مصليا .. رافعا يديه الى السماء فى ابتهال حار عميق كى يكشف الله له عن حقيقة الأمر فى هذه الرؤيا .. وكان السلطان يقضى الساعات الطوال فى ركوعه وسجوده وبكائه . ومن خلفه كان الوالى والوزير يضربون ايديهم اسفا لما اصاب السلطان الرشيد .

اتجه السلطان الى والى المدينة وقال : هل أنت على يقين تام انه لم يبق أحد من أهل المدينة لم أصافحه ؟.

قال الوالى : لقد جئنا بكل شاب وكل رجل من أهلها .. لقد كان الناس يتزاحمون على بابك وكل منهم سعيد بهذه الفرصة . فلم يتخلف أحد .

قال السلطان لوالى المدينة : ابحث هذا الأمر مرة أخرى وتدبره .. وذهب الوالى يرسل العسس .. وجاء من يذكره بأمر هذين الرجلين الكريمين من رجال التصوف والحكمة اللذين اعتزلا الناس بعد أن جاءا الى المدينة من نحو عام وقاما بتوزيع الأموال والصدقات ثم اعتزلا الناس زهدا وعبادة وما كاد الوالى يتحدث الى السلطان عنهما معددا مناقبهما .. وأفضالهما .. وكرمهما .. حتى أبدى السلطان رغبته فى السلام عليهما والتبرك بهما عسى أن يسألهما الدعاء ليكشف الله عنه هذه الغمة .

• • •

وجىء بالرجلين .. وما كاد نور الدين يراهما حتى بهت .. وتراجع الى الوراء وراح يمسح عينيه .. حتى لا يكون بصره قد خدعه .. ولقد كاد لولا الوقار ان يصرخ صرخة ينشق

حدث في المدينة المنورة

لها صدره .. لقد رأى الرجلين علــى نفس الصورة التى بدت له فى الرؤيا .

وارسل السلطان الى كل مكان فى المدينة من يتحــرى له أمرهمـــا .. فجاءت الأنباءتؤكد ما اجمع عليه الناس من صلاحهما وتقواهما وحبهما للعزلة وللعبادة .. قال السلطان : اريد أن أزورهما فى بيتهما .

ولما زارهما السلطان ازداد قناعة بأنهما على خير ما يبــدو على الناس من حب الخير والبر . وازدادت مــع ذلك حيرة السلطان فى الأمر .. وقد عرف انهما لشدة حبهما لرسول اللــه قد اتخذا بيتا يواجه القبــر الشريف لا يفصله عنــه غير الطريــق .. وبدت للسلطان فكرة أن يفتش الــدار وان يبحث كل شبر من أرضها وجدرانهــا عساه يقع علــى بينة جديدة قبــل ان يترك المدينة .

ودبر والى المدينة اقامة حفل فــى جهة أحد .. على مسيرة بضعة أميال من المدينة. وذهب بنفسه الى الرجلين الصالحين الأشقرين يدعوهما الى هذا الحفل الذى سيقام تكريما للسلطان .

ولما ذهب الرجلان الــى الحفل تأخــر السلطان وذهب بصحبة وزيره جمال الدين الى بيت الرجليــن .. وراحــا يفحصان كــل شبر من الأرض وكــل جدار . وكان المكان مفعمــا بالصحف المنشورة والآيات المعلقات فى براويز الذهب والفضة .. وهم السلطان ان يبرح المكان حيران لا يدرى مــن امره شيئا .. غير أنه عندما هم بالخروج . رأى البساط الفاخر الملاصــق للجدار يهبط تحت قدمه .. فأوحى اليه ذلك أن يرفع البساط وأن يعالج الأرض من تحته فانكشف له أمر عجيب .. لقــد انكشف المكان تحت البساط الرائــع عن نفــق محفور يمتــد تحت الأرض ضيقا لا يتسع لأكثر من رجل واحد .. ويمتــد النفق عبر الطريق حتــى يكاد يصل الى قبر النبى الكريم العظيم .

لقــد اصيب السلطان بمــا يشبه الصرع .. وفارقه وقاره .. وارسل فى طلب الرجلين وأمر بضربهما ضربا مبرحا مميتا حتى اعترفا بانهما رجلان من اليهود . وانهما قد كلفا من قومهما بسرقة جثمان النبى محمد من قبره .. حتى يكون للمسلمين من وراء ذلك ذل وعار وانهما واصلا الحفر حتى اوشكا ان يصلا الى القبر الشريف .

* * * *

أمر السلطان ان يحفر حول الروضة من جميع اقطارها الأربع حتى يصــل الحفر الى المــاء دون أن يقترب مــن القبر الكريم او يكشف شيء منــه . ثم أمر ان يصب حول الحجرة النبويــة حائط سميك مــن الرصاص لا يبلــى بمرور الزمن ولا يصل اليه أحــد أبدا ورأى السلطان النبى العظيم يضمــه اليه ويعانقه .. وعاد السلطان قرير العين راضيا وودعه أهل المدينة خير وداع .

وقد عرفــوا شيئا جديدا مــن كيد اليهود .. وحقدهم على رسول اللــه وعلى كل مقدسات الاسلام .

أما السلطان فقد بدا فى طريق العودة وكأنــه يسمع لأول مرة مــا توعدهم به الله فى محكم كتــابه : **(واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) .**

فقال فى نفسه : صدق الله العظيم جزاء وفاقا لما جبلوا عليــه من الغدر والاجرام .



الفتح الذى وحد الجزيرة العربية

للأستاذ : محمد رجاء حنفى

يعدّ صلح « الحديبية » الذى عقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين « قريش » فى أواخر السنة السادسة الهجرية أول مفتاح من مفاتيح هذا المعقل العتيد ، فقد أعلنت « قريش » فى ذلك الصلح اعترافها بأن الرسول الكريم صاحب دين جديد ، وأنه لا مانع من أن توقّع معه عهداً يستقر السلم بمقتضاه بينهما ، بعد عجزها العجز التام فى القضاء عليه وعلى دعوته ، وبعد أن باءت جميع محاولاتها التى بذلتها فى سبيل ذلك بالفشل .

لقد ظلت أعواما طوالا لا تعترف بالرسول صلى الله عليه وسلم ولا بما جاء به ، فدينه يخالف دينها وعقائدها ، وتقاليدها وتقاليد آبائها وما توارثته عن أجدادها ، وهو قد قلب أوضاعها رأسا على عقب ولكنها ظلت على كبريائها وتعاظمها تفترى على الرسول صلى الله عليه وسلم الأكاذيب ، وتنعته بما تشاء من الأوصاف التى تشوّه سمعته ودعوته بين العرب ، فلما عجزت بكل وسائلها فى القضاء عليه وعلى دعوته ، لم تر إلا أن تنزله منها منزلة الند من الند ، وأن تصالحه ولو إلى حين حتى تضمن أن تعيش معه فى سلام .

ثم كانت عمرة القضاء في العام التالي لصلح « الحديبية » المفتاح الثاني من مفاتيح هذا المعقل ، فقد كان مظهر المسلمين في هذه العمرة وهم في توادهم وتراحمهم ، وفي حسن انقيادهم ودقة نظامهم ، وفي ائتلافهم وتضامنهم ، وفي صدق محبتهم وإخلاصهم لرسولهم صلى الله عليه وسلم ، وفي قوة حماسهم لدينهم وشدة تمسكهم بآدابه وتعاليمه ، وفي بالغ تقديسهم للبيت الحرام وتعظيم حرماته ، وفي كل ما يؤدونه من شعائر هذه العمرة ، كان لمظهر المسلمين في كل هذا أكبر الأثر في هز نفوس أهل « مكة » هزا عنيفا وفي لمس مكان العقيدة من قلوبهم ، فأخذوا ينظرون إلى المسلمين نظرة الإعجاب والتعظيم والإكبار ، وينظرون إلى الاسلام نظرة التفكير والتأمل والتدبر ، ويوازنون بين هذا الدين وبين ما هم عليه من عقيدة لا يقرّها عقل ، وتقاليد لا يقبلها المنطق ، ويقارنون بين عبادة المسلمين التي تمتاز بالروحانية والخضوع لله عز وجل ، وبين عبادتهم التي لا تستند إلى شيء ، وليس لها أساس تقوم عليه ، ويدخلها الكثير من اللغو والخرافات .

وعندما أمعنوا النظر في كل ما شاهدوه ، رأوا الفرق الكبير والمسافة البعيدة بين دينهم ودين الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فرقّت له قلوبهم واستعدت ، واستراحت نفوسهم وتهيأت ، فأسلم الذين استطاعوا الجهر بالإسلام ، وأسرّ الآخرون من المستضعفين اعتناقهم لهذا الدين ، وكان الكثير منهم قد تهيأ بنفسه وقلبه لأن يسلم ولكن منعته ظروف حائلة ، ومصالح مستعجلة مدة من الزمن ، فكل ذلك أحدث تخلخلا في دين أهل « مكة » الوثني أثناء عمرة القضاء ، وكان هذا من الأسباب التي هيأها الله لفتح « مكة » .

نقض الصلح :

وشاءت إرادة الله عز وجل أن تزول بقية العقبات من طريق فتح « مكة » ، فكان ما حدث في السنة الثامنة من الهجرة ، من نقض « قريش » لصلح « الحديبية » .

لقد كانت هناك خصومات ومشاحنات قديمة بين قبيلتي « خزاعة » و « بني بكر » من أيام الجاهلية ، ولكن نار العداوة بينهما خمدت بعد صلح « الحديبية » ، لدخول « خزاعة » في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودخول « بني بكر » في عهد « قريش » ، فحلّ الأمان والسلم محل الحرب بين القبيلتين ، ولكن حادثا طرأ جعل الحرب تشتعل نارها من جديد بينهما ، ذلك أن أحد أفراد قبيلة « بني بكر » وقف ذات يوم يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم

على مسمع من رجل خزاعي ، فثارت ثائرته وقام إليــه وضربــه ، فأعلنت قبيلة « بني بكر » الحــرب على خزاعة ، وأخــذت تتأهــب للانتقام ، وحرضهم على ذلك جماعة من « قريش » ، منهم عكرمة بن أبي جهل ، وبعض سادات « قريش » ، وأمدوهم بالسلاح .

وفي ذات ليلة كانت « خزاعة » على ماء لها يسمى « الوتيــر » ففاجأتها قبيلة « بني بكر » ومن معهــا مــن « قريش » ، فلجأت « خزاعة » إلى الحرم تحتمي به ، ولكن ذلك لم يمنع قبيلة « بني بكر » من مقاتلتها في المسجد الحرام ، فاستنصرت « خزاعة » برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب وفد منهم إلى « المدينة » ، وعلى رأسه زعيمهم عمرو بن سالم ، وأخبروا الرسول الكريم بما كان من أمر هذا الغدر الذي اشتركت فيه « قريش » ، وكان مما قاله زعيمهم للرسول صلى الله عليه وسلم :

يا رب إني ناشــد محمــدا حلف أبيــه وأبينــا الأتلــدا
قد كنتــم ولــدا وكنــا والــدا ثمت أسلمنا فلــم ننزع يــدا
فانصر رســول الله نصرا أبــدا وادع عبــاد الله يأتــوا مــددا

فقال له الرسول صلى الله عليه وســلم وعينــاه تدمعــان : « نصرت يا عمرو بن سالم » ، وفي رواية : « لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصر به نفسي » ، وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضــب مما كان مــن شأن بني بكر غضبا لم أره غضبه منذ زمان » ، ثم قال الرسول الكريم لعمرو بن سالم وأصحابه : « أرجعوا وتفرقوا في الأودية » ، فرجعوا وتفرقوا ، وكان عددهم أربعين راكبا ، وقد قصد الرسول صلى الله عليه وسلم بتفرقتهم إخفاء مجيئهم ، ورأى الرسول الكريم أن الوقت قد حان لفتح « مكة » ، فأخذ يستعد لهذا الفتح .

سفارة أبي سفيان إلى المدينة :

وقدّر الرسول صلى الله عليه وسلم أن « قريشا » ستــدرك سوء ما صنعت ، وأنها سترسل إليه من يقوم بإصلاح ما أفســده الغدر بينها وبينه ، فقال لأصحابه : « كأنكم بأبي سفيان قد جاءكــم ليشدّ في العقد ويزيد في المدة » .

وحدث ما تنبّأ به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقــد رأت

« قريش » أن تتدارك الأمر ، وأن تزيل ما تركته زيارة الوفد الخزاعي لـ « المدينة » من أثر فى نفوس المسلمين ، فانتدبت أبا سفيان مفوضا من قبلها لزيارة « المدينة » ، وللسعي لحل الخلاف سلميا ، ولإبقاء عهد « الحديبية » نافذا محترما ، ويمدّ في مدته إذا أمكن ذلك ، فقد ذاقت « قريش » بواسطته طعم الهدوء والراحة بعد أن حرمت منهما أعواما طوالا ، فعكفت على العناية بتجارتها ومصالحها الاقتصادية ،

ووصل أبو سفيان إلى « المدينة » ، وقصد أول ما قصد منزل ابنته أم حبيبة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لشعوره بخطورة المهمة المكلف بالقيام بها ، فآثر الا يذهب إلى الرسول الكريم رأسا قبل أن يمهّد الطريق لمقابلته .

وعندما أراد أبو سفيان الجلوس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فاندهش من هذا التصرف وسألها : أرغبت به عن الفراش أم رغبت بالفراش عنه ؟ فأجابته بأنه فراش الرسول الكريم ولا يجدر بالمشركين من أمثاله الجلوس عليه ، فوقع هذا الكلام على نفس أبى سفيان وقعا اليما ، فلم يكن يتوقع هذا من ابنته أقرب الناس إليه ، وخرج من عندها مصدوما ، حزين النفس جريح الفؤاد ، ثم ذهب إلى المسجد فزار الرسول الكريم وكلّمه فيما جاء لأجله ، وعرض عليه أن يمدّ أجل الهدنة ، واعتذر عما حدث من قبيلة « بنى بكر » لقبيلة « خزاعة » ، فأعرض الرسول صلى الله عليه وسلم عنه وأبى أن يجيبه أو أن يناقشه ، فكانت هذه الصدمة أنكى وأمرّ من الأولى ، فخرج من المسجد وهو أشد ما يكون ذلا وانكسارا وذهب يستشفع بأصحاب رسول الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذهب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه — فرفض معتذرا فى لطف ، فتوجه الى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فأغلظ له فى الرد ، وقال له فى جفاء : « أنا أشفع لكم إلى رسول الله ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به » ، فخرج من عنده إلى على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — ، وكلّمه كلاما رقيقا لينا لإثارة عاطفته ، فقال له : « يا على : إنك أمسّ القوم بى رحما ، وقد جئتك فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا ، فاشفع لى » ، فأجابه معتذرا ، وفشلت بذلك سفارة أبى سفيان .

الاستعداد لفتح مكة :

أصدر الرسول صلى الله عليه وسلم عقب سفر أبي سفيان أمرا بالتعبئة العامة ، وأشار بأن تكون سرّية ، وأرسل إلى البدو ومن حولهم من الأعراب ليحضروا رمضان بـ « المدينة » ، فاستجابت القبائل لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتدفقت على « المدينة » وعسكرت بأرباضها ، ولشدة حرصه على ألا يريق دما بـ « مكة » أخفى وجهته عن المسلمين ، وأمر بوضع حرّاس على أبواب الطرق ومداخل البلاد يحرسونها ، ويردّون عنها من لا يعرفونه ، فلا يفلت أحد ولا يصل إلى « قريش » خبر .

وبعد أن اكتمل جمع المسلمين أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سائر إلى « مكة » ، وأمرهم بالتهيؤ والاستعداد ، وسأل الله عز وجل أن يأخذ العيون والأخبار على « قريش » ، فلا تعلم بتحركه حتى يفاجئها في بلادها .

خطأ غير مقصود :

وبينما الجيش على أهبة السير إلى « مكة » كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى « قريش » يخبرهم فيه بما اعتزم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستأجر امرأة من « مزينة » تدعى سارة ، وأعطاها الكتاب وأمرها أن تتلطف وتحتال حتى تبلغه إلى « قريش » فأخذت سارة الكتاب وأخفته ، واستطاعت أن تخرج به من « المدينة » واتجهت في طريقها إلى « مكة » ، وأتى الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما فعل حاطب،فأرسل في إثر سارة علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ، فأدركاها في الطريق واستخرجا منها الكتاب ، وأحضراه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فدعا الرسول الكريم حاطبا وأطلعه على الكتاب الذي أرسله ، ثم قال له : « ما حملك على هذا ؟ » ، فأيقن حاطب أنه هالك لا محالة ، وأنه لا نجاة له إلا بإخبار الرسول الكريم عن الدافع الذي دفعه إلى ارتكاب هذا العمل ، فقال : « يا رسول الله : لا تعجل عليّ ، فوالله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيّرت ولا بدّلت ، ولكنني كنت امرأ ليس في القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه ، وكان من معك من المهاجرين — ممن له أهل أو مال بمكة — لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت — إذ فاتني النسب

فى قريش — أن اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ، ولم أفعله ارتدادا عن دينى ، ولارضا بالكفر بعد الإيمان .

ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم فى لهجة حاطب أمارات الصدق وسلامة النيّة فيما أقدم عليه ، فقال لمن حوله : « أما إنه قد صدقكم فيما أخبركم به » ، وقد عفا عنه الرسول الكريم نظرا لتاريخه وماضيه المشرّف فى الدفاع عن حرمات الإسلام .

مسيرة الجيش :

استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر الغفارى رضى الله عنه على « المدينة » نائبا عنه ، وخرج منها فى عدد من المهاجرين والأنصار والوافدين على « المدينة » من القبائل يبلغ نحو عشرة آلاف مقاتل ، فى اليوم الثامن من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، وتحرك هذا الجيش الضخم المنظم ، الموحد القيادة والغاية ، عبر الصحراء الواسعة قاصداً « مكة » ، وسار يطوى الفيافى والقفار والمسلمون صائمون ، وهم جد حريصين على كتمان أمرهم وإخفاء خبر مسيرهم حتى وصلوا إلى « مر الظهران » ، فاستقر الجيش فيه وضرب مخيمه استعداداً للعمل العظيم الذى ينتظره ، ولما كان وصول المسلمين إلى هذا المكان فى المساء ، فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين باشعال النيران فى مواضع نزولهم ، فأشعلوا عشرة آلاف شعلة بعدد أفرادهم ، فبدا نورها ساطعا يضىء ظلام الصحراء ، ويتلألأ فى فضائها الواسع حتى جعل ليلها نهاراً .

وغُمّ على زعماء « قريش » أمر المسلمين ، وانقطعت أخبارهم عنهم ، ولما كانوا واثقين من أنهم لن يتركوهم وأنهم سينتقمون منهم لاعتدائهم على قبيلة « خزاعة » ، فقد أقلقهم عدم معرفتهم ما يدّبر فى « المدينة » .

وغادر أبو سفيان « مكة » فى نفس الليلة التى نزل فيها المسلمون « مر الظهران » ، ومعه حكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، ليتسقطوا أخبار المسلمين ، فشاهدوا النار التى أشعلها المسلمون ، واسترعت نظر أبى سفيان ، وتوقع بديل أن تكون هذه النيران نيران « خزاعة » ، ولكن أبا سفيان استبعد ذلك ، لأن « خزاعة » فى نظره أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وهذا عسكرها .

وكان العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم قد خـرج باولاده مهاجرا الى « المدينة » لينضم الى ابن أخيه ، فالتقى به فـى الطريق ، فبعث بأهله الى « المدينة » ورجع مع الرسول الكريم ، وقد كان هذا اللقاء بين الرسول الكريم وعمه مصادفة مباركة حقن الله عز وجل بها الدماء ، ويسر الأمور ، وذلل بها الصعاب فى طريق الفتح على مكان يحب ويرجو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخشي العباس على أهـل « مكة » من نتائج هذه الحمـلة المباغتة ، فأخذ يفكر فيما سيترتب لو حدثت مقاومة من « قريش » لجيش المسلمين ، حتما ستكون هناك خسائر فى الأرواح ، ورأى الدمار وشيك الوقوع بساحة « قريش » ، فراود الأمل نفسه فى أن يهديه الله حيلة يمنع بها الكوارث التى تكاد أن تحل بهم ، فركب بغلة الرسول صلى الله عليه وسلم وخرج من معسكر المسلمين قاصدا « مكة » ليخبر « قريشا » بالجيش الضخم الذى جاء لقتالهما ، فيؤثر بذلك فى معنوياتها ويضطرها الى التسليم بدون قتال ، فتحقن بذلك دماؤها ، وتنجو من معركة ليست فى صالحها على الاطلاق ، فسمع وهو فى طريقه الى « مكة » حديث أبى سفيان مع صاحبيه ، فناداه العباس وطلب منه أن يركب معه ليأتى به رسول الله صلى الله عليـه وسلم ويستأذنه له فوافق أبو سفيان على طلب العباس ، فأردفه وراءه ورد صاحبيه الى « مكة » وسار به حتى وصل الى خيمـة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأنزله وأسرع به الى داخل الخيمة،

إسلام أبى سفيان :

وفى الصباح جيء بأبى سفيان إلى مجلس الرسول صلى اللـه عليه وسلم ، وبمسمع من كبراء المهاجرين والأنصار قال له الرسول الكريم : « ويحك أبا سفيان . ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » فقال أبو سفيان : « ما أحلمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره ما أغنى عنى شيئا » ، فقال له الرسول صلى اللـه عليه وسلم : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ » ، فقال أبو سفيان : « أما هذه فوالله إن فى النفس منها الآن شيئا » ، فتدخل العباس وقال له : « ويحك . أسلم قبـل أن تضرب عنقك » ، فأسلم .

وطلب العباس من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل لأبى سفيان شيئا لأنه يحب الفخر ، فأعلن الرسول الكريم أن من دخـل

دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .

رجوع أبى سفيان إلى مكة :

عاد أبو سفيان إلى « مكة » مبهورا مذعورا ، وهو يشعر أن من ورائه إعصارا مدمرا إذا انطلق اجتاح « قريشا » وقضى عليها القضاء المبرم ، وشاهد أهل « مكة » القوات الاسلامية تقترب منهم ، ولم يكونوا حتى ذلك الوقت قد استقر رأيهم على قرار حاسم ، فاجتمعوا بسادتهم ينتظرون منهم الرأى الأخير ، فإذا بصوت أبى سفيان يرتفع مجلجلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أتى « قريشا » بما لا قبل لها به ، وأنه من الخير لهم أن يستسلموا بدون قتال ، ثم أعلن أن من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت زوجته هند وجذبته من لحيته وقالت : « اقتلوا هذا الشيخ الأحمق ، قبّح من طليعة القوم » ، فلم يكترث أبو سفيان بما صنعته وقالته وقال : « ويلكم ! لا تغرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » ، فردوا عليه بقولهم : « قاتلك الله ! وما تغنى عنا دارك ؟ » ، فأكمل : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » ، فتفرقوا مذعورين إلى بيوتهم وإلى المسجد .

تطويق مكة ودخولها :

وعندما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى « ذى طوى » ، واقترب من أبواب « مكة » فرّق الجنود والقادة على مداخلها وأحاط بها من كل جانب ، ثم أمر الزبير بن العوام أن يدخل « مكة » من جهة الشمال بمن معه من الجنود ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل بفرقته من الأنصار من الغرب ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل بفرقته من الجنوب ، وأمر أبا عبيدة بن الجراح أن يدخل بفرقته من المهاجرين من الشمال الشرقى من جبل « هند » ، وقاد الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه مؤخرة الجيش .

ودخلت القوات الإسلامية « مكة » بلا مقاومة تذكر ، والرسول القائد على ناقته « القصواء » فى غير تكبّر ولا تجبّر ولا خيلاء ، بل فى تواضع وخشوع لله عز وجل ، وهو يذكر يوم أن خرج مع صاحبه مهاجرا ، وأكبّ الرسول صلى الله عليه وسلم على رحل ناقته حتى كاد رأسه الشريف يلمس وسط الراحلة ، شاكرا الله عز وجل على ما تفضّل به عليه من هذا الفتح العظيم ، وما منّ به عليه من هذه النعمة الجليلة .

وظل الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح حتى وصل الى الكعبة ويصحبته المسلمون ، فاستلم الركن بعصا كانت في يده وكبَّر ، فكبر المسلمون بتكبيره حتى ارتجت لتكبيرهم أرجاء « مكة » ، فأشار الرسول صلى الله عليه وسلم أن اسكتوا ، ثم اخذ يطوف بالبيت وهو على ناقته ، وفى كل مرة من طوافه يستلم الحجر الأسود بعصاه إلى أن استكمل الطواف ، وبعد أن فرغ من طوافه نزل من على ناقته ثم سار إلى مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام فصلى فيه ركعتين ، ثم اتجه إلى زمزم فشرب منها وتوضأ ، والمسلمون من حوله كل منهم يود أن يأخذ ماء وضوئه ، وجعلوا يصبونه على وجوههم ، والمشركون ينظرون ويتعجبون لما يرون ويقولون : « ما رأينا ملكا أبلغ من هذا ولا سمعنا به » .

ثم جلس الرسول صلى الله عليه وسلم فى جانب المسجد ، وأبو بكر الصديق واقف وراءه متقلدا سيفه ، ودعا عثمان بن طلحة ففتح له الكعبة ، فدخل وصلى بها ركعتين ، ثم وقف على باب الكعبة وقال : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ، ثم ألقى خطبة طويلة بيّن فيها الكثير من مبادىء الإسلام ، ثم قال : « يا معشر قريش : إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب » ، ثم قرأ قوله عز وجل : « يأيها الناس : إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إنا أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » ، ثم قال : « يا معشر قريش : ماذا تقولون ؟ وماذا تظنون انى فاعل بكم ؟ » ، وقالوا : « خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم » ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أقول كما قال أخى يوسف : لا تزريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وقد كان من أثر هذه السياسة الرشيدة الحميدة أن كسب الرسول صلى الله عليه وسلم قلوب أهل « مكة » ، فأقبل على الإسلام فتيان « قريش » وشيوخها ونساؤها ، ولم يحجم عنه إلا البعض من الذين أكل الحقد قلوبهم وملأ البغض نفوسهم ، ثم لم يلبثوا طويلا حتى دخلوا فى الدين الجديد بعد أن شرح الله عز وجل صدورهم للاسلام وصاروا من حماة الدين ومن خير المدافعين عنه .

هدم الأصنام :

دخل الرسول صلى الله عليه وسلم « مكة » يوم الفتح وعلى الكعبة ٣٦٠ صنما ، لكل حى من أحياء العرب صنم قد شدت أقدامه بالرصاص ، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم بقضيب من الحديد

واخذ يهوى به على كل صنم منها فيخرّ على وجهه والرسول الكريـــم يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ، وأمر بكسر « هبل » وكان فى داخل الكعبة ، وأحرقت ومحيت كل صورة بالكعبة وأخرجت صورة سيدنا ابراهيم عليه السلام الذى كان مصوّرا وفى يدم الأزلام يستقسم بها ، فنظر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم مليا وقال : « قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام . ما شأن ابراهيم والازلام ؟ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » ، وبذلك طهّر البيت الحرام من الأصنام والصـــور .

ثم أخذ الناس يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم علـــى الإسلام ، فكان ممن أسلم فى هذا اليوم معاوية بن أبى ســـفيان ، وأبو قحافة والد أبى بكر الصديق ، وقد سُرَّ الرسول صلوات اللـــه وسلامه عليه سرورا عظيما بإسلامه .

ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن على ظهـــر الكعبة الشريفة ، فانطلق صوته يدوى : الله أكبر . الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، وخشعت الأبصار من كل جانب ، واتجهت الألوف إلى الكعبة حرم الله الآمن ، يستقبلونهـــا فى صلاتهم خاشعين ، فكان يوما مجموعا له الناس ويوما مشهودا ،

نتائج فتح مكـــة :

الواقع أن فتح « مكة » لم يكن خاتمة النضال بين المسلميـــن و « قريش » وحدهما ، وقد امتد واحدا وعشرين عاما تقريبا ، ثلاثة عشر عاما قبل الهجرة ، وثمانية بعدها ، بل كان خاتمة النضال فـــى جميع بلاد العرب ، ووسيلة لاتساع نطاق الإسلام وانتشاره فى داخل « الجزيرة العربية » وخارجها ، فلم يطل الوقت على القبائل القاطنة فى شرق « الحجاز » وكانت تلتزم سياسة الحياد فى الصراع الدائر بين « مكة » و « المدينة » ، حتى أقبلت وفـــودها تتسابـــق على « المدينة » تعلن إسلامها وانضمامها إلى الدولـــة الجديـــدة بمحض رغبتها واختيارها ، وبدون ضغط أو إرهاب .

وفتحت أبواب « مكة » لدعوة الإسلام ، فانهدم حصن الشرك العتيد ، وانهار ذلك السد المنيع الذى قام فى وجه الدعوة منذ قامت .

ومنذ ذلك اليوم صارت « مكة » كعبة الإسلام ، وقبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وستظل كذلك إن شاء الله إلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها .

الفتاوى

مرض الربـــو

السؤال :

رجل مريض (بالربو) مرضا مزمنا ، ووصف له دواء يخفف عنه وطاتـــه يتعاطاه من وقت لآخر واذا توانى فى تعاطيه ، يحصل له ضرر جسمانى عظيم ، فهل يباح له الفطر ؟

الاجابة :

يجوز له الفطر شرعا فى هذه الحالة ، وعليه القضاء بعد زوال المرض ، والله أعلم .

القرحة المعوية

السؤال :

رجل أصيب بقرحة فى أمعائه ، وقرر الأطباء ، انه لا يصح ان يدع الطعام فترة تزيد على خمس ساعات ، بحيث اذا تركه فيها تعرضت حياته للخطر ، فهل يجوز له شرعا ، أن يفطر رمضان ، وهل يجوز أن يؤخر قضاء ما فاته من صومه الى أن يتم برؤه ؟

الاجابة :

يباح شرعا لهذا المريض فطر رمضان وتأخير قضاء الصوم الواجب عليه الى أن يتم شفاؤه من مرضه ، وقد أخبر الأطباء الحاذقون أن فى جوع المصاب بهذه القرحة خطرا عظيما عليه ، وانه لا يصح أن يدع معدته خاوية ، وأنه يلزم الا يقل عدد أكلاته فى اليوم والليلة عن ست ، وقد رخص الله للمريض بأقل من هذا المرض فى الفطر : **(وما جعل عليكم فى الدين من حرج)** .

والدين يسر لا عسر ، فاذا كمل برؤه قضى ما فاته ، قال تعالى : **(فمن كان منكم مريضا أوعلى سفر فعدة من أيام أخر)** .

الصيام فى السويد

السؤال :

نحن مسلمون منتدبون للعمل فى بلاد السويد ، وستضطرنا هذه الاعمال الاميرية لقضاء شهر رمضان الكريم فى هذه البلاد ــ وكما لا يخفى فان الشمس فى بعض الشهور تشرق فى الساعة الثانية صباحا وتغرب فى العاشرة مساء تقريبا ، أى فترة غياب الشمس حوالى أربع ساعات فقط ، ونحن لسنا من أهل البلد نفسها ، وحاولت الصيام فى ٢٧ رجب و ١٥ شعبان وتعبت ، ولكن لم يفت من عزيمتى وعزيمــة اخــواني ولكن رأينا أن نستشير فضــيلتكم بما يتبع ، ونستفتى منكم الحكمة والمشورة الى سواء السبيل ، فنرجو الافادة عما يتبع بالصيام أو عدمه وهل فى الامكان صيام بعض الايام على قدر الامكان ؟؟ .

الاجابة :

انه يجب على المستفتى واخوانه الذين ورد ذكرهم فى السؤال الصوم ما لم يغلب على ظنهم حصول مرض بالصيام بتجربة أو امارة اخرى فاذا غلب على ظنهم ذلك ، جاز لهم الفطر على أن يقضوا فى أيام أخر ، وليس بلازم فى قضاء ما أفطروه أن يكون فى أيام متتابعة .

مريض بالسل

السؤال :

أنا مريض بالسل من نحو سنتين ، ومنعنى الطبيب من الصوم منذ مرضت، فما حكم السنتين ، مع العلم بانى غير قادر على الفدية ، وهل يجوز لى أن أصوم ثلاثة أيام من كل شهر لأقضى ما على ، وأنا لا أزال مريضا وتحت العلاج .

الاجابة :

أما بعد فتفيد اللجنة بأن المريض الذى يتضرر بالصوم بأن يزيد مرضــه بالصوم أو يتأخر برؤه منه لو صام ، لا يخلو أمره من حالتين ــ الأولى : أن يكون شفاؤه مرجوا ــ وحكمه أن له أن يفطر فى رمضان ويقضى ما قدر عليــه بعــد الشفاء ، ولا يجب فى القضاء التتابع ، ولا فدية عليه ، فاذا مات قبل الشفــاء فليس عليه شىء ــ والثانية : أن يكون المريض لا يرجى شفاؤه كالشيخ الفانى الذى فنيت قوته ويئس من رجوع قدرته على الصوم ، فلا يجب عليه الصوم ، وعليه الفدية لكل يوم نصف صاع من قمح أو قيمته ، فان لم يقدر على الفــدية بأن كان معسرا لم تجب عليه ، واذا شفى المريض الذى كان لا يرجى شــفاؤه وجب عليه أن يقضى ما قدر عليه من الأيام .

هذا وتضرر المريض بالصوم يعرف بغلبة الظن بناء على تجربة أو اخبــار طبيب يوثق به ونحو ذلك ، وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

صورة الغـــلاف للعـــدد ١١٥

كانت صورة الغلاف للعدد ١١٥ لشهر رجب ١٣٩٤ هـ ــ يوليو ١٩٧٤ صورة لقسم من المسجد الابراهيمي في مدينة الخليل الصامدة بفلسطين . وهذا القسم خاص بالقبة المحمولة على قاعدة مربعة تحملها أربعة أعمدة رخامية حول فتحـــة الغار الشريف يطل عليها شيخ سدنة المسجد الابراهيمي .

والى جانب هذه القبة أخذت اللقطة قسما من السدة التى يجلس عليها المبلغ يوم الجمعة .

وقد ظهرت في الصورة أيضا صور بعض أهالي المدينة بزيهم الخاص المتميز .

وظهرت أيضا فتحة الباب المؤدى الى حجرة ما بين مقامى خليل الله ابراهيم عليه السلام وزوجته السيدة سارة رضى الله عنها .

ويبدو أن اللقطة اخذت قبل عام ٦٧ لظهور السجاد يغطي أرض المسجد علما بان أرض المسجد قد جردت من السجاد بعد تدنيس الكفرة الفجرة لبيت الله .

وقد كتبت المجلة على جانب الصورة من الداخل عبارة (أحد المساجد الفخمة فى دمشق) ..

عبد السلام عمران أبو شخيدم
السعوديـــة

التوبة بـــلا بسملـــة لمـــاذا .. ؟

لماذا لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فى أول سورة التوبة كبقية سور القرآن الكريم .. ؟

وهل هناك سبب لوجودها فى الترتيب بعد الانفال ؟

محمد عبد الخالق مسعود ــ القاهرة

من البين أن سورة التوبة كتبت دون بسملة فى مصحف سيدنا عثمان بن عفان ، وهو المصحف الامام الذى جمع فى خلافته رضى الله عنه ، ووزعت منه نسخ على الامصار دون اعتراض من الصحابة ، أو انكار منهم ، فعد هذا الرضا من الصحابة اجماعا منهم ، وقبولا لوضع سورة التوبة بدون بسملة .

وفى رواية النسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قلت لعثمان رضى الله عنه ما حملكم أن عمدتم الى الأنفال وهى من المثانى ، والى التوبة (براءة) وهى من المئين فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا سطر (بسم اللـــه الرحمن الرحيم) ووضعتموهما فى السبع الطوال فما حملكم على ذلك ؟ قال عثمان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الشىء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ((ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا)) ، وقبض رســـول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين أنها منها ، فظننت أنها منها ، فمن ثم قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) .

وقد وضح من سياق الحديث السابق هذا أن التوبة قد تركت بدون بسملة ، وقرنت بالأنفـــال ولم يفصل بينهما على عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعهد الصحابة رضوان الله عليهم ، وأن وضع السورتين هكذا فى السبع الطوال من القرآن الكريم يؤكد أنهما نزلتا منزلة واحدة وأصبحتا كالســـــورة الواحدة ، ولذلك كانتا تدعيان بالقرينتين .

وهناك قول آخر يقول انهما سورة واحدة ، تركت بينهما فرجة ، ويقول القرطبى (انه كان من شأن العرب فى الجاهلية اذا كان بينهم وبين قوم عهد فاذا أرادوا نقضه كتبوا اليهم كتابا ولم يكتبوا فيه البسملة فلما نزلت سورة التوبة بنقض العهد الذى كان بين النبى صلى الله عليه وسلم والمشركين بعث بها النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فقرأها عليهم فى الموسم ولم يبسمل فى ذلك على ما جرت به عادتهم فى نقض العهد من ترك البسملة .

وفى رواية أخرى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : سألت على ابن أبى طالب لم لم يكتب فى التوبة (بسم الله الرحمن الرحيم) قال لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان ، والتوبة نزلت بالسيف ، فليس فيها أمان .

وقال المبرد لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم لانها رحمة ، وبراءة نـــزلت سخطة أو بسخطه .

ويقول القشيرى (أن سورة براءة لم تكتب فى أولها بسم الله الرحمن الرحيم لأن جبريل ما نزل بها فى هذه السورة ، وفى قول سيدنا عثمان قبض رســـول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها دليل على أن السورة كلها أنتظمت بقوله وتبيينه ، وأن براءة ضمت الى الانفال من غير عهد من النبى صلى الله عليه وسلم لما عاجله من الحمام قبل تبيينه ذلك ، وكانتا تدعيان القرينتين فوجب أن تجمعا ، وتضم احداهما الى الأخرى ، للوصف الذى لزمهما من الاقتران ،ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى) .

كما أن هناك وجه شبه بين السورتين فالانفال من أول ما نزل بالمدينة ، وبراءة من آخر ما نزل بالمدينة ، والمعول عليه فى القول بالنزول هو أول السورة، اذ المعلوم أن بعض السور ظل مفتوحا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تتنزل الآية يقول ضعوها فى مكان كذا من السورة كذا .

هذا ما قيل حول ترك (بسم الله الرحمن الرحيم) فى أول براءة ، وبين علاقتها بالأنفال .

بأقلام القراء

(شهر رمضان شهر التصفية الروحية)

ان المسلمين فى جميع بقاع الارض يحتفلون بقدوم شهر رمضان ، ويعلنون ابتهاجهم بهذا الشهر العظيم وحق لهم ان يحتفلوا ويبتهجوا لأنه شهر حافل بالخيرات معمور بالبركات فصومه ركن من اركان الاسلام الخمسة ودعامة من دعائم الدين التى يقوم عليها ، والله سبحانه لا يفرض فرضا ولا يقدر امرا الا وله حكمة سامية وسر عجيب يدركه العقل الرشيد ، ويقدره من سمت أفكاره ورسخ ايمانه واستنار عقله .

وها هو الصوم وسره ، وشهر رمضان وفضله ، فالصوم كف النفس عن عن شهوتى البطن والفرج ، واذا ما كف الانسان نفسه عن هاتين الشهوتين كان ملكا وعبدا لله مخلصا ، واستحق شرف العبودية التى يعنيها الله فى قوله : **(إن عبادى ليس لك عليهم سلطان)** .

اله هذا شأنه يغار على عبده هذه الغيرة فوق نعمه المتتالية ظاهرها وباطنها ، (**وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها**) ومن هذه النعم فرضه الفرائض التى يعود نفعها على العباد خاصة ، فالصوم من طبعه يحول بين المرء وبين امتلاء المعدة التى هى علة العلل ، وقد قال طبيب العرب حارث بن كلدة « ان المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء » قال بعض الحكماء « الدواء الذى لا داء معه الا تأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه » ومن غير شك ان فى حفظ الجسوم حفظا لكيان الأمم والشعوب وهناك فائدة أخرى تنجم عن الجوع وهى المحبة والوئام بين الناس بل وبين العبد وربه فان الانسان عندما يشعر بألم الجوع وشدة الظمأ يحصل له الذلة والانكسار ، وعندئذ يشعر بحاجته لمولاه فيتواضع لبارئه الذى خلقه وسواه ويطرح رداء الكبر والعظمة فانهما من صفات الله جل جلاله حيث يقول « **الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فيهما قصمته ولا ابالى** » (١) .

واذا ما ترك العبد هذا لمولاه شعر بانه محتاج لسواه ليعطف على الناس ويتودد اليهم واحس من الجوع ولوعته بحاجة الفقير الى الطعام ، فكان الناس وقتئذ اخوانا متحابين وكانوا كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « **مثل** المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخارى ومسلم عن النعمان ابن بشير .

---

(١) رواه مسلم وابو داود وابن ماجه عن أبى هريرة بلفظ الكبرياء ردائى الخ وبقية الحديث : القيته فى النار .

قيل ليوسف الصديق عليه السلام « لم تجوع وانت على خزائن الارض حفيظ ؟ قال اخاف ان اشبع فأنسى الجائع » فالجوع يدفع صاحبه الى البر والاحســـان ، وشهر رمضان هو الموسم لمن اراد الربح العظيم .

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اجــود الناس بالخير وكان اجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم القرآن فاذا لقيه جبريل عليه السلام كان اجود بالخير من الريح المرسلة . رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس .

والصوم هو الوسيلة العظمى فى تربية ملكة الصبر واحتماله المكاره ، والصبر ملاك الفضائل .

فهو السلاح الذى يكافح به الانسان ويجاهد حتى يظفر بمناه فى دنيـــــاه واخراه ، وقد قيل « الصبر نصف الايمان » رواه ابو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن مسعود .

ووصى به القرآن الكريم فى التنزيل اكثر من سبعين مرة وحسبك من ذلك قوله فى شأنه (**انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**) (الزمر) .

ومن حق الصائم ان يكف جوارحه عن جميع الآثام حتى يكون صومه مقبولا، فيغض البصر عما حرمه الله ويكف اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والخصومة والفحش والجفاء والسمع عن الاصغاء الى ما هو محرم . وقال الامام البيضاوى « ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الامارة بالسوء فاذا لم يحصل له ذلك لا ينظـــر الله إليه نظر قبول ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه (٢) هذا مجاز عن عـــدم القبول فنفى السبب واراد المسبب ا هـ. لانه بترك الطعام والشراب قد اتى بجسم الصوم وبفعله المحرم قد أذهب روحه . والصوم بلا روح غير مقبول كجسم بلا روح فهو غير موجود والغاية من العبادات روحها انظر الى قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصـــيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) فالغاية من فريضة الصوم هى تقوى الله لا مجرد ترك الاكل والشرب . وقال عليه الصلاة والســـلام « الصيام جنة » اى وقاية للجســـم والروح من [illegible] والشـــرور .

وقد اختار الله هذا الشهر المبارك للصوم من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، لانه عند الله طيب مبارك فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى شهر رمضان ونزل عليه جبريل عليه السلام وهو يتعبد فى غار حراء فى هذا الشهر ، فهو شهر مبارك حيث ابتدأت فيه دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى الخلق لاتباع الحق ، وظهر نور الاسلام فى طول البلاد وعرضها ، وفيه نزل القرآن الكريم الذى طمس معالم الباطل ورفع لواء الحق (**شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) (البقرة ـــ ١٨٥) .

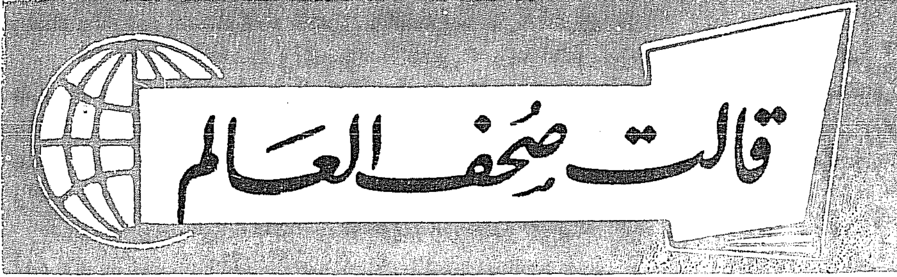
وفى هذا الشهر ليلة القدر التى هى خير من الف شهر ، قـــال الله تعالى (**ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر**) .

الدكتور السيد عبد الله بن عبد القادر بلفقيه

---

(١) اخرج مسلم والنسائى عن طريق سفيان بن عيينة عن أبى الزناد عن الاعـــرج عن ابى هريرة .

(٢) رواه البخارى واحمد والبزار عن ابى هريرة .



ذكرى الحريق

في حومة الصراع الدائر بيننا وبين اليهود تشكل القدس والمسجد الأقصى حجر الزاوية في هذا الصراع ، فليست أرض فلسطين شيئا لولا ارتباطها العقائدى عند المسلمين والنصارى واليهود على السواء ، لأنها أرض الاسراء والمعراج وبلد الأنبياء والمرسلين ، ومهبط رسالة عيسى ، وموطن الاشعاع الحضارى الاسلامى عبر القرون ، من أجله تخضبت الأرض بنجيع الدم الزكى وشهدت المعارك الكبيرة والحروب العنيفة وظلت مسرحا للأحداث الكبرى ، والصراعات المستمرة ، دهرا بعد دهر .

وواضح مخطط اليهود الرهيب فى تهويد القدس وتحويل المسجد الأقصى الى هيكل ، ليعيد ما زعم من هيكل سليمان وأوضح منه ، أن اسرائيل حكومة وشعبا ، فرقا وأحزابا ، لاتدخر وسعا فى استعمال أية وسيلة مشروعة أو غير مشروعة لإزالة المسجد الأقصى وتهويد البقعة المقدسة ، وإزالة أى معلم حضارى إسلامى فى القدس ، فمن عبث القول أن نفيض فى بيان المخططات الرهيبة للتهويد والاستيلاء على المسجد الأقصى والمقدسات جميعا ، وقد أعلنتها اسرائيل وعلمها القاصى والدانى ، وإنما الذى نقوله فى ذكرى حرق الأقصى كلمة مرة مرارة الذكرى ، واضحة وضوح النار التى التهمت جدرانه .

لقد عقد ملوك المسلمين ورؤساؤهم عقب حرق الأقصى مؤتمر القمة فى الرباط ، وتبع ذلك مؤتمرات على مستوى القمة أو مستوى وزراء الخارجية ، وصدرت قرارات ، وتوصيات ، وتمت لقاءات .

ولم يكن ثمة أى تحرك فعلى لمنع التهويد باستثناء الاحتجاجات الصارخة لدى المحافل الدولية على انتهاكات اسرائيل واعتداءاتها على القدس والمقدسات .

لقد حرق المسجد الأقصى ، وتمت الحفريات الأرضية بجوار جداره ، وتصدعت أبنية إسلامية تصور الطابع الحضارى للقدس ، وجرت محاولات متعددة لحرق المسجد ، وبذلت جهود يهودية ضخمة ، وقدمت اغراءات مخيفة لزعزعة صمود أهل القدس والقائمين على شئون المسجد الأقصى من العلماء والموظفين ، ولم تبذل أية دولة عربية أو اسلامية أى جهد مالى أو معنوى لتثبيت

اهلنا في القدس او لمنع اجراءات التهـويد فيها ، أو حراسة المســجد الأقصى والحيلولة دون محاولات الحرق والتخريب مرة أخرى ،

إن تحرير القدس والمسجد الأقصى ، وما احتل من أرض فلسطين ، أمر لا بد منه ، وهو آت طال الزمن أو قرب والى أن يتم التحرير السياسى للقــدس واعادتها عربية إسلامية ، لا بد من مقاومة التهويد بمثل الاجراءات التى تمارسها سلطات الاحتلال ، ولا بد من الحفاظ على المقدسات ولا سيما المسجد الأقصى ، والحيلولة بينها وبين التخريب والتهويد ،

وثمة وسائل متعددة ايجابية ينبغى أن تبذل لمنع التهويد والتدويل ، ولحماية المسجد الأقصى ، نذكرها في ذكرى حريق الأقصى عسى أن يفكر اخواننا فى البلاد الاسلامية عامة والعربية خاصة ، فى العمل الايجابى الجاد الى جانب ما يبذل من جهد سياسى وحتى يتم التحرير من ربقة الاحتلال الاسرائيلى البغيض ،

إن المسجد الأقصى بحاجــة الى تعمير وترميم ، وقد أعدت مشروعــات ضخمة ، تحتاج الى مد يد العون لهذا الاعمار ، وهناك كثير من أراضى القدس يتعرض أصحابها للاغراءات والضغوط لبيعها ويمكن أن تشترى وتسجل وقفــا يحول دون تسربها الى اليهود أو الأيدى المشبوهة ، ويحتاج ذلك الى أن يتقدم أخواننا من القادرين فى البلاد الاسلامية والعربية الى إنقاذها ،

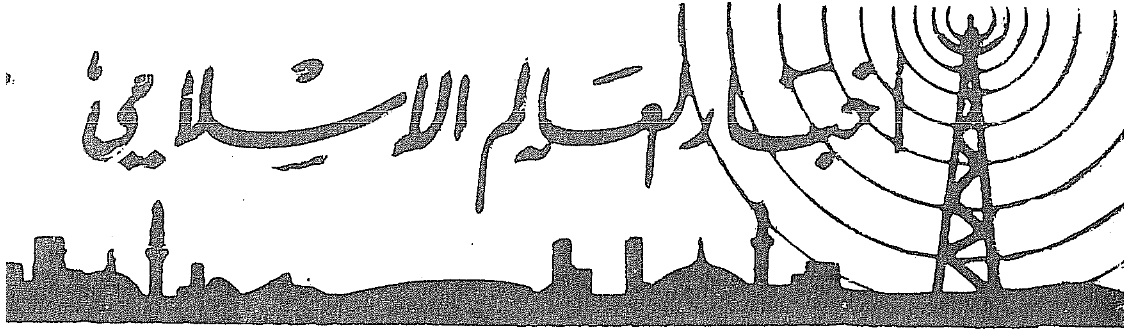
وإن ذكرى حرق المسجد الأقصى يجب أن لا تمر بدون هذا العمل الايجابى لمن أراد أن يعمل مرتفعــا فوق الخلافات والأهــواء متساميا على النعــرات والحزازات ، والمسجد الأقصى والقدس درة العالم الاسلامى ، ومهوى أفئدتهم ، ومطمح أنظارهم ، وبقاؤه فى أيدى الاحتلال ، ورؤيته سلبيا يعتدى عليه ويعمل لإزالته ولا نقوم باى عمل إيجابى ، يعنى الضياع ، والإثم ولعنة الله ، والأجيال على من فرط وضيع ،

عن مجلة (اللواء) الأردنيــة

ترجمة قاديانية محرفة لمعانى القرآن الكريم

حذرت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة المنظمات الاسلامية فى العالم من قيام الطائفــة القاديانية باصدار ترجمات لمعانى القرآن الكريم بهدف الكيد للاسلام والتضليل لعامة المسلمين مؤكدة أن هذا العمل فيه تحــريف للكلم عن مواضعه وتاويل الآيات وتاويلات باطلة ومن هذه الترجمات : الترجمــة التى وضعها الضال محمد على ونشرها واتخــذت منها هذه الطائفــة سبيلا الى التضليل ، وحيث أن هذه الترجمة التى زعموا أنها ترجمة لمعــانى القرآن الكريم وما تلاها من الترجمات التى تصدر عنهم كلها باطلة يكــذبها التفسير الصحيح للقرآن وآياته المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين وائمة المسلمين فى مختلف العصور فضلا عما فيها من التاويلات الفاسدة التى تاباها العقول السليمة وياباها نظام القرآن الكريم البليغ ، والتى قصدوا بهــا التاييــد لضلالتهم المذهبية ، لذلك قرر المجلس التاسيسى لرابطة العالم الاسلامى بالاجماع بطلان هذ الترجمة للقرآن وتحذير المسلمين فى سائر بلاد الاســلام وغيرها من هذه الترجمة وأمثالها ،

مجلة رابطة العالم الاسلامى ــ مكة المكرمة



إعداد الاستاذ : فهمي الامام

الكويت : عاد حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد المعظم الى أرض الوطن بحفظ الله ورعايته بعد أن قضى فترة الراحة والاستجمام فى ربوع لبنان الشقيق .

● يقوم سمو نائب الامير المعظم ولى العهد الشيخ جابر الاحمد الصباح بزيارة للمملكة العربية السعودية ، وسيبحث فى هذه الزيارة المسائل السياسية التى تهم العالم العربى والمصالح التى تهم البلدين .

● زار سعادة الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية جمهورية الصومال ، وقد تم أثناء لقائه مع المسئولين بحث العلاقات بين البلدين ، كما زار سيادته المناطق الصناعية والزراعية .

● ترأس سعادة الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة الدورة الحالية لمجلس جامعة الدول العربية .

● تستضيف وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية عددا من العلماء والوعاظ والقراء خلال شهر رمضان المبارك لالقاء محاضرات وعقد ندوات فى المساجد والجمعيات الاسلامية ومراكز العلم بالاضافة الى العلماء والوعاظ العاملين بالوزارة .

● يزور الكويت خلال شهر رمضان المبارك الدكتور خورشيد أحمد لالقاء عدد من المحاضرات عن الاسلام باللغة الانجليزية .

● قررت الكويت رفع قيمة تبرعها لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين من ٢٢٠ الف دولار الى ٤٠٠ الف دولار .

القاهرة : يقوم مجمع البحوث الاسلامية بالاعداد لمؤتمر علماء المسلمين الثامن الذى تقرر عقده فى ١٥ نوفمبر القادم .

● أصدرت وزارة الاوقاف تعليماتها الى القائمين على شئون المساجد بمنع السياح الذين يرتدون الملابس القصيرة والملابس غير المحتشمة من دخول المساجد .

● اعدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مسابقة لاحسن كتاب عربى يتناول موضوعا يتصل بالحضارة العربية ويكشف عن قيمها واصالتها ، وقد رصدت للمسابقة جائزة قيمتها ٥٠٠ جنيه مصرى .

السعودية : ناشد الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى وزراء التربية والتعليم والمعارف فى الدول الاسلامية ضرورة العناية بتدريس القرآن الكريم فى بلادهم .

● تم اعتماد مبلغ خمسة ملايين ريال لفرش المسجد الحرام بالسجاد الفاخر ، وذلك بعد أن انتهى العمل فى عمارة المسجد .

● سيتم انشاء أكبر جامع فى أفريقيا فى تشاد على حساب المملكة وتبلغ التكاليف مليون فرنك فرنسى ، ومساحة الجامع تقدر بسبعة آلاف وخمسمائة متر مربع .

ليبيا : ذكرت وكالة الانباء العربية الليبية أن ليبيا صادقت على لوائح المصرف الاسلامى للتنمية ، وساهمت فى رأس ماله بمبلغ ٤٥ مليون دينار ليبى .

المغرب : تقرر عقد مؤتمر القمة العربى القادم فى ٢٦ أكتوبر بمدينة الرباط .

عمان : أقيم فى قاعة الكلية العلمية الاسلامية بعمان حفل تأبين لسماحة المرحوم الشيخ أمين الحسينى وقد حضر الحفل كبار المسئولين وفى مقدمتهم رئيس مجلس الوزراء والوزراء وعدد من الاعيان .

السودان : اكد الرئيس جعفر النميرى حرص السودان على التضامن العربى والاسلامى وتحقيق الطمأنينة والرخاء والعمل الجاد على استعادة الحقوق السليبة ، وكان ذلك أثناء تسلمه أوراق اعتماد سفير المملكة العربية السعودية .

العراق : وجه رئيس ديوان الأوقاف الدعوة لعدد من علماء المسلمين لحضور مؤتمر علماء الدين الاسلامى الذى سيعقد فى بغداد عقب عيد الفطر القادم . وصرح سيادته بانه تم الاتفاق مع جامعة الأزهر على ايفاد عدد من الاساتذة للتدريس فى كلية الإمام الاعظم ببغداد ، وكذلك ايفاد عدد من الوعاظ الأزهريين للعمل بالعراق .

أخبار متفرقة

الهند : صدر العدد الجديد من مجلة صوت الاسلام الصادرة باللغة الانجليزية من كيرالا بالهند .

بريطانيا : تعكف الجالية المسلمة فى بريطانيا على بحث مشكلة التعليم المختلط الذى قررت الحكومة تطبيقه فى مدارس البنات الثانوية ، ومن المنتظر أن تخرج بقرارات فى هذا الشأن .

هولندا : سيتم بناء أول مسجد ومركز اسلامى فى مدينة امستردام خلال شهر نوفمبر القادم ، وسيضم المركز قاعة للمحاضرات وصالة للعرض ومكتبة ، وسيؤدى خدماته للمسلمين المقيمين بهولندا .

تركيا : طالب عدد من الصحف التركية باعادة الطابع الاسلامى لمسجد اياصوفيا واقامة الصلاة فيه، وانهاء وضعه الحالى كمتحف .

النيجر : أعلن رئيس دولة النيجر انه سيجرى قريبا انشاء جمعية اسلامية فى النيجر ، مهمتها اتخاذ الاجراءات اللازمة لاقامة جامعة اسلامية ، وتوزيع الأموال المخصصة لبناء المساجد وتنظيم الحج ، والعمل على تطبيق تعاليم الدين الاسلامى ونشر اللغة العربية . وتمثيل النيجر فى الاحتفالات والمناسبات الدينية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	رمضان ١٣٩٤	سبتمبر ١٩٧٤	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)						المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الثلاثاء	١	١٧	٤ ٥	٥ ٣٣	١١ ٤٣	٣ ١٣	٥ ٥٢	٧ ١٠	١٠ ١٣	١١ ٤١	٥ ٥١	٩ ٢١	١ ١٨
الاربعاء	٢	١٨	٦	٣٤	٤٣	١٢	٥١	٩	١٥	٤٣	٥٢	٢١	١٨
الخميس	٣	١٩	٦	٣٤	٤٢	١١	٥٠	٨	١٧	٤٥	٥٣	٢٢	١٨
الجمعة	٤	٢٠	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٨	٦	١٩	٤٧	٥٤	٢٢	١٨
السبت	٥	٢١	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٧	٥	٢٠	٤٨	٥٤	٢٣	١٨
الاحد	٦	٢٢	٨	٣٦	٤١	٩	٤٦	٤	٢٢	٥٠	٥٥	٢٣	١٨
الاثنين	٧	٢٣	٨	٣٦	٤١	٩	٤٥	٣	٢٣	٥١	٥٦	٢٤	١٨
الثلاثاء	٨	٢٤	٩	٣٧	٤١	٨	٤٤	٢	٢٥	٥٣	٥٧	٢٤	١٨
الاربعاء	٩	٢٥	٩	٣٧	٤٠	٧	٤٢	٠٠	٢٧	٥٥	٥٨	٢٥	١٨
الخميس	١٠	٢٦	١٠	٣٨	٤٠	٦	٤١	٦ ٥٩	٢٩	٥٧	٥٩	٢٥	١٨
الجمعة	١١	٢٧	١١	٣٨	٤٠	٥	٤٠	٥٨	٣١	٥٩	٦ ٠٠	٢٦	١٨
السبت	١٢	٢٨	١١	٣٩	٣٩	٤	٣٨	٥٦	٣٣	١٢ ١	١	٢٦	١٨
الاحد	١٣	٢٩	١٢	٤٠	٣٩	٤	٣٧	٥٥	٣٥	٣	٢	٢٧	١٨
الاثنين	١٤	٣٠	١٢	٤٠	٣٨	٣	٣٦	٥٤	٣٦	٤	٢	٢٧	١٨
الثلاثاء	١٥	اكتو:	١٣	٤١	٣٨	٢	٣٥	٥٣	٣٨	٦	٣	٢٧	١٨
الاربعاء	١٦	٢	١٣	٤١	٣٨	١	٣٤	٥٢	٣٩	٧	٤	٢٨	١٨
الخميس	١٧	٣	١٤	٤٢	٣٧	٠٠	٣٢	٥٠	٤١	٩	٥	٢٨	١٨
الجمعة	١٨	٤	١٤	٤٢	٣٧	٠٠	٣١	٤٩	٤٣	١١	٦	٢٩	١٨
السبت	١٩	٥	١٥	٤٣	٣٧	٢ ٥٩	٣٠	٤٨	٤٥	١٣	٧	٢٩	١٨
الاحد	٢٠	٦	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٩	٤٧	٤٧	١٥	٨	٢٩	١٨
الاثنين	٢١	٧	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٨	٤٦	٤٩	١٧	٩	٣٠	١٨
الثلاثاء	٢٢	٨	١٧	٤٥	٣٦	٥٧	٢٦	٤٤	٥١	١٩	١٠	٣٠	١٨
الاربعاء	٢٣	٩	١٧	٤٥	٣٥	٥٦	٢٥	٤٣	٥٢	٢٠	١٠	٣١	١٨
الخميس	٢٤	١٠	١٨	٤٦	٣٥	٥٥	٢٤	٤٢	٥٤	٢٢	١١	٣١	١٨
الجمعة	٢٥	١١	١٨	٤٦	٣٥	٥٤	٢٣	٤١	٥٥	٢٣	١٢	٣١	١٨
السبت	٢٦	١٢	١٩	٤٧	٣٤	٥٤	٢٢	٤٠	٥٧	٢٥	١٣	٣٢	١٨
الاحد	٢٧	١٣	١٩	٤٧	٣٤	٥٣	٢١	٣٩	٥٨	٢٦	١٣	٣٢	١٨
الاثنين	٢٨	١٤	٢٠	٤٨	٣٤	٥٢	٢٠	٣٨	١١ ٠٠	٢٨	١٤	٣٢	١٨
الثلاثاء	٢٩	١٥	٢٠	٤٨	٣٣	٥١	١٨	٣٦	٢	٣٠	١٥	٣٣	١٨

أم المؤمنين السيدة صفية
رضى الله عنها

اسمهـــا : صفية بنت حيى بن اخطب بن سعنة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب ابن أبى حبيب من بنى النضير . وهو من سبط لاوى بن يعقوب .. من ذرية هرون بن عمران اخى موسى عليهما السلام .

أمهـــا : برة بنت سموال .

اسلامهـــا : لما فتح المسلمون خيبر .. واستأصلوا شوكة اليهود .. كان فى السبايا صفية وابنة عم لها .. وجاء بلال يقودهما .. فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بصفية فحيزت خلفـــه ، وألقى عليها رداءه .. فكان ذلك اعلانا بأنه اصطفاها لنفسه .

عن انس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ صفية بنت حيى قال لها : هل لك فىّ ؟ قالت : يا رسول الله : كنت أتمنى ذلك فى الشرك .. فكيف إذا أمكننى الله منه فى الاسلام ؟ .. فأعتقها عليه الصلاة والسلام وتزوجها ..

زواجهـــا : تزوجت مرتين قبل الرسول : زوجها الأول : سلام بن مشكم ، فارس قومها وشاعرهم ، ثم تزوجها بعده : كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق .. وقد قتل فى فتح خيبر .. وعادت صفية مـــع الرسول صلى الله عليه وسلم .. فلما كانا بالصهباء أقيمت وليمة العرس .. وأكل الناس من طيبات خيبر .. ثم دخـــل الرسول على صفية .

روايتها للحديث : كانت رضى الله عنها راوية للحديث وروى عنها : ابن أخيهـــا ومولاها كنانة ، ومولاها الآخر يزيد بن متعب ؛ وزين العابدين على بن الحسين ، ومسلم بن صفوان .

وفاتهـــا : رحلت الى جوار ربها فى خلافة معاوية .. ودفنت بالبقيع مع امهات المؤمنين .. رضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
المغـــرب	:	الدار البيضاء ـــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الأعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شـــارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

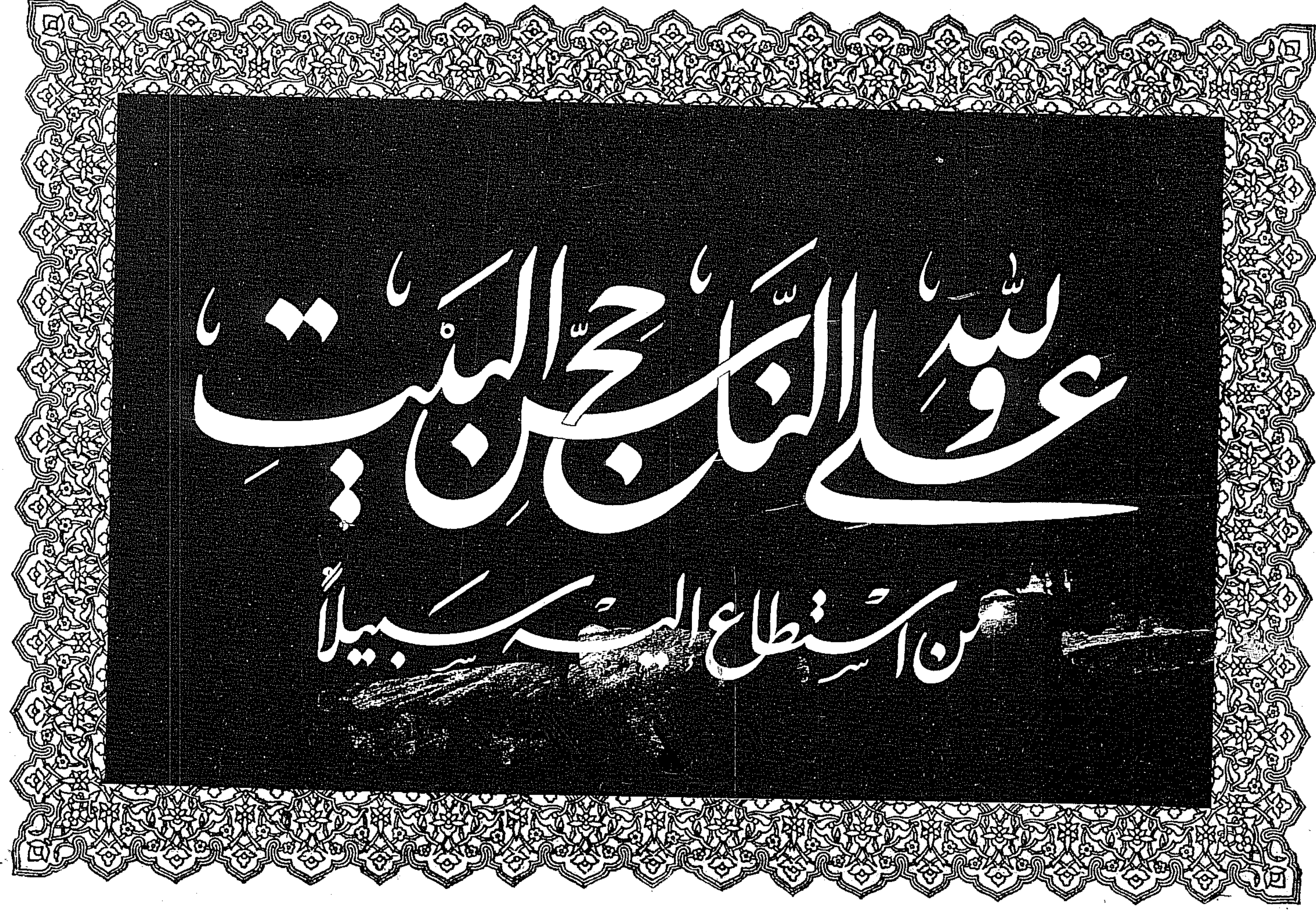
مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

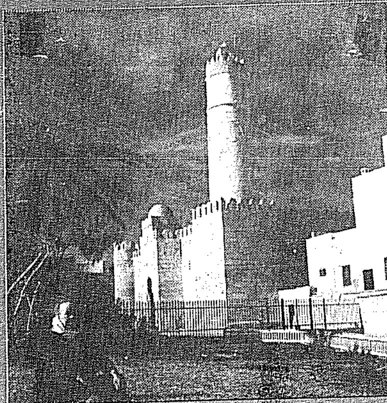
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



السنة العاشرة — العدد ١١٨ — غرة شوال ١٣٩٤ هـ — أكتوبر ١٩٧٤ م


ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلاً



منارة الرباط بمدينة سوسة بتونس
وتعتبر من أقدم المنائر فى الاسلام .

الوعى الاسلامى

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العـــدد ١١٨

غــرة شــوال ١٣٩٤ هـ

أكتوبر ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميــة بالكويت فى غــرة كل شــهر عــربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الافراد فشتركون رأسا

مع متعهــد التوزيع كل فى قطره

الثمــن :

الــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريــال
العــراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجــزائر	دينار وربع
المغــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراســلات :

مجـلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشــئون الاســلامية

صــندوق بريد : ١٣ ــ كــويت ــ هــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

دور الإسلام في العصر الحديث





للدكتور : حسن هويدى

بلغ العصر الحديث ذروة العلوم الطبيعية والكيماوية والكهربية والبيولوجية فهو عصر الذرة والصاروخ وغزو الكواكب . الا أن الذروة يقابلها الحضيض ، فالعصر ينحط الى الحضيض فى الفوضى الفكرية والخلقية ، تتجلى الفوضى الفكرية فى المادية والروحية ، والاشتراكية والرأسمالية ، والرجعية والتقدمية ، واليمين واليسار ، والأثرة والايثار ، والحرية والعبودية ، والفرد والأمة ، والنسبية والاطلاق ، والناس فى ذلك بين افراط وتفريط وكل يدعى أنه صاحب الحق ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

وتتجلى الفوضي الخلقية فى المظالم الفردية والجماعية . والأنانية المزرية التى تتضاءل أمامها غرائز الوحوش ، والاباحية المطلقة التى فتحت أبواب الزنا والربا والخمر والميسر والسرقة ، فنتج عن المظالم الفردية فساد ذات البين واكتظاظ المحاكم بملايين الدعاوى حتى مل الناس القوانين والقضاء ، ونتج عن المظالم الجماعية حروب أحرقت الأخضر واليابس فمن الحرب العالمية الاولى الى الحرب العالمية الثانية الى حرب كوريا الى حرب فيتنام الى حرب فلسطين الى ثورات متوالية فى جميع انحاء المعمورة ، وهذه نذر حرب عالمية ثالثة حتى لكأن

الأرض قدر يغلي على النـــار ، او بركان دائم الانفجار ، يابى الهـــدوء والاســـــتقرار . ونجم عن الاباحيه عدوان امه على امه واستعباد شعب لشعب واستغلال القوى للضـــعيف حتى لكان البشر اصبحوا وحوشـــا كاسرة لا هم لهـــــا الا الســـطو والافتراس ، ونتج عن الاباحيه ترجل المرأة وتخنث الرجل وضياع العفاف ، وهدم الأسرة ، وامراض الزهرى ، وامراض الكحول ، والانتحـــــار ، واللصوصية المنظمة والدجل الهادف ، والكفر بجميع المثل .

وانك لتجد هذه الصـــورة القبيحة التى تشـــكل فاجعة القرن العشرين تلف الاكثرية الساحقة من البشر ولم يبق الا القليل ممن يؤمن بالعـــدل والايثار والعفاف والأمانة والصـــدق والوفاء . حتى لكأن هذه المثل الفاظ تحتاج الى ترجمة لكى تســتسيغها عقول أبناء الجيل وضمائرهم .

هذه حال العصر اليوم .. فما هو الدواء .. ؟

اننا حين نقدم الاسلام علاجا لهذا السقم الفكرى والخلقى لسنا بمغالين ولا متعصـــــبين وانما هى الحقيقة المشفوعة بالحجة والبرهان .

امتاز الاسلام على سائر المبادىء والأديان بدعائم راسخة جعلته الدواء الناجع والبلسم الشـــافى والنظـــام الصالح لكل زمان ومكان .

مجال الاسلام فى العقيدة والفكر :

١ ــ الإيمــــان بالله : إن تعلق المخـلوق بعقيدة راسخة معنـــــاه الاستقرار الفكرى ومنع الاضـــطراب والتقلب والتردد ، حتى أن حياة بعض الافراد غير المؤمنين تمضى ولم يصلوا الى اطمئنان او استقرار ولم يقدموا خيرا لانفسهم او لامتهم الا نزاعا او نقمـــه او ما تمليه عليهم الريبـــــه والضياع . هذا هو الفرق بين حال المؤمن وبين حال الملحد . فكيف ان كان مؤمنا بالله واحد منزه عن الشبيه والشريك ليس كمثله شيء محيط بكل شيء . قادر على كل شيء . يحاسب على الصغيرة والكبيره ولا بد من لقائه والوقوف بين يديه ! وقد خلت من أوهام الوثنية ، وخيالات الشـــعوذه وسيطرة رجـــال الـــدين ، وأقامـــت فى داخل النفس وازعا لا يفارقها ، فهو توحيـــــد نفسى يؤيده العقل ، ويستسلم له المنطق ، فلا يصـــطدم بتعقيد التعدد ، وتناقضـــات الآلهة وما ينشأ عن ذلك من اضطراب فكرى وفساد خلقى . ولا يتسع مجال المقال للاستطراد فى اشـــباع هذه الفقرة أكثر من ذلك ، قال تعالى « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم » (الملك) . وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام « يا صـــاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » وقال عز من قائل : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (الانبياء) .

٢ ــ بين المادية والروحية . ما من دين ولا مبدأ استطاع أن يجمع بين الروح والمـــادة كما جمع بينهمـــا الاسلام . المادة والروح كلاهما حقيقة واقعة ولذلك وجدنا المبادىء المتعلقة بالمادة وحدها اتصفت بالقســـــــوة والبلادة والظلم وجفاف الحيـــاة من البهجة وخلوها من الرحمة والتعاون والتسامح حتى يمسى الانسان فيهـــا

آلة صماء لا حس لها ولا شعور ولا راحة لها ولا هناء ولا امتياز ولا خيان ، يتحرك بغير ارادته ، ويسكن بغير اختياره ، ويا له من قتل بشع لذاتية الانسان التى امتاز بها على الحيوان ، فهو مسخ تدريجى ، وموت لا شعورى ، وكيف لا يكون موتا وقد خلا من الروح ، وهل الموت الا نزع الروح .. ؟

كما نجد المبادىء التى تعلقت بالروح وحدها على غير هدى واهملت شأن المادة كل الاهمال ، عزفت باتباعها عن الحياة بما فيها من العلوم والصناعة والزراعة والعمران وما يتصل بذلك من الاكتشافات والاختراعات التى تتفجر فيها الطاقات الفكرية الكامنة وقدرة الانسان العجيبة التى تخرج على العالم كل يوم بأصناف الفنون وانواع الصنائع ، وتبارك الذى دفع الانسان الى ذلك دفعا حينما أنزل عليه قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » (العلق) .

اذن نجد أن هذه النزعة الروحية المتطرفة هى فرار من الحياة فلا الاولى اصابت ، ولا الاخرى أجابت ، ولكن الاسلام وحده هو الذى أصاب الهدف ، وأجاب مطالب البشر ، فجمع بين المادة والروح والح على كل منهما بنصوص صريحة ، وخطوط عملية ، وحدود واضحة . يتجلى ذلك فى الصلاة : جسم يتحرك وروح خاشعة . وفى الصيام : ترويض للبدن وتزكية للأخلاق . وفى الحج : سعى وهرولة ودعاء وتلبية . وفى الزكاة : نظام اقتصادى وعمل أخلاقى . وفى قوله تعالى : « وزاده بسطه فى العلم والجسم » (٢٤٧ البقرة) . وفى قوله تعالى : « ان خير من استاجرت القوى الأمين » (٢٦ القصص) وفى قوله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » (٧٧ القصص) وفى قوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » (١٠٥ التوبة) وفى قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (١٥ الملك) .

٣ ــ سبيل الاعتدال :

يتجلى اعتدال الاسلام بتوسطه بين الافراط والتفريط ويبدو ذلك واضحا بتوسطه بين الاشتراكية والرأسمالية ، وبين الرجعية والتقدمية ، وبين الفرد والأمة .

أ) **بين الاشتراكية والرأسمالية .**

قد يطول البحث اذا أردنا التفصيل فيه ، فلا بد من الاجمال . فمعايب الاشتراكية تظهر فى **نزع الملكية** والقضاء على عنصر المبادرة الشخصية الأمر الذى يصادم أعمق غريزة بشرية وهى **حب البقاء** المرتبطة كل الارتباط بحب التملك **فالانسان الذى لا يملك لا يعمل** ، والذى لا يعمل لا ينتج ولا يحسن الانتاج ، ولذلك وجدنا الإنتاج قل وساء فى جميع البلاد الاشتراكية مما ادى الى تراجع فى بعض البلاد الشيوعية باباحة الملكيات الصغيرة ورسم علاوات لمن يزيد فى الانتاج . وهذا **التراجع وحده طعنة فى صميم الاشتراكية** ينذر بالقضاء عليها فى المستقبل ان لم تفرض على الانسان بالحديد والنار ، فالانسان ليس مجرد آلة يعمل ولا يملك أو

يندفع لتحسين الانتـــاج باطراد ولو كان الانتاج لغيره ، وهو فوق ذلك محروم الحرية مكبوت الانفاس .

ان مثل هـــذا الاندفاع ضرب من المستحيل ولذلك وجدنا أن كل نظام يصادم فطرة الانسان وغريزته صائر حتمـــا الى زوال ، طال الزمن أو قصر . وأما معايب الرأسمالية فتتمثل بتضخم المال وما ينشأ عنه من فروق طبقية مخيفة ، وباســـتغلال الغنى للفقير وما ينشأ عنه من **الربا الفاحش والظلم الفادح والاحتكار والتـــلاعب بالأسواق** لحساب طبقة خاصة على حساب ســـواد الناس **والربح غير المشروع** كالربح الفاحش **والقمـــــار والغش** . تلك المعايب التى احدثت ردود فعل عنيفة كان من جملتهـــــا النظم الاشتراكية . ولا بد لكل رد فعل أن لا يتصف بالاتزان ، لذلك اشتملت الاشتراكية على عيوب أخرى هى نقائض عيوب الرأسمالية وفى كلتا الوجهتين غلو وتطرف كما بين الافراط والتفريط .

ولكن الاسلام — على ضوء هذا المخطط المجمل — هو الذى خلا من عيـــوب الوجهتين ، والتزم طـــريق الاعتدال ، فلم يحرم الملكية **فيصادم فطـــرة البشر ويقضي على طاقاتهم وفعالياتهم** ، **وتســـابقهم الشريف** ، **وتنافســـــهم المطرد** ، ذلك العنصر الأساسى فى المبادرة الشخصية التى هى أساس كثرة الانتاج ، وتحسين الانتاج ، وهذا أساس لا بد منـــه لصلاحية كل نظام اقتصادى . ولكنه لم يدع الباب مفتوحا على مصراعيه شأن الرأســـمالية حتى احتاط دون تضخم المال وما يجر اليه من سيئات **فعالج الامر بشرطين على راس المال** ، **وشرطين على الربح** — اجمالا دون تفصيل .

اما الشرط الأول المضروب على رأس المال فهو **الزكاة** التى تبلغ فى النقد ٢٫٥٪ بحيث تتحول أى ثروة كانت ، ومهما عظمت ، الى الأمة خلال أربعين سنة ، **ومعنى هذا أن الفرد يهب ماله كله للمجتـــمع خلال دورة زمنية لا تمتد أكثر من أربعين سنة** ، فتأمل : ومثل هذا لا يوجد فى الراسمالية .

وأما الشرط الثانى المضروب على رأس المـــال فهو **الإرث** وهو كفيـــل بتفتيت الثروات وتحويلهـــا من فرد واحد الى عـــدة أفراد حسب عدد الورثة ومثل هذا غير متوفر فى النظام الرأسمالى فى أكثر البـــلاد . وأما الشرط الأول المضـــروب على الربح فهو **تحريم الربا** الذى يكدس ثروات طائلة بأيدى الأشخاص بغـــير جهد ولا نصب الا اســــــتغلال الفقراء والضعفاء . ولو أحصينا عدد الأثرياء فى البلاد الرأسمالية لوجدنا اكثرهم مرابين ، أساس ثرواتهم الفاحشة مبنى على الربا .

وأما الشرط الثانى المضروب على الربح فهو **القمار** وكل ما يشبهه من الأرباح الفاحشة غير المشروعة التى كثيرا ما تؤدى الى الثراء الفاحش والتضخم المالى بيد طبقة على حساب طبقة أخرى بغير حق .

واحتاط الاسلام أيضا ، وراء هذه الشروط الاربعة ، بقواعد عامة خلت منها النظم الرأسمالية ، وهى تحريم **الاحتكار وتواطؤ التجار ، والاستغلال والربح الفاحش ، والغش ، والتلاعب بالأسعار** الى آخر ما هنـــــالك من سيئات النظام الرأسمالى الذى لم يكن

له اساس من العقيدة يرجع اليه فى تهذيب اقتصاده وفرض نظام على هدى ومنطق سليم . اذن يجد المنصف ان الاسلام جاء العالم بخير الحلول الاقتصادية **عدلا واتزانا وانفتاحا وخلوا من الأحقاد ، وبعدا عن ردود الفعل** المتوالية المتمثلة بالافراط والتفريط .

ب) بين الرجعيــة والتقدمية :

تلك النغمة التى قسمت العـــالم فريقين واستغلتها السياسة ابشــع استغلال حتى كاد يضـــيع مفهومها ومدلولها ، فكل أمة مالت الى اليسار فتجلى ذلك لديها بالالحاد والاباحيــة والعنف والقسوة والتحلل من القيود والريبة فهى تقدمية . وكل أمة مالت الى الجمود والثبـــات على بعض المفاهيم ، والاصطباغ بصبغة الدين، والتغنى بنوع من الاخلاق ، والارتباط بالقديم .. فهى رجعية . ولـــكن السياسة كما قلنا مسخت حتى هـــذا التمييز ، على ما فيه من باطل ، فى دوامتهــا السريعة واســـتغلالها المغرض . فان انكلترا مثلا رجعيــة بالنسبة لروسيا . وان روسيا مثلا رجعية بالنسبة للصين ، وهكذا يجرى التسابق الرخيص دون معايير منطقية حتى أمسى سبابا وشـــتائم قبل أن يكون تقويما (تقييما) حقيقيا مبنيــا على معايير صحيحة ومنطق سليم .

والحق فى هذه المســالة ان كل انسان عاقل يجب أن ينشد التقدم ، والذى لا يتقدم يتأخر حتما . ولكنه **يجب ان يتقدم الى القمـــة لا الى الهاوية** . اذن فثمة **تقــدم محمود :** وهو الصـــعود المتمثل بالعلوم والصــناعة والزراعة والعمران وما يتصل بذلك من اكتشافات واختراعات لا تقف عند حد حتى اوصلت الانسان الى القمر . فمهما تقدم الانسان فى هذا المضـــمار فهو تقوم محمود ، وسير غير محدود : « وفوق كل ذى علم عليم » (٧٦ يوسف) . وثمة **تقدم مذموم** وهو الانحدار المتمثل فى القضاء على المثل العليا والفضـــائل المجمع عليها والانغماس فى الرذائل المجمع على قبحها وإيذائها كالكذب والخيانة والمكر والغش ونقض العهد والسرقة ، تلك السيئات التى وجدت لها مرتعا خصبا فى أوساط **أدعيـــاء التقدمية العصرية** لأنهم كفروا بنقائضها من المثل العليا ، **خشية أن يوصموا بالرجعية** .

وكما أن للتقدم نوعين محمـــودا ومذموما كذلك الأمر فى الرجعيــة **فثمة رجوع محمود** يتمثل بالرجوع الى الحق مهما كان قديما **ورجوع مذموم** يتمثل بالرجوع الى القديم ولو كان خطأ أو نقصا .

أما الأول فانه الرجوع الى الصدق والوفاء والأمانة والعدل مهما تقادم الزمن . والرجـــوع الى ما ثبت من الحقـــائق الرياضية والهندســــية والجغرافية وما شاكلها مهما تقادم عليهـــــا الزمن ذلك ان ثمة أمورا لا يمســـــها التطور الى أن تقـــوم الساعة . ومن الغباوة المخجلة تركها والجنوح الى نقائضها بداعى التقدمية والخلاص من الرجعية . والظاهر أن التعبير بالرجعية كان قديما يتعرض له أصحاب الدعوات فى كل عصر ، حتى وجدنا بعض مناوئى الاســـلام يرمون الدعوة الاسلامية بالرجعيـــة ابان ظهورها وتقدمها فيقولون كمـــا حكى القرآن عنهــــم « ان هذا الا أساطير الأولين » (٨٣ المؤمنون) .

« ان هذا الا خلق الأولين (١٣٧ الشعراء) . « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » (٥ الفرقان) . ولم يحل هذا التعبير بالرجعية دون تقدم الاسلام وظهوره .

وأما الرجوع المذموم فهو التمسك بكل قديم مهما كان ولو تبين خطؤه ، أو ظهر خير منه ، وأجدى على الفرد والمجتمع ، كمن يصر على وسائل الزراعة والصناعة والعمران التى كانت تستعمل قديما ، ويحول دون العلوم العصرية التى قطعت شوطا عظيما فى التقدم ، فهل لمثل هذا مبرر من عقل أو شرع .. ؟! لا يمكن ان يوصف مثل هذا بغير الغباوة والجريمة . ولمثل هذا يقال بحق إن دولاب الزمن لا يرجع الى الوراء .

وعلى ضوء هذا التقسيم الواضح المنطقى فى التقدمية والرجعية نجد ان الاسلام كان وسطا بين النظرتين الجائرتين بعيدا عن أكاذيب السياسية ، محفوظا من التسابق غير الشريف ، لا يوزع الالفاظ جزافا ، ولا يتغنى بالالحان الفارغة ، فهو ينشد **التقدم المحمود ويحض عليه ، ويرجع الى الحق مهما كان قديما ويصر عليه** . وبذلك تضمن أسباب البقاء والخلود ، واشتمل على عناصر الحياة الباقية للفرد والمجتمع وان شئت فاقرأ قوله تعالى : « أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا » (٦١ النمل) « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (١٦٤ البقرة) . « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (٣٨ يس) . « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » (٥ الزمر) والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على ذلك من أمور الزراعة والصناعة والفلك وما اليها ، تكاد لا تحصى ، ولا يتسع المجال للتفصيل فى ذلك أكثر .

جـ) بين الفرد والأمة :

غالت بعض النظم فى قيمة الفرد حتى جعلته **إلها يعبد من دون الله** فنشأ من ذلك الحكم الدكتاتورى والفاشى والنازى وكانت الأمة فريسة لطغيان الفرد فكم ديست كرامات ، وانتهكت حرمات ، وكبتت حريات ، بسبب ذلك الحكم الفردى الجائر الذى هدر حقوق الأمة وسلبها كرامتها وحريتها . وادعت بعض النظم ان الحكم للأمة ولا قيمة للفرد فهو مسمار فى عجلة الجماعة ، فلا رأى له ولا قدسية ولا حرية ولا كرامة . فاقتيد الناس كالبهائم ، وخشروا حشر السوائم ، وسجنت جحافل فوق جحافل ، كتل بشرية تزجر كما تزجر الآلات الصماء ، وتسخر كما يسخر الارقاء ، ويتمنون لو **استطاعوا الصراخ ، الصراخ فقط** للتعبير عن الألم ، فلا يستطيعون !

أما الاسلام ، وهنا تتجلى العظمة والاعجاب البالغ ، فهو الذى ألف بين حقوق الفرد والجماعة دون أن يهدر كيان الفرد ، أو يعتدى على الجماعة . الخليفة يحكم وله على الناس الطاعة ، ولكن ان اعتدى وظلم ، **فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ،**

وان زل وأخطأ ، قامت اليه امرأة تصحح له ، فيقول : (أصابت امراه واخطا عمر) . وان اراد ان يستبد فالأمة له بالمرصاد ، وان اراد ان يستأثر برأيه ويضرب بآراء الناس عرض الحائط خوطب بالآية الكريمة « وشاورهم فى الأمر » « وأمرهم شورى بينهم » وان أراد أن يستهين بفرد واحد باعتداء أو حرمان حق أو هدر دم زجرته الآية الكريمة التى تشير الى قدسية النفس الانسانية وحمايتها « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » (٣٢ المائدة) . للفرد حقوقه وحدوده وللأمة حقوقها وحدودها والجميع يعملون يدا واحدة فى وحدة متماسكة كالجسد الواحد « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » (٤ الصف) وكما أخبر عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

مجال الاسلام الخلقى :

لا أحد يستطيع ان ينكر الواقع البشرى المنحط من الناحيةالاخلاقية . **فالظلم والاباحية والأنانية** كل رزية من هذه الرزايا ، لعبت دورها الكبير فى المجتمعات البشرية الحاضرة ، وانحط فيها الخط البيانى الى الحضيض ..

تعالى معى الى دور القضاء ، ومكاتب المحامين ، وسجلات الجرائم فى كل العالم ، لترى الى اى حد بلغت المظالم الفرديه واى رقم بلغت الجريمة ، فالفرد اعتاد الظلم ودرج عليه ، والقضاء فاسد ليست فيه عقوبة رادعة فى الأغلب ، والمحامون كثير منهم تجار مادة على حساب ضمائرهم ، اضرموا نيران الجرائم لكى تمتلىء جيوبهم ، والحكام كثير منهم زور عن الحق ولو ظهر جليا لأعينهم . كل أطراف القضية متواطئون على الجريمة . وكل أسوار الحمى منتقضة ، حتى ضجت الأرض من ظلم أهلها . فأين يجد العدل مأمنه ويحظى الحق بحماه .. ؟!

هنا يبرز دور الاسلام العظيم فى تهذيب الفرد واقامة وازعه الداخلى الذى يرافقه حتى الممات مبنيا على مراقبة الله وخشية الوقوف بين يديه واليقين بزوال الدنيا وبقاء الآخرة .. وفى صلاحية مادة القضاء التى تضع الامور فى نصابها : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » وفى تقويم الضمائر حتى تحكم بالعدل وتقول الحق ولو كان على النفس أو الوالدين والأقربين « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » فالمحامى والحاكم والشاهد انما هم موازين حق يحاسبون على الذرة والقطمير « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ذلك أن الحاكم يتمثل قول الرسول عليه الصلاة والسلام « ان المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن » وقوله عليه الصلاة والسلام « قاض فى الجنة وقاضيان فى النار » والشاهد يتمثل قوله تعالى : « لا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه » ووعيد

رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جعل شهادة الزور من اكبر الكبائر . وأصبح المحامى يخشى ان دافع عن ظلم وباطل ان يكون رزقه سحتا « وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به » فما أحوج العصر لنور الاسلام .

ثم تعال معى نحصى حصاد الاباحية ان كان يمكن الاحصاء :

كم فتكت الاباحية فى كيان البشرية بالزنا والربا والخمر والميسر بداعى الحرية الزائف ، وسرابها الخادع ، تعال معى الى عيادات الأطباء وسجلات المستشفيات فى شرق الارض وغربها لترى ما يذهل العقول من أرقام **ضحايا الزنا والربا والخمر والميسر** . ان أنواع الأمراض الزهرية من الافرنجى والسيلان والقرحة اللينة ، وأنواع التسمم الغولى من تشمع الكبد وقرحة المعدة وتصلب الشرايين وعدد ضحايا الانتحار من جراء الربا والقمار انتشرت فى جميع انحاء المعمورة وتزايدت ارقامها باطراد حتى عجز الطب عن المعالجة وسرى المرض من الآباء الى الابناء ومن الاجداد الى الاحفاد ويكفى أن تعلم أن اكثر اسباب السكتة القلبية (الجلطة) والسكتة الدماغية عائد الى الخمر والافرنجى حتى تعلم ما تجره هاتان الغائلتان على العالم من شرور . وهنا نذكر دور الاسلام العظيم الذى ينادى بأعلى صوته « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » .

وشرع العقوبة الرادعة حتى لا يبقى الحكم نظريا لا فائدة منه فقال : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » ثم شرع عقوبة التعزير لشارب الخمر كما ثبت فى السنة الصحيحة بل ورد وجوب قتله ان اصر على المعصية جهارا ولم يرتدع .

والاثرة (وهى الانانية) ذلك الداء الوبيل الذى أصبح يتحكم بتصرفات الأفراد والجماعات حتى كاد يكون اس جميع المفاسد وطابع جميع الاعمال ، بل تأصل فى النفوس وطغى عليها حتى نسيت عاره ، وانسجمت معه فاحتكمت اليه فأصبح مقياسا للاندفاع فى العمل أو الاحجام عنه ، فالعمل بمقدار ما يؤمن لك مصلحتك الخاصة يكون عملا صالحا يجب الاقدام عليه وبمقدار ما ينافى مصلحتك الخاصة يجب الاحجام عنه ولو كان فيه نفع غيرك أو نفع الأمة قاطبة .. يا سبحان الله كيف انقلبت المفاهيم ومسخت الأخلاق .. ؟!

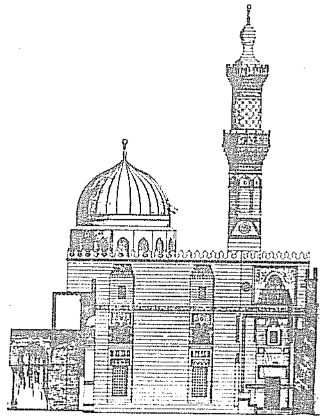
ولك أن تتصور بعد ذلك هول الانحدار الذى تتردى فيه الانسانية الى هوة سحيقة عرفت أولها ولا يمكن أن تعرف آخرها لأن قعر جهنم لا يعرف له مدى الا فى علم الله تعالى .

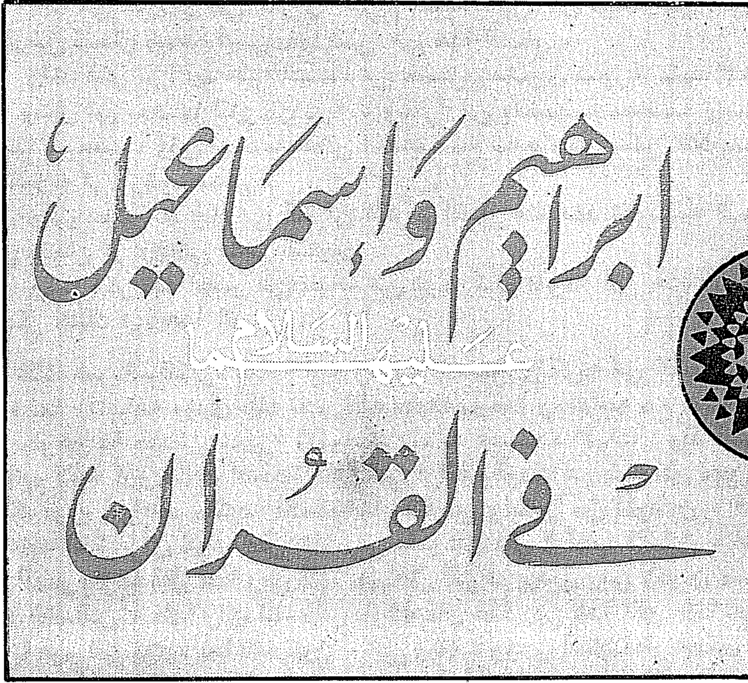
هنا تبدو عظمة الاسلام أيضا الذى يأبى الا أن يبنى الاخلاق على اساس متين والا أن يحل المشكلات حلولا جذرية « أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم » فاذا كانت حضارة العصر تبنى أخلاق بنيها

على الانانيـــــة المقوتة فان أخلاق الاسلام مبنية على الايثار والغيرية « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وبهذا الدستور الخالد تحسم أكثر الجرائم التى إن بحثنا عن أسبابهـــا العميقة وجدناها ترجع الى أنانيـــة ممقوتة تخفى تحتها أقبح صور الحقد على الناس . ولا يتسع المجال لضرب كثير من الأمثلة العملية التى تفضح سوءات الأنانية وتفضح عن جمـــال الغيـــرية ، فـــذلك يستقل وحـــده بموضوع ، وانمـــا كان البحث على مستوى الأصول لا الفروع .

بهذا العرض السريع المجمل يتبين ما للاسلام من دور عظيم فى اصلاح حياة الافراد والجماعات لاسيماالعصر الذى نعيش فيه فانه بقدر ما تكون الارض عطشى تحتاج الى المـــاء ، وبقدر ما تحتبس الانفاس ، تحتاج الى الهواء ، وان نظرة فاحصـــــة مجردة تتمتع بالنزاهة كافية للاقتناع بصلاحية هذا الدستور الالهى العظيم ليخرج الناس من الظلمات الى النور وان غدا لناظره قريب وما ذلك على الله بعزيز .





للاستاذ : محمد عزة دروزة

لم نطلع على وثيقة تاريخية قديمة يصح الاعتماد عليها فيها ذكر لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام اقدم من سفر التكوين أول أسفار العهد القديم المتداولة اليوم والذى لا يحمل أى دلالة على انه وحى ربانى أو املاء من موسى عليه السلام او نبى آخر ، والذي حوى الغث والسمين والخيال والمفارقة والحقيقة والذى فيه دلائل قوية وعديدة على انه كتب بعد موسى عليه السلام بمدة طويلة وبعبارة اخرى بعد الوقت الذى وجد وجود ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فيه بأكثر من الف عام على ما شرحناه فى مقال سابق لنا فى الوعي بعنوان : أين هى توراة موسى عليه السلام .

وجل ما ورد فى هذا السفر عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام هو خبر قدوم ابراهيم ولوط عليهما السلام مع سارة زوجة ابراهيم الى أرض كنعان وهو الاسم الذى كان يطلق على فلسطين فى غرب الاردن وولادة اسماعيل واسحق ويعقوب عليهم السلام واولادهم وطرف من سيرتهم فيها ومخاطبات وتجليات ووعود ربانية لهم . وليس فيه شىء مما يعود الى حياة ابراهيم عليه السلام قبل قدومه الى أرض كنعان إلا شيئا يسيرا جدا وهو ما ورد فى اصحاحه الثانى عشر من أنه هو وأبوه ولوط ابن أخيه وزوجته سارة خرجوا من اور الكلدانيين لينطلقوا الى أرض كنعان وجاءوا الى حاران ارام النهرين ثم أمر له بالانطلاق الى هذه الأرض فانطلق اليها هو ولوط وزوجته دون الأب .

هذا فى حين أن فى القرآن الكريم أشياء كثيرة عن حياته قبل قدومه الى ارض كنعان وبعده ليس منها شيء فى هذا السفر .

ولقد ذكر ابراهيم عليه السلام فى خمس وعشرين سورة منها (١٣) مكية وذكر فى بعضها أكثر من مرة . وذكره فى بعضها مقتضب وفى بعضها مسهب . وفى بعضها بعض المطابقة مع ما جاء فى سفر التكوين من سيرته فى أرض كنعان .

وفى بعض ما جاء فى القرآن الكريم اخبار عنه بعد قدومه الى ارض كنعان لم ترد فى سفر التكوين .

ومما ذكر فيه اخبار عن حياته فى قومه قبل قدومه الى هذه الأرض لم تذكر كذلك فى هذا السفر .

ومن ذلك خبر استنكاره عبادة أبيه وقومه للأصنام ونظرته فى النجوم ونبذه لها واتجاهه بهدى الله نحو الله حنيفا موحدا وحجاجه مع قومه فى ذلك . وهو ما جاء فى سورة الأنعام منه هذه الآيات (**وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا احب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاوماانا من المشركين.وحاجهقومهقالأتحاجونىفى اللهوقدهدان وما اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شيء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به سلطانا فاى الفريقين احق بالأمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم**) ..

وقد جاء فى آخر السورة هذه الآيات خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم (**قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم . دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين ..**) .

وجاء فى سورة النحل هذه الآيات (**ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا وما كان من المشركين . شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وهو فى الآخرة من الصالحين . ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ..**) .

ومن ذلك جداله مع أبيه وقومه فى صدد عبادة الاصنام . وجاء ذلك فى سور مريم والأنبياء والشعراء والعنكبوت والصافات والزخرف والممتحنة.واشملها ماجاء فىسورة الأنبياء هذا : (**ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب**

السموات والارض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لاكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم .. قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون .. قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . وارادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين . ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين. ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) ..

ومن ذلك ايضا ما جاء فى سورة ابراهيم فيه حكاية اسكان ابراهيم من ذريته عند بيت الله المحرم ودعائه وهذا هو : (**واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم . ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم مانخفىوما نعلن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولافى السماء . الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق إن ربى لسميع الدعاء . رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ..**

وما تقدم هو قرآن مكى . وفى القرآن المدنى فصول عديدة من ذلك .

ففى فضل اتباع ملة ابراهيم هذه الآية (**ومن أحسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ..) .**

وفى كون ما عليه المؤمنون هو ملة ابراهيم هذه الآية فى آخر سورة الحج (**وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ..) .**

وفى سورة البقرة فصل طويل فى صدد رفع ابراهيم واسماعيل قواعد البيت ودعائهم . منه هذه الآيات : (**واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين . واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد**

من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنـا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انـك أنت التـواب الرحيـم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم . ومـن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربـه اسـلم قـال اسلمت لرب العالمين ..) .

وفى سورة البقرة أيضا هذا الفصل فى حكاية حجاج بين ابراهيم وملك بلاده (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا احيى واميت قال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) .

وفى سورة الحج فصل طويل فيه أمر الله لابراهيم بان يطهر البيت ويؤذن فى الناس بالحج وهو هذا (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم . واذ بوأنا لابراهيـم مكـان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فىالناس بالحجياتوك رجالاوعلى كلضامر ياتين منكل فجعميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نـذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور . حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر منالسماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ..) .

وفى سورة آل عمران فصل فيه توكيد لأمر الله باتباع ملة ابراهيم وبأن اول بيت وضع للناس هو الكعبة وايجاب حجه على المستطيع (قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيـلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ..) .

ويتبادر لنا والله اعلم ان فى جملة (ملة أبيكم ابراهيم) الواردة فى الآية الاخيرة من سورة الحج مفتاحا لفهم حكمة ماورد فى القرآن الكريم من كل ما تقدم . فقد نبهت المؤمنين الذين كان جلهم عربا حجازيين الى ما يعرفونه ويتداولونه جيلا بعد جيل من انتسابهم بالنبوة الى ابراهيم عليه السلام . وهذا التنبيه شامل كما هو المتبادر لجميع العرب وبخاصـة الحجازيين مؤمنيهم ومشركيهم معا .

ومن المتواتر الذى يكاد يكون يقينا ان هؤلاء العرب كانـوا قبـل الاسلام يتداولون خبر اسكان ابراهيم عليه السلام لاسماعيـل عليـه السلام فى وادى مكة . وأن اسماعيل عليه السلام عاش وكبر وتزوج من العرب فكانوا ذريته . وأن ابراهيم واسماعيل ابنه عليهما السلام همـا

اللذان بنيا الكعبة بيت الله الحرام . وان تقاليد الحج هى من وضع ابراهيم عليه السلام بأمر الله . فرددت آيات البقرة وآل عمران والحج ذلك لتقول لهم ان ملة ابراهيم عليه السلام هى توحيد الله ونبذ الشرك والأصنام والنجوم التى نبذها وعبادة الله وحده . وانه قال ان من اتبعنى فهو منى وانه دعا الله ليجنب ذريته الأصنام التى اضلت الناس وانه هو واسماعيل عليهما السلام دعوا الله بأن يجعل من ذريته امة مسلمة وان يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . وان الله قد استجاب لدعائه فبعث الله فيهم نبيا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم وان عليهم أن يتبعوه وينبذوا الشرك وعبادة الأصنام ويعبدوا الله وحده لتصدق نسبتهم اليه ويكونوا حقا وصدقا ابناء ابراهيم وعلى ملته حنيفا مسلما وما كان من المشركين .

وفى سورة الممتحنة فصل رائع فى موقف ابراهيم عليه السلام والذين معه من قومهم الكفار ودعوة للمؤمنين العرب الى التأسى به تأسيسا على ذلك وهو (**يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . أن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . لن تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير . قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لأبيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شىء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم . لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتولى فان الله هو الغنى الحميد**) . وشاءت حكمة الله أن يبعث فيهم الأمل وان لا ييأسوا ويعتبروا القطيعة مستمرة بينهم وبين بنى قومهم فتشتد اشجانهم وان يؤذنهم بأن المطلوب منهم هو عدم تولى الأعداء المحاربين المؤذين لهم منهم وبأنه لا حرج عليهم أن يبروا المسالمين ويقسطوا اليهم فجاءت هذه الآيات بعد تلك (**عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم . لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون**) .

ويظهر ان النبى صلى الله عليه وسلم وبعض المؤمنين لما أوحى الله بأن ابراهيم وعد أباه بالاستغفار واستغفر له كما جاء فى آيات عديدة منها آية فى سورة مريم (**سلام عليك ساستغفر لك ربى انه كان بى حفيا**) وآية فى سورة الشعراء (**واغفر لابى انه كان من الضالين**) ظنوا ان ذلك من ملة ابراهيم التى هم عليها وان لا حرج عليهم من الاستغفار لاقاربهم الموتى المشركين فنبههم الله الى خطأ اجتهادهم فى آيات سورة التوبة هذه

بأسلوب رائع حاسم (**ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم**) .

ويظهر أن أهل الكتاب بعد الهجرة حينما دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى اتباعه قالوا لهم بل نحن ندعوكم لأننا أهدى منكم فرد عليهم القرآن فى آيات سورة البقرة ردا قويا حيث جاء فيه (**وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون . قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون . أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون** ..) .

ويظهر انهم عادوا الى الحجاج فى موقف آخر وقالوا انهم على ملة ابراهيم فرد عليهم القرآن ردا قويا فى آيات فى سورة آل عمران وقرر ان أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه والنبى صلى الله عليه وسلم (**يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون (١) . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون . ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين** ..) .

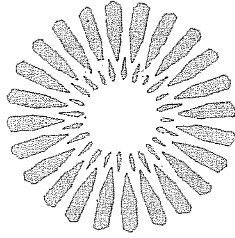
ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة اتخذ بيت المقدس قبلة بدلا من الكعبة التى اضطره المشركون الى الابتعاد عنها والهجرة الى المدينة فاخذ اليهود يتبجحون ويقولون للمؤمنين انهم هم الذين يهتدون بهداهم ويستقبلون قبلتهم . فشق ذلك على النبى والمؤمنين ودعا الله أن يهديه الى ما هو خير فأمره الله باستقبال الكعبة فحنق اليهود وأخذوا يشغبون ويشككون المؤمنين ويقولون لهم اذا كان استقبال بيت المقدس هو الحق فيكون النبى قد أضاع عليهم صلاتهم الآتية وان كان استقبال الكعبة هو الحق فيكون قد أضاع عليهم صلاتهم السابقة ولا يصح هذا من نبى . فرد الله عليهم فى آيات سورة البقرة هذه (**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم . قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب**

ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون • ولئن أتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انـك اذا لمـن الظالمين • الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون • الحق من ربك فـلا تكونـن مـن الممترين) (٢) .

ويلفت النظر الى جملة (**وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم**) حيث يفيد هذا انهم كانوا يعترفون ان ابراهيم هو الذى بنى الكعبة وهى أقدم بمئات السنين من مسجدهم فى بيت المقدس فيكون استقبال الكعبة هو الأحق الاهدى .

ويظهر أنهم عادوا الى الحجاج فى ذلك فرد عليهم القرآن ثانية فى آيات سورة آل عمران التى أوردناها قبل (**قل صدق الله .. الخ**) .

واوضح من كل ما تقدم ان قصص ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى القرآن تدور فى نطاق ما نبهنا عليه فى مقال سابق لنا فى (القصص القرآنية) وهو انها مما ليس غريبا على السامعين . ومما هدف فيه الى العبرة والموعظة . وتدعيم الرسالة والنبوة المحمدية . وننبه هنا على مانبهنا عليه فى ذلك المقال وهو أن من واجب المؤمن أن يقول آمنا به كل من عندربنا ويقف عندما وقف عنده القرآن دون تزيد ولا تكلف مستشفا الحكمة ممـا اقتضت حكمة التنزيل ايحاءه بالاسلوب الذى أوحى به . والحمد لله رب العالمين .



---

(١) المراد والله اعلم أن اليهودية والنصرانية صارتا ملة اليهود والنصارى نتيجة لنزول التوراة والانجيل وبناء عليهما .

(٢) المتبادر والله أعلم أن توجيه الله للرسول الى بيت المقدس كان على ما تلهم الآيات اختبارا للمؤمنين وبخاصة المهاجرين أهل الكعبة الذين يعرفون ان الكعبة هى بيت الله الحرام ومكان حج العرب جميعهم . حتى يمحصهم ويظهر من الذى يؤمن بكل ما يامـــر الله ورسوله ويطيعونهما ويستغرقون فى ذلك فى كل الاحـــوال ولو كان فيما يؤمــرون به شىء مما لا يحبون .

مفاهيم سليمة

للدكتور محمد على الزغبى

الاستشهاد بالآيات مبتورة ، ديدن الذين ضلوا على علم ، أو استعذبوا الحياة فى ديجور جهل ، وقلبوا الدواء داء عضالا .

١ ــ قد يتلو الجبرى قوله تعالى :

« إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » ويعلق عليها قائلا :

« إن الله اختار من الأزل فريقا للجنة وفريقا للنار ، ولـذا سيذهب سعى الساعين وعمل العاملين عبثا ، اذ السعادة قبل الولادة ، وليس الانسان الا ريشة فى الهواء اذ الله عمل بيد الانسان خيرا أو شرا وقال بلسان الانسان صدقا أو كذبا » .

هذا ما يفهمه الذين يصدرون الأحكام المرتجلة مستندين لتلاوة الآيات مبتورة ، لقد فاتهم ان الآية مسبوقة بهذا النص :

« إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون » ..

« إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » .

وواضح أن القرآن يصور الأصنام محروقة أمام عابديها تحذيرا لهم وتنبيها الى أن المحروق لا يعبد .. !

وقد توهم بعضهم حين نزول الآية ، أن كل معبود من دون الله يحرق وادخلوا فى هذه الكلية الرسل والأنبياء والحكماء الذين عبدهم الغلاة ، ولكن الوحى صحح هذا المفهوم بقوله : « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » يعنى أن الرسل والأنبياء والحكماء والعظماء الذين عبدوا ، سواء كانت فلسفة عبادتهم قائمة على الحلول أو الاشراق أو الانبثاق أو التجلى أو التجسد أو التأنس .. ليسوا مسئولين عن انحراف الغلاة الذين عبدوهم لأنهم (الرسل والانبياء والعظماء) لم يأمروا الناس بالانحراف .

٢ — وقد يستشهد بعض الناس بشطر من الآية مثلا :

« أتريدون أن تهدوا من أضل الله » .

وفاتهم أن القرآن سبيل للهداية وعصمة من الضلال « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » كأنهم ظنوا الله يرسل شمس الهداية لقوم ويحجبها عن آخرين دون سبب .

فاتهم هذا فلم يقرأوا الآية بنصها الكامل :

« **فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن** تهدوا من أضل الله » .

اذ لو قرأوها كاملة لرأوا المنافقين راسبين بسبب أعمالهم ، لأنهم ضلوا طريق الهداية ، ومن يتنكبه عمدا واختيارا فقد طلب طريق الضلال فوجده أو تخلى عن الله فتخلى الله عنه ، وهذا معنى الضلال (أضل الله) .

٣ — وأن يردك بخير فلا راد لفضله :

هذه الآية يتخذها بعضهم دليلا على أن الله يعطى ويمنع ارتجالا ، ولو راجع القارىء الآيتين ١٠٧ و ١٠٨ من سورة يونس لرآهما فى معرض التنبيه على أن الاصنام لا تنفع عابديها ولا تضرهم أى لا تكشف عنهم ضررا ولا تحول دون ايصال النفع .

٤ — قل كل من عند الله :

يذكر الجبريون هذه الفقرة مبتورة من الآيات حين محاولاتهم التنصل من الشر تعليقا على كلمة « الخير من الله والشر من الناس » يحاولون التنصل غير عالمين أن يهود المدينة كانوا اذا أصيبوا بقحط قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « القحط بسبب قدومك المدينة » ، ولكن الله رد عليهم بقوله : « قل كل من عند الله » أى إقبال الزراعة والثمار وقحطها من عند الله ، ليس لقدوم رسول الله شأن فى ذلك كله ..

٥ — فالهمها فجورها وتقواها :

من الفهم الملتوى وقوف الجبريين طويلا عند آية « فالهمها فجورها وتقواها » يرددونها دون فهم ، ليضعوا تبعة أعمالهم على الله لأنه طبعا بمفهومهم الهم الانسان الشر .. !

أواه : لو علموا ان (الهم) هنا بمعنى عرف لا معنى أرغم أو أجبر ، اذ لا يتفق الجبر والنهى ومن المستحيل أن يلهمنا أى يجبرنا الله على ما نهى عنه .. !

لقد عرّفها ما ينبغى أن تذر من خير أو شر أو طاعة أو معصية ، لتميز رشدها من غيها ، اذ النفس قطعة بيضاء نستطيع المحافظة عليها نقية

ناصعة ، ونستطيع غمسها فى مستنقع الضلال وقد علق الله فلاحنا على المحافظة وخيبتنا على القصور فقال « قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » أى لوثها ، ولا يعلق الفلاح والخيبة الا على ما نستطيع تحقيقه ، اذ « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » . الا لقد بيَّن الله للانسان طريقى الخير والشر فهداه النجدين ، أى أوقفه فى الطريق ذى المفترقين « إما شاكرا وإما كفورا » وقدّره على التمييز بينهما ومتعه بنعمة الاختيار .

٦ ــ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر :

هذا موضوع تحدث فيه القرآن عن ثروة قارون التى دفعته للغطرسة وافضت للخسف والدمار وقد صوّر القرآن الذين « أوتوا العلم » بعدم تمنى مثلها وصور محبى العاجلة بالجشع والتمنى ثم قال بلسان حال أهل العلم :

« ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » والآية هنا تعرض موضع العبرة لنعلم أن وجود المال بيد شخص ما ليس دليلا على أن الله يحبه ويكرمه ، وتجريد شخص من المال ليس دليلا على أن الله لا يحبه ، اذ المال حطام لا يحجبه الله عمن سار فى طريقه سواء كان الطريق مستقيما أو ملتويا ؛ عملا بناموس الاختيار الذى استلزمه نظام التكليف .

٧ ــ وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله :

هذه جاءت بعد « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا » أى لو شاء لجعل الانسان مرغما على الهداية والايمان ، لكنه لم يشأ اذ منحه حرية الاختيار وهى والجبر لا يلتقيان ..

لقد علم سبحانه أن فلانا سيعطى حرية الاختيار ولا يستفيد منها مختارا ، وبذا يعرض عن الايمان مختارا ، ولو شاء الله لأرغمه ، ولكنه تعالى لم يشأ ! اذ لو أرغمه لأبعده عن دائرة المكلفين والحقه بنظام الكون .. !

٨ ــ فريق فى الجنة وفريق فى السعير :

لا تعنى أن الله صنف عباده مذ قرر ايجادهم بل تعنى أنه علم أن قوما منهم يستفيدون من الحرية والاختيار ويعبّدون طريقا يفضى الى الجنة مع قدرتهم على الانحراف ، وبعضهم يمل الحرية والاختيار ، ويسير على طريق ملتوية زاعما أن الله كتبه فى الفريق الهالك ، فينحرف مع قدرته على الاستقامة .

وذلك لأن باب رحمة الله : « الايمان به والوقوف عند حدوده » مفتوح ، اما الذين أعرضوا عنه ، فاعراضهم باختيارهم ، لقد أعرضوا وهم قادرون على عدم الاعراض ... !

لقد غزت المفاهيم السقيمة قوما ، فصوروا الله مرتجلا يقسم عبـــاده فريقين احدهما للجنة والآخر للنار ، ناسين الآيات التى تهب عامل مثقال الذرة ما يناسب جهوده ..

على أن قوله تعالى : « فريق فى الجنة وفريق فى السعير » ليس قرارا يجب تنفيذه بل حكاية عن واقع الحال كقوله : « وهو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » أى لم يخلقكم ليرغم بعضكم على الكفر وبعضكم على الايمان ، بل ان قانون الاختيار سوغ لبعضكم أن يعيش مؤمنا باختياره ولبعضـــكم أن يعيش كافرا باختياره .

فكأن الله ــ له المثل الأعلى ــ ملك أمر رعيته أن يخرجوا لاستقباله ، فخرج بعضهم فارســـا ، وبعضهم راجـــــلا ، فقـــــــال : « أنـــا أعلـــم أن بعضكم يملك ثمن جواد وبعضكم لا يملك » ، ومعلوم أن قوله هذا لا يعنى أن الملك أفقر بعضهم دون سبب ، وأغنى بعضا دون سبب .

٩ ــ والله خلقكم وما تعملون :

يشحن قلبى ألما ، الاستشهاد بفقرة من آية ، اذ كثيرا ما سمعت قوما يذكرون هذه الفقرة بسياق طلب المعذرة للمنحرفين ، كأنهم يرونه تعالى خلق ما يفعلون مما نهى عنه ، متناسين نص الآية الـــكامل « أفتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون » .

الآية تقص جهاد سيدنا ابراهيم اذ قال لقومه « الله خلقكم وخلق المادة التى نقشتموها أصناما فهلا عبدتم يديكم التى نحتت ونجرت » .. ؟

١٠ ــ زينا لكل امة عملهم ــ زينا لهم اعمالهم :

ان الله لا يزين للناس ، الا ما ينفعهم قال تعالى « ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان » .

اعنى أن الله لا يقصد الأغواء بل التخلى عن المنحرفين لأنه تعـــــالى لا يخدع ولا يزين سوءا ولا يغوى ، ولا يبـــدأ احدا بحرب بل يحبط مؤامرات الخداعين والماكرين ومزينى السوء والمغوين والمغرين ، ذلك لأن الاغواء مثلا اذا أسند لله يعطى معنى الجزاء ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « فسوف يلقون غيا » أى جزاء ، وعلى هذا الضوء نفهم قوله : « ان كان الله يريد أن يغويكم » أى أن يجازيكم بسبب أعمالكم الملتوية .

١١ ـ لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا :

نصر الله المسلمين يوم بدر ، فكان نصرهم شجى فى حلق اليهود وحلفائهم من سدنة الأصنام ، كما كان تقهقرهم عيدا لدى أولئك اليهود والسدنة .

نزلت الآيات تنادى « لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » لأنه تعالى يكتب النصر للجديرين والكسر لسواهم من أى قوم وعقيدة وديار .

هذا ما يفوح من أريج هذه الآيات الكريمة ، ولـكن المتواكلين أو ذوى النيات المبيتة لا يحبون ادراك هذه الحقائق ، ولذا يضعون تبعة الكسر على الأقدار ، لا على قصورهم وتفريطهم بل وتواطئهم مع العدو ، ويجـدون من الآيات التى يفسرونها (على كيفهم) دعامة ولو واهية تبرر انحرافهم .

راينا فى المفاهيم السليمة صورة أكاد أراها طبق الأصل عما كنا عليه ، فى النصف الأول من القرن الهجرى الأول ، ثم غزانا الفهم الســقيم بعصر الملكيات المطلقة ، وكأن عمر بن عبد العزيز ـ وقد عاصر طلائع ذاك الانحراف بالمفاهيم ـ أحس حقيقة خطرها ، فتحصن بالآيات الكريمة ، وتدرع بالسيرة النبوية وأمر بتعميم نصوص الاختيار ، على مسلمى آسيا وأوروبا وافريقيا ، مضافة للمفاهيم السليمة حول النصوص التى قد يخالها الضعفاء جبرا .

مات عمر فتضاعف زحف المفاهيم الملتوية لا سيما بعد فتح باب الترجمة الذى تشرب منه الغث والثمين فأخذت الأمراض تغزونا من مصادر متعددة .

أ) المصدر اليهودى :

الفرنسيون من اليهود لا يرون للانسان ارادة ، ولا اختيـارا ولا تأثيرا ولا جزءا كسبيا ، ولذا لا يرونه جديرا بالمدح أو الذم ، لأن الله فعل بيده .. !

أما اليهود (الفروشيم) فقد بالغـوا بالاختيـار ، ورأوا الانســان قادرا على مطلق عمل دون أمر الله أو نهيه .

أما الثواب والعقاب فلا علاقة لهما بالأعمال لأن الله اختار من الأزل قوما للسعادة وقوما للشقاء .

هذه الأمراض : الجبر المطلق ، والاختيار المطلق ، وعقيدة السعادة قبل الولادة ، يهودية الأم والأب ، وقد غزانا جرثومها معززا بالارجاء الذى اخترعه كعب الأحبار ، ولا زال يفتك بنا ، وقد حقق السيد رشيد رضا فى ص ٣٨٤ من الجزء العاشر من طبعة التفسير المنار الثانية ، حقق كذب كعب الأحبـار هذا .

ب) المصدر النرفانى :

لا بد لنا من الاعتراف بأن فى الهند والصين وفارس مرضى بالجبر ، اذ البرهمية والبوذية والمزدكية حقول تبرره ، وقد اعتنق هؤلاء الاسلام ، وأصبح

بعضهم مؤلفا أو مفسرا ، لذا لم ار عجبا من حبهم ابن صفوان (أحد أركان الجبر) اذ أوجد في خراسان (الأفغان) انصارا ، اذ لم يستطيعوا الشنئاء من دفائنه .

جـ) المصدر اليوناني :

الحرب اليونانية الطروادية الطويلة المدى التى تأججت — ولو فى الظاهر — انتصارا للآلهة وحرصا على سيادتهم وأنانيتهم .
حملت سواد الناس على التسليم المطلق (الجبر) وأرتنا بعض من نحترم من الفلاسفة يحمل رايته وأراقت عليه من فلسفة التقمص والتناسخ المفضية للجبر ولو لحد ما ، سائلا محرقا .

فرقة الاطفاء ومحامو الدفاع :

١ — أواخر العصر الأموى ومطلع العصر العباسى :

لم تكن ساحة الدفاع يوما خالية ، اذ رأينا جنودا يتدرعون بالآيات الكريمة التى تخطط صراط الفضيلة بين نقطتى الجبر والاختيار ، ويستخدمون المنطق وما استقام من الفلسفة أوائل دفاع .
حارب هؤلاء قادة الجبر والقدر (بسكون الدال) أمثال جهم بن صفوان وغيلان الدمشقى ، ومروان الجعدى ، ومعبد الجهنى ، وحاربوا أساطين التضليل ، أمثال كعب الأحبار اليهودى ، الذى يرتدى تارة ثوب الجبر وطورا ثوب القدر وآنا حلة الارجاء ليسمم الساحة التي يأمل تسميمها . .
حاربوا وحملوا شعلة المفاهيم السليمة ، فرأوا الاختيار المطلق ثوبا حاول الانسان ارتداءه فكلف نفسه فوق الطاقة ، والجبر المطلق محوا للتكليف وهدما للشريعة وابطالا لحكم العقل وانكارا للواقع .
ودعنا آخر القرن الهجرى الخامس آخر قافلة من هؤلاء الجنود وفى راسهم المعتزلة « وهم مخلصون أما ما رأينا بينهم من غلو ، فهو من اليهود الذين زعموا الاعتزال كأحمد بن حائط الذى لم تخف رائحته عن ذوى الأنوف السليمة » .
ودعناه وانغمسنا فى مستنقع التفكك ، وحنينا عنقنا لخطر الجبر بسيادة نظرية الكسب الأشعرية التى فهمها سوادنا جبرا ولو خفيفا .

راجع :

١ — تفسير المنار ج ٥ ص ٦٢٠ و ٦٣٤ و ج ١٠ ص ١٠٦ و ٣٢٧ و ٦١٤ من الطبعة الثانية .

٢ ـــ ابن حزم لأبى زهرة ص ٢٨ و ٢٩ و ١٣٤ من الطبعة الثانية .

٢ ـــ فى العصر المملوكى والعثمانى :

تراكمت الظلمات ، لا سيما فى الديار التى حنت عنقها لغزو عمــالقة الغرب واقزام الشرق ، وزاد طينها بلة التطاحن التركى ـــ الفارسى ، الذى مثل دورة السلطان سليم والشاه الصفوى .

ظلمات كقطع الليل ، حمل مصباح الهداية قبل عصر المعتزلة وبعدهم ، ائمة أهل البيت النبوى ثم ابن تيمية الحرانى وابن القيم الزرعى .

وقد سار على هديهم نخبة من اقمار القرن الماضى كالسيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وخليفته السيد رشيد رضا .

واقتدى بهم السيد عبد الحميد الخطيب فى كتابه (الجبر ضلال ومحال)

والدكتور محمد اقبال فى كتابه اعادة الفكر الاسلامى .

والدكتور خلف الله فى كتاب الثقـــافة الاسلامية والحيـــــاة المعاصرة (ص ٥٧ ـــ ٦١) .

نعم لا جبر فى الفكر الاسلامى ولئن التمست عذرا للجبريين من جميع الأمم ، فلن التمسه للمسلمين لأن رسول الله شرح فى ســـيرته ما نتخذه مصباحا ولن التمسه للعرب اذ القرآن فى لغتهم ومتناول أيديهم ينادى بالتخييــر ويأخذ بيد طالبى الهداية ليريهم فعل نواميس الكون ، ويمنح المكلفين قدرة وارادة ونقطة اعتدال ، ويدفع غائلة الجبر التى خلقت الجهل والبؤس والتخلف وساعدت على سلب كنوزنا وطردنا من أكرم ديارنا .

الاختيار هو الأصل :

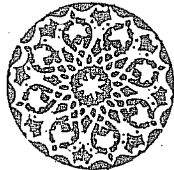
هو الأصل وما جاء على أصله لا يسأل عنه يدعمه الآيات وقد نادى به القرآن واقامه أصلا محكما ولكن بعدنا عن الفهم السليم ، خلق الجبر ، وخيله مشكلة .

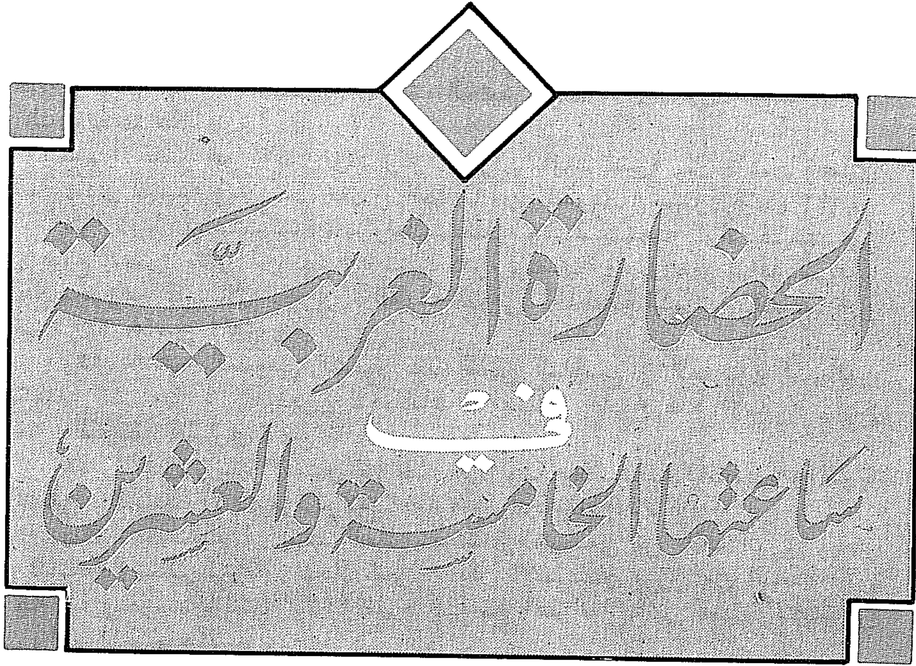
والواقع ، لا مشكلة ، بل خيال وسراب تخيلنا وجوده وانحنينا تجاهه وما زال قانون الوراثة والاستمرار يضخمه حتى تبناه السواد وذوو الجهل المركب واشهد ان أحد هؤلاء اسر لى قائلا :

الجبر فى قلبى والتخيير فى لسانى ، يعنى انه ينادى بالاختيار ويعلله بأن اسناد الخير والشر لله عقيدة لكن ينبغى أن نتأدب مع الله فلا ننسب له الشر ، مع اعتقادنا أنه ـــ تعالى ـــ هو فاعله .. !

وهذا كما يرى القارىء تسمية للأشياء بغير اسمائها الحقيقيـــــة كأنه ـــ تعالى ـــ ملك مستبد قتل شخصا ولكن الشرطة السائرين فى موكبه نظموا ضبطا بحق مجهولين ليدفعوا عن الملك السنة أو ثارا محتمل الوقوع ، أو كأننا بما دعوناه جبرا ، نعتقد أن الله سرق بأيدينا وجدّف بلساننا فأخذنا نقول فى

داخلنا « نعلم أنك انت السارق المجدف الحقيقى ولكنا لا نستطيع البوح خشية قوتك واستبدادك » .
نعم الاختيار هو الأصل وقد ركزه القرآن بآيات كثيرة مثل « فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل : انما انا من المنذرين » سورة النمل ٩٢ .
هو الأصل ودعامة مسئولياتها ، وقد فهمه الراسخون فى جميع العهود فقال ابن تيمية « للعبد قدرة ومشيئة وعمل فهو مختار مريد » راجع مجموعة الرسائل الكبرى ، الطبعة الاولى ، المطبعة الشرقية بالقاهرة عام ١٣٢٣ هـ ص ٢٧١ .
وقال الفقيه الصوفى الشيخ عبد الغنى النابلسى « الجبريون المعطلون للتكاليف الشرعية ، المسفهون للخطابات الالهية زنادقة هذه الأمة » راجع كتابه (الكوكب السارى) ص ٦ .
هذا الأصل يرينا الانسان ذا بصيرة وما وصفه بالمحسن والمسىء والشقى والسعيد الا تقريرا لواقع اختاره وأراده ونفذه .. !
مثلا ، يستطيع أن يتخذ العقل مستشارا فيسعى فى طلب الرزق ويعلم أن للكفاءة (مطلق كفاءة) دخلا كبيرا ، وأن الانسان يرزق من النافذة التى توجه لها ويحرم من التى أولاها ظهره هذا مع اعترافنا بتأثير العدل الاجتماعى فى واقع الافراد والأمم .
هو الأصل الذى عليه يقوم التكليف ولكن الانسان — لغاية فى نفسه — قد يتناسى هذا المنطق فيرى نفسه قدريا — اى يزعم أن الانسان قادر على كل شىء — أن كلف احدا ، وجبريا (زاعما أن الانسان لا يقدر على شىء ان كلفه أحد) كأنه يتقمص النعامة (قيل لها احملى فزعمت انها طير وقيل لها طيرى فزعمت انها جمل) .
فيا أيها الانسان اعلن موقفك وارفع علم الجبر أو الاختيار وفارق هذا التطرف غير آسف وارض نقطة الوسط لأنك مختار ومكلف .
اذ الناس على تفاوت درجاتهم الفكرية مجمعون على أن الانسان اهل للمدح والقدح ، ومن البدهى أن ما استحق لأجله مدحا أو قدحا لم يفعله مجبورا ولا يخفى أن اجماعهم على تغاير ظروف الزمان حجة قاطعة .. !





للدكتور : عماد الدين خليل

« اننى اشعر أن حدثا خطيرا قد وقع حولنا ، إننى اجهل اين انفجر ، ومتى بدأ ، وكم سيدوم ، لكننى أشعر بوجوده ، لقد أخذنا فى الدوامة ، ولسوف تمزق هذه الدوامة جلودنا ، وتحطم عظامنا الواحد تلو الآخر .

اننى أشعر بهذا الحدث الهائل شعورا لا يضاهيه الا احساس الجرذان المسبق الذى يدعوهم الى هجر مركب على وشك الغرق . لن يكون لنا اى مأوى فى أى مكان من العالم » .

كونستانتان جيورجيو

فى رواية الكاتب الرومانى كونستانتان جيورجيو « الساعة الخامسة والعشرون » تبدو أزمة الحضارة الغربية واضحة للعيان ، ان مآسيها تعرض علينا كما لو كنا نشهد معا مسرحية حاضرة : الانسان الذى سلبت حريته وأدخل

فى دوامة من آلية قاسية احالته الى (رقيق) وأفقدته حريته وارادته الذاتية ، (المواطنون) الذين ملأوا الشوارع ودور الحكومة والمؤسسات فى جماعيــــة سحقت كل ما هو فردى ، وتشابهية دمرت كل امكانية للتنوع والابداع ، وتعميمية محقت كل اتجاه شخصى ، ومادية ردمت كل منابع الحب والايمان فى وجدان الانسان . النظم الصارمة التى أوجدت جحرا خانقا بــات لا يصلــح للتنفس ، الصراع من أجل تكريس اكثر للآلية ، واستعباد أشد للانسان ، وتحطيم أعنف للقيم وإحكام أقسى للحركة ، وكبت أرهب للحرية ..

كل منكم سيصرخ ، بعد مشاهدة منظرين أو ثلاثة من مسرحية الحضــارة المعاصرة ... الآن لست أريد متابعة النظر ، لأننى تعبت ، ولأن المشهد طال اكثر من المعتاد ، اننى ــ اذا استمريت على المشاهدة ــ فسوف لن أرى إلا الأنقاض. سأرى مدنا متهدمة ، ورجالا متهدمين ، وبلدانا وكنائس وآمالا كلها متهــــدم محطم ــ (ص ٥٠٨ ــ ٥٠٩) .

ولكن علينا ــ نحن كمسلمين مسئولين أمام الله والبشرية ــ ان نملــك اعصابنا ونرغم أنفسنا على البقاء حتى النهاية لمشاهدة المأساة ، ولكى نستطيع ان نحيط برؤيانا أبعادها ، وننقب ــ من ثم ــ عن التيارات الظاهرة والخفية التى تسوقها الى مصيرها المؤلم الحزين . ولكى نقول لهم ــ بعد كل هــــذا ــ ان الطريق الوحيد للخلاص هو : هذا .. اذا أردتم أن لا تبلغ المأساة نهايتها !!

ان جانبا من الأدب الغربى اليوم ــ وبخاصة الرواية والمسرحية ــ يشكل اهمية كبرى فى أية دراسة جادة للحضارة الغربية المعاصرة ، لأنه يعكس بحيوية فائقة الأزمة التى تعانيها هذه الحضارة ، والضغوط القاسية التى تسلطها على الانسان فتسحقه وتمزقه . ان ردود الفعل التى يجابه بها الانسان الغربــــى المعاصر حضارته المتأزمة هذه ، تبدو واضحة حية ، متحركة ، عبر عدد كبير من الروايات والمسرحيات التى كتبها أدباء وفنانون كبار ادركوا جوانب عميقة مــن الأزمة ، وكلهم بلغ درجاتها الدنيا ، وجاس فى سراديبها وكهوفها ، وما أن وصل بعدها الأخير حتى غطاه الظل واغرقه الظلام .. فهل ننتظر نحن منه أن يجد لنا مصدر الضوء ، ويدلنا على طريق الخروج ؟؟

ان ما تقدمه لنا هذه الآداب والفنون يقتصر على الخطوة الأولى : تحديد ملامح المأساة . أما الخطوة التالية التى ترسم لنا طريق الخلاص ، فما ينتظر من هؤلاء أن يتقدموا اليها لأنهم ليسوا (على شريعة من الأمر) وهى خطوة تلقى مسؤوليتها العظمى على أعناق أولئك الذين حملوا أمانــــة (الكتـــاب) بعد أن اشفقت السماوات والارض من ثقلها العظيم ..

ان كل ساعة تمر على تاريخ الأرض ، تقترب بالبشرية من مصيرها الفاجع لأن قيادتها انتقلت منذ زمن بعيد الى الانسان الغربى سواء الذى يقطن فى أوربا الغربية وأمريكا ، أم الذى يقطن فى روسيا واليابان . ولم تشهد الأرض احتكارا أشد للقيادة البشرية والحضارية ، من هذا الذى تشهده الآن .. ان نداءات شتى للتحذير أطلقت منذ أن بدأ يتكشف ــ لذوى البصيرة ــ المصير المحتوم لحضارة

تقودها قيم ومفاهيم لا تنسجم أساسا وكيان الانسان،وانها بهذا تسلطعليهاضغوطا ساحقة تضعف الأجيال بعد الأجيال ، ولا تتيح لها الاستعداد الكافي للقيام بأعباء الحضارة وتولى مسؤوليتها الثقيلة .. نداءات أطلقها كثيرون : أطباء وعلماء نفس واجتماع وفلاسفة ومؤرخون ورجال دين ولاهوت .. تداعوا من كل حدب وصوب ليؤكدوا بأن على الحضارة المعاصرة أن تغير طريقها،وان تنعطف بمكتسباتها الهائلة الى طريق جديد يحفظ لها تراثها الذى هو حصيلة كدح شاق طويل للبشرية جميعا .

واليوم يتقدم ادباء وفنانون من شتى أقطار الأرض ليعلنوا عن مزيد من التحذير ، وليضعوا على طريق السقوط مزيدا من علامات الخطر .. ادباء وفنانون من شتى أقطار الأرض يصرخون منددين بالقيادة الضالة والبشرية المنكودة . وها نحن نجد هذا التحذير فى القصيدة والأغنية ، فى القصة والموسيقى ، فى الرواية والمسرحية .. وهذه الصرخات تذهب كلها عبثا ويضيع صداها فى الأفق البعيد ، ويختفى معها قائلوها الآن (الرجال الذين يتألمون لانهيار الحضارة الأجنبية ، ينهارون ويختفون معها تماما ، وان أولئك الذين لا يشاهدون غير ذلك الانهيار فحسب يلبثون غرباء عن المأساة .. ويعتبرون مجانين .. ان أوربا تعتبر اليوم كل رجل بلغ ذروة الألم الفكرى ، وحدوده القصوى مجنونا) (ص ٥١١) . والبشرية المنكودة تسير وراء قيادتها الى مصيرها المحزن ، والحضارة المعاصرة تركض ساعة بعد ساعة صوب نهايتها .

وها هى اليوم تبلغ ساعتها (الخامسة والعشرون) (اللحظة التى تكون فيها كل محاولة للانقاذ عديمة الجدوى .. ساعة المجتمع الغربى ، انها الساعة الحاضرة — ص ٨٨) .

لماذا (الساعة الخامسة والعشرون) ؟ جيوروجيو يجيبنا على هذا السؤال (ان الجو بات لا يصلح للتنفس .. ان الجو بات خانقا .. الجو الذى يعيش فيه المجتمع الحاضر . ان الكائن البشرى لن يستطيع احتماله . ان البيروقراطية والجيش والحكومة والتنظيم الحكومي والادارة ، كل هذه الأشياء تساهم فى تسميم الجو ليختنق الانسان . ان المجتمع الحاضر يستخدم الآلات والرقيق المنصرى . لقد خلق من أجلها . ولكن الانسان محكوم عليه بالاختناق . غير أن بنى الإنسان لا يشعرون بذلك . إنهم يصرون على أن كل شىء طبيعى ، كما كان فى السابق .. لقد وضعت فى روايتى الطريقة التى يموت بها رجال هذه الأرض الذين يحيون فى عذاب مريع وقلق قاتل ، تخنقهم الأجواء غير الصالحة للحياة (ص ١٨٥) .

والآن لنبدأ مع جيوروجيو رحلته الطويلة عبر منعطفات الطريق الحضارى ومجاريه ، وهي تجرف القيم صوب البحر ، وتنحدر بالحضارة الى الهاوية ، خطوة .. خطوة .. مع (جيوروجيو) وهو يستبطن خلفية هذه الحضارة ويتوغل الى أعماق الانسان . وليعذرنى القارىء إن نقلت نصوصا طويلة من هذا الكتاب ، فهى ذات أهمية كبيرة لأنها تمثل شواهد انسان عاش الحضارة المعاصرة وأدرك

أغوارها .. شواهد حية ضد القيادة التى تسير بالبشرية وحضارتها صـــوب الدمار .

— ١ —

ان التقدم التكنولوجي الذى أحرزته الحضارة الغربية لم توجهه قيم الدين يوما ، بل انه انطلق أساسا واخذ طريقه يوم أعلن العلم انتصاره على الدين — أو هكذا يتوهمون — فلا نعجب اذن اذا ما تضاءل الانسان يوما بعد يوم ازاء هذا التضخم الآلى ، لأنه فقد الايمان بكرامته ، وغض بصره عن التطلع الى قيـــم علوية ، وسجد للآلة ، ولأول مرة يقدم كاتب غربى تحليلا رائعا يتميز بالجـــدة والحيوية لهذه العلاقة غير المتكافئة بين الانسان والآلة ، والتى تمثل التهافت الأول في عصب الوجود الغربى والتى نشأ عنها ما يطلق عليه الكاتب عبارة : الرقيق التكنى : (الخادم الذى يقدم لنا يوميا الف خدمة لم نعد نستطيع الاستغناء عنها ، انه يدفع سيارتنا ويعطينا النور ويصب لنا الماء لنغتسل ، ويحمل لنـــا مخابراتنا ورسائلنا ويروى لنا قصصا لنتسلى عندما ندير زر المذياع . انـــه يخطط لنا الطريق ويزيل الجبال من أماكنها) (ص ٧٨ و ٧٩) .

ومن ثم يقدم الكاتب مقارنة طريفة بين الرقيق البشرى فى العصور القديمة وبين الرقيق التكنى فى المجتمع العصرى : (كان الاول هو الآخر ، معتبرا عنـــد اليونان والرومان كالقوة العمياء عديمةالإحساس،كانوا يبيعون الرقيق ويشترونه، ويقدمونه هدايا ويقتلونه ، فكانت قيمته تتناسب دائما مع قوة عضلاته وامكانياته العملية . لقد كان الأمر فى ذلك الحين مشابها تماما للمقياس الذى نستعمله اليوم فى تقدير الرقيق التكنى .. لقد برهن الاخير على أنه أكثر طواعية وأقل ثمنا من الرقيق البشرى ، فراح تدريجيا يحل محل سلفه من بنى الانســـــان (ص ٧٩ و ٨٠) .

ولكن العبيد التكنيين ما لبثوا ان خطوا مساحات واسعة من الأرض بفضل تفوقهم العددى الساحق ، واخذوا يسيطرون اليوم على النقاط الحيوية فـــى المجتمع العصرى واتضح خطرهم (وبعبارة عسكرية فنية نقول ان الرقيق التكنى يقبض بين يديه على النقاط الاستراتيجية فى مجتمعنا من جيش وخطوط مواصلات وتموين وصناعة .. وان العبيد التكنيين يشكلون اليوم الوفا من (البروليتاريا) — اذا كنا نعنى ذلك فان الكلمة : جماعة ما فى مجتمع خلال فترة تاريخية ، جماعة لم تدخل بعد فى صميم المجتمع — وعلى ذلك فان مصير هؤلاء العبيد التكنيين منوط بأيدى البشر ، وهذه البروليتاريا التكنية ستثور يوما دون أن تستعمل الحواجـــز والسدود كما كان يستعمل من قبل الرقيق البشرى . وان العبيد التكنيين يشكلون اليوم اكثرية عددية ساحقة فى المجتمع الحاضر .. انهم يتصرفون فى هذا المجتمع وفق قوانين خاصة مختلفة عن قوانين البشر . ولن أذكر من هذا القوانين الخاصة بالعبيد التكنيين إلا الآلية والمماثلة واغفال الذات (ص ٨١ — ٨٢) .

أما كيف ستتم سيطرة العبيد التكنيين (أو القوى الآلية) علـــى مقدرات الانسان ، فجوابه (ان مجتمعنا فيه عشرات المليارات من العبيد التكنيين وحوالى مليارين من البشر ، حتى ولو كان هؤلاء يسيرونه فانه ستسوده أكثرية بروليتارية

.. ان تأثيرها يتزايد يوما بعد يوم . والانسان مرغم على معرفـة عاداتهم — وقوانينهم وتقليدها ليستطيع استخدامهم والافادة منهم . وكل مستخدم مرغم على معرفة لغة مستخدميه وعاداتهم ليصدر اليهم أوامره وليستخدمهم . وقد جرت العادة أبدا على أنه اذا كان المحتل اقل عددا من الأمة التى يحتلها فانه يرغم على اعتناق عادات تلك الأمة وتعلم لغتها بسبب المنفعة والمصلحـة وسـهولة التفاهم، انه يرغم على ذلك رغم انه محتل وسيد شديد البأس. ان مثل هذه النظرية يتتابع تضخما وانتشارها ضمن محيط مجتمعنا رغم أننا نأبى الاعتراف بها .. .. وهكذا فاننا سنتخلى يوما ما عن انسانيتنا ، ونتبع اسلوب الحياة المطبق على عبيدنا التكنيين .. وستكون دلالة هذا التخلى عن الانسانية احتقار الكائن البشرى . ان الرجل العصرى يعرف انه وزملاءه من بنى الانسان ليسوا أكثر من عناصر يمكن استذلالها . والمجتمع الحديث الذى يحوى على رجل واحد مقابل كل ثلاثين عبدا تكنيا ينبغى أن ينظم وان يعمل حسب النظم التكنية لأنه مجتمع خلق وبنى على احتياجات ميكانيكية وليست انسانية . وهنا تبـدأ الفاجعـة ، ان المخلوقات البشرية مرغمة على الحياة والتصرفات وفق قوانين تكنية غريبة عن القوانين الانسانية . وأولئك الذين لا يحترمون قوانين الآلة التى تتساوى مع القوانين الاجتماعية يعاقبون . والكائن البشرى . الذى يعيش فى اقلية يصبح مع الوقت اقلية (بروليتارية) فيحذف اسمه من المجتمع الذى ينتمى اليه ، والذى لا يمكن أن يعود اليه إلا بعد التخلى عن طبيعته الانسانية فينجم عن ذلك شعور بالدونية ، ورغبة فى تقليد الآلة ، والتخلى عن صفاته الانسانية المميزة التى تبقيه بعيدا عن أوساط النظام الاجتماعى .. ان هذا التحول البطىء سيقلـب الكائن الحـى ، وسيجعله متخليا عن احساساته وعلاقاته الاجتماعية ، ويجعلها محصورة فى حدود ضيقة واضحة الآلية تماما، كتلك العلاقات التى تجمع بين قطعة آلة وأخرى. ولسوف يقلد البشر فى علاقاتهم الاجتماعية وفى الإدارة وفنون النقش والرسم والأدب ، وفى الرقص ، الأسلوب واللغة الخاصين بالرقيق التكنى . وستصبح المخلوقات البشرية ببغاوات العبيد التكنيين . غير أن هذا ليس الا بداية الفاجعة) وما هى الفاجعة الحقيقية اذن ؟ (هنا تنفجر المأساة لأننا لا نستطيع أن نتحول الى آلات (!!) غير ان الاصطدام بين الحقيقتين : الحقيقة الآلية والحقيقـة البشرية، قد وقع ولسوف يربح الرقيق التكنى الحرب، سوف يستبد ويصبح مواطنا آليا فى مجتمعنا . أما نحن — الكائنات البشرية — فسنصبح بروليتاريا (أقلية) فى مجتمع منظم حسب حاجات وعادات الأكثرية الساحقة من المواطنين الآليين) (ص ٨٢ — ٨٤) .

بعد هذا يوضح لنا جيورجيو بأسلوب مؤثر ، كيف سيضيع الانسان وسط هذا التراكم فى الآلات ، وكيف انه سيتحول الى مجرد مقياس ذى قيمة آلية ، وعلى الرغم من أن المجتمع الانسانى سيجد آنذاك وسائله الترفيهية إلا أنه سيغدو أرضا بورا لا تنتج العباقرة ، وبدون هؤلاء تتمرغ الحضارة بالتـراب (ان كـل

الأحداث التي تدور الآن على الكرة الأرضية والتي ستقع خلال السنوات المقبلة، ليست إلا بتأثير تلك الثورة ومراحلها : ثورة العبيد الآليين . ان الرجـــال لن يستطيعوا بعد ذلك أن يحيوا فى مجتمع يحتفظون فيه بطابعهم البشرى . سوف يعتبرون متساوين ومتشابهين مع الرقيــق الآلى ، وسيعاملون وفق القوانين المطبقة عليه ، دون مراعاة طبيعتهم الانسانية ستحدث توقيفات آلية وأحكــام آلية ، وتسليات آلية ، وقتل آلى لن يكون للمرء حق في الحياة بل سيعامل وكأنه مكبس أو قطعة آلة . حتى اذا شاء أن يعيش عيشة انسانية تعرض لسخرية العالم بمجموعه) (ص ٨٤و ٨٥) .

هل رأيت ـــ يتساءل جيوروجيو ـــ فى حياتك مكبسا يعيش حياة شخصية ؟ ما أروعه من سؤال يجيب عن نفسه (!!) ثم يستأنف المؤلف طرح نذره (أن هذه الثورة ستحدث على سطح الأرض كلها ، ولن نستطيع الاختفاء منها لا فى الغابات ولا فى الجزر ولا فى أى مكان . لن تستطيع أمة فى العالم أن تحمينا (!!) سوف تتشكل جيوش العالم كله من مأجورين يناضلون ويكافحون من أجل تدعيم المجتمع الآلى الذى لن تعيش فيه الفردية . ولعل هذا العصر هو الفترة الأكثر ظلمة فى تاريخ البشرية . اذ لم يحدث لحد الآن ان احتقر الانسان الى هذا الحد .. والحيـــاة البشرية لم تعد لها من قيمة الا بوصفها مصدر حركة . والقياسات أضحت علمية محضة ، وهذا هو قانون بربريتنا الآلية المظلمة ، ولسوف نصبح بعد النصر الكلى عبيدا آليين) (٨٥ و ٨٦) .

لن تستطيع أمة فى العالم أن تحمينا (!!) وهذه هى النتيجة المحتمـــة لسيطرة القيم الغربية على كل أقطار المعمورة . صحيح أننا فى الشرق لا زلنـــا متأخرين ولا زالت هنالك مساحات واسعة من حياتنا الاجتماعية بعيدة عن تغطية الآلة . الا اننا ـــ على أية حال ـــ نصدر ـــ وهذا هو المهم ـــ عن الفلسفة التـــى يصدر عنها الغرب . ويتضاعف الخطر لدينا ويغدو خطرا مزدوجا لأن نظرتنا الى التكنولوجيا يسودها تقديس أشد للعلاقات المادية بدافع من شعور عميق بالنقص أزاء هذه الحضارة .

لن تستطيع أمة فى العالم ان تحمينا ، فالقضية ليست قضية مواقع جغرافية أو لون على الخارطة السياسية أو أعلام متميزة ترفرف فى أعالى السماء ، وانما هى الفكرة ، التصور ، العقيدة التى يصدر عنها المجتمع فهى التى ستجعل للموقع الجغرافى قيمته الحقيقية فى حماية الأمم المهزومة ، وهى التى ستعطى للـــون مواده الثابتة التى لا تحول وهى التى ستجعل الرايات الخفاقة فى الأعالى نداء قدسيا يربط الأرض بالسماء ، ويفتح ذراعيه للمتعبين المنكودين ، ويعدهم بكـــل ما أفقدتهم اياه سيطرة العبيد التكنيين .

ولنرجع الى جيورجيو ، بعد أن قلبنا اعيننا فى اقطار الأرض ، فلم نر أمة واحدة تصدر عن عقيدة تحمى بها القيم الانسانية من الزوال ، لنرجع الى الشاهد لنرى ماذا يقول .. (طالما ان الانسان قد تحول الى مجرد مقياس ذى قيمة آلية

ــ اجتماعية ــ فانه يتعرض للاصابة بأى شىء ــ يمكن ان يوقف وان يرسل للقيام بالأعمال الشاقة ، أو ان يستأصل عرقه ، أو ان يرغم على مزاولة أعمال معينة سواء لواحد من مشاريع السنين الخمس أو لتحسين العرق أو لأهداف اخرى ضرورية للمجتمع الآلى دون اى اعتبار لشخصية المجتمع التكنى يعمل ــ حصرا ــ تبعا لنظرية تكيفه مستعملا المجردات ، الخطط فقط ، مستهدفا معيارا واحدا فقط هو الانتاج .. لن يبقى رجل واحد حرا على سطح الأرض . ان الانسان سيصبح مغلولا خلال سنين طويلة فى المجتمع التكنى .. لكنه لن يموت فى الاغلال . ان المجتمع التكنى يستطيع ابتداع رفاهية لكنه لا يستطيع خلق الفكر ، وبدون الفكر لا توجد العبقرية . وان مجتمعا محروما من رجال عباقرة مقضى عليه بالفناء . ان المجتمع التكنى الذى يحل محل المجتمع الغربى والذى سيكتسح سطح الأرض كله سيفنى هو الآخر : ان اينشتاين يؤكد انه يكفى انقطاع جيلين متتابعين فقط فى خط العقول المتفوقة الميالة بصورة خاصة للعلوم الطبيعية ، لكى تنهار كل المشيدات القائمة على هذا العلم) (ص ٨٦ و ٨٧) .

ولنستمع ــ من ثم ــ الى حوار داخلى لانسان يقف بخضوع أمام الآلة ، ملغيا وجوده الباطنى من الحساب (لا يسمح لك التفكير بأى شىء آخر وإلا فإن الآلات تعاقبك على الفور . ان كل انتباهك ينبغى أن يكون موجها نحو زميلك الآلى ذلك العامل المجد الذى يأتيك بالصندوق ويمده اليك وعليك أنت أن تنحنى وتأخذ الصندوق من يديه .. ان الانسان الآلى لا يمكنه ان ينطبع برغبة الانسان . فعليك اذن أن تساير رغباته وتوازن حركاته من حركاتك ــ ان هذا طبيعى جدا لأنه هو العامل الكامل .. أما أنت فانك لست كاملا .. ان الآلات تعلمك الترتيب والنظام والكمال ، فاذا حاكيتها غدوت عاملا من الدرجة الأولى) (ص ٢٤٠ و ٢٤١) .

وهذا منولوج آخر يعبر فيه بطل الرواية : (مورتيز) عن يأس كامل فى الحرية ازاء آلية لا تسمع ولا ترى (ان كل شىء يتحقق آليا ، وكل شىء يسير بالكهرباء .. وأنت (!!) انك فى صميم آلة جبارة ، فمهما بذلت من مجهود وتحركت وناضلت فلن تخرج منها . ان الآلة صماء ، انها لا تسمع ولا ترى ، بل تعمل فقط .. انها تعمل عملا مدهشا تبلغ فيه الكمال الذى لا يستطيع الانسان بلوغه أبدا .. ان الآلة لا تنسى كما ينسى المخلوق البشرى ، انها دقيقة .. (ص ٤٤٣ و ٤٤٤) .

وما هى النتيجة ؟ (كان مورتيز يشعر بأن كيانه يذوى كالغصن المحروم من الرى . كان اذا ما أوى الى فراشه ــ مساء ــ يشعر باحساس غريب يخيل اليه انه ينحنى ويلتقط صندوقا . واذا نهض من سريره صباحا شعر كأنه انتصب فى تلك اللحظة بعد أن أودع الصندوق فى العربة وباتت يداه فارغتين فترة بانتظار وصول الصندوق التالى ــ كان نومه خلوا من الأحلام ــ أما جبينه وعيناه فقد غشيهما الاكتئاب والقلق ــ لقد اتخذ لون الآلة وليس لون الأرض) (ص ٢٤٩) .

للبحث صلة

الإسلام والشرائع السابقة

للشيخ محمد محمد الشرقاوى

دين الله تعالى واحد لا يتجزأ ، وهدفه الأسمى محدد لا يقبل التخالف أو الخلاف ، فالدين ايمان وعمل ، والهدف : عبادة الله بالباقيات الصالحات، وهذا هو المحور الأساسى المشترك بين كافة الشرائع والرسالات والحجر الأول فى صرح الروحانيات القائمة على المبادىء الفاضلة ، والقيم السامية ، .. من لدن آدم عليه السلام حين تفجرت بظهوره أول رسالة سماوية تستهدف هداية الانسان الى الطريق الأمثل ، وحمايته من طغيان الهوى والنفس ، الى أن ختمت الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم .. الذى التقت بدعوته الجامعة نقطتا البدء والنهاية فى حلقة الديانة الحقة .

.. أخرج ابن حبان فى صحيحه وغيره من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : مائة الف وعشرون الفا .. قلت : يا رسول الله .. كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا .. قلت : من كان أولهم ؟ .. قال : آدم : قلت : يا رسول الله .. أنبى مرسل ؟ .. قال : نعم » (١) .

فالدين كلمة عامة ينطوى فيها ما يدعو اليه الاسلام من الايمان بالأصول العامة ، والتصديق الجازم بالعقائد الالهية والغيبية المشتركة من وحدانية لله وعرفان بصفاته الكاملة وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، مع ما يكمل ذلك من شريعة توضح للناس مسالكهم على دروب الحياة العملية ، وأخلاق تنمى علائقهم الشخصية



والاجتماعية ، وحدود تزجر الخارجين منهم على قانون السماء وبهذا دان الله تعالى الأمم ، وساس الانسانية كلها على اختلاف مدارجها زمانا ، بواسطة أنبياء مرسلين كانوا همزات وصل بين الخالق والمخلوق بدون تضاد فيما بينهم فيما هو جوهرى من الرسالات وفى هذا يقول القرآن الكريم : **« ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ، يا بنى أن الله أصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » (٢)** أى ان ابراهيم ويعقوب عليهما السلام قد حملا أبناءهما وصية التمسك بالدين الواحد المعبر عنه فى الآية السابقة على هذه الآية : **« اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين »** يقول الكشاف (٣) فى تفسير « اصطفى لكم الدين » أى أعطاكم صفوة الأديان وهو دين الاسلام ووفقكم للأخذ به فلا يكن موتكم الا على حال الثبات على الاسلام .. فالنهى فى الحقيقة انما هو عن كونهم على خلاف الاسلام اذا ماتوا ، لاظهار أن موتهم على خلاف الاسلام موت لا خير فيه ، وأن من حق هذا الموت الا يحل فيهم .. كما تقول : مت وأنت شهيد ، وليس المراد الأمر بذات الموت بل بصفة الشهادة حين الموت اعتدادا بموتة الشهداء وأنها جديرة بأن يحث عليها، وكان اليهود يزعمون أنه ما من نبى مات الا وهو على اليهودية .. فكذبهم الله تعالى بقوله : **« أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى ، قالوا : نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون »** (٤) أى أنهم لو شهدوا يعقوب حال نزول الموت به ، ووداع الحياة له ، لشهدوا توافقه مع أبنائه على وحدة الدين ووحدة الخالق واعتناق الاسلام الذى هو ملة الله الأزلية الأبدية الدائمة السرمدية التى لا يقبل سواها ، ولا يعتد بدونها **« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »** .. **« ان الدين عند الله الاسلام »** .

ومن هنا يبدو جليا أن الاسلام ليس دينا خاصا بأمة دون أخرى ، وليس دعوة عنصرية أو انعزالية تعيش بمنأى عن الأديان والشرائع التى تقدمتها ، وتتخذ لنفسها سياجا انطوائيا .. انما الاسلام فى معناه الأشمل هو الجانب الأخير المكمل لما سبقه من جوانب أخرى من رسالات الله الى البشر .. تضافرت كلها على اخراج وحدة دينية متكاملة .. ساهم فيها كل رسول بقدر ، وشاركت فيها كل رسالة بجهد ، وقد استغرق اعداد هذه الوحدة الدينية الجامعة الزمان كل الزمان ، من عهد آدم أبى البشر الى حفيده الخاتم للرسالات والنبوات محمد عليهما الصلاة والسلام وهو الذى أتم البناء وأكمل الأداء على أحسن ما يكون الوفاء « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » وفى حديث للبخارى فى صحيحه تصوير صادق لهذا التوافق التام بين الرسالات كلها وفيه يمثل الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته ورسالة من تقدمه : « برجل بنى بيتا فأكمله وزينه الا موضع لبنة ، فجعل الناس





يطوفون به ويعجبون ويقولون : لولا هذه اللبنة .. فأنا اللبنة » .

وبهذا تأكد بما لا يدع مجالا للشك أن كل نبى مع من تقدمه أو تأخر عنه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وأنهم جميعا على اختلاف أزمانهم وأقوامهم يشكلون صفا واحدا متماسكا فى مواجهة التحديات الضالة المضلة ، وفى قيادة الانسانية الى الطريق المستقيم الموصل الى سعادة الدارين ، وشرف الحياتين .. وقد ذكر القرافى (٥) : أن الرأى المختار عند الحنفية والمالكية والشافعية أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بعثته كان متعبدا بكل ما ثبت عنده بطريق العلم أنه شرع نبى من الأنبياء ، وبهذا كان مصدقا لما بين يديه من الشرائع السابقة له .. آخذا منها ما لم ينسخه هو فى شريعته الأخيرة، على أن النسخ فى هذه الأحوال لا ينافى تصديقه للرسالات الأخرى .. لأن النسخ ـ على أصح الآراء العلمية ـ ليس تغييرا للأحكام ولا مخالفة لها وانما هو أعلام وبيان بانتهاء الفترة الزمنية المحددة لسريان مفعول هذه الأحكام .. فالأحكام السابقة فى الشرائع المتقدمة اذن قسمان : قسم ظهر انتهاء أمده فهو متروك وليس فى ضمن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقسم ظهر استمراره وبقاؤه على المدى الطويل بطريق يقينى .. فهو مأخوذ به على أنه من شريعتنا .. على حد تعبير علماء الأصول : « شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد فى شرعنا ما ينسخه » وبهذا تتكامل الرسالات فيما بينها ، ويصدق بعضها بعضا ، فالمتأخر منهم مصدق لمن تقدمه ، والمتقدم منهم ـ لو كان حيا ـ مصدق لمن جاء بعده من الرسل ، فلا يكون بين هؤلاء الاخوة المرسلين أدنى تعارض أو تخالف ، أو تضاد .. وفى الحديث : « الأنبياء أبناء علات أبوهم واحد وأمهاتهم شتى » وقد عبر عن ذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم بقوله : « لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى » (٦) .

فكل الشرائع السابقة قد صارت بعد بعثة النبى صلى الله عليه وسلم شريعة محمدية باعتبارها ميراثا دينيا انتهى الى محمد عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى : « **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** » والميراث ملك للوارث مختص به ، وفى آية أخرى « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** »(٧) لكن لما دخل التحريف فى كتبهم وتلاعبت الأهواء والأغراض بأهدافهم شرط العلماء للاعتماد على كتبهم المتقدمة واندماجها فى شريعتنا أن يقص الله تعالى علينا شرائعهم من غير نكير ، أو تثبت ببيان صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم بدون أن يعقبها تأقيت أو نسخ (٨) .. وأما قوله تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** » (٩) فمعناه أن لكل أمة شريعة عملية تناسب زمانها ومكانها وأحوالها ولكنها قابلة للنسخ اذا انتقلت الى أمة أخرى ذات نبى آخر له ظروف وأحوال مباينة .. فاذا انتقلت ودخلها نسخ لبعض





الأحكام وابقاء للبعض الآخر مـــع ما يضيفه النبى الجديد من أحكام أخرى ملائمة كانت هذه الخلاصة شرعـــة ومنهاجا لهذا النبى المتأخر .. وهكذا تتوالى النسوخ والتعديــــلات على الشرائع العملية مع بقـــاء الأصول الثابتة كما هى بلا تعديل ولا تحوير ، حتى تنتهى فى مسارها الحافل الطويل الى الشريعة النهائية التى لا يلحقها بعد ذلك نسخ ولا تبديل وهى شريعة نبى آخر الزمان محمد صلى الله عليه وسلم فتكون بمجموعها عبارة عما لم ينسخ من كل الشرائع السابقة مضافا اليها الجديد فى رسالة محمد عليــه الصلاة والسلام ومن كل هذا وذاك تتكون شريعة « الاسلام » .

وقد استدل العلماء على ذلك بما نجمله فيما يأتى :

«١» ليس من الحكمـــة أن يبقى الناس سدى مهملين بلا أوامر ولا نواه فى زمن ما .. فكل من تأهل للتكليف من الناس وبلغه ما جاء به نبى من الأنبياء بطريق يقينى فهو مكلف بـــه وهذا لا يعنى عموم رسالة كل نبى ، لأنها قابلة للتغيير بظهور نبى آخــر وبعدم عمومها حين نسخهـــا ومعنى ذلك أنه لا توجد فجوة لا دينية فـــى التاريخ ويكون أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم رسالة نبى بطريق يفيــد العلم (١٠) .

«٢» أجمع العلماء على الاستدلال بقوله تعالى : « **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ..** » (١١) ، عــلى وجوب القصاص فى شريعة محمــد صلى الله عليه وسلم ، والآية الكريمة تعنى أن الله تعالى أوجب على بنى اسرائيل فى التوراة أن النفس بالنفس .. فلولا أننا متعبدون بما فى التوراة مما لم ينسخ ، لما صح الاستدلال بهذه الآية على ايجاب القصاص فهذه الآية الكريمة مثبتة للقصاص فى الأنفس فى شريعتنا كما كانت مثبتة كذلك عند أهل التوراة .. ما هـــذا الا لأن الشرائع متداخلة فى بعض أبعاضها بحيث يكمل بعضها بعضا ، ويصدق بعضها بعضا .

«٣» روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلــم قال : « اذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها ، فليصلها اذا ذكرهــا فان الله يقول: **(وأقم الصلاة لذكرى)** وهذه الآية القرآنية موجهة أساســا الى موسى عليه السلام كما حكى ذلك القرآن الكريم « **فلمــا أتاهــا نودى يا موسى . انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقــدس طوى . وأنــا اخترتك فاستمع لما يوحى . اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى** » (١٢) .. ومع ذلك استدل بها رسولنا صلوات الله وسلامه عليه على وجوب قضاء الصلاة التى نام أو غفل عنها تاركها اذا ذكرها .. فلــو لم يكن النبى صلى الله عليه وسلــم وأمته متعبدين بذلك فى شريعتنا لما صح الاستدلال بها ؛ ولما كان لتلاوتها فائدة تذكر .

«٤» ومع أن شرائع من قبلنا لم تذكر فى حديث معاذ بن جبــل حين أرسله النبى صلى الله عليه وسلــم الى اليمن وقال له : « كيف تصنع إن عرض لك قضاء فقال : أقضى بما فى



كتاب الله ، قال : فان لم يكن فى كتاب الله ، قال : فبسنة رسول الله ، قال فان لم يكن فى سنة رسول الله قال : اجتهد رأيى لا آلو .. فضرب الرسول صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » (١٣) أقول .. **ليس خلو** حديث معاذ هذا من التعرض للشرائع السابقة دليلا على عدم اعتبارها فى أسس التشريع الاسلامى لأن هذه الشرائع فى الحقيقة مذكورة ضمنا فى ثنايا القرآن الكريم بمثل قوله تعالى : **« أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده »** أو لأن هذه الشرائع قليلة نسبيا اذا قيست بالجديد فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلذا لم تفرد بالذكر فى حديث معاذ الذى تضمن موافقة الرسول عليه ، ورضاه به .

«٥» والقول بأن شريعتنا ناسخة لما تقدمها من الشرائع ليس على اطلاقه .. بل هى ناسخة لما خالفها **من الأحكام ، لأنا نقطع بأن النسخ معدوم فى الإيمان والكفر وغيرهما كالزنا ، والقصاص .**

وبعد ،

فقد ظهر من هذا العرض الوجيز أن شريعة الاسلام حلقة فى سلسلة الرسالات السماوية المتعددة ، وأنها متصلة بالشرائع والديانات السابقة اتصالا عضويا متكاملا ، وأنها تمثل الحجر الأخير فى بناء تام لا ينقصه الا هذا الحجر النهائى وأن هذا البناء الشامخ من رسالة السماء يشكل فى مجموعه دين الله الواحد الذى لا يتجزأ .

بيد أن شريعتنا تصرفت فى أحكام الفروع التى اشتملتها الرسالات السابقة فأبقت ما صلح منها للبقاء والاستمرار ، ونسخت ما ظهرت نهايته ، وانتهى أمده المقرر له عند الله حسب التطور الكونى العام وفق ما أراد الله تعالى لأنبيائه ورسالاته .. ولذا كانت الشرائع السابقة على شريعتنا تلزمنا على أنها شريعة لنا من حيث كانت شريعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تنسخ ، قال صاحب التلويح (١٤) : « وهذا مذهب أكثر مشايخنا منهم أبو منصور والقاضى الامام أبو زيد ، وشمس الأئمة وفخر الاسلام ، وعامة المتأخرين ، وان خالف فى ذلك المعتزلة فأحالوه عقلا ، كما خالف فيه الامام الرازى والآمدى وأحالوه شرعا » .

---

(١) التحرير للكمال بن الهمام جـ ٢ ص ٣٠٨
(٢) البقرة : ١٣٢
(٣) تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ١ : ٧٥
(٤) البقرة : ١٣٣
(٥) التحرير جـ ٢ : ٣٠٨
(٦) التوضيح جـ ٢ : ٢٧٧ وما قبلها وما بعدها
(٧) الشورى : ١٣
(٨) التوضيح جـ ٢ : ٢٧٧
(٩) المائدة : ٤٨
(١٠) التحرير جـ ٢ : ٣٠٩ .
(١١) المائدة : ٤٥
(١٢) طه : ١١ — ١٤ .
(١٣) تاريخ التشريع الاسلامى : ٨٠ .
(١٤) التوضيح جـ ٢ ص ٢٧٦



للأستاذ : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

يعد الاجتهاد المصدر الثالث من مصادر التشريع الاسلامى ، بعد كتاب الله تبارك وتعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، وسنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

ويؤيد هذا ما رواه معاذ بن جبل — رضى الله عنه — من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله حينما وجهه إلى « اليمن » بقوله : « كيف تصنع أن عرض لك قضاء ؟ » ، فأجابه قائلا : « أقضى بما فى كتاب الله » ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : « فان لم تجد فى كتاب الله ؟ » ، فقال معاذ : « أقضى بسنة رسول الله » ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ » ، فقال معاذ : « اجتهد رأيى ، لا آلو » ، فتهلل وجه الرسول صلوات الله وسلامه عليه وضرب صدر معاذ وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » ، فهذا ارتياح من الرسول صلى الله عليه وسلم لما رآه من معاذ ، من اخذ بالقياس ، والاعتماد على الاجتهاد ، الذى هو بذل الجهد فى استخراج الحكم .

فولاء معاذ بن جبل لكتاب الله تبارك وتعالى ، ولسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، لا يحجب عقله عن متابعة رؤاه ؛ ولا يحجب عن عقله تلك الحقائق الهائلة التى تنتظر من يكتشفها ويواجهها .

ولعل هذه القدرة على الاجتهاد ، والشجاعة فى استعمال العقل والذكاء ، هما اللتان مكنتا معاذا من ثرائه الفقهى الذى فاق به اقرانه واخوانه ، وصار كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم : « أعلم الناس بالحلال والحرام » .

وروى سعيد بن المسيب — رضى الله عنه — عن على بن ابى طالب —

كرّم الله وجهه ــ أنه قال : « قلت : يا رسول الله : الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه منك سنة ؟ قال : اجمعوا له العالمين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ، ولا تقضوا فيه برأى أحد » .

من هذين الحديثين نـدرك أن الاجتهاد قسمان : قسم فردى ، وهو فى الأمور التى يكفى لمعرفة حكمها اجتهاد فرد واحد . وقسم جماعى ، وهو الذى يكون فيه اجتهاد العالمين من المؤمنين فيما يعرض للأمة من الأمور التى تحتاج الى تبادل فى الرأى .

والشريعة الاسلامية حين فتحت باب الاجتهاد للفرد او للجماعة لم تترك لهم الحبل على الغارب ، بل وضعت لهم من القواعد العامة ما يعينهم على بلوغ الهدف ، ويوصلهم الى الغاية المرجوة ، من تنظيم سبل الحياة للأفراد ، واقرار الحق والعدل .

ان المقصود من الشريعة الاسلامية هو جلب المصالح للناس ، ودفع المضار عنهم ، فيجب تحرى الحق والعدل حتى مع الأعداء ، يقول المولى تبارك وتعالى فى محكم آياته : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» و: « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، ويقول عز وجل : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى »، ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « يسروا ولا تعسروا » ، و : « لا ضرر ولا ضرار » ، و : « الدين يسر » .

ويجب أن تكون العقوبة مناسبة للجريمة ، والعفو أقرب للتقوى : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » ، ويجب الا يؤاخذ فرد بجريمة غيره ، وأيضا لا يصح التعلق بالأوهام والخرافات .

أما الضرورة فلها أحكامها التى تلائمها ، فقد يباح فيها ما هو ممنوع فى غيرها ، : « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » ، و : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم » .

هذه بعض من القواعد العامة التى وضعها الاسلام ليستنير بها **المجتهدون عندما يضعون احكاما** للأشياء التى ليس لها نظير فيما مضى .

ويرى العلماء ان الاجتهاد واجب عينى على كل انسان تعرض له حادثة ويخاف موتها ، وكفائى على كل **مسئول عرضت له حادثة ولم يخف** موتها وهناك غيره من المجتهدين ، ويندب الاجتهاد عند السؤال عن قضية أو مسألة لم تحدث بعد .

بيد أنه من الأصلح والأحسن أن تكون هناك مجموعة من العلماء ذوى الكفاءة ، يقع على كاهلها مهمة الاجتهاد فى الأمة ، وأن الأمة تأثم وتقع فى الخطأ اذا انقطع عنها الاجتهاد ، ورضيت بالتقليد الأعمى والجمود .

ويعتمد المجتهد فى استنباطه **للأحكام على ثلاثة أمور :**

أولها : المعرفة بالأدلة السمعية ، **التى ترجع الى كتاب الله عز وجل** ، وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، والاجماع ، وما اختلف فيه العلماء من الأصول الأخرى .

ثانيها : التأكد من دلالة اللفظ فى اللغة العربية ، وفى استعمال البلغاء وهذه الدلالة تكون إما بالمنطوق ، أو بالمفهوم ، أو بالمعقول ، وهو القياس **وأنواع الاستدلال المختلف فى حجيتها** بين أئمة المسلمين

ثالثها : المقدرة على الموازنة بين **الأدلة ، واختيار أرجحها وأقواها .**

فلا بد اذن لمن يرغب أن يكون مجتهدا من أن يكون على معرفة بالكتاب ، ودراية بقراءاته ، وعلم بناسخه ومنسوخه ، وفهم للسنة النبوية الشريفة واصطلاحاتها ، ودرجاتها ، ومركزها من القرآن الكريم ، ولا بد أيضا من أن يكون ملما بعلم الأصول واللغة ، وآراء الفقهاء ، وأسباب اختلافهم ، وطرق الاستدلال السمعية والعقلية ومقاصد الشريعة.

ويرى الشاطبي في كتابه « الموافقات » أن درجة الاجتهاد إنما تحصل ممن اتصف بوصفين :

الأول : فهم مقاصد الشريعة على كمالها .

الثاني : التمكن من استنباط الأحكام بناء على فهمه لمقاصد الشريعة .

فالمقاصد الشرعية هي الأساس ، فاذا وصل المجتهد الى ادراك قصد الشارع في كل مسألة ، فقد تمكن من الوصول الى أن يطلق عليه وصف خليفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه في توضيح وتبيين الخطاب الإلهي في التعليم والفتوى .

ولا يلزم المجتهد في الأحكام الشرعية أن يكون مجتهدا في كل علم يتعلق به الاجتهاد على الجملة ، بل الأمر ينقسم ، فان كان له علم لا يمكن أن يحصل وصف الاجتهاد بكنهه إلا عن طريقه ، فلا بد أن يكون على علم به حتى يكون مجتهدا فيه ، وما عدا ذلك من العلوم فلا يلزم ذلك فيه وإن كان العلم به معينا فيه ، ولكن لا يخل التقليد فيه بحقيقة الاجتهاد .

الاجتهاد في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم :

إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يفارق الحياة الدنيا الا بعد أن تكامل بناء الشريعة الاسلامية ، فما كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم مما ثبت باجتهاد الصحابة والتابعين لا يعد تشريعا في الحقيقة ، بل هو توسيع في تبسيط القواعد الكلية ، وتطبيق ذلك على الأحداث الجزئية المتجددة ، واستنباط للأحكام بفهمها والقياس عليها فيما لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة .

وقد ثبت أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان مأذونا بالاجتهاد ، وأنه قد وقع منه بالفعل ، وفي مواضع كثيرة كان لا بد فيها من الاجتهاد ، ومما ينبغي أن يعرف أن اجتهاد الرسول صلوات الله وسلامه عليه في الأحكام أساسه القرآن الكريم ، وما بثه في نفسه من روح التشريع ومبادئه فهو يستند في تشريعه الأحكام التي تطبق المبادىء العامة لتشريع القرآن الكريم ، لترجع أحكام السنة الى أحكام القرآن الكريم ، ومن ثم لا يقع بين أحكام القرآن الكريم وأحكام السنة النبوية الشريفة أي تخالف أو تعارض .

فمن مواضع الاجتهاد التي يشهد بها القرآن الكريم ، أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه استشار أصحابه فيما يصنعه بأسرى « بدر » ، فأشار أبو بكر الصديق بالفداء ، وأشار عمر بن الخطاب بقتل الأسرى، فمال الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى رأى أبي بكر الصديق ، وبعد تنفيذ القرار في شأن الأسرى نزل القرآن الكريم معاتبا المسلمين ، لا على ما فعلوه بالأسرى من اطلاق سراحهم والمن عليهم بالفداء كما يتوهم ، بل على نفس الأسر أثناء القتال ، أي على عمل تكتيكي حدث خلال المعركة،وهو اكتفاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه وبعض المسلمين بانهاء المعركة بأقل ما يمكن من الخسائر في أرواح زعماء « قريش » .

ومن أمثلة اجتهاد الرسول صلى

الله عليه وسلم التي تعتمد على القياس وتعتبره من المدارك الشرعية، أن امرأة جاءته وقالت : « يا رسول الله : ان أمي ماتت وعليها صوم نذر ، افأصوم عنها ؟ فقال : أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يجزىء عنها ؟ قالت : نعم . فقال صلوات الله وسلامه عليه : فدين الله أحق أن يقضى » .

ومن ذلك ايضا أن رجلا وضعت زوجته ولدا أسود فأنكره ، فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه للرجل : « هل لك من إبل حمر فيها اورق ؟ » ، قال : نعم . فقال له صلى الله عليه وسلم : « فمن أين ؟ » ، قال لعله نزعة عرق . فقال صلى الله عليه وسلم : « وهذا لعله نزعة عرق » .

وكان الرسول الكريم يأمر أصحابه بالاجتهاد ، وقد تعددت وقائع الاجتهاد من الصحابة فى حضرته وفى غيبته ، فكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقرهم على ما أصابوا ، وينكر عليهم ما أخطأوا ، فقد حكم الرسول الكريم سعد بن معاذ فى يهود « بنى قريظة » بناء على طلبهم ، وارتضائهم لحكمه وتنفيذهم له . فحكم سعد بأن يقتل الرجال ، وتسبى النساء والأطفال،وتصادر الأموال والممتلكات فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات ، لقد رضى بحكمك هذا الله والمؤمنون ، وبه أمرت » .

وقد قاس سعد بن معاذ حكمه على اليهود على المحاربين الذين ذكرهم القرآن الكريم فى قوله تبارك وتعالى « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا او تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » .

وروى عن عمرو بن العاص أنه قال : « جاء خصمان يختصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : يا عمرو ! اقض بينهما . قلت : أنت أولى بذلك منى يا نبى الله . قال : وان كان . قلت : على ماذا أقضى ؟ قال : ان أصبت القضاء بينهما فلك عشر حسنات ، وإن اجتهدت فأخطأت فلك حسنة » .

وقتل أبو قتادة رجلا من المشركين ، فأخذ سلبه غيره ، فقال أبو بكر : « لا نقصد الى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فنعطيك سلبه ،أردد عليه سلب قتيله » ، فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « صدق ، أردد عليه سلبه » .

الاجتهاد فى زمن الخلفاء الراشدين

عقب وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وانقطاع الوحى ، انتقلت قيادة الأمة الاسلاميةفى الأمور الدينية والدنيوية الى الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة ، فاضطلعوا بهذا الواجب ونهضوا بهذا العبء .

وقد مضوا على هذه الخطة ، فكان أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — اذا ورد عليه حكم نظر فى كتاب الله عز وجل ، فان وجد فيه ما يقضى به قضى به، وان لم يجد فىكتاب الله عز وجل نظر فى سنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فان وجد فيها ما يقضى به يقضى به ، وان لم يجد فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقضى به ، جمع كبار المسلمين واستشارهم . فاذا اجتمع رأيهم على شىء قضى به .

وكان عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يفعل ذلك ، ويكتب به الى قضاته فى الأقاليم ، فقد كتب الى أبى موسى الأشعرى قاضيه بـ « البصرة » يقول : « القضاء فريضة محكمة أو سنة متبعة » ، ثم قال : « الفهم الفهم

فيما تلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة . اعرف الأشباه والأمثال ، وقس الأمور عند ذلك ، واعمد الى أقربها الى الله وأشبهها بالحق » .

وقال لشريح حينما ولاه قضاء مدينة « الكوفة » : « اقض بما استبان لك من قضاء رسول الله ، فان لم تعلم كل أقضية رسول الله فاقض بما استبان لك من قضاء أئمته المجتهدين، فان لم تعلم كل ما قضت به الأئمة المجتهدون فاجتهد رأيك ، واستشر أهل العلم والصلاح » .

هـــذه هـــى خطة الاسلام فى الحكم على الأمور ، إما العمل بما فى كتاب الله عز وجل ، وإما العمل بما فى سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وإما الرجوع الى الاجتهاد فى تطبيق القواعد العامة والعمل بروح الشريعة الاسلامية .

وقد كان الصحابة — رضوان الله عليهم أجمعين — يرجعون فى اجتهادهم الى قاعدتين هامتين : —

الأولى : قياس الأشباه على النظائر فاذا عرضت لهم حادثة وقع مثلها فى عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وحكم فيها الرسول الكريم بما جاء فى القرآن الكريم ، أو حكم فيها برأيه ، حكموا فى الحادثة التى عرضت لهم بمثل الحكم فى الحادثة الأولى .

الثانية : رعاية مصالح الناس وتحقيق ما فيه الخير لهم ، والعمل على إقامة مجتمع تسوده الألفة والمودة والمحبة والسلام ، هذا اذا لم يكن للحادثة نظير سابق .

ولم يكن الصحابة فى اجتهادهم تسودهم روح التزمت أو الجمود ، بل كانوا يعلمون أن للشريعة الاسلامية أحكاما يجب تحقيقها ، ومصالح تجب رعايتها حق الرعاية ، ومع ذلك فلم يجرؤ أى منهم أن يجزم بأن ما وصل اليه هو حكم الله عز وجل ، وأنه الحق والصواب وما عداه خطأ وباطل ، بل كانوا دائما يجهرون بقولهم : « ان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمن أنفسهم ومن الشيطان » ، وهذا أبو بكر الصديق يقول عندما سئل عن الكلالة : « أقول فى الكلالة برأيى،فان يكن صوابا فمن الله ، وأن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، الكلالة ما عدا الوالد والولد » .

ولقد سئل عبد الله بن مسعود عن المرأة التى تزوجت ، ولم يفرض لها زوجها صداقا ، وتوفى قبل أن يدخل بها فقال : « أقول فيها برأيى ، لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط ، فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان » ، وقد وافق اجتهاده ماقضى به الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى بروع بنت واشق الأسلمية .

ان الخلفاء الراشدين قد واجهوا مهمة شاقة وصعبة ، لأن الفتوحات الاسلامية قد اتسعت اتساعا كبيرا ، وامتد نفوذ العرب الى ما وراء « الجزيرة العربية » ؛ ودخل الناس من كل جنس ولون فى دين الله أفواجا وارتفعت الراية الاسلامية فوق دول وشعوب مختلفة .

ووجد المسلمون انفسهم أمام أحداث ووقائع ليس لهم سابق علم بها ، فلكل بلد عاداته وتقاليده ، وأخلاقه ونظمه التى اتخذ منها قواعد يسير عليها فى معاملاته ومبادلاته ، فدعاهم ذلك الى البحث عن أحكام لكل ما يطرأ لهم من مسائل فى كتاب الله عز وجل ، وفى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الكتاب والسنة لم ينصا على كل ما نزل وينزل بالمسلمين من أحداث ووقائع ، فكان من اللازم والضرورى أن يجتهد أئمة المسلمين فى تطبيق القواعد الكلية

المقررة فى الكتاب والسنة ، على هذه الأحداث والوقائع الجزئية .

وقد مهد لهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه طريق الاجتهاد ومرنهم عليه ، واثابهم عليه فى حالتى الخطأ والصواب ، فبذلوا أقصى ما فى وسعهم فى استنباط الأحكام لكل ما يجد من الحوادث ، فنظروا فى النصوص ودلالاتها ، فقاسوا واستحسنوا .

فمن أول ما صادف المسلمين وواجههم عقب وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه من الأحداث والوقائع التى لم يكن لها نظير ولا شبيه فى عهده « مسألة المرتدين » ، فقد امتنع هؤلاء المرتدون عن ايتاء الزكاة ، مع اقامتهم للصلاة واقرارهم بالاسلام ، فرأى أبو بكر الصديق أن يقاتلهم حتى يؤدوا ما كانوا يؤدونه للرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ورأى عمر بن الخطاب عدم مقاتلتهم ، وقال : « كيف نقاتلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله الا الله . فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها » ، فقال له أبو بكر : « ألم يقل إلا بحقها ؟ فمن حقها ايتاء الزكاة ، كما أن من حقها اقامة الصلاة » ، قال عمر : « فوالله ما هو الا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » .

وتهافت المسلمون فى قتال المرتدين وقتل من حفظة القرآن الكريم وقرائه عدد كبير ، فخشى عمر بن الخطاب أن يضيع القرآن الكريم بموت حفظته ، فعرض على أبى بكر الصديق أن يجمع القرآن الكريم فى مصحف ، فنفر ابو بكر من هذا الراى وقال : « أفعل ما لم يفعل رسول الله ؟ » ، وأرسل الى زيد بن ثابت وعرض عليه اقتراح عمر فنفر هو الآخر من هذا الاقتراح وقال مثل ما قال أبو بكر ، ولكن عمر بن الخطاب بين لهما أن هذا الاقتراح لا ضرر فيه ، بل على العكس فيه الخير للاسلام والمسلمين ، فلم ير أبو بكر الصديق بدا من تلبية نداء مستشاره وتنفيذ اقتراح ساعده الأيمن ، ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى وحرصا على كتابه ، فأمر بتشكيل لجنة من الصحابة وجعل على رأسها زيد بن ثابت ، الذى كان يمتاز بالكفاءة والنزاهة ، والذكاء وطهارة القلب ، فجمع القرآن الكريم من الرقاع والعسب وصدور الرجال ، وقد ضم اليه أبو بكر سالم مولى أبى حذيفة ، وكان من كتاب الوحى ، ليعاونه فى جمع القرآن الكريم ، وعهد بتدوينه الى زيد بن ثابت .

وقال أبو بكر لعمر وزيد : « اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على كتاب الله فاكتباه » ، وبذل زيد كل جهده فى جمع القرآن الكريم ، ووجد الآيتين الأخيرتين من سورة « التوبة » مع خزيمة بن ثابت ولم يجدهما مع غيره ، وهاتان الآيتان هما : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ، فان تولوا فقل: حسبى الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

وتم جمع القرآن الكريم فى كتاب روعيت فيه الدقة التامة فى كتابته ، وقد حفظت الصحف المدون بها القرآن الكريم عند أبى بكر الصديق ، ثم عند عمر بن الخطاب الذى عهد بها الى ابنته السيدة حفصة زوجة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، لأنه لم يكن قد بويع لاحد بالخلافة بعد عمر ابن الخطاب فى ذلك الوقت .

لقد واجه عمر بن الخطاب فى خلافته من الأحداث ما لم يواجهه أحد غيره ، ففى عهده فتحت البلاد ، وخضعت لسلطان المسلمين ونفوذهم دول ذات مدنيات قديمة ، ولعل هذا كان أحد أسباب امتياز عمر بسعة الأفق ، فقد اجتهد فى تعرف المصلحة التى يهدف إليها النص ، واسترشد بهذه المصلحة فى احكامه التى كان

يحكم بها ، أى كان يعمـــل بروح الشريعة الاسلامية لا بحرفيتها .

روى عن حذيفة بن اليمان أنه تزوج من يهودية بـ « المدائن » . وعندما علم عمر بذلك طلب منه أن يخلى سبيلها ، فأرسل اليه حذيفة يسأله : « أحرام هى يا أمير المؤمنين ؟ » ، فجاءه رد عمر يقول : « أعزم عليك الا تضـع كتابى هذا حتى تخلى سبيلها ، فانى أخاف أن يقتدى بـــك المسلمون ، فيختاروا أهل الذمة لجمالهن ، وكفى بذلك فتنة لنساء المسلمين » ، وقـد أخذ بهذا محمد صاحب الامام أبـى حنيفة ، وان كان ليس حراما .

وروى ابن عباس أن الطلاق الثلاث دفعة واحدة كان يعد طلقة واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر الصديق ، وسنتين من خلافة عمر بن الخطاب ، ثم وجد عمر أن الناس قد أكثروا منه مخالفين بذلك شريعة الله عز وجل ؛ فقال : « ان الناس قد استعجلوا فى أمر كـان لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ؟ » ، فأمضاه عليهم تأديبا للمطلقين ، وزجرا لغيرهم فلم يعد يقبل مـن أى شخص حلف بالطلاق ثلاثا دفعة واحدة أنه أراد تأكيد لفظ الطلاق الاول باللفظين التاليين له ، وذلك لتغير حال الناس عما كانوا عليه قبل ذلك من التزام القول الحق والتمسك بالصدق .

ومن اجتهادات عمر أنه أوقف اقامة الحد على السارق ، وذلك عنـدما حلت المجاعة بالنـــاس فى (عام الرمادة) وكثر السراق ، لأنه رأى أن المصلحة المرجوة من العقوبة لا تتحقق فى وقت حلت فيه مجاعة بين المسلمين قد تلجئهم الى أكل الحرام .

ومن اجتهاداته أيضـا أنه منع اعطاء المؤلفة قلوبهم نصيبهم المفروض فى الزكاة ، كما فى قوله تبـارك وتعالى : « انما الصـدقات للفقراء والمســاكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم » ، لأنه فهم أن المقصود من اعطاء المؤلفة قلوبهم نصـــيبا من الزكاة هو اعزاز الاسلام ، وتكثير سوادهم ، أما وقد أصبح الاسلام عزيزا قويا ، فيصير الاعطـــاء على هذا الشكل فيه ذلة وخنوع ، فمنعه لأنه يريد العزة للمسلمين التى أرادها الاسلام لهم .

وهناك أمور ومسائل كثيرة كان يجتهد فيها عمر بن الخطـــاب ، وأصحاب الرســـول صلوات الله وســــلامه عليه يمدونه بالرأى ويؤازرونه بالمشورة .

ولقد كان عمر بن الخطاب أول من قرر قاعدة اختــــلاف الاحكام الاجتهادية باختلاف البيئات والبلاد ، وهى نتيجة ضرورية لازمة لاتســاع رقعة الاراضى الاســلامية ، وتفرق الصحابة فيها ، واختلاف البلاد التى دخلت فى الاســـلام فى الأحداث والمشاكل .

الاجتهاد فى عصر التقليد :

فى هذه المرحلة اتســـعت رقعة الدولة الاسلامية اتســـاعا كبيرا ، وانتظمت بلادا وشـــعوبا مختلفة فى العادات والتقاليد ، والمعـــاملات والحضارات ، وبث غير العرب ممن دخلوا بين المسلمين الكثير من علومهم وبحوثهم ، وفتحـــوا للعقول ابوابا عديدة من التفكير ، فـكان من أثر اختلاطهم بالعرب أن قامت نهضـــة عقلية عظيمة ، فنشط الاجتهاد نشاطا كبيرا واتسعت دائرته ، واتجـــه المجتهدون الى ما لم يتسع له زمن أسلافهم ولم تتهيأ لهم أســـبابه ، وأصبح الفقهاء يفترضـــون الاحداث التى لم تقع ، ويستخدمون وسائل اجتهـــادهم فى تعرف الأحكام لتلك الفرضـــيات ، حتى أصبحت عادات الناس على اختلاف أحوالهم وتعدد أممهم محكومة بالفقه ومتصلة به ،

ولم تعد الفوارق الاقليمية تباعد أو تفرق بينهم ، فالروابط التشريعية جعلت منهم أمة واحدة فى التقاليد والمظاهر الشرعية .

واستمر علماء المسلمين فى اجتهادهم فى شتى الاقطار ، حتى أخذت المذاهب الفقهية تنتشر وتتميز بصفاتها ، ويتخذ كل مذهب طابعه الخاص به ، وابتدأ الناس يتحيزون كل الى المذهب الذى يختاره ، ولم يكد ينتهى عصر الدولة العباسية حتى انحصرت المذاهب المتعددة فى أربعة مذاهب فقهية هى : المذهب الحنفى ، والمذهب الشافعى ، والمذهب المالكى ، والمذهب الحنبلى .

ثم تلا ذلك فترة من الركود والجمود اقفل فيها باب الاجتهاد وانقطع ، وكان هذا الركود والجمود من اسباب انتقاص سلطة القضاء الشرعى ، وقصره على ما يسمى الآن بالأحوال الشخصية ، وفى اقتباس الأحكام والقوانين الاخرى من القوانين الاجنبية .

وقد حذر الرسول صلوات الله وسلامه عليه من الوقوع فى انقطاع الاجتهاد ، وأمر بالحرص على وجود المجتهدين فى كل عصر من العصور ، بقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ، ولكن يقبضه بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسا جهالا سئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا واضلوا » .

الاجتهاد فى عصر النهضة الحديثة :

وفى عصر النهضة الحديثة أحس الناس فى بعض البلاد بما فى الاقتصار على العمل ببعض المذاهب ، فى أجزاء من المسائل التى تواجهها من ضيق وبعد عن مجاراة الاصلاح الذى تنشده ، على ما فى الشريعة الاسلامية من يسر ومرونة وسهولة ورعاية لمصالح الأفراد والجماعات ، فاتجهت الأفكار الى الاقتباس من الاحكام الشرعية من آراء علماء الشريعة الاسلامية على اختلاف مذاهبهم ، متى كان فى هذا الاقتباس تحقيق لمصالح الناس ، ولا يناقض أصلا من أصول الشريعة الاسلامية ، وبهذا العمل ثبت الدليل العملى على مرونة الفقه الاسلامى ، وعلى كثرة ما يحتويه من بحوث قيمة فى شتى المجالات .

ان الاجتهاد هو العلم الذى وضعه الاسلام ليشرك به المجتهدين الأكفاء فى التشريع ، وهو ما يجعل الشريعة الاسلامية قابلة للتطور والدوران مع المصلحة العامة والخاصة فى جميع العصور ، وفى كل الجهات ، وهو ما يوفق بين ادعاء المسلمين ان الشريعة الاسلامية قد تمت فى زمن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وبين حاجة المجتمعات الى أحكام للقضايا التى تحدث والتى ليس فيها نص سابق من قرآن أو سنة .

وعدم ادراك المستشرقين لمغزى الاجتهاد وكنهه ، وفضله وعظمه ، هو الذى جعلهم يقولون : ان الشرع الاسلامى محكوم عليه بالجمود، لمجرد كونه قد تم وضعه بالوحى فى زمن الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

هذه هى الشريعة الاسلامية التى فتحت باب الاجتهاد على مصراعيه ، بل أوجبته فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة ، بشرط أن يجرى ذلك فى ظل القواعد العامة التى تقر الحق والعدل ، وتعترف باختلاف الأحكام الجزئية باختلاف البيئات مراعاة لاختلاف عادات الناس وتقاليدهم ، ونظمهم ، واساليب حياتهم .



للدكتور : محمد سلام مدكور

الحكم له اطلاقات تختلف باختلاف العلوم ، فيطلق فى العرف . على اثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، كالحكم بأن الشمس مشرقة أو ليست مشرقة لان فى ذلك اثبات شروق الشمس وعدمه .

والحكم فى اللغة :جاء فى القاموس الحكم : القضاء ، وحكم عليه بالأمر حكما وحكومة وحاكمه دعاه الى الحاكم ، ويقول ابن فرحون الفقيه المالكى المتوفى سنة ٧٩٩ هـ : ان الحكم فى مادته بمعنى المنع ومنه حكمت السفيه اذا اخذت على يده ومنه سمى الحاكم حاكما لمنعه الظالم من ظلمه .

وقد استعمل لفظ الحكم فى القرآن فى نحو مائة موضع ترجع فى جملتها الى القضاء والفصل لمنع العدوان والظلم فمن ذلك قوله تعالى : « يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق » وقوله « وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط » .

- ورد لفظ حكم بهذا المعنى أيضا فى السنة النبوية فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر (١) » وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أحمد فى مسنده وأبو نعيم فى الحلية عن السيدة عائشة رضى الله عنها : « هل تدرون من السابقون الى ظل الله يوم القيامة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : الذين اذا أعطوا الحق قبلوه ، واذا سئلوا بذلوه واذا حكموا للمسلمين حكموا كحكمهم لأنفسهم » . وانما سمى من يتولى الشئون العامة حاكما لأنه هو الذى يفصل فى كل ما يتعلق بأمور الدولة مباشرة أو بواسطة نوابه واعوانه .

وما أوردنا لمعنى كلمة حكم هو الاستعمال الشائع الدارج فى اللغة ومع هذا فقد استعملت فيها بمعان أخر كما يروى ابن منظور فى لسان العرب « الحكم : الحكمة من العلم ، والحكيم العالم والحكم العلم والثقة ومن ذلك قوله تعالى « وآتيناه الحكم صبيا » ، وقوله « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » .

الحكم الشرعى عند الأصوليين : الأصوليون من أهل السنة يعرفون الحكم الشرعى بأنه خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو تخييرا أو وضعا . فقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » حكم من الشارع بذلك ، وقوله « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » حكم منه بذلك .

ويقرب من الحكم عند الاصوليين الحكم فى الاصطلاح القضائى لأنه عندهم الصيغة التى يصدرها القاضى للدلالة على ما فصل به فى موضوع النزاع ، ولذا يقال على العبارة التى ينطق بها القاضى عند الفصل فى الدعوى « منطوق الحكم » ، كما يقال « تأجلت القضية للنطق بالحكم »

ويقابل الحكم الشرعى عند الأصوليين فى الجملة ما يسمى بالقاعدة القانونية عند رجال القانون وهى عبارة عن تكليف صادر الى الافراد تتوجه به سلطة تملك التكليف والأمر دون تعقيب ، وتكفل احترامها سلطة عامة فى الجماعة عن طريق ما يتوافر لديها من قوى مادية لا تغلب .

فالقاعدة القانونية عندهم هى القانون الوضعى اذ تنظم الروابط الاجتماعية ويصحبها الجزاء الذى توقعه الدولة . وواضح أن القانون الوضعى انما يتناول علاقة الافراد بعضهم ببعض أو بالجماعة أو علاقة الجماعات بعضها ببعض وأن الجزاء فيه قاصر على ما توقعه الدولة . بينما الحكم الشرعى ينظم علاقة الفرد بخالقه فوق تنظيمه الروابط الاجتماعية ، كما أنه أرصد جزاء أخرويا لمن يخالفه وثوابا لمن يطيعه .

الحكم الشرعى عند الفقهاء : يطلق المشتغلون بالفقه الاسلامى الحكم على الاثر المترتب على خطاب الشارع لاعلى نفس الخطاب الذى يعتبرونه دليلا . فيقولون الصلاة حكمها الوجوب ودليل ذلك قول الله تعالى (وأقيموا الصلاة) ، وقربان الزنى حرام بدليل نهى الله سبحانه عن الاقتراب منه فى قوله جل شأنه : « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » .

وتقييد الحكم بكونه شرعيا أى منسوبا الى الشارع سواء أكان الحكم صادرا منه مباشرة أم بواسطة اجتهاد المجتهدين . اذ المجتهد لا ينشىء الاحكام باجتهاده ، وانما يلتمس أحكام الشارع التى لم ينص عليها

بواسطة الأمارات والأدلة الظنية .

نظرة المعتزلة للحكم الشرعي :

يرى المعتزلة ان الحكم الشرعي ما يثبته الشارع في الفعل موافقا لما فيه من صفه اذ النصوص عندهم كاشفة للأحكام ، وأن العقل يستقل بادراكها . وهذا بناء على مذهبهم وفي التحسين والتقبيح العقليين . اذ يرون أن الافعال تنقسم الى حسنة وقبيحة فمنها مايدرك بضرورة العقل كحسن انقاذ الغرقى والهلكى وكقبح الكفر وايلام البرىء ، ومنها ما يدرك بنظر العقل كحسن الصدق الضار وقبح الكذب النافع ، ومنها ما يدرك بالسمع كالعبادات .

فالعقل عندهم يمكن أن ينفرد بمعرفة حكم الله في الجملة من غير وساطة كتبه ورسله بناء على ما في الأفعال من صفات وآثار تبين وجه النفع أو الضرر ، وقالوا : ان حكم الله في افعال المكلفين هو على حسب ذلك النفع أو الضرر ، وعلى وفق ما يدركه العقل من حسن أو قبح واذا لم يدرك العقل شيئا من ذلك توقف حتى يرد حكم الشرع .

أقسام الحكم عند الاصوليين : يبين من التعريف الذي قدمناه عنهم للحكم الشرعي . أن تعلق خطاب الشارع بفعل المكلف ينقسم الى ثلاثة أقسام :

١ ـ تعلق على وجه الاقتضاء الذي هو الطلب سواء اكان طلب الفعل جازما وهو ما يسمى بالايجاب أو الوجوب ، أو غير جازم وهو ما يسمى بالندب ، أو كان طلب الترك جازما وهو ما يسمى بالتحريم أو الحرمة ، أو غير جازم وهو ما يسمى بالكراهة

٢ ـ تعلق على وجه التخيير بين فعل الشيء أو تركه دون ترجيح لأحد الجانبين على الآخر والذي يترتب على هذا هو الاباحة فيصير المكلف مخيرا بين فعل الشيء وتركه ويسمى الفعل مباحا . **وقد سبق أن أفردنا لهذا القسم بعض مقالات نشرت من قبل في المجلة .**

٣ ـ تعلق على وجه الوضع بجعل الشيء سببا أو شرطا أو مانعا ويرى بعض الاصوليين أن كون الفعل صحيحا أو غير صحيح من هذا النوع

أقسام الحكم الشرعي عند الفقهاء :

١ ـ أحكام شرعية علمية أى نظرية وهى المتعلقة بالعقائد كوجوب الايمان بالله وبرسله والبعث والحساب والايمان بأن القرآن حجة اذ كل هذه الأحكام المقصود منها الاعتقاد دون العمل فهى غير متعلقة بأفعال المكلفين وانما بعقائدهم ولذا سمى هذا النوع من الأحكام « بالاحكام الاعتقادية » .

٢ ـ أحكام شرعية وجدانية : تتعلق بالاخلاق وما يجب أن تكون عليه نفوس الناس ، وقد شرعت هذه الأحكام لتحاط العقيدة بالأخلاق الفاضلة المهذبة للنفس والمقومة للشخصية الفردية فالحكم بأن أكرمكم عند الله اتقاكم ، والحكم بأن القول المعروف والمغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والحكم بأنه اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا ، والحكم برد التحية بأحسن منها ، والحكم بأن الصدق واجب والكذب حرام الى غير ذلك من الاحكام فانها كلها لا تتعلق بأفعال المكلفين التى يؤاخذ عليها المرء في الدنيا .

٣ ـ أحكام شرعية تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال

وتصرفات سواء أكانت من العبادات أو المعاملات أو الجنايات ، وسواء أكانت تتعلق بالأفراد أو الجماعات في الحرب أو السلم وهذه الأحكام كالوجوب والندب والحظر والكراهة وإباحة الشيء وترك المكلف حرا في اختيار فعله أو تركه ، ومنها الأحكام التي توصف بها العبادة بأنها قضاء أو أداء والتي يوصف بها العقد بأنه صحيح أو فاسد الى غير ذلك . وهذا النوع هو الذي يسمى بالأحكام الشرعية العملية لتعلقها بأعمال المكلفين . وهذا النوع من الاحكام هو موضوع علم الفقه .

طريق معرفة الأحكام الشرعية العملية :

تحتاج الاحكام الشرعية العملية في معرفتها الى التأمل والفهم ،وبتفاوت الناس في الفهم تتفاوت مراتبهم في الفقه والتعرف على هذا النوع من الاحكام .

وهذه الأحكام وان كانت كغيرها من الأحكام الشرعية تؤخذ من الوحي كتابا كان أو سنة الا ان الفقيه اذا لم تسعفه النصوص الموحى بها لجأ الى استلهام روح الشريعة ومقاصدها .

وفي هذا اكبر مجال للاجتهاد .

والأدلة التي تؤخذ منها الأحكام الشرعية العملية منها ما هو دليل كلي اجمالي لم يعين فيه شيء خاص وهذا كما يطلق على المصادر الأصلية وما يتفرع عليها ، يطلق أيضا على القواعد الاصولية ، ومنها ما هو دليل جزئي يبين حكما معينا ويتعلق بمسألة بخصوصها كالدليل الذي يبين نصيب الزوج والاب والأم وغيرهم في الميراث وهو قوله تعالى « ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن » وقوله سبحانه « ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث » وكالدليل الذي يبين تحريم الزواج بالأخت الرضاعية وهو قوله تعالى في آية المحرمات من النساء « .. وأخواتكم من الرضاعة»

والأحكام الشرعية العملية اما أن تكون مستقاة من نصوص مقطوع بثبوتها ومقطوع بدلالتها على الأحكام أوحى بها كذلك لحوادث وخصومات اقتضت بيان أحكامها حين وقوعها كفريضة الصلاة والصوم والوفاء بالعقود فالنص القرآني باقامة الصلاة والوفاء بالعقد وصوم رمضان مقطوع بثبوته ومقطوع بدلالته ، والسنة الفعلية بعدد الركعات وبيان مواقيت الصلاة مقطوع بثبوتها وبدلالتها .

كما تكون الأحكام الشرعية العملية مستقاة من غير نص لكن المجتهدين في عصر أجمعوا عليها مثل إجماعهم على توريث الجدات السدس ، واجماعهم على منع توريث ابن الابن مع وجود الابن .

وهذان النوعان من الأحكام لا يجوز مخالفتهما بحال ولا الخروج عليهما اذ هي أحكام لازمة لا تقبل النقض وليست محلا للاجتهاد لأن دليلها لا يحتمل الشك لقطعية ثبوته ولا التأويل لقطعية دلالته .

وقد تكون الأحكام الشرعية العملية مستقاة من نصوص ظنية الدلالة كقوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » اذ القرء لفظ مشترك يفيد في اللغة معنى الطهر كما يفيد معنى الحيض . فالقول بأن عدة المطلقة ثلاثة أطهار أو ثلاث حيضات كلاهما مستنبط من دليل ظني في دلالته وان كان قطعي الثبوت . ولذا كان ذلك محل اختلاف الفقهاء .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين .. » فان الآية وان كانت مقطوعا بها من ناحية الثبوت الا أن دلالتها على ما يجب مسحه من الرأس ظنية ، كما أن دلالتها على الترتيب عند من يقول به أيضا ظنية فكان مجالا للاختلافات الفقهية .

وقد تكون الأحكام الشرعية العملية مستقاة من نصوص ظنية الثبوت . فأخبار لآحاد من السنة دليل ظنى فى نسبتها الى الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم تكن هناك قرائن تقطع بذلك على تفصيل مبين فى موضعه . ومع هذا فقد تكون دلالة بعض الاخبار قطعية وينحصر التثبت منها فقط فى السند ومدى صحة نسبتها للرسول صلى الله عليه وسلم وقد تكون دلالة بعضها ظنية أيضا وهذا مجال الاختلاف فيه فسيح اذ يختلف الفقهاء فى القيود التى يشترطونها للتثبت من صحة نسبة الخبر للأخذ به ، اذ أن السنة لم تكتب فى عصر الرسول ولم يحرص الصحابة على حفظها حرصهم على حفظ القرآن ، فضلا عن أن الرسول أذن لهم فى روايتها بالمعنى لمن له قدرة على اصابة المعنى ، كما أن السنة كانت غالبا تصدر عندما يتطلبها البيان أو تدعو اليها الحاجة وقد يحدث ذلك والرسول فى بيته أو فى المسجد أو فى مكان آخر ولم يكن بحضرته الا واحد أو نفر قليل يعلم ما صدر فى المسألة من سنة ، فلما مات الرسول عليه الصلاة والسلام وتفرق الصحابة فى البلاد كانت تعرض القضية فى المدينة أو فى غيرها فإن كان عند الصحابة الحاضرين فيها سنة حكموا بها ، وقد يروى أثرا فى مسألة أحد الرواة ولم يثق بروايته غيره ومن ذلك استحقاق المطلقة بائنا نفقة العدة وأجرة المسكن فقال عمر بن الخطاب انها تستحق وتبعه فى ذلك جمع من الصحابة استنادا الى عموم النص فى قوله تعالى « اسكنوهن من حيث سكنتم .. » وقوله « لا تخرجوهن من بيوتهن .. » والاحتباس يوجب النفقة .

بينما يرى ابن عباس أنها لا تستحق وتبعه فى هذا البعض استنادا الى ما روته فاطمة بنت قبيس فقد طلقها زوجها طلاقا بائنا وهو غائب ، وقد سألته النفقة قال : والله مالك علينا شيء . فلما سألت الرسول قال : ليس لك عليه نفقة . ولما علم عمر بذلك قال : لم نسمع هذا الحديث ولا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندرى حفظت أو نسيت .

كما يختلف الفقهاء فيما يدل عليه الحديث من أحكام ومن ذلك ما روى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال « لا صلاة الا بفاتحة الكتاب » فان هذا الحديث دلالته ظنية اذ يحتمل أن يكون المراد لا صلاة صحيحة أو لا صلاة كاملة كما فهم الحنفية .

ومن ذلك اختلافهم فى مفاد حديث فرض رسول الله زكاة الفطر فى رمضان صاعا من تمر فقد فهم البعض أن كلمة فرض استعملت بمعناها الشرعى الذى هو الطلب على سبيل الالزام والتحتيم وقالوا : ان صدقة الفطر واجبة ، وفهم البعض أنها هنا بمعناها اللغوى وهو التقدير وقالوا : انها مندوبة لا واجبة وأساس هذا الخلاف هو حمل اللفظ على المعنى الشرعى أو اللغوى .

والأحكام المستقاة من نصوص ظنية على وجه العموم فيها مجال

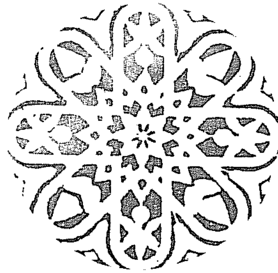
للاجتهاد ، غير أن الاجتهاد يكون فى حدود فهم المراد من النص وترجيح أحد معانيه على الآخر دون خروج على ذلك ما دام النص قطعى للثبوت أو حفت به قرائن تجعله فى حكم المقطوع به .

وقد تكون الأحكام الشرعية لم يرد بها نص تشريعى ، ولم تكن موضع اجماع ، وانما جاءت وليدة استنباط أفراد من المجتهدين حسب ما وصلت اليه عقولهم ، ومن الواضح أن مجال الاجتهاد فيه أبعد واختلاف الرأى فيه أوسع اذ العقول متفاوتة والاتجاهات متغايرة ، والعوامل الخارجية التى تؤثر على منهج الفقيه فى الاستنباط مختلفة ، والحكم الشرعى الذى ينتهى اليه أحدهم من هذا يكون حكما ظنيا حتى اذا اتصل به أمر ولى الامر فان حجتيه تكون قاصرة على عصره ما لم يصر حكما اجماعيا ..

وكان لكل من فقهاء الصحابة والتابعين خاصة منهجه الخاص فى استنباط الاحكام عند انعدام النص فمنهم من يؤثر الاتجاه الى القياس فيعدى حكم ما فيه نص الى القياس وشبيهه مما ليس فيه نص لاشتراكهما فى العلة ، ومنهم من يؤثر الاتجاه الى مراعاة مصالح الناس ودفع الحرج عنهم ، ومنهم من يؤثر استلهام روح التشريع وأسسه العامة فى كل مسألة لم يرد فيها نص .

والأحكام الظنية ان لزمت احدا فانها تلزم المجتهد نفسه ، والمقلد الذى يستفتى فيفتى بحكمها ومع هذا فان المجتهد إذا أداه اجتهاده بعد ذلك الى خلاف ما رآه وجب عليه الأخذ بما أداه اليه اجتهاده الأخير .

ومن الأحكام الشرعية العملية التى بينتها النصوص ، والأحكام الشرعية العملية التى لم تبينها نصوص وانما دلت عليها الامارات الشرعية يتكون الفقه الاسلامى ، أو بعبارة أخرى الأحكام التى أخذت من الكتاب والسنة مباشرة ويكون مصدرها الدين والاحكام التى تؤخذ من المصادر الاخرى ويكون مصدرها الرسمى الفقه . فمن مجموعها يتكون الفقه الا مى الذى يجب أن يكون مصدر القوانين فى دار الاسلام .



---

(١) هذا الحديث غير ثابت بهذا اللفظ ، ولعله مروى بالمعنى من احاديث صحيحة جاءت فى الاقضية ، وقد اشتهر هذا النص بين الاصوليين والفقهاء : انظر كشف الخفاء مزيل الالباس هـ ١ ص ١٤٢ .

الحج والعمرة ودعاء الرسول

ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »

للأستاذ : أحمد عبد المحسن المشاوى

مشروعية الحج والعمرة :

فرض الحج فى السنة السادسة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل قول الله تعالى « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعاملين، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين فريضة الحج بما روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال الأقرع بن حابس : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فقال : « لو قلت نعم لوجبت وما استطعتم : الحج مرة فمن زاد فتطوع » .

وكذلك كانت مشروعية العمرة من كتاب الله حيث يقول الله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » وقوله تعالى « واتموا الحج والعمرة لله » الآية .

وكذلك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .

والحج فريضة محكمة ، وهو الركن الخامس فى الاسلام ، ويشير الى ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » .

فالايمان به واجب ، ويكفر ويخرج من الملة ويقام عليه الحد كفرا كل من أنكر فريضة الحج ، ذلك لأنه علم من الدين بالضرورة .

أما العمرة ، فاختلفت فى حكمها مدارس الفقه الاسلامى ، فمن قائل بوجوبها ، ومن قائل باستحبابها ، وفى رأى بعضهم هى بين الواجب والمستحب ، أى هى سنة .

فمن قال بوجوبها نظر الى قوله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله » والى قوله : « وأتموا الحج والعمرة لله » ، ومن قال باستحبابها أو سنتها نظر الى حديث بنى الاسلام على خمس ، ولم يذكر منهن العمرة .. وعلى كل فهى كفارة لما قبلها من الذنوب ، ويعظم ثوابها حتى يصل الى ثواب حجة كاملة ، ولكنها لا تسقط الفرض ، اذا أديت فى رمضان .. يشير الى هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم سنان الأنصارية : « ما منعك أن تحجى معنا ، قالت : كان لنا ناضحتان (أى بعيرين نستقى عليهما) فركب أبو قلابة وابنه أحدهما . وترك الآخر لننضح عليها ، فقال صلى الله عليه وسلم ، فاذا كان رمضان ، فاعتمرى فيه ، فان عمرة فيه تعدل حجة » .

وعلى هذا لا يأثم من اعتقد أنها دون الواجب بخلاف الحج فان من اعتقد انه دون الواجب يكفر باعتقاده .

كيف قابل المسلمون هذه الفريضة ؟ :

لقد كان المسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم فى تطلع وشوق الى دخول مكة ، حتى تكون الكلمة فى بيت الله الحرام له وحده لا شريك له ، وكلما مر بهم الزمن كلما زاد الشوق الى أن تصل الدعوة لأهل مكة وتسكن قلوبهم ويدخلوا فى دين الله أفواجا . ومن يوم أن هاجر الرسول الى المدينة والحرب قائمة بينه وبين المشركين والتلاحم قائم فى كل عام ، فغزوة بدر ، وغزوة أحد ، وغزوة الخندق من المعارك التى كان فيها الالتحام والقتال ، ثم صلح الحديبية الذى فيه أقر الطرفان بوضع الحرب بينهما عشر سنوات يبعد الأمل ويزيد الشوق الى ما يريده المسلمون من دخول مكة دخولا باسلام أكبر من أن يدخلوها بعمرة .

وتجىء فرضية الحج فى السنة السادسة من الهجرة فيفرح المسلمون ويشتد فرحهم لأنهم أدركوا أن تمام الأمر قد قرب ، وأن تحقيق ما وعد الله تعالى به عبده ورسوله قد آن أوانه ، وأن مكة لا محالة مفتوحة أمام الدعوة ، وأن البيت سيخلص للمسلمين ولكلمة الله وحده لا شريك له . فكان بذلك فرحهم وأملهم ورجاؤهم عظيما وكبيرا . فهى بشارة من الله تعالى لعبده ونبيه بكمال دعوته ونصرة كلمته وتحقيق أمله ، خصوصا وان كل الفرائض قد تم فرضيتها ، فالصلاة فى مكة ، والزكاة والصوم فى المدينة ، والشهادة قائمة بها الدعوة من يوم البلاغ الأول لأهل مكة .

اعمـــال الحج والعمــرة :

أعمال الحج عشرة : أولها الاحرام من الميقات ، ثانيها الطواف بالبيت ، ثالثها السعى بين الصفا والمروة ، رابعها الوقوف بعرفة ، خامسها المبيت بالمزدلفة سادسها المبيت بمنى ، سابعها رمى الجمرات ، ثامنها ذبح الهدى لمن عليه هدى ، تاسعها الحلق أو التقصير عاشرها طواف الافاضة .

أعمال العمرة أربعة : الاحرام من الميقات والطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والتحلل من الاحرام بالحلق أو التقصير .

وهذه الأعمال تختلف درجتها فى الحكم بين الركن والواجب والسنــــة والاستحباب . أما الأركان فهى فى العمرة ثلاثة : الاحرام ، والطواف ، والسعى فقط . وأركان الحج هى أربعة : هذه الثلاثة ويزاد عليها الوقوف بعرفة .

وبقية الأفعال فى كل من الحج والعمرة هى بين الواجب والمستحب ويجب أن ندرك أن الواجب فى باب الحج غير الواجب فى غير الحج . فالواجب فى الحج يجبر بالدم ، وفى غير الحج هو الركن لا يجبر الا بفعله ، كالركوع فـــى الصلاة ، فانه لا يجبر بسجـــود السهو ، انما يجبر بالركعـــة كاملة .

فقه الحج والعمــرة : لقد تكلمنا فى الأسطر السابقة عن أركــان الحج والعمرة وذكرنا بقية الأعمال وكل ما نريد بيانه فى هذه الأسطر هو درجة ما عدا الأركان من الأحكام الفقهية .

فسنن الحج هى الغسل للاحرام ومس الطيب قبل الاحرام ونتف الابط وتلبيد الشعر وصلاة ركعتين قبل الاحرام وملازمة التلبية من الاحرام حتى رمى الجمرة الأولى ثم تنتهى التلبية فى الحج ، وأيضا تنتهى التلبية فى العمرة بعد السعى بين الصفا والمروة ، ومنها تقبيل الحجر الأسود ، واستلام الركنين ، وصلاة فى مقام ابراهيم عليه السلام ، والشرب من ماء زمزم ، ورمى الجمرات ، والهرولة فى الأشواط الأولى من الطواف ، وبين الميلين فى السعى بين الصفا والمروة ، والحلق و التقصير وطواف الوداع ليلا ، وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام . هذه كلها دون الركن فى الحج والعمرة ، ويجبر بعضها بالدم لمن تركها عند من يقـــول بالوجوب ، وأما عند من يقول أنها مستحبة فلا دم عليه .

وقد يقع من الناس تقديم وتأخير بين الافاضة والرمى هذا لا يضر وليس فيه شىء من الفداء ، ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لما كان عند الجمرات سأله كثير من الناس عما وقع منه من تقديم لبعض أفعال الحج وتأخير لبعضها ، فكان عليه الصلاة والسلام يأمرهم باكمالها دون أن يلزمهم بكفارة . وقد بين عليه الصلاة والسلام أنه لا حرج عليهم ، وانما الحرج على مرتكب غيبة فقط فى هذا اليوم .

ما يحـــرم على الحاج والمعتمـــر : يحرم على الحاج والمعتمر بعـــد الاحرام مس الطيب والنساء ، وصيد البر والزواج ، والرفث والفسوق والجدال وهذا مأخوذ من قوله تعالى : « الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم » ــ أما صيد البحر فهو حلال ويأكل منه الحاج والمعتمر لقوله تعالى : « أحل لكم صيد البحـــر وطعامه متاعا لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما » .

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجه الأكبر الصيد الذى يحرم على الحاج والمعتمر الأكل منه ، والصيد الذى لا يحرم ، فلقد قدم اليه صلى الله

عليه وسلم فى رحلة الحج لحم يقطر دما هدية ، فامتنع عن الأكل ، وقال لصاحبه : « نحن حــرم » وقدم له ايضا لحم صيد فأكل منه

وهنا اشترط الفقهاء فى حلية الصيد للحاج أو المعتمر اربعة شروط : **أولها** ، ألا يكون الحاج أو المعتمر هو الذى صاد الصيد بنفسه . **ثانيها** ، الا يكون قد اصطيد من أجله أو لأجله . **ثالثها** ، الا يكون قد دل عليه الصياد . **رابعها** ، الا يكون قد أعان على صيده .

اذا توافر النفى فى هذه الشروط يحل للحاج أن يأكل من الصيد ، وأما اذا فقد نفى فى هذه الشروط كأن يكون اصطيد له أو أعان عليه أو ارشد عليــه او اصطاده هو ، فيحرم الأكل ، وفى الأخيرة يلزم الجزاء من النعم المماثل للصيد بعد حكم ذوى العدل من الرجال . لقوله تعالى : « فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم » .

كذلك يحرم على الحاج الخطبة لنفسه أو الخطبة لغيره أو انكاح لنفسه أو انكاح غيره ووطؤه لزوجته وهو فى الاحلال الاكبر وهو الذى يقع بعــد طواف الافاضة .

حكم الحــائض والنفساء :

اذا حاضت المرأة أو نفست فى الحج بعد الاحرام فانها تستثفر ولا تقرب البيت ، لا بطواف ولا بسعى ، حتى ينتهى حيضها أو نفاسها .. واذا أدركها يوم عرفه تستثفر وتقف مع المسلمين يوم عرفه ، حتى لا يفوتها الحج ، ثم بعد عرفه تتم حجها ، وفى الحج لا تنقض احرامها ، وأما فى العمرة فانها تنقض احرامهــا برؤية الدم ، ثم لما ينقطع عنها الحيض تحرم للعمرة وتتم عمرتها . ذلك لأن العمرة لا وقت لها ، أما الحج فله وقت معلوم لقوله عليه الصلاة والسلام « الحج عرفه » .

الفــرض من الحج والعمــرة :

اما حكمة فرضية الحج فهى مأخوذة أولا من كتاب الله تعالى ، وهى حكمــة متعددة ، أولها : أن يشهدوا منافع لهم ، وقد فسرها العلماء بالتجارة التــى يتبادلونها فهى منافع لكل من أهل مكة والحجيج . ثانيها : ذكر الله تعالى ، لأنه هجرة الى الله تعالى بالنسبة للرجل ، وجهاد بالنسبة للمرأة ، وفيه تلبية ، ودعاء ، وصلاة ، وتكبير ، وكله ذكر لله تعالى ، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الحج العج والثج » .. أما العج فهو رفع الصوت بالتلبية، والثج إسالة دم الهدى . **ثالثها : قضاء التفث ووفاء النذر ، وقد جاء ذلك فى قوله** تعالى فى سورة الحج : « ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيــام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » ثم يقول تعالى : « ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

ويشعر الحاج فى رحاب بيت الله تعالى بالأمن والطمأنينة من الحيــاة وشرورها وآثامها ذلك لأنه فى حرم آمن لاتمسه فيه فتنة ولا يلمزه شيطان لأنه ضيف الله ، والله وحده هو الحامى له والحارس عليه . ومن كان فــى هــذه الحظوة شعر بالأمن والطمأنينة التى لا يمكن أن تصيب قلب انسان فى مكــان غير بيت الله الحرام ، مصداقا لقوله تعالى : « ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت » .

ولا ننسى أن وقوف الحاج عند كل شعيرة من شعائر الحج تذكره مع الوقفة بتاريخها وقيمتها فى الدعوة الاسلامية . وفى الرجوع بالقلب والفكر الى الذكرى ، ذلك لمن كان له قلب أى بصيرة أو القى السمع وهو شهيد .

انها تعلم الانسان كيف يكون محمديا يتحمل مثل ما تحمل رسوله صلى الله عليه وسلم من أمانة ومسئولية عن الدعوة الى الله تعالى ، تعلمه حقيقة الجهاد حين يقف أمام أماكن المجاهدة التى شهدت جهاد رسول الله وصبر رسول الله وايمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعلمه كيف يؤمن باسلامه وبدينه ، كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يؤمن باسلامه وبدينه ، فلقد سووم عليه بالمال والجاه والسلطان والتملك ، فقال : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

انه يتعلم كيف يكون العزم على الجهاد وكيف يكون الصدق فى الجهاد مع النفس ومع العدو حين يرى دار الندوى بيت الأرقم بن أبى الأرقم أول منتدا فى الاسلام وأول دار اقيمت فيها دعوة الله خالصة ، ويرجع بذهنه الى عدد المسلمين يومها ويذكر كلا باسمه ليرى أنه كان منهم العبد والفقير والضعيف ، ولكنهم علموا الدنيا كلها صدق الجهاد وقوة النفس ، ومضاء العزم مع قوة الايمان ، وذكر ما كان من ابراهيم خليل الله وولده اسماعيل من صبر على بناء بيت الله واقامة قواعده ، ومن صدق فى أداء الأمانة ، ومن قوة فى الحفاظ على دعوة الله وكلمته .

انها بحق منافع عظيمة كلها تبعث فى النفس الأمل فى الأمة وفى الاسلام وفى الحق وفى الخير الذى لا يخرج من هذه الأمة الى أمة أخرى أبدا مصداقا لقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

دعوات الرسول وأماكنها فى الحج :

روى عن الشافعي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من تلبية فى حج أو فى عمرة سأل الله تعالى رضوانه والجنة ، واستعاذ برحمته من النار ، وعلى هذا يكون أول دعاء له عليه الصلاة والسلام بعد الاهلال من الميقات فى ذى الحليفة حيث ثبت أنه عليه السلام لبى ثم دعا ربه .

والدعاء الثانى : لما دخل عليه الصلاة والسلام المسجد الحرام من باب بنى شيبة وحين رأى الكعبة قال : « اللهم انت السلام ، ومنك السلام ، واليك يعود السلام ، حينا ربنا بالسلام ، وادخلنا الجنة بسلام ، اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما ومهابة وتكريما ، وزد من حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وبرا وتكريما » .

هذا ولم يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام أنه دعا فى طوافه بدعاء خاص الا قوله « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .

هذا ويستحب أن يقول الطائف قبل طوافه وقبل هذه الآية كما هو مروى فى بعض الأحاديث « اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة » ثم يقرأ الآية : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » ومن الأدعية المأثورة فى الطواف « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم انى أعوذ بك من الشك والشرك والشقاق

والنفاق وسوء الأخلاق ، اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه ؛ واخلف علـــى كل غائبة لى بخير » .
وعندما قرب الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفا والمروة قرأ قول الله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » ثم رقى الصفا حتى راى البيت ، فاستقبله وقال ثـلاث مرات : « لا اله الا الله الله أكبر ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .

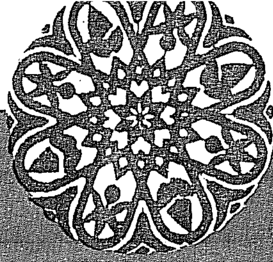
ثم دعا يوم عرفه وبين عليه الصلاة والسلام أن خير الدعاء دعاء عرفه وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلى « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » .

وكان من دعائه فى الموقف « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى صدرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى بصرى نورا ، اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر ، اللهم انى أعوذ بك من شر ما يلج بالليل ، وشر ما يلج بالنهار ، وشر ما تهب به الريح ، وشر بوائق الدهر ، اللهم لك الحمد كالذى تقوله ، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، واليك مآبى ولك ربى تراثى اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ، لا يخفى عليك شيء من أمرى ، انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبى ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهـل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه ، وذل جسده ورغم انفه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن بى رؤوفا رحيما ، يا خير المسئولين ويا خير المعطين » .

هذا ولم يدع الرسول صلى الله عليه وسلم بدعاء خاص ولا عام عند الجمرات بل كان يكبر ، عند كل حصاة ، وكذلك لم يدع فى طوافه للافاضة .
ودعا عليه الصلاة والسلام عند دخوله المدينة بعد رجوعه من الحج ، وحين رآها كبر ثلاثا ، وقال : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيبون تائبون عابدون سائحون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

منكــرات يجب تجنبهـــا :

يحمل كثير من الحجاج اكفانهم معهم بقصد زمزمتها اذا رجعوا سالمين أو أن تكون أكفانهم اذا كانت هناك منيتهم ، وهذا من المنكرات والبدع السيئة ، ذلك لأن لباس الاحرام هو للدنيا وللآخرة ، ولا شيء يفضله ، وهذا مأخوذ من مشهد فى حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث مات أحد الحجاج نأمر الرسول أن يغسل ولا يمسه طيب أو مسك وأن يكفن فى لباس احرامه ، وأن يبقى ذراعه الأيمن ووجهه مكشوفا ، لأنه كما قال الرسول عليـــه الصلاة والسلام : يقـــوم يوم القيامة وهو يلبى ، كما أن الشهيد يكفن فى ثيابه لتكون شاهدة له يـــوم القيامة بما أصابها من تمزق ودم .



نظرات فى الحديث

مرحلة تدوين المسند ٧

للدكتور : محمد عبد الرءوف

فرغنا من الكلام على مرحلتين من مراحل تدوين الحديث ، الاولى مرحلة تدوين (الصحيفة) ، والثانية مرحلة تدوين (المصنف) ، ولقد رأينا أنه بينما كان الهدف من تدوين الصحيفة مجرد تقييد الحديث فى صفحات معدودة كان قصد صاحب المصنف - الى جانب ذلك - تبويب الأحاديث وترتيبها على أبواب الفقه ليتيسر استخدامها والرجوع اليها فى استنباط الاحكام ونحوها ، ولذلك كان جامع المصنف يضيف مواد أخرى كثيرة مناسبة من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم وفتاوى هؤلاء وآرائهم ، كما كان يضيف من عنده أحيانا عبارة أو عبارات للبيان والتوضيح أو النص على رأى أو ترجيحه .

وقبيل انتهاء القرن الهجرى الثانى رأت طائفة من علماء الحديث أن طريقة تدوين المصنفات تبدو وكأنها تهدف أكثر ما تهدف الى خدمة الفقه والاستنباط لا خدمة الحديث لذاته ، كما رأوا أنها تخلط بالحديث مادة واسعة من أقوال غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتاواهم يزيد عددا وحجما عن مادة الحديث نفسه، بحيث أنك قد لا تعثر فى الصفحة أو الصفحات من المصنف على حديث واحد فتشعر كأنك تقرأ كتابا من كتب الفقه لا مصدرا من مواد الحديث . فرأى هؤلاء أن يبدأوا نوعا آخر من تدوين الحديث يقتصر على جمع الحديث ذاته ونقل ما بقى منه فى الصدور الى السطور ، فشرعوا يجمعون الاحاديث مجردة عن غيرها ومرتبة على حسب ترتيب الصحابة من رواتها عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بحيث تجمع الاحاديث التى تروى عن طريق الصحابى معا مدونة فى كتاب مستقل ، أو تجمع أحاديث عدد من الصحابة بحيث تكون أحاديث كل صحابى فى باب واحد يحمل اسم هذا الصحابى وتدون معا فى كتاب واحد .

وحيث ان الاحاديث فى هذا النوع

من الجمع والتدوين مسندة الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون غيره ــ الا ما قد يكون فى المجموع من زيادات نادرة ــ اصطلح المؤلفون على تسمية هذا النوع من التدوين (المسند) ، فقالوا مثلا : (مسند عمر بن الخطاب) أو (مسند أبى هريرة) ، كما سموا الكتاب الذى يحتوى على عدد من هذه المسانيد (المسند) كذلك ، وكأنهم يعنون بذلك : « الكتاب المسند ما فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ويعنونون لكل باب فى مثل هذا (المسند) الجامع لأحاديث عدد من الصحابة بكلمة (مسند) مضافة الى الصحابى ، فيقولون : (مسند أبى بكر) أو (مسند على بن أبى طالب) أو (مسند عائشة رضى الله عنها) ، وقد يسمونها : (أحاديث أبى بكر) و (أحاديث علــى بن أبى طالب) و (أحاديث عائشة) .

وعلى هذا فخصائص (المسند) هى أن الحديث فيه مجرد عن غيره ، وتوجه العناية فيه الى الحديث لذاته ، وتضم فيه أحاديث كل صحابى بعضها لبعض ، لذلك ترى الكثير من المسانيد مجردة من اقوال الصحابة ومن تلاهم ، كما تخلو فى الغالب من زيادات يضيفها المؤلف لغرض أو لآخر ، ولما كان الهدف الاول من تدوين المسند هو تقييد العلم ونقل ما بالصدر منها الى السطر ، واتجهت الهمم والجهود لهذا القصد ، فقد صدرت المسانيد فى احجام كبيرة بعضها يحتوى بضعة آلاف أو عشرات الآلاف من الاحاديث ، كما كثر عدد المسانيد فبلغ المائة أو زاد عليها . لذلك كانت حركة تدوين المسانيد حركة خصبة مباركة ، واليها يرجع الفضل فى جمع الكثير من الاحاديث والمحافظة عليها .

ومن المسانيد التى اقتصرت على احاديث صحابى واحد : « مسند أبى هريرة رضى الله عنه » الذى جمعه أبو اسحق ابراهيم بن حرب العسكرى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ، ومما اقتصر منها على أحاديث نوع خاص من الصحابة (مسند الصحابة العشرة) الذى جمعه أبو بكر أحمد ابن جعفر المتوفى عام ٢٤١ هـ ، ومن المسانيد الجامعة (مسند الامام أحمد ابن حنبل) رضى الله عنه ، وقد اختاره من سبعمائة الف وخمسين الفا حفظها من الاحاديث .

وهنا يحضرنا سؤال هام عن كيفية ترتيب المسانيد الجامعة كمسند الامام احمد ، التى تحتوى على عدد كبير من مسانيد الصحابة رضى الله عنهم ، أعنى كيف رتبت مسانيد الصحابة فى مثل هذا المسند ؟ وكيف رتبت احاديث كل صحابى ؟ والجواب أن جامعى المسانيد قد اختلفوا فى طريقتهم ، فمنهم من رتب على حسب الترتيب الهجائى لأسماء الصحابة ، وهؤلاء قليلون ، ويقال إن بقى بن مخلد القرطبى المتوفى سنة ٢٧٦ هـ كان أول من صنع ذلك فى مسنده ، وأكثر مؤلفى المسانيد رتبوا الصحابة على حسب الاسبقية والفضل فى الاسلام ، فيبدأ الكتاب بمسانيد الخلفاء الراشدين على ترتيب توليهم الحكم ، ثم يتبعها مسانيد سائر العشرة المبشرين بالجنة ، وهكذا . ومنهم من رتب على حسب العشائر التى ينتمى اليها الصحابة ، أو على حسب الانصار التى ينتمون اليها . وبعض المؤلفين يخلط فيرتب أولا على حسب الاسبقية ثم على حسب العشيرة أو غيرها من الاعتبارات . أما الاحاديث الواردة فى باب واحد لصحابى واحد ، فالغالب أنها غير مرتبة فيما بينها

ولا مبوبة ، ولكنها مسردة سردا كما ترد فى خاطر صاحب الكتاب ، وان كنت تجد أحيانا احاديث الموضوع الواحد متتالية فى بعض المسندات بلا فاصل ولا عنوان ، أو بعناوين نادرة كما سنري فى مسند الحميدى ان شاء الله وأول من يعرف تبويب احاديث كل صحابى فى مسنده هو الحافظ بقى بن مخلد القرطبى الأندلسى ، فكان كتابه مسندا ومصنفا فى نفس الوقت ، قال ابن حزم عنه : انه روى فيه عن اكثر من الف وثلاثمائة من الصحابة .

ولقد اختلف العلماء فى تحديد أول من سبق الى تأليف المسند بهذا المعنى الاصطلاحى ، والثابت أن الباكورة الاولى ممن نعرف من مدونى المسانيد عاشوا فى النصف الاخير من القرن الثانى للهجرة وتوفوا خلال الاربعين الاولى من القرن الثالث ، وكان اكثر هؤلاء من المعمرين ، ويظهر انها سنة الله تعالى فى المحدثين يبارك فى حياتهم ويطيل أعمارهم ، من هؤلاء عبيد الله بن موسى العبسى الذى عمر طويلا وتوفى عام ٢١٣ هـ وسليمان بن داود الطيالسى الذى مات عام ٢٠٣ أو ٢٠٤ هـ عن ثمانين عاما ، ومنهم أسد بن موسى حفيد عبد الملك بن مروان الذى ولد عام سقوط دولة بنى أمية ، أى ١٣٢ هـ وعاش حتى عام ٢٢٨ هـ وكان يسمى (أسد الحديث) ، قال عنه النسائى : « كان ثقة ولو لم يصنف لكان خيرا له »(١) ، ومنهم عبد الله بن الزبير الحميدى المتوفى عام ٢١٩ هـ ، وأبو اسحق ابراهيم بن نصر المطوعى المتوفى سنة ٢١٣ هـ ، ومنهم مسدد ابن مسرهد البصرى ، ويحيى بن عبد الحميد الحمانى الكوفى وكلاهما توفى عام ٢٢٨ هـ ، وأسحق بن يعقوب بن راهويه المتوفى عام ٢٣٨ هـ ، وعثمان ابن محمد بن أبى شيبة المتوفى سنة ٢٣٩ هـ .

فمن هو من بين هؤلاء كان البادىء بتأليف جامع حديثى على طريقة المسند التى شرحناها ؟ قال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى المتوفى عام ٤٠٥ هـ أن أبا داود سليمان بن داود الطيالسى المتوفى عام ٢٠٣ وعبيد الله ابن موسى العبسى كانا أول من صنف المسند على تراجم الرجال ، وقال الدارقطنى بل كان مسدد بن مسرهد أول من صنف المسند ، وقال ابن عدى : يقال ان يحيى بن عبد الحميد الحمانى أول من صنف بالكوفة ، وكان مسدد أول من صنف بالبصرة ، وأسد بن موسى أول من صنف بمصر(٢) .

والواقع أن من الصعب تحديد الاسبق من هؤلاء فى كتابة المسند ، فقد كانوا متعاصرين ، ولا يبعد أن اثنين منهم أو أكثر دونوا مسانيدهم فى زمن واحد ، وربما يؤدى البحث الى الكشف عن محدث سبق هؤلاء جميعا بكتابة جامعى حديثى على طريقة المسند فأوحى اليهم هذا الصنيع ، ولقد ذكر فؤاد سيرجين أن لعبد الله بن المبارك الحجفى المتوفى عام ١٨٢ هـ (مسندا) توجد مخطوطة منه فى مكتبة الظاهرية بدمشق(٣) ، وعلى هذا يكون عبد الله — وقد تلقى عنه الكثيرون من ائمة الحديث فى عصره — سابقا فى استخدام كلمة (المسند) عنوانا لكتاب حديثى ، واذا كان الجمع فيه على طريقة المسند التى شرحناها فلعله يكون أول من دون مسندا على الطريقة الاصطلاحية .

وبالاضافة الى السادة المحدثين المؤلفين للمسانيد ممن ذكرنا أسماءهم كان هناك آخرون ممن تبعهم واقتفى

آثارهم أو زاد فأدخل تحسينا واتقانا على طريقتهم ، من هؤلاء : احمد بن منيع الطوسى المتوفى عام ٢٤٤ هـ ، وعبد الله بن محمد المسندى المتوفى عام ٢٢٩ هـ ، ومحمد بن أسلم الطوسى المتوفى سنة ٢٤٢ هـ ، وأسحق بن بهلول التنوخى المتوفى ٢٥٢ هـ ، وأبو الحسن محمد بن أسلم الطوسى المتوفى عام ٢٤٢ هـ ، الذى يقال إنه صلى على جنازته الف الف مسلم ، وعمار بن رجاء الاسترباذانى المتوفى سنة ٢٦٧ هـ ، والحارث بن محمد المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ، وأبو أسحق ابراهيم بن يوسف الرازى المتوفى عام ٣٠١ هـ ، وعبد الرحمن بن أبى حاتم الحنظى المتوفى ٣٢٧ هـ ، ودعلج بن جعفر البغدادى المتوفى عام ٣٥١ هـ ، وابراهيم بن نصر الرازى المتوفى عام ٣٨٥ هـ ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن جمع المتوفى عام ٤٠٢ هـ .

كان لكل من هؤلاء ولكثير من غيرهم ممن عاشوا فى القرن الثالث والرابع مسانيد ، وتعمدنا أن ننص على بعض أسماء من هؤلاء المؤلفين ليرى القارىء معنا ويشعر بمدى الاقبال على جمع الحديث وتدوينه طوال هذين القرنين وقبلهما بقليل ، أى قبيل نهاية القرن الثانى الهجرى ، وقد يثير العجب والاعجاب أن مسانيد بعض هؤلاء السادة المحدثين بلغ عشرات الاجزاء أو زاد على المائة أو الألف من الاجزاء ! اذ عمد هؤلاء الى تحليل الاسانيد ومناقشتها وتحدثوا عن حياة الرواة فى الاسانيد واستطردوا وأفاضوا ؛ وكان من بين أصحاب المسانيد المطولة : أبو يوسف يعقوب بن شيبة بن أبى الصلت المتوفى فى بغداد عام ٢٦٢ هـ ، صاحب المسند المعلل الذى قال عنه الحافظ الذهبى « ما صنف مسند أحسن منه ولكنه ما أتمه »(٤) ، ويذكر أن أحاديث أبى هريرة فى هذا المسند شغلت مائتى جزء منه ، ومسند على فيه بلغ خمسة مجلدات(٥) ! كما كان من بينهم الحافظ البارع أبو على الحسين بن محمد بن أحمد المعروف بالماسرجى ، قال عنه الحافظ الذهبى : « صاحب المسند الاكبر » ونقل عن الحاكم انه وصفه بأنه كان سفينة عصره فى كثرة الكتابة ، وانه صنف المسند مهذبا معللا فى الف جزء وثلاثمائة من الاجزاء(٦) .

وكى نأخذ فكرة واضحة عن هذه المسندات المطولة المعللة نسوق هنا نموذجا أو نموذجين من مسند عمر ابن الخطاب من المسند الكبير ليعقوب ابن شيبة بن الصلت الذى أشرنا اليه . وقد عثر على الجزء العاشر من مسند عمر الذى هو باب أو فصل من مسند يعقوب بين مخطوطات احدى المكتبات بالشام على يد الدكتور سامى الحداد الذى نشره عام ١٩٤٠ وحققه مع مقدمة مفيدة ، وكانت طريقة يعقوب كما نقل الدكتور الحداد عن حاجى خليفة وأوضحها هو بالمزيد : ان كان يعقوب يذكر اسم الصحابى ، ثم يسوق ترجمته ويستطرد بترجمة رواة الإسناد ويذكر عللها ، وكان يفيض فى نقد الرجال ويستطرد بترجمة رواة الإسناد ويذكر نوادرهم وما انفرد به الواحد منهم من الاحاديث .

ويبدو من الجزء العاشر الذى بيدنا ، أن يعقوب كان بعد ما ينتهى من ترجمة الصحابى مدعمة بالاسانيد والتفصيل والاستطرادات يشرع فى سرد أحاديثه واحدا بعد الآخر ، جاعلا لكل منها عنوانا خاصا هكذا : « حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا وكذا » أو : « وحديثه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم فعل كذا » ، واليك هذين النموذجين من مسند عمر بن الخطاب ومن الجزء الذى أشرنا اليه :

أ) [وحديثه — أى عمر — عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أتانى آت من ربى عز وجل فأمرنى أن أصلى فى الوادى المبارك »] .

« حديث حسن الاسناد ، وهو صحيح ، رواه على بن المبارك والأوزاعى جميعا عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم » .

« وعلى والأوزاعى ثقتان ، والأوزاعى أثبتهما ، فى رواية عن الزهرى خاصة شىء ، ورواية على ابن المبارك عن يحيى بن كثير خاصة فيها وهى ، وقد سمع من يحيى ، وكان يحدث عنه بما سمع منه ، يحدث عنه بما كتب اليه ، ويحدث عنه من كتاب كان يحيى تركه عنده ، وهذا الحديث خاصة يروى أنه مما سمعه على بن المبارك عن يحيى » .

[وهنا يسوق اسنادين عن كتاب يحيى الذى كان لدى على بن المبارك ، واسنادا آخر بشأن درجة على بن المبارك ، ثم يشرع فى ترجمة الأوزاعى ويتحدث عن مبلغ ثقته وديانته ويطيل فى ذلك كله ، ويأتى بالاسانيد لما يقص عنه من قصص ونوادر ، ونقتبس من ذلك ما قصه عن الاوزاعى دالا على شجاعته] .

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثنا عبد الملك بن الفارسى قال : ثنا الفيريابى قال : سمعت الأوزاعى يقول : لما فرغ عبد الله بن على من قتل بنى أمية بعث الى وكان قتل يومئذ نيفا وسبعين بالكافر كوبات الا رجلا واحدا ، فدخلت عليه وقد أقام ذلك الجند بالسيوف والعمد ، قال : فدخلت فسلمت فأشار بيده فقعدت ، فقال : ما تقول فى دماء بنى أمية ؟ فحدثت قال : قد علمت من حيث حدث ، أجب الى ما سألتك ، قال : فحدثت أيضا فقلت : كان لهم عليك عهد وان كان ينبغى لك أن تفى لهم بالعهد الذى جعلته ، قال : فقال لى : ويلك ! قال : اوليست الخلافة وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل عليها على رضى الله عنه بصفين ؟ قلت : لو كانت الخلافة وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رضى على بالحكمين ، قال : فنكس ونكست أنتظر ، قال : فأطلت ثم قلت : البول ، قال : فأشار بيده هكذا ، أى : اذهب ، قال : فقمت فجعلت لا أخطو خطوة الا ظننت أن رأسى يقع عندها » .

[وبعد أن يتم يعقوب قصصه عن الاوزاعى ، يستطرد فيسوق حديثا بسنده رواه يحيى بن كثير عن الاوزاعى ، ثم يسوق حديثا آخر بسنده رواه أنس بن مالك عن الاوزاعى ، ثم يسوق حديثا ثالثا بسنده عن سفيان الثورى عن الاوزاعى ، وبعد هذا كله يأتى بالحديث الذى عنون له عن عمر وجعل هذا كله مقدمة له : بطريق على ابن المبارك اولا ، ثم بطريق عبد الرحمن الاوزاعى — هكذا) :

« فأما حديث على بن المبارك »

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثناه حجاج بن نصير الفساطيطى ، سألت عنه يحيى بن معين فقال لى صاحب الفساطيط كان شيخا صدوقا ولكنهم أخذوا عليه أشياء فى حديث شعبة كان لا بأس به يعنى أنه أخطأ فى أحاديث من أحاديث شعبة .

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثنا حجاج بن نصير قال : ثنا على بن

المبارك قال : ثنا يحيى بن أبى كثير قال : حدثنى عكرمة عن ابن عباس قال : حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتانى الليـــلة آت من ربى عز وجل وهو بالعقيق أن صـــــل فى هدا الوادى المبارك ، وقال : عمره فى حجة » .

« وأما حديث عبد الرحمن الاوزاعى »

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثناه ابراهيم بن موسى الصغير ، قال أبو يوسف : وهو ثبت مسلم — قال : ثنا الوليد بن مسلم قال : ثنا الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال وهم بالعقيق : « أتانى الليلة آت من ربى عز وجل فقال : صل فى هذا الوادى المبارك وقال عمرة فى حجة » .

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : وثنا زهير بن حرب قال : ثنا الوليد ابن مســـلم قال : حدثنى الاوزاعى قال : حدثنى يحيى بن أبى كثير قال : حدثنى عكرمة مولى ابن عباس قال : سمعت ابن عباس يقول : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وســـلم يقول وهو بوادى العقيـــق : « أتانى الليلة آت من ربى عز وجل وقال : صل فى هذا الوادى المبارك وقال عمرة فى حجة » .



« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثنا عبد الله بن محمد قال : ثنا محمد ابن مصعب قال : ثنا الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله أو نحوه » .

واليك الآن النموذج الآخر ، وليس فى اسناده مثل هذا التفصيل :

وحديثه فى حاطب بن أبى بلتعة حين كتب الى أهل مكة

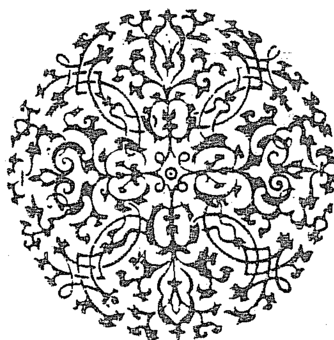
« حديث حسن الاسناد ، رواه أيضا عكرمة بن عمار عن سماك أبى زميل عن ابن عباس عن عمر رضى الله عنه ، قال على بن المدينى فى هذا الحديث بعينه : لا نعلمه روى عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه ، قال : ولم يرده أهل الحجاز ولا أهل البصرة ولا أهل الكوفة ، وهو على ما قال على .

« وقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه هذا الحديث من وجوه صحاح تأتى فى مسند على ان شاء الله .

« ثنا محمد قال : ثنا جدى قال : ثناه أبو حذيفة موسى بن مســـعود قال : ثنا عكرمة بن عمار عن أبى زميل عن ابن عباس قال : قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : كتب حاطب ابن أبى بلتعة الى المشركين بكتاب فجىء به الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يا حاطب ! ما دعاك الى ما صنعت ؟ » قال : يا رســـول الله : كان أهلى فيهم وخشـــيت أن يقدموا عليهم ، فقلت أكتـــب كتـــابا لا يضر الله ورسوله . قال عمر رضى الله عنه : فاخترطت السيف فقلت يا رسول الله : اضرب عنقـــه فقد كفر ، فقال : « وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع الى هذه العصابة من أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

—— ● ——

ولعلك قد لمست معى أيها القارىء ، وقد اطلعت على هذين النموذجين ، مبلغ التطويل فى المسانيد المعللة ، وهو تطويل غير ناشىء عن كثرة الاحاديث بها بل عن التحليل المفصل للاسانيد والاطناب فى ذكر حياة الرواة والاستطراد بذكر القصص والنكات ، واستيعاب الطرق الموصلة للحديث أو للصحابى راويه أو لراو دونه ، ولعلك تتفق معى ايضا أن هذه الطريقة مع ما فيها من طرائف علمية وفوائد تاريخية ونقدية وأدبية خروج عن القصد الأول من تدوين المسانيد ، ألا وهو تسجيل الاحاديث التى تتناقلها الألسن كتابيا قبل أن تضيع بذهاب حملتها، والواقع أن هذه الطريقة الموسعة تمثل تطورا متأخرا نوعا ما فى تدوين المسانيد ، لذلك سوف نعالج فيما يلى ان شاء الله تعالى نماذج ثلاثة من المسانيد المبكرة التى تهدف الى تحقيق الهدف الاول من تدوين (المسند) ، أعنى مسند الطيالسى ، ومسند الحميدى ومسند الامام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنهم جميعا ، وبالله تعالى التوفيق .



---

(١) « تذكرة الحفاظ » للحافظ الذهبى . ص ٤٠٢ .

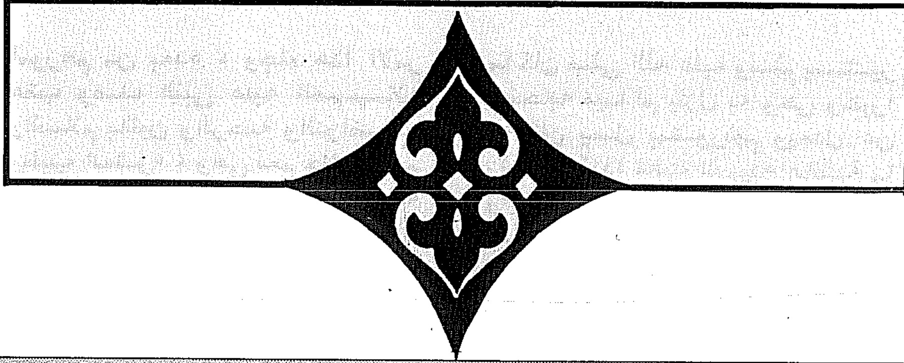
(٢) « الرسالة المستطرفة » لمحمد بن جعفر الكتانى (دمشق ١٩٦٤) ص ٦٢ .

(٣) « تاريخ التراث العربى » (الجزء الاول)ص ٢٧١ .

(٤) « تذكرة الحفاظ » ، ص ٥٧٧ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) المرجع السابق ص ٩٥٥ و ٩٥٦ .



وشاورهم في الأمر

للدكتور
أحمد الحوفى

من خصائص الاسلام ان قدر العقل وحصن التفكير ، وكفل للفرد حرية الرأى ما لم تعارض أصلا من أصول العقيدة أو العبادة .

فكان من الطبيعى أن يستن الشورى، لأنها الوسيلة الى استبانة الآراء وتمحيصها ، والاهتداء الى خيرها .

لهذا أمر القرآن الكريم بالشورى ، وقرنها بالايمان والاعتماد على الله تعالى ، وبالبعد عن الآثام ، وباقامة الصلاة ، وبالانفاق فى سبيل الله وبالجهاد لاعزاز الحق واعلاء كلمة الله ، قال تعالى (فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنو وعلى ربهم يتوكلون . الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، واذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون) (١) .

وأمر الله تعالى رسوله الكريم أن يستشير المسلمين ــ فيما لم ينزل عليه وحى فيه ــ ليستظهر برأيهم وليطيب نفوسهم ، ويرفع من أقدارهم وليربيهم التربية التى تكفل لهم صلاح

أمورهم من بعده ، وجاء هذا الأمر عقب وصف النبى عليه الصلاة والسلام باللين والرحمة والتواضع وطيب العشره ، وهى نعم خلقية انعم الله بها عليه ، وعقب أن نفى عنه تعالى الغلظة والقسوة والاستبداد والغطرسة ، وهى رذائل براه الله منها ، ولو انه كان على شىء منها لنفر منه المسلمون ، وانفضوا من حوله ، فالامر بالاستشارة فى هذا السياق يدل على أنها موصولة بمكارم الاخلاق قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله) (٢)

اى اذا قطعت الراى على شىء بعد الشورى فاعتمد على الله فى المضى الى ما اعتزمت عليه مطمئنا الى انه الارشد الاصلح ، وان كان الله وحده هو الذى يعلم الارشد والاصلح ، ولست تعلمه أنت ولا من تشاورهم ، ولقدصدع رسول الله بأمر ربه ، فكان يستشير صحابته ، وكانوا هم يستشيرون بعد أن اختاره الله ، ولم يكن لهم من أرب الا تحرى الخير والصواب وصالح الامة ، حتى ان عمر ابن الخطاب احتجز بعض الصحابة فى المدينة فمنعهم أن يغادروها الى بلد آخر ، لانه محتاج الى استشارتهم .

وكان المسلمون فى عهد النبى والخلفاء الراشدين مطمئنين الى حرية آرائهم فاذا استشيروا اشاروا بما يعتقدون انه الحق ولم يحجموا عن اعلان آرائهم وان خالفت رأى النبى أو أحد خلفائه .

ولقد تعددت مظاهر الشورى فى عصر النبى وخلفائه الاربعة فكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يستشير اصحابه فيما لم ينزل به وحى وكثيرا ما كان يعمل بمشورتهم ويعدل عن رأيه ، ولهذا قالت السيدة عائشة ما رأيت رجلا أكثر مشاورة للرجال من رسول الله . (٣)

وعن ابى هريرة — ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من اصحاب رسول الله (٤) وحسبنا ان نسوق الامثلة الآتية : —

١ — قبيل موقعة بدر نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أدنى ماء من بدر فقال الحباب بن المنذر — يارسول الله ، أهذا منزل انزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الراى والحرب والمكيدة ؟
قال رسول الله بل هو الراى والحرب والمكيدة .

قال الحباب — يا رسول الله ، ان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من الآبار ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله لقد اشرت بالراى ونهض رسول الله ومن معه فسار حتى اذا اتى اقرب ماء الى القوم نزل عليه ثم أمر بالآبار فردمت وبنى حوضا على البئر التى نزل عليها فملئت ماء . (٥) .

٢ — فى يوم بدر أسر المسلمون سبعين رجلا ، فقال رسول الله ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟
فقال أبو بكر يا رسول الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان ، وهم قومك وأهلك ، أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضدا .

فقال رسول الله ما ترى يا ابن الحطاب ؟

فقال عمر — يا رسول اللهكذبوك واخرجوك ، وهم صناديد الكفار وقادتهم ، فارى ان نضرب اعناقهم .

وقال عبد الله بن رواحه يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ، ثم اضرمه نارا عليهم .

فسكت رسول الله ، ولم يجبهم ثم دخل ، فقال ناس ، يأخذ بقول ابى بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ، ياخذ بقول عبد الله بن رواحه ثم خرج رسول الله ، فقال ان الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللين ، وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم فى قوله (فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم) (٦) ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى فى قوله : « ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) (٧) ومثلك يا عمر مثل نوح قال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا (٨) ومثلك يابن رواحة كمثل موسى قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم (٩) .

ثم قال رسول الله — انتم اليوم عالة ، فلا يفلتن احد منهم الا بفداء أو ضرب عنق .

فلما كان الغد أنزل الله عز وجل (ماكان لنبى ان يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم (١٠) ثم احلت لهم الغنائم (١١) .

٣ — لما علم أن قريشا متجهة الى المدينه فى غزوه احد قال لاصحابه امكثوا فان دخل القوم المدينه قاتلناهم او رميناهم من فوق البيوت ، لانه كان يكره الخروج الى المشركين لقتالهم فى البراح وهم كثره والمسلمون قله ويوثر محاربتهم بالمدينه نفسها حتى تستطيع القله ان تبلى البلاء المنشود .

ولكن هذا الراى لم يرق المسلمين الذين اسفوا على ما فاتهم من جهاد فى غزوة بدر ، وفيهم رجال وشبان يحبون لقاء العدو ، ويشتاقون الى الاستشهاد ، فقالوا يا رسول الله اننا كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى اعدائنا حتى لا يظنوا بنا جبنا أو ضعفا .

فقال عبد الله بن ابى بن سلول يا رسول الله اقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا الى عدو لنا قط الا اصابوا منا ولا دخلوها علينا الا اصبنا منهم فدعهم يا رسول الله فان اقاموا أقاموا بشر مقام وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورمتهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين .

فقال الراغبون فى الخروج إننا نخشى يارسول الله أن يظن أعداؤنا اننا كرهنا الخروج اليهم خوفا منهم فيتجرؤا علينا .

حينئذ استجاب رسول الله لراى الاكثرين وعدل عن رأيه وخرج لملاقاة قريش (١٢) .

وهنا عبر جديرة بأن نتنبه اليها فان رسول الله حينما وجد الكثرة تريد الخروج دخل بيته فلبس لأمته وتقلد سيفه ثم خرج اليهم فقالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت فاقعد فقال ما ينبغى لنبى لبس لأمته ان يضعها حتى يقاتل ويحكم

الله بينه وبين عدوه .
وهنا تتجلى ضروب من الشجاعة وبعد النظر اولها تدبير الخطة والموازنة بين قوة المسلمين وقوة قريش وايثار ان يبقى المسلمون في مدينتهم ليردوا العدو المهاجم وهم أوفر منه قوة واعز حصانة وأقدر على لقائه وان كانوا أقل منه عددا وعدة ولا تثريب على قائد فى أن يقف مثل هذا الموقف لان الشجاعة تقتضى الهجوم تارة ، وتقتضى الارتداد تارة ، وتكون فى المبادرة حينا ، وتكون فى التريث حينا آخر .

وثانيها الاستجابة لحماسة الكثرة التي آثرت الخروج من المدينة للقاء قريش ، فانه لم يكن بد من هذه الاستجابة والجذوة متقدة والعزيمة ملتهبة ، والنفوس متلهفة الى الاستشهاد فى الدفاع عن العقيدة وعن الوطن ، والا كانت هذه الحماسة عرضة لأن يخمدها البقاء واختلاف الآراء .
وثالثها مضاء النبى فى عزيمته ، ورفضه ان يستجيب لدعوة البقاء بعد أن أعد عدته ولبس لأمته واصراره على الا يضعها حتى يقاتل اعداء الله فإنه بهذا الاصرار أذكى شجاعة الصحابة جميعا ، من كانوا يؤثرون الخروج ، ومن كانوا يؤثرون البقاء ، وخرج بهم جميعا يقودهم الى لقاء الاعداء .
٤ — فى غزوة الاحزاب اجتمعت قريش ومن والاها من العرب واليهود وعسكروا حول المدينة بضعا وعشرين ليلة ونقض بنو قريظة عهدهم مع رسول الله فعظم البلاء ، واشتد الخوف وأتاهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن بعض المسلمين كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين ، فأراد رسول الله أن يصالح قائدى غطفان على أن يرجعا عن المدينة ، ولهما ثلث ثمارها ، فبعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيما أراد ، فقالا — يا رسول الله أهذا أمر تحبه فنصنعه أم شىء أمرك الله به لا بد لنا من أن نعمله ، أم شىء تصنعه لنا ؟
قال رسول الله بل شىء اصنعه لكم ، انى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم شوكتهم .
فقال سعد بن معاذ — يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله عز وجل وعبادة الأوثان ولا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون ان يأكلوا منا ثمرة الا بيعا أو قرى ، أفحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم الا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم .
فقال رسول الله ، فأنت وذاك(١٣)
ثم شاء الله أن يرتد المغيرون مذعورين مختلفين وان تسلم المدينة .
٥ — ولم يكتف رسول الله بتقرير الشورى وتدريب المسلمين عليها بأعماله بل اضاف الى هذا كثيرا من أقواله التى تحببها اليهم وتزينها فى قلوبهم ، مثل قوله : —
استرشدوا العاقل ترشدوا ، ولا تعصوه فتندموا . وقوله المستشار مؤتمن ، اذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه . وقوله — من أراد أمرا فشاور فيه أمرا مسلما وفقه الله لارشد أموره .
وقوله — من اشار على أخيه بشىء يعلم أن الرشد فى غيره فقد خانه .
وقوله — لن يهلك أمرؤ بعد مشورة (١٤) .
٦ — ثم كان خلفاؤه الراشدون

يهتدون بسنته ، فهذا أبو بكر الصديق يستشير الصحابة فى أمر المرتدين فيشير عليه بعضهم أن يتمهل حتى يعود جيش أسامة فيقنعهم بضرورة المبادرة الى حربهم لانهم أعضاء فى الدولة تمردوا عليها . وخرجوا على الدين الذى ارتضوه ، وإمها لهم يجرئهم ويجرىء غيرهم على المعصية والفساد ، وتكشف الاحداث عن صواب رأى ابى بكر وينتصر الاسلام والمسلمون .

وحينما فتح المسلمون العراق والجزيرة والشام فى عهد عمر بن الخطاب نشأ خلاف فى تقسيم الارض على الفاتحين أو بقائها فى أيدى أصحابها يزرعونها ويؤدون للدولة خراجها .

وكان من رأى عمر وبعض الصحابة أن تبقى الارض فى ايدى اصحابها ملكا للدولة وعليهم خراجها ناظرا الى أن تقسيمها على الفاتحين نوع من الاقطاع ومراعيا مستقبل المحرومين والمحتاجين الذين سيولدون فيما بعد ومشفقا على الخزانة العامة ان تحتاج فى المستقبل فلا تجد .

ولم يحفل عمر بأن رأيه هذا قد يغضب المحاربين الفاتحين الطامعين فى امتلاك الارض التى غلبوا عليها بسيوفهم وحسبوها غنيمة لهم .

وقد فصل أبويوسف وأبوعبيد(١٥) ما دار من مشاورة فى هذا وذكرا أن عمر قال — فكيف بمن يأتى من المسلمين فيجدون الارض قد قسمت وورثت عن الآباء وصارت فى حوزة الوارثين ؟ إن هذا ليس برأى .

فقال له عبد الرحمن بن عوف — فما الرأى ؟ أليست الارض مما أفاء الله عليهم ؟ قال عمر — فاذا قسمت أرض العراق وأرض الشام فمن أين تسد الثغور . ؟ وماذا يكون للذرية والارامل بالحجاز والشام والعراق ؟ ثم قال — والله ما اريد الا الحق وقد رأيت أن أترك الارض لزارعيها ، واضع عليهم فيها الخراج وفى رقابهم الجزية يؤدونها فتكون الارض فيئا للمسلمين من المقاتلة والذرية ومن يأتى بعدهم .

أرأيتم هذه الثغور ؟ لا بد لها من رجال يلزمونها . أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ؟ لا بد لها أن تشحن بالجيوش وادرار العطاء عليهم . فمن اين يعطى هؤلاء اذا قسمت الارض ؟ فوافقوا عمر على رأيه .

هكذا أمر القرآن الكريم بالشورى وهكذا حققها رسول الله والرجال الذين رباهم رسول الله .

---

(١) سورة الشورى ٢٦ — ٢٩ .
(٢) سورة آل عمران ١٥٩ .
(٣) السيرة الحلبية / ٢٧٧ .
(٤) الكشاف للزمخشرى ٢٢٦/١ .
(٥) سيرة ابن هشام ٢٧٢/٢ . وتاريخ الطبرى ١٧٧/٢ .
(٦) سورة ابراهيم ٢٦ .
(٧) سورة المائدة ١١٨ .
(٨) سورة نوح ٢٦ .
(٩) سورة يونس ٨٨ .
(١٠) سورة الانفال ٦٧ ، ٦٨ .
(١١) تاريخ الطبرى ٢٩/٤/٢ .
(١٢) شرح الزرقانى على المواهب اللدينة للقسطلانى ٢٢/٢ .
(١٣) تاريخ الطبرى ٤٨/٢ .
(١٤) الأحاديث من كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال لعلاء الدين الهندى ٨٤/٢ والبيان والتبيين للجاحظ ٢٠/٢ .
(١٥) الخراج ٣٧ لأبى يوسف والاموال ٤٠ لأبى عبيد .

مائدة القارئ

« ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوالفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فاخذناهم بماكانوا يكسبون » .

قرآن كريم

الجار قبل الدار :

قيل لأحد العلماء هل تجد في القرآن خذ الجار قبل الدار ، قال : نعم يقول الله تبارك وتعالى في سورة التحريم (**وضرب الله مثلا للذين آمنوا امراة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة**) فانت تراها في دعائها ربها قد آثرت الجار فقدمت عندك على الدار .

الحكمة في النصيحة :

مر ابوالدرداء على رجل أصاب ذنبا والناس يسبونه ، فقال لهم ، ارأيتم لو كان في بئر اكنتم مستخرجيه قالوا نعم .

قال فاستغفروا لأخيكم واحمدوا الله الذى عافاكم .

فقالوا : افلا تبغضه .

قال : انما أبغض عمله ، فاذا تركه فهو اخى .

الحجاج التاجر :

بعث الحجاج بن دينار طعاما الى البصرة مع رجل وامر ان يبيعه يوم يدخل بسعر يومه فارسل له الرجل انى قدمت البصرة ، فوجدت سعر الطعام قليلا فى السوق فاختزنته حتى زاد السعر وبغته بكذا وكذا فكتب اليه الحجاج : انك قد خنتنا وعملت بخلاف ما أمرناك به ، فاذا أتاك كتابى فتصدق بجميع ثمن الطعام على فقراء البصرة ، وليتنى أنجو من عذاب الله اذا فعلت .

صوت السحاب :

عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض، فسمع صوتا فى سحابة : اسـق حديقة فلان .

فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة (أرض صلبة) . فاذا شرجة (سيل ماء) من تلك الشراج) قد استوعبت ذلك الماء كله .

فتتبع الماء ، فاذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته (فأسه)

فقال له ياعبد الله . ما اسمك ؟ قال : فلان للاسم الذى سمع فى السحابة فقال له : يا عبد الله لم تسألنى عن اسمى ؟

فقال : انى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك ، فما تصنع ؟

فقال : اما إذ قلت هذا فإنى أنظر الى ما يخرج منها ، فأتصدق بثلثه ، وآكل انا وعيالى ثلثا ، وارد فيها ثلثه .

رواه مسلم

الاذان والاقامة :

روى الإمام احمد وابو داودبسندهما عن عبد الله بن عبد ربه انه قال (طاف بى من الليل طائف وانا نائمرجل عليه ثوبان أخضران ، وفى يده ناقوس يحمله ، فقلت له يا عبداللهاتبيع الناقوس ؟ قال وما تصنع به ؟ قلت ندعو به الى الصلاة قال : افلاادلك على خير من ذلك ؟ فقلت بلى ، قال تقول الله أكبر الله اكبر ، اللهاكبر الله اكبر وردد عليه الفاظ الاذان التى يؤذن بهااليوم قال عبدالله بن زيدثم استأخر غير بعيد قال ثم تقول اذا اقمت الصلاة الله اكبر الله اكبر ـوردد عليه الفاظ اقامة الصلاة بما هو معروف منها الى اليوم .

قال عبد الله بن زيد : فلما أصبحتاتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته بما رأيت فقال إنهالرؤيا حق ان شاء الله فقم الى بلال فالق عليه ما رايت فانه اندى صوتامنك فقمت مع بلال فجعلت القيه عليه ويؤذن به .

الاعلام العربي

للأستاذ احمد العناني

اكاد احس باختنـــاق حقيقى حين يدعونى امر الى فكر عميق فى شأن الاعلام العربى الى أين يسير بنا ؟. والى أين نسير معه ونحن معصوبو الأعين ، مخدرو الإحساس .. الى اية كارثة جديدة او مستقبل مظلم ؟ الى أى مصير من الانحلال والضياع والغثيان ؟ الى أى جيل من الأبنـــاء والأحفاد نزداد لهم انكارا ويشتدون علينا نكيرا ؟

لقد ولد الاعلام العربى فى معظم حالاته ان لم يكن فيها جميعـــا بين احضان مؤسسات أجنبية ، غريبـــة الارادة والذوق والأهـــداف عن ذوق هذه الأمة وارادتها الحقيقية والأهداف التى تخدم صالحها وتقيل عثراتها ، وتســـير بها نحو مســـتقبل أقوى وافضـــل واحســـن ازدهـــارا .

ومن يراجـــع تاريـــخ الصحافـــة العربية والمسرح وهما أقدم وســـائل هذا الاعلام العربى بآخرة من القرن الماضى وبداية هذا القرن ، ثم ينعم النظر فى المؤسسات ومن أسسها . من اين جاءوا وكيف زرعوا فى حقل الاعلام الأول يجد علامات كثيرة على طريق ملتو تثير الشك وتبعث على تأمل مشفق حزين . ولست أحب أن ادخل فى التفاصيل ، ولا أن اضرب حتى مجـــرد أمثلة من الأســـماء وأصحابها ، وتاريخ حياة كل منهم فلقد يجر ذلك على اتهامات شتى بتهـــم الطائفية والتفريق وإثارة النعـــرات

إلى أين نسير معه ؟

والفتن ، وهى تهم ما زالت تشهر كالسيف الباتر فى وجه كل مسلم يروع وجدانه ما لقى ويلقاه المسلمون من عنت وكمّ أفواه واضطهاد حتى فى البلاد التى تدين كثرتها الكاثرة بالإسلام .

ثم راحت تتوالد قبيل الحرب العالمية الثانية وخلالها الاذاعات الناطقة بالعربية ثم اذاعات البلدان العربية نفسها ، فيما كانت السينما قد رسخت جذورها فى مصر وراحت تبسط ظلالها واتجاهاتها على سائر دور العرض فى العالم العربى من حولها فى كل اتجاه . كذلك انتشرت محطات البث المرئى أو التلفزة انتشار الفطريات السريعة التوالد قبيل وبعد الهزيمة فى حزيران المشهور ، ورغم ضآلة الفترة الزمنية فقد صلب عود هذه المؤسسات واشتد ساعدها ، وصارت تبث على قنوات متنوعة وبالألوان الجاذبة غير مكتفية بالأبيض والأسود . أما الأذاعات فانها فى أثناء ذلك لم تعد تكتفى بالقدر المتواضع من ساعات البث بل أصبحت تملأ النهار كله وتغطى معظم الليل ببرامج متصلة يشكل الغناء خلالها المادة الغالبة ، ويشكل مستمعوه أنشط فئة فى الزبائن المتعاملين معها . كذلك تعددت المجلات الدورية وراحت تتنافس فى آداء مهام لا تختلف فى جوهرها

عن الطابع العام لسائر وسـائل الاعلام الأخرى .

وبينما تعتمد السينما والتليفزيون فى الغالب على الانتاج الأجنبى ولا سيما الأمريكى والأوروبى ، ويتلو ذلك منتجات بيروت والقاهرة تعتمد الصحافة والاذاعة على انتاج وكالات الأنبـاء الأجنبيـة والمترجمـات والمقتبسات من صحف ومجلات أجنبية وبعض المواد والأخبار المحلية . واذا استثنينا طائفة محدودة العـدد من الصحف والمجلات الاسبوعيـة ممن تضطلع بدور مناوىء ورسالة مختلفة جدا وتصارع من أجل البقاء ، وتعيش على مساعدات وحسن نوايا المحسنين وبعض سخاء المعلنين فان سائر من فى الموكب الاعـلامى ممن سـواهم يغرفون من نبع واحد ، ويغسـلون دماغ الأمة بطريقة واحدة ويحقنونها بنفس المخدر .

إن أخطر وسائل الاعلام جميعا فى الوقت الحاضر ، وأبعدها أثرا فـى المستقبل هى التليفزيون ما فى ذلك ريب .

وحين تسائل أيا من المسئولين عن أجهزة التليفزيون العربية فى موضوع البرامج ونوعياتها وفلسفة تقـديمها للناس ، وعن السر فى كبر القطـاع الأجنبى المستورد من المواد ، وعن الجنوح الى الهزل دون الجد فانهـم يبتدرونك فورا بالأجوبة التاليـة ، يا سيدى الانتاج العربى قليل جدا ، ونحـن مضطرون لملء السـاعات بالمتوفر لنا من هذا الانتاج . أما عن تفاهة المحلى القليل ونزعاته المثيرة للسخرية فهم يجيبون : هذا ما يريده الجمهور ، ونحن مصلحة تخـدم الجمهور وتسليه وترفه عنه ..

تذكرنى هذه الحجج وأمثالها بحكاية شخص كان مختلط العقل بعض الشىء راتبه الشهرى لا يتيح له أكثـر من فندق متواضع من الدرجة الثالثة فى فسحة الاجازه ولكنه كان يصر عـلى النزول بأضخم فندق يجده حيث يكون ، فيما هو يحرج لبعض الوقت يستدين من هذا ويقترض من ذاك ليغطـى نفقات الفندق الفخم وتسائلهم « ما الذى يحملكم على البث ثمانى ساعات متواصلة فى اليوم قد تصل الى عشر ساعات وأكثر يوم الجمعة ؟ .. لماذا لا تبثون أربع ساعات مثلا أو ثـلاثا ويكون كل ما تبثونه نظيفا ممتعا وان لم يخل من زوايا لتسلية نظيفـة او تمثيلية طريفة . ويجيبك أحدهم كيف أفعل أنا وغيرى لا يفعل واسكت أنا وغيرى يبث ؟ .. وتسألهم ما هذا الانتاج المحلى الرخيص . ان من يرى مسلسلاتكم يظن أن الناس هنـاك لا ينشطون لعلم ولا لعمل يشغلهم هم سوى الرقص . كل موضوع تطرزونه بهذا الرقص المقلد السميج ، وكـل حكاية حتى ولو كانت مأساة تخلقون فيها مناسبة للغزل ومقاهى الليـل ومعاقرة الخمر فهل هذا هو شغل الملايين الشاغـل من الباحثين عن اسباب الحياة فى بلادنا . وهـذا الانتاج البيروتى تنبعث منه رائحـة المتاجرة الرخيصة بكل شىء من أجل الليرات . حتى الروايات الأدبيـة الضعيفة السند يزيدونها ضعفـا وهلهلة ومسخا . يصوغون قصصـا عن الصحراء ليرضوا أذواق الناس فى الجزيرة فـلا تكـون قصصهم صحراوية ولا تظل حضرية ولكنهـا تخرج فـى اطارات سمجة ثقيلـة الدم . ويجيبك المسئولون أنفسهم ماذا نفعل لو لم يكن الناس يحبون ما نقدم لما عاودوا المطالبة به وتقول لهم : أنتم تهيمنون الآن على عشرات من محطات البث التليفزيونى وتتصرفون

بموازنات ضخمة خيالية فما الـــذى فعلتموه فى جهد جماعى للهيمنة على المنتجين أو توجيههم ؟ من قال إنهـــم يستطيعون أن يخالفوا عن ارادتكم لو شئتم ؟ ومتى حاولتم أن تفرضوا عليهم خط سير أو سياسة معينة فلم يتجاوبوا معكم ؟

ولماذا لا تتفقون فيما بينكم على تحديد ساعات البث وفق المأمول من الانتاج الجيد وما تصل اليه مدده ؟ لماذا لا تبثون جميعا على قـــدر ما يسعفكم الممكن والمتوفر ثم تأخذون فى الزيادة على مهل وتدريج وعلى هدى وبصيرة .

وهذا الجمهور الذى تلفلفون باسمه ما تشاءون وتنسبون اليه ما تريـــدون وتزعمون اعراضــــه عما أنتم فى الحقيقـــة عنـــه معرضـــون متـــى استفتيتموه ؟ متى قمتـــم بدراسات علمية صحيحة لما تحب أكثريته وتكره ثم هل أنتم تنفقون أموال الدولــــة للسير مع ما تزعمونه من رغبـــات الجمهور حتى لو كان جمهورا مغفلا أو جاهلا محمقا ؟ الهذا ترصد أموال الدولة ؟ اليست وسائل الاعلام أيضا هى وسائل تعليم وتنوير وتهـــذيب ؟ أوليست محطاتكم هى دوائر رسميـــة تنفق من مال الأمة وليست شركـــات تجارية كما هو الحال فى كثيـــر من البلدان الأجنبية التى تقلدونها إما بلا وعى أو ذوق ، وأما بتوجيه أسود خبيث متنكر ، عرف كيف ينتدب من أبناء الامم من يعينونه على غســـل دماغ شعوبهم كما يريدون .

نحن نفهم أن تشتروا لنا ما وسعكم الشراء من أفلام علمية لا سيما من مثل هذا الانتاج الأوروبى الـــذى يشرح الأحوال حتى فى قيعان البحـــار والمحيطات ، والأدغال والغابات ، أو يأخذ المشاهد فى رحلات سياحيـــة عبر الراين أو على شلالات نياجارا ، ونفهم عن هـــذا القصص التاريخى الفرنسى الجميل ، ونفهم عن هـــذه الأفلام التى تفتح آفاقا جديدة لمطامح الانسان للوصول الى الكـــواكب والتعامل مع الحياة فيها .. لكنا لا نستطيع أن نتذوق تلك الأفلام الدعائية فى تبرير اجتثاث الهنود الحمر مـــن أمريكا .. ولكن عفوا ، لعلكم تريدون سلوتنا نحن الذين اقتلعنا من فلسطين بمشاهدة ما أصاب الهنود الحمر من قبلنا .. ومع ذلك فالهنود الحمر على رأى أفلامكم كانوا أهماجا ومعتـــدين شرسين فحقت عليهم لعنة الرجـــل الابيض فاجتثهم من أرض آبائهـــم واجدادهم ، كما لسنا نفهم أيضـــا هذه السهرات من الغناء والفنـــون الاجنبية التى تتبرعون لاعادة تقديمها لنا ، ولا نفهم هذه السلاسل المتلاحقة عن الجريمة والمخدرات والجـــنس والفوضى الغامرة التى على غرارها ولا نفهم هذا الكرتون من ادب الاطفال الذى يصب علينا صبا هكذا بلا ترجمة ولا إعادة تحرير .

ما شأننا نحن بسرقات البنـــوك الكبرى ، وبآثام المصيفين فى مونت كارلو ، وبمؤامرات العصابـــات المحترفة فى هونغ كونغ .

وفى ليلة الجمعة .. ليلة التقرب الى الله من كل اسبوع تسرقون منا الشباب والاطفال لسهرات تدوم معكم الى ساعة التهويم بالنوم فى آخرة من الليل ليكونوا أبعد ما يكون الناس عن ذكر ربهم بل أنتم تلاحقونهم بعد نهوض متأخر من اليوم فى غد التالى حتى تضمنوا انصراف يوم الجمعة فى كل شىء الا مرضاة الله تعالى .

ونحن نعلم بأسف بالـــغ وأنفس حزينة أنكم تستفتحون ببعض آى من الذكر الحكيم ، وتبثون بعض آى من

الاذاعة ، والله يشهد ان هذا منكم ومن برامجكم بعامة يدعو الى الاشمئزاز والكراهية . انه صورة من صور الايجابية العازمة المستنيرة التى سنها دهاقنة الاعلام الاجانب فى تخدير العالم الاسلامى كله لبناء جسور من الثقة بين الوسائل الاعلامية وقطاعات كبيرة من الناس ليتهيأ لهما وضع أشد السموم أذى تحت ذلك الدسم القليل الطائش على سطوح الكؤوس .

ذلك غيض من فيض عن التليفزيون فماذا عن الاذاعة ؟

تقدم لك الاذاعات فى معظم الحالات لمنتصف الليل حديث الليل او همس الليل .. ولقد يدوم هذا البرنامج فى غير اذاعة واحدة حوالى الساعة من الزمن فما هو نجوى القلوب وهمس الليل عندهم ؟ كلام من غرام فاضح كما يكون بين الخلعاء .. شذرات موسيقى راقصة أجنبية .. عبارات يؤديها صوت أنثوى متكسر ، وكلام يتوارى منه الحياء ، وينتحر على عباراته الشرف والمروءة .. ثم قد يختمون بماذا ؟ بآى من القرآن الكريم قبل أن يعلن ختام شوط طويل امتد من بعد الفجر الى منتصف الليل وشمل ما لا يقل عن خمس ساعات من الاغانى معظمها لمغنيات عرفن بالماضى الرقيع .. أما كلمات الاغانى فهى هى لا تتغير ولا تتبدل فى فحواها عن الحرقة للوصال وشجو البين والاهوال وبكاء الفتاة على الفتى الأسمر ، والحيرة بين الابيض والاسمر .. اما البرامج الخاصة فأنت تستطيع أن تستغنى عن معظمها بقراءة ما يكتب على الروزناما ، وأما التمثيليات والمسلسلات فمعظمها مسلوق على عجل فى مطابخ بيروت الفنية كما يسمونها أو موضبة بغير مهل فى القاهرة .

وماذا عن السينما ومراقبة الافلام السينمائية .. يخيل الى المرء احيانا أن لجان مراقبة الاشرطة والافلام فى العالم العربى من النوع الهين اللين اليسر المسامح . ولقد علمت أن بعض اصحاب دور العرض ممن لا يرتوى لهم جشع فى مكاسب الافلام الخليعة ، يبتدرون لجنة المراقبة فى بلدهم بصينية من أفخر الكنافة ، أو أكلة دسمة ينيلونها اياهم فيما يدور الفيلم الذى يريدون تغطية اعينهم عنه . ان حكاية المرخص بعرضه من الافلام حكاية حزينة ، ومنجعة وهى لا تقل إيلاما عن صور العرى والتجرد فى المجلات الوقحة التى تعيش على الهاب المشاعر الجنسية بالصور الداعرة ..

ان الفتى العربى المسلم لغريب الوجه واليد واللسان فى مدينة الاعلام العجيبة التى لا يمكن أن يرتقى الى رتب النواطير فيها الا طراز معين من الناس يوضع بينهم للتعمية رجل أو اثنان فى كل حالة ممن صلحت أخلاقهم ليكونا بمثابة التعويذة على جسم متهالك ولقد يقولون لك محتجين تعال أنت يا « شاطر » واقترح علينا ما نعبىء به برامج الاذاعة والتليفزيون ، أو نشحن به صفحات المجلات ، كأنما هم لا يعلمون اننا لو ربطنا تلك البرامج بالقطاعات التربوية والانتاجية والمعاهد والمؤسسات الجادة لم يظل صعبا أن تحصل على برامج هادفة ..

ولو عرف سائر المنتجين الفنيين أن الغناء غير مقبول الا أن يكون مما يثير النخوة والرجولة والتسامى ويعكس أشرف عواطف الأمة والنبض الحى لقلوب أبنائها الشرفاء والمنتجين

لاتجه كل الغناء لألحان شعبية هادفة، أو مصورة للطبيعة ومفاتن الخلق الإلهي وحديث القلوب الملأى بالرجولة والشجاعة والمثل العليا .

لو قال المسئولون عن البرامج لا نقبل الأغنية إلا أن تصور معاناة العامل وكدحه فى مصنعه ، والفلاح ومجالدته فى أرضه ، والمغترب الى المهاجر وأشواقه الى وطنه ، والنازح من فلسطين وصوت الحنين فى صدره ، والبحار وجهده على ظهر السفينة فى الأيام العاصفة أو غير العاصفة . أغان للمرأة التى تحترف خياطة الملابس لتربى أيتامها ، للطالب القروى الذى يسير أميالا ماشيا كل يوم ليستكمل فى المدينة دراسته ، للثائر المناضل فى طرق الموت على قمم الجليل أو فى قيعان الأغوار . أغان عن كفاح هذه الأمة وقصص عذابها وغصصها مع الاستعمار الى آخر ذلك ، أقول لو عرف سائر المنتجين والمؤلفين والملحنين ذلك وعرفوا الجد فيه من المسئولين لغيروا اتجاهاتهم ووسائلهم وتقربوا الى أجهزة الدولة بما ترضى عنه وتسيغه .

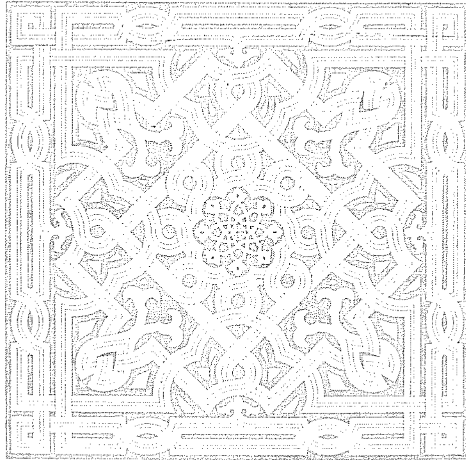
أهى وسائط اعلام وتربية ، وترقية ذوق ، ودفع لعجلات التقدم والعمران وتواصل قطع الأمة المزقة المشتتة ، أم هى وسائط تسلية رخيصة وتخدير ؟

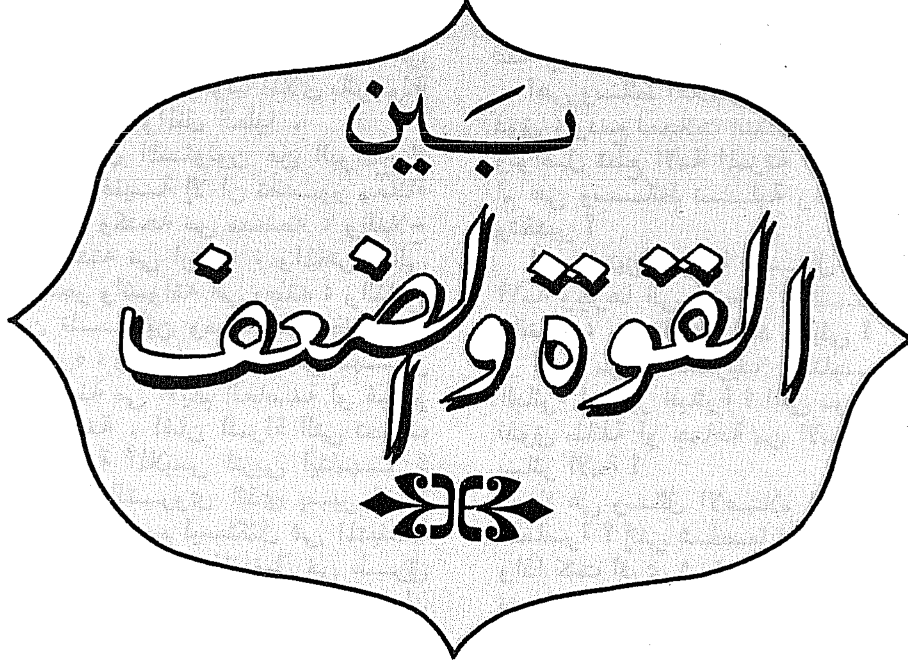
أهى أجهزة موكلة بغسل دماغ الأمة وجرها الى التبعية الفكرية والفنية ، والسلوك المقلد الذيلى ؟

أهى مراكز لتصريف الانتاجات البائرة أو غير البائرة ؟ أهى موجودة لذوق طائفة أو جماعة من الأمة دون سائر الأمة ؟

ما هى وسائل الاعلام العربى المعاصرة ؟ إننى شخصيا لست أدرى واذا كنت أدرى شيئا فهو انها تعيش فى انفصال وغربة عن هذه الأمة وصالحها ..

ذلك ما أنا أدريه .. ولعلى لا أكون إلا مخطئا .. فان ذلك ليسعدنى تماما . ومعذرة الى الاعلاميين المخططين منهم والمنفذين فى عالمنا العربى .





للدكتور احمد الشرباصى

من الاقوال المأثورة : « ان اللــه قد يضع سره فى أضعف خلقه » .
والمثل العربى يقول : « ان للــه جنودا منها العسل » .
وخير من هذا وأجمل قــول الحق جل جلاله ، « **ولله جنود السمــوات والارض وكان الله عزيــزا حكيما** » .
وقوله سبحانه : « **وما يعلم جنــود ربك الا هو** » .
وفى ضوء هذه الكلمات المضيئــة نفهم أن الضعف قد ينطوى على قوة مستورة تؤيدها عناية الله تبــارك وتعالى ، فاذا قوة الضعف تهــد الجبال ، وتحير الألباب .

وقد نتسائل فى هذا الباب ــ على سبيل المثال ــ فنقول : بم أهلك الله الجبابرة الطغاة الكافريــن من أهــل سبا ، حينما وهبهم جنتين عن يميــن وشمال ، وقال لهم : « كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبــة ورب غفور » . ولكنهم طغــوا بكفرهــم ، وتباهوا بقوتهــم ، فمــاذا كانــت النتيجة ؟ : « لقــد كان لســبأ فــى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم «أى المطر الشديد» وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكــل

خمط وأثل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى الا الكفور » .

فكان المطر ــ وهو قطرات ماء رقيق سائل ــ سبب الهلاك والدمار ، وجعل الله عز شأنه من الشيء الضعيف الرقيق المنساب قوة قوية مدمرة لأهل البغى والطغيان .

وحينما جاء أبرهة الاشرم يتحدى يرغى ويزبد مهددا بجبروته وجنوده العرب ، منذرا بهدم الكعبة ، ومعه الفيلة الضخمة الغليظة التى لا تعرفها العرب ولم تألفها ، حتى خاف أهل مكة فتركوها واعتصموا بالجبال والشعاب ، أظهر الله قوة فى الضعف وجعل السبب الضعيف الضئيل سببا وسلاحا للقضاء على الجيش العرمرم الجرار ، ولم يرسل الله لإهلاك الفيلة حيوانات ضخمة مثلها ، ولا ما يقاربها ، بل أرسل عليها الطير الابابيل .

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وارسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف ماكول » أى كتبن أكلته الدواب وتطايرت بقاياه .

وهذا (لوط) عليه السلام ، يتعرض لموقف الضعف والشدة ، حيث يهجم عليه اللئام الفاسقون من قومه ، يريدون الاعتداء الوضيع على ضيوفه من ملائكة الرحمن ، ويتطلع لوط ، يبحث عن ناصر أو معين ، فيجد كل اللئام يقفون ضده فيقول كأنه يرجو اغاثة ونجدة « قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد » .

وجاء الجواب من ملائكة الرحمن « قالوا : يا لوط انا رسل ربك ، لن يصلوا اليك » واختار الله تعالى أن يكون تدميره لهؤلاء ولوطنهم بقطع من الحجارة الصغيرة المطبوخة بالنار ، وهى حجارة متتابعة مسومة ، أى معلمة للعذاب فتجلت منها القوة : قوة الضعف « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد » ، « فأخذتهم الصيحة مشرقين ، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ، ان فى ذلك لآيات للمتوسمين ، وانها لبسبيل مقيم ، ان فى ذلك لآية للمؤمنين » .

وأمر « عاد » قوم هود غير بعيد من أمر قوم لوط ، فاذا كان هلاك قوم لوط قد تم بقطع صغيرة متوالية من الحجارة ، فقد تم اهلاك عاد بالهواء بالريح العاصف « واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية . « لها صوت من شدتها » سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما (متشئومات) فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية »

وأمر قوم نوح غير بعيد من أمر عاد فقد هلك قوم نوح بالماء « فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك ، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، انهم كانوا قوما عمين » .

وأمر فرعون وقومه غير بعيد من امر قوم نوح ، فقد أغرق الله الطاغية بالماء ومعه اتباعه « فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانو عنها غافلين » . « فاتبعهم فرعون بجنوده ، فغشيهم من اليم ما غشيهم ، واضل فرعون قومه وما هدى » .

وهذا هو رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يخلق له ربه من الضعف قوة ، ومن القلة كثرة ، ومن الفقر غنى وثراء **« الم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فاغنى » ؟ .**

لقد كان فردا فصار أمة ، وكان أميا فعلم الملايين ، وكان قليل المال فصار بالله أغنى الأغنياء ، وما زال صلوات الله وسلامه عليه ، يلتمس الغنى فى الفقر والقوة فى الضعف ، حتى أوتى من عزيمته وعزمه ، ما زعزع به أركان الأكاسرة والقياصرة **« وكان فضل الله عليك عظيما »** .

ولعل الله تبارك وتعالى قد أشار الى قوة الضعف ، حين اختار الحمامة الاليفة الضعيفة — كما تقول بعض روايات السيرة — لتكون حارسة على باب الغار الذى لجأ اليه الرسول حين اختفى عن عيون المشركين ، وهو فى طريقه مهاجرا من مكة الى المدينة ، كما اختار العنكبوت — ان صحت الرواية — ليكون معوانا للحمامة فى هذه الحراسة ، وكانت الحمامة الرقيقة النحيلة ، مع خيوط العنكبوت الهشة الوانية ، سببا فى تعمية المشركين حتى لا يبصروا الرسول وصاحبه حين اختفيا فى الغار .

وفى داخل الغار كان هناك مشهد أروع وأمتع لقوة الضعف ، فهذا أبو بكر رضى الله عنه ، يخاف على الرسول صلى الله عليه وسلم من سفه الشرك وبغى المشركين ، ويقول: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى موضع قدميه لرآنا ، فاذا القوة العارمة المؤمنة ، تتجلى من الرسول فى موقف الشدة والضعف ، » فيقول « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر ، لا تحزن ان الله معنا » .

ويؤيد صوت السماء رجاء النبوة ، فيتنزل قول الحق **« إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم »** .

وتأتى غزوة بدر الكبرى ، ويخرج نحو ثلاثمائة من المؤمنين ليلاقوا نحو الف من الكافرين ، ويشاهد الرسول فقر المسلمين وضعفهم وجوعهم وقلتهم ، فيدعو ربه قائلا عنهم « اللهم انهم حفاة فاحملهم ، اللهم انهم جياع فأطعمهم ، اللهم إنهم عراة فاكسهم ، اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض » .

ويستجيب قيوم السموات والارض لرجاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيخلق من الضعف قوة ومن القلة كثرة ، ومن الجوع شبعا ، فاذا الضعاف ينتصرون على الاشداء « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلة » ، — واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

وهذا هو المكفوف يفقد بصره وفقدان البصر لون من النقص ، ولكن الله جل جلاله يجعل من هذا الضعف قوة فيعوض صاحبه ما يجعله فى حصانة وبراعة ، وكم فى المكفوفين من عبقريات تجلت فأدهشت ولو رجعنا الى كتاب **« فى عالم المكفوفين »** .

لرأينا العجائب بعد العجائب فى هذا المجال ، وهذا هو « أحمد شوقى » يخاطب سلطان مصر منذ عشرات من السنين ، فى شأن المكفوفين فى الأزهر الشريف ، فيقول له كالموجه المرشد :

نظرا واحسانا الى عميانه
وكن المسيح مداويا ومجبرا
والله ما تدرى لعل كفيفهم
يوما يكون أبا العلاء المبصرا
لو تشتريه بنصف ملكك لم تجد
غبنا ، وجل المشترى والمشترى

وليس هذا الحديث الذي تقدم عن « قوة الضعف » دعوة الى الرضى بالضعف ، أو السكوت عليه ، بل هو دعوة الى استشعار القوة حتى في حالة الضعف ، دعوة الى التدثر بالرجاء والأمل ، حتى في مواطن الشدة والبأس ، ودعوة الى بذل الجهد في أي حالة ، وعلى أي وضع، ودعوة الى اليقين بأن الله قادر على أن يجعل من الضعف قوة ما دام الانسان يجاهد بقدر ما يستطيع **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »** .

• • • • •

واذا كنا قد حدثنا عن « قوة الضعف » فلنتحدث عن « ضعف القوة » ، واذا كنا قد رأينا أن الضعف قد ينطوي على قوة مستورة تؤيدها عناية الله ، وضربنا على ذلك الأمثال فاننا نستطيع أن نرى كيف تتداعى القوة القائمة على غير اساس سليم ، أو على مبدأ قويم ، فاذا هي تتحطم وتنهار « **والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » .

وهذا مثلا هو « الشيطان » ، وهو القوة الممثلة للشر والاثم والانحراف انه يختال بجنوده ، ويفتر بأتباعه ، ويزهو بمكره وكيده ، ولكن هذا الطغيان يصبح أمام الايمان واهيا ضعيفا،والله جل جلاله هوالذي يقرر ذلك ، فيقول **« الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا »** .

وهذا هو فرعون ، الذي طغى وبغى ، وكان في الأرض عاليا من المسرفين ، والذي تأله في الأرض ، **« فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى »** فماذا كانت العاقبة ؟ تحول التأله ذلا ، وانقلبت القوة ضعفا ، **« فاخذه الله نكال الآخرة والاولى،ان في ذلك لعبرة لمن يخشى »** . ولم يستطع فرعون الطاغية ومن ورائه أشداء قومه أن يدفعوا عن أنفسهم الأذى ، حتى ولو كان في صورة أرق الاشياء وهو الماء .

وهذا هو « قارون » المغرور بنفسه ، المبهور بقوته في الحياة ، وكثرة ثروته بين الناس **« ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز، ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين »** .

وجاءته الموعظة العادلة الفاضلة الهادية الى خيرى العاجلة والآجلة **« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين »** .

ولكن قارون لم يسمع ولم يستجب ، فهو غارق هناك في أمواج خيلائه ، وطوفان كبريائه فهو يتباهى بقوته وعلمه ويفتر بثروته وماله ويظن انه بهذا يستعصم على الضعف ويتأبى على الانكسار ناسيا أن الله جل جلاله قادر على أن يبطش به كما بطش بمن هو اقوى منه واطغى **« قال انما اوتيته على علم عندي ، أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون ، فخرج على قومه في زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير**

لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها الا الصابرون » .

فماذا كان المصير ؟ ...

انقلب العز ذلا والغنى فقرا ، والقوة ضعفا **« فخسفنا بـه وبداره الارض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين . واصبح الذين تمنوا مكانـه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لا يفلح الكافرون ، تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علـوا فى الارض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين »** .

وهؤلاء هم قوم ابراهيم عليه السلام ، يسرفون على أنفسهم وعلى الناس فيسعون فى الأرض فسادا ويعبدون من دون الله عز شأنه ما لا ينفعهم ولا يضرهم ولا يجديهم النصح والتوجيه شيئا ويعطيهم نبى الله ابراهيم درسا بليغا فى أن الأصنام لا تدفع عن نفسها شرا ، فكيف تدفع قليلا أو كثيرا عن غيرها وهنا يثور الأقوياء الاشداء السفهاء لكرامتهم المهضومة وعزتهم المزعومة ، ويجتمعون فى طغيان وبهتان ويقررون أن يعصفوا بالنبى الوحيد الفريد الأعزل ويختارون للخسف به أقسى أنواع العذاب وهو الاحراق بالنار ، جزاء له على تحطيمه أصنامهم وسخريته بضلالهم :

« فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هـذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين » .

فماذا كان صنع الله القوى المتين ؟

جعل الشدة هوانا وأحال القوة ضعفا ، ومن خلال النار المحرقة المهلكة بعث الله السلام والنجاة **« قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين »** .

وهذا هو « النمرود بن كنعان » ، الملك الجبار المتمرد ، الذى ادعى الربوبية وحاج ابراهيم فى ربه وقال فى شأنه القرآن الكريم **« ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربـه ، ان آتاه الله الملك إذ قال ابراهيم ربى الـذى يحيى ويميت، قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الـذى كفر واللـه لا يهـدى القوم الظالمين »** .

فماذا يصنع القدر مع ذلك الذى بغى وطغى ، وتجبر وعتا ، وآثر الحياة الدنيا واغتر لأنه احد الأربعة الذين قالوا إنهم ملكوا العالم وهم ذو القرنين وسليمان والنمرود ، وبختنصر ؟!

اختار الله لإهلاكه وإهلاك جنوده حشرة ضعيفة ضئيلة هزيلة ، هى البعوضة يقول التاريخ « فأرسل الله عليهم ذبابا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس فسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم وتركتهم عظاما بالية » ودخلت بعوضة أنف النمرود ، فعذبه الله

بها ، وجعل يضرب راسه بالمطارق لكى تموت البعوضة او تخرج من انفه ولكنها ظلت تذيقه العذاب الوانا حتى مات الجبار ذو الاسباب ميتة الكلاب

وما أضعف قوة المخلوق امام سلطان الخالق **((الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين))** .

وهؤلاء هم أهل الكفر والضلال يعدون فى الدنيا بالملايين بعد الملايين وعندهم طاقاتهم وقدراتهم ولديهم أموالهم وثرواتهم ولهم جبروتهم وقد كفروا بربهم ، وتمردوا على خالقهم وعبدوا من دونه ما عبدوا من أصنام واوثان ولكن اللـه جل جلالـه يذل اغترارهم ويحطم قوتهم ويتحداهم ان يسخروا كل اسبابهم لايجاد حشرة ضعيفة هزيلة **((يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز))** .

والخطاب هنا لجميع الناس أبيضهم وأسودهم ، عربهم وعجمهم ، والتحدى موجود حتى مع اجتماعهم وتضامنهم « ولو اجتمعوا له » ، وموضوع التحدى هين يسير صغير ذبابة ، والذباب من أضعف المخلوقات وأصغرها والتحدى هنا نوعان إما أن يخلقوا ذبابة واما أن يستردوا من الذبابة شيئا أخذته منهم وما هم بفاعلين « ضعف الطالب والمطلوب » وفى الحديث القدسى يقول الحق جل جلاله **((فليخلقوا مثل خلقى ذرة او ذبابة او حبة))** .

وهذه الذبابة الضعيفة يعطيها الله من الحيلة والوسيلة ما تقلق بـه الاشداء وتضايق به الاقوياء ولقد روى عن احد الخلفاء العباسيين انه كان جالسا فى قصره فوقعت على وجهه ذبابة فطردها فطارت ثم عادت فوقعت على وجهه . فطردها فطارت ثم عادت فوقعت على وجهه ، وظل الأمر كذلك حتى غضب الخليفة وتضايق ، وهنا .. دخل عليه أحد العلماء فسأله الخليفة لماذا خلق الله الذباب ؟!

وكانما احس العالم بما كان هناك فأجاب قائلا لقد خلق اللـه الذباب ليذل به الجبابرة يا أمير المؤمنين ..

ليس هذا الحديث عن « ضعف القوة » تنفيرا من القوة أو تزهيدا فى الشدة والتماسك أو دعوة الى الضعف لأن الاسلام يدعو الى كل انواع القوة الفاضلة **((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة))** ولكنا نريدالقوة القائمة على الايمان والعدل والخضوع لسلطان الله عز وجل **((خذوا ما آتيناكم بقوة))** ونريد القوة العادلة المتعادلة **((محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم))**.

يا أهل الايمان لا تخافوا قوة البغى فى الارض فمن فوقها قوة السماء ، لا تهابوا الأقوياء السفهاء من الناس فان ثباتكم فى وجوههم مع رضى الله عنكم كفيل بأن يحطم بنيانهم ويهدم كيانهم ، ويأتى عليهم من القواعد **((لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد))** انتزعوا من ضعفكم قوة تحيل قوة عدوكم ضعفا أعتصموا بحبل ربكم يجعل لكم من أمركم فرقانا وينصركم نصرا مبينا .

حق الله على العباد

للاستاذ عبد الرحمن عبداللطيف

الشكوى من عقوق الأبناء كثيرة ، والكلام عن واجب الأولاد حيال آبائهم كثير أيضا حتى صار مكررا ومعادا ، والمكرر المعاد لا يكون له أثر الجديد، وغالبا ما يكون ضعيف الجدوى قليل القيمة .

اذن فلنحاول أن نطرق الموضوع على هامش معانيه وجوانبه وأن نحوم حوله حتى لا نعيد ولا نكرر .

إن سبب عدم جدوى نصح الأولاد هو أن جريمة العقوق لم تنل حظا من التوضيح والمعرفة لدى الناس ، والا لقاومها المجتمع كما قاوم جرائم أخرى أقل منها قبحا وأضعف أثرا ، ولعل السبب فى عدم وضوح جريمة العقوق وفهمها الفهم الصحيح هو — مع شديد الأسى والرثاء — عطف الآباء انفسهم على أولادهم ، فهم يكتمون أساهم ويسترون مخازى أبنائهم ولا يحبون — مهما كانت الظروف — أن تظهر عيوب أولادهم للخلق . وهم فى هذا ليسوا بدعا فأبوهم نوح عليه السلام — كان المثل الصارخ فى هذا والعزاء لكل أب عقه بنوه ، لقد كفر ابن نوح بربه وبأبيه ولم يؤمن رغم تكرار النصح من أبيه وذهب مع القوم الكافرين ، فأخذه الطوفان مع من أخذ ، وحين ركب نوح ومن معه السفينة دعا ابنه لينضم اليه والى المؤمنين (ونادى نوح ابنه وكان فى معزل : يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ،

وحق الوالد على ولده

قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) . ثم تحركت عاطفة الأبوة فى نفس الوالد المكلوم فدعا الله كما حكى القرآن الكريم : (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ، قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ، انى أعظك أن تكون من الجاهلين ، قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين) .

وحتى توضح ما خفى علمه على بعض الناس مما تسبب فى هذا الطوفان من العقوق نقول : يجب أن يعرف الناس أن مرتبة بر الوالدين فى الطاعات تأتى بعد عبادة الله وتوحيده مباشرة وفى نفس الوقت هى مقدمة على الجهاد فى سبيل الله حتى لو كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء رجل الى النبى عليه الصلاة والسلام يستأذنه فى الجهاد فقال له (أحى والداك ؟ قال نعم . قال : ففيهما فجاهد) وفى خبر آخر (نومك مع أبويك على فراشهما يضاحكانك ويلاعبانك أفضل لك من الجهاد معى) واصطلح الناس على أن يصموا الفار من الجهاد بأقبح الصفات وأبسط ما يصفونه به هو

الجبن والنذالة والخيانة وجريمته — على فحشها — أقل عند الله وعند الرسول من العقوق ومع ذلك فلم يصطلح الناس على أن يقولوا للعاق أنت نذل أو أنت جبان ..

— ولو قالوها لأرضوا الله وارضوا رسوله الذى يقول (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان) .

وقد يحار الانسان ويعجب من أن يقرن الله تعالى أمره بأدب الأولاد مع الآباء بأمره بتوحيده سبحانه وتعالى وعبادته — اذ يقول سبحانه (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) ويقول عز وجل (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) وأن يقرن شكرهما بشكره سبحانه فى قوله : (ووصينا الانسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير) .

وأيضا فى ردع الخروج على هذا الأدب الاسلامى ووضع العقوق فى مرتبته بين جرائم الجحود — فيقرن بالشرك بالله — يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (عقوبتان معجلتان فى الدنيا : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين) .

ثم تزول الحيرة والتعجب اذا عرفنا أن الاسلام حريص على أن يكون المسلم وفيا غير خؤون فيؤدى الأمانة ويحمل المسئولية بشجاعة ومن غير جبن ، فلا ينكر الجميل ولا الفضل لمن أحسن اليه وليس لأحد فضل ولا جميل على المسلم الا الله سبحانه ثم أبواه . وانكار فضل الله وهو المنعم على الانسان كفر وجحود ودناءة — وانكار الولد فضل أبيه كفر وجحود ودناءة — فالجريمتان متشابهتان ونابعتان من نبع واحد هو خسة النفس وضآلتها وهى صفات لا يرضاها الله للمسلم لأن الذى ينكر فضل الله وفضل الوالد لا يعرف يقينا فضل أحد سواهما وان ادعى غير ذلك وهو قطعا غير جدير بوصف المسلم .

فمن صفات المسلم ان يكون شكورا لأن الأريحية والشجاعة يقتضيان منه ذلك ، وأن يشكر الله وشكر الله عبادته وشكر من أجرى النعمة على يديه ، أولى الناس بهذا هم الوالدان — على نعمة التربية والايواء والصيانة والحفظ والتعليم ، فالولد الرجل لم يخرج من بطن أمه رجلا بل طفلا صغيرا ضعيفا لو سها الوالدان عنه لحظة لضاعت حياته ، فهما اللذان حفظاه وربياه وعلماه وجاعا ليشبع ، وتعريا ليكسى ، وحرما نفسيهما من كثير من المتع ، وأحيانا من الضرويات ليوفرا له ما يسره وما يشتهيه وما يكمله ويجعله انسانا مذكورا بين الناس .

إن بر الوالدين معناه طاعتهما ، يجب أن يعلم هذا ، وكلمة البر هنا لا تحمل معنى التبرع أو التطوع أو التفضل ولكن معناها الطاعة ، الطاعة المطلقة فطاعة الوالدين لازمة إلا اذا أمرا بمنكر فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وهذه المعاملة الحسنة المطيعة واجبة للأبوين حتى ولو كانا كافرين ارأيتم ميزات الاسلام ؟؟ وانعمه على الانسانية كلها ؟؟ يقول الله سبحانه وتعالى عن الأبوين الكافرين اذا كان لهما عهد : (وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا)

وفى صحيح البخارى عن أسماء قالت : قدمت أمى وهى مشركة فى عهد قريش ومدتهم اذ عاهدوا النبى

صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيت النبى صلى الله عليه وسلم (ان أمى قدمت على وهى راغبة أفأصلها ؟؟ قال : نعم صلى أمك .

وايضا ما روى من ان عبد الله بن عبد الله بى أبى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم ـ فشرب النبى صلى الله عليه وسلم ماء ، فقال له : بالله يا رسول الله ما أبقيت من شرابك فضلة أسقيها أبى لعل الله يطهر بها قلبه ؟؟ فأفضل له ، فأتاه بها فقال له عبد الله ما هذا ؟ ـ فقال : هى فضلة من شراب النبى صلى الله عليه وسلم جئتك بها تشربها لعل الله يطهر قلبك بها ، فقال له أبوه : فهلا جئتنى ببول أمك ؟؟ فانه أطهر منها ، فغضب وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله أما اذنت لى فى قتل أبى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم (بل ترفق به وتحسن اليه) .

أرأيتم كفرا أشد من هذا الكفر ؟؟ وسفولا فى الخلق وفى الكلام وفى الخطاب أسفل من خلق هذا الوالد الفاجر الذى تجرد حتى مما كان فى الجاهلية من بعض صفات الاريحية العربية ؟؟

ثم أرأيتم كيف يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ابنه بعدم قتله ، بل يأمره بالرفق به والاحسان اليه ..

ثم أرأيتم حق الابوة ومكانته فى الاسلام ؟؟.. الطاعة والرفق والاحسان والمصاحبة الطيبة وصدق الله سبحانه (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ..)

ولنذكر مثالا لطاعة الوالد فى أمر يراه الابن : فى زماننا خاصا به وحده دون سواه .. وهو اختيار زوجته ومعاشرتها ، فقد روى عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنه وعن أبيه أنه قال : (كانت تحتى امرأة أحبها ، وكان أبى يكرهها ، فأمرنى أن أطلقها فأبيت ، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال (يا عبد الله بن عمر طلق امرأتك) .

ويروون تفسيرا لهذه القصة أو تتمة لها أن الزوجة كانت جميلة وخشى عمر على ابنه من فتنة امرأته وقد مر على بيته فى طريقه الى المسجد ولم يره خرج الى الصلاة ..

وصدقت فراسة عمر .

وصدق الله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) .

ووجه العداوة أن الولد أو الزوج اذا فعل فعل العدو كان عدوا ، ولا فعل أشد قبحا من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة ، وقد خشى عمر أن تشغل المرأة ابنه عن البكور فى الذهاب الى المسجد فكان طلاقها أمرا لازما أيده الرسول صلى الله عليه وسلم فيه (وما ينطق عن الهوى) .

ومن تنطبق عليهم الآية الكريمة الزوجة الأنانية التى تعمل جاهدة على أن تستأثر وحدها بزوجها دون أهله وتوقع ـ لهذا ـ بينه وبينهم البغضاء والقطيعة ، يساعدها فى هذا ظروف الزوجية وملابساتها وخلواتها ونعومة الحديث فيها ودوام الشكوى منها فى الوقت الذى لا يجد أهله هذه الظروف ـ ويترفعون بطبيعة مكانتهم عن هذه المساجلات الوطيئة ، ويتعالون بالله ورسوله عن هذه المكائد الشريرة التى تتلخص فى نسبة الظلم منهم لابنهم وزوجة ابنهم .

وكون الوالدين يظلمان ابنهما أمرا لا يتصوره أبدا عقل سليم ..

ففى الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من أمسى مرضيا لوالديه وأصبح أمسى

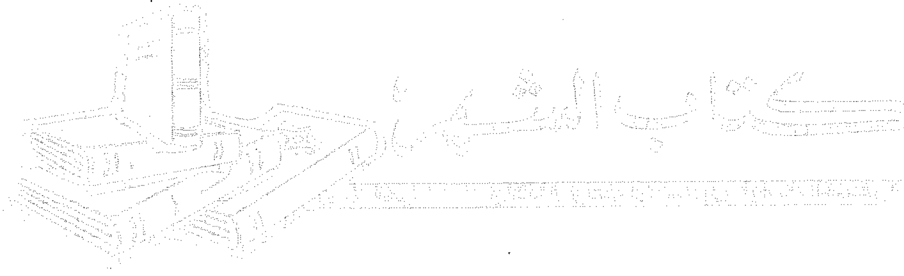
وأصبح وله بابان مفتوحان من الجنة وان واحدا فواحدا — ومن أمسى وأصبح ، مسخطا لوالديه أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان الى النار وان واحدا فواحدا ، فقال رجل : يا رسول الله وان ظلماه ؟
قال : وان ظلماه ، وان ظلماه ، وان ظلماه ؟..)
والرسول صلى الله عليه وسلم لا يقر قطعا الظلم ولا يرضاه ، ولكنه يرى بنور الله نور النبوة أن الوالدين لا يظلمان ابنهما أبدا ولو صدر منهما بسبب حبهما له وحدبهما على مصلحته وتقويم أمره ما يخيل اليه أنه ظلم أو ينقل له ويفسر من أذناب ابليس قرناء السوء على أنه ظلم فلا يصدق ويحترس ويحذر استجابة للآية الكريمة : (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) ويقول سبحانه عنهم وتوضيحا لرسالتهم الفاسدة (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) .

ولو آمن الوالدان بالله وحده واعتزا بالله وحده دون سواه من البنين والبنات ، ولو آمن الناس كلهم هذا الايمان واعتزوا هذا الاعتزاز وتأدبوا بأدب الرسول الكريم الذى أدبه ربه به فأحسن تأديبه والذى نقل هذا الأدب من الله عز وجل الينا ، وهو يقول للزوج — لرب الأسرة — (الديموث الرجل يسكت على هنات أهله) ويقول للمسلمين جميعا (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان) .
لو تأدب الناس بهذا الأدب لزالت جريمة العقوق ، والدليل على هذا أنها استشرت حينما ضعف تدين الناس ولم يكن لها وجود يوم كان الناس أصلاء متدينين فى الماضى
وأخيرا — ان عملى فى البرامج الدينية ، فى الاذاعة (برنامج درس الجمعة ، وبرنامج راى الدين) كان سبيلا لورود كثير من المشاكل والاستفتاءات بغية الوصول الى حلها وعلاجها عن طريق الدين وحكم الدين .

وكان مما وصلنى رسالة أعجبتنى ولا أكتم أنها أضحكتنى لأن صاحبها كتبها، مسرورا غير مقهور وابتساماته وقهقهاته يملآن سطورها .. يقول صاحبها : (امتحنت بعقوق الولد الذى يتظاهر لا بالتدين فقط ولكن بالولاية أيضا وبحب الوالد واطرائه وصبره على شدته وظلمه له ، ويستعد من الآن لتشريف أبيه عند موته بكل أنواع التشريف والحفاوة والتكريم ، مع أنه لا يزوره الا فى المواسم الرسمية ، ويقول الوالد : ما الرأى فى هذا ؟ وأنا لا أستطيع السكوت عن قول الحق حيا وميتا ، ولا أستطيع السكوت عن هنات أهلى حيا وميتا ، ولا عن النصيحة حيا وميتا ، والمرشد الحق هو من أرشد الناس بعد موته كما أرشدهم فى حياته) — وقد أعجبنى فى وصف هذه الحالة — الحالة التى شرحتها لك — قول الشاعر :

لا ألفينك بعد الموت تندبنى
وفى حياتي ما زودتنى زادى

فما رأيك ..؟؟
وأنا لم أجد ردا بليغا على هذا السؤال الا كتابة السؤال واسماعه للناس لعل من تنطبق عليه أوصافه من الابناء لا ينشد شحه فى الحياة بالزاد ولا كرمه عند الموت بالندب .
وما أروع وأصدق قول الله سبحانه : (بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره) .



دستور الأخلاق في القرآن

دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن

تاليف المرحوم :
الدكتور محمد عبد الله دراز

ترجمـــة :
عبد الصبور شـــاهين

عرض وتحليل :
محمد عبد الله السمان

هذا الكتاب القيم الذى أسهمت فى نشره دار البحوث العلمية بالكويت ، ومؤسسة الرسالة فى بيروت يقع فى زهاء ثمانمائة صفحة من القطع الكبير وهـــو الدراســـة التي اســـتوعبتها الرســـالة الأساســـية التى نال بها المؤلف دكتوراه الدولة من السوربون حيث نوقشت أمام لجنـــة مكونة من خمســـة من أساتذة الســـوربون والكـــوليج دى فرانـــس فـــى ١٩٤٧/١٢/١٥ ، وقـــد كتب المؤلف الرسالة بالفرنسية ، وطبعت النسخة الفرنسية على حساب مشيخة الأزهر عام ١٩٥٠ ، وظلت فكرة تعريبهـــا زهاء ربع قرن تتأرجح بين الأزهـــر ووزارة الأوقاف المصرية ، حتى قيض الله لتحقيق الفكرة من هم أهل لكل عمل جاد ، وكل جهد مشكور ..

ولا أظن أن القـــراء بحاجـــة الى التعريف بالمؤلف رحمه الله ، وهو من العلماء الأفذاذ ، القـــلائل ، الذين توافر لهم بسطة فى العلم ، وقوة فى الإيمان ، وعـــزة فى النفس والذين قدر لهم أن يعرفوه عن كثب ، يدركون

أن المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز نموذج رفيع لعالم الدين قد لا يتكرر الا كل حين ..

أما دراسته التى بين أيدينا : (دستور الأخلاق فى القرآن) فهى على المستوى العلمى الرفيع ، ولا اظن ان كلمات — أيا كانت — تفى حقها من التقدير ، وقد قدم لهذه الدراسة بمقدمة موجزة مركزة الأستاذ الدكتور السيد محمد بدوى استاذ علم الاجتماع بجامعة الاسكندرية ، الذى قام أيضا بمراجعة الرسالة ، وقد عاش معها مرتين : مرة اثناء تاليفها — حيث كان يدرس فى باريس ، ومرة اثناء ترجمتها ، والحق ، أن المقدمة — على ايجازها تلقى اضواء على هذه الرسالة الجامعية ، هى بمثابة خلاصة سريعة للأفكار الرئيسية فيها تيسر للقارىء استيعاب هذه الدراسة القيمة .

كذلك كانت كلمة المعرب الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين أستاذ مساعد الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة — جديرة بكل تقدير لأنها بمثابة تقييم فنى دقيق لرسالة المؤلف ، والدكتور عبدالصبور شاهين الذى قضى ثلاثة أعوام متفرغا لهذا العمل الكبير ، عاش بعقله ووجدانه مع هذه الدراسة القيمة ، فهو ليس متمكنا من اللغة الفرنسية — وحسب — بل هو ايضا متمكن من دراسة الفكر الاسلامى لذلك لم يشأ أن يقوم بعمل آلى يهتم بالدقة فى الترجمة الحرفية للنص الفرنسى ، وانما أراد ان يقدم عملا متكاملا أقدم عليه ، مدركا أن غيره من العلماء القادرين على الترجمة ، تردد أكثر من مرة فى قبول هذا العمل ، وانتهى به المطاف الى الرفض بأدب لأن دراسة تنسب الى المؤلف العالم الجليل ، لم يتوقع لها إلا أن تكون على مستوى من العمق يحتاج فى نقله الى العربية الى جهد مضن — لا يتوافر له العلم والأناة وحسب — بل أيضا القدرة على الصياغة العربية التى تقارب فى أساليبها ، أسلوب المؤلف البلاغى العميق ، الذى نلمسه فيما كتب باللغة العربية .

إن الهدف الرئيسى من هذه الدراسة — كما يقول الدكتور السيد محمد بدوى — هو إبراز الطابع العام للأخلاق التى تستمد من كتاب الله الحكيم ، وذلك من الناحيتين النظرية والعملية،وتهيمن علىَ الكتاب من أوله الى آخره ، فكرة رئيسية ، هى أن الحاسة الخلقية انبعاث داخلى فطرى وأن القانون الأخلاقى ، قد طبع فى النفس البشرية منذ نشأتها : « ونفس وماسواها . فألهمها فجورها وتقواها» غير أن هذا القانون الأخلاقى المطبوع فينا ناقص وغير كاف . ليس فقط . لأن العادة ، والوراثة ، وأثر البيئة ، والمصالح المباشرة تفسد نوازعنا التلقائية ، وليس فقط لأن شواغل الحياة فى الدنيا تستوعب القسط الأكبر من نشاطنا الواعى بل ان ممارسة الأخلاق فى أحسن الظروف الملائمة تواجه صعوبة أخرى رئيسية وهى أن الضمير اذا اقتصر على مصادره الفطرية وحدها ، وجد نفسه عاجزا فى غالب الأحيان عن ان يقدم فى جميع الظروف قاعدة ذات طابع عام ، تستأثر باعتراف الجميع فاذا تجاوزنا حدا معينا نجد أن (اليقين) الأخلاقى قد ترك مكانه للاحتمالات والتردد والمتاهات وهذا هو السبب الذى من اجله بعث الله فى الناس — من حين لآخر — نفوسا متميزة ملهمة بالوحى الربانى .

يجدر بنا هنا قبل أن نعرض لموضوع الدراسة القيمة ، أن نجلى للقارىء الفكرة الرئيسية لدى المؤلف ــ رحمه الله ــ والتى حدت به الى اختيار دراسة مضنية شاقة وهذا ما يلمسه من واقع مقدمته ، وهذه كلمات وجهها الى القارىء نفسه حيث يقول : (ولسوف يكون لدى قارئنا الواعى فرصة أن يقدر الى أى مدى يوفى كتابنا ــ الذى نقدمه اليوم اليه ــ بهذه الشرائط المطلوبة فى التأليف ــ وهى التى تدعو دائما كل كاتب أن يسير على نهجها فلم يكن شروعنا فى هذا المؤلف الجديد عن القرآن عبثا نضيع فيه وقتنا ، ونثقل به على قرائنا ونزحم به مكتباتنا ، فاذا لم يأت عملنا بشىء جديد فى عالم الشرق أو الغرب ، فلن يكون سوى مضيعة وزحمة وإثقال .)

يرى المؤلف رحمه الله : أن فى مؤلفات علم الأخلاق العام ، التى كتبها غربيون ــ فراغا هائلا وعميقا نشأ عن صمتهم المطلق عن علم الأخلاق القرآنى ، وهذه المؤلفات تذكر لنا بايجاز أو بافاضة ، المبادىء الاخلاقية كما ارتأتها : الوثنية الاغريقية ، ثم أديان اليهودية والمسيحية .. ثم تنقلنا بغتة الى العصور الحديثة فى أوربا مغفلة كل ما يمس الدستور الأخلاقى فى القرآن أما المحاولات التى تمت خلال القرن التاسع عشر من اجل استخراج المبادىء الأخلاقية من القرآن فقد كان اطارها فى الغالب محدودا ، كما كان مضمونها بعيدا عن المطابقة الدقيقة للنظرية القرآنية الحقة فمن حيث الاطار نجدهم قد أغفلوا الجانب النظرى من المسألة ، ومن حيث عيوب المضمون نجد مرجعها اما الى ترجمات غير صحيحة ، واما الى تلخيص سىء ، واما الى الأمرين معا.

ثم يشير المؤلف الى أن هذا هو الدافع الأساسى الى هذه الدراسة فقد أصبح من الضرورى أن يتناول الموضوع من جديد ، وأن يعالج تبعا لمنهج أكثر سلامة ، من أجل تصحيح هذه الأخطاء ، وملء ، هذه الفجوة فى المكتبة الأوربية وحتى نرى علماء الغرب الوجه الحقيقى للأخلاق القرآنية ..

****

قسم المؤلف الدراسة الى خمسة فصول :

فى الفصل الاول يبحث المؤلف فكرة الالزام ــ ان أى مذهب أخلاقى يستند فى نهاية الأمر على فكرة الالزام واذا لم يعد هناك الزام فلن تكون هناك مسؤولية ، واذا عدمت المسئولية فلا يمكن أن تعود العدالة وحينئذ تتفشى الفوضى ، لا فى مجال الواقع فحسب بل فى مجال القانون أيضا فالى أى اتجاه يريد أن يقودنا بعض أصحاب النظريات من المحدثين أمثال (جييو) فى كتابه (نحو أخلاقية بلا الزام ولا جزاء ؟ اذن فكيف نتصور قاعدة أخلاقية بدون الزام ؟ أليس هذا تناقضا فى الحدود ؟ ويعرض المؤلف بعد ذلك لمصادر الالزام الأخلاقى لدى الفلاسفة والمفكرين ، فالفيلسوف الفرنسى (برجسون) يكشف فى تحليله العميق لقضية الالزام الأخلاقى عن مصدرين : هما قوة الضغط الاجتماعى ، وقوة الجذب ذى الرحابة الانسانية ، المستمدة من العون الإلهى ، وهى قوة أوسع مدى من

سابقتها ويرى المؤلف أن عرض (برجسون) هذا ، اذا نظرنا اليه على أنه وصف وتحليل لواقع معين نجده فى التجربة أمكن القول بأنه لم يغفل كثيرا من الأساس ، أما اذا تناولناه — على أنه نظرية فى الالزام الأخلاقى — فان تحليله يحمل بعض الصعوبات وشيئا من الانحراف عن الجادة بالنسبة الى وجهة النظر القرآنية .. أما الفيلسوف (كانت) الذى كشف عن مصدر الالزام الأخلاقى فى تلك الملكة العليا فى النفس الانسانية والتى توجد مستقلة عن الشهوة ، وعن العالم الخارجى معا ، فيرى المؤلف أن (كانت) قد أحسن صنعا ، برغم بعض النقص فى طريقة تقديمه لنظريته ، فاذا ما رددناها الى أبسط تعبير عنها ، وخلصناها من جميع مظاهر الدقة الشكلية ونزعتى التسامى والتشاؤم ، ومن بعض ما شابها من البرود العاطفى ، فهى بعد هذا لا تعد من المسلمات فحسب ، بل انها لتتفق تماما — فيما نرى — مع النظرية المستخلصة من القرآن .

ويطرح المؤلف — رحمه الله — تساؤلا : هل للشريعة الاسلامية مصدر واحد أو عدة مصادر ؟ ثم يعقب قائلا : ان الفقهاء قد حددوا لها بعامة أربعة مصادر : القرآن والسنة ، والاجماع والقياس ، واذا كان التحليل الذى قدمنا صحيحا — باستثناء بعض التحديدات التى يجب أن نضيفها الى هذا القول — فلا ينبغى أن يكون لدينا سوى سلطة لشريعة واحدة بالمعنى الصحيح ، والقرآن ذاته لا يفتأ يؤكد لنا هذه الفكرة فى كثير من آياته : ان الحكم الا لله — الا له الحكم — ولا معقب لحكمه) .

وفى الفصل الثانى يبحث المؤلف فكرة (المسؤولية) فيرى أن فكرة الالزام ، يرتبط بها ناتجان ، يستلزم أحدهما الآخر بدوره، ويؤيده ويدعمه، هما فكرة المسئولية ، وفكرة الجزاء التى سيعرض لها فى الفصل الثالث والواقع — كما يقول المؤلف — أن هذه الثلاث يأخذ بعضها بحجز بعض ولا تقبل الانفصام فاذا ما وجدت الأولى تتابعت الأخريان على أثرها ، واذا اختفت ذهبتا على الفور فى أعقابها ..

وفى دراسة المؤلف لفكرة المسئولية بحث الصفات العامة التى تنبع من تحليل هذه الفكرة ، ثم شروطها من الوجهة المزدوجة الاخلاقية والدينية ، وأخيرا جانبها الاجتماعى ثم قرر المؤلف فى النهاية أن القرآن تولى بصفة جوهرية وجهة النظر الأخلاقية ، وراح يقر فى هذا الصدد الشروط التى تتفق تماما مع المقتضيات المشروعة لأعظم الضمائر استنارة واهتماما بالعدالة ..

وفى الفصل الثالث ، بحث المؤلف فكرة الجزاء فالعلاقة بين الانسان والقانون تتمثل لأعيننا فى شكل حركة اقبال وإدبار ، مكونة من (ثلاثة أزمنة ، ولقد كنا مع فكرة الالزام ما نزال فى نقطة البداية ، ولكننا مع فكرة الجزاء نجد أن دائرة هذه العلاقة الجدلية سوف تقفل ، والجزاء هو رد فعل القانون على موقف الاشخاص الخاضعين لهذا القانون الذى هو مطلب لا يقاوم لأنفسنا وفرض صارم لضميرنا الجماعى وهو فى الوقت

نفسه أمر مقدس لضمير الفرد فى اكمل صورة واقدسها .

ثم عرض المؤلف للميادين الثلاثة للجزاء ، الجزاء الأخلاقى ــ الجزاء القانونى ــ الجزاء الإلهى وعلى حين أن الجزاء الأخلاقى والجزاء القانونى بطبيعتهما ، لا يؤثر كل منهما مباشرة الا على عنصر مختلف من الشخص : الحاسة أو الضمير فان مما يميز الجزاء الإلهى هو أنه يجب أن ، يكون كليا وكاملا،إن رحابة الفكرة القرآنية عن الجزاء أمر بدهى ، انها ليست نزعات خاصة لانسان ، ولا آراء شخصية لفيلسوف ، ولا رأيا شائعا فى عصر أى عصر ، سواء كان معاصرا للاسلام أم سابقا عليه أم لاحقا به ولما كانت هذه النظرية شاملة بفضل غايتها ، أرادت أن تكون كذلك شاملة بفضل منهجا ، ومن ثم ــ كما يقول المؤلف ــ فان ما تركه الحكماء الأقدمون منذ سقراط ، وما كتبه فلاسفة العصر الحديث حتى (كانت) ، وما جاء به القديسون والأنبياء منذ بدء الزمن حتى موسى وعيسى ــ كل مذهب من هذه المذاهب ، لا بد أن يجد فى النظرية القرآنية احدى الصيغ التى يوافق عليها .

وفى الفصل الرابع بحث المؤلف « النية والدوافع » فالنية بالمعنى الواسع للكلمة ، حركة تنزع بها الارادة نحو شىء معين ، سواء لتحقيقه أو لاحرازه ، وتطلق كلمة (غاية) أو (هدف) على ذلك الموضوع البعيد من حيث هو حقيقة مستقبلة يتعين السعى وراءها وبلوغها ، ولكنه من حيث هو مبدأ أو فكرة تحفز النشاط الارادى ، وتمهد له ، يطلق عليه (باعث) أو (دافع) وباعتبار أنها « باعث تصور » فكرة الخير الأسمى حالة عقلية صرفة تستخدم فى تسويغ العمل المعتزم وجعله معقولا ، لكن حين نتجاوز هذه المرحلة العقلية نجد أن فكرة الهدف تتمثل لنا كقوة محركة تدفع نشاطنا ، وحين ننظر اليها من وجهة هذا التأثير على الارادة ، فاننا نطلق عليها اسم الدافع ويقرر المؤلف أن فكرة القصد أو النية فى كلتا الحالتين ــ ولانهما تتصل بواجب عمل ــ ينبغى أن تنطوى هنا على ثلاثة عناصر تكوينية وقد بحثها المؤلف بحثا تفصيليا دقيقا ، وهى تصور المرء لما يعمله ، ارادة إحداثه ، ثم ارادته بالتحديد على انه شىء مأمور به أو مفروض .

وفى الفصل الخامس ، بحث المؤلف (الجهد) ومفهوم الجهد لا يتحدد بواسطة العمل بعامة ، بل بالعمل المؤثر الفعال بخاصة ، الذى موضوعه مقاومة قوة ، أو قهر مقاومة وهو تعريف متوافق ابتداء مع المعنى المادى ، ولكنه يجب أن يتوافق أيضا مع المعنى الأخلاقى ، والتماثل بين المجالين واضح جلى فعلى صعيد الابداع الخير ، يصادف الفكر غالبا فى الموضوع ، وفى نفسه ــ عقبتين ينبغى أن يتخطاهما : خمود المادة التى يجب تحويلها ونقص الهمة فى الارادة الفاعلة والأمر كذلك عندما يجب الامتناع عن الشر ، فى مواجهة القوى التى تدفعنا اليه ، ففى هذه الحالات جميعا لا يكفى أن (نفعل) بل يجب أن نجاهد بقوة واصرار ..

ثم عرض المؤلف بعد ذلك للجهد البدنى وهو فى الاسلام لا يمكن ان تكون له قيمة منفصلة عن مضمونه ، فاذا كانت هناك أخلاق ترى فى الألم النازل بأجسادنا ، من حيث هو قيمة

البقية ص ١٠٢

قصة من الواقع

وليمة أصفهانية

للواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

كانا صديقين حميمين ، أحدهما تاجر من طهران والآخر تاجر من اصفهان ربطت بينهما المعاملات التجارية المادية ، فكان كل واحد منهما يشهد لصاحبه بالاستقامة في المعاملة المادية .

وفي يوم من الأيام ، اتفقا أن يزورا معا الديار المقدسة والمسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة ويؤديا فريضة الحج ، ويعودا معا إلى بلادهما : لا يفترقان ويتعاونان على البر والتقوى ، ويشد احدهما عضد أخيه ويعينه على تحمل مشقات السفر الصعب الطويل .

ولم تكن في تلك الأيام سيارات وقطارات وطائرات تقطع المسافات الشاسعة بوقت قصير ، وتجعل السفر الشاق مريحا ، بل كانت الخيل والجمال والحمير والبغال هي وسائط النقل للموسرين ، وكانت الأقدام هي الوسيلة الوحيدة لتنقل المعسرين .

وكان في كل بلد اسلامي رئيس قافلة معتمد ، وكانت القوافل من شتى البلدان الاسلامية ، ومعها حرس خاص من الجنود النظاميين او من الجنود غير النظاميين ، لحماية القوافل المتوجهة الى الديار المقدسة والعائدة منها ، وكانت الطرق محفوفة يومذاك بالأخطار ، مهددة بقطاع الطرق واللصوص ، وقصد الصديقان رئيس قافلة مشهورا بشجاعته

واماتته ، فضمن لهما حمايتهما حتى يعودا سالمين الى بلادهما بعد أداء فريضة الحج ، وضمن لهما حملهما على دوابه ذهابا وإيابا .

وكان يوم خروج قوافل الحجاج من البلدان الاسلامية يوما مشهودا تعطل فيه المدارس والأعمال ، ويتجمع الناس لوداع الحجاج ، وتشارك الحكومة في احتفالات التوديع وتدق الطبول وتصهل الخيول ، ويوزع المال والطعام على الفقراء والمحتاجين ، ويتعالى التكبير والتهليل .

وكما كان يوم خروج القوافل من البلدان الاسلامية يوما مشهودا ، كذلك كان يوم عودتها ، مع فارق بسيط هو أن التوديع تتخلله بعض العبرات ، والاستقبال تتخلله الزغاريد .

وقدم الاصفهاني الى طهران ، وانضم الى قافلتهما مع صاحبه الطهراني ، وخرجت القافلة مودعة باحتفال مهيب ، واتجهت من مرحلة الى أخرى سالكة الطريق البرى : طهران ـ خانقين ـ بغداد ـ النجف ـ جميجمة ـ حائل ـ المدينة المنورة ـ جدة ـ مكة المكرمة ـ عرفات .

وكان هذا الطريق البرى الذى كان ولا يزال يسمى طريق الست زبيدة ـ زوجة هرون الرشيد ـ عامرا بالخانات والبيوت وأحواض الماء ومراكز الشرطة ، وكان أقرب الطرق المؤدية الى الديار المقدسة لحجاج العراق والخليج العربى والمشرق الاسلامى .

ـ ٢ ـ

لم تخل رحلة الصديقين من منغصات ، فقد اصيب احدهما بالمرض حتى اشرف على الموت ، وتعرضت القافلة لهجمات اللصوص وقطاع الطرق ، وحدثت مشاكل يومية مع المسافرين والمسئولين عن القافلة ، فكان احدهما يحب لأخيه ما يحب لنفسه، بذل كل واحد منهما أقصى جهده بكل اخلاص لمعاونة صاحبه .

والصداقة تقوى وتشتد فى أيام الشدة والعسر ، أكثر مما تقوى وتشتد فى أيام الرخاء واليسر ، وهكذا توطدت صداقتهما واصبحت راسخة الأركان .

ورفقة الحجاج تؤدى الى صداقة لا تنسى ، فكل مودة لله تصفو .

وكان أحدهما يقول لصاحبه : كيف استطيع فراقك بعد العودة الى الوطن ، فاسكن بلدا وتسكن بلدا ؟

وتعاهد الصديقان فى البيت الحرام ، ان يتزاورا باستمرار ، والا ينسى أحدهما الآخر ، بعد العودة الى الوطن .

وعادت قافلتهما من الديار المقدسة ، بعد ان صادف افرادها الأهوال فى الطريق ، وكان قد مضى على خروجها عام كامل .

وسارع الأصفهانى بعد وصول قافلته الى طهران بالسفر الى بلده ، فقد كان بشوق غامر الى أهله وذويه .

وودعه صاحبه الطهرانى ، وسار معه الى مشارف المدينة وذكره

بوعده الذي قطعه على نفسه في البيت العتيق أن يزور صديقه في طهران بأسرع وقت وأقرب فرصة .

ووصل الى مدينة أصفهان ، وأمضى مع أهله ثلاثة أشهر وكأنها ثلاث سنين فقد كان على أحر من الجمر شوقا الى صاحبه الطهراني ورتب أمور متجره ، وقضى ما عليه من حقوق ، ثم يمم شطر طهران .

وكانت الحياة حينذاك سهلة بسيطة ولم تكن صعبة معقدة ، فقد عقدت المدنية الحديثة الحياة ، وضاعفت متطلباتها الضرورية ، وكانت أكثر الضروريات اليوم لا يعرفها الناس ولا يعتبرونها ضرورية أو غير ضرورية ، وكان بإمكان الرجل أن يعمل أياما ليعيش برفاه وسعة شهورا ، لذلك عاد الاصفهاني الى طهران بعد ثلاثة أشهر من وصول أصفهان ، وكان في نيته أن يمكث في ضيافة صديقه الطهراني وقتا غير قصير .

— ٣ —

ولمح الطهراني صديقه الأصفهاني مقبلا ، فوثب لاستقباله مهرولا ، واخذه بالأحضان مقبلا .

وكان الطهراني في متجره ، يحاور أحد كبار التجار في صفقة كبيرة ، فاعتذر من ذلك التاجر قائلا : نؤجل الصفقة الى موعد آخر ، فقد شغلني عن الصفقات والبيع والشراء حضور صديق العمر .

وعمد الى متجره ، فاغلق ابوابه ، وقاد صديقه الى داره هاشا باشا مستبشرا فرحا ، مكررا عبارات الترحيب الحارة .

وفي الدار ، استضاف صديقه في غرفة نومه ، وصرف زوجته منها ، وجعل ذلك الصديق يرقد في سرير زوجته زيادة في الترحيب والاكرام .

وحين حل موعد الغداء ، وكان الطهراني قد حشد أصنافا من الطعام الفاخرة بما لا يقل عن عشرين صنفا ، وحشد نحو خمسين مدعوا من كرام الناس .

وكان يقدم صديقه الاصفهاني للمدعوين واصفا اياه بانه صديق العمر، وان زيارته أمل العمر .

وكما فعل في وجبة الغداء ، فعل في وجبة العشاء ، ولم يذهب الى متجره في ذلك اليوم ، ملازما صديقه ملازمة الظل للانسان السائر في الشمس .

وبالغ في اكرام ضيفه مبالغة نادرة : يصب الماء على يديه ويقترح عليه تبديل ثيابه ودخول الحمام ، ويتمنى على صديقه أن يطلب خدمة من الخدمات .. الخ ..

ومضى اليوم الأول ، متجر الطهراني مغلق وأعماله معطلة ، وبيته يعج بالضيوف وأصناف الطعام ، وزوجته غاضبة ، وأهله منهكون ، وجميع أهل الدار يتمنون على الله أن يرحل عنهم هذا الضيف الثقيل .

ولما آوى الصديقان الى غرفة النوم ، سأل الطهراني صاحبه الأصفهاني : لعلك رضيت عن وليمتي الغداء والعشاء .

وقال الاصفهاني : أن ولائمك ممتازة ، ولكنها ليست اصفهانية ..

وظن الطهراني أن صاحبه لم يرض عن ولائمه فعزم في نفسه أمرا .

حشد في وليمة الغداء خمسين صنفا من أصناف الطعام الفاخر ، ودعا نحو مائة شخصية سياسية وعلمية .

وكرر هذا الحشد الضخم من الطعام والناس في وليمة العشاء .

وبالغ في اكرام ضيفه مبالغة لا توصف .

ولما آوى الصديقان الى غرفة النوم ، سأل الطهراني صاحبه الاصفهاني (لعلك رضيت عن ولائم اليوم) .

وقال الأصفهاني (ان ولائمك فاخرة ولكنها ليست اصفهانية) .

— ٤ —

وظن الطهراني أن صاحبه لم يرض عن ولائمه منتقصا قدرها بقوله : (ليست اصفهانية) ، وكأنه لم يستطع أن يأتي بما يفعله الاصفهانيون في ولائمهم .

وعزم أن يرضي صاحبه الاصفهاني في ولائمه التي سيولمها في اليوم الثالث من زيارة صديقه الحبيب .

وكان اليوم الثالث من أيام الضيافة يوما نادرا مشهودا من ايام طهران في اقامة الولائم والبذخ في أصناف الطعام وعدد المدعوين .

حشد في وليمة الغداء والعشاء كل صنف من أصناف الطعام المعروفة في طهران .

حشد لإعداد الولائم كل طباخ مشهور وغير مشهور في طهران .

ودعا لتناول الطعام مع ضيفه كل سياسي وعالم ومفكر ووجيه حتى بلغ عدد المدعوين ألف رجل أو يزيدون .

ولما آوى الصديقان الى غرفة النوم ليلا ، سأل الطهراني صاحبه الأصفهاني (كيف وجدت وليمتي اليوم ؟) .

وقال الأصفهاني (انها فذة حقا فاخرة حقا ، ولكنها ليست اصفهانية) .

وفي صباح اليوم التالي اسرج الاصفهاني بغلته وودع صديقه ، وسافر الى أصفهان .

وتنفس الطهراني الصعداء فقد أنفق على ولائمه مبالغ ضخمة من المال وعطل متجره وفارق زوجته في الفراش وتنفس الصعداء أهل الدار ، فقد كادوا يموتون من الاجهاد والإعياء . وقال الطهراني في توديع الأصفهاني (سأزورك وشيكا في أصفهان لأرى ولائمك الاصفهانية) .

— ٥ —

وبعد أيام معدودات سافر الطهراني الى اصفهان ، وهو اشد ما يكون شوقا لرؤية الوليمة الاصفهانية كيف تكون . كان الاصفهاني في متجره يبيع ويشتري حين وصل صديقه الطهراني ، وكان يحاور تاجرا كبيرا لعقد صفقة تجارية ، فقام مرحبا بصاحبه ، ثم استأنف محاورته مع التاجر الكبير .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر ، وهو موعد اقفال المتجر ، نهض

الأصفهانى وأغلق متجره وقاد صديقه الى داره .

وفى الدار أدخله الى غرفة الضيوف ، ولم تكن الفنادق شائعة حينذاك ، وكان فى كل دار كبيرة غرفة معدة للضيوف ، وكل غرفة من تلك الغرف تحوى العديد من سرائر النوم والأغطية .

وفى تلك الغرفة قال لصديقه (اختر لنفسك سريرا تنام عليه ، وساعود اليك بعد دقائق لتناول طعام الغداء) .

وعاد الأصفهانى ، وسأل أن يأتوهما بالغداء ، وكان الغداء بسيطا هو المتيسر فى الدار من طعام .

وبعد تناول الطعام استأذن صاحبه قائلا له (ساذهب الى المتجر الساعة السادسة بعد الظهر كما أفعل كل يوم ، وسابقى هناك حتى الساعة الثامنة ، فان شئت رافقتنى ، وان شئت أتيت وحدك ، وان شئت ذهبت الى المقهى ، وان شئت تجولت فى البلد ، وان شئت بقيت فى الدار .. انت حر) .

وفى الساعة الثامنة مساء عاد الأصفهانى الى الدار ، فطلب العشاء ، وكان بسيطا اعتياديا هو ما يقدم للأهل كل يوم .

وقدم الفطور للضيف فى صباح اليوم التالى فتناوله الطهرانى وحده فى غرفة الضيوف وتناول الأصفهانى فطوره مع أهله .

وتكرر ذلك ثلاثة أيام طعام الفطور والغداء والعشاء اعتيادى بسيط ، والأصفهانى يذهب الى متجره صباحا ومساء كالمعتاد ، ولا احد فى دار الأصفهانى يعرف بوجود الضيف وهويته لأن الأصفهانى لديه فى كل يوم ضيوف يتناولون الطعام الاعتيادى الذى يتناوله أهله فى الدار سواء بسواء .

كان كل شىء بالنسبة للأصفهانى طبيعيا عفويا غير متكلف ، ولكن لم يكن كل شىء بالنسبة للطهرانى طبيعيا فقد كان يعلل نفسه كل يوم بوليمة اصفهانية ، وحين لا يجد تلك الوليمة التى طال شوقه اليها وانتظاره لها ، يختلق لنفسه المعاذير فيقول ربما أهله مرضى ربما ستكون الوليمة غدا ، ربما يتهيا لها الأصفهانى ويعد لها العدة . ربما .. ربما ..

ومرت بضعة أيام ، وطعام الفطور والغداء والعشاء اعتيادى جدا ، يقدم للضيوف ما يقدم لأهل الدار .

ونفد صبر الطهرانى ، فقال لصديقه الأصفهانى (متى موعد الوليمة الأصفهانية ؟ لقد بذلت كل جهدى فى الولائم الطهرانية ولكنك على ما يبدو فضلت عليها الولائم الأصفهانية وقد طال شوقى لرؤيتها وتذوقها ، فمتى احظى بوليمتك المرتقبة ؟) .

وضحك الأصفهانى حتى استلقى على قفاه وبعد ان سكت عنه ضحكه قال (ياصاحبى كل يوم فى كل وجبة من وجبات الطعام ، تقدم اليك وليمة أصفهانية) .

لم أكن اقصد حين كنت اقول لك عن ولائمك بانها ليست وليمة اصفهانية .. ان ولائمك غير فخمة ولا فاخرة كنت اقصد انها ولائم متكلفة،

لاننا في اصفهان لا نتكلف لضيفنا .

انني حين قدمت طهران ضـيفا عليـك ، عزمت على ان ابقى فى ضيافتك ثلاثة أشهر على الأقل .

ولكننى حين رأيت ولائمك المتكلفة وتصرفك المتكلف قطعت زيارتى بعد ثلاثة أيام رحمة بك وشفقة على عيالك .

وأنت اليوم اذا بقيت ضيفى ثلاثة أشهر أو ثلاث سنين ، فلن تكلفنى شيئا ولن يشعر بوجودك احد من أهلى .

ان أهلى سبع عشرة نسمة بين ذكور واناث ، ولن يزيد عليهم ضيف أو ضيفان أو ثلاثة ضيوف شيئا فى طعامهم أو شرابهم .

وحين أقدم اليك ما اقدمه لأهلى من طعام ، فقد رفعت اخوتك الى منزلة الولد والوالد والوالدة والزوج .

تلك هي الوليمة الأصفهانية .

إننا أمة الولائم ، نقضى فى اعدادها وقتا طويلا وننفق عليها المبالغ الجسيمة ، ونتحمل من اجلها ما لا نطيق ونحن على النطاق الاجماعـــى والفردى ، نسرف فى الولائم اسرافا لا مســوغ له ، على حســاب المال الذى يذهب بددا ، وعلى حساب الوقت الذى يذهب سدى .

ما ضرنا لو جعلنا ولائمنا أصفهانية لنوفر على انفسنا المال والجهد ، وعلى أهلنا المشقة والتعب ، وعلينا وعلى الضيوف الوقت الثمين .

ما ضرنا لو أنفقنـــا المال الذى يبـــدد فى الولائم لاسعاد الفقـــراء والمحتاجين ، والوقت الذى ينفق فى اعدادها وشهودها فيما ينفع الناس .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلف لضيفه .

وحسبنا رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام قدوة حسنـــــة ومثالا شخصيـــا .

وحسبك اكراما للضيف أن تقدم له ماتقدم لأهلك .

إن الذين يسرفون فى تقديم الطعام للمتخمين الذين ليسوا بحاجـــة اليه ، هم غير كرماء .

إن الكريم حقا هو الذى يقدم الطعام للمحتاجين اليه والمحرومين منه ، فمتى نضع الأمور فى نصابها الصحيح ؟.

ان اطعام الاثرياء اسراف واطعام الفقراء كرم ، والكرم محمود ، والأسراف مذموم .

ومن المؤلم حقا ، ان الولائم الفاخرة من حظ الاغنياء ، اما الفقراء فليس لهم إلا الجوع .

فهل يمكن أن نصف الذين يولمون الولائم الفاخرة للاغنياء والمتخمين بانهم كرماء ؟ أم يجب أن نصفهم بصفات أخرى منها الاسراف .. والنفاق ؟ .

جديرة بأن تطلب لذاتها ، أو باعتبارها نظاما لنجاة النفس فان هذه ليست أخلاق القرآن على وجه التأكيد ذلك أن هذه الأخلاق لا ترى أن يبحث الانسان عن الألم البدنى صراحة فضلا عن أن تأمر به فهى قد فرقت تفرقة واضحة بين الجهد البدنى الذى يتضمنه واجب مقرر أو الذى يصحبه من وجه طبيعى ، وبين جهد مندوب هو ابداع خالص لهوى أنفسنا ، إن هذه الأخلاق ترفض هذا النوع الاخير من الجهد وتحرمه .

ثم يقرر المؤلف فى نهاية هذا البحث أنه لو افترضنا أن الانسانية سوف تبقى أبدا ، وانها سوف تغير ظروف حياتها الى ما لا نهاية فاننا نؤمل أن تجد فى القرآن — أنى توجهت — قاعدة لتنظيم نشاطها أخلاقيا ، ووسيلة لدفع جهدها ورحمة للضعفاء ، ومثلا أعلى للأقوياء .

اذا كانت الفصول الخمسة التى سبقت قد عالجت الجانب النظرى فى الموضوع ، فإن المؤلف بالنسبة للجانب العملى اكتفى بتقديم نماذج قرآنية فى فصول خمسة أخرى سريعة عرض فيها : الأخلاق الفردية والأخلاق الأسرية والأخلاق الاجتماعية وأخلاق الدولة ، والأخلاق الدينية ، ثم بعد ذلك اجمال أمهات الفضائل الاسلامية التى يميز بها القرآن المسلم الحق ..

وبعد :

فقد حرصت على قراءة الكتاب أولا ، قبل قراءة : مقدمتى المراجع والمعرب ، ثم سألت نفسى : هل تجود الأيام بعقلية كعقلية المغفور له الدكتور دراز ؟ وهل كان أو سيكون فى مقدور غيره أن يقدم الى المكتبة الاسلامية دراسة كهذه ؟ وهل هناك سر جعل من هذه الدراسة دراسة على أعلى المستويات وأرفعها ؟ وأرجأت الاجابة عن السؤالين الأولين ، ووجدت الاجابة عن السؤال الثالث ، فى كلمة المعرب اذ يقول : (والحق أن المؤلف فيما أرى — لم يكن يكتب هذا العمل على أنه مجرد وسيلة الى هدف ، هو نيل اجازة دكتوراه الدولة فى الفلسفة من السوربون ، فقد كان بوسعه أن يحقق هدفه بأقل مما بذل من جهد ، ولكنه كان يحمل فى ضميره رسالة هذا الدين) .

وأضيف : لقد أدى العالم الجليل واجبه وحسبه من العقوق لفكره العظيم ، أن ظل عمله الكبير فى انتظار التعريب زهاء ربع قرن ولست أدرى بعد انجاز المهمة الصعبة ان كانت جامعاتنا الاسلامية وفى مقدمتها جامعة الأزهر سيقدر لها أن تفيد من هذه الدراسة المقارنة أم أن العقوق الذى رافق النص الفرنسى سوف يشمل النص العربى أيضا ؟

وكلمة إنصاف لا بد منها الحق : ان الدكتور عبد الصبور شاهين الذى قام بمهمة الترجمة ، لم يقم بعمله كما يقوم بأعمالهم سائر المترجمين وإنما بذل جهدا واضح الأثر فى الدراسة ، ولقد عايش النص بعقله ووجدانه واقتنع بالعمل العظيم ، لذلك جاء جهده مشكورا ، وجديرا بكل تقدير ؟

الفتاوى

الحراس وصلاة الجمعة

السؤال :

أنا حارس من حراس الأسواق ، وفى يوم الجمعة لا أتمكن من صلاة الجمعة لأن طبيعة عملى تقتضى المرور بصفة مستمرة على المحلات ، فهل يعد هذا عذرا شرعيا يسقط عنى صلاة الجمعة ؟

الإجابة :

اذا تعارضت حراسة المتاجر مع صلاة الجمعة سقط وجوبها عنك ، وعليك أن تصلى الظهر بدلا منها .

الميراث

السؤال :

توفى رجل عن زوجة واخت شقيقه وعمين وابن عم ، وليس له أولاد فما نصيب كل منهم ؟

الإجابة :

للزوجة الربع فرضا وللأخت النصف فرضا ، والباقى لعميه ان كانا شقيقين أو لأب أما اذا كان أحدهما شقيقا والآخر لأب فللشقيق الباقى ولا شىء للأخ لأب ، ولا لابن العم لحجبهما بالأخ الشقيق .

السؤال :

توفى رجل وترك بنتا وبنات أخت وبنات اخ فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ؟

الإجابة :

البنت تأخذ النصف فرضا ، وتأخذ النصف الباقى ردا ، ولا شىء لبنات الأخ ولا لبنات الأخت لأنهن من ذوى الأرحام .

خروج الخطيب مع خطيبته

السؤال :

ما حكم الشرع فى خروج الخطيب مع خطيبته للتنزه وما حكم الدين فى دبلة الخطوبة ؟

الإجابة :

خروج الخطيب مع خطيبته من غير أن يكون معها محرم حرام شرعا ، لما يترتب عليه من الخلوة التى نهى عنها الشرع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والخلوة بالنساء » ، أما دبلة الخطوبة فإذا كانت من الذهب حرمت على الرجل دون المرأة ، وإذا لم تكن من الذهب حل للرجل لبسها .

الدعاء بعد التشهد الأخير وقبل السلام

السؤال :

ماهى الأدعية والأذكار التى يستحب للمصلى أن يدعو بها بعد التشهد الأخير وقبل السلام ، وماهى الأذكار التى يستحب له أن يقولها بعد السلام ؟

الإجابة :

يستحب للمصلى أن يدعو بعد التشهد الأخير وقبل السلام بما شاء من خيرى الدنيا والآخرة فعن عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد الأخير ثم قال فى آخره : ثم لنختر من المسألة ما نشاء ، والدعاء بأى لفظ مستحب مطلقا إلا أن الدعاء بالوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل ، ومن الأدعية الواردة ما روته عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الرجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم » .

وعن على رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام الى الصلاة يكون آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : « اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما انت أعلم به منى ، انت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » .

ومن الأذكار والأدعية الواردة بعد السلام ما رواه ثوبان رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا ثم قال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام » .

ومنها ما رواه عبد الله بن الزبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم فى دبر كل صلاة يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا نعبد إلا إياه ، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » .

بريد الوعي الإسلامي

إعـــداد : عبد الحميد رياض

إن الدين عنـــد الله الإسلام

يقول الله تعالى : ((إن الدين عند الله الإسلام)) فما المراد من هذه الآية وما موقف الإسلام من الأديان السابقة ؟.

حاتم ابو داود ـــ الأردن

المفهوم من الآية الكريمة « إن الدين عنـــد الله الإسلام » أن جميـــع أهـــل الأديان السابقة على الاسلام مدعوون الى الإسلام ، فهو دين الله الحق وكل من حاد عن هذا الطريق مبتغيا عقيـــدة أخرى أو منهجا آخر أو متصورا الهداية فى غيره أو متخذا خطا يعتقـــد أن الاهتداء فيه ، لا شك انه قد جانب الهـــداية وترك الجادة وسار بخطى واسعة الى الضلال والجاهلية ووضـع نفســـه فى حيرة لا تنتهى الى صواب .. فالدين الذى ارتضاه الله لعبـــاده وفيه جمـــاع الخير وبه خلاص النفوس من الزيغ والهوى والالتواء ، وبه ينال الإنســـان خيرى الدنيا والآخرة هو الاسلام وذلك لأمر الله الذى لا يتخلف ولا يتبدل ، ولقراره الفاصل فى هذه القضية الإيمانية وحتى لا يكون هناك مجـــال لتخمين قوله تعالى : **((ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه))** .

ومن يبتغ غير الاسلام وهو الاستسلام والطاعة لأمر الله والاتبـــاع لنبيه فليس بمسلم يعنى كان ، فعبادته مردودة عليه مضروب بها وجهه .

ولذلك يوحى الله الى رسوله : **((فان حاجوك فقلت أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أســـلموا فقد اهتـــدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد))** .

والإسلام ما جاء أبدا ليقول إن الأديان السابقة كاذبة أو كانت من خيال السابقين وانها غير مؤيدة من الســـماء أبدا ما جاء الإسلام ليقول ذلك ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ عن الله الاسلام للناس ما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى يعلم أن الله انزل التوراة على موسى والإنجيـــل على عيسى وهو الله الذى أنزل القرآن ، وكل هذه الكتب السماوية المنزلة علـــى الأنبياء تستهدف غاية واحدة هى هداية البشر وتنشد هدفا واحدا هو إثبات وحدانية الله وتخليص النفوس من شوائب الشرك بالله ، وجاء الاسلام على هذا النهج ، ولكن الأولين من أهل الكتاب حادوا فقالت اليهود عزير ابن اللـــه ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وكذلك اتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله **((اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله))** .

ومن هنا يتضح موقف الاسلام من اليهودية المؤلهة للعزير ، والمســـيحية المؤلهة لعيسى ابن مريم ، فالإسلام دين التوحيـــد الخالص ، ولا مكان لعبوديـــة

فيه إلا لله ، وهذه شريعة موسى وعيسى أيضا ، ولكن القوم من بعدهما بدلوا وغيروا وأحلوا وحرموا وعبدوا من دون الله ما لا ينفعهم شيئا ولا يضرهم ، وفعلوا ما لم يأمر به الله ، فضلوا وأضلوا وغرهـم فى دينهم ما كانـوا يفترون فما هم بأهل كتاب وليسوا بمؤمنين وهم على غير دين ، ولو كانوا أهل كتاب أو دين كما يدعون للبوا دعوة الحق عندما يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم فيتولون معرضين فى غرور واستعلاء ((**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**)) ((**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**)) هذا هو موقف الاسلام من كل الأديان السابقة عليه وموقفه من كل من يتخـذ لنفسه منهجا يخالفه وهديا غير هديه .

الطواف حول الكعبة والوقوف بعرفة

أرجو أن توضحوا لى حكمة الطواف حول الكعبة المشرفة والوقوف بعرفة ؟
عبد الله الخطيب ـــ سوريا

لما كانت منزلة البيت الحرام من الاجلال والتعظيم لا تفوقها منزلة ، ولما كان البيت الحرام قد أقيم فى أشرف بقعـة من الأرض ، وكان أول بيت وضع لتمجيد الخالق سبحانه وتوحيده ((**إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا**)) .
شرع الله له التحيـة المشعرة بإجلاله واحترامه ، وهذه التحيـة هى الطواف حوله .. هذا بالاضافة الى فعل الرسول الثابت وطوافه حول الكعبة وأمره المسلمين بذلك .

ومعلوم أن البيت حجر لا يضر ولا ينفع غاية الأمر أننا نعظمه تعظيما لأمر الله عز وجل ، وكل ما يذكر عند الطواف إنما هو تعظيم لله واقرار له بالوحدانية وتسليم له بالربوبية وتنزيه عن الشرك والشركاء .
وكذلك الوقوف بعرفة إنما هو اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كذلك سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وشعارا بفضله يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلت وقالت الأنبياء قبلى عشية يوم عرفة لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير » .

ومهما قيل حول مشروعية هذه المناسك وحول استنباط الأسباب والدوافع والحث على أدائها ، فالقول الفصل فى هذا أنها أمور تعبدية ، تعبدنا الشـارع الحكيم بها نؤديها طاعة لله وامتثالا لأمره وتعظيما لشعائره .

بأقلام القراء

التصـــــوف

يقول ابن خلدون : انه من العلوم الشرعية وأصله العكوف علـــى العبادة والانقطاع الى الله والاعراض عن زخرف الدنيا اتباعا لسلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ويقول التشتورى (التصوف ليس رسما ولا علما ولكنه خلق لأنه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة ولو كان علما لحصل بالتعليم ولكنه تخلق بأخلاق الله ولن تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم ولا برسم) .

وقال بعض المعاصرين أن التصوف هو علم الأخلاق وعلم النفس والقول بان التصوف هو الخلق انما يجعل منه علما للأخلاق ولكنه مع هذا أشد ما يكون حاجة الى علم النفس التى تصدر عنه هذه الأخلاق ولقد ظن البعض أن مـــن اهداف الصوفية الابتعاد عن الدنيا وطيباتها كما ظنوا أيضا أن الصوفية انصراف عـــن الدنيا ونسيان أن الدنيا مزرعة للآخرة .

ولكن صفوة الصوفية قالوا بأن التعب فى طلب العيش يكفر ذنوبا لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا حج وردوا ذلك الى أعمال النبى صلى الله عليه وسلم وكيف أنه كان قدوة طيبة للانسان العامل فقد كان يشتغل بالتجارة ولم يصرفه ذلك عن استخلاص نفسه والتوجه نحو الخالق بالعبادة والصلاة دون أن يعتكف فى مكان ضيق من الأرض .

ولقد رسم الصوفية الطريق الأولى للوصول الى الله سبحانه وتعالى ولا بد للمريد من أن يجتاز أعتابها والعتبة الأولى التوبة وهى الشعور بالخطيئة والعزم الأكيد على الإقلاع عنها وبالتوبة تتفتح البصيرة وينشرح الصدر والعتبة الثانية أخذ العهد وهو رباط وثيق بين المتعاقدين على طاعة الله وتزكية النفس مما علق عليها من الطمع والغرور ووسوسة الشيطان .

والعتبة الثالثة الورع وهو مقام الانصراف عن اللذات الشهوانية والتزام الطيب من القول والحلال من الرزق والقناعة .

والعتبة الرابعة الخوف : والخوف ينبعث من الورع والبعد عن مانهى الله عنه وامتثال أوامر الله تبارك وتعالى ، والخوف يسوق صاحبه الى المواظبة على العلم والعمل وهو الذى يكف الجوارح عن المعاصى ويقيدها بالطاعات .

والعتبة الخامسة : الخلوة وهى بمثابة المحراب لمريد الصلاة وقد تطهر من الأدناس وأقبل على ربه تائبا يرجو رحمته ويخشى عذابه .

والعتبة السادسة : الزهد وهو انصراف الهمة الى الله وتخلى القلب عن الدنيا واحتقار ما فيها من طعام ، وليس الزهد أن يترك الدنيا وهى فى قلبه بل الزهد أن يتركها من قلبه وهى فى يده ، وليس الزهد الانقطاع فى الصوامع والمساجد فالله سبحانه وتعالى يناجى فى الحقل ويناجى فى المصنع والمتجر وفى كل مكان .

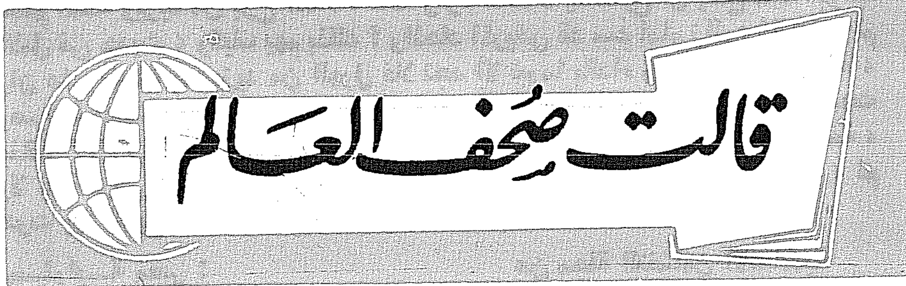
وهناك عتبات أخرى كالصبر والرضا والمراقبة والتوكل وذكر الله .

بهذه العتبات تصل نفس المؤمن بما غرس فيها من تلك الفضائل الى مراحل العبودية ثم مرحلة الحب الإلهى ويزداد الحب كلما ازداد الايمان وعلى مقدار الحب تكون السعادة ويكون النعيم .

والتصوف الحق هو طريق الاسلام لأنه طريق الأولياء والصالحين الذين قال الله عنهم (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال (ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) ومن أخلاق المتصوفة : التواضع وعدم التكبر وقال الجنيد فى ذلك التواضع و (خفض الجناح ولين الجانب) كما أن من أخلاقهم الحب والايثار والنجدة وقد شرح شاب صوفى لأبى يزيد البسطامى حد الايثار عند الصوفية بقوله (اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا) وقال ابوحفص الصوفى (الإيثار هو أن يقدم حظوظ الاخوان على حظوظه فى أمر الدنيا والآخرة كما أن من اخلاقهم أيضا تلبية النداء ومعاونة الأخ لأخيه لا لغرض وإنما لوجه الله).

فالصوفية هى طريق الله الى الحب الى خلق مجتمع انسانى متعاطف متعاون مجتمع تسوده المحبة والتعاطف مجتمع يؤمن بالتكافل الاجتماعى ويؤمن بالأخلاق ، الأخلاق التى هى عماد المجتمع ، الاخلاق التى هى طريق الوصول الى مجتمع انسانى نظيف ، ان الاخلاق الصوفية دعوة الى مجتمع شعاره الحب والتواضع والإيثار والمساواة والمجتمع الذى يتصف أبناؤه بهذه الصفات انما يكون مجتمعا طيبا يؤتى أطيب الثمرات ويعود على أبنائه بالخير .

فالتصوف وسيلة الى البناء والتعمير وسيلة الى تحقيق مجمتع مثالى والتصوف مدرسة لتربية العادات الطيبة وثورة على العادات البالية والصفات الكريهة التى تضعف من الايمان وتنشر الفرقة والانقسام ان التصوف ثورة على الفساد ودعوة الى الحق والعدالة ومتى تمسك المسلمون باخلاق السلف الصالح ومتى آمنوا وصدقوا وراقبوا الله نجحوا فى حياتهم وآخرتهم وانتصروا على أعدائهم ، لقدانتصر المسلمون الأولون وعددهم قليل على الجماعات الكافرة التى جاءت من كل مكان ، ولكن الايمان ينتصر ، وكتب الله أن النصر لمن أطاعه وأن الهزيمة لمن بعد عن الصراط السوى وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه وهدانا طريق الخير طريق الحب .



الايحـــاء الـــدينى :

للايحاء الدينى اثره الهام فى تقوية النفوس الضعيفة ، ورفع الروح المعنوية فى الشعوب والأفراد ، لأن المتدين المؤمن الذى يركن فى جميع أموره الى قوة كبرى مسيطرة على الكون تجرى كل شىء وفق قانون عادل رحيم ، وقد يخفى علينا فى بعض الأحوال البعيدة ، ولكن عدله لا يخطىء ورحمته لا تنقطع ، هذا المؤمن المتدين يجد سلواه المطمئنة فى اللجوء الى الله رافعا أكف الضراعة اذا حزبه الخطب فتتسع أمامه منادح الأمل ويثق فى غده المقبل ، وثوق من يعتقد أنه يأوى الى ركن شديد .

تصور شخصين داهمهما المرض المفاجىء ، فناما على سريرين فى حجـرة واحدة ، بمستشفى عام واحدهما يؤمن باسلامه ويثق فى ربه ، ويراه عونه فى الشدائد وعدته فى النائبات ، وثانيهما اضله الله على علم فانحرف الى الالحاد وكفر بوجود خالق يرعاه ويكلؤه ، تصور هذين المريضين وقد نزل بهما المرض نزولا خطيرا لاحت نذره ، وابرقت دواهيه ، وتصور ما يجول فى خاطريهما معا ، فانك ستعرف أن المريض المؤمن له أمل فى السماء يشرق عليه بالأمن فهو يعتقد أن العلة مهما اعضلت ، وأن الداء مهما تفاقم فان قدرة الله عز وجل كفيلة بأن تحطم كل عائق ، وكما احيا الله الميت دون ان يعجزه شىء فى السموات والأرض فهو قدير على أن يبدد العلة تبديدا وان يسطع فجر العافية بعد ظلمات المرض واذ ذاك تشرق الابتسامة على وجهه ، ويفىء الرضا الى نفسه ، فاذا عاده عائد يشاركه شعوره الدينى وجده يحدثه بما يجول فى خاطره ، فاذا التفت الـى اقاربه المجتمعين حول سريره ، وجدهم جميعا يؤكدون له ما يعلمه من رعاية الله وقدرته فهو لطيف بعباده ، يرعى برحمته الدودة فى الصخرة والنملة فـى الجحر ، اذ وسعت رحمته كل شىء ، فكيف لا يسعف مؤمنا يلتجىء اليه ضارعا فى مأساته وهو نعم المولى ونعم النصير ، هذا الجو المؤمن المتعطر باريج الأمل يمد المريض بقوة ترتفع به فوق الألم حتى اذا تم الشفاء رجع الى اهله مغتبطا بايمانه ، فاذا كانت الآخرة وتحقق وشوك نهايته ازداد طعمه فى جنة ربه ، وعرف انه غفار وهاب يقول فى محكم كتابه : (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) .

أما المريض الآخر فتشتد به العلة وتحيط به الكارثة ، ثم لا يدرى الى من يلتجىء ويتجه ، فيتجهم له الناس ، وتنخفض قواه المعنوية انخفاضا يساعد على

تفاقم العلة ويزيد من برح الداء ، فاذا زاره عائد لا يستطيع أن يفتح معه أبواب الأمل فى حديث ، وكيف يهم بذلك ؟ والحاد المريض قد سد أمام زائره المنافذ ، ثم ران على نفسه بما يزيد من الهول فلا تجد الا تبرما بالداء ويأسا من النجـــاة ، وصراخا حاقدا متضرما لا يملس برد العزاء ، فاذا تحقق المريض منهم نهايته ، سدت منافذ الأمل فى وجهه ، واعتقد ان القبر حفرته النهائية فلا حياة قادمة مستانفة ، ولا جنة ترجى بسعادة ورضوان ، ان هو إلاصخرة تفتتت ذرات متضائلة ، ثم هوت بها الريح الى حيث لا التئام .

عن مجلة التضامن الاسلامية

مسئوليـــة مصر :

ان مسئوليتك يا مصر أوسع وأعظم من تادية رسالة الأدب وخدمة لغة العرب ، وما تجودين على الاقطار العربية الشقيقة برشحات الثقافة الأوربية وفتات المدنية الغربية ، انك بين آسيا وأوربا فانت ملتقى الثقافتين ومجمع البحرين انك وسط بين مهد الاسلام ومشرق نوره ، وبين مولد الحضارة الغربية ومبعث العلوم العصرية ، فعليك مسئولية القارتين ، وعندك رسالة الثقافتين .

فاما مسؤولية آسيا والأقطار العربية فلا تخرجين منها يا مصر حتى تكونى قنطرة تعبر عليها الى البلاد العربية تجارب أوربا وعلومها ونشاطها وكدحها فى الحياة وجهادها للبقاء ، هنالك تقومين برسالتك ووظيفتك لهذه البلاد العزيزة ، التى ترتبطين بها برابطة دينية وروحية وثقافية وسياسية .

واما مسؤولية أوربا فلا تخرجين منها حتى تبلغى رسالة الجزيرة العربية — وهى الاسلام الذى احتضنته من زمان — الى أوربا وحل المشاكل التى أعيت كبار المفكرين وأتعبت عظاء المشرعين ، وبذلك تؤدين واجبك المقدس نحو هذه القارة الأوربية التى استوردت منها شيئا كثيرا من العلم والمصنوعات والمنتجات ونظمت عليها مدنيتك وحياتك تنظيما جديدا ، وتحسنين اليها أكثر مما احسنت اليك وتصدرين اليها افضل مما صدرت اليك .

عن صحيفة الرائد الهندية

دينـــــا :

ان الدين بالنسبة لنا نحن المسلمين ليس ضمانا للآخرة فحسب انه اضحى سياج دنيانا وكهف بقائنا .

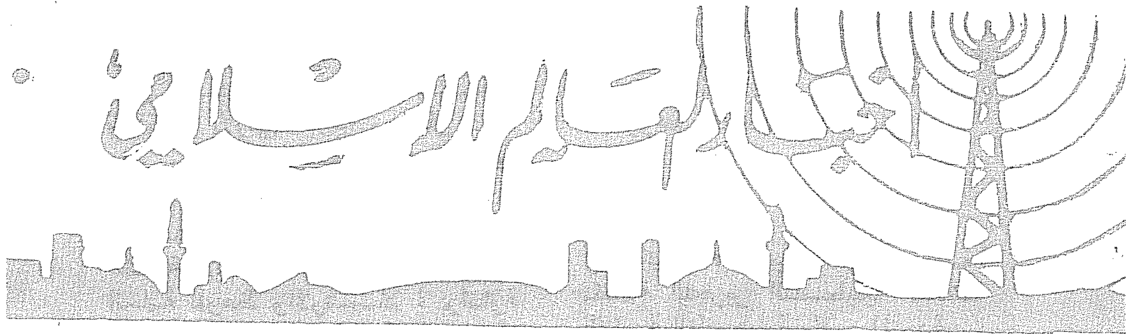
ومن ثم فانى انظر الى المستهينين بالدين فى هذه الايام على انهم يرتكبون جريمة الخيانة العظمى انهم دروا او لم يدروا يساعدون الصهيونية والاستعمار على بلدنا وشرفنا ويومنا وغدنا .. !!

فارق خطير بين عرب الأمس وعرب اليوم .

الاولون لما اخطاوا عرفوا طريق التوبة ، فاصلحوا شانهم ، واستانفوا كفاحهم ، وطردوا عدوهم ..

اما عرب اليوم فان الاستعمار الثقافى احدث تخريبا شديدا فى ضمائرهم وافكارهم ، وربما رايت الواحد منهم يبلغ الاربعين او الخمسين من عمره ولا يعرف كيف يصلى اما حصيلته من سائر المعارف الاسلامية فتتذبذب عند درجة الصفــر ..

عن صحيفة النور المغربية



اعداد الأستاذ : فهمي الامام

الكـــويت :

● يستقبل سمو أمير البلاد المعظم صبيحة يوم عيد الفطر المبارك وفود المهنئين بالعيد .

● سيقوم سمو أمير البلاد المعظـــم بزيارة رسمية لجمهورية مصر العربية تستغرق عدة أيام تعقبها زيارة خاصة لمدة سبعة أيام .

● يرأس سمو أمير البلاد المعظم وفد الكويت الى مؤتمر القمة العربي الذى سيعقد فى الرباط يوم ٢٦ أكتـــوبر الحالى .

● صرح معالى وزير الدولة الســـيد عبد العزيز حسين بأن تشكيل كتلة غربية ضد البلدان المنتجة للبترول لن يكون ذا فائدة فى حل أزمة الطاقة .

● أعلن رئيـــس الأركان للقـــوات المسلحة أن القوات الكويتية ستكون على أهبة الاستعداد اذا ما نشبت معركة جديدة ، وحـــذر سيادته من أساليب الدعاية الاستعمارية .

● سيزور الكـــويت الشـــيخ مجيب الرحمن رئيس وزراء بنغلاديش على رأس وفد رسمى ، وستتم الزيارة خلال الشهر القادم .

● منح الصندوق العربى للتنميـــة الاقتصـــادية والاجتماعية قرضـــا للصومال قيمته ٧٫٥ مليون دولار .

● شاركت الكويت فى احتفالات عيد النصر بجمهورية مصر العربية عـــن طـــريق وفد مجلس الأمـــة وبعض العسكريين .

● القى معالى الشيخ صباح الاحمـــد الجابر وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة كلمة الكويت أمام الجمعيـــة العامة للأمم المتحدة يوم ٩/٣٠ الماضى وكرس سعادة الوزير الجزء الأكبر من كلمته للحديث عن قضية فلسطين وعن الاجرام الصهيونى .

● عقدت اللجنة الدائمة للمعـــونات الاسلامية الخارجية اجتماعا برئاسة معالى وزير الأوقاف والشـــــئون الاســـلامية ، ونظـــرت فى عدد من طلبات المساعدة .

● قررت وزارة الأوقاف والشـــئون الاسلامية طباعة المحـــاضرات التى القاها البروفسور خورشيد أحمـــد خلال شهر رمضان باللغة الانكليزية .

مصـــــر :

● احتفلت جمهورية مصر العربيـــة على المستوى الرسمى والشـــعبى بالذكرى الأولى لحرب رمضان ... وقد شارك فى الاحتفال وفود رسمية من البلاد العربية .

● صدر قرار بانشاء وكالة لشئون الثقافة الاسلامية تشرف على الادارة العامة للوعظ والارشـــاد ، وادارة الثقافة والنشر ، وادارة البعـــوث والعلاقات الخارجية .

● جرت فى القاهرة مسابقة فى حفظ القرآن الكريم بين طلاب الجامعات المصرية وجامعة الأزهر .. ووزعت الجوائز على الفائزين .

● تقرر تشغيل ثلاث بواخر مصرية لنقل ٢٤ ألف حاج مصرى فى موسم الحج القادم ان شاء الله .

الســـــعودية :

● أمر جـــلالة الملك فيصل بصـــرف خمسين تذكرة طيران لأداء فريضـــة الحج هذا العام لخمسين مواطنـــا من ماليزيا اعتنقوا الاسلام مؤخرا .

● حذر وزير النفط السعودى من أن الدول العربيـــة ســـتقطع إمدادات البترول اذا نشبت حرب جديدة فـــى الشرق الاوسط .

وقال : إن هناك احتمال اندلاع مثل هذه الحرب ما لم يتم التوصـــل الى اتفاق حول إعادة الأراضى المحتلة وإعادة توطين اللاجئين .

ســـــوريا :

● احتفلت الجمهورية العربيـــة الســـورية بالذكرى الأولى لحـــرب رمضان .. وعمت الاحتفالات المدن السورية . .وصرح المسئولون بأن المعركة لم تنته بعد .. وانه لا بد من تحرير كل الأرض وإعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

فلســـــطين :

● وافقت ٦٧ دولة على دعـــــوة منظمة التحرير الفلسطينية لمناقشة القضية الفلسطينية بالأمم المتحدة .. ومن المنتظر أن يزداد عـــدد الدول الموافقة خلال الأيام القادمة .

المغـــــرب :

● استدعت وزارة الخارجية المغربية سفراءها فى البلاد العربية للاعـــداد لمؤتمر القمة العربى السابع ، والمقرر عقده يوم ٢٦ أكتوبر فى مدينـــــة الرباط .

أبو ظبى :

● تولى إمارة « الفجيرة » الشـــيخ حامد بن محمد الشارقىخلفا لوالده الذى انتقل الى جوار ربه .

... ...

نيجيريا :

● بلغ عدد سكان نيجيريا حـــوالى ثمانين مليون نسمة حسب إحصـــاء عام ١٩٧٣م منهم ٧٥٪ مسلمون .

بريطانيـــــا :

● تقـــوم المؤسسة الاسلاميـــة فى بريطانيا بتعـــليم الدين الاســـلامى للطلبة المسلمين فى ٦٣ مدرســـــة حكومية بريطانية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

ايام الاسبوع	شوال ١٣٩٤	اكتوبر ١٩٧٤	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)						المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)				
			فجر د س	شروق د س	ظهر د س	عصر د س	مغرب د س	عشاء د س	فجر د س	شروق د س	ظهر د س	عصر د س	عشاء د س
الاربعاء	١	١٦	٤ ٢١	٥ ٤٩	١١ ٣٣	٢ ٥٠	٥ ١٧	٦ ٣٥	١١ ٤	١٢ ٣٢	٦ ١٦	٩ ٣٣	١ ١٨
الخميس	٢	١٧	٢١	٤٩	٣٣	٤٩	١٦	٣٤	٥	٣٣	١٧	٣٣	١٨
الجمعة	٣	١٨	٢٢	٥٠	٣٣	٤٩	١٥	٣٣	٧	٣٥	١٨	٣٤	١٨
السبت	٤	٢٩	٢٢	٥١	٣٢	٤٨	١٤	٣٢	٨	٣٧	١٩	٣٤	١٨
الاحد	٥	٢٠	٢٣	٥١	٣٢	٤٧	١٣	٣١	١٠	٣٨	١٩	٣٤	١٨
الاثنين	٦	٢١	٢٤	٥٢	٣٢	٤٦	١٢	٣٠	١٢	٤٠	٢٠	٣٤	١٨
الثلاثاء	٧	٢٢	٢٥	٥٣	٣٢	٤٦	١١	٢٩	١٤	٤٢	٢١	٣٥	١٨
الاربعاء	٨	٢٣	٢٥	٥٣	٣٢	٤٥	١٠	٢٨	١٥	٤٣	٢٢	٣٥	١٨
الخميس	٩	٢٤	٢٦	٥٤	٣٢	٤٤	٩	٢٧	١٧	٤٥	٢٣	٣٥	١٨
الجمعة	١٠	٢٥	٢٧	٥٥	٣٢	٤٣	٨	٢٦	١٩	٤٧	٢٤	٣٥	١٨
السبت	١١	٢٦	٢٧	٥٦	٣٢	٤٣	٧	٢٦	٢٠	٤٩	٢٥	٣٦	١٨
الاحد	١٢	٢٧	٢٨	٥٧	٣٢	٤٢	٦	٢٥	٢١	٥٠	٢٥	٣٦	١٩
الاثنين	١٣	٢٨	٢٨	٥٧	٣٢	٤٢	٦	٢٥	٢٢	٥١	٢٦	٣٦	١٩
الثلاثاء	١٤	٢٩	٢٩	٥٨	٣٢	٤١	٥	٢٤	٢٤	٥٣	٢٧	٣٦	١٩
الاربعاء	١٥	٣٠	٢٩	٥٩	٣٢	٤١	٤	٢٣	٢٥	٥٤	٢٧	٣٧	١٩
الخميس	١٦	٣١	٣٠	٥٩	٣٢	٤٠	٣	٢٢	٢٧	٥٦	٢٨	٣٧	١٩
الجمعة	١٧	نوفمبر	٣١	٦ ٠٠	٣١	٣٩	٢	٢١	٢٩	٥٨	٢٩	٣٧	١٩
السبت	١٨	٢	٣١	١	٣١	٣٩	١	٢٠	٣١	١ ٠٠	٣٠	٣٨	١٩
الاحد	١٩	٣	٣٢	٢	٣١	٣٨	٠٠	١٩	٣٣	٢	٣١	٣٨	١٩
الاثنين	٢٠	٤	٣٣	٢	٣١	٣٧	٤ ٥٩	١٩	٣٤	٣	٣٢	٣٨	١٩
الثلاثاء	٢١	٥	٣٣	٣	٣١	٣٦	٥٨	١٨	٣٥	٥	٣٣	٣٨	٢٠
الاربعاء	٢٢	٦	٣٤	٤	٣١	٣٦	٥٨	١٨	٣٦	٦	٣٣	٣٨	٢٠
الخميس	٢٣	٧	٣٤	٤	٣١	٣٥	٤٧	١٧	٣٧	٧	٣٤	٣٨	٢٠
الجمعة	٢٤	٨	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٦	١٦	٣٩	٩	٣٥	٣٨	٢٠
السبت	٢٥	٩	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٥	١٥	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠
الاحد	٢٦	١٠	٣٦	٦	٣١	٣٣	٥٥	١٥	٤١	١١	٣٦	٣٩	٢٠
الاثنين	٢٧	١١	٣٧	٧	٣١	٣٣	٥٤	١٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
الثلاثاء	٢٨	١٢	٣٧	٨	٣١	٣٢	٥٣	١٤	٤٤	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الاربعاء	٢٩	١٣	٣٨	٩	٣١	٣٢	٥٣	١٣	٤٥	١٦	٣٨	٣٩	٢١
الخميس	٣٠	١٤	٣٨	١٠	٣١	٣٢	٥٢	١٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١

أم المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة
رضي الله عنها

اسمهـــــا : زينب بنت خزيمة بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية وهى أخت ميمونة بنت الحـــارث لأمها .

زواجهـــا : كانت زوجة لعبد الله بن جحش فاستشهد بأحد فتزوجهـــا النبى صلى الله عليه وسلم .
وقيل كانت زوجة للطفيل بن الحارث ومن بعده تزوجت أخاه عبيدة بن الحارث فقتل عنها ببدر ، ثم تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم ودخل بها بعد دخوله على حفصة بنت عمر رضى الله عنها وكان ذلك فى رمضان سنة ثلاث .

فضلهـــا : كان يقال لها أم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم .

وفاتهـــا : بقيت فى بيت النبوة شهرين أو ثلاثة وقيل ثمانية اشهر وماتت فى ربيع الثانى سنة أربع وكانت الزوجة الثانية بعد السيدة خديجة التى ماتت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .
انتقلت الى جوار ربها وكان عمرها ثلاثين سنة فرضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
المغــرب	:	الدار البيضـاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شـارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

ع هذا العدد :
رسـالة الحج — هدية

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية



الحج أشهر معلومات

فمن فرض فيهن الحج فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال في الحج
وما تفعلوا من خير يعلمه الله
وتزودوا فإن خير الزاد التقوى
واتقون يا أولي الألباب

صورة الغلاف :

وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العــــدد ١١٩

غرة ذي القعدة ١٣٩٤ هـ

نوفمبر ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والســياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميــة بالكــويت فى غــرة كل شــهر عــربى

الاشــتراك الســنوى للهيآت فقط

أما الافراد فشــتركون رأسا

مع متعهــد التوزيع كل فى قطره

التمـــن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ ملسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـــلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـــئون الاســـلامية

صـــندوق بريد : ١٣ ــ كــويت ــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم



للأستاذ أحمد البسيوني

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كالأترجة ، طعمها طيب ، وريحها طيب ، والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن كالتمرة ، طعمها طيب ، ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن ، كمثل الريحانة ، ريحها طيب ، وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، طعمها مر ، ولا ريح لها))(١) .

(رواه الشيخان وأبو داود والنسائى والترمذى)

كما تحتاج العين الى شعاع من النور ، يمدها بالحركة الكاشفة ، والبصر النافذ ، وكما تحتاج الأرض الى فيض من الغيث الدافق ، يحيى مواتها ، ويبعث الحياة فى جنباتها ، فاذا بها وقد اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج ..

وكما يحتاج البدن الى الروح اللطيفة ، تسرى في أوصاله ، فتسرى معها الحياة الكاملة ، التي بها يسمع ويبصر ، وبها يدرك ويعقل ، وبها يسعى ويتحرك ، ولو فارقته هذه الروح ، لأصبح جثة هامدة خامدة .. !!

أجل : كما تحتاج هذه الكائنات جميعها ، الى مقوماتها ومادة وجودها ، تحتاج الانسانية الى هداية السماء ، ترسم لها المعالم الواضحة ، حتى لا تضل ، وتضع لها الموازين القسط ، حتى لا تطغى ،

وتحفظ لها توازنها ، فلا تتعثر ولا تتردى ..

وان من رحمة الله بالانسانية ، أن منحها هداها ، وأنزل عليها القرآن الكريم ، هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان . من قال به صدق، ومن حكم به عدل ، ومن جعله أمامه، دله على الجنة ، ومن جعله وراءه ، ساقه الى النار ، وهذا الكتاب الذى أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، أنزل لغاية ، هى أن يهدى للتى هى أقوم ، ويخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ، ولقد حقق هذا القرآن العظيم ، معجزات كبرى ، بما صنع من حضارة ، وبما رفع من قيم ، وأيقظ من همم ، وجمع من شمل .. انه صنع حياة لم تعرف الحياة لها نظيرا ، حياة متجددة ، مفعمة بالخير والصدق والحق ، فهو لهذه الحياة فرقانها ، وروحها ، ونورها ، ان عزلت نفسها عنه ، ساورتها الشكوك والريب ، ودب اليها الفناء ، وزحف عليها الظلام :

« يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا »(٢)

« فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير »(٣)

« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض . الا الى الله تصير الأمور » (١) .

وفى الحديث الشريف ، تشبيه رائع ، يرسم صورة صادقة ، لمواقف الناس من القرآن الكريم ، وجمال هذا التشبيه ، يتمثل فى أنه وصف اشتمل على معنى معقول ، لا يبرزه عن مكنونه الا تصويره بالمحسوس المشاهد ، ثم ان كلام الله المجيد ، له تأثير فى باطن العبد وظاهره ، وان العباد متفاوتون فى ذلك ، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارىء ، ومنهم من لا نصيب له البتة ، وهو المنافق الفاجر ، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه ، وهو المرائى ، أو بالعكس ، وهو المؤمن الذى لم يقرأ القرآن .

ومن حق القرآن على الناس ، أن يعرفوا له قدره ، وأن يتخلقوا بأخلاقه ، وأن يقبلوا على تلاوته وحفظه ، وأن يعبوا من معينه الصافى ، ما يشفى نفوسهم ، ويطهرها من أدران الضلال والجهالة ، ويزج بهم فى آفاق النور ، وحينئذ تتفجر الحكمة من جوانبهم ، يقولون فينصت التاريخ ، ويدعون فتستجيب الدنيا لتوجيههم ، فقد صنعهم القرآن ليكونوا شهداء على الناس ..

وكلما ازداد حظ الناس من القرآن ، ازداد حظهم من الخير الحافل ، والسعادة الدائمة، فالعامل بالقرآن ، متخلق بأخلاق الله ، والتالى لآياته ، انما يناجى ربه ، والماهر بالقرآن ، الحاذق الكامل الحفظ ، الذى لا ينوقف ، ولا يجد فى القراءة مشقة لجودة حفظه واتقانه ، يسمو به القرآن الى مصاف الملائكة ، والذى يجد فى التلاوة والحفظ ، ويلقى فى سبيل ذلك عنتا ومشقة ، يرجح ثوابه فى ميزان الاعمال تقول عائشة رضى الله عنها فى حديث رواه البخارى

وسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن ، مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن وهو عليه شاق ، — وفى رواية : والذى يقرأه ، وهو يشتد عليه — له أجران » .

وبمقدار ما فى صدر المؤمن من آيات ، يرتفع بعددها عند الله درجات ، يقول المعصوم صلوات الله وسلامه عليه : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ ، وارق ، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فان منزلتك عند آخر آية تقرأها » (٥) .. !

وأى شرف أعظم وأسمى من أن تتحرك شفتا المؤمن ، بكلمات قالها رب العزة ؟! انه فى هذه اللحظات المضيئة ، يسبح فى فيض من السكينة والنور ، فقد حدث الصحابى الجليل أسيد بن حضير ، وكان فى بيته يقرأ القرآن ذات ليلة ، يقول : « فرأيت مثل الظلة ، فيها أمثال السرج ، عرجت فى الجو حتى ما أراها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الملائكة تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم » وفى رواية أخرى : « تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن ، أما انك لو مضيت ، لرأيت عجبا » (٦) .

وفى الحديث الذى معنا ، يعطى الرسول الكريم للمؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به ، صورة لها فى عالم الحس جلال وروعة ، فالذى **يقرأ القرآن** ويعمل به (كالأترجة) وفى اثبات القراءة على صيغة المضارع ، ما يفيد أن المراد ليس حصول ذلك مرة ، وانما المراد الاستمرار والدوام ، وأن القراءة دأبه وغايته ، فهو يقضى نفيس عمره فى التلاوة ثم يتحرك القرآن فى داخله حركة ايجابية ، يتحول بعدها — فى دنيا الناس — الى سلوك نظيف ، ومنهج مستقيم ، ان هذا القارىء العامل مثله مثل (الأترجة) وقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الفاكهة الطيبة ، مثلا واضحا ، لحسن منظرها ، وطيب مطعمها ، ولين ملمسها ، تأخذ بالأبصار صبغة ولونا ، فاقع لونها ، تسر الناظرين ، تتوق اليها النفوس ، وتشترك فى الاحتظاء بها الحواس الأربع ، البصر ، والذوق ، والشم ، واللمس ، وهكذا المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به ، فهو من حيث ان الايمان فى قلبه ثابت . طيب الباطن، ومن حيث انه يقرأ القرآن ، فيستريح الناس لصوته ، ويثابون بالاستماع اليه ، ويحبون القرب من مجلسه ليتعلموا منه ، فهو مثل (الأترجة) ينعم الناس بها ذوقا ، وشكلا ، واحساسا ، وشما .. ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى فى اتقان القرآن الكريم وتجويده ، كما كان مثلا أعلى فى تطبيقه والعمل به : يقول الصحابى الجليل عبد الله بن مغفل رضى الله عنه « قرأ النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح فى مسيرله على راحلته ، سورة الفتح فرجع (٧) فى قراءته ، قال معاوية : لولا خوفى من اجتماع الناس على لحكيت لكم قراءته » وهذا يوضحه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الصوت ، يتغنى بالقرآن يجهر به » (٨) وقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله فقالت للسائل : أما تقرأ القرآن ؟ قال : بلى قالت « كان خلقه القرآن » (٩) وروى ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من أحسن الناس صوتا بالقرآن ، من اذا سمعتموه يقرأ ، حسبتموه يخشى الله » .

ومن المؤمنين رجل طوى القرآن

فى قلبه ، وأفرغ تعاليمه فى نفسه ، فسيطرت على جوارحه ، وتلون بها سلوكه ، غير أنه لم يوفق الى تحريك لسانه بآيات الكتاب العزيز ، فظلت حبيسة فى صدره تعمل عملها بعيدة عن الذيوع والانتشار ، فهو مؤمن لم يؤت القرآن حفظا وتلاوة ، وان كان قد أوتيه تطبيقا وعملا بما جاء فيه ، فهو منقوص البركة ، مبتور الحظ من الخير ، هجر تلاوة القرآن ، فاستوحش مجلسه ، وأقفر منزله ، ولم يكن لسانه رطبا بآيات الذكر الحكيم ، فهو كالتمرة مليء باطنها حلاوة ، وخلا ظاهرها من الريح الطيب ، والشذى الفواح ..

ومن الناس فاجر أو منافق ، أوتى حظا عظيما من تلاوة القرآن ، يتدفق لسانه بآياته وكلماته ، ولكنه لا يحرك بها قلبه ، ولا يقف عند عجائبها ، فهو مقطوع الصلة بهدى القرآن ، كالأعمى يحمل السراج ولا ينتفع بضوئه ، أو كالطبيب يصف الدواء للناس ، والعلة تفتك به ، أو كما يقول الشاعر :

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول !

وان أخطر ما تصاب به الأمة الاسلامية ، أن يكون فى صفوفها قوم من هذا اللون ، يتلون كتاب الله لا يجاوز حناجرهم ، ظاهرهم فيه الرحمة ، ينفح الناس طيبا وعطرا ، وباطنهم ينطوى على نتن كريه .. !

كالقبر غطته الزهو
ر وتحته عفن دفينه !

انهم حقا كالريحانة .. ريحها طيب ، ولكن طعمها مر .

وأما أشقى الناس جميعا ، وأبعدهم عن ساحة الرضوان ، وأكثرهم حرمانا من بركات القرآن ، فهو الفاجر المنافق الذى لا يقرأ القرآن ولا يعمل به ، أقفرت نفسه من الخير ، وأجدبت روحه من المعانى الكريمة ، فلا تطوف بها نسمة ، ولا تهب عليها نفحة ، وتحجرت عاطفته ، فلا يهزها وعد ، ولا يخيفها وعيد ، حيل بينه وبين القرآن علما وعملا ، فلا هو من قرائه ، ولا هو من أتباعه ، وذلك هو الخسران المبين .. !!

وان الرسول الكريم — صلوات اللهوسلامه عليه — يشبه هذا الرجل الذى اتخذ القرآن مهجورا ، بالحنظلة ، تلكم الثمرة الرديئة ، التى جردها الله من كل خير ، فليست لها رائحة ، وأما طعمها فشديد المرارة ، فما أجدر المنافق الذى لا يقرأ القرآن بأن يضرب له المثل بالحنظلة ، فهو خرب الظاهر والباطن ، لا مجال للقرآن على لسانه ، ولا مكان له فى قلبه ، ومن ثم فهو مصدر بلاء على نفسه وعلى الانسانية ، يشقى الناس بما يلقون منه من سوء خلق ، وفساد ضمير ، وتشقى به نفسه حين يجعل الله له فى الحياة معيشة ضنكا ، ويبعث يوم القيامة أعمى يتخبط فى الحيرة والعذاب « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (١٠) .. !

ان تلاوة المسلمين للقرآن تحتاج الى نظرة تصحيح .. اننا لا نريد أن يكون هذا الكتاب العزيز ، شارة للمتعطلين وذوى العاهات ، وموردا للمرتزقة يقرأونه على أبواب المساجد وقارعة الطريق وعلى الموتى فى قبورهم يشترون به ثمنا قليلا ، فقراءة القرآن وسؤال الناس بعدها ، أمر مذموم ، فان القرآن أمانة الله لدينا ، وأعظم شىء بيننا ، لأنه كلام الله ، فلا يكون عرضة لحطام الدنيا الفانى ، فقد ورد فى

حديث رواه الترمذى وحسَّنه أن عمران بن حصين رضى الله عنه ، مر على قارىء يقرأ ، ثم سأل ، فاسترجع (١١) ! ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء أقوام يقرأون القرآن، يسألون به الناس » .

ان من بطر الحق وغمط النعمة ، أن يتحول القرآن فى دنيا المسلمين الى صحيفة طويلة ، تحوى القرآن كله بخط دقيق ، توضع داخل اطار فاخر ، يزينون به غرفهم ! أو الى مصاحف ثمينة تستقر داخل علب مغلفة بالحرير ، يتبادلها الناس هدايا فى مناسباتهم ، ويضعونها فى واجهات المتاجر أو السيارات ، لتجلب البركة ، وتدفع السوء .. !!

ان بركة القرآن فى العمل به ، وافساح المجال أمامه ليؤدى رسالته فى الحياة « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون »(١٢). ان القرآن أصح تراث سماوى يملكه المسلمون ، وهو للانسانية مصدر غنى واسع ، ينفحها بكل خير وبر ، فلا تذكر فضيلة الا ويذكر معها القرآن ، فهو أبوها وباعثها ، وما تواصى الناس بعدل أو مرحمة الا وجدوا أن ذلك منبعه القرآن .. فمتى يدرك الناس ذلك .. ؟

لا نريد أن يكون مبلغ المسلمين من قرآنهم ، أن يستوعبوا آياته اتقانا وتجويدا ، ثم يعزلونه عن حياتهم ، فلا يزكى لهم نفسا ، ولا يرفع لهم رأسا .. !! نريد أن يتحول القرآن فى صدور القراء الى علم نافع ، وثقافة رشيدة ، ثم الى عمل تأخذ الحياة به سيرها الآمن ، وقرارها المطمئن ، فما أنزل القرآن الا ليفهم الناس روحه ، ويفقهوا شرائعه ومقاصده ، ويلتزموا حدوده وآدابه « وكذلك نصرف الآيات ، وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون » (١٣) « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» (١٤) ؟! « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب » (١٤).

---

(١) الاترجة بضم الهمزة والراء وتشديد الجيم : ثمرة حلوة الطعم ، طيبة الريح ، جميلة المنظر أقرب ما تكون شبها بالتفاحة وتقول كتب اللغة : انها فاكهة معروفة من شجر من جنس الليمون .. والتمرة : ثمرة النخل ، والريحانة : بقلة طيبة الريح وفى طعمها مرارة .. والحنظلة : ثمر نبات فى البادية مر الطعم ، ولا ريح له ..

(٢) ١٧٤ : النساء .

(٣) ٨ : التغابن .

(٤) ٥٢ ، ٥٣ : الشورى .

(٥) ابو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٦) رواه مسلم .

(٧) رجع فى قراءته اى ردد صوته بها ، وأظهر المد فى مواضعه ، وأشبع الحروف مع الصوت الحسن .

(٨) رواه البخارى ومسلم وأبو داود .. ومعنى ما أذن الله لشىء أى ما استمع لشىء كاستماعه لحسن الصوت من نبى أو غيره من أهل القرآن الصالحين ، والمراد اعطاء الأجر العظيم على حسن الصوت .

(٩) رواه أحمد فى مسنده ومسلم وأبو داود

(١٠) من ١٢٤ ــ ١٢٦ سورة طه .

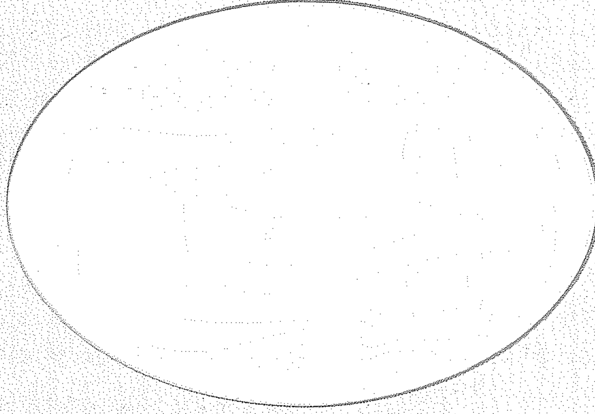
(١١) استرجع قال : انا لله وانا اليه راجعون ، كانه رأى السؤال بالقرآن مصيبة فاسترجع لها .

(١٢) ١٥٥ : الانعام .

(١٣) ١٠٥ : الانعام .

(١٤) ٢٤ : محمد .

(١٥) ٢٩ : ص .



للشيخ طـــه الولى

بعد أيام معدودات تثور في نفوس المسلمين نوازع الشوق لاداء فريضة الحج ، فيتدفقون من كل حدب ومن كل صوب فـــي أطراف المعمـــورة ، بالبر والجو والبحر قاصـــدين الـــى الديار المقدسة في بلاد الحجاز للتلاقي بعضهم مع بعض في رحاب منـــزل الوحي ويطوفـــــون حول الكعبـــة المشرفة في البيت العتيق مهلليـــــن ومكبرين حفاة عراة حاسري الرؤوس يحدوهم جميعا رجاء واحـــد هـــو اطلاب رضى الله عز وجل في المكان الذي جعله مثابة للناس وأمنا ، ومن ثمة متابعة السير الى المدينة المنورة للزيارة حيث يرقد ذلك الانسان الذي أنقذهم من جاهليتهم ودلهـــم على الطريق الذي لا أمت فيها ولا اعوجاج نحو المستقبل الذي رسم للبشرية كلها السبيل الذي لا شك فيه ، للسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة على حد سواء .

واللقاء الرائع الـــذي يتم فـــي الحج بين ملايين البشر من مختلـــف الاجناس والقوميـــــات والطبقـــات الاجتماعية والاهـــواء الفكريـــــة والسياسية ، ان هذا اللقاء هو حدث انساني ضخم وليس مجرد نسك ديني تتخلله طقوس شكلية تبتدىء في يوم وتنتهي في آخر ، اذ ليس من المنطق في شيء أن يأمر الاسلام اتباعه بأن ينسلخوا من حياتهم اليومية ويدعوا جانبا كل ما يعنيهم من المصـــــالح

والاعمال المادية لينفقوا شطرا من عمرهم في حيز من الارض وصفها القرآن الكريم بأنها « واد غير ذي زرع » ومن الطبيعي أن يكون هذا الامر الالهي يعني بالنسبة للمؤمنين شيئا هو أبعد بكثير من تحصيلهم مشقة الانتقال من أوطانهم وترديد بعض الادعية المأثورة في جوار المسجد الحرام لجدرانه أول بيت وضع للناس.

اذن ما هي الحكمة التي من أجلها فرض على المسلمين أن يتداعوا الى مكة المكرمة ويهرعوا الى الاقامة فيها في العاشر من ذي الحجة الحرام من كل عام ؟

واذا نحن تركنا جانبا أهمية الظواهر التعبدية التي يمارسها الحجيج خلال أداء هذه الفريضة الدينية ، فاننا لا نستطيع استبعاد ما هو كامن من المقاصد والاغراض وراء هذه الظاهر وهي مقاصد وأغراض ذات صلة أكيدة بحرص الدين الاسلامي على احكام الروابط التي تشد المسلمين بعضهم الى بعض بعروة وثقى من اللقاء المباشر ولو مرة واحدة في العمر ، يوحي اليهم بأنهم أمة واحدة ، مهما تباينت أجناسهم العرقية أو تعددت أوطانهم القومية أو اختلفت طبقاتهم الاجتماعية أو تناقضت ميولهم السياسية .

ولعلنا نستطيع القول بأن لقاء المسلمين الجماعي في الارض التي كان فيها منزل الوحي وانبثاق الدين الذي يؤمنون بأركانه وشريعته انما هو في الواقع عبارة عن جمعية عمومية نص عليها الدستور الذي أنزله الله على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، على نحو ما هو مألوف في الدساتير الوضعية التي يسنها الناس في تنظيم أنفسهم تحت لواء الاحزاب والجمعيات والتكتلات العادية .

واذا كان اجتماع أعضاء مثل هذه المؤسسات التنظيمية في شكل جمعية عمومية أمرا تقتضيه الضرورة للرجوع الى الرأي العام فيها بصورة دورية ولو مرة في العام ، فانه لم يكن للاسلام أن يتجاوز هذا المنطلق الاساسي في تنسيق التعاون بين جماعته ، لا سيما اذا نحن لاحظنا أن هذا الدين قد انفرد دون سائر الاديان الأخرى ، باعتبار نفسه حزبا قائما بذاته ، أو ليس الله عز وجل هو القائل في كتابه عن المؤمنين به « أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون » وعلى هذا فان فريضة الحج لا تعدو كونها ، مادة رئيسية ، في دستور الاسلام ، تتضمن دعوة أعضاء الحزب المسلمين الى عقد جمعيتهم العمومية في مكة المكرمة التي هي المقر العام لحزبهم ، مرة على الاقل في كل عام .

أما اختيار مدينة مكة بالذات لعقد هذه الجمعية العمومية فذلك لأنها البلد الذي تأسس فيه حزب الاسلام لأول مرة ، ولأن فيه من المؤسسات والمنشآت ما يثير في نفوس الاعضاء « المسلمين » المعاني التذكارية والتاريخية التي رافقت نشوء هذا الحزب . وليس غريبا أن يحرّض الاسلام المسلمين على التلاقي في ظلال التذكارات التي تشدهم بالعاطفة العفوية الى منطلقاته الاولى ، فالنفس البشرية مهما تظاهرت بالتحرر من التعلق بالاشياء المادية التي تجسد المعاني الروحية التي تعيشها ، فانها مضطرة الى الاحتفال بهذه الاشياء والانجذاب الى رؤيتها والتحسس بها عن كثب ، وذلك عن طريق عقلها الباطن الذي يتحكم فيها على الرغم منها ، فطرة

الله التي فطر الناس عليها ولا تبديل لخلق الله .

هذا من الناحية النفسية المجردة ، أما من الناحية الفكرية الموضوعية والمبدئية فان التجمع الكثيف في جوار الكعبة المشرفة ، يذكر المسلمين بالهدف الذي تعنيه مناسك الحج حين تطلب من الذين يؤدونها أن يتجهوا اليها ويطوفوا حولها وأكثر من ذلك ، بأن يتشبثوا بأستارها ضارعين الى ربهم أن يتقبل منهم هذه المناسك ، وانما تعني هذه المناسك كلها أمرا واحدا لا تعدوه ولا تتجاوزه الا وهو وحدة الشعوب الاسلامية كلها في أمة واحدة « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » صدق الله العظيم ! هذا ، في الاطار النفسي لتجمع المسلمين حول الكعبة المشرفة في موسم الحج ، أما في الاطار الفكري ، فان من شأن هذا التجمع أن يوحي للحشود البشرية التي تداعت من كل حدب ومن كل صوب الى ذلك المكان الاقدس أن لها الحق في اثبات وجودها والاعلان عن رأيها فيما يخطط لها أولو الامر فيها من مصائر وأهداف . وذلك ان المسلمين حين يقبل بعضهم على بعض في رحاب بيت الله الحرام فانهم يفعلون ذلك باعتبارهم الجمهور الذي يشكل ما تواضع الناس على تسميته بلغة العصر « القاعدة الشعبية » لحزب الاسلام في العالم .

وعلى هذا فان القرآن الكريم يكون أول دستور تنظيمي أمر الهيئة القيادية في الحزب الاسلامي أن ترجع الى قاعدتها الشعبية مرة في كل عام وبصورة دورية الزامية لكي يتم بين القمة الاسلامية وقاعدتها التلاحم العضوي الذي لا بد منه من أجل متابعة المسيرة الحزبية في الطريق المرسوم من أجل الغاية الواحدة والهدف المشترك .

واذا أردنا أن نستعمل المصطلحات الحديثة التي دخلت في معجم اللغة السياسية للعصر الذي نحن فيه فاننا نقول ان فريضة الحج هي المؤتمر العام الذي يعقده المسلمون ليتداولوا فيه بشكل جماعي أوضاع بلادهم وشؤون شعوبهم تحت شعار المصارحة الصادقة والنقد الذاتي البناء وهو ما أشار اليه القرآن الكريم يقول عز وجل « ليشهدوا منافع لهم » وأي منفعة هي أعظم من تلك التي يحققها هذا اللقاء والاجتماع العالمي الذي يضم المسلمين من أطراف الارض وأرجاء العالم في ندوة كاملة تدلي فيها قياداتهم بما عندها من بيانات وتوجيهات ويعرب فيها أفرادهم عما يخالجهم من أفكار أو يراودهم من رغبات . حتى اذا ما انتهت هذه الندوة عادت الجموع الاسلامية الى مناطقها وهي مزودة بالقرارات اللازمة لتضعها موضع التنفيذ في حدود أمكاناتها والملابسات التي تحيط بها والظروف المحلية التي تتحكم فيها .

هذا هو الحج في أبعاده الفكرية وأغراضه القومية وأهدافه الاجتماعية والنفسية . ولعل أبلغ ما يختصر لنا هذه المعاني الاساسية في القرآن الكريم هو قول الله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين » .

أجل ان المناسك الشكلية التي يؤديها الحاج ليست هي التي يتقبلها الله عز وجل أو يرفضها وانما الذي يتقبله هو النوايا التي تسبقها والنتائج التي تترتب عليها والله من وراء القصد .



للاستاذ : احمد محمد جمال

بعض علمائنا القدامى والمحدثين ، الذين اشتغلوا بالدراسات القرآنية — أسرفوا فى محاولاتهم — لفهم القرآن وتفهيمه ، وعلم معانيه ، وتراكيبه وتعليمها .. حتى تخيلوا أو توهموا أن فى نظم القرآن مشكلا واكاد أقول إنهم افتعلوا الاضطراب فى نظم آياته ، والحيرة فى تأويل مقاصده . ثم ذهبوا يحاولون حل المشكل المتوهم ، ودفع الاضطراب المزعوم .. بما هو موجود فى الآيات نفسها ، أو بما هو معروف ومعلوم من قواعد اللغة العربية ، ومبادىء بلاغتها ، وكلام العرب الفصحاء : من نثر وشعر .

ولو أن هؤلاء العلماء الأفاضل — الذين نحسن الظن بهم ، وندعو لهم بحسن المثوبة على دراساتهم وأبحاثهم ومؤلفاتهم القرآنية — قد وجدوا بين أيديهم زعمات أو مفتريات لأشخاص أو ذوات معروفة بعدائها للإسلام أو جفائها للقرآن أو جهلها باللغة العربية .. عن اضطراب أو إشكال فى آيات القرآن نظما ومعنى، فوضعوا هذه المؤلفات أو المقالات للرد عليهم ، وبيان ما جهلوه ، أو تكذيب ما افتروه على القرآن — إذن لكان لهم عذر .. بل كان لهم شكر على دفاعهم عن كتاب الله الكريم ..

اما ان يتوهموا — هم انفسهم — او يفتعلوا المشكل أو الاضطراب فى القرآن ، وبالتالى يوهمونه للأعداء والجهلاء معا ، فهذا ما استنكرته ، وما خفت عواقبه السيئة على عقول قراء هذه الكتب وهذه المقالات من الشباب والطلاب ، وضعاف الإيمان ، وقليلى البحث والدرس لعلوم القرآن ومظان فهمه وتفسيره .

****

واكتفى بمثالين .. احدهما كتاب « الفوائد فى مشكل القرآن » المنسوب الى سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، والذى حققه الدكتور رضوان على الندوى ، واصدرته وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت — وانما قلت « منسوب » لسلطان العلماء .. لانى لا استطيع ان أصدق ان هذا الكتاب من تأليف هذا العالم الجليل ، فقد انكرت فى هذا الكتاب أمرين :

في نظم القرآن

الأول : إثارة المشكلات في تعبيرات القرآن أو توهمها ، ثم التساؤل : لم قال : كذا ؟ ولماذا لم يقل كذا بدلا من كذا ؟ أو هذا لا يليق؛ أو لماذا خولف الأصل ؟ الخ .. وفي مواضيع كثيرة لا يجيب على الإشكال الذي أثاره ..

الثاني : أنه اخضع القرآن لقواعد الصرف والنحو والبلاغة ..

مع أن هذه القواعد قد وضعت بعد نزول القرآن وعلى أساسه باعتبار أنه الذروة في البلاغة والفصاحة ، والقدوة للبلغاء والفصحاء .

ومما يلاحظ على محقق الكتاب الدكتور رضوان : انه وضع الهوامش جملة واحدة في ختام الكتاب ولو وضع تعليقاته ومراجعاته في ذيل كل صفحة لكان أسهل في الايضاح والاستدراك والتصويب .

أما المثال الثاني : فهو سلسلة مقالات نشرتها مجلة الجامعة الاسلامية التي تصدر بالمدينة المنورة — تحت عنوان — (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) للشيخ محمد أمين الشنقيطي . ومع ما تجلى خلال هذه الدراسات القيمة من علم واسع وفكر ثاقب ، ومحاولات ناجحة في التوفيق بين بعض المفهومات القرآنية وبعضها الآخر .. إلا أني أرى أنه لا داعي الى توهم الاضطراب أو ظن الإشكال في آيات القرآن ، لأن الله عز وجل يكرر في القرآن : انه أنزل بلسان عربي مبين ، وانه لا اختلاف في الفاظه ، ولا تناقض في اهدافه ، ولا اضطراب في معانيه ..

ومن ناحية أخرى .. لو أنا ربطنا بين الآيات ذات الموضوع الواحد ، أو القضية الواحدة — ولو كانت موزعة على سور متعددة — لما اختلفت معانيها ومقاصدها ، ولما توهم متوهم اضطرابا فيها أو تناقضا بها .

واجتزىء ببعض النماذج لهذه المشكلات أو الاضطرابات المتوهمة أو المفتعلة في آيات القرآن ، مع التعقيب عليها :

في ص ٤٩ يثير العز مشكلا حول هذه الآية : (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) فيقول رحمه الله هذه الغاية ليست مرادة ، وقد

خولف ظاهرها ، فانها لا تحل له بمجرد النكاح للغير ، بل حتى يطلقها وتستوفى عدتها ويعقد عليها الأول .

● قلت : لا مشكل فى الآية ، ولا مخالفة للظاهر فيها كما يقول العز .. ففى تمامها البيان الكافى وهو : (فان طلقها — أى الزوج الثانى — فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله) أى إن طلقها الثانى حلت الرجعة ..

ثم إن حرمتها بنكاح الغير من البداهات المسلمة ومن المقررات القرآنية أيضا فى قوله عز وجل عن المحرمات : (والمحصنات من النساء) فالمرأة المتزوجة حرام على غير زوجها سواء أكان هذا الغير زوجا سابقا أو خطابا جديدا .

****

وفى ص ١٢٧ — قوله عز وجل : « ثم محلها الى البيت العتيق » .. يقول العز : **فيه إشكال** وذلك أن المغيّا ها هنا ان كان الذكاة فكيف يُغَيّا بـ (الى البيت العتيق) ، والجواب أن المعنى : ثم محل ذكاتها الى البيت العتيق لأن البيت العتيق وما قاربه لا يذكى فيه .

وفى ص ١٤٩ — يثير نفس الاشكال فى قوله تعالى : (وان عليك لعنتى الى يوم الدين) فيقول ، مفهوم الآية يدل على أنه ليس ملعونا اذا جاء يوم الدين ، فلم جيء بـ (إلى) ؟ والجواب أن **المفهوم غير مراد** . وان (إلى) تفيد الاستمرار الى يوم الدين الخ ...

● قلت : من المعروف فى كلام العرب وفى أصول تفسير القرآن بصفة خاصة — ان (المُغَيّا) يشمل الغاية تارة ولا يشملها أخرى . والقرآن نفسه قد تضمن ذلك فى آيتين منه : الأول : (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق) فالمرافق — وهى الغاية — داخلة فى الغسل . والآية الثانية : (ثم أتموا الصيام الى الليل) فالليل — وهو الغاية — لا يدخل فى الصيام .

وعلى ذلك فالبيت العتيق نفسه لا يدخل فى محل الذكاة ، بينما يدخل يوم الدين فى لعن ابليس . وليس هنا إشكال ولا مستشكلون !!.

****

وفى ص ١٤٤ — قوله عز وجل : «فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » يقول العز : ان فاعل « تبينت » ليس الجن . بل الجن مبتدأ و (ان لو كانوا يعلمون) خبره اذ لولا ذلك لكان معنى الكلام : لما مات سليمان عليه السلام وخرّ ظهر لهم أنهم لا يعلمون الغيب ، وعلمهم بعدم علمهم للغيب لا يتوقف على هذا . بل المعنى : تبينت القصة الخ ....

● قلت : هذا فهم عجيب ، وتشويه لجمال التعبير القرآنى أعجب . بل هو تحريف لاستقامة هذا التعبير السليم الكريم ..

فالقرآن يقول بعبارة واضحة : (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرّ تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) .

أى أن سليمان عليه السلام عندما توفى لم تظهر وفاته للجن ، لأنه ظل جالسا على هيئته كأنه حى ، متكئا على منسأته ، فظل الجن فى أعمالهم له كعادتهم : (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ، وجفان كالجواب وقدور راسيات ..) حتى اذا أتمت دابة الأرض نخر منسأته خرسليمان من على عرشه ، فعرفت الجن أنه

مات . ولو أنها كانت تعلم الغيب ، لعلمت بوفاته قبل أن يخر ، وما لبثت في عناء أعمالها وشقائها الأليم .

وفي القصة : عبرة وعظة ، وبيان من الله للناس في عهد سليمان ، وفيما بعده الى يوم الدين ، ان الجن وهم مظنة النفع والضر عند الكثير .. لا يعلمون الغيب ، وبالتالي لا يملكون نفعا ولا ضرا .

ففاعل (تبينت) إذن هو (الجن) بلا جدال لأن السياق يدل عليه ، والمعنى المراد يؤكده ، والعبرة من القصة تقويه ، واستقامة الأسلوب العربي المبين تقتضيه ..

****

وننتقل الى الشيخ الشنقيطي — رحمه الله — فنأخذ بعض النماذج من دراساته حول ما توهمه من (اضطراب) في آيات الكتاب ، وما دفع به هذا التوهم — وما فتح الله به علينا من تعقيب عليه ، وتصويب له :

يذكر الشيخ الشنقيطي قوله تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون) ثم يقول : هذه الآية تدل على أن وجل القلوب عند سماع ذكر الله من علامات المؤمنين .. وقد جاءت آية أخرى تقول : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب) **فالمنافاة** بين الطمأنينة ووجل القلوب ظاهرة — والجواب عن هذا : ان الطمأنينة تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد ، والوجل يكون عند خوف الزيغ عن الهدى الخ ...

● قلت : لامنافاة بين الوصفين بالوجل أولا ، وبالاطمئنان ثانيا ، فهما وصفان متلازمان لقلوب المؤمنين الصادقين ، فهم اذا ذكروا الله تارة خافوا تقصيرهم ، وخافوا الا تقبل أعمالهم الصالحة لما قد يكون خالطها من رياء وسمعة لم يتعمدوهما .. كما جاء ذلك في الآية : (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون) — واذا ذكروا الله تارة أخرى اطمأنوا الى عدله ورحمته ووعده بالمثوبة المضاعفة على الصبر والذكر والشكر ..

ثم ان الآيتين الأولى والثانية اللتين يقول الشيخ : انالمنافاة بينهما ظاهرة .. قد اشتملتا كلتاهما على (الاطمئنان) و (زيادة الإيمان) بعد ذكر الله وتلاوة القرآن ، فكما جاء في الثانية : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) جاء في الأولى : (واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) .

وإذن فالمنافاة بينهما ليست ظاهرة حتى ولا باطنة أيضا .

****

وأورد الشيخ قوله عز وجل : (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) وقال : ظاهر هذه الآية أن الواحد من المسلمين يجب عليه مصابرة عشرة .. **وقد ذكر الله ما يدل على خلاف ذلك** في قوله : (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) — والجواب : ان الأول منسوخ بالثاني كما دل عليه قوله : (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) .

● قلت : الذى أفهمه من الآيتين ، وهما متتاليتان — في سورة الأنفال — مترابطتان لفظا ومعنى لا نسخ في الآية الأولى ، بل هناك تفريق وتمييز بين حالتين ، الحالة الأولى : اذا كان المسلمون أقوياء فالواحد منهم يغلب عشرة من الكفار . والحالة الثانية اذا كانوا ضعافا فواحدهم يغلب اثنين

من أعدائهم .. وهذه مزية المسلم بإيمانه على الكافر بكفره اذا تساويا قوة وسلاحا .

وأورد الشيخ أيضا هذه الآية : انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وانفسكم) ثم قال : انها تدل على لزوم الخروج للجهاد فى سبيل الله على كل حال ، وقد جاءت **آيات أخرى تدل على خلاف ذلك** كقوله : (ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذ نصحوا لله ورسوله) .. وقوله تعالى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة ..) ـــ والجواب : ان آية (انفروا خفافا وثقالا) منسوخة بآيات العذر المذكور .

● قلت : ولا نسخ هنا أيضا ، فالآية الاولى تدعو المسلمين الى النفرة جهادا بالأنفس والأموال ، خفافا بأنفسهم ، وثقالا بأموالهم أطعمة وأسلحة .. حسب حالة كل منهم فقرا وغنى ، وضعفا أو قوة ، ودربة على القتال ، أو قدرة على خدمة الجيش .

أما الآيات الأخرى فهى بيان لأعذار المعتذرين بمرض مقعد ، أو ضعف معجز ونقول : (مرض مقعد ـــ وضعف معجز) لأن المرض والضعف اللذين يستطيع معهما الرجل أن يقوم بخدمة المقاتلين إطعاما وتطبيبا وحراسة ليسا عذرا للقعود عن الجهاد فى سبيل الله بالنفس ، وكذلك الذى لا يجد مالا ينفقه اذا وجد من ينفق عليه وجب عليه الخروج للجهاد بنفسه .

والآية الأخرى : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) تعنى أن ينفر البعض للتفقه فى الدين والدعوة الى الله فتمامها : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فلا خلاف ولا تناقض بين الآيا توأمثالهما فى القرآن الكريم . وأشباه هذا التشريع القرآنى كثيرة .. فقد أمرنا بالصلاة قياما ، وأمرنا بالوضوء من الماء ، وليس معنى الترخيص بالقعود للصلاة وبالتيمم لأصحاب الأعذار ناسخا للأمر الأول وإنما هو استثناء لحالات الضرورة ـــ كما هو الشأن فى كل التشريعات الاسلامية ـــ وكذلك الأمر والحال فى النفرة للجهاد فى سبيل الله والتفقه فى الدين أو الدعوة الى دين الله القيم .

وذكر الشيخ قوله عز وجل : (وقالت اليهود عزيرابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ـــ الى قوله سبحانه عما يشركون) ثم قال : هذه الآية فيها التنصيص الصريح على أن كفار أهل الكتاب مشركون بدليل قوله فيهم (سبحانه عما يشركون) بعد أن بين وجوه شركهم بجعلهم الأولاد لله واتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله .. ونظير هذه الآية قوله تعالى : **(ان الله لا يغفر أن يشرك به)** لاجماع العلماء علىأنكفار أهل الكتاب داخلون فيها .. ثم قال الشيخ : **وقد جاءت آيات أخرى تدل بظاهرها على أن أهل الكتاب ليسوا من المشركين** كقوله : **(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين)** ـــ وقوله : **(ان الذين كفروا منأهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم)** ـــ وقوله : **(مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) .. والعطف يقتضى المغايرة** ـــ ثم أضاف أن الشرك الأكبر المقتضى للخروج من الملة أنواع وأهل الكتاب متصفون ببعضها وغير متصفين ببعض آخر منها ، فهم غير متصفين بما اتصف به كفار مكة من عبادة الأوثان ، ولذا عطفهم عليهم ،

وهذه المغايرة هي التي سوغت العطف فلا ينافي أن يكون أهل الكتاب مشركين بنوع آخر من أنواع الشرك الأكبر ، وهو طاعة الشيطان والأحبار والرهبان الخ ...

● قلت : لا حاجة الى هذا التحليل أو التعليل الكثير .. لأن العطف لا يقتضي المغايرة دائما ، فقد يكون عطف بيان ، أو عطف تخصيص ، أو عطف تمييز ، أو عطف تكريم ، أو عطف تنويع .. فقد جاء ذكر المشركين كطائفة أخرى من الكفار — لأن هذا هو وصفهم واسمهم الذى عرفوا به كما وصف اليهود والنصارى — وهم كفار مثلهم من حيث الوصف العام : بأنهم أهل الكتاب وسموا بذلك أيضا والجامع بينهم أو الوصف العام لهم هو الكفر بالاسلام كتابا ورسولا ودينا . وقد وصف أهل الكتاب بالشرك لأنهم فعلا قالوا : المسيح ابن الله وعزيز ابن الله ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وقالوا ان الله ثالث ثلاثة ..

فلا منافاة ظاهرة ولا باطنة بين الفاظ الآيات ومعانيها . ولا حاجة الى أن نتوهمها ثم نقتحمها .. باسم دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ..!

****

وعقب الشيخ الشنقيطى على هذه الآية : (فقال رب ان ابنى من أهلى وإن وعدك الحق) بقوله : (انها تدل على أن هذا الابن من أهل نوح عليه السلام ، وقد **ذكر تعالى ما يدل على خلاف ذلك** حيث قال : (يانوح انه ليس من أهلك) والجواب : ان معنى قوله ليس من أهلك أى الموعود بنجاتهم لأنه كافر لا مؤمن ، وقول نوح ان ابنى من أهلى يظنه مسلما ..

● قلت : ان ابن نوح من أهله حقيقة ونسبا . ولكنه لما فارق دينه وانضم الى الكافرين برسالته سلبت هذه (الأهلية) فى الاعتبار الدينى والميزان الإلهى . كما سلبت الأهلية نفسها من عم الرسول صلى الله عليه وسلم — أبى طالب — على الرغم من نصره له ، وتأييده وحمايته ، فمنع من الاستغفار له ، لأنه فارق دينه ، وكذلك بالنسبة للمسلمين جميعا فقد منعوا من الاستغفار لذوى قرباهم من المشركين : (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم) بل حتى المودة ممنوعة بين المؤمنين وأقربائهم المشركين أو الكافرين . (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولوكانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم .

وفى المقابل تقوم القرابة والأهلية بين الأباعد والأجانب اذا جمعتهم العقيدة الواحدة والدين الواحد ، كما قال صلى الله عليه وسلم عن سلمان الفارسى : « سلمان منا آل البيت » .

وإذن فالأهلية المنفية فى الآية الثانية هى أهلية العقيدة الاسلامية ، والأهلية المثبتة فى الآية الاولى هى أهلية النسب والقربى . وليس هناك تعارض ولا اضطراب فى آى الكتاب وإنما هناك الحاجة الماسة عند من يتدبر القرآن الى إدراك بلاغته بين الحقيقة والمجاز .

وبعـد ....

هذا قليل من كثير .. مما لاحظته على بعض علمائنا الأفاضل من افتعالهم للمشكلات فى القرآن الكريم ومحاولاتهم إيجاد حلول غير معقولة أو لا حاجة اليها .. لهذه المشكلات المتوهمة ..

أشواق الشعراء والأدباء إلى عرفات وبقيّة المناسك

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

إذا عرضنا تاريخ الشعراء والأدباء المتدينين الحريصين على أداء فريضة الحج ، والطواف ببيت الله الحرام ، والوقوف بعرفات ، وجدناهم بين اثنين : إما رجل متشوق الى هذه البقاع ، حريص على أن يبلغه الله أمنيته ، متحرق الى أن تطأ قدماه هذه الأرض المقدسة ، فهو ما يزال يعبر عن حنينه سعرا ، وما ينفك يرسل أشواقه نغما منظوما . وإما رجل أكرمه الله فأظفره بطلبته ، فهو بين المشاعر والمناسك هناك يحمد الله ، ويلبي لله ، ويكبر ويهلل ، ولا تذهله هيبة المقام ، ولا روعة الموقف أن يقول الشعر ، وهو شعر ديني صاف لا لغو فيه ولا تأثيم ، ولا شيء مما ينزع اليه الشعراء حين تستغرقهم الدنيا فى أحلامها ، وتطويهم فى أوهامها .

ولقد كانت عرفات ومنى وبقية الأماكن المطهرة فى الأرض الطيبة التى بارك الله حولها ، تسبيحة فى أفواه كثير من الشعراء الذين كتب الله لهم أن يزوروها . فلم يبخلوا على هذه البقاع بأبيات شعرية أو قصائد مطولة ، أودعوها سعادتهم بهذا الحظ العظيم الذى أوتوه ، وضمنوها من مشاعر الإيمان والعبودية ، والطاعة والخضوع ما فاضت به مشاعرهم ، واضطربت به نفوسهم ، وعبروا عن تحقيق أشواقهم ومواجدهم بما أسعفته به قرائحهم .

وليس من الضرورى أن تحرك هذه المواقف عواطف كل شاعر ألم بها ، وشد رحاله اليها .. فقد تكون الفرحة أعظم من أن يحيط بها وصف ، أو يعبر عنها شعر . فان من المواقف الجليلة الرائعة ما لا يستطاع معه تعبير ، ولا يقدر فيه على تصويره .

وكم رأينا فى تاريخ الشعر العربى من شعراء طافوا بهذه الأماكن المقدسة ، فاكتفوا من المواقف بأداء الشعيرة ، وقضاء المناسك . ورأوا فى الشعائر نفسها والقيام بها على أكمل وجوهها ما يغنى عن استنطاق

الشعر ، واستلهام الخيال . كما رأوا فى التكبير والتهليل ، والتلبية والتسبيح ، ما لا يتسع معه المجال ، ولا يليق معه المعرض لنظم شعر ، أو كد قريحة ، أو عمل قصيد . ويبدو أن عظمة الموقف فى الكعبة وعرفات ، ومنى ، وغيرها من هذه البقاع الطاهرة ، وجلال العبادة ، والاستغراق فى المناجاة تشغل كثيرا من الشعراء عن أن يفتحوا أفواههم بالشعر ، فهم بذكر الله ، فى شغل عن من عداه ....

ولكن هناك شعراء ، منذ قيام الدعوة الاسلامية ، وكتابة فريضة الحج لم تشغلهم الفريضة عن أن يتغنوا بالشعر فيها ، تعبيرا عن عاطفة خاصة لهم ، وتسجيلا لبعض أحاسيسهم ، وهم فوق ثرى هذه الأرض المباركة ، وقد انقطع عندهم الأمل من الدنيا ، وخمدت شهوات النفوس ، وسكنت المطامع ، ولم يبق من صوت الا مناجاة الحجيج لربهم ، يتضرعون اليه بالدعاء ، ويتقربون له بالتهليل ..

والحق أن موقف الناس بين يدى الله فى موسم الحج يدنى النفوس من شفافية الروح ، ويبعدها من كل عرض أو غرض مادى من أغراض الدنيا ، ويصرف أذهان الحجيج عن كل ما تعلق به النفوس من شهوات الحياة . فترى الحاج — وهو على مواقف عرفات ومنى — وقد نفض عن جسده ونفسه كل هوى من أهواء الدنيا ، وشغلته حلاوة الوقوف ، ولذة النزول بتلك البقاع عن أن يتعلق قلبه بشيء مما يتعلق به الناس فى الحياة . وكأنه فنى — أو أفنى نفسه — ومطامعه فى رحاب الله . حتى أكثر الناس إمعانا فى المعصية ، وأشدهم إسرافا على أنفسهم فى الذنوب ، نراهم اذا ما أشرفوا على تلك البقاع الطاهرة وقاربوها اعترتهم هزة عنيفة من جلال ما هم مقدمون عليه من مناجاة الله ، ومناداته ، والانابة اليه . واعتقدوا هوان الدنيا وصغارها وتفاهة شأنها ، وتضاءلوا — مهما كان شأنهم فى الحياة — أمام عظمة الخالق ، وقد جمعهم فى تلك المواقف والمشاعر على الايمان به ، والعبودية له ، والتوجه اليه .

وما يزال تاريخ الأدب العربى يذكر الشاعر الماجن فى أول عمره ، الزاهد فى نهاية مطافه ، ، أبا نواس ، وقد تاب الى الله يوما ، فاعتزم الحج ، اداء للفريضة ، واستجابة للأمر ، واستغفارا من الذنب ، وتجردا من المعاصى ، فاذا به فى هذا الموقف الرائع ، والحشد الحاشد ، تذوب عيناه من الدمع ، ويذوب قلبه من الرقة ، وتخشع نفسه من الهيبة ، فينظم أبياتا فى النجوى والدعاء ، تعد من أرق ما احتواه ديوان الشعر العربى فى المناجاة والتلبية . والحق أن أبا نواس قد وفق فى أبياته — التى سنوردها بعد — الى أبعد حدود التوفيق ، فقد جمع فيها بين خشوع التائب ، ورقة الشاعر ، واستغفار المذنب الى الله الرحيم الغفار . واستطاع فى فنية شعرية خاصة أن يوفق بين المعنى الخاشع ، واللفظ الذائب .

وهل هناك أرق وأخشع من شاعر يقول وهو فى موقف الضراعة ، والتلبية ، والدعاء بعرفات :

إلهنا ما أعدلك
مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك
لبيك إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك
ما خاب عبد سألك
أنت له حيث سلك
لولاك يا ربى هلك
لبيك إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك

كل نبي وملك
وكل من أهل لك
وكل عبد سألك
سبح ، أو لبى ، فلك
لبيك إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك
والليل لما أن حلك
والسابحات في الفلك
على مجاري المنسلك
لبيك إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك
اعمل وبادر أجلك
واختم بخير عملك
لبيك إن الحمد لك
والملك ، لا شريك لك

وهذا الموقف : موقف الاستسلام لله ، والتجرد من كل رغبة سانحة أو جامحة في الدنيا ، وعقد العزم على ترك الذنب وطرح المعصية ، يناقضه موقف آخر من شاعر عربي سابق في الوجود على أبي نواس ، هو الشاعر المحب المدله المخبل في الحب : قيس بن الملوح ، المعروف في كتب الأدب والمحاضرات والأخبار باسم : مجنون ليلى ..

ففوق ثرى هذه البقاع المقدسة ، وفي موسم الحج ، والحجيج تضج أودية الحجاز بأصوات تهليلهم ، كان رسيس الهوى قد بلغ من المجنون حدا حير أهله، وأيأسهم من الأمل في شفائه مما يجد من حب « ليلى العامرية » . فأخذه أبوه — إشفاقا عليه — الى موسم الحج،لعل هذه المواقف والمناسك تخرجه مما هو فيه من خبل الحب العنيف ، وترد اليه صوابه المفقود ، وترجع له عقله الضائع .

وفي لهفة الوالد الشفيق على شفاء ابنه مما يكابده ، وخلاصه مما يعانيه ، أخذ أبوه بيده الى محفل من الناس ، وسألهم أن يدعوا الله تعالى لولده بالفرج ... فلما أخذ الناس في الدعاء أخذ مجنون ليلى يقول :

ذكرتك ، والحجيج لهم ضجيج
بمكة والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن في بلد حرام
به لله أخلصت القلوب !
أتوب اليك يا رحمن مما
عملت ، فقد تظاهرت الذنوب
فأما من هوى « ليلى » وتركي
زيارتها ، فإني لا أتوب ..
وكيف — وعندها قلبي رهين —
أتوب اليك منها أو أثيب ؟!

فهنا في هذا الموقف — وللحجيج بمكة ضجيج،وللقلوب وجيب — يصر شاعرنا المخبل على أن يظل على موقفه من هوى ليلى ، وغرامها العاصف ، وأن لا ينفض يديه من حبها .. فهو مصر على هواها ، ولو بلغ به الأمر ما بلغ ، أو فعل به التبريح ما فعل .. وهو تائب الى الله عن كل ذنب ، مع اعترافه بتكاثر الذنوب وتظاهرها ، الا هوى «ليلى» فانه لا يتوب عنه ، ولا ينسلخ منه . وقد بسط الشاعر العذر لاصراره على موقفه هذا ، بأن قلبه رهين عندها ، فكيف يستطيع التوبة من حبها ، أو الاثابة من هواها ؟

وقد يكون الشاعر مجنون ليلى في حالة نفسية وعصبية مرهقة ، الى حد جعله يتخذ هذا الموقف العنيد في موقف الحج . وهي بلا شك شطحة جامحة من الشاعر الهائم المدله ، يشفع له فيها ما صارت اليه حالته النفسية والعقلية ، مما تفيض به كتب الأدب والنوادر .

ولا شك أن مزج الشعر الديني في هذه البقاع المقدسة بشعر الغزل — وخاصة العنيف — هو ضرب من قلة المراعاة ، وإغفال المبالاة ، بل ضرب من الاجتراء على الله .. فان صون هذه البقاع عن أهواء النفوس وشهواتها ورغباتها الجوامح هو

أحجى وأليق بالانسان الذي خرج من داره ليكون ضيفا على الله في بيتـه وفي رحابه . فمن شاء الغـزل أو النسيب أو التشبيب ، فليجعلها بعد انتهاء المناسك ، حتى ولو كان ذلك الغزل تقليديا على سبيل المحـاكاة لا على سبيل الأصالة .

ومن الشعراء الذين وقفـوا في هذا الموقف الشـاعر الأديب الوزير الأندلسي « أبو عبد الله بن زمرك » وزير بني الأحمر ملوك غرناطـة ، وصديق مؤرخنا العـربي العظيـم « عبد الرحمن بن خلدون » ، صاحب المقدمة المشهورة . فقد كاتب هـذا الشاعر الرقيق مؤرخنا وهو ناهض لأداء فريضة الحج بقصيدة يقول فيها:

فهل عند (« ليلىَ » نعم الله ليلها
بأن جفـوني ما تمل من السهد ؟
وليـلة اذ ولى الحجيج على منى
وفت لي المنى فيها بما شئت من قصد
فقضيت منها (فوق ما أحسب) المنى
وبرد عفافي صانه الله من برد

••• •••

واذا كان بعض شعرائنا قد هفا بهم الشوق وهم في مواقف الحج الى بعض مآرب من الدنيا ، فان شاعرا حجازيا من شعراء القرنين الحادى عشر والثاني عشر الهجريين — وهو السيد الشريف « على بن معصوم » صاحب كتاب « سلافة العصر » قد استطاع أن يصور لنا الحاج المتجرد من كل غرض دنيوى ، المتوجـه الى الله في صدق وإخلاص ، وقد كان الموسم حارا لاهبا ، والجمار كأنهـا قطع من النار ، فيقول :

لا يطعم الماء إلا بل غلته
ولا يذوق سوى سد الطوى بيتا
يفرى جيوب الفلا في كل هاجرة
يماثل العنب في رمضائها الحوتا
ترى الحصا جمـرات من تلهبها
كأنمـا أوقدت في القفر كبريتا
أجاب دعــوة داع لا مرد له
قضى على الناس حج البيت توقيتـا
يرجو النجاة بيوم قد أهـاب به
في موقف يدع المنطيق سـكيتا

الى أن يقول :

حتى أناخ على أم القرى سحرا
وقد نضا الصبح للظلماء اصليتا
فقام يقـرع باب العفـو مبتهلا
لم يخش غير عتاب الله تبكيتا
وطاف بالبيت سبعا ، وانثنى عجلا
الى «الصفا» حاذرا للوقت تفويتا
وراح ملتمسا نيل المنى « بمنى »
ولم يخف غير حل «الخيف» تعنيتا
وقام في «عرفات» عارفا ، ودعا
ربا عـوارفه عمتـه تربيتـا

ولقد أطال على بن معصوم النفس في هذه القصيدة التي عارض بهـا قصيدة الشاعر « أبى العلاء المعرى » التي يخاطب بها القاضى « أبا القاسم على بن المحسن التنـوخى » والتي يقول في مطلعها :

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا
وموقـد النـار لا تكرى بتكريتا

وقصيدة المعرى هذه مودعة في ديوانه « سقط الزند » ويجدهـا القارىء كاملة في كتاب « شـروح سقط الزند » الذى أصدرته لجنـة إحياء آثار أبى العلا المعرى سـنة ١٩٤٨ — جـزء ٤ — ص ١٥٩٣ ، وتبلغ عدة أبياتها واحدا وخمسـين بيتا ، مشحونة بكثير من القـوافي الغريبة على روى التاء . .

واذا كان الشاعر ابن معصوم قد ذكـر بالتفصيل كثيرا من مناسـك الحج وشعائره في قصيدته التائية ، فان شاعرا دمشقيا سابقا له بقليـل قد استطاع أن يلم بالمناسك والمواقف المامة قصيرة جميـلة في قصيدة له عينية . هذا الشاعر هو « يوسف بن أبى الفتح » . وقد استطاع « محمد أمين بن فضـل اللـه المحبى » — صاحب « خلاصة الأثر » ، و « نفحة الريحانة » — أن يسجل لنا أبياتا من

هذه القصيدة يقول فيها الشاعر ابن أبي الفتح :

سقى الله من وادي «منى» كل ليلة
هي العمر كانت،والشباب المودعا
ويا جاد أياما بها قد تصرمت
ثلاثا : ومن لي أن أراهن أربعا ؟
وحيا مقامي « بالمقام » وأربعا
لدي« عرفات » يا سقاهن أربعا ؟
فلله ما أبهى « بمكة » مشعرا
ولله ما أحلى « لزمزم » مشرعا

ولا نعرف فيتاريخ الشعر العربي شاعرا دعى الى أداء فريضة الحج في ركاب أمير حاكم فلم تتهيأ له عزيمته ، ولم تقو له همته ، غير شاعرنا أحمد شوقي . فقد دعاه الخديوي عباس الثاني ليكون فيجملة ركبه حين خرج من مصر لأداء الفريضة سنة ١٣٢٧هـ ، على ظهر سفينة أو مطية ، فخشي الشاعر المترف هذا المركب الذي ظنه خشنا بالنسبة اليه ، وقدم الى الخديوي الأعذار التي قبلها . وهكذا لم يهيىء الله الشاعر أحمد شوقي لأداء فريضة الحج في ركب كان من رجاله الأديب الرحالة لبيب البتانونيبك (١) الذي وصف هذه الرحلة في كتابه القيم : (الرحلة الحجازية) .

واكتفى شوقي من ذلك النكول والاعتذار بقصيدة رفعها الى الخديوي عباس الثاني ، يخاطب فيها ربه قائلا :

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم
لبيت طهور الساح والعرصات
أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة
اليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا ، فلا الأنساب فيها تفاوت
لديك ، ولا الأقدار مختلفات
عنت لك في الترب المقدس جبهة
يدين لها العاتي من الجبهات
دعاني اليك الصالح « ابن محمد »
فكان جوابي صالح الدعوات ..
وخيرني في سابح ، أو بجيبة
اليك ، فلم أختر سوى العبرات
وقدمت أعذاري ، وذلي وخشيتي
وجئت بضعفي شافعا ، وشكاتي

... ...

ومن الشعراء من لم يفوزوا بنعمة التوفيق الى أداء فريضة الحج ، فحولوا حرمانهم الى التغني بأشواق الرحلة ، وظلوا يتحرقون شوقا الى تلك البقاع . فاذا ما ودعوا مسافرا الى أرض الحجاز ، أو استقبلوا عائدا من ضيافة الله في بيته الحرام تحركت مواجدهم وأشواقهم الى أداء الفريضة وعبروا عن ذلك بشعر فيه حنين وتشوق . ومن هؤلاء الشعراء الرحالة المؤرخ « ابن جبير » الأندلسي صاحب الرحلة المشهورة ، والمتوفى بالاسكندرية سنة ٦١٤هـ . فقد أزمع — قبيل رحلته — الحج الى بيت الله الحرام مرتين تكفيرا عن بعض خطايا اعتقد ارتكابها . وكان دائم الحنين الى هذه المواطن المشرفة . ولقد سجل له تاريخ الأدب أبياتا قالها يهنىء وفدا أندلسيا عائدا من الحج بقوله :

يا وفود الله فزتم بالمنى
فهنيئا لكمو أهل « منى »
قد عرفنا « عرفات » بعدكم
فلهذا برح الشوق بنا
نحن بالمغرب نجري ذكركم
وغروب الدمع تجري بيننا

ولقد بلغ من غرام الرحالة ابنجبير الأندلسي بعرفات ، وتعلقه بالوقوف بها أنه في رحلته — وهو يصف مكة — لم يتردد ، وهو يتحدث عن باب المعلى أن يقول في شوق واضح : (وعلى هذا الباب المذكور

---

(١) هو محمد لبيب البتانوني — أو البتنوني— صاحب « الرحلة الحجازية » و « رحلة الى الأندلس » ، « الرحلة الى أمريكا »وغيرها و توفي بالقاهرة سنة ١٩٣٨ ..

طريق الطائف ،و طريق العـــراق ، والصعود الى عرفات ، جعلنا الله ممن يفوز بالموقف فيها ..)

ولا ينفـــرد الشـــعراء وحـــدهم بالاحتفال بعرفات ومنى والمواقف .. فهناك أدباء خطباء غير شعراء عبروا عن إحساسهم بالموقف في نثر فصيح وروت بعض كتب الادب والمحاضرات والأخبار أخبارهم . فقد ذكر ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » رواية عن العتبى ، أنه سمع بعرفات عشية الوقوف بعرفة اعرابيا وهو يقول : (اللهم ان هذه عشية من عشــــايا محبتك ، وأحد أيام زلفتك ، يأمل فيها من لجأ اليك من خلقك لا يشرك بك شيئا ، بكل لسان فيها تدعى ، ولكل خير فيها ترجى . أتتك العصاة من البلد السحيق ، ودعتك العفاة من شعب المضيق ، رجاء ما لا خلف له من وعدك ، ولا انقطاع له من جزيل عطائك . أبدت لك وجوهها المصونة صابرة على لفح السـمائم ، وبرد الليالى ، ترجو بذلك رضوانك يا غفار يا مستزادا من نعمه ، ومستعاذا من كل نقمه ، أرحم صوت حزين دعاك بزفير وشهيق) .

واذا كان هذا الدعاء الصـــادق الجميل قد صدر عن أحد الاعراب ، فان طـــاووسا بن كيســـان الواعظ الفقيه المحدث ، المتوفى سنة ١٠٦هـ يروىٰ لنا دعاء آخر سمعه من أعرابى تبعه ، حتى أتى « الملتزم » فتعـــلق بأستار الكعبة ، ثم أخذ فى مناجاة الله قائلا : (اللهم بك أعوذ ، واليك الوذ ، فاجعـــل لى فى اللهف الى جوارك ، والرضا بضمانك ، مندوحة عن منع الباخلين ، وغنى عما فى أيدى المستأثرين . اللهم عُد بفرجك القريب ، ومعروفك القديم ، وعادتك الحسنة) . فلما فرغ من الدعاء عند الملتزم ، توجه الى عرفات ، فتبعـــه طاووس ، وهناك سمعه قائما على قدميه يقول : (اللهم إن كنت لم تقبل حجي ونصبى وتعبى ، فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته . فلا أعظم مصيبة ممن ورد حوضك ، وانصرف محروما من سعة رحمتك ..)

ومن الشعراء الذين عبروا عـــن أشواقهم الى عرفات وبقية المواقف فى الأرض المطهرة ، الشاعر « ابن معتوق الموسوى » من شعراء القرن الحادى عشر الهجرى ، وهو صاحب الديوان المطبوع فى بيروت ســـــنة ١٨٨٥ الذي جمعه ابنه : معتوق . فله أكثر من قصيدة يحن فيها الى مواقف الحج ويتشوق ، وهى قصائد لم ينظمها أصلا فى الحنين ، ولكنـــه نظمها فى التهنئة لبعض أمراء عصره بعيد الفطر أو الأضـــحى ، ثم عرج على الحنين،كقصيدته فى مدح السيد على خان التى يهنئه فيها بعيد الفطر ويستأذنه للحج ، قائلا :

وركبتعاطوا فىالدجي دلج السرى
يميلون من سكر الكرى لم يهوموا
سهاما على مثل القسى ارتمتبهم
يؤمون نجدا ، والهوى حيث يمموا
تراءى لهـــم قلبى اماما ، فغرهم
وأوهمهم نار الغضا ، فتوهمـــوا
أروح ، ولى روح الى نحو رامـــة
وآرامها شـــوقا تحن وتـــــرأم
وقلب الى نحو الحجاز ، وأهله
يفـــور به الود الصحيح ويُتهـــم
اذا مر ذكر « الخيف » لو لم يكن به
ولاءُ عـــلىّ كاد بالنـــار يضـــرم

وكقصـــيدته التى نظمهـــا ســـنة ١٠٦٤هـ يهنىء السيد على خان بعيد النحر ، والتى يقول فيها :

أموا بنـــا أم القرى ، فلعلنـــا
ندنوا الى ليـــلى الفـــداة ونقرب

وصفوا لسكان «الصفا» كدري عسى
أن ينصفوا يوما فيصفو المشرب
وذروا القلوب الواجبات بربعه
تقضي الحقوق الواجبات ، وتندب
وقفوا على «الجمرات» نسأل من بها
عمن لها بصدورنا قد ألهبوا
وانحوا يمين « منى » فثم من المنى

سر باحشاء المنون محجب ..

وكقصيدته التي يهنىء فيها بعيد النحر أيضا ، ويتشوق الى أهل « الخيف » من منى ، والتي يقول فيها :

ولي في « الخيف » أحباب كرام
لدي ، وان هم لم يكرموني
خضعت لحبهم ذلا ، فعزوا

ودنت لحكمهم فاستعبدوني
هم اجتمعوا على قتلي بجمع
ففيم على المنازل فرقوني ؟

وحين نقبل مع مسيرة التاريخ الى العصر الحديث ، نجد الشاعر الفحل « عبد الحليم المصرى » الذى كان ينافس أحمد شوقى على امارة الشعر ، يهنىء الخديوى عباس الثانى بحجته التى اعتذر الشاعر أحمد شوقى من الخروج معه فيها كما سلف القول ، فيعبر عن أشواقه الى « البيت » و « الركن » وبقية المناسك قائلا :

بدر الحجيج : لقد هيجت بى شغفا
الى أطباء الحمى ، والأنيق الرسم
«البيت» صوبك فادع الطائفين وطف
«والركن» صوبك فادع الله واستلم
منى سلام على «وادى الحجاز» وان
لم يرو من ظمأى أو يشف من ألمى
يا ليتنى شمت « عباسا » بموكبه
كأنه حرم يسعى الى حرم ..!

وهو فى البيت الأخير يشير إشارة بارعة الى تمنيه أن يكون فى موكب الخديوى الى الحج بدلا من الشاعر المتخلف المعتذر عن الركب أحمد شوقى ..

ولم يحتج صديقنا الشاعر المعاصر محمد مصطفى الماحى الى أن يتشوق الى الكعبة وعرفات ، فقد أظفره الله بالبيت الحرام غير مرة . ففى سنة ١٣٧٧هـ طاف بالكعبة ، ونظم فى تلك المناسبة السعيدة قصيدتين : أولاهما « تضرع ودعاء » وثانيتهما : « فى البيت الحرام » وهما فى صفحتى ١٣٤ ، ١٣٥ من ديوانه الأخير الجامع . وفى سنة ١٣٩٣هـ أكرمه الله بالحج ، فلما عاد من رحلته المبرورة ، كانت تستقبله أبيات لنا نقول فى شوق فيها الى تلك البقاع :

أيها العائدون من كنف الله

ومن بيته العتيق القديم
كنف الله لا تزالون فيه

فهو كهف لنازح ومقيم
رحلة فى معارج الروح كانت
فى مقام للقانتين عظيم
حيث باب « الصفا » يضيق بالصفو ، وباب « السلام » بالتسليم
ليتنى كنت بينكم أتملى
فى رحاب الله الغفور الرحيم
تائبا عن مساوئى ، وذنوبى
عاريا من مشاغلى وهمومى
قبل الله حجكم .. وهداكم .

باطراد الى السبيل القويم
وغدا نلتقى على عرفات
بين أرجاء زمزم ، والحطيم

وهكذا سجلت هذه المواقف الطيبة رصيدا غاليا من الشعر والنثر ، ما زلنا نجد فيه متاعا للأذن حين تسمعه ، وللقلب حين يعيه .

الحضارة الغربية في ساعتها الخامسة والعشرين

٢

للدكتور : عماد الدين جليل

إن سيطرة الآلية على الحضارة الغربية تقوض قيما قديمة وأوجد قيما أخرى ، سحق مكتسبات قرون طويلة من القيم الخلقية والاجتماعية والنفسية والروحية ، وأحل محلها قيما منتزعة من روح الآلة الصماء وعلاقاتها الرتيبة وتجريدها الميت . وها نحن نجد هذا التقابل المحزن بين نوعين من القيم في الحضارة المعاصرة الجماعية ضد الفردية ، التشابه ضد التنوع ، التعميم ضد التخصيص ، المادية ضد الروحية ، الرمزية ضد الشخصانية ، الارهاب ضد الحرية ، التجريد ضد الحياة ، التكرار ضد التطور الخلاق ، الموضوعية ضد الذاتية ، والظاهر ضد الباطن (إن ظهور العصر التكنى قد حطم كل ما ربحناه واقمناه خلال قرون من الحضارة . لقد أدخل المجتمع التكنى من جديد احتقار الكائن الانسانى .. لقد تحول الانسان اليوم الى مقياسه الاجتماعي فحسب — (ص ٢٢٢) .

ولنستعرض الآن مع جيوروجيو صورا حية من هذا الطغيان للقيم الآلية الجديدة على علاقات الانسان ووجدانه ، انه يشير الى هذه السلالة التى انبثقت عن زواج الانسان بالآلة زواجا غير شرعي ، وكيف أنها ورثت عن الآلية كيانها الأصم ووجودها الثقيل الرتيب .. هذه السلالة الجديدة هي (المواطنون) الذين ملأوا الشوارع والمكاتب والأزقة والمؤسسات ، وطفوا على سطح الأرض ، وأصبح زمام الإنسان ومصيره بأيديهم (إن الانسان يستطيع السيطرة على كل الحيوانات المفترسة ، غير أن حيوانا جديدا ظهر على سطح الأرض فى الآونة الأخيرة وهذا الحيوان الجديد اسمه المواطنون . إنهم لا يعيشون فى الغابات ولا في الأدغال ولكن في المكاتب مع ذلك فانهم أشد قسوة ووحشية من الحيوانات المتوحشة فى الأدغال ، لقد ولدوا من اتحاد الرجل مع الآلات .. انهم نوع من أبناء السفاح !! وهم أقوى الأصول والأجناس الموجودة الآن على سطح الأرض ان وجههم يشبه وجه الرجال ، بل ان المرء غالبا ما يخلط بينهم ، ولكن لا يلبث المرء حتي يدرك بعد حين ، انهم لا يتصرفون كما يتصرف الرجال ، بل كما تتصرف الآلات . ان لهم مقاييس وأجهزة تشبه الساعات بدلا من القلوب . وأدمغتهم نوع من الآلة ، فهم بين الآلة والانسان ، ليسوا من هذه ، ولا من ذاك ، ان لهم رغبات الوحوش الضارية مع أنهم ليسوا وحوشا ضارية ، بل انهم مواطنون .. انهم سلالة اكتسحت الأرض (ص ٣٨٦) . وفى مكان آخر يقدم لنا جيوروجيو وصفا للمواطن أكثر دقة وروعة (انه الكائن البشرى الذى لا يعيش الا فى الحدود الاجتماعية من الحياة كمكبس الآلة الذي لا يقوم الا بحركة واحدة يكررها مدى الحياة . لكن المواطن ، خلافا لما هو عليه المكبس يحاول تنصيب نشاطه على شكل رمز وتعميمه مثلا يحتذى به فى العالم أجمع ليقلده فيه العالم أجمع . ان المواطن هو أخطر وحش ظهر على سطح الأرض منذ أن تلاقى الانسان مع الرقيق التكنى فهو يملك قوة الانسان والوحش وبرودة الآلات ولا مبالاتها (ص ٩١) وهكذا فان المواطن ليس الا نتيجة محققة لتحويل الرجل الى (مقياس واحد من مجموع المقاييس التي كان يتمتع بها وهو المقياس الاجتماعى) ومن ثم فان كلمة مواطن (لم تعد مرادفة لمعنى : انسان) !!

وما أن أحكمت الآلية قبضتها على خناق الانسان واتخذ (المواطنون) مواقعهم فى الشوارع والمؤسسات وفي كل مكان .. حتما كان من المحتوم أن تنتصر الجماعية على الفردية بشكل لم يشهد له التاريخ مثيلا (ان المجتمع الغربى يعمم كل شيء (وبسبب الاستمرار على التعميم والبحث أو ايداع كل القيم فيما هو عام ، فان الانسانية الغربية فقدت كل شعور بالقيم الفردية وبالتالي بالكيان الفردي . ومن هنا نشأ خطر الجماعية سواء كان على الطريقة الروسية أو على الطريقة الأمريكية . وبسبب ذلك نستطيع أن نتأكد من أن هذا المجتمع سينهار .. ان مجتمع الحضارة الفنية أصبح متناقضا مع حياة الفرد لأنه يخنق الانسان .. اننا نموت جميعا مختنقين فى الجو الخانق الذي يخلقه هذا المجتمع حيث لا يمكن لغير الرقيق الآلي والآلات والمواطنين أن تتحرك فيه (ص ٤٥٢) .

والفردية والتنوع هما جزء أصيل من قدر الله وخطته المعجزة لتحريك الحياة وتلوينها وتطويرها الأبدى الخلاق ، لذا فان ما تشهده الحقبة الحاضرة من التاريخ يمثل انحرافا كبيرا عن نواميس الكون والبشرية (ان البشر بهذا الشكل يخطىء خطيئات خطيرة ويعتبر مذنبا حيال الله . إننا نعمل بكل قوانا ضد خيرنا الخاص وضد الله سبحانه على الأخص وذلك هو آخر منحدر بلغت اليه البشرية .

وفي يوم من الأيام سوف ينقرض هذا المجتمع كما انقرضت مجتمعات كثيرة خلال حقبات التاريخ ، وقبل أن يبدأ التاريخ (ص ٤٥٢) .

والجانب الديمقراطي .. من جغرافيـة أمريكا وأوروبا يتحمل نفس المسئولية في سحق الفردية وطغيان الجماعة (ان الديمقراطية - مثلا - لون تنظيمي اجتماعي متفوق تفوقا واضحا على النظام الكلي - توتاليتا ديزم السائد في المجتمعات الأخرى ، لكنها لا تمثل إلا مقياس الحياة البشرية من الوجهة الاجتماعية . فاذا بلغ المرء مبلغ الخلط بين الديمقراطية واتجاه الحياة نفسها فانه بذلك يقتل الانسان ويحيله الى مقياس واحد ، وتلك هي الخطيئة الكبرى ، الخطيئة التي ارتكبها النازيون والشيوعيون (ص ٤٥٣ ، ٤٥٤) .

إن اعتماد الغرب على الأساليب الرياضية والمنطقية والاحصائية في توجيه الحياة وتطويرها لسوف لن يحقق إلا كمالا اجتماعيا ظاهريا ، ولكن هذا سيكون على حساب الحياة الداخلية ، الحياة في مجاريها الحقيقية العميقة التي تصنع الحضارة وتوجه التاريخ وتسير بالبشرية الى الأمام . ان ردم هذه المنابع الباطنية سوف يقضي على سر التطور الذي وهبه الله للانسان ، ومن ثم فان هذا الكمال الاجتماعي السطحي سوف يمتد أفقيا فحسب ، ويفقد - بالتدريج - قدرته على الامتداد العمودي ، صوب البعد الثالث في الانسان ، وهذا يعني أنه تطـور مأسور بقيود الزمن ، وان المستقبل القريب سوف يشهد تحطما مريعا لمجتمع يركن الى القيم الجماعية الظاهرة في تماسكه .. هذا هو ما يعنيه جيوروجيو في قوله :

(إن الحياة الانسانية ليس لها أي معنى اذا لم تؤخذ ولم تحي في مجموعتها . ولكي يتعمق الانسان في الاتجاه الأقصى من الحياة يجب أن يستعمل الأدوات نفسها التي نستعملها لفهم الفن والدين ، أدوات لكل ابداع .. ان العقل يشغل دورا ثانويا في اكتشاف هذا الاتجاه الأقصى من الحياة . فالرياضيات والاحصاءات والمنطق ليس لها في تفهم وتنظيم الحياة البشرية إلا ذلك المفعول الذي يحدثه الاصغاء الى الحق من ألحان بتهوفن أو موزار . لكن المجتمع الغربي الآلي يلح بعنـاد في الوصول الى فهم بتهوفن ورافائيل عن طريق الحسابات الرياضية ، ويلح بعناد على فهم الحياة الانسانية وتحسينها بواسطة الاحصاءات وان هذه المحاولة منافية وأليمة معا . إن الإنسان يستطيع أن يبلغ - على أبعد حد - استنادا الى هذا الأسلوب الى ذروة الكمال الاجتماعي لكن ذلك لن يفيد في شيء ، لأن حياة الانسان نفسها لن يكون لها وجود في اللحظة التي تنقلب فيها الى الجماعيـة والآلية ، والى قوانين تتعلق بالآلة . ان هـذه القوانين لا يمكن مطلقا أن تعطي لونا لحياة البشرية ، واذا نزعنا من الحياة لونها - وهو اللون الوحيد الذي تحتفظ به والذي يفوق حد المنطق - فان الحيـاة إذاً ستبلغ الفناء .. ان المجتمع المعاصر نبذ منذ زمن طويل هذه الحقائق ومضى بسـرعة مريعة نحو سبل أخرى (ص ٤٥٤ ، ٥٥) .

وكان من المحتـوم أن ينتصر التجـريد الميت على الحيـاة .. وها هو (جيوروجيو) يتكلم على لسان أحد أبطاله وهو يواجه ممثلي الحضارة المعاصرة (إن البشر مخلوقون من ألم وإيمان ورغبات وجوع ويأس وخيال ، وأنت لا تعنى بأجسادهم ولا بدمائهم ، أي بعناصرهم الشخصية ، ولا بآمالهم أو يأسهم وهـي العناصر الأكثر خصوصية وتعلقا بهم . إنك تهتـم بالأوراق والأرقام .. ان المعلومات والأشياء المجردة الأخرى هي التي تستأثر باهتمامك وليس الرجال أنفسهم . حتى أنا : إنني لا أظفر باهتمامك بصفتي إنسانا . انني بالنسـبة

إليك لست إلا كسرا من وحدة مقسمة الى عشرين ألف قسم، انك لم تعرف أى مخلوق على سطح الأرض .. إنك لم تعرف الا مخلوقات بشرية معدلة ومحولة الى مقياس واحد ، لكن هؤلاء ليسوا مخلوقات بشرية بمعنى الكلمة كما أن المكعبات التى يؤخذ ضلع واحد منها لا يمكن أن تكون مكعبا حقيقة (ص ٤٨٠ ، ٤٨١ .

وكان من المحتوم أن تموت العواطف وتذوى فى وجدان إنسان يعيش فى مجتمع التعميم والمادية والتجريد والرتابة والموضوعية .. ها هو جيوروجيو يتكلم هذه المرة على لسان امرأة ليحدد موقع الحب فى كيان حضارة لا وجدان لها ، ليقول ــ بمعنى آخر ــ إن الحب وكل العواطف الانسانية قد عفى عليها !
(ان أى رجل من حضارتك لا يستطيع إنماء عاطفة فى نفسه ــ ان الحب تلك العاطفة البليغة ، لا يمكن أن يكون إلا فى مجتمع يؤمن بأن الكائن البشرى فريد لا يمكن استبداله ــ والمجتمع الذى تنتمى اليه يؤمن بشدة بأن كل رجل يمكن استبداله بسهولة . إنكم لا ترون فى الانسان ، وبالتالى فى المرأة التى تزعمون أنكم تحبونها ، مثالا وحيدا خلقه الله .. دفعة واحدة ومرة واحدة . إن الانسان فى نظركم خلق على دفعات ، والمرأة فى نظركم تشبه أى امرأة أخرى ، وبمثل هذا الاعتقاد يمكنكم أن تحبوا أبدا ــ ص ٥٥٢) .

والآلام يريدون أن يزنوها بالكيلوغرامات والأطنان ، ومن ثم نسمع هذه الصرخة المحزنة التى تدين حضارة القياسات (ان آلام البشر لا يمكن أن تقاس بالكيلو غرامات والأطنان !.. ان الحياة لا يمكن أن توزن ، ان ذلك الذى يحاول وزنها يرتكب خطيئة قاتلة ــ ص ٤٠٤) .

وكان من المحتوم أن تتلقى العدالة ضربة قاضية ، العدالة التى تنبثق عن إيمان عميق بالمسئولية الفردية وبأن كل امرىء رهين بما يكسب ، وان كل إنسان يعمل على شاكلته .. وهل يبقى ــ بعد الذى رأينا ــ مجال للعدل ونحن نسمع أحد ممثلى الحضارة المعاصرة يقول بثقة لا حد لها : (ان التعليمات المتعلقة بالتوقيف أو اطلاق السراح ، لا ينظر فى شأنها الا على أساس جماعى ، ان عملنا يقوم على أساس جماعى ، ان عملنا يقوم على أساس توزيع كل شخص الى الفئة التى ينتمى اليها . انه عمل حسابى دقيق .

سؤال : أولا تجدون أن إلغاء الإنسان ومعاملته كجزء من فئة عمل غير إنسانى ؟

جواب : كلا ....!! ان هذا الأسلوب عملى وسريع بل إنه علاوة عن ذلك عادل ، ان العدالة لا يمكن أن تريح الا من هذا الأسلوب . ان العدالة تسير وفق مناهج العلوم الرياضية والفيزيائية أى بحسب الأساليب الأكثر دقة . ان الشعراء وحدهم وعلماء اللاهوت يستنكرون هذه الوسائل والأساليب . لكن المجتمع المتمدن قد نقح المبادىء اللاهوتية والشعر . اننا الآن نجتاز حقبة علمية رياضية سليمة ، ولا يمكن لنا العودة الى الوراء لأسباب عاطفية . ان العواطف ليست على كل حال إلا من ابتكار الشعراء وعلماء المعقولات .

وكان من المحتوم أن يفقد الانسان حريته ، ويستعبد ، ومن ثم يفقد القدرة ــ كذلك ــ على تحرير الآخرين (ان أى رجل ــ بعد الآن ــ لن يستطيع تحرير رجل آخر أو تحرير نفسه . لقد أصبح البشر الآن أقلية موثوقة الأيدى مغلولة العنق ، وأصبح الانسان عاجزا عن مد يد العون الى أترابه ، انه مربوط الى سلاسل آلية .. إنها سلاسل البيروقراطية الآلية التى تزين معاصمنا وأقدامنا . إن كل ما تستطيع الحضارة الغربية الحاضرة تقديمه الى الانسان : الأصفاد (ص ٥٠٢) .

(للبحث بقية)



للأستاذ : عبد اللطيف
محمد صالح العوضي

مقدمة :

علم التاريخ ونظرياته وتفسيره ومفهومه يلقى اهتماما خاصا من المؤرخين العرب وغيرهم قديما وحديثا ، ويرجع ذلك لأهميته في البحث التاريخي وكمادة مدرسية وكعلم له دور هام في حياة كل مجتمع لأنه يعطي انطباعا شاملا عن العالم بشكل عام كما أنه يؤدي الى صبغ النظام التربوي لكل مجتمع بشكل معين .

والنقاش لم يعد مقتصرا على كون التاريخ علما أو أدبا أو فنا بل ان له دورا عظيما في تربية النشء واعدادهم للحياة والمواطنة السليمة في المجتمع الذي يعيشون فيه ومن هنا ظهرت أهمية التاريخ كعلم من العلوم وكموضوع حيوي له منزلته الخاصة بين علوم المعرفة المختلفة حتى أطلق على العصر الحديث اسم (عصر التاريخ) وأدى بالتالي الى تغيير النظرة حول طبيعة التاريخ ومفهومه بل ينظر اليه كعلم احتماعي .

واختلاف المؤرخين المسلمين وغيرهم من الأجانب حول مفهوم التاريخ وتفسيره وفائدته للمجتمع اختلاف راجع الى العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أثرت في طبيعة التاريخ وتحديد أغراضه من عصر لآخر ، وكذلك الاختلاف

راجع الى الطريقة التي تتم بواسطتها عملية انتقاء المادة التاريخية ومعالجتها ، فمثلا بعض المؤرخين يرى التاريخ فنا من الفنون ، والبعض يعتبره ضمن العلوم الموضوعية ، وآخرون يرونه من العلوم الاجتماعية ، ومنهم من يعرض التاريخ على شكل الأساطير الموشاة بالحقيقة ، والبعض يقصره على المعجزات والأساطير والقصص الدينية . وعلماء التاريخ المسلمون يرون الاشتغال به لخدمة الفرض الديني ، ومطية لفهم الفقه والشريعة ، فهو من هذه الناحية (اداة) لخدمة الدين ووسيلة اليه .

وهكذا نرى اختلاف المؤرخين حول طبيعة التاريخ ومفهومه قديما وحديثا ، ولسنا فى سبيل استعراض تلك الآراء والاتجاهات والنظريات ، أو تعدد انواع التعريفات ، فذلك أمر يطول بنا ، ويتطلب تتبع التاريخ فى تطوراته المختلفة ، ولكن سوف نقصر البحث هنا على مفهوم التاريخ ، وسببيته ، عند علماء المسلمين .

ما المقصود بكلمة (التاريخ) .. ؟

يدل لفظ التاريخ على معان مختلفة فبعض الكتاب يعتبر التاريخ : يشتمل على المعلومات التي يمكن معرفتها عن نشأة الكون بما يحويه من أجرام وكواكب . وما جرى على سطحها من حوادث الماضي .. أي كل ما يتعلق بالانسان منذ بدأ يترك آثاره على الصخر والأرض ، ولقد لعبت التطورات فى علم الكلمات دورا هاما فى تكوين الفكرة الحديثة للتاريخ ، وقد حدث هذا فى التاريخ الاسلامى .

لقد كان التعبيران اللذان استعملا للتعبير عن فكرة التاريخ بالعربية هما علم (الأخبار) و (تاريخ) الا أن كلمة الاخبار هى الأكثر شيوعا واستعمالا من كلمة التاريخ ، فكلمة اخبار تطابق التاريخ من حيث أنه قصة أو حكاية لا تتضمن أى تحديد فى الزمن .

وفى اللغة العربية التاريخ والتأريخ والتوريخ يعنى الإعلام بالوقت ، وقد يدل تاريخ الشيء على غايته ووقته الذى ينتهى اليه زمنه ، ويلتحق به ما يتعلق من الحوادث والوقائع الجليلة ، وهو فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت وموضوعه : الانسان ، والزمان ، ومسائله : أحواله المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة للانسان وفى الزمان .

صلة التاريخ بالدين :

يرجع اهتمام العرب بالتاريخ الى ما قبل الاسلام حيث كانوا يعتقدون بأهمية الدم فى تقرير خلق الانسان ويؤمنون بأن أعمال الآباء والأجداد تسبغ على الأبناء مكانة فى المجتمع ، وهذا دفعهم الى الاهتمام بالنسب ، وحفظ شجراته ، وتدارسها .

ثم جاء الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو الناس الى الاسلام ، وانزل الله تعالى القرآن الكريم وفيه أخبار الأمم الماضية كقوم نوح ، وهود ، ومدين ، وثمود ، وهارون ، وفرعون ، وقارون ، وأصحاب الكهف ، تلك القصص القرآنية تدعو الناس الى التفكير بها وأخذ العبرة والعظة منها .

ولما كان التاريخ من أهم فروع المعرفة الانسانية ، بل هو المعرفة أو العلم الذى يظهر الانسانية على حقيقتها . فلقد اهتم أغلب المؤرخين والمشتغلين بالتاريخ الاسلامى بالتدليل على أهمية التاريخ وفائدته للبشرية .

لذلك قلما نجد مرجعا من المراجع الاسلامية فى التاريخ أو مصدرا من مصادرها خاليا من الاشارة الى اهمية هذا العلم والاشتغال به .

واستظهر بعض العلماء ضرورة الاشتغال بالتاريخ لاستكمال أمر الدين واصلاح المعاملات والمعاش الدنيوى حتى تتحقق الحكمة من الوجود الانسانى فى الحياة على أكمل الوجوه ، وقد ذهب بعض العلماء الى أهمية التاريخ وعظمته فى النفوس لأن القرآن الكريم ذكر التاريخ ، وفى ذكره دلالة وبرهان على ما له من أهمية فى نفوس البشر ، فالتاريخ ملىء بقصص الأبرار والشهداء ، وبحوادث العرب ووقائعهم ، وأخبار الأنبياء والرسل ، والقادة والملوك ، وفى القرآن قصص عن الأمم الماضية ، وأخبار الأولين من الملوك والدول ، ومن هنا نشأت العلاقة بين التاريخ وهو أحد المواد الانسانية والأدبية وبين القرآن الكريم ، فالقرآن والتاريخ يرميان الى عناية دينية وخلقية ، فهما يتناولان الظلم والفساد الذى يودى بالناس وبالأمم والملوك الى الهلاك والدمار ، ويشترك القرآن مع التاريخ لا فى تحذير وتخويف الناس من الدمار والهلاك فحسب ، بل يشترك معه فى وظيفة ايجابية وهى مد الدارس بالأخلاق الفاضلة كالشجاعة والتضحية والصبر ، الأمر الذى يجعل لدراسة التاريخ وتعلمه أهمية خاصة فى تربية النشء فهو ليس تسلية وترويحا للخاطر بقدر ما هو نافع ومفيد حتى اشترط المؤرخون أن يكون الحاكم والسلطان والوزير والعامل ملما بمادة التاريخ ، عارفا به ، مستفيدا منه .

عوامل اهتمام المسلمين بالتاريخ :

ان التاريخ من أهم ميادين المعرفة عند العرب ، ومن أوائل العلوم التى اهتموا بها فتدارسوه ، ورووا أخباره واهتموا بتوقيتها ، وظل هذا الاهتمام والتدارس مستمرا طوال العصور والأزمنة . وقد أدى هذا الاهتمام الى انتاج فكرى هائل فى علم التاريخ فألفت فى مختلف الأزمنة والأقاليم كتب فى التاريخ تناولت جوانب متعددة من النشاط الانسانى، ويرجع اهتمام العرب الى دراسة علم التاريخ والاشتغال به الى عدة عوامل منها اهتمامهم بغزوات الرسول عليه السلام ، فاهتموا بتدوينها وتسجيلها تسجيلا كاملا دقيقا فى مراجعهم وكتبهم ومصادرهم .

ومنها كذلك تقاليدهم القديمة التى تهتم بالنسب والمفاخرات ، ومنها دعوة القرآن الكريم الى الاهتمام بأحوال الأمم السالفة لا سيما وقد حوى القرآن قصص الأولين لتكون عظة وعبرة لأولئك المؤمنين ، ومنها أن العرب بطبيعتهم محافظون يهتمون بالسنن والتقاليد . ويعملون على مراعاتها ، بالاضافة ما للتاريخ من متعة عند السماع . وعبرة عند التفكير .

بعض التفسيرات عن مفهوم التاريخ :

المؤرخون العرب مثل الطبرى والبلاذرى وابن الجوزى قدموا بعض التفسيرات عن مفهوم التاريخ وطبيعته ، البلاذرى فسر التاريخ العربى الاسلامى على أنه تعبير عن دور العرب الأشراف الذين حملوا رسالة الاسلام ونشروا اللغة العربية فى العالم ، والبعض فسر التاريخ

تفسيرا أخلاقيا ورأى فيه الأخلاق الفاضلة وعونا للاهتداء نحو حياة أفضل ، أما ابن الجوزى فقد فسر التاريخ على أنه تعبير عن دور العلماء والأدباء والزهاد والأشراف ، أما الطبرى عميد مؤرخى الاسلام فيرى ان التاريخ البشرى بما فيه تاريخ العرب تعبير عن المشيئة الإلهية المتمثلة فى الرسالات ، وأصبح بعد ظهور الاسلام تاريخ أمة هى الأمة الاسلامية .

هذه بعض التفسيرات لبعض مؤرخى العرب الذين كتبوا عن التاريخ ، وهنا نختار أشهر المؤرخين العرب الذين كتبوا عن أهمية التاريخ ومفهومه وطبيعته وغرضه بشىء من التفصيل ومنهم الطبرى ، وابن الأثير ، وابن خلدون ، والسخاوى ، وابن الجوزى ، وعماد الأصفهانى ، والكافيجى .

الطبرى :

شيخ مؤرخى الاسلام ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى يشير الى أهمية التاريخ فى كتابه (تاريخ الرسل والملوك) بقوله « فهو كلام فى مسائل مادية حدثت وأخبار ماضية وقعت ، وهى وان كانت يجرى عليها الصدق والكذب الا أنها تستخرج بالرواية والأخبار ، ولا تستنبط بحجج العقول والأفكار » .

المؤرخ عز الدين بن الأثير (صاحب كتاب الكامل فى التاريخ) :

يقول عن فائدة التاريخ وتعلمه :

« ان الانسان لا يخفى أنه يحب البقاء ويؤثر أن يكون فى زمرة الأحياء فيا ليت شعرى أى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه فى الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين . فاذا طالعه فكأنه عاصرهم ، واذا علمها فكأنه حاضرهم . ومنها أن الملوك ومن اليهم الأمر والنهى اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس فيروونها خلف عن سلف ونظروا الى ما قد أعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الأموال وفساد الأحوال استقبحوها وأعرضوا عنها » .. الخ .

ابن خلدون :

يشير الى فائدة التاريخ فى مقدمته بقوله « أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب ، جم الفوائد . شريف الغاية اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم فى أخلاقهم ، والأنبياء فى سيرهم ، والملوك فى دولهم ، وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا » .. الخ .

ابن الجوزى فى مقدمة كتابه (المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم) يقول :

للسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان :

احداهما : أنه ان ذكرت سيرة حازم ، ووصفت عاقبة حاله أفادت حسن التدبير ، واستعمال الحزم ، أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط فيتأدب المتسلط ، ويعتبر المتذكر ، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول ، ويكون روضة للمتنزه فى المنقول .

والثانية : أن يطلع بذلك على عجائب الأمور ، وتقلبات الزمن ، وتصاريف القدر ، وسماع الأخبار .

عماد الأصفهاني :

يشير الى فائدة التاريخ فى كتابه المشهور (الفيح القسى فى الفتح القدسى) : « ولولا التاريخ لضاعت مساعى أهل السياسات الفاضلة ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هى الفاصلة وتعذر الاعتبار بمسالمة الأيام وعقوبتها وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها وما وراء سهولتها من صعوبتها » .

السخاوى : فى كتابه (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ) يعرف التاريخ بقوله « ان التاريخ فن يبحث فيه عن وقائع الزمان وحيثية التعيين والتوقيت بل عما كان فى العالم ، وأما موضوعه فالانسان والزمان ومسائله : أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الاحوال العارضة الموجودة للانسان وفى الزمان » .

ويقول : أن التاريخ جم الفوائدكثير النفع لذوى الهمم العالية والقرائح الصافية ، لما جبل عليه طباعهم من الارتياع عند سماعهم هذه الاخبار الى التشبه والاقتداء بأربابها ليصير لهم نصيب من حسن الثناء ، وطيب الذكر الذى حرص عليه خلاصةالبشر وأخبر الله تعالى عن امام الحنفاء .

الكافيجى : يعرف التاريخ فى كتابه (المختصر فى علم التاريخ) :

« وأما علم التاريخ فهو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته »(١) .

مؤرخين وفقهاء :

علم التاريخ والاشتغال به ليس قاصرا على مجموعة من المؤرخين أو الاخباريين فقط ولكن ظهر عدد من الفقهاء وعلماء التشريع اهتموا بعلم التاريخ وجعلوه ضرورة للعلوم الدينية واضافة لها ومن هؤلاء ابن ابى الدم الفقيه الشافعى ، حيث يقول عن أهمية التاريخ :

« انما الفائدة فى التاريخ الاسلامى مع قربه من الصحة ذكره لعلماء هذه الأمة المحمدية وذكر محاسنهم وعلومهم ومواعظهم وحكمهم وسيرهم التى يستدل العامل بها فى أموره ويتدبرها ويتفكر بها فينتفع بما قالوه وعانوه وما ينقل عنهم من المحاسن دينا وأخرى » .

ومن الذين جمعوا بين الفقه والتاريخ ، الامام الطبرى فقد جمع بين التفسير والتاريخ ومنهم كذلك ابن كثير الدمشقى فى كتابه (البداية والنهاية) جمع بين التفسير والتاريخ ويعتبر مرجعا هاما من المراجع الاسلامية فى التاريخ .

---

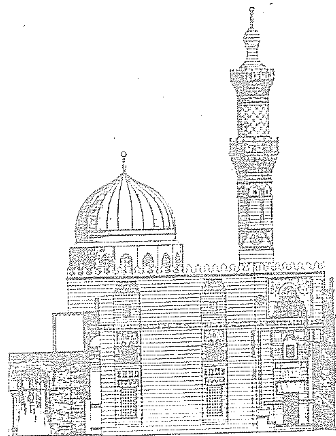
(١) اسمه محيى الدين محمد بن سليمان الكافيجى : يعتبر كتابه (المختصر فى علم التاريخ) أقدم رسالة اسلامية مدونة عن نظرية علم التاريخ وقد اجاب باختصار عن المسائل المتعلقة بخصائص التاريخ وغرضه وهدفه وفوائده وعن مركز التاريخ فى العلوم الدينية الاسلامية .

وكذلك الحافظ الذهبى ، فقد كان فقيها وحافظا ومؤرخا وكتبه (تاريخ الاسلام) و (دول الاسلام) ، والحافظ المؤرخ شمس الدين السخاوى وله كتاب فى التاريخ (الضوء اللامع فى أخبار القرن التاسع) وكتاب (الإعداد بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ فقد جمع بين الفقه وحفظ الحديث والاشتغال بالتاريخ .

الخلاصة :

وهكذا ترى من تلك الأقوال والتعريفات عن مفهوم التاريخ وتفسيره للمؤرخين العرب مدى مبلغ اهتمامهم بدراسة التاريخ وتعلمه وحثهم عليه وضرورة الاشتغال به لايمانهم بقيمته وفضله لجميع البشر .

ولو استعرضت اقوال مؤرخى الاسلام عن فوائد التاريخ لوجدت أن العبرة والموعظة والقدوة الحسنة هى العامل المشترك وما من أحد من المربيين المسلمين حاول أن يغفل الهدف الدينى والاخلاقى من تعلم التاريخ بيد أن لكل واحد منهم تفسيرا خاصا فى تحديد الوظيفة والغرض من تعلم التاريخ اذ لم يكن الهدف من تعلم التاريخ ودراسته مجرد اعداد ملوك أو تجار أو قادة حرب أو ساسة دول بقدر ما كان يرمى الى توجيه أبناء المسلمين الوجهة الصحيحة حتى ينشأوا على مبادىء الاسلام فدراسة التاريخ لأبناء المسلمين تكون محركا ومنشطا لعقولهم وباعثا لهم على أفعال الخير والاقتداء بالسلف الصالح .



نحو اقتصاد إسلامي

– ٣ –

للدكتور ابراهيم فؤاد احمد على

دعوت فى مقالى الأول المنشور بالعدد رقم (١٠٩) من مجلة (الوعى الاسلامى) الغراء والصادر فى غرة المحرم ١٣٩٤ هـ الموافق يناير ١٩٧٤ م الى قيام الدول الاسلامية بتطبيق تعاليم الاسلام الاقتصادية بعد أن هجرتها كثير من تلك الدول ، واشرت الى مزايا هذه التعاليم التى ظهرت منذ بداية القرن السابع الميلادى اى فى أوائل العصور الوسطى المظلمة ، والتى بزت جميع التعاليم الاقتصادية التى ظهرت فى القرن العشرين .

وحيث إن المال من اهم العناصر اللازمة لتطبيق اى نظام اقتصادى ، فقد بدأت فى مقالى الثانى والمنشور بالعدد رقم (١١٤) من المجلة ، والصادر فى جمادى الآخرة ١٣٩٤ هـ الموافق يونيو ١٩٧٤ الكلام عن مورد من أهم الموارد الرئيسية لبيت المال الاسلامى وهو (الزكاة) ، وبينت أهم خصائصها وأنها حق يجب على الدولة القيام بجبايتها ، وإنفاق حصيلتها ، وان هذا الحق من أهم الحقوق المحلية التى يقوم كل إقليم فى الدولة بجبايته من المكلفين به ، وانفاقه فى نطاق الإقليم .

وفى هذا المقال سوف أتعرض الى أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة .

أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة :

وجبت الزكاة فى أربعة أنـــواع من الأموال بينتها السنــــة الشريعة ، وقام الصحابة بجبايتها ، وهذه الأنواع هى :

١ ــ النقود كالذهب والفضة ، والحلى من الذهب والفضة .
٢ ــ عروض التجارة ، وهى الأموال التى يتجر فيها .
٣ ــ الزروع والثمار .
٤ ــ النعم ، وهى الإبل والبقر والغنم .

وقد قام النبى صلى الله عليه وسلم ببيان أحكامها وكيفيـــة جبايتها ونصابها والمقادير الواجبة فيها ، وكان يبعث ولاته لجمعها من الدول التى دانت بالاسلام فى عهده ، وهناك أنواع من الأموال المستحدثة ذهب بعض الفقهاء الى وجوب الزكاة فيها .

وقبل البدء فى تناولها أرى لزاما أن أتعرض للشروط الواجب توافرها فى الأموال الخاضعة للزكاة .

الشروط الواجب توافرها فى الأموال المزكاة :

قبل التعرض لأنواع تلك الأموال نذكـــر الشـــروط الواجب توافرها فى الأموال الواجب فيها الزكاة وهى :

١ ــ أن تكون تلك الأموال بحيث تخرج الرجل من الفقر الى الغنى ، فيكون عليه واجب الأغنياء للفقراء ، ويتعلق بماله حق معلوم للسائل والمحروم ، ولذلك وجب أن يكون معه النصاب الذى تجب فيه الزكـــــاة .

٢ ــ يجب الا تكون ملكية الفرد للأموال ملكية عارضة تزول ، بل يستمر مالكا لها حتى يتحقق فيه وصـــف الغنى لا بمجرد أن يملك مقدارا من المال ولو كان كبيرا ، ثم يزول بعد أمد قصير .

٢ ــ يجب الا تكون ملكية الفرد للأموال ملكية عارضةتزول،بل بحيث يمكن أن يتخذها سبيلا لتنمية ثروته ، ولا يعد ممـــن يكتنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونهافى سبيل الله تعالى ، فان كنز الذهب والفضة ليس معناه كما يفهم بعض الناس أن يملك الشخص شيئـــا منها يدخره ، بل المراد أن يخفيه ويجعله كنزا مخفيا لا يعلم به أحد ، ولا يخرجه للتنمية والاسهام بماله فى بناء اقتصاد المجتمع الذى يعيش فيه (١) .

٤ ــ ولأجل اشتراط أن تكون الأموال نامية بالفعل أو بالقوة ،

لم تجب الزكاة فى الأموال التى تعد من الحاجة الأصلية كالمال الذى يدخره لقوت نفسه وعياله ، وكالسكن الذى يسكنه ، وكالفراش الذى ينام عليه ، وكأدوات الصناعة التى يعمل بها لقوته ، وكأدوات النجارة لنجار يستخدمها بيده ، وكأدوات الحدادة التى يستخدمها الحداد وليست هى رأسماله ، بل رأسماله مهارته ، وهكذا ..

وكذلك يشترط فى أموال الزكاة عدم وجود دين يستغرق النصاب أو ينقصه فمن كان عنده مال وجبت زكاته وهو مدين فليخرج منه ما يفى بدينه ، ثم يزكى الباقى إن بلغ نصابا ، لأن المدين محتاج والصدقة إنما تجب على الأغنياء عملا بالحديث الشريف (لا صدقة إلا عن ظهر غنى) .

٥ ــ حولان الحول على تملك النصاب النامى ــ فيشترط حولان الحول الهجرى (اى مضى عام هجرى) على تملك النصاب فى النقود أو الأثمان والمواشى وعروض التجارة ، فلا زكاة فيما ذكر الا بعد مضى حول تام ، والعبرة فى ذلك ان مثل تلك الأموال مرصدة للنماء ، فاشترط مضى سنة عليها ، لكون تلك الفترة مقبولة لتنمية المال واستثماره ، ليمكن للشخص إخراج الزكاة من الربح ، فإنه أسهل وأيسر عليه ، ولا يشترط أن ينمو المال فعلا ، بل يكفى أن يكون فى حكم النامى حتى يكون ذلك حاثا لصاحبه على استثماره ، أما الزروع والثمار فهى نماء فى نفسها ، وهذه تجب فيها الزكاة دون اشتراط الحول ، بل تجب فيها بمجرد حصادها أو قطفها .

٦ ــ كمال النصاب فى طرفى الحول ــ من شروط افتراض الزكاة، كمال النصاب فى طرفى الحول ، ولا يضر نقصانه فى أثناء الحول طالما بقى من هذا النصاب شىء ، أما لو عدم بالمرة أو نقص فى آخر الحول فلا تجب الزكاة ، وفى هذا تيسير فى احتسابها ودفعا للمشقة .

وسأستعرض باختصار أنواع الأموال المذكورة ، حتى يمكن التعرف عليها وادراك مدى أهميتها عندما تقرر الدولة فرض الزكاة فيها وجعلها موردا من موارد الهيئات المحلية .

اولا : زكاة الذهب :

تجب الزكاة فى الذهب اذا بلغ نصابا وهو عشرون مثقالا أو دينارا وحال عليه الحول ، وكان فائضا عن الحاجات الأصلية والدين .. والدينار يزن ٣/٧ ١ درهم ، والدرهم يزن ١٢ر٣ جرامات فكان الدينار يزن ٢ر٨٩ جم (عيار ٨٧٥ر) واذا كان ثمن الجرام من الذهب عيار ٢١ هو حوالى الجنيهين فى مصر ، فإن النصاب يساوى حوالى

مائة وثمانين جنيها تقريبا ، وعلى العموم فإن يوم اداء الزكاة يقدر الفرد ثمن النصاب على أساس السعر السائد للذهب فى ذلك اليوم ، وهو يختلف من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان ، وقدر الزكاة ٥ر٢ ٪ فمن بلغ عنده النصاب بهذه الشروط او أكثر من النصاب فإنه يزكيه دون إعفاء فى القاعدة ، كما هو الحال بالنسبة للضرائب الحديثة .

ثانيا : زكاة الفضة :

تجب الزكاة بنفس الشروط الواجبة فى زكاة الذهب ، ولكن النصاب يختلف فهو مائتا درهم ، والدرهم يزن ١٢ر٣ جم ، فالنصاب يزن ٦٢٤ جم من الفضة عيار ٩٠٠ ، واذا قلنا ان ثمن الجرام فى مصر يساوى حوالى ٦٠ مليما ، فالنصاب يساوى حوالى سبعة وثلاثين جنيها تقريبا وقيمة الزكاة ٥ر٢ ٪ أيضا .

ثالثا : زكاة الحلى من الذهب والفضة :

اختلفت الآراء بالنسبة لوجوب الزكاة فى حلى الذهب والفضة، فبعض الأئمة يرى فيها الزكاة لأنها تعتبر من النقدين : الذهب والفضة وهما تجب فيهما الزكاة ، وذهب البعض الآخر الى عدم وجوبها لأنها لا تتخذ للنماء ، بل تتخذ للاستعمال ، وسبب الزكاة هو المال النامى ، ولا نماء فى الحلى بالفعل ولا بالقوة ، وأميل الى الأخذ بهذا الراى الأخير ، لأن السيدة عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم كانت تتولى تربية بنات أخيها فى حجرها ، ولهن الحلى ولا تخرج عنها الزكاة .

ولكن ان اتخذت الحلى كنوع من الادخار كما يفعل بعض النساء من عامة الشعب فى بلادنا ، أو اتخذت بقصد الفرار من الزكاة ، ففى هاتين الحالتين يجب فيها الزكاة، وان استخدمت للتزين بشكل يخرج عن الحدود المعتدلة للتزين بحسب الحالة الاجتماعية ، فان الزكاة تجب فى القدر الزائد عن حدود التزين .

رابعا : زكاة أوراق البنكنوت :

كانت العملة فى الماضى تتخذ من الذهب والفضة ، فلما كثرت المبادلات أصبحت الكميات الموجودة من هذين المعدنين لا تفى بحاجة الناس للتعامل ، فكان من الضرورى الالتجاء الى استخدام أوراق البنكنوت لتخفيف الضغط على العملة المعدنية الذهبية ، وكانت تلك

الأوراق قابلة لدفع قيمتها عينا بمجرد تقديمها للبنك الأهلى المصرى قبل تاريخ ١٩١٤/٨/٢ الذى جعل فيه سعرها إلزاميا ، واصبح الأفراد ملزمين بقبولها فى التعامل بدون أن يكون لهم الحق فى استبدالها بنقود معدنية ، واصبحنا فى مصر نسير على نظام النقود الورقية الالزامية منذ ذلك التاريخ .

وقد صدرت فتوى للشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا بوجوب الزكاة فى أوراق البنكنوت باعتبارها تمثل ديونا على البنك الاهلى المصرى ، وذلك تخريجا على مذهب الإمام الشافعى من أن الدين فى بعض أحواله يزكى كل عام ، ودين البنكنوت دين حال والمدين (وهو البنك) موسر غير جاحد للدين ولا مماطل فى سداده ، فتجب الزكاة فى البنكنوت اذا حال عليه الحول وان لم يستبدل بالنقود ، ذلك هو مضمون فتوى فضيلة المفتى ، ولكن هل التخريج الذى استندت اليه الفتوى سليم من الناحية الاقتصادية ؟ وهل أوراق البنكنوت تمثل ديونا على البنك يمكن قبضها ؟ الجواب بالنفى للأسباب الآتية :

١ — لأن أوراق البنكنوت لا يمكن استبدالها .

٢ — والدين غير حال لأنه لا يمكن المطالبة بقيمة تلك الأوراق من الذهب .

٣ — ولأن سعرها أصبح إلزاميا ، ولا يمكن لحاملها استبدالها .

٤ — وأصبحت أوراق البنكنوت بقوة القانون أوراق عملة رسمية يتحتم على الأفراد قبولها فى المعاملات مع مابين قيمتها السلعية وقيمتها القانونية من فارق كبير .

والمعروف فى كتب الفقه أن الزكاة تجب فى العملة إذا كانت كواغد (أى جلودا) أو فلوسا (بمعنى فكة) مثل النيكل والبرونزوذلك اذا بلغت قيمتها نصاب الذهب ، وعند تقدير قيمة البنكنوت نرجع الى سعر الذهب وتقدر قيمة النصاب منه بأوراق البنكنوت ، وتخرج الزكاة فيها بنسبة ٢٫٥ ٪ من قيمتها وهى أصبحت بديلة الذهب الآن .

خامسا : زكاة عروض التجارة :

العروض جمع عرض (بسكون الراء) وهو لغة اسم لما سوى النقدين ، ومال التجارة هو كل ما قصد به الاتجار عند شرائه ، وتجب فيها الزكاة لحديث سمرة بن جندب قال (أما بعد فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذى نعده للبيع) .

وتجب فيها الزكاة بالشروط الآتية :

١ — أن تبلغ قيمتها نصابا (أى نصاب الذهب) .

٢ — أن يحول عليها الحول .
٣ — أن ينوى به التجارة ، وأن يكون مصحوبا بعمل التجارة .
٤ — أن تكون العروض قد ملكت بمعاوضة .

واذا قارنا تلك الشروط بما ورد فى قانون التجارة المصرى (المادة الثانية فقرة اولى بأنه يعتبر تجاريا كل شراء غلال او اى نوع من انواع المأكولات أو البضائع لأجل بيعها أو بعد تهيئتها بهيئة اخرى، أو لأجل تأجيرها للاستعمال) وهذه المادة تشير الى أن القانون يستلزم شروطا ثلاثة لكى يعتبر العمل تجاريا ، اى يجب أن تتوافر أركان معينة فى الشراء بقصد البيع أو التأجير لكى يعتبر العمل تجاريا ، وهذه الشروط هى :

١ — أن يكون هناك شراء .
٢ — أن يكون المشترى غلالا او غيرها من أنواع المأكولات أو البضائع .
٣ — أن يكون الشراء بقصد البيع أو التأجير .[١]

وبمقارنة تلك الشروط بما ورد فى الفقه المالى الاسلامى ، نجد تشابها كبيرا بينها ، وتتضح منها عصرية الفقة الاسلامى مع الفارق الزمنى الكبير بين وقت التشريع الاسلامى والتشريع الحديث . وكنت أود التوسع فى دراستها ولكن المجال لا يتسع لذلك الآن .

ووعاء زكاة عروض التجارة هو الأصول المتداولة فقط ، فلا يدخل فى الوعاء الأصول الثابتة كالأدوات والاوانى والارفف الفاترينات والأثاث والموازين .. الخ . وتضاف قيمة الاصول المتداولة الى ما عند التاجر من نقود وما له من ديون قوية على الغير، ويخصم من ذلك الخصوم المتداولة وهى المطلوبات من التاجر للغير (أى ما عليه من ديون للغير) ، ووعاء الزكاة فى هذه الحالة هو ما يعبر عنه فى المحاسبة الحديثة بصافى راس المال العامل .

وتقيم عروض التجارة باحدى الطرق الآتية :

١ — على أساس ثمن البيع يوم وجوب الزكاة .
٢ — أو تقوم العروض بسعر الشراء ، وهذا لا يمثل القيمة الحقيقية للعروض يوم إخراج الزكاة فقد يكون أزيد أو اقل من السعر الحالى .
٣ — احتساب سعر البيع الفعلى ، وهذا الأساس دقيق ، ولكن يصعب اتباعه عمليا .

وارى انه من الأوفق تقييم عروض التجارة على اساس ثمن البيع يوم وجوب الزكاة ، لأن هذا هو الأقرب للصحة ، وتخرج الزكاة بنسبة ٢٫٥٪ من صافى راس المال العامل.

وسأتناول فى المقال التالى باذن الله باقى انواع الأموال التى تجب فيها الزكاة .

---

(١) بحث فى الزكاة ص ١٥٠ قدمه فضيلة الشيخ محمد ابو زهرة للمؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية ١٩٦٥ .

حياة الإمام الشيرازي

للدكتور : محمد حسن هيتو

إن عظماء الأمة الإسلامية كثر ، لا تحيط بهم العشــرات ولا المئات ، وقد سخر الله لكثير منهم من عرف بهم ، وأبان للناس قدرهم ، ولا زال كثير منهم فى طيات كتب التاريخ ، لم يعرف الناس شيئا عنهم ، رغم أنهم هم النجم إن بزغت فى سماء الحقيقة النجــوم .

ومن مشاهير أولئك العظماء الإمام أبو اسحق الشيرازى ، صاحب الذكر الشــائع ، والصــيت المنتشــر ، والمصــنفات المشــهورة ، والسيرة المحمودة ، وهو الذى سنتكلم عنــه فى هذه المقالة .

١ ــ اسمه ونسبه :

هو الشيخ الإمام إبراهيم بن على ابن يوســف ، جمــال الدين ، أبو إسحق الفيروزاباذى الشيرازى .

والفيروزاباذى ــ بكســر الفــاء وتفتح ــ نسبة الى فِيرُوزاباذ التى ولــد فيها ، وهى من مدن فارس ، ومعناها : أتم دولة ، والذى سماها بهذا الاسم هو عضد الدولة ابن بويه إذ كان اسمها قبله ، مدينــة جور ، وهى من أجمل مدن بلاد الفرس .

والشيرازى نسبة الى مدينة شيراز ، وهى أول المدن التى خرج اليها الشيرازى فى رحلته من بلده لطلب العلم ، وهى بلدة عظيمة مشهورة ، تقع وسط بلاد فارس .

وأما سبب تلقيبه بالشيخ ، فقد حكى عنه أنه قال : كنت نائما ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، ومعه صاحباه أبو بكر وعمر ، فقلت : يا رسول الله ، بلغنى عنك أحاديث كثيرة عن ناقلى الأخبار ، فأريد أن أسمع منك خبرا أتشرف به فى الدنيا ، وأجعله ذخيرة فى الآخرة فقال لى : يا شيخ — وسمانى شيخا وخاطبنى به ، وكان الشيخ يفرح بهذا ويقول : سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخا — من أراد السلامة فليطلبها فى سلامة غيره .

٢ — مولده ونشأته :

ولد الإمام الشيرازى بفيروزاباد سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة من الهجرة ٣٩٣ هـ ، وأقام بها حتى بلغ من العمر سبع عشرة سنة ، وهذه الفترة من حياة الشيرازى تعتبر غامضة بالنسبة لنا ، الا أنه ومما لا شك فيه كان ذا شغف بالعلم منذ بداية تمييزه ، فتلقى العلم خلال هذه الفترة عن الإمام أبى عبد الله محمد بن عمر الشيرازى ، وهو أول من تلقى عنه الشيرازى العلم بفيروزاباذ .

وفى ستة عشر وأربعمائة خرج الشيرازى من فيروزاباذ فى سبيل طلب العلم ، ودخل شيراز ، وأقام بها مدة من الزمن تلقى العلم فيها عن كبار أئمتها ، كأبى عبد الله محمد بن عبد الله البيضاوى (م ٤٢٤ هـ) ، وابن رامين (م ٤٣٠ هـ) ، وهما من كبار أصحاب الإمام أبى القاسم الداركى ، وأعيان المذهب الشافعى .

ومن ثم خرج الى الفندجان ، والتقى فيها بالإمام الفندجانى ، وهو من أصحاب الإمام أبى حامد الاسفراييني ، وعلق عنه شيئا من العلم ، كما أخبر عن نفسه فى طبقاته .

ومنها خرج الى البصرة ، فدخلها ، وأقام بها مدة يسيرة أخذ فيها الفقه عن الإمام الخرزى .

وفى شوال سنة خمس عشرة وأربعمائة دخل الشيرازى بغداد ، وبدأ مرحلة جديدة فى حياته ، وهى مرحلة الاستقرار والنبوغ ، فاتصل بالإمام الكبير القاضى أبى الطيب الطبرى ، طاهر بن عبد الله بن عمر (م ٤٥٠هـ) إمام الشافعية فى بغداد فى زمانه وشيخهم ، فاتصل الشيرازى به ، ولازمه فى مجلسه بضع عشرة سنة ، كما أشار الى ذلك الشيرازى فى « طبقاته » ، واستفاد منه كثيرا ، ويمكن أن نعتبره من أهم الأئمة الذين اتصل بهم الشيرازى واستفاد منهم .

وبقى الشيرازى على هذه الحالة الى أن وثق به الطبرى ، واطمأن اليه ، فأنابه عنه فى مجلسه ، وأذن له فى تدريس أصحابه ، ثم سأله الجلوس فى مسجده للتدريس ، فاستجاب الشيرازى لذلك سنة ثلاثين وأربعمائة . وفى هذه المرحلة بدأت حياة الشيرازى بالاستقرار ، وأخذت شهرته بالذيوع ، وبدأ نجمه فى عالم الفقه ، والأصول ، والخلاف والجدل ، بالبزوغ ، حتى أصبح شيخ الشافعية فى القرن الخامس الهجرى بدون مدافع أو منازع ، فاحتل الشيرازى منزلة شيخه أبى الطيب الطبرى بعد وفاته سنة ٤٥٠ هـ ، وفى سنة ٤٥٧ هـ أمر نظام الملك ببناء المدرسة النظامية فى بغداد من أجل أن يدرس بها الشيرازى ، وفى عام ٤٥٩ هـ دعى الإمام الشيرازى للتدريس فى النظامية بعد أن تم

بناؤها من أجله ، فامتنع الشيرازى من الإجابة لذلك ، لأنه بلغه أن بعض آلاتها غصب ، ولكنه وبعد إلحاح طلبته عليه ، استجاب لطلبهم ، وبدأ بالتدريس فيها حتى توفاه الله تعالى سنة ٤٧٦ هـ .

فمراحل حياة الشيرازى خمسة :

الأولى : فى فيروزاباذ من سنة ٣٩٣ هـ الى سنة ٤١٠ هـ .

الثانية : فى شيراز والفندجان والبصرة من سنة ٤١٠ هـ الى سنة ٤١٥ هـ

الثالثة : فى بغداد من سنة ٤١٥هـ الى سنة ٤٣٠ هـ حيث بدأ بالتدريس مكان شيخه .

الرابعة : من سنة ٤٣٠ هـ الى سنة ٤٥٩ هـ حيث انتقل الى المدرسة النظامية .

الخامسة : من سنة ٤٥٩ هـ الى سنة ٤٧٦ هـ حيث توفاه الله تعالى .

٣ ــ عصره :

لا أريد أن أستطرد فى الكلام على عصر الإمام الشيرازى ، لأنه لا يمكن أن يهضم فى هذه السطور القليلة ، ولكنى أريد أن أشير اليه إشارة موجزة بسيطة .

فقد اتسم عصر الشيرازى بأنه عصر اضطرابات وفتن . حيث كانت السيطرة فيه من الناحية السياسية للبويهيين ، وكانت السيطرة من الناحية الدينية للشيعة .

وكذلك ضعف أمر الخليفة حتى أصبح لا عمل له الا الطعام والشراب وأما الحل والعقد فقد انتقل الى أيدى ملوك بنى بويه .

وبقى الوضع على هذا الى أن زال ملك البويهيين تماما سنة ٤٤٧ حين ملك طغرلبك بغداد ، وبدأ ملك السلاجقة الذين ظاهَرُوا أهل السنة بالظهور .

ولكن زوال بنى بويه لا يعنى زوال الفتن إذ انتقلت الفتن التى كانت بين أهل السنة والشيعة الى فتن بين الأشاعرة والحنابلة ، تأثر منها الإمام الشيرازى أشد التأثر حتى حاول الخروج من بغداد سنة ٤٦٩ هـ انتصارا للإمام أبى نصر القشيرى لشدة إيذاء الحنابلة له ولمذهب الإمام الأشعرى ، لولا تدخل الخليفة ، وانتصاره للإمام الشيرازى ، وقضاؤه على الذين أثاروا تلك الفتن.

وعلى الرغم من كثرة الفتن وشيوعها فى ذلك العصر ، كانت العلوم تتقدم وتزدهر بصورة مطردة وواضحة جلية ، ولقد نبغ فيه مجموعة كبيرة من العلماء بين فقهاء وأصوليين ، وخلافيين ، وجدليين ، وفلاسفة ، اشتهر بهم عصرهم ، وعرف بهم زمانهم ، ولقد كان لهذه العلوم المختلفة التى اشتهرت فى ذلك العصر أكبر الأثر على شخصية الإمام الشيرازى ، فخاض غمارها ، ودأب على تحصيلها ، حتى أصبح الإمام المشار اليه بالبنان فيها .

٤ ــ دأبه فى طلب العلم وتحصيله :

لقد كانت حياة الإمام الشيرازى كحياة جميع عظماء الأمة الاسلامية فى الدأب والتحصيل ، والجد والمثابرة من اجل الوصول الى قمة المجد العلمية ، وان الدارس لحياة هذا الإمام العظيم منذ أن بدأ فى طلب العلم طفلا الى أن أصبح إمام أئمة الشافعية فى بغداد يجد أنه لم يدخر وسعا يمكنه بذله إلا وبذله ، ولم يفرط بلحظة واحدة من حياته الا فى سبيل العلم والتعلم ، ومن كان هذا دأبه ، فلا بد أن يصل الى ما يصبو اليه ويتمناه .

لقد كان أمره فى بداية طلبه عجبا،

حتى كان يقول من شاهده ، « عجبا لهذا القلب والكبد كيف ماذابا ؟! » .
ولقد قال عن نفسه : « كنت أعيد كل قياس الف مرة ، فاذا فرغت منه أخذت فى قياس آخر ، وهكذا ، وكنت أعيد كل درس الف مرة ، فاذا كان فى المسألة بيت من الشعر يستشهد به حفظت القصيدة » .
وبلغ به الجد فى طلب العلم الى ان اشتغل به عن الطعام والشراب وملاذ الدنيا ، ومما روى عنه فى هذا انه اشتهى يوما ثريدا بماء الباقلاء ، قال : فما صح لى أكله ، لاشتغالى بالدروس ، وأخذى النوبة .

٥ — مكانته وثناء الناس عليه :

إن من المجمع عليه ، ولا شك فيه ، ان رياسة المذهب الشافعى فى القرن الخامس الهجرى قد انتهت اليه ، اقر له بذلك تلامذته ، وشيوخه ، واقرانه بل إنه أصبح شيخ الفقهاء فى ذلك العصر ، ولم تنحصر شهرته فى الفقه فقط ، بل كان له الباع الطويل فى كل العلوم .
ففى الأصول ، هو الإمام المبرز ، والناقل الثبت ، والمحقق البارع ، ذو الرأى الصائب ، والاختيار الموفق ، والنظر الدقيق ، له فيه المصنفات النافعة ، والآراء المعتبرة .
وأما الجدل ، فكما قال ابن السبكى : « هو ملكه الآخذ بزمامه ، وإمامه اذا اتى كل واحد بإمامه ، وبدر سمائه الذى لا يغتاله النقصان عند تمامه » .
وأما الخلاف ، فهو الخلافى المشهور ، حافظ مسائله ، وجامع أطرافه ، حتى قيل عنه : انه كان يحفظ مسائل الخلاف كما يحفظ أحدنا الفاتحة .
وأما الفصاحة والمناظرة ، فقد كان فيهما مضرب المثل ، وأقرب شاهد على ذلك قول السلارى أوحد شعراء عصره :

كفانى إذا عن الحوادث صارم
ينيلنى المأمول بالإثر والأثر
يقد ويفرى فى اللقاء كأنه
لسان أبى إسحق فى مجلس النظر

وأما ثناء الناس عليه فهو عظيم واليك بعض ما قيل عنه :
قال أبو بكر الشاشى : الشيخ أبو إسحق حجة الله تعالى على أئمة العصر .
قال أبو سعيد السمعانى : كان الشيخ أبو إسحق إمام الشافعية ، والمدرس فى بغداد والنظامية ، شيخ الدهر ، وإمام العصر ، رحل اليه الناس من الأمصار ، وقصدوه من كل الجوانب والأقطار .
وقال الإمام أبو الحسن الماوردى صاحب « الحاوى » وقد اجتمع بالشيخ وسمع كلامه فى مسألة : « ما رأيت كأبى إسحق ، لو رآه الشافعى لتجمل به » .
الى غير ما قيل فى هذا الإمام العظيم .

٦ — مناظراته :

لقد كان للمناظرات أهمية كبرى بين العلماء والعامة فى عصر الشيرازى ، ولقد كان الخلافى يحفظ المسألة الفقهية الخلافية بكل ما فيها من أدلة ، سواء أكانت من الكتاب ، أم السنة ، أم القياس ، أم الاجماع ، وما يرد على هذه الأدلة من اعتراضات ، وكيفية الدفع عنها ، وأدلة الخصم ، وما يرد عليها من أجل ابطال الاستدلال بها ، ضمن نطاق آداب البحث والمناظرة .
ولقد كانت المناظرة علنية ، يحضرها أكبر عدد ممكن من الطلاب والعلماء ، والعامة ، ولا سيما اذا كانت بين إمامين عظيمين كالشيرازى وأقرانه .

ولقـــد قامت بين الشيرازى وبين كثير من اقرانه مناظرات كثيرة ، فى الفقه وغيره من العلوم ، ولقد كانت الغلبة فيها دائما للإمام الشيرازى ، لأنه كان انظر أهل زمانه كما قدمنا ، قال الإمام ابن السبكى فى وصفه : وكان كالأسد الغضنفر فى المناظرة ، لا يصطلى له بنار .

ولقد وددت لو تمكنت من الوقوف على جميع مناظراته ونشرها ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، فلقـد وقفت له على أربع مناظرات ، اثنتان منها بينه وبين القاضى أبى عبد الله الدامغانى فى بغداد ، واثنتان بينــه وبين إمام الحــرمين فى نيسابور ، أوردها الإمام ابن السبكى فى طبقاته اثناء ترجمته وترجمة إمام الحــرمين الجوينى ، وكانت الغلبة فيها للإمام الشيرازى .

٧ ـ زهـــده وورعه :

اما الزهد والورع ، فقد بلغ بهما الشيرازى الغاية ، فضرب بهما المثال الصادق للعالم العامل ، الذى يجب أن يكون قدوة لكل من خلفه من عالم ، أو عامى ، أو متعلم ، اما الزهد ، فقد قال الإمام أبو العباس الجرجانى: كان الشيرازى لا يملك شــيئا من الدنيا ، فبلغ به الفقر ، حتى كـــان لا يجد قوتا ولا ملبسا ، قال : ولقـــد كنا نأتيه وهو ساكن فى القطيفة ، فيقوم لنا نصف قومة ، ليس يعتدل قائما ، من العرى ، كى لا يظهر منه شىء ..

وقال القاضى الماهانى : « إمامان ما اتفق لهما الحج ، الدامغـــــانى والشيرازى ، أما الشيرازى فما كان له استطاعة الزاد والراحلة ، ولكن لو أراد أن يحج لحملوه على الأحداق الى مكة » .

ومن ورعه أنه دخل يوما مسجدا ليتوضأ ، فنسى دينارا ، ثم ذكره ، فرجع فوجده ، ففكر ، ثم قال : لعله وقع من غيرى ، فتركه .

قال ابن السبكى : هذا هو الزهد هكذا هكذا ، والا فلا لا ، وهذا هو الورع .

وإن سيرته فى زهده وورعه لكبيرة وواســـعة ، ومثيرة ، لو أردنـــا أن نستقصى الكـــلام عنهـــا وندونها ، وحسبنا منها ما ذكرنا .

٨ ـ ادبه وشعره :

وكان الإمام الشيرازى ذا لســـــان فصيح ، وبيان قوى ، مع حســــــن العبـــارة ، وقـــوة التركيب ، يحب الشـعر ، فيحفظه ويعيه ، وينشـــده ويرويه ، ولقد قال عن نفسه : كنت إذا مررت ببيت يُستشهد به حفظت القصيدة كاملة . فمن شعره الذى تناقله الأدباء ، وتغنى به الشعراء ، لدقيق معناه ، وجمال تركيبه ، وحسن الصنعة فيه قوله :

سألت الناس عن خل وفىّ
فقالوا ما الى هـــذا ســـبيل
تمسك إن ظفرت بود حـــر
فإن الحـــر فى الدنيـــا قليل

ومنه فى تعزية بغريق :

غريق ، كأن الماء رق لفقـــده
فلان له فى صورة الماء جانبه
أبى الله أن انساه دهرى لأنه
توفاه فى الماء الذى أنا شاربه

الى غير ذلك من الشعر والقصائد فى المعانى المختلفة التى تنم عن قدرته على الشعر ، ومكانته فيه .

٩ ـ مؤلفـــــاته :

اما مؤلفاته فقـــد بلغت ذروتها ، وذاعت شهرتها ، وانتشر بين الناس

اثرها ، فأفاد منها العام والخاص ، والصغير والكبير ، حتى أصبحت ملاذ العلماء المتقنين ، ومرجع الفقهاء المحققين ، وانكب الناس عليها حفظا وشرحا ، وتعليقا واختصارا ، ونظما .

إلا أنه لم يكن — رحمه الله — من المكثرين بالنسبة لما خلفه لنا من تراث إذا ما قيس بغيره من الأئمة كالغزالي — رحمه الله — مثلا ، ولكن العبرة في هذا الميدان ليست بالكم ، وإنما هي بالكيف ، فان كتبه على قلة عددها قد احتلت المكانة العليا ، والمنزلة الرفيعة العظمى ، وشغلت الأجيال المتتابعة حتى عصرنا الحاضر بها . وحسب المرء أن يعرف أن كتاب التنبيه قد شرحه ست وسبعون إماما من كبار أئمة الدنيا ، فيما وقفت عليه في كتب التاريخ والتراجم ، وفهارس المكتبات العالمية ، وربما بلغ الشرح الواحد ثلاثين مجلدا ضخما — ليعلم قيمة كتب الإمام وأهميتها . وإليك مؤلفاته حسب الفنون .

أ — في الفقه :

١ — المهذب ، وقد وقفت له على خمسة وعشرين شرحا .
٢ — التنبيه ، وقد وقفت له على ستة وسبعين شرحا .

ب — في الأصول :

١ — التبصرة ، وهو في الأصول المقارن .
٢ — اللمع ،
٣ — شرح اللمع .

جـ — في الجدل :

١ — الملخص .
٢ — المعونة .

د — في الخلاف :

١ — النكت .
٢ — تذكرة الخلاف .
٣ — المناظرات التي كانت تدور بينه وبين أقرانه .

هـ — في التراجم :
طبقات الفقهاء .

و — مؤلفات عامة :

١ — نصح اهل العلم .
٢ — الفتاوى .
٣ — رؤوس المسائل .
٤ — الحدود .

وهذا ما وقفت عليه من مؤلفات الإمام ، وربما كانت له مؤلفات أخرى لم نقف عليها .

١٠ — وفاته :

وتوفي الشيخ الإمام الشيرازي ليلة الاحد ، الحادي والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وأربعمائة ٤٧٦ هـ ، وكانت وفاته في دار أبي المظفر ابن رئيس الرؤساء .

وغسله أبو الوفاء الحنبلي .

وصُلي عليه بباب الفردوس من دار الخلافة ، وشهد الصلاة عليه الخليفة المقتدي بأمر الله ، وكان كثير الإعجاب به ، وشديد الحب له ، وتقدم للصلاة عليه أبو الفتح المظفر رئيس الرؤساء ، ثم صُلي عليه ثانية بجامع القصر .

ودفن بباب إبريز بمقبرة باب حرب ومن ثم اشتهرت هذه المقبرة باسمه.

رحم الله الشيرازي ، واسكنه فسيح جنته ، والهمنا الرشد للاقتداء به وبأمثاله من عظماء امتنا .

عقوبة مراقبة الشرطة

ومدى تعارضها مع مبادئ الشريعة الاسلامية

للدكتور أحمد على المجدوب

بالرغم مما هو معروف عن وجود عقوبات معينة فى الشريعة الاسلامية تطبق فى جرائم الحدود والقصاص إلا ان ذلك لم يرد فى الشريعة على سبيل الحصر بحيث لا يجوز اضافة غيرها اليها ، وانما تركت الشريعة الباب مفتوحا لولى الامر لاستحداث صور من العقوبات يواجه بها الجديد من ضروب السلوك الاجرامى التى يسفر عنها التطور المستمر فى الجماعة سواء من حيث العلاقات او من حيث السلوك وهى الجرائم المسماة بالتعازير والتى تكاد تشمل فى قوانين العقوبات الوضعية أكثر من ٩٠ ٪ من اجمالى الجرائم الواردة بها .

إلا أن هناك قيدا يرد على حرية ولى الامر أو بالأحرى المشروع ، حين يجرم سلوكا ويفرض على من يأتى به أو يمتنع عنه عقابا ، وهو أن يراعى ما تقضى به مبادىء الشريعة الاسلامية فى هذا الصدد ، حتى لا تأتى العقوبة متعارضة معها ، فلا ينخدع بتلك الثرثرة التى لا تكاد تنقطع عن حقوق الانسان ، وكرامة الانسان والتى يخيل للمرء مع كثرة سماعه لها أن علماء العقاب فى الغرب قد خلصوا العقوبات من أية شائبة تتضمن الايحاء بوجود ادنى مساس بكرامة الانسان .

ولقد لجأ أولو الأمر فى الدولة الاسلامية منذ اليوم الاول لقيامها ، الى استخدام تلك الرخصة التى منحتهم اياها الشريعة فاستحدثوا من العقوبات بقدر ما استحدثوا من الجرائم حتى اضافوا الى التشريع العقابى الغالبية العظمى من الجزاءات التى لا زالت تطبق حتى اليوم ، كالحبس والغرامة والمصادرة والحرمان من اداء الشهادة وغير ذلك من العقوبات التى راعوا فى فرضها اتفاقها مع مبادىء الشريعة الاسلامية .

ولكن ما لبث ان جاء على المسلمين حين من الدهر تخلوا فيه عن شريعتهم ولجأوا الى محاكاة الغرب والنقل عنه ظنا منهم ان ذلك هو السبيل الوحيد لبلوغ ما بلغه من تقدم واحراز ما أحرزه من تحضر ، ولم يقتصر الامر فى النقل والمحاكاة على العناصر المادية فى حضارة الغرب كالصناعة مثلا وانما امتد ليشمل العناصر المعنوية أيضا وذلك نتيجة الفهم الخاطىء لدى البعض لمعنى التقدم وما يمر به من تفاعلات معقدة قبل أن تتحدد معالمه وتظهر خصائصه ويستكمل نموه . وفات دعاة التقليد وانصار المحاكاة أن التخلى عن العناصر المعنوية فى حضارة اى شعب كالمثل العليا والقيم والعادات والتقاليد والاعراف لا يعنى سوى التجرد من الخصائص الاساسية التى تميز جماعة عن جماعة وشعبا عن شعب ، ولا يؤدى إلا الى جعل المجتمع المقلد مسخا مشوها فقد ملامحه المميزة وانطمست قسماته وضاعت هويته .

وكان القانون وبالذات قانون العقوبات من بين ما شمله التقليد وامتدت اليه المحاكاة ، بل لعله كان أولها . والسبب واضح ولا غموض فيه ، وهو ادراك الغرب وهو يخوض حربه الصليبية فى جانبها الفكرى ان المثل العليا الاسلامية وكل قيم وعادات وأخلاق المجتمع الاسلامى تنعكس بشكل مباشر على السلوك بصورتيه السوية والمنحرفة ، بل وتنعكس كذلك على طبيعة رد الفعل الاجتماعى كما وكيفا أيضا ، مما يجعل التحريم والإباحة وكذلك العقوبات هى الوسيلة المثلى للقضاء على الشريعة الاسلامية وكل ما ينبثق عنها من مثل عليا وقيم ومبادىء وعادات .

وهكذا رأينا تشريعنا الجنائى الوضعى يبيح أفعالا جرمتها الشريعة الاسلامية رغم وضوح ما تنطوى عليه من خطر ، وجلاء ما تتضمنه من ضرر ، لا لشىء إلا لأن التشريعات الغربية التى نقلنا عنها تفعل ذلك ، وبما أن ضيق الأفق وقصر النظر يقولون ان ذلك هو سر تقدم الغرب فيجب أن نحذو حذوه تيمنا به وتبركا .

وكان من بين ما نقلناه عن التشريع العقابى الغربى ما يسمى بعقوبة مراقبة الشرطة التى تقتضى وضع المحكوم عليه بها مدة تتراوح بين حدين ادنى وأقصى تحت مراقبة الشرطة فى مكان يختاره المحكوم عليه أو الشرطة بحيث يلزم بالتواجد به فى فترة محددة من اليوم تقع عادة بين الغروب والشروق ويمر عليه رجال الشرطة مرتين أو ثلاثة للتأكد من وجوده .

ومن الواضح أن الهدف من هذا الاجراء أو تلك العقوبة هو الحيلولة بين المحكوم عليه وارتكاب الجرائم فى تلك الفترة من اليوم ، أى الليل ، حيث تتوفر ظروف تجعل ارتكاب الجرائم أكثر سهولة وأشد تأثيرا .

وقد تبين أنه لم يرد فى التشريعات القديمة ذكر لعقوبة المراقبة ، ولعل ذلك يرجع الى عدم اتفاق المراقبة مع الفلسفة العقابية التى كانت سائدة فى تلك الازمنة .

وكان أول تطبيق لنظام المراقبة فى فرنسا ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر وذلك فى صورة منع الاشخاص الذين سبق الحكم عليهم

بعقوبة السجن لمدة طويلة فى الليمانات من الدخول الى المدن الرئيسية والزامهم بالبقاء فى الريف أو فى المدن الصغيرة والحيلولة دون تسللهم الى المدن الكبرى لارتكاب الجرائم فيها منتهزين فرصة الازدحام للاختفاء عن أعين رجال الشرطة ، وكان تحديد الاقامة أو المنع من الاقامة ، الذى هو فى الوقت نفسه الوسيلة لممارسة الرقابة على المجرمين يتم باحدى طريقتين :

الاولى — تحديد محل اقامة للمفرج عنه ، ومنعه من الانتقال منه الى غيره بدون اذن من الحكومة .

الثانية — منع المفرج عنه من الاقامة فى بعض المناطق التى تكون اقامته فيها من بين العوامل التى تسهل له ارتكاب الجرائم ، وهذه الطريقة تترك للمفرج عنه حرية أكبر للحركة .

وفى كلتا الحالتين تقوم الشرطة بمراقبته حيث يقيم ، واطلق على النظام الاول فى فرنسا اصطلاح مراقبة الشرطة العليا الذى استمر مطبقا حتى سنة ١٨٨٥ حين صدر قانون جديد فى ٢٧ مايو سنة ١٨٨٥ يلغى مراقبة الشرطة ويستبدلها بنظام المنع من الاقامة الذى يختلف عن سابقه فى الغائه الرقابة على المفرج عنه والاكتفاء باخضاعه لنظام يمنعه من الاقامة فى بعض الاماكن .

إلا أن مجرد المنع من الاقامة دون فرض رقابة على المفرج عنهم جعل نظام المنع من الاقامة بلا فاعلية ومن ثم صدر المرسوم بقانون فى ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٣٥ بفرض مراقبة الشرطة على المفرج عنهم وان لم تسم كما كانت فى الماضى مراقبة الشرطة العليا ، ثم لم تلبث فرنسا أن تبينت النتائج الخطيرة التى أسفر عنها تطبيق هذا النظام فأقدمت على الغائه .

وكانت أول دولة اسلامية وعربية تأخذ بهذا النظام هى مصر فى عهد محمد على الذى نص عليه فى المادة ١٥٢ من قانون « ناما » ثم توالى النص عليه فى القوانين التالية .

أما قبل ذلك فلم يكن لعقوبة المراقبة وجود فيما كان مطبقا فى البلاد العربية والاسلامية من عقوبات قاسية لا تقرها الشريعة كالوضع على الخازوق أو بتر أعضاء من الجسم غير اليدين والقدمين مما تزخر به كتب التاريخ والتى نقلها هؤلاء الحكام عن دول الغرب .

كذلك قد يختلط الامر على البعض فيظنون ان ما استحدثه معاوية بن ابى سفيان من نظام لمراقبة خصومه واعداء نظامه هو نفسه ما اعتبر فيما بعد عقوبة ، فالواقع ان الفرق واضح بين النظامين اذ بينما لا يطبق نظام مراقبة الشرطة إلا على من ارتكبوا نوعا معينا من الجرائم ، فإن نظام المراقبة الذى استحدثه معاوية كان يطبق على سبيل الوقاية والمتابعة ودون أن يكون الخاضع للمراقبة قد ارتكب اثما أو اتى جرما وهو نظام لا يزال مطبقا حتى اليوم فى الكثير من الدول ، حيث تراقب الحكومة خصومها السياسيين .

وليس صحيحا أيضا أن ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم من امره بوضع المدين المماطل تحت مراقبة دائمة حتى يؤدى دينه ، فاستبقاه هذا فى مسكنه ومنعه من الانتقال الى أى مكان آخر ، وكان الرسول يمر

عليه أو يلتقي به فيسأله عن اسيره ، يعتبر تطبيقا مبكرا لعقوبة المراقبة ، كما قد يظن البعض وانما هو في حقيقة الامر حبس وليس أى شيء آخر ، وذلك لسببين هامين ، احدهما يرجع الي طبيعة المراقبة ، والثانى يرجع الى فلسفة العقوبة في الشريعة الاسلامية ، مما سنبينه فيما يلى :

اولا ــ تختلف المراقبة عن الحبس من حيث طبيعة كل منهما ، فالمراقبة لا تقتضى السلب الكامل لحرية الشخص فى الانتقال والحركة مدة طالت أو قصرت ، وانما يكفي فيها قيد حريته فترة معينة من اليوم كان يلزم بعدم مغادرة مسكنه ، أو أى مكان آخر يختاره أو تختاره السلطة القائمة بالمراقبة ، بين الغروب والشروق مثلا ، او قبل هذا أو بعده ، كما هو الحال فى بعض القوانين الوضعية الحالية .

أما اذا شمل الالزام بالبقاء فى مكان ما اليوم بكامله أو بضعة أيام كاملة فذلك ليس سوى الحبس بعينه ، لانه يقتضى لا قيد الحرية ولكن سلبها ، بغض النظر عن المدة التي يشملها السلب ، طالما انها قد امتدت يوما كاملا ، مثال ذلك ما يقضى به القانون من الحكم بالحبس لمدة أربع وعشرين ساعة على كل من لا يمتثل لأمر المحكمة بالخروج من قاعة الجلسة لإخلاله بنظامها وتماديه فى هذا الاخلال (مادة ٢٤٣ من قانون الاجراءات الجنائية) .

والملاحظ ان المدين المماطل كان ملزما بالبقاء قيد اسر دائنه مدة متصلة لا يباح له فيها مغادرة المكان الذى اسر فيه ، أو بمعنى أصح حبس فيه .

ثانيا ــ ان عقوبة المراقبة لا تتفق مع فلسفة العقوبة فى الشريعة الاسلامية ، التي وان بدت متشددة مع المجرمين ، كما يزعم البعض ، إلا انها تراعى انسانيتهم بصورة فريدة ليس لها نظير فى التشريعات الوضعية فهى تلزم السلطة المسئولة عن العقاب بالمبادىء الاساسية التالية عند تطبيق العقوبات :

أ ــ ان العقوبة مطهرة للجانى من كل اثر للجريمة ، فلا يجوز ملاحقته بعد اقتضائها منه أو اتخاذ ما وقع منه ذريعة لتوقيع أى عقوبة أخرى لا يستلزمها الحال . لذلك لا نجد فى الشريعة أثرا لما يسمى بالعود الى الجريمة الذى تستند اليه التشريعات الوضعية فى تشديدها للعقوبات .

ب ــ ان الشريعة تنهى عن التشهير بالجانى والحديث عن جريمته طالما انه قد عوقب وانتهى الامر ، واعتبرت ذلك اشاعة للفاحشة فى المسلمين « **ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة** » كما اعتبرته جهرا بالسوء لا يحبه الله « **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم** » .

كذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « المعصية اذا خفيت لم تضر الا صاحبها ، ولكن اذا ظهرت فلم تنكر أضرت العامة » وهو ما يتحقق اذا شهر الناس بالجناة واذاعوا جرائمهم التى عوقبوا من أجلها .

جـ ــ أن الشريعة تنهى عن التعيير أى لوم الجناة وتقريعهم والتشفى فيهم بسبب ما ارتكبوا من جرائم عوقبوا من أجلها ، ولذلك ينهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله « لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم » .

كذلك نهى صلوات الله وسلامه عليه عن تعيير المجرم بجرمه بعد عقابه فقد قال للناس الذين قالوا للرجل الذى عوقب بالجلد بسبب شربه الخمر : اخزاك الله . « لا تقولوا هكذا ولا تعينوا عليه الشيطان ، ولكن قولوا رحمك الله » .

وهكذا وجه الرسول الانظار مباشرة الى ما يؤدى اليه التشهير بالجناة وتعييرهم بجرائمهم ، وهو اعانة الشيطان عليهم ، أى دفعهم الى التمادى فى الاجرام انتقاما من المجتمع وردا على ما الحقه بهم من مهانة وتحقير وما اصابهم به من ظلم رغم اقتضائه للعقوبات التى يستحقونها .

فكيف يتفق كل هذا مع ماتتضمنه عقوبة المراقبة من عيوب خطيرة دفعت المشرع فى الدول المختلفة الى الغائها واحلال انظمة أخرى محلها ، وهى عيوب تتعارض بشكل واضح مع المبادىء الاساسية فى الشريعة الاسلامية على الوجه التالى :

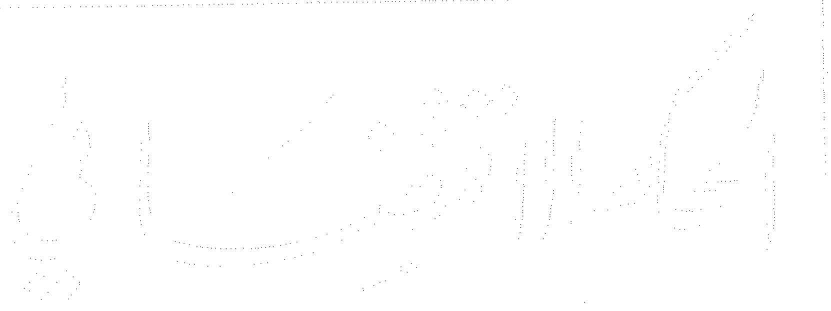
اولا — ان المراقبة لا تحول دون ارتكاب المراقب للجرائم لا فى وقت المراقبة ولا فى غيره ، فهو يستطيع أن يرتكب ما يشاء من جرائم نهارا ، كما انه يستطيع أن يتحايل على شروط المراقبة ليلا ويرتكب الجرائم ، وهو ما كشفت عنه العديد من التحقيقات التى اجريت فى الكثير من الجرائم .

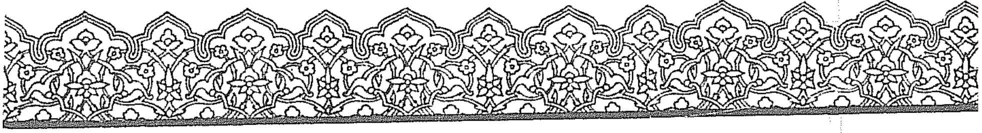
ثانيا — ان المراقبة تحول بين المراقب والالتحاق ببعض الاعمال التى تمتد ساعات العمل فيها الى جزءالليل أو تبدأ قبل الشروق فضلا عن الاعمال الليلية ، مما يجعله يعود الى الجريمة .

ثالثا — ان المراقبة تؤدى الى التشهير بالمراقب حيث يقيم بين جيرانه ومعارفه نتيجة تردد رجال الشرطة عليه بضع مرات فى الليل للتأكد من وجوده وهذا يسىء فى الوقت نفسه الى أفراد اسرته الذين لا يلبثون أن يشعروا بأنه عبء عليهم ومصدر للتشهير والتعيير .

رابعا — ان المراقبة تؤدى الى انعدام الضبط فى الاسرة اذا اختار المراقب مكانا آخر غير مسكنه ليقضى فيه فترة الليل منعا للتشهير الناشىء عن تردد رجال الشرطة عليه والذى يسىء اليه والى ابنائه وبناته .

وغير ذلك الكثير من الاضرار التي لا يتسع المجال لذكرها والتى لا تقرها شريعتنا الغراء ، تلك الشريعة التى آن لنا أن نراجع عقولنا فى ضوء ما تتضمنه من مبادىء سامية كرمت الانسان وأعلت من قدره ورفعت من شأنه . واذا كانت الدول الغربية التى استوحينا قوانينها قد عدلت عن فرض عقوبة المراقبة لتفادى الاضرار التى اشرنا اليها ، ألا يجدر بنا أن نستخلص من هذا دليلا على صواب شريعتنا ؟ !





للدكتور : محمد سلام مدكور

في المقال السابق تكلمنا عن الحكم الشرعي ، وبينا اقسامه واشرنا الى اننا تكلمنا قبل عن الحكم التخييري ووعدنا بالمتابعة والكتابة عن الحكم الاقتضائي .

الحكم الاقتضائي : هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الاقتضاء اي الطلب ، والطلب اما أن يكون طلب فعل أو طلب ترك ، وفي كل منهما إما أن يكون الطلب على سبيل الالزام والتحتيم وهو الايجاب والتحريم او على غير سبيل الالزام والتحتيم وهو الندب والكراهة فصارت أقسام الحكم الاقتضائي اربعة : الايجاب والندب والتحريم والكراهة .

وقد يبدو في بعض الأحيان اختلاف التعبير بين الايجاب والوجوب والواجب ، وبين التحريم والحرام والمحرم ، وكذلك بين الندب والمندوب والكراهة والمكروه .

وتحقيق ذلك أن الايجاب هو نفس خطاب الشارع الآمر على وجه الالزام وهو استعمال أصولي دارج ، والوجوب هو الأثر المترتب على ذلك الخطاب وهو استعمال فقهي دارج وقد يستعمله الأصوليون أيضا ، وأما الواجب : فهو فعل المكلف الذي طلبه الشارع طلبا جازما . ومثل هذا يقال في التحريم والحرمة والمحرم .

وأما الندب والكراهة فليس لهما الا صيغتان : ندب وهو خطاب الشارع وفي نفس الوقت يطلق على أثر الخطاب ، والصيغة الثانية : مندوب وهو فعل المكلف ، ومثل هذا يقال في الكراهة والمكروه . اذ الكراهة تطلق بمعنى خطاب الشارع الناهي بغير جزم ، وبمعنى الأثر المترتب عليه ، وأما المكروه فهو الفعل الذي طلب الشارع تركه على هذا الوصف .

مسلك الحنفية في تقسيم الحكم الاقتضائي :

اذا كان جمهور الأصوليين قسموا الحكم الاقتضائي الى الأقسام الاربعة المذكورة . فان الحنفية جعلوه سبعة أقسام على الوجه الآتي :

١ ــ فرض : وهو ما كان الشارع طلب فعله على سبيل الجزم والتأكيد وكان دليل الالزام به قطعيا في ثبوته بأن كان نصا قرآنيا أو سنة متواترة وقطعيا في دلالته أيضا بمعنى أن دلالة النص لا تحتمل غير هذا الحكم ، أو كان مما علم عن طريق اجماع المجتهدين من الأمة الاسلامية في عصر من العصور بعد عصر الرسالة .

٢ ــ واجب : ما كان الشارع طلب فعله على سبيل الجزم أيضا لكن الدليل الذي يدل على طلبه دليل ظني في دلالته أو ظني في ثبوته أو ظني فيهما معا . ومن ظني الدلالة فقط قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم » .. فان الآية ، ان كانت قطعية الثبوت الا أنها بالنسبة للمقدار المطلوب مسحه من الرأس ظنية في دلالتها عليه لأن الباء يحتمل أن تكون زائدة ويكون المطلوب مسح كل الرأس وقد تكون للتبعيض فيكتفي بمسح بضعة شعيرات ، وقد تكون للالصاق ويكون المطلوب مسح موضع الكف وهو مقدر بربع الرأس وهو ما رجحه الحنفية بأدلة خاصة . وعلى هذا فيكون أصل المسح عندهم فرضا والمقدار المطلوب مسحه واجبا .

ومن ظني الثبوت والدلالة ما روى عن الرسول عليه السلام أنه قال : « لا صلاة لمن لم يقرأ الفاتحة » فهو من ناحية ثبوته خبر آحاد فيكون ظنيا ، ومن ناحية دلالته يحتمل نفي صحة الصلاة بغير قراءة الفاتحة كما يحتمل أن المقصود نفي الكمال لا الصحة كما قال الحنفية ولذا فانهم قالوا ان القراءة في الصلاة فرض ، وقراءة الفاتحة واجب .

أما غير الحنفية فالفرض والواجب عندهم لفظان مترادفان مدلولهما واحد وهو الطلب على سبيل الالزام والتحتيم دون نظر لكون الدليل قطعيا أو ظنيا .

٣ ــ سنة مؤكدة : وهي ما كان الطلب فيها على غير سبيل الجزم والالزام لكن واظب الرسول صلى الله عليه وسلم على فعله ولم يتركه في حياته دون عذر الا بضعة مرات . ومثلوا لذلك بصلاة ركعتي الفجر وصوم اليوم العاشر مع اليوم التاسع من المحرم .

٤ ــ سنة غير مؤكدة : وهي ما كان الطلب فيها على غير سبيل الجزم ولم يواظب الرسول صلى الله عليه وسلم على فعله وتركه كثيرا دون عذر . ويعبرون عنه أحيانا بالمندوب والمستحب والنفل . ومثلوا لذلك بصلاة أربع ركعات قبل صلاة العصر ، وصدقة التطوع وصوم يومي الاثنين والخميس .

فالحنفية جعلوا الحكم الاقتضائي الآمر وحده أربعة أنواع ، وأوجدوا

رتبة فوق الواجب ورتبة فوق المندوب بينما أقسامه عند غيرهم تنحصر في الواجب والمندوب .

٥ ـ **الحرام** : وهو الحكم الاقتضائى الناهي على سبيل الجزم والالزام مثل النهى عن قربان الزنا وتحريم الميتة والخنزير والربا ونكاح الأمهات والبنات والأخوات والأمر باجتناب الخمر ونحو ذلك .

٦ ـ **مكروه كراهة تحريمية** : وهو ما كان طلب الترك معه شيئا يفيد التشديد ، وبتعبير آخر ما كان الى الحرام أقرب مثل النهى عن بيع الرجل على بيع أخيه وخطبته على خطبة أخيه المأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يبع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه » فانه قد وجد ما يدل على التشديد فى باقى الفاظ الحديث ويظهر أثر فعل ذلك من ايجاد الضغينة فى النفوس ويسبب الأذى والوحشة ، ومثلوا لذلك أيضا بما ورد من النهى عن البيع وقت النداء لصلاة الجمعة فى قوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » ومن البين أن غير البيع من العقود يقاس على البيع لأنه فيه تعطيل عن صلاة الجمعة ، وانما خص البيع بالذكر لأنه الكثير الغالب بين الناس فى التعامل اليومى ، وانما النهى كان فى هذا وأمثاله للكراهة لأنه كما يقول السرخسى فى المبسوط لمعنى فى غير المنهى عنه غير متصل به على ما هو بين فى كتب الفقه والأصول .

لكن محمد بن الحسن الشيبانى الفقيه الحنفى ينظر للحكم الاقتضائى الناهى على سبيل الجزم والالزام بنفس النظرة التى نظروا بها الى الحكم الاقتضائى الآمر على سبيل الالزام ، وقال انه يجب النظر الى دليل النهى فان كان قطعيا أفاد التحريم وان كان ظنيا أفاد الكراهة التحريمية ، وبذا يكون المكروه تحريما عنده منزلته من الحرام بمنزلة الواجب من الفرض .

٧ ـ **المكروه تنزيها** : ما لم يكن الطلب فيه على سبيل الجزم ووجدت قرينة تفيد عدم التشديد فى النهى ، وقالوا : انه ما كان الى الحلال أقرب ومثلوا له بصوم يوم الجمعة ، وصوم اليوم العاشر من المحرم ـ عاشوراء ـ دون اليوم التاسع ، وبناء على ما قاله محمد بن الحسن يكون المكروه نوعا واحدا مثل ما قال سائر الفقهاء اذ قد أدخل المكروه تحريما ضمن المنهى عنه على سبيل الجزم والالزام كما ذكرنا .

ما يترتب على تقسيم الحنفية من آثار :

الفرض لازم عملا واعتقادا ومنكره كافر ، ولو كان متأولا اذ لا مجال فيه للتأويل وقد ثبت بدليل قطعى فى ثبوته وقطعى فى دلالته ، كما أن تاركه عمدا جاحدا به يعتبر كافرا أيضا لأنه لا يعتقد بـه أما ان تركه اهمالا مع اعتقاده بفرضيته فانه يأثم بهذا الترك ويفسق فقط أما الواجب فانه لازم عملا فقط فلا يكفر منكره لأن اعتقاده غير لازم إذ طريق ثبوته دليل ظنى وتاركه يأثم ويفسق الا اذا كان متأولا نتيجة اجتهاد .

ويترتب ايضا على تفرقتهم بين الفرض والواجب ما قالوه من أن ترك الفرض يبطل العمل كما إذا ترك المصلى الركوع او السجود فى صلاته فان صلاته تبطل لفوات ركن فيه ولا تبرأ ذمته الا باعادتها فى الوقت على الوجه الصحيح أو قضائها عند فوات الوقت .

وأما تارك الواجب فان عمله يكون صحيحا الا انه ناقص ومع ذلك فان تاركه مطالب بالاعادة ، فان لم يعد فان ذمته تبرأ ويسقط عنه التكليف مع الاثم واستحقاقه العقاب على ما ترك .

وبالنسبة للسنة المؤكدة وغير المؤكدة فانهم قالوا ان المرء يثاب على فعل المؤكدة ، ويعاتب على تركها دون أن يعاقب ، أما غير المؤكدة فان فاعلها يثاب ولا شيء على تاركها فلاعتاب ولا عقاب .

وبالنسبة للمكروه تحريما فقالوا : ان فاعله يعاقب ومنكره لا يعد كافرا ، وأما المكروه تنزيها فان فاعله لا يستحق عتابا ولا ذما ولا أثم عليه فيما فعل وان كان فعل غير الأولى .

وقد تناول الأصوليون الأقسام الرئيسية للحكم الاقتضائي بتفصيل وخاصة الواجب وقد عرضنا ذلك فى كتابنا مباحث الحكم عند الأصوليين ، واننا سنوجزه هنا بالقدر الذى يظهر الموضوع ويناسب هذا المقام .

١ ــ الواجب وأقسامه :

عرفنا أن الواجب هو ما طلب الشارع فعله على سبيل الالزام ، وأساليبه متنوعة فيكون بصيغة من صيغ الأمر ــ وقد سبق ذكرها فى مقال سابق ــ كما يستفاد من اساليب أخرى مثل : « كتب عليكم الصيام .. » ومثل : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات » ومثل : « ولله على الناس حج البيت » وينقسم الواجب باعتبارات مختلفة الى أقسام متعددة . فمن ناحية ارتباطه بالزمن يقسمونه الى :

واجب مطلق : وهو ما لم يقيد الشارع أداءه بوقت معين كالحج وقضاء رمضان عند من يرى جواز التراخي فيهما ومثل كفارة الايمان فان الحانث ليس مقيدا فى أداء الكفارة بوقت معين .

واجب مؤقت : وهو الذى قيد الشارع اداءه بوقت محدد كالصلاة المفروضة فانها مؤقتة بوقت موسع يسعه ويسع غيره من صلوات أخرى من جنسها ، وقد اتفق الأصوليون على أن وقت كل صلاة هو سبب وجوبها فلا تجب الصلاة قبل دخول وقتها ولا يصح التعجيل بها الا بدليل خاص ، ويجب تعيينها بالنية ما دام الوقت يتسع لشيء آخر من جنس العبادة .

وكالصوم فانه مؤقت بوقت مضيق بمعنى أن وقته لا يتسع لفعل واجب آخر من جنسه فصوم رمضان لا يتسع وقته لصوم آخر ، ولذا فانه تجزيء فيه مطلق النية بل قال الحنفية انه يتأدى ولو بنية شيء آخر كالنفل أو القضاء لأن الفرض متعين فيه .

وكالحج فانه بالنظر الى تحديد وقت معين له في السنة لا يتسع الا لحج واحد كان من قبيل المؤقت بوقت مضيق ، وبالنظر الى أن اعمال الحج لا تستغرق أشهر الحج كلها أشبه المؤقت بوقت موسع ، ولذا فانهم قالوا : انه ذو الشبهين : ومع هذا فقد جعل البعض الحج يشبه الواجب المطلق من ناحية وجوبه على التراخي دون الزام بسنة معينة ويشبه الموقت من ناحية تخصيص وقت معين من السنة لأدائه ، وعلى الأول فانه لشبهه بالموسع كانت نية النفل فيه لا تبرىء الذمة عن الفرض ، ولشبهه بالمضيق جاز بمطلق النية .

وينقسم الواجب من ناحية الملزمين به الى :

واجب عيني : وهو ما يطلب فعله شرعا من كل فرد من المكلفين بعينه ولا يكتفى فيه بقيام الآخرين فالخطاب فيه يتجه الى الفاعل نفسه بحيث اذا عجز لم يطلب الفعل من غيره اذ التكليف يرجع الى نفس المكلف ، ومن هذا القبيل أركان الاسلام الخمسة ، وبر الوالدين وصلة الرحم .

واجب كفائي : وهو ما يطلب فعله شرعا من مجموع المكلفين لا من كل فرد على حدة كفريضة الجهاد في سبيل الله ما لم يتطلب الموقف دفاع كل قادر ، ومن ذلك رد السلام وما الى ذلك من كل واجب يتحقق الفرض منه بقيام بعض المكلفين به اذ القصد منه وقوع الفعل دون نظر لشخص الفاعل .

هذا وقد تكون الجزئية الواحدة فرض عين في حالة وفرض كفاية في حالة أخرى ، فاذا تعين لاظهار الحق فرد بذاته كان أداء الواجب عينيا وان كان في أصله واجبا كفائيا فاذا كان في البلدة عدة أطباء ووجد مريض ثم ارتحل الأطباء الا واحدا قبل علاج المريض فالتكليف بعلاجه كان كفائيا عند وجود مجموعهم فأصبح عينيا على الموجود منهم .

وينقسم الواجب من ناحية تقديره من الشارع الى واجب محدد ، وواجب غير محدد .

فالواجب المحدد : ما عين له الشارع مقدارا معلوما لا تبرأ الذمة الا بأدائه بمقداره الذى حدده الشارع كالصلوات والزكاة والصوم .

والواجب غير المحدد : ما لم يعين له الشارع مقدارا معينا كالعدل والاحسان والأمر بالمعروف ويلاحظ أن غير المحدد لا يثبت وينافي الذمة ولا يطالب به المكلف قضاء بعكس الأول .

وينقسم الواجب من حيث تعين المطلوب والتخيير فيه الى واجب معين وواجب مخير :

فالمعين : ما يكون المطلوب فيه مبينا بعينه من غير تخيير بينه وبين غيره مثل أركان الاسلام الخمسة وكل واجب لا تبرأ الذمة الا بأدائه حسب تعيين الشارع .

والمخير : ما كان الواجب فيه مترددا بين شيئين أو أكثر كالتخيير بين المن والفداء فى قوله تعالى : « فاما منا بعد وأما فداء » وتخيير الدائن للمعسر بين الابراء والنظرة الى الميسرة ، والتخيير فى الكفارات بين العتق والصوم والاطعام .

٢ ـ المندوب : هو المطلوب فعله شرعا من غير ذم على تركه مطلقا ، وكما يرى الجمهور فان صيغة الأمر لا تدل على الندب الا بالقرينة كما فى قوله تعالى : « يا أيهاالذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » والقرينة الصارفةعن الجواب قوله تعالى « فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته » وقد تكون القرينة الصارفة مأخوذة من مبادىء الشريعة وقواعدها الكلية كما فى الأمر بالمكاتبة : « فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا » .

فقد دلت القواعد الشرعية العامة الخاصة بالملكية على أن المالك حر فى ملكه لا سلطان لأحد عليه الا السلطان العام .

مثل قوله عليه السلام فى رمضان « سننت لكم قيامه » وقوله « من توضأ يوم الجمعة فبهاونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل » .

ويقسم الأصوليون المندوب ثلاثة أقسام :

١ ـ مندوب على وجه التأكيد : وهو ما يثاب فاعله عليه ولا يستحق تاركه عقابا وان استحق اللوم والعتاب ومن هذا السنن المكملة للواجبات كصلاة الجماعة والأذان .. وهو ما سماه الحنفية بالسنة المؤكدة .

٢ ـ مندوب لا على وجه التأكيد : وهو ما يثاب فاعله على فعله ولا يستحق على تركه لا عقابا ولا عتابا كصلاة الضحى وصوم يوم الاثنين ويوم الجمعة من كل أسبوع ، وهذا ما سماه الحنفية سنة غير مؤكدة كما يسمى مستحبا ويسمى نفلا .

٣ ـ سنن زوائد : وهو ما فعله الرسول بحكم العادة مما لا يتعلق بالأحكام العملية كما ينقل عن أحواله صلى الله عليه وسلم فى أكله ونومه . وهذا لا عقاب ولا عتاب على تركه ، ولا ثواب على فعله الا اذا كان فاعله ينوى متابعة الرسول والتأسى به .

ويرى الشافعية أن المندوب لا يلزم بالشروع فيه ومن شرع فيه وأبطله لا يجب عليه قضاؤه لما روى عن الرسول عليه السلام « المتطوع أمير نفسه » أما الحنفية فيرون أن النفل لازم بالشروع فيه ويجب على المكلف القضاء بافساده لأنه بالشروع فيه صار حقا لله فوجبت صيانته عن البطلان لقوله تعالى : « ولا تبطلوا أعمالكم » .

٣ ـ الحرام : ما طلب الشارع من المكلف الكف عنه على سبيل الجزم وتختلف الأساليب والعبارات التى تدل عليه فمنها صيغ النهى ، وقد سبق

بيانها في مقال سابق ــ مثل « لا تقربوا الصلاة وأنتم سـكارى » وقـوله « اجتنبوا قول الزور » وقوله « حرمت عليكم الميتة .. » وقوله « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ».

وتحريم الشارع لأى فعل لا يكون الا بناء على مفسدة غالبة تترتب على فعله ، وهذه المفسده اما أن تكون راجعة الى ذات المحرم فيسمى محـرما بأصله وهذا غير مشروع أصلا ومنه حرمة اكل الميتة ولعب الميسر والزنا وأكل أموال الناس بالباطل ، واما أن تكون راجعة لأمر يتصل به وهذا النـوع لم يحرمه الشارع بأصله لكنه أتصل به من المفاسد ما جعله حراما وان كان في أصله مشروعا ومن هذا الصلاة في الثوب المغصوب والأرض المغصوبة فان الصلاة في ذاتها مشروعة ولكنها حرمت هنا لما اتصفت به وكذلك البيع وقت النداء لصلاة الجمعة .. على خلاف بين الفقهاء في اعتبار ذلـك مكروهـا او حراما .

وعلى كل فالنوع الأول لا يظهر فيه الأثر مطلقا أما الحرام لغيره فيصح أن يكون سببا ، لكن لما اتصل به من فساد كان لا ينبغى فعله فاذا وقع كـان صحيحا في ذاته مع اثمفاعله. لكن بعض الفقهاء كالحنابلة وروايـة عن الشافعي غلبوا جانب البطلان .

٤ ــ المكروه : هو ماطلب الشارع الكف عنه من غير جزم أو هو مايمدح تاركه ولا يذم فاعله وقد بينا قبل ان الحنفية يجعلون المكروه قسمين : مكروه كراهة تحريمية ، ومكروه كراهة تنزيهية وأساليب الكراهة من أساليب النهى والقرينة هي التي تعين فيكون بصيغة النهى المقترن بما يدل على الكراهة مثل قوله تعالى : « لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم » والقرينة على صرف النهى عن التحريم الى الكراهة هي قوله جل شأنه : « وان تسألوا عنها حيـن ينزل القرآن تبد لكم » وقوله : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » ومن أساليب الكراهة لفظ اكره وأبغض ومن ذلك قول الرسول عليه الصـلاة والسلام : « اكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ، » وقولـه : « أبغض الحلال الى الله الطلاق » .

وحكم المكروه على ما يراه الجمهور أن فاعله لا يأثم وان كان ملومـا ، وتاركه يمدح ويثاب اذا نوى بتركه التقرب الى الله ، لكن الحنفيـة بناء عـلى مسلكهم في تقسيم المكروه يرون أن المكروه تحريما يذم فاعله ويستحق العقاب كالحرام الا أنه لا يكفر جاحده نظرا لعدم قطعية الدليـل كما يـرى محمد بن الحسن ، والمكروه كراهة تنزيهية ان كان فاعله لا يعاقب فانـه ملوم معاقب .

وبذا نكون قد عرضنا على القارىء الكريم صورة موجزة للحكم الاقتضائى بنوعية الآمر والناهي .

مائدة القارئ

التلبية :

قال ابن عباس : كانت تلبية النبى صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يلبى إلا لبى من عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا » أخرجه ابن ماجه والبيهقى والترمذى والحاكم وصححه .

بئر اريس :

تقع في الجنوب الغربى لمسجد قباء . قال أنس بن مالك كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده ، وفى يد أبى بكر من بعده ، وفى يد عمر بعد أبى بكر ، فلما كان عثمان جلس على بئر أريس فأخرج الخاتم فجعل يحركه فسقط فى البئر ، فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده .

أخرجه البخارى

الحجر الاسود :

هو أشرف أجزاء البيت الحرام ،ولهذا سن تقبيله واستلامه ووضع الخد والجبهة عليه ، وجاءت فىفضله أحاديث منها

قول الرسول صلىالله عليه وسلم« يأتى هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق بهيشهد لمن استلمه بحق » رواه الترمذى وحسنه .

وقوله صلوات الله وسلامه عليه« نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن فسودته خطايابنى آدم » رواه الترمذى وصححه .

فضل المساجد الثلاثة :

عن أبى الدرداء رضى الله عنـــهقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فى المســـجد الحرامبمائة ألف صلاة ، والصـــلاة فى مسجدى بألف صلاة ، والصلاه فىبيت المقدس بخمسمائة صلاة .

رواه الطبرانى فى الكبير
وابن خزيمة فى صحيحه

مقام ابراهيم :

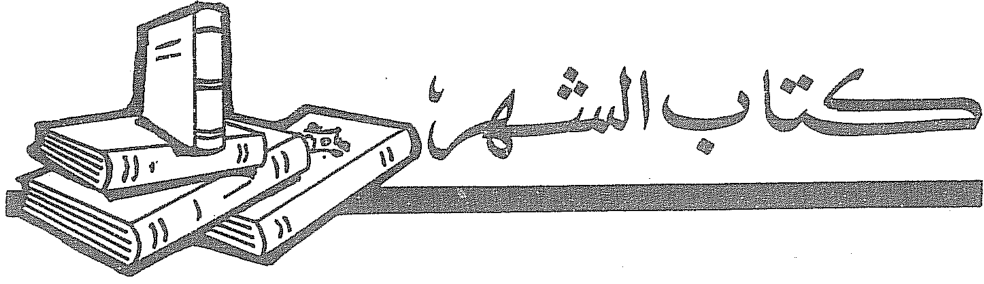
هذا الحجر الذى كان الخـــليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام يقف عليه عند بنائه الكعبة ، وقيل أن فيه أثرا من قدمى الخليل حيث ساخت قدماه فيه .

والله سبحانه أمرنا أن نتخذ مصلى من مقام ابراهيم فنصلى خلف المقام عند الاستطاعة ركعتين بعد الطواف بالبيت . قال تعالى : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » .

اسطوانة المصحف :

هى علم على مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد النبوى الشريف وكان أمامها الجذع الذى كان يخطب اليه الرسول الكريم . ويروى أن ســـلمة بن الأكوع كان يتحرى الصلاة عند الاســـطوانة التى عند المصـــحف ، فقيل له نراك تتحرى الصلاة عند هذه الاسطوانة . قال : رأيت النبى صلى الله عليه وســـلم يتحرى الصلاة عندها .

ايام فى الحج :
فى الحج أيام لها أسماء تناسب الأعمال التى تتم فيها .
يوم التروية :
وهو اليوم الثامن من ذى الحجة .
يوم عرفة :
وهو اليوم التاسع من ذى الحجةوفيه يقف الحجاج بعرفة .
يوم النحر :
وهو اليوم العاشر من ذى الحجةوفيه يكون الحجاج فى منى وينحرون الأضاحى .
يوم النفر الأول :
وهو اليوم الثـــانى عشر من ذىالحجة لأن بعض الحجاج ينصرف من منى فى هذا اليوم .
يوم النفر الثانى :
وهو اليوم الثالث عشر من ذىالحجة لأن باقى الحجاج ينصرفون من منى فى هذا اليوم .



العقيدة والقوة معاً

كتاب جديد للأستاذ محمد عبد الله السمّان

(منشورات دار الجيل - بيروت)

تقديم الاستاذ أنور الجندى

من حق الاستاذ السمان أن يعرض كتابه الجديد الضخم الذى بلغ ٣٨٢ صفحة من القطع الكبير والذى يمثل مرحلة جديدة من حياة هذا الكاتب الاسلامى الصادق الايمان برسالة القلم ، من حقه هذا فى هذا المكان وقد قدم عشرات الكتاب من هذا المكان ، والاستاذ السمان كعادته رجل جرىء ناصح ، يعيش للاسلام بكل ذرة من دمه ، ويحمل اعباء رسالة يجعل كل لحظة من حياته ملكا لها وأنت حين تطالعه فى هذا الكتاب تجده فى اهاب الجندى اليقظ الذى يحمل بندقيته فلا تغيب عنه ناحية من النواحى ، لا تغيب عنه كلمة تقال ، أو مقال ينشر فى صحيفة أو كتاب يصدر أو ندوة تعقد فهو مشارك فى كل هذا ، يقدم كتب أعلام الفكر الاسلامى ويعرضها عرضا جيدا فى مجلة الوعى الزاهرة ، فلا يغفل عن وجهته الصحيحة ، ويحاسب كاتبه فى اصالة ودقة ، ومع قدر كبير من الانصاف ، تراه واضحا فى كتابه هذا وهو يناقش زكى نجيب محمود وفؤاد زكريا وحسين فوزى وتوفيق الحكيم ولويس عوض ونجيب محفوظ ، فلا يغفل عن عبارات التقدير قبل أن يدخل فى مداخل النقد والخلاف .

ومن خلال صفحات ذلك الكتاب تجد صورة كاملة لما عرضه النقاد والكتاب فى الصحف والكتب والندوات خلال السنوات الاخيرة فمن ندوة القذافى الى مجمع البحوث ، الى معركة العاشر من رمضان الى حلقات التلفزيون الى أفلام السينما ومسرحيات الفن دون أن تفوته شاردةولا واردة ، ولا كلمة واحدة نشرتها صحيفة أو تعليق معلق .

هذا هو أول ما يبهرك وأنت تطالع كتاب (العقيدة والقوة معا) الذى يقوم على ركيزة واضحة اساسية هى ان الدعوة الاسلامية استطاعت بالعقيدة والقوة معا أن تفتح مشارق الارض ومغاربها ، وما تخلى النصر عنها الا لسبب اهتزاز فى العقيدة واضطراب فى الايمان ، فالعقيدة هى العامل الاساسى فى كل نصر احرزته الدعوة الاسلامية وفى كل هزيمة ألمت بها فكلما كانت العقيدة قوية نابضة بالايمان القوى والثقة المطلقة فى الله عز وجل ، كلما كان النصر المؤزر مؤكدا والا كانت الهزيمة . وانه لم يحدث فى تاريخ الدعوة الاسلامية فى نضالها مرة واحدة ، ان اعتمدت على القوة المادية وحدها وكتب لها النصر ، بل كانت هذه العقيدة هى السند الاول .

◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇

من هذا المنطلق يندفع الاستاذ السمان الى تصور كامل للمجتمع الاسلامى القائم ولقضاياه وتحدياته على نحو غاية فى الاستفاضة والاستقصاء كاشفا عن تلك السلبيات الكثيرة التى تعوق الحركة الى النصر الكامل ثم هو لا يلبث أن يتقدم نحو رحاب العقيدة فيكشف عن صورها القوية التى بناها الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك الجيل من الرواد ثم يمضى مصورا رسالة العلماء والقادة وأهل الفكر وكيف قاموا بالامانة وحملوا الرسالة وواجهوا الامراء بالنصح وقول الكلمة لا يخافون فى الله لومة لائم .

◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇

ويمضى حتى يصل الى العز بن عبد السلام بعد أن عرض لبطولة الامام احمد بن حنبل كاشفا عن هذه الرسالة التى حملها العلماء والمفكرون فى كشف الزيف وتعرية المنافقين والمبطلين وتصحيح المفاهيم وتحرير العقول من مختلف الشبهات التى يضعها خصوم الاسلام أمامه فى محاولة لتعطيل مسيرته ويقدم فى ذلك النماذج من خلال تاريخ الاسلام كله .

ثم يعرض لرحاب القوة فى العقيدة الاسلامية فيصور عدل العرب فى حكمهم الاسلامى مما شهد به المؤرخون المنصفون ويستعرض معنى القوة فى الاسلام ممثلة فى قول الرسول الكريم :

◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇ ◇

لا تتمنوا لقاء العدو ، وكيف يدعو الاسلام المسلمين الى تأمين الدعـــوة ضد اعدائها المتربصين فاذا جنحوا للسلم قبل منهم وكيف ان الجهاد فى الاسلام انما هو نشر الدعوة الاسلامية لاعلاء كلمة الله ويقرر ان العقيدة هي اساس الجهاد وحتميتها فالعقيدة تفرض على المسلم أن تهون الحياة كلها أمام الجهاد فى سبيل الله لنصرة العقيدة فهو يتمنى أحد خيرين :

إما الشهادة وإما النصر .

●●●●●●●●●●●●●●●●

ثم يصل المؤلف من ذلك كله الى حاضر المسلمين والى مرحلـــة الضعـــف والتخلف التى ما كانت لتقع فى تاريخ المسلمين الحديث لولا انفصالهم عن مفهوم الاسلام الجامع للعقيدة والقوة معا ، ثم يصل المؤلف الى اخصب فصول كتابه وهى التحديات المختلفة التى تتمثل فى كتابات اعداء الاسلام فيعرض الـــى مانشرتـــه الصحف وتحدث به اعداء الاسلام بعد هزيمة ١٩٤٨ ثم بعد نكسة ١٩٦٧م وكيف ضاعت فلسطين فى الاولى وضاعت القدس فى الاخرى .

●●●●●●●●●●●●●●●●

ويركز الاستاذ السمان على قضية فلسطين ويرى أنها كبرى قضايا العصـــر ويعدد الاخطار التى اتصلت بها والاحداث التى تمت لتشريد أهلها وموقف الدول الكبرى والامم المتحدة ، ويعرض لما أورده محمود شيت خطاب وعبد الله التل من حقائق عن هذا الخطر وهما من أصدق من تصدى للتحدى الصهيوني وكشف عن خطره ورسم الخطة المثلى لمقاومته ، ويصل من ذلك الى مأساة مسلمى كشمير ، ثم يتطرق الى موقف الهند والهندوكية من مؤامرة لقسم فلسطين ، ويصل من ذلك الى الحبشة والى موقعها من مسلمى أرتيريا ، ويتعرض لباكستان وموقفها بعـــد الانفصال ويربط ذلك كله برباط وثيق مؤكدا أن الضربات الموجهة للعالم الاسلامى كلها واحدة وان اختلفت مواقعها ، ثم يشير الى المؤامـــرة التى ذهب ضحيتهـــا أحمدوبيللو زعيم اقليم الشمال فى نيجيريا الذى يضم ثلاثين مليونا من المسلمين والحاج أبو بكر تفاوباليوا ثم يترك نيجيريا الى تشاد والسنغال وكلا الدولتين يمثل شعبها المسلم اكثر من ٩٠ فى المائة ويصل الى زنجبار ، ومذبحة ١٢ يناير ١٩٦٤ حيث ذهب خمسة عشر الفا من العرب المسلمين ، ثم يستطرد الى ذكر الفلبين ومأساة مسلمى الفيلبين .

●●●●●●●●●●●●●●●●

ثم ينتهى من هذا الاستعراض الى ما قاله اللورد اللنبى فى نهاية الحـــرب العالمية الاولى حين قال : لقد انتهت الحروب الصليبية ويؤكد الاستاذ السمان أن الحروب الصليبية لم تتوقف فضلا عن ان تنتهى ، وانها مستمرة ذات اهـــداف تلتقى عند ابادة الاسلام وشعوبه وتراثه وحضارته .

ومن خلال هذا الاستعراض القوى الواسع الابعاد تجد تلك الارضيـــــة

الخصبة التي يمتلكها هذا الكاتب المسلم المقتدر العارف بقضايا الاسلام المعاصر وخلفياتها وآثارها البعيدة المدى .

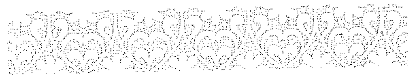
٭٭٭٭٭٭٭٭٭٭٭٭٭٭٭٭

ثم يخلص من واقع المسلمين اليوم الى التحديات الفكرية والعقائدية التي يواجهها الاسلام من خلال تلك السموم التي يدسها كتاب التغريب هنا وهناك وفي كل مرحلة وفي كل مناسبة من حيث الدعوة الى فصل الدين عن الدولة ومن حيث دعوة القوميات الضيقة والاقليميات بالاضافة الى اهواء المستشرقين واخطار المسرح والقصة ثم يكشف عن ذلك التداخل المعيب في تجاهل الطابع الاسلامي واحلال كلمة العربي مكانه تجاهلا وانتقاصا للاسلام .

٭٭٭٭٭٭٭٭٭٭٭٭٭٭٭٭

ثم يتحدث عن ندوة العقيد القذافي التي نشرتها الاهرام ابريل ١٩٧٢ ويراجع مادتها وكل ما يتصل بالآراء التي عرضت فيها،وينتقل منها الى الهجوم على التراث الذي بدأه زكي نجيب محمود وغالي شكري ، ثم ينتقل منها الى قضية المرأة وحريتها وعملها ومن ذلك الرد على امينة السعيد ، ثم يعرض الكاتب للمسرحيات التي تحرف تاريخ الاسلام ورجاله ثم يصل الى الكتب التي تساوق آراء المستشرقين امثال كتاب عبد المنعم ماجد (التاريخ السياسي للدولة العربية) ثم يتحدث الباحث عن الصحافة الاسلامية وضرورة صدور جريدة يومية اسلامية ثم يشيد بدور مجلة الوعي الاسلامي ومجلة لواء الاسلام ، وفي طريق هذا البحث المتصل لا يترك المؤلف شاردة ولا واردة الا احصاها ولا يترك تصريحا في صحيفة أو كلمة لكاتب ثم يصل الى الطرق الصوفية ، ويتحدث عن المعسكرات الدينية واحاديثها واسئلة شبابها .

ولا يدع الاستاذ السمان كتابات الشيوعيين أو الوجوديين أو التغريبيين دون أن يفندها ويكشف عن زيفها كما فعل مع كتابات الدكتور/فؤاد زكريا ومن أفزعهم انتصار العاشر من رمضان ، ثم ينتهي الى غاية واضحة لا بد من ايجاد رأي عالمي اسلامي واع يقظ مثقف واسع الافق يستغنى الى الابد عن التشبث بالفرعيات والشكليات التي يمكن الاستغناء عنها ويجب أن تقوم أكثر من مؤسسة صحفية تقدم صحفا يومية واسبوعية اسلامية على مستوى الصحافة العالمية ، وأكثر من مؤسسة للنشر تجعل من الكتاب الاسلامي كتابا عالميا على مستوى الكتب العالمية هذا مع ايقاف الخلافات المذهبية بين المسلمين تمهيدا لاقامة وحدة معنوية للعالم الاسلامي .



مكتبة المجلة

اعداد الاستاذ عبد الستار محمد فيض

من الخالق الله أم الصدفة ؟

للأستاذ / رشدى مدبولى حسن

محاولة جادة ومخلصة لمتابعة سـؤال ردده الكثير عبر الزمـن وحار فيه الفلاسفة والمفكرون وتعددت الاجابات وتفاوتت ، ولذا نرى أن فكرة الخالق قـد جانبها الصواب عند الكثير من هؤلاء وعند الذين تزعمـوا القيـادات الفكرية فى اممهم وبين شعوبهم .

أن كل ما حولنا فى الحقيقة يدعونا أن نبحث عن الله وسوف نراه فى كل ما حولنا ونحس بقدرته فيما يحيط بنا .

وفى هذا الكتاب يتحدث المؤلف بهذا المنطق الذى يسمونـه برهان الغايـة واتخذه سبيلا للوصول الى الحقيقة ومعرفة الخالق .

وقد يزعم الملحدون فى بقاع كثيرة أن قضاياهم علمية تقدمية وسوف نـرى من كلام المؤلف أن مزاعمهم أوهام جريئة،وأن حقائق الاحياء كما سردها بذكاء ويسر تشهد ضدهم ولا تشهد لهم ويعتبر الكتاب بحثا جيدا فى هـذا الميدان الذى يرقبه الكثيرون ليكون مددا من امداد الخير وشعاعا من أشـعة اليقين وهـو يقع فى (٢٣٠) صفحـة ومـن نشر مكتبة الزهراء ٨ شارع عبـد العزيز ـ عابدين ـ القاهرة .

حكم الاسلام فى القضاء الشعبى

للدكتور / فؤاد عبد المنعم

بحث يتناول نظام القضاء الشـعبى فى الأنظمة القديمـة ونظام المحلفين وانتخاب القضاة . .

كما يتناول وجهة نظر الاسلام فى القضاء الشعبى .

وقد قام المؤلف بدراسة هذا الموضوع دراسة مقارنـة وقسم بحثـه الى دراسة تمهيدية وبابين رئيسيين .

الباب الأول : فى حكم الاسلام فى القضاء الشعبى .

الباب الثانى : فى المقارنة بالانظمة الغربية والماركسية .

وخاتمة تعرض فيها الصور من القضاء الشعبى فى مصر مع دراسة لمستقبل هذا النظام . والكتاب يحتوي على (١٤٠) صفحة ومن طبع شركة الاسكندريـة للطباعة والنشر (١) شارع فنتورا ـ الاسكندرية .

نظرات في الحديث

«مرحلة تدوين المسند»
مسند الطيالسي ومسند الحميدي

للدكتور/محمد عبد الرءوف

ذكرنا فيما تقدم أن مرحلة تدوين المسانيد بدأت قبل نهاية القرن الهجرى الثانى ، وعرّفنا « المسند » بأنه : مجموعة مكتوبة من الأحاديث مرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم عن طريق صحابىّ واحد ، وذلك مثل « مسند عمر بن الخطاب » و « مسند عائشة الصديقة » و « مسند جابر بن عبد الله » رضى الله تعالى عنهم . كما يطلق اسم « المسند » أيضا على الكتاب الذى يحتوى على عدد من هذه المسانيد ، وهو الغالب ، وفى هذه الحالة قد يكون العدد من المسانيد المدونة فى كتاب واحد قاصرا على نوع معين من الصحابة كمسانيد العشرة أو مسانيد المدنيين أو مسانيد المكيين أو مسانيد البصريين أو مسانيد المقلين ، وقد يكون المسند عاما شاملا فيه أسانيد المقلين والمكثرين ، وذوى السابقة فى الاسلام والمتأخرين ، والأنصار والمهاجرين والرجال والنساء من أصحاب سيد المرسلين ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين . ويطلق صاحبُ المسند الجامع على المسانيد المدونة به عبارة « مسند فلان » أو « أحاديث فلان » ، كعنوانٍ على كل بابٍ مدوّن بالمسند ، كأن يقول : « مسند عمر » و « مسند عائشة » و «مسند أبى هريرة» ، أو يسميها : « أحاديث عمر » و « أحاديث عائشة » و « أحاديث أبى هريرة » وهكذا ، والمؤدّى واحد ، والمقصود مجموعة الأحاديث التى تيسرت للمؤلف مما أسنده ذلك الصحابىّ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد ذكرنا أن عددا كبيرا من المسانيد تمّ تدوينها خـلال القرنين الثالث والرابع ، وأنه يرجع الى هذه الحركة الفضل في المحافظة على العدد الأكبر من الاحاديث بتدوينها قبل أن تضيع بموت حفظتها ورواتها ، ولكن بالأسف لم يقدّر إلا للنفر اليسير من هذه المسانيد الشهرة وكثرة التـداول بين الأجيال التاليـة ، ولعل ذلك يرجع الى ما لقيته الصحاح والسنن التي ظهرت بعد بدء حركة التدوين للمسانيد من شعبية كاسحة صرفت النظر والاهتمام عن المسانيد عـدا مسند الإمام أحمد رضي الله عنه ، فلم يكثر نسخها وتداولها ، ولم يعْن بدراسـتها وتمحيصها ولم يبادر في العصر الحديث بطبعها ونشرها كما كان الشأن في حال الصحاح والسنن ، حتى أن ما عثر عليـه من مخطوطات هذه المسانيـد في السنوات الأخيرة لم يكن غالبا في حال جيدة كاملة ، واننا لنرجو الله تعالى أن يوفق طلاب العلم المعنيين بدراسة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العثور على هذه الكنوز الثمينة ونشرها وتحقيقها وتيسيرها للراغبين في الاطلاع عليها ودراستها والاسـتفادة منها ، وذلك لما لهذه المسانيد من أهمية علميـة وتاريخية ، وأصحاب هذه المسانيد كانوا بلا شك من خيار المحدثين ودعائمه ، وأخذ عنهم وروى لهم أصحاب الصـحاح والسنن ، كمـا أن المسانيد المعللة الموسعة ، كمسند يعقوب بن شيبة ومسند الحسين بن علي المارجي المشـار إليهما من قبل ، كانت بلا شك موسوعات علمية قيمة ، وكنوزا اثرية ثمينـة ، وقول بعض المؤلفين إن كتب المسانيد دون الكتب الستة في الاحتجاج بها حيث لم يتحرّ أصحابها الصحيح (١) لا ينقص مكانتها الشرعيـة ولا ينال من قيمتها العلمية ، وفضلا عن ذلك فاننا لنرى الكثير من محتويات هذه المسانيد يتفق مع ما ورد بالكتب الستة ، كما أن الأحاديث ضعيفة الاسناد مما يحتج به في فضائل الأعمال ، وربّ حديث ضعيف صحيح في حقيقة الأمر .

وسوف نستعرض في هذا المقال بعونه تعالى ، استعراضا وصفيا تحليليا مبسطا اثنين مبكرين من هذه المسانيد تمّ بحمد الله نشرهما ، وذلك للتعـريف بهما والتنويه بفضلهما ، أحدهما مسند الحافظ الكبير ابي داود سليمان بن داود الطيالسي والآخر مسند الحافظ المتقن أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ، أولهما فارسيّ بصري والآخر قرشيّ مكي .

ولد الحافظ الطيالسي بالبصرة حوالي عام ١٣٠ وتوفي عام ٢٠٣ أو ٢٠٤ هـ(٢)، لذلك فهو قد ترعرع ونضج واشتد عوده طوال النصف الثـاني من القرن الثاني للهجرة ، وعاصر صاحبي الموطأ والمصنف ، مالك وعبد الرزاق ، اللذين تحدثنا عنهما ، فلو صح انه صاحب المسند المنسوب اليه ، وثبت أنه هو الذي دوّنه ، أو على الأقل نظمه ورتبه كما رواه عنه تلميذه ومريده الحافظ يونس بن حبيب الملقب بأبي بشر المتوفى عام ٢٦٧هـ لكان من أول مدوني المسند أو أولهـم كما ذكر ذلك الحاكم النيسابوري ، وكما اشرنا اليه من قبل .

---

(١) « علوم الحديث » لابن الصلاح ، (المدينة المنورة ١٩٦٦) ص ٣٤ و ٣٥ .

(٢) قال الحافظ الذهبي في « تذكرة الحفاظ » الجزء الاول ص ٣٥٢ انه عاش ثمانين سنة ، وعليه يكون مولده عام ١٢٣ أو ١٢٤ هـ ، وقال ابن سعد في طبقاته (القسم الثـاني من الجزء السابع طبعة ليدن ص ٥١) أنه عاش ٧٢ سنة ، وجاراه في ذلك الحافظ ابن حجر في « تهذيب التهذيب » الجزء الرابع ص ١٨٥ — وعليه يكون مولده عام ١٣١ أو ١٣٢ هـ .

وقد تلقى الطيالسي الحديث عن جماعة من المحدثين اللامعين ، من بينهم سفيان الثوري وشعبة ، كما تلقى عنه الكثير ممن اشتهر أمرهم وعرف فضلهم وكان من بينهم الإمام أحمد بن حنبل وعلي بن المدني ، ولقد امتاز بحافظة قوية جدا ، ونقل عنه صاحب ميزان الاعتدال قوله : « حدثت باصبهان بأحد وأربعين ألفا من غير سؤال » (٣) ، ولكنه قد اعتمد على ذاكرته اعتمادا أكثر مما ينبغي فكان يملي من ذاكرته دون الاعتمـــاد على الكتاب ، لا كمـــا كان يصنع الإمام عبد الرزاق ، وجل من لا يسهو ، فأدته هذه الثقة البالغة الى بعض الخطأ في الأحاديث أوصلها صاحب الميزان الى الألف (٤) ، ولكنه كان أمينا ، فقد قال عنه راويه يونس بن حبيب الاصبهاني : « قدم علينا أبو داود وأملى علينا من حفظه مائة الف حديث أخطأ في سبعين موضعا منها ، فلما رجع الى البصرة كتب إلينا بأني قد أخطأت في سبعين موضعا فأصلحوها » (٥) ، وما أجمـــل الاعتراف بالخطأ ، ومع ذلك فقد اعتبر من كبار الحفاظ الثقات ، وقال البخاري عنه : « ارساله ثبت » ، كما قال بعضهم : « ما رأيت أحفظ من أبي داود » (٦) .

أما « مسند الطيالسي » فكما أشرنا آنفا ، رواه عنه يونس بن حبيب الملقب بأبي بشر ، ويحتوي على ٢٧٦٦ من الأحـــاديث رواها عـــن مائة وثمانين من الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد بدأها بمسند أبي بكر فمسند عمر بن الخطاب فمسند عثمان فمسند علي فمسانيد سائر العشرة ، واستعمل غالبا لها لفظ « أحاديث » كعنوان على كل منها ، فيقول : « أحاديث أبي بكر رضي الله عنه » و « أحاديث عمر بن الخطاب » وهكذا . وأحيانا يقول : « ما أسنده فلان رضي الله عنه » واستعمل كلمة « مسند » نادرا كما صنع في مسند عائشة رضي الله عنها ، غير أن المسند في ترتيب المسانيد خلط بين المكيين والمدنيين والأنصار والمهاجرين والمتقدمين في الاسلام والمتأخرين ، فأخر أحاديث بلال مثلا عن أحاديث معاوية وعمرو رضي الله عن الجميع ، ولكنه رتب مسانيد النساء فجاء أولا بمسانيد أمهات المؤمنين وأتبعها أحاديث سائر الصحابيات ممن روى لهن في مسنده ، ولقد قسّم المسند الى أحد عشر جزءاً ، غير أن هذا التقسيم لم ينبَنِ على أساس موضوعي بل يبدو أن الغرض منه تحديد عدد صـــفحات كل جزء ليتيسّر تناوله ، لذلك تجد أحاديث بعض الصحابة موزعة بين جزأين ، تبدأ في جزء وتتم في الذي يليه ، فأحاديث السيدة عائشة مثلا ورد منها ١٣٤ حديثا في الجزء الثالث ، وسائرها وهو ٦٧ حديثا تبعتها في أول الجزء السابع من المسند ، ووزعت أحاديث جـــابر بن عبد الله رضي الله عنه بين الجـــزأين السابع والثامن ، وبلغ مجموعها ١٣٥ حديثا ، كما وزعت أحاديث أنس بن مالك رضي الله عنه بين الجزأين الثامن والتاسع ، ومجموعها ١٩٣ حديثا ، ووردت أحاديث عبد الله بن عمر وعددها ١٥٧ بين مسندي جابر وأنس رضي الله عنهم ، كما وردت أحـــاديث أبي هريرة وعـــددها ٣٠٣ بالجزأين التاسع والعـــاشر ، واستغرقت أحاديث عبد الله بن عباس وعددها ١٦٩ بعض العاشر وجميع الجزء

---

(٣) الجزء الثاني طبعة الحلبي ١٩٦٣ ، ص ٢٠٤ .

(٤) « ميزان الاعتـــدال » (الجزء الثاني) ص ٢٠٤ .

(٥) نفس المرجـــع ص ٢٠٣ .

(٦) نفس المرجـــع ص ٢٠٤ .

الحادي عشر ، ووردت احاديث أبي سعيد الخدري وهي ٩٤ حديثا ، واحاديث عبد الله بن عمرو وهي ٥١ حديثا بالجزء التاسع ، أما عدد أحاديث الصديق فتسعة فقط ، ولابن الخطاب واحد وستون ، ولعثمان ستة عشر ، ولعلى بن أبي طالب مائة وثلاثة ، وللزبير ثلاثة ، ولسعد تسعة وعشرون ، ولابن عوف أربعة ولكل من أبي عبيدة وطلحة ، ثلاثة ، ولسعيد بن زيد أحد عشر حديثا ، أما مسند عبد الله بن مسعود الذى تلا مسانيد العشرة ففيه ١٦٢ حديثا .

وقد طبع المسند في حيدر اباد عام ١٣٢١هـ في مجلد كبير صفحاته من ذات القطع الكبير .

يمثل مسند الطيالسي طبيعة المسانيد المجردة ، فتراه يروى الأحاديث دون تعليق عليها أو على أسانيدها إلا نادرا ، ويقدم أبو بشر راوي المسند لكل حديث بقوله : « حدثنا أبو داود قال : حدثنا شعبة أو أبو فضالة » مثلا ، وأحاديثه متصلة الإسناد مرفوعة كلها الى النبي صلى الله عليه وسلم الا القليل النادر ، ومما عثرت عليه من أقوال الصحابة أو موقوفا عليهم ما يلى ، نقدمها بأرقامها في النسخة المطبوعة ليتيسر الرجوع اليها :

١٩٢ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا الصلت بن دينار قال : حدثنا عقبة بن صهبان وأبو رجاء العطاردي قالا : سمعنا الزبير وهو يتلو هذه الآية : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) (٧) ، ولقد تلوت هذه الآية زمانا وما أراني من أهلها فأصبحنا من أهلها » .

٢٢١ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا عيسى بن عبد الرحمن قال : حدثنا ابراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن سعد قال : (ما من موتة أموتها أحبّ إليّ من أن أقتل دون مالي مظلوما) .

٤٢٨ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا شريك عن أبي اسحق عن سليم بن عبد عن حذيفة قال : (صلاة الخوف ركعتان وأربع سجدات ، فان عجلك أمر فقد حلّ لك القتال والكلام) » .

٤٣٧ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا همّام عن قتادة عن سبيع بن خالد عن حذيفة قال : (يخرج الدجال ومعه نهر ونار ، فمن دخل نهره وجب وزره وحط أجره ، ومن دخل ناره وجب أجره وحط وزره) .

٧٢٢ ــ حدثنا أبو داود قال : حدثنا شعبة عن أبي اسحق قال : سمعت البراء قال : « مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس فأنزل الله عز وجل (وما كان الله ليضيع إيمانكم) (٨) أى صلاتكم الى بيت المقدس » .

ومما رواه مرسلا ما يلى :

٨٣٧ ــ « حدثنا أبو داود قال : حدثنا أبو حرة عن الحسن (٩) أن رسول

---

(٧) سورة الانفال ، الآية ٢٥ .

(٨) سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .

(٩) هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري سيد التابعين المتوفى سنة ١١٠هـ وأبو حرة هو واصل بن عبد الرحمن توفي عام ١٥٢هـ ، ويروى أنه لما مات وسئل شعبة عن حديث قال : « تسألني وقد مات سيد الناس ؟ » وكان يختم القرآن في ليلتين (من تهذيب ابن حجر ، الجزء ١١ ، ص ١٠٥) .

الله صلى الله عليه وسلم كان في سفر فناموا ، فما استيقظوا حتى طلعت الشمس ، فصلوا وقالوا : يا رسول الله : الا نزيد في صلاتنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينهاكم الله عن الربا ويقبله منكم ؟ »

ومما عثرنا عليه منقطعا ما يلي :

٣٤٩ — « حدثنا أبو داود قال : حدثنا أبو ذؤيب عن سهيل بن اسحق الهذلي عن عون بن عبد الله عن ابن مسعود (١٠) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال في ركوعه ثلاث مرات سبحان ربي الأعلى فقد أتمّ ركوعه ، وذلك أدناه » .

ومما ورد فيه زيادة أو تعليق لطيف من الطيالسي نقتبس ما يلي :

٩١٧ — « حدثنا أبو داود قال : « حدثنا شعبة وسليمان بن المغيرة القيسي : كلاهما عن حميد بن هلال العدوى قال : سمعت عبد الله بن المغفل رضى الله عنه يقول : دلي جراب من شحم يوم خيبر فأخذته فالتزمته فقلت هذا لي ، لا أعطي أحدا منه شيئا ، فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحييت منه »

قال سليمان في حديثه، وليس في حديث شعبة — إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هو لك » .

قال أبو داود : كأنه من الغنيمة .

١٢٥٧ — « حدثنا يونس قال : « حدثنا أبو داود قال : « حدثنا شعبة عن أشعث بن أبي الشعثاء قال : سمعت الأسود بن هلال يحدث عن رجل من بني ثعلبة بن يربوع أن أناسا منهم أتوا رسول الله الله صلى الله عليه وسلم وكان بنو ثعلبة أصابوا رجلا من أصحاب رسول اله صلى الله عليه وسلم ، فقال رجل : يا رسول الله ! هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع قتلت فلانا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجزى نفس على أخرى » ، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يد المعطى العليا أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك » .

هكذا قال شعبة عن رجل من بني ثعلبة ، وقال الثوري عن ثعلبة ابن زهدم .

١٤١٦ — « حدثنا أبو داود قال : حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : « كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نغتسل من إناء واحد من الجنابة » .

قال أبو داود : قال شعبة : يعجبني لأنه قال « من الجنابة » .

وإليك المختارات التالية من هذا المسند الجليل :

٢٣٦ — « حدثنا أبو داود قال : حدثنا شعبة عن الحر بن الصباح النخعي قال: سمعت عبد الرحمن بن الأخنس قال : شهدت المغيرة بن شعبة يخطب فنال من علي رضي الله عنه ، فقام سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى عدى قريش فقال : أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عشرة في الجنة : رسول الله وأبو بكر وعمر

---

(١٠) نقل المحققان عن الزمندي أن عون بن عبد الله لم يلق ابن مسعود ، فالاسناد منقطع .

وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن مالك وعبد الرحمن بن عوف »
ولو شئت أن أسمي العاشر لسميته ، ثم سماه فقال : «سعيد بن زيد»

١٥٢٣ — « حدثنا ابو داود قال : حدثنا شعبة عن سعد بن ابراهيم قال : سمعت طلحة بن عبد الله بن عوف يحدث عن عائشة قالت : « أهوى إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إني صائمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا صائم ، فقبلها » .

١٤٢٤ — « حدثنا ابو داود قال : حدثنا قيس بن الربيع عن عاصم بن عبيد الله عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبّل عبد الله بن مظعون وهو ميت »
قال ابو داود : قال اشعث بن سعيد في هذا الحديث وفي هذا الاسناد : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فعل ذلك بكى حتى رأيت الدموع تجري على خديه » .

١٤٦٢ — « حدثنا ابو داود قال : حدثنا ابن ابي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قالت عائشة : « دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السباق ، فسابقني فسبقته » .

١٥٣٧ — « حدثنا ابو داود قال : حدثنا محمد بن راشد عن مكحول : قيل لعائشة : ان ابا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشؤم في ثلاث ، في الدار والمرأة والفرس » ، فقالت عائشة : لم يحفظ أبو هريرة ، لأنه دخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قاتل الله اليهود ، يقولون إن الشؤم في ثلاث ، في الدار والمرأة والفرس » فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله (١١) .

٢٤٨١ — « حدثنا ابو داود قال : حدثنا شعبة وحماد عن محمد بن زياد قال : سمعت ابا هريرة يقول : قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته ، فان غمّ عليكم فصوموا ثلاثين »

٢٥٩٨ — « حدثنا ابو داود قال : حدثنا قيس بن هشام بن عروة عن وهب بن كيسان قال : توفي بعض كنائز مروان ، فحضر الجنازة مروان وأبو هريرة معه ، قال : فسمع مروان نساء يبكين فشدّ عليهن أو صاح بهنّ فقال له أبو هريرة : يا أبا عبد الملك : إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فرأى عمر نساء يبكين فتناولهن أو صاح بهنّ ،

---

(١١) في هذا الاسناد انقطاع حيث لم يذكر مكحول اسم من سمع هو منه عن عائشة ، ويقولون انه معروف بالتدليس عليها (تهذيب التهذيب لابن حجر ، الجزء العاشر ص ٢٩) ، ومع ذلك وبالرغم من هذا الانقطاع فان نص الحديث وعبارة عائشة فيه يجعله ادنى الى القبول واقرب للتصديق من الرواية التي ساقها ابن قتيبة في كتاب « تأويل مختلف الحديث » وتشبث بها الشيخ محمود ابو ريه في كتاب « اضواء على السنة المحمدية ص ٢٠٥ » حيث تزعم تلك الرواية أن عائشة قالت : « كذب ابو هريرة والذي انزل القرآن على ابي القاسم » فاستشهد بها على اتهام أبي هريرة رضي الله عنه ، ولا نريد أن نخوض هنا في هذا النزاع أو نبدي رأيا بشأن ما أورد عليه من روايات في الصحيحين ، والذي يهمنا أن عبارة الحديث هنا اروح الى القلب واقرب لروح الاسلام في روعتها وانسانيتها ، واوفق بأدب بنت الصديق حيث اعتذرت لأبي هريرة في عدم حفظه بسببها بمعقول انساني واضح .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمر : دع ، فان العين دامعة ، والنفس مصابة ، والعهد حديث » .

٢٧٥١ – « حدثنا أبو داود قال : حدثنا حماد بن سلمة عن أبي حجرة عن ابن عباس قال : « أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشرا ، ومات وهو ابن ثلاث وستين » .

أما الحميدي ، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى المتوفي عام ٢١٩ هـ فيعتبر من خيرة المحدّثين الثقات المتقنين ، صحب سفيان بن عيينة شيخ المحدثين بمكة لعدد من السنين ، وقيل عنه : « هو أثبت الناس في ابن عيينة ، وهو رئيس أصحابه ، وهو ثقة إمام » (١٢) ، ونقل عن يعقوب بن سفيان قوله : « حدثنا الحميدي وما لقيت أنصح للاسلام وأهله منه » (١٣) وذكره ابن حبّان في الثقات فقال : « صاحب سنة وفضل ودين » (١٤) ، وقد صحب الامام الشافعي وأصبح من أبرع أصحابه ، ورافقه في رحلة الى مصر ، ولكنه مع فضلة ودينه يقال إنه كان في طبعه حدّة وفي خلقه بعض الشدّة ، اذا أسيء اليه ردّ الإساءة بأقسى منها ، واذا اعتذر له عن مساءة ما كان يلين لقبول المعذرة . والكمال لله سبحانه وحده ! روى البخاري عنه في صحيحه ثلاثة وثلاثين حديثا مباشرة ، وأربعين أخرى من طريق بعض شيوخه . (١٥)

أما مسند الحميدي فقد رواه عنه عدد من أصحابه ، والنسخة التي وصلتنا هي برواية بشير بن موسى الملقّب بأبي عليّ المتوفي عام ٢٨٨ هـ (١٦) ، وقد طبعت في حيدر آباد عام ١٩٦٣ م بتحقيق العلامة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي الذي حقّق هذه النسخة ورقّم أحاديثها وخرّجها وفهرس لموضوعاتها ، وأكبر الاحتمال أن الحميديّ دوّن مسنده بعد وفاة شيخه الإمام الشافعي رضي الله عنه عام ٢٠٤ هـ وعودة الحميديّ الى مكة ، والأحاديث في مسنده أقل عدداً من أحاديث مسند الطيالسيّ غير أنها مختارة منتقاة ، اتفق معه في رواية أكثرها البخاريّ أو مسلم أو أحد أصحاب السنن الأربعة كما نرى في تخريج السيد المحقق وتعليقاته ، وبعضها مرويّ في هذه المجاميع الحديثيّة عن طريق الحميديّ نفسه أو عن شيخ الحميدي من طريق راو آخر ، ولقد كان البخاريّ نفسه وعدد من المحدثين المعروفين من أمثال محمد بن يحيى الذهلي وعبيد الله بن فضالة ويعقوب بن شيبة ممّن تلقي وروي عن الحميديّ .

وترتيب المسانيد المدوّنة فيّ مسند الحميديّ ترتيب منطقيّ زمنيّ ، فقد بدأ بأحاديث من روى لهم من العشرة (١٧) ، ثم أتبعها بأحاديث السابقين المهاجرين من أمثال ابن مسعود وأبي ذرّ وصهيب وبلال ، فأحاديث أمهات المؤمنين ، فسائر النساء ، ثم أحاديث الأنصار فأحاديث من تأخرّ إسلامه من قريش فأحاديث غيرهم ، وقد بلغ عدد أحاديثه بالمسند ألفا وثلاثمائة رواها الحميديّ عن مائة

---

(١٢) « تهذيب التهذيب » ص ٢١٥ .
(١٣) نفس المرجع .
(١٤) نفس المرجع .
(١٥) « تاريخ التراث العربي » لفؤاد سيزجين ، الجزء الاول ، ص ٢٨٢ .
(١٦) مقدمة مسند الحميدى للمحقق حبيب الرحمن الاعظمى ، ص ٨ و ٩ .
(١٧) لم يرو المسند لطلحة بن عبيد الله من بين العشرة رضي الله عنهم .

وثمانين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد اختار كلمة « أحاديث » عنوانا على مسند كل صحابي ، فيقول مثلا : « أحاديث أبي بكر » ، « أحاديث عمر بن الخطاب » وهكذا ، وقد لا يكون للصحابي في هذا المسند الا حديث واحد كحديث أبي عبيدة ، وقد يكون له حديثان كأبي مربع الأنصاري ، ولأبي بكر به سبعة أحاديث ولابن الخطاب خمسة وعشرون ، ولعثمان أربعة ، ولعلي ثلاثة وعشرون ، وللزبير أربعة ، ولعبد الرحمن بن عوف اثنان ، ولسعد بن أبي وقاص خمسة عشر ، ولسعيد بن زيد أربعة ، أما أحاديث المكثرين به فلعبد الله بن مسعود منها واحد وأربعون حديثا ، ولأنس بن مالك اثنان وأربعون ، ولعبد الله بن عباس أربعة وسبعون ، ولجابر بن عبد الله تسعة وسبعون ، ولعائشة مائة وسبعة وعشرون ، ولأبي هريرة مائتان وثمانية وأربعون حديثا .

ومسند الحميدي مقسم الى أحد عشر جزءا صدرت في مجلدين بالطبعة المشار اليها ، وتقسيم الكتاب الى هذا العدد من الأجزاء ، كما هو الحال في مسند الطيالسي غير موضوعي ، اي أنه لم يبْنَ على أن موضوعا قد تم وانتهى فيتم الجزء بتمامه ويبدأ الجزء التالي بموضوع أو مسند جديد لصحابي آخر ، بل كان القصد تحديد حجم الجزء ليخف حمله ويسهل تناوله ، ولكننا مع ذلك نجد كل جزء منها يبدأ بسماع جديد فيما عدا الجزأين الثاني والخامس ، وإنك لترى أحاديث ابن مسعود بدأت بالجزء الأول وتمت في الجزء الثاني ، ووزعت أحاديث عائشة بين الثاني والثالث ، وأحاديث عمرو بن العاص بدأت في الخامس وأكملت في السادس ، وأحاديث أبي هريرة بدأت في الجزء الثامن واستغرقت التاسع وتمت في العاشر ، ومسند جابر بن عبد الله بدأت في العاشر واستغرق الجزء الحادي عشر .

ويتميز مسند الحميدي عن مسند الطيالسي باضافات أكثر نوعا ما ، يزيدها الحميدي بعد رواية الحديث إما لمناقشةالاسناد أو لتوضيح كلمة أو تفسير عبارة، كما أنه في بعض المسانيد المطولة تراه يرتبها وان كان لم يعنون لها الا نادرا ، فتجد أحاديث الصلاة معا ، وأحاديث الصيام معا ، وأحاديث الحج معا ، ووضعت عناوين لبعض أحاديث أبي هريرة ، وهي : « باب الجنازة » و « باب البيوع » و « باب في الأقضية » و « باب الجهاد » ، وقد تكون اضافة هذه العناوين من عمل بعض الرواة أو الناسخين ، ويبدأ بشر بن موسى ، الراوي عن الحميدي ، كل حديث بقوله : «حدثنا الحميدي قال ، » كما استعمل في السند « ثنا » رمزا لقوله « حدثنا » ، و « ثني » اختصارا لكلمة « حدثني » .

وأحاديث مسند الحميدي كلها متصلة مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم الا ما ندر جدا ، ومما عثرت عليه منها « مرسلا » ما يلي :

٣٢٩ — « حدثنا الحميدي قال : ثنا سفيان قال : ثنا صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار (١٨) قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : هل على جناح أن اكذب أهلي ! قال : « لا ، فلا يحب الله الكذب » ، قال : يا رسول الله : استصلحها واستطيب

---

(١٨) كان عطاء تابعيا ، مولى ميمونة ام المؤمنين رضى الله عنها ، توفي سنة ١٠٣ هـ ، ومع ذلك يرفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم .

نفسها ، قال : « لا جناح عليك » .
وممّا وُقف على الصحابىّ ما يلى :
١٢٩٥ ـ « حدثنا بشر بن موسى : ثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا زكريا عن الشعبى عن جابر بن عبد الله فى قوله عزّ وجلّ (سمّاعون للكذب) (١٩) يهود المدينة ، (سمّاعون لقوم آخرين) أهل فدك ، (لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أهل فدك (يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا) الرجم » .
وممّا قاله تابعىّ ما يلى :
١٣٠٠ ـ « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا صالح بن صالح قال : (وكان خيرا من أبيه) عن الشعبى(٢٠) قال : قالوا لرجل تعرف علينا قال : انما عريفكم الأهيس الأطلس المكدّ الملحس الذى اذا قيل له ها انتهش ، واذا قيل له هات حبس » .
ومما جاء مرفوعا وأبهم فيه اسم راو أدنى من الصحابى فهو لذلك منقطع ما يلى :
١٠٩٨ ـ « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا عمران بن ظبيان الحنفى عن رجل من بنى حذيفة قال : سمعنا أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن ينزل ابن مريم فيكم امام هدى وقاضى عدل ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد » .
ولكنّ ورود أسانيد نادرة جدا غير تامة كهذه لا ينقص من أهمية هذا المسند وقيمته ، ومع ذلك قد يؤدى البحث الى العثور على أسانيد لها تامة ، فالحديث الاخير الذى سقناه أخرجه البخارىّ متصلا عن طريق صالح عن الزهرى كما اشار الى ذلك السيد المحقق .
ومما أتبعه الحميدى باضافة مفيدة نقتبس ما يلى :
١٣٣ ـ « حدثنا الحميدى قال : ثنا بشر بن عاصم بن سفيان عن أبيه عن أبى ذرّ قال : قلت : يا رسول الله سبق أهل الأموال الدثر بالأجر ، يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفلا أدلك على عمل اذا أنت قلته ادركت من قبلك وفتّ من بعدك الا من قال مثل قولك ؟ تسبّح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وتحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وتكبر أربعا وثلاثين » .
قال الحميدىّ : ثم قال سفيان : احداهن أربع وثلاثون ، وعند منامك مثل ذلك .
٣٢٨ ـ « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : أخبرونى عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن معيط قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أفضل الصدقة على ذى الرحم والكاشح » قال سفيان : ولم أسمعه من الزهرىّ(٢١)

---

(١٩) سورة المائدة ، الآية ٤٢ .
(٢٠) هو عمر بن شراحيل الهمزانى الكوفى ، علامة التابعين ، توفى عام ١٠٣ هـ .
(٢١) وحيث رواه الزهرى عن حميد مع أنه لم يسمعه منه فالحديث منقطع .

قال أبو بكر (٢٢) : الكاشح العدو .

٣٧٨ ــ « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا الزهرى قال : أخبرنى عطاء بن يزيد الليثى عن أبى أيوب الانصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول ولا تستدبروها ، ولكن شرّقوا وغرّبوا » قال أبو أيوب : فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض بنيت قبل القبلة فننحرف ونستغفر الله عزّ وجل » فقيل لسفيان : فان نافع بن عمر الحجبى لا يسنده ، فقال . ولكنى أحفظه وأسنده كما قلت لك ، ثم قال : ان المكيين انما أخذوا كتابا جاء به حميد الأعرج من الشام قد كتب عن الزهرى فوقع الى ابن جريج وكان المكيون يعرضون ذلك الكتاب على ابن شهاب . فأما نحن فانما كنا نسمع من فيه .

٤٧٦ ــ « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا أيوب السختيانى قال : سمعت عطاء بن رباح يقول : سمعت ابن عباس يقول : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى قبل الخطبة يوم العيد ، ثمّ خطب فرأى أنه لم يسمع النساء ، فأتاهن فوعظهن وذكرهن وأمرهنّ بالصدقة ومعه بلال قائلا بثوبه هكذا » .

قال أبو بكر : كأنه يتلقى بثوبه ، فجعلت المرأة تلقى الخاتم والخُرص والشىء .

ونسوق الآن الاختيارات التالية من هذا المسند :

٢٢٣ ــ « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة حمّ أصحابه ، فدخل النبى صلى الله عليه وسلم على أبى بكر يعوده فقال : « كيف تجدك يا أبا بكر .. ؟ » فقال أبو بكر :

كل امرىء مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

ودخل على عامر بن فهيرة فقال : كيف تجدك .. ؟ فقال :

وجدت طعم الموت قبل ذوقه ان الجبان حتفه من فوقه

كالثور يحمى جلده بروقه

قالت : ودخل على بلال فقال : كيف تجدك ؟ فقال :

الا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة بفخ (وربما قال سفيان بواد) وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنّة وهل يبدون لى شامة وطفيل !

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة ، وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعاك لأهل مكة ؛ اللهم بارك لنا فى صاعنا وبارك لنا فى مدّنا وبارك لنا فى مدينتنا » .

قال سفيان : وأرى فيه : « وفى فرقنا ، اللهم حبّبها الينا مثل ما حبّبت الينا مكة أو أشدّ ، وصححها ، وانقل وباءها وحماها الى خمّ أو الى الحجفة » .

٢٩٧ ــ « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبى سلمة عن أمها أم سلمة قالت : دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى مخنّث فسمعه يقول لعبد الله بن

---

(٢٢) هو الحميدى .

أمية : يا عبد الله ! ارأيت ان فتح الله عليكم الطائف غدا فعليكم بابنة غيلان ، فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلن هؤلاء عليكم » .

قال سفيان : قال ابن جريج : اسمه هيت .

٥٢٥ — « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : سمعت عبد الكريم الجزرى قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يحدث « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن ينفخ في الاناء أو يتنفّس فيه » .

٦١٢ — « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا استأذنت أحدكم امرأته الى المسجد فلا يمنعها » .

قال سفيان : يرون أنه بالليل .

٧٣٨ — « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا سهيل بن أبى صالح عن أيوب بن بشير عن سعد الاعشى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن وصبر عليهن واتقى الله فيهن دخل الجنة » .

٧٩٢ — « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا عبد الملك بن عمير قال : أخبرنى عبد الرحمن بن أبى بكرة قال : أملى علىّ أبى كتابا الى أخ لى كان عاملا : أن لا تقضى بين اثنين وأنت غضبان ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا ينبغى للحاكم أن يحكم بين اثنين وهو غضبان » .

١١٨٦ — « حدثنا الحميدى قال : ثنا سفيان قال : ثنا عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتبع الميت الى قبره ثلاثة : أهله وماله وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » .



كشف الشبهة

عن حكم

الاسلام في الاسترقاق

تلقيت عن طريق ادارة مجلة الوعى الاسلامى رسالة من الأخ محمد عبد الله القيسى من القطر العراقى الشقيق يتساءل فيها عن حكم اباحة الاسلام للمسلم أن يتصل برقيقته المملوكة له اتصال الزوج بزوجته بدون زواج سابق ، ويبدى بعض التشكك فى حكمة هذا الحكم ، وذلك فى معرض اطلاعه على مقالى المنشور فى العدد — ١٠٧ — من مجلة الوعى الاسلامى تحت عنوان (حكم الاسلام فى الاسترقاق) .

وانني اذ اتصدى للإجابة عن هذا السؤال بمايزيح من ذهن مرسله هذه الشبهة وامثالها مما قد يثور فى ذهن غيره ، أشكره على حسن تفهمه للمقال المذكور واستيعابه له والكتابة الى بما ثار فى ذهنه من اشكالات توقعتها سابقا وأنا أكتب هذا المقال وهو ما دفعنى الى الطلب فى الهامش الى الاخوة القراء بأن يكتبوا الى بما يثور فى أذهانهم من هذه الاشكالات للإجابة عنها وازاحة اللبس عن غوامضها ، فان الموضوع لم يزل بكرا رغم ان الكتاب المحدثين اكثروا فى الكتابة عنه ، وفيهم لفيف من الائمة الاعلام ، الا انه بكر رغم ذلك كله ، فان المنهج الذى انتهجوه فى بيان الموضوع يحتاج الى بعض التعديل لظهور بعض الثغرات فيه كما بينت فى المقال السابق .

والآن وانا اجيب على سؤال الاخ العراقي المذكور لا بد لي من البحث في نقطتين ، النقطة الأولى تتعلق في كشف الشبهة وبيان ان هذا الاتصال الجنسي الذى اباحه الاسلام بين المسلم ورقيقته ليس فيه اى ازدراء بها ولا اى غض من كرامتها الانسانية .
والنقطة الثانية تتعلق ببيان الحكمة من هذه الاباحة ، وانها انما شرعت لمصلحة الرقيقة نفسها أولا ، وليس لمصلحة المالــــك .

النقطـــة الاولى :

عقد الزواج ما هو الا عقد شرعي ينتج عنه حل الصلة الجنسية بيـــن الزوجين ، وعقد الاسترقاق (مبتدءا كان أو منقولا) ما هو الا عقد شرعي ايضا ينتج عنه حل المتعة ــ الجنسية بين المسلم ورقيقته الى جانب آثـــار أخرى تنتج عن هذا العقد تقتضيهما طبيعة الاسترقاق الذى اعتبرناه فـــى مقالنا السابق الذكر (دورة اصلاحية) ولا فارق بين هذين العقدين الا مـــن حيث ان الاول تحل به الصلة الجنسية قصدا والثاني تحل به هذه الصلـــة تبعا ، وهو فارق غير مؤثر ، ولا علاقة له بالكرامة الانسانية هنا ، وأما انه لا ينظر فيه الى رضى الرقيقة فهـــذا غير مؤثر أيضا ، وذلك ان الفتاة الحرة القاصرة البكر يزوجها وليها من غير اذنها عند جماهير الفقهاء ، وكذلـــك البكر البالغة عند جماعة منهم ، وليس في ذلك اى غضاضـــــة أو مساس بكرامتها فكذلك الرقيقة هنا ، وبخاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار ان هـــــذه الرقيقة موضوعة تحت اشراف سيدها ونظره مثلها مثل البنت الحرة تماما .

ومما يؤيد كلامنا هذا أن هنالـــك تشابها كبيرا بين أحكام كل من هذين العقـــدين (عقـــد الــــزواج وعقـــد الاسترقاق) فيما يتعلق منها بحـــل الصلة هذه ، من ذلك :

١) ان الصلة الجنسية لا تحل لو كانت الرقيقة زوجة لآخر غير مالكها ، كما لا تحل الزوجة لو كانت زوجـــة لآخر غير زوجها .

٢) أن هذه الصلة لا تحل ــ عند جمهور الفقهاء ــ لو كانت الرقيقـــة مجوسية أو مشركة ، مثلها فـــى ذلك مثل الزوج تماما .

٣) ان هذه الصلة لا تحل لو كانت الرقيقة قريبة من مالكها قرابة محرمة للزواج بينهما كأن تكون اختـــه مـــن الرضاع أو أمه من الرضاع ، مثلها في ذلك مثل الزوجة تماما .

٤) ان هذه الصلة لا تحل لو كانت الرقيقة مملوكة لاكثر من واحـــد ، وذلك خشية اختلاط الانساب مثلها في ذلك مثل الزوج تماما .

٥) ان هذه الصلة لا تحل اذا كان المالك متصلا جنسيا بقريبة للرقيقة لا يحل له الجمع بينها وبينها فـــــى الزواج ، مثلها في ذلـــك مثل الزوج تماما .

٦) ان نسب الاولاد الذين تنجبهم الرقيقة من مالكها يثبت من أبيهم وأمهم معا ، مثلها في ذلك مثل الزوج تماما .
من هذه النقاط وأمثالها مما يتوافق فيه حكـــم الزوجة وحكم الرقيقـــــة نستطيع أن نعتبر أن الاتصال الجنسي بالرقيقة المملوكة نوع من أنواع الزواج الشرعي لا يختلف عنه الا فيما تقتضيه

ظروف الاسترقاق الذيهو بمثابة (دورة اصلاحيه) ، وهي ظروف تتطلب — دون شك — بعض القيود على الحرية . وأن زيارة واحدة لدور الاصلاح للجانحين في أرقى الدول حضارة اليوم والتعرف على القيود القاسية التي تفرض على الجانحين في سبيل اصلاحهم وتقويمهم وتربية نفوسهم لكافية في نظري لحل كل الاشكالات المتعلقة بموضوع الاسترقاق في الاسلام ، وتوضيح الحكمة التي شرع الاسلام هذا النظام تحصيلا لها .

النقطة الثانية : الاسلام واقعي في كل أحكامه ، يعالج الامور بنظرة فاحصة مستوفية لجميع الجزئيات ومادام الرق في الاسلام دورة اصلاحية تهدف الى تربية هؤلاء الارقاء (الجانحين) ، فانه من غير المناسب أن يسمح لهمبممارسة حرياتهم العامة كالبيع والشراء والزواج وغير ذلك لأنهم بذلك سوف يتمكنون من الافلات من رقابة سيدهم عليهم وبذلك يتلاشى معنى الاصلاح وينقضي ونعود على أنفسنا بالنقض ، ولذلك فانه قضي بتوقف تصرفاتهم هذه علىاذن سيدهم أن أجازها نفذت وإلا بطلت . مثلهم في ذلك مثل الصبي الحر المميز تصرفاته هذه تعتبر متوقفة على اذن وليه في النفاذ .

وازاء هذا التقييد لحرية الرقيقة في الزواج وأمام طوفان الغريزة الجنسية التي قد تثور لديها كان لا بد للاسلام من أن يجد حلا مناسبا لها يجمع بين التنفيس عنها وبين الغاية الاصلية التي شرع الرق لها وهي الاصلاح والتقويم ، فكان أن شرع الحلين الآتيين :

١) الإباحة للمسلم أن يتصل برقيقته التي هي تحت اشرافه بعقد امتلاك شرعي اتصالا جنسيا يلبي حاجتها الجنسية ويهدىء ثورتها العاطفية بموجب العقد الاول نفسه دونما حاجة الى عقد جديد وذلك يجعل حل الاتصال هذا اثرا من آثار العقد الاول .

٢) أو الإباحة له بان يزوجها من شاء من المسلمين الآخرين الذين يرى في تزويجها منهم اصلاحا لحالها ، وذلك بعقد شرعي مثلها في ذلك مثل الحرة تماما ، وانه اذا ما فعل ذلك فانه يتحتم عليه أن يمتنع عن الاتصال بها جنسيا ما دام ذلك العقد قائما حفظا للانساب .

وهنا ينبغي أن يتنبه الى أن الاباحة هذه انما كانت لمصلحة الرقيقة نفسها أصلا لما تقدم وليست لمصلحة المالك كما قد يظن ، وما يعرف في التاريخ من أسواق للرقيق تتبادل فيها الجواري ترويحا عن نفوس السادة ما هو الا أثر من آثار الفهم الخاطىء والتطبيق المغلوط لاحكام الاسلام وروحه وهو ما يجب نقده وتعديله ، لا اعتباره أساسا يبنى ويؤتى الاسلام منه .

هذا ولاباحة الاتصال الجنسي (على ذلك النحو المنظم) بين المسلم ورقيقته فوائد عظيمة تعود كلها على الأمة والمجتمع الاسلامي باسره بالخير الوفير ، من ذلك :

١) الترفيه عنها واسعاد قلبها وتلبية الحاجة الجنسية لديها .

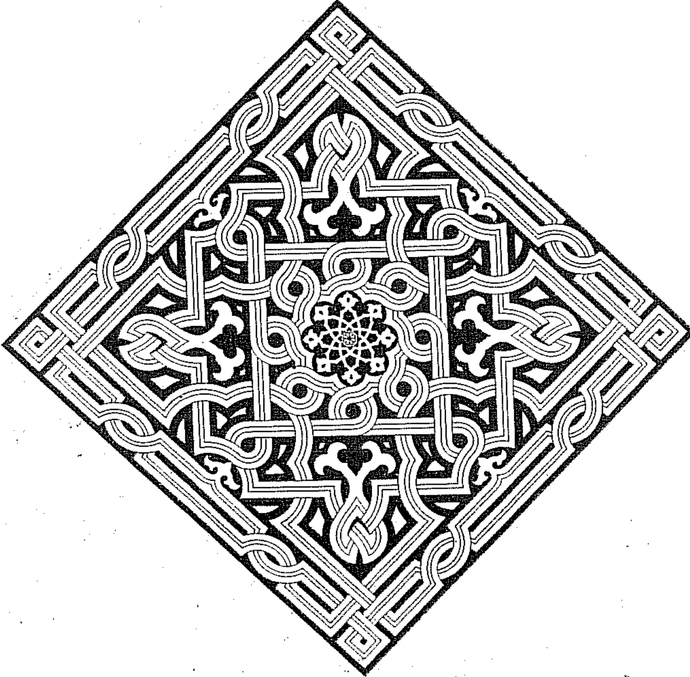
٢) استيلادها وعدم تعطيلها عن

الانسال ، فان الاسلام يتطلع دائمـــا الي زيادة النسل ونحض عليه •

٣) ايجاد سبب لتحريرها ، فانها بذلك تصبح أم ولد وتتحرر بمجرد وفاة سيدها فتعود حرة كما كانت من قبل، والاستيلاد هذا طريق من أهم طرق التحرير المتعددة فى الاسلام كالتدبير والمكاتبة وغيرها •

هذا ملخص موجز للإجابة علـــى سؤال الأخ محمد عبد الله القيسى حول مادار فى ذهنه من اشكالات فى موضوع الاســـترقاق ، وأرجـــو أن تكون هذه الإجابة واضحة ومقنعـــة له ولامثاله وموجهة لهم نحو الحلول الصحيحة فى كل ما يثور لديهم مـــن اسئلة حول هذا الموضوع بعد ذلك •
وأرجو أن يطمئن قلب الأخ المذكور وغيره من شبابنا أيضـــــا الـــى أن الاسلام لم يشرع لنا شيئا إلا وفيـــه مصلحة كبيرة غالبة سواء ادركنا ذلك او خفى علينا ، وانه ما حرم علينـــا شيئا إلا وفيه مضرة كبرى غالبة سواء ادركنا ذلك أو خفى علينا أيضـــا ، وما علينا إلا أن نتبين حكم الله فـــى المسالة من نصوص كتابه وسنة نبيه واجتهادات علمائنا الابرار ، ثـــم بعد ذلك نسلم بالحكمة فى كل ذلك سواء اظهرت لنا أو خفيت علينا •

والله الموفـــــق •



المخيلة

بقلم : الاستاذ سعيد زايد

تتصل المخيلة بعلم النفس عند الفارابى اتصالا وثيقا ويعرفها الفارابى بأنها القوة التى بها يحفظ الانسان ما رسم فى نفسه من المحسوسات بعد غيبتها عن مشاهدة الحواس ، وأنها القوة التى تقوم بخدمة القوة الناطقة .

وللمخيلة دور هام فى علم النفس عند المعلم الثانى ، إذ تنفذ الى نواحى الخصائص النفسية المختلفة ، فان لها صلة قوية بالميول والعواطف ، كما ان لها دخلا فى الأعمال العقلية والحركات الإرادية ، وتمد المخيلة القوى النزوعية بما يستثيرها ويوجهها الى غرض ما ، وتغذى الرغبة والشوق بما يؤججها ويدفعها الى السير فى الطريق الى النهاية ، والى جانب هذا تحتفظ المخيلة كما قلنا بالآثار الحسية ، وصور العلم الخارجى المنقولة الى الذهن عن طريق الحواس . وللمخيلة فوق قدرتها على الاحتفاظ بما يأتيها من صور ، قدرة على الابتكار ، وهو ما يسميه علم النفس الحديث بالخيال المبدع ، وهو الذى يستطيع بواسطته الإنسان أن يؤلف ويربط الأفكار والصور بطريقة جديدة مبتكرة ، بحيث يخلق شيئا جديدا لم يكن معهودا من قبل ، وتنتج عن ذلك الأحلام والرؤى .

وسنحاول مع الفارابى توضيح اثر المخيلة فى الأحلام ، إذ بتفسيرنا معه هذه الأحلام تفسيرا علميا سيكلوجيا نستطيع معه كذلك تفسير النبوة وآثارها . ذلك لأن الإلهامات النبوية — كما يقول الفارابى — قد تظهر فى صورة الرؤيا الصادقة أو فى صورة الوحى فى حالة اليقظة ، وقد بين الفارابى هاتين الصورتين فى فصلين متتالين فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » تحت عنوان « القول فى المنامات » و « القول فى الوحى ورؤية الملك » .

ففى حالة النوم تكون القوى التى تتصل بالمخيلة فى حالة سكون ، فتنفرد المخيلة بنفسها وتعود الى ما احتفظت به من الصور الحسية التى أوردتها عليها

عند أبي نصر الفارابي

القوة الحسية أثناء اليقظة ، ولما كان للمخيلة كما قلنا قدرة على الاختراع فانها تخلق من هذه الصور المحفوظة لديها صوراً أخرى جديدة ، بأن تركب بعضها الى بعض وتفصل بعضها عن بعض . على أنها — بجانب قدرتها على الاختراع — لها قدرة عظيمة كذلك على المحاكاة والتقليد ، واستعداد كبير للانفعال والتأثير . فهى تحاكى القوة الحسية والنزوعية ، فيقوم الإنسان أثناء نومه بأعمال تصور خصائص هذه القوى من غضب أو شهوة أو ما شاكل ذلك . وباختصار فان أحوال النائم العضوية والنفسية وإحساساته ذات أثر واضح فى مخيلته ، وبالتالى فى تكوين أحلامه . فاختلاف هذه الأحلام يرجع الى العوامل المؤثرة فيها ، ومن هنا نحلم بالماء والسباحة فى الوقت الذى يكون فيه مزاجنا رطبا ، وعلى كل فان الميول الكامنة والإحساسات السابقة أو المصاحبة لحلم ما ذات دخل عظيم فى تكوينه وتشكيله .

هذا هو رأى المعلم الثانى فى الأحلام ، ونحب قبل أن نتعرض للجانب الميتافيزيقى للمخيلة وهو اتصالها بالعقل الفعال ، أن نقف وقفة نقارن فيها بين رأى المعلم الثانى ، ورأى السيكلوجية الحديثة فيها ، وخشية من أن تطول وقفتنا سنختار نظرية مبرزة فى هذا الميدان وهى نظرية فرويد تتلخص نظرية فرويد فى أن الأحلام وسيلة للتفريج عن العواطف والشهوات المكبوتة ، فهى عبارة عن مجموعة من الميول والرغبات والآمال المنحطة وغير المنحطة تظهر عندما ينام العقل الواعى ، فيحلم الضعيف أنه قهر عدوه القوى ، ويحلم المتنعون عن الاختلاط الجنسى بالأحلام المتعلقة بالجنس ، وبالجملة يحلم الجوعان بسوق الخبز ، كما يقول المثل العامى . فأحلام الأشخاص العاديين هى أعظم منفذ للرغبات المضغوط عليها . ويقول فرويد إن حل هذه الرغبات إن لم يكن كلها يرجع الى غريزة المحافظة على النفس والغريزة الجنسية بخاصة . والعلامة فرويد يحصر نفسه بهذا التفسير فى دائرة ضيقة حين يقول : إن

الأحلام ما هى إلا رغبات لم نستطع تحقيقها اثناء اليقظة لقوة العقل الواعى وخوفه من مخالفة قوانين المجتمع ، فعندما ينام هذا العقل ينطلق العقل الباطن من عقاله يعمل كيفمـا يشاء . فهو بقوله هـذا قد اتجه الى الماضـى والى الماضى فقط .

أما الفارابى — وإن فهمنا من حديثه أنه يقول بعقل باطن وعقل واع ، وإن العقل الباطن هو خزانة الذكريات أو الآثار الحسية — فاننا لا نجد عنده ما يقصر الأحلام على تحقيق رغبات مكبوتة ، زد على ذلك أن المعلم الثانى لم يتجه الى الماضى فقط فى تفسير الأحلام ، بل اتجه الى المستقبل أيضا ، والرؤى الصادقة عنده دليل على ذلك ، فيوسف الصديق عندما رأى أحـد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين ، تحققت رؤيته فى المستقبل فى أرض مصر . ولكنا نلاحظ أن الفارابى يقصر الرؤى الصادقة على الأنبياء ، ولم نلمس عنده قولا يدل على أن للأحلام علاقة بالمستقبل خارج هذه الدائرة ، كما نلمس ذلك فى بعض المذاهب السيكلوجية الحديثة المعارضة لفرويد .

بقى — كما قلنا — أن نتعرض للجانب الميتافيزيقى من الأحلام ، ويتلخص فيمـا يلى :

لما كانت القوة المتخيلة تحاكى القوة الحسية كما بينّا ، فهى تحاكى القوة الناطقة كذلك ، ولما كانت القوة الناطقة تستطيع أن تتصل بالعقل الفعال فيفيض إليها ما أفاضه الله إليه ، فان الشىء الذى ينال القوة الناطقة من العقل الفعال هو الشىء الذى منزلته الضياء من البصر قد يفيض منه على القوة المتخيلة ، فهنا يفعل العقل الفعال فى القوة المتخيلة ما يفعل فى القوة الناطقة من إعطاء الجزئيات والمعقولات فى صور الرؤيا الصادقة ومحاكاة الأشياء الإلهيـة .

هكذا فسر الفارابى الأحلام والرؤى الصادقة ، ولما كانت الأخيرة شعبة من شعب النبوة ، فقد وضح لنا الوحى والإلهام اثناء النوم .

وبقى أن ننظر فى النبوة أثناء اليقظة ، أو كيف يكون الوحى ورؤية الملك : يقول المعلم الثانى : إن المتخيلة إذا كانت فى إنسان قوية جدا ، بحيث تصل هذه القوة الى درجة لا تستنفذ معها كل المحسوسات الواردة عليها من الخارج كل أوقاتها ولا تستخدمها جميعها ، كذلك للقوة الناطقة التى تقوم هى بخدمتها ، بل بجانب اشتغالها إزاء هاتين القوتين الحسية والناطقة ، يبقى لها جانب كبير تفعل فيه هى الأخرى فعلها الذى يخصها .

ومعنى هذا أنه يحدث للقوة المتخيلة القوية الكاملة فى فترات اليقظة ما يحدث لها أثناء النوم من تحللها وتحررها عن تلك الأعمال التى تقوم بها نحو القوة الحاسة والقوة الناطقة . وهذا يشابه علم النفس الحديث الذى يقـرر بصدد أحلام اليقظة أنها عبارة عن شرود الإنسان عن الانتباه الى ما يحيط به وذهابه مع نفسه فى عالم من الخيال ، فيفقد صلته بالعالم الخارجى ، ويعيش بينه وبين نفسه ، فيصبح كالنائم ، وما هو كذلك ، بل هى حالة بين بين . ويتجه كل شخص فى أوهامه حسب ميوله ورغباته وظروفه ، فكل يغنى بليلاه ،

كما يقول المثل السائر ويصف علم النفس الحديث هذه الحالة بأنها حالة طبيعية ، اللهم إلا إذا زاد شرود الفكر الى درجة تؤدى الى الأرق وتعطيل الأعمال .

وعلى كل حال فان القوة المتخيلة إذا تحررت من القوة الحاسة والقوة الناطقة فانها تتصل بالعقل الفعال وتنعكس عليها منه صورة فى غاية الجمال والكمال .

ومعنى هذا أن الصور التى يعطيها العقل الفعال تتخيلها القوة المتخيلة حسب ما تحاكيها من المرئيات المحسوسة التى تحتفظ بها . وهنا تعود تلك الصور المتخيلة الى الارتسام فى القوة الحاسة ، وعندما ترتسم فى القوة المشتركة تتأثر بها القوة الباصرة فترتسم تلك الصور فيها كذلك . وهذه الصور المرتسمة فى القوة الباصرة تنعكس فى الهواء المضىء الموصل للبصر المنحاز بشعاع البصر وترتسم فيه كذلك .

وهذه الصور المرتسمة فى الهواء الموصل للبصر تنعكس هى بدورها الى القوة الباصرة الى العين ، ثم تعكسها الى الحاسة المشتركة ، ومنها تعود أخيرا الى القوة المتخيلة . لأن كل هذه القوى متصل بعضها ببعض ، فكأن هناك دورا لهذا الانعكاس . وكانت مهمة هذا الدور هى إظهار ما يعطيه العقل الفعال لتلك القوة المتخيلة من صور حتى تصبح مرئية لدى ذلك الإنسان الذى يملك قوة متخيلة قوية وكاملة جدا .

على أن مقدرة هذه القوة المتخيلة القوية الكاملة لا تنتهى عند هذا الحد ، بل فى استطاعتها كذلك أن تتقبل من العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة ، فتكون لها بذلك النبوة بالأشياء الإلهية . والى هذا أشار الفارابى بقوله : « ولا يمتنع أن يكون الإنسان اذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال ، فيقبل فى يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة أو محاكياتها من المحسوسات ، ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة ، وسائر الموجودات الشريفة ويراها ، فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الإلهية » .

فعندما يصل الإنسان الى هذه الدرجة من القوة فى قوته المتخيلة وهى اكملها واتمها يصل الى اكمل واتم المراتب التى يتمنى الوصول إليها ، والأنبياء وحدهم هم الذين لهم مثل هذه القوة فى مخيلتهم ، وهم الذين وصلوا الى هذه المرتبة العليا .

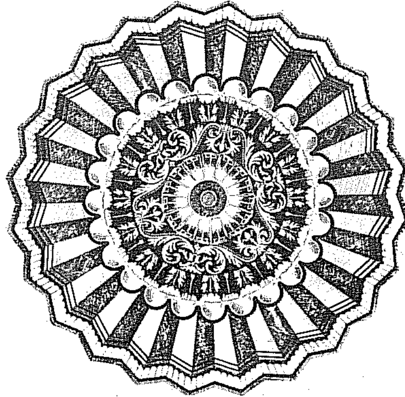
هذا هو تفسير المعلم الثانى للوحى والإلهام من الناحية السيكلوجية ، وواضح أنه يتعارض مع كثير من النصوص الدينية الثابتة ، فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان ينزل على النبى فى صورة بعض الأعراب ، وأنه كانت تسمع له صلصلة كصلصلة الجرس ، الى غير ذلك من الآثار المتصلة بالوحى والإلهام وكيفية نزوله .

والظاهر أن الفارابى لم يكن الرجل الذى غابت عن ذهنه كل هذه الآثار ، ولكنه لم يكن ليغيب عن ذهنه كذلك أنه فى ذلك الوقت لم يكن أمام من آمن بكل ما ورد ونقل ، ولكن أمام من أنكر النبوة وهاجمها بعنف ، فهو والحالة هذه

مضطر الى تقوية خط دفاعه بالأدلة العقلية .

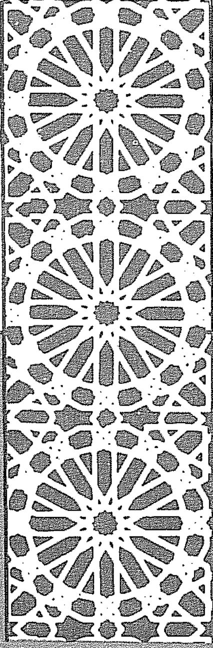
وثمة مسألة أخرى لا أحب أن أختم مقالى قبل أن أجلوها ، فلقد قال دي بور فى كتابه تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ما يأتى : « والفارابى يذهب الى أن حكمة الفلاسفة وكذلك حكمة الأنبياء تفيض عن العقل الفعال ، وهو يذكر النبوة بين حين وآخر ويصورها بأنها أعلى مرتبة يبلغها الإنسان فى العلم والعمل ، ولكن هذا ليس رأيه الحقيقى، أو على الأقل ليس هو النتيجة المنطقية التى تلزم عن فلسفته النظرية ، فقول هذه الفلسفة إن كل أمور النبوة فى الرؤيا والكشف والوحي ونحوها تتصل بالخيال ، فهى فى المرتبة الوسطى بين الإحساس وبين المعرفة العقلية الخالصة، على انه إذا كان الفارابى فى آرائه فى الأخلاق والسياسة ، يجعل للدين شأنا كبيرا فى التهذيب ، فهو يعده من حيث قيمته الأخيرة أوفى مرتبة من المعرفة العقلية الخالصة » .

هذا هو كلام دي بور . ولكنا نرى أن الفارابى لم يلحظ هذه التفرقة . ويتفق معنا فى هذا الرأى الدكتور إبراهيم مدكور فى رسالته الفرنسية للدكتوراه المعنونة بـ « مكانة الفارابى فى المدرسة الفلسفية الإسلامية » . فقد رأى أن المعرفة عند الفارابى تترتب قيمتها على منبعها لا على وسيلتها ، فالفيلسوف والنبى يأخذان المعرفة عن العقل الفعال ، زد على ذلك أن هناك قوة قدسية فوق قوة المخيلة يتصل بها النبى ، وهى على حد تعبير الفارابى فى كتابه فصوص الحكم : « قوة يذعن لها بالغريزة عالم الخلق الأكبر ، كما يذعن لروحك عالم الخلق الأصغر فيأتى النبى بمعجزات خارقة للعادات » .



مع القرآن

كتاب الكون :



لله المشرق والمغرب

للدكتور احمد الشرباصي

لا تزال الشكوى مرة من جهل كثير من شبابنا بالدين ، وأعراضهم عن مائدة القرآن ، وبعدهم عن كتاب الله عز وجل ، وما زال هذا الجهل يخلف عواقبه السود بين هؤلاء ، ويسيء الى كرامة الاسلام بين أهله ، ويسيء الى سمعته بين الناس .

وهذا شاب مسلم يقبل نحوى ضائقا حانقا ، يقول : أن القرآن يتناقض مع نفسه ..

فعاجلته بالسؤال : أهذا شيء أدركته بنفسك وبحثك ، أم شيء قيل لك ، أو دس عليك .. ؟

قال : بل شيء قيل لى ، ولكن ليس المهم أن يكون قد قيل لى أو أدركته بنفسي . المهم أن التناقض موجود فى القرآن .. !

قلت له : وأين .. ؟

أجاب : ان القرآن يحدثنا مرة عن رب المشرق والمغرب ، ثم يحدثنا

مرة أخرى عن رب المشرقين ورب المغربين .. فكيف توفق بين هذا وذاك .. ؟

فقلت له – لأثير انتباهه أكثر – : ان القرآن الكريم لم يكتف بهذا ، بل حدثنا أيضا عن رب المشارق والمغارب ..

فقال الشاب مستغربا : لقد زادت المشكلة تعقدا . وزاد التناقض وضوحا ..

فأجبته : ليست المشكلة الا في عقولنا الضيقة ، وليس التناقض الا في فهمنا القاصر ، واليك البيان :

ان الله تبارك وتعالى يقول في سورة البقرة : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم » . ويقول في سورة البقرة أيضا . « قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » . ويقول في سورة المزمل : « رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا » .

والمشرق حيث تطلع الشمس وتضيء ، والمغرب حيث تختفي الشمس وتغيب . ومقتضى ربوبية الله للمشرق والمغرب أنه مالك لهما ولما بينهما من الموجودات ، وأنه المتصرف فيهما وفيما يحويانه من أشياء ، فهو اذن مالك الملك ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، فلا يجوز أن نمجد غيره ، ولا يصح أن نعبد سواه ، وهو فوق الجميع ، ومع الجميع ، وهو في كل مكان ، وان لم يحوه مكان : « فأينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم » .

ثم يقول كتاب الله الحكيم في سورة الرحمن : « رب المشرقين ورب المغربين ، فبأى آلاء ربكما تكذبان » . ولا تناقض بين هذه الآية والآية السابقة ، فالآية الاولى تتحدث بأسلوب عام عن جهتى المشرق والمغرب اللتين يعبر بهما عما بينهما ، وهو يشمل الارض كلها .

وأما آية « المشرقين والمغربين » فتتحدث عن ملك الله الواسع بشيء من التفصيل . والمشرقان هما مشرق الشمس ومشرق القمر ، والمغربان هما مغرب الشمس ومغرب القمر ، أو المشرقان هما مشرق الشمس صيفا ، ومشرق الشمس شتاء ، والمغربان هما مغرب الشمس صيفا، ومغرب الشمس شتاء .

ومن الظاهر للعين أن المشرق والمغرب يختلفان في الصيف والشتاء . وكأن هذا التفصيل لفت للأبصار والبصائر الى سعة ملك الله ، وانفساح مداه ، وتعدد مظاهره ورؤاه ، ولذلك جاء بعد آية المشرقين والمغربين قول الله جل علاه : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » .

ولقد تعرضت لهذا الموضوع في مقام آخر ، ولم أكن اطلعت على ما كتبه الإمام ابن القيم في كتابه الجليل (بدائع الفوائد) حول هذا الموضوع ، فهو يتعرض لمجيء بعض الالفاظ في القرآن الكريم مجموعة أو مفردة ، مثل لفظتى (الشمال والشمائل) ، ثم يقول :

« ومن هذا المعنى مجيء المشرق والمغرب في القرآن تارة مجموعين ، وتارة مثنيين ، وتارة مفردين ، لاختصاص كل محل بما يقتضيه من ذلك ، فالأول كقوله : « فلا أقسم برب المشارق والمغارب » ، والثاني كقوله : « رب المشرقين ورب المغربين فبأى آلاء ربكما تكذبان » ، والثالث كقوله : « رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا » .. فتأمل هذه الحكمة البالغة في

تغاير هذه المواضع في الإفراد والجمع والتثنية بحسب موادها ، يطلعك على عظمته القرآن وجلالته ، وأنه تنزيل من حكيم حميد ، فحيث جمعت كان المراد بها مشارق الشمس ومغاربها في أيام السنة وهي متعددة ، وحيث أفردا كان المراد أفقي المشرق والمغرب ، وحيث ثنيا كان المراد مشرق صعودها وهبوطها ومغربيهما ، فانها تبتدىء صاعدة حتى تنتهي الى غاية أوجها وارتفاعها ، فهذا مشرق صعودها ، وينشأ منه فصلا الخريف والشتاء . فجعل مشرق صعودها بجملته مشرقا واحدا ، ومشرق هبوطها بجملته مشرقا واحدا ، ويقابلها مغرباها . فهذا وجه اختلاف هذه في الإفراد والتثنية والجمع » .

ويمضي الإمام في حديثه مشيرا الى أن العلماء لم يطرقوا باب هذا البحث ، ثم يعلل لمجيء كلمتي (المشرق والمغرب) مفردين بقوله :

« ثم تأمل ورودهما مفردين في سورة المزمل لما تقدمها ذكر الليل والنهار ، فأمر رسوله بقيام الليل ، ثم أخبره أن له في النهار سبحا طويلا ..

فلما تقدم ذكر الليل وما أمر به فيه ، وذكر النهار ، وما يكون منه فيه ، عقب ذلك بذكر المشرق والمغرب اللذين هما مظهر الليل والنهار .

ثم يعلل الإمام لمجيئهما مثنيين بقوله : « لما كان مساق السورة (يعني سورة الرحمن) مساق المثاني المزدوجات : فذكر أولا نوعي الايجاد ، وهما الخلق والتعظيم ، ثم ذكر سراجي العالم ومظهري نوره ، وهما الشمس والقمر ، ثم ذكر نوعي النبات : ماقام منه على ساق ، وما انبسط منه على وجه الارض ، وهما النجم والشجر ، ثم ذكر نوعي السماء المرفوعة والأرض الموضوعة ، وأخبر أنه رفع هذه ووضع هذه ، ووسط بينهما ذكر الميزان ، ثم ذكر العدل والظلم في الميزان ، فأمر بالعدل ونهى عن الظلم ، ثم ذكر نوعي الخارج من الأرض ، وهما الحبوب والثمار ، ثم ذكر خلق نوعي المكلفين ، وهما نوع الانسان ونوع الجان ، ثم ذكر نوعي المشرقين ونوعي المغربين ، ثم ذكر بعد ذلك البحرين الملح والعذب .

فتأمل حسن تثنية المشرق والمغرب في هذه السورة ، وجلالة ورودهما لذلك ، وقدر موضعهما اللفظ مفردا أو مجموعا ، تجد السمع ينبو ، ويشهد العقل بمنافرته للنظم » .



ثم يقول كتاب الله الحكيم في سورة المعارج : « فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون ، على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين » . ويقول في سورة الأعراف : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها » . ويقول في سورة الصافات : « رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق » .

والمشارق والمغارب هنا معناها : المشارق والمغارب للكواكب العديدة والنجوم الكثيرة ، وفي طليعتها الشمس والقمر .

كما أنها قد تعني المشارق

والمغارب المتوالية على بقاع الأرض، وهي تتوالى في كل لحظة ، ففي كل لحظة أثنـــاء دوران الارض حول نفسها أمام الشمس ، يطلع مشرق ويختفي مغرب .

والتعبير بكلمتي (المشـــارق والمغارب) — وهما جمع — يوحي بضخامة الوجود ، وعظمة الخـالق لهذا الوجود ، ففي كل ناحية مشرق، وبعد كل مشرق مغرب ، والضوابط دقيقة ، والنظام محكم ، والسيطرة الإلهية شاملة ، « إنا كل شيء خلقناه بقدر » ، فتبـــارك الله أحسـن الخالقين .

ويروى أن المراد بالمشـــارق هو مشارق الشمس طوال الســنة ، وللشـــمس — كما يقول المفسر البيضاوي — ثلاثمائة وستون مشرقا في السنة ، تشرق كل يوم في واحد منها ، وبحسبها تختلف المغـــارب ، فيكون هناك مغارب بعدد المشارق ، والخـــبراء العلماء يقررون أن الله تبارك وتعالى هو خالق الســموات السبع ، وما بينهما من مختلف الأجرام السماوية وكواكبها . وهو سبحانه القيم المهيمن كذلك على مواضـــع شروق الشمس وشروق ســـائر الكواكب والنجوم ، فهو الذي يظهرها كل يوم في موضـــع من الأفق الشرقي ، يختلف عن الموضع الذي أظهرها منه في اليوم السابق .

وذلك بما سنه في النظام الشمسي من قوانين ، حيث تدور الارض حول محـــورها ، من الغـرب الـــى الشرق كل يوم مرة ، وتجـــرى في فلكها حول الشـــمس في الوقت نفسه ، وكلما غيرت الارض موضعها في رحلتها على القبة السماوية ، بدت مشرقة في مواضع مختلفة .

وتستمر رحلة الشمس والقمر ، فتنبني عليها حركة الليل والنهار ، ومن وراء تتابع الليل والنهار تجرى الحياة الواسعة ، وينشـــط الأحياء الذين لا يعلم الا الله أصـــنافهم وأعدادهم وطرائقهم، والى هذا أشار القرآن الحكيم ، فقال في ســـورة يونس : « هو الذي جعل الشمس ضـــياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحســـاب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ، ان في اختلاف الليل والنهـــار وما خلق الله في الســـموات والارض لآيات لقـــوم يتقون » .

وتتسع الحركة في الحياة الانسانية الهائلة ، ونتذكر — ان كنا من أهل الذكرى — هذه الدقة في نظام الكون، وهذه الروعة في تسييره وتدبيره ، فنتذكر قول الحق جل جلاله في سورة يس : « والشـــمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقـــمر قدرناه منـــازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون » .

وقد جاء في (بدائع الفوائد) عن كلمتي المشـــارق والمغـــارب هذه العبارة : « ثم تأمل مجيئهما مجموعين في سورة المعارج ، في قوله : « فلا أقسم برب المشارق والمغارب ، إنـــا لقادرون ، على أن نبدل خيرا منهـــم وما نحن بمسبوقين » .

وأيضا فان تأثير مشارق الشمس

ومغاربها في اختلاف أحوال النبات والحيوان أمر مشهور ، وقد جعل الله تعالى ذلك بحكمته سببا لتبدل أجسام النبات وأحوال الحيوانات ، وانتقالها من حال الى غيره ، ويبدل الحر بالبرد ، والبرد بالحر ، والصيف بالشتاء ، والشتاء بالصيف ، الى سائر تبدل أحوال الحيوان والنبات والرياح والأمطار والثلوج ، وغير ذلك من التبدلات والتغيرات الواقعة في العالم بسبب اختلاف مشارق الشمس ومغاربها ، كان ذلك تقدير العزيز العليم .

فكيف لا يقدر — مع ما يشهدونه من ذلك — على أن يبدل خيرا منهم ؟

وأكد هذا المعنى بقوله : « وما نحن بمسبوقين » .

فلا يليق بهذا الموضع سوى لفظة الجمع ..

ثم تأمل كيف جاءت أيضا في سورة الصافات مجموعة في قوله : « رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق » . لما جاءت مع جملة المربوبات المتعددة ؛ وهي السموات والارض وما بينهما ، كان الأحسن مجيئها مجموعة ، لتنتظم مع ما تقدم من الجمع والتعدد .

ثم تأمل كيف اقتصر على المشارق دون المغارب ، لاقتضاء الحال لذلك ، فان المشارق مظهر الأنوار ، وأسباب انتشار الحيوان وحياته وتصرفه ومعاشه وانبساطه ، فهو انشاء مشهود ، فقدمه بين يدي الرد على منكري البعث ، ثم قدر الموت وحالهم فيه ، وكان الاقتصار على ذكر المشارق ها هنا في غاية المناسبة للغرض المطلوب ، والله أعلم » .



وكأن الحق جل جلاله يريد وهو أعلم بمراده — من تحديثنا عن المشرق والمغرب — افرادا وتثنية وجمعا — أن يوقد في صدورنا شعلة الايمان بابداعه ، لكي نرتفع الى حماه ، ونستمسك بعبادته وهداه ، ونهذب أنفسنا لحسن الاستعداد ليوم لقاه : « والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

وهكذا حدثنا القرآن الحكيم عن رب المشرق والمغرب ؛ ورب المشرقين والمغربين ، ورب المشارق والمغارب ، دون تناقض أو تعارض : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ، فلنقبل على مائدة القرآن متدبرين ، لنزداد صلة برب المشرق والمغرب ، ورب المشرقين والمغربين ، ورب المشارق والمغارب ..

وعلى الله قصد السبيل .

قصة ..

عقبات في الطريق

للاستاذ محمد رشدي عبيد

(ابو يحيى) هو اللقب الذى اطلقه اهل بلاد ما وراء النهر على الشاب المؤمن والعالم الربانى الذى ذاع صيته وانتشر اسمه فى أرجاء تلك البلاد الممتدة الرخية ، وكان هذا اللقب الأثير يشنف اسماعهم ، ويطرب قلوبهم ، ذلك لأنهم لم يطلقوه عليه اعتباطا أو يتفضلوا به عليه منة وتبرعا كالألقاب العادية التى يمنحها الناس لأصدقائهم ومعارفهم ! بل انه كان يعنى وبالضبط تجرد صاحبه لاحياء موات القلوب ، وأيقاظ غافية النفوس ، ورد التائهين الى رحاب الايمان حيث الحياة الحقيقية والسعادة الأبدية .

وكان (ابو يحيى) يملك مواهب رئيسية اهلته لتولى مهمة الدعوة الى الله ، وارشاد الخلق الى جادة الحق .

اولها : اخلاص عميق لله ملك عليه جميع مشاعره واحساساته ، وركز فى دائرة رضا خالقه سائر مواقفه وتصرفاته .

وثانيها : نصيب عظيم من ميراث النبوة ، تلك التركة الضخمة التى ورثها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النور والهدى والعلم النافع .

وثالثها : معين لا ينضب من عاطفة مشبوبة متوقدة كانت تمده بطاقة هائلة

وحيوية دافقة وحماس كبير لمتابعة عمليـة التغيير النفسي والاحياء الروحي الذي ندب نفسه لها .. لهذا فقد شهد له احد معارفه بأنه كان :
« يفيض حيوية ، تموج في نفسه الانفعالات الحبيسة ، لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال ، ولا يتنعم براحة أو متاع ما دام مجتمعه يزخر بمبادىء تناقض عقيدته، وقيم ونظم وتصورات تخالف اتجاهاته وقيمه التي استمدها من (القرآن) كتاب الله الخالد ، الذي يهدي للتي هي أقوم ، ذلك الكتاب الذي جعله استاذه في مدرسة العقيدة والخلق ، كما اتخذه رائده في سلوكه ، ومعينه الثر في ارواء ظمأ روحه ، اضافة الى كونه : سميره في خلوته ، وأنيسه في وحشته ، ومجليا لأحزانه ، ومروحا عن روحه » .. !

ويصفه احد شيوخه بانه كان : « مثال المؤمن الصادق ، تساقطت عن قلبه زخارف الدنيا ، وتبخرت منه الأهواء والعواطف والاهتمامات الصغيرة ، سلس القياد للهدى ، سهل الانقياد لدواعي الخير ، صعب الاستجابة لدواعي السقوط في جواذب الأرض ومغرياتها ، صامد أمام العقبات والمعوقات التي تعترض خط سير المصلحين الربانيين » .

وكان لأبي يحيى خليل صالح يرافقه في دعوته وجهاده ، وفراغه وشغله ، وليله ونهاره ، لا يفارقه الا لحاجة ماسة ، يذكره اذا نسي ، ويعينه اذا ذكر ، ويقويه اذا ضعف ، وينشطه اذا أصابه الاعياء والتعب ، ويسري عنه ما يلقاه من العنت والاعراض في دربه الميمون .. انه الشاب الصالح (مشكور) الذي حط الرحال عند (أبي يحيى) واجدا فيه العالم القدوة الذي يشغل الاسلام قلبه وعقله ، ويتمثل القرآن في خلقه وسيرته ، ويفوح عبير الاخلاص من مواقفه ، فعض بالنواجذ عليه بعد سفر شاق ورحلة مضنية في طلب رائد مخلص ، والتماس داعية مجاهد .. !

وبالرغم من استقامة (أبي يحيى) على مقتضيات ايمانه ، والتزامه الدقيق بجزئياته ومفرداته وبذله السخي لما تتطلبه مهمته من مال ، ووقت ، وجهد ، الا انه لا يزال يذكر نفسه بين الحين والآخر بقول شيخه (الباني) رحمه الله ، ذلك القول الذي يرن جرسه العذب في أذنه وتتجاوب أصداؤه في رحاب قلبه المرتعش كلما ذكره أو تذكره ..

ها هو (أبو يحيى) في جلسة من جلسات المحاسبة النفسية ، معتدل في جلسته ، تومض عيناه ببريق غريب .. يحدق في منظر من عالم الغيب .. يسمع نفسه انذار شيخه من جديد لتتعظ وتستقيم ، ذلك

الانذار الذى يتجاوز المكان والزمان والفواصل المادية ليمس شغاف قلبه : « يا بنى ! عقبتان تمترضان سير الداعى الى الله ، وقد تمنعانه من أداء رسالته فان اجتازهما فقد نال الدرجات العلى ، وان لم يراقب نفسه ويجاهدها عند عبوره بهما ، زلت به القدم ، وانقطع سيره الى الآخرة حيث يرضى بالدون فى العرض والزهيد فى المتاع ، وينحط من مستواه السامى ، ويشوب صفو تجرده الكدر ، فيسبقه الركب المبارك ، وقد تنال ايمانه خدوش عميقة تؤثر على مستقبله ومصيره يوم الدين . انهما فتنتان : المال والمرأة ! » .

ويدخل ابو يحيى فى حساب مع نفسه يعاتبها فتستعتب ، ويلومها فتعتذر ، ويحاسبها فتقدم الحساب بدون وجل أو تردد : « يا أبا يحيى ، ألست طوع امرك ورهن اشارتك ، تدعونى الى الخير فاستجيب ، وتكفنى عن الشر فامتنع ، أم لعلك تبغى معرفة درجة ثباتك امام فتنة المال الوفير الذى رزقك الله ! اطمئن فان الدنيا لم تنل منك شيئا ، ألست تساهم بمالك فى مختلف مشاريع الخير التى تعود على المسلمين بالنفع ؟ ألست تزود المجاهدين فى سبيل الله بحصة ثابتة من دخلك لتمكينهم من دحر عدوهم ، واسترداد ديارهم ، واعلاء شرف امتهم .. ؟ وهؤلاء اخوانك فى الله، تستضيفهم، وتقضى حوائجهم ، وتفرج كروبهم ! اما البائسون فقد نال كثير منهم حظا وافرا من مالك حيث عادت البهجة الى نفوسهم الكئيبة ، وشاع الرضى فى قلوبهم الحزينة ! أتذكر تلك السعادة النفسية الغامرة التى شعرت بها ، والفرح الشفيف الذى احسست به ، حين أسعفت تلك الارملة المنكوبة وأيتامها الصغار بما يقيم أودهم ويستر خلتهم ويفرج كربتهم ؟ أتذكر مشهد تفتح زهرات وجوههم الذابلة وانتعاشها وتمايلها طربا وسرورا ؟ أستحضر فى ذهنك بعض الوقائع والمشاهد والصور الحية المضيئة من سيرتك الحافلة بالخير لترى انك على الدرب سائر ، وان المال لم يطغك ، وان الامور تجرى فى مجاريها ! » .

تمتم أبو يحيى : الحمد لله ، لقد اجتزت العقبة الاولى ، وبصوت يعبر عن العزم الثابت والتصميم الراسخ قال : لأغذ السير اذن ، لأسارع الى الجنة التى قد تزينت وتجملت للقاء عباد الله الصالحين ، لأبذل المهر السخى لها فهى والله تستحق كل بذل وتضحية .. وفجأة يقفز الى ذهنه خاطر خير يخاطبه : « يا ابا يحيى ، انا لك رحما فى بلدة (كذا) فى ولاية الجبال وانك قد قطعت حبال وصلهم منذ أمد بعيد ، الم تسمع قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : « الرحم صلتى من وصله وصلته ، ومن قطعه قطعته ؟! »

ويفكر ابو يحيى ثم يتساءل باشفاق ووجل : « كيف تنقطع صلتى بالله عز وجل ؟ أنا الذى قضيت شبابى فى طاعته ، أنا الذى أدعو صباح مساء الى حبه ، وأبين للناس طريق مرضاته ، ثم أردف : « لا ، لا ، هذا لن يكون ، سأسد هذه الفجوة فى علاقتى بربى ، سأحسن صلتى به ، وهل لى من غاية سواه ؟! » .

بكر (أبو يحيى) الى صلاة الصبح فى المسجد القريب من بيته فى اليوم التالى ، ولما فرغ من أداء صلاة كلها خشوع وانابة واخبات ، تلا شيئا من كلام الله عز وجل

بصوته العذب الجميل شعر اثر ذلك بنشوة غريبة واطمئنان نفسى مفاجىء ، فنهض خفيفا وتناول طعام الفطور فى البيت واخبر اهله ورفيقه ومريديه بأنه عازم على السفر الى ولاية الجبال فودعوه جميعا الا رفيقه المخلص (مشكور) الذى اصر على مصاحبته فى سفره لأنه لم يكن يصبر على فراقه لحظة ، وبعد فترة قصيرة كنت ترى (أبا يحيى) وصديقه (مشكور) واقفين فى مقر القوافل العامة ، يحمل كل منهما حقيبة سفره ، بانتظار القافلة التى تنقلهم الى (ولاية الجبال) .

تهيأت القافلة للسفر الشاق البعيد ، واخذ كل من المسافرين مركبهما على دابتين من الدواب ، وطفقا يقرءان دعاء السفر بايمان وثقة .. وغذت القافلة فى سيرها الحثيث تنزل فى المحطات المعدة لنزول القوافل فتأخذ قسطا من الراحة ثم تتزود بالطعام والماء وتعلف الدواب وتبدأ السير من جديد .. الى أن وصلت الى محطتها الاخيرة حيث مبتغى صاحبنا ومراده فحطت الرحال والقت عصا التسيار وسار كل شخص لشأنه ، أما (أبو يحيى) فلغربته فى البلدة سأل احد الصبيان الذين تجمهروا فى محط القوافل للتفرج على المسافرين بدافع من حب الاستطلاع ، سأله عن موقع دار عمه (أبى ليث) فلبث الصبى هنيهة يفكر ثم التمعت عيناه بغتة وقال بسرور : انا ادلك عليه يا عم ، اتبعنى .. فدله عليه شاعرا بلذة كبيرة لتمكنه من تقديم معونة لأحد الغرباء ! فشكره الاثنان فودعهما وانصرف .

تقدم (ابو يحيى) الى باب الدار وطرقه طرقات خفيفة ، ثم وقف الى اليمين منتظرا الجواب ، ففتح الباب فظهر فيه عمه الشيخ الوقور (ابو ليث) وعندما وقعت عيناه على ابن أخيه هش فى وجهه وبش وأظهر سرورا عظيما ثم تقدم منه فصافحه وعانقه ثم عرفه (ابو يحيى) بصديقه فصافحه أيضا ورحب به أجمل ترحيب ودخلوا الدار جميعا حيث لقوا من اهلها كل اكرام واحتفاء وحسن ضيافة مما أنساهم وعثاء السفر ومتاعب الطريق الطويل .. !

مكث (أبو يحيى) عند ذوى قرباه ما شاء الله له ليقضى الله فيه أمرا كان مفعولا ، لم يكن يعلم ما يخبئه له الغيب المكنون من الاصطدام العنيف بالعقبة الثانية والارتطام بجدارها القاسى .. ! لم يكن يتوقع ابدا أنه سيخوض غمار حرب نفسية مستعرة الاوار بين عقيدته وهواه .. ! لم يدر بخلده قط أن نظرة واحدة الى مدخل الدار الذى يواجه دار عمه ستجره الى متاهة روحية قاتمة ، وتعرضه الى ضائقة نفسية خانقة ، لو علم ذلك ، لو استشف شيئا من قدره المجهول لما رفع بصره الى باب ذلك البيت ولما رأى تلك الفتاة التى سلبت لبه ولولا جهالته لما بدرت منه تلك النظرة النشاز الى منظر حرمه الله .

تذكر (ابو يحيى) قوله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم » فخفض من نظره وصوبه الى الارض ، لكن هاتفا ما ومن اعماق قلبه الح عليه أن يتملى جمال تلك الفتاة ويرتوى من حسنها لقد قال له : نظرة ثانية تطلعك على سر فتنتها الآسرة ولغز جاذبيتها المحيرة ، انها فرصة سانحة فلا تفلتها .. !

وبينما هو يجاهد ذلك الهاتف

عقبتان في الطريق..

ويصارعه ويستمين عليه بمدد من وصية المربى الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم « لا تتبع النظرة النظرة فان النظرة الاولى لك وليست لك الثانية » ، اذا بعينيه يخونان الأمانة ويتفقان على اختلاس نظرة ثانية كانت كأنها لقطة بارعة لآلة تصوير حديثة حيث طبعت صورتها فى مخيلته مجسمة ملونة .. ! ثم قامت مشاعره بتكبير تلك الصورة حتى غطت مساحة كبيرة من تفكيره .. ورآها إبليس مناسبة طالما تمناها فشمر عن ساعديه ودخل المعركة غير المقدسة بكل فكره ودهائه وفنون أضلاله ، فقام بدور المرتش الذى رتش الصورة وزينها وزخرفها واطرها حتى بدت لصاحبنا الأسير نسخة مطابقة الأصل للقمر المنير وطبعة جديدة منقحة للمرأة تلوفي فيها كل نقائص الطباعة فغدت اجمل من أن تنتقد ، وأجمل من أن تعاب .. !!

وكانت أيام عاش فيها صاحبنا موزع الفكر ، مبلبل الخاطر ، فؤاده خال الا من حبها ، واهتماماته دائرة حول رؤيتها ، لقد توحل بأطيان الهاوية ، وبدأ وجهه يفقد سيماه النورانى وتعلوه مسحة من دخان الاثم ، كما أن قلبه الخاشع أخذ يقسو ويفقد رونقه وصفاءه ورقته ، ولم يبق من منهجه الروحى اليومى سوى خمس صلوات ينقرها نقر الديك ولا تحقق آثارها التربوية والنفسية والروحية .. !

شيء واحد كان يمنع (أبا يحيى) ويصده عن إخبار رفيقه واقاربه بحقيقة موقفه ، ودلالتهم على خبيئة نفسه ، شيء واحد لولاه لأوضح لهم مراده ، وكشف لهم عن غايته ، وحينذاك كان من المتوقع أن يتم كل شيء على ما يحبه ويرضاه حيث يتقدم عمه لخطبة (دلال) وطلب يدها من والدها الذى تربطه بعمه أوثق صلات الجيرة والصداقة بحيث لا يعتقد انه سوف يرفض طلبه .. انه شيء واحد لكنه لا يستطيع تجاهله والاغضاء من اهميته لانه يتعلق بعقيدته وقيمه ومبادئه فهو منذ تعلق واتصل بالسماء بسبب ، قد ذاق حلاوة الايمان ، وشعر باستعلائه على موازين الأرض وقيمها ومقاييسها ، منذ ذلك يأبى أن ينحدر الى المتردى السحيق الذى انحدر اليه الماديون الملتصقون بالتراب فكرا وخلقا وسلوكا ، و (دلال) كما علم فتاة من اهل هذا العصر تلبس ما تريد أو يراد لها ، وتتصرف كما تشاء أو كما يخطط لها، وتؤمن بأفكار ومبادىء مستوردة عن طريق البر أو البحر أو الجو ، لا تحقق انسانيتها ، ولا تلائم فطرتها ، ولا تناسب انوثتها ، ولا تراعى امكاناتها ، انها فتاة متحررة من الفضيلة ، ثائرة على الفطرة ، لهذا فهو لا يتصور إمكان انسجامه معها الا اذا تنازل عن مبادئه ، وأعفى نفسه من الانتساب الى أهل الايمان .. وهذا لن يكون باذن الله .. !

وبلغت المحنة اشدها وضاقت على صاحبنا نفسه كما عجز عن الدفاع عن قلبه الأسير أمام الوازع الايمانى الذى يحامى عن عقيدته من أن تضعف أو تتلاشى فتسلل لواذا

الى رفيقه الأمين يبوح له بالسر ويطلعه على حقيقة الأمر الذى أشغله وأغفله ويشكو اليه ما أصابه من الضر بسببه ، وكان (مشكور) يلاحظ بدقة التغير المفاجىء الذى ينتاب قدوته ورائده ، ويستغرب اهماله لأذكاره وأوراده ، وحبه للخلوة ، وشرود ذهنه ، وكثرة صمته كأنه يفكر فى أمر شائك أو يعاني مشكلة عويصة أو ينتظر أزمة قريبة ، ولكنه كان يكتم استغرابه ويخفى قلقه احتراما لاستاذه حتى تلك اللحظة التى اخبره فيها هو بنفسه وحينذاك شمر الخليل الناصح عن ساعد الجد فسأل أستاذه عن كل ما يتعلق بالقضية من قريب أو بعيد ثم أخذ يحلل عناصرها فى فكره الثاقب ووعيه المؤمن الى أن وصل الى هذا الجواب الشافى فبدأ يذكره لاستاذه بلهجة تمبر عن تقديره العميق له ، واشفاقه الشديد عليه قال : « أنت تعلم يا استاذى بأن الزواج سنة من سنن بقاء الحياة الانسانية ، وهى ان كانت ضرورة فى العصور المتقدمة ، فان ضرورتها فى هذا العصر قد غدت أحتم والزم فقد تعددت فنون الاغراء ، ووسائل الاثارة والاغواء ، ويصعب على الشاب المؤمن أن يصمد أمام التيار الجارف الذى يهدد ايمانه فى كل لحظة ، وفى كل مناسبة ، وفى كل مكان ، وأنت صاحب دين وتقوى وخلق لا تفرط بايمانك ، ولا تتنازل عن مبادئك ، فالزواج لك ولامثالك ، شيء لا بد منه ، ولكن ليست كل فتاة تصلح أن تكون زوجة لك ، وأما لاولادك ، وسكنا لنفسك ، انها الفتاة الصالحة التى ترعرعت فى بيت مؤمن ، وتكونت شخصيتها الفكرية والخلقية والعاطفية فى بيئة اسلامية صحيحة ، انها الفتاة التى تؤمن بمقيدتك وتقدر اتجاهك لتعينك فى مسيرك ، وتحثك على الالتزام بمبادئك ، وتخفف عنك أعباء جهادك ودعوتك ، اما (دلال) فيؤسفنى أن اقول حسب وصفك انها من (خضراء الدمن !) وأنت أعلم منى بتعريف رسول الله صلى الله عليه وسلم لخضراء الدمن ، ثم علا صوته واشتدت نبرته وقال بلهجة منذرة : « يا ابا يحيى اسمع جيدا .. افتح قلبك وتدبر : لا تنكص على عقبيك ، ولا تنقض عزمك انكاثا ، اياك أن تهدم صرح التقوى الذى بنيته بعصارة جهودك ، وزهرة شبابك ، شأنك أن تنظر الى مستقبلك الحقيقى فى الدار الآخرة وأن تختار المرأة التى تقضى معك دنياك فى ظل أخلاق القرآن الدين » . ثم سكت وهو يستشف الكريمة ، ثم ترافقك الى جنات الخلد حيث السعادة الأبدية « هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون » واذا ما صممت على الزواج فضع القاعدة النبوية الخالدة نصب عينيك فى اختيار شريكة حياتك « فاظفر ذات الدين » . ثم سكت وهو مستشف من عينى أستاذه تأثير كلامه فى قلبه فيتملكه شعور غريب بالسعادة حيث استطاع أن يأخذ بحجزه عن اقتحام النار ..

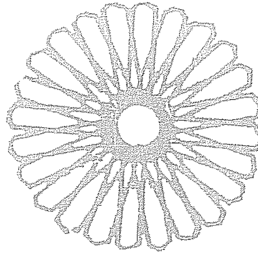
صمت أبو يحيى ولكن كانت هناك تحولات تجرى فى باطنه وانجازات ضخمة تتم فى ضميره فقد انسرب النور الى قلبه واخذ يطرد جنود الظلام ، ويزيل كثافة الأعراض ، وينفض غبار الاثم ، فيستيقظ من رقدته البائسة ، ويتقدم نحو شرنقة السيقان الزاهية التى نسجها حول

عقبتان في الطريق..

مشاعره وتصوراته فيمزقها شر ممزق ، ويستعيد لباس التقوى فيكتسي به من جديد ليواري سوءات فكره ومزالق نفسه ويعزم فى نفسه أمرا .. !

وفى صباح اليوم التالى تناول الجميع طعام الفطور فأبدى (أبو يحيى) لعمه وأبناء عمومته رغبته فى الرجوع الى بلده شاكرا لهم حسن الضيافة وكرم النفس وسمو المعاملة فلما فرغوا من تناول الطعام قام (أبو يحيى) وصاحبه (مشكور) يحزمان حقيبتيهما ، ثم ودعا من قبل أهل الدار بنفس الحفاوة والتكريم اللتين استقبلا به وبنشوة القائد الظافر الذى نجا من آخر كمين للعدو بخطة حربية مبتكرة ، عاد المجاهد الى بلده وعلي شفتيه ابتسامة حلوة تعبر عن فرحة قلبه واطمئنان نفسه ، وطول الطريق لم يكف لسانه عن الشكر لله على أن مد له حبال وصله من جديد بعد أن ذاق مرارة البعد عنه ، وبين الحين والآخر يلتفت الى صاحبه الناصح (مشكور) ومن أعماق قلبه يقول له : سوف لا أنسى فضلك ما عشت ، فقد جعلك الله تعالى قارب نجاتي وسبب انابتى ، لقد زادت مكانتك فى نفسى علوا ورفعة ، انك انت الخليل الصالح الذى ذكرتنى حين نسيت ، وأقلتنى حين عثرت فشكرا لك .. !

وعندما وصلا الى مشارف البلدة رأيا من بعيد الجموع المحتشدة التى تنتظر كل مساء عودة عالمهم ورائدهم بشوق شديد ولهفة حرى ، وعاد القائد الى الميدان من جديد يسدد خطى مريديه ، ويزكي أرواحهم وينير بصائرهم كما أخذ يفكر فى الزواج بأسلوب صحيح .. أما الشيطان فقد ولى وجهه هاربا لا يلوى على شيء ، وهو يردد بصوت عم أرجاء البلدة ولم يسمعه الا الأبالسة : يا للأسف ، يا للحسرة ، يا للفشل الذريع ! معشر الأبالسة لا تكرروا تجربتى الفاشلة، لا تحاولوا اغواء شاب مؤمن قبل أن تفرقوا بينه وبين خليله الصالح ، ركزوا جهودكم فى تمزيق أواصر الحب والأخوة فى الله بين المؤمنين ، وان لم تسمعوا نصيحتى فسحقا لكم ، سحقا ، أما أنا فلن أعيد محاولتى الخاسرة مرة أخرى .. !



الفتاوى

حكم الحج عن الميت

السـؤال :

اذا توفى أحد قبل أن يؤدى فريضة الحج مع وجوبها عليه فهل يجوز شرعا أن يحج غيره عنه بمال يدفعه اليه الوارث أو غيره تبرعا منه وهل يسقط الفرض عن المتوفى بذلك ؟

الجـواب :

يجوز الحج عن الميت الذى لم يؤد فريضة الحج مع استطاعة السبيل اليه سواء أكان المؤدى وارثا أم غير وارث . لما روى عن ابن عباس أن امى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : نعم حجى عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته اقضوا الله فالله أحق بالوفاء (رواه البخارى والنسائى بمعناه) وفى رواية أخرى : (جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان أختى نذرت أن تحج الى آخره) وفى قوله عليه الصلاة والسلام (نعم) دليل على اجزاء الحج عن الميت من الولد وكذلك من غيره فيما وجب عليه بنذر أو غيره بدليل قوله عليه الصلاة والسلام (اقضوا الله فالله أحق بالوفاء) . وعن ابن عباس قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال : ان أبى مات وعليه حجة الاسلام أفأحج عنه ؟ قال : أرأيت لو أن أباك ترك دينا عليه أقضيته عنه ؟ قال : نعم ، قال فأحجج عن أبيك) رواه الدارقطنى . وفيه دليل على أنه يجوز للابن أن يحج عن أبيه حجة الاسلام بعد موته وان لم يقع منه وصية ولا نذر — ويدل على جواز الحج من غير الولد حديث شبرمة ، وهو ما روى عن ابن عباس (أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة ، فقال : من شبرمة ؟ قال : أخ لى أو قريب لى قال : حججت عن نفسك ؟ قال لا قال : حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة) (رواه أبوداود وابن ماجة) . وفى شرح مسلم للنووى أن جواز الحج عن الميت مذهب جمهور الأئمة سواء أكان الحج عن حج مفروض أم عن حج منذور ، سواء أوصى به الميت أم لا .

استلام الحجر الأسود

السـؤال :

سمعت أحد الخطباء يروى حديثا هذا لفظه : (الحجر الأسود يمين الله عز وجل ، يصافح به خلقه كما يصافح الرجل أخاه) . فهل هذا ثابت عن الرسـول صلى الله عليه وسلم ؟

الجـواب :

لم يصح هذا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وردت فـى فضل الحجر الأسود أحاديث وعن عمـر رضى الله عنه كما فى صحيـح البخارى (انى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول صلى الله عليـه وسلم يقبلك ما قبلتك) .

وقد روى النسائى ما يشعر بأن عمر رفع قوله هذا الى رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج من طريق طاوس عن ابن عباس قال : (رأيت عمر قبل الحجر ثلاثا ثم قال : انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول اللـه صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك . ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك) قال الطبرى : وانما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام . فخشى عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب التعظيم لبعض الأحجار ، كما كانت العرب تفعل فى الجاهلية ، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا لأن الحجر ينفـع ويضر بذاته ، كما كانت الجاهلية تعتقده فى الأوثان .

وقال المهلب : حديث عمر هذا يرد على من قـال ان الحجر يمين اللـه فى الأرض يصافح بها عباده ، ومعاذ الله أن يكون لله جارحة . هذا صريح فى أنـه ليس بحديث ، وانما هو قول لبعض الناس مردود بمـا ذكر . وقـال الخطابى تصحيحا لمعناه فقط : معنى أنه يمين الله فى الأرض ، أن من صافحه فى الأرض كان له عند الله عهد .

وجرت العادة بأن العهد يعتمده الملـك بالمصافحة لمن يريـد موالاتـه ، والاختصاص به فخوطبوا بما يعهدونه . وقال المحب الطبرى معناه : ان كل ملك اذا قدم عليه الوافد قبل يمينه ، فلما كان الحاج أول ما يقدم يسن تقبيله ، نـزل منزلة يمين الملك ولله المثل الأعلى . أهـ . فهو كلام على التجوز . ذكر ذلك الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ، قال : وانما شرع تقبيله اختيارا ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة ابليس حين أمر بالسجود لآدم .

وفى قول عمر هذا التسليم للشارع فى أمور الدين وحسن الاتباع فيما لـم يكشف عن معانيها وهو قاعدة عظيمة فى اتباع النبى صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ، ولو لم يعلم الحكمة فيه ــ وفى شرح الترمذى : أنه يكره تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله) .

بريد الوعي الإسلامي

إعـــداد : عبد الحميد رياض

حول مسرحية خولة بنت الأزور

نشرتم فى العددين ١١٣ و ١١٥ من مجلة الوعى الاســـلامى القراء فصلين من مسرحية عن حياة البطلة الاسلامية خولة بنت الأزور ، بقلـــم الدكتور أحمـــد شوقى الفنجرى . وأحب أن أوجه الى الكاتب بسؤالين : —

أولا : هل هذه القصة من أحداث التاريخ الحقيقية أو هى قصة خياليـــة وما هى مراجع المؤلف فيها ؟

ثانيا : رغم أن المسرحية قد صيغت فى قالب قصصى جذاب ومشوق إلا أننا نأخـــذ على الكاتب السير على منوال غيره من الكتـــاب فى إقحام قضـــايا الحب والزواج .. ألم يكن من الخير تجنب هـــذه الموضوعـــات فى هذا المجـــال الدينى .

نعيم الشربينى — القاهرة

وقد أحلنا هذا السؤال الى المؤلف وجاءنا الرد التالى :

القصة أو المسرحية الاسلامية تختلف كل الاختلاف عن أى قصـــة عادية .. فهناك أربعة جوانب هامة يجب على كاتب القصة مراعاتها والالتزام بها :

أولا — الالتزام التام بحقائق التاريخ وصدق الأحداث دون زيادة من خيـــال الكاتب حتى تبقى للقصة قيمتها التاريخية والواقعية ..

ثانيـــا — أن يعالج الكاتب أحداث الحياة العاديـــة التى يتعرض لهـــا بطل القصة أو اى شخص عادى مظهرا التصرف الاسلامى اللائق والواجب فى مثـــل هذه الظروف والا يتهرب من معالجة اى موقف مهما كان حرجا . مظهرا السلوك الاسلامى المثالى فى مثل هذا الموقف . فالاسلام دين عملى وواقعى وليس مـــن

طبيعته الهرب من واقع الحياة ومشاكلها .. بل هو يواجه ذلك بالحلول المبنية على مبادئه الخالدة ..

ثالثا — أن تكون القصة هادفة .. فلا يكفى أن تكون تاريخا لذات التارخ .

ولكن يجب أن تظهر العبر والدروس المستفادة من التاريخ .. وأن يكون هدفها الرئيسى إظهار التطبيق العملى لمبادىء الاسلام فى واقع الحياة ..

رابعا — أن يحرص الكاتب على سبك القصة وجودة القالب المسرحى والإخراج الفنى .

فلا يكثر من المواعظ .. والمواقف الخطابية حتى لا يسلم القارىء الى الملل .

وقد التزمت قدر جهدى بهذه الأربعة فى مسرحية خولة بنت الأزور وفى مسرحية بنت حكيم التى نشرت قبلها ..

فقد راعيت أمانة التاريخ وحقائقه لكى يشعر القارىء انه يقرأ تاريخا حقيقيا فى قالب قصصى .. وأن هذه الأحداث ليست من اختراع الكاتب أو خياله .

ورغم أن المرجع الرئيسى فى هذه المسرحية هو المصادر العربية الاسلامية مثل كتاب فتوح الشام ومصر للامام الواقدى وكتاب (فتوح مصر واخبارها) للامام ابى القاسم عبد الرحمن القرشى .. الا أننى قد حرصت على متابعة الجانب التاريخى فيما سجله الكتاب الغربيون عن الشخصيات الرومانية والمصرية التى جاء ذكرها فى هذه الرواية ومن ذلك الموسوعة البريطانية وموسوعة الأديان وما كتبه المؤرخ البريطانى العظيم (ارنولد توينبى) وكتاب (الفتوحات الغربية الكبرى) للجنرال جلوب .

ومن المعروف تاريخيا أن البطلة خولة بنت الأزور قد تزوجت الأمير الرومانى رومانوس حاكم بصرى بعد إسلامه وقد أشار الكاتب الاسلامى القدير على احمد باكثير فى مسرحيته (ملحمة عمر) الى هذا الزواج ولست أرى ما يدعو الى إغفال هذه الحقيقة أو تشويه التاريخ أو تغييره فالزواج بين مسلم ومسلمة امر طبيعى بصرف النظر عن العنصر واللون ..

ورغم أن قصة زواج خولة من رومانوس قد مرت مرورا عابرا فى المسرحية ولم تكن هدفا لذاتها إلا أننى لا أجد أى داع فى القصص الاسلامية للهرب من مواقف الحب والزواج فهذه مسائل لا بد أن يتعرض لها كل إنسان مسلم فى حياته .. وعلينا أن نعالج مثل هذا الموضوع الواقعى بالأسلوب الاسلامى والمثاليات الاسلامية التى جاء بها ديننا الحنيف .

فالإسلام لا يحرم على المسلم أن يتزوج ولا يحرم عليه أن يكون الزواج عن حب وإعجاب . بل انه يحبذ ذلك .

عن ابن عباس رضى الله عنه أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (يا رسول الله .. عندنا يتيمة قد خطبها رجلان .. موسر ومعسر ..

وهى تهوى المعسر ونحن نهوى الموسر) فقال الرســـول (لم ير للمتحابين مثـــل التزويج) .

وقد كتب الكثير من علماء الاسلام وأئمة الفقه السابقين عن الحب وشرحوا الحلال منه والحرام .. ومنهم من ألف كتبا مستقلة فى هذا المجال أو فصـــولا من كتب مثل الإمام ابن حزم فى كتابه طوق اليمامة ومثل ابن تيمية ومثل الامـــــام الشافعى . وللامام ابن القيم كتاب عن الحب اسمه : (روضة المحبين ونزهـــــة المشتاقين) وكتب الإمام أبو الفرج الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، كتابا مشهـــورا بعنـــوان : (ذم الهوى) .

وقد كتب الإمام ابن حزم فى كتابه طوق اليمامة مقدمـــة طريفة يسد بهـــا الطريق على معترضيه وناقديه إذ يقول :

أنا أعلم أنه سينكر على بعض المتعصبين تأليفى لمثل هذا الكلام !! ويقول انه خالف طريقته وتجافا عن وجهته وهكذا ..)

وقبل أن أختم هذا الرد .. وبرغم كل هذه الحقائق التى ذكرتهـــا .. فاننى أجد للقارىء الكريم كل العذر فى اعتراضه على سيرة الحب والزواج فى القصص الاسلامية ، وذلك بسبب ما نراه فى أيامنا هذه من انتشار موجـــة الكتابـــة فـــى الموضوعات الجنسية الرخيصة بين الكثير من كتاب القصة العرب .. وبطريقـــة مبتذلة ومنفرة للذوق السليم .. وذلك ما يجعل الانسان الفاضل ينفر بطبيعتـــه من هذه السيرة ومن سيرة الحب والزواج !!
ولكن هذه الحالة تثير سؤالا هاما ؟!

هل العلاج السليم هو أن يستبعد كتاب القصة الاسلامية هذه الموضوعات ويقاطعوها ويعتبروا مجرد الخوض فيها أمر غير مقبول بل حرام ؟

أم أن الأفضل هو مواجهة شتى موضوعات الحياة دون حرج ومعالجتهـــــا بالأسلوب الاسلامى السليم وبهدى من القرآن والســـنة والفقه .. حتـــى يتبين الناس التصرف الاسلامى الذى يجب أن يتبعوه اذا واجهتهم هذه الظروف وهـــذا هو ما أرى أن نأخذ به والله الموفق .

المســـلمون فى جمهورية ليبيريـــا

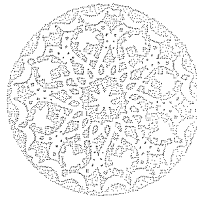
أكتب إليكم هذا لأعرض فكرة عن بلاد مسلمة منسية من الجميع .. وهذه البلاد المنسية من المسلمين لها عليكم حق التوجيه ولا بد أن تشـــملوا أحـــوال المسلمين بها بالدراسة والبحث وإسداء العون بتوصيل الوعى الإسلامى ــ بالمعنى اللغوى ــ إليهم ــ وبالطريقة التى تؤتى أوفر الثمار ــ ابتغاء ثواب الله واللـــه عنده حسن الثواب .

فلقد ساقتنى ظروف عملى الى قضاء أربعة شهور فى جمهورية ليبيريا .. — من دول غرب أفريقيا كما تعلمون — وهناك تقول الاحصائيات الحديثة إن المسلمين يشكلون ٢٥٪ من السكان الذين يقترب عددهم من المليونين . (والإحصائيات فى هذه الدول معظمها لا يتمتع بالقدر الكافى من الدقة) بينما! تقول إحصائيات قديمة منذ أربعين عاما ان عدد المسلمين فى هذه الدولة يقدر بحوالى مليون مسلم . وليس فى ليبيريا اى اثر لتبشير أو توعية إسلامية على الإطلاق — ولا أثر للأزهر الشريف ولا لغيره — بالعكس يوجد بضعة مكاتب تبشير بالمذهب الأحمدى (القاديانية) فى العاصمة مونروفيا .

وتعمل مؤسسات التبشير المسيحية على إنشاء المدارس .. ولا يدخلها مسلم الا ويتنصر — وإقامة مستشفيات تبشيرية — وتعمل هذه المدارس — ولا مدارس غيرها .. على تحويل المسلمين عن دينهم وقد نجحت فعلا فى شد أعداد كبيرة من المسلمين الى المسيحية ولا تزال عملية الشد مستمرة .. وكثيرا ما ترى شبابا اسمهم الأول مسيحى واللقب مسلم .. آباؤهم وعائلاتهم مسلمة ولكنهم تعلموا .. ولا تعليم إلا فى المدارس التبشيرية .. ولا تعليم الا بالتحول من الإسلام الى المسيحية دون استثناء . كما يحدث أن تجد موظفين فى شركات يتسمون بأسماء مسيحية .. وتضبطهم يترنمون بالأذان وتسألهم فيقولون ان الاسم المسيحى مستعار لامكان الحصول على عمل .

وقد زرت القرى الاسلامية فوجدت وبشكل دائم فى مقدمة القرية الواقعة فى قلب الغابة الاستوائية .. مسجد القرية مدهون بالجير ومفروش بالحصير .. وسكانها رغم عدم اتصالهم بالعلم الإسلامى منذ عشرات السنين يتميزون بأخلاق تختلف عن أخلاق القبائل الأخرى وبمثل إسلامية هامة ولا يسيرون عرايا تماما كالقبائل الأخرى ويتلهفون على أى مسلم قادم من الخارج ويجدون فى عملهم ويتعلمون الحرف المختلفة كالبناء وقيادة السيارات والسمكرة الخ .

ولكن المسلمين فى جمهورية ليبيريا فى الحقيقة يحتاجون الى أشياء كثيرة فى دينهم ودنياهم وسط القبائل التى معظمها مسلمون كقبائل الفاى .. لعل ذلك يكون فاتحة خير لإيقاف هذا النزيف الاسلامى والنزح من أمة محمد الى الديانات الأخرى .. وذلك بانشاء مكاتب تباع فيها مجلة كالوعى الإسلامى مترجمة الى الانجليزية — ولغة الفاى — والباسا حتى يعم النفع وتقوى صلة المسلمين بالاسلام .



قالت صحف العالم

البيئة الثقـافية ..

بيئة الانسان من أهم مكوناته .. ولكل انسان بيئته الطبيعية : مكانه الذى يضطرب فيه ، وجوه الذى يشتمل عليه .. وبيئته الاجتماعية : الناس الذين يعايشهم ويعاملهم وتربطه بهم مختلف الروابط .. ومـا يقرؤه الانسان أيضا هو له بيئة تؤثر فى فكره وعواطفه ومسلكه فى الحياة ..

وما أزال أذكر كيف كنا نجتمع صغارا على سيرة عنترة بن شداد نقرؤها فنحب الشجاعة والوفاء فى عنترة ، ونكره الجبن والغدر فى عمارة بن زياد ، وكيف كانت تهتز قلوبنا وتدمع عيوننا وتستولى علينا السيرة حتى أننا لنكاد ننسى زماننا ومكاننا ونرتد الى زمانها ومكانها .. فاذا نحن ثبنا الى أنفسنا ، وانصرفنا الى المعتاد من حياتنا ، رأينا أنفسنا نقلد الأبطال الذين أعجبنا بهم ، ونمثل أخلاقهم ، ولربما صنعنا لأنفسنا سيوفا ــ كسيف أبى حية ــ من الخشب فجددنا معاركهم . ولا أنسى رفيقا لنا أعجب (بالغضبان) ابن عنترة أشد اعجاب ، جاءنا يوما على حالة من الحزن شديدة وهو يبكى أحر بكاء لأن أباه قد منعه من كسر أنفه ليصير افطس مثل أنف الغضبان .. !

ونحن الآن نرى أثر ما نقرؤه لبعض المفكرين والأدباء والعلماء المسلمين الممتازين فى تصحيح فهمنا ، وتقويم اتجاهنا ، وشعورنا بما لنا فى فهمنا وعملنا من أخطاء .

ومن أهم ما نقرأ ومن أشده تأثيرا كتب الأدب والتاريخ ، كتب الأدب تصعد بنا بأجنحتها الى ما هو أسمى وأكمل ، وترسم لنا مثلا ، وتكشف لنا طرقا ، وتضرب بمعولها الواقع القائم لينهار ويقوم مقامه الواقع المنشود .. هذه الكتب كم ولدت من ثورات وأحدثت من انقلابات فى المجتمعات والأفكار ..

وكتب التاريخ فيها نجد القدوة الصالحة والحافز القوى والأسوة الحسنة فى الكفاح .

ولربما فسدت بيئة الانسان الاجتماعية فضلت فكرا ، وانحلت خلقا ، وانحرفت سلوكا ، فكانت بيئته (الثقافية) عاصما له مما أصاب مجتمعه ، ومددا لفكره وروحه ، وعونا على استبانة الطريق المستقيم ..

وأفضل بيئة للمسلم يعيش فيها هى القرآن الكريم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، يجد فيهم ما أعوزه فى مجتمعه من القدوة الحية والأسوة الحسنة ، ويتنفس فى جوهم ، ويحيا معهم ايمانهم العميق ، ومشاعرهم السامية ، وأخلاقهم الفاضلة ، وجهادهم الدائم فى سبيل الله ، كما يرى الاسلام فيهم مجسما .. يراه بعينه ، ويحسه بقلبه وفكره ..

ولكن هذه البيئة التى يفتقر اليها المسلم لحياة روحه ، ومعرفة هدفه ، وتبين طريقه ، تكاد تكون محجوبة الأسرار ، مقفلة الأبواب على من لا يملك مفتاحها .. وما مفتاحها الا العربية التى يتوجب علينا اتقانها لتكون منفذنا الى فهم القرآن والحديث وذوقهما ودخول عالمهما الذى يصنع فيه المسلم الحق عقيدة وفكرة ومسلكا ووجهة نظر معينة الى الكون والحياة والانسان .

وقد فسد مجتمعنا الذى نعيش فيه ، واشتدت حاجتنا الى البيئة الثقافية (الاسلامية) التى تعيننا عليه ، وتغذى فكرنا وشعورنا ، وتعوضنا مما فقدنا .. ولم نجد هذه البيئة المنشودة ، بل وجدنا بيئة ثقافية أخرى هى فى الغالب صورة الضلال العقلى ، والفساد الاجتماعى ، وصدى الغرائز البهيمية أو المآرب المتهمة ، تنفذ الينا من الكتاب الذى نقرأ ، والمجلة التى نتصفح فتسمم الفكر والخيال ، وتفسد الأخلاق .. ولو أن دارسا تقصى ما يقرأ فى أوساط الشباب لكاد لا يرى الا فكرا مدخولا أو معرفة مريبة أو قصصا رخيصا ، أو أخبار الممثلات والممثلين وأنباء اللهو واللاهين ، أو شعرا هو صوت الغريزة ونداء المنكر ودعوة الانحلال .. هذه تقريبا هى بيئة عامة الشباب الثقافية أى بيئة أفكارهم وقلوبهم ..

وليس مرد هذا الى أن الشباب قد فسد فأصبح يؤثر هذا اللون من القراءة فقط ، فان ثمة شبابا ما يزالون ينطوون على خير ، وما يزال عندهم الاستعداد ليكونوا كما يريد لهم الاسلام ، ولينفصلوا عن واقعهم الفاسد لا يستمدون منه ، ويعيشوا فى جو الاسلام بمطالعتهم يستمدون من حقائقه ، ويستلهمون من رجاله ، ما يمكنهم من العودة الى واقعهم متحررين منه ، ليكيفوه حسب عقائدهم أو يهدموه ليقيموا الصرح الاسلامى الجديد .. ولكن المشكل أننا لا نجد هذه البيئة الثقافية الاسلامية الحديثة التى تلبى حاجة الفكر المسلم ، والشعور المسلم ، والمعرفة الاسلامية .. لا نجد الكتب الاسلامية أو المجلات التى يمكن أن ندفعها الى الشباب المسلم وتكون دليله الأمين فى حياته الشخصية والاجتماعية ، وفى فهم مشكلات عصره المختلفة فى ضوء الاسلام ،

وتكون رفيقه الصالح ، وتكون سميره الممتع ، وتكون سبيله الى اتقان لغته (لغة القرآن) ، ويجد فيها حاجة الفكر والقلب ، وحاجة النفس الى الترفيه فى حدود الاسلام وحسب هديه وأدبه .. لا نجد هذه الكتب والمجلات بالمقدار الكافى الوافى بالحاجة الماسة — على قيمة بعض ما صدر من كتب فى بعض جوانب الاسلام ..

اننا نريد هذه الكتب والمجلات .. ونريد أدبا اسلاميا يكون وعيا (اسلاميا) عميقا ، ويصب الحماسة فى قلوب الشباب ، ويشير لهم الى الهدف ، ويستحثهم فى الطريق ، ويستجيش كل الطاقة الكامنة فيهم .

نريد مقالات ومسرحيات وروايات .

نريد قصصا تصور واقع المسلمين المؤلم والظلم الواقع بهم تصويرا ينضح الدم لا الدمع ، ويدعو الى الثورة على الواقع والى الانتصاف والعودة بالاسلام الى مكانه القديم .

نريد تاريخا واقاصيص تصور للناس ما فعل الاسلام الذى جهلوه للدنيا ، وترد عليهم من عظمته وعدالته واصلاحه ورحمته ما يحرك القلوب .

نريد تراجم تلهم الشباب وتعلمهم كيف يكون الايمان والجهاد والتضحية والصبر ، وكيف ينتزع النصر من الهزيمة ، وينبلج الفجر فى الظلام .

ونريد شعرا يعيد لنا مجد الماضى ، ويشعرنا ذل الحاضر ، ويحفزنا على التمرد ، ويحملنا حملا لنصنع المستقبل المجيد .

نريد باختصار أدبا يكون عالم صغارنا وشبابنا الروحى والفكرى، ويستولى على عقولهم وقلوبهم ، ويرفعهم فوق اسفاف مجتمعهم ، ويجعل منهم رواد الحياة الاسلامية المقبلة .

وهذا يقف أدباءنا — على قلتهم — أمام مسؤولية اسلامية خطيرة .. أمام مسؤولية الاستجابة لهذه الارادة وتلبية هذه الحاجة .

ان عليهم أن يصنعوا لنا بيئة ثقافية اسلامية ينمو بها صغارنا ، ويعيش فيها كبارنا ، وتعصمنا وتلهمنا وتدفعنا الى العمل .

وانه لجهاد يدعون اليه ، ويلزمهم دينهم به .. جهاد كجهاد السيف يتوقف عليه مع غيره مستقبل الاسلام .

(عن مجلة الرائد التى يصدرها المركز الاسلامى بآخن

بأقلام القراء

كثيرا ما ضمتنى مجالس فيها القانونى والمهندس والطبيب والمدرس وفى أكثر من بلد عربى وكثيرا ما يتشعب الحديث حيث يشمل مواضيع تبحث فى مشاكل المجتمع وتطبيبها ، ومن الطبيعى أن يرتفع صوت الاسلام ليقول كلمته فى هذا المشكل أو ذاك حيث أن الجميع مسلمون يدينون بالاسلام ويعيشون فى بلد مسلم ويستظلون بشريعة الله والمتحدثون على جانب من المعرفة الدينية، حينئذ ينبرى لك نفر ممن يدعون لأنفسهم ميزة التقدمية والارتقاء ويقولون إن الاسلام ينحصر عمله فى تنظيم العبادات والطقوس الدينية وللإجيال المنقرضة من آبائنا وأمهاتنا ولا مكان له فى تقديم حلول سليمة فى هذا الزمان المتحضر بل تراهم يذهبون الى أبعد من ذلك حيث تسمع هذا النفر يهذى بان فى البلاد أجانب وأن فى الحديث عن الاسلام ما يفرق كلمة الناس ويدعو الى العصبية الدينية التى يجب أن تزول من هذا المجتمع . ياعجبا لهؤلاء . ان موقفهم هذا ليدعو الى الاشفاق عليهم والرثاء لهم لقد وقعوا تحت تأثير بعض الأبواق المأجورة والكتابات الرخيصة التى يقودها الاستعمار البغيض بشقيه الغربى والشرقى فهما لم يتفقا على شىء اتفاقهما على محاربة الاسلام وطمس الثقافة الاسلامية الرشيدة لأنهم يدركون أن فيها موتهم والقضاء عليهم ؛ لقد ادرك الشرق والغرب ان فى الاسلام قوة هائلة لها من الكيان الذاتى والحركة الدائبة ما يقضى على اطماع الطامعين ورد كيد الكائدين واللاسبيل الى السيطرة على بلاد المسلمين الا بتحطيم هذا الدين وهيهات لهم ان ينالوا من ذلك شيئا والله من ورائهم محيط . علم الغربيون والشرقيون هذه الحقيقة عن الاسلام ، لذا فهم لا يفترون عن تشكيك ابناء المسلمين فى قدرته على علاج مشاكل بلادهم وذلك عن طريق كتاب يحملون اسماء مسلمة ويعلم الله ان الاسلام منهم براء هم يكتبون ذلك — عن جهل أو علم — بغية عرض زائل من جاه أو مال . اننى لا الوم هؤلاء الكتاب المأجورين فهم مرضى بعلل وعقد نفسية رأيناهم فى عصور سابقة وسنراهم فى عصور قادمة ولكنى اشفق على هذا النفر المخدوع ممن يحملون على ظهورهم شهادات جامعية — لأنهم اغلقوا

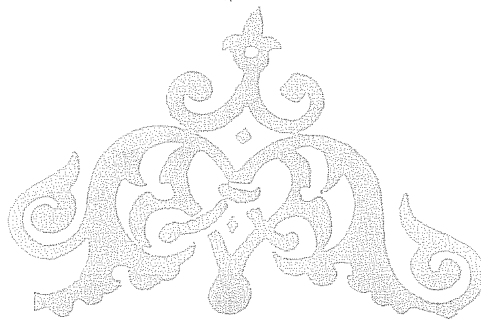
عقولهم وطمسوا تفكيرهم ورضوا بثقافة سطحية تمسخ فيها شخصية المثقف وينعدم كيانه فى إطارها ، ان أعداء الحرية من الطامعين والمغامرين ومن دار فى فلكهم ممن ينتسبون ظلما الى الاسلام يهدفون الى اذابة شخصيتنا وتراثنا الاسلامى المتين بتحطيم القيم العليا فى نفوس الجامعيين مع تثبيت المعانى الخاطئة التى تدعو بصورة مباشرة أو غير مباشرة الى اقصاء الشريعة الاسلامية عن نظام حياتنا فى جميع نواحيها ، حتى اذا مانجحوا فى قتل شخصيتنا المسلمة المؤمنة سهل على الدخلاء حينئذ ان يتلاعبوا بمصير شعوبنا واستنزاف خيراتها .

والعجيب فى الامر أن نغمة التعصب الدينى لا نسمعها الا من أفواه التافهين من أبناء هذا الاسلام المنكوب بهم وفى دياره الغريب عنها . لم أسمع به فى بلاد الغرب (حيث قضيت بها قرابة الخمس سنوات) ولم يجرؤ انسان على التفوه بهذا الكلمة فى بلادهم فى الوقت الذى تقام فيه المناظرات والمحاضرات (المبيتة) فى جامعاتهم وأنديتهم يدعون اليها أبناء المسلمين المغتربين ثم يهاجمون الاسلام علنا ويطعنونه بما ليس فيه افتراء وكذبا ودسا وتدليسا . لم يتطوع احد من هذا النفر المفتون على علم بالقول بان فى الغرب والشرق من يتعصب ضد الاسلام والمسلمين ، إن الاسلام فيه من السماحة ومتانة البنيان ما حدا بشيخ الاسلام ابن تيمية بأن يكتب فى رسالة له لسرجون ملك قبرص يؤكد فيها وجوب المساواة فى الحقوق والاحكام بين جميع من يظلهم سلطان الاسلام وذلك فى معرض اصراره على اطلاق سراح الاسرى من المسلمين والنصارى واليهود على السواء قال ابن تيمية رضوان الله عليه ونحن قوم نحب الخير لكل أحد ونحب أن يجمع الله لكم خيرى الدنيا والآخرة فان أعظم ما عبد الله به نصيحة خالصة وبذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين ولا نصيحة اعظم من النصيحة فيما بين العبد وبين ربه فانه لا بد للعبد من لقاء الله ولا بد ان الله يحاسب عبده كما قال تعالى ((**فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين**)) .

وفى هذا العصر بلغ من تسامح المسلمين وغفلتهم ان الاسلام لا يطعن علنا وعلى صفحات الصحف والمجلات من أبنائه العاقين فحسب بل ومن أبناء الملل الأخرى ولا تجد من يحرك ساكنا أو يقول ان هناك تعصبا ضد الاسلام فتلك حرية الرأى (الجائر الظالم) ولا حرية للمدافعين عن كرامتهم ودينهم وشعائر اسلامهم فهؤلاء متعصبون جامدون لا مكان لهم فى هذا المجتمع المتحرر المتطور ، ياهؤلاء انكم والله تصغرون فى أعين اسيادكم الملاحدة فالانسان

لا يحترم الثقافة السطحية ولا التهافت الرخيص ولا ادعاء المرء بما ليس فيه ولا بتحطيم مثله وتقاليده ودينه ارضاء لأسياده فهم حين يفرغون منه يلفظونه لفظ النواة ويكون بذلك قد خسر الدنيا والآخرة .. لقد انتزع المؤمنون فى بلاد الغرب احترام الغربيين وتقديرهم ليس بمسايرتهم والتملق لمدنيتهم فهم يعلمون انها خلو من مكارم الاخلاق ولكن بتمسكهم باهداف دينهم قولا ومسلكا . انكم والله لو ذقتم شعور الاستعلاء بالايمان وبالانتساب الى الاسلام العظيم وما فيه من طلاوة ولذة تفوق متاع الدنيا بأسرها لتمسكتم باهداف هذا الدين ولما رضيتم لأنفسكم هذا الهوان الذى تترددون فيه من حيث لا تشعرون ، ان الدلائل كلها تشير الى أن المستقبل لهذا الدين وحينئذ سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، لقد فشلت المدنية الغربية بما فيها من تفوق مادى — لا ننكره — ان تتغلب على هذا التخبط الجاهل فى عالم الروح والمثل العليا وفى الاسلام العظيم المشتعل الذى يضىء للبشرية الطريق ويخرجها من ظلمات الجهالة الى نور الحق وهو كذلك من لدن محمد بن عبد الله صلوات الله عليه الى ان يرث الله الارض ومن عليها والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

الدكتور سالم نجم





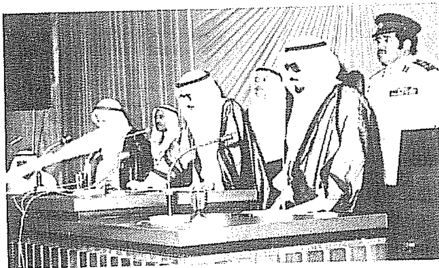
اعداد الاستاذ : فهمى الامام

الكـــويت :



● عاد سمو أمير البلاد المعظم بحفظ الله ورعايته الى أرض الوطن والوفد المرافق له بعد أن شارك مشاركة فعالة فى مؤتمر القمة العربى السابع الذى عقد فى مدينة الرباط بالمغرب .

وقد جرى لسموه استقبال رسمى وشـــعبى هائل وكان فى مقـــدمة مستقبليه سمو ولى العهد ورئيـــس مجلس الوزراء .



● افتتح حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح الســـالم الصباح دور الانعقاد العادى الخامس المكمل للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة .. ويبدو فى الصورة سموه وهو يلقى خطاب الافتتاح .

● يبدو فى الصورة وفد دولة الكويت الى مؤتمر القمة العربى الســـابع برئاسة حضرة صاحب السمو أميرالبلاد المعظم .

● أعربت الكويت عن ارتياحها للاتفاق الذى تم بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية تحقيقا للتضامن العربى والذى هو ضرورى لمواجهة اسرائيل وللتصدى لاحتمال وقوع حرب أخرى وللرد على التهديدات الأمريكية .

● رفع الأستاذ راشد فرحان وزيـــر الأوقاف والشؤون الاسلامية تقريرا الى مجلس الوزراء عن نتائج زيارته للصومال ضمنه معلومات كاملة عن مشروع انشاء المعهد الدينى الاسلامى فى الصومال الذى سيقوم بمهمـــة الدعوة للاسلام فى افريقيا واعـــداد نشء يحمل رسالة الاسلام .

● سيمثل الكويت الاستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية فى مؤتمر علماء المسلمين الذى سوف يعقد فى القاهرة فى ١٥ نوفمبر الحالى .

● زار الحاج عمر عبد الله مستشار جزر القمر وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية عقب عيد الفطر المبارك .

● كان فى ضيافة وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الشيخ على عبد الرحمن الصوفى .. من كبار علماء الصومال — خلال شهر رمضان الماضى .

● تبرعت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بعدد ١٠٠٠ مروحة لمساجد الصومال ، وعدد ٢٠ مروحة و ٢٠ بساطا لمسجد القرآن الكريم بمديشيو .

القاهرة :

● زار وفد اسلامى برياسة الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية جنوب تايلند ، وتفقد الوفد المشروعات الحكومية لخدمة المسلمين .. كانشاء المساجد وترميمها .. هذا . وقد قررت الحكومة التايلاندية إقامة مراكز للتدريب المهنى ، وطبع تفسير القرآن الكريم باللغة القومية وتوزيعه على المسلمين ، وادخال تعليم اللغة العربية والدين الاسلامى فى المدارس الحكومية .

● أنتخب الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية رئيسا للجنة التحضيرية للمهرجان الثقافى الاسلامى المقرر عقده فى لندن عام ١٩٧٦م .

السعودية :

● تقرر انشاء كلية جديدة فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة تحت اسم (كلية القرآن الكريم) وهى أول كلية من نوعها فى العالم الاسلامى تهتم بدراسة علوم كتاب الله وإعجازه وبلاغته ، ومن أول شروط الالتحاق بها حفظ القرآن الكريم كاملا .

سوريا :

● دعت سوريا لمزيد من التضامن العربى لمواجهة المخاطر الحقيقية ، وصرح المسئولون بأن الحرب مع اسرائيل لم تنته بعد ، وأن الاستعدادات قائمة لمواجهة أى احتمال .

أبو ظبى :

● بحث السيد وزير الشئون الاسلامية والأوقاف فى دولة الامارات مع الوفدالاسلامى المصرىالذى زار دولة الامارات وسائل دعم التعاون بين دولة الامارات ومختلف الهيئات الاسلامية فى نشر الثقافة الاسلامية وفى مقدمتها طبع المصاحف واحياء التراث الاسلامى .

ليبيا :

● نص تعديل أجرى على قانون العقوبات الخاص بتحريم الخمر على أن شهادة متعاطىالخمر غير مقبولة وعلى عدم صلاحيته لتولى مناصب رئيسية أو قيادية أو بقائه فيها .

المغرب :

● اختتم مؤتمر القمة العربى السابع — والذى انعقد فى مدينة الرباط — أعماله متخذا القرارات والتوصيات المناسبة للنهوض بالأمة العربية والاسلامية والتصدى للعدوان الاسرائيلى .

● قرر الملوك والرؤساء العرب أن يعقد مؤتمر القمة العربى الثامن فى شهر يونيو عام ١٩٧٥م .

● قال جلالة الملك الحسن فى مؤتمره الصحفى باسم جميع الدول العربية : إن على الولايات المتحدة واسرائيل أن تعترفا بأن منظمة التحرير الفلسطينية شريك فى جهود السلام أو تواجها معا التهديد بصدام جديد تكون الغلبة فيه للعرب .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو القعدة ١٣٩٤	نوفمبر ١٩٧٤	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)						المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الجمعة	١	١٥	٤ ٣٩	٦ ١٠	١١ ٣١	٢ ٣١	٤ ٥٢	٦ ١٣	١١ ٤٧	١ ١٨	٦ ٣٩	٩ ٤٠	١ ٢١
السبت	٢	١٦	٤٠	١١	٣١	٣١	٥١	١٢	٤٩	٢٠	٤٠	٤٠	٢١
الاحد	٣	١٧	٤١	١٢	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
الاثنين	٤	١٨	٤٢	١٣	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
الثلاثاء	٥	١٩	٤٣	١٤	٣٢	٣٠	٥٠	١١	٥٣	٢٤	٤٢	٤٠	٢٢
الاربعاء	٦	٢٠	٤٤	١٤	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٤	٢٥	٤٣	٤٠	٢٢
الخميس	٧	٢١	٤٥	١٥	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٥	٢٦	٤٣	٤٠	٢٢
الجمعة	٨	٢٢	٤٥	١٦	٣٣	٣٠	٤٩	١١	٥٦	٢٨	٤٤	٤٠	٢٢
السبت	٩	٢٣	٤٦	١٧	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٧	٢٩	٤٥	٤٠	٢٢
الاحد	١٠	٢٤	٤٧	١٨	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٨	٣٠	٤٥	٤١	٢٢
الاثنين	١١	٢٥	٤٨	١٩	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٩	٣١	٤٦	٤١	٢٢
الثلاثاء	١٢	٢٦	٤٨	٢٠	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	١٢٠٠	٣٢	٤٦	٤١	٢٢
الاربعاء	١٣	٢٧	٤٩	٢١	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الخميس	١٤	٢٨	٥٠	٢٢	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الجمعة	١٥	٢٩	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
السبت	١٦	٣٠	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٣
الاحد	١٧	ديسمبر	٥٢	٢٤	٣٦	٢٩	٤٨	١١	٤	٣٦	٤٨	٤١	٢٣
الاثنين	١٨	٢	٥٣	٢٥	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الثلاثاء	١٩	٣	٥٣	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الاربعاء	٢٠	٤	٥٤	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الخميس	٢١	٥	٥٤	٢٧	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣
الجمعة	٢٢	٦	٥٥	٢٨	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٧	٤٠	٥٠	٤١	٢٣
السبت	٢٣	٧	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤١	٢٣
الاحد	٢٤	٨	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الاثنين	٢٥	٩	٥٧	٣٠	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الثلاثاء	٢٦	١٠	٥٨	٣١	٤٠	٣٠	٤٩	١٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاربعاء	٢٧	١١	٥٩	٣٢	٤٠	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الخميس	٢٨	١٢	٥٩	٣٢	٤١	٣١	٢٩	١٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الجمعة	٢٩	١٣	٥ ٠٠	٣٣	٤١	٣١	٤٩	١٣	١٠	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
السبت	٣٠	١٤	٠٠	٣٤	٤٢	٣٢	٥٠	١٣	١١	٤٤	٥٢	٤٢	٢٤

أم المؤمنين السيدة جويرية رضى الله عنها

اسمها : جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن جديمة وهو المصطلق بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ــ الخزاعية المصطلقية .
وقيل : كان اسمها (برة) فسماها الرسول صلى الله عليه وسلم (جويرية) كراهة أن يقال : خرج من عند (برة) .

زواجها : كانت زوجة مسافع بن صفوان المصطلقى (فى أصح الروايات) ولما غزا النبى صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق .. وقعت جويرية فى سهم ثابت بن قيس (فى أصح الروايات) .
فكاتبته على نفسها .. وأتت الرسول صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها . قالت : « يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابنى من البلايا ما لم يخف عليك ، وقد كاتبت على نفسى فأعنى على كتابتى » .
فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أوخير من ذلك .. ؟ أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك » .
فقالت : نعم .. وكان زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فضلها : لما بلغ الناس أن رسول الله تزوج جويرية .. كرهوا أن يكون أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى عندهم . فأعتق الله ببركتها مائة أهل بيت من بنى المصطلق .

قوة ايمانها : جاء أبوها فقال للرسول : إن ابنتى لا يسبى مثلها فخل سبيلها . فقال : « أرأيت إن خيرتها أليس قد أحسنت .. ؟ » قال : بلى . فأتاها أبوها فذكر لها ذلك . فقالت : اخترت الله ورسوله .

روايتها للحديث : روت عن النبى أحاديث وروى عنها ابن عباس وجابر وابن عمر وغيرهم .

وفاتها : انتقلت الى جوار ربها سنة خمسين أو ست وخمسين من الهجرة عن عمر يناهز خمسة وستين عاما وصلى عليها مروان .. رضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

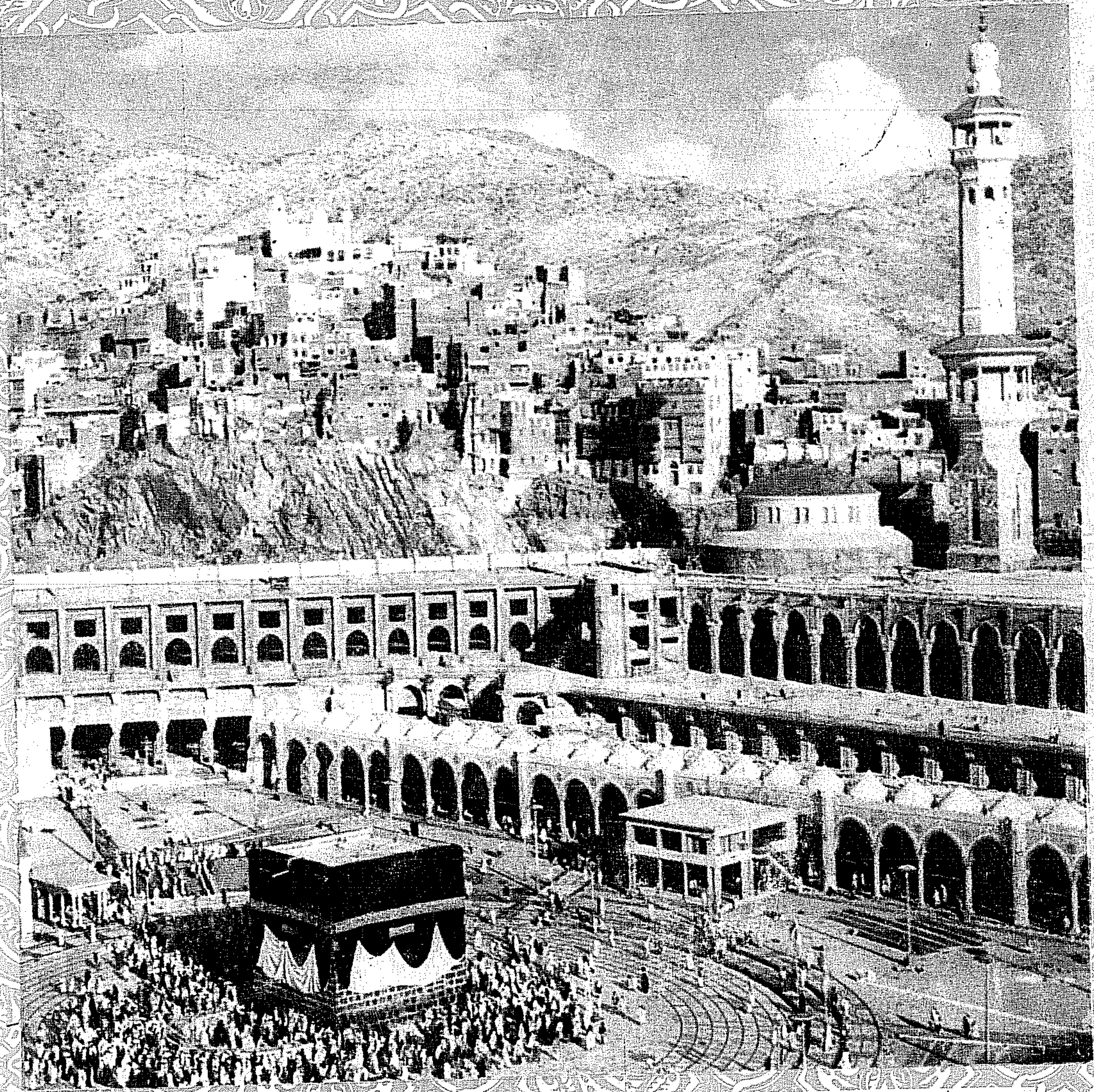
مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازى : مكتبة الخـــراز — ص.ب : (٢٨٠) .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شـــارع فرنســا .
المغـــرب	:	الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة — ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة — ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسســة العروبة — ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



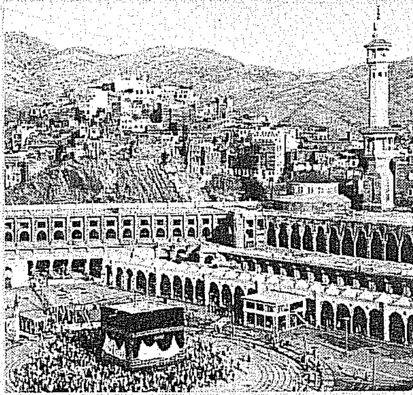
العـدد (١٢٠) غرة ذى الحجة ١٣٩٤ هـ ـ ديسمبر ١٩٧٤ م .

الحج أشهر معلومات

فمن فرض فيهن الحج فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال في الحج
وما تفعلوا من خير يعلمه الله
وتزودوا فإن خير الزاد التقوى
واتقون يا أولي الألباب

« آية ١٩٧ سورة البقرة »

صورة الغلاف :



الكعبة المشرفة

« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » .

(صدق الله العظيم)

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١٢٠

غرة ذى الحجة ١٣٩٤ هـ

ديسمبر ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الافراد فشتركون رأسا

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ـ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ ـ كويت ـ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسلام والعلاقات الاجتماعية

للاستاذ احمد البسيوني

الاسلام دين الله : جاء لاصلاح الحياة ، وقيادة مسيرتها على طريق الخير والحب ، وقد أراد لهذا الدين العام الخالد ، أن يكون المنهاج الكامل ، للحياة الفاضلة ، فهو يقيم العلائق بين الناس جميعا ، على اساس من التراحم والتكافل ، ويجعل المحبة ، هي الرباط الأول والأوثق في حياة البشرية ؛ والخير في نظر الاسلام ، هو غاية الغايات في هذه الحياة ، وهو المقصد الأعظم لجميع العبادات التى شرعها الله للناس .. والخير ، شعار هذه الأمة ، وطريقها الى الفلاح والنصر « وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » ٧٧ سورة الحج، وهو غايتها التى تنشط لادراكها ، وتسبق الناس الى الظفر بها « أولئك يسارعون فى الخيرات ، وهم لها سابقون » ٦١ سورة المؤمنون « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات » ١٤٨ سورة البقرة .

والتعاون مبدأ من مبادىء الاسلام، التى أرسى قواعدها في المجتمع الانسانى ، لأنه ضرورة من ضرورات الحياة ، فأعباء الدنيا ثقال ، والانسان وحده عاجز عن النهوض بها ، والمرء قليل بنفسه ، كثير باخوانه ، فاذا ما تضافرت القوى ، وتساندت الجهود هانت الشدائد ، وخف وقعها على الناس .. والتعاون (ضريبة) انسانية ، يؤديها المرء ، زكاة عن عافيته وجاهه .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ، ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ، ما كان العبد فى عون أخيه » .

(رواه مسلم)

فرضت على زكاة ما ملكت يدى
وزكاة جاهى أن أعين واشفعا

والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، لا يريد أن يعرفنا الخير تعريفا نظريا فلسفيا ، فذلك يجعل مفهومه حائرا غامضا فى أذهان المسلمين ، ولكنه يأخذ بيدنا الى مجالات الخير ، ويرشدنا الى أبوابه المتعددة فى الحياة .. وفى الحديث الشريف الذى معنا ، يقرر الاسلام أعظم أصل من أصول المدنية الفاضلة ، وأقوم مبدأ من مبادىء الاصلاح الانسانى العام ، وذلك هو مبدأ التراحم ، والتكافل الاجتماعى ، الذى يقوم على كثير من الفضائل الخلقية الرشيدة ، وان هذا الحديث الجامع ، لا يستطيع الانسان أن يمر به ، دون أن يقف عند كل جملة من جمله ، وقفة طويلة ، فيها أعظم الذكرى « لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة :

القاعدة التى تقوم عليها المعاملة العادلة فى الاسلام ، أن الجزاء من جنس العمل ، بمعنى أن كل من عمل عملا ، خيرا كان أم شرا ، جوزى عليه جزاء مطابقا لجنس هذا العمل ، فمن يسر يسر عليه ، ومن شدد شدد عليه ، ومن أنفق ينفق الله عليه ، ومن أحب الله ، أحبه الله .. وهكذا .. وقد تكاثرت النصوص فى الاسلام ، تؤيد هذا المعنى وتؤكده كقوله صلى الله عليه وسلم : « انما يرحم الله من عباده الرحماء » « احفظ الله يحفظك » « من أقال مسلما أقال الله تعالى عثرته » « يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط ، وأجوع ما كانوا قط ، وأظمأ ما كانوا قط ، وأنصب ما كانوا قط ، فمن كسا لله ، كساه الله ،

ومن اطعم لله ، أطعمه الله ، ومن سقى لله ، سقاه الله ، ومن عفا لله ، اعفاه الله » « ان الله تعالى يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا » « من لا يرحم لا يرحم » « من اخذ شبرا من أرض ، طوقه يوم القيامة من سبع أرضين » وكقوله تعالى : « فاذكرونى أذكركم » (البقرة ١٥٢) « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » (البقرة ٤٠) « ان تنصروا الله ينصركم » (محمد ٧) .

ونفّس : أزال وفرج ، من تنفيس الخناق ، أى ارخائه حتى يتمكن المختنق من أن يأخذ له نفسا ، فمن اعان أخاه على شدة نزلت به ، فكأنما خلى بين رئتيه ، وبين الهواء المنطلق، تعبت منه بعد طول احتباسها عنه ، وفى ذلك سلامتها ، وحفظ حياة صاحبها . والكربة . الشدة العظيمة التى توقع صاحبها فى الكرب وشدة الغم ومنه الحديث « كان صلى الله عليه وسلم اذا أتاه الوحى كرب له » اى أصابته منه شدة وجهد .

وتنفيس الكربة ، أن يخفف وقعها عن المكروب، بأن يعينه بنفسه ، أو ماله ، أو جاهه ، أو رأيه ومشورته ، أو اظهار العطف عليه ، والمشاركة له فى المحنة ، ولذلك اثر طيب فى نفوس المكروبين ، وفى خلق المجتمع المتراحم المتواصل ، وخص المؤمن بالذكر ، لمزيد شرفه وحرمته ، فالثواب فيما يفعل معه من الاحسان آكد ، والا فالمراد هنا التفريج عن أى نفس مكروبة كائنة ما كانت، والتعاون فى الاسلام مفروض بين الناس جميعا ، مراعاة لرابطة الاخوة الانسانية ، وفى الحديث الشريف : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء » وحتى البهيمة تدخل فى ذلك أيضا ، لما ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن سقيها فقال : « فى كل كبد رطبة صدقة » وأخبر أن بغيا ، سقت كلبا يلهث من شدة العطش ، فشكر الله لها ، فغفر لها .

والرحمة الاسلامية ، رحمة جماعية ، تعم ولا تخص ، تبسط جناحيها على الكون كله ، على البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، والانسان والحيوان .. لقد قال بعض الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم : لقد اكثرت يا رسول الله من الرحمة، وانا نرحم أزواجنا وأولادنا . فقال الرسول الرحيم : « ما هذا أريد ، انما أريد الرحمة بالكافة » !

وخص الجزاء هنا بتفريج كرب يوم القيامة ، لأن كرب الدنيا بالنسبة الى كرب الآخرة كلا شيء ، فادخر الله تعالى جزاء تنفيس الكرب عنده ، لينفس به كرب الآخرة ، ومن ظفر بهذا فقد فاز فوزا عظيما ، ومقابلة كربة الآخرة بكربة الدنيا ، ليس معناه انها حسنة بحسنة ، فان قانون الجزاء فى الاسلام ، يجعل الحسنة بعشر أمثالها ، والسيئة بمثلها ، قال تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ، وهم لا يظلمون » (الأنعام ١٦٠) فان الكربة الواحدة من كرب يوم القيامة ، تشتمل على اهوال كثيرة ، وأحوال صعبة ، ومخاوف جمة ، مما يجعلها تعدل فى ميزان الجزاء كربا كثيرة من كرب الدنيا ، فقد تعدل عشرة منها أو تزيد ، وان يوم القيامة يوم عبوس قمطرير ، تكتنفه الأهوال ، ويغشى فيه الناس من الكرب ما تذهل به عقولهم قال تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ،

وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد » (الحج ١ ، ٢ يتلمس الناس في هذا اليوم ، منافذ الى رحمة الله وعفوه ، ولا شيء يزيح هذه الكروب ، الا ما قدم الناس من صنائع المعروف ، فرب متصدق على جائع بتمرة ، أو باذل شربة ماء لذى كبد رطبة ، ينجو بما قدم من هول ما يلقى ، فكل انسان يومئذ ، فى ظل خيره وبره يقول المعصوم صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » وخرج البيهقى من حديث انس مرفوعا « ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار ، فيناديه رجل من اهل النار : يا فلان هل تعرفنى ؟ فيقول : لا والله ما اعرفك ! من انت ؟ فيقول : انا الذى مررت بى فى دار الدنيا فاستسقيتنى شربة من ماء فسقيتك ، قال : قد عرفتك ، قال : فاشفع لى بها عند ربك ، قال : فيسأل الله تعالى فيقول : شفعنى فيه فيؤمر به فيخرجه من النار » .

ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة :

العسر : هو الضيق والشدة ، والمعسر : هو من عليه دين ، وتعسر عليه أداؤه ، أو هو من ضاقت ذات يده ، ولم يجد لديه ما يكفى لسد حاجته . وبعد أن ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم تنفيس الكرب فى عمومها ، سواء كان سببها قلة المال ، أو اضطراب الحال ، أو الأزمات النفسية ، التى يكون مبعثها الحزن على فائت ، أو الخوف من مستقبل ، ذكر التيسير على المعسر ، وذلك يكون بالابراء ، والهبة ، والصدقة ، وعدم مطالبته بالدين ، حتى يبدل الله عسره يسرا كما قال تعالى : « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » (البقرة ٢٨٠) أو يضع عنه الدين ، ويبرىء ذمته منه ، ابتغاء وجه الله ، فيقيه بذلك هم الليل ، وذل النهار ، أو يعطيه من المال ما يزول به اعساره ، وكلاهما له فضل عظيم . ففى الصحيحين : « كان رجل يداين الناس ، فكان يقول لفتاه : اذا اتيت معسرا فتجاوز عنه ، لعل الله أن يتجاوز عنا ، فلقى الله فتجاوز عنه » .. وفى رواية قال الله : « نحن أحق بذلك منه ، تجاوزوا عنه » ! وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة ، فلينفس عن معسر أو يضع عنه » وفى حديث آخر : « من انظر معسرا ، أو وضع عنه ، أظله الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله » ويقول عليه الصلاة والسلام : « من أراد أن تستجاب دعوته ، وتنكشف كربته ، فليفرج عن معسر » واقراض المحتاج من أعظم درجات المعروف ، وافضل القربات عند الله ، لأن صاحب القرض ، لا يطلب الا محتاجا ، فهو أعظم أجرا من الصدقة ، لأنها ربما وقعت على غير اهلها .

ومن ستر مسلما ، ستره الله فى الدنيا والآخرة :

ستر العيوب فضيلة ، والمتصف بها متخلق بأخلاق الله عز وجل ، وقد تتابعت النصوص تشيد بهذه الفضيلة ، وتعلى من شأنها ، وتنهى عن رذيلة كشف العيوب ، وتتبع العورات .. فقد احرج ابن ماجه : « من ستر عورة أخيه ، ستر الله عورته يوم القيامة » واخرج احمد وابو داود والترمذى : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الايمان فى قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فان من تتبع عوراتهم ، تتبع الله عورته ، ومن

تتبع الله عورته ، يفضحه فى بيته »
والستر المطلوب ، انما هو على من لم يشتهر بالأذى والضرر ، فهذا لا يستر عليه ، بل يجب اظهار حاله للناس ، حتى لا يخدعوا فيه ، فيقعوا فى شره ، أما المستور الحال الذى لا يعرف بشىء من المعاصى ، فاذا بدرت منه هفوة ، أو وقعت منه زلة ، فلا يجوز هتكها والتحدث بها .. هذا كله فى ستر معصية وقعت وانقضت، أما المتلبس بالمعصية فعلا ، فالواجب زجره ولا يحل تركه ، ومن عجز لزمه رفع الأمر الى الحاكم ، اذا اقتضى الأمر ذلك ..

أما الشهود ، والأمناء على شئون الدولة ، والقائمون على مصالح الناس ، فيجب كشف عيوبهم عند الحاجة الى ذلك ، حتى توضع أهليتهم فى ميزانها الصحيح ، وليس تجريحهم من الغيبة المحرمة ، بل هو من النصيحة الواجبة ..

والله فى عون العبد ، ما كان العبد فى عون الله :

هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، فهذه الجملة ، شاملة لجميع الفضائل التى تضمنها الحديث، والاعانة فيها مطلقة فى أى زمان أو مكان ، بالرأى ، وبالبدن ، وبالمال ، وبالجاه والسلطان، وهى دائمة بدوام كون العبد فى عون أخيه ، وهذا المبدأ ينطوى على جميع أنواع المساعدات، ما كان منها فى عصر النبوة ، أو وجد بعد ذلك على توالى العصور ، مهما تنوعت أساليب المعونة، وتعددت وسائلها ، وذلك يشمل مشروعات البر ، والخدمات الاجتماعية ، وكل ما من شأنه توطيد دعائم التعاون بين الأفراد والجماعات .. وفى تاريخ المكرمات فى الاسلام صور مشرقة للتعاون مع الغير ، واغاثة الملهوف ، وقضاء الحوائج ، نسجل منها ما يجب على كل مسلم أن يعيه ، ويفاخر به ، ويغالى بقيمته ، فهو دليل على أن الاسلام تتفجر تعاليمه برا ورحمة ، لتفيض على الناس أجمعين سماحة ونبلا ..

عن الحسن أنه أمر ثابتا البنانى بالمشى فى حاجة له ، فقال : أنا معتكف ! فقال له الحسن : يا أعمش ! أما تعلم أن مشيك فى حاجة أخيك المسلم ، خير لك من حجة بعد حجة ..

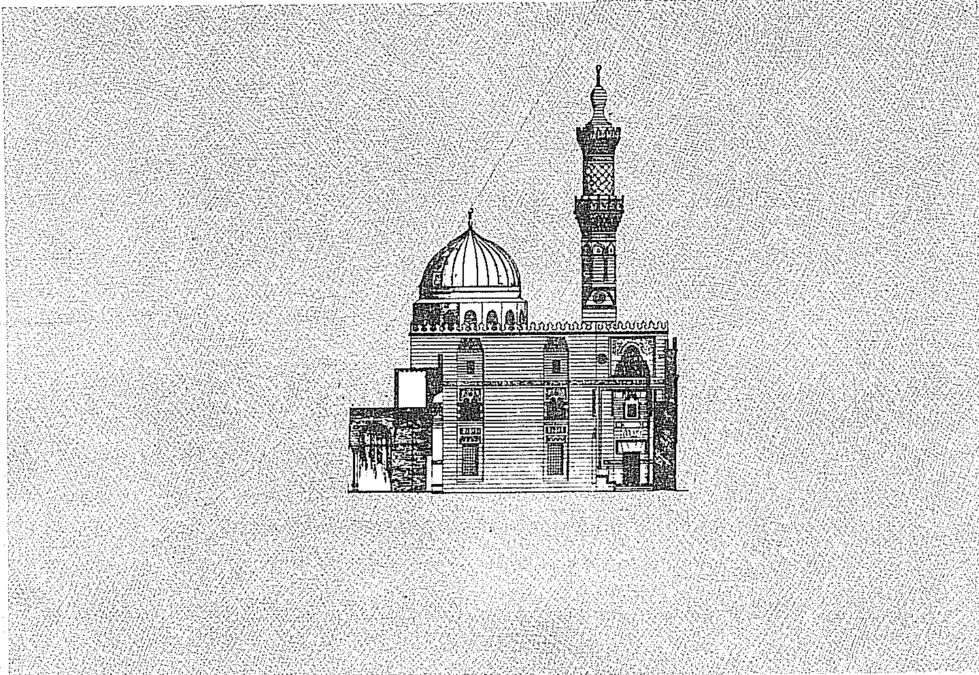
وروى الامام أحمد أن خباب بن الأرت خرج فى سرية ، فكان صلى الله عليه وسلم يحلب عنز العيالة ، فتمتلىء الجفنة حتى يفيض حلابها عن سابق عهده .

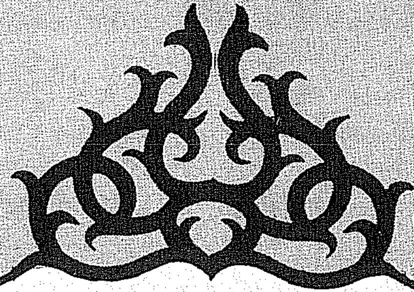
وكان أبو بكر يحلب للحى أغنامهم، لأن العرب كانوا يستقبحون أن تحلب النساء ، فلما استخلف أبو بكر ، قالت جارية من الحى : الآن لا يحلب لنا ! فقال أبو بكر : بلى ، وانى لأرجو الا يغيرنى ما دخلت فيه ، عن شىء كنت أفعله ، واستمر يحلب لهم ..

وكان عمر — رضى الله عنه — يتعاهد الأرامل ، فيستقى لهن الماء ، ويخرج عنهن الأذى ، ويكنس لهن البيوت ! ورآه طلحة مرة داخلا بيت امرأة ليلا ، فدخل لها نهارا ، فاذا هى عجوز عمياء مقعدة ، فقال لها : ما يصنع هذا الرجل عندك ؟ فقالت له : منذ كذا يتعاهدنى بما يقوم بى من البر ، وما يصلح لى شأنى ! فقال طلحة لنفسه : ثكلتك أمك يا طلحة ! أعورات عمر تتبع ؟! كما كان الخليفة العظيم ، يتفقد بيوت المدينة ليلا ، فيوفر لها الأمن ، ويقضى حاجة

المحتاج ، ويعالج مشاكل النــاس ، ويكرم الغرباء الضاربين خيامهم حول المدينة ، ويؤلمه بكاء صبي في جوف الليل ، فلا تهدأ نفسه حتى يكفكف دموعه !!

وهكذا .. يضع الرسول الكريم في هذا الحديث ، الأساس الذى تقوم عليه المعاملات بين الناس ، ويوضح الاسلوب الذى تعالج به الواجبات تجاه العلاقات الانسانية ، فهو يجعل الصلة بين الناس تستمد خصائصها من منابع نقية لا تكدرها شــوائب المادة ، ولا تزجيها الأطماع والمنافع ، ولكن يحركها الحب فى الله ، والرغبة الصادقة فى مرضاته ، والتمــاس الحسنى فى الدار الآخرة ، وهذه هى حقيقة الايمان ، وصفة أولياء الله ، أصحاب البواعث الربانية الطاهرة ، الذين يقدم الرسول العظيم لهم هذه الصورة الكريمة فيقول : « ان من عباد الله أناسا ، ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله تعــالى » قالوا : يا رسول الله من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله ، على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى منابر من نور ، ولا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس ، ثم تلا هذه الآية : « الا ان أوليــاء الله ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون » .





في اليهود مادية جامحة ولا إنسانية في السلوك

ظلمهم لأنفسهم ولغيرهم ..

كفرهم وصدهم عن سبيل الله ..

قتلهم الأنبياء بغير حق ..

شيوع الربا فيهم ، وانتشاره منهم ..

أكلهم السحت والأموال بالباطل ..

لجاجتهم فى السؤال وعدم وفائهم ..

تطاولهم .. وتدنيهم فى المعتقد والسلوك ..

للأستاذ الدكتور محمد البهى

من أجل خطورة (الربا) فى المجتمع على سلامة توجيه الانسان وجهده فى الحياة ، وأدائه لرسالته فيها كان قول القرآن الكريم ..

« يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين .. فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله . وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة . وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

فكان هذا القول فيصلا بين ماض وحاضر :
ماض .. تصفى رواسبه من بقايا هذا الوباء فى حزم واصرار **« فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » !**

وحاضر .. يبدأ بداية انسانية كريمة ، فصاحب المال يأخذ ماله فقط دون اضافة أو زيادة عليه **« وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون »** .

وصاحب الحاجة المستضعف يدفع ما اقترضه فحسب اذا كان ذا قدرة على الدفع والا أرجىء الى ميسرة فيه بعد ذلك **« وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » !!**

على أن أصحاب رؤوس الأموال لو علموا الخير لأنفسهم لتنازلوا فى اقتناع نفسى عما قدموه من قروض دون انتظار لاستردادها ممن أخذوها منهم وهم فى حالة عسر **« وان تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون »** .

انهم بهذا التنازل يعملون على أن تستل الاحقاد من نفوس الضعفاء ويعود لها صفاؤها .. وبالتالى ترجع العلاقات فى المجتمع الى وضع طبيعى ، تقوم على امة متماسكة تؤدى رسالتها خير اداء .. !

وهذا الاجراء — كما تلزم الآية الأخذ به — يتسم (بروح الثورة) .. !!

ان الثورة تقوم على دعامتين :

أولاهما : تصفية رواسب الماضى الضعيف المعوق لقيام المجتمع الجديد .

وثانيهما : أخذ الحياة المستقبلة للأفراد والمجتمع على هدى من مبادىء جديدة ، بحيث تتركز يوما بعد يوم وبحيث يزداد انعكاس أثرها فى وضوح على علاقات الأفراد ، وفى تحقيق أهداف مجتمعهم المنشود وهى تلك الاهداف التى قام المجتمع الجديد لتحقيقها ..

وشأن الثورة الا تتراجع ، وألا تترك الحبل على الغارب ، والا تسير طواعية أو كرها فى تجاهل ما يقع .. والا ما عادت ثورة بل تغدو أمرا مألوفا ، والا ما قام مجتمع جديد ، بل يصبح الوضع عندئذ استمراراً للقديم ..

ومن هذه الروح الثورية الحازمة ، فى قطع دابر الربا فى المجتمع الاسلامى .. ينهج القرآن منهجه أيضا فى أن يقابل هذا الاجراء فى الأفراد بروح زكية وبدفع ذاتى قوى ، فيقول :

« وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون » !

ان القرآن يعكس المعادلة المألوفة التى كانت جارية لدى القوم ..

كانوا يحسبون أن الربا — وهو زيادة — يضيف الى المال مالا جديدا .. وأن الانفاق ابتغاء وجه الله ولصالح المجتمع — وهو اخراج وانقاص للمال — ينقص المال ولا يبقيه عند حده .. !!

ولكن أصبح الأمر على الضد فى حساب الاعتقاد والايمان !!

وطالما اعتقدوا وآمنوا ، فهم سعداء بما يعملون طبقا لاعتقادهم وايمانهم .. !!

والربا في تاريخ البشرية لم يشع في جماعة على نحو ما شاع في جماعة (اليهود) ، ولم يروجه فريق من الناس مثل ما روجه اليهود منذ فجر التاريخ البشرى حتى اليوم .. ورغم ما جاءهم من الرسل محذرين ومنذرين فانهم لم ينتهوا أبدا ، واغلب الظن انهم لن ينتهوا ..

يقص القرآن الكريم عنهم :

« وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعـدوان ، واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون » ..

« فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبـات أحـلت لهم ويصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ، واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما » ..

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

فمن مثل هذه الآيات ، وكذلك من واقع التاريخ الى اليوم .. نجد اليهود يتميزون بالظواهر النفسية الآتية :

أولا : باعتدائهم على الحق وأصحاب الرسالات الانسانية ، بالقتل والعناد فى المعارضة .

ثانيا : بصدهم عن سبيل الله ، وهى سبيل الخير العام فى الأمم والشعوب ، وباستئثارهم بالمصلحة لهم وحدهم .

ثالثا : بالمادية الجارفة التى تتمثل فى أكل أموال النـاس بالبـاطل ، وباسـتخدام الربا كطريق رئيسى لاستثمار المـال واستغلاله .

رابعا : بارتكـاب وسائل الظلم ولو ضد أنفسهم .

« واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان » .

خامسا : بعدم وفائهم بالعهود والمواثيق ، ربما كان لتمـكن الاتجاه المادى فيهم — عن طريق الوراثة — الأثر الاول فى مصاحبته الظواهر الاخرى لتصرفاتهم ومواقفهم ..

وقد تجاوز هذا الأثر لماديتهم الطاغية تصرفاتهم العملية الى ايمانهم القلبى وعقيدتهم النفسية .. فليست هناك أمة أو مجموعة من الناس أرسل رسول اليها فى التاريخ وطالبته برؤية الله عيانا ومشاهدة مثل ما فعل اليهود .

« واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » .

وليست هناك أمة أو مجموعة من الناس طلبت تغيير الطعام ولو الى أدنى فى المستوى واهتمت بمذاقه مثل ما فعل بنو اسرائيل مع موسى :

« واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها ، وعدسها وبصلها ، قال اتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله . ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » . وليست هناك أمة أو مجموعة من الناس امتد بها التطاول بالمال والتفاخر به الى أن تصف نفسها بالغنى بينما تصف الله بالفقر سوى جماعة اليهود ..

« لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق .. » .

مادية جامحة .. فى الاعتقاد ..

ومادية أخرى جامحة .. فى التصرف والسلوك .. !

هذه المادية الجامحة .. فى طرفيها العملى والعقيدى تساوى : « لا انسانية » فى المعاملة .. !!

و (الربا) .. والاصرار على التعامل على أساسه ظاهرة طبيعية لدى من فقد الانسانية وتمكنت منه المادية الطاغية ..

واذا قيل : إن اليهود يشجعون الرأسمالية ونظام الحرية الفردية فى استغلال رأس المال فذلك لأنهم يرون هذا النظام فرصة للسيطرة واستغلال الأكثرية من الناس فى حاجتها الى المال ..

والربا أوضح صور الاستغلال البشرى عن طريق المـــال ، وأيسرها فى انماء المال وتكثيره ، فهم قراصنة المال فى المؤسسات المالية والاقتصادية العالمية ، ولكن اذا قيل أنهم يشجعون الفكر الشيوعى ويرسمون للشيوعية طريق الفكر الانسانى فذلك لأنهم يريدون تقويض المجتمع المسيحى ، ورفع المسيحية كدين يربط بين المسيحيين ويقنن لهم السلوك الخلقى ..

اذ السيطرة العالمية — وهى هدف اليهود — لا تنمو الا فى ظل احتكار المال سواء فى تداوله أو تشغيله .. ولا تنمو أيضـــا الا فى ظل انهيار المسيحية ، كدين يجمع بين أصحاب القوة فى الحضارة الصناعية الحديثة ، إذ أن من عدا المسيحيين من المسلمين والبوذيين وغيرهم ، فبقدر مالهم من كثرة عددية ، يغلب عليـــهم الضعف فى جوانب القوة الموجهة فى عالمنا المعاصر ..

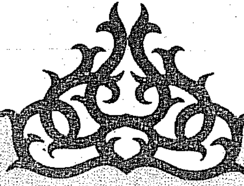
وهناك شك فى أن هؤلاء أو أولئكم « من المسلمين والبوذيين » أو غيرهم اذا كسبوا جانبا من جوانب القوة المعاصرة يكسبونها عن طريق الترابط على أساس الدين كقوة ايمانية ، ان الاسلام اليوم كالبوذية اليوم فى أزمة عنيفة لا يستطيع معها أن يرى مصيره غدا أو يلمح بعض ظواهرها .

وهذه المظاهر :

أولا : أزمة الالحاد الماركسى ، ومعها أزمة (الصـــــــليبية الاستعمارية) وبالأخص بالنسبة للاسلام .

وثانيا : أزمة جمود رجال الدين بالنسبة للاسلام أو البوذية ، وضعف عرضهم للمبادىء الدينية فى مواجهة العرض الحـــديث للآراء والمبادىء المناوئة للقيم السماوية .

وذلك كله بالاضافة الى جهل الناشئة فى المجتمعات الافريقية والآسيوية ، أو سوء فهمها لمطلوب الدين ورسالته فى أى مجتمع منها ، ثم فى المجتمع الانسانى العالمى .



قصة آدم عليه السلام وإبليس في القرآن الكريم

وتخريجات هادف جدال العظم في صددها!

للأستاذ : محمد عزة دروزة

— ١ —

ان المتمعن فى هذه القصة يجدها متصفة بكل صفات وأهداف القصص القرآنية التى شرحناها فى المقال السابق . من حيث أنها جاءت بسبيل العظة والعبرة والتنبيه والتحذير . ومن حيث أنها لم تكن مجهولة كليا أو جزئيا من سامعى القرآن الكريم الأولين . ومن حيث كونها من الوسائل التدعيمية للدعوة الاسلامية النبوية ومن المتشابهات التى يجب الوقوف منها عندما وقف عنده القرآن مع استشفاف ما فيها من حكمة وعظة وعبرة وتحذير وتدعيم .

— ٢ —

ومن الدلائل على ذلك تكرر القصة مثل معظم القصص القرآنية ، حيث تكررت بأساليب مختلفة فى سبع سور . ست منها فى سور مكية . وهى سور : الأعراف ، والحجر ، والإسراء ، والكهف ، وطه ، و ص . ومرة فى سورة البقرة

المدنية . وبينها وبين قصص الأنبياء السابقين وأقوالهم مماثلة من ناحية التكرار ومن ناحية الأسلوب والسياق . حيث جاءت مقتضبة حينا ومسهبة حينا . وفي كل مرة جاءت في سياق التنديد بالكفارة ومواقفهم وتمردهم كما كان ذلك في القصص الأخرى . وقد ربطت بين موقف إبليس واستحقاقه لغضب الله بسبب تمرده وبين مواقفهم وتمردهم . وأسلوبها وعظى وليس سردا قصصيا .

— ٣ —

وكلمة (إبليس) هي من جذر (أبلس) بمعنى (يئس) (١) وقد جاء هذا الجذر في آيات عديدة منها آية ١٢٤ في سورة الروم : (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) ، وآية (٧٤ و ٧٥) في سورة الزخرف (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون . لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون) . والكلمة نعت ذم . ولا شك في أنها كانت مستعملة قبل نزول القرآن بهذا المعنى . وبالتالي إن العرب كانوا يفهمون دلالتها وهي اليائس من رحمة الله . وأنهم كانوا يعرفون أن إبليس علم على من يوسوس للناس ويغريهم بالكفر والمنكرات ويصرفهم عن الله ومكارم الأخلاق . وأنه مطرود من رحمة الله .

— ٤ —

وقصة خلق آدم وزوجته وخروجهما من الجنة باغراء الحية من قصص سفر التكوين أول أسفار العهد القديم المتداول اليوم نسخة منه . والذى نعتقد أنه كان متداولا في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم . وكان ما فيه من قصص معروفا في أوساط هذه البيئة . وفي الاصحاح (٢٠) من سفر رؤيا القديس يوحنا من أسفار العهد الجديد المتداول اليوم والذى كان على ما نعتقد متداولا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبيئته أن الحية القديمة هي إبليس . أى أن أهل الكتاب كانوا يتداولون أن الذى أغرى آدم عليه السلام وزوجته ، وكان سببا في إخراجهما من الجنة وهبوطهما الى الأرض هو (إبليس) ويجوز أن يكون هذا واردا في قراطيس وأسفار لم تصل الينا ، وفي صيغة القصة في سورة الأعراف الآيات (١١ — ٢٧) وما جاء في سفر التكوين عنها (الاصحاحان الثاني والثالث) تطابق غير يسير .

وكل هذا يسوغ القول ان سامعي القرآن من العرب كانوا يعرفون القصة قبل نزوله . واذا كانت هناك نقاط لم ترد في القرآن ووردت في السفر أو لم ترد في السفر ووردت في القرآن فالذى نعتقده أن ما ورد في القرآن كان هو المتداول أو كان متداولا . وهكذا تكون القصة من ناحيتها كقصص القرآن جاءت للتذكير بأمر كان معروفا من السامعين للموعظة والعبرة . فكان ذلك من حكمة إيرادها حتى يتأثر بذلك سامعو القرآن من العرب .

— ٥ —

والمتمعن في صيغ القصة يجد العظة والتذكير والتحذير هو المقصود الرئيسي فيها . ولقد وجه الخطاب في معظمها الى الناس والى بني آدم بصورة عامة . ومما استهدفته القصة كذلك تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين :

فالذين لا يستجيبون الى الدعوة هم ذوو النيات الخبيثة ، والقلوب المريضة ، المتكبرون المتعالون ، الذين يجد إبليس فيهم مجالا واستعدادا للوسوسة والإغراء ، ومصيرهم جميعا النار . والطريق مسدود أمام إبليس بالنسبة لذوى النيات الحسنة ، والرغبة الصادقة فى الحق والهدى ، الذين يستجيبون الى دعوة الله ورسالة رسوله . وهذا مما تمثل فى ما جاء فى أكثر الصيغ : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين . وان جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم . إن المتقين فى جنات وعيون . ادخلوها بسلام آمنين) والمعنى فى الآية الأولى محكى عن لسان ابليس (قال **فبعزتك لأغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين**) .

— ٦ —

ولعلل مما يندمج فى أهداف القصة وأسلوبها أمران مهمان بالنسبة الى عقائد العرب فى الملائكة . فقد كانوا يعتقدون أنهم بنات الله ، ويعبدونهم أو يشركونهم فى الدعاء مع الله ليكونوا شفعاء لهم عنده . وفى أذهانهم صورة فخمة عنهم . فأريد بذلك **أولا** توجيه العرب الذين للملائكة فى اذهانهم هذه الصورة الى الاحتذاء بهم فى طاعة الله واستجابة الدعوة التى دعاهم بها رسوله . **وثانيا** تفهم العرب أن الملائكة الذين يعبدونهم ويشركونهم مع الله ليسوا الا عبيدا له . يسجدون بأمره لمن خلقه من طين استغراقا فى الخضوع له . وأن من كان هذا شأنه لا يجوز اتخاذه الها أو شريكا مع الله . واعتقاد القدرة فيه على النفع والضرر والمنح والمنع . وفى القرآن حكاية لتنصل الملائكة من الذين يعبدونهم ، وتقرير عن لسانهم بخضوعهم لله وعبوديتهم له وحده ، كما ترى فى هذه الآيات التى فيها فى الوقت نفسه تنديد بالمشركين وإنذار بما سوف يكون من أمرهم يوم القيامة ، وكيف يتنصل منهم الملائكة مما يلمح فيه حكمة قصد حمل المشركين على الارعواء :

١ — « **ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا** يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » النحل (٤٩ و ٥٠) .

٢ — « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » . . الأنبياء (٢٥ — ٢٨) .

٣ — « ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون . . سبأ (٤٠ و ٤١) .

— ٧ —

كذلك فان المتمعن فى آيات صيغ القصة السبع يجد أنها تحتمل وجوها عديدة للتأويل . وأن فيها ما لا يعلم تأويله الا الله . ولا يدرك العقل البشرى سره . وبكلمة اخرى يظهر له أنها من المتشابهات التى أوجب القرآن الوقوف منها عندما اقتضت حكمة التنزيل إيحاءه منها بالأسلوب الذى جاءت عليه لتحقيق الهدف الذى استهدفته دون تورط فى التخمين والتزيد والتكلف والاستنتاج واستكناه الماهيات والاستنباط الموضوعى على غير طائل ولا ضرورة من دين

وعلم . بحيث يكون الخروج عن هذا النطاق خروجا عن نطاق الضابط القرآنى . والهدف القرآنى ودخولا فى متاهات التأويل التى حذر القرآن ورسول الله منها .

— ٨ —

واذا كان المفسرون قد أوردوا بحسن نية بيانات كثيرة على هامش صيغ القصة فى صدد خلق آدم وزوجته والجنة والملائكة وابليس وهويته ودريته وطرده وخروج آدم وزوجته من الجنة . وما كان فى الكون قبلهما من خلق . وما جرى من حوار بين الله والملائكة وبينهم وبين ابليس . وبينهم وبين آدم الخ الخ .. شيبت بكثير من الاغراب والخيال والمبالغة دون سند وثيق من كتاب الله وحديث وعلم يقينى كما فعلوا بحسن نية أيضا مثل ذلك على هامش القصص القرآنية الأخرى فان كتاب الله لا يتحمل مسئوليته وان كان فيه دلالة على أن هذه القصة كانت متداولة مع كثير من الحواشى والزوائد فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وبيئته .

— ٩ —

والجواب الذى أوردناه فى بحث القصص القرآنية عن سؤال قد يرد عما اذا كانت القصص حقائق ووقائع يورد هنا أيضا . فكل ما جاء فى القرآن من هذه القصة وحى ربانى . واننا نقول وينبغى على كل مسلم أن يقول (آمنا به كل من عند ربنا) مع القول ان القصة مما كان معروفا عند السامعين . وان ما ورد فى القرآن فى صددها وبصيغها العديدة قد استهدف فى الدرجة الأولى تدعيم الرسالة المحمدية والعبرة والعظة وانه من المتشابهات التى يجب الوقوف منها عندما اقتضت حكمة التنزيل ايحاء وبالاسلوب الذى جاء به لتحقيق الهدف الذى جاء من أجله والذى شرحنا ما هو الملموح منه دون تزيد ولا تكلف ولا ضرورة لهما ولا طائل من ورائهما . وليس من ضرورة دينية لاستكناه كنهه الذى حصر الله علم تأويله فى نفسه كما جاء فى آية سورة آل عمران .

— ١٠ —

ولقد القى صادق جلال العظم الدكتور فى الفلسفة فى النادى الثقافى فى بيروت محاضرة بعنوان (مأساة ابليس) ونشرها فى كتابه (نقد الفكر الدينى) فيها كثير من التمحل والتعسف والسفسطة دون اعتبار بما هو واضح من أهداف العظة والعبرة وبما فى القرآن من نصوص صريحة حاسمة .

ومن محصل ما قاله ان ابليس الذى كان كبير الملائكة وقد وجد نفسه أمام أمر وواجب . فالله يأمره بالسجود لغيره . والله أوجب على خلقه وهو من الجملة أن لا يسجدوا لغيره فتمرد على أمر السجود لغير الله مفضلا الالتزام بواجب عدم السجود لغير الله فكانت مأساته ، وكان ضحية تناقض الله بزعمه — تعالى الله وتنزه عن ذلك — وقد جعل صادق العظم هذا الزعم اللولب والمحور اللذين تدور عليهما محاضرته . وأكثر من الابداء والاعادة فيهما الى درجة الاملال . وهو فى ذلك مجازف متهافت . ولقد ناقش كلام بعض المفسرين والباحثين

الذين قالوا ان السجود الذي أمر الله به الملائكة هو سجود تكريم وليس سجود عبادة وأبى ان يأخذ بهذا وأصر على القول انه ليس للسجود في القرآن الا معنى واحد وهو العبادة . وتعامى عما في القرآن من آيات مؤيدة لذلك القول . والتي تلزمه الزاما لافكاك له منه . لأنه منطلق من العبارات القرآنية للقصة .. ولقد جاء في صيغة القصة في سورة الاسراء على لسان ابليس (قال أأسجد لمن خلقت طينا . قال أرايتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا ٦١ و ٦٢) وهذا المعنى ملموح فيما حكته آيات الأعراف و ص من قول ابليس (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين .. الأعراف ١٢ و ص ٧٦) ولقد حكى القرآن سجود أبوي يوسف واخوته ليوسف في سورة يوسف (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا ..) ١٠٠ ، ولا يمكن لأي كان أن يزعم أن سجودهم ليوسف كان سجود عبادة . وتعامى العظم كذلك عما في القرآن من قول الله له انه في عدم سجوده متكبر متعال كما جاء في صيغتي الأعراف وص (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) و (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين) . ولم يحك القرآن أن ابليس اعتذر بأنه لا يجوز له أن يسجد لغير الله . ولكنه حكى قوله جوابا على السؤال الوارد في صيغة سورة ص (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) ثم تعامى عما قرره القرآن من اعتبار الله سبحانه ابليس متمردا عليه بعدم سجوده . واستحقاقه من أجل ذلك الطرد واللعنة المخلدة . والنار مع من يتبعه كما جاء في صيغة الاعراف (قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين) وفي صيغة الحجر (قال فاخرج منها فانك رجيم . وان عليك اللعنة الى يوم الدين) وهو ملزم بهذا كما قلنا الزاما لا فكاك له منه . لأنه ينطلق من العبارة القرآنية للقصة التي لم ترد بعباراتها وأسلوبها ومداها في غير القرآن . وتعامى كذلك تعاميا عجيبا عن أن القرآن يدور جملة وتفصيلا في الدرجة الأولى على الدعوة الى عبادة الله وحده ومحاربة كل أنواع الشرك وعبادة غير الله والسجود لغير الله بأي صورة وتأويل وعمل . وعن ان الله يتنزه والحالة هذه عن أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم سجود عبادة . وتعامى عن كون .. اطاعة الملائكة لأمر الله بالسجود لآدم سجود عبادة تجعلهم مشركين وهم الذين ينزههم القرآن عن ذلك ويقرر أنهم دائمو العبادة والتسبيح والتقديس لله وحده . وتعامى عن كونه بدعواه يقف موقفا فيه كل السخف اذ يجعل ابليس أشد حرصا على التمسك بواجب توحيد الله والسجود له وحده من الله نفسه . ويجعله مؤمنا موحدا ضحى بنفسه ببطولة مأساوية — على حد تعبير سخيف له — في سبيل عقيدته رغما عن نصوص القرآن التي تصف ابليس بالكافر المستكبر المتمرد المتعالي على الله الفاسق عن امره المستحق بذلك لغضب الله ولعنته والخلود في ناره . وتغافل أو غفل عما انطوى في القصة من صيغها المتكررة وسياق هذه الصيغ من أهداف العبرة والتذكير والموعظة التي تبدو لكل قارىء للقرآن دون ما حاجة الى نباهة كبيرة . وكونها هي المقصودة الجوهرية من قصة يعرفها السامعون ويعرفون مداها قبل نزول القرآن . وعن كون آيات الصيغ اذا ما عرضت كلها في نظرة واحدة شاملة من المتشابهات التي تتحمل وجوها عديدة للتأويل والتي فيها ما لا يدرك تأويله عقل الانسان وليست من المحكمات . ويقتبس صادق العظم أقوالا لبعض المفسرين والمؤلفين المسلمين عن ابليس وتمرده . ومحاورات مفروضة

متخيلة بينه وبين الله وبينه وبين موسى وبينه وبين بعض المؤلفين . ويقارن بين موقف ابليس وآدم وقصة ابليس وابتلاء ابراهيم بذبح ابنه . وبين هـذه القصص وبين بعض قصص فيها مواقف محرجة أو مآسى متناقضة . ولكن كل هـذا جزاف لا يتحمل القرآن مسئوليته . ومما قاله فى صدد ذلك حتى لكأنه يناقش قصة يعتقد بها — مع أنه ليس معتقدا بها أصلا — (يتكون جوهر الكبرياء المأساوية من رفض البطل لان يبقى سلبيا فى وجه ما يعتبره تحديا لواجبه ومنزلته وكرامته حتى لو كان يعلم أن هذا التحدى هو جزء من مصيره وان كبرياءه تنتهى به الى الدمار واليأس والموت . وهكذا انتهى أوديب بطل قصة شكسبير. وهكذا انتهت انتيجون بطلة قصة أخرى . وهكذا انتهى ابلـ ـا آدم فلم يعرف هذا النوع من الكبرياء على الاطلاق . ولو كان مقدرا له أ ن شخصية ماساوية لما قال (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنـ من الخاسرين) حيث نستنتج اذن أن كبرياء ابليس لم تكن ناتجة عن عجرفة فارغة . ولا عن تطاول على معبوده ، بل كانت كبرياء ماساوية دفعته لأن يلجأ الى الله من قضاء الله عليه . ولم يغير ابليس موقفه من ربه حتى بعد أن أصبح طريدا ولعينا . واقل ما يوصف به هذا الكلام بالنسبة لقصة آدم وابليس ازاء الله تعالى هو هراء وكلام فارغ . ما دام فى القرآن الذى ينطلق العظم من نصوصه ذلك الحسم الصريح الذى يخـرج ابليس به من نطاق زعم المأساة والتضحية بالنفس وبطولة العقيدة وكرامة الواجب ..!

والعظيم يبدأ ويعيد فى موضوع المشيئة والارادة الربانية وكون ابليس غير مستطيع الخـروج من نطاقهما ويقول أن فى ذلك مأساة له ايضا (لأن الله لو شاء لابليس أن يسجد لآدم لسجد . ولو شاء للملائكة أن لا يسجدوا لما سجدوا . ولو شاء لآدم أن لا يقع فى أغراء ابليس لما وقع . ولكنه لم يشأ أن لا يقع آدم فى الاغراء . وشاء أن يقع فوقع . ولم يشأ أن يسجد ابليس فلم يسجد فى حين أنه لم يشأ أن يعصى الملائكة فلم يعصوا وهكذا ذهب ابليس ضحية تناقض اللـه — تعالى وتنزه — الذى أمره بشىء أو أراد منه شيئا ولم يشأ أن يفعله فلم يستطع أن يفعله بطبيعة الحال) . ولم يكتف بهذا الجدل السفسطى بل اتبعه بتعبير بذىء متهافت حيث قال : (ان ابليس يواجه الرب وهو يناقض نفسه بصورة مباشرة مفضوحة فذهب ضحية هذا التناقض وضحية الموقف الذى وقفه فكان جحوده أعظم تقديس للذات الالهية وأكبر مثل على التمسك بحقيقة التوحيد ..) وتعامى وهو ينفث هذا الهراء والبذاءة عن ما فى القرآن من تقريرات محكمة بأن الله أوجد فى العقلاء من خلقه قابلية التمييز بين الخير والشر والهدى والضلال والحق والباطل والطاعة والعصيان وقابلية الاختيار من ذلك . ورتب عليهم نتائج تمييزهم واختيارهم مما تمثل فى آيات كثيرة مبثوثة فى مختلف سور القـرآن . وهى تفيد أن ذلك مطلق لجميع خلق الله العاقلين بما فيهم الملائكة وابليس والجن . وتغافل عن كون الامر قد وجه للملائكة وابليس ضمنا . وعاقبه الله على تمرده لأنه لم يسجد . وان الملائكة اختاروا الطاعة وان ابليس تكبر وعصى . وان ذلك كان باختياره . فاستحق لعنة الله وناره . ولا يصح أن يستخرج من كون الله لو شاء أن يسجد ابليس لآدم لسجد وما استطاع أن يمتنع ان الله لم يشأ ذلك ما دام قد أمر به . والتأويل الاوجه هو أن الله لم يشأ أن يقر ابليس على السجـود ويفرض مشيئته بذلك عليه فرضا بل تركه هو والملائكة لاختيارهم فاستجـاب الملائكة باختيارهم طاعة واذعانا . وعصى هو باختياره تكبرا وأنفة . ومن تقريرات القرآن المحكمـة أن الله تعالى لا يكلف نفسـا الا وسعها . فلا يصـح

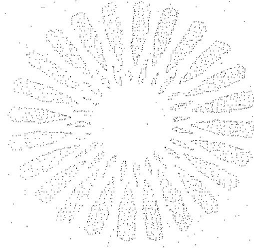
أن يفرض أن الله أمرهم بالسجود الا مع فرض أنهم قادرون على فعله باختيارهم وقد غفل العظيم عن آيات قرآنية عديدة فيها تأييد لذلك منها آية ٩٩ من سورة يونس (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) التي لها مثيلات عديدة . حيث تعني أن الله تركهم لاختيارهم ولم يشأ أن يقسرهم . وفي القرآن آيات حكت احتجاج الكفار المشركين بمثل الحجة التي يسوقها العظم ورد عليهم بما فيه حسم لهذه النقطة ايضا مما غفل العظم عنه كذلك . ومنها هذه الآية :" (وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) النحل ٣٥ ، التي لها مثيلات عديدة ، ويتحجج العظم بما في آيات سورة الأعراف من حكاية لقول ابليس (قال فبما اغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) ١٦ ، ١٧ ، لتسويغ كون ما وقع على ابليس كان من إغواء الله — تنزه الله عن ذلك — والعبادة هي حكاية لقول ابليس وليس فيها اقرار لهذا القول ، وجاء بعدها (قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين) . وكلام ابليس المحكى من نوع ما تحجج به المشركون وقد رد عليهم القرآن ولم يقرهم عليه .

وقد تساق آيات قرآنية قد تفيد أن الناس لا يشاءون الا ما شاء الله . غير أن هناك آيات تنسب المشيئة الى الناس مطلقا حيث يصح القول أن تنوع الاساليب مما اقتضته حكمة التنزيل والسياق . والمحيط بجميع القرآن الذى اتاه الله حسن النية والفهم والبعد عن المماحكة واجد تخريجا لكل ما قد يبدو مشكلا في آية لحدتها وواجد في القرآن ضوابط محكمة بحيث تفسر المتشابهات وتحل الاشكالات على ضوئها . والمقال يضيق عن تفصيل ذلك . ولعلنا نعود اليه في مقال آخر .

ويستطرد العظم الى ما في القرآن من اشارات الى اغراءات ابليس ومرادفه الشيطان وتزيينهما للناس بأذن الله وما يترتب على ذلك . ويحاول أن يجعل ذلك من المسائل القرآنية الكبرى وأن يصوره على أنه شغل الحيز الاكبر في عقائد المسلمين وأعمالهم ونشاطهم وان يبرز ما في ذلك حسب زعمه من ثغرات وتناقض وتعارض ولا يتورع عن اساءة الادب نحو الله تعالى فيقول في بعض مواضع من كتابه (ان الله قد سلط ابليس والشيطان على الانسان وأمره بالايمان به . وعدم اطاعتهما في حين قدر عليه الوقوع في شبكتهما . فلم يكن له مناص من ذلك فذهب بدوره ضحية تناقض الله ومكره — تنزه وتعالى عن ذلك . هذا في حين أن هذه المسألة أيضا من المسائل المتشابهة في القرآن التي تتحمل آياتها تأويلات عديدة والتي قد لا يدرك مدى بعضها عقل الانسان والتي لا يجوز أن تغطى على ما في القرآن من محكمات يوضع بها الأمر في نصابه الحق . وفيها في الوقت نفسه تدعيم للدعوة النبوية . واذا كان حقا في القرآن آيات فيها ذكر لتسلط ابليس والشيطان بل ولتسليطهما من الله فان في سياق هذه الآيات ما يفيد بجزم أن ذلك هو بالنسبة للمنحرفين الآثمين الكافرين الفاسقين دون عباد الله المؤمنين المتقين الصالحين المستقيمين فضلا عما فيه من آيات فيها تحذير من اتباع الشيطان وآيات فيها حكاية تنصل الشيطان من الذين يطيعونه ويقعون في أغراءاته بسبيل التحذير والتنبيه أيضا . ولا يصح أن يكون هذا الا مع فرض جازم بأن الله تعالى يعلم أنهم قادرون على الحذر والنجاة منه . ولا يصح أن يفرض أن الله يقول هذا

ثم يجعل الشيطان قادرا على نقضه . ويكفى القارىء أن يرجع الى المصحف ليرى آيات كثيرة تضع هذا الامر فى نصابه الحق وتلقم المتخرصين المسيئين لأدبهم نحو الله .

وبعد فاذا كان يحلو لصادق العظم أن يعلن إلحاده . وعدم ايمانه بالله والنبى والقرآن وأن يقول انه أورد ما أورده فى كتابه (نقد الفكر الدينى) على سبيل الدراسة ونقد الفكر الدينى عند المسلمين وحسب فانه ملزم — ويقال هذا لكل ملحد على شاكلته — ما دام يستند فى دراسته ونقده الى القرآن وهو الدكتور فى الفلسفة والمفروض فيه صدق الرغبة فى البحث والتحرى والتروى والاستنتاج الصادق وعدم المجازفة والمغامرة والقاء الكلام على عواهنه وعدم المماحكة اللفظية وأن يكون أكثر ترويا وأناة وأقل سخفا وبذاءة . وأن يستوعب القرآن من كل جوانبه ويربط بعضه ببعض ويفسر بعضه ببعض وأن لا يعمد كما يفعل سخفاء المبشرين الى المماحكات الكلامية بقصد اظهار التناقض والثغرات فى القرآن وعقائد المسلمين وفى أسس الدين الاسلامى تعسفا وتجنيا . ولو فعل ذلك حقا وصدقا ورغبة فى الحق لتبين له الحق ولما سجل ما سجله على نفسه من التعسف والمجازفة وسوء الادب حتى ولا الالحاد ، والحاده لا يسوغ له اخلاقيا وعلميا ذلك التعسف وعدم استيعاب القرآن واعتباره كلا متكاملا يتمم بعضه بعضا ويفسر بعضه بعضا ويوضح بعضه بعضا ويقرر أن فيه نوعين متميزين من الآيات هما آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات التى تتحمل وجوها عديدة والتى فى بعضها ما يعيا فهمه على عقل الانسان ويقرر أن الذى يقف عند متشابهه دون محكمه ويتبعه هو الذى فى قلبه زيغ ويقصد الفتنة فى سوء التأويل . والعلم والفلسفة اللذان يجب الاتسام بهما يوجبان عليه ذلك من حيث انه أمام مدونة أو وثيقة — بقطع النظر عن تقديس مئات الملايين لها — من واجبه أن يكون فى بحثها وفحصها وتمحيصها أمينا متروبا لجميع جوانبها ملتزما بما وضعته من ضوابط .



---

(١) بعضهم يزعم أن كلمة ابليس معروفة من اليونانية (بابلوس) ونعتقد العكس اى ان اليونانية معربة من العربية . وما دام فى القرآن جذر فيصح للكلمة فلا يصح أن يفرض انها غير عربية وصيغتها عربية . وعلى كل حال فلا محل للمراء ان الكلمة كانت مستعملة عند العرب قبل نزول القرآن . وقد نزل القرآن بلسان عربى مبين .

ت في الحديث (٩)

المسند للإمام

للدكتور محمد عبد الرءوف

هذا هو مسند الإمام احمد بن حنبل رضى الله عنه . واليه ينصرف اللفظ عند الاطلاق . والامام أحمد يرجع نسبه الى بني شيبان ، يلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى نزار ابن معد بن عدنان ، وقد ولد الإمام عام ١٦٤ هـ في بغداد ، وقيل ولد فى مرو ، وحملته أمه الى بغداد رضيعا ، فهو على كل حال قد نشأ في بغداد أثناء العصر الذهبي للدولة العباسية، وفيها بدأ يطلب العلم يتيما حدثا حيث توفي والده وهو صغير ، وقد بدأ بملازمة مجلس أبى يوسف صاحب أبى حنيفة ، ثم مال الى الحديث ولزم حلقات شيخ المحدثين ببغداد هشيم ابن بشير حتى مات هشيم عام ١٨٣ هـ وكان قد لزم أحمد مجلسه أربع سنوات ، وهذا يعنى أن احمد بدأ يطلب الحديث ويحفظه وهو لم يكمل السادسة عشرة من عمره ، وبدأ يشتغل بالفقه وطلبه على يد القاضى أبى يوسف قبل ذلك ! وفى سنة ١٨٦ بدأ احمد رحلاته في سبيل العلم وطلب الحديث ، فرحل الى البصرة ثم الى غيرها من الأمصار ، كالكوفة ، وواسط ، ومكة ، ليلتقى بكبار علمائها ويسـ ع الى فطاحل محدثيها ، من امثال يحيى بن سعيد القطان ، ويزيد ابن هارون ، وأبى داود الطيالسى ، ووكيع بن الجراح ، وسفيان بن عيينة ومحمد بن إدريس الشافعي رضى الله تعالى عنهم جميعا ، وقد التقى بكل من ابن عيينة والشافعى بمكة ، ولزم مجلس الإمام الشافعى زمنا بها ، وكان الشافعى من اشد الناس نفوذا على شخصية الامام احمد رضى الله عنهما . وكما لقيه بمكة التقى به فى بغداد عندما رحل الشافعى اليها عام ١٩٥ هـ ثم سنة ١٩٨ هـ ولزمه بها حتى غادرها الشافعى الى مصر ،

وكان احمد وعد أن يزور الشافعي بها ، غير أن رغبة أحمد في لقاء عبد الرزاق ليسمع منه في اليمن ، ثم ضيق ذات اليد ، وتعجيل المنية بالشافعي عام ٢٠٤ هـ كل ذلك حال دون لقاء الإمامين بعد !

ويزعم (H. Laoust) الذي كتب عن الامام أحمد في دائرة المعارف الاسلامية في الطبعة الانجليزية الأخيرة أن احمد لم يلتق بالامام الشافعي الا في بغداد عام ١٩٥ هـ ، وأحال في ذلك على ما قاله أبو الفدا في « البداية والنهاية » (١) ، والعجيب ان أبا الفدا انما يذكر في حديثه عن حياة الشافعي انه عندما عاد الى بغداد سنة ١٩٥ رحب به علماؤها وذكر ابن حنبل في مقدمتهم (٢) ، وليس يعني ذلك مطلقا أن هذا كان أول لقاء بين الشيخين ، كما ذكر أبو الفدا عند حديثه عن الامام احمد ان الامام الشافعي قال له في بغداد : « يا أبا عبد الله ! اذا صح عندكم الحديث فأعلمني أذهب اليه . حجازيا كان أو شاميا أو عراقيا أو يمنيا (٣) ، ولكن هذا لا يمنع لقاء ابن حنبل بالشافعي بمكة من قبل .

ولقاء الشيخين بمكة من قبل ثابت . وملازمة ابن حنبل لحلقات الشافعي بها مؤكد معروف ، وحسبنا أن ننقل هنا ما قاله أحد رفاق ابن حنبل كان حج معه وافتقده بمكة ثم عثر عليه في حلقة الامام الشافعي في المسجد الحرام . يقول :

« حججت مع أحمد بن حنبل ، ونزلت معه في مكان واحد ، وخرج وخرجت انا بعده ، فلما صليت الصبح درت المسجد فجئت مجلس سفيان بن عيينة ، وكنت أدور مجلسا مجلسا طالبا لأبي عبد الله ، فوجدته عند شاب أعرابي عليه ثياب مصبوغة وعلى رأسه جمة (٤) . فزاحمته حتى قعدت عند أحمد بن حنبل ، فقلت : يا أبا عبد الله: اتركت ابن عيينة وعنده الزهري ، وعمرو بن دينار ، وزياد بن علاقة ، والله به عليم ؟ قال : اسكت فانه ان فاتك حديث بعلو تجده بنزول ، لا يضرك في دينك ولا في عقلك ، وان فاتك أمر هذا الفتى لا تجده الى يوم القيامة ، ما رايت أفقه في كتاب الله من هذا الفتى القرشي » (٥) .

وفي سنة ١٩٨ هـ كرر الرحلة الى مكة المكرمة بقصد الحج ثم مواصلة السفر بعد الى اليمن للسماع من الامام عبد الرزاق الصنعاني الذي سارت بذكره الركبان . وكثرت رحلات طلاب الحديث اليه ، ولقد كان عبد الرزاق بمكة عند وصـ أحمد اليها بعد أن أقام بها زمنا ، وتصادف ان كان قدوم أحمد عشية رحيل عبد الرزاق منها الى اليمن ، وكان مع أحمد رفيقه وزميله المحدث اللامع المحقق يحيى بن معين وكان يعرف عبد الرزاق ، فلمحه بالمطاف فقدم له أحمد فسر عبد الرزاق بلقائه واثنى عليه لما كان يسمع عنه من فضل ، ولما هم عبد الرزاق بالانصراف عرض يحيى على أحمد أن يلتمس من

---

١) احال على الجزء العاشر من الكتاب المذكور صفحات ٢٥١ — ٢٥٥ ، وصفحات ٢٢٦ و ٢٢٧ .

٢) الجزء العاشر من البداية والنهاية ، ص ٢٥٢ .

٣) نفس المرجع ، ص ٣٢٧ .

٤) هي شعر الناصية المتساقط على الجانبين.

٥) « احمد بن حنبل » للاستاذ عبد الحليم الجندي ، (المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٩٧٠) ، ص ٦٦ و ٦٧ .

الامام عبد الرزاق أن يضرب لهما موعدا من الغد للسماع منه بمكة ، ولكن أحمد ، لرفاهة حسه ورقة ذوقه آثر الا يؤخر الشيخ عن قصده وفضل ان يلحقا به الى اليمن مع ما فى ذلك من الجهد وعناء السفر وطول الطريق (٦) .

وبعد جوار بيت الله بضعة اشهر قام بالرحلة الى صنعاء عام ١٩٩ هـ سيرا على الأقدام وقد تأثر احمد بطريقة شيخه عبد الرزاق فى الرواية إذ كان عبد الرزاق لا يعتمد على الذاكرة وحدها بل كان دائما يروى من كتاب ، وذلك حتى كف بصر الشيخ العظيم رحمه الله !

وهكذا تحمل احمد فى رضى مشاق السفر وأخطار الطريق رغبة فى العلم وسعيا وراء الحديث ليلتقى ويحفظ من جهابذة علماء الأمصار وكبار محدثيها حج خمس مرات ، ثلاثا منها ماشيا ، كما كانت اكثر رحلاته من اجل العلم مشيا ، يرتزق فى أسفاره من عمل يده وحمل الأثقال فى الطريق ، ولم يقبل عطاء أو صلة مادية حتى ما عرض عليه من مشايخه الذين أحبوه وعرفوا فضله .

وحوالى سنة ٢٠٤ هـ . اى لما بلغ أحمد من العمر أربعين عاما عقد حلقات درسه فى بغداد فأقبل عليها الراغبون من الطلاب من كل صوب وحدب ، ونال الشيخ بالغ الاعجاب وعظيم التقدير ، فكان ممن تخرج عليه وحفظ عنه وروى له كبار أئمة المحدثين الخالدين من أمثال البخارى ، ومسلم، وأبى داود السجستانى ، كما كان من بينهم ولداه صالح ، وعبد الله .

ولسنا بحاجه هنا لمزيد البيان عن إيمان الامام أحمد ، ودينه ، وورعه ، وزهده ، وقناعته ، وسهره ، وصلاته وفقهه ، وعلمه ، وشجاعته، واحتماله الأذى فى سبيل تمسكه بما يعتقد انه الحق ، ومجاهرته به فى صلابة وثقة تامة مهما ناله فى سبيل ذلك من التعذيب والأذى ، كما حدث له أيام محنة القول بخلق القرآن رضى الله عنه وجازاه عن الاسلام والمسلمين أطيب الجزاء ، فلقد ملأ الحديث عن ذلك صفحات الكتب والمجلات ، وحسبنا هنا أن نسوق شهادة الشافعى له : « خرجت من بغداد وما خلفت فيها افقه ولا أورع ولا أعلم من أحمد » (٧) ، ومن أجمل ما قرأنا فى وصفه قول الحافظ الذهبى فى شأنه :

« عالم العصر وزاهد الوقت . محدث الدنيا ومفتى العراق وعلم السنة وباذل نفسه فى المحنة ، قل أن ترى العين مثله ، كان رأسا فى العلم والعمل . والتمسك بالأثر ، ذا عقل رزين وصدق متين واخلاص مكين وخشية ومراقبة العزيز العليم ، وذكاء وفطنة وحفظ وفهم وسعة علم ، هو أجل من أن يمدح بكلمى وان افوه بذكره فمى » (٨) .

توفى رحمه الله تعالى فى شهر ربيع الأول سنة ٢٤١ هـ فشهد جنازته اكثر من ثمانمائة الف مسلم ، وأسلم يومها عشرون الفا ببركته (٩) ، رضى الله عنه وطيب ثراه ونفعنا بعلمه وبركاته .

---

٦) ترجمة الامام احمد فى مقدمة « المسند » بتحقيق الشيخ احمد محمد شاكر (ط . المعارف ١٣٦٨) الجزء الاول ص ٦١ . وسوف نشير الى هذه المقدمة التى ثقل فيها نصوصا قديمة عن حياة الامام احمد كما سماها هو : « طلائع المسند » .

٧) « طلائع المسند » ، ص ٣٧ .

٨) المرجع السابق .

٩) نفس المرجع ، ص ١٢٠ .

ولقد كان لشخصية الامام أحمد نفوذ بالغ على الجماعات الاسلامية والأجيال المتعاقبة ولا يزال أثره ملموسا فى الحركات الاصلاحية فى العصور الحديثة ، وبالاضافة الى ذلك فقد ترك الامام للأجيال آثارا علمية جليلة رغم ميله الى الاحتياط وعزوفه عن التأليف والابتكار واعتماده على النقل وما تركه السلف من الآثار ، رغم ذلك كله خلف للأجيال آثارا علمية خالدة ، من ذلك كتابه : « علل الحديث ومعرفة الرجال » الذى نرجو أن نتعرض له عندما نتحدث عن تطور علم نقد الحديث ان شاء الله تعالى ، وكتب اثناء المحنة فى سجنه رسالة فى « الرد على الجهمية والزنادقة » ، وله أيضا « كتاب الصلاة » وكتب فى « التفسير » و « المناسك » و « فضائل الصحابة » و الناسخ والمنسوخ واعظم ما خلف الامام للأجيال كتابه « المسند » الذى جمع فيه مسانيد ما يزيد على ثمانمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجعل لكل صحابى من هؤلاء بابا يسجل فيه ما يختاره من أحاديث يرويها عن طريق هذا الصحابى بأسانيدها . ويكرر المتن أو الاسناد أو كليهما ، وهو الغالب ، طالما كان هناك اختلاف أو مزيد فائدة (١٠) . واختار كمنوان لكل باب كلمة «مسند» فيقول مثلا : « مسند أبى بكر ، » « مسند عمر بن الخطاب » و « مسند عائشة » و « مسند أبى هريرة » وهكذا . وكثيرا ما يختار كلمة « حديث » فيقول : « حديث عبد الرحمن بن عوف » و « حديث أبى عبيدة » مثلا ، وان كان ما يرويه للصحابى أكثر من حديث واحد ، واذا كان الباب لعدد من الصحابة يختار كلمة مسند » ، كقوله « مسند أهل البيت » و « مسند المدنيين » ، ثم يستعمل كلمة « حديث » للفصل الخاص بكل صحابى مدرج تحت العنوان الكبير ، مثل : « حديث الحسن » و « حديث الحسين » و وحديث ثابت بن عبد الله الأنصارى و « حديث سلمة بن الأكوع » رضى الله تعالى عنهم جميعا .

ولقد رتبت أبواب المسند على أساس الأسبقية فى الاسلام أولا ، ثم على أساس العشيرة ، ثم على أساس العامل الجغرافى ، أعنى الأمصار التى استقر بها بعض الأصحاب رضى الله تعالى عنهم . فنجده يبدأ بمسانيد العشرة وبعض من يتعلق بهم ، ثم بمسند أهل البيت ، ومسند بنى هاشم ، ومنهم عبد الله ابن عباس . ثم بمسانيد ابن مسعود وابن عمر وابن عمرو بن العاص وأبى رمثة وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله ، ويتلو ذلك مسند المكيين فمسند المدنيين فمسند الشاميين ومسند الكوفيين ومسند البصريين فمسند أمهات المؤمنين وأحاديث النساء

---

١٠ — لهذا كثر التكرار فى المسند حتى بلغ المكرر به ربع الكتاب . ومثل ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ، يرويه أحمد مرة عن شيخه يونس عن الليث ثم اخرى عن شيخه الخزاعى عن الليث ، الاول بالصفحة رقم ١٨٥ من الجزء الثانى من المسند ط القاهرة ١٣١١ هـ والاخر بالصفحة التالية ، والاسنادان فيما عدا شيخى الامام متفقان ، والمتن فى كل منهما متفق تماما ما عدا ترتيب كلمتين فيه ، والامثلة على ذلك كثيرة .

وبعض المبهمة أسماؤهم ، ويندر أن يصادفك حديث لصحابى مدرجا فى مسند صحابى آخر . كما صادفنا حديث لابن عباس مدرجا فى مسند أبى بكر (١١) . وآخر من أحاديث جرير بن عبد الله البجلى فى مسند عبد الله بن عمرو بن العاص (١٢) .

ولقد استوعب الامام فى مسنده الكثير من الصحف الحديثية وما تقدمه من المسانيد ، فبلغ عدد الأحاديث فى المسند الامام أربعين الفا الا ثلاثين أو أربعين ، منها عشرة آلاف مكررة . وقد زاد عدد ماروى لابن عباس على الألف والسبعمائة . ولابن مسعود بالمسند تسعمائة حديث ، ولعبد الله ابن عمر أكثر من الألفين ، ولعبد الله ابن عمرو بن العاص قريب من الألف ، من بينها ما يزيد على المائتين من صحيفته الصادقة برواية حفيده عمرو ابن شعيب المتوفى سنة ١١٨ هـ ، ولأبى هريرة بالمسند ما يقرب من أربعة آلاف حديث ، أما مسانيد العشرة فعدد أحاديثها : ثمانون للصديق ، وثلاثمائة لابن الخطاب ، ومائة وثلاثة وستون لعثمان بعضها من زيادات عبد الله بن أحمد وبعضها أخبار عن عثمان ، وسبعمائة وثمانية عشر لعلى بن أبى طالب ، ومائة وثلاثة عشر لطلحة ، وأربعة وثلاثون للزبير بن العوام ، وستة وسبعون لسعد بن أبى وقاص ، وثلاثون لسعيد ابن زيد ، وخمسة وثلاثون لعبد الرحمن بن عوف ، واثنا عشر لأبى عبيدة ، رضى الله عنهم جميعا .

ومن الصحف الحديثية التى استوعبها المسند صحيفة همام بن منبه (١٣) المسماة : «الصحيفة الصحيحة» ونحو النصف من صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص (١٤) المسماة « الصحيفة الصادقة » . وكذلك استوعب صحيفة سمرة بن جندب أو اكثر أحاديثها (١٥) ، وصحيفة نبيط بن شريط الأشجعى الملقب بأبى سلمة (١٦) رضى الله عنهم جميعا .

وقد شرع أحمد فى تدوين المسند فى بداية القرن الثالث ، أى بعد سماعه من عبد الرزاق وعودته من اليمن (١٧) ، ثم قرأه على ولديه صالح وعبد الله وابن عمه حنبل بن اسحق ، ويقول أبو بكر يعقوب بن يوسف المطوعى : « جلست الى أبى عبد الله أحمد بن حنبل ثلاث عشرة سنة وهو يقرأ المسند على أولاده ، ما كتبت منه حرفا واحدا ، وانما كنت أكتب آدابه وأخلاقه واتحفظها » (١٨) ، وحيث يقال إن أحمد قطع الرواية ثلاث عشرة سنة قبل وفاته فى ٢٤١ هـ (١٩) فيظهر ان المسند قد تم تدوينه وروايته بين عام المائتين وسنة ٢٢٨ هـ ، والمشهور ان الامام انتقى احاديث المسند من بين سبعمائة ألف حديث وخمسين الفا حفظها (٢٠) ، والمسند الذى بأيدينا هو برواية عبد الله ابن الامام أحمد الملقب بأبى عبد الرحمن والمتوفى عام ٢٩٠ هـ ، ورواه عنه ابو بكر أحمد بن

---

١١ — الجزء الاول ، ص ٨ .
١٢ — الجزء الثانى ، ص ٢٠٤ .
١٣ — الجزء الثانى من المسند ، ص ٣١٢ — ٣١٩ .
١٤ — الجزء الثانى ، ص ١٧٨ — ٢٢٧ .
١٥ — الجزء الخامس ، ص ٧ — ٢٣ .
١٦ — الجزء الرابع ، ص ٣٠٥ — ٣٠٦ .
١٧ — « طلائع المسند » ص ٢٥ .
١٨ — نفس المرجع .
١٩ — نفس المرجع ، ص ٣١ .
٢٠ — « الطلائع » ، ص ٢١ .

جعفر القطيعى المتوفى عام ٣٦٨ هـ ، وكل منهما أضاف زيادات من عنده ، ولكن زيادات القطيعى يسيرة جدا .
والمنهج الذى اتبعه الامام رضى الله عنه فى اختيار الاحاديث بمسنده هو الأخذ عمن عـــرف بالحفظ والضبط والعــدالة ، وكذلــك الأخــذ عــن المستور ، أى من لم يعرف بالكــذب ولم تكن هناك شبهة فى دينه ، وذلك اذا لم تتعارض رواية أحدهم مع من عرف بالعدالة والضبط ، أما من عرفوا بالكذب أو اشتبه فى ديانتهم فقــد أعرض عنهم ولم يأخذ بروايتهــم ، وهكذا روى أحمد عمن ثبت صدقــه وصح ضبطه وعرفت عدالته كما روى عن المستور وضعيف الحفظ ما لــم يتعارض مع ما روى عن العـــدل الضابط ، ولقد كان من شأن الامام الاحتياط فى كل شىء ، لذلك تــراه فى الاحكام يلزم المالك باسكــان ذى الحاجة الذى لا مأوى له ، ويوجب الزكاة فى مال القاصر ، ويــرى أن الغيبة وقول الزور من مفطـــرات الصيام ، وكما احتاط أحمد فى الفقه احتاط فى رواية الحديث ، فهــو من ناحية يرفض الاخذ عمن عرف بالكذب أو اشتبه فى ديانته ، ومن ناحيـــة أخرى لا يترك حديث المستور فقد يكون صادقا ، ولا روايـــة ضعيف الحفظ ، فقد يكون ذاكرا ، فكــان الاحوط الأخذ منهما وتسجيــل ما عندهما مما لا يتعارض مع الثابت عن العادل الضابط .

ولا يطعن على المسند أن الامام قد اختار أن يروى عن المستور كما يروى عن المعروف بالعدالة ، وان يأخذ عن ضعيف الذاكرة كما يروى عن قوى الذاكرة والحفظ ، فان القصد الاول من تدوين المسانيد هو تقييد الحـــديث وتدوينه حرصا عليه من الضيـــاع وللانتفاع به فى فضائل الاعمـــال ، فلزم الاحتياط بتسجيل ما يحتمـــل الصحة وعدم اهماله أو تركه ليقضى عليه بموت حفظته ، وكم من حديث رواه مستور أو راو غيـــر معروف بالضبط وهو فى الواقع ونفس الأمر صحيح ، وكم من حديث رواه العــدل الضابط فزل وتعثر ، ثم على الفقيــه الذى يستعمل المسند فى استنباطه أن يختار منه ما يراه حجة صالحـــة باستعمال مقاييس الصحيح ومعاييره ولقد روى أن عبد الله بن أحمد سأل أباه الامام فقال : « ما تقول فى حديث ربعى عن حذيفة ؟ » قال : « الــذى يرويه عن عبد العزيز بن أبى رواد ؟ » قلت : « يصح ؟ » قال « لا ، الاحاديث بخلافه ، وقد رواه الخياط عن ربعى عن رجل لم يسموه » . قال : « قلت له : فقد ذكرته فى المسند ؟ » فقال : « قصدت فى المسند الحديث المشهور ، وتركت الناس تحت ستر الله تعالى ، ولو أردت أن أقصد ما صح عندى لم أرو من هذا المسند الا الشىء بعــد الشىء ، ولكنك يا بنى تعرف طريقتى فى الحديث ، لست أخالف ما ضعف اذا لم يكن فى الباب ما يدفعه (٢١) ومما يروى عن الامام فى هذا الصدد قوله « عملت هذا الكتاب اماما ، اذا اختلف الناس فى سنة رسول اللــه صلى الله عليه وسلم رجع اليه » (٢٢) وقوله : « اذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحــلال والحرام تشددنا فى الاسانيد ، واذا

---

٢١ — « طلائع المسند » ، ص ٢٧ .

٢٢ — المرجع الاخير ، ص ٢٢ . وتدل هذه النصوص فى وضوح على ان المسند وتنظيمه من عمل الامام احمد نفسه ، لا من عمل ابنه عبد الله ، كما زعمت دائرة المعارف الاسلامية الانجليزية .

روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فضائل الاعمال وفيما لا يضيع حكما ولا يرفعه تساهلنا فى الاسانيد (٢٣) .

وهكذا دون الامام أحمد جامعا خصبا ، واقام للاسلام صرحا شامخا ، ولا يضيره ان يكون فى بعض اسانيده ضعف ، فلقد ذكر الامام أن قصده هو تسجيل الصحيح وما يحتمل الصحة ، وقد يصح الحديث ضعيف الاسناد عن طريق اسناد آخر ، ولقد استخدم الحاكم كتاب المسند مصدرا من أهم مصادره عندما استخرج احاديث رأى انها صحيحة على شرط صاحبى الصحيحين أو احدهما مما لم يرو فى الصحيحين ، فاتى بكتاب يشغل اربع مجلدات كبيرة (٢٤) . كما لا يضير المسند ما زعمه أبو الفرج ابن الجوزى من ان بالمسند خمسة عشر حديثا موضوعة زادها بعضهم تسعة اخرى ، وبالعكس ان قولهما شهادة عظيمة للمسند ، وانما زعما ذلك بعد تتبع أحاديث المسند وتشريحها وتقييمها على حسب المقاييس والمعايير الدقيقة ، فاظهرت نتيجة سعيهما فضل المسند وأكدت قيمته ، حيث دل قولهما على أن بالمسند عدا هذه الأحاديث التى بلغ مجموعها أربعة وعشرين ـ صحيح أو محتمل الصحة ولقد تصدى للرد على القول بكون هذه الاحاديث موضوعة الحافظ ابن حجر رحمه الله فى كتابه : « القول المسدد فى الذب عن مسند الامام أحمد » ، والواقع أن الامام فى غنية عن ذلك ، وما عشرون أو أربعة وعشرون حديثا وردت فى فضل بعض البلدان كمرو وعسقلان من ثلاثين الفا أو أربعين الفا ؟ وكفى بالمرء نبلا ان تعد معايبه ، وسبحان من تنزه عن الخطأ والزلل !

ولقد تلقى العلماء والمحدثون كتاب المسند بالعناية والترحيب والاجلال والتقدير فنسخوه وتداولوه ، وحفظه البعض ووعوه اذ ظنوا أن « المسند » استوعب ما احتوت عليه الصحاح والسنن الا ما ندر . لذلك قدر للكتاب الخلود ، وسلمت أجزاؤه من الضياع ولا تزال مجلداته المخطوطة تشغل خزائن الكتب بالمكتبات المعروفة ، فوصل الكتاب الينا بحمد الله تعالى كاملا تاما سليما رغم ضخامة الحجم وطول الزمن ، وتم طبعه لأول مرة بدار الحلبى بالقاهرة عام ١٣١٣ هـ ، فملأ ستة أجزاء من القطع الكبير بحروف صغيرة وكلمات متقاربة ، وقد استخدمت هذه النسخة وترتيب صفحاتها فى عمل فهارس الحديث فى السنوات الاخيرة (٢٥) .

ولذلك نعتمد على هذه الطبعة فى الاشارة الى صفحات الكتاب .

ومن عناية العلماء بالمسند أن بعضهم رتب احاديثه على الابواب فى القرون الماضية (٢٦) ، كما رتب

---

٢٣ ـ « الامام أحمد بن حنبل » للاستاذ عبد الحليم الجندى ، ص ٢١٩ .

٢٤ ـ طلائع المسند » ، ص ٢٠ ، ٢١ .

٢٥ ـ من ذلك : « مفتاح كنوز السنة » لمحمد فؤاد عبد الباقى : « والمعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى . اعده عدد من المستشرقين ، وتم طبعه فى السنوات الاخيرة بمطبعة « بريل » بهولندا .

٢٦ ـ رتبه على الابواب فى القرن الثامن للهجرة : على بن الحسين المشهور بابن زكنون ، وسماه : الكواكب الدرارى فى ترتيب مسند الامام احمد على ابواب البخارى » .

أحدهم مسانيده على حسب حروف المعجم لاسماء الصحابة (٢٧)، ومن الجهود المشكورة فى السنوات الاخيرة ما صنعه العلامة الشيخ ناصر الدين الالبانى من عمل فهرس للمسانيد على حروف المعجم أيضا مبينا به صفحات كل مسند منها بالطبعة المشار اليها . ونشرت فى صدر الجزء الاول من المسند فى الطبعة المصورة من الطبعة الاولى التى صدرت ببيروت سنة ١٩٦٩ .

ومن خير المحاولات وأعظم الجهود التى بذلت فى عصورنا الحديثة لترتيب المسند وتيسير استعماله ما قام به المرحوم الشيخ أحمد عبد الرحمن الساعاتى من تبويب أحاديث المسند على حسب موضوعاتها مصدرا كل منها باسم الصحابى الراوى للحديث فقط دون سائر السند ، وقسم المسند كله الى سبعة اقسام سمى كلا منها « كتابا » وكل كتاب قسمه الى عدد من الابواب ، ويحتوى كل « باب » على الاحاديث التى تشترك فى الموضوع الذى يدل عليه عنوان الباب وسمى الكتاب كله : « الفتح الربانى لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيبانى » ، ثم أنه علق على هذا الكتاب بتذييل للاحاديث . ذاكرا لاسانيدها شارحا لمتونها ومخرجا لها وسمى ذلك : « بلوغ الامانى من أسرار الفتح الربانى » . كما أن المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر شرع فى أعادة طبع « المسند » محققا وترك ترتيبه كما هو ، لكنه رقم الأحاديث وعلق عليها فى الهوامش مقيما لاسانيدها . وفى نهاية كل جزء أتى بفهرس مبوب للأحاديث على حسب موضوعاتها مشيرا اليها بارقامها ، ثم أنه يرمز فى صفحات طبعته لارقام صفحات الأحاديث فى الطبعة الأولى ، وقد أمكنه أن يتم أحاديث الجزء الاول من الطبعة الاولى ووصل من الجزء الثانى حتى بداية صحيفة همام بن منبه ، فصدر ذلك فى خمسة عشر مجلدا ، ثم اخترمته المنية قبل أن يتم عمله الجليل . رحمه الله تعالى واجزل له الأجر !

وقد روى المسند عن الامام احمد ابنه عبد الله كما ذكرنا ، ولقبه عبد الرحمن وتوفى سنة ٢٩٠ هـ عن سبعة وسبعين عاما كعمر ابيه ، ولقد تلقى المسند عنه صغيرا ، كما تلقى المسند عن عبد الله تلميذه احمد بن جعفر بن حمدان القطيعى المولود سنة ٢٧٤ هـ والمتوفى عام ٣٦٨ هـ عن ستة وتسعين عاما ، فتلقى المسند عن عبد الله صغيرا أيضا ، وكل من عبد الله والقطيعى الملقب بابى بكر زاد على أصل المسند زيادات تلقاها عن غير طريق الامام أحمد ، وزيادات القطيعى قليلة ، ويقول القطيعى فى روايته لكل حديث عن عبد الله : « حدثنا عبد الله » ، ومعناه انه تحمل عنه بالسماع من قراءته ، ويقول عبد الله غالبا فى تحمله عن ابيه : «حدثنى أبى » أى بقراءته على كذلك . وينص على ذلك فى بداية المسند وفى أول بعض المسانيد ، فيقول « من كتابه » واحيانا يقول عبد الله : « قرأت على أبى » ومعناه أنه تحمل الحديث لا بالسماع منه بل بقراءته على أبيه وابوه يسمع ، واذا بدأ عبد الله رواية عدد من الاحاديث تحملها بهذه الطريقة يقول : « قرأت على أبى من ههنا » . واحيانا يقول عبد الله : « وجدت هذا الحديث فى كتاب أبى»

---

٢٧ — رتب المسند على حروف المعجم لرواته من الصحابة أبو بكر محمد بن أبى محمد عبد الله المقدسى وغيره .

وقد يزيد على ذلك قوله « بخطه » تأكيداً ومعنى هذا أن عبد الله تحمل الحديث بطريق « الوجادة » ، وقد يضيف عبد الله في احدى الحالتين الاخيرتين قوله : « وسمعته منه » ، ومعنى هذا كله أن عبد الله تلقى أحاديث المسند بطريق السماع من ابيه وهو الغالب ، وتلقى بعضها بطريق القراءة عليه ، وبعضها بطريق الوجادة ، وبعضها بالسماع والقراءة وبعضها بالسماع والوجادة ، والنص على كل ذلك في الاسانيد يدل على الدقة والحرص والامانة ، واليك النماذج التالية :

١ ـ « **حدثنا** أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله تعالى عنهم ، قال : **حدثني أبي** احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد ، **من كتابه** ، قال : حدثنا عبد الله ابن نمير قال : اخبرنا اسماعيل، يعني ابن ابي خالد ، عن قيس قال : قام أبو بكر رضى الله عنه فحمد الله واثنى عليه ثم قال : يأيها الناس ! انكم تقرؤون هذه الاية (يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وانا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه » (٢٨) .

٢ ـ « **حدثنا** عبد الله ، **حدثني ابي** ثنا أبو أحمد ، ثنا سفيان . عن عطاء ابن السائب عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « اخذ النبي صلى الله عليه وسلم بنتا له تقضي ، فاحتضنها فوضعها بين ثدييه ، فماتت وهي بين ثدييه ، فصاحت أم أيمن ، فقيل : أتبكين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : ألست تبكي يا رسول الله ؟ قال : « لست ابكي ، انما هي رحمة . أن المؤمن بكل خير على كل حال ، ان نفسه تخرج من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى »(٢٩)

٣ ـ « **حدثنا** عبد الله . **حدثني أبي** ثنا يزيد بن هرون ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : ثنا محمد بن يعقوب ، عن عبد الله بن شداد ، عن أبيه ، قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحدى صلاتي العشي ، الظهر أو العصر ، وهو حامل حسن أو حسين ، فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى فسجد بين ظهري صلاته سجدة اطالها ، قال : اني رفعت راسي فاذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ، فرجعت في سجودي ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم الصلاة قال الناس يا رسول الله . انك سجدت بين ظهري الصلاة سجدة اطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو انه يوحى اليك ، قال : « كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته » (٣٠) .

٤ ـ « **حدثنا عبد الله قال : قرأت على أبي** ، حدثنا معاوية بن عمرو ، قال : ثنا زائدة ، ثنا ابراهيم الهجري عن أبي الحرص ، عن عبد الله (ابن مسعود) ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يفتح أبواب السماء ثلث الليل الباقي ثم يهبط الى السماء الدنيا ، ثم يبسط يده ثم يقول : الا عبد يسألني فأعطيه ؟ حتى يطلع الفجر » (٣١) .

---

٢٨ ـ « مسند الامام احمد بن حنبل » ، الجزء الاول ، ص ٢ .

٢٩ ـ « المسند » ، الجزء الاول ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

٣٠ ـ « المسند » ، الجزء السادس ، ص ٤٦٧ .

٣١ ـ « المسند » ، الجزء الاول ، ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧ .

٥ — « حدثنا عبد الله قال : قرأت على أبى من ههنا فاقر به وقـــال : حدثنى محمد بن ادريس الشافعى ، اخبرنا سعيد بن ســـالم . (يعنى القداح) . ثنا ابـــن جـــريج ، أن اسماعيل بن أمية أخبره عن عبـــد الملك بن عمير انه قال : حضرت أبـــا عبيدة بن عبد الله ابن مسعود واتـــاه رجلان يتبايعان سلعة ، فقال هذا : أخذت بكذا وكذا ، وقال هذا بعت بكذا وكذا : فقال أبو عبيدة : أتى عبد الله بن مسعود فى مثل هذا فأمـــر بالبائع أن يستحلف ، ثم يخير المبتاع ان شاء أخذ وان شاء ترك » (٣٢) .

٦ — « حدثنا عبد الله قـــال : وجدت هذا الحديث فى كتاب أبى ، ثنا حجاج ، ثنا شعبة عن أبى اسحق عن أبى السفر ، عن سعيد بن شفى ، عن ابن عباس انهم جعلوا يسألونه عن الصلاة فى السفر ، فقال ابن عباس : « كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خرج من أهله لم يزد على ركعتين حتى يرجع » (٣٣) .

٧ — « حدثنا عبد الله ، قـــال : وجدت هذا الحديث فى كتاب ابـــى بخطه ، ثنا أسود بن عامر ، ثنا جعفر الاحمر ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تصح قبلتان فى مقر واحد ، وليس على مسلم جزية » (٣٤) .

٨ — « قال أبو عبـــد الرحمن : وجدت هذا الحديث فى كتـــاب ابى بخط يده ، حدثنا سعيد بن محمـــد الوراق ، قال : ثنا رشدين بن كريب ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شرب تنفس مرتين فـــى الشراب » (٣٥) .

٩ — « حدثنا عبد الله قـــال : وجدت هذا الحديث فى كتاب ابى ، واكثر علمى ان شاء الله أنى سمعته منه ، ثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ثنا عبد الله بن لهيعة ، ثنا عبد الله ابن هبيرة ، عن عبد الله بن زريـــر الغافقى ، عن على بن أبى طـــالب ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فانصرف ثم عـــاد ورأسه يقطر ماء ، فصلى بنا ثم قال : « انى صليت بكم آنفا وانا جنب ، فمن أصابه مثل الذى أصابنى أو وجد رزا فى بطنه فليصنع كمـــا صنعت » (٣٦) .

ثم أن الامام احمد رضى الله عنـــه اقتصر فى تدوين المسند على روايـــة الاحاديث دون اضافة أو تعليقـــات عليها أو على اسانيدها الا فيما ندر نسبيا ، فاذا علق هو أو ابنه عبد الله أو القطيعى فانما هى تعليقات قصيرة ومفيدة . وندر أن يملأ التعليق سطرا أو سطرين ، وكلها تدل على الحرص والامانة ، واليك بعض الامثلة :

١٠ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا يحيى ، عن سفيـــــان ، حدثنى سليمان عن ابراهيم التيمى ، عن الحرث بن سويد ، عن على رضى الله عنه ، قال ، « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلـــم عن الدباء والمزفت » .

قال أبو عبد الرحمن : سمعت أبى يقول : ليس بالكوفة عن علـــى رضى الله عنه حديث أصح من هـــذا . (٣٧) .

---

٣٢ — « المسند » الجزء الاول ، ص ٤٦٦ .
٣٣ — « المسند » الجزء الاول ، ص ٢٨٥ .
٣٤ — نفس المرجع .
٣٥ — المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .
٣٦ — الجزء الاول من المسند ، ص ٩٩ .
٣٧ — المرجع السابق ، ص ٨٣ .
٣٨ — نفس المرجع ، ص ١٣٢ ، ويلاحظ ان هذا الحديث من زيادات عبد الله بن احمد

١١ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابو بكر بن أبى شيبة ، ثنا أبو بكر ابن عياش ، عن أبى اسحق عن هبيرة عن على قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر ايقظ اهله ورفع المئزر » .

قيل لابى بكر : ما رفع المئزر ؟ قال: اعتزل النساء (٣٨) .

١٢ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا عباد بن العوام ، ثنا سفيان ابن حسين عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم . كتب كتاب الصدقة ، فلم يخرجه الى عماله حتى قبض ، فقرنه بسيفه فلما قبض عمل به أبو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض فكان فيه : « فى خمس من الابل شاة وفى عشر شاتان ، وفى خمس عشرة ثلاث شياه ، وفى عشرين أربع شياه ، وفى خمس وعشرين ابنة مخاض » .

قال لى أبى : ثم اصابتنى علة فى مجلس عباد بن العوام فكتبت تمام الحديث ، فاحسبنى لم أفهم بعضه فشككت فى بقية الحديث فتركته (٣٩) .

١٣ — « حدثنا عبد الله قال : قرأت على ابى هذا الحديث وسمعته منه ، قال : ثنا الاسود بن عامر ، ثنا شعبة قال عبد الله بن دينار ، اخبرنى ، قال: سمعت ابن عمر يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر قال : « من كان متحريها فليتحرها فى ليلة سبع وعشرين » قال شعبة : وذكر لى رجل ثقة عن سفيان انه كان يقول : انما قال : « من كان متحريها فليتحرها فى السبع البواقى » قال شعبة : فلا ادرى ذا أو ذا ، شعبة شك .

قال ابى — الرجل الثقة يحيى بن سعيد القطان (٤٠) .

١٤ — « حدثنا عبد الله ، حدثنا ابى ، ثنا عبد الصمد . ثنا همام ، ثنا عباس الجزرى ، ثنا عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ايما عبد كاتب على مائة أوقية فاداها الا عشر اواق فهو عبد ، وايما عبد كاتب على مائة دينار فاداها الا عشرة دنانير فهو عبد » .

كذا قال عبد الصمد : « عباس الجزرى » كان فى النسخة . « عباس الجويرى » « فاصلحه ابى كما قال عبد الصمد : الجزرى (٤١) .

١٥ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا يزيد بن هرون ، ثنا الحجاج ابن ارطاة ، عن عمرو بن شعيب ، عن ابيه ، عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد ابنته الى ابى العاص بمهر جديد ونكاح جديد » .

قال ابى فى حديث حجاج : « رد زينب ابنته » قال . هذا حديث ضعيف ، أو قال « واه » ، ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب ، انما سمعه محمد بن عبد الله العزومى ، والعزرمى لا يساوى حديثه شيئا ، والحديث الصحيح الذى روى أن النبى صلى الله عليه وسلم اقرهما على النكاح الاول (٤٢) .

---

٣٩ — الجزء الثانى من المسند ، ص ١٤ .
٤٠ — الجزء الثانى من المسند ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .
٤١ — نفس المرجع ، ص ١٨٤ .
٤٢ — نفس المرجع ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

١٦ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة عن ابى التياح ، قال : سمعت ابا زرعة يحدث عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يهلك امتى هذا الحى من قريش » قالوا — فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : « لو ان الناس اعتزلوهم » .

وقال ابى فى مرضه الذى مات فيه: اضرب على هذا الحديث فانه خلاف الاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، يعنى قوله : « اسمعوا وأطيعوا واصبروا » (٤٣) .

وقد يحدث التعليق على الاسناد فى اثنائه ، ومن ذلك ..

١٧ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا أبو النضر ، ثنا أبو عقيل — قال ابى وهو عبد الله بن عقيل ، صالح الحديث ، ثقة . — ثنا عمر بن حمزة عن سالم عن ابيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم العن فلانا ، اللهم العن الحرث بن هشام ، اللهم العن سهيل ابن عمرو ، اللهم العن صفوان بن امية » فنزلت هذه الآية : (ليس لك من الامر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) . قال . فتيب عليهم كلهم » (٤٤) .

وأحاديث المسند كلها مرفوعة الا قليلا من الموقوف أو المقطوع ، واسانيدها متصلة غير ما قد يبهم فيه اسم الصحابى أو اسم أحد الرواة أو يرويه المحدث عن راو آخر لا يتأتى أن يكون قد سمع منه مباشرة ، ومما ورد موقوفا على الصحابى نقتبس ما يلى :

١٨ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، حدثنا يعقوب بن ابراهيم ، ثنا ابى ، عن ابيه قال . وحدثنى حسين ابن عبد الله عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال . لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد ابن سهل يحفر لاهل المدينة فكان يلحد فدعا العباس رجلين ، فقال لاحدهما . اذهب الى ابى عبيدة ، وللآخر : اذهب الى ابى طلحة ، اللهم خر لرسولك . قال : فوجد صاحب ابى طلحة ابا طلحة فجاء به ، فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم » (٤٥) .

١٩ — حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ثنا روح بن عبادة ، ثنا شعبة عن يعلى ابن عطاء ، قال : سمعت عمرو بن عاصم بن سفيان بن عبد الله ، قال سمعت أبا هريرة يقول ان أوفق الدعاء أن يقول الرجل اللهم أنت ربى وانا عبدك ظلمت نفسى وأعترفت بذنبى ، يارب اغفر لى ذنبى انك أنت ربى ، انه لا يغفر الذنب الا أنت » (٤٦) ومما نسب الى تابعى ما يلى :

٢٠ — « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا محمد بن سلمة ، عن محمد ابن اسحق ، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال : قال لى على بن الحسين : « اسم جبريل عليه السلام عبد الله ، واسم ميكائيل عليه السلام عبيد الله » (٤٧) .

ومن الآثار الموجودة بالمسند نقتبس ما يلى :

---

٤٣ — الجزء الثانى ، ص ٣٠١ .
٤٤ — الجزء الثانى من المسند ، ص ٩٣ .
٤٥ — الجزء الاول ، ص ٨ .
٤٦ — الجزء الثانى ، ص ٥١٥ .
٤٧ — الجزء الخامس ، ص ١٥ ، ١٦ .

٢١ ــ « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا عبد الرزاق قال : أهل مكة يقولون : اخذ ابن جريج الصلاة من عطاء . وأخذها عطاء من ابن الزبير ، وأخذها ابن الزبير من أبى بكــر ، وأخذها أبو بكر من النبى صلى الله عليه وسلم . ما رايت أحدا أحسن صلاة من ابن جريج » (٤٨) . ومما حدث فيه انقطاع بابهام اسم الراوى ، أو بسبب تعذر سماع راو ممن يروى له فى الاسناد نسوق ما يلى :

٢٢ ــ « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا سريج بن النعمان ، ثنا بقية ابن الوليد ، عن ارطاة بن المنذر ، عن **بعض اشياخ الجند** ، عن المقدام بن معدى كرب ، قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عــن لطم خدود الدواب ، وقال : « ان الله عز وجل قد جعل لكم عصيا وسياطا » (٤٩) .

٢٣ ــ « حدثنا عبد الله ، حدثنى ابى ، ثنا معتمر ، قال : سمعت أيوب قال : وحدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى قال : ثنا أيوب المعنى عن حميد بن هلال عن أبى بردة عن **رجل من المهاجرين** يقــول : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « يأيهــا الناس توبوا الى الله واستغفروه ، فانى اتوب الى الله وأستغفره فى كل يوم مائة مرة ، أو اكثر من مائة مرة » (٥٠) .

٢٤ ــ « حدثنا عبد الله ــ حدثنى محمد بن أبى بكر المقدمى وأبو ربيع الزهرانى ، قالا : ثنا حماد بن زيد ، عن الحجاج ، عن عطاء ، عن عثمان قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فغسل وجهه ثلاثــا ويديه ثلاثا ، وغسل ذراعيه ثــلاثا ، ومسح رأسه وغسل رجليه غسلا » (٥١) .

ومن دأب الامام أحمد انه اذا روى حديثين متتاليين بسند واحد ان يذكــر الاسناد عند سياق الحديث الاول ، ولا يكرره عند سياق الحديث التالى ، وأوضح مثل لذلك ما صنعه فى روايته صحيفة همام بن منبه ، التى اقتبسنا بدايتها فى المقال الثانى من هـــذه السلسلة ، فلقد روى أحمد الحـديث الاول من هذه الصحيفة باسنادها عن عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن ابى هريرة ، ثم اتى على سائــر أحاديثها بدون اسناد مقدما لكل منهــا بقوله : « وقال أبو القاسم » ، أو : « وقال رسول الله صلى الله عليــه وسلم » ، أو نحو ذلك . ولم يكــرر الاسناد الا مرة واحدة عندما فصــل بين حديثين منها بزيادة من عنـــده ، فلما استأنف سرد ما بقى من الاحاديث كرر الاسناد فى أولها . (٥٢) .

أما اذا اختلف الاسناد ولـــو من طرفه الادنى فان الامام يأتى بالاسناد كاملا لكل حديث ، وأفضل مثل لذلك ما ورد بالمسند من أحاديث الصحيفة الصادقة فى سلسلة متصلة ، كلها عن طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو ابن العاص ، واليك ما يلى من هذه الصحيفة :

٢٥ ــ « حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، ثنا خلف بن الوليد ، ثنا أبــو جعفر ، يعنى الرازى ، عن مطــر الوراق ، عن عمرو بن شعيب ، عــن ابيه ، عن جده ، أنه قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وســلم

---

٤٨ ــ الجزء الاول ، ص ١٢ .

٤٩ ــ الجزء الرابع ، ص ١٣١ .

٥٠ ــ الجزء الرابع ، ص ٢٦١ .

٥١ ــ الجزء الاول ، ص ٧٢ . وهنــا يروى عطاء عن عثمان ولم يأخذ عطاء عنه مباشرة .

٥٢ ــ الجزء الثانى ، ص ٣١٨ .

٥٣ ــ الجزء الثانى ، ص ١٧٨ ،

يصلى فى نعليه ، ورأيته يصلى حافيا، ورأيته يشرب قائما ، ورأيته يشرب قاعدا ، ورأيته ينصرف عن يمينه ، ورأيته ينصرف عن يساره » (٥٣) .

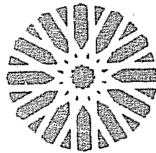
٢٦ ــ « حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، حدثنا اسماعيل ، ثنا ليث ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لا تنتفوا الشيب فانه نور المسلم ، ما من مسلم يشيب شيبة فى الاسلام الا كتب الله له بها حسنة ورفع بها درجة ، أو حط عنه بها خطيئة » (٥٤) .

٢٧ ــ « حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، ثنا اسماعيل ، عن ليث ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « من منع فضل مائه أو فضل كلئه منعه الله فضله يوم القيامة » (٥٥) .

وقول الراوى فى الاسناد : « عن جده » يعنى جد أبيه شعيب ، لا جد ابنه عمرو ، وجد شعيب هو عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهم جميعا ، ويقول فؤاد سيرجين فى شأن هذه الصحيفة (٥٦) : لا نستطيع ان نعرف من أسانيد ابن حنبل ما اذا كان استخدم الصادقة نفسها فى روايات مختلفة أو أنه استمر أحاديثه من مصادر أخرى » .

والذى نتأكده هو ان الامام احمد قد رواها كما روى غيرها من مكتوب لا من مجرد الذاكرة ؛ ولكنه فى نفس الوقت لم ينقل من مكتوب وحده دون سماع أو اجازة كما قد تشعر به هذه العبارة ، ونظرا لان الامام لم يأت باحاديث الصادقة كلها ، اعنى ما روى منها . دفعة واحدة بل وصل بعضه وفرق بعضه ، فانه يغلب على الظن انها لم تكن بيده فى مصدر واحد والا لاحتمل أن يروى ما روى دفعة واحدة متصلة كما صنع فى روايته لأحاديث صحيفة همام .

وبعد . فمسند الامام احمد من المصادر الاسلامية الجامعة ، ومن كنوز تراثنا الخالدة ؛ والحديث عنه يطول ، فمن أراد المزيد فليرجع الى المسند نفسه ليرتشف من معينه الخصب ، وبالفراغ من الكلام على مسند الامام ينتهى حديثنا عن مرحلة تدوين المسانيد لنشرع فى المقال القادم أن شاء الله فى الحديث عن مرحلة تدوين الصحاح والسنن . وبالله التوفيق .



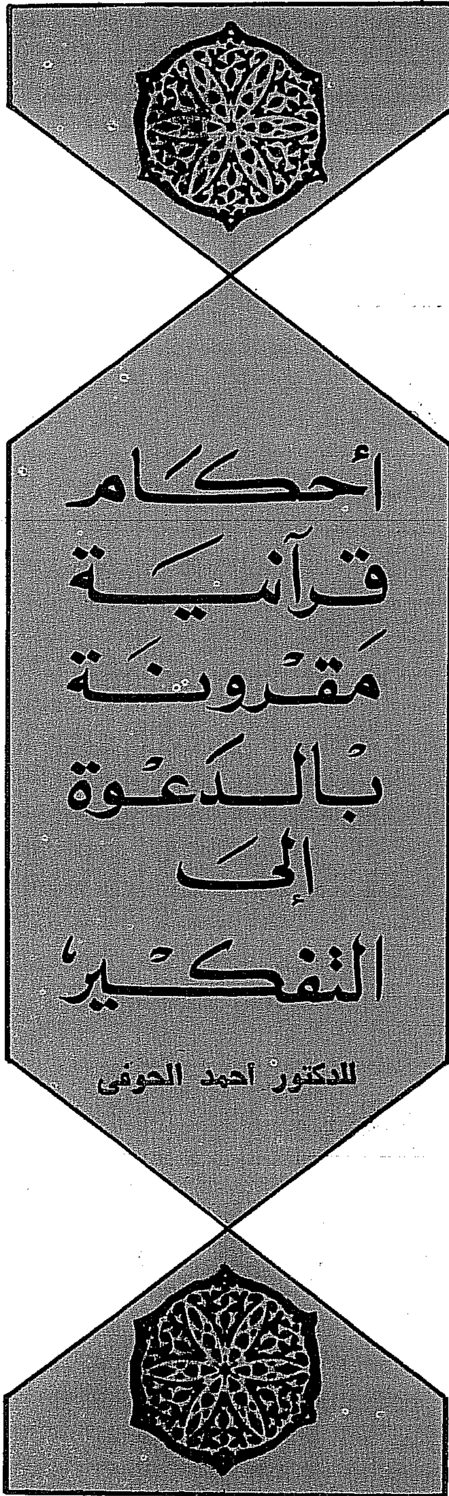
---

٥٣ ــ الجزء الثانى ، ص ١٧٨ .

٥٤ ــ الجزء الثانى ، ص ١٧٩ .

٥٥ ــ نفس المرجع ، قد يلاحظ أن الاسنادين للحديثين الاخيرين كل منهما عين الآخر، وقد وردا متتاليين ومع ذلك تكرر الاسناد . ولعل الامام كرر الاسناد هنا لانه فى احدهما يقول : « حدثنا ليث وفى الاخر يقول « عن ليث » فكررهما لهذا الاختلاف اليسير .

٥٦ ــ « تاريخ التراث العربى ، الجزء الاول ١٩٧٠ ، ص ٢٥٤ .



كثيرا ما قفى القرآن الكريم على أحكام شرعيـــة وعلى أوامر ونواه بالدعوة الى العـــلم بأسرارها ، والتفكير فى آثارها ، والمعـــرفة بحكمتها ، ليستبين الناس ما فيها من خير لهم أفرادا وجماعات ، وليزدادوا يقينا بأن الله تعالى قد فرضها عليهم وهو العليم بنفوس عباده ، الخبير بما يلائم طباعهم ، المحيط بما يصلحهم ويصلح لهم ، الغنى عن طاعتهم ، الذى لا تضره معصيتهم ، فالخير لهم فى أن يتبعـــوا ما أمرهم به ، وأن يجتنبوا ما نهاهم عنه عن عقيـــدة ويقين ، والا يحتكموا فيما أمرهم به أو نهاهم عنه الى أهوائهـــم ، لأن الأهواء تصرف عن الحـــق ، وتزين الشر ، ولأنها تتغاير وتتنافر وتتبدل وتفرق المجتمع ، وتشيع فيه البلبلة والفوضى والاضطراب ، فيفقد الوحدة والألفة والانسجام .

والأهواء الى هـــذا كله موقوتة لا دوام لها ، ضعيفة ليس لها من القـــوة الذاتيـــة والوازع النفسى ما لشرع الله تعالى .

فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم .

١ ـــ من هذا الضـــرب قوله ســـبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيـــوتا غير بيوتـــكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم ، لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيهـــا أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعـــوا فارجعوا ، هو أزكى لـــكم ، والله بما تعملون عليم »(١) .

وقوله ســـبحانه : « فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبـــة ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون »(٢) .

فى هذه الآيات أدب رفيع يأمر الله به عباده ، عسى أن يعوه ويتذكروه ويعقلوه ويعملوا به ، لأن فيه خيرا كثيرا لهم .

فلا يصح أن يقتحم أجنبى دارا غير داره قبل أن يستأذن ، ويحيى من فيها ، فان لم يجد بها أحدا فليس يصح له أن يدخل ، وان كان بها أحد ولم يأذن له بالدخول فعليه أن يرجع، لأن هذا من الآداب الاجتماعية التى ينبغى على المسلمين أن يراعوها ، حتى لا يؤذوا غيرهم بالمفاجأة أو الاطلاع على ما لا يصح أن يطلعوا عليه من شئون الناس ودخائلهم وأسرارهم ، وحتى يشعر كل شخص بأنه فى مسكنه حر آمن طليق يستريح اذا شاء ، ويتصرف كما يشاء ، ويلبس ما يريد ، ويعمل ما يشتهى ، وينام كما يحب .

ولا شك أن الاستئذان يمهد للقاء طيب بين الزائر والمزور ، ويعد الحالة النفسية الملائمة للمجالسة والمؤانسة والحديث .

٢ — ومن هذا الضرب قوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل : فيهما اثم كبير ومنافع للناس، واثمهما أكبر من نفعهما ، ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . فى الدنيا والآخرة »(٣) .

فقد تدرج القرآن الكريم فى تحريم الخمر ، فنزلت فيها أربع آيات على أربع فترات . أولاها قوله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » (٤) فكان المسلمون يشربونها حلالا لهم ، ثم قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أفتنا فى الخمر ، فانها مذهبة للعقل ، سالبة للمال، فنزل قوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما »(٥) ، فشربها قوم وتركها آخرون .

ثم اجتمع بعض المسلمين فشربوا حتى ثملوا ، وحانت الصلاة ، فقرأ الامام فأخطأ فى القراءة ، فنزلت الآية الكريمة : « ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »(٦) ، فقل من يشرب الخمر بعد ذلك .

ثم سكر بعضهم ، فتفاخروا وتهاجوا وتضاربوا ، فكان التحريم القاطع فى قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العدواة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (٧) .

فانتهى المسلمون عن الخمر بعد أن حرمها الله تعالى ، وجاء فى ختام التحريم أن الله يبين الأحكام للذين يفكرون فى أمورهم الدنيوية والأخروية ، فيعملون ما يصلح لكل من الدارين ، ويؤثرون الآخرة على الاولى .

٣ — كذلك نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن اتخاذ الكفار أصفياء لهم ، لأن الكفار لا يألون جهدا فى ايذاء المؤمنين والكيد لهم ، ليحيق الهلاك بهم ، وان المؤمنين ليستطيعون أن يتبينوا هذا فى بعض ما يبدر من ألسنة هؤلاء الأعداء ، على الرغم من حرصهم الشديد على كتمان ما فى

نفوسهم ، وليس من شك فى أن ما تخفى صدورهم أكبر .

هذه الحقيقة كشف الله عنها للمؤمنين العقلاء الذين يتدبرون فيما بينه لهم ربهم ليعملوا به ، فيخلصوا لدينهم ، ويوالوا أحباب الله ويعادوا أعداءه .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » (٨) .

٤ ـــ ونهى الله تعالى عن الاشراك ، وأمر ببر الوالدين ، ونهى عن قتل الأولاد فرارا من الفقر ، ونهى عن ارتكاب الفواحش جهرة وفى الخفاء ، ونهى عن القتل الا فى قصاص أو جهاد أو رجم ، وجاء فى ختام هذا كله أن المسلمين متوقع منهم أن يفعلوا ما وصاهم به ربهم ، ليعملوا ما أمر به ، وليكفوا عما نهاهم عنه ، ثم نهى عن رذائل ، وأمر بفضائل ، وعقب على النهى والأمر بالتذكر والتعقل والتقوى .

قال سبحانه : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، الا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكّرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (٩) .

٥ ـــ كان بنو عامر فى أيام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا يقيم حيـهم ، ولا ياكلون دسما ، يريدون بذلك أن يعظموا حجهم ، فقال بعض المسلمين : نحن أولى بأن نصنع هذا الصنيع ، فأمرهم الله بأن يأكلوا ويشربوا ولا يسرفوا ، وبأن يلبسوا ثيابهم ، ويتجملوا فى صلاتهم ، لأن الذين يحرمون التجمل فى الصلاة وما لذ من طعام وشراب يكذبون على الله .

ووعد الله عباده المؤمنين أن تكون طيبات الدنيا التى يشاركهم فيها الكفار خالصة للمؤمنين يوم القيامة ، وجاء فى ختام الآية أن الله تعالى يفصل الأحكام لقوم يدركون ويعلمون أن الله تعالى هو الذى يحلل ويحرم .

ومعنى هذا أن التحليل والتحريم الخاضع للأهواء افتراء على الله ، واجتراء على العلم ، ولهذا قال ابن عباس : كل ما شئت ، والبس ما شئت ، ما أخطأتك خصلتان : سرف ومخيلة .

قال تعالى : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل : من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل : هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » (١٠) .

٦ — وقال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ، فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون . بالبينات والزبر ، وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون »(١١) .

وذلك أن قريشا أنكروا أن يكون رسول الله بشرا مثلهم يأكل ويشرب ويمشى فى الاسواق ، فرد عليهم سبحانه وتعالى بأن رسله السابقين جميعا بشر ، ولكن الله اختصهم بالوحى ، وطلب من المنكرين أن يسألوا اليهود والنصارى ليعلموا منهم أن الله لم يبعث الى الأمم السابقة الا رجالا يوحى اليهم .

ثم بين لهم أنه أنزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم ليوضح للناس ما امروا به ، وما نهوا عنه ، وما بشروا به ، وما أنذروا ، لعلهم يصغون الى أمره ونهيه وتبشيره وتحذيره اصغاء من يتدبر ويتأمل ويعى .

٧ — وفى القرآن الكريم كثير من هذا الضرب :

أ) فمثلا بعد تفصيل أحكام فى معاملة المسلمين للمشركين قال تعالى : « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ، ونفصل الآيات لقوم يعلمون »(١٢) .

ب) وبعد بيان بعض أحكام الطلاق قال سبحانه : « وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون »(١٣) .

جـ) وبعد الأمر بالعدل والاحسان واعطاء الأقارب والنهى عن الفاحشة والمنكر والعدوان تعقيب بالدعوة الى التذكر للعمل بما أمر الله واجتناب ما نهى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون »(١٤) .

د) وبعد الأمر بالايمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله تعقيب بأن هذا هو الخير لمن يعلمون وينكرون « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »(١٥) .

هكذا تقترن كثير من الأحكام بتقدير العلم ، والحض على الفكر ، والدعوة الى التدبر ، والحث على التذكر ، لأن القرآن الكريم يربى العقول ، ويغذى القلوب ، ويرفع العلم والعلماء مكانا عليا .

---

(١) سورة النور ٢٧ ، ٢٨ .
(٢) سورة النور ٦١ .
(٣) سورة البقرة ٢١٩ ، ٢٢٠ .
(٤) سورة النحل ٦٧ .
(٥) سورة البقرة ٢١٩ .
(٦) سورة النساء ٤٣ .
(٧) سورة المائدة ٩٠ ، ٩١ .
(٨) سورة آل عمران ١١٨ .
(٩) سورة الانعام ١٥١ — ١٥٣ .
(١٠) سورة الأعراف ٣١ ، ٣٢ .
(١١) سورة النحل ٤٣ ، ٤٤ .
(١٢) سورة التوبة ١١ .
(١٣) سورة البقرة ٢٣٠ .
(١٤) سورة النحل ٩٠ .
(١٥) سورة الصف ١٠ ، ١١ .



للدكتور : محمد سلام مدكور

الحكم الوضعى هو خطاب الله المتعلق بجعل الشىء سببا أو شرطا أو نافعا او صحيحا أو غير صحيح . فالحكم الوضعى على هذا ينحصر فى هذه الأقسام : السببية ، الشرطية ، المانعية ، الصحة وعدمها ، وان كان بعض الأصوليين يرى أن الصحة والفساد يرجعان الى الحكم التكليفى اذ الصحة ترجع الى إباحة الانتفاع ، والبطلان يرجع الى التحريم ، ويرى البعض أنها حكم عقلى اذ العقل يمكنه ادراك صحة الأشياء دون خطاب الشارع ، ويرى آخرون أن الصحة فى المعاملات حكم وضعى لآن ترتب الأثر على العقد من فعل الشارع ، أما فى العبادات فعقلية ..

مسلك الحنفية فى الحكم الوضعى :

لفقهاء الحنفية فى الحكم الوضعى مسلك يختلف بعض الاختلاف عن مسلك غيرهم ، فهم يرون أن خطاب الشارع اذا لم يدل على اقتضاء أو تخيير وكان دالا على صفة لشىء مرتبط بالحكم التكليفى ككونه سببا أو شرطا فيه أو مانعا منه سمى خطاب وضع ويقسمون الحكم الوضعى ثمانية أقسام : ركن ، وعلة ، وسبب ، وشرط ، وحكمة ، وعلامة ، ومانع ، وصحة وفساد .

وعلى كل فالحكم الوضعى مرتبط بالحكم التكليفى لأنه اما أن يكون سببا له جعله الشارع ليعرف به توجه الخطاب اذ من شأن الحكم أن يكون له سبب يعرف المكلف به توجه الخطاب اليه ، كما أن من شأنه أيضا أن يكون له شرط يتوقف عليه اعتبار الحكم ، وأن يكون له مانع ينعدم الحكم بوجوده **واليك بيان كل منهـا .**

اولا ـــ السـبب :

السبب فى اللغة كل ما يتوصل به الى غيره وعند الأصوليين معنى ظاهر منضبط جعله الشارع أمارة للحكم بمعنى انه إذا وجد توجه الخطاب الى المكلف ومن الأصوليين من عرف السبب بأنه مايلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم .

اقسام السبب : ينقسم باعتبارات مختلفة الى عدة تقسيمات .

ا ـــ فينقسم من ناحية قدرة المكلف على فعله الى قسمين :

١ ـــ سبب من فعل المكلف وفى مقدوره كالسفر الذى رخص الشارع من أجله فى الافطار والقصر وكعقد الزواج الذى جعله الشارع سببا فى حل العشرة بين الزوجين وعقد البيع الذى جعله الشارع سببا فى تملك المبيع وكذا جميع أفعال المكلفين التى رتب الشارع عليها أحكاما . وهذا النوع قد يكون مأمورا به كالنكاح الواجب للقادر عليه الذى يخشى الوقوع فى الزنى ، وقد يكون منهيا عنه كالقتل بغير حق فانه سبب لوجوب القصاص ، وقد يكون مباحا كالسفر الذى هو سبب الفطر والقصر وعقود المعاوضات المالية من بيع واجارة التى هى سبب فى ترتب الآثار عليها وهذه الأسباب التى هى من فعل المكلف اذا نظرنا اليها من جهة كونها يطلب فعلها أو تركها أو الاذن فيها تكون من قبيل الحكم الاقتضائى أو التخييرى ، ومن جهة كونها سببا فى ترتب شىء آخر تعتبر من قبيل الحكم الوضعى .

٢ ـــ سبب ليس من فعل المكلف ومقدوره مثل دخول وقت الصلاة فإنه سبب لوجوبها ومثل الاضطرار الذى هو سبب لاباحة المحظور ، ومثل البلوغ الذى هو سبب فى سقوط الولاية ، والقرابة التى هى سبب فى استحقاق الارث. وهذا القسم من قبيل الأحكام الوضعية الصرفة .

ب ـــ وينقسم السبب من ناحية ترتب الحكم التكليفى عليه الى قسمين :

١ ـــ سبب يترتب عليه حكم تكليفى ، سواء كان من فعل العبد كالقتل الذى يترتب عليه وجوب القصاص أم كان ليس من فعل العبد ولا فى مقدوره كدخول الوقت الذى هو سبب فى وجوب الصلاة .

٢ ـــ سبب لا يترتب عليه حكم تكليفى سواء كان من فعل المكلف كسائر العقود التى تترتب عليها آثارها من ثبوت الملك فى البيع والحل فى الزواج أم كان ليس من فعل المكلف ولا فى مقدوره كالموت الذى يترتب عليه الارث .

جـ ـــ وينقسم السبب من ناحية مشروعيته الى قسمين :

١ ـــ أسباب ممنوعة لإفضائها الى المفسدة وان اتصل بها شىء من المصلحة كما فى الأنكحة الفاسدة فانها أسباب ممنوعة وان أدت الى الحاق الولد بأبيه نتيجة الدخول .

٢ ـــ أسباب مشروعة : وان اتصل بها مفسدة كالأمر بالمعروف والنهى عن

المنكر فان كليهما سبب مشروع لما يترتب عليه من اقامة الدين وان اتصل به اتلاف مال أو نفس وكذا الجهاد فانه سبب مشروع لاعلاء كلمة الله وان اتصل به فساد في المال والنفس .

ارتباط السبب بالمسبب :

تترتب المسببات على الأسباب التي جعلها الشارع امارة لها ولو لم يرد الفاعل لأن المرتب للأحكام هو الشارع لا الفاعل فالنكاح تترتب عليه جميع احكامه ولو لم يرغب فيها العاقد ولذلك فان المهر يثبت بالعقد حتى لو اتفقا على نفي المهر عند التعاقد ، وكذلك الطلاق فانه يقع في محله ممن هو أهل لايقاعه حتى لو قصد بلفظ الطلاق عدم الايقاع(واذا بدا لنا تخلف المسبب عن السبب في بعض الصور فان مرجع ذلك في الواقع يكون نتيجة تخلف شرط أو وجود مانع سواء أدرك العقل ذلك كتخلف النسل عن الوقاع وتخلف الانبات عن القاء البذر ، أو لم يدرك العقل كما يحدث في خوارق العادات كعدم احراق النار لابراهيم وكاحياء عيسى للموتى باذن الله فان المسبب فيها قد تخلف عن سببه وهو النار المحرقة بطبيعتها وزهوق الروح المفضي الى الموت ولا ينافي هذا ما يقوله الاصوليون من أن الأمر بالسبب لا يستلزم الأمر بالمسبب فان معناه أن الشارع لم يقصد في التكليف بالأسباب التكليف بالمسببات فواضح أن الأمر بالزواج وهو سبب في التناسل لا يستلزم الأمر بالنسل اذ هو ليس في مقدور الأفراد وانما هو من فعل الله .

فمشروعية الأسباب لا تستلزم مشروعية المسببات فاذا تعلق الحكم الشرعي بالسبب لا يلزم أن يتعلق بالمسبب فالأمر بالنكاح لا يستلزم الأمر بحلية البضع لأن المكلف مأمور بتعاطي الأسباب وليس عليه أن تتم المقاصد .

فالمسببات من فعل الله ولذلك قالوا : على المرء أن يسعى وليس عليه إدراك المقاصد ، كما أن الآيات القرآنية تدل على ضمان الرزق نفسه لا التسبب فيه اذ لو كان المراد نفس التسبب لما طولب المكلف بتعاطي الأسباب لأنها مضمونة ومن الواضح أن المسبب في استحقاق العقوبة لا يكون قاصدا وقوع العقوبة عليه ولو راغبا في العقاب أما في غير المنهيات من الأسباب المطلوب فعلها أو المأذون فيها فان الكثير منها ما يترتب عليه مالا يتفق مع رغبة الفاعل فكثيرا ما يتعاطى الفرد السبب معرضا عن بعض آثاره فتقع رغم اعراضه ومن ذلك من يتزوج بقصد الاستمتاع دون رغبة في النسل فيحدث النسل رغم ذلك . وكثيرا ما يقصد من السبب نتيجته التي تنشد منه عادة فلا تقع ، فمن يسعى لنيل بعض مآربه ويحشد لتحقيقها جميع الأسباب المألوفة فيتخلف مطلوبه بل وقد تكون النتيجة عكسية .. فالربط بين السبب والمسبب بفعل الله سبحانه وتعالى .

ثانيا ـ الشرط :

الشرط في اللغة العلامة واشراط الساعة علاماتها . ويعرفه الأصوليون بأنه ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم أو هو الوصف الظاهر المنضبط الذى يتوقف عليه وجود الشيء من غير افضاء اليه . فالحكم لا يتحقق وجوده الشرعي بحيث تترتب عليه آثاره الا اذا وجد شرطه فمثلا يتوقف وجود الصلاة المجزئة الصحيحة على وجود شروطها الشرعية من طهارة البدن والثوب وستر العورة واستقبال القبلة مع أنه لا يستلزم من تحقق هذه الشروط ووجودها وجود الصلاة نفسها فقد يتطهر الفرد ويستر عورته ويستقبل القبلة دون أن يقوم بالصلاة فعلا .

ويفترق الشرط عن السبب . اذ السبب يفضى الى المسبب فوجود السبب يستلزم وجود المسبب كما قلنا ، لكن وجود الشرط لا يستلزم وجود المشروط فيه. فالمسبب مرتبط بالسبب وجودا ، والمشروط فيه مرتبط بالشرط عدما ، فدلوك الشمش فى كبد السماء اذا وجد وجد التكليف بالصلاة كما أن الوضوء يلزم من عدمه عدم الصلاة ولا يلزم من وجوده شىء .

أقسام الشرط :

أ — وينقسم الشرط من ناحية النظر الى الحكم التكليفى الوضعى قسمين:
شرط تكليفى . وهذا من ناحية كونه شرطا فى شىء آخر يعتبر حكما وضعيا ومن حيث كونه مطلوبا بذاته فهو حكم تكليفى وهو باعتبار ما فيه من تكليفه إما أن يكون مأمورا به كالطهارة للصلاة ، أو منهيا عنه كنكاح المحلل الذى هو شرط لمراجعة الزوجة المطلقة ثلاثا وانقاص النصاب قبل تمام الحول فانه شرط لاسقاط الزكاة وهو منهى عن تعمده وواضح ان هذا النوع من الشروط قصده الشارع فعلا أو تركا وله فى الحقيقة — كما قلنا — اعتباران فمن ناحية كونه شرطا فهو حكم وضعى ومن ناحية طلب فعله أو تركه فهو تكليفى .
ب — شرط وضعى بحت . غير مطلوب الفعل أو الترك ولكن ينظر اليه من ناحية شرطيته فقط فيلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده شىء وهذا كحولان الحول فى الزكاة والاحصان فى الزنى للرجم والحرز فى السرقة للقطع فانها كلها شروط وضعية لا تكليف فيها وليس للشارع قصد فى تحصيله من حيث هو شرط كما أنه لا قصد للشارع فى عدم تحصيله .

٢ — وينقسم الشرط باعتبار صلته بالسبب قسمين :

أ — شرط للسبب . فيكمله ويرتب عليه اثره كالعمدية فى القتل لوجوب القصاص ، وكالشهادة فى عقد الزواج لحل المتعة . فالقتل سبب لوجوب القصاص ولكن شرط سببيته أن يكون عمدا عدوانا وعقد الزواج سبب لما ترتب عليه من الآثار لكن بشرط وجود الشاهدين وكذا فان مرور الحول شرط لملك النصاب المالى الذى هو سبب لوجوب الزكاة فى الأموال .
ب — شرط للمسبب فيكمله مثل موت المورث موتا حقيقيا أو حكميا وحياة الوارث وقت وفاة المورث فهما شرطان للارث الذى سببه القرابة أو الزوجية أو الولاء على ما بيناه فى كتابنا (أحكام الأسرة فى الاسلام) الجزء الرابع الخاص بالميراث .

٣ — وينقسم الشرط باعتبار مصدره قسمين :

أ — شرط شرعى وهى الشروط التى يشترطها الشارع فى جميع المهايا الشرعية كالزواج والبيع والهبة والاجارة وغير ذلك ، وما اشترطه للعبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج .
ب — شرط جعلى اشترطه المتعاقد فى عقده ، وما يشترط فى التصرفات التى يتم فيها الالتزام من جانب واحد كالطلاق والوقف والوصية والجعالة (الوعد بمكافأة) ومع هذا فقد وضع الشارع حدودا لما يشترطه الناس اذا التزموها كانت العقود صحيحة والشروط ملزمة واذا تجاوزوها كانت الشروط

لاغية ومع هذا فقد تؤثر على العقد نفسه فتبطله . على ما بيناه تفصيلا فى كتابنا (المدخل للفقه الاسلامى) .

ثالثا ــ المانع :

المانع فى اللغة الحائل بين الشيئين ، وفى الاصطلاح الاصولى . وصف يمنع تحقق الحكم حتى مع قيام السبب أو ما اعتبره الشارع حائلا دون وجود الحكم أو دون اقتضاء السبب فهو إما مانع للحكم كاختلاف الدين فى منع الارث بين غير المسلم والمسلم . فالارث حكم وسببه القرابة أو الزوجية واختلاف الدين مانع من الأرث الذى هو الحكم وإما مانع للسبب كالدين ــ بسكون الياء ــ بالنسبة لملك نصاب الزكاة فملك النصاب سبب فى وجوب الزكاة بشرط حولان الحول والدين مانع من تحقق السبب .

ويقسم الجمهور المانع قسمين : مانع مؤثر فى السبب ، ومانع مؤثر فى الحكم وقد مثلنا لهما . بينما يقسمه الشاطبى أربعة أقسام (١) .

١ ــ مانع لا يجتمع مع الطلب الآمر أو الناهى نحو زوال العقل بنوم أو جنون فانه لا يجتمع مع الطلب الذى هو التكليف .

٢ ــ مانع يمكن اجتماعه مع الطلب فيرفعه من أصله كالحيض والنفاس الذى يرفع أصل الطلب بالنسبة للصلاة ومس المصحف .

٣ ــ مانع يمكن اجتماعه مع الطلب لكنه لا يرفع أصل الطلب التكليفى وان رفع اللزوم وحوله الى طلب تخييرى مثل الانوثة المانعة من وجوب صلاة الجمعة والعيدين ، والجهاد ولكنها لا تمنع من التخيير فى فعلها .

٤ ــ مانع يرفع الطلب بمعنى رفع الاثم فقط كأسباب الرخص التى تمنع التحتم بمعنى رفع الحرج عن تارك العزيمة ميلا الى جهة الرخصة كقصر المسافر للصلاة وفطره وتركه للجمعة (٢) .

اما الحنفية فانهم يقسمون المانع خمسة انواع :

١ ــ مانع يمنع انعقاد السبب مثل بيع الميتة فهو غير منعقد اذ كون محل العقد ميتة منع السبب ــ العقد ــ من صلاحيته لترتب الأثر الشرعى عليه .

٢ ــ مانع يمنع تمام السبب بالنسبة لغير العاقد كبيع الفضولي فانه يتوقف على اجازة المالك ، ولكن السبب قد تم بالنسبة للفضولي ولذا فانه لا يملك فسخ العقد فيما يمكن نفاذه عليه شخصيا عند عدم اجازة الأصيل كما لا يملك فسخه فيما لا يمكن نفاذه عليه .

٣ ــ مانع يمنع ابتداء الحكم كخيار الشرط لاشتراطه للملك فبالنسبة للبائع مثلا نجده يمنع خروج البيع من ملكه مع انعقاد العقد فى حقهما ولذا يثبت الملك للمشترى من وقت البيع دون حاجة الى امر آخر بعد ارتفاع الخيار بانتهاء المدة أو الاختيار .

٤ ــ مانع يمنع تمام الحكم كخيار الرؤية فمن اشترى ما لم ير فله الخيار اذا رأى ويملك المبيع بمجرد العقد لكن لا يتم القبض مع عدم الرؤية . فله أن يرد المبيع ويفسخ العقد دون توقف على قضاء أو رضاء الآخر .

٥ ـ مانع يمنع من لزوم الحكم مع ثبوته كخيار العيب الذى يمنع لزوم الملك رغم ثبوته اذ المشترى له حق التصرف فى المبيع بالبيع وهذا امارة ثبوت الملك ، كما أن له حق الفسخ للعيب .

بقى أن نقول أن الموانع غير مقصودة للشارع ولا يجوز التماسها لتعليل الاحكام فالمكلف غير مطلب بتحصيل الموانع أو رفعها مع ملاحظة أن التحايل بفعل الموانع لاسقاط الاحكام أمر مذموم وحرمه جمهور الفقهاء .

الصحة والفساد وصلتهما بالحكم الوضعى :

الصحة كما يقول البيضاوى (٣) استتباع الغاية وهو فى المعاملات يختلف عنه فى العبادات فتتحقق الصحة فى العبادات بوقوعها مجزئة على وجه لا يجب معه قضاؤها كما يرى الفقهاء وتتحقق فى المعاملات بصلاحيتها لترتب آثارها عليها .

والفساد : عدم موافقة الفعل ذى الوجهين أمر الشرع فلا يترتب عليه اثره أو هو عدم استتباع الغاية دون نظر لسبب الفساد كما يرى جمهور الفقهاء اذ كل ما لا يترتب عليه أثره فهو فاسد أو باطل سواء كان الخلل فى أصله وأركانه او فى وصف اتصف به وأمر خارج عنه ـ مع هذا فالاسنوى يقول(٤): ان دعوى ترادف الفساد والبطلان ممنوعة باطلاقها لأن ذلك خاص ببعض أبواب الفقه كالصلاة والبيع واما الحج والعارية والكتابة والخلع وغيرها فقد فرقنا فيها بين الفساد والبطلان .

أما الحنفية فانهم وان وافقوا غيرهم فى عدم التفريق بين الفساد والبطلان فى العبادات وما الحق بها كعقد الزواج فانهم يفرقون بينهما فى غير ذلك من العقود والتصرفات وقالوا ان الباطل ما لم يشرع بأصله ولا بوصفه والفاسد من العقود ما شرع بأصله دون وصفه .

وأساس هذا الخلاف أن الجمهور لا ينظرون الى سبب نهى الشارع عنه ويرون كل ما نهى عنه الشارع غير صحيح ولا يترتب عليه أى أثر . أما الحنفية فينظرون الى سبب النهى فان كان يرجع الى أصل العقد انعدم وجوده فى نظر الشارع أما اذا كان النهى لوصف لحق بالعقد فانه قد تترتب عليه بعض الآثار على ما بيناه تفصيلا فى موضعه (٥) .

وبذا نكون قد انتهينا من موضوع الحكم الوضعى ومن أقسام الحكم الشرعى عامة أرجو أن أكون قد أحسنت عرضه وبينته للقارىء حتى يكون على بينة من الأحكام الشرعية التى فى اتباعها والمحافظة عليها عصمة ديننا وصلاح دنيانا ، وفقنا الله الى تفهم أحكامه والسير فى جميع مرافق الحياة على ضوئها حتى تسلم لنا عاقبتنا وننعم برضاء الله وتحسن لنا حياتنا الدنيا كما حسنت لسلفنا فى صدر الاسلام ونطمئن الى حسن العاقبة .

---

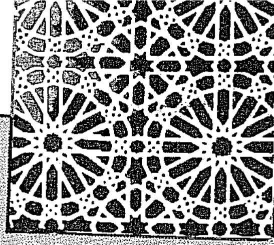
(١) الموافقات ﻫ ١ ص ١٤٨ .

(٢) وجهة نظر الشاطبى فى اعتبار هذا قسما انه لا بد فيه من الاولوية فلا يستوى فيه الامران .

(٣) المنهاج ﻫ ١ ص ٤٢ .

(٤) حاشية الاسنوى على المنهاج ﻫ ١ ص ٤٣ .

(٥) مباحث الحكم عند الاصوليين ، المدخل للفقه الاسلامى .



أضواء على حركة المنافقين في عهد النبوة

للأستاذ / عبد القادر طاش التركستاني

الحلقة – ٢

● **خطورة المنافقين :**

شكل المنافقون فى عهد النبوة خطرا عظيما على الصف الإسلامى وعملوا على تفتيت وحدة المسلمين وبث بذور الفرقة والتخاذل بين الناس وكانوا أشد خطرا من المشركين لأنهم يختصون – زيادة على الكفر – بأمور منكرة منها : –

(١) أن المنافق قصد التلبيس والكافر لم يقصد ذلك .

(٢) أن الكافر لم يرض لنفسه الكذب بل استنكف منه والمنافق رضى به .

(٣) أن المنافق يفقد بنفاقه خلق الشجاعة والشهامة ويتردى من نفاقه فى الخصال الدنيئة كالجبن والخداع والتردد .

(٤) أن المنافق أخطر من الكافر على المؤمن لعدم وضوح معتقده (١) .

(ولقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين وكشف أسرارهم فى القرآن

وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منهم على حذر) (٢) .

والآيات التي تحدثت عن (النفاق والمنافقين) لو ضمت الى بعضها لبلغت ما يقرب من عشر القرآن الى جانب آيات أخرى تنص على أمور عامة يمكن أن تشمل المنافقين وغيرهم من الكفار والذين فى قلوبهم مرض .

ومن أجل هذه الخطورة يحذر القرآن المسلمين — دائما — من موالاة المنافقين فيقول (**يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين**) (٣) ويقول : (**ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله**) (٤) ويقول : (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا باطنة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**) (٥) وبيّن القرآن مصير المنافقين فى اليوم الآخر بأوضح بيان ليحذّر المسلمين من انتهاج سبيلهم ، والركون إليهم فقال تعالى : (**إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار**) (٦) وهو مصير يتفق مع عملهم الخبيث فى الأرض . لقد كانوا — فى الحياة الدنيا — يزاولون تهيئة أنفسهم لهذا المصير المهين .

وبعد أن حرر الله بهذه الآيات ضمير الفرد المسلم وتحذير الجماعة المسلمة من الاطمئنان الى المنافقين أمر المسلمين بجهادهم فقال تعالى : (**يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير**) (٧) .

وهذا الجهاد ضرورة لحماية المعسكر الإسلامى والمجتمع المسلم من هذه العناصر المخربة والعصبة الفاسدة (وتجمع الآية بين الكفار والمنافقين فى الأمر بجهادهم والغلظة عليهم لأن كلا من الفريقين يؤدى دورا مماثلا فى تهديد المعسكر الاسلامى وتحطيمه أو تفتيته) (٨) ولقد اختلف فى هذا الجهاد .. وكيف يكون ؟؟

(١) فقال بعضهم — وروى ذلك عن على رضى الله عنه — هو الجهاد بالسيف كالمشركين وقد اختار هذا الرأى ابن جرير رحمه الله (٩) .

(٢) وقال بعضهم : بل تكون الغلظة فى المعاملة والمواجهة وكشف خبيئاتهم للأنظار ، وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه (١٠) .

(٣) وقال بعضهم : جهاد المنافقين : أخذ الحيطة من مكرهم وعدم تمكينهم من ادخال الفتنة على المؤمنين (ومجاهدة المنافقين ... تقتضى فى حد ذاتها بذل الجهد والآية الكريمة لم تحدد هذا الجهد فهو يشتمل على طرق لا حصر لها : من اظهار الحجة والدعاية الحسنة والأخذ باللين أو بالشدة حسب الظروف الملائمة وفى هذا أبلغ الاعجاز إذ يترك الباب مفتوحا للذكاء أن يتخذ ما يستطيعه من وسائل لإحباط كيد النفاق فى حدود ما أحل الله دون اقتحام لأبواب الآثام والمنكرات) (١١) .

ومن هنا فانه يتحتم علينا أن نتعرف على موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من المنافقين ..

● **موقف الرسول من المنافقين :**

لخص الأستاذ (البهى الخولى) موقف الرسول من المنافقين فيما يلى :

١ — كان يترك الى الله سرائرهم

---

(١) النفاق والمنافقون ٢٨٦ . (٢) صفات المنافقين ١٦ (٣) الاحزاب ١
(٤) الاحزاب ٤٨ (٥) آل عمران ١١٨ (٦) النساء ١٤٥ (٧) التوبة ٧٣
(٨) الظلال م٨ ج ١٧٢/٢٨ (٩) الظلال م ٤ ج ٢٥٥/١٠ (١٠) نفس المصدر .
(١١) النفاق والمنافقون ٣٥٣

ويعاملهم بما يبدو من ظواهرهم ، جاءه منافق ليتوب من نفاقه فقال : يا رسول الله الإيمان على لساني والنفاق في قلبي ولا أذكر الله الا قليلا . فقال عليه السلام : اللهم اجعل له لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وارزقه حبي وحب من يحبني وصير امره الى خير . فقال الرجل : يا رسول الله إنه كان لي أصحاب من المنافقين ، وكنت رأسا فيهم أفلا آتيك بهم ؟ فقال عليه السلام : من أتانا استغفرنا له ومن أصر فالله أولى به ولا تخرقن على أحد سترا .

٢ — كان يشفق عليهم من اثم ما يجرمون فاذا أنبأه الله من أمرهم شيئا استدعى أحد أصحابه فقال له : ادرك القوم فانهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا . فان أنكروا فقل : بلى قلتم كذا وكذا كما حدث في غزوة تبوك لما حاولوا ارهاب المسلمين من الروم .

٣ — كان يشعرهم أن اغضاءه عنهم هو اغضاء الكريم الذكي الفطن لا اغضاء الغفلة والبلادة فكان أحيانا يغمزهم بمايكاد يكشف أمرهم ، فكلامهم غير كلام المؤمنين الصرحاء (**فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول**) (١٢) وأحوالهم غير أحوال المؤمنين المطيعين (**ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة**) (١٣) ولكنهم لم يعدوا شيئا كما أعد غيرهم فكان من علامة المنافقين عدم اهتمامهم بالاستعداد للقتال اكتفاء بعذر كاذب يعتذرون به للرسول ، بل كان الاعتذار نفسه من جملة صفاتهم المميزة لهم ..

٤ — وصف ما عليهم من الجبن وتفاهة القدر .. (**فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم طاعة وقول معروف**) (١٤) (**وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة**) (١٥) ، (١٦) .

من خلال ما تقدم نرى السماحة النبوية العظيمة ، والموقف العادل الكريم ، فلا نملك الا أن نقف اجلالا لتلك السماحة وأن نصف ذلك الموقف بأنه أعدل المواقف .

.. لقد أمسك النبي عن قتل المنافقين مع علمه بنفاقهم ، وقد نشأ بين الأئمة الفقهاء في هذا الصدد كثير من الجدل والنقاش نلخصه في النقاط الآتية : —

١ — قال الامام مالك رحمه الله : النفاق في عهد رسول الله هو الزندقة فينا اليوم فيقتل الزنديق اذا شهد عليه دون استتابه ، وانما كف رسول الله عن قتل المنافقين ليبين لأمته أن الحاكم لا يحكم بعلمه اذا لم يشهد احد على المنافقين وقد نقل في ذلك أنه لم يشهد على ابن أبي الا زيد بن أرقم وحده ، ولا على الجلاس بن سويد إلا عمير بن سعد ربيبه ولو شهد على أحد منهم رجلان بكفره ونفاقه لقتل .

وقد رد على ذلك : —

أ — بأن النبي حكم بقتل الحارث بن سويد لأنه قتل المجذر بن زياد غيلة في موقعة أحد وعلم النبي بذلك عن طريق الوحي وقضى بقتل الحارث لهذا العلم .

ب — ان قاعدة ان القاضي لا يحكم بعلمه انما تستند على الاجماع والاجماع لا ينعقد ولا يثبت إلا بعد النبي وانقطاع الوحي . ولقد قال صلى الله عليه وسلم في صراحة ووضوح لا يحتمل التأويل أنه إنما يحكم بالظاهر وان الله يتولى السرائر ،

---

(١٢) محمد ٣٠ (١٣) التوبة ٤٦ (١٤) محمد ٢٠ (١٥) المنافقون ٤

(١٦) من كتاب تذكرة الدعاة ٢٦٩ و ٢٧٠

وذلك حين عرض عليه عمربن الخطاب رضي الله عنه أن يأذن له فى قتل ابن أبىّ فقال (ترعد له إذن أنف كثيرة بيثرب ثم كيف اذا تحدث الناس بأن محمدا يقتل أصحابه) . وقال لأسيد ابن حضير حين عرض عليه قتل المتآمرين عليه فى العقبة عند عودتهم من تبوك (١٧) (إنى أكره أن يقول الناس إن محمدا قاتل بقوم حتى اذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم) . فقال : يا رسول الله (اليس يظهرون الشهادة) . فهذه أدلة واضحة على أن الامتناع عن قتلهم كان سياسة حكيمة أطفأت نار الفتنة كلما أوشكت أن تشتعل .

٢ — وللشافعى رحمه الله فى المسألة رأيان : الأول كرأى مالك ، والثانى أن من شهد عليه بالزندقة فجحد وأعلن وتبرأ من كل دين سوى الاسلام فان ذلك يمنع من اراقة دمه.

٣ — وكان من هذا الرأى أبو حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل رحمهم الله وقد علل الشافعى هذا الرأى بأنه إنما منع رسول الله من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الاسلام مع العلم بنفاقهم لأن ما يظهرونه يجبّ ما قبله (١٨) .

ويظهر — والله أعلم — أن هذا الرأى الأخير هو الصواب وهو الموافق لروح الشريعة ومقاصد الاسلام . يقول الطبرى رحمه الله : ان الله تعالى جعل الأحكام بين عباده على الظاهر وتولى الحكم على سرائرهم دون احد من خلقه فليس لأحد ان يحكم بخلاف ما اظهر لأنه حكم بالظنون .

◉ صفات المنافقين فى القرآن الكريم :

ليس كالنفاق جامعا لمختلف الآفات والصفات الذميمة فى الدين والدنيا ، وخطره على العقائد والنفوس والمجتمع اشد الأخطار ولذلك عنى القرآن الكريم بتوضيح الكثير من صفات المنافقين وأحوالهم. وسنحاول استعراض بعض تلك الصفات مستلهمين آيات الكتاب التى تشير اليها .

١ — وأول تلك الصفات الحيرة والتربص والتذبذب (**إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون**) (١٩) وهذه الصفة تنجم عنها صفات أخرى كالتآمر فى الظلام والجبن والنذالة والاضطراب والقلق وقد مثل الله حيرة المنافقين فى القرآن بمثلين فقال تعالى : (**مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ، ان الله على كل شىء قدير**) (٢٠) إنه تصوير رائع لحال أولئك الذين يرون النور أمامهم فلا يستفيدون منه فتغلف قلوبهم الحيرة ويستولى على نفوسهم القلق والاضطراب ، يتربصون بالمؤمنين (**فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين**) (٢١) إنهم مذبذبون ، انتهازيون ، لا تستقر قلوبهم على شىء (**مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد**

---

(١٧) سنلقى مزيدا من الضوء على هذه القصة فى صفحات تاليات — ان شاء الله —
(١٨) (مختصرا) من كتاب النفاق والمنافقون لابراهيم على سالم ٣٢٩ — ٣٣١ .
(١٩) التوبة ٤٥ (٢٠) البقرة ١٧ — ٢٠ (٢١) النساء ١٤١

له سبيلا) (٢٢) إنهم كما قال الرسول (مثل الشاة العابرة بين الغنمين تعبر الى هذه مرة والى هذه مرة) . (يلقون المسلمين بوجه ويلقون الكفار بوجه ويمسكون العصا من وسطها ويلوون كالديدان والثعابين) (٢٣) ، وإن موقف الاهتزاز هذا لا يثير الا الاحتقار والاشمئزاز كما أنه يوحى بضعف المنافقين الذاتى وهو ما يجعلهم لا يستطيعون اتخاذ موقف حاسم هنا أو هناك .

٢ — ومن صفاتهم الخداع والاستهزاء بالقرآن ! ولمز المؤمنين ! (**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ..**)(٢٤) (**وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا**) (٢٥) . (**وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء !**) (٢٦) (**وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون !**) (٢٧) .

٣ — ومن صفاتهم : الخوف والجبن وهما صفتان ملازمتان لهم لزوم الروح للانسان فهم خائفون أبدا جبناء دومايعملون فيالظلام ويجبنون عن المواجهة والمصارحة (**يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون .. لو يجدون ملجا أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون**) (٢٨) وإنها لصورة مزرية يبدو من خلالها فزع المنافقين الداخلى وجبنهم الروحى ، وهم (**ولا يأتون البأس الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت .... يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وإن يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا**) (٢٩) إنهم يكرهون القتال كراهية الموت فان نزل بهم القتال فروا فرار الفئران الى جحورها ... وهم بعد ذلك يخافون شيئا آخر ... يخافون أن يكشف القرآن الاعيبهم ويفضح ما تخفى صدورهم (**يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون**) (٣٠) أفليسوا إذن فى خوف دائم وجبن متصل ؟؟

٤ — وهم بعد ذلك يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف (**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون**) (٣١) .

إذا رأوا ذاكرا لله عنفوه أو صائما سفهوه أو سائرا فى طريق خير دعوه الى تركه ، ويدعون الناس الى الخمر والربا والعقوق والتبرج .. وغير ذلك .. إنها نفوس حائرة وطبائع ملوثة فلا يستغرب ذلك منها .

٥ — خبث الطبع وسوء الطوية ، فهم مغلفون بالحقد ومطبوعون على الشك (**يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا !**) (٣٢) . حقدا وحسدا وعدوانا . و (**إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون**) (٣٣) .

٦ — التثاقل عن أداء الطاعات فهم (**إذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى**) (٣٤) وأنى لهم أن يقوموا بنشاط وهمة وباعثهم اليها لا ينبثق من أعماق ضمائرهم إنما يدفعون اليها دفعا تقية وخداعا . ثم هم (**لا ينفقون**

---

(٢٢) النساء ١٤٢ (٢٣) الظلال م ٢ ج ٥/٢٦٢ (٢٤) البقرة ٨ و ٩ (٢٥) التوبة ١٢٤
(٢٦) البقرة ١٣ (٢٧) البقرة ١٤ (٢٨) التوبة ٥٦ و ٥٧ (٢٩) الاحزاب ١٨ — ٢٠
(٣٠) التوبة ٥٤ (٣١) التوبة ٦٧ (٣٢) المنافقون ٧ (٣٣) النور ٤٨ — ٥٠ (٣٤) النساء ١٤٢

إلا وهم كارهون (٤٣) بل إنهم يزيدون على ذلك بأن يلمزوا المتصدقين ويسخروا منهم (**الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم ! سخر الله منهم**) (٣٦) .

٧ ــ ومن صفاتهم أيضا : التخلف عن الجهاد والتثاقل عن القتال وتخذيل المجاهدين وهى صفة من أنكى صفاتهم وأخطر أحوالهم ، ان هذا التخلف وذلك التثاقل نتيجة حتمية للجبن الذى يلازمهم والحب الشديد والحرص البالغ على الحياة و (**لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة**) (٣٧) .

.. ولذلك اذا وجب القتال رأيتهم يتسارعون الى النبى يستأذنون فى عدم الخروج ويتسابقون الى الاعتذار اليه بالمعاذير الواهية السخيفة (**ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا**) (٣٨) (**واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون**) (٣٩) وكيف لا يرضون بأن يكونوا مع النساء وفى ذلك منجاة لهم من الموت الذى يكرهون ؟ (**ويستاذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا**) (٤٠) . ورغم تخلفهم عن الجهاد فهم لا يرضون لغيرهم أن يجاهدوا فى سبيل الحق بل انهم كعادتهم يخذلون المسلمين ويعوقون غيرهم عن الاشتراك فى القتال (**قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس الا قليلا**) (٤١) وبعد ذلك ينشرون الأراجيف ويعملون على خلخلة الصف المسلم فى المعركة (**إذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا**) (٤٢) .

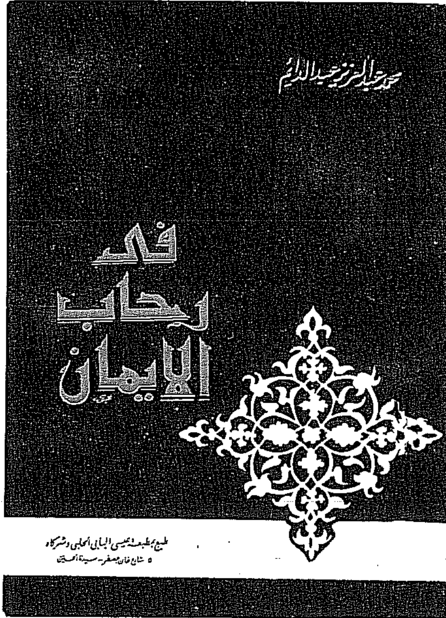
٨ ــ العناد وتبرير ما يأتون من فساد : ــ يقول الله تعالى مصورا عنادهم (**وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون**) (٤٣) وفوق عنادهم فانهم يتعالون على الناس ويتطاولون عليهم بل إنهم ليستكبرون عن أن يستغفر لهم رسول الله (**واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون**) (٤٤) وتجدهم يبررون أعمالهم الاجرامية بتبريرات ملتوية كالتواء نفوسهم ويدعون الاصلاح والاحسان وهم أبعد ما يكونون عن الاصلاح والاحسان (**وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا إنما نحن مصلحون الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**) (٤٥) (**وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا**) (٤٦) .

تلك هى الصورة التى رسم فيها القرآن الكريم ملامح المنافقين وكشف فيها أحوالهم كشفا ظهرت من خلاله الحقيقة ناصعة جلية وتحددت معالم طريق النفاق المحفوف بالرذائل والمنكرات والمزروع بالفساد والفتن.

---

(٣٥) النساء ١٤٢ (٣٦) التوبة ٧٩ (٣٧) التوبة ٤٢ (٣٨) التوبة ٤٩ (٣٩) التوبة ٨٦ و ٨٧
(٤٠) الاحزاب ١٣ (٤١) الاحزاب ١٨ (٤٢) الاحزاب ١٣ (٤٣) البقرة ١٣
(٤٤) المنافقون ٥ (٤٥) البقرة ١٢ (٤٦) النساء ٦١

مكتبة المجلة



اعداد الاستاذ عبد الستار محمد فيض

فى رحـــــاب الايمـــــان

كلمات منيرة اضاء بها قلب كاتبها الفاضل الأستاذ محمد عبد العزيز عبد الدايم . وفاضت على قلمه البليغ فشقت طريقها الى الأسماع عن طريق إذاعة القرآن الكريم من القاهرة ، ثم أخرجها فى كتاب تحتوى صفحاته على تفاسير من آيات القرآن الكريم ، أو شرح لأحاديث الرسول أو أثر صحيح عن صحـــابى كما يشتمل الكتاب على نماذج من الأدب الرفيع ، وسير أعلام الإسلام ، وألوان من فقه الشريعة الإسلامية الغراء فى مجـــال العقيـــدة والعبادات والمعاملات والأحكام المختلفة ، يجمع بينها جميعا أنها فى محراب الدين الخالص وفى رحاب الإيمان .

وقد استطاع المؤلف المذيع أن يتناول هذه الموضوعات المتعددة بحـــذق ومهارة وقوة واقتدار مفصلا فى مجال التفصيل مجملا فى مواضيع الاجمـــال بارزا الجوهر واللب غير غافل عن الجزئيات أو التفريعات .

والكتاب يعتبر حصيلة قراءات واسعة فى أمهات الكتب وعيون الآثار والأخبار ، كل ذلك فى أسلوب سهل سائغ ، وعبارة رصينة محكمة ، وبيان بليغ مبين .

ومن موضـــوعات الكتاب ، فى درجة القرآن ، خواطر من الحياة ، سبحات مع الرسول ، مواقف خالدة ، مناجاة ودعاء ، فى رياض الصالحين ، من كلمات الصالحين ، وتحتوى صفحاته على (٣١٦) صفحة ومن مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بالقاهرة .

مُراعاة المشرّع الاسلامي لحال الجاني عند تنفيذ العقوبة عليه

للاستاذ محمد فتحي بهنسي

لما كان الغرض من عقاب الجاني هو ردعه حتى لا يعود الى الجريمة ومنع الغير من محاكاته بارتكاب الجريمة ولم يكن الغرض أبدا التنكيل به او تعذيبه فان المشرع راعي حال الجاني اذا كان مريضا او به مانع يضره اذا نفذت عليه العقوبة .

١ ـ مرض الجاني :

اذا كان المحكوم عليه مريضا ووجبت عليه عقوبة : ينظر فإن كان مرضه من الامراض التى ينتظر ان يشفى منها وكان قد وجب عليه حد من الحدود فى زنا أو شرب أو سرقة حبس حتى يبرأ وذلك لانه لو اقيم الحد على المريض ربما انضم الم الجلد الى الم المرض فيؤدى ذلك الى هلاك الجاني ـ والحد انما يقام للزجر لا للاهلاك .

وان كان مرضه لا يرجى شفاؤه واستحكم ذلك المرض فالراجح انه يقام عليه الحد اذا لم يكن هذا الحد رجما .

أما الرجم فيقام فى بادىء الامر برغم المرض لان الرجم مفروض فيه انه عقوبة مهلكة فلا يمتنع اقامتها بسبب المرض .

ويلحق بالمرض البرد الشديد أو الحر الشديد الذى يخاف أن يهلك فيه الجانى اذا أقيمت عليه العقوبة . فالقاضى يحبسه الى أن يزول البرد أو الحر .

كما يلحق بالمريض المرأة النفساء لانها بمنزلة المريضة .

فى رواية أبى داود عن أبى جميلة عن على قال : فجرت جارية لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا على انطلق فأقم عليها الحد قال : فانطلقت ، فإذا بها دم يسيل لم ينقطع فأتيته فقال : يا على ، أفرغت ؟ فقلت : أتيتها ودمها يسيل فقال: دعها حتى ينقطع دمها . ثم أقم عليها الحد .

والراجح أنه دم نفاس لاحيض لان الحائض بمنزلة الصحيحة فى اقامة الحد عليها والنفساء بمنزلة المريضة .

روى مسلم والترمذى : خطب على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : يأيها الناس اقيموا الحدود على أرقائكم من أحصن منهم ومن لم يحصن . فإن أمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنت ، فأمرنى أن أجلدها ، فأتيتها فاذا هى حديثة عهد بنفاس فخشيت إن أنا جلدتها أن اقتلها . فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : أحسنت اتركها حتى تماثل .

٢ ــ كبر السن :

إن كان المحكوم عليه شيخا كبيرا يجب أن توقع عليه عقوبة الجلد بشكل لا يهلكه فيقتصر على ضربه بدرة أو بأداة لا تهلكه .

روى أبو داود والنسائى عن أبى أمامة بن سهل عن بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار ، أنه اشتكى رجل منهم حتى أضنى ، فعاد جلده على عظم . فدخلت عليه جارية لبعضهم فهش لها فوقع عليها . فلما دخل عليه رجال قومه يعودونه أخبرهم بذلك . وقال : استفتوا لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى قد وقعت على جارية دخلت على فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : ما رأينا بأحد من الضر مثل الذى هو به ولو حملناه اليك لتفسخت عظامه . ما هو إلا جلد على عظم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذوا له مائة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة . (١)

٣ ــ المرأة الحامل :

إن كانت المرأة المطلوب توقيع عقوبة الجلد أو الرجم حبلى حبست حتى تلد ، لحديث الغامدية :

فقد روى الموطأ كما روى مسلم عن بريدة قال بعد أن ذكر قصة ماعز : فجاءت الغامدية فقالت : يا رسول الله ، انى قد زنيت فطهرنى . وأنه ردها فلما كان من الغد قالت: يا رسول الله ، لم تردنى ؟ لعلك أن تردنى . كما رددت ماعزا ، والله إنى لحبلى . قال : أما لا ، فاذهبى حتى تلدى ، فلما ولدت أتته بالصبى فى خرقة . فقالت هذا قد ولدته . قال : فاذهبى فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز . فقالت : هذا يا نبى الله وقد فطمته وقد اكل الطعام. فدفع الصبى الى رجل من المسلمين ثم امر بها فحفر

لها الى صدرها وأمر الناس فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضخ الدم على وجه خالد ، فسبها . فسمع نبى الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها . فقال : مهلا يا خالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له . ثم أمر فصلى عليها ودفنت »

ومجرد ادعاء المرأة بأنها حبلى لا يؤخر تنفيذ العقوبة وانما يعرضها القاضى على أهل الخبرة — فإن قلن هى حبلى حبسها حتى تلد ، فإن لم تلد خلال المدة الطبيعية للحمل ، قدر الفقهاء مدة حبسها بسنتين ترجم أو تجلد بعدها للتيقن بعدم حملها .

٤ — قطع يد السارق :

كل مال محرز بلغت قيمته نصابا اذا سرقه بالغ عاقل لا شبهة له فى المال ولا فى حرزه قطعت يده اليمنى من مفصل الكف وهو الكوع فإن سرق مرة ثانية بعد قطعه قطعت رجله اليسرى من مفصل الكعب فإن سرق ثالثة فقد رأى البعض بأنه لا يقطع بعد ذلك ولكنه يعزر ويحبس حتى يتوب . ويبرر هؤلاء قولهم بما روى عن سيدنا على رضى الله عنه أنه أتى بسارق فقطع يده ثم أتى به الثانية وقد سرق فقطع رجله ثم أتى به الثالثة وقد سرق فقال لا أقطع : ان قطعت يده ، فبأى شىء يأكل وبأى شىء يتمسح ، وان قطعت رجله فبأى شىء يمشى انى لأستحى من الله فضربه بخشبة وحبسه .

وروى أن سيدنا عمر أتى بسارق أقطع اليد والرجل وقد سرق نعالا يقال له سدوم وأراد أن يقطعه فقال له سيدنا على : انما عليه قطع يد ورجل فحبسه عمر ولم يقطعه .

قال كمال الدين بن الهمام فى ذلك :

كان غالبية الفقهاء يفعلون كما فعل على . وأخرج عن مكحول أن عمر رضى الله عنه قال : اذا سرق فاقطعوا يده ثم ان عاد فاقطعوا رجله ولا تقطعوا يده الاخرى وذروه يأكل بها ويستنجى بها ولكن احبسوه عن المسلمين . وأخرج عن النخعى أنهم كانوا يقولون : لا يترك ابن آدم مثل البهيمة ليس له يد يأكل بها ويستنجى بها . وهذا كله قد ثبت ثبوتا لا مرد له . (٢)

اكراه المتهم لحمله على الاعتراف :

من الامور التى تدل على رعاية الشريعة لحقوق المتهم تلك المناقشات الفقهية التى اثيرت بين الفقهاء كل منهم ينتصر الى رأى معين ، فالشريعة كما سنرى تحرم إكراه المتهم لحمله على الاعتراف بجرمه فإن اعترف بناء على إكراه فهو اعتراف باطل وما ترتب عليه باطل ويقتص من المكره سواء كان قاضيا أو غيره .

وإنما يرى البعض صحة اعتراف المتهم اذا كان هذا الاعتراف مبنيا على إكراه وكان ذلك المتهم من ذوى السيرة السيئة المشهور عنهم ارتكاب الجرائم وذلك رعاية للصالح العام .

وقد فصل ذلك ابن قيم الجوزية فقد قسم المتهمين الى ثلاث فئات :

الفئة الاولـــى :

المتهم حسن السير والسلوك الذى لم يسبق اتهامه قبل هذه المرة فلا يجوز حبسه ولا ضربه ولا اكراهه ولا يجوز عقابــه الا اذا ثبتت مسئوليته بطريقة من طرق الاثبـــات على سبيل القطــع .

الفئة الثانيـــة :

المتهم المعروف بالفجــور ، الذى يكون له من سوابقــه ما يشـــهد عليه بذلك وقد قال فيه شيخ الاسلام ابن تيمية :
ما علمت احد من ائمة المسلمين يقــول : إن المدعى عليــه فى جميـــع هــذه الدعاوى يحلف ويرسل بلا حبس ولا غيره . فليس هذا ـــ على اطلاقه ـــ مذهبا لأحد من الأئمة الاربعة ولا غيرهم من الأئمة . ومن زعم أن هذا ـــ على اطلاقه ـــ وعمومه هو الشرع فقد غلط غلطا فاحشا مخالفا لنصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاجماع الأئمة .

وبمثل هذا الغلط الفاحش تجرأ الولاة على مخالفة الشرع ، وتوهمـــوا أن الشرع لا يقوم بسياسة العـــالم ومصلحة الأمة وتعدوا حدود الله ، وتولد من جهل الفريقين بحقيقة الشرع خروج عنه الى أنواع من الظلم والبدع والسياسة ، جعلها هؤلاء من الشرع ، وجعلها هؤلاء قسيمة ومقابلة له ، وزعموا أن الشرع ناقص لا يقـــوم بمصالح الناس ، وجعل أولئـــك ما فهمـــوه مـــن المعلومات والاطلاقات هو الشرع ، وإن تضمن خلاف ما شهدت بـــه الشواهد والعلامات الصحيحة ، والطائفتان مخطئتان فى الشرع اقبح خطأ وأفحشه .

ويسوغ ضرب هـــذا النوع من المتهمين كما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بتعذيب الذى غيب ماله حتى أقر بـــه ، فى قصة ابن أبى الحقيق على قـــول البعض .

وفى قول آخر لا يسوغ ضربه وهو قول أصبغ وآخرين . وقال عمر بن عبد العزيز ، ومطرف وابن الماجشون : انه يحبس حتى يموت .

قال ابن قيم الجوزيـــة :

واما ضرب المتهم اذا عرف أن المال عنده : وقد كتمه وأنكره فيضرب ليقر بـــه . فهذا لا ريب فيه . فإنه ضرب ليؤدى الواجب الذى يقدر على وفائه ، كما فى حـــديث ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم لما صالح أهل خيبر على الصفراء والبيضاء « الذهب والفضة » سأل زيد بن سعيد ـــ عم حيى بن اخطب ـــ فقال : أين كنزحيى ؟ فقال : يا محمد أذهبته النفقات . فقال للزبير : دونك هذا فمسهالزبير بشىء من العذاب . فدلهم عليه فى خربة . وكان حليا فى مسك ثور . فهذا أصل فى ضرب المتهم .

قال ابن حزم : وانما من صح قبله حق ومنعه فهو ظالم قد تيقن ظلمه فواجب ضربه أبدا حتى يخرج مما عليه ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده إن استطاع » ولأمره عليه الصلاة والســـلام بجلده عشرة فأقل فيما دون الحد وذلك فيما صح أنه عنده أو يعلم مكانه .

الفئة الثالثة :

المتهم المجهول الحال — فهو لا يعرف ببر ولا فجور — فهذا يحبس حتى ينكشف حاله عند عامة علماء الاسلام ، وذلك حتى يتبين للحاكم أمره .

وقد احتجوا على ذلك بحديث رواه أبو داود فى سننه واحمد وغيرهما من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : أن النبى صلى الله عليه وسلم حبس فى تهمة .

وقد قال صاحب المبسوط فى ذلك :

لما كان القاضي لا يعرف عدالة الشهود فإنه يحبس المدعى عليه حتى يسأل عن الشهود وهذا لأنه لو خلى سبيله هرب فلا يظفر به بعد ذلك ولا وجه الى أخذ الكفيل منه لأن الكفيل نوع احتياط ، وحبسه ليس بطريق الاحتياط بل بطريق التعزير لأنه صار متهما بارتكاب الفاحشة فيحبسه تعزيرا ولهذا لا يحبسه فى الديون قبل ظهور عدالة الشهود ولأن الحبس أقصى العقوبة هناك فإنه بعد ما ثبت الحق لا يعاقبه الا بالحبس فلا يجوز أن يفعله قبل ثبوت الحق بخلاف الحدود . فإذا ظهرت عدالة الشهود نظر فى أمر الرجل .

كما أخرج أبو داود والنسائى عن أزهر بن عبد الله الحرازى : أن قوما من الكلاعيين سرق لهم متاع . فاتهموا ناسا من الحاكمة ، فأتوا بهم النعمان بن بشير فحبسهم أياما ثم خلى سبيلهم . فأتوا النعمان ، فقالوا : خليت سبيلهم بغير ضرب ولا امتحان ؟ فقال لهم النعمان : ما شئتم ، إن شئتم أن أضربهم فإن خرج متاعكم فذاك . وإلا أخذت لهم من ظهوركم مثلما أخذت من ظهورهم . فقالوا هذا حكمك ؟ قال : هذا حكم الله ورسوله .

انما هل يجوز ضرب هذا النوع من المتهمين ؟

قال صاحب المبسوط :

اذا اقر بالسرقة عند العذاب أو عند الضرب أو عند التهديد بالحبس فإقراره باطل لحديث ابن عمر رضى الله عنه : ليس الرجل على نفسه بأمين إن جوعت أو خوفت أو أوثقت .

وقال شريح : القيد كره والسجن كره والوعيد والضرب كره وهذا لأن الاقرار انما يكون حجة لترجيح جانب الصدق فيه فلما امتنع من الاقرار حتى هدد بشيء من ذلك فالظاهر أنه كاذب فى اقراره .

وبعض المتأخرين من الحنفية افتوا بصحة اقرار السارق بالسرقة مع الاكراه لأن الظاهر أن السراق لا يقرون فى زماننا طائعين وسئل الحسن بن زياد رحمه الله : أيحل ضرب السارق حتى يقر فقال : ما لم يقطع اللحم ولا يبين العظم . وأفتى مرةبجوازضربه ثم ندم واتبع السائل الى الأمير فوجده قد ضرب السارق واقر بالمال وجاء به فقال : ما رايت جورا اشبه بالحق من هذا .

كما ورد فى المدونة الكبرى :

قلت : ارايت إذا اقر بشيء من الحدود بعد التهديد أو القيد أو الوعيد أو الضرب أو السجن أيقام عليه الحد أم لا فى قول مالك ؟

قال : قال مالك:من اقربعد التهديد اقيل . فالوعيد والقيد والتهديد والسجن والضرب كله تهديد عندي وأرى أن يقال .

قلت : والوعيد والتهديد عند مالك بمنزلة السجن والضرب . قال : قد أخبرتك بقوله في التهديد فما سألت عنه عندى مثله .

قلت : أرأيت إن اقر بعد القيد والضرب ثم ثبت على إقراره أيقيم عليه مالك الحد وإنما كان أصل إقراره غير جائز عليه .

قال : لم أسمع من مالك فى هذا إلا ما أخبرتك انه قال : يقال .

معاملة المحبوس فى السجن :

قال أبو يوسف للرشيد : لم تزل الخلفاء يا أمير المؤمنين تجرى على أهل السجون ما يقوتهم فى طعامهم وأدمهم وكسوتهم فى الشتاء والصيف . وأول من فعل ذلك على بن أبى طالب كرم الله وجهه بالعراق ثم فعله معاوية بالشام ثم فعل ذلك الخلفاء من بعده .

وقد وضع عمر بن عبد العزيز نظاما دقيقا للسجن يحقق للمسجون كرامته وآدميته .

ورد فى كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف :

حدثنا بعض شيوخنا عن جعفر بن برقان قال :

« كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : لا تدعن فى سجونكم أحدا من المسلمين فى وثاق لا يستطيع أن يصلى قائما ولا يبيتن فى قيد إلا رجل مطلوب وأجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم فى طعامهم وأدمهم . » فمر بتقدير ما يقوتهم فى طعامهم وصير ذلك دراهم تجرى عليهم فى كل شهر يدفع ذلك اليهم ، فإنك إن أجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوام والجلاوزة (الشرطة) .

وول ذلك رجلا من أهل الخير والصلاح يثبت أسماء من فى السجن ممن تجرى عليهم الصدقة ، وتكون الأسماء عنده ويدفع ذلك اليهم شهرا بشهر يقف ويدعو باسم رجل يدفع ذلك اليه فى يده فمن كان منهم قد أطلق وخلى سبيله رد ما يجرى عليه ، ويكون للأجراء عشرة دراهم فى الشهر لكل واحد ، وليس كل من فى السجن يحتاج الى أن يجرى عليه ، وكسوتهم فى الشتاء قميص وكساء ، وفى الصيف قميص وإزار .

ويجرى على النساء مثل ذلك وكسوتهن فى الشتاء قميص ومقنعة وكساء ، وفى الصيف قميص وإزار ومقنعة ، وأغنهم عن الخروج فى السلاسل يتصدق عليهم الناس ، فإن هذا عظيم أن يكون قوم من المسلمين قد أذنبوا وأخطأوا وقضى الله عليهم ما هم فيه فحبسوا يخرجون فى السلاسل يتصدقون وما أظن أهل الشرك يفعلون هذا بأسارى المسلمين الذين فى أيديهم . فكيف ينبغى أن يفعل هذا فى أهل الاسلام؟.. وإنما صاروا الى خروج فى السلاسل يتصدقون لما هم فيه من جهد الجوع فربما أصابوا ما يأكلون وربما لم يصيبوا . إن ابن آدم لم يعر من الذنوب ، فتفقد أمرهم ومر بالأجراء عليهم مثل ما فسرت لك . ومن مات منهم ولم يكن له ولى ولا قرابة غسل وكفن من بيت المال وصلى عليه ودفن ، فإنه بلغنى وأخبرنى به الثقاة أنه ربما مات منهم الميت الغريب فيمكث فى السجن اليوم واليومين حتى يستأمر الوالى فى دفنه وحتى يجمع أهل السجن من عندهم ما يتصدقون ويكترون من يحمله الى المقابر فيدفن بلا غسل ولا كفن ولا صلاة عليه ، فما أعظم هذا فى الاسلام وأهله .

ولو أمرت بإقامة الحدود لقل أهل الحبس ولخاف الفساق وأهـل الدعارة وتناهوا عما هم عليه . وإنما يكثر أهل الحبس لقلة النظر في أمرهم . إنما هو حبس وليس فيه نظر فمر لاتك جميعا بالنظر في أمر أهل الحبس في كل يوم فمن كان عليه أدب وأطلق ومن لم يكن له خلى عنه .

عقـاب المجرم تطهـير لـه :

الراجح أن المذنب إذا عوقب أو اقتص منه في الدنيـا لا يعـاقب ولا يقتص منـه في الآخرة لقوله عليه الصلاة والسلام : من أذنب ذنبا فعوقب بـه في الدنيا لم يعاقب بـه في الآخرة .

وعن الترمذي عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أصاب حدا فعجل عقوبته في الدنيا فالله أعدل من أن يثني على عبده فـي الآخرة . ومن أصاب حدافستـره الله عليه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنـه »

وهناك قول بأن الطهرة من الذنب لا تحصل بإقامة الحد بل بالتوبة . ولهذا يقام الحد على كره منه .ويشجع المعاقب على التوبة حتى يطهر من الذنب .

مما تقدم نلحظ أن الشريعة حفظت للانسان كرامته وآدميته ولو كانت قد أعمته الشهوات واستبدت بـه الأهـواء فضل سواء السبيل وانحـرف الى مرتبة الجريمة ومال نحوها فتارة تأخذ بيده تشجعه على التوبة الى الله تعالى ، وتارة تدعو الناس الى الستر عليه. فإن عوقب كانت رحيمة به ، إن كان شيخا فانيا أو مريضـا لا يحتمل ألم العقوبة فإن كان الرجل ليس من أهل الاجرام أو الفجور حرم حبسه أو إهانته حتى تثبت عليه التهمة فقد تكون الشبهات في غير موضعها أما إن كان من الأشرار المفسدين في الأرض الذين يثبت سعيه بالفساد يوجع عقوبة حتى يرتدع وينزجر بـه غيره .

---

(١) انظر ص ٢٢٩ ابن عابدين الجزء الثالث : الا ان يقع الياس من برئه فيقام عليه أى أن يضرب ضربا خفيفا يحتمله ولو كان المرض لا يرجى زواله كالسل أو كان ضعيف الخلقة فعندنا وعنـد الشافعي يضرب بمثكال فيه مائة شمراخ دفعـة وتقدم في الايمان انه لا بد من وصول الكل الى بدنه ولذا قيل لا بد أن تكون مبسوطة . والمثكال والمثكول عنقود النخل .

(٢) انظر ص ٣١٩ جزء ٣ ابن عابدين

وتقطع رجله اليسرى من الكعب ان عاد أى بعدما قطعت يمينه فان عاد ثالثا لا يقطع وحبس وعـزر بالضرب حتىيتوبـوماروى يقطع ثالثا ورابعا ان صح حمل على السياسة او نسخ كما فعل أبو بكر الصديق في أقطع اليد والرجل الذى جـاءه من اليمن وسرق حليا لزوجـة أبى بكر وقطع شمـاله بعد اعترافه ــ رواهالموطا.

وانظر ص ١٤٠ جزء ٩ المبسوط .

قال ابراهيم النخعي: اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من قال : اقطعه حتى أتى على قوائمه كلها يريد بـه قول أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ومنهم من قال : اقطع يـده ورجله ثم احبسه يريد به قول على وابن مسعود رضى الله عنهما ، قال : هذا أحب الى وبه اخذ علماؤنا رحمهم الله لأن القطع شرع للزجر لا للتلف وفي تفويت منفعـة الجنس اتلاف حكمـي علـى ما أشار اليه على رضى الله عنه .

في موسم الحج

قم ، واسقنا من كوثر الندمان ... وأذع به ما شئت من ألحان
تكبيرة الاحرام فى سمعى لها ... وتر ، يهيج كوامن الأشجان
ما زلت أذكرها ، يهز جوانجى ... ويشف قلبى سحرها ، وكيانى
كم رف بالأعطاف منها شارد ... ما كان من انس ، ولا من جان
خفقت بها تلك الحمائم ، وهى فى ... حبراتها كالدر ، والمرجان
وهفا بها الفردوس ينفح عنبرا ... ويميس بين شقائق النعمان
والصبح تياه المعاطف مشرق ... متألق كالزنبق النيسان
أيقظنه ، وبثثن فى أعطافه ... ما رق من نغم ، ومن أوزان
فترى البشائر منه حولك قد بكرن ... وأنت منها بارق التحنان
مزمورهن هو المناجاة التى ... أشـ ، فؤاد الصادح الهيمان
عنت الوجوه لربها ، وتخشعت و ... النور منها ساطع البرهان
وترى العيون تهللت عبراتها ... وقد ارتوت بالمدمع الهتان
الفيق ، والأحداث ملء خواطرى ... للقهقرى تغدو ، وهن روانى
ماذا هناك ؟ محمد فى صحبه ... وله لواء العز ، والسلطان ؟
دوى النداء ، وما قضيت لبانة ... يا قلب حين دلفت بالركبان
ما كان رقراق الدموع يرده ... عما به من غمرة الأشجان

المبارك

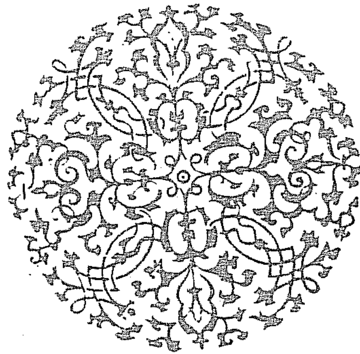
للأستاذ محمد هارون الحلو

ارسى عماد الحق ربك فى الورى — وبــه تهـاوى معقـل الشيطان
وعلى السفوح جحافل تصفى لخير — الخلــق ، وهــو مطيب الأردان
يا قوم ، تلك رسالتى ، ما تشهدون — اذا سـئلتم عـن فتى عدنــان
هو ذاك أحمد بيــن روض مزهر — عبق ، بروح الخلــد ، والريحان
تغشى العيون حماه ، وهى رفيفة — فى ظلــه ، مسحورة الأجفــان
صلت عليه ، وسـلمت فى زهوة — كم مــن قلــوب بالمـزار حوانى
ما ارتد طرف عنــه ، والنجوى به — تصبى النهى ، وتشف كل جنــان
فيرى، ويبصر،وهو موصول الرؤى — بالنور ، خفاق الجوانح ، حــان
للــه ديــن قيــم قــد شــده — فى ظل صرح شـامخ البنيــان
تخذ الزمان به منــارات الهـدى — والرشــد ، وهــو موطد الأركان
اشراق نــور الله فيه مناســك — للــروح ، وهــو تميمــة الحيران
قم فى رحاب البيت ، واسع بظله — ظل الهــدى والنور ، والايمــان
واخفض جناحك عنده فى خشــية — فلقــد نزلت بسـاحة الرحمــن
واجهر بتلبية النــداء ، فانمــا — لك فى حمى المولــى أبر حنــان
واملأ فؤادك باليقين ، فكــم ترى — لله مــن نعــم ، ومــن احسـان
وانــزل بأكرم منزل ، وأجلــه — وأبــره فــى عــزة ، وأمــان

واعمر فؤادك باليقين ، وأنت في الحرم الأمين بمنـــزل الرضوان
ضيف على الملك الكريم ، وكم ترى لله مـــن منـــن على الانســـــان
ولـــه الجلالـــة لا يعز بظلهـــا ٠٠ فى الـــكون الا بارىء الأكـــوان
احد ، وليس وراءه أحـــد ســـوا ه ، وما له بين الـــورى من ثانى
تجرى المقادر وفق حكمتـــه التى عنـــت الوجوه لهـــا بكل زمـــان
واليه يرجـــع كل امـــر فى الورى أعظم بملك الواحـــد الديـــــان
طف ، واستلم ركن الهدى بحفاوة وارم الجمار ، وشـــد خير بنـــان
الله أكبر ، قد أفضت ، وأنـــت فى نســـك تلـــوذ بأعظم الأركـــان
تفضى لربك بالسريرة خاشـــــعا وعليـــك منـــه سحائب الغفـــران
تذر الحياة ، ومـــا بها من زخرف لحيـــاة خلـــد فى الفرادس دان

• • •

لله أنـــت ، وانت أعظـــم مرســـل فيمـــا سطعت به على الأكـــوان
النور يهدى فى يمينـــك حيثمـــا يممت والبشـــرى بـــكل لســـان
قـــد جـــاء بالحق المبيـــن مبلغـــا عـــن ربـــه ، وأضاء بالقـــرآن
خير البريـــة فى الأنـــام محمـــد بدر الـــدجى ، ومنـــارة العرفان



الحضارة الغربية في ساعتها الخامسة والعشرين

— ٣ —

للدكتور عماد الدين خليل

والحضارة المعاصرة — بعد هذا — لا تمتلك عناصر البقاء . انها فضلا عن ماديتها الطاغية وآليتها الرتيبة ، وقياسها التجريدي الميت ، وفضلا عن اتاحتها المجال لظهور أبشع وأقسى طبقتين في التاريخ : الرقيق التكني والمواطنون سيطرتا على مقدرات الانسان وعرّضتا وجوده للاختناق ، وفضلا عن اتفاق الشرق والغرب على تشديد القبضة على خناق الانسان ، وتحطيم قيمه ومثله وسحق وجدانه ، وردم منابع عاطفته ووحيه وأحلامه فضلا عن هذا وذاك فهي حضارة التكاثر الذي يحيل الحياة الى جحيم ، وتفتيش لا نهائي عن الذهب : « سوف تنتزعون الجلود غداً بحثا عن الذهب تحتها ، ثم تنتزعون العضلات عن العظام بحثا عن الذهب — الذهب ! الذهب ! الذهب ! اننا اليوم في البداية : انكم لا زلتم تبحثون فوق الجلد ، لكن الجلد سينتزع والتفتيش سيستمر — ص ٤٧٧ » .

وهى حضارة القتل والتحطيم وتهديم بنيان الله : « ان سائق سيارتنا والجنود المسلحين بالعصى والمسلحين منهم بالرشاشات الذين ينتظرون بفارغ الصبر اللحظة المناسبة لقتلنا ، لا يسمعون هم أنفسهم شيئا ، ما من أحد منهم يسمع . مع ذلك انهم يتهدمون مثلنا وبالطريقة ذاتها التى نتهدم بها — هل تراهم وهم يتهدمون ؟ — ص ٤٠٥ » .

الحضارة التى ولغ فيها الانسان فى الدماء حتى غدا شيطانا مريدا : « له وجه انسان ولكنه ليس انسانا . انه آلة ، انه الشيطان ، انه يشبه الانسان بكليته باستثناء الروح .. لقد ولغ الآخرون جميعا فى الدم وهم الآن كالعفاريت . انهم ليسوا بشرا .. لم يبق بين كل هؤلاء رجل واحد يمكن أن يكون انسانا — ص ٤١٤ — ٤١٥ » .

وهى حضارة السجن الذى يقف فيه الانسان على حدود الحياة والموت تحيطه جدران صماء لا نهاية لها ، وتغيب عنه معالم السماء والأفق البعيد ، وحيث يضيع الانسان فلا يعرف له موضع قدم ولا يعرف له مصيرا ، ويلتبس عليه الفهم وتختفى معالم الاشياء ، لأن صلته بالسماء قد انقطعت وتلقيه عن الله قد أوقف ، وسدت عليه سبل الرؤية الى فوق . اسمعوا شكواه وانصتوا الى عذابه وهو فى الغربة : « اننى منذ عام أقف على حدود الحياة والموت . منذ عام وانا على أطراف الحياة والحلم . لقد خرجت من نطاق الزمان ومع ذلك لا زلت أعيش .. ان كل هذه الآلام منشؤها عدم معرفتى ، هل انا سجين أم متمتع بحريتى ؟ اننى أرى نفسى سجينا ومع ذلك لا أتوصل الى تصديق أننى فى السجن . انى أرى أننى لست حرا طليقا ، ومع ذلك فان عقلى يحدثنى بأنه ليس هناك من موجب يستدعى ابتعادى عن الحرية .. ان العذاب الذى يحدثه عدم الفهم هذا أكثر ايلاما وشدة من العبودية . ان الرجال الذين سجنونى هنا لا يمقتوننى ولا يريدون معاقبتى ولا يطلبون موتى . انهم يريدون انقاذ العالم فقط !! مع ذلك فانهم يعذبوننى ويقتلوننى تدريجيا .. انهم يعذبون ويقتلون الانسانية كلها . اننى لست الوحيد الذى أتألم ، وأنا أعرف ذلك . ان أولئك الذين يديرون العالم راحوا ينشئون مستشفيات هائلة لابراء جراح البشر . لكن مواليهم لا تقيم المشافى بل السجون .. ان كل شىء يموت كما لو كانت اللعنة قد حلت عليهم . ان تفكيرى لا يستوعب شيئا . ولهذا السبب أريد أن أموت .. ان قواى لم تعد تحتمل هذا العذاب — ص ٤٢٧ — ٤٢٨ » .

وهى الحضارة التى تعكس عذابها وتمزقها على التعبير الذاتى للانسان المعاصر : فى الرسم : يقدم لنا بيكاسو لوحة « تمثل امراة شوهها الألم الشديد ، لدرجة لم يعد وجهها يحتفظ بشىء انسانى على قسماته .. لوحة تظهر الانسان الذى سحقه الألم وقطعه أشلاء كقطع آلة . ليس فى اللوحة الا العوامل الجوهرية : العينان والأنف والفم والأذنان . كانت كل قطعة من هذه القطع تعيش منفردة مستقلة لوحدها ، فقد تنافرت بينها بسبب الألم . لقد تنصل الجسد البشرى عن وحدته بسبب ذلك — ص ١٦٧ » .

فى النحت : « هناك نحات سويسرى اسمه البرتوجيا كوميتى حقق فى حقل النحت مبادىء عن الجمال المذكر والمؤنث — التى حققتها الحضارة فى الحياة العملية — بتبديد الدهن واللحم من الأجساد البشرية .. ان الجسم البشرى قد حول بهذا الشكل الى مقياس واحد ، فأخذ أشكالا محددة جافة لا تزيد على حجم سلك حديدى » وتستفز هذه السخرية المرة (جيورجيو) فيصرخ بسخرية أكثر مرارة : « اننى أعرف منذ الأزل أن حضارتكم كلها مبنية على

مبادىء جمالية . وغدا عندما يصبح سطح الكرة الارضية معمورا ببشر من ذوى الأجساد المتحولة بحسب قوانين الجمال الجديدة ، وأعراف فن جياكوميتى وفنكم ، فان العالم سيشع ثناء وجمالا !! ـــ ص ٣٩٣ » .

فى الرقص والموسيقى : « كانوا كلهم يرقصون على ايقاع الجاز والآلة .. كان يرى مجتمعا كاملا يتخبط متشنجا كتلك الأجســـاد ، فأغمض عينيه وغطاهما بيديه وصرخ : لا أريد .. لا أريد ـــ ص ٤٩٦ » .

وفى المسرح : « سوف يستمر التاريخ على عرض مشاهده دوريا .. وغدا ستعزف قطعة جديدة عامة عنوانها (المجموعة الميكانيكية) ـــ باليه ـــ وسيكون مشهدا لا رجال فيه ، سيمتلى المسرح رجال آليون وآلات ومواطنون بغير وجوه !! ـــ ص ٥٠٣ » .

وفى الشعر والرؤيا والخيال : « اننى آسف اذ اتنبأ بأشـــياء مفجعة كهذه . لكن مهمتى كشـــاعر ترغمنى على ذلك . ينبغى أن أصرخ وأن أحمل الأصداء قولى حتى ولو كان قولا محجوجا ـــ ص ٨٦ » .

فى الرسم والنحت والرقص والموسيقى ، وفى المسرح والشعر والرؤيا والخيال نجد هذا الانعكاس المحزن للحضارة المعاصرة وتمزقها . والذى لا يجد هذا العذاب ، وذلك التمزق فى كل لوحة أو قطعة منحوتة ، وفى كل رقصة أو لحن موسيقى ، وفى كل قصيدة ومسرحية ورواية ، فليس له عينان أو أذنان ، بل ليس له وجدان يتيح له رؤية عميقة لمأساة حضارة لا تعرف الله .

ومن ثم فهى حضارة التدهور والسقوط ، قالها (أزوالد اشبنجلر) من قبل فى كتابه الشهير ، وها هو جيورجيو يعرض علينا رؤياه : « شـــاهدت قارة بكاملها ، بما عليها من رجال وقوانين ومعتقدات وآمال ، تموت سجينة فى المعسكرات ، حبيسة القوانين الآلية ، فى ظل مجتمع نكص حتى بلغ الوحشية البربرية .. الآن لست أريد متابعة النظر لأننى تعبت ، ولأن المشهد طال أكثر من المعتاد . اننى ـــ اذا ظللت على المشاهدة ـــ فسوف لن أرى الا الأنقاض . سأرى مدنا متهدمة ورجالا متهدمين ، وبلدانا وكنائس وآمالا كلهـــا متهدم محطم ـــ ص ٥١٠ » .

ـ ٤ ـ

هل ثمة من أمل ؟ الغربيون ـــ دائما ـــ عندما يصلون الى هذه النقطة يحلمون .. ينساح خيالهم الى البعيد وتمتد رؤاهم الى مستقبل يسعد فيـــه الانسان . كيف يتم ذلك ؟ وفى أى طريق ؟ وعلى أى مركب يجتاز بنا الظلمات ؟ انهم هم أنفسهم لا يعرفون ؟! وهذا أمر طبيعى لأى انسان لا يتلقى عن الله ، ولا يسلم نفسه لله ، ولا يختار طريق الله ، ولا يدع رسوله العظيم يقود المركب المتأرجح فى الظلمات .. كثيرون هم أصحاب الأحلام ، وكثيرون هم أولئك الذين رسموا لنا أحلامهم فى (يوتوبيات) وعوالم مثالية ، فلا هم عرفوا الطريق الى أحلامهم ، ولا تحققت تلك الأحلام .. من عهد أوغسطين ـــ حيث فقدت المسيحية روحها وقطع الانسان صلته الحقيقية بالله ـــ والى عهد كاتبنا الرومانى هذا ، عبر أحلام (سافونارولا) و (توماس مور) والاشتراكيين الطوبائيين و (نيتشه) و (اشبنجلر) و (هكسلى) و (توينبى) وغيرهم كثير .. ودون الخلاص تتقطع أنفاس وتجف أقلام وتتهاوى آمال وأحلام .. ذلك أن المصدور

لا يشفى المرضى والأعمى لا يهب النور والرؤيا للمتخبطين فى الظلمات ، والذى يرتكز على خياله فحسب كالاعرج الذى يريد أن يصل الى نهاية الشوط قبل أولئك الذين يركضون على قدمين . ان المرض لا يعطى الا الوباء ، والعمى لا يهب الا الضلال ، والظلمات لا تنبثق الا عن ظلمات أشد وأقسى .. ان هنالك طريقا واحدا ونداء واحدا ، ورؤية واحدة ، ونورا واحدا للخلاص .. الطريق الذى جاء الانبياء عليهم السلام ليمهدوه للبشرية ، وجاء الرسول عليه الصلاة والسلام ليضع معالمه الاخيرة . ذلك هو طريق التلقى عن الله والاسلام المطلق لالوهيته وحكمه .. هذا اذا كنا نريد خلاصا حقيقيا .. والا فستظل الأحلام تخدرنا عن الرؤية الحقيقية ، وتقعد بنا عن الجهد والتشمير للكفاح .

« ان انهيار المجتمع التكنى هذا سيعقبه اعتراف بالموهبات الانسانية والعقلية ، وسيشرق هذا النور العظيم من الشرق ولا شك ، من أسيا ، وسيكتسح الانسان الشرقى المجتمع التكنى ، وسيستعمل النور الكهربائى لانارة الشوارع والبيوت ؛ لكنه لن يصبح أبدا عبدا له ، ولن يقيم الهياكل كما هو الحال اليوم فى بربرية المجتمع التكنى الغربى . انه لن يضىء بنور (النيون) خطوط الفكر والقلب . ان انسان الشرق سيجعل من نفسه سيدا للآلات وللمجتمع التكنى ، مستعينا بعقله ، كما يستعين رئيس الفرقة الموسيقية بعبقريته المستمدة من الجرس الموسيقى . لكنك لن تصل الى تلك المرحلة ، لاننا سنحيا فى الزمن الذى يخشع فيه الانسان أمام الشمس الكهربائية كالبربرى المتوحش — ص ٨٨ » .

« ولسوف يشفق الله على البشر أخيرا — كما أشفق مرات من قبل — ثم يصبح العدد الضئيل من بنى الانسان الذين احتفظوا بانسانيتهم طافيا فوق أشلاء وحطام هذا التدمير الاجتماعى الجماعى ، كما حدث لنوح فى سفينته من قبل ، ولسوف تنقذ الانسانية بفضل هؤلاء كما أنقذت مرات ومرات فى مجرى التاريخ . لكن الخلاص والسلام لن يهبطا الا على الانسان الذى ظل انسانا ، وأقصد على الاشخاص بمفردهم (!!) ان النجاة هذه المرة لن تكون من نصيب الكتل والجماعات بل من نصيب الأفراد (!!) — ص ٤٥٥ »(١) .



والآن ونحن نقترب من نهاية رحلتنا عبر الساعة الخامسة والعشرين ، ساعة المجتمع الغربى ، نحس جميعا أن هناك سؤالا ملحا يبدو فى العيون : ان الحضارة المعاصرة تمثل قمة ما أحرزته البشرية من تقدم تكنولوجى ، فهل تعنى مهاجمة هذه الحضارة رغبة سلبية فى التخلى عن هذه المكتسبات .. ؟ وهل أن الاسلام سيبدأ بناء حضارته من جديد .. ؟ ومن نقطة الصفر .. ؟

ان سؤالا كهذا لا مبرر له على الاطلاق :

أولا ، لأن هذه المكتسبات هى حصيلة تاريخ طويل من الكد والجهد المضنى أسهمت فيه كل الأمم والحضارات وهو ليس حكرا على المجتمع الغربى . هو الآن يبدو غريبا لأن الغرب هو الذى يمارس الحضارة والابداع ويقود البشرية فى العصر الحاضر .

ثانيا ، ان هذه المكتسبات التكنولوجية هى فى حد ذاتها حيادية الطابع ، اذ لا عقل لها ولا ارادة ولا روح ، لكى تتحكم فى مصير البشرية ، وانما الذى يعطيها هذا الطابع أو ذاك ، هو عقل الانسان وإرادته وامكاناته الروحية ، بمعنى

آخر الفلسفة التي تصدر عنها الحضارة المريضة المعاصرة هي السبب الوحيد فى هذه الوجهة الهدامة التى تتجه اليها القوة الصناعية فى العالم .

ثالثا ، لأن الاسلام يجعل الحرص على التقدم واستغلال قوى الطبيعـــة ، واحتضان المكتسبات العلمية واجبا محتما على المسلمين : دولة وجمـــــاعة ومؤسسات وأفرادا ، ولكنه لن يسمح أبدا بأن يستعلى (شىء) فى الأرض ــ غير الله سبحانه ــ على الانسان الذى كرمه خالقه على كثير ممن خلق ، وحمله فى البر والبحر . ومن ثم تبدو مأساة الحضارة المعاصرة فى أنها أخضعت الانسان للأشياء ، فأشعرته بالدونية ، وأذلته ، وكان لا بد من العقاب* .



---

(١) يرفض الاسلام التفسير الفردى للخلاص ، الذى تطرحه بعض المبادىء والفلسفات والأديان وبخاصة المسيحية ، والذى يؤكد عليه جيوروجيو هنا (انظر على سبيل المثال ص ٨٩ ، ٤٣٣ ــ ٤٣٥) لأنه يصدر ــ كرجل لاهوت ــ عن هذه النظرة ، وربما لأنه مدفوع ــ كذلك ــ بردة الفعل ضد اللعنة الجماعية للحضارة المعاصرة فى الشرق والغرب ، ذلك أن الاسلام ــ باختصار ــ يرى أن الأفراد لا يمكن أن يحيوا حياة انسانية سعيدة الا على أرضـــية جماعية يسودها التكافل ويحكمها الدستور . وبدون هذه الارضية لا يمكن للانسان الفرد أن يتحقق بالقيم والأهداف العليا ، لأن الارض التى يسير عليها ويتحرك فوقها ، بما عليها من ظلمات وطغيان وأهداف قريبة ، لا بد وأن تجرفه بعيـــــدا عن قيمه وأهدافه ، وتمنعه من الخلاص .. وهذا هو أحد جوانب رفض الاسلام للعلمانية التى تنادى بفصـــــل الدين عن الحياة ، أو بمعنى آخر ابعاد القيم الدينية عن الارضية الجماعية ، وجعله يقتصر على نطاق الافراد والمؤسسات الدينية ..

* أحب أن أنبه القارىء ــ هنا ــ الى أن رواية جيوروجيو هذه تحمل فى طياتها كثيرا من العطف على اليهود ، لأن أحداثها تدور فى الفترة التى يقـــال أن النازيين قد أذاقوا اليهود خلالها القتل والتنكيل والاضطهاد . وعطف الكاتب هذا على اليهود ــ رغم كونه مفكرا مســــيحيا وخريج معاهد لاهوتية عليا ــ يبدو سافرا أحيانا وخفيا أحيـــانا أخرى بدعوى الدفاع عن « الانسان » والتنديد بالارهاب والظلم (انظر ص ٥١١ و ٥١٢ على سبيل المثال) ولا مجـــال هنا لمناقشة هذه الدعوى فلهذا الموضوع مكان آخر . ولكن يجب الاشـــارة الى نقطتين : أولاهما : أن اليهود لم يكونوا ليلاقوا هذا الاحتقار الجماعى من الامم والشعوب لو لم يبدأوا هم دائما بالعدوان بشتى أشكاله : الاجتماعى ، المالى ، الاخلاقى ، السياسى ، العسكرى « .. كلما أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله ، ويسعون فى الارض فســـــادا والله لا يحب المفسدين : المائدة ٦٤ » . وكانت النتيجة ما أعلنه القرآن الكريم « واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب : الأعراف ١٦٧ » .
وثانيهما : أن الحكمة ــ كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ــ « ضالة المؤمن أنى وجـــدها التقطها » ومن هنا فان أى مجهــــــود بشرى يحوى الحكمة فى ثناياه فعلــى المسلمين أن يبحثوا فيه ، حتى ولو كانت وسط ركام من الاسرائيليات ..

مائدة القارئ

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يسلم أحد منهن : الطيرة ، وسوء الظن ، والحسد . فاذا تطيرت فلا ترجع ، واذا ظننت فلا تحقق ، واذا حسدت فلا تبغ » .

حديث شريف

موعظـــــة

كتب على كرم الله وجهه الى عبد الله بن عباس رضى الله عنه يقول : (أما بعد : فانك لست بسابق أجلك ، ولا مرزوق ما ليس لك ، واعلم بأن الدهر يومان : يوم لك ، ويوم عليك ، وأن الدنيا دار دول ، فما كان منها لك أتاك على ضعفك ، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك) .

لا تراجــــع

كتب عمر بن عبد العزيز الى عامل له فى المظالم : انه يخيل الىّ أنى لو كتبت اليك أن تعطى رجلا شاة لكتبت الى : اضأنا أم ماعزا ؟ . ولو كتبت اليك بأحدهما لكتبت الى أذكرا أم أنثى ؟ ولو كتبت اليك بأحدهما لكتبت الى أصغيرا أم كبيرا ؟ ! فاذا كتبت اليك فى مظلمة فلا تراجعنى فيها .

العجلة أم الندامة

قال حكيم : اياك والعجلة فان العرب كانت تكنيها أم الندامة ، لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يقدر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذم قبل أن يخبر ، ولن يصحب هذه الصفة أحد الا صحب الندامة ، واعتزل السلامة .

(ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) .

قرآن كريم

ان من البيان سحرا

سأل النبى عمرو بن الاهتم عن الزبرقان . قال : كيف هو فيكم ؟ فقال : شديد العارضة ، مطاع فى العشيرة ، مانع لما وراءه . فقال الزبرقان : والله إنه ليعلم أنى افضل مما قال ، ولكنه حسدنى . فقال ابن الاهتم : والله ما علمت انه لزمر المروءة ، ضيق العطن ، احمق الأب ، لئيم الخال ، أما والله ما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الأخرى ، ولكن رضيت فقلت برضائى ، ثم أسخطنى فقلت بسخطى ، فقال عليه السلام : إن من البيان سحرا .

الظلم مرتعه وخيم

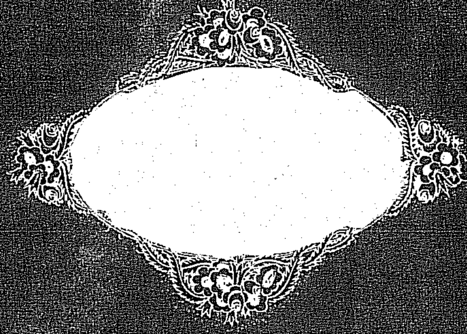
مثل من أمثلة العرب يضرب فى كراهية الظلم ، وما يخاف من سوء مغبته .

قال حنين بن خشرم السعدى :

البغى يصرع أهله ... والظلم مرتعه وخيم
ولقد يكون لك البعيد أخا ويقطعك الحميم

حكمة طفل

كان الطفل فى السينما مع أمه يشاهد فلما عن القرصنة وفجأة سألها :
لماذا يتقاتل هؤلاء الرجال ... ؟
— من أجل كنز ..
وما هو الكنز .. ؟
— ذهب وفضة وأحجار كريمة .
وهل سيقتل بعضهم فى سبيل ذلك ؟
— أظن ذلك .
فلماذا لا يتقاسمونه ويظلون أصدقاء ؟ .



في قضية ملبس المرأة

للاستاذ عبد المقصود محمد حبيب

إذا ما نظر المرء حوله فسوف يهوله ما يرى من ملبس وزينة المرأة العربية (المسلمة) المعاصرة .. فقد تبرجت وزادت فى تبرجها ، وأصبح التبرج على مستوى واحد عند الأم وابنتها على حد سواء ، وتخلت عما يستر جسدها ، وأخذت تلهث وراء كل ما يعرى منه أكبر قدر ممكن .. فمن ملبس قصير الأكمام الي معدوم الأكمام الى ملابس تملؤها الثقوب المصنوعة تظهر (ما تحتها) حتى يبدو وكأن المرأة أو الفتاة لا تلبس شيئا ..

وكان المرء يتطلع الى كل ذلك ويعتقد أنه لا يلبث ويرى المرأة غيرت منه وعادت الى الاحتشام وستر الجسد والحياء الذى هو من صفاتها الأساسية .. ولكن مرت السنون وازداد الأمر سوءا حتى وجدنا أخيرا ما أطلقوا عليه (المينى جيب) قصرت حتى أظهرت نصف أفخاذها أو ثلاثة الأرباع .

وعلى هذا أصبح الأمر جد خطير .. أخذ يتحدث به كل إنسان ،

ودارت المناقشات حوله ويخلص كل متحدث فى هذه المشكلة الى مسئولية المرأة (المسلمة) عن هذه التصرفات الشائنة وهذا الاستهتار الفاضح بعورة جسدها .. وأنها نبذت كتاب الله وراءها ظهريا ، وراحت تتطلع فى لهفة وشوق عارمين الى أحدث ما يصممه مروجو الفتنة ومشيعو الرذيلة من مصممى الأزياء الغربية الذين تنكروا لكل دين سماوى وكل خلق كريم .

وفى الواقع .. بقدر مسئولية المرأة فهناك مسئولية أخرى أكبر وأضخم تقع — من ناحية — على عاتق الرجل أبا وزوجا وأخا وابنا .. ومن الناحية الثانية تقع على عاتق الدولة بصفتها المسئولة عن رعاية الناس وحمايتهم من كل ما يضر بهم اجتماعيا وسياسيا وثقافيا .

الناحية الأولى : فمن ناحية الرجل كفرد ، لا بد أن يذكر أن من قواعد الدين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويدافع فى سبيل هذا الواجب بكل الوسائل المشروعة .. الكلمة الحسنة والتوجيه الطيب والقدوة الصالحة .. والزجر والقسوة لمن يلى أمرهم إذا لم يرتدعوا بغيرها ، ونحن إذا نظرنا الى هذا الواجب على الرجل وجدناه قد ضيعه ولا نكاد نجد رجلا واحدا يقوم به لا مع زوجته ولا ابنته ولا أخته ولا أمه ، بل أصبح الرجل هو أيضا يجارى نساء العصر فى الملبس والزينة ، فضيق من ملابسه حتى أوشكت (تتفتق) من حوله ، وتزين بسلاسل الذهب فى عنقه ، وأطال شعره وأظافره .. حتى حذاء الرجل أصبح له كعب عال .. هذا فريق من الرجال والشبان ، والفريق الآخر أصبح يستمرىء النظر للأفخاذ والركب العارية ، ويمصمص الشفاه إعجابا بالنحور والصدور وقد ظهرت لكل عين تريد أن تلتهم .

الناحية الثانية : الواقع أن مسئولية المرأة عن هذه التصرفات ضئيلة بالنسبة لمسئولية الرجل المسلم ، ومسئولية سلطات الدولة المسلمة التى هى مسئولة وجوبا أن ترعى الناس من جميع الوجوه ، وتحميهم من تدهور الدين فى أذهانهم ومن كل ما يهدد حياتهم المادية والمعنوية .

وأنا أنفى المسئولية الكاملة عن المرأة .. ولا أنعى عليها أنها تركت كتاب الله وراءها ظهريا ، وانساقت وراء بريق (المودة) الواردة لها من الغرب ، وما ذلك إلا لأنها لا تعرف الدين ، ولا تكاد تسمع عن كتاب الله ، ولا يوجهها إليهما أحد ، ولا يصدر إليها أمر أو نصح بأن تتجه الى ما فيه من تصرفات وأخلاق تتنافى تماما مع كل ما تفعله الآن فى هذه الأحوال .. أصبحت لا تعرف شيئا عن القرآن الكريم الذى هو الأساس الأول لشريعة الاسلام .. فى المنزل لا تسمع القرآن .. بل تسمع الأغنية الرقيقة والتمثيلية الخليعة المنحرفة ، وتشاهد الأفلام الرخيصة عربية وأجنبية ، وتنصت لما تبثه هذه وتلك من أشياء كثيرة .. ومن ناحية أخرى لا يتناول القرآن أمامها أب أو أم ، وإن كان فى المنزل نسخة منه فهى لا تزيد عن كونها تميمة لمنع الشياطين ، وهذا فى غالب الناس .. وفى المدرسة لا تقرأ القرآن ولا تدرسه ، اللهم إلا آيات قصار كلها تدور فقط حول الاعتصام بالوحدة والإعداد بالقوة لمواجهة العدو والنظر فى دعوة القرآن للعلم .. لا تلبث هذه الآيات أن تمر بها الأيام فتنساها الفتاة ، حيث لن تحاسب عليها بتسميع أو امتحان ولا يطلب منها أن تتذكرها بالتطبيق

واتبـــاع ما فيها .. ثم تأتى مرحلة الجامعة وليس فى منـــاهجها على الإطـــلاق ما يمت الى القـــرآن بصلة .

وفى اجهزة الإعلام .. لن تجـد شيئا عن ذلك .. حيثما تتجه وحيثما تتكلم وحيثما تسير لا تجد من يقول لها أن لها دينا ، ولهذا الدين كتـــاب اسمه القرآن ، وأنهـــا من الواجب ان تنتسب إليه عملا وقولا والتزاما بدلا من انتسابها إليه عن طريق اسم أبيها وأمها .. وعلى النقيض من ذلك نجد أن صفحات الصـــحف اليـــومية والمجـــلات الأســـبوعية والشـــــهرية وجميع اجهزة الإعلام الأخرى ، وحديث الأم والأب والأهل والجيران ومواقع العلم والدرس ، كل ذلك يتنـــاول ما يفعله الأجانب وما يستحدثونه من أنواع للملابس وتسريحات للشعر وأصناف للشعور المســــتعــارة والرموش والأظافر الصــــناعية .. حتى أن كل هذه الأجهزة لم تتورع عن أن تقول إن أعظم ساعات الوحدة للشعب العربى تتجلى وقت غناء أم كلثوم ، ونسيت تلك الأجهزة مثلا ساعات تأدية صلاة الجمعة والأعياد الاسلامية .

ومن هنا أصبحت الفتاة فارغة لا تعلم عن دينها وأخلاقياته شيئا ، ولا تجد حولها إلا كل ما ينافى هذا الدين .. سمحت له الدولة أن يحوطها من كل جانب .. مثل الأفلام الجنســـية بدعوى الثقافة ، والمجلات التى تنادى الغرائز لزيادة التوزيع .. ورضيت جماهير المسلمين بذلك .. فكيف لا تنساق الفتاة العربية المعـــاصرة وراءه .. ؟؟ بالله كيف .. ؟!

فى رايى أن هذا هو لب المشكلة .. لا تجد الفتاة العربية (المسلمة) امامها حلوا ومرا حتى تقارن وتختار، بل لا تجد فى كل وجهة توليها إلا المر .. وحتى هذا لا تجد من يقول لها انه المر ، بل تجد الدنيا كلها تدفعها إليه دفعا ، والستار الذى تنســـاب تحته هذه الموبقات ستار براق .. داعى التحرر والتمدن والتقدم .

إذن .. أليس للفتـــاة العربيـــة عذرها فى هذا الانسياق والأمـــر كذلك .. ؟

من هنا ، وهذه هى المشـــــكلة واضحة جلية ، لا بد فى علاجها من البدء فورا بالدين وإنماء وجوده فى القلوب ، والمحـــافظة عليه حتى يترعرع ، وترى الفتاة العربية انه خير ما تلوذ به ، وانه هو الحفيظ على كرامة الانسان .. رجلا وامراة .. ودافعهمـــا الى التقدم فى عزة والى الرقى فى كبرياء وعفة .. وأنه دين الكمال الخلقى كما يقول رسوله « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ديننا الاســـلام .. يرتكز على الإيمان بالله واتبـــاع ما أمر بــه ، والانتهاء عما نهانا عنه والحياء قرين الإيمان .. جاء فى حديث للرسول عليه الصلاة والسلام : « الحيـــاء والإيمـــان قرناء جميعا ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر .. » فالحياء دليل صادق على طبيعة الانسان الطيبـــة وأخلاقه الكريمة وأدبه المطلوب .. ونحن فى حيـــاتنا اشد ما نحب الانسان الحيى .. من يستحى من إتيان المنكر والتخلق بالأخلاق السيئة، ويستحى من النقائص والمبـــاذل ويستحى من بذل الجسم وماء الوجه، ويستحى من مجافاة الضمير المتيقظ ، وليس عندنا ما نكره أكثر من الانسان الصفيق جامد الوجه كالح الخلق الملحاح المتبذل ..

هذا الحياء هو عنصر النبل والخير فى أعمال من يتحلى به ، وهذا قول

عائشة ان رسول الله قال لها : « لو كان الحياء رجلا لكان رجلا طيبا ، ولو كان الفحش رجلا لـــكان رجلا سيئا .. » هذا الحياء إذا ما فقده إنسان لم تستكثر عليه أى نقيصة .. بل لا ينتظر منه غيرها ، والحديث النبوى يقول « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

والمرأة منذ وجدت هى عنـــصر الحياء والخجل فى الانسانية حتى أنه يضرب بها المثل بذلك ، وقد جاء عن أبى سعيد الخدرى : « كان رسول الله اشد حياء من العذراء فى خدرها وكان إذا رأى شيئا يكرهه عرفنـــاه فى وجهه » .

الحياء الذى هو خلق الاسلام « إن لكل دين خلقا ، وخلق الاســلام الحياء » هذا الحياء هو المطلوب من الفتاة العربية المعاصرة .. مطلوب منها أن تتجه الى الله ثم تستحى ثم تحــكم عقلها فيما تأتى وما تدع لا تنساق ولا تتبع أهواء غيرها .. إنها تطالب أن تمارس حريتها فى حياتها .. فكيف لا تكون حرة فى أن تنتقى لنفسها من الملبس والزينة ما يحفظ عليها حياءها ويصون كرامتها ويستر جسمها عن أعين الناس !!

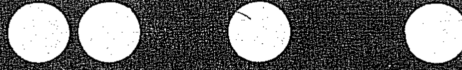
وأحب لها أن تدقق فى الأمر ، فستجد أن هذه الأنواع الكثيرة من الإثارة فى الزى والتصرفات والترجل لا تحدث إلا فى المجتمعات والبيئات التى تعانى من التمزق الاجتمـــاعى ويدور شبانها وبناتها فى فراغ كبير من الضياع ، وعدم الانتماء أو الالتزام مما يجعلهم يلجأون الى كل شـــاذ وغريب .. لو دققت الفتاة المسلمة فيما تجرى وراءه ، وتتهافت عليه من أزياء الغرب ونظمه لوجدت أنه نتاج أمراض خطيرة اجتـــاحت تلك المجتمعـــات .. ولأقلعت فورا عن مجاراتها ولعادت لأصلها واستقلال شخصيتها وقوة نفسها وقدرتها على صنع حياتها بنفسها ودينها وعلمهـــا .. ولتأخذ مثلا لذلك أختنا السودانية والأندونيسية والهندية والباكستانية كلهن على شخصيتهن ولباسهن رغم العلم ورغم الوظائف الكبرى ورغم الاتصال بالمجتمعات الغربية .. لم ترض لنفسها أن تلغى شـــخصيتها وتجرى وراء ما تفعله الغربيـــة أو يصنعه مصممو الأزياء هناك .

وكلمة النهاية .. أن أصل المشكلة يتبلور فى ان الفتاة العربية لا تجد من يدلها على أخلاقيات دينهـــا .. وما العلاج إلا بأن نبدأ جميعا على خط واحد هو إيضاح أمر الدين للفتى والفتاة .. فالأم والأب هما مناط الأمل أولا .. يعودان فى أمورهما الى دين الله وتحتشم الأم ويتدين الأب ويؤديان فرائض الدين ويعلمان أولادهما ان يتبعوا تعاليمه ويعاقبـــان من يقصر .. والدولة تساعد أيضا على نفس الطريق فيصبح الدين مادة أساسية، ويفرض على الطلاب حفظ أكبر قدر من كتاب الله وخصوصا ما فيه من تشريعات وأخلاقيات ومثل .. منذ أولى دراستهم الى نهايتها .. وعلى أجهزة الاعلام أن تعـــاون فى نفس الطريق وتؤدى الرسالة كاملة فعليها أيضا يقع عبء كبير .

هذا هو الطريق .. أن نتكاتف جميعا لصون الفتاة المسلمة .. وهى بطبيعتها الحية لن تتأخر عن السير معنا إذا ما أوضحنا لها طريق الخير .. بل حينئذ ســـتهرول معنا ، وتسبقنا كما سبق من قبلها مسلمات مؤمنات كثيرات جريا وراء مضمون الحديث النبوى الشريف : « إذا صلت المرأة خمســـها وصامت شــــهرها وحصنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من أى أبواب الجنة شاءت » .

والله نرجو أن يهيىء لنا من أمرنا رشدا ..

الإسلام في بلجيكا



اعترفوا بالإسلام في بلجيكا .. والبقية تأتي!
كيف يعيش ١٥٠ ألف مسلم حياتهم الدينية هناك؟

أخيرا .. اعترفت بلجيكا بالاسلام دينا فى بلادها ..

وأصبحت التربية الاسلامية مادة أساسية تدرس لأبناء المسلمين فى المدارس البلجيكية ..

وبذلك انتهت القضية التى شغلت اهتمام المسلمين هناك طوال الثلاث عشرة سنة الماضية وهى : المحافظة على إسلامية أولادهم وبناتهم فى جو الغربة والأديان والمذاهب المختلفة .

ولكن القضية لم تنته بعد بالنسبة للمجموعات الاسلامية فى كثير من بلاد العالم .. ان بلجيكا رغم حداثة الاسلام بها كانت أول دول أوروبا اعترافا بالكيان الاسلامى على أرضها ..

كيف دخل الاسلام هناك .. ومتى ؟!

يذكر أنه فى سنة ١٨٣٠ م ، أى فى الوقت الذى كانت فيه المملكة البلجيكية تعد قوانينها الأساسية ودستورها الرسمى ، لم يكن هناك من الأديان المعتنقة من مواطنيها سوى الكاثوليكية والبروتستانية واليهودية ، فاعترفت بها دون سواها ، وأقرتها فى دستورها ، ومن أجل ذلك وبسبب انعدام الاتصال حينذاك بين بلجيكا والعالم الاسلامى ، لم يرد الاعتراف بالدين الاسلامى فى الدستور ولا وجدت أماكن لعبادته ..



المبنى الشرقى بالحديقة الخمسينية ببروكسل الذى سيتحول الى المركز الاسلامى والثقافى فى بلجيكا ويتكلف مليون دولار .

للاستاذ محمد نعيم

وابتداء من عهود الاستقلال اخذت البعثات الدبلوماسية المسلمة تتمثل فى بلجيكا وفى نفس الوقت وفد عليها نتيجة لتطورها الاقتصادى وطلبها للأيدى العاملة آلاف من العمال المسلمين . ولم تمض سنوات قلائل حتى أصبحت هناك ٢١ سفارة عربية اسلامية وبلغ عدد المسلمين المقيمين بها نحو مائة الف من مختلف الجنسيات [مغاربة وجزائريين وتونسيين وأتراك وباكستانيين وسنغاليين والبانيين وبلجيكيين .. وغيرهم] .

ودعا هذا بعض الشباب المسلم فى سنة ١٩٦١ الى تنظيم شمل الجالية وتيسير اقامة شعائرها الدينية بالمناطق المختلفة .. وفى سنة ١٩٦٣ أسس السفراء المسلمون أول جمعية لخدمة الاسلام والمسلمين المغتربين واتخذوا من احدى الدور فى بروكسل مسجدا تقام فيه صلوات الجماعة ومركزا للتعريف بالاسلام وحضارته .

وجدوا المبنى ولكن .. ؟!

وكانت احتياجات المسلمين تلح فى ايجاد :

— المسجد الجامع .
— المركز الاسلامى والثقافى .
— المقبرة الاسلامية .

حتى جاءت الحكومة البلجيكية فى سنة ١٩٦٧ واهدت الجالية المسلمة المبنى الشرقى بالحديقة الخمسينية ببروكسل لتحويله الى هذا الغرض على أن تفرغ من بنائه فى ظرف عشر سنوات .

وتأسست فى أعقاب ذلك منظمة عالمية باسم المركز الاسلامى والثقافى ببروكسل تضم واحدا وعشرين عضوا من سفراء الدول العربية والاسلامية بجانب مدير المركز ، وخمسة أعضاء من الجالية .

ونشطت المنظمة فى العمل على :

● جمع شمل المسلمين المغتربين ببلجيكا حولها فى روح من التآخى والتضامن .

● تدعيم الحياة الروحية لهم والأسرهم وتمكينهم من معرفتهم بالاسلام ، ومن اتباع تعاليمه .

● تحسين العلاقات الودية بين بلجيكا والعالم الاسلامى والتعاون مع الطوائف المؤقتة الاخرى التى تحمل روح الأخوة والصداقة والتفاهم المتبادل .

● توفير أماكن الصلاة بالأحياء التى يسكنها المسلمون .

● انشاء مقبرة للمسلمين باحدى الضواحى .

● فتح مدارس قرآنية لأبناء المسلمين .

● انشاء مكتبة اسلامية وثقافية .

نداء وأمل ..

ونجح العمل الاسلامى على الأرض البلجيكية بصورة ملموسة ولكن بقى الهدف الأكبر دون تحقيق رغم مضى خمس سنوات .. بقى مشروع بناء المركز الاسلامى والثقافى الجديد الذى سيغذى الحياة الدينية للمسلمين وينشر الدعوة الاسلامية فى ربوع أوروبا .. ؟!

هذا المشروع الاسلامى الكبير يتكلف مليون دولار ويضم مسجدا جامعا يسع الف مصل ومعهدا للدراسات الاسلامية ومكتبة ومدرسة نموذجية للأطفال وقاعة للمحاضرات .

إنه أمل ونداء .. فهل نذكر جميعا قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « من بنى مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة » ..

.. والتعليم الاسلامى .. ثم ؟!

ويجيء بعد ذلك سؤال يفرض نفسه : ماذا يعني الاعتراف بالاسلام فى بلجيكا .. ؟؟

ويجيب الاستاذ الإمام محمد العلويني ، مدير المركز الاسلامى هناك :

☐ الاعتراف بكيان المجموعة المسلمة رسميا فى جميع قوانين البلاد .

☐ مساهمة الحكومة فى ادارة الشعائر الاسلامية وبناء المساجد .

☐ ادخال دروس التربيةالاسلامية فى جميع المدارس البلجيكية التى يوجد بها أبناء للمسلمين ، وذلك أسوة بالديانتين المسيحية واليهودية ..

ويضيف الإمام العلويني أن اكثر من ١٥ الف طالب وطالبة بالمرحلتين الابتدائية والثانوية سيتلقون هذه الدروس بموجب هذا الاعتراف .

حاجتنا الى المعلمين ..

ويطرح الإمام العلويني مشكلة قائمة .. عدد المعلمين المسلمين فى بلجيكا قليل للغاية وثقافة بعضهم لا تؤهله للقيام بالتدريس الاسلامى . ويطلب من الحكومات العربية أن تمد

المركز بالمعلمين الأكفاء الذين يجيدون اللغتين الفرنسية والعربية ، وأن يكون ذلك عن طريق التعاون الفني بين هذه الحكومات وبين السلطة البلجيكية على مثال ما هو سائر بين بعض البلدان الاسلامية وبين بلجيكا وغيرها من الدول الاوروبية .

.. والحياة الدينية .. كيف تسير ؟

وهناك نشاط ديني متعدد الصور ومنه :

— القاء أحاديث فى القرآن والسنة والفقه كل أسبوع .. وندوات فى الدراسات الاسلامية شهريا .

— تعريف المسلمين بتاريخهم ووطنهم الاسلامى الكبير واحاطتهم بمشاكله وقضاياه المختلفة .

— احياء شعائر الجماعة بانتظام .

— الاحتفال بالذكريات الاسلامية كالهجرة والمولد النبوى الشريف والاسراء والمعراج ونزول القرآن وليلة القدر .

— الرد على استفسارات المسلمين فيما يعرض لهم من مشاكل دينية تواجههم فى هذه البلاد .

— تنظيم رحلات جماعية للأطفال وسط جو اسلامى شامل .

— عرض افلام الحج والمزارات الاسلامية على الطلبة بالمدارس .. والأفلام الدينية بالمركز وفى الحفلات العامة ..

.. وصورة أخرى :

تنوير الرأى العام البلجيكى والأوروبى بتعاليم الاسلام وثقافته ، ودحض الشبهات والأباطيل عنه ، وقد أدى ذلك الى دخول عدد كبير من البلجيكيين وغيرهم فى الدين الاسلامى وانضمامهم الى الاسرة المسلمة بهذا البلد .

.. وخبر هام يفضى به الإمام العلوينى .. أن المركز بصدد اصدار مجلة ونشرات باللغات العربية والفرنسية والنيرلاندية تحوى بحوثا ودراسات فى تعاليم الاسلام وأحكامه وتتضمن أخبار المسلمين فى بلجيكا واوروبا والعالم الاسلامى .

التعليم الاسلامى فى اوروبا مرفوض .. لماذا .. ؟!

وبعد .. فكما ذكرت فى أول هذا التحقيق أن العقبة الكؤود فى انشاء تعليم اسلامى منظم فى أوروبا تقوم فى أن الاسلام — فيما عدا بلجيكا — ليس معترفا بأهله على انهم جماعة دينية لها حق الحماية من الدولة .. ومن هنا لا يستطيعون أن يمدوا أولادهم بالتعليم الدينى فى المدارس .

وفى اسبانيا .. كما هو معروف مشهور .. محرم على المسلمين أن يتخذوا مسجدا على أرضها .. ؟! بينما تتيح لهم سماحة الاسلام أن يتخذوا الكنائس على أرض المسلمين !! .. بل وأكثر من ذلك أن يتلقى أبناؤهم دروس التربية المسيحية فى المدارس الرسمية .. ؟!

وفى بلغاريا .. اضطهاد ومحاربة للمسلمين للقضاء على كيانهم بل وعلى أسمائهم الاسلامية .. وفى غيرها وغيرها أحوال المسلمين مؤلمة وعصيبة وجميع الجهود المبذولة صوب تقوية الحياة الدينية الاسلامية فى الغرب والشرق سوف تبقى قطرة فى محيط ما لم يعترف بالاسلام من الناحية التشريعية فى جميع دول العالم ..

بنـاء الاقتصـاد الاسـلامي :

مواقف أئمة الفقه

من القيمة العادلة في حديث ابن عباس

للاستاذ زيدان أبو المكارم

في المقال السابق(١) تضمن كلامنا عن حديث : « انما الربا في النسيئة وما كان يداً بيد فلا بأس » أمرين :

١ ــ تخريجه ، واثبات أنه حديث صحيح ، وأن العلماء اتفقوا على صحته .

٢ ــ تحديد زمنه ، بأنه كان المرحلة الثالثة الاخيرة التى تدرج فيها التشريع الاسلامى فى أمر الربا ، من السكوت عن بعضه حتى انتهى الى التحريم التام الشامل لكل أنواعه والاعتماد النهائى على (القيمة العادلة) .

وما دام هذا الحديث يمثل المرحلة الاخيرة ، فقد وجب الاعتماد عليه ، وبه ينتفى التعارض بين النصوص .

والآن نتعرض لموقف أئمة الفقه الاسلامي وعلمائه رضى الله عنهم من هذه المراحل الثلاثة ، ثم نتعرف على مصادر مذاهبهم التى وصلت الينا فى ربا النسيئة وربا الفضل ، ربا الدين ، وربا البيوع :

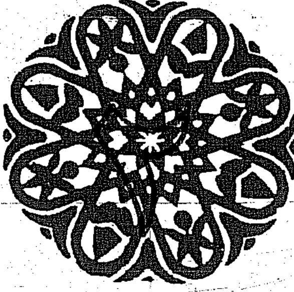
أهي النصوص القرآنية أو النبوية ؟

أم هى الرأي والقياس والاجتهاد ؟

ــ لقد أثبتنا المراحل الثلاثة فى التدرج التشريعى عن طريق الاحاديث النبوية .

أما النصوص القرآنية فليس فيها الا مرحلتان :

ــ الاولى تحريم (الأضعاف



المضـــاعفة) وحدها وقد وردت فى سورة آل عمران فى السنة الثالثة من الهجرة النبوية ((**يأيها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا أضعافا مضاعفة**)) .

ــ والثانية التحريم العام للربا ما كان (أضعافا مضاعفة) ، وما كان دونها وقد تكفلت ببيـــان ذلك آيات سورة البقرة ، وقد نزلت فى السنة العاشرة من الهجرة النبوية وفيها :

((**اتقـــوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين**)) وفيها أيضا :

((**وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون**)) .

واتفق أئمة الفقـــه على أن آيات البقرة آخرها نزولا ، وأنها ناسخة لمفهوم الاباحة الذى يؤخذ من آية آل عمران .

وكانت نظرتهم الى كلمة (الربا) معرفة بـ (ال) على ثلاثة انحاء(٢) :

ــ منهم من قال ان (ال) عامة تشمل الجنس كله ، ولـــكن تتوقف معـــرفته (ما عدا ربا الدين) على السنة النبوية : لأنهـــا قد خصصت بالتحريم أنواعا معينة وصورا خاصة ، ولم تمنع كل الأنواع .

ــ ومنهم من قال : ان (الربا) هنا لفظ (مجمل) يحتاج بيان تفصيله الى الأحاديث النبوية ، فرجع الى السنة كما رجع اليها الفريق الاول ، وإن اختلف الطريق .

ــ ومنهم من قال : ان (ال) هنا للعهد ، والمعهود هو (ربا الجاهلية) ربا الدين وحده ، وقصر معنى الربا فى سورة البقرة على هذا النـــوع وسماه ربا القرآن ، وربا الدين ، وربا الجاهلية ورتب على ذلك أن ما حرمته السنة فى ربا البيـــوع ليس داخلا فى اللفظ القرآنى ، وانمـــا يستفاد تحريمه من الاحاديث النبوية ، وسماه : ربا البيوع ، وربا السنة ، وهو عنده أقل درجة فى التحريم من (ربا القرآن) .

وهكذا نرى أن المذاهب كلها لم تدع العموم المستفاد من آيات سورة البقرة يأخذ حقه فى التحريم جميع انواع الربا ، ويممت وجوهها شطر الاحاديث النبوية تلتمس منها البيان ، وتستنبط الحدود ، وتتعرف علـــى الضوابط والعلل التى ترجع اليهـــا الأحكام .

وهذا ما ينبغى اعادة النظر فيه ، لأن القاعدة الاقتصادية فى الحلال والحرام واضحة أتم وضوح فى الآيات المحكمة المعجزة فى ســـــورة البقرة وتؤيدها السنة ، وهى التى وضعت الأسس الراسخة للبناء الاقتصـــادى الاسلامى ، وبه يتحدى الاسلام جميع الانظمة الاقتصادية القديمة والحديثة ، ويثبت أنها منحرفة عن العـــدل ، واقعة فى الظلم والبخس ، لا توفر

الشروط السليمة لكفاية الانتاج ، ولا لترشيد الاستهلاك ، ولا لعدالة التوزيع .

السنة النبوية :

فما موقف المذاهب الفقهية من المراحل التدريجية النبوية التى اشرنا اليها فى المقال السابق ، وبينا أنها كانت ثلاث مراحل :

١ — ما قبل خيبر .
٢ — مرحلة خيبر .
٣ — المرحلة الاخيرة .

— ويحكم الاولى حديث تحريم بيع (الاصناف الستة) الا متماثلة ، يدا بيد .

— ويحكم الثانية اجازة التفاضل بشرط (البيع الآخر) .

— ويحكم الثالثة حديث أسامة الذى رواه عنه ابن عباس ، وهو الذى يجيز التفاضل بدون وساطة بعد تقدير (القيمة العادلة) ، ولا عبرة بالتفاضل الشكلى ما دام التساوى فى (القيم) عادلا بدون بخس ولا ظلم .

ما موقف الفقهاء من هذه المراحل التى وردت فى السنة النبوية .. ؟

باستقراء المذاهب نجد أنها جميعا قد وقفت عند المرحلة الاولى :
(مرحلة ما قبل خيبر) ، واعتبرت (حديث الاصناف الستة) هو مصدر التشريع الذى يحدد ضوابط (الربا) ، وعلله ، وعليه تنبنى أحكامه .

يبين ذلك التفصيل الآتى :

أولا : رفضوا مذهب ابن عباس ، مع أنه يستند الى حديث صحيح اتفقوا على صحته ، وهو يمثل المرحلة الاخيرة ، وهو ناسخ لما قبله مما يناقضه أو يعارضه .

ما الاسباب التي جعلت الفقهاء يتركون العمل بالحديث الصحيح الذى رواه ابن عباس عن أسامة — رضى الله عنهم — عن النبى صلى الله عليه وسلم .. ؟

لقد استند كل منهم الى أحد الاسباب الاربعة الآتية أو الى اكثر من واحد منها ، وهى :

١ — دعوى النسخ .
٢ — دعوى الاجماع .
٣ — دعوى رجوع ابن عباس وبعض أصحابه .
٤ — ترجيح غيره عليه .

وجميع هذه الاسباب غير صالحة للاحتجاج فى هذا المقام ، وبيان ذلك :

١ — اننا بينا فى المراحل التدريجية لتحريم الربا أن حديث أسامة كان آخرها ، ولا يجوز أن ينسخ الحديث القديم (حديث الاصناف الستة) السنة الاخيرة ، والحافظ ابن حجر ، وهو من هو فى العلم بالسنة رواية ودراية يقول :

« واتفق العلماء على صحة حديث أسامة ، واختلفوا فى الجمع بينه وبين حديث أبى سعيد (حديث الاصناف الستة) فقيل : منسوخ ، لكن النسخ لا يثبت بالاحتمال » .
(فتح البارى ٤ : ٣١٨ ، ٣١٩) .

وسوف نرى عند مناقشة (الترجيح) أن الامام الشافعى يعلم أن حديث أسامة متأخر عن (حديث الاصناف الستة) اذ يعتبره مفسرا له ، فلم يثبت أن الحديث منسوخ ، بل يثبت أنه هو الناسخ .

٢ — ودعوى الاجماع على الوقوف عند (حديث الاصناف الستة) غير صحيحة ، ولا مقبولة .

أما أنها غير صحيحة : فيدل على ذلك قول الامام الشافعى :

« كان ابن عباس لا يرى فى دينار بدينارين ، ولا فى درهم بدرهمين يدا بيد بأسا ، ويراه فى النسيئة ، وكذلك

عامة أصحابه » ويقول أيضا « وهذا قول المكيين »(٣) .

أين الاجماع مع مخالفة ابن عباس وأسامة ، وعامة أصحاب ابن عباس ، وفقهاء أهل مكة .. ؟

والامام ابن حزم يغضب أشد الغضب ممن يدعى الاجماع فى هذا الموضوع ، ويقول :

« وأعجب شيء مجاهرة من لا دين له بدعوى الاجماع على وقوع الربا فيما عدا الأصناف الستة المنصوص عليها .. وهذا كذب مفضوح من قريب . والله ، ما صح الاجماع فى الأصناف المنصوص عليها ، فكيف فى غيرها ؟! أوليس ابن مسعود وابن عباس يقولان : لا ربا فيما كان يدا بيد ؟ وعليه كان عطاء ، وأصحاب ابن عباس ، وفقهاء أهل مكة »(٤) .

وأما أن دعوى الاجماع غير مقبولة : فلأن (النص) لا يلغيه الاجماع وتلك بديهية فى أصول الفقه .

٣ ــ دعوى رجوع ابن عباس وبعض أصحابه :

لم يقل بها محدث عالم بأصول الرواية ، ولا فقيه واسع المعرفة بأقوال السابقين من الصحابة والتابعين .

ولو صحت رواية بأن ابن عباس رجع لذكرها الامام الشافعى فى مناقشته لمذهبه كما سيأتى ، والامام ابن حزم ينفى رجوع ابن عباس عن العمل بحديث أسامة ويقول : « حلف سعيد بن جبير : بالله ما رجع عنه حتى مات »(٥) .

٤ ــ لم يبق الا (الاعتماد على الترجيح) باعتبار أن حديث أسامة وحديث (الأصناف الستة) حديثان متعارضان . وأوثق محاولة للتوفيق بين النصين ونفى التعارض بينهما هى ما سجله الامام الشافعى ، والحق أننى لم أر فيما قرأت ــ أكثر انصافا للحق ، ورعاية له مما سجله ذلك الامام الجليل فى هذه المسألة الخطيرة ، قال الامام الشافعى فى الرسالة ــ بعد أن أشار الى روايات حديث الاصناف الستة ، والى حديث أسامة (انما الربا فى النسيئة) ــ

« قال : فأخذ بهذا ابن عباس ، ونفر من أصحابه المكيين وغيرهم .

قال : فقال لى قائل : هذا الحديث مخالف للاحاديث قبله ؟

قلت : قد يحتمل خلافها وموافقتها .

قال : وبأى شيء يحتمل موافقتها ؟

قلت : قد يكون أسامة سمع رسول الله يسأل عن الصنفين المختلفين ، مثل الذهب بالورق ، والتمر بالحنطة ، أو ما اختلف جنسه متفاضلا يدا بيد ؟ فقال : « انما الربا فى النسيئة » . أو تكون المسألة سبقته بهذا ، وأدرك الجواب ، فروى الجواب ، ولم يحفظ المسألة ، أو شك فيها ، لأنه ليس فى حديثه ما ينفى هذا عن حديث أسامة ، فاحتمل موافقتها لهذا .

فقال : فلم قلت : يحتمل خلافها ؟

قلت : لأن ابن عباس الذى رواه ، وكان يذهب فيه غير هذا المذهب ، فيقول : لا ربا فى بيع يدا بيد « انما الربا فى النسيئة » .

قال : فما الحجة ان كانت الاحاديث قبله مخالفة فى تركه الى غيره .. ؟

قلت له : كل واحد ممن روى خلاف أسامة ، وان لم يكن أشهر بالحفظ للحديث من أسامة فليس به تقصير عن حفظه ، وعثمان بن عفان ، وعبادة بن الصامت أشد تقدما بالسن والصحبة من أسامة ، وأبو هريرة أسن وأحفظ من روى الحديث فى دهره .

ولما كان حديث اثنين أولى فى الظاهر بالحفظ ، وبأن ينفى عنه الغلط من حديث واحد ــ كان الاكثر هو أشبه أن يكون أولى بالحفظ من

حديث من هو أحدث منه ، وكان حديث خمسة أولى أن يصار اليه من حديث واحد »(٦) .

ونلاحظ فى ترجيح الامام الشافعى الامور الآتية :

أ) أنه نص على أن حديث الاصناف الستة — فى تقديره — سابق على حديث أسامة وهو صحيح ، فلا محل لقول القائلين بأن حديث أسامة منسوخ ، وقد أشرنا الى ذلك .

ب) ان الامام الشافعى لم يدع الاجماع فى هذه المسألة ، ولو كان يرى فيها اجماعا لسجله ، لشدة الحاجة الى ذلك فى المناقشة الحاسمة ، بل كان صريحا فى ذكر الاحتمالين .

جـ) انه كذلك لم يذكر شيئا عن رجوع ابن عباس ، ولو ثبت عنده رجوعه لكان من الضرورى أن يذكره .

د) أنه نظر الى الحديثين على أنهما نصان متعارضان يجب البحث عن مخرج لهذا التعارض بينهما ، وقد اعتمد الامام على الترجيح بعدد الرواة مع اعتقاده بصحة حديث أسامة ، ولم يطعن فى روايته .

هـ) اننا نرى أن الصواب فى الخروج من هذا التعارض هو التاريخ الذى أثبتنا فيه أن حديث أسامة هو آخر ما ورد من السنة النبوية فى شأن الربا وقد أشار الامام الشافعى الى ذلك فى تحليله السابق .

وما دام التاريخ قد ثبت ، فالسابق منسوخ ، واللاحق ناسخ ، وهذا ما نصت عليه (أصول الفقه)(٧) وبهذا ينتفى التعارض بين النصوص .



ولكننا نخرج من هذا العرض بأن الفقهاء رفضوا (مذهب ابن عباس) مستندين الى أسباب لم يثبت منها شىء عند التمحيص .

وهكذا لم يستفد أئمة الفقه من (المرحلة الاخيرة) من مراحل التدرج التشريعى التى انتهت الى (القيمة العادلة) .

ثانيا — موقف الفقهاء من مرحلة خيبر :

وهى المرحلة المتوسطة ، مرحلة السماح بالتفاضل بين أنواع الجنس الواحد بواسطة (البيع الآخر) وقد أقر الفقهاء هذه المرحلة ، ولكنهم نظروا اليها نظرة غير شاملة ولم يكتشفوا ما تهدى اليه من (القيمة العادلة) وهم قد ارتكزوا على حديث (الاصناف الستة) على أنه الاصل ، وأما البيع الآخر . فهو تبرير ، بل ان بعضهم ذكر هذا فى باب الحيل(٨) التى توصف للخروج على النصوص، وهل تجوز الحيل أو لا تجوز ، بأن يوافق العمل الظاهر النصوص ، بينما يتخطى فى واقعه وحقيقته مقتضى النص وروحه .. ؟

وهكذا وقف أئمة الفقه عند المرحلة الاولى التى يحكمها حديث الاصناف الستة .

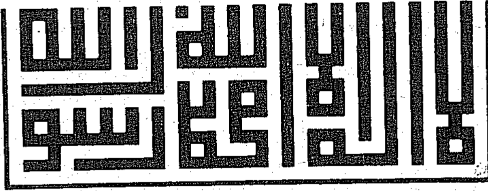
— فمنهم من رأى — وهم الاكثرية أن حكم (تحريم الربا) يتعداها الى غيرها مما شاركها فى العلة وسلكوا سبيل (القياس والاجتهاد) للوصول الى العلة أو العلل التى من أجلها حرم الربا فى هذه الاصناف .

واختلفوا فى ذلك على نحو عشرة مذاهب(٩) ، بحسب ما وصل اليه اجتهاد كل أمام فى التماس العلة التى يدور عليها القياس .

— ومنهم من اقتصر فى التحريم على الاصناف الستة ، اما لانه لا يقر القياس وهم الظاهرية . واما لأنه برغم عمله بالقياس ، واقراره له — لم يقتنع بالعلل التى وصل اليها غيره بالاجتهاد(١٠) .

من هنا يتبين لنا أن أئمة الفقه اعتمدوا فى أحكام ما سموه (ربا البيوع) على القياس والاجتهاد لاستخراج العلة المشتركة فى الاصناف الستة التى نص عليها الحديث النبوى الذى يمثل المرحلة الأولى في التدرج التشريعى .

وأن ابن عباس اعتمد فى مذهبه على الحديث الصحيح الذى اتفق العلماء على صحته ، وانه بذلك استوعب الاستفادة من المراحل الثلاثة التى تدرج فيها التشريع ، وعمل بالنص الاخير الناسخ لما سبقه ، وهو الذى يهدى الى وجوب المحافظة على (القيمة العادلة) .



---

(١) الوعى الاسلامى ، عدد ذى القعدة سنة ١٣٩٣ هـ رقم ١٠٧ .

(٢) وقد فصلنا ذلك فى الجزء الاول من بناء الاقتصاد فى الاسلام ص ١٠٤ — ١١٤ وهو مطبوع فى القاهرة سنة ١٩٥٩ م .

(٣) اختلاف الحديث للشافعى طبع فى القاهرة ٢٤١ .

(٤) المحلى ٩ : ٥٣٧ .

(٥) المحلى ٩ : ٥٢٩ ، وقد فصلنا ذلك فى رسالة (مذهب ابن عباس فى الربا) المطبوعة بالقاهرة سنة ١٩٧٢ .

(٦) الرسالة ٢٧٦ — ٢٨٦ طبع القاهرة — تحقيق أحمد محمد شاكر .

(٧) علم أصول الفقه ، لعبد الوهاب خلاف ١٩٧ ، ومثله فى أصول الفقه للخضرى ٣٥٩ .

(٨) الربا والمعاملات فى الاسلام للسيد رشيد رضا ٨٥ — ٩٣ ، اعلام الموقعين ٢٣٢ ، ٢٣٣ طبعة امبابى بالقاهرة .

(٩) المحلى ٩ : ٥٠٥ — ٥٢١ ، (علم العدل الاقتصادى) تحت الطبع لكاتب المقال .

(١٠) علم العدل الاقتصادى .

حياة الإمام الشيرازي

للدكتور : محمد حسن هيتو

أصول الإمام الشيرازى :

ولا اعنى بهذه الكلمة أن للامام الشيرازى اصولا مستقلة بنى عليها مذهبا مستقلا ، لأنه شافعى المذهب ويفرع على أصول امامه الشافعى ، وإنما اعنى كتبه التى دونها فى هذا الفن ، وآراءه الأصولية فى بعض المسائل التى خالف بها الجمهور ، او انفرد بها عنهم ، أو رجع عنها بعد مخالفتهم ، وقبل الكلام على أصوله سأتكلم على مكانته بين الأصوليين .

١ ـ مكانة الشيرازى بين الأصوليين :

إن مما لا شك فيه أن الامام الشيرازى من كبار ائمة الأصول المتقدمين ، الذين دونوا فيه ، وساهموا فى تطويره وترتيبه وتهذيبه فان الدارس لتاريخ نشأة هذا الفن والكتابة فيه يجد أن معظم ما الف فيه حتى عصر الشيرازى لم يكن سوى كتب تبحث فى موضوع أو مواضيع محصورة من مواضيعه ، وان الكتب العامة الشاملة لجميع مباحثه كانت قليلة بالنسبة لتلك .

ولذلك اعتبرت كتب الشيرازى من أهم الكتب التى صنفت فى أصول الفقه ، لعمومها وشمولها لجميع مباحثه ، وأصبحت من أهم المراجع التى يرجــع اليها الأصوليون بعده فى تصنيفهم وتأليفهم ، فلا يكاد يخلو كتاب صنف فى هذا الفن من النقل عنها ، والرجوع اليها ، والاعتماد عليها ، ومن خلالها تعرف قيمة هذا الإمام فى هــذا العلم ، ومكانته المرموقة بين اهله والباحثين فيه .

وانا إذ اكتب هذا الكلام لا أريد أن أقول : إن الشيرازى أشهر من كتب فى الأصول ، فلقد كان فى الأصوليين من هو أشهر منه وأبرع ، ولكن أريد أن أقول : انه كان من المشاهير الذين عرف الأصول بهم ، ونقل عنهم ، وان كانت شهرته فى الفقه ، والخلاف ، والجدل ، والتى لا ينازعه فيها أحد ، قد غطت على شيء من شهرته فى أصول الفقه .

٢ ــ كتبــه الأصوليـــة :

لقد ترك لنا الإمام الشيرازى ثلاثة كتب من كتب الأصول ، وهى حســب الترتيب الزمنى فى تأليفها :

١ ــ التبصرة فى أصول الفقــه .
٢ ــ اللمــع .
٣ ــ شرح اللمــع .

وسأتكلم على كل واحد من هذه الكتب الثلاثة بايجاز واختصار حتى نعرف ما لها وما عليها من مزايا واستدراكات ، فأبــدأ بالتبصرة ، ثم اللمــع ، ثم شرح اللمع .

أ ــ التبصـــرة :

١ ــ هو أول كتاب صنفه الإمام الشيرازى فى أصول الفقه ، كما تدل عليه مقدمة كتابه اللمع حيث قال : « سألنى بعض إخوانى أن أصنف له مختصرا فى أصول الفقه ، ليكون مضافا الى ما عملت من « التبصرة » فى الخلاف . أ . هـ .

٢ ــ لم يتعرض هذا الكتاب إلا للمسائل الأصولية المختلف فيها ، كما قال فى مقدمته ، وكما هو ملاحظ لداربسه ، وأما المسائل المتفق عليها فى علم الأصول فلم يتعرض لها مطلقا ، وكذلك لم يتعرض للحدود والتعاريف ، ولذلك يعتبر كتابه من أهم كتب الأصول المقارن .

٣ ــ ومما يتسم به هذا الكتاب هو الحشد الهائل من الأدلة العقلية والنقلية التى كان يستخدمها للاستدلال على المسألة التى يناقشها ، ولذلك تعتبر التبصرة من أهم الكتب الخلافية المدللة .

٤ ــ ان معظم أدلة الشيرازى فى هذا الكتاب كانت مبتكرة جديدة ، كما يلاحظ ذلك من قرأ كتب القوم وأدلتها ، ولئن طرق دليلا سبق اليه سار فيه سيرا جدليا محكما جديدا .

٥ ــ ينقسم الأصوليون فى قبولهم لأدلة الأصول الى قسمين :

قسم يقبل فى الاستدلال على مسائل الأصول الأدلة الظنية ، كالبصرى ،

والرازى وغيرهما من المتقدمين والمتأخرين .

وقسم لا يقبل الا الدليل القطعى كالأشعرى ، والباقلانى ، والغزالى .

وقد كان إمامنا الشيرازى يذهب الى أنه لا يجوز أن يستدل على مسائل الأصول الا بالدليل القطعى فى جميع كتبه الأصولية .

٦ ــ ذكر الشيرازى فى « التبصرة » مسائل نادرة لم يتعرض لها جمهور الأصوليين فى كتبهم ، ولم يناقشوها ، ومن أمثلتها الكثيرة ، الخلاف فيما اذا علق الحكم على صفة فى جنس ، فانتفى عما عداها فى ذلك الجنس ، هل ينتفى عما عداها فى سائر الأجناس أم لا ؟ كما اذا علق الحكم على السوم فى الغنم ، فهل ينتفى عن معلوفة البقر أم لا ؟ الى غير ذلك من المسائل .

٧ ــ يعتبر الشيرازى فى كتبه الثلاثة من أدق الأصوليين فى نسبة الأقوال الى قائليها ، ولذلك أصبحت كتبه عمدة الأصوليين فى التثبت من نسبة الأقوال كما أشار اليه الامام ابن السبكى فى كتابيه « رفع الحاجب » و « الابتهاج » .

٨ ــ وأما أسلوبه فى التبصرة فهو متسم بالهدوء والوفاء ، يناقش خصمه مناقشة موضوعية هادئة .

هذه هى أهم مزايا الكتاب وأما ما يؤخذ عليه فقليل ومن أهمه :

١ ــ عدم تعرضه لجميع مسائل الخلاف فى الأصول ، مع أنه كتاب خلافى .

٢ ــ عدم ذكره لجميع المذاهب فى المسألة الواحدة .

٣ ــ عدم تحريره لمحل النزاع فى كثير من مسائل الكتاب رغم أهمية هذه المسألة عند الباحثين .

٤ ــ كثرة مخالفته لجمهور الأصوليين إذ خالفهم فى أربع عشرة مسألة ، سنذكرها بالتفصيل عند الكلام على آرائه بعد قليل .

ب ــ اللمــع :

١ ــ يعتبر هذا الكتاب هو الكتاب الثانى الذى ألفه فى الأصول ، كما أشرنا الى ذلك قبل قليل .

ولقد انتشرت شهرة هذا الكتاب وشاعت ، وسارت فى الناس وذاعت ، إذ كان كتابا عاما شاملا لجميع مباحث الأصول المتفق عليها والمختلف فيها ، مع مقدمات هذا الفن ، بأسلوب سهل ليس فيه صعوبة أو تعقيد بعيد عن الأبحاث الجانبية التى أقحمها الأصوليون فى كتبهم ، كمسألة التحسين والتقبيح ، وشكر المنعم ، وغير ذلك ، ولكنه مع هذا لم يخل الكتاب من مقدمة موجزة حول بيان العلم ، والظن ، والنظر ، والدليل ، وأقسام الكلام ، وبيان الحقيقة والمجاز وغير ذلك . . ولذلك أصبح هذا الكتاب من الأصول المعتمدة فى هذا الفن ، رجع كبار الأئمة اليه ، وعولوا فى النقل عليه .

٢ ــ يعتبر هذا الكتاب مختصرا نافعا جيدا لعلم الأصول عامة ، ولكتاب التبصرة خاصة .

٣ ــ عندما صنف الشيرازى هذا الكتاب ، أطلع على أدلة لم يكن قد اطلع عليها من قبل حين صنف التبصرة ، شأن الانسان كلما تقدمت به السن تبينت له

حقائق لم يكن قد أطلع عليها من قبل ، بل ربما استبان له خطأ ما استدل به في الأمس على ما ذهب إليه ، ولما كان هدفه من البحث الوصول للحقيقة لا التعصب لقول نصره ، أو رأى استحسنه — شأن أسلافنا المنصفين — رأيناه يعرض عن كثير من الآراء التي اختارها في التبصرة مخالفا بها رأى الجمهور ، ليرجع إلى صفهم في كتاب اللمع ، وهي ست مسائل سنذكرها بعد قليل ان شاء الله عند الكلام على آرائه .

٤ — تمتاز اللمع على التبصرة بأنها غالبا ما تحرر مسائل النزاع ، وتستطرد في ذكر تفاصيل المسألة المختلف فيها والمتفق عليها ، بخلاف التبصرة فيهما .

٥ — وأخيرا تعتبر اللمع الكتاب الذي استقرت به آراء الإمام واعتدلت .

ج — شرح اللمع :

وهذا الكتاب هو الكتاب الثالث والأخير من كتب الشيرازي في الأصول شرح به كتابه المشهور « اللمع » وأنا لم أطلع على هذا الكتاب ، ولم أقف عليه فيما نظرته من فهارس المكتبات العالمية ، ولا أعتقد انه من الكتب المفقودة ، لأنه حتى أواخر القرن الثامن الهجري كان موجودا ومتوفرا ، ومشهورا بين العلماء ، وقد ذكره ابن السبكي في جملة مراجعه التي رجع اليها في كتابه « رفع الحاجب عن ابن الحاجب » ، وبدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ في جملة مراجعه التي رجع اليها في كتابه « البحر المحيط » . وعسى أن أقف عليه خلال بحثي عن المصنفات الأصولية في المستقبل ان شاء الله تعالى .

ولكنني قد وقفت على كثير من النقول التي نقلت عنه ، وقد أثبتها جميعها في شرحي على كتاب « التبصرة » بحروفها .

وان مما لا شك فيه أن هذا الكتاب يعتبر من أهم الكتب التي دونها الامام في هذا الفن إذ كان متأخرا عن كتابيه السابقين ، ونتيجة لما استخلصه من أفكار فيهما ، وربما يكون قد غير رأيه فيه في بعض الأمور التي خالف فيها ، أو خالف فيه بآراء أخرى تضاف للآراء السابقة التي خالف الجمهور بها .

وان شهرة هذا الكتاب بين الأصوليين لكافية في إظهار مكانته عندهم .

٣ — آراؤه الأصولية :

لكل إمام من الأئمة المبرزين كالشيرازي وأمثاله ، آراء خاصة ، بها يتميز ، ومن خلالها يعرف .

ولقد ذكرت قبل قليل أن الشيرازي خالف الجمهور في التبصرة في أربع عشرة مسألة ، وأنه رجع عن ست منها حين صنف اللمع ، وخالفهم في واحدة أخرى فيها ، فصار مجموع ما خالف فيه في كتابيه خمس عشرة مسألة ، رجع عن ست منها وأصر على تسع ، وسأتكلم الآن على :

١ — آرائه التي خالف بها واستمر على المخالفة .

٢ — آرائه التي خالف بها في التبصرة ورجع عنها في اللمع .

٣ — الآراء التي نسبت إليه وهو منها بريء .

ا ــ المسائل التى خالف بها الجمهور :

لا أريد بقولى المسائل التى خالف بها الجمهور ، الاشـــارة الى أن رأى الشيرازى فيها ضعيف أو باطل ، فربما كان الحق والصواب معه ، ولا عبرة بكثرة القائلين ــ كما يقول الإمام النووى فى « المجموع » ولكنى أريد أن أشير إلى أن أكثر الأصوليين على خلاف ما اختاره ورجحه فى كتبه ومصنفاته ، وقد بينت أثناء شرحى على كتاب « التبصرة » أن ليس كل ما خالف فيه كان باطلا مردودا ، بل بعضه كان رغم خلاف الأكثر له حقا وصوابا .

وكذلك لا أريد بقولى مخالفة الجمهور أنه هو الوحيد الذى شذ فى المسألة ، فان له فى كل مسألة من المسائل التى خالف فيها مؤيدا من السابقين أو اللاحقين .

وهذه المسائل باختصار وايجاز شديدين هى :

١ ــ تعـــريف الأمـــر :

فقد ذهب الشيرازى فى كتابيه التبصرة واللمـــع الى اشتراط العـــلو فى الأمر حتى يكون أمرا فقال : « الأمر استدعاء الفعل بالقول ممن دونه » وذكر قريبا من هذا فى اللمع . مخالفا للجمهور الذين لم يشترطوا فيه لا علوا ولا استعلاء .

وقد وافق الشيرازى على هذا الإمامان أبو نصر بن الصباغ (م ٤٧٧ هـ) وأبو المظفر بن السمعانى (م ٤٨٩ هـ) وذهب اليه أيضا المعتزلة كما صرحوا به فى كتبهـــــم .

٢ ــ وجوب الصيام على الحائض والمريض والمسافر :

ذهب الإمام الشيرازى فى كتابيه أيضا الى أن الصيام واجب على الحائض والمريض والمسافر ، على معنى : أن كلمة القضاء لا تطلق الا على ما سبق وجوبه على المستدرك ، وفعل بعد وقته المعين له شرعا ، دون تمييز بين ما وجد سبب وجوبه فقط ، أو وجد سبب وجوبه ووجب أداؤه ، فهم يبنون تسمية القضاء على سبق الوجوب فقط .

ولكن الجمهور على خلاف هذا ، لأنهم يفرقون بين ما وجد سبب وجوبه ولم يجب أداؤه لمانع شرعى فهذا لا يسمى واجبا ، وان كان يجب قضاؤه ، وبين ما وجد سبب وجوبه ووجب أداؤه ، وهذا يسمى واجبا ، ولذلك لا يقولون إن الصيام كان واجبا على الحائض والمريض والمسافر لأنه من قبيل ما وجد سبب وجوبه ولم يجب أداؤه للمانع الشرعى ، وان كان قد وجب قضاؤه .

ذا وللمسألة تفاصيل ليس هذا مكانها .

٣ ــ دخول الآمر فى الأمر :

ويعبر عنها بـــ « دخول المتكلم فى عموم متعلق خطابه » كما إذا قال قائل لآخر : إذا وعظك واعظ فاتفظ ، فهل يكون هو أيضا مأمورا بالاتعـــاظ اذا جاءه من وعظه ؟

ذهب الشيرازى فى التبصرة واللمع الى ان الآمر لا يدخل في عموم متعلق أمره مخالفا بذلك الجمهور الذين ذهبوا الى أنه يدخل ، ولا يخرج الا بقرينة .

٤ ــ الغاية التى يجوز ان ينتهى اليها التخصيص :

فقد ذهب الشيرازى في كتابيه الى أنه يجوز التخصيص فى جميع الفاظ العموم ــ أسماء الجموع ، وغيرها ــ الى أن يبقى واحد ، مخالفا بذلك الجمهور الذين لم يجوزوا التخصيص فى أسماء الجموع الى الواحد على خلاف بينهم فى الغاية التى يجوز أن ينتهى اليها تخصيص هذه الأسماء .

٥ ــ نسـخ الكتـاب بالسـنة :

وهى من المسائل التى كثر فيها الخلاف والنقاش ، وقد ذهب الشيرازى فى كتابيه أيضا الى انه لا يجوز نسخ الكتاب بالسنة ، موافقا بذلك إمامه الشافعى ، وإن كان قد خالفه فى جواز نسخ السنة بالكتاب .

وذهب الجمهور الى أنه يجوز نسخ السنة بالكتاب ، ونسخ الكتاب بالسنة وفى المسألة كلام طويل زلت به أقدام كثير ممن تكلم فى هذه المسألة .

٦ ــ زيادة الثقـة :

وهى ما إذا انفرد راوى الحديث الثقة بزيادة فى الحديث لم ينقلها غيره ، فهل تقبل هذه الزيادة أم ترد ؟

فذهب الشيرازى الى قبول زيادة الثقة مطلقا ، تعدد الراوى أم ــ غيرت الزيادة المزيد أم لم تغيره ، تعدد المجلس أم اتحد .

وقد نقل إمام الحرمين قبول الزيادة بهذا الاطلاق عن الشافعى رضى الله عنه .

بينما ذهب الجمهور الى قبول هذه الزيادة ولكن بتقييد وتفصيل ليس هـذا مكانه .

٧ ــ الإجمـاع السـكوتى :

وهو ما إذا ذهب واحد من أهل الحل والعقد الى حكم وعرف به أهـل عصره ، ولم ينكر عليه منكـر بشروط لا بد من مراعاتها .

فذهب الشيرازى الى انه إجماع مقطوع به ــ مخالفا بذلك الجمهور عـلى خلاف بينهم وتفصيل فى قبوله ورده .

٨ ــ التنصيص على العـلة :

وهى ما إذا نص الشارع على علة الحكم ، فهل هذا أمر بالقياس ، أم لا بد من ورود الأمر به ؟ ..

فقال الشيرازى : إنه أمر بالقياس ، مخالفا الجمهور أيضا ، اذ ذهب الى انه ليس بأمر بالقياس ، بل لا بد من ورود أمر من الخارج سوى النص على العلة.

٩ ــ خبر الواحـــد وإفادته العلم :

فذهب الجمهور الى أن خبر الواحد لا يفيد العلم لا ضرورة ولا نظرا ، وقد خالف الشيرازى بهذا أيضا فذهب الى انه يفيد العلم استدلالا ، ووافقه عليه بعض المحدثين .

هذه هى الأمور التى خالف بها الشيرازى جمهور الأصوليين ، ولم يرجع عنها ، ولكن هناك أمور أخرى ، خالف بها فى التبصرة ، ثم رجع عنها فى اللمـــع كما سنبينه ..

ب ــ المسائل التى خالف بها فى التبصرة ثم رجع عنها فى اللمع :

١ ــ الواو بين الجمع والترتيب :

ذهب الشيرازى فى التبصرة الى أن الواو العاطفة تفيد الترتيب ، مخالفا بذلك الجمهور ، ثم رجع عن ذلك فى اللمع لصفهم ، وخطأ نفسه فى رأيه الأول ، ونص على انها لمطلق الجمع .

٢ ــ النسخ فى حق الأمة قبل التبليغ :

وهى ما إذا نزل النسخ الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يبلغ أمتـــه بعد ، فهل يثبت حكم النسخ فى حقها قبل التبليغ أم لا ؟

ذهب الشيرازى فى التبصرة الى أنه شرع لنا ما لم يثبت نسخه ، مخالفـــا عن ذلك فى اللمع الى صف الجمهور القائلين بعدم الثبوت .

٣ ــ شرع من قبلنـــــا :

ذهب الشيرازى فى التبصرة الى أنه شرع لنا ما لم يثبت نسخه ، مخالفا بذلك جمهور الأصوليين من المتكلمين ، ثم رجع الى صفهم فى اللمع وذهب الى أنه ليس شرعا لنا .

٤ ــ القياس على ما ثبت حكمه بالقياس :

ذهب فى التبصرة الى جواز القياس على ما ثبت حكمه بالقياس مخالفـــا لجماهير الأمة ، ثم رجع عن ذلك فى اللمع ، والحمد لله الذى ألهمه الرجوع عن

ذلك ، لأنها هفوة عظيمة ، ولا سيما اذا كانت من مثل الشيرازى ، فهفوات الكبار على أقدارهم .

٥ ــ دخول الأمة فى خطاب الرسول عليه السلام :

ذهب الشيرازى فى التبصرة الى انه اذا أمر عليه السلام بأمر شاركته الأمة فيه ما لم يدل الدليل على تخصيصه ،مخالفا جمهور المتكلمين ، ثم رجع الى صفهم فى اللمع وقال : إنها لا تشاركه الا بدليل .

٦ ــ التخصيص بالقياس :

لقد خصص الشيرازى الخلاف فى هذه المسألة فى التبصرة بالقياس الخفى إشارة الى عدم وقوعه فى الجلى ، ثم رجع عن ذلك فى اللمع وذهب الى أنه جار فى الجلى والخفى على السواء .

هذه هى المسائل الست التى خالف بها الشيرازى الجمهور فى التبصرة ثم رجع عنها الى صفهم حين صنف اللمع ، وقد ذكرتها مفصلة هى والأمور التى أصر على الخلاف فيها مفصلة فى كتابى (الشيرازى حياته وأصوله) . وفى شرحى على كتابه التبصرة .

ونختتم الكلام على أصول الشيرازى بالكلام على أمور نسبت اليه وهو منها برىء وهى :

١ ــ ثبوت القضاء بالأمر الأول :

وهى ما اذا أمر الشارع بعبادة ثم ذهب وقتها فهل يكلف المكلف ... بنفس الأمر الأول أم يحتاج لأمر جديد ؟ مسألة خلافية .

ونسب ابن السبكى فى (رفع الحاجب) للامام الشيرازى أنه يقول : ان القضاء ثابت بالأمر الأول ، وهذه النسبة ليست صحيحة لأنه صرح فى كتابيه اللمع والتبصرة بأنه يحتاج لأمر جديد .

٢ ــ إفادة الصحيحين للعلم :

نسب البلقينى للشيرازى أنه يقول إن الصحيحين يفيدان العلم ، وهذه نسبة أيضا غير صحيحة لأنه صرح فى التبصرة واللمع بأن خبر الواحد لا يفيد إلا الظن وان كان عن طريق سلسلة الذهب التى امتلأ الصحيحان بها ؟!

هذا وهناك بعض الأمور الأخرى التى لا داعى لذكرها والإطالة بها .

وبعد : فهذه نبذة موجزة عن حياة الإمام الشيرازى وأصوله توخينا بها إظهار فضل هذا الإمام العظيم ومكانته بين علماء الأمة وسلفها ، والحمد لله رب العالمين .



للأستاذ : محمد الخضرى عبد الحميد

ينفرج الستار عن ظلمة دامسة ، لثوانٍ ، ثم تسود إضاءة خفيفة . يسمع من البداية صدى صخب كبير ، وضجيج كثير بعيد . أطفال يهزجون . نسوة ورجال يطيفون ويهللون . أشخاص كثيرون يبدون فى خلفية المشهد ، رائحين غادين ، يعزفون ، ويتراقصون .. فى الخلفية سور يبدو من ورائه جرم ضخم ، لصنمٍ صخرى ، ثابت لا يريم ، ويحسن أن تسلط عليه شعاعات من ضوء مميز خاص . يتقدم للأمام أربعة رجال ، تباعا . الإضاءة خافتة ، والأصداء البعيدة تخفت — وإن ظلت مستمرة — أثناء الحوار :

زيد بن عمرو : عيد ؟!.. الى متى هذا الضلال ؟!

عثمان بن الحويرث: ما عدت احتمل !.. ذلك ، من أجل ذلك (العزى) !
.. ذلك الحجر الذى لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا !
.. « يضرب كفا بكف » .. يا لضيعة قومى ..!

عبدالله بن جحش : من أرى ؟!.. زيد بن عمرو ، وعثمان بن الحويرث !

زيد بن عمرو ، وعثمان : مرحبـــا عبد الله بن جحش !.. تعـــال ، وانج من هـــــذا الجنـــون ..!

عبدالله بن جحش : ها أنتما هنا ، بعيـــدا عن القوم .. تحسنان صنعا ، فما عاد يمكن السكوت على مثل هذه الحال !.

زيد بن عمـــرو : ثمة نور سوف يشرق ، فيبدد كل هاته الظلمات ..

عثمان بن الحويرث : عيد العزّى !!. ها ، ها ، ها !.. لو أن لقومى قدرا يسيرا من نور البصـــيرة ، أو المعـــرفة المســـتنيرة ، لأدركـــوا أن : لا جدوى من (العـــزّى) ، وأمثاله من الأصنام .. ومن ثم .. فليس من داعٍ لكل هذا الصخب ، وهـــذا الاحتف ..!

عبدالله بن جحش : « يتلفت ورا : ألمح رجلنا الحكيم مقبـــلا علينا .. « هاتفا » : ى ، مرحى .. أهلا بالحكيم الحصيف ،

ورقـــة بن نوفل : ورقة بن نوفل .. بالضـــرورة لم يعجبك الحـــال ..! حـــال لا يعجب ، ولا يسر . تعلمون واللـــه ما قومكم على شيء ، وإنهـــم لفى ضـــلال ...

زيد بن عمـــرو : حقـــا .. وأى ضـــــلال ..!

ورقة بن نوفل : .. فما حجر نطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع .. ومن فوقه يجرى دم النحور ؟! .. يا قوم التمسوا لكم دينا غير هذا الذى أنتم عليه ..!

« يزداد خفوت الإضـــاءة ، حتى يكون إظـــلام »
« تام .. ثم .. يسطع ضوء قوى .. فيبدو فى »
« المقدمة أربعة رجـــال .. وتتغير الخلفية .. »

(مشـــهد / ٢)

رجـــــل / ١ : إذن .. فهل نحن ـــ حقا ـــ على ضلال ، كما يقولون ؟

رجـــــل / ٢ : إذا كان الأمر كذلك .. فذلك ما وجدنا عليه آباءنا ..

رجـــــل / ٣ : إن (محمـــدا) يؤكد أن الضلال هو ما نحن عليه .. وأن الحق هو ما جاء به .. والقرآن الذى يتنزل عليـــه من السماء ، يجذب اليه فى كل يوم مزيدا من الأفئدة التى تهوى إليه .

رجـــــل / ٤ : صبرا . ولسوف ننظر فيما سوف يجىء به الوليـــد ..

رجـــــل / ١ : قد طالت غيبـــة أبى الوليـــد ..!!

رجـــــل / ٢ : قلبى مع الوليـــد بن المغيرة !.. أخشى يا صحاب أن يستميله (محمد) الى صفه ، فنفقـــد فيه ركنا مناوئا ، عظيم الشـــأن حقـــا !

رجـــــل / ٣ : لا تسىء الظن يا رجل ، وكن متفـــائلا . إنك قد رأيت بأية ملامح متقلصة ، ونظرات حادة ، مرهفة ، قاسية ، يتطاير منها الشرر ، ذهب الرجل الى محمد !. ما كنا لنجد خيرا منه سفيرا ونائبا . لسوف يذكر له فى وضوح

وجلاء : كل ما أجمعنـــا عليه الرأى ..

رجـــــل ٤ / : لعله لا ينسى مما قيل له شيئا . لقـــد فوضناه فى أن يقول لـــ (محمـــد) أننا على استعداد لبذل كـــل غالٍ ونفيس ، من أجل أن يكف عن تلاوة هـــذا .. القرآن ، الذى يسحر به الألباب !!.. وأن لا يمضى هكـــذا قدما فى .. ولكن مهـــلا .. ها هو ذا الوليـــد بن المغيرة قد جـــاء !!

رجـــــل ١ / : « يحملق جانبا فى دهشة واضحة » : جاء !! الا ترون بأى وجـــهٍ جـــاء ؟!

رجـــــل ٢ / : « يحذو حذوه » : ما هـــذا الذى أرى ؟!.. ليس هذا هو الوجـــه الذى ذهب به الوليـــد ..!

رجـــــل ٣ / : « ضاحكا ، عاليا بسخرية لاذعة » : ماذا ؟!. ما هذا ؟!. أين الملامح المتقلصـــة ؟!.. الى أين ذهبت النظرات الحادة ، المرهفة ، القاسية ، التى يتطاير منها الشرر ؟!

رجـــــل ٤ / : يا قوم ، صبرا . هـــه ، ما وراءك يا وليـــد ؟!.

رجـــــل ١ / : الوليـــد !!.. أيـــة ملامـــح هادئة ، وأسارير لينـــة مشرقة وادعة ، التى عدت بها من عنده يا رجل ؟!.

أبو الوليـــــد : يـــا قوم !.. يـــا قوم ..!

رجـــــل ٢ / : ها !.. ها !.. ماذا تريد أن تقول ، وواقع الحال .. يغنى عن أى جوابٍ لســـؤال ؟!

رجـــــل ٣ / : ومع ذلك مهلا . هه . هل قلت له يا وليـــد : إن كان ذلك الذى أصابه رئيا لا يستطيع له ردا عن نفســـه ، طلبنا له الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى يبرأ ؟!. أجب !.

رجـــــل ٤ / : وهل قلت له أيضـــا : إن كان يريد ملكا جعلنـــاه أميرا علينا .. أو سلطانا ، جعلناه أغنى رجل فينا ؟!. قل تكلم !..

أبو الوليـــــد : يا قوم !.. يا قوم ، لقد قلت كل شيء . كل حرف . ولكنه تلا عليّ بعضـــا من آى القرآن ، فاذا أنا ــ كما ترون ــ أتبدل خلقا آخر . يا قوم إنى سمعت من (محمد) قولاً ، والله ما سمعت مثله قط . والله ما هو بالشعر ، ولا بالكهانة . يا معشر قريش : أطيعونى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيـــه .. والله ليكونن لقوله الـــذى سمعت منه نبأ .. فان تصـــبه العرب فقـــد كفيتموه بغيركم .. وإن يظهر على العـــرب .. فملكه ملككم .. وعزه عزكم .. وكنتم أسعد الناس به .

رجـــــل ١ / : سحرك بلســـانه ..!

رجـــــل ٢ / : « ساخرا » : حييت من سفير مفوض ..!!

الوليـــــد هـــذا رأيى .. فاصنعوا ما بدا لكم ..

« صمت . وجوم . تفكير مهمـــوم .
تخفت الإضـــاءة حتى الإظلام ، لينبثق
ضوء آخـــر ، على مشـــهد تالٍ »

(مشـــــهد / ٣)

« الوقت مساء . درب من دروب مكة . فى الخلفية »
« بيت قريب يسطع منه ضوء نفاذ . شـــخص فى »
« المقدمة ــ هو الأخنس بن شريق ــ مائل بكليته نحو »
« ذلك البيت ، يتسمع بكل جوارحه . فجأة يجـــأر »
« عاليـــــا : »

الأخنس بن شريق : الله أكبر !. ما ضرنى لو قلتها ، حيث لا أحد من قومى يسمعها ؟!. حقـــا ، يا لروعة البيان . يا لعظمـــة القرآن . ما أشجى صوتك المهيب يا (محمــد) يا ابن عبد اللـــه ، تتلو القـــرآن ، الذى يتنزل عليـــك من ربك ..

« منتبـ الى خطورة موقفه ، بالنسبة لقومه »

.. لكن .. فلأعد الآن ، خفيةً ، حتى لا يفجأنى أحد ، فيفتضح من جديد أمرى ، وتلوك سيرتى السنة قومى !!

« يتقدم أماما ، ثم ينحرف خطوات جانبا »
« فيصطدم بغتة بشـــخص ثانٍ : هـــو »
« سفيان بن حرب ، الذى كان يفعل مثلما »
« يفعل ــ سرا ــ صاحبه الآخر..يصيح: »

مـــاذا ؟!. آه !. أنت يا ســـفيان بن حرب ، هنـــا ، مرة أخـــرى ؟!

سفيان بن حرب : بل هو أنت ، يا أخنس بن شريق ، هنا ، مرة أخرى !!!

الأخنس بن شريق : ولكـــن ....

سفيان بن حرب : ولكن مـــاذا ؟!.. أو لم تعـــاهدنا يا رجـــل ، عـــلى الا تعود الى التسمع خلسة ها هنا ، ثانية ؟!

الأخنس بن شريق : يا سفيان بن حـــرب !!.. عفوا !. هـــلا سمحت لى أن أوجه إليه السؤال عينه ؟!.. أو لم تعاهدنا انت ، أيها الهمام ، على الالتزام بالأمر ذاته ؟ !

سفيان بن حرب : إننى فقط ، كنت ...

الأخنس بن شريق : كنت ماذا؟ ! ..أما كنت أنت نفسك ، صاحب الفـــكرة ومنفذها ؟!..أن نتعاهد على عدم العود الى بيت محمد ليلا ، بغية الإنصات سرا اليه ، وهو يتلو القرآن ؟

سفيان بن حرب : يا أخى .. آ .. ان لذلك القرآن لحلاوة وطلاوة..لكن.. لا يجمل بنا فى الواقع أن نكرر التسلل هكذا كل ليلة ، كل منا من وراء ظهر الآخر ، لكى ننصت الى (محمد) وقرآنه ..ونحن أعداء محمد وقرآنه .. عاهدنى الآن من جديد ، على أنك لن تذكر مما رأيت الليلة شـــيئا لعمرو ابن هشـــام (أبو جهل) !..

.. لقد أظهر أنه أكثر من كلينا وفاءً بالعهد .

الأخنس بن شريق : إنه قد أقلع فعلا ، كما يبدو ، عن العودة الى التســـلل فيما أرى .. فها هو لم يعد ليتسمع الليلة ، مثلنا . يا لضـعفنا ، يا لضعفنا !

سفيان بن حرب : هيا بنا . فلنعـــد فى ستر من حيث جئنـــا .. ولن نذكر له ، بطبيعة الحال ، شيئا مما كان ..!

الأخنس بن شريق : هيا ، من هنا تفضل يا أخى سفيان !.. إن الـــ ...

« يصيح فجـــأة مذعورا ، وقد اصطدم بشخص ثالث »
« كان كما يبـــدو عليه بجـــلاء ، يتسمع مثلهمـــا .. »
« وهـــو : أبو جهـــل بن هشـــام !!.. »

من ؟!.. من هذا ؟!.. من أرى بأم عينىّ ؟!.. عمـــرو ابن هشام ، نفسه ، بشحمه ولحمه ؟!.. وأين ؟!.. هنـــا ؟!.. هنـــا ، على وجه التحديد ، مرة أخـــرى ؟!

سفيان بن حرب : مرحى !.. أين عهودك يا عمـــرو ؟!

عمـــــــــرو : وأنتما أيضـــا !. هنا ، ولليلة الرابعة على التوالى !.. أنا على أيـــة حال ....

الأخنس بن شريق : آ .. أنت على أية حال .. كنت تتسمع الليلة ، مثلنـــا .. لا تنكر .. ماذا يجدى الإنكار ؟!

عمـــــــــرو : لن أنكر .. ولكن أشيروا علىّ . حتى متى نظل نتعاهد كل ليلة على الا نعود متسللين ، كى ننصت سرا ، ونتسمع خفيـــة الى تلاوة (محمد) لآيات القرآن فى بيته .. ثم يعود كل منا فى الليلة التالية ، من وراء ظهر صاحبه ، ممنيـــا نفسه أنه سيستمع بالإنصات وحده ؟!

سفيان بن حرب : معـــذرة .. قل هـــذه (الصيغة !) تماما لنفســـك ، يا عمـــرو !

عمـــــــــرو : لم أنكر . كلنا انسقنا بفعل عذوبة وعظمة هذا الـــ .. الـــ .. « ينتبه الى موقفه ، فيبتر كلمته » . لكن .. لا ينبغى أن ندع أنفسنا تهفـــو هكذا بهذه الحدة ، لئلا .. آ .. لا تنسيا أننا الد أعداء (محمد) فى مكة .. وهـــذا الذى يدور فى افئدتنا ، حينما نخلو بأنفسنا ، فنترك العنـــان لارتشاف معانى هذا الـــ .. آ .. ان القرآن فى الحقيقـــة ...

الأخنس بن شريق : أجل . وفى الحقيقـــة إن ما نحس به حين ننصت لتلك الآيات .. أشبه ما يكون بـــ : الخواء الكامل يأتيه عن كثب : مصدر إشباع ورى ..

سفيان بن حرب : ما نحس به هو الجوع الكلى حقا . جوع وعطش فى الروح ، ولولا أننا نأمل أن نقضى على انتشار هذا الدين الجديد ، لاستمعنا ، ونحن و ..

عمـــــــــرو : كفى . هيا بنا . ولنكتم ما نحس به الروح ، فلئن كان الأمر كما ذكرتمـــا .. فانه لخير لنا أن تظل أرواحنـــا جائعة ، عطشى ، ولا يقـــال أن (محمدا) انتصر علينا . هيـــا ..

« ينصرفون متعثرين فى الظلمة ، ومن ورائهم »
« يبـــدو ذلك النـــور الذى يجلل هامة البيت ، »
« الذى كان منـــذ قليـــل يشـــع آيات من »
« القرآن الكريم .. »

(مشـــــهد / ٤)

« يبـــدو مشـــهد الكعبـــة فى الخلفيـــة .. »
« شخصـــان فى المقدمة ، يتحـــاوران .. »

رجـــــل ١ / : « يكمل حديثا سابقا » : أجل .. هـــذا كله حدث ..!

رجـــــل ٢ / : وبعــــــــد ؟!

رجـــــل ١ / : لم يتوقف انتشار نور القرآن،كما كان يأمل عمرو بن هشام

رجـــــل ٢ / : أجـــل ، لم !.. ويبدو أنه : لن !!.. فمـــا العمل ؟!

رجـــــل ١ / : لا مفر . يزداد عـــدد الذين يدخلون فى دين الاســـلام أفواجا .. ويتسع ، باطراد ، نفوذ هذا القرآن الى مزيد من القلوب .. يوما بعد يوم .. بل ساعة بعد ساعة !

رجـــــل ٢ / : لقد صرت ، صدقنى ، أخشى على جلنا : عمرو بن هشام !

رجـــــل ١ / : مـــم ؟؟

رجـــــل ٢ / : أفلم تسمع أحدث ما قيل ؟.. الا تدرى أن (محمـــداً) دعا ربه ، فقال : (اللهم أعزّ الإسلام بأحب العمرين إليك .. عمر بن الخطاب .. أو عمرو بن هشام) ؟!

رجـــــل ١ / : « ضاحكا » : لا !. أو تعتقد أنت .. أن صاحبك عمرو ابن هشام ، أحب هذين (العمرين) الى الله ؟

رجـــــل ٢ / : من يدرى ؟. إن ابن الخطاب ليس بأقل عنفـــا فى العداء لمحمد ودينه من عمرو بن هشام ..

رجـــــل ١ / : ما يزال القـــرآن يُتلى ، ويكســـب الى حوزته أفئـــدة الكثيرين ، والكثيرات ..

رجـــــل ٢ / : فعلاً . ما اســـتطاع احـــد أن يوقف تدفق التيـــار . ألم يأتك أن البطارقة فى الحبشة .. قالوا بعد إذ سمعوا آيات منه : « هذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح » ؟

رجـــــل ١ / : بلى . بل لعلك علمت أن النجاشى ذاته .. قال هنـــاك بالحرف الواحد : « إن هذا والذى جاء به موسى ، ليخرج من مشكاة واحـــدة » .

رجـــــل ٢ / : هيـــه . لكنى ما أزال آمل فى أن انتشار القرآن : لن يؤثر ألبتة فى صـــلاته رجال عتاة .. مثل ..

رجـــــل ١ / : مثل من .. مثلا ؟!

رجـــــل ٢ / : مثـــلاً .. مثل : عمر بن الخطـــاب ..

رجـــــل ١ / : فى الحقيقة .. لا أستطيع أن ...

« فترة صمت ، وتسمع همهمات عالية »
« وأصـــــداء هـــرج بعيـــــد ... »

مـــا هـــذا ؟!

رجـــــل ٢ / : لعلها أن تكون حادثة جديدة .. من حوادث إيذاء محمد ، أو أحد من الصحب المسلمين الملتفين حول محمد . تلك هى أكثر حوادث مكة تكرارا هذه الأيام ..

رجـــــل ١ / : « ينظر جانبا » : لنر . من هذا ؟!.. « يصـــيح » .. ما وراءك يا زيد ؟

زيـــــــد : « مقبلا ، يظهر منفعلا جـدا » : قضي الأمر !. لا شيء يجدي في صد التيــار بعـد الآن ..!

رجـــل ٢ / : مــاذا من جـديد ؟. تكلم يا زيد ، أفصح .

زيـــــــد : قضي الأمر !. النجــاة !. النجــاة ..!

رجـــل ١ / : ولكن ماذا ؟!. ما كل ذاك الضجيج هناك ؟

زيـــــــد : هذا رجـل أسلم الآن فقط ، وأي رجـل !.. إنه آت ليؤدي الصلاة هنا . في الكعبــة هنا ، جهرا وعلانية ، رغم أنف عمرو بن هشام !

رجـــل ٢ / : رجـل ؟.. من هــو ؟.

زيـــــــد : إنـــه عمر بن الخطــاب ..!!

« يرين وجوم مباغت ، مذهل »

رجـــل ١ / : أ ... أو قد أسلم ؟!

رجـــل ٢ / : يا للخســارة الكبرى !!

رجـــل ١ / : هنــاك يقولون : يا للخطــوة العظمى !

رجـــل ٢ / : حقــا . وأي خطــوة !

رجـــل ١ / : وأي انتصــــار .. لمحمد .. ودعوته ...

رجـــل ٢ / : معسكر محمد يقول .. إنه للانتصار .. وإنه للانتشار ..

رجـــل ١ / : إنهــم محقــون ...

رجـــل ٢ / : محقــون تماما .. إذن فهذا أحب العمرين إلى الله ..

رجـــل ١ / : ولكن كيف أسلم بهذه السرعة المباغتــة ؟.. منذ لحظات كان كما عهدته : صلبا . صخريا . لا تأخذه في مسلم شفقة ، ولا رأفة !!

زيـــــــد : كذلك كان ، الى ما قبل قليل ! .. بل إنه من لحظات خلت ، خرج من داره ثائرا ، ممتشقا سيفه ليقتل به محمــدا . وفي الطريق علم أن أخته أصبحت على دين محمد .. فــ .. بعــد أن شج رأسها بقسوة .. آ .. تصادف أن قرأ عندها آيات من القرآن ..

رجـــل ١ / : فحدث له ما حدث للوليد بن المغيرة !. يا للطامة الكبرى !

زيـــــــد : بل أكثر . خر من فوره مسلما .. وخرج من عند أخته مؤمنا كامل الإيمان . انطلق من فوره الى (محمد) يشهر إسلامه ، ويعلن بكل عزم وتصميم أن : لا خفاء ، ولا تخف بعــد اليــوم .

« الرجلان يضربان كفا بكف . يتباعدان ذاهلين ، »
« الى يمين وشمال . يخلو المنظر من الثلاثة . تبدو »
« في الخلفيــة ثلة رجــال تتبع رجــلا مهيبــا ، »
« أقبل الى الكعبــة هائمــا ، شامخا ، وصــوته »
« يجلجل عاليــا ، مرددا : الله أكبر . الله أكبر .. »

(ســتار الختــام)

الفتاوى

الاستعانة بغير المسلمين

السؤال :

اسسنا شركة صناعية على النظام الإسلامى والحمد لله ، ولكننا نحتاج فى طبيعة العمل إلى فنيين غير مسلمين ، هل يجوز ذلك ؟

الجواب :

الأجدر بالمسلمين ان يكون عندهم اكتفاء ذاتى فى كل مجال خاصة وان الإسلام يدعو الى العمل ويمجده ، وإلى أن يتحقق لهم ذلك فلا بأس بالاستعانة بغير المسلمين فى الأمور الفنية التى لا تتصل بالدين ، ومعلوم أن الإسلام يحترم الانسان من حيث هو انسان ، الا أنه يشترط فيمن يستعان به أن يكون أمينا وحسن الرأى فى المسلمين وإن كان غير مأمون عليهم لم تجز الاستعانة به .

واذا كان الاسلام يمنع الاستعانة بغير الأمين من المسلمين مثل المخذل والمرحف فالمنع للكافر أولى .

وعلى هذا إذا لم تجدوا من المسلمين من يقوم بالأعمال الفنية فى الشركة فلا مانع من الاستعانة بهؤلاء الفنيين وان كانوا غير مسلمين عند الثقة بهم والاطمئنان الى أمانتهم .

••• ••• •••

هجرة النبى سرا

السؤال :

لماذا هاجر النبى صلى الله عليه وسلم سرا إلى المدينة ، مع ان الله قد عصمه من الناس ؟ بينما عمر رضى الله عنه يهاجر علانية ويتحدى المشركين بكل جراة ..

الجـــــواب :

إن تصرف عمر أو أى شخص آخر غير رسول الله صلى الله عليه وسلم تصرف شخصى فله حرية اختيـــار الوسائل والأساليب المناسبة له بمعنى أن عمله ليس تشريعا يلتزم به المسلمون .
أما رسول الله فهو مشرع وكل أعماله وتصرفاته المتعلقة بأمور الدين تعتبر تشريعا للمسلمين ، ولو تحدى المشركين بالهجرة مثل عمر لحسب الناس أن ذلك هو الواجب وأن من فعل غير ذلك فقد خالف .
وبذلك لا يأخذ المسلمون حذرهم عند الخطـــر مع أن الله تعـــالى يقول : (وخذوا حذركم) .
وبالنظر الى موقف النبى عليه الصلاة والسلام نجده قد أخذ بالأسباب التى يراها من عوامل نجاح الهجرة ، وكان اعتمـــــاده أولا وأخيرا على الله سبحانه ، أخفى موعد الهجرة ، وترك عليا رضى الله عنه ينام مكانه ويتغطى ببرده ، وسلك الطريق الفرعية التى لا تخطر على بال الأعداء ، واختفى فى الغار ثلاثة أيام ليوضح للناس أن الايمان بالله عز وجل لا ينافى الأخذ بالأسباب المادية التى أرادها الله أن تكون أســـبابا .. ولهذا بعد أن فرغ من اتخــــاذ الاحتياطات المناسبة عاد قلبه مرتبطا بالله عز وجل معتمدا على حمايته ونصره أولا وأخيرا .
فلم يجزع حين تحلق المشركون بالغار ، وقد جدوا فى طلبه حيا أو ميتا ، بل كان يطمئن أبا بكر قائلا : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر لا تحـــزن ان الله معنـــا .
فليست هجرته فى خفاء دليلاً على خوفه من الناس ولكنها كانت تشريعا للمسلمين بأن الإيمان لا ينافى احترام الأسباب .

••• ••• •••

فى الميراث

الســـــؤال :

مات ثلاثة إخوة في حادث سيارة فمن منهم يرث الآخر ، علمـــا باننـــا لا ندرى من منهم مات أولا ؟

الجـــــواب :

الأخوة ضحايا السيارة .. مثل الغرقى والهدمى والمحروقين وعمال المناجم والتنقيب إذا ماتوا فى الحوادث المذكورة ولم يعلم من مات منهم أولا وكان بين بعضهم توارث ، فلا يرث أحدهم الآخر ، وانما يرث كلا منهم الأحياء من ورثته .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

ذو القـــــرنين

كثرت الروايات حول رحلات ذى القرنين وأسفاره .
فما هي قصته ، فقد تضاربت حولها الأقوال ؟.
وهل هو الاسكندر المقدونى ؟
وما سبب تسميته بهذا الاسم ؟
صلاح الدين سيد أحمد ــ القاهرة

* * * * * * * * * * * * * * * *

ذو القرنين نموذج صالح لمن مكنه الله فى الارض ، ولم يتجبر ، ولم يتكبر ، ولم يتخذ من الانتصار والفتوح وسيلة للسيطرة والارهاب والاستغلال والبطش بالناس ، وانما نشر العدل فى كل البلاد التى فتحها ، مخفضا جناحه فى عزة لكل من احتاج الى معونته ، وقد سخر فى ذلك القوة التى يسرها الله له

ولقد تعددت الروايات حول رحلات ذى القرنين ، وأسفاره ، واصلاحاته ، وعدله ، وشخصيته .

والنص الوارد فى القرآن الكريم حوله يوحى بأن هناك سؤالا وجه للرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا . إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا . فأتبع سببا) . ويمضى القرآن بعد ذلك فى سرد القصة ، فيجعلنا نعايش الأحداث التى مرت به ، ولكننا لا نستطيع أن نحدد الزمان أو المكان ، لأن القرآن لم يتطرق لذلك صراحة كما أنه لا يهمنا ، أن نسجل أحداثه بتوقيتها الزمنى ، بقدر ما نحرص على أخذ العبرة من قصته ، ولما كانت العبرة المرادة من القصة تتحقق دونما حاجـــة الى زمان أو مكان اكتفينا بها .

والقرآن الكريم قد سرد القصة مؤكدا أن ذا القرنين مؤمن بالله ومعتقـــد بالبعث .

والتاريخ حكى قصة الاسكندر المقدونى ، وقد كان وثنيا عبد بعض الآلهة فى البلاد التى فتحها كمصر مثلا وهو إغريقى .

وقد بلغ ذو القرنين قرنى الشمس (مشرقها ومغربها) ولذلك أطلق عليه ذو القرنين فى بعض ما قيل حول تسميته . وطاف أغلب البقاع .

ولقد هيأ الله له أسباب الملك والسلطان والحكم ، ومكن له فى الأرض بما هو من طبيعة البشر كالبناء والعمران والفتح ، حتى بلغ مغرب الشمس ، وهناك ضرب المثل على النزاهة والعدل ، وأفسح صدره للعامل الصالح ، وقدم له الجزاء الذى يستحقه ، وعاقب المخطىء المعتدى مقننا بهذا العمل ومصنفا الناس الى محسن وسىء ، ويحكى القرآن ذلك فيقول : (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا . وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسن وسنقول له من أمرنا يسرا) .

ثم عاد الى مشرق الشمس متسما بأخلاقه ، منفذا منهجه من العدل والمساواة ، ودفع المظالم عن الناس ، مرسيا قواعد الحق ، كما فعل فى المغرب .

وفى الشرق وجد قوما وأرضا مكشوفة لا يحجبها عن الشمس شىء من مرتفعات ، بل تتسلط عليهم الشمس دون حائل (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) . حتى إذا غابت الشمس عادوا الى معايشهم بعد أن استتروا من لهيبها .

ويختتم القرآن رحلاته عندما يقول : (حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا . قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما . آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا . فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) .

والمفهوم من الآية انه وجد قوما أفزعهم الظلم ، وأذلهم الجبروت ، وأفسد عليهم حياتهم قوم عتاة دأبوا على الإفساد والقهر والتشريد فيهم ، فلبى نداءهم بقوة الحق ، وسخاء المؤمن ، وأقام لهم ما يحميهم من الظلم باشراكهم فى تحصين أنفسهم ، وتأمين حدودهم من أعدائهم ، باذلا كل الجهد .

وبذلك نجده ولم تلهه الدنيا ، ولم يبطره النصر تلو النصر شاكرا قائلا : « هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا » .

تلك عجالة قصيرة عن ذى القرنين شخصيته ورحلاته وانتصاراته وفتوحه ، استقيت معلوماتها من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لعلى أكون قد أوضحت مع الإيجاز الصورة الحقيقية لشخصية عظيمة أضفى عليها القرآن جلالا وهيبة مقرونة بالايمان .

قالت صحف العالم

اعداد : ف. ع

الثورية بين الهدف والوسيلة

هل الغاية تبرر الوسيلة ..؟ بمعنى اذا كانت الغاية مشروعة فهل يجوز أن يرتكب فى سبيل الوصول اليها منكرات ومنكرات .. ؟ فى منطق العقل لا يجوز هذا ، فلا بد أن تكون الوسيلة مشروعة كما أن الغاية كذلك ..

من هنا فالدعوة الاسلامية تسلك فى طريقها كل السبل المشروعة : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ..

أما الدعوات الأرضية مهما تعددت أشكالها فهى تلجأ الى الظلم واضطهاد الناس وقهرهم فى سبيل تحقيق مآربها ..



وحول هذا الموضوع كتبت مجلة (الشهاب) اللبنانية تقول :

ان الفكر الاسلامى قد يسمى انقلابيا بمعنى : أنه يريد تغيير حياة الناس من جذورها العميقة ، أى يغير أصول التفكير والنظر الى الكون والحياة والانسان .

ولكنه وان كان انقلابيا فى طبيعته وماهيته بل وفى هدفه ، الا أن هذا لا يعنى الطفرة والعنف فى وسائله ، ان الثورية فى الهدف تعنى التغيير الجذرى العميق ، وأعمق الاعماق هى النفس الانسانية .

والاسلام يهدف الى النفس فيهديها سواء السبيل . واذا اهتدت انطلقت تفعل الأعاجيب .. والأعاجيب هنا تعنى كل المكرمات .

أما الثورية فى الوسائل فتعنى كل اعتساف وابتسار . واذا حدث الاعتساف والابتسار — مع أحسن النوايا وأطيبها — فلن ينتج غير الظلم والفساد والضلال البعيد .

نريد داعية سويا لا كادرا ثوريا ، وفرق بين هذا وذاك . هذا يمثله الأنبياء جميعا ويمثله أصحاب الأخدود ، وذاك يمثله الشيوعى والنازى والفاشى . هذا يؤمن بالحق والخير ويثبت على الحق ويدعو الى الحق ، ويريد الاصلاح ما استطاع (الاصلاح الجذرى لا الترقيعى) حسبما تطيق نفوس الناس وحسب مشيئة الله وارادته .

وليس عليه بعد آمن الناس أم لم يؤمنوا : « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » وذاك يؤمن بنظرية من صنعه أو صنع بشر غيره ويؤمن بارادة التغيير ارادة تضاهى عند المؤمنين ارادة الله . بل هو يظن أنه إله هذه الأرض ولا اله غيره ، فلا يقيم وزنا الا لارادته هو ، إما إرادات الآخرين فهى ساقطة من حسابه ، لأن فلسفة النظام تقوم على تسلطه على الآخرين وفرض ارادته عليهم . بخلاف المؤمن فهو يبذل وسعه وطاقته فى الدعوة والاقتناع ليؤمن من يؤمن بارادته واختياره لا بالقهر والجبروت « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

نعمة الاسلام على المرأة

كثر الحديث هذه الأيام عن المرأة وحقوقها ، والأصوات ترتفع عاليا منادية بانصافها ، والرفعة من شانها .. واذا كانت المرأة مهينة فى الغرب ، ضائعة الحقوق .. فهى فى شرقنا العربى .. وفى ظل الديانة الاسلامية الخالدة .. موفورة الكرامة .. لها حقوقها كما أن عليها واجباتها ، هى والرجل سواء الا ما اقتضته طبيعة الرجل من حقوق خاصة به ، وما اقتضته طبيعة المرأة من حقوق وواجبات خاصة بها اقتضتها طبيعتها كانثى .

والاسلام رفع من شان المرأة .. وصان لها انسانيتها .. ورفع الظلم عنها ..



وتحت هذا العنوان كتبت مجلة (الارشاد) المغربية تقول :

جاء الاسلام فغير كل شىء ، وأول ما بدأ به مظالم المرأة فقضى عليها قضاء مبرما ، وعنى أشد العناية باشعار الرجل أن المرأة مخلوق مثله فى الانسانية ، ومكن لهذا الشعور التمكين كله فتجد فى التنزيل العزيز أمثال هذه الآيات :

« هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » .
« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

« والله جعل لكم من انفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة » .
« فاطر السموات والأرض جعل لكم من انفسكم أزواجا » .

ولأمر ما كرر الوحى الاشارة الى أن الرجل والمرأة خلقا من نفس واحدة ، فهو يريد استئصال امتهان راسخ فى نفوس بعضهم للنساء ، ثم عرف الاسلام لها حقوقها كاملة ، وأراحها من عنت الجاهلية وارهاقها بعد أن عانت منها ما عانت ، ثم بوأها المقام المحترم فى بيتها وفى المجتمع ، وأوصى بها ، واليك بعض التفاصيل :

كان وأد ، فجاء الاسلام بتحريمه فلم تكن موءودة منذ انتشار الاسلام حتى يومنا هذا .

وكان سبى ، فحرم الاسلام السبى منذ حرم الغزو .

وكان امتهان لانسانيتها ، فسوى الاسلام بين دم الرجل ودم المرأة كما سوى بينهما فى حد القذف ؛

وكان استئثار دونهن بالمهور ، فجعلها الاسلام حقا لهن خالصا — لا ينزعه الا ظالم .

وكان تعدد الزوجات غير محدود ولا مقيد فجاء الاسلام محددا له كما فعل بالرق .

وكان اكراه الفتيات على البغاء ليكسبن لأسيادهن مالا ، فجاء الاسلام معلنا : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » .

وكان حرمان ميراث ، فقرر لهن الاسلام حقوقهن فيه : « للذكر مثل حظ الانثيين » .

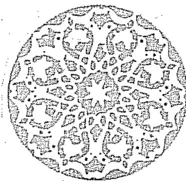
وجعل هذه الحقوق فريضة من الله نافذة . وكان العضل (المنع) عن الزواج طمعا فى أن يفتدين أنفسهن بمال ، أو يمتن فيرثوهن ، فجاء الاسلام ناهيا عنه زاجرا : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » .

وفى اساءة المعاشرة ، نزل الوحى بهذه الكلمة الطيبة الجامعة : « وعاشروهن بالمعروف » وكان الولد يرث زوجات أبيه فى جملة المتاع ، فجاء الاسلام رادعا أشد الردع عن هذا المنكر بقوله : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » وكان .. وكان .. مما أبطله الاسلام جملة واحدة .

ثم سن لها تشريعا مفصلا فى الارث والزواج والطلاق مبينا ما لها وما عليها ضمن هذا الاساس الحقوقى العادل « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » .



ولولا أن الكلمة لا تتسع لشرح أكثر لأتينا على جل ما فرض لهن من حقوق ، ولكن يكفى أن نقول : ان المرأة فى المجتمع الاسلامى وصلت الى ما تحسدها عليه متمدنة القرن العشرين .



بأقلام القراء

العبادة الحركية فى الاسلام
والسكتة القلبيـــة

العبادة الحركية المنظمة في الاسلام هى اجراء طبى هام ضد اصابـــات السكتة القلبية والموت المفاجىء :

عندما فوجىء العالم الحديث بنتائج الاحصائيات الطبية العالمية لاصابات السكتة القلبية والموت المفاجىء زادت هذه الابحاث العلمية سعة الاسلام العظيم شرفا ورفعة عندما أعلن البحث العلمى على النطاق العالمى مدى اثر التربيـــة الاسلامية فى حياة الانسان اليومية لوقاية الشـــعوب امما وافرادا مـــن خطر الاصابات القاتلة للسكتة القلبية والموت المفاجىء . لقد أظهرت نتائج الابحاث العلمية أن هذه الاصابات لا تحدث بين أفراد المجتمع الاسلامى النبيل إلا بنسبة ضئيلة بخلاف المجتمعات الاخرى التى ارتفعت فيها هذه الاصابات . فازدادت نسبة الوفيات بين افرادها . وعندما اكتشف العلم الحديث اثر المادة الشحمية الموجودة فى الدم على ظهور هذه الاصابات وبين كيفية ترسب هذه المواد فى شرايين القلب بسبب قلة الحركة لدى الانسان الحديث فى العصر الحاضـــر ، وصعوبة ترسب هذه المادة عند الانسان القديم الكثير الحركة والنشاط العضلـــى وقف الاسلام العظيم أمام هذا المشهد ليبين قانونه الطبى الالهى الرائع الذى يتمثل فى (العبادة الحركية) اليومية خمس مرات بصورة دائمة لتجدد للأجسام البشرية حيويتها وفعاليتها العضلية ، وتقيها من خطر الاصابات القاتلة التى تنجم عن داء السكتة القلبية الناجم عن قلة الحركة ، واصابة الاجهزة الجسمية بعارضـــة (الخمول العضوى) . هذا الى جانب ما يتمتع به الافراد فى المجتمع الاســـلامى السامى من تمارين الترويض الجسمانى اليومى ، الحاصلة من الجرى الـــى المسجد لحضور صلاة الجماعة والعودة منه ، اذ أعلـــن الاسلام حرصـــه الوثيق على فائدة الاجسام البشرية منتمرين المشى عندما شجع المسلم وأثار فى روحه الرغبة والشوق لحضور صلاة الجماعة التى جعل أجرها بسبعة وعشرين صلاة من الصلوات الانفرادية الى جانب ما وعد به الفرد المسلم بتسجيل عشر حسنات على كل خطوة يخطوها الى صلاة الجماعة والبهجة والانشراح النفسى الذى يحتاجه الجسم عندما يضرب بقدميه الارض بقوة ونشاط كما أقر العلم الحديث أن الجسم البشرى يستفيد من التمارين الرياضية عندما يكون الفرد منشرحـــا مسرورا أثناء ممارسة الحركة الرياضية .

ان سبب حصول السكتة القلبية بسهولة عند الكسالى والخاملين وقليلى الحركة والنشاط العضلى يعود الى ضعف الدورة الدموية وترسب المواد الشحمية

الموجودة فى الدم فى انسجة جدران الشرايين التاجية القلبيـة . وقـد أدرك الاسلام العظيم خطورة الأمر فوضع قوانين صحية وأجراءات وقائية رائعـة لادامة نشاط الدورة الدموية الى جانب العبادات الحركية الاسلامية ، فأمـر بالوضوء والاغتسال ، الأمر الهام فى جعل الجسم يجدد نشاطه والقلب يضاعف قابلياته الحيوية ، والدورة الدموية تزيد فعاليتها وقوتها بصورة دائمة مستمرة فيشعر الفرد بالدفء والانشراح بسبب ذلك .

« يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا » .

وهكذا تلعب الدورة الدموية والنشاط الجسمانى دورا خطيرا فـى احداث الوقاية من الاصابات القاتلة للسكتة القلبية والموت المفاجىء واعطاء الجسم درعا حصينا يحتمى به من شر هذه الاصابات المخيفة . والى جانب العامل المؤثر فى أظهار اصابات السكتة القلبية والموت المفاجىء وهو (الخمول العضوى) وضعف الدورة الدموية فهناك العامل الآخر الذى هو عامل (التغيرات النفسية) الذى اثبتت التجارب والدراسات الطبية الحديثة أن له أثرا فعالا فى احداث هذه الاصابات المرضية الخطيرة . لاحظ الباحثون عند دراسات الحالات المرضيـة المتكررة كل لحظة أن الاصابات بالسكتة القلبية والموت المفاجىء فى شتى بقاع العالم فى العصر الحديث ، أن هذه الاصابات تكثر حوادثها بين رجال السياسة والخطباء المتحمسين والوطنيين والثائرين ورجال المغامرات ومحترفى المهن المرهبـة كالجراحين والطيارين واللصوص ورجال الاعمال السرية والعصابات وجميـع الاشخاص الذين ترغمهم أعمالهم اليومية على أن يعيشوا على أعصابهم طوال ساعات العمل .

الدكتور ابراهيم الراوى — بغداد

طريق الخلاص

تمر البشرية اليوم فى أسوا عصور الانحلال والظلام . وتعانى من الانحلال الخلقى العقيدى وذلك من آثار المادية الطاغية التى جعلت من هؤلاء النـاس وحوشا ضارية وبشرا ممسوخا لا يعرف الانسانية .

وارتكست هذه الجاهلية الجديدة — والقديمة فى آن واحد — بعد أن ضلت طريق الخلاص . أرادت أن تجعل من المادة كل شىء ونسيت تكريم الله لهـذا الانسان الذى استخلفه الله فى هذه الارض لبناء المجتمع السعيد .

وان مما لاشك فيه أن هناك ظاهرتان هما النور والظلام . ولو طبقنا ذلك فى عالم المبادىء لقلنا : إن الاسلام هو طريق النور أو طريق الانسانية ، وما عداه من المبادىء فطريق الظلمات الجاهلية .

وستبقى هذه الظلمات هى المسيطرة مادام هذا النور محجوبا عن الجماهير ولكن سرعان ما يتبدد هذا الظلام لاول وهلة من اشعال أول عود ثقاب لتبـدأ مرحلة النور .

ولكن من يشعل عود الثقاب (لينقذ الانسانية من هذه الجاهلية المادية وهذه الظلمات لياخذ بيدها نحو النور والسلام) .

ولكن ما هو زادكم ؟ .. انه واضح وهو رجوعكم الى الاسلام الحقيقى وليس الذى أحاطت به هالات البـــدع والخرافات التى أرســتها قرون التخلف والانحطاط .. والتى شوهت جماله وأصبح طقوسا لا علاقة لها بالحياة ..

نعم هو الرجوع الى الكتاب والسنة ، وهذا ما أوضحه الرسول صلى الله عليه وسلم على لسان القرآن الكريم (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) أو كما أخبر به حينما قال صلى الله عليه وسلم (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعـدى . كتـاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) .

نعم إن استمساكنا بهذين النبعين احياء لاسلامنا ، ونظافة لأخلاقنا ونقـاء لمجتمعنا من كل شائبة ، هذا هو نظام الحياة . فمتى انفصل هذا الدين عن الحياة أصبح دينا غير دين الاسلام . وهذا ما نعانيه من فصل الدين عن الحياة فـى واقعنا الذى نعيشه بكل مرارة وأسى .

أيها الشباب المسلم : ان اعداءكم يخططون لنشر مبادئهم التى ليست هى بشىء سوى أفكار ضحلة وسطحية لا تعدو أن تكون خيوطا واهية تتبدد لو قورنت بنظامنا الاسلامى .

فهل انتم عاملون ؟ .. والى متى ننتظر ؟ .. والى أين ؟؟ فكروا الى متـى هذا ؟؟ .. أما انتهى عهد الرقاد ؟؟

نحن بحاجة الى شباب متفوق فى العلوم التكنلوجية .. نحن بحاجة الـى الشباب المسلم القوى الذى يتصدر الحلقات الدراسية العلمية العالمية ، لا أن يكون عالة على غيره .. لأن الاسلام لا يعرف الكسل والعجز .

ان أمة تعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب الله لها الحياة الكريمة .

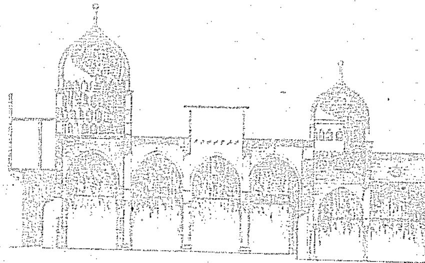
فلنختر اذن أى لون من الحلول المعروضة علينا .

طريق الذوبان فى المبادىء المادية الجاهلية التى أكلت الاخضر واليابس .

طريق الابادة فيما لو سـيطرت هذه الماديـة علينا كما حدث فى الـدول الشيوعية .

طريق الدعوة لبناء المجتمع الاسلامى .

لا شك أن الطريق الثالث هو الطريق الصحيح الذى يليق بنا كدعاة فكرة ونظام لا لانعرف الذل أو التراجع (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فـى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) .



اعداد الاستاذ : فهمي الامام

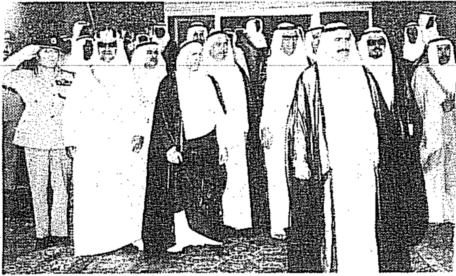
الكويت : افتتح حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم دور الانعقاد العادى الخامس المكمل للفصل التشريعى الثالث لمجلس الامة .

ويرى سموه لدى وصوله مبنى المجلس حيث كان فى استقباله سعادة رئيس مجلس الأمة وأعضاء لجنة الاستقبال .

● استقبل سمو أمير البلاد المعظم رئيس وزراء بنغلادش الشيخ مجيب الرحمن والوفد المرافق له خلال زيارتهم للبلاد ، وقد تم البحث بين المسئولين — فى البلدين — فى العلاقات القائمة ووسائل تدعيمها .

● سيزور سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء المملكة العربية السعودية خلال هذا الشهر لاجراء محادثات مع كبار المسئولين السعوديين حول العلاقات بين البلدين والاوضاع الراهنة فى المنطقة .

● القى معالي الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة خطاب الكويت أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة أثناء مناقشة القضية الفلسطينية ، وقد عرض معاليه المشكلة من جذورها وأبان عن موقف الكويت وتبنيها لمطالب الشعب الفلسطينى وحقه فى العودة الى دياره . واستعادة كافة حقوقه المسلوبة .



● أتاحت وزارة الدفاع الفرصة لأسر الشهداء الكويتيين الابطال الذين استشهدوا فى معارك رمضان لأداء فريضة الحج هذا العام على نفقة الوزارة .

● تجتمع بالكويت لجنة مؤلفة من كبار أساتذة التاريخ فى الجامعات العربية وذلك بهدف كتابة تاريخ العرب والاسلام كتابة علمية أمينة .. تحافظ على تراثنا الاسلامى الخالد .. وتصونه من كل دخيل .. وتنفى عنه كل شائبة .

السعودية : حذر جلالة الملك فيصل فى رسالة أرسلها للرئيس الامريكى من أن العرب سيلجأون الى سلاح النفط من جديد اذا لم يتم التوصل الى حل مرض لمشكلة فلسطين .

● حضر وفد رابطة العالم الاسلامى حفل وضع حجر الاساس لمشروع الكلية الاسلامية فى سرابيفو بيوغسلافيا .

ومما يذكر أن السعودية قد تبرعت لمشروع الكلية بمبلغ ٢٥ ألف دولار .

● أفاد الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى بأنه قد تم اسلام حوالى مائة شخص فى غانا ، وأن الاقبال على اعتناق الدين الاسلامى يزداد باستمرار .

● كما صرح الامين العام للرابطة بأن حوالى مائة الف شخص تركوا القاديانية فى الهند بعد أن تبين لهم زيفها وضلالها ، وأعلنوا تمسكهم بالدين الاسلامى الحنيف .

القاهرة : أصدر نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف قرارا بتشكيل بعثة الوزارة للحج وستتولى البعثة الاشراف على راحة الحجاج واقامة الشعائر الدينية لهم .

● بحث وزير شئون الأزهر مع وزيرى التربية والتعليم وشئون الموظفين بنيجريا امكانيات ايفاد عدد من المدرسين والمدرسات من أبناء الأزهر لتدريس اللغة العربية والعلوم الاسلامية فى مدارس نيجيريا .

● تلقى رئيس الوزراء مصحفا من الجالية العربية فى لوس انجيلوس هدية . والمصحف مكتوب بخط اليد منذ ١٣٠٠ سنة .

● تألفت بعثة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية لاختيار وتصوير المخطوطات العربية الموجودة فى مكتبات ايران الزاخرة بنوادر المخطوطات .

الجزائر : احتفلت الجزائر فى الفاتح من نوفمبر بالذكرى العشرين لاندلاع ثورتها .

وقد حضر الاحتفال عدد من رؤساء الدول العربية وزعماء العالم .

فلسطين : ناقشت الجمعية العامة للأمم المتحدة مشكلة فلسطين . وقد مثل الشعب الفلسطينى منظمة التحرير الفلسطينية ، فعرض رئيسها السيد ياسر عرفات القضية الفلسطينية عرضا وافيا .

● اشتدت المقاومة الفلسطينية للاحتلال الاسرائيلى عنفا وضراوة ، فقد نشط العمل الفدائى داخل الارض المحتلة مسببا الذعر والهلع لليهود ، وخرج المسلمون عقب صلاة الجمعة فى تظاهرة ضخمة منددين بالاحتلال ، مؤيدين لمنظمة التحرير ، رافعين الأعلام الفلسطينية .

اخبار متفرقة

تركيا : قال نائب رئيس وزراء تركيا : ان أقوى سلاح ضد الشيوعية الملحدة هو الايمان بالله ، ونحن نريد أن نسلح شبابنا بالايمان، وآداب الاسلام والتمسك بالعقيدة .

● صرح مصدر مسئول بأن عدد الحجاج الأتراك لهذا العام يتراوح بين ٧٢ و ٨٠ ألف حاج ، وقد اتخذت الحكومة الاجراءات اللازمة من أجل سلامتهم وراحتهم .

نيجيريا : قرر مسلمو نيجيريا تشكيل هيئة مركزية لهم فى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، وقد أصدر المجلس بيانا أعلن فيه : أنه سيكون الناطق باسم جميع المنظمات الاسلامية فى البلاد .

الهند : افتتح مؤخرا فى دلهى أول مؤتمر للمنظمات الاسلامية لبحث شئون المسلمين وقضاياهم على ضوء الواقع الذى يعيشه المسلمون فى العالم ، وقد حضر المؤتمر مندوبون عن الكويت والسعودية ومصر ولبنان وبلجيكا والبرازيل وغيرها ..

المانيا : أعلن المركز الاسلامى بالمانيا الغربية أن خمسة من الألمان اعتنقوا الدين الاسلامى الحنيف .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو الحجة ١٣٩٤	ديسمبر ١٩٧٤	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاحد	١	١٥	٥ ١	٦ ٣٤	١١ ٤٣	٢ ٣٢	٤ ٥٠	٦ ١٤	١٢ ١١	١ ٤٥	٦ ٥٣	٩ ٤٢	١ ٢٤
الاثنين	٢	١٦	٢	٣٥	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الثلاثاء	٣	١٧	٢	٣٦	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الاربعاء	٤	١٨	٣	٣٧	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٣٤
الخميس	٥	١٩	٤	٣٧	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الجمعة	٦	٢٠	٤	٣٨	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	٧	٢١	٥	٣٨	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٣	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاحد	٨	٢٢	٥	٣٩	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاثنين	٩	٢٣	٦	٣٩	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الثلاثاء	١٠	٢٤	٦	٤٠	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاربعاء	١١	٢٥	٧	٤٠	٤٨	٣٧	٥٥	١٩	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الخميس	١٢	٢٦	٧	٤١	٤٨	٣٧	٥٥	١٩	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الجمعة	١٣	٢٧	٧	٤١	٤٩	٣٨	٥٦	٢٠	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	١٤	٢٨	٨	٤١	٤٩	٣٨	٥٦	٢٠	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الاحد	١٥	٢٩	٨	٤١	٥٠	٣٩	٥٧	٢١	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الاثنين	١٦	٣٠	٨	٤٢	٥٠	٤٠	٥٨	٢١	١١	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الثلاثاء	١٧	٣١	٩	٤٢	٥٠	٤٠	٥٨	٢١	١٠	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الاربعاء	١٨	يناير	٩	٤٢	٥١	٤١	٥٩	٢٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الخميس	١٩	٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٥ ٠٠	٢٣	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الجمعة	٢٠	٣	٩	٤٢	٥٢	٤٢	٠٠	٢٣	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
السبت	٢١	٤	١٠	٤٣	٥٢	٤٣	١	٢٤	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاحد	٢٢	٥	١٠	٤٣	٥٣	٤٤	٢	٢٥	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الاثنين	٢٣	٦	١٠	٤٣	٥٣	٤٤	٢	٢٥	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الثلاثاء	٢٤	٧	١٠	٤٣	٥٣	٤٤	٣	٢٦	٧	٤٠	٥٠	٤١	٢٣
الاربعاء	٢٥	٨	١٠	٤٣	٥٤	٤٥	٤	٢٧	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣
الخميس	٢٦	٩	١١	٤٣	٥٤	٤٦	٥	٢٨	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الجمعة	٢٧	١٠	١١	٤٣	٥٥	٤٧	٦	٢٨	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
السبت	٢٨	١١	١١	٤٣	٥٥	٤٧	٦	٢٩	٤	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
أحد	٢٩	١٢	١١	٤٣	٥٥	٤٨	٧	٢٩	٣	٣٦	٤٨	٤١	٢٢
اثنين	٣٠	١٣	١١	٤٣	٥٦	٤٩	٨	٣٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢

السيـــدة ماريـــة

اسمهـــا : ماريـــة بنت شمعـــون .

اسلامهـــا : أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية ومصر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أختها سيرين سنة سبع من الهجـــرة .. وجاء بهما الى رسول الله حاطب بن أبى بلتعة .. وفى الطريق عرض عليهما حاطب الاسلام ورغبهما فيه فأسلمتا .

زواجهـــا : أنزلها النبى بالعالية ، وكان يأتى إليها .. وتزوجها بملـــك اليمين .. وضرب عليها الحجاب . أما أختها سيرين فقد أهداها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت .. وهى أم عبد الرحمن بن حسان .

ولادتهـــا : كانت مارية أم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابراهيم) .. ولدته فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة .. وعـــاش ابراهيم ثمانية عشر شهرا بعدها انتقل الى جوار ربه وقال رسول الله فى وفاته : (تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب ، وإنا بك يا ابراهيم لمحزونون) .

وفاتهـــا : امتد بها الاجل حتى خلافة عمر .. فبعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفق عليها أبو بكر رضى الله عنه حتى مات .. ثم عمر رضى الله عنه حتى توفيت فى خلافته .. وكانت وفاتها فى المحرم سنة ست عشرة وصلى عليها عمر ، ودفنت بالبقيع .. رضى الله عنها وأرضاها .

فهرس عام المجلة

في عامها العاشر

١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م

يشتمل على الموضوعات والكتاب

كلمات وأحاديث

ســـنة

أدبٌ

دراسات قرآنية

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
أحكام قرآنية	الدكتور أحمد الحوفى	٣٨/١٢٠
افتعال المشكلات	الأستاذ أحمد محمد جمال	١٢/١١٩
آية الكرسى	الشيخ محمد الغزالى	٤/١١٤
تفسير سورة الكافرون	» » »	٧/١١٦
تفسير سورة المسد	» » »	٤/١١٣
خواطر فى القرآن	الأستاذ على الطنطاوى	٨/١١٢
دراسات فى القصص القرآنى	الأستاذ عبد الكريم الخطيب	٦/١١٧
القرآن معجزة خالدة	الدكتور عبد الجليل شلبى	١٠/١١٦
القصص القرآنية (١)	الأستاذ محمد عزة دروزة	٧/١١٣
» » (٢)	» » » »	٩/١١٤
لله المشرق والمغرب	الدكتور أحمد الشرباصى	٨٧/١١٩
مشكلات الفواصل (٢)	الدكتور على محمد حسن	١٦/١٠٩
» » (٣)	» » » »	١٦/١١٠
من حديث النصر فى القرآن	الدكتور محمد الدسوقى	٧٠/١٠٩
الناس والقرآن	الأستاذ أحمد البسيونى	٤/١١٩
النسخ توقيت للاحكام	الدكتور محمد محمد الشرقاوى	٢٢/١١٦
نظرات فى سورة الأنعام	الشيخ محمد الغزالى	٨/١٠٩

طب وعلوم

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
امراض الكبد	الدكتور محمد محمد أبو شوك	٧٦/١١٦
العزل والاجهاض	الدكتور فاروق محمود مساهل	٤٠/١١٦

عقيدة وفلسفة

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
الله	الشيخ محمد الغزالى	٤/١١٠
الايمان بالقدر قوة	الدكتور أحمد الحوفى	٢٦/١١٥
بين العقل والوحى	الدكتور عبد العال سالم مكرم	٢٠/١١٠
التيارات الالحادية	الدكتور وهبه الزحيلى	٢٩/١١٠
عصمة النبى	» » »	٢٢/١١١
عقائد الأسلام وأسباب التخلف	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٢٢/١١٢
عوامل نشأة الفلسفة	الدكتور محمد عاطف العراقى	٥٤/١١٦
الغيبيون حقا هم الجاحدون	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٢٤/١١٣
الفكر الأسلامى والانسان والمعركة	الأستاذ فاروق منصور	٦٦/١١٦
فكرة العشق	الأستاذ سعيد زايـد	٥٦/١١٣
المخيلـة عند الفارابى	» » »	٨٢/١١٩

فقه وتشريـــع واقتصاد

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
الاجتهـــاد	الأستاذ محمد رجاء حنفى عبد المتجلى	٤٠/١١٨
الاحتكار وتسعير السلع (١)	الدكتور محمد سلام مدكور	٣٦/١١٥
» » » (٢)	» » » »	٣٣/١١٦
الاسلام والشرائع السابقة	الدكتور محمد محمد الشرقاوى	٢٥/١١٨
الاسلام ومعاملة الأسرى	الدكتور أحمد الشرباصى	٥٢/١١١
الافتاء والقضاء	الدكتور سليمان دنيا	٦١/١١٣
الاقتصاد الاسلامى	الدكتور محمد شوقى الفنجرى	٢٥/١١٢
بناء الاقتصاد الاسلامى	الأستاذ زيدان أبو المكارم	٨٠/١٢٠
بين الشريعة والقانون	الأستاذ على عبد الله طنطاوى	١٨/١١٦
التامين التجارى	الدكتور عبد الناصر توفيق العطار	٤٤/١١٧
تصور جديد لربا الفضـــل	الدكتور أحمد صفى الدين عوض	٥٧/١١١
تعاطى المخدرات والادمان عليها	الدكتور أحمد على المجدوب	٦٢/١١٠
حكم الاسرى والرق فى الاسلام	الأستاذ محمد عزة دروزة	٥٢/١١٠
حكم الاسلام فى الاسترقاق	الدكتور محمد الحجى الكردى	٧٨/١١٩
الحكم الاقتضائى	الدكتور محمد سلام مدكور	٥٣/١١٩
الحكم الشرعى	» » » »	٤٨/١١٨
الحكم الوضعى	» » » »	٤٢/١٢٠
حول ولاية الرجل على نفسه	الأستاذ محمد عزة دروزة	٥١/١١٧

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
الخمر وموقف الاسلام منها	الأستاذ عبد الكريم الخطيب	٧٧/١٠٩
رسالة الاسلام ونسخها للرسالات	» » » »	٢٨/١١٢
عاقبة التساهل بمقدمات الحرام	الدكتور وهبه الزحيلى	٣٨/١١٣
العقوبات السالبة للحرية	الدكتور احمد على المجدوب	٧٤/١١٢
عقوبة مراقبة الشرطة	» » » »	٤٨/١١٩
علة ربا الفضل	الدكتور نور الدين عتر	٥١/١١٦
مراعاة المشرع لحالة الجانى	الأستاذ محمد فتحى بهنسى	٥٥/١٢٠
نحو اقتصاد اسلامى (١)	الدكتور ابراهيم فؤاد احمد على	٤٩/١٠٩
» » » (٢)	» » » »	٩٩/١١٤
» » » (٣)	» » » »	٣٦/١١٩
نحو اقتصاد اسلامى متحرر	الأستاذ عبد الكريم الخطيب	٣٢/١١٣
النهى فى نصوص التشريع الاسلامى	الدكتور محمد سلام مدكور	٤٤/١١٠
هل نقيد تعدد الزوجات	الدكتور نور الدين عتر	٤٦/١١٢
ولاية الرجل على نفسه	الدكتور محمد البهى	١٣/١١٣

كتـــاب الشـــــهر

اسم الكتاب	الكـــاتب	الناقـــــد	العدد/الصفحة
ابو حيان التوحيدى	الدكتور احمد الحوفى	الدكتور يوسف نوفل	٢٣/١١٤
الاجتهاد وحاجتنا اليه	الدكتور سيد محمد موسى	الأستاذ محمد عبد الله السمان	٨٨/١١٣
بين العقيدة والقيادة	اللواء محمود شيت خطاب	» » » »	٩٤/١١٥
دستور الاخلاق	الدكتور محمد عبد الله دراز	» » » »	٩١/١١٨
دعـــوة الحـــق	الأستاذ منصور حسين عبد العزيز	» » » »	٢٧/١١٦
عالم الاســـلام	الدكتور حسين مؤنس	الأستاذ احسان صدقى العمد	٩٢/١١١
العقيـــدة والقوة معا	الأستاذ محمد عبد الله السمان	الأستاذ انور الجندى	٦٢/١١٩
العلم والدين	الأستاذ اميل برتو	الدكتور يوسف نوفل	٣٧/١١٠

مناسبات اسلامية

الموضـــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
اثر رمضان فى التعبئة العامة	الأستاذ على القاضى	٣٢/١١٧
الحاجة الى توحيد المواسم والاعياد	الشيخ عبد الحميد السائح	٤٨/١١٣
الحــج	الشيخ طه الولى	٩/١١٩
الحج والعمرة	الأستاذ أحمد عبدالمحسن المنشاوى	٥٤/١١٨
شعبان وليلة النصف	الأستاذ أحمد مظهر العظمة	٧٣/١١٦
فتح مكة	الأستاذ محمد رجاء حنفى	٩٣/١١٧
من عيد الهجرة الى عيد المولد	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	١٦/١١١
المولــد النبوى	الدكتور محمد محمد عبد الرءوف	٤/١١١
ميلاد الرسول الأعظم	الشيخ عبد الحميد السائح	٤١/١١١
الهجرة بين ماضينا وحاضرنا	الدكتور محمد محمد بيصار	٤/١٠٩
الهجرة النبوية . أسبابها ونتائجها	الدكتور أحمد الحجى الكردى	٢٩/١٠٩

تربية واجتمــاع

الموضـــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
أساليب التعليم عند المسلمين	الأستاذ محمد الحسينى عبد العزيز	٨٣/١١٢
الاسلام والصحة النفسية	الأستاذ على القاضى	٧٢/١١٢
الاسلام والعلاقات الاجتماعية	الشيخ أحمد البسيونى	٤/١٢٠
التدين	الشيخ السيد سابق	١٤/١١٦
التعليم الاسلامى فى الكويت	الأستاذ عبد الحليم عويس	٦٢/١١٥
حق الله على عباده	الأستاذ عبد الرحمن عبد اللطيف	٨٦/١١٨
خطب الرسول	التحريــر	٥١/١١٥
دور الدين فى الوقاية من الجريمة	الدكتور أحمد على المجدوب	٦٣/١١٧
الزى الاسلامى	الدكتور أحمد الحجى الكردى	٧٨/١١١
عوامل التربية فى الاسلام	الأستاذ على القاضى	٨٥/١٠٩
فى قضية ملبس المرأة	الأستاذ عبد المقصود حبيب	٧٢/١٢٠
كلهم يبكى فمن سرق المصحف؟	الأستاذ أحمد محمد جمال	٢٠/١١٥
مركز المرأة	الدكتور أحمد الحجى الكردى	٩٩/١١٥
مشاهد من السيرة النبوية	الأستاذ محمد على المجذوب	٤٥/١١١
مكانة المرأة فى الاسلام	الأستاذ محمد عبد المنعم الخاقانى	٥٨/١١٢
منهج الاسلام فى التكافل الاجتماعى (١)	الدكتور محمد فوزى فيض الله	٥٢/١١٤
« « « « (٢)	« « « «	٥٢/١١٥
وأما بنعمة ربك فحدث	الأستاذ أحمد التاجى	٤٠/١١٧
وشاورهم فى الأمر	الدكتور أحمد الحوفى	٦٧/١١٨
يا بنى	الأستاذ أحمد محمد جمال	٥٣/١٠٩

قصائـــد

الموضـــــوع	الشاعر	العدد/الصفحة
صلاة للشهـداء	الأستاذ محمود حسن اسماعيل	٤٨/١١٤
فى موسم الحج	الأستاذ محمد هارون الحلو	٦٢/١٢٠

موضوعات عامة

الموضـــــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
الاسلام دعوة كل الرسل	الدكتور أحمد عمر هاشم	٣٢/١١٥
الاسلام والافريقى المعاصر	الدكتور عماد الدين خليل	٤٢/١١٥
الاسلام وتحديات القرن العشرين	الدكتور محمود زايـد	٤٣/١١٢
الاعلام العربى	الأستاذ أحمد العنانى	٧٤/١١٨
بالاسلام ستدين الانسانية	الأستاذ عبد الكريم الخطيب	٦٨/١١٤
بين القوة والضعف	الدكتور أحمد الشرباصى	٨٠/١١٨
التبشير والاستعمار	الشيخ محمد الغزالى	٤/١١٥
الحاجة الى تقويم هجرى موحد	الدكتور محمد محمد عبد الرءوف	٣٤/١٠٩
حديث أم معبد	التحريـر	٦٨/١٠٩
دور الاسلام فى العصر الحديث	الدكتور حسن هويدى	٤/١١٨
رسالة مفتوحة الى مؤتمر القمة	المؤتمر الاسلامى	٩٩/١١٠
سيادة الدولة فى ظل الاسلام	الدكتور وهبه الزحيلى	٩١/١٠٩
العناية ببيوت الله بتونس	التحريـر	٦٨/١١٠
فى اليهودية مادية جامحة	الدكتور محمد البهى	١٠/١٢٠
مظاهر الوحدة وضماناتها	الدكتور أحمد الحجى الكردى	٨٢/١١٦
مفاهيم سليمة	الدكتور محمد على الزغبى	٢٠/١١٨
المنجزات الاسلامية فى القرن العشرين	الدكتور محمود زايـد	٧٠/١١١
المؤتمر الاسلامى	الأستاذ عبد الحليم عويس	٩٤/١١٤
مؤتمر القمة الاسلامى	« « « «	٣٠/١١١
نصر الله للمؤمنين	الدكتور محمد البهى	٢٢/١٠٩
نقد ابن كثير للاسرائيليات	الأستاذ اسماعيل سالم عبد العال	١٣/١١٧
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية	التحريـر	٨٨/١١٦
يومان فى حياة الرسول	الدكتور محمد الدسوقى	٧٦/١١٢

تاريـــخ وحضارة

الفتـــاوى

باقلام القراء

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
الاضطهاد الدينى	الأستاذ مصطفى مصطفى القرمانى	١٠٩/١١٣
التنزيل والحضارة	الأستاذ محمد رمضان	١٠٩/١١٥
التصوف	الأستاذ عبدالمنعم ابراهيم البحقيرى	١٠٧/١١٨
حول تعدد الزوجات	الأستاذ خليل محارب السويكى	١٠٧/١١٢
الخدمة فى المناطق النائية	الأستاذ عبد الرحمن احمد شادى	١٢٦/١٠٩
شهر رمضان	الدكتور عبدالله عبدالقادر بلفقيه	١٠٧/١١٧
طريق الخلاص	الأستاذ محمد جاسم	١٠٦/١٢٠
العبادة الحركية فى الاسلام	الدكتور ابراهيم الراوى	١٠٥/١٢٠
العصر الذهبى لعلم الحديث فى الهند	الأستاذ تقى الدين الندوى	١٠٩/١١٣
المبادىء البشرية	الأستاذ قيس القرطاس	١٠٩/١١٤
المراة والهجرة	الأستاذ محمد لطفى عيسى	١٢٥/١٠٩
المساعى المشكورة	الأستاذ عبدالرحمن احمد شادى	١٠٨/١١٢
مشاكل المجتمع وتطبيقها	الدكتور سالم نجم	١٠٨/١١٩
من المتعصبون ؟	الأستاذ خليل محارب السويكى	١٢٦/١٠٩
مواقف شجاعة للامام الاوزاعى	الأستاذ محمد شمس الدين	١٠٩/١١٦
كيف يتكرر جيل الصحابة	الأستاذ مصطفى احمد حسن	١٠٨/١١٠
واجب علماء المسلمين	الشيخ محمد عبدالغنى ابوشرف	١٠٩/١١١

بريد الوعي

اعداد الأستاذ : عبد الحميد رياض

الموضوع	العدد/الصفحة
ارتيريا	١٢٠/١٠٩
امداد المركز الاسلامى بالمانيا بالمطبوعات	١٠٥/١١٠
ان الدين عند الله الاسلام	١٠٥/١١٨
اول مجلة اسلامية على المستوى الجامعى فى افريقيا	١٢١/١٠٩
الايمان بالغيب	١١٩/١٠٩
البهائية	١٠٥/١١٦
بيان اخطاء المصحف المزور	١٠٤/١١٠
تساؤلات وأجوبة عن الخمر	١٠٢/١١٢

قالت صــحف العــــالم

الموضـــــوع	المصدر	العدد/الصفحة
رســالة الأزهر	صحيفة أخبار العالم الاسلامى السعودية	١٠٧/١١١
الطريق الى حياة العزة	» » » » »	١٠٩/١١٢
فى سبيل الاصلاح	صحيفة الدعوة السعودية	١٠٧/١١٠
فى محيط الأسرة	مجلة رابطة العالم الاسلامى السعودية	١٠٨/١١٦
كرسى للقرآن	مجلة الشبان المسلمين القاهرية	١٠٧/١١٣
مسئولية الكتاب والمثقفين	صحيفة أخبار العالم الاسلامى السعودية	١١٠/١١٢
مسئولية مصر	صحيفة الرائد الهندية	١١٠/١١٨
المسلمون فى الولايات المتحدة	مجلة الجامعة الاسلامية السعودية	١٠٧/١١٥
المواجهة الدائمة	مجلة النور المغربية	١٠٧/١١٣
المؤسسة الاسلامية المالية	مجلة الشبان المسلمين القاهرية	١٠٨/١١١
نعمة الاسلام على المرأة	مجلة الارشاد المغربية	١١٢/١٢٠
هذا المصحف مزور	جريدة الاهرام القاهرية	١٢٢/١٠٩
وليس هو الا الدين	مجلـــة الرائـــد	١٠٤/١١٤

الأغـــلفة

صورة الغــــلاف	العدد/الصفحة
طريق الهجرة (خارطة)	١/١٠٩
لا تحزن ان الله معنا (آية)	٢/١٠٩
جامع القيروان بتونس (صورة)	١/١١٠
يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا (آية)	٢/١١٠
مسجد شاه جيهان بباكستان (صورة)	١/١١١
وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (آية)	٢/١١١
الجامع الكبير بالجزائر (صورة)	١/١١٢
لا حول ولا قوة الا بالله (آية)	٢/١١٢
المسجد الجامع بدلهى (صورة)	١/١١٣
آية الكرسى (لوحة)	٢/١١٣
مسجد الروضة بدمشق (صورة)	١/١١٤
كل من عليها فان (آية)	٢/١١٤
الحرم الابراهيمى من الداخل (صورة)	١/١١٥
دار القرآن الكريم (اعــلان)	٢/١١٥

صورة الغلاف	العدد/الصفحة
وقال ربكم ادعونى استجب لكم (آية)	١/١١٦
قل يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم (آية)	٢/١١٦
شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن (آية)	١/١١٧
ان الدين عند الله الاسلام (آية)	٢/١١٧
منارة الرباط بتونس (صورة)	١/١١٨
ولله على الناس حج البيت (آية)	٢/١١٨
يوم الحج الاكبر (لوحة)	١/١١٩
الحج أشهر معلومات (آية)	٢/١١٩
الكعبة المشرفة (صورة)	١/١٢٠
الحج أشهر معلومات (آية)	٢/١٢٠

مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ عبد الستار محمد فيض

اسم الكتاب	مؤلفـــــه	العدد/الصفحة
الحرية السياسية	الدكتور احمد شوقى الفنجرى	١٠١/١١١
حكم الاسلام فى القضاء الشعبى	الدكتور فؤاد عبد المنعم	٦٦/١١٩
حياة يوسف	الأستاذ محمود شـلبى	١١٥/١٠٩
عالم الاسلام	الدكتور حسين مؤنس	٩٨/١١٢
كيف ندعو الناس	الأستاذ عبد البديع صقر	٥٥/١١٣
لمحات فى الثقافة الاسلامية	الأستاذ عمر عوده الخطيب	١٠١/١١١
فى رحاب الايمان	الأستاذ محمد عبد العزيز عبد الدايم	٥٤/١٢٠
مسند الامام أحمد بن هنبل	الأستاذ أحمد عبد الرحمن البنا	١١٥/١٠٩
مناهج الاجتهاد فى الاسلام	الدكتور محمد سلام مدكور	٥٥/١١٣
من الخالق الله أم الصدفة ؟	الأستاذ رشدى مدبولى حسن	٦٦/١١٩

مائدة القارئ

اعداد : الأستاذ فهمى امام

قصص

الأعـــــلام

الكتّاب

الكاتب	الموضـــوع	العدد/الصفحة
أحمـــد مظهر العظمة	شعبان وليلـــة النصف	٧٣/١١٦
إسماعيل سالم عبد العال	نقد ابن كثير للاسرائيليات	١٣/١١٧
أنـــور الجنــدى	محمد الطاهر بن عاشور	٩٦/١١١
« «	عبـــد الله التـــل	٤٤/١١٤
« «	عـــلال الفـــاسى	٦٠/١١٦
« «	العقيـــدة والقوة معـــا	٦٢/١١٩
تقى الدين الندوى الظاهرى	العصر الذهبى لعلم الحديث فى الهند	١٠٩/١١٣
حسن هـــويدى	دور الاســـلام فى العصر الحديث	٤/١١٨
خليـــل محـــارب السويكى	من المتعصـــــبون ؟	١٢٦/١٠٩
« « «	حـــول تعـــدد الزوجات	١٠٨/١١٢
راشد عبد الله الفرحان	رســـول الإنســـانية	٤/١١٢
« « «	قضيتنا قضية الحق	٤/١١٦
رشـــاد خليفـــة	أول مجلة إسلامية فى أمريكا	١٢١/١٠٩
رضوان رجب البيلى	الصـــيام والقـــرآن	٤/١١٧
زيدان أبو المكارم	بناء الاقتصـــاد الاسلامى	٨٠/١٢٠
سعيد زايـــد	فكـــرة الحـــق	٥٦/١١٣
« «	الفـــارابى الموســـيقى	٨٢/١١٧
« «	المخيلة عنـــد الفـــارابى	٧٢/١١٩
سليمان دنيـــا	الإفتـــاء والقضـــاء	٦١/١١٣
السـيـــد سابق	التـــــدين	١٤/١١٦
طـــه الولى	الحـــج	٩/١١٩
عبد الجليل شلبى	القرآن معجـــزة خالدة	١٠/١١٦
عبد الحليم عويس	مؤتمر القمـــة الإســـلامى	٣٠/١١١
« «	مع الأمين العام للمؤتمر الإسلامى	٩٤/١١٤
« «	التعليم الإسلامى فى الكويت	٦٢/١١٥
عبد الحميـــد رياض	بريد الوعى الإســـلامى	جميع الاعداد
عبد الحميد السائح	أهمية القدس قديما وحديثا	٤٠/١٠٩
« «	ميـــلاد الرسول الاعظم	٤٠/١١١
« «	الحاجة إلى توحيد المواسم والأعياد	٤٨/١١٣
عبد الرحمن احمد شادى	الخدمة فى المناطق النائية	١٢٦/١٠٩
« « «	المســـاعى المشـــكورة	١٠٨/١١٢
عبد الرحمن عبد اللطيف	حـــق الله على عبـــاده	٨٦/١١٨
عبد الستار محمـــد فيض	مكتبـــة المجـــلة	جميع الاعداد
عبد العال سالم مكرم	بين العقـــل والوحى	٢٠/١١٠
عبد القادر طاش التركستانى	التركستان بين الظلم والنسيان	٧٢/١١٠
« « «	أضـــواء على حركة المنافقين (١)	١٧/١١٤
« « «	« « « « (٢)	٤٨/١٢٠

الكاتب	الموضوع	العدد/الصفحة
عبد الكريم الخطيب	الخمر وموقف الإسلام منها	٧٧/١٠٩
» »	رسالة الإنسان ونسخها للرسالات	٢٨/١١٢
» »	تساؤلات واجـوبة عن الخمر	١٠٢/١١٢
» »	نحـو اقتصاد إسلامي متحرر	٣٢/١١٣
» »	بالإسلام نستدين الإنسانية	٦٨/١١٤
» »	دراسات فى القصص القرآنى	٦/١١٧
عبد اللطيف محمد صالح العوضى	مفهوم التاريخ عند علماء المسلمين	٣٠/١١٩
عبد الله عبد العزيز بن عقيل	هجـــر القـــرآن	١٠٢/١١١
» » »	نقـل المســـجد	٩٩/١١٢
عبد الله عبد القادر بلفقيـه	شهر رمضان شهر التصفية الروحية	١٠٧/١١٧
عبد الله محمود شحاته	غـزوة بدر الكبرى	١٩/١١٧
عبد المنعم ابراهيم البحقيرى	التصـــــــوف	١٠٧/١١٨
عبد المقصود حبيب	فى قضية ملبس المراة	٧٢/١٢٠
عبد الناصر توفيق العطار	التـامين التجـارى	٤٤/١١٧
عـزت محمـد ابراهيـم	صـــانع المعجـزات	٩٢/١١٠
» » »	ابن خـــلدون	٩٠/١١٥
على محمد حسن الشكرجى	حمـزة السـقا (قصة)	٩٤/١١٢
على الطنطـــاوى	خواطر فى القرآن الكريم	٨/١١٢
على عبد الله طنطـاوى	بين الشريعـة والقانون	١٨/١١٦
على القــاضى	عوامل التربيـة فى الإسلام	٨٥/١٠٩
» »	الإسلام والصحة النفسية	٧٢/١١٢
» »	اثر رمضان فى التعبئة العامة	٣٢/١١٧
على محمـد حسن	مشـكلات الفواصــل (٢)	١٦/١٠٩
» » »	» » (٣)	١٦/١١٠
عمـاد الدين خليـل	الإسلام والافريقى المعـاصر	٤٢/١١٥
» » »	الحضـارة الغربيـة (١)	٢٨/١١٨
» » »	» » (٢)	٢٦/١١٩
» » »	» » (٣)	٦٥/١٢٠
فاروق محمـود مساهل	العـزل والإجهـاض	٤٠/١١٦
فاروق منصـــور	الفكر الإسلامى والإنسان والمعركة	٦٦/١١٦
فهمى عبد العليم على الإمام	زوجـات الرسول	جميع الأعداد
» » » »	المائــدة	جميع الأعداد
» » » »	الأخبـــار	جميع الأعداد
المبـادىء البشـرية	قيس القرطـــاس	١٠٩/١١٤
مـازن المبـارك	الاسس والآثار الحضـارية	٣٨/١١٤

الكاتب	الموضوع	العدد/الصفحة
محمد عبد الله السمان	الإجتهاد وحاجتنا إليه (كتاب الشهر)	٨٨/١١٣
» » »	بين العقيدة والقيادة (كتاب الشهر)	٩٤/١١٥
» » »	دعوة الحق (كتاب الشهر)	٢٧/١١٦
» » »	دستور الأخلاق فى القرآن (كتاب الشهر)	٩١/١١٨
محمد عبد المنعم الخاقانى	مكانة المرأة فى الإسلام	٥٨/١١٢
محمد على الزقبى	مفاهيم سليمة	٢٠/١١٨
محمد عزة دروزة	حكم الأسرى والرق فى الإسلام	٥٢/١١٠
» » »	القصص القرآنية (١)	٧/١١٣
» » »	» » (٢)	٩/١١٤
» » »	وأين ايضا انجيل عيسى	٦٩/١١٥
» » »	حول ولاية الرجل على نفسه	٥١/١١٧
» » »	إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام	١٣/١١٨
» » »	قصة آدم وإبليس	١٦/١٢٠
محمد الغزالى	نظرات فى سورة الأنعام	٨/١٠٩
» »	الله	٤/١١٠
» »	تفسير سورة المسد	٤/١١٣
» »	آية الكرسى	٤/١١٤
» »	التبشير والإستعمار	٤/١١٥
» »	تفسير سورة الكافرون	٧/١١٦
محمد فتحى بهنس	مراعاة الشرع الإسلامى لحالة الجانى	٥٥/١٢٠
محمد فوزى فيض الله	منهج الإسلام فى التكافل الاجتماعى (١)	٥٢/١١٤
» » »	» » » » » (٢)	٥٢/١١٥
محمد لبيب البوهى	لمن تدق الأجراس ؟ (قصة)	٦٢/١١٤
» » »	حدث فى المدينة المنورة (قصة)	٨٦/١١٧
محمد لطفى عيسى	المرأة والهجرة	١٢٥/١٠٩
محمد المجذوب	الركب المبارك (قصة)	١٠٨/١٠٩
» »	مشاهد من السيرة النبوية	٤٥/١١١
محمد محمد ابو شوك	امراض الكبد	٧٦/١١٦
محمد محمد بيصار	الهجرة بين ماضينا وحاضرنا	٤/١٠٩
محمد محمد الشرقاوى	النسخ توقيت للأحكام	٢٢/١١٦
» » »	الإسلام والشرائع السابقة	٣٥/١١٨
محمد محمد عبد الرؤوف	الحاجة إلى تقويم هجرى	٣٤/١٠٩
» » »	المولد النبوى	٤/١١١
» » »	نظرات فى الحديث (٣)	٨/١١٠
» » »	» » » (٤)	١٥/١١٢

الكاتب	الموضوع	العدد/الصفحة
محمد محمد عبد الرؤوف	« « « (٥)	٧٢/١١٧
« « «	« « « (٦)	٦٠/١١٨
« « «	« « « (٧)	٦٧/١١٩
« « «	« « « (٨)	٢٤/١٢٠
محمد نعيم	محمد أبو زهرة	٨٣/١١٣
« «	الإسلام فى بلجيكا	٧٦/١٢٠
محمود زايد	المنجزات الإسلامية فى القرن العشرين	٧٠/١١١
« «	الإسلام وتحديات القرن العشرين	٤٣/١١٢
محمود حسن اسماعيل	صلاة للشهداء (قصيدة)	٤٨/١١٤
محمود شيت خطاب	مجالس الذكر (قصة)	٥٩/١١٧
« « «	وليمة أصفهانية (قصة)	٩٦/١١٨
محمود محمد زيادة	اليهود وتآمرهم (١)	٦٠/١٠٩
« « «	« « (٢)	٧٨/١١٤
« « «	« « (٣)	٣٧/١١٧
مصطفى أحمد حسن	كيف يتكرر جيل الصحابة	١٠٨/١١٠
مصطفى مصطفى القرمانى	الاضطهاد الدينى	١٠٩/١١٣
نجيب الكيلانى	التاج والخطيئة (قصة)	٤٦/١١٦
نور الدين عتر	هل نقيد تعدد الزوجات ؟	٤٦/١١٦
« «	علة ربا الفضل	٥١/١١٦
وهبه الزحيلى	سيادة الدولة فى ظل الإسلام	٩١/١٠٩
« «	التيارات الإلحادية	٢٩/١١٠
« «	عصمة النبى	٢٢/١١١
« «	عاقبة التساهل بمقومات الحرام	٣٨/١١٣
محمد هارون الحلو	فى موسم الحج (قصيدة)	٦٢/١٢٠
يحيى هاشم حسن فرغل	الوحدة الإسلامية	٧٩/١١٠
يوسف حسن نوفل	العلم والدين فى الفلسفة	٣٧/١١٠
« « «	أبو حيان التوحيدى (كتاب الشهر)	٢٣/١١٤


مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـــ الكويت

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عنـــــدنا ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
المغـــرب	:	الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
تونـــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العـــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحـــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧
الكـــويت	:	مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد